٢٦

تفسیر تاویلات ابی منصور ماتریدی

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: ~~36~~
33

حسبی الله وحده
من الکتب التی وقفها الفقیر
الی آلاء ربه ذی المواهب
محمد المدعو بین الصدور براغب
وکفی عبده

T.C. İs. Ragıp Paşa Kütüphanesi 1953

قال الشيخ الامام ابو منصور رضي الله عنه الفرق بين التأويل والتفسير هو ما قيل التفسير للصحابة والتأويل للفقهاء ومعنى ذلك
ان الصحابة شهدوا المشاهد وعلموا الامر الذي نزل فيه القرآن فتفسيرهم الآية خبر عما عاينوا وشهدوا واذ هو كالشهادة لا نسمع الا ممن
علم ومنه قيل من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده فيما يفسر يشهد على الله بوحي واما التأويل فهو بيان منتهى الامر ماخوذ من الاول اي يرجع
ومعناه كما قال ابو زيد لو كان هذا الكلام غير توجه الى كذا وكذا من الوجوه فهو توجيه الكلام الى ما يتوجه اليه ولا يقع التشديد
في هذا مثل ما يقع في التفسير اذ ليس فيه الشهادة على الله انه لا يخبر عن المراد ولا يقول اراد الله به كذا وعني ولكن يقول يتوجه هذا
الى كذا من الوجوه هذا مما يحتمله البشر والله اعلم ما صححه من الحكمة ومثاله ان اهل التفسير اختلفوا في قوله الحمد لله قال بعضهم ان
الله حمد نفسه وقال بعضهم امر ان يحمد فمن قال على هذا دون هذا فهو المفسر له واما التأويل فهو ان يقول يتوجه الحمد الى الثناء والمدح
والى الامر بالشكر لله والله اعلم بما اراد فالتفسير ذو وجه واحد والتأويل ذو وجوه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الحمد لله احتمل ان يكون جل ثناؤه حمد نفسه ليعلم الخلق استحقاقه الحمد بذاته فيحمدوه فان قيل كيف يجوز ان يحمد نفسه ومثله
في الخلق غير محمود قيل له لوجهين احدهما انه استحق الحمد بذاته لا باحد فيكون في ذلك تعريف الخلق لما يلزمهم له بما اثنى على نفسه يثنوا
عليه وغيره انما يكون ذلك له باجل وعن فعليه توجه الحمد اليه لا الى نفسه اذ نفسه لا تستوجبه بها بل بالله تعالى والثاني ان الله تعالى
حقيق لذلك اذ لا عيب فيه ولا آفة تحل به فيدخل نقصانا في ذلك ولا هو مأمور بشيء والعبد لا يخلو عن عيوب نفسه وآفات تحل به
ويمدح بالاحماد ويذم بتركه وفي ذلك يمكن النقصان وحق مثله الفزع الى الله تعالى والتضرع اليه ليتفضل برحمته ويتجاوز عن صنيعه وعلى
ذلك معنى التكبر يمدح به ربنا ولا يحمد غيره اذ ليس للعبد معنى يستقيم تكبره اذ هم جميعا اكفاء من طريق البنية والخلقة وما ادرك احد منهم
من فضيلة او رفعة فبالله ادركه لا بنفسه فعليه التزيد في الرغب والفزع اليه بالشكر لا بالتكبر على امثاله والله تعالى عن هذا الوصف
متعال ويحتمل ان يكون قوله الحمد لله على اضمار الامر اي قولوا الحمد لله لان الحمد يضاف الى الله فلا بد من ان يكون له علينا فامر بالحمد لله
ثم يخرج ذلك على وجهين احدهما ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الحمد لله اي الشكر لله بما صنع الى خلقه فيخرج تأويل الآية على هذا
الترتيب الامر بتوجيه الشكر اليه وذلك يتضمن الامر بنا بكل الممكن من القيام على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت قدماه
فقيل له اليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا فصير انواع الطاعات شكرا له فمن اطاع الله تعالى فقد شكر له
فيخرج تأويل الآية على هذا والوجه الثاني ان يخرج مخرج الثناء على الله عز وجل والمدح له والوصف بما يستحقه والتنزيه عما لا يليق به من توجيه
النعم اليه وقطع الشكر عنه في الانعام والافضال على عباده وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول قسمت
الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله سبحانه وتعالى حمدني عبدي فجعل الحمد هذا الحرف وصيره منه
ثناء لوجهين احدهما انه نسب الربوبية اليه في جميع العالم وقطعها من غيره والثاني انه سمى ذلك صلوة اسم للثناء والدعاء وذلك خلاف
الذم ونقيضه وفي الوصف بالبراءة من الذم مدح وثناء وبغاية المدح والثناء ولذلك يفرق القول بين الشكر والحمد اذا امرنا بالشكر للناس
بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لم يشكر الناس لم يشكر الله صيره بمعنى المجازاة والحمد بمعنى الوصف بما هو اهله فلم يستحب لغير الله و
بالله التوفيق وقوله رب العالمين ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سيد العالمين والعالم كل من دب على وجه الارض وقد يتوجه الرب
الى الربوبية والى السودد اذ يستقيم القول برب كل شيء من بني آدم وغيره ونحو رب السموات والارض من التربية ورب العرش ونحوه وغير

مستقيم القول لسيد السموات ونحوه وقد يتوجه اسم الرب الى الملك اذ كل من ينسب اليه الملك يسمى مالكه ولا يسمى انه سيد الا في بني آدم
خاصة واسم الرب يجمع ذلك كله لذلك كان التوجيه الى المالك اقرب وان احتمل المروي عن ابن عباس رضي الله عنه اذ هو في الحقيقة
سيد من ذكر وربهم والله الموفق ثم اختلف اهل التفسير في العالمين فمنهم من رده الى كل ذي روح دب على وجه الارض ومنهم من
رده الى كل ذي روح في الارض وغيرها ومنهم من قال الله كذا وكذا عالم والتأويل عندنا ما اجمع اهل الكلام ان العالمين اسم لجميع الانام
والخلق جميعا وقول اهل التفسير يرجع الى مثله الا انهم ذكروا اسماء الاعلام واهل الكلام ما يجمع ذلك وغيرهم ثم العالم اسم لجميع وكذلك
الخلق ثم تعريف ذلك بالعالمين والخلائق يتوجه الى جمع الجمع من غير ان يكون في التحقيق تفاوت وقد يتوجه الى العالم كل زمان وكذا خلق كل زمان
على حكم تجدد العالم وبالله التوفيق وفي ذلك ان الله عز وجل ادعى لنفسه رب العالمين كلهم من تقدم وتأخر ومن كان ويكون لم يقدر
احد ان ينطق بالتكذيب يدعي شيئا من ذلك لنفسه دل ذلك ان لا رب غيره ولا خالق لشيء من ذلك سواه اذ لا يجوز ان يكون حكيما
او الها يشيء ويبدع ولا يدعيه ولا يفصل ما كان منه مما كان لغيره ونفسه فام ذلك لا بغيره وعلى ذلك معنى قوله تعالى وما كان
معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق فهذا معا في اتساق التدبير واجتماع التضاد وتعلق حوائج بعض ببعض وقيام منافع بعض ببعض
على تباعد بعض من بعض وتضاد حاد دليل واضح على ان مدبر ذلك كله واحد وانه لا يجوز كون مثل ذلك من غير مدبر عليهم والله اعلم
وقوله الرحمن الرحيم اسمان مأخوذان من الرحمة لكنه روي فيهما وقيل ان احدهما ارق من الآخر وكان الذي ذكر عنه هذا اراد به
لطيفان احدهما الطف من الآخر دليل ذلك وجهان احدهما يجي لا ان في ذلك اللطيف في اسماء الله تعالى مما نطق به الكتاب ولم يذكر في
شيء من ذلك رقيق ومعنى اللطيف في استخراج الامور الخفية وظهور ماله انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة الى قوله لطيف
خبير وبالله التوفيق والثاني ان اللطيف حرف يدل على البر والعطف والرقة الشيء الذي هو نقيض الغلظ والكثافة كما يقال فلان رقيق
القلب واذا قيل فلان لطيف فانما يراد به بار عاطف فلذلك يجوز لطيف ولا يجوز رقيق وكذلك فسر من فسر الرحمن بالعاطف على خلقه
بالرزق وذهب وهم الاول الى اللطافة وذلك بعيد وانما هو من اللطف وقوله احدهما ارق من الآخر بمعنى الطف يحتمل وجهين احدهما
التحقيق بان اللطف باحد الحرفين اخص والبق واوفر واكمل فذلك رحمته بالمؤمنين على تخصيصهم بالهداية لدينه ولذا ذكرانه وان اشركهم
في الرزق فيما يراهم غيرهم الا يرى انه لا يقال رحمان بالمؤمنين وجاز القول رحيم بهم وكذلك لا يقال رحيم بالكافر مطلقا وبالله التوفيق
ووجه آخر ان احدهما الطف من الآخر كانه وصف الغاية في اللطف حتى يتعذر وجه ادراك ما في كل واحد من اللطف ويوصف بقطع
الغاية عما يتضمنه كل حرف وبالله التوفيق ثم في هذا ان اسم الرحمن هو المخصوص به الله لا يسمى به غيره والرحيم يجوز تسمية غيره به
فلذلك يوصف ان الرحمة اسم ذاتي والرحيم فعلي وان احتمل ان يكونا مشتقين من الرحمة ودليل ذلك انكار العرب الرحمن ولا احد منهم انكر
الرحيم حيث قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وذلك قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا يدل على انه ذاتي لا فعلي وان كان
الفعل صفة الذات اذ محال صفته بغيره لما يوجب ذلك الحاجة الى غيره ليحدث له الثناء والمدح وفي ذلك خلق الخلق لنفع الاستمداح
وهو عن ذلك متعال بل بنفسه مستحق لكل حمد ومدح ولا قوة الا بالله وذكر في خبر القسمة ان العبد اذا قال الرحمن الرحيم قال الله
تعالى اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني وذكر انه قال في الاول بالتمجيد وفي الثاني بالثناء وذلك واحد لان معنى الثناء الوصف
بالمجد والكرم والجود والتمجيد وفي الثاني بالثناء وذلك واحد لان معنى الثناء الوصف بالمجد والكرم والجود والتمجيد هو الوصف به ايضا والله
وبالله التوفيق ثم اجمع ان قوله مالك يوم الدين انه يوم الحساب والجزاء وعلى ذلك القول انا المدينون وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق وهو الجزاء ومن ذلك قول الناس كما تدين تدان وجائز ان يكون مالك يوم الدين على جعل ذلك اليوم لما بدا ان اليوم اذ به
يظهر حقيقته وعظم مرتبته وجليل موقعه عند ربه وفي الآية دلالة وصف الرب بملك ما ليس بموجود لوقت الوصف بملكه وهو يوم
القيمة ثبت ان الله بجميع ما يستحق الوصف به يستحق بنفسه لا بغيره ولذلك قلنا نحن هو خالق لم يزل ورحيم لم يزل وجواد لم يزل وحميد
لم يزل وان كان ما عليه وقع ذلك لم يكن وكذلك نقول هو رب كل شيء واله كل شيء في الازل وان كانت الاشياء حادثة كما قال مالك يوم الدين
اليوم وان كان اليوم بعد غير حادث وبالله التوفيق وقوله اياك نعبد فهو والله اعلم على اضمار الامر اي قولوا ثم لم يجعله ان يستثنى في القول به
بالزمه القول بل القول فيه ثم هو يتوجه وجهين احدهما اجمال القول به على الخبر عن حاله فيجب ان لا يستثنى في التوحيد وان من يستثني فيه عن
شك يستثني والله تعالى وصف المؤمنين بقوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الآية وكذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن افضل الاعمال فقال الايمان لا شك فيه والثاني عن الاحوال التي ترد وفي ذلك على اعتقاد المذهب لم يجز الشك فيه اذ المذاهب لا تعتقد لاوقات
انما يعتقد للابد لذلك لم يجز الشك فيه في الابد وبالله التوفيق ثم قوله اياك نعبد يتوجه وجهين احدهما الى التوحيد وكذا ذكر عن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال كل عبادة في القرآن فهو توحيد والوجه الآخر ان يكون على كل طاعة ان يعبد الله بها واصلها يرجع الى واحد لان العبد
يوحد الله تعالى في كل عبادة لا يشرك فيها احدا بل يخلصها فيكون موحدا لله تعالى بالعبادة والدين جميعا وعلى ذلك قطع الطمع والخوف
والحوائج كلها عن الخلق وتوجيه ذلك الى الله تعالى بقوله انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد وعلى ذلك المؤمن لا يطمع في الحقيقة باحد غير الله
ولا يرفع اليه الحوائج ولا يخاف الا من الوجه الذي يخشى ان الله جعله سببا لوصول بلاء من بلاياه اليه على يديه فيهاب ذلك يخافه او يرجو
ان يكون الله تعالى جعل سبب ما دفعه اليه على يديه فيدل ذلك يرجو ويطمع فيكون ذلك من الضالين فيكون في ذلك التعوذ من جميع انواع الذنوب
والاستهداء الى كل انواع البر ثم التسمية هي آية من القرآن وليست فاتحة القرآن دليل جعلها آية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
قال لابي بن كعب لاعلمنك آية لم تنزل على احد قبلي الا على سليمان بن داود فاخرج احدى قدميه ثم قال له باي آية يفتتح بها القرآن قال بسم الله
الرحمن الرحيم فقال هي هي ففي هذا انها آية من القرآن وانها لو كانت من السور لكان يجعله شيئا وما يجزئه لانه آية واحدة ولو كانت منها
لكان لا يجعلها مفتاح القرآن بل يجعلها من السور ثم الظاهر من لم يتكلف تفسيرها عند ابتداء السور ثبت انها ليست منها ولذلك
ترك الائمة الجهر بها على العلم بالله لا يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بها ثم يخفى ذلك على من معه وان يكونوا فعلوا

ثم يتبعون سنة بلا تيقع يحصل لهم حتى توارثت الامة تركها فيما يحتمل ان يكون الجهر سنة ثم يجيء فيكون في فعل الناس دليل واضح انها
ليست من السور ودليل اخر على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله انه قال قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فاذا قال
العبد الحمد لله الى قوله مالك يوم الدين فقال هذا لي وهي ثلث ايات وقال بعد قوله اهدنا الى اخرها هذا لعبدي فثبت انها ثلث ايات لتستوي
القسمة ثم قال في قوله اياك نعبد واياك نستعين هذا بيني وبين عبدي نصفين فثبت انها اية واحدة فصارت بغير التسمية سبعا وذلك
قول الجميع انها سبع ايات فكان يذكر في خبر القسمة فثبت اتحاد وبها سبع ايات وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه انه صلى خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فلم يكونوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وروي ذلك عن علي
رضي الله عنه وعبد الله بن عمر وجماعة وهو الامر المعروف في الامة مع ما جاء في قصة السورة انها كانت احدى عشرة وقراءة عليها المؤذن
دون التسمية فكذا غيرها من السور مع ما اذ جعلت مفتاحا كانت كالتعوذ والله الموفق والاصل عندنا ان المعنى الذي تضمنه فاتحة القرآن
فرض على جميع البشر اذ فيه الحمد والوصف له بالمجد والتوحيد له والاستعانة به وذلك كله يلزم كافة العقلاء من البشر اذ فيه معرفة
الشرائع على ما هو معروف والحمد له على ما يستحقه اذ هو المبتدي بنعمه على جميع خلقه واليه فقر كل عبد وحاجة كل محتاج فصارت نفسها بما
جمعت الخصال التي بينا فريضة على عباد الله ثم ليست هي في حق الصلوة فريضة وذلك نحو التسبيحات بما فيها من تنزيه الله والتكبيرات بما فيها من
تعظيمه فريضة لنفسها اذ ليس لاحد ان لا ينزهه ولا يعظمه من غير ان يوجب ذلك فرضيتها في حق الصلوة وفي حق كل محمولة في فيه
لا من طريق توضيع الفرضية من غير طريق الذي ذكرت ثم ليست هي بفرضية في حق القراءة في الصلوة لوجوه احدها ان فرضية القراءة عرفنا
بقوله فاقرءوا ما تيسر من القرآن وفيها الدلالة من وجهين احدهما انه قد يكون غيرها ايسر والثاني ان فرضية القراءة في هذه الاية من
حيث الامتنان بالتخفيف علينا والتيسير ولو لم تكن فريضة لم يكن علينا في التخفيف منه اذ لنا الترك فدل انه لا يجب في فاتحة القرآن والاية
التي بها عرفنا الفرضية فيما تخير ما يختار من الاية ثبت انها رجعت الى غيرها وبالله التوفيق والثاني ان تحية الله اخبر عن الله انه جعل بها في
حق الثناء وهو ما ذكر في خبر القسمة فصارت تقرأ بذلك الحق فلم يخلص لها حق القراءة بل الحق بها حق الدعاء والثناء وليس ذلك من فرائض الخلق
وبالله التوفيق والثالث ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم احيى ليلة بقوله ان تعذبهم فانهم عبادك
الاية به كان يقوم وبه كان يركع وبه يسجد وبه يقعد فثبت انه لا يتعين قراءتها في الصلوة مع ما بين الخبر الذي فيه ان رجع فصل فانك
لم تصل ان قال له وقت التعليم اقرا ما تيسر عليك فثبت ان المفروض ذلك وايضا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلوة الا
بفاتحة الكتاب ثم روي عنه بيان فضلها ان كل صلوة لم تقرا فيه بفاتحة الكتاب فهي خداج نقصان غير تمام والفاسد لا يوصف بالنقصان
وانما الموصوف بمثله ما جاز مع النقصان وبالله التوفيق ثم خص فاتحة القرآن بان تسمى بما سمي بالذي ذكر في خبر القسمة وغير الفاتحة
وان كان فيه الدعاء فانه لم يخص بهذا الاسم لذلك لم يجهر به فالسبيل ما ذكرنا في التسمية مع ما كان هو اخلص بمعنى الدعاء منها ثم السنة
في جميع الدعوات المخافتة والاصل ان كل ذكر يشترك فيه الامام والقوم فسنة المخافتة الا لحاجة الاعلام وهذا يعلم قوله ولا تبتغ بين
فيزول معناه وسبيل مثله المخافتة مع ما جا بها مرفوعا ومتوارثا وخبر الجهر يحتمل السبق كما كان يسمعهم صلوة في النهار احيانا ويحتمل
الاعلام انه كان يقرا به وبالله التوفيق ثم جمعت هذه خصالا لامر الخير ثم كل خصلة منها مجمع خصال الخير منها ان في الحرف الاول
من قوله الحمد لله رب العالمين شكر لجميع النعم وتوجيها لها الى الله لا شريك له ومدحا له باعلى ما يحتمل وهو ما ذكرنا من عموم نعمه والاية
جميع بريته ثم فيه الاقرار بوحدانيته في انشاء البرية كلها وتحقيق الربوبية له عليها بقوله رب العالمين وكل واحد منهما مما يجمع خصال
خير الدارين ويوجب القائل به عن صدق القلب درك الدارين ثم الوصف لله عز وجل بالاسمين يتعالى عن ان يكون لاحد من معناهما
حقيقة او يجوز ان يكون منه لا استحقاقه غير الله والرحمن ثم الوصف له بالرحمة التي بها نجاة كل ناج وسعادة كل سعيد وبها يتقي
المهالك كلها مما من رحمته خلق الرحمة التي بها تعاطف بينهم وتراحمهم ثم الايمان بالقيمة بقوله مالك يوم الدين مع الوصف
بالمجد وحسن الثناء عليه ثم التوحيد ما يلزم العباد من اخلاص العبادة له والصدق فيها مع جعل كل رغبة وشرف معالي به
جل وعز ثم رفع جميع الحوائج اليه والاستعانة به على قضائها والظفر بها على طمانينة القلب وكونه ان لا خيبة عند معونته ولا
زيغ عند عصمته ثم الاستهداء الى ما يرضيه والعصمة عما يغويه في حادث الوقت على العلم بانه لا ضلال لاحد مع هدايته في التحقيق
الرجاء والخوف من الله لا من غيره وعلى ذلك جميع معاملات العباد ومكاسبهم الرجاء من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سببا به
يصل الى مقصوده ويظفر بمراده ولا قوة الا بالله وقوله واياك نستعين فذلك طلب المعونة من الله تعالى على جميع قضاء حوائجهم
دنيا ودينا ويحتمل ان يكون هو على اثر الفزع الى الله بقوله اياك نعبد على طلب التوفيق لما امره والعصمة عما حذره عنه وكذلك الامر
البين في الخلق من طلب التوفيق والمعونة من الله والعصمة عن المنهي عنه جرت به سنة الاخيار والله الموفق ثم لا يصلح هذا على
قول المعتزلة لان تلك المعونة على اداء ما كلف قد اعطي اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقي شيء مما به اداء ما كلف عند الله
وطلب ما اعطي كتمان العطية كفران فيصير كان الله امر ان يكفر نعمه ويكتمها ويطلبها منه تعنتا وظن مثله بالله كفر ثم لا يخلو من
ان يكون عند الله ما يطلب فلم يعطه التمام اذا وليس عنده فيكون طلبه استهزاء به اذ من طلب الى اخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ
به في العرف مع ما كان الذي يطلب تاما ان يكون لله ان لا يعطيه مع التكليف فيبطل قولهم اذ لا يجوز ان يكلف وعنده ما به الصلاح في
الدين فلا يعطي وليس له ان لا يعطي فكانه قال اللهم لا تجر ومن هذا علمه بربه فالاسلام اولى به وهذا مما كان لا يدعو الله احد بالمعونة
الا ويطمئن قلبه انه لا يبذل عند المعونة ولا يرفع عند العصمة وليس مثله يملك الله عند المعتزلة ولا قوة الا بالله وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في خبر القسمة الله يقول هذا بيني وبين عبدي نصفين وذلك يحتمل ان يكون كل حرف من ذلك بما فيهما
جميعا الفزع الى الله بالعبادة والاستعانة ورفع الحاجة اليه واظهار غناه جل وعلا عنه فيضمن ذلك الثناء عليه وطلب
الحاجة اليه ويحتمل ان يكون الحرف الاول لله بما فيه عبادته وتوحيده والثاني للعبد بما فيه طلب معونته وقضاء حاجته

ويؤيد ذلك

ويؤيد ذلك بقية السورة انه اخرج على الدعاء وقال الله عز وجل هذا لعبدي ولعبدي ما سال وقوله اهدنا قال ابن عباس رضي الله عنه
ارشدنا والارشاد والهداية واحد بل الهداية في حق التوفيق اقرب الى فهم الخلق من الارشاد بما هو في نفاذ فهم من القول بالهداية
يخرج على وجوه ثلاثة احدها البيان ومعلوم ان البيان قد تقدم من الله لا احد يريد به ذلك المضي ما به البيان من كتاب وسنة وفي هذا
تذهب المعتزلة والثاني التوفيق له والعصمة عن زيغه وذلك معنى قولهم اللهم اهدنا فيمن هديت وقوله اهدنا الصراط صراط
الذين وصفهم الى اخر السورة ولو كان على البيان على ما قالت المعتزلة فهو والمغضوب عليهم في ذلك سواء ثبت انه على ما قلنا
دون ما ذهبوا اليه والثالث ان يكون على طلب خلق الهداية لنا اذ نسب اليه من جهة الفضل وكما يفعله خلق كانه قال اخلق لنا
هدايتنا وهو الاهتداء منا وبالله التوفيق ثم تاويل طلب الهداية ممن قد هداه الله يتوجه وجهين احدهما طلب الثبات على ما هداه
الله وعلى هذا معنى زيادات الايمان انما معنى الثبات عليه وذلك كرجلين ينظران الى شيء فيرفع احدهما بصره عنه جاز القول
بازدياد نظر الاخر ووجه اخر على ان في كل ما لم يخلص على المرضية الهدى فيهديه مكانه ابدا فيكون له حكم الابتداء ان في كل وقت
ايمان مثله دفع به ضده وعلى ذلك قوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله الاية ونحو ذلك من الايات وقد يحتمل ايضا معنى الزيادة
هذا النوع وبالله التوفيق واما الصراط فهو الطريق والسبيل في جميع التاويل وهو قوله وان هذا صراطي الاية وقوله قل
هذه سبيلي ثم اختلفوا في ما يراد به فقال بعضهم هو القران وقال بعضهم هو الايمان وايهما كان فهو القائم
الذي لا عوج له والقيم الذي لا اختلاف فيه من لزمه وصل الى ما ذكر وبالله التوفيق وقوله المستقيم قيل هو القائم بمعنى الثابت بالبراهين
والادلة لا يزيله شيء ولا ينقض حججه كيد الكايدين ولا حيل المريبين وقيل المستقيم الذي يستقيم بمن تمسك به حتى ينجيه ويدخل الجنة
وقيل المستقيم بمعنى يستقام به كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به يدل عليه قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية فالمستقيم
هو المتبع له وبالله التوفيق ثم ذكر من ذكر من النعم عليهم ولله على كل مؤمن نعم بالهداية وما ذكر دليل على ان المراد هو الذين لانه انعم
به على جميع المؤمنين لكن تاويل من يرد الى الخصوص يتوجه وجهين احدهما الله انعم عليهم بمعرفة الكتب والبراهين فيكون على التاويل
الثاني من القران والادلة والثاني ان يكون لهم خصوص في الدين قد سموا على جميع المؤمنين كقول داود وسليمان الحمد لله الذي
فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وعلى هذا الوجه يكون اهدنا وجه اخر وهو الخصوص الذي خص به كثيرا من المؤمنين من بين غيرهم
لكن الثنا يدل على صرف الارادة الى جملة المؤمنين اذ انصرف الى غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله انعمت عليهم على قول المعتزلة
ليس لله على احد من المؤمنين نعمة ليست على المغضوب عليهم ولا الضالين اذ لا نعمة من الله على احد الا الاصلح في الدين وابيان للسبيل المرضي
وذلك قد كانت على جميع الكفرة فيبطل على قولهم الثنا والله الموفق ثم اختلف في المغضوب عليهم والضالين منهم من قال هو واحد اذ كل
قد استحق الغضب عليه وكل مغضوب عليه استحق الوصف بالضلال ومنهم من قال المغضوب عليهم هم اليهود وانما خصوا
بهذا بما كان منهم من فضل تمرد وعتو لم يكن ذلك من النصارى نحو انكارهم بعيسى وقصدهم قتله فلم يكن ذلك من النصارى
ثم قولهم في الله يد الله مغلولة الاية وقولهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير الاية وقوله لتجدن اشد الناس عداوة الاية
وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم وشدة تعنتهم وظهور النفاق فاستحقوا بذلك اسم الغضب عليهم وان كانوا شركاء
غيرهم في اسم الضلال وبالله التوفيق وفي هذا وجه اخر ان يحمل الذنوب وجهين منهما ما يوجب الغضب وهو الكفر ومنها ما يوجب
اسم الضلال وهو ما دونه كقول موسى فعلتها اذا وانا وروية الهداية لاهلها ونعوذ به من كل ضلال ومن جميع ما يوجب مقته وغضبه
وبالله النجاة والخلاص مما في خبر القسمة وعد جليل من رب العالمين في اجابة العبد مما يرفع اليه من الحوائج اذ قال قسمت الصلوة بيني
وبين عبدي نصفين ثم صير اخر السورة لعبده ولعبدي ما سال بما سالها من الفقر ودفع الحاجة وطلب المعونة والاستهداء الى ما ذكر من
التعوذ عما وصف وغير ذلك مما يوصف العبد انه له فثبت ان له في ذلك اجابة دعته فيما امره به ووعد ذلك وهو لا يخلف وعده فاني
يحتمل بعد ما امره العبد بالذي تضمنه اول السورة فقام به العبد مع لومه وجفائه والله بكرمه وجوده لا ينجز له ما وعد لا يكون هذا
البتة وقد قال ادعوني استجب لكم وغير ذلك مما فيه الاجابة وانه لا يخلف الميعاد ثم قد جعل بما جاء من الحديث في تلاوته
ان قدمه على التورية والانجيل وعدله ثلثي القران وجعله شفاء من انواع الادواء للدين والنفس والدنيا وجعله معاذا من كل
ضلال وملجا الى كل نعمة وبالله نستعين مما اوضح في الاسماء التي لقب بها فاتحة القرآن عظيم موقعه وجليل قدره وهو ان سماه فاتحة
القران بما به يفتتح القران وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يفتتح القراءة به وسمي فاتحة الكتاب بما به يفتتح كتابة المصاحف
والمقرؤ وسمي ام القران لما يام غيره في القراءة وقيل الام بمعنى الاصل وهو ان لا يحتمل شيء مما فيه النسخ ولا الرفع فصار اصلا وسمي
المثاني لما يثنى في الركعات ولا قوة الا بالله وفي قوله اهدنا الى اخره وجهان سوى ما ذكرنا اذ قوله اهدنا الصراط المستقيم دعاء كاف
عما تضمن الى اخر السورة اذ ليس فيها غير تفسير هذه الجملة احدهما تذكير نعم الله على الذين يقبلون دينه في قلوبهم والتوفيق بهم بذلك
وفضله عليهم بما ليس لهم عليه والثاني تعوذهم عن كل زيغ وسفه وفساد وذنب والتجاؤهم اليه في ذلك بقوله غير المغضوب عليهم
ولا الضالين * سورة البقرة بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين على القوم الكافرين قيل فيه وجوه روي عن ابن عباس رضي
الله عنه في قوله الم انا الله اعلم وقيل انه قسم اقسم بها وقيل ان هذه الحروف المعجمة مفتاح السورة وقيل ان كل حرف من هذه
الحروف كناية اسم من اسماء الله الالف الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل ان اللام الاءه والميم مجده وقيل ان الالف هو الله
واللام جبريل والميم محمد وقيل انها من التشبيب ليفصل بين المنظوم من الكلام والمنثور من نحو الشعر ونحوه وقيل ان تفسير هذه الحروف
المقطعة ما الحق ذكرها بها على اثرها نحو قوله الم ذلك الكتاب ذلك الكتاب هو تفسير الم والم الله لا اله الا هو والمص كتاب انزل اليك
والر تلك ايات كل ملحق بها فهو تفسيرها وقيل ان فيها بيان غاية ملك هذه الامة من حساب الجمل لكنهم عدوا بعضها وتركوا البعض
وقيل انه من المتشابه الذي لم يطلع الله خلقه علم ذلك ولله ان يخص عباده بما شاء من المحن وقيل انهم كانوا لا يستمعون بهذا القران

والعوافيه وكقوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فانزل الله عز وجل هذه الحروف المعجمة ليستمعوا اليها فيلزمهم الحجة ولا يحل
في الحروف المقطعة انه يجوز ان يكون على القسم بها على ما ذكرنا واريد بالقدر الذي ذكر كلية الحروف بما كان من شان العرب القسم
بالذي جل قدره وعظم خطره وهي مما بها قوام الدارين وبها يتصل الى المنافع اجمع مما دلت على نعمتين عظيمتين الثناء والسمع وهما مجرى
كل انواع الحكمة فاقسم بها على معنى اضمار ربها او على ما اجل قدرها في عين الخلق فيقسم بها والله ذلك ولا قوة الا بالله ويحتمل ان يكون
بمعنى الرمز والتضمين في كل حرف منها امرا جليلا لعظم خطره عند الناس في مرتبة الجمال ثم يخرج على الرمز بها عن اسماء الله وصفاته
ونعمه على خلقه او على بيان منتهى هذه الامة او عدوا ايمانها وملوكها والبقاع التي ينتهي عمرها وذلك حرف نهاية الايجاز بل بالاكتفاء بالرمز
من الكلام وبما هو بمعنى من الاشارة في الاكتفاء بها عن البسط ولا قوة الا بالله ليعلم الخلايق قدرة الله وان له ان يضمن ما شاء فيما شاء على ما
عليه اثر الخلايق من الاشياء التي كادت العقول واسباب الادراك تقصر عنها وكيفما التي يدركها كل احد وبين الامرين فعلى ذلك امر تركيب
الكلام ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون بمعنى اسم السور ولله تسميتها بما شاء كما سمى كتبه وعلى ذلك منتهى اسماء الاجناس خمسة احرف
وكذلك امر السور دليل ذلك وصل كل سورة فتحت بها اليها كانه بنى بها ولا قوة الا بالله ويجوز ان يكون على التشبيب على ما ذكرنا للتفصيل
بين المنظوم عن الكلام والمنثور في المتعارف ان المنظوم في الشاهد يشبب فيخرج من المقصود بذلك الكلام فعلى ذلك امر الكلام المنزل
الا ترى انه خرج على ما عليه فنون الكلام في الشاهد الا انه على وجه ينقطع له المثال من كلامهم قبله امر التشبيب ولا قوة الا بالله ويجوز
ان يكون الله انزلها على ما اراد ليمتحن عباده بالوقف فيها وتسليم المراد في حقيقة معناه والذي له يزول ذلك ويعترف انه من المتشابه
وفيما جاء نعلق المحدة ولا قوة الا بالله ويحتمل ان يكون اذ علم الله من تعنت قوم اعراضهم عنه وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
انزل على وجه يبعثهم على التأمل في ذلك بما جاء بالعجيب الذي لم يكونوا يعرفون ذلك اما لعندهم او لسبيل الطعن اذ خرج عن المعهود عندهم
فلا عليهم ما يضطرهم الى العلم بالنزول من عند من يملك تدبير الاشياء ولذلك اعترضوا لهذه الاحرف بالتأمل فيها من بين الجميع ولا قوة
الا بالله وقيل انه دعا خلقه الى ذلك والله اعلم بما اراد وقوله ذلك الكتاب اى ذلك الكتاب اشارة الى ما عنده وذلك شايع في اللغة جائز
بمعنى هذا وقيل ذلك بمعنى ذلك اشارة ما في ايدى السفرة والبررة وقوله لا ريب فيه قيل فيه وجوه لكن الحاصل يرجع الى وجهين اى لا ريب
فيه انه من عند الله وقيل لا ريب فيه انه منزل على ايدى الامناء والثقات وقوله هدى قيل فيه بوجهين هدى اى بيانا ووضوحا فلو
المراد هذا فالتقى وغير التقى سواء والثاني هدى اى رشدا وحجة ودليلا ثم اختلفوا في الدليل فقال الدويكى الدليل انما يكون دليلا
بالاستدلال لانه فعل المستدل مشتق من الاستدلال كالضرب من الضارب وغيره وقال غيره هو لا الدليل بنفسه دليل وان لم
يستدل به لانه حجة والحجة حجة وان لم يحتج بها غير ان الدليل يكون دليلا بالاستدلال ومن لم يستدل به فلا يكون له دليلا وان
كان بنفسه دليلا بل يكون عليه عمى وحيرة كقوله واذا ما انزلت سورة فاما الذين امنوا فزادتهم رجسا وقوله للمتقين قيل فيه بوجهين
يؤمنون بالله غيبا ولم يطلبوا منه ما طلب الامم السالفة من انبيائهم كقول بنى اسرائيل لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة والثاني
يؤمنون بغيب القران وبما يخبرهم القران من الوعد والوعيد والامر والنهى والبعث والجنة والنار والايمان انما يكون بالغيب لانه
تصديق والتصديق والتكذيب انما يكونان عن الخبر والخبر يكون من غيب لا عن مشاهدة ولا ينتقض قول من يقول بان جميع الطاعات
ايمان لانه اثبت اسم الايمان دون اقامة الصلوة والزكوة بقوله الذين يؤمنون بالغيب وقوله ويقيمون الصلوة يحتمل وجهين يحتمل
الصلوة المعروفة يقيمونها بتمام ركوعها وسجودها والخشوع له فيها واخلاص القلب في النية على ما جاء في الخبر انظر من تناجي ويحتمل الحمد له
والثناء عليه فان كان المراد هذا فهو لا يحتمل النسخ ولا الرفع في الدنيا والاخرة وقوله ومما رزقناهم ينفقون من الاموال يحتمل فرضا ونفلا ويحتمل
ومما رزقناهم من القوى في الانفس وسلامة الجوارح ينفقون يعينون والله اعلم وقوله والذين يؤمنون بما انزل اليك يحتمل وجهين اى بما انزل
اليك من القرآن ويحتمل ما انزل اليك من الاحكام والشرايع التي ليس ذكرها في القران وقوله وما انزل من قبلك يحتمل وجهين ايضا يعنى الكتب
التي انزلت على سائر الانبياء عليهم السلام ويحتمل الشرايع والاخبار دون الكتب والله اعلم وقوله وبالاخرة هم يوقنون بمعنى يؤمنون والايقان
بالشيء هو العلم به والايمان هو التصديق لكنه اذا ايقن امن به وصدق به نعلمه لان طائفة من الكفار كانوا على ظن من البعث كقوله ان نظن الا
ظنا وما نحن بمستيقنين فاخبر عز وجل عن حال هؤلاء انهم على يقين ليسوا على الظن والشك كاولئك وقوله اولئك على هدى من ربهم قيل
على صواب ورشد من ربهم وقيل انهم على بيان من ربهم لكن البيان ليس للمؤمن احق به من الكافر لانه يبين للكافر جميع ما يحتاج اليه اما من جهة
العقل واما من جهة السمع فظهر بهذا ان الاول اقرب الى الاحتمال من الثاني وقوله واولئك هم المفلحون قيل فيه بوجوه قيل الباقون في نعم الله
والخير وقيل الظافرون بحاجتهم يقال افلح اى ظفر بحاجته وقيل المفلحون هم السعداء يقال افلح اى سعد وقيل المفلحون الناجون فقال
افلح اى نجا وكله يرجع الى واحد كقوله فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وكله واحد من زحزح عن النار فقد فاز فكذلك الاول
وقوله ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هذا والله اعلم في قوم خاص علم الله انهم لا يؤمنون فاخبر عز وجل رسوله
بذلك فكان كما قال وفيه اثبات النبوة ويحتمل ايضا انهم لا يؤمنون ما داموا في كفرهم كقوله والله لا يهدى القوم الظالمين والكافرين ما داموا كافرين
ظالمين وقوله ختم الله على قلوبهم روى عن الحسن ان الكافر اذا بلغ ذلك الحد وعلم الله منه انه لا يؤمن طبع على قلبه حتى لا يؤمن وهذا فاسد على
مذهب المعتزلة لوجهين احدهما ان مذهبهم ان الكافر مكلف وان كان قلبه مطبوعا عليه والثاني ان الله عز وجل عالم بكل من يؤمن في اخر عمره
وبكل من لا يؤمن ابدا بلغ ذلك الحد او لم يبلغ فعلى ما يقوله الحسن ايهام انه لا يعلم ما لم يبلغ ذلك والمعتزلة يقولون ان قوله طبع وختم
يعلم علامة في قلبه انه لا يؤمن كاعلام الكتب والرسايل ولكن عندنا خلق ظلمة الكفر في قلبه والثاني خلق الختم والطبع على قلبه اذا فعل الكفر
من الكافر مخلوق عندنا لخلق ذلك الختم عليه وهو كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى خلق الاكنة وغيره من الايات والاصل في ذلك
الختم على قلوبهم لما تركوا التأمل والتفكر في قلوبهم فلم يقع وعلى سمعهم لما لم يسمعوا قول الحق ولقد خلق ثقل عليه وخلق على ابصارهم
الغطا لما لم ينظروا في انفسهم ولا في خلق الله ليعرفوا زوالها وفناءها وتغيرها من حال الى حال ليعلموا ان الذي خلق هذا دائم لا يزول ابدا وقوله

ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر اخبار منهم انهم قالوا ذلك بالسنتهم قولا واظهروا خلاف ما في قلوبهم فاخبر عز وجل
نبيه عليه الصلوة والسلام انهم ليسوا بمؤمنين اى بمصدقين بقلوبهم وكذلك قوله من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
وكذلك قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية هذه الايات كلها تنقض على الكرامية لانهم يقولون الايمان
قول باللسان دون التصديق فاخبر الله عز وجل عن جملة المنافقين انهم ليسوا بمؤمنين لما لم يأتوا بالتصديق وهذا يدل على ان الايمان
تصديق بالقلب والكرامية يقولون بل هم مؤمنون وقوله يخادعون الله لا يقصد احد قصد مخادعة الله لكنهم كانوا يقصدون
مخادعة المؤمنين واولياء الله فاضاف الله عز وجل ذلك الى نفسه لعظيم قدرهم وارتفاع منزلتهم عند الله وهو كقوله ان تنصروا
الله ينصركم والله لا يحتاج ان ينصر ولكن كانه قال ان تنصروا اولياء الله ينصركم وهو كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
والله لا يبايع ولكن اضاف ذلك الى نفسه لعظيم قدر نبيه وعلو منزلته عند الله تعالى فكذلك الاول اضاف مخادعتهم اولياءه
الى نفسه لعلو منزلتهم عند الله وقدرهم لديه والمخادعة هو فعل اثنين لخداع هؤلاء بحضور المؤمنين لذلك معنى ذكر المفاعلة
والله اعلم وقوله وما يخدعون الا انفسهم اى حاصل خداعهم ووباله يرجع اليهم والثاني انهم يحضرون لهم الموافقة لما امنوا
لحقهم خوف دائم بذلك الخداع في الدنيا وما يشعرون اى ما يشعرون ان حاصل الخداع يرجع اليهم في الاخرة والثاني ما يشعرون
ان الله يظهر ويطلع نبيه ما اضمروه في قلوبهم والله اعلم وقوله في قلوبهم مرض يقال شك ونفاق سمى عز وجل المنافقين مرضى لاضطرابهم
في الدين لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالقول ويضمرون الخلاف لهم بالقلب فكان حالهم كحال المريض الذي هو مضطرب
بين الموت والحيوة اذ المريض يشرف مرة على الموت ويرجو الاقبال منه ثانيا فهو مضطرب بين ذلك فكذلك هم لما كانوا مضطربين في
دينهم سماهم مرضى واما سائر الكفرة فانهم لم يضطربوا في الدين بل اظهروا بالقول على ما اضمروا بالقلب فسماهم موتى لما لم ينتفعوا بحيوتهم
ولم يكتسبوا الحيوة الدائمة وسمى المؤمنين احياء لما انتفعوا بحيوتهم واكتسبوا بالحيوة الدائمة لموافقتهم باللسان والقلب
جميعا لدين الله عز وجل والله اعلم وقوله فزادهم الله مرضا اختلف في تأويله قالت المعتزلة هو تخلية بينهم وبين ما اختاروا واما عندنا
على خلق افعال زيادة الكفر والنفاق في قلوبهم لما ازدادوا هم في كل وقت من اظهار الموافقة للمؤمنين بالقول واضمار الخلاف لهم
بالقلب يخلق عز وجل تلك الزيادة من المرض في قلوبهم باختيارهم وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم في قوله اهدنا وقوله
ولهم عذاب اليم لان عذاب الدنيا قد يكون ولا الم فيه فاخبر الله عز وجل ان عذاب الاخرة عذاب الدنيا وقوله
واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض بالمخادعة للمؤمنين واظهار الموافقة لهم بالقول واضمار الخلاف لهم بالقلب والاستهزاء بهم
عند الخلوة والقول فيهم بما لا يليق بهم وعبادة غير الله واى فساد اكبر انهم هم المفسدون لما اضمروا من الخلاف لهم والمخادعة
والاستهزاء بهم وقوله ولكن لا يشعرون اى لا يشعرون ان حاصل ذلك لا يرجع اليهم والثاني لا يشعرون انهم كانوا
يفعلون الفساد فان كان هذا فهو نقض قول من يقول بان الحجة لا تلزم الا بالمعرفة وهو قول الثلجي لانه عز وجل اخبر لفسادهم
وان لم يشعروا به وهو كقوله ايضا ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اخبر بحبط الاعمال وان كانوا لا يعلمون وقوله
واذا قيل لهم آمنوا كما امن الناس يحتمل الاية ان يكون في المنافقين ويحتمل في اهل الكتاب فان كانت في المنافقين فكان
قوله امنوا اى اهل النفاق في السر والعلانية كما امن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في السر والعلانية جميعا وهو كقوله فان
امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان كان في اهل الكتاب ففيه الامر بالايمان الذي هو ايمان وهو التصديق
والايمان عندنا هو التصديق بالقلب ودليله قول جميع اهل التأويل والادب انهم فسروا امنوا صدقوا في جميع القرآن وقوله
انؤمن كما امن السفهاء لان السفه هو ضد الحكمة وهو العمل على العلم انه باطل والجهل هو ضد العلم والسفه هو الشتم يقول الرجل
يا سفيه وقوله الا انهم هم السفهاء يقول بعض المتكلمين ان هذا شتم من الله لهم جوابا عن المؤمنين ويستجيزون ذلك على الجواب
وان لم يجز على الابتداء كالمكر والكيد والاستهزاء والخداع ونحوه فعلى ذلك هذا واما عندنا فهو غير جائز لان من شتم اخر يذم
عليه وعليه وهو عمل السفهاء فاخبر عز وجل انهم هم الذين يعملون بالجهل على علمهم ان دينهم الذي يدينون به باطل وان الدين
الذي يدين به المؤمنون حق وقوله ولكن لا يعلمون قيل فيه بوجهين احدهما لا يعلمون انهم هم السفهاء والثاني لا يعلمون ما يحل بهم
من العذاب لذلك والله اعلم وقوله واذا لقوا الذين امنوا يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا امنا اظهروا انهم الموافقة في العلانية
ويضمرون لهم الخلاف في السر واذا خلوا الى شياطينهم قيل فيه باوجه قيل ان شياطينهم يعنى الكهنة سموا بذلك لبعدهم عن الحق يقال
شطن اى بعد وقيل ان كل عات ومتمرد يسمى شيطانا لعتوه وتمرده كقوله شياطين الانس والجن سموا بذلك لعتوهم وتمردهم
اذ من قولهم ان الشياطين اضلتهم من الجن وقيل سموا شياطين لانه كان مع كل كاهن شيطان يعمل بامره فسموا باسمائهم وذلك
جائز في اللغة جار والله اعلم وقوله انا معكم قيل فيه وجهان اى معكم في النصر والمعونة والثاني انا معكم اى على دينكم لا على دين
اولئك والله اعلم وقوله انما نحن مستهزؤن باظهار الموافقة لهم في العلانية واظهار الخلاف في السر وقوله الله يستهزئ بهم
قيل فيه بوجوه قيل اى يجزيهم جزاء الاستهزاء وكذلك قوله يخادعون الله وهو خادعهم اى يجزيهم جزاء المخادعة وكذلك
قوله ومكروا ومكر الله اى يجزيهم جزاء المكر يحمل على الجزاء لما لا يجوز اضافة المكر والخداع والاستهزاء ابتداء الى الله لانه مذموم
من الخلق الا على المجازاة فكيف من الله جل وعز وقال بعضهم يجوز اضافة الاستهزاء الى الله وان كان لا يجوز من الخلق ان يستهزئ
بعضهم بعضا كالتكبر يجوز لله ولا يجوز للخلق لان الخلق اشكال بعضهم لبعض وامثال والله عز وجل لا شكل له ولا مثل وكذلك
الاستهزاء يجوز له ولا يجوز لغيره لان الاستهزاء هو الاستخفاف فلا يجوز ان يستخف من هو مثله في الخلقة وما خلق له من
الاحداث والغير والله تعالى متعال عن ذلك والاول اقرب والله اعلم واضاف استهزاء المؤمنين بهم الى نفسه كما ذكرنا في المخادعة ثم
اختلف في كيفية الاستهزاء فقال الكلبي هو ان يفتح لهم باب من الجنة فيدنوا منه ثم يغلق دونهم فان ثبت ذا فهو كما قال وقيل انه

برفع لاهل الجنة نور يمشون به فيقصدا ولئك المعنى معهم بذلك النور ثم يطفئ ذلك النور فيتحيرون وهو قولهم انظرونا نقتبس من نوركم
قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقيل ان يعطى اهل الدنيا ما ينتفعون به من انواع النعم ظاهرا على ما اظهروا لهم الموافقة في العلانية
ويحرم ذلك لهم في الآخرة باضمارهم الخلاف في السر وقوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون الاية قوم علم الله انهم لا يؤمنون كقوله
أنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون غير ان هذه في المنافقين والاولى في الكفرة وهي تنقض على المعتزلة قولهم لانهم لا يقولون ان الله
لا يقدر ان يستنقذهم في حال الاختيار وانما يقدر على الاستنقاذ منهم في حال الاضطرار فاخبر عز وجل انه يستنقذ في فعل
الطغيان وقوله ويمدهم يحتمل فعل الطغيان فيهم ويحتمل ان يخذلهم ويتركهم لما اختاروا من الطغيان الى غير علمهم ويحتمل انه
لم يهدهم ولم يوفقهم في هذا اضافة المد الى الله واضافة المد الى الطغيان لاضافة اليه المدح والمدح يكون بالاوجه الثلاثة
التي بينا وفي هذا اثر الدلالة على ان الطغيان قد على شدة من فعل الايمان فدل ان الله خالق فعل العباد اذ من قولهم ان
القدرة النافعة هي التي اذا قدر على شيء قدر على ضده. والعمه الحيرة في اللغة وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى على تاويل
الشراء الضلالة على الهدى عوا اليه وهو الهدى من غير ان كان عندهم الهدى فتركوه بالضلالة وهو كقولهم يخرجهم من الظلمات الى النور
ومن النور الى الظلمات من غير كان نوا فيه فكذلك الاول تركوا الهوى بالضلالة ابتداء وقيل الضلالة الهلاك اي اختاروا ما به هلاكهم
على ما به نجاتهم وان كانوا لا يقصدون بغير الهلاك بما به النجاة كقوله فما اصبرهم على النار لا يقصد احد الصبر على النار ولكن
لما صبروا على عمل يستوجبون به النار وكذلك قوله بئسما اشتروا به انفسهم اي بئسما اختاروا مما به هلاك انفسهم مما به نجاتهم
وفي هذه الاية دلالة جواز البيع بغير لفظة البيع لانهم ما كانوا يتلفظون باسم البيع ولكن لما تركوا الهدى بالضلالة وكل من
ترك لاخر شيئا ليبدل باخذه منه فهو بيع فان لم يتكلموا بكلام البيع وكذلك قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وهو على
بذل الاموال والانفس بالموعود الذي وعدهم وهو الجنة وقوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ما ربحوا في تجارتهم لان التجارة لا تربح
وقد يسمى الشيء باسم سببه وهو كقوله وجعل النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن يبصر فيه وذلك شائع في اللغة جائز تسمية
الشيء باسم سببه ثم في قوله فما ربحت تجارتهم نفي الربح في الظاهر غير ان النفي على وجهين نفي يوجب اثبات ضده وهي
نفي النقيصة كقولك فلان عالم ليس بجاهل وفلان ما جاهلا نفي العلم ونفي لا يوجب اثبات ضده وهو نفي الاعراض لانك
اذا نفيت الربح ذلك اللون وقوله فما ربحت تجارتهم نفي الاصل كانه قال بل خسرت تجارتهم واوجب اثبات ضده وذلك قوله
بئسما اشتروا به انفسهم وبئسما كانوا يعملون وقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الآية اختلف فيه قيل انما نزلت في المنافقين لانها
على اثر ذكر المنافقين وهو قوله واذا لقوا الذين آمنوا الاية وقيل انها نزلت في اليهود وهو قوله أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون الاية
ويحتمل نزولها في الفريقين جميعا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال ان هذا من المكتوم فلا يحتمل ما قال لانه مثل ما ضرب الله
والامثال انما تضرب لتفهيم وتقريب الفهم ما بعد منه فلو جعل على ما قال لم يفهم مراده وما قربت الى الفهم شيئا الا ان يريد من
المكتوم الله لم يعلم فيمن نزل فهو يحتمل والله اعلم وقوله عز وجل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الاية يحتمل ان يكون الاضافة الى من
ذكر من المنافقين بقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الاية وقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الاية وذلك يخرج على وجوه احدها
انهم قصد المخادعة باولياء الله والاستهزاء بهم ففضحهم الله بذلك في الدنيا والآخرة فاما في الدنيا هتك سترهم واطلع على ذلك
اولياءه فعادت اليهم المخادعة وعوقبوا بما اطلع على ضمائرهم وبما ارادوا وابدلك الامن فاعقبهم الله خوفا دائما كما وصفهم الله
يخشون الناس الاية وقال يحسبون كل صيحة عليهم وقال رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
وقال فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك الاية وقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم الاية وان يكونوا طلبوا باظهار الموافقة
في الدين الشرف فيهم والنصر وكذلك عند الكفرة بما اظهروا انهم يخادعون بذلك المؤمنين ويستهزؤن بهم فعلموا انهم كذلك
يظهرون في المؤمنين حالهم معهم فطردوا من بينهم فقال الله ما هم منكم ولا منهم وقال مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء الاية فزال عنهم
ما التمسوا من الشرف والعز وابدل لهم بالهوان والذل فمثلهم في ذلك مثل مستوقد نار ليستضيء بضوئها وينتفع بحرها فاذهب
الله بضوئه حتى ذهب ما كان يأمل من الاستنارة بها والانتفاع واعقبه الله تعالى خوف الاحتراق لو دنا منها وذهب عنه
ما طلب بذلك من شوف الوقود في الايام الشاتي وما يصلح بها من الاغذية بذهاب البصر فيكون ذلك معنى قوله وهو خادعهم
والله يستهزئ بهم اذ عوقبوا بالخوف بما قصدوا به الامن والذل بما طلبوا به العز وكذلك مستوقد النار الذاهب نوره والله اعلم
وعلى ذلك قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروا الضلالة لما رجعوا الى شياطينهم بالهدى الذي قد اظهروه عند
المؤمنين فيكون تحقيق استهزاء الله بهم ومخادعته اياهم فعل اوليائه بهم بما اخبروا من سرائرهم وبما حطوا اقدارهم وذلوا في اعينهم
فاضيف ذلك الى الله اذ بر فعلوا كما اضيفت مخادعتهم المؤمنين اليه اذ عن دينه خادعوهم والله اعلم وعلى هذا التاويل يمكن ان
يخرج قول من زعم ان الاية نزلت في الكافرين انهم كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وجدوا نعته في التورية والانجيل انه
يأمرهم بالمعروف الاية وقوله محمد رسول الله الى آخر السورة وقال عز وجل يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقوله وكانوا يستفتحون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كانوا كمستوقد النار اي طالب الوقود ليستضيء به فلما ظفر به اذهب الله نوره بعد معرفتهم
بمنفعة نور النار فلم ينتفع به فكذلك لما كفروا عند بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسدا من انفسهم وتبعا اذ كان من غيرهم
او خشية منهم على ملكهم ومآكلتهم بعد العلم منهم بعضهم المنفعة فيه ولا قوة الا بالله واما في الآخرة قصدوا مخادعة
المؤمنين ومسالمتهم في الظاهر ومشاركتهم اياهم في المنافع نحو المغانم والتوارث والتناكح وخالفوهم في الباطن فكذلك اشركهم
في المنافع الظاهرة الحاضرة في الدنيا وخالفهم بمنافع دينه في الباطن الغايب وهي الآخرة اذا هم المشاركة مع المؤمنين في الدنيا
وصرفها عنها في الآخرة مما ارادوهم الموافقة في الظاهر مع المخالفة في الباطن فكذلك مستوقد النار اظهر من نفسه الرغبة

في ضوئها

في ضوئها بالايقاد وقد اذهب الله بضوء بصره فذهب عنه منفعته عند ظلمة انه يصل اليها كالمنافقين في الآخرة اذ ظنوا
في الدنيا انهم شركاؤهم في الآخرة لو كانت ولذلك قالوا انظرونا نقتبس من نوركم وقوله الم نكن معكم الاية فذلك وجه الاستهزاء
والمخادعة انه اشركهم في احكام الدنيا وخالفهم في احكام الآخرة وعلى ذلك اشتراء الضلالة بالهدى على معنى اختيارهم ما فيه
هلاكهم على ما فيه نجاتهم وعلى ذلك يخرج تاويل من صرف الى اهل الكتاب لانهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذ آمنوا بكتبهم وقد كان
فيها نعته الشريف فلما وصلوا الى منافع الايمان بالبعث اليهم وشاهدوا كفروا به فعوقبوا بحرمان منافع كتبهم وايمانهم عند
معاينة الجزاء كما ردوا ايمانهم به عند المشاهدة والله اعلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه ضم تاويل هذه الاية والتي تتلوها من قوله
او كصيب من السماء الى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وذلك والله اعلم انهم قوم لا يعرفون حق معرفة فيعبدونه بحق الربوبية له
قبلهم ولا يؤمنون بالآخرة فيكون عملهم للعواقب ولا يعرفون غير الدنيا ومنافعها فجعلوا دينهم وعبادتهم ثمنا لها فاذا
راوا في دين الاسلام الغنائم والسلوة او تجارتهم مربحة فاطمأنوا بها واجتهدوا بالسعي فيها واذا اصابتهم الشدة والبلايا
او تجارتهم مخسرة فصرفوا الى غير ذلك الدين فمثلهم مثل المستوقد نارا انه يجتهد في الايقاد ما دام يطمع في نور النار ومنافع
حرها المصلح للاطعمة فاذا ذهب نور بصره ابغض النار بما يخشى من الاحتراق بالدنو منها وبما يذهب من منافع خفية اذ لم
يكن استوقد كالمنافق فيما استقبله المكروه في الاسلام تمنى ان لم يكن اسلم قط وذلك قوله وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم
بادون في الاعراب وقوله لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقولهم قد اخذنا امرنا من قبل وقوله انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا وكذلك البرق الذي يضيء يمشي المرؤ في ضوئه وكذلك المنافق اذا راى خيرا في الاسلام مشى اليه واذا اظلم عليه
قام متحيرا حزينا ان لا يكون اختار السلوك والله الموفق قال ابو بكر الاصم مثل من يظهر الايمان فيما يتزين بنوره في الناس مثل
مستوقد النار فيما يستضيء حول النار بنورها ثم يذهب الله نوره في الآخرة كما اذهب هو في اثر وكذلك اذهب الله نور
المستوقد فيذهب به التزين بالنور حول النار وقيل ذا العمى كما يقال اذهب الله نوره اي الذي كان يظهره فيبقى المنافق في ظلمات
الآخرة والمستوقد في ظلمات العمى والليل ثم قال جعل الدعاء الى الاسلام كالصيب وما فيه من الجهاد وكظلمة الليل وما فيه من الفتنة
كالبرق وجعل اصابعهم في الاذان من سماع ما في الاسلام من الشدائد نحو جعل ذلك من الصواعق يكاد البرق يخطف ابصارهم
اي ما في الاسلام من الغنيمة يدعوهم اليه واذا اظلم عليهم وجعل اصابعهم في الاذان من سماع ما في الاسلام من الشدائد نحو جعل
ذلك من الصواعق يكاد البرق يخطف ابصارهم اي ما في الاسلام من الغنيمة يدعوهم اليه واذا اظلم عليهم بالشدائد قاموا وصدوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله لذهب بما ذكر اي صممهم واعماهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ضوء البرق
والنار ليسا بدائمين فشبه به ايمان المنافق انه عن سريع يزول وقال القتبي كان المنافق في ظلمة الكفر فامنه بما اعطي من النور كمستوقد
النار يتنور في ظلمة الليل وكذلك السالك في ظلمة الليل فلما ذهب نورها وسكن لمعان البرق رجع الى ما فيه من الظلمة والاصل في
هذا الباب ان الله تعالى خلق هذه الدار لمحنة اهلها وجعلهم دار الجزاء فيها بما لو لاه لكان يكون خلق هذه الدار بما فيها عبثا
اذ يكون خلق الخلق للفناء بلا عواقبهم وذلك عبث في العقول لان كل شارع فيما لا عاقبة له عابث وفيما لا يريد يكون معنى في العقل هازل
ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فاذا كان كذلك صارت هذه الدار دليل الاخرى فعلى ذلك ضرب
الاخرى مثلا بالمعروف من هذه اذ بهذه عرفت تلك ولهذا خلق الله الممتحنين بحث بالمؤن وبلذذ دون ليعرفوا قدر الالام التي
فيها رغبوا فعلى ذلك ضرب الله مثل من عمي عن الآخرة وصم عن سماع ما يرغب فيها او عمي عن امر الله ونهيه والحق بالاعمى والاصم
والميت ونحو ذلك لذهاب منافع البصر والسمع والحيوة اذ هي مخلوقة ليعرف بها ما غاب عنها بالتامل والتدبر فاذا غفل عن ذلك
سمي بالذي ذكرنا وبينا انه لولا الآخرة ودار الجزاء لم يكن لخلق شيء من ذلك حكمة نعقلها فعلى ذلك ضرب لذهاب نور القلب
الذي به يبصر العواقب وينتفع فيها بذهاب نور البصر وزوال منافع الدنيا فيما يتصل بنوره وكذلك امر السمع وغيره فكان على ذلك
امكن اخراج المثلين جميعا على الكفرة والمنافقين اما المنافق فاذا ذهب نور حقيقته عنه وهو نور البصر لم ينتفع بنور النار
لكل ذي بصر وكذلك سائر منافع النار فمثله اذا ذهب عنه نور بصر القلب وحيوته لم ينتفع بنور الآخرة وخزائنها وكذلك الذي ذهب عنه
ضوء البرق يبقى متحيرا اذ به يبصر الطريق لكن يذهب عنه بصر القلب اذ به يبصر عواقب الاشياء بل الذي قصد السلوك بالبروق
والاستضاءة بنور النار اذا ذهب كان اعظم حسرة واشد خوفا من النار وشدة المطر وخبث الطريق من الذي لم يعرف في الابتداء
نفع النار والبرق ويكره المطر على شدة رغبته فيه والنار بما ذهب منه وكذلك المنافق في الآخرة اذ لم يكن منه ما اظهر اذ به يرد
الى دار المستقل ولا قوة الا بالله وكذلك الكافر لم يبصر بما اعطاه من البصر عواقب البصر الظاهر ولا يسمع بما انعم عليه من السمع
بما انعم عليه من السمع عواقب السمع اذ حق ذلك ان يؤدي ذلك ما ادركه الى العقل ليعتبر به انه لم يخلق شيء من ذلك الا لاستحقاق
لا يحتمل عقله الاحاطة بكنه ما فيه من الحكمة فيعلم عظم نعمة الله وخروج مثله عن العبث فيقوم باداء شكره وبذلك يصير به الى
الجزاء في العواقب ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل صم بكم عمي فهم لا يرجعون يحتمل وجهين احدهما صم لانه ختم على اذانهم
وعلى سمعهم وعلى قلوبهم فلا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون ويحتمل انه صم بكم عمي لما لم ينتفعوا باسماعهم وابصارهم
وقلوبهم ثم اختلف في جواز اضافة لفظ الاستهزاء الى الله تعالى فاجازه قوم وان كان ذلك قبيحا من الخلق لما قبح منهم ما لا
احد يستهزئ باحد اما بجهله او بقبيح في الخلقة او المستهزئ نحو هذا قد يحتمل ذلك لولا انعام الله عليه الذي قد اغفل عنه
باشتغاله بما ذكر مما لعل الاغفال عن هذا او نحو ما قبح به من حال المستهزئ به ولذلك قال عز وجل لا يسخر قوم من قوم عسى ان
يكونوا خيرا منهم الاية وذلك نحو التكبر انه قبيح من الخلق بما لهم اشكال في الحدث وآثار الصنعة واحتمال كل منهم بما احتمل
غيره وجائز اضافته الى الله تعالى لتعاليه عن الاشباه والاشكال واحاطة احتمال ما احتمل غيره وبه يقول حسين النجار وابى قوم

ذلك الا على اثر احوال القصر فيفهم السامع الى معنى الاستهزاء نحوان يذكر على اثر فعله جزاء فيفهم منه جزاء الاستهزاء كذكر السيئة
في الجزاء والمكر ونحو ذلك ثم يخرج فيما نحن فيه على اوجه احدها ما بينا والثانى ما ينسب اليه فعل المأمور نحو قول المؤمنين للمنافقين في
الدعوة ارجعوا وراءكم وقول اهل الجنة وهو دعائهم اهل النار بالخروج لو ثبت ما ذكره الكلبى وقول الملائكة فادعوا وما دعاء الكافرين
الا في ضلال وغير ذلك ثم ما ذكر من الظلمات يخرج على وجوه ثلثة احدها ظلمات كفرهم بقلوبهم ان اظهر والايمان اولا والثانى المتشابه
في القران وهو الذى تعلق به كثير من المشركين حتى نزل قوله فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية والثالث ما في الاسلام من الشدائد والانواع
من الجهاد والحدود وغير ذلك وامكن صرف الاول والاخر الى الفريقين الكافر والمنافق وصرف تاويل المتشابه الى الكافر على ما بينا ان
الكل من ذلك خطا ويؤيد الاخر الاية وهو قوله والله محيط بالكافرين على ان المثل لهم الا ان المنافق شريكهم في الكفر والله الموفق وجائز ان يكون
المثل المضروب بالاية انما هو للقوم الذى شهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا قبل بعثه صنفين صنف يتحل الكتاب الذى
هو عندهم مما جاء به الرسل لكنهم قد غيروا ما في كتبهم من دين الله واحكامه حتى غلطوا ذلك وابدعوا غير الذى جاءت به الرسل
من الدين والاحكام بين ذلك قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا الاية وقوله قد جاءكم رسولنا يبين لكم وقوله ان الذين فرقوا دينهم الاية
ومنهم من يدع الكتاب وينسب اليهم كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الاية بين ما ظهر من التفرق فيهم ومن القول في
انبيائهم وفي الله سبحانه ومعلوم ان دين الرسل واحد غير مختلف وبما كان من الفترة اندرست الكتب وذهبت الرسوم فصاروا في ظلمة الضلالة
وحيرة الزيغ وتاهوا في سبل الشيطان وانقطع من بين اظهر الائمة الذين يوثق بهم في الدين بالنبس لاحد برهان يشهد له بالتمسك بسبيل الانبياء
والاعتصام بكتبهم اذ كلهم يدعى ذلك وقد ظهر فيهم القول المختلف والمتناقض الذى لا يحتمله الحكمة ولا يصير عليه العقل وصنف
لا ينتحل الكتاب ولا يؤمن بنبي من الانبياء بل يعبدون الاوثان والنيران والاحجار وما يهوون مما لا يملك الضر ولا
النفع ولا لهم شرع بل هم حيارى لا يعرفون معبودا ولا يبصرون طريقا وليس فيهم من لو فزعوا اليه ولهم على الحجة ولا اطلعهم على
الحق بل هم في الضلالة تائهين وفي الظلمة متحيرين فاحوج الفريقين جميعا ما حل بهم من الحيرة والتيه الى من يغيثهم من داء الضلالة بنور
الهدى ومن ظلمة الاختلاف بضياء الايتلاف ويخرجهم من سبيل الشيطان الى سبيل الله ويدلهم على معرفة المعبود الحق لئلا يتخذوا من
دونه اربابا فبعث اليهم عند شدة حاجتهم رسولا واكرمهم بما اراهم من الايات التى يحتاجهم اليه الله ثم به عليهم ليستنقذهم من الضلالة
انهم من الضلالة ان هم اطاعوه وشكروا نعمة الله فكانوا كقوم بلوا بظلمات الليل والتحيا فتحيروا فيها بما حالت الظلمة بينهم وبين حاجاتهم
وتعذر عليهم الوجه وضع اقدامهم فتاهوا فدفعهم التيه الى استيقاد النار ليبلغوا حوائجهم ويأمنوا العطب في وضع الاقدام
وكقوم بلوا في شدة الجوع والعطش لضيق الزمان وجدبه فلم يستغيثوا بمن يملك كشف ذلك عنهم فاغاثهم بالمطر ثم منهم من عرف
نعمة من انعم عليهم بالوقود وانماهم بالمطر فتلقوا النعمة بالشكر فنجوا بذلك مما خشوا من الهلاك ووصلوا الى حوائجهم بالنار والمطر وذلك
مثل من اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم وعرف نعم الله وشكره ومنهم من تلقى نور النار بالكفران والجهل بالمنعم به عليه وهو قوله واذا مسكم الانسان
ضر ايات فيها ذكر ما ثبت وقوله واذا مسكم الضر في البحر الاية فاذهب الله نوره فلم ينتفع بنور النار ولا وصل الى حاجته التى بها تقضى وذلك
مثل الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم انهم لم ينتفعوا به ولا قضوا حاجاتهم بل زادهم ذلك ظلمة وحيرة كمستوقد النار اذا ذهب بصره
وكذلك قوم بلوا في السلوك في الطريق عند شدة الظلمة ولم يتلقوا النعمة بالشكر من الوجه الذى جعل لهم لوضع بنور البرق فاذهب
نوره وسكن اجان البرق فعاد الغياث له هلاكا والمطر الذى رحمة عليه بلاء فمثله من كان برسول الله صلى الله عليه وسلم واعرض عن
الاستماع اليه ولا قوة الا بالله وقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم فالخطاب يحتمل الخصوص والعموم وقوله اعبدوا ربكم جعل العبادة
عبارة عن التوحيد لان العبادة التى هي لله لا يكون ولا يكون ولا يخلصوله الا بالتوحيد وقال اعبدوا اى اطيعوا له اى اجعلوا عبادتكم
لله لا تعبدوا غيره وكلا التاويلين يرجع الى الكفرة وقال اعبدوا اى اطيعوا الله والعبادة جعل العبد كليته لله قولا وعملا وعقدا
وكذلك التوحيد والاسلام والطاعة يرجع الى الايتمار ثم يجوز ان يطاع غير الله ولا يجوز ان يعبد غير الله لان كل من عمل بامر آخر فقد
اطاعه كقوله واطيعوا الرسول ولا كل من عمل بامر آخر فهو عابد له وبالله نستعين ثم بين الذى امر بالتوحيد والعبادة له خالصا
فقال الذى خلقكم وخلق الذين من قبلكم والذين تعبدونه لم يخلقكم ولا خلق الذين من قبلكم فكيف تعبدونهم دون الذى خلقكم بالله
التوفيق وقوله لعلكم تتقون يحتمل وجهين يحتمل تتقون المعاصى والمناهى والمحارم التى حرم الله عليكم فاذا كان هذا هو المراد فذلك راجع الى
المؤمنين ويحتمل قوله تتقون الشرك وعبادة غير الله فذلك راجع الى الكفرة قال الشيخ الاحسن في الامر بالتقوى والتوحيد ان
يجعل عاما وفي الخبر عن التقوى خاصا لعلكم اى كى تتقون وقوله الذى جعل لكم الارض فراشا بين وانه الذى امر بالتوحيد له وتوجيه
العبادة اليه واخلاص النية له فقال الذى فرش لكم الارض فلتنتفعوا بها وتقضوا حوائجكم فيها من انواع المنافع من المنام عليها و
اتخاذ المستقر والمسكن فيها والسماء بناء والسماء كل ما علاه وارتفع كما يقال لسقف البيت سماء لارتفاعه وسماء السماء بناء وان كان
لا يشبه بناء الخلق حتى يعلم ان البناء ليس باسم ما يبنى الناس خاصة ثم بين بقوله وانزل من السماء ماء اى وجهوا العبادة الى الذى
ينزل لكم من السماء ماء عند حوائجكم ولا تعبدوا من تعلمون انه يخلقكم ولا انزل لكم من السماء ماء ولا اخرج لكم من ذلك الماء
ثمرات تكون رزقا لكم بل هو الله الواحد الذى لا شريك له ولا هو يخلقكم ويرزقكم ويخرج لكم من ذلك الماء المنزل من السماء رزقا
تاكلونه وماء عذبا تشربونه وفي الاية دلالة ان المقصود في خلق السماء والارض وانزال الماء منها واخراج هذه الثمرات وانواع
المنافع بنو آدم وهم الممتحنون بدلالة قوله جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وما ذكر من المخرج والمنزل منها وما ذكر في اية اخرى
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ومنه سخر لكم الليل والنهار وسخر لكم الفلك ثم ما يكون ذلك من الايات اضاف ذلك كله الينا ثم
جعل عز وجل بلطفه منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما من المسافة حتى لا يخرج الارض شيئا الا بما ينزل من
السماء من الماء ليعلم ان منشئ السماء هو منشئ الارض لانه لو كان منشئ هذا غير منشئ الاخر لكان لا معنى لاتصال منافع هذا بمنافع

الآخر على بعد ما بينهما ولتوهم كون الاختلاف من احدهما للاخر فاذا كان كذلك دل على منشئهما واحد لا شريك له ولا ند ثم زعم
قوم ان الاشياء كلها حلال لنا مطلق غير محظور علينا حتى يجيء ما يحظر فاستدلوا بظاهر هذه الاية بقوله رزقا لكم وبقوله كلوا مما
في الارض حلالا طيبا وقال الاخرون لا يدل ذلك على الاباحة وذلك ان الاشياء لم تصر لنا من كل الوجوه فهو على الحظر حتى تجيء
الاباحة ولان الاشياء لا تحل الا باسباب تتقدم فظهر الحظر قبل وجود الاسباب فهو على ذلك حتى تجيء ما يحل ويبيح وان يقال الخلق وعامة
الاشياء لنا محنة امتحنا بها او فتنة فتنا بها كقوله انما اموالكم واولادكم فتنة وكقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية والا
في العقل ما يدفع حمل الاشياء كلها على الاباحة لما في ذلك فساد الخلق وتفانيهم فيبين بكل منهم ملكا على حدة بسبب يكتسب به
لئلا يحملهم على التفانى والفساد وبالله نستعين وقوله فلا تجعلوا لله اندادا اى اعدالا واشكالا في العبادة وكله واحد ند الشيء
هو عدل له وشكله هو مثله وقوله وانتم تعلمون ان لا ند ولا عدل ولا شكل لما راكم من انشاء هذه الاشياء ولم تروا ذلك ممن
تعبدونه شيئا والثانى وانتم تعلمون لما انشاء فيكم من الاشياء ما لو تدبرتم وتفكرتم وتاملتم علمتم انه لا ند له ولا شكل له كقوله
وفي انفسكم افلا تبصرون وقوله عز وجل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا من القران انه مختلق مفترى وانه ليس منهم
كقولهم ان هذا الا اختلاق وقولهم ما هذا الا افك مفترى وما هذا الا سحر وقوله فأتوا بسورة من مثله اى ائتوا انتم بمثل ما اتى
هو سواء في الجوهر والخلقة واللسان هو اولى بذلك منكم اعنى في الاختلاف وقوله وادعوا شهداءكم من دون الله اى استعينوا
بالهتكم الذين تعبدون من دون الله حتى تعين لكم على اتيان مثله ان كنتم صادقين في مقالتكم انه مختلق مفترى وقال ادعوا شهداءكم
وخطباءكم ليعينوكم على اتيان مثله وقال ادعوا شهداءكم من التورية والانجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة على الرسل السالفة انه
مختلق مفترى وقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا يحتمل وجوها يحتمل انهم اقروا على اثر ذلك العجز عن اتيان مثله من غير تكلف
ولا اشتغال كان منهم لما دفع عز وجل عن اطماعهم اتيان مثله نظما لا اجتهدوا كل جهدهم وتكلفوا كل ما فيهم على اطفاء النور
لتخرج قولهم على الصدق بانه مختلق مفترى ويظهر كذب الرسول صلى الله عليه وسلم انه كلام رب العالمين فدل اقرارهم بالعجز عن اتيان
مثله وترك اشتغالهم بذلك انه كلام رب العالمين منزل على نبيه رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله فاتقوا النار التى وقودها الناس
والحجارة الوقود بالنصب هو الحطب وبالرفع هو النار اخبر عز وجل ان حطبها الناس كلما احترقوا اعيدوا وبدلوا كقوله كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها والحجارة فيه وجهان قيل هي الكبريت وقيل الحجارة بعينها الصلابتها وشدتها اشد احتراقا واكثر نارا
وقوله اعدت للكافرين في الاية دلالة انها لم تعد لغير الكافرين وهي تنقض على المعتزلة قولهم حيث خلدوا اصحاب الكبيرة في النار
ولم يطلقوا له اسم الكفرة انها اعدت للكافرين ايضا وان كان تعذيب المؤمن بمعاص يرتكبها واوزار حملها وفواحش تعاطاها وذلك
ان الله يعذب من يشاء بما شاء وليس الى الخلق الحكم في ذلك كقوله ولا يشرك في حكمه احدا فان قالوا ان اطفال المشركين في الجنة لم
تعد لهم وانما اعدت للمؤمنين ثم جاز دخول غيرهم فيها وتخليدهم وكذلك النار وان كانت معدة للكافرين جاز لغير الكافر التعذيب
والتخليد فيها كقوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم الاية شرط الكفر بعد الايمان ثم من يشاء على الكفر والله
كفر بعد الايمان سواء في التخليد فكذلك مرتكب الكبيرة والكافر سواء في التخليد فيقال لهم ان كل كافر يشهد خلقته على وحدانية
ربه فاذا ترك النظر في نفسه واختار الاعتقاد فصار كمكفر بعد الايمان الا ترى لم يكن مؤمنا ثم كفروا اما قولهم في الاطفال فانهم
انما اخلدوا الجنة جزاء لهم من ربهم والله ان يعطى الجزاء من شاء بلا فعل ولا صنع كان منه فضلا وكرامة وذلك في العقل جائز اعطاء
الثواب بلا عمل على الافضال والاكرام فاما التعذيب فانه غير جائز في العقل بلا ذنب يرتكبه والله اعلم وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات
الاية تنقض قول من جعل جميع الطاعات ايمانا لما ثبت لهم اسم الايمان دون الاعمال الصالحات عبر ان البشارة لهم وذهاب الخوف
عنهم انما اثبت بالاعمال الصالحات ويحتمل الاعمال الصالحات عمل القلب وهو ان ياتى بايمان خالص لله لا كايمان المنافق بالقول دون
القلب وقوله ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار يعنى بساتين وقوله من تحتها الانهار قيل فيه بوجوه قيل ان البساتين ليست هي اسم
الارض والبقعة خاصة ولكن بما يجمع من الاشجار وما نبت فيها من الوان الغروس المثمرة ضمة ذلك يسمى بستانا وقوله تجرى من تحتها الانهار
اى من تحت اشجارها واغراسها وقيل من تحتها تمايع البصر عليها وذلك انزه عند الناس واجلى وانبل وقيل ايضا من تحتها اى من تحت
ما علا منها من القصور والغرف لا تحت الارض كقوله عليه السلام تحت كل شعرة جنابة اى تحت ما علاه تحت الجلد فكذلك الاول
من تحت ما علا من القصور والغرف الله اعلم وقوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل قيل هو بوجوه رزقنا من
قبل في الدنيا اى هذا الذى وعدنا في الدنيا اى في الجنة هذا وقيل رزقنا من قبلهم في الجنة قبل هذا وقوله واتوا به متشابها قيل فيه وجوه
في المنظر مختلفا في الطعم قيل متشابها في الطعم مختلفا في رأى العين والالوان لان من الفواكه ما يستلذ بالنظر اليها دون التناول منها و
قيل متشابها في الحسن والبهاء وقوله ولهم فيها ازواج مطهرة قيل فيه بوجوه مطهرة من سوء الخلق والدناءة ليس كنساء الدنيا
لا يسلمن عن ذلك وقيل مطهرة من الامراض والاسقام وانواع ما يبلى به في الدنيا من الدرن والوسخ والحيض وقيل مطهرة مختارة مهذبة
وقوله وهم فيها خالدون اى مقيمون ابدا فالاية ترد على الجهمية قولهم لانهم يقولون بفناء الجنة وفناء ما فيها يذهبون الى ان
الله تعالى هو الاول والاخر وفي الباقى ولو كانت الجنة باقية غير فانية لكان ذلك تشبيها لكن ذلك وهم عندنا لان الله تعالى هو الاول
بذاته والاخر بذاته والباقى والجنة وما فيها باقية بغيرها ولو كان فيما ذكر تشبيه لكان في العالم والسميع والبصير تشبيه
ولكان في الخلق ايضا في حال البقاء تشبيه فاذا لم يكن فيما ذكرنا تشبيه لم يكن فيما تقدم تشبيه وايضا فان الله تعالى جعل الجنة دار مطهرة
من المعايب كلها لما سماها دار قدس ودار سلام ولو كان اخرها للفناء كان فيها اعظم المعايب اذ المرء لا يهنأ بعيش ذا نقص
عليه بزواله فلو كان اخره للزوال كان نعمة منغصة على اهلها فلما نزه عن العيوب كذلك كان التخليد لاهلها اولى بها وقوله ان الله
لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها كان هذا والله اعلم يخرج جوابا على اثر قول قاله الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

على ما ذكره بعض اهل التأويل فقالوا ما يستحيي ربك ان يذكر البعوض والذباب ونحوها ما يصغر في نفسه وملوك الارض لا يذكرون
ذلك ويستحيون فقال عز وجل جوابا لقولهم ان الله لا يستحيي الاية لان ملوك الارض انما ينظرون الى هذه الاشياء بالاستحقار
لها والاستذلال فيستحيون ذكرها على الاستنكاف والانفة والله عز وجل لا يستحيي عن ذلك لان الاعجوبة في الدلالة على وحدانية
الله تعالى وربوبيته في خلق الصغير من الجثة والجسم من الكبار منها والعظام لان الخلائق لو اجتمعوا على تصوير صورة من نحو البعوض
والذباب وتركيب ما يحتاج اليه الفم والانف والرجل واليد والمدخل والمخرج ما قدروا ولعلهم يقدرون ذلك في العظام من
الاجسام والكبار منها فاولئك لم ينظروا اليها لما فيه من الاعجوبة واللطافة ولكن نظروا الحقارة والخلسة انفا منهم واستنكافا
ثم اختلف اهل الكلام في اضافة الحياء الى الله تعالى فقال قوم يجوز ذلك بما روي في الخبر ان الله تعالى يستحيي ان يعذب من شاب في الاسلام ولا يجوز كالتكبر والاستهزاء والمخادعة وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم وقال الآخرون لا يجوز اضافته الى الله تعالى لانه تحته الاستنكاف والانفة
وذلك عن الله تعالى منفي ولكن الحياء هو الترك هاهنا والحياء الترك اي لا يترك ولا يدع وقوله فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق
من ربهم اي علموا ان ضرب المثل بما ذكر من صغار الاجسام والجثة حق لما نظروا اليها فيها من الاعجوبة والحكمة واللطافة واما الذين
كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا لم ينظروا فيهما لما فيهما من الاعجوبة والحكمة ولكن نظروا الخلسة والحقارة وقوله يضل به
كثيرا الاية تنقض على المعتزلة قولهم لانه جواب قولهم ماذا اراد الله مثلا فقال اراد ان يضل بهذا المثل كثيرا واراد ان يهدي به كثيرا
ضل به من علم به انه يختار الضلالة ويهدي به من علم انه يختار الهدى اراد من كل ما علم منه انه يختار ويؤثر والله اعلم وهم يقولون
بل اراد ان يهدي به الكل ولكنهم لم يهتدوا والثاني يضل به كثيرا اي خلق فعل الضلالة من الضال وخلق فعل الاهتداء من المهتدي
وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله وما يضل به الا الفاسقين اي ما يضل بهذا المثل الا الفاسق الذي لا ينظر الى ما فيها من الاعجوبة واللطا
في الدلالة وقوله الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه عهد الله يكون على وجهين عهد خلقة كل احد على وحدانية الرب كقوله
وفي انفسكم افلا تبصرون وكقوله اولم يتفكروا في انفسهم الاية انه ان نظر في نفسه وتأمل عرف ان له صانعا وانه واحد لا شريك
له وعهد رسالة الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي الاية
وكقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية فنقضوا العهدين جميعا عهد الخلقة وعهد الرسالة وقوله ويقطعون ما امر الله
به ان يوصل يحتمل وجهين يقطعون الايمان ببعض الرسل وقد امروا بالوصل كقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقيل يقطعون
ما امر الله ان يوصل من صلة الارحام وقوله ويفسدون في الارض قيل بوجهين يفسدون بما يؤمرون في الارض وكقوله يأمرون
بالمنكر وينهون عن المعروف وقيل يفسدون اي يعملون بانفسهم في الارض بالفساد وكقوله ويسعون في الارض فسادا وقوله
اولئك هم الخاسرون يحتمل ايضا وجهين خسروا لما منهم ذهب من المنى والاماني في الدنيا وروي عن الحسن قال في قوله هم الخاسرون
اي غبنوا انفسهم باختيارهم الكفر بها طباق النار فذلك هو الخسران المبين وقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم يحتمل وجوها
كيف من بعد ظهرت لكم الحجة ان تعبدوا من دون الله من الاصنام وغيرها انه حق ولم يظهر لكم منها الانشاء بعد الموت ولا الاماتة
بعد الاحياء وقيل وكيف تكفرون بالبعث بعد الموت وكنتم امواتا يعني نطفا فاحياكم وانتم لا تنكرون انشاء الاول فكيف تنكرون
البعث والاحياء بعد الموت وقيل وكيف تكفرون بالاحياء والبعث بعد الموت وفي العقل ان خلق الخلق للافناء والاماتة من غير قصد
العاقبة عبث ولعب لان كل بان بنى للنقض فهو عابث وكذلك كل ساع فيما لا عاقبة له فهو عابث عادل فكيف تجعلون فعله عز وجل
اذ لو لم يجعل الخلق دارا للجزاء والعقاب كان في خلقه اياهم عابثا خارجا من الحكمة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله
ثم اليه ترجعون اي تعلمون انكم ترجعون اليه وكذلك المصير والمآب والثاني ترجعون الى ما اعد لكم من العذاب احتج عليهم بما اخبرهم
الله انه انشاءهم بعد الموتة الاولى ان يبعثهم بعد الموتة الاخرى ثم اليه ترجعون كانه يقول ثم اعلموا انكم اليه ترجعون وقوله هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا قيل انه صلة قوله كيف تكفرون بالله امواتا اي كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الارض ما يدلكم على وحدانيته
ويحتمل كيف تكفرون بالذي خلق لكم ما في الارض نعما من غير ان كان وجب لكم عليه حق من ذلك لتشكروا له عليها وجهتم انتم الشكر فيها
الى غيره ويحتمل خلق لكم ما في الارض محنة يمتحنكم بها في الدنيا كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ثم تجزون في دار اخرى فكيف انكم ثم البعث
وفي بيان حكمة الخلق في الدنيا للفناء والاحياء للاخرة حكمة وفي انكارها ذهاب الحكمة وقوله ثم استوى الى السماء قيل فيه وجوها
قيل سوى الدخان كقوله استوى الى السماء وهي دخان وقيل استوى تم كقوله بلغ اشده واستوى اي تم وقيل استوى اي استولى والاصل
عندنا في قوله ثم استوى الى السماء واستوى على العرش وغيرها من الايات من قوله وجاء ربك الاية وقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم
الاية من الايات التي ظنت المشبهة ان فيها تحقيق وصف الله تعالى بما يحق كثير من الخلق الوصف به على التشابه في الحقيقة انها تحتمل
وجوها احدها ان تصفه بالذي جاء به التنزيل على ما جاء ونعلم انه لا يشبه على ما ذكر من الفعل فيه بغيره لانك بالجملة تعتقد ان الله ليس
كمثله شيء وانه لا يجوز ان يكون له مثل في شيء اذ لا يوجد مثله فيه او قدم ذلك الشيء من الوجه الذي اشبه الله وذلك مدفوع
بالعقل والسمع جميعا معالم يجزان يقدر الصانع عند الوصف بالفعل كغيره وانه حي قدير سميع بصير نوما عليه امر الخلق لما يصير
بذلك احد الخلائق واذا بطل هذا بطل التشابه وانتفى ولزم امر السمع والتنزيل على ما اراد الله وبالله التوفيق والثاني ان يكون فيه
معان تخرج الكلام مخرج الاختصار والاكتفاء بمواضع افهام في تلك المواضع على تمام البيان وذلك نحو قوله وجاء ربك والملك اي بالملك
وذلك كقوله اذهب انت وربك اي بربك فقاتلا اذ معلوم انه يقاتل بربه ففهم منه ذلك وكذلك معلوم ان الملائكة يأتون
فكانه بين ذلك يدل عليه قوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكذلك هل ينظرون الا ان يأتيهم الله الاية ومما يوضح انه
لم يكن احدا عتقد او تصور في وجه النظر الاتيان الرب ومجيئه ولا كان بنزوله وعد نيط وكان بنزل الملائكة كقوله يوم يرون
الملائكة لا بشرى الاية وقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين فيما ذكرنا عظيم امرهم وجليل شانهم ومثله في قوله

والاستواء ل
٤

اختلف في اضافة الحياء الى الله تعالى
م

الرحمن على العرش استوى تعالى له وجهان احدهما ان يكون معنى العرش الملك والاستواء التام الذي لا يوصف بنقصان في ملك او الاستيلاء
عليه وان لا سلطان لغيره ولغيره ولا تدبير لاحد فيه والثاني ان يكون العرش اعلى الخلق وارفعه وكذلك تقدره الاوهام فيكون موصوفا
بعلوه على التعالي عن الامكنة وانه على ما كان قبل كون الامكنة وهو فوق كل شيء اي بالغلبة والقدرة والجلال عن الامكنة ولا قوة الا
بالله واصله ما ذكرنا ان لا نقدر فعله بفعل الخلق ولا صفته بوصف الخلق لانه اخبر انه ليس كمثله شيء وقوله فسواهن سبع سموات
مرة قال فسواهن ومرة قال الخلق سبع سموات ومرة قال فقضاهن سبع سموات الاية ومرة قال بديع السموات وكله يرجع الى واحد
قال الشيخ رضي الله عنه القول فيما يتوجه اليه مما تضمن قصة آدم عليه السلام من سورة البقرة والكشف عما قال فيها اهل التفسير من
غير شهادة لاحد منا لاصابة جميع ما فيه من الحكمة او القطع على تحقيق شيء ووجهوا اليه بالاحاطة ولكن الغالب مما يحتمله تدبير البشر
ويبلغه مبلغ علمه مما يجوز ان يوصف به اهل المحنة وان كان تنزيه الملائكة عن كل معنى فيه وحشة اولى بما وصفهم الله من الطاعة له بقوله
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الى قوله لا يسبقونه بالقول الاية وقوله يخافون ربهم من فوقهم
الاية وقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون ويفعلون ما يؤمرون وما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من رضا عنهم لله ومواظبتهم على العبادة وما لا يذكر من احد من الرسل وصف ملك بالمعصية بل انما ذلك يذكر عن بعض السلف مما لا يلزم
في مخالفته في فروع الدين فضلا من ان يبسط اللسان في ملائكة الله سبحانه بالمعونة والعصمة قال الله تعالى لملائكته اني جاعل في الارض
خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية زعم قوم ان هذا زلة منهم لم يكن ينبغي لهم ان يقابلوا قوله اني جاعل في
الارض خليفة بهذا لما يخرج مخرج الاستعتاب بقولهم اتفعل ونحن نفعل كذا كالمنكرين لفعله وايد ذلك بقوله عز وجل اني
اعلم ما لا تعلمون انه لو لا كان في ذلك طرف من الجهل يحذر عن مثله فائله لم يتبع قولهم هذا ومعلوم عندهم ان يكون هو يعلم ما لا يعلمون
وايد ذلك بما امتحنهم بالانباء من اسماء الاشياء مقرونا بقوله ان كنتم صادقين ولولا انه سبق منهم لما استغفروا عليه لم يكن لذلك
الشرط عند القول انبئوني باسماء هؤلاء فائدة معنا يوضع موضع التوبيخ والتهدد ومنهم من قال ان قوله اتجعل فيها من يفسد فيها
قول ابليس هو الذي تعرض بهذا القول وان كان الكلام مذكورا باسم الجماعة لانه جائز خطاب الواحد على ارادة الجماعة وذكر الجماعة
على ارادة الواحد وان كان خطاب الله تعالى بجملة ملائكته حيث قال ربك واذ قال ربك للملائكة الاية قوله انبئوني بكذا وهو يعلم انهم
لا يعلمون ذلك ولا يحتمل ان يأمرهم بذلك وهم لا يعلمون ولو تكلفوا الاخبار لحقهم الكذب في ذلك ثبت ان ذلك على التوبيخ والتهدد
لما فرط منهم ويكشف عن ذلك ايضا عند اعترافهم بان لا علم لهم الا ما علمهم الله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض الاية
ولو لم يكن منهم ما استحقوا به التأديب والتنبيه عن غفلة سبقت منهم لم يكن لذلك كثير معنى اذ لا يخفى على الله عز وجل يعلم ما ذكر
من الكفرة الاشقياء فضلا من الكرام البررة ولكن قد يعاتب الاخيار عند الهفوة والزلة بما يحل من خوف التنبيه والتوبيخ نحو قوله
اتقوا النار التي اعدت للكافرين وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لاذقناك ضعف الحيوة الاية وملائكته ومن يقل منهم
اني اله من دونه واستجازوا امكان العصيان عند المحنة ودليل المحنة ما بينا من الفعل بالامن والخوف المذكور وما مدحوا
بعبادتهم لله تعالى وما اوعدوا والوادعوا الالوهية ولما لم يحتمل ان يجعلوا على العبادة والطاعة فيما كان فعلهم على الخير والشر ولا يعلم
المحنة فيما لا يملك للمعصية ولا يحتملها البنية اذ الطاعة هي نفاء المعصية وقال ايضا لا يعصون الله ولا يقال مثله لمن لا يحتمل
فعل المعصية فثبت ان المعاصي منهم ممكنة ولذلك خطر طاعاتهم وعظم قدر عباداتهم والممتحن يخوف منه الزلة والهفوة
بل المعصية وكل بلاء الا ان يعصمه الله تعالى ويحفظه وذلك من الله افضال واحسان لا يستحق قبله ولا يلزمه احد من خلقه فجائز
الابتلاء به معا في زلة اشالهم من ترك الرجاء بالخلق وقطع الاياس والحث على الفراغ الى الله تعالى بالعصمة والمعونة اذ لم يتم لطاعته
احد وان جل قدره عنده ما وكل الى نفسه بما يعلم الله انه يختار في شيء الخلاف لا اله نفزع اليه ويتضرع اليه وعلى ذلك معنى زلات
الرسل عليهم الصلوة والسلام وزعم قوم ان ذلك ليس منهم بالزلة بل الله تعالى عصمهم عنها ولكن قوله اتجعل فيها من يفسد فيها
يخرج على وجهين احدهما على التوبيخ اذ اعلمهم الله انهم يفعلون فقالوا كيف تفعلون ذلك وقد خلقتهم ورزقتهم واكرمتهم بانواع
النعم ونحن اذ خلقتنا نسبح بذلك ونقدس لك او كيف يحتمل عقولهم عصيانا مع عظم نعمتك ونحن معاشر الملائكة تأبى علينا العقول
ذلك فقال الله عز وجل اني اعلم ما لا تعلمون اي امتحنهم مع ما ركب فيهم الشهوات التي لغلبتها على انفسهم تغيرهم على انواع الغفلة
ويصعب عليهم التيقظ لكثرة الاعداء لهم وغلبة الشهوات فلما عظمت المحنة عليهم يكون منهم ذلك وهذا الوجه يخرج على سؤال
الحكمة في خلق من يعصيه فاخبر انه يعلم ما لا يعلمون اذ بذلك بيان الاولياء والاعداء وبيان ان الله لا يخلق لحاجة له او لمنفعة
له اذ لو كان كذلك لم يخلق من يخالف في القول الذي امر به وانما خلق الخلق بعضهم لبعض عبرا وعظة فيكون في عقوبة العصاة و
وعيدهم مزجر لغيرهم وموعظة ولغير ذلك من الوجوه والوجه الاخر ان يكون المعنى من قوله اتجعل فيها على الايجاب اي انت
تفعل ذلك اذ ليس عليك في خلق من يعصيك ضرر ولا لك في خلق من يطيعك نفع جل ثناؤك من ان يكون فعلك لاحد هذين وذلك
كقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله الاية على ايجاب ذلك لا على استفهام ثم يحتمل ان الالف زائدة كقوله
اتقتل كما قتلت نفسا بالامس وقوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين بمعنى انكم تريدون وذلك يرجع الى الاول
قال ومعنى قوله اني اعلم ما لا تعلمون من الاختيار فيهم ولذلك ذكرهم عند سؤال الانباء بما علمهم من عظيم امتنانه على آدم اذ جعله
معنى نبي الى الملائكة بما علمهم الاسماء ولم يكن بلغ توهمهم ان في البشر ما يحتاج المخلوقون من النور الذي هو سبب رفع الاستار عن
الاشياء وجلاء بصرهم يحتاجون في اقتباس العلم اليهم وهو من جوهر التراب والماء الذي هو اصل الستر والظلمة فاراهم الله بذلك ليعلموا
ان ليس طريق المعرفة والعلم بالاشياء الخلقة ولكن لطف الله وامتنانه ولا قوة الا بالله وقال القوم كان منهم من استحق العتاب من طريق
الخطر بالقلوب لا من طريق الزلة التي هي العصيان ولكنهم يعاتبون على امثال ذلك وان لم يبلغ بهم المعصية لعلو شأنهم ولعظم قدرهم

كما قد عاتب الله تعالى نبيه عليه الصلوة والسلام في اشياء وان لم يكن ذلك منه معصية وكقوله تعالى عفى الله عنك الاية وقوله ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم قوله واذ تقول للذي انعم الله عليه الاية ولم يكن اثم في ذلك وقال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله الاية لا ثم من غير ان كان منه عصيانا فمثل ذلك امر الملائكة ثم تكلموا في معنى ذلك فمنهم من يقول ظنوا انهم اكرم الخلق على الله وانه لا يفضل احدا عليهم ومنهم من يقول ظنوا انهم اعلم من جميع من يخلق من جوهر النار والتراب من حيث ذكرت من جوهرهم او لعظم عبادتهم لله وعلمهم بان في الجن والانس عصاة فهذا امتحنهم بالعلم ثم بالسجود لادم لاظهار علو البشر وشرفه وعظم ما اكرموا من العلم ومنهم من قالوا بقوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قيل بامرك وقيل بمعرفتك وقيل بالثناء عليك انكانوا اضافوا ذلك الى انفسهم دون ان يذكروا عظيم منة الله عليهم بذلك واختصاصه اياهم بالتوفيق له اذ كيف ذكروا من عيوب البشر شرا ما فيهم دون ان يحمدوا الله بما وفقوا له او يدعوا للبشر بالعصمة او المغفرة مما ابتلوا او لذلك ولذلك والله اعلم صرفوا شغلهم من بعد الى الاستغفار من في الارض ونصرا اولياء الله ولا قوة الا بالله ومن الناس من اخبر في ذلك ان ابليس سألهم لو فضل ادم عليهم وامروا بالطاعة له ما يصنعون فاظهر الله عز وجل انه علم ما ابطن من العصيان واظهروا من الطاعة وهذا شيء لا يعلم حقيقته لان المعاتبة كانت في جملة الملائكة والمخاطبة بالانباء وما الحق وامر بالسجود كان في غيره ولم يحتمل ان يكونوا يؤاخذون بسؤال ابليس اللعين ولكنه يحتمل وجوه العتاب الاخبار فيما لم يبلغوا العصيان والله الموفق وقوله انبئوني باسماء هؤلاء ظاهره امر ولكنه يحتمل التوعد والمعاتبة على ما بينا وذلك في القرآن كثير وان كان في الحقيقة امر فيصيبه دلالة جواز الامر فيما لا يعلمه المأمور اذا كان بحيث يحتمل العلم به الى ذي العلم تبين له اذا طلب واستوجب رتبة التعلم والبحث ويحتمل ان يكونوا ابتهروا حتى لا يسبق اليهم عند اعلام ادم ان ذلك من حيث يدركونه لو تكلفوا واراد ان يريهم اية عجيبة تدل على نبوته ذكرهم عجزهم عن ذلك والزمهم الخضوع لادم عليه السلام في افادة ذلك العلم له كما قال عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى ذكره اولا حاله وحال عصاه ليعلم ما اراه مما في يده من اية نبوته على نبينا وعليه السلام وقوله اني جاعل في الارض خليفة وقال قوم يريد به ادم عليه السلام يخلف الملائكة في الارض ومن تقدمه من الجان وذلك بعيد لانهم قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ولم يكن ادم عليه السلام بالذي كان يفسد في الارض ويسفك الدماء بل كان يسبح بحمده ويقدس له ولكن يحتمل ان يريد ادم وولده الى يوم القيمة ان يجعل بعضهم خلفا لبعض كقوله ويجعلكم خلفاء الارض ويجعلهم خلفاء من ذكر ان صح الذي قالوا وجائز ان يكونوا على وجه الارض ذي مخلوقة لهم قرارا ومهادا ومعادا وهم جعلوا سكانها وعمارها ان يكون خلفاء في اظهار احكام الله تعالى ودينه كقوله لداود عليه السلام انا جعلناك خليفة في الارض فجعله كذلك ليحكم بين اهلها بحكم الله ولا تتبع الهوى وبذلك امر بنو ادم وقوله وعلم ادم الاسماء كلها يحتمل ان يكون علم لهم ويحتمل ان يكون علم بارسال ملك من غير الذين امتحنوا به فوذلك تثبيت احد وجهين اما ان يكون العلم بالاشياء حقيقة ضرورة يقع عند النظر في الاسباب التي هي ادلة وقوعه التام فيها نحو وقوع الدرك بالبصر عند النظر وفتح العين واما ان كان الله تعالى خلق فعل التعلم الذي يعلم المرء فيما نشاء فيه الى الله تعالى انه علمنا وكذا قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولا يحتمل هذه الاسباب لما كانت له كلها ولم يكن تعلم حقيقة ليؤدى له وكذلك قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا والله الموفق وقوله ان كنتم صادقين في المعاني التي ذكروا او اذ كنتم مذ خلقتم موصوفين بالصدق او على تحذير القول بلا علم وكانه قال واصدقوا واحذروا القول بالجهل وفي ذلك انهم لم يتكلفوا بالقول في شيء ولم يعلمهم الله تعالى قال ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان هذا ابطل قول المنجمة والقافة بدعواهم على الغيب بلا تعليم ادعوهم من الله تعالى وفي قصة ادم عليه السلام دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذا اخبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما علم بما في غير القرآن من الكتب السماوية من غير ان عرف بالاختلاف اليهم او معرفة الالسن التي بها ذكرت في كتبهم ذكرها على ما لم يدع احد له العلم بها التكبر عليه ليعلم انه بالله علم ذلك وفيها دلالة فضل ادم عليه السلام ابي البشر اذا احوج ملائكته اليه لاقتباس اسامي الاشياء وهو العلم الذي كل خير له كالتابع به ويصلح وينفع ولا قوة الا بالله وفيها دلالة محنة الملائكة بوجهين احدهما تعليم العلم الذي هو احق شيء [illegible] مما قدم ما يخرج التهدد في القول من قوله انبئوني وذلك فيه لانه محنة [illegible] والثاني في طاعة امرهم بالسجود لادم عليه السلام حتى يظهر من ابى كونا ابليسنا وفي ذلك [illegible] فضل ادم عليه السلام اذ جعل موضع عبادة خيار خلق الله والله التوفيق وفي ذلك ان السجود ليس بنفسه عبادة اذ قد يجوز السجود لاحد من الخلق كما امر به لادم عليه السلام كقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم ولم يجز الامر بالعبادة لادم والله اسم المعبود [illegible] ذلك تسمية العرب كل شيء يعبدونه الها ولا قوة الا بالله ثم السجود يحتمل الخضوع كما قال الله تعالى يسجد له من في السموات الاية وقوله والنجم والشجر يسجدان فانه كان المراد منه الخضوع له والتعظيم فذلك يحتمل وجهين احدهما انه تعالى اذا فضله عليهم [illegible] امرهم بالخضوع والتعظيم [illegible]

[illegible]

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون الاية م

ليوسف عليه السلام والله اعلم والثاني ان يكون السجود له بمعنى التوجه اليه وهو في الحقيقة لله تعالى نحو السجود الى الكعبة لله تعالى تعظيما له وتبجيلا للكعبة وتخصيصا من بين البقاع كذلك امر السجود لادم عليه السلام تعظيما له وتبجيلا من بين سائر البشر كلا وجهين ثابتا ثم قد ثبت نسخ السجود للخلق بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان يحل لاحد ان يسجد لاحد لامرت المراة ان يسجد لزوجها ولما جعل السجود في العبادة عبادة للمسجود له واعترافا بعرف الاشراد بعبادة عظمائهم ومن يعبدونه من دون الله فيصير ذلك المعنى هو السابق في القلوب وذلك مما لا يحتمل لاحد دون الله فنهى كذلك وان لم يكن بنفسه عبادة للمسجود له في الحقيقة كما نهى عن اشياء ربما يتصل بها من الوحشة وان لم يكن ذلك في الحقيقة محتملا له فكذلك الامر الاول كما نهى عن سب من دون الله فيسب الله ويوم يأمر ليست بنفسها بقربة ليتوصل بها الى القربة كالسعي الى الحج والجمعة ونحو ذلك وفيه ان السنة تنسخ الكتاب لان السجود لادم عليه السلام في الكتاب ومثله السجود ليوسف ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فحرم فدل ان السنة تنسخ الكتاب وقول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم يشبه ان يكون السابق الى وهمهم مني وخطر فعل بما كان بالله خرج من ان يعقلوا حكمته اما بما لم يبلغهم العلم بها او بخطر بالهم من غير تحقيق ذلك ولكن على ما يبلى به الاخيار كقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية او كالا يخلو به الممتحن عن الخواطر التي تبلغ المحنة بهم المجاهدة بها في دفعها وان لم يكن لهم بما يخطر ببالهم صنع فقالوا سبحانك تنزهوا عما خطر ببالهم وسبق الى وهمهم ووصفوا بانه عليم لا يخفى عليه شيء حكيم لا يخطئ في شيء ولا يخرج فعله عن الحكمة وبالله التوفيق والعصمة وفي الاية منع التكلم في الشيء الا بعد العلم به والفزع به الى الله عن القول به الا بعلم وهذا هو الحق الذي يلزم كل من عرف الله وبه امر الله نبيه عليه الصلوة والسلام فقال لا تقف ما ليس لك به علم الاية وسئل ابو حنيفة رضي الله عنه عن الارجاء ما بدوه فقال فعل الملائكة اذ سئلوا عن امر لم يعلموا فوضوا ذلك الى الله تعالى ومعنى الارجاء نوعان احدهما محمود وهو ارجاء صاحب الكبائر ليحكم الله تعالى فيهم بما يشاء ولا ينزلهم نارا ولا جنة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والارجاء المذموم هو الجبر ان يرجئ الافعال الى الله لا يجعل للعبد فيه فعلا ولا تدبيرا في ذلك وعلى ذلك المروي حيث قال صنفان من امتي لا ينالهم شفاعتي القدرية والمرجئة والقدرية هي التي لم تر لله في فعل الخلق تدبيرا ولا له عليه قدرة التقدير والمرجئة هي التي لم تر للعبد فيما ينسب اليه من الطاعة والمعصية فعلا البتة فابطلت الشفاعة عنهما وجعلت المذهب الاوسط بينهما وهو الذي يحقق للعبد فعلا ولله تقديرا من العبد غير ذلك بخير وشر ومن الله خلقه وذلك على المعقول مما عليه طريق العدل والحق انه بين التفريط والتقصير وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها وكذلك قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية ولا قوة الا بالله قال ابن جريج فالسجود للملائكة لادم ايماء ولم يكن يجعل وضع الوجه بالارض لاحد وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان سجود الملائكة سجود عبادة وعن قتادة قال كانت الطاعة لله والسجدة لادم عليه السلام اكرمه الله والله اعلم ثم اختلف في ابليس قال بعضهم هو من الملائكة وقال اخرون لم يكن من الملائكة وهو قول الحسن والاصم ذهبوا ذلك الى وجوه احدها ما ذكر عز وجل من طاعة الملائكة له بقوله لا يعصون الله ما امرهم الاية وقال لا يسبقونه بالقول الاية وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الاية وصف الله عز وجل طاعتهم له وايتمارهم اياه فلو كان اللعين الرجيم منهم لاطاعه كما اطاعوه له والثاني قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والملائكة انما خلقوا من النور والثالث قوله تعالى كان من الجن ولم يقل من الملائكة فدل هذه الايات انه لم يكن من الملائكة ثم قال في قوله فسجدوا الا ابليس قد يجوز الاستثناء من غير نوع المستثنى منه نحو ما يقال دخل اهل الكوفة هذه الدار الا رجلا من اهل المدينة وذلك جائز في اللغة ويستدل بالاستثناء ان الامر كان عليهم جميعا في الاصل وكان الامر بالسجود له والملائكة جميعا كقوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس دل اذ كان هنالك امر للناس بالاضافة فكذا الاول والله اعلم وذهب من قال انه من الملائكة انه لم يذكر في قصة من القصص مع كثرة التكرار لها في القرآن وغيره من الكتب السالفة انه ليس منهم وليس فيما ذكر من الايات ما يدل انه لم يكن منهم لان قوله لا يعصون ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولو لم يتوهم منهم العصيان والخلاف لله تعالى لم يكن للمدح بالطاعة والخضوع له معنى لانه يرى في قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية مع ما ذكر انهم يمتحنون بانواع المحن وكل ممتحن يجوز كون المعصية منه والخلاف لديه واما قوله وكان من الجن اراد به الملائكة سموا اجنانا لاستتارهم عن الابصار كقوله واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم واما قوله خلق الملائكة من النور وابليس من النار فهو واحد لانه اخبر عز وجل انه خلقه من مارج هو لهبها مع انه ليس في القرآن ولا في الخبر انهم انما خلقوا من النار ولم يخلقوا من غيره ثم اختلف في ابليس انه لم كفر بالله قيل انه كفر لما لم ير الامر بسجود من فوقه لمن هو دونه حكمة وقيل كفر لما راى ان الله تعالى وضع الامر في غير موضع الامر ورآه جورا فكفر به وقيل كفر لما ابى الايتمار بالسجود واستكبر فكفر وقيل كفر لما انه اراد اضلال الخلق وقيل في الطاعة فيما امر به واستكبر على ادم لما راى لنفسه فضلا عليه بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله وكان من الكافرين اي صار كقوله انه كان فاحشة وكقوله وكان من الغاوين اي صار وقيل كان في علم الله تعالى انه سيكفر وقوله قلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة قد ذكرنا فيما تقدم ان الجنة هي اسم البقعة التي حفت بالاشجار والغروس وانواع النبات دليله قوله وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وكذلك ابتغاء ظاهر معروف عند الناس ان لا يسمى كل بقعة من الارض بستانا ولا جنة حتى يجتمع فيها ما ذكرنا ثم لا يدري ما تلك الجنة التي امر ادم وحوا بالكون والمقام فيها الجنة التي وعد المتقون او جنة من جنات الدنيا اذ ليس في الاية دلالة ان الشرط في الذكر قد يضمر ويكون شرطا بلا ذكر لانه قال لا تجوع فيها ولا تعرى ثم قد جاع وعرى حين فدل ان ترك المعصية كان شرطا فيه ثم معنى الامر من الله تعالى لادم وزوجته بالسكنى في الجنة والمقام فيها وامرهما بالتناول من جميع ما فيها الا شجرة نهيا عن التناول منها وامرا بالاجتناب عنها فقوله ولا تقربا هذه الشجرة وذي صورته المحن ان يؤمر بشيء وينهى عن شيء وقوله رغدا اي سعة يقال رغد فلان اذا وسع عليه وكثر ماله وقوله ولا تقربا هذه الشجرة اي لا تأكلا دليله قوله فكلا منها ولانه بالقربان ما يوصل الى التناول واللغة لا تأبى تسمية الشيء باسم سببه ثم

سجود الملائكة لادم ايماء م

الاختلاف في ابليس عليه اللعنة م

اختلاف في كفر ابليس عليه اللعنة م

معنى الامر بالسكنى م

اختلف في تلك الشجرة فقال بعضهم هي شجرة العنب وكذلك جعل للشيطان فيها حظا لما عصيا ربهما وقيل انها كانت شجرة الحنطة ولذلك جعل غذاء آدم وحوا عليهما السلام وغذاء اولادهما منه الى يوم القيمة ليقاسوا جزاء العصيان والخلاف له وقيل انها شجرة العلم لما علموا من ظهور عورتهما ولم يكونا يعلمان قبل ذلك وهو قوله بدت لهما سوآتهما والله اعلم والقول فيما بينا لا يجوز الا من طريق الوحي ولا وحي تلاوتها ولا يجوز القطع على شيء من ذلك ثم احتمل معنى النهي عن التناول منها وجوها ايثارا لآخر عليه وقد يكون هذا ان ينهى الرجل عن التناول عن شيء ايثارا لآخر عليه ويحتمل النهي عن التناول من الشيء لداء يكون فيه لما يخاف الضرر به لا على جهة الايثار ولكن اشفاقا عليه ورحمة ويحتمل ايضا عن التناول من الشيء على جهة الحرمة فاذا كان ممكنا هذا احتمل حمل آدم وحوا على التناول منها لما اشتبه عليهما ولم يعرفا معنى النهي بانه نهي حرمة او نهي ايثار غيره عليهما او نهي داء لانهما لو كانا يعلمان ذلك النهي لكان لا يأتيان ولا يميلا ولا دنو وبالله التوفيق ثم في الآية دلالة على ان الحال التي يكون فيه للانسان في سعة ورغد يشتد على الشيطان اللعين لانه انما تعرض لآدم وحوا بالوسوسة التي وسوس اليهما ليزيل تلك الحال عنهما وابتليا بالمحنة والزحام لما كنته من الشدايد والبلايا بما كسبت ايديهما القوله ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم الآية ترد على بعض المتقشفة قولهم بتحريم الطيبات والزينة وقوله فتكونا من الظالمين اي ضارين لان كل ظالم ضار نفسه في الدارين جميعا وقوله فازلهما الشيطان عنها اي دعاهما وزين لهما الى سبب الزلة والاخراج منها الى ان تولى اخراجهما وازلالهما وقد ذكرنا ان الاشياء تسمى باسم اسبابها والاسباب باسم الاشياء وذلك ظاهر معروف في اللغة غير ممتنع تسمية الشيء باسم سببه ثم تكلموا فيما اصاب آدم من الشجرة وفي جهة النهي عنها فقال قوم اكل منها وهو ناس لعهد الله نسيان الذكر وابى ذلك قوم واحتج الحسن بان نسيان نسيان تضييع واتباع الهوى لا نسيان الذكر ووجه احدهما ما جرى في حكم الله تعالى من العفو عن النسيان الذي هو ترك الذكر وان لا يلحق صاحبه اسم العصيان وقد عوقب هو به ونسب العصيان بقوله وعصى آدم ربه فغوى مما تقدم القول فيه ان يكونا من الظالمين والثاني ان عدوه قد ذكر لو كان ناسيا حيث قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية وقوله وقاسمهما وقوله فدلاهما بغرور ولو كان نسيان الذكر لم يكونا ليغترا بالقسم والاغواء عن ذلك ولا وسوسة لان استزلهما الشيطان ونحو ذلك فثبت انه كان نسيان تضييع وذلك كقوله وكذلك اليوم تنسى وقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وغير ذلك مما ذكر فيه النسيان ومعناه التضييع سمي به لما كان كل منسي متروك وترك اللازم تضييع او بما ينسى به ويغفل عنه مما يحل به من نقمة الله فسمي به كما وصف ذنب المؤمن بجهالة الجهالة بحقيقة فعله او سمي به من حيث لم يقصد بذلك عصيان الرب او طاعة الشيطان والى ذلك يصرف بعض وجوه النسيان لا حقيقته ومن يقول بانه كان على النسيان فهو يخرج النسيان على وجوه احدها انه لكثرة ما كان بينه وبين عدوه من التراجع اشتغل قلبه بوجوه الدفاع له والفكر في الاسباب التي بها يخاتله ويتخلص من مكائده حتى انساه ذلك عن ذكر العهد والتلبيس الذي يدفع الاشتباه عن الاوهام في الشاهد كثرة الاشتغال وانما كان النسيان عذرا في الامور وسببا للعقول لانه لا يخرج الاخذ به عن الحكمة وذلك معلوم في الشاهد ان من قبل على شيء واخذ في تحفظه وتذكره سهل عليه ذلك واذا احب ذلك مع الاشتغال بغيره من الامور صعب عليه بل الغالب في مثله الخطاء وجائز معاتبة آدم مع ذلك وتسميته عصيانا باوجه احدها انه لم يكن امتحن بانواع مختلفة يتعذر عليه وجه الحفظ في ذلك وانما امتحن بالانتهاء عن شجرة واحدة بالاشارة اليها فجائز ان لا يعذر في مثله وكذلك النسيان فيما يعذر في الشاهد انما يعذر في النوع الذي يبلى به ويكثر به النوازل الا ترى انه يعذر بالسلام في الكلام في الصلاة وترك التسمية في الذبيحة ونحو ذلك ولا يعذر في الاكل في الصلوة وفي الجماع والحج ونحو ذلك فمثله الامر الذي نحن فيه والثاني انه ما ثر اخذ الاخيار ومعاتبة الرسول بالامر الخفيف اليسير الذي لا يؤخذ بمثل ذلك غيره لكثرة نعم الله عليهم وعظم منته عندهم كما اوعدوا التضاعف في العذاب على ما كان من غيره وعلى ما ذكر في امر يونس عليه السلام من العقوبة بما لعل ذلك من عظيم خيرات غيره اذ فارق قومه مما عاين من المناكير فيهم وفعل مثله من احد ما يوصف به غيره وكذلك ما عوتب محمد صلى الله عليه وسلم فيما خطر بباله تقريب اجلة الكفرة اشفاقا عليهم وحرصا على اسلامهم ومن تبعهم على ذلك مما لعل من دونه لا يعد لشيء من خيراته بالذي عوتب به وبالله التوفيق والثالث انه لما عوتب بالذي يجوز ابتداء المحنة به ولمثله خلقه حيث قال اني جاعل في الارض خليفة لكنه بكرمه وبالذي عود خلقه من تقديم احسانه وانعامه في الابتداء على الشدائد والشرور وان كان له الفضل بالثاني وذلك في جملة قوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة واليه ترجعون وبالله التوفيق وعلى ما ذلك من مبالغة غيره الزجر عن المعاصي وتعظيم خطرها في القلوب اذ جوزي ابو البشر واول الرسل منهم على ما فضله بالمحن ملأ بالتعلم منه والتجود بذلك القدر من الزلة ليعلم الخلق انه ليس في امره هوادة ولا في حكمه محاباة فيكونون ابدا على حذر من عقوبته والفزع اليه بالعصمة مما يوجب مقته وان لا يكلهم الى انفسهم اذ علموا بابتلاء من الذي ذكرت محله في قلوبهم بذلك القدر من الزلة ولا قوة الا بالله والثاني ان يكون حفظ النهي عنه لكنه خطر بباله لا يلحقه فيه وصف العصيان او نسي قوله فتكونا من الظالمين وقد ذكرنا النهي في وقت الفعل ولكن ينسى الوصف بالفعل من النهي لعله سبق الى وهمه غير جهة التحريم اذ يكون النهي على اوجه احدها للحرمة والثاني لما فيه من الداء وعليه في اكله ضرر وهذا معروف في الشاهد ما عليه الطباع نهي قوم عن اشياء لعلة ولم يؤذ يضر فيحتمل ان يسبق الى وهمه ذلك لما وعد له في ذلك من عظيم النفع يحتمل ما خوف به ليصل الى ما وعد على سبق وجه النهي لما وجد من حيث الضرر والمنفعة ونسي قوله فتكونا من الظالمين وذكر وعرف ان الظلم قد يقع على الضرر كقوله كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا لم ينقص منه والنقصان في النفس ضرر وعلى ذلك فسر عامة اهل التفسير الظلم في القرآن انه الضرر يأخذ ضرر الداء وضرر المأثم وان كان حقيقته وضع الشيء في غير موضعه ولا قوة الا بالله وقد يحتمل النهي ان يخرج مخرج المنع لئلا يكون غيره هو الملك يبتدأ به ويخص ذلك لغيره لا على التحريم نحو الامر بالمعروف فيما يمنع الرجل ولده عن التناول مما يريد به غيره لا على التحريم واذا العقل

اذا ثم بين له عظيم ما في ذلك من البركة من غير ان عاين عدوه ليعلم ان ذلك صنيعه وجائز ان سبق اليه ان ذلك اشارة ملك او الهام في النفس على ما يكون لكثير من الاخيار والاتقياء من وحي عدوه فدعته نفسه الى الاكل فيكون كالناسي والجاهل بحقيقة وجه النهي وان كان نعمة كلها ولا قوة الا بالله والاصل في هذا ان فعله عليه السلام ان كان على نسيان العهد او على ذكر له فان الذي اصابه عقوبة وان كان بالذي يكون به المحنة فلولا ان الله يعاقبه على ما فعله لم يكن ليغير عليه نعمة بعذاب نعم عليه وقد قال انه لا يغير نعمة التي انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وما لا يحتمل العقوبة بالتغيير لم يكن ليفعل بعد وعد ذلك مما قد اعترفا بالظلم اذ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الآية وقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وقد كان قال لهما فتكونا من الظالمين فكان فيما يلي به وجهان احدهما ان ذلك لم يزل عنهما اسم الايمان ولا وعيا اليه بعد فعلهما ذلك ثبت انه لا لكل ذنب يزيل اسم الايمان وان الذنوب لا تحقق فيه الكذب فيما اعتقدا ان لا يعصي الله في شيء وفي ذلك فساد اهل الخوارج والمعتزلة وبيان ان قوله ومن يعص الله في شيء وفي ذلك فساد اهل الخوارج والمعتزلة وبيان ان قوله ومن يعص الله ورسوله يدخله نارا ليس على كل عصيان ولا الوعيد بالظلم المطلق يوجب كل عصيان وغواية بل يلزم به تقسيم هذه الحروف على ما يليق به ومن يريد بها الجمع في كل الاثام خارج على ان المعروف من احكام الله في اهل الاثام والثاني انه قد عوقب بوجه لا يوجب جزء منها ما يسميه المعتزلة كبيرة بل يزيل اسم الايمان من نحو شرب قطرة من الخمر وقذف محصنة او اخذ عشرة دراهم من مال الغير وكذلك فعل اولاد يعقوب ثم لم يجز احد على دعوى خروج من دين الله لزم بطلان قولهم مما كان من قولهم ان الصغيرة لا يجوز في الحكمة التعذيب عليها ولا الكبيرة العفو عنها وقد كان عذب آدم عليه السلام بانواع العذاب اللوم يكن سوى ما ظهر فعلهما على رؤس الخلايق لكان عظيما ثم اختلف في الوجه الذي بلي منهم من يقول لما كان من صلبه من الكفرة وهم ليسوا باهل الجنة وقيل رحمة للخلق لئلا ييأسوا ولا يزيل الولاية بكل ذنب وقيل بليا لتنبه الخلق بها ان لا يقوم احد بتعاهد نفسه عما يذم اليه اذا وكل بنفسه اليه فيكون ذلك سببا لزجر الخلق عن النظر الى انفسهم في شيء من الخير والفزع اليه بالعصمة عن كل شيء وقيل بلي بحق المحنة اذ هي ترد صاحبها بين اللذات والالام وبين احوال المختلفة لا يحتمل ان يسير بحيث يامن الزلل وانما ذلك بحفظ الله ومنه لا بتدبير احد وحيله وان كان الله تعالى يوفق على قدر الجهد ويعصم على قدر الرغبة اليه والاعتصام به ولا قوة الا بالله وليس بنا حاجة الى ذكر حكمة الزلة انما كانت لنفسه مجبولة على حبه باعثة الى مثله لولا نعمة الرب كما قال يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الآية وقال لا تكسب كل نفس الا عليها ثم اختلف في ماهية الشجرة قيل انها شجرة العنب وجعل للشيطان فيها نصيبا بما بلي بها ابو البشر وامهم وقيل حنطة فيما جعل غذاء ولده ليبدل بالراحة الكد وبالنعم البؤس وقيل شجرة العلم اذ بدت لهما سوآتهما فعلما بذلك ما لم يسبق لهما في ذلك وفزعا الى ما يستران به من الورق فالاصل ان هذا نوع ما يعلم بالخبر من عند عالم الغيب وليس بنا الى معرفة حقيقته حاجة وانما علينا معرفة قدر المعصية فنعتصم بالله عنها والطاعة فنرغب فيها وبالله العصمة والاصل فيه ان الله تعالى فرق بين دار المحنة ودار الجزاء اذ الجمع بينهما يزيل البلوى ويكشف الغطاء فجعل الابد الذي لا راحة فيه والمؤلم الذي لا نقص فيه جزاء والتردد منها محنة ولا قوة الا بالله وقوله تعالى فتكونا من الظالمين اي تصيران منهم وكذلك القول في ابليس وكان من الكافرين اي صار منهم ويحتمل ممن يكونون كذلك ان في علم الله انهم يصيرون ممن في علم الله كذلك مع جواز القول بلا تحقيق خبر كقوله تبارك الله احسن الخالقين لانه لا خالق غيره ثم اختلف في الوجه الذي وصل ابليس اليه الوسوسة فقال الحسن كان آدم عليه السلام في السماء وابليس في الارض ولكنه اوصل اليه بالسبب الذي جعل الله له ذلك وقال قوم كان خاطبه في رأس الحية وقيل كان تصور بغير صورته كان عنده قوله ان هذا عدو لك الآية فاغتر به ولو عرفه لما اغتر به بعد ان حذره الله عنه والله اعلم كيف كان ذلك اختلف في الوجوه التي يوسوس الى بني آدم منهم من يقول يجري بين الجلد واللحم كما يجري الدم فيقابل وجه بصره بقلبه فيقذف فيه ومنهم من يقول هو بحيث جعلت له قوة ايصال الخطر بباله والقذف في قلبه من الوجه الذي جعل له وذلك لا يعلمه البشر ومنهم من يقول ان النفس كانها سيالة في الجسد دائرة في جميع الآفاق لولا الجسد الذي يحبسه لكان له الانتشار على ما ظهر في حال النوم عند سكون جسده ومن ذلك سلطان فكرة الرجل من في اقصى بقاع الارض حتى يصير له كالمعاين فيؤ ذلك بكون قدمه وقدمه ونحن نقول وبالله التوفيق انا لا نعلم حقيقة كيفية ذلك لكن الله تعالى جعل للحق اعلاما وكذلك للباطل وكل معنى يدعو الى الباطل ويحجب عن الحق فهو عمل الشيطان يجب التعوذ منه والفزع اليه وان لم يعلم حقيقة كيفية ذلك قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال الله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقال الحسن في قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا من الخالدين وقد علم آدم ان الملائكة افضل وقد علم ان لا خلود يكون معه وقد اخبر انه يموت وقد علم انه لا يكون ملكا وقد خلق من طين والملائكة من نور ولكن يكون على فضل الملائكة وقاسمهما فاغفلهما في وسوسته اذ يقول ذلك عن نصحه فتابعاه في الاكل لا لقبول عنه ما ذكر اذ لو كان على قبول كان ذلك اعظم من الاكل ولكن اكلا على الشهوة واتباع الهوى ولو صدقاه في ذلك لكفرا لو هذا اعظم من الاكل ولم يقل لهما ذلك فيهما لاجل ذلك شيء وذلك كما يقول الرجل الآخر في شيء تقبل عليه او تطمع لو لو فعلت لا تفعل بك ولك فيقدم عليه انه يقدم لشهوته لا على التصديق له في ذلك وكذا من يذكر احدا مثل امرأة يحبها واتبارها اباه فيأتيها بشهوته لا بتصديق الآخر فمثله امر آدم فيما وسوس اليه الشيطان وهذا الذي يذكر الحسن يوجب ان يكون آدم كان يعلم ان ذلك كان من الشيطان عدوه وذلك اقدام على اثر ما ذكر على ما يصف انه كان يعلم امر قطع يوجب فعله على العلم بالنهي انه لا ينال به خيرا او لا يصل بذلك الى الفضل بل اتبع الشيطان بما هوى واشتهى وهذا لو كان شهوة كا

فطمعا ان يدعيه على ابي البشر ومن قد فضله الله بالذي سبق ذكره بل لو قيل له انه لو لم يكن علم انه من عدوه او الهام على ما يكون
الاخبار او كان اسمع على الصورة التي اراها من قبل كان اقرب واحق ان يظن به من ان يذكر الذي ذكر ومتى يكون الاقدام لجهة يجز له على
طمع في ذلك بل لا ينكر ان يكون له ولكن على ما بينا وليس من ذلك الوجه الوحشة في الدين ثم قد ذكر ملكين وان الكلام في الفضل على قوله
لا معنى له لانه يجعل فعل خيرا ومن فعله خير له يرتفع درجته ولا يعلو قدره ثم يجعل الفضل لهم بالخلقة فكيف كان يطمع في
ذلك ولم يكن هو بخلقتهم ولهذا انكر ان يكون منهم عصيان اذ خلقوا من نور ومن لا يعصي بالخلقة فانه لا يحمد ولو كان يجب
لهم ليجب في كل اموات وكل حيوان لا يعصي بالخلقة وذلك بعيد وجائز ان يكون آدم عليه السلام طمع ان يكونا ملكين بان يجعل على
ما عليه صنيعهم من العصمة او الاكتفاء بذكر الله وطاعته عن جميع الشهوات والله قادر على ان يجعل البشر على ذلك وذلك على ما يوجد
فيهم من معصوم ومخذول ليعلم ان الخلقة لا توجب شيئا مما ذكر ولا قوة الا بالله ثم الاصل ان معرفة مرتبة البشر وما عنه خلق كل
شيء انما هو سمعي ليس هو حسي ولا في الجوهر دليل الفناء لله بان يميته من شاء فقول الحسن على ذلك ثبت بثبات الخبر عن الله ينتهي
اليه انه كان بلغه في ذلك الوقت وكذلك امر الملائكة وحال الاستدلال بعقبه الى ذكر وظهور العصمة تعرف بالمحبة والمشاهدة بينها
ولا قوة الا بالله ثم ذكر الحسن في خلال ذلك ان آدم عليه السلام قد علم ان الملائكة لا يموتون لا ادري ما هذا اهو عقد اعتقد
او يحكى على التشاكل انه مثله لا يعلم الا بما الا تاب في ذلك اترجاء من الله ولا قوة الا بالله وقوله فازلهما الشيطان عنها اي دعاهما
وزين لهما الى سبب الزلة والاخراج منها لا ان تولى هو اخراجهما وازلالهما وقد ذكرنا انه قد يسمى الاشياء باسم اسبابها والاسباب
باسم الاشياء وذلك ظاهر معروف في اللغة غير ممتنع تسمية الشيء باسم سببه والله اعلم وقوله مما كانا فيه من الخصب والسعة
والنعيم التي انزلهما الله تعالى فيها واباح لهما التناول فيما فيه ثم اختلف في وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام فيم
كان في السماء فوسوس لهما من راس الحية حسدا منه لما رآهما يتقلبان في نعم الله ويتنعمان فيه فاشتد ذلك عليه وقيل انه كان
في الدنيا فوسوس لهما من بعد والله اعلم ثم اختلف في الشيطان اله سلطان على القلوب او يوسوس في صدورهم من بعد فقال بعضهم له
سلطان على القلب على ما جاء انه يجري في الانسان بين الجلد واللحم مجرى الدم وقيل انه لا سلطان له على القلوب ولكنه يقذف فيهم من البعد ويدعوهم
الى الشر بما ترى في الانسان من الاحوال من حال الخير والشر وكان تلك الاحوال الظاهرة من اثر الخير والشر فاذا راى ذلك فعند ذلك يوسوس
ويدعوه الى الشر وعلى ذلك قوله عز وجل وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم اخبر انه لا سلطان له علينا سوى الدعاء لنا وهو
لا شبه والله اعلم ثم قيل فيمن عصى ربه ابليس قد اطاع الشيطان قيل بلى فان قال فاذا اطاع ان لا كفر قيل لانه ليس بقصد قصد طاعته
الشيطان وانما يكفر بقصد طاعة الشيطان وان كان في عصيانه الرب طاعته وكذلك روي عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه سئل عن ذلك
فاجاب بمثل هذا الجواب والاصل ان الفعل الذي يلي له ليس هو لنفسه فعل الطاعة للشيطان ليصير به مطيعا انما يجعله طاعة القصد بان
يجعله طاعة له وقد زال ذلك وان سر هو به وفرح كما سر بزوال الشر وحبهما واللذة وان كان ذلك بفعل من لا يجوز وصف من
فعل ذلك بطاعة الشيطان ولا قوة الا بالله قوله وقلنا اهبطوا قيل الهبوط النزول في موضع كقوله اهبطوا مصرا اي انزلوا فيه ويحتمل
الهبوط منها هو النزول من المكان المرتفع الى المنحدر والدون من المكان قوله بعضكم لبعض وقيل يعني ابليس واولاده وآدم واولاده بعضهم
لبعض عدو والعداوة فيما بيننا وبين الحية عداوة طبع والعداوة التي بيننا وبين ابليس عداوة واختيار وامرؤ الطبع ينفر عن كل موذ ومنفر
وبالله التوفيق قوله ولكم في الارض مستقر يقرون فيها كقوله وجعل لكم الارض قرارا قوله ومتاع الى حين اي متاعا لكم الى انقضاء آجالكم ويحتمل
متاعا لكم لانقضاء الدنيا وانقطاعها قوله فتلقى آدم من ربه كلمات اي اخذ وقيل من ربه كلمات فتاب عليه قيل فيه وجوها قيل فتاب
عليه اي وفقه للتوبة وهداه اليها فتاب كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اي وفقهم للتوبة فتابوا وقيل خلق فعل التوبة منه فتاب
كما قلنا في قوله هداه اليها فتاب اي خلق فعل الاهتداء فاهتدى وقيل تاب عليه اي تجاوز وقيل ان التوبة هي الرجوع رجع هو الى العفو
والتجاوز وبعضه قريب من بعض وفي الآية انه انما تاب عليه بكلمات تلقاها من ربه والآية تنقض على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من ارتكب
صغيرة فهي مغفورة له لا يحتاج الى الدعاء ولا التوبة فادم عليه السلام دعا بكلمات تلقاها عنه فتاب عليه ولو كان مغفورا له ما ارتكب
لكان الدعاء فضلا وتكلفا وبالله التوفيق والكلمات هي ما ذكرت في سورة اخرى ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا الآية قوله
انه هو التواب الرحيم اي قابل التوبة وقيل موفق التوبة وهادي كقوله غافر الذنب وقابل التوب وقد ذكرنا في قوله فتاب عليه ما احتمل
فيه الرحيم بالمؤمنين ورحيم بالتائبين وقوله قلنا اهبطوا منها جميعا ذكر هبوطهم جميعا فاذا هبطوا افرادا لم يخرجوا من الامر بل
كانوا في الامر والذكر لا يصير الجمع في الفعل شرطا قوله فاما يأتينكم مني هدى اي ليأتينكم وهذا جائز في اللغة فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون اي من تبع هداي ودام عليه حتى مات فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكذلك قوله فمن اتبع هداي فلا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الآخرة اذا مات عليه وهذه الآية والتي تليها والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ينقض على الجهمية لانهم يقولون بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فيهما فلو كانت الجنة تفنى وتنقطع ما فيها لكان فيها خوف
وحزن لان من خاف في الدنيا زوال النعمة عنه وفوتها يحزن عليه وينغصه ذلك ولهذا وصف الدنيا بالخوف والحزن لما يزول ولا يبقى
فاخبر عز وجل ان لا خوف عليهم فيها خوف التبعة ولا حزن فوات النعمة ولا هم يحزنون دل انها باقية وان نعيمها دائمة لا يزول
وكذلك اخبر عز وجل ان الكفار في النار خالدون وان عذابها اليم شديد فلو كان لهم رجاء النجاة منها هان ذلك عليه وبالله
التوفيق قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم يحتمل وجوها يحتمل قوله اذكروا نعمتي التي خصصت لكم دون غيركم
من نحو ما جعل منكم الانبياء والملوك كقوله وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين ويحتمل اذكروا نعمتي يعني النجاة من
فرعون حيث كان يستعبدكم ويستخدمكم ويستحيي نساءكم كقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم الآية ويحتمل اذكروا نعمتي
من نحو ما اعطاهم عز وجل المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك من دون غيرهم وقيل نعمته محمد صلى الله عليه وسلم بعث وقت

اختلافهم

اختلافهم في الدين وتفرقهم فما كان عليه من مضى من النبيين ليدلهم على الحق من ذلك ويؤلف بينهم بالبيان كما اوجبهم الاختلاف
الى من يقول بذلك من وجه يعلم صدقه في ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة منه عليهم اذ بطاعته نجاتهم ولا قوة الا
بالله ويحتمل اذكروا نعمتي اي وجهوا شكر نعمتي الي ولا توجهوها الى غيري فان كان هذا المراد فهم وغيرهم فيه سواء اذ على كل منعم
عليه ان يوجه شكر نعمه الى ربه وكان الامر بذكر النعمة والله اعلم امر بعرفانها في القلب انها منه لا الذكر باللسان اذ لا سبيل الى ذكر كل ما انعم
عليه سوى الاعتراف بالعجز عن اداء شكر واحدة منها طول عمره قوله واوفوا بعهدي قد ذكرنا فيما تقدم ان عهد الله على وجهين عهد
خلقه لما جعل في خلقة كل احد لا بل تدل على معرفته وتوحيده وانه لم يخلقه للعبث ولا يتركه سدى وعهد رسالة على السن الرسل
كقوله تعالى اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وكقوله واذ اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وميثاق الذين اوتوا الكتاب
الآية قوله اوف بعهدكم الذي وعدتكم وهو الجنة كقوله لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات الآية وتبارك وتعالى واوفوا بعهد الذي
اخذ على النبيين بقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الآية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس فيكون عهده تبليغ
ما بين في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم والاقرار به والنصر له اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم قوله واياي فارهبون اي اخشوا سلطاني
وقدرتي وقيل اخشوا عذابي ونقمتي وقيل اخشوا نقض عهدي وكتمان نعت نبي محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وآمنوا بما انزلت على نبي
محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن مصدقا لما معكم اي موافقا لما معكم من الكتب من التورية والانجيل وغيرهما وهم قد عرفوا موافقته
كتبهم اذ لو تكلفوا جمع هذا الى كتبهم ومقابلة بعض ببعض ويحتمل قوله مصدقا لما اي موافقا لما معكم من الكتب وليس كما قال صنف
من الكفرة وهم الصابئون ان الانجيل نزل بالرخص والتورية نزلت بالشديد فقالوا باثنين لما لم يروا نزول الكتب بعضها على الرخص
وبعضها على الشدائد من واحد حكيم فقال عز وجل مصدقا لما اي موافقا الكتب وانها انما نزلت من واحد لا شريك له وان كان فيه
شدائد ورخص اذ لله ان ينهى هذا عن شيء ويأمر آخر وينهى في وقت ويأمر به في وقت وليس فيه خروج عن الحكمة ان يأمر احد
الوجهين في وقت واحد وفي حال واحدة وفي شيء واحد ثم في الآية دلالة ان المنسوخ موافق للناسخ غير مخالف له لان من الاحكام
والشرائع ما كانت في كتبهم ثم نسخت لنا فلو كان فيها اختلاف لظهر القول منهم انه مخالف وانه غير موافق وكذلك في القرآن
ناسخ ومنسوخ فلو لم يكن بعضه مخالف البعض كقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقوله ولا تكونوا
اول كافر به قيل فيه بوجهين قيل لا تكونوا اول قدوة يقتدى بكم في الكفر وقيل اي لا تكونوا اول كافر فيما امنتم به لانهم كانوا آمنوا
قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به فيلحقهم ما يلحق من سن السنن لقوم سيما يكونون هم بمعنى الحجة لغيرهم اذ كانوا اعرف به
وابصر بما معه من الادلة والبراهين فيقتدي بهم من لم يشهد ولا علم فيكون عليهم لو كفروا ما على وزر من كفر ولا قوة الا
بالله مما يلحقهم فيه وصف التعنت والتمرد والله الموفق وقوله ولا تشتروا بآياتي قيل يحتمل قال الحسن لا بآيات في جميع
القرآن هي الدين كقوله اشتروا الضلالة بالهدى واما عندنا فهي الحجج وقد ذكرنا ان اسم الشراء قد يقع من اختيار شيء وان لم
يتلفظ بلفظ الشراء وقوله واياي فاتقون اي اتقوا عذابي ونقمتي ويحتمل سلطاني وقدرتي وقد ذكرناه وقوله ولا تلبسوا
يحتمل وجوها يحتمل لا تشتروا بالحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا اي لا تلبسوا هو تلبيس الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا
اي لا تشبهوا الحق بالباطل ويحتمل لا تلبسوا اي لا تكتموا ويحتمل لا تلبسوا اي لا تموا نعت محمد صلى الله عليه وسلم ولا تبدلوا
غيره وكله يرجع الى واحد ثم الحق يحتمل وجوها يحتمل محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته ويحتمل الحق القرآن ويحتمل الحق الايمان
والباطل هو الظلم والكفر والله اعلم وقوله وانتم تعلمون لما ذكر هو ونعته في كتابهم انه احق ان كان محمدا عليه افضل الصلوات
واكمل التحيات والقرآن والايمان لكن تعاندون وتكابرون وقوله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يحتمل وجوها يحتمل الامر باقامة
الصلوة وايتاء الزكوة امرا بقبول الصلوات المعروفة المتقدمة اليهما كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا
سبيلهم ليس هو اخبارا عن اقامة فعلهما ولكن القبول لهما والايمان بهما ويحتمل ان يكون الامر باقامة الصلوة والزكوة امرا
بكونهم على حال تكون صلوتهم صلوة وزكوة قال لا تكونوا في حال تكون صلاتكم صلاة وزكوتكم زكوة في الحقيقة لان الآية
نزلت في بني اسرائيل وهم كانوا اهل كتاب وكانوا يصلون ويصدقون ولكن صلاتهم وزكاتهم لم تكن لله لما لم يأتوا بايمانهم
فامروا ان يأتوا بالايمان ليكون صلاتهم تلك صلاة في الحقيقة ويحتمل الامر باقامة الصلوة والزكاة امر المعنى فيهما وهو
الخضوع والطاعة والثناء عليه وذلك على كل احد ان يخضع لربه ويطيعه ولا يعصيه وكذلك الزكوة على كل ان يزكي نفسه
عن جميع القاذورات ويحفظها ويصون عن جميع ما يغرفه به وذلك فرض على كل احد وقوله واركعوا مع الراكعين قيل هو
بوجوه قيل ان اليهود كانوا يصلون وحدانا لغير الله فامروا بالصلوة مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه بالجماعة وفيه
امر بحضور الجماعة وقيل اركعوا مع الراكعين اي كونوا مع المصلين يعني المسلمين ولا تخالفوهم في الدين والمذهب اعتقادا وقوله
أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم قيل فيه بوجوه قيل تأمرون الناس يعني لاتباعه والسفلة باتباعكم وتعظيمكم لعلمكم وتلاوتكم
الكتاب وتنسون انفسكم ولا تأمرونها باتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لعلمه ونبوته ولفضل منزلته عند الله وانتم تتلون
الكتاب تجدون في كتابكم انه كذلك افلا تعقلون ان ذا لا يصلح وقيل تأمرون الناس يعني الفقراء والضعفة بالايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم ولا تأمرون الاغنياء واهل الثروة بالايمان به لما تخافون فوت المأكلة والبر وانقطاعه عنكم ويحتمل ذا الخطاب
لهم ولجميع المسلمين ان لا يأمر احد احدا بمعروف الا ويأمر نفسه بمثله بل الواجب ان يبتدئ بنفسه ثم بغيره فذلك انفع واسرع
الى القبول افلا تعقلون ان في ذلك في العقل لازم ان يعمل ولا السعي في اصلاح نفسه ثم الامر لغيره والله اعلم وقوله
واستعينوا بالصبر والصلوة يحتمل وجوها يحتمل ان اي استعينوا بالصبر على ترك الرياسة والمأكلة في الدنيا لان الخطاب
كان للرؤساء منهم بقوله أتأمرون الناس بالبر الى قوله وانتم تتلون الكتاب والله اعلم ويحتمل ان اصبروا على ترك

الرياسة بمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد والخضوع له لما بين لكم من الثواب في الآخرة لمن امن به واطاعه وترك الرياسة له ويحتمل ان اصبروا على المكاره وترك الشهوات بان الجنة لا تدرك الا بذلك لما جاء حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ويحتمل ان استعينوا بالصوم والصلوة على دابهما لكن هذا يرجع الى المؤمنين والاية نزلت في رؤساء بني اسرائيل دليله قوله وهم تتلون الكتاب وانما يصلح هذا التاويل في قوله يا ايها الذين امنوا استعينوا الاية وقوله جل وعز وانها لكبيرة يخرج والله اعلم على ما ذكرنا من ترك الرياسة والماكلة في الدنيا انها لكبيرة عليهم ويحتمل ان ترك الرياسة لمحمد صلى الله عليه وسلم والانقياد له والخضوع لثقيل الا على الخاشعين فانه لا يثقل ذلك عليهم ولا يكبر وقيل ان تحويل القبلة الى الكعبة لثقيل ويحتمل ان يقال ان الصبر على الطاعة واداء الفرايض لكبيرة على الناس الا على المؤمنين خاصة فانه لا يعظم ذلك عليهم وقيل ان تحويل القبلة الى الكعبة لثقيل على اليهود والله اعلم وقوله الا على الخاشعين فيه بوجوه قيل الخاشع هو الخائف بالقلب وقيل الخاشع المتواضع وقيل الخاشع ههنا المؤمن وقال الحسن الخشوع هو الخوف اللازم بالقلب وقوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم يعني يعلمون ويستيقنون انهم ملاقوا ربهم بكسبهم وصنيعهم وانهم اليه راجعون اي يعلمون يومئذ انهم راجعون اليه قال صاحب المنطق الظن هو الوقف احد طرفي اليقين والشك هو الوقوف على احد طرفي الظن والحكمة بين هذين وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم يحتمل وجوها يحتمل انعمت عليكم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ان الناس كانوا على فترة من الرسل وانقطاع من الوحي واختلاف من الاديان والمذاهب فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ليجمعهم ويدعوهم الى دين الله ويؤلف بينهم ويخرجهم من الحيرة والتيه وذلك من اعظم نعمة انعمها عليهم وبالله التوفيق وذلك ايضا يحتمل فيما تقدم من الايات وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي الاية وقوله وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وعهده وفي الارض رسوله كقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي وعلى ذلك قوله ولا تكونوا اول كافر به يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله واقيموا الصلوة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين امكن تخريج هذه الايات كلها على محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ايضا قوله نعمتي التي انعمت عليكم الوجوه التي ذكرنا احدها ان جعل منكم انبياء والملوك كقوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا كما قيل ان كل نبي من لدن يعقوب الى زمن عيسى عليه السلام كان من بني اسرائيل ويحتمل ما اتاهم عز وجل من انواع النعم ما لم يؤت احدا من العالمين كقوله واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين كقوله من المن والسلوى وتظليل الغمام وامتداد اللباس على قدر القامة والطول كما قيل ان ثيابهم كانت تزداد وتمتد عليهم على قدر ما تزداد قامتهم وكانت لا تبلى عليهم ولا تتوسخ وذلك مما لم يؤت احدا سواهم ويحتمل ايضا قوله نعمتي النجاة من عدو واله كقوله واذ نجيناكم من ال فرعون الاية وقوله واني فضلتكم على العالمين قيل فضلوا على جميع من على وجه الارض على الدواب بالجوهر وعلى الجن بالرسل وعلى البشر بالايمان ويحتمل تفضيلهم على العالمين وجوها ايضا ما ذكرنا من بعث الانبياء منهم والنجاة من ايدي العدو واهلاك العدو وهم يرونه وفرق البحر بهم والنجاة منه واهلاك العدو فيه وذلك من اعظم النعم ان ترى عدوك في الهلاك وانت بمعزل منه امن وقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم الى قوله فضلتكم على العالمين يحتمل فضلا واتيتهم وفي الاية وجهان على المعتزلة احدهما قوله اذكروا نعمتي عليكم وعندهم ان جميع ما فعل مما عليه الفعل ولو فعل غيره لكان يكون جائرا فاذا كان تركه بفعله جائرا وفعله حق عليه ولا احد يكون يفعل ما لا يجوز له الترك منعما على احد فثبت ان كان ثم منه زائد خصهم بهم وان ليس التخصيص محاباة كما زعمت المعتزلة ولا ترك الانعام بخل كما قالوا والثاني قوله فضلتكم على العالمين فلو لم يكن منهم اليهم فضل معنى لم يكن لهم تفضيل على غيرهم فثبت ان كان فيهم ذلك ومن قول المعتزلة ان ليس لله ان يخص احدا بشيء الا باستحقاق بفعله وبذلك هم فضلوا انفسهم على العالمين لا هو فكيف يمن عليهم بذلك ولا قوة الا بالله مع انه لا يخلو تفضيله اياهم على غيرهم ومن ان يكون لهم الفضل في الدين او لا فان لم يكن فليس ذلك بتفضيل فان كانت ثبت ان ليس من الحق عليه التسوية بين الجميع في اسباب الدين وقوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الاية والله اعلم كانها موخرة في المعنى وان كانت في الذكر مقدمة لانه قال واني فضلتكم على العالمين ثم ذكر الافضال والمنن فقال واذ نجيناكم من ال فرعون الاية وقوله واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وقوله واذ فرقنا بكم وقوله واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون ذكرهم عز وجل عظيم نعمه ومننه عليهم ليشكروا له وليعرفوا انها منه وانه فضل منه ثم حذرهم عز وجل فقال واتقوا يوما لا تجزي نفس شيئا الاية ليكونوا على حذر لئلا يصيبهم ما اصاب الامم السالفة من الهلاك وانواع العذاب بعد الامن والتوسع عليهم كقوله فلولا اذ جاءهم باسنا الى قوله فلما نسوا ما ذكروا به الاية ثم في الاية دليل لقول ابي حنيفة واصحابه ان الولد يصير شتوما بقذف ابيه والديه لما عيرهم عز وجل بصنيع ابائهم بقوله ثم اتخذتم العجل من بعده وهم لم يتخذوا العجل وانما اتخذوا ذلك ذكر عز وجل صنعه ومننه عليهم من نحو النجاة من الغرق واخرجهم من ايدي العدو وفرق البحر بهم واهلاك العدو وانما كانت ذلك لابائهم لكن ذكرهم عز وجل عظيم منته على ابائهم ليشكروا له على ذلك وكذلك عيرهم بصنيع ابائهم من اتخاذ العجل واظهار الظلم ليكونوا على حذر من ذلك والله اعلم وفي قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي انعامي عليهم باتباعهم الرسول موسى عليه السلام وطاعتهم له فاتبعوا انتم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم واطيعوا له ولا تتركوا اتباعه وقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا قيل اي لا يؤدي نفس عن نفس شيئا كقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية وقوله ولا تقبل منها شفاعة قيل فيه بوجهين قيل لا يكون لهم شفعاء يشفعون كقوله فما لهم من شافعين وكقوله فما له من ولي ولا شفيع وقيل لو كان لهم شفعاء لا تقبل شفاعتهم كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لا يؤذن لهم بالشفاعة كقوله ولا يشفعون الا لمن

ارتضى وقوله ولا يؤخذ منها عدل والعدل هو الفداء اما من المال واما من النفس وذلك ايضا يحتمل وجهين ان لا يكون لهم الفداء على ما ذكرنا في الشفيع ويحتمل ان لو كان لا يقبل منهم كقوله ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ثم الوجوه التي تخلص المرء في الدنيا اذا اصابته نكبة بثلاث اما بفداء يفدي عنه مالا او نفسا واما بشفعاء يشفعون له واما بانصار ينصرون له فيتخلص من ذلك يقطع عز وجل عنهم جميع وجوه التخلص في الاخرة والاية نزلت والله اعلم في اليهود والنصارى وهم كانوا يؤمنون بالبعث والجنة والنار كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقوله لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولذلك ذكر اسم الفداء والشفيع وما ذكر واما من لم يؤمن بالاخرة فلا معنى لذكر ذلك وقوله واذ نجيناكم من ال فرعون قيل ال الرجل شيعته ولذلك قيل ال رسول الله قرابته وقيل كل مؤمن تقي اله وعلى ذلك الامر بالصلاة عليه وعلى جميع من امن به وقوله يسومونكم سوء العذاب قيل فيه بوجهين قيل تقصدونكم اشد العذاب وذلك يرجع الى الاستعباد والاستخدام بانفسهم وقيل يسومونكم يذيقونكم اشد العذاب وذلك يرجع الى ما يتوهم من ذبح الابناء وقتلهم كقوله يذبحون ابناءكم اي ويقتلون ابناءكم وقوله ويستحيون نساءكم يحتمل ايضا وجهين يحتمل ايضا يستحيون من الحياء استحيوا قتل النساء لما لا يخافونهن ويحتمل من الاحياء اي تركوهن احياء فلم تقتلوهن وقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل البلاء ههنا هو النعمة كانه قال فيما نجاكم من فرعون واله نعمة عظيمة وقيل البلاء مقصور هو الابتلاء والامتحان كانه قال في استعباده اياكم واستخدامه امتحان كانه قال في استعباده اياكم واستخدامه امتحان عظيم وقوله واذ فرقنا بكم البحر قيل فرقنا اي جعلنا لكم البحر فرقا اي طرقا تمرون فيه وقيل فرقنا اي حاجزا لكم البحر وقوله عز وجل واذ واعدنا موسى اربعين كان الوعد لهم والله اعلم وعدان احدهما من الله عز وجل بصرف موسى عليه السلام اليهم مع التورية كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا ووعد اخر كان من موسى بانصرافه اليهم بالتورية على راس اربعين ليلة كقوله فاخلفتم موعدي وقوله ثم اتخذتم العجل من بعده يحتمل اتخذتم لما استوجبوا ذلك التغيير واللائمة بعبادة العجل لا باتخاذه نفسه ويحتمل اتخذتم العجل الها فاستوجبوا ذلك باتخاذهم الها كقوله واتخذ قوم موسى من حليهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى وهذا كانه اقرب وقيل اتخذتم اي صنعتم والله اعلم وقوله وانتم ظالمون قيل في الظلم بوجوه قيل ان كل فعل يستوجب له الفاعل عقوبة فهو ظلم وقيل ان كل عمل لم يؤذن له فهو ظلم وههنا حيث فعلوا ما لم يؤذن لهم نسبهم الى الظلم لانهم ظلموا انفسهم وقيل ان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فسموا بذلك لانهم وضعوا الالوهية في غير موضعها وهذا كانه والله اعلم اقرب وقوله عز وجل ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لانه ينقض على المعتزلة قولهم لانهم زعموا ان الله اذا علم من احد انه يؤمن به في اخر عمره وان طال او يكون من نسله من يؤمن الى الابد لم يكن له ان يميته ولا له ان يقطع نسله فاذا كان على الله ان يبقيهم ولا يقطع نسلهم لم يكن للامتنان عليهم ولا للافضال وطلب الشكر منهم معنى اذ فعل عز وجل ما عليه ان يفعل وكل من فعل ما عليه ان يفعل لم يكن فعله فعل امتنان ولا فعل افضال لانه عز وجل من عليهم بالعفو لا بانهم لانه لو اهلك اباءهم وقطع تناسلهم انقرضوا وتفانوا ولم يتوالدوا فالمنة عليهم حصلت لذلك طلبهم بالشكر له والله اعلم فاذا كان هذا ما وصفنا دل ان ليس على الله ان يفعل الاصلح لهم في الدين وبالله التوفيق وقوله لعلكم تشكرون اي لكي تشكروا وكذلك قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي لكي يوحدون وذلك يحتمل ان يشهد خلقته كل احد على وحدانيته وكذلك تشكر خلقه كل احد له ويحتمل عبادة الاخبار بوحدانيته والشكر له بما انعم وافضل عليه وذلك يرجع الى من يعبد ويوحد ويحتمل خلقهم ليامرهم بالعبادة والشكر له من احتمل منهم الامر بذلك وقوله واذ اتينا موسى الكتاب يعني التورية والكتاب اسم كل مكتوب وقوله والفرقان قيل سميت فرقانا لما فرق وبين فيها الحلال والحرام وكل كتاب فرق فيه بين الحلال والحرام فهو فرقان وقيل يسمى فرقانا لما فرق فيه بين الحق والباطل وهما واحد وقيل سميت التورية فرقانا لما فيها المخرج من الشبهات وقيل لانه على الاضمار كانه قال واذ اتينا موسى الكتاب يعني التورية ومحمدا صلى الله عليه وسلم الفرقان كقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وقوله لعلكم تهتدون فالكلام فيه كالكلام في قوله لعلكم تشكرون وقد ذكرنا فيه ما امكن والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الى عبادة ربكم وقيل ارجعوا عن اتخاذ العجل الها الى اتخاذ خالقكم الها وقوله عز وجل فاقتلوا انفسكم قال الفقيه ابو منصور رحمه الله لولا اجماع اهل التاويل والتفسير على صرف ما امر الله تعالى اياهم بقتل انفسهم على حقيقة والا لكان نصرف الامر على حقيقة القتل وذلك لان الامر بالقتل كان بعد التوبة ورجوعهم الى عبادة الله والطاعة له والخضوع له دليله قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ظهر بهذا انهم تابوا قبل ان يؤمروا بالقتل وقد شرع على لسن الرسل قتال الكفرة حتى يسلموا فلا يجوز ذلك ان اسلموا فيحصل الارسال للقتل خاصة لا الدين والله اعلم ولان القتل هو عقوبة الكفر لا عقوبة الاسلام وخاصة قتل استيصال على ما روي في الخبر ان قتل سبعون الفا في يوم واحد وذلك استيصال واهلاك ولم يهلك الله قوما الا في حال الكفر والعناد اذ الاسلام سبب درء القتل واسقاطه لان من يقتل لكفره اذا اسلم سقط القتل عنه وزال وكذلك اذا اسلم وما عليه لم يعاقب في الاخرة لكفره في الدنيا فعل ذلك يجب ان لا يعاقب هؤلاء في الدنيا بالقتل بعد التوبة والرجوع الى عبادة الله وطاعته ونصرف الامر بالقتل الى اجتهاد انفسهم بالعبادة لله والطاعة له واحتمال الشدائد والمشقة لتفريطهم في عصيان ربهم باتخاذهم العجل الها وبعبادتهم اياه دون الله وذلك جار في الناس يقال فلان يقتل نفسه في كذا لا يعنون حقيقة الامر ولكن اجتهاده نفسه في ذلك واتعابه اياها واحتمال الشدائد والمشقة فيه فعلى ذلك يخرج الامر بقتل انفسهم الى ما ذكرنا بالمعنى الذي وصفنا والله اعلم ثم اصرف ذلك الى حقيقة القتل ان احتمل وجهان احدهما ان يجعل ذلك ابتداء محنة من الله تعالى لهم بالقتل لا عقوبة لما سبق من العصيان ولله ان يمتحنهم ابتداء بقتل انفسهم كقوله

فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون

صح

ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم الاية على تاويل كثير من ائمتنا وليس في ذلك اذ له ان يميتهم في ذلك اذ له ان يبتليهم في جميع انواع الامانة فعل ذلك له ان يامر بقتل انفسهم وفيه اماتة ثم ما فيه الاسلام لعظيم ما دعوا اليه من بذل النفس لله تعالى كما جعل وفا ابراهيم الامر بالذبح وبذل ولده التسليم له فيكون في ذلك القدر وفاء وتوبة لا حقيقة القتل والله اعلم والثاني يجوز ذلك لانه عقوبة الدنيا وثوابها محنة فجاز الامتحان بعد التوبة والرجوع على طاعة الله لانها دار محنة واما عقوبات الاخرة وثوابها ليست بمحنة لانها ليست بدار امتحان لذلك جاز التعذيب في الدنيا بعد التوبة ولم يجز في الاخرة اذا مات على التوبة والله اعلم ثم قيل في قوله اقتلوا انفسكم بوجوه قيل امروا ببذل الانفس بالقتل والتسليم له فصاروا كان قد قتلوا انفسهم ويجوز ان يكون الامر بقتل انفسهم امر بمجاهدة الاعداء وان كان فيها تلف انفسهم على ما قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية مذكور ذلك في التورية وكذا قوله لا يسفكون دماءكم نهي عن القتل الذي فيه قتل انفسهم وقد قيل في قوله ولا تقتلوا انفسكم بمعنى اي لا تقتلوا من تقتلون لمكان ما قتلتم انفسكم وعلى هذا التاويل خرج ابو بكر قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم والله الموفق وقيل امر بعضا بقتل بعض كقوله سلموا على انفسكم تحية اي يسلم بعضهم على بعض وقيل امر كل من عبد العجل بقتل والله اعلم وقوله ذلكم خير لكم قيل ان التوبة خير لكم عند خالقكم وقيل قتل انفسكم خير لكم من لزوم عبادة العجل ويحتمل عبادة الرب عز وجل خير لكم من عبادة العجل والله اعلم وقوله فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقد ذكرنا المعنى في ذلك فيما تقدم وفي بذل انفسهم للقتل والصبر عليه وكف ايديهم عن الدفع والممارسة فيه وجهان احدهما انه كانهم اطبعوا على اخلاق البهائم والذل وذلك ان موسى عليه السلام استنقذهم من خدمة فرعون واله ونجاهم من الشدائد التي كانت عليهم ولحوق الوعيد بهم واراهم من الايات العجيبة من العصا واليد البيضاء وغرق البحر واهلاك العدو فيه وتفجير الانهار من حجر واحد وغير ذلك من الايات ما يكثر ذكرها ان لو كانت واحدة منها لكفتهم ودلتهم على صدق نبوته ثم مع ما راوا من الايات اذا دعاهم السامري الى عبادة العجل واتخاذه الها كقوله هذا الهكم واله موسى فنسي فاجابوه الى ذلك واطاعوه وكان هارون صلوات الله على نبينا وعليه فيهم يقول يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري فلم يجيبوه ولا اصغوا قوله ولا التفتوا اليه مع ما كان هرون من احب الناس اليهم فلولا انهم كانوا مطبوعين على اخلاق البهائم والدواب والا ما تركوا اجابته ولا عبدوا العجل مع ما راوا من الايات التي ذكرنا فاذا كان الى هذا يرجع اخلاقهم لم يبالوا الى بذل انفسهم للقتل والله اعلم ونحو ذلك قوله قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وعلى ذلك جعلت ايات موسى كلها حسية لا عقلية اذ عقولهم كادت تقصر عن فهم المحسوس ودركهم فضلا عن المستدل عليه والله اعلم والثاني يحتمل ان لو اثابهم بصبرهم في الاخرة وجزيل جزائهم وكريم مابهم فهان ذلك عليهم وخف كما روي ان امراة فرعون لما علم فرعون بعبادة ربها وطاعتها له امر ان يعاقب باشد العقوبات ففعل بها فضحكت في تلك الحال لما رأت مقامها في الجنة وكريم مآبها فهان ذلك عليها وسهل فعل ذلك يحتمل بذل هؤلاء انفسهم والصبر عليهم لذلك والله اعلم وقوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قال بعضهم قال الذين اختارهم موسى سبعين رجلا لن نصدقك بالرسالة والتورية حتى نرى الله جهرة يخبرنا انه اله وقد انزل عليك ويحتمل لن نؤمن لك انه اله ولا نعبده حتى نراه جهرة عيانا فاحتج بعض من ينفي الرؤية في الاخرة بهذه الاية حيث اخذتهم الصاعقة لما سالوا الرؤية قالوا فلو كان يجوز ان يرى لكان لا تاخذهم الصاعقة ولا استوجبوا بذلك العذاب والعقوبة واما عندنا فليس في الاية دليل نفي الرؤية بل فيها اثباتها وذلك ان موسى عليه السلام لما سالوا الرؤية لم ينههم عن ذلك ولا قال لهم لا تسالوا هذا وكذلك سال هو ربه الرؤية فلم ينهه عنها بل قال ان استقر مكانه فسوف تراني وذا حرف الوعد لا يجوز ذلك لو كان لا يحتمل لانه كفر ومحال ترك النهي عنه وكذلك ما روي في الاخبار من سؤال الرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا ربنا لم يات عنه النهي عن ذلك ولا الرد عليهم فلو كان لنهوا عن ذلك ومنعوا وانما اخذ هؤلاء الصاعقة لسؤالهم الرؤية لانهم لم يسالوا سؤال استرشاد وانما سالوا سؤال تعنت دليل التعنت فيما جاء من الايات من وجه الكفاية لمن ينصف لذلك اخذتهم الصاعقة والله اعلم او ان يقال اخذتهم الصاعقة بقولهم لن نؤمن لك لا بقولهم حتى نرى الله جهرة وسنذكر هذه المسئلة في موضعها ان شاء الله تعالى وقوله الصاعقة قيل الصاعقة كل عذاب فيه هلاك لكن الهلاك على ضربين هلاك الابدان والانفس وهلاك العقل والذهن كقوله وخر موسى صعقا قيل مغشيا وفيه هلاك الذهن والعقل وكذلك قوله فصعق من في السموات ومن في الارض اي غشي والله اعلم وقيل الصعقة صياح شديد وقوله وانتم تنظرون قيل بوجهين قيل يعلمون ان الصاعقة قد اخذتهم واهلكتهم بقولهم الذي قالوا فكونوا انتم على حذر من ذلك القول وقيل وانتم تنظرون الخطاب لاولئك الذين اخذتهم الصاعقة اي تنظرون الى الصاعقة وقت اخذتهم اياكم اي لم تاخذكم فجاة ولا بغتة ولكن عيانا جهارا والله اعلم وقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون يذكرهم عز وجل عظيم منته عليهم وجزيل عطائه لهم ببعثهم بعد الموت وتظليل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى من السماء لهم وذلك مما خصوا به دون غيرهم ثم ما كان لنا من الموعود في الجنة فكان ذلك لهم في الدنيا معاينة من نحو البعث بعد الموت ومن الظلال الممدود والطير المشوي والثياب التي كانت لا تبلى عليهم ولا تتوسخ فذلك كله مما وعدنا في الجنة وكان لهم في الدنيا معاينة يعاينون مع ما كان لهم هذا لم يجيبوا الى ما دعوا ولا ثبتوا على ما عهدوا وذلك لغلبة عقولهم وغلظ افهامهم ونشرهم على اخلاق البهائم والدواب والله اعلم وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم يحتمل وجهين يحتمل ما لم يحل لهم الفضل على حاجتهم فاباح لهم القدر الذي لهم اليه حاجة وسماه طيبا ويحتمل انه سماه طيبات ويحتمل ان سماه طيبات لما لا يشوبهم داء يؤذيهم ولا اذى يصيبهم كطعام الدنيا مما لا يسلم عن ذلك والله اعلم وقد قيل الطيب هو المباح الذي يشتهيه الطبع ويتلذذ به النفس وقوله وما ظلمناهم الاية وقد ذكرنا معنى الظلم فيما تقدم وقد يحتمل وجها اخر وهو النقصان كقوله كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم ينقص منه وحاصله ما ذكرنا ان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وكلما

ما ذكرنا في الواحد وقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية اختلف في تلك القرية قيل انها بيت المقدس كقوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم امروا بالدخول فيها والمقام هنالك لسعة معاشهم فيها ورزقهم اذ هو الموصوف بالسعة والخصب وقيل ان تلك القرية التي امروا بالدخول والمقام هنالك هي قرية على انقضاء التيه والخروج منها غير ان ليس لنا الى معرفة تلك القرية حاجة وانما الحاجة الى تعرف الخلاف الذي كان منهم وما لحقهم بترك الطاعة له والاتباع والله اعلم وقوله وكلوا منها حيث شئتم رغدا والرغد قد ذكرنا فيما تقدم انه سعة العيش وكثرة المال وقوله وادخلوا الباب سجدا يحتمل المراد من الباب حقيقة الباب وهو باب القرية التي امروا بالدخول فيها ويحتمل من الباب القرية نفسها لا حقيقة الباب كقوله واذ قلنا ادخلوا هذه القرية ذكر القرية ولم يذكر الباب وذلك في اللغة شايع جائز يقال فلان دخل في باب كذا لا يعنون حقيقة الباب ولكن كونه في امر هو فيه وقوله سجدا يحتمل المراد من السجود حقيقة السجود فيخرج على وجوه يخرج على التحية لذلك المكان ويحتمل على الشكر له لما اهلك اعداءهم الذين كانوا فيها قوما جبارين ويحتمل على الشكر له لما اهلك اعداءهم الذين كانوا فيها قوما جبارين ويحتمل حقيقة لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بني اسرائيل امروا بالدخول سجدا فدخلوا منحرفين فما اصابهم انما اصابهم بخلاف فهم امر الله ويحتمل الكناية عن الصلوة اذ العرب قد تسمي السجود صلوة كانهم امروا بالصلوة فيها ويحتمل الامر بالسجود والصلوة ولكن امر بالخضوع له والطاعة والشكر على اياديه التي اسدى اليهم وازال من سعة الصلوة والتصرف فيها في كل حال والله اعلم وقوله وقولوا حطة قيل بوجهين قيل الحطة هو قول لا اله الا الله سميت حطة لانها تحط كل خطيئة كانت من الشرك وغيره فكانهم امروا بالايمان والاسلام وقيل قولوا حطة اي اطلبوا المغفرة والتجاوز عما ارتكبوه من الماثم والخطايا والندامة على ما كان منهم فكانهم امروا ان ياتوا بالتسبب الذي به يغفر الذنوب وهو الاستغفار والتوبة والندامة على ذلك والله اعلم وذلك يحتمل الشرك والكبائر وما دونها ذكر عز وجل مرة خطايا ومرة خطيئات ومرة قال ادخلوا ومرة قال اسكنوا ومرة قال فاتي لنا ومرة قال فارسلنا والقصة واحدة حتى يعلم ان ليس في اختلاف الالفاظ والالسن تغيير المعنى والمراد ان الاحكام والشرائع التي وضعت لم توضع للاسامي والالفاظ ولكن للمعاني المدرجة والمودعة فيها والله اعلم وقوله وسنزيد المحسنين يحتمل المراد من المحسنين المسلم الذي كان اسلم قبل ذلك ويحتمل الذي اسلم بعد قوله قولوا حطة وكان كافرا الى ذلك الوقت والزيادة يحتمل التوفيق بالاحسان من بعد كقوله فاما من اعطى واتقى الاية ويحتمل الثواب على ما ذكر من قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين الاية وقوله فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم قوله بدل يحتمل احداث ظلم بعد ان لم يكن والخلاف لما امرهم به عز وجل ويحتمل تشوهم على غير الذي قيل لهم ولم يبين ما ذلك القول الذي بدلوا وليس لنا الى معرفة ذلك القول حاجة انما الحاجة الى معرفة ما يكون بالتبديل وترك العمل بامره واظهار الخلاف له فقد تولى الله بيان ذلك بفضله وبالله التوفيق وقوله فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء قيل الرجز هو العذاب المنزل من السماء على ايدي الملائكة كعذاب قوم لوط وغيره وعذاب ينزل من السماء لا على ايدي احد من نحو الصاعقة والصيحة ونحوها وقوله بما كانوا يفسقون مرة ذكر يفسقون ومرة ذكر يظلمون وهو واحد وفي هذه الايات التي ذكرنا والانباء التي وصفنا دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم واثبات نبوته وذلك ان اهل الكتاب كانوا عرفوا هذه الانباء بكتبهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ذلك بمشهد منهم كما في كتابهم ولم يكن ظهر منه اختلاف اليهم ولا درس كتابهم فدل انه بالله عرف وكان فيها تسكين قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصبير عليه لظهور الخلاف له من قومه وترك طاعتهم اياه وان ليس باول خلاف كان له من قومه ولا اول تكذيب بل كان من الامم السالفة لانبيائهم ذلك فصبروا عليه فاصبر انت كما صبروا هم كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم الاية وقوله واذ استسقى موسى لقومه يعني طلب الماء لقومه عند حاجتهم اليه فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك الحجر قد ذكرنا فيما تقدم ان الله عز وجل قد اراهم من عصاه ايات عجيبة من نحو الثعبان الذي كان يتلقف ما يافكون وقوله فاذا هي ثعبان مبين ومن ضربه البحر بها حتى انفلق كقوله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ومن ضربه الحجر بها وانفجار العيون منه وغير ذلك من الايات مما يكثر ذكرها عز وجل من ايات رسالته وايات نبوته وفيما اراهم منها من عجيب اياته دلالة حدث العالم وابداعه لا من شيء لانه عز وجل قد اخرج بلطفه من حجر يصغر في نفسه مما يحمل من مكان الى مكان من الماء ما يكفي الخلق لا يحصى عددهم وفجر منه انهارا لكل فريق نهر على حدة ثم لا يحتمل كون ذلك الماء بكليته فيه لصغره وخفته ولا ينبغي ذلك من اسفله فاذا كان كما ذكرنا ظهر ان الله عز وجل كان ينشئ ذلك الماء فيه ويحدث من لا شيء لان ذلك الحجر لم يكن من جوهر الماء ولا من اصله فاذا كان قادرا على هذا القادر على انشاء العالم لا من شيء سبق ولا اصل تقدم وكذلك ما اراهم عز وجل من العصا الثعبان والحية لم يكن من جوهرها ولا من اصلها ولا تولد منها بل انشاء ذلك وابدع بلطفه والله الموفق وقوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قيل كانوا اثني عشر سبطا بقوله اثني عشر نقيبا وهم بنو يعقوب فجعل لكل سبط نهرا على حدة فانقسم كل فريق الى نهرهم الذي كانوا امته ولم يضموا الى اعمامهم وبني اعمامهم ففيه ان المواريث لا تصرف الى الاولياء الابعد بانقطاع اهل الاتصال بالاباء وفيه دلالة ان القوم في الصحاري والبراري مجموعين غير متفرقين ولا متباعدين بعضهم عن بعض عوزا لانهم نزلوا جميعا في موضع واحد مجموعين مع كثرتهم واذ دعاهم غير متفرقين ولا متباعدين وان كان ذلك انفع لهم واهون عليهم من جهة الرعي والتربع وسعة المنازل وفي الاول سبق المعنى الذي وصفنا والله اعلم وقوله قد علم كل اناس مشربهم اي موردهم وفيه دلالة قطع التنازع ورفع الاختلاف من بينهم لما بين لكل فريق منهم

نغفر لكم خطاياكم

بورد على حدة ولو كان منذ كالحيف وقوع التنازع والاختلاف بينهم وفي وقوع ذلك بينهم قطع الانساب والارحام
وبالله التوفيق **وقوله** كلوا يعني المن والسلوى **وقوله** واشربوا من الماء الذي اخرج لهم من الحجر وكلاهما رزق الله الذي
ساق اليهم من غير تكلف ولا مشقة **وقوله** ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل لا تسعوا في الارض بالفساد ويحتمل الاتعثوا
اي لا تفسدوا والا ان العثو هو الفساد نفسه كانه قال لا تفسدوا في الارض وتكونوا مفسدين **وقوله** واذ قلتم يا موسى لن نصبر على
طعام واحد قيل فيه بوجوه قيل اول ما انزل المن فعند ذلك قالوا لن نصبر على طعام واحد ثم انزل السلوى وقيل كانوا يتخذون من
المن العرص فياكلون مع السلوى فهو طعام واحد فقالوا لن نصبر عليه ويحتمل ان يكون طعامهم في اليوم نوع فطلبوا الاطعمة
المختلفة والله اعلم **وقوله** فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال
يبين لنا معنى اضافة خصوصية الاشياء الى الله عز وجل يخرج لنا مخرج التعظيم لذلك الشيء المخصوص من ذلك بيت الله ورسول الله
وناقة الله هذا كله يخرج مخرج التعظيم بهذه الاشياء الى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم الرب واجلاله وقد اختلف في الفوم قيل الفوم
هو الثوم وكذلك روي في قراءة عبد الله انه قرا وثومها وقيل الفوم البر **وقوله** اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قيل
في ادنى بوجوه قيل ادنى في القيمة وقيل ادنى في الخطر والرغبة وقيل ادنى في المنافع وقيل ادنى لانه لا يصل هذا اليهم الا بالمؤنة
والمشقة وذلك لهم بلا مؤنة ولا مشقة فهو خير وكل يرجع الى واحد والله اعلم ويحتمل اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قد
اعطوا ولو كان ذلك اصلح لهم في الدين لم يكن موسى ليلومهم عليه ثبت انه لم يكن ثم اعطوا ذلك ثبت ان الله تعالى قد يجوز له في الحكمة
فعل ما كان غيره اصلح لهم في الدين ولا قوة الا بالله وقيل اهبطوا مصرا قيل المصر المعروف وقيل مصر من الامصار لان
ما طلبوا لا يوجد الا في الامصار وبالله التوفيق **وقوله** فان لكم ما سألتم من الاطعمة المختلفة ان كان المراد منه المراد وان كان
الاطعمة المختلفة فهو كما قال **وقوله** فضربت عليهم الذلة قيل فيه بوجوه قيل الذلة ذلة احتمال المؤنة والشدائد لما سالوا من
الاطعمة المختلفة وقيل الذلة الجزية والصغار بعصيانهم ذلهم وقيل ذلة الكسب والعمل لانهم لا اول كان ياتيهم من غير كسب
ولا مؤنة والمسكنة قيل ذي الفقر والحاجة وقيل قطع رجائهم من الاخرة لما عصوا ربهم **وقوله** وباؤوا بغضب من الله قيل فيه
بوجوه قيل باؤوا رجعوا وقيل استوجبوا وقيل اقروا وكله يرجع الى واحد **وقوله** ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله قد ذكرنا
فيما تقدم ان الايات هي الحجج التي اعطى الرسل واجراها على ايديهم وقال الحسن هي دين الله **وقوله** ويقتلون النبيين بغير الحق
يحتمل ان يكون هذا في غيرهم لانه لم يكن في زمن موسى نبي سواه وهرون وهم لم يقتلوه الا ان يقال ان ذلك كان من اولادهم بعد
موسى او كان ذلك من غيرهم سوى هؤلاء واولادهم على ان قتل الانبياء في بني اسرائيل كان ظاهرا حتى قيل قتل في يوم كذا كذا نبيا
ولم يذكر قتل رسول من الرسل وذلك والله اعلم لقوله انا لننصر رسلنا ولقوله انهم لهم المنصورون اخبر انه لم ينصرهم
وانهم منصورون ومن كان الله ناصره فهو المنصور ابدا ولان الرسل هم الذين اوتوا الايات المعجزة فلم يكن لهم استقبال
الرسل بذلك الايات التي كانت معهم واما الانبياء فلم يكن معهم تلك الايات المعجزة وانما كانوا يدعون الخلق الى دين الله بالايات
التي كانت معهم بذلك كان ما ذكر والله اعلم قال قوم لم يقتل احد من الرسل وانما قتل الانبياء ورسل الرسل فان كان
كذلك فعلى ذلك يخرج ما ذكرنا من الايات وان لم يكن فالنصر كان بالحجج والايات وكانت تلك الحجج وعلى ذلك لا دلالة في كون
الايات مع الانبياء وغيره كونهما فانه لم يكن لهم ابتداء شرع ولا نسخ بل الدعاء الى ما سبق من الشرائع وكانت اياتهم كايات
الرسل ولا لانت العصمة مما كان بهم حفظ الكتب السماوية بلا تبديل والله اعلم بالحق في ذلك ونعتصم بالله عن بسط اللسان
في ذلك بالتدبير ون شيء ظهر على السن الرسل والقول فيهم فبين ان كانت ايته الحجج ولا لكن الله تعالى قد اقام حجته لكل
على قدر الكفاية والتمام **وقوله** ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى الاية قيل ان اليهود والنصارى وهؤلاء جائز ان يكون
ثم تعلق بظاهر هذه الاية لانهم يقولون انا امنا بالله وامنا باليوم الاخر فليس علينا خوف وحزن لكن الجواب لهذا وجوه احدها
انه ذكر المؤمنين بقوله ان الذين امنوا وايمانهم ما ذكر في اية اخرى وهو قوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن
بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد منهم وهم قد فرقوا بين الرسل بقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض وفرقوا بين الكتب
ايضا امنوا ببعض وكفروا ببعض فهؤلاء الذين ذكرهم عز وجل في هذه الاية لم الذين امنوا بجميع الرسل وبجميع الكتب فاذا
كان هذا ايمانهم لم يكن عليهم خوف ولا حزن والثاني ذكر الايمان بالله هو الايمان بجميع الرسل وبجميع الكتب ولكنهم
لا يؤمنون بالله ولا يعرفونه في الحقيقة او ان يقال ذكر عمل الصالحات والكفر ببعض الرسل ليس من عمل الصالحات
لذلك بطل تعلقهم بهذا والله اعلم وقيل في ذلك على التقديم والتاخير كانه قال ان الذين هادوا والنصارى من امن منهم
بالله واليوم الاخر والذين امنوا الاية وللمعتزلة تعلق ايضا بظاهر قوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وصاحب الكبيرة عليه خوف
وحزن فلو كان مؤمنا لكان لا خوف عليه ولا حزن لانه اخبر ان المؤمن لا خوف عليه ولا حزن فدل انه يخرج من ايمانه
اذا ارتكب كبيرة فقال لهم لم ينف عنهم الخوف والحزن في كل الوقت فيحتمل ان يكون عليه خوف في وقت ولا خوف عليه في وقت
اخر لان لكل مؤمن خوف البعث وفزعه حتى الرسل بقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا لشدة فزعهم
من هول ذلك اليوم فاذا دخلوا الجنة ونزلوا منازلهم ذهب ذلك الخوف والفزع عنهم فعلى ذلك المؤمن يكون له خوف في
وقت ولا خوف عليه في وقت اخر والله اعلم واختلف في الصابئين قيل الصابئون قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور
وقيل انهم قوم يعبدون الكواكب وقيل هم قوم بين المجوس والنصارى وقيل هم قوم يذهبون مذهب الزنادقة يقولون
بالاثنين لا كتاب لهم ولا علم الا بهم **وقوله** واذ اخذنا ميثاقكم قد ذكرنا فيما تقدم ان ميثاق الله وعهده على وجهين عهد خلقة
وعهد فطرة وعهد رسالة ونبوة وقوله واذ اخذنا ميثاقكم في التورية ان يعملوا بما فيها فنقضوا ذلك العهد لما وافيها

العثو والعثي والعيث
شدة الفساد
اصل معنى عثى
مخور مثو
عين
متعد
م

والصابئين من امن بالله
واليوم الاخر وعمل
صالحا فلهم اجرهم
عند ربهم ولا
خوف عليهم
ولا هم
يحزنون
م

الحدود والاحكام والشرائع كرهوا فرفع الله الجبل فوقهم فقبلوا ذلك ويحتمل ما ذكرنا من عهد خلقه وفطرة فنقضوا ذلك
وقوله خذوا ما اتيناكم بقوة قيل خذوا التورية بالجد والمواظبة وقيل بقوة يعني بالطاعة له والخضوع ثم احتج بعض المعتزلة
بهذه الاية على تقدم القدرة الفعل لانه امرهم عز وجل بالقبول له والاخذ والعمل بما فيها فلو لم يعطهم قوة الاخذ و
القبول له قبل الاخذ له الفعل لكان لا يامرهم بذلك لانهم يقولون لا قوة لنا على ذلك فدل انه قد اعطاهم قبل
ذلك لكنه غلط عندنا لانه لو اعطاهم القوة قبل الفعل ووقت الامر به ثم تذهب عنهم تلك القوة وقت الفعل لكان فعل
بلا قوة اذ من قولهم ان القوة لا تبقى وقتين فدل انها تحدث بحدوث الفعل لا يتقدم ولا يتاخر ولكن يكون معا ولانها سميت
قدرة الفعل فلو كانت تتقدم الفعل لم يكن لاضافة الفعل اليها معنى والله اعلم والاصل في ذلك ان الله تعالى قال خذوا ما
اتيناكم بقوة ومعلوم ان المراد من ذلك الاخذ ثم فيه وجهان احدهما ان الاخذ قوة بمعنى الترك والثاني انه ذكر الاخذ فاذا لم
يكن معلوما يكن بها ان يرى الوقت اذا اتى عدم لم يحتمل بما تقدم من القوة او قال قبله وقت واحد **وقوله** واذكروا ما فيه قيل فيه
بوجوه قيل ذكروا او احفظوا ما فيه من امر ونهيه ولا تضيعوه لعلكم تتقون المعاصي والماثم ويحتمل اذكروا ما فيه من التوحيد
والايمان لعلكم تتقون الشرك والكفر ويحتمل اذكروا ما فيه من الاحكام والشرائع ويحتمل الثواب والعقاب والوعد و
الوعيد وكله واحد **وقوله** ثم توليتم من بعد ذلك يعني من بعد القبول دل هذا على انهم كانوا قبلوا ذلك مرة قبل ان ياتيهم
موسى عليه السلام بها فلما اتاهم راوا التشديد والمشقة ابوا قبولها وتركوا العمل بما فيها من الاحكام والشرائع لخوفوا برفع الجبل فوقهم
فقبلوا ذلك والله اعلم **وقوله** فلولا فضل الله عليكم ورحمته يحتمل وجوها فضل الله عليكم الاسلام ورحمته القران قبل
فضل الله عليكم محمد صلى الله عليه وسلم بعث اليكم رسولا ليجمعكم ويؤلف بينكم ويدعوكم الى دين الله الحق بعد ما كنتم في فترة من الرسل
وانقطاع من الدين والعمل ويحتمل فضل الله عليكم لما انجاكم من العذاب ولم يرسل عليهم الجبل والا ما تداركتم انتم وقيل فضل الله عليكم
لما اعطاهم التورية وفقههم على قبولها والا لكنتم من الخاسرين ونعيته قريب من بعض **وقوله** ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانه قال ولقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الذين اعتدوا
منكم في السبت ولا كان علم ما فعل بهم ثم علم ذلك فانما علم بالله عز وجل انه لم يكن قوله كتابكم ولا كان يختلف الى احد ممن يعرف
ذلك فبالله عز وجل عرف ذلك وبه علم فدل انه رسول الله اليكم ويحتمل قوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم
كونوا قردة خاسئين اي علمتم ما اصاب اولئك بافتتانهم يوم السبت بالاصطياد وكنتم تقولون نحن ابناء الله واحباؤه
يعني ابناء رسل الله واحباؤه فلو كان كما تقولون لم يكن ليجعلهم قردة وهي اقبح خلق الله واوحشه اذ مثل ذلك لا يفعل بالاحباء والابناء
فاني يحمل على التحذير لهؤلاء لئلا يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يعصوه في امره فيصيبكم ما اصاب اولئك بتكذيبهم موسى
وعصيانهم امره والله اعلم لم سبب تحريم الاصطياد في السبت كان والله اعلم لما قيل ان موسى عليه السلام اراد ان يجعل يوما
لله خالصا للطاعة له والعبادة فيه وهو يوم الجمعة لخالفوه امره ونهيه وقالوا نجعل ذلك اليوم السبت لانه لم يخلق الخلق بحرم الاصطياد
في تلك اليوم لذلك وحولوا قردة عقوبة لهم لما نهوا عن الاصطياد في ذلك اليوم فاصطادوا وعلى ذلك تاويل قوله انما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه يعني يوم الجمعة وقيل اختلفوا فيه يعني في الله ثم اختلف في قوله كونوا قردة قال قدم قوله كونوا قردة من
الاصل على ذهاب الانسانية منهم وقيل حول جوهرهم الى جوهر القردة على بقاء الانسانية فيهم من الفهم والعقل لانه
قيل ان الذين كانوا ينهونهم عن الاصطياد في ذلك اليوم دخلوا عليهم فيقولون لهم الم ننهكم عن ذلك ونزجركم فاومؤوا الى
نعم ودموعهم تفيض على خدودهم فلو كان التحويل على ذهاب جميع الانسانية منهم لكانوا لا يفهمون ذلك ولا يحزنوا على ما
ما اصابهم لان كل ذي جوهر راض بجوهره الذي خلقه الله سبحانه وتعالى ولا ينكر ولا يحزن لو ابدلهم قردة عقوبة لتمردهم في التكذيب
ويرانهم على الله ليعلموا ذلك ويروا انفسهم اقبح خلق الله واوحشه وفيه نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ليس في خلق
الله قبيح فلو لم يكن في خلق الله قبيحا لم يكن لتحويل صورتهم من صورة الانسان الى قبح صورة معنى ليروا قبح انفسهم عقوبة
لهم بما عصوا امر الله ودخلوا في نهيه **وقوله** فجعلناها نكالا قيل الهاء راجعة الى القرية التي كانوا فيها **وقوله** لما بين يديها من اهل
القرية وما خلفها حواليها وقيل اراد بالهاء القرية لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى وقيل اراد بالهاء العقوبة
والنكال لما بين يديها يعني ما مضى من الذنوب وما خلفها يعني ما بقي والله اعلم **وقوله** خاسئين يعني قيل الخاسي الصاغر وقيل
الخاسي الذليل وقيل البعيد وكله يرجع الى واحد والله اعلم **وقوله** واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قيل
قتيل قتل في بني اسرائيل والقي على باب غيرهم فتنازعوا فيه واختلفوا فامر الله نبيه موسى عليه السلام ان يذبحوا بقرة فقال ان
الله يامركم ان تذبحوا بقرة فاضربوا ببعضها ذلك الميت فيحيى فيقول من قتلني قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين قال بعضهم كفروا بهذا القول لانهم سموه هازيا ومن سمى رسولا من الرسل هازيا يكفر الا ترى انهم قالوا في
الاخر الان جئت بالحق دل ان ما قال لهم اول مرة ليس بحق عندهم وليس هذا بشيء ولا يحتمل ما قالوا ولكن يحمل على المجازاة كانهم قالوا
اتجازينا بهذا الماضي مما سبق من العصيان بك والخلاف لك لما لم يعلموا انه من عند الله يا مر بذلك وهذا وامثاله على المجازاة جائز
على ما ذكرنا من الاستهزاء والمخادعة والمكر كله على المجازاة جائز وكقوله نوح لقومه انا نسخر منكم كما تسخرون على المجازاة
جائز على ما ذكرنا من الاستهزاء فكذلك الاول واما الاستهزاء فيما بين الخلق فهو جهل بسخر بعضهم ببعض لجهل باحوال
انفسهم اذ كلهم سواء من جهة الجوهر والخلقة وتركيب الجوارح وتصوير الصور وتمثيلها الا ترى ان موسى اجاب لهم
عن الهزو بالجهل فقال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وان الهزو في الخلق لجهل فيهم وبالله التوفيق ثم استدل قوم بهذه
الاية على عموم الخطاب وقت قرع السمع لانه امرهم بذبح بقرة لم يبين لهم كيفيتها ولا ماهيتها وقت الخطاب الا بعد البحث

ورفعنا
فوقكم
الطور
م

وموعظة
للمتقين
م

والسؤال عنها فثبت انه على العموم الحري ما روي في الخبر لو عمدوا الى ادنى بقرة لاجزتهم لكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم
لكن هذا لا يصح لانه دعوى على الله لحدوث شيء في امره وبدو في حكمه فذلك كفر لا يقوله مسلم فضلا عن ان يقوله رسول من الرسل
تاويل هذا انه قال انه يقول كذا فلو كان الاول على غير ذلك لكان بدا له فيما عم وفسر بما لم يكن اراد وذلك معنى الرجوع عن الاول
مما اراد والتفسير له بغيره ولا قوة الا بالله ثم في الاية دليل خصوص الخطاب من وجهين احدهما اخذ كل اية خرجت في الظاهر على
العموم وهو مراد بها ثم ظهر الخصوص فهو بدو وحدوث في الاحكام والشرايع فذلك حال من جهل العواقب والله يتعالى
الله عن ذلك ومعنى سؤالهم بعد ما الوث لهم البيان بما اريد جعل ذلك اية فوقع عندهم ان لا كل بقرة تصلح للايات ولذلك لم يبادروا
سوى عن تفسيرها اذ الله تعالى هو الذي يعلم الايات والحرف الثاني هو الاول الذي قلنا اليه انصرف المراد في الابتداء لما يوجبه
وان الامر بالذبح في الابتداء كان على ما لا تعرها البته وظهر لكنهم امروا بالسؤال عنها والبحث عن احوالها ليصلوا الى المراد فيه
الا انه اخذهم ذلك بالسؤال وعلى ذلك ما روي في الخبر ان صلة الرحم تزيد في العمر ما علم من عبده انه ليصل رحمه جعل مدة عمره اكثر مما لو
الله لا يصل لانه يعجل اجله الى وقت فاذا وصل رحمه زاد على ذلك لا على ما يقوله المعتزلة ان الله تعالى يجعل لكل احد اجلين فاذا
وصل امانه في ابعد الاجلين واذا لم يصل جعل اجله الاول فهذا العرض يجهل العواقب فاما من كان عالما بالعواقب فلا لانه يريد
ورجوع عما تقدم من الامر ثم استدل بهذه الاية بقبول قول اولياء المقتول وهم لا وجه لنحدها ما لا يقبل قول القتيل قبل
خروج الروح منه ان فلانا قتلني في قطع من الميراث واغرام الدية والثاني ان ذلك كان اية عظيمة لهم لم يكن ذلك لغيرهم و
الثالث ان اولياء المقتول قد كانوا قبل ان يحيى يدعون عليهم القتل فلو كان لهم حق القبول لم يحتج الى تلك الاية والرابع انه
قبول قول الميت احق من قبول قول الولي بنفسه بقوله ثم القتيل لا يقبل قوله في شريعتنا فكذلك الولي والله الموفق ثم وجه
حكمة جعل البقرة اية دون غيرها من البهايم وجهان احدهما ما روي ان رجلا كان بارا بوالديه محسنا اليهما عاطفا عليهما وكا
له بقرة على تلك الصفة والشبه فاراد الله عز وجل ان يوصل اليه في الدنيا جزاء ما كان منه بثمن البقرة والدية والثاني انهم كانوا
يعبدون البقور والعجاجيل وحبب ذلك اليهم كقوله واشربوا في قلوبهم العجل ثم تابوا وعادوا الى عبادة الله وطاعته فاراد الله
ان يمتحنهم بذبح ما حبب اليهم ليظهر منهم حقيقة التوبة وانقلاع ما كان في قلوبهم من حب البقور والعجاجيل والله اعلم وقوله
لا فارض يقول ليست بكبيرة ولا بكر ولا شابة عوان بين ذلك بين الشابة والكبيرة وقيل لا فارض لا كبيرة على ما ذكرنا ولا بكر
ولا ما تلد عوان بين قد ولدت بطنا وبطنين وقوله صفراء قيل الصفر الذي تضرب الى السواد وذلك لشدته وقيل الصفرة من الصفر
المعروف وقوله فاقع لونها قيل صاف وقيل تسر الناظرين تعجب الناظرين وقيل فاقع لونها صفراء الظلف والقرن والله اعلم وقوله
لا ذلول تثير الارض قيل لم يذللها العمل اي لم يزرع عليها ولا هي مما يستقى عليها اي بقرة وحشية صعبة تثير الارض ولا تسقي الحرث
وقيل لا ذلول لا ارض اي بقرة وحشية صعبة تثير الارض ولكن اثارة الارض لم تذللها لصعوبتها وشدتها وقوله وما كادوا
يفعلون قيل فيه بوجوه ما كادوا يفعلون خوفا على انفسهم ان يفتضحوا لظهور القاتل وقيل وما كانوا يفعلون لغلاء ثمنها والاول
اقرب والله اعلم وقيل انهم استقصوا في تلك البقرة والسؤال عن احوالها والاستقصاء في الشيء ربما يكون للمواقعة والله الموفق
وقوله وانا ان شاء الله لمهتدون وقوم موسى مع غلظ افهامهم ورقة عقولهم اعرف بالله واحسن توحيدا من المعتزلة لانهم
قالوا ان شاء الله لكنا من المهتدين والمعتزلة يقولون قد شاء الله ان يهتدوا وشاؤوا هم ان لا يهتدوا فغلبت مشيئتهم
على مشيئة الله تعالى على قلوبهم فنعوذ بالله من السرف في القول والجهل في الدين وفي قوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
دليل لابي حنيفة رضي الله عنه واصحابه ان من حلف لا ياكل لحم ثور فحنث لان الله تعالى ذكر البقرة ثم بين في اخر ما يدل انه
اراد به الثور بقوله لا ذلول تثير الارض والثور هو الذي يثير الارض ويسقي الحرث دون الانثى منها لذلك كان الجواب
اهل الزمان بالذكر فحينئذ لا يكون فيه دليل لما ذكرنا والله اعلم واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون
في الاية دليل مراد الخصوص وان خرجت في الظاهر مخرج العموم لانه قال عز وجل قتلتم وانما قتله واحد وقال والله مخرج ما كنتم
تكتمون وانما كان كتمه الذي قتله لذلك قلنا انه لا ينصرف مراد الاية الى العموم ولا الى الخصوص بلفظ الخصوص الا بعد قيام الدليل
والبرهان على ذلك والله الموفق وقوله فقلنا اضربوه ببعضها قال بعضهم يعني بفخذها الايمن لكن هذا لا يعلم الا بخبر عن الله تعالى
ولكن يقال ببعضها بقدر ما في الكتاب وقوله كذلك يحيي الله الموتى اي هكذا يحيي الله الموتى من الوجه الذي لا يتوهمون احياء
بضرب بعض البقرة عليه وكذلك قوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها
كذلك النشور فكما احيى الارض بعد موتها بالمطر المنزل من السماء يقدر على احياء الموتى وبعثهم على الوجه الذي لا يظنون
ولا يتوهمونه والله اعلم ويحتمل احياء ذلك القتيل لهم لما لم يكونوا اطمانوا على احياء الموتى فاراهم الله عز وجل ذلك ليطمئنوا
ليستقروا على ذلك ولا يضطربوا فيه والله اعلم ويريكم اياته يحتمل يريكم ايات وحدانيته ويحتمل يريكم ايات احياء الموتى
وايات البعث ويحتمل اياته فيما يحاجون اليه كما ارى من تقدمكم عند حاجاتهم ويحتمل يريكم اياته نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
اذ هو خبر عن الغيب واوضح ايات الرسالة الخبر عن الغيب وذكر القصة على الوجه الذي يعلم ان الاختراع لا يبلغ ذلك ليعلموا
انه بالله علم انه اذا لم يكن له خط كتاب ولا اختلاف الى من عنده علم انه لو كان سمعها منهم لجرى على مثله القول بالزيادة والنقصان
ولكن منعهم الله تعالى عن ذلك اذ علموا صدقه اشفاقا على انفسهم ان ينزل عليهم نقمة الله وقوله لعلكم تعقلون لكي تعقلوا ايات
وحدانيته وتعقلون انه قادر على احياء الموتى بعد الموت وقوله ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة
ضرب الله لقلوبهم مثلا بالحجارة وشبهها بها لقساوتها وشدة صلابتها وانها اشد قسوة من الحجارة مع صلابتها وشدتها
مع فقد اسباب الفهم والعقل وزوال الخطاب منها تخضع له وتتصدع لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة ... فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون

وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله

من خشية الله وقوله فلما تجلى ربه للجبل الاية وقلب الكافر مع وجود اسباب الفهم والعقل وسعة سببه القبول لا يخضع
له ولا يلين وكذلك اخبر الله عز وجل جعل من الجبال منافع للخلق مع صلابتها وشدتها حتى يتفجر منه الانهار والمياه وقلب
الكافر مع احتماله ذلك وامكانه لا منفعة منه لاحد وبالله التوفيق ثم وجه حكمة ضرب قلوبهم مثلا بالحجارة وتشبيهها بها دون
غيرها من الاشياء الصلبة من الحديد والصفر وغيرها وذلك والله اعلم ان الحديد يلينه النار وكذلك الصفر حتى يضرب منها
الاواني والحجر لا يلينه النار ولا شيء لذلك شبه قلب الكافر بها وهذا والله اعلم في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وقوله وما الله
بغافل عما تعملون خرجت على الوعيد ابلغ الوعيد والوعظ حين ذكرهم علمه بما يعملون وقوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم الاية وان
خرجت على عموم الخطاب فالمراد منها الخصوص وهو الرسول صلى الله عليه وسلم والى هذا ذهب اكثر اهل التفسير وقيل ان المراد منها
بعموم الخطاب العموم يعني النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانها خرجت على النهي عن طمع الايمان منهم كانه قال لا تطمعوا في ايمانهم كقوله
افانت تنقذ من في النار اي لا تنقذ وكقوله افانت تسمع الموتى اي لا تسمع الموتى وقوله وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه
الاية فلقائل ان يقول ايش فيما كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ما يجب به قطع الطمع عن ايمان هؤلاء فهو والله اعلم لوجهين
احدهما انهم كانوا اصحاب تقليد كقوله انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فاخبر عز وجل ان هؤلاء وان راوا الايات
العجيبة فانهم لا يؤمنون ابدا لانهم اصحاب تقليد لا ينظرون الى الحجج والايات والثاني انهم مع كثرة ما عاينوا من الايات وشاهدوا
من العجائب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطمع في ايمانهم فكيف طمعتم انتم في ايمان هؤلاء وهم اتباعهم والله اعلم ولهذا
وجهان اخران احدهما كانه قال لا تطمع في ايمانهم لانهم في علم الله على ما عليه من ذكر والثاني لان اولئك كانوا خيرا من هؤلاء وارغب
في الحق منهم ثم لم يؤمنوا مع سماع الحجج ويجب به الايمان فكيف تطمع في ايمان هؤلاء وقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه انه
من عند الله ويعلمون انه رسول الله وانه حق وقوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا قد ذكرنا فيما تقدم انها في المنافقين نزلت وقوله
واذا خلا بعضهم الى بعض يحتمل وجهين يحتمل خلا بعض المنافقين الى بعض قالوا اتحدثونهم بكذا ويحتمل خلا المنافقون الى اليهود
وقوله اتحدثونهم بما فتح الله قيل فتح الله قضى الله وقيل من الله عليكم في التورية وكله يرجع الى واحد وقوله ليحاجوكم به اي باعترافكم
عند هؤلاء ويحتمل على اضمار رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قال ليحاجوكم باقراركم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل على معنى
ليحاجوكم به عند ربكم اي في ربكم اذ العرب تستعمل حروف الخفض بعضها في موضع بعض ويحتمل عند ربكم اي يوم القيمة ويكون
ليحاجوك بما عند الله اي بالذي جاءكم من عند الله لكن لقائل ان يقول ما معنى ذكر المحاجة عند ربكم والمحاجة يومئذ لا يكون
الا عنده ولا يكون يحاجوكم بما عند الله اي بالذي جاءكم من عند الله قيل لان ذلك اشد اظهارا وافتكانا لما سبق منهم الاقرار
به لك ولذلك نهوا عن ذلك لانهم كانوا ينهون اولئك عن الاقرار بالايمان عند المؤمنين واظهار ما في التورية من نعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصفته وقوله افلا تعقلون ان هذه حجة لهم عليكم حيث تعترفون به وتظهرون نعته وصفته ثم لا تتبعونه و
يحتمل افلا تعقلون انه حق وقوله اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون قيل ما يسرون في الخلوة من الكفر به والتكذيب له
وما يعلنون لاصحابه من التصديق له والايمان به وقيل ما يسرون من كتمان نعته وصفته وما تظهرون من اظهار نعته وصفته
الذي في التورية ويحتمل ما يسر هؤلاء لهم من النهي عن اظهار ما في التورية وما يعلن هؤلاء للمؤمنين من اظهار نعته وصفته والله
اعلم وقوله ومنهم اميون لا يعلمون يقول من اليهود من لا يقرا التورية ولا يعرفها الا ان يحدثهم العلماء والرؤساء عنها
والامي الذي لا يكتب ولا يقرا عن كتابة لكنه يقرا لا عن كتابة كالنبي صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولا يقرا عن كتابة كقوله تعالى
ولا تخطه بيمينك ويقال ايضا الذي لا يقرا ولا يكتب لا عن غير كتابة وقوله الا اماني قيل احاديث باطلة يحدث لهم وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه وقيل الا اماني يعني الا كذبا وقال الكسائي الا اماني الا تلاوة كقوله الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته يعني
في تلاوته وقوله وان هم الا يظنون يقول ما هم الا ظن يظنون في غير يقين واصله اي لا يعلمون علم الكتاب الا ما عندهم اماني النفس وشهوة
كقوله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم قيل الويل الشدة وقيل الويل هو قول كل
مكروب وملهوف يقول له ويل له بكذا وقوله ويكتبون الكتاب بايديهم يحتمل وجهين يحتمل يكتبون يمحون نعته وصفته عن التورية
ويحتمل يكتبون يحدثون كتابة على خلاف نعته وصفته ثم يقولون هذا من عند الله فيكون الكتابة في هذا اثبات كقوله كتب في قلوبهم
الايمان والمثبت هو ذلك المحق ليظن انه كذلك في الاصل وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله فويل لهم مما
كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ذكر لهم ثلاث ويلات ويل باحداث كتابة ببعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوه وتغيير
والثاني بقولهم هذا من عند الله والثالث وويل لهم مما يكسبون من الماكلة والهدايا وقوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودة اجمع اهل التفسير والكلام على صرف الايام المعدودة المذكورة في هذه الاية الى ايام عبادة العجل وذلك لا معنى
له لوجهين احدهما ان هؤلاء لم يعبدوا العجل وانما عبدا اباؤهم فلا معنى لصرف ذلك الى هؤلاء واتى الوصف ذلك الى ابائهم
الذين عبدوا العجل لم يحتمل ايضا لانهم قد تابوا ورجعوا عن ذلك فلا معنى للتعذيب على عبادة العجل بعد التوبة والرجوع الى
عبادة الله كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ويصرف الايام المعدودة الى العمر الذي عصوا فيه لما لم يروا التعذيب
الا على قدر وقت العصيان والذنب ولما لم يكونوا يرون التخليد في النار ابدا ولما عندا انفسهم كما اخبر الله عنهم بقوله
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكقولهم نحن ابناء الله واحباؤه يقولون انا لا نعذب ابدا انما نعذب تعذيب
الاب ابنه الحبيب بعذاب في وقت قليل ثم يرضى ويدخل الجنة ولكن عقوبة الكفر ابدا والتخليد فيها لا لوقت وكذلك ثواب الايمان
للابد لا لوقت لان من اعتقد دينا انما يعتقده للابد لا لوقت فعلى ذلك جزاؤه للابد لا لوقت واما من ارتكب ذنبا من المسلمين بشهوة
تغلبه في وقت فيرتكبه ثم يتركه فانما يعاقب ان عوقب على قدر ما ارتكب في وقت لانه لم يرتكبه للابد لذلك افترقا والله اعلم وقوله

فلن يخلف الله عهده ٢

قل اتخذتم عند الله عهداً والعهد يحتمل هل عندكم خبر عن الله تعالى بانكم لا تعذبون ابداً ولكن اياماً معدودة فان كان لكم هذا فهو لا يخلف عهده والثاني اتخذتم عند الله عهداً اي لكم اعمال صالحة عند الله فوعدكم بها الجنة فهو لا يخلف وعده اي ليس لكم واحد من هذين لا خبر عن الله بانه لا يعذبكم ولا اعمال صالحة وعدكم بها الجنة وقوله ام تقولون على الله ما لا تعلمون هذا اكذاب من الله عز وجل اياهم بذلك القول كانه قال بل تقولون على الله ما لا تعلمون الا ترى انه قال بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته يقول من كسب يعني شركا واحاطت به اي مات عليها فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا يموتون فيها ولا يخرجون منها وقيل واحاطت به بقلبه وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل قد ذكرنا عهد الله وميثاقه انه يكون على وجهين عهد خلقه وفطرة وعهد رسالة ونبوة وقوله لا تعبدون الا الله يحتمل وجهين يحتمل لا يجعلون الالوهية الا لله ويحتمل نفس العبادة اي لا تعبدون الا الله ولا تعبدوا الاصنام والاوثان وغيرها وقوله وبالوالدين احسانا اي برا بهما وعطفا عليهما والطافا لهما وخفض الجناح ولين القول لهما كقوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة الاية وكقوله وصاحبهما في الدنيا معروفا فان قيل ان الامر بالاحسان فيما بين الخلق يخرج مخرج الافضال والتبرع لا على الوجوب واللزوم غير ان الاحسان يجوز ان يكون الفعل الحسن نفسه كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين استوجبوا هذا بالفعل الحسن لا بالاحسان الى الله تعالى وفعل الحسن فرض واجب على كل احد والثاني ان الاحسان اليهم يجوز ان يكون من حق الله عليهم لازم وعلى ذلك صلة القرابة والمحارم والانفاق عليهم من حق الله عليهم وهو لازم فهذا ينقض على الشافعي قوله انه لا يوجب النفقة الا على الوالدين والاولاد ولا يحكم في الاباء والامهات بالقرابة ولا سموا بهذه الاسم فدل انه اراد به غير الوالدين والله اعلم وقوله واليتامى والمساكين يحتمل على النفل من الصدقة والفرض جميعا وقوله وقولوا للناس حسنا يحتمل وجوها يحتمل لا تكتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته ولكن اظهروها ويحتمل الدعاء الى شهادة ان لا اله الا الله ويحتمل اقامتها بتمام ركوعها وسجودها وخشوعها ويحتمل ان كونوا في حال يكون لكم الصلوة والتزكية وقوله واتوا الزكوة يحتمل الوجوه التي ذكرناها في الصلوة وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم الاية ظاهرة وقوله واذ اخذنا ميثاقكم قد ذكرنا الميثاق والعهد في غير موضع وقوله لا تسفكون دماءكم يحتمل وجهين اي لا تسفكون دماء غيركم فتصيرون كانكم سفكتم دماءكم ويحتمل لا يسفك بعضكم دماء بعض كقوله فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض وذكر نقض العهد في هؤلاء وان كان في اوائلهم بوجهين احدهما انه رضي هؤلاء بالفعل اياهم والثاني بقولهم انا وجدنا اباءنا على امة الاية وقوله ولا تخرجون انفسكم يحتمل ايضا وجهين يحتمل ولا يخرج بعضكم بعضا ويحتمل لا تخرجوا غيركم من ديارهم فتخرجون من دياركم على ما ذكرنا في قوله لا تسفكون دماءكم والله اعلم وقوله ثم اقررتم وانتم تشهدون يحتمل ثم اقررتم وانتم معترفون بالعهد والميثاق وتشهدون في التورية وقوله ثم انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء تقتلون انفسكم يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم وقوله تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان اي تعاونون عليهم بعاون بعضكم بالاخراج وهو الظلم والعدوان وهو محرم عليكم اي ذلك الاخراج محرم عليكم وقوله وان ياتوكم اسارى تفدوهم الاية وان كانت مؤخرة في الذكر فهي مقدمة كانه قال لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم وان ياتوكم اسارى تفادوهم وقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض امنوا بالمفاداة من الاسارى وكفروا بالاخراج وسفك الدماء ويحتمل الايمان ببعض ما في التورية وكفروا ببعضها وهو نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته اذ لم يكن على موافقة مرادهم ويحتمل ان فادوا اسراهم من غيرهم وسبي ذراري غيرهم وقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا قيل الخزي في الدنيا اجلاء بني النضير من ديارهم واخراجهم الى الشام وقيل مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم وذلك لحرب وقع بينهم والله اعلم ويحتمل قوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ولكن لا يعاقبون في الدنيا بل تردون الى اشد العذاب في الاخرة وان استوجبوا ذلك في الدنيا كقوله انما يؤخرهم ليوم الاية وقوله وما الله بغافل عما يعملون وعيد قد ذكرنا فيما تقدم وقوله اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة يحتمل انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل خروجه وبعثه فلما بعث على خلاف مرادهم كفروا به فذلك اشتراء الحيوة الدنيا بالاخرة ويحتمل ابتداء اختيار الضلال على الهدى والحيوة الدنيا على الاخرة من غير ان امنوا به والله اعلم وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة وهو ظاهر وقوله وقفينا اردفنا وهو من القفا فقفا يقفو وقيل اتبعنا رسولا على اثر رسول كقوله واتبعنا بعضهم بعضا واحدا على اثر واحد وقوله واتينا عيسى ابن مريم البينات قيل البينات الحجج وقيل العجائب التي كانت تجري على يديه من خلق الطين واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وانبائه ما ياكلون وما يدخرون وقيل البينات الحلال والحرام ثم الرسل في انفسهم حجج فلم يحتج الى كل قول يقولون بدليل وبيان على صدقهم لانهم في انفسهم حجة واما سائر الناس فليسوا بحجج في انفسهم فلا بد لكل قول يقولون ان ياتوا بدليل يدل على صدقهم وبيان يظهر الحق من الباطل والصواب من الخطأ والصدق من الكذب وبالله التوفيق وقوله وايدناه قويناه بروح القدس اختلف فيه قيل روح القدس جبريل وفي الاصل القدوس لكن طرحت الواو للتخفيف وتاييده هو ان معه على حفظه حتى لم يدن منه شيطان فضلا ان يدنوا بشيء والله اعلم وقيل ايدناه بروح القدس يعني بالروح روح الله ووجه اضافة روح عيسى الى الله عز وجل تعظيما له وتخصيصا وذلك ان كل خاص يضيف الى الله تعظيما لذلك الشيء وتفضيلا له كما يقال لموسى كليم الله ولابراهيم خليل الله على التفضيل واذا اضيف الكل الى الله عز وجل فانما يضاف تعظيما له وتخصيصا وذلك ان كل خاص يضيف الى الله تعظيما لذلك الشيء وتفضيلا له كما يقال لموسى كليم الله ولعيسى روح الله ولابراهيم خليل الله على التعظيم والتفضيل واذا اضيف الكل الى الله عز وجل فانما يضاف تعظيما له عز وجل وتنزيها كقوله رب السموات والارض اضيف عمل الاشياء الى الله فهو يخرج على تعظيم الرب تعالى والتبجيل له وقوله افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون في ظاهر هذه الاية انهم كذبوا فريقا من الرسل وقتلوا فريقا منهم ويقول بعض

اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ٢

وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وهو محرم عليكم اخراجهم ٢

ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب ٢

فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ٢

الناس انهم قتلوا الانبياء وكذبوا الرسل بقوله وانا لننصر رسلنا وقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ومن الله الناصر فهو يحتمل من يقول انهم قتلوا الرسل والانبياء فقوله يحتمل قوله انا لننصر رسلنا [illegible] ومن رسول فمن نصره الله فهو لم يقتل وكذا ما ذكر من [illegible] بالحجج والا فالاية في الاية دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] ونبوته لانه اخبرهم بتكذيب بعضهم الرسل وقتل بعضهم فسكتوا عن ذلك فلولا انهم عرفوا انه رسول عرف ذلك بالله والا لم يسكتوا عنه ذلك وقوله وقالوا قلوبنا غلف يعني في اكنة عليها الغطاء فلا نفهم ما تقول ولا نفقه ما تحدث يدعون زوال الخطاب عن انفسهم كراهة لما سمعوا واكذبهم الله تعالى بقوله بل لعنهم الله بكفرهم وعتوهم وتمردهم [illegible] تكذيب الرسول واعناده اياه لان قلوبهم بحال انهم لا يفهمون على ما يخاطبون كما يزعمون ولكن ذلك لترك التفكر والتدبر فيها وقيل قلوبنا غلف اي اوعية تفهم وتعي ما يقال ويخاطب ولكن لا نفهم ما تقول ولا نفقه ما تحدث فلو كان سعا وعيا لفهمت وفقهت عليه يدعون ابطال ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وذلك انهم قالوا لشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وقوله فقليلا ما يؤمنون قيل فيه بوجهين قيل فقليلا اي قليلا منهم يؤمنون بالرسل عليهم السلام وقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم فلولا انهم عرفوا ان هذا الكتاب مصدق لما معهم من الكتاب خبر بحقه والا لاظهروا الخلاف لو عرفوا ذلك ويكلفونا على الخلاف هذا التنزيل ووقعه قد سكتوا عن ذلك وترك اشتغالهم بذلك انهم عرفوا موافقته لما معهم من التورية ففيه آية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ويستنصرون على الذين كفروا وقيل بعث محمد صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انصرنا بحق النبي الذي تبعثه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقوله بئسما اشتروا به انفسهم يقول بئس ما اشتروا به [illegible] وذلك انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم [illegible] في الاخرة فكفروا به وذلك هلاكهم والله الموفق وقيل بئسما باعوا به انفسهم بعرض يسير من الدنيا بعذاب الاخرة ابدا وقوله بغيا قيل حسدا منهم وذلك قد هوا ان بعث محمدا صلى الله عليه وسلم من اولاد اسرائيل لانهم كانوا امته فلما بعث من ولد اسمعيل عليه الصلوة والسلام والعرب كانت من اولاده كفروا به وكتموا نعته حسدا منهم ما انزل الله من فضله يعني النبوة والكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم وقيل بغيا اي ظلما ظلموا انفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم اياه وقوله فباؤوا قد ذكرنا فيما تقدم قوله بغضب على غضب يحتمل وجهين قيل استوجبوا الغضب من الله بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم على اثر غضب بكفرهم بعيسى عليه السلام وبما جاء به وقيل انما استحق اللعنة على اثر اللعنة بعصيان بعد عصيان وبذنب على اثر الذنب والله اعلم وقوله واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من القران قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التورية وهم لم يكونوا امنوا بها لكان في الايمان بها ايمان محمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه وايمان بجميع الانبياء عليهم السلام والرسل وبجميع ما انزل عليهم عليهم السلام لان فيها الامر بالايمان بجميع الرسل وكتبهم لانه قال مصدق لما معهم وموافقا له فالايمان بواحد منهم ايمان بجميع الكتب اذ بعضها موافق لبعض وقوله ويكفرون بما وراءه قيل وراء التورية كفروا بالانجيل والفرقان كانه قال كفروا بالذي وراءه يعني وراء موسى بعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه كانه قال من وراءه صلى الله عليه وسلم وقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين فان قالوا انا لم نقتل الانبياء ونحن مؤمنون قيل لهم انكم وان لم تتولوا القتل فقد رضيتم بصنيع اولئك واتبعتموهم مما قد هموا بقتل محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك اضيف اليهم وقيل اخبر عز وجل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نهاية سفههم وعتوهم ومكابرتهم في تكذيبه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى الايمان به وبما انزل عليه فقالوا ائتنا بالايات والقربان كما كانت الانبياء من قبل ياتون بها قومهم فيقول الله عز وجل قد كان الانبياء من قبل يجيء بما تقولون الى ابائكم من الايات والقربان فكانوا يقتلونهم فيقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل لهم فلم تقتلون يقول لهم قتل اباؤكم انبياء الله قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقد جاؤا بالايات والقربان ان كنتم صادقين بان الله تعالى عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار وقد جاؤا به فلم قتلوهم فهو والله اعلم انهم اخذوا هذه المحاجة من اوائلهم وان علموا بما ظهرت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث وانتم تقلدونهم فيقلدونهم لو اوتيتم كما قلدتموهم وان علمتم بما عاينتم اذ لا حجة لكم والله اعلم وقوله ولقد جاءكم موسى بالبينات والبينات ما ذكرنا فيما تقدم من الايات المعجزة والحجج العجيبة والبراهين الظاهرة على رسالته ونبوته وصدق ما يدعوهم اليه مما يدل كله انه من عند الله ثم مع ما جاءهم موسى بها عبدوا العجل واتخذوه الها وكفروا بالله بعد [illegible] نبيه عليه الصلوة والسلام ليبين انه اول مكذب من الرسل ولا اول من كفر به يعني لا يضيق صدره مما يقولون ويستقبلونه بما يكره وبالله التوفيق كقوله وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة قد ذكرنا فيما تقدم ما فيه مقنع ان شاء الله تعالى وقوله واسمعوا يحتمل اسمعوا اطيعوا لكن هذا فيما بين الخلق جائز السمع والطاعة واما اضافة الطاعة الى الله عز وجل لا يجوز ان يقال اطاع الله واما السمع فانه يجوز لقوله سمع الله لمن حمده قالوا سمعنا قولك وعصينا لكن قوله وعصينا لم يكن على اثر قولهم سمعنا ولكن بعد ذلك باوقات لانه قيل لما ابوا قبول التورية لما فيها من الشدائد والاحكام رفع الله الجبل عليهم فقبلوا خوفا عن ان يرسل عليهم الجبل وقالوا اطعنا فلما زايل الجبل وعاد الى مكانه فعند ذلك قالوا وعصينا وهو كقوله ثم توليتم من بعد ذلك فالتولي منهم كان بعد ذلك باوقات وقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قيل اشربوا اي جعل في قلوبهم حب عبادة العجل وقيل ان موسى لما احرق العجل ونسفه في اليم جعلوا يشربون منه لحبهم العجل وقيل لما احرق ونسف في اليم جعلوا يحسون الماء حتى اصفرت وجوههم وقيل انهم لما رأوا في التورية ما فيها من الشدائد قالوا عند ذلك عبادة العجل اهون مما فيها من الشرائع وكله يرجع الى واحد وذلك كله اثار الحب وقوله

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ٢

ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ٢

وللكافرين عذاب مهين ٢

وهو الحق مصدقا لما معهم ٢

ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ٢

قل بئسما يأمركم به ايمانكم قيل قل يا محمد بئسما يامركم به ايمانكم بالعجل الكفر بالله عز وجل وقيل ان اليهود ادعوا انهم مؤمنون بالتورية
فقال قل بئسما يامركم اى بالتورية اذ كفرتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد وجدتموه فيها نعته وصفته وقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة
عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت وذلك ان اعداء الله تعالى كانوا يقولون ان الجنة لنا فى الاخرة بقولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى وكقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا وكقولهم نحن ابناء الله واحباؤه كما تقولون فتمنوا الموت
وذلك ان المرء لا يكره الانتقال الى داره والى بستانه بل يتمنى ذلك وكذلك المرء لا يكره القدوم على اخوانه ولا على حبيبه ولا يخاف
نفسه ولا عذابه بل يجد عطاء الكرامات والهدايا فان كان كما تقولون فتمنوا الموت حتى تنجوا من غم الدنيا ومن تحمل الشدائد التى فيها
ان كنتم صادقين فى زعمكم بان الاخرة لكم وانكم ابناء واحباؤه فان قيل انكم تقولون ان الاخرة للمؤمنين ثم لا احد منهم يتمنى الموت
الا قيل له تمنى الموت فما احتجاج عليهم بذلك وذلك على المؤمنين كهو عليهم قيل لوجهين احدهما ان المؤمنين لم يجعلوا لانفسهم
من الفضل والمنزلة عند الله ما جعلوا لانفسهم فكان فى تمنيهم صدق ما ادعوا لانفسهم وفى الامتناع عن ذلك ظهور صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانى ما ذكرنا انهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه وفى تمنيهم الموت زجرهم وصرفهم الى الحبيب والاب
الذى ادعوه ولا احد يرغب عن حبيبه وابيه فدل امتناعهم عن ذلك على كذبهم فى دعاويهم وبالله نستعين فان سالونا عن قوله
فتمنوا الموت انما تمنوا ليس كان انقضاء عمرهم بدون الاجل الذى جعل لهم وفى ذلك تقديم الاجال عن الوقت الذى كان اجله وقال
الله تعالى لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون قيل ان علم الله منهم فى سابق علمه وازليته انهم لا يتمنون جعل اجلهم ذلك
ولو علم منهم انهم يتمنون الموت لكان يجعل اجلهم ذلك فى الابتداء وكذلك هذا الجواب المار وكان صلة الرحم تزيد فى العمر انه كذلك
يجعل فى الابتداء لا ان يجعل اجله الى وقت ثم اذا وصل رحمه يزيد على ذلك الاجل وينقص بتمنى الموت عن الاجل المجعول المضروب
له وبالله التوفيق وقوله ولن يتمنوه ابدا فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه اخبر عز وجل انهم لن يتمنوه
ابدا فكان كما قال فدل انه من عند الله علم ذلك وقوله بما قدمت ايديهم من الذنوب والعصيان والتكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم
والحسد وهم والله اعلم قد عرفوا عن صنيعهم وما لهم عند الله من العذاب والجزاء لكنهم قالوا ذلك على التعنت والمكابرة والسفه
لذلك لم يتمنوا والله الموفق وقوله والله عليم بالظالمين هو على الوعيد كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم
ليوم ويحتمل عليم بالظالمين بما يفضحهم بالحجج ويظهر كذبهم فى الدنيا دليلا لا يظن احد انه عن غفلة بما يعملون يخلقهم على علم منه بما يعملون
خلقهم ليعلم انه لا نفع له بخلقهم خلقهم وان ذلك لا يضره وقوله ولتجدنهم يعنى اليهود احرص الناس على حيوة وعلى كراهية
الموت فدل حرصهم على حيوة على كراهية الموت فى الدنيا انهم كذبة فيما يدعون ويزعمون وقوله ومن الذين اشركوا يعنى
المجوس انهم احرص الناس على حيوة الدنيا من المجوس لا يؤمنون بالبعث وبالقيامة وهم يؤمنون بهما فهم مع ايمانهم بالبعث
وتصديقهم بالقيمة احرص على حيوة الدنيا من المجوس الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالقيمة وقيل انه على الابتداء ولا ينافى
بقول ومن الذين اشركوا يعنى المجوس يود احدهم لو يعمر الف سنة لانهم يقولون فيما بينهم تاكل النيروز والمهرجان يقولون
بالفارسية هزار ساله بزه فاخبر الله تعالى ان طول العمر فى الدنيا لا ينجيه من العذاب فى الاخرة ولا يباعده عنه وهو قوله وما
هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر وهو كقوله افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون
وقوله والله بصير بما يعملون هو على الوعيد ايضا وقوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا
وذلك ان اليهود قالوا لو كان الذى نزل على محمد بالوحى ميكائيل لتابعناه ونؤمن به لان ميكائيل هو الذى ينزل بالغيث
والرحمة وجبريل هو المنزل بالعذاب والحرب والشدائد فهو عدو لنا لذلك لا نتبعه وفى جهة العداوة بينهم
وبين جبريل وجه اخر وهو انهم قالوا ان جبريل ارسل بالوحى والرسالة فى ولد اسرائيل لكنه انزلها فى على ولد
اسماعيل عداوة لنا وبغضا لذلك نصبوا العداوة بينه وبينهم والله اعلم بذلك فاكذبهم الله تعالى بزعمهم فقال
نزله على قلبك باذن الله لا كما يقول اليهود وما ينزل من العذاب والشدائد انما ينزل بامره لا من تلقاء نفسه وذاته
ثم كان اظهارهم عداوة جبريل لاعتقادهم عداوة عز وجل لكنهم لم يجترءوا على التصريح فدل انه على الكناية عن عداوة
الله تبارك وتعالى ويدل هذا على ان الروافض طعنوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث طعنوا وقوله نزله على قلبك
باذن الله يقول الباطنية ان القران لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحرف التى نقرؤها ولكنه الهام نزل على قلبه ثم
هو بصورته ورسمه ذا الحروف وبعبرته بالعربية التى نقرؤها فلو كان على ما تقول لزال موضع الاحتجاج عليهم بما اتى به معجزا كقوله
انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين اذ كان لهم ان يقولوا انزل على لسان العجمى لكنه غير ذلك بلسانا وكذلك قوله
لا تحرك به لسانك لتعجل به مخافة النسيان والذهاب وكذلك قوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه فدلت
هذه الايات كلها بطلان قولهم وفساد مذهبهم وبعدهم عن دين الله المستقيم وقوله وهدى وبشرى للمؤمنين
هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين بالجنة وقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله الاية يحتمل وجهين يحتمل من كان
عدوا لله اولياء وملائكته ورسله ويحتمل افتتاح العداوة به دون هؤلاء على التعظيم لهم وفضل المنزلة عند الله وحسن
الماب له به كقوله واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول معنى اضافة ذلك اليه على التعظيم له والافضال
لله لا على جعل ذلك لله مفردا فعلى ذلك افتتاح العداوة به على ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولقد انزلنا اليك ايات بينات تبين
فيها من الحلال والحرام وما يتقى وما يتهى وما يؤمر ويحتمل الايات التى انزلها عليه لينصر بها على المعاندين له والمكابرين
والله اعلم وقوله اوكلما عاهدوا عهدا يقول كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم يحتمل العهود التى اخذت عليهم
فى التورية ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا يكفروا به بعد الايمان او اخذ عليهم ان لا يكتموا نعته وصفته الذى

ان كنتم مؤمنين
تمت

مصدقا لما بين يديه
تمت

فى التورية لاحد فنبذوا ذلك ونقضوا تلك المواثيق والعهود التى اخذت عليهم ثم فى الاية جعل القران حجة لانه
قال نبذه فريق منهم ولو كان فى كتبهم ما ادعوا من الجنة والابناء لاتوا به مصارضا لدفع ما احتج به عليهم فثبت
انهم كانوا كذبة فى دعاويهم حيث امتنعوا عن معارضته وقوله وما يكفر بها اى بما يكفر بتلك الايات الا الفاسقون وقوله ولما
جاءهم رسول من عند الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم من الكتاب اى نعته الذى فى التورية موافق لمحمد صلى
الله عليه وسلم وقيل لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فخاصموه بها فاتفقت التورية والقران فنبذوا
التورية والقرآن واخذوا بكتاب السحر الذى كتبه الشياطين ويحتمل ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم كان موافقا لما مضى
من الرسل غير مخالف لهم لان الرسل كلهم امنوا به وصدق بعضهم بعضا وقوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب
الله يحتمل كتاب الله التورية على ما ذكرنا ويحتمل كتاب الله القران العظيم والله اعلم وقوله كانهم لا يعلمون اى يعلمون ولكن
تركوا العمل به والايمان بما معهم كانهم لا يعلمون لما لم ينتفعوا بعلمهم خرج فعلهم فعل من لا يعلم اخبر انهم نبذوا نبذ من لا يعلم
لا انهم لم يعلموا ولكن نبذوه سفها وتعنتا والله اعلم وقوله واتبعوا ما تتلوا الشياطين قيل تتلوا ما كتبت الشياطين من السحر
وقيل تتلوا من التلاوة وقيل ما تتلوا ما يروى الشياطين من السحر وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وهو يرجع الى واحد ولانه
فى موضع الاحتجاج على اليهود لانهم ادعوا ان الذى هم عليه اخذ عن سليمان عليه السلام فان كان كفرا فقد كفر سليمان فاخبر الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان سليمان ما كفر ولكن الشياطين كفروا بما علموا الناس من السحر ويحتمل لكن اتباع الشياطين كفروا
باعتقادهم السحر وعملهم به بتعليم الشياطين فنسبت ذلك الى الشياطين بما بهم كفروا كما نسب عبادة الاصنام الى الشياطين
بما بهم عبدوا والله اعلم وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان اصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الاعظم فكان
يكتب كل شىء بامر سليمان ويدفنه تحت كرسيه فلما مات سليمان اخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطر بين سحرا وكفرا وكذبا
فقالوا هذا الذى كان يعمل به سليمان فاكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبونه حتى انزل الله عز وجل
على محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما تتلوا الشياطين الاية وقال بعضهم ان الشياطين ابتدعت كتابا من السحر والامر العظيم
ثم افشته فى الناس وعلمته اياهم فلما سمع بذلك سليمان تتبع تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه كراهية ان يتعلمها الناس فلما
قبض نبى الله سليمان عليه السلام عمدت الشياطين الى تلك الكتب فاستخرجتها وبراه من ذلك على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى ما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر الاية وقيل ايضا لما مات سليمان عليه السلام وقع فى الناس
اوصاب واوجاع فقال الناس لو كان سليمان عليه الصلوة والسلام حيا عندنا فرج وظهرت الشياطين فقالوا نحن ندلكم
على ما كان عليه السلام فكتبوا كتبا فجعلوها فى البيوت فاستخرجوا الكتب التى كتبتها الشياطين من السحر والتنجيم فقالوا هذا ما كان
يعمل به سليمان فانزل الله عز وجل وما كفر سليمان الاية فلا ندرى كيف كانت القصة غير ان اليهود تركت كتب الانبياء والرسل
واتبعوا كتب الشياطين وما دعوهم اليه من السحر والكفر وبالله التوفيق وفيه دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بما اخبرهم
عن قصتهم على ما كان فدل انه كان عرف ذلك بالله عز وجل وفى ذلك ان نطق سليمان عليه السلام ما براه الله من غير ان يتبين ما فيه
ذكره الله عز وجل او جهين دلالة لرسوله وتكذيبا بخلوه بما هو كفر وقوله على ملك سليمان اى فى ملكه اذا كان ذلك الوقت هو وقت
ظهورهم ثم سخرهم عز وجل لسليمان فما مكن ذلك منهم القاه على السن المعاندين لسليمان فى التركروه عنه بعد الوفات فكذبهم
الله عز وجل وبرا نبيه عليه السلام عن ذلك وبين كيف كان بدؤه فانما بينها للخلق لئلا يتبعوا فى الرواية كل من لقى الشىء اذ قد يكون
من اشالهم اختراع الروايات والزام التامعين الامور المعتادة من الرسل ورد ما لا يجوا فى ذلك من الروايات ولذلك ابطل اصحابنا
خبر الخاص فيما يبتلى به العام وقوله وما انزل على الملكين قيل وما انزل على النبى والجحد معطوف على قوله وما كفر سليمان وقيل
وما انزل على الملكين ببابل وقيل سمى بابل لما تبلبلت به الالسن يعنى اختلفت فلا يعلم ذلك الا بالسمع ثم اختلف فى هاروت وماروت
فقال الحسن لم يكونا ملكين ولكنهما كانا رجلين فاسقين متمردين وذلك ان الله عز وجل وصف ملائكته بالطاعة له والايتما
بامره الاية وكقوله لا يسبقونه بالقول الاية وكذلك يقول الحسن انه لم يكن من الملائكة وقد ذكرنا هذه المسئلة بما تقدم ثم
عارض نفسه بقولهما فلا تكفر فقال انا المخبر بمثله اذا عرف ولوع السامع له وبما يعرض مثله على العلم منه انه يفعل ولا يرتدع عن ذلك
يقال ترغيبا منه والله اعلم ومنهم من يقول كانا ملكين لكنهما علما الاسم الاعظم فيقضيان به الحوائج الى ان حل بهما ما حل وبهذا
يحتج فى بلعم بقوله واتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان الاية ثم اختلف بعد هذا على وجه قال
بعضهم لم يكن ذلك منهما سحر بل هو تعويذ القريب بقدر عليه وقال قائلون ما انزل على الملكين انزل كلاما حسنا صوابا لكنه خلط
بالذى لقنهم الشياطين فصار سحرا وقال اخرون بل كان هو فى نفسه سحر يعلمان الناس ذلك لكنه لا ينهى عن تعليمه ولا يكفر التى يعلم
انما ينهى عن الاعتقاد له فكان له فكان الكفر الذى يعلم لا ينهى عن ذلك لانه ما لم يعلم لم يعلم قبحه وفساده ولكن انما ينهى عن الاعتقاد
فى تعلمه والله اعلم ثم نقول ان قولهما لا تكفر على الاخبار وكلمة التحريم فى اللسان من غير ضيع لهما فيه والله اعلم وقوله وما هم
بضارين من احد الا باذن الله قيل الا بعلم الله بقضائه وقيل بخذلانه وتخليه وقيل بمشية الله وارادته وانما ظاهر الاذن فهو يخرج
على الاباحة فالعقل انه لا يصل الى هاروت وماروت احد من بنى ادم وانما يختلف بينهم شيئا فى كل مسئلة والله اعلم ثم السحر
يكون على وجهين سحر يكفر به صاحبه فان كان ذلك منه بعد الاسلام فيقتل به صاحبه لانه ارتداد منه وسحر لا يكفر به صاحبه
فلا يقتل به الا ان يسعى فى الارض بالفساد من قتل الناس واخذ الاموال فهو كقاطع الطريق يحكم بحكمهم من القتل وسائر العقوبات
واذا تاب قبلت توبته الا ترى ان سحرة فرعون لما راوا الايات امنوا بالله تعالى وتابوا توبة لا يطمع مثل تلك التوبة من المسلم
الذى نشا على الاسلام حيث اوعدهم فرعون بقطع الايد والارجل والصلب وانواع العذاب فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون

على ملك سليمان
وما كفر سليمان
تمت

وقيل
معنى السحر الازالة وصرف الشىء عن وجهه
تقول العرب ما سحرك عن كذا اى ما صرفك
عنه فكان الساحر لما ارى الباطل فى صورة
الحق فقد سحر الشىء عن وجهه اى صرفه
هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته
فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل
ومذهب اهل السنة ان له وجودا
وحقيقة والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد
ان الكواكب هى المؤثرة فى قلب الاعيان
وروى عن الشافعى يخيل ويمرض وقد
يقتل حتى وجب القصاص على من قتل
وقيل ان السحر يؤثر فى قلب الاعيان
فيجعل الانسان على صورة الحمار
والحمار على صورة الكلب وقد
يطير الساحر فى الهواء وهذا القول
ضعيف عند اهل السنة لانهم
قالوا ان الله تعالى هو الخالق
الفاعل لهذه الاشياء عند عمل
الساحر هو الفاعل لها المؤثر
فيها والاصح ان السحر تخييل
الخيل فساد الاعضاء والطبع
فاموس ويؤثر فى الابدان
بالامراض والجنون والموت
ويدل على ذلك ان للكلام
تاثيرا فى الطبايع فقد يسمع
الانسان ما يكره فيحم
وقد مات قوم بكلام
سمعوه فالسحر بمنزلة
العلل فى الابدان
لباب ابن مازن
تمت

وذكر عن ابي حنيفة رضي الله عنه في الساحرة انها لا تقتل مرة وذكر عنه مرة انها تقتل وقال في الساحر بالقولين واما ما روي عنه فيه
بالقتل بعمل السحر فهو على ما ذكرنا من قتله الناس بالسحر فهو كالساعي في الارض بالفساد لا بعين السحر او كفر بسحره بعد الاسلام فيقتل
كالمرتد عن الاسلام وما ذكر عنه انه لا يقتل فهو اذا لم يكن سحره سحر كفر ولا يسعى بالقتل في الارض لم يقتل به ثم قوله في الساعي
في الارض بالفساد انه اذا تاب قبل ان يقدر عليه سقط عنه القتل فكذا الساحر واما الذي هو لاجل الكفر يلزم القتل قبل التوبة
بعد القدرة عليه وعلى هذا يخرج قوله في الساحرة ايضا فيما قال انها لا تقتل لما كان سحرها سحر كفر والنساء لا يقتلن للكفر وفيما قال
يقتلن فلانهن يقتلن للسعي في الارض بالفساد كالرجل والله اعلم وقال بعض الناس لا يقبل توبة الساحر وهو غلط واحق
بقبول توبته الساحر اذ هو ابلغ في تمييز ما هو حجة مما لا حجة وهذا هو الاصل ان الذي نشئ على عهد الانبياء اذا استقبلهم
بمثله الانبياء عليهم السلام فهو احق من يلزمهم الايمان به لعلمهم بالحقيقة والعوام لا يعرفون الا ظاهر ما يلزمهم
من تصديق الحجج والله اعلم وقوله ويتعلمون ما يضرهم في الدنيا ولا ينفعهم في اخرتهم وقوله ولقد علموا يعني اليهود في التورية
لمن اشتراه يعني اختاره في السحر وقيل يتعلمون ما يضرهم في اخرتهم ولا ينفعهم ان علموه ولقد علموا لمن اشتراه يقول لقد علمت
اليهود ان في التورية انه لمن اختار السحر وقوله في الاخرة من خلاق يقول نصيب في الثواب وقيل ما له في الاخرة اي ما له عند الله
وجه وقوله ولبئس ما شروا به انفسهم اي بئس ما باعوا به انفسهم يعني اليهود الذين يعلمون الفرقة والسحر وقيل ما شروا به
يقول ما باعوا به انفسهم ولكنهم لا يعلمون اي لو علموا انهم بما باعوا انفسهم من العذاب الدائم لعلموا انهم بئس ما باعوا به
ولو انهم امنوا بتوحيد الله واتقوا الشرك لمثوبة يقول لو كان ثوابهم يقول لكان ثوابهم عند الله خير من السحر والكفر
لو كانوا يعلمون ولكنهم لا يعلمون علم الانتفاع به وهو كقوله صم بكم عمي ليسوا بصم ولا بكم ولا عمي في الحقيقة ولكنهم صم من
حيث لا ينتفعون بالالة من العلم والبصر والسمع الانتفاع فاذا ذهبت المنافع بها فكان كمن لا علم معه ولا بصر له
ولا سمع حيث لا ينتفع ولا علم به والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا قيل كانت
الانصار في الجاهلية يقولون هذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم الله تعالى ان يقولوها وقيل كانت اليهود تقول للنبي
صلى الله عليه وسلم راعنا من الرعونة من قولك للرجل يا ارعن وللمرأة يا رعنا وكان الحسن يقرأها راعنا بالتنوين وقال الكلبي
كان في كلام اليهود راعنا سبا فيما يسب بعضهم بعضا وكانوا يأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون راعنا و
يضحكون فنهى المؤمنين عن ذلك خلافا لهم وقوله وقولوا انظرنا قيل فهمنا يقول بين لنا وقالوا اي صدقنا وقيل ان الامر
بالانظار يقع موقع التشفع في النظر لوجهين بالصحبة مرة وبالخطاب ثانيا فقولهم انظرنا كلام يبلغ فهامنا القدر الذي يعني ما عنانا
والثاني على قصور عقولهم عن ما يستحقه من الصحبة والايجاب له صلى الله عليه وسلم فالامر براعنا فهو استعمال في الظاهر بالمراعات وذلك
يخرج على التكبر عليه وترك التواضع والخضوع وقوله واسمعوا اي اجيبوا وقيل اطيعوا الله وقيل واسمعوا اي اسمعوا وعوا وقوله
ما يود اي ما يريد وما يتمنى الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى ولا المشركين ما يود هؤلاء ان ينزل عليكم من خير
من ربكم يحتمل وجهين احدهما انهم كانوا يهودا ويحبون ان يبعث الرسول من ولد اسرائيل وهم كانوا من نسله فلما بعث
من ولد اسمعيل عليه الصلوة والسلام على خلاف ما احبوا وهووا لم يطب انفسهم بذلك بل كرهت وانت اشد الاباء والكراهية والثاني
لم يحبوا ذلك لما كانت تذهب منافعهم التي كانت لهم والرياسة بخروجه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله من خير قيل الخير
النبوة وقيل الخير الاسلام وقيل الخير الرسول ههنا والله اعلم وقوله والله يختص برحمته من يشاء الاية ينقض على المعتزلة قولهم
لانهم يقولون ان على الله تعالى ان يعطي لكل الاصلح في الدين في كل وقت وكل زمان فلو كان عليه ذلك لم يكن للاختصاص معنى ولا وجه
والثاني قال والله ذو الفضل العظيم والمفضل عند الخلق هو الذي يعطي ويبذل ما ليس عليه لا ما عليه لان من عليه شيء فاعطى
او قضى ما عليه من الدين لا يوصف بالافضال فدل انه استوجب ذلك الاختصاص وذلك الفضل لما لم يكن عليه ذلك ولو كان عليه
لكان يقول ذو العدل لا ذو الفضل وبالله التوفيق وقوله ما ننسخ من اية او ننسها قال بعض اهل الكلام ما ننسخ من اللوح المحفوظ
او ننسها ما ندعها في اللوح وقيل ما ننسخ من اية اخرى ونتركها في الاخرى وقيل ما ننسخ من اية فنرفع حكمها والعمل بها او ننساها
نترك قراءتها وتلاوتها فيجوز رفع عينها ويجوز رفع حكمها وابقاء عينها لا وجه احدها ظهور المنسوخ فبطل قول من انكر النسخ
اذ وجدوا من انكر ذلك فانما انكر بجهل بالمنسوخ لان النسخ بيان الحكم الى وقت ليس على البدا على ما قالت اليهود والثاني
ان للتلاوة فيها فضلا كالعمل فيجوز رفع فضل العمل وبقاء فضل التلاوة والثالث على جعل الاول في حالة الاضطرار والثاني
وقت السعة كقوله حرمت عليكم الميتة ثم يجوز ان يرفع عينها فيلتبس ذكرها كما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال كنا نعدل
سورة البقرة حتى يرفع ايات منها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة واما قوله نات بخير منها فاختلف فيه
قيل نات بخير منها اي اخف واهون على الابدان كقوله وعلى الذين يطيقونه ان الامر بالصوم كان لوقت دون وقت اذ رجع
الحكم عند الطاقة الى غير وكذا ما كان من الحكم في تحريم الاكل عند النوم والجماع وكذا تحريم الميتة لم يرد فيها الاباحة والحل عند
الضرورة لكنا نعرفه بالحرقة وذلك اخف واهون والله اعلم وقيل نات بخير منها في الثواب في العاقبة وقيل نات بخير منها
وهو ان يظهر لكم الخير وهو كالصلوة الى بيت المقدس كان لهم مثل ما لليهود في حق الايتمار ما كان ظهر لهم الاخير في وقت
ظهور الامر ابهم الخير وظهر عنده فيمن ابى اذ اتباعه لم يكن لاجل حق المتابعة بل لما كان عنده الحجة فاما من جعله خيرا
على البدن فاستدل بها الاخر رخصة واباحة والاباحة ورودها للتخفيف ومن استدل على ان النسخ ابدا يرد على ما هو اغلظ
لعوارض بقوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت فابدل بعقوبة اشد من الاول وهو الرجم بقوله خذوا عني خذوا عني
ويحتمل قوله فات بخير منها يعني اقوى منها في الزام الحجة او مثلها ولا شك ان ما يعترض هو اقوى حالة الاعتراض في لزوم

والتسحر على قسمين احدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه وذلك هو المؤثر ويعتقد ان الكواكب هي المؤثرة [illegible] فاذا تسحر به [illegible] قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الساحر ضربه بالسيف [illegible]

الحجة عليها غابت عن الابصار فيكون قوله نات بخير منها او مثلها [illegible] اذا نات بحجة هي اقوى واكثر من الاولى او مثلها في القوة
فان قيل ما الحكمة في النسخ وما وجه [illegible] قيل بحكمة يمتحن بها الخلق ولله ان يمتحن خلقه بما شاء في اي وقت شاء ويامر بامر في وقت
ثم ينهى عن ذلك في وقت اخر [illegible] وليس في ذلك خروج عن الحكمة [illegible]
حكيما بحكم بالحق والعدل فنعوذ بالله من التشرف في القول وقوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير يحتمل ان يكون الخطاب
له صلى الله عليه وسلم والمراد بالخطاب الذين سبق ذكرهم في قوله ما يود الذين كفروا [illegible]
يشاء واختصاص بعض [illegible] وتفضيل بعضهم على بعض ويحتمل ان يكون المراد في الخطاب له عليه الصلوة والسلام
على حقيقة العلم بما لم يتذكروا [illegible] فاعلم انه لا اله الا الله على حقيقة العلم
ويحتمل على الاعلام والاخبار [illegible] وقد ذكرنا وعلى ذلك يخرج قوله الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض اي من
كان يملك ملك السموات وملك الارض بملك تخصيص بعض على بعض وتفضيله فيها ويحكم فيها ما يشاء ويحدث الامر بما
اراد والله اعلم [illegible]
ومعنى [illegible] السموات والارض [illegible] وقوله وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير [illegible] ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما
سئل موسى من قبل [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما سئل [illegible]
لولا انزل علينا [illegible] وقوله ومن يتبدل
الكفر بالايمان [illegible]
الله عنه ومن يشتري الكفر بايمانه وذلك كله واحد وقوله فقد ضل سواء السبيل قيل عدل عن قصد الطريق وقيل اخطا قصد
طريق الهدى وكله واحد وقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا انهم كانوا يجهدون كل جهدهم
حتى يصرفوا ويردوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن دين الله الاسلام الى ما هم عليه كقوله تعالى ودت طائفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وكقوله ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وقوله
يردوكم على اعقابكم الاية وذلك والله اعلم لخوف فوت رياستهم التي كانت لهم وذهاب منافع التي ينالون من الاتباع
والسفلة فودوا ردهم وصرفهم الى دينهم ثم احتجت المعتزلة علينا بظاهر قوله تعالى حسدا من عند انفسهم فقالوا دلت
الاية على ان الحسد ليس من عند الله بما نفاه عز وجل عنه واضافه الى انفسهم بقوله حسدا من عند انفسهم قيل صدقتم في زعمكم
بان الحسد ليس من عند الله وكذلك نقول ولا نجيز اضافة الحسد اليه بحال ولكن نقول لخلق فعل الحسد من الخلق وكذلك
يقال في الانجاس والاقذار والحيات والعقارب ونحوها انه لا يجوز ان يضاف الى الله تعالى فيقال يا خالق الانجاس والحيات
والعقارب وان كان ذلك كله خلقه وهو خالق كل فعلى ذلك نقول لخلق فعل الحسد وفعل الكفر من العبد ولا يجوز ان
يضاف الى الله تعالى ثم يقولون في الطاعات والخيرات كلها انها من عند الله غير مخلوقة فلئن كانت العلة في الذي لا يكون
مخلوقا انه ليس هو من عنده يخلقه ما هو من عنده ثم لم يقولوا به فبان ان ما يقولون فاسد باطل ليس بشيء ثم بجهة
الحسد ما ذكرنا انهم احبوا ان تكون الرسالة فيهم وان يكون من عنده سعة كقوله لولا انزل عليه كنز وكقوله لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فلهذين الوجهين يخرج حسدهم وقوله من عند انفسهم اي من قبلها لا ان الله تعالى
امرهم وليس يضاف الى الله تعالى بانه من عنده بما يخلق ولكن بما امر وبلزوم الا ترى ان الانجاس كلها والخبائث والشياطين
كلهم مخلوقة وان لم يجز نسبتها الى الله تعالى بمعنى انه من عنده كذلك ما ذكر من الحسد على انه معلوم انهم لم يكونوا يدعون
من عند الله خلقا فبذلك الوجه ينكر عليهم بل كانوا يدعون الامر في كل ما نسبوا الى الله تعالى فعلى ذلك ورد العتاب والله
اعلم وقوله من بعد ما تبين لهم الحق اي بين لهم في التورية ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي دينه الاسلام كقوله يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم فاعفوا واصفحوا يحتمل النهي عن مكافاة ما يؤذونه في الدنيا ثم جاء بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية
وقيل حتى ياتي الله بامره اي بعذابه والله اعلم وقوله ان الله على كل شيء قدير من التعذيب والانتقام وبكل شيء ولم ينسخ
هذا وقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة كرر الله عز وجل الامر باقامة الصلوة وايتاء الزكوة في القرآن تكرارا كثيرا حتى
كانت لا تخلو سورة الا وذكرها فيها في غير موضع وذلك لعظم شانهما وامرهما وعلو منزلتهما عند الله وفضل قدرهما و
على ذلك جعلهما شريعة في الرسل صلوات الله عليهم وسلامه الا ترى الى قول ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام رب
اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وقوله لموسى وهرون ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا الى قوله واقيموا الصلوة وقول عيسى واوصاني
بالصلوة والزكوة ما دمت حيا وقوله وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وذلك والله اعلم ان الصلوة قربة
فيما بين العبد وبين ربه يجمع جميع افعال الخير وفيها غاية منتهى الخضوع والطاعة من القيام بين يديه والمناجاة فيه والركوع
له والسجود على الارض بتعفير الوجه فيها حتى لو ان احدا ممن خلص دينه لله لو اعطي ما في الدنيا ان يعفر وجهه بالارض لاحد
من الخلق ما فعل وبالله التوفيق والزكوة فيما بين العبد وبين الخلق لتالف القلوب واجتماعها وفيها اظهار الشفقة لهم
والرحمة لذلك عظم الله شانهما وشرف امرهما واعلى منزلتهما وعلى ذلك قرنهما بالايمان في المواضع كلها واثبت بين الخلق الاخوة الاخوة
بهما بقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ثم هما تكرمان بالعقل لان الصلوة تجمع جميع انواع خيرات
الافعال وفيها غاية الخضوع له والخشوع على ما ذكرنا وذلك مما يوجبه العقل وان لم يرد فيه السمع وكذلك الزكوة فيها

تزكية الانفس وتطهيرها وذلك مما في العقل واجب فان قيل ما الحكمة وجوبهما قيل اظهار ما انعم الله على العبد من الاموال والسعة فيها وما اعطاهم من سلامة الجوارح عن جميع الافات يخرج مخرج الامر باداء شكر ما انعم عليهم عز وجل فان قيل في وجوبهما فيما اعطى منهما يعني من النفس والمال دون غيره قيل لان الوجوب من غيره يخرج مخرج المعاوضة والمبادلة لا مخرج اداء الشكر والله اعلم ثم الحكمة في ايجاب الصلوة وغيرهما من العبادات لله تعالى اذ عمهم بنعمه فيما فضلهم بالجوهر وسخر لهم جميع ما في الارض وبسط عليهم النعم حتى صار كل منهم لا يبصر نفسه من غير استحقاق منهم شيئا من ذلك لزمهم الشكر عليها ثم كانت الصلوة تجمع استعمال جميع الجوارح فيما لله فيها القيام شكرا لله مما فيها توفر احوال نفسه بالاختيار وتنامى عليه بالاضطراب والخلقة والقلب بالنية والخوف والرجاء واحضار الذهن والعقل بالتعظيم والتبجيل ليكون كل شيء منه في شكره لما له فيه من سبوغ النعمة والله اعلم وكذلك بالاموال فضلوا في هذه الدنيا واستمتعوا بلذيذ العيش فامروا بالاخراج لله شكرا اذ سخرت هذه الارض بما فيها بجميع البشر لزم من ذلك صلة من لم يملك ليستووا في الاستمتاع بالتسخير لهم من الوجه الذي علم الله لهم في ذلك صلاح الدارين ولا قوة الا بالله وقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله الاية تخرج على خلاف قول المعتزلة لانهم يقولون ان من ارتكب كبيرة ثم اقام الصلوة وادى الزكوة وجاهد في سبيل الله وحج بيت الله الحرام وقدم خيرات كثيرة فانه لا يجد ما قدم شيئا ولكن يجد ما قدم من شر وذلك ليس من فعل الكريم والجواد ولا كذلك وصف الله نفسه بل وصف نفسه على خلاف ما وصفوه فقال اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وهم يقولون لا يتقبل عنهم ما قدموا من الخيرات ولا يتجاوز من سيئاتهم وذلك سرف في القول فنعوذ بالله من السرف في القول والحكم على الله وبالله التوفيق وقوله ان الله بما تعملون بصير بما قدمتم من الخير والشر تنبيه منه عز وجل ليكونوا على حذر من الشر وترغيب منه لهم بالخيرات والله اعلم وقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى يحتمل هذا وجهين يحتمل ان قالوا ذلك جميعا لما ارادوا ان يروا الناس الموافقة فيما بينهم ليرغبوا في دينهم وينفروا عن دين الاسلام وان كانوا هم في الباطن على الخلاف والعداوة ويحتمل ان يكون ذلك القول من كل الفريقين جميعا على الموافقة دليله قوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء دلت الاية ان ذلك القول لم يكن من الفريقين جميعا على الموافقة ولكن كان من كل في نفسه على موافقة منهم ولا مساعدة والله اعلم ثم في الاية دليل لزوم الدليل على النافي لانهم نفوا دخول غيرهم الجنة بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فطولبوا بالبرهان بقوله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين انه لا يدخل فيها سواكم فان قيل انهم اذ نفوا دخول غيرهم فيها ادعوا لانفسهم الدخول فانما طولبوا بالبرهان على ما ادعوا البتة على ما نفوا لا يحتمل قيل ذا لانهم لم يذكروا دخول انفسهم تصريحا انما نفوا دخول غيرهم وهو كمن يقول لا يدخل هذه الدار الا فلان ليس فيه ان فلانا يدخلان ولكنه فيه نفي دخول غيرهما وتقول نفوا دخول غيرهم تصريحا وادعوا لانفسهم الدخول ... لذا انما طلب الحجة على صريح قولهم لا على ... الا ترى ان الجواب من الله عز وجل بالاكذاب والرد عليهم خرج ما نفوا دخول غيرهم وهو قوله بلى يدخل الجنة من اسلم وجهه لله وهو محسن الا ترى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نكاح الا بشهود ليس فيه اثبات النكاح اذا كان ثم شهود ولكن فيه نفي النكاح بغير شهود تصريحا الا ترى ان من قال لا نكاح الا بشهود لا يقال انه لم قلت ان النكاح يجوز بالشهود ولكن يقال انه لم قلت انه لا يجوز بغير شهود فعلى ذلك قوله لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ليس فيه اثبات الدخول لهم تصريحا وفيه نفي دخول غيرهم تصريحا والله اعلم وقوله بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن قد قلنا انه خرج مخرج الرد عليهم والانكار بحكمهم على الله فقال بلى يدخلها من اسلم وجهه لله وهو محسن ثم اختلفا في قوله اسلم وجهه لله قيل اخلص لله دينه وعمله وقيل اسلم نفسه لله وقد يجوز ان يذكر الوجه على ارادة الذات كقوله كل شيء هالك الا وجهه يعني الا هو وقيل اسلم اي وجه امره الى دينه فاخلص وبعضه قريب من بعض نفسه لله اي بالعبودية كقوله ورجلا سالما لرجل وذلك معنى الاسلام ان تخلص نفسك لله لا تجعل لاحد شركا من عبودية ولا من عبادة وقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب فان قيل كيف عابهم بهذا القول وقد امر نبيه عليه السلام في اية اخرى ان يقول لهم ذلك قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة قيل امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم انهم ليسوا على شيء اذا لم يقيموا التوراة فاما اذا اقاموا التوراة وفيها امر لهم بالاسلام واتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهم على شيء ومعنى هذا الكلام والله اعلم ان قال لهم كيف قلتم ذلك وعندكم الكتاب ما يتبين لكم ويميز الحق من الباطل ويرفع من بينكم الاختلاف لو تأملتم وتدبرتم ويحتمل ان كل فريق منهم لما قال الفريق الاخر ذلك انهم ليسوا على شيء اكذبهم الله تعالى ورد عليهم بلى من اسلم منهم فهم على شيء لانه كان اسلم من اوائلهم ويحتمل انهم ليسوا على شيء على نفس دعاويهم وقولهم في الله بما لا يليق وهم على شيء في تكذيب بعضهم بعضا بما قالوا وقيل لما قالت اليهود ليست النصارى على شيء من الدين قالت يا محمد اتبع ديننا فانهم ليسوا على شيء وكذلك قول الفريق الاخر ولذلك ثم اختلف في الاسلام قيل الاسلام هو الاخلاص بالافعال وهو ان يسلم نفسه لله او يسلم دينه لا يشرك فيه وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قيل لا يعلمون الذين لا كتاب لهم وهم مشركوا العرب وقيل الذين لا يعلمون هم الذين لا يقدرون على تلاوة القران والكتاب وتمييز ما فيه وهم جهالهم سوى عز وجل بينهم في القول من علم منهم ومن لم يعلم لان من علم منهم لم ينتفع بعلمه فكان كالذي لم يعلم شيئا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في قوله صم بكم عمي انه سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بالايات والاسباب التي اعطاهم الله عز وجل والله اعلم وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة بالعذاب لاختلافهم فيما بينهم وبقولهم في الله بما لا يليق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله ومن اظلم يقول لا احد اظلم لنفسه ولا اوضع لها ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه اختلف فيه قيل مساجد الله

تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

في البرهان الدليل على النافي

فيما كانوا فيه يختلفون

الارض كلها لان الارض مساجد الله كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ومنع اهل الكفر اهل الاسلام ان يذكروا فيها اسم الله بتطهيرها فيها ... وقوله وسعى في خرابها هو كقوله ويسعون في الارض فسادا ويخرج قوله ما كان لهم ان يدخلوها ما كان ينبغي لهم بما عليهم من حق الله وتعظيمه ان يدخلوا المساجد الا خائفين وجلين لما كان ... اتخذت لعبادة الله ونسبت اليه تعظيما لها فدخلوا لتخريبها ... اهلها من صلاة الله فيها وقيل مساجد الله مسجد الحرام ودليله انهم منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيها ... ذلك ثم فتح الله عز وجل مكة لهم فصار لا يدخل مشرك فيها الا خائفا كقوله عز وجل انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل اراد بالمساجد الله بيت المقدس قيل ان النصارى استعانوا ببخت نصر وهو مجوسي حتى خربوا المساجد وقتلوا من فيها من اهل الاسلام بعد ذلك بزمان مساجد وكان لا يدخل نصراني فيها الا خائفا مستخفيا والله اعلم وقوله لهم في الدنيا خزي قيل الخزي الجزية ويحتمل القتال وهم في الاخرة عذاب عظيم وقوله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله قيل ان وهطا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا سفرا وذلك قبل ان يصرف القبلة الى الكعبة فحضر وقت الصلوة فاشتبه عليهم فتحروا فمنهم من صلى الى المشرق ومنهم من صلى الى المغرب صلوا الى جهات مختلفة فلما بان لهم ذلك قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا عن ذلك فنزلت الاية فاينما تولوا فثم وجه الله وهذا يرد على الشافعي قوله لانه يقول ان صلى الى جهة القبلة يجوز والا فلا وليس في الاية ذكر جهة دون جهة بل فيها ذكر المشرق والمغرب وكذلك في الخبر ذكر المشرق والمغرب فخرج قوله على ظاهر الاية وهذا عندنا في الاشتباه والتحري واما عند القصد فهو قوله فولوا وجوهكم شطره وروي عن ابن عمر رضي الله عنه ان قوله ولله المشرق والمغرب الاية نزلت في النوافل في الاسفار ولكن عندنا على ما ذكرنا في الكل والله اعلم وقوله فثم وجه الله اختلف فيه قيل ثم وجه الله يعني ثم ما قصدتم وجه الله وقيل ثم قبلة الله وقيل ثم وجه الله ثم الله على ما ذكرنا من جواز التكلم بالوجه على ارادة الذات اي ليس هو عنهم بغايب وقيل ثم رضاء الله وقيل ما ابتغيتم به وجه الله وقيل فيه ثم وجه الذي وجهكم اليه اذا لم يجيء منكم التقصير كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكل الناسي انما اطعمك الله وسقاك وقيل فيه ثم يلزمكم ما قصدتم بفعل الصلوة من وجه الله ورضاه اي ظفرتم به ثم الفرض في القبلة ليس اصابة عينها ولكن اغلب الظن واكبر الرأي لانه ليس لنا الى اصابة عينها سبيل اذ سبيل معرفتها بالاجتهاد لا باليقين والاحاطة ليس كالمياه والثياب وغيرها من الاشياء لان هذه الاشياء في الاصل طاهرة والنجاسة عارضة فيظفر باعينها على ما هي في الاصل واما امر القبلة فانما بني على الاجتهاد والقصد دون اصابة عينها والله اعلم وقوله ان الله واسع عليم قيل الواسع الغني وقيل الواسع الجواد حيث جاد عليهم بقبول ما ابتغوا به وجه الله وحيث وسع عليهم امر القبلة عليم بما قصدوا ونووا وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه فيه تنزيه نزه به نفسه عما قالوا فيه بما لا يليق ورد عليهم ومعناه والله اعلم ان اتخاذ الولد والتبني في الشاهد انما يكون لاحد وجوه ثلاثة يحوجه الى ذلك اما الشهوات تغلبه فيقضيها به واما الوحشة تأخذه فيحتاج الى من يستأنس به او لدفع عدو يقهره فيحتاج الى من يستنصر به ويستغيث فاذا كان عز وجل يتعالى عن ان يمسه حاجة او يأخذه وحشة او يقهره عدو فلاي شيء يتخذ ولدا وقوله بل له ما في السموات وما في الارض وما فيها لا يمسه حاجة ولا يقهره عدو اذ كل ذلك ملك له يجري فيهم تقديره ويمضي عليهم امره وتدبيره وانما يرغب الى مثله اذا اعترض له شيء مما ذكرنا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فان عورض بالخلة قيل ان الخلة تقع على غير جوهر من منه الخلة والولد لا يكون الا من جوهره والى هذا يذهب الحسين والثاني ان الخلة تقع لافعال تكتسب وتستوجب فيعلو امره وترتفع مرتبته فيستوجب بذلك الخلة بمعنى الجزاء واما الولد فانه لا يقع عن افعال تكتسب بل بدو ما به استحقاقه يكون من مولده وقد نفى عن نفسه ما به يكون بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة والثالث ما قاله الروندي انه لا بد من ان يدعى الى التسمي والى التحقيق اذ في الخلة تحقيق به تسمي ثم لم يحتمل قوله بل له ما في السموات والارض وجها اخر وهو ان يقال ان ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه فانتم مع شدة حاجتكم الى الاولاد لا تستحسنون ان تتخذوا عبيدكم واماءكم اولادا فكيف تستحسنون ذلك لله عز وجل وتنسبون اليه مع غنائه عنه وبالله التوفيق وقوله كل له قانتون قيل فيه بوجوه وقيل ان كل من في السموات والارض من الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم من الذين قلتم انه اتخذهم ولدا قانتون له مقرون له بالربوبية له والعبودية لانفسهم له وقيل القانت هو القائم يكون على وجهين يكون القائم المنتصب على الاقدام ويكون القائم بالامر والحفظ ثم لا يحتمل ان يراد بالقانت ههنا المنتصب بالقدم فرجع الى الطاعة له وحفظ ما عليه وهو كقوله وهو القائم على كل نفس بما كسبت من الحفظ والرزق ويحتمل تنزيه لا نه خلقه كل احد نزه ربه عن جميع ما يقولون فيه او ان يقال كل له قانتون في الجملة كقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله بديع السموات والارض ابتدعهما ولم يكونا شيئا والبديع والمبدع واحد وهو الذي لم يسبقه احد في انشاء مثله وكذلك سمي صاحب الهوى مبتدعا لما لم يسبقه في مثل فعله احد ثم فيه الحجة على هؤلاء الذين قالوا اتخذ الله ولدا يقول ان من قدر على خلق السموات والارض من غير شيء ولا سبب كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب والثاني ان يقال ان من له القدرة على خلق ما يعجب ويعظم في اعينكم بالقول الاخر فعندكم كيف لا يقدر على خلق عيسى من غير اب وقوله واذا قضى امرا قيل واذا حكم حكما فانما يقول له كن فيكون وقيل واذا قضى امر يعني قضى باهلاك قوم واستيصالهم فانما يقول له كن فيكون ثم قوله كن فيكون ليس هو قول من الله ان كن بالكاف والنون ولكنه عبارة باوجز كلام يؤدي المعنى التام اذ ليس في لغة العرب كلام التحقيق عبارة يؤدي المعنى المفهوم اوجز من هذا وما سوى فهو من الصلات والادوات لا يفهم معناها والله اعلم ثم الاية ترد على من يقول بان خلق الشيء هو ذلك الشيء نفسه لانه قال اذا قضى امرا ذكر قضى وذكر امرا وذكر كن فيكون ولو كان التكوين والمكون واحدا لم يحتج الى ذكر كن في موضع العبارة على التكوين لكن تكوينه فيكون المكون

قيل انه غير ثم لا يخلو التكوين اما ان لم يكن لحدث او كان في الازل فان لم يكن لحدث فاما ان حدث بنفسه ولو جاز ذلك في شيء لجاز في كل شيء او باحداث آخر فيكون احداث باحداث الى ما لا نهاية له وذلك فاسد ثبت ان الاحداث والتكوين ليس بحادث وان الله تعالى موصوف في الازل انه محدث مكون ليكون كل شيء في الوقت الذي اراد كونه فيه وبالله التوفيق وقوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تأتينا آية قيل فيه بوجوه قيل الذين لا يعلمون يعلمون في الحقيقة ولكن سماهم بذلك لما لم ينتفعوا بعلمهم وقيل لا يعلمون توحيد ربهم وهم مشركوا العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هلا يكلمنا الله او تأتينا آية فيخبر بانك رسوله وقيل الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله اي لا يعلمون انهم لم يبلغوا المبلغ الذي يتمنون تكليم الله اياهم وقيل لا يعلمون انهم قد كلمهم واخبرهم بالوحي وأرى رسوله صلى الله عليه وسلم آيات على رسالته لكنهم يعاندون وقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم قيل الذين من قبلهم بنو اسرائيل قالوا لموسى مثل ما قال مشركوا العرب لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وقيل اليهود سالوا مثل سؤال النصارى وقيل النصارى سالوا مثل سؤال اليهود والله اعلم وقوله تشابهت قلوبهم قيل تشابهت قلوبهم بالكفر والشقوة وقيل تشابهت قلوبهم في المقالة يشبه بعضها بعضا في السؤال لانهم سالوا سؤال تعنت لا سؤال استرشاد وقوله كذلك قال الذين من قبلهم يحتمل وجهين احدهما هذا القول والثاني ان سالوا سؤال مسترشد اذ الله تعالى قد اثبت آيات الارشاد لمن يبتغي الرشد ولا قوة الا بالله وقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون قيل بينا امر محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات والحجج التي اقامها انه رسول لمن آمن به وصدقه ولم يعاند وقوله انا ارسلناك بالحق قيل انا ارسلناك يا محمد لتدعوهم الى الحق وهو التوحيد وقيل بالحق قيل انا ارسلناك يا محمد لتدعوهم الى الحق وهو التوحيد وقيل بالحق بالحجج والآيات بشيرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا لمن عصاه وخالف امره بالنار وقيل بالحق الذي لله على الخلق وللحق الذي لبعض على بعض لتدعوهم اليه وتدلهم عليه وقوله ولا تسال عن اصحاب الجحيم وجائز ان يكون يعني لا تسال بعد هذا عنهم ولم تذكر انه سال عنهم بعده فيكون ذلك آية له بما هو خبر عن علم الغيب قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي فانزل الله تعالى هذه الآية وفيها لغتان لا تسال بنصب التاء وهو ما ذكرنا ويحتمل وجها آخر اي لا تشتغل باصحاب الجحيم فان ذلك مكلف منك ومشغل وفيها لغة اخرى برفع التاء لا تسال عن اصحاب الجحيم اي لا تسال انت يا محمد عن ذنوب اصحاب الجحيم وهو كقوله عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ونحوه وقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اختلف في الملة قيل الملة السنة كقوله بسم الله وعلى ملة رسول الله وكقوله واتبع ملة ابراهيم حنيفا وقيل الملة الدين كقوله عليه السلام لا يتوارث اهل ملتين وقيل الملة ها هنا القبلة وهو كقوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم آيس عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن اتباع اولئك دينه وقبلته لانهم يختارون الدين والقبلة بهوى انفسهم لا بطلب الحق وظهوره ولزوم الحجة وذلك ان النصارى انما اختاروا قبلتهم المشرق لان مكان الحبل الذي كان فيه عيسى في ناحية المشرق بقوله اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا واليهود اختاروا قبلتهم ناحية المغرب لان موسى عليه السلام كان بناحية المغرب لما اعطي الرسالة وكلمه ربه كقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر واما اهل الاسلام فانما اختاروا الكعبة بتعريفها الله قبلة بالامر لا اتباعا لهواهم والعقل يوجب ان يكون الكعبة قبلة اذ هي مقصد الخلق من آفاق الدنيا فلما اجتمع في الصلوة الى التوجه كان احق ذلك الموضع الذي جعل للخلق مقصدا آخر ثم قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اخبر عز وجل رسوله انه ليس في وسعك ارضاء هؤلاء لاختلافهم في الدعاوى في الملل فان قيل كيف نهى رسوله عن اتباع ملتهم على علم منه ان لا يتبع قيل لان العصمة لا تزيل المحنة ولا تدفعها انما تقع في العصمة لوجهين احدهما ان عصمته لما مضى لا توجب عصمته في الحادث والثاني ان احق من ينهى عن الاشياء من اكرم بالعصمة اذ على زوال النهي يرتفع عنه جهة العصمة لانه يصير برفع النهي مباحا فلهذا دل القول على نهي ما فيه ارضاؤهم وان كانت في الاصل معصوما عنه وبالله التوفيق وفي ازالة الامر والنهي ازالة فائدة العصمة هو ان يعصم في الامر حتى يؤديه وفي النهي حتى ينتهي عنه وبالله التوفيق وقوله قل ان هدى الله هو الهدى قيل ان دين الله الذي اختاره اهل الاسلام بالامر واتباع الآيات والحجج هو الدين لا كما اختاره اولئك بهوى انفسهم واستقبال الآيات والحجج بالرد والانكار والمعاندة ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم والبيان اصحابه ومن دخل في دينه وصدقه لا هو وذلك كثير في القرآن يخاطب هو والمراد غيره وقوله مالك من الله من ولي ولا نصير ظاهره من ولي الدفاع عنك ولا نصير يمنعك من العذاب ويحتمل ينصرك فتغلب به سلطان الله فيما يريد تعذيبك وقوله الذين آتيناهم الكتاب قيل الكتاب اراد به التورية والانجيل وقيل اراد به التورية او الانجيل اراد به القرآن ومن حمله على التورية والانجيل قال فيه اضمار وكانه قال الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به اي اذا تلوا حق التلاوة فحينئذ يؤمنون به وقيل يتلونه حق تلاوته يعني يعملون به حق عمله ولا يكتمون نعته صلى الله عليه وسلم ولا يحرفونه اولئك يؤمنون به وهم الذين اسلموا منهم وقيل يتبعونه حق اتباعه وهو اتباعه واحد ومن حمله على القرآن فالذين يتلونه حق تلاوته اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات قيل الابتلاء والامتحان في الشاهد استفادة علم خفي عليه من الممتحن والمبتلي به ليقع عنه علم ما كان ملتبسا عليه وفي الله لا يحتمل ذلك اذ الله عز وجل في الازل بما كان وبما يكون في اوقاته ابدا ثم يرجع الابتلاء منه الى وجوه احدها ان يخرج مخرج الامر بالشيء والنهي عنه لكن الذي ذكر يظهر بالامر والنهي فسمي ابتلاء من الله والثاني ليوجد ما قد علم الغيب والشهادة علم الله انه يوجد موجودا وليكون ما قد علم انه سيكون كائنا وعلى هذا يخرج قوله حتى نعلم المجاهدين منكم حتى نعلمه موجودا كما علم انه يوجد كما قال عالم الغيب والشهادة علم الغيب علم انه سيوجد وعلم الشهادة علم به موجودا حتى يوجد الذي علم انه يجاهد منهم مجاهدا ويصبر منهم صابرا ثم اختلف في الكلمات التي ابتلاه بها فقال بعضهم الكلمات هي التي ذكرت في سورة الانعام وقوله

قوله سبحانه وتعالى ولا تسال عن اصحاب الجحيم فيه لغتان بنصب التاء وضمها اما النصب فقد قيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سال عن ابويه ذات يوم فقال ليت شعري ما فعل ابواي فاوحى الله تعالى ولا تسال عن اصحاب الجحيم بمعنى النهي عن اصحاب الجحيم واما الضم فيحتمل وجهين احدهما اي لا تسال انت يا محمد عن ذنوب اصحاب الجحيم وهو كقوله تعالى ولا يسالون عما كانوا يعملون وكقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ونحوه والثاني اي لا تسال بعد هذا عن اصحاب الجحيم ولم يذكر انه سئل عنهم بعده فان كان على هذا الوجه فهو الرد لانه على الثبات رسالته عليه السلام فانه اخبر عن الغيب فلا يعرف الا بطريق الوحي والله اعلم

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ورأى القمر بازغا ورأى الشمس بازغة هي الحجج التي اقامها على قومه بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وقيل ابتلاه بعشر ففعلهن خمسة في الرأس وخمسة في الجسد لكن في هذا ليس كبير حكمة اذ يفعل هذا كل واحد ولكن الحكمة فيه هي ما قيل ان ابتلاه بالنار حيث القي فيها فصبر حتى قال له جبريل تستعين بي فقال له اما منك فلا وابتلى باسكان ذريته الوادي الذي لا ماء فيه ولا زرع ولا غرس وابتلي بالهجرة من عندهم وتركهم هنالك وهم صغار ولا ماء معهم ولا زرع ولا غرس وابتلي بالهجرة الى الشام وابتلي بذبح ولده ابتلي باشياء لم يبتل احد من الانبياء بمثله فصبر على ذلك ففي مثل هذا يكون وجه الحكمة وفيه لغة اخرى واذ ابتلى ابراهيم بالرفع ربه بنصب الباء ومعناه والله اعلم انه سال ربه كلمات فاعطاهن وهو تأويل وهو ان قال اجعلني للناس اماما قال نعم واجعل هذا المكان آمنا قال نعم واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك قال نعم قال وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم قال نعم واجعل هذا البلد آمنا قال نعم قال وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال نعم مثل هذا سال ربه هذا فاعطاهن اياه وقوله اني جاعلك للناس اماما يحتمل جعله رسولا يقتدى به لان اهل الاديان مع اختلافهم يدينون به ويقرون بنبوته ويحتمل اماما من الامامة والخلافة وقوله ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فان قيل كيف كان قوله لا ينال عهدي الظالمين جوابا لقوله ومن ذريتي وكانت الرسالة في ذريته ابدا حتى لا يكون بين الرسل فترات فاخبر ان في ذريته من هو ظالم فلا ينال الظالم عهده ويحتمل ان يكون سواله جعل الرسالة في اولاد اسمعيل لان العرب من اولاد اسمعيل عليه السلام فاخبر ان في اولاده ظالم فلا يناله والعهد ما ذكرنا هو الرسالة والوحي وقال الحسن لا ينال الظالم في الآخرة العهد ويحتمل ان يكون المراد من ذلك وذريتي فاخبر ان فيهم من لا يصلح لذلك ويحتمل ان يريد به الامامة لا النبوة وقد كانت في نسل كل الفرق النبوة كانت فيهم منهم ويحتمل ان يكون قصد خصوصا من ذريته ممن علم الله ان فيهم من لا يصلح لذلك ولا يحتمل ان يريد به الامامة لا النبوة وقد ذكرنا وقال الا انسان قيل له انه من ذريتك لكن لا ينال من ذكر ولهذا خص بالدعاء من آمن منهم دون من كفر وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا قيل المثابة الجمع وقيل المثابة المرجع يثوبون يرجعون وقيل يحجون وقوله مثابة للناس وامنا هو فعل العباد لانهم يأمنون ويثوبون اخبر انه جعل ذلك ففيه دلالة خلق افعال العباد ثم بين فيه عز وجل شدة اشتياق الناس اليه وتمنيهم الحضور بها مع احتمال الشدائد والمشقة وتحمل المؤن مع بعد المسافة والمخطرات فدل ان الله تعالى بلطفه وكرمه حبب ذلك الى قلوب الخلق وانه جعل من آيات الربوبية وتدبير سماوي لا من تدبير البشرية وفيه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذ اخبر عما قد كان فثبت انه لخبر من الله عز وجل وقوله وامنا لمن دخله عن عذاب الآخرة وقيل امنا لكل مجرم لجأ به واوى اليه من القتل وغيره كقوله ومن دخله كان امنا عن كل ما ارتكب واما عندنا فانه ان قتل قتيلا ثم التجأ اليه فانه لا يقتل ما دام فيه لانه لا يقتل لكفر هنالك فعلى ذلك القصاص لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة حرام بتحريم الله اياها يوم خلق الله السموات والارض لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها وما روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لو ظفرت بقاتل عمر في الحرم ما قتلته واذا قتل في الحرم يقتل به هنالك والوجه فيه ان اقامة مثله عليه فيما يرتكبه في الحرم احق اذ هي كفارة لينزجر عما ارتكب واحق ما يقع فيه الزجر بمثله ما هو فيه من المكان واذا قتل في غير الحرم ثم التجأ الى الحرم قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يخرج من الحرم وابو يوسف رضي الله عنه جعل ذلك للسلطان ذهب الى انه قال واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل كما قال وان قاتلوكم فيه فاوجب الاخراج من حيث قتل قتيل لم يخرج من الحرم اذا لم يخرج منه كما لم يقتل في الحرم اذا لم يقتل فيه ونقول بالاخراج للقتل قصدا لم يسع فعله فيه كان كالصيد يخرج يلزم فيه ما يجب بالقتل فمثله في موضع الحظر وبعد فانه لو اخرج لم يأمن بالحرم بل زيد في عقوبته اذ الاخراج عقوبة فقد زيد عليه مع ما يجزي في الكفار الذين نهوا عن قتلهم اخراجهم للقتل كذلك القاتل وذهب الآخر الى انه يخرج لاقامة الحد عند ابي حنيفة رضي الله عنه وان لم يرتكب فيه واخراج المرتكب له اقل في الحكم من اقامته عليه غير انه تغلظ لان اخراجه للقتل ليرفع من الحد لا انه يصل الى قتله ولما في القتل عقوبة واحدة وفي الاخراج عقوبتان ثم لم يلزمه العقوبة الواحدة وهي القتل اذا لم يقتل فيه كان من ان لا يلزمه العقوبتان احق وقوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى اختلف في مقام ابراهيم عليه الصلوة والسلام منهم من جعل الحرم كله مقامه يصلي اليه لمقامه هنالك باولاده ومنهم من جعل المسجد مقامه لانه كان مكان عبادته فهو المصلى ومنهم من جعل ما ظهر من مقامه وهو موضع ركبته ونزوله لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم مكة قام الى الركن اليماني فقال عمر يا رسول الله الا نتخذ مقام ابراهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعندنا القبلة البيت كقوله تعالى فولوا وجوهكم شطره وقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس مقاما لقيام العبادات وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل فيه الامر بينابه وقوله ان طهرا بيتي يحتمل التطهير لوجهين احدهما عن الاصنام والاوثان التي كانت هنالك وعبادة غير الله والانجاس ويحتمل التطهير عن كل انواع الاقذار وعن كل انواع المكاسب على ما روي في جملة المساجد وقوله للطائفين قيل الطائف هو الغاء م سمي طائفا لدخوله باطرافه وقيل الاستجاب الطواف لذلك قال اصحابنا الطواف للقادم افضل من الصلوة والصلوة للمقيم افضل والعاكف المقيم والركع السجود منهما جميعا وقيل العاكفون المجاورون وقوله واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا قد ذكرنا الوجه في قوله آمنا وقوله وارزق اهله من الثمرات لما علم ان المكان ليس بمكان نبت ولا عشب دعا وسال ربه ان يرزق اهله وعلى كل من يتناب اليه من الآفاق ثم خص المؤمنين بذلك لوجوه احدها انه لما امر بتطهير البيت من الاصنام والاوثان ظن انه لا يجعل

اعني من اهل مكة والقادمين اليها م

لسؤاهل الايمان هنالك مقاما مخصوصا لهم بالدعاء وسؤال الرزق والثمرات اراد ان يجعل اية من ايات الله ليرغب الكفار الى دين الله
المصير والسعة واحدة مكان كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية ووجه اخر قيل لما كان قيل له لا ينال
عهدى الظالمين فلعله خشي ان يخرج ذلك مخرج المعونة لهم على ما فيه العصيان وفي ذلك ان لا باس ببيع الطعام من الكفرة ولا يصير ذلك
كالمعونة على ما هم عليه ويحتمل الدعا المبهم للكفرة القبح اذ ذلك اسم من يعبد غير الله وقوله ومن كفر فامتعه قليلا لان النعم لاهل الدنيا
ارحمة لا توجب النظر الى المستحق للنعم من غير المستحق ولا الى الولي من العدو في الدنيا واما الاخرة فهي دار جزاء ليست بدار محنة
فيوجب النظر الى المستحق ومعنى قوله قليلا لان الدنيا كلها قليل ثم الامتحان على وجهين على امتحان بالنعم وامتحان بالشدايد
وقد قرئ فامتعه على معنى دعاء ابراهيم عليه السلام ومن كفر فامتعه بالجزم فان قيل لم لا كان تفاضل الامتحان بتفاضل النعم
وانما يعقل فضل الامتحان بفضل العقل ويعلم ان المؤمن هو المفضل بالعقل كيف لا وقع فضل ما به يمتحن وهو النعم لان العقل
الذي به يدرك الحق واحد لا تفاضل فيه لا حدهم العقل الذي به يمتحن واحد فهما متساويان فيما به درك الحق لان احدهما يدركه
فيتبعه والاخر يدركه فيعانده فهو من حيث معرفته ذو عقل اعرض عنه فسمي معاندا اذ من لا عقل له يسمى مجنونا وقوله ثم اضطره
الى عذاب النار ذكر الاضطرار وهو كقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وهو السوق وكقوله ونسوق المجرمين انهم يساقون
اليها ويدعون لانهم لا تونها طوعا واختيارا وقوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا امر برفع
البيت وبنايه ففعلا ثم سالا ربهما ان يتقبل منهما فهكذا الواجب على كل مامور بعبادة او قربة اذا فرغ منها واداها ان يتضرع
الى الله ويبتهل ليقبل منه وان لا يرد عليه ليضيع سعيه وقوله وبئس المصير اى بئس ما صاروا اليه وقوله انك انت السميع العليم
بما نووا واضمروا وقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك والاسلام قد ذكرنا فيما تقدم انه يتوجه الى وجوه احدها هو الخضوع والتذلل
والثاني هو الاخلاص ثم اختلف اهل الكلام في الاسلام فقال بعضهم انه يتجدد في كل وقت لذلك سالوا ذلك وهو كقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله معناه امنوا بالله في حادث الوقت لانه تارك فعل الكفر في كل وقت فبترك الكفر يتجدد له
الايمان وعلى ذلك يخرج تاويلنا في الزيادة بقولهم زادته ايمانا انه يتجدد له ويزداد في حادث الوقت وقال الاخرون كان سؤالهم الاسلام
سؤال الثبات عليه والدوام وقد ذكر ان العصمة لا ترفع خوف الزوال ومثل هذا الدعاء والسؤال على قول المعتزلة يكون عبثا لانه
لا يملك اعطاء ما سالوا عندهم بل هم الذين يملكون ذلك فيخرج السؤال في هذا عندهم مخرج اللعب والعبث فنعوذ بالله من الشرف
بالقول والزيغ عن الهدى ثم الايمان هو التصديق بالقلب يتجدد في كل وقت فلا وقت يخلو القلب عنه في حال سكون او حال
حركة والله اعلم وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك يحتمل ان الامة المسلمة هي امة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لم يكن من
اولاد اسمعيل رسول سوى محمد صلى الله عليه وسلم فسالا ان يجعلا من ذريتهما رسولا وامة مسلمة خالصة له وانما الرسل
كانوا من اولاد اسحاق ومن نسله والله اعلم وقوله وارنا مناسكنا وقيل في قوله وارنا مناسكنا يريد الارادة الى يوم القيمة يدل
عليه قراءة عبد الله وارهم مناسكهم وفي قراءة غيره على معنى الرؤية الى نفسه والنسك هو القربة افعال الحج سميت مناسكا ثم لا يحتمل
ان يسالا ذلك من غير امر سبق منه عز وجل بذلك لانه ليس من الحكمة سؤال ايجاب فضل عبادة او قربة بغير امر فدل انه قد سبق منه
بذلك امر لكنه لم يبين لهما فسالا تعليم ماهيتها وكيفيتها فعلمهما جبريل ذلك ففيه دلالة تاخير البيان من وقت فرع السمع الخطاب
الا ترى انه امر بالنداء بالحج ولم يعلم والثاني ان آدم والملائكة قد كانوا حجوا هذا البيت قبل ابراهيم عليه السلام فدل ان الامر به
قد سبق والثالث قوله في نفس الحج ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ثم لا يحتمل لزوم الكلفة بالخروج قبل وجوب
الحج لما لم يثم بفعل ما له ايجاب الحقوق والفرايض لكنها اوجبت شكرا لما انعم عليه فدل ان الحج كان واجبا قبل الخروج وقد تاخر الامكان
لمثله البتة والله اعلم واحتج بقوله اقيموا الصلوة ان ظاهره يوجب حصر ما لزم به ما اداء السمع على تاخير ماهيته وكذلك الزكوة وكذلك
قوله ولله على الناس حج البيت واحتج ايضا بقول القايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوقات الصلوة فبفعله في يومين وقد كان
يمكنه تعليمه وقت السؤال لكنه اخر فدل ان البيان يجوز تاخره عن وقت فرع الخطاب السمع ثم في تاخير البيان محنة المخاطب بامر مع
تكلم العلم مراده ما تضمن الخطاب والله اعلم وذكر في امر الحج صلاة كل نسك من المناسك معاينا لكنها ذكرت الاحوال كانت في شان ادم
وامر ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقد كان الحج قبلهم وقد ذكر في امر الرمل انه كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه
ليعلم به قوتهم حتى قال عمر رضي الله عنه علي ما اهتز كتفي وليس احد اراه لكني اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم او كما قال رضي الله
عنه وقد ذكر ذلك في قصة ابراهيم عليه السلام انه رمل ولم يكن في وقته من كان الفعل لاجله وكذلك غيره من الانبياء
عليهم السلام الا انا نقول جعل الله كذلك لعلمه بالحاجة الى ذلك في وقت قد جعل ذلك نسكا فحفظ ذلك على حق النسك وان لم
يكن المعنى مقارنا له كل وقت علما قيل ان صلة الرحم تزيد في العمر بمعنى يعطيه الله اجله ذلك بما علم انه يصل الرحم فيكون صرف العمر الى
تلك المدة لذلك وكما يكتب شقيا وسعيدا في الازل الوقت الذي فيه يكون كذلك ونحو ذلك والله الموفق ثم الاصل ان الله جل
ثناؤه جعل على عباده في كل الانواع التي تنقلب فيها البشر للمعاش ولانواع اللذات لتكون العبادة منهم في كل نوع مقابل ما يختار
ذلك شكرا لما مكن من مثله لما يتلذذ به ويتعيش اذ كل لذة وكل ما يتعيش نعمة خص الله بها صاحبها بلا تقدم سبب يستوجبها العبد
فلزمه في الحكمة الشكر لمن اسدى اليه تلك النعمة وعلى ذلك يجد التقلب من حال القيام الى حال القعود والاضطجاع امرهما في البشر من
انواع اللذات فمثله يكون العبادة بذلك النوع عامة نحو الصلوات وعلى ذلك معنى الرق والعبودة لازم لا يفارق فمثله الاعتراف به
والاعتقاد دايم لا محالة لا يخلو منه وعلى ذلك امر اعطاء النفس شهواتها من المطاعم ونحو ذلك لا يعم الاوقات عموم التقلب من
حال الى حال اذ لا يخلو عنها المرء وان كانت مخلفة عبادة الصيام في خاص الاوقات ثم لم يمتد ما بين الاوقات امتدادا امنذرا حتى فعل
ذلك جعل الحقوق عن الصيام يجعل كذلك بل في كل سنة معها قد يدخل القيام في كثير من الامور ثم الناس في الاحوال المعاش وبها تلذذ منها

نوع لا بد منه فادر نفاق بمثله لازم لا يحتمل جعل القربة فيه سوى ان جعل بعينه قربة اذ فرض على المرء الاستمتاع به ومنها فضل فيه
جعلت قرب التصديق لانه يحق التلذذ لا يحق ما لا بد منه وكذلك نوع تقلب الاحوال في النفس التي هي بحق الضرورة لم
يجعل لمثل ذلك فضل قربة بوجوبها سوى ما به حيوته وذلك يجعل بحكم الفرض عليه ولا بد به وكذلك امر الصيام لم يجعل
فيما لا بد من القوة ولكن فضل قوة في الاحتمال لكن الزكوات هي من حقوق ما يجوز ان يكون عما خبر من عليه فرض عليه
البذل الى غيره وحقوق الافعال لا تحتمل ان يصير السبب الذي لحبر يجب ان يكون فيجب عليه فجعل فرض ذلك الفعل في نفسه
وهي تجب للاحوال لوجهين احدهما ان فيها حقوقا شايع على نحو النفقات فاخرت هي الى الحول تخفيفا ولما هي يجب فيما له
حكم الفضل والفضل ما يفضل عن الحاجة والحاجات تتجدد في اوقات لا انها تتابع لا تتظهر في مثله الفضل الا بمدة بينة اكثرها
حول ثم فرض الحج جعل في العمر مرة لانه في حق الاسفار المديدة التي لا يختار مثلها للذات الا في النوادر فلم يوجب
مثله الا كما فاوجب في جميع العمر مرة وقد اوجب في الاموال في كل سنة لان ارباب الاموال قد ينقلبون في البلاد
التي ينبغي رغبة في فضول اللذات فلذلك يجوز فرض مثل ذلك امر الجهاد على ان الجهاد كالذي لا بد من الاقوات اذ في ترك
ذلك خوف غلبة الاعداء وفيها تلف الابدان والاديان ففرض على قدر ما فرض من الاقوات لما تبين من الخلل ثم كانت
احوال اهل السفر يكون على غير المعروف من احوال المقيمين في حق الرزانة والوقار وحق الانبساط والنشاط فعلى ذلك فرايض
الامرين نحو الجهاد فيه انواع ما وعد في غيره من اللعب وكذلك امر الحج وعلى مثل هذا يخرج رمي الجمار والرمل والسعي ونحو ذلك فجعل
ذلك في حق الاسفار سنة وان كان مثل ذلك عد في غير ذلك عبثا اذ قد بينا مخرج العبادات على ما عليه احوال العباد بانفسهم
لولا العبادات والله اعلم ثم جعل ذلك في امكنة متباعدة الاطراف اذ هو بحق امر الاسفار يجب في المعهود فجعل النسك
بنفسه بالذي به يقطع الاسفار ولا قوة الا بالله ووجه اخر من المعتبرات ان العبادات جعلت انواعا منها ما يبلغ القيام
بحقها العام فما عداه لم يجز ان يجعل وقته ينقص عن احتمال فعله ولا وقت من طريق الاشارة اجمع لمختلف الاحوال بعد
سقوط اعتبار العمر من السنة ثم فعل الحج قد تمتد ذلك ويجاوز ولم يجعل ذلك وقتا له ثم الزكوات هي تجب الاموال
صونها لكسب عدد وفضل غنى ولكن على ذلك يكتسب لاحوال الحيوة لا لما يخلف فلم يمتد امرها الى العمر على انها جعلت
حقا للفقراء ومتى اريد جعل الوقت له العمر يصير لغير ويجب فيه ما يجب في الاول فتبطل الزكوة وتبقى الفقراء بلا عيش
اذا الله بفضله قدر اقوات الخلق ثم فضل الخلق في الاملاك حتى كان بعضهم يحب لا يملك شيئا وبعضهم يجاوز ما ينال
اضعافا في عمره ثبت ان ذلك له بما يقتضي به كفاية الفقراء فلا بد ان يجعل لذلك مدة يتوسع في ذلك الفريقان جميعا ثم
كانت الاقوات التي هي مجعولة للخلق يتجدد في كل عام على ذلك اذ جعلت اقوات الفقراء في اموال الاغنياء جعلت في كل عام
على ذلك اذ جعلت اقوات الفقراء في اموال الاغنياء على انه اذ جعلت اقوات الخلق في بركات السماء والارض جعلها
الله متجددة بتجدد الاعوام ولا قوة الا بالله والصلوة والصيام عبادتان يلزم قوى الابدان فعلى ما يختلف قواها
ما يختلف قواها اختلفا في الامر بهما والترك وفي انواع الرخص لكن الصلوة ليس فيها مكابدة ولا مدافعة اللذات
اذ لا سبيل الى مثلها متتابعا لما يصير اللذة الما والشهوة وجعا فيبطل حق التتابع وقدر المفروض من الصلوات لا يشتغل
عما يقوم بها النفس والصيام يضاد ذلك ويضر في البدن فجعل عبادة الصلوة في كل يوم وعبادة الصيام في اوقات متراخية
اذ هي تضاد معنى المجعول له الاغذية من اقامة الابدان وفي الصيام خوف فناتها لذلك استعين بطول الاعتداء على اوقات
الصيام ولا قوة الا بالله وان شئت قلت ان الله انعم على البشر بما هو غذاء وقوام وبما هو لذة وشهوة ثم انعم عليهم بما هو
لهم به رفعة وجاه عند الخلق وهي الاموال فالزمهم في كل نوع من هذه الانواع عبادات وعلى ذلك وقع كل نوع منها
لفوت النعمة التي هي المرغوبة المختارة في الطبيعة والى ما يدوم تلك يدعو العقل ببذل ما ينقطع منه ثم جعلت قوى
النفس بشهواتها ونمو الاموال بانواع الكد والجهد فعلى ذلك خفف حقوق الاموال فلم يجعل الا في الفضل الذي الاختيار
لهم ان لا يبلغوا بالجهد ذلك فوذلك جعلت الحقوق على ما يحتمل الوسع لهم من الترتيب مع اليسر الذي اخبر الله انه يريد بهم
ذلك لا العسر والله اعلم وقوله وتب علينا انك انت التواب الرحيم دل سؤاله التوبة ان الانبياء عليهم السلام قد يكون
منهم الزلات والعثرات على غير قصد منهم ثم فيه الدليل على ان العبد قد يسال عن زلة لم يتعمدها ولم يقصدها لانهم سالوا
التوبة مجملا ولو كان سبق منهم شيء علموا به وعرفوه لذكروه فدل سؤالهم التوبة مجملا على ان العبد مسؤول عن زلات
لم يتعمدها وقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم من جنسهم من البشر لان الاقرب الى المعرفة والتصديق ممن كان من غير جنسهم
كقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الاية ويحتمل رسولا منهم اي من قومهم ومن جنسهم وبلسانهم لا من غيرهم
ولا بغير لسانهم والله اعلم كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه وقوله يتلوا عليهم اياتك قيل الايات هي الحجج وقيل
الايات هي الدين ويحتمل تدعوهم الى توحيدك والله اعلم وقوله ويعلمهم الكتاب يعني القران بما امرهم به ونهاهم عنها ونحوه والحكمة
قيل الفقه يقول يعلمهم الكتاب وما فيه من الفقه وقيل الحكمة ما فيه من الاحكام من الحلال والحرام وقيل الحكمة هي الاصابة
وبعض هذا قريب من بعض وبالله التوفيق وقال الحكمة هي القران اعاد القول به يعني تكرارا وقال ابن عباس رضي الله عنه الحكمة
الفقه وقوله ويزكيهم قال ابن عباس رضي الله عنه يأخذ زكوة اموالهم فذلك يزكيهم كقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وقيل يزكيهم الى ما به يزكو انفسهم وقيل يزكيهم بعمل الصالح فان قال لنا قائل ممن ينتحل مذهب الاعتزال
اليس الله عز وجل اضاف التزكية والهداية رسوله ولم يكن منه حقيقة فعل التزكية والهداية ولا خلق ذلك منه كيف
لا قلتم ايضا فيما اضاف ذلك الى نفسه ان ليس فيه منه خلق ولا حقيقة سوى الامر والبيان على ما لم يكن في اضافة ذلك الى

[هامش:] ولا يصير كالمعونة على ما يتم عليه م للمنعم ع م

[هامش:] ثم الحكمة في تاخير البيان عن الخطاب المجمل هو ابتلاء المخاطب ليطلب من ادونه بالتامل تخرج م

رسوله سوى الدعاء والبيان قيل كذلك على ما قلتم انما اضاف ذلك الى رسوله بقوله ويزكيهم وبقوله وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وكقوله ولكل قوم هاد غير انه جعل الى نفسه فضل هداية لم يجعل ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم واثبت زيادة
تزكية لم تثبت ذلك لرسوله عليه السلام كقوله انك لا تهدي من احببت ولكن يزكي من يشاء فدل اضافة تلك الزيادة الى نفسه
على ان له فضل فعل ليس ذلك لرسوله وهو خلق فعل الاهتداء وفعل الاهتداء وفعل التزكية وبالله التوفيق وبعد فان
الرسول لا يحتمل ان يملك قدرة فعل احد يقدره عليه لا اراده بما اقدرهم الله على الفعل حتى قدروا فجاز ان يكون له
عليه قدرة وتحقيقها جاز خلق ذلك له في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل ولا قوة الا بالله وقوله انك
انت العزيز الحكيم اي لا شيء يعجزه والعزيز بذاته وكل شيء دونه غير عزيز ذليل وقيل العزيز المنيع وقيل العزيز المنتقم من
اعدائه والحكيم هو المصيب في فعله والحكيم في امره ونهيه والحكيم هو الذي احكم كل شيء جعله دليلا على ربوبيته واحدنيته ثم
ذكر بعض المفسرين علل المناسك فقال سميت العرفات عرفات لما قيل له عرفت ومنا لما قيل له تمنه ورمي الجمار لما استقبل
لابراهيم الشيطان فرمى فهذه العلل لا تطمئن بها القلوب وتنفر عنها الطباع الا ترى انه ذكر في قصة ادم فعل ذلك جملة
فزال المعنى الذي ذكر في ابراهيم عليه السلام ثم قد ذكر في الخبر ان الملائكة قالت لادم حججنا ما قبلك بالفي عام فثبت
انهم قد فعلوا هذا كله ثم يمكن نصب الحكمة فيه من طريق العقل وهو ان الحج قصد لزيادة ذلك المكان امر مختلف
الافعال الواقع بر الزيادة كالصلوة انها الخضوع لعينه امر فيها باحضار الافعال المختلفة من حال الخضوع ثم
المرء قد يخضع مرة بالقيام ومرة بالركوع ومرة بالسجود امر باحضار مختلف الافعال التي فيها المروءة غير ان الصلاة تخالف
الحج افعالها فعل المعاش امر باحضار حالة تذكر الوقوف والخضوع لله مفرقا بين تلك الحالة وحال المعاش ولهذا يقضي
في كل مكان ثم افعال الحج في ظاهرها الى افعال المعاش وما اليه وقع القصد لا منها غير ان فيه يتكلف المعاش ولهذا
ما لا يقضى في كل مكان وقوله ومن يرغب عن ملة ابراهيم ثم اختلف في الملة قيل الملة والدين السنة وقيل الاسلام وكله
واحد وذكرنا هذا فيما تقدم وقوله الا من سفه نفسه بما يعمل من عمل السفه ويحتمل الا من سفه نفسه اي بنفسه فكان
انتصابه لانتزاع حرف الخافض وقيل جهل نفسه فيضعها في غير موضعها ولقد اصطفيناه في الدنيا بالنبوة والرسالة والعصمة
ويحتمل ما جزاهم في الدنيا بثناء حسن لم ينتقص من جزائهم في الاخرة وانه في الاخرة لمن الصالحين في المنزلة والثواب ويحتمل لمن
المرسلين ان يكون بشره في الدنيا انه كان من الصالحين في الاخرة فيكون في ذلك وعد له بصلاح الخاتمة كما وعد محمدا صلى الله
عليه وسلم مغفرة ما تقدم من الذنب وما تأخر وفي ذلك ايضا وعد بصلاح الخاتمة والله اعلم فاخبر بما كان بشره ويجوز
تفاضلهم في الاخرة على ما كانوا عليه وقوله اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين قيل اخلص ويحتمل امرا بالدوام بابتداء
سلام ما ذكرنا من تجدده في كل وقت بهمه ثم يحتمل ان يكون وحيا وجوابه ان قل كذا فقال به فان كان وحيا فهو على ان
يسلم نفسه لله ويحتمل ان يكون اسلام القلب بتقاضي الخلقة بالاسلام فان كان على هذا فهو على الاسلام دون توحيد ويحتمل اسلام
خلقة كقوله الست بربكم قالوا بلى بخلقة وعلى ذلك يخرج قوله لابراهيم واذن في الناس بالحج فدعاهم فاجابوه في اصلاب ابائهم
اجابة الخلقة وقت كونهم وقيل يحتمل امرا بابتداء الاسلام كقوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخره ثم قال اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا يكون جواب قوله اسلم والله اعلم وقوله ووصى بها يعني بالملة يحتمل ما ذكرنا ووصى
ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين وهو الاسلام ردا على قول اولئك الكفرة ان ابراهيم كان على دينهم لان
اليهود زعمت انه كان على دينهم يهوديا وقالت النصارى بل كان على النصرانية وعلى ذلك كانوا يدعون الغير كونوا هودا او نصارى
تهتدوا فلما ادعى كل واحد من الفريقين انه كان على دينهم اكذبهم الله عز وجل في قولهم وردا عليهم ذلك فقال قل يا محمد
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما فعلى ذلك قوله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون
اخبر عز وجل ان دينه كان دين الاسلام وهو الذي اصطفاه له والدين الذي اختاروه من اليهودية والنصرانية
لقوله تعالى ام للانسان ما تمنى فلله الاخرة والاولى وليس له وقوله ام كنتم شهداء يقول اكنتم شهداء اذ حضر يعقوب
الموت اي ما كنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت قيل ويحتمل ان يكون ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست
تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه بدين اليهودية فانزل الله تعالى ام كنتم شهداء اي كنتم شهداء وصية يعقوب
بنيه ام لم تشهدوا وصية فكيف قلتم ذلك ثم اخبر عز وجل عن وصية يعقوب بنيه فقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد
الهك واله ابائك الاية ونحن له مسلمون يعني مخلصين بالتوحيد وبجميع الكتاب والرسل ليس كاليهود والنصارى يؤمنون
ببعض ويكفرون ببعض ثم يدعون دليل دين ابراهيم ودين بنيه ثم في الاية دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه
اخبر عن الاخبار التي قالوا من غير نظر منهم في كتبهم ولا سماع منهم ولا يعلم ذلك انه بالله علم وعنه اخبر وقوله قولوا
امنا بالله وما انزل الينا الاية فلا بد يتعرض على من يستثني في ايمانه لانه امرهم ان يقولوا قولا باتا لا ثنيا فيه ولا شك وكذلك قوله
فان امنوا بمثل ما امنتم به الاية ثم يحتمل ان يكون هذا ردا على اولئك الكفرة حيث فرقوا بين الرسل امنوا ببعضهم وكفروا ببعض
وكذلك امنوا ببعض الكتب وكفروا ببعضها فامر الله عز وجل المؤمنين ودعاهم الى ان يؤمنوا بالرسل كلهم والكتب جميعا لا
لا يفرقون بين احد منهم كما فرق اولئك الكفرة ويحتمل ان يكون ابتداء تعليم الايمان من الله عز وجل بهم بما ذكر من الجملة ثم
اختلف في الحنيف قيل الحنيف المسلم وقيل الحنيف الحاج وقيل كل حنيف ذكر بعده مسلم فهو الحاج وكل حنيف لم يذكر بعده مسلم
فهو مسلم وقال الحنيف المائل الى الحق والاسلام وقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا تقولوا
فان امنوا بمثل ما امنتم به فان الله ليس له مثل ولكن قولوا فان امنوا بالذي امنتم به او بما امنتم به وكذلك في حرف ابن مسعود رضي

الله عنه فان امنوا بمثل ما امنتم به تصديقا لذلك وعلى ذلك قوله ليس كمثله شيء ان الكاف زائدة اي ليس مثله شيء
وهو في حرف ابن مسعود رضي الله عنه كذلك ويحتمل امنوا بلسانهم بمثل ما امنتم بلسانكم من الرسل والكتب جميعا فقد اهتدوا
وقوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون كانه ولا تسألون عما كانوا يعملون كانه والله
اعلم لما ادعوا ان ابراهيم ومن ذكر من الانبياء كانوا على دينهم فقال عند ذلك لا تسألون انتم عن دينهم واعمالهم ولا هم
يسألون عن دينكم واعمالكم بل كل يسأل عن دينه وما يعمل به وقوله فانما هم في شقاق قيل الشقاق هو الخلاف والذي فيه العداوة والله
اعلم وقوله فسيكفيكهم الله عدة ووعيد من الله عز وجل لهم ووعد وعده نبيه بالنصر له لان اولئك كانوا يتناصرون يتناصر
بعضهم ببعض فوعد له عز وجل النصر له بقتل بعضهم واجلاء اخرين الى الشام وغيره وقوله صبغة الله قيل دين الله
وقيل فطرة الله كقوله كل مولود يولد على الفطرة وقيل فطرة الله وقيل صبغة الله حجة الله التي اقامها على اولئك وقيل صبغة
الله سنة الله ثم يرجع قوله ومن احسن من الله صبغة اي دينا وسنة وحجة تدرك بالدلائل التي يصيبها واقامها فيه ليس
كدين اولئك الذين اسسوا على الحيرة والغفلة بلا حجة ولا دليل وقيل ان النصارى كانوا يصبغون اولادهم في ماء ليطهرهم
بذلك فقال الله عز وجل صبغة الله يعني الاسلام هو الذي يطهرهم لا الماء وقوله ونحن له عابدون قيل موحدون وقيل
مسلمون مخلصون ويحتمل ونحن عبيده وقوله قل اتحاجوننا في الله روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اولى بالله منكم فانزل الله في ذلك قل اتحاجوننا في الله يعني في دين اي اتحاجون وتخاصمون في دين الله
وقوله وهو ربنا وربكم اي اتحاجون في الله مع علمكم واقراركم انه ربنا وربكم بقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله
ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم قيل لنا ديننا ولكم دينكم كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين ويحتمل لنا اعمالنا لا تسألون انتم عنها ولكم اعمالكم
ولا نسأل نحن عن اعمالكم كقوله ولا تسألون عما كانوا يعملون ونحن له مخلصون دينا وعملا لا نشرك فيه غيره وقوله ام يقولون
قيل بل يقولون وقيل على الاستفهام في الظاهر يقولون لكنه على الرد والانكار عليهم وذلك ان اليهود قالوا ان ابراهيم واسمعيل
ويعقوب وبنيه كانوا هودا او نصارى قال الله تعالى قل يا محمد انتم اعلم بدينهم ام الله مع اقراركم انه ربكم لا يخفى عليه شيء في الارض
ولا في السماء ومعنى الاستفهام هو تقرير ما قالوه كالرد عليهم والانكار ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله قيل الشهادة
التي عندهم بالاسلام انه دين الله وانه حق وقيل الشهادة التي كانت عندهم محمد صلى الله عليه وسلم بينه الله في كتابهم واخذ عليهم
المواثيق والعهود بقوله لتبيننه للناس ولا تكتمونه فكتموه وكذبوه وقيل ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله في قول اليهود
لابراهيم عليه السلام وما ذكر من الانبياء كانوا هودا او نصارى فيقول الله عز وجل لا تكتموا الشهادة ان كان عندكم علم بذلك
وقد علم الله انهم كاذبون وقيل الاسباط بنو يعقوب سموا اسباطا لانه ولد لكل رجل منهم امة وقوله وما الله بغافل عما تعملون
خرج على الوعيد اي لا تحسبوا انه غافل عما يعملون ويجوز ان يكون لم ينشئهم على غفلة بما يعملون بل على علم بما يعملون خلقهم ليعلم
ان ليس له في شيء من عمل الخلق له حاجة يخلقهم على رجاء النفع له ولا قوة الا بالله خلقهم وهو يعلم بانهم يعصونه وقوله تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الاية قد ذكرنا هذا فيما مر وقوله سيقول السفهاء من الناس هذا والله اعلم هذا وعلى
وعده عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحوله الى الكعبة من بيت المقدس واخبار عما يقول له اليهود قبل ان يحول وقبل ان
يقولوا له شيئا الا ترى الى قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء انه لو لم يكن فيها وعد بتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة لكان
تقلب وجهه الى السماء بذلك تخييرا منه وتحكما عليه وليس لاحد على الله التخيير والتحكم عليه في الاحكام والشرايع ولا في غيرها فدل
انه على الوعد له ما فعل والله اعلم ثم فيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث كان اخبر على ما اخبر من التحويل الى الكعبة و
ذلك انهم لا يرون نسخ الشرايع والاحكام لانه كالبداء والرجوع عنها وذلك فعل من يجهل عواقب الامور كبان بنى بناء ثم نقضه
لجهل منه به لكن ذلك منهم جهل بمعرفة النسخ وقدره ولو عرفوا ما النسخ ما نفوا نسخ الشرايع والاحكام واما النسخ عندنا
فهو بيان منتهى الحكم الى وقت ليس فيه بداء ولا نقض لما مضى بل تجديد حكم في وقت بعد انقضاء حكم على بقاء الاولى الوقت كون ليس
على ما فهمت اليهود من البداء والنقض لما مضى كالبناء الذي وصفوا وبالله التوفيق وان كانت الاية في غير اليهود من اهل مكة على ما يقول
بعض اهل التفسير قالوا لما رجع محمد الى قبلتنا من القبلة الاولى يرجع الى ديننا قال الله عز وجل قل يا محمد لله المشرق والمغرب والا(ماكن)
كلها والنواحي امر بالتوجه الى اي ناحية شاء شرقا وغربا فالطاعة له في الايتمار لامره والقبول لا عين التوجه نحو الشرق ونحو
الغرب لهواهم وتمنيهم الا ان اليهود جعلوا قبلتهم المغرب اتباعا لهواهم لا اتباعا لامر امروا به وكذلك النصارى اتخذوا المشرق قبلة
لهوى انفسهم فاخبر الله تعالى عن المؤمنين انهم يأمرون بالله حيث ما امروا توجههم نحوه وقوله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم حجة
على المعتزلة لانه اخبر عز وجل انه يهدي من يشاء ولا جائز ان يهدي وهو لا يهتدي وهم يقولون شاء ان يهدي ولكن لم يهتدون
قوله من يشاء على ان مشية الهداية ليست للكل على ما قالت المعتزلة ان هدايته بيان وذلك للجميع وفيه دليل نسخ السنة بالكتاب
لان القبلة الى بيت المقدس لم تكن مذكورة في الكتاب بل عملوا على سنة الاولين الماضين وهذا على الشافعي لانه لا يرى نسخ
السنة بالكتاب الا بعد عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا عمل به صار سنة فهو نسخ السنة بالسنة لا نسخ بالكتاب
فهذا منه قبيح فاحش وفيه نبذ الكتاب وهجره وقد نهينا عنه والتحكم على الله عز وجل لانه لم يجعل الكتاب من القدر
ما يقع فيه الزجر على ما كان عليه الا قوله عمله صلى الله عليه وسلم فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الهدى ولكن لم يعرف
ما النسخ وما قدره ولو علم لما قال بمثله وهو عندنا ما ذكر من بيان منتهى الحكم الى وقته والله جل جلاله له نصب الاحكام
نصب الاحكام والشرايع في كل وقت يبين ذلك مرة بالكتاب وتارة على لسان المصطفى صلى الله عليه وسلم وبالله التوفيق
ولما جعل له صلى الله عليه وسلم ان يعمل به فنسخ الكتاب فيه تلك الشريعة فكذلك في غيره من الناس والله اعلم وقوله

وكذلك جعلناكم امة وسطا وكذلك لا يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على العطف على ما سبق من الخطاب وهو و
الله اعلم معطوف على قوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية كانه قال كما وفقكم على الايمان بما ذكر وهداكم
للاسلام كذلك جعلكم امة وسطا يعني عدلا لتكونوا شهداء على الناس ثم اختلف في قوله على الناس قيل على بمعنى اللام اى للناس وهذا
جائز في اللغة سايغ كقوله وما ذبح على النصب اى للنصب وقيل على بمعنى على ان تشهدوا على الامم للانبياء على تبليغ الرسالة ويشهد الرسول
لهم بالعدالة وفيه دليل قبول شهادة اهل الاسلام على اهل الكفر ورد شهادتهم علينا لانه لو قبلت شهادتنا عليهم
على التبليغ ثم شهد اولئك بانهم لم يبلغوا لكان فيه تناقض فدل ان شهادتنا تقبل عليهم ولا تقبل شهادتهم علينا
والله اعلم **وقوله** لتكونوا شهداء على الناس الذين ابوا اجابة الرسل ويكون الرسول عليكم شهيدا عليكم ان جحدتم الرسالة
وذلك قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية اضاف الله اليه جعلهم امة وسطا ثبت ان لله في فعل ذلك فعل به ذكر منه والله
اعلم قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا فالوسط العدل لاخبر عز وجل انه جعل هذه الامة عدلا فالعدل هو المستحق للشهادة
والقبول لها ففيه الدلالة على جعل هذه الاجماع حجة لانه وصفها بالعدالة وصيرها من اهل الشهادة فاذا
اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبول ذلك والحكم بما شهدوا والشهادة قبه انه من عند الله وقع لهم ذلك والثاني قال اتقوا
الله وكونوا مع الصادقين اخبران فيهم صدقة يلزم اتباعهم والثالث ما قال عز وجل ومن يتبع غير سبيل المؤمنين
توله ما تولى ولا يجوز الوعيد في مثله اذا لم يكن ذلك هو الحق عند الله والرابع قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله و
الرسول امر عز وجل عند التنازع الرد الى كتاب الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فدل انه اذا لم يتنازع لم يجب
الرد الى ما ذكر والله اعلم **وقوله** لتكونوا شهداء على الناس روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يسال الله تعالى يوم القيامة
الامم عن تبليغ الانبياء رسالته اليهم فينكرون ثم ياتي بهذه الامة يشهدون عليهم بالتبليغ فذلك قوله لتكونوا شهداء
على الناس ويشهد الرسول عليهم يعني لهم بالعدالة والتزكية والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه وفي قوله لتكونوا شهداء
على الناس وجهان احدهما على الكفرة وفي ذلك دليل قبول شهادة المسلمين عليهم ورد شهادتهم عليهم لما بينا فضل فنزول
منفعة الشهادة عليهم والثاني ليكون من شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهودا على من يكون بعدهم وفي ذلك دليل
من تاخر الصحابة رضوان الله عليهم عن الخلاف لهم ويكون الرسول شهيدا عليكم اذا اطعتموه وعصيتموه **وقوله** وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول فهذا والله اعلم لما كانوا في المتابعة على قسمين منهم من تبعه لما وافق هواه ومنهم
من تبعه لما علم انه الحق من عند الله فامتحنهم الله عز وجل ليتبين لهم ويقع علم ذلك عندهم من المتبع له بهواه ومن المتبع له بامر الله
وقيل ايضا في قوله الا لنعلم من يتبع الرسول قيل ليعلم ما قد علم انه يكون كائنا وليعلم ما قد علم انه يوجد او قيل انه يجوز ان يراد بالعلم
المعلوم معناه والله اعلم الا ليكون المتبع له والمنقلب على عقبيه ثم الاصل في هذا ونحوه من قوله حتى نعلم المجاهدين منكم الا
نصف الله تعالى بالعلم في الخلق قال بغير الحال التي الخلق عليها لان وصفنا اياه بالعلم على غير الحال الذي عليها الخلق يومي الى وصف
بالجهل لانه لا يجوز ان يقال نعلم من الساكن في حال السكون حركة او السكون في حال الحركة او نعلم من الجالس قياما او القائم جلوسا
وكذلك لا يجوز ان يقال يعلم من العدم موجودا او من الموجود معدوما في حال وجوده لانه وصف بعلم ما ليس وهو محال وبالله العصمة
وقيل ان كل علم حدوث المعلوم يذكر بذكر الوقت لمحدث بفتح الدال اى يستند علمه الى المحدث بذكر الوقت لان لا يفهم بذكره قدم المعلوم
في الازل واذا وصفنا الله بما هو حقيقة بلا ذكر الخلق مع ذلك نصفه بالذي نصفه به في الازل لتعاليه من التغير والزوال وعن الانتقال
من حال الى حال ولا قوة الا بالله **وقوله** وان كانت لكبيرة يعني تحويل القبلة لكبيرة ثقيلة على من كان اتباعه بهواه دون امر ربه
الا على الذي يتبع امر الله فيها ويعتقد طاعة فانها ليست بثقيلة عليه ولا كبيرة **وقوله** وما كان الله ليضيع ايمانكم قال بعض اهل
التفسير ان قوما صلوا الى بيت المقدس ثم ماتوا على ذلك فلما حولت القبلة الى الكعبة قالوا ضاعت صلوتهم التي صلوا اليها اشفاقا عليهم
لكن هذا بعيد لا يحتمل لان الذي اعتقد الاسلام من الصحابة رضي الله عنهم وعرف موقع امر الله وامر رسوله لا يجوز ان يخص بالعلم
حتى يسالوا من ذلك بل كانوا اعلم بالله من ان يجد عدو الله فيهم ذلك ولانهم قوم ياتمرون بامر الله وطاعته ويموتون على التصديق
وعلموا انهم مؤمنون ثم يكون في احوالهم لكن ان كان ثم سوال فهو من اليهود الذين اعتقدوا ابطال التناسخ في الاحكام والشرايع
لكانوا يحتجون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه ينهى عن التفريق والاختلاف ثم يدعوهم الى ذلك وقوم من الكفرة ذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وافرطوا في التكذيب له والخلاف والمعاداة فارادوا الاسلام فظنوا ان ما كان منهم من العصيان والتكذيب يمنع
قبول الاسلام فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم لما كان منكم في حال الكفر الا ترى ان اخر الاية يدل عليه **وقوله**
ان الله بالناس لرؤف رحيم اخبر انه رحيم يتجاوز عمن تاب او قوم علموا ان لا تناسخ في الدين ولا اختلاف فيه فظنوا ان نسخ
الاحكام وتبديلها يوجب اختلافا في الدين وتفرقا فيه فنقول ان الايمان في الاصل بالذي لا يقع على اعتقاد الصلوة الى
جهة دون جهة بل يقع على الايتمار فالايمان من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الذين ماتوا على اعتقاد الايتمار فهم مؤمنون
باعتقاد الايتمار الى بيت المقدس مؤمنون باعتقاد الايتمار الى الكعبة فلا تفرق ولا اختلاف في الايمان اذ في الاصل به وقع
الاعتقاد للايتمار وبالله التوفيق ثم **وقوله** وما كان الله ليضيع ايمانكم تاويله اى لا يضيع ايمانكم بالصلوة الى بيت المقدس ولو كان
على الصلوة فهو لوجهين احدهما انها انما قامت بالايمان فهو سبب لها وقد يذكر الشيء باسم سببه والثاني ان اليهود عرفوه ايمانا فورد
الخطاب على ما عندهم معروف كقوله فراغ الى الهتهم لا ان كان ثم الهة لكن لما عندهم وكذلك قوله فتبارك الله احسن الخالقين
لا ان كان ثم خالق سواه ولكن لما عرفوا كل صانع خالقا فخرج الخطاب على ما عرفوا هم فعلى ذلك الاول والله اعلم **وقوله** قد نرى
تقلب وجهك في السماء فلنولينك قد ذكرنا انه يخرج على الوعد له **وقوله** قبلة ترضيها قال بعض المفسرين انه كان يقلب بحيث

الى السماء لما كان يحب ان يكون قبلته قبلة اليهود ولكن هذا لا يظن باحد من المسلمين فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان يقال كره كراهة
الطبع والنفس واما كراهة الاختيار فلا يحتمل ويقال انه كان حبب اليه الصلوة حتى لا يصبر عنها وقد نهى من الصلوة الى بيت
المقدس ولم يؤمر بعد بالتوجه الى غيرها فكان تقلب وجهه الى السماء رجاء ان يؤمر بالتوجه الى غيرها او ان يقال قبلة ترضاها
لانها كانت قبلة الانبياء من قبل فلا شك انه كان يرضاها وهذا جائز في الكلام يقول الرجل لاخر اعطيك شيئا ترضاه وان
لم تظهر منه الكراهة في ذلك لا الرد **وقوله** فول وجهك شطر المسجد الحرام وقد ذكرنا القول في القبلة والاختلاف فيه
ما تقدم **وقوله** وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يحتمل قوله انه الحق وجهين اى علموا ان تحويل القبلة من بيت
المقدس الى الكعبة حق لكنهم يعاندون ويتبعون هواهم ويحتمل ان علموا بما بين لهم في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول
وانه الحق فما الله بغافل عما يعملون وهو على ما ذكرنا انه على الوعيد والتهديد والله اعلم **وقوله** ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية
ما تبعوا قبلتك الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ولا يتابعون محمدا صلى الله عليه وسلم في قبلته حيث ابيه عن متابعتهم
اياه لانها لو كانت في اهل الكتاب كلهم لكان لهم الاحتجاج على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوى الكذب عليه لان من
اهل الكتاب من قد امن فدل انهم لم يفهم من عموم اللفظ عموم المراد ولكن فهموا عن عموم اللفظ خصوصا وكان ظاهرا في
اهل الاسلام واهل الكفر جميعا المعنى الذي وصفنا لك فظهر انه لا يجوز ان يفهم من مخرج عموم اللفظ عموم المراد وفيه دلالة
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه في موضع الاخبار بلا باس عن الاتباع له ولا يوصل الى مثله الا بالوحي من الله عز وجل
وفيه ان كثرة الايات وعظمها في نفسها لا يعجز المعاند عن اتباع هواه والاعتقاد لما يخالف هواه **وقوله** وما انت بتابع قبلتهم
فيه الوعد له بالعصمة في حادث الوقت وما يتلوه ويحتمل قوله وما انت بتابع قبلتهم اى وما لك ان تتابعهم في القبلة وهذا
التاويل كانه اقرب لمخرج اخر الاية على الوعيد له بقوله ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم الاية وقد ذكرنا ان
العصمة لا تمنع النهي ويحتمل ان يكون من المراد الخطاب غيره **وقوله** الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
لان الاولاد انما تعرف بالاعلام والاسباب تتقدم فعلى ذلك معرفة الرسل عليهم السلام انما تكون بالدلائل والاعلام
وقد كانت تلك الدلائل والاسباب في رسول الله ظاهرة لكنهم تعاندوا وتناكروا وكتموا بعد معرفتهم به انه الحق
دليله وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون والكتمان ابدا انما يكون بعد العلم بالشيء لان الجاهل بالشيء لا يوصف بالكتمان
وروى عن عبد الله بن سلام انه قال اعرفه اكثر مما اعرف ولدي لاني لا ادري ما احدث النساء بعدي وفيه الدلالة ان نعته وصفته
كانت غير متغيرة يومئذ وانما غيرت بعد حيث اخبرانهم كتموا ذلك قيل لا يؤمنون وهو على تبيان من نفي يذهاب نفعه وجائز ان يكون
عرفوه بما وجدوه بنعته في كتبهم كما قال الله عز وجل الرسول النبي الامي الذي يجدونه الاية **وقوله** فلا تكونن من الممترين يحتمل
ان يكون الخطاب له والمراد غيره ويحتمل هو وان كان يعلم انه لا يمتري لما ذكر في غير موضع ان العصمة لا تمنع النهي عن الشيء
وقوله ولكل وجهة هو موليها قيل فيه بوجوه قيل هو موليها ومحولها وقيل هو يعني المصلي هو موليها وقيل ولي قبل
وادبر هو موليها هو مستقبلها ويقال في قوله ولكل وجهة هو موليها لكل ملة من المسلمين قبلكم جعلت قبلتها الكعبة
وقوله فاستبقوا الخيرات قيل فيه بوجوه قيل بادروا والامم السالفة بالخيرات والطاعات وقيل استبقوا اهواءهم الازدحام يعني
تبادر بعضكم بالخيرات ويحتمل اى استبقوا في امر القبلة والتوجه اليها غيركم من الكفرة والله اعلم ورسوله **وقوله** اينما تكونوا يات
بكم الله جميعا قيل اينما كنتم يقبض الله ارواحكم من البقاع البعيدة والامكنة الحصينة وقيل اينما تكونوا اى في اى حال كنتم عظاما
ناخرة او بالية او رفاتا يجمعكم الله ويحييكم ولا يتعذر عليه ذلك وهو كقوله ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة اخبر ان شدة الحال عندكم
لا يتعذر عليه ولا يشتد من الاحياء والاماتة **وقوله** ان الله على كل شيء قدير من جمع ما ذكرنا من الاشياء المتفرقة واحياء
العظام البالية **وقوله** ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام تقول والله اعلم حيث ما كنت من المداين والبلدان فول
وجهك شطر المسجد الحرام تقول والله اعلم حيث ما كنت من المداين والبلدان فول وجهك شطر المسجد الحرام شطره تلقاءه وتحوه
وهذا يبطل قول من يقول ان الحرم قبلة لمن نأى عن البيت وبعد من اهل الافاق حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوجه الى شطر
المسجد الحرام حيث ما كانت من البلدان وبالله العصمة والتوفيق قال الشيخ رحمه الله ذكر المسجد ومعناه موضعا منه عرف ذلك
بالمحص من البقاع البعيدة والامكنة الخفية له بالظاهر ولا ذكر وصل البيان به **وقوله** وانه للحق من ربك قيل وانه تحويل القبلة
هو الحق من ربك وقيل وانه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم هو الحق من ربك ويحتمل وانه يعني القران هو الحق من ربك **وقوله**
ومن حيث خرجت على ما ذكرنا **وقوله** وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خاطب الكل وامرهم بالتوجه اليه حيث ما كانوا
حتى لا يكون هو المخصوص به دونهم **وقوله** لئلا يكون للناس عليكم حجة تأويل هذا الكلام والله انه لما اختار اليهود ناحية المغرب
قبلة والنصارى ناحية المشرق بهواهم فانزل الله عز وجل ولله المشرق والمغرب الاية يهدي من يشاء وقال فاينما تولوا وجوهكم
شطره فثم وجه الله فيقطع عذرهم ويحاجهم بما بين في كتبهم انه يحولهم وذلك معنى قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ثم
اختلف في قوله للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا قيل اراد بالناس اهل الكتاب واراد بالذين ظلموا غيرهم من الكفرة وتاويله لئلا يكون
لاهل الكتاب حجة ولا الذين ظلموا وقيل لئلا يكون للناس يعني اهل الكتاب عليكم حجة فتقولوا اليس هذا الوصف في كتبهم انه يصلي الى
بيت المقدس وقتا ثم يتحول الى الكعبة الا الذين ظلموا منهم يقول الا من ظلم منهم عليكم في الكلام بلا حجة فتقولوا اليس هذا الوصف
في كتبهم انه يصلي الى بيت المقدس وقتا ثم يتحول الى الكعبة الا الذين ظلموا منهم يقول الا من ظلم منهم عليكم في الكلام بلا حجة ولا دليل
ومثل هذا جائز في الكلام يقول لاخر ليس لك علي حجة الا ان تظلمني بلا حجة وقال الفراء هذا كما يقول الرجل لاخر الناس لك حامدون.

وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ٢

الا الظالم المتعدي عليك صواب المعنى خطأ في العربية وذكر بعينها يدل على الجواز ما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مر
يعني ولا دار مروان وقيل ايضا الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم على القطع من الاول والابتداء بهذا اي لا تخشوا الذين ظلموا في الهو
لكم ولكن اخشوني في ترككم اياها وان لا تخشوهم بالقتال والغلبة فذلك لهم منة امن عن الاعداء وعلى هذا يخرج قوله ولاتم
نعمتي عليكم يعني لامن الاعداء او اراد بالنعمة كل نعمة امن الاسلام والنص وغيره ولعلكم تهتدون القبلة وتهتدون الارشاد و
الصواب وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم كما حرف لا يصح ذكره الا على تقدم كلام اذ هو حرف عطف نسق وهو والله اعلم كما
ارسلنا اليكم رسولا وانعم عليكم بمعرفة وحدانيته وبمعرفته محاجة الكفرة عليكم بكرامة اياكم بمحمد صلى الله عليه وسلم كذلك
يجب عليكم ان تذكروه وتشكروا له ويحتمل على التقديم والتاخير على ما قاله اهل التفسير كانه قال فاذكروني كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
وذلك في القرآن كثير قال الفراء يحتمل كما ارسلنا فيكم رسولا منكم اذكركم فيكون فيه جوابه لذلك جزم وهذا كقوله للرجل كما احسنت
فاحسن وقوله ويعلمكم الكتاب وهو القرآن والحكمة قيل فيه بوجوه قيل الحكمة الفقه وقيل الحكمة الحلال والحرام وقيل الحكمة
السنة وقيل الحكمة المواعظ وقيل الحكمة هي الاصابة ومنه سمي الحكيم حكيما لانه مصيب وقال الحسن الكتاب والحكمة واحد وهو على
التكرار كقوله تلك آيات القرآن وكتاب مبين وهما واحد وقوله ويزكيكم قال ابن عباس رضي الله عنه يأخذ زكوة اموالكم فيه
تزكيتهم وقيل يزكيهم يدعوهم الى ما به زكوة انفسهم وصلاحها وهو التوحيد وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ويعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون من التوحيد والشرائع والمحاجة مع الكفرة وما اكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انعم عليهم من انواع النعم وقوله ويذكر
منكم يخاطب العرب وذكرهم بما انعم عليهم من بعث الرسول فيهم ومنهم وانزل الكتاب بلسانهم وهم كانوا يتمنون ذلك كقولهم او يقولوا
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فمن عليهم بذلك وبه استوجبوا الفضيلة على غيرهم وكفى بهم فضلا وقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير الاية وقوله فاذكروني قيل بالطاعة في الدنيا اذكركم في الاخرة بالتجاوز عن سيئاتكم وقيل اذكروني في الرخاء والسعة
اذكركم في الضيق والشدة وقيل اذكروني في الخلوات اذكركم في ملاء الناس واذكركم في ملائه من الملائكة ويحتمل اذكروني بالشكر بما
انعمت عليكم اذكركم بالزيادة عليها والله اعلم وقوله واشكروا لي ولا تكفرون اي وجهوا شكر نعمتي الي ولا تشكروا غيري ويحتمل
اشكروا الي وجهوا العبادة الي ولا تعبدوا غيري والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة الاية قد ذكرنا
تاويل هذه الاية فيما تقدم وقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء قيل فيه بوجوه قيل ان العرب كانت تعرف
الموت من انقطع ذكره ولا يرسل له احد بذكره من بعد ولده وغيره فيقولون عند هؤلاء ان ذكرهم قد انقطع فاخبر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم انهم مذكورون في ملاء الملائكة وقال الحسن ان ارواح المؤمنين تعرض على الجنان وتعرض ارواح الكفرة
على النيران فيكون لارواح الشهداء فضل اللذة ما لا يكون لارواح فرعون فضل الم يعرضها على النار ما لا يكون لغيرهم من الكفرة
ذلك فاستوجبوا اسم الحياة بفضل لذة ما يجدون من اللذة على غيرهم اخبر عز وجل انها ارواحهم الغيب تتلذذ مثل تلذذ ذم
على ما كانوا عليه في الاجساد في دنياهم هذه وقيل ان الشهيد سمي شهيدا لما عرف في اللغة ان الشهيد هو الحاضر اخبر عز وجل
انهم حضور عند ربهم وان غابوا عنكم وقيل ان الحيوة والموت على ضروب منها الحيوة الطبيعي والحيوة العرضي والموت
العرضي فالحيوة العرضي هو اليقظة وهو الحيوة بالدين كقوله او من كان ميتا فاحييناه وكقوله في الحيوة بالعلم انه ميت بالجهل
والحيوة الطبيعي هو الذي به قوام النفس والموت الطبيعي هو الذي به فوات النفس والشهادة هو الذي به اكتساب الحيوة في الاخرة
سمي به حيا والله اعلم ويحتمل قوله ولا تقولوا اموات لما ينفر طبعكم عن الموت ولكن قولوا احياء لترغب انفسكم في الجهاد اذ هو برد
بحيوة الدنيا والذين ممن يحتمل ان يكون الله بفضله يجعل لهم ما كان لهم لو كانوا احياء يعملون فكانهم احياء فيما جعلت لهم حيوة
الدنيا والله اعلم وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وما ذكر فيه تذكير من الله عز وجل الخلق لئلا يجزعوا على ما يصيبهم من
انواع ما ذكر من المصائب وفي كل نوع ما ذكر من المصائب وفي كل نوع من ذلك اضمار شيء من نحو شيء من الخوف وبشيء من الجوع لكن
اعلم لان الله عز وجل اخبر في غير آي من القرآن انه خلقهم للموت والفناء وان ما اعطاهم من الدنيا والزينة فيها كله للفناء والفو
بقوله خلق الموت والحيوة ليبلوكم الاية وقال انا جعلنا ما على الارض زينة لها الى قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا اخبر
ان الدنيا وزينتها للفناء فمن عرف ان ذلك كله دون ما ذكر وليعلموا ان ما اعطاهم من الحيوة والصحة والسلامة لم يكن
اعطاهم بحقوقهم بل لافضال والاحسان وقد جعل ذلك لمدة لا للابد فكانها في غير تلك المدة لغيرهم لا لهم فعرفوا به
منه لوقت وحقه وقت الاخذ ثم يحتمل ما ذكر من الخوف وجهين على جهة العبادة من نحو الامر بمجاهدة والقتال معه
ويحتمل لا على جهة العبادة وكذلك الجوع يحتمل الجوع الذي فيه عبادة وهو الصوم ويحتمل ما يصيبهم من المجاعة في القحط
ما اصاب اهل مكة سنين وكذلك قوله ونقص من الاموال يمتحنهم باداء الزكوة والصدقة ويحتمل الهلاك بنفسها وكذلك
الانفس يحتمل التصرف على الوجهين اللذين ذكرتهما وكذلك الثمرات ثم لا يحتمل خصوص الامتحان بما ذكر دون غيرهم لانهم
كلهم عبيد له ان يمتحنهم باجمعهم بجميع انواع المحن لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه لما عرفهم ان كل ذلك انما خلق للفناء
فالبعض منه كذلك يخفف ذلك عليهم والله اعلم ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبشر الذين صبروا على المصائب التي امتحنهم
بها عز وجل ولم يجزعوا عليها وقالوا انا لله وانا اليه راجعون فيه الاقرار بوحدانية عز وجل وبالبعث بعد الموت وقيل
ان هذا الحرف خص به هذه الامة دون غيرها من الامم لانه لم يذكر هذا الحرف عن الامم السالفة الا ترى ان يعقوب عليه
السلام على كثرة ما اصابه من المحن والمصائب والحزن على يوسف لم يذكر هذا الحرف عنه ولكن قال يا اسفى على يوسف ولو كان
لم هذا الظهر منهم على ما ظهر عنه فدل انه مخصوص بهذه الامة والله اعلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال من استرجع
جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضى به ثم الصبر هو حبس النفس عن الجزع على ما يفوت اذ هو كله لله عز وجل

مستعاد عند الخلق والجزع على فوت ما لغيره محال الا ترى الى قوله عز وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم
نهانا ان نحزن على ما يفوت عنا اذ هو في الحقيقة ليس لنا وان نفرح بما اتانا اذ هو في الحقيقة لغيرنا والله الموفق وقوله
اولئك عليهم صلوات من ربهم قيل الصلوة من الله عز وجل يحتمل وجوها يحتمل الرحمة والمغفرة ويحتمل الصلوة منه
مباهاته الملائكة حيوا بالحمد لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها كيف قلتم هذا وفيهم من يقول كذا وقيل الصلوة
منه الثناء عليهم واي كرامة تبلغ كرامة ثناء الله عليهم وقوله واولئك هم المهتدون شهد الله عز وجل بالاهتداء
لمن فوض امره الى الله وسلم لقضائه وتقديره السابق وهو كائن لا محالة كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا
في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها قال الشيخ رحمه الله قوله ولنبلونكم بشيء من الخوف نبلوهم بالذي كان به عالما
ليكون به ما علمه يكون بالامر والنهي يحق المحنة وهو كان مستخبرا عما هو به خبير معا كانت المحنة في الشاهد لاستخراج
الخفيات يكون بالامر والنهي فاستعملت في الامر والنهي وان كان لا يخفى عليه شيء بل هو كما قال عالم الغيب والشهادة
ثم له جعل الغيب شاهدا فجرت به المحنة ليعلم ما قد علمه غائبا شاهدا اذ هو موصوف بذلك في الازل وبالله التوفيق
ثم كان العبد بجميع ما هو له من السعة والسلامة فهو لله في الحقيقة لكنه بفضله وكرمه يعامل عباده معاملة من ليس
له ما كان يطلب منه وتأمره به فقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم الاية وقال واقرضوا الله قرضا حسنا الاية ليكون
ذلك اطيب لانفسهم وارغب لهم في البذل لما طلب منهم وان كان له اخذ ذلك منهم بلا شيء بعدهم عليه فعلى ذلك
قال عز وجل لنبلونكم بالذي ذكر بدلهم على ان ذلك منه يعلموا انه فيما كان وعد الاشتراء منهم وطلب منهم البذل بجزيل العوض
لهم فيخف ذلك عليهم ويطلب به انفسهم وان يكون يذكروا ولا انه يبتليهم بالذي ذكر ليطيبوا انفسهم به ولا يتحققوا ذلك
من قلوبهم فيضجرون عند الابتداء بذلك وكذا كل خلاف الطبع اذا كان عن رياضته اياه واشعاره به قبل قبل النزول كان
ذلك ايسر عليه من اتيانه ذلك من حيث لم يعلم به معا كان في ذلك خطر بالقلوب نسبة مثله الى الخلق والتشام بهم فقدم الله
في ذلك البيان ليعلموا ان ذلك كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية فبين ان ذلك مكتوب عليهم ليطيب
الانفس ونطمان القلوب عليه والاصل في هذا ان جميع ما ذكر البلوى به في التحقيق ليس يحق للعبد بل هو امتنان من الله
وافضال منه وانه لم ينشئه ولا احياه نشو الابدية ولا حيوة السرمدية فعلى ذلك جميع ما انعم عليه واذا سكن العبد على هذا الذي
جبل عليه امر نفسه وما ملك عليه سهل عليه ذهابه وطابت به نفسه معا يعلم انه انعم عليه لوقت ثم هو نعمة ولغيره فيكون
الماخوذ منه في الحقيقة لغيره وان كان الله عز وجل ذكره في الابتداء والمصائب فهو على ما اخبرت من كرمه فيما يعامل عبيده عز وجل
ولا قوة الا بالله وقوله بشيء من الخوف والجوع فهو على اضمار الشيء في كل حرف اذ هو يحق العطف على ما تقدم فكانه قال بشيء من
الخوف وبشيء من الجوع ولا قوة الا بالله ثم يتوجه ما اخبر من البلوى الى وجهين احدهما ان يبلوه بعباده فيما ما ذكر والثاني ان
يبلوه بالذي ذكر لا على عبادة يدفع اليه وذلك نحو ان يبلوه بالجهاد وفيه الخوف او يبلوه بانواع اوصاب يحل به فيخاف
عند ذلك على نفسه والجوع ان يبلوه بالصيام الذي فيه ذلك او بقلة الاقوات وغلاء الاسعار ونقص من الاموال يكون
في الجهاد والحج والزكوات والمؤن المحمولة في الاموال ويكون في الخزان في التجارات وما يلحق انواع المكاسب من الحوائج والانفس
يكون بالجهاد ومحاربة الاعداء ويكون بانواع الامراض والثمرات ترجع الى قلة الانزال وقصور الاربح عاية بنال ومفارقة الاموال
لجهاد دوائج ونحو ذلك مما فيه ثم الله سبحانه وتعالى اخبر انه يبلوهم بشيء مما ذكرنا لا بالكل دل انه عز وجل لم يقطع عليهم
كل المخارج بل جعل لهم في كل نوع من ذلك مسلكا وان كان في ذلك نقصا وضررا وجائز بلوغ ذلك تمام ما في كل نوع لكنه بلطفه
قرب اليهم فيما خوفهم وجه الرجاء وعلى ذلك جميع افعال ذي المحن انها مقرونة بالخوف والرجاء وكذلك هم في انفسهم
ولا قوة الا بالله ثم ان الله دلهم على ما عليهم من الحق فيما اخبر انه يبلوهم به بحرف البشارة والوعد الجزيل الذي يسهل
بمثله البذل بمن لا حول له فكيف ومن له كلية ذلك فقال الله تعالى وبشر الصابرين ثم وصف الصابرين فقال الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون هدى الله عبده على الاعتماد بحرف التوحيد عند المصيبة اذ جعل التوحيد داخل
في ذلك الحرف وفيه التبري من ان يكون له في حكم الله اوراي وبذل النفس له يحكم فيها بما شاء وقوله انا لله كانه قال ما لنا
فيما ليس لنا حكم ولا تدبير وانما يكون الحكم في كل ملك لمن يملكه وتمثل هذا يقدر على كف النفس عن الجزع وحملها على ما يكره
وقوله وانا اليه راجعون فكانه اذا اليه مرجعنا لا فرق ان ترجع اليه جملة او بالتفاريق بل في التفريق علينا الابقاء وفضل
القبول منا البعض دون الكل وفي ذلك تذكير النفس عما قبلها ليكون لمن تقدم شبها مما به قوامه الى مكان قراره وقد انتهى بخبر
بالبلوغ فمعلوم ان ذلك اطيب لنفسه واسكن بقلبه من ان يكون جميع ذلك معه وبالله التوفيق وجملة ذلك ان هذه الدنيا
انشئت لا لها ولكن ليكتسب بها الاخرة وجعل كل شيء منها زائلا فانيا البالية الدائم الباقي فهذا لا ان يحق كل فيما يصيبه
ان يرى الذي اخذ ومالا يبقى فيعلم انه بلغ في تجارته غايتها من الربح وانه باع الشيء الفاني بالباقي ومهما كان كل شيء من الدنيا
ما وقف بآفاق الفناء والهلاك فابدل المالوف بالذي لا آفة فيجب في التدبير ان لا يعد ذا مصيبة بل هو اعلى السرور وارفع
الربح لكن البشر جبل على طباع فامر عن كل ذلك جاهل بالعواقب التي لعلها يرغب فيها كل احد لا ان ينزعها والله المستعان
فان قال قائل هذا الاسترجاع خص به هذه الامة اذ قال يعقوب يا اسفى على يوسف الاية والله اعلم ان كان فهو موضع
التلقين والتعليم ان قولوا ذلك لا ان هذا المعنى مما يحتمل ان يكون يعقوب لا يحققه بل حققه بقوله فصبر جميل الاية وقوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله وهو مع ذلك قد كان بما اخبره يوسف وبما اوحي اليه انه قد علم انه لم يهلك بعد ولم يوجد منه الى
حيث يرجع هو اليه من البعث بعد الموت ولا قوة الا بالله ثم بين الله عز وجل ما يكرمهم اذ خصوا الحكمة ورضوا القضاء

بحماد لعليه ايضا بقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله الاية فقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
وقال في موضع اخر انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فكان من فضله ان سمى ما وعدهم على الصبر اجرا ومعلوم انه كان ذلك حقا
لله عليهم بالسابق من نعمه مع عظيم منته لكنه سمى ما افضل به اجرا له معنى كان العبد يعمل لنفسه ولا يحتمل ان يستحق به الاجر لولا
الانعام منه جل ثناؤه ثم وعد له في حال فعله بخصال ثلاثة احدها ان عليه صلاته وصلوته تحتمل مباهاته للملائكة تعظيما لما يدل
عبده له وخضع لحكمه عليه وهو ان قالوا ونحن نسبح بحمدك الاية فيخبرهم ان هذا قد سبح حضرة المصيبة وخضع لحكمه بالحمد
بالاسترجاع ويحتمل مغفرته وايجاب الثواب الجزيل له بقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة الاية وقوله يرزقون
فرحين بما اتاهم الله من فضله وقوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ما ذكر من الافضال والله الموفق ويحتمل ثناؤه وذكرهم في اخبار
عباده كقوله ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله الاية وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية مما يرجى له من زيادة الهدى
في الدنيا بقوله والذين جاهدوا فينا الاية وقوله والذين اهتدوا زادهم هدى ورحمة قد يرجع رحمته هي التي اكرمته بذلك الاسترجاع
ويحتمل النعمة ورحمة يلقيها في قلوب العباد حتى يجبرونه بها او خلف يعطيه في الدنيا ثم شهد الله لهم بالهداية وذلك يحتمل ان يكونوا
اهتدوا الدينه ولما من عليهم في المصيبة من التسليم لله ويحتمل لاهتداء لطريق الجنة على ما بينه الله وعد الشهداء ولا قوة الا بالله وقوله
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للاسترجاع وقد روي عن نبي الله انه قال لم يعط الاسترجاع من كان قبلكم فهو على ما بينا من القول بر واما حق
التسليم فقد كان في توقيت وقت الصبر ثم روي رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر عند الصدمة الاولى وقد روي عن انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مصيبة وان طال عهدها فيجددها العبد بالاسترجاع الا جدد الله ثوابها كلما استرجع فلعل هذا
لمن احسن القبول وقت المصيبة او رجع عما كان فرط منه وتاب والاول في غير ذلك والله الموفق ثم في الاية وجوه من العبر احدها ما يلزم
العبد من المصائب وما يستوجبه اذا وفى بما عليه والثاني ذلك بيان ان الصحة والامن وحفظ القدر لاحد ليس بلازم في الحكمة لكنها
انعام من الله وله الابتلاء باخذه اذ لو كان عليه الاول لم يكن يلزمه الشكر في ذلك وان الله تعالى ذكر انه بلا العباد بالذي ذكر ومعلوم ان
ذلك يجري على ايدي العباد دبهم كما اضاف ذلك الى نفسه ثبت ان له في ذلك تدبيرا حتى يلزمهم به والله اعلم وقيل ان الله تعالى قال ونبلوكم
كذا ولو يكون كان لو مثله ثم كان ذلك وكذلك قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية ليعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
علم ذلك بالله وتبين ايضا انه بموضع البشارة بما يعظم من الخلق ويقتضي الفزع في الطمع لما يحتمل ان يخبرهم بزلوله الى مربع وطاعة الله في
ذلك والصالة ذكر الخوف فيعلم ان الخوف من الخلق لا يوجب الاعتقاد وكذلك قوله لا تختنوا ان الذين كفروا فعل ذلك الرجاء و
الطمع وجملته ان امر الدنيا محمول كله على اسباب انما توجب ولكن الله تعالى احكامه عليها فيكون الخوف والرجاء في التحقيق من
الله تعالى ان يكون جعل ذلك سببا والله الموفق وايضا ان يعلم ان المحنة في الدنيا ليست كلها عقيب الاجرام بل لله تعالى ان يبتلي
بالحسنات والسيئات ايضا لا يدل على وهن عقد المحنة ولا زلة في ايمان وعلى ذلك امر الانبياء والرسل عليهم السلام ولكن على وجهين احدهما
ان يكون الله يريد ان يجري وليه لذات الدنيا لها موقع في الحرج والثاني ان يكون لهم بعده ذلك لا يسلم منها البشر ليجعلوا فيها
يوم القيامة ولا دلالة بقيته مما يجزيهم بذلك ولا قوة الا بالله وانما كذلك جعلت المحنة قال ذلك وقوله ان الصفا والمروة
من شعائر الله ان سعودهما من اللازم في نسكه وكذلك صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وقال نبدأ بما بدأ الله وقد قال الله
تبارك وتعالى لا جناح عليه ان يطوف بهما الاية ولم يطف بينهما فلم يصعد الصفا والمروة ولم يطف بهما فقال لا تحلوا شعائر
الله وفي ترك سعوده ما احلال شعائر الله اذ قد بين الله انهما من شعائره وما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بينهما على
ناقته ومعلوم ان ناقته لا يصعدها فهو عنده للعذر وفعل ذلك والدليل انه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صعدهما
واستقبل البيت وقال نبدأ بما بدأ الله دليل ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه طاف بينهما على ناقته وبالبيت لعذر به
ولا يحتمل ايضا ان يكون بغير عذر وهو المتقى بالسعي لما فيه من فعل السعي والراكب لا يسعى وقال الشافعي روي عن جابر بن عبد الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت وبين الصفا والمروة على ناقته ليرى الناس وقال لخبر جابر اولى من خبر ابن جبير فكانه
وقع عنده انه عن ابن جبير وذلك عن ابن عباس رضي الله عنه وهو اولى لان العذر كان من لا يعرف بالنظر من بعد وانما يعرف بالتامل
او بالخبر من عنده ذي العذر وعلى هذا خرج خبر ابن عباس رضي الله عنه على ان خبر جابر لو صح على ما روي فهو لما ذكر انه يرى الناس
فكانه اراد ان يعلمهم وذلك عذر له صلى الله عليه وسلم اذ خرج مخرج التبليغ وذلك كالتعليم منه والتعليم عليه لازم فهو بتركه
يلام عليه فذلك عذر والله اعلم والثاني انه يجوز ان يكون فعله ذلك ليس هو فعل ما كان عليه انه كيف كان يفعله فكان
ذلك لمكان الدلالة للخلق بذلك هو الامر المتوارث من صنيع الحج والعمرة ان الاولى يفعلون ما يفعل الحاج لا على فعل
الحج ولكن على التعليم فعل ذلك الامر المروي عنه صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
يحبونهم اي اشباها في التسمية او اعدالا في العبادة او شركاء في الحقوق بقوله هذا لله بزعمهم الاية يسفههم بما عبدوا
ما قد صنعوه بالصناعة او النحت وزينوا بانواع الزينة واعرضوا بذلك من عبادة من عرفوه بشهادة جميع العالم بهم
وعلموا انه لا يملك شيئا مما عبدوه ضرا ولا نفعا واعرضوا بذلك من عبادة من عرفوه بشهادة جميع العالم بهم بل لو كان
يجوز العبادة لغير الله لكان اولئك الذين تخذوا اولى من المتخذين ثم بين عظم سفههم بجهلهم بعبادتهم وعجزها عن الدفع
عنها ثم قاموا بنصرها والدفع عنها سفها بغير علم يحبونهم كحب الله يتوجه وجهين اي كحبهم الله بما ادعوا انهم بذلك
يتقربون الى الله ويكون كحب المؤمنين الله معناه يحبونهم عبادتهم كما يحب المؤمن عبادة الله والذين امنوا اشد حبا لله
اي العبادة منهم لعباد الاوثان من حيث لا يؤثر المؤمن على عبادة الله اعني في الاختيار لا فيما يوجد من ظاهر الاحوال في
الكافرين جميعا وهم يتركون عبادة الاوثان بوجوه ما هو اعجب منها او بادنى شيء من متاع الدنيا وبعد فان الحب يخرج على

الثناء وعلى العبادة والطاعة وعلى التبجيل والتعظيم وقد يخرج على ميل القلوب بحب الكفرة هذا وهو حب الجبلة في الـ
الذي يولده الشهوة او يستحسنه البصر وحب الله من المؤمنين من هذين الوجهين فاسد بل هو من الوجوه التي ذكرنا وقد كان
حب الهيبة والرغبة اذ علموا ان النعم كلها من الله تعالى وعلموا ان السلطان والعز لله ولا احد ينال شيئا من ذلك الا بالله فاوجب
ما عنده من النعم الرغبة وما له من السلطان الهيبة فذلك طريق حب المؤمنين مع ما ظهر من اياديه التي لا تحصى وافضاله التي
لا تحاط والعلم بها موجبا تعظيم الامور والمبادرة بالقيام بها مع الادلة المظهرة تعاليه عن تقدير القول وتصوير الاوهام
فيكون حبه في الحقيقة في تعظيم اموره وحسن صحبة نعمه ومعرفة حقوقه لا في توهم ذاته واشعار القلب ما يعقله ليرجع
المحبة الى ذلك بل هو فيما ذكرت ولذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وهو ان
من احب اخر محبة الجلال والرفعة عظم رسوله صلى الله عليه وسلم وانقاد لما يدعوه اليه وان كان في ذلك هلاكه وتعظيما لامره
وتبجيلا فكيف فيما اثاره وقدرة في الدارين والله الموفق وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم يتوجه وجهين احدهما الاذن
في الاكل ما يستطيبه النفس وتتلذذ به ليكون ادعى واشكر لله فيما انعم عليه ويكون على ارادة الحلال بقول الطيبات
فيكون في الاية دليل كون الرزق حلالا وحراما اذ قيل من ذا ولم يقل كلوا ذا ولو كان كل الرزق حلالا لكان يقول كلوا
مما رزقناكم والله اعلم ثم حق المحنة التمكين مما يحرم ويحل ومما ترغب اليه النفس ويزهد فجاز جميع ذلك كله في الملك
وفي الرزق ليمكن من الامرين بالمحنة اذ ذلك حق المحنة والله الموفق وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد ويحتمل غير باغ في و
لا عاد على حد الله اذ حرمه عليه في غير حال الاضطرار فيصير باغيا في الاكل عاديا على حد الله ويحتمل ان يكون غير باغ ولا عاد
تفسير القوله فمن اضطر كقوله محصنات غير مسافحات الاية ويحتمل غير باغ ولا عاد في مجاوزته في كل الحد المجعول له
من اقامة المهجة ودفع الضرورة فاكل بشهوة او لحاجة غير حاجة الجوع خاصة ويحتمل غير باغ على المسلمين ولا عاد عليهم
لكن تصريح النهي عن الانتفاع بالشيء حرمة هتكها صاحبها نهى عما هتك لا عما كان مباحا له كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
لا صلوة للمراة الناشز ولا للعبد الابق وذلك نهي عن الاباق والنشوز لا عن الصلوة فمثله لو كان نهيا فكيف ولا نهي
ولكن ذكر اباحة على صفة لم يذكر الحل والتحريم في الابتداء مع تلك الصفة وجملته ان بغيه لا يحرم ما قد احل بالجوهر بالاتفاق
لكذلك ما احل بالسبب دليل ذلك امر الكفرة وسائر الفسقة انه لم يحرم عليهم شيء من ذلك والثاني النهي عن قتله وقوله
ان الصفا والمروة من شعائر الله فيه دلالة ان الصعود على الصفا والمروة من شعائر الله لا الطواف بينهما خاصة على
ما قاله قوم دليله قوله لا جناح عليه ان يطوف بهما ولم يقل ان يطوف بينهما ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال نبدأ بما بدأ الله ثم صعد الصفا فان عورض بما روي انه طاف بينهما على ناقته ولم يصعد قيل له يحتمل انه
لم يصعد لما كانت الناقة لا تقدر الا رتقاء بها ولا الصعود او كان به عذر فترك الصعود للعذر وقد يباح الاشياء
في حال العذر ما لا يباح في غير تلك الحال ثم اختلف في الطواف بينهما بعد ما قيل ان الجناح فيه لوجهين احدهما ما
قيل كان بالصفا صنم وبالمروة صنم فتحرجوا لمكانهما وقيل كان بينهما اصنام لذلك كان تحرجهم ثم قال الشافعي ان السعي بينهما
مفروض حتى لو ترك الحاج خطوة منه واتى اقصى بلاد المسلمين امر بان يعود ليضع قدمه موضعها ويخطو تلك الخطوة واحتج بما روت
صفية بنت فلان انها سمعت امراة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان الله كتب عليكم السعي بين الصفا والمروة
فاسعوا وهو ياتي مرة قبول المراسيل لتوهم الغلط ومرة يحتج بامراة لا يعرف ولا يذكر اسمها والوجه فيه ان ثبت وصح ان
الكتاب يحتمل غير ما قاله وهو ان يقال كتب اي حكم كقوله في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين في كتاب الله عليكم قيل به حكم
الله عليكم وقال اخرون ليس بفرض ولا لازم واحتجوا بما ذكر في حرف ابي لا جناح عليه ان لا يطوف بهما ولا يذكر ذلك
في شيء واجب والثاني ان هذه اللفظة لفظة رخصة ولا يرخص بترك ما فرض ولا لازم ثم الجواب عن الحرف الاول
ان الذات ربما تزاد وتنقص ولا يوجب زيادتها ولا نقصانها تغيير حكمها كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا
ومثل هذا كثير في القران والثاني ما ذكرنا ان المسلمين كانوا يتحرجون عن الطواف بينهما لمكان الاصنام فبين عز وجل
ان لا حرج عليهم في ذلك لا ان ليس الجناح يدفع الحرج في تركه واما عندنا ان ما لا يتبرع به يخرج الامر به مخرج الوجوب
واللزوم كالطواف وسجدة التلاوة وكالوتر والاضحية وغيره وقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما تم
حج امرئ قط الا بالسعي فهو وصف بالنقصان لا وصف بالفساد وفرق بين التمام من النقص وبين الجواز من الفساد وقوله
فان الله شاكر عليم عامل الله عز وجل بكرمه ولطفه عباده معاملة من لا حق له في اموالهم وانفسهم حيث وعد قبول
اليسير من العمل واعطاء الجزيل من الثواب وحيث طلب منهم الاقراض ووعد لهم العظيم من الجزاء لكن لا حق له فيها بقوله
واقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا وحيث خرج القول منه
في الابتلاء والامتحان مخرج الاعتذار لهم كان لا حق له فيه بقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف الاية ثم بشرهم بالجنة بما
على اخذ ماله اخذه وذلك من غاية اللطف والكرم قيل شاكرا اي يجزيهم جزاء الخطير بعمل اليسير وقيل يقبل القليل ويعطي الجزيل
وهو واحد وقوله ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات قيل البينات هي الحجج اي كتموا ما انزل الله من الحجج التي كانت في كتبهم
وقيل كتموا ما بين في كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وجائز ان يكون البينات ما بين للخلق مما عليهم ان ياتوا
ويتقوا من الاحكام من الحلال والحرام وقوله والهدى قيل الصواب والرشد وقيل الهدى ما جاءت به الانبياء من شان
محمد صلى الله عليه وسلم وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وقوله من بعد ما بيناه للناس في الكتاب يختلف
في الناس قيل بيناه للمؤمنين ما كتمهم اليهود من نعته ودينه ويحتمل البيان بالحجج والبراهين ويحتمل البيان بالخبر الخبر

المؤمنين بذلك وقوله اولئك يلعنهم الله قال بعض اهل الكلام اللعن هو الشتم من الله تعالى لكنا لا نستحسن اطلاق لفظ الشتم اليه لان المضاف اليه الشتم يكون مذموما في المعروف مما يحيل عليه الخلق ونقول اللعن هو الطرد في اللغة طردهم عز وجل عن ابواب الخير وقوله ويلعنهم اللاعنون يعني اللاعنين عليهم باللعن سموا بذلك اللاعنين ويحتمل يستبعدهم عن الخيرات وانواع البر وقيل هم البهائم اذا قحطت السماء واسنت الارض قالت البهائم منعنا القطر بذنوب بني آدم لعن الله عصاة بني ادم وقوله الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا قيل تابوا عن الشرك واصلحوا اعمالهم فيما بينهم وبين ربهم وبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين تابوا عن الكتمان واصلحوا ما افسدوا بالكتمان وبينوا ما كتموا فاولئك اتوب عليهم يقبل توبة من يتوب وقيل يتوب عليهم اي يوفقهم على التوبة وقيل الرحيم هو المتجاوز عن ذنبهم في هذا الموضع وقيل الكاشف عن كربهم وقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله قيل لعنة الله هو ادخاله اياهم النار واخلادهم فيها ولعنة الملائكة قولهم او لم تك تاتيكم رسلكم بالبينات جوابا لما سألوهم من تخفيف العذاب كقوله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وكقوله ربنا اخرجنا منها فان عدنا الاية فتقول لهم الملائكة اخسئوا فيها ولا تكلمون هذا ما قيل من لعنة الملائكة وقيل لعنة الناس اجمعين انهم لما طلبوا من اهل الجنة الماء بقوله ان افيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين هذا لعنة الناس والله اعلم وقوله ولا هم ينظرون قيل لا يمهلون ولا يردون الى ما تمنوا كقوله او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وقيل لا ينظرون ولا يؤجلون قيل لا ينظرهم خزان النار بالعذاب وقوله والهكم اله واحد ذكر هذا الاسم لانه كل معبود يعبد عند العرب يسمون الها كقوله فراغ الى الهتهم وكقوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه لهذا ذكر ان الهكم الذي يستحق الالوهية والعبادة واحد بذاته لا واحد من جهة العدد كالخلق ذو اعداد والازواج والاشكال بل واحد بذاته وبجلاله وعظمته وارتفاعه وتوحده عن شبه الخلق وجميع معانيهم يقال فلان واحد زمانه يراد الارتفاع امره وعلو مرتبته لا بحيث العدد اذ بحيث العدد مثله كثير وقوله والهكم اله واحد فيه اثبات الله واحد وفي قوله لا اله الا هو نفي غيره من الالهة فان قيل لم كان هذا دليلا وهو في الظاهر دعوى قيل له دليل وحدانيته في قوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار خلق السموات وجعل فيها منافع وخلق الارض وجعل فيها منافع للخلق ثم جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض لبعد ما بينهما اذ لا منفعة للخلق في منافع احديهما الا باتصال منافع الاخرى نحو ما جعل من معرفة الطرق في الارض بالكواكب وانضاج الاعناب والثمار وينعها بالشمس والقمر وجعل احياء الارض واخراج ما فيها من النبات من المأكول والمشروب والملبوس بالامطار فدل اتصال منافع احدهما بالاخر وتعلقها به على ان منشيهما واحد لانه لو كان من اثنين لكان اذا قطع هذا وصل الاخر واذا وصل هذا قطع الاخر فاذا لم يكن ولكنه اتصل دل انه فعل واحد فهو ينقض على الثنوية والزنادقة قولهم وكذلك يدل اختلاف الليل والنهار على ان خالقهما واحد لانه لو كان اثنان لكان اذا اتى هذا بالليل منع الاخر بالنهار واذا اتى احدهما بالنهار منع الاخر بالليل وفيه ذهاب عيش الخلق وفي ذهابه تفانيهم وفسادهم فدل انه واحد والثاني انه جعل للخلق في الليل والنهار منافع وجعل بعضها متصلة ببعض متعلقة مع تضادهما كقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فدل اتصال منافع احدهما بالاخر مع اختلافهما وتضادهما ان محدثهما واحد وفيه دلالة حدث العالم لما ذكرنا من تغييرها وزوالها من حال الى حال فدل تغييرها وزوالها على انها حادث ودل انه جعل هذه الاشياء بابتدائها وعجزها قدرة مثلها على انها محدث والثاني ان كل واحد منهما اعني الليل والنهار يصير بمجيء الاخر مغلوبا فلو كان ثم لغير فيه تدبير والة ما احتمل ان يصير مغلوبا بعد ما كان غالبا فدل ان لهما محدثا وانه واحد فيه دلالة البعث والحيوة بعد الموت لان الليل ياتي على النهار فيتلفه ويذهب به حتى لا يبقى فيه من اثر النهار شيء وكذلك النهار ياتي على الليل فيتلفه حتى لا يبقى من اثر الليل شيء ثم وجد بعد ذلك كل واحد منهما على ما وجد في البدء من غير نقصان ولا تفاوت فدل انه قادر على انشاء ما اماته واتلفه وان لم يبق له اثر على ما قدر من ايجاد ما اتلف وانشاء ما اذهب من الليل بالنهار ومن النهار بالليل وان لم يبق له اثر وقوله واختلاف الليل والنهار قيل اختلافهما لما جعل احدهما مظلما والاخر مضيئا وقيل اختلافهما نقصانهما وزيادتهما اذ ما ينتقص من احدهما يزداد في الاخر فدل انتقاصهما وزيادتهما على ان منشئهما واحد لانه لو كان من اثنين يمنع كل واحد منهما صاحبه من الزيادة والنقصان وبالله التوفيق ولتغير التدبير ولا يجري كل عام الامر فيه على ما جرى عليه في العام الاول وقوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فالاية تنقض على المعتزلة قولهم لانه عز وجل جعل الفلك التي تجري في البحر من اياته والمعتزلة جعلوها من ايات البحارين لان الفلك قبل ان يعمل فيها وينحت لا يسمى فلكا ولكن يسمى خشبا فلم يكن عمل العباد وفعلهم فيها من مصنوعه ومخلوقه لزوال به موضع الحجاج وتسميته باسم الايات فدل ان له فيها صنعا وتقديرا حيث صار من عجيب اياته ثم فيه اعجوبة وهو ان الطباع تنفر من معاينة البحر لاطلاع امواجه واهواله واراهم من عظم اياته مما يجريه في البحر على الحفظ والامر الواقع لهم فدل انه من عند قادر لطيف خبير وفيه ايضا دلالة وحدانيته وذلك ان اهل البر لهم الانتفاع باهل البحر ولاهل البحر الانتفاع باهل البر على بعد ما بينهما وتضادهما فدل ان محدثهما واحد ثم فيه دلالة اباحة التجارات مع الخطرات على احتمال المشقات وتحمل المؤنات وفي ذلك دلالة النبوة لان اتخاذ السفن وما فيه من المنافع لا يقوم له تدبير البشر ثبت انه علم ذلك بمن علم جواهر الاشياء وما يصلح الاشياء وما لا يصلح وفي الحاجة الى ذلك ايجاب القول بالرسالة للبشر وقوله وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض فيه دلالة فضل العلوي على السفلي لان ما ينزل من السماء من الماء ينزل عذبا وما يخرج من الارض يخرج مختلفا منه ما هو اجاج وما هو مر فدل ذا فضل العلوي على السفلي وقوله فاحيا به الارض بعد موتها قد ذكرنا هذا ان فيه دلالة البعث وقوله وبث فيها قيل خلق وقيل بسط وقيل فرق من كل دابة قيل جعل فيها من كل جوهر الدابة منها ما جعلها اكولا منتفعا

بها من كل انواع المنافع ليدلهم وليرغبهم على ما وعد لهم في الجنة ومنها ما جعل غير ماكولة ولا منتفع بها بل جعلها اعداء لهم ليدلهم على تحذير ما اوعدوا وحذروا الى النار وقوله وتصريف الرياح يحتمل وجهين يحتمل تصرفها مرة للعذاب ومرة لمنافع لانه جعل فيها منافع كثيرة للخلق بها تجري السفن في البحار وبها تنتشر السحاب في الهواء وبها ينقى الاشياء وبها تتميز ما للخلق مما للدواب مما يكثر ذلك ثم يعلم من عظم لطفه انه جعل الهواء بحال لا يقر فيها شيء وان لطف والسحاب مع غلظه وكثافته جعل الهواء مع لطافتها ورقتها مقرا للسحاب حتى يعلم ان ليس لغير الله فيه تدبير ويحتمل تصريف الرياح صرفه اياها مرة صبا ومرة دبورا ومرة نسيما ومرة يمينا ومرة شمالا للمنافع ثم فيه دلالة انها من الاجسام لا من الاعراض لانه جل وعز جعلها ماسة مانعة لا صارعة من قام في ناحيتها وذلك صفة الاجسام لا صفة الاعراض لكن لا ترى للطافتها فدل انها من الاجسام ما لا يرى ولا يمس كالهواء لا يرى ولا يمس وهو من الاجسام ولا الذرة التي في الشمس ترى ولا تمس ثم دلهم عز وجل ان الذي سخر السحاب بالرياح التي جعلها في الهواء ومما فيها من المنافع التي تقدم ذكرها على ان مدبرهما واحد اذ لو كان التدبير من عند اثنين لا وجب التناقض في التدبير والصنعة اذ يجعل كل منهما على خلاف ما جعله الاخر ويتدبر كل منهما لينقض تدبير الاخر في التدبير واتقان الصنعة واحكامها دليل ان الحكيم هو الواحد الذي دعاكم هذه الاشياء الى الاقرار بوحدانيته والزمكم العبودية له بما اودع له في كل جزء من المصنوعات من ادلة وحدانيته وايات ربوبيته ولهذا قال لايات لقوم يعقلون ليعتبروا ما فيها من الادلة والحجج اذ من لا يعقل جهة الحكمة في خلق هذه الاشياء ثم خلقت ولماذا خلقت وما الحكمة فيها لا يستوي عليه خلقها وغير خلقها ثم فيه دلالة ان ما خلق من السموات والارض والليل والنهار والرياح والسحاب خلقها وغير خلقها ثم فيه دلالة ان ما خلق السموات والارض والليل والنهار والرياح والسحاب خلقها ليدلهم على وحدانيته وربوبيته وجعلها مسخرة مذللة لهم وبالله التوفيق وقوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا قيل فيه بوجوه قيل يتخذ يعبد من دون الله اندادا وقيل يتخذ من دون الله اندادا في التسمية ومعنى يتخذ الجواهر التي تصاغ او تنحت ونحو ذلك مما يتعلق كونهم بصنيعهم يسفههم بهذا انهم تركوا عبادة من به قامت لهم كل نعمة وسلم لهم كل خير وعبدوا ما قد اتخذوه بالمعالجة ولا قوة الا بالله وقوله يحبونهم كحب الله قيل يحبون عبادة الانداد وطاعتهم كحبهم كعبادة الله وطاعته لانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يحبون عبادة الانداد كحب المؤمنين عبادة ربهم وقيل يحبون الهتهم كما يحب الذين امنوا ربهم ثم قال والذين امنوا اشد حبا لله منهم لالهتهم قيل والذين امنوا اشد حبا لله اي اشد حبا لاجل الله وقيل والذين امنوا اشد حبا لله اي اشد اختيارا للطاعة واكثر ايثارا واعظاما واجلالا لامره من اعظامهم واجلالهم الهتهم والله اعلم ثم المحبة محبة الشهوة والميل اليه وهو في الخلق لا يحتمل في الله ومحبة الطاعة وايثار الامر والاعظام فهو في الله يحتمل وقوله ولو يرى الذين ظلموا قرئ بالياء والتاء جميعا ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ولو ترى الذين ظلموا يا محمد شهوا والله ان القوة لله جميعا ومن قرأ بالياء يقول ولو يرى الذين ظلموا في الدنيا اذ يرون العذاب يعلمون ان القوة لله جميعا ويحتمل لو علم الذين ظلموا اذا علموا عذاب الاخرة يعلمون ان القوة لله جميعا ويحتمل المراد من قوله يرى اي يدخل كقوله وبرزت الجحيم لمن يرى اي لمن يدخلها ويصليها وقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا يعني الرؤساء من الذين اتبعوا يعني الاتباع والسفلة تبرأ بعضهم من بعض العادة من الاتباع من القادة وهو كقوله قالت اخراهم ربنا هؤلاء اضلونا الاية وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل الاية وكقوله قال الذين استكبروا للذين استضعفوا والذين استضعفوا للذين استكبروا وامثال هذا وكقوله يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الاية وقيل اذ تبرأ الذين اتبعوا يعني الشياطين من الذين اتبعوا الانس وقيل يبدي الله كلا عدا ان اوثانهم لن تغني عنهم شيئا ولا شركاؤهم الذين اضلوهم ولا اشرافهم شغلوا عنهم حين علموا النار وقوله وتقطعت بهم الاسباب قيل الارحام والانساب كقوله فلا انساب بينهم وكقوله يوم يفر المرء من اخيه الاية وقيل تقطعت بهم الاسباب يعني العهود والايمان التي كانت بينهم في الدنيا وقيل تواصلهم في الدنيا وتوادهم لم ينفعهم شيئا لانهم كانوا يتواصلون ويتوادون في الدنيا رجاء ان ينفع بعضهم بعضا كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكذلك قوله يريهم الله اعمالهم التي لم يريدوا بها الله حسرات عليهم اي حسرة عليهم وندامة وقيل كل عمل عملوه ارادوا به غير وجه الله كان ذلك عليهم حسرة يوم القيمة وقيل اعمالهم التي عملوها في الدنيا تصير حسرات عليهم حين يرفع الله لهم الجنة فينظرون الى مساكنهم التي كانت لهم وباسمائهم لغيرهم وباسماء غيرهم لهم قال وهذا عندكم لا يصح ان يجعل الله لاحد نصيبا في الجنة ثم يحرمه ولكن هذا على اهل الوعد وعد من اطاع الله الجنة ومن عصاه النار فهو على ان هؤلاء لو اطاعوا كان لهم نصيبا في الجنة وهؤلاء لو عصوا كان لهم نصيبا في النار او يكون ذكر النصيب لهؤلاء في الجنة هو الذي ادعوه لانفسهم كما قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فيحرمون ويورث عنهم ما ذكروا انه لهم في الجنة كما قال الله تعالى ونرثه ما يقول وياتينا فردا وقوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا قيل فيه بوجوه قيل انهم كانوا يحرمون التناول من اشياء والانتفاع من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي فيقولون حرم الانتفاع بها فانزل الله تعالى فقال كلوا مما في الارض حلالا طيبا وانتفعوا بها فان الله لم يحرمها عليكم كقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الاية وقيل خلق في الارض ما هو حلال وما هو حرام فاباح التناول من الحلال ونهى عن الحرام وقيل ان قوما يحرمون التناول من الرفيع من الطعام والرفيع من الملبوس وينالون من الدون والرثة فنهوا عن ذلك ولا يحتمل ان يراد بالطيبات الحلال منها ولكن ما تطيب النفس من التناول لان النفس لا تتلذذ بالتناول من كل حلال ولكن انما تطيب مما هو لها الذ واوفق والله اعلم وعلى ذلك قوله قل من حرم زينة الله الاية فيكون كان الذي في الارض حلالا لاجرم

لم متماحل طيب ودون فامر بالكل ما طاب من ذلك اذا قدر عليه لا اثر على قدر طيبه بعظم محله في القلب وعلى ذلك يرغب نفسه بالشكر لمن انعم به عليه والتعظيم لمن اكرمه بالذي طابت له به النفس والله اعلم وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان قيل اثار الشيطان وقيل وساوس الشيطان وقيل سبل الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فهو يرجع الى واحد وقوله انه لكم عدو مبين وذكر في موضع اخر وسماه وليا بقوله اولياؤهم الطاغوت فالوجه انه يريهم في الظاهر الموالاة ولكنه يريد في الباطن اهلاكهم فاذا كان كذلك فهو في الحقيقة عدو ويجوز ان يكون اولياءهم اي هو اولى بهم اذ عملوا بامره او اولياءهم بما والوهم في الفعل وشاركهم في الشر وكانوا في الحقيقة لهم اعداء اذ ذلك هلاكهم ولا قوة الا بالله وقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا لانه يوسوس ويدعو فان اطاعه والا ليس له عليه سلطان سوى ذلك فهو ضعيف لان من لا ينفذ على رعيته سوى قوله فهو ضعيف يوصف بالضعف والله اعلم ويكون ضعيفا على من تامل مكايده وتحفظ احواله وقوله انما يامركم بالسوء والفحشاء قيل يحتمل ان يكون السوء هو الفحشاء هو السوء لما ان كل واحد منهما يشتمل على كل نوع من الاثام ويحتمل ان يكون السوء ما خفي من المعاصي والفحشاء ما فيه حد من نحو الزنا وشرب الخمر وغيره وقيل الفحشاء ما يفحش في العقل والسوء ما ينتهي بالنهي عنه وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يخرج على الاول وهو السوء والفحشاء بامرهم بذلك فيقولوا الله امرنا بها ويحتمل قوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ما قالوا ان الله حرم هذه الاشياء او القول على الله بما لا يعلمون بما لا يليق به من الولد واشراك غيره في عبادته والله اعلم وقوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا يحتمل هذا وجهين يحتمل ان اباءهم كانوا اوصوهم ان لا يفارقوا دينهم الذي هم عليه فقالوا عند ذلك لا ندع وصية ابائنا كقوله اتواصوا به بل هم قوم طاغون او كانوا قوما سفهاء اصحاب التقليد فقالوا انا قلدنا اباءنا فلا نقلد غيرهم وقوله اوكان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون يخرج هذا الكلام على وجهين اي تقلدون انتم اباءكم وان كانوا لا يعقلون شيئا ويحتمل اولو كان اي وقد كان اباؤكم لا يعقلون شيئا فكيف تقلدونهم وهو كقوله قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي وقد جئتكم او ان يقال من جعل اباءكم قدوة يقتدى بهم وقوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع قيل فيه بوجهين قيل ما مثلنا ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق اي يصوت بما لا يسمع الا دعاء ونداء يسمعون الصوت ولا يفقهون ما فيه وقيل ينعق بمعنى ينعق ذكر الفاعل على ارادة المفعول كقوله فهو في عيشة راضية اي مرضية فعلى ذلك الاول وهو في اللغة جائز جار وقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون سماهم بذلك وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك لما لم ينتفعوا بها ولذلك سماهم سفهاء لما لم ينتفعوا بعلمهم وعقلهم وقوله يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم دل ان الذين كان لهم الاكل وامرهم بالتناول منه هو الحلال ثم فيه الدليل على ان من الرزق ما هو طيب حلال وما هو خبيث حرام اذ لو لم يكن منه طيبا وخبيثا لكان لا يشترط فيه ذكر الطيب بل يقول كلوا مما رزقناكم فان قيل فما وجه الحكمة في الامتحان يجعل الخبيث رزقا لهم قيل هذا اهل المحنة في كل شيء يجعل لهم الغذاء لما امرهم بالامتناع عنه ويجعل لهم قضاء الشهوة في المحرم يامرهم بالكف وهو الظاهر من المحن وقوله واشكروا الله على ما اباح لكم من الطيبات ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم منه ترون ذلك ويحتمل ان كنتم اياه تعبدون اي اياه توحدون ويحتمل ان كنتم ممن تعبدونه اياه تقصدون فاجعلوا عبادتكم لله خالصة لا تعبدوا غيره ليكون له ولا قوة الا بالله وقيل ان بمعنى اذ اي ان تم عبادته فاشكروا له ويحتمل قوله فاشكروا الله على جميع ما انعم عليكم من الدين والنبي والقران وغير ذلك من النعم اي كونوا له شاكرين وقوله انما حرم عليكم الميتة فمعناه حرم عليكم الاكل من الميتة والتناول منها فاذا كان كذلك فليس فيه حرمة ما لا يوكل والانتفاع به من نحو الصوف والشعر والعظم ونحوه الا ترى ان هذا اذا ابين من الشاة وهي حية وابين منها لم تصر ميتة لا يجوز الانتفاع به وغيره من اللحم اذا ابين منها صار ميتة لما روي في الخبر ما ابين من الحي فهو ميت ولان الصوف واللبن وغيرهما ليس بذي الروح فيموت باستخراج الروح منها كالحيوان على ما ذكرنا من الخبر وروي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الانفحة تستخرج من الميتة فقال فيها دم فقيل لا فقال لا باس كلوا فان اللبن على ذكاة فيه او كلام نحو هذا وكذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال لا باس فان قيل لا فسد بنجاسة الضرع كالوعاء النجس يكون فيه اللبن يفسد بفساده قيل ان الشيء اذا كان موضعا للشيء ومعدنه في الاصل فات فساد ذلك الموضع لا يوجب فساده الا ترى ان الدم الذي يجري بين الجلد واللحم لما كان ذلك موضعه ومظانه فعلى ذلك اللبن في الضرع والاهاب فانه اذا دبغ فقد طهر لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما اهاب دبغ فقد طهر والدم المذكور في هذه الاية هو الدم المسفوح دليله قوله تعالى او دما مسفوحا فالمحرم من الدم ما هو سائل الا ترى ان الشاة اذا ماتت صارت ميتة بهلاك ذلك المحرم من الدم فيه وقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد اختلف فيه على وجه قيل قوله غير باغ ولا عاد هو تفسير قوله فمن اضطر وهو كقوله في مخمصة غير متجانف لاثم ولا متخذات اخدان فسر قوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان تفسير قوله محصنات كانت محصنات كانت غير مسافحات ولا متخذات الاخدان فعلى ذلك ان كان مضطرا كان غير باغ ولا عاد والله اعلم وقيل فمن اضطر غير باغ اي غير مستحل التناول ولا عاد متعد وعلى اكله بالجوع وقيل قوله فمن اضطر غير باغ غير متجاوز حده ولا عاد ولا متعمد بنهايته ثم اختلف في حرمة عين الميتة في حال الاضطرار وحكي انه قال بعضهم عينها حلال غير محرم وقال اخرون عينها محرمة لكن التناول منها مباح وهو قول اصحابنا رحمهم الله تعالى فمن قال حل عينها الضرورة ذهب الى ان الحظر والاباحة يقع على الاصل لعين الشيء ولا يتكلم فيها الا حرمة عين العين بالحرمة والحل هي الوارده عليها موجبة حق الحرمة ثم الحرمة ترتفع بالضرورة فيحل عنه على ما كان في الاصل ومن قال بحرمة عينها وحل التناول منها ذهب الى ان الحرمة حلت لما كانت ميتة وهي لا تتغير وجه الله بحدوث الحال الضرورة يدل على ان الحال كانت هي الضرورة لا في دفع حرمة التناول ولم ترفع حرمة عينها الا انه ابيح التناول منها للضرورة على

بقاء الحرمة ولكن يجب ان لا يتكلم في هذا وشبهه بحرمة العين وحلها بعد ان يكون الاباحة للضرورة اذ لله ان يحل عينا محرمة في حال الاضطرار وله ان يحرم عينها وحل التناول منها للاضطرار فالتكلم فيه فضل وتكلف وبالله التوفيق ثم المسئلة في الباغي والعادي يحرم عليه التناول منها في حال الاضطرار ام لا قال بعض اهل العلم يحرم ذلك عليه لاوجه احدها انه ظالم وفي المنع عن التناول منها زجر عن الظلم وفي الاباحة عن التناول منها اعانة على الظلم لذلك حرم عليه والثاني ان القاتل عوقب عندما ياوي الى الحرم بترك المواكلة والمشاربة والمجالسة الى ان يضطر فيخرج عقوبة له فكذا هذا يحرم عليه التناول منه عقوبة له الى ان ينزجر وقال انه قد استحق بالبغي على اهل الاسلام العقوبة العظيمة ويعاقب بهذا ايضا ثم من قول هذا الرجل في الباغي انه اذا اتلف اموال اهل العدل لا يتعرض له بها ولا يغرم وكذلك العادل اذا اتلف اموال البغي لا غرامة عليه والغرامة نوع من العقوبات فاذا استويا في سقوط الغرامة وان كان احدهما ظالما كيف لا استويا ايضا في هذا وما الذي يوجب التفرقة بينهما ثم تقول لهذا المخالف ان الباغي المقيم يمسح يوما وليلة واذا سافر لم ترخص له المسح وهو في الحضر رخصة كهي في السفر فيا بالله حرم احدى الرخصتين على اباحة الاخرى مع وجود الظلم والبغي فقال لان الضرورة طريق التناول وفيه رخصة لا ترخص الظالم اذ هو تخفيف والاصل في المسئلة ان الباغي على اهل الاسلام لا ياتمر باحكام اهل الاسلام اذ لو ياتمر بالكف عن بغيه واذا لم ياتمر في ذا لا شك انه لا ياتمر في الثاني ولا يؤمر فيه العيث ولا يزجره التحريم عن التناول اذ على العلم بحرمة البغي بغى ما اشتهت نفسه فكيف ينتهي بالحرمة فيما اضطرت اليه نفسه ولم يملك الغلبة عليها في شهوتها ايثارا لها كذلك انظارا لها للكف لا معنى لاحداث الحرمة عليه ببغيه واصله قوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم وقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة حرم عليهم القاء انفسهم الى المهالك وقتلهم الانفس وفي دفع هذه الرخصة عنه اباحة محرم وهو اعظم منه عليه فلم يفعل واما قال بان من قتل فاوى الى الحرم فان اهله نهوا عن مواكلته ومشاربته ولم ينه في نفسه الاكل والشرب اذ لا يقدر احد منعه عن ذلك فالقول في مثله تكلف فكذا الاول والله اعلم ثم المسئلة في القدر الذي يجوز ان يتناول منها فعندنا ان الاباحة كانت للاضطرار فهو على القدر الذي له الدفع والازالة وذلك بدون ما فيه شدة المجاعة وذلك الاصل في انتفاء الضرورة وقوله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي في الكتاب يحتمل وجهين يحتمل ان كتموا ما في كتبهم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصفته ويحتمل ما كتموا من الاحكام والشرايع من نحو الحدود والرجم وغير ذلك من الاحكام وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ويشترون به ثمنا قليلا قد ذكرنا ونيل هذا فيما تقدم وقوله اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار قيل الا كلوا في الاخرة عين النار وقوله ولا يكلمهم الله قيل لا يكلمهم بكلام خير ولكن يكلمهم بغيره كقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون وقيل لا يكلمهم غضبا عليهم يقال فلان لا يكلم فلانا لما غضب عليه وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى قيل استحبوا الضلالة على الهدى وقيل اختاروا العذاب على المغفرة وما قاله الكلبي فهو احسن انهم اشتروا اليهودية التي هي تحصل مغفرة وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ايضا وقوله فما اصبرهم على النار قيل فما ادومهم في النار وقيل فما اصبرهم على عمل الذي يوجب لهم النار وقيل فما اجراهم على عمل اهل النار وقيل ما اعملهم باعمال اهل النار وقال الحسن فما لهم عليها صبر ولكن ما اجراهم على النار وقد يقال لمن يطول حبسه فما اصبرك على الحبس لا على حقيقة الصبر لكن على وجوده فيه وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب اي خالفوا والا فقد اختلف اهل الايمان والكفر ولكن اراد والله اعلم بالاختلاف الخلاف اي خالفوا الكتاب ولم يعملوا به لفي شقاق بعيد قيل لفي خلاف بعيد وقيل لفي ضلال طويل وقيل لفي عداوة بعيدة قيل حرف البعيد في الوعيد اياس كانه قال لا انقطاع له وقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب قيل ليس البر في نفس التوجه الى ما ذكر دون الايمان ويحتمل ليس البر في ذلك ولكن البر ما يقصد اليه اذ قد يقع ذلك لحوائج تعرض تخرج عن القربة ويحتمل ليس البر في التوجه الى كذا ولكن في الايتمار لامره والطاعة له والبر هو الطاعة في الحقيقة وقيل ليس البر تحويل الوجه الى المشرق والمغرب ولكن البر ما ثبت في القلب من طاعة الله وصدقته الجوارح وقيل ليس البر ان تصلوا ولا ان تعملوا غير الصلوة كل ذلك يرجع الى واحد وجملته ان يقال ليس البر كله ذلك لكن ما ذكر اذ ذلك التوجه استقبل هم حتى قال الله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك والثاني ان يكون ذلك بنفسه ليس ببر وانما صار برا بالامر به او بما ذكر من الايمان والخيرات فلا زال عنه الوجهان سقط فعله ان يكون برا وقوله ولكن البر من امن بالله بانه واحد لا شريك له يعني صدق بالله وبانه واحد لا شريك له واليوم الاخر وصدق بالبعث الذي جزاء الاعمال وصدق بالكتب والملائكة والنبيين والبر ان ويراد احدهما ما قيل والثاني على الاضمار كانه قال ليس البر من يولي وجهه ولكن البر من امن بالله كما قال اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن بالله وقيل اجعلتم صاحب السقاية كمن امن بالله وقيل ان البر بمعنى البار من يحول وجهه قبل كذا ولكن البار من امن بالله الاية وقوله واتى المال على حبه قيل اعطى على حاجته وقيل على قلته اثر غيره على نفسه كقوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل حبه اي ذوي قرابته وفيه دلالة ان الافضل ان يبداء بالصلة قرابته ثم باليتامى لان على جميع المسلمين حفظهم ولانهم اضعف فيبدا بهم قيل المساكين دون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس المسكين الذي يرده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله قال الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسال الناس ولا يفطن به فيتصدق عليه وابن السبيل قيل هو الضيف ينزل وقيل هو المنقطع حاج او غاز وهو المجتاز وهو واحد وفي الرقاب قيل هم المكاتبون واقام الصلوة واتى الزكوة ظاهر والموفون بعهدهم اذا عاهدوا يحتمل العهود التي بينهم وبين الناس ويحتمل العهود التي فيما بينهم وبين ربهم وقد ذكرنا العهد من الله تعالى ما هو فيما مضى وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه والموفين على الاول قيل اذا عاهدت عهدا بلسانك تفي به بعملك وفعلك ثم ليس في القران اية اجمع لشرايط الايمان من هذه وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الايمان فقرا هذه الاية وهكذا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه سئل عن الايمان فتلا هذه

الاية وقوله والصابرين في البأساء والضراء قيل في الاية تقديم وتاخير السائلين وفي الرقاب والصابرين وعلى هذا يخرج حرف ابن
مسعود رضي الله عنه والموفون بعهدهم وقوله البأساء من البأس وهو الفقر والضراء قيل عند القتال وقوله اولئك الذين صدقوا
في ايمانهم مؤمنون وصبروا على طاعة ربهم واولئك هم المتقون وقيل الذين صدقوا في ايمانهم واولئك هم المتقون روى عن عمرو بن
شرحبيل انه قال من عمل بهذه الاية فهو مستكمل الايمان قال الفقيه تمام كل شيء باجتماع ما يرتبه الا ترى ان المصلي اذا اقتصر على فرائضها
لم يتم له وقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الاية قيل نزلت الاية في حيين من العرب كان وقع بينهما حرب
وقتال وكان لاحدهما فضل وشرف على الاخرى فارادوا بالعبد منهم الحر من اولئك وبالانثى منهم الذكر فانزل الله تعالى
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى وهي منسوخة لان فيها قتل غير القاتل نسخها قوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
فلا يسرف في القتل قيل لا يسرف ولا يقتل غير قاتل وليه وقيل لا تسرف اي لا تمثل في القتل وقيل لا تسرف في القتل اي لا تقتل اثنين اذ هو
مصور فيثبت بهذا نسخها اذا لم يؤذن بقتل غير القاتل وقوله ايضا وكتبنا عليهم ان النفس بالنفس ولا يجعل نفسا غير القاتل يقتل
بنفس دليله قوله فمن تصدق به فهو كفارة له ولا يتصدق على غير القاتل ثبت انها منسوخة بما ذكرنا والثاني قال ولكم في القصاص
حيوة لما اذا هم بقتل اخر يتذكر قتل نفسه فيرتدع عن قتله فيحيي به النفسان جميعا فلو لزم قتل غير القاتل لم يكن فيه حيوة اذ لا يخشى تلف
نفسه ثم هذا ايدل على وجوب القصاص بين الحر والعبد وبين الكافر والمسلم اذ لو لم يجعل بينهما قصاص لم يرتدع احد عن قتلهم
اذ لا يخشى تلف نفسه بهم فدل انهم يقتلون بهم والله اعلم هذا فيما يحمل الاية ابتداء لا في الحيين اللذين ذكرا به ثم يقال للنبي ذكر
شكل تخصيص الحكم فيه وجعله شرطا ونفيه في غير شكله دليله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني قد جعل الله
لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ثم اذا زنى البكر بالثيب وجب ذلك الحكم فدل
ان النبي ذكر شكلا بشكل تخصيص في الحكم ولكن فيه ايجاب الحكم في كل شكل اذا ارتكب ذلك وهو ان يقتل الحر اذا قتل الحر والحرية لا تمنع
الا القصاص لفضله وكذلك العبد اذا قتل اخر يقتل به والرق لا يمنع ذلك للذل الذي فيه وكذلك الانثى تقتل اذا قتلت اخرى ولا يمنع
ما فيها من التضعف في وجوب القصاص وبالله التوفيق وله وجه اخر وهو انه قال الانثى بالانثى ومن الاناث اماء وقد امر
بالقصاص بينهن فلتن وجب تخصيص ما ذكر خاصا وجب ان يذكر عاما ما ذكر فيه العموم فان قيل على عموم الاسم في احدهما وخصوص
القول في الاخر قيل ليس هكذا لو كان في ذكر الوفاق في الاسم منع الحق عن ذلك الوجه المذكور اذ ذكر في الخلاف فلم يدخل فيما ذكر في
الوفاق ما ليس منه فاذا دخل ان ذكر الوفاق في الخلاف في نحو ادخال ما ليس من شكله بمحل واحد ثم يقال ان نفس العبد في حق
الجناية لا للمولى في نفسه للملك والمالية الا ترى ان العبد لو اقر على نفسه بالقصاص اخذ به ولو اقر عليه مولاه لم يؤخذ به فدل ان
نفسه له لا للمولى فكان كنفس الحر للحر فيجب ان يقتل الحر به اذ هو ساوى الحر في حق النفس فيجب ان يستوي بينهما في حق القصاص وقال
بعض الخاصة لا يقتل الحر بالعبد لانه افضل منه ثم هو يقول انه يقتل الذكر بالانثى وهو افضل وقال ان القصاص انما ذكر في المؤمنين ثم
قال بالعموم والزم قتل الكافر بالمؤمن ولم يذكر في القصاص الكافر وترك الاقتصاص للكافر من المؤمن على عموم ايجاب القصاص على
المؤمنين فاذا جاز ترك القصاص على ما ذكر فيه وادخال من لم يذكر في حق الاقتصاص ما يجب الكافر مثله في الذي ذكر عقيب ذكر الحق وهم
باجمعهم تحت الايجاب مذكورين ثم الاناث بالاناث مع اختلاف الاحوال يلزم مثله في الاحرار والاصل في هذا ان لا يعتبر في الحق
المساواة الا ترى ان الانفس تقتل بنفس واحدة وهكذا روي عن عمر رضي الله عنه انه قتل رجلا بامرأة وروي انه قتل سبعة نفر بامرأة
وقال لو تمالا عليه اهل صنعاء لقتلتهم وقال وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقتل مسلم بكافر ثم قال صاحب هذا القول
لو ان كافرا قتل كافرا ثم اسلم القاتل يقتل به فهو قتل مسلما تقبا بكافر والاسلام يطهره ولم يقتل مسلما فاسقا ارتكب الكبيرة بالكافر
اذا القتل بفسقه والمسلم احق ان تقتل بالكافر من الكافر بالمسلم ونحو ذلك ان المسلم هتك حرمة الاسلام بقتل الكافر لانه اعتقد
باعتقاد دين الاسلام حرمة دم الذمي وهو بقتله مستخف بمذهبه واما الذمي فانه لا يعتقد باعتقاد مذهبه حرمة دماء اهل الاسلام
فهو ليس بقتل المسلم مستخف بمذهبه والمسلم مستخف بدينه على ما ذكرنا لذلك كان احق بالقصاص من الكافر الا ترى ان من قتل في الحرم
قتل به لانه هتك حرمة الحرم كالمستخف به واذا قتل خارجا منه ثم التجأ اليه لم يقتل لانه حتى يخرج منه لانه ليس كمستخف له والاول
مستخف لذلك انه فاكذا الاول والله اعلم والخبر عندنا يحتمل وجهين احدهما قيل ان قوما قتل بعضهم بعضا في الجاهلية فاسلم
بعضهم فارادوا اولئك ان ياخذوا من اسلم منهم بالقصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتل مسلم بكافر كان قال كل دم كان
في الجاهلية فهو موضوع تحت قدمي هذا والثاني انه اراد بالكافر المستأمن لانه قال لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده
فنسق قوله ذو عهد على المسلم فكان معناه لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد به فكل كافر لا يقتل به ذو عهد في عهده لم يقتل به المسلم
فالذمي يقتل به ذو العهد لذلك يقتل به المسلم والمسلم اذا قتل مستأمنا لم يقتل به وكذلك الذمي فدل بما ذكرنا انه اراد بالكافر المستأمن لا الذمي
والله اعلم وقوله فمن عفي له من اخيه شيء اختلف في تأويله قال بعضهم هو القاتل اذا عفي له معناه عنه فيتبع الولي باخذ الدية بالمعروف
شاء القاتل او ابى احتج بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل اختصم اليه في قاتل اخيه فقال اتعفو عنه قال لا قال اتاخذ الدية
قال لا قال اتقتله قال نعم عرض عليه الدية ولو كان غير حقه لم يعرض عليه وقال في بعض الاخبار روي ان القتيل بين خيرتين بين قتل واخذ دية
واما عندنا انا قيل قوله فمن عفي له من اخيه شيء ليس هو القاتل لانه يكون معفوا عنه ولانه لا يتبع احدا وهو المتبع بل هو الولي لانه
هو المعفو له لا القاتل حيث امر بالاتباع بالمعروف كانه قال من بذل له واعطي من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وذلك جائز في اللغة
العفو بمعنى البذل والاعطاء على ما قيل خذ ما اتاك عفوا صفوا اي فضلا وكذلك روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه انه قال
فمن عفي له اي اعطي له والحق عندنا هو القود لا غير على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العمد قود الا ان يعفو وقد روي
في بعض الاخبار الا ان تفادى والمفاداة هو فعل اثنين فلا ياخذه الا عن تراض واصطلاح منهما جميعا وفي الاية دلالة ان الحق

هو القصاص

هو القصاص لا غير بقوله كتب عليكم القصاص اخبر ان المكتوب عليه والمحكوم القصاص فلو كان له الخيار من القصاص والعفو واخذ الدية
شاء او ابى لكان لا يكون مكتوبا عليه القصاص ويذهب فائدة قوله كتب عليكم القصاص انما كان يكون عليه احدهما كما لا يقال
في الكفارة بان المكتوب عليه العتق بل احد الثلاثة فلما قال كتب القصاص دل ان اخذ الدية كان كالخلف عنه وما روي عنه صلى
الله عليه وسلم حيث قال لولي القتيل اتعفو عنه قال لا فقال اتاخذ الدية قال لا انما عرض عليه الدية لما علم ان القاتل يرضى بذلك
الا ما روي ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته ببعض زوجها فقال لها اتردين عليه حديقته قالت نعم وزيادة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الزيادة فلا وانما قال لها ذلك لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يرضى بطلاقها اذا ردت عليه
حديقته فعلى ذلك الاول ولو كانت لفظة العفو تعبر عن لزام الدية ما احوجه الى ذكر الاشارة الى العفو مرة والى اخذ الدية
ثانيا فثبت ان ليس الذي يعفو ان ياخذ الدية بالعفو وقيل في قوله فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف اصلها انها نزلت
في دم بين نفر يعفو احدهم عن القاتل ويتبع الاخرون بالمعروف في نصيبهم لانه ذكر الشيء هو العفو عن بعض الحق فالزم
الاتباع للاخرين عند عفو بعض حقه ثبت ان العفو لا يلزم الدية وروي عن عمر وعبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله
عنهم انهم اوجبوا في بعض عفو الاولياء للذين لم يعفوا الدية على ترك السؤال عمن عفي عنه عفوت بدية ولو كان ثم حق ذكروه
له فدل ان العفو لا يوجب الدية والله اعلم ثم لا يخلو اما ان يكون حقه القصاص ثم له تركه بالدية فهو الزام بدل حق قتل
اخر عن غير رضاه وذلك مما لم يعقل في شيء او كلاهما فهو ايضا كذلك لا يكون احدهما الا باجتماعهما او احدهما وهو مجهول فالعفو
يبطل حقه اذ العفو ترك وقال ان في اخذ الدية احياء النفس التي امر الله باحيائها وفي الامتناع عن اداء الدية اليه والبذل له
اذن بالقتل ومن قول الجميع ان احدا لو قال لاخر اقتلني انه لا يعمل فاذا كان معنى الامتناع عن اداء الدية هو اذن بالقتل لم يأذن
له ابدا القياس والتشبيه لان فيما نحن فيه اذن بالقتل وظهر الامر به وفيما ذكرت لم يظهر حيث قال كتب عليكم القصاص فاني
يشبه هذا بذلك ويقاس عليه او ان يقال لو كان الامر كما ذكرت لكان يجيء ان يكون الصلح على كل شيء ماله وفيه تلف نفسه ان
ليس له منعه ومن قول الجميع ان له المنع وجاز وقوع الصلح على ما فيه تلف ماله ثبت ان ما يقوم له وهم وبعد فان الذي ذكرت
تدبير الحق عليه ان يفعل لا تدبير الالزام ولو كان ذلك لازما لكان يقتله بذله نفسه ليغرم فاعل ذلك وهذا كما يغني الرجل
شبرا ما به قوام نفسه عند الضرورة الا ان يلزم لو ابى ذلك قتله ديته بمعنى ان في ذلك تلف نفس ملك فيه قتله الاول وما
روي في التخيير بين اخذ الدية وما ذكر فهو والله اعلم بان الحل والرخصة على ما قيل ان من حكم التورية القتل ولا يجوز لهم العفو
ولا اخذ الدية ومن حكم اهل الانجيل العفو لا يقتل بالقصاص ولا توخذ الدية فحكم الله عز وجل على اهل القران ان جعل لهم القتل مرة
والعفو ثانيا واخذ الدية ثالثة فدل انه يخرج مخرج بيان الحل والرخصة اذا طابت به نفس من عليه ذلك ببذله اذا طلب ولا يوجب
قطع الخيار من الاخر والاخر ولهذا ما نقول في قوله ففدية من صيام او صدقة وقوله في التخيير في الكفارة ان ذلك الى من عليه
لا الى من ياخذ اذ الحق هاهنا من جانب واحد فيجعل الخيار الى من عليه اذا كان من كلا الجانبين يعتبر رضاهما جميعا والله وقوله ذلك
تخفيف من ربكم ورحمة لما ذكر من اباحة العفو في حكم القران ولم يكن في حكم غيره من الكتب واخذ الدية او القتل ولم يكن في حكم التورية
والانجيل الا واحد ويحتمل ان كان في التورية هذا وهذا كما قال فمن تصدق به فهو كفارة له واحتمل انه ذكر القود شرعا لنا وقوله
لمن تصدق لنا خاصة وقوله ورحمة فيه دلالة ان لا يقطع صاحب الكبيرة عن رحمة الله لانه اخبر ان التخفيف رحمة في الدنيا فانه لم
يوئسهم في الاخرة عنها وقوله فمن عفي له من اخيه شيء دلالة ان لا يزول اسم الايمان بارتكاب الكبيرة من غير اخوة النسب
دل انه اخوه في الدين لانه سماه اخا وكذلك قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ابقى لهم اسم الايمان بعد البغي
والقتل دل ان ارتكاب الكبيرة لا يخرجه من الايمان وهذا يرد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون ان من ارتكب كبيرة اخرجه من
الايمان وما ذكر من التخليد في قتل العمد يخرج على وجهين احدهما لاستحلال قتله لو يتعمد ديته والا فيخرج الايمان على التناقض
في الظاهر لو لم يحمل على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فمن اعتدى بعد ذلك قيل من اعتدى على القاتل بعد ما عفي عنه او بعد ما اخذ الدية وقيل
بعد ذلك اي من بعد النهي عن قتله وقيل اذا ادى من نفسه العفو ثم اخذ الدية ثم اراد قتله فهو الاعتداء ثم اختلف بعد هذا بوجهين
قال قوم اذا فعل ذلك يترك القصاص فيه للعذاب المذكور في الاخرة اذا اقتص لا تنفع عنه العذاب الاليم وان لم يقتص الا وجائز عندنا
ان يكون العذاب الاليم في الدنيا اذا لم يخلو شيء من العذاب اذا القتل هو الغاية من الالم والوجع والله اعلم وقوله ولكم في القصاص
حيوة يا اولي الالباب قيل فيه بوجهين والا فظاهر القصاص لا يكون حياة لكن قيل من تفكر في نفسه قتلها اذا قتل اخر وارتدع عن
قتله فتحيى النفسان جميعا والثاني نظر فرأى اخر يقتل بغيره امتنع عن قتل كل ففيه الحيوة للانفس جميعا ولهذا نقول بوجوب القصاص
في الانفس كلها وان اختلف احوالها اذ لو لم يجعل بين الانفس على اختلاف الاحوال قصاص لم يكن في القصاص حيوة فالحق من
يجعل فيه القصاص عند مختلف الاحوال لا يغضب الشريف على الوضيع فيحمله غضبه على قتله فجعل القصاص ولما يستخف به
واما الوارث لما يطمع وصوله الى المورث فيحمله على قتله فسبب القتل ليس ما يذكر لكنه شدة الغضب وفي المواريث زيادة وهو
ما يصل الى ماله وفي الكافر من استخفافه بدينه من المقتول فطلب فيه المعنى الذي فيه الاحياء وهو حرمان الميراث فعلى هذا التقدير
يقتل المسلم بالكافر ولان المسلم قد يستخف بالكافر في داره فيحمله استخفافه اياه على قتله ففيه معنى يدعو الى الفناء فيجب ان يقتص
من المسلم بالكافر لتحقيق معنى الحيوة وعلى هذا التقدير يقتل الحر بالعبد لان الحر يستخف بالعبد فيدعوه استخفافه به على قتله فهو
يقتل ونقول يقتل الولد بالوالد لما يستعجل الوصول الى ملكه فيحمله على قتله فيلزم حفظ ما لاجله الحيوة ثم في الوالد شفقة ومحبة تمنع
الوالد عن قتل ولده لذلك انتهى عنه القصاص وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا يقاد والد عن ولده وبالله التوفيق قال الشيخ
رضي الله عنه الوالد يحب ولده لانه يرغب ان يكون له ولد واما الولد فانما يحب الوالد لنفسه ومنافع له فاذا كان الولد له لم يقتص

وقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين تكلموا فيه باوجه قيل انه منسوخ بما بين عز وجل في اية اخرى من حق الميراث ومنهم من قال لم ينسخ ثم قيل فيه بوجهين قيل انه قد كان ذلك لان الناس كانوا حديث عهد في الاسلام يسلم الرجل ولا يسلم ابواه فقوله كتب انما وقع على من كان لا يرث ومنهم من يقول بانها كانت للوارث ولم ينسخ وانما يقع الامر في غير من يرث ممن ذكر لكن في ذلك ذكر كتب وذلك ايجاب ولا يحتمل ان يفرض عليهم صلتهم مع التحذير عن اتخاذهم اولياء بقوله لا تتخذوا اباكم واخوانكم اولياء قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون الاية وفي الزام الفرضية من حيث المعروف ابقاء الموالاة والزام المحبة وقد حذر وجود ذلك فثبت ان الاية فيمن يتوادون اليوم لكنها نسخت والله اعلم ومنهم من يقول لا ولكنه وقع على من كان يرث وعلى من كان لا يرث بقوله كتب عليكم فهو كان مكتوبا عليهم مفروضا في حق الوصاية ثم من راى نسخه استدل بقوله يوصيكم الله في اولادكم ذكر فيه الوصاية على بيان كل ذي حق حقه فليس الذي اوصى الله بمنع وصاياه التي كتب عليهم لكن في الاية وليل لم ينسخ بهذه الوجهين احدهما قوله يوصيكم الله فهو وصية ذكره كذكر الوصاية في الاول ففيه جعل حق كالحق المجعول لهم اذا لم يذكر ذلك الوصية مع الميراث ثم نفاه والوجه الاخر انه قال من بعد وصية توصون بها او دين فجعل حكم الارث على ذكر الوصية والارث بعد الوصية فبان ان لها حكم البقاء ثم قيل فيه بوجهين قال قائلون قوله يوصيكم الله في اولادكم لم يكن ميراثا ولا هو من اهل الميراث لحدوث الارث لا يمنع حق القطع عنه بالكتوب الاول ومنهم من جعل ذلك فيمن كان وارثا فورود البيان من بعد يقطع عنه المكتوب له ثم من الناس من ادعى نسخ هذا بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا ولو جعل الوصية له ما جعل الله لهم فيه من النصيب خص به الكثير دون القليل فثبت ان ذلك الكتاب رفع عنهم ما جعل لهم الحق في الذي قلنا وكثر ثم الوجه فيه عندنا فهو انه ان لم يكن نسخ بهذه الايات على ما قاله بعض الناس فهو منسوخ بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فبين انه قد كان اعطى ذا حق حقه على دفع ما كانت لهم من الوصاية فيه ثم اختلفوا في الخبر الذي روى ان الله تبارك وتعالى قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث فقال قائلون لا يجوز ورود النسخ على الاية اذ السنة لا ترد على نسخ الكتاب وقال اخرون لا ولكنه من اخبار الاحاد واخبار الاحاد على قولكم لا ترد على نسخ خبر مثله فكيف على كتاب رب العالمين فاما الاول في ان السنة لا تعمل في نسخ الكتاب فقد سبق القول فيه ان الذي حملهم على هذا هو جهلهم بموقع النسخ والا لو علموا ما انكروه وهو ما قلنا ان النسخ بيان منتهى الحكم الى الوقت المجعول له فاما من قال بانه من اخبار الاحاد فان الاصل في هذا ان يقال انه من حيث الرواية من الاحاد ومن حيث علم العمل به متواتر ومن اصلنا ان التواتر بالعمل هو ادفع خبر يعمل اذ المتواتر المتعارف قرنا بقرن مما عمل الناس به لم يعلموا به الا لظهوره وظهوره يغني الناس عن روايته لما علموا خلوه عن الخفاء ولهذا نقول في الخبر جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل ذي ناب من السباع فترد به الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من اخبار الاحاد وهو من حيث الرواية من الاحاد ولكنه من حيث تواتر الناس العمل به صار بحيث يوجب علم العمل فما له يجوز ان يجتمع الامة على شيء علموا كله من كتاب او سنة فكذا هذا لا يجوز ان يجتمع الناس على ترك الوصية للوارث ثم كتاب نسخه او سنة اخرى يلزم العمل به فلهذا قضينا بنسخه والله اعلم وقوله فمن بدله بعدما سمعه قيل فيه بوجهين فمن بدل هذه الوصاية المكتوبة للوالدين ان كان هذا اراد بقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الاية فانما اثمه عليه ويحتمل من بدل الوصية بعدما سمعه من الموصي فانما اثمه على الذين يبدلونه ثم يحتمل بعد هذا وجهين يحتمل انه اراد تبديل الوصي بعد موت الموصي ويحتمل تبديل من حضر الموصي ذلك الوقت من الشهود وغيره وقوله فمن خاف من موص جنفا او اثما قيل فيه بوجهين فمن خاف اي علم من الموصي ظلما وجورا على الورثة بالزيادة على الثلث فلا اثم عليه في تبديله ومنعه ورده الى الثلث وقت وصاية الموصي ويحتمل فمن خاف اي علم من الموصي خطا وجورا بعد وفاته بالوصية فلا اثم عليه في تبديله ورده الى ما يجوز من ذلك وبعثه وهو الواجب على الاوصياء ان يعملوا بما يجوز في الحكم وان كان الموصي اوصى بخلاف ما يجيزه الحكم ويوجبه قال الشيخ رحمه الله وكان صرف الخوف الى العلم اولى اذ هو تبديل الوصية وقد نهى عنه واذن به للجور فاذا لم يعلم فهو تبديل بلا عذر وقد يخف الخوف في حق العلم اذا غلب الوجه فيه كما ان اذن للاكراه اظهار الكفر وذلك في حقيقته خوف عما في التحقيق على العلم بغلبة وجه الوفاء في ذلك وقوله ان الله سميع اي سميع لمقالته ووصاياه وعليم بجوره وظلمه او عليم بتبديله والله اعلم وقوله فاصلح بينهم يعني بين الورثة بعد موت الموصي ورد ما زاد على الثلث بين الورثة على قدر انصبائهم وقوله ان الله غفور رحيم لجور الموصي وظلمه اذا بدل الوصي ذلك ورده الى الحق ويحتمل غفور رحيم لمن رد على الموصي حيفه وميله في حال وصاياه والله اعلم والاصل في امر الوصاية للوارث ان ايات المواريث لم تكن نزلت في اول ما بهم حاجة الى معرفة ذلك فيجوز ان يكون في الابتداء كانت الوصايا بالحق الذي اليوم هو ميراث يبين ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنتي سعد قتل باحد وقد كان استولى عمهما على ميراثه فسالت امهما عن ذلك فقال لم ينزل في شيء ثم دعاهم واعطاهما ما بين الله في كتابه في قوله يوصيكم الله الاية وكذلك كان للنساء الحول في تركة الازواج وصية لهن فعلى ذلك كان الامر بالوصية فقال الله عز وجل يوصيكم الله كالمبين بما كان قد اوجب النبيين على الميت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ومما يبين ذلك انه معلوم ان تكون الوصية للوارث ليست تثبت فيما هي له لانه اليوم فيكون حصول الوصية بنصيب بعض الورثة وعلى ذلك الوجه لا يجوز وصية الميت لاحد فكذلك للورثة وهذا يبين انها كانت في وقت لم يبين الميراث فلا يكون الوصية لمن تثبت له وصية بنصيب غيره في التحقيق فكان يجوز ثم بطل ببيان السنة اذ ليس في متلو القرآن حقيقة ذلك وانما يكون ذلك بحق الانتزاع منه والنسخ ومعناه بالانتزاع ابعد عن الاحتمال منه بالسنة ولا قوة الا بالله ثم حق التواتر عندنا يقع بظهور العمل بالشيء على غير ظهور المنع منهم والنكير عليهم في العقل وفي هذا وجود ذلك من طريق العمل ثم القول به من الائمة بالفتوى به بلا تنازع ظهر فيهم مع ما قد ذكر الله في المواريث غير مضاد وصية من الله وتخصيص الورثة

فهو مضارة بغير واستعمال الراي فيما قد تولى قسمه على غير الذي قسم والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام هؤلاء الايات فيهن فرضية بقوله كتب واية ذلك الا بدال فيها الا فطار لعذر والاصل بالقضاء وذلك ليس بشرط الاداب مع الامتنان علينا بقوله عز وجل يريد الله بكم اليسر اي يريد بكم الاذن لكم في الفطر لعذر ولو كان غير فرض بدؤه لم يكن الفطر لعذر ثم منع الرخصة مع شرطه اكمال العدة في القضاء معنى وفي ذلك لزوم حفظ المتروك لئلا يدخل التقصير في القضاء وعلى ذلك اتباع الامة ثم بين عز وجل انه لم يكن هذه الامة مخصوصة في الصيام بل هي احق من فيهم استعمل العفو والصفح بما خصهم بان جعلهم خير امة اخرجت للناس واخبر انه لم يجعل عليهم في الدين حرج ولا الزمهم العبادات الشاقة فضلا منه عليهم وتخصيصا لهم اذ جعلهم شهداء على الناس فقال عز وجل كتب عليكم كما كتب على الذين من قبلكم لكن يحتمل وجهين يحتمل العدد الذي كتب عليهم ويحتمل الفرضية في الجملة لا عين ما فرض عليهم من حيث الاشارة الى ذلك ولذلك اختلف في الكاف في قوله كما انها زائدة وحقيقة ثم اختلف في ماهية ذلك الصيام فمن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من جعله صوم عاشوراء وايام البيض ثم استعملوا نسخ ذلك بصيام الشهر وقد روي مرفوعا ان صوم شهر رمضان نسخ كل صيام كان وروي عن جماعة في امر صوم عاشوراء انا كنا نصومه حتى نزل صوم الشهر فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا به ولا ينهانا واصل هذا انه كان نصا لو كان ابتداء الاية عليه بحق الفرض فابدل ذلك بصوم الشهر فارتفع عنه الفرضية على ما اذا كان يخرج منه بالفداء لم يكن معه فرضية القضاء وبقي الفضل فيه اذ النسخ لم يكن من حيث نفس الصوم اذ مثله من النسخ يكون بغير الصوم ولا بصوم فثبت انه في نسخ الفرضية فبقي فيه حق الادب والفضل وتبين النسخ الصوم اذ مثله وان ذلك غير صوم الشهر الذكر في صوم الشهر بقوله لمن كان منكم مريضا الاية ولو كان الكل واحدا لكان الذكر في موضع منه كافيا عن الاعادة فثبت انه على نسخ الصيام وقد روي معاذ رضي الله عنه انه قال احيل الصيام ثلاثة احوال وبين الخبر على وجهه في ذلك ويحتمل ان يكون المراد منه صوم الشهر ويكون تكرار الذكر في الرخصة لمكان رفع الفداء ولمكان ذكر حق الامتنان بالتيسير والتحريض على حفظ العدد والله الموفق واي ذلك كان فليس بنا حاجة الى معرفة حقيقة ذلك لان كيفية الابتداء لم نكلف وانما كلفنا ما بقي فرضه وهو صيام الشهر الذي لم يختلف في ذلك ثم قد خاطب جل ثناؤه بالصيام من قد امن بقوله يا ايها الذين امنوا لكان فيما خاطب وجهان احدهما انه خاطب من المؤمنين فعرف المخاطبون ان الاسم ياخذهم اذ لم يذكر عن احد انه ظن خروجه من حكم من حيث لم يكن وفاء بما به يستحق الاسم وكذلك سائر عبادات الافعال وهذا من اوضح ما يجب العلم ان الايمان ليس باسم لجميع القرب بل بتحقيقه يصير افعال القرب قربا وفيه اذ لم يقل يا ايها الذين قالوا نحن مؤمنون به صلى الله عليه وسلم دلالة ظاهرة على مجرد هذا القول وانه من تلقين الشيطان ليبطل عليهم عقدهم كما يبطل كل عقد يستعمله فيه صاحبه مما اراد الزامه العقد والله اعلم والثاني ان الله خص بالعبادات المؤمنين وانهن لا يلزم من غيرهم فيها الاعتقاد لان الافعال التي هي تقوم بالاعتقاد وليس الاعتقاد بواجب لمكان تلك الافعال حتى يكون كالاسباب التي توجب بايجاب افعال بها تقوم بل له او جب غيره الا ترى انه لا يجوز ان يرتفع ذلك عن الخلائق بحال من الاحوال في الدنيا والاخرة مع ارتفاع غير ذلك من العبادات ثبت ان الامر بذلك بحيث نفسه لا لغيره مع عدمه ثبت ان المعنى الذي به يصير المرء اهلا لاحتمال فعل العبادات لذلك لا يجوز الامر بشيء منها دون ذلك وله وجهان يجليان الامر ايضا احدهما العقل انه من البعيد ان يكون من لم يقبل العبودة ولا اقر بالرسالة نؤمر بالعبادة وباتباع الرسول بحق الرسالة بل نقول لا نلزمونا الاول حتى يكون الثاني وهو كحال الناس لمناظرة في الرسل مع منكري الصانع والمرسل لمثله الاول بل يجعل قربة به اذ لا يكون الا به والله اعلم والثاني القول بان من اسلم بعد اوقات العبادات لا يلزمه القضاء ثم لذلك وجهان من المعتبر احدهما انهم اذا لم يدخلوا في خطاب القضاء فليس عليهم في الحال ما يحتمل معه القضاء فكذلك خطاب الابتداء اذ هو الذي به لزوم القضاء في الاسلام والله اعلم والثاني انه لا يلزم القضاء بعد الاسلام ولا يجوز الابتداء في حاله فكان ذا تكليف لم يجعل الله للمكلف وجه القيام وقد تبرا الله عن هذا الوجه من التكليف بقوله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها مما بين الله تعالى بقوله فلا متعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار ان ما لكافر التمتع في الدنيا لا العبادات في ذلك والله الموفق فثبت بالاية التي ذكرنا دخول جميع المؤمنين في الخطاب اذ بين الرخصة الذي العذر في الافطار على وجوب القضاء فاذا لم يحتمل خروج من له العذر في الفطر عن ان يتضمنه الخطاب وجه الزام القضاء ثبت ان من لا عذر له داخل فيه ولا يسعه الفطر وعلى هذا جاء ممن ابتلي بالجماع نهارا انه صلى الله عليه وسلم اكد عليه الامر والزمه الكفارة على غير سؤال عن احواله سوى ما علم من حاله انه ليس بمريض ولا مسافر فكان في ذلك دليل تاكيد الفرض وفي ذلك ايجاب الكفارة ليعد به على الصبا مر على حال لا يحتمل الا رخاص اذ قد كان تلك البلية في الليالي كلم بامر وابها من حيث كانوا يملكون بقاء الرخصة لانفسهم لولا النوم وفي ذلك ان فرض الصيام يعم المؤمنين ثم قال الله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر اسم للكل ولو كان المراد ان جعل الصيام في غيره لانه عند هجوم غيره تم شهوده ثم يتناقض لانه قال فليصمه ومحال ان يصوم في غيره ابتداء فرجع التاويل الى ان من شهد منكم شيئا من شهر فليصم مما اعترض الجنون فيه فهو ممن قد تضمنه الخطاب ويجوز في حالة الفرض ايضا اذ لو شهد ليلة الصيام يجوز له فرضه فتدخل في حق الخطاب ثم اعترضه في سائر الليالي عذر مع النية لا عذر منع الصيام فيقتضيه اذ هو اهل الحكم الاية التي ذكرنا والقيام بذلك الفرض على ما وصفنا ففاته بفوت النية كمن كان فوت لعذر المرض والسفر والحيض ونحو ذلك بعد ان علم انه ممن تضمنته الاية فعليه قضائه وعلى ذلك في الصبي والكافر لم يدخلا في معنى الاية ولا كانا يحتملان في حال قضاء فرض الصيام فالقضاء في غيرهم من ذلك لا يحتمل في حق الفرض لذلك لم يلزم وقد روي عن محمد رحمه الله على هذا ان من ادرك مجنونا ثم افاق في بعض الشهر انه لا يقضي

ما مضى على ما ذكرت وعن ابي حنيفة رضي الله عنه في هذا انه يقضي ان كان في اول الشهر يا لغا لما اخبرت ان صيامه لم يجز لعدم
النية والكافر بنفسه ومن فوته لعدم النية فهو داخل في حكم فرضه فعليه القضاء والله الموفق ومن جن الشهر كله لا يقضي
لشرط الشهود وهو لم يشهد شيئا منه مع امكان الاسقاط بدليل الخروان كان حق الخطاب في الظاهر قد اقتضاه على مثل
المريض الذي لا يصح والمسافر الذي لا يقيم والله الموفق وفي قوله اياما معدودات دلالة ان ابتداء الاية في غير صوم الشهر
اذ صوم الشهر يحفظ بالاهلة لا بالايام لكن الله تعالى اذ علم الامر الظاهر في الخلق انهم يعدونه بالايام وان كان لهم عن ذلك
غنى وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشهر هكذا وهكذا باصابع يديه كلتاهما وعقد اصبعا منها في اخر المرات
وجاء عن غير واحد انهم قالوا ما كنا نصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة وعشرين اكثر مما نصوم ثلاثين فجائز
ذكر قوله اياما معدودات يعني يعدها الخلق والله الموفق وقوله لعلكم تتقون ما حرم عليكم من انواع اللذات بكف الانفس
عن الذي به يدعو اليها من الاغذية او تتقون نقمة الله في الاخرة ومخالفته في الفعل في الدنيا وقد جعل الله جل ثناؤه عبادات
اعوانا للمعتادين بها على الكف عن المعاصي والخلاف لله في الشهوات فقال استعينوا بالصبر والصلوة وقال ان الصلوة تنهى عن
الفحشاء والمنكر وغير ذلك والله الموفق والاصل ان العبادات تذكر اصحابها عظم احوالهم في اوقات فيها من المقام بين يدي
الجبار وتعلمهم على الموعود لهم في المعاد وهما امران عظيمان احدهما في الزجر عما يعلم من عظم المقام واطلاع الواحد القهار عليه والثاني
في الترغيب بما يشعر قلبه من لذيذ الموعود ما يضمحل له به كل لذة دونه وتنقطع شهواته التي بينه وبين ما وعد الله اعلم ثم قال فمن كان
منكم مريضا الاية من غير ان ذكر فطرا فلا اشاد الى ما ذكر من السفر والمرض الذي جعلا له تاخير الصيام الى ايام اخر ولا اشارا الى عين
تلك الايام وكذلك كل مثله فيما كان عرف الوقت لابتداء الصيام بقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر على اثر المعرف له بقوله عز وجل
فمن شهد منكم الشهر فليصمه لكن الفطر يعرف انه مضمر فيه بالعقل والسمع فاما السمع فما جاء من الاخبار في الاذن بالافطار للسفر
والمرض دل ان في ذكر العدة من ايام اخر اضمار فطر والله اعلم والعقل ان الله تعالى جعل المرض والسفر سببي الرخص فلا يجوز ان يصيرا
سببي زيادة فرض على ما كان قبل اعتراضهما على ان قوله يريد الله بكم اليسر دليل انه لو كان يلزم القضاء مع فرض فعل الصوم لكان
ذلك عسرا وحرجا في الدين وقد اخبر الله تعالى انه ما جعل علينا في الدين من حرج وعلى ذلك قال بعض الناس بل مهما القضاء ان
فطر ولا يحتمها بلم يذكر في القرآن الا فطرا ودل ذكره عدة من ايام اخر كونه عنده الوقت لما عدا الذي هو اخبرنا يؤيد ذلك المروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصائم في السفر كالمفطر في الحضر ومعلوم ان المفطر في الحضر القضاء فكذلك
في السفر ولكن الاية عندنا على الاضمار وعلى الاكتفاء بذكر الرخص على اثر ذكر الحظر كقوله عز وجل حرمت عليكم الميتة الى قوله عز وجل
فمن اضطر غير باغ ولا عاد الاية من غير ذكر الاكل ثم عاد بذكر الحظر ثم قال واتموا الحج والعمرة لله ثم قال فان
احصرتم ولم يذكر منه الاحلال لكنه معلوم انه على ذلك ما لم يوجد اذ لا يكون العذر سبب الزيادة في الفرض وكذلك قوله عز وجل
ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله ثم قال عز وجل فمن كان منكم مريضا الاية ودل ذلك على اطلاق الحلق ثم يلزمه الفداء لنفي
الاذى والمرض يلزمه فعله الاول ثم لا يلزم احد بلزوم فرض صيام الشهر بغيره اذا ما لم يدرك الشهر فدارك في قدر من بعد
في ذكره فبان انه لزمه بادراك الشهر لادراك الشهر وقت الامكان بلا عذر وقال فعدة من ايام اخر وقال
ولتكملوا العدة ليعلم ان الذي يلزمه بالشهر في اوقات الامكان وذلك على ما يلزم الاحداث الطهارة لاوقات عباده لا تقوم
دونها وفعل الجنابات لاوقات الحلول وان تاخرت فمثله امر الشهر دليله ما بينا وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعن صحابته فعل الصيام في ذلك الوقت والفطر جميعا ثبت ان الصوم يجوز على ان المرض والسفر اذ هما لا نفسهما
لا ينافيان الصيام بما جاز معهما وقد امر به المتمتع وهو مسافر ان ليس ذلك على حاضري المسجد الحرام وذابح الصيد والمبادي
بهما لا يبيا وان الصيام ثم كان القضاء عن الشهر بظاهر التلاوة فبان انه يجوز فيهما واذا جاز ثبت ان التاخير رخصة
والفضل في الفعل والله اعلم والخبر على من يجهد الصيام حتى يخاف عليه وكذلك ما جاء من الاثر ان ليس من البر الصيام في السفر
والله اعلم وعلى هذا يخرج قول اصحابنا في المكره على الفطر انه ان كان مريضا او مسافرا لا يسعه ان لا يفطر لما جاء وذلك من الوعيد في
الفعل في السفر في حال الضرورة ويسعه لو كان صحيحا مقيما ما لم يذكر له الرخصة ويلزمه فيه القضاء تماما فيه اذ لم يكن ظهر الاذن
في تلك الحال كان كفه عنه تعظيما لامر دينه من غير ان ذكر له في الدين النهي عنه فهو في سعة وليس كالمكره على اكل الميتة ما ليس ذلك
بذي بدل وقد فرق بين ذي بدل وما لا بدل له نحو اتلاف مال الغير واكل الميتة ولان علته الاضطرار وليست علته الفطر في السفر
تلك اذ قد يجوز لا له فهو عند النفس لا ضرورة النفس لكانت غير معقول العلة وفيه تعظيم الدين وليس في اكل الميتة وما ذكر
ولا قوة الا بالله ثم السفر الذي له الرخص اجمع انه لم يرد به المكان لما جاء الفطر في الامصار ثبت انه لنفس السفر ثم كان السفر
حقيقته الظهور الخروج عن الاوطان وقد يكون مثله في الخروج الى الضياع ونحوه ولم يؤذن في الفطر ثبت انه راجع الى الحد
وعلى ذلك متفق القول ثم كان الحد المرخص عندنا الخروج على قصد سفر ثلاثة ايام لحصول ثلث الحدها الاجماع على ان هذا الحد
مخصوص وما دونه متنازع والمتنازع يوجب النظر لحق الفتوى بالرخص وفي ذلك امر بفعل الصيام والثاني مجيء الخبر من وجهين احدهما
في تقدير مسح السفر بثلاثة ايام ومعلوم انه جعل السفر حدا وقد ثبت ان فضل رخصة المسح واوقات الافعال على اختلاف فهما يتفق
على انها لا تقصر عن احتمال الافعال على الموافاة وليس ما لم يدخل الليالي في حق السفر عبرة لان الاسفار وان كانت مؤسسة
على قطع الطرق والسير فيها فان دوام السير يجحف صاحبه ويهلكه ولي ذلك منع السفر ثبت ان اوقات السعي والسير شتى
داخلة في حق السفر لذلك صارت الليالي كالمعفوة فتكون محيطة بما فيها من فعل المسح والثاني ما جاء من الاثر في النهي عن
سفر المرأة ثلاثة ايام الا بمحرم وهو المنهي لما جاء به النهي وفيما دونه تنازع لم يوجب الرخصة للاشكال في حق التمام لما له الرخصة

انه لم يختص بالمكان الخاص وهو المغاز فانه يرخص في الاستيفاء حالة السفر

على ما كان لما له النهي والله اعلم والوجه الثالث ان السفر عذر والتهابات في الاعذار الثلاث فكذلك بالايام اذ بها يا فرق قال
موسى عليه السلام ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا واما المرض فلم يجز ان يكون اسمه سببا للرخصة
اذ ربما كان المرض يخفف الصيام ويسهل عليه سبيل فعله ومن البعيد الترخيص بما يسهل فيه الفعل والتضييق لما يشتد فثبت انه
ليس لاسم المرض وعلى ذلك الاجماع فهو والله اعلم لما يخاف ان يزداد له بترك الاكل الداء ويمنع على المرء اكتساب الداء وتعاطي الضيافة
فرخص له الفطر بذلك وذلك معنى البشرية اذ به تخفيف ما به او منع او ما يعتريه من الضرر وهذا ما رخص اصحابنا لمن به مثل يخاف
الزيادة فيه وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يفطر المريض والحبلى اذا خافت ان تضع ولدها
والمرضع اذا خافت الفساد على ولدها ثبت ان الرخصة لما يخاف من فساد يزيد ولا قوة الا بالله وعن عبد الله بن عمر رضي الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من مات من طعام او شراب وهو يقدر فله النار وبالله المعونة وقوله وعلى الذين
يطيقونه قال قائلون يطيقون الغذاء وذلك في الامر الاول في المسافر والمريض ان له ان يقضي في ايام اخر وان يفدي وفيه
وان تصوموا خير لكم اي تقضوا الصيام والله اعلم اذ قد يحتمل ايضا ان كانت الرخصة من قبل فيمن عليه بالخيار بين ان يصوم
وبين يفدي والصوم خير على ما ذكر في الاية ثم نسخ ذلك ان كان على الحاويل الاول بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الاية
انه الزم القضاء على كل حال وان كان الثاني فقوله فليصمه انه الزم الفعل على حال ويمثل ذلك الخبر معاد في احالة الصيام انه كان
للمرء خيار بين الفطر والغداء وبين الصيام ثم نسخ في قوله وان تصوموا خير لكم على اثر ذكر السفر خيرا من الفطر والغداء
في غيره وان احتمل الذي ذكرت والله اعلم ثم الدلالة على النسخ في الوجه الذي ذكرت متفق القول على ان المطلق لم يكن له
الخروج من ذلك بالغداء فبذلك عرف النسخ مع ما ثبت من قطع الاية على القضاء في احد الوجهين وفعل الصيام في الاخر
وعلى ذلك معتبر القوم في الشيخ الفاني الذي لا يقوم للقضاء ان له الفطر والغداء لان الصوم قد ثبت انه يحتمل الوفاء
بالغداء لكن نسخ بالصيام فاذا ارتفع الصيام بالعجز عمن يحتمل الخطاب بعبادات الاموال وهم المشايخ جاز ان يخاطبوا
بالصيام ليخرجوا عنه بالغداء وعلى ذلك ما جاء عن الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بالصيام عن الميت انه
الصيام الذي هو صيام من لا يحتمل فعله وهو الغداء والله اعلم وقد قرئ يطوقونه بمعنى يكلفونه ولا يطيقونه لكن في
الاية وان تصوموا خير لكم ولو كان لا يطيقونه لا يرغبون فيه الا ان يشترط فيه طاقة الجهد والله اعلم وقوله عز وجل
فمن تطوع خيرا من زيادة فداء وما يستزيد من الخيرات التي لم يعترض لعود به الخيرا وتطوع فيما اذن له في الغداء والصوم والله
اعلم وروي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسموا شهر رمضان رمضان فانما هو اسم
من اسماء الله تعالى انسبوه الى ما نسبه لكم القران وقوله عز وجل فمن شهد منكم الشهر فليصمه اضاف عز وجل الفعل الى
الشهر بقوله فليصمه فلذلك اذا قصد به صوم الشهر جاز الصوم وان لم ينو الفرض سوى ما ذكرنا وكذلك سائر الفرائض نحو
الظهر والعصر ينوي ذلك فيكون ذلك على ما جعله الله من فرض وان لم ينو الفرض ولا قوة الا بالله وعلى ذلك من نوى
بالصيام غير صيام الشهر جاز عن صيام الشهر لما امرنا بصيام الشهر ولم نؤمر بان نجعل ذلك لشيء سواه والشهر موجود
لنفسه لا يحتاج صاحبه الى ان يوجده كان من ذلك على كل حال وكذلك كل حق معين في شيء لم يزل عنه نيته الى غيره كمن
باع انسانا شيئا بعينه لم يتحول عنه بالنية على ان ذلك كالظهر والعصر ونحو ذلك فحال على تحقيق ذلك قصد غيره
بعد فان كان لا يجمع ان لا يجوز غيره فثبت ان استحقاق الشهر بصومه لا يستحق عليه غيره من الصيام فجاز عنه وعلى
ذلك اجاز ابو حنيفة في السفر غيره من حيث اذن له في تاخيره هذا او غيره فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل ولا رخصة
له في تاخير هذا او غيره فرض عليه نحو صوم الظهار والقتل ولا رخصة له في تاخيره فجاز فيه اذ هو وقت صيام حول
الى وقت غيره فصار هذا الوقت بالحكم لغيره وليس كنية المتطوع لانه في موضع الرخصة وفي العمل به قد يكون له معدا
التطوع من الفضل على غيره فهو اولى به ولما قد يجوز النفل بلا نية نفل فكانه لم ينو النفل فهو رجل لم يعمل برخصة الله بل
عمل بوجه العزم ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل لعلكم تتقون الاكل والشرب والجماع ويحتمل تتقون المعاصي لان النفس اذا
جاعت شبعت عن جميع ما تهوى وتشتهي واذا شبعت تمنت الشهوات وتمنى ما تهوى ويحتمل تتقون عذاب الله وعقابه
والله اعلم وقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر الزم بعض الناس على المريض والمسافر قضاء عدة الايام
وان صاموا فاستدلوا بظاهر الاية فقالوا اوجب عليهم القضاء على غير ذكر الافطار فيها واحتجوا ايضا بما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصائم في السفر كالمفطر في الحضر فقد حقق له حكم الافطار في ان لا صوم
له فدل انه لم يجز فكان كتقديم الصوم عن وقته واما عندنا فهو على اضمار الافطار كانه قال فمن كان منكم مريضا
او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر وهو كما ذكر عز وجل في المتاذي من كان به اذى من راسه ففدية اي من كان به اذى
فرفع من راسه ففدية وكما قال في المضطر فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ومثله كثير في القرآن فلا يجوز لاحد
تأنى ذلك ولان المرض والسفر اعذار رخص الافطار فيها تخفيفا وتوسعا على اربابها فلو كان على ما قالوه لكان فيه
تضييق عليهم ولانه اذا قضى في عدة من عدة من الايام انما يقضي عن ذلك الوقت فلو لم يجز الفعل في ذلك الوقت وفي
تلك الحال لكان لا يأمر بالقضاء عن ذلك الوقت ولا عن تلك الحال فدل انه على ما ذكرنا والله اعلم واصله ما روي من رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه صام في السفر وروي انه افطر وروي عن الصحابة انهم صاموا في السفر ولو كان لا يجوز لكان
لا معنى لصومهم واما قوله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر فهو عندنا اذا كان الصوم اجهده واضعفه لزمه ان
يفطر صار كالذي افطر في الحضر والله اعلم وروي عن انس رضي الله عنه انه قال الصوم افضل والفطر رخصة وقوله تعالى

وعلى الذين يطيقونه قرا بعضهم وعلى الذين يطيقونه معناه يكلفونه وقال بعضهم لا يطيقونه لكن هذا لا يحتمل وذلك
الله قال وان تصوموا خير لكم دل ان قوله لا تطيقونه لا يحتمل وقيل كان اول ما نزل الصوم كان من شاء صام ومن شاء افطر واطعم مسكينا
كل يوم فلما نزل صوم شهر رمضان نسخ ما كان قبله ممن يطيق الصوم وثبت الرخصة لمن لا يطيق من نحو الشيخ الفاني والحبلى
والمرضع اذا خافت على ولدها وقيل وعلى الذين يطيقونه ثم عجزوا فدية طعام مسكين كل يوم وقيل ان المريض والمسافر ان
شاءا افطرا وقضيا وان شاءا صاما وقد بالكن ذلك كله منسوخ بما ذكرنا بنزول شهر رمضان وروي عن ابن مسعود رضي الله
عنه انه قال احيل الصوم احوال ثلثة فمرة يقضى ومرة يطعم ومرة بصيام ثم نسخ هذا كله ثم الاصل في هذا ان من عجز عن
عن ابتدائه من نحو الشيخ الفاني وغيره ومن لم يعجز عن قضائه ثم لم يجعل له الخروج الى الفداء من نحو المرضع والحبلى والمريض و
المسافر لانهم لم يعجزوا عن غير المفروض والبدل ابدا انما يجب اذا عجز عن اتيان الاصل والله اعلم وقوله فمن تطوع خيرا يحتمل
زيادة الطواف ويحتمل بتفسير ويحتمل اصل التطوع به فهو خير له اذا تطوع في الاصل خيرا وقوله عز وجل شهر رمضان
الذي انزل فيه القران هدى للناس وقوله عز وجل والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان المخرج في الذين من
الشبهة والضلالة قال ابن عباس رضي الله عنه نزل الى السماء الدنيا من اللوح جملة في شهر رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة
جملة واحدة ثم انزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلا في الشهور والايام على قدر الحاجات وقوله عز وجل هدى للناس يهتدى
به الطريق المستقيم وقيل بيان للناس من الضلالة وبينات قيل بحجج للناس ايات تتلوه وقيل البينات اى الحلال والحرام والاحكام
والشرايع وقوله تعالى والفرقان يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان المخرج في الدين من الشبهة والضلالة وقوله عز وجل فمن
شهد منكم الشهر فليصمه يحتمل قوله فمن شهد منكم الشهر وهو مقيم صحيح فليصمه ثم رخص للمريض والمسافر الافطار بقوله ومن
كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر ويحتمل قوله فمن شهد منكم الشهر اي من شهد منكم بعقله الشهر فليصمه فلا يدخل
في الخطاب المجانين ولا الصبيان الا ترى انه اول الخطاب يخرج للمؤمنين بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام فهو لا
لم يدخلوا فيه فدل ان قوله فمن شهد منكم الشهر اي شهد منكم بعقله فليصمه ثم يحتمل ان يكون فريضة الصيام بقوله عز وجل
قوله فليصمه ويحتمل لا بهذا ولكن بقوله ولتكملوا العدة لانه لا يجب كمال العدة الا على حق الفريضة والثاني قال يريد الله
بكم اليسر بما رخص للمريض والمسافر في الافطار ولو كان غير فرض لم يكن لذكر من الامتنان علينا بالتيسير معنى لان المنة انما تذكر
فيما لو تركو فدل انه فرض ويحتمل ان يكون فرضيته بقوله عز وجل كتب عليكم الصيام لان قوله كتب فرض فدلت هذه الايات
على انه فرض ثم اختلف في قضاء ما فات منه برخصة الافطار في السفر او في المرض قال بعضهم لا يجوز الا متتابعا وكذلك روى
في حرف ابي بن كعب فعدة من ايام اخر متتابعات واما عندنا فانه يجوز متتابعا ومتفرقا اتباعا لما روي عن خمسة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا ان شاء تابع وان شاء فرق منهم علي رضي الله عنه قال تابع لكنه ان فرق جاز ثم من علي
وعبد الله بن عباس وابي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم ذكره انهم قالوا بجواز ذلك ولا يحتمل ان التتابع
شرطا فيه خفي ذلك على هؤلاء او تركوه ان عرفوه فدل انه لا يصح ذكر التتابع شرطا فيه وليس كذكر التتابع في صوم كفارة اليمين في
حرف ابن مسعود رضي الله عنه لانه لم يخالفه احد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين في ذلك فصار كالمتلو وها هنا قد
خالفوا ابيا في حرفه فلم يصر كالمتلو لذلك افترقا والله اعلم وقراة ابي ان ثبت عنه فهو على الادب لما ذكر من اجماع الصحابة رضي الله
عنهم وعامته وجب بموقت وكل ذي وقت فليس التتابع بشرط فيه في غير ذلك الوقت ولو كان التتابع شرطا لكان حق الافطار
يلزم الكل حتى يكون القضاء موصولا والابتداء فاما اذا اجاز التفريق بين بعض له حكم الابتداء وبعض له حكم القضاء لجاز في غيره من
الابعاض اذ كل ذلك له في الابتداء جاز الفعل والترك فصار حق كل يوم في القضاء ولنفسه لا لغيره اذ كذلك حقه في الترك القضاء
وفي الفعل في الابتداء ولا قوة الا بالله وما ذكر من المسائل فهو مبنية على هذا الذي ذكرت ان التتابع الفعل لا يحتمل اعتراض رخصة
التفريق على امكان الجمع ثبت ان الجمع شرط فيه وما نحن فيه يحتمل صوم كل يوم على الانفراد ان يؤخر فعله في الشهر بالرخصة
عن غيره كذلك القضاء والله اعلم وبعد لو كان التتابع شرطا لم يكن لقوله فعدة من ايام اخر وقوله عز وجل ولتكملوا العدة كبير
فائدة لان في التتابع شرط الجملة لا ان يكلف له العدد وعلى الرجل ان يتم المدة التي للقضاء لا ان يحفظ الحساب لاكمال العدة والله
اعلم والاصل ان كل صوم يؤمر بالتتابع بحيث الفعل يكون التتابع شرطا فيه حيث ما كان الفعل وكل صوم يكون التتابع فيه
بحيث الوقت ففوت ذلك الوقت يسقط حق التتابع وعلى هذا مسائل اذا قال لله علي ان اصوم شعبان فلزمه ان يصوم متتابعا
لكنه اذا فات شيء منه يقضي ان شاء متتابعا وان شاء متفرقا لان التتابع بحيث الوقت يسقط لسقوطه ولو قال لله علي ان اصوم
شهرا متتابعا يلزمه ان يصوم متتابعا لا يخرج من نذره الا به لان التتابع ذكر للصوم فهو لا يسقط عنه ابدا والثاني ما قال
عز وجل يريد الله بكم اليسر رخصة لم يجز ان يجعل فيه ما هو عسر وضيق وهو التتابع والله اعلم ثم في قوله فمن شهد منكم الشهر
فليصمه دلالة انه اذا صام عن غيره لم يجز لانه اضاف عز وجل الصوم الى الشهر واشار اليه بقوله عز وجل فليصمه فلو جاز لان
يصوم من غيره لكان فيه صرف الى غير ما جعله الله وفي ذلك خوف اعتراض لامره واشراك في حكمه ونسال الله العصمة من الزيغ
عن الحق واما قوله عز وجل يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر قالت المعتزلة من صام في السفر وفي المرض فعل ما لم يرد الله لان
الله عز وجل اخبر انه لم يرد العسر وانما اراد اليسر فاذا صام في المرض وفي السفر اراد العسر والله تعالى اخبر انه لم يرد فدل
انه فعل ما لم يرد الله لكن الوجه عندنا ان قوله يريد الله بكم اليسر معناه اراد الله بكم اليسر لما رخص لكم الافطار في السفر لانهم اجمعوا على
ان الصوم في السفر فضل والافطار رخصة ولا يجوز ان يقال لم يرد الله ما هو افضل واراد ما هو دونه على قولهم ولكن يقال
لمن افطر اليسر واراد بتركه الافطار العسر واراد به فافترقا فلا يجوز ان ينفذ في وجه ولا ينفذ في وجه اخر وقوله عز وجل

يريد الله بكم اليسر اي يريد ان تيسر عليكم بالاذن في الفطر الا ان تعسر عليكم بالنهي عنه وقد يحتمل الفعل لكنه لم يذكر عن احد
ان الله تعالى اراد به اليسر فصام فثبت ان الارادة موجبة مما لا يحتمل على قولهم ان يكون الصايم في السفر غير مراد وقد قضى به
فرض الله واطاع الله فيه والمعتزلة يقولون بالارادة في كل فعل الطاعة فضلا من الفريضة وقوله ولتكبروا الله على ما هداكم قيل
يعني تعظمون الله على ما هداكم لا مرد ينه ويجوز ان يريد بالتعظيم الامر بالشكر لما انعم عليهم من انواع النعم من التوحيد والاسلام
وغيره ولعلكم تشكرون ربكم بهذه النعم التي انعمها عليكم ويحتمل انه امر بالتعظيم له والشكر لما رخص لهم الافطار في السفر والمرض
والله اعلم وقوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب هو على الاضمار والله اعلم كانه قال واذا سالك عبادي اين انا من اجابتهم فقل
لهم اني قريب يحتمل قوله اني قريب وجوها يحتمل قريب الاحسان والبر والكرامة لمن اطاعني ويحتمل اني قريب قرب العلم والاجابة
لا قرب المكان والذات كقرب بعضهم من بعض في المكان لانه لا مكان ويكون على ما كان وكذلك قوله ما يكون من نجوى ثلاثة
الا هو رابعهم الاية وكقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كل ذلك يرجع الى قرب
العلم والاحاطة وارتفاع الجهات لا قرب الذات على ما ذكرنا وان كانت القصة على ما قاله بعض اهل التفسير بان اليهود قالوا كيف
يسمع ربك دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء مسيرة خمس مائة عام وان غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام فنزل قوله
واذا سالك عبادي عني فاني قريب هذا الكلام يعرفوا الصانع الا انهم جعلوا له الولد وجعلوا له شركاء فخرج سوالهم اذ كان مخرج
سوال التعنت لا سوال المسترشد وقوله اجيب اي اقبل دعوة الداع يعني توحيد الموحد وكذلك قال ابن العباس رضي الله عنه
في قوله ادعوني استجب لكم اي وحدوني اغفر لكم وقيل اجيب دعوة الداع على حقيقة الاجابة وقوله فليستجيبوا لي اي لما دعوتهم
يحتمل على ما ذكرنا في قوله اجيب لكم اذا استجبتم لي بالطاعة والايتمار ويحتمل اجيب لكم اذا اخلصتم الدعاء لي ويحتمل على ابتداء الامر
بالتوحيد كانه قال وحدوني الا ترى انه قال وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون اذا فعلوا ذلك وقوله احل لكم ليلة الصيام سماه ليلة
الصيام الليل مضاف الى يومه كانه في الليلة يوم الصوم وان لم يكن فيها صوم في الحقيقة لانتظار الصيام فيها بالنهار على ما جاء من رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ قال منتظر الصلاة ما دام ينتظرها في الصلوة وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه اضاف الصوم الى
الشهر يدخل فيه الليل والنهار لان اسم الشهر يجمع الليل والنهار وقوله الرفث الى نسائكم قيل الرفث الجماع وهو قول ابن عباس
رضي الله عنه وقيل الرفث هو حاجات الرجال الى النساء من نحو الجماع والمس والتقبيل وغيره وقوله هن لباس لكم وانتم لباس
لهن قيل هن ستر لكم عما لا يحل وانتم ستر لهن ايضا يعف الرجل بالمراة والمراة بالرجل وقيل سكن لكم وانتم سكن لهن يسكن الزوج
وهو كقوله وجعلنا الليل لباسا اي سكنا وجعل لكم الليل لتسكنوا فيه ويحتمل ان يكون احدهما لباس الاخر بالليالي والله اعلم وقوله
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تختانون وتخونون واحد قيل نزلت الاية في شان عمر رضي الله عنه وذلك ان الناس اذا صاموا ثم نام
احد منهم حرم عليهم الطعام والجماع حتى يفطر من الغد فواقع عمر رضي الله عنه امراته يوما بعد ما نام او نامت فغدا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبره بذلك فنزل قوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم اي تظلمون لان كل خائن ظالم نفسه فتاب الله عليه وعفا عنه
ثم رخص لهم المباشرة بقوله فالان باشروهن على الرخصة هو على الاباحة لا على الامر به وقوله وابتغوا اي ابتغوا ما كتب الله لكم
قيل فيه بوجوه قيل ما كتب الله لكم من الولد وقيل ما كتب الله لكم من ليلة القدر وما فيه من نزول الرحمة وقيل ابتغوا ما كتب الله لكم
من الرخصة والاباحة في الجماع في ليلة الصيام والاكل بعد النوم وهو كما جاء من لم يقبل رخصنا كما يقبل عزايمنا فليس منا وقوله
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ذكر عن عدي بن حاتم انه قال كنت اضع خيطين تحت وسادتي
بعد نزول هذه الاية احدهما ابيض والاخر اسود فكنت انظر فيه متى ما يتبين لي الى ان اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فقال ان وسادتك لعريض يعني ان الفجر هو المعترض في الافق وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يغرنكم الفجر
المستطيل انما الفجر المستطير في الافق وروي انه قال الفجر فجران فجر مستطيل في السماء وفجر مستطير في الافق هو الذي يحرم الطعام
على الصايم ويحل الصلوة وروي انه قال لا يغرنكم اذان بلال فانه انما يؤذن بالليل ليوقظ نايمكم ويرجع قايمكم وفي بعض الاخبار
قال لا يغرنكم اذان بلال عن سحوركم فانه انما يؤذن بليل وكلام نحو هذا والاصل في هذا ان الله عز وجل جعل حد الصيام من وقت تبين
وقت النهار الى وقت غيبوبة الشمس الى وقت تبين النهار الطعام والشراب والجماع تحقيقا منه وقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون
في المساجد اختلف في المباشرة عنى به الجماع وما دون الجماع فانما نهوا عنها وقيل المباشرة كناية عن الجماع ثم قوله ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد فيه ادلة من وجه الاية كانها نزلت في بلواها لانه كانوا يباشرون نساءهم في المساجد لان المساجد كان اهل عندهم
من ان يجعلوها مكانا لوطي النساء ولكنه والله اعلم ان الاعتكاف هو اللبث في مكان ياخذ الحق في نفسه عند عكوفه المسجد فحرم
منه فذكر ان العكوف نفسه يحرم الجماع في الاحوال كلها ليس كالصوم الذي يحرمها لا دون حال في الوقت الذي لم يكونوا فيها
ليعلموا ان حكم المقام في المساجد اخذ لهم وليبوا حرم فيها وان لم يكن شرطا في ذلك لكان قوله وانتم عاكفون كافيا اذ لم يكونوا في المساجد
وقت لحوق النهي للمباشرة والله اعلم وفيه دليل ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد حيث خص المساجد دون غيرها من الامكنة
وفيه دليل ان المعتكف قد يخرج من معتكفه لكنه لا يخرج الا لما لا بد منه على ما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يخرج
الا لحاجة الانسان وحاجة الانسان يحتمل وجهين يحتمل لما يرفع اليه من الحوايج ويحتمل حاجة الانسان الحاجة المعروفة التي لا يحتمل
قضاؤها في المسجد ثم الضرورة تقع بالخروج في العكوف بوجهين مرة في نفسه ومرة في افعال يكتسبها وبهذا يقول
اصحابنا رحمهم الله في فرضية الخروج الى الجمع لان من اعتكف على ان لا يشهد الجمعة لا يؤذن له في ذلك لما لا يجاز ان يؤذن
بايجاب قربة هي فريضة عليه بتضييع اخرى هي فرض عليه لذلك كان ما ذكرنا فان قيل روي انه كان لا يتبع الجنازة وعيادة المريض
قيل ان ثبت هذا فهو لا يخرج لوجه اذن بالخروج لذلك الوجه فخرج ثم عاد مريضا او شهد جنازة وذلك جايز ولو كان

يؤذن لذلك لكان يؤذن لكل قربة اذ الجنازة اذا شيعها الكافي سقط فرض التشييع فاذا لم يؤذن في غير هذا وهذا مثل
ذلك او دونه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي ذلك دليل ان الخبر على ما بينت والله اعلم وروي عن عائشة رضي الله عنها
انها قالت من السنة ان لا يخرج المعتكف من معتكفه دل هذا من عائشة رضي الله عنها ان خبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه على
ما ذكرنا ان ثبت وفي قوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد فيه دليل ان الاعتكاف يكون في جميع المساجد لانه عم المساجد
وما روي ان لا اعتكاف الا في المسجد الحرام ان ثبت فهو على التناسخ لان النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف في مسجد المدينة فدل
فعله انه منسوخ والله اعلم وقوله تلك حدود الله فلا تقربوها قيل تلك المباشرة معصية فلا تقربوها في الاعتكاف لحد الامر
ان لا تقربوها وقيل انه جعل لكل طاعة وامر ونهي او غاية فلا يجاوز ولا يقصر عنه وقيل تلك فرائض الله وقيل تلك سنن
الله وكان الاول اقرب وقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام قيل لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تدلوا
بها الى الحكام وقراءة ابي فلا تدلوا بها الى الحكام وجهان على اضمار لا كقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق اي ولا تكتموا وقيل
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما تلبسوا على الحكام وتقيموا على ذلك حججا باطلة على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انكم تختصمون
الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق اخيه المسلم فكانما قضيت له بقطعة من النار وقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
جعل مال اخيه كماله ونفس اخيه كنفسه لقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فاذا اكل مال اخيه بالباطل لزمه مثله فجعل كاكل ماله بباطل وجعل
قتل نفس اخيه بالباطل كقتل نفسه بالباطل لا ترى انه اذا قتله بباطل قتل به ثم من الناس من استدل بهذا على ابي حنيفة رضي الله عنه
فيما يقول بمضي العقد اذا شهد الشهود على ذلك عند الحاكم وقضى به ثم ظهر ان الشهود زور حيث قال ولا تاكلوا وما روي من الوعيد
للآخذ بكان ما اخذ قطعة من نار فاذا لم يحل ذلك لم يمض العقد غير ان الاصل عندنا في كل ما لو اجتمع الخصمان على ذلك بسبب
يحل ذلك لهما فاذا قضى الحاكم بذلك السبب نفذ وقوله لتاكلوا فريقا من اموال الناس يعني طائفة من اموال الناس وقوله
يسألونك عن الاهلة يحتمل قوله يسألونك اي سألوك عن الاهلة ويحتمل يسألونك من بعد فان كان على هذا ففيه دليل
رسالته لانه كان كالخبر من السؤال ثم معنى السؤال عن الاهلة والله اعلم هو انهم لما راوا الشمس تطلع دائما على حالة واحدة
وراوا القمر يختلف الاحوال من الزيادة والنقصان حملهم ذلك على السؤال عن حال القمر فاخبر عز وجل انه جعل الهلال
معرفا للخلق الاوقات والآجال والمدد ومعرفة وقت الحج لانه لو جعل معرفة ذلك بالايام لاشتد حساب ذلك عليهم
ولتعذر معرفة السنين والاوقات بالايام فجعل عز وجل بلطفه وبرحمته الاهلة ليعرفون بذلك الاوقات والآجال
ويعرفوا وقت الحج ووقت الزكوة طلبا للتخفيف والتيسير عليهم ثم قال هي مواقيت والحج جعل الاهلة كلها وقتا للحج لهذا
ما قال اصحابنا انه يجوز الاحرام في الاوقات كلها على ما يجوز بقاء الاحرام في الاوقات كلها واما افعال الحج فانها لا تجوز
الا في وقت فعل الحج وهو قوله الحج اشهر معلومات فانما هو على افعاله دليله قوله فمن فرض فيهن الحج ولا تعرض من
الحج ولا تعرض من الحج في غير الاحرام دل انه معنى به افعال الحج وقد جاء انه سمي الاحرام على الانفراد حجا سمي الطواف بالبيت حجا والوقوف
حجا وقال الحج عرفة وسمي النحر حجا حيث قال افضل الحج العج والثج وانما سمي كلا منها حجا لما جعل لها اوقاتا معلومة يؤدي فيها
واما الاحرام فانه جعل الاشهر كلها وقتا له بقوله يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وقوله وليس البر بان
تأتوا البيوت من ظهورها لا معنى لعطف هذا على الاول الا على انما السؤال كانهم سألوه عن الاهلة وعن اتيان البيوت من ظهورها
كاخبر ان ليس البر في اتيان البيوت من ظهورها ولكن البر في التقوى ثم اختلف في قصة هذا الكلام قال بعضهم ان بعض العرب اذا احرم
احدهم لم يدخل بيته من بابه ولكن يدخل من ظهر البيت مخافة تغطية الرأس اذا دخل من بابه وقيل ان بعض العرب اذا خرج احدهم
لحاجة فلم يقض حاجته فرجع لم يدخل البيت من بابه ولكن كان يدخل من وراء ظهره بكره دخول بيت غير منجح يتطيرون به
ويتفالون قصدها ثانيا فقال الله عز وجل ليس البر فيما تصنعون ولكن البر من اتقى واتبع امر الله وانتهى عما نهى عنه وتاتي البيوت
من ابوابها ويحتمل ان يكون على التمثيل والرمز ليس على التحقيق كقوله فنبذوه وراء ظهورهم وكقوله فريق من الذين اوتوا
الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فهو ليس على حقيقة الطرح وراء الظهر ولكن كانوا لا يسمعون كلام الله ولا يعبؤن به
وكذلك كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمعونه ولا يكترثون اليه فاخبر انه كالمنبوذ والمطروح وراء الظهر لما لم يعملوا
فعلى ذلك الاول اخبر ان ليس البر في ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والائتمار بامره اي ليس فعل البر مخالفة محمد عليه الصلوة
والسلام ولكن البر في الاتباع له والائتمار بامره وقال القرامطة ان المراد من الابواب هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه والبيوت
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم امروا باتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند علي رضي الله عنه على ما جاء انه قال انا مدينة
العلم وعلي بابها فمن اراد الدخول في البيت لا بد من ان ياتي الباب فيدخل من الباب لكن الجواب لقولهم على قدر ما تأولوا ذكر
البيوت وذكر الابواب ايضا والبيوت كثيرة والابواب كذلك ايضا فعلي وغيره من الصحابة من نحو ابي بكر وعمر وعثمان رضوان
الله عليهم اجمعين فيه شرع سواء الا ترى انه قال انا مدينة الحكمة والمدينة لا يعرف لها باب واحد بل يكون لها ابواب فدل
ان تاويلهم في علي رضي الله عنه خاصة لا يصح وبالله العصمة وقوله واتقوا الله اي اتقوه ولا تعصوه ولا تتركوا امره
وانتهوا عن مناهيه وقوله وقاتلوا في سبيل الله سبيل الله دينه وطاعته اي في اظهار دينه قيل هي اول آية نزلت في الامر بالقتال
وقيل اول آية نزلت في الامر بالقتال قوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا ويحتمل انه اخبر كانهم نهوا ولا [illegible] اذن لم فقاتلوا
فانكر عليهم فانزل الله انه اذن لهم اخبارا فلا يدرى ايتهما اول ولكن فيه الامر بالقتال والنهي عن الاعتداء هاهنا قيل هو النهي
عن قتل الذراري والنساء والشيخ الفاني على ما جاء انه بعث سرية اوصاهم ان لا يقتلوا وليدا ولا شيخا وقيل نهاهم ان يقاتلوهم
في الشهر الحرام الا ان يبدوهم المشركون بالقتال والله اعلم وقوله ان الله لا يحب المعتدين انه لا يحب الاعتداء ولم يحب من اعتدى

والاية والحديث في القضاء بغير سبب وبه يقول شح

فلما قدموا على ان اشد انكر عليهم الكفر محتجا عليهم بان القتال حرام في شهركم فانزل الله

فاما قوله يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه وليس باستثناء للقتل في الشهر الحرام مطلقا بل مقيد كانه قال كل قتال فيه كبير لولا صد المشركين المسلمين عن سبيل الله والكفر بالله تعالى واخراج اهل مكة عنها فاذا فعلوا ذلك فليس بكبير لان ذلك اكبر عند الله من قتلهم واذا كان مقيدا فلا يخرج من المعهود شرح

وقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم قيل الثقف الحيث يعتبر عن المكان فمنه اذن تقتلهم في جميع الامكنة وفي تعميم الاوقات
فهو على عموم المكان الا فيما استثنى من المسجد الحرام مطلقا واما قوله يسألونك عن الشهر الحرام فلا استثناء فيه مقيد فلا يخرج
عن ذلك العام والله اعلم ثم منهم من جعل الحرم القتل في الحرم وفي اشهر الحج بظاهر هذه الآية ومنهم من قال لا يقتل فيهما جميعا وقال
اصحابنا رحمهم الله [illegible] ولكن لا يقتل في الحرم الآن [illegible] بالقتال فحينئذ يقتلهم وكذلك يقولون فيمن قتل [illegible]
التجأ الى الحرم لا يقتل فيه ولكن لا يؤوى ولا يشارب ولا يجالس حتى يضطر فيخرج فيقتل واذا قتل في الحرم الآن بدأوهم
بالقتال فعند ذلك يحل [illegible] القتال في الحرم الآن بدؤهم بهم وان كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل
في الامكنة كلها بقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه استثنى الحرم دون غيره من الاماكن واما قوله يسألونك
عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير بظاهر هذه الآية تحريم القتال في اشهر الحج لكن فيه دليل على حل القتال بقوله والفتنة اكبر
من القتل يعني بالفتنة الشرك جعل القتل فيه كبيرا ثم اخبر ان الشرك فيه اكبر واعظم من القتل والاصل ما ان الابتلاء اذا كان
من وجهين يختار الايسر منهما والاخف فلذلك كان له ان يختار القتل في الحرم على بقاء الفتنة وهو الشرك لانه اهون واعظم
والله اعلم وقوله واخرجوهم من حيث اخرجوكم يحتمل قوله واخرجوهم من مكة كما اخرجوكم عام الحديبية ويحتمل امرهم بان يضيقوا
عليهم ويضطروهم الى الخروج كما فعل اهل مكة بهم ويحتمل الاخراج على ما جاء لا يجتمع مشركون بعد عامهم هذا ويحتمل ان يمنعوهم
عن الدخول فيه كقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام [illegible]
وقوله والفتنة اشد من القتل اي الشرك اعظم جرما عند الله من القتل فيه وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم [illegible]
[illegible]
فحينئذ تقتلونهم والله اعلم وقوله كذلك جزاء الكافرين هكذا جزاء [illegible]
بدأ بالقتال في الحرم ان يقتل وقوله فان انتهوا فان الله غفور رحيم يحتمل وجهين فان انتهوا عن الشرك واسلموا ايغفر الله برحمته
ويحتمل فان انتهوا عن بدء القتال واسلموا فان الله برحمهم ويغفر ذنوبهم وقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي قاتلوهم بالقتال حتى
ليسلموا فان قيل ما الحكمة في قتل الكفرة [illegible] في العقل قيل بانا نقاتلهم ليسلموا [illegible] ابوا الاسلام فاذا
ابوا ذلك ثم لم نقتلهم لا يسلمون ابدا لذلك قتلنا اذ في القتل ذهاب الفتنة ويحتمل قاتلوهم حتى لا تكون فتنة على وجه الارض اي
تطهر من الشرك وقال قوم الفتنة هاهنا العذاب اي قاتلوا حتى لا يقدروا عليه كفا وقوله ويكون الدين لله اي ليكون الدين دين
الله في الارض لا الشرك والدين الحكم وقوله فلا عدوان الا على الظالمين فان قيل فاذا صار الدين كله لله فلا ظالم هنالك فما معنى
هذا الكلام قيل يحتمل لا عدوان الا على الظالم الذي احدث الظلم من بعد ويحتمل ان لا عدوان الا على من بقي منهم مع الظلم فان
قيل فلم سمي عدوانا والعدوان هو ما لا يحل قيل لانه جزاء العدوان وان لم يكن هو في الحقيقة عدوان فسمي باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة
وان لم يكن هو سيئة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وكما سمي جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن في الحقيقة اعتداء فكذلك الاول
وقوله الشهر الحرام بالشهر الحرام قيل خرج النبي صلى الله عليه وسلم في الشهر الحرام يريد مكة فصده المشركون عن دخولها فجاء من
عام قابل في الشهر الحرام فدخلها واقام ثلاثا وقضى عمرته التي فاتته في العام الاول فسميت عمرة القضاء فذلك تاويل قوله والحرمات
قصاص هذه الثانية صارت قصاصا بالاول وقيل ان الجاهلية كانوا يعظمون الشهر الحرام ولا يقاتلون فيه فلما ان ظهر الاسلام
عظم اهل الاسلام ايضا ولم يقاتلوا فيه حتى جعل الكفار يغيرون على اهل الاسلام ويتنصرون عليهم حتى نسخ ذلك وامروا
بالقتال فيه بقوله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم كانه قال ما هتكتم من حرمة الشهر قصاص
لما هتكوا وقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله واتقوا الله يحتمل اتقوا
مخالفة الله او اتقوا عذاب الله وقوله واعلموا ان الله مع المتقين يعني مع المؤمنين جملة ويحتمل اتقوا القتال في الحرم قبل ان يبدؤهم
فان الله مع المتقين في النصر والمعونة لهم وقوله وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل فيه بوجوه قيل بالانفاق
ترغيبا بالخروج الى الجهاد والا فكل مشفق على نفسه بما يعلم حاجته اليه ولا يلقي نفسه في الهلاك من حيث منع الانفاق وقيل
في قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هو ان يذنب ذنبا ثم يايس من العفو عنه وقيل وانفقوا اي لا تطلقوا بالانفاق مخافة
الفوت في الوقت الثاني فانه يخلف لكم ما انفقتم وقيل انفقوا اي اعينوا اصحابكم ولا تلقوهم الى التهلكة بترك المعونة لهم بالانفاق
والتجهيز لهم وقيل تصدقوا فان فيه حيوة ابدانكم وانفسكم وقوله واحسنوا قيل احسنوا الى اصحابكم بالاعانة والتصدق وقيل
احسنوا الظن بالله في الانفاق وقيل احسنوا الظن بربكم في الخروج الى الغزو ويحتمل واحسنوا اي اسلموا وعلى ذلك يخرج قوله
ان الله يحب المحسنين يعني المؤمنين وقوله واتموا الحج والعمرة لله اختلفوا في تاويله وفي قراءته قال بعض الناس العمرة فريضة
بهذه الآية لانه امر باتمامها كما امر باتمام الحج وقيل هي الحجة الصغرى واما عندنا فهي ليست بفريضة وليس في قوله اتموا الحج والعمرة
لله دليل فرضيته لانا لم نعرف فرضية الحج بهذه الآية ولكن انما عرفناه بقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
ثم في الامر بالاتمام وجوه احدها انهم كانوا يفتتحون الحج بالعمرة فامروا باتمامها على ما روي عن عمر رضي الله عنه قال متعتان
كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا انهى عنهما واعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء والثاني انهم كانوا لا يجعلون
العمرة لله فامروا بجعلها لله وعلى ذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ واتموا الحج والعمرة لله فالاتمام ان تحرم
من دويرة اهلك واحتج اصحابنا رحمهم الله ايضا بما روي عن جابر رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله العمرة واجبة هي قال لا وان
تعتمر خير لك وروي ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الحج مكتوب والعمرة وفي بعضها فالحج جهاد والعمرة تطوع

ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الحج فريضة والعمرة تطوع وعن عايشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل اهله
يرجع بحجة وعمرة غيري كمال القرى فانه يكفيك الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا والاصل احتج اصحابنا ايضا بشيء من النظر وذلك ان
الله فرض الصلوة والزكوة والصيام في اوقات خصها بها واجمع اهل العلم ان المتطوع بالصدقة والصلاة والصيام يفعل ذلك متى
شاء ثم اجمعوا ان العمرة لا وقت لها فدل ذلك على انها تطوع اذ لو كانت فريضة كان لها وقت مخصوصا يفعل فيه كغيرها من
الفرايض فان قيل ان الحج التطوع مخصوص بوقت مخصوص المفروض منه كما لا يدل الخصوص الذي في الحج التطوع على وجوبه
فكذلك العموم الذي في العمرة لا يدل انها تطوع قيل وجدنا الفرض كله مخصوصا بوقت ووجدنا التطوع على ضربين منه ما
هو مخصوص كالحج ومنه ما هو غير مخصوص كالصلوة والصيام والصدقة فلما لم نجد في الفرض ما ليس بمخصوص بوقت تطوعا
غير فرض واحتجوا ايضا بانا وجدنا العمرة تفعل في اشهر الحج ولم نجد صلوتين يفعلان في وقت واحد فريضتين ولكن يفعل الصلوة
التطوع في وقت الفريضة فثبت لما جاز ان يجمع بين فعل الحج والعمرة في وقت واحد انها تطوع كالصلوة التي تفعل في وقت الظهر
وغيرها واحتج من جعلها فرضا بان قال لم نجد شيئا يتطوع به الا وله اصل في الفرض فلو كانت العمرة تطوعا كان لها اصلا في
الفرض قيل العمرة انما هي الطواف والسعي ولذلك اصل في الفرض فرض الحج معا انا وجدنا الاعتكاف تطوعا وليس له اصل في الفرض
فبطل ذلك العمرة والاصل بان كل ما يبتدي الله ايجابه على عباده فانه يوجب فعلها باوقات ويجعل لادائها اوقات والعمرة
ليس لوجوبها وقت ولا لادائها فثبت انها ليست مما اوجبها الله وقوله فان احصرتم فما استيسر من الهدي الاية على الاضمار كانه
قال والله اعلم فان احصرتم عن الحج فاردتم ان تحلوا فاذبحوا ما استيسر من الهدي اذ الاحصار نفسه لا يوجب الهدي لكنه
اذا اراد الخروج منه يخرج بهدي وعلى ذلك يخرج قوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر كانه قال والله اعلم من كان
منكم مريضا او على سفر فافطر فعدة من ايام اخر وكقوله او به اذى من راسه ففدية من صيام معناه والله اعلم او به اذى
من راسه ففدية والا يكون الاذى في راسه لا يوجب عليه الفداء حتى تزيل كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه
الفداء اي من اضطر فاكل منها غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه والاضطرار نفسه لا يوجب الاثم ثم اختلف اهل العلم في
الاحصار ما هو وبم يكون وهل يحل روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا احصر الرجل من مرض وحبس او كسر
او شبه ذلك بعث الهدي وواعد يوم النحر مكث على احرامه على ان يبلغ الهدي محله وعليه الحج والعمرة جميعا من قابل و
عن ابن الزبير وعروة بن الزبير قال المحصر من كل شي عليه عدو ومرض وروي مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل ومعنى قوله فقد حل اي جاز له ان يحل بغير دم لان الله تعالى اذن له في الاحلال
بدم وهذا عندنا كقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قبل الليل وادبر النهار وغابت الشمس فقد افطر فمعناه فقد
حل له الافطار فعلى ذلك الاول حل له ان يحل ثم قال بعض اهل اللغة من نحو الكسائي وابي معاذ قالوا ان الاحصار من المرض
والحصر من العدو فان قيل روي عن ابن عباس رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنه انهما قال لا حصر الا من حصار العدو ولكن في هذا
نسخ الكتاب بقولهما ان ثبت وهو لا يرى نسخ الكتاب بالسنة فضلا ان يراه بقول واحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
مما ترك قولهما لانه روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال ذهب الحصر ثم يقال للشافعي رحمه الله اذا جاز ان يجعل المراة بمنزلة
المحصر من غير ان يخاف عدوا الكنها لما منعها من له ان يمنعها جعلتها محصرة فهلا جعلت المريض مثلها وان كان النص في القران
جاء في المحصر من العدو على زعمك فيقال لان المراة حبسها من له ان يحبسها فهي اشد حالا ممن حبسه عدو وليس له ان يحبسه
فيقال له المريض امرضه من له ان يمرضه فاجعله اشد حالا من الذين حبسه عدو وليس له ان يحبسه او فرق من المراة والمريض
فيقال بل بينهما فرق وذلك ان الخائف بعدو يخاف القتل على نفسه وقد اباح الله للخائف في القتال ان يتحيز الى فئة فينتقل
بذلك من الخوف الى الامن قيل له كما رخص للخائف في ذلك فقد رخص للمريض ان لا يحضر القتال فالرخصة له اكثر من الرخصة
للخائف فان قال ان المريض لا يبرا بالقعود والخائف يا من قيل له ان الرخص التي جعلت للاعذار لا تجعل لترخيها ولكن
الرخصة لترفيه المشقة فيقال له ايضا قد جعلت المراة محصرة اذا منعها زوجها وهي لا تخاف القتل على نفسها فبطلت
علته وانتقضت فان قال انكم لم تجعلوا من ضل الطريق محصرا وهو ممنوع من المضي على حجة فما الفرق بينه بين المريض فيقال
لو جعلنا الضال عن الطريق محصرا لم يجز له ان يحل من احرامه الا بدم يوجهه الى الحرم ليذبح عنه واذا وجد من يذهب الى الحرم
فيذبح هديه فليس بضال لانه قد وجد دليلا لا بد له على طريقه لذلك افترقا وبعد فان المرض احق ان يكون عذرا في ذلك
من العدو وغيره لانه يقاتل العدو والسباع فيدفع عن نفسه الاحصار والمرض لا سبيل له الى دفعه دل انه احق ان يجعل
عذرا وقال بعضهم يكون محصرا من الحج ولا يكون من العمرة لان الحج مما يحتمل الفوت والعمرة لا واما عندنا فانه يكون
محصرا منهما جميعا لان الله عز وجل ذكر الاحصار على اثر ذكر العمرة بقوله واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من
الهدي وروي في الخبر عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين
البيت الشريف فنحر هديه وحلق راسه بالحديبية وقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فيه دلالة ان المحصر يبقى محرما
على حاله لا يحل حتى ينحر عنه الهدي واختلف اهل العلم اين يذبح الهدي فعندنا انه لا يجوز ان يذبح الا في الحرم روي عن ابن مسعود
رضي الله عنه انه قال يبعث بهديه ويواعدهم يوما فاذا نحر عنه حل وعن ابن عباس رضي الله عنه مثل ذلك وعن ابن الزبير رضي
الله عنه وعروة بن الزبير رضي الله عنه ان المحصر يبعث بالهدي فاذا نحر عنه حلق وظاهر القران يدل على ما روي عن هولاء
لان الله تعالى قال ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فجعل الهدي محلا يبلغه وبين موضع محله فقال هديا بالغ الكعبة
وكانت الكعبة محلا لجزاء الصيد والدم المحصر قال الشيخ رضي الله عنه المحل اسم الموضع الذي يحل فيه ولو كان كل موضع له

عرج يعرج عرجانا اذا
غمز من عارض اصابه
وعرج عرجا اذا
كان ذلك
خلقة
م

اراد ان ذلك في الانبياء
حيث كان في الاعداء
كثيرة وقد جاء دين
الاسلام ناظرا
على الاديان
شرح
م

محلا لم يكن لذكر المحل فائدة واحتج من خالف اصحابنا رحمهم الله بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي يوم الحديبية
في الحرم برويه مروان بن الحكم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية فحال المشركون بينه
وبين دخول مكة وجاء سهيل بن عمرو يعرض عليهم الصلح فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم ان يسوقوا البدن
حتى ينحر حيث شاء ولا يتوهم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يهدي الهدي في الحل وقد اطلق له المشركون ان ينحرها حيث شاء وهو
بقرب الحرم بل هو فيه وروي عن مروان والمسور بن مخرمة قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية في الحل وكان يصلي في
الحرم هذا بين الحرم هذا بين انه كان قادرا ان ينحر هديه في الحرم حيث يصلي كان يصلي ولا يحتمل ان يترك نحو الهدي في الحرم
وهو على ذلك قادر ولان الحديبية مكان يجمع الحل والحرم جميعا فانما ذبح في الحرم لا في الحل لما ذكرنا انه لا يحتمل ان يذبح في الحل و
ليس سبيل الذبح الا في الحرم فان قيل حل النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من احصاره بغير دم قلنا ليس الامر عندنا
هكذا لانه لا يتوهم على النبي عليه الصلوة والسلام ان يكون حل بغير دم وقد امر الله المحصر بالدم فان قال كذلك قال كذلك
قال وليس في حديث صلح الحديبية انه نحر دمين وانما نحر دما واحدا فما وجه ذلك عندكم قيل وجه ذلك عندنا والله اعلم ان الهدي
الذي ساقه كان هديا متعة او قران فلما منع عن البيت سقط عنه دم القران فجاز له ان يجعله من دم الاحصار فان قيل فكيف
قلنا ان النبي صلى الله عليه وسلم ازال الهدي عن سبيله وانت تزعم ان من باع هديه فهو مسي قيل له ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يصرف الهدي عن نحره لله والتقرب به اليه وانما صرف النية الى ما هو افضل منها واوجب فكان ذلك في مثله متبعا والذي باعه
صرفه عن سبيله وتركه ان ينحره بعد ان كان نوى به القربة فكان مسيئا ومما يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الهدي لاحصاره
لما روي انه لم يحلق حتى نحر هديه وقال يا ايها الناس انحروا وحلوا ثم المسئلة ما يجب على المحصر بالحج والعمرة من القضاء اذا حل فعلى
قول اصحابنا اذا كان محرما بالحج يلزمه الحج مكان الاول وعمرة بتفويت الحج قال الله تعالى فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج اختلف
اهل العلم في تاويل ذلك فروي عن ابن عباس رضي الله عنه فيما يكون الرجل به محصرا انه قال فاذا امنتم من الخوف والمرض فمن تمتع
بالعمرة اي اعتمر في اشهر الحج كان يقول ان عليه لاحلاله بغير الطواف عمرة فان اخرها حتى يقضيها مع الحج في اشهره فعليه لجمعه
بينهما دم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في رجل اهل بعمرة واحصر يبعث بهديه فاذا بلغ الهدي محله حل فان اعتمر من وجهه ذلك
اذا بدا فليس عليه هدي وان اعتمر من قابل بعد حج فليس عليه هدي فان وصلها بحج من قابل فعليه هدي والحاج اذا احصر فانه
يبعث بهدي فاذا بلغ محله حل وان اعتمر من وجهه ذلك اذا برا فاته الحج وجعلها سفرا واحدا كان عليه هدي اخر سفران
وهديان وسفر وقال قوم عليه حج واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال امر الله بالقصاص فيأخذ منكم
العدد بحجة وعمرة بعمرة وروي في خبر عمر رضي الله عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال فقد حل وعليه الحج من قابل وفي
هذا يدل على قول ابن عباس رضي الله عنه لانه قال وعليه الحج من قابل ولم يذكر عمرة الا انه قد يجوز ان يكون عليه العمرة وان
لم يذكر في الحديث كما ان الدم واجب وان لم يذكر في الحديث فعلى ذلك العمرة يجوز وجوبها وان لم يذكرا انا ايجابهم العمرة لفسخ
الحج بغير طواف وحجة مكان حجته فان كان التاويل في قوله فمن تمتع بالعمرة اي بالعمرة التي لزمته باحلاله كما قال ابن مسعود وابن
عباس وابن الزبير رضي الله عنهم فكفى به حجة وان كان تاويل الاية غير ذلك فانا وجدنا من يفوته الحج يلزمه ان يطوف
بالبيت ثم بعد ذلك قضاء الحج فارجعوا على المحصر عمرة مكان الطواف الذي يجب على من يفوته الحج ولوجوب الحج لما دخل فيه
فان قيل تجب ان يسقط عنه العمرة التي تجب على من يفوته لان الذي يفوته الحج لا يحل منه بدم وانما يحل بالطواف و
المحصر قد حل بالدم فقام الدم الذي لزمه يحل به مقام الطواف في الذي يفوته الحج قيل له ان المحصر لو لم يذبح عنه
هديا احتاج ان يقوم على احرامه حتى يصل الى البيت فيطوف به ولو الى سنين ثم يحج بعد ذلك مكان الحجة التي دخل فيها
فجعل له ان يتعجل الى الخروج من احرامه ويؤخر الطواف الذي لزمه بدم يهريقه فبالدم جاز له ان يحل ولم يبطل الطواف
عنه واذا لم يبطل الدم عنه الطواف ولم يجعل بدلا منه فعليه ان ياتي به باحرام جديد فيكون ذلك عمرة فان قيل ما الدليل
على ان الدم الدم الذي يحل به المحصر جعل عليه ليتعجل به الاحلال ولم يجعل بدلا عن الطواف قيل لان اهل العلم اجمعوا
على ان الذي يفوته الحج ليس له ان يفسخ الطواف الذي لزمه بدم يهريقه يجعله بدلا عن الطواف فدل انه انما يهريق
الدم ليتعجل به الى الاحلال لا بدلا عن الطواف والله اعلم وقوله فما استيسر من الهدي روي عن علي وابن عباس رضي
الله عنهما انهما قالا شاة واصحابنا رحمهم الله يرون الشاة مجزيا في المتعة والاحصار والفدية والحجة لهم في ذلك ما ذكرنا من
قول الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكعب بن عجرة النسك شاة
واجماع الناس على انها مجزية في الاضحية ثم المسئلة في المحرم اذا حلق راسه من اذى رخص الله تعالى للمعاذي حلق راسه
يفدي بقوله ففدية من صيام او صدقة او نسك روي في الخبر عن كعب بن عجرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا كعب ايؤذيك هوام راسك قلت نعم يا رسول الله قال فاحلقه واذبح شاة او اطعم ستة مساكين وقال كعب في نزلت
هذه الاية ثم اختلف اهل العلم في الذبح اين يذبح قال اصحابنا رضي الله عنهم لا يجوز ان يذبح الفدية الا بمكة واما الصدقة
والصوم فانه ياتي به حيث شاء وذلك عندهم بمنزلة هدي المتعة لان المتعة انما وجب بجمعه بين الحج والعمرة في سفر
واحد ولانه لو شاء ان يفرد لكل واحد منهما سفرا فعل فباخذه بالرخصة لزمه دم وكذلك دم الفدية انما وجب لاخذه
بالرخصة في حلق راسه فصار سبيل الدمين سواء يجبان بمكة وكذلك دم الاحصار انما وجب لانه اخذ بالرخصة في حلق راسه
ليحل من احرامه ولا يجوز ان يذبح الا بمكة فدم الفدية ايضا كان انما وجب لانه رخص له في حلق مثل ذلك والصدقة ثلثة اصوع
على ستة مساكين على ما ذكر في خبر كعب رضي الله عنه فاما الصوم فان المتمتع اذا لم يجد هديا صام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا

رجع فاجمعوا على انه ان يصوم السبعة بمكة وفي غيرها فصوم الفدية كذلك وكذلك الثلاثة الايام اذا صامها بعد احرامه بالعمرة
عندنا وبعد احرامه بالحج عند مخالفنا بمكة او بغيرها فهي مجزية وكذلك صيام الفدية مجزية حيث صامه قياسا على صوم المتمتع
فاما الصدقة فان الشافعي ذكر انها لا تجزي الا بمكة وقال لان اهل الحرم ينتفعون بالهدي بغير مكة ثم تصدق به على اهل الحرم
هل يجزيه ذلك فان قال لا قيل له قد بطلت علتك حيث لم يجز التصدق على اهل الحرم وبان ان الدم خص بان يراق في الحرم
لان الله تعالى قال حتى يبلغ الهدي محله فاما الصدقة فهي مجزية حيث كانت ثم اختلف في الذي يحلق قبل ان يذبح بغير اذى
فقال ابو حنيفة رضي الله عنه يجب عليه دم والحجة له بان الله تبارك وتعالى منع المحصر من الحلق حتى يبلغ الهدي محله فان حلق رأسه
لاذى فعليه دم اخر لان الاية الكريمة في الحلق في المحصر فاما كان الذي يصيبه الاذى في رأسه قبل الوقت الذي اذن له فيه فدية
بل الذي يحلق رأسه بغير اذى احرى ان يكون عليه الفدية وابو حنيفة رضي الله عنه يزيد في التغليظ عليه بقول لا يجزئه غير
الدم ويخير صاحب الاذى بين الدم والصدقة والاطعام كما اخبر الله تعالى فدليل القران شهد لمذهبه وخالفه جماعة من
اهل العلم فيمن حلق قبل ان يذبح وليس بمحصر ووافقوه في المحصر واحتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لما سئل عن رجل
حلق قبل ان يذبح فقال اذبح ولا حرج لكن قوله افعل ولا حرج يرجع الى الاثم دون الكفارة افعل اي لو فعلت لم يكن عليك حرج
لان الكفارة قد تجب في اشياء يفعلها الرجل خطاء وعلى جهة الجهل مما يجب في ذلك فلا حجة لمن احتج بهذا الحديث في زوال الكفارة
واصله في ذلك ان احوال الضرورة سبب تخفيف الحكم وتيسيره لم يجز ايجاب ذلك الحكم في غير احوال الضرورة والعذر وعلى هذا
يخرج قولهم في جميع الاصول ان الحكم في حال الاضطرار والعذر خلاف ما هو في حال الاختيار وله على هذا مسائل مما يكثر عددها
وفي الاية دليل لزوم الفداء على المتدهن لان الله تعالى قال فمن كان منكم مريضا وقد ذكرنا ان فيه اضمارا ثم معروف حاجة المريض
في حال المرض الى الدهن فصار كانه مذكور في الاية والله اعلم وقوله فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي
وقد ذكرنا هذا واقاويلهم وقوله فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم من حين يحرم
اخرها يوم عرفة وعن ابن عمر رضي الله عنه قال ولا يصومهن حتى يحرم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ما بين الهلال ويوم
عرفة وعن علي رضي الله عنه قال فصيام ثلاثة ايام في الحج قبل يوم التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة فان فاته ذلك صيام ثلاثة
ايام بعد ايام التشريق انما اخر الصوم رجاء ان يجد الماء فيغنيه عن التيمم فعلى ذلك يؤخر الصوم حتى يكون اخره يوم عرفة رجاء ان
يجد الهدي وانما اختلفوا فيه من صامهن حلالا بعد العمرة فان من لم يجوز ذلك ذهب الى ان الله تعالى قال ثلاثة ايام في الحج فتاول
ذلك على الاحرام وقد يجوز ان يكون الامر كما قال ويجوز ان يكون معناه في اشهر الحج الا ترى ان الله يقول الحج اشهر معلومات ومعناه
والله اعلم ان الحج يفعل في هذه الاشهر والفعله اشهر معلومات فلما احتملت الاية ما ذكرنا وجدنا السنة في المتمتع ان يحرم بالحج
عشية التروية كذلك روي عن جابر بن عبد الله قال قدمنا مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلين بالحج لاربع ليال مضين
من ذي الحجة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل لانه كان ساق الهدي وامر من لم يسق الهدي ان يطوف ويسعى ويقصر ثم
يحل فلما كان يوم التروية امرهم ان يلبوا بالحج فاذا كان امر المتمتع ان يحرم بالحج عشية التروية فكيف يصوم الثلاثة الايام بعد
ذلك وانما بقي له يوم واحد فدل ما وصفنا انه يجوز له ان يصومهن حلالا بعد العمرة والله اعلم وقوله وسبعة اذا رجعتم اختلف
فيه قيل اذا رجع من منى وقيل اذا اتى وقت الرجوع وقيل اذا رجعتم الى اهليكم وقوله تلك عشرة كاملة قيل تلك العشرة وان
كانت متفرقة فهي كالموصولة في حق الحج وقيل تلك عشرة كاملة عن الهدي وافية ان يكمل بها حق الدم وقيل تلك عشرة
كاملة في حق الثواب اي ثوابها كثواب الهدي والله اعلم وقوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام جعل الحكم الذي ذكره
في التمتع والمحصر لمن لا يحضر اهله المسجد الحرام عن ابن عباس قال ليس على اهل مكة هدي في المتعة ولان اهل مكة لو كانوا كغيرهم
لم يكن للخصوص معنى واذا كان المعتمر في اشهر الحج اذا رجع الى اهله ثم حج من عامه ذلك فلا هدي عليه فالمكي مقيم في منزله
بعد عمرته فهو احرى ان لا يجب عليه دم المتعة ان حج من عامه ذلك ولكنه ان تمتع فعليه دم الحلال لانه منهي عن التمتع ثم
اختلف في حاضري منهم من هم قال اصحابنا رحمهم الله كل من كان من اهل المواقيت فما دونها الى مكة فلهم ان يدخلوها بغير احرام
فلهم جميعا حكم حاضري المسجد الحرام وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه خرج من مكة يريد المدينة فلما بلغ قديدا بلغه ان بالمدينة
جيشا من جيوش الفتنة فرجع ودخلها بغير احرام وعندنا اذا جاوز جميع المواقيت ثم رجع فعليه الاحرام وقال اخرون
ليس حاضري المسجد الحرام واما الاصحابنا رحمهم الله ما ذكرنا واما قولنا ليس عليهم احصار لان الاحصار هو الجيش والحيلولة
بينهم وبين دخولهم مكة فاذا كانوا هم فيها قادرون على الطواف بالبيت في كل وقت كذلك بطل الاحصار وقوله الحج اشهر معلومات
عن ابن عمر رضي الله عنه قال الحج اشهر معلومات شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة وعن ابن عباس رضي الله عنه وعن الحسن
مثله والشعبي ومجاهد وجوبر وابراهيم مثله وعن عبد الله قال شوال وذي القعدة وذو الحجة وتروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه انما دما اراده الا تولون لانه لا يبقى بعد ايام منى من مناسك الحج فكيف يكون الايام التي بعد النفر من ايام الحج لا عمل فيها للحاج
ثم المسئلة فيمن يحرم بالحج قبل اشهر الحج ما عليه وهل يجوز احرامه عن ابن عباس رضي الله عنه قال من سنة الحج ان لا يحرم بالحج
الا في اشهر الحج وعن جابر رضي الله عنه قال لا يحرم بالحج قبل اشهر الحج فاصحابنا رحمهم الله يكرهون الاحرام قبل اشهر الحج
واتبعوا في كراهيتهم ما روي عن السلف النهي عن ذلك لكنهم يقولون ان احرم يجوز واحتج بعض اصحابنا في ذلك بان قال
الحج ميقات ووقت واجمعوا ان من احرم بالحج قبل الميقات فاحرامه صحيح وقال بعضهم اشهر معلومات الاشهر كلها كقوله
تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وهي الاشهر كلها وهي معلومة وهي كقوله يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج فان كان هذا تاويل الاية ففيه دليل جواز الاحرام بالحج في الاشهر كلها وقال اخرون الحج اشهر معلومات اي اشهر معلومات

فطاف بالبيت سبعا وبين الصفا والمروة م

واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب م

قديد والكديد من منازل طريق مكة الى المدينة م

وهو ما ذكرنا من قول جماعة من السلف انها شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة غير ان يوجه وجهين احدهما ان فعل الحج
اشهر معلومات دليله قوله فمن فرض فيهن الحج سماه حجا بعد سبب الالزام فثبت ان ما بعد الاحرام حج والوجه الثاني
بان للحج اشهر معلومات لا يدخل فيها غيره ثم تدخل فيها العمرة رخصة دليله قوله دخلت العمرة في الحج هكذا فيكون
معناه ان الحج اشهر لا يفعله اشهر معلومات والله اعلم وقوله فمن فرض فيهن الحج اختلف فيه قال بعضهم اذا
نوى الحج صار محرما بنية ولم يلب وقال اخرون اذا نوى ان يعمل بجميع ما اضمروا ينتهي عن جميع ما نهي عنه صار به محرما واما
عندنا فان تاويل قوله فمن فرض فيهن الحج اي اوجب بالتلبية على ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر
رضوان الله عليهم اجمعين انهم قالوا فمن فرض فيهن الحج اي لبى واما بالنية مجردة فانه لا يكون محرما وما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعائشة رضي الله عنها وقد راها حزينة مالك فقالت انا قضيت عمرتي والفى الحج عاركة
فقال ذلك شيء كتبه الله تعالى على بنات ادم فحجي وقولي ما يقول المسلمون في حجهم فتبين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
رضي الله عنها بانا بما عهم فيها وعن عائشة رضي الله عنها قالت لا يحرم الا من اهل او لبى فدلت هذه الاحاديث النبوية
على ان التلبية فرض الحج وعن هؤلاء الائمة واشباههم الذين تاخذ منهم الدين فلا يجوز خلافهم والعمل بغير سبيلهم
وقال اصحابنا رحمهم الله ان من خرج رحل بدنته وقلدها ونوى الاحرام فهو محرم ويقوم ذلك الفعل منه مقام التلبية
والحجة له في ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضوان الله عليهم اجمعين في حجته لما امرهم بان يحلوا بالعمرة فقالوا
له انك لم تحل قال اني قلدت الهدي فلا احل حتى انحر الى يوم النحر وقال لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي فاخبر
النبي صلى الله عليه وسلم ان الذي منعه من الحل تقليد الهدي وان ذلك قام مقام الاحرام لوجوده بعد الطواف وروي عن
علي وعبد الله وجابر رضي الله عنهم قالوا اذا قلد فقد احرم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه اذا قلد وهو يريد الحج والعمرة فقد
احرم وما روي عن عائشة رضي الله عنها لا يحرم الا من اهل او لبى فذلك عندنا في الذي يقلد بدنته ولا يخرج معها كان يصير محرما
الا ترى انه روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث بهديه ويقيم فلا يحرم عليه شيء وقوله
فلا رفث قيل الرفث جميع حاجات الرجال الى النساء وقال ابن عباس رضي الله عنه الرفث الجماع وعن ابن عمر رضي الله عنه مثله واجمع
العلماء ان المحرم لا يجوز له ان يقبل امرأته ولا يمسها بشهوة وابو حنيفة يوجبون عليه ان فعل ذلك دما وروي عن ابن عمر رضي الله عنه اذا باشر
المحرم امرأته اهراق دما وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قيل المحرم امرأته فعليه دم وسئلت عائشة رضي الله عنها عما يحل للمحرم
من امرأته فقالت يحرم عليه كل شيء الا الكلام وقوله ولا فسوق قيل الفسوق السب وقيل هو كل فسق والفسق حقيقة
الخروج عن امر الله تعالى فسق عن امر ربه اي خرج وقوله ولا جدال في الحج قيل المراء وذلك ان العرب كانت تؤخر الحج
وتعجل وفي ذلك نزل انما النسيء زيادة في الكفر فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان السنة قد استدارت كهيئتها يوم
خلق السموات والارض فعلى ذلك استقر وقت الحج الى حيث جعل لا يتقدم ابدا ولا يتاخر فلا تمارو فيه وعن ابن عباس رضي
الله عنه قال لا تجادل صاحبك حتى تغضبه واشبه الامور والله اعلم بتاويل الاية ان الله سبحانه وتعالى امر بحفظ اللسان والفرج
في الاحرام عن كل ما يذكر من فسوق ومعصية ومجادلة ومخاصمة وعن الرفث بالفعل والقول الا ترى روي ان الفضل ابن
عباس كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم وكان الفتى يلاحظ النساء وينظر اليهن وجعل النبي يصرف وجهه بيده من
خلفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا يوم من ملك سمعه وبصره ولسانه غفر له او كما قال وروي ولسانه غفر له او كما
قال وروي عنه انه قال من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله ويجزيه
ترغيب منه في كل خير وقوله وتزودوا قيل تزودوا للحج والعمرة ما تكفون به وجوهكم عن المسئلة ولا تخرجوا بلا زاد فتكونوا
عيالا على الناس ويحتمل ان يكون الامر بالتزود للمعاد يدل عليه قوله فان خير الزاد التقوى يقول ان تقوى الله خير
زاد الدنيا وقوله واتقون يا اولي الالباب يحتمل واتقون المعاصي والمناهي وكل فسق ويحتمل على التقديم والتاخير كانه
قال تزودوا يا اولي الالباب واتقون في المسئلة من الناس وقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قيل التجارة
وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يخرجون من التجارة في عشر من ذي الحجة فلما ان كان الاسلام امتنع اهل الاسلام عن
التجارة واحبوا ان يكون خروجهم للحج خاصة دون ان يخلط غيره من الاعمال فرخص الله عز وجل للحاج وطلب
الفضل وروي عن ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا سأله فقال انا قوم نكري ويزعمون انه ليس لنا حج فقال الستم تحرمون
وتقولون فقال بلى فانتم حجاج قال فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عما سأل النبي عنه مثله واصحابنا رحمهم
الله يرون حج الاجير والتاجر تاما وظاهر القران يدل على ذلك وكان عند القوم ان الاستيجار على الطاعة لا يجوز
امرا ظاهرا حتى سألوا في هذا واصله ان الحج لا يمنع افعال غيره كما شبه الصوم ويجوز فيه الاجارة كذا في هذا واما
الصلوة فهي مانعة لما سواها من الافعال فافترقا وقوله فاذا افضتم من عرفات قيل ان اهل الجاهلية كانوا يفيضون
من عرفات قبل غروب الشمس ومن مزدلفة بعد طلوع الشمس فامر اهل الاسلام بالخلاف في الحالين جميعا ان يجعلوا
الافاضة من عرفة بعد الغروب ومن المزدلفة قبل طلوع الشمس والله اعلم وفي الخبر خالفوهم في الرجعتين جميعا
والافاضة هو الاسراع في المشي في اللغة وقيل الافاضة الانحدار وقوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام يعني المزدلفة
ويحتمل الدعاء فيهما جميعا وقال ابن عباس رضي الله عنه المشعر الحرام الجبل وما حوله وهو الجبل الذي يوقف
عليه يقال له قزح وسمي جمعا ايضا لانه اجتمع فيه ادم وحوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سمي العرفات
عرفات لان جبريل صلوات الله عليه لما علم ابراهيم المناسك كان يقول له عرفت عرفت والله اعلم بذلك وقوله واذكروا

وشبك بين اصابعه شرح م

كما هداكم يحتمل وجوها يحتمل الامر بالذكر امر بالشكر له على ما انعم عليهم من انواع النعم ويحتمل اذكروه كما هداكم وارشدكم لامر
المناسك ويحتمل الامر بالتوحيد كانه قال وحدوه كما وفقكم لدينه وعلى هذا يخرج قوله وان كنتم من قبله لمن الضالين عن الهدى
وعن المناسك وعن معرفة النعم والشكر والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه الهدى على وجهين هدى عرف لتوحده وهدى و
فق لطاعته وقوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس قيل ان اهل الحرم كانوا لا يقفون بعرفات ويقولون نحن اهل حرم الله لا نخرج
كغيرنا ممن قصدنا فانزل الله فيهم يأمرهم بالوقوف بعرفات والافاضة منها من حيث افاض غيرهم من الناس وذكر عن عائشة
رضي الله عنها انها قالت كانت قريش ومن كان على دينها يقفون بالمزدلفة ولا يقفون بعرفة فانزل الله ثم افيضوا من حيث
افاض الناس وفيه دليل ان الوقوف بعرفة فرض وعلى ذلك جاءت الاخبار وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ومن
ادرك عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه ويحتمل في قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس معنى اخر وهو انهم راوا غيرهم
من اهل الافاق فاذا قصدوا على الاحرام من وراء الحرم وهم امروا بالاحرام فلما خصوهم بذلك ظنوا ان قضاء غيره من المناسك
في الحرم والله اعلم قال الشيخ ابو منصور رحمه الله عليه امر بالافاضة بعرفات ثم بعد ذكر المزدلفة والافاضة من عرفات بتقديم
المزدلفة فبان ان حرف ثم مما قد يبتدا به ايضا وقوله فاذكروا الله كذكركم اباءكم قيل فيه بوجهين قيل انهم في الجاهلية كانوا اذا قضوا
المناسك يجتمعون في مكان ويذكرون اباءهم ومناقبهم يفتخرون بذلك فلما ان اسلموا امرهم ان يذكروا ربهم في الاسلام
كذكرهم اباءكم في الجاهلية او اشد ذكرا فانه اولى بذلك من الاباء وقيل ان يكونوا يذكرون اباءهم ما انعم عليهم واحسن اليهم
فقال اذكروا الي فيما تذكرون اباءهم مكان اباءكم الذي انعمت عليكم وعلى اباءكم فاجعلوا ذلك لي دون اباءكم وقوله فمن الناس من يقول
ربنا آتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق الاية في قوم لا يؤمنون بالبعث والاحياء بعد الموت خيرات الدنيا ولم يطلبوا الخيرات
في الاخرة فاعطوا ما سالوا من حسنات الدنيا وهو كقوله من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة فاعطوا ما سالوا من
نصيب ومن كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه اي يؤتي حرث الدنيا والاخرة لمن كان ركونهم الى الدنيا وميلهم اليها لم يكن لهم
الى دعاء غيرها واما من امن بالبعث والاحياء بعد الموت فانهم سالوا خيرات الدنيا والاخرة جميعا بقوله ومنهم من يقول
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار طلبوا حسنات الدنيا لان الدنيا جعلها محل الزاد للاخرة
لا انه جعلها لم انما خلقهم للاخرة كقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ثم اختلف في الحسنة في الدنيا وفي حسنة الاخرة قيل حسنة
الدنيا العلم والعبادة وحسنة الاخرة الجنة والمغفرة وقيل حسنة الدنيا النصر والرزق وحسنة الاخرة الرحمة والرضوان
وكله واحد وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عبادا يحيون في عافية ويموتون في عافية ويدخلون الجنة في
عافية قيل يا رسول الله بم قال بكثرة قولهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وقوله والله سريع الحساب
قيل فيه بوجوه فيه تقديم وتأخير كانه قال الحساب سريع قيل سريع لما ان الابطاء في الحساب يكون للتفكر فيه والاستذكار وحفظ
عقد الاصابع او لشغل شغله فالله يتعالى عن ذلك ان يوصف به او يشغله شيء وقيل سريع اي قريب كان قد جاء كقوله واقترب
الوعد الحق وكقوله اتى امر الله اي قرب وقيل كناية عن عذاب شديد العقاب والعذاب وهو كقوله من نوقش الحساب عذب
وقوله واذكروا الله في ايام معدودات قيل انه يحتمل وجهين قيل انه اراد بالايام المعدودات ايام المعدودات ايام النحر والذبح
اي اذكروا الله بالنحر والذبح في ايامكم فهو عند ابي حنيفة رحمه الله يوم النحر ويومان بعده وقيل اراد بالايام المعدودات ايام
رمي الجمار ودليله قوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه وهي ايام التشريق وهي ثلثة ايام بعد النحر وروي عن علي رضي الله عنه انه
قال الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده اذبح في ايها شئت وافضلها اولها وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه والله اعلم
وقوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه قيل من تعجل في يومين بعد يوم النحر يومين يقول من نفر من منى قبل غروب الشمس فلا اثم
عليه ومن لم ينفر حتى غربت الشمس واقام الى الغد يوم الثالث فرمى الجمار ثم ينفر فلا اثم فيه وقيل فمن تعجل في يومين من
ايام التشريق فلا اثم عليه ومن تأخر الى اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه ثم لا يحتمل قوله فمن تعجل في يومين فلا اثم
عليه ومن تأخر فلا اثم عليه ان يكونا جميعا على الرخصة التعجل والتأخر جميعا فلا يلحقه الاثم بكليهما لانه اذا كان التعجل هو
الرخصة فالتأخر لا يكون رخصة واذا كان التأخر هو الرخصة فالتعجل ليس برخصة لكن الوجه فيه والله اعلم ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال فمن تعجل في يومين غفر له ومن تأخر غفر له ما كان له من الاثم والذنب في اليوم الذي اخر
والله اعلم ويحتمل انه خيره اي ان فعل ذا او ذا فلا اثم عليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال في قوله فلا اثم عليه رجع مغفورا
له وقوله لمن اتقى قيل فيه بوجوه قيل لمن اتقى قتل الصيد في الاحرام وعلى ذلك قوله واتقوا الله فلا تستحلوا قتل الصيد في الاحرام
وقال ابن عباس رضي الله عنه من اتقى معاصي الله جملة وقيل لمن اتقى جميع ما يحرم عليه الاحرام من الرفث والفسوق والجدال
وغيره وعلى ذلك قوله واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون نخوفهم عز وجل ليتقوا في كل وقت كل معصية خرج الخطاب
في الظاهر للمؤمنين ويحتمل ان يكون للكفار ايضا يأمرهم ان يتقوا الشرك واشراك غيره في افعالهم او عدهم بالحشر والجزاء
لاعمالهم وقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا قيل ان رجلا من الكفار كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره
انه يحبه وكان يعد له الايمان والمتابعة له في دينه ويحلف على ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه ذلك ويدنيه
في المجلس وفي قلبه خلاف ذلك فانزل الله عز وجل ومن الناس من يعجبك قوله الاية وقيل انها نزلت في المنافقين لانهم كانوا
يرون من انفسهم الموافقة له في الدين ويظهرون انهم على دينه ومذهبه ويضمرون الخلاف له في السر والعداوة ويحلفون
على ذلك فانزل الله ومن الناس من يعجبك قوله الاية والله اعلم وقوله وهو الد الخصام قيل اشد الخصام وقيل اجدل بالباطل وقيل
اظلم في الخصومة لا يستقيم ابدا وقوله واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد قيل فيه

بوجوه قيل ويهلك الحرث اي يقتل النساء وهن حرث كقوله نساؤكم حرث لكم وفي اهلاك النساء اهلاك وقيل اراد بالحرث
الحرث نفسه وهو الزرع والنسل الدواب يحرق الحرث ويعقر الدواب وكل حيوان وقيل انهم كانوا يسعون بالفساد ويعملون
بالمعاصي فيمسك الله عنهم المطر فيهلك كل شيء من الناس وغيرهم ويحتمل قوله ويهلك الحرث قتل ولد ادم وفي اهلاكهم
اهلاك كل حرث لانهم هم الذين يحرثون ويتناسلون والله اعلم والله لا يحب الفساد ظاهر وقوله واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة بالاثم قيل له اتق الله عن صنيعك وهو السعي في الارض بالفساد حملته الحمية على الاثم تكبرا منه قال الله تعالى لرسوله
صلى الله عليه وسلم فحسبه جهنم يقول والله اعلم اعرض عنه واتركه وصنيعه فان جهنم مصيره وماواه وما روي عن عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال ان ابغض الناس من يقال له اتق الله فيقول عليك نفسك وقوله ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء اي يهلك نفسه اي يبيع نفسه في عبادة الله وطاعته فذلك شراؤه اياها ويحتمل يشري نفسه ابتغاء اي يبذل
نفسه للجهاد في سبيل الله وهو كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الجنة يقاتلون في سبيل الله وهو كقوله ان الله
اشترى فهؤلاء بذلوا انفسهم لذلك بتفضيل الله عز وجل ببذل الجنة لهم فهو الشرى والله اعلم وهو ما روي ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه الذي بنفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ما هم المشركون قتله وفيه دلالة ان ابا بكر رضي الله عنه كان
اشجع الصحابة واصلبهم وان كان ضعيفا في نفسه لما لم يتجاسر احد من الصحابة على مثله وما روي ايضا انه خرج لمقاتلة اهل الردة
وحده فدل هذا كله انه كان اشجعهم واصلبهم في الدين وقيل ان الاية نزلت في صهيب اتباع دينه باهله وماله على ذلك
وقوله والله رؤف بالعباد يحتمل ان اراد كل العباد وهو ان الكافر اذا اسلم واخلص دينه لله يتغمده في رحمته ويقبل منه ذلك
ويتجاوز عنه عما كان منه في الشرك والكفر والله اعلم ويحتمل ان اراد بالعباد المؤمنين خاصة رحيم بهم وقوله يا ايها الذين امنوا ادخلوا
في السلم كافة فيه لغتان السلم بالكسر والنصب فمن قراه بالكسر فهو الاسلام ومن قرا بالنصب فهو الصلح كقوله وان طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الى اخر الاية فان قيل كيف امر بالدخول وهم فيه لانه خاطب المؤمنين بقوله يا ايها الذين امنوا
قيل بوجوه احدها انه يحتمل قوله يا ايها الذين امنوا بالسنتهم امنوا بقلوبكم ويحتمل يا ايها الذين امنوا ببعض الرسل من نحو عيسى
وموسى وغيرهم من الانبياء امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل امره اياهم بالدخول امر بالثبات عليه وقيل انه تعالى انما امرهم
فيه لان للايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت لانه فعل والافعال تنقضي ولا تبقى كانه قال يا ايها الذين امنوا فيما مضى
من الاوقات امنوا في حادث الاوقات وعلى هذا يخرج تاويل قوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله وقوله ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اي ملتم وتركتم
من بعد ما ظهر لكم الحق فاعلموا ان الله عزيز حكيم قيل عزيز اي منتقم بميلكم وترككم الحق بعد الظهور ويحتمل عزيز اي غني عن طاعتكم له
وعبادتكم اياه وقيل عزيز من ان يقهروا ويذل او يغلب لان العزيز نقيض الذليل وقيل عزيز لا يقدر احد ان يصل اليه او يقهره
الا ذلا بنفسه كما يقال عزيز لا يرام وقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل فيه بوجوه قيل
ان يأتيهم الله بامره وهو قول الحسن وقيل يأتيهم الله اي امر الله وهو كقوله او يأتي امر ربك او يأتي بعض ايات
ربك على اضمار الامر فيه وقيل قوله في ظلل الفي بمعنى الباء كانه قال يأتيهم الله بظلل من الغمام وذلك جائز استعمال الفي مكان
الباء لانهما جميعا من حروف الخفض والعرب تفعل ذلك ولا تأبى والاصل في هذا ونحوه ان اضافة الاشياء الى الله
عز وجل لا توجب حقيقة وجود تلك الاشياء منه على ما يوجد من الاجسام لما يجوز اضافته اليه ما لا يوجد منه تحقيق
ذلك نحو ما يقال جاء لي امر فظيع وجاء الحق وزهق الباطل وجاء فلان بامر كذا وجاءكم رسول فذكر المجيء والاتيان لا على تحقيق
وجود ذلك منه فعلى ذلك يخرج ما اضاف عز وجل الى نفسه من المجيء والاتيان والاستواء ليس على تحقيق الاتيان والمجيء و
والاستواء منه على تحقيق ما يكون من الاجسام في الشاهد ان ملوك الارض يضيفون الى انفسهم ما عمل بامرهم من غيران
يتولوها بانفسهم كذلك ايضا فجل ذكره امر القيامة الى نفسه لعظيم ذلك الامر ثم الاصل ان الاتيان والانتقال والزوال
في الشاهد انما يكون لخلتين اما لحاجة بدت فيحتاج الى الانتقال من حال الى حال والزوال من مكان الى مكان ليقضيها او لسآمة
ووحشة تأخذه فينتقل من مكان الى مكان لينفي عن نفسه ذلك وهذان الوجهان في ذي المكان والله تعالى يتعالى من المكان
كان ولا مكان فهو على ما كان فالله يتعالى عن ان تمسه حاجة او تأخذه سآمة فبطل الوصف بالاتيان والمجيء والانتقال
من حال الى حال ومكان الى مكان وبالله التوفيق وقيل ان النص قد ورد بالاستواء والمجيء بالخبر بالنزول والرؤية ثم قد ورد
والسمع بان ليس كمثله شيء لزم نفي التشبيه فيما ورد عن ذاته ولزم الاقرار بما جاء من عنده من غير طلب الكيفية له والتفسير
فالسبيل فيه الايمان بالتنزيل والكف عن التفسير والله اعلم وفي الشاهد الاتيان في العرض ظهوره وفي الجسم بنقله من
مكان الى مكان وهو جل ذكره جل ان يوصف بجسم او عرض كذلك اتيانه لا يشبه اتيان الاجسام والاعراض ويكون اتيان
لا يعرف كيفيته وكما جاز ان يكون هو شيئا بدليل لا يشبهه عرض ولا جسم والله اعلم وقوله سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية
بينة يحتمل وجوها يحتمل ان يكون امر عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بسؤاله اياهم مما اتاهم من الايات على اثر سؤال كان
منهم بطلب الايات فقال سلهم يا محمد كم اتينا اباءهم واجدادهم من الايات على يدي موسى فكفروا به ولم يؤمنوا فانتم وان
اتيناكم ايات لا تؤمنون ايضا يخبر نبيه عليه السلام ان سؤالهم ان كان سؤال تعنت لا سؤال قبول وتصديق والله اعلم
ويحتمل ان يكون لا على اثر سؤال كان منهم ولكن على الابتداء ان سل علماء بني اسرائيل الاية ويحتمل سل على الامر لا على التحقيق
لكن على التحقيق والتبين انك لو سالتهم لاخبروك او يكون المراد من ذلك في الذين تضيق صدورهم عند الاخبار انهم
لو جاءتهم الايات التي سالوا عنها لا يؤمنون لتجبر وبذلك فيطمئن لذلك قلوبهم فتزول عنها الخطرات وانواع الوساوس

والله اعلم وقوله ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته قيل نعمة الله دين الله من بدله بعد ظهوره وبيانه وقيل نعمة الله يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم اي من كفر به بعد ما علم انه رسول الله ويحتمل نعمة الله النعم المعروفة التي كان اتاهم من المن والسلوى والظلل
وغيرهم مما لم يؤت احدا من العالمين مثله فان الله شديد العقاب خوفهم عز وجل وحذرهم على تبديل ذلك وتركهم والكفر بنبيه
صلى الله عليه وسلم بعد معرفتهم انه حق والله اعلم ويكون تبديل نعمة الله بتوجيه الشكر الى غيره وهو ان يعبد غيره والله
اعلم وقوله زين للذين كفروا الحيوة الدنيا قال الحسن زين لهم الشيطان ذلك وكذلك قوله وزين لهم الشيطان اعمالهم ولكن معناه والله اعلم ان
زين يكون بوجهين بزينه الطبع لقرب الشهوات والعقل لقيام الادلة فيكون التزين بالثواب واما ما زين للذين كفروا الحيوة لما
ركب فيهم من الشهوات وميل الطبع اليه واما الوجهان الاخران منهما المؤمنين وقوله والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة يحتمل
وجهين يحتمل فوقهم في الحجة بقول الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ويحتمل فوقهم في الجزاء والثواب
وقوله والله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل وجوها يحتمل بغير حساب بغير تبعة ويحتمل بغير حساب لا على قدر الاعمال ولكن
على قدر الشهوة وزيادة عليها لان رزق الجنة على ما ينتهي اليه الشهوات ورزق الدنيا مقدر على قدر الحاجة والقوت
اذ لا احد يبلغ مناه في الدنيا وحاجته في الاخرة كل ينال فوق مناه ولان اكل الشهوة في الدنيا هو المؤذي ويحتمل بغير حساب
اي من غير ان ينقص ذلك من ملكه وخزاينه وان عظم عطاياه وكثر ماله ليس كخزاين المخلوقين تنتقص بالدفع وتنفد والله
اعلم وقوله كان الناس امة واحدة قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه واخو معه من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
قال كان الناس امة واحدة كلهم كفارا الى ان بعث الله عز وجل فيهم النبيين وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان الناس
امة واحدة مؤمنين كلهم زمن نوح عليه السلام الذين كانوا في السفينة لما ان اختلفوا من بعد فبعث فيهم النبيون وقال بعضهم
كان الناس امة واحدة زمن آدم مؤمنين الى ان انزل الكتاب عليهم وبعث فيهم الرسل ولو قيل بغير هذا كان اقرب قوله كان
الناس امة واحدة يعني صنفا واحدا ومعنى الامة معنى الصنف كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم
يعني اصنافا فاتم خص الله تعالى صنفا ببعث الرسل اليهم وانزل الكتب عليهم من بين غيرها من الاصناف تفضلا لهم واكراما كما
بعث كل رسول الى قومه فيهم كفار وفيهم مؤمنون لان الارض لا تخلو من ولي او نبي كقوله ولقد كرمنا بني آدم ليعلموا ان
ساير اصناف الخلق خلقوا لهم ولحاجاتهم وهو قول الحسن وكذلك قول ابي حنيفة رضي الله عنه ان الارض لا تخلو عن نبي او ولي والله
اعلم وقوله فبعث الله النبيين مبشرين لمن اطاعه ومنذرين لمن عصاه وجائز ان تكون البشارة والنذارة جملة له عن الوقوع بما به
يقعان مختلف كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وقوله نذيرا للعالمين وقوله ليحكم بين الناس بالحق يحتمل قوله ليحكم وجهين يحتمل ليحكم
الكتاب المنزل عليهم بالحق فيما بينهم وهو كقوله لتنذر الذين ظلموا قرا بعضهم بالياء وقرا اخرون بالتاء فمن قراه بالياء جعل
الكتاب هو المنذر ومن قراه بالتاء صير الرسول هو المنذر فكذلك في هذا الحكم الكتاب بينهم بالحق ويحكم الرسول بالكتاب
فيما بينهم بالحق وقوله فيما اختلفوا فيه يحتمل قوله فيه وجوها يحتمل فيه في محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل في دينه ويحتمل
ما اختلفوا فيه في كتابه وقوله وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات اي ما اختلفوا فيه الا من بعد ما جاءتهم
البينات والعلم اما من جهة العقل واما من جهة السمع والكتب والخبر واما من جهة المعاينة والمشاهدة لكنهم تعاندوا وكابروا
وكفروا به بغيا قيل حسدا بينهم وقيل ظلما منهم ظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه
تاويله والله اعلم اي هدى الله الذين امنوا ولم يختلفوا من بين الذين اختلفوا ويحتمل هدى الله من انصف ولم يعاند ولم يهدي الذين
عاندوا ولم ينصفوا وقوله باذنه قيل بامره وقيل بفضله لكن قوله بامره لا يحتمل ولكن باذنه اي بمشيته وارادته وقوله والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم فيه دلالة انه من شاء ان يهتدي فاهتدى ومن لم يشاء ان يهتدي لم يهتد لانه لو كان شاء ان يهتدوا
جميعا على ما يقوله المعتزلة لكان يقول والله يهدي الى صراط مستقيم ولم يقل من يشاء اي من شاء ايمانه امن ولم يشاء ايمان من لم يؤمن فالاية
تنقض على المعتزلة قولهم انه شاء ان يؤمنوا لكن امن بعضهم ولم يؤمن البعض وفي قوله فبعث الله النبيين دلالة على ان لا يفهم
من البعث والاتيان والمجيء الانتقال من مكان الى مكان ولا الزوال من موضع لانه ذكر البعث وهم كانوا بين ظهرانيهم فدل انه يراد الوجود
لا غير وقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قيل معنى قوله ام حسبتم على اسقاط الميم وقيل ام بمعنى بل حسبتم وقوله ولما ياتكم مثل الذين قيل
سنة الذين من وقيل مثل الذين خبر الذين خلوا من قبلكم وقيل سنن الذين خلوا من قبلكم من البلاء والمحن التي اصابت الماضين من
المؤمنين وقوله ام حسبتم الاية ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قبل ان تبتلوا كما ابتلي من قبلكم اي لا تظنوا ذلك جملة وان كان فيهم
من قد يدخل والله اعلم كقوله الم احسب الناس الى اخر الاية وقيل ان القصة فيه ان المنافقين قالوا للمؤمنين لم تقتلون انفسكم
وتهلكون اموالكم فانه لو كان محمد نبيا لم يسلط عليه فقال المؤمنون لهم ان من قتل منا دخل الجنة فقالوا لم تمنون الباطل والبلايا
فانزل الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة من غير ان تبتلوا ويصيبكم الشدايد ولما ياتكم خبر الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء
والضراء وقوله وزلزلوا قيل حركوا وقيل جهدوا وقوله حتى يقول الرسول والذين امنوا معه يعني قال الرسول متى نصر الله قيل فيه
بوجهين قيل الرسول والمؤمنون جميعا متى نصر الله ثم يقول الله لهم الا ان نصر الله قريب وقيل يقول المؤمنون متى نصر الله ثم
يقول الرسول الا ان نصر الله قريب ويحتمل هذا في كل رسول بعثه الله الى امته يقول هذا وامته يقولون ايضا ويحتمل ان كان
هذا في رسول على ما قاله بعض اهل التاويل انه فلان وليس لنا الى معرفة ذلك سبيل الا من جهة السمع ولا حاجة لنا الى معرفته
وقوله يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فظاهر هذا القول لم يخرج له الجواب لان السؤال عما ينفق فخرج الجواب على من
ينفق غير انه يحتمل ان يكون ماذا بمعنى من وذلك مستعمل في اللغة غير ممتنع ويحتمل ان يكونوا سالوا سؤالين احدهما عما ينفق والثاني
على من ينفق فخرج لاحدهما الجواب على ما كان من السؤال على من ينفق ولم يخرج جواب ما كان من السؤال عما ينفق وهذا ايضا جائز كثير في

القرآن

القرآن ان يكثر الاسولة ويخرج الجواب لبعض ولم يخرج لبعض ويكون جواب سؤالهم ما ينفق في قوله قل العفو فيكون على ما ذكر
والله اعلم ويدل لما قلنا انه كان ثم سؤالان احدهما عما ينفق والاخر على من ينفق ما روي عن عمرو بن الجموح الانصاري رضي الله
عنه انه قال يا رسول الله كم ننفق وعلى من ننفق فانزل الله يسألونك ماذا ينفقون الاية ثم اختلف في هذه النفقة قال بعضهم
هذه النفقة كانت تطوعا فنسخت بالزكوة وقيل هذه النفقة صدقة يتصدقون بها على الوالدين والاقربين الذين يرثون
فنسختها اية المواريث وقيل فيه الامر بالانفاق على الوالدين عند الحاجة وكان هذا اقرب والله اعلم وفيه دلالة لزوم نفقة
الوالدين والمحارم وفي قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم وجه اخر وهو انهم والله اعلم ظنوا لما امنوا بالايمان انه يدخلوا الجنة ولا يبتلون بشيء من المحن والفتن
وانواع الشدايد فاخبر عز وجل ان في الايمان المحن والشدايد لا بد منها كقوله حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات
والله اعلم وكقوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولان الايمان من حيث نفسه ليس بشديد لانه
معرفة حق وقول وصدق ولا فرق بين قول الصدق والكذب ومعرفة الحق والباطل في احتمال المؤن والايمان مخالفة الهوى
والطبع وذلك في انواع المحن وقوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم الاية فالكراهة المذكورة
ههنا والمحبة كراهة الطباع والنفس لا كراهة الاختيار ولا يكون في كراهة الطباع خطاب لان طبع كل احد ينفر عن القتال
والمجاهدة مع العدو لانهم كرهوا ذلك كراهة اختيار لانه لا يحتمل ان يكون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمرون
بالقتال والمجاهدة مع العدو ثم هم يكرهون عما امروا اختيارا منهم لان ذلك داب اهل النار وثبت انه على ما ذكرنا من
نفور كل طبع عن احتمال الشدايد والمشقة وكراهيته وقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
يحتمل هذا في القتال خاصة وهو ان يكونوا كرهوا القتال لما فيه من المشقة والشدة وهو خير لكم لما فيه من الفتوح والظفر وسعة
العيش ونيل الثواب والدرجات في الاخرة وعسى ان تحبوا شيئا يعني القعود عن الجهاد وهو شر لكم لما فيه من الفتوح والظفر
من اجتراء العدو والاسر والقتل والذل والصغار وقطع الثواب في الاخرة هذا ويحتمل هذا في كل امر يجب في الابتداء ويكون
عاقبته شرا له ويكره امرا فيكون عاقبته خيرا له هذا لجهلنا بعواقب الامور وخواتمها ليعلم ان ليس الينا من التدبير في
شيء والله اعلم وقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون اي والله يعلم ما هو خير لكم في العواقب مما هو شر لكم وانتم لا تعلمون وقوله
يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير معناه والله اعلم يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وفي المسجد الحرام
قل قتال فيه كبير لو لم يكن من الكفرة ما ذكر من الصد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والكفر به واخراج اهله لكن اذا فعلوا
ذلك لم يكن القتال بعينه كبيرا بل الكفر فيه اكبر من القتل فكانه والله اعلم ذكر هذه الاحرف وعنى به الكناية عن الكفر
ثم جعل الكفر اكبر من هذا كله مع المعرفة ان الذي يوازيه اقل منه ثم الزمهم اختيارا والاسير عند البلوى بما بين والقتال
بنفسه كبير لان فيه تفاني الخلق ولم يخلقوا للفناء ثم فيه نقض على المعتزلة بوجهين احدهما انه ذكر القتل وجعل الكفر
اكبر منه ولو اوجب القتل التخليد ما اوجب الكفر اكبر من القتل فبان ان الكبيرة لا توجب التخليد ما اوجب الكفر والله
اعلم والثاني قال والكفر اكبر منه فصيره اكبر ثم لا كبيرة من ان يكون بنفسه او بالكافر او بالله ولا يحتمل ان يكون بالكافر
لان فعل الكفر اصغر عنده من فعل الزنا والقتل لانه يدين بالكفر ويستحسنه ويستقبح ذلك فبان انه يكبر بنفسه او بالله
فان قالوا بنفسه قيل لهم لما جاز ان يكون كبيرا بغير من يشينه لم لا جاز خلقه بغير من يفعله او يكون بالله وهو قولنا
وقوله ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم فيه دلالة اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم يفعلون
كذا فكان كما قال فدل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل وقوله ان استطاعوا ولكن لا يستطيعون ان يردوكم عن دينكم ففيه
اياس الكفرة عن رد هؤلاء الى دينهم وامن هؤلاء عن الرجوع الى دينهم وقيل ان معنى لو قدروا ان يردوكم عن دينكم الى
دينهم لفعلوا اخبر عز وجل عما ودوا ان استطاعوا لكن الله بما اكرمهم ونشرهم من النصر واظهارا الذين لا يستطيعون
على ذلك اظهر بقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم الاية وقوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت
اعمالهم ذكر احباط الاعمال بالموت على الكفر والعمل يحبط بالكفر دون الموت والوجه فيه انه لا يحتمل ان يكون الموت هو سبب
احباط الاعمال بل الكفر بنفسه اذا وجد لان الموت لا صنع فيه للعباد والكفر فيه لهم اختيار لم يجز جعل العمل حبطا بما لا صنع له
فيه دل ان الكفر هو المحبط لا الموت ولكن ذكر الموت وهذا لما فيه تمام الحبط والابطال وما لم يمت يرجى له المنفعة بمجانبة
لانه اذا كفر حبط تلك الحسنات فابطلها فاذا اسلم بعد ذلك ندم على جعل ذلك باطلا فصار مقابلا لسيئاته بحسنات فحو ما له
الانتفاع به كما قال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فذهاب التعظيم
والاجلال والثناء الحسن الذي يستوجب بالخير والدين عند الناس فاذا ارتد عن الاسلام حبط ذلك كله وصار على اعين الناس
اخس من الكلب والخنزير واما حبطه في الاخرة فذهاب ثواب اعماله وكان ما يستوجب المؤمن الثواب انما يستوجب باتيان من
الاعمال ويحضرها عند الله لا بالعمل نفسه الا ترى الى قوله من جاء بالحسنة فله كذا وقوله ومن ياته مؤمنا فله كذا دل هذا ان
الثواب انما يستوجب باحضاره واتيانه به عند الله لا بالعمل نفسه والله اعلم ان الذين امنوا تضمن قوله امنوا الايمان
بالله والايمان بجميع ما جاء به الرسل من الرسالات وغيرها وقوله والذين هاجروا الهجرة يكون على وجهين الهجرة المعروفة التي كانت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو كقوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من
بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية ثم روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا هجرة بعد فتح مكة والهجرة الثانية هجرة الاثام
والاجرام فهي لا ترتفع ابدا وقال الحسن في قوله ومن يهاجر اي بالعداوة منه لمن كفر بالله وقال ابو بكر رضي الله عنه ان يهجر قومه

وداره ويخرج لله   وجاهدوا في سبيل الله المجاهدة تكون على وجوه مجاهدة العدو ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس ولذلك
يرجون رحمة الله فيه دلالة على ان الذي يحق رجاؤه بعمل ما ذكر لله وقوله رحمت الله يحتمل وجهين الرحمة الجنة والرحمة المغفرة
والله غفور رحيم لما كان منهم من التقصير فيما ذكر من المجاهدة والمهاجرة   ويسألونك عن الخمر والميسر قل
فيهما اثم كبير ومنافع للناس قال فيهما اثم كبير بعد الحرمة ومنافع للناس قبل الحرمة واثمهما بعد الحرمة اكبر من نفعهما
قبل التحريم والمنفعة في الميسر بعضهم ينتفع به وبعضهم يخسر وهو القمار وذلك ان نفرا كانوا يشترون الجزور ويجعلون
لكل رجل منهم سهما ثم يقترعون فمن خرج سهمه برئ من الثمن حتى يبقى اخر رجلا فيكون ثمن الجزور عليه وحده ولا حق له
في الجزور وتقسيم الجزور بقيتهم وقيل يقسم بين الفقراء فذلك الميسر ثم قال فيهما اثم كبير في ذكرهما لان فيهما ترك
الصلوة وترك ذكر الله وركوب المحارم والفواحش ثم قال ومنافع للناس يعني التجارة واللذة والربح ثم اختلف فيه قال
قوم ان الخمر محرمة بهذه الاية حيث قال اثم كبير والاثم محرم بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي
وقال قوم لم تحرم بهذه الاية اذ فيها ذكر النفع ولكن حرمت بقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس والرجس
محرم وقال من عمل الشيطان وعمل الشيطان محرم ثم اخبر انه يوقع بينكم العداوة والبغضاء ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة
وذلك كله محرم والاصل عندنا في هذا انهم اجمعوا على حرمة الميسر مما كان فيه من المنافع للفقراء واهل الحاجة والمعونة
لهم لانهم يقسمونه على الفقراء فاذا حرم الله هذا ثبت ان الخمر اولى به احق في الحرمة مما فيه من الضرر الذي ذكرنا والله اعلم وقال
الشيخ رحمه الله في قوله يسئلونك عن الخمر والميسر ولم يبين في السؤال انه عن اي امرهما كان السؤال وامكن استخراج حقيقة ذلك
عن الجواب بقوله قل فيهما اثم كبير كان السؤال كان عما فيهما فقال فيهما كذلك وعلى ذلك قوله يسألونك عن اليتامى كان
السؤال وامكن استخراج حقيقة ذلك عن الجواب بقوله قل فيهما اثم كبير كان السؤال كان عما فيهما فقال فيهما كذلك وعلى ذلك
قوله يسألونك عن اليتامى كان السؤال عما يعمل في اموالهم من المخالطة وانواع المصالح وكذلك عن المحيض كانت قالوا عن غشيان في المحيض
اذ في ذلك مجرى الجواب لم يبين في السؤال لما في الجواب دليله او لما كان الذين سألوا معروفين يوصل بهم الى حقيقة ذلك والله اعلم
وقيل هذه الاية تدل على حرمتهما بما قال فيهما اثم كبير وقد قال تعالى قل انما حرم ربي الفواحش الى قوله والاثم ثبت ان الاثم
محرم واكثر التابعين على ان الحرمة فيهما لم تثبت بهذه الاية ولكن بقوله انما الخمر والميسر   فيهما اثم كبير يبلغ امر الشرب والميسر الى
ما يكون فيهما اثم كبير من نحو ما بين عند السكر والميسر في سورة المائدة من وقوع العداوة والبغضاء وصد عما ذكر وفيهما منافع في
ذلك الوقت بوجوه اما في الخمر الى ان يسكر وفي التجارة فيها وفي الميسر لما كان يفرق ما فيه ذلك على الفقراء وما فيه على التجارة
ويحتمل ذلك وعلى التاويل الاول يخرج قوله قل فيهما اثم كبير اي في الشرب والعمل اذ حرما ومنافع كثير قبل ان يحرما والله اعلم ثم الذي
علينا ان نعرف حرمتهما اليوم ان كانت في هذه الاية اذ لم تكن فيها نهي الانتفاع بهما وبعد ذلك وقد بين الله الكافي من ذلك في سورة
المائدة وجاءت الاثار في تحريمها على ما في الميسر من الخطر والجهالة التي جاءت الاثار على كون امثالها في حكم الربوا وفي الخمر ما لا يتخذ
لمنافع وانما يتخذ للهو والطرب وكل ذلك مما نهينا عنه معا في ذلك من ذهاب العقل الذي هو اعز ما في البشر وغلبة السفه في اهله تحقق
لمن عقل اتقاءه لو كان حلالا لما في ذلك من التبذير فكيف وقد ظهرت الحرمة ثم كان معلوما علة حرمة الخمر اذا سكر منها
الشارب ثم جاء به القرآن وليست تلك العلة في شرب القليل منه فلم يلحق بحق القليل غيرها والحق بالكثير كل شراب يعمل ذلك العمل
فيه المعنى الذي ذكر اذ كانت الخمر لا تتخذ في التعارف للمصالح وانواع المنافع بل تتخذ لما ذكرت من اللهو والطرب ولا يستعمل شربها
الا المعروفون بالفسق فيكون حرمة الخمر لعينها لما ذكرت من قصد العواقب بها وكل جوهر لا يتخذ لا يقصد باتخاذ ذلك فهو غير محرم
بعينه والله اعلم   ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل عن القوت وذلك ان اهل الزرع كانوا يتصدقون ما يفضل
عن قوت سنة واهل الغلات يتصدقون ما يفضل عن قوت الشهور واهل الحرف والاعمال يتصدقون بما يفضل عن قوت يوم ثم
نسخ ذلك بما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الزكوة نسخت كل صدقة كانت وصوم
شهر رمضان نسخ كل صوم كان والاضحية نسخت كل دم كانت فان ثبت هذا فهو ما ذكرنا وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه قال كان هذا قبل ان يفرض الصدقة دليل ذلك ظهور اموال كثير لاهلها في الصحابة رضي الله عنهم الى يومنا لم يخرجوا من
املاكهم ولا تصدقوا بها ولا انكر عليهم فثبت ان الامر في ذلك منسوخ او هو على الادب   كذلك يبين الله لكم الايات
لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة قيل اما في الدنيا فيعلمون انها دار بلاء وفناء واما الاخرة دار جزاء وبقاء فيعرفوا بالباقية
منهما وقال الحسن والله ومن تفكر فيهما ليعلمن ان الدنيا دار بلاء وان الاخرة دار بقاء عن ابن عباس رضي الله عنه لعلكم
تتفكرون في الدنيا والاخرة يعني في زوالها وفنائها واقبال الاخرة وبقائها بل يعلم بالتفكر ان الدنيا للزوال ويعلم انما هي للتزود لدار القرار
فيصرف سعيه الى التقديم وجهده في فكاك رقبته واعتاقها ولا قوة الا بالله وفي قوله كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم
تتفكرون دلالة جواز تاخير البيان لانه امر بالتفكر والتدبر وجعل لهم عند الفكر الوصول الى المراد في الخطاب فدل انه يتأخر
عن وقت قرع الخطاب السمع   ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم كان في السؤال اضمار لانه قال يسألونك عن اليتامى
ولم يبين في اي حكم واضماره والله اعلم ان يقال يسألونك عن مخالطة اليتامى يبين ذلك قوله وان تخالطوهم ان السؤال كان عن المخالطة
وكذلك قوله يسألونك عن الخمر والميسر ولم يبين في اي حكم نعماته قال يسألونك عن شرب الخمر والعمل بالقمار والميسر ثم قال
قل فيهما اثم كبير دل قوله قل فيهما اثم كبير ان السؤال كان عن شرب الخمر والعمل بالميسر وهذا جائز في اللغة وفي القرآن كثير ان
يكون في الجواب بيان السؤال انه مم كان وان لم يذكر في السؤال كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة دل ما ذكر من الفتياء ان الاستفتاء
كان عن الميراث وكذلك قوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء التي لا تؤتونهن ما كتب الله

لهن الى قوله وان تقوموا لليتامى بالقسط دل قوله وان تقوموا لليتامى ان السؤال كان عن القيام على اليتامى وهذا جائز ويخرج الجواب
على ان لم يذكر فيه مراده بالتنزيل ذكر السؤال ثم السؤال يحتمل وجهين يحتمل ان يكون عن مخالطة الاموال والانفس جميعا
بقوله قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم فانما علمهم والله اعلم عن سؤال المخالطة ما قبل انزل قوله ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما الى قوله سعيرا وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن ولا تأكلوها اسرافا وبدارا اشفق المسلمون من خلطة اليتامى
فعزلوا اموالهم بيتا وعزلوا طعامهم وحدهم وتبايعهم فشق ذلك عليهم جميعا فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت هذه الاية ويسألونك عن اليتامى الاية وفي الاية دليل جواز المناهدات والمواكلات في الاسفار وغيرها (وهو ان يخرج نفقاتهم على قدر عدد الرفقة ٢)
حيث ابيح لهم المخالطة باموال اليتامى فاذا احتمل ذلك مال الضعفاء من اليتامى فاحتماله في مال الكبار اشد اذ مال الكبير يحتمل
الاباحة والاذن ومال الصغير لا وفي الاية دليل جواز التقليل من المعروف واليسير منه في ملك الصغير واحتماله ذلك
لانه جل وعز اباح لهم المخالطة مع اليتامى على العلم في الاستيفاء يبلغ الكبير ويقصر عنه وفيه دليل ان علة الربوا ليس
هو الاكل على ما قاله بعض الناس ولكن هو الكيل والوزن لانه اباح لهم المخالطة في المأكول من الطعام والمشروب من الشراب
على غير كيل ولا وزن على العلم بقصور الصغير عن الاستيفاء قدر الكبير وبلوغه مبلغه فلو كان علة الاكل كان لا يبيح لهم
الا كل الربوا فدل ان علته ليس الاكل ولكن هو الفضل من الكيل او الوزن في الجنس وفيه دليل جواز بيع التمر بالتمر مجازفة
عن الكيل وهكذا كل ما يخرج عن الكيل والوزن لترك الناس كيله ووزنه وان كان كيليا يجوز بيع واحد باثنين
والله اعلم وفيه دليل ان لا بأس بان يؤدب الرجل اليتيم بما هو صلاح له وكذلك كما يؤدب ولده وان يلزمه ما فيه الاعتياد
لمحاسن الاخلاق والتوسع كما لا يلزم الصلوة اذا بلغ سبعا ويضرب عليها اذا بلغ عشرا اعتبارا لان لا يتزود ولا يتخير شؤال الناس
الذي ياكل وحده ويشرب وفي المخالطة تخلق بالاخلاق الحسنة وفي تركها التخلق بالاخلاق السيئة والاعتيادة السيئة وقوله
قل اصلاح لهم خير فيه دليل انهم وهو طلب الصلاح لهم تأديبهم في اموالهم والتقلل لهم بما يعقب نفعا لهم وطلب التخلق بالاخلاق
الحسنة والاعتيادة المحمودة فذلك اصلاح خير بطلبهم الصلاح لهم واحوالهم ما يعود نفع ذلك اليهم والله اعلم
الصلاح حسن اذا كان صلاحا فلا وجه لتخصيصهم فدل انه عن طلب النفع والنظر لهم والله اعلم وعدم عز وجل بقوله والله يعلم
المفسد من المصلح والله اعلم بمن طالب النفع والنظر لهم من طالب الفساد والاسراف في اموالهم ولو شاء الله لاعنتكم قيل لضيق
عليكم ولم يأذن لكم بالمخالطة معهم وقيل لا لم يرخص لكم في الخلطة وقيل لحرجكم وهو واحد واصل العنت الاثم كقوله عزيز
عليه ما عنتم يعني اثمتم وقوله ان الله عزيز حكيم فيه وعيد لهم على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فاخوانكم في الدين رغبهم عز وجل بما
اخبر انهم اخوانكم في الدين بطلب الصلاح والنظر والنفع لهم اذ يستوجب بعضهم قبل بعض المعونة لهم والحفظ والصلاح كقوله
انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم دل قوله فاخوانكم في الدين على ان الصغير قد يقع والديه في امر الدين ويجوز منهم التدين
اذا عقلوه وان لم يكونوا بلغوا والله اعلم وقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اختلف في تاويل الاية فقال قائلون الخطر على
كل مشرك ومشركة كتابيا او غيركتابي ثم نسخ بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فالاماء على الحظر لانه انما استثنى الحرائر دون
الاماء بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وقال اخرون هو على المشركات خاصة دون الكتابيات والكتابيات مستثناة
فدخل كل كتابية حرة كانت او امة لان الاستثناء اذا كان عن جملة الاديان سوى دين الكتابيات لم يحتمل دخول بعض اهل
ذلك الدين دون بعض والدين يدل عليه ولامة مؤمنة خير من مشركة فجعل الامة المؤمنة خيرا بالنكاح من المشركة ومن
قوله ايثر بالقدرة على طول الحرة الكافرة لا يباح له نكاح الامة المؤمنة فبان ان موقع الاية ليس على الشافعي على
ما يقوله على ان الاماء يدخلن تحت قوله عز وجل والمحصنات دليله قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب فثبت انهن قد يتعففن فيستوجبن اسم الاحصان وقد جعل شرط الحل هو ذكر الاحصان وقوله ايضا
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم سمى الاماء من جملة المحصنات
دل انهن دخلن في الخطاب قد اجمع على انهن تحل لنا بالسبي وكل مذكور في الكتاب يستوي الحل فيه الا من جهة العدو فا
فاذا ابيح لنا تزويج المسبيات منهن كالحرائر ثبت انه محكوم بحكمهن في النكاح فبطل قول من ابطل نكاح الاماء اذ ثبت ان الاية
بخلاف ما قال وبالله التوفيق ثم الاية تضمنت احكاما منها ان من قول اصحابنا رحمهم الله ان المناهي بحيث النهي لا توجب
الحرمة والثاني ان الاية كيف كان حملها على الخصوص في بعض احق والعموم في بعض وتخريج الخطاب بين واحد والثالث ان
الاية ذكر المنع لعلة وهو الدعوة الى النار فكيف لم يلزم حفظ ما لاجله وجب الحرمة على وجوده وهذا هو الاصل ان
يحفظ الاحكام المعلقة بالعلل ما دامت توجد العلل والرابع البيان في تولي النكاح اذ الاولياء خرج الخطاب بقوله ولا تنكحوا
المشركين واما قولنا في النهي فان النهي يوجب الانتهاء ولكن لا يوجب الحرمة الا بدليل يقوم على مراد الحرمة في النهي لما
رأينا من المناهي كثيرة لم توجب الحرمة فلو كان نفس موجبا ذلك لوجب ان يوجب في كل ذلك فلما لم يوجب ذلك دل
ان نفسه لا توجب الحرمة ولكن الدليل هو الموجب للحرمة واما قولهم وسؤالهم عن الخصوص والعموم فذلك جائز عندنا
خروج الاية على العموم يعقل بها الخصوص وهو كثير في القرآن مما لا يحتاج الى ذكره وشرحه من ذلك قوله لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي عقل ايجاب تعظيم الرسل والانبياء الكل وبعضها للخاص وكذا قوله ما كان لاهل المدينة (والايمان لهم على العموم واقام الصلوة وايتاء الزكوة في حق البعض دون البعض ٢)
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا فالتخلف غير موجود في بعض الاحاديث
وانحق النهي عن الرغبة عن نفسه اخذ الجميع فعلى ذلك ههنا يجوز خروجه عاما يخص بالمعقول واما قولهم وجوب الحكم لعلة
وهو الدعاء الى النار فلله وجهان احدهما ان الكتابي قد يكتاب يقدر على الزام الذين بالدعاء اليه فيه رجاء الاسلام وغيرهم

من اهل الشرك لا يطمع بمثله والثاني ان علة الحظر قوله اولئك يدعون الى النار والزوجات لا يدعون ازواجهن الى ذلك بل الازواج هم الاصل في الدعاء وهم الامراء على الزوجات والزوجات بين الاتباع للازواج والمذللات في ايديهم لذلك ابيح ثم الاصل بان النكاح جعل لامرين اما لابقاء النسل واما للتحصن والتعفف عن السفاح ثم قد ينكح من لا نسل فيه فما بقي الا وجه المنع عن السفاح ثم الدعاء الى النار اعظم من السفاح بهذا لم يبح النكاح ثم الدلالة على تخصيصها وجهان احدهما قول الخصوم بالنسخ انه ورد على بعض دون بعض وما ذلك الا الخصوص والثاني ان ذكر ذلك في الكتابيات لم يجز بحيث اظهار ما يحل وما يحرم اذ شرط نكاحهن انما هو عند العجز عن الحرائر يجري الذكر فيهن اذ هن الاصل في عقود النكاح وان الاماء محللات في حق النكاح وانما جرى الذكر في حلهن بملك اليمين لذلك ترك ذكرهن مما يجوز دخول الاماء في قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب لانه اوجب لهن العفة والتحصن بقوله فاذا احصن فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وبقوله محصنات غير مسافحات واما قولهم خاطب الاولياء ايضا في الامر بنكاح الايامى بقوله وانكحوا الايامى منكم فدل ان الولي شرط في جواز النكاح قلنا انه انما خاطب الاولياء في النهي عن النكاح لما العرف في الامة ان يتولى النساء بانفسهن بل الاولياء هم الذين يتولون عليهن النكاح برضاهن وتدبيرهن لذلك خرج الخطاب للاولياء مع ما انه ليس في تخصيص الخطاب دليل اخراج النساء عن ولاية النكاح الا ترى انه ذكر في الاية الصلاح بقوله والصالحين من عبادكم وامائكم لم يصر ذلك شرطا في الجواز فعلى ذلك الاول وهذا يدل ايضا على ان ليس في تخصيص المحصنات من الكتابيات حظر نكاح الاماء منهن والثاني ان قوله ولا تنكحوا المشركات يحتمل ان يكون في الصغار خاصة زجر الاولياء عن تزويج الصغار من المسلمين والمشركات من غير الكتابيات فاذا كان محتملا ما ذكرنا لم يكن لمخالفنا الاحتجاج به علينا في ابطال نكاح المراة نفسها دون وليها والله اعلم وقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اختلف في تاويله قال قوم هو في غير الكتابيات بين ذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات الى قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فسوق الكتاب بالاحلال على ما لم يختلف فيه احوال الحل من اول الاسلام الى الابد ولا من قبل ذلك نحو الطيبات من الطعام من طعام المؤمنين واهل الكتاب ونحو المحصنات من المؤمنات فمثله الكتابيات اذ يسبق نكاحهن على من ذكر ولو كان التاويل هذا كانت الاية نطقت بان لا تنكحوا المشركات غير الكتابيات فلا يكون في الاية تحريم الاماء من اهل الكتاب ولا النهي عن ذلك وانما يعرف ان كان يجوز لا بدليل اخر سوى هذه الاية كان قيل على ذلك لم لا كانت اية الاحلال في التخصيص بذكر المحصنات دليلا على حرمة نكاح الاماء قيل لا وجه احدها ان ذكر الحل في حال لا يدل على الحرمة في غيرها كذلك ذكر الحل في صنف لا يدل على حرمة في غيره ولو كان دنا يدل لكان يجب ان يكون حكم ما لم يرد فيه السمع مخالفا لما يرد فيه وذلك فاسد اذ السمع هو دليل الحكم فيما لا سمع فيه بالمعنى الذي تضمن فيه والله اعلم وايد ذلك قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن ثم هن يحللن وان لم يؤتين اجورهن فمثله الاول والثاني انه منسوق على مثله في المؤمنات ثم لم يكن ذلك في المؤمنات على تحريم الاماء فمثله في الكتابيات فان قيل لما بين في اماء المؤمنات قيل لم يزعم احد ان ذلك على نسخ هذه الاية فثبت انه ليس في الذكر في المحصنات تحريم الغير فكذلك في المنسوق على ذلك مع انه لو كان في مثل هذا الاستدلال على الحرمة لكان في قوله ولا تنكحوا المشركات اذ وقع على غير الكتابيات دليل على الاحلال فيكون ذكر الحرمة في نوع دليل الحل في غيره على مثل ذكر الحل في نوع وفي ذلك تناقض الادلة والله اعلم ووجه اخر ان المحصنات يحتمل ان يريد به العفايف واهل الصلاح والاماء قد يتحقق هذا الاسم كقوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن وقوله محصنات غير مسافحات وقوله والمحصنات من النساء الاية واذا استحق الاسم فهن في الاية حتى يظهر الاخراج والله اعلم وبعد فانا نقول اكثر ما في ذلك ان يكون في ذلك النهي عن تزوج الاماء من اهل الكتاب فان النهي في ذلك لا يدل على الحرمة لانه معلوم المعنى الذي له يقع النهي عن نكاح الاماء انه لكان رق الولد ولكان مخالطة الاماء الرجال وخلوتهن بالموالي وذلك مما ينفر منه الطباع ثم كان النساء الزانيات جميع ذلك فيهن موجود والنهي قائم وقد يلحقوا اولادهن اعظم الشئ الذي يضعف على الرق ثم لم يمنع النهي جواز نكاحهن بما هو نهي نفار الطباع لا معنى في ذلك له يكون الحرمة فمثله امر الاماء والله الموفق ثم دليل حلهن ان كل امراة حرمت لنفسها فسواء وجه الحل بين ملك اليمين والنكاح وكل امراة كان حرمتها [illegible] فتختلف فيها [illegible] فاذا كانت هذه محللة بملك اليمين ثبت انها لم تحرم لنفسها فهي تحل بالنكاح كما تحل بملك اليمين هذا الاصل في المجوسيات والمحارم ونحوها والله اعلم وقال قوم الاية في جميع المشركات والكتابيات ثم نسخ الكتابيات بالاية التي في سورة المائدة وكان النسخ بشرط الاحصان فبقيت الاماء على الحرمة فدل ذلك وجهان احدهما قوله ولا تنكحوا المشركين انه يدخل في ذلك الكتابي وغيره فكذلك في الاول والثاني قوله اولئك يدعون الى النار [illegible] والثالث ان الكتابي يشرك في الحقيقة [illegible] والكتابي في الدعاء اليها وغيره سواء فلما كان على ما ذكرت نحن نقول في ذلك والله الموفق ليس فيما ذكروه دليل لما ادعى [illegible] بخروج اية واحدة في امرين يختلف موقعهما من الخصوص والعموم [illegible] الدليل ما كان لاهل [illegible] الاية انه قد يجوز ان تتخلف عنه [illegible] الرغبة عنه بحال [illegible] ليس كل [illegible] مما يقتضيه عموم الخلق وان كان الظاهر في الكل [illegible] واحد لما ذكرت من الاية دليل الفصل واما انه يجوز ان يكون الاية في غير اهل الكتاب دليل ذلك الاسم المعروف من التفريق في التسمية وان كانوا في الشرك مجتمعين قال الله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وقال ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين [illegible] الاية [illegible] فصل الله بينهم في التسمية وان كانوا في حقيقة الشرك مجتمعين فلما جاز ان يكون الاية على ذلك ثم [illegible] تزويج المسلمات من اهل الكتاب [illegible] الاخرى [illegible] اهل الاسلام تحت ايديهم [illegible] بهذه الاية فمثله امر الانكاح والله اعلم [illegible] وهو قوله ولامة مؤمنة خير من مشركة الاية وكل يجمع ان لا يحل نكاح الامة المؤمنة على الحرة الكتابية فلو كانت محرمة

في هذه الاية لكان نكاح من هو خير منها في النكاح لا يحرم عليه حتى ان الذي يقول بهذا التاويل يحرم لطول الكتابية فضلا عن نكاحها ولا قوة الا بالله وقوله اولئك يدعون الى النار دليل ان الاماء غير داخلات في الخطاب لانهن لا يدعون بل الغالب عليهن ان يتبعن ويجبن لمن هن تحتهم فيما دعين اليه لا ان يدعون هذا الامر المتعارف والله اعلم ثم نقول احتمل كان الاية نزلت في الكتابيات فقال ولا تنكحوا الكتابيات فان الكتابية جميع ماجرى به الذكر في حقوق النكاح والطلاق والاحكام تضمن خطاب الاحرار خاصة فيما بينهم وعرف امر الحرمة في الاماء والعبيد بالادلة العقلية مما دلت عليه احكام السمع فكذا هذا والله الموفق وقوله ولا تنكحوا محمول على التحريم باتفاق الامة وان احتمل ما هو بهذا المخرج على غير التحريم على ان الله قد بين بقوله اذا جاءكم المؤمنات الى قوله لا جناح عليكم ان تنكحوهن الاية ان النكاح قد انفسخ حيث اباح لغير الازواج التزوج وفي قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم انه الاستمتاع بذوات الازواج اذا سبين وقال ولا تمسكوا بعصم الكوافر ذكر جملة النساء ونهى الرسل عن التمسك بعصمتهن واسم الشرك اسم الفريق بالاطلاق واسم الكفر للجملة على ما قال ود الذين كفروا الاية وقال ان الذين كفروا من اهل الكتاب الاية وغير ذلك مما جمع في اسم الكفر وفرق باسماء المذاهب وجعل اسم الشرك في التفريق فدلت هذه الايات على الحرمة في قوله ولا تنكحوا الاية ويدل قوله في اخر الاية اولئك يدعون الى النار على ذلك ومعلوم ان اول دعائهم الى النكاح فصير ذلك سببا للنار وما يوجبها حرام ثم فيها دلالة عموم الاية في الذكور لانه في تعارف الخلق ان الرجال هم الذين يدعون لا النساء لتبعهم وذلك المعنى في رجال اهل الكتاب وغيرهم سواء فيكون الحرمة فيهم سواء وعلى ذلك المروي من الخبر ان رجلا اسلم وتحته ثماني نسوة واختان ونحو ذلك فاسلمن دل انهن يتبعن الرجال لا انهن يدعون الى ما يخترن من الدين والله اعلم ثم الدليل على ان النهي ايضا نهي تحريم في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن انه لولا خبث فيهن في الحقيقة يوجب حرمة الاستمتاع لكان لا ينهى عن التناكح وذلك من ابلغ اسباب دعوتهن الى الاسلام بما ذكرت من القرب في طاعتهن الازواج فيما يختارون من الدين في التعارف بمن رويت فيهن الخبر وخاصة ذلك في المشركات احق في الحل منه في الكتابيات اذ هن انما اخذن دينهن عن ابائهن بالاعتياد والتقليد ومعلوم اعتيادهن ما فيه رضاء الاباء حتى يؤثرنهم عليهم بما جعل الله بينهم مودة ورحمة والكتابيات لم يأخذن دينهن بما علمن انه دين الرسل وانهم امروا بالتمسك به فاذا نهوا عن نكاح المشركات وابيحوا نكاح الكتابيات والاسلام فيهن بالنكاح ارجى ثبت ان ذلك كان لخبث نهوا وقد حرم الله الخبائث والله اعلم ثم الله سبحانه وتعالى اخبر انه حرم الخبائث واحل الطيبات فلولا ان فيما حرم خبث يحتمل الوقوف عليه وفيما احل طيب سوى الحرمة والحل لما كان كذلك لم يحتمل التسمية في وصف التحريم والتحليل مولا غيره وهذا كما وصف المؤمن بالحيوة والبصر والكافر بضد ذلك بما في كل معنى ذلك لا انه اسم لقب دون ان يكون له حقيقة له يسمى فمثله الذي ذكرت ثم كان الخبث يكون من وجهين من خبث الاحوال ومن خبث الافعال وله سمي الكفر رجسا وكذا الخمر والميسر وذلك كله بخبث الافعال وعلى ذلك يجوز ان يكون تزويج المسلمات المشركين لخبث الفعل وهو خوف وقوع الكفر اذ هن يتبعن الرجال فيما يؤثرون من الافعال ويقلدونهن الدين فيكون التحريم لهذا الخوف اذ هو الوجه الذي عليه جرى حرمات النكاح من ذلك نحو نكاح ما كثر عدد من يعول وان خفتم ان لا تقسطوا فمنع عن الخمس واكثر الخوف وقوع الجور الذي هو في العقل خبيث ونكاح الامة بعد الحرة اذ الطبع ينفر من مناكحة من يخالط الرجال ويخلو بهن لا يؤمن عليه السفاح لما يؤثر مثلها عند الفناء بالحرة منع عنها لا لامر حدث بينهما مما يبعث ذلك على الجور فنهوا عن ذلك وكذلك نكاح المحارم بما قد يجري من الامور في النكاح مما يحمل على تضييع الحدود وانواع النشوز الذي يمنع ذلك القيام بحق النسب وصلته فيكون في ذلك تضييع الفرض وكذلك محارم المراة وعلى هذا يجب تحريم المسلمة على الكتابي وغيره لخوف وقوع فعل الخبث بينهما وهو الكفر ولم يقع النهي عن نكاح الزانية والزاني على ذلك لانه ليس في الطباع احدهما الا في ذلك الوجه بل ينفر عن ذلك اشد النفار فلا يخاف فيه هذا فهو على الادب بما يلحق الولد الطعن وصاحبه يشتم به لا ان يلحقه وصفه موافقة ما اثم الا لكان الاخر يكون النهي نهي تحريم بل كان على الارشاد بما يلحق من الطعن دون ما ان يحدث من تعدي حد او جور في الفعل وعلى ذلك امر نكاح الامة والله اعلم ثم وجه التفضيل بين الكتابية والمشركة والله اعلم في اباحة التناكح ان المشركة اثرت فعل البهيمي في الدين على فعل البشري والكتابية اثرت فعل البشري وهو ما يدعو اليه العقل لا الطباع لانهن يرجعن في الاختيار الى الايمان بالرسل لكن انهى البهتن انهم نهوا عن الايمان بمن يدعوهن اليه فاعتقدن على ذلك بالاثار عندهن من الحجج كما اعتقدنا نحن بان لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لكن خبرنا صحيح وخبرهم فاسد والا فوجه الاعتقاد على ما في العقل ذلك واما المشركة لم تختر ذلك بحجة انما كان بوجود الاباء على ذلك من غير الانتهاء الى من في العقل اتباعه كما قالوا انا وجدنا اباءنا على امة الاية فحرم علينا نكاحها لخبث اختيارها واتباع فعل البهيمي وايثاره على فعل البشري والله اعلم وعلى ذلك لو اسلمت لم يعظم درجة اسلامها لولا انا نرجو من رحمة الله ان الله اذا اقبلت هي الى الاسلام بالاعتياد لنبر قلبها حتى يشرح صدرها للحق لكان لا يكون لاسلامها فضل بحمد الله الموفق ووجه اخر ان الكتابية لما امنت بكتب الانبياء عليهم السلام في الجملة فقد امنت بذلك بالرسل جميعا لكنها كذبت مما وقع الخبر عندها بخلاف الحقيقة فامكن ان تنبه عن حقيقة ذلك بالكتاب الذي امنت به ليكون ايمانها في الحقيقة ايمان بمن كذبت بما ظنت ان في ذلك الكتاب تصديق والمشركة احتيج فيها الى ابتداء الالزام لا ان كان معها ما به اللزوم مما قد وجد ايمانها به والله اعلم وعلى هذا لا يسلم لم تحق الكتاب اذ اختاره لانا نعلم انه في الحقيقة مختار اذ كتابنا مصدق كتابهم فلم يجز ان تظهر له بما به التصديق التكذيب ليرجع الى رد هذا بقبول الاخر فلذلك لم تحل ذبائحهم والله اعلم وتكليل النهي عن النكاح والانكاح حتى يكون الايمان ان الايمان معروف عندهم يعلمون به حقيقة الشرط والله اعلم ومخاطبات الاولياء في قوله ولا تنكحوا يخرج على الامر المعروف من التولي وعلى الوقت الذي اليهم حق التولية او على ان الحق

لمن عليهم في التزويج اذا اردن فنهوا عن ذلك ليعلم ان الاحق يجب ثم في ذلك والله اعلم وقوله يدعون الى النار يحتمل وجهين
احدهما الخبر عما يدعوا بعضهم بعضا الى عبادة غير الله وذلك دعاء الى النار كما قال انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير
بما يوجب الفعل الذي دعوا اليه ذلك كما انما دعوا الى ذلك اذ هو المقصود من الثاني وعلى ذلك تسمية الجزاء باسم العمل الذي له
الجزاء والله اعلم ويحتمل يدعون في التناكح لهوا واستكثارا والاتباع في معاداة الله تعالى ومعاداة اوليائه بالتناكح والله تعالى
يدعوا الى التعفف واستكثارا لاتباع على ما ينال به مغفرته ورحمته والله الموفق وقوله اولئك يدعون الى النار يعني
يدعون الى العمل الذي يستوجب به النار والله يدعوا الى الجنة يدعوا الى العمل الذي يوجب لهم الجنة والمغفرة وقوله باذنه ويبين
اياته للناس لعلهم يتذكرون وقوله ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا دل جوابه على ان السؤال كان عن قربان النساء
في الحيض او كان عن موضع الحيض فاخبر انه اذى والعرب تفعل ذلك ربما ان يفهم من الجواب مراد السؤال وربما تبين المراد في
السؤال واذا جاز ان يبيع غير وقت الاذى وقت الاذى بالاتصال والله اعلم ولا يحتمل ان يكون الامر بالاعتزال يقع على اعتزال
الابدان والاشخاص بالاتفاق اذ كل يجمع ان له ان يمسها باليد وان يقبلها وغير ذلك الا انهم اختلفوا في موضع الا
الاستمتاع قال ابو حنيفة رضي الله عنه يستمتع بها ما فوق الشرع وما تحت الركبة ويجتنب غير ذلك وقال محمد يجتنب شعار
الدم على ما جاء عن عائشة رضي الله عنها انها قالت يتقي شعار الدم وله ما سوى ذلك ثم دل هذا الخبر على ان النهي في الموضع الذي
فيه الاذى دليله اول الاية قل هو اذى وحجة ابي حنيفة رضي الله عنه ما روي انه قال لها ما تحت الشرع وله ما فوقها وما روي
ان ازواج الرسول صلى الله عليه وسلم اذا حضن امرهن ان يتزرن ثم يضاجعهن واما محمد رحمه الله فان ذهب الى ما ذكرنا
انه انما نهى عن قربان ذلك الموضع للاذى واما الموضع الذي لا اذى فيه فلا باس ويجوز ان نهى عن قربان هذه الاعضاء
من نحو الفخذ وغيرها لاتصالها بالموضع الذي فيه الاذى ويحتمل ان يكون ذكر الاذى كناية عن الموضع وعلى ذلك روي عن عائشة
رضي الله عنها انها سئلت عما يحل للرجل من امراته وهي حائض فقالت يحل له كل شيء الا النكاح وسئلت عما يحل للمحرم من امراته
فقالت لا يحل له شيء الا الكلام وقوله ولا تقربوهن اي لا تجامعوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فيه لغتان في حرف بعضهم
بالتشديد وفي حرف اخرين بالتخفيف فمن قرا بالتخفيف فهو عبارة عن انقطاع الدم ثم من قول اصحابنا رحمهم الله تعالى
ان المراة اذا كانت ايامها عشرا تحل لزوجها ان يقربها قبل ان تغتسل واذا كان ايامها دون العشر لم يحل له ان يقربها الا بعد
الاغتسال ويحتمل ان يكون الاية فيما كانت ايامها دون العشر في الغتبن اذ الغالب كان على ان الحيض لا يحيط بكل وقت على
ما روي ان تحيض في علم الله من الشهر ستا وسبعا فعلى ذلك انه انما يحل قربانها بالاغتسال قال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تقربوهن
حتى يطهرن انه على ما دون العشر من المدة الغالب كان على ان لا يمتد الى اكثر الوقت ولا يقصر عن الاقل على ما روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال في النساء هن ناقصات العقل والدين ووصف نقصان دينهن ان يحيض احداهن في الشهر
ستا او سبعا وصفهن جملة بنقصان الدين ثم ذكر ما بين في التفسير عن الجملة ثبت ان ذلك كان الغالب في الجملة حتى خرج عليه
الجواب انه لا يمتد الى الاكثر ولا يقتصر عن الاقل والله اعلم وابعد هنا ما اخبر عن ابتداء الاية انه اذى وامر بالاعتزال

ولهذا قلنا ان المسلم اذا تنصر او تهود لا يصير من اهل الكتاب حتى لا يحل ذبيحته • شرح •

لفعل بيل هذا وربما يبين المراد في السؤال وربما يترك المراد من السؤال اذا كان مما يفهم من الجواب اختيارا منهم الحذف والاختصار • شرح •

شعار الدم كناية والفرج على الكناية لانه كلا منهما • علم • الدم •

موطية الصغرى وما جاء انه نهى عن اتيان النساء في محاشهن يعني في ادبارهن وفي بعض الاخبار اتيان النساء كفر وقوله فاتوا حرثكم
انى شئتم يعني على اي جهة شئتم بعد ان يكون ذلك في المزدرع ولا باس بالاعتزال عنها اذا اذنت لما ذكرنا ان الامر بذلك امر بطلب
النسل لا قضاء الشهوة فاذا كان كذلك فلها ان لا يحتمل مشقة تربية واما الزوج فانما عليه المؤنة وذلك مما يحمل الله لكل ذي
روح بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لذلك نهى عن الاعتزال دون اذنها ولم تنه هي عن الاذن عن ذلك والله
اعلم واما الاعتزال عن الاماء وملك اليمين فانه لا باس لانه لا يطلب النسل من الاماء في المتعارف لذلك لم يكره ولا حق في اجابة الحق
اتلاف وللرجل ان لا يتلف ملكه لذلك افترقا والله اعلم والاصل ان الشهوات مجعولة لما بها امكان قضاء الحاجات التي يقضي بها
جرى تدبير العالم وبه يكون دوام النسل وبقاء الابدان والحاجة لا يحتمل الوقوع في الادبار لذلك لم يجعل فيها وقوله وقدموا
لانفسكم قيل فيه بوجهين قيل قدموا العمل الصالح قيل قدموا لانفسكم من الولد يحفظونه عند النزع عما لا يجب وقوله واعلموا
انكم ملاقوه ما قدمتم من العمل الصالح فتجزون على ذلك كقوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ويحتمل قوله انكم
ملاقوه اي ملاقو ربكم بوعده ووعيده وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية قيل كان الرجل يحلف ان لا يصنع المعروف
ولا يبر ولا يصلح بين الناس واذا امر بذلك قال اني حلفت على ذلك فنهوا عن ذلك يقول لا تحلفوا على امر هو في معصية ان لا تصلوا
القرابة وان لا تصلحوا بين الناس وصلة القرابة خير لكم من الوفاء باليمين في معصية الله تعالى والعرضة العلة يقول لا تعللوا اي
لا يمنعكم ان تبروا او ما ذكر وقوله والله سميع عليم حرفان يخرجان على الوعيد سميع بمقالتكم وايمانكم عليم بارادتكم في حلفكم وقال
الشيخ رحمه الله في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكسب القلوب لا يكون عقد ولا حنث
انما هو تعمد الكذب كقوله ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم فعلى ذلك امر بين اللغو والتعمد وهذا يبين
ان اليمين يكون في موجود لا فيما يوجد اذ فيه وصف المأثم وفيما يكون لم يكسب قلبه ما يأثم فيه فعلى ذلك امر اللغو فهو الماضي ولا يأثم
في غير اللغو بالتعمد ثم قال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وبين ان المؤاخذة يكون في هذا بالكفارة
وفي الاول بالمأثم وفي اللغو لا يؤاخذ بهما فلزم تسليم البيان لما جاء في كل ذلك ثم جميع المؤاخذ في كسب القلب بالمأثم ولزوم
التوبة فكذا في هذا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر اللعان انه قال ان احدكما كاذب فهل منكما من تائب ومعلوم
كذب احدهما ولزوم التوبة معا في ترك الوعيد الشديد من الغضب او اللعن ولو كانت فيه كفارة لكان لا سبيل الى العلم
بها الا بالبيان فهي احق ان يبين لو كانت واجبة دل ما لم يبين انها غير واجبة على انها تجب للحنث والحنث عقيب العقد بدفعه
وكان ههنا ملاقيا له فهو يمنعه على نحو جميع الحرمات التي تفسخ الاشياء فهي عند الابتداء تمنع وليس ذلك كالطلاق
ونحوه لما قد يكون بلا شرط واليمين لا يحتمل الا به ولم يكن فالمراد قوله والله وقد يخرج مخرج الاستخفاف الحلف بالله
كاذبا والجراة على الله فيجيء ان يكون كفر الوكدان المؤمن يخطر بباله ما يحمله على ذلك دون قصد الاستخفاف به وعلى ذلك
امر اللعان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل احدكما كافر فهل منكما من مؤمن لانهما لم يقصدا اذا القصد
فكذا كل حالف على تعمد الكذب والله الموفق وقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال سعيد بن جبير هذا محمول
على قوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي لا يؤاخذكم بنقض ايمانكم التي حلفتم بها لانها معصية الله ولكن يؤاخذكم
بحفظها والمضي عليها ثم اختلفوا في اللغو ما هو قال بعضهم هو الاثم وقيل هو الغلط ثم اللغو المذكور الذي اخبر ان لا اثم
على صاحبه يحتمل ان لا يؤاخذه بالاثم ويحتمل ان لا يؤاخذه بالكفارة بل انما يؤاخذ بالكفارة بما يعقد ثم ذكر في الاية
الثانية لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولو حمل على انه لا يؤاخذ في هذا ايضا بالاثم
وقع الكلام بحيث لا يفيد في هذا التكرار والاصل عندهم بان حمله على ما يفيد احق من حمله على ما لا يفيد فثبت ان
الاول في نفي الاثم والثاني في نفي الكفارة وعلى هذا القول في الغموس انه لعظم الوزر والاثم لم يلزم ان يكفر فليس فيه
الكفارة وله وجه اخر وهو ان سبب الحنث في اللغو والغموس تلاو في العقد فلم يصح به اليمين لان الحنث نفسه يسقط
اليمين فاذا لا في الحنث اليمين منع صحتها ووجوبها فاذا كانت هذه اليمين غير صحيحة في العقد فلم تلزم الكفارة هم
لخروجها عن الشرط ثم لم يزل عنه في الغموس الاثم لتعمده الكذب قال الفقيه رحمه الله والقياس عندي في التعمد
بالحلف على الكذب ان يكفر ولهذا ما لحقه الوزر لما ان الايمان جعلت التعظيم لله تعالى بالحلف فيها والحالف بالغموس مجترئ
على الله تعالى مستخف به ولهذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بالاباء والطواغيت لان في ذلك تعظيم لهم
ويحيل فالحالف بالغموس في الذي يجترئ ويستخف فالوزر له بالجراة لازم ثم المتعمد مجترئ مستخف بالله تعالى على
المعرفة انه لا ايمع فسبيله سبيل اهل النفاق واظهارهم الايمان بما فيه استخفاف وان كان سبيل التعظيم لا الاستخفاف
لزمهم العقوبة بذلك كذا الاول ولكنه بالحلف خرج فعله على الجراة للوصول الى مناه وشهوته لا للقصد اليه وعلى ذلك
يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه في سؤال السائل ان العاصي مطيع الشيطان كفر كيف لا يكفر العاصي فقال لانه تخرج فعله
في الظاهر مخرج الطاعة له لان القصد يكون طاعته وانما يكفر بالقصد لا بما يخرج فعله فعل معصية فكذا الاول والله اعلم
وعلى ذلك جاء في امر اللعان من القول بان احدكما كاذب فهل منكما تائب نفيه وجهان انه لم يامر بالايمان ولا قال احدكما كافر فثبت انه
لا يكفر به والثاني انه امر بالتوبة وقد يعلم من كذب ان عليه ذلك معا في القران من اللعن والغضب ولم يامر بالكفارة وهي لا تعلم
الا بالبيان فهي احق ان تبين لو كانت واجبة والله اعلم والاصل عندنا في اليمين الغموس انه اثم وعليه التوبة كفارة وهكذا في كل
يمين في عقدها معصية ان يلزمه الكفارة وهي التوبة واما الكفارة التي تلزم في المال فهو لا يلزم الا بالحنث لانه بالحنث يكتسب
اثم لذلك لم يجز الا بالحنث وما روينا من الاخبار من قوله من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر يمينه ثم ليأت

الذي هو خير انه اذا كان يمينه بمعصية يصير باليمين آثما فيكلف بالتوبة فان قيل الحلف بالطلاق والعتاق والنجح بالماضي يلزم كيف لا تلزمه الكفارة قيل لان الطلاق والعتاق والنجح يلزم دون ذكرها ذكرا اذا قال على حجة او انت طالق وهو حر ولو قال والله لقد مرة دون ذكر ذلك الفعل لا يكون يمينا ولا يلزمه شيء لذلك افترقا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله الايلاء معلوم في اللغة انه اليمين وكذلك كان ابن عباس رضي الله عنه يقرأ للذين يقسمون وما هو اليمين من الحكم لا يجب لغيرها نحو الكفارة التي يجب بالحنث فيها ثم يجب له على كل حال على اي وصف كانت اليمين فكذلك حكم الايلاء وهو قول عبد الله وابن عباس رضي الله عنه وروي عن علي رضي الله عنه التفريق بين الغضب والرضاء ثم اوجب التربص للمولي فمن كانت يمينه بدون اربعة اشهر فهو بعد المدة ليس بمولي فلم يلزمه الحكم الذي جعل الله تربص اثر في المدة ذكر الفيء وهو لو وجد منه لم يجب عليه ما في الفيء من الكفارة فكذا بمضي المدة لا يلزمه الطلاق وبه يقول علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عليهم يقول يلزمه حكم يمين وابن عباس رضي الله عنه يقول الايلاء يمين الابد وذلك عندنا على ارادة الاتمام ولو جعله شرطا لكان الحكم يلزمه بمضي الاربعة الاشهر فلا وجه للزيادة عليه وهو قول عبد الله يلزمه بدونه ثم اختلف الصحابة رضي الله عنهم في الوقف بعد الاربعة الاشهر على اتفاقهم على لزوم طلاق او حقه بمضي المدة ثم لا يجوز ان يحلف بحق الطلاق فيلزم ويجوز ان يحلف بالطلاق فيلزم فلذلك كان الطلاق احق معاذلك زيادة في المدة للتربص وجميع المدد التي جعلت بين الزوجين لم يحتمل الزيادة عليها لما جعلت له المدة فمثله مدة الطلاق وهذا على ان الله تعالى حذر نقض اليمين بقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها واطلق في هذا اربعة اشهر به بما روي في قراءة ابي فان فاؤا فيهن ففي غير ذلك حكم النهي له اخذ والله اعلم وقوله وان عزموا الطلاق كقوله فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف وليس ذلك على احداثه بعد مضي المدة كذلك الاول والله اعلم وقوله سميع لايلائه عليم بتحقيق حكمه انه لم يف البهائم كان كذلك بذاته كانه قال عن علم بما يكون من خلقه وبما به صلاحهم وما اليه مرجعهم خلقهم وهو السميع بجميع ما به تناجوا واسروا وجهروا والله الموفق ثم الدليل على ان المراد من قوله ثلاثة قروء وان احتمل الطهر يرجع الى الحيض وجوه احدها ان ثلاثة اسم التمام العدد فيصير كانه قال ثلاثة اطهار ولو اراد به الطهر او ثلاث حيض لو اراد به الحيض ثم هم على اختلاف فيهم اتفقوا انه بالحيض ثلاثة وبالطهر طهران وبعض الاول ثبت ان الحيض اولى مما كان فيه الاحتياط اذا احتمل الوجهين ان يدخلا جميعا في الحق لا يزال بعد ان ثبت الا بالبيان ويبين ذلك ان في الخبر تلك العدة التي امر الله ان تطلق لقبلها النساء انه الحيض حتى يكون قبله الطهر مما يحتمل عدة فعل الطلاق لا الانقضاء يبين ذلك ما روي ان عدة الامة حيضتان وهي بعض عدة الحرة ووقت طلاقها وقت طلاق الحرة فبان ان العدة اثنان والثاني ذكر الحيض عند ذكر البدل وذلك حكم الابدال ان يذكر اصولها عند ذكرها والثالث قوله فاذا بلغن اجلهن والبلوغ اسم للتمام وفاسد المراجعة من بعد الاشراف عليه وهو بالطهر لا يعلم حتى يرى الدم لان الطهر لا غاية له وذلك يمنع على قولهم الرجعة فثبت انه الحيض لان له الغاية وان لم ينقطع الدم وقت وبما كان الطلاق وقت ابتداء الحرمة وذلك طهر ووقت تقضي العدة وقت تمام ذلك فهو الطهر مما ينقضي صلب الملك بالطلاق ووقته الطهر وبقية الملك بتقضي العدة فيجب ان يكون وقته الطهر على حق جميع الفروع مع الاصول والحاق التوابع بالمتبوعات ولا تقم الآية الله وقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر والايلاء هو اليمين في اللغة يدل على ذلك حرف ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما حيث قرا للذين يقسمون من نسائهم ثم اختلف فيه على وجوه قال ابن مسعود رضي الله عنه الايلاء على يوم فقط واما التربص فاربعة اشهر لانه لم يذكر في الكتاب للايلاء مدة وانما ذكر المدة للتربص الى هذا ذهب ابن مسعود وقال ابن عباس رضي الله عنهما الايلاء على الابد ذهب في ذلك الى ان الايلاء كان طلاق اليوم والطلاق يقع على الابد وقال آخرون من ترك القربان في حال الغضب فهو مولي وان لم يحلف لكن هذا ليس بشيء لان الله تعالى ذكر الايلاء هي اليمين دليله ما ذكرنا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رجلا سأله انه حلف ان لا يقرب امرأته سنتين فقال هو ايلاء وانها تبين اذا مضت اربعة اشهر فقال انما حلفت ذلك لمكان ولدي فقال لا يكون ايلاء فرأى في ذلك ايلاء اذا كان عاصيا واذا كان ايلاؤه وترك قربانها بمكان الولد لم ير ذلك ايلاء ثم لا يجوز ان يحمل ما حمل هؤلاء اما ما حمل علي بن ابي طالب رضي الله عنه واعتباره بالعصيان وغير العصيان فالايلاء هو اليمين والايمان لا يختلف وجوبها ووجوب احكامها في حال العصيان وفي حال الطاعة فعلى ذلك حكم الايلاء ولو حمل على ما حمل ابن مسعود رضي الله عنه لكان لا يبقى الايلاء بعد مضي اليوم فاذا لم يكن يمين بعد اليوم لم يبق حكمها ولو حمل على ما قال ابن عباس رضي الله عنه لكان لا فائدة لذكر التربص فاذا بطل ما ذكرنا ثبت قولنا ان مدة الايلاء اذا قصرت عن اربعة اشهر لم يلزمه حكم الايلاء ولو كان على الابد لكان لا فائدة في ذكر المدة وان لا يعتبر العصيان ولا الطاعة ولا الغضب ولا الرضا على ما ذكرنا وروي في بعض الاخبار انه قال الايلاء ليس بشيء معناه ما قيل ان الايلاء كان طلاق اليوم فقوله ليس بشيء يقع للحال دون مضي المدة قبل ان يولي اليها في المدة قال اصحابنا رحمهم الله اذا مضت اربعة اشهر وقع الطلاق وقال قوم يوقف فان فاء اليها والا يطلق عليه واحتجوا في ذلك الى ان الله تعالى ذكر الفيء بعد اربعة اشهر بقوله تربص اربعة اشهر فان فاؤا فذلك كان له الفيء بعد مضي الاشهر وروي في بعض الاخبار الوقف فيه وروي عن عمر وعلي وعثمان وعائشة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم في المولي اذا مضت اربعة اشهر فاما ان يفيء واما ان يطلق والى هذا يذهبون لكن هذا يحتمل ان يكون من الراوي دون ان يكون ما قالت الصحابة واما عندنا ان قولهم ذكر الفيء بعد تربص اربعة اشهر فذلك لا يوجب الفيء بعد مضيها الا ترى الى قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ليس انه يمسكها بعد مضي الاجل ولكن معناه اذا قرب انقضاء اجلهن فامسكوهن فعلى ذلك جعل لهم الفيء اذا قرب انقضاء اربعة اشهر واما ما روي من الوقف فليس فيه الوقف بعد مضي اربعة اشهر

في لزوم الطلاق
م

يحتمل

يحتمل الوقف في الاربعة الاشهر واما عندنا فانها تبين اذا مضت اربعة اشهر لما روي عن سبعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثمانية انهم قالوا اذا مضت اربعة اشهر بانت منه من نحو عمر وعلي وابن مسعود وعثمان وابن عباس وجابر وزيد بن ثابت رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاتبعناهم ثم اختلف في الطلاق اذا وقع قال قوم هو رجعي وهو قول اهل المدينة فهو على قولهم لغو لان الزوج يقدم الى الحاكم فيطلق عليه الحاكم ثم كان له حق المراجعة فيكلفون الحاكم العبث واما عندنا فهو بائن وعلى ذلك جاءت الاخبار روي ابن عباس رضي الله عنه قال اذا مضت اربعة اشهر فهي تطليقة بائنة وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وروي عن ابي في قوله فان فاؤا فيهن يعني في الاربعة الاشهر فان الله غفور رحيم فثبت انه جعل الرحمة والمغفرة فيها والثاني قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ولو لم يجعل له القربان والنقض في المدة لكان لا سبيل له الى نقضها بعد مضي المدة اذ هي تتاكد فثبت انه لا يعتبر ويلزم ثم قوله فان الله غفور رحيم يحتمل بما جعل له الخروج مما ضيق على نفسه لان لا تطول عليه المدة ويحتمل ان المغفرة كانت بما ارتكب ما اذا مضى عليه وجد وانه مستحقا للعقوبة فغفر له صنيعه ورحمه بان يجاوز عنه ما فعل وقوله وان عزموا الطلاق روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال عزيمة الطلاق مضي اربعة اشهر وقد ذكرنا قول الصحابة رضي الله عنهم ان عزيمة الطلاق اربعة اشهر وقوله فان الله سميع بالايلاء عليهم بترك الفيء او عليم بما اراد بالايلاء والله اعلم والفيء الجماع وهو الرجوع في الحاصل لانه حلف ان لا يقربها فاذا قربها رجع عن ذلك وهكذا روي عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا الفيء الجماع وقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء اختلف الناس في الاقراء قال بعضهم هي الاطهار وقال آخرون هي الحيض وهو قولنا وعلى ذلك اختلفت الصحابة قال عمر وعلي وعبد الله رضي الله عنهم هي الحيض وقالت عائشة وزيد بن ثابت وابن عمر رضي الله عنهم هي الاطهار وبه اخذ اهل المدينة وقالوا قلنا ذلك بالسنة وقالوا قلنا ذلك بالسنة والاخبار عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين واللسان والمناقضة اما السنة فقوله لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليطلقها وهي طاهر او حامل من غير جماع فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها النساء فدل ان العدة التي تطلق لها النساء هي الاطهار ولكن الجواب لهذا من وجهين احدهما انه جعل ذلك عدة للطلاق لا عدة عن الطلاق والعدة للطلاق غير العدة عن الطلاق وكذا نقول في الطهر الذي تطلق فيها النساء انها عدة للطلاق لا عنها والثاني ان من قول الرجل ان له الايقاع في اخر اجزاء الطهر وقد ذكر في الخبر الطلاق لقبل عدتهن ولو كان المعنى به الطهر لكان الطلاق في اخر اجزاء الطهر قبل الحيض في اخر اجزاء الطهر لا في القبل فثبت ان القول بجعل الطهر عدة عن الطلاق بعيد وقال باللسان وهو قول الناس قرء الماء في حوضه وقرء الطعام في شدقه اي حبس والطهر سبب حبس الدم لكن عندنا الطهر جبلة واصل وعليها خلقت وانشئت والحيض عارض لما كان في الرحم دم خرج والا كانت على اصل خلقتها طاهرة لان الطهر يحبس الدم فاذا كان هذا ما ذكرنا بطل احتجاجه باللغة واللسان واما المناقضة هو ان يقول جعلتم هي معتدة مع زوال الاذى عنها ما لم تغتسل في ابقاء حق الرجعة فاما دعوة المناقضة فهو بعيد لان الكتاب جعلها باقية لم تغتسل على حكم الاذى فان كان فيه طعن فعلى الكتاب وقال ذكر الله تعالى ثلاثة قروء باسم التذكير له باسم التانيث فدل انه اراد الاطهار وتقال ثلاثة رجال وثلاث نسوة فاذا دخل فيه الهاء مثل انه اراد الطهر قيل ان اللغة لا تمتنع عن تسمية شيء واحد باسم التذكير والتانيث كالبر والحنطة ونحو ذلك اذا لم يكن من ذي روح فاذا كان كذلك فلا دلالة فيه من حال الى حال لكان يقال النجم اذا طلع ثم يكون الاسم للظهور لا للغيبوبة او لهما جميعا فلا دلالة في ذلك واما الاصل عندنا فقوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف فامر بالامساك عند بلوغ اجلهن ثم لا يخلو بلوغ الاجل من ان يكون بالاشراف على اول اجزاء الطهر وعند انتهائه فان كان على انتهاء الطهر فلا غاية له ينتهي اليه ليقطع عليه الحكم وان كان على الاشراف عليه ايضا كذلك ثم لو حمل الانتهاء ايضا يبعد بما يعرف ذلك بالحيض الذي يقطع جهة الامساك فحمل على ما يعرف والله اعلم والثاني قوله واللائي يئسن من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن كذا اتفقوا فيه انه مذكور على البدل ولم يعرف ذكر الابدال في الاشياء الا على اثر الاصول حيث ذكر فبان ان المبدل من ذلك انما هي الحيض المجعولة اصولا في تقضي العدة هو الحيض واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم عدة الامة حيضتان ثبت ان اصل ما به تنقضي العدة هو الحيض وقال الشافعي قوله عدة الامة حيضتان اي قرآن والقرآن هما الطهران فيقال له ابلغت في الغفلة وافرطت في الحجاج حيث فهمت من الحيض القرء وهو اوضح عند اهل اللسان بالسماع من المفهوم له بزعم ما في ذلك تجهيل رسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان وهو افصح العرب واعلم البشر حيث عبر عن الطهر بالحيض ووجه آخر ما اتفقوا انه لو طلق في بعض الطهر فالبقية منه عدة ومثله من الاعتداد قرآن ونصف والكتاب اوجب الاعتداد بالثلاث فثبت ان الامر بالاعتداد امر بالحيض لا بالاطهار للمعنى الذي وصفنا وان كان القرء اسم للطهر والحيض في اللغة ثم الاصل في المسئلة ان اول ابتداء الحل لزوجها ولغيره بالطهر وكذلك نهاية الحل انما جعلت بالاطهار ثم الاصل ان ابتداء حرمتها على الزوج الاول بالطهر فيجعل انتهاء الحرمة في مثله بالطهر وحاصل هذا انه جعل نهاية الحل فيه وفي غيره بما به ابتداء الحل فكذا يجعل نهاية الحرمة فيه وفي غيره بما به ابتداؤها واذا ثبت ان المنظور في الحل والحرمة في الابتداء وجب ان يكون المنظور في الحل والحرمة بالانتهاء ثم في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء وفي قوله فاعتزلوا النساء في المحيض وفي قوله بالولد عن الثناء في فعل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم في هذه الآيات دلالة تاخير البيان حيث لم يبين ما الاقراء ولم يبين الاعتزال من اي موضع ومن اي مكان ولم يبين المخالطة فيماذا وفي اي شيء فالاختلاف فيه باق الى يوم التناد فبطل قول من ينكر تاخير البيان وثبت قول من اقر به وبالله التوفيق وقوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر في الآية دلالة احدها انه ذكر حرمة الكتمان فيمن لم يشترط فيه دون غيره اذ قد يلزم ذلك من هو غير مؤمن اذ هو غير مختص في الفعل ففيه الدليل

اشد في جانب القيم
م

عن ابي عمرو والاخفش
انوا النجم حان
غروبه

قرئت الماء في الحوض اي جمعت
واسم ذلك الماء قرى بكسر
القاف ومقصود والبير
تقرى العلف في شدقه
اي يجمعه صحاح
الله
م

على ان الحكم الموجب لعلة يجوز لزومه فيما ارتفع عنه تلك العلة وعدمت وهو كقوله واصلحوا ذات بينكم الى قوله ان كنتم مؤمنين
وقد يلزم ترك الربوا المعاهد وقد يجوز ذلك للمسلم في غير داره فدل ان الحكم اذا ذكر لعلة في احد لا يمنع لزوم ذلك في غير المذكور
قال الشيخ رحمه الله فيه دليل على ان اضافة الحكم الى سبب لا يمنع حقه ارتفاعه وفيه دليل ان لا يحل ذلك لمن قد آمن
في الخلق لان حقه التصديق واظهار الحق وفي الكتمان والتكذيب ترك ما فيه من الشرط والله اعلم ثم اختلف في قوله ما خلق الله
في ارحامهن قال بعضهم الحبل والحيض وكذلك روي عن علي وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم انهم قالوا ما خلق الله في ارحامهن
الحبل والحيض فثبت ان موضع الحيض الرحم ثم الرحم يشغله الحبل عن خروج الدم فبان ان الحامل لا يحيض وعلى ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم انما ذاك دم عرق انقطع وهو الامر الظاهر المتعارف في النساء ان الحبل يحبس الدم وقال بعض اهل
التأويل ما خلق الله في ارحامهن الحبل خاصة دون الحيض لوجهين احدهما انهن في الجاهلية يكتمن ذلك فيلحقن بغير الآباء
فاوعدن على ذلك بعد الاسلام فثبت ان الحيض لا يحتمل والثاني ان الحيض لا ينسب بكونه في الرحم فاذا كان غير منسوب
اليه لم يحتمل كونه فيه والله اعلم لكن الوجه فيه ما ذكرنا من قول الصحابة وما فيه من الدلالة انهن مؤتمنات فيما يخبرن لوجهين
احدهما ما جاء من ان الامانة ان تؤتمن المرأة على فرجها والثاني لولا انها ممن يقبل خبر فيهما لما اوعد على الكتمان ثم يحتمل الكتمان
من وجهين احدهما ان يكتمن ذلك ليستوجبن به الانفاق من عند ازواجهن بقولهن العدة باق وذلك يحتمل ما قاله بعض
اهل التأويل من ابقاء حق الرجعة ويحتمل قول ابي حنيفة رحمه الله في كتابه اذ قال في المرأة اذا جاءت بولد في العدة فشهدت
امرأة على الولادة والحبل لم يكن ظاهرا ان يقبل قولها اذ هي امرت بالاظهار دون الكتمان اورث تهمة في القبول ويحتمل ان لا يحل
لهن ان يكتمن الحبل فيلحقن بغيرهم من الازواج والله اعلم وقوله وبعولتهن احق بردهن في ذلك يحتمل وجهين يحتمل انهن لا يملكن الرجعة
ولا منع ازواجهن عن المراجعة بل ذلك الى بعولتهن ويحتمل احق به بردهن في نكاح في العدة لا في حق الرجعة اذ الزوج يملك نكاحها
في العدة وغيره من الناس لا يملك كقوله ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله وقوله وبعولتهن وفيه دليل ان قوله والمطلقات
يتربصن انما عنى به المطلق طلاقا لم يقطع على نفسه جهة العود وقوله في ذلك ان ارادوا اصلاحا يحتمل اصلاح ما بينهن ويحتمل ان ارادوا
امساكهن بالمعروف كقوله ولا تمسكوهن ضرارا فهو ممسك لها وان كان مضرا لم يحصل في هذا انه وان قال فامساك بمعروف فليس على ان
يصير ممسكا لها بغير المعروف واصل هذا ان ليس في القول بان لا تفعلوا دليل الجواز والفساد اذا فعل ذلك ثم اختلف في قوله اي
في الوقت الذي يعيد به او في ذلك القروء والله اعلم وقوله ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال اني احب ان اتزين لامرأتي كما احب ان تتزين لي لان الله تعالى يقول ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقال آخرون لهن من
الكفاف ما عليهن من الخدمة وقال بعضهم لهن من الحق في المهور بتسليم الازواج اليهن ما عليهن من تسليم الابضاع الى الازواج
فيدل هذا على ان الخلوة والتسليم منها يحل محل قبض الحق منها لزوجها وقيل ولهن مثل الذي عليهن الحقوق ما يلزمهن من حقوق
الازواج يلزم مثلها على الازواج وان كان مختلفة وقوله وللرجال عليهن درجة قيل هو الطلاق بيد الرجل وليس بيدها وقيل
هي الامارة والامر وقيل ما فضل الله به عليها من الجهاد والميراث وغيره وقيل لهم من الفضيلة من الولايات والشهادات
والعقل وذلك ليس لهن وقيل ليس لهن وقيل فضيلة في الحق وبما ساق اليها من المهر قال الشيخ ابو منصور رحمه الله في قوله ولهن
مثل الذي عليهن من الحقوق على الازواج ثم يحتمل حقوقهن المهر والنفقة ويحتمل ما اتبع من قوله فامساك بمعروف او تسريح
باحسان ويحتمل قضاء مالها من الحوائج خارج البيت مما به قوام دينها ووقايتها عن النار وعليها من الحقوق مقابل الاول البذل لم
وان لا يوطئن فرشهن احدا ومقابل الثاني ان تحسن اليهم في البر بالذات والقول المعروف الذي فيه يطيب نفسه به كما وصف
الحميدة منهن من اذا نظرت اليها سرتك واذا دعوتها اجابتك وتحفظك في النفس والمال ومقابل الثالث ان لا تتلقاه بمكروه
ولا تقابله بضجر وبغضبه مع الخدمة وكفاية الداخل مما به قوام دينه والله اعلم والدرجة التي ماله من الملك فيها والفضل
في الحقوق عليها وما جعل قواما عليها وغير ذلك والله اعلم ويحتمل ما لهن من قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
وعليهن بذل حقهم المعروف والاحسان اليهم فيما يبغون من الخدمة والقيام بكفاية داخل البيت مع حفظ ما له عندها
والله اعلم وقوله الطلاق مرتان ففيه دلالة انه يطلق تطليقتين مرتين وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان ان له الرجعة
بعد طلاقين بذكره مرتين وفيه ان المطلق في الطهر الثالث من غير رجعة مطلق للسنة لما خير بين الامساك او التسريح من غير مراجعة
وهو على مالك لانه يقول ليس له ان يزيد على تطليقة واحدة الا ان يراجع والتسريح باحسان هو التطليقة الثالثة كذلك روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن التسريح باحسان فقال هو التطليقة الثالثة فان قيل ما الحكمة في ذكر المعروف
في الامساك والاحسان في التسريح قيل وذلك ان في التسريح قطع الحقوق التي اوجبها النكاح فامر عند قطعها عنها بالاحسان
اليها مبتديا والاحسان ابدا انما يكون عند ابتداء الفعل لا عند المكافاة واما المعروف في الامساك فالنكاح اوجب ذلك
كقوله واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل الميثاق الغليظ الحقوق التي اوجب النكاح وهذا والله اعلم وجه الحكمة والمعروف ما عرف
في النكاح والاحسان هو ما يبتدى مما لم يعرف وقوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان
خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فظاهر هذه الآية الكريمة يوجب ابتداء الخطاب للازواج ثم
آخرها يوجب الخطاب لهما جميعا ثم آخرها يوجب الخطاب لغير الازواج بحفظ عليهما حدود الصحبة فيشبه ان يكون في الآية
الاضمار فهما الحكمين فيكون كقوله وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فيكونا هما اللذان يحفظان
عليهما الحدود ويحتمل ان يكون الخطاب في قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله والحكام لانهم هم الذين يتولون النظر في امور الناس
ليقوموهم على حفظ حدود الله ثم القول عندنا في قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا اذا كان النشوز واقعا من قبل

والثاني ان الدم لا يسمى حيضا ما دام في الرحم وانما يسمى بعد الخروج والحكم يتعلق به بعد الخروج والحيض هو الدم الخارج من الرحم واذا لم يكن له حكم حال كونه في الرحم فلا معنى لاعتباره وحال تعلق الحكم به واتصافه بالحيض هو ظاهر مكشوف فلا معنى لاكتمان المرأة عليه منه

فيحتمل ان يكون المراد هو الحكمين فيكون في الآية اضمار القضاء الحكمين بالخلع واخذ الافتداء مما على ما لو الرأي منهما لا يقيما حدود الله منه

الزوج فانه لا يحل اخذ شيء على الخلع استدلالا بقوله وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا
منه شيئا واما اذا كان النشوز من قبلها فانه لا بأس ان يأخذ قدر المهر ويكره الزيادة ويجوز اما قدر المهر فانه لا بأس
اذا كان النشوز من قبلها استدلالا بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ذكر رفع الحرج عن الذي فدى فيما عنه نهي في
غير هذا وهو الموقى لذلك قلنا انه يجوز اذا كان النشوز من قبلها قدر المهر واما الزيادة فانه يكره استدلالا بما روي في
الخبر ان امرأة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت بغض زوجها فقال اتردين عليه حديقته فقالت نعم وزيادة
فقال اما الزيادة فلا ففيه الدلالة ان النشوز اذا كان من قبلها فانه يجوز قدر المهر وقال ابن داود وخالف الشافعي ظاهر
الكتاب فيما جعل له اخذ ما فدى والزيادة والكتاب رفع الحرج عن اخذ ما فدى لم يجعل له غيره بقوله لا يحل لكم ان تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله قال ابن شريح ما ذلك الاخذ في الطلاق انما ذلك في الطلاق كرها
لانه ليس في الآية ذكر الطلاق واستدل بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فجعل له اكل ما اخذ
بالوصف الذي ذكره ثم كان له اخذ ما تبذل في غير الطلاق فعلى ذلك في الطلاق وفي الطلاق احق والله اعلم والاصل عندنا
جواز ما بذلت اخذه مما احتج به الرجل ان كان له ذلك في غير الطلاق وهو الطلاق اجوز لانها تنتفع غير انه يكره له
الفضل لما ذكرنا من الآية والخبر ثم يجوز هو لانه تبادل فكان كالعقود التي يكره لربح ما لم يضمن على الجواز فكذا هذا
والاصل بان الطلاق بالبدل بينها وهو لو لم يملك البينونة مطلقا لم يملكه بما شرط فثبت انه يملك واصله انه
بالطلاق ويصرف اليها ما ملك عليها بالعقد فانتفعت بازاء ما بذلت لذلك سلم للزوج ما اخذ والله اعلم قال ويكره
اخذ الزيادة بما فيه رفع النكاح فيصير اخذ ما يأخذ بالذي اعطى فيما يفضل عليه ليس بازائه بدل وبذلك وصف الربوا
والله اعلم ثم اختلف في قوله الا ان يخافا قيل علما يعني الرجل والمرأة وقيل علم الحكام ان لا يقيما حدود الله وعلى ذلك
فان خفتم ان لا يقيما حدود الله قيل علمتم وقيل الخوف هو الخوف فكانه اقرب لان العلم يكون فيما مضى من الحال انهما اقاما
حدودا ولم يقيما واما الخوف في حادث الوقت امكن لانه لا يعلم باليقين لذلك كان ما ذكرنا وهو كقوله اني اخاف ان
عصيت ربي عذاب يوم عظيم وقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به اختلف فيه قال بعضهم اراد بقوله عليهما
عليه خاصة وهذا جائز في اللغة اضافة الشيء الى الاثنين والمراد واحد منهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما
يخرج من احدهما ومثله كثير وقال آخرون اريدا جميعا المرأة بالفداء والزوج بالاخذ لان الزوج نهي عن اخذ شيء مما آتاها
بقوله ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ثم اباح ورفع منه بالاخذ على الشرط وقيل اراد بذلك الزوج خاصة وهو
ما ذكرنا والله اعلم وقوله تلك حدود الله فلا تعتدوها قيل اذا لم يفهم بحد من حدود الله تعالى ما يفهم من حد الخلق كيف
فهم من استواء الرب ومجيئه من قوله استوى على العرش وجاء ربك ما فهم من استواء الخلق ومجيئهم والاستواء
والمجيء في احتمال المعاني ان ينفى عنه التشبيه اكثر من احتمال الحدود في الشاهد فاذا لم يفهم من هذا ذاك لم يجز ان يفهم من
الاول لما فهموا وقد قال ليس كمثله شيء وقوله حدود الله قيل احكام الله وسنته وقيل دينه وهو واحد وقوله ومن
يتعد حدود الله يحتمل وجهين يحتمل يتعدى حدود الله مستحلا بها فيكفر بتعديه ذلك فهو ظالم كافر ويحتمل يتعدى تجاوز ما امر الله
وما نهاه عنه غير مستحل لها فهو ظالم نفسه غير كافر وقوله فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره هذه الآية
رجعت الى الاول قوله الطلاق مرتان فان طلقها بعد التطليقتين تطليقة اخرى فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وقوله
الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قبل التطليقة الثالثة وعلى ذلك جاء الخبر وهو واحد عندنا يدل عليه
ايضا قوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره يحتمل عقد النكاح خاصة دون الجماع من الثاني اذ ليس في الآية ذكر الدخول بها واما
عندنا فهو على فعل الجماع في النكاح الثاني يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام لا حتى تذوق من عسيلته ويذوق من عسيلتها
فيكون النكاح مضمرا وهو اولى لان الآية في عقوبة الاول ولا يشتد عليه النكاح حتى يتصل به الوطء وفيه دلالة على كراهة
التطليقة الثالثة انه لا تحل له بعدها الا بعد دخول زوج آخر بها وذلك مما ينفر عنه الطبع ويكرهه وقوله فلا جناح
عليهما ان يتراجعا فيه دليل على ان في التراجع ايجاب عقد بهما جميعا فدل على قطع رجعته الثاني الحل للزوج الاول و
ذلك ان لا رجعة فيه لغيره وقوله وبعولتهن احق بردهن اضاف الرد الى الازواج فدل انهم ينفردون بردهن ثم
ذكر الكتاب لا يحل له حتى ينكح زوجا غيره جعل سبب الحل على الزوج الاول نكاح الثاني لم يجز ان ينهى عنه وقد جعل هو سبب
رفع الحرمة اذ في هذا في احكام الله تعالى لا يوجد ولا يستقيم وهو كالوضوء فيما جعل سببا لاقامة الصلوة لم يجز ان يجعل
سببا لها ثم يكره الاقدام عليه وينهى عنه وكالتحريم اذ جعل سببا للدخول بها في الصلوة لم يجز النهي عنها وبها قوامها كذا
هذا لما جعل سببا لدفع الحرمة بل لا يجوز ان ينهى عنه ثم فيه دلالة جواز نكاح المحلل فان سألنا عن قوله لعن الله المحلل
والمحلل له قيل لحوق اللعن لاجل النكاح على قصد الفراق والطلاق ليس لاجل التحليل على الاول ودفع الحرمة عنه دليله
قوله عليه الصلوة والسلام ان الله لا يحب كل ذواق مطلاق وذلك لقصده الفراق بالنكاح اذ النكاح بني في الاصل
على البقاء والدوام عليه وفيه التعفف وفي الطلاق زوال ما به يقصد فلهذا لحقه ما لحقه من اللعن ثم المحلل له لما طلب
بنكاح الزوج الثاني ما ينفر عنه الطباع ويكرهه من عوده اليه بعد مضاجعة غيره اياها واستمتاعه بها منع لهذا المعنى عن
ايقاع الثالثة لكن اذا تفكر حرمتها عليه الا بنكاح آخر انزجر عن ذلك ثم العقد نفسه لا ينفر عنه الطباع ولا يكرهه ثبت
ان الدخول شرط فيه ليكون زجرا ومنعا عن ارتكابه وقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا يخرج على الترخيص وذلك
والله اعلم ان الطلاق يحرمها عليه ويبينها منه كما تحرم عليه هي بانواع الحرم فاخبر عز وجل واباح له النكاح بعد وقوع

رفع الحرج من اخذ ما فدى معطي المرأة به لا من بعضها منه

لحرية ان هذه الحرمة ليست كغيرها من الحرمة التي لا ترفع ابدا والله اعلم وقوله واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن
بمعروف او سرحوهن بمعروف وقال وبعولتهن احق بردهن ذكر في الاية الاولى الامساك والامساك المعروف هو امساك
على ما كان من الملك وذكر في الاية الاخيرة الرد والرد لا يكون الا بعد الخروج من الملك هذا هو الظاهر في الاية لكن بعض اهل العلم يقولون
انه يمسكها على الملك الاول ويردها من الحرمة الى الحل لان من مذهبهم ان الطلاق يوجب الحرمة ولا يخرجها من ملكه وهذا جائز
تحرم المرأة على زوجها وهي بعد في ملكه فاذا كان كذلك فامر بالامساك على الملك الاول وبالرد من الحرمة الى الحل وهو قول اهل المدينة
اي يردها من العدة الى ما لا عدة ويمسكها بلا عدة واما عندنا فهو واحد يحدث الامساك دليله قوله ولا تمسكوهن ضرارا ولو
لم يكن الامساك سوى القصد اليها لكان لم يكن بالقصد اليها مضرا وهو فيما امر بالامساك بالمعروف فيه وجهان احدهما ان
يمسكها من قبل من مراعاة الحقوق ومحافظة الحدود ويحتمل ما قيل ان لا يطول عليها العدة على ما ذكر في القصة من تطويل العدة
عليها وفيه نزلت الاية وفيه دلالة ان الزوج يملك جعل الطلاق باينا بعدما وقع رجعيا لانه يصير باينا بترك المراجعة فعلى ذلك
يملك الحاق الصفة من بعد وقوعه فيصير باينا والله اعلم وقوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا قال الشيخ رحمه الله الاصل عندنا في
المناهي انها لا تدل على فساد الفعل ولا تستدل بالنهي على الفساد كقوله ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وعلى ذلك قوله ولا
تمسكوهن ضرارا لتعتدوا انه يصير ممسكا لها وان كان فيه ضرار لها وهكذا هذا في كل ما يشبه هذا من قوله ومن لم يستطع منكم
طولا انه اذن بالفعل في حال فهو وان اوجب نهيا في الفعل فذلك لا يدل على الفساد في حال اخرى وقوله ولا تتخذوا ايات الله هزوا معناه
والله اعلم اي لا تعملوا بايات الله عمل من يخرج فعله بها مخرج فعل الهازئ لانه معقول ان اهل الايمان والتوحيد لا يتخذون ايات الله
هزوا ولا يقصدون الى ذلك وقيل انهم في الجاهلية كانوا يلعبون بالطلاق والعتاق ويمسكونهم بعد الطلاق والعتاق على ما كانوا
يكون قبل الطلاق وقبل العتاق فنهوا عن ذلك بعد الاسلام والتوحيد ثم اختلف في ايات الله قيل حجج الله وقيل احكام الله
ويحتمل ايات الله الايات المعروفة وقوله واذكروا نعمة الله عليكم يحتمل وجوها يحتمل النعمة ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو من
اعظم النعم ويحتمل النعمة الاسلام وشرايعه ويحتمل النعمة التي انعمها على خلقه جملة النعمة على ثلاثة اوجه النعمة بالاسلام يقتضي منه
المحافظة ونعمة الخاص يقتضي الشكر والنعم جملة يقتضي منه التوحيد وقوله تعالى وما انزل عليكم من الكتاب وهو القران ففيه دلالة
ان الكتاب هو منزل ليس كما يقول القرامطة لانهم يقولون بان محمدا صلى الله عليه وسلم الف القران وانما كان يوحى اليه
كما يتوهم الرجل شيئا فيجعله كلاما وقوله والحكمة اختلف فيه قيل الفقه وقيل الحلال والحرام وقيل الحكمة هي الاصابة اصابة
موضع كل شيء منه وقيل الحكمة المواعظ وقيل الحكمة القران وهو من الاحكام والاتقان كانه قال عز وجل اذكروا ما اعطاكم
من الفقه والاصابة والكتاب المحكم والمتقن الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقوله يعظكم به قيل بالقران واتقوا
الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم فيه تخويف وتحذير ليعلموا ان كل شيء في علمه وانه لا يعزب عنه شيء وبالله العصمة وقوله واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف اختلف في تاويله قال قايلون فيه
فساد النكاح دون الاولياء واحتجوا بان قالوا قال الله تعالى ولا تعضلوهن ولا ينهى عن القول من غير ان يملك القول فيما لا يملك
ضار لعضلها به فثبت انه عامل وان له فيه حقا الى ان نهوا ثبت ان قوله لا تعضل منع اذ لو يجعل منعا لم يكن صار به وقال اخرون فيه
دليل جواز نكاحهن دون الاولياء لانه تعالى قال ينكحن واسندوا بان النكاح على وجود العضل يجوز ولو كان العضل سبب
المنع في الجواز لم يحتمل جوازه اذا فات وفيه ان العضل اذا لم يكن جاز للنساء تولي النكاح واحتجوا ايضا بما امنا في النكاح اليهن
بقوله ان ينكحن ازواجهن وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف واضاف الانكاح الى الاولياء على ارادة
ادخال الصغار والثاني على وجوب الحق لهن عليهم لان يجبهم عليهن ثم الاصل بان كل نكاح اريد بالذكر الصغار واضيف
الانكاح الى الاولياء كقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين وقوله ولا تنكحوا المشركات ولا تنكحوا المشركين معا احتمل دخول
البالغين في هذا دليله قوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به والفدية لا تصح من الصغار وقوله ان يتراجعا ان ظنا ان
يقيما حدود الله والصغار لا يخاطبن باقامة حدود الله وقوله فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وان كان متاخرا
في الذكر فهذا قبل ان وقع الانكاح بالاضافة في الصغار الى الاولياء وفي الكبار اليهن ثم ذكر الكفاءة والمهر وجرى اضافته
الى الاولياء لذلك كان لهم التعرض في فسخه ثم قوله اذا تراضوا بينهم بالمعروف راجع ذلك المهر لان التراضي فعل اثنين والمهر
يعرف بهما لان القصة في امرأة بعينها وكانت ظهرت كفاءة زوجها وقال في الكفاءة لا جناح عليكم فيما فعلن ووجود
الكفاءة انما تكون من احد الجانبين فذكر ذلك منبها الى الاولياء لم يجدوهم والاصل في مسئلة النكاح ان الحق في النكاح لها
على الولي لا للولي عليها دليله ما يزوج على الولي اذا عدم ويجبر عليه اذا وجد وزوج عليه اذا ابى وهي لا تجبر بارادة الولي اذا ابت
فبان ان الحق لها قبله ومن ترك حق نفسه في عقد له قبل اخر لم يوجب ذلك فساده والله اعلم وقوله فلا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن فيه دليل على ان النهي عن العضل انما كان الازواج كان لهن دليله قوله ازواجهن ولا يسمى الازواج الا بعد النكاح
ويدل ايضا قوله واذا طلقتم النساء ذكر الطلاق فدل انه كان في ازواج كان لهن ويحتمل ان يكون في الابتداء من غير ان كان
ثم نكاح وجايز تسمية الشيء باسم ما يؤول الامر اليه لقرب حالهن بهم واما اهل التفسير باجمعهم قالوا ان الاية نزلت
في اخت معقل بن يسار ان زوجها قد طلقها وانقضت عدتها ثم اراد الزوج ان يتزوجها ثانية ونهوى المرأة ذلك
فيقول الولي لا ازوجها اياه فنزل قوله ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وهو يحتمل المعنى الذي ذكرنا والله اعلم
وقوله ذلك يوعظ به قيل ينهاهم به كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي ينهاكم وقيل يوعظ به اي يؤمر به وقوله ذلكم
ازكى لكم واطهر قيل ومنعهن انفسهن حيث هوين ازكى واطهر لكم من العضل من ذلك ولعل العضل يحملن على الفساد والريبة

ثم النعم داعية الى الشكر ومقتضية له لكن شكر النعم على حسب النعم فالنعم العامة الشاملة لجميع الخلق من الخيوق ولازمة البدن تقتضي من الشكر وهو الايمان بالنعم والتوحيد ثم الثناء والحمد بما يليق بذاته وصفاته واما النعمة الخاصة من زيادة المال والجمال ونحو ذلك فهو فليستعمل الشكر باستعمال ذلك في طاعة الله وتسليم البعض الى المحتاجين من عبادة او لا ذا شرعيا العبادات شكرا واما النعمة الاسلام فشكرها هو الحافظ عليه على ذلك في الثبات عليه والامتناع عن ضده والعزم في الاستقامة على ذلك والله الموفق

وقيل المراجعة خير لكم من الفرقة واطهر لقلوبكم من الريبة وقوله والله يعلم من حب كل واحد منهما صاحبه وانتم لا تعلمون ذلك
ويحتمل قوله والله يعلم فيه صلاحكم وانتم لا تعلمون ذلك وقوله والوالدات يرضعن اولادهن قال بعضهم هن المطلقات
يرضعن اولادهن وهو كقوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن ذكر ههنا الاجور وذكر هناك الرزق والكسوة وهما
واحد وقال اخرون لا ولكن قوله والوالدات يرضعن اولادهن من المنكوحات وقوله فان ارضعن لكم فاتوهن هن المطلقات
دليل ذلك ذكر الاجر في احدهما والرزق والكسوة في الاخرى على ان المنكوحة اذا استوجرت على رضاع ولدها منه لم تستوجب
قبل الزوج والرزق والكسوة فدل هذا على ان ذكر الاجر في المطلقات وذكر الرزق والكسوة في المنكوحات فان قيل ما فايدة
ذكر الرزق والكسوة في المنكوحة في الرضاع وقد تستوجب ذلك في غير الرضاع قيل فايدة ذكر الرزق والكسوة فيه والله اعلم لانها
تحتاج الى فضل طعام وفضل كسوة لمكان الرضاع الا ترى انها ان تفطر لذلك فثبت ان لها فضل حاجة في حال الرضاع ما لا يقع
لها تلك الحاجة في غير حال الرضاع فخرج ذكر الرزق والكسوة فيه والله اعلم لتلك الزيادة والفضل والله اعلم وفي القران
دليل ان مؤنة الرضاع على الاب من اوجه احدها قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى والثاني قوله وعلى المولود له رزقهن
والثالث قوله لمن اراد ان يتم الرضاعة فثبت انه حق على الوالد اذ ذكر فيه ايتاء الاجر وفيه دلالة على ان شرط الطعام والكسوة
للظير يجوز بقوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن غير ان الكسوة لا تجوز الا باعلام الجنس والطعام يجوز لان الظير
لو تكسى كسوة الاهل وتطعم طعامهم فلا بد في الكسوة من اعلام جنسه اذ لا يجوز ان يكون كسوة واحد لها وللاهل ويجوز
في الطعام ذلك لان الكسوة ليست بذي غاية تعرف فاحتيج الى ذكر الجنس ليقع في حد قرب المعرفة والعلم واما الطعام فهو
ذو غاية عند الناس غير متفاوت ولا متفاضل عندهم لذلك جاز هذا ولم يجز الا ان يعلم الجنس فاذا اعلم الجنس فحينئذ
يصير عندهم كالطعام والله اعلم قال الشيخ رحمه الله يدل لجوازه قوله وعلى الوارث مثل ذلك اي والله اعلم مثل ما على المولود له
ويكون ذلك بعد موته لذلك يجوز شرط الكسوة والطعام في الرضاع وقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ليس فيه جعل
الحولين شرطا في الرضاع لوجوه احدها قوله لمن اراد ان يتم الرضاعة فلو لم يحتمل الزيادة والنقصان لم يكن لقوله لمن اراد معنى
والثاني الارادة والقدرة ربما يذكر على غير ارادة وقدرة في الحقيقة ولكن على ارادة حقيقة الفعل دليله قوله صلى الله عليه
وسلم من اراد الحج فليفعل كذا ومن استطاع ان يفعل كذا فليفعل ليس ذلك على ارادة القدرة والارادة ولكن هذا والله
اعلم على معنى من فعل كذا فليفعل كذا فكذلك الاول ليس على حقيقة الارادة ولكن تذكر ذلك لما لم يكن الفعل الا بقدرة وارادة
والله اعلم والثالث لا يخلو الحولين من ان يقدر بالاهلة فقد ينتقص من سنتين او ان يقدر بالايام فقد يزداد على المعروف من
من الوقت فثبت بانه بحيث الاحتمال لما ذكرنا اذ يحتمل لمن اراد ان يزيد حتى يتم او لمن اراد ان يقتصر على التمام على ان الاية ليست
في حق الحرمة لكنها في حق الفعل اذ قد يجب الحرمة لا بحولين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في تاويل قوله وحمله وفصاله ثلثون
شهرا وفصاله في عامين قال ان كان الحمل ستة اشهر ففصاله في عامين وان كان تسعة اشهر فيقدر الباقي فدل هذا الى ان
الحولين ليس بشرط في الفطام ولا وقت له لا يجوز الزيادة عليه ولا النقصان والله اعلم وقوله وعلى المولود له رزقهن
قد ذكرنا انه قيل بوجهين قيل انه في المنكوحة وقد دللنا على انه في المنكوحة والله اعلم وقوله لا تكلف نفس الا وسعها
قال قوم قوله الا وسعها الا ما يسع ويحل لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان بالامر يحل ويسع فكان كانه قال لا تكلف الا ما يحل
وذلك لا يكون وقال قوم قوله الا وسعها يعني طاقتها وقدرتها وهذا اشبه ومعناه لا يكلف الزوج بالانفاق عليها
والكسوة الا ما يحتمل ملكه وان كانت حاجتهم تفضل عما يحتمله ملكه لم يفرض عليه الا ما احتمله ملكه والله اعلم كقوله لا يكلف
الله نفسا الا ما اتاها ثم اختلف في تحريم الرضاع في حال الكبر قال قوم يحرم ورووا في ذلك احاديث وقال اصحابنا رحمهم الله
لا يحرم ذهبوا في ذلك الى اثار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عليه السلام سئل عن الرضاع فقال ما انبت اللحم و
انشر العظم وفي بعضها الرضاع وفي بعض عنه لا رضاع بعد الفصال وروي عن علي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله عنهم
انهما قالا لا رضاع بعد الحولين وعن علي وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا لا رضاع بعد الفطام او الفصال الشك منا وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاخبار انه دخل على عايشة رضي الله عنها فراى معها رجلا فرات عايشة رضي الله عنها
الكراهة في وجهه فقالت انه اخي من الرضاعة او عمي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انظرن ما الرضاعة انما الرضاعة
من المجاعة وروي عن ابي موسى الاشعري ان رجلا قال له ان امرأتي رضعتني اتحرم علي فقال نعم فبلغ ذلك ابن مسعود رضي الله
عنه فاتاه فقال انت تفتي بكذا فقال كذبت او كلام نحو هذا انما الرضاعة من المجاعة الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله
في نفي تحريم الرضاع بعد الفطام وبعد الكبر واصله ان ينظر فان كان غذاؤه باللبن او اغلب غذائه فهو يحرم واذا كانت
بالطعام او غالب غذائه فهو لا يحرم واصله ما ذكر في الخبر ما انبت اللحم وانشر العظام فهو يحرم فاذا كان غذاؤه بالطعام
سوى اللبن فالطعام هو الذي ينبت اللحم وينشر العظم فلم يحرم ثم الاصل بان كل مذكور على الكمال والتمام لا يمتنع عن احتمال
الزيادة والنقصان دليله قوله صلى الله عليه وسلم من ادرك جمع اسم المزدلفة عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه وقوله اذا فعلت
هذا فقد تمت حجته وقوله اذا فعلت هذا فقد تمت صلوتك وصفهما بالتمام والحرمة باقية ثم قدر ابو حنيفة رضي الله عنه
الزيادة بستة اشهر ذهب في ذلك الى ان الفطام ربما يعترض في حال وهو حال الحر والبرد ما لو منع الرضاع منه لاورث هلاك
الصبي وتلفه لما لم يعود بغيره من الطعام ففيه خوف هلاكه فاذا كان فيه خوف هلاكه لما ذكرنا استحسن ابو حنيفة رضي الله
عنه ابقاءها بعد الحولين لستة اشهر اذ على هذين الحالين يدور السنة والله اعلم وقال زفر بزيادة سنة ذهب في ذلك الى انه لما جاز
ان يزاد بالاجتهاد على حولين اشهر جاز ان يزاد بالاجتهاد على الحولين لسنة قال الشيخ رحمه الله وعلى ما زيد على المذكور من الحبل

مثل اقل وقت الرضاع يزاد على المذكور من الرضاع مثل اقل الحبل ولما احتمل الاقل الانتقال الى الوسط يحتمل الوسط الانتقال الى الاكثر وذلك في قوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقوله لا تضار والدة بولدها يحتمل وجهين لا تضار الوالدة في ترك الانفاق عليها ويحتمل لا تضار والدة بولدها في انتزاع الولد منها وهي تريد امساكه وقوله ولا مولود له بولده كذلك يحتمل وجهين لا تضار الوالد بولده في ردها الولد عليه ورميه اليه بعدما الف الولد الام ويحتمل لا تضار الوالدة في تحميل فضل النفقة عليه وتكلفه لا يحتمل ذلك بل انما يحمل عليه ما احتمله ملكه وقوله ولا مولود له بولده فيه دليل انه انما يسمى والدا على المجاز ليس على التحقيق لانه لم يلده هو وانما ولد له فثبت ان الرجل يستحق اسم الفعل بفعل غيره وكل معمول له يستحق اسم الفاعل وان لم يعمل هو نحو ما سمي والدا وان لم يلده هو وانما ولد له فيه دلالة ان من حلف لا يعتق ولا يطلق فامر غيره ففعل حنث كانه هو الفاعل والله اعلم وقوله وعلى الوارث مثل ذلك اختلف في تاويله قال بعضهم هو معطوف على قوله لا تضار والدة بولدها معناه ان لا تضار الوارث ايضا باليتيم وقال اخرون هو معطوف على الكل على النفقة والكسوة والمضارة وقال غيرهم هو راجع الى النفقة والكسوة دون المضارة وهو قولنا لوجهين احدهما ان نسق الكلام انما هو على قوله وعلى المولود له رزقهن فنسق على حرف على واولى من نسقه على حرف لا ينبغي ان حمل على قوله لا تضار لكان ما يراد به من الكلام انما هو الوارث مثل ذلك والثاني انه لو حمل على الاضرار من الوارث بالولد في الميراث لقال وعلى المورث بحق الميراث فلا ضرر يقع الانفاق فثبت ان حمله عليه احق ثم في قوله وعلى الوارث قال بعضهم اراد بالوارث الوالد والام والجد ولا يدخل ذو الرحم المحرم فيه ذهبوا في ذلك الى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ذلك واما اصحابنا رحمهم الله ذهبوا الى ما روي عن عمر رضي الله عنه انه اوجب النفقة على العم وقال لو لم يبق من العشيرة الا واحد لاوجب عليه هم النفقة وروي ايضا عن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قال في قوله وعلى الوارث مثل ذلك النفقة على كل ذي الرحم المحرم على قدر مواريثهم فاتبعنا الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك وفي الكتاب دليل وجوب النفقة على المحارم قوله لا جناح عليكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم الى قوله او صديقكم فانما ياكل بحق لا بالرضا الا ترى انه ياكل من بيت الاجنبي اذا بذل ورضي فلو لم يكن اكله من بيت هؤلاء بحق لم يكن للتخصيص فائدة فان عورض بالصديق انه لا يفرض عليه لا نقطعت الصداقة بينهما ثم لقائل ان يقول كيف لا اوجبت النفقة على كل وارث على ظاهر الاية قيل الاية مخصوصة بالاتفاق لان المراة وارثة ولا تفرض عليها نفقة الزوج دل انه اراد وارثا دون وارث وهو الوارث من الرحم المحرم والله اعلم وقوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما قيل فان اراد الابوان فصال الصبي وفطامه بدون الحولين ليس لهما الا بتراضيهما جميعا واتفاقهما على ذلك واما بعد تمام الحولين فانه اذا اراد احدهما واما الفصال قبل الحولين فصال على غير تمام ذكره الكتاب فلا يفصل الا باجتماعهما واتفاقهما على ذلك وما بعد الحولين هو على تمام النص فجاز ذلك لاي واحد منهما وما قبله لا يجوز الا لرايهما جميعا واصله انه بالحولين قد ظهر التمام والكفاية ثم بالنص وما دونه نعلم بالاجتهاد وصد التنازع يزول لموضع بيان الصواب فبرالي الحد المذكور معا في القران للتمام ذكر ارادة الفرد والفصل التشاور والله اعلم ثم ان الزوجين يحكمان على انفسهما برضاع ولدهما لذلك يحتج الى نظر غيرهما ولا الى راي اخر لانه لا يجوز ان بعدم شفقتهما جميعا عن ولدهما واما اذا كان الحكم لغيرهما او على غيرهما فلا بد من ان يحكم غيره دليله قوله يحكم به ذوا عدل منكم وكقوله فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فهذا الحكم على غيرهما [illegible] على انفسهما وينظران لولدهما لذلك افترقا والله اعلم والجناح هو الحرج واحده وهو الضيق ومعناه انه لا ضيق ولا تبعة عليهما [illegible] اراد فطامه بدون الحولين وقوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم فيه دلالة جواز الرضاع بعد الحولين [illegible] لانه ذكر في قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما بدون الحولين اذ ذكر الرضاع في الحولين بقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة وذكر الفصال بدون الحولين بقوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما فقيل قوله وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم بعد الحولين وهذا يدل لابي حنيفة رضي الله عنه ويقوي مذهبه ويحتمل ان يكون الاية في جواز استرضاع غير الامهات اذا ابت الام رضاعه وهو كقوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وقوله اذا سلمتم [illegible] الاجر [illegible] ما اتيتم اي قبلتم ليس هو على الاداء ولكن على القبول دليل ذلك قوله فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم فحمل ذلك على القبول [illegible] هو الاعطاء والعطية [illegible] والله اعلم واتقوا الله فيما امركم من الانفاق والكسوة وبما كم من اضرار احدهما صاحبه وقوله واعلموا ان الله بما تعملون بصير هو وعيد على كل [illegible] وقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا قيل هي ناسخة لقوله متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم [illegible] لانها وان كانت مقدمة في الذكر فهي مؤخرة فاربعة اشهر وعشرا ناسخة لتلك الى هذا يذهب عامة اهل التاويل الا ترى [illegible] امراة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] كانت تجلس حولا في منزلها ثم تخرج عند راس الحول فترمي ببعرة [illegible] الامر بنسخ بالثاني وقال الاخرون [illegible] ثابت في الاية متاعا وصية [illegible] ثم ورد النسخ على كل وصية كانت للوارث بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والكائن الاعتداد الواجب اللازم هو اربعة اشهر وعشرا وامكن ان يستدل بقوله فان خرجن [illegible] الاخراج دون الخروج وهذا اصل في الوصايا بالمتاع [illegible] بحق الميراث لا بحق الوصية والله الموفق [illegible] الوصية وامكن الاستدلال بالاية على [illegible] الوقات بالحبل ان ثبت ما روي انه يكون

اربعين يوما نطفة واربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح في العشر فاذا كان ما ذكرنا امرت بتربص اربعة اشهر وعشر ليتبين الحبل ان كان بها واذا كان بهذا المعنى المدة فاذا ولدت بدونه انقضت العدة والله اعلم فان قيل الامة اليس لا تختلف الحرة في تبيين الحبل ثم لم يجعل عدتها اربعة اشهر وعشرا فاذا لم يجعل ذلك كيف لا بان ان الامر بتربص اربعة اشهر وعشرا لا لهذا المعنى قيل لوجهين احدهما ان الحرائر هن الاصول في النكاح وفيهن تجري الانكحة فتخرج الخطاب لهن والثاني انها حق اخذت الحرة والحقوق التي تاخذ الحرائر من زايد الاصول في النكاح اذا صرف ذلك الى الاماء اخذ نصف ما تاخذ نصف ما تاخذ الحرائر والثالث انه لا يقصد احبالهن لما فيه رق الولد واكتساب الذل والدناءة وروي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه انه قال تعتد ابعد الاجلين احتياطا ذهب في ذلك الى ان الاعتداد بوضع في الطلاق وذكر في الوفاة فيحتمل ان يكون ذلك في الوفاة كهو في الطلاق ويحتمل ان لا يكون فامر بذلك احتياطا واما عندنا ما روي عن عمر وعبد الله وابن عباس رضي الله عنهم انهم قالوا اذا وضعت ما في بطنها وزوجها على السرير انقضت عدتها وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امراة مات عنها زوجها وكانت حاملا فوضعت بعد ذلك بايام فاذن لها بالنكاح ثم الامر بالاحداد اربعة اشهر وعشرا لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاثة ايام الا المراة على زوجها فانها تحد اربعة اشهر وعشرا فان قيل اليس وجب ذلك على المطلقة والخبر انما جاء في الموت وهو فوت النعمة في الذي وذلك الفوت في الطلاق كهو في الموت الا ترى انه لم يجب ذلك في موت ابيها ولا في موت ولدها دل انه لم يجب للموت نفسه ولكن كفوت النعمة في الدين الا ترى انه روي في الخبر ان المراة الصالحة مفتاح الجنة فامرت باظهار الحزن على ما فات منها من النعمة بترك الزينة والتشوق اذ النكاح نعمة ثم الدخول بها سواء في وجوب المهر والعدة وترك الزينة واظهار الحزن على فوت النعمة واما المطلقة قبل الدخول بها لم يلزم ذلك لان العدة لم تلزمها فيتجدد لها النعمة لما لها ان تنكح للحال فتكتسب نعمة والله اعلم الا ترى ان الصبي الصغير اذا مات من امراته يلزمها اربعة اشهر وعشرا دل على ان وجوبها لفوت النعمة والله اعلم وقوله فيما فعلن في انفسهن في الاكفاء بمهر مثلهن قد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله لا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء قيل التعريض هو ان يرى من نفسه الرغبة فيما يكني به من الكلام على ما ذكر في الخبر ان فاطمة بنت قيس لما استشارت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا انقضت عدتك فاذنيني فاستاذنته في رجلين كانا خطباها فقال لها اما فلان فلان فلانه لا يرفع العصا عن عاتقك واما فلان صعلوك لا شيء له فعليك باسامة بن زيد فكان قوله فاذنيني كناية خطاب لعلي انه اشار على اسامة دون ما ذكره اهل التاويل انك لجميلة وانك لتعجبيني وما اجاوز الى غيرك او انك لنافعة مثل هذا لا يحل ان يشافه لامراة اجنبية لا يحل له نكاحها وفي الاية دلالة ان لا باس للمتوفى عنها زوجها الخروج بالنهار هذا لا يحل ان يشافه لامراة اجنبية لا يحل له نكاحها لما ذكر من التعريض لان الرجل لا ياتيها منزلها فيعرض لها ولكن المراة قد تخرج من منزلها فتصير فكان احتمال التعريض فقصد ذلك يقول لها ما ذكرنا وعلى ذلك جاءت الاثار روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امراة مات زوجها فاتته فاستاذنته للاكتحال لم يات انه نهاها من الخروج واما روي عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما انه بالاذن لهن بالخروج بالنهار والنهي عن البيتوتة في غير منازلهن ولان المتوفى عنها زوجها مؤنتها على نفسها فلا بد لها من الخروج واما المطلقة فان مؤنتها على زوجها والزوج هو الذي يكفي مؤنتها ويزيح علتها لذلك افترقا والله اعلم ثم التعريض لا يجوز في المطلقة لوجهين احدهما ما ذكرنا ان لا يباح لها الخروج من منزلها ليلا ونهارا والمتوفى عنها زوجها يباح لها الخروج وانما ذكر الله سبحانه التعريض في المتوفى عنها زوجها لم يذكره في المطلقة والثاني ان في تعريض المطلقة اكتساب عداوة وبغض فيما بينه وبين زوجها اذ العدة من حقه دليله انه اذا لم يدخل بها لم يلزمها العدة واما المتوفى عنها زوجها لزمتها العدة وان لم يدخل بها لذلك يجوز التعريض في المتوفى عنها زوجها في المطلقة قال الشيخ رحمه الله ولان زوجها في الطلاق حي يعلم ما يحدث بينهما الضغن والكروه في الحال وليس ذلك في الوفاة وقوله او اكننتم في انفسكم يعني اخفيتم تزوجها في السر علم الله انكم ستذكرونهن سرا وعلانية وقيل يعني الخطبة في العدة وقوله ولكن لا تواعدوهن سرا قيل فيه باوجه قيل لا يقاء خذ واتخذ عهدا ان لا يتزوجن غيركم وقيل لا تواعدوهن سرا يعني الزنا والسر الزنا في اللغة وقيل السر الجماع تقول انك لاربعة والخمسة ونحوه ثم قال الا ان تقولوا قولا معروفا يقول لها قولا لا يكون فاحشا ولا يقول لها قولا يحملها على الزنا وعلى ما يظهر من نفسها الرغبة فيه على ما ذكر في الاية فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وان يعدلها عدة حسنة او ان يريد يحسن اليها الترغيب فيه ولا يقول لها ما لا يحل ولا يجوز والله اعلم وقوله ولا تعزموا عقدة النكاح قيل هو على الاضمار كانه قال لا تعزموا على عقدة النكاح وقيل لا تعزموا لا تعقدوا النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله يعني بالكتاب ما كتب عليها من العدة حتى تنقضي وذلك فيه دليل حرمتها على الازواج لبقية الملك فالخطاب للاجنبيين لا للازواج اذ للازواج الاقدام على النكاح وان كن في عدة منهم قال الشيخ رضي الله عنه في قوله ولا تعزموا عقدة النكاح حمل على التحريم وان احتمل الذي هو بهذا المخرج غير التحريم لاتفاق الامة على صرف المراد اليه ولقوله حتى يبلغ الكتاب اجله اي ما كتب عليها من التربص ولما كان النهي من ذلك بما لزمها العدة للزوج الاول باقية بها على ما سبق من النكاح المحرم لها على غيره فلذلك تبقى الحرمة ولهذا جاز لمن له العدة للزوج الاول فهي باقية بها النكاح فيها اذ لا يجوز ان يمنع حقه والله اعلم وقوله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وهو حرف وعيد اي يعلم ما تضمرون في القلوب وتظهرون باللسان من التعريض فاحذروه ولا تخالفوا امره ونهيه واعلموا ان الله غفور حليم فيه

اطلاع المفترع وامهال العقوبة من ارتكب النهي وخالف امره والله اعلم واعلموا الآية حذره عليه بما في انفسهم ليكونوا مراقبين له فيما اسروا وليعلموا انهم مؤاخذون بما اضمروا من المعاصي والخلاف وان الذي لا يواخذ به العبد هو الخطر بالبال لا بالعزم عليه والاعتقاد ثم اخبر انه غفور رحيم ليعلموا ان استتار ذلك بما عفوه وانهم قد استوجبوا بفعلهم الخزي لكن الله بفضله ستره عليهم ليشكروا عظيم نعمه او لئلا ييأسوا من رحمته فيستغفروه وذكر حلمه لئلا يغتروا بما لم يواخذوا الجزاء ما اضمروا في ذلك الوقت فيظنون الغفلة منهم كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقوله تعالى لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن فيه دليل رخصة طلاق غير المدخولات بهن في الاوقات كلها اذ لا يتكلم بنفي الجناح الا في موضع الرخصة ولم يخص وقتا دون وقت واما المدخولات بهن فانه عز وجل ذكر لطلاقهن وقتا بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن لذلك قال اصحابنا رحمهم الله ان لا باس للرجل ان يطلق امرأته في حال الحيض اذا كان لم يدخل بها ووجهه انه اذا كان دخل بها تعرف وقت طهرها مما سبق من الدخول بها فامر بالطلاق في ذلك الوقت ليكون ادعى الى المراجعة اذا ندم على طلاقها واما التي لم يدخل بها لا يعرف وقت طهرها لما لم يسبق منه ما به ذلك الوقت فلم يامر بحفظ ذلك الوقت ولانه اذا لم يدخل بها فان الطلاق بينهما منه فجعل كل الاوقات له وقتا للطلاق ما لم يجعل له حق المراجعة قبلها ليكون بعض الاوقات له ادعى الى ذلك والله اعلم والثاني ان المدخول بها يتوهم علوقها منه فجعل لطلاقها وقت ليستبين حالها احامل ام لا لئلا يندم على طلاقها لان الرجل اذا طلق امرأته ثم علم انها حامل يندم على طلاقها لذلك كان الجواب ما ذكروا والله اعلم وفيه دليل رخصة طلاق المبين منه اذا لم يملك امساكها عند الندامة لان الطلاق قبل الدخول تبين المرأة من زوجها والاصل في الامرين جعل الطلاق ووقت حلها للازواج وكل الاوقات في غير المدخول بها وقت الحل وقوله تعالى او تفرضوا لهن فريضة معناه ولم تفرضوا لهن فريضة كانه عطف على قوله تعالى لا جناح عليكم الى قوله عز وجل ما لم تمسوهن دليله قوله تعالى ومتعوهن دل الامر بالمتعة ان قوله تعالى او تفرضوا لهن معناه ولم تفرضوا لهن ودل قوله عز وجل فنصف ما فرضتم ان ذلك في غير المفروض لها حيث اوجب في المفروض نصف المفروض واوجب ثم المتعة ثم يجيء في القياس ان يوجب في غير المفروض نصف مهر المثل لا المتعة لانه اذا دخل بها اوجب كل المفروض عند الدخول بها ونصف المفروض عند عدم الدخول بها لكن اوجب المتعة لوجهين احدهما ان مهر المثل انما يقدر بها ان ادخل بها فاذا لم يدخل بها لم يعرف الزوج ما قدر مهر مثلها فاذا لم يعرف ما قدر مهر مثلها لم يعرف التنصيف من ذلك والثاني انهم اوجبوا المتعة تخفيفا وتيسيرا لان الحاكم يلحقه فضل كلفة وعناء في تعرف حالها وحال نسائها اذ مهر المثل انما يعتبر بنسائها وليس ذلك في المتعة والله اعلم ثم قدر المتعة يعتبر شأنه اعتبارا بقدرها لانه لو اعتبر شأنها قدر ما اوجب لها غناها وغناء اهلها ومهر المثل لا يبلغ ذلك فكان في ذلك تفضيل المتعة على مهر المثل وقد ذكرنا ان المتعة اوجب تخفيفا ولو نظر الى قدرها دون قدره لكلف الزوج ما لا طاقة له به ولا وسع لذلك وجب النظر الى قدره اعتبارا بقدرها والله اعلم وقوله تعالى ام او تفرضوا لهن فريضة او نسق على قوله ما لم تمسوهن فهو على ما تفرضوا لهن فريضة وعلى ذلك قوله اذا نكحتم المؤمنات الآية وعلى هذا اجمع القول في جواز النكاح بغير تسمية وفي ذلك دليل ان قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم محصنين الآية هو ما يبتغى من النكاح بالمال لا بتسمية المال ليكون النكاح موجبا له به يوصل الى حق الاستمتاع لا بالتسمية ولهذا كان لها حق حبس نفسها عنه حتى يسلم اليها ما منع عن الملك الا بمهر به مسمى او غير مسمى كقوله تعالى والمحصنات من المؤمنات الى قوله عز وجل اذا آتيتموهن وقوله تعالى انا احللنا لك ازواجك الآية واذا جاز النكاح بلا تسمية لم يفسده فساد التسمية بل الذي افسد في اعلى احوال الكتابة لم يكن وعلى ذلك اتفاق فيما يتزوج المرأة على ما لا يحل من خمر وميتة او نحو ذلك ان يجوز فيكون في ذلك امران احدهما ان ما ما لا يتعلق جوازه بالشرط ففساد الشرط لا يفسده والثاني ان تبين موضع النهي عن الشغار انه غير مفيد العقل لانه في جعل ذلك بدلا للبضع والله لم يجعل التسمية شرط الجواز ليفسد لفسادها والله اعلم ثم جعل الطلاق قبل المماسة سببا لاسقاط بعض ما اوجب العقد فهو والله اعلم لما يوصل اليه كان ما لم تقصد النكاح اذ هو مجعول للتعفف وحقيقة في امكان الاجماع لا بالعقد ولولا ذلك لما جعل النكاح ولم يبطل كل المهر لما تقلب في الملك الذي له البدل اذ هو في الحقيقة للملك لا للاستمتاع دليل ذلك ما لا يزداد بكثرة الاستمتاع فثبت انه بدل الملك فالتقلب فيه اذ ليس هو سبب لنسخ السبب الموجب للملك الذي له وجب البدل بل هو تقلبت فيه لم يدفع عنه البدل كله والله اعلم فاوجب عز وجل نصف المهر واسقط نصفه بما نقد احد القصدين ووجد الآخر والله اعلم ثم ان لم تكن التسمية جعل الله تبارك وتعالى المتعة مقابله نصف المسمى عند التسمية وان كان لو تركنا والتدبير بعد بيان بعد بيان الواجب فيما لهم لكن مهر المثل نحو وجوب المسمى فيما سمى لكان الذي يغلب على الوهم انا لا ندرك لا تدبيرنا غير نصف مهر المثل فتولى الله سبحانه بيان ذلك ليعلم الناس والله اعلم ان الله بين كل ما بالخلق اليه حاجة على قدر ما يحتمل وسعهم ويبلغه عقولهم وان الذي لا يحيط به تدبرهم بين لهم بالاشارة اليه تفضلا منه على عباده ليؤلف بينهم ويمنعهم عن التنازع والله اعلم ثم لم يبين لنا ماهية المتعة بالاشارة اليه ومعلوم ان قدر الذي يتبين فيما علم قصور التدبير عن الاحاطة به درك ذلك النوع من الحكمة فيما لم يتبين فهو والله اعلم بما علم ان العقول تبلغه وانه بالتدبير فيما يتبين وجه الوصول اليه ولا قوة الا بالله ثم قد بين ان الحق او كرهه التسمية منه فيما لم يكن بوجهين احدهما بقوله تعالى على الموسع قدره فيما كان الطلاق قبل المماسة وعند التسمية اوجب نصف المسمى احتمل وسعه او لا ومعلوم ان الاحتمال على قدر الوسع اخف مما كان يجب احتماله عند الخروج من الوسع والله اعلم والثاني بما علم من وقوع الاختلاف يكون بين الائمة فيما لا تسمية اذا مات احد الزوجين في حق كمال المهر وارتفاع ذلك بما كان ثم تسمية فهو الدليل على ان الحق في احد الوجهين او كرمته في الآخر على ان العقود والفسوخ كلها تثبت لها عند التسمية البدل ولا يجب بشيء من

ذلك بنفس

ذلك بنفس العقد البدل حتى يستوفي في بعض ذلك يجب شيء في البعض على كل حال فثبت به ما ذكرت فاوجب ما ذكرت ان لا يراد بالمتعة نصف مهر المثل اذ قد ثبت بالبيان الاول ان التدبير لا يوجب الزيادة عليه وبالبيان الثاني ان الامر فيه محمول على التيسير والتخفيف ومن البعيد المجاوزة بالامر المؤسس بالتغليظ في التغليظ ولم يبين لنا ماهية المتعة ومعرفة الله المتعة هي التي يمتنع به فجعلنا نصف مهر المثل نهاية المتعة بما هو النهاية فيما كان مبينا فلا يجاوز بها ذلك مما فيه وجهان احدهما انه لا وجوبها اكثر من مهر مثلها فيكون الدخول بها مبيتا لا لاسقاط الحق وقد جعله الله سببا لمنع السقوط فثبت ان مهر المثل معتبر في المتعة والثاني انما يحكم البدل عن ذلك دليله وجهان احدهما ان المطالبة كانت بمهر المثل والطلاق سببه اسقاط حقوق النكاح لا يحيا بها فثبت ان المتعة كانت مكان ما فيه المطالبة لان حدث الوجوب بالطلاق والثاني انه متى وجب مهر المثل لم يوجد بها عوان يدخل بها ثبت انها كانت بدلا فلا يزاد البدل مما كان التحويل الى غير نوع مهر المثل انما هو والله اعلم لما قد يتعذر تعرفه او ان لم يعرف ذلك بالاجتهاد والفحص عن احوالها ومحلها ومحل قومها وفي ذلك مؤن وتكلف ثم بعد العلم بذلك لا بد من الاجتهاد في الوسط من ذلك ثم في امرها منهم فجعل الله تفضله من الوجه الذي لم يسبيل العلم به عن ذلك التكلف او لو دفع هو الى الحاكم امكنه الوصول الى العلم به بدون ما ذكرت من النظر فكان ذلك والله اعلم نحو ما فرض الله تعالى من زكوة الابل لا فيها اذا صار بحيث لو كانت فيها لكانت جزءا يتعذر اخذ مثله ثم التسليم الى الشراء فجعل في ذلك بولا على ان الذي عليه لو خرج بتسليم العين جاز فمثله ما نحن فيه وهذا هو وجه جعل الله متعة على انها كانت واجبة نحو الامساك لو رام ذلك اذ عليه النفقة والكسوة فاذا طلقها فجعلت هي مكان مهر المثل اذا فات السبب الذي كانت تجب بحقها فجعلت واجبة بحق غيرها حتى لا يقع في الطلاق وجوب امرهم يكن فيما تقدم لو اريد به الامساك ومن البعيد ان يزاد وكسوة المرأة على مهرها او نصف مهرها في الحق ولا قوة الا بالله ثم ليس في ظاهر الآية ابطال المهر فيما لم يسم ولا النصف فيما سمي وانما في الاول الامر بالمتعة وفي الثاني بيان ان لها نصف الفرض والقول بان نصف هذا العبد لفلان او لفلان كذا من الحق لا يبطل عنه الحقوق جملة او عن النصف لا يجب بذلك القول بل فيه بيان ذلك انه له وغيره متروك لدليله ولا قوة الا بالله وكذلك قوله تعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ليس في ذلك ان لا عدة عليهن ولكن فيه ان لا عدة لهم ويجوز ان يكون عليها لا له وكذلك عندنا العدة هي التي عقيب الخلوة لا يملك هو فيها امساكها ولا يكره المؤثر فكانها عليه لا له في المعتبر فلما ذكرت يبطل قول من ادعى ان القول بالمهر والعدة فيما لا مماسة فيه خلاف الظاهر والله اعلم مع انه لو كان في الظاهر ذلك لا يمكن ان يكون من المسيس الامكان لا حقيقة دليل ذلك انه لو وجدت القبلة او المعانقة في ملاء من الخلق لوجد المسيس الحقيقي لم يجب به ذلك فثبت ان المراد من ذلك معنى والمسيس لا ما يعقل اسمه ثم الذي يؤيد ان الامكان والاجتماع وجهان احدهما قوله تعالى وان اردتم استبدال زوج مكان زوج الآية فاعظم عليه اخذ شيء مما آتاها بما كان من افضاء بعض الى بعض والافضاء في اللغة معروف انه الانضمام لا المجامعة مع كانت المجامعة الى الازواج يضاف فعلها وفي هذا اضافة الافضاء الى الكل واحد منهما ثبت انه في معنى ذلك من كل واحد منهما نحو الذي من الآخر وذلك يكون في الاجتماع خاصة والله اعلم والثاني وجود القول من خمسة من نجباء الصحابة الخلفاء رضوان الله عليهم اجمعين فزيد ونهيهم ممن لا يحتمل خفاء الآيات عليهم ومن شهر الخطاب احق بفهم الحقيقة من المراد وان يسألوا عن ذلك من ان يطلعهم على حقيقته اذا كان بحيث احتمال الخفاء والخاصة النجباء الذين يعلمون انهم ائمة الخلق وعلى الاقتداء بهم حثت الائمة مما في ذلك عدول عن الظاهر وقول بالذي لا يحتمل فهمه عنه ثبت اذ كان ذلك منهم عن بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم او عن دليل يشهده اظهر المراد ولا قوة الا بالله على ان في الآية لو كان في تصريح جاع لكان يلزم ذلك بالخلوة لوجهين سوى ما ذكرت احدهما جرى لاحكام الكتاب والسنة في البدل لاشياء مقصودة اسماء تحقيقا بتوجب حق العرفاء بها يحق شرط الله الغيض في الرهان والقتال في المغانم والاحياء في الاجور والمهور والخروج لا لحجة والرؤيا ابراهيم عليه الصلوة والسلام لما اسلما الامر الله فعلى ذلك اجر الخروج من الامانات بقوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ولو كان لا يخرج الا بادخال في اليد في الحقيقة لكان لا سبيل الى القيام بما كلف الله وعلى ذلك اجماع القول في الاجارات اذا امكن الانتفاع بها والله اعلم والثاني ان النساء لا يملكن من تسليم ما عليهن من الحق ومحال ان يلزمهن من الحق اكثر مما ذكر مكن الله تعالى وسعهن فثبت ان ليس عليهن غير الذي فعلن فاستوجبن ما لهن وعلى ذلك قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن ثم قد اجمع على وجوب المهر في موت احدهما وان الموت لا يسقط وان لم يكن ثم دخول فهو والله اعلم ان المقصود بالنكاح الملك وقيام الزوجية الى موت احدهما وان ذلك الاستمتاع وقد وجد تمامه وقد بينا ان المهر للملك لا لنفس الاستمتاع فوجب كماله وان مات احدهما المبلغ الملك نهايته وعلى هذا يخرج قولنا فيما لم يسم لها المهر ان مهر المثل انما هو بدل الملك دليله انه يوجب لها المطالبة به عند قيامه وان لم يسم به واصله ما بينا من تعلق هذا الملك بالبدل حكما وان لم يكن يعلق به شرطا وقد وجد ثم وعلى هذا روي عن ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك وقام معقل بن سنان وقال تشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في بروع بنت واشق بمثل الذي قضيت انت فسر به عبد الله لموافقة رايه ما روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا ثبت ذلك فعلى ذلك ان المعقول بالنكاح ان تبذل المرأة نفسها له ليستمتع بها فاذا جاءت الخلوة وجد تمام المقصود منها بالنكاح على ما وجد في موت احدهما فيجب كمال المهر كما وجب بالاول ويستوي في ذلك مهر المثل والمسمى والله اعلم وعلى ذلك فيما لم يوجب اجعله بدل المنفعة اذ هو قيمة البضع ويجب قيمة الاشياء باتلافها ولم يوجد ههنا وعندنا انه وان كانت قيمة ذلك فهي بدل ملك ذلك لا بدل الانتفاع نفسه اذ لا يجب في الزنا ثبت انه الملك

يجب او شبهته وقد وجد في الاول على تمام ما رجع اليه المقصود وجب على ما مر بيانه والله اعلم واوجب قوم في المسماة بعد النكاح نصف المسمى اذا طلق قبل الدخول استدلالا بظاهر الاية ولكن التسمية عند الناس انما تكون في العقد حتى لا يعرف لها وجود بغيرها
وهو التسمية في العقد فهي المرادة بالخطاب اذ هي المعروفة من الفرض ثم غيرها يلحق بالاستدلال فان الزم الدليل الحاق التسمية
في العقد لزم والا لا ثم وجه جميع الاسباب التي تحتمل الاعتياض جعل ذكر الفرض بعد السبب كلا ذكر فمثله امر النكاح فاوجب
ذلك فوت التسمية فلم يجب المسمى من بعد الاعتياض بوجه الدليل وقد قام دليل الوجوب عند وجود ما له حكم الدخول
بما يجب عند ذلك والا لا ثم وجه لزوم القول بما يخرج على احوال احدها ان لهذا التسمية اذا جازت بحق مهر المثل اذ في
كل سبب ليس له عوض بالحكم لم يجز ثم كان مهر المثل يسقط قبل الدخول بها كذلك الواجب به والله اعلم وايضا ان الحكم
يوجب بمثل مهر المثل ليدفع اليها اذ لها حق الامتناع الاية فاصطلاحها على ما سمينا من بعد لحق ما في الحكم ذلك وهو التبيين
ولو بينة الحاكم لكان يسقط فمثله هذا والله اعلم والثالث انه معلوم انه لو كان الذي في علم الله تعالى من طلاقها لو كان
ظاهرا وقت التسمية لكان حقها عليه المتعة ولم يكن يجب النظر الى مهر مثلها الا من وجه تجديد المتعة فكذلك اذا ظهر
والله اعلم وامكن ان يقال الاصل في ذلك ان المتعة ليس يوجبها الطلاق ولكن النكاح يوجب ثم كان الواجب بالنكاح
مجهول لا يدرى اهو مهر المثل او المتعة اذ لا يجوز ان يجبا ولا ان يوجب الطلاق احدهما لما هو بيان ذلك فثبت ان الواجب
في الحقيقة احدهما لكن لما مطلقا لتم مهر المثل في الظاهر ولها التسمية عنه بالعرف في النكاح انه للدوام ثم هو للاستمتاع
فحمل الامر على ذلك الظاهر وبه اجيزت التسمية فلما ورد الطلاق قبل الدخول ظهر حقيقة الواجب فبطل الذي كان بحق
المهر لما ظهر ان الواجب في علم الله المتعة والله اعلم وعلى اصل هذا القوام المفروض الظاهر انه نوع الحيوان وذلك مما لا يزيد
ولا ينتقص فيجب بالطلاق نصف مهرها ثم اذا كان من نوع ما يزاد وينقص فيحدث احد الوجهين فليس في الكتاب تسميته ذلك النوع
على المعروف ولا القضاء فيه بشيء ومعلوم ان ذلك لو كان في يدي الزوج يجب نصف ذلك فيما كان الطلاق قبل الدخول بها فيجب
بحكم المفروض وان لم يكن بما كان حدث من الحق او بما كان في حكم الله ان الحق في ذلك النصف اذ ذلك حكم الطلاق قبل الدخول
بها على حق المنصوص فيكون الذي حدث من النصف حقه او بما كان ذلك مهرا والحادث يحتمل جعله مهرا فهو فيه على ما عليه
معبر الحقوق الفروع الاصول فاذا كان ذلك بعد القبض فقد انقضى امر الحق وحدث ما حدث على ملكها اذ على ذلك يحدث
فقلنا لو نقص المهر في العين لكان بصف النصف له بحق بعض القبض فيه ثم نقض العقد واذا كان كذلك لا يخلوا امر الزيادة
من ان يرد عليه فيرجع بشيء لم يسلم اليها وذلك فضل على ما اخذ من الحق باخذه بالحكم فيكون ربا لا تنطر بسمته ولا يسلم اليه
في المعنى الذي هو لها فيه فيكون اخذه بلا عوض في عقد التبادل فيصير ربوا ولو اتو له على فسخ القبض في المهر والعقد فيصير
ذلك لما فضل من اصل قد فسخ العقد فيه مما لم يكن لها التبدل بلا بدل وذلك وصف الربوا وقد حرم الربوا فيجب بالضرورة
جعل المفروض كالهالك فيجب نصف القيمة لنزول معنى الربوا والله اعلم وعلى ما ذكرت يخرج قول ابي يوسف رحمه الله في العلة و
الهبة انه يظهر الواجب في الحكم وعند ابي حنيفة رضي الله عنه ذلك في حق النقض يصير كذلك دليله ما لم يكن يجوز فيه تقلب
الزوج لو كان منه ثم النقض لا يرد على ما ليس له حكم المهر فيبقى ذلك للمراة على ما كان لها قبل الطلاق اذ الطلاق في نقض الملك
في المهر وليس ذلك بمهر والله اعلم قال الشيخ رحمه الله والمذكور من المتعة فيما فيه الدخول يحتمل ما عليه في حال النكاح
من الكسوة والنفقة الى تمام العدة فيكون الاية في ذكر النفقة بعد الفراق اذ لا يجوز ان يكون الطلاق سببا لايجاب
حق غير واجب قبله ويحتمل ان يكون في حق المتزوج شرط عليه ليكون سرحا بالاحسان على ما رغب في غير المدخول من الانعام اذ لا يجوز ان يكون ذلك
بدلا فيكون لذلك واحد بدلين معا جعل الله الطلاق سببا لتخفيف الحقوق على الزوج ورفع المؤنة ورد الامر الى الغني بالامر بقوله تعالى وان
يتفرقا يغن الله كلا من سعته لم يحتمل به الوجوب فيصير سببا لالزام المؤنة ولا قوة الا بالله **وقوله** حقا على المحسنين فيه دليل لابي حنيفة
رضي الله عنه حيث قال ان الذمي اذا تزوج امراة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان يدخل بها لا متعة لها لان الله تعالى انما اوجب المتعة
على المحسنين والذمي ليس بمحسن والدليل على ان المتعة اوجبت تخفيفا ومهر المثل لا ان مهر المثل اوجب على المراحتمله ملكه او لم يحتمل والمتعة
لم تلزم الا ما احتمله ملكه فبان انها اوجبت تخفيفا فاذا كان تخفيفا لم يزد على مهر المثل والثاني ان المتعة اوجبت بدلا عن نصف
مهر المثل ثم لا يجوز ان يزاد بالبدل المبدل كما قيل في سائر الابدال والله اعلم وهي ثلاثة اثواب لا تخرجها من المنزل واقل ما تخرج
المراة من المنزل انما تخرج بثلاثة اثواب فان قال لنا قائل ان الكتاب ذكر المتعة للمطلقة قبل المماسة اذا لم يفرض لها فرض و
ذكر الاية في نصف المفروض اذا طلقها قبل المماسة وانتم اوجبتم كل المسمى وكل مهر المثل اذا خلا بها ولم يمسها قيل في الاية بيان
وجوب نصف المهر في حال وبيان وجوب المتعة في حال وليس في بيان وجوب النصف نفي وجوب الكل لانه اذا قبل القلان نصف
هذا الشيء ليس فيه ان النصف الاخر ليس له فاذا كان ما ذكرنا ليس لمخالفنا الاحتجاج علينا بظاهر الكتاب ولا النسبة الى مخالفة
الاية نصا ومعرفة ذلك بتدبير اخر من جهة الكتاب بما انه لا يوجب المهر كله لعين المسيس فكانا نحن وهو اتفقنا جميعا على ايجابه
لا بالكتاب والله اعلم وان شئت قلت ان الخلوة لا توجب كمال الصداق وانما يوجبه صحة العقد دليله مطالبة المراة الزوج
بكماله بعد صحة النكاح فدل ان وجوبه لا بالخلوة ولكن بصحة العقد فالكلام انما وقع في اسقاط البعض فيسقط اذا قام دليل
الاسقاط والله اعلم وان شئت قلت ان المراة لا تملك سوى تسليم نفسها اليه فالعقد انما وقع على ما يقدر على تسليمه اليه
ليس على ما لا يقدر لانها لا تقدر على تسليم الاستمتاع اليه اذ لو كان العقد واقعا على ذلك لكان يبطل لانه من باع ما لا يقدر على
تسليمه الى المشتري بطل العقد باصله فعلى عقد النكاح اذا جعل واقعا على تسليم الاستمتاع اليه كان باطلا كالبيع للمعنى الذي وصفنا
والله اعلم ثم اختلف في المراة التي مات عنها زوجها ولم يدخل بها ولا فرض لها مهرا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه

قال لها مهر مثلها وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى لبروع بنت واشق بمهر مثلها وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه انه قال لها المتعة بكتاب الله تعالى وقال لا ندع كتاب الله تعالى لاعرابي ذهب والله اعلم الا ان الكتاب ذكر المتعة في الطلاق
لم كان ذلك الحكم في غير الطلاق كهو في الطلاق فعلى ذلك الفرقة التي وقعت بالموت توجب المتعة كوجوبه في الفرقة الواقعة في
غير الطلاق كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ذكر المطلقات ثم كانت التي وقعت الفرقة عليها بغير طلاق
يلزم المطلقة ومثل ذلك كثير مما يكثر ذكره والله اعلم واما عندنا فانه لا يلزم المتعة ولكن يلزم مهر المثل لوجوه احدها
قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ذكر في الطلاق قبل الدخول نصف المفروض
وفي الدخول كل المفروض فعلى ذلك ما وجب من الحكم في التي لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا دون ما اوجب في حكم الدخول
والله اعلم والثاني ان المقصود بالنكاح انما يكون الى موت احد الزوجين فاذا كان كذلك لزم كل المسمى وكل مهر المثل
والله اعلم والثالث الخبر الذي ذكرنا انه قضى بمهر المثل وخبر امثال هؤلاء مقبول لا اذا كانت البلية في مثل بلية خاصة اذ مثل
هذا لا يبلى الا الخواص من الناس لذلك كان اذكر **وقوله** وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف
ما فرضتم ذهب قوم الى ظاهر الاية انه ذكر فيها نصف ما فرضتم لهن فريضة ولم يخص المفروض في العقد دون المفروض بعد
العقد فلكل مفروض قبلها نصف المفروض سواء كان المفروض في العقد وعلى ذلك قال قوم ان الرجل اذا تزوج امراة على جارية
ودفعها اليها فولدت عندها ولدا ثم طلقها قبل الدخول بها ان له نصف الجارية لان الله تعالى قال فنصف ما فرضتم
وانتم لا تجعلون له نصف ما فرض لها القيم ظاهر الكتاب اما الجواب لمن جعل المفروض بعد العقد كهو في العقد فيما جعل
لها نصف ما فرض فان الخطاب بعن الله تعالى انما خرج في المفروض بعد العقد انما يتعارف في العقد خرج الخطاب على هذا
المتعارف فيهم وهو المفروض فيجعل لها نصف ذلك وما يفرض بعد العقد وانما يفرض بحق مهر المثل فاذا وجد الدخول
وجب ذلك والا لم يجب واما جواب من قال بانه اذا تزوجها على جارية ودفعها اليها فولدت ولدا ان له نصف ما فرض
فانا نقول ان الاية ليست في الفرض الذي معه اخر ولدا او غيره الا ترى ان الجارية اذا كانت عند الزوج فولدت ولدا فان لها
نصف الجارية ونصف الولد والولد لم يكن في الفرض وقت القصد فعلى ذلك الاية ليست في الجارية التي ولدت عندها
ولكن في الفرض لا زيادة معه ثم لا يخلوا اما ان يجعل نصف الجارية لها دون الولد فقد فسخ العقد في الاصل فبقي الولد بلا
اصل فذلك ربوا او يجعل له نصف الجارية مع نصف الولد وهو غير مفروض والله تبارك وتعالى انما جعل له نصف ما فرض
فبطل قول من قال ذلك والله اعلم قال الشيخ رضي الله عنه وقوله حقا على المحسنين قيل يريد به المؤمنين فيكون في هذا التاويل
دلالة على ما قاله ابو حنيفة رضي الله عنه ان لا يلزم الذمي المتعة وقيل على من قصد هم الاحسان الى الازواج ويتقون الخلاف
لما كان عليه النكاح من امساك بمعروف او تسريح باحسان والله الموفق واختلف قوم في حق العقدة وكمال المهر انه ذكر فيه
الطلاق لا على تخصيص الحكم له بل بكل ما يكون به تسريحها فمثله يكون ذكر المماسة لا على تخصيص ولكن كل ما يكون به
تحقيقها ولا قوة الا بالله قال وقدرت المتعة في الاختيار بالقدر الذي كان يمنعها بالامساك ان لا بد من كسوتها ليعلم
ان ليس الفراء عن ذلك الحق او بما به يخرجها من منزله فامر ان يمتعها بما التي يخرج من المنازل واقل ذلك ثلاثة اثواب والله
اعلم وفي هذه الايات دلالة واضحة على ان الشيء التافه لا يحتمل ان يكون مهرا لما اوجب عند العدم فيها لا تسمية فيه الشيء
الخطير وهو الذي يمتعها واقل ما تمتع هي له فيه ثلاثة اثواب وفيما سمى امر عند ذلك بالعفو وحير لا حث على العفو عنها
ولا يرغب بين الزوجين الى الفضل بمثله دل ان لا ذلك حد قد يجري بمثله التنازع فيرغبون في ابقاء ذلك واختيار ما به
التالف على ان ذلك الله جل ثناؤه وقد جعل بقاء النكاح بالاموال وبها الحل وقال في ذي العذر ومن لم يستطع منكم طولا
الا الاية ولو كانت طولا عرة لما كان لاحد يعجز عنها فيشترط ذلك في تزويج المملوكة وخاصة على قول من لا يبيح الا الفضل
لمن راى بعظر الحبة يتوق الى الاستمتاع فضلا من ان يخرج ثم على ذلك قال في الاماء واتوهن اجورهن بالمعروف والحبة
معلوم انما اكثر فثبت ان مهر الحرائر يرجع بين ويظهر في اهل الحاجة وان القول بجعل الحبة مهرا تاما ووصف ملكها بملك الطول
قول لا معنى له وبعد فان الناس اجمعوا على انها لا تملك المعروف ببعضها والبدل للزوج بلا بدل يلزمه فصار كقولي
القصد على ما ليس لها وحط القليل في مثله والكثير في المنع واحد فقياس ذلك ان لا يكون الحط من مهر مثلها والحبة لا تكون
مهر مثل اخت امراة في العالم فلا يجيء ان يجوز الحط ولكن اجيز العشرة بالاتفاق ولم يجوز الا كثر للتنازع وقد بينا الفساد
من طريق التدبير والله اعلم **وقوله** الا ان يعفون قيل المراة او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اختلف فيه قال علي وابن عباس
رضي الله عنهما وقال قوم وهو الولي وامكن ان يكون قول بان الولي لما ان المهور في الابتداء كانت للاولياء دليل ذلك قول
شعيب لموسى اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج شرط المهر لنفسه وكما روي من الشغار ثم نسخ
من بعد وصار ذلك للنساء بقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فلا تاخذوا منه شيئا وقوله واتوا النساء
صدقاتهن نحلة ولانهم اجمعوا ان لا يجوز لاحد المعروف في ملك الاخر الا باذنه فعلى ذلك لما ثبت ان المهر لها لا يجوز
للولي المعروف فيه وقوله الا ان يعفون يعني المراة تترك النصف ولا تاخذ منه شيئا او يعفو الذي بيده عقدة النكاح
يعني الزوج يجعل لها كل الصداق يقول كانت في حبالتي ومنعتها من الازواج وتترك المراة لها النصف فنقول لم ينظر الى حوزتي
ولم تتمتع بي وهو على الافضال وعلى ذلك يخرج قوله ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تنسوا الفضل الذي في ابتداء الامر للنكاح في
الابتداء مبني على التشفع والافضال فرغبهما عز وجل على ختم ذلك على الافضال على ما بني عليه والله اعلم وفيه دلالة على
ان العفو هو الفضل في اللغة وهو البذل تقول العرب عفوت للعاني بذلته فان كان العفو هو البذل فكان قوله عفوا له ترك

وبذل فاتباع بالمعروف يكون فيه دليلا لقول اصحابنا في ذلك وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى معناه والله اعلم حقا على المتقين ان
يرغب فيه وكذلك قوله حقا على المحسنين ان يرغب فيه ثم لاضافة ذلك الى الرجال وجهان احدهما انهم هم الذين تركوا
حقهم ومن عندهم جاء هذا التقصير والثاني ان في تسليم ذلك من الرجال الكمال وهم في الاصل موصوفون بالكمال ومن عندهم
يستوفي ما فيه الكمال قال الشيخ رحمه الله وقوله وان تعفوا اقرب للتقوى يحتمل اشتراك الزوجين في ذلك لا معنى الاخذ بالعفو
والفضل اولى لمن يريد اتقاء دناءة الاخلاق واولى الفضل بمن اكرم بانتقاء الخلاف له ويحتمل للازواج بما قد ضمنوا الامساك
بالمعروف والتسريح باحسان فهو اقرب الى وفاء ذلك وانتفاء الخلاف له على ان سبب الفراق جاء منه فذلك اقرب لانتفاء الجفاء منهم واظهر
للعذر لهم فيما اختاروا والله اعلم وقوله ان الله بما تعملون بصير حرف وعيد لما فيه التعدي ومجاوزة الحدود والخلاف لامره وقوله
حافظوا على الصلوات والمحافظة هو المفاعلة هو فعل اثنين فهو والله اعلم تراها حفظها على وقتها ولم يسهو عنها حفظته وهو كما ذكر في آية
اخرى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ان الصلوة تامر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر فعل ذلك
حفظها على وفاء جميع احكامها وسننها ولم يدخل ما ليس فيها من الكلام والالتفات وغير ذلك مما نهى عنه حفظته وكذلك قوله وسارعوا
وسابقوا من المفاعلة فاذا بادر اليها بدرت اليه وبالله التوفيق وقوله والصلوة الوسطى اختلف فيه قال بعضهم قوله والصلوة الوسطى
اراد كل الصلوة لا صلوة دون صلوة وهو والله اعلم ان الصلوة هي الوسطى من الدين وهو على ما جاء الايمان كذا وكذا بضعة اعلاها كذا وكذا
وادناها كذا فعلى ذلك قوله والصلوة هي الوسطى من الدين ليست باعلاها ولا بادناها ولكنها الوسطى من الدين وقال اخرون والصلوة
الوسطى هي صلوة العصر وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال هي العصر وذكر في حرف حفصة رضي الله عنها انها
انها هي صلوة العصر وقال قائلون هي الفجر ذهبوا في ذلك الى ان النهار يجمع الصلوتين والليل بطرفيه كذلك فالفجر اوسطها وكذلك روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال هي الفجر وقال اخرون هي الظهر ذهبوا في ذلك الى انها انما تقام وسط النهار فسميت بذلك وكذلك روي
عن ابن عمر رضي الله عنه قال هي صلوة الظهر ومن قال هي العصر ذهب في ذلك الى ما روي من الخبر والى ان العصر هي الواسطة من صلاتي
النهار وصلوتي الليل لان صلوتين بالنهار قبلها وصلوتين بعدها بالليل في الواسطة والقياس ان يكون هي المغرب لان الظهر سميت
اولى والعصر يكون الثانية فالمغرب هي الواسطة لكن لم يقولوا به وفيه دلالة ان الصلوة وتر لان الشفع مما لا وسط له ثم جهة
الخصوصية انها كانت فان كانت عصرا فهو ما ذكر ان الكفرة حملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوة الظهر فلم يتهيا لهم
اقامتها فقالوا احفظوا عليهم صلوة هي اكرم عليهم من انفسهم واموالهم فظهر بهذا ان لها فضل وخصوصية من عند الله ورسوله
وما روي في الخبر ايضا قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته العصر وتر اهله وماله فان كانت فجرا فلان الكتاب ذكرها بقوله ان قران الفجر
كان مشهودا ولما قيل ان ملكي الليل والنهار يشهدونها فذكرت لها الخصوصية والفضل ومن قال انها ظهر ذهب الى ان خصوصيتها
وفضلها ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يصلي قبل الظهر اربعا اذا زالت الشمس وقال ان ابواب السماء تفتح في ذلك
الوقت قال الشيخ رحمه الله في قوله والصلوة الوسطى نتكلم فيه بوجهين احدهما ان الصلوة هي الوسطى من امر الدين فهي على ان
لا رفع من امر الدين هو التوحيد والايمان وذلك هو الذي لا يرتفع بعذر ولا يسقط بسقوط المحنة اذ ذلك في الدارين
جميعا وهو الاخلاص ونفي جميع معاني الخلق عمن يوحده ويؤمن به وسائر العبادات قد تقدم مع وجود امور الدنيا
والدين والمعاش معها وفي حالها بالذي به قوامها والتوحيد لا ثم الصلوة مما بها ترك جميع ما ذكرت في حال فعلها فيما بين طها
فهي تشبه الايمان من هذا الوجه ثم تسقط للاعذار ولا تجب في غير دار المحنة على ما عليه امر غيرها من العبادات فصارت
بذلك الوسطى من امر الدين وهو الموفق والثاني ان تكون هي صلوة من جملتها فذكر بحرف التخصيص لها من الجملة لوجهين
احدهما البيان جملة الفرايض انها وتر لا الشفع اذ لا وسط للشفع فيكون في ذلك بطلان قول قوم انكروا العدد لها وقوم
زعموا انها صلوتان في الجملة والله اعلم ان يراد بذلك التفضيل الصلوة من الصلوة في الحث على فعلها والترغيب في حفظها
ويجيء ان يكون ملك معروف عند الذين خوطبوا اما بالاسم او بالحال من النوازل لانه لا يحتمل ان يرغب في فعل لا يعلم حقيقته
ذلك والله اعلم ثم يكون لاختلاف فيمن لم يشهد النوازل التي عرفت المراد فقال كل مبلغ جهده فيما ادى اليه رايه من الترغيب في
الفعل انه على ذلك لكنهم اختلفوا فمنهم من عبر بالركعات فقال اكثرها اربع واقلها ركعتان والوسطى منها ثلاث فصرف التاويل
الى المغرب واستدل في الترغيب في تعجيلها والمبادرة في فعلها حتى لم يؤذن بالاستغال عنها عند هجوم وقتها النافلة والحاجة وذلك
بعض ما يعرف من معنى المحافظة وهي ان الصلوة جعلت متصلات الاوقات وهي الوسطى منهن والله اعلم وقوم ردوا الى صلوة
الفجر بما في ذلك من الترغيب والتخصيص بالامر كقوله وقران الفجر الاية وما الخبر من شهود ملائكة الليل والنهار ولان وقتها
الوسط من احوال الخلق اذ احوالهم يكون سكونا مرة وانتشارا ثانيا وبذلك ختم اوقات السكون وافتتاح احوال الانتشار
ووسط الشيء هو الذي فيه حظ الحواشي وقد وجد في وقت هذه الصلوة والله اعلم ومنهم من صرف الى العصر بما جاء في ذلك
من الترغيب ومن الوعيد في ترك ذلك وبها ختم احوال الثلاث التي تدخل في المكاسب فيكون بها التوبة عنها والاستغفار منها
ولا قوة الا بالله وقوله حافظوا على محافظة الجملة على الاشتراك اذ المفاعلة هو ذلك على يتضمن الترغيب في الجماعات او على لزوم
كثرة عدد الصلوة او على ما خرج الامر بالمنازعة الى الخيرات والمسابقة لها وكل في ذلك والله اعلم على ان سميت الظهر اولى فعلى
ذلك يكون المغرب الوسطى وقوله وقوموا لله قانتين قيل خاشعين خاضعين فيها لا يدخل فيها ما ليس منها وعلى ذلك روي
عن زيد بن ارقم انه قال كنا نتكلم في الصلوة فلما نزل قوله وقوموا لله قانتين مطيعين امرنا بالسكوت في صلوتهم خاضعين
ساكتين ونهينا عن الكلام وعلى ذلك سمي الدعاء قنوتا وقال اخرون قانتين مطيعين وذلك ما قيل ان اهل الاديان يقومون
في صلوتهم خاضعين ساهين فامر اهل الاسلام ان يقوموا مطيعين والقنوت هو القيام على ما روي انه سئل عن افضل الصلوة

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق شرح

عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان صحيح البخاري

اي حرب وسلب من وترت فلانا اذا قتلت حميمه وافردته منه او نقصته فالمراد من الوتر هو الغير تقال وتره حقه اذا نقصه م

فقال طول القنوت واصل القنوت ما ذكرنا هو القيام غير الذي يقوم على الخضوع والخشوع والسكوت وليس في الاية انه امر بذلك
في الصلوة غير ان اهل التاويل صرفوا الى ذلك لانها ذكرت على اثر ذكر الصلوة وكذلك قوله فان خفتم فرجالا او ركبانا ليس فيه
ان ذلك في الصلوة لكنهم انتهوا اليها ذلك في الصلوة لكنهم صرفوا اليها ذلك في الصلوة اثر الصلوة ثم اختلف فيه قالوا ركبانا على الدواب
يصلون عليها في حال السير والوقوف وعلى ذلك جاءت الاثار من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل الصحابة رضوان الله
عليهم اجمعين في النوافل فيكون الفرائض عند العذر مرادة بالاية على ما ظهر فعل النوافل في غيره بالسنة واما قوله فرجالا
لما اختلف فيه قال ما يكون فرجا لا مشاة وهو من رحل ويرجل مشي راجلا واما عندنا فهو على المعروف من الصلوة على
الارجل والاقدام قياما وقعودا لا يزال عن الظاهر والمعروف الفعل به على ما عرف من الصلوة على الارجل وقوله ركبانا
على ما عرف من الركوب وهو في حال السير ولم تر الصلوة تقدم مع المشي فيها فان قيل صلوة الخوف فيها مشي فقامت قبل ان المشي في فعل
الصلوة لانهم في الوقت الذي يمشون لا يفعلون فعل الصلوة وهو كما يقول ان الصلوة لا تقدم مع الحدث فاذا احدث فيها فذهب
لتوضا ليس هو في وقت الحدث مصليا وان ابقي في حكم الصلوة فعلى ذلك المشي في صلوة ليس هو في فعل الصلوة وان كان باقيا
على حكم الصلوة والله اعلم وقوله فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم يحتمل قوله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون وقوله فاذكروا يحتمل ان يصرف
الى الصلوة اي صلوا كما علمكم ان تصلوا في حال الامن ويحتمل ان يصرف الى غيره من الاذكار كقوله ولذكر الله اكبر ويحتمل ان يصرف
الى الشكر اي اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واشكروها كقوله فاذكروني اذكركم والله اعلم وفي قوله علم الانسان وعلم القران وعلمه البيان
دليل ان الله صنع في فعل العباد حيث اضاف التعليم الى نفسه وهو ان خلق فعل التعليم منه اذ لو لم يكن منه صنع لكان اضيف ذلك
المعلم دون البيان فدل اضافته اليه على ان له فيه فعلا نعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الهدى قال الشيخ رحمه الله في قوله
فاذكروا الله كما علمكم من الصلوة في حال الامن اذ معلوم تقدم الامن بالصلوة وتعليم حدودها فوما في الرخصة في التخفيف بحال
العذر ويحتمل اذكروا الله بشكر كما علمكم من الشكر له في النعم واي ذلك كان فهو الذي علمتم بعد ان كانوا غير عالمين به والله اعلم ودل
اضافة التعليم في هذا اليه وكذلك في قوله علمه البيان وقوله وما علمناه الشعر على وجود الاسباب من الله له في الامر على ان
كان من الله في احد الامرين ما ليس منه في الاخر ومعنى الاسباب فيهما واحد ثبت انه على خلق فعل التعليم ونفيه والله اعلم
وقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن الاية قد ذكرنا فيما تقدم
انها تخرج على وجهين على النسخ بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا والثاني
على نسخ الوصية خاصة دون نسخ العدة وان الامر بالاعتداد في الاثنين امر واحد اشهر اربعة اشهر وعشرا ونسخ
الوصية باية الميراث وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث وفيه دلالة ان للموصى له خيارا بين قبول الوصية
وبين ردها وفيه ان له ان يردها اذ قيل بقوله غير اخراج فان خرجن في الخروج ردها وذلك بعد القبول وقوله فلا جناح
عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم قد ذكرنا انها يحتمل وجهين يحتمل ما فعلن في انفسهن من التشوق و
والتزين كذلك روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه لا جناح عليهن ان يتشوقن ويتزين ويلتمسن الازواج ويحتمل وضعهن
انفسهن في كفو بمهر المثل والله اعلم وقوله وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين يحتمل الاية ان يكون في المطلقات المدخولات
بهن وقد فرض لهن ان يامر الازواج بالمتعة او بالا وجوبا على ما روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه متع بعشرة الاف على
ما روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما انه متع بعشرة الاف على ما روي عن ابن عباس الى انهما قالا ان كنت من المتقين او من
المحسنين فمتعها فهو امر ارب لا امر ايجاب يجبر على ذلك وان كانت في المطلقة التي لم يدخل بها ولا فرض لها صداقا فهو على ما يقوله
وهي واجبة يجبر على ذلك فتخرج هذه الاية والتي قبلها قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره على مخرج واحد غير انه
في احدهما بيان قدر المتعة وليس في الاخرى سوى ما ذكر ويحتمل وجه اخر وهو ان الامر بالمتعة امر بالانفاق عليها والكسوة لها
اذا دخل بها ما دامت في العدة او على الاختيار على ما ذكرنا لا على الايجاب اذ لو كان على الوجوب لكان في ذلك ايجاب بدلين الصداق
والمتعة ولم يعرف عقد من العقود اوجب بدلين فكذلك هذا والله اعلم والثاني ان الطلاق سبب اسقاط لا سبب ايجاب فاذا كان
كذلك لم يجز ان يوجب السبب الذي هو سبب الاسقاط لذلك لم يجب والله اعلم وقوله كذلك يبين الله لكم اياته ما سبق ذكره من الاحكام
من الامر بالاعتداد والانفاق عليهن والتمتع وغير ذلك لعلكم تعقلون امره ونهيه قال الشيخ رحمه الله في قوله كذلك يبين الله لكم اياته
اي كما بين في هذا يبين في جميع ما يعلم لكم الى بيان ذلك حاجة على قدر ما اراد من البيان من بيان كفاية او مبالغة ليعلم ان جميع
ما اليه بالخلق حاجة داخل تحت البيان يوصل الى ذلك بقدر ما يحتمله القول على ما يكرم الله المجاهدين فيه في طلب مرضاته ولا قوة
الا بالله وقوله الم تر حرف تعجيب وتنبيه ليتامل فيما يلقى اليه مما اريد الانباء عنه او فيما قد كان سبق الانباء عنه ليتجدد بالنظر
فيه عهدا وعلى ذلك المعروف من استعمال هذه الكلمة وكذلك وجه تاويله الى الخبر مرة والى العلم به ثانيا والى النظر فيه ثالثا على
اختلاف ما قيل وفيه كل ذلك والله وقوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت قوله الم تر ولم تخبر ولم تنظر
مثل هذا انما يقال عن اعجوبة فالقصة فيه والله اعلم جواب قوله لو كان عندنا ما ماتوا وما قتلوا اخبرهم الله عز وجل عن قصة هؤلاء
ان جهلهم باجال ولئك حملهم على هذا القول مثل جهل بني اسرائيل باجالهم حملهم على الخروج حذر الموت ثم لم ينفعهم ذلك
بل ماتوا كذا هذا ثم اختلف في قصة هذا قال بعضهم خرجوا فرارا من الجهاد في سبيل الله ثم احياهم وامرهم ان يخرجوا الى الجهاد
في سبيل الله وقال اخرون وقع الطاعون في قريتهم فخرج اناس وبقي اناس ممن خرج اكثر ممن بقي فنجى الخارجون وهلك الباقون فلما
كانت الثانية خرجوا باجمعهم الا قليلا فاماتهم الله ثم احياهم فلا ندري كيف كانت القصة فان كانت القصة في الفرار
من الجهاد في سبيل الله وله نظير في الايات قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وقوله

ولا يتقان انه اضاف الى نفسه لانه هو الذي اعطاهم اسباب العلم فاضيفا اليه اضافة الاشياء الى اسبابها لا انا نقول كما اضاف فعل التعليم الى نفسه فيجاء الاية وفي قوله علمه البيان بقي اضافة التعليم الى نفسه في قوله وما علمناه الشعر والات بعضه قد اعطاها اياه ومع ذلك نفى عن نفسه بقوله وما علمناه دل انه على خلق فعل التعليم ونفيه والله تعالى اعلم شرح

المطلقة طلاقا رجعيا تتشوق لزوجها اي تتزين بان تحلي وجهها وتستغل بما يشغاف لكي اذا جاء فان كانت الاية فيهن يكون الامر للازواج بالمتعة على الندب لا على الوجوب شرح

لن ينفعكم الفرار الاية وقوله قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ومثله كثير في القرآن وان كانت في الطاعون فقد جاء
الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كنتم في ارض وفيها وباء فلا تخرجوا وان الفرار لخاهم ان لم يكونوا فيها فدخلوا
فاصابهم الله يظنون انهم اذا لم يكونوا فيها لم يصبهم ذلك ففي الوجهين نسيان القضاء وقد جاء ان لا عدوى ولا هامة
فان قيل روي عن رسول الله عليه السلام انه كان اذا مر على حائط مائل اسرع المشي كيف نهى عن الخروج عن ارض فيها وباء وطاعون
قيل ان كل ما كان مخرجه مخرج اثر وفيها اهلاكهم فذلك لا يكون الا بامر سبق منهم نحو مثله الفرار الى الله لا الى غيره واما الحائط
الحائط فليس لامر سبق منه فجائز ان ياخذ منه حذره هذا الفرق بينهما والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويجوز ان يكون فعله صلى الله
عليه وسلم ليعلم ان مثله من الخوف لا يعد نقصانا في الدين وذلك كالعدة تتخذ للحرب والاغذية للبدن لا على ظن بالله انه لا يملك
الحيوة دونها او قهر العدو ولكن على التاهب والاستعداد وقد جعل الذي خيف فيه والذي رجي والله اعلم وقوله ان الله لذو فضل
على الناس حين احياهم بعد ما اماتهم وذلك فضل منه وذو فضل على الناس بكل نعمة انعمها عليهم ليستحق الشكر من الخلق بذلك هذه الاية
على المعتزلة اذ قالوا ليس لله ان يفضل بخلقه الا الاصلح لهم في الدين ولو فعل غير ذلك كان جائرا فاذا كان هذا عليه فاني يكون الا فضال
وانما يقال ذو فضل وذو من اذا اعطى ما ليس عليه واما من اعطى ما كان عليه لا يقال انه تفضل او من كمن تقضي دينا عليه لا احد يستوجب
الشكر بذلك لانه قضى ما كان عليه قضاؤه فكذلك الله تعالى اذا اخبر انه ذو فضل وذو من لم يكن ذلك عليه فاستوجب الشكر على الخلق بذلك
وبالله التوفيق ثم الكلام في ان اولئك ماتوا باجالهم او لا باجالهم قالت المعتزلة لم يكن اجالهم ومن قولهم ان لكل احد اجلين
ان قتل فاجله كذا وان مات فكذا اصل ذلك تاجيل من لا يعلم ان يقتل او يموت فاذا علم الله انه يموت لم يكتب له اجل القتل وكذلك ما روي
ان صلة الرحم تزيد في العمر اذا كان في علم الله في الازل انه يصل الرحم فكتب عمره ازيد ممن يعلم في الازل انه يقطع ولا يصل اذ لو حمل ذلك
على ما يقولون هم لخرج فعله فعل من يجهل العواقب فان قيل فلم يلام القاتل اذا قتل غيره بغير حق قيل له لانه كتب اجل المقتول بفعل هو
معصية بما علم الله انه يقضي به وكتاب الاجال هو بيان النهايات والاعمار وقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا عامل الله تعالى
بلطفه وكرمه معاملة من لا حق في اموالهم لا كمعاملة العباد بعضهم بعضا وان كان العبيد واموالهم كلهم له حيث طلب منهم
الاقراض كبعضهم من بعض ثم وعد لهم الثواب على ذلك فقال فيضاعفه له اضعافا كثيرة ثم لما سمع اليهود ذلك قالوا ان اله محمد
فقير وهو قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ومرة قالوا اليد اي الشدة على بعض الناس فقالوا انما يفعل ذلك
لبخله حيث قالوا يد الله مغلولة فاراد المنع اما للبخل واما للفقر فاكذبهم الله في قولهم ذلك فقال والله يقبض ويبسط قيل ويوسع
وقيل يقبض ما اعطى اي ياخذ ويبسط ويترك ما اعطى ولا ياخذ منه شيئا وقيل انها نزلت في ابي الدحداح وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة فقال ابو الدحداح ان تصدقت بحديقتي فلي مثلها في الجنة فقال
نعم قال وام الدحداح معي قال والصبية معي قال نعم فرجع ابو الدحداح وهو يقول يا ام الدحداح والصبية فيها فقام على باب
الحديقة فنادى يا ام الدحداح اني جعلت حديقتي هذه صدقة واشترطت مثلها في الجنة وام الدحداح والصبية منها معي قالت
بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت اربت فخرجوا منها فتركوا ما كانوا اجتنوا منها وسلموا الحديقة للنبي صلى الله عليه وسلم
فنزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا الاية قال الشيخ رحمه الله في قوله من ذا الذي يقرض قرضا حسنا الاية في توجيه الاية
اليه فمنهم من يوجهها الى جميع المحاسن يوثرها ويختارها لله فله اضعاف ذلك في الموعود اجلا وعاجلا فالاجل ما وعد والعاجل
ثناء الناس وجلالة القدر في القلوب متعارف ذلك للاخيار وسماه قرضا بما هو اسم المعروف فلينبه كره عظم نعمه عليه ليقول
المعروف بالشكر له في ذلك وازكن ذلك حقا له عليه والله اعلم والثاني ليعرف الخلق كيفية الصحبة والمعاشرة بينهم ان الله تعالى عامل
عبده فيما هو له معاملة من يستحق الشكر منه بما يسدي اليه من النعم والله حقيقة ذلك ليعقل الخلق ان مثل ذلك في معاملة الاخوان
وفيما كان نعمه في الحقيقة اوجب واحق لبعض المعروف فبين بالعروف بما اكرمهم الله تعالى بالاسماء الجليلة ولا قوة الا بالله ومنهم
من يوجهها الى الصدقات خاصة سماها قرضا لوجوه احدها ان جعل معاملة الفقراء والتصدق عليهم معاملة الله تفضيلا لهم
[illegible] المؤمنين [illegible] الصدقة ثم وعد فيه العوض ليصير الصدقة معنى الاقراض اذ يرجع في عوض
[illegible] وبالله التوفيق والثاني [illegible]
[illegible]
[illegible] ان الله اشترى من المؤمنين [illegible]
[illegible]
[illegible] وبالله الموفق وقوله الم تر الى الملا من بني اسرائيل [illegible]
ملكا نقاتل في سبيل الله [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible] الانبياء صلوات
الله عليهم وسلامه [illegible]
[illegible]
بني اسرائيل [illegible] نقاتل عدونا [illegible]

ولو رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

من سول لهم الذين سالوا الحق هو ام شيء اجروه على السنتهم من غير تحقيق لئلا يستوجبوا العذاب بتركهم ذلك اذا اجيبوا واعطوا
ما سالوا وعنوا اعرف من شدة القتال مع العدو والجهاد في سبيل الله وكراهية ذلك في كل قوم الى ان يبينوا انهم عن حق سالوه لما بينوا
انهم عن حق سالوه ولما بينوا العلة التي حملتهم على ذلك وغايته رغبتهم فيها وما لاجله كان السوال ان قالوا وما لنا ان لا نقاتل في
سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا من القتل واخذ الاموال وسبي الذراري فرض تولوا الا قليلا منهم فيه دلالة على انه
قد كان فيهم ما كان في هذه من قوله لم تقولون ما لا تفعلون نعن كراهية القتال والجهاد في سبيل الله وقيل تولوا الا قليلا منهم
وهم ثلثمائة وثلثة عشر نفرا لم يتولوا عما سالوا ثم قال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قيل سمي طالوت لطوله
وقد تم وقوله انى يكون له الملك علينا يتوجه مثل هذا الكلام وجهين احدهما على الانكار فلا يحمل على الانكار لانه كفر ولكنا
على الاسترشاد وطلب العلم لهم منه في ذلك عن جهة جعله له ملكا لما قد عرفوا لا يستوجب الملك ولا يولى الا احد وجهين اما
بالوراثة من الاباء او بالسعة في المال لذلك قالوا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال لانهم كانوا ابناء الملوك
وارباب الاموال ثم تبين لهم عز وجل ان جهة الاختيار ليس اليهم وان سبب الملك ليس ما ذكرنا دون غيره
بل الله عز وجل يختار من يشاء لذلك باسباب سوى ما ذكروا بفضل علم وبفضل قوة حيث قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده
بسطة في العلم والجسم قرر عندهم ان الملك يحتاج الى فضل علم وفضل قوة ثم يحتمل قوله بسطة في العلم علم الحرب والقتال
ويحتمل علم الاشياء الاخر على حفظ الرعية وغيره قال الشيخ رحمه الله في قوله انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه
فهو والله اعلم لاي معنى جعل له الملك علينا او كيف يكون له الملك علينا ونحن بظاهر الاسباب التي تحقق الملك املك فنكون بها
الحق بالملك منه فتبين ان المعنى الذي له صار احق بالملك منه في ذلك الامر والله اعلم والحرف وان كان مما يتعارف في الانكار فليس
هو كذلك في الحقيقة اذ قد اخرجه من هو نبي عندهم ومن تقرر عنده نبوة احد لا يحتمل تكذيبه اياه فهذا والله اعلم ويحتمل كون
اهل النفاق فيهم فيكون منهم الانكار ايضا كما كان امثال ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤيد سؤالهم الاية حتى قال
ان اية ملكه كذا والله اعلم ويؤيد ذلك كثرة مخالفتهم اياه لما امتحنوا بالنهر والله الموفق وفي هذا ونحوه ذلك دلالة جواز الايات
لغير الرسل اذا كان فيها تصديق الرسل فيكون في التحقيق كايات لهم ظهرت على السن غيرهم او ايديهم ومن اراد بها ادعاء الرسالة
لنفسه فيعجز عن ذلك بل لا يكرم الله بها من يعلم انه يدعوا الى تصديق الكذب ومضاهات الرسل وبهذا يجاب لمن يعارض من يعني
تعلم القران ثم ياتي موضعا لا يعرف فيحتج به في بتواتر معاني ذلك او وجه تمنع الاحتجاج به من ذلك ما فيه من الاخبار من
الرسول والانباء عن امور لا توجد هنالك والله اعلم وبالاعلام اوله انه من يعلم تقدم منه الى من هو حجة او عن وحي اليه اذ لم
يكن امتحن من قبل والحجة ما يخرج من العناد وحمل الطبيعة يكرم بها وقت الدعوة بلا سبب سبق منه في مثله ولا عناية ولا نوع
الاية بالله وبعد فانه قد ظهر في جميع من ليس ممن لا يطاق الدفع لمثله ولا انكار وانتشر امل لا تي به فيظهر بذلك كذبه ويفتضح عند
الدعوى قبل المحنة والتامل فيما جاء به الا ان ياتي به من لبس ذلك لسانه ولا معنى الاحتجاج به في امثالهم والله الموفق وقوله
والله واسع عليم اي غني يعطي من يشاء ويعطيه علم من يصلح للملك وقوله وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت تحمله
الملائكة ذكر في القصة ان التابوت يكون مع الانبياء اذا حضروا قتالا قدموا التابوت من بين ايديهم الى العدو ويستنصرون
به على عدوهم وفيه سكينة كانها راس هرة فاذا ان ذلك الراس سمع التابوت انين ذلك الراس دق نحو العدو وهم يمضون
معه ما مضى فاذا استقر ثبتوا خلفه فلما هربت بنوا اسرائيل وعصوا الانبياء سلط الله تعالى عليهم عدوهم واخذوا منه التابوت
لما سبقوا وملوا منه ثم رد عليهم بعد زمان طويل وجعل ذلك اية من ايات ملك طالوت فلا ندري كيف كانت القصة مع تختلف
في قوله سكينة من ربكم قيل سكينة ريح هفافة فيها صورة كوجه الانسان وقيل السكينة لها وجه كوجه الهرة لها جناحان فاذا قصوت
عرفوا النصرة وقيل السكينة طست من ذهب يغسل فيه قلوب الانبياء وقيل فيه اي في التابوت سكينة اي طمانينة من ربكم
كان التابوت في اي مكان كان اطمانوا اليه وسكنوا فلا ندري ما السكينة سوى انا عرفنا ان قلوبهم كانت تسكن اليه وتطمئن
فليس لنا الى معرفة السكينة وكيفيتها حاجة وقوله وبقية مما ترك ال موسى وال هرون قيل البقية فيه رضاض الالواح وهو كسرها
وثياب موسى وهرون قيل عصى موسى وعصا هرون وقيل البقية قفيزين وهو نحيين الذي كان ينزله على بني اسرائيل في ارض التيه
ويقال فيه سنته موسى وهرون وعلمهما والله اعلم بذلك وفي الاية دليل جري الاية على ايدي الاولياء لما اعطى لطالوت
اية الملك تشبه ايات الانبياء حيث الخبر انه كان تحمله الملائكة ايا ما ولكن تلك الايات في الحاصل تكون للانبياء يجريها الله تعالى
على ايدي الاولياء الا ان يكون للاولياء ذلك ثم من ادعى من الاولياء تلك الايات النبوة لنفسه يعجزه الله تعالى عن ذلك
ويخرج الاية من ان تصير اية نحو من اتى مدينة من المداين التي لم يبلغ اهلها هذا القران ولا عرفون ولا سمعوا ذلك من احد قط
فجعل يقرا ذلك عليهم عن ظهر قلبه وادعى بذلك رسالة لنفسه ايسع اهل ذلك البلد ان يصدقوه فيما ادعى ام لا فان لا
صحابنا رحمهم الله احتجوا بان احدهما بان في القران ما يظهر به كذب هذا المدعي في دعوته من نحو قوله سيقولون ثلثة كذا ومن نحو
الاخبار والحكايات والقصص التي فيها مما لا يحتمل كونها الا تبعد [illegible] فيكذب بذلك فلم يلزمهم تصديقه وبالله
العصمة والثاني قالوا اذا ادعى ذلك به يعجزه الله عز وجل عن تلاوته واجراه على لسانه وادعائه ما ادعى بذلك وكان هذا اقرب
والله اعلم وقوله فلما فصل طالوت بالجنود اي من المدينة قيل هم سبعون الفا وقيل كانوا ثمانين الف سادتهم في حر شديد نزلوا
في قفرة من الارض فاصابهم عطش شديد فسالوا طالوت الماء فقال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر وقيل من شرب منه
فليس مني اي ليس معي على عدوي اي لا يخرج معي ويجوز ليس مني ومن اتباعي وشيعتي وجائز ان يكون به ظهور النفاق
والصدق في الدين ومن لم يطعمه فانه مني يقول معي على عدوي فيه دليل انه يسمى الشراب باسم الطعام والطعام باسمه

وقوله الا من اغترف غرفة بيده استثنى الغرفة كانه قال من شرب منه فليس مني الا غرفة فيجوز ان لثناء الكلام المتقدم
وان كان دخل من حرف الثنا وصرف الاول شيء اخر وهو يدل لاصحابنا رحمهم الله حيث قالوا فيمن اقر فقال لفلان علي كر
حنطة وكر شعير الا قفيز حنطة انه يصدق ويلزمه من الحنطة نصف كر ويحتمل ان يكون الثنا على ما يليه قوله ومن لم يطعمه فانه
مني الا من اغترف غرفة وقيل شرب شراب الدواب والغرفة هي شرب وقوله فشربوا منه الا قليلا وقليل القليل هم
ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا اغترفوا غرفة واحدة بايديهم وكانت الغرفة يشرب منها هو وخدمه ودوابه وقيل انما
استثنى الغرفة باليد لئلا يكرعوا كراع الدواب ففعل بعضهم ذلك فرد طالوت العصاة منهم فلم يقطعوا معه الا الثلثمائة والثلاثة
عشر رجلا وهو قوله فلما جاوزه هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قيل هو قول بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لانهم اكثر منا وكان مائة الف وهم ثلثمائة وثلاثة عشر والله اعلم بذلك العدد وقوله
قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل الذين يعلمون ويقرون بالبعث كم من فئة قليلة عددهم وقيل الذين يظنون يعني
يحسبون انهم يقتلون لانهم وطنوا انفسهم على الموت فطابت انفسهم بالموت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة وقوله
باذن الله قال بعضهم باذن الله اي بامر الله لكنه لا يحتمل الغلبة بالامر ولكن باذن الله عندنا بنصر الله والله مع الصابرين بالنصر
والمعونة لهم وقوله ولما برزوا لجالوت وجنوده يعني لقتالهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا يقول صب ويقال اتمم علينا صبرا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وهكذا الواجب على كل من لقي العدو ان يدعو بمثل هذا وعلى قول المعتزلة لا معنى لهذا الدعاء لانه
قد كان فعل الاصلح فاستجاب الله دعاءهم وهزم عدوهم وهو قوله فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت قال بعضهم باذن
الله بامر الله لكنه لا يحتمل لانهم كانوا يقاتلون بالامر ولا يهزمون بالامر وقال اخرون بعلم الله كان في علمه في الازل انهم يهزمون
وقيل بامر الله بنصر الله والله اعلم وقيل في القصة ان داود عليه السلام كان له سبعة اخوة مع طالوت خرجوا معه للقتال
وكان ابطا خبر اخوته على ابيهم ارسل داود اليهم ينظر ما امرهم وياتيه بخبرهم وهم في الصفوف فلم يخرج اليه احد فقال يا بني اسرائيل
لو كنتم على حق لخرج اليه بعضكم فقال داود لاخوته اما فيكم احد يخرج الى هذا الاقلف قال فقالوا اسكت قال فذهب داود فما
تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه ابنتي او اجعل له نصف ملكي فقال داود لطالوت فانا اخرج اليه قال فاعطاه
طالوت درعه وسيفه قال فلما خرج في الدرع جرها في الارض لان طالوت كان اطول منه قال فلما قال داود واخرج اليه وسيفه
قال فلما قال له طالوت من انت قال انا داود بن فلان فعرفه طالوت وراى انه اجلد اخوته قال فاخذ داود العصا ثم
خرج الى جالوت فرماه بثلاثة احجار فقال يا داود خذنا معك فلقينا منيته جالوت فاخذها ثم مضى نحوه وعلى جالوت بيضة هي مثل
الحمل فقال له جالوت اما ان ترميني واما ان ارميك فقال له داود بل انا ارميك فرماه بها فاصابه في اخرها فوقعت
في صدره فنفذته فقتلته وقتل الجر بعد ما انفذها الكثيرة وهزم الله جنوده وهو قوله فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت
والقصة طويلة فلا ندري كيف كانت وليس لنا الى معرفتها حاجة وقوله واتاه الله الملك والحكمة فالملك يحتمل علم الحرب
وسياسة القتال اذ لم يكونوا يقاتلون الا تحت ايدي الملوك وهو كقوله وشددنا ملكه واتيناه الحكمة ويحتمل الملك بما عقد له
من الخلافة كقوله انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وذكر انه الامر من قرب زمانه على ما عليه ابتداء ان
الملك يكون غير نبي فجمعا جميعا له فيكون على ذلك تاويل الحكمة انها النبوة والحكمة قيل هو الفقه وقيل هي النبوة وقد تقدم ذكر
وقوله وعلمه مما يشاء قيل صنعة الدروع كقوله والنا له الحديد وقيل كلام الطير وتسبيح الجبال وذلك مما خص به داود دون
غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويحتمل وعلمه مما يشاء اشياء اخر وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض اختلف فيه قال بعضهم دفع بالكفار بعضهم ببعض شرهم عن المسلمين لما شغل بعضهم ببعض وجعل
بعضهم لبعض اعداء الى ان لم يتفرغوا عن انفسهم للمسلمين والا كان ذلك فساد الارض وقال اخرون دفع بالرسل والانبياء
شرهم عن المسلمين وكفاهم بهم وقال غيرهم دفع بالمؤمنين بعضهم عن بعض دفع بالمجاهدين في سبيل الله عن القاعدين عن
الجهاد والا لغلب المشركون على الارض وقيل يدفع بالمصلي عمن لا يصلي وبالمزكي عمن لا يزكي وبالحاج عمن لا يحج وبالصائم
عمن لا يصوم فلذلك اختلف في قوله لفسدت الارض قيل لولم يدفع بعضهم ببعض لقتل بعضهم بعضا [illegible]
[illegible] وفي ذلك فساد الارض وقال اخرون لولم يدفع لفسدت الارض [illegible]
لولم يدفع لغلب المشركون على دار الاسلام واهلها فاذا غلبوا فسد اهلها [illegible]
الاسلام واهلها فاذا غلبوا فسد اهلها [illegible] ولقد فسدت
الارض اذا غلب المشركون عليها هدمت المساجد والصوامع فساد الارض واهلها وقوله ولكن الله ذو فضل على
العالمين يدفع ذلك عن المسلمين وعلى قول المعتزلة [illegible] ان يفعل ذلك وان يدفع [illegible]
كله عن المسلمين [illegible] نعوذ بالله من السرف في القول وقوله
تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق يحتمل قوله ايات الله ما ذكر من قتل داود وجالوت [illegible]
وقوة جالوت [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الاية يحتمل تفضيل بعضهم على بعض بما ذكر منهم من كلم الله ومنهم من اتخذه خليلا ومنهم من سخرت

له الريح والقمر ما كان في الانبياء مثله ويحتمل بعضهم على بعض في الحجاج والحجج على القوم لانه فيهم من كان اكثر محاجة لقومه
واعظم حججا وهو ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه وموسى ويحتمل التفضيل التمكين في الارض مكن لبعضهم ما لم يمكن للباقين
ويحتمل ذلك في الشفاعة ورفع الدرجات ويحتمل بعضهم على بعض في الرسالة لان منهم من ارسل الى الانس والجن جميعا ومنهم
من ارسل الى الانس خاصة ومنهم من ارسل الى نفر والله اعلم وقد ذكرنا ان لا يكون من الله تفضيل لبعض الرسل على بعض الرسل
على قول المعتزلة لانه فعل ما عليه ان يفعل وكل ما عليه ان يفعل فانه لا يوصف بالفضل والافضال ذلك انه ليس على ما يقولون
ويذهبون اليه وقوله وايدناه بروح القدس قد ذكرناه فيما تقدم وقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم
البينات هذه الاية والاتيان من بعدها فقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا وقوله ولكن الله يفعل ما يريد على المعتزلة لانه لو شاء
ان لا يقتتلوا وهم يقولون شاء ان لا يقتتلوا ولكن اقتتلوا والاقتتال هو فعل اثنين وفيهم من قتل ظالما ذليلة ولكن اختلفوا
فمنهم من امن ومنهم من كفر ثم قال ولو شاء ما اقتتلوا اخبر انه لو شاء ان لا يقتتلوا واخبر انه يفعل ما يريد ثبت الفعل في الارادة
ومنهم يقولون لا يفعل ما يريد وكذلك قوله ولو شاء الله ما اختلفوا اخبر انه لو شاء ما اختلفوا وهم يقولون شاء ان لا يختلفوا
ولكن اختلفوا انه لا يجوز صرف الاية الى مشية القسر والجبر لان المشية التي ذكرها الله تعالى معروفة في الناس فلا يجوز صرفها
الى غير المشية المعروفة الا بعد تقدم ذكر وبيان ابتهاء المراد وقوله ما اقتتلوا ولا اختلفوا فجعلهم على امر واحد ودين
واحد كقوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة والمعتزلة يقولون شاء ان يصيروا امة واحدة نعوذ بالله من السرف في القول
في الله بما لا يليق به وقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم يحتمل الامر بالانفاق امر بتقديم الطاعات والمسارعة الى الخيرات
قبل ان ياتي يوم يمنعه ويحجزه عن ذلك وهو الموت ويحتمل امره بالانفاق من الاموال في طاعة الله من قبل ان ياتي يوم وهو
يوم القيامة لا بيع فيه قيل لا فداء ولا خلة ولا شفاعة يحتمل قوله لا خلة اي لا ينفع خليل خليله كما ينفع في الدنيا وكذلك لا تشفع
شفاعته كما ينفع في الدنيا ويحتمل لا خلة ولا شفاعة اي لا ينفع احد احدا ولا يخال احد احدا ويحتمل يوم لا بيع فيه انهم
يملكون بيع انفسهم من الله تعالى ما داموا احياء فاذا ماتوا لم يملكوا كقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
الاية فاول الاية وان خرج الخطاب للمؤمنين فالوصف فيها وصف الكافرين لكن فيها زجر للمؤمنين عن صنيع مثل صنيع الكفار
وقوله الله لا اله الا هو قيل الله هو اسم المصور وكذلك سمي العرب كل معبود الها معناه والله اعلم انه الذي يستحق العبادة
ويحق ان يعبد هو الله الذي لا اله الا هو لا الذي تعبدونه انتم من الاوثان والاصنام التي لا تنفعكم عبادتكم اياها ولا يضركم
ترككم العبادة لها ويحتمل ان يكون على الاضمار ان قل الله الذي لا اله الا هو لانهم كانوا يقرون بالخالق ويقرون بالله كقوله عز وجل
ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله كقوله قل رب السموات السبع الاية وقل من بيده ملكوت كل شيء فسيقولون
الله فاذا كانوا يقرون فاخبرهم ان الذي يقرون به ويسمونه هو الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم ويحتمل ان يكون لقوم من اهل
الاسلام عرفوا الله تعالى وامنوا به ولم يعرفوا نعته وصفته انه الحي القيوم الى اخره وقوله الحي القيوم قيل هو الحي بذاته لا بحيوة هي
غيره كالخلق هم احياء بحيوة هي غيرهم حلت فيهم لا بد من الموت والله عز وجل متعال عن ان يحل فيه الموت لانه حي بذاته
وجميع الخلائق احياء لا بذاته تعالى الله عز وجل عما يقول فيه الملحدون علوا كبيرا والاصل ان كل من وصف في الشاهد
بالحياة وصف ذلك للعظمة له والجلال والرفعة يقال فلان حي وكذلك الارض سماها الله تعالى حية اذا اهتزت وانبتت
لرفعتها على غير الخلق فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى حي للعظمة وكذلك الارض سماها الله تعالى حي للعظمة والرفعة ولكثرة ما يكون
يذكر في المواطن كلها سمي الشهداء احياء لانهم مذكورون في الملاء من الخلق ويحتمل انه سمي حيا لما لا يغفل عن شيء ولا يسهو
ولا يذهب عنه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وبالله العصمة وقوله القيوم القائم على مصالح اعمال
الخلق وارزاقهم وقيل القيوم هو القيام على كل شيء يحفظه ويتعاهده كما يقال فلان قائم على امر فلان يعنون انه يحفظ اموره
حتى لا يذهب عنه شيء وقيل هو الحي القيوم اي لا يغفل عن احوال الخلق وقوله لا تاخذه سنة ولا نوم قيل السنة النعاس وقيل
السنة بين النوم واليقظة وسمي وسنان وقيل هي ريح تجيء قبل الراس فتغشي العينين فهو وسنان بين النائم واليقظان ويحتمل
قوله لا تاخذه سنة ولا نوم على نفي الغفلة والسهو عنه اذ لو اخذه صار مغلوبا مقهورا فيزول عنه وصف الحي القيوم كقوله
لا يعزب عنه مثقال ذرة على نفي الغفلة ويحتمل انه نفى عن نفسه ذلك لان الخلق انما ينامون ويتغشون طلبا للراحة والمنفعة
اما لدفع حزن او وحشة فاخبر انه ليس بالذي يحتاج الى راحة والى دفع حزن او وحشة وقيل لا يفتر ولا ينام قال الشيخ رحمه الله
والنوم والسنة حالان تدلان على غفلة من حلا به وعلى حاجته الى ما فيه راحته وعلى عجزه اذ هما يغلبان ويقهران فوصف
الرب نفسه بالعلو عن الذي ولا عليه من الوجوه وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العالي على ذلك القاهر له لا تاخذه
سنة ولا معنى يدل على العجز والحاجة ولا قوة الا بالله وقوله ما في السموات وما في الارض عبيده واماؤه ليس كما قالوا فلان ابن
الله والملائكة بنات الله بل كلهم عبيده واماؤه والناس لا يتخذون ولدا من عبيدهم واماءهم فالله احق ان لا يتخذ وقد ذكرنا هذا
فيما تقدم وقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي لا احد يجترئ على الشفاعة الا باذنه ثم اختلف في الشفاعة قالت المعتزلة
لا تكون الشفاعة الا لاهل الخيرات خاصة الذين لا ذنب لهم او كان لهم ذنب فتابوا عنه ذهبوا في ذلك الى ما ذكر الله تعالى في قوله
الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك اخبر انهم يستغفرون للذين امنوا وتابوا واتبعوا فاذا كان الاستغفار في الدنيا انما يكون للذين امنوا
وتابوا فعلى ذلك الشفاعة انما تكون في الاخرة لهؤلاء واما عندنا فان الشفاعة تكون لاهل الذنوب لان من لا ذنب له لا
الشفاعة وقوله للذين امنوا وتابوا واتبعوا سبيلك يكون لهم ذنوب في احوال التوبة فانما يغفر لهم الذنوب التي كانت لهم

فقد ظهر الاستغفار لاهل الذنوب فعلى ذلك الشفاعة فان قيل ارايت رجلا قال لعبده ان عملت عملا تستوجب به الشفاعة فانت حر فاى عمل يعمله ليستوجب به الشفاعة حتى يعتق عبده الشاعة والمعصية قيل الشاعة فعلى ذلك الشفاعة لا تكون الا لاهل الطاعة ولعله لا لاهل المعصية قيل ان الشفاعة التى يستوجبها اهل الذنوب انما يستوجبون بالطاعات التى كانت لهم حالة الشفاعة لان اهل الايمان وان ارتكبوا اماثما ومعاصى فان لهم طاعات فبتلك الطاعات ما يستوجبون الشفاعة كقوله خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فالشفاعة بخبره وقالوا الاستشفاعة فى الشاهد لاحد فى الاخرة لان الشفاعة هو ان يذكر عن منا قب احد عند احد وخبرا تربيس سواء كذا فى الاخرة والجواب لهم من وجهين احدهما انه انما يذكر فى الدنيا خبرات المشفع له لحرمانه هذا باحواله فيذكر خبراته ليعرفه بها فيشفع فيه والله تعالى عارف لا بتعريف والثانى ان ذكر خيرات الحاجة تقع له فى مثلها لا تكون فى الاخرة صاحة والله يتعالى عن الحاجة مما بالعباد ولذلك اختلفا والله اعلم فان قال لنا قائل ان جميع ما ذكر فى هذه الاية من اولها الى اخرها كلها دعوى بما الدليل على ذلك الدعوى قيل يحتمل ان يكون دليله ما تقدم ذكره من قوله ان فى خلق السموات واختلاف الليل والنهار الاية والثانى من انكر الصانع فتكلم او لا معه فى حدث العالم وحاجته الى محدث فاذا ثبت حدث العالم فحينئذ يتكلم فى اثبات الصانع ووحدانيته وبالله التوفيق وفى قوله واحد ليس من حيث العدد لان كل ذى عدد يحتمل الزيادة والنقصان ويحتمل الطول والعرض والقصر والكسر ولكن يقال ذلك واحد من حيث العظمة والجلال والرفعة كما يقال فلان واحد زمانه يريدون قومه يعنون رفعته وجلالته فى قومه وسلطانه عليهم سائر القول فهم لا يعنون من جهة العدد لان مثله فيهم كثير من حيث العدد والله اعلم وقوله ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء هذا على المعتزلة لانهم لا يصفون بالعلم وقد اخبر ان له العلم ثم احتمل علمه علم الغيب وقال اخرون علم الاشياء كلها لا يعلمون الا ما يعلمهم الله من ذلك كقول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا ومن قال علم الغيب فهو الذى قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وقوله وسع كرسيه السموات والارض قال بعضهم وسع علمه وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقال اخرون كرسيه قدرته وهو وصف بالقدرة والعظمة وقيل وسع كرسيه والكرسى هو اصل الشىء يقال كرسى كذا والمراد منه انه المعتمد والمفزع للخلق وذلك بالعظمة والقوة ويقال وسع كرسيه وهو خلق من خلقه وقيل ان الكرسى هو الكرسى لكنه خلقه ليكرم به من يشاء من خلقه فعلى ذلك لا يفهم من قوله وسع كرسيه وغيره من الايات ما يفهم من الخلق بقوله ليس كمثله شىء وقوله ولا يؤده حفظهما قيل لا يثقل عليه وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وروى عنه ايضا انه قال لا يثقل عليه وقيل لا يجهده وقيل لا يعالج بحفظ شىء مثال الخلق وقوله وهو العلى العظيم العلى العظيم العلى عن كل موهوم يحتاج الى عرش وكرسى العظيم عن ان يحاط به وقال ابن عباس رضى الله عنه وسع كرسيه قال علمه الى قوله ولا يؤده حفظهما كل شىء فى علمه لا يؤده حفظ شىء والله اعلم قال الشيخ رحمه الله تعالى العلى عن جميع احوال الخلق وشبههم والعلى القاهر والغالب لا اكراه فى الدين اى لا يكره على الدين فان كان الناس وبلهذا فهو على بعض دون بعض وقوله لا اكراه فى الدين قال بعضهم نزل فى المجوس واهل الكتاب من اليهود والنصارى انه تقبل منهم الجزية ولا يكرهون على الاسلام ليس كمشركى العرب ان لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف ولا يقبل منهم الجزية فان اسلموا والا قتلوا وعلى ذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كتب الى المنذر بن ساوى اما العرب فلا تقبل منهم الا الاسلام او السيف واما اهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية وعلى ذلك نطق به الكتاب يقاتلونهم او يسلمون وقال قوم قوله لا اكراه فى الدين اى لا دين يقبل باكراه بل ليس ذلك بايمان والثانى ان الرشد قد تبين من الغى وبين ذلك لكل احد حتى اذا قبل الدين قبل عن بيان وظهور لا عن اكراه وقال اخرون قوله لا اكراه فى الدين اى لا اكراه على هذه الطاعات بعد الاسلام لان الله تعالى حبب هذه الطاعات فى قلوب المؤمنين فلا يكرهون على ذلك ومعناه ان فى الامم المتقدمة الشدائد والمشقة وقد رفع الله عز وجل تلك الشدائد عن هذه الامة وخففها عليهم دليله قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وقوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ومثل ذلك كثير كانت على الامم السالفة ثقيلة وعلى هذه الامة مخففة فاذا كانت مخففة عليهم لا يكرهون على ذلك وقال اخرون هو منسوخ بقوله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وقال اخرون ان قوما من الانصار كانت ترضع لهم اليهود فلما جاء الاسلام اسلم الانصار وبقى من عند اليهود من ولد الانصار على دينهم فارادوا ان يكرهوهم فنزلت الاية لا اكراه فى الدين قال الشيخ رحمه الله ويحتمل الاكراه فى الدين ما قال فى قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقوله قد تبين الرشد من الغى يعنى قد تبين الاسلام من الكفر بالله فلا تكرهون على ذلك وقوله فمن يكفر بالطاغوت اختلف فيه قيل الطاغوت الشياطين وقيل كل ما يعبد من دون الله فهو طاغوت من الاصنام والاوثان التى تعبد دون الله وقيل الطاغوت الكهنة التى يدعون الناس الى عبادة غير الله يكفر هؤلاء وتكذيبهم قال الشيخ رحمه الله ومن جملته ومن يكفر بالذى يدعوا الى عبادة غير الله ويكذبه فى ذلك ويؤمن بالذى يدعوا الى عبادة الله ويصدقه انه داع الى الحق وقوله ومن يؤمن بالله فيه دلالة ان الايمان بالله هو ايمان بالانبياء والرسل والكتب جميعا اذ له يذكر معه غيره والكفر بالذى ذكرت يمنع حقيقة الايمان بالله لان من امن به وبامره ونهيه وشرائعه لكن الذى قال لا نفرق بين احد من رسله لقول قوم حيث قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض والكان فى الايمان بالله ايمان بجميع ذلك وقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى يحتمل هذا وجهين يحتمل فقد عقد لنفسه عقدا وثيقا لا انفصام لذلك العقد ولا انقطاع لا تقوم الحجة سبعضه ويحتمل فقد استمسك بالعروة الوثقى بنصره اياه بالحجج والبراهين النيرة التى من اعتصم بها لا انفصال عنه ولا الزوال ثم فيه نقض على المعتزلة لانه اخبر عز وجل ان من امن بالله فقد استمسك بكذا والمعتزلة يقولون صاحب الكبيرة يخلد فى النار وهو مؤمن بالله فاى عروة اوهى من هذا

على قولهم وان له زوال وانقطاع من ثواب الذى وعد له عز وجل بايمانه بالله وتصديقه به وبالله العصمة وقوله سميع لقولهم عليم بثوابهم او سميع بايمانهم عليم بجزاء ايمانهم والله عليم وقوله الله ولى الذين امنوا قيل الولى الحافظ وقيل الولى الناصر وهو ناصر المؤمنين وحافظهم وقيل يتولى ولياته قيل امور الخلق من النصر والحفظ والرزق وغيره وعلى ذلك يسمى الولى والبالى امور الناس وقيل قوله الله ولى الذين امنوا اى اولى بهم اليه احبابهم وطمعهم وهو الذى يكرمهم وان الطاغوت اولى بالكافرين كما قال فالنار مثوى لهم وعلى ولى بهم والله اعلم وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور قوله يخرجهم بمعنى اخرجهم وجائز هذا فى اللغة يفعل بمعنى فعل وفعل بمعنى يفعل وهذا غير ممتنع عنه وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات هو ابتداء تنشؤهم عليه ليس انه كانوا فيه ثم اخرجهم كقوله رفع السموات بغير عمد ترونها رفعها ابتداء ليس انه كانت موضوعة ثم رفعها فعلى ذلك الاول والاية تنقض على المعتزلة قولهم اذ من قولهم ان جميع ما اعطى المؤمن من الاخراج من الكفر اعطى مثله الكافر فكانهم يقولون اخرجهم جميعا من الظلمة وعليه اخراج الكافر ايضا من الظلمات اذ ذلك هو الاصلح له وعليه ان يعطى الخلق ما هو الاصلح لهم فى الدين فاذا كان هذا قولهم فهو ولى الكفرة والمؤمنين جميعا على قولهم اذ هو به بالسبب الذى ذكر الولاية للمؤمنين فيعطى ايضا الكفرة قالوا انه انما اضاف الكفر الى الطاغوت وانتم تضيفونه الى الله عز وجل قيل هو ظاهر الكذب انا لا نضيف ذلك اليه الكفر انما نقول انه خلق فعل الكفر من الكافر كفرا وخلق فعل النور من المؤمن نورا على انه ان كان هذا فى الكفرة فالقول فى الفصل الاول من قولكم انه منعم على المؤمن ثم لا نعمة فيه على المؤمن الا بالامر والاقدار منه يوجد للكافر فى كفره على قولكم ثم لا نعمة تقع فى الامر والدعاء للمؤمنين الا ويقع مثله للكافر اذ هو فى الامر والدعاء كالمؤمن ولا قوة الا بالله سواء وليس فى القول بانه فعل كل احد على ما عليه اضافة الكفر اليه بل انما يضيف الخير اليه بما منه فيه من الافضال على الشكر له فدل انه له عز وجل فى المؤمن فضل صنع ليس ذلك له فى الكافر والكفر فى اللغة الستر وكذلك الظلمة هى الستر يقال كفرت الشىء اى سترته وكذلك يقال ليل مظلم لانه يستر ضوء النهار ونوره فيستر الاشياء عن ابصار الخلق قال الشيخ رحمه الله فى قوله تعالى الله ولى الذين امنوا يخرجهم الاية دلت هذه الاية على ان كان من الله الى الذين امنوا معنى لم يكن منه الى الذين كفروا به كان ايمانهم ولو لم يكن الا الامر والاقدار والبيان على ما قالت المعتزلة لكان كل ذلك عندهم الى الفرق فلا وجه لتخصيص المؤمنين بما ذكر وجعل الطاغوت اولى بالكافرين وصنع الله الى كل وحد ولم يكن من الله تلك الزيادة فاذا كان الذى ذكر لهم فى انفسهم فلا وجه للامتنان بذلك ومن البعيد ذكر الامتنان فيما به الالزام والامر وما ذكرت المعتزلة انما هى اسباب الالزام ولولا ذلك كان ايسر عليهم واقل لائمة فكيف يمن بما ثبت ان كان منه فضل ليس كذلك فى اعدائه فيه استوجب الحمد منهم ولهذا يضاف اليه الخيرات على الشكر له وتوجيه الحمد اليه ولا يضاف اليه الشرور وما ليس فى ذلك تشكر انما منه الخذلان بما علم من ايثار الكافر عداوته واختياره الكفر به فلذلك لم يجز الاضافة اليه والاضافة اليه جل ثناؤه لا باسم الخلق يخرج مخرج التعظيم له والخضوع من العبد بالحمد له والتشكر ولا يجوز مثله فيما ليس فيه ذلك على ما لا يضاف اليه الانجاس والخبائث والجواهر القبيحة وان كانت من طريق الخلقة جرى عليها تدبيره وخرجت على تقديره فعلى ذلك افعال الخلق وعلى ذلك القول بانه رب كل شىء والله كل شىء ثم على الاشارة لا يوصف بذلك فى الاشياء الخاملة المستخف بها تمثله الاول والله اعلم وقوله والله لا يهدى القوم الظالمين والكافرين ونحو ذلك يخرج على وجوه احدها انه لا يهديهم وقت اختيارهم ذلك ويكون لا يخلق منهم فعل الضلال ويحتمل من فى علمه انه لا يهتدى فيرجع المراد الى الخاص ويحتمل لا يهديهم طريق الجنة فى الاخرة من كفر بالله فى الدنيا ويحتمل لا يجعلهم فى حكمهم كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم الاية وقوله اولئك اصحاب النار فيها خالدون ذكر ان الكفرة هم اصحاب النار وذكر فى اية اخرى ان الملائكة اصحاب النار بقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة لكنه ذكر اصحاب النار لما يتولون تعذيب الكفرة فيها فسماهم بذلك وذكر الكفرة اصحاب النار لانهم هم المعذبون فيها والملائكة معذبون بها والله اعلم وقوله الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه قد ذكرنا ان قوله الم تر انما يفتتح به الاعجوبة كقوله الم تر الى ربك كيف مد الظل وقوله الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وفيه اباحة التكلم فى الكلام والمناظرة فيه والحجاج بقوله حاج ابراهيم فى ربه ورد على من يمنع التكلم فيه وكذلك لانا امرنا بدعاء الكفرة جميعا الى وحدانية الله تعالى والاقرار له بذلك وكذلك المعرفة له انه كذلك الانبياء باجمعهم امروا وندبوا الى دعاء الكفرة الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له فاذ دعوناهم الى ذلك لا بد من ان يطلبوا منا الدليل على ذلك والبيان عليه والوصف له كما هو والتقرير عندهم انه كذا فلا يكون ذلك الا بعد المناظرة والحجاج فيه لذلك قلنا ان لا باس بالتكلم والمناظرة فيه دلالة على اباحة المحاجة فى التوحيد وفيه الاذن بالنظر فى النظر لانه حاجة للنظر والله اعلم وقوله ان اتاه الله الملك قال اهل الاعتزال قوله ان اتاه الله الملك هو ابراهيم عليه السلام لان ذلك الكافر لقوله لا ينال عهدى الظالمين اخبر ان عهده لا يناله الظالم والملك عهد لكنه غلط عندنا لوجوه احدها ان ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه ما عرف بالملك والثانى ان الاية ذكرت فى محاجة ذلك الكافر ابراهيم ولو كان غير ملك وكان ابراهيم عليه السلام هو الملك لم يقدر المحاجة مع ابراهيم عليه السلام اذ لا محاجة الا عن ملك دل انه هو الذى كان الملك والثالث قال انا احيى واميت ثم قيل انه جاء برجلين فقتل احدهما وترك الاخر فلو لم يكن ملكا لم يتات له ذلك بين يدى ابراهيم اذ كان ابراهيم صلوات الله عليه هو الذى اتاه الله الملك فدل ان المراد به ذلك الكافر ثم الملك يكون فى الخلق باحد امرين اما الفضل والشرف والعز والسلطان والدين واما من جهة الاموال والطول عليها والقهر والغلبة فان لم يكن له الملك من جهة الاول لكان له ذلك بفضول الاموال لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله اعطى الملك ليمتحن به كما يعطى الغناء والصحة فيمتحن بهما وقوله اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت وكان هذا من ابراهيم عليه السلام والله اعلم عن سؤال سبق منه ان قال له ذلك الكافر من ربك

الكفر بالفتح التغطية

الذي تدعوني اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت والا لا يحتمل ابتداء الكلام بهذا على غير سبق سؤال كان منه وهو ما ذكر في قصة فرعون حيث دعاه موسى الى الايمان بربه قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى فعلى ذلك الاول وقوله انا احيي واميت فقتل احدهما وترك الاخر على ما قيل في القصة قال ابراهيم عليه السلام فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قال بعض الجدليين هذا من ابراهيم عليه السلام صرف المحاجة الى غير ما كان ابتداؤها ومثله في الظاهر انقطاع وحيد عن الجواب لان جوابه ان يقول انا افعل كما فعلت او ان يقول له احي الذي كان حيا ولكن احيي هذا الميت لكنه صلوات الله عليه فعل هذا ليظهر عجزه على الناس لان ذلك كان منه تمويها وتلبيسا على قومه اخذ قلوبهم فاراد ابراهيم صلوات الله عليه من الحجة ما هو اظهر واعجز له واخذ للقلوب والثاني اراد ان يريد ان هذا مما قدر عليه بغيره اذ الذي لم يجعل له القدرة عليه لم يقدر عليه ثم لما ثبت عجزه في احدهما يظهر عجزه في الاخر والله اعلم وقيل بان هذا من ابراهيم انتقال من حجة الى حجة ليس بانقطاع وهو جائز وقوله تعالى فبهت الذي كفر قيل انقطع وتحير وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين ذكر الظالم لان الظلم هو وضع الشيء في غير محله حيث هذا اللعين المحاج في غير موضعه قوله او كالذي مر على قرية قيل هو نسق على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم وقيل نسق على قوله انا احيي واميت لانه بذلك انكر البعث ثم اختلف في المار على القرية قال بعضهم كافر قال ذلك وقال اخرون لا ولكن قال ذلك مسلم وقال اكثر اهل التاويل هو عزير فان كان قائل ذلك كافرا فهو على انكار البعث والاحياء وان كان مسلما فهو على معرفة كيفية الاحياء ليس على الانكار وهو كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي وليس لنا الى معرفة قائل حاجة انما الحاجة الى معرفة ما ذكر في الاية والله اعلم وقوله وهي خاوية على عروشها قيل خالية عن سكانها وقيل خاوية ساقطة سقوفها على حيطانها وحيطانها على سقوفها فقال انى يحيي هذه الله بعد موتها هو على ما ذكرنا وقوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه اراد والله اعلم ان يري الاية في نفسه والاية هي اية البعث ويحتمل ان يكون اية في المتاخرين وقوله كم لبثت سأل منه جل وعلا الاجتهاد بظاهر الحال الذي ظهر انه اجتهد بدليل ونحوه على ما يدرك وسعه فبان ان المجتهد يحل له الاجتهاد بما يدرك في ظاهر الحال وان كان حكم فيه الاجتهاد بالغيب قال الشيخ رحمه الله واراد بقوله كم لبثت التنبيه كقوله لموسى وما تلك بيمينك يا موسى ليريه الاية من الوجه الذي هو اقرب الى الفهم متوجهة الاعجوبة فيه بوجهين مرة باماتة الحمار ومن طبعه الدوام ومرة بابقاء طعامه ومن طبعه التغير والفساد عن سريع جعل في بقاء طعامه وحفظه من الفساد اية من طبعه الفساد وفي احياء حماره بعد اماتته وطبعه البقاء ليعلم ما اراه نفسه في كيفية الاحياء درك ذلك وهو قوله قال اعلم ان الله على كل شيء قدير ثم قيل في وجه ما اراه باوجه قيل انه احيي عينيه وقلبه فادرك بهما كيفية الاحيا في بقية نفسه وقيل احيي نفسه فاراه ذلك في حماره وقيل انه اراه ذلك في ولده لانه راى شابا وولده شيوخ وذلك اية قال الشيخ رحمه الله في قوله ثم بعثه قال كم لبثت الاية فان قال قائل كيف سأله عن لبثه وقد علم انه لم يكن علم به واتيد ذلك اخباره بقوله لبثت يوما او بعض يوم بل لبثت مائة عام قيل القول كم لبثت يحتمل وجهين وكذلك القول بقوله بل لبثت مائة عام احدهما على قول القائل له ونطق اسمع هو والثاني ان يكون على ما حدثته نفسه بمدة لبثه في حال نومه فتامل في ذلك احوال نومه واخبر عما عاين من احوال الوقت الذي كان فيه مما كان ابتداؤه وقت نومه فقال بالذي ذكر ثم لما تامل شان الحمار وتغير الاحوال قالت له نفسه بل لبثت مائة عام ثم ان نظره في حماره وما راى من تغير احواله وانشاه الله تعالى على ما ذكر وكل ذلك خبر عما حدثته نفسه هو على التفكر في احواله والنظر فيما عاين من اثارها وكان علم ان ذلك موت فيه لكنه استقل ذلك بما شهد نفسه عيانا بها على ما كانت عليها فلما تامل شان حماره علم انه رفع الى ايات عجيبة فزع الى الله فانباه الله تعالى بالذي وصف في القران والله الموفق ولو كان على القول فان في السؤال يعلم السائل جهل المسؤول وجهين احدهما الامتحان على ما به ظهور احوال الممتحن من الاجتهاد في تعريف الحقائق بالاستدلال والخضوع له بالاعتراف بقصوره من الاحاطة به كفعل الملائكة عند قوله انبئوني باسماء هؤلاء وبقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا والاول كما فعل صاحب هذا الاية قال يوما او بعض يوم ومثله امر اصحاب الكهف والله اعلم والثاني ان يراد بالسؤال التقرير عنده متنبطا المراد به من الاطلاع على الاية كما قال موسى وما تلك بيمينك يا موسى [illegible] وهذا فيما كان السؤال في الظاهر خارج في الحقيقة [illegible] ما ذكرنا في امر الملائكة وامر موسى عليه السلام فاما السؤال الذي [illegible] ما عليه حقيقته الا بالسؤال لكن الذي ذكرت فيهما كان سبيله ان يكون من الامتحان ولا قوة الا بالله وقوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه قيل لم يات عليه السنون [illegible] وقيل لم يتسنه لم يتغير ولم ينتن [illegible] وقوله وانظر الى العظام كيف ننشزها [illegible] ومن الاحياء والنشر [illegible] وقوله فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير [illegible] ان هذه القصص كانت ظاهرة بينهم ولم يكن له اختلاف اليهم ولا نظر في كتبهم ثم اخبر على ما كان ليعلم انه انما علم ذلك بالله وقوله واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي [illegible] ان الله يحيي الموتى ولكن احب ان يعاين ذلك لان الخبر لا يكون عنده كالعيان [illegible] كيفية الاحياء [illegible] انك قد استجبت [illegible]

و قيل اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اجبتني الذي دعوت ويحتمل ان يكون ابراهيم عليه الصلوة والسلام اراد بسؤاله ذلك ان يكون له اية حسية كما لسائر الانبياء كانت [illegible] وايات سائر الانبياء كانت حسية فاحب صلوات الله عليه ان يكون له حسية كما لهم كسؤال زكريا [illegible] حيث قال رب اجعل لي اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا فعلى ذلك سؤال ابراهيم عليه السلام وقوله فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك معناه وجههن اليك كقول الرجل صر وجهك الي اي حول وجهك الي وعن ابن مسعود رضي الله عنه فصرهن اليك قيل قطعهن [illegible] وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الاية يحتمل ضرب مثل النفقة في سبيل الله بالحبة التي ذكر وجهان احدهما ان يبارك في تلك النفقة فيزداد [illegible] في حبة واحدة فصارت سبعمائة واكثر والثاني [illegible] الصدقات واراد بالصدقة تتلف وتتلاشى في ايدي الفقراء فقال وكيف تزكو وهي تتلف [illegible] ما تلفت فيها [illegible] فصارت مائة وزيادة فعلى ذلك الصدقة في طاعة الله والنفقة [illegible] منسوخة بالفرائض لكن لا يحتمل لانه وعد والوعد [illegible] لا يحتمل النسخ [illegible] فاما الوعد فهو على حاله والله اعلم وقوله والله واسع عليم قيل غني وقيل جواد يوسع على من يشاء وقوله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قال المفسرون في الجهاد [illegible] لان العدو انما يخرجون لقتال المسلمين [illegible] سبيله وطريقه والمؤمنون انما يخرجون ليسلكوا طريق الله تعالى وينصروا دينه واولياءه لذلك كان التخصيص له لقولهم والا كان يجيء ان يستوي الطاعات كلها والخيرات سبيل الله لانها سبيل الله وطاعته كقوله الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله الاية وقوله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى قيل منا على الله واذى للفقراء فقيل منا على الفقراء واذى لهم ثم قيل منا على الفقير عد ما انفق عليه وتصدق واذى ويوبخه عليه بذلك واما منة على الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قد ذكرناه وبالله فيما تقدم وقوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى قيل قول معروف كلام حسن يدعو الرجل لاخيه بظهر الغيب وقيل قول معروف يستغفر الله ذنوبه في الستر ومغفرة له ويتجاوز عن مظلمته وقيل قول معروف الامر بالمعروف خير ثوابا عند الله من صدقة فيها اذى ومن فان قيل كيف جمع بين قول المعروف والمغفرة وبين الاذى والمن فقال خير من كذا واحدهما خير والاخر شر وانما يفعل هذا ان لو كان جميعا خيرين فيقال ايهما اخير قيل معناه والله اعلم هذا خير لكم من ذلك وهو كقوله قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة في دنياكم وان لم يكن اللهو والتجارة من جنس ما عند الله فعلى ذلك الاول ويحتمل الاية على الابتداء لا على الجمع هذا خير وهذا شر قال الشيخ رحمه الله ووجه ذلك ان الصدقة قربة وهو خير فاذا اتبعها الاذى ابطلها فيكون قول معروف اي رد جميل للسائل خير من اجابته في البذل ثم الرد لان هذا يبقى وان كان لا ينتفع به الاخر والصدقة لا وان كان ينتفع بها الفقير والله اعلم وقوله والله غني عن صدقاتكم حليم لا يعجل بالعقوبة عليكم بالمن والاذى وقال بعضهم المن والاذى ان يقول السائل خذه لا بارك الله فيه لك وقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى بما ذكرنا ثم جهة البطلان والله اعلم ان الله عز وجل وعد لمن تصدق الثواب عليها بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقال واقرضوا الله قرضا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه وقال في اية اخرى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية وان كانت تلك الاموال في الحقيقة له اعطاهم الثواب على ذلك فاخبر ان من اعطى اخر شيئا يبذل لا يمن عليه كالمبادلات التي تجري بين الناس ان لا يكون لبعض على بعض جهة المن اذ اخذ بدل ما اعطاه وان الاموال كلها لله تعالى فانما اعطى ماله وكل من اعطى اخر ماله لا يستوجب ذلك حمدا ولا منا ثم اختلف في قوله كالذي ينفق ماله رئاء الناس قال بعضهم هم منافقون اموالهم بامر دليله قوله ولا يؤمن بالله واليوم الاخر شبه الصدقة التي فيها من واذى بالصدقة التي فيها رياء وذلك والله اعلم ان الصدقة التي فيها من واذى لم يتبع بها وجه الله فكان كالصدقة التي ينفقها للزيادة لا يبتغي بها وجه الله تعالى عز وجل والدار الاخرة ثم ضرب المثل للصدقة المتبع بها الرياء والصدقة التي فيها المن والاذى بالصفوان الذي عليه تراب وهو الحجر الاملس فقال كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا قيل الوابل المطر الشديد العظيم القدر وفي ضرب الامثال تعريف ما غاب عن الابصار بما هو محسوس وذلك ان الصفوان الذي به ضرب المثل والتراب محسوس ومن التراب جعل الاغذية للخلق والدواب ثم الثواب الذي وعد للصدقة ليس بمحسوس بل هو غائب فعرف الغائب بالمحسوس فقال لما كان التراب الذي به يكون الاغذية يذهب بالمطر الشديد حتى لا يبقى له اثر فكذلك الثواب الذي يكون للصدقة يذهب ويتلاشى حتى لا يظفر بها بالمن والاذى والرياء كما ذهب المطر التراب الذي على الصفوان فصار صلدا لا شيء عليه من التراب وقوله والله لا يهدي القوم الكافرين قالت المعتزلة لا يهدي القوم الكافرين بكفرهم الذي اختاروا وقلنا نحن لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر ويهديهم الايمان وفي قوله قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى وله وجه اخر وهو ان يحتمل قوله معروف منه التسبيحات والثناء والحمد والمغفرة ستر ما ارتكب من الماثم وقوله خير اي حسن على البدن من صدقة يتبعها اذى والله اعلم وقوله ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم الاية في الامثال التي ضربها الله تعالى وذكرها في القران وجوه احدها جواز تعريف ما غاب من الحكم عن المنصوص بالمنصوص اذا جمعهما معنى واحد والثاني ان علم المحسوسات والمشاهدات هي علوم الحقائق وهي الاصول التي بها يستدل ويوصل الى معرفة الغائب والثالث فيها اثبات رسالة محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات وذلك ان العرب لا تضرب الامثال ولا كانت تعرفها في امر التوحيد وتعريف ما غاب عن حواسهم من امر القيامة ونحو ذلك ثم بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه القران وذكر فيه الامثال ليذكرهم تلك الامثال ليعلموا انه انما عرفها بالله عز وجل لا انه انشا

هذا القران من تلقاء نفسه وذلك من ايات نبوته ورسالته وعلى ذلك جعل عدم الكتابة وانشاء الشعر من ايات نبوته ورسالته
لان من عادة العرب انشاد الشعر والكتابة ويفضلون اربابها على غيرهم لشارة يعرف هو بها ويقولون انه اخذ من الكتب واختلق
من نفسه كقوله تعالى ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون والرابع فيها دلالة ان الله جل وعلا خالق الدنيا وما فيها من المحاسن
والخبائث والاعالي والخسائس حيث ضرب مثل الرفيع بالرفيع والخسيس بالخسيس فدل ان خالق هذه الاشياء كلها
هو الله تعالى لا شريك له ولا شبيه ثم شبه الصدقة التي هي لله عز وجل مرة بالربوة من الارض وهي المرتفعة منها ومرة بالحبة
التي نبتت كذا وكذا سنبلة وفي كل سنبلة كذا وكذا حبة ومرة بالاضعاف المضاعفة لقوله فيضاعفه له اضعافا كثيرة فهو والله
اعلم لما علم عز وجل رغبة الناس مرة في العدد في الدنيا ومرة في البساتين المرتفعة ارضها وترتيبها يشرفوا على غيرهم من الخلايق والنعم
ومرة في الكثير من الاشياء والعظيم منها رغبهم عز وجل في الصدقة بما ذكرنا من الاشياء لعلمه برغبتهم فيها ليرغبوا في ذلك والله
اعلم وعلى ذلك حرم الله تعالى الصدقات على رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كان يرغب الناس في الصدقة لئلا يظنوا فيه ظن السوء
ويقولون انه انما يرغبهم فيها لينتفع هو بها وقوله تثبيتا من انفسهم قيل تصديقا كقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
وقيل وتثبيتا اي تيقنا بالاسلام وقيل يتثبتون في مواضع الصدقة تثبيتا في الصدقة اذا كانت لله امضى وتصدق بها وان
خالطه شيء امسك والله اعلم وقوله كمثل جنة بربوة قيل الربوة المرتفع من الارض وقيل الظاهر المستوي من المكان وقوله
فاتت اكلها يعني الجنة ضعفت في ثمرها في الحمل ضعفين حين اصابها وابل كذلك الذي ينفق ماله لله تعالى غير منة بمن بها
يضاعف نفقها كثرت النفقة او قلت وقيل يضاعف الله المنفق الاجر مرتين وقوله فاصابها وابل والوابل والوابل قد
ذكرنا انه المطر الشديد العظيم القطر وقوله فطل والطل هو المطر الضعيف وقيل هو الطش من المطر وهو الرذاذ ومثل الندى
لا تزال الجنة خضرا دائما ثمرها قل او كثر وقوله ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب الاية ليس لهذا الخطاب
جواب لان جوابه ان يقول يود او لا يود او لا يود لكن للخطاب من الله تعالى يخرج على وجوه ثلاثة خطاب يفهم مراده
وقت قرعه السمع وخطاب لا يفهم مراده الا بعد النظر فيه والتفكر والتدبر وهو كقوله افلا يتدبرون القران الاية
وكقوله عز وجل وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ويعقلون وخطاب لا يفهم مراده الا بالسؤال
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او من له علم في ذلك كقوله تعالى فاسئل به خبيرا وكقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
فاذا كان ما ذكرنا فيحتمل ان ما ترك من الجواب للخطاب انما ترك للطلب والبحث عنه والتخصيص ثم ان هذا الخطاب يحتمل ان يكون
في اهل النفاق وذلك ان المنافق يري من نفسه الموافقة لاهل الاسلام في الظاهر وهو مخالف لهم في السر وعنده
انه يستحق الثواب بذلك وقت الثواب كان لصاحب الضيعة التي ذكرت في الاية ان صاحبها يغرس فيها الغرس وينبت
فيها النبات في حال شبابه وقوته رجاء ان يصل الى الانتفاع بها في وقت الحاجة والضعف فاذا بلغ ذلك واحتاج حيل بينه
وبين الانتفاع فيها فكذلك المنافق الذي كان دينه لمنافع في الدنيا وسعة لها اذا بلغ الى وقت الحاجة حرم ذلك
وكذلك هذا في الكافر لانه راى لنفسه النفع بعمله لوقت تاملهم كصاحب الضيعة ثم عند بلوغه الحاجة حرم عند ذلك
ذلك لاعتراض ما اعرض من الافة وهو كقوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الاية لان
الكافر بما يدين من الدين انما يدين لينتفع بنائله في الدنيا والمؤمن انما يدين بما يدين لينتفع بنائله ويطمع في الاخرة فيما ذكر
في غير موضع لذلك كان ما ذكر والله اعلم ثم الامثال التي ضربت ينتفع بها المؤمنون لانهم نظرهم ما في الامثال من المعنى
المدرج والمودع فيها لم ينظروا عينها واما الكفار انما ينظرون الى عين الامثال لا الى ما فيها فاستحقروها واستبعدت
عقولهم ذلك لذلك قال الايات لقوم يتفكرون ويعقلون ووجه ضرب هذا المثل وهو ان الكافر يحرم اجره عند افتقاره
واحوج ما كان اليه كما حرم هذا نفع بستانه عند افتقاره وما كان اليه حين كبرت سنه وضعفت قوته ولا حيلة له يومئذ
وقوله اعصار قال ابن عباس الاعصار ريح فيها سموم وقيل الاعصار ريح فيها نار تحرق الاشجار وقيل هي الريح تسطع
الى السماء وهي اسد قال الشيخ رحمه الله في قوله ايود احدكم ان تكون له جنة الاية فمعناه والله اعلم ان يكون اذ لا يود
ان يكون له جنة ينال منافعها في وقت قوته وغناه بقوته عنها وبغيرها من وجوه المعاش ثم يحرم نفعها لوقت الحاجة
اليها بضعف بدنه وارتكاب مؤن الذرية فلذلك لا ترضوا من انفسكم في وقت قوتها وغناها الغفلة عنها لوقت حاجتها
الى الاعمال والاضطرار الى ثوابها والله اعلم وان يكون المعنى من ذلك اي لا تغتروا بظاهر احوالكم في الدنيا وبما تنالون من المنافع
بالذي اظهرتم من موافقة المؤمنين كاغترار من ذكرت بجنته في حاضر ما عليه حاله الحال الى ما اراه الله من عاقبته انه يود
عنه لما ياتيه ذلك ان لم يكن منه الاغترار في ذلك ولكن كان قيامه على لا يضيع عنه ذلك بتلك الحال فيخرج ذا على ضرب المثل
المنافق ويحتمل ان يكون ذلك مثل لمن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ممن يؤمن بالبعث ان الذي ينال بالكفر به من الرياسة و
العز كالذي ذكر من صاحب الجنة انه لو يود ذلك الابتداء بما يعلم تلك العاقبة فكذا ما ينبغي لهم اذ بين لهم عواقب
الكفر بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يؤثروا الذي بالوا بعد علمهم بشدة تلك العاقبة والله اعلم والمثل خرج على غير ذكر الجواب
فيه لما قد جرى له البيان لعلمه بالمبعوث مبتدا وبما في الحال التي نزول الاية دليل للتعريف او بما اراد الله امتحان السامعين
بالتامل في الاية لينال كل ذي عقل فضله وليكرم به اهل التدبر في اياته في صرف وجوه من دونهم اليهم في التعهد وعن
ارائهم والاعتماد على اشارتهم والله اعلم وجملة ذلك ان افعال ذوي الاختيار يكون للعواقب وما اليه مرجع الفاعل
مقصودا في الابتداء فيتبين لمن اغفل عنه بالذي عرف من حيرة المسرور بجنة فما انكشفت له عاقبتها حتى لعلكم يودان
لم يكن له تلك ليكون سروره بما يجد عاقبته فعلى هذا الامر الافعال التي تغفل عن عواقبها اذا صار اليها صاحبها والله الموفق

قال الشيخ ابو منصور رحمه الله
في قوله ايود احدكم ليس على طريق
الاستفهام ليقتضي جوابا بل
معناه لا يود احدكم ان يكون
له جنة
شرح

وقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض فيه دليل وجوب الزكوة في اموال التجارة
بقوله ما كسبتم لان اموال التجارة هي التي تكتسب وليس في كتاب الله بيان وجوب الزكوة في اموال التجارة في غير هذا الموضع
وليس فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ذكر عن بعض الصحابة رضي الله عنهم القول به فيحتمل ان يكون ما قالوا بهذه
الاية واما زكوة الفضة والذهب والمواشي فيما لها ذكر في الكتاب والسنة فالزكوة تجب فيها لعينها الكسب واما اموال
التجارة فان الزكوة تجب فيها بالاكتساب وفيه دليل ان النفقة المذكورة فيه لازمة واجبة لانه قال الا ان تغمضوا فيه
ذكر الاغماض والاغماض لا يذكر في المعروف انما يذكر في اللازم والواجب الذي لا يخرج له عنه الا بالاداء الا من عفو
وصفح والرضاء بدون الحق ثبت انه على اللزوم وفيه دليل وجوب الحق في الرطاب والخضراوات لانه ذكر في الاية المخرج و
الرطاب هي تخرج من الارض واما الحبوب انما تخرج من الاصل الذي يخرج من الارض لذلك كان الرطاب والخضراوات اولى بوجوب الحق من
غيره بظاهر الاية قال الشيخ رحمه الله والوجوب في الحبوب بما كانت تخرج من الحقوق بظاهر هذه الوجوب في التي تخرج
من الارض واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله فانهما قالا يحتمل قوله اخرجنا لكم من الارض يعني من الاصل الذي يخرج لكم
من الارض كقوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري ولا ينزل من السماء اللباس كما هو ولكن اراد الاصل الذي به يكون اللباس
وكذلك قوله خلقكم من تراب وهو لم يخلقنا من التراب وانما الاصل من التراب وهو ادم عليه السلام فعلى ذلك الاول
والله اعلم والوجه منه انه من الله علينا بما اخرج لنا من الارض من انواع ما اخرج بحبة تلقى في الارض فيفسد فيها فيخرج منه
النبات بلطفه لا صنع لاحد فيها وذلك النبت لا يكون على اربابها خاصة دون الفقراء كهي على اربابها لانه اخرجه رزقا للكل
لحقيه حق الفقراء والاغنياء جميعا ومن ثم جاز وجوب العشر على الصغير الا ترى الى قوله افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن
الزارعون قيل انتم تنبتونه ام نحن المنبتون واما بعد النبات فيشترك العباد فيه بالسقي والحفظ وغيره لذلك كان ما ذكرنا
والله اعلم وفي قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه دلالة على ان لا يتصدق بالرديء عن الجيد
فان تصدق به يلزمه فضل ما بين الرديء الى الجيد على قول محمد رحمه الله بظاهر قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه وعند ابي
حنيفة رضي الله عنه يجوز ولا يحتاج له ذلك وذلك ان الله تعالى اطمع الناس قبول ذلك انما تغامضوا فهو احق ان يطمع فيه
القبول لكرمه ولطفه ولانه ليس لصفة ما يكال ويوزن من نوع قيمة فاذا لم يكن له قيمة لا يلزمه فضل الصفة وقوله الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء قوله يعدكم الفقر في الدنيا بالتصدق والانفاق ويامركم الفقر في الدنيا بطول الامل وفناء المال
ويامركم بالفحشاء بسوء الظن بربه والله يعدكم مغفرة بالصدقة وفضلا وذكر في الدنيا ويحتمل قوله والله يعدكم مغفرة في الاخرة
وفضلا في الدنيا يعني خلفا وقيل مغفرة لكم لفحشائكم وفضلا لفقركم وقوله والله واسع عليم اي غني يقدر اخلاف ما انفقتم عليم بجزاء
صدقاتكم ويحتمل ما تنفقون من الصدقة والحبة وفي قوله والله واسع عليم وغني حميد ونحوه ليعلموا انه انما رغب الناس
على الصدقات والنفقات ابتلاء ومحنة منه لا لحاجة وفقر وقوله يؤتي الحكمة من يشاء قيل الحكمة في هذا الموضع معرفة القران
وتفسيره وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وكذا روي مرفوعا وقيل الحكمة الفهم في القران وقيل الحكمة الفقه وقيل النبوة وقيل
الحكمة هي الاصابة وفيه دليل جواز الاجتهاد وانه مصيب في اجتهاده قال الشيخ رحمه الله في قوله يؤتي الحكمة من يشاء اختلف في تاويل
الحكمة في هذا فقال قوم هي القران وهو علم ما وصفه نورا وهي وروحا وشفاء والنور هو الذي يبصر به حقايق الاشياء وبالهدى
يدرك كل ويتقى كل تلف وبالروح يحيي كل ذي روح وبالشفاء يبرئ كل سقيم ويزال كل افة والذي هذا وصفه فهو الخير وبالله
المعونة وقال قوم الحكمة هي الاصابة لحقيقة كل شيء وبها يتقى كل شر وينال كل خير وذلك هو الخير الكبير وبالله العصمة وقال بعضهم
الحكمة هي السنة كانه اكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي من سلكه نجا ومن حاد عنه غوى وفي الاصل قيل الحكمة في التحقيق وضع كل
حق في محقه وقيل هي من احكام الامور واتقانها وذلك مقارب لما بينا والحكمة السفه وهو في العقل والاضطراب في الامور والله
اعلم وقال قوم الحكمة في القران هي فهم الحد ودون التدابير وهو الذي به يدرك الموافقة والمخالفة من طريق الحقايق لا من طريق
الظواهر وذلك عمل الحكماء ورعاة الدين ولا قوة الا بالله وقال قوم هي الفقه معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره وهو الذي به
يوصل الى معرفة الغايب بالشاهد والغامض بالظاهر والفرع بالاصل ولا قوة الا بالله واي هذه الوجوه كانت الحكمة فذلك
بجميع خير الدارين لو حفظ حقه والذي هذا وصفه فهو الخير الكثير وبالله المعونة وفي الاية دلالة ان الله لا يؤتي كل الحكمة وان
الحكمة وان كانت فعلا للحكيم فباعطاء الله تعالى نالها وانه لا يجوز ان يعطيها احدا ثم لا ينالها المعطى وهذه الوجوه كلها
تخالف راي المعتزلة وقوله فقد اوتي خيرا كثيرا من حفظ النفس في الدنيا عن جميع الافات وفي الاخرة عن وقع العقوبات وما
يذكر الا اولوا الالباب يعني وما يتعظ بما ذكر الا ذوو الفهم والعقل وفي الاية نقض على المعتزلة لانه قال تؤتي الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا ولا كل احد تؤتي بعضا دون بعض فلو كان على الله تعالى ان يعطي الاصلح في الدين لكان قد اتى الكل وبطل الفضل ومن
قال يؤتي غيرها فكان خلاف ما في الكتاب وقوله وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر يحتمل نفقة المحارم ويحتمل النفقات
التي تجري بين الخلق ويحتمل المفروض من الصدقات ويحتمل غيرها ثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله او نذرتم من نذر قال نذر لم يسمه فكفارته يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارة يمين ومن نذر نذرا لا طاقة
فكيف به فيه تقليبه وتذكير ان الله يعلم صدقهم ونذرهم ليحتسبوا في النفقة ويخلصوا وفي النذر يوفوا به وقوله فان الله
يعلمه قيل يقبله وقيل يثاب عليه ويحتمل قوله يعلمه اي يعلم ما وفيتم منه فيجزيكم على ذلك ويحتمل يعلم ما اردتم بصدقاتكم ونذوركم
وقوله وما للظالمين من انصار في الاخرة يعني مجير يجيرهم من العذاب وقيل ما للظالمين من شفيع يشفع لهم ولا نصير ينصرهم لانه
ما من ظالم الا وله في الدنيا ظهير وقوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها الفقراء فهو خير لكم قال بعضهم هي

دلالة ان الله تعالى انما
رغب الناس

التفسير فضل الحكمة من ليس
بجاهل
صح

الفريضة وقال آخرون هو تطوع وهو واجبه وقال غيرهم قوله ان تبدوا الصدقات هي الفريضة وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء هي التطوع قال الشيخ رحمه الله لا يحتمل الاخفاء في التطوع والابداء في الفرض لما اخبر في الاخفاء انه خير ولا يكون
التطوع خيرا من الفريضة ومن حمله على الفريضة يستحب ان يظهر الزكوة المفروضة ليقتدوا به ويرغبوا الناس عليها
ومنهم من يستحب الاخفاء ايضا ويقولون في الابداء شيئان الصدقة نفسها والاقتداء وفي الاخفاء وجوه احدها
الصدقة ولا يخرج ترك المراءاة وسلامتها والثالث الكف عن المن والاذى ومنهم من حمل قوله ان تبدوا الصدقات على الفريضة
وان تخفوها على التطوع وذهب الى ان الفريضة ليس فيها الرياء لانه لا شيء عليه فسواء فيها الابداء والاظهار واما
التطوع ففيه الرياء لانه معروف ليس عليه والاخفاء له اسلم والله اعلم وقوله والله بما تعملون خبير فيه وعيد وتحذير انه
يعلم ما تسرون وما تعلنون في الصدقة ويحتمل تعملون خير من جزائكم للصدقة قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله ان تبدوا
الصدقات الاية جعل الله تعالى صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل
من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الاشياء كلها وفي بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال صدقة السر تطفئ غضب الرب وصنائع المعروف تدفع مصارع السوء وصلة الرحم تزيد في العمر عن الحسن قال لا ابقاء
على العمل اشد من العمل وذلك ان العبد ليعمل العمل سرا فيكتب له عمل السر فلا يزال به الشيطان حتى ينسخ من عمل السر الى عمل العلانية
ثم لا يزال به الشيطان حتى يحب ان يحمد حتى يكتب من عمل العلانية في الريا وقوله ونكفر عنكم من سيئاتكم فيه دليل ان من السيئات
ما يكفرها الصدقة ومنها ما لا يكفر وقيل ان من ها هنا صلة ففيه اطماع تكفير السيئات كلها بالصدقة كقوله ان الحسنات يذهبن
السيئات وهو نقض على المعتزلة لانهم لا يرون تكفير الكبائر بغير التوبة عنها ولا التعذيب على الصغائر فاما ان كانت الاية
في الكبائر فيبطل قولهم لا يكفر بغير التوبة او في الصغائر فيبطل قولهم انها مغفورة اذ وعدت بالصدقة لانهم يخلدون
صاحب الكبائر في النار والله تعالى اطمع له تكفير السيئات كلها بالصدقة والله الموفق وقوله ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي
من يشاء اخبر انه ليس عليه هداهم وعليه البيان والتبليغ فدل ان هناك فضل هدى لا يملك هو ذلك وهو التوفيق على القصد
والتحقيق له وهذا رد على المعتزلة ويكذبهم ان كل الهدى البيان ولو كان كل الهدى بيانا لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك
ذلك اذ عليه البيان فدل انه لا يملك الهدى المراد في الاية فهو على ما ذكرنا من التوفيق ويحتمل قوله ليس عليك هديهم اي حساب
ترك اهتدائهم كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وانما عليك البلاغ وقوله وما
تنفقوا من خير فلانفسكم من خير اي من مال فلانفسكم يعني فلانفسكم الثواب قيل قوله فلانفسكم يعني منفعته لكم
وفي قوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم دلالة على انهم كانوا يتحرجون بالتصدق على قراباتهم من الكفار خشية ما يقع من
التعاون على ما اعتدوا من الذين اذا المحاسب لكل اهل دينا مما يقع من العقلاء مكان ما ينفقون بر لاجل الذين فبين
جل وعلا ان ذلك يقع لكم ولانفسكم وتكفير ما اكتسبتم ثم في الاية دلالة جواز الصدقة على الكفار ودليل جواز
دفع الكفارات اليهم بقول وما تنفقوا من خير فلانفسكم فهو دليل لاصحابنا لانه جعل هذه الصدقة مكفرة وقوله يوف
اليكم يعني يوفر عليكم ثواب صدقاتكم وان كان التصدق على الكفرة وقوله وانتم لا تظلمون في حرمان الثواب والجزاء وقوله
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله قيل من سبيل الله يعني حبسوا بالفقر عن الجهاد وكقوله لا وعلى الذين لا يجدون ما ينفقون
من حرج والقرب تستعمل حروف الخفض بعضها في موضع بعض ويحتمل قوله احصروا في سبيل الله اي حبسوا انفسهم في طاعة
الله لا يجدون ما يتجرون ولا ما يحترفون ولا يكتسبون وقوله لا يستطيعون ضربا في الارض للتجارة وقوله لا يسألون
الناس الحافا يحتمل وجهين اي لا يظهرون السؤال اي لا يسألون كقوله لا تنفعها شفاعة اي لا يشفع لهم فان كان
على السؤال فانهم اذا سألوا لم يلحفوا دليله قوله صلى الله عليه وسلم من فتح على نفسه بابا من المسألة فتح الله عليه بابا من الفقر ثم
ذكر في الخبر من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله وان كان على التعريض ففيه اباحة التعريض بين يدي اهل الجود والسخا
وقوله تعرفهم بسيماهم يعني بسيما التخشع وقيل سيما الفقر لا يسألون الناس الحافا وقيل تعرفهم بسيماهم اي بتجملهم
لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا ولا غير الحاح وقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم كذا
قيل هي النفقة على الخيل المحتبسة للجهاد ينفقون ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا اضمار وعن علي وابي امامة رضي الله عنهما
هي النفقة على الخيل في سبيل الله وعن ابن عباس رضي الله عنه قال في علف الخيل والنفقة عليها وقيل نزلت في نفقة عبد الرحمن
بن عوف في جيش العسرة وقيل نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه لم يكن يملك من المال غير اربعة دراهم وتصدق بدرهم
نهارا وبدرهم علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي حملك على هذا قال حملني ان استوجب على الله الذي وعدني فنزلت فيه
هذه الاية وقيل نزل في ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فلا ندري فيمن نزلت وليس لنا الى معرفة المنزل شأن حاجة سوى انه وصفهم
بالجود والسخاء ونفقتهم على الناس ليلا ونهارا سرا وعلانية لا رياء فيها ولا من ولا اذى وفيه نفي الرياء عن نفقتهم لان من عود
نفسه الفعل في جميع الاوقات لم يراء وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان نعيم الدنيا مشوبة بالحزن والخوف فاخبر ان
نعيم الاخرة لا يشوبه حزن ولا خوف لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله الذين يأكلون الربوا قال بعضهم ليس على حقيقة الاكل
ولكنه كان على الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فاذا كان هذا على الاخذ فقوله تعالى لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس هو على التمثيل ليس على التحقيق وقال الاخر هو على نفس الاكل وما ذكر من العقوبة لما اكلوا من الربوا لا يقوم يوم القيمة
الا كما يقوم المجنون المخنوق وقال غيرهم ذلك لاستحلالهم الربا وتخبيطهم الله جل وعلا في الحكم في تحريمهم الربوا بقولهم قالوا انما
البيع مثل الربوا ثم قوله ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا فيه دليل جواز القياس في العقل لانه لو لم يكن في العقل جوازه لم يكن القوم

انما البيع

انما البيع مثل الربوا معنى لكنهم لم يعرفوا معنى المماثلة ثم المماثلة على الوجهين مماثلة اسباب ومماثلة احوال فالمماثلة التي هي مماثلة احوال هي مماثلة
احوال هي ابتداء محنة في الفعل لا يقاس على غيره نحو ان يقال اقعد وان يقال قم لا يقاس القيام على القعود وعلى القيام انما هو محنة
لا يلزم غير المخاطب بها واما مماثلة الاسباب فهو مماثلة الاحوال ان يقال حرم السكر في الخمر فحيث ما وجد السكر يحرم لانه يبنى على العقل
فكل شيء يبنى عليه فهو محرم التناول منه وقوله انما البيع مثل الربوا يقولون لما جاز ان يباع ثوبا بتسعة وعشرة باحد عشر كيف لا
جاز ان يباع عشرة باحد عشر كيف لا جاز ان يباع عشرة وقيل كان الرجل منهم اذا حل ماله على صاحبه طلبه فيقول المطلوب للطالب
زدني في الاجل وازيدك على مالك فيفعلان ذلك ويعملان به فاذا قيل لهم هذا ربوا قالوا هما سواء الزيادة في البيع والزيادة
عند محل البيع فاكذبهم الله تعالى في ذلك وقال ليس هكذا ويحتمل فيه ابتداء حرمة ان حل ما هو بيع لا ما هو ربوا ثم قوله تعالى واحل الله
البيع وحرم الربوا فلقائل ان يقول ان ما يحرم منه قدر الربوا واما العقد فانه يجوز لما ليس فيه ربوا لكن الاصل عندنا فيه ان
الدرهم الزائد باخذ كل درهم منه فلا سبيل الى امضاء العقد لاخذ اجزاء كل درهم من الذي فيه العقد وهو ربوا وفيه وجه اخر وهو
انه ختم الكلام على قوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ولا تزداد رأس المال في العقد قد مضى ثم معرفة الربوا من غير الربوا ما ليس بارادة
بدل ثم فيه دلالة ان حرمة الربوا كان ظاهرا عندهم حتى حكوا وكان حرمته فيما بينهم كهو فيما بين اهل الاسلام لذلك قال ابو حنيفة
رضي الله عنه انه لا يجوز بيع الربوا فيما بين اهل الاسلام وبين اهل الذمة وعلى ذلك خرج الخطاب منه عز وجل بقوله لا تأكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة وقوله فمن جاءه موعظة من ربه قيل بيان تحريم الربوا وقيل فمن جاءه نهي في القران من ربه في تحريم
الربوا فانتهى عن الربوا ويحتمل الموعظة هي التذكير لما سبق منه فيتذكر فيرجع عن صنيعه وقوله فله ما سلف قيل فيه وجهين
قيل ما سلف له في الجاهلية صار مغفورا له وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل قوله ما سلف وذلك ان الكافر
اذا تاب ورجع عن صنيعه يرجع لان يعود الى فعله ابدا ويندم على كل سيئة ارتكبها فيجعل الله كل سيئة ارتكبها فيجعل الله
كل سيئة كانت منه حسنة وهو كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقوله وامره الى الله في حادث الوقت ان يعصم
وقوله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان المعتزلة استدلوا على الوعيد لاهل الاسلام بما ذكر فيه من
العود لكن بدء الاية على الاستحلال فعلى ذلك العود اليه على جهة الاستحلال يدل عليه قوله والله لا يحب كل كفار اثيم فاثبت
له الكفر بالذي كان منه في الابتداء وهو الاستحلال فكذلك العود وقوله يمحق الله الربوا ويربي الصدقات قيل يمحق الله يهلك
وقيل يبطل ولكن اصل المحق هو رفع البركة وذلك ان الناس يقصدون بجمع الاموال والشح عليها التنعم او لاولادهم من بعدهم
اشفاقا عليهم وكذلك يمتنعون عن التصدق على الناس فاخبر الله تعالى ان الاموال التي جمعت من جهة الربوا ان لا ينتفع اولادهم
بها وهو الامر الظاهر في الناس واخبر ان الصدقات التي لا يمتنعون عن الانفاق عنها ينمي ويخلف اولادهم اذا تصدقوا
ويمحق الربوا ويرفع البركة عنها حتى لا ينتفع اولادهم بها وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل متبايعين
بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فيه وان كذبا وكتما محقت عنهما البركة وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
الاية ظاهرة وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين قيل فيه بوجهين قيل قوله وذروا
ما بقي من عمرك الربوا اذا صرتم مؤمنين وقيل وذروا ما بقي من الربوا الذي لم تقبضوا ان كنتم مؤمنين وفي الاية دلالة على ان الربوا
الذي لم يقبض اذا ورد عليه حرمة القبض فسد به لذلك قال اصحابنا رحمهم الله ان فوت القبض عن المبيع يوجب فساد العقد
كما كان فوت قبض الربوا في ذلك العقد اوجب منع قبض الربوا والذي يدل عليه قوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم فما وجب
الفسخ فيه حتى اوجب رد رأس المال وفي الاية دليل وجه اخر وهو انه جعل حدوث الحرمة المانعة للقبض يرتفع بها العقد في
فساد العقد فعلى ذلك يجعل حدوث شيء في عقد وقبل القبض كالمعقود عليه في استحقاق حصته من الثمن وقوله وذروا ما بقي
من الربوا وقوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم فيه دلالة ان ما جرت بين اهل الاسلام واهل الحرب من المداينات والمقارضات
ثم اسلموا يردوا ما اخذوا قهرا لا يردون وذلك ان الربوا الذي قبضوا لا يرد فلم يؤمر برده فعلى ذلك ما اخذوا قهرا الاخذ
والتلاد بر لم يجب رده واما رأس المال فانما اخذوا الرد فعلى ذلك ما اخذ بعضهم من بعض دينا او قرضا وجب رده ففيه دليل
بقول اصحابنا رحمهم الله على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله عن ابن عباس رضي الله قال فمن
كان مقيما على الربوا مستحلا له لا ينزع عنه نحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع عنه والا ضرب عنقه وقوله فاذنوا فيه
لغتان بالقطع والوصل فمن قرأ بالقطع فهو على الامر بالاعلام لمستحليه انه يصير حربا له بالاستحلال ومن قرأه بالوصل فهو على
العلم كانه قال للمؤمنين انه حرب لنا وقوله لا تظلمون ولا تظلمون عن ابن عباس رضي الله عنه قوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون
ولا تظلمون اي لا تظلمون فتربون ولا تظلمون فتنتقصون وقتادة رضي الله عنه يقول بطل الربوا وبقيت رؤس الاموال
وقوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة عن ابن عباس رضي الله عنه الى ميسرة قال هو المطلوب وهو في الربوا وفيه دلالة
جواز التقلب في البيع الفاسد لانه جعل لارباب الاموال النظرة الى ميسرة من عليه المال فلو كان له حق اخذه حيث ما وجده
بعد ما تناسخت الايدي وكان له حق تضمين من هو اغنى لم يكن لانتظار المعسر الى وقت الميسرة معنى ولكن يحتاج تضمين
ايسرهم واغناهم اذا كان يقدر فله خصومته واذا كان شرط سقطت الخصومة كما نقول في الذي يكفل عن معسر او عمن احل ثم
النظرة بالاختيار ممن له الحق لانه يكون هكذا شاء هو وابى دليله قوله صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق اليد واللسان اما اللسان
فيتقاضاه واما اليد فيلازمه بها ويحبسه لكنه اذا احل قطع على نفسه حق اللسان واليد الى ان يمضي ذلك الوقت ثم ثبت له
حق اللسان واليد وقوله وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون يعني برؤس الاموال اذا ظهر اعساره وعن الضحاك في قوله
وان تصدقوا خير لكم قال اخذ رأس المال حسن وتركه احسن وانما الصدقة على المعسر فاما على الموسر فلا وفيه دليل

جواز صدقة الدين وهبته ممن عليه دين وهو الاخير له اذا ظهر اعسار وفقر والله اعلم وقوله واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله الاية قال عامة اهل التأويل ان هذه الاية اخر ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
فان كان ما ذكروا فهو والله اعلم انه رغبهم في ذكر ذلك اليوم لما في ترك ذكره بطول الامل وطول يورث الحرص والحرص يورث
البخل ويشغله عن اقامة العبادات والطاعات فاذا كان كذلك فاحق ان ما يختم القرآن هذا البلاء بتركوا ذكر ذلك اليوم
فيسقطوا عن منزلة والجزاء والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويصير كانه قال اتقوا وعيده تعالى في جميع ما بعدكم وما الزمكم من
الحق وقوله اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فيه دليل جواز السلم من قوله اذا تداينتم بدين لان المداينة هو فعل اثنين وهو السلم نفسه
لا تردين من الجانبين جميعا وعلى ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اشهد ان السلم المضمون مما اجازه الله تعالى في
كتابه الكريم ثم تلا هذه الاية فاما الخبر الذي جاء انه نهى عن الدين فان ذلك على فوت القبض فيه دليله جواز ما كان دينا بدين
اذا قبض احد الجانبين وقال اخرون قوله اذا تداينتم بدين هو بيع كل دين الى اجل مسمى فهو يسمى التداين كما يسمى البايع والمشتري
المتبايعات لان كل واحد منهما بايع في وجه ومشتر في وجه فعلى ذلك المداينة والتداين والله اعلم وقوله الى اجل مسمى فالعرف في
الاسلاف عند الناس ان لا يخلى عن الاجل فصار الاجل بالعرف شرطا في جواز السلم وان لم يوجب له الرجل لا يسلم التسلف ليؤدي
حاله الاسلاف لان الحاجة هي التي تحمله على الاسلاف فهو انما يسلف ليؤدي به في وقت ثان لانه لو كان عنده حاضرا لا يحتاج
الى غيره ولكنه يبيعه فيصل الى حاجته ولا يتحمل المؤنة العظيمة فصار بالعرف كانه باجل فيفسد لترك بيان الاجل والله اعلم
وعلى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم ثم امر عز وجل
بالكتابة في التداين بقوله فاكتبوه وذلك والله اعلم لانه وصل الى حاجته بقبض رأس المال والاخر لم يصل فلعل ذلك يحمله على
انكار الحق والجحود فامر عز وجل بالكتابة احترازا عن الانكار وجحود الحق له لانه اذا تذكر انه كتب واشهد عليه يرتدع عن
الانكار والجحود فهو كما ذكرنا في قوله ولكم في القصاص حيوة لانه اذا ذكر انه يقتل ارتدع عن قتل غيره فكذلك اذا ذكر انه مكتوب
عليه يمتنع عن الانكار والجحود لما يخاف في ظهور كذبه وفضيحته على الناس والله اعلم ولا كذلك مع العين بالعين لان كل واحد منهما
لا يصل الى حاجته الا بما يصل به الاخر فليس هنالك للانكار معنى لذلك لم يؤمر بالكتابة في بيع الاعيان وامر في المداينات
والله اعلم ويحتمل الامر بالكتابة في التداين وجه اخر وهو انه يجوز ان ينسى فينكر ذلك او ينسى بعضه ويذكر بعضا فامر بالكتابة
لئلا يبطل حق الاخر بترك الكتابة ولا كذلك بيع العين لذلك افترقا قال الشيخ رحمه الله والنسيان يعقب التنازع والتنازع
يوجب التخالف وفيه الفساد فامر بالكتابة لدفع ذلك وللوفاء بالحق ودفع الخصومات والله اعلم ولا يحتمل ان يفرض الكتابة
واكثر ما فيه ان يحفظ الحق ولمن له ترك كذلك ان لا يقبضه مع ما ليست في عقد او فسخ فيتكلم فيها بوجوب واختيار تماهي
للمحق فله فعل ذلك والله اعلم ثم اختلف في الكتابة قال بعضهم هي واجبة لازمة واستدلوا على وجوبها بقوله الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها اخبر برفع الجناح في التجارة الحاضرة فلو كانت في المداينة
غير واجبة لم يكن لدفع الجناح فيها معنى فدل انها لازمة في المداينة حيث دفع الجناح منها واما عندنا فهي ليست بواجبة
لانه قال عز وجل وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة ثم امر قال فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي ائتمن
امانته ذكر الرهن بدلا عن الكتابة ثم ذكر ترك الرهن بالائتمان فاذا كان له ترك الارتهان بالائتمان وهو بدل
الكتابة فعلى ذلك له ترك الكتابة بالائتمان اذ كان اصله مفروضا لم يحتمل ترك بدله بالائتمان فاذا ذلك له دل انه ليس بفرض
ولا لازم والله اعلم وقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل فهذا لان الكاتب مأمون عليه فيؤدي حق ما ائتمن فيه لانه يدعى
ما املي عليه بالنصيحة واداء الامانة وهكذا الواجب على كل من يحكم بين اثنين ان يحكم بالعدل والنصيحة واداء الامانة كقوله واذا
حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وكقوله يحكم به ذوا عدل منكم وكقوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله ولا يأب كاتب
ان يكتب كما علمه الله فليكتب قال بعضهم هذا وذلك ان الكتبة كانوا في صدر الاسلام قليلا فهو اعز ترك الكتابة اذ في ذلك
بطلان حقوق الناس وذهابها واما اليوم فلا بأس بالاباء عليها لم يجد من يكتب له بالاجر فلا يبطل حقه وفيه وجه اخر
وهو ان قوله ولا يأب الكاتب اذا كتب ان يكتب بالعدل اي له ترك الكتابة لكنه اذا كتب انه بالعدل والله اعلم وقوله كما علمه
الله هو نقض على المقولة لانهم يقولون يكتب وان لم يعلمه الله والله عز وجل اخبر انه يكتب بتعليم الله اياه ولو كان التعليم
من الله ابتداء الاسباب لم يكن لقوله وما علمناه الشعر معنى لانه قد اعطى اسبابه والعدل ما ذكرنا ان لا يزيد على الحق ولا ينقص
منه واصل العدل هو وضع الشيء موضعه وقوله وليملل الذي عليه الحق ما عليه وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ففيه دلالة
على ان القول قوله في قدر الحق حيث اوعد فيما يملي على الكاتب ان لا ينقص من حق الطالب شيئا قوله فان كان الذي عليه
الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع قال قائلون هذا كله واحد السفيه والضعيف والذي لا يستطيع ان يملي وقال
اخرون بل يختلف السفيه هو الصغير علك وليه والضعيف هو المريض الذي لا يقدر ان يملي والذي لا يستطيع هو الجاهل
الذي لا يعرف ان يمل ثم اختلف في الولي قال بعضهم الولي هو صاحب الحق يملي بالعدل بين يدي من عليه الحق لئلا يزيد على ذلك
شيئا فان زاده او نقصه انكر عليه صاحبه وقال اخرون الولي هو ولي الصغير او ذو النصب منه ثم المسئلة في الحجر قال
ابو حنيفة رضي الله عنه الحجر لا يمنع عقده وقال محمد بن الحسن لا يجوز عقوده ولكن الولي هو الذي يتولى ذلك استدلا
بظاهر قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل فانما جعل الاملاء الى الولي
لا اليه ولو كان يجوز املاؤه لكان لا معنى لجعل ذلك الى غيره دل انه لا يجوز واما ابو حنيفة رضي الله عنه فانه ذهب
الى انه يجوز بقوله اذا تداينتم بدين اجاز تداينهم فدل ان الحجر لا يمنع العقد عليه ولا تداينه ولان السفيه لم يستبد الا

من السلطان انما استفاده عن الله تعالى ولا يجوز حجر من لم يستفد الا منه وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم لم يجعل
الاشهاد شرطا في جواز البيع ولكنه معطوف على قوله فاكتبوه امر عز وجل بالاشهاد في البيع والتداين للمعنى الذي ذكرنا
ان ترك الاشهاد والكتابة يحمل على الانكار وجحود الحق فاذا كان هنالك شهود وكتاب يمتنع عن الانكار وخوف
ظهور الكذب ولم يصر شرطا في جواز التداين لان الاشهاد انما ذكر بعد المداينة والمبايعة وكذلك الكتابة فهو لما ذكرنا
ان الانسان من طبعه النسيان والسهو فامر بالاشهاد والكتابة لئلا ينسى او يحمله ترك الاشهاد والكتابة على الانكار واما
الامر بالاشهاد في النكاح في عقد النكاح نفسه دليله قوله لا نكاح الا بشهود لذلك صار شرطا في عقد النكاح ولم
يصر شرطا في المبايعة ووجه اخر ان الشهادة في النكاح تدفع تهمة الزنا عنهما وقد يحتج اليه في اول احوالهما والحاجة
الى الشهادة في البيع الى ما يتعقب فيه من توهم وقوع التنازع اذ له بذل ملكه للاخر من غير عقد بيع وليس لها بذل فرجها له
من غير عقد النكاح لذلك صار الاشهاد شرطا في جواز النكاح ولم يكن شرطا في البيع والله اعلم وقوله واستشهدوا
شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان في الاية دلالة ان من قضى بالشاهد واليمين قضى بخلاف ظاهر
الكتاب وهو ابطاله فالسنة لان قوله واستشهدوا ليس هو الاشهاد انما هو الاحضار للشهادة اذ التحمل لا يقع في الشهادة
انما يقع عند الاستحضار ولو كان بمثله غنية لم يأمر بالمرأتين هنالك سترها ولان الاية ذكرت حق القضاء في المباحات الواقعة
والاحكام الى سبيلها لزوم الفصل بالقضاء بين اربابها فمن فصل القضاء بالشاهد واليمين جعل على خلاف ما جعله من له
نصب الشرايع والحجج وقال الله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا واما مخالفة السنة فقوله صلى الله عليه وسلم البينة على المدعي عليه
فاذا اتى بشاهد واحد لم يخرج الاخر من ان يكون مدعى عليه فاذا كان كذلك وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حجة المدعى
عليه اليمين ولم يجعل اليمين حجة للمدعي فذلك قلنا انه المخالف لظاهر الكتاب والسنة ولان الله تعالى جعل المرأتين في حال
الضرورة وهو حال عدم الرجل فلو كان يجوز القضاء بالشاهد واليمين لم يحتج الى ان يكلف النساء من الخروج الى ابواب
القضاة والسلاطين لاداء الشهادة وفي ذلك هتك الستر عليهن وكشف عوراتهن وتكلف القضاة فضل التفحص في
حالهن ومعرفتهن لذلك بطل القضاء بالشاهد واليمين والله اعلم فان قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قضى به قيل
انه لم يرو انه فيم قضى في الاموال فان ثبت انه فيم قضى لكنا نقضي به ثم قال الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انه قضى بالشاهد
واليمين في الايمان ونحن نقضي بعض احكام الايمان بالشاهد الواحد اذا كان عدلا واليمين باب ما يحتاط فيه اذا شهد شاهد
انه امنه لم يقبل ولكن يسترق واما الاموال فان الاحتياط في ذلك ترك القضاء الى ان يقوم الحجة التي تزيل الشبهة من جميع الوجوه
والله التوفيق واما شهادة النساء فانها جائزة في الاموال وفي غير الاموال الا في الحدود خاصة فانها غير مقبولة انما جوزها
في غير الحدود لان الله تعالى ذكر التداين وذكر في التداين الحل والاجل ليس بمال ثم اجاز شهادتهن في التداين وفي الاجل الذي
ليس هو بمال دل ان علة جواز شهادتهن ليس هو المالية نفسها واجيزت شهادتهن في المالية وفيما هو الاجل فظهرت
ان علتها ليست مالية واما بطلان شهادتهن في الحدود فلان شهادتهن انما اجيزت بحكم البدل عن شهادة الرجال والابدال
في الحدود غير مقبولة نحو الوكالات والكفالات فعلى ذلك شهادتهن لما كانت جوازها بحكم البدل لم تقبل ولانهن
جبلن على السهو والغفلة ونقصان العقل والدين لقوله انهن ناقصات العقل فاذا كان كذلك اورث ذلك شبهة في الحدود وما
فيها الدرء لذلك لم يقبل والله اعلم ولان شهادتهن انما ذكرت فيما ينبغي به الاعلام والاعلان لا الاسرار فعلى ذلك
تقبل شهادتهن فيما يبتغى ذلك المعنى واما الحدود وما يلزم بها فذلك انما يبتغى في ذلك الاسرار والستر لذلك قلنا بان
شهادتهن تجوز في النكاح والطلاق والعتاق لان النكاح يبتغى فيه الاعلان على ما جاء اعلنوا النكاح لذلك قبلت والله
اعلم ومعنى اخر ان الخصم اجاز شهادة النساء بالانفراد في كل شيء ما خلا الحدود والقصاص لذلك قبل بالرجال ولان
شهادة النساء اجيزت في الاصل توسيعا فلا يجوز ان ترد فيما يتوسع وتقبل فيما يضيق وامر النكاح والطلاق في الشرع
اوسع فهو احق ان يقبل وقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان فان قال كيف جاز
استشهاد المرأتين عند وجود الرجلين والله امر بالنص الرجلين عند الحاكم للشهادة لا امر بالاشهاد عليها لذلك
قال عز وجل وامرأتان اي لا تكلف النساء حضور ابواب القضاة ومجالسهم لاداء الشهادة الا عند العجز عن وجود
الرجال لما في ذلك هتك استارهن وكشف عوراتهن والله اعلم والثاني ان الله تعالى ذكر امرأتين واقامهما مقام رجل
فائت والرجل الذي قامت امرأتان مقامه هو فائت ابدا غير موجود دلاله ان يشهد عددا على ذلك الحق لذلك جازت
شهادتهن وان كانت هنالك رجال والله اعلم فان قيل ما الحكمة في ذكر رجلين دون ذكر العدد او ذكر واحد قيل لوجوه
احدها ذكر على قدر الاشياء ومراتبها عند الناس اذا كان امرا عظيما فظيعا لم تقبل فيه الا شهادة عدد نحو الزنا كقوله
فان لم يأتوا باربعة شهداء الاية واذا كان خسيسا سهلا عند الناس قبل قول الفرد حرا كان او عبدا من نحو الاستيذان
للدخول على اخر ونحوه ثم الاموال وغيرها هي المتوسطة المترددة من هذين فقبل الوسط من الشهادة ولم يقبل دونها
والله اعلم ووجه اخر قيل انه ذكر ذلك عادة لا لمعنى المودع فيه ولكن سمعا فهو على ما ذكر لا يطلب معناه والثالث
الواحد لم تقبل شهادته في الحقوق بالانفراد لانه ينتفع بها لانه متصدق في قوله يتلذذ بتصديقهم اياه فعلى ذلك لم يقبل
قول المدعي في دعواه وان كان عدلا لما ينتفع بالتصديق وقبول قوله فيه فاذا كانا اثنين صار يتلذذ كل واحد منهما وانتفاعه
لصاحبه فحصلت الشهادة خالصة صافية فقبلت والله اعلم والرابع ان الانسان مطبوع على السهو والغفلة فاذا كان
فردا يخاف عليه النسيان امر بضم اخر اليه ليذكر كل واحد منهما صاحبه اذا نسيه وعلى ذلك يخرج قوله فان لم يكونا رجلين فرجل

وامرأتان ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى لما ذكرت انهن جبلن وطبعن على فضل السهو والغفلة امر بضم غيرها اليها
اذا سهت وغفلت عنها ثم اختلف في قوله شهيدين من رجالكم قال اصحابنا رحمهم الله يرجع الخطاب الى الاحرار خاصة
دون العبيد والكفرة اما الكفرة فلان الخطاب في الابتداء للمؤمنين بقوله يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الاية
لخروج الكفار من خطاب الاية لذلك لم تقبل شهادتهم على اهل الاسلام واما العبيد فلم يدخلوا تحت هذا الخطاب لوجوه
احدها ما ذكرنا ان ظاهر الخطاب للاحرار دون العبيد لما لا يملكون التداين والتبايع فعلى ذلك خطاب الشهادة فان
قيل ليس العبيد يملكون التبايع والتداين قيل يملكون بالاذن والتولية لا بملك انفسهم فذلك القدر من التداين وغيره
علك الكفار ثم لم يجب قبول شهادتهم ولا دخلوا تحت ذلك الخطاب فكذلك العبيد والثاني ما قاله عز وجل ولا ياب الشهداء
اذا ما دعوا ثم لا يملك العبيد الاجابة لكل دعوا لحق السادات فعلى ذلك ليس عليهم الاجابة في الشهادة لحق السادات
والله اعلم والثالث ان الله تعالى قسم الشهادة قسمة الميراث بقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وقال في الميراث
للذكر مثل حظ الانثيين ثم لا حظ للعبيد في الميراث فعلى ذلك لا حظ له في الشهادة والرابع ان الولايات تجري مجرى الشهادات
والتمليكات ثم لا دلالة تكون للعبد على غيره ولا تمليك فعلى ذلك الشهادة اذ فيها ولاية وتمليك الحكم للحكم والله اعلم
وعلى هذا ابطلت شهادة الكفار على اهل الاسلام لما لا ولاية لهم عليهم والخامس ان الشهود بين حالين بين ان يشهد فواه
فتمضي شهادتهم وبين ان يكذبوا فيضمنوا ولما كان العبيد اذا كذبوا في شهادتهم وبين ان يكذبوا فيضمنوا ولما كان العبيد
اذا كذبوا في شهادتهم لم يضمنوا لان ضمان الشهادة معروف لا ترى لا بدل له باذاه فمن لم يكن من اهل الشهادة دل انهم ليسوا
من اهل الشهادة ذلك انهم ليسوا من اهل الشهادة وعلى ذلك قلنا ان النكاح يجوز بشهادة الفاسق والمحدود في القذف
وانهما من اهل الشهادة فيه لانهما من اهل الضمان وان كانت شهادتهما ردت لتهمة الكذب في سائر الحقوق واما العبد فليس
هو من اهل الشهادة بحال للمعنى الذي وصفنا والله اعلم والاقياس ان تجوز شهادة العبد لانها من حق الله دليله قوله
واقيموا الشهادة لله وقوله كونوا قوامين لله شهداء بالقسط فاذا كانت من حق الله وحقوق الله لا يختلف العبيد والاحرار
فيها فيجب ان تقبل شهادتهم لكنها لم تقبل للوجوه التي ذكرناها والله اعلم وقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان اي
ان قال فتذكر احديهما الاخرى قد ذكرنا فيما تقدم انهن لما جبلن وطبعن على فضل سهو وغفلة ضمت اليها اخرى لتذكر
الشهادة اذا نسيت وفي الاية دلالة ان الرجل اذا نسي الشهادة ثم ذكر فتذكر يجوز ان يشهد واما اذا اخبر بالشهادة
ولم يتذكر لم يجز له ان يشهد لقوله فتذكر احديهما الاخرى اذا لم يقل فتخبر احديهما الاخرى وقوله ممن ترضون من الشهداء فيه
دلالة ان من المسلمين من لا يكون مرضيا وكذلك فيهم من يكون عدلا ومن لا يكون عدلا دليله قوله واشهدوا ذوي عدل
منكم لو لم يكن فيهم مرضيا وغير مرضي لكان يقول واشهدوا رجلين منكم ولم يشترط فيه العدالة والرضاء وهو على المعتزلة
لانهم يقولون المسلم لا يكون غير عدل ولا غير مرضي وفي الاية التي ذكرنا دلالة ما قلنا والله اعلم وفي قوله ممن ترضون
من الشهداء دلالة ان الشهود اذا شهدوا على المدعى عليه بالحق وهم مرضيون عنده يجب ان يؤدي اليه حقه لانا قلنا
ان قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم امر باستحضارهم عند الحكم فاذا كان كذلك فهو دليل ما قلنا والله اعلم وقوله
ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا اختلف فيه قيل لا ياب الشهداء اذا ما دعوا للاشهاد وقيل ولا يابوا اذا ما دعوا
للاداء وهذا اشبه لان للشهود ان يقولوا احضر الخصم ههنا لنشهد عليه فانا لا نحضر المكان الذي هو فيه وليس
هذا القول في الاداء اذ الاداء لا يكون الا عند الحاكم لذلك كان اولى كقوله ولا تكتموا الشهادة ولا يجد من يشهدهم ولا يجد
من يشهدهم ولا يجد من يشهد له غيرهم والله اعلم وقوله ولا تساموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله
فيه دلالة جواز السلم في الثياب لان ما يكال ويوزن لا يقال فيه الصغير والكبير ولا يكتب صغيره وكبيره انما يقال
ذلك في العددي وقوله ذلكم اقسط عند الله يقول اعدل عند الله واقوم للشهادة في الحجة وقوله وادنى الا ترتابوا اقرب
الى دفع الظنون والشكوك الذي يحملكم على التناكر والتنازع الذي عاقبته الفسخ وهذا ما امر عز وجل بالكتابة فيه
والاشهاد وذكر كل صغير وكبير لئلا يقع بينهم في العاقبة تنازع وتناكر فيحمل ذلك الحاكم على فسخ العقد بينهما وعلى
ذلك نصبوا الاجل فيه شرطا القطع وقوع التنازع والتناكر الذي حكمه الفسخ في الاخرة والله اعلم وقوله الا ان تكون تجارة
حاضرة تبرك الكتابة والاشهاد والرهن وغيره وذلك لما ذكرنا انفا ان الديون والقروض تنسى وتشتبه على الناس فلذلك
امر بالكتابة فيها والاشهاد ولا كذلك التجارات الحاضرات وعلى ذلك امر ظاهر بين الناس انهم يكتبون ويشهدون في الديون
والقروض ولم يعملوا ذلك في التجارات الحاضرات الجاريات فيما بينهم لارتفاع ما يخاف وقوعه في الديون والقروض وخلافها
عن ذلك والله اعلم وقوله تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها يقول يدا بيد اوليس فيها ايجاب القبض على المجلس
وقوله واشهدوا اذا تبايعتم امر عز وجل بالاشهاد جميعا فالامر بالكتابة لمحافظة الحقوق ومعها هذه كل قليل وكثير فيه
والامر بالاشهاد لادب والامر بالرهن امر بالوفاء والرهن والكتابة والاشهاد كل ذلك يمنع صاحبه عن الانكار و
الجحود ويذكر عند النسيان والسهو عند ذلك كله لقطع التنازع الواقع فيما بينهما في المتعقب والله اعلم وقوله ولا يضار
كاتب وصاحب الحق فيكتب ما لا ينبغي ان يكتب بالزيادة والنقصان وكذلك الشاهد لا يزيد على الحق ولا ينقص من الحق
شيئا ولا يكتم الشهادة ايضا فهذا اقرب والله اعلم فان قيل اذا كان المعنى راجع الى ما ذكرت ان لا يزيد الكاتب ولا ينقص
لا قال لا يضار بالرفع قيل لانه لا يضارر فطرحت احدى الرائين لما ادرجت انتصبت علامة للطرح اذ هكذا اعمل الاضمار
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الاضرار ان يقول الرجل للرجل وهو عنه غني ان الله امرك ان لا تأبى اذا ما دعيت

فتضار

فتضار بذلك وقوله وان تفعلوا اي تضاروا فانه فسوق بكم هذا يدل على ان التاويل هو ما ذكرنا من النهي عن الزيادة والنقصان
والتحريف والكتمان اذ في ذلك خروج عن الامر والفسق هو الخروج عن الامر كقوله ففسق عن امر ربه وهو على المعتزلة
وقوله واتقوا الله في المضارة من الزيادة والنقصان والكتمان ويعلمكم الله الحكم والادب وما يحل وما لا يحل والله بكل شيء
عليم حرف وعيد وقوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة قد ذكرنا فيما تقدم في الامر بالكتابة والاشهاد
انها والله اعلم لحفظ الحقوق ما جل منها وما دق وان لا يحملهم على الانكار والجحود وان يذكرهم ذلك حتى لا ينسون فعلى ذلك
الامر بالرهان لئلا يؤخروا قضاء الدين ويذكروه ولا ينسون والله اعلم ثم فيه دلالة ان لا يجوز الرهن الا مقبوضا
لان الرهن يقبض لامرين لانه اذا كان مقبوضا محبوسا عن صاحبه عن جميع انواع منافعه ذكره وتقضيه لقضاء دينه
واذا كان في يديه لم يتقاضاه على ذلك لذلك قلنا انه لا يجوز الا مقبوضا والثاني انما يقبض ليستوفى منه الدين ولا يستوفى
الا بعد القبض او ياخذ ليأخذ الدين منه من غير تحبس فيه ولا منع عنه ووجه اخر فيما لا يجوز الرهن الا مقبوضا لانه
جعل وثيقة فلا جائز ان يكون وثيقة وهو في يدي الراهن غير محبوس ولا ممنوع عن منافعه فدل ما ذكرنا من طلب
الناس بعضهم من بعض الرهون انهم طلبوا وثيقة فاذا كان وثيقة فهو انما يكون وثيقة اذا كان في يدي المرتهن محبوسا
عن صاحبه الا ترى ان الكاتب امر باداء الامانة اذا امن بعضهم بعضا بغير رهن فلو كان الرهن يكون رهنا في يدي الراهن لا ذكر فيه
اداء الامانة في الرهن ولم يكن لذكر القبض وجه لذلك قلنا ان الرهن لا يجوز الا ان يكون مقبوضا محبوسا عن منافع صاحبه
وقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته فيه دلالة ضمان الرهن دلالة استيفاء الدين من الرهن لانه
انما ذكر الاداء فيما امن بعضهم بعضا بلا رهن ولم يذكر الاداء فيما فيه الرهن فلولا ان جعل في الرهن استيفاء الحق و
الدين والا لذكر الاداء فيه كما ذكر في لا رهن فدل انه مضمون به ان اهلك به والله اعلم وايضا قوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد
الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه فيه دليل لقولهم في الشركات انه يكتب اشتركا على تقوى الله واداء الامانة كما ذكر عز وجل
تقوى الله واداء الامانة فيما ونحن وقوله ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه ذكر اثم القلب والاثم موضعه القلب
لكنه يشيع في الجوارح ويظهر على ما روي ان في النفس مضغة اذا صلحت صلح البدن واذا فسدت فسد البدن قال الشيخ رحمه
الله وفيه دلالة ان المآثم تعد القلوب باي شيء كان فلذلك وصف القلب بانه اثم وهو كقوله يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
وكذا قوله ولكن ما تعمدت قلوبكم الاية وقوله لله ما في السموات وما في الارض هو ظاهر اذ ما في السموات والارض كلهم عبيده
واماؤه رد على قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وقد ذكرنا الوجه فيما تقدم في غير موضع وقوله وان
تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله من استدل على نسخها بقوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لكنه لا يحتمل لانه و
عد وخبر بالمحاسبة والوعد لا يحتمل النسخ لانه خلف وبداء وذلك من يجهل بالعواقب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ثم اختلف
فيه قال الحسن هو على ما عزم لا على ما خطر بالنفس وكذا قوله منهم ويحمل على التقديم والتاخير ان تخفوا ما في انفسكم او تبدوه
يحاسبكم به الله ويحتمل ايضا ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وعزمتم عليه واعتقدتم لا على ما يخطر فيه او حدث النفس على
ما روي من هم بحسنة فله كذا ومن هم بسيئة فكذا ليس على ما يخطر فيه او حديث النفس على ما روي وتحدث النفس به ولكن
على العزم عليه والاعتقاد وكذلك قوله ولقد همت به وهم بها همت هي هم عزم وهو هم بها هم خطر و
والراء غير مؤاخذ بما يخطر في القلب وتحدث النفس به انما يؤاخذ على ما عزم واعتقد عليه والله اعلم وقوله فيغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء فيه دليل لما قلنا انه على العزم والاعتقاد عليه لما ذكرنا من العفو والعقوبة عليه وقوله امن الرسول بما
انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته قوله امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون يحتمل وجهين يحتمل
امن بنفس المنزل بما انزل اليه انه من عند الله وكذلك المؤمنون ايضا امنوا بما انزل اليه انه من عند الله ويحتمل قوله امن
الرسول بما انزل اليه من ربه انه من عند الله بما في المنزل اليه وكان فيه ما ذكرنا امن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى
قوله واليك المصير وكذلك المؤمنون امنوا بجميع ما في المنزل وهو ما ذكرنا وفيه دليل ان الايمان بالمنزل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايمان بجميع الرسل والكتب كلها والملائكة والبعث والجنة والنار وفيه دلالة نقض قول من يثبت في
ايمانه ويستثني لانه عز وجل شهد لهم بالايمان فلا يخلو الاستثناء اما ان يكون لشكهم في اتيان ما امروا او في الذي اخبر الله
عنه بما كان ففيه الويل لهم وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه شهد لهم بالايمان وهم نفوا عنهم الاسم الذي شهد
لهم به بالايمان به وبالذي ذكر وكل صاحب كبيرة مؤمن بجميع ما ذكر وقد سماهم الله به مؤمنين وشهد لهم به والله الموفق
فان قيل فقد ذكر الطاعة في اخرها قيل ذكر الطاعة في الاجابة وبتلك الاجابة شهد لهم فيلزمهم ما شهد الله لهم جل وعلا بما
اجابوا وقوله لا نفرق بين احد من رسله ويحتمل ان يكون هذا خبرا اخبر الله عز وجل عن المؤمنين انهم قالوا لا نفرق بين احد من رسله
كما فرق اليهود والنصارى وقوله وقالوا سمعنا واطعنا يحتمل سمعنا واطعنا قولك ودعاءك واطعناك في الاجابة ويحتمل
سمعنا القران واطعناك فيما فيه والله اعلم وقوله غفرانك ربنا اي اغفر لنا ربنا واليك المصير اي المرجع وهذه جمع جميع شرائط
الايمان لذلك قلنا ان الايمان بالقران ايمان بجميع الكتب والانبياء والبعث وغيره وبالله العصمة والنجاة وقوله لا يكلف
الله نفسا الا وسعها اختلف فيه قال الحسن قوله الا وسعها الا ما يحل ويسع لكن بعض الناس يقولون هذا بعيد لا يحمل الامر
اذا كان فحل ووسع فاذا كان كذلك لم يكن لقوله معنى قيل له هو كقوله احل لكم الطيبات اي الحل طيب واذا طيب حل فكذا الاول
وقد ذكر الامرين جميعا وتاويل ثان الا وسعها الا طاقتها وكذلك قول المعتزلة بتقدم الفعل واما عندنا فانها على وجهين
استطاعة الاحوال والاسباب واستطاعة الافعال اما استطاعة الاحوال والاسباب فانها تتقدمها وعلى ذلك يقع الخطاب

دليله قوله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قيل يا رسول الله وما الاستطاعة قال الزاد والراحلة ثم
كل يجمع ان من كان باقصى بلاد المسلمين قد تلزم فرض الحج على علم كل منهم ان تلك الاستطاعة لو صرفت الى استطاعة الافعال لم يبق الى وقت
وجود الافعال ثم قد لزمه ذلك فبان ان الكلفة انما تقع على استطاعة الاحوال والاسباب وكذلك الكلفة في جميع الطاعات فان
قيل قد يقع هذا على الخروج فيوجد الفعل عقيب قوة الخروج قيل لو كان كذلك كان لا يلزم فرض الحج الا بالخروج وله ترك الخروج
اذ باكتساب الخروج يلزمه فرض الحج فلا يلزم عليه فرض الحج فثبت انه لا يحتمله بل هو على ما قاله اصحابنا رحمهم الله انها استطاعة الاحوال
وتلك تتقدم لما ذكرنا والله اعلم واما استطاعة الافعال فانها تحدث بحدوث الافعال وتتلو كالاوقات التي لا تبقى في وقت ثان فهي
كالوقت الذي لا يبقى في وقت تارة والله اعلم فان سئلنا عن التكليف ايكون فيما لا يطاق فجوابنا انه فيما منعنا عنه فلا وفيما لم تمنع وضيعنا
بشغلنا بغيره قيل ثم الكافر بما اعطي من القوة والاستطاعة شغل نفسه بغيره وضيع ما اعطي من القوة فاذا ضيع لم يكن تكليف ما لا يطيق
ثم ننظر اينا احق بالقول بتكليف ما لا يطاق فمن قول المعتزلة ان القوة على الفعل لا يوجد في الوقت جعلوه غير قادر عليه بقدرة
توجد ثم جعلوه ايضا غير قادر على الترك للفعل والمتعارف عن الامر في الظاهر شيء يفعله في وقت ان لا يقع الامر به وقت
ما يسمعه وبقرع الخطاب السمع بل في ثان من الوقت فحصل عندهم الامر على الوقت الذي هو غير قادر فيه فاتى تكليف على وقوله
الطرق والوسع ابين مما قالوا وبالله التوفيق ثم المنشر من هذا ما قالوا ان القدرة تتقدم الفعل والفعل هو الذي يدل على وجود الو
وهو في وقت ايجاد الفعل ان كان كفرا ايجادا وان كان ايمانا يوالي فحصل القول على ان الموالات والمعادات ابدا تقع في غير وقت
الانتهاء والاستمرار ثم قولهم في قوله ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا انه على الجبر ولا يحتمل ذلك لانه قد اوجب
لكل ذلك خرجه بالجبر في الخلقة وهو قوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها فقد الزمهم الاسلام بالخلقة بان ان الثاني
على الاختيار ثم قولهم في استطاعة واحدة لفعلين معا في وقت باستطاعة واحدة محال وجود تلك الاستطاعة لاحد الفعلين
بعدم الاخر مستحيل لعدم البقاء ووجوده عندهم على البدل محال اذ جعلوا عين ما هو الاصل لاحدهما للاخر فثبت انه خطا وفي
قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت دلالة ان الله تعالى انما يامر عبيده وينهى لمنافع لهم ولضرر يلحقهم لا لمنافع تكون
له بالامر فيا مر او بضر يلحقه فينهى عن ذلك فيكون في الامر جاد منفعة وفي النهي دافع مضرة كما يكون في الشاهد ان من امر اخر
بشيء انما يامر لمنفعة تنامل فيه وينهى عن شيء لدفع ضرر عنا فرو تعالى الله عن ذلك وقوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا
قيل فيه بوجهين قيل ان نسينا يعني تركنا كقوله نسوا الله فنسيهم وكقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي اي ترك وقوله اخطانا
يعني ارتكبنا ما انهينا وقيل انه على حقيقة النسيان والخطاء كانه على الاضمار ان قولوا لا تؤاخذنا الا وقوله ثم اختلف
بعد هذا قالت المعتزلة امر بالدعاء بهذا تعبدا وتقربا اليه وكذلك قوله ربنا واتنا ما وعدتنا الاية وكذلك امره قل رب احكم
بالحق ونحوه خرج الدعاء به مخرج التعبد والتقرب لان رسوله صلى الله عليه وسلم اخبر ان لا تؤاخذنا بالنسيان والخطا
وقوله انه لا يخلف الميعاد وكذلك معلوم انه لا يحكم الا بالحق وكذلك قوله واستغفر لذنبك وقد اخبر انه تعالى قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تاخر ولكنه على ما ذكرنا والى هذا يذهب المعتزلة واما الاصل عندنا في هذا انه جائز في الحكمة ان يعاتب على النسيان
والخطاء ليجتهدوا في حفظ حقوقه وحدوده وحرماته لئلا يغفلوا الا ترى ان الله اوجب على قاتل الخطا الكفارة ثم قال
توبة من الله فلو لم يكن لوجوب الكفارة عليه والتوبة معنى دل انه جائز الحكمة المؤاخذة به والثاني قوله عز وجل وما انسانيه
الا الشيطان وفعل الشيطان تمامنيّ وبعد ولذلك كان ما ذكروا والله اعلم لانه لو اجتهد عن فعل السهو والنسيان سلم عنه
فجائز ان يسال السلامة منهما اذ بالجهد يسلم عنه وبالغفلة يقع فيه والثالث ما ذكرنا ان النسيان هو الترك والخطاء هو الارتكاب
المنتهى والتارك لامر الله والمرتكب لنهيه يستوجب العقاب عليه والله اعلم فيصح الدعاء على ذلك لئلا يلحقهم العذاب
بترك ذلك الامر وارتكاب المنهي فان قيل ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم دفع النسيان والخطا وما استكرهوا عليه قيل انما
جاء هذا في الكفر خاصة لا في غيره وذلك ان القوم كانوا حديث العهد بالاسلام يجري على السنتهم الكفر على لسان
الخطاء وكذلك يكرهون على الكفر فيجرون على السنتهم مخافة القتل فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان ذلك مرفوع عنهم
قال الشيخ رحمه الله وبعد فان في الخبر العفو فيكون في ذلك دليل جواز الاخذ ولعل الوعد بالعفو مقرون بشرط الدعاء فلذلك
يدعون وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا فاوجب ان لا يؤمر احد ان يدعو ابتداء والله اعلم واما قوله ربنا
واتنا ما وعدتنا على رسلك ففيه وجهان احدهما انه وعد المؤمنين جملة الجنة فسؤال كل منهم ان يجعله من تلك الجملة التي وعدهم
الجنة والثاني يسال الختم على ما به يستوجب الموعود واما الامر بالاستغفار فهو يخرج على وجهين احدهما ما روي المؤذن
يغفر له مد صوته فهو على استيجاب اولئك المغفرة به فعلى ذلك استغفاره ليغفر به بعض امته والثاني ان المغفرة في اللغة
هي التغطية والستر فكانه يسال الستر عليه بعد التجاوز عنه قال الشيخ رحمه الله ثم الاصل ان الاستغفار هو طلب المغفرة فلو كان
لا يجوز له التعذيب فيكون التعذيب وقوله فيصير السؤال في التحقيق سؤالا ان لا يجير واذلك مما لا يسع المحنة وكذلك لو كان
مغفورا له كان الحق فيه الشكر لما انعم عليه وفي ذلك كتمان النعمة بكتمان نعم الله وكفرانها محال لذلك لا بد ان يمكن معه المحنة
من المعنى والله اعلم واما قوله عز وجل قل رب احكم بالحق قيل الحق ها هنا هو العذاب كانه امر ان يسال بانزال العذاب عليهم وقيل
احكم بحكمك الذي هو الحق فاذا كان ما ذكر يحتمله دل انه ليس على ما ذهب اليه اولئك والله اعلم وقوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته
على الذين من قبلنا قيل الاصر هو العهد ويقول لا تحمل علينا عهدا نعذب بتركه ونقضه كما حملته على الذين من قبلنا وكان من قبلهم
اذا اخطؤوا خطيئة حرم الله عليهم على نحوها مما احل لهم الطيبات كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم
وكاصحاب الاخدود وغيرهم فخاف المسلمون ذلك فقالوا ربنا ولا تحمل علينا اصرا فيحرم اجرمنا فتحرم علينا الطيبات واصل

الاصر الثقل

الاصر الثقل والشدائد التي كانت عليهم من نحو ما كان توبتهم الامر بقتل بعضهم بعضا كقوله اقتلوا انفسكم وقوله ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به يحتمل وجهين يحتمل ان لا تحملنا ما لا طاقة لنا به من القتل والهلاك اذ في ذلك افناؤهم وفي الفناء ذهاب طاقتهم قال الشيخ
رحمه الله اي ما تشتغل تمام امرنا فيكون كالدعاء بالعصمة والله اعلم ويحتمل ان يراد به طاقة الفعل وهي لا تتقدم عندنا الفعل والله
اعلم وقوله واعف عنا قيل اترك علينا ما عن عليه ولا تعذبنا وقوله واغفر لنا وارحمنا اي استرنا والغفر الستر ولذلك سمي
المغفر مغفرا لانه يستر وستر الذنب هو اعظم النعم وقوله انت مولانا قيل انت اولى بنا وقيل انت حافظنا وقيل انت ولينا
وناصرنا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله فانصرنا على القوم الكافرين يحتمل المعروفين ويحتمل الشياطين اي انصرنا عليهم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ...

وقوله الم الله قال بعضهم تفسيره ما وصل به من قوله الم ذلك الكتاب هو تفسير الم والم الله لا اله الا هو تفسير الم والمص كتاب
انزل اليك وجميع ما وصل به الحروف المقطعة فهو تفسيرها ولله ان يسمي نفسه بما شاء يسمى مجيدا كقوله ذو العرش المجيد وسمى
القران مجيدا كقوله بل هو قران مجيد وقال بعضهم الحروف المقطعة هي مفتاح السورة وقال اخرون ان كل حرف منها اسم
من اسماء الله تعالى ومنهم من يقول بانها من المتشابه التي لا يوقف عليها ومنهم من يقول وقوله التشبيب اذ من عادة العرب
ذلك وقد مضى الكلام فيه في قوله الم ذلك الكتاب بما يكفي وقوله الحي القيوم هو الحي بذاته وكل حي سواه حي بحيوة هي غيره
فاذا كان هو حيا بذاته لم يوصف بالتغاير والزوال ولما كان حي سواه بغيره احتمل التغاير والزوال وكان الحيوة عبارة يوصف
بها من عظم شانه وشرف امره عند الخلق الا ترى ان الله تعالى وصف الارض بالحيوة عند نباتها لما يعظم قدرها ويشرف منزلتها
عند الخلق عند النبات وكذلك الموت من جهة العلو قدره عند الناس والكافر ميتا لدون منزلته عند الناس فكذلك سبحانه سمى
حيا لعظمته وجلاله وكبريائه وعلى هذا يخرج قوله في الشهداء حيث قال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي مكرمون
معظمون مشرفون عند ربهم وقوله القيوم قال بعضهم هو القائم على كل نفس بما كسبت وقال اخرون القيوم الحافظ وفي حرف ابن
مسعود رضي الله عنه هو القيام كله يرجع الى واحد القائم والقيوم والقيام يقال فلان قائم على امر فلان اي يحفظه حتى لا يغيب
عنه من امره وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان اسم الله الاعظم الحي القيوم وقوله نزل عليك الكتاب ظاهر بالحق
قيل فيه بوجوه يحتمل بالحق اي هو الحق بنفسه حجة بحجوله واية معجزة ابين العرب عن ان يعارضوه او ياتوا بمثله ويحقق عند كل
انه من عند الله الا من اعرض عنه وكابر وعاند وقيل بالحق اي بالصدق والعدل وقيل بالحق الذي لله عليهم وما يكون لبعضهم
على بعض ثم قال مصدقا لما بين يديه اي موافقا لما قبله من الكتب السماوية وهي غير مختلفة ولا متنافية وفيه دلالة نبوة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه موافق لتلك الكتب غير مخالف لها ولو كان على خلاف ذلك لتكلفوا اظهار موضع
الخلاف فاذا لم يفعلوا ذلك دل انهم عرفوا انه من الله وان محمدا رسوله لكنهم كابروا وعاندوا وقوله وانزل التوراة والانجيل
من قبل هدى للناس وانزل الفرقان من بعد وقال بعضهم هدى للناس اي بيانا لهم وحجة لمن اهتدى وحجة على من عمي اذ لا يحتمل
ان يكون له هدى وعليه حجة في الهلاك انما يكون حجة له وهكذا الاهتدى وعليه اذا نزل الاهتداء فبان انه بخلاف ما يقوله المعتزلة
وقوله وانزل الفرقان قد ذكرنا فيما تقدم انه انما سمي فرقانا لوجهين احدهما لما فرق اياته وفرق انزاله والثاني لما يفرق بين الحق
والباطل وبين الحرام والحلال وبين ما يتقى وبين ما يؤتى فعلى هذا كل كتاب مبينا فيه الحلال وبين ما يتقى ويؤتى والانجيل قيل سمي انجيلا
لما يجلي وهو من الاظهار في اللغة وقيل سمي التوراة توراة من اوريت الزند وهو كذلك والله اعلم وقوله ان الذين كفروا بايات
الله قيل بحجج الله وقيل كفروا بايات الله اي بالله لانهم اذا كفروا باياته كفروا به وكذلك الكفر بدينه كفر به والبراءة من دينه براءة
منه والبراءة من رسوله براءة منه وقوله والله عزيز ذو انتقام قيل فيه بوجهين قيل ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وقيل ذو انتقام
ذو انتصار على الاعداء وقيل ذو بطش شديد وقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء هو وعيد كانه والله اعلم
قال لا يخفى عليه ما في السموات وما في الارض من الامور المستورة الخفية تخفى عليه اعمالكم اي افعالكم التي هي ظاهرة عندكم ويحتمل ان لا يخفى
عليه ما بطن وخفي في الاصلاب والضمائر والارحام فكيف يخفى عليه اعمالكم وافعالكم وهي تلاهم الا ترى انه قال هو الذي يصوركم
في الارحام اي علم في الارحام وصورها على ما شاء وكيف شاء وهم في ظلمات ثلاث وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
فيه دليل نقض قول من يقول بالقائف لانه جعل علم التصوير في الارحام لنفسه لم يجعل لغيره كيف عرف القائف تصوير الاول حتى قال
الله انه على تصويره وانه منه ثم اختلف في خلق الاشياء قال بعضهم لخلق الفروع من الاصول وهي اسباب للفروع وقال اخرون
يكون باسباب وبغير اسباب فان كان بعض الاشياء يكون باسباب من نحو الانسان من النطفة الا ان النطفة تتلف فتكون علقة
ثم مضغة فدل انه يخلق الخلق كيف شاء من شيء ولا من شيء بسبب وبغير سبب وهو الهادي على ذلك وبالله التوفيق وقوله هو
الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات اختلف فيه قيل المحكمات من الناسخات المعمولات بهن
والمتشابهات من المنسوخات غير معمول بهن وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال اخرون المحكمات هن ثلاث ايات في سورة
الانعام قوله قل تعالوا اتل ما حرم الى قوله تتقون وما ذكر في سورة بني اسرائيل من قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى اخرها
الايات سميت محكمة لان فيها توحيدا وايمانا بالله وغيره من المتشابه ثم قيل بعضها بوجوه قيل المحكمات هي التي يعرفها اهل
النظر فيها وتامل فيها والمتشابه هو المبهم الذي يعرف عند البحث فيه والطلب وقيل المحكمات ما يوقف ويفهم مراده والمتشابه
هو الذي لا يوقف البتة بعد ما قضى حوائج الخلق من البيان في المحكم منه ولكن يلزم الايمان به وهو من الله محنة على عباده ولله
ان يمتحن خلقه بما شاء من انواع المحن لانها دار محنة وغيرها ما لا يفهم مراده ويحتمل ان يكون المحكمات هي ما ظهر لكل احد من اهل

الاسلام حتى لم يختلفوا فيها والمتشابه هو الذي اشتبه على الناس لاختلاف الالسن فاختلفوا فيها ولما يؤدي ظاهره الى غير ما يؤدي
ظاهره الى غير ما يؤدي باطنه فتعلق بعضهم بالظاهر فقالوا به وتعلق آخرون بالباطن لما دار ظاهره جورا وظلما او تشبيها على اتفاقهم
على نفي الجور والظلم عنه ويجوز ان يوقف على المتشابه بمعرفة المحكم وقال آخرون المحكم هو الواضح المبين فلو كان على ما قالوا لم يكن
لاختلاف الناس فيه وادعاء كل ان الذي هو عليه هو المحكم لانه لو كان ظاهرا بينا لتمسكوا به ولم يقع بينهم اختلاف وفيه دليل
نقض على المعتزلة لانهم يقولون بالاصلح في الدين انه لا يفعل الا ذلك ثم لم يتبين لهم المحكم من غير المحكم ولو بين كان اصلح لهم
في الدين قوله ان الله عز وجل قد يجوز ان يفعل بهم ما ليس باصلح لهم في الدين امتحانا وابتلاء منه والله اعلم لكن لا يخرج من
الحكمة ثم ما قالوه في الاصلح لان لو يأمر الا ان يفعل بهم ما ليس باصلح لهم في الدين بمعنى اقرب وادعى الى البر والله الموفق
وقال قوم المحكم ما في العقل بيانه والمتشابه ما لا يدرك في العقل وانما يعرف بمعونة السمع وقال قوم لا متشابه فيما فيه احكام
من امر ونهي وحلال وحرام وانما ذلك فيما ليس بالناس حاجة الى العلم به نحو الانباء عن منتهى الملك وعن عدد الملوك وعن الآجال
بحقيقة الموعود ونحو ذلك ولا قوة الا بالله لكن امكن ان يكون سمى متشابها بما تشابه على اولئك القوم حقيقة ما راموا من الوجه
الذي طلبوا وقد بينا الحق في امر المتشابه وما يجب في ذلك من القول وبالله العصمة والنجاة وقوله هن ام الكتاب يحتمل وجهين
يحتمل ام الكتاب اي اصل الكتاب ويحتمل ام الكتاب اي المتقدم على غيرها وعلى هذا يخرج ام القرى بمعنى مكة لانها هي المتقدمة على غيرها
من القرى ويحتمل هي اصل القرى كما سمى فاتحة الكتاب ام القرآن لانها اصل او لانها هي المتقدمة على غيرها من السور والله اعلم
ويحتمل قوله هن ام الكتاب اي مقصود الكتاب يعني المحكمات والمتشابه مما فيه شبه من غيره فهو متشابه كقولهم ان البقر
تشابه علينا وكذلك المشكل سمى مشكلا لما يدخل فيه شكل من غيره فسمى مشكلا فكذلك المتشابه يدخل فيه شبه غيره فصار
متشابها والله اعلم وقوله عز وجل فاما الذين في قلوبهم زيغ قيل ميل عن الحق وقيل الزيغ هو الريب والشك فيتبعون ما تشابه
منه ابتغاء الفتنة ولو كان ثم اتباع لعذروا الاتباع للشيء اتباع ما فيه من المراد وعلى هذا يقولون في قوله يتلونه حق تلاوته
اي يتبعونه حق اتباعه وكذلك قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم والمتشابه قد انزل الينا من ربنا فيجب متبعه في الحقيقة لحيث ان لم
يكن ثم اتباع في الحقيقة وانه لو كان لعذروا ولكنه كان والله اعلم اتباع الاهواء في التأويل بالآراء الفاسدة الا ترى انهم طلبوا
بالتأويل منتهى ملك هذه الامة وفي الوقوف عليه وقوف على علم الساعة وسبب القيامة وذلك علم لم يطلع الله الرسل على ذلك
فضلا ان يطلع عليه غيرهم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل ان يكون اتباعهم نظرهم فيها بقصر افهامهم عن الادراك في الوقوف
عليه ولو كان نظرهم في المحكم من ذلك لكان لهم في ذلك بلاغ وكفاية فيما اليهم به حاجة ولا قوة الا بالله قال الشيخ رحمه الله
وقوله فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق وذلك همتهم او كان ذلك اعتقادهم فان كان المراد من ذلك في الكفرة فهو الاول
وان كان في اصحاب الهواء من الذين يدينون دين الاسلام فهو الثاني وكذلك نجد كل ذي مذهب في الدين ممن اعتقد حقيقة الامر
في قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الآية وقوله ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل الآية
يتعلق بظاهر الآية يدعي انها محكمة عنده انه الحق بعد ان اجهد نفسه في طلب الحق ويرى غيره ذلك عليه فان كان على ذلك
فحقه التسليم لما عليه توارث الامة ظاهرا على ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر عن تفرق الامة ثم اشار التمسك الى ما عليه
هو واصحابه رضي الله عنهم فعلى ذلك امر المتوارث فيجب جعله محكما وبيانا لما اختلف عليه ولا قوة الا بالله ويكون المبتدع في ابتغاء
تأويله يريد التلبيس على من لزم تلك الجملة وكذلك لا هل جملة الدين من فرع عليه كذا التنازع وترك الاشتغال بتأويل ما اعترضه
لكان متبع المحكم عند الامة مطيعا المتشابه حقه ولا قوة الا بالله وان كان هو الاول فقد ذكر ان ذلك في استخراج منتهى ملك
هذه الامة وان نهايته الساعة والعلم به لم يطلع عليه الرسل فضلا عمن دونهم او كان ذلك في اشياء يقصر عقول الضعفاء عن
الاحاطة بذلك يريدون بذلك التلبيس على العوام واهل الغباوة فاخبر عز وجل بما ذكر انه لا يعلم الا الله كان ذلك فيما
يعلمه غيره او لا فان كان اطلعه فبالله علم لا ان في العقول بلوغ ذلك ومعنى الاتباع ما قد بين وقوله فيتبعون ما تشابه منه اي
من القرآن يقول ما اشتبه حسابهم ابتغاء الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة المحنة اي يمتحنون اهل الاسلام وقوله وابتغاء تأويله
منتهى ما كتب الله عز وجل لهذه الامة من المدة لهم والوقت وما ينتهي اليه وقوله وما يعلم تأويله الا الله
اي ما يعلم منتهى تلك الامة الا الله ثم المتشابه كان ما يوقف فيه ضربان [illegible]
هذا ان كل ذي مذهب في الاسلام يدعي على خصمه ما ذهب اليه من الاحتجاج بالآيات الوقوع في المتشابه ولخصمه الوقوع في
الواضح وعنده ان ما ذهب اليه هو الحق [illegible] المتشابه وترك الواضح [illegible]
مثله [illegible]
له في المتشابه تحمل دعواه وقوله وما يعلم تأويله الا الله قال قوم موضع الوقف على قوله والراسخون ثم ابتدأ فقال يقولون
امنا به كل من عند ربنا يقولون بمعنى قالوا امنا به وذلك جائز في اللغة يقول بمعنى قال وقال آخرون موضع الوقف على
قوله الا الله ثم استأنف الكلام فقال والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا المحكم والمتشابه وغيره قيل الراسخون
هم الدارسون وقيل المتثبتون رسخ يعني ثبت وقيل الراسخون التابعون [illegible]
[illegible]
[illegible]
المعتزلة احد ما [illegible] الزيغ الى نفسه وهو حرف مذموم عند الخلق اذا قيل فلان زائغ [illegible] عن الحق فاذا اضاف الله تعالى

الى نفسه حرف الزيغ دل ان فيه معنى سوى ظاهره حتى جاز اضافته اليه وهو ان خلق منهم فعل الزيغ وكذلك هذا في الضلال واضاف
ايضا الهداية الى نفسه بقوله بعد اذ هديتنا فلو كان الهدى البيان على ما يقوله المعتزلة لجاز ان يضاف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ هو مبلغ البيان لانه بعث مبينا معلما فاذا لم يجز ذلك دل ان فيه معنى سوى التوفيق والعصمة حتى جاز اضافته اليه
ولا يجوز الى غيره والله الموفق والثاني انهم سألوا العصمة عن الزيغ والضلال فلو كان عليه ان يفعل وان يبذل لهم العصمة
لم يكن للسؤال من ذلك معنى دل انه متفضل فيه فيبذل ذلك لهم والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله ربنا لا تزغ قلوبنا الآية
فيه وجهان احدهما انه لو لم يكن الا الاصلح في الدين فتركه جور فالقول بربنا لا تزغ قلوبنا لا يخلو من ان يكون الازاغة
اصلح له وهو يدعو بان يجوز او لا يكون اصلح فهو يدعو بانه لا يجوز ومحال الدعاء على خوف الجور ومن خاف جور الخالق فهو
غير عارف به والثاني ان الداعي فيما جبل عليه الخلق يدعو على امن انه لو اجابه لكان لا يزيغ قلبه وكذلك هو في العصمة والهداية
ولهذا يؤمر به ايضا ولو كان يكون معه زيغ لكان لا فضل في الامر بين الدعاء بالازاغة وان لا تزغ اذ الخوف مع الامرين
قائم والله الموفق وفي ذلك ايضا وجهان آخران احدهما ان الازاغة اضيفت الى احد خرجت مخرج الشتم له والتعيير ثبت
ان فيما اضيفت الى الله تبارك وتعالى معنى ليس فيما اضيفت الى غيره وهو والله اعلم ان الازاغة من كل احد فعل هو زيغ بنفسه
فيه ذم ومن الله ليست فيكون فيه انه خلق فعل الزيغ ليس بزيغ وان كان فعله زيغ والله اعلم وفيه ان خلق الشيء ليس هو ذلك
الشيء وانه يكون من الله ما يوصف بالازاغة ويصير له به الاخزاء نفيا ولا شيء يوجد يكون كذلك سوى خلق فعل الازاغة من العبد
والله الموفق والثاني قوله بعد اذ هديتنا ولو لم يكن من الله في الهداية سوى البيان لكان يصح ذلك لكل كافر ويجوز الاضافة
الى الرسل فاذا لم يصح ذلك ولم يجز ثبت ان ثم فضل وهو خلق فعل الهداية والتوفيق الذي معه الاهتداء لا محالة وبالله التوفيق
والمعونة وقوله وهب لنا من لدنك رحمة الرحمة يحتمل وجوها يحتمل الهدى والاسلام اذ به يستفاد ويحتمل الجنة ويحتمل انهم سألوا
كل رحمة قال ابو بكر الاصم الرحمة السعة في الدنيا والثواب في الآخرة وقوله انك انت الوهاب فهو على قول المعتزلة ليس بوهاب
لان الوهاب هو المتفضل الذي يهب ويبذل ما ليس عليه وهو على قولهم عليه ان يعطي الخلق كل ما هو اصلح لهم في الدين فالآية تكذبهم
ترد عليهم قولهم الوحش في الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ويحتمل هب لنا ما نستوجب به الرحمة وهو عمل الخير كقوله ان رحمة الله
قريب من المحسنين وقوله ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه فيه اقرار بالايمان والبعث بعد الموت وقوله ان الله
لا يخلف الميعاد في هذا خاصة ان يراد به القيامة والبعث ويحتمل لا يخلف الميعاد في كل شيء مما يصيب الخلق من الخير والشر والفرح
والحزن والاسف يقولون انه كان بوعده ووعيده وانه كان مكتوبا عليهم ولهم وانه لا يكون على خلاف ما كان مكتوبا عليهم
ليصبروا على الشدائد والمصائب فلا يجزعوا عليها ولا يحزنوا وليشكروا على الآلاء والنعماء ولا يفرحوا عليها وهو كقوله
لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا وذلك انهم
كانوا يستنصرون باولادهم واموالهم في الدنيا ويستعينون بها على غيرهم فظنوا انهم يستنصرون بهم في الآخرة ويدفعون
بهم عن انفسهم العذاب وهو كقولهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبرهم الله عز وجل ان اموالكم واولادكم
لا تغني عنكم من عذاب الله شيئا وقوله واولئك هم وقود النار اي حطب النار فهو والله اعلم ان الاوثان اذا وقع في النار
في هذه الدنيا لا يحترق احتراق الحطب ولكنه يذوب ويسيل منه الصديد فقال الله عز وجل انهم يحترقون في النار في الآخرة
احتراق الاوثان في الدنيا لانها اشد بطشا واسرع اخذا واطول احتراقا على هذا يخرج قوله والله شديد العقاب ليس كعذاب
الدنيا انه على الانقضاء والنفاذ ولكن على الدوام فيها والخلد دائم الابدين فنعوذ بالله منها وقوله كدأب آل فرعون قيل
كاشباه آل فرعون وقيل كعمل آل فرعون وكصنيعهم وكله واحد ثم يحتمل بعد هذا وجهين يحتمل صنيع هؤلاء وعملهم بل
كصنيع آل فرعون ومن كان قبلهم بموسى في التكذيب والتعنت ويحتمل بصنيع هؤلاء بما يلحقهم من العذاب بالتكذيب
والتعنت فالحق اولئك من العذاب بتكذيب الرسل وتعنتهم عليهم والله شديد العقاب قد ذكرناه وقوله قل للذين كفروا
ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وهذا والله اعلم في قوم قد علم عز وجل انهم لا يؤمنون ابدا الا ذلك قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم ان قل لهم ستغلبون وتحشرون الى جهنم الآية والا فلا يلحقه ذلك الوعيد والله اعلم لان من الكفار من
يسلم ومن لا يسلم وقوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة فان قال قائل ما في فئة قليلة وهي فئة اهل الاسلام فئة كبيرة وهي
فئة المشركين حيث غلبت فئة المسلمين وهم قليل فئة المشركين وهم كثير يوم بدر وقد يكون لاهل الكفر اذا كانوا قليلا فغلبوا
على اهل الاسلام آية قيل ليست الآية في الغلبة خاصة لكن الآية فيها والله اعلم في غيره من وجوه احدها ان غلبة المسلمين مع ضعف
ابدانهم وقلة عددهم وخروجهم لا على وجه الحرب والقتال المشركين مع قوة ابدانهم وكثرة عددهم فاستعدادهم للحرب وخروجهم
على الحرب والقتال آية وعلى العدد ان ليس لهم فئة ولا لهم رجاء المدد وان لا غياث لهم من البشر وذلك آية الجرأة وعلامة الشجاعة
ومعه امن والطمأنينة والثاني ان ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ كفا من تراب فرماه على وجوههم وقال شاهت
الوجوه فامتلأت اعينهم من ذلك وعموا حتى انهزموا منها وآية والثالث ما قيل ان ابا جهل قام فدعا فقال اينا احق دينا واوصل رحما
فانصره واجعل الغلبة والهزيمة على الآخر فاستجيب فكانت الغلبة والهزيمة عليهم فكان آية والرابع ما اعان الملائكة المسلمين
وبعثهم الله عز وجل مددا النصرة للمؤمنين على الكافرين يوم بدر فذلك آية ووجه آخر ما ذكرنا وهو ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كانوا اخرجوا شبه القريتين سلاحا غير مستعدين للقتال على علم منهم بذلك واولئك خرجوا مستعدين لذلك وكان ذلك والله
الله اعلم قال الشيخ في ذكر القليل في الاعين من الجانبين آية عظيمة اذ هو حسية والحواس تؤدي عن المحسوسات حقائقها فجعلها
الله بحيث لا يؤدي لما قال ليقضي الله امرا كان مفعولا فيحتمل ان يكون المراد مما ذكر من الآية في امر الفئتين هذا والله اعلم وقوله

برونهم مثليهم رأي العين وفي بعض القراءات ترونهم بالتاء يرى المؤمنون اولئك مثل انفسهم لا اكثرهم كانوا ثلاثة امثالهم على ما روي في القصة
وهذا الحمل الحق عليهم قيام الواحد من المسلمين بالاثنين منهم مع ضعفهم لجهدهم في العبادات وبلوغهم الغاية من احتمال الشدائد
والمشقات اخبر عز وجل بمعرفتهم امر اهل الحرب وشدة رغبتهم في تعلمهم ما يحتاجون في الحرب والقتال ولهذا قالوا ان الله عز وجل
علم المؤمنين جميع ما يحتاجون في الحرب من الادب وغيرها في الكتاب كقوله اذا لقيتم فئة فاثبتوا امرهم بالتثبت ثم قال فلا تولوهم
الادبار وقال فلا تنازعوا فتفشلوا فجعل التنازع الواقع بينهم على خلاف بعضهم بعضا سبب الهزيمة ففيه امر بالاجتماع
وجعل التدبير واحدا اذ الطاعة لامامهم وقوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وانما كان عبرة لما ذكرنا من خروج المؤمنين
بقلة عددهم وضعف ابدانهم بلا استعداد للحرب والقتال انما هو خروج شبه الغير وخروج اولئك بالعدة مع قوة ابدانهم
وكثرة عددهم وطمع المدد له ولم يكن للمسلمين ذلك في مثل غلبة المؤمنين الكافرين والظفر بهم والنصر لهم عليهم على الوصف
الذي وصفنا معجزة وآية لاولي الابصار والعبر وقوله زين للناس حب الشهوات اي المشتهيات من النساء والبنين وما ذكر الى
اخره قال الحسن والله ما زينها الا الشيطان اذ لا احد اذم بها ولا ذمها من الله تعالى واليه يذهب المعتزلة لكن الاصل
في هذا ولو امثاله ان الله عز وجل زين هذه الاشياء والتزيين من الله سبحانه وتعالى يقع لوجهين وكذلك الكراهة ايضا تقع
لوجهين تزين في الطباع والطبع يرغب فيما يتلذذ ويشتهي وان لم يكن في نفسه حسن وتزين في العقل فلا تزين في العقل الا فيما
ثبت حسنه بنفسه او لامر او حمد العاقبة ونحو ذلك ثم جعل العقل مما نعاله ان انما يرغب اليه الطبع ويميل لان الطبع ابدا يميل ويرغب
الى ما هو التذ واشهى واخف عليه وينفر عما يضره ويؤلمه والعقل لا ينفر الا عما القبيح في نفسه ويرغب فيما هو الحسن في نفسه وعلى ذلك
يخرج قوله صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات ليس على كراهة العقل ولا على شهوة العقل لكن على كراهة الطبع و
شهوته وكذلك قوله كتب عليكم القتال وهو كره لكم ليس على كراهة الاختيار ولكن كراهة الطبع لان كراهة العقل كراهة الاختيار
وكذلك رغبة الاختيار وفيها تجري الكلفة اعني على اختيار العقل لا اختيار الطبع مما يميل ويرغب في الالذ وينفر عن المضادة ودليله
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اخبر انهم لا يؤمنون
ما وجدوا في انفسهم حرجا فدلت الاية ان الخطاب والكلفة انما يكون على اختيار العقل وكراهيته لا على اختيار الطبع لذلك قلنا انه
يجوز التزيين في الطبع من الله تعالى وكذلك الكراهة في الطبع تكره من الله تعالى فاما قولهم ان الشيطان هو الذي زينها فان عنوا
انه زينها لهم ويدعوهم اليها ويريهم زينتها فنعم وان عنوا انه زينها بحيث نفسها لهم فلا لان الله تعالى وصف الشيطان
بالضعف ونفى عنه هذه القدرة بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا فلو جعلنا له التزيين لهم على ما قالوا لم يكن كيده على ما و
عز وجل بالضعف ولكن كان قويا ولكنه يدعوهم اليها ويرغبهم فيها ويريهم المزين لهم ثم دعاؤه اياهم وحجته في ذلك وقوته
من حيث ما لا يطلع عليه بقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فالعدو الذي يرى هو مع عداوته ولا يرى هو فانه يجب
ان يكون احذر منه واخوف ممن يرى ووجه اخر ان الشهوات التي اضاف التزيين اليها لا خلاف بينهم في انها مخلوقة لله
تعالى فما بقي للشيطان الا الدعاء اليها والترغيب فيها وفيه وجه اخر انه لو لم يجعل هذا مزينا من الله تعالى زال موضع استدلال
الشاهد على الغائب وبالدنيا على الاخرة قد جعل ما في الدنيا نوعين مستحسنا ومستقبحا وجعل ذلك عبارا لما اوعد ووعد فلما لم
يكن له لا يعلم موضع التغير لا ترجل وعلا بلطفه سخر كل مرغوب في الدنيا ومدعوا اليه من جوهره في الاخرة وحسنه
ليرغب الناس هذا الى ما في الجنة بحسنه ولطفه وزينته ويدعوهم الى ترك ما في الدنيا من الفاني الى نعيم دائم ابدا فلو جعل هذا من
تزيين الشيطان لعنه الله ومصنوعه لهم لذهب عظيم موضع الاستدلال الذي ذكرنا فذلك انه مزين منه عز وجل تعالى الله عما
يقول الظالمون علوا كبيرا ثم امتحنهم الله عز وجل بترك ما زين لهم في الطباع بما ركب لهم من العقول الوافرة ليختاروا ما حسن في
العقول وتزين على ذلك جرت الكلفة والخطاب لا بما مالت اليه الطباع ونفرت عنه العقول وبالله التوفيق ثم في الاية دلالة
وجوب الحق في كل ما ذكر في الاية من المال وكذلك الخيل واما في النساء والبنين فلما متعوا بهم اوجب عليهم النفقة كذلك والقناطير
المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة اوجب في النساء عليهم النفقة وكذلك البنين واوجب في الذهب والفضة
حقا ثم ذكر الخيل المسومة ان كان المراد منه جعلها سائمة لذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه ان في الخيل صدقة ثم اختلف
في المسومة قال بعضهم وهي المسيبة الراعية وقال اخرون هي المعلمة وعن ابن عباس رضي الله عنه المسومة الراعية وقال
غيرهم المطهمة وهي المحسنة ثم اخبر ان ما ذكر في الاية هو متاع الدنيا امرهم بترك ذلك اخبر ان لهم عنده حسن المآب ان هم
تركوا ما امتحنوا ثم قال ان من اتقى في الدنيا خير له من ذلك بقوله قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها
الانهار الى اخره ثم اختلف في القناطير المقنطرة منهم من قال الف ومائتا اوقية ومنهم من قال اثني عشر الفا ومنهم من يقول
ملء مسك ثور ذهب او فضة ومنهم من يقول كل مائة قنطار من كل شيء وهو اسم المال العظيم الكثير لا ندري
ما مقداره ليس لنا الى معرفة قدره حاجة ولا فائدة انما الحاجة الى معرفة الرغبة فيما كثر من المال اذ ليس قدرا حق بان
يحمل عليه الرغبة من الامر والله اعلم وقوله خالدين فيها وازواج مطهرة من الافات كلها من الاخلاق السيئة والاقذار
والعيوب كلها وقد ذكرنا فيما تقدم في صور السورة قال وكل اهل الجنة مطهرة من جميع المعايب لان العيوب في الاشياء
علم الفناء وهم خلقوا للبقاء الا ان اهل الذكر جرى للنساء لما ظهر في الدنيا من الفضل المعايب والاذى وقوله الذين يقولون
ربنا اننا امنا الاية قد رضي منهم بهذا القول وفيه تزكية ولولا ان الايمان جميع الطاعات لم يرض منهم التزكية بها وقد
اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان للذين اتقوا عند ربهم في الجنة خير من هذا الذي زين للناس في الدنيا من النساء وما ذكر الى
اخره وقوله للذين اتقوا يحتمل اتقوا الشرك ويحتمل للذين اتقوا الفواحش والمعاصي كلها وقوله الصابرين قيل الصابرين على طاعة

الله وقيل الصابرين على اداء الفرائض وقيل الصابرين على المرازي والمصائب والشدائد والصبر هو حبس النفس عن جميع
ما تهوى وتشتهي وقوله والصادقين قيل في ايمانهم وقيل الصادقين بما وعدوا وقيل الصادقين في جميع ما يقولون ويخبرون
والمنفقين يحتمل الانفاق مما لزم من اموالهم من الزكوات والصدقات ويحتمل المنفقين المؤدين حقوق بعضهم بعضا من حق
القرابة والصلة والقانتين قيل القانت الخاضع وقيل القانت المطيع وقيل الخاشع وكله يرجع الى واحد واصله القيام وكل
من قام لامر كان مطيعا وخاشعا وخاضعا ومقرا وقيل القانت المقر كقوله كل له قانتون اي مقرون وقال قتادة الصابرين
الذين صبروا على طاعة الله وصبروا عن محارمه والصادقين الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم وصدقوا في
السر والعلانية والقانتين المطيعين والمستغفرين بالاسحار والمنفقين يعني نفقة اموالهم في سبيل الله والمستغفرين بالاسحار
قيل المصلين في اول الليل والمستغفرين في اخره واصل الاستغفار طلب المغفرة مما ارتكب من المأثم على ندامة القلب والعزيمة
على ترك العود الى مثله ابدا ليس كقول الناس استغفر الله على غير ندامة القلب واصل الاستغفار في الحقيقة طلب المغفرة باسبابها
ليس ان يقول بلسانه اغفر لي كقول نوح عليه السلام استغفروا ربكم امرهم بالتوحيد ثم اخبر عز وجل ان الجنة هي للصابرين والصادقين
الى اخر ما ذكر والله اعلم وقوله شهد الله انه لا اله الا هو قيل فيه بوجوه قيل شهد الله شهادة ذاتية اي هو بذاته لا اله الا هو
اذ في ذاته ما يليق الشهادة بمثله له من الالوهية والربوبية وليس ذلك في ذات غيره وبالله العصمة وقيل شهد الله بما خلق
من الخلائق انه لا اله الا هو اي خلق من الخلائق ما يشهد خلقة كل احد وحدانيته والهيته لو نظروا في خلقتهم وتدبروا فيها وكذلك
الملائكة واولوا العلم شهدوا انه لا اله الا هو على تاويل الاول وعلى تاويل الثاني ان خلقة الملائكة واولوا العلم يشهد على وحدانيته
فشهدوا على ذلك الا الجهال فانهم لم يتاملوا في انفسهم ولا تفكروا في انفسهم فلم يشهدوا به لانه امر الرسل والانبياء عليهم
السلام بان يقولوا لا اله الا الله فقوله وامره شهادة منه ويحتمل شهادة القول كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي
وذلك من الله الربوبية ومن الخلق العبودية له فيجب ان يعرف الربوبية من العبودية نفسه دلالة خلق الايمان لمن قال انه غير
مخلوق فلم يعرف ذا من ذلك وبالله التوفيق وقيل شهد الله اي علم الله انه لا اله الا هو وكذلك علم الملائكة واولوا العلم انه لا اله
الا هو فان قال لنا ملحد كيف صح وهو دعوى قيل لان من ظهر صدقه فشهادته اذا شهد وهو مقبول وهو مما ادعى من الالوهية
والربوبية اذ لم يستقبله احد ظهر صدقه وقهر كل مكذب له في دعواه وبالله النجاة وقوله قائما بالقسط اي حافظ ومتولي كقوله
قائم على كل نفس بما كسبت اي حافظها ومتولها كما يقال فلان قائم على امر فلان اي حافظ له ومتعاهد لاسبابه وقال الشيخ رحمه
الله وقيل عادلا اي لا يجور لان ثم معنى القيام كقوله قوامين بالقسط مقسطين لان ثم للقيام غير معنى يسبق الوهم
اليه والله اعلم وقوله ان الدين عند الله الاسلام قال قائلون ان الدين هو حق من بين الاديان هو الاسلام لان كل احد منهم
مما دان دينا يدعي انه دين الله الذي امر به وقال قوم ان الدين الذي امر به الامر من عند الله لانهم كانوا مع اختلافهم مقرين
بالايمان لكن بعضهم لا يقرون بالاسلام فاخبر عز وجل ان الذي امر به وفيه التوحيد هو الاسلام وغيره الا يرى انه قال ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما اخبر عز وجل ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام ليس على دين سوى دين الاسلام ولا
هو الاخلاص على ما ذكرنا فيما تقدم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة شهدوا واولوا العلم ان الدين
عند الله الاسلام وانه قائم بالقسط والقسط هو العدل في جميع القران وقوله وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يحتمل وجهين
يحتمل الاختلاف التفرق اي تفرقوا في الكفر كقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الاية ويحتمل الاختلاف نفس الاختلاف في الدين
كقوله ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر اخبر انهم اي لم يختلفوا من جهل ولكن عن علم وبيان كقوله الا من بعد ما جاءهم
العلم ثم يحتمل قوله الا من بعد ما جاءهم العلم وجهين اي لم يختلفوا الا من بعد ما علموا وعرفوا ويحتمل لم يختلفوا الا من بعد ما اتوا
اسباب ما لو تفكروا وتدبروا لوقع العلم لهم بذلك والبيان لكنهم تعنتوا وكابروا فاختلفوا ثم في الاية دليل ان لا يجوز ان يغير
قوله وجاء ربك وقوله الا ان يأتيهم الله ونحوه والانتقال من حال الى حال ومن مكان الى مكان لانه ذكر مجيء العلم والعلم لا يوصف
بالمجيء ولا ذهاب وكذلك قوله قل جاء الحق وزهق الباطل ذكر مجيء الحق وزهوق الباطل فهما لا يوصفان بمجيء الاجسام وذهابهم
بالانتقال والتحول من مكان الى مكان ولا يعرف ذلك ولا يصرف اليه فعلى ذلك لا يجوز ان يصرف قوله وجاء ربك والاستوى
على العرش ونحوه الى المعروف من استواء الخلق ومجيئهم تعالى عن ذلك قال والمجيء لا يكون عن الانتقال خاصة بل يكون مرة ذلك
واخرى غيره وكذلك الاتيان والله اعلم وقوله بغيا بينهم قيل حسدا بينهم لانهم طمعوا ان يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم
من بني اسرائيل على ما بعث سائر الرسل بعد اسرائيل منهم فلما بعث من غير بني اسرائيل حسدوه وخالفوا دينه الاسلام ويحتمل بغيا
من البغي وهو الجور وقوله ومن يكفر بايات الله اي من المختلفين فان الله سريع الحساب كانه على الاضمار ان قل يا محمد ومن يكفر بايات
الله من بعد ما جاءهم البينات فان الله سريع الحساب وله تأويل اوجه لان ظاهر الجواب على غير اضمار ان يكون ومن يكفر بايات الله
فان الله سريع الحساب وله تاويل اي العذاب والله اعلم سمي به لان بعد الحساب عذاب لقوله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب
ثم اخبر عز وجل انه سريع الحساب لا كحساب الذي يكون بين الخلق لان الخلق يشغلهم اسباب ويغمهم اشياء يحتاجون الى التفكر والتدبر
والله تعالى عن ان يشغله شيء ويغمه معنى جل الله عن ذلك وقيل على التقريب انه سريع كان قد جاء لقربه والله اعلم قوله تعالى عز وجل
شهد الله انه لا اله الا هو شهادة ربوبية لا يتوهم له كيفية ولا يخطر بالبال له مائية ولا يحتمل الوصول الى حقيقة ذلك
بالتفكر ولا ان يحتمل بلوغ العقل الوقوف على ذلك اذ هو خلق قصر عن الاحاطة بمائية نفسه وعن ادراك وجه قيامه بالذي ركب
او تجدد من حيث نفسه وهو تحت جميع ما ذكرت اذ هو خلق وحدث جرى عليه التدبير ودخل تحت التقدير فالربوبية احق ان
يخرج عنها الاوهام وكل عن توهم ادراكها الافهام وعلى ذلك امر تكوين الله الاشياء على ما شهد الاشياء التي هي تحت التكوين

في العبادة لا على توهم في التكوين معنى يحتمل الا فهام وتبلغه العقول وانما هو عبارة بها جعل لا يتفق على العبارات من المتعالي عن صفات
الخلق المحقق له الجلال من عرها انهم الا من حيث المفهوم في الخلق للتقريب الى الافهام دون تحقيق المفهوم تعالى عن العبارة عنه قدرته
العبارات في الاخبار عن الله سبحانه وتعالى وعلى هذا القول الله والرحمن وجميع ما يتعارف الخلق من الاسماء على ما يقرب
من الافهام المراد بها لا تحقيق الحروف او ادخال تحت تركيب الكلام وتاليف العبارة وهذا بمعنى معرفة وحدانيته من جهة
ضرورات توجب المعرفة على الوصف بالسبحانية له عن معاني جميع المعروفين وبالله العصمة والمعونة ثم قد يحتمل ان
يؤذن في العبارة من ذلك بما هو العطف واوقع للتوهم توهم ما لقول القلب عند ذكر الشهادة فضل جليلة ليس عند تلك
العبارة وذلك يخرج على وجوه في الاحتمال لما تسعه عقولنا دون القطع على شيء مما وقع عنده بما يمكن الرجوع اليه والله
سبحانه اعلم من ذلك بشهادة الخلائق كلهم ما فيها من اثار الصنعة ودلائل الربوبية وشهادة الالوهية ليكون شهادة
بالذي ذكر بان لا اله الا هو اذ في كل شيء سواه هذه الشهادة بالصنعة التي جعلها هو فيه له والله اعلم والثاني ان يكون
بذاته متعالي عن جميع معاني من سواه من المعاني التي ادخلها اسم مربوب وظهر كل شيء في الحقيقة له عند توهم المعبود ولا
يستحق غيره غير اثار الحدثية وجهان المدخلة تحت القدرة والتدبير وهو بذاته متعال عن كلية الجهات والمعاني التي
بها كانت بعد ان لم تكن وبها صارت مربوبة عبيداً وهو متعال ايضا عن الوصف بالجهات والمعاني بل هو خلق ولا بالله ويحتمل شهد
علم وكذا كل من شهد علم وكذا كل من شهد الشيء فقد علم بخبر خلقته بالله العالم وانه واحد لا شريك له اله الكل وخالقهم ليعلموا انما
علمهم انه كما اخبر وذلك في نقض قول كثير ممن ينفون عن الله تعالى انه عالم وشاهد كل شيء والله الموفق ويحتمل شهد على الخلائق
ان يكون عليهم القول والاعتقاد انه لا اله غيره بمعنى بمعنى قضى وامر والله الموفق وليس فيما جعله الله شهادة من ذكر توهم
معنى لشهادته من ذكرهما قد يحتمل الجمع لشهادته شهادة من ذكر وجهان احدهما فضل من ذكر شهادته عند ذكر شهادته تهم على
نحو قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الاية انه ذكر ماله وان كان له الخلق كله بوجهين احدهما بما جعل ذلك
لوجوه العبادة كما اضاف اليه المساجد على انها وغيرها له وذكر في الملائكة الذين عنده في امر القيامة واليه المصير ونحو ذلك
انه مخصوص لما ذكر من الاوقات في فضل وغير جعل له او لما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنسب اليه او كان لكلية
المعاني للعبادة فلذلك امر بشهادات من ذكر حرمتها بشهادة الله تفضيلا لاولئك وتخصيصا لاولئك وتخصيصا من بين الخلائق
والله اعلم والثاني على كون الشهادة من الاخبار بحق الامر بنسبه اليه كما نسب اليه كتابة الالواح ونفخ جبريل الروح بما كان منه
امره فكذا فعله في الاضافة اليه والله اعلم ثم حق ذلك فيما على التحقيق ان يفهم بما من الله ربوبيته ومن العبد عبوديته على
جميع ما يضاف الى الله انه يفهم من غير الوجه الذي يضاف الى الخلق فمثله امر الشهادة والله اعلم وروي عن ابن عباس رضي الله
عنه انه قال شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام على معنى جعل انه صلة في الكلام وحقيقة شهد الله الذي لا اله الا هو
والملائكة ومن ذكر ان الدين عند الله الاسلام والاسلام في الحقيقة جعل كلية الاشياء لله تعالى بانه ربها وخالقها على ما هي
عليها خال عن الشركاء وقد قيل الاسلام خضوع وقيل الاخلاص وهو يرجع الى ما بينا وذلك قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه
شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل والايمان هو التصديق لله تعالى بما اخبر انه رب كل شيء وانه له الخلق والامر وقيل
هو التصديق بما جاءت به الرسل وذلك يرجع الى ما بينا ايضا والله اعلم وقوله قائما بالقسط قيل هو عادل لا يجوز لان للقيام
معنى في ذلك لقوله كونوا قوامين بالقسط بمعنى كونوا عادلين مقسطين والله اعلم وقيل قيام ولي وحفظ او كفاية وتدبير
يقال فلان قائم بامر كذا الا على توهم انتصاب وعلى ذلك قوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وقوله فان حاجوك ولم يقل فيما
ذا حاجوك فيحتمل والله اعلم ان يكون هذا بعد ما علم الله انهم لا يؤمنون ولا يقبلون الحجة امر بترك المحاجة بقوله فقل
اسلمت وجهي لله وكذلك من اتبعني اسلموا انفسهم لله كقوله وتول عنهم فاعرض عنهم اياسه عن ايمانهم وامره بترك المحاجة معهم
وقوله فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت ثم يحتمل قوله وجهي لله اي نفسي لله لا اشرك فيها احدا ولا اجعل لغير الله فيها على ما
جعل الكفار في انفسهم شركاء وولدا بما قال الشيخ رحمه الله وقيل الاسلام ان يجعل نفسه لكليتها لله تعالى سالمة لا شرك فيها احد
كما قال ورجلا سلما لرجل والايمان هو التصديق لشهود الربوبية لله من نفسه وغيره لانه ما من شيء الا وفيه شهادة الربوبية
وقوله ومن اتبعني اي من اتبع ديني فقد اسلموا انفسهم لله تعالى ايضا لم يشركوا فيها شركاء وارباباً ويحتمل قوله وجهي لله اي
اسلمت امر ديني وعملي لله وكذلك من اتبعني واتبع ديني فقد اسلموا اعمالهم وامورهم لله كقوله تعالى وافوض امري الى الله ان الله
بصير بالعباد وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ومن اتبعني اي ومن معي **وقوله** وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين قيل
الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى والاميين العرب الذين لا يقرؤن الكتاب ولا لهم كتاب ءاسلمتم انتم لله كما اسلمت انا
وجهي لله ومن اتبعني فان اسلموا فقد اهتدوا واخلصوا وجوههم لله واعمالهم وان تولوا فانما عليك البلاغ اي ان ابوا ان
يسلموا فليس عليك الا البلاغ كقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله ان عليك الا البلاغ
وكقوله عليك البلاغ وعلينا الحساب **وقوله** والله بصير بالعباد هو حرف وعيد قيل بصير بمن تولى وقيل بصير لجزاء اعمالهم وقيل
بصير بما اسروا واعلنوا وفي كل وجه وعيد قال الشيخ رحمه الله في قوله فان حاجوك فلم يبين فيما ذا وقد يجوز ترك الاخبار
عن القصة بوجهين احدهما بعلم اهله والثاني بما في الجواب ولبيانه قوله يستفتونك ويسألونك في غير موضع على غير البيان انه عما
ذا وهو والله اعلم داخل تحت ذلك الوجهين ثم يحتمل ان تكون المحاجة قد كثرت فيما قال فان حاجوك والحجة قد ظهرت فيه فكانوا
يعودون اليها مرة بعد مرة عودتعنت وعناد فاكرم الله رسوله بالاعراض من محاجتهم ذلك بما ظهر تعنتهم فقال فقل اسلمت
وجهي لله على الاعراض عن محاجتهم والله اعلم وعلى ذلك يخرج معنى الامر بالتولي عنهم في غير موضع ويحتمل ان يكون المحاجة في عبادة

الواحد القهار والاوثان التي كانوا يعبدونها من دون فبين جل ثناؤه في ذلك بالذي يقول لهم هو ومن اتبعه على ذلك نحو قوله
لكم دينكم ولي دين وقوله لا حجة بيننا وبينكم الاية ونحو ذلك والله اعلم **وقوله** ان الذين يكفرون بايات الله قيل بايات الله التي
في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وقيل بايات الله بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم ويقتلون يحتمل قوله ويقتلون
اي يهمون ويؤذون قتلهم كقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم فلو كان على حقيقة القتل فاذا قتلوا لم نقدر على قتلهم وكقوله فاذا
قرات القران فاستعذ بالله اي اذا اردت ان تقرا القران وكقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا كذا اي اذا اردتم ان تقوموا الى الصلوة
لانه اذا قام الى الصلوة لم يقدر على الغسل فلكذلك الاول ويحتمل ان يريد الرضاء بقتل ابائهم الانبياء فاضاف ذلك اليهم وقيل
انه اراد اباءهم الذين قتلوا الانبياء وقيل جاء انهم كانوا يقتلون الف نبي كل يوم فقال لا اعرف هذا فان صح فهو على انهم تمنوا ذلك
او قتلوا انبياء وانصاره فسموا انبياء لما كان نبي بعضهم بعضا والله اعلم **وقوله** فبشرهم بعذاب اليم لو كان اراد اباءهم كيف امر
رسوله صلى الله عليه وسلم بالبشارة وهم موتى دل هذا على ان التاويل هو الاول انهم هموا بقتلهم ورضوا بصنع اباءهم والله
اعلم والبشارة المطلقة انما تستعمل في السرور والخيرات خاصة الا ان يكون مقيدة فحينئذ تجوز في غيرها كقوله فبشرهم بعذاب
اليم فبذ هذا هنا الذلك قال اصحابنا رحمهم الله ان ليست الحقائق اولى من المجاز ولا الظاهر اولى من الباطن الا بدليل اما صرفت
اشياء كثيرة عن حقائقها بالعرف من نحو الايمان وغيرها **وقوله** اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة يحتمل وجوها يحتمل
ايمانهم التي فعلوا قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث كفروا به فبطلت تلك الاعمال ويحتمل ما كان لهم من الاعمال من صلة
المحارم والقربات والصدقات فبطلت لما لا قوام لها الا بالايمان فلم يؤتوا بطلب **وقوله** في الدنيا والاخرة اما في الاخرة
فثوابها واما في الدنيا محمدها وثناؤها ويحتمل في الدنيا ثواب الدنيا كقوله من كان يريد الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة
والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله ان الذين يكفرون بايات الله اعلام وحجج وهي انواع منها حسيا نحو الخلائق في الدلالة
على وحدانية الله تعالى والمناجية منها عن احتمال وسع البشر بظهر عند اداء الرسل الرسالة يشهد على ان الذي ارسلهم هو الذي تولى
ليعلم بها بحجة يوضح بها رسالتهم ومنها السمعيات وهي التي جاءت بها الرسل من الانباء مما لا سبيل الى الوقوف عليها الا بالتعلم
بلا تقدم تعليم وما لا يعلم حقيقة ذلك الا الله ليعلم ان الله هو الذي اطلعهم عليها ليكون اية لهم والله اعلم ومنها العقليات
وهي التي تعرف بالمحن والبحث عنها مما بها يوصل الى معرفة التوحيد والرسالة ونحو هاثم قد جعلها كلها الرسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن يكفر بها يخرج على وجهين احدهما على الكفران بحقيقة الايات ان يكون من ايات لما اقيمت له وهي من الوجوه التي
ذكرت فقضى الله تعالى لمن يكفر بها بما ذكرت لتعنتهم ومعاندتهم والله اعلم والثاني ان يريد بالكفر بالايات الكفر بمن له الايات
لانها يعلم الحقيقة كما يسبب الاشياء الى اسبابها التي بها يوصل اليها فذلك معنى الكفر بالايات ثم كانت الكتب السماوية
وما فيها من النعوت وما اعجزهم عن اتيان مثل القران وغير ذلك من الحسيات والله اعلم فعلى ما ذكرنا يخرج معنى الكفر بالايات
لانها بحيث باخذها الحواس ويحيط بها الاوهام والعقول ولكن على انهن ايات للذي ذكرهم عليها وعلى الكفر بالذي له ايات
توجب تحقيقه والله اعلم **وقوله** فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وقال في ذلك الكتاب لا ريب فيه وقد ارتاب فيها
اكثر اهل الارض قيل قوله لا ريب قد يتكلم به على تثبيت المقول به عند قائله لا على نفي الشك عن كل من سمعه ارادة التاكيد فعلى ذلك
امكن ان يخرج معناه اذ هو مخاطبة على ما عليه كلامهم وكذلك قولهم ابدا على دوامه وامتداده لا على حقيقة الابدية
وكذلك يقولون هذا افك قديم وامر قديم على حقيقة العدم التي تخرج على الكون بعد ان لم يكن والله الموفق والثاني على انه لا ريب
فيه المتامل المنصف بما جعل الله لذلك من الايات وعليه من الادلة التي من تدبرها فيها اظهرته له حتى يصير كالمعاين ولا قوة
الا بالله والثالث يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوم مخصوصين مما كانوا يزعمون فيه بعد علمهم بصدقه ليعرفه
تفشيهم ويؤيسه عن الطمع فيهم ولا قوة الا بالله **وقوله** الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب وقوله الم تر انما يتكلم به لاحد معنيين
اما للتعجب من الامر العظيم يقول الرجل لاخر الم تر فلانا يقول كذا او يعمل كذا يقول ذلك له لعظيم ما وقع عنده واما للتنبيه فانها
كان فيه تحذير للمؤمنين ليحذر المؤمنون عن مثل صنيعهم كقوله ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل الاية حذر المؤمنين
ان يكونوا مثل اولئك الذين الكتاب ولا يخالفوا كتابهم كما خالفوا **وقوله** يدعون الى كتاب الله يحتمل ان يكون اراد بالكتاب
التوراة على ما قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اسلموا تهتدوا ولا تكبروا فقالوا نحن اهدى واحق بالهدى منك
وما ارسل الله رسولا بعد موسى عليه السلام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة والانجيل فانه مكتوب
فيهما نعتي واني رسول الله فابوا ذلك خوفا واشتغالا على ظهور كذبهم وقيل اراد بالكتاب القران دعوا اليه لانه مصدق لما معهم
من الكتاب فابوا ذلك **وقوله** ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات الايام التي عبدوا فيها العجل فظنوا انهم انما يعذبون
بقدر ما عبدوا العجل وانهم لا يخلدون في النار لحسبهم زعموا انهم ابناء الله واحباؤه ويحتمل ان يكون اباؤهم قالوا لهم انكم لا
لا تعذبون في النار الا قدر عبادتنا العجل فاخبر عز وجل ان قد غرهم في دينهم ما كانوا يفترون ثم خوفهم فقال فكيف اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه **وقوله** قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الاية يحتمل قوله مالك الملك وجهين
احدهما مالك الملك في الدنيا حقيقة الملك والثاني ان الملك له يؤتي من يشاء من ملكه وينزع ممن يشاء الملك وهو المالك لذلك والقادر
عليه والاية ترد على القدرية قولهم لانهم يقولون ان الله لا يعطي الكفار الملك وهو قد اخبر عز وجل انه يؤتي من يشاء الملك
وقد روي الكافر الملك فان قالوا اراد بالملك الدين قيل ان اراد الدين فقد اخبر عز وجل ايضا انه ينزع فكيف يستقيم على قولهم
في الاصلح هذا ثم في الاية تقوية لمن قرأ مالك يوم الدين بالالف انه اعم واجمع لانه قال مالك الملك وهو اعم والثاني الملك انما يعبر عن
الولاية والسلطان والمالك انما يعبر عن حقيقة الملك ومن له في الشيء حقيقة الملك فله ولاية التقلب والتصرف فيه ولا يرد

السلطان ولا لكل من له ولاية السلطان يكون له ولاية التغلب فبين لذلك كان بالالف اقرب ومن قراء ملك يوم الدين بغير الف ذهب الى هذا كقوله الملك يومئذ لله يحكم بينهم ومن الملك يقال ملك لا يقال مالك لذلك كان ما ذكر والله اعلم والمالك على الاطلاق لا يقال الا على الله وكذلك الرب على الاطلاق لا يقال الا على الله اما العبد فانه يعرف الشيء اليه فيقال رب الدار ومالكها ورب الدابة ومالكها والله اعلم وقوله قل اللهم مالك الملك قال القائلون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقال اخرون الخطاب بذلك لكل عاقل وهو كقوله قل هو الله احد الى اخر الاية ذلك الخطاب لكل احد لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقال الشيخ رضي الله عنه هو خطاب ولكنه امر بالبلاغ ليقوله كل احد لانه لو خوطب به ولم يذكر قل عند قرائته وقوله اللهم قال قلون اللهم يعني يا الله وقال اخرون الله على القطع امنا اقصدنا بالخير والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله قل اللهم مالك الملك الاية فكان الله عز وجل امتحن من رغب في الملك او نال حظا منه ان يصرفوا وجه الرغبة اليه اوير واحقيقة ما نالوه منه فيوجهوا اليه الشكر ويخضعوا له بالعبادة والطاعة فيما امرهم به ليبلوا واشكر ويدوم له عز ذلك كقوله من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة ليريهم ان الذي يملك هذا النوع الذي رغبت فيه انفسكم ومنعتكم عن القيام بحقه هو الذي يملك ذلك فالبر فاصرفوا سعيكم وشكركم اسعدوه الذي له الخيرتم من كدحكم فانه يملك ذلك دون غيره وجملة ذلك في قوله وما بكم من نعمة فمن الله ومعقول فيما عليه طبع البشر والبه دعاهم عقولهم ان كل شيء يؤثره انفسهم كان الذي يحق عليهم طلبه عند من به يوصل اليه واختبارهم ما به يبلغون ما يؤملون من انواع الحيل التي تقربهم الى ذلك فمثله يلزم امر الملك ولذات الدنيا وتقرر في قلوبهم وجود ذلك لقوم لو كان ينال بالتدبير او بحيل السياسة وطلب ذلك من الوجوه التي يطلب بها الشيء لم يكن الذين لهم ذلك باحق من غيرهم بل كان فيمن حرموا منهم اولى بذلك واحق ان يكون في ذلك متبوعا لا تابعا من الذين نالوه ليعلم ان الذي يملك دفع ذلك الى احد وتمليكهم احدا غير الذين صرفوا كدحهم وجعلوا له سعيهم فيكون لله في كل امرهما عليه امر الشواهد عظيمة وعلامة لطيفة على تفرده بملك ذلك وتوحيده بالتدبير فيه لمن له بصيرة ولمن يتحرى عباده وعلى ذلك اذ ثبتت في ذلك ادلة التوحيد ولزوم الاعتبار به ليعرف من له الحق ثبت للقول ببطلان ما ينكره كثير من القول ان الملك الذي قال الجبابرة والسعة التي تصل الى الكفرة لم يكن نالوه بتمليك الله ولا وصلوا اليه بتدبيره اذ حقه ما ذكر من عظم ما فيه من النعم ليلزمهم ادفع المحن واعلى الشكر ولان يبلو بالحسنات والسيئات كما وعد عز وجل وجملته ان الدنيا دار محنة ومكان ابتلاء فليس الذي يعطى منه على الاستحقاق ولا ما يمنع على العقوبة وان احتمل الدفع والمنع لذلك ولكن له وللمحن والمحنة اكثرها على مخالفة الاهوا وتحمل المكاره ويكون ذلك على عطاء ما يعظم في انفسهم او تمكين ليمتحوا فيتبين الايثار والترك لوجه الله والرغبة فيمن اليه حقيقة ملك كل شيء او الميل الى من اليه انواع التعزير والمخارمات من غير تحقيق ولا قوة الا بالله وعلى ذلك قوله ان اتاه الله الملك يبين ذلك احتجاجه على ابراهيم عليه السلام بالذي ذكر واغضبا ابراهيم عنه ولو كان الذي اتاه الملك ابراهيم عليه السلام لم يكن ليجري على تلك المقالة بقوله انا احيي واميت ولا قوة الا بالله ثم على قول المعتزلة ان الله تعالى انما يشاء ان يؤتي الملك اولياؤه وينزع اعدائه في الجملة فكيف ادعى لنفسه هذا السلطان والملك وكان الوجود على ضد ذلك ايظن المعتزلة ان الملاحدة تطعن ما هو يوجب الشبهة في حجج التوحيد باوضح مما اعطاهم المعتزلة بهذا القول ويمكنهم من الطعن في نقض ما ادعت الموحدة من علو الرب وقدرته وجلاله بابلغ مما الفتهم المعتزلة بما اثبت ثوب التوحيد واستترت سترة في الظاهر ثم اعطت الملحدة هذا ليظنوا انهم بلغوا به نقض التوحيد ودفع حجج اهله جل الله عما وصفه الملحدة وتعالى وبه العصمة والنجاة ولهذا اعظم المعتزلة في الجملة سبعتهم بابليس حتى كانوا به مثله يتحرون فيظنون انهم احق بالنبوة منهم بما اعطوا من الملك والثروة في الدنيا فظنوا انهم اجل عند الله تعالى وارفع في المعتزلة منهم لم يكن لينزل هم بالرسالة عليهم لكن اولئك حققوا حقايق النعم لله وتيلها نالوا من الملك والشرف به والمعتزلة رامت ازالة ذلك عن الله ليزيلوا منهم ما الزمهم من الشكر له والطاعة لمن بعثه الله وسال الله تعالى تمام نعمه في الدين والدنيا وقوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وقوله يخرج الحي من الميت ونحو ذلك وجوه من الادلة احدها ان يعلم ان الله عز وجل انما يخلق لا بخلق على معونة الاسباب وتوليد الطبايع [illegible] وكذلك الطبايع [illegible] نحو الحار يولد الحرارة والبارد يولد البرودة فبين الله تعالى [illegible] على احوال التضاد ليعلم ان القادر على اجتماع [illegible] بلا معونة من ذلك ولا توليد ولا قوة الا بالله والوجه الثاني [illegible] [illegible] لا يخرج الحي من الميت [illegible] [illegible] الاخراج من الحي [illegible] [illegible] قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل [illegible] [illegible] لم يجعل واحدا منها سوية وكذلك قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اخراج الابتداء ان يخلق الحي من الميت ابتداء

ويخلق الميت

ويخلق الميت من الحي من غير ان كان فيه ويحتمل هذا كله ان كان يؤتي الملك بعد ان لم يكن ويعز بعد الذل وينزع الملك بعد ان كان ويذل بعد ان كان العز وكذا قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ان يدخل بعد هذا في هذا وهذا في هذا وقوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قيل ان يخرج حيا لا قول من ميت الا فعال من حي الا قوال يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن على ما سمى الله تعالى الكافر ميتا والمؤمن حيا في غير موضع من القران وقيل يخرج حي الجوهر من ميت الجوهر من حي الجوهر وقيل يخرج الحي من المني ويخرج المني من الحي وقيل البيضة من الحي والحي من البيضة وقيل النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة وقوله وترزق من تشاء بغير حساب يعرف الخلق عدده ومقداره وقيل بغير تبعة ولا طلب اي لا يحاسبهم فيما اعطاهم من بعد ما اعطاهم ويحتمل بغير حساب اي لا يعطيهم بحساب اعمالهم ولكن يتفضل خلاف العدل ويحتمل بغير حساب في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه بغير هنداز فارسية معربة وعن مقاتل لا نقدر ذلك غيره يقول ليس فوقي ملك يحاسبني والله اعلم وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين يحتمل وجهين يحتمل لا يتخذ اي لا يكونوا اولياء وان اتخذوا اولياء بل هم لهم اعداء كقوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية ويحتمل على النهي اي لا تتخذوا اولياء كقوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وكقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى وقوله الا ان تتقوا منهم تقية اختلف فيه قيل الا ان يكون بينكم وبينهم قرابة ورحم فتصلون ارحامهم من غير ان تتولوهم في دينهم على ما جاء عن علي رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ابوه ابو طالب ان عمك الضال توفي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فواره ويحتمل قوله الا ان تتقوا على انفسكم منهم تقاة الا ان تخافوا منهم فتظهرون لهم ذلك مخافة الهلاك وقلوبكم على غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه التقية التكلم باللسان وقلب مطمئن بالايمان وقوله ويحذركم الله نفسه قيل عقوبته وقيل نقمته يقول الرجل لاخر احذر فلانا انما يريد نقمته وبوائقه فعلى ذلك قوله ويحذركم الله نفسه عقوبته وبوائقه التي تكون من نفسه لما يكون ذلك به لا بغيره والله اعلم وقوله قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يحتمل ما تخفون من ولاية الكفار وتبدوه يعلمه الله فيه اخبار ان في قلوبهم شيئا ويحتمل ان يكون اراد جميع ما يخفون ويبدون ويعلم ما في السموات وما في الارض الاية وقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا قيل تجد ثواب ما عملت من خير حاضر الا ان عمله انما كان الثواب لا نفس العمل وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يحتمل ما عملت من سوء تجد مكتوبا يتجاوز عنه لان الله عز وجل وعد المؤمنين واطمع لهم قبول حسناتهم والتجاوز عن سيئاتهم كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيجد المؤمن ثواب ما عمل من خير حاضرا ويتجاوز عن سيئاته واما الكافر فيجد عقاب ما عمل من سوء في الدنيا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا فلا يتجاوز عنهم ويبطل خيراتهم وقوله امدا بعيدا قيل بعيدا من حيث لا يرى لا يرى وقيل بعيدا تود لو انه لم تكن ما من نفس مؤمنة ولا كافرة الا وتود البعد عن ذنبه وان لم يكن ويحذركم الله نفسه قد ذكرناه وقوله والله رؤوف بالعباد ان اراد اهل الاخرة يعني بالمؤمنين خاصة وان اراد اهل الدنيا فهو بالكل قال الشيخ رحمه الله في قوله والله رؤوف بالعباد فالرحمة من الله جل ثناؤه والرافة نوعان احدهما في حق الابتداء ان خلق خلقا ركب فيهم ما يميزون به بين مختلف الامور ويميزون بين المؤتلف ثم لم ياخذ كلا منهم مما استحق من العقوبة بل رحم وامهل التوبة والرجوع اليه وهذه الرحمة رحمة عامة لا يخلو عنها عبد ورحمة في حق الجزاء من التجاوز والمغفرة وايجاب الثواب بالفعل فهذه لا ينالها اعداؤه لما يوجب التسهيل في التفريق بين الذي جعل في العقول التفريق ولما يكون وضع الاحسان في غير اهله والاكرام لمن لا يعرف الكرم به ولما في الحكمة تعذيبهم [illegible] وزجرا عما يختار [illegible] ويناله من يعرف واعتقد الموالاة وكان هو اعظم في قلوبهم وطاعته من جميع لذات الدارين وان كانوا يبتلون بالمعاصي على الجهالة او على رجاء الرحمة والعفو اذ هو كذلك في شرطهم الذي به والوه وبالقلبة في رحمة خاصة اعني بالمؤمنين وبالعباد الذين بذلوا انفسهم له بالعبودة بحق الاختيار وان كانوا يغلبون على ذلك في احوال والله الموفق وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله قيل ان ناسا كانوا يقولون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نحب الله حبا شديدا فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين فيها المحبة علما وقيل ان اليهود قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فانزل الله تبارك وتعالى قل يا محمد ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وذلك من احب ملكا من الملوك يحب رسوله ويتبعه في امره ويؤثر طاعته لحبه فاذا اظهرتم انتم بغضكم لرسولي وتركتم اتباعه في امره وايثاره طاعته ظهر انكم تكذبون في مقالتكم نحن ابناء الله واحباؤه لان من احب اخر يحب المتصلين ورسله وحشمه والمحبة هاهنا الايثار بالفعل طاعة من يحبه فيما يحبه ويكرهه والطاعة له في جميع امره والله اعلم وقوله اطيعوا الله والرسول الاية قد تقدم ذكرها وقوله ان الله اصطفى ادم اختلف فيه قيل اصطفى ادم ونوحا ومن ذكر بالرسالة والنبوة وقيل اختارهم لدينه وهو الاسلام وقيل اختارهم في النية والعمل الصالح والاخلاص قال الشيخ رحمه الله الاصطفاء ان يجعلهم صافيا من غير تكدر بالدنيا وغيرهم اختارهم لامر لا من الاخرة ولا من المعاش الا ترى الى قوله انا معاشر الانبياء لا نورث نموت موت العبد سبحانه وقال الشيخ رحمه الله ايضا في قوله ان الله اصطفى من ذكر فهو والله اعلم ذكر الله اولياءه واهل صفوته ثم اعداءه واهل الشقاء ترغيبا فيما استوجبوا الصفوة وتحذيرا عما به صار اهل الشقاء اذ هما امران يتولدان عن اختيار البشر ويقومان باصحابهما اهل المحن لا بنفس الخلقة والجوهر فصار الذكر للمعنى الذي ذكر وعلى ذلك وجه ذكر عواقب الفريقين في الدنيا وما اليه يصير امرهم في المعاد وعلى هذا ما ضرب الله من الامثال بانواع الجواهر الطيبة والخبيثة في العقول والطبايع ترغيبا وترهيبا وعلى هذا جميع امور الدنيا انها كلها عبر ومواعظ وان كان فيها شهوات ولذات والام واوجاع ليعلم انها خلقت لا لها لكن لامر عظيم كان ذلك هو المقصود من مدبر العالم ان بالعواقب يذم اهل الاختيار ويحمدون فجعل الله عواقب الحكماء واهل الاحسان حميدة لذيذة ترغيبا فيها وعواقب السفهاء واهل الاساءة ذميمة وجيفة ترهيبا

فيها تخرج جميع فعل الله على الحكمة والاحسان وان كانت مختلفة في اللذة والكراهة لانه كذلك طريق الحكمة في الجزاء وفي ابتداء
المحنة الا ان المحنة تكون مختلفة والجزاء نوع لما هو كذلك في الحكمة والاحسان اذ كذلك سبق من اهله الاختيار والجزاء على ما
اختاره من له وعليه حكمة واحسان اعني بالاحسان فيما يجوز الامتحان بالجزاء عن الشكر لما اولى وابلى والحكمة فيما ان لا ذم ما ذلك
في التدبير ولا قوة الا بالله وقوله ذرية بعضها من بعض قيل بعضها من بعض في النسب من ذرية ادم ثم من ذرية نوح ثم من ذرية
ابراهيم عليهم السلام وقيل بعضهم من ذرية بعض وقيل بعضهم من جوهر بعض فلا تتكبر وا كقوله والله اعلم بايمانكم بعضكم من
بعض منع الكبر عن التعظيم على العبد واختلف في الذرية قال بعضهم الذرية الاولاد والاباء كقوله ذرية من حملنا مع نوح وكانوا
الاولاد والاباء والذرية ماخوذة من ذرء يذرء وهو الخلقة وقيل الذرية فلان انما يراد بذلك اولاده خاصة دليله
قوله هب لي من لدنك ذرية طيبة وقوله اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان واختلف في الال قيل الال الرجل المتصلون به وقيل
الال الرجل اتباعه وقيل اقرباؤه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل تقي فهو من ال وقيل ان عمران من ولد سليمان بن داود
عليهم السلام وقوله اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا لما اخبر عز وجل انه اصطفى ال عمران واختارهم
على سائر العالمين وكان اقلها في صفوته اختياره ان جعلت امرأة عمران ما في بطنها محررا والمحرر هو العتيق عن المعاش بالعبادة وقيل
المحرر هو الذي يعبد الله خالصا مطيعا لا يشغله شيء من عبادته فارغا لذلك وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل المحرر هو
الذي يكون لله صافيا وقيل المحرر هو من خدم المسجد وقوله اني نذرت لك ما في بطني محررا جعلت ما في بطنها لله خالصا لم تطلب
منه الاستيناس به ولا ما يطمع الناس من اولادهم وذلك من الصفوة التي ذكر عز وجل وهكذا الواجب على كل احد انه اذا طلب
ولدا ان يطلب للوجه الذي طلبت امرأة عمران وزكريا حيث قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وما سال ابراهيم عليه
الصلوة والسلام هب لي من الصالحين وكقوله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا الاية هكذا الواجب ان يطلب الولد لا
ما يطلبون من الاستيناس والاستنصار والاستعانة بامر المعاش بهم وقوله فتقبل مني انك انت السميع العليم اي تقبل مني قرباني
وما جعلت لك خالصا انك انت السميع لنذري العليم بقصدي في التحرير وقيل السميع المجيب لدعائي العليم بنيتي وقوله فلما وضعتها
قالت رب اني وضعتها انثى ومعنى قولها اني وضعتها انثى مع علمها ان الله هو عالم بما في بطنها وضعتها وجهان احدهما اعتذار انه لم
يكن تحرير في ذلك الزمان الا الذكر من الاولاد فاعتذرت انها وضعت لا يصلح للوجه الذي ذكرت والثاني ان الانسان اذا راى
شيئا عجيبا قد ينطق بذلك وان كان قد يعلم ان غيره ما علم هو وانه راى مثل ما راى هو ويحتمل ان طلبت ردها لما فعلها اذا و
ضعت الانثى لما انها لا تصلح لذلك ويحتمل قولها اني وضعتها انثى التعريض لاجابة الله تعالى فيما قصدت من طاعته بالنذر وان
لم تكن صلحت لما قصدت فذا جيب في قولك بقوله فتقبلها ربها بقبول حسن نحو ما يتقبل لو كان ذكرا في الاخبار والاكرام وجعلها
خير نساء العالمين وقوله وليس الذكر كالانثى اختلف فيه قيل ان ذلك قولها قالت وليس الذكر كالانثى على اثر قولها اني وضعتها انثى
لما تحتاج الانثى الى فضل حفظ وتعاهد والقيام باسبابها ما لا يحتاج الذكر وقيل ان ذلك قول قاله عز وجل لما قالت اني
وضعتها انثى جوابا وليس الذكر كالانثى فيما قصدت والله اعلم وقوله واني سميتها مريم فيه دلالة ان تسميته الى الامهات
في الاناث دون الاباء ثم التجأت الى الله تعالى حيث اعاذتها به وذريتها من الشيطان الرجيم وفيه دلالة ان الذكر يكون
من ذرية الاناث لانه لم يكن منها الا عيسى عليه السلام وقوله فتقبلها ربها بقبول حسن يحتمل قوله فتقبلها ربها بقبول
حسن اذ اعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم على ما سالت ويحتمل ان جعلها تصلح للتحرير ولما جعلت وان كانت انثى وقوله
وانبتها نباتا حسنا يحتمل انبتها نباتا حسنا ان لم يجعل للشيطان اليها سبيلا ويحتمل ان رباها تربية حسنة انه لم يجعل رزقها وكفالتها
بيد احد من الخلق بل هو الذي يتولى ذلك لما يبعث اليها من الوان الرزق كقوله وجد عندها رزقا وكقوله وهزي اليك بجذع
النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقوله وكفلها زكريا فيه لغتان احدهما بالتخفيف والاخرى بالتشديد فمن قرا بالتخفيف فمعناه
ضمها زكريا الى نفسه ومن قراه بالتشديد فمعناه اي الله جل وعز ضمها الى زكريا وقوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا قيل وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف قال زكريا انى لك هذا قيل فيه بوجهين قيل استخبار
عن موضعه او كيف لك هذا على الاستيصاف انكارا عليها وانها لما لا يدخل عليها غيره ولا يقوم بكفايتها سواه فوقع في قلبه ان
احدا من البشر اتاها بذلك وقيل انه قال ذلك تعجبا منه لما راى من الفاكهة والطعام في غير حينه غير متغير فقال انى لك هذا تعجبا منه
لذلك ثم قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اي يرزق من حيث لا يحتسب وقوله هنالك دعا زكريا ربه
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة قيل فعند ذلك دعا زكريا ربه لما كانت نفسه الخاشية تحدث بالولد ان يهب له من لدنك
ذرية طيبة قيل فعند ذلك دعا زكريا ربه لما كانت نفسه لكنه يدعو لما راى نفسه متغيرة عن الحال التي يطمع منها الولد لان
السؤال في مثل ذلك ان السؤال لا يصلح فلما راى عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف غير متغيرة
عن حالها علم عند ذلك ان السؤال يصلح وانه يجاب للدعاء في غير حينه فذلك معنى قوله هنالك دعا زكريا ربه والله اعلم ويحتمل
انه لما راى ما اكرمت امرأة عمران في قبول دعوتها وتبليغ ابنتها في الكرامة المبلغ الذي راى فيها ما لا تقبل اطماع الانفس لا تبلغ
ذلك دعا الله جل جلاله ان يكرمه بمن يبقى له الاثر والذكر وان كانت تلك الحال حال لا تطمع الانفس فيما رغب عليه السلام
مع ما كان قدرة الله عز وجل على ما شاء من غير ان كان يجسر على طلب الاكرام بجل ما يبلغ قدره حتى راى ما هو في الاعجوبة قريب
مما كانت نفسه تتمنى والله اعلم بالمعنى الذي سال وقوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء اي مجيب الدعاء وقوله
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب دل هذا ان المحراب هو موضع الصلوة ان الله يبشرك بيحيى فيه دلالة لقول اصحابنا رحمهم الله
ان الرجل اذا حلف ان لا يبشر فلانا فارسل اليه غيره يبشره حنث في يمينه لانه هو المبشر وان كان المؤدي غيره الا ترى ان البشارة

هاهنا

هاهنا اضيفت الى الله تعالى فكان هو المبشر فكذلك هذا وقوله مصدقا بكلمة من الله قيل عيسى عليه السلام كان بكلمة من الله فيحيى صدق
برسالته وقيل اول من صدق بعيسى يحيى بن زكريا ولهذا وقع على النصارى شبهة حيث قالوا عيسى ابن الله بقوله بكلمة من الله وروح منه
ظنوا انه في معنى فيه لكن ذلك انما يذكر اكراما لهم واجلالا ولا يوجب ذلك ما قالوا الا ترى ان الله عز وجل قال وما بكم من نعمة فمن
الله ونحو ذلك لم يكن فيه ان النعمة منه في شيء فعلى ذلك الاول وقوله وسيدا قيل سيدا في العلم والعبادة وقيل السيد الحليم هاهنا
وقيل السيد الذي يطيع ربه ولا يعصيه فكذلك كان صلوات الله عليه وقيل السيد الحسن الخلق وقيل السيد التقي وقيل اشتق
يحيى من اسماء الله تعالى من حي والله عز وجل هو الذي سماه يحيى وكذلك عيسى الله هو الذي سماه سيما بقوله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
ابن مريم عليهما السلام وذلك اكراما لهما واجلالا لا على ما سمى ابراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله وموسى كليم الله اكراما لهم
واجلالا فكذلك الاول وجائز ان يكون يحيى بما حيي به الدين قال الشيخ رحمه الله في قوله يحيى قيل سماه به لما حيي به الدين والرؤ
او حيي به العلم والحكمة او حيي به الاخلاق الفاضلة والافعال المرضية ولهذا والله اعلم سمي سيدا لان السود في الخلق يكسب بهذا
النوع من الاحوال وسمي مسيحا لما مسح بالبركة او بارك في كل شيء مسحه بيده نحو ان برئ به ويحيى والله اعلم وحقيقة
السود وانه يكتسب بالاخلاق الحسنة والافعال المرضية وجائز ان يكون عليه السلام جمعهما فيه فسمي به والله اعلم
والاصل في هذا ونحوه ان الاسماء اذ جعلت للمعارف وليعلم بها المقصود فالكف عن التكلف في المعنى الذي له سمي اولى الاسلم وان
كان في الجملة يختار ما يحسن منه في الاسماع دون ما يقبح على المقال وعلى الرؤية فيذكره على ما يختار من كل شيء والله اعلم وقوله
وحصورا قيل الحصور الذي لا مال له ولا شهوة وقيل هو الماخوذ من النساء والممنوع منهن وقيل هو الذي لا يشتهي النساء
وكله واحد والله اعلم ونبيا من الصالحين ذكر انه من الصالحين وان كان كل نبي لا يكون الا صالحا على ما سمي كل نبي صديقا وان كان لا يكون
الا صديقا ووجه ذكره صالحا انه كان يتحقق فيه ذلك لان غيره من الخلق وان كان يستحق ذلك الاسم انما يستحق بجهة والانبياء
صلوات الله عليهم يتحقق ذلك فيهم من الوجوه كلها والثاني دعاء ان يلحق بالصالحين في الاخرة والله اعلم قال الشيخ رحمه الله
ما ذكر في كل نبي انه كان من الصالحين يخرج على اوجه على جميع الصلاح وعلى البشارة لهم في الاخرة انهم يلحقون باهل الصلاح وعلى
انهم منهم لولا النبوة ليعلم ان النبوة انما يختار في الذين لمن تم لهم وصف الصلاح وعلى الوصف بانهم كذلك على السن الناس وان الذين
ردوا عليهم بعد ردوا عليهم لصلاحهم او على الوصف بكمال الوصف بالصديق وان كان كل نبي كذلك مما لعل لا ذلك حد عند الله ذلك
او لم يكن اطلع غيره عليه والله اعلم وجائز ان يكون يحيى بما حيي به الاخلاق المحمودة والافعال المرضية ولذلك سمي سيدا و[illegible]
ان الله ان يسمي من شاء بما شاء وليس لنا تكلف طلب المعنى فيما سمى الله الجواهر به اذ الاسماء للتعريف لكن يختار الاسماء
الحسنة في السمع على التفاؤل والله اعلم وقوله وروح الله وكلمته كقوله خليل الله وحبيبه وذبيح الله وكليم الله ليس على توهم
معنى يزيل معنى الخلقة ويوجب معنى الربوبية او النبوة وذلك على ما قيل من ثبوت الله وعلى ما قيل لدينه نور الله وقيل القرابينة صدق
الله لمعنى يخرج عن جملة خلقه بل على تخصيص لذلك في الفضل على اشكاله وذلك كما قال لمحمد صلى الله عليه وسلم واما بنعمة ربك فحدث
وقال في الجملة وما بكم من نعمة فمن الله لا على ما توهمته النصارى في المسيح فتال الاول ولا قوة الا بالله وقوله ويكلم الناس في المهد
وكهلا بشارة ببقائه الى ان يصير كهلا وفيه وجه اخر وهو ان قوله في ذلك بيان ان كلامه في المهد كلام مختار اذ ذلك وصف كلام
الكهل ليعلم ان قوله اني عبد الله الى اخره انما هو حقيقة الخضوع لله والانبياء عنه لا على خلقه لنطق الجوارح في الاخرة والله اعلم
او ليكون اية له دائمة اذ لم يكن على ما عليه امر البشر من التغير على ان ايات الجوهر تزول عند الفناء نحو العصا فيما تعود الى حالها واليد
ونحو ذلك ليخص هو بنوع من الايات الحسية بالدوام ولا قوة الا بالله قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر الاية يحتمل
هذا الكلام وجوها احدها على الانكار لا يكون لكنها هنا لا يحتمل لانه كان اعلم بالله وقدرته ان تتعلق به او يخطر بباله والثاني
انى يكون لي غلام اي كيف وجهه وسببه وكذلك قولها انى لك هذا وقوله انى يحيي هذه الله بعد موتها وانى يكون له الملك علينا اي كيف
وجهه وما سببه والثالث انى يكون لي غلام في الحال التي انا عليها او ارد الى الشباب فيكون الي الولد هذان الوجهان يحتملان واما
الاول فانه لا يحتمل وقوله قد بلغني الكبر وامراتي عاقر وذكر في سورة مريم قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد
بلغت من الكبر عتيا ذكر على التقديم والتاخير وكذلك قوله ثلاثة ايام الا رمزا وثلاث ليال والقصة واحدة ذكر على التقديم
والتاخير وعلى اختلاف الالفاظ والله اعلم دل ان ليس على الخلق حفظ اللفظ والله انما عليهم حفظ المعاني المدرجة المودعة
فيها وبالله التوفيق ويعلم انه لم يكن على كل القولين ولم يكن بهذا اللفظ وقوله قال كذلك الله يفعل ما يشاء وقوله كان كذلك
ربك هو علي هين وان اختلف في اللفظ وقوله قال رب اجعل لي اية طلب من ربه اية العلم ليعرف ان تلك البشارة من الملائكة
من الله عز وجل لا بشارة ابليس لانه لا يقدر ان يفتعل في الاية لانه فيها تغيير الخلقة والجوهر وهم لا يقدرون على ذلك علو
لعلهم يقدرون على الافتعال في البشارة الا ترى ان ابراهيم صلوات الله على نبينا وعليه لما نزل به الملائكة لم يعرفهم بالكلام
وهابوه حتى قال انكم قوم منكرون حتى قالوا انا ارسلنا الى قوم لوط فذهب ذلك الروع منه بعد ما اخبروه انهم ملائكة
رسل الله ارسلهم اليه وقوله قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا قال بعض اهل التفسير جعل الله عقوبة له بقوله
انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر لكن ذلك خطاء والوجه فيه منعه من تكليم الناس ولم يمنعه عن الكلام في نفسه الا ترى انه
امره ان يذكر ربه ويسبح بالعشي والابكار كقوله واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار ويحتمل ان يكون اراه اية في نفسه
من نوع ما كان سؤاله اذا كان على العلم بالولد في غير حينه فاراه بمنع اللسان عن النطق وعلى احوال الاحتمال ليكون ايته الاول
وقيل في قوله اجعل لي اية طلب اية الحمل بعلوق الولد وجعلها ليعرف متى ياتيها وقوله الا رمزا قيل الرمز تحريك الشفتين
وقيل هو الايماء بشفتيه وقيل هو الاشارة بالراس وقيل هو الاشارة باليد والله اعلم بذلك وقوله واذ قالت الملائكة يا مريم

قال اهل التفسير هو جبريل عليه السلام لكن ذلك لا يعلم الا بالخبر فان صح الخبر فهو كذلك والا لم يقل من كان من الملائكة قال ذلك
وقوله ان الله اصطفيك اى اصطفاها للعبادة بنفسه وخصها له مالم يكن ذلك لاحد من النساء فيكون ذلك صفوتها وقيل اصطفاها
بولادة عيسى عليه السلام اذ اخرج منها نبيا مباركا تقيا على خلاف ولادة البشر وقوله وطهرك قيل من الاثام والفواحش
وقيل وطهرك من مس الذكور وما قذفت به واصطفاك على نساء العالمين هو ما ذكرنا من صفوتها ان جعلها لعبادة نفسه
خالصا او ما قد ولدت من غير اب على خلاف سائر البشر وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربعة خطوط ثم قال هل تدرون ما هذه قالوا الله ورسوله اعلم قال خير نساء العالمين اربع مريم بنت عمران واسية بنت
مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وقوله يا مريم اقنتي لربك يحتمل وجهين الامر بالقنوت
القيام ثم الامر بالسجود اى الصلاة ثم الامر بالركوع مع الراكعين وهو الصلوة بجماعة ففيه الامر بالصلوة بالجماعة على ما
علينا لانه قال واركعي مع الراكعين وعلى ذلك روى في الخبر انه سئل عن افضل الصلوة فقال طول القنوت ويحتمل انه امر
بالركوع ثم بالسجود فبدا لان السجود وان كان مقدما ذكره على الركوع فانه ليس في تقديم ذكر شيء على شيء ولا تاخير شيء عن
شيء في الذكر دلالة وجوب الحكم كذلك وقيل هو الخضوع والطاعة كقوله وقوموا لله قانتين اى خاضعين مطيعين فان
قيل كيف امرت بالركوع مع الراكعين قيل كانوا والله اعلم ذوى قرابة منها ورحم الا ترى انهم كيف اختصموا في ضمها وامساكها حتى
اراد كل واحد منهم ضمها الى نفسه وانه الاحق بذلك دل ان بينهم وبينها رحما وقرابة وقيل في قوله اقنتي اطيلي الركوع في الصلوة
والله اعلم قال الشيخ رحمه الله ويحتمل مع الراكعين اى ممن يركع ويخضع له بالعبادة لا على الاجتماع والله اعلم كيف كان الامر في ذلك
وقوله ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اى من اخبار الغيب لم تشهده انت يا محمد ولم تحضر بل نحن اخبرناك وذكرناك عند ذلك
ثم في ذلك وجوه الدلالة احدها اراد ان يخبره عن صفوة هؤلاء وضيعهم ليكون على علم من ذلك والثاني دلالة اثبات
رسالته لانه اخبر على ما كان من غير ان اختلف الى احد او علمه احد من البشر علم منهم ذلك دل انه انما علم ذلك بالله عز وجل
والثالث ان يتامل وجه الصفوة لهم انهم نالوا فيجتهدوا في ذلك والله اعلم وفي ذلك تاخير البيان عن وقت الحاجة الى ان ظهر
ذلك بالقاء الاقلام وقوله وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية قيل انهم القوا اقلامهم على جرية الماء
فذهب الاقلام كلها مع الجرية الا قلم زكريا فانه وقف على وجه الماء وقيل طرحوا اقلامهم في اناء وكان من شرطهم
ان من صعد قلمه عاليا بر مع الجرية فهو احق بها ومن سفل قلمه مع الجرية فهو المقروع فصعد قلم زكريا وسفلت اقلامهم
فعند ذلك ضمها زكريا الى نفسه ثم من الناس من احتج بجواز القرعة والعمل بها بهذه الاية حيث ضمها زكريا مريم الى نفسه لما
خرجت القرعة لكن القرعة في الانبياء لتبيين الاحق من غيره لوجهين لحق الوحي والثاني لظهور اعلام في نفس القرعة ما يعلم
ما يعلم انه كان بالله ذلك لا بنفسه كارتفاع القلم على الماء ومثل ذلك لا يكون للقلم والمحق من المبطل وفيما بين سائر الخلق لا فعل
التهم فهي لا تدفع ابدا ويحتمل استعمال القرعة فيها لتطييب الانفس بذلك وعلموا ذلك بالوحي فليس اليوم وحي لذلك بطل
الاستدلال بجواز العمل بالقرعة اليوم والله اعلم وكان ذلك اية والاية لا يقاس عليها غيرها نحو قبول قتيل بني اسرائيل اية
لعيسى بقي حيوان قول قتيل اخر قبل الموت وقوله اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح يحتمل بكلمة
منه ان قال كن فكان من غير اب ولا سبب وسائر البشر لم يكونوا الا بالاباء والاسباب من النطفة ثم من العلقة ثم
من مضغة مخلقة على ما وصف عز وجل في كتابه وكان امر عيسى عليه السلام على خلاف ذلك ويحتمل كلمة منه ما ذكر انه كلم
الناس في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وذلك مما خص به عيسى وهو بكلمة من الله قال ذلك فان قيل ما معنى قوله
ويكلم الناس في المهد وكهلا والكهل مما يكلم الناس قيل لان كلامه في المهد اية والاية لا تدوم كقوله يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم الاية وانما يكون ذلك مرة لا انها تشهد وتنطق ابدا فاخبر ان تكليمه الناس في المهد وان كانت اية فانه
ليس بالذي لا يدوم ولا يكون الا مرة والثاني امن من الله لمريم وبشارة بها عن وفاته الى وقت كهولته والله اعلم وقوله
اسمه المسيح قال ابن عباس رضي الله عنه المسيح المبارك اى مسيح بالبركة وقيل سمي مسيحا لانه كان يمسح عين الاعمى والاكمه
فيبصر وقيل المسيح العظيم لكنه والله اعلم بلسانهم فيسال ما المسيح بلسانهم وقوله وجيها في الدنيا بالمنزلة ومكينا في الاخرة
ومن المقربين في الدرجة والرفعة ومن كان وجيها في الدنيا والاخرة فهو مقرب فيهما وقوله قالت رب انى يكون لي ولد
ولم يمسسني بشر عرفت مريم ان الولد يكون بمس البشر وعلمت انها لا تتزوج ولا يمسها بشر ابدا لانها قالت انى يكون ولد ولم
يمسسني بشر فان لم يكن مسها احد قبل ذلك فلم يمسها في حادث الوقت فيكون لها منه الولد فلما لم يقل لها يمسك ولكن قال
كذلك الله يخلق ما يشاء دل ذلك انها علمت انها لا تتزوج ابدا لانها كانت محررة لله مخلصة له في العبادة والله اعلم ويحتمل
قوله انى يكون لي ولد اى من اى وجه يكون لي ولد بالهبة لانها بشرت ان يهب لها ولدا فقالت من اى وجه يكون لي ولد بالهبة
ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء وما ذكر في سورة مريم حيث قالت انى يكون لي ولد الاية ثم قال كذلك قال
ربك هو علي هين اى خلق الخلق علي هين باب وبغير اب وبمس بشر وبغير مس وبسبب وبغير سبب كما خلق ادم بغير اب ولا ام فعلى
ذلك يخلق تبوا لا بعض من بعض وبغير لا بعض من بعض كخلق الليل والنهار يخلق لا من احدهما من الاخر فكذلك يخلق
لك ولدا من غير اب ولا مس بشر وبالله الحول والقوة وقوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اى اذا قضى امرا يكون
ابدا ويكون شيء فانما يقول له كن لا يثقل عليه ولا يصعب خلق الخلق وتكوينهم كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
اى خلق الخلق كلهم ابتداء وبعثهم بعد الموت كخلق نفس واحدة ان يقول كن فيكون وانما يثقل ذلك على الخلق ويصعب لما انه
تشغلهم فاما الله سبحانه وتعالى تعالى عن ان يثقله شغل او يمنعه مانع او يحجب عليه حجاب وقوله فانما يقول له كن فيكون

والعبارة على التكوين

ذكر والله اعلم هذا الحرف لانه لا يبقى كلام العرب حرف او جزء منه يعبر فيفهم معناه الا ان كان منه عز وجل كاف او نون او حرف
او مجازا وصفة يفهم ويعرف حقيقة او يوصف هو معنى من معاني كلام الخلق واصطلاحهم او يكون التكوين وقت او مدة او حال
او يكون من الخلق انما هو ان يجزى حرف يفهم معناه بالعبارة اخبار منه عز وجل الخلق عن سرعة نفاذ امره ومشيئته وقوله ويعلمه الكتاب
بشارة منه لها ايضا انه يعلم الكتاب ثم اختلف في الكتاب قيل الكتاب هو الخط ههنا يخط بيده ويحتمل الكتاب الكتاب نفسه التوراة
والانجيل ويحتمل الكتاب كتب النبيين والحكمة وقيل الحكم بين الخلق وقيل الفقه وقيل الحلال والحرام وقيل السنة والحكمة
هي الاصابة وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله ورسولا الى بني اسرائيل اى جعله رسولا الى بني اسرائيل وهذا ايضا بشارة لها منه في
عيسى صلوات الله على نبينا وعليه منه ولا مره الاخرة انه لا تزول لد من غير اب على خلاف ما كان سائر البشر يكلم الناس في المهد وقيل
بالعبودة له ولم يكن لاحد من البشر ذلك وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وانباء ما كانوا ياكلون ويدخرون وما كان
له ماوى ياوى اليه ولا عيش يتعيش هو به والشرك لا يخلو عن ذلك ثم التى شبهة على غيره فقتل به ورفع هو الى السماء وذلك
كله ايس وكانت اياته كلها حسية يعلمها كل احد وايات رسول الله عليه افضل الصلوات واكمل التحيات حسية وعقلية
اما الحسية فهو انشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه وكلام الشاة المسمومة وقطع مسيرة شهر في ليلة وغير ذلك من الايات
مما يكثر عددها هذه كلها كانت حسية واما العقلية فهذا القران الذي نزل عليه وهو بين اظهرهم وهم فصحاء وبلغاء
وحكماء يتلى عليهم فاتوا بسورة من مثله الاية وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلو كان بهم طاقة او قدرة ان ياتوا بمثله لجهدوا كل جهد وتكلفوا كل كلف حتى يطفئوا هذا النور
ليتخلصوا عن قتلهم وسبي ذراريهم واستحياء نسائهم فلما لم يفعلوا ذلك دل انه كان اية معجزة عجزوا عن اتيان مثله فاية اية
تكون اعظم من هذا وبالله النجاة وقوله اني قد جئتكم باية من ربكم اى بعلامة اني رسول منه اليكم ثم فسر الاية فقال اني اخلق
لكم من الطين فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله قوله اني اخلق لكم هو على المجاز لا على التخليق والتكوين لان الخلق ليس هو من
فعل المخلوق وانما هو من فعل الله عز وجل لان التخليق هو الاخراج من العدم الى الوجود وذلك فعل الله سبحانه وتعالى
لا يقدر المخلوق على ذلك فهو على المجاز الا ترى انه قال في اخره ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وليس الى المخلوق تحليل شيء
او تحريمه انما ذلك الى الله عز وجل فمعناه اى اظهر لكم حل بعض ما حرم عليكم فعلى ذلك قوله اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير اى
اظهر لكم بيدي ما خلق الله من الطين طائرا فيكون اية لرسالتي اليكم وكذلك الايات ليس مما يتبع الانبياء ولكن تظهر على ايديهم
وانما لم يجز اضافة التخليق لما ذكرنا انه اخراج الشيء من العدم الى الوجود وذلك ليس الى الخلق والثاني ان التخليق هو اخراج الفعل
على التقدير وفعل العبد انما يخرج على تقدير الله لا يخرج على تقديره لذلك لم يجز اضافة ذلك الى الخلق الا على المجاز والله اعلم قال
الشيخ رحمه الله هو المجاز والحقيقة والتخليق فعل حقيقة خاصة وايات الانبياء عليهم السلام هي التي تخرج على خلاف الامر
المعتاد فيما بينهم يجريها الله سبحانه وتعالى على ايديهم ان ذلك لم يكن بهم انما كان ذلك بالمرسل الذي ارسلهم ليدل على صدقهم
ولا قوة الا بالله وابراء الاكمه والابرص هو من ايات النبوة لخروجها عن الامر المعتاد فيما بينهم فان قيل ان احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص من ايات النبوة لعجزهم عن اتيان مثله وخروجه عن المعتاد فيما بينهم ولكن انباء ما ياكلون وما يدخرون
لم كان من ايات النبوة ويجوز ان يكون ذلك من منجم قيل له جوابان ان كان يكون مثل ذلك بالنجوم احدهما انه مضموم الى الايات
فصار اية بما ضم اليها والثاني ان هذا وان كان يعلم النجوم فعيسى صلوات الله عليه لما علم قومه انه لم يختلف الى احد في تعلم علم النجوم
ثم عرف ذلك وانباهم بذلك دل انه انما علم ذلك بالله فكان اية وبالله التوفيق مع ما كان في قومه اطباء وحكماء ونصرا لم يدع احد
شيئا من هذه الايات التي جاء به عيسى عليه الصلوة والسلام دل ترك اشتغالهم في ذلك على اقرارهم بانها اية سماوية
لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا به قال الشيخ رحمه الله الخلق اسم المجاز والحقيقة والتخليق فعل حقيقة خاصة وقوله باذن
الله قيل بامر الله وقيل بمشيئة الله واختلف في الاكمه عن مجاهد قال الاكمه الذي يبصر بالليل وعن ابن عباس رضي الله عنه الاكمه الاعمى
الممسوح العين وقيل هو الذي ولد من امه اعمى لا يتكلف احد من الاطباء ابراء مثله ولا اشتغل وانه دل انه عرف ذلك بالله تعالى والاطباء
يتكلفون في دفع العلل العارضة الحادثة واما ما كان بخلقة من جبلة فلا وقوله ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين قيل قال ان هذا
اية لكم ان كنتم صدقتم اني رسول الله اليكم وقيل قال ان في ذلك لاية لكم في رسالتي ان كنتم مؤمنين بالرسل ويحتمل ان كنتم تؤمنون
اى بالايات انما تعرف ما جعلت له والله اعلم وقوله وجئتكم باية من ربكم الاية ما ذكر وقوله فاتقوا الله يحتمل فاتقوا الله في تكذيبي
في الايات واطيعون في تصديقي وقوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ظاهر قد ذكرنا فيما تقدم وقوله
فلما احس عيسى منهم الكفر قيل احس علم وقيل احس راى وهو كقوله هل تحس منهم من احد وقيل احس اى وجد وهو قول
الكسائي وقيل عرف وهو كله واحد ثم قوله احس منهم الكفر قال من انصاري الى الله يحتمل والله اعلم ان قومه لما سالوه ان يسال
ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم اية لرسالته وصدقه ففعل الله عز وجل ذلك وانزل عليهم المائدة ثم اخبر ان من
كفر منهم بعد انزال المائدة يعذبه احدا فكفروا به فعلم ان العذاب ينزل عليهم فاحب ان يخرج من امن به لئلا ياخذهم العذاب
فقال من انصاري الى الله يؤيد ذلك قوله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا على عدوهم الاية ويحتمل
ان يكونوا اظهروا الاسلام له وكانوا في الحقيقة على خلاف ذلك فلما علم ذلك منهم وقد هموا على قتله قال عند ذلك من انصاري الى
الله احب ان يكون معه انصار مع الله ينصرونه فيظهر المؤمنون من غيرهم فنصرهم الله على اعدائهم ليظهر المؤمنون من غيرهم
وهو قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ومن الناس من يقول انه لم يكن في سنة عيسى عليه السلام الامر بالقتال
وفي الاية اشارة الى ذلك بقوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اخبر انهم اصبحوا ظاهرين على عدوهم فلا يخلوا اما ان يكون

قتالا او غلبة بحجة او شيء مما يقهرهم والله اعلم وقوله قال الحواريون نحن انصار الله اختلف في الحواريين قال بعضهم هم
القصارون القصالون للثياب ومبيضوها وعن ابن عباس رضي الله عنه قال انما سموا الحواريين لبياض ثيابهم وكانوا صيادين
السمك وقيل الحواري الوزير والناصر والخاص على ما جاء من رسول الله صلى الله وسلم ان لكل نبي حواريين وحواري فلان
وفلان ذكر نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وانما ارادوا والله اعلم الناصر والوزير ويحتمل ان يكونوا سموا بذلك
لصفاء قلوبهم وهم اصفياء عيسى عليهم السلام كذلك روى عن ابن عباس رضي الله اعلم بهم وقوله نحن انصار الله ان الله تعالى
من ان ينصر ولكن يحتمل نحن انصار الله اى انصار دين وانصار نبيه او انصار اوليائه تعظيما وكذلك قوله ان تنصروا الله ينصركم
ان الله لا ينصر ولكن ينصر دينه او رسله او اوليائه وهو كقوله يخادعون الله ان لا يخادع ولا يكن ولكن يخادعوا اولياءه
او دينه اضاف ذلك الى نفسه فعلى ذلك لما نصروا دين الله ونبيه وولية اضاف الى نفسه وقوله امنا بالله واشهد بانا مسلمون
الاية ينقض قول من يجعل الايمان غير الاسلام لانهم اخبروا انهم امنوا وانهم مسلمون لم يفرقوا بينهما وكذلك قوله فاخرجنا من
كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين لم يفصل بينهما وجعلها واحدا وكذلك قول موسى لقومه يا قوم
ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين لم يجعل بين الايمان والاسلام فرقا وهو قولنا ان العمل فيهما واحد لان الايمان
بان تصدق بانك عبد الله والاسلام وان تجعل نفسك له سالما وقيل الايمان اسم ما بطن والاسلام اسم ما ظهر الا ترى انه جاز
في الاسلام الشهادة وفي الايمان التصديق وقوله ربنا امنا بما انزلت يعني والله اعلم بما انزلت من الكتب التي انزلها على الرسل
جميعا فان ارادوا بما انزلت على عيسى عليه السلام فالايمان بواحد من الكتب او بواحد من الرسل ايمان بالكتب كلها وبالرسل جميعا
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ... عيسى عليه السلام حيث كذبوه وهموا بقتله ومكر الله اى جزيهم
جزاء مكرهم والا حرف المكر مذموم عند الخلق فلا يجوز ان يسمى الله به الا في موضع الجزاء على ما ذكره عز وجل في موضع الجزاء
كقوله فمن اعتدى عليكم والاعتداء منتهي غير جائز كقوله ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين فكان قوله فاعتدوا عليه
هو جزاء الاعتداء فيجوز فعل ذلك المكر والخداع والاستهزاء لا يجوز ان يسمى به فيقال يا ماكر ويا خادع ويا مستهزئ لانها
حروف مذمومة عند الناس فيشتم بعضهم بعضا بذلك لذلك لا يجوز ان يسمى الله به الا في موضع الجزاء وبالله العصمة وقوله
والله خير الماكرين اى خير المجازين اهل الجور بالجور واهل الخير بالعدل واهل الخير بالفضل وقيل ومكروا حيث كذبوه وهموا بقتله ومكر الله
حيث رفع الله عيسى عليهم السلام والقى شبهه على رجل منهم حتى قتلوه فذلك خبر عيسى عليه السلام من مكرهم وقيل ومكروا اى
قالوا ومكر الله قال الله وقولهم الشرك وقال لهم قولوا التوحيد والله خير الماكرين اى خير القائلين قال الشيخ رحمه الله والله الماكرين
بالحق يمكر وياخذ من استحق الاخذ وهم لا والله اعلم والمكر هو الاخذ بالغفلة والله ياخذهم بالحق من حيث لا يعلمون فسمي مكر
الذلك كما يقال امتحنه الله وهو لا يستظهار ولكن يراد به هذا في الله وقوله اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك اختلف فيه قيل هو
على التقديم والتأخير ورافعك الي ثم متوفيك بعد نزولك من السماء ولكن هو التقديم والتأخير ولم يكن في الذكر فهو سواء لانا
قد ذكرنا ان ليس في تقديم الذكر ولا في تأخيره ما يوجب الحكم كذلك لانه كم من مقدم في الذكر هو مؤخر في الحكم وكم من مؤخر
في الحكم ولم من مؤخر في الذكر هو مقدم فاذا كان كذلك لم يكن في تقديم ذكر الشيء ولا في تأخيره ما يدل على ايجاب الحكم كذلك
كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها فانما هو قبض الروح فيحتمل الاول كذلك ويحتمل توفي الجسم اى متوفيك من الدنيا اى
قابضك وليس بوفاة موت وعن ابن عباس رضي الله عنه اني متوفيك اى مميتك وهو ما ذكرنا انه ليس بمعبود وقوله ورافعك
الي هو على تعظيم عيسى عليه الصلوة والسلام ليس على ما قالت المشبهة باثبات المكان له لانه لو كان في قوله رافعك الي يوجب
ذلك يجب ان يكون اهل الشام اقرب اليه لان ابراهيم صلوات الله عليه قال اني ذاهب الى ربي والكفرة اليه قريب منه كقوله
ثم الى مرجعكم دل هذا ان ما قالوا خيال فاسد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ولكن على التبجيل والتعظيم اعني المضاف اليه
والاصل في هذا ان الخاص اذا اضيف الى الله فانما يراد به تعظيم ذلك الخاص نحو ما قال بيت الله على التعظيم وناقة الله فهو على تعظيم
الناقة ونحوه مما يكثر وفو عمر وانا ضيف الجماعة اليه فهو على ارادة تعظيم الرب جل ثناؤه نحو رب العالمين وله ملك السموات
والارض ونحوه كله على ذه تعظيم الرب جل ثناؤه وقوله ومطهرك من الذين كفروا قيل فيه بوجوه قيل مطهرك من اذى الكفرة
من بين اظهرهم انما فيه لك وقيل ومطهرك من الكفر والفواحش ويحتمل ومطهرك مما قالوا فيك وقوله وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا يحتمل يجعله فوق الذين كفروا بالقهر والغلبة والقتل ويحتمل بالحجة ويحتمل في المنزلة والدرجة في الاخرة
ويحتمل ومطهرك بقتل الكفرة من وجه الارض على ما ذكر في بعض القصة انه ينزل من السماء فلا يبقى على وجه الارض كافر الا
وهو يقتله مع الذين اتبعوه فذلك تطهيره وجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا وقوله ثم الي مرجعكم ذكر هذا والله اعلم
وان كان المرجع للكل اليه في كل حال لانهم يقرون ويقرفون في ذلك اليوم ان المرجع اليه وكانوا ينكرون ذلك في الدنيا وهو
كقوله الملك يومئذ لله الملك كان له في ذلك اليوم وفي غير ذلك اليوم وفي غير ذلك اليوم معناه لا ينازعه احد يومئذ في
ملكه ويقرون له بالملك وفي الدنيا انكروا الملك وهو كقوله وبرزوا لله جميعا كانهم بارزون لله في كل وقت لكنهم انكروا بروزهم
في الدنيا له فيقرون يومئذ بالبروز له فكذلك الاول والله اعلم وقوله فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون يحتمل احكم بينكم من المحق
منكم ومن المبطل ويحتمل احكم بينكم اى اجزيكم على قدر اعمالكم وقوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا واما الذين امنوا و
عملوا الصالحات الاية ويحتمل احكم بينكم اى اجزي كلا بعمله على ما يستوجبون وقوله في الدنيا قيل القتل والجزية في الاخرة العذاب
قال الشيخ رحمه الله في قوله اني متوفيك ورافعك الي قوله متوفيك يحتمل توفي الموت بما يقبض روحه كفعله بجميع البشر ثم كذب
لمن ظن انه الله او ابنه لا يحتمل ان يموت وقد الزمهم هذا بوجهين ظاهرين وان كان فيما علم خلقته وجوهره ثم يقلبه من حال

في نفسه ومعاني المكان في حق القرار والحاجة كفاية لمن يعقل الحقائق وبلغه لمن تامل الاشياء عبرا احدهما بقوله ما المسيح ابن مريم
وقوله عيسى ابن مريم يطلق به لسان كل منهم ومعلوم احالة بن مريم بشرا طالا وولدا لا اله اذ هو يكون اصغر منها وذلك اية
حدثه وكذلك قوله في المهد اني عبد الله الى اخر ما ذكر مما لو احتمل ذلك لكان ادم عليه السلام هو المقدم وهو الذي لا يعرف
له والدان احق او هو بجوهره فهو ولده لا غير او ذلك وصف الاولاد والله اعلم والثاني قوله كانا ياكلان الطعام فاخبر
من حاجته وغلبة الجوع عليه وفقر نفسه الى ما يقيمها من الاغذية ثم في ذلك حاجته الى الخلاء واختياره الا مكنة القذرة
لقضاء حاجته وبالله التوفيق والثاني على قبضه بنفسه من بين اظهر اعدائه ورفعه الى ما به شرفه وتطهيره مما كان
يحسن منهم من الكفر وانواع الفساد وغيره من بين البشر على وجه انه يكون له عليهم من اول احوال ظهوره الى اخر احواله مقام
فيهم ليكون اوضح لتبعه في الايات وعلى مخالفيه في قطع العذر ولا قوة الا بالله وفي الدعاء الى المباهلة دلالة ظهور التعنت
والعناد وفي تخلفهم عن ذلك دليل علمهم بعنتهم وخوفهم مما قد وعدوا بالنزول عليهم ثم لزوم ذلك ما كانوا
عليه من السفه والعناد ليعلم ان الحيل مما عناد المعاندة منقطعة ومعلوم ان الدعاء الى المباهلة لا يكون في اول احوال
الدعوة وانما يكون بعد توفير الحجة وقطع الشبهة ففي ذلك بيان انه كانت ثم محاجة حتى بلغ الامر على ذلك امر القتال انه لم يوضع
في اول احوال الارسال وفي الحال التي للقول والحق وجه القبول من طريق النصف والعقل وانما كان عند ظهرت معاندتهم وكثر سفههم
حتى هموا بالقتل واكثروا الاذى واكرهوا قوما على الكفر واخرجوا رسول رب الفرق من بين اظهرهم بما راموا قتله وطردوا الصحابة
من بلادهم حتى يحصوا بالقيران فاذن الله تعالى عند ذلك بالقتال وفتح الفتوح ليكون انه في كل وجوه الايات ظاهرة وحجته
بينة وفي ذلك جواز محاجة الكفرة في التوحيد والرسالة لكن على ما قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن ولا تمار فيهم الا مراء
ظاهرا ونهى من التعمق والخوض فيما يقصر عنه الافهام وان كان معلوما ان لله حججا ظاهرة وغامضة ولا قوة الا بالله وفي
ذلك تعليم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انه يكون ذلك باللطف والرفق يرى المقصود به ليقر به عنده الحجة ويزيل عنه
الشبهة من الوجه الذي يحتمل عقله ويبلغه فهمه فان راه يتعامى في ذلك يوعده ويخوفه بالذي في ذلك من الوعيد فان راه
يكابر عرفت شوم طبعه وسوء عنصره فقداوه بما جاء به التعليم من الضرب والحبس فان نفع ذلك والا كف شره عن غيره وطهر
الارض فانه النهاية في القمع والغاية فيما يحق من معاملة السفهاء والله اعلم لكنه على منازل لا يحتمل انتهاء كل انواع المآثم الى
هذه الغاية بل فيها ما كان اعظمها دون هذا كثير والله اعلم لذلك يلزم تعرف مقادير الاثام او لا ليعرف بها ما يحتمل كل اثم
من العقوبة فيه والزجر به ولا قوة الا بالله وقوله والله لا يحب الظالمين لانه لا يحب الظلم وقوله ذلك نتلوه عليك قيل ذلك
الذي ذكر في هذه الاية نتلو عليك بالحجج من الايات والذكر الحكيم قيل الحكيم هو المحكم وقيل الحكيم اى من نظر فيه وتفكر يصير حكيما
كما قال والنهار مبصرا اى يبصر فيه والله اعلم وقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب قيل في القصة ان نصارى
من اهل نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك تشتم صاحبنا عيسى ابن مريم عليه السلام تزعم انه عبد وهو يحيي
الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فارنا فيما خلق الله عبدا مثله يعمل هذا والنصارى في الحقيقة مشبهة وقدرية
واما التشبيه فانما حملهم على ذلك ظنهم في قول ابراهيم صلوات الله عليه حيث قال ربي الذي يحيي ويميت ظنوا ان عيسى لما قال اني
اخلق لكم من الطين كهيئة الطير انه رب واله لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اخبر ان ربه الذي يحيي ويميت فسموا عيسى الها
بهذا وهم كانوا يرون عيسى ياكل ويشرب وينام فلولا انهم عرفوا الله عز وجل والا ما شبهوه به تعالى الله عن ذلك واما
القدرية فلما لم يروا الله في افعال العباد تدبيرا وادلك للحق خاصة فلما راوا ذلك من عيسى عليه السلام ظنوا انه رب لما لم يروا
ذلك من غيره ولو كانوا عرفوا الله حق المعرفة لعلموا انه لم يكن من عيسى الا تصوير ذلك الطير وتمثيله ويكون مثله من كل احد وانما
الاحياء كان من الله عز وجل اجراه على يدي عيسى عليه السلام تصويره فقط وكذلك ما كان من ابراء الاكمه والابرص وغير ذلك
من الله عز وجل اجراه على يديه ايات لنبوته لانهم ادعوا له بوبيته من وجهين لكونه من غير اب ثم قوله ان مثل عيسى عند
الله كمثل ادم يحتمل وجهين والله اعلم احدهما ان الله عز وجل صور صورة ادم من طين ثم جعل فيه الروح لم يجز ان يقال
صار ادم حيا من نفسه لوجود صورته كيف جاز لكم ان تقولوا ان عيسى لما صور ذلك الطير من الطين صار حيا له بتصويره اياه
دون احياء الله تعالى اياه والله اعلم والثاني ان ادم عليه السلام خلق لا من اب وام ثم لم تقولوا انه رب او اله كيف قلتم
في عيسى انه اله وان خلق لا من اب اذ عدم الابوة في ادم لم توجب ان يكون ربا كيف اوجب عدم الابوة في عيسى كونه
ربا والها والله الموفق وانما كان عيسى بقوله كن كما كان ادم ايضا بكن من غير اب وقوله كن قد ذكرنا انه او جز كلام في لسان
العرب يقرب فهم ذي المعنى فيفهم المراد الا ان كان من الله عز وجل كان او نون او وقت او حرف او يوصف كلامه بشيء
مما يوصف به كلام الخلق تعالى الله عن ذلك وقوله فيكون يحتمل يكون بمعنى كان والعرب تستعمل ذلك ولا تاتي والثاني ان يكون
الكائنات باسبابها في اوقاتها التي اراد كونها على ما ارادوا واصل ذلك اذا ذكر الله ووصف بذكر بلا ذكر وقت الازل واذا ذكر
الخلق معه بذكر الوقت يكون للخلق يقول خالق في وقت خلقه وقوله الحق من ربك فلا تكن من الممترين يحتمل هذا وجوها
يحتمل ان يكون الخطاب لكل احد قال في عيسى ما قالوا اى لا تكن من الممترين في عيسى انه عبد الله خالصا وانه نبيه ورسوله
اليكم ويحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وهكذا عادة ملوك الارض انهم اذا ارادوا ان يعرفوا
رعيتهم شيئا يخاطبون اعقلهم وافضلهم وارفعهم منزلة وقدرا عندهم استكبارا منهم مخاطبة كل وضيع وسفيه فكذلك
الله عز وجل خاطب نبيه اعظاما له واجلالا والله اعلم ويحتمل ما ذكرنا فيما تقدم ان العصمة لا تمنع الامر ولا النهي تزيد امرا ونهيا
وان كان يعلم انه لا يكون من الممترين وقوله فمن حاجك من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم الاية دعاهم

التعنت ... التصفية ... وهو ... فان الفرند في ولكن من الاوضاف ... ويستثنى ... لصفاء العوا ... ... وغاتهم

لو كان الحجة ... المعجزات الصورة والخلقة ...

اى في صورة النفخ عند قوله ... ... وانا ... ...

صلى الله عليه وسلم الى المباهلة فالمباهلة في لغة العرب الملاعنة دعاهم الى الدعاء باللعنة على الكاذبين فامتنعوا عن ذلك خوفا منهم
لحوق اللعنة فدل امتناعهم عن ذلك انهم عرفوا كذبهم لكنهم عاندوا وكابروا فلم يقروا بالحق وقوله ان هذا لهو القصص الحق يعني
الخبر الحق وقوله وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم ظاهر قد ذكرناه فيما تقدم والله اعلم وقوله الحق من ربك يحتمل خبر الحق
في امر عيسى عليه السلام انه كان عبدا بشرا نبيا فلا تكن من الممترين اي لا يحملنك شدة لجاجهم وكثرتهم في القول فيه بهذا الوصف
على الشك في الخبر الذي جاءك عن الله كقوله لعلك تارك بعض ما يوحى اليك الى اخره على الموعظة لا على انه يكون كذلك او على ما سبق
ذكره والله اعلم ويحتمل الحق من ربك اي كل حق فهو عن الله جائز اضافته اليه على الوجوه التي تضاف اليه الباطل من الوجه الذي
هو باطل فلا تكونن في ذلك من الممترين والله اعلم وجائز ان يقول جعل الله ذلك الفعل ممن فعله باطلا ولا يقال الباطل من الله اعلم
وقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم يعني كلمة الاخلاص والتوحيد سواء بيننا وبينكم اي عدل اي تلك الكلمة
عدل بيننا وبينكم لانهم كانوا يقرون ان خالق السموات والارض الله بقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وكذلك يقرون ان خالقهم الله بقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله لكن منهم من يعبد دون الله اوثانا ويقولون ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى ومنهم من يجعل له شركاء وانداد ا يشركهم في عبادته فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يجعلوا
عبادتهم الى غير الذي انعم عليهم اذ العبادة لا تكون الا لله الذي قروا جميعا انه خالق السموات والارض وانه ربهم وان لا يصرفوا
عبادتهم الى غير الذي انعم عليهم اذ العبادة هي شكر وجزاء ما انعم عليهم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون
الله لان العبادة لواحد اهون واحق من العبادة لعدد وان صرف العبادة الى من انعم عليكم اولى من صرفها الى الذي لم ينعم عليكم اذ ذلك
جور وظلم في الفعل ان ينعم احد على اخر فيشكر غيره قال الشيخ رحمه الله العدل في اللغة وضع الشيء في موضعه وفي اخلاص العبادة لله
والتوحيد ذلك وعلى معنى سواء وجائز ان يكون كلمة يستوي فيها انها عدل ما شهد لنا به كل انواع الحجج وقوله فان تولوا يحتمل
تولوا عن كلمة الله وتوحيده وصرف العبادة اليه فقل كذا ويحتمل فان تولوا عن المباهلة والملاعنة فقل اشهدوا بانا مسلمون
اي مخلصون العبادة له صارفون الشكر التي ما انعم علينا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله فان تولوا عن قبول ما دعوتهم اليه من الاجتماع
على الكلمة وقوله يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم قيل وذلك ان اليهود قالوا ان ابراهيم كان على ديننا اليهودية والنصارى
ادعت انه كان على دينهم ومذهبهم ليس على دين الاسلام فنزل قوله لم تحاجون في ابراهيم يعني في دين ابراهيم صلوات الله عليه
وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده يعني من بعد ابراهيم وهو يحتمل وجهين يحتمل ان التوراة والانجيل انما نزل من بعده وانتم
لم تشهدوه يعني ابراهيم حتى تعلموا انه كان على دينكم لم تقولون بالجهل انه كان على دينكم ويحتمل وما انزلت التوراة والانجيل الا من
بعده اي ان التوراة والانجيل انما نزلا من بعد موته وكان فيهما انه كان حنيفا مسلما افلا تعقلون انه كان حنيفا مسلما وما كان
من المشركين قال الشيخ رحمه الله وفي هذه الاية دلالة انهم علموا انه كان مسلما لكن ادعوا ما ادعوا متعنتين حيث لم يقابلوا بكتابهم
بالذي ادعوا من نعته وبخلاف ما ادعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نعته وفيه دلالة الرسالة اذ في دعواهم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف نعته بهم لما ادعواهم غير الذي ادعى فثبت انه عرف بالله وذلك علم الغيب والله الموفق وقوله ها انتم هؤلاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وهو ما ذكرنا وفيه دلالة جواز المحاجة في الدين على العلم به وانما نهى هؤلاء عن
المحاجة فيما لا علم لهم الا ترى ان الرسل عليهم السلام حاجوا قومهم حاج ابراهيم عليه السلام قومه في الله وذلك قوله وتلك
حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وموسى عليه الصلوة والسلام حاج قومه وما من نبي الا وقد حاج قومه في الدين فذلك قول من ابى
المحاجة في الدين قال الشيخ رحمه الله وابدا الحق انه كذلك عجز المبتدع عن ايراد مثله وعجزهم عن المقابلة بما ادعوا انهم عرفوه بالله وقوله
ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا وهكذا يكون في العقل ان من اتبع اخر واطاعه فهو اولى به وانما الحاجة
الى التمتع بمعرفة المتبع له والمطيع انه ذا او ذا فاخبر عز وجل ان الذين امنوا والنبي صلى الله عليه وسلم هم المتبعون له فهم اولى به وقوله
والله ولي المؤمنين اختلف فيه قيل الولي الحافظ وقيل الولي الناصر وقيل هو اولى بالمؤمنين وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقد يكون
وليهم بما دفع عنهم سفه اعدائهم في ابراهيم واظهر الحق في قولهم قال الشيخ رحمه الله في قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية
وقولهم لم تحاجون وفي قولهم لم تلبسون الحق بالباطل الاية ونوع ذلك من الايات التي خص بالخطاب بها اهل الكتاب وجوه
من المعتبر احدها ان الذين خوطبوا بهذا الاسم كانوا معروفين وانه لم يخطر ببال مسلم انه قصد به غير اهل التورية والانجيل
ولا ذكرت تلاوتها في حق المحاجة على غيرهم ثبت ان المجوس ليسوا باهل الكتاب وان المراد من ذكر اهل الكتاب غيرهم وان اخذ
الجزية من المجوس ليس مما تضمنتهم قوله من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون لكن بدليل اخر وهو ما
روي عن نبي الله انه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وعلى ذلك ايد قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا ليعلم ان الكتاب المعروف واهله هؤلاء وان كانت ثم كتب وصحف والله اعلم والثاني ان الله خص اهل
الكتاب بانواع الحجج وجعل المحاجة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوضح انه وان كان مرسلا الى جميع البشر كان له
التخصيص في المحاجة وعلى ذلك عامة سورة الانعام في محاجة اهل الشرك على ان اهل المدينة كانوا اهل كتاب واهل مكة كانوا
اهل الشرك فحاج كلا بالذي هو احق ان يكلم فيه وان كانت الحجة تلزم الفريقين لان محاجة اهل الشرك اكثرها في التوحيد وامر
البعث وعلى وجوده فيه في اهل الكتاب بعض لمشاركتهم لهم ومحاجة اهل الكتاب بما في كتبهم وفيه وجهان احدهما العلم بما
قد غاب عن السبب الذي يوصل اليه بالكسب ليعلم انه وصل اليه بالوحي فيكون من ذلك الوجه حجة على الفريقين والثاني ظهور سفه
اهل الكتاب بوجه يسقط عند التامل الريبة والمحل الذي كان يمنعهم ذلك عن اتباعه وذلك فيما مدح كتبهم وشهدها بالصدق
والحق واظهار الايمان برسلهم ليعلم انه ليس بين الرسل والكتب اختلاف في الدعاء الى عبادة الله وتوحيده وانما ولتلك

اي كل حق فهو من الله نعمة فهو جائز الاضافة اليه على الاطلاق لانا لا نجوز الاضافة اليه مطلقا الا بالتقييد فيقال بمشيته ذلك الفعل ممن فعله بالباطل لا يقال الباطل من الله تعالى صح

انما كذبوا

انما كذبوا لتسلم لهم الرياسة ثم مع ذلك ظاهروا اهل الشرك المكذبين لكتبهم ورسلهم ليعلم كل ذي عقل شبههم وتمردهم في الباطل
اذ ظاهروا اعداءهم في الدين على من الذي ظهروا موالاته في الدين ولم يكونوا في ذلك ابلغ الزجر لمتبعيهم واعظم الحجج عليهم فيما الزموا من
السفه وتركوا الحق والله اعلم وفي ذلك وجه اخر ان اهل الشرك قد عرفوا حاجاتهم الى اهل الكتاب في امور الدين وما عليه الرسالة
فيصير ما يلزم اولئك من الحجة لازما لهم في محاجته بالذي في كتبهم لزوم الحجة معا عليهم وفي ذلك مما قد اقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يتبع الحجة في محاجة اهل الكتاب اذ تمنوا ان يكون منهم نذير فكان وقد بلغ المبلغ الذي ظهر بما خصوا من الحجج وشاركوا
اولئك في جميع ما به كان افتخارهم عليهم ودعوا الفضل والله اعلم معاملم يكن له الكتاب الذي به ظهور كتبهم لغير لسانهم ليعلموا انه
ادركه ذلك بمن له حقيقة كتبهم والله اعلم وفي ذلك وجه اخر انه حاجهم بوجهين احدهما بالموجود في كتابهم والمعروف عند ائمتهم
من العلم بالكلمة التي دعاهم اليها من التوحيد وعبادة من له الخلق والامر واخبار ما في كتبهم من انواع البشارات به ومن موافقة
الكتب وعلى ذلك امر ابراهيم عليه السلام وغيرهم ليكون اعظم في الحجة واقطع للشغب والله اعلم والثاني بما فيه حرفوا من كتبهم
وبدلوا من احكامهم وحرفوا من صفته ونعت امته ليعلم كل متامل انه لا وجه ليعلم ذلك بهم اذ لا يحتمل ان يكون منهم هتك
استارهم والاطلاع على اسرارهم بما لا يتهيا لهم دفع ذلك ولا المقابلة في ذلك ليعلم كل الخلايق من اتباعهم او ادان ذلك
ليعلم كل الخلايق من اتباعهم او لا ان ذلك لا بد ذكرا لا بمن له العلم بكل ستر ونجوى ولا قوة الا بالله معا في ذلك وجهان من العبر
احدهما ان ذلك الزمان لم يكن زمان تحاج ونظر في امر الدين انما كان الزمان في امر الدين وتباهي في امر الدنيا وتفاخر بكثرة الاموال
والمواشي فبعث الله تعالى رسولا صلى الله عليه وسلم نشأ من بين اظهرهم دعاهم الى ترك التقليد في الدين واتباع الحجج التي لا يسلكها
اهل الحجاج بعقولهم دون ان يكون لهم المعونة من علم الوحي وما فيه من حكمة الربوبية فكيف والقوم اصحاب التقليد انما ثقة
بائمتهم الذين ادعوا علم الكتب المنزلة واما ثقة امنا بابائهم فيما نشأ عليه ان الحق لا يشذ عنهم علما في ذلك من الاختلاف
الذي بينهم لامرين جميعا لكنهم اذا لم يكونوا اهل نظر في الدين ومحاجة فيه لم يعرفوا ان ذلك يمنعهم التقليد فاظهر لهم
الحجج وانباهم بالمودع من حجاج انبيائهم في كتبهم والزمهم ان في اباءهم من يلزم التقليد كانوا احق بذلك بما كان عندهم انهم
كانوا على دينهم بما بين من تغيرهم وترك الواجب عليهم من حق الاتباع والله اعلم والثاني ان اظهر فيهم الاختلاف في ائمتهم على ادعاء
كل منهم ان ذلك هو الذي كان عليه الانبياء والرسل في اهل الكتاب ومحاجات غيرهم بما ليس عندهم الا اراء اباء ليس عندهم
فضل على القول ثم كان معلوما عند الاختلاف والتفرق فصارت الحاجة قد عمتهم والعلم بهم في لزوم الاحكام التي يدلهم
على الحجة ويعرفهم الحق قد تقرر عندهم فبعث الله بفضله من اظهر لهم بما اطلق به لسانه من الحجاج واراهم من علمه مما عبر وحفظ مما كان
عليهم اوليهم فكان ذلك اظهر البينات واولى ما يعرف من افضال الله عليهم بالاغاثة والامتنان عليهم بالفرج مما قد مستهم اليه
الحاجة ورغبتهم الى العلم به الغاية والله الموفق وفي الفصل الاول بين حرف لم تذكره وهو ان دعاءهم الى الزهد في الدنيا بعد
الركون اليها والى الاخرة في الدين بعد ظهور التفاخر بينهم بتكثر العشاير وتقابل القبايل والسخاء بجميع ما طبعوا عليه بما قدر
عندهم ما اليه ترجع عواقب امرهم وقام بذلك على قهر العادة ومخالفة الطبيعة التي يعلم ان ذلك في مثل ذلك العصر انه
سماوية خارجة عن وسع البشر ليكون اقطع لعذرهم واسكن لقلوبهم اليه فلله الحمد على ذلك وقوله يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء الاية قيل فيها باوجه احدها انها العدل وهي كلمة التوحيد وكانت عدلا باتفاق الكل اذ سئلوا عمن خلق السموات
والارض في الفزع اليها بالاجابة وشهادة الخلقة على وحدانية من له الخلق والامر والله اعلم ومن هذا الوجه امكن ان يحاج بجميع
الخلق وان خص به اهل الكتاب والله اعلم واخرى ان يستوي فيها انها حق وعدل وهي عبادة الواحد الذي لم يختلف في انه معبود
ان كل من عبد غيره فعلى ان يكون له العبادة بعبده فيرجع الى الحقيقة دون ان يكون بيننا وبينه من يعلم انه لا يستحق العبادة
وهذا المعنى يلزم الجميع ايضا والثالث ان يكون الى كلمة ظهر انها عدل في كتابهم بما جاءت رسلهم ونزلت بها كتبهم ولا قوة الا
بالله وقوله ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم ذكر في القصة ان المشركين اخذ واعمار وحذيفة فقالوا لهم ديننا افضل
من دينكم وافضل من الاديان كلها فنزل هذه الاية والاشبه ان يكون مثل هذا من رؤساء اهل الكتاب وعلمائهم هم
الذين يتولون مثل هذا العمل واما الجهال منهم والرذلة فانهم لا يفعلون هذا والله اعلم وقوله وما يضلون الا انفسهم الاضلال
قيل فيه بوجوه قيل الاضلال هو الاهمال اراد وان يهمل ذكرهم ولا يذكرون بعدهم ابدا كما يهمل ذكر اولئك وقيل الاضلال
هو الاهلاك وقيل الاضلال هو التحير وكل ضل الطريق فهو متحير به وما يضلون الا انفسهم وما يهلكون الا انفسهم وما
يشعرون اي وما يشعرون انهم يهلكون انفسهم ويحيرونها ما يشعرون ماذا عليهم فيما ودوا من اليم العقاب والله اعلم وقيل
نزلت في عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقوله يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون قوله وانتم تشهدون
يحتمل وجوها يحتمل وانتم تشهدون تلك الايات وتعاينونها وتعلمون انها ايات لكن تكابرون ولا تؤمنون بها ويحتمل وانتم
تشهدون اي وانتم تعلمون ما في التوراة والانجيل من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل
الصلوات واكمل التحيات ويحتمل غيرها من الايات التي جاء بها وقال بعضهم لم تكفرون بدين الله وانتم تعلمون بدلالة الخلقة وفي
كتبكم ان دين الله وتوحيده حق وقوله يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون في الاية دلالة جواز
هتك الستر وافشاء المكتوم من الامر اذا كان في ذلك تحذير لغيرهم عن مثله وترغيب لهم في المحمود من الفعل وفيه دلالة اثبات
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم عما كانوا يكتمون ويسرون فيما بينهم وذلك من اطلاع الله اياه على ذلك
وانتم تعلمون ذلك الا ترى انهم لم يتعرضوا له بشيء من ذلك فيقولون متى كتمنا الحق ومتى لبسنا الحق فدل انهم علموا انه حق وانه
رسول الله عليه الصلوة والسلام وذلك قوله وانتم تعلمون ثم علم ذلك يكون بان كان ذلك في كتابهم او علموا بالايات المعجزة ويحتمل

قوله وانتم تعلمون ما جزاء من لبس الحق بالباطل وكتمه والله اعلم ويحتمل وانتم تعلمون انكم تلبسون الحق بالباطل وقوله وقالت طائفة من
اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره قيل فيه بوجوه قيل قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا
وجه النهار وكفروا اخره يعني باول امر محمد صلى الله عليه وسلم لا النهار نفسه وذلك ما روي في القصة ان بعضهم كان
يقول لبعض ان محمدا كان على قبلتنا وقبلته بيت المقدس ويصلي اليها فامنوا انتم به واكفروا اخره يعني اخر امره يعني
قبلته البيت الحرام الكعبة اي اكفروا بقبلة التي يصلي اليها الان وهو الكعبة وقيل ان بعضهم يقول لبعض امنوا بمحمد في
اول امره حتى يؤمن جميع العرب ثم اكفروا به في اخر امره فيقولون لنا لم كفرتم به ورجعتم عن دينه فنقول لهم انا وجدنا
في التورية نعت نبي وصفته فحسبنا انه هذا فامنا به ثم نظرنا فاذا ذلك لم يكن نعته ولا صفته فرجعنا عن دينه وكفرنا
حتى يرجعوا جميعا عن دينه فذلك قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وقيل ايضا ان
رؤس اليهود قالوا للسفلة صدقوا بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وجه النهار يعني اول النهار يعني صلوة الغداة
فاذا كان صلوة العصر اكفروا به فقولوا لهم ان قبلة بيت المقدس كانت حقا فماذا بعد الحق الا الضلال ليرجعوا عن دينهم
فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه دلالة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا انه كان يخبرهم بما يضمرون في انفسهم
ويسرون فذلك من اطلاع الله تعالى اياه ويحتمل قوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي اظهروا لهم الاسلام
والموافقة ولا تؤمنوا به في الحقيقة يدل على ذلك قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم في الحقيقة اي امنوا به ظاهرا واما
في الحقيقة فلا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقال الشيخ رحمه الله في قوله وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل
على الذين الاية يحتمل وجهين احدهما حقيقة النهار ثم يتوجه وجهين احدهما امر القبلة خاصة فيريدون بذلك التمايل
بالموافقة في احد الوقتين عليهم فيما خالفوا في ذلك وان علموا ان ذلك حق ليشبهوا على الضعفة انه لا يزال تنتقل من دين الى
دين ومذهب الى مذهب وان من لزم الدين الاول والمذهب الاول احق للموافقة فيه مرة ولما لا يؤمن البقاء على الثاني
وهو كقوله سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وعلى ذلك انكم واجواز نسخ الشرائع سفها منهم
اذ ليس معنى التناسخ الا اختلاف العبادات لاختلاف الاوقات وذلك المعنى قائم وما التناسخ الا ما عليه تناسخ
الاحوال في كل ملاذ العبادات فيها المصلحة ومن تعبدهم عالم بالذي به الاصلح في كل وقت فله ذلك والثاني ان يكون الذي اول
النهار لعله انزل بما فيه وصف رسلهم وكتبهم من الهدى والبيان او وصف اوائلهم في دعاية الحق ونعت هذا الدين فامروا
بالايمان بذلك ليروا قومهم ان قد ثبت وصف من تقدم بما ذكروا انهم على ذلك ومنه جاء فيما اخبر من تبديل من بدل
من اوائلهم وتحريفهم الا وان كانوا كذلك ليلزموهم التقليد في الامرين والله اعلم وحقه انه اذا عرف حال الاوائل لا يهم
فعلى ذلك امر الاخر ومن به كانت المعرفة الزمهم التصديق في الامرين جميعا ومعاني في القران وصف بتصديق كتبهم فكتمهم
فيما هو امقابلة كتب انبيائهم لتكون هي القاضية والمثبتة للحق انه على ما ادعوا وادعى عليهم وقد ظهرت تعنتهم بمظاهرتهم
المنكرين لكتبهم المكذبين برسلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تصديقه اياهم وشهادة كتابه بذلك ليعلم المتامل
عنادهم بغيا وحسدا كما اخبر الله تعالى عنهم والوجه الاخر من تاويل الاية ان يراد بما اخبر عنهم اول امره واخره لا حقيقة
بياض النهار ثم ذلك يخرج على وجهين احدهما ان يكون دعاه في اول امره الى التوحيد والايمان بالكتب المتقدمة وهم يدعون
الى ذلك وعلى ذلك كانوا قبل ظهور رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخر ذلك بما بين من تحريفهم وتعنتهم لما اخذهم النبي وغلبهم الحسد
وخافوا على رياستهم واشفقوا على ملكهم وجزاء السبي واظهار كثير مما قد كتم اوائلهم فكذبوه في هذا والله اعلم ويحتمل ان يكون
من ذلك منا منهم اصطلاح على الايمان بذلك حتى يعلم تحلمهم وحرصهم على قبول الحق ثم يكفرون به ليكون الاول ذريعة لهم
في الثاني انهم اذ ظنوا انه على الحق اذعنوا له فلما تبين لهم باطله رجعوا عن ذلك فاطلع الله نبيه عليه السلام على ما اسروا ليصير
ما ظنوا انه حجة لهم حجة عليهم وجملة ذلك انا لا ندري ما السبب الذي كان منهم القول وفيما كان ولكنه قد بان ان ذلك
كان منهم اسرار اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون حجة له وزجرا لهم عن كل انواع التبديل في شان رسوله عليه افضل
الصلوات بما يهتك عليهم فيفتضحون عند من ائتموا واسترامهم ويسقط رياستهم والله الموفق وقوله قل ان الهدى هدى الله ان
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اختلف فيه قيل هو على التقديم والتاخير قوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم كان على اثر قوله ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم يقول بعضهم لبعض ما انزل الله كتابا مثل كتابكم ولا بعث نبيا مثل نبيكم قالوا ذلك حسدا منهم وقيل ان هذا
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمبين لما نزل قوله ان الهدى هدى الله قال لهم ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم يقول دين الله الاسلام
هو الدين ان يؤتى يقول لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم من دين الاسلام والكتاب الذي فيه الحلال والحرام والله اعلم ويحتمل ان يكون
قال لن يؤتى احد من الانبياء قبلي من الايات مثل ما اوتيت انا لان اياتهم كانت كلها حسية يفهمها كل احد وايات رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانت حسية وعقلية لا يفهمها كل احد الا الخواص من الناس وخيرتهم قوله او يحاجوكم عند ربكم
راجع الى قوله ولا تؤمنوا الا لمن اتبع دينكم فيحاجوكم به عند ربكم انهم قد امنوا به مرة واقروا له وهو كقوله واذا لقوا
الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم انهم كانوا يظهرون
لهم الاسلام والايمان ثم اذا خلوا قالوا انما نحن مستهزؤن فقال بعضهم لبعض تظهر والهم الاسلام فيحاجوكم عند ربكم
في الاخرة وقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء هذه الاية على المعتزلة لانهم
يقولون ان الفضل ليس بيد الله وكذلك الاختصاص انما ذلك بيد الخلق لان من قولهم ان ليس على الله ان يفعل بالخلق الا
ما هو اصلح لهم في الدين ليس له ان يؤتي احدا فضلا ولا له ان يخص احدا برسالة الا من هو مستحق لذلك مستوجب له فذلك

الفضل

الفضل والاختصاص انما استوجبوا بانفسهم لا بالله على قولهم ففي الحقيقة الفضل عندهم كان بيدهم لا بيد الله فاكذبهم
الله بذلك اذ الفضل عند الخلق هو فعل ما ليس عليه لا ما عليه فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الرشد قال الشيخ رحمه
الله في قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم يحتمل ان يكون في السر واذا اعطيتم لهم الظاهر ويحتمل ان يكون بعد ما اظهرتم
الكفر واخره ويحتمل لا تؤمنوا بما جاء به الا لاجل من تبع دينكم فيكون عندهم قدرة تتقدر عندهم بالذي تعلمتم انكم
اهل الحق فيتبعكم كيف ما تصيرون اليه ويحتمل لا تؤمنوا لا تصدقوا فيما يخبركم عزا وائلكم الا لمن تبع دينكم على المنع عن
تصديق الرسول فيما يخبرهم من التحريف والتبديل وقوله ان الهدى هدى الله يحتمل وجهين احدهما البيان هو ما بين الله
اذ هو الحق وكل ما فيه الصرف عنه هو تلبيس وتمويه ويحتمل ان يكون الدين هو الذي دعا اليه بما ونحو والا برهانه لا الدين
الذي دعا اليه المحرفون ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي لن يؤتى والله اعلم من الكتاب والحجج ويحتمل ان يكون صلة قوله ان الهدى
هدى الله وهو دينه او القران او ما دعا اليه ثم يقولان يؤتى بمعنى لن يؤتى احد مثل ما اوتيتم اهل الاسلام من الحجج والبينات التي
توضح ان الحق في ايديكم وقوله او يحاجوكم عند ربكم فان كان هو صلة الاول فالمعنى يحاجوكم او حتى ليحاجوكم اذا امنتم بما دعوا
اليه فيحاجوكم بذلك عند ربكم اي انما امنتم بالذي جاءكم من عند ربكم فيصير ذلك لهم حجة عليكم وان كان صلة الثاني فهو على
انهم لا يؤتون مثل ما اوتيتم من الحجج ليحاجوكم بها عند ربكم في ان الذي هو عليه حق لما قد ظهر تعنتهم وتحريفهم والله اعلم ثم
بين السبب الذي هو نيل كل خير وفضل والله اعلم وقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله والله يختص برحمته من
يشاء ينقض على المعتزلة قولهم بوجهين احدهما انهم لا يرون لله ان يختص احدا بشيء فيه صلاح عنه صرفه عن ذلك الغير بل
ان فعل ذلك كان حابيا عندهم وبخيلا بل في الابتداء لم يكن له ذلك وانما يعطي بالاستحقاق وذلك حق يلزمه وقد ذكر عرف الاسما
وعندهم ايضا ليس له ان الانشاء ولا يعطي فلا معنى لذكره الذي ذكر مما اراد ذلك والله اعلم والثاني ان الذي يحق عليه ان يبذل كلا
الاصلح في الدين وانه ان قصر احدا عن ذلك كان جائرا ثم الا فضل العبد بشيء مما اعطى حتى تعطيه فيما امره فيكون الفضل في الحقيقة في
يد العبد يؤتي نفسه ان شاء والله الموفق وقوله ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك والقنطار ما تقدم ذكره
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك وصف جل وعز وعز اهل الكتاب بعضهم باداء الامانة وبعضهم بالخيانة وليس
المراد من الاية والله اعلم القنطار نفسه او الدينار ولكن وصفهم بان فيهم امانة وخيانة قلت الخيانة او عظمت وكذلك الامانة
الا ترى انه يستحق الذم بدون القنطار والدينار اذا خان وكذلك يستحق الحمد اذا ادى بدون ذلك دل انه لم يرد به التقدير ولكن
على التمثيل وهو كقوله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ليس على ارادة الذرة ولكن على التمثيل لعمل الخير والشر جزاء وان
قل فكذلك الاول وفيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد ولما ذكرنا انه لم يرد القدر الذي ذكره ولكن لمعنى فيه بالاجتهاد يعرف
لا بالنصوص وعلى الشافعي رضي الله عنه ان الدينار مستكثر يحلف عليه مذهبه عند المنبر والله تعالى جعله مستقلا وفيه دلالة
ايضا جواز شهادة بعضهم لبعض وعلى بعض ان كانت فيهم نزلت على ما قاله بعض اهل التاويل لانه وصف عز وجل بعضهم
بالامانة بالمال وان كانت الامانة لهم في الدين والشهادة امانة والله اعلم ويحتمل ان يكون الاية فيمن اسلم منهم وصفوا بالامانة
ومن لم يسلم وصفهم بالخيانة على ما ذكر عز وجل في اية اخرى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وصف عز وجل من
امن منهم بالعدالة والهدى ووصف الكفار بالخيانة في غير اي ثمن القران ويحتمل ان يكون الاية فيما ائتمنوا وفيما جرى بينهم وبين
المسلمين من المداينة من غير رهن ولا كفالة وهو كقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته امرهم باداء الامانة
فيما ائتمنوا وقوله الا ما دمت عليه قائما قيل ملازما مواظبا ملحا دائما متقاضيا ومن عامل من المسلمين الناس هذه المعاملة يخاف
ان يحوله في هذا النهي والوعيد وقوله ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل قالوا ذلك لانهم كانوا يستحلون اموال المسلمين
ظلما يقولون لم يجعل علينا في كتابنا لاموالهم حرمة اموالنا علينا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وارادوا بالاميين العرب
اذ ليس لهم كتاب وقيل ذلك الاستحلال بان قالوا ليس علينا لله فيهم سبيل وارادوا بالاميين المسلمين على ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب وقيل قالوا لا حرج علينا في حبس اموالهم في التورية فاكذبهم الله عز وجل
بقوله ويقولون على الله الكذب بان ليس في كتابهم حرمة اموالهم ولا انهم عليهم سبيل وهم يعلمون انهم يكذبون على الله عز وجل
وقوله بلى من اوفى بعهده يحتمل قوله بلى ردا على قولهم ليس علينا في الاميين سبيل بل عليكم سبيل فيهم ثم ابتداء الكلام فقال
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين اي هؤلاء الذين يحبهم الله لا انتم ويحتمل قوله بلى من اوفى بعهده الذي عليه في التورية
امر باداء الامانة واظهار نعته صلى الله عليه وسلم وصفته التي فيها واتقى محارمه وظلم الناس في ترك الوفاء وفي نقض العهد وصدق
الله ورسوله ولم يكتم نعته وصفته فان الله يحبهم والله اعلم وقوله ان الذين يشترون بعهد الله قيل عهد الله امره ونهيه يحتمل
هذا العهد فيما عهد واليه في التورية ان لا يكتموا نعته وصفته ولكن يظهرون ذلك للناس ويفسرون به وايمانهم ثمنا قليلا ايمانهم
التي حلفوا كذبا ان ليس نعته وصفته فيه مخافة ذهاب منافعهم ويحتمل ان حلفوا كذبا فاخذوا اموال الناس بالباطل والظلم و
على ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وتلا هذه
الاية ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم الاية والعهد والايمان يكون سواء الا ترى الى قوله عز وجل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم
ولا تنقضوا الايمان الاية ويحتمل عهد الله ما قبلوا عن الله وما الزمهم الله والايمان ما حلفوا والله اعلم وقوله اولئك الذين
لا خلاق لهم في الاخرة لا نصيب لهم في الاخرة مما ذكروا ان لهم عند الله من الخيرات والحسنات كقوله حبطت اعمالهم في
الدنيا والاخرة وقوله ولا يكلمهم الله يحتمل وجهين يحتمل انه اراد بذلك كلام الملائكة الذين ياتون المؤمنين بالتحية
والسلام من ربهم لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون الاية وقوله لا يكلمهم

الملائكة على ما يكلم المؤمنين اضاف ذلك الى نفسه على ما ذكرنا فيما تقدم من اضافة النصرانية على الداعة اولباشر فكذلك هذا اوان يكون الله عز وجل كان قد كلمهم بتكليم الملائكة اياهم لانهم رسله فكان كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا حيث يبعث الرسل كان قد كلمهم هو فكذلك الاول ويحتمل ان يكون الله عز وجل يكرم المؤمنين في الجنة بكلامه على ما كلم موسى في الدنيا فلا يكلمهم كما كلم المؤمنين ويحتمل لا يكلمهم بالرحمة سوى لا يقول لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وكقوله ولا ينظر اليهم يوم القيامة وقوله عز وجل ولا ينظر اليهم نظر رحمة كما ينظر الى المؤمنين بالرحمة وقوله ولا يزكيهم اى لا يجعل لخيراتهم ثوابا ويحتمل ان يكون هذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا فقال لا يزكوا اعمالهم وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب اى كانوا يحرفون السنتهم بالكتاب على التعظيم والتبجيل ليحسبوه من الكتاب اى كانوا يحرفون نعته عليه افضل الصلوات وصفته ثم يتلونه على التعظيم والتبجيل ليحسبوه من الكتاب المنزل من السماء وما هو من الكتاب الذي انزل من السما ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله بل هم كتبوا بايديهم وهو كقوله عز وجل فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم يكذبون على الله وان ذلك ليس هو من عند الله وقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة اى ما كان لبشر اختاره الله للذي قال وتبين انهم انما اضافوا دينهم الذي فيه عبادة غير الله الى انبيائهم كذبوا وان الله لا يجعل رسالته عند من يعصيه عن مثله بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته لا يجعلها حيث تخان وتكتم والله الموفق وهذه الاية تنقض على الباطنية قولهم لانهم يقولون ان الله لا يؤتي النفس البشرية الكتاب ولا النبوة انما يؤتي النفس البسيطة وهي الروحانية لما تي تخيل في قلوب الانبياء ويؤيدهم حتى يؤلفوا كقوله نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين فاذا ثبت ذلك في قلوب الرسل الفوا هم الكتب والصحف لا يقدر غير الرسل على ذلك ثم الناس ياخذون ذلك منهم فالاية تكذبهم وترد عليهم قولهم حيث اخبر يؤتي البشر الكتاب والحكم والنبوة بقوله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة وكذلك قال عيسى عليه السلام في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وفي الاية دليل عصمة الرسل والانبياء عليهم السلام عن الكفر بقوله ما كان ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وخاصة في عصمة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وقال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اشرط في المؤمنين اكتساب ما يستوجبون به الاذى ولم يشترط في النبي صلى الله عليه وسلم دل انه لا يكون منه اكتساب ما يستوجب به الاذى ويكون من المؤمنين يشترط فيهم ذلك والله اعلم وقوله ولكن كونوا معناه اى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين وكانه على الابتداء والاستيناف ويقول لهم كونوا ربانيين ثم اختلف في ربانيين قيل متعبدين لله بالذي يعلمون الكتاب وبالذي يدرسون وقيل الربانيين العلماء الحكماء وقيل حكماء علماء وقيل علماء فقهاء وهو واحد ثم فيه دلالة ان الرجل قد يدرس ويعلم اخر بالا يفقه ولا يعلم معناه الا كل من يدرس شيئا ويعلم اخره يكون فقيها فيه ويعرف ما اودع فيه من المعنى وفيه دلالة جواز الاجتهاد لانه انما يوصل الى ما فيه من المعنى بالاجتهاد والله اعلم وقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اختلف فيه قيل ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة اربابا لانهم لون ان الله امرهم بذلك كقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وقيل ان عيسى وعزيرا ومن من ذكر لا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا من دون الله وقد عصمهم بالنبوة وقوله ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون يحتمل وجوها يحتمل ايامركم الله بالكفر بعدما انتم مسلمون له بالخلقة لما تشهد خلقة كل احد على وحدانيته كقوله وله اسلم من في السموات والارض ويحتمل بعد اذ انتم مسلمون اى اسلموا له واقروا به مرة ثم كفروا به بعد ما كانوا مخلصين له ويحتمل قوله بعد اذ انتم مسلمون بعد اذ دعاكم الى الاسلام فاجاب بعضكم وقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الاية قال مجاهد هذا خطاء من الكاتب وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ميثاق الذين اوتوا الكتاب على ما ذكر في اية اخرى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لان الميثاق لا يؤخذ على النبيين ان يصدقوا لكنه يجوز ثم اختلف فيه قيل ميثاق الاول من الانبياء ليصدقن بما جاء به الاخر منهم لو ادركه وقيل اخذ الله ميثاقا على النبيين ان يصدق بعضهم بعضا وان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى قومهم ففعلوا ثم اخذوا مواثيق قومهم ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونعته ويوقروه وينصروه وقيل اخذ الله على النبيين ميثاقا على ان يبلغوا الرسالة الى قومهم ويدعوا الناس الى دين الله قال الكاني فيه بوجهين احدهما يقول ميثاق الذين منهم النبيون وهم بنو اسرائيل وكل ميثاق ذكره الله تعالى في القران في اهل الكتاب فانما يراد به بنو اسرائيل والثاني ذكره كما ذكرنا من تصديق بعضهم بعضا وتبليغ كتب الله الى قومهم وقوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم اخذ عليهم الميثاق بان اخذوا على قومهم المواثيق ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا خرج وينصروه وقوله قال ااقررتم قال الله تعالى للانبياء ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري قيل هو عهدي والاصر قيل هو العهد قالوا اقررنا بالعهد لنؤمنن ولننصرنه واذا اخذنا على قومنا ليؤمنن به ولينصرنه وقال الله تعالى فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين يقول الله تعالى وانا على اقراركم بمحمد عليه الصلوة والسلام من الشاهدين وقيل قال الله فاشهدوا واني قد اخذت عليكم بالعهد وانا معكم من الشاهدين انكم قد اقررتم بالعهد يقول الله تعالى فمن تولى بعد ذلك العهد والاقرار بنقض العهد والرجوع عن الاقرار فاولئك هم الفاسقون وقوله افغير دين الله يبغون الدين كانه يتوجه الى وجوه يرجع اعتقاد المذهب في الاصل ويرجع الى الحكم والخضوع كقوله تعالى افحكم الجاهلية يبغون ويرجع الى الجزاء ثم قوله افغير دين الله يبغون كان كل منهم يبغي دينا هو دين الله ويدعي ان الدين الذي هو عليه دين الله لكن هذا والله اعلم كل منهم في الابتداء ابتغى دين الله في نفسه لكن بان له من بعد وظهر بالايات والحجج انه ليس على دين الله هو الاسلام فلم يرجع اليه ولا اعتقده ولزم غيره بالاعتناد والمكابرة فهو باغ غير دين الله الله اعلم

قال الشيخ رحمه الله في قوله افغير دين الله يبغون اى افغير ما في دين الله من الاحكام والتوحيد ويحتمل افغير دين الله يدينون وليس على الاستفهام ولكن على الايجاب انهم وضيعهم يبغون غير الذي هو دين الله كقوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية وكقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم الاية وقوله تعالى وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل وجوها يحتمل اسلم اى استسلم وخضع له بالخلقة اذ في خلقة كل دلالات وحدانيته ويحتمل وله اسلم من في السموات يعني الملائكة ومن في الارض المؤمنين الذين اسلموا طوعا وكرها يعني اهل الاديان يقرون ان الله ربهم وهو خلقهم كقوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فذلك اسلامهم وهم في ذلك مشركون عن ابن عباس رضي الله عنه قال من في السموات اسلموا طوعا واما اهل الارض فمنهم من اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها مخافة السيف وعن ابن عباس رضي الله عنه ايضا قال طوعا من ولد في الاسلام وكل من اسلم ولم يولد في الاسلام فهو كره وقيل منهم من اسلم طوعا ومنهم من جبروا عليه والاسلام هو تسليم النفس لله خالصا لا يشرك فيها غيره كقوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل الاية دلت الاية انه ما ذكرنا والله اعلم والاسلام هو اسم الخضوع وكل منهم قد خضعوا ولم يجترا احد ان يخرج عليه وقوله قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم الاية هذا والله اعلم وذلك ان اليهود والنصارى لما امنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض كقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض امر الله تعالى المؤمنين ان يؤمنوا بالرسل جميعا فامنوا بهم جميعا وقالوا لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون والاسلام ما ذكرنا والله اعلم وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه اختلف فيه فلن يقبل منه حسنات من بغى غير دين الاسلام في الدنيا وهو كقوله ومن يكفر بالايمان اى بالمؤمن به فقد حبط عمله ويحتمل من ابى بدين سوى دين الاسلام فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين قال الشيخ رحمه الله في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه يحتمل يبتغي يطلب فلن يقبل منه كانه نهى عن ذلك الذي يقصد بالتدين التقرب الى الله تعالى فاخبر ان ذلك لا يقبله لتصرف الطلب الى غير ذلك وذلك كانوا من عبادة الاوثان وغيرها التقربهم الى الله زلفى فاخبر انه لا يقرب لتصرف الطلب الى حقيقة ذلك الدين على الاديان كانت معروفة تابى انفس الكفرة عن قبول اسم الاسلام لدينهم وادعوا ان دينهم هو دين الله فاخبر الله تعالى ان دينه هو الاسلام وان من يبتغي الدين لدين الله به غيره فالله لا يقبل منه والله اعلم ويحتمل الابتغاء الارادة فيكون فيه تحقيق الدين اذ هي تجامع الفعل فكانه قال من دان غير دين الاسلام فلن يقبل منه وان قصد به الله بالدين والله الموفق ايد ذلك قوله وهو في الاخرة من الخاسرين انه قيمن الى تغيره والله اعلم وقوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق الاية فالاية يحتمل وجوها تحتمل ان لا يهدي الله قوما هم معاندون مكابرون فيه غير خاضعين ولا متواضعين انما يهدي من خضع له وتواضع فاما من عاند وكابر فلا يهديه ويحتمل ان هذا في قوم مخصوصين علم الله منهم انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر الله تعالى انه لا يهديهم واما من علم انه يؤمن وتاب فانه يهديهم بقوله الا الذين تابوا واصلحوا الاية اطمع من وقت اختيارهم الضلالة وقيل بالخذلان من الضلالة لا يهديهم اى لا يثبتهم والله لا يهدي القوم الظالمين قال الشيخ رحمه الله ودل قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم ان دين الاسلام هو الايمان وان الكفر مقابلة من الاضداد وكيف يهدي قيل كفرهم وقيل في وقت اختيارهم وقيل ذلك في قوم علم الله انهم لا يؤمنون وكانت همتهم التعنت والمخالفة والله اعلم وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم قالوا ان الهدى البيان والبيان للكل قالوا يتقدم الفعل فلو كان متقدما لكان في ذلك اعطاء الهدى للظالم فاخبر عز وجل انه لا يهدي الظالم وهم يقولون لا بل يهدي الظالم فذلك خروج عليه واما على قولنا فان التوفيق والقدرة انما يكون معه فكان قولنا موافقا للاية قال الشيخ في قوله والله لا يهدي فلو لم يكن الهدى غير البيان فلقد هداهم اذا على قول المعتزلة وقوله اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله وقيل لعنة عذاب الله وقيل لعنة الله هو الاياس من رحمته وعفوه واللعن هو الطرد في اللغة ولعنة الملائكة ما قيل في اية اخرى قوله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا الاية وقيل لعنة الملائكة قولهم لهم ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون الى اخره وقيل يدعوا عليهم باللعن وقيل لعنة المؤمنين قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فذلك لعنهم عليهم وقوله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ملحق على قوله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم ذكر الكفر بعد الايمان ثم ذكر التوبة فقال الا الذين تابوا الاية اطمع لهم المغفرة والرحمة بالتوبة بعد الكفر بقوله فان الله غفور رحيم وما قيل في القصة ايضا ان نفرا ارتدوا عن دين الاسلام ثم تاب بعضهم ولم يتب البعض فنزل الا الذين تابوا الاية وفي الاية دلالة قبول توبة المرتدين لان قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك الاية قيل في القصة وقوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم الاية اختلف فيه قيل قوله كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا اى ماتوا على ذلك فذلك زيادتهم الكفر وقيل ان الذين كفروا بعيسى بعد الايمان بالرسل جميعا ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلوة والسلام لن تقبل توبتهم قيل لن تقبل توبتهم التي تابوا مرة ثم تركوها وقيل لن تقبل توبتهم التي اظهروا بالالسن ولما كان ذلك في قلوبهم اى ليست لهم توبة الا ان يكون توبة منهم فترد كقوله لا تقبل شفاعتهم وقيل هم قوم علم الله انهم لا يتوبون ابدا فاخبر انه لا تقبل توبتهم كقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقيل لا تقبل توبتهم عند الموت كقوله لما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت الاية لا ينفع الايمان في ذلك الوقت فعلى ذلك قوله لن تقبل توبتهم في ذلك الوقت اذا داموا على الكفر الى ذلك الوقت قال الشيخ رحمه الله في قوله ان الذين كفروا

بعدا بما نهم لن تقبل توبتهم ذلك فى قوم مخصوصين اى لا يكون منهم كقوله ولا تقبل لهم شفاعة اى لا شافع لهم شفاعة لهم ويحتمل عند رؤية فعل الله وجزاء فعله عند القيامة ومعاينة الموت يدل على ذلك الاية التى تقدمت وقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا الاية قوله فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به يقول لو كان معهم لافتدوا به انفسهم ما قبل منهم ولكن لا يكون كقوله لا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى لا يكون لهم شفيع لان كان لهم شفعاء يشفعون فلا تقبل شفاعتهم ولكن لا يكون لهم فهذا يدل على ان قوله لن تقبل توبتهم اى لا يتوبون والله اعلم وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له ارايت لو كانت لك ملء الارض ذهبا اكنت مفتديا به فيقول نعم يا رب فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يحتمل ان يكون الاية والله اعلم فى كفار منعوهم عن الاسلام الزكوة والصدقات التى تجب فى الاموال كقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا الاية الى قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون اخبر عز وجل لن تنالوا الاسلام حتى تنفقوا مما تحبون من الاموال وكقوله لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ويحتمل الاية فى المؤمنين رغبهم عز وجل فى انفاق ما يحبون كقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه الاية اخبر ان البر ما ذكر من الايمان به وايتاء المال فى حبه وروى عن انس رضى الله عنه قال لما نزل قوله تعالى لن تنالوا البر الاية قال ابو طلحة يا رسول الله حايطى الذى فى مكان كذا وكذا فهو لله ولو استطعت ان اسره ما اعلنته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعله فى قرابتك او قرابتك وروى عن عمر رضى الله عنه انه لما نزل هذا اعتق جارية ثم اختلف فى البر قيل البر هو الجنة ها هنا وقيل البر هو الاسلام ان كان فى الكافرين وقيل لن تنالوا درجات الجنة وما عند الله من الثواب الا بانفاق ما تحبون وقوله وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم ففيه دليل قبول القليل من الصدقة لانهم كانوا يمتنعون عن قليل التصدق استحقارا فاخبر انه بذلك عليم وان قل بعد ان يكون ذلك لله عز وجل والله اعلم وقوله كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه الاية قال ابن عباس رضى الله عنه وكان الطعام كله حلا لهم الا الميتة والدم ولحم الخنزير الا ما حرم اسرائيل على نفسه يعنى يعقوب حرم على نفسه لحم الابل والبانها وكان احب الطعام اليه ان ثبت ما ذكر فى القصة ان يعقوب عليه السلام اقبل يريد بيت المقدس فلقيه ملك فظن يعقوب انه لص فعالجه يصارعه حتى اتاه الله الفجر فلما اضاء لهما الفجر غمز الملك فخذ يعقوب فهيج عليه عرق النساء فكان يبيت الليل ساهرا من وجعه فاقسم لئن شفاه الله ليحرمن احب الطعام والشراب اليه فان ثبت هذا فهو انما حرم ذلك على نفسه بالاذن من الله عز وجل والامر منه ثم ان اليهود قالوا انما كان تحريم ذلك من الله فى التوراة وفا[؟] من الله تعالى نبيه ان قل لهم فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين ان ذلك التحريم من الله فى التوراة ويحتمل ان يكون التحريم كان بظلم منهم كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات الاية انكروا تحريم ذلك بظلمهم فدعوا باحضار التورية ليظهر كذبهم فابوا ذلك فلا ندرى كيف كانت القصة ولكن فيه اثبات دلالة رسالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بما اسروا واظهر ما كتموا قال ابو يزيد انما قد راحل[؟] الكتاب على تغيير كتابهم والزيادة فيه والنقصان ولم يكن لاحد تغيير القران عن وجهه او زيادة فيه او نقصان منه لان كتبهم تشبه كلام غيره من الحكماء فغيروا بغيره من كلام الحكماء واما القران فهو اية معجزة لم يقدروا على تحريفه ولا تبديله وان علم انه كان كما ذكروا انه فهو والله اعلم ليهتك عليهم استارهم وليظهر منهم ما كتموا وفيه اثبات لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا الاية قد ذكرناه فيما تقدم وقوله ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا قيل فيه بوجهين قيل ان اول بيت مبارك وضع للناس هو بكة وقيل اول مسجد وضع للناس مكة وقيل يريد ببكة البقعة اى اول بقعة خلق الله هو بكة ومنها دحيت الارض وقيل ان ادم عليه الصلوة والسلام لما امر بالحج فيه قال له جبرئيل عليه السلام قد حج فيه الملائكة قبلك بالفى عام وقيل خلق الله البيت قبل الارض بالفى عام ثم اختلف فى قوله بكة الزحام وقيل البكة موضع البيت وسائر القرية وعن ابن عباس رضى الله عنه قال مكة من فج الى التنعيم الى الحرم وبكة من البيت الى البطحاء وقيل بكة الكعبة حيث يبك الناس اى يزحم بعضهم بعضا ما وراءها وقوله مباركا قيل يغفر فيه الذنوب والخطايا وهدى للعالمين فيه ايات بينات يحتمل قوله فيه ايات بينات ما لو تاملوا لاهتدوا وذلك ان الله عز وجل خلق هذا البيت بين الجبال فى ارض ملساء قليلة الانزال والريع لا ماء فيه ولا شجر ولا نزهة مالا يرغب الخلق الى مثله ثم جعل قلوب الناس تميل وتهوى اليه فقدتهم من غيران ان كان فيه ايات بينات ما ذكر مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وذلك ايات والله اعلم وقوله ومن دخله كان امنا اى من فيمن يجنى ثم دخل الحرم امن لان من لم يجن فهو امن من دخل من الحرم وغيره وانما الاية على ما يخص بالامن اذا دخل الحرم دون غيره وقد روى عن جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوافق هذا وروى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اذا اصاب الرجل الحد فى الحرم اقيم عليه وان اصابه غير الحرم ثم لجاء اليه لا يحدث ولا يجالس ولا يواكل ولا يبايع حتى يخرج منه فيؤخذ فيقام عليه الحد وروى عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال لو وجدنا قاتل ابينا فى الحرم لم نقتله وروى عن الحسن رحمه الله انه قال فى قوله ومن دخله كان امنا كان هذا فى الجاهلية فاما الاسلام فلم يزده الا شدة من اصاب الحد فى غيره ثم لجاء اليه اقيم عليه الحد يقال للحسن ان الصيد كان يامن فى الجاهلية ثم الاسلام يرفع ذلك الامن بل كان امن الصيد فى حال الاسلام كهو فى حال الجاهلية فعلى ذلك الامن الذى كان فى الجاهلية هو باق غير زايل فى الاسلام واصحابنا رحمهم الله يذهبون الى ما روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما ولما روى ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار لا يختلى خلاها

ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا يحتش حشيشها اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مكة بعد الاسلام حرام كما كانت قبله وانها لم تحل له الا ساعة من نهار فاذا كان الملتجى اليها قبل الاسلام فالواجب ان يكون امنا بعد الاسلام حتى يخرج منها وحجة اخرى وهو ان الله تعالى اباح لرسول الله عليه الصلوة والسلام قتل المشركين جميعا بل فرض ذلك عليه الا اهل مكة فانه لم يحل له قتلهم الا ساعة من نهار ففضل مكة على غيرها بما خصها به من التحريم فلا يبعد ان لا يقام على من التجا اليها فى الاسلام اذا كانت جنايته اقل من كفر اهلها ولم يحل قتالهم الا ساعة من نهار وفى الفرق من قتل فيها وفى غيرها ثم لجا اليه وجه اخر وهو قول الله تعالى ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم اباح لهم القتل عند المسجد الحرام اذا قتلوا فعلى ذلك يقام الحد اذا اصاب وهو فيه واذا اصاب وهو فى غيره ثم لجاء اليه لم يقم كما لم يقاتلوا اذا لم يقاتلوا وهذا فرق حسن واضح بحمد الله وعونه قال الشيخ رحمه الله فى قوله عز وجل ومن دخله كان امنا يحتمل ان يكون خبرا من الحرم فى قديم الدهر انه كان على ما بين الخلق من القتال والحرب يامنون بالحرم اذا التجوا اليه وذلك كقوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم فيكون ذلك من عظم ايات الله تعالى ان الجاهلية على عظم ما بدلوا من الامور وغيروا من الدين منعهم الله تعالى عن هذا التغيير حتى يتبين لكل من شهده انه ان الله له هذا السلطان وبه قام هذا التدبير العظيم له العلم بحقايق الاشياء ووضع كل شىء موضعه وعلى ذلك قال بعض اهل التاويل فى قوله ذلك لتعلموا ان الله قد جعل شانه ذلك كالامن فى الشرع والطبع فاما الشرع فجاءت الرسل واما الطبع فجا بنا فى الناس حتى سار ذلك الى الصيد الذى يؤذيه الاخذ والى انواع الاشياء التى قامت فانجوهر تلك البقعة من النبات لا بانبات تكسب ولهذا كره بيع رباع مكة ورخص فى بيع ما يحدث فيه من البنيات والله اعلم ودل قوله وجعلنا كذا على لزوم ذلك الحق لانه مذكور بحرف الامتنان والاحتجاج له ولا يجوز تغيير الذى هذا وصفه والله اعلم ويحتمل كان صار امنا اى اوجب له الامان ومعلوم ان الذى لم يلزمه القتل كان امنا دون دخوله فثبت ان ذلك فيمن لزمه واية ذلك قوله ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام فهم قوم فو[؟] سبق منهم الكفر وقت شرع القتل بالكفر لم ياخذهم حق الشرع على ما سبق من الكفر فى وقت لم يكن ذلك جزاء فى الدنيا الا ان يحدث القتال فعلى ذلك من لزمه الا فيه فهو امن به الا ان يكون احدث فيه والله اعلم واصله انه اضاف الامان الى نفسه بقوله كان امنا وكل حق يتلف نفسه فله امان بالدخول فيه وكل حق فى اقامته احياء ما جعلت الحيوة ليقع مثله فهو يقام ليكون زجرا له وتكفيرا على بقاء الامن بقى نفسه وردة الى ما لا بد را انه التجا اليه للهرب عن حكم الله تعالى او الامان بالله ليصل الى اقامة احكام الله تعالى امنا وفى اقامته هذا ايضا والله اعلم وقوله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فرض الله تعالى الحج بهذه الاية على من استطاع اليه سبيلا ولم يبين ما السبيل وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة وهكذا يقول علماؤنا ان الاستطاعة والسبيل هو الزاد والراحلة كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بعض الناس اذا كان بينه وبين الحج بحر لم يلزمه الحج فكانه ذهب الى ظاهر الاية من استطاع اليه سبيلا فجعل البحر واشباهه من بلا الاستطاعة تخالف ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة لان النبى صلى الله عليه وسلم هو المبين عن الله فعلينا اتباعه فى قوله وفعله وتفسيره الاية ولكنا نجعل من يحول بينه وبين البيت معذورا فى التاخير ولا يأثم ان شاء الله اذا لم يقدر على الوصول الى البيت بعلته على جعل التاخير فى غيرها من العبادات عند الاعذار والعلل ولا يأثم فى ذلك ثم فى الاية دلالة ان لا يلزم المراة الحج الا بالمحرم لان المراة وان وجدت الزاد والراحلة فانها تحتاج الى من يركبها وينزلها ولا تقدر على ذلك الا بغيرها وهكذا العرف فيهن فاذا كان كذلك جعل كانها غير واجدة للراحلة والله اعلم وفيه دلالة ان العبد اذا حج ثم اعتق لزمه حجة الاسلام لانه لا يملك الزاد والراحلة فاذا ملك الزاد والراحلة لم يجز ذلك من حجة الاسلام وكذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ايما عبد حج ولو عشر حجج ولو عشر حجج ولو عشر حجج فعليه اذا اعتق حجة الاسلام وليس كالحر الفقير يحج ثم يسير جاز وله من حجة الاسلام ففرقوا بينهما وان كانا فى زوال الحج فى الابتداء سواء وذلك ان الفقير اذا بلغ ذلك المكان صار غنيا ولزمه الفرض لانه لا يحتاج حينئذ الى زاد وراحلة واما العبد اذا حضر ذلك المكان لم يعتق لذلك افترقا وفى ذلك حجة اخرى ما اجمع اهل العلم ان فقيرا لو حضر القتال ضرب له سهم كامل كما يضرب لمن كان فرض الجهاد لازما له ولو ان عبدا شهد الوقعة رضخ له ولم يكمل له سهم الحر فافترق حال الفقير والعبد فى الجهاد والضرب فى السهام فعلى ذلك يفترق حالهما فى الحج والله اعلم وقال بعض اهل العلم ان الشيخ الذى لا يستمسك على الراحلة اذا وجد غيره يحج عنه يلزمه فرض الحج فما ينكر ممن قال فى المراة بمثله فاحتج بما روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابى شيخ ادركته فريضة الحج وهو لا يستطيع ان يتمسك على الراحلة افيجزى ان احج عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان على ابيك دين فقضيته عنه اكان يقبل منك قال نعم قال فالله اولى بحج ابيك او كلام نحوه ولكن ليس فى الخبر ان فريضة الحج انما ادركته فريضة الحج قبل ذلك فكذلك يقول علماؤنا ان الحج اذا وجب فاخر اداءه حتى اعسر لم يسقط عنه الحج وكذلك اذا وجب عليه الحج فلم يحج حتى كبر فصار لا يتمسك على الراحلة عليه ان يوصى ليحج عنه ويحتمل ايضا انه رغبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحج عنه تبرعا الا انه لزمه الحج فى ذلك الوقت الذى لا يثبت على الراحلة وعندنا انه لا يلزمه لانه اذا لم يستمسك على الراحلة فلا راحلة له ثم من قول هذا القائل ان من لزمه فرض الحج فله التاخير وفى التاخير فوت وادراك المنية ومن قوله انه لو اخر حتى مات يصير فاسقا يجعل له رخصة التاخير ثم يفسقه فكان يجعل له الرخصة فى الفسق فذلك قبيح وحشو من القول سمج واما عندنا فانه لا يبيح له التاخير

في اول احوال الامكان على تمام شرط الاختيار كنحو من العبادات التي لزمت من نحو الصلوة والصيام وغيرهما لا يسع التاخير فعلى
ذلك الحج ثم من قول الشافعي رحمه الله ان على الكافر الحج والصلوة والصيام في حال كفره فاذا اسلم سقط ذلك عنه فذلك عندنا
لعب وعبث في دين الله تعالى وتارك غير جائز ان يلزمه فرض في حال لا فعله فاذا جاء سببه الجواز سقط عنه ذلك وفي الآية
دلالة ان الحج انما كان فرضا على المؤمنين خاصة بقوله ومن كفر بالحج فان الله غني عن العالمين فلو كان هو على الكافر كما هو على
المسلم لم يكن لقوله معنى دل انه غير لازم والله امر بالعبادات باسم المؤمنين ثم المسئلة بيننا وبين المعتزلة في الاستطاعة
قالت المعتزلة يكون قبل الفعل لان الله تعالى فرض الحج وامر بالخروج اليه اذا قدر على الزاد والراحلة على ما فسر رسول
الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يقدر لم يلزمه فدل انها تتقدم واما عندنا فهي على وجهين احدهما استطاعة الاسباب
والاحوال والثاني استطاعة الافعال فاما استطاعة الاحوال والاسباب فيجوز تقدمها من نحو الزاد والراحلة
والجوارح السليمة واما استطاعة الافعال فانها لا تكون الا مع الفعل لانها استطاعة الفعل وسببه فلا يكون الا معه
والوقت في الحج لفعل الحج لا للايجاب لانه لو كان للايجاب لكان له ان لا يخرج ولا يأتي ذلك المكان فيجب عليه الحج ولانه
لو لم يلزمه الا بالوقت ثم لا يتمكن فعله بدون المكان فيجئ ان لا يلزمه الا بحضور ذلك فلا يلزمه الخروج ابدا اذ الحج غير
لازم الا بالوقت ولانه ليس على العبد ان يتكلف باكتساب ايجاب العبادات وعليه ان يجهد في اداء الواجب عليه ثم
الاوقات على اقسام ثلاثة وقت الايجاب والاداء جميعا نحو الصلوة والصيام ونحوهما ووقت الايجاب نحو الزكوة ووقت
الاداء وهو الحج انما وجوبه بالزاد والراحلة واما الوقت فهو للاداء خاصة فاما كان في اقصى بلاد المسلمين فهو لم يعط قدر
فعل الحج لانه لا يقدر على فعله اذا كان فيما ذكرنا دل ان قدرة الفعل لا تتقدم الفعل وقدرة الاحوال تتقدم لما ذكرنا و
والله اعلم وقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين في الآية دلالة ان الله عز وجل اذا امر عباده بامر ليس بامر حاجة نفسه
ولا لم حاجة العبد لانه غني بذاته لا حاجة تمسه واما الامر فيما بين الخلق فانما هو لحاجة بعضهم لبعض لتاجر منفعة او دفع مكروه
فذلك معنى قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين ثم اختلف في قوله ومن كفر عن ابن عباس رضي الله ومن كفر قال من زعم انه لم ينزل
وعن الحسن ومن كفر قال من زعم ان الحج ليس بواجب وقيل ومن كفر بالله قال هو الذي ان حج لم يرج ثوابه وان جلس لم يخف عقابه
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال من استطاع اليه سبيلا والسبيل ان يصح بدن العبد وان يكون له ثمن زاد وراحلة من غير ان
يجحف ثم قال ومن كفر يقول ومن كفر بالحج فلم يرجه برا ولا اثمه مأثما ولله على الناس حج البيت دلالة ان احدهما في الوجوب يقول
ولله على الناس وايد ذلك قوله ومن كفر وما جاء من الاثر واتفاق القول والثاني جعل البيت شرطا للقيام لم هو في قوله على الناس
ذلك فيكون فيه دليل لزوم الطواف تفسيره في قوله وليطوفوا بالبيت العتيق وكذلك ايده قوله فمن حج البيت او اعتمر الآية
ايضا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في امرأة نفست احابستنا هي قيل انها افاضت وعلى ذلك اتفاق القول
بلزوم الطواف والله اعلم فلما دل ان الطواف لازم لم يخل اما ان يكون الطواف المبدأ به في الحج او الذي يختم به والذي يبدأ به
لا يلزم كل الناس ثبت ان الفرض هو الذي يختم به وهو قوله من استطاع اليه سبيلا اوجب جعل السبيل اليه والامكان شرطا
لوجوب اداء الآية في ذكر الوجوب لا الفعل وعلى ذلك جميع العبادات جعل الامكان في وجوبها شرطا بالسمع بقوله لا يكلف
الله نفسا الا وسعها وغير ذلك مما ذكر في كل نوع من العبادات من الاستطاعة وكذا حق هذا بالفعل وذلك يخرج على وجهين ه
استطاعة الفعل من القدرة التي تحدث لا محالة ما سلمت الاسباب الا ان يكون ممن منه الفعل الاعراض عنها بالشغل بغير
ذلك الافعال او اشتغال ذلك بالفعل فيكون فوت الاستطاعة بتضييعه ولا عذر بفوت ما كان المكلف يفوته كفوت العلم به
على الامكان وان كان لا يقوم دونه والذي يؤيد ان هذه الاستطاعة ليس بشرط في الايجاب انها لا تبقى ثم محال وجودها
في حال لو اريد اقامة الحج لا يتهيأ وذلك نحو ان يكون في اقصى البلاد من مكة ومعلوم ان القدرة التي بها يكون الفعل ليست
معه ومحال تكليف السبب الذي به يجب الفعل فلذلك لم يجب تكليف بالخروج ولا امر بالحج فكانه يؤمر بتكليف سبب الايجاب
ثبت ان قد يجب الحج لا يملك القوة وكذلك يجوز في الكفارات استعمال الابدال في حال العجز وان كان لا يعلم ان العجز يمتد الى اخر ما يقوم
به الاصل بل على ظهور ان لا يمتد بمضي البدل ثبت ان لا عبرة بفقد قدرة الفعل ووجودها في التكليف والله اعلم والثاني
يراد بالاستطاعة سلامة الاسباب ولا يجوز التكليف دونها بالفعل لانه ممنوع ومحال امر الممنوع عن الفعل به كالاعمى
والمقعد ونحو ذلك والى مثل هذا انصرف شرط الاستطاعة هو اللازم في العقل لما القرب بحق الشكر لما انعم على المأمور فاذا
منع عنه السبب الذي هو النعمة لم يحتمل ان يؤمر بالشكر ولا نعمة والله اعلم وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن ذلك فقال الزاد والراحلة والله الموفق وعلى ما ذكرت يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه وجوب الحج وان
لم يدرك الوقت الذي فيه يقوم الحج على ما لزمه وانه لم يكن اصاب المكان الذي فيه يقام والله اعلم بظاهر الآية مع ما ذكرنا من
الاثر واصله ان الوقت في الحج جعل لجواز الفعل اذ هو لو فات لا يحتمل في غيره وكل فعل يجوز في غير وقته فما يقرب من الوقت
به كان احق بالجواز فاذا لم يجز هذا وجاز في مثله من القابل ثبت انه للجواز لا للوجوب وايد ذلك ما لا يوصف بالقضاء متى
ادى ولو كان في الاول واجبا الوقت الاول لكان في الثاني قاضيا فاذ لم يكن ثبت انه ليس لوجوبه وقت والله اعلم وقوله
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وايات الله ما ذكرنا فيما تقدم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالقران والحج والله ه
شهيد على ما تعملون هو حرف وعيد وتنبيه ينبههم عن صنيعهم ليكونوا على حذر من ذلك وقوله لم تصدون عن سبيل الله من
امن تبغونها عوجا يحتمل قوله لم تصدون عن سبيل الله من امن من الاتباع الذين كان ايمانهم ايمان بالعقل لان من كان
ايمانه ايمان بالعقل فهو لا يصرف ولا يصرف عنه ابدا لما عرف حسن الايمان وحقيقته بالعقل فهو لا يتركه ابدا واما من كان

ايمانه ايمان

ايمانه ايمان تقليد فلم يكن ايمانه ايمان حقيقة فمثله يصد عنه الا ان من يمن الله عليه فيشرح صدره حتى يكون على نور منه وذلك
لاحد وجوه اللطف والمقلد غير معذور لما معه ما لو استعمله لاوضح له الطريق واراه قبح ما لزم من التقليد والله الموفق ويحتمل قوله
لم تصدون عن سبيل الله من امن اي لم تقصدون قصد صدهم عن سبيل الله وهم لا يرجعون الى دينكم اياس منه اياهم عن
ان يرجعوا عن دينهم الذي عليه كقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فيه اياس الكفرة عن رجوع المسلمين الى دينهم
وقيل كانوا يصرفون المؤمنين عن الحج وقوله تبغونها عوجا والعوج هو غير طريق الحق وهو الزيغ والنفوج عن الحق وقوله
وانتم شهداء وانتم تشهدون واحد وفي حرف حفصة رضي الله عنه وانتم شهداء على الناس وقوله وما الله بغافل عما تعملون
هو حرف وعيد وتنبيه لان من علم ان عليه رقيب وحافظ يكون احذر واخوف ممن لم يكن عليه ذلك قال الشيخ رحمه الله وفيه
انه لا غفلة بالذي يكون منكم بخلقكم ولكن على علم لتعلموا انه لا لحاجة خلقكم بل لاظهار الغنى والسلطان جل جلاله دعم
نواله وقوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الآية الآية يحتمل وجوها احدها معلوم ان المؤمنين
لا يطيعون الكفار بحال في الكفر ولكن معناه والله اعلم ان يدعوهم الى شيء لا يعلمون ان في ذلك كفر نهاهم ان يطيعوهم
وفي كل ما يدعوكم اليه كفروا انتم لا تعلمون ويحتمل النهي عن طاعتهم نهاهم عن ان تطيعوهم وان كان يعلم انهم لا يطيعون
هم كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم في غير اي من القران كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين فكذلك
هذا قال الشيخ رحمه الله ويشبه ان تكون الآية في عرض امور عظام ترغب فيها ليكفروا بها فحذر عن ذلك بما تبين من الاعتناء
ولخار في امر اخرى لتعلموا ان ذلك تجارة تخسر وقد كانت لهم ولاهل كل دين ومذهب هذا الاعتناد والله اعلم و
على ذلك قوله وكيف تكفرون على ان الذي داكم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي للعقول وروح الابدان نماء وعدوه مع شؤمه
والله اعلم وقوله وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وهو على وجه التعجب ظاهره ولكنه على طلب الحجة في كفرهم وفيكم
رسوله يدفع عنكم الشبهة التي عرضت لكم بالقاء الكفار اليكم ومن يعتصم بالله اي من جعل الله عز وجل ملجأ له ومفزعا
اليه عند الشبه والاشكال فقد هدي الى صراط مستقيم اي يحفظه عن الشبه ويرشده الى صراط مستقيم والله اعلم
ويحتمل ومن يعتصم بالله يتمسك بالذي جاء من القران فقد هدي الى صراط مستقيم وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
حق تقاته روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حق تقاته ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر ولا ينسى واراد حق تقاته
مما يحتمل وسع الخلق وروي عن انس رضي الله عنه يقول لا يتقي الله احد حق تقاته حتى يخزن من لسانه ويعد كلامه من عمله
واتقوا الله اطيعوا الله حق طاعته وقيل ان هذا نسخها قوله اتقوا الله ما استطعتم الآية لكن لا يحتمل ان يأمر الخلق بشيء
ليس في وسعهم القيام به ثم نسخ ذلك بما يستطاع ولكن اصله ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله
على عباده حقا ولعباده عليه حقا وحق الله على عباده ان يعبدوا الله ولا يشرك غيره فيه وحق العبد على الله ان يدخله
الجنة اذا عبده ولم يشرك غيره فيه احدا فيكون هذا تأويل الآية ان قوله اتقوا الله ولا تكفروا فيكون فيه الامر بالايمان
والنهي عن الكفر لانه ليس في وسع احد ان يتقي الله حق تقاته في كل العبادة الا ترى الى ما روي من امر الملائكة معا ووصفوا من عبادتهم انهم
لا يفترون ولا يسأمون ثم يقولون ما عبدناك حق عبادتك واذا كان احد لا يبلغ ذلك فلا يحتمل تكليف مثله وجملته
ان ذلك ليس بذي حد وغاية فذلك والله اعلم الامر فيه راجع الى الاسلام او في نفي حق الاشراك خاصة لا في جميع الاحوال
والافعال دليله ما ختم به وفي وسع الخلق ان لا يشركوا احدا في عبادته الا ترى انه قال ولا تموتن الا وانتم مسلمون وفي
ظاهر الآية النهي عن الموت الا مسلما وليس الموت صنع الخلق والمعنى والله اعلم اي كونوا في حال اذا ادرككم الموت كنتم مسلمين
فالنهي فيه نهي عن الكفر والامر بالاسلام حتى اذا ادركه الموت ادركم وهو مسلم والله اعلم وقد يكون على بيان ان لا عذر
عند الموت وان اشترا مره بالذي ليس باسلام وروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال اكثر ما يسلب الايمان عند الموت
كان الشيطان يطمعه في امر لو اعطاه ما طلب ويحتمل قوله اتقوا الله حق تقاته اي احذروا عذاب الله حق حذره واحذروا
وانتمته كقوله يحذركم الله نفسه بمعنى نقمته وقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا اختلف فيه قيل حبل الله يعني القران
وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال حبل الله الجماعة وانما هلكت الامم الخالية بتفرقها
امر بالكون مع الجماعة ونهي عن التفرق لان اهل الاسلام هم الجماعة الا ترى انه قال في اية اخرى وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وصف اهل دين الاسلام بالجماعة واهل الاديان غيرها بالتفرق وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ايضا قال حبل الله الجماعة وروي في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من فارق
الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه يعني حبل الاسلام وروي عنه ايضا ان للشيطان ذئبا كذئب الغنم
يأخذ الشاذة والقاصية واياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة وهذا المسجد وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
دعاني النبي صلى الله عليه وسلم ليلة ثلاث مرات ثم قال يكون في امتي اختلاف قلت كيف نصنع يا رسول الله اذا كان كذلك قال عليكم
بكتاب الله فان فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وهو حكم فيما بينكم من يدعه من جبار يقصمه الله ومن ترك طلب في غيره يضله
الله وهو حبل الله المتين وامر الحكيم فهو الصراط المستقيم وهو الذي لا يختلف فيه الالسنة ولا يخلقه كثرة الرد ولا تنقضي
عجائبه وقيل الله دين الله والحبل هو العهد كانه امر بالتمسك بالعهود التي في القران والقيام بوفائها والحفظ لها ونهى عن التفرق
الامم الخالية واختلفت في الاديان وقوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل
الف بين قلوبكم بالاسلام وقيل بالقران ولم يكن ذلك للدين بنفسه ولكن بلطف من الله من به على اهل دينه واخبر ان التاليف
بين قلوبهم نعمة لان التفرق يوجب التباغض والتباغض يوجب التقاتل وفي ذلك التفاني وعلى قول المعتزلة ليس من الله

شذ عنه يشذ ويشذ شذوذا انفرد عن الجمهور وندر فهو شاذ

الشعب بالكسر الطريق في الجبل والجمع الشعاب

على المسلم من النعمة الا ومثلها يكون على الكافر لان الهدى والتوفيق عندهم البيان فذلك البيان للكافر كهو للمسلم وعلى قولهم لا يكون من الله على احد نعمة لانهم لا يجعلون لله في الهدايات فعلا انما ذلك من الخلق واما عندنا فانما يكون الاسلام بهدايته اياه فذلك من اعظم النعم عليه وقوله فاصبحتم بنعمته اخوانا اي صرتم بنعمة اخوانا وقوله وكنتم على شفا حفرة من النار اي كنتم اشفيتم حفرة من النار وهو القريب منها لولا انه من بالاسلام ويحتمل ان يكون على الكون فيها والوقوع لا القرب كقوله لترون الجحيم ليس على الرؤية خاصة ولكن على الوقوع فيها وكقوله ذوقوا العذاب ليس على البعد منها ولكن على الكون فيها ومثله كثير يترجم على الوقوع فيها وقوله حفرة كانه قال كنتم على شفا درك من دركات النار فانقذكم منها وهذا ايضا على المعتزلة لان على قولهم هم الذين ينقذون انفسهم لا الله على ما ذكرنا والله اعلم قال الشيخ رحمه الله تعالى يقول اذ كان الله تعالى عندهم قد جمع بين الكفرة والبررة في بذل الاصلح لهم في الدين وليس منه غير ذلك فلا يجوز ان يمن عليهم به تتألف بنعمته والتي منه موجود مع التفرق بل اولئك تالفوا بنعمتهم وبعد فان النعمة لو كانت دينا فالذي كان منه حتى يمن وذلك فعلهم بلا فضل منه فيه والله اعلم وفي قوله وكنتم على شفا حفرة الاية ان قد يلزم خطاب الايمان حين لعفرة لانهم في ذلك الوقت كانوا حتى انقذوا والله الموفق وقوله كذلك يبين الله لكم اياته اذ كنتم اعداء في الجاهلية والكفرة متفرقين وصرتم اخوانا في الاسلام كلهم واحدة لعلكم تهتدون لكي تعرفوا نعمته ومنته قال الشيخ رحمه الله وقد يكون كذلك يبين الله لكم اياته في جميع الاوقات لتكونوا فيها مهتدين كما اهتديتم فيكون في ذلك وعد التوفيق والبشارة بالثبات والله اعلم وقوله ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله وقوله ولتكن منكم امة يحتمل ان يكون هذا خبرا في الحقيقة وان كان في الظاهر امرا نان كان خبرا ففيه دلالة ان جماعة منهم اذا قاموا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سقط ذلك عن الاخرين لانه ذكر فيه حرف التبعيض وهو قوله منكم امة الاية ويحتمل ان يكون على الامر في الظاهر والحقيقة جميعا ويكون قوله منكم صلة فان كان على هذا ففيه ان على كل احد ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وذلك واجب كانه قال كونوا امة يامرون بالمعروف الاية لانه ذكر عز وجل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في اي كثيرة من كتابه منها امة الاية ومنها قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون وينهون عن المنكر وذم من تركهما بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وروي عن عكرمة ان ابن عباس رضي الله عنهما قال له قد اعياني ان اعلم ما فعل بمن امسك عن الوعظ فقلت انا اعلمك ذلك اقرا الاية الثانية وانجينا الذين ينهون عن السوء فقال لي اصبت فاستدل ابن عباس رضي الله عنه بهذه الاية على ان الله اهلك من عمل السوء ومن لم ينهه عنه ممن يعمله فجعل والله اعلم الساكتين عن نهي الظالمين مع الظالمين في العذاب وقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب وعن جرير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليكون في القوم ويعمل فيهم بمعاصي الرحمن وهم اكثر منه واعز ولو شاؤوا ان ياخذوا على يده فيرهبوا له فيعذبهم الله به وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لتامرون وتنهون عن المنكر او ليبعثن الله عقابا من عنده ثم لتدعونه ولا يستجيب لكم وعن ابي سعيد الخدري يذكر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسال العبد يوم القيامة حتى يقول ما منعك اذ رايت منكرا ان تنكره فاذا الله لقى عبدا حجته فقال اي رب وثقت بك وفرقت من الناس وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال اجتمع نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ارايت ان قلنا بالمعروف حتى لا يبقى من المعروف الا ما عملنا به وانتهينا عن المنكر حتى لا يبقى ايسعنا ان لا يامر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر فقال مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه ولا ينبغي للرجل ان يقول لست ممن يعمل بالمعروف كله وينتهي عن المنكر كله فامر غيري وانهاه فان فعله المعروف واجب عليه فلا يجب اذا قصر في واجب ان يقصر في غيره وقوله كنتم خير امة اخرجت للناس يحتمل وجوها يحتمل كنتم اي صرتم خير امة اظهرت للناس بما تدعو الخلق الى النجاة والخير ويحتمل كنتم خير امة في الكتب السالفة بانكم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ويحتمل تكونون خير امة ان امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ويحتمل كنتم صرتم خير امة وكانوا كذلك هم خير ممن تقدمهم من الامم بما بذلوا مهجهم لله في نصر دينه واظهار كلمته والاشفاق على رسوله حتى كان احب اليهم من انفسهم ويرونه اولى والله الموفق ثم اختلف في المعروف والمنكر قيل المعروف كل مستحسن في العقل فهو معروف وكل مستقبح فيه فهو منكر ويحتمل الامر بالمعروف هو الامر بالايمان والنهي عن المنكر هو النهي عن الكفر دليله قوله وتؤمنون بالله الاية يؤمنون ويامرون غيرهم بالايمان وينهون عن الكفر وقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الاية التفريق هو سبل الشيطان بقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله من بعد ما جاءهم البينات والبينات هي الحجج التي بها ذكر بيان ما في كتابهم من صفة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ونعته الشريف ويحتمل تفرقوا عما نهيج لهم الله واوضح لهم الرسل فابتدعوا لانفسهم الاديان بالاهواء محذرنا ذلك وعرفنا ان الخير كله في الاتباع من جعله الله حجة له ودليلا عليه وداعيا اليه ولا قوة الا بالله واولئك لهم عذاب عظيم دل هذا ان السبل هو الذي يدعو الشيطان اليها وقوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الاية وصف الله عز وجل وجوه اهل الجنة بالبياض لان البياض هو غاية ما يكون من الصفا لان كل الالوان يظهر في البياض ووصف عز وجل وجوه اهل النار بالسواد فهو شبيه بالظلمة وقد يحتمل ان يكون المراد من وصف البياض والسواد ليس بنفس البياض والسواد ولكن البياض هو كناية عن شدة السرور والفرح والسواد كناية عن شدة الحزن والاسف

كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووصف وجوه اهل الجنة بالضحك وليس على حقيقة الضحك ولكن وصف بغاية السرور والفرح وكذلك وجوه اهل النار وصفها بالغبرة والقترة وهو وصف لشدة الحزن والله اعلم وقوله اكفرتم بعد ايمانكم يحتمل وجوها يحتمل اكفرتم بعد ما امنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بوجودكم نعته وصفته في كتابكم وعلى هذا قال بعض اهل التاويل والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له اي على استجابة كثير منهم من الجهلة والكبراء الذين لا يعرفون بالتعنت في الدين ولا بالتقليد والله اعلم ويحتمل قوله اكفرتم انتم بعد امن منكم فرق لان منهم من قد امن ومنهم من كفر فقال لمن كفر اكفرتم وقد امن منكم نظر الاخرى انه قال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق والله اعلم وكقوله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة وقيل اراد بالايمان الذي قالوا حين اخرجوا من ظهر ادم وفي الاية رد قول المعتزلة بتخليد اهل الكبائر في النار واخراجهم اياهم من الايمان من غير ان ادخلوهم في الكفر لانه عز وجل لم يجعل الا فريقين بياض الوجوه وسواد الوجوه فبياض الوجوه هم المؤمنون وسواد الوجوه هم الكافرون لانه قال اكفرتم فاصحاب الكبائر لم يكفروا بارتكابهم الكبيرة ولم يجعل الله تعالى فرقة ثالثة وكذلك قال عز وجل فريق في الجنة وفريق في السعير لم يجعل للخلق الا فريقين وهم جعلوا فرقا وكقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فان قيل ذكر في الاية الكفر بعد الايمان ثم لم يكن فيه منع دخول من لم يكفر بعد الايمان فامتنع ان لا يكون فيه منع دخول صاحب الكبيرة فجوابنا ما سبق ان خلقة كل كافر تشهد على وحدانية الله تعالى لكنهم كفروا بالسنتهم وذلك كفر بعد الايمان فلم يجز ان يدخل في الاية من لم يكن كافرا في حكم الكفار وبالله التوفيق وقوله فذوقوا العذاب في الظاهر امر لكنه في الحقيقة ليس بامر لان العذاب لا يذاق وانما يذوق هو كما قال تعلموا ان عليكم العذاب وقوله تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق الاية يحتمل ايات التوراة وغيرها ويحتمل ايات القران بالحق ببيان الحق ويحتمل بالحق بالدين والدين هو الحق قال الشيخ رحمه اي بالامر بالدعاء الى الحق ويحتمل بالذي لله على عباده ولبعضهم على بعض وقوله وما الله يريد ظلما للعالمين والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فاذا كان ما في السموات وما في الارض كله له ومن وصف في الخلق بالظلم انما وصف لانه يضع حق بعض في بعض ويمنع حق بعض فيجعل لغير المحق فالله تعالى عن ذلك وقوله وما الله يريد ظلما للعالمين اي لا يريد ان يظلمهم وان شئت قلت الارادة صفة لكل فاعل في الحقيقة فكانه قال لا يظلمهم فكيف يظلم وانما يظلم ليقع تسرع اليه النفس ومنه يدفع به فالغني بذاته متعال عن ذلك وقوله والى الله ترجع الامور اي اليه يرجع امر كل احد فلا يحتمل الظلم وجود الظلم منه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس لانفسهم للناس وتامرون بالمعروف اي تامرونهم ان يشهدوا ان لا اله الا الله والاقرار بما انزل الله وتعاملون عليه ولا اله الا الله هو اعظم المعروف والمنكر هو التكذيب فهو انكر المنكر وعن علي رضي الله عنه انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء قلنا يا رسول الله وما هو قال نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل التراب لي طهورا وجعلت امتي خير الامم قال الشيخ رحمه الله كنتم خير امة اخرجت له وجهان اي كنتم على السن الرسل في الكتب المتقدمة خير امة ويحتمل اي كنتم صرتم بايمانكم رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعكم ما معه خير امة على وجه الارض لانهم امنوا ببعض وكفروا ببعض وقوله تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر يتوجه الى وجوه ثلاثة المعروف هو المعروف في العقول اي الذي يستحسنه العقول والمنكر هو الذي قبحته العقول وانكرته ويحتمل ان يكون المعروف هو الذي عرف بالايات والبراهين انه حسن والمنكر ما عرف بالحجج اي انه قبيح ويحتمل ان المعروف هو الذي يجري على السن الرسل انه حسن والمنكر هو الذي انكروه فنهوا عنه فعلى هذه الوجوه يخرج تاويل الاية والله اعلم وقوله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم لا شك ان الايمان خير لهم من الكفر ولكن معناه والله اعلم انهم انما ابوا الايمان وتمسكوا بالكفر لوجهين احدهما انهم كانوا اهل عز وشرف فيما بينهم واهل دراية الكتب ينتاب اليهم الناس ويختلفون اليهم بحوائجهم فخافوا فوات ذلك عنهم اذا امنوا فاخبر الله عز وجل انهم ان امنوا لكان خيرا لهم من الذكر والشرف والعز في اهل الايمان اكثر مما لهم في اهل الكفر الا ترى ان من امن منهم من دراية الكتاب وعلمائهم كان لهم من الذكر والشرف في الايمان ما لم يكن لاحد مات منهم على الكفر نحو عبد الله بن سلام ومن اسلم منهم نحو كعب وغيره من الاحبار وانما كانوا من علمائهم لم يكونوا من علماء اهل الايمان فنالوا بالايمان من الذكر والعز والشرف ما لم ينل احد منهم مات على الكفر بل خمل ذكرهم وانتشر علمهم وفضلهم في اهل الايمان والاسلام والله اعلم والثاني انهم كانوا ابوا الاسلام واتباع محمد صلى الله عليه وسلم واختاروا المقام على الكفر خوفا واشفاقا على ما لهم من المنافع والمنال يذهب ذلك عنهم بالاسلام فاخبر عز وجل انهم لو امنوا لكان خيرا لهم في الاخرة اذ ذاك ينقطع ويذهب عن قريب والذي لاهل الايمان في الاخرة باق دائم لا يزول ابدا لما كان الذي ينال بالايمان غيب وكذلك ما عجل بالكفار من جزاء الكفر غيب اشتد عليهم الكفر والتدبر فلا يمنعهم عن الشهوات وينغص عليهم اللذات فاثروا ما هو تمتع انفسهم وتلذذوا به على التدبر معا كان ادراك الغايب بالشاهد امر عسير لا يوصل اليه الا بفضل الله ولم يكن عليه ذلك لا يسقط معنى الافضال والانعام ويصير حقا معا كان منهم بتقديم الجفاء وايثار زهرة الدنيا وبهجة الغنى على الموعود والله وقوله منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون كذلك كانوا كان المؤمنون اقل والكفار اكثر والله اعلم وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين والامن لهم عن اذى المشركين وضررهم الا الاذى باللسان وهو كقوله تعالى لتسمعن من الذين اوتوا الكتاب وقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم الاية ونحوه من الايات التي فيها بشارة لاهل الايمان بالنصر لهم على عدوهم وفي قوله لن يضروكم الا اذى الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر بذلك قبل ان يكون فكان على ما اخبر فدل انه انما

علم ذلك بالله عزّ وجل وقوله ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ضربت عليهم
المسكنة وليس فيه الذلة وفي حرف حفصة ضربت عليهم المسكنة والذلة ثم اختلف في الذلة قيل هي الجزية التي ضربت عليهم
وهي ذلة كقوله عن يد وهم صاغرون لانهم كانوا يانفون عنها وقوله اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل من
الناس يعني بعهد من الله وعهد من الناس يكون تحت قوم يؤدون الجزية وكذلك تاول ابن عباس رضي الله عنه بحبل
من الله وحبل من الناس اي بعهد من الله وعهد من الناس وقال مقاتل رضي الله والناس في هذا الموضع النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم خاصة ويحتمل قوله وضربت عليهم الذلة بكفرهم فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل ذكر وشرف وعز فيما
بينهم اينما ثقفوا اي لا يوجدون الا بحبل من الله وحبل من الناس بالاسلام اي لا يظفرون بهم ولا يوجدون الا كانت
تسليم الخوف فيهم على انفسهم وقوله وباؤا بغضب من الله قيل استوجبوا غضبا من الله بكفرهم وقيل رجعوا وقيل وجب
عليهم الغضب وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم وقوله وضربت عليهم المسكنة وهي الحاجة والفقر وهو ما ذكرنا
انهم ظاهروا المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قربهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدهم بالمشركين
فاذل لهم الله تعالى بذلك وجعلهم اهل حاجة وضعة فيما بين المسلمين بعد ما كانوا اهل عز وشرف فيما بينهم وهو كقوله
وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب الاية قال الشيخ رحمه الله وقد يحتمل رجوع
الاية الى خاص وهم الذين ذكر الله في قوله وانزل الذين ظاهروهم الاية وغير ذلك تما بصيرته المسلمون نعرف حقيقة المراد
من شهد النوازل وعرف الاسباب التي جاءت البشارات ويحتمل ان الله تعالى جعل كل حاجتهم الى ما يغني وهو الدنيا التي
لا بقاء لها ولا منفعة في الحقيقة فهي حاجة ثم بما فيهم بالجهل ان ذلك فيهم حاجة ويحتمل ان الله مع ما وسع عليهم الدنيا
جعل في قلوبهم خوف الفقر واعظم الحاجات فهي المسكنة وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله والايات الله ما ذكرنا في
غير موضع وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق يحتمل وجوها يحتمل ان اوائلهم
قد قتلوا الانبياء بغير حق وهؤلاء رضوا بذلك وان كانوا لم يتولوا هم بانفسهم فاضاف الله تعالى ذلك اليهم لانهم
شركوا في صنيعهم برضاهم وهو كقوله من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا ويحتمل ان يكونوا قصد قتل محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا قصدوا ذلك فكانهم قصدوا الانبياء كلهم كما ذكرنا في قوله من قتل نفسا الله ويحتمل
ان يكونوا هموا قتل محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون غيرهم بانهم اذهم قلدوهم في الدين فيتبين سوء صنيعهم بالانبياء
عليهم السلام ليعرفوا به سفههم وسفه كل من قصد تقليدهم والله اعلم ويحتمل ان يكونوا قتل اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
فاضاف اليه وهو كما اضاف اليه وهو كما اضاف مخادعتهم المؤمنين الى نفسه وكما اضاف نصر اوليائه اليه وان كان الله
لا يخادع ولا ينصر فعلى ذلك اضافة القتل اليه لقتلهم الاتباع والله اعلم وقوله ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة
قائمة يتلون ايات الله الاية اي لا يستوي من امن منهم يعني من اهل الكتاب ولم يؤمن منهم لان منهم من قد امن فصار
امة قائمة قيل عدلة كقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقيل امة قائمة على حدود الله وفرائضه
وطاعته وكتابه لم يحرفوه وقيل امة قائمة مهتدية وهم الذين امنوا منهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال امة
قائمة يتلون ايات الله اناء الليل واطراف النهار امة محمد صلى الله عليه وسلم يصلون ولم يكن هذا للامم السالفة وفي حرف
حفصة ليس اهل الكتاب ليسوا منهم امة قائمة كقوله تعالى افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون اما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فلهم كذا واما الذين فسقوا فماواهم النار الاية وقوله وهم يسجدون يحتمل قوله وهم يسجدون
ان يصلون ويحتمل يسجدون ويخضعون والسجود هو الخضوع يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف اي يؤمنون
بانفسهم ويامرون غيرهم بالايمان ويدعون اليه وينهون عن المنكر يعني الكفر ويحتمل يامرون بالمعروف كل معروف
وينهون عن المنكر كل منكر وقد ذكرنا هذا ويسارعون في الخيرات كلها واولئك من الصالحين وقيل مع الصالحين في
الجنة قال الشيخ رحمة الله عليه اي ومن ذلك فعله فهو صالح وقوله وما تفعلوا من خير فلن يكفروه اي لن يرد ذلك
عليكم بل يقبل بل تجزون به في الاخرة قال الشيخ رحمه الله اي كيف نكفره وهو الشكور الذي يقبل اليسير ويعطي
الجزيل وهو في حرف حفصة فلن تتركوه اي لن تتركوه دون ان يجزوا عليه وان قل ذلك كقوله وان تك حسنة
يضاعفها معناه والله اعلم ما ذكر ولن يتركم اعمالكم وقيل لن يظلمكم وقيل لن ينقصكم وقيل فلن يضل عنكم بل يشكر ذلك
لهم يعني فلن يضيع عند الله والله اعلم والله عليم بالمتقين ظاهر وقوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا قال الشيخ رحمة الله عليه فهو والله اعلم ان يمثله يكون التناصر في الدنيا لكن الذي كان فيها لا ينفع في الاخرة
بل يكون كما قال الله عز وجل يوم يعز المرء الاية لا مال له ثم ولا لو كان فينفع وذلك انهم ظنوا ان كثرة الاموال والاولاد
تمنعهم من عذاب الله كقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فاخبر عز وجل ان كثرة الاموال والاولاد
والاولاد لا تغني عنهم من عذاب الله شيئا وقوله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها
صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم ضرب مثل نفقة الكفار التي انفقوها بريح فيها صر اصاب حرث قدم وذلك
والله اعلم انهم كانوا ينفقون ويعملون جميع الاعمال من عبادة الاصنام والاوثان ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ظنوا ان تلك الاعمال والنفقات التي انفقوها في الناس تنفعهم في الاخرة وتقربهم الى الله فاخبر انها لا تنفع
فكان كالريح التي فيها صر وظنوا ان فيها رحمة وشيئا ينفع زروعهم ويجنونها فاذا فيها نار احرقت حرثهم كالمعو
من اعمالهم ونفقاتهم التي في الدنيا بالاخرة قربة وزلفة اليه فاذا هي مهلكة لا بد انهم كالريح التي فيها صر كانت مهلكة

محرقة

محرقة الزروعهم وحرثهم والله اعلم والصر هو البرد الشديد وقيل الصر الصوت كقوله فاقبلت امراته في صرة
فصكت وجهها وقيل هي الصوت وقيل مثل ما ينفقون في الصد عن سبيل الله في قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كقوله الذين ينفقون اموالهم ليصدوا الاية اي يتاسفون على ما انفقوا تاسف صاحب الزرع على ما كان انفق فيه والله
اعلم وقوله وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون والظلم ما ذكرنا هو وضع الشيء في غير موضعه فهو والله اعلم قال هم
الذين وضعوا انفسهم في غير موضعها لان وضع الله انفسهم ذلك الموضع لانهم عبدوا غير الله ولم يجعلوا انفسهم
خالصين سالمين لله فهم الذين ظلموا انفسهم حيث اسلموها لغير الله وعبدوا دونه فذلك وضعها في غير موضعها لان
موضعها سوضعها هو ان يجعلوها خالصة لله سالمة له وقيل ما ضروا الله بعبادتهم غيره وبكفرهم به انما ضروا انفسهم
اذ لا حاجة له الى عبادتهم والله الموفق قال الشيخ رحمة الله تعالى عليه تقديم وتاخير واصل ذلك ان الله قد وضع كل نفس
الخلقة بموضع العبودة فجعلوها عبدة غيره وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اختلف فيه قيل نهى
الله المؤمنين ان يتدخلوا المنافقين ويؤاخوهم او يتولوهم دون المؤمنين وقيل في حرف حفصة لا تتخذوا بطانة من دون
انفسكم يعني من دون المؤمنين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال نهى الله المؤمنين ان يتخذوا اليهود والنصارى والمنافقين
بطانة دون اخواتهم من المؤمنين يحدثونهم ويفشون اليهم سرهم دون المؤمنين والبطانة قيل هم الاخوان ويجعلونهم موضع
افشاء سرهم قال الشيخ رحمة الله والنهي عن اتخاذ الكافر بطانة لوجهين احدهما العرق به اذ كل يعرف من يصبه والثاني الميل
اليه بما يريه عدوه انه حسن العشرة وحسن الصحبة مما فيه الاسقاط عما به سبقا ان على امر الدين والاغفال عن حقه وقوله
لا يالونكم خبالا يقولون لا يتركون جهدهم في فساد امركم وقوله ودوا ما عنتم اي يودون ويتمنون ما اثمتم قال الشيخ
رحمه الله اي ودوا ان تشاركوهم في اشياء يؤثمكم ويبعثكم عليه وقيل العنت الضيق اي ذلك قصدتم كالاية التي نتلوهم
وقوله قد بدت البغضاء من افواههم من قال ان اول الاية في المنافقين يقول قوله قد بدت البغضاء من افواههم
ما ذكر في اية اخرى ولتعرفنهم في لحن القول انهم كانوا يعرفون المنافق في لحن كلامه قال الشيخ رحمة الله في قوله قد بدت
البغضاء من افواههم ما كان من التفريق بقوله ان الناس قد جمعوا لكم واظهار السرور بمحنتهم وان منكم ليبطئن الاية
وقوله وما تخفي صدورهم اكبر وذلك كانوا يظهرون الموافقة لهم ويضمرون العداوة والخلاف لهم والسعي في هلاكهم
بما كانوا يضمرون اكثر مما يظهرون ومن قال بان الاية في الكفار فهو ظاهر وقوله قد بدت البغضاء من افواههم
من الشتيمة والعداوة ويضمرون اكثر من ذلك من الفساد والشرور والله اعلم وقوله قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون
يحتمل قوله ان كنتم تعقلون الايات يحتمل ان كنتم تنتفعون بعقولكم لان الله عز وجل ذكر في غير اي من القران انهم لا يعقلون
قد كان لهم عقول لكنهم لم ينتفعوا فنفى عنهم العقل راسا وقوله ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم من قال ان اول الاية في
المنافقين فهذا يدل له وليشهد لانه قال واذا لقوكم قالوا امنا الاية يقول ها انتم يا هؤلاء المسلمين تحبونهم بمعنى المنافقين
ولا يحبونكم على دينكم قال الشيخ رحمة الله وفي الاية وفي الاية بيان ان اولئك قوم يحبهم المؤمنون اما بظاهر الايمان
او بظاهر الحال منهم من طلب مودتهم فاطلع الله المؤمنين على سترهم لئلا يغتروا بظاهرهم وليكون حجة لهم ولرسول
الله صلى الله عليه وسلم بما اطلعه الله على امرهم والله اعلم ومن قال ان اول الاية في الكفار يجعل قوله ها انتم اولاء تحبونهم
ولا يحبونكم على الابتداء والقطع من الاول لانه وصفهم بصفة المنافقين وسمهم سمتهم وليس في الاول ذلك
وقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم هو على التمثيل يقال عند شدة الغضب فلان يعض انامله
على فلان وذلك اذا بلغ الغضب غايته قال الشيخ رحمة الله في قوله قل موتوا بغيظكم ان ما كان يغيظهم ما كان للمسلمين من
السعة والنصر والتكثر والعز فيكون في ذلك دعاء لهم بتمام ذلك حتى لا يروا فيهم الغير والله اعلم وفي حفصة قل موتوا
بغيظكم لن تنصرونا شيئا ان الله عليم بذات الصدور وعلى لو عيد وقوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم قال ليس هذا وصف
المنافقين في الظاهر لانهم كانوا يظهرون عند الخيرات لكنه يحتمل انهم كانوا يطمئنون بخيرات تكون لهم لا للمؤمنين وان
تصبكم سيئة يفرحوا بها ذكر في القصة انهم اذا راوا للمسلمين الظفر على عدوهم والغنيمة يسوءهم ذلك واذا راوا القتل و
الهزيمة عليهم يفرحون به ويسيرون وقيل اذا راوا للمؤمنين الخصب والسعة ساءهم واذا راوا لهم القحط والجدب والغلاء
السعر فرحوا به لكن هذا يحتمل في كل خير راوا لهم اهتموا لذلك وفي كل مصيبة ونكبة راوا لهم فرحوا بها وقوله وان تصبروا
وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا وعد النصر بشرط لا يضركم كيدهم شيئا اخبر ان المؤمنين اذا اتقوا وصبروا ان لا يضرهم
كيدهم شيئا حتى يعلم ان ما يصيب المؤمنين انما يصيب بما كسبت ايديهم وقوله ان الله بما تعملون محيط على الوعيد وقوله واذ
غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قد له تبوئ قيل تهيئ للمؤمنين امكنة القتال وقيل تبوئ تنزل المؤمنين وقيل
تبوئ المؤمنين تتخذ للمؤمنين مقاعد القتال المشركين وقيل تبوئ توطن وقيل تستعد للقتال كله يرجع الى واحد ثم
اختلف في اي حرب كان واي يوم قال اكثر اهل التفسير كان ذلك يوم الخندق وقيل كان يوم الاحزاب فلا يعلم ذلك الا بخبر
يصح انه كان يوم كذا لكن في ذلك ان الائمة هم الذين يتولون امر العساكر ويختارون لهم المقاعد وعليهم تعاهد احوالهم
ورفع الخلل والضياع عنهم ما احتمل وسعهم وعليهم طاعة الائمة وقبول الاشارة من الامام وذلك في قوله تعالى اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ذكر مقاعد القتال في هذه الاية لكن الذي لزم من ذلك في اية اخرى ذكر الصف بقوله
عز وجل بقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وذكر في اية اخرى الثبات بقوله عز وجل
اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والاصل انهم امروا بالثبات فالاحسن ان يختار لهم امكنة لهم بها معونة على

الثبات والله اعلم بقوله عزوجل ... زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة ... ان كان فيها تولى الادبار ويحتمل ان يكون اراد للمقاعد الاماكن والمواطن للقتال والحرب والله اعلم وقوله عزوجل والله سميع عليم يحتمل سميع لمقالتكم عليم بسرائركم ويحتمل سميع بذكركم الله والدعاء له اذا انتم امرتم بالذكر له والثبات الصدق بقوله عزوجل فاثبتوا واذكروا الله كثيرا او عليم بثوابكم ويحتمل قوله سميع عليم البشارة من الله تعالى عزوجل بالنصر لهم والامر ... كقوله تعالى عزوجل لموسى وهارون فقولا له قولا لينا الآية قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى ثم قال عزوجل لا تخافا انني معكما اسمع وارى اي اسمع ما يقولون له وارى ما يفعله عزوجل اسمع وارى فعلى ذلك يحتمل ذا في قوله عزوجل سميع عليم ويكون سميع اي سميع دعاءكم يعني مجيب واعلم بما ينصركم وظفركم والله اعلم وقوله عزوجل اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا قوله همت يحتمل ان همتا خطرا ويحتمل ان هموا عزم وكذلك هذا التاويل في قوله ولقد همت به وهم بها ... الخطر ... من غير صنع من صاحبه وهم العزم يكون بالعزيمة والقصد وقوله همت ان تفشلا والفشل ... من غير فعله لكنه والله اعلم هموا ان يفعلوا فعل الفشل وذكر في القصة ان الطائفتين احداهما كانت من بني كذا والاخرى من بني كذا ... يقولون نحن كنا فعلنا وما نحب ان لا يكون في قوله والله وليهما ... في غير موضع ... قيل هو الناصر وقيل هو الحافظ ... قال الشيخ رحمه الله المؤمن يعلم علم اليقين ان النصر من نصره والله لا يغلبه شيء ومن خذله الله لا ينصره شيء وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون حق على المؤمنين ان لا يتوكلوا الا على الله عزوجل قال الشيخ رحمه الله عليه فتوكلوا اي اعتمدوا عليه ... كل امر الى الله اذا علم انه الكافي له واليه مرجعه ... وقوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة يذكرهم عزوجل ... ولا تتقوا سواه ... يكونون واليه يلجؤون ... مع ضعفهم وقلة عددهم يوم بدر ... فاتقوا الله يعني اتقوا معاصيه لعلكم تشكرون فيه دليل ان الشكر ... في طاعته واتقاء معاصيه ... من الغفلة والله اعلم وقوله اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين وذكر في سورة الانفال بالف من الملائكة مردفين فاختلف فيه ... ثلاثة الاف ومرة الف مردفين فيكون الفان فذلك عشرة ... وقيل كانوا ... خمسة الاف ثلاثة الاف والفان مدد الهم ثم اختلف فيه قال بعضهم كان يوم احد وقال اخرون يوم بدر وقوله فاستجاب لكم ربكم اني ممدكم بالف ملائكة يوم بدر ولا ندري كيف كانت القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة سوى ان فيه بشارة للمؤمنين بالنصر لهم والمعونة بقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به جعل في ذلك سكن قلوب المسلمين ثم اختلف في قتال الملائكة قال بعضهم قاتل الملائكة الكفار وقال اخرون لم يقاتلوا ولكن جاؤا ليسكن قلوبهم ما ذكر في الآية ولا يحتمل القتال لا ذكر في الآية ويقللكم في اعينهم ولو كانوا قاتلوا لم يكن لما تقلل معنى ولان الواحد منهم كاف بجميع المشركين الا ترى ان جبريل كيف رفع قريات لوط الى السماء فقلبها فدل لما ذكرنا والله اعلم وقيل قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا يوم احد فلا ندري كيف كان الامر وقوله مسومين قيل منزلين ومسومين سواء وهو من الارسال من التسويم وقيل معلمين بعلامة وذلك والله اعلم ليعلم المؤمنون حاجتهم الى العلامة لان الملائكة يحتاجون الى العلامة وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقوله وما النصر الا من عند الله ليعلم ان في النصر لطف من الله لا يوصل اليه بشيء من خلقه لانه نفاه عنهم مع مدد الملائكة ليعلم ان كل منصور على اخر انما كان ذلك من الله عزوجل وقوله ليقطع طرفا من الذين كفروا الآية قال قتادة كان يوم بدر قتل صناديدهم وقادتهم في الشر وقيل طرفا من الذين كفروا يعني اهل مكة وقوله او يكبتهم قيل يخزيهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الكبت الهزيمة وقيل الكبت هو الصرع على وجهه وقوله فينقلبوا خائبين والخائب هو الذي لم يظفر بحاجته اي رجعوا ولم يصيبوا ما املوا قال الشيخ رحمه الله ما ذكر من حضور الملائكة الحرب فهو فهو والله اعلم في حق محنة الملائكة والله ان يمتحنهم بما شاء من الحضور والمعونة والكف عن ذلك والدعاء لاوليائه بالنصر وما شاء الله من الوجوه التي يمتحن بها عباده وفيهم من قد امتحنه على الارزاق والارواح والامطار والاعمال وانواع الاذكار والافعال اذ هم خلق اصطفاهم واختارهم لعبادته وطاعته في جميع ما يأمرهم ليجل به قدرهم ويعلي رتبتهم ثم لو اذن لهم بالمعونة اعانوا المؤمنين على قدر الاذن لهم اذ هم على ما وصفهم الله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وقوله يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون وغير ذلك ما وصفهم بالطاعة له والاتباع لامره وما اكرمهم من هيبة جلاله وخوف عقابه صلوات الله عليهم اجمعين ثم لان للمؤمنين في حضورهم انواع البشارات فيما لم يكن اذن لهم بالقتال وانواع الايات فيما قد اذن لهم على ما ذكر من امر بدر وغيره مما اخبر الله عزوجل من ارسال الجنود وهزيمة اعداء ثبته وفضله من ذلك ما قال الله عزوجل اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا الآية ان يكون الله يؤيدهم بما به تشجيع قلوب المؤمنين على ما قد امكن اعداءهم من انواع الوساوس التي لديها يضطرب قلوبهم وتثبيت اقدامهم والله اعلم والثاني ان يكون الذي جبل عليه الخلق ان يكون كل احد عند معاينة الحاجة الى رعاية وما يحتمل وسعه من معونة عليه قبل وبه ارغب فيكون للمؤمنين بحضورهم رجاء النصر بعائهم ويخرج قوله انا لننصر رسلنا الآية وقوله تعالى وما جعله الله الا بشرى

لكم والله اعلم او كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصرهم يبشرهم بحضورهم فيكون لهم بذلك فضل ثبات وقرار رعبا منهم بما املوا اطلاعهم على ذلك او يكون لهم فضل قوة بذلك واقبال على الامر على ما جبل الخلق من الاقبال على الامور المتمنة واذا اكثروا على ذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم ولعلهم ايضا بما يطمعون انهم لو اطاعوا الله وثبتوا لاعداء ان لهم النصر والدفع فكان ذلك بعض ما يستبشرون وعلى ذلك اكثر ما ابتلي اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالهزيمة انما كان يصرف قلوبهم الى بعض ما جبل عليه البشر من حب الدنيا والاعجاب بالكثرة ونحو ذلك ثم من اعظم الاعلام في ذلك ما قال الله عزوجل وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله فتكون البشارة والطمانية بالذي جبل عليه البشر على ما ثبت ويكون النصر من عند الله الذي متى اراد نصر احد لن يغلب قلت اعوانه او كثرت وذلك لطف من الله العزيز العليم يريهم النصر من الوجه الذي لا يعلمه الا هو وفي حال الا نفس من انفسهم ان يقوم لعدوهم ليعلموا اعظم لطفه الذي بمثله ارتفعت درجات الاخيار وشرفت منازلهم ولو كان لهم بالاذن على ما ذكر من قوة جبريل عليه السلام في قلب قريات لوط بجناح واحد لم يكن يقوم لمثله اهل الارض فضلا من عدد يسير منهم ولكنهم لا يتعدون بين يدي الله والله لم يكن اذن لهم في القتال عند كل مشهد والله اعلم وقوله عزوجل ليس لك من الامر شيء انما انت عبد مامور فليس لك من الامر شيء انما ذلك الى الواحد القهار الذي لا شريك له ولا ند كقوله يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله وقوله او يتوب عليهم او يعذبهم الآية فيه انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم معنى قولا وفعلا حتى ترك قوله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم ولكنا لا نعلم ذلك المعنى ثم قيل في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم شج يوم احد في وجهه وكسرت رباعيته فدعا عليهم فنزل قوله ليس لك من الامر شيء وقيل ان سبعين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى قتال المشركين يقاتلونهم حتى قتلوا جميعا فشق على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قتلهم فدعا عليهم باللعنة يعني على المشركين اربعين يوما في صلوة الغداة فنزل قوله ليس لك من الامر شيء وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد اللهم العن ابا سفيان اللهم العن فلانا حتى امن نفر منهم فنزل قوله ليس لك من الامر شيء الآية وقيل ان نفرا من المسلمين انهزموا فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل ليس لك من الامر شيء فامره بكف الدعاء عنهم والله اعلم بالقصة في ذلك وقوله او يتوب عليهم او يعذبهم فان كانت القصة في الكفار فكانت طلب التوبة والهدى وافرط في الشفقة فقال ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم فيهديهم لدينه او يعذبهم على كفرهم فانهم ظالمون كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فان كان في المؤمنين فقوله او يتوب عن ذنبهم الذي ارتكبوا او يعذبهم ولا يعفوا عنهم والله اعلم بذلك وقوله ولله ما في السموات وما في الارض الآية فيه دلالة ما ذكرنا في قوله ليس لك من الامر شيء انما الامر الى الله الذي له ما في السموات وما في الارض هو الذي يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفي قوله ليس لك من الامر شيء لجواز العمل بالاجتهاد لانه صلى الله عليه وسلم عمل بالاجتهاد لا بالامر حتى منع منه قال الشيخ رحمه الله قوله ليس لك من الامر شيء يحتمل ان يكون على اثر ما جبل عليه البشر ما راى في ذلك صلاح الخلق ومما عليه التدبير حيث الاملاء فقيل هذا وان يكون على ما رايت فليس لك من امر هذا شيء وانما الذي اليك التبليغ عن ذلك والاعراض والله اعلم ما كان ويحتمل ان يكون يبتدئ القول بغير ان سبق منه ما يعاتب عليه او يمنع منه ليكون ابدا منقادا نحو الاذن له في كل شيء والامر ولا يطمع لنفسه في شيء لم يسبق له البشارة به على ان النهي والوعيد امران جائزان وان كان قد عصم عن ركوب المنهي ووجوب الوعيد اذ هنالك يظهر رتبة العصمة ولا قوة الا بالله والظاهر ان يكون على اثر امر يستحيل ذلك من دعاء الهلاك والهداية لقبول الحق والخضوع فيقول ليس لك شيء من ذلك في احد على الاشارة انما ذلك الى الله يضع فيهم ما عنده من الثواب او التعذيب على قدر ما يعلم من اقبالهم على الطاعة له او تقادم عنها والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة قوله لا تاكلون الربوا كقوله وذروا ما بقي من الربوا فنهيه نهي عن الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه فعلى ذلك قوله لا تاكلوا الربوا اي لا تاخذوا وقوله اضعافا مضاعفة فان قيل ما معنى النهي عن المضاعفة وغير المضاعفة حرام لكنه يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكون هذا قبل تحريم الربوا فنهوا عن اخذ المضاعفة ويحتمل قوله لا تاكلوا الربوا اي لا تكثرون اموالكم باخذ المضاعفة ويحتمل اضعافا مضاعفة اي لا تصروا على استحلال الربوا فتبقون عليه اخر الابد ويحتمل اضعافا مضاعفة تضعيف العذاب ويحتمل ما قيل كان احدهم يبايع الرجل الى اجل فاذا حل الاجل زاد في الربح وزاد الاخر في الاجل وذلك كان ربوا الجاهلية قال الشيخ رحمه الله في قوله لا تاكلوا الربوا يحتمل الاكل لانه نهاية كل كسب ويحتمل الاخذ كقوله واخذهم الربوا وقد نهوا عنه وقوله وذروا ما بقي من الربوا وقوله اضعافا مضاعفة في الاخذ اي لا تاخذوا ليكثروا اموالهم ويقصدوا بذلك تضاعف اموالكم الى غير حد وليس فيه ان القليل ليس بحرام لكن ذلك هو مقصود اهله فنهوا عن ذلك وحرمة القليل بغير ذلك من الايات ويحتمل ان يكون في نازلة عليها خرج النهي لا على الاذن بدون ذلك ولو كان على حقيقة الاكل فهو على النهي عن التوسع بالربوا والامر بالعود الى ما لا ربوا فيه وان كان في ذلك ضيق والله اعلم ويحتمل ان يكون في الآية اضمار فيقول لا تاكلوا الربوا فانكم ان اكلتموه بعد العلم بالتحريم تضاعفت عليكم الماثم والعقوبات وقد جعل الله للربوا اعلاما دلت على ما غلظ شانها نحو ما وصف من لا يتقيه بالحرب بحرب الله وحرب رسوله عليه السلام وبالتخبط يوم القيامة وانتفاخ البطن وما جرى في معاقبة اليهود بتحريم اشياء بمكان ذلك وقوم شعيب ما حل بهم بلزومهم تعاطي الربوا واتقوا الله ولا تاخذوا الربوا ولا تستحلوه لعلكم تفلحون وقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين فيه والدلالة انها انما اعدت للكافرين لم تعد لغيرهم فذلك يرد على المعتزلة حيث خلدوا اصحاب الكبيرة في النار والله تعالى يقول انها اعدت للكافرين دونهم يقولون ولغير الكافرين قال الشيخ في قوله اعدت للمتقين يحتمل للذين اتقوا الشرك كقوله هدى للمتقين ويحتمل للذين اتقوا جميع انواع المعاصي فان كان الاول ويدخل هو الاول وكل من لم يستحق

بفعله اسم الكفر فهو فى الاية اذ قال فى النار اعدت للكافرين لم يجز ان يكون هى ابدا لغيرهم لوجهين احدهما اذ لا يجوز ان تكون الجنة
المتخذة للمؤمنين تكون لغيرهم فكذلك النار المعدة للكافرين وهذا اولى بجواز القول فى ايجاب الجنة لمن لا يكون منه الايمان نحو الذرية
وفساد القول فيهم بالنار والله اعلم والثانى انها اذا جعلت لغيرهم او اعدت لغيرهم لكان لا يكون للكفر فضل هيبة والفعله
فزع فى القلوب بوجود ذلك ومعلوم ان ذلك بالعواقب لا بنفس الفعل ثبت انه لا يجب خلود من ليس بكافر فيها حتى يكون
لمن اعدت له ولغيره اشر وتحذير لا تحقيق ذلك كله والله اعلم وان كان التاويل هو الثانى من اتقاء جميع المعاصى فيكون لذلك بعد عبارتان
احدهما ان قد ظهر اهل الجنة واهل النار وبينهم قوم لم تبلغ بهم الذنوب الشرك فيدخلون فى الوعيد بالنار المعدة لهم
ولا اتقوا جميع المعاصى فيكون فى الوعد المطلق فمن اعدت له الجنة لحقه الوقف فيه حتى يظهر ذلك فى قوله ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وفى قوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم
وغير ذلك من الايات العفو والمغفرة وما كان ذلك واجبا فى الحكمة فيكون القائم به يستحق وصف العدل لا العفو والمغفرة
ثبت ان ذلك فيما قد وجب او يكون فيمن يجزيهم جزاءهم ويدخلهم الجنة اذا اجزائه لا يجزى السيئة الا بمثلها وبالتخليد
مضاعفة ذلك من وجهين احدهما انه عذاب الكفر وهذا دونه والثانى يمنع لذة الحسنة بجملتها بل حق ذلك ان يكون
كقوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الاية ان يجزى بالامرين جميعا ولا قوة الا بالله والثانى قد جاء بمقابل السيئة من الحسنات
ومقابل كل انواع من المعاصى من الطاعات وقد وعد على الحسنة عشر امثالها فمحال ان يقابل مثل الذى دون الشرك من السيات
الشرك فى احباط العمل ولا يقابل مثل الذى دون الايمان فى احباط الذنوب ويجب له الجنة ثم مع ذلك الايمان الذى
لا ارفع منه وهو الذى يبعثه على الخوف والرجاء وقت الاساءة وعلى انه لو خشى على نفسه كل بلاء ورجاء كل يقع فى الكفر به
لم يؤثر ذلك معا وعد على الحسنة عشر امثالها ثم يبطل لذة ذلك كله ويلزم خلق القول فيه بالكرم والعفو والرحمة ولا قوة الا بالله
وقوله واطيعوا الله والرسول ذكر والله اعلم طاعة الرسول لان من الناس من لا يرى طاعة الرسول فامر عز وجل بطاعة رسول
الله لئلا يخالفوا امر الله ولا امر رسوله وان من اطاع الله ولم يرطاعة رسوله فهو لم يطع الله فى الحقيقة ويحتمل اطيعوا الله هو
واطيعوا الرسول فيما بين فى سنته اودعا او بلغ والقصد فى الاية الى فرض طاعة الرسول واطيعوا الرسول فى امره ونهيه كما
اطعتم الله فى امره ونهيه وقوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم يحتمل ان يكون هذا موصولا بقوله عز وجل لا تاكلوا الربوا
اضعافا مضاعفة فكثروا اموالكم وحقيقته وسارعوا الى ما فيه وعد المغفرة من ربكم بالاجابة له الى ما دعا والقيام بحق الوفاء
وقوله عز وجل واتقوا الله فى استحلال الربوا لان من استحل محرما فقد كفر وحقيقته اتقوا ما اوعدكم ربكم عليه النار واصل الطاعة
الايتمار بامر المطاع فى كل امر فمن اطاع الله فيما امر واطاع رسوله رحمه ربه وفى الطاعة رحمة الخلق على ما روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لن تدخلوا الجنة حتى تراحموا قالوا كلنا نرحم يا رسول الله قال انه ليس رحمة الرجل ولده ولكنه
رحمة عامة وقوله واطيعوا الله فى تحريم الربوا واطيعوا الرسول فى تبليغه اليكم تحريم الربوا والنهى عن اخذه لعلكم
ترحمون اى ارحموا الناس وارحموهم فى ترك اخذ الربوا ترحمون انتم وتنجون من النار ومن عذاب الله ثم قال وسارعوا
الى مغفرة من ربكم اى بادروا بالتوبة والرجوع عن استحلال الربوا والترك عن اخذه والمغفرة هى فعل الله لكنه والله
اعلم لما قال بادروا الى الاسباب التى بها تستوجبون المغفرة من ربكم والمغفرة هى الستر فى اللغة ثم يحتمل وجهين يحتمل
ان لا يهتك استاركم فى الاخرة اذا تبتم ويحتمل ان ينسى عليكم سياتكم فى الجنة لان ذكر المساوى فى الجنة ينغص عليه نعيمه
فاخبر عز وجل انه ينسيهم مساويهم فى الجنة لئلا ينغص ذلك عليهم والله اعلم وقوله عز وجل وجنة عرضها السموات والارض
وبادروا ايضا بالتوبة عن استحلال الربوا الى جنة عرضها السموات والارض لمعنى ضرب الجنة بضرب السموات وذلك
والله اعلم ذكرهوان للسموات والارض احوالا ليست تلك الاحوال لغيرها من الخلائق بقوله عز وجل لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وذلك انهما عندهم من اشد الخلائق واقواها فقال ان الذى قدر على انشاء ما هو اشد واقوى
قوى واصلب لقادر على انشاء ما هو دون ذلك وهو هذا العالم الصغير ووصف ايضا السموات والارض بالغلظ والكثافة
والشدة لقوله عز وجل سبع سموات شدادا وغلاظا ثم اخبر عز وجل تمام غلظها وكثافتها تكاد ان تنشق لعظيم ما قالوا
بان لله ولدا وشريكا بقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا ليعلموا عظم
القول وقبحه لئلا يقولوا فى الله ما لا يليق به ووصف ايضا السموات والارض بالدوام الى وقت يبعد فناؤها فى اوهام
الخلق وان كانا فانيان بقوله عز وجل خالدين فيها ما دامت السموات والارض فاذا كان للسموات والارض ما ذكرنا
من الاحوال عند الخلق ليست تلك الاحوال لغيرها من الخلائق من شدتها وقوتها وغلظها وكثافتها وسعتها شبه وعرض
جنة وسعتها بسعة السموات والارض وعرضها لما عند الخلق ليا يذوى بها ثم وان كانا ذو نهاية كما وصف اهل الجنة واهل
النار بالدوام السموات والارض وان كانا فانيان غير دائمين ابدا لبعد فنائهما عن اوهام الخلق فعلى ذلك الاول والله اعلم
وفيه دلالة ان الجنة ذو نهاية المكان والعرض وان لم يكن بذى نهاية الوقت وغاية لانه ذكر العرض لها وكل ذى عرض يحتمل
نهاية عرضه والله اعلم ولو لم يكن ذو نهاية من حيث العرض وكان الله غير موصوف بالقدرة على الزيادة ومن زال عنه وصف
ذلك انقطع عنه الطمع واضمحل الرجاء وبعد فان ثم دارا اخرى سوى الجنة فاوجب ذلك نهاية الجنة من حيث العرض اذ كانت
غير الجنة دار اخرى مثلها فى ارتفاع نهاية الوقت وجاز وجود امرين مختلفين على اتفاق فى الوقت ومحال وجودهما فى مكان واحد
اتفاق فى مكان لذلك لزم نهايتها وان زالت عنهما نهاية الوقت وقوله عز وجل اعدت للمتقين والاتقاء هو من الطاعة فى كل امره
ونهيه وترك مخالفته فى ذلك كله ثم سبب التقوى يكون بوجوه ثلثة بذكر عظمته وجلاله ورفعته عن مخالفة امره ونهيه فيذلله

٥٠
ذلك ويخوفه فيمتنع من مخالفته او بذكر نعمته واحسانه فيمنعه ذلك عن ارتكاب ما نهى عنه حياء منه والثالث بذكر نقمته وعذابه
فى مخالفة امره ونهيه فينفى ذلك عذاب الله ونقمته قال الشيخ رحمه الله وقوله عز وجل اعدت للمتقين ثم فسر الذين يتقون الى اخر ذلك
فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد من اعدت له من جميع الذى ذكر والثانى ان يريد باعدت للمتقين الذين اتقوا الشرك
بالذى اخبر عز وجل بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ثم وصفهم بالذى ذكرهم من الافعال المحمودة لا ان ذلك بجملته شرط
لان يعد له الجنة حتى يحرم من لم يبلغ ذلك فان كان على الاول فكانه وصف نهاية ممن اعدت الجنة وقد يجوز ان يكون لهم اتباع
فى الشركة فان لم يبلغوا تلك الرتبة بفضل الله او بما اعطى من ذكر فيهم من الشفاعة او بما شاركوا اولئك فى اصل الاعتقاد فيقبل
ذلك وان كان منهم تقصير على انه قد يذكر فى كل امر من الامور العظيمة والنهاية فى ذلك على مشاركة من دونهم لهم فى ذلك
وعلى ذلك ما ذكر من بعث الرسل الى الفراعنة على دخول من دونهم فى ذلك وعلى من طلبه اهل الجلال فى ذلك ودخول من دونهم فى الحق
وكذلك ذكر الخطاب فى اهل الرفعة والعلو على تضمن من دون ذلك فكذلك الاول وكذلك الله سبحانه ذكر فى القران من الكفرة الذين
جمعوا مع الكفر العناد والتمرد وذكر اهل الايمان لهم مع ذلك الخيرات منا منه ان ذكر هولاء باعلى ما استحقوا من الثناء و
الاول باعلى ما به يصير لعنته من غير تخصيص فى اصل الوعد والوعيد الا من حيث التشديد والتفصيل فتلك الاول ابد ذلك
قسمته اهل الجنة قسمين السابقين واصحاب اليمين ثم قال فى الذين من ذكر الذين خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقد بين فى اخر ذلك
ما يدل على ذلك وهو من ذكر من الذين ياتون الفواحش والظلم ثم لم يصروا على ما فعلوا ويكون فى ذلك وجهان احدهما ان الله تعالى
بمنه يوفقهم بما يرضيه فى اخراجه ليختم به اذا كان فى وقت ارتكابه ما ارتكب وتقصيره فيما قصر معتقدا اجلال ربه خائفا عظمته
راجيا رحمته متعرضا لما عرف من الكرم والعفو فيكون هو شريك من ذكر فى الخاتمة وان كان منه تخلف عنه فى الابتداء والله
اعلم وان يكون يجزيه لما قصر وفرط حتى يطهره مما كان من الخلط فيرجع الى ما وافق الاول فى جملة الاعتقاد فتكون معدة لمن
جميع ذلك والجمع يكون للذى ذكرنا وبالعفو والجود اذ جعل الجزاء طريقه الجود والكرم لا لاستحقاق والله اعلم وان كان على معنى
الثانى والاية تخرج مخرج الترغيب فى جميع تلك الاوصاف وتكون الجنة فى الاطلاق معدة للمتقين الذين اتقوا الشرك والدرجات
وما فيها من الفضائل والمراتب على قدر ما يتقى من انواع الخلاف فى الافعال ويتوسل الى الله تعالى بالمبادرة والمسارعة الى الهم
الرغائب وعلى ذلك امر الوعيد تفضيل الدرجات فى الجنة وتفريق الدركات فى النار على ما اعدت النار فى الجملة للكفرة ويتفاوت
اهلها بتفاوت الافعال من الخلاف والتمرد والله الموفق ثم السبب الذى به يستعان على التقوى ثلاثة احدها ان يذكر المرء عظمته
وجلاله وقدرته عليه فى كل احواله فيتقى مخالفته بالهيبة والجلال والثانى ان يذكر عظم منته عليه ونعمه عنده واياديه التى فيها
يتقلب وبها يتمتع فيتقيه حياء منه والثالث ان يذكر بنفسه عظم نقمته الموعدة وعذابه المعدة لاهل الخلاف له فيتقيه
اشفاقا على نفسه والله الموفق وجملة ذلك ان من تامل ما اليه مرجعه والذى منه بدؤه وما فيه متقلبه من اول احواله الى
منتهى احواله حتى صير ذلك كله كالعيان لقلبه سهل عليه وجه التقوى لما عند ذلك تذهب شهواته ويضمحل امانيه والله الموفق
وقوله عز وجل الذين ينفقون فى السراء والضراء قيل السراء الرخاء والضراء الشدة وقيل السراء السعة والضراء الضيق وهو واحد وقيل
السراء باسرهم الانفاق من نحو الولد وغيره ليتبرع الانفاق عليه والاجنبى يتبرع وعلى تاويل الاول ان الانفاق فى حال الرخاء
والسعة ايسر واهون على المؤمن من الانفاق فى حال الضيق الفقر فاذا انفق فى الاحوال يستوجب به ذلك المدح والله اعلم والسبب
الذى يتيسر عليه الامر وجهان احدهما علمه بان الذى فى يده فى الحقيقة فى يد غيره فهو يصرف ذلك حيث يصرفه لم يخرجه عن
يد من يده والثانى يعلم بجود ربه وقدرته حيث يكون ذلك فيما به قضاء حاجته والوصول الى منفعته مما يعلم بالجود
وكثرة الانتفاع بما لا ملك للمنتفع به وحرمان ذى الملك فيه قال الشيخ رحمه الله فى قوله الذين ينفقون فى السراء والضراء
يحتمل فيما يسرهم ويضرهم او فى حال يسر وعسر او حال بلاء ونعمة ثم السبب يسهل سبيل الانفاق فى تلك الاحوال وان
كان بالذى ذكر فى تسهيل التقوى هذا اوجه ثلاثة احدها ان ترى ما فى يدك لمن له يدك امتحنك بحق ذلك وحفظه والله
اذا بذلته او نفعت عنك مؤنة الحفظ ومراعاة الحق على ما لم يكن زال عنك نفعه الذى كان له وقت كونه فى يدك اذ هو بعد
البذل فى يد من يدك قبله فى يده فكانه لم يخرج من يدك بحيث النفع وانما سقطت عنك ما ذكرت من المؤنة اذ معلوم
وجودها لك فى الظاهر لا منتفع به ومن لا ملك له فى الشئ منتفع به على العلم باستواء الامر على من له بذلت والله اعلم والثانى
ان تشعر قلبك جوده بمن اثره على ما عنده وقدرته على عطائه اياه من خزائنه التى لا تنفد ولا يتعذر عليه فيتفق بذلك
وتعلم انه لك على الايصال اليه فيما لم يكن اوصله وعلى ذلك فيما اعطاه فى القدرة واحد فيهون عليه ذلك والله اعلم والثالث
ان تعلم ان الذى عليه جبل واليه دفع ليس للوقت الذى فيه ولكن ليتزود لمعاده ويكتسب به الحياة الدائمة والنفعة التى
لا تنفد فيصير كبائع الشئ باضعاف ثمنه او باذل ما فيه فكان رفعته او كمقدم ما يمتهن الى مكان مهنته او كمن بعد الشئ
فى مسكنه لوقت حاجته فان مثله اثر الشئ فى الطبيعة والذى شئ فى العقل ولا قوة الا بالله ثم الاصل فى قوله اعدت
للمتقين اى من لم يبلغ بما يرتكب من المعاصى الكفر لم يمتنع من احتمال التسمية المتقين على ارادة خصوص التقوى وهو ممتنع عن
عن احتمال التسمية بالكفر على ما صرف الاية فى اعداد النار الخصوص او عموم فثبت به خروج صاحب الكبائر عن اهل
الاسم الذى له اعدت النار ولم يثبت خروجه عن اهل الاسم الذى له اعدت الجنة فالقول فيه بالقطع فى النار وانما
ذلك فى الجنة فاسد باوجه احدها مع الاشكال فيما يوم الجنة والاحاطة بان النار لم تذكر انها اعدت له ولا دخل فيها فيكون
فى ذلك اسقاط شهادة ثبت بيقين بالشك وايجاب شهادة لم تجب بالاحتمال والثانى ان يكون فى ذلك اسقاط اسم
العفو والرحمة اذ لو لم يجعل لمثله لبطل ان يكون موضع لهما فى غير استحقاق والله اعلم والثالث ما فيه اسقاط الموازين ترونها

المقابلة مع مجيء الايات بالكتب التي تقرا المرازين التي توزن معا في ذلك مخالفة التوهم بالكريم الذي امر ان يسميه بها مما قدحا
من النجاة وزعن السيئات والتقبل للحسنات من واحد وفي ذلك كلب ذلك والله اعلم وقوله عز وجل والكاظمين الغيظ روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله امنا وايمانا والغيظ كانه متردد بين الحزن
والغضب والحزن على من فوقه والغضب على من دونه والغيظ بين ذلك مدحهم عز وجل بترديد بحزنهم وغيظهم في اجوافهم
وقوله عز وجل والعافين عن الناس اي عمن ظلم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما عفا رجل عمن ظلمه الا زاده الله بها
عزا ومن عفا عن الناس عن مظلمة فقد احسن بذلك كما يقال فلان يحسن كذا ولا يحسن وقوله عز وجل والله يحب المحسنين والاحسان
يحتمل وجهين يحتمل العلم والمعرفة ويحتمل ان يفعل فعلا ليس عليه من نحو المعروف والايادي الذي ليس عليه انما فعله الا فضلا
ذكرها منا المحسنين وحبه واجر في الاية الاولى ان الجنة اجزي في الاية الاولى ان الجنة اعدت للمتقين بقوله عز وجل وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض ثم قال اعدت للمتقين واخبر ان النار اعدت للكافرين ثم اختلفوا فيه
قال بعضهم من لم يكن من المتقين لم تعد الجنة له فهو ممن اعدت له النار وهو قول الخوارج والبغاة وقال اخرون انه اخبر
ان النار اعدت للكافرين فهو اذا لم يكن كافرا ممن اعدت له النار فهو ممن اعدت له الجنة وقال غيرهم اخبر ان النار
اعدت للكافرين واخبر ان الجنة اعدت للمتقين فوصف المتقين فهم الذين اتقوا معاصيه وتركوا مخالفة امره ونهيه
فاذا كان قوم لهم مساوئ لم يدخلوا في اطلاق قوله عز وجل اعدت للمتقين ولا دخلوا في قوله اعدت للكافرين فيكون
لهم موضعا بالنار واما عندنا فانه يرجى دخول من ارتكب المساوي من المؤمنين في قوله عز وجل وجنة عرضها كذا اعدت
للمتقين بقوله عز وجل عرفوا بذنوبهم خلطوا اعمالا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ذكر خلط عمل الصالح
بعمل السيئ ثم وعد لهم التوبة بقوله عز وجل عسى الله ان يتوب عليهم والعسى من الله واجب والثاني قوله عز وجل اولئك
الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فاذا تجاوز لم يبق مساو فصاروا من اهل هذه الاية اعدت للمتقين
وقوله للمتقين وقوله ايضا والذين اذا فعلوا فاحشة وظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم قالوا ومن يغفر
الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اخبر انهم اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم وقد ذكرنا فيما
تقدم انهم لاي معنى ظلموا انفسهم حيث لم يسلموا انفسهم خالصين والظلم هو وضع الشيء غير موضعه فاذا لم يسلموا
له وضعوا انفسهم في غير موضعها لذلك صاروا ظلمة انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم اي طلبوا لذنوبهم
مغفرة والفرق انه لا يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ذنوبهم والاصرار هو الدوام عليه ثم اخبر ان جزاء هؤلاء
المغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها الى اخر ما ذكر دلت هذه الايات على تأييد قولنا ان اهل
المساوي والفواحش اذا تابوا صاروا ممن اعدت لهم الجنة وان لم يكونوا من المتقين من قبل فتاله اذا تجاوز الله عن سيئاتهم
وعفا عنهم بما هو عفو غفور والله اعلم قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الاية
يحتمل ان يكون الظلم غير الفاحشة ويحتمل ان يكونا واحدا في المراد اذ قد يكون في المعنى ان كل عاص ظالم لنفسه بمعنى ضرها
ويحسن لحظها اذا فعل ما هو ليس له الفعل ووضع اختياره في غير موضعه وهما معنيا الظلم وكذلك من تعدى حد الله او اثم ما يترك
العقل والشرع فقد تحش فعله وذلك معنى الظلم الذي وصفت اذ فعل ما ليس له واختياره غير الذي له هو الذي يرجع
العقل والشرع والله اعلم ويحتمل التفريق وهو ان الظلم يجمع كل وجوه الخلاف عظم او صغر ولذلك قد نسب ذلك الى زلات
الانبياء نحو ما قيل لادم عليه السلام وحوا في اكل الشجرة فتكونا من الظالمين وقيل في الشرك ان الله لا يحب القوم الظالمين
والفواحش ربما يظهر ويتبين قبحه لما قل او كثر في الذنوب وعلى ذلك النقصان ظلما بقوله عز وجل ولم تظلم منه شيئا وقد
يوصف العيب والنقصان بالفحش لكنه اذا اكثر وظهر تمثله في الزلات ويكون كالطيب في المحللات من المباح ونحوه في الذمم
والله اعلم ثم ليس بنا حاجة الى معرفة المقصود بالذكر في الاية لما فيها الرجوع عن ذلك وطلب المغفرة وكل انواع المأثم
بالتوبة نغفر بما وعد الله في الشرك والزنا والقتل فان دونه بقوله يضاعف له العذاب يوم القيامة الى تمام الاية والله اعلم
وقوله اذا فعلوا فاحشة يحتمل الفاحشة ما تفحش في العقل وقبح وقال اخرون كل محرم منهي فهو فاحشة والاول كانه اقرب
لان الشيء ما لم يبلغ في التفحش والقبح غايته فانه لا يقال فاحشة واذا بلغ الغاية فحينئذ كالطيب انه ذلك اذا بلغ غايته في الحل
واللذة فاما ان يقال لكل حل في الاطلاق طيبا فلو فعل ذلك الفواحش لا يقال لكل محظور محرم انما يقال ما بلغ في القبح و
التفحش غايته فاما ان يقال ذلك لكل محرم منهي فلا وبالله التوفيق والطيب ما استطابه الطبع فاذا بلغ طيبه غايته
في الطبع فهو طيب والله اعلم وقوله عز وجل قد خلت من قبلكم سنن يحتمل احكاما والاحكام تكون على وجهين
حكم يجب لهم وهو الثواب عند الطاعة واتباع الحق وعذاب يحل بهم عند الخلاف والمعصية ويحتمل السنن الاحكام
المشروعة فسيروا في الارض حتى تروا اثار من كذب الرسل وما حل بهم من العذاب بالتكذيب او سيروا في الارض
اي سلوا من يعلم ما الذي حل بهم حتى يخبروكم وما مضى من الهلاك في الامم الخالية فهذا تنبيه من الله عز وجل اياهم انكم ان كذبتم
الرسل ما قد حل بمن كان قبلكم وان اطعتم الرسول صلى الله عليه وسلم فلكم من الثواب ما لهم فاعتبروا به كيف كان جزاؤهم
بالتكذيب وما في القران مثل هذا فمعناه لو سئلت لاخبروك وقيل سيروا في الارض اي تفكروا في القران يخبركم عن
الامم الماضية فكانكم سرتم في الارض وما في القران مثل هذا فمعناه لو سئلت لاخبروك فان فيه خبر من كان قبلكم من
الامم وما لهم من الثواب بالتصديق والطاعة وما عليهم من العقاب بالتكذيب والله اعلم وفي قوله عز وجل قد خلت من قبلكم
سنن يحتمل في المكذبين بالرسل والمصدقين فسيروا في الارض يحتمل لو سرتم فيها لرايتم اثارهم ولعرفتم بذلك ما اليه رجع

عواقب الفريقين ويحتمل الامر بالتامل في اثارهم والنظر في الانبياء عنهم ليكون له به العبرة عما هم من جرم ويحتمل السنن
الموضوع من الاحكام وبما به امتحن من قبلهم ليعلموا ان الذي بلوا به ليس ببديع بل على ذلك امر من تقدمهم كقوله ما كنت
بدعا من الرسل وكقوله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل والله اعلم وقوله عز وجل هذا بيان
للناس يحتمل قوله هذا بيان يعني القران هو بيان للناس وهدى من الضلالة وموعظة للمتقين اي يتعظ به المتقون
ويحتمل بيان للناس ما ذكر من السنن التي في الامم الخالية ولقوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس ان لله في صرف
الدولة الى اهل الشرك فعل وتدبيرا اضاف ذلك اليه ما به الدولة ثم ذلك معصيته وقهر وتذليل فثبت جواز كون ما هو
فعل معصية الى الله من طريق التخليق والتقدير والله اعلم اذ ذلك لهم بما هم عصاة والله اعلم وقوله ولا تهنوا ولا تضعفوا
في محاربة العدو ولا تحزنوا بما يصيبكم من الجراحات والقروح كقوله تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ويحتمل قوله
عز وجل ولا تهنوا في الحرب وانتم تعلمون لله انهم لا يضعفون فيها وهم يعملون للشيطان وقوله عز وجل ولا تحزنوا على ما فاتكم
من اخوانكم الذين قتلوا ويحتمل ما اصابكم من القروح اي تلك القروح والجراحات لا تمنعكم عن قتال العدو ولكم الاجر والشهادة
وقوله عز وجل وانتم الاعلون قيل فيه بوجوه قيل وانتم الاعلون المحقون بالحجج وقيل وانتم الاعلون في النصر اي ترجع عاقبة
الامر اليكم ويحتمل ان النصر لكم ان لم تضعفوا في الحرب ولم تعصوا الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ويحتمل وانتم الاعلون
لكم الشهادة اذا قتلتم واحياء عند الله وهم اموات وقوله عز وجل ان كنتم مؤمنين اذ كنتم مؤمنين ليس على الشرط ولكن
على الخبر كقوله عز وجل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله اي اذ كن يؤمن بالله وان كنتم مؤمنين بالوعد
والخبر وقوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله اختلف فيه قيل ان يمسسكم قرح في اخر الامر يعني في احد فقد
مس المشركين قرح مثله يوم بدر يذكرهم والله اعلم على التسكين ليعلموا انهم لم يخصوا بذلك وقوله عز وجل وتلك الايام
نداولها بين الناس يحتمل الايام وجوها يوما للمؤمنين ويوما عليهم وذلك ان الامر بمجاهدة العدو والقتال معهم محنة من
الله عز وجل يمتحنهم ويبتليهم مرة بالظفر لهم والنصر على عدوهم ومرة بالظفر للعدو عليهم كقوله عز وجل ونبلوكم
بالشر والخير فتنة وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات يمتحن عباده بجميع انواع المحن بالخير مرة وبالشر ثانيا ويحتمل المداولة ايضا
وجها اخر وهو ان الظفر والنصر لو كان ابدا للمؤمنين لكان الكفار اذا اسلموا اسلاما اختيارا ولكن انما امنوا ايمان قهر وكره
وجبر لما يخافون على انفسهم من الهلاك اذا وان الدولة والظفر للمؤمنين وان كان الظفر والنصر ابدا للكفار فعلهم يظنون
انهم المحقون فيمنعهم ذلك عن الاسلام ويحتمل ان يا يصيب ان المؤمنين انما يصيب بمعصية سبقت منهم او خلاف كان
منهم من ترك امر وارتكاب نهي الله واعلم فان طعن طاعن من الملحدة في قوله عز وجل ان تنصروا الله ينصركم وقوله عز وجل
ان ينصركم الله فلا غالب لكم اليس وعدالكم ان نصرتم واخبر ايضا انه ان نصركم فلا غالب لكم فاذا نصرتم دينه فلم ينصركم اليس
يكون خلفا في الوعد وان نصركم فغلبتم يكون كذبا في الخبر قيل لهذا جواب من اوجه قيل يحتمل قوله عز وجل ان تنصروا دين
الله في الدنيا ينصركم في الاخرة بالحجج كقوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا الاية وكقوله عز وجل ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا وقيل ان تنصروا دين الله ولم تعصوا الله فيه ينصركم فلا غالب لكم وقيل يحتمل ان تنصروا دين الله جملة
ينصركم كقوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب اثنى عشر الفا من قلة كلمتهم واحدة وكقوله عز وجل واتاكم من كل ما سالتموه
وقيل ان تنصروا دين الله ينصركم اي يجعل الظفر والنصر في العاقبة لكم وكذلك وان كان في ابتداء الامر الغلبة على المؤمنين
فان العاقبة لهم في الحروب كلها ومقدار ما كان عليهم انما كان لامر سبق منهم انما عجابا باهر لكثرة كقوله تعالى اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا واما خلافا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس دلالة
ان كان من الله معنى لديه تكون الغلبة لهم بقوله عز وجل ان ينصركم فلا غالب لكم وبكان هو يجعل به الدولة لاحد
الفريقين وقد اخبر انه يجعل لهما ومعلوم ان كانت الدولة بالغلبة فثبت ان من الله في صنع العباد صنع له اضيف اليه
صنيعهم والله اعلم ثم معلوم ان الغلبة لو كانت للمسلمين كان ذلك الزم للحجة واظهر للدعوة وادعى الى الاجابة فيها كل
صلاح فثبت ان ليس في المحنة شرط اعطاء الاصلح والله اعلم وفي قوله عز وجل وتلك الايام نداولها بين الناس رد قول الاصلح
حيث قالوا ان الله لا يفعل الا الاصلح والذين يقال لهم اي صلاح للمؤمنين في مداولة الكافرين على المؤمنين وقوله عز وجل
وليعلم الله الذين امنوا اي ليعلم ما قد علم بالغيب انه يؤمن بالامتحان مؤمنا شاهدا وليعلم ما قد علم انه يكون كائنا وجائز ان
يراد بالعلم المعلوم كقوله الصلوة امر الله اي بامر الله وفي قوله عز وجل وليعلم الله الذين امنوا الاية تخرج على وجه احدها ان ما وصفت
الله به اذا ذكرت معه الخلق تذكر وقت كون الخلق يتوهم قدمه واذا وصفت الله تعالى بلا ذكر الخلق وصفته به في الازل نحو ان
تقول عالم قادر سميع في الازل فاذا ذكرت المسموع والمقدور عليه والمعلوم ذكرت وقت كونه لتنزيل توهم القدم
على الاخر وعلى هذا عندنا القول بخالق ورازق ونحو ذلك والله اعلم والثاني على تسمية معلومه علما في مجاز اللغة وذلك
كما سمي عذاب الله في القران امره وسمي الناس الصلوة وغيرها من العبادات امره على معنى انها تفعل بامره وكذلك
ما سميت الجنة رحمته على ان كان بها فيكون ليعلم الله الذين امنوا اي ليكون الذين امنوا على ما علم يكون والله اعلم والثالث
ليعلم الله الذين امنوا في الغيب شهودا اذ هو عالم الغيب والشهادة وتحقيق ذلك لا يكون بحادث العلم وذلك نحو من يعلم
الغد يكون يعلمه بعد الغد وان لم يكن له حدوث العلم فقد كان وعلى هذا قيل ليعلم كائنا لوقت كونه ما قد علم يكون قبل
كونه والله اعلم وقال بعض اهل التاويل ليكون الذي علم يكون بالمحنة ظاهرا موجودا وهو يرجع الى ما بينا وقال بعضهم
ليراه وهذا من صاحبه ظن ان الكلام في الرؤية لعلة البصر ومن التشبه ابعد وعنه من عبر في الله حق لمعرفتها و

واحد والاصل في هذا ونحوه في الاضافات الى الله انما كانت بالاحرف المجعولة المتعارف في الخلق ثم هي تؤدي عن كل مضاف
اليه ويشار اليه ما كان يعرف من حال ذلك قبل الاضافة لا ان يقدر عنه الاضافة معنى لا يعرف به لولا ذلك على ما عرف من
الاشتراك في اللفظ والاختلاف في المعنى فعلى ذلك امر الاضافة الى الله تعالى ويوضح ذلك ما لم يفهم احد من قوله عز وجل
وتلك حدود الله ما فهم من اضافة الحدود الى غيره وكذلك بيوت الله وعباد الله وروح الله وكلمته ونحو ذلك مثل الذي
نحن فيه وجائز في الجملة ان يوصف الله بانه لم يزل عالم بكون كل ما يكون كيف يكون وفي وقت كونه كائنا بعد كونه قد مضى كونه
على تحقيق التغير في احوال الذي يكون لا في الله سبحانه وتعالى اذ تغير الاحوال واستحالتها من ايات الحدث وامارات الصنعة
قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم قيل فيه بوجهين احدهما ولم يعلم وهو يخرج على وجهين على
احدهما على اثبات انه علم لم يجاهدوا كقول الناس ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن اي ما شاء ان لا يكون والثاني انه عالم بكل شي فلو كان
منكم جهاد لكان يعلم وانما لم يعلمه لانه لم يكن وعلى ذلك قوله عز وجل فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي ليس لهم والثاني في قوله
عز وجل ولما يعلم بمعنى الا كقوله لما عليها حافظ بالتشديد بمعنى الا عليها حافظ فيكون معنى الاية ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
لا تدخلوها الا ان يعلم الله بما جاهدتم اي حتى تجاهدوا فيعلم الله ذلك منكم موجودا والله اعلم وكذلك قوله عز وجل ويعلم الصابرين
اي يعلم ما قد علمه انه يصير صابرا وكذلك قوله وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اي ليعلمن الذين قد علم انهم يصدقون
صادقين وليعلم الذين قد علم انهم يكذبون كاذبين وكذلك قوله عز وجل حتى نعلم المجاهدين اي حتى يعلم ما قد علم انهم يجاهدون
مجاهدين واصله قوله عز وجل عالم الغيب والشهادة ليعلم شاهدا ما قد علم غائبا والله اعلم وقوله عز وجل ويتخذ منكم شهداء
اي يستشهدون في سبيل الله بايدي عدوهم ويحتمل ويتخذ منكم شهداء على الناس كقوله عز وجل وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس وفيه دلالة انهم لا يستوجبون بنفس الايمان الشهادة على الناس حتى يظهر الصيانة والعدالة في انفسهم وقوله
عز وجل وليمحص الله الذين امنوا اي يمحص ذنوبهم وسيئاتهم وقوله عز وجل ويمحق الكافرين اي يهلكهم ويستأصلهم وقوله عز وجل
وليمحص الله الذين امنوا ما ذكرنا من تمحيص الذنوب على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف محاء للذنوب ويمحق
الكافرين اي يهلكهم ولا يكون السيف تمحيصا لهم من الكفر بل يهلكهم في النار وقوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة قيل
بل حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم قيل فيه بوجهين قيل ولما يعلم الله اي ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم
اي لم يجدوا وقيل ولما يعلم الذين جاهدوا منكم ولما بمعنى الا يعلم معنى لا يدخلون الجنة الا ان يعلم الله الذين جاهدوا منكم
وهو كقوله عز وجل ان كل نفس لما عليها حافظ من قرا بالتشديد فكان معناه الا عليها حافظ ومن قراء بالتخفيف فمعناه
لعليها حافظ وما صلة وفي قوله عز وجل ايضا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اي ظننتم ذلك ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
وقال في موضع اخر ولما اصابتكم مصيبة الاية يعني ولم تجاهدوا ولم يصبكم مثل الذي ذكر في ذلك وعد ان يصيب اولئك
الذين خاطبهم به ما اصاب من تقدمهم وان الله قد يعلم انهم يجاهدون قبل الموت وعلى هذا قال القوم في هذا وبل قوله عز وجل
صدقوا ما عاهدوا الله ان يدخلوا الجنة اذا اصاب مثل الذي قوله عز وجل ان كل نفس لما عليها حافظ بالتشديد الا
عليها حافظ فيكون معنى الاخيرة اي لا تدخلوا الا ان يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقد بينا ما في العلم في الحرف الاول على
انه له وجهان ايضا احدهما ان الله لم يعلم بذلك وهو العالم بكل شيء فلو كان لكان يعلم والثاني ان يعلموا ان يكونوا المجاهدين
بعد وسيجاهدون على ما بينا والله اعلم وقوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه قيل فيه بوجهين قيل قوله عز وجل
تمنون ما فيه الموت وهو القتال وقيل تمنون الموت نفس الموت ثم يحتمل وجوها يحتمل تمنون اشفاقا على دينهم الاسلام
لئلا يخرجوا من الدنيا على غير دينهم الذي هو عليه ويحتمل ان يكونوا تمنوا الموت لينجوا ويتخلصوا من تعذيب الكفار وايامهم
وتعييرهم عليهم قيل ان اهل مكة كانوا يعذبونهم طلبوا النجاة منهم والخلاص والله اعلم وقيل تمنون الموت اي تمنون
الشهادة لما سمعوا لها من عظيم الثواب وجزيل الاجر تمنوا ان يكونوا شهداء لله عز وجل احياء عند ربهم والله اعلم وقيل في قوله
عز وجل تمنون الموت وذلك حين اخبر الله عز وجل عن قتلى بدر وما هم فيه من الخير فتمنوا يوما مثل يوم فاراهم الله يوم
احد فانهزموا فعوتبوا بذلك تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه يعني يوم احد وقوله عز وجل فقد رايتموه يحتمل
ايضا وجوها يحتمل فقد رايتم اسباب الموت واهواله ويحتمل فقد رايتم اصحابكم الذين قتلوا بين ايديكم على ما قيل من صرف
قوله عز وجل تمنون الموت الى القتال والله اعلم وقوله عز وجل وانتم تنظرون يحتمل انتم تنظرون الى الموت يعني الى موت
اصحابكم او الى القتال ويحتمل وانتم تنظرون اي تعلمون انكم كنتم تمنون الموت والله اعلم وقوله عز وجل وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يحتمل هذا وجهين يحتمل والله اعلم ان يقول لهم انكم لما امنتم
بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لم تؤمنوا به لانه محمد صلى الله عليه وسلم ولكن امنتم بالذي ارسله اليكم والمرسل حي وان
كان محمد صلى الله عليه وسلم قتل او مات على زعمكم فكيف انقلبتم على اعقابكم قال الشيخ رحمه الله وفي الاية خبر بانقلاب من علم الله
انه يرتد بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عز وجل ومن يرتد منكم عن دينه والشاكرون الذين جاهدوا وهم
قد اخبر الله تعالى انه يحبهم ويحبونه وقال الحسن ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان والله امام الشاكرين ويحتمل وجها
اخر وهو ان من كان قبلكم من قوم موسى وعيسى عليهما السلام كانوا يكذبون رسلهم ما داموا احياء حتى قال لهم موسى عليه
السلام يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم كذلك قال عيسى عليه الصلوة والسلام يا بني اسرائيل اني رسول الله
اليكم مصدقا الاية فاذا ماتوا ادعوا انهم صدقوهم فيما دعوهم اليه وان لم يكونوا على ذلك فلم ينقلبوا على اعقابهم فكيف
تنقلبون انتم على اعقابكم ان مات محمد صلى الله عليه وسلم او قتل والانقلاب على الاعقاب على الكناية والتمثيل ليس على

التصريح

التصريح وهو الرجوع الى ما كانوا عليه من قبل من الدين وقوله عز وجل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا اي
من ارتد بعد الاسلام فلن يضر الله شيئا لانه لم يستعملهم لنفسه ولكن انما استعملهم لانفسهم ليستوجبوا بذلك
الثواب الجزيل في الاخرة فانما يضرون بذلك انفسهم لا الله تعالى والثاني انه انما يامرهم ويكلفهم لحاجة انفسهم لا انه
يامر لحاجة نفسه ومن امر اخر في الشاهد انما يامر لحاجة نفسه لا مر فانه لم ياتمر لحق ضرر نفس ذلك الامر فاذا كان
الله سبحانه تعالى عن ان يامر لحاجته وانما يامر لحاجة المامور فاذا ترك امره ضر نفسه وبالله التوفيق وسيجزي
الله الشاكرين قيل الموحدين لله وقيل الذين امنوا وجاهدوا ويجزيهم في الاخرة وكل متمسك بامر الله ومؤتمر بامره فهو
شاكر وقوله عز وجل وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله يحتمل قوله الا باذن الله اي لا يموت الا بقبض المسلط
على قبض الارواح روحه كقوله قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ان مات او قتل ويحتمل الا باذن الله الا بعلم الله
كتابا مؤجلا قيل وقتا موقتا لا يتقدم ولا يتاخر مات او قتل ما لم تستوف رزقها واجلها وقيل كتابا موجلا اي مثبتا
في اللوح المحفوظ مكتوبا فيه وقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها اي من اراد بمحاسن اعماله الدنيا نؤته منها ومن
يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي من يرد باعماله الصالحات ومحاسنه الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وهو كقوله من
كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها على قدر ما قدر وما له في الاخرة من نصيب
فكذلك هذا ايضا والله اعلم وقوله وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير قيل فيه لغات احدها قاتل معه بالالف وتاويله
وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير فقيل على الاضمار والثاني وكم من نبي قتل معه ربيون كثير برفع القاف والثالث وكم من نبي
قتل معه ربيون كثير فقتل على الاضمار والثالث وكم من نبي قتل بالنصب ومعنى الاية والله اعلم كم من نبي قتل معه فلم تنقلب
اتباعه على اعقابهم بل كانوا بعد وفاتهم اشد اتباعا لهم من حال حيوتهم قالوا لن يبعث الله من بعده رسولا فما لكم تختلط
بيالكم الانقلاب على اعقابكم اذا اخبرتم انه قتل نبيكم او مات وفي انباء هذه الامة قصص الامم الخالية واخبارهم
وجهان احدهما دلالة اثبات رسالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه لم يختلف الى احد منهم ممن يعلم
هذا ثم اخبر بذلك فكان ما اخبر فدل انه علم ذلك بالله والثاني ليعمل بشرايعهم وسننهم الا ما ظهر نسخه بشريعتنا
الا ترى انه ذكر محاسنهم وخيراتهم وانما ذكر ليتبعهم في ذلك ويقتدي بهم وذكر مساويهم وما لحقهم بها لينتهي عنها ويكون
على حذر مما اصابهم بذلك والله اعلم وقوله ربيون كثير اختلف فيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال عالم كثير وعنه الجموع الكثير
وعن الحسن رحمه الله مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الالوف وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله وكاين من نبي
قاتل معه ربيون كثير يقول قاتل الا ترى انه يقول فما وهنوا لما اصابهم ثم اختلف في قوله فما وهنوا وما ضعفوا قيل فما
وهنوا في الدين وما ضعفوا في انفسهم في قتال عدوهم بذهاب النبي صلى الله عليه وسلم من بينهم فما بالكم تضعفون انتم
ويحتمل قوله فما وهنوا يعني فما عجزوا لما نزل بهم من قتل انبيائهم وما ضعفوا في انفسهم لما اصابهم في سبيل الله من البلايا
وقيل قوله عز وجل فما وهنوا يرجع الى قاتل الى المقاتلين في قتل الى الباقين وقوله وما استكانوا قيل لم يذلوا في عدوهم
ولم يخضعوا لقتل نبيهم بل قاتلوا بعده على ما قاتلوا معه فهلا قاتلتم على ما قاتل عليه نبيكم كما قاتلت القرون من قبلكم
اذا اصيب انبياءهم والله اعلم والله يحب الصابرين على قتال عدوهم وعلى كل مصيبة تصيبهم وقوله وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا قيل وما كان قول الامم السالفة عند قتل نبيهم الا ان قالوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا الاية تقول يعلم الله هذه الامة ويعاتبهم هلا قلتم حين توفي اليكم نبيكم كما قالوا القدم في الامم الخالية وقوله
ربنا اغفر لنا ذنوبنا قيل الذنوب هي المعاصي وقوله واسرافنا في امرنا والاسراف هو المجاوزة في الحد والتعدي عن امر
وقيل هما واحد وقوله وثبت اقدامنا يحتمل وجهين ثبتنا على الايمان ودين الاسلام والقدم كناية كقوله فتزل قدم
بعد ثبوتها اي تكفر بعد الايمان كقوله يردوكم على اعقابكم وذكر القدم لما بالقدم يثبت ويحتمل قوله وثبت اقدامنا
في قتال العدو وفزعوا الى الله عز وجل بعد ذهاب نبيهم ليحفظهم على ما كان يحفظهم في حيوة نبيهم وقوله وانصرنا
على القوم الكافرين يحتمل النصر عليهم بالحجج والبراهين ويحتمل النصر بالغلبة والهزيمة عليهم وقوله فاتاهم الله ثواب
الدنيا الذكر والثناء وهم كذلك اليوم يتبعهم ويقتدي اثارهم وهم موتى ويحتمل على ما قيل النصر والغنيمة وقوله وحسن
ثواب الاخرة الدائم وذكر في ثواب الاخرة الحسن ولم يذكر في ثواب الدنيا الحسن لان ثواب الاخرة دائم لا يزول ابدا
وثواب الدنيا قد يزول او لا يشوب في ثواب الدنيا افات واحزان فينقص ذلك وليس ثواب الاخرة كذلك والله اعلم
وقوله والله يحب المحسنين الاحسان يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل المحسن العارف كما يقال فلان يحسن ولا يحسن
ويحتمل المعروف من الفعل مما ليس عليه يصنع الى اخر تفضلا منه واحسانا ويحتمل اختيار الحسن من الفعل والسواء
وكان كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين هذا اختيار المحاسن من الافعال على المساوي والله اعلم ويحتمل المحسنين الى
الى انفسهم باستعمالها فيما به نجاتها وقوله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم يحتمل الطاعة لهم طاعة
الذين اي تطيعوا بهم في كفرهم ويحتمل الطاعة لهم في ترك الجهاد مع عدوهم كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في
الارض وكانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة الاية وقوله ويردوكم على ادباركم
قد ذكرنا اي يردوكم على دينكم الاول وهو على التمثيل والكناية والله اعلم وقوله بل الله موليكم اي اولى بكم او ناصركم
او حافظكم او وليكم وهو خير الناصرين اي خير من ينصر من نصره فلا يغلب كقوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم
وقوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب الاية هذه بشارة من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر

وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا قتل الالوف قال فما وهنوا الا اصحابه ومنه نسخ

حيث اخبر انه يلقي في قلوبهم الرعب وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين
وكان ما ذكر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتيهم بعدوانه ويقصدهم لاذاتهم اتوه وكانوا قبل ذلك يأتون رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويقصد ونه بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي بالشرك ما قذف في قلوبهم من الرعب من غيران كان
لهم بما اشركوا حجة او كتابا او برهان او عذر قال ابن عباس رضي الله عنه السلطان في القران حجة وقوله وماويهم النار
اي مقامهم في النار وبئس مثوى الظالمين اي النار بئس مقام الظالمين وقوله ولقد صدقكم الله وعده اي انجز الله وعده
حيث اخبر انه يلقي في قلوبهم الرعب وقد فعل اذ تحسونهم باذنه قال اهل التفسير اذ تقتلونهم وقوله حتى اذا فشلتم
وتنازعتم في الامر هو على التقديم والتاخير حتى اذا تنازعتم فشلتم اذا التنازع هو سبب الفشل والجبن كقوله فلا تنازعوا فتفشلوا
وقوله عز وجل وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون قيل في القصة ان نفرا من رماة امرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يكونوا في مكان وان لا يدعوا موقفهم فتركوه ووقعوا في غنائم فهو قبوا على ذلك وقوله عز
وجل من بعد ما اراكم ما تحبون يحتمل ما اراكم ما تحبون من الهزيمة والغنيمة ويحتمل ما اراكم من النصر لكم على عدوكم وانجاز الوعد
وقوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ما كنا نعرف ان احدا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل قوله منكم من يريد الدنيا وقوله ثم صرفكم عنهم روي عن ابن عباس رضي
الله عنه في قوله تعالى ثم صرفكم عنهم يعني هزم المسلمون يقول صرفوا عن المشركين منهزمين بعد اذ كانوا هزموهم لكن لما عصوا
وتركوا المركز صرفهم الله عن عدوهم ليبليكم اي ذلك الصرف كان لكم من الله ابتلاء ومحنة وقيل كان العصيان الذي
منكم كان من الله ابتلاء ليعلم من قد علم انه يعصي عاصيا والله اعلم وذكر قوله عز وجل ثم صرفكم عنهم وان كان الانصراف فعلهم
ان الله لفعلهم عاما عليه فعلهم خالقهم وان خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء اذ ذلك اذا كان انصرافا عن العدو معصية و
قد تبرأ الله تعالى عن ان يضاف اليه المعاصي وقد اضاف انصرافهم الى فعله وهو الصرف ثبت انه على فعلهم والله اعلم
ولقد عفا عنكم يحتمل وجهين يحتمل عفا عنكم حيث لم يستاصلكم بالقتل ويحتمل عفا عنكم حيث قبل رجوعكم وتوبتكم عن ذلك
العصيان وهذه الاية قوله عز وجل ثم صرفكم وقوله وتلك الايام نداولها بين الناس يرد على المعتزلة وكذلك قوله
تقا تبرزوا الذين كتب عليهم القتل الاية انهم يتولون هم الذين صرفوا الا ذلك وهم الذين كتبوا عليهم القتل لا الله وهم الذين
يداولون لا الله وقد اضاف عز وجل ذلك الى الشيطان فعلى انه لا يضيف اليه الا من فعل وضع له فيه ولانهم يقولون لا يفعل الا
الاصلح لهم في الدين فاي صلاح كان لهم في صرفهم اياهم عن عدوهم واي صلاح لهم فيما كتب عليهم القتل قد ان الله قد يفعل
بعباده ما ليس ذلك باصلح لهم في الدين والله اعلم وقوله والله ذو فضل على المؤمنين بالعفو عنهم وقبول التوبة حيث عصوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتركوا امره وعلى قدر المعتزلة عليه ان يفعل ذلك فعلى قولهم ليس هو بذي فضل على احد نعوذ بالله
من السرف في القول قال الشيخ رحمه الله الفائدة في تخصيص المؤمنين بالاحسان عليهم دون جملة من بعث النبي صلى الله عليه
وسلم فيهم ومنهم معا ذكر منة بالبعث من انفسهم وقد تبارك بلدنة في بعث من جوهر البشر وجهان احدهما ما لم يعرفوه
بل لم يكن غير نعمة من الله وان كان وانعقة فتمه منه لهم ووجه لهم وللعالمين تحقق من عرفهم ليشكروا له باذكرهم وهو
كقوله عز وجل انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب انهم يقبلون ويعرفون حق الانذار والثاني انه صار لهم
نحة على جميع الاعداء انهم اويطيعون بمعنى كان منهم الا والمؤمنين عليهم وجه رفع ذلك عما كان عليه مما عرفوه قبل الرسالة
كا فيه لزوم القول بعد قدر فيكون ذلك منة لهم وسرور او نعمة عظيمة فاستاد ام الله شكرها ولا قوة الا بالله وقوله
او تصعدون ولا تلوون فيه لغتان تصعدون بفتح التاء وهو من الصعود ان صعد والجبل وتصعدون بالرفع هو ان اصعدوا
اصابهم نحو الوادي لان المنهزم الا قليلا التفت فرأى منهزما احزانه وقيل الاصعاد هو الابعاد في الارض وقيل تصعدون
من صعود الجبل وتصعدون في الوادي من الجبل وقوله ولا تلوون على احد اي لا تلتفتون على احد ولا ترجعون والرسول
يدعوكم في اخريكم اي الرسول يدعوكم وينادي وراءكم الي انا الرسول وقيل ينادي بكم من بعدكم الي انا رسول الله يا معشر
المؤمنين وكان يصعد نداؤه في اخريهم باولهم بعضهم بعض فلم يرجعوا اليه وقوله عز وجل فاثابكم غما بغم اختلف فيه
قيل غم الاول الهزيمة والنكبة التي اصابتهم والغم الاخر الصوت الذي سمعوا قتل محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات
فذلك غم على غم ويحتمل غما بعصيانهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اغتموا والغم الاحزان كيف يعتذرون الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتركهم المركز وعصيانهم اياه والخلاف له وقيل قوله عز وجل فاثابكم غما بغم اي غما بعد المرة الاولى وقيل
غما بغم اي هزيمة بعد هزيمة اصابتهم هزيمة بعد هزيمة من قبل اخوانهم واصابتهم الجراحات وقيل فاثابكم غما بعصيانكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بغم الذي ادخلوه على رسول الله وبترككم المركز والطاعة وفي قوله عز وجل فاثابكم غما بغم وهو غم الهزيمة و
النكبة بالغم الذي ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصيانهم اياه واهمالهم المقعد الذي امرهم بالمقام فيه وقيل
فيه وقيل غما بالغم الذي له تركوا المركز وهو ان غمهم اغتنام اصحابهم وقيل غم الاعتذار الى رسول الله بالغم جفوه بحيث
ما تولى الدنيا وعصوه فيما امرهم وقيل غما على اثر غم نحو القتل والهزيمة ولا رجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقيقة
ان يكون احد الغمين جزاء والاخر ابتداء وفي ذلك تحقيق الزلة والجزاء وذلك كقوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو
عن كثير وقوله عز وجل لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم يعني من الفتح والغنيمة ولا ما اصابكم من القتل والهزيمة ويحتمل
قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا ما اصابكم فيها من انواع الشدائد بما ادخلتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الغم بعصيانكم اياه والله خبير بما تعملون على الوعيد ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة قد اهمتهم انفسهم

بالصدق والامانة حتى كانوا يسمونه محمدا الامين شيخ

قيل فيه بوجهين قيل الطائفة التي اتاهم النعاس هم المؤمنون سمعوا بانصراف العدو عنهم فصدقوا الخبر فناموا لان
الخوف اذا غلب يمنع النوم واما الطائفة التي قد اهمتهم انفسهم هم المنافقون لم يصدقوا الخبر فلم يذهب عنهم الخوف
فلم ينعسوا وذلك كقوله عز وجل يحسبون الاحزاب لم يذهبوا الاية وقيل كانت الطائفتان جميعا من المؤمنين لكن
احدهما قد اتاها النعاس لما امنوا العدو والاخرى لا بعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم امره منع ذلك
النوم عنهم ان كيف يلقون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف يعتذرون اليه والله اعلم وعن ابن مسعود رضي الله
عنه قال النعاس في الصلوة من الشيطان وفي القتال امنة من الله وقوله عز وجل يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية قيل
يظنون بالله ان لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي غير المؤمنين وقيل يظنون بالله غير الحق ظنوا كاذبا كظن اهل
شرك وريبة في امر الله يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وقوله يقولون هل لنا من الامر من شيء قيل يقولون
بعضهم لبعض من الامر من شيء يعني بالامر النصر والغنيمة وقيل قالوا ذلك للمؤمنين قل ان الامر كله لله يعني النصر
الفتح كله بيد الله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك والذين يخفون قولهم لو اقمنا في منازلنا ما قتلنا هاهنا وقيل يقولون
لو كان لنا من الامر شيء قالوا ليس لنا من الامر من شيء انما الامر الى محمد ولو كان الامر ما خرجنا الى هؤلاء حتى قتلنا هاهنا
قال الله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قيل لو كنتم في بيوتكم كما يقولون لبرز يعني لخرج
من البيوت الذين كتب عليهم القتل لظهر الذي كتب عليه حيث كان وقيل اذا كتب على احد القتل لا ماه ولو كان في بيت وكقوله
اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقيل متى كتب الله على قوم القتل فلم يموتوا بدا وفي هذا بيان ان الاجال
المكتوبة هي التي تنقضي بالاعمال ان كان قتلا فقتل وان كان موتا فموت لا على ما قالت المعتزلة ان القتل يعجل من اجله
المكتوبة له وعليه والله اعلم وقوله عز وجل وليبتلي الله ما في صدوركم والابتلاء هو الاستظهار كقوله عز وجل يوم
تبلى السرائر تبتدي وتظهر وذلك يكون بوجهين يظهر بالجزاء مرة ومرة بالكتاب يعلم الخلق من كانت سريرته حسنة
بالجزاء وكذلك اذا كانت سيئة ويعلم ذلك بالكتاب وقوله تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليظهر الله للخلق ما في صدورهم
مما مضى وليجعله ظاهرا لهم وليمحص ما في قلوبكم من الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الابتلاء والتمحيص واحد
وقوله عز وجل والله عليم بذات الصدور يقول هو عالم بما في صدورهم من سرائرهم ولكن يجعلها ظاهرا عندكم ويحتمل
الابتلاء هاهنا الامر بالجهاد ليعلموا المنافق منهم من المؤمن والله اعلم وقوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
يعني ان الذين انصرفوا عن عدوهم مدبرين منهم منهزمين يوم التقى الجمعان لجمع المؤمنين وجمع المشركين وقوله انما استزلهم
الشيطان ببعض ما كسبوا اي انما انهزموا ولم يثبتوا خوفا ان يقتلوا بالثبات فيلقوا الله وعليهم عصيانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم كرهوا ان يقتلوا وعليهم معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفا من الله تعالى عز وجل ولقد عفا الله عنهم
عما خافوا الله بعصيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل قوله عز وجل انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
ان اللعين لما راهم اجابوه الى ما دعاهم من اشتغالهم بالغنيمة وترك المركز وعصيانهم رسول الله صلى الله وسلم دعاهم
الى الهزيمة فانهزموا وتولوا عدوهم ويحتمل قوله ببعض ما كسبوا اي بكسبهم قال الله عز وجل وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم فكذلك هذا والله اعلم ان الله غفور حليم قبل توبتكم وعفا عنكم حليم لم ياخذ وقت عصيانكم ولا عاقبكم
وحليم بتاخير العذاب منكم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض
او كانوا غزى الاية اختلف في قوله تعالى كالذين كفروا قال بعضهم نهى المؤمنين ان يكونوا كالذين كفروا في السر والعلانية
وقالوا لاخوانهم يعني المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقيل لا تكونوا كالمنافقين عنه قالوا لاخوانهم يعني لبعضهم
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقيل قالوا لاخوانهم يعني المؤمنين تولوا وهم كانوا اخوانهم في النسب وان لم يكونوا اخوانهم
في الدين والمذهب لا حاجة لنا الى معرفة قائلة من كان ولكن المعنى ان لا يقولوا مثل قولهم من قبل وقوله اذا ضربوا في الارض
تجارا وغزى اي غزاة وقيل قوله اذا ضربوا في الارض وكانوا غزاة على اسقاط الالف وقوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم اي يجعل الله ذلك القول الذي قالوا حسرة يتردد في اجوافهم ويحتمل قوله ليجعل الله ذلك حسرة يوم القيامة
كقوله اعمالهم حسرات عليهم وقوله عز وجل والله يحيي ويميت اي والله يحيي من ضرب في الارض وغزا ويميت من قام
ولم يخرج غازيا اي لا يتقدم الموت بالخروج في الغزو ولا يتاخر بالمقام وترك الخروج دعاهم الى التسليم انما هي انفاس معدودة
وارزاق مقسومة واجال مضروبة ما لم يفنها واستوفاها وانقضى اجلها لا يأتيها والله بما تعملون بصير وعيد وقوله عز وجل
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير ان الموت ان كان لا بد نازلا بكم بقتلكم وموتكم في طاعته وجهاده
خير من ان ينزل بكم في غير طاعة الله وسبيله ومغفرة من الله خير مما تجمعون من الاموال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
اي ان متم على فراشكم او قتلتم في سبيل الله فاليه تحشرون فمعناه والله اعلم اي انكم تقدرون على ان لم تحشروا اليه كيف
تقدرون ان لا ينزل على فراشكم بكم الموت وان اقمتم في بيوتكم والله اعلم وقوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم يحتمل هذا
وجهين يحتمل فبرحمة من الله عليك لنت لهم فيجب ان تكون لا انسان رحيما على خلقه على ما جاء في الخبر قال لاصحابه لن تدخلوا
الجنة حتى تراحموا فقيل كلنا نرحم يا رسول الله فقال ليس تراحم الرجل ولده او اخاه ولكن يتراحم بعضهم بعضا او كلام
نحو هذا وما جاء من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا وما جاء من لم يرحم اهل الارض لم يرحمه اهل السماء كما قال الله
تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله الاية وقد امر الله عباده ان يعامل بعضهم بعضا بالرحمة واللين الا عند
المعاندة والمكابرة فحينئذ امر بالقتال كقوله لموسى وهارون حيث ارسلهما الى فرعون فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر

من وقيكون المراد حرف الواو اوحرف الواو شيخ

او يخشى وكان اللين من القول انفذ من القلوب واسرع الى الاجابة وادعى الى الطاعة من الخشن من القول وذلك ظاهر في الناس
لذلك امر الله عز وجل رسلهم باللين من المعاملة والرحمة على خلقه وجعله سبب تاليف القلوب وجمعها وجعل الخشن من القول
والفظ سبب الفرقة بقوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك لو كنت في الابتداء فظا غليظا لتفرقوا
ولم يجتمعوا عندك وقوله عز وجل فاعف عنهم باذاهم اياك ولا تكافهم واستغفر لهم فيما بينهم وبين ربهم ويحتمل قوله
فاعف عنهم واستغفر لهم بما عصوك ولا تنتصر منهم وكذلك امر الله المؤمنين جملة ان يعفو عنهم وان لا ينتصروا منهم
بقوله فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره وكان ارجى اية للمؤمنين قوله واستغفر لهم قال الله تعالى قل للذين امنوا يغفروا
للذين لا يرجون الاية وقوله ايضا واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات لا جائز ان يامر بالاستغفار لهم ثم لا يفعل
واذا فعل الايجاب فدل انه ما ذكرنا والله اعلم وكذلك دعا ابراهيم صلوات الله عليه رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب ودعا نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات لا يجوز ان يدعوا هؤلاء
الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ثم لا يجاب لهم وقوله عز وجل وشاورهم في الامر امر الله عز وجل نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يشاور اصحابه في الامر ففيه وجوه ثلاثة احدها انه لا يجوز ان يامر بالمشاورة فيما فيه النص ففيه دليل
جواز العمل بالاجتهاد والثاني لا يخلو امره بالمشاورة اما لعظم قدرهم وعلو منزلتهم عند الله او لفضل العقل ورجحان
اللب فكيف ما كان فلا يجوز لمن دونهم ان يسوء انفسهم بهم ولا جائز ايضا ان يامر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه
رضوان الله عليهم اجمعين ثم لا يعمل برايهم دل انهم اذا اجتمعوا كان الحق لا يشذ عنهم وقال بعضهم انما امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بمشاورتهم في امر الحرب والقتال وعن الحسن رضي الله عنه لما انزل الله تعالى وشاورهم في الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
ورسوله غنيان عن مشاورتكم ولكن اراد ان يكون سنة لامته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كانت تقواء ويشاورهم في بعض
الامر وقيل امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يشاور اصحابه في الامور وهو ياتيه وحي السماء لانه اطيب لانفس القوم وان
القوم اذا شاور بعضهم بعضا فارادوا بذلك وجه الله عزم الله لهم على رشده وقيل ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا
سيدها ان يقطع امرا دونهم لا يشاورهم في الامر شق عليهم فامر الله النبي صلى الله عليه وسلم ان يشاورهم في الامر اذا اراد
فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم وفي بعض الاخبار قيل يا رسول الله ما الحزم قال ان تستشير ذا الراي ثم تطيعه
وكان يقال ما هلك امرؤ عن مشورة ولا سعد بتور الذي لا يستخير ويعمل برايه وقوله عز وجل فاذا عزمت فتوكل على الله
اي لا تتكل الى نفسك ولا تعتمدن على احد ولكن اعتمد على الله وكل الامر اليه وقيل فاذا فرق ذلك الامر بعد المشاورة فامض
لامرك فان كان في امر الحرب على ما قيل فهو والله اعلم لا تعجبن بالكثرة ولا ترين النصر به ولكن اعتمد بالنصر على الله كقوله
تعالى اذا اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا والله اعلم بما اراد بذلك كقوله وما النصر الا من عند الله وقوله عز وجل ان ينصركم الله فلا
غالب لكم صدق الله من كان ناصره فلا يغلبه العدو من بعد وان يخذلكم اي يترككم فمن ذا الذي ينصركم والنصر يحتمل وجهين يحتمل
المعونة ويحتمل المنع كقوله تعالى وما لهم من ناصرين وقوله عز وجل ان ينصركم الله اي اعانكم الله فلا يغلبكم العدو وان يخذلكم
فمن الذي اعانكم سواه ومن المنع اي ان منع اي ان منع الله منكم العدو فلا غالب لكم وان يخذلكم ولم يمنعكم فمن الذي اعانكم يمنعكم
من بعده والخذلان في الحقيقة هو ترك المامور منه ما امل منه واستعمل وهذا كما استعمل الابتلاء على غير حقيقة وقوله عز وجل
وعلى الله فليتوكل المؤمنون هو على الامر في الحقيقة كانه قال وعلى الله فتوكلوا ايها المؤمنون والتوكل هو الاعتماد عليه وتفويض
الامر اليه لا بالكثرة والاسباب التي يقوم بها من نحو القوة والنصرة والغلبة وفي الشاهد انما يكون عند الخلق ثلاث
اما بالكثرة واما بفضل قوة بطش واما بفضل تدبير وراي في امر الحرب وجميع نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلبته على عدوه
انما كان لا بذلك ولكن بالتوكل عليه وتفويض الامر اليه دل ان ذلك كان بالله عز وجل وذلك من ايات نبوته صلى الله عليه وسلم
وقوله عز وجل وما كان لنبي ان يغل فيه قراءتان بنصب الياء ورفع الياء ونصب الغين ومن قرا بنصب الياء فذلك يحتمل وجهين
يحتمل ما كان لنبي ان يغل اي لم يكن نبي من الانبياء غل قط وهو احق من لا يتهموه بعلمكم به فكيف اتهمتموه هذا بالغلول وقيل انه
لما من المنافقين خشوا ان لا يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة بينهم فطلبوا القسمة فنزلت هذه الاية وقيل قالوا
اعدل يا محمد في القسمة فنزل هذا ويحتمل قوله وما كان لنبي ان يغل اي قد كنتم عرفتموه من قبل ان يرسل فما عرفتموه خان قط
وغل فكيف يحتمل الخيانة بعد ما ارسل هذا لا يحتمل ومن قرا بالرفع فهو ايضا يحتمل وجهين اي يتهم بالغلول في الغنيمة فهو يرجع
الى تاويل الاول ويحتمل قوله ان يغل ان يخاف في الغنيمة لا يخون ولا يخاف النبي في القسمة فانه يطلع على ذلك يطلع الله رسوله
على ما جاء في بعض الاخبار انه مر بقبر فقال انه في عذاب قيل بماذا يا رسول الله فقال انه كان اخذ من الغنيمة قدر درهمين
او نحوه ويحتمل خصوص الغنيمة بما تناول الغال حلة بما لا يعرف له صاحب كالمال الذي لا مالك له وربما يباح التناول منه
للحاجة والاخذ بغير البدل بوجه لا يحتمل تلك الكل من ذلك وقوله عز وجل يات بما غل يوم القيامة اي يؤخذ به
يوم القيمة وهكذا الكل من اخذ من مال غيره بغير اذنه فانه يؤخذ به وقال بعض الناس وانما خص الغنيمة بفضل وعيد لان الغلول
فيها يجحف بحق الفقراء واهل الحاجة او نحو ذلك اضاف الخلق وسائر الاموال ليس كذا وقيل انما جاء الوعيد في هذا انهم كانوا
اهل نفاق سيغلون الغلول في الغنيمة والاخذ منها وهذا كان اشبه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم جيشا فغلوا راس ذهب فنزلت الاية وما كان لنبي ان يغل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ايضا قال فقدت قطيفة
حمراء يوم بدر مما اصيب من المشركين فقال الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها لنفسه فانزل الله تعالى وما كان
لنبي ان يغل وقوله عز وجل فمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله قيل افمن لم يغل ولم ياخذ من الغنيمة شيئا كمن غل

واخذ منها

واخذ منها اليسا سواء رجع احدهما برضوان الله والاخر بسخط ويحتمل فمن اتبع رضوان الله اي فمن اطاع الله واتبع امره
كمن عصى الله واتبع هواه ليسا سواء وقوله عز وجل هم درجات عند الله والدرجات والله اعلم ما يقصدها اهلها والدركات
ما يدركهم من غير ان يقصد وهما كالدرك في العقود يدرك من غير قصد وقيل الدرجات ما يعلو والدركات ما يسفل والله اعلم
فهذا في التسمية المعروفة ان سميت النار دركات والجنة درجات وحقيقة ذلك واحد والاية تدل على الامرين وقوله
عز وجل لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وجه المنة فيما بعث الرسل عليهم من البشر ولم يرسلهم
من الملائكة ولا من الجن وجوه احدها ان كل جوهر يالف بجوهره وينضم اليه ما لا يالف بجوهر غيره ولا ينضم الى جنس
اخر فاذا كان كذلك والرسل انما بعثوا لتاليف قلوب الخلق وجمعهم والدعاء الى دين يوجب جمع بينهم ويدفع الاختلاف
من بينهم فاذا كان وصفنا بعثوا من جوهرهم وجنسهم ليالفوا بهم وينضموا اليهم والله اعلم والثاني ان الرسل لا بد لهم من ان
يقيموا ايات وبراهين لرسالتهم فاذا كانوا من غير جوهرهم وجنسهم لا يظهر لهم الايات والبراهين لما يقع عندهم انهم انما
ياتون ذلك بطباعهم دون ان ياتوها بغير اعطائهم اياها ذلك والثالث ان ليس في وسع البشر معرفة غير جوهرهم
وغير جنسهم من نحو الملائكة والجن الا ترى ان البشر لا يرونهم فاذا كان كذلك بعثوا منهم ليعرفوهم وليظهر لهم الحجة
والله اعلم ثم المنة الثانية حيث بعثهم من نسبهم وجنسهم لم يبعثهم من غيرهم وذلك انهم اذا بعثوا من غير قبيلتهم وجنسهم
لم يظهر لهم صدقهم ولا امانتهم فيما ادعوا من الرسالة فبعثهم منهم ليظهر صدقهم وامانتهم لما ظهر صدقهم وامانتهم في
غير ذلك فيدل ذلك لهم انهم لما لم يكذبوا بشيء قط ولا خانوا في امانة لا يكذبون على الله تعالى والثاني انهم اذا كانوا من غير نسبهم
فلعلهم اذا اتوا باية او براهين يقولون انما كان ذلك بتعليم من احد واختلاف الى احد ممن يفتعل بمثل هذا بعثهم الله منهم
ليعلموا انهم اذا لم يتعلموا من احد ولا اختلفوا فيه انهم انما علموا ذلك بالله تعالى لا باحد من البشر والله اعلم الا ترى ان ما اتى به
موسى صلوات الله عليه من الايات من نحو العصا واليد البيضاء وغير ذلك لو كان سحرا في الحقيقة لكان من اعظم ايات رسالته
لانه لم يعرف انه اختلف الى احد في تعلم السحر قط وقد نشا بين اظهرهم فكيف ولم يكن سحرا فدل ان الله على خلقه منة عظيمة فيما
بعث الرسل من نسبهم وقرابتهم وممن نشا بين اظهرهم لمعنى الذي وصفنا والله اعلم وقيل قوله رسولا من انفسهم اي
من العرب معروف النسب اميا ليعلموا انه انما اتى بما اتى به سماويا وحيا وان لا يرتابوا في رسالته وفيما يقوله كقوله ولا تخطه
بيمينك اذا لارتاب المبطلون الاية وقوله عز وجل يتلو عليهم اياته يحتمل اعلام رسالته ونبوته ويحتمل الايات الحجج والبراهين
هما واحد ويحتمل ايات القران وقوله عز وجل ويزكيهم يحتمل التزكية من الزكاء والنماء وهو ان اظهر ذكرهم وافشى شرفهم
ومذاهبهم حتى صاروا ائمة يذكرون ويقتدون بهم بعد موتهم كقوله تعالى قد افلح من زكاها اظهره ولم يخمل ذكره الا ترى انه قال
وقد خاب من دساها اي اخفاها واخملها ويحتمل يزكيهم اي يطهرهم بالتوحيد وقيل يزكيهم اي ياخذ الزكوة ليطهرهم
وقوله عز وجل ويعلمهم الكتاب والحكمة ان ينصرف الى وجوه وقد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل وان كانوا وقد كانوا
من قبل لفي ضلال مبين وقد ذكرنا الضلالة انه يتوجه الى وجوه الى الهلاك والى الحيرة والى خمول الذكر وغيره وقوله عز وجل
اولما اصابتكم مصيبة يوم احد حيث قتل منكم سبعون فقد اصبتم مثليها يوم بدر قتلتم سبعين واسرتم سبعين وقيل ان
ذلك كله يوم احد كانت الدبرة والهزيمة على المشركين في ابتدائه ثم هزم المؤمنون يقول ان اصابكم في اخره ما اصاب فقد اصبتم
ايضا مثليها يذكر هذا لهم والله اعلم على التسلي بما اصيبوا ليتسلى بذلك عنهم او يذكرهم نعمته عليهم بما اصيب المشركون مثلي ذلك
ليشكروا له عليها وليعلموا انهم لم يخصوهم بذلك وقوله عز وجل قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم كانه يعاتبهم بتركهم
الاشتغال بالتوبة عن ما ارتكبوا من عصيان ربهم والخلاف لنبيهم صلى الله عليه وسلم اذ مثل ذلك الكلام لا يكون الا ممن
كان متبريا عن ارتكاب المنهي والخلاف له فلا يسع ذلك او كان ما اصابهم انما اصاب بمحنة منه والله ان يمتحن عباده بانواع المحن
على يدي من شاء اذ كلهم عبيده فعاتبهم لما لم يعرفوا المحنة وقلتم انى هذا ونحن مسلمون نقاتل في سبيل الله وهم مشركون فقال
هو من عند انفسكم يقول بمعصيتكم الرسول صلى الله عليه وسلم وبترككم ما امركم به من حفظ المركز وغيره كقوله وما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قال الشيخ رحمه الله في قوله تعالى قلتم انى هذا يخرج ان كان من اهل النفاق مخرج الاستهزاء اي
لو كان ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم من النصر له والرسالة حقا فمن اين بل هذا وذلك كقولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها
هنا وقولهم يوم الخندق ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وغير ذلك مما عليه معتقدهم في اظهار الاسلام والله اعلم وان كان
ذلك من اهل الايمان فهو سؤال لتعريف الوجه الذي بلوا به وهم انصار دين الله وعد لانصار دينه النصر وان الذي ينصره الله
لا يغلبه بشيء وكان قد وعدوا القاء الرعب في قلوب اعدائهم او بما كانوا وا الدبرة عليهم والهزيمة من الاعداء فيقولون بم
انقلب علينا الامر فيتبين انه بما قد عصوا وما لا وعن الله وان كان ذلك من بعضهم لا عن كلهم فجائز ذلك بحق المحنة اذ قد يجوز الجد
بر كما ذلك عن المعاصي ازجر والاجتماع على الطاعة ادعى اذ المحنة بمثله تدعوا كلا الى اتقاء الخلاف ومنع الخوانة ايضا عن ذلك
فيكون به التالف وصلاح ذات البين والله اعلم وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير من النصر والهزيمة ولكن ما اصابكم
انما اصاب بمعصيتكم ربكم وخلافكم رسوله صلى الله عليه وسلم واصابكم محنة منه اياكم وقوله عز وجل ما اصابكم يوم التقى الجمعان
جمع المؤمنين وجمع المشركين فباذن الله قيل فبمشية الله وارادته وقيل فباذن الله فبتخلية الله اياكم لما اطمعهم راو النصر
والغلبة بالكثرة او بالقوة والعدة فخلاهم الله بينهم وبين عدوهم ليعلموا ان امثالهم مع قلتهم وضعفهم لا ينصرون
من امثال هؤلاء مع كثرة عددهم وقوة ابدانهم وعدتهم في سلاحهم ولكن بالله ينتصرون منهم ويغلبون عليهم وقيل
فباذن الله فبعلم الله اي بعلم الله ما يصيبكم من خير او شر ليس عن سهو وغفلة منه يصيبكم وقوله عز وجل وليعلم المؤمنين

ولیعلم الذین نافقوا ما ذکرنا فیما تقدم لیعلم ما قد علم انهم یؤمنون ویصبرون علی البلاء والقتال مؤمنین صابرین محتسبین وکذلک
لیعلم ما قد علم انهم ینافقون ولا یصبرون منافقین غیر صابرین ولا محتسبین وقوله عز وجل وقیل لهم تعالوا قاتلوا فی سبیل
او ادفعوا قوله او ادفعوا یحتمل وادفعوا ای کثروا السواد لان المشرکین اذا راوا سواد المؤمنین کثیرا یرهبهم ذلک ویخوفهم کقوله عز
وجل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخیل ترهبون به عدو الله وعدوکم ویحتمل وادفعوا العدو عن انفسکم لما لعلهم
یقصدون انفس المؤمنین المقاتلین او ادفعوا عن اموالکم وذراریکم ویقصدون ذلک او ادفعوا عن دینکم اذا قصدوا دینکم وقد
یقصدون ذلک او ان یکون قوله عز وجل قاتلوا فی سبیل الله او ادفعوا واحدا ای قاتلوا فی سبیل الله او ادفعوا والله اعلم وقوله عز
وجل هم للکفر یومئذ اقرب منهم للایمان یعنی المنافقین اخبر انهم الی الکفر اقرب من الایمان للکفر والی الکفر من الکفر کل ذلک لغة وفی حرف
حفصة الی الکفر اقرب الی الکفر اقرب وتاویله والله اعلم ان المنافقین کانوا لا یعرفون الله عز وجل ولا کانوا یعبدونه فانما هم
عباد النعم یمیلون الی حیث ما له النعمة اذ کانت مع المؤمنین فیظهرون من انفسهم الوفاق لهم وان کانت مع المشرکین
فمعهم کقوله عز وجل الذین یتربصون بکم فان کان لکم فتح من الله قالوا الم نکن معکم الایة وکقوله عز وجل ومن الناس من یعبد الله
علی حرف الایة واما الکفار فانهم کانوا یعرفون الله لکنهم کانوا یعبدون الاصنام والاوثان لو جعلن احدهما لما تخذها اربابا
والثانی یصلون بذلک تقربهم الی الله زلفی کقوله ما نعبدهم الا لیقربونا الی الله زلفی لکنهم اذا اصابتهم الشدة ولم یروا فیها
عبدوا الفرج عن ذلک فزعوا الی الله عز وجل کقوله تعالی فاذا رکبوا فی الفلک دعوا الله مخلصین له الدین فاذا ذهب ذلک عنهم
عادوا الی دینهم الاول وقوله عز وجل واذا مس الانسان ضر دعا ربه منیبا الیه الایة واما المؤمنون فهم فی جمیع احوالهم
الرخاء والشدة والضراء والسراء مخلصین لله صابرین علی مصائبهم وشدائدهم قالوا انا لله وانا الیه راجعون وقوله عز
وجل للکفر یومئذ اقرب منهم للایمان یحتمل هذا وجوها قیل انما کانوا کذلک لانهم کانوا یقولون للمؤمنین الم نکن معکم وان کان
للکافرین نصیب قالوا الم نستحوذ علیکم ونمنعکم من المؤمنین ذکروا کونهم مع المؤمنین وذکروا للکافرین استحواذهم علیهم
ومنعهم عن المؤمنین علی المؤمنین فذلک انهم الی اقرب منهم ویحتمل اقرب منهم للایمان لان ما اظهروا من الایمان کذب
والکفر نفسه کذب فما اظهروا من الایمان فهو کذب الی الکذب الذی هم علیه اقرب وهو الکفر وعن ابن عباس رضی الله عنهما
للکفر یومئذ اقرب منهم للایمان قال هم یومئذ یسرون الکفر ویظهرون الایمان وستر العبد اولی من علانیته وفعله اولی به من قوله
یقولون بافواههم ما لیس فی قلوبهم وهو قولهم وقیل وهم منهم اقرب لانهم کانوا فی الحقیقة کفارا علی دینهم وفی قوله تعالی هم
للکفر یومئذ اقرب منهم للایمان یحتمل الذم وقیل کقوله عز وجل ولو دخلت علیهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها فیکون
الوصف بالقرب علی الوقوع والوجوب کقوله عز وجل ان رحمة الله قریب من المحسنین ای هی لهم وبالله التوفیق وذلک لانهم
کانوا اهل نفاق والکفر لم یکن یفارق قلوبهم وما کان من ایمانهم کان بظاهر اللسان ثم قد یفارقها فی الکثیر اوقاتهم والله اعلم وقد یکون
علی القرب من حیث کانوا شاکین فی امر الکفر والایمان لم یکن الایمان اذ حقیقته تصدیق عن معرفة ولم یکن لهم معرفة والکفر قد یکون
بالتکذیب کان له بما یکذب علم بالکذب او لا فلذلک کان الکفر اقرب الیهم ویحتمل اقرب الیهم اولی بهم وهم به احق ان یعرفوا بما جعل
الله لهم من اعلام ذلک فی لحن القول ثم فی فعل الخیر ثم فی احوال الجهاد وبما یظهر منهم من اثار الکفر فی الاقوال والافعال
مما جاء به القران والله اعلم فان قیل فی قوله اولما اصابتکم مصیبة قد اصبتم مثلیها قلتم انی هذا قل هو من عند انفسکم کیف عم هؤلاء
بالعقوبة وانما کان العصیان والخلاف فی الامر من بعضهم لا من الکل قیل لما خرج لهم ذلک مخرج الامتحان والابتلاء لا مخرج الجزاء
لفعلهم ولله ان یمتحن عباده ابتداء بانواع المحن من غیر ان یسبق منهم خلاف فی الامر وعصیان وکل عقوبة خرجت مخرج جزاء
عصیان وخلاف فی امر لم یؤاخذ غیر مرتکبها لقوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخری خرج مخرج الامتحان جاز ان یعمهم لما ذکرنا ان لم
ابتداء وان کان لما کان منهم بمعونة غیرهم فعمهم لذلک بذلک کقطاع الطریق وکراق ان تعمهم العقوبة جمیعا من اخذ ومن لم یاخذ
ومن تولی ومن لم یتول فکذلک هذا وکانوا جمیعا کنفس واحدة فعمهم بذلک والله اعلم وقوله عز وجل الذین قالوا لاخوانهم فی الدین
ومعارفهم من المنافقین لو اطاعونا ولم یخرجوا الی الجهاد وما قتلوا وقیل لاخوانهم فی النسب والقرابة ولیسوا باخوانهم
فی الدین والولایة کقوله عز وجل والی ثمود اخاهم صالحا لیس باخیهم فی الدین والولایة کقوله عز وجل ولکن کان اخوهم
فی النسب والقرابة لو اطاعونا وقعدوا عن الخروج فی الجهاد ما قتلوا فی الغزو ثم قال لنبیه صلی الله تعالی علیه وسلم ان قل
لهم فادرءوا عن انفسکم الموت ای ادفعوا عن انفسکم الموت ان کنتم صادقین بانهم لو قعدوا فی بیوتهم ما قتلوا فمعناه والله
اعلم ان من قتل فی سبیل الله فمکتوب ذلک علیه ومن مات فی بیته فمکتوب علیه فاذا لم تقدروا دفع ما کتب علیکم من الموت
کیف زعمتم انهم لو قعدوا ما قتلوا وهو مکتوب علیهم کالموت وفی هذه الایة ترد علی المعتزلة قولهم انهم یقولون
ان من قتل مات قبل اجله وقیل ان یستوفی اجله فهم والیهود فیما انکروا الله علیهم قولهم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا
سواء بقوله فادرءوا عن انفسکم الموت ان کنتم صادقین وقوله عز وجل ولا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله امواتا قیل فیه
بوجوه قیل ان المنافقین قالوا للذین قتلوا باحد وبدر ماتوا کسائر الموتی بل احیاء عند ربهم وقیل قالوا ان من قتل
لا یحیی ابدا ولا یبعث فقال عز وجل بل یحیون ویبعثون کما یحیی ویبعث غیرهم من الموتی وقیل ان العرب کانت تسمی
المیت من انقطع ذکره اذا مات ولم یذکر ای لم یبق له احد یذکره فقالوا اذا قتل هؤلاء ماتوا ای لا یذکرون فاخبر الله
عز وجل انهم مذکورون فی ملاء الملائکة وملاء البشر وهو الظاهر المعروف فی الخلق ان الشهداء مذکورون عندهم
وقیل قوله عز وجل بل احیاء عند ربهم ای یجری ما لهم بعد قتلهم کما کان یجری فی حال حیوتهم فهم کالاحیاء فیما
یجری لهم ثواب اعمالهم وجزائهم لیسوا باموات وقیل ان حیوتهم حیاة کلفة وذلک انهم امروا باحیاء انفسهم فی الاخرة

ففعل المؤمنون ذلک احیوا انفسهم فی الاخرة فسموا احیاء لذلک والکفار موتی وقیل سمی هؤلاء احیاء لانهم انتفعوا بحیوتهم
وسمی الکفار امواتا لما لم ینتفعوا بحیاتهم الا تری انه عز وجل سماهم صما بکما عمیا لما لم ینتفعوا بسمعهم ولا بصرهم ولا
بلسانهم ولم یسم بذلک المؤمنین لما انتفعوا بذلک کله فعلی ذلک سمی هؤلاء احیاء لما انتفعوا بحیوتهم واولئک الکفرة موتی
لما لم ینتفعوا بحیاتهم والله اعلم وقال الحسن ان ارواح المؤمنین یعرضون علی الجنان وارواح الکفار علی النار فیکون لارواح
الشهداء افضل لذة مما لا یکون لارواح غیرهم من الکفرة وذلک فاستوجبوا بفضل اللذة علی غیرهم اسم الحیوة الا تری
انه قال تعالی یرزقون فرحین بما اتاهم الله عز وجل من فضله وقیل وقیل ان الناس کانوا یقولون فیما بینهم من قتل ببدر
واحد مات فلان وفلان ومات فلان فقال عز وجل ولا تقولوا لمن یقتل فی سبیل الله امواتا وقوله عز وجل یرزقون
فرحین بما اتاهم الله من فضله روی عن مسروق قال سالت عبد الله بن مسعود رضی الله عنه عن هذه الایة ولا تحسبن
الذین قتلوا فی سبیل الله الایة قال سالت عن ذلک رسول الله صلی الله علیه وسلم فقال ارواحهم عند الله فی حواصل
طیر خضر لها قنادیل معلقة بالعرش تسرح فی الجنة فی ایها شاءت ثم تاوی الی قنادیلها والحدیث طویل وقوله عز وجل
ویستبشرون بالذین لم یلحقوا بهم من خلفهم الایة عن ابن عباس رضی الله عنه قال ینزل علیهم صحف مکتوب فیها من یلحق بهم
من الشهداء فبذلک یستبشرون وقیل یستبشرون لاخوانهم الذین فارقوهم علی دینهم وامرهم بما قدموا علیه من الکرامة
والفضل والنعم الذی اعطاهم الله وقیل یستبشرون یعنی یفرحون بالذین لم یلحقوا بهم من خلفهم یعنی من بعدهم
من اخوانهم فی الدنیا اذا قتلوا استشهدوا ولحقوا وقیل لم یلحقوا بهم من خلفهم الذین یدخلون فی الاسلام من بعدهم
والاستبشار هو الفرح وطلب البشارة کانهم طالبوا البشارة لقومهم لیعلموا بکرامتهم عند الله ومنزلتهم کقول من
قال یا لیت قومی یعلمون بما غفر لی ربی وجعلنی من المکرمین وقیل ان الحیوة علی ضربین حیوة الطبیعی وحیوة العرضی وکذلک
الموت علی وجهین موت الطبیعی وموت العرضی ثم حیوة العرضی علی وجوه احدها حیوة الدین والطاعة کقوله عز وجل
اومن کان میتا فاحییناه وحیوة العلم والبصر والیقظة سمی العالم حیا والجاهل میتا وحیوة الزینة والشرف علی ما
سمی الله تعالی الارض میتة فی حال یبسها وحیة فی حال خروج النبات منها بقوله عز وجل فاذا انزلنا علیها الماء اهتزت
وربت ان الذی احیاها وحیوة الذکر واللذة فجائز ان یکون الله تعالی لما اخبر انهم احیاء عند ربهم ان یکون لهم حیوة
من الوجوه التی ذکر و لذة او حیوة زینة وشرف او حیاة العلم لهم باهل الدنیا علی ما کان لهم قبل ذلک او حیوة دین
وعبادة او یجری علیهم اعمالهم قبل الشهادة وان کانت اجسادهم فی الحقیقة میتة فی احکام الدنیا عند اهل الدنیا وهذا
یقوی قولنا فی المرتد انه اذا لحق بدار الحرب یحکم فی نفسه وماله بحکم الموتی فی قسمة المواریث وقضاء الدیون وغیرها وان
کان هو فی الحقیقة حیا علی ما حکم فی اموال الشهداء وانفسهم بحکم الموتی فی حکم الدنیا لما بعدوا عن الدنیا وان کانوا عند ربهم
احیاء فعلی ذلک یحکم فی نفس المرتد وامواله بحکم الموتی لما لا یعود الی دارنا وان کان هو فی الحقیقة حیا عند الله لما جاز ان یکون
حیا عند الله میتا عندنا جاز ایضا ان یکون میتا عندنا حیا عند الله والله اعلم وحیوة الطبیعی هو حیوة جوهره وما به تقوم
النفس وموت الطبیعی هو هلاکه وفوته والله اعلم وموت العرضی هو جهله والله اعلم وقوله عز وجل یستبشرون بنعمة
من الله وفضل ای بالدین من الله کقوله تعالی فاصبحتم بنعمته اخوانا قیل بدینه ویحتمل بنعمته من الله الجنة وفضل زیادات
لهم وکرامات من الله عز وجل وقوله عز وجل وان الله لا یضیع اجر المؤمنین ای لا یضیع من حسناتهم وخیراتهم وان
قل وصغر کقوله عز وجل نتقبل عنهم احسن ما عملوا فمن یعمل مثقال ذرة خیرا یره کقوله تعالی ان الله لا یظلم مثقال ذرة
الایة وقوله عز وجل الذین استجابوا لله والرسول قیل اجابوا الله عز وجل والرسول صلی الله علیه وسلم الی ما دعاهم الیه
واطاعوا فیما امرهم به من بعد ما اصابهم القرح ای الجراحة قیل دعاهم الی بدر الصغری بعد ما اصابهم باحد القروح
والجراحات فاجابوه فذلک قوله تعالی الذین استجابوا لله والرسول الایة وقوله عز وجل للذین احسنوا منهم فی الاجابة
له بعد ما اصابتهم الجراحة وشهدوا القتال معه واتقوا الخلاف له وترک الاجابة ویحتمل اتقوا النار ومتوبتهم اجر عظیم
فی الجنة وثواب جزیل والله اعلم وقوله عز وجل الذین قال لهم الناس قد جمعوا لکم فاخشوهم الایة قیل ان المنافقین قالوا
لاصحاب رسول الله صلی الله علیه وسلم بعد ما انهزم کفار مکة ولو ادبرهم ان الناس قد جمعوا لکم فاخشوهم
یخوفونهم حتی لا یتبعون علی اثرهم فذلک عادتهم لم تزل کقوله تعالی ما زادوکم الا خبالا ای فسادا وقیل انما قال ذلک
لهم رجل یقال لهم نعیم بن مسعود ولا ندری کیف کانت القصة وقوله عز وجل فزادهم ایمانا لما وعد والامر علی ما
قال لهم رسول الله صلی الله علیه وسلم ووعد لهم لا علی ما قال اولئک فزادهم ذلک ایمانا ای تصدیقا زادهم قیل جراة وقوة
وصلابة علی ما کانوا من قبل فی الحرب والقتال ویحتمل زادهم ذلک فی ایمانهم قوة وصلابة وتصدیقا وقیل قوله عز وجل
زادهم ایمانا ای تصدیقا ویقینا بجراتهم علی عدوهم وتعقیبهم بهم واستجابتهم لنبیهم صلی الله علیه وسلم فان قال قائل ما معنی
قوله سبحانه وتعالی زادهم ایمانا علی اثر قوله عز وجل الذین قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا فاخشوهم فزادهم ایمانا وقول
ذلک قول لا یحتمل ان یزید الایمان ولیس کقوله عز وجل اذا تلیت علیهم ایاته زادتهم ایمانا لانها حجج والحجج تزید التصدیق
او یحدث وتدعوا الی الثبات علی ذلک فیزید الایمان فقولهم اخشوهم کیف یزید قیل یخرج ذلک والله اعلم علی وجوه احدها
انهم لا یعلموا انهم اهل النفاق وانهم یخوفون بذلک وقد کان وعدهم رسول الله صلی الله علیه وسلم بمنعهم فکذبوهم بذلک
واقبلوا علی امر رسول الله صلی الله علیه وسلم اجابة لامره وتصدیقا بوعده ومجانبة لاغترارهم باخبار اعدائهم والنزول
علی قولهم فکان ذلک منهم ذلک زائدا فی ایمانهم معا فی تکذیبهم ذلک نحو قوله عز وجل واما الذین فی قلوبهم الایة

انزل او بتكذيب ايات الله رجا بمثله تكذيب المكذب بالايات لذلك يزيدا يمانا والله اعلم والثاني ان يكون رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخبرهم بتفرق اعداء الله وتشتت امرهم واخبرهم المنافقون بالاجتماع فصاروا الى ما نعتهم به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجدوا الامر على ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك من انباء الغيب والانباء عن الغيب من عظيم ايات النبوة فزادهم
ذلك ايمانا والله اعلم قوله عز وجل افمن اتبع رضوان الله الاية والثالث لما لم يغتروا بقول المنافقين ولا قصدوا لذلك ولا اصغوا
بان الله تعالى سكينة على قلوبهم لتربية لهم بذلك ايمانا كقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين الاية وبالله التوفيق
ثم معنى زيادة الايمان تخرج على وجوه احدها بحق الابتداء في حادث الوقت اذ له حكم التجدد في حق الافعال بما هو الكفر به
تارك وعلى ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا الاية فيكون ذلك بحق الزيادة على ما مضى وان كان بحق التجدد في حق الحادث
ولقصد والثاني ان يكون له الثبات عليه اذ حج الشيء يوجب لزومه والدوام عليه فسمي ذلك زيادة ويحتمل ان يكون يزداد له
في امره بصيرة وعلى ما رغب فيه اقبالا والموقف مراعاة فيكون في ذلك زيادة في قوته او في نوره او بزينته وتمامه وذلك امر معروف
ويحتمل ان يكون ذلك راجعا الى ما نفطه حقوقه والتمسك بادلته والوفاء بشرائطه فيزيد ذلك فضله كما عدت صلوة واحدة
في التحقيق الفا بما في ذلك من حفظ الحقوق ومراعاتها والله اعلم وقوله عز وجل قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فزعوا الى الله تعالى
بما راوا من صدق وعد رسول صلى الله عليه وسلم لهم وظهور كذب قول المنافقين ان الناس قد جمعوا لكم الاية وقالوا ذلك عند
قول المنافقين ايام ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فوضوا امرهم الى الله تعالى وسلموا الماراؤا والنصر منه رضاء منهم بكل
ما يصيبهم كقوله عز وجل الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون مدحهم الله عز وجل بما رووا انفسهم لله
فكذلك هذا وقوله عز وجل والله ذو فضل عظيم اي ذو من عظيم بدفع المشركين عن المؤمنين وقوله عز وجل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل يحتمل النعمة نعمة الدين على ما ذكرنا وقيل انقلبوا بنصر من الله والغنيمة ويحتمل النعمة من الله لحسن العقد ولانهم
المنافقين كانوا يخوفونهم بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل النعمة الجنة وفضل الزيادة على ذلك وقيل انقلبوا
باجر من الله وفضل وهو ما تسوقوا بسوق لم يمسسهم سوء ولا قتل ولا هزيمة وقوله عز وجل واتبعوا رضوان
الله ورضاء رسوله صلى الله عليه وسلم وقيل اتبعوا طاعته ورضاه ويحتمل بنعمة من الله وفضل الزيادة في الايمان وهو الصبر
والقوة فيه وقوله لم يمسسهم سوء بما كانوا يخوفونهم بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ويحتمل قوله تعالى فانقلبوا
بنعمة من الله اي رجعوا الى محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون يخوف
اولياءه واعداءه لكن اعداؤه لا يخافونه واولياؤه يخافونه كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن من اتبع كان
يقبل انذاره ومن لم يتبع الذكر لا والا كان ينذر الفريقين جميعا فعلى ذلك الشيطان كان يخوف اولياءه واعداءه جميعا لكن
اعداؤه لا يخافونه واولياؤه يخافونه ويحتمل قوله يخوف اولياءه اي باولياءه وجائز هذا في الكلام كقوله لتنذر يوم التلاق
الا ترى انه قال وان الشياطين الى اولياءهم ليجادلوكم فعلى ذلك قوله يخوف اولياءه اي باولياءه والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله
عنه يخوفكم اولياءه وهذا يؤيد تاويل من تاول يخوف باولياءه والله اعلم وقوله عز وجل فلا تخافوهم وخافون ان كنتم
مؤمنين اي لا تخافوهم لان الله كفاكم اياه وخافوني اي خافوا مخالفتكم امري كقوله انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون
انما سلطانه على الذين يتولونه اخبر انه ليس له سلطان على الذين امنوا انما سلطانه على اولياءه لذلك قال لا تخافوه لانه ليس
له عليكم سلطان وخافوني لما عليكم سلطان وبالله العصمة وقوله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يحتمل الاية
وجهين يحتمل ولا يحزنك الذين ظاهروا غيرهم من المشركين عليكم وقد ظاهر اهل مكة غيرهم من المشركين عليك فان الله ينصرك
فيخرج هذا مخرج البشارة له بالنصر على اعدائه والغلبة عليهم ويحتمل بها وجها اخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يشتد عليه كفرهم بالله ويحزن لذلك كقوله تعالى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين فيخرج قوله لا يحزنك لتسكين الحزن
ودفعه عنه والتسلي على ذلك لا يخرج النهي اذ الحزن يأخذ الانسان وتأتيه من غير تكلف ولا صنع وكقوله تعالى لا تحزن ان
الله معنا هو على مخرج التسكين والدفع عنه لا على النهي فكذلك الاول والله اعلم وكقوله تعالى لام موسى عليه السلام لا تخافي ولا تحزني
وقوله عز وجل انهم لن يضروا الله شيئا يحتمل قوله لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله عز وجل لان ضرر ذلك عليهم
كقوله تعالى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ويحتمل لن يضروا الله شيئا لانه ليس لله في فعلهم وعملهم نفع
ولا في تركه ذلك عليه ضرر انما المنفعة في عملهم لهم والضرر في تركه عملهم عليهم والله اعلم وقوله عز وجل يريد الله ان
لا يجعل لهم حظا في الاخرة هذه الاية تنقض على المعتزلة قولهم لان الله تعالى يقول اراد ان لا يجعل لهم في الاخرة حظا
والمعتزلة يقولون بل اراد ان يجعل لهم حظا في الاخرة اذ يقولون اراد لهم الايمان وبالايمان يكون لهم الحظ في الاخرة
فثبت بالاية انه لم يكن اراد لهم الايمان والاية في قوم خاص علم الله تعالى انهم لا يؤمنون ابدا فاراد ان لا يجعل لهم حظا
في الاخرة ولو كان على ما تقوله المعتزلة بانه اراد ان يجعل لهم حظا في الاخرة لما اراد لهم ان يؤمنوا ولكن لم يؤمنوا
لكان حاصل قولهم اراد الله ان لا يجعل لمن اراد يؤمن في الاخرة وذلك جور عندهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل
ولهم عذاب عظيم وذكر مرة اليم ومرة شديد لان التعذيب بالنار اشد العذاب في الشاهد واعظم لذلك اوعدهم
في الغايب وجعل شرابهم وطعامهم ولباسهم منها فنعوذ بالله من ذلك وقوله عز وجل ان الذين اشتروا الكفر
بالايمان قد ذكرنا تاويل هذا فيما تقدم لن يضروا الله شيئا ما ذكرنا انه على الوجهين اللذين وصفتهما والله اعلم وقوله عز
وجل ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الاية اختلف في قراتها قرا بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء صرف
الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تحسبن يا محمد انما نملي لهم خير لهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وانما لهم

قالوا

قالوا لانه يجب على المعتزلة لكلمتهم ولو وجهين احدها على التقدم والتاخير كانه قال ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا
انما نملي لهم خير لانفسهم فيقال لهم لو جعل الاية وصرفها على ما جاء عليه وصرفها اليه جاز على جميع الايات التي
فيها وعد للمؤمنين وصرفها الى الكافرين وما كان فيها وعيد للكافرين الى المؤمنين اذ لا فرق بين جعلكم الخير مكان
الاثم والاثم مكان الخير وبين جعل الوعيد في موضع الوعد والوعد في موضع الوعيد والوجه الثاني قالوا النبي
الله تعالى عن ما لمولا مرهم في العاقبة لانه كان في الابتداء كذلك كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا ومعلوم انهم لم يلتقطوا ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن اخبار عن ما الامر في العاقبة ان صار لهم عدوا وحزنا
وكذلك يقال للرجل سرقت لتقطع وقتلت لتقتل وهو لم يسرق ليقطع ولا قتل ليقتل ولكن اخبار عن ما الامر واليه
في العاقبة فكذلك هذا لكن الاخبار عن ما يؤول له لا يخرج التنبيه عن السهو والغفلة في الابتداء فالله سبحانه وتعالى
عن ذلك تخرج ذلك مخرج التحقيق في الابتداء لا يخرج الاخبار عما يؤول الامر في العاقبة وبالله التوفيق والثاني
ان من اراد امرا جهل عاقبة انه يكون فهو جاهل بريد ذلك والعبث فالله سبحانه وتعالى عن الجهل بالعواقب او العبث في الفعل دل
انه كان على ما اراد لا محالة يريد ولو كان الله سبحانه وتعالى لا يفعل بخلقه الا ما هو اصلح لهم في الدين واخبرهم لكن ليس يكون كذلك
الله صلى الله عليه وسلم عن الاعجاب باعطي الكفرة من الاموال والاولاد ولا يقوله سبحانه وتعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
الاية ذكر انه قد يعطي بالسوء ما سلح في الدين ولا اخبروا الله اعلم وقال الشيخ رحمه الله في قوله ولا تحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله عز وجل فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
ليعذبهم بها الاية وقوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ونحو ذلك
من الايات فيها وجهان على المعتزلة احدهما قولهم في الاصلح ان الله لو فعل بالخلق شيئا غيره اصلح لهم في الدين
في حال المحنة كان ذلك جورا ومعلوم ان الفعل بهم ليزدادوا اثما لا يبلغ في الصلاح في الدين الفعل بهم ليزدادوا بر
برا ومعلوم انه لو كان كذلك لم يكن ليجوز ان يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فتقول لا يعجبك كذا فكانه قال
لا يعجبك الذي هو صلاحه في الدين ثم يؤكد ذلك بانه لهم ذلك ليعذبهم بها ثم شهد على من حسب ما حسبته المعتزلة
بانهم لا يشعرون فكان ذلك شهادة منه تعالى عز وجل على كل من وافق رايهم راي اولئك الكفرة انهم لا يشعرون
ومعلوم ان الجبابرة والفراعنة لو لم يجعل الله تعالى لهم تلك المواشي والملك والقوة لم يكن ليجترؤا على دعوى الربوبية ويبلغوا
في الماثم ما بلغوا فيكون فوت ذلك اصلح لهم في الدين وقد قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن الاية ثم كان معلوما انه اذا كان بما يجعل ذلك الكفرة يكفرون فلو جعل المؤمنين يؤمنون ثم لم يجعل
كذلك والله اعلم واتيد ذلك قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها الاية والثاني ان الارادة اذ هي صفة لكل فاعل مختار
في الحقيقة وقد اخبر لا توجبه اعطى ثبت انه اراد ذلك معها كان المتعالم من فعل كل احد لا يخرج على ما اراده ولا يبلغ به
ما لو فعل انه يكون من جهل وسفه فالاول يكون فعله على ظن ان يكون ذلك فلا يكون ذلك والثاني لا علم ان لا يكون
فيكون له به عابثا سفيها جل الله تعالى عن الوجهين ثبت ان فعله لما علم انه يكون لا لغيره ليلحقه به وصف جهل وسفه
وبهما سقوط الربوبية وجهت المعتزلة الاية الى وجهين احدهما على التقديم والتاخير معنى ولا تحسبن الذين كفروا انما
نملي ليزدادوا انما نملي لهم ليزدادوا خيرا وذلك فاسد لوجهين احدهما لو كان جعل الخير شرا والشر خيرا بالتاويل
وصرف الاية عن سياقها ونظمها لجاز ذلك في كل وعد ووعيد وامر ونهي وتحليل وتحريم فيصير كل امور الدين مقلوبا
والثاني انه لو كان كذلك لكان يجب ان يعجب به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ على ذلك مجيئا ولكانوا فيما حسبوا ان ذلك
خير لهم يشعرون لا انهم لا يشعرون مما قيل ولا يحسبن بالياء في بعض القراءة ومتى كان يحسب الكفرة ذلك شرا حتى يعاتبوا
على الحسبان والله الموفق والثاني قالوا ذلك خير عما يؤول الامر اليه كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم
لا لذلك التقطوا وكمن يقول للسارق سرقت لتقطع يدك ولما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب والذي قالوه انما هو تنبيه
وايقاظ لقوم لا يذكرون عواقب الامور فيرصدون عليها عن غفلة بالعواقب فاما الله سبحانه وتعالى محال ان يكون
امره على ذلك ليكون فيما يذكره ذلك الا ترى ان احدا لا يقول ولدت للموت او بنيت للخراب لانه لا لذلك
يفعل وان كان اليه يؤول وانما هو قول الواعظ لهم بما ذكرت كذلك بطل هذا وامر قوم فرعون لم يقل ليكون
لهم عند الله تعالى وبما اراد الله وكان كذلك ولا قوة الا بالله وقد بينا ما في الحكمة بحقيقة من طريق الاخبار ولا قوة الا بالله وفي
ذلك ان الله تعالى عالم بمن يؤمن غدا ويتوب بعدما اثم فاراد ذلك لا تكون منه ذلك حاجة اليه في موالاته او ايجاب ملية عليه
في بعض ما يريد جل الله عن هذا الوصف وقوله عز وجل وما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من
الطيب قيل فيه بوجوه قيل لا يترك الله المؤمنين على ما انتم عليه انها المنافقون ولكن يمتحنكم بالجهاد وبانواع المحن
ليظهر المنافق لهم من المؤمن وقيل ليظهر الكافر لهم من المؤمن المصدق وقيل فيه بوجه اخر وذلك ان المنافقين كانوا
يطعنون لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستهزؤن بهم سرا فقال الله عز وجل لا يدع المؤمنين على ما انتم عليه
من الطعن فيهم والاستهزاء بهم ولكن يمتحنكم بانواع المحن لتفتضحوا ويظهر نفاقكم عندهم ويحتمل وجها اخر وهو ان
قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب اي لا يدع المؤمنين على ما انتم عليه من النفاق
والكفر في دار واحدة ولكن يجعل لكم دارا اخرى يميز فيها الخبيث من الطيب يجعل الخبيث في النار والطيب في الجنة
كقوله تعالى عز وجل ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم الاية وقوله عز وجل

وماكان الله ليطلعكم على الغيب قيل فيه بوجهين قيل انهم كانوا يقولون لا نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى الانبيا كقولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله ومثل قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا فعلى ذلك قوله ماكان الله ليطلعكم على الغيب الا من اجتباه لوحيه وجعله موضعا لرسالته اى لا يجعلكم رسلا اذ علم الغيب اية من ايات رسالته والله اعلم وقيل ان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فيسترقون فياتون باخبارها الى الكهنة قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الكهنة يخبرون بها غيرهم من الكفرة فانزل الله سبحانه وتعالى وماكان ليطلعكم على الغيب بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيا كما كنتم تطلعون على اخبار السماء قبل بعثه ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء اى يصطفى من يشا فيجعله رسولا فيوحى اليه ذلك اى ليس الوحى من السماء الى غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويحتمل قوله تعالى يجتبى من رسله من يشاء اى لا يطلع احدا منكم على الغيب الا من اجتباه منكم لرسالته ويحتمل قوله يجتبى من يشاء اى لا ينسخ شرايعه واحكامه برسول اخر نحو ما بين موسى الى عيسى عليهما الصلوة والسلام ان كان فيما بينهما نبى لم ينسخ احكام موسى عليه السلام ابقى تلك الاحكام والشرايع وكذلك ما بين عيسى الى محمد عليهما الصلوة والسلام فاجتبى هؤلاء لابقاء شرايعهم واحكامهم والله اعلم وقوله عز وجل فامنوا بالله ورسله فالاحرى ان تؤمنوا برسله كلهم وتتقوا المعاصى فلكم اجر عظيم ويحتمل وان تؤمنوا وتتقوا الشرك فلكم كذا وقوله عز وجل ولا يحسبن الذين اوتوا العلم بالكتاب ان ما يؤتون من المال وينالون من النيل بكتمان بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وتحريفهما ان ذلك خير لهم بل هو شر لهم فى الدنيا والاخرة ولو لم يكتموا كان خيرا لهم فى الدنيا وشرفا وفى الاخرة ثوابا وجزاء وقيل نزلت فى مانعى الزكوة بخلا منهم وشحا فذلك وعيد لهم والاول اشبه والله اعلم وان كان فى الزكاة مثل الجحود بها كقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون وقوله عز وجل سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة فان كان على التاويل الاول من كتمان نعته وصفته فهو والله اعلم يطوق ذلك فى عنقه يوم القيامة ليعرف كل احد كقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه وان كان على التاويل الثانى قيل ان الزكوة التى منعها تصير حية ذكرا شجاعا اقرع ذو زبيبتين يعنى نابين فيطوق بها فى عنقه فتنهشه بنابيه فيتقيها بذراعيه حتى يقضى بين الناس فلا يزال معه حتى يساق الى النار والله اعلم

الحية الاقرع انما تمعط شعر راسه زعموا لجمعه السم فيه يقال شجاع اقرع ومن الحيات ذو الزبيبتين ويقال هما النكتتان السوداوان فوق عينيه صحاح

وقوله عز وجل ولله ميراث السموات والارض فى الاية دلالة ان اهل السموات يموتون ليس على ما يقوله القرامطة انهم لا يموتون لانه اخبر ان له ميراث السموات والارض والوارث هو الذى يخلف المورث وكل اثر ما ذكرنا وان كانوا هو جميع ما فى ايديهم لله تعالى عز وجل ملك له وعبيدا الا ترى انه روى فى الخبر لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر الا المولى من عبده سمى ما يكون للمولى من عبده ميراثا وان كان العبد وما فى يده ملك للمولى فعلى ذلك الاول سمى الله عز وجل ذلك ميراثا له وان كان عبيده وما فى ايديهم ملك له والله اعلم قال الشيخ رحمه الله قوله تعالى ولله ميراث السموات والارض وكانت له لا يحتمل الميراث لوجهين احدهما على الاخبار عن ذهاب اهلها وبقائه عز وجل دائما اذ ذلك وصف المواريث ان يكون لمن له البقاء بعد فناء من تقدم والله عز وجل هو الباقى بعد فناء الكل معا يجوز القول بما هو له فى الحقيقة من قبله بالميراث من حيث ملك غيره الانتفاع بذلك وعلى ذلك المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر الا المولى من عبده وليس ذلك فى الحقيقة ميراث اذ كان له فى حال حيوته ولكن كان ولاية الانتفاع به زال وعلى مثل هذا وراثة المسلمين الجنة لا على انتقال من غيرهم اليهم ولكن على بقائهم فيها وحصول امرها لهم او على وراثتهم ما لو كان من لم يؤمن امن وما ادعوا انها لهم بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فصارت ميراثا لغيرهم ما ادعوا انها لهم والله اعلم والثانى ان يعلم كل بالموت حقيقتها انها لله فاضيفت اليه بالميراث عنهم كما قال تعالى عز وجل وبرزوا لله جميعا واليه المصير والمرجع ونحو ذلك من غير غيبته عنهم ولكن مما يعلم كل اذ ذلك وكذلك قوله عز وجل والامر يومئذ لله وهو فى الحقيقة فى كل يوم له ولا قوة الا بالله وفى الذكر والاخبار انها له ميراث تحريض على الانفاق والتزود اذ هى فى الحقيقة لغير اهلها وانما لهم ما ينفقون ويتزودون دون ما يمسكون وفيه منع الامساك وذلك كقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض الاية والله بما تعملون خبير وعيد منه عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قيل لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية قالت اليهود ربكم يستقرض منكم ونحن اغنياء وليس فى الاية بيان ان ذلك القول انما قاله اليهود او غيرهم من الكفرة ولكن فيه انهم قالوا ذلك فلا ندرى من قال ذلك ولا يجوز ان يشار الى احد بعينه الا ببيان ثم يحتمل ذلك القول منهم وجوها يحتمل ان يكون قال ذلك اوائلهم على ما قال فى قتل الانبياء عليهم السلام وهؤلاء لم يقتلوا ولكن انما قتلهم اوائلهم اضيف ذلك اليهم رضاء منهم بصنيعهم فعلى ذلك القول الذى قالوا يحتمل ما ذكرنا ويحتمل ان يكون هؤلاء قالوا ذلك بحضرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمشهدهم ويحتمل قالوا ذلك فى ستر فان قال ذلك اوائلهم فانه يحتمل وجهين يحتمل ان يكون الله تعالى اعلم ذلك رسوله تصبيرا اياه وتسكينا ليصبر على اذى الكفار حيث قالوا فى الله ما قالوا فكيف فيه والله اعلم ذلك ليكون ذلك اية من ايات رسالته وان كانوا قالوا ذلك بحضرة اصحابه صلى الله عليه وسلم ففيه ايضا وجهان احدهما ما ذكرنا من التسكين والتصبير على اذاهم والثانى ليعلموا ان جميع ما يقولون محفوظ عليهم ليس بفايت ولا غافل عنه كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم الاية لكن يؤخر ذلك الى وقت وان كانوا قالوا ذلك سرا ففيه ايضا وجهان احدهما ما ذكرنا ان يكون اية من ايات النبوة ليعلموا انه انما علم ذلك بالله لا علم منهم انه لم يكن فيما بينهم من ينهى الخبر اليه والثانى يخرج على التعزية والتصبير على اذاهم ثم معنى قوله تعالى اقرضوا الله قرضا حسنا ومن ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا يحتمل وجهين احدهما ان ينفقوا على الفقراء انما يتصدقون عليهم اذ يعلمون انه ليس بفقير ولا محتاج الى غيرهم فيستقرض لفقره ولحاجته وكل من اقرض اخر لا لحاجة له فى ذلك القرض ولا فقر ولكن ليكون ماله عنده محفوظا فى الشاهد فانه لا عز المقترض عليه بل يكون المنة للذى عنده القرض على المقرض حيث يحفظ ماله فى [illegible] فعلى ذلك المال الذى يقرضون ويتصدقون على الفقراء يكون محفوظا عند الله ليوم حاجتهم اليه فلا منة يكون على الفقر

والله اعلم والثانى انباء عن جوده وكرمه لان العبد وما فى يده له فلو اراد ان ياخذ جميع ما فى يده لكان له ذلك ثم يطلب منه يبدل بما يضاعف على ذلك والثالث ان المولى فى الشاهد اذا طلب من عبده القرض يكون ذلك شرف للعبد وعظم فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى اذا طلب من عبده القرض على علم منه فى انه لا يحتاج بذاته لا يجب ان يبخل عليه وفى ذلك شرفه وعظمه والله اعلم وقوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير قال اهل التفسير قالت اليهود وذلك تنبيه لصنيعهم وشدة سفههم حتى زعموا ان يد الله مغلولة لكن ليس فى الاية بيان القائلين ولا فى النسبة الى احد نفع سوى خوف الكذب لو لم يكن ذلك منه لكنهم قالوه والا غلب على مثله ان يكونوا قالوه سرا يكون فى اظهاره اية الرسالة او كانت الاوائل يقولون فيكون فى ذلك اذ لا يحتمل ان يسير لمثله يقال بحضرة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الا ان يكون فى وقت امروا بالكف فيكون فى ذلك بيان قدر طاعتهم لله مع عظم ما سمعوا من القول وجلالتهم فى ذلك دعاء الى الصبر على اذاهم وسوء قولهم اذ هم مع تقلبهم فى نعم الله تعالى وعلمهم بانهم لم ينالوا خيرا الا بالله تعالى اجترءوا عليه بمثل هذا القول وبلغ عتوهم هذا والله جل ثناؤه مع قدرته وسلطانه يحكم عنهم ليوم عدهم فيه الجزاء لمن ليس منه اليهم نعمة ولا تقدم عليهم منه كبير منة احق بالصبر لاذاهم والاعراض عن مكافاتهم وعلى ذلك قوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله الاية وقال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقوله عز وجل سنكتب ما قالوا قيل سنجزيهم جزاء ما قالوا وقيل سنحفظ ما قالوا وسنثبت وسالزم كقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه والله اعلم وقوله عز وجل وقتلهم الانبياء بغير حق قد ذكرنا هذا فيما تقدم انه يحتمل اذ قتل اوائلهم فاضيف اليهم لرضاءهم بفعلهم كقوله عز وجل من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا لرضاه بقتله فان قيل ما الحكمة فى قوله وقتلهم الانبياء بغير حق والانبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا يرتكبون ما يجب قتلهم كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الاية اطلق القول فيه من غير ذكر اكتساب شيء يستوجب به ذلك وشرط فى المؤمنين اكتساب ما يستوجبون كقوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا الاية فكيف ذكر ها هنا بغير حق وهم لا يكتسبون ما يستوجبون به القتل قيل يحتمل قوله بغير حق اى بغير حاجة لانهم كانوا يقتلون بلا منفعة تكون لهم فى قتلهم على ما قيل انهم كانوا كذا وكذا انبياء ثم يهيج لهم سوق فاذا كان كذلك يحتمل قوله بغير حق اى بغير حاجة كقول لوط عليه السلام ان هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فقالوا ما لنا فى بناتك من حق اى من حاجة والله اعلم ويحتمل قوله عز وجل وقتلهم الانبياء اى قصدوا قصد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قد قتلوه او قتلوا اصحابه رضى الله عنهم فاضيف اليه والله اعلم وقوله عز وجل ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى المحرق وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل ذلك بما قدمت ايديكم ذكر الايدى لما بالايدى يقدم وان لم يكن هذا مقدما باليد فى الحقيقة وكذلك قوله بما كسبت ايديكم لما باليد يكتسب والله اعلم وقوله عز وجل الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان قيل انهم لما دعوا الى الاسلام يعنى اليهود قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار وكان ذلك اية فى بنى اسرائيل فسال اليهود من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذلك وقيل كان من قبلنا فى الامم الخالية ذلك فسالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولكن لم يكن القربان من ايات النبوة والرسالة ان كان فهو من ايات التقوى كقوله عز وجل واتل عليهم نبأ ابنى ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين كان القربان من ايات التقوى الا ترى انه قال يا محمد قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم يعنى القربان فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول الاية كذا اى ان كان ذلك من ايات النبوة لم قتلتم الانبياء الذين اتوا به او لم قتل اوائلكم الانبياء اذا اتوا بالقربان ان كنتم صادقين انه من النبوة او ان كنتم صادقين انه عهد اليكم ان لا تؤمنوا به حتى ياتى بقربان والله اعلم وفى قوله عز وجل ايضا قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فهو والله اعلم ادعوا ان اوائلهم ادعوا الذى ذكروا من العهد وهم تبعوا اولئك فعرفهم منع من يدعوا بهم احتجوا ليكون لهم فيه اية اما تكذيبهم بما احتجوا بوصية المتقدمين فى ذلك فبطل عذرهم اذ هم قتلوهم فلا يجوز تصديقهم على العهد الذى ادعوا وذلك صنيعهم او يقروا انهم اخبروا بالعهد من غير ان كذبا وباطلا فبطل حجاجهم على ان فى الاية انما يتقبل الله من المتقين فجعل ذلك اية التقى لا اية النبوة والاصل فيه انا لما عرفنا ايات الرسل عليهم الصلوة والسلام لا يذكر فيها القرابين ثبت ان هذا الذى ادعوا ليس هو بعهد جاء به الرسل عليهم الصلوة والسلام ولكنه حيل السفهاء بتلقين الشياطين ووحيهم لذلك لم يجب الذى ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل فان كذبوك يا محمد فى القول وما جئت من ايات تدل وتوضح انك رسول الله وانك صادق فى قولك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات يقوى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويصبره ليصبر على اذاهم وتكذيبهم كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية وفى قوله تعالى ايضا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك وجوه احدها ان يصبره على ذلك بما له فيه اجر ان صبروا على عظم ذلك عليهم وذلك فى قوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثانى على رفع العذر عنه فى ترك الابلاغ ان ذلك لم يمنع من تقدمه والثالث على الانبياء انهم اصحاب تقليد فى التكذيب لا ان يكذبوا من محنة وظهور فذلك اقل للتاذى به ولتوهم الارتياب فى الانباء ليستيقن من حضره وصدق ان ذلك منهم على الاعتياد والتقليد دون المحنة والظهور والله اعلم وقوله عز وجل بالبينات قد ذكرناها فيما تقدم فى غير موضع وقوله عز وجل والزبر قيل احاديث الانبياء عليهم السلام من قبلهم بالنبوة على ما يكون وقيل الزبر هى الكتب اى جاءوا بالبينات

والزبر يعني الكتب والكتاب المنير قيل الزبر والكتاب واحد وقيل الكتاب المنير هو الذي فيه الحلال والحرام والاحكام المكتوبة
عليهم والمنير هو الذي انار قلب كل من تمسك بالهدى كما قيل في الفرقان انه يفصل ويفرق بين الحق والباطل والله اعلم وسمى كتب
الله كلها فرقانا وميزا بما يفرق بين الحق والباطل ويبين السبيلين جميعا والله اعلم وقوله عز وجل قال كل نفس ذائقة الموت
فيه دلالة على احدها دليل اثبات الرسالة لانه لا يلبس في العقل ان لا تبقى هذه الانفس ابدا ولا تدوم ولا فيها آثار فناها ثم
وجود العلم من كل منهم بالموت والتسليم له والاقرار منهم ان كل نفس تموت يدل انهم انما عرفوا ذلك وايقنوا به من خبر السماء
بالوحي والله اعلم ثم ان كل حي يتلذذ بحيوته وجب ذلك اليه ويكره ويبغضه دل ان هذا العالم لم يكن بالطباع ولكن كان
بغيره لما يتلذذ به طبع كل منهم بالحيوة ويكره بالموت ويبغضه اذ لو كان به لكان يختار ما يتلذذ به ويدفع ما يكره به
ودل ان غيرا فعل ذلك وخلق لما ذكر خلق الموت والحيوة الاية وفي ذلك بطلان قول اصحاب الطبايع وايضا ان كل نفس يجتمع
فيها الطبايع المختلفة المتضادة التي من طبعها التنافر لم يجز ان يكون بنفسه يجتمع دل ان له جامع وايضا ان العالم لو كان بنفسه
وطبعه لاختار كل لنفسه احوالا احسن الاحوال والذها فيبطل به الشرور والقبايح فدل وجود ذلك على كونه بغيره ثم
فيه ان ذلك الغير الذي كان به العالم واحد لا عدد اذ لو كان بعدد لم يحتمل وجود العالم على الطبايع المختلفة والهمم المتفرقة
لمنع هذا فرق الاخر وما اثبت هذا نفي الاخر وفي ذلك فنا الربوبية فدل وجوده على ما ذكرنا انه واحد لا عدد فاتسق
تدبيره وتنفذ امره مما كان الامر المعتاد بين الملوك في الشاهد ان من فعل هذا نقض الاخر وما دام هذا ايجاده يريد
الاخر اعدامه وما ابقى هذا اراد الاخر افناه وفي ذلك تناقض وتناف فدل الوجود على ان الذي به كان واحد لا عدد
ثم يحتمل على الاصطلاح منهم لانه يدل على العجز والجهل ان العجز والجهل هو الذي حملهم على الاصطلاح والعاجز والجاهل
لا يصلح ان يكون الها وربا وبالله التوفيق ثم الدلالة على حكمته وعلمه ما لم يعاين شيء ولا يشاهدا له وفيه حكم عجيبة ودلالة
بدنية مما يعجز الحكماء عن ادراك ما ثبته وكيفية خروجه على ما خرج وعلم كل احد منهم تبصور علمه على ما عنده من الحكمة والعلم
عن ادراك كنه ذلك فيما ذكرنا وخروج الفعل متقنا محكما دلالة حكمة مبدعه وخالقه وبالله التوفيق ثم الدلالة انه لم يخلق
الخلق للفناء خاصة ولكن خلق للعواقب يتأمل ويرجي ويخاف ويحذر وخروج فعل كل احد في الشاهد من الحكمة اذا بني للفناء
والنقض فاذا كان الحكمة التي هي جزء مخرج فعله من الحكمة اذا كان ذلك للفناء والهلاك خاصة وخروج كل عن ذلك احرى
واولى ان يكون سفها لا حكمة والله الموفق قال دلت طمانينة القلوب بموت كل نفس وترك الحكماء البشر الاحتيال في دفعه على
ما ليس في الجوهر دليله ولا في العقل امتناع انه يعرف ذلك بمنزلة التدبير فيها بالوحي اليه وفي ذلك ايجاب القول بالرسول
ثم دل قهر جميع الحكماء على حب الحيوة اليهم وبغض الموت عندهم على خروج جميع الاحياء عن تدبيرهم وفي خروجهم
خروج الاموات اذ هم تحت تدبير الاحيا ثم طمانينة كل قلب على الموت دلالة التدبير للواحد اذ لو كان لا كثر يجوز التمانع وابطال
الوارد من الحي وفي ذلك ارتياب مما كانت كل نفس تحته امور يقهرها ويحوجها الى امور تعلم ان مدبرها هياتها على ذلك وطبعها
وانه العليم بما به صلاحها وقوامها واليه حاجتها وعلى ذلك جبلها ليظهر عظم حكمته وتعاليه عن الشرك في التدبير والمعونة
في التقدير ثم لا يحتمل انشوءه على ما جرى عليه من حكمته في موت كل انه كان للموت انشاء لا لغيره اذ تدبير فعل واحد للفناء خاصة
من حكماء البشر يخرج عن معنى الحكمة ويدل على قصور صاحب ذلك وسفهه فجملة العالم الذي كانت حكمة الحكماء جزء منها وعقل
العقلاء بعض منها احق واولى فثبت انها انشئت ليوم عظيم يوم يقوم لرب العالمين ويوم يجزى كل نفس بما عمل وذلك قوله
تعالى كل نفس ذائقة الموت الاية وقوله انما توفون اجوركم يوم القيمة لما ذكرنا انهم لما خلقوا اعني الاخرة للجزاء والثواب
وقوله عز وجل فمن زحزح عن النار قيل بعد ونجى عنها وادخل الجنة فقد فاز قيل فاز نجا وقيل الفائز السابق وقيل فاز
غنم واصل الفوز النجاة اي نجا مما يخاف ويحذر وظفر بما يأمل ويرجو وقوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
حياة الدنيا غرور كقوله عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد ولا حيوة
الدنيا لعب ولهو وغرور والاخرة ليست بلعب ولا لهو ولا غرور واصل الغرور هو ان يرى الشيء في ظاهره حسنا
لو منها فاذا ما تامل اليها فاذا نظر الى باطنها وجدها قاتلة مهلكة نعوذ بالله من الاغترار بها وقيل الحيوة الدنيا
عليها متاع اولئك الكفرة لعب ولهو وعند المؤمنين حكم وقوله عز وجل لتبلون في اموالكم وانفسكم يحتمل الابتلاء في الاموال
والانفس بلوى بالنقصان فيها كقوله عز وجل ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس الاية
ويحتمل ان يبلوا بما جعل فيها من العبادات من الزكوة في الاموال والصدقات والحقوق التي جعل فيها وفي الانفس
من العبادات من الصلوة والجهاد والحج وغيرها من العبادات والله اعلم وقوله عز وجل ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
يعني الذين لهم علم بالكتاب ومن غيرهم اذى كثيرا اي يسمعون انتم من هؤلاء اذى كثيرا على ما سمع اخوانكم الذين كانوا من
قبلكم من قوامهم اذى كثيرا كقوله عز وجل فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك وقوله عز وجل وان تصبروا على اذاهم
وتتقوا ما نهاكم عنه فان ذلك من عزم الامور هذا الاحتمال وقيل وتصبر وقيل وتتقوا
من الذين اوتوا الكتاب من قبلهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ومن الذين اشركوا يعني العرب اذى كثيرا نصب الحروب
فيما بينهم والقتال والسيف وغير ذلك وان تصبروا على ذلك والطاعة وتتقوا معاصيه لربكم فان ذلك من عزم الامور
يعني من حزم الامور وقوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب اي الذين اوتوا العلم بالكتاب واخذ الميثاق
لتبيننه اي يبينوا للناس ما في الكتاب من الامر والنهي وما احل وما حرم وغير ذلك من الاحكام ولا يكتموا ذلك ويحتمل
ان اخذ عليهم الميثاق ان يبينوا للناس بعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ولا يكتموه بالتحريف وترك البيان وقوله عز وجل

فنبذوه

فنبذوه وراء ظهورهم اي لم يعملوا بما فيه ولا بينوا للناس فهو كالمنبوذ وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا الاية قد ذكرنا
معناه في غير موضع وعن علي رضي الله عنه قال ما اخذ الله ميثاقا على اهل الجهل بطلب العلم حتى اخذ ميثاقا من اهل العلم لان
العلم كان قبل الجهل وقوله عز وجل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا قيل بما غيروا من نعت محمد عليه افضل الصلوات
وصفته في كتابهم وكتموه وتبديلهم الكتاب واعجاب الناس ذلك وحمدهم على ذلك وقيل ان اليهود دخلوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو انا نحن نعرفك ونصدقك وليس ذلك في قلوبهم فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهم المسلمون ما صنعتم فيقولون عرفناه وصدقناه فيقول المسلمون احسنتم بارك الله فيكم يحمدهم المسلمون على ما اظهروا
من الايمان وهم يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا وقيل انهم قالوا نحن اهل الكتاب الاول والعلم واهل الصلوة والزكوة ولم يكونوا
كذلك واحبوا ان يحمدوا على ذلك والله اعلم بالقصة وفي قوله ايضا لا تحسبن الذين يفرحون ويحبون بما اتوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا الاية دل ما ذم الله عباده واوعدهم عليه اليم عقابه فيما احبوا الحمد على ما لم يفعلوا نفي الريب عن قول
المعتزلة في قولهم ليس لله في الايمان تدبير سوى الامر ولا صنع وقد احتج الخصم عليه بقوله عز وجل انعمت عليهم وبقوله
عز وجل ولكن الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ونحوه في غير موضع من القران ولا قوة الا بالله
قال الله تعالى والله على كل شيء قدير امتدح جل ثناؤه بادخال كلية الاشياء تحت قدرته وبه خوف من عاند نعمته واطمع من
خضع له عظيم ثوابه فلئن جاز اخراج شيء تحت القدرة عن قوته لا يحمل الخوف مما خوفه والرجاء فيما اطمعه ان لم يظهر على
ذلك قدرته الا بقوله وهو على كل شيء قدير وما الا صنع لاحد في شيء الا باقداره ومحال ان يقدر على ما لا يقدر هو عليه او يزول
به قدرته لما فيه ما ذكرت فلذلك قلنا في بطلان قول المعتزلة باخراج افعال صنع الخلق عن قدرة الله وامتناعه عن تدبيره ولا قوة
الا بالله قال الله عز وجل ان في خلق السموات والارض الى قوله عز وجل لايات لاولي الالباب نقول وبالله نستعين اخبر الله
عز وجل ان فيما ذكر ايات لمن ذكر ومعلوم ان الايات انما احتيج اليها لمعرفة امر غائب عن الحواس يوصل اليها بالتأمل
والبحث عن الوجوه التي لها جعلت تلك الاشياء المحسوسة التي تغني من له اللب دخولها تحت الحواس عن تكلف العلم بها
بالتدبير بل علم الحواس هو علم الضرورات واوائل علوم البشر الذي منه ترتقي الى درجات العلوم فيلزم طلب ذلك فبطل
به قول من قال العلوم كلها ضرورات لا تنفع بالاسباب ولا يلزم الخطاب دون تولي الرب انشاء العلم في القلوب بحقيقة
ما في الخطاب اذ ذلك يرفع حق الطلب ويستوي فيه الموصوف باللب وغير الموصوف والمتفكر في الامر وغير المتفكر و
قد قال الله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض الاية في ذلك دليل ان المقصود بما ظهر ويعلم ما جعل في الذي
دليله وعلم وهذا الكل انواع العلوم ان منها ظاهر مستغن بظهوره عن الطلب وخفي يطلب بما له في الذي ظهر من
اثر ينبئ عنه التأمل والله اعلم وفي ذلك دليل لزوم التوحيد بالله اذ صيرها ايات لمن له ذلك واول درجات الايات
ان يعرف منشاها وجاعلها ايات والله اعلم ثم دل اتصال منافع السماء والارض على تباعد ما بينهما حتى قام بها وحي جميع
من دب على وجه الارض وانتفع بشيء ثم في ايصال الليل بالنهار في منافع كل حي على تضاد ما بينهما حتى صارا كالشكلين والسماء
والارض كالقرينين على ان لنشأ ذلك كله واحد اذ لو اختلف الانشاء لتناقض التدبير وبطل وجوه النفع وان الذي
انشاء ذلك علم كيف يدبر لايصال المنافع واجتماعها بغيرها على اختلاف ما بينهما وانه حكيم وضع كل شيء على ماله تدبر الحكماء
لم يكن يعرف اتصال الاقوب في المنافع على اختلاف في الجواهر وتضاد في الاحوال ابلغ من ذلك بل يقصر حكمتهم عن الاحاطة
بوجه الحكمة او الظفر بطرف منها الا بمعونة من دبر ذلك سبحانه وذلك هو الدليل على قدرته وهو سلطانه اذ سخر ذلك
كلها لبذل ما فيها من المنافع لمن جعلها له وجعل لبعض على بعض سلطان وقهر ليعلم ان التدبير يرجع الى غيره ذلك ويعلم
ان من قدر على ذلك علم قبل خلق المنتفعين بما خلق على اي تدبير خلق ذلك وباي وجه يصل كل خلق الى منافعه بها او
ما الذي سوى معاشهم وعلى اي تدبير وكلهم عليه لقادر على اعادة مثله والزيادة منه على انواع ذلك اذ كل امر له حق
الابتداء كان ذلك ابعد عن التدبير مما له حق الاحتذاء بغيره او الاعادة مما كان في اعادة الليل والنهار وجعل كل من ذلك
كالذي مضى وان كان الذي مضى مرة دلالة كافية للبعث والقدرة عليه والله الموفق ومنها انها جعلت على تدبير يعرف
صاحبها ومنشئها واثر دبرها على ما فيها من وجوه الحكمة التي صارت الحكمة جزءا منها وفنون العلم التي تنال بالتأمل
فيها مما يوضح ان الذي به ما حكيم عليم بما فيها من اثار الاحكام والاتقان الكافية في الانباء عن الانشاء للحكمة و
ان الذي ابدع ذلك ليس بعابث ولا سفيه ثم معلوم ان الفعل للهلاك والفناء غير داخل في الحكمة ثبت ان ذلك غير
مقصود فصار المقصود من ذلك وجها يبقى فثبت ان مع هذه دارا اخرى تبقى فهي المقصود جعلت بحق الجزاء وفي ذلك
لزوم المحنة والقول بالرسالة ليعلم بالوحي كيفية وجوه المحنة معالم لم يخل شيء من ان يكون فيه اثار النعمة من غير ان كان
منه ما يستحق ذلك فثبت انه في حق الابتداء ولازم شكر المنعم في العقول فيجب به وجهان احدهما القول بالرسل لبيان وجوه
الشكر اذ النعم مختلفة واصل الشكر يتفاضل على قدر المنعمين وكذلك النعم يتفاضل على قدر تفاضل متوليها لا بد من بيان ذلك
ممن يعرف حقيقة مقادير النعم وجلالة حق المنعم وبالله التوفيق فكان فيها ايات الرسالة والتوحيد وحكمته وعلمه
وجلاله من الاشباه والشركاء وبها جل عن احتمال الشرك في صنعه او الشبه على ان كلية كل من سواه تحت القدرة
وهو المتعالي عن ذلك وفيه دلالة البعث لما ذكرت عقوبة الكفران وقد يخرج المعروف به سلما غرقا في النعم وفي الحكمة
والفعل عقوبة لزم ان يكون ثم دار اخرى مما كان خلق الخلق لا لمن يعرف الحكمة من السفه والولاية من العداوة
والجزء من الشر والرغبة لا معنى له بما فيه تضييع الحكمة وجمع بين الذي حقه التفريق في الحكمة والفعل وذلك اية السفه ومحال

كونه من الحكيم صفته والعدل نعته فلزم به خلق المحن بالذي ذكرت فيها وجميع الخلائق للمحن ثم لابد من ترغيب وترهيب اذ على
مثل جبل يحتملوا المحن فلزم به القول بالدار الاخرى وهو البعث ليكون احدهما بحق ابتداء والنعم والاخرى بحق استحقاق الجزاء وان
كان لله التكليف بالاجزاء السابق النعم ولا قوة الا بالله والمعاقبة واجبة في الحكمة للجفاء والكفران وبالله التوفيق وقوله عز وجل
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وقيل بمفازة اي بنجاة من العذاب وهو ما ذكرنا من الغوث انه نجاة على ما يخاف ويحذر اي ليس لهم
نجاة من العذاب بل لهم عذاب اليم وقوله عز وجل ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير يشبه والله اعلم ان
يكون هذا جوابا لقولهم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير اي كيف جاز نسبتهم الفقر اليه والحاجة وله ملك ما في السموات
والارض ونسبة الغنى الى انفسكم وانتم عبيده واماؤه وما في يد العبد يكون لمولاه او ان يكون جوابا لقولهم وقالوا اتخذ الله
ولدا اي كيف يجوز ان يتخذ ولدا وله ملك ما في السموات وما في الارض كلهم عبيده واماؤه والولد في الشاهد انما يتخذ لاحد
وجوه ثلاثة اما لوحشة اصابته فيستأنس به او لحاجة تبدو له فيدفع به او لقهر وغلبة يخاف من عدو فيستنصر به على اعدائه
ويرث ملكه اذا مات فاذا كان الله له ملك السموات والارض يتعالى من ان يصيبه بشيء من ذلك كيف جاز لكم ان تقولوا اتخذ ولدا
وان كان الخلق كلهم عبيده واماؤه وانتم لا تتخذون الاولاد من عبيدكم واماءكم كيف زعمتم انه اتخذ ولدا من عبيده وقوله
عز وجل والله على كل شيء قدير وهذا على المعتزلة لانهم يقولون لا يقدر على خلق فعل العبد وعلى قولهم غير قادر على اكثر الاشياء
وهو قد اخبر انه على كل شيء قدير وقوله عز وجل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب
في الاية وجوه احدها انه خلق السموات والارض للبشر ولمنافعهم لا انه خلقهما لانفسهما لا منفعة لهما بخلقه اياهما
حتى يكون خلقه لانفسهما اذ خلق الشيء لا لمنفعة احد وللفناء خاصة عبث فاذا كان ما ذكرنا انه لا منفعة لهما في خلقهما دل
انه انما خلقهما لمنافع البشر وسخرهما لهم ثم جعل منافع السماء مع بعدها من الارض متصلة بمنافع الارض حتى لا يقوم
منافع الارض هذا الا بمنافع الاخر فيصيرهما كالمتصلين لاتصال المنافع مع بعد ما بينهما فدل هذا ان الذي انشاهما واحد
وكذلك اختلاف الليل والنهار هما مختلفان احدهما ظلام والاخر نور تغشان الاعمار وتقربان الاجال في رأي العين لا تشابه
ولا تشاكل اذ احدهما نور والاخر ظلام وهما متضادان لكن خلقهما لمنافع البشر والمقصود بخلقهم بنو ادم لا لانفسهم على
على ما ذكرنا ان لا منفعة لهم في خلقهم ثم صيرها مع اختلاف فيهما وتضادهما كالشكلين لاتصال منافع بعضها ببعض دل ان
منشيهما واحد وانه عليم حكيم حيث جمع من المتضاد بين المختلفين وصيرها كالشكلين وهما العلم وحكمته وتدبيره وكذلك وفيهما
دلالة البعث لانهما يفنيان حتى لا يبقى من الليل اثر حتى يجيء النهار فيذهب النهار ايضا حتى لا يبقى من النهار اثر فيجيء اخر
لا يزال الا ان كذلك فاذا كان كذلك قادرا على خلق الليل وانشائه من غير اثر بقي من النهار فكذلك قادر على انشاء النهار من غير ان
بقي من الليل اثر ظلام لقادر على ان ينشئ الخلق ثانيا ويحييهم وان فنوا وهلكوا ولم يبق منهم اثر فاذا كان من خلق السموات
والارض وما فيهما لمنافع البشر وهو المقصود في خلقهما لا غيرهم من الخلائق لما ركب فيهم من العقول والبصر الذي بهما يميزون
بين المنافع والمضار وبين الخبيث والطيب وبين الحسن والقبيح ولم يركب ذلك في غيرهم من الخلائق لا بد من امر ونهي يأمر باشياء
وينهى عن اشياء يمتحنهم على ذلك اذ هم اهل التمييز والفهم والبصر فاذا كان ما ذكرنا لا بد ايضا من دار اخرى للجزاء
يكرم المطيع له فيها والولي ويعاقب العدو فيها والعاصي ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلى جنوبهم يحتمل هذا لما جعل الله تعالى على العبد في كل حال نعمة ليست تلك في غيرها من الاحوال نحو ان جعل
القيام نعمة في قضاء حوائجه وتقلبه في تلك الحال وجعل القعود راحة له عند الاعياء وكذلك الاضطجاع فاستأداهم
بالشكر له في كل نعمة على حال من تلك الاحوال ومدحهم على ذلك اذا فعلوا ويحتمل ان يكون تعالى امرهم ان يذكروه في كل حال
في حال الرخاء والشدة وفي الضراء والسراء لا في دون حال على ما يفعله بعض خلقه يذكرونه في حال الشدة والضراء ولا يذكرونه
في حال الرخاء ويذكرونه في حال الشدة والبلاء فمدح المؤمنين انهم يذكرونه في كل حال لا على ما يفعله اهل الشرك على ارادة
نفس القيام ونفس القعود والاضطجاع ولكن على كل حال وفي كل وقت والله اعلم وقيل انه جاء في رخصة صلاة المريض
يصلي قائما ان استطاع والا فقاعدا ان لم يستطع والا فمضطجعا وكذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ذلك
وقوله عز وجل ويتفكرون في خلق السموات والارض اذ في خلقهما دليل وحدانيته وشهادة ربوبيته ربنا ما خلقت هذا
باطلا اي عبثا ولكن خلقتهم دليلا على وحدانيتك وشاهدا على ربوبيتك وقوله عز وجل سبحانك هو التنزيه والتنزيه هو
ابعاده عن العيب وتبرئته منه وتطهيره عما يقول الكفار وهو حرف تقدم عند حاجات ترفع اليه ودعوات يدعى بها وقوله
عز وجل ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته قيل اذللته وفضحته واهنته وما للظالمين من انصار اي مانع يمنع عنهم
العذاب ويدفع ويحتمل الانصار الاعوان اي ليس لهم اعوان يعينونهم في الاخرة وقوله عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا
ينادي للايمان يحتمل هذا وجهين احدهما على حقيقة السمع ان يسمعوا مناديا يدعوهم الى الايمان وهو رسول الله صلى الله
عليه وسلم او القران كلاهما يدعوان الخلق الى الايمان بالله ويحتمل قوله سمعنا اي عقلنا وعقل كل احد يدعو الى التوحيد والايمان
به وقيل سمعوا دعوة الله فاجابوها وصبروا عليها وعن ابن عباس رضي الله عنه المنادي محمد صلى الله عليه وسلم ثم
قرأ لانذركم به ومن بلغ الاية وعن غيره المنادي هو القران يدعوهم ان امنوا بربكم فامنا ربنا فيه دلالة ان الايمان ليس
هو جميع الطاعات على ما يقول بعض الناس ولكنه فرد تصديق لانه لما قال لهم امنوا بربكم لم يطلبوا التفسير ولا قالوا كم اشياء
يكون ولكن اجابته موجزة فقالوا فامنا ربنا ثم فيه دلالة ان لا ثنيا في الايمان لانهم اطلقوا القول في الاخبار عن ايمانهم
من غير ذكر حرف الثنيا دل ان الايمان مما لا يحتمل الثنيا وقوله عز وجل ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا قيل قولهم

اغفر لنا ذنوبنا التي كانت فيما مضى من عمرنا وكفر عنا سيئاتنا اي اعصمنا فيما بقي من عمرنا او وفقنا للحسنات التي تكفر سيئاتنا
لما قد يلزم العبد التكفير لما اساء وقيل المغفرة والتكفير كلاهما سواء لان المغفرة هو الستر وكذلك التكفير ولذلك سمي الزراع
كفارا لسترهم البذر في الارض وكذلك الكافر سمي كافرا لستره الحق بالباطل ولستره جميع ما انعم الله عليه بتوجيه الشكر الى غيره
والله اعلم وقوله عز وجل وتوفنا مع الابرار يحتمل قوله توفنا مع الابرار توفنا واجعلنا مع الابرار ويحتمل وتوفنا من الابرار وفي
الابرار ثم اختلف في البر قيل هو الذي لا يؤذي احدا وقيل الابرار الاخيار ويحتمل توفنا على ما عليه توفي الابرار وتوفنا ابرارا
والبر الطاعة والتقوى ترك المعصية وقوله عز وجل ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك قيل فيه بوجهين قيل واتنا ما وعدتنا
على السن رسلك على اضمار السن كقوله عز وجل وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقيل ما وعدتنا على رسلك
اي ما جعلت عليهم من الاستغفار للمؤمنين كقوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وكقول ابراهيم عليه الصلوة
والسلام رب اغفر لي ولوالدي الاية وكقول نوح عليه السلام رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات
ثم بيننا وبين المعتزلة كلام في الاية قالت المعتزلة يجوز الدعاء والسؤال عنه بما قد اعطى وما عليه ان يعطي نحو ما ذكر من
السؤال بما وعد وما وعد لا شك انه يعطي وانه لا يخلف الميعاد ونحو قوله عز وجل قل رب احكم بالحق وهو لا يحكم بالجور وما
عندنا ان السؤال عما عليه ان يعطي يخرج الدعاء له ربنا لا تجر ولا تظلم ان هذا لا يقال الا لمن يخاف الجور منه والظلم اذا يعلم
ان ذلك عليه والسؤال عما اعطى محال لانه يخرج مخرج كتمان ما اعطى وليس عنده ما يعطيهم فيخرج مخرج السخرية بل لذلك
بطل السؤال والله اعلم ثم تاويل الاية عندنا على وجوه احدها قوله ما وعدتنا على رسلك يحتمل ان يكون الوعد منه لرسله
باستغفار الرسل اذا كان من المؤمنين استغفار وسؤال كقوله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول الاية وعد لهم المغفرة لهم باستغفار الرسول اذا كان منهم استغفار وسؤال يقول اجعل دعائي دعاء من جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم مستغفرا فاستغفر له وكقوله ايضا لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا والثاني
يحتمل ان يكون الوعد لهم اذا ماتوا على ذلك فالدعاء كان منهم والسؤال انه اذا اماتهم يميتهم على الايمان على ما كانوا احياء و
المغفرة والرحمة حينئذ تكون لهم الا ترى انه قال من جاء بالحسنة فله كذا ولم يقل من عمل بها فله كذا ولكن ذكر مجيئه فعلى ذلك
الاول ثم يحتمل ما ذكرنا والله اعلم وفيما ذكر من تاويل الاية في الابتداء كفاية من ذلك والله اعلم والثالث يدعوا ليجعلهم
من الجملة الذين كان لهم الوعد اذ الوعد غير مبين لمن هو فسالوا ان يجعلهم في تلك الجملة والله اعلم وقوله عز وجل فاستجاب
لهم ربهم هذا يدل ان الوعد لهم كان مقرونا بشرط السؤال لانه قال فاستجاب لهم والاستجابة تكون على اثر السؤال
كقوله عز وجل واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان الاية وقوله عز وجل اني لا اضيع عمل عامل
منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض قيل من الخلق كلهم لكن يجعل جزاء اعمال الكفرة في الدنيا كقوله تعالى عز وجل نوف اليهم اعمالهم
لهم فيها وهم فيها لا يبخسون واما المؤمنون في الدنيا والاخرة واما الكفار فانما يعطيهم ليس بجزاء وقوله عز وجل
نوف اليهم اعمالهم اي نوف عليهم وهم لا يبخسون ارزاقهم وقيل قوله منكم اشارة الى المؤمنين خاصة كقوله عز وجل
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض الاية وقوله عز وجل فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي الاية
الذين هاجروا الى الله تعالى ورسوله طوعا واخرجوا من ديارهم اي اضطروهم حتى خرجوا من ديارهم فهاجروا واوذوا في
سبيلي اي في طاعتي وقاتلوا حتى قتلوا ويحتمل هذا كله ان هاجر بعض طوعا وبعض اخرجوا من ديارهم حتى هاجروا وقاتل بعض
حتى قتلوا وقاتل بعض ولم يقتلوا وقتل بعض وقوله ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار الاية تاويلها ظاهر وقوله
عز وجل لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل يحتمل تقلبهم وجوها وذلك نعمة من الله عليهم لتركهم يتجرون في البلاد
مع كفرهم بربهم والثاني اعطاهم اموالا يتنعمون فيها ويتلذذون والثالث ما اخرهم العذاب والهلاك الى وقت يقول
لا يغرنك بامهال ذلك انما هو متاع يسير مصيرهم الى النار كقوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية كقوله و
لا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما الاية قال وليس الاغترار في نفس
التقلب لانه جهد ومشقة ولكن لما فيه من الامن والسعة والقوة دليله قوله تعالى عز وجل متاع قليل ثم قال لكن
الذين اتقوا منهم وسعيهم للاخرة متاع لا ينقطع وقوله عز وجل لكن الذين اتقوا ربهم يعني الشرك لهم جنات
تجري من تحتها الانهار الى اخر ما ذكر نزلا من عند الله يحتمل ان يكون الامر ما ذكر في بعض القصة ان بعض المؤمنين قالوا
ان الكفار في خصب ورخاء ونحن في جهد وشدة فنزل لا يغرنك تقلبهم في ذلك انما هو متاع قليل وذلك ثوابهم في
الدنيا واما ثواب الذين اتقوا ربهم جنات تجري من تحتها الانهار الى اخر ما ذكر وقوله عز وجل وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم يعني القران وما انزل اليهم يعني التورية ثم اختلف في نزوله قال بعضهم نزل في شان عبد الله
ابن سلام واصحابه اقروا بانه واحد لا شريك له وصدقوا رسوله صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه الاية وقيل نزل في شان
النجاشي وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى على النجاشي قال اناس من المنافقين يصلي
على حبشي مات في ارض الحبشة فانزل الله تعالى عز وجل وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله الاية عن الحسن قال لما مات النجاشي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفروا لاخيكم فقالوا يا رسول الله لذلك العلج فانزل الله سبحانه وتعالى وان من اهل
الكتاب لمن يؤمن بالله الاية وقيل لما صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المنافقون صلى على من ليس من اهل دينه
فانزل الله الاية وعن الزهري عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي فكبر
الله اربع تكبيرات وصففنا في المصلى خلفه وكان مات بالحبشة قال والنزول على وجهين من ترك بسببه خبرا وسعه

لله فيه فضل لانه كان مفتاح الخير ومن ترك بسببه ضيق فعليه فضل يوم كانه مفتاح الضيق واما الاحكام فانه ينظر الى ما فيه
نزل فيشترك فيه الخلق ولا يجوز ان يقال نزل فى شان فلان انما انزل لما فى شان فلان لا فى شانه وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اصبروا قيل على اداء الفرايض والعبادات وقيل اصبروا على البلايا والمصائب والشدايد وصابروا فى الجهاد لعدوكم وقيل اصبروا
على امر الله وفرايضه وصابروا مع النبى صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه فى المواطن وعن الحسن قال امروا ان يصبروا على دينهم الذى
ارتضى الله لهم وهو الاسلام ولا يدعوه لشدة ولا لرخاء ولا لضراء ولا سراء حتى يموتوا ويكونوا يصابروا الكفار حتى يكونوا
يميلوا عن دينهم وامروا ان يرابطوا المشركين وقيل اصبروا على الجهاد وصابروا العدو كم ورابطوا اى داوموا على دينكم واتقوا
لعلكم تفلحون قال والصبر فى نفسه خاصة فى طاعته يصبر عليها ومعصيته يصبر عنها وفى بلوى والمصائب مع غيره وقد يكون
كل واحد على المغيبين لانه لا يخلو عن مصابرة عدو فيما يطيع ربه وقيل رابطوا مع عدوكم ما اقاموا واتقوا الله فيما امركم
فلا تدعوا ذلك مع نبيكم وذروا ما نهاكم عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

وقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم فى كل ما كان الخطاب المكفرة ذكر الله سبحانه وتعالى على اثره حجج وحدانيته ودلائل ربوبيته
لانهم لم يعرفوا ربهم من نحو ما ذكر يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الاية وكقوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الاية وكقوله عز وجل يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ونحوه كثير ذكر الحجج
والدلائل التى بها يوصل الى معرفة الصانع وتوحيده ليتفكروا فيعرفوا بها خالقهم والههم وفى كل ما كان الخطاب للمؤمنين
لم يذكر حجج الوحدانية ولا دلائل الربوبية لانهم قد عرفوا ربهم قبل الخطاب ولكن ذكر على اثره نعم التى انعمها عليهم وثوابه الذى
وعد لهم نحو قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا الى اخر ما ذكر نعمه
التى انعمها عليهم وكقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كذا الى ما ذكر على هذا يخرج الخطاب فى الاغلب وقوله
عز وجل اتقوا ربكم قيل اتقوا عذابه ونقمته وقيل اتقوا عصيانه فى امره ونهيه وقيل اتقوا الله بحقه فى امره ونهيه وقوله عز وجل
الذى خلقكم من نفس واحدة انها فخلقنا الى ادم اذ الانسان فى النطفة قال دلت اضافة خلقنا من ادم وان لم نكن انفسنا مستخرجة منه
على امرين احدهما جواز اضافة الشىء الى الاصل الذى اليه المرجع وان بعد ذلك عن الراجع اليه على التوالد والتتابع والثانى انا لم
نكن بابدائنا فيه واذا اضيف خلقنا اليه اذ لو كنا فيه لكنا منه بحق الاخراج لا بحق الخلق منه وذلك يبطل قول من يجعل صورة
الانسان فى النطفة مع الاحالة ان يكون معنا لا فى التراب او النطفة اذ هما من الموات الخارج من احتماله الدرك ونحن احياء دراكون
والله اعلم وقوله تعالى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء اى فرق ونشر واظهر منهما اولادا كثيرا ذكورا واناثا وقوله عز وجل واتقوا
الله الذى تساءلون به والارحام قوله تساءلون به اى تتقوا الله الذى تساءلون بعضكم من بعض اى يسال بعضكم من بعض الحوائج و
الحقوق به يقول اسالك بوجه الله وبحق الله وبادم ويسال بعضكم من بعض بالرحم يقول الرجل لاخر اسالك بالرحم وبالقرابة
ان تعطينى وقوله والارحام روى عن ابن عباس رضى الله عنه يقول اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا فى الارحام وصلوها وقرئ
بالنصب والخفض والارحام فمن قرا بالنصب يقول اتقوا الله فلا تعصوه واتقوا الارحام فلا تقطعوها ومن قرا بالخفض يقول
اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام وروى فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله وصلوا الارحام فانه ابقى لكم فى الدنيا وخير لكم
فى الاخرة والاية فى الظاهر على العظة والتنبيه وكذلك قوله ان الله كان عليكم رقيبا هو على التنبيه والايقاظ وقوله عز وجل واتوا
اليتامى اموالهم يحتمل هذا وجهين احدهما احفظوا اموالهم الى ان يخرجوا من اليتم فاذا خرجوا من اليتم اعطوهم اموالهم ويحتمل
قوله عز وجل واتوا اليتامى اى انفقوا عليهم من اموالهم ووسعوا عليهم النفقة ولا تضيقوا لتنظروا الى اموالهم غيرهم ولا
يعنى اثر الوقت الخروج من اليتم اى احفظوا لتوتوا وقوله عز وجل ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اى لا تاخذوا الخبيث فتتركوا لهم
ما وعد لكم فى الاخرة بحفظ اموالهم وقيل لا تاخذوا الجياد من ماله وتعطى الردى منهما له فذلك تبديل الخبيث بالطيب وقيل
لا تاكلوا الخبيث وهو اموال اليتامى وتذروا الطيب وهو اموالكم اشفاقا على اموالكم ان تبقى وقيل لا تاكلوا الحرام مكان الحلال
لان اكل مال اليتيم حرام واكل ماله حلال فنهى ان يبدلوا الخبيث بالطيب ويحتمل لا تاخذ ماله وهو خبيث ليؤخذ منك الذى
ليؤخذ منك الذى لك وهو طيب ويحتمل لا تاكلوا ذلك ابقاء لاموالكم التى طيبها الله تعالى لكم بما جعل الله لكم خبيثا ويحتمل لا تاكلوا
اموالهم فى الدنيا فتكون هى نارا تاكلونها فتتركون الموعود لكم فى ابقاء الخبيث كقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية
وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم يحتمل هذا والله وجهين يحتمل قوله اموالهم الى اموالكم اى مع اموالكم اى لا تخلطوا
اموالهم مع اموالكم فتاكلوها ففيه نهى عن الخلط والجمع ويحتمل اموالهم الى اموالكم اى باموالكم ففيه النهى من اكل اموالهم
باموال انفسهم تبعا كقوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن وقوله عز وجل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
يعنى لا تجمعوها اليها فتاكلونها معا ويحتمل مع اموالكم والله اعلم وقوله تعالى انه كان حوبا كبيرا قيل جورا وقيل الحوب الاثم
وهو واحد وقيل خطا وقيل ذنبا كبيرا وقيل اثما وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه وقوله عز وجل وان خفتم الا
تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع اختلف فى تاويله قيل انهم كانوا يخافون من اموال
اليتامى ويتحرجون منها لكثرة ما جاء من الوعيد فيها فنزل هذا فان خفتم وتحرجتم من اموال اليتامى فكذا فتحرجوا من الزنا و
انكحوا ما طاب لكم من النساء الاية عن عائشة رضى الله عنها انها قالت نزلت فى يتامى النساء كن عند الرجال فيكون اليتيمة
الشوهاء عند الرجل وهى ذات مال فلا ينكحها لشوهتها ضنا بمالها لتموت فيرثها وان نكحها امسكها على غير عدل منه فى اداء

حقها اليها والاولى لها سواه يطالبه بحقها فانزل الله تعالى فان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فذروهن ولا تنكحوهن وانكحوا ما طاب
لكم من النساء وروى عنها ايضا انها سئلت عن هذه الاية فقالت نزلت فى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها
وينقص من صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا فى كمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن من النساء قالت عائشة
رضى الله تعالى عنها واستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله تعالى يستفتونك فى النساء الى قوله وترغبون
ان تنكحوهن فانزل الله تعالى لهم فى هذه الاية ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فيها فى نكاحها ونسبها فى كمال الصداق
واذا كانت مرغوبا عنها فى شوهتها وقلة مالها تركوها واخذوا غيرها من النساء قالت فكما تركوها حتى ترغبون عنها
فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفر من الصداق وقيل لما انزل الله تعالى
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية ترك المؤمنون مخالطة اليتامى وتنزهوا عنها فشق ذلك عليهم فاستفتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى مخالطتهم وكان يكون عند الرجل عدد من النساء ثم لا يعدل بينهن فانزل الله تعالى فان خفتم الجور
فى مخالطة اليتامى فكذلك خافوا جمع النساء وترك التسوية بينهن فى النفقة والجماع ثم من الناس من يبيح نكاح التسع
بقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع فذلك تسعة واما عندنا فانه لا يحتمل ذلك لان معنى قوله تعالى مثنى وثلاث وثلاث ورباع
مثنى او ثلاث او رباع لانه قال وان خفتم الا تعدلوا فواحدة استثنى الواحدة اذا خاف ان لا يعدل بينهن فلو كان ما ذكر لكان
لا معنى لاستثناء واحدة منهن ولكن يقول وان خفتم الا تعدلوا بين التسع فثمان او ست فلما لم يستثن الا واحدة دل
ان التاويل ما ذكرنا مثنى او ثلاث او رباع على الانفراد والثانى ما ذكر فى القصة انه كان عند الرجل عدد من النساء عشرا
واكثر واقل فخرج ذلك على بيان ما يحل من العدد وذلك اربعة وروى ان رجلا اسلم وتحته ثمانى نسوة فاسلمن فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اختر منهن اربعا وفارق البواقى والخبر فى بيان منتهى ما يحل من العدد ووجه الحل فاحتمل ان يختار
اربعا على استقبال النكاح وقوله عز وجل فان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى الاية قيل فيه بوجوه احدها انه قال اذا خفتم
الجور فى كفالة اليتامى فانفيتموها فخافوا فى كفالة النساء فلا تكثروا منهن والثانى انهم اذا خفتم فى اموال اليتامى فتحرجتم
ضم اموالهم اليكم اشفاقا على انفسكم ان تاكلوا منها فخافوا النساء مواقعتهن من وجه يحرم عليكم فانكحوهن والثالث انه
اذا خفتم الجور فى يتامى النساء لو تزوجتموهن من حيث ليس معرفتهن من يمنعكم من ظلمهن فانكحوهن من غيرهن فمن اذا تحرجتم
فيتحرجن من ذلك لكنه معلوم ان الحد فى عدد النساء لخوف الجور وبما علم الله من عجز البشر على ما خيل عليه اخبر انه لا يقدم بوفاء
الحق فى اكثر ما ذكر وقوله عز وجل وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ليس على الحكم والحتم ولكنه ادب لانه وان خاف ان لا يعدل فتزوج
اربعا جاز وهو مثل الذى نهى فى المراجعة وامر بالقصد فيها والعدل فان فعل ذلك اثم ورجعته صحيحة وكذلك كالامر بالطلاق فى
العدة والنهى فى غير العدة ثم اذا طلق فى غير العدة وقع فكذلك الاول وقوله فان خفتم الا تعدلوا فى القسم والجماع والنفقة
فواحدة او ما ملكت ايمانكم ان خفتم ان لا تعدلوا فى واحدة لانه ليس للاماء قبل ساداتهن حق الجماع والقسم ينكح ما شاء كانه قال
هذا المال ليس لاكثر من غاية فله ان يجمع ما شاء من الاماء فى ملكه وليس له ان يجمع بالنكاح اكثر من اربع ولو كان التاويل ما ذهب
اليه لم يكن لقوله او ما ملكت ايمانكم وجه وفيه اذن ينكثر العيال معا ان كثرة العيال معدودة من الكرم اذا احسن اليهم لم يجعل
ان يذهد فيه وقوله عز وجل ذلك ادنى ان لا تعدلوا قال بعض اهل العلم ان قوله تعالى ان لا تعولوا من كثرة العيال وهو قول
الشافعى رحمة الله تعالى ولكن هذا لا يستقيم فى اللغة لانه يقال من كثرة العيال اعال يعيل عالة فهو معيل ولا يقال عال يعول
وانما يقال ذلك فى الجواز فان قيل روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ابدا بمن تعول لكن تاويله والله اعلم ابدا بمن يلزمك
نفقته اى ابدا بمن تصيره جابرا بترك النفقة عليه وكذلك يقال عال يعول عولا اذا انفق على عياله وليس عن كثرة العيال فى شىء
الا ترى ان على الرجل ان يبدا بمن يعول فلو كان قوله ذلك ادنى ان لا يعولوا من العيال لكان المتزوج واحدة ذا عيال وان
قول الله تعالى ان لا يعولوا والمتزوج واحدة يعولها فدل بما ذكرنا ان قوله ان لا تعولوا اى لا تجوروا ولا تميلوا على ما قيل عن
عائشة رضى الله عنها ان لا تعولوا ان لا تميلوا وعن ابن عباس رضى الله عنه مثله والعول هو المجاوزة عن الحد ولذلك
سمى الحساب الذى زاد على اصله عولا لمجاوزته الحد فعلى ذلك العول ههنا هو المجاوزة عن الحد الذى جعل له وهو الجور
وقوله وان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ليس بشرط لنفى القول ولانه لا حاجة لمعرفة حد الحذف الذى يجعل شرطا للجواز
وكل عدل يخاف ادنى خوف بل جميع امور الدين هو على الخوف والرجاء ولانه لا يوجب جهل النساء بمن يحل لهن النكاح ويحرم
اذا لا يعرفن ذلك ومتى حرم عليه حرم عليها ولا يحتمل ان يجعل الحل شرطا لا يوصل الى حقيقته ولظهور الجور فى الامة على ابتداء
على النكاح فضلا من خوف معها قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الاية دلالة ظاهرة وكذلك فى قوله وان امراة خافت
من بعلها الاية وقوله تعالى وان خفتم شقاق بينهما وقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وقوله عز وجل واتوا النساء صدقاتهن
نحلة عن ابن عباس رضى الله عنه نحلة قال المهر وقيل النحلة الفريضة اى اتوهن فريضتهن وقيل نحلة اى عطية وهى لا وليها وهو
من النحل وقيل نحلة الدين اى من الدين ان تؤتوا النساء صدقاتهن ليس على ما كانوا يفعلون فى الجاهلية يتزوجون النساء
بغير مهور وهن فقيه ان لا يحل الكفر النكاح بغير مهر وقوله عز وجل فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا و
فى الاية دلالة جواز هبة المراة من زوجها وفيها قول من لا يجيز هبة المراة بما لها الا وتبقى فى بيته سنة فيجوز امرها فى
الاية ايضا دليل ان المهر لها حيث اضاف الاحلال الهبة اليهن بقوله فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا
وفيه دليل ايضا ان هبة الديون والبراءة منها جائزة كما جازت هبة المراة مهرها وهو دين وقيل فيه وجه اخر هو ان
الاباء فى الجاهلية والاولياء كان ياخذون مهورهن ثم فامرهم عز وجل ان لا ياخذوا ذلك وحكم بان المهر للمراة دون

وليها الا ان تهبه لوليها فيحل حينئذ وقوله عز وجل فكلوه هنيئا لا داء فيه ومريئا لا اثم فيه وقيل الهنيء هو اللذيذ الشهي الذي عند تناوله وتيسره والمريء الذي يحمد عاقبته ثم الحكمة في ذكر الهنيء والمريء هنا وجهان احدهما ما ذكر في الايات من الوعيد باخذه منها بقوله جل وعز ولا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا الى قوله بعضكم الى بعض لئلا يمتنعوا عن قبول ذلك للوعيد الذي ذكر في الايات والثاني ان الامتناع عن قبول ما بذلت الزوجة يحمل على حدوث المكروه ويورث الضغائن وذلك سبب قطع الزوجية فيما بينهما وقيل قوله عز وعلا واتوا النساء صدقاتهن نحلة يعني بطيبة انفسكم يقول لا تعطوهن مهورهن وانتم كارهون ولكن اتوهن وانفسكم بها طيبة اذ كان المهور لهن دونكم وقوله عز وجل فان طبن لكم اي طابت به انفسهن من غير كره فهو حلال وعن علقمة انه قال لامراته اطعميني من الهنيء المريء وعن علي رضي الله عنه قال اذا اشتكى احدكم فليسال امراته ثلاثة دراهم من صداقها ثم يشتري بها عسلا ثم يشربه بماء السماء فيجمع الله تعالى الهنيء والمريء والشفاء والماء المبارك وفي قوله ايضا جل وعز فكلوه هنيئا مريئا ان النفقة وان كانت عليه هي اذا قامت بها في نفسها لا تخرج هي من نفقتها عليها بالبيت باعظم من مالها ان انطيبت ووصف بالهنيء المريء بما ربما يستثقل الطبع من مالها كراهة الامتنان او ما كان عليه كفايتها او مما جرى من الوعيد الشديد في منع مهرها او بما قد يحتشم فيتبذل له او بما يوهم الطمع في مالها والرغبة في النكاح لذلك فطيبه الله تعالى حتى وصفه بغاية ما يحتمل المال وفيه بيان جواز معروفها وترغيب في حسن المعاشرة بينهما حتى ابقى ذلك بعد الفراق بقوله عز وجل الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح الاية وذلك اخذ ما يورث المحبة والمودة ويديمها ان جعل الله بينهما ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها مسئلة في العبد لا يتزوج اكثر من اثنتين روي عن عبيد الله بن عتبة رضي الله عنه انه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينكح العبد اثنتين ويطلق اثنتين وتعتد الامة حيضتين فان لم تحض فشهرين ونصف وعن علي رضي الله عنه انه قال لا يحل للعبد ان ينكح فوق اثنتين وعن عبد الرحمن بن عوف انه قال يتزوج العبد اثنتين وعن عمر رضي الله عنه انه قال لابن مسعود رضي الله عنه ما يحل للعبد من النساء قال اثنتين قال عمر رضي الله عنه ذلك راي وعن الحكم قال اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان العبد لا يجمع من النساء فوق اثنتين فهؤلاء ستة نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وعلي وابن مسعود والفضل بن عباس والانصاري رضوان الله عليهم اجمعين اتفقوا على ان العبد يتزوج اثنتين ولا يتزوج اكثر من ذلك وايضا عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامة تطلق تطليقتين وتعتد حيضتين فان احتج محتج لعموم الاية انه تعالى قال مثنى وثلاث ورباع ولم يذكر عبدا ولا حرا فهو على عمومه قيل في الاية دليل ان الخطاب للاحرار وهو قوله سبحانه وتعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فهو على من له النكاح بنفسه والعبد يكون له النكاح بغيره بقوله عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم فكان المخاطب بنكاح العبيد مواليهم ليس له ان ينكح المرأة الا باذن مولاه ومولاه يزوجه اذا شاء بغير امره فانما الخطاب لمن له ان يتزوج اذا شاء والعبد من ذلك خارج الا ترى انه قال عز وجل او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك ملك اليمين فدل ان الخطاب راجع الى الاحرار دون العبيد فان قيل فقد جعلتم للعبد ان يطلق الحرة ثلاثا فجعلتم له من الطلاق مثل الذي جعلتموه للحر فيجب ان تجعلوا له من تزوج النساء مثل الذي يجوز للحر قيل الفرق بينهما ان الطلاق عندنا بالنساء لان الحر يطلق امراته الامة تطليقتين فتحرم عليه والتزويج بالرجال لا ينظر فيه الى النساء فللعبد ان يتزوج النصف من تزويج الحر كان عدة الامة وطلاقها على النصف من عدة الحرة على ما روينا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكون للعبد في اثنتين شيئا نصف ما للحر من الاربع وروي عن الحسن انه قال في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم يعني الكفار وقيل لا تؤتوا السفهاء اموالكم فيكونوا قياما عليكم ولكن كونوا انتم قياما عليهم وقيل لا تؤتوهم اموالكم فيكونوا اربابا عليكم وكونوا اربابا باموالكم عليهم ومن صرف التاويل الى اليتامى جعل معنى قوله عز وجل اموالكم كقوله لا تقتلوا انفسكم وكقوله فسلموا على انفسكم يريد ترونه في البيوت فعلى ذلك اضافة اموال اليتامى الى الاولياء وقوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية السفيه في الحقيقة من يعمل عمل الجهال كان جاهلا في الحقيقة او عالما قد يلقب العالم به اذا ضيع الحدود وتعاطى الافعال الذميمة وعلى ذلك ما جاء الكتاب بتسفيه علماء اهل الكتاب ثم قد يسمى الجهال به لان الجهل هو السبب الباعث على فعل السفه فقوله تعالى لا تؤتوا السفهاء اموالكم يحتمل ذلك الوجهين واي الامرين كان ففيه التحذير لمعنى الذي بين من قوله التي جعل الله لكم قياما فاما ان كانت قياما للمعاش او لهما وطريقا للانفاق في الوجهين والامساك لهما التدبير ومراعاة الشرع وتعاهد الاسباب والوجهان جميعا عنهما ان الوفاء بما جعلت له الاموال فحذرهم بها عن تضييع ذلك بالتسليم الى من ذكر مما يكون في ذلك اتباع من يستحق ان يكون متبوعا لمن حقه ان يعمل تابعا وذلك خارج عن حد الحكمة وما يحتمله العقل ثم قد صرفت الاية الى النساء بما جعل من اليه التدبير وهو الذي انشاهن تحت ايدي الرجال في الامور مع وصف الرجال انهم قوامون على النساء صرفت ايضا الى الصغار بما ضمن حفظ اموال مثلهم الكبار وجعلوا مكفولين عند البالغين فاموال البالغين احق بذلك وحقيقة السفه ما ذكرت وجائز ان يكون المقصود بالذكر من ذكر الصغار والنساء بما خاطب من حذر بالدفع الى من ذكر رزقا ولتك وكسوتهم ولا يجب رزق الجهال والسفهاء على غيرهم فيكون ما ذكروا اولى بمراد الاية وان كان للمعنى الذي قصد بالاية التي ذكرتهم قد استحقوا ولما غلبت تلك الاموال على هؤلاء جعل من ذكرت قواما عليهم وقد ذكرت عن الحسن انه صرف الاية الى الكفار فكانه تأول في القيام القيام بامر الدين والكفار لا يجوز الاستعانة بهم وله جعل المال عنده معاكرة العلماء تسليط الكفر العقود لحيلها بحق شرع الاسلام فيها فمثله دفع الاموال اليهم وقوله عز وجل التي

جعل الله

جعل الله لكم قياما عن ابن عباس رضي الله عنه التي جعل الله لكم قياما يعني قوام امركم ومعيشتكم وهو كذا جعل الله جل الاموال اغذية للخلق بها تقوم دينهم وابدانهم وقوله عز وجل وارزقوهم فيها واكسوهم يقول لا تؤتوهم ولكن ارزقوهم انتم واكسوهم وقيل يقول انفقوا عليهم منها واطعموهم وقيل لما اضاف الاموال الى الدافعين لا الى المدفوعة اليهم دل على وجوب نفقة المولى وكسوته على الرجل وقوله عز وجل وقولوا لهم قولا معروفا قيل عدة حسنة جميلة سافعل وساكسو وقيل مروهم بالمعروف وانهوا عن المنكر وقيل علموهم الادب والدين وقولوا لهم كلام البر واللين واللطف وقوله عز وجل وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح اختلف فيه قال بعضهم قوله عز وجل حتى اذا صرف حتى صلة وتاويله وابتلوا اليتامى اذا بلغوا النكاح وهو قول الشافعي رحمه الله يجعل الابتلاء بعد البلوغ ويحتمل ان يكون المراد بالابتلاء قبل البلوغ لوجهين احدهما ان يبتلى الايتام قبل بلوغ بانواع العبادات ليعتادوا بها ويتأدبوا ليعرفوا حقوق الاموال وقدرها ويحفظوها اذا بلغوا لانهم اذا ابتلوا بعد البلوغ لم يعرفوا ما عليهم من العبادات والفرائض وقت البلوغ وكان في ذلك تضييع حقوق الله وفرائضه اذ لا سبيل لهم الى القيام بها حتى البلوغ فامر الاولياء ان يبتلوهم قبل البلوغ حتى اذا بلغوا بلغوا عارفين لما عليهم من العبادات والحقوق حافظين لها الا ترى الى ما روي في الخبر انه امر الاب ان يامر ولده بالصلاة اذا كان ابن سبع وامر بالضرب والتاديب اذا كان ابن تسع وبالتفريق في المضاجع وهو من حقوق الخلق فهذا ليعتادوا ويأخذوا بالحدود والاداب قبل البلوغ حتى اذا بلغوا عرفوا ما عليهم وهان القيام بها وان لم يعودوا قبل ذلك يشتد عليهم القيام باقامة العبادات واداء الحقوق فعلى ذلك الاول ووجه اخر ان يبلوهم بشيء من اموالهم يتجرون بها ويتقلبون فيها لينظروا هل يقدرون على حفظ اموالهم عند حدوث الحوادث والنوائب ففيه دليل جواز الاذن في التجارة حال الصغر لانه لا يظهر ذلك الا بالتجارة وان كان المراد بالابتلاء بعد البلوغ والكبر فهو ايضا يحتمل وجهين يحتمل العلم بها بنفسه ويحتمل بها العلم والعمل ولا تضعوها في غير موضعها وقوله ان حرف حتى صلة انه لو جاز له ان يجعل هذا صلة لجاز لغيره ان يجعل الرشد صلة فيه اذ لا فرق بين هذا وبين الاول ان يجعل صلة ثم اختلف في قوله تعالى فان انستم منه رشدا فادفعوا اليهم اموالهم قال بعضهم هو ان يصير هو من اهل الشهادة فحينئذ يدفع اليه المال فعلى قوله يجب ان ينتزع الاموال من ايدي الفساق لانه لا شهادة لهم ومن قوله ان اليتيم من اهل الكفر لا يدفع اليه المال الا بعد استيناس الرشد منه فلو كان شرط الرشد هو شهادة لكان الكافر لا يدفع اليه لما لا يقبل شهادته ما لزم الكفر على الحد دل ان الرشد ليس ما ذكر ولكن ما قيل من العقل والحفظ لماله والاصطلاح فيها وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فان انستم منه رشدا قال اذا ادرك بحلم وعقل ووقار وهو يقول ايضا في قوله تعالى منهم رشدا ان الله سبحانه وتعالى يقول اختبروا اليتامى من عند الحلم فان عرفتم منهم رشدا في حالهم والاصلاح في اموالهم فادفعوا اليهم اموالهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فان حسبتم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وفي حرف حفصة وابتلوا اليتامى في اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح بعد كبرهم ثم لا يخلو منع الاموال منهم من اوجه ثلاثة اما ان يمنع لفرط البذل والانفاق جودا وسخاوة وحسن الظن بالله انه عز وجل يرزقهم ويعطيهم خلف نفقتهم وهذا لا يحتمل لان هذا من اخلاق الانبياء صلوات الله عليهم وسيرتهم فلا يحتمل النهي عن ذلك او يمنع لغلبة شهوتهم ولقضاء وطرهم وحاجتهم ينفقون الاموال ليصلوا الى ذلك فانهم ان منعوا عن اموالهم تناولوا من اموال غيرهم ويتعاطون ما لا يحل ويخبث فلا يحتمل ان يمنعوا لذلك او ان يمنع منهم الاموال لافة في عقلهم ونقص في لبهم فان كان لهذا ما يمنع اموالهم عنهم فيجب ان يمنع ابدا لا وقت في ذلك ولا مدة الا بعد ارتفاع ذلك وزواله عنهم وهو الوجه يمنع منه حتى يونس منه الرشد ثم جعل ادراكه وبلوغه بالاحتلام لان كل جارحة من جوارح الانسان يجوز استعمالها الا الالة حتى منها فانه لا يقدر على استعمالها الا صاحبها فجعل الاحتلام علم البلوغ وادراكه لذلك ولهذا ما لم يعمل الاكراه عليها نحو من اكره بالزنا فزنا فان عليه الحد لان الاكراه لا يعمل عليه فانما كان يفعل منه الالة التي فانه اذا اكره اخر بالزنا ففعل لم يقم عليه الحد لما جعلنا ذلك كالعلم بالسبب الذي يحل وكذلك لو اكره حتى وطئ امرأة لزمه العقر ولا يرجع على المكره ولو اكره على اتلاف مال الغير اموا له تفعل لا يرجع على المكره للمعنى الذي وصفنا ولهذا ما وقع طلاق المكره ونكاحه وعتاقه لان هذه الاشياء انما تقع باللسان واللسان مما لا يعمل عليه الاكراه لذلك جاز والله اعلم واما البيوع والاشربة والعقود كله سوى هؤلاء يكون التسليم والقبض دون التعلق باللسان والتكلم بها الا الاكراه مما يعمل عليها لما امكن استعمالها غيره لذلك افترقا ولهذا ما قلنا ان الايمان يكون بالقلب دون اللسان لانه اذا اكره حتى يكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه وكان قلبه مطمئنا بالايمان لم يكفر فاذا اطمأن قلبه بالكفر لان الاكراه لا يعمل على القلب ولا يصير المكره مستعملا له انما المستعمل هو لا غير لذلك كالجواب ما ذكرنا ومعنى الاحتلام بلوغا هو امكان استعمال سائر الجوارح دون غيره يعني الفرج الا بعد الكبر وما كان المعروف من الاباء والاولاد وما كان مما يجري الامر بابتغاء المكتوب من الولد يكون بعد البلوغ وبعد ذلك الا في الوقت الذي لو ابتغى لوجد ولعذر عليه وكذلك ذلك الا في خروج الماء الشهوة ثم يكون في المتعارف الاحتلام عن ذلك فجعل علما له ولذلك قيل حتى اذا بلغوا النكاح ثم فرق في حق الكتاب بين اللسان وغيره من حيث لا يملك احد قهر لسانه حتى ينطق دون صاحبه فيه يظهر سبب جري القلم من الاقرار بالبلوغ وهذا معنى ما جعل سببه بالاحتلام غيره ليكون اول احوال البلوغ وقوع قوله بحيث البلوغ معا كان النطق فعل من يجري في جنسه الخطاب وكانه اتصل امره بالسبب الذي خص به المخاطب من العقل اذ كان العقل قد يعرف بالمحنة والاحتلام لا فامرنا بالابتلاء من حيث العقول ولم نؤمر من حيث الاحتلام بل يقبل قوله في ذلك ودل قبول قول من بلغ بالاخبار عن احتلامه وبه يجري القلم

عليه ويلزم الحقوق ان يقبله يجوز في ذلك الوقت وخاصة على قول من يرى الابتلاء بعد الادراك انه لو لم يقبل فيم يتسلمه
ثم اذ جاز قوله لزم كل امر علق به وعلى ما ذكرت من ورد ما علق به القول في حق البلوغ دليل اتصال حكم القول بالعقل وتمام العقل بالبلو
اذ به يجري القلم ودل ما ذكرت من امتناع الناس عن سلطان غير صاحبه عليه على لزوم كل حق معلق به على الاكراه اذ لا يلزم بغير
وهو لا يجري عليه ثم كل امر يكون لا به يصير النسيان سببا فيه كالعلم عنه وهو مما يجري عليه القهر ويعلم قوته فيبطل والله
اعلم وقوله تعالى ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان الاسراف هو كل ما نهي عنه وقيل الاسراف هو اكل في غير حق وكان الاسراف
هو المجاوزة عن الحد وهو كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا وكان القتر مذموما فعلى ذلك الاسراف في النفقة في مال
اليتيم وقوله تعالى اسرافا وبدارا قيل البدار هو المبادرة وكلاهما لغتان كالجدال والمجادلة وهو ان يبادر باكل مال اليتيم خشية
ان يكبر فيحول بينه وبين ماله وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولا تأكلوها اسرافا وبدارا
خشية ان يكبروا وقوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف اطلق الله تعالى لولي اليتيم بظاهر الاية
اذا كان فقيرا ان يأكل بالمعروف من غير اسراف وذلك هو الوسط منها وكذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
رجلا سأله فقال للنبي مال ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا متأثل مالك بماله وفيه دليل ان الغني لا يجوز له
ان يأكل مال اليتيم وان الفقير اذا اكل منه انفق نفسه لا اسراف فيها وعن عمر رضي الله عنه قال اني انزلت نفسي من مال
الله منزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت واذا احتجت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وروي ابن عباس رضي
الله عنه قال الوصي اذا احتاج وضع يده مع ايديهم ولا يكتسي عمامة وعن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى من كان
فقيرا فليأكل بالمعروف وقالت يأكل والي اليتيم من مال اليتيم اذا كان يقوم له على ماله ويصلح اذا كان محتاجا وقيل يأكل قرضا
ثم يرد عليه اذا ايسر وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل يأكل بالمعروف اي من مال نفسه حتى لا يفضي الى مال اليتيم و
قيل يأكل اذا كان يعمل له ويقوم عليه وقيل يأكل قرضا الا ترى الى قوله تعالى فاشهدوا عليهم امر بالاشهاد عليهم عند الدفع
ولو كان امانة في يده لم يحتج الى الاشهاد في الدفع ولكن يجوز ان يأمر بالاشهاد لا لمكان الوصي نفسه ولكن لما يجوز ان يحدث
بينه وبين ورثة الوصي خصومة فليشهد ليدفع تلك الخصومة عنهم وقيل الاكل بالمعروف هو ما يسد به جوعه ويواري
عورته وقوله تعالى وكفى بالله حسيبا قيل شهيدا بما اخذ من ماله وانفق ويحتمل قوله حسيبا محاسبه في الاخرة
اذا لم يحاسبه اليتيم في الدنيا وقوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب الاية يحتمل ان يكون
الاية والله اعلم نزلت بسبب ما لم يكن يورث اهل الجاهلية الاناث والنساء والصغار ويجعلون المواريث لذي الاسنان
من الرجال الذين يصلحون للحرب ويحرزون الغنيمة فنزلت الاية بتوريث الرجال والنساء جميعا ويقال ان الاية نزلت في شان
رجل يقال له اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك بنات وامرأة فقام رجلان من بني عمه وهما وصيان فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته
ولا بناته شيئا فجاءت امرأة اوس بن ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت واخبرت بالقصة فقال لها ارجعي في
بيتك حتى انظر ما يحدث الله في ذلك فانصرفت فنزل قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاية وقيل نزلت
الاية في شان امرأة ابن سعد ان سعدا استشهد باحد وترك ابنتين وامرأة فاحتوى اخ سعد على مال سعد ولم يعط المرأة
ولا الابنتين شيئا فاختصمت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واخبرته بالقصة فقال لها لم ينزل الله علي فيكم شيئا ثم نزلت
الاية فاخذ من عمهما الثلثين للمال وورثه البنتين ودفع الثمن الى المرأة وترك البقية للعم والله اعلم فيم كان نزولها وفي هذا الخبر
دليل للابنتين الثلثان كالثلاث فصاعدا على بعض الناس انهما النصف لان الله تعالى انما جعل الثلثين
للثلاث فما فوقها ويحتمل الاية وجهين احدهما يحتمل ان يكون المراد الاولاد خاصة لا غير فيدخل ولد البنات وولد البنتين
لانهم كلهم اولاده ويحتمل ان يكون المراد منها الرجال والنساء فيدخل ذوو الارحام في ذلك فلما لم يدخل بنات البنات
في ذلك وهم اولاده دل انه اراد الرجال جميعا لانه ناسخ للوصية للوارث لانه قال
عز وجل للرجال نصيب وللنساء نصيب الاية في قوله مفروضا وجعلوها واجبا وفي كل قليل ثم قال في قوله نصيبا مفروضا قيل
ذا يرجع الى ما بين وجمعه وهو اصحاب الفرائض دون العصبة فيكون على ما اشار اليه حقه من حيث الاسم في القران ويحتمل
ما بين وقدر في ذكر حق احدهما حق العصبة كما ذكر في الاب والاخوة والاولاد وحق اصحاب الفرائض ولو كان
على ذلك فقد يتميز الفرض ما يعلم بالاشارة اليه والدلالة لانه ليس يوصي بحق العصبة هو ما لا يتبين فيه والذي فيه
النص هو في الام والاخوة خاصة والوالد وقيل يتعين كل الاقرباء على التعدد في الوصيات فيكون منصوصا واشاره
مدلولا عليه وثبت بهذا ان اولى قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض من المؤمنين والذين هاجروا واولئك هم
السعداء الذين لهم اخرة الدين والمجمع فاذا بقي الرحم احدهم مصروف ذلك المؤمنين وقد قدم حقهم على المؤمنين والمهاجرين
بالرحم لذلك هم اولى بما الامام صرف ذلك حق الايمان اليهم فيصير الدفع اليهم بحق الجواز والى غيرهم شك عند قسمهم
فالدفع اليهم اولى والوجهين احدهما عموم الكتاب على تحقيق حق الكل [illegible] منزورة
والثاني الاجماع من الوجه الذي ذكرت مع اتفاق اكثر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والفتوى الى يومنا هذا وقوله
عز وجل واذا حضر القسمة اولوا القربى قيل فيه بوجهين قيل اراد بالقسمة قسمة المواريث بين الورثة بعد موت الميت وقيل
اراد به قسمة المريض وهو الايصاء يوصي ويبر اولي قرباه واليتامى والمساكين شيئا فالخطاب للموصي ومن قال بقسمة
المواريث فالخطاب للورثة اذا كانوا كبارا يعطون لهم شيئا ويبرونهم بشيء وان كانوا صغارا يقولون لهم قولا معروفا
ويعدونهم عدة حسنة الى وقت خروج الاثمار والى وقت البيع ان باعوا ثم اختلف المتأولون فيها قال بعضهم هو منسوخ

وقال الاخرون

وقال الاخرون هي محكمة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومن قال هي منسوخة قال نسختها اية المواريث قوله عز وجل يوصيكم
الله في اولادكم الاية لانهم كانوا يوصون للاولاد والاباء والامهات كقوله جل وعز كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين فنسخت اية المواريث وصية الموصي ومن قال هي محكمة متقنة وهو قول ابن عباس
والحسن ومجاهد وغيرهم لانه المعروف والبر والاحسان وذلك مما لا يحتمل النسخ وقيل ان عبد الله بن عبد الرحمن
قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يدع في الدار مسكينا ولا ذا قرابة الا قسم له من ميراث ابيه وتلا هذه الاية
واذا حضر القسمة الاية فذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنه فقال ما اصاب ليس ذلك له انما ذلك في الوصية يريد
الميت ان يوصي لهم وقوله عز وجل وارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قيل اذا كان المال كثيرا رضخ واعطى
شيئا واذا كان قليلا اعتذر اليهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل امر من يرث ان يرضخ ويعطي لمن لا يرث
شيئا وهو قول الحسن ويقال لهم قولا معروفا والقول المعروف يحتمل ما ذكرنا ان يعطي لهم ان كانوا كبارا اعني الورثة
ويعدهم مدة ان كان المال ضياعا الى وقت خروج الانزال والغلات او الى وقت خروج الثمن او يعطي الورثة ان كانوا
كبارا او يعتذر اليهم الوصي ان كانوا صغارا وقوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم
قيل هو الرجل يحضره الموت وله ولد صغار فيقول له اخر اوص بكذا واعتق كذا وافعل كذا ولو كان هو الميت لاحب
ان يترك لولده فخوف هذا القائل بقوله فليتقوا الله وامره ان يقول له مثل ما يحب ان يقال له في ولده بالعدل
بقوله عز وجل وليقولوا قولا سديدا وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل هو الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره
اتق الله وامسك عليك لولدك الصغار والضعفاء ليس احد احق بمالك منهم ولا توص من مالك شيئا فنهي ان يقال له ذلك
لانه لو كان هو الموصي وله ورثة صغار ضعفاء احب بان لا يقال له ذلك فكذلك لا يقول هو له والاول اشبه وقوله عز وجل
وليقولوا قولا سديدا قيل عدلا يأمر ان يوصي بما عليه من الدين والوصية ولا يجوز في الوصية وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال نهى من حضر منهم مريضا عند الموت ان يأمره ان ينفق ماله في العتق والصدقة او في سبيل الله ولكن يأمره
ان يبين ماله وما عليه من دين احق وقوله عز وجل ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اي استحلالا فاذا استحل كفر فذلك
الوعيد له وقيل ظلما اي غصبا والاكل هو عبارة عن الاخذ كقوله لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة انما هو نهي عن اخذه
وكذلك قوله الذين يأكلون الربوا وقوله وذروا ما بقي من الربوا انما هو نهي عن قبض الربوا فعلى ذلك الاكل في هذه الاية
عبارة عن الاخذ والاستحلال ومن حمل الاية على الغصب جعل الوعيد عليه الا ان يتوب اذ له ان يعذب من شاء
من ارتكب من عباده محرما كما جعل الوعيد على المستحل الا ان يتوب وقيل انه على التمثيل ان الذي يأكل من مال اليتيم كانه
يأكل نارا لخبثه ولشدته وعن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله في الضعيفين قيل و
ومن هما يا رسول الله قال اليتيم والمرأة فان الله ايتمه واوصى به وابتلاه وابتلى به وقيل في قوله فليتقوا الله وليقولوا للميت
اذا جلس اليه قولا سديدا اي عدلا في وصيته ولا يجوز من عدل في وصيته عند موته لكنا نمنعه ماله في سبيل الله فقال
سعد بن ابي وقاص فسأل النبي صلى الله عليه وسلم كم يعطي الرجل من ماله فقال الثلث والثلث كثير لان تدع عيالك اغنياء
خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تصدق عليكم بثلث اموالكم
زيادة في اعمالكم عند وفاتكم وقوله عز وجل يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين قيل قوله يوصيكم الله اي يفرضكم
الله وقد سمى الله تعالى الميراث فريضة في غيره من القران بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب ثم
قال نصيبا مفروضا وقال ايضا في اخر هذه الاية فريضة من الله ولانه شيء تولى الله ايجابه من غير اكتساب اهله فهو كالفرائض
التي اوجبها الله على عباده من غير اكتساب اهلها فعلى ذلك سمى هذه فريضة لان الله تعالى اوجبه والله اعلم وقيل قوله يوصيكم
الله في اولادكم اي يبين الله في اولادكم الى اخر ما ذكر وفيه نسخ الوصية للوالدين والاقربين في قوله كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين ودليل نسخه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اعطى
كل ذي حق حقه فلا وصية للوارث ثم قيل ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد والاناث وانما
كانوا يورثون الرجل ومن يحوز الغنيمة فنزل قوله للرجال نصيب مما ترك الاية فالاية في بيان الحق للاناث في الميراث
وكذلك قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فيه بيان حق الميراث للذكور والاناث جميعا وقيل تأويل هذه
الاية ما بين في ذوي الارحام وان كانوا مختلفين في سبب ذلك وان الايات التي بعدها من قوله يوصيكم الله في اولادكم
الى اخر الايات التي فيها ذكر المواريث فسر بها مبلغ النصيب الذي اوجبه الله للنساء والرجال في الاية الاولى واجمعوا ان
الرجل اذا مات وترك ولدا ذكورا واناثا فالمال بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ويحتمل قوله في اولادكم اولاد موتاكم وهذا جائز
في اللغة لانه لا يجوز ان يفرض على الرجل قسمة الميراث في اولاده وهو حي دل انه اراد اولاد الموتى ويحتمل ما ذكرنا انهم كانوا
لا يورثون الاناث من الاولاد والصغار منهم فخاطب الجملة بذلك لئلا يحرموا الاناث من الاولاد والصغار وفي قوله
ايضا يوصيكم الله في اولادكم اي في اولاد من مات منكم اذ لا يحتمل خطاب الحي ما ذكر في ولده فهذا ان كان تأويل يوصي
يفرض ويأمر وان كان تأويل ذلك يبين فذلك جائز بعد ان يجيز الحي ما يبين الله في اولاده بعد موته في ماله وذلك بمنع الوصية
لانه يزيل حق الميراث ولا يمكن رفع القسمة وتفضيل الوصية بعضهم على بعض وذلك بعيد اذ لا يملك في غيرهم ثم من الناس
من رأى نسخ الوصية للوارث بقوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان الاية كان الاية اوجب الميراث فيما قل او كثر فلو كانت
الوصية تجب للوالدين بقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية الاية لكان الميراث لا يجب

فيما قل منه واتما يجب فيما يفضل منه لكن الاية اذا لم تمنع الوصية للاجنبي وهو تصرف في السهم المفروض الى ما يفضل من
الوصية فمثله للوارث لكن في الاية دلالة على رفع الكتاب اذ في الاولى انما كتب فلما اوجب الحق في كل قليل وكثير لم يبق معه
الفرض والوجوب ولكن يجب الفضل ثم كان حق الوالدين ومن ذكر بحق اللزوم وقد سقط ذلك وبه كان يجوز فلما سقط الحق
جاء في الخبر ان لا وصية لوارث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية للوارث فسقط
الحق بالاية من الوجه الذي يثبت والنقل يقول لا وصية لمن هذا الوجه الذي ذكرت يسقط حق الوصية بالقران لكن قد ذكر
للمراة لا بحق الوجوب بقوله متاعا الى الحول ثم سقط ايضا بالخبر الذي فيه نظرا اذ ليس في الاية ذكر المراة بما ذكر فيها
ميراث الاولاد والاقربين وقد بقي حق المتاع اذ له ان يوصي لغير الورثة لكن ذكر في ميراث المراة وصية كقوله والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية من الله والوصية منه مكتوبة علينا للوالدين والاقربين ثم اشرك الزوجين في ميراث
الوالدين والاقربين مما قل وكثر كقوله النصف والربع والثمن مما ترك وقد بينا ان الاية نسخت ما ذكرت فصارت
ناسخة للامرين جميعا فهذا من جهة الاستخراج في حق النسخ على انه على مذهبنا السنة كافية في بيان نسخ الحكم الذي بينه
الكتاب اذ هو بيان منتهى الحكم من الوقت وقد جعل الله تعالى بيننه صلى الله عليه وسلم بحيث البيان مما في القران **وقوله عز وجل**
للذكر مثل حظ الانثيين فيه دلالة ان المال كله للذكر من الولد اذا لم يكن ثمة انثى لانه جعل للذكر مثلي ما جعل للانثى النصف اذا
لم يكن معها ذكر بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف فدل ان للذكر من الولد اذا جعل للانثى عند الجمع له ذلك بحق الكل
في حال الانفراد له الكل **وقوله عز وجل** فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك قال بعضهم بين الحق لما فوق اثنتين ولم
يبين للاثنتين ولهما النصف الذي ذكر للواحدة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه واما عندنا فان للاثنتين ما للثلاث
فصاعدا فيكون بيان الحق للثلاث بيان للاختين لان الله تعالى جعل حق ميراث الواحدة من الاخوات النصف بقوله تعالى وله اخت
فلها نصف ما ترك كما جعل حق الابنة النصف اذا لم يكن معها ذكر بقوله وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد
منهما السدس ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاذا انزلت الاخوات منزلة البنات
في استحقاق النصف اذا كانت واحدة واستحقاق الثلثين اذا كانتا اثنتين فصاعدا فعلى ذلك نزل بيان الحكم في الاختين
والابنتين قيل بفوق اثنتين اثنتان فما فوقهما وقيل يبين الكتاب الاستواء بين الابنة الواحدة والاخت الواحدة ليعلم
الاستواء في حق الولد وولد الاب ثم بين في الاخوات اثنتين الثلثان وفي البنات لما فوقهما ليكون الذكر في الاختين دليلا على
الابنتين وفيما كثر من البنات على ما ذكر من الاخوات وايد ذلك امر الاجتماع بين البنتين والبنات وان كثروا بالاخوة والاخوات
وان كثروا معهما كان معلوما ان بنات الرجل احق من بنات ابيه ايد ذلك ان بنات ابنه قد يرثن وبنات ابن ابيه لا فلا يجوز
ان يكون الاختين اكثر حقا من الابنتين وفي الاخ غلب ان يجعل لهن ميراث هؤلاء وايد ذلك انه ما دام يوجد في الاولاد من
له فرض او فضل لم يصرف الى اولاد الاب ثبت انهم بمعنى الخلف من هؤلاء وعلى ما ذكر جاءت الاثار واجتمع عليه اهل الفتوى
وقوله عز وجل ولابويه لكل واحد منهما السدس ان كان له ولد اختلف فيه قال بعضهم اراد بالولد الذكور خاصة لانه
جعل للابوين لكل واحد منهما السدس اذا كان الولد ذكرا اما اذا كان الولد انثى فللاب يكون الثلث واما عندنا فان اسم الولد يجمع
الذكور والاناث جميعا فانه ان كان الولد ههنا ذكرا او انثى ينظر ان كان ذكرا يكون لكل واحد من الابوين السدس والباقي للولد وان
كان انثى فلها النصف وللابوين السدس والباقي للاب على ما جاء في الخبر ما ابقت الفرائض فلاولى رجل ذكر وقالت الروافض
الباقي للابنة ذهبوا في ذلك الى ان الذي يقابل الابنة هو الابن والذي يقابل الاب هي الام فالذي يقابل الابنة هو اولى باحراز الميراث
من الذي يقابل الام وهو الاب فعلى ذلك الذي يقابل الابن وهي الابنة اولى بذلك من الذي يقابل الام وهو الاب واما عندنا فان
الاب اولى بذلك من الابنة لان للاب حقين حق فريضة وحق عصبة اما حق الفريضة بقوله ولابويه لكل واحد منهما
السدس واما حق العصبة بقوله عز وجل وورثه ابواه فلامه الثلث جعل الباقي له فذو حقين اولى بذلك من ذي
حق واحد والابنة ليس لها الا حق الفريضة لذلك كان الاب اولى وفي الخبر دلالة ان حكم الابنتين وما فوقهما سواء وهو
الثلثان ما روي عن جابر بن عبد الله قال جاءت امراة ثابت بن قيس بابنتين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله هاتان ابنتا ثابت بن قيس اصيب معك يوم احد وقد اخذ عمهما مالهما وميراثهما ولم يدع لهما شيئا الا اخذه فما ترى
يا رسول الله فوالله لا تنكحان الا ولهما مال فنزل قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعم الجاريتين اعطهما الثلثين واعط امهما الثمن ولك ما بقي ثم في الاية دليل احدهما يخرج الخطاب
على العموم والمراد منه خاص لانه ذكر الاولاد والولد قد يكون على غير دينه فلا يرث وقد يكون مملوكا فلا يرث على ما روي
في الخبر لا يتوارثون اهل ملتين وما روي لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم الا العبد مولاه وذلك في الحقيقة ليس بميراث
ولكن ما للعبد يكون لمولاه وفي هذا دليل جواز الاستثناء من غير نوعه حيث استثنى العبد وذلك في الحقيقة ليس بميراث وفي
الاية دليل جواز القياس والفكر فيها والاعتبار لان ميراث الابنتين مستدل عليها غير منصوص وكذلك ميراث الذكور من الاولاد
بالانفراد مستدل عليه غير منصوص وما يحوز الاب من الميراث بحق العصبة مستدل عليه لا منصوص وما يستحق بالفريضة
عليه وهكذا كل من يستحق شيئا بحق الفريضة فهو منصوص عليه فدل ان ما ترك ذكره انما ترك للاجتهاد والتفكر فيه والاعتبار
وفيه دليل انه يجوز ان لا يطلع الله عباده على الاشياء بقوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اذ لم يبين انهم اقرب
نفعا دل قوله وورثه ابواه فلامه الثلث اذ ذكر وراثتهما ولم يبين حق الاب انه جعله عصبة يرد اليه الفضل فيظهر للاب
بهذه الاية من قوله سبحانه وتعالى يوصيكم الله الى اخرها امران احدهما حق العصبة والثاني حق الفرض بقوله لكل واحد منهما

السدس

السدس ان كان له ولد ثم بعد هذا فيه امران احدهما انه اذا اثبت له حق العصبة وقد بين الله تعالى نصب الابنة انه النصف
ونصب الاب مع الولد ان له السدس فزعمت الشيعة ان الفضل يرد الى الابنة لانها ولد ولم يذكر له مع الولد الا السدس وعندنا
يرد الى الاب لانه لم يذكر للابنة الا النصف ثم قد جعل الاب عصبة فماله حق الفضل عن المفروض ولم يجعل الابنة لذلك كان
الرد الى الاب احق مما يحتمل ان كان له ولد ذكر ثم حرمت الام بالابنة اذ هي تحرم بالاخوات فالبنات احق اذ هن اقرب والثاني
انه اذ جعل للاب السهم من وجهين ثم الذي له في احد الوجهين صار للجد دون اولاده وبين لا ولاد الاب الحق وابقاء حق الجد لابن
لولده فعلى ذلك ماله من الرحبة الثاني وهو اولى لان حق العصاب يخرج على الحالي الابعدين فيه بالاقربين وحق الفرائض لا حتى تبين
ثم صار للجد بالفرحقه من الفرض اذا لم يكن هو فمثله في حق العصبة ثم فيه وجه اخر انه تبع ذلك الذكر كالزوجين وذكرهما مع
الولد ولم يذكر معهما الولدان فثبت ان امرهما يدخل في حالهما فيما كان لا في حالهما اي الزوجين وايد ذلك قوله انه بقي حالهما مع
الزوجين مع الولد على ما كان عليه دون الزوجين معه فعلى ذلك حالهما بلا ولد وفي ذلك وجوب صرف حقهما الى ما فضل كما ذكر
في قوله وورثه ابواه فيكون الفضل بينهما على ما كان عليه بالكل لولا الزوجان **وقوله** فان كان له اخوة فلامه السدس اختلف
في حكم الاخوة من وجه ثلاثة قال بعضهم لا تحجب الام عن الثلث اخوان ولا اختان حتى يكون ثلاثة لان الله تعالى قال اخوة واقل
الاخوة ثلاثة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال اخرون تحجب الام عن الثلث الذكور ولا تحجب الاناث لان الله تعالى ذكر
الاخوة والاخوة اسم للذكور منهم دون الاناث اذ الاناث اسم على حدة وهو الاخوات لذلك تحجب الذكور ولم يحجب الاناث
واما عندنا فان الاخوة اسم للذكور والاناث جميعا في الحكم وان لم يكن اسم لهما جميعا في الحقيقة الا ترى ان الله تعالى ذكر الاخوة
ثم جعل التفسير اسم لهما جميعا بقوله وان كانوا اخوة رجالا ونساء دل ان اسم الاخوة يجمع الذكور والاناث جميعا في
الحكم لذلك يحجب الام عن الثلث ذكورا كانوا او اناثا واما قولنا بان الاثنين يحجبانها عن الثلث ما روي عن علي وعبد الله وزيد
بن ثابت انهم قالوا تحجب الاخوان الام عن الثلث كما يحجبها الثلاثة وجعلوا الاخوين اخوة والفرائض على اختلاف فيها اتفقت
في ان حكم الاثنين حكم الاكثر فكذلك في حق الحجاب والله اعلم ووجه اخرى وهي ان الله تعالى حكم في الكلالة اذا كان واحدا ان له السدس
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فجعل حكم الاثنين والثلاثة واحدا يشتركون في الثلث فوجب ان يكون حكم الاثنين و
الثلاثة من الاخوة في حجب الام عن الثلث سواء ووجه اخرى وهو ان الله تبارك وتعالى جعل للاختين من الاب والام الثلثين وسوى
بين حكم الاختين والثلاث في الميراث فعلى ذلك يجب ان يستوي حكم الاخوين والثلث في حجاب الام عن الثلث ثم المسالة بيننا و
بين الروافض ان الاخوة من الام لا يحجبا الام عن الثلث لانهم منها فمن البعيد ان يحجبوها ويمنعوا ذلك عنها ويجعلون ذلك
لغيرها يضرون غيرها وقد قال اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله والثاني انه يقع بين يحصل له ما يحب
عنها اخوة الاخوة من الاب والام اذا حجبوا الام عن الثلث وقع لهم ذلك واما الاخوة من الام فان وقع لهم الحجاب لم يحصل لهم ذلك
المحجوب منها فلا يحتمل الحجاب بهم واما عندنا فانه ليس لهم بحق القرب والبعد ما يحجبوا ولكن بحق الميت فاذا كان ما ذكرنا فلو
كانوا من قبل الام او من قبل الاب في حق الحجاب والثاني في المواريث جعلت بحق الابتداء لا بحق المورثين لا يحتمل ان يحتار الموث
من هو ابعد على من هو اقرب عوض يموت عن ابنة وابن عم لا يحتمل ان يختار ابن العم على الابنة في النصف الباقي دل انه على الابتداء
ونقول في الاخوة في الام انهم في الحجاب كالاخوة من الاب والام وان كان الحق لغيرهم لما ان الاخوة لما تفرقت حقوقهم ذكر
وكذلك الاولاد فلو كان الحجاب يتفرق لكانت الحاجة الى الذكر لازم اذ بعيد ترك الامر للنظر فيما لا اصل له في الاثر ولا اصل
له في هذا بالتفريق بل قد جمع ذلك بين الاخوة والاخوات على ما في ذلك من اختلاف الحقوق ثبت ان عبر الحجاب من
الحقوق ليس باصل له والاصل ان ذلك لو كان على اعتبار الحق فهو بحق الميت لا بحق الابوين لانه لم يعرف الحجاب
حق من لا حق له ولا حق لهم مع الاب فبان انه ليس معتبر حق الميت يقع الحجاب والمعنى منه واحد ولو كان حجاب
الاخوة من الاب بالاب لكان الاب اذا حجب الام فاذا كان هو لا يحجب بان ان ولدها لا يحجبونها اذ هو بحق الميت
وقوله من بعد وصية يوصي بها او دين ذكر الله تعالى الوصية قبل الدين واجمع اهل العلم ان الدين يبدا به قبل الوصية
والميراث وروي عن علي رضي الله تعالى عنه قال تقرؤن الوصية قبل الدين وقضى محمد عليه الصلوة والسلام بالدين
قبل الوصية وروي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله تعالى عليه وسلم الدين قبل الوصية والوصية قبل الميراث
ولا وصية لوارث واجمعوا انه اذا قضي الدين الى اهل الوصايا وصايا من جاوز الثلث فيرد الى الثلث ان لم يجز الورثة
ويقسم الثلثان بين الورثة على فرائض الله تعالى وليس معنى قول الله سبحانه وتعالى من بعد وصية يوصي بها او دين ان يخرج
الثلث فيبدا بدفعه الى الموصى لهم ثم يدفع الثلثان الى الورثة لان الموصى له شريك الورثة ان هلك من المال شيء قبل
القسمة ذهب من الورثة والموصى له جميعا ويبقى سائر المال بالشركة بينهم ولكن معناه من بعد وصية اعلام ان
الميراث يجري في المال بعد وضع الوصية من جملته اذا كان الثلث او دونه وان لم يكن دفع ذلك الى اصحاب الوصايا ثم
لم يذكر في الاية قدر الدين والوصية ومن قولهم ان الدين اذا احاط بالتركة منع الميراث والوصية واذا لم يحط لم يمنع والوصية
يجوز قدر الثلث ولا يجوز اكثر من الثلث الا ان يجيز الورثة والاية لم تخص قدرا من الدين دون قدر وكذلك الوصية
لكن تفسيره ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الثلث والثلث كثير وما روي في خبر اخر ان الله تعالى تصدق
عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم زيادة في اعمالكم لم يجعل له اكثر من ذلك وما روي في خبر اخر من ابي بكر الصديق رضي الله
عنه وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما الخمس اقتصاد والربع جهد والثلث حيف ثم الوصية جوازا الاستحسان والافضل
من الله تعالى والقياس يبطلها وذلك ان الله تعالى لم يملك الخلق اعين الاموال وانما جعل الانتفاع لهم بها الا ترى انهم نهوا عن

اثنا عشرنا ولو كان اعين المال لهم لكان لا معنى للنهي عن اضاعتها دل انه انما جعل لهم الانتفاع فيها الى وقت موتهم وبالموت ينقطع الانتفاع بها فينظر من الاحق بها بعد الموت الغريم صاحب الدين او الوارث والاجواز الوصية الا فضلا من الله تعالى على عباده بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تصدق عليكم بثلث اموالكم عند وفاتكم دل هذا الخبر ان جوازها الافضال والاستحسان منه الى عباده والله اعلم وقوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين يدل على ان ما ليس بدين ولم يوص به الميت فانه لا يخرج من ماله ويدخل عندنا في هذا الجنس الحج يكون على الرجل والنذر والزكوة واشباه ذلك ليس بشيء منها دين فاذا لم يوص الميت بها فلا يجب ان يؤدى من التركة الا ان ينفذها الورثة فان قال قائل هو دين كسائر الديون قيل له ارأيت ان كان عليه دين وزكوة يبدأ بالدين او تقسم التركة بالحصص ان لم يف بذلك كله فان قال يبدأ بالدين قيل له لو كانت الزكوة دينا كديون الناس كانت اسوتها في القضاء فان قال اجعل الزكوة اسوة في القضاء مع الديون قيل له ما تقول في رجل افلس وعليه ديون هل يقسم ماله بين غرمائه فان قال نعم قيل فان كانت عليه زكوة هل تضرب لها بسهم فان قال لا قيل كيف ضربت لها بسهم بعد الموت لما قسمت ماله ولم تضرب لها بسهم في الحياة اذ كانت كسائر الديون بعد الموت فيجب ان يكون كسائر الديون في الحيوة الا ان الزكوة حالة واجبة على من كان عنده ما لحال عليه الحول فاستهلكه وليس يجوز له تاخير قضاء الدين وفي اقرارك انك تبدأ بالدين قبل الزكوة في الحيوة دليل على انه يجب ان يبدأ بالدين قبل الزكوة بعد الموت فان قيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي سالت هل يحج عن ابيها ارأيت لو كان على ابيك دين فقضيته الم يجز عنه يدل على ان الحج دين قيل له ليس فيه دلالة الوجوب عليها انما فيه دليل جواز الحج عن الميت وقوله اذا كان قضاء ما هو اوكد منه من ديون العباد قضاء صحيحا فالحج الذي هو دون ذلك في التأكيد احرى ان يقبل كانه اراد هذا والله اعلم ودليل اخر ان الزكوة لا تجوز ان يؤدى من الميت اذا لم يوص بها لان الزكوة لا تؤدى الا بنية المزكي والنية عمل القلب القلب ولا خلاف في انه لا يصلى عن الميت ولا يصام عنه فلا يجوز ان يقضى عن الميت عمل لا بد ان لم يجز ان يقوم نية الورثة في اداء الزكوة مقام نية الميت قال الشيخ رحمه الله في قوله عز وجل من بعد وصية يوصى بها او دين ظاهره ان يقدم الوصية على الميراث لكن اجمع ان الابتداء عن حق حد الميراث ولكن يوزع فيخرج التاويل على وجوه احدها ان قوله سبحانه يوصيكم الله الى قوله من بعد كانه تسوى اي سواء ما لكم ان توصوا او صاكم الله فيه بكذا والثاني ان يكون من بعد وصية اي من بعد ما اوصيتم ويكون الميراث بعد الايصاء ويحتمل من بعد ان كان عليكم الايصاء والدين امركم بالمواريث فيكون فيه نسخ قوله من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله فدلت هذه الاية على حجر بعض الوصايا بقوله عز وجل غير مضار لكن يحتمل ان يكون المضارة تبطل الفضل ويحتمل ان لا تبطل كقوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا في الرجعة على مضاء الرجعة على ذلك لكن الاضرار في الرجعة مقصود وفي هذا مفضول فيمكن التفريق بين الامرين فقال عز وجل تلك حدود الله الايتين واوعدهم على تعدي هذه الحدود وذلك لا يحتمل مع جواز الفضل وايد ذلك قوله فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم الاية ولو كان يجوز لكان لا يمكن معه الاصلاح فثبت ان من الوصايا ما يبطل مما كان الله ذكر في المواريث فريضة الله ولا اذن منه يجوز فعله لذلك يبطل بعض وصاياه والاصل في ذلك ان الاموال انشئت للاحياء وخلقت لنا في الاحياء فكانهم ملكوا منافعها الى انقضاء اجلهم ثم صارت العين بما ملكوها يجعلها لمن يشاء ويضعها عند من يشاء وقد بين عز وجل انها لمن ومن احق بها فصار الموصي كانه اوصى بحق من بين ان يحقه فيه غيره فان تفضل الله عليه في ذلك من شيء والا فذلك كسائر الاملاك التي بينت اربابها لم يكن لغيرهم فيها حق الا يجعل الله او جعل من له فعل ذلك هذا قد جاء عن الله بيان حده بعد ان بينت هذه الايات جعل الحق له الى الثلث فذلك له صدقة من الله تعالى وفي الفضل ان اجاز المجعول له جاز والا لا والله اعلم فجعلت للوصية حدا ولم يجعل للدين لان الدين مما يتصل بحوائجه في حال حيوته اذ هو يلزم بالاسباب التي بها معاشه وغذاؤه فصار مقدما على المتروك في الحكم وانما جعلت المواريث في المتروك معاما كان الغرماء احق بملكه في حيوته يعجز عن كثير من المعروف في مرضه بهم فلو لم يكن لهم الحق لامتنعوا من المداينات الا بوثائق يكونون هم احق بها بعد الوفاة من الورثة او يمتنعون من الورثة او يمتنعون من المداينات في ذلك تقصير القوت والاغذية عن مضي الاجل وهو به مامور فجعلت الديون كانها استغرقت الاملاك في حال الحياة فلم تجعل منهم التركة وليست كالعبادات لانها تجب في الفضول عن الحاجات والديون في الاصول فليست العبادات بالتي تمنع الوفاء بالاحوال ولا كان بارتيابها تملك الضرورات فانما هي بحق القرب وهي عمل الاحياء فاذا ما زال الامكان وجرت في الاموال المواريث وكذا المعروف من الدين المذكور في القران من قوله من بعد وصية يوصى او دين ان العبادات لا توصف بالديون ولا يفهم من اطلاق القول بالديون فصارت بمعنى الفضل عن الوصايا والديون بوجه وهو الحقيقة ان لا يكون للمولى على عبده دين فيكون المذكور دينا في الافعال كما ذكرت العادات دينا في الاخلاق لا في حقيقة الذمم معا كانت هي لله وقد جعل الله له فريضة لا تلزم باعيانهم لا يمنع منهم الا بالوصية كما جعل للموصي وعلى ان العبادات لا تقوم الا بالنيات ولا يؤدى عن احد في حيوته الا بامره وانه احتمل قيام بعض منها عن بعض وذلك الديون تجوز دونه فعلى ذلك بعد الوفاة وان كان كل ما يؤدى به فهو الذي حدث به الوصية وقد جاء الحد لها مما كانت العبادات لا تحتمل حقوق الاموات ولا الايجاب عليهم في اموالهم ثبت انها حقوق الحياة خاصة والديون محتمل فهي حقوقهم في الحالين ثم قد ذكر في الدين غير مضار ذلك الدين اقرب الى حرف الثنا ومعلوم انه لا يقع منه في الديون الظاهرة المعلومة مضارة بالورثة ان كان يقع في الغرماء اذ يؤخذ منه بلا ايصاء ولا يحتمل النهي من حيث الغرماء لما فيه الزام المكاسب في اوقات لحق لقضاء الديون فثبت ان ذلك لا يعرف من الديون وانما يرجع فيها الى قوله فبطل بالذي ذكر ثم جواز اقراره

الى كل حال الحال احداث لا ضرر يقع من حيث فعله فرد وقد بينا ان المضارة في هذا تمنع الجواز فثبت ان من الاقرار ما لا يجوز فقال اصحابنا رحمهم الله لا يجوز اقراره لبعض الورثة وقت الاياس من نفسه لانه وقت الايثار الشحاء مما عنده من المال كما ابطل وصيته للوارث بما يخرج مخرج الايثار فنحن اذا اجزنا اقراره فيهن لنظر لم يمنع الوصية لا ينتفع بل يذهب والله اعلم ثم الاصل انه اجيز في الكل بحق الامانة وصية بحق الملك ثم جعل في ورثته لكن لا ملك له اذ قد يقصد به التفضيل والتخصيص الى القرابة فعلى ذلك فيما خان في الامانة يجعل لكن لا امانة له لما يخرج على ما بينا واسقاط الاختيار لتوهم من الامناء اوجد في الاحكام ومن اسقاط المعروف عن الاملاك والله اعلم وعلى ذلك فيما كانت عليه ديون ظاهرة قد سبق الفرد باهلها البعض منزلة بشاشة عنايته وفيما بينهما حقوق توجب البعث على المعروف والصلة له وقت الشحاء بماله والعلم بانه عن الانتفاع به عاجز فيقر لها ذلك بينهم في الحقوق التي ظهرت ثم كانت عبادات الاحوال قد يقام عبادات الافعال لوجهين احدهما جواز بعض عن بعض في احد النوعين فيما العباد بلا امر في الحيوة ولا يجوز في الاخر فمثله العبادات بالامر والثاني ان السبب الذي به يجب عبادات الاموال لا يجوز فعل ذلك حق القيام بالافعال النيات اذ ليست من الحقوق التي تتصل بالاموال في شيء من الامور لم يتم بها احد عن احد لذلك لم يجز الا بامر فيكون الامر بالامر نيابة والله اعلم وقوله عز وجل اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اختلف فيه قال بعضهم هذا في الدنيا وهو ان يلزم الابن نفقة والده عند الحاجة والقيام بامره والاب يلزمه ان ينفق على ولده في حال صغره وعند الحاجة اليه والقيام بحفظه وتعاهده فاذا كان ما ذكر لم يدر ايهما اقرب نفعا نفع هذا لهذا ويحتمل ان يكون قال لا تدرون انتم اي نفع اقرب اليكم نفع الاباء او نفع الابناء فان كان التاويل ما ذكرنا ففيه دلالة بطلان شهادة الولد لوالده اذا اخبر ان هذا نفعا في مال هذا ولهذا في مال هذا فاذا ثبت النفع لم تقبل شهادة من ينتفع بشهادته ولهذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه ان لا يجوز للوكيل بالبيع والشراء ان يبيع من ابيه او ابنه او والدته مما ينتفع ببيعه منه وبالشرى منه وكذلك قالوا ان المشترى من هؤلاء ليس له ان يبيع مرابحة الا ان يبين لانه ينتفع به وقيل هذا في الاخرة وروى عن ابن عباس رضي الله عنه اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا يقول اطوعكم لله من الاباء والابناء ارفعكم درجة عند الله يوم القيامة لان الله سبحانه وتعالى يشفع المؤمنين بعضهم في بعض وقيل قوله لا تدرون انتم في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا في الاخرة في الدرجات الوالد لولده اما الولد لوالده اذ هم في الدنيا لا تدرون ايهم اقرب لصاحبه نفعا في الاخرة حتى يرجعوا في الاخرة قال فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة من ولده رفع الله تعالى اليه ولده في درجته لتقر بذلك عينه وان كان الولد ارفع درجة من والده رفع الله تعالى الوالدين الى الولد في درجته لتقر بذلك اعينهم برفع الاسفل الى الاعلى والادون الى الافضل وهو كقوله سبحانه وتعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان يعني بايمان الاباء الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم يعني الاباء من عملهم من شيء ويحتمل ان يكون هذا في الشفاعة او لا يدرى ما ذلك النفع وما مقداره او يحتمل قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ليس على حقيقة القرب ولكن على الكبر والعظم وقد يتكلم بهذا قوله وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها ليس على ان اية اكبر من اخرى ولكن على وصف الكل منها بالكبر والعظم فعلى ذلك قوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا على وصف كل منهم بالنفع على الاعظام والاكبار والله اعلم ويحتمل قوله اقرب لكم نفعا اي وجب كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين اي واجب للمحسنين وغيره من الايات وقوله عز وجل فريضة من الله تعالى المواريث فرائض لما ذكرنا لانه كان بايجاب الله تعالى لا ما كتب اذ لم يملك الخلق اعين هذه الاموال ولكنه انما ملكهم المنافع منها الى وقت وفاتهم اذا ماتوا صار ذلك المال للذي جعل الله له لذلك سمى فرائض وقوله ان الله كان عليما حكيما بيد وحالهم وبمعاشهم ومصالحهم وما يصلح لهم وما لا يصلح حكيما فيما فرض من قسمتها وبينها والحكيم هو المصيب واضع كل شيء موضعه والظالم هو واضع الشيء في غير موضعه وقوله عز وجل نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد الى اخر ما ذكر فيه يراد الخصوص وان كان مخرج الخطاب عام لان الزوج او الزوجة اذا لم يكن على دين صاحبه وعلى وصفه لم يجز بينهما التوارث دل ان ليس لاحد الاحتجاج بعموم المخرج على ما ذكرنا في الولد والوالد والام وغيرهم انه اذا لم يكن بعضهم على وصف بعض لم يجر بينهما التوارث دل ان عموم مخرج الخطاب لا يدل على عموم المراد ثم الاية معطوفة على ما سبق من الايات لانها ذكرت بحرف العطف والنسق بقوله ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد والربع ان كان لهن ولد ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد بين في الاية الاولى ميراث الاب والام وميراث الاولاد ولم يبين ميراث الازواج ثم بين في هذه الاية فنسق على الاولى ليعلم ذلك ان الازواج والزوجات اذا كانوا معهم فان الحكم لا يختلف فيهم يكون للام الثلث اذا لم يكن هناك ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات فصاعدا والسدس ان كان له ولد او اثنان من الاخوة والاخوات يكون لها مع هؤلاء ثلث ما بقي حيث نسق هذا على الاولى وقوله عز وجل وان كان رجل يورث كلالة اختلف في الكلالة قال بعضهم الكلالة الميت الذي لا ولد له ولا والد وعن الحسن رحمه الله عليه انه قال الكلالة الاخوة والاخوات من الاب والام او الاخوة والاخوات من الاب والام او الاخوة والاخوات من الاب ذهب في ذلك الى ما ذكر في اية اخرى قوله ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الى اخر ما ذكر والنصف انما يكون للاخت من الاب والام او الاخت من الاب وذلك تضمين الكلالة دل انها الاخوة والاخوات من الاب والام او من الاب وروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال الكلالة ما خلا الولد والوالد وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال لقد اتى علي زمان وما ادري ما الكلالة الا ان الكلالة ما لم يكن له ولد ولا والد وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الكلالة ما خلا الولد والوالد وروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال في خطبته الا ان الاية التي انزلها الله تعالى في اول سورة النساء في شان الفرائض انزلها في الولد والوالد والاية الثانية انزلها في الزوج والمرأة والاخوة من الام والاية التي ختم بها سورة النساء انزلها في الاخوة من الاب والام والاية التي في سورة

الانفال في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب مما جرت لما الرحم من العصبة وروى عن عمر رضي الله عنه انه قال اذا كانت
الكلالة اسم يقع على الاخ من الاب ويقع على الاخ من الاب والام وهو ما ذكرنا في قول ابي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما
ان الكلالة ما عدا الولد فكانا ابن هيون والله اعلم ان الاعمام وبني الاعمام يرجعون في النسب مع الميت الى جدة وقد كانهم
اب الام فسبيلهم في ذلك سبيل الاخ والاخوات الذين تكلهم الاب والام الا انهم لما كانوا ابعد في النسب من الاخوة والاخوات
لم يرثوا معهم فاجمعوا ان معنى قول الله سبحانه وتعالى ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت في الاخت من الاب والام او من الاب
اذا مات الرجل ولا ولد له ذكر ولا انثى يعطى الاخت النصف تسمية فقال قوم من الشيعة الاية تدل على انه ان ترك ابنة واختا
ان المال كله للابنة ولا شيء للاخت لان الله تعالى جعل لها الميراث اذا لم يكن له ولد فسوى الذكور والاناث من الاولاد وليس
الامر كما قالوا لانا اذا جعلنا للابنة النصف وجعلنا ما بقي للاخت فلم نعطها ما اعطيناها بالتسمية الا ترى انه لو كانتا اختين كان لهما عند
ما بقي ولو جعلنا ذلك لهما تسمية اعطيناها الثلثين لان الله تعالى جعل لهما الثلثين بالتسمية وليس ما تاخذه الاخت بالتسمية لا ينقص
منهما شيئا ما تاخذه من الباقي بغير تسمية الا ترى ان الله تعالى جعل للابوين السدسين مع الولد فان كانت ابنة ما بقي لهما النصف
وما بقي للاب فقد اعطينا الاب اكثر مما سمى الله تعالى ولكنا لم نعطه الزيادة بالتسمية فلم يلزمنا الخلاف في زيادته فان خالفونا في
ذلك قيل قد سبق لذلك جواب ما يدل على ان الاب بالباقي اولى من الابنة لذلك لم نذكره في هذا الموضع فان قالوا الابنة اولى بما زاد
على النصف لان الله تعالى قال واولوا الارحام بعضهم فكانت الابنة احق بذلك من غيرها قيل له ان قوله تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض انما اوجب انهم اولى ببعض من الاجنبيين بين ذلك قوله تعالى من المؤمنين والمهاجرين لانهم كانوا يتوارثون بالهجرة
فنسخ الله وجعل الميراث لذوي القرابة وليس في الاية دليل على ان الاقرب اولى بالميراث ممن هو ابعد منه في القرابة وقال الله
هو يرثها ان لم يكن لها ولد يقول والله اعلم الاخ من الاب يرث المال كله ان لم يكن لها ولد وترث من الاخ النصف اذا كان هو الميت
وقال الله سبحانه وتعالى فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك فاجمعوا ان الرجل والمراة اذا مات احدهما وترك اخا واختا فما زاد
على ذلك من الذكور والاناث كان الميراث بينهم للذكر مثل حظ الانثيين فهذا ما نص الله تعالى عليه في فرائض المواريث وقد يحكم
اهل العلم في الرد والعول وميراث ذوي الارحام فاما ميراث ذوي الارحام فان الله تعالى قال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
لمن زعم ان المال لبيت المال فلم يجعل بعض الارحام اولى ببعض بل جعل الغرباء بالميت من اولي الارحام فكان قول المورثين عندنا اولى
وهو قول عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين الا زيد بن ثابت رضي الله عنه فانه جعل
ذلك لبيت المال فان قيل ان قول الله سبحانه وتعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض انما هو فيمن سماه الله لهم سهاما قيل
في الخبر دليل انه في غير الذين سمى الله لهم سهاما ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كتب الى ابي عبيدة بن الجراح فقال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ورسوله ولي من لا ولي له والخال وارث من لا وارث له وروي ايضا ان عمر رضي الله عنه
قضى للخالة بالثلث وللعمة بالثلثين وعن زر بن حبيش عن عمر رضي الله عنه انه قسم الميراث بين العمة والخالة وعن عبد الله رضي الله
عنه قال الخالة والدة وعن علي رضي الله عنه انه قال في العمة والخالة للعمة الثلثان وللخالة الثلث فاخذ علماؤنا في ذلك بما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم وعن الاجلة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وكان ذلك موافقا لظاهر الاية وعمومها وكان اتباع ذلك عندنا
اولى من غيره فاما الكلام في العول فان ابن عباس رضي الله عنه كان ينكره ويقول لا نعول الفريضة وكان علي وعبد الله وزيد بن
ثابت يقولون بعول الفرائض وروي عن الحارث قال ما رأيت احدا قط احسب من علي بن ابي طالب رضي الله عنه اتاه اب
فقال يا امير المؤمنين رجل مات وترك ابنته وابويه وامراته ما لامراته قال صار ثمنها تسعا وكان ابن عباس رضي الله عنه
يكره ان ينقص الاب من السدس وقد سمى الله تعالى له السدس ثم الفريض على هذا الاصل لانه قال في الابنتين والابوين
وامراته للمراة الثمن وللابوين السدسان وما بقي فللابنتين فنقص الابنتين مما سمى الله لهما فلم كانت اولى بالنقصان كله
من غيرهما وسائر الصحابة ادخلوا النقصان على كل وارث بقدر نصيبه لئلا يلحق النقصان على بعض وياخذ البقية كامل
نصيبهم وجعلوا ذلك كقوم اوصى لهم رجل بوصايا يجاوز الثلث اذا جمعت فالحكم ان يقسم الثلث بينهم بالحصص
وكقوم صح لهم دين على ميت وتركته لا تفي بذلك فهم جميعا اسوة يلحق كل واحد منهم النقصان بقدر حصته واما
الرد فان عليا رضي الله تعالى عنه وعبد الله رضي الله عنه قالا به على خلاف فيهما فيمن يرد عليه وسبيل ذوي الارحام
لان الرحم بيان في المال اولى من الاجنبيين بقوله الله سبحانه وتعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فمن لا رحم له فلا حق له
غير سهمه وليس في الزوج والزوجة خلاف بين اهل العلم انه لا يرد عليهما ولان في الاية الرد على غيرهما من اهل السهام
ومنع الرد عليهما لانه عز وجل ذكر للابوين السدسين اذا كان له ولد وسمى للام الثلث اذا لم يكن ولد ولم يسم للاب
شيئا فيرد الباقي عليه وكذلك سمى للذكور من الاولاد مع الاناث نصيبا بقوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين ولم يسم لهم شيئا في حال الانفراد فيرد الكل عليهم ولم ينزل للزوجين ذكر تسميه سهاما في حال بل ذكر لهما
سهما في الاحوال كلها في حال الولد وفي حال الذي لا ولد له فلذلك منع دليل الرد عليهما وقوله عز وجل غير مضار
وصية من الله ونرى فريضة من الله حتى يعلم انهما واحد ثم ذكر المضارة في ميراث الاخوات ولم يذكر في الولد والزوج والزوجة
والزوجة فهو والله اعلم يحتمل وجهين يحتمل انه ذكر في هذا لانه ختم المواريث فيكون تلك المضارة كانت كالمذكور في
الاولاد والوالدين والازواج اذ بذلك ختم ويحتمل انه ذكر ههنا المضارة ولم يذكر فيما ذكرنا لما في الطبع يقصد الرجل الى مضارة
الاخ والاخت ومن بعد منه ولا يقصد في المتعارف الى مضارة الاباء والاولاد ومن ذكرنا فاذا جاء النهي في مضارة
من يقصد في الطبع يقصد الرجل مضارته فلان ينهى عنها فيما لا يقصد بالطبع احق ثم بيان المضارة في الوصية ما روي عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير وقوله انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة
يتكففون وما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل الخير ستين سنة فاذا
اوصى حاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل الشر ستين سنة فيعدل في وصيته فيختم له عمله فيدخل
الجنة ثم يقول ابو هريرة رضي الله عنه اقرؤا ان شئتم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله الى قوله عذاب مهين وما روي
الثلث حيف وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الاضرار في الوصية من الكبائر ثم قرا تلك حدود الله الى اخره قال
في الوصية وقوله عز وجل فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم الاضرار قد يكون ايضا اذا اوصى لوارث ولم
يوص للباقين لانه اضربهم بالوصية لبعض ورثته اليا فبين ههنا فرق بين ان يضر ببعض الورثة وبين ان يضر الورثة كلهم ففيه
دليل بطلان الوصية لبعض الورثة دون بعض ثم الاضرار قد يكون بالدين على ما يكون بالوصية لان اقرار المريض لبعض
الورثة بدين فان اقراره لا يجوز وصيته والاقرار بالدين احق ان لا يجوز من الوصية لان الاقرار في المرض جوازه بحق
الامانة اذ يجوز جواز الشهادة والشهادة امانة والوصية جوازها بحق الملك فاذا بطل الوصية لوارث فاقراره له
في المرض احق ان يبطل وعلى ذلك اذا كان عليه دين في الصحة فاقر بدين فغرماء الصحة لان دينهم قد تعين في ماله وتحول
من الذمة الى التركة الا ترى انه ليس له ان يقضي عن بعض دون غريم فاذا كان ما ذكرنا لم يكن له قسمة المال بين غرماء الصحة
وبين من اقر لهم بالدين في المرض اذ فيه الاضرار بهم اذ قد تعين حقهم فلا فرق ان يكسب الضرر على الوارث وبين ان يكسب
الضرر على الغرماء واذا باع شيئا بقيمته في المرض واستقرض فانه يجوز وبيانه انه لا يبطل الغرماء اذ يقضي ديونهم مما
اخذ واذا تزوج او استاجر فيكون اسوة الغرماء لانه لم يبطل لهم انما يبطل لنفسه وليس فيه اكتساب الضرر على الغرماء فيكون
اسوة ثم اذا اضر لم يجز وبيد ذلك الضرر ويمتنع فان قيل ان الرجل قد ينهى عن الاضرار في نفسه وماله ولو فعل فيجوز
قيل ان الاضرار اذا حصل في ملكه او في نفسه وماله ولو فعل فيجوز قيل ان الاضرار اذا حصل في ملكه او في نفسه ينهى
ويجوز لانه لم يفتر غيره واذا اسل في ملك غيره لم يجز ورده وها هنا انما حصل في ملك الورثة والغرماء لذلك بطل ولا يوصى
باكثر من الثلث ولا يوصي لوارث ولا يقر بحق ليس عليه مضارة للورثة وقوله عز وجل وصية من الله يحتمل قوله تعالى وصية
من الله اي الذي نهى عن المضارة وصية ويحتمل الذي فرض عليكم من المواريث وصية من الله وفريضة منه والله اعلم وقوله عز وجل
والله عليم بمن ضار الوارث وزاد على الثلث وبمن لم يضار الوارث وزاد على الثلث وبمن لم يضار حليم لا يعجل بالعقوبة على من
ضار ويحتمل العليم والحليم ان يكونا سواء لان ضد الحكيم سفيه وكذلك الحليم وقوله عز وجل وتلك حدود الله قيل فرائض
الله التي امركم بها من قسمة الميراث ويحتمل حدود الله ما حد لنا حتى لا يجوز مجاوزتها لا ما فهم من حد الخلق كيف فهم من
قوله استوى على العرش واستوى الى السماء ما فهم من استواء الخلق فانه لم يفهم من حدود الله ما فهم من حد الخلق لم يجز ان
يفهم من استواء الله ما يفهم من استواء الخلق وكذلك لا يفهم من رؤية الرب ما يفهم من رؤية المخلوق ولا يفهم
من مجيئه مجيء الخلق ولا من نزول الخلق على ما لم يفهم من قوله تعالى حدود الله حدود الخلق اذ لا فرق بين هذا وبين الاول
وقوله عز وجل تلك حدود الله يحتمل وجهين احدهما اوامره ونواهيه وما حرم واحل ويحتمل حد وشيء من ذلك فيرجع
تاويل الاول الى نفس العبادات والثاني الى نهايات العبادات والمعروف من الحدود التي تنسب الى الخلق وجهان احدهما
نهاية المنسوب اليه وذلك حق حد الاعيان والباقي الاول الذي يضاف اليه وذلك حد الصفات اذ يقال حد العقل
فعل كذا وحد البصر والسمع يراد به الاثر الذي به يعرف او هنالك ما ذكرتم لم تكن الحدود التي اضيفت الى الله سبحانه وتعالى
على واحد من الوجهين اللذين يضاف الى الخلق اذ قد ثبت بضرورة العقل وحجة السمع تعاليه عن المعاني التي هن معاني خلقه فعلى
ذلك ما اضيف اليه من طريق العقل من الاستواء والمجيء والرؤية لم يجز في ذلك تصور المعنى الذي في اضافة ذلك الى الخلق
يكون بما في ضرورة العقل والسمع جلاله وكبريائه عن ذلك المعنى وبالله وقوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله قيل
من يطع الله في اداء فرائضه وسنة رسوله يدخله جنات الى اخر ما ذكر وقيل ومن يطع الله فيما امرهم واطاع رسوله
في امره ونهيه فله ما ذكر وقيل ان اطاع الله فقد اطاع رسوله فقد اطاع الله تعالى وهو واحد كقوله ومن يطع الرسول فقد
اطاع الله وقوله ومن يطع الله تعالى فيما امر ونهى وحرم واحل ورسوله فيما بلغ وبين وقيل ذي ليس بتفريق لكن من الذي يطيع الله
هو الذي يطيع رسوله لانه الى طاعة الله تعالى دعاه وعلى عباده رغب فيكون طاعته طاعته كقوله تعالى ومن يطع الرسول
فقد اطاع الله وكقوله سبحانه ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية وقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده وهذا
كذلك ايضا اذا عصى الله فقد تعدى حدوده ومن تعدى حدوده فقد عصى الله ومن يعص الله ورسوله فيما امر امرا ونهى
نهيا ويتعد حدوده يعني احكامه وشرائعه اي لم يرها حقا يدخله نارا خالدا فيها وله ما ذكر وقوله عز وجل واللاتي ياتين
الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم واللذان ياتيانها منكم فاذوهما قيل كان هذان الحكمان في اول الاسلام
الاول منهما المراة والثاني الرجل وقيل ان اية الاذى كانت في الرجل والمراة واية الحبس كانت في حبس المراة ويحتمل ان يكون
اية الاذى كانت في الرجل والمراة ويحتمل ان يكون اية الاذى في البكر في الرجل والمراة جميعا واية الحبس في الثيب في الرجل
والمراة جميعا ويحتمل ان يكون اية الاذى في الرجال خاصة فيما تاتي الذكر ذكرا على ما كان من فعل قوم لوط واية الحبس في الرجال
والنساء جميعا فان كان اية الاذى في الرجال خاصة ففيها حجة لابي حنيفة رضي الله عنه حيث لم يوجب على من عمل عمل
قوم لوط الحد ولكن اوجب التعزير والاذى وهو منسوخ ان كان في هذا وان كانت في الاول فهي منسوخة ثم اختلف
بما به نسخ فقال قوم نسخ بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لكن عندنا هذا يجوز ان يجمع بين

حكمهما فكيف يكون به النسخ ولكن نسخ عندنا بالخبر روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر والثيب بالثيب البكر جلد وينفى والثيب يجلد ويرجم ففيه دليل على حكم نسخ القرآن بالسنة فان قيل في الآية دليل وعد النسخ بقوله او يجعل الله لهن سبيلا فانما صار منسوخا بما وعد الله في الآية من النسخ لا بالسنة قيل ما من آية او سنة كان من حكم الله النسخ وان لم يكن مذكورا لان الله عز وجل لا يجعل الحكم في الشيء للابد ثم ينسخ لانه بدو وذلك فعل البشر لا فعل الربوبية فاذا كان ما ذكرنا فلا فرق بين ان ينسخه بوحي يكون قرآنا يتلى وفيه اخبار كثيرة وروايات رجم ماعز بالزنا مرارا ورجم ايضا غيره ما روي ان عسيف الرجل زنا بامرأة وقال سأقضي بينكما بكتاب الله تعالى وقال واغد يا انيس على امرأة هذا فان هي اعترفت فارجمها وعن عمر رضي الله عنه قال خشيت ان يطول بالناس زمان حتى يقول قائلهم ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله الا وان الرجم حق اذا احصن الرجل وقامت البينة واعترف وقد قرأناها الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده وقال قوم الرجم بين اليهود والنصارى كهو بين المسلمين كالجلد بالآية بدليل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديا قيل انما رجم بحكم التوراة الا ترى انه روي انه دعا بالتوراة ودعا علماءهم فامرهم ان يقرؤا عليه فوضعوا ايديهم على الموضع الذي فيه ذكر الرجم فقرؤا غيره فقال ابن سلام انهم كتموه يا رسول الله ثم قرأه فامر برجمهم ولا شك ان القرآن نسخ حكم التوراة لذلك لم يلزم عليهم الرجم فان قال قائل ان الحد يقام على من عمل عمل لوط بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قيل لا يحتمل وجوب الحد عليه بذلك لانه تختلف حكم هذا من هذا في الحرمة ووجوب المهر وغير ذلك فلا يحتمل ان يعرف حكم شيء لما يخالفه في جميع احكامه وجميع الوجوه وقوله عز وجل واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم في الآية دليل جواز القياس لانه ذكر الحكم في النساء ولم يذكر في الرجال ذلك الحكم ما يلزم المرأة في ذلك الفعل يلزم الرجل مثله دل ان ما ترك ذكره في المنصوص والانتزاع منه وقال قوم ان على الثيب الجلد والرجم جميعا ذهبوا في ذلك الى ما روي عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر يجلد وينفى والثيب بالثيب يجلد ويرجم اوجب الجلد والرجم على الثيب واما عندنا فانه لا يوجب مع الرجم الجلد لما روينا من الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم ماعزا ولم يذكر انه جلده وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغد يا انيس على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها لم يذكر هنالك جلدا والاخبار كثيرة في هذا وروي انه قال من اصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله الذي ستره عليه فان من ابدى لنا صفحته اقمنا عليه حد الله ثم يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم الثيب بالثيب يجلد ويرجم في اختلاف الاحوال يجلد في حال ويرجم في حال او يجلد ثيب ويرجم اخرى لانه ليس كل ثيب يرجم لانه اذا كان ثيبا غير محصن لم يرجم دل انه على ما ذكرنا او يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر يجلد وينفى والثيب اي البكر مع البكر والثيب مع الثيب فيكون ثيبا يجلد وثيب آخر يرجم ثم اختلف اهل العلم في نفي البكر قال قوم النفي ثابت واجب وعندنا انه ان كان فهو منسوخ ودليل نسخه ما روي في خبر زيد بن خالد وكان الرجل بكرا ابدا ذكر انه نفي وما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد ولحق بالروم فقال لا انفي بعد هذا ابدا وما روي انه قال كفى بالنفي فتنة وان كان فهو عقوبة وليس بحد كحبس الدعارة وغيره والدليل على ان النفي ليس بحد ان الله سبحانه وتعالى قال في الاماء فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والامة لا تنفى لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا زنت امة احدكم فليجلدها ثم اذا زنت فليبعها ولو بضفير امر بجلدها ولم يأمر بالنفي ولو كان حدا لامر به كما امر بالجلد دل انه ليس بحد في الحرة لانه اوجب على الامة نصف ما وجب على الحرائر ولا نصف للنفي دل انه ليس بحد ولا يجب ذلك وان كان فهو حبس وفي الحبس نفي فيحتمل وينفيان ليلبسا مالا صابا بالاذى كل من راءهما ما يذكر فعلهما فينفيان لذلك لا انه حد ولكن لينسى ذلك ولا يذكر وقوله ايضا واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم الى قوله تعالى فان تابا واصلحا يخرج على وجهين لو كانت الآيتان في الزنا احدهما ان يكون في جميع الاناث الحبس وفي الذكور الايذاء ولذلك جمع من الجميع في الخبر الذي به النسخ فارتفع الحبس والاذى بمعقول ثانيب الرجل به ازجر له وحبس المرأة اقطع لوجوه الزنا وان تكون الآية الاولى في المحصنات على تضمن المحصنين بالمعنى والآية الثانية في الذكور على تضمن الاناث بالمعنى لكن جرى الذكر على ما ظهر من فضل صيانة الابكار في الاناث اما تدينا وحياء لا افتضاح او بما الغالب عليهن الصون من المحارم والحفظ عن قرب الذكور ولا في الثيبات من الناس على انه بعيد بلوغ النساء في قلة الحياء الى ان يعلن حتى يشهد اربع والغالب عليهن اذ لا عنا لطن هذا القدر من العلن ثم الدلالة على دخول الكل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا ذكر لهن على ما جرى به الذكر في القرآن ثم جمع في التفسير بين الكل ثبت ان الذكر قد يضمن الكل وذلك يبطل تأويل من يصرف الآية الى الابكار من الاناث والذكور ومتى يحتمل وجود مثل ذلك بعد النكاح على انه خلق الازواج بهن والاطلاع على ما فيه المشقة الدائمة واللوم له ثم كشف ذلك لجميع عالما شر خوف الانتشار به ظاهرا وكيف يحتمل في مثل تلك الحال الى ممكن من ذكر يحضره من ذكر دون ان ينضم الى زوجها فتأويل من وجه الآية الى الابكار خارج عن المعروف ثم اجمع عليه اهل التأويل فعل صاحبه على هذا جهله بان لا يجوز بيان نسخ حكم بينته هو الكتاب بالسنة ويحكم على الله تعالى وعلى رسوله بحجر هذا النوع وقوله عز وجل واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة فان شهدوا الآية ومعلوم ان عقوبة الزناة يتولاها الائمة فكان الخطاب عليهم خرج ثم قد اثبت الفاحشة منهن ولم ياذن في اقامة عقوبتها حتى يستحضر اربعة فيشهدون بها فعلى هذا ان ليس للائمة تولي حد الزناة بعلمهم حتى يكون ثم شهود وفي ذلك لزوم حق الستر الى اقصى ما ينتهي اليه من اعلان الفاحشة من الزناة اذ ذلك امر معلوم فيما يحل ان لا يفعل الا في احوال الخلوات التي تعلم حقيقته ذلك بالولد يكون فاما من حيث الكون دونه فانما هو غالب الظن فالذي يحل

من ذلك ان يكون بحيث لا يعلم حقيقته ابدا يدل على ذلك جميع الامور التي منها المباح والمحظور منه ابعد من الظهور والعلم من المباح فعلى ذلك امر هذا مما ابدا ما جعل فيه من حد الرمي وجهين احدهما الزجر عن هتك هذا النوع من الستر حتى اوجب شهادة من رمى بذلك بما هتك ستر الله والثاني في فحش الشين بها على ذلك ولزوم المسبة في صاحب ذلك فاتيه معنى لزوم الشين وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فانه من يبدي لنا صفحته اقمنا عليه حد الله فاذا بلغ العمل الذي حده ما ذكرت من العصرية من نهاية الستر النهاية من الاعلان حتى ظهر ذلك ذلك الجماعة بفعل من يشبه فعله ما ذكرت استحق ما ذكرت من العقوبة على ذلك محله وبقلة حيائه حيث اظهر الذي ذلك حقه الستر عقوبة ذلك الفعل فالزم من ليه ذلك القيام به لله ثم جعل الله في ذلك عقوبة الفعل واهله على ما علم من مصلحة الخلق بها وزجرهم وتكفيرهم بها ثم ان الله سبحانه وتعالى جعل اول عقوبة الزنا في نوع من الخلق ظاهرا يكتسبون به عرض الدنيا وفي ذلك في الاماء حتى قال الله سبحانه وتعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية وحتى كانوا يدعون الانساب في اولاد الزناء من الاماء حتى بلغ من ظهور ذلك الى ان يا زج به الحرائر في الطرق تعاميا عن حالهن فنزل قوله سبحانه وتعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وان كان هذا حالهم في ذلك الوقت عليهم خوف مواقعة الزنا وكذلك على الحرائر لكثرة ما يدين او يسمعن وذلك معنى يبعث من شرهت نفسه وقلة تفكره في امر عاقبته مما ينزل به او يشبهه وقد ركبت هذه الشهوة في كل البشر فخفف الله عقوبته في الابتداء ان جعل في الحبس والامساك في البيوت ثم صار ذلك الى الضرب لما ان تحرج الناس وعظم ذلك في اعينهم وجعل في الشتم به الحد ليعرفوا عظم موقعه عند الله وانتهوا عن فعله وقد جعل في ذلك في بعض الاحوال الرجم وهي الحال التي تزول فيها كل وجوه العذر برفع جميع معاني الشبهة لعظم امره والثاني ان التسبب الباعث على ذلك قرب بعض ومخالطة بعض بعض على عظم الشهوة فغلب عليهم الامر واستعبدتهم الشهوة حتى والعفو ذلك ثم في الحبس وجهان احدهما الكف عن المعنى الذي يدعوا اليه من الاختلاط وتلاقي الابصار والثاني ما فيه من فضل ضجر وتضييق الحال اذ جعل ذلك الى الموت فيكون في ذلك عقوبة من حيث الضجر ومعونة على الكف عنه بالحبس حتى لما يقع بصر ذكر على انثى وانثى على ذكر والثالث ان يكون في الحبس ترغيب الارحام في الحفظ والزام القرابة بعد ما يزجر عن تضييع حقوق الرحم ويدعوا الى القيام بالكفاية اذ ضيق على القائمين ذلك وذلك يوجب قبل المواقعة الاستقلال عن الاحوال والجهد في الحفظ اذ في ذلك بعض عقوبة اهل الاتصال من تكليف الامساك والقيام بالكفاية فيكون ابلغ في العفاف واقرب الى الصلاح وعلى مثل ذلك جعل امر العاقل ليغوموا اهل الصلاح في كل قبيلة في كف اهل الفساد والله اعلم ثم لما انقطعت العادة وقام الناس بالتعاهد وتفرق الفريقان حتى لا يؤذن بالاجتماع الا ان يكون ثم من جبل على الا ياس من ذلك وانثى على قطع الشهوة فيهن فجعل في ذلك حد وفي ذلك لهن سبيلا وذلك والله اعلم يخرج على وجه يجب التامل في الوجه الذي يسمى ما نسخ به اللازم في ذلك وذكر فيما ذكر حد مرة ورجم ثانيا ومعلوم ان المجعول له السبيل الرجم والحد اشد عليهم من الحبس وقد روي عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد ورجم فهو والله اعلم ان بهذه الشريعة على سبيلهن لان اوجب على المحبوسات اقامة ذلك بما قد حبس بالزنا ولكن في هذا تخلية السبيل على انهن اذا زنين فعليهن ذلك على رفع الحبس عنهن اذا حبس بما لم يبين حد ذلك فاذا بين زال ذلك ولا حد حتى يكون منها ذلك فالسبيل المجعول لهن تخلية السبيل ثم بين الحكم في الحادث ووجه آخر ان السبيل في الحقيقة مجعول لمن كلف امساكهن وان اضيف اليهن وعلى نحو ما اضيف اهل القرى الى القرى بالتسمية فاخرجت على تسمية القرى واذا كان المراد اهل ذلك في تسمية الاهل التذكير والقرية والقرية التانيث فكانه جعل للمامورين بالامساك سبيلا في ان يقيموا الحد ويزول عنهم مؤنة الامساك والقيام بالكفاية والثالث ان يكون في طول الحبس ضجر وضيق وحيلولة بين المحبوس والشهوات كلها وقطع بينه وبين الاحباب وتحمل مثله بمرة ايسر على النفس واهون من دوام الذل والقهر ثم لا يخلص عن ذلك الا بما في الاول يكون ثمرة فلذلك سمى والله اعلم ذلك سبيلا لهن ثم دل الخبر الذي ذكرت على امرين احدهما ان الحبس وان كان مذكورا في النساء خاصة فهو في جميع الزناة لانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا في الذكور والاناث في المحصنين وغيرهم جميعا ليعلم ان الحكم يجمع الكل وان كان الذكر فيهن وذلك كما ذكر حد المماليك في الاماء وحد الزناة في قذف المحصنات والحكم يجمع الذكر والانثى من حيث اتفاق المعنى الذي له جعل مثله فيما نحن فيه والثاني بيان نسخ المذكور من الحكم في الكتاب بالسنة وذلك لوجهين احدهما انه لم يوجد على الترتيب الذي ذكر في القرآن معاد ذكر تخلية السبيل وليس بمذكور في شيء من القرآن ثبت ان ذلك كان بوحي غير القرآن والثاني انه عليه الصلاة والسلام قال خذوا عني خذوا عني ثم اخبر عن جعل الله لهن السبيل فدل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني خذوا عني انه بيان جعل الله وهكذا معنى النسخ انه بيان جعل الله مدة حكم الاول بما يحدث فيه الحكم وليس قول من يقول في هذا في القرآن وعد بقوله عز وجل حتى يجعل الله لهن سبيلا معنى لان كل شيء في حكم الله انه ينسخه فالوعد في حكمه قائم الا ان يقول قائل لا يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم بيان وعد الحكم وانما يصدق ببيان وعد الشرط فيحتاج ان يحدث منه ايمانا والله الموفق معاذا اجاز ان بعد النسخ المذكور في القرآن حقيقة لا فيه يجوز ان يلغى المذكور حقيقة لا فيه وبعد فان من يقول هذا يعنه عليه جهله بمعنى النسخ انه البيان عن منتهى حكم المذكور من الوقت ولا ريب

ان لرسول صلى الله عليه وسلم بيان منتهى الحكم من النوع فمثله الوقت ثم اذا كان هذا اول عقوبة في الاسلام فثبت به نسخ الحكم بالتوراة والعمل اذا كان فيها الرجم وقد ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما رجم بحكم التوراة وقال انا اول من احيا سنة اماتوها واذا ثبت ان ذلك حكم التوراة ثم ثبت نسخ حكمه فلا يقام عليهم الرجم الا بعد البيان مما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرك بالله فليس بمحصن واثر اخبر بالرجم في القران للمحصن وجعل قوم عقوبة الحبس في الاناث خاصة واما في الذكور فيهم الاذى باللسان والتعزير بقوله تعالى واللذان ياتيانها منكم فاذوهما الاية وهذا قريب من حيث كانت النساء مكانهن البيوت وامكن حفظهن عن الزنا وتسليمهن الى الازواج مرة و المحارم ثانيا والرجال اذا حبسوا انحولت مؤنهم الى غيرهم فيكون عقوبة فعلهم تلزم غيرهم والراحة تكون لهم واما النساء فمؤنتهن في الاصل على غيرهن فليس في حبسهن زيادة على غيرهن فذلك عقوبة لهم مما كان الرجال بحيث يمكن تغييرهم وذلك بلغ ما زجر العقلاء وقد يحتمل ان يكون ذلك في الرجال اذ لا يذكر في عمل قوم لوط العقوبة وقد علم الله سبحانه وتعالى حاجة الناس الى معرفة عقوبة ذلك ان قد جعل الله تعالى في اتيان النساء حقوقا وحرمات واحكاما ليست في اتيان الذكور عرف الخلايق تلك فلم يحتمل ان ينزل ذكر عقوبة للذكور في الزنا بعدان فرق احكام الامرين فيشبه ان يكون الاية على ذلك وايد ذلك عز وجل انه سبحانه وتعالى قال فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ولم يذكر في ذلك جعل السبيل وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في كل اقسام الزنا ثبت انه ذلك فيما ذكر فتكون عقوبة الاولى في ذلك اخف من الحد فكذلك عقوبة الثانية مما يكون فيما يؤذ بان يتفريق وهو تعزير وذلك هو الباقي ابدا اذا لم يظهر معنى النسخ وايد الذي ذكرت استواء الذكور و الاناث في جميع عقوبات الزنا في قديم الدهر وحديثه من حدود المماليك والاحرار والثيبات والابكار فعلى ذلك امر تأويل الاية والنفي المذكور في الخبر يحتمل وجوها احدها ما ذهب اليه الخصوم من جملة عقوبة واثر النفي عن البلد لكن الحد واذا جعلت كفارات قد جعلت زواجر وفي الزنا بخاصة اذا مرفيه بالحبس اريد قطع السبيل اليه وفي الاشخاص والاخراج من البلدان تمكن وذلك بعيد والله اعلم فعلى ذلك لو كان عقوبة فهو على الحبس فينفى عن وجوه الاجتماع على ما كان من قبل فينفى ذلك العذر منه لظهور خشوع التوبة وقد يحتمل زيادة بالنفي قطع الذكور ودفع المسبة فينفي ليفني ذلك فلا يعتبر بذلك وكذلك في الاماء لا في الكفرة اذ ما فيهم من الذل اعظم مما لا يجب نسب من ذكرت حد ليعلم عظيم موقع ذلك في الاحرار ولو كان على العقوبة فهو منسوخ بما جرت السنة في الاماء بحدهن من غير ذكر الحبس وقال الله سبحانه وتعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والمذكور في الثيب يحتمل يجلد في حال ويرجم في حال اذا اكل ثيب تجلد وان كان نسخ مما ذكر من خبر ما عن وغيره وقوله عز وجل فاذوهما قيل فاذوهما بالحد وقيل فاذوهما بالتعيير فان تابا واصلحا كفوا عن ذلك وقيل سبوهما لكن ذا قبيح والتعيير اقرب وقوله عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة يحتمل قوله انما التوبة على الله للذين كذا اي توفيق التوبة وهدايته على الله سبحانه وتعالى اذا كانت نفسه ترغب فيها وتميل اليها على الله يوفقه على ذلك اذا علم الله منه انه يتوب ويحتمل قوله انما التوبة على الله سبحانه اي قبول التوبة على الله سبحانه اذا تاب ورجع عما كان فيه وارتكبه وفي قوله ايضا انما التوبة على الله لمن ذكر يحتمل قبولها بمعنى ان الذي لا يسوف التوبة ولا ينتظر بها وقت المنع عن ركوب ما عنه يتوب والاياس من امكان العود الى ما عنه يتوب الله فالله يقبلها اذا كان ذلك دابه وعادته وان بلغ ذلك الضيق بامر دفع اليه او كان يتوب من الذنب بان لا يستخف به فيترك الرجوع لقلة مبالاته به فلا يقبلها ممن هذا وصف توبته وحال استخفافه بالذنب والثاني ان يكون توفيق التوبة والهداية اليه ممن يفزعه ذنب ويبعثه على الرجوع الى الله والتعرض لرحمته واحسانه ولا يوفق من لا يبالي بالذي يذكر ولا يتضرع اليه وقيل الاول في الصغاير والثاني في الكباير والثالث في الكفر بان صاحب الصغيرة ارق قلبا واخضع ذكرا له ورجوعا الى ربه وصاحب الكبيرة اقسى قلبا من الاول واظلم فهو لا يندم الا بعد شدة وبعد طول المحنة وضيق القلب مثل فليس على الله قبول توبة من يتوب في تلك الحال ولا توبة من يابى عنه ما يامله بالذي عليه بو ذلك ولكن بفضله ورحمته يقبل ويوفق له بما كان منه من الخيرات والحسنات التي هي من اسباب التقرب الى الله سبحانه وتعالى والكافر لا يقبلها اذ هو لا يتوب حتى يموت فيستعن بالعذاب والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا الا حرج في الكفار فيكون فيهم من يظهر التوبة عند الضرورة والدفع الحال التي يزول عنه وسع المكان وياس من الامهال البصل الى ماله كان يؤبذ فالله لا يقبل توبته اذ ليست في الحقيقة توبة مكن بل توبة مضطر وتوبته دفع ما حل به اذ هو وقت يتحيل من التصديد لا عن الرفوت على الاسباب من جهة التامل والنظر والاعتبار لاعزاذ كما قال تعليمه به يظن ان الله الحامل من الذي يبدل والله اعلم وقوله عز وجل يعملون السوء بجهالة هذا ايضا يحتمل وجهين يحتمل جهل الفعل فيقع فيه من غير قصد ويحتمل قصدا للفعل والجهل بموقع الفعل والعمل لا يخرج على وجوه يكون عن غلبة تغلب عليه شهوته فيعمل ذلك العمل على طمع منه انه سيتوب من بعد ويصير رجلا صالحا كما فعل اخوة يوسف حيث قالوا اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين فسماهم جهلة بذلك في اية اخرى حيث قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون ويحتمل العمل بالجهالة عقوبة عمله على ذلك وكذلك الخطاء والنسيان على وجهين خطاء الفعل وهو الذي ليس بعزاب ولا رشد وخطاء القصد عند الفعل وهو الذي قصد احدا فاصاب غيره والنسيان على وجهين ايضا نسيان ترك وهو الذي يجوز ان يضاف الى الله سبحانه وتعالى من هذا الوجه قيل نزل قوله انما التوبة

على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية في المؤمنين وقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات الى اخر الاية في الكافرين وقيل انهما جميعا في المؤمنين والثالثة في الكفار وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل ان يغرغر نفسه ويعاين الملائكة قبل الله توبته والاصل في هذا ان توبة الكافر اذا كان توبته توبة اختيار واما اذا كانت توبة اضطرار ودفع فانها لا تقبل ابدا كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل اذا كان ايمانه ايمان دفع واضطرار عند معاينة العذاب فانه لا يقبل ابدا وهو ايضا كايمان فرعون حيث قال حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل الاية لم يقبل ايمانه لانه ايمان دفع و اضطرار فكذلك كل ايمان دفع واضطرار فانه لا يقبل ابدا وكقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقيل عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان هم الذين يتوبون عند معاينتهم الموت اخبر انه لا يقبل توبتهم لانهم يتوبون في الاخرة دفع العذاب عن انفسهم كقوله تعالى ما اشركنا مشركين وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها قال بعضهم كان يجوز لهم ان يرثوا النساء طوعا لانه انما نهى ان يرثوهن كرها فكان فيه دليل جواز وراثتهن طوعا واما عندنا فانه ليس فيه دليل جواز وراثتهن طوعا وان كان النهي انما كان في حال الكره لان الاصل عندنا ان ليس في خطر الحكم في حال دليل اباحته في حال اخرى ولا في اباحته في حال دليل خطره في حالة اخرى ولا في حله في حال دليل حرمته في حال دليل حله في حال اخرى دليل ذلك قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ليس فيه ان لهم ان يقتلوا اذا لم يخشوا الاملاق وقوله عز وجل انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وقوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة والقصة في الاية ما قيل ان الرجل اذا مات ترك امرأة كان اولياؤه احق بامرأته من ولي نفسها ان شاؤوا زوجوها وان شاؤوا لم يزوجوها فنزلت الاية في ذلك وقيل ايضا كانوا في اول الاسلام اذا مات الرجل قام اقرب الناس منه فيلقي على امرأته ثوبا فحرث نكاحها طوعا وكرها فنزلت الاية في ذلك والاية عندنا خرجت مخرج بيان التحريم على ما كانوا يفعلون دليل ذلك قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف نهى الابناء ان تنكحوا ما نكح اباؤهم من النساء فدل ان النهي كان في الحال جميعا في حال الكره والرضاء والله اعلم وفي قوله لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها الاية يحتمل حرمة وراثتهن ابدا وان ذكر كرها لا وجه احدهما ان ليس في ذكر الحرمة في وجه او ذكر الحكم دلالة تخصيص الحال كقوله سبحانه وتعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وقوله فان خفتم الا تعدلوا فواحدة وقوله عز وجل انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن انهن يحللن وان لم يؤتين اجورهن واذا لم يصر ذلك شرطا كذلك قال الله عز وجل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها والله اعلم والثاني ان يكون الوراثة ابدا يكون كرها وتجب الميراث سواء من فيه وله او لم يرد اذا كان هذا وجه الوراثة فذكره ذلك وغير ذكره سواء والثالث انهم كانوا يتوارثون النكاح وهو امر لا يحتمل الانقسام ولا عند لا شتراك الاسماع فكان ذلك على تراض منهم لواحد وان يكون فيما كانت الوراثة يرجع الى واحد فيكون ذلك بحق النكاح لا الميراث فاذا حرم النكاح في حق من يرث من الذكور من الاباء والابناء فبطل الميراث لو كان يجوز ان يورث ثم دلت هذه الاية في قطع وراثة منافع الابضاع وملك الابضاع ادوم من ملك الاجارات فيجب ان يكون قطع الاجارات اولى ودليل اخر على بطلان الوراثة ان المرأة قد ترث الميراث فيكون وراثة بعض نفسها فيبطل من حيث يراد اثباته وقوله عز وجل لا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة اختلف فيه قال بعضهم هو معطوف على ما تقدم وهو ما ذكرنا من الوراثة نهى ان يعضلوهن لتذهبوا بما اتوهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة قيل لم يكن يومئذ عقوبة اذا اتت المرأة بفاحشة سوى اخذ المهور منها وكانوا يمسكونها على الوراثة فاذا اتت بفاحشة اخذ ما اتاها ثم يسرحها فان قيل انما نهاها عن الوراثة لان الولي اذا ورثها ورثت هي نفسها فيبطل بذلك فالنهي لذلك قيل لو كان لذلك للمرأة اذا كانت ممن لا ترث عن الزوج مملوكة يجب ان يحل ذلك اذ لا وراثة ثمة فاذا لم يجز دل انها خرجت على بيان التحريم والله اعلم وقيل في قوله عز وجل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن على الابتداء ليست على الاول نهى الزوج ان ياخذ منها ما اتاها من المهر الا ان ياتين بفاحشة مبينة ثم اختلف في قوله تعالى الفاحشة قال بعضهم هو الزنا وهو ذكرنا وهو ما ذكرنا وقال اخرون الفاحشة ههنا هو النشوز اي اذا نشزت فلا باس ان ياخذ منها ما اتاها وقيل هو ما ذكر عز وجل في اية اخرى ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا لا تاخذوا منه شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به نهى الازواج ان ياخذوا منهن شيئا الا عند ما يخافا الا يقيما حدود الله فحينئذ اباح اخذ ما افتدت به فعلى ذلك قوله فلا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وما ذكرنا من النشوز وخوف ترك اقامة حدود الله فعند ذلك اباح لهم اخذ ما اتاها والله اعلم وقوله عز وجل وعاشروهن بالمعروف اختلف فيه قيل هو كقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف وكقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح وقيل وعاشروهن بالمعروف في كلامها وبرها والانفاق عليها و الاحسان اليها والاجتناب عما لا يليق بها من الشتم والايذاء وغير ذلك وعاشروهن بالمعروف يحتمل بالفضل ويحتمل كما لو فعل بك مثل ذلك لم تنكره بل تعرفه وتقبله وقوله عز وجل فان كرهتموهن قيل منه بوجهين قيل كرهتم صحبتهن من قبحهن ودمامتهن او سوء خلقهن فصبرتم على ذلك فيجعل الله فيه خيرا كثيرا قيل يهب لكم منهن اولادا تقر بهم اعينكم او يعطي لكم في الاخرة ثوابا جزيلا بصحبتكم اياهن وقيل في قوله عز وجل فان كرهتموهن اي كرهتم فراقهن فيجعل الله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وقوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا

من الذهب وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ان كرهت امرأتك او اعجبتك غيرها فطلقت هذه وتزوجت تلك فاعط هذه مهرها وان كان قنطارا والقنطار اثنى عشر الف درهم او الف دينار وقيل القنطار الف ومائتا دينار وقيل القنطار الف ومائتا دينار فهذا على التمثيل ليس على التقدير ووجه النهي والوعيد في ذلك والله اعلم ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان النساء عندكم عوان اخذتموهن بامانة الله تعالى واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى فوعظ عز وجل الازواج في غير اي من القران عن اخذ مهور النساء وغيرها من الاموال لضعفهن في انفسهن والرجال هم القوامون عليهن لئلا يبسط الازواج في اموالهن اشفاقا عليهن اولما اذا اخذ منها مهرها بقيت له المنفعة بلا بدل بكذب لتفتدي منه مهرها واثما مبينا ويحتمل ان يكون البهتان والاثم واحدا وقوله عز وجل تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وقيل الافضاء هو الجماع والاشبه ان يكون الافضاء الاجتماع لانه اضاف اليهما جميعا فهو بالاجتماع اشبه واليه اقرب فيجب المهر بالاجتماع والخلوة بها والجماع فعل الزوج يضاف اليه خاصة وقوله عز وجل واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل عقدة النكاح وقيل هو ما ذكرنا في قوله تعالى امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الميثاق الغليظ ما ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله في النساء فانكم انما اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وانهن عندكم عوان لا يملكن من امرهن شيئا وقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس ان لكم على نسائكم حقا وان لهن عليكم حقا ان من حقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم ولا ياذن ببيوتكم لاحد تكرهونه ولا ياتين بفاحشة مبينة فان هن فعلن ذلك فقد احل الله لكم ان تضربوهن ضربا غير مبرح يعني غير شائن وان من حقهن عليكم الكسوة والنفقة بالمعروف وقيل ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يحل لنا من نسائنا وما ذا يحرم علينا منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرثك فات حرثك انى شئت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجرها الا في بيتها واطعمها اذا اكلت واكسها اذا اكتسيت وقيل الميثاق الغليظ ما اوردنا من قول الله فامسكوهن بمعروف وقوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء حرم الله تعالى على الابناء نكاح نساء الاباء وذلك انهم كانوا يعملون في الجاهلية ما قيل في القصة ان ابا قيس توفي فخطب ابنه يقال له محصن فتزوج امرأة ابيه فنهى الله تعالى عن ذلك فقال عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وقيل ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج سالا سيفه فقيل له ما شانك فقيل له ما شانك فقال ان رجلا تزوج بامرأة ابيه فهذا اذا تزوجها مستحلا لها فهو يكفر لذلك كان نقصد قتله ولذلك حرم الله سبحانه وتعالى على الاباء نكاح نساء الابناء بقوله تعالى وحلائل ابنائكم وقوله عز وجل الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا اي انكم اذا انتهيتم عن ذلك في الابتداء يغفر لكم ما قد سلف وانه كان فاحشة في الاسلام ومقتا قيل بغضا وساء سبيلا اي بئس المسلك تزوج نساء الاباء ويحتمل ان يكون الاية في الطلاق في ذا كان الرجل يطلق امراته ثم يندم على طلاقها فيتزوجها ابنه فيمقت ذلك الاب ويبغض وقوله عز وجل وساء سبيلا اي بئس السبيل نكاح امرأة ابيه حيث مقت ابيه المسلك وقوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم الى اخره يحتمل وجهين اي حرم عليكم الاستمتاع بامهاتكم وبناتكم واخواتكم وما ذكر والجماع بهن ويحتمل حرمة النكاح اي حرم عليكم نكاح امهاتكم واخواتكم فان كان هذا اراد فلا يحرم النكاح لنفس النكاح لما به يوصل الى الاستمتاع بالنساء واليه يقصد فدل انه يحرم الجمع بين الاختين في الاستمتاع في ملك اليمين ولا يحرم الجمع بينهما في العقد ثم ذكر الحرمة في الامهات والبنات والاخوات ولم يذكر في الجدات فهن محرمات وان علون ولم يذكر في بنات البنات فهو محرمات وان سفلن فعقدنا ان ذكر الحرمة في الامهات والبنات وان سفلن لانه ذكر الحرمة في العمات والخالات والعمات من ولد الجد والخالات من ولد الجدات فانما ذكرت في الاولاد والحرمة في الاخوات والاخوة فعلى ذلك ذكر الحرمة في الامهات ذكر الحرمة في البنات وبنات البنات لما ذكرنا او لان يقال انه بنات البنات وان سفلن فدخلن في ذكر الحرمة نصا وكذلك ام الام وان علت فدخلت في الخالات وقوله عز وجل وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة والاخوات ولم يذكر البنات قال انما يذكر البنات من الرضاعة لانه لا يمكن من الرضاعة البنات لذلك لم يذكره وذلك اختلاف بيننا وبينه في لبن الفحل فعندنا لبن الفحل محرم وعند بشر لا يحرم لبن الفحل ذكر الله سبحانه وتعالى الحرمة في النسب بينا وبين بيان احاطته وحقيقته وذكر الحرمة الرضاع وبين بيان كفاية لو بيان احاطة فاما ان ترك للاجتهاد والاستنباط من المذكور وقد اجمعوا جميعا ان بنات الاخوة والاخوات من الرضاع كالذكر في ولادها فعلى ذلك يجب ان يكون ذكر الحرمة في الامهات من الرضاعة ذكرا في بناتها او ترك بيان ذلك للسنة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء عمي من الرضاعة فاستاذن علي فابيت ان اذن له حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال انه عمك فاذني له فقلت يا رسول الله انما ارضعتني الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عمك فليلج عليك فقالت عائشة رضي الله عنها وذلك بعد ان ضرب علينا الحجاب وعن ابن عباس رضي الله عنه سئل عن رجل له امرأتان او جاريتان وامرأة فارضعت هذه جارية وهذه غلاما هل يصلح للغلام ان يتزوج الجارية فقال لا اللقاح واحد وعن عائشة رضي الله عنها انها اخبرتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عندها وانها سمعت رجلا يستاذن في بيت حفصة رضي الله عنها قالت عائشة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله هذا رجل يستاذن في بيتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اراه فلانا لعم حفصة من الرضاعة فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله لو كان فلان حيا لعمها من الرضاعة دخل علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة

وعن علي رضي الله عنه لا تنكح من ارضعته امرأة ابيك ولا امرأة اخيك ولا امرأة ابنك وعن عائشة رضي الله عنها ان افلح اخا ابي القعيس فاستاذن عليها وهو عمها من الرضاعة بعد ان نزل الحجاب قالت فابيت ان اذن له فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرته بالذي صنعت فامرني باذن له علي وحجة اخرى من النظر بان الله تعالى حرم الابنة على ابيها وعلى جدها والابنة حدثت عن ماء الاب بعينه ولم تحدث عن ماء الجد ولكن الجد سبب ماء الاب الذي حدثت عنه الابنة قال فاللبن وان كان حدوثه من الام فان سبب كونه هو الاب فيجب ان تحرم المرأة التي ارضعها امرأته عليه اذ كان سببا لذلك اللبن كما يحرم المرضع اذا كان سببا على التي ارضعته ثم بقيت مسئلتان احداهما في التقدير والاخرى في الحداثة اما في التقدير فعموم قوله سبحانه وتعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة لم يخص قدرا دون قدر وروي عن علي وعبد الله قالا الرضعة الواحدة تحرم فان قيل روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان فيما نزل عشر رضعات فصرن الى خمس فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو فيما يقرأ قيل لسنا نجد في القران اية الناسخ ولا اية المنسوخ ولا يجوز ان يقال من القران شيء فلا نترك ما نجده ثابتا في القران محفوظة برواية لعلها قد غلطت فيها وروي عنها انها قالت يحرم من الرضاع ما انبت اللحم والدم وروي عنها ايضا انها قالت لا تحرم المصة والمصتان ولا الاملاجة ولا الاملاجتان فذكر ذلك لابن عمر رضي الله عنه فقال حكم الله اولى وخير وكلام نحو هذا من حكمها وعن عمرو بن دينار قال سالت ابن عمر رضي الله عنهما فذكر شيئا من الرضاع فقال لا نعلم الا ان الله تعالى حرم الاختين من الرضاع قال فقلت ان امير المؤمنين ابن الزبير يقول لا تحرم المصة والمصتان ولا الاملاجة ولا الاملاجتان لما لم يتحقق بالمصة والمصتين ان اللبن قد صار في جوف الصبي ووصل اليه فلذلك لم يحرم به واما المسئلة في الحداثة ان الرضاع في الكبر لا يحرم عندنا وما روي في خبر عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم دخل عليها وراى عندها رجلا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا قالت انه عمي من الرضاعة فقال انظري ما الرضاعة انما الرضاعة من المجاعة وما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرضاع ما فتق الامعاء انما يكون في الصغر لان امعاء الصبي يكون ضيقا لا يحتمل الطعام لضيقه واما فتقه باللبن لما وصفه عز وجل لبنا خالصا سائغا للشاربين فاذا كان غذاؤه انما يكون باللبن للمعنى الذي وصفنا كانت كفاية مجاعته به وكان هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم انما الرضاعة من المجاعة وكذلك ما روي الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم وفي الكبر لا ينبت اللحم وانشز العظم وفي الكبر لا ينبت اللحم ولا ينشز العظم وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرضعة تحرم حولا ان كان ملآن فان ثبت هذا فهو الاصل في ذلك والمعتمد عليه فان عورض بما في خبر سالم حيث قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضعي سالما خمس رضعات تحرمي عليه قيل هذا يحتمل وجهين يحتمل ان يكون ذلك لسالم خاصة دون غيره من الناس فاذا كان كذلك لا يقاس عليه غيره ويحتمل ان يكون منسوخا بما روينا من الاخبار المرفوعة والموقوفة بايجاب الحرمة بالقليل منه والكثير وقوله عز وجل وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الاية اجمع اهل العلم في الربيبة على الرجل الذي كان تزوج امها وطلقها قبل الدخول بها او ماتت وانما تحرم عليه اذا دخل بها واختلف في ام المرأة اذا لم يدخل بالابنة حتى بانت منه قال اصحابنا رحمهم الله هي حرام عليه كان دخل بالابنة او لم يدخل وقال اخرون شرط الدخول في اخر القصة راجع الى الربيبة والام جميعا فاذا لم يدخل بواحدة منهما حل له ان يتزوج بالاخرى اذا فارقها وهو القياس الظاهر في الكتاب في اثر الشرط والثنيا ان يكون الشرط فيهما جميعا لانه قال الله تعالى وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر امهات النساء وربائب النساء ثم شرط الدخول بهن فيجب ان يكون الشرط لاحقا بهما جميعا وكذلك روي عن علي رضي الله عنه قال هي بمنزلة الربيبة وعن جابر قال ينكح امها ان شاء وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه افتى في امرأة تزوجها رجل فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت قال لا باس ان يتزوج امها فلما اتى المدينة رجع فاتاهم فنهاهم عن ذلك فقيل انها ولدت اولادا فقال ولو ولدت الى هذا يذهبون اولئك وهو الظاهر من الاية واحتج بعض اصحابنا في ذلك ان الثنيا الملحق في اخر الكلام ربما يلحق الكل على ما تقدم من الكلام وربما يقع على ما يليه فلما كان غير ملحق على الكل من المذكور وقع على ما يليه فان قيل يلحق على ما تقدم من الذكر ما لا يحتمل ليس على ما لا يحتمل الا ترى ان الله تعالى قال حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله الى قوله وما اكل السبع الا ما ذكيتم ثم يلحق الكل ولا وقع على ما يليه خاصة ولكنه لحق على ما احتمل عليه فعلى ذلك في هذا لم يلحق الكل لانه لا يحتمل ووقع على الام والربيبة لانه يحتمل واحتج اصحابنا رحمهم الله ايضا ان الحرمة قد ثبتت بقوله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم الى قوله تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم فلو تحل بالشك وفي الربيبة لم يثبت الا بالشرط فلا تحرم بالشك وقيل ايضا ان الدخول لو كان شرطا في الام والربيبة جميعا لاكتفى بذكرنا والامهات والربائب فيقول امهات نسائكم من ربائبكم اللاتي دخلتم بهن ولم يحتج الى ان يذكر وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن على ما اكتفى بذكر الحرمة في الانساب والرضاع في الوصول عن الشعوب فلما لم يكتف بذلك دل ان الربائب مخصوصات بالشرط دون الامهات ومما يبين ذلك ان الربيبة لو لم تذكر لم يجز ان يبقى من الكلام وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن ولو لم يذكر الامهات فيبقى من الكلام وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن كان كلاما تاما فدل ذلك على ان قوله تعالى من نسائكم انما هو في الربائب دون الامهات واصله ما روي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها او ماتت عنده فلا باس بان يتزوج ابنتها وايما

رجل تزوج امرأة ليطلقها قبل ان يدخل بها اوماتت عنده فلا يحل له ان يتزوج امها وعن ابن عباس وعمران بن حصين في امهات
نسائكم قالا هي مبهمة وقال اكثر اهل العلم اذا تزوج الرجل امرأة ودخل بها لم يجز له ان يتزوج ابنتها وان لم تكن ربيبة وفي
بيته وحجره وهي في ذلك بمنزلتها لو كانت في حجره يربها واجمعوا جميعا ان الجمع بين المرأة وامها وابنتها في الجماع في ملك اليمين
حرام وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن ذلك فقال ما احب ذلك فان قال قائل ان الخطاب كما ذكرت يدل على ان
الشرط في الدخول بالامهات انما هو سبب الربائب فانكر ان يكون حكم الامهات حكم حلائل الابناء حكم نساء قبل لا يجوز
ان يقاس المنصوصات بعضها على بعض وانما يقاس ما لا نص فيه على المنصوص فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم يجب ان ينظر اي
حكمة اوجبت تحريم الجمع بين المحارم بين محارم الرجال ومحارم النساء وروي عن انس قال اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا يكرهون الجمع بين القرائب في النكاح وقالوا انه يورث الضغائن او كلام نحو هذا فقيل له ما انا
ابا حمزة من منهم فقال ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم وروي مرفوعا انه لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وروي
في بعضها انه يوجب القطيعة وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كره الجمع بين ابنتي عم وقال لا احرم ولكن اكره لانه يوجب
القطيعة فلم يحرم لان صلة القرابة فيما بينهما ليست بمفترضة والصلة بين المحارم مفترضة فاذا كانت مفترضة في الجمع
بينهما يحمل على القطيعة فحرم وعلى ذلك في نساء الاباء وحلائل الابناء اذا فارق من هؤلاء واحد امرأته فلعله يندم على
ذلك فيريد العود اليها فاذا تزوجها ابوه او ابنه اورث ذلك فيما بينهما الضغائن والقطيعة لذلك حرم والله اعلم وكذلك
هذا المعنى في الابنة اذا طلقها ثم تزوج بامها حملها على الضغينة فيما بينهما واما اذا تزوج الام ثم فارقها قبل ان يدخل بها
حل له ان يتزوج بابنتها لان الام تؤثر ابنتها على نفسها في المتعارف فلا يحمل ذلك على القطيعة والابنة لا تؤثر امها على
نفسها بل تؤثر نفسها على امها كذلك كان ما ذكروا اما اذا دخل بالام لم يحل له ان ينكح بالابنة لانه يذكر استمتاع هذه فيكون
جامعا بينهما في الاستمتاع لذلك حرم ثم اختلف في الجماع والدخول بها اذا كان من غير رشد قال اصحابنا رحمهم الله يحرم الحلال
ويمنع نكاح الربيبة كما يمنع الحلال وقال قوم لا يحرم ولا يمنع نكاح الربيبة واسندوا في ذلك بقول الله تعالى وربائبكم
اللاتي في حجوركم من نسائكم لان الله تعالى حرم ربائب النساء اذا دخل بالامهات والمزني بها ليس بزوجة للزاني فلا يحرم
ابنتها لكنه لا حجة لهم في ذلك وذلك ان الله تعالى عز وجل ذكر الدخول بهن ولم يذكر النكاح ولا خص الدخول في النكاح
بل ذكر الدخول وهو على كل دخول رشدا كان او سفاحا والسفاح احق في الحرمة من الحلال اذ حكمه اغلظ واشد
فعلى ذلك في ايجاب الحرمة من الحلال يجيء ان يكون اشد واغلظ وهو ولو كان ذكر الدخول ههنا في النكاح لم يكن فيه ما يمنع
وجوب الحرمة اذا كان في غير النكاح الا ترى الى قول الله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم والربيبة التي لا تكون في حجر الرجل
مثلها في الحرمة ولم يجعل قوله تعالى في حجوركم خصوصا فيها دون ما اشبهها وكذلك يجوز ان لا يجعل قوله
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن خصوصا الدخول بالزوجات دون ما اشبههن وهي الموات مما ذكرنا ان ليس في الاية
ذكر نسائنا لذلك لم يكن فيه دليل الحظر في غيره وبعد فانا قد ذكرنا فيما تقدم ان ليس في حظر شيء في حال حظره في
غير تلك الحال والحرمة من ذلك الاستمتاع انه اذا استمتع باحدهما لم يكن له الاستمتاع بالاخرى ولا يحل له ان يتزوج
بالاخرى الى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ملعون من نظر الى فرج امرأة وابنتها ومعلوم انه لا ينظر
الى فرجهما في وقت واحد وانما ينظر في وقتين فهو والله اعلم اذا نظر الى فرج احدهما ثم نظر الى فرج اخرى يذكر نظره
في فرجها في وقت نظره في فرج هذه فهو كالناظر ووطء فيهما كذلك في الزنا كهو في النكاح والله اعلم على انهم اجمعوا
ان من وطئ امة له لم يكن له ان يتزوج ابنتها فدل ان الدخول بها في النكاح وفي غير النكاح سواء وانه محرم وما اجمعوا
عليه ايضا انه اذا وطئ امرأة في النكاح الفاسد لشبهة حرمت ابنتها عليه وهو وطء حرام هذا على ان التحريم
انما يكون بالاستمتاع بها لا غير وروي ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر الى فرج امرأة لم تحل
له امها ولا ابنتها وعن عمران بن حصين في رجل زنى بام امرأته قال حرمت عليه امرأته وعن عبد الله قال لا ينظر
الله الى رجل نظر الى فرج امرأة وابنتها الى هذه الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى وقوله عز وجل وامهات
نسائكم وربائبكم الاية الاصل ان الله سبحانه وتعالى بين المحرمات في الانساب ببيان الابلاغ وفي غير الانساب ببيان
الكفاية اذ بين في الانساب الحرمة في الطرفين في اللواتي يعلون ويسفلن نحو الامهات والبنات ثم في اللواتي يتصلن بالاباء
والامهات نحو العمات والخالات ثم في اللواتي يشترك الطرفين بالاسم كالاخوات وذكر في الرضاع من الانفس
احد الطرفين وفي الشعوب ما يشترك الطرفين على الاكتفاء بذكر طرف من الانفس عن الطرف الاخر وبذكر الاشتراك
من الشعوب على الاكتفاء به من ذكر المنفردات فعلى ذلك امر الانفس في الخطاب الحرمات فلما ذكر في ذلك دل انها
والبنات جميعا على ما ذكر في الواحد فيما كان المذكور في نوع بحق الكفاية من البيان لا بحق الابلاغ دل ان ذلك
لما يزيد به التفريق في الامرين واية ذلك خبر عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقاويل
جماعة الصحابة معا كان في ذلك امكان شبهة تحققه اذ لو اقتصر على الابتداء لا ثبت الحرمة بالعقد لا يزال ذلك بالشك
على ان وجه الاعتبار والاستواء في الحرمة قبل الدخول لم يكون حرمة الابنة على الام في زوجها حرمة الام عليها
على ما عليها امر الابن من الاب في زوجته لكن فرق من حيث اساءة الرجل في الاختيار اذا اختار الام على الابنة اذ علم
ان الفضلة ان لم يكن علم وحق مثله الزجر عنه والتوبة عن مثله فحصل له معارفتها لابنتها وقد يعلم بذلك قبل الدخول
على ان الدخول مذكر له ما كان بها في حال الاستمتاع بها وقد حرم ذلك الجمع حرمة ابدية ما ينبغي ان يجعل بما يذكرو

سبيل الحظر بالقلب والله اعلم وليس امر الابن والاب هذا اذ اليهما في الابتداء الاختيار والايثار وكل
يؤثر الذي له على الذي له على الذي هو لغيره وفي النساء انما يجب بعد الخطاب وليس منهن عرض لذلك لم يعتبر حالهن
على ان الامهات في العرف يؤثرن لذات بناتهن على لذاتهن فلا يلحقهن في الفراق لاجل البنات غضاضة ويلحق
للبنات فلذلك فرق واما بعد الدخول فهو موجب لحرمة لا من حيث الايثار اذ من جهة حرام او حلال يوجب
ذلك اختلف الامران قال بشر دل تخصيص ذكر الاصلاب في حلائل الابناء على رفع حرمة الرضاع او على ان
لا يكون الابن الا من الصلب ونحن نقول لا دلالة فيه على ما ذكرنا ولو استدل به على الكون كان اقرب اذ خص ذكر
الاصلاب ولو لم يكن الابن الا من الصلب لكان القول على حلائل ابنائكم كافيا عن ذكر الاصلاب مع ما فيه وجوب
الالحاق بقوله يحرم من الرضاعة ومعلوم ان الحرمة من الولادة بما كان سببا له فكذلك يصير موضعها لما كانت
هي مرضعة وان لم يكن منه حقيقة الارضاع لما كان هو سبب لما فيه وورود اللبن وايد ذلك امر حلائل ابناء
البنات وان لم يكونوا للصلب للاتصال به بالنسب على البعد فما ذكرنا احق والله اعلم مع ما يجوز ان يقال صار الرضاع
ولادا في الحكم بالخبر فيصير للصلب بالحكم بحق قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ثم قد يعتبر فيهم الولاء
في الحجاب لما جاء ان الولاء لحمة كلحمة النسب ويصير ذو نسب ورحم بالحكم بما ذكر من الخبر فمثله الاول مع ما قد قيل
ان فائدة ذكر الصلب ان لا يتحقق حرمة حلائل ابناء التبني بالاصلاب ولذلك قال والله اعلم فلما قضى زيد
وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقوله سبحانه وتعالى حرمت عليكم امهاتكم
الى قوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين اذ يحتمل الجمع في العقد والجمع في الملك والجمع في الاستمتاع ويحتمل
الجمع في جنس الاستمتاع ويحتمل ان لا يرجع المراد الى معنى من ذلك ولكن يرجع الى الكل ثم كان الاستمتاع بهما مرة واحدة
غير ممكن فان كانت فيه حرمة فهو لمعنى هنالك يوجد في حال الجمع لان الخطاب باخذه اذ هو غير ممكن وجوده
ممكن ولا نهيا احتماله ليقصد بالخطاب نحوه ولكن من خاطب نحوه ولكن من خاطب يجوز ان يخاطب بحظ فيه تحريم
وان لم ينص عليه في الخطاب ثم الملك المطلق قد يوجد ان غير محرمين نحو عقد به مملك ملك يمين فثبت ان المقصود
لو كان ملكا او عقدا فهو مقيد نحو ملك النكاح او عقد ملك النكاح وقد اجمع على دخول هذا في حق الخطاب
اذ قد اجمع على ان من جمع بين الاختين في النكاح انه لا يصح واجمعوا انه لو تزوج بعقدين ان نكاح الثانية فاسد من
غير ان كان جمع في العقد بل في الملك لو ثبت العقد في الثانية واذا ثبت الحرمة بهذا العقد والملك لم يكن لعقد ملك
اليمين ولا بملكه ولا للعقد اذ كل ذلك على الانفراد لا يعمل هذا العمل فيجب ان يكون المعنى من ذلك الاستمتاع والجمع في
الفعل به غير ممكن فثبت انه لمعنى قد وصف الجمع بالاستمتاع وذلك على وجوه احدها عقد الاستمتاع وهو عقد النكاح
اذ عقد ملك اليمين قد يوجد ولا يوجب حق الاستمتاع وملك النكاح اذ هو لا يخلو من ان يوجب ذلك الحق ثم كان
نفس الاستمتاع بحقه احق من الاسباب المرجية له والعدة مما يوجب الاستمتاع بنفسه فهي احق ان يكون شرطا
للمنع بل هو اولى اذ قد يمنع الاستمتاع بملك اليمين ولا يمنع الحل ولا الملك ولا السبب فاذا وجب المنع في النكاح لما
هو سبب له فهو لان يجب بحقيقة احق وان شئت قلت انه لم يتفرد الخلق لنوع من السبب دون ان يشاركهم غيره من
الاسباب لزم ان يكون حقيقة المسبب محجورا لا يطلق ما قد يثبت الحرمة الا بيقين والله اعلم وايضا ان عقد النكاح
قد حرم عليه وعليها لكن الذي حرم عليه في محارمها وعليها في الكل ثم معلوم ان ملك الزوج فيها ما به يحل لغيره من
الفراق لحضرة فعله فلما دخل بحق ذلك بما احدثه فيها الاستمتاع بها حقا بعد الفراق ابقاها على ما سبق من الوصل بلا
فراق فعلى ذلك ما فيه من الحق ان ذلك واجب بما فيه الشرك على انها في بقية ملك له بنكاح عملت فيها بقية ملكه عمل صلة ملكه
لمثله فيه وقد الحق بعض من انكر حرمة الجمع في العدة بالواطئ حرمة ما ترك منها من اللبن على احتمال دروره دون دون
الولد بما هو كان سببه في ذلك كانت حرمة العدة احق بذلك والاصل ان الحرمة قد ثبتت بالنكاح فلما وقعت الفرقة اشكل
زوالها فلا يزال بالشك معا في الازالة تعليق الحرمة او بالملك خاصة وقد بينا وجوبها لتلك الوجوه ثم الاصل
في النكاح ان المقصود منه الاستمتاع وبحله يحل هو وبحرمته يحرم فيجب ان يكون هو الاصل للتحريم والتحليل وعلى
هذا يحرم كثيرا من الاماء في حق الاستمتاع بهن وان لم يحرم فيهن الملك ويحرم بالاستمتاع في ذلك وان كان الملك
لا يوجب الحرمة فاذا ثبت ان الاستمتاع احق في التحريم والعدة حق الاستمتاع او جبها فيجب ان يكون هي محرمة
لذلك لم يجز نكاح الاخت فيها مع ما كانت موجبة الحرمة فيها اكثر مما يوجب في ملك اليمين ثم كان الاستمتاع بملك
اليمين يحرم الاستمتاع بالاخت فالعدة التي هي محمولة لتاكيد الحرمات وقطع المجهول الحل خاصة احق اذ يمنع والله
اعلم وعلى ما بينا اذا ثبت ان الاستمتاع هو الاصل في التحريم سواء وقع من وجه يحل او لا فبهن الحرمة بحرمة الانفس
لا بحرمة الجمع اذ لا انه يقع له جمع ثم الاصل في ذلك ان تعلق الحرمات بالمحرم من الاعيان اظهر منه بالحالة منها
ثم كان الاستمتاع بالاعيان المحللة توجب حرمة الامهات والبنات فهو في المحرم احق مما لا يخلو ان يكون
الحرمة لا تجب الا فيما يحل فيجب ان لا يجب في النكاح الفاسد ولا في وطء جارية بعد وطء الابن او الملك فيهما
ايضا زايل او النسب فيجب ان لا يجب الحرمة فيما لا يكون منه نسب او في وقت لا يتمكن او بايجاب الحقوق فيجب ان
لا يجب في مماسة الامة دون الفرج او للاستمتاع خاصة فيجب استواء حال السفاح والنكاح وقوله عز وجل اللاتي
دخلتم بهن قال بعضهم هو كناية عن الجماع لكنه عندنا الدخول بها هو اخذه يدها في دخالها في موضع الخلوة والجماع لانه

كما يقال فلان دخل بفلان موضع كذا الا يراد به غير التخول به المعروف وهو اخذ اليد والتخول فيه لذلك قلنا بانه اذا
ادخلها في موضع وخلا بها اوجب كمال المهر بظاهر الاية ووجب الحرمة والله اعلم وقوله عز وجل اللاتي دخلتم بهن كنى به
عن الجماع من حيث لا يكون الجماع الا بالتخول بها مكانا يسترها والا فحقيقة الدخول باخر ليس بجماع ولا يصلح مطلقا
دون ذكر المكان الا في المرأة بما يعلم انها لماذا يدخل وفيم يدخل فجائز ان يكون في الحرمة على حق الكناية والمراد منه
الجماع وجائز على حقيقة الدخول بها مكانا لذلك اذ هو الظاهر وهذا الثاني يكون باخذ يدها او شيء منها ليكون هو
الداخل بها لا هي ووجوده لا يكون الا للشهوة فيكون هو المذكور والحرمة فاذا لم يظهر حقيقة المراد يجب الاحتياط
في ايجاب الحرمة من كل وجه وتحقيق هذا اذ هو اظهر له وله ادلة ثلاثة احدها ما روي ملعون من نظر الى فرج
امرأة وابنتها انه اوجب اللعن بالنظر فلولا ان نظر الاول قد حرم الثاني لم يلحقه به اللعن ثم النظر دون اللمس في العادة
والاحكام فالمراد هو في ايجاب الحرمة والثاني ما بينا ان علة الحرمة الاستمتاع ومعلوم ان معناه في القبلة والمباشرة اعلى
في السبب الذي به يقضي به الاستمتاع وهو النكاح وقد اوجب له فالقبلة احق ان يوجب لها وذلك كما اوجب بسبب
الحدث وهو النوم حكمه ثم لا يجب الا في حال دون حال وقد يجب لنفس الحدث على كل حال فمثله سبب الاستمتاع
من حقيقته والله اعلم والثالث ان كل انواع الاستمتاع في الحرمة والحل متصل بالجماع والخاصة في حقوق الاملاك فعلى
ذلك في فسخ الاملاك وتحريمها على انه يبعد ان يكون المرء يستمتع بالمرأة عاما ثم يستمتع بها ولدها وكذلك بابنتها دون
الفرج او ان يكون من لا يقدر على الايلاج لعنة اوجب به تمتع عنه الحرمة ابدا فيشتري اما ويستمتع بهما ابدا وذلك
بعيد فيجب الحرمة من الوجه الذي ذكرت وقوله عز وجل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم يحتمل ان ذكر الصلب وجوها
يحتمل ان يكون ذكر الصلب ليعلم ان الحرمة في حليلة الولد كهو في ولد الصلب وكذلك الحرمة في حليلة ابن الرضاع واذ لم
نحرانه ولم يذكر غيرها ثم دخل ما دون ذلك في الحرمة فعلى ذلك هذا وقال بشر دل تخصيص الاصلاب على فسخ حرمة
حليلة الابن من الرضاعة اذ لا يكون من الرضاع ابن قلنا لو لم تكن من الرضاع ابن لم يكن لذكر الصلب للابن معنى ولا فائدة
دل انه يكون من الرضاع ابن على ما يكون من النسب وان الحرمة من الرضاع كهي في النسب وان كانوا في الحقوق مختلف
نحو التعاق يعتق بعض على بعض يوجب لبعض في مول بعض النفقة وحرق مثله لا يوجب في محارم الرضاع وذلك
والله اعلم ان الرضاع انتفاع والنسب حدوث نفس بعضهم من بعض فاذا كان كذلك لم يوجب الرضاع الا حرمة
الانتفاع خاصة وهو الاستمتاع واما النسب فهو كون الولد منه وحدوث نفسه منه فاوجب مع ذلك حقوقا
ولان في اقرار بعضهم في يد بعض بالنكاح وعبيدا قهرا وغلبة لم يوجب ذلك فما لم يحصل لبعضهم قهر بعض لذلك
كان الجواب ما ذكر وقيل انه ذكر ابناء الاصلاب وذلك ان النبي عليه الصلاة والسلام تزوج امرأة زيد بن حارثة
بعد ما طلقها وقد كان تبناه فعابه المنافقون على ذلك وقالوا تزوج رسول الله امرأة ابنه فانزل الله تعالى وحلائل
ابنائكم من اصلابكم وقوله عز وجل وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف يحتمل قوله سبحانه تعالى وان تجمعوا بين الاختين
وجوها يحتمل الجمع بينهما في العقد وقد اجمعوا انه اذا لم يجمع بينهما بالعقد ولكنه تزوج احديهما ثم تزوج اخرى لم يحل
له نكاح الاخرى دل انه لم يرد به الجمع في العقد ويحتمل الجمع في الملك وقد اجمعوا ايضا ان له الجمع بينهما في ملك اليمين فدل
انه انما اراد الجمع بينهما في الاستمتاع واذا استمتع احدهما بنكاح ثم فارقهما لم يحل له ان يتزوج اختها والا ولي في عدة
منه من طلاق بائن لان الاستمتاع هو الذي حبسها عن الازواج فكان كالجمع بينهما في الاستمتاع ولان المعنى الذي
به حرم الجمع في ملك النكاح ذلك اذا كانت في عدة منه موجود وهو خوف القطيعة فيما بينهما والله اعلم ولان
اكثر احكام الزوجات قايم بينهما نحو الاسكان والانفاق عليها والحاق الولد وغير ذلك من الحقوق وعن علي رضي
الله عنه انه سئل عن رجل طلق امرأته فلم تنقض عدتها حتى تزوج اختها ففرق علي ما بينهما وجعل الصداقات عما استحل
من فرجها وقال تكمل الاخرى عدتها وهو خاطب وعن زيد بن ثابت انه سئل عن رجل تحته اربع نسوة فطلق احدا
من ثلاثا انه يتزوج رابعة فقال لا حتى ينقضي عدة التي طلق وعن عايشة رضي الله عنها مثله واختلف في الجمع بين
الاختين من ملك اليمين عن عمر رضي الله عنه انه سئل عن المرأة واختها من ملك اليمين هل يوطأ بعد الاخرى قال
ما احب ان اجيزهما جميعا ونهى عنه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه حنث في الاختين من ملك اليمين فقال يحرم الحد
ملك اليمين وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال يحرم من جميع الحرائر الا العدد وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه
سئل عن رجل له امتان اختان وقع على احداهما ايقع على الاخرى قال لا ما دامت في ملكه واجمعوا ايضا على انه ان تزوج
بامرأة فاشترى اختها لم يحل له ان يطأها الى هذا ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى ثم اطلق امرأته وانقضت عدتها
او ماتت حل له ان يتزوج اختها ولم يحل له ان يتزوج بامها وذلك والله اعلم بان الحرمة في الاخت في نفسها وليس
في ولدها والحرمة في الام والابنة في انفسهما وفي ولدهما فاذا كانت الحرمة في الاخت من وجه وفي الام من وجهين
ففيما كانت الحرمة من وجه كانت الحرمة تأبيد وفيما كانت من وجهين حرمة جمع وحرمة تأدت الى اولادها وفي الاخت
لم يتأد لذلك اختلفا وقوله عز وجل الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما يحتمل الا ما قد سلف قبل التحريم في الجاهلية
فانهم اذا انتهوا عن ذلك في الاسلام يغفر الله لهم ويحتمل قوله الا ما قد سلف انه كان فاحشة يحتمل كان في ذلك الوقت
فاحشة ويحتمل كان فاحشة اي صار فاحشة في الاسلام وقوله عز وجل والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم اختلف
في تأويله قال ابن مسعود رضي الله عنه والمحصنات الا ما ملكت ايمانكم قال وذات الازواج من المسلمين والمشركين وقال

علي رضي الله عنه ذات الازواج من المشركين ذهب عبد الله في تأويل الاية الى ان بيع الامة طلاقها يحل للمشتري و
طئها واسر الكتابية والمشركة يحلها لمولاها وان كان لها زوج في دار الحرب وذهب علي رضي الله عنه الى ان الاية نزلت
في المشركات وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كل ذات زوج اتيانها زنا الا سبيت وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه قال وقفت في سهمي يوم اوطاس جارية فبينا انا اسوقها اذ رفعت رأسها الى الحل فقالت ذلك وحي فانزل الله سبحانه
وتعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم الاية قال ابو سعيد رضي الله عنه فاستحللنا فروجهن بها بين ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه في حديثه ان الاية نزلت في المشركات ذات الازواج وكان حديثه يقوي قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ومن وافقه وقيل ايضا في تأويل الاية والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم قال والمحصنات من النساء حرام على
الرجال الا ما ملكت يمينك قال ملك يمينه امرأته وعن ابي قلابة قال ما سبيتم من النساء اذا سبيت المرأة ولها زوج قومها
فلا بأس ان يطأها وعن ابن عباس رضي الله عنه والمحصنات من النساء قال لا يحل له ان يتزوج فوق اربع نسوة و
ما زاد عليهن وهو عليه حرام كامه وابنته واخته الا ما ملكت ايمانكم الاماء فانه على اربع واكثر من اربع وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه الا ما ملكت ايمانكم من نساءكم يصيبهن باجورهن ولا بها جراز واجهن فمتعا هن في هذه
الاية ثم انزل الله تعالى عز وجل في الممتحنة ولا جناح ان تنكحوهن اذا اتيتموهن فاحللن لنا بعد ان تزوجهن وفيه نهي
عن الزنا واباح التزويج فجعلوا ملك اليمين التزويج واصح التأويلين واولاها بالقبول ما روي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وظاهر القران يدل على ان ذلك
هو الحق لان الله تعالى قد فصل في غير الموضع بين التزويج وملك اليمين فجعل ملك اليمين الاماء الا ترى الى قوله الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم قال لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج فهذان الايتان يدلان على ان قول الله
سبحانه وتعالى في اية المحصنات الا ما ملكت ايمانكم على غير الازواج كما روي عن الجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين الذين ذكرنا ثم ثم الكلام بين علي وابن مسعود رضي الله عنهما ونحن نعلم ان ابن مسعود رضي الله عنه اوجب
على الامة اذا باعها مولاها ولها زوج العدة اذا كان قد دخل بها وانها عنده لا تحل لمولاها حتى تنقضي عدتها
فلم يجعلها حلالا للمولى الثاني علمكم اباها فكان قول علي رضي الله عنه اشبه بظاهر الاية لانه تأول الاية على متزوجة
تحل بالملك لمولاها في حال الملك من قول عبد الله اذ جعلها محرمة وان كانت مملوكة حتى تنقضي عدتها وفي ذلك وجه
اخر وهو ان الله تعالى والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم وعند الله يحرمها على البائع ويحلها للمشتري ولم يخص
الله تعالى احدا من المالكين وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه حمل الاية على امرأة كافرة متزوجة سبيت فاحلها الله
تعالى لمالكها فلم تعزل من حال المملوكة هذا مع موافقة الحديث الذي رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وظاهر
الاية يدل على ان المأسورة ذات الزوج لا عدة عليها وهو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
الى قوله ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن فامر ان لا يردهن وينكحن فلما جاز ان تتزوج الحربية
اذا خرجت مسلمة ولا عدة عليها حلت اذا سبيت فملكت قبل ان تعتد والثاني انها كانت حرة فابطل السبي حكم الحرية
والزوجية فكذلك يبطل حكم العدة هذا كله اذا سبيت ولم يكن معها زوجها فاما سبيت وزوجها معها فان
الفرقة لا تقع بينهما لانها لو بانت من زوجها بانت للرق والرق لا يمنع ابتداء النكاح كيف يعمل في فسخ نكاح ثابت
ولكن اختلاف الدارين هو الموقع فيما بينهما الفرقة لفوت الاجتماع بين الزوجين والاياس عن الانتفاع وقعت
الفرقة فيما بينهما وهذا يبطل قول من يقول انه تقع الفرقة فيما بينهما للرق والثالث ان العدة حق من حقوق الزوج
يبين ذلك قول الله سبحانه وتعالى فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فلا يجوز ان يبقى للحربي على المسلمة الخارجة الى دار الاسلام
حق فاذا لم يكن عليها العدة لها ان تتزوج وسبيل الامة المسبية سبيل الحرة المسلمة لان حكم الاسلام قد جرى عليها فحلت
للمولى وان كان لها في دار الحرب زوج ومن الدليل ايضا على ان المسبية ذات الزوج تحل تزويجها ووطئها لمولاها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج صفية ابنة حيي بن اخطب في رجوعه من خيبر قبل ان يصل الى المدينة
ومعلوم كان لها زوج كبير وان عدتها منه لو كانت واجبة لم تنقض في تلك المدة فهذا يبين ان لا عدة على مسبية
من زوجها المقيم في دار الحرب ولا على مسلمة اذا خرجت من دار الحرب واقام زوجها هنالك وقوله تعالى
والمحصنات من النساء الاية قيل فيه باوجه ثلاثة احدها في المسبية ذات الازواج وكذلك روي عن علي وابو سعيد الخدري
رضي الله عنهما فيكون فيه امران احدهما الحرمة على الازواج والثاني ارتفاع العدة اذ هما حقان الحربي وحقه في نفسه لا يمنع
الاسترقاق ولو كانت حرمة الاستمتاع فمثله في وجه لكن يدخل على هذا سبي الزوج معها ان الرق قد ثبت فيهما ولم يبطل النكاح
فيجاب لهذا بوجهين احدهما الاستحسان من حيث يلزم المولى حق الانكاح بقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين الاية فلم
يبطل عليه التجديد وليس هذا في سبي الزوجة اذ لا تعفف لها به وهو في دار الحرب والثاني ان يكون الزوج وحق الرق
انما يجب اذا خرج المؤمن بيد نفسه والمملوك قد يكون له يد في النكاح فكانها لم تخرج من يده اذا سبي معها واذا لم يسبيا لا
يكون لمن في دار الحرب يد في دار الاسلام وفي حق الاية عبارة اخرى انها اذا سبت دونه انقطعت دونه عنها
عصمة الزوج وقد جعل الله تعالى انقطاع عصمة بسبب حل غيره لقوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات الى قوله ولا جناح عليكم
ان تنكحوهن وقد جعل ذلك في الزوج سببا لقطع عصمته بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وعصمة الزوجين عصمة
مشتركة ايهما خرج مسلما خرج لئلا يعود وكذلك المختلف يختلف لئلا يخرج فبطلت العصمة بينهما واحل الناكح ولو تخرجا

معالا فمثله امر النبي وتاويل آخر ان قوله والمحصنات من النساء الاية على ان لا يحل وراء الاربع الا ملك يمين وعلى هذا في غير ذات
الازواج وقد روي مثله عن ابن عباس رضي الله عنه ويكون في ذلك بيان ما كانت حرمته من حيث العدد يختص في النكاح
فان كان النكاح وملك اليمين فيما كانت الحرمة من حيث المنكوحة يستوي من حيث كانت حرمة العدد بحيث العقد بما فيه من
الحقوق التي لا تقوم لها الا بشر قد عصم وقد ملك اليمين لا يجب فيه ذلك وما كانت الحرمة بحيث نفس المراة يستوي لاستواء
الملكين في حق الحل والحرمة ووجه آخر قيل المحصنات من الحرائر وما ملكت ايمانكم بالنكاح فذهب من يقول بهذا الى ما لو لم يذكر
ايمان ولكن قال المحصنات من النساء الا ما ملكتم فيكون التحريم في غير النكاح لكنه بعيد على المعهود من الكلام انه لا يتكلم
به الا في ملك اليمين خاصة ويجوز جعل الامرين من الاماء على خطر وطئ الزانيات على الموالي واختيار المتعففات منهن
لمكان الاولاد وقوله تعالى كتاب الله عليكم قيل كتب الله عليكم ما ذكر تحريمه في هؤلاء الاناث وقال الكسائي نصب لكتاب
الله على قوله حرم كذا كتاب الله عليكم كتاب الله دونكم كتاب الله اتبعوا كتاب الله في نحو هذا المعنى وقيل كتاب الله هو
عليكم تقول هذا الحرام الله عليكم في الكتاب وقيل هذا التحريم من النكاح قضاء الله عليكم في الكتاب وقوله تعالى واحل لكم ما
وراء ذلكم اختلف فيه قيل ما وراء ذلكم اي ما سوى ذلكم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه دليله قوله ويكفرون
بما وراءه اي سواه وقيل ما وراء ذلكم اي ما قبله وامامه وهو كقوله وكان وراءهم ملك وهو كان امامهم وقيل وراء
ذلك اي بعد ذلك وخلفه وهو ظاهر ومن قال سوى ذلك يقول احل لكم ما سوى ذلكم الذي حرم عليكم ما لم يسم لكم ومن قال
اوراء ذلكم امام ذلك وقبله وهو ما ذكر قبل هذه المحرمات قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ومن
قال ما وراء بعد اي ما بعد الاربعة الاصناف الحرمة المحرمات بالنسب والمحرمات بالرضاع والمحرمات بالصهر والمحرمات
بالجمع يقول احل لكم ما بعد هؤلاء الاربعة الاصناف وقيل في قوله والمحصنات من النساء هن المتعففات من الاماء الا ما ملكت
ايمانكم من الاماء المسافحات الزانيات كانه قال فاستمتعوا بالمتعففات منهن ولا تستمتعوا بالزانيات لانه يلبس عليكم النسب
وهو كقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم بين الله تعالى ان
النكاح لا يكون الا ببدل يكون مالا لانه قال باموالكم وفي الاية دلالة ايضا على ان ما لا يملك ولا يقع عليه اسم المال لا يكون
مهرا لانه قال ان تبتغوا باموالكم ولا يسمى الدانق والحبة مالا ولو كانت الحبة مالا او كان التمرة مالا فثبت بما وصفنا من
دلالة الاية ان المهور لا يكون الا من الاملاك فان قيل روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل قد زوجتكها بما معك
من القران قيل تاويله عندنا والله اعلم معك بسبب ما معك من القران ولا يجوز ان يكون السورة مهرا بدليل الكتاب
لانها ليست بمال وكذلك كل شيء ليس بمال ولا يكون له قيمة فانه يجوز ان يكون مهرا وكذلك قوله سبحانه وتعالى فنصف
ما فرضتم يدل على ان السورة وما لا يتمول لا يكون مهرا وروي عن انس ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تزوج على وزن
نواة من الذهب يكون دينارا فان قيل قد بين في الخبر قيمتها ثلاثة دراهم وثلث لكن لا ندري من كان المقوم للنواة ولا يجوز
ان يجعل تقويم ذلك المقوم وتفسيره حجة على علمائنا حتى نعلم ذلك معما قال قوم ان النواة عشرة دراهم وهو ما قال ابرهيم
فان قيل روي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطى في نكاح ملء كفه طعاما او دقيقا
او سويقا فقد استحل وكذلك يقول اصحابنا رحمهم الله ولكن يتم لها عشرة دراهم ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم
ولا شيء عليه سوى ذلك معما يقول المخالف لنا اذا كان المهر مما لا يتمول لم يكن مهرا وملء الكف من الطعام لا يتمول
وان جعل ذلك مهرا فقد ترك اصله ان ما لا يتمول فليس بمهر فكذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال زوجتكها
بما معك من القران ولم يذكر ان ليس عليه سوى ذلك واهل العلم مجمعون على ان السورة لا تكون مهرا ومن الحجة لعلمائنا
ما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهر دون عشرة وروي عن علي رضي الله عنه
قال لا يكون المهر اقل من عشرة دراهم وعن ابن عمر رضي الله عنه مثله على ان اهل العلم اجمعوا ان النكاح لا يكون الا ببدل
وانه خالف سائر الاملاك التي توهب ويتصدق بها بغير بدل وكل يجعل لذلك حدا وان اختلفوا في ذلك المقدار والحد وكل
يقول ايضا ان التافه لا يكون مهرا فذهب اصحابنا ان الفروج لا تملك الا ببدل لم يجعل البدل الا ما اجمعوا عليه
وهو عشرة دراهم اذ كان النكاح مخصوصا ان لا يملك الا ببدل دون غيره من الاملاك وقوله عز وجل محصنين
غير مسافحين قيل متناكحين غير زانين بكل زانية وقيل محصنين اي عفايف الفروج وغير مسافحين في العلانية بالزنا
وكانه امر عز وجل ابتغاء النكاح بالاموال ونهى عن الاستمتاع بغير مال وقيل السافح الذي يزني بكل امراة يجدها و
المسافحة كذلك تزني بكل احد والمتخذات اخدان من اللاتي لا يزنين الا باخدانهن والسفاح من الفعل ظهر وعلى مثله
في المتعة وقوله فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن ذهب قوم الى جواز المتعة بهذه الاية يقولون ذكر الاستمتاع
بهن ولم يذكر النكاح وذكر الاجر بعد الاستمتاع والمهر انما يجب في النكاح بالعقد يؤخذ الزوج اولا بالمهر ثم يستمتع
بها فهو بالمتعة والاجارة اشبه كقوله تعالى فان ارضعن لكم فاتوهن امر بايتاء الاجرة اذا ارضعن ذلك لما ذكرنا الاستمتاع
بهن وامر بايتاء الاجر لا المهر دل انها نزلت في المتعة واما عندنا فانها نزلت في النكاح دليله ما تقدم من الذكر وهو قوله
واحل لكم ما وراء ذلكم نكاحا وقوله محصنين متناكحين غير مسافحين غير زانين وقوله تعالى ان تبتغوا باموالكم كل ذلك
يدل انه في النكاح فكذلك قوله فما استمتعتم به منهن في النكاح فاتوهن اجورهن وقد سمى الله المهر اجرا فقوله انا احللنا
لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وقال فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن واما قولهم ذكر ايتاء الاجر بعد
الاستمتاع والمهر يجب بالنكاح فهو على التقديم والتاخير كانه قال فاتوهن اجورهن اذا استمتعتم بهن كقوله تعالى

اذا طلقتم

اذا طلقتم النساء فطلقوهن اي طلقوهن اذا طلقتم لعدتهن ونحو ذلك كثير وقال ابو بكر الاصم دلت قوله فما استمتعتم به
منهن فاتوهن مهورهن كذا وان لم يدخلوا بهن فالنصف بالاية الاخرى فهذه الاية ذكر الاجور والاستمتاع
وهو بالنكاح اشبه واولى من المتعة لما ذكرنا من تحريم الاجنبيات من المحرمات في اولها وباحتياط في اخرها ما وراء ذلك
اوبين ايضا ان الاستمتاع هل النكاح وان الاجر هو المهر لما ذكرنا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال رحم الله عمر
ما كانت المتعة الا رحمة رحم الله بها امة محمد فلولا نهاه عنها ابا ها ما زنى الا شقي وكان يراها حراما حلالا قال وكان
يقوله في حرف ابي الى اجل مسمى وروي عنه انه قال ان الناس هذا قد اكثروا في المتعة فقال انها لا تحل الا لمن اضطر اليها
كالميتة والدم ولحم الخنزير فدل قوله انها بمنزلة الميتة على انه رجع عن قوله الاول فان كانت المتعة في حال غير الضرورة
حرام وانما احل الله المحرم في الضرورة اذا خاف الرجل على تلف نفسه وليس في ترك الوطء خوف تلف نفسه روي
عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن قال نسخها يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الاية
هذا يدل على انه رجع عن قوله الاول ومن الدليل على تحريمها قول الله سبحانه وتعالى والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فحرم الله تعالى من الجماع ما عدا النكاح وملك اليمين والمتعة ليست بملك نكاح ولا ملك
يمين فهي داخلة في التحريم ومن الدليل على تحريمها ما روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية وعن سبرة الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه نهى عن متعة النساء يوم فتح مكة وعن ابن عمر رضي الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن متعة
النساء وعن كل لحوم الحمر الاهلية وفي خبر اخر انه كان قائما بين الركن والمقام وهو يقول اني كنت اذنت لكم في المتعة
فمن كان عنده شيء فليفارقه ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيئا فان الله عز وجل قد حرمها الى يوم القيامة وعن ابن عمر
رضي الله عنه قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول في المتعة لو تقدمت فيها لرجمت وعن عبد الله قال المتعة النساء
منسوخة نسخها الطلاق والعدة والمواريث والحقوق التي تجب في النكاح وعن عائشة رضي الله عنها انها اذا ذكر لها
المتعة قالت والله ما نجد في كتاب الله النكاح والاستسرار ثم تتلو هذه الاية والذين هم لفروجهم حافظون الاية
وعن عمر رضي الله عنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا انهى عنهما واعاقب عليهما فانكر قوم
على عمر رضي الله عنه اقراره انهما فعلا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ونهاه عنهما لكن الجواب في ذلك كله انه علم نهي
النبي صلى الله عليه وسلم من متعة النساء وما نزل فيها من نص القران فكان وعيده لاحقا بمن فعلها العلم بانها منسوخة وقوله
عز وجل فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن يحتمل الاجارة ويحتمل التسريح بالنكاح انه اذا كان بعد الاستمتاع يؤتين
كل المهر لانه ذكر المهر في النكاح والنصف بعد الطلاق في هذا او ابدها التاويل ما كان عليه ذكر المحرمات والاحلال
انه كله بالنكاح وكذلك على ذلك قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان كله في النكاح لا في الاجارة وصف انه يبغي و
نهوا عن ذلك وبقوله والذين هم لفروجهم حافظون ذكر ان مبتغي وراء ذلك باغيا بهذا الوعيد بحكم الكتاب فما ذكرنا
له ناسخ ولو عرف بالاخبار فكانت اخبار الاباحة رويت مقرونا بها النهي فمن رام الاخذ بطرف منها على الاعتبار
عن الطرف الثاني اعطى خصمه الاعتراض عليه بالطرف الثاني والمنع مما قال به ثم امتناع الامة عن العمل على ظهور
الحاجة ونفور الطباع عن قبول مثله من احد في المتقدمين فاصبر على الحق ثم دل ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه
انه قال نسخه الطلاق والعدة ان الاول كان نكاحا يمضي بمضي المدة ابطله ارتفاع احكام النكاح عنه وقوله
عز وجل ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة في الاية دلالة ان الزيادة في المهر جائزة الفريضة هي
التسمية فان قيل قوله فيما تراضيتم معناه قوله الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح هو ان تبذل المراة
من مهرها شيئا الزوج او الزوج لها قيل لو كان ذلك كذلك برضاها يعني رضاء زوجها وقال تراضيتم به فجعل للزوج
في الرضا نصيبا ومعناه والله اعلم ان الزوج اذا زاد على المهر فذلك جائز فهذا التراضي انما يكون منهما جميعا في
الحالين وذلك اصل الزيادة في المهر والثمن في البيع واشباه ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب
ام سلمة ويقول ان كان ايمانك ان ازيدك في الصداق زدتك وان ازيدك ازيد النسوة وروي عن علي رضي
الله عنه قال زدها فهو اعظم للبركة وروي عن عثمان وعمار كذلك وقد دل الكتاب والسنة وقول الصحابة على
جواز ذلك فهو الحق على ذلك جمهور المسلمين في بياعاتهم وتجاراتهم ومن الدليل ايضا على جواز الزيادة في الثمن
والمهر وانها تصير كانها كانت مسماة في عقد البيع ان رجلا لو اشترى من رجل عبدا بيعا باتا ثم ان احدهما جعل
لصاحبه الخيار يوما فنقض البيع ان نقضه جائز ويصير ذلك كالخيار المشروط في اصل البيع وكذلك رجل اشترى
عبدا بالف درهم حالة ثم ان البائع اجل المشتري في الثمن شهرا كان الاجل جائزا ويصير كانهما سميا الاجل في عقد البيع
فوجب ان يكون الزيادة بعد البيع في الثمن كانها كانت في عقد البيع وقوله عز وجل ان الله كان عليما حكيما فيما حرم
واحل حكيما حيث وضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت
ايمانكم وقال عز وجل ذلك لمن خشي العنت منكم فقال بعض اهل العلم لا يجوز تزوج الامة حتى يعجز عن نكاح الحرة ويخشى
مع ذلك العنت فاذا اجتمع الامران يجوز ان يتزوج الامة ولا يجوز ان يكون تاويل الاية في هذا وذلك ان الاماء
اعز وجودا اليوم من الحرائر ويجد الرجل حرة يتزوجها بادنى شيء ما لم يجد بمثله الامة لان يقال الاماء في ذلك
الزمان اوجد وان الحرائر اعز وان مؤنة الاماء ومهورهن اقل فخرج الخطاب على ذلك او انه لما نزل قوله سبحانه وتعالى

وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم رغب السادات في تزويج الاماء وشي يسير فعند ذلك نزل قوله
تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الاية والاولى الامر الظاهر ما ذكرنا انهن اعز وجودا من الحرائر واكثر مؤنة وان الحرائر اهون وجودا
ومؤنتهن اقل او ان تكون الاية في الانفاق عليهن ليس في ابتداء النكاح وهو ان الرجل اذا تزوج حرة لزمه ان ينفق عليها
شيئا او ابى فاذا عجز عن الانفاق عليها يطلقها ويتزوج بامة اذ نفقة الامة على سيدها ونفقة الحرة عليه فامر ان يطلق
الحرة التي نفقتها عليه ويتزوج امة تكون نفقتها على سيدها هذا اشبه والله اعلم بما قاله ولذلك او ان يقال اذا اراد
بالنكاح الوطء لا العقد والتزويج على ما قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه والنكاح اسم للوطء والتزويج جميعا قال الله
تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وتاويله الوطء فكذلك الاول ومعنى قول علي رضي الله عنه حيث حمل الاية على
الوطء لانه لا يتزوج الامة على الحرة كانه منعه من ذلك لانه قادر على وطء الحرة ويتزوج الحرة على الامة يقول يتزوج
الامة ولم يكن قادرا على وطء الحرة فجاز نكاحه وان كانت الاية في ابتداء النكاح والتزويج على ما قالوا فليس فيها
حظر نكاح الاماء وبطلانه في حال الطول والقدرة لانه اباح نكاحهن في حال عدم الطول والقدرة ومن اصلنا انه ليس
في اباحة الشيء وحله في حاله دلالة حظره ومنعه في حال اخرى ولذلك قوله ازواجك اللاتي اتيت اجورهن ليس فيه انه
لا يحل له اذا لم يؤت اجورهن وقوله تعالى فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ليس فيه حظر الاربع وان خاف
ان لا تعدل فهذا يدل على ان حظر الشيء ومنعه لا يوجب الحظر في حال اخرى واباحة الشيء في حال وحله لا يوجب
منعه وحرمته في حال اخرى على ان المخالفة لما لم يجعل الايمان المذكور في الاية شرطا لقوله تعالى ان ينكح المحصنات
المومنات فاذا لم يصر الايمان شرطا في حال نكاح الاماء كيف صار الطول والقدرة شرطا فيه اذ من قوله انه ليس
له ان ينكح الامة اذا كان له طول نكاح المحصنة الكتابية لانه يقول لان الله تعالى شرط فيهن الايمان بقوله من
فتياتكم المومنات فاذا لم يصر الايمان شرطا في المحصنات كيف كان شرطا في الاماء وذلك كله عندنا ليس بشرط
فان قال قائل ان قول الله تعالى فمن لم يستطع فاطعام كذا ليس صار ذلك شرطا حتى لا يجوز غيره اذا كان له طول العتق
وقدرة الصوم ما ينكر ان يكون الاول بمثله قيل صار ذلك شرطا فيه لانه فرض لزمه بتفريطه لم يكن له الخروج و
التعدي الى غيره واما النكاح فليس هو بفرض لزمه بوجود الطول والقدرة والعتاق وما ذكر فرض لزمه بوجود
الطول والقدرة عليه ويجوز الطعام لكن لم يسقط الفرض الذي لزمه عنه لذلك صار شرطا فيه والاول لم يصر
فان قال ما معنى الاية اذا قيل معنى الاية على الاختيار والادب او على الانفاق الذي ذكرنا وان لا يختار نكاح الامة
على نكاح الحرة اذا كان له طول الحرة على ما جاء عن عمر رضي الله عنه قال ايما حر تزوج فقد ارق نصفه وايما عبد
تزوج فقد اعتق نصفه لا يختار نكاح الامة وله الى طول الحرة سبيل ويجوز ان يكون قوله ذلك لمن خشي العنت
منكم ان لا يحمل على الزنا ولكن يحمل على مخالطتهن الناس واسترقاق الاولاد فاذا امنه السيد عن استرقاق الولد وعن
ترك الاختلاط بالناس فعند ذلك يتزوجها اذ قلوب الناس لا يحتمل اختلاطهن واجتماعهن بالناس واسترقاق الاولاد
فحمل العنت على هذا اشبه من الزنا ومن الدليل ايضا على ان لا يعتبر الطول على التزوج على ما قالوا اذا تزوج امة ثم
قدر على تزوج الحرة لم يفسد نكاح الامة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه فعلى ذلك طوله في الابتداء الحرة لا يمنع
جواز نكاح الامة والله اعلم على ان عدم الطول في الاصل لا يمنع نكاح الحرة اذ شيء يلزم الذمة وعدم النفقة
يمنع الامساك عنده فدل ان الاية لعدم نفقة الحرة اشبه واقرب من عدم طول مهر الحرة في الابتداء على ما ذكرنا
والاصل ان كان امر يجوز بشرط الاضطرار فان ارتفاع الضرورة يمنع البقاء فاذا لم يمنع بان انه لا على الحل بالضرورة
وعلى ذلك يختار لمن تحته حرة مفارقة الامة اذ بامساكها رق الولد الذي يقبح في العقل اختياره ومخالطة الزوجة
في الطبع نفار منه فمثله في الابتداء والله اعلم معنا قال الله تعالى وان تصبروا خير لكم وليس عن الذي فيه الضرورة شرط
الصبر ثم القول واحد فيمن يملك المال وهو غائب عنه يخشى العنت الى ان يبلغ ذلك انه لا يمنع النكاح وجميع ماله الحق
ليستوي غيبة ذلك وحضرته كنكاح الامة على الحرة والاخت على الاخت ونحو ذلك مما لو كانت خشية العنت
يصير سببا للحل في شيء لكان ملك الحرة التي هي عنه غائبة اذا لم تضر الضرورة مبيحة فاذا بان ان الحرمة لنفس النكاح
في الوجود والحل لعدمه لا للسبيل الى ذلك وغير السبيل ثم قوله عز وجل ذلك لمن خشي العنت انما هو الضيق كقوله
ولو شاء الله لاعنتكم اي يضيق عليكم مخالطة الايتام والاثم كقوله سبحانه وتعالى عزيز عليه ما عنتم وكل رجل فيه وقع
الاستمتاع فهو يخشى الاثم فيجيء ان يباح له على كل حال ويرجع الى الضيق فيكون المقصود منه الامساك دون
العقد والله اعلم ثم خشية الزنا ان يحتمل ان يصير شرطا للحل وقد حصل له عقوبة فيها ابلغ الزجر لمن فعل عن دم
او حد بل يفرض عليه ابقاء ذلك بكل وجوه الامكان ومعلوم ان الله قد جعل عنه بغير النكاح سبيلا في الامتناع
ايضا وقد جاء ايضا الامر بالصيام بانه له وجاء فانما خشية ذلك خشية خلي الحقيقة فلم يجز ان يجعل
عذرا لرفع الحرمات ويقدر عليه بالمباح من الصيام القول في قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الاية
نقول وبالله التوفيق يحتمل الاية وجهين احدهما طول عقد النكاح مذكور ايضا في نكاح الامة بقوله واتوهن اجورهن
بالمعروف ومعلوم وجود الحرة بالمهر الذي يوصف في المعروف من المهور بل لعل ذلك في الحرائر اوجدان قد جاز نكاح
الحرائر وجدان قد جاز نكاح الحرائر بالاشياء الضعيفة ومعروف وجودهن في كل عصر بدون ما يوجد من مثله
الاماء فمحال ان يشترط في نكاح الاماء عدم ما لا يوجد السبيل اليه الا بوجود ذلك او ما هو اعظم في الوجود

واما

واما النفقة والمسكن فقد يكون بمال السيد دون ان يؤخذ به وفي الحرة هي لا سبيل اليها الا بما له الزوج ففيها يذكر
الوجود لا فيما يستوي الذكر فيه في التلو ثم في الحاجة على ما عليه العرف فيه فضل ولا قوة الا بالله والوجه الثاني
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنكح الامة على الحرة ولو كان يجوز نكاحها عند وجود طول
الحرة لم يكن للنهي عن ذلك بعد النكاح وجه اذ ليس لذلك الشيء عود لما الطول يمنع وجوده والثالث ان الذي به يجب النكاح
ليس الموجود شرط فيه والذي به الامساك شرطا اذ قد يجوز بذمة من لا يملك ولا يمسك بمثله ثبت ان ذلك
في حق الامساك وبعد لو كان يمنع بالذي ذكر لكان جوازه بحق الضرورة وهذا مما لا يقع الضرورة ثبت ان ذلك
في حق الامساك ثم لو كان التاويل على النكاح لم يكن في ذلك تحريم النكاح على وجود طول الحرة لخصال احدها ان
ذلك يوجب ان يكون نكاح الاماء يجوز بحق الاماء يجوز بحق الابدال والاضطرار وذلك لا يحتمل حق النكاح
لوجوه احدها ان طريق ذلك الاباحة ورخص والفروج لا يحتمل الاباحات بل الاباحات توجب حد المبيح وعقوبته
وتجعل كمبيح ما لا يملكه والثاني ان الحرمات التي كانت في جميع النكاح كانت ظاهرة لم يرتفع شيء منها الحاجات وكذلك نكاح
الاماء لو كان من المحرمات بل الحكم ان كل امراة لا يحل النكاح فهي لا تحل بملك اليمين فلو قلنا انه لا يحل نكاحها لذاتها
لم تحل في ملك اليمين فاذ حلت بان ما ذكرت وليس كالزيادة على الاربع لان ملك الحرمة لحق المنكوحة لا لمكان المراة
وكذلك الاخت ونحو ذلك دليل ذلك جواز ذلك لا بحق الابدال والاضطرار اذا عدم نكاح غير وبعد فانه لم يجعل
في شيء من الحل والحرمة المال بل قال الله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا الاية صير العدم شرط الترك وله
قد يفسخ لانه شرط الاباحة فلذلك امر نكاح الاماء والثالث اذ الاصل في الاضافة الحل والحرمة الى انه لا يوجب
عند ذلك في غير ملك الحال بل هو في غيرها موقوفا على قيام الدليل من ذلك المضاف اليه او غير لانه يوجب ذلك دليل
امور النكاح قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن لانه يعلم لو لم يؤتهن
الاجور لم يحللن وكذلك قوله سبحانه وتعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن وقال
عز وجل فاذا احصن فان اتين بفاحشة الاية لان الحد لا يجب لو لم يحصن وقال الله عز وجل ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات لا على جعل الايمان شرطا وقال الله عز وجل فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم لان الامة لا تحل اذا لم يخف العدل في الحرائر وغير ذلك مما يكثر اذ ليس في اضافة الحل حال قطعه من غيره فمثله امر
النكاح فيما نحن فيه ثم احتج بعضهم بالايات التي فيها فمن لم يستطع ومن لم يجد لتوجيه ذلك الحق ههنا وقد دخل
جواب هذا فيما قلنا ان الحكم في غيره موقوفا على الدليل فيه منعنا لا بهذا مع ما بينا دليل ما نحن فيه ليس بشرط الا ترى
انه ذكر شرط الايمان في المحصنات ومن لم يصر شرطا وقد صار في الكفارات ونحو ذلك لمثله ما نحن فيه ثم الفصل
الامرين يقع من وجوه احدها ان تلك بحق الابدال والاضطرار دليله زوال حكمه عند الارتفاع وفي هذا الا انه
لا يرتفع لنكاح الحرة فلذلك اختلف الامران ولو جعلنا الامر به في حال والاشارة بالحل اليها دليلا على النهي عن ذلك
كان نهي عن نكاح الاماء في حال طول الحراير فلا يحتمل ان يكون النهي مبطلا للفعل لا وجه احدها ان المعنى الذي له يقع
النهي كان معقودا ومثله لا يحتمل الفساد دون ذلك يخرج على وجهين احدهما ان يرق ولده والثاني ان يخالط امراته
الرجال وذلك بعض ما يشين الرجل ثم كان نكاح الزانية مع النهي عن ذلك ويجوز ومع الامر بطلاقها ومعلوم ان ذلك
اعظم في الشين اذ قد ظهر ما يخاف في المملوكة ويصير ولده مشوما بامه ما هو اوحش في العقول من كل رق وعبودة
ويقال له يا ابن الزانية وذلك ايضا تلبيس النسب وشبهه ثم لم يجب به الفساد فامر المملوكة الاخرى وايضا لم
يختلف على نهي الحرمة عن نكاح العبيد وله يفرق الاولياء ويصرف حق نسب الابناء الى الموالي اذ معلوم ان العلق
عليهن في الخلاف اقبح منه عليهم ثم لم يمنع ذلك جواز النكاح فمثله ما نحن فيه وايضا ان الحرمة على وجهين حرمة
لنفس المنكوحة او للاستمتاع وحرمة لحق النكاح وكل محرمة لذاتها فهي لا تحل بملك اليمين ولا بملك النكاح وما كانت
المحرمة بحيث النكاح يحل فاذا كانت الامة تحل بملك اليمين ثبت ان حرمتها ليست لنفسها ولا للاستمتاع فهي تحل بملك
اليمين بل حلها في الاصل بملك النكاح احق اذ ليس الا للاستمتاع فاذا حلت به فبالاحرى ان تحل بالنكاح ثم قد جعل
للنكاح الخاص لا يجيز من الاموال يحل فكذا ما نحن فيه وقوله عز وجل والله اعلم بايمانكم يحتمل وجهين يحتمل والله اعلم حقيقة
ايمانكم وانتم لا تعلمون ذلك ويحتمل والله اعلم بايمانكم وغيره لا يعلم حقيقة ذلك وفيه لزوم العمل بالظاهر وقوله عز وجل
بعضكم من بعض يحتمل بعضكم من بعض في الدين ويحتمل بعضكم من نسب بعض فهذا يدل على ان نسب بعضهم من دين بعض ومن نسب
بعض فليس لبعض على بعض فضل من على غير هذا الوصف لزمها ذلك الحكم دل ان وجوب الحكم في حال على وصف لا يمنع وجوب
ذلك الحكم في حال اخرى على غير الوصف الذي وصف في تلك الحال وهذا بالمخالف لنا الزم لانه قال عز وجل في قوله ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ان النهي وقع على جميع المشركات كتابيات وغير كتابيات ثم صار الكتابيات
منسوخة بقوله والمحصنات من النساء الذين اوتوا الكتاب ثم قال اذا كان له طول محصنة كتابية لم يحل له نكاح الامة
المؤمنة وقد اخبر عز وجل ان الامة المؤمنة خير من مشركة وهو يقول بل المشركة خير من الامة فهذا يدل على اضطراره في
قوله على مذهبنا ما قلنا وقوله عز وجل ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن لانه جعل المشركات خاصة من غير الكتابيات عندنا
دليله قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين بنزل ذكر المشركات وذكر الكتابيات دل هذا ان المشركات
في هذه الاية غير الكتابيات وقد ذكرنا الوجه في ذلك في صدر السورة ما يغني ذكره في هذا الموضع فاذا كان ما ذكرنا

حل له ان يتزوج كتابية محصنة كانت او امة وقد اقمنا الدليل على ان ليس في ذكر الايمان فيهن دليل جعله شرطا في جواز
نكاحهن على ما لم يكن في ذكر الايمان فيهن دليل جعله شرطا في جواز نكاحهن على ما لم يكن في ذكر الايمان في المحصنات من
المؤمنات دليل جعل الايمان فيهن شرطا وقوله والله اعلم بايمانكم اي هو اعلم بحقيقة ايمانهن وانتم لا تعلمون حقيقة
وان كان اثبت لنا علم الظاهر بقوله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات امرنا بالعمل بعلم الظاهر
لا بعلم الظاهر لا بعلم الحقيقة بقوله والله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار فهذا يدل على
ان الايمان هو عمل القلب لا عمل اللسان لانه لو كان عمل اللسان لكان يعلم حقيقته كل احد فظهر انه ما وصفنا وقوله عز وجل
بعضكم من بعض قيل فيه بوجوه بعضكم من بعض في الولايات في الدين كقوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض وقيل بعضهم من بعض في النسب اذ كل منهم من اولاد آدم ويحتمل بعضكم من بعض قبل الاسلام وقوله عز وجل فانكحوهن
باذن اهلهن اي باذن ساداتهن سمى السادات اهلا لهن دل انهن من اهلهم وفيه ان للمراة ان تتزوج نفسها اذا اذن
لها وليها لانه تعالى قال باذن اهلهن والمراة اذا كانت لها ان تزوج من غيره وهذا في النساء
الى الاخ الرجل اذا كانت له جارية يستمتع بها ولا يتزوجها من غيره والمراة اذا كانت لها جارية هي التي احتاجت الى تزويج
جاريتها لذلك كان في هذا اولى وفيه ان ليس للعبد ولا للامة ان يتزوج الا باذن سيده وكذلك روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ايما عبد تزوج بغير اذن مولاه فهو عاهر وقال بعض اهل العلم قوله فانكحوهن باذن اهلهن اذا كن
مؤمنات على ما سبق من ذكر الايمان بقوله من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم لكن هذا وان كان نهيا عن نكاح الاماء
اذا كن غير مؤمنات لم يدل ذلك على فساد نكاحهن اذا كن غير مؤمنات الا ترى ان النساء نهين عن تزويج انفسهن من العبيد
وذلك مما يشينهن ثم لم يمنع ذلك النهي من التزويج منهم فعلى ذلك لا يمنع شرط الايمان فيهن والنهي عن نكاحها اذا فعل
ذلك جاز النكاح فعلى ذلك الاول وكذلك قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ذكر الصلاح فيهم
ثم اذا كانوا على غير ذلك الوصف جاز فكذلك الاول وكذلك قوله عز وجل محصنات غير مسافحات ذكر الاحصان فيهن
ثم لم يصر الاحصان فيهن شرطا في جواز النكاح للاماء بمعنى البدل لكان اذا تزوج امة ولم يكن له طول على نكاح الحرة في
ذلك ثم كان الطول على نكاح الحرة يجيء ان يفسد النكاح لانه اذا منع الابتداء يمنع القرار في ملكه فاذا لم يمنع دل
انه ليس على حكم البدل اذ الابدال لا قرار لها ولا ثبات عند وجود الاصول دل انه ليس عنه ولكن على الاختيار والتاديب
ان لا يختار نكاح الاماء على الحرائر والمسافحات ولا يختار المشركات على المؤمنات فان قيل انكم يمنعون عن نكاح الامة
على الحرة ثم لا يفسخون نكاح الامة على الحرة لحق حرمة الجمع كالجمع بين الاختين وبين المراة وعمتها فاما اذا لم تكن ثم
جمع لا يمنع وهذا ليس بشيء وقوله عز وجل فاتوهن اجورهن باذن اهلهن على ما ذكر الاذن في النكاح بقوله عز وجل
فانكحوهن باذن اهلهن ويحتمل ايضا ان يؤتى اجرها وان لم ياذن له مولاها اذا كانت الجارية ممن تحفظ مال سيدها
وتتعاهده اذ الناس يشترون المماليك لحفظ اموالهم وصون املاكهم نحو ما جاء من الوعيد عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته حتى العبد عن مال سيده فاذا كان ما وصفنا لا باس بان يدفع الاجر و
المهر اليها اذا كانت هي ممن تحفظ ماله وتصونه ثم من الناس من استدل بقوله فاتوهن اجورهن على حقيقة الملك
للمماليك ويبيح لهم التمتع بالجواري وبقوله تعالى ايضا وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء
يغنهم الله من فضله لو لم يملكوا حقيقة الملك واما عندنا فانهم لا يملكون حقيقة الملك استدلالا بقوله تعالى ضرب
لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم اخبر ان ليس لهم فيما رزقهم شركاء مما ملكت
ايمانهم دل انهم لا يملكون حقيقة الملك فان قالوا اليس يملكون التمتع في النكاح اذا ملكوا امنع ايضا ان يملكوا رقاب
الاشياء اذا ملكوا قيل ان السادات لا يملكون من المماليك رقبة ما يتمتع به بالاسوال الا ترى ان السيد لا تملك من غيرها
التمتع به ان ملك ذلك للعبد خاصة لذلك الملك التمتع في النكاح وقوله عز وجل فاتوهن اجورهن ما ذكرنا من الاذن
من اهلهن وللحصل الذي حفظ الاموال وقوله عز وجل بالمعروف قيل مهر غير مهر البغي وقيل هو المعلوم وقوله تعالى
محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان قد ذكرنا فيما تقدم واما قوله عز وجل يغنيهم الله من فضله بغناء سادتهم
او مقدار ما يطعمون ويشربون مما جعل لهم الانتفاع به وقوله عز وجل فاذا احصن قيل فاذا اسلمن وقيل فاذا
احصن فاذا تزوجن ويحتمل فاذا بلغن مبلغ النساء وقيل فاذا احصن اي عففن وتاويله والله اعلم لما ذكره في اول الاية
وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا انهن اذا تركن للعفف ولم يكرههن على البغي فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب فهن الحرائر لان عذاب المتزوجة اذا دخل بها زوجها الرجم ولا نصف للرجم وانما حد الامة
الجلد فلا يجوز ان يكون المحصنات في هذا الموضع ذات الازواج لان عذاب ذات الازواج الرجم ولا نصف له دل
انه اراد بالاحصان الاسلام وروي عن ابن عباس رضي الله عنه وسعيد بن جبير وجماعة من اهل العلم ان لا حد
على الامة حتى تتزوج واما عندنا فان عليها الحد لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بجلد الامة
اذا زنت وان لم تتزوج فذلك حجة لقول من قال احصانها اسلامها وهو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه وزيد بن
خالد وشبل رضوان الله عليهم قالوا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله رجل عن الامة تزني قبل ان تحصن
قال اجلدها فان زنت فاجلدها ثم قال في الثالثة او الرابعة فبيعوها ولو بضفير هذا الخبر يدل على ان الامة اذا زنت
تجلد وان لم تتزوج وقوله عز وجل وان تصبروا خير لكم اي وان تصبروا ولا تتزوجوا الاماء فهو خير لكم لان اولادهم

يصيرون

يصيرون عبيدا فهذا يدل على ان قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات كله على الاختيار وليس على الحكم ان لا يختار الا على انه اذا فعل لا يجوز وقوله عز وجل والله غفور رحيم يحتمل غفور
رحيم حيث كفر عنكم ما ارتكبتم في الدنيا بالعذاب الذي يقام عليكم ولم يجعل عذابكم في الاخرة اذ العذاب في الاخرة
اشد من عذاب الدنيا وذلك من رحمته ان يجعل الحدود في الدنيا زواجر من العود الى ارتكاب مثله من الافعال
وقوله عز وجل يريد الله ليبين لكم يحتمل قوله يريد الله ان يبين لكم ما تؤتون وما تتقون وما لكم وما عليكم ويبين ما به
صلاحكم ومعاشكم في امر دينكم ودنياكم لكن حقيقة المراد بالاية اما ان تكون اراد جميع ما ذكر او معنى خاصا مما
احتمله الكلام وليس لنا القطع على ما اراد به وقوله عز وجل ويهديكم سنن الذين من قبلكم يحتمل وجوها اي يبين لكم
سبيل الذين من قبلكم اي سبيل الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام واهل الهدى والطاعة منهم لتعملوا اما عملوا
هم وتنتهوا عما انتهوا وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه سنن الذين من قبلكم اي امر الرسالة والنبوة ليهديكم محمد صلى
الله عليه وسلم وهو رسول اذ امر الرسالة والنبوة ليس ببديع قد كان في الامم السالفة رسل وانبياء عليهم السلام
فامر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ليس ببديع ولا حادث كقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل ويحتمل قوله
ويهديكم سنن الذين من قبلكم اي يبين لكم انه كيف كان سنته في الذين خلوا من قبل في اهلاك من عاند الله ورسوله و
استيصال من استاصلهم بتكذيب الرسل والانبياء عليهم الصلاة السلام والخلاف لهم كقوله تعالى سنة الله في الذين
خلوا من قبل وقوله تعالى وقد مضت سنة الاولين وقيل سنن الذين من قبلكم شرايع الذين من قبلكم من المحرمات والمحللات
من اهل التورية والانجيل والزبور وسائر الكتب وقوله عز وجل ويتوب عليكم ان يريد ان يتوب عليكم وفي قوله
تعالى ايضا سنن الذين من قبلكم يحتمل يهديكم تلك السنن الذين من قبلكم يحتمل يهديكم تلك السنن اي يبينها لكم انها كا
ماذا ويحتمل يهديكم سنن الذين من قبلكم معنى تلك السنن الهداية لكم ثم قوله عز وجل من قبلكم يحتمل سنة
وسيرة في الذين من قبلكم ليعتبروا بها ويحتمل سننهم التي لزموها وسيرتهم التي سلكوها بما لها من العواقب ليتعظوا بها
والله اعلم بحقيقة ما ينصرف اليه مراد الاية لكن فيما احتمله فهمنا موعظة بينا فيه وعلى ذلك معنى قوله
عز وجل يريد الله ليبين لكم يحتمل كل ما به لنا نفع او كل ما بنا اليه حاجة او كل ما علينا القيام به او يرجع ذلك
الى الخاص مما يريد بالاية الاخبار عنه وان الذي علينا النظر فيما قد يفضل البيان عنه وفيما انبانا عن سنة فيمن
تقدمنا مما نرجو به الهداية والشفاء والقيام عما علينا في ذلك من الحق دون الشهادة عليه جل ثناؤه بالمراد فيما في
مخرج الكناية دون التصريح من الوعود وقوله تعالى ليبين وان بين في مفهوم الخطاب فيما جرى به الذكر في هذه الاخبار
واحد اذ لو كان ذكر ان يسبق الى الفهم غير الذي سبق في هذا على حق العباد من النظام والله اعلم ثم كان معلوما
فيما اراد بقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم انه لو لم يبين ما اراد بهذا الوعد ولم يهد انه كان يلحقه الخلف في الوعد
فعلى ذلك فيمن قال يريد الله ان يتوب عليكم ويريد الله ان يخفف عنكم لو لم يكن يخفف ويتوب على من اريد بقوله
يتوب ويخفف عنكم يلحقه الخلف في الوعد ثم يخالف وصف كافر في حال انه ممن تاب الله عليه ثبت انه لم يدخل في قوله
سبحانه وتعالى يريد الله ان يتوب عليكم فاذا ثبت انه لم يدخل فيه وجب فيه امران احدهما ان الارادة لا تثبت
بالامر اذ قد امر الكافر بالتوبة والثاني ان كل من لم يتب فهو ممن لم يرد الله ان يتوب عليه وهو في قوله تعالى اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم على ان الله تعالى قال في المؤمنين تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وقال في
الكفار لم يرد الله ان يجعل لهم حظا في الاخرة على التفريق من الذي في علمه ان يختم مؤمنا ومن في علمه ان يختم كافرا
على ارادة الهداية مع ارادة ان لا يجعل له الحظ في الاخرة على الوعود خلف وارادة من لا تدبير له في فعله ولا
يتصل به فعله تمني في متعارف الامر وتشهي ولا يجوز ان يضاف الى الله تعالى الارادة وهي التي يوصف بها من فعله من
الاختيار ثبت ان الله تعالى في فعل العباد فعلا بحيث فعله يوصف بالارادة وفي ذلك وجوب القول بخلق
افعال العباد وان يكون المراد من تلك الارادة اذ لم يحتمل التمني ولا الامر ان يكون الارادة التي تنفي القهر
والغلبة فيلزم اذ ثبت نفي القهر الوصف بالارادة وثبت انه مريد لكل فعل نفى عنه العجز في وجوده وبالله
التوفيق وقوله عز وجل والله عليم بما يؤتى ويتقى عليم بما به معاشكم وصلاحكم وما به فسادكم وفساد معاشكم ونحو
حكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم وقوله عز وجل والله يريد ان يتوب عليكم قالت المعتزلة قد اراد الله تعالى توبة
من لا يتوب فيقال لهم ما التوبة منكم التجاوز والدعاء فاذا وعد ان يتوب فلم يفعل فهل ترك لا بعجز او بما لا
الوصف له بالعجز والجهل فنعوذ بالله من الزيغ عن الحق والسرف في القول واما تاويله عندنا والله يريد ان يتوب
عليكم في الذي علمه انهم يتوبون او كان ذلك اخبار عن قوم اراد الله ان يتوب عليهم فتابوا وقال قوم قوله والله
يريد ان يتوب عليكم اي يامركم ان تتوبوا والله اعلم وقوله عز وجل ويريد الذين يتبعون الشهوات الاية من اختار الدنيا
على الدين والاذى على الاخرة لهولاء يتبعه وشهوة تغلبه لا لتقصير من الله عز وجل عن البيان بل لتركهم النظر
والتامل بالعواقب غلبت عليهم شهواتهم واتبعوا اهواء انفسهم المقاولة طلبوها وانما سعة في الدنيا يغوصها فذلك
الذي يمنعهم عن النظر في العاقبة والتامل في الاخرة لذلك مالوا ميلا عظيما وخسرانا مبينا وضلوا ضلالا بعيدا
وقوله عز وجل يريد الله ان يخفف عنكم هذا انه خفف علينا ولم يحمل ما حمل على الامم السالفة من الاصر والشدايد والاغلال
والمشقات مما جعل توبتهم قتل بعضهم بعضا وجعل توبتنا الندامة بالقلب والرجوع عما ارتكبوا وان يقال خفف

عنا حيث لم يستأصلنا ولم يهلكنا بالمتلاف وترك الطاعة على ما استأصل اولئك واهلكهم ويحتمل التخفيف عنا ايضا وهو ما
خفف علينا من اقامة العبادات من نحو الحج والجهاد ونحوه حتى جعل القيام بذلك اخف على الانسان وايسر من قيامه بأخف
العبادات والطاعات وايسرها وذلك من تخفيف الله علينا وتيسيره وفضله منه ورحمة والله اعلم وقوله عز وجل
وخلق الانسان ضعيفا يحتمل ان يكون اراد به الكافر كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا وكقوله تعالى واذا مسه الشر كان
جزوعا وقد قيل كل موضع ذكر الانسان فهو في كافر من ضعفه بضيق صدره ويمل بنفسه بطول الترك في النعم حتى يضجر فيها
ويحتمل انه اراد به الكافر والمسلم وضعفه في ابتداء حاله انه كان ضعيفا كقوله خلقكم من ضعف ويحتمل وصفه بالضعف
له لانه ضعيف في نفسه عمل من الطاعات والعبادات التي جعل الله عليه ليس كالملائكة حيث وصفهم انهم لا يفترون
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا كذلك بنو آدم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة الظاهر في الثنيا انه من غير جنس المستثنى لانه استثنى التجارة عن تراض من اكل المال بالباطل
بينهم واكل المال بالباطل ليس من التجارة من نوع اكل المال بالباطل والثنيا في الاصل جعل تحصيل المراد في المحل من اللفظ
فاذا لم يكن من نوعه كيف جاز لكنه يحتمل والله اعلم ان يكون على الابتداء او الاثنيا فكانه قال لا تأكلوا اموالكم
بينكم بالباطل ولكن كلوا بتجارة عن تراض منكم وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما استثنى
السلام والسلام ليس من جنس اللغو لكن معناه ما ذكرنا لا يسمعون فيها لغوا ولكن يسمعون فيها سلاما سلاما ويحتمل ان
في الثنيا تخصيص المراد في المطلق من الكلام كقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط دل استثناؤه آل لوط
على انه اراد بقوم مجرمين قوم لوط خاصة لانه قد كان في قوم ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفي غيرهم من اقوام مجرمين
دل الثنيا على مراد الخصوص فعلى ذلك يدل استثناؤه التجارة عن تراض منهم على انه اراد باكل المال بالباطل تجارة من غير
تراض وان كان في الحقيقة يصير مال هذا وهو ان يأخذ مال غيره فيتلفه فيلزمه بدله فيصير ما عوض من بدله بما اتلفه
قصاصا فهو في الحقيقة تجارة او يحتمل ان يكون اكل المال بالباطل بينهم ما لا يجوز ولا يطيب لان حرف البين لا يحتمل
الا فيما كان البدل من الجانبين فاذا كان ما وصفنا محتملا وكان الثنيا من ذلك من وجه يطيب ومن وجه لا يجوز ولا يطيب و
فيه دليل ان التجارة هي جعل الشيء له ببدل وترك الشيء بالشيء الآخر الى قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
ذكر الشرى ولم يكن منهم الا ترك الهدى بالكفر ثم سمى ذلك تجارة بقوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وفيه
دلالة ان البيع يتم بوقوع التراضي بين المتبايعين وليس كما قال قوم لا يتم البيع وان تراضيا على ذلك حتى يتفرقا عن المكان
فكانوا تأويلا عندنا لظاهر هذه الآية فان احتجوا بالخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المتبايعان
بالخيار ما لم يتفرقا لكن معناه عندنا ان يقول الرجل للرجل بعتك عبدي بكذا فلصاحبه ان يقول قبلت البيع ما دام في مجلسه
او يحتمل ان يكون الاول قال بعتك كان له الرجوع قبل ان يقول الآخر قبلت على ان قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا لا يوجب
ان يكون تفرقا عن المكان وتفرقا بالابدان الا ترى ان الله سبحانه وتعالى قال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ولا يفهم
المعنى من ذلك تفرق المكان والابدان ولكن وقع ذلك على القول والطلاق على ان في الآية بيان تمام البيع بوجود التراضي بقوله
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ومما يدل على ذلك ايضا قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم فلو كان البيع لا يتم بالتراضي فمتى
يشهد قبل التفرق او بعد التفرق ان اشهد قبل التفرق فهل المقر صادق في ان لصاحبه عليه الثمن او كاذب اذا كانت
البيع لم يتم وما ينفعه الاشهاد ان كان للمقر ان يبطل اقراره برد السلعة وان كان انما يشهد بعد التفرق فقد يجوز ان
يتلف المال بالتفرق قبل الاشهاد فاين التحصين الذي امر الله تعالى ومما يدل على تأويلنا في الخبر ما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ولا يحل لاحد ان يجعل فراقه خشية
ان يستقيله وقوله يستقيله يدل على انه ليس له ان يرده الا بان يقيله صاحبه ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ما لم يتفرقا
من بيعهما على ان التفرق هو الفراغ من عقد البيع لا غير ومما يدل على ان الخيار ليس بواجب قول عمر رضي الله عنه ان البيع
عن صفقة او خيار فكان موافقا لما روى ابو هريرة رضي الله عنه يقول دل قوله تعالى لا تأكلوا الى قوله تجارة عن تراض
على الاذن في الاكل اذا وجدت التجارة عن تراض من الناس والتجارة معروفة عند جميع من له عقل ومعروف المتعا
قدان بعد الفراغ من العقد لم يعرف فيها هو عند الخلق تجارة ولكن التفرق لانقضاء ما له الاجتماع والفراغ منه
بالبيس من معاقدة العقلاء الوقوف في مكان بالحاجة فليس التفرق مما يحتمل ان يظنه حكيم او سفيه من التجارة وقد
اذن في الاكل والاكل عبارة عن الاخذ وكل انواع المنافع بالباطل فثبت انه قد ملك بالفراغ عن التجارة بغير الرضا وايد
ذلك قوله واشهدوا اذا تبايعتم والتبايع الذي عليه الاشهاد هو التعاقد لا التفرق ومن البعيد ان يكلفوا الاشهاد
على التبايع قبل وجوب الواجب من الحق الذي عليه الاشهاد فثبت بذلك وجوب ما حمل التبايع بوجوبه دون التفرق
واذا ثبت الذي ذكرنا من احكام القرآن مع الكتابة بالامر الذي لا يجوز تشذ ولا يسلم عنه بشر عن علم جميع البشر
وكل اهل التبايع به يتعارفون الحق بينهم بالفراغ من العقود ولا يجوز تشذ وذا العلم بحق ذلك محله فيكون اتفاق الخلق
على القول بالاعتقاد في امر يعرفه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ائمة الهدى لا ينفقهون عن ذلك والله اعلم فاذا لزم ذا الولا
المروي من الخيار ان كل متبايعين بالخيار ما لم يتفرقا حمل الخبر على ما فيه بعض العلم بحق القرآن وما عليه امر الخلق
على اتباع لغير ذلك الوجه بل لعله بغيره اولى ثم يخرج على وجوه على المتبايعين ان يكونا كذلك في حق الحمل لا في حق
العبادة عن ... دليله رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيعان بالخيار

مالم يتفرقا

ما لم يتفرقا ولا يحل لاحدهما ان يفارق صاحبه خشية ان يستقيله ثبت ان المعنى بالخيار في حق الحمل او طلب كالفسخ
في الاستقالة والله اعلم والثاني ان يريد به ما في التبايع دليل ذلك احتمال اللفظ قوله سبحانه واشهدوا اذا تبايعتم
والتبايع هو فعل اثنين وقد ثبت منهما مع الفراغ الاشهاد على التبايع وهذا الحق بوجوه احدها حق اللغة انه اسم التفاعل
وهو اسم لفعلهما فيستحقان ذلك في وقت كونهما فيه كالتضارب والتقاتل ونحو ذلك وبعد الفراغ التسمية ويكون
بحق الحكاية دون تحقيق الفعل والثاني بما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيعان
بالخيار ما لم يتفرقا من بيعهما وبيعهما معروف والله اعلم والثالث متفق القول من اهل العقل على ... وجوب
البيع دون التفرق عن المكان والله اعلم والرابع ان يجعل ذلك الحد لاصلاح البياعات انها ما لم يتفرقا محل كان
الاصلاح واذا تفرق الا وهو اولى ان جعل التفرق التمام شرطا للفساد ومنع الاصلاح وقد كان في بعض العقود
مما يصلح العقود بالقبض فهو على الوجود قبل التفرق ثم لا يصلح اذا وجد التفرق فمثله مما كان الصلاح بالقول
في الاصلاح وعلى ذلك اذا قال احد الآخر اختر انقطع خياره لو كان تفرقا من القول وليس فيه زيادة على ما في قوله بعت
بعتك في حق الاصلاح فثبت ان التفرق لقطع الاصلاح لا للاصلاح والله اعلم ان الناس عرف في التبايع من وجهين احدهما
في التعاقد والثاني في التقابض فيكون المعنى من الخبر فيما البيع عن تقابض وهو يجمع المداومة اذا ترك كل واحد منهما الآخر
يفارقه على ما سلم وقبض كان ذلك بينهما وجاز ذلك ايضا بحق الآية في الاباحة عن تراض واسم التجارة قد يقع
على تبادل ليس فيه قوله البيع كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم وذلك مع قوله سبحانه وتعالى فما ربحت تجارتهم ان البيع الموقوف اذا اجيز يباح الاكل بما كان وقت الاكل قد وجدت
التجارة عن تراض وفي ذلك دليل وجوب خيار الرؤية اذ قد جعل الرضا سببا وهو مما يحل غير محق وانما يعلم بالرؤية
وفيه انه بالقبض يمضي حق العقد اذ التجارة للاكل ولا يوصل اليه الا بالقبض فاذا فات فات ماله التجارة فيبطل
والله اعلم وفي قوله ايضا تبايعا وان كان اسم لفعل اثنين فلما يتصل صحة كلام كل واحد منهما اذا كان الآخر حاضرا فكانهما
اشتركا في صحته فصارا به متبايعين نحو قوله سبحانه وتعالى حتى يتفرقا والتفرق اسم لفعل اثنين لكن احدهما اذا فارق
مكان البيع والآخر لم يفارقه فقد وجد حق التفرق من ان ليس احدهما بجنب الآخر فكانهما اشتركا في التفرق وان لم يوجد
الفعل من احدهما والله اعلم وقوله ولا تقتلوا انفسكم يحتمل وجهين لا اي يقتل بعضكم بعضا فانه اذا قتل آخر يقتل به
فكانه هو الذي قتل نفسه اذ لولا قتله اياه والا لم يقتل به والثاني انه اضاف القتل الى انفسهم لانهم كلهم كنفس
واحدة اذ كلهم من جنس واحد ومن جوهر واحد وقوله عز وجل ان الله كان بكم رحيما ومن رحمته ان جعل فيما بينكم القصاص
واخذ النفس والمال بالمال وفي ذلك حياة انفسكم وابقاء اموالكم ومن رحمته ايضا ان جعلكم من جوهر واحد اذ كل ذي
جوهر يألف جوهره ويسكن اليه والله اعلم ومن رحمته ارسل اليكم الرسل وانزل عليكم الكتب واوضح لكم السبل ومن رحمته
ان امهل لكم وستر عليكم ودعاكم الى المتاب ومن رحمته دفع عنكم الآفات واوسع لكم الرزق وبالمؤمنين خاصة رحمته
اهتدوا وسلموا عن كل جاه وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما عدوانا لما وزن تر حدود الله وظلما على
صاحبه والعدوان هو اسم التعدي والمجاوزة عن حدود الله كقوله تعالى ومن يتعد حدود الله ويحتمل قوله وظلما على نفسه
كقوله عز وجل ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وقوله تعالى
فلا تظلموا فيهن انفسكم وهذا الوعيد والله اعلم لما يفعل ذلك مستخفا بحدود الله واستحلالا منه لذلك والا لو كان
ذلك على غير وجه الاستخفاف بها والاستحلال لها لم يستوجب هذا الوعيد الا ترى انه قال تعالى كتب عليكم القصاص
في القتلى ثم قال عز وجل فمن عفي له من اخيه شيء انما جاء هذا في قتل العمد ثم قال عز وجل فمن عفي له من اخيه سماه اخا مع قتل
العمد ثم ابقى الاخوة فيما بينهما واخبر ان ذلك تخفيف منه ورحمة ويخلد في النار وعلى ذلك يخرج قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها اذا قتله مستحلا له مستخفا بتحريم الله اياه فاستوجب هذا الوعيد واما من فعل على
غير الاستحلال والاستخفاف بحدوده فالحكم فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى ايضا عدوانا وظلما يحتمل الاستحلال
دليله قوله عز وجل كتب عليكم القصاص ثم قال عز وجل فمن عفي له من اخيه شيء وقال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فابقى
الاخوة التي كانت بقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا فثبت ان الايمان بعد باق فابقى له الرحمة والاخوة ههنا زال كذلك افترقت
الاثنان والثاني انه وعد اصلاحهم ولم يذكر الخلود وجائز تعذيبه في الحكمة والتنازع في الخلود لا غير والاصل في هذا ونحوه
انه لم يتنازع ان يكون فعله الذي فيه الوعيد ان كان ثم خلود فهو الذي يزيل عنه اسم الايمان ويبطل عنه حق فعله وانما
التنازع في ابقاء اسم الايمان في لزوم الوعيد فهو فيمن لم يبق له الاسم والله اعلم وقوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
اختلف فيه قال بعضهم كبائر الشرك لان كبائر الشرك انواع منها الاشراك بالله ومنها الجحود ببعض الرسل عليهم الصلاة
والسلام ومنها جحود العبادات واستحلال المحرمات وتحريم المحللات وغير ذلك وكل ذلك شرك بالله فقيل اراد بالكبائر الشرك
فاذا اجتنب كبائر الشرك صارت ما دونها موعود لها المغفرة بالمشيئة بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وعد المغفرة لما دون الشرك وقرنه بمشيئته فهو في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه وبالله التوفيق
وقيل اراد بالكبائر كبائر الاسلام ثم يحتمل وجهين بعد هذا يحتمل ان يكون الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر ويحتمل ان يكون
الصغائر مغفورة بالحسنات الا ترى انه قال في آخره نكفر عنكم سيئاتكم والتكفير انما يكون بالحسنات الا ترى انه قال ان
الحسنات يذهبن السيئات اخبر ان من السيئات ما يذهبها الحسنات ويحتمل ان يكون التكفير بهما جميعا وان لم يجتنب

الا ترى انه قال في اية اخرى ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله عز وجل ويكفر عنكم من سيئاتكم وقال عز وجل توبوا الى الله توبة
نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الاية ثم روي عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي نائلة لاهل
الكبائر من امتي وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه سمع امراة تدعو اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم
فقال لها قولي اللهم اجعلني من الفائزين فان شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر ثم قرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
الاية ثم اختلف في كيفية الكبائر وماهيتها فقال بعضهم ما اوجب الحد فهو كبيرة من نحو الزنا والسرقة والقذف ونحو ذلك
وقال الاخرون الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها واكل مال اليتيم واكل الربوا وقول البهتان والفرار من الزحف
وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما يقول الكبائر تسع فقال ابن عباس رضي الله عنه هي الى السبعين اقرب ولكن لا
كبيرة مع توبة ولا صغيرة مع اصرار وروي عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في الزنا والسرقة وشرب
الخمر قالوا الله ورسوله اعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قالوا بلى يا رسول
الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين قال وكان متكيا فجلس ثم قال الا وقول الزور الا وقول الزور وقاله ثلاثا وقوله تعالى
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ذكر تكفير السيئات اي اجتنب الكبائر ولم يذكر الحكم اذا لم يجتنبها فليس فيه
انه اذا لم يجتنب لا يكفر فهو في مشية الله ان شاء كفر وان شاء عذبه على ما ذكرنا ان وجوب الحكم لا يوجب ايجاب ذلك الحكم في حال
اخرى خلافا كان او وفاقا والله اعلم ويقرا في بعض القراءة ان تجتنبوا كبير ما تنهون عنه فان ثبت هذا فهو يدل على ان تاويل الذي
ذكرنا انه تعالى اراد بالكبائر كبائر الشرك وقوله عز وجل وندخلكم مدخلا كريما قيل الجنة وقوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض الاية قيل لا يتمنى الرجل مال اخيه ولا امراته ولا داره ولا شيئا من الذي له ولكن ليقل اللهم ارزقني بذكر
النوع الذي رغب والله واجد ذلك وهو الواسع العليم وقيل هو كذلك في التوراة وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول
الله يغزو الرجال ولا نغزو ويذكر الرجال ولا نذكر فنزلت الاية ولا تتمنوا ما فضل الله به الى قوله عز وجل للرجال نصيب
مما اكتسبوا ويحتمل ان يكون هذا التمني في الديانة وفي الدنيا اما في الديانة هو ان يتمنى احد ان يكون قدره مثل قدر اخر عند الله
من العلم والزهد وغير ذلك فنهي ان يتمنى ذلك لم يبلغ هو ذلك المبلغ الا باحتمال المكاره والمشقة والجهد وفي الدنيا ويتمنون
يتمنى مال اخيه وزوجته وخدمه ويحتمل ان يكون معنى التمني ما ذكر في خبر ام سلمة لان في ذلك الكفران بنعم الله لان النساء
لم يجعل عليهن القتال وغيرها من الخيرات رفع عنهن بعض المؤنات ففي التمني الكفران بتلك النعم التي انعم الله تعالى عليهن وفي
قوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله اي الذي فضل الله بعضكم على بعض فهو والله اعلم لما فيه التسخط بحكمه يريد الصرف اليك او لانه
انما قصر فضله على ما راى وان لا يسع فضله له والذي فضله ولما النظر الى ما اكرم به غيره بحق التمني تلهى عن نعم الله تعالى عليه
او لما يخرج ذلك مخرج العداوة وحق نعم الله على كل احد ان يعرف التعظيم له وكذلك فضلت على غيرك لترحمه وتتفضل عليه ثم
التعظيم والتمني او يخشى من الحسد لان الحسد هو ارادة الصرف عنه وفي التمني ذلك وارادة التفضل له به عليه وسالوا الله
الله سبحانه وتعالى من فضله وكان فضله هو ماله ان لا يبذل وذلك يخرج على فضل في الدين وفضل في الخلق والمروة فاما
فيما يرجع الى نعم الدنيا مما لا يستعمله في احد في تلك الوجهين فهو في الظاهر نعمة وفي الحقيقة بلية ومحنة قال الله سبحانه وتعالى
فلا تعجبك اموالهم الاية وقال الله عز وجل ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين وجائز ان يكون الاية في التمني مما مكنوا من النعم
لو انفقوا في الخيرات فان كان فيما وفقوا الخيرات لحق ذلك ان يشكر الله بما اكرم به من حسنات ويرغب في التوفيق لمثل وان كانت
في امر لم تحقه ان يعينه بالدعاء لتكون النعمة له نعمة لا بلية ونقمة وترغب فيما يقربك الى الله في عاقبة وقد ذكرنا ان ام
سلمة تمنت بعض ما يقوم به الرجال من العبادات نحو الجهاد واشكاله فنزل النهي عن ذلك والترغيب في فضله في نوع ما تحمل هي
من الخيرات دون الذي يفضل عليهن بالرفع عنهن والله اعلم وقوله ايضا ولا تتمنوا ما فضل الله الاية يحتمل ان يكون
على ما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ولا تمدن عينيك الاية فاخبر ان الذي اعطي لم يعط للكرامة ولكن
ليفتنهم به والعقل يابى الرغبة فيما يختزون ما يكرم به ثم بين الذي هو اولى بالمشتهى من التمني فقال للرجال نصيب مما
اكتسبوا فرغب فيما له واما بالسؤال من فضله ان لا يكون كسبه له الا بفضله كقوله سبحانه وتعالى ولا تكسب كل نفس
الا عليها ثم قال الله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا فبين ان كسبه عليه الا بفضل الله
وبين ان الاولى به الاقبال على ما له عاقبة والتضرع الى الله تعالى بالاكرام دون الذي عليه في ذلك خوف المقت والله
اعلم وقوله عز وجل واسالوا الله من فضله مثله فان فضله واسع ولا يتمنى مال اخيه وداره او سالوا الله تعالى العبادة ولا تتمن
ان لا يكون لاخيك ويكون لك ثم اخبر ان ما يكون للرجال انما يكون بالاكتساب وما يكون للنساء يكون بالاكتساب يكون
لكل ما اكتسب من الاجر وغيره وقوله عز وجل ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون احتمل هذا والله اعلم ان يكون
معطوفا مردودا الى قوله سبحانه وتعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الاية
ذكر ههنا ما يرث الرجال والنساء من الوالدين والاقربين ولم يذكر ما يرث الوالدان من الاولاد والاقربون بعضهم
من بعض من نحو الاخوة وابن العم وغيرهم من القرابات فذكرها ههنا لتعلم ان للموالي من الميراث مما ترك الوالدان والاقربون ما
لاولئك من الوالدين والاقربين اذا لم يكن اولئك ان يجعل هؤلاء ما جعل لاولئك ولم يذكر ايضا ما للوالدين من الاولاد
في قوله للرجال نصيب مما ترك الاية ولكن ذكر في اية الوصية في قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
ذكر الوصية للوالدين والاقربين ولم يذكر للاولاد والله اعلم ان الرجل قد يؤثر ولده على نفسه وعلى غيرهم من الاقرباء
ولا كذلك الولد للوالد فذكر الوصية للوالدين والاقربين لهذا المعنى يصل اليهم المعروف واما الاولاد فانهم لا يرثون

على غيرهم والله اعلم وقيل في قوله ولكل جعلنا اي بينا فيكون فيها بيان ما في الاولى من المواريث ثم قيل في الموالي انهم
هم العصبة وقيل هم اولياء الاب او الاخ او ابن الاخ وغيرهم من العصبة وقيل هم الورثة وهو قول ابن عباس وكله
واحد وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بالمؤمنين من مات وترك
مالا فماله للموالي العصبة ومن ترك كلا او ضياعا فانا وليه فلادعى له وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحقوا المال بالفرائض فما ابقت السهام فلاولى رجل ذكر وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما احرز الوالد والولد فهو لعصبته من كان وعن عمر رضي الله عنه انه
كتب اذا كانت العصبة بعضهم اقرب بام فهم احق بالمال واجمع اهل العلم على ان اهل السهام اذا استوفوا سهامهم
وبقي من المال شيء انه لعصبة الميت وهم الرجال من قرابته من قبل ابيه ومواليه وانه لا يكون احد من النساء عصبة الا
الاخوات من الاب والام او من الاب مع البنات والمراة المعتقة فان هاتين عصبة واجمعوا ان كل من اتصلت قرابته من قبل
النساء بالميت فليس بعصبة وان المراة اذا اعتقت عبدا او امة فانها عصبة المعتق بعد موت امة الا ابن مسعود رضي
الله عنه فانه يجعل لذوي الارحام دون الموالي واجمعوا انه اذا اجتمع عصبتان فاقربهما اولى واقرب العصبة الابن
ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا والاخ من الاب والام ثم الاخ من الاب ثم ابن الاخ من الاب
والام ثم ابن الاخ من الاب ثم العم من الاب والام ثم ابن العم من الاب ثم موالي النعمة وان سفل فهؤلاء كانهم عصبة
الميت واقربهم اولاهم بما فضل من المال عن اصحاب السهام المذكورة سهامهم هو والله اعلم موافق لما ذكرنا من دليل
الاية والسنة وما تواترت عن الروايات عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وفي قوله تعالى ولكل جعلنا موالي
مما ترك الوالدان والاقربون يحتمل ولكل من الموالي جعلنا على اضمار نصيب او حق فيما ترك الوالدان والاقربون
فيكون تاويله قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون فيكونون هم مواليه بحق الميراث على تاويل
انهم اولى مما تركوا او على مثله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ووليه من يلحقه في ملكه بغيره قوله
تعالى يوصيكم الله وجميع الايات المواريث الا انه لم يذكر للوالدين في هذه الجملة ولا للزوجين ولا يدخلون
في اسم القرابة ولا في اسم الاولاد وقد جاء بالايجاب لهم كتاب واجتمعت عليه الامة على غير دعوى النسخ فيه
من احد ليعلم ان التخصيص بالذكر في الحق لا يقطع حق غير لكنه يكون الامر موقوفا على وجود دليله والله
اعلم على ان في الايجاب للاقربين وللموالي كفاية عن ذكر من ذكر اذ بهم يكون كل القرابة وبالتناكح يكون النسل وهو
المجعول لذلك وكذلك لا يسقط حق هؤلاء ولا يحجبون عن الكل باحد وقد جرى ذكر حقهم فيما نسخته
هذه الاية من الوصية والله اعلم ويحتمل قوله تعالى ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون ان يرجع الموالي
الى الذين ورثوه من تركة الابوين والاقربين ان قد يجري المواريث فيما قد ورثت نحو ما يجري فيما لم يكن ورث
مرة فرجع ذا الى غيره ولا دا الاول واقربا ثم الاول او ان يكون المقصود فيما ترك الوالدان والاقربون بما ذكر
في بينهم نصيبا مفروضا او ان يكون هذا فيما ترك الوالدان والاقربون مع اصحاب الفرائض فتكون هذه الاية
في بيان حق العصبات اذ لم يذكرهم دون ان يكون معهم اصحاب الفرائض يرثون بحق السهام ولا بحق الفضول
فيكون جملة الايات في المواريث ثلاث احدها في اصحاب الفرائض وهو قوله عز وجل مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا
والثاني في حق العصبات وهو قوله تعالى ولكل جعلنا موالي الاية والثالث في حق ذوي الارحام وهو قوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض الاية ثم الحق بهؤلاء في حجاب الا بعد من اهل العقد بقوله عز وجل والذين عقدت
ايمانكم فاتوهم نصيبهم واذا ذكر ذلك فيما بين الميت ولا وجه للعون والرفد والنصر مما ذكر نصيبهم في التركة كما ذكر
لاصحاب الفرائض وعلى ذلك المرفوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن اسلم على يدي اخر انه احق الناس بمحياه
ومماته وكذلك روي عن عمر وعلي وعبد الله رضي الله تعالى عنهم معا كانت المواريث بهذا من قبل فنسخ بقوله
تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فاذا ارتفع ذلك ذهب التناسخ فوجب لهم اذ بيت المال يرث بولاية
الايمان جملة ولهذا اتلك الولاية ولاية اخرى فهو احق والله اعلم ويخلف هؤلاء من له رحم كما خلف ولاء العتاق
بما تقدم من النعمة بالاعتاق في حق العصبة من ذوي النسب بقوله عليه الصلوة والسلام الولاء لحمة كلحمة النسب وقوله
عز وجل والذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم قيل هو من الايمان كان حلف في الجاهلية يقول الرجل لاخر ترثني وارثك
وتعقل عني واعقل عنك وتنصرني وانصرك ويتحالفان على ذلك وقد قرئ بالالف على عاقدت فهو من المحالفة ثم
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة
قيل هو من ضرب اليمين وهو المبايعة كان الرجل يعاقد الرجل ويبايعه في الجاهلية فيموت فيرثه وقيل ان ابا بكر رضي
الله عنه عاقد رجلا فمات فورثه ولذلك خص المماليك بالذكر بهذا من قوله تعالى وما ملكت ايمانكم لانهم يترددون
للخدمة والمراة اذا احتلم نفسه انما يخدمها بيمينه فاذا كان تاويل الاية ما ذكروا فهو منسوخ بقوله عز وجل
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وبما روينا من الخبر من قوله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام
وما كان من حلف في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ويحتمل ان يكون الاية فيمن اسلم على يدي اخر ووالاه
على ما روي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسلم من اهل الكفر على يدي رجل من المسلمين فهو اولى
الناس به محياه ومماته وروي عن عمر رضي الله عنه ان رجلا سال عن رجل اسلم على يدي رجل ويواليه قال هو مولاه

فاما في الحسب المال وروى عن مسروق قال اتيت عبد الله فقلت ان رجلا كان عاملا علينا فخرج الى الجبل فهلك وترك
ثمانمائة درهم فقال عبد الله هل ترك وارثا او لاحد منكم عليه عقد ولاء قلت لا قال فاجعل ماله لبيت المال يقول اصحابنا
رحمهم الله من مات وخلف وارثا فماله لوارثه وان لم يكن له وارث فللذي اسلم على يديه يرثه بالولاء [illegible]
الناس بمحالفة وبايمانه وقوله مجاهد في العقل والميراث [illegible] عليهم اجمعين وقوله عز وجل
والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم قيل هو الوصية الى تمام الثلث لان الميراث قد نسخ بالاية التي [illegible] بقوله عز وجل
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا في الوصية الى تمام
الثلث فاذا كانت الاية في الذي اسلم على يديه ووالاه وعاقده فهو ليس بمنسوخ وقيل فاتوهم نصيبهم من النصرة والمعونة
والمشورة ولا ميراث وقوله عز وجل ان الله كان على كل شئ شهيدا بما ذكر من الشرط والوفاء به وبالله التوفيق وقوله عز وجل
الرجال قوامون على النساء قال اهل التاويل الاية نزلت في الازواج ودليله قوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم والازواج
هم المأخوذون بنفقة ازواجهم وفيه دليل وجوب نفقة المراة على زوجها وعلى ذلك اجماع اهل العلم وقال بعض اهل العلم
في قوله تعالى الرجال قوامون على النساء دليل انه لا يجوز النكاح الا بالولي حيث اخبر انهم القوامون عليهن دونهن قيل له
ان كانت الاية في الازواج وفي الاولياء على ما ذكرت فعندنا دليل جواز النكاح بغير ولي [illegible] وذلك قوله تعالى الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض اخبر انه فضل بعضهم على بعض وذلك التفضيل تفضيل بتفضيل خلقتهن
وهو ان جعل الرجال من اهل المكاسب والتجارات والقيام بانواع الحرف والتقلب في حاجاتهن فالرجال هم القوامون
كذلك بل جعلهن ضعفاء عاجزات عن القيام بالمكاسب والحرف والتقلب في حاجاتهن فالرجال هم القوامون عليهن
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وانواع الحرف والتجارات والرجال يقومون بجعل مؤنتهن عليهم لضعفهن وعجزهن عن القيام بالمكاسب خلقة
ولهذا لم يجعل الذكور من المحارم بعضهم على بعض النفقة لما يقومون بالمكاسب [illegible]
جعل نفقة على ما [illegible] وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله الرجال قوامون على النساء
بما فضل الله بعضهم على بعض قال امراء عليهن ان تطيعه فيما امرها الله به من طاعته وطاعته ان تكون محسنة الى اهلها
حافظة لماله وفضله عليها بنفقته وسعته وقيل نزلت الاية في رجل لطم امراته لطمة في وجهها فنشزت عن فراش
زوجها واستعدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله لطمني زوجي فلان لطمة وهذا اثره
في وجهي فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتصي منه وكان القصاص بينهم يومئذ بين الرجال والنساء في اللطمة والشجة
والضربة ثم ابصر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلوة والسلام ينزل فقال لها كفي حتى انظر ما جاء به جبريل
فاتاه بهذه الاية الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض اي المسلطون على اداب النساء في الحق وقيل
تفضيلهم عليهن بالعقل والميراث وفي الغنيمة والله اعلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اردنا [illegible] وقيل في قوله تعالى وبما انفقوا
من اموالهم بما ساقوا من المهر والنفقة استدل الشافعي رحمه الله بقوله تعالى الرجال قوامون على النساء الاية على ان النكاح
لا يجوز الا بالولي فصرف تاويل الاية اليهم وفيها وبما انفقوا فيلزم الاولياء النفقة وهو لا يقول به وبعد فان الاية
لو كانت في الاولياء فهو في كل امر لهن اليهم حاجة فخرج ذلك مخرج ذلك الحق لهن في ان يتولوا العقود كلها ويقوموا
في كفايتهن وكفالتهن لو قمن بانفسهن يبطلن فعلهن فمثله امر النكاح واهل التاويل يحملون الاية على الازواج ومن
تدبر الاية علم انها فيما قال اهل التاويل دون الذي ذهب اليه الشافعي والله اعلم وقوله عز وجل فالصالحات قانتات
عن ابن عباس رضي الله عنه قال قانتات يعني مطيعات والقانت هو المطيع ويحتمل مطيعات لله تعالى ويحتمل مطيعات
للازواج ويحتمل قانتات اي قائمات باداء ما فرض الله عليهن من حقوقه وحقوق ازواجهن وقوله عز وجل
حافظات للغيب قيل حافظات لما استودعهن الله من حقه وحافظات للغيب لغيب ازواجهن وقيل حافظات
لانفسهن لغيبة ازواجهن ويحتمل قانتات للغيب اي لله في اوامره ونواهيه والقائم بحقوقه وقانتات وحافظات
هو تفسير الصالحات وقوله عز وجل بما حفظ الله اختلف في تلاوته وتاويله فحرف بعضهم بالنصب بما حفظ
الله وتاويله بحفظ الله لكنه نصب لسقوط حرف الخافض ومن رفعه جعل تاويله بما استحفظهن الله تعالى والله
اعلم وقوله عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن قال بعض اهل الادب سمى العلم خوفا لانه تم اضطر في العلم وقال
اخرون هو القراء الخائف الظان لانه يرجو ويخاف واما الاصل فانه سمى العلم خوفا لغلبته شدة الخوف فيعمل عمل
العلم بالشيء على غير حقيقته لانه يعرف بالاجتهاد وباكبر الرأي والظن وهكذا كل ما كان سبيل معرفته الاجتهاد
فان غالب الظن واكبر الرأي يعمل عمل اليقين في الحكم وان لم يكن هنالك حقيقة الا نرى قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار الزمنا العمل بظاهر علمنا وان لم نصل الى حقيقة ايمانهن فعلى ذلك اذا علم منها النشوز علم

اكثر الظن

اكثر الظن واغلبه يعمل عمل الذي ذكر في الاية العظة وغيرها لان قوله تعالى تخافون نشوزهن ليتبين على وجود النشوز
منها للحال حقيقة ولكن على غالب الظن لانها اذا كانت ناشزة كيف يعظها وكيف تهجرها ويضربها فدل انه
على غالب العلم اولا ترى انه من اكره على ان ينطق بكلمة الكفر بقتل او ضرب يخاف منه التلف كان في حل وسعة
ان ينطق به بعد ان يكون قلبه مطمئنا بالايمان وذلك انما يعلم بغالب الظن واكبر الرأي لا بعلم حقيقة ثم
ابيح له ان يعمل عمل حقيقة العلم فكذلك الاول والله اعلم نهى الله عز وجل المراة عن خيانة زوجها وامرها بطاعته
في نفسها كما امره ان يحسن عشرتها وهذا هو والله اعلم هو الحق الذي ذكره الله تعالى في سورة البقرة مجملا بقوله
تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وفسر الحق عليهن في هذه السورة وهذا ان تطيعه في نفسها وتحفظ غيبه الا ترى
انه قال تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حق الزوج
على المراة ان دعاها وهي على ان قتب ان تطيعه وقوله عز وجل فعظوهن عن ابن عباس رضي الله عنه فقال
عظوهن بكتاب الله فان اطعنكم اي رجعن الى الفراش والطاعة والا فاهجروهن والهجران لا يجامعها ولا ينام
على فراشه ويوليها الظهر فان قبلت والا فقد اذن الله لك ان تضربها ضربا غير مبرح ولا يكسر لها عظما
فان قبلت والا فقد حل لك منها الفداء ويحتمل قوله تعالى فعظوهن اي يقول لها كوني من الصالحات ومن القانتات
ومن الحافظات ولا تكوني من كذا على الرفق واللين فان تركت ذلك والا فاهجرها والهجران يحتمل وجهين التخويف
على الاعتزال منها وترك المضاجعة والجماع ويحتمل ان يهجرها ولا يجامعها لا على التخويف من تركه فان هي تركت
ذلك والا ضربها عند ذلك الضرب الذي ذكرنا غير الشائن والله اعلم على الترتيب يعظها اولا بما ذكرنا من
الرفق بها واللين لعلها الطاعة وتركت ذلك ثم اذا لم تطعه خوفها بالهجران فلعل قلبها لا يحتمل الهجران وترك
المضاجعة فتطيعه فان ابت ذلك حينئذ هجرها ولم يجامعها ولا يضاجعها فان اطاعته والا عند ذلك ضربها
فان هي اطاعته والا فعند ذلك يرفعان الى الحاكم وهذا يجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الرفق واللين و
لا ولا يغلظه في القول فان هو قبل ذلك والا فعند ذلك غلظ القول به فان قبل ذلك والا بسط يده فيه على ما امر الله
سبحانه وتعالى الازواج ان تعاملن النساء من العظة ثم الهجران ثم الرفع الى الحكمين وروى في الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تضربوا اماء الله فترك الناس من ضربهن فجاء عمر رضي الله عنه قال والله لقد ذئر النساء يا رسول
الله فامر بضربهن قال فاطاف بال محمد النساء كثيرا يشتكين ازواجهن فلما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولقد
اطاف الليلة بال محمد سبعون امراة يشتكين الضرب والله ما تجدون اولئك خياركم وقال خيركم لاهله وانا خيركم
لاهلي وقال احسن المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله والموعظة كلام يلين القلوب القاسية ويرغب
الطبائع النافرة فيكون ذلك تذكر عواقب الامور ومبادي الاحوال والله اعلم وعلى ذلك يعظها زوجها بان يذكرها
نعم الرب جل جلاله وما جعل من الحق عليها وما وعد في ذلك واوعد ففي هذه الايات دلالة لزوم الاجتهاد وتكليف
ما لا يصل الى معرفة المكلف به الا بالتدبر والعرض على الامور المعتادة او الاسباب المعقولة في جعلها اسبابا
للمصلحة وسبيلا للوقوف على ما في اصول تلك النوازل من الحكمة ولا قوة الا بالله ثم جعل تاديبهن الى الازواج لا الى
الائمة اذ عقوبة تكون بالضرب او الحبس وما يلحقها من المكروه فيما له امر التاديب معاني ذلك من الستر ويكون
الغالب منه ما لا يجد سبيل الاظهار عند الحاكم ويكون في اوقات فلا تضيق عن احتمال ذلك ويكون ذلك اصلا لنا
كل ما قيل اجر من الا [illegible] والضغاير وغير ذلك والله اعلم والاصل ان الله تعالى قال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة فجعل التاديب من الوجه الذي فيه حفظ المجعول لنا اية ورعاية ما جعل
بينهم من المودة والرحمة والمنازعات والخصومات الى الحكام يقطع تلك فجعل لهم من ذلك قدر ما لا يقطع مثله من
التاديب المعنى المجعول بينهم ولذلك لم تاذن بالضرب المبرح ولا اذن الا عند انقطاع الحيل التي جعلت الالفة
والمحبة على ان في خفيف ذلك اظهار الاشفاق على ما اعترض من خوف انقطاع المودة والرحمة وابداء العتاب الذي
هو اية النصح والاخوة اذ ذلك بما يخاف في ترك ذلك تمام ما قد افتتح من الستر والشفقة والله اعلم وقيل في قوله تعالى
وبما انفقوا من اموالهم بما ساقوا من المهر والنفقة وقوله تعالى واهجروهن في المضاجع يحتمل وجهين احدهما ان يهجرها
في حال مضاجعته اياها اي ان لا يكلمها لا ان يترك مضاجعتها اذ المضاجعة حق بينهما عليه في تركها ما عليها لا يؤديها
بها بغير حقه ونفسه والله اعلم ويحتمل اي اهجروهن عن المضاجع ومضاجعة اخرى في حقها فيكون حقا عليه في حال
المواقعة وحفظ حدود الله بينهما الا في حال التضجيع والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يهجرها في ان
لا يجامعها ولا يضاجعها على فراشه ويوليها الظهر لكنه على هذا يشتركان في التاديب لانه به يؤدب نفسه في ذلك الى
حاجته لكن المعنى من ذلك ان لا يجامعها الوقت عليه بشهوتها وحاجتها وانما ينظر شهوته دونها والله اعلم وقوله
عز وجل فلا تبغوا عليهن سبيلا ان اطعنكم اي لا تطلبوا عليهن علل وقيل لا تكلفوهن الحب وانما جعل الله الموعظة
والهجران والضرب في المضاجع وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال فان اطاعته فلا سبيل له عليها ثم الضرب
هو ما ذكرنا ان تضربها ضربا غير مبرح وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال علق سوطك او قع حيث تراه اهلك
ولا تضربها به قيل وبم تضرب قال بنعليك ضربا غير مبرح يعني غير مؤثر ولا شاين وروي في خبر اخر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم

عليهن ان لا يوطين فراشكم احدا تكرهون فان فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف
وقوله عز وجل ان الله كان عليا كبيرا هذا والله اعلم تذكير من الله عباده وامر منه اياهم ان مع علوه وسلطانه
وعظمته وجلاله وقدرته لا يواخذ فابا ول عصيانا بغضبه ولا باول عشرة نعمة حامع قدرته على الاخذ على ذلك
واصلا كرايام لا تواخذوهن ايضا باول معصيته يعصين فيكم والله اعلم ويحتمل ذكر هذه الاية وهو كذلك ليذكر علوه
وكبره فيحفظ احده فيما حصل له من التاديب ويذكر قدرته عليه وقوله عز وجل وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من
اهله وحكما من اهلها الاية كان هذه المخاطبة والله اعلم بغير الازواج لانه قال فان خفتم شقاق بينهما ولو كانت
المخاطبة في ذلك للازواج لقال فان خافا شقاق بينهما او ان خفتم شقاق بينكم وقوله عز وجل واللاتي تخافون نشوزهن
فعظوهن الاية خاطب بذلك الازواج لانه قال واهجروهن في المضاجع وذلك الى الزوج اذ للزوج اذا خاف نشوز
امرأته ان يعظها اولا فان قبلت والا فبعد ذلك هجرها ثم يضربها ان لم تقبل ذلك فان لم ينفع ذلك كله فبعد ذلك
دفع الامر الى الحاكم والامام فوجه الحكمين وروي نحو ذلك عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يبعث الحكمان حكما
من اهلها يا فلان ما تنقم من زوجك انقم منها كذا وكذا تقول ارايت ان يرغب عما تكره الى ما تحب هل انت متق الله وتعا
شرها بالحق عليك من نفقتها وكسوتها فاذا قال نعم قال الحكم من اهله يا فلانة ما تنقمين من زوجك فتقول
مثل ذلك فان قالت نعم جمع الله بينهما بالحكمين بهما يجمع الله وبهما يفرق ثم اختلف في الحكمين هل يفرقان بينهما قال
بعضهم يفرقان بينهما قال بعضهم يفرقان بينهما ان شاء الله وان شاءا جمعا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
قال بعثت انا ومعاوية حكمين فقيل لنا ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما واما عندنا فانهما لا يفرقان
الا برضى الزوجين بما روي ان رجلا وامرأة اتيا عليا رضي الله عنه مع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي رضي
الله عنه ما شان هذين قالوا بينهما شقاق قال علي رضي الله عنه ابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا
يوفق الله بينهما فقال علي رضي الله عنه هل تدريان ما عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما قالت
المرأة رضيت بكتاب الله قال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله لا تبعدن مني حتى تقر كما اقرت
اخبر علي ان فرقة الحكمين انما تجب برضا الزوجين فلو كانت فرقتهما تجوز بغير رضا الزوجين لم ينظر الى سخط الزوج
في الفرقة ولقال علي رضي الله عنه للحكمين فرقا ان رايتما ذلك كره الزوج او رضي وفي قوله ايضا وان خفتم شقاق بينهما اي
علمتم اذ حق ذلك ان يجتهد في الحال بينهما فيعمل على الغالب وللغالب حق العلم في الاعمال وحق الريب في الشهادة فذكر باسم
الخوف على ما فيه من علم العمل على ان في ظاهر الاية التفرق في المنزل حتى يبعث عن اهل كل واحد منهما ولو كانا في منزل واحد
لحقه ان يجمع بين الحكمين لان يبعثا يدل على ظهور الخلاف والشقاق والله اعلم قال وامر الحكمين بالاصلاح بين الزوجين
وهو الامر الذي امر بين جميع المؤمنين من قوله فاصلحوا ذات بينكم وقوله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية وقوله
لا خير في كثير الاية وذلك في حق التاليف وما به تمام الاخوة بقوله فاصلحوا بين اخويكم لا بما يضرب اهله ويوجب
التفريق بينهم والتباغض وعلى ذلك امر الحكمين في النكاح والله اعلم وقوله عز وجل ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما هما الحكمان وعن مجاهد مثله وقال اخرون قوله ان يريدا
اصلاحا يوفق الله بينهما هما الزوجان وفي الاية دليل على انه ليس للحكمين ان يفرقا لان الله تعالى قال ان يريدا اصلاحا و
ليس فيها دليل ان فرقتهما جائزة بشيء وقوله عز وجل فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به يدل
على ان الخلع اليهما دون الحكمين وكان الحكمين يوجهان ليعرف من الظالم من الزوجين ليستظهر بهما على الظالم لان كل
واحد منهما داشكاية بين الناس من صاحبه لا يعرف الظالم منهما من غير الظالم فان كان الزوج هو الظالم اخذ على يده وقيل
لا يحل لك ان تفعل هذا لتختلع منك وامر بالانفاق عليها وان كانت هي الظالمة وكانت في غير منزله ناشزة لم يؤمر بالانفاق
عليها وقيل له قد حلت الفدية وكان في اخذها معذورا بما ظهر للحكمين من نشوز المرأة والله الموفق وفي قوله ايضا ان يريدا
اصلاحا لا يخلو من امرين اما ان يريد به الزوجين والحكمين ثم الاصلاح يكون مرة بالجمع ومرة بالتفريق فعلى الجمع تاويل التوفيق
الجمع بينهما وعلى ارادة التفريق تاويله التوفيق للاصلاح وعلى التوفيق للاصلاح يدخل فيه الامران وفي ذلك ان الفرقة
والاجتماع اليهما اذ عليهما ارادة الاصلاح وانصرف معنى الاية الى الزوجين وايد ذلك قوله عز وجل وان امرأة خافت
من بعلها نشوزا او اعراضا الى قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا الاية ثم قال عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
الاية فعلى ما ظهر منه النشوز صرف امر التفرق الى الزوجين وكذلك قوله تعالى لا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن
الى قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به فاشركهما في الابتداء الذي به الفراق ويريد به الحكمين فيكون ذلك
على الترغيب في طلب الاصلح بينهما وعلى ايثار العدل والصوب كقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس فاحكموا وقوله تعالى
كونوا قوامين بالقسط الاية فاذا ارادا الاصلاح يوفق الله بينهما له وجهان اي بين الزوجين ببركة قيام الحكمين
لله وابتغائهما الصلاح بينهما فيوفق الزوجين لما له النكاح من السكن والرحمة والمودة والعفة ويحتمل يوفق الله
بينهما بين الحكمين في اصابة ما اراد من الاصلاح ثم العلم بارادتهما الاصلح لا يعلمه الا الله فلا يحتمل ان يوجب لهما في الحكم
التفريق والذي جوابه وعد التوفيق لم يبين فلذلك لم يكن لهما حق التفريق انما اليهما اعلام ما اتفقا عليه ثم هما عملا
فيكون ليهما الرضا بارايا او غير الرضا واصله وجهان احدهما انه استوجبا القيام بالتولية والرضى من الزوجين ومن
يخاف الشقاق بينهما فان قاما يبعث الناس فقاما يبعث من لا يملك الفراق يستوجبان بهم ذلك وان قاما يبعث

الزوجين

الزوجين فرضيا وعما بعثا في ذلك لم يكن لهما غير الذي كان فيه الرضا عليهما والله اعلم والثاني انهما بعثا للعلم
بالسبب الذي حملها على الشقاق ولعلم السبب منهما فلا يحتمل ان يلزما الطلاق بلا ذنب منه فيمكن كل امرأة
تريد مفارقة الزوج واغرامه المهر واذا لم يحتمل ذلك لم يحتمل ان يكون لهما حق التفريق بهذا البعث معا بعثا لدفع
الشقاق الهائج بينهما والرد الى الصلاح الذي له كان النكاح على اتم تمكن الاخذ على يدي الظالم منهما والقهر على العود
الى ما فيه الصلاح بالتاديب لم يجز ان يلزما الفراق وان كرهاه والله اعلم ثم الاصل ايضا بالغا ان لا يلزمان النكاح
اذا كرهها واما القوم الصلاح الى التناكح على احتمال وجود الولايات في الانكاح كانا ان لا يلزمان الطلاق اذا كرها
على امتناعه عن وجوب الولايات به لغير الزوجين احرى والله وقوله عز وجل ان الله كان عليما خبيرا من الظالم منهما
ومن المظلوم وقيل عليما خبيرا بنصيحتهما لهما بما اشرت المرأة الى حكمها والزوج الى حكمه خبيرا بما اطلع كل واحد من الحكمين
من صاحبه عليها افتى به اليه اصدقه ام لم يصدقه والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فابعثوا حكمة من اهله
وحكمة من اهلها قوله عز وجل واعبدوا الله قيل وحدوا الله وقيل اطيعوا الله وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ولا تشركوا به
شيئا يحتمل النهي عن الاشراك في العبادة والطاعة ويحتمل النهي عن الاشراك في الربوبية والالوهية ويحتمل النهي عن
الاشراك في سلطانه وغير ذلك كل ذلك اشراك بالله وبالله العصمة قال بعض اهل اللغة العبادة هي الطاعة التي
معها الخضوع وقال بعضهم التوحيد واصلها ان يجعل العبد نفسه لله عبدا لا يشرك فيها غيره من هواه وما كان
من وجوه الاشراك ثم له وجهان احدهما في الاعتقاد والثاني في الاستعمال والله اعلم وقوله عز وجل وبالوالدين
احسانا امر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين وامر بالاحسان الى ذي القربى واليتامى والمساكين الى اخر ما ذكر لكن المعنى
الذي به امر بالاحسان الى هؤلاء الاصناف والفرق مختلف اما احسان الوالدين ان يكرمهما بما احسنا اليه وربياه
صغيرا كقوله اشكر لي ولوالديك وقوله تعالى ولا تقل لهما اف الاية وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا يذكر حال
صغره وضعفه انه كيف ربياه ويشكر لهما على ذلك ويحسن اليهما اجزاء لما احسنا اليه وربياه صغيرا وقال الله
عز وجل ايضا ووصينا الانسان بوالديه احسانا فاحسان الوالدين جزاء وشكر لانعامهما اليه وذلك يكون من جانب
الولد لان مثله لا يلزم الوالدين لولده وذلك فرض على الولد حتى عد عقوق الوالدين من الكبائر روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين والواجب على الرجل ان يطيع والديه وكل
واحد منهما الا ان يامره بمعصية او ينهاه عن اداء فريضة او تاخيرها عن وقتها فان طاعتهما حينئذ معصية لله الا ترى
الى قوله عز وجل وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا امر بصحبتهما
بالمعروف الا ان يامره بمعصيته ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله لا ينبغي للرجل ان يقتل اباه الكافر اذا كان محاربا الا ان
يضطره الابن الى ذلك لانه قال وصاحبهما في الدنيا معروفا فمن المعروف في الدنيا ان لا يقتله ولا يشهر عليه
السلاح وقالوا ايضا ان مات احدهما تولى دفنه وذلك من حسن الصحبة والمعروف وروي ان ابا طالب لما مات
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله اذهب فواره ثم في هذه الاية تسوية بين الوالدين فيما امر له
من الاحسان اليهما وان لم يجعل للاب فضلا في ذلك على الام فذلك يدل على ان اسلام كل واحد من الابوين اسلام
للصغير اذ كان الاجماع قائما في ان اسلام الاب اسلام لولده الصغار وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قال غير ان ابويه يهودانه وينصرانه وقوله عز وجل وبذي القربى امر بالاحسان الى ذي القربى ومعنى الامر به
والله اعلم صلة يصل بعضهم بعضا وذلك من جانبين ما يلزم هذا ان يحسن الى هذا يلزم الاخر ان يحسن اليه وذلك
ابقاء للمودة فيما بينهم والمحبة وذلك فرض ايضا ان يصل بعضهم بعضا لان صلة القرابة فريضة والامر بالاحسان
الى اليتامى يحتمل وجهين لما فيه لهم والذي يقوم بحوائجهم على ما يقوم له واحده وامر بذلك لما به الرجل ولد اخر لكان
والديه فاذا مات والده يمتنع عن ذلك فامر ان يحسنوا اليه بعد موت والده على ما كانوا يحسنون في حياته لانه
في ذلك الوقت احوج اليه اذ لا شفقة لاحد عليه وشفقة والده معدومة والله اعلم ومعنى الامر بالاحسان الى المساكين
يحتمل ايضا وجهين يحتمل شكر الله على ما من عليهم وانعم بالافضال على اولئك ان لم يسبق منهم الى الله معنى يستوجبون
ذلك دونهم امر بالاحسان اليهم شكرا لما انعم عليهم واحسن اليهم والثاني انهم من جوهرهم وجنسهم في الخلقة يحتاجون
اليه ما يحتاج هؤلاء عن المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك فامرهم بالاحسان اليهم شفقة منهم لهم بتفوا على داء
ما فرض الله عليهم ادم في الخلقة والجوهر وهذا الاحسان في اليتامى والمساكين من جانب لا من جانبين وقوله عز
وجل وابن السبيل امر الله بالاحسان الى ابن السبيل للوجهين اللذين وصفتهما في المساكين والله اعلم وقيل في اليتامى
الله امر الاوصياء بالقيام على مالهم وحفظهم رحمة لهم واللين لهم وقوله والجار ذي القربى وهم ذوو قرابته وله حقان
حق الجوار وحق الرحم كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الجيران ثلاثة جار له حق واحد وجار له
حقان وجار له ثلاثة حقوق فاما الذي له حقوق ثلاثة حق القرابة وحق الاسلام وحق الجوار والذي له حقان
حق الاسلام وحق الجوار والذي له حق واحد هو حق الجوار وقوله عز وجل والجار الجنب خص الله سبحانه وتعالى الجار
الجنب دون غيره من الجيران غير الملازقين وكان ذلك دليلا على ان الحقوق التي تلزم بالجوار انما تلزم في الجيران
الملازقين الجيران بالملك يمس ملك بعضهم بعضا ويلصق به كما في الرحم يمس انفسهم بعضهم لبعض ولهذا قال
ابو حنيفة رضي الله عنه انه اذا اوصى لجيرانه فالوصية للملازقين دون غيرهم لانهم هم الذين يلزم لبعضهم على بعض

حقوق يقومون باداتها في حال حيوتهم فاذا ماتوا فاوصوا انما اوصى باداء ماكان بينهم وكذلك قال في الوصية الذى قرابتها القرابة الذين يفرض عليهم صلتهم اذا كانوا احياء فاذا مات فاوصى فانما يوصى باداء ماكان يؤديه حال حيوته وذلك مما عليه الاداء وفيه دليل على ان الشفعة الواجبة للجار انما تكون للجار الجنب الملازق دون غيره من الجيران وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الجار وامر بمسامحته وعن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبرائيل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه وفي بعض الاخبار من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره وفي بعضها ما امن من امسى شبعانا وجاره جايع واذا بيع بجنبه دارا وارض ان يأخذها بالشفعة لما روى عن عمرو بن الشريد عن ابى رافع عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الجار احق بسقبه وعن عمرو بن الشريد عن ابيه قال قلت يا رسول الله ارض ليس لاحد فيها شرك الا الجار قال الجار احق بسقبه ماكان وعن رافع بن خديج قال عرض على سعد بيتا فقال خذه فانى قد اعطيت به اكثر مما تعطينى ولكنك احق لانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجار احق بسقبه وعن ابى الزبير عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالشفعة بالجوار وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجار احق بسقبه جاره اذا كان طريقهما واحد ينتظر بها وان كان غايبا وقول النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرها وان كان غايبا يدل على انه لا ينتظر بها اكثر من ذلك وفى ذلك دليل على ان الشفيع ان امسك عن طلب الشفعة وقد علم بالبيع بطلت شفعته ومما يدل على ذلك ايضا ان الشفعة انما جعلت للجار والله اعلم بما يخاف عليه من سوء جوار المشترى والضرر الذى عسى ان يلحقه منه فلو جعلنا الشفيع على شفعته ابدا لم يؤمن ان يبنى المشترى فى الدار وينفق فيها نفقة عظيمة ثم يجئ الشفيع فيطلب الشفعة فيقال للمشترى سلم الدار وارفع بناءك وفى ذلك ضرر عليه بين وعن على وعبد الله رضى الله عنهما قالا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة بالجوار وعن شريح قال كتب الى عمر رضى الله عنه ان اقض للجار بالشفعة والى هذه الاثار ذهب اصحابنا رحمهم الله فى ايجاب الشفعة بالجار وانكر قوم ان تكون الا فيما يقسم من الدور والارضين واحتجوا فى ذلك بما روى عن سعيد بن المسيب وابى سلمة قالا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة فى كل مالم يقسم فاذا رفعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة وكذلك روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله لكن تاويل الحديث عندنا والله اعلم ان قوله قضى بالشفعة فيما لم يقسم قول الراوى لانه لم يحك عنه انه قال لا شفعة فيما قسم فيحتمل ان يكون علم ذلك فحكاه ولم يعلم بما رواه الاخرون بايجاب الشفعة فيما قد قسم واما قوله فاذا رفعت الحدود فلا شفعة فليس فيه بيان حكاية عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد يجوز ان يكون ذلك من الراوى وان قال ذلك انما قال فى القسمة عندنا لانه قد جعل الله تعالى ان بعضهم على بعض حقوقا باتصال املاكهم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان يبيع داره فليستاذن جاره فاذا اراد البايع اختبار الجار الذى لا حق له على الجار الذى له حق جعل له ابطال ذلك اذ ليس غرضه من البيع الا الثمن وقد يوجد فى الجار واما البيع فالمقصود فيه الثمن وقوله عز وجل ايضا والجار ذى القربى والجار الجنب البعيد بين والله اعلم ليعلم ان الحق الذى ذكر للجار من الاحسان اليه ليس هو بحق القرابة بل هو بحق الجوار فامر بالاحسان الى من له جوار بالنسب ثم كان الحق قد يصير من بجوار النسب بحال مما كانت الصلة مفروضة فيمن يملكه ملكه فى الملك وجوبه فيما وقع التماس بالبدن فى البدن على ان الاية فيها امر بالاحسان الى الجميع من ذكر فقد يصير ذلك حقا يلزم بحال فمثله حق الجوار وذلك لا يعرف غير حق الشفعة وقد جاءت به الاثار وتوارث المسلمون فى ذلك الطلب والاحتيال فى الصرف والمنع فبان ان الحق به ظاهر لا يحتمل الخفاء مع الا يشك من العوام عن ذلك الا وعنده حظ من العلم فيه لا يوجد مثله الشئ من الحقوق فى عين املاك المحقين هذا البيان والظهور ثبت ان امره كان معروفا فى الامة حتى جرى به التوارث ثم هذا النوع من العلم لا يحتمل انتشاره ونيله بالراى فصار ذكره ظاهرة لها حق التواتر مما يستغنى عن روايته والله اعلم ان الناس على اختلافهم متفقين على وجوب حق الشفعة بحق الشرك فيما يحتمل القسمة فاما ان يجب بحق القسمة فيجب ذلك فى كل محتمل القسمة وذلك مما يأباه الجميع او يجب بما جعل من الحق للجوار الذى جاء به الكتاب وجرت به السنة او بما جعل من تاذى بعض الجيران ببعض والامر بالمعروف فى الخلق من الاستخبار عن احوال الجيران قبل تأمل الدور وتفاوت القيم باختلاف الجيران بما فى ذلك من المؤن والمضار واى هذين كان فالشفعة واجبة بالجوار ولانهما امران لا ينسلم عنهما على ثبات الجوار فيجب به الشفعة معا امكن الجمع بين الاثار بما لا يحتمل تسمية الشريك جارا من حيث الشرك لوجهين احدهما قوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات لم يجعل الارض متجاورة حتى ثبت لها القطع فاوجب بالقطع التجاور ومعا كان الجوار فى اللغة اسم للتقارب والالتصاق لا للتداخل معروف ذلك عند من نفسه مكابرة المعارف والوجه الاخر ما لا يسمى الشركاء فى عين العرصات جيرانا ثبت ان ذلك ليس اسماء الشرك فلا وجه لصرف الخبر باسم الجوار الى الشرك معا فيها ما يقطع من عن ارض ليس لاحد فيها شرك الا الجوار انه قال الجوار احق بسقبه ومما جاء الجار احق بشفعة جاره ينتظر وان كان غايبا ان كان طريقهما واحدا فيجب بما ذكرت صرف غير الشريك الى وجه وبوافق خبر الجار وله اوجه ثلاثة احدها ان قوله قضى بالشفعة لشريك لم يقسم غير مقابل لخبر الجوار اذ هو احق فى القولين وما روى من القول اذا رفعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة فقد يحتمل ان يكون خبرا عن هذه الفعل لا شفعة فى صرف الطريق واظها الحدود اذا القسمة فى معنى البيع فى الامور حتى منع الاقتسام فى كل ما لا يحتمل التفاضل الا بما يجوز به فتبيل لا شفعة فى هذا والله اعلم والثانى ان يكون اذا كان هذا فلا شفعة لهم مع من لم يقع بينهم الحدود ولا صرفت

بينهم

بينهم الطرق والله اعلم والثالث اذا وقعت الحدود وفيما بينت وصرفت الطرق فيما حدث اذ فيما لم يقع بينها شئ حد ليس واحد من الامرين واذا احتمل خبر الشرك ما ذكرنا ثبت امر الشفعة بالجوار والشرك جميعا على الترتيب ولا قوة الا بالله ولو كان الجنب اسمه لبعيد الجيران بالنسب استحق بما كان الذى به الجوار بالتصاق ويكون كل واحد منهما بجنب الاخر اذ لا يسمى كل بعيد به فغيبه وجهان احدهما الحق بالاتصال والثانى بيان ما به يكون الجوار والله اعلم وقوله عز وجل والصاحب بالجنب اختلف فيه قال على رضى الله عنه هى المراة وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه كذلك ايضا هى المراة وعن ابن عباس رضى الله عنه هو الرفيق فى السفر وكذلك قول مجاهد فان الصاحب بالجنب هو المراة فالامر بالاحسان غير جانب وان كان هو الرفيق فى السفر فمن جانبين ما يلزم هذا الزم الاخر مثله بحق المصاحبة وقوله عز وجل وما ملكت ايمانكم يحتمل الامر وجهين بالاحسان الى المماليك شكرا لما انعم عليهم مما جعل لهم من الحق له من جوهرهم وامثالهم فى الخلقة اذ لا تحت ايديهم يستخدمونهم ويستعملونهم فى حوايجهم اولما هم امثالهم فى الحاجة من المطعم والمسرت وهم مقهورون فى ايديهم وقد يترك الرجل النظر لمن هو مقهور فى يده امر بالنظر اليهم والله اعلم وقد جاءت الاثار فى ذلك عن انس رضى الله عنه قال كان عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة وما ملكت ايمانكم وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى بالمملوك خيرا ويقول واطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون وعن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى بالصلوة والزكوة ومما ملكت وعن ام سلمة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى مرضه الصلوة وما ملكت ايمانكم فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه وعن ابى هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وعن انس رضى الله عنه قال كان اخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة الصلوة وما ملكت ايمانكم ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يغرغر بها فى صدره ولا يفصح بها لسانه وعن ابى ذر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى المماليك هم اخوانكم ولكن الله خولهم اياكم فاطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون وقوله عز وجل ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الاية قيل المختال هو المتكبر وقيل هو من الخداع وقيل هو الذى يمشى مرحا وهو واحد يتكبر عن عبادته تعالى او يتكبر على عباد الله تعالى ويخدعهم وقوله عز وجل لا يحب كل مختال فخور لانه لا يحب الاختيال وكذا كل ما ذكر لا يحب ذا كقوله يحب المطهرين والتوابين ولا يحب الظالمين لانه يحب الطهارة والتوبة ولا يحب الظلم ولا الكفر فاذا لم يحب هذا لم يحب فاعله لفعله واذا احب فاعله لفعله وقوله الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل الاية يحتمل ان يكون الاية تفسيرا لما تقدم من قوله ان الله لا يحب كل مختال فخور ووصف لهم اذ لا يتكلم بمثله الا عن تقدمه ويحتمل على الابتداء كقوله الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين الاية ثم يحتمل وجوها يحتمل قوله يبخلون بما عندهم من الاموال ويأمرون الناس به وهكذا ادأب كل بخيل ويأمر به غيره ويحتمل يبخلون بما عندهم من العلوم والاحكام لم يعلموا غيرهم ويأمرون الناس بذلك ويحتمل قوله يبخلون باظهار نعت محمد صلى الله عليه وسلم ويأمرون الناس به الا ترى انه قال ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اى يكتمون نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ويحتمل قوله يكتمون ما اتاهم الله من فضله اى يكتمون من العلوم والحكمة ويحتمل ما ذكرنا انهم يكتمون ويبخلون بما اتاهم الله من فضله من الاموال ولا ينفقونها فى ترك الانفاق والصدق كتمان ما انعم الله عليهم وعلى ذلك روى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اتاه الله نعمة فليرى عليه لعله اراد بقوله يرى عليه ان ينفقها على نفسه ويتطيب فيها ويلبسها وجاز ان يكون ارادوا والله اعلم الانفاق والصدق على غيرهم فعلى ذلك كتمان ما اتاهم من الاموال اذا تركوا الانفاق على غيرهم لان من كانت له الاموال لا يترك الانفاق على نفسه وقيل فى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل فى كعب بن الاشرف نعت محمد صلى الله عليه وسلم وكتب الى رؤسا من اليهود فى الافاق يأمرهم بكتمانه وايضا فى قوله يبخلون ويأمرون الناس بالبخل اى بما انعم الله عليهم من الاموال او بما بين لهم من صفات عليه افضل الصلوات او بما امروا به من العبادات حملهم على الكفر احدها الا وجد الثلاثة او كانوا استحلوا احدها فكفروا بذلك لزمهم الذى ذكر فى القران والله اعلم وكتمانهم يرجع الى كتمان النعت والحقوق او العبادات فى نفسهم لئلا يعرفوا بالعدول عليهم عما فى كتبهم وذلك تخويفهم والله اعلم وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين عذابا مهينا ظاهر قد ذكرنا فى غيرهم موضع وقوله عز وجل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر سرا وقيل انها نزلت فى المنافقين كانوا ينفقون مراءاة كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بذلك وكانوا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر سرا وقيل انها نزلت فى الذين يسعون فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون معه ينفقون اموالهم مراءاة للناس يطلبون بذلك الرياسة وقوله عز وجل ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا يحتمل ان يكون هذا فى الدنيا وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم الاية ويحتمل فى الاخرة كقوله تعالى فبئس القرين اليوم انكم فى العذاب مشتركون فهذا والله اعلم لان كلا منهم كان يتبع الشيطان ويأنف عنه وبحسن الملائكة ويحمدهم حتى ضرب مثل القبح من الاشياء بالشيطان كقوله طلعها كانه رؤس الشياطين وضرب مثل الحسن بالملائكة وذلك لمعرفتهم بقبح الشياطين وحسن الملائكة وذلك انما عرفوا بالخبر لانهم لم يعاينوا ملكا عرفوا حسنه بالمعاينة ولا شاهدوا شيطانا عرفوا قبحه بالمشاهدة ولكنهم عرفوا ذلك

بالحق ففيه دليل اثبات النبوة لانهم ما عرفوا ذلك الا بهم دل به استقباح الجميع الشياطين واستنكارهم واستحسانهم
الملائكة واستعظامهم من غير ان شهدوا من احد من الفريقين على قبول ثم غشيا دا ذعن الا لسن نطقوا به وعلى اثبات
الرسالة اذ هم جاؤوا بالاثار وعن شهدهم وانشائهم والله اعلم وقوله عز وجل وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم هذا و
والله اعلم صلة قوله والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم
الله والله اعلم وذلك وذلك انهم كانوا ينفقون مراآة طلب الرياسة وابقاها فقال لو امنوا بالله واليوم الاخر
وانفقوا مما رزقهم الله يبقى لهم الرياسة ويكون لهم الذكر بل امنوا كان ذلك في الاديان اكثر ذكرا واعظم قدرا
ومنزلة الا ترى انه من اسلم منهم من الائمة من نحو ابن اسلام وغيرهم كان لهم ذكر في الاسلام وبعد موتهم من غير
حاجة وقعت بهم اليه ثم حق شرايع الاسلام ومن مات منهم على الكفر لم يذكر ابدا فاخبر الله سبحانه وتعالى ان ليس
في الايمان بالله واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ذهاب شيء مما تخافون ذهابه عن الرياسة والمنافع التي يطمعون
وصولها اليكم وغير ذلك حيث قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فقال وماذا لو امنوا بالله واليوم
الاخر اي لم يكن مما خافوا باتباع الهدى قليلا ولا كثيرا وقوله عز وجل وكان الله بهم عليما يحتمل وجهين يحتمل انه
كان على علم منه يفعلون من فعل الكفر والشر ونحوه من خلق ابليس لا عن جهل ولا غفلة ليس كصنيع ملوك الارض
انهم اذا فعلوا فسادا ثم استقبل الخلاف فانما يكون ذلك لغفلة منهم وجهل بالعواقب فالله سبحانه وتعالى كان
لم يزل عالما بهم لكنه تركهم على ذلك لما لا يلحقه الضرر بالعصيان ولا النفع بالطاعة بل حاصل الضرر والنفع يرجع
اليهم والثاني يخرج مخرج التحذير لهم والتنبيه لان من علم ان الخبير بصنيعه كان احذر واخوف ممن يعلم انه
ليس عليه حافظ ولا رقيب وعلى هذا يخرج قوله كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فيكونوا على حذر من ذلك وقيل
وكان الله بهم عليما انهم لن يؤمنوا في هذا قوله ايضا وكان الله بهم عليما اي انساهم ليعلم الخلايق ان مخالفتهم
اياه لا تضره اذ كل من يضره الخلاف لا يتولى ابتداؤه الا على الغفلة ببعضه من الضرر يلحقه بالخلاف
والثاني على التحذير وقت الفعل بتذكير المراقب عليه علما عليه الامر المعتاد من الانتهاء عن امور نهواه النفس
بالمراقب عليه ويحتمل كان على ارادة نفي حدثية العلم او اخبر بعلمه بفعلهم وما له من الجزاء والله اعلم وقوله عز
وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقوله تعالى ولا يظلمون فتيلا ونقيرا وما ربك بظلام للعبيد ذكر هذا والله اعلم ليلا يظن
جاهل اذا راى الم الاطفال والضعفاء وما يحل بهم ان ذلك ظلم منه لهم لكن ذلك والله اعلم ليعلم ان الصحة والسلامة
افضل من الله تعالى لم لا يحق عليهم ذلك اذ له ان يخلق كيف شاء صحيحا وسقيما ثم من ظلم اخبر في الشاهد انما يظلم لاحد
خلتين اما لجهل بالعدل والحق واما الحاجة تمسه يدفع فيصله على الظلم فالله سبحانه وتعالى غني بذاته عالم لم يزل
يتعالى عن ان تمسه حاجة او يخفى عليه شيء معا كان معنى الظلم في الشاهد هو التناول لما ليس له وكل الخلايق من كل
الوجوه له فلا معنى للظلم ثم قيل في الذرة انها نملة ولذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه مثقال نملة وقيل
مثقال حبة وهو على التمثيل ليس على التحقيق ذكر لصغر جثته انه لا يظلم ذلك المقدار فكيف ما فوق ذلك لا ان مثله
يحتمل ان يكون لكن لو كان فهو بتكوينه وبالله التوفيق وقوله عز وجل وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما هذا على المعتزلة لانهم يقولون من ارتكب كبيرة يخلد في النار ومعه حسنات كثيرة فاخبر عز وجل
وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما وهي الجنة وهذا السؤ ظنهم بالله وايا سهم من رحمته
عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها اما بذوق في
الدنيا واما جزاء في الاخرة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اخرجوا
من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من احسان قال ابو سعيد رضي الله عنه فمن شك فليقرا ان الله لا يظلم مثقال ذرة
الاية وقوله عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يقول بالنبي يعني نبيها وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا عليهم
يعني على امته شهيدا بالتصديق لهم لانهم يشهدون على الامم للرسل انهم بلغوا ما ارسلوا به سود ليل صدقهم وقامت
براهينهم بالرسالة صارت شهادة على هؤلاء اي لهؤلاء على هذا التاويل كقوله تعالى وما ذبح على النصب اي ويحتمل عليهم
لو كذبوا وزلوا وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيها وجئنا بك يا محمد على امتك شهيدا على تبليغ الرسالة
وقوله عز وجل يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض قيل فيه بوجوه ان امر الله اصحاب
اليمين واصحاب الشمال قال للوحوش والطير والسباع كوني ترابا فيكون ترابا مثل الوحوش تسوية بها الارض
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال يجحد اهل الشرك يوم القيامة انهم ما كانوا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم
فتشهد عليهم فيودون انهم كانوا ترابا كقوله يا ليتني كنت ترابا وقوله تعالى يا ليتها كانت القاضية فذلك قوله
سبحانه وتعالى لو تسوى بهم الارض ليتنا لم نبعث ولم نحي ويقرا تسوى وتسوى وتستوى وفي حرف حفصة
لو تسوى بهم الارض وقوله عز وجل ولا يكتمون الله حديثا وقيل لما انطق الله تعالى جوارحهم وشهدت عليهم حين انكروا
مشركين بقوله تعالى الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين لم يستطيعوا ان يكتموا الله حديثا ويحتمل على الاستثناء ف
لو يكتمون الله حديثا ويحتمل ان يكونوا يودوا في الاخرة ويتمنوا ان لم يكونوا كتموا في الدنيا حديثا وقوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى يختلف في قوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى قيل لا تدنوا مكان الصلوة
وانتم سكارى نهي عن الصلوة في حال السكر وكذلك الجنب لا يدنوا من مكان الصلوة وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه

وقيل لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى روي ان رجلا صنع طعاما فدعا ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وسعد بن ابي وقاص فاكلوا
وسقاهم خمرا وذلك قبل ان تحرم فحضرت صلوة المغرب فامهم رجل منهم فقرا منهم قل يا ايها الكافرون بطرح اللاآت
فنزل قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصلين احدكم وهو لا يعقل
صلوته وفي الاية دلالة ان في الصلوة قولا فرضا نهى عن قربانها في حال السكر مخافة تركه او نهى عن قربانها في حال السكر خوفا
ان يدخل فيها قولا ليس منها وفي ذلك دليل فساد الصلوة بالكلام عمدا كان او خطا لان السكران لا يفعل ذلك على
العمد ولكن على الخطا والاصل في هذا انه لم ينهه من فعل الصلوة في حال السكر لنفس الصلوة ولكن نهى عن السكر
وذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة للعبد الابق ولا للمراة الناشزة ليس النهي فيه عن الصلوة ولكن النهي
عن الاباق والنشوز نفسه وهكذا كل مادة نهي عنها باشيا تتقدم فالنهي انما يكون عن تلك الاشياء لا عن العبادات
التي امر بها لان الاباق والنشوز والسكر ليسوا بالذي يعملون في اسقاط ذلك الغرض وتلك العبادات وفي الاية دلالة
ان السكران مخاطب بقوله لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى نهى قربان الصلوة في حال السكران فالنهي انما وقع
في حال السكر فاذا كان مخاطبا عمل طلاقه ونفذت عقوده الا ترى انه قال في اية اخرى انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله معنى ولا ذكر عليهم دل انه مخاطب ولهذا اما قال ابو يوسف
رحمه الله انه اذا ارتد عن الاسلام يكون ارتداده ارتدادا ولما نفذ طلاقه وسائر عقوده وفسوخه فعلى ذلك
الارتداد وعلى قول ابي حنيفة رضي الله عنه لا يصير مرتدا استحسانا ليس كسائر العقود والفسوخ لان سائر العقود يتعلق
جوازها باللسان وان كان رضاء القلب مشروطا فيها واما الايمان والكفر فانما يكون بالقلب وان كان العبادة
باللسان يكون شرطا فيما بين الخلق فاذا كان كذلك فاذا سكر يذهب السكر القلب فيجعل كانه لم ينطق واما كان سائر
العقود تعلقها باللسان فاذا نطق به جاز والله اعلم اختلف في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة منهم من حمل على مكان الصلوة
اذ الصلوة فعل والفعل لا يقرب ومنهم من حمل على الفعل اي لا تعملوا واي الوجهين اريد به فالاخر داخل فيه لانه اذا نهى
عن حضور مكانها لحرمته نهي اعلا في الحرمة واحق في المنع وايد ذلك قوله سبحانه وتعالى حتى تعلموا ما تقولون والعلم بالقول
يحتاج في حق الفعل لئلا يترك المفروض من الذكر فيفسد وايدخل المحرم فيه فيفسد وفي ذلك دلالة احد الوجهين وفي حق
العموم الوجها جميعا وهو على الخطا يقول فثبت ان الخطا من القول في الصلوة مفسد اذ لو كان لا يفسد لم يكن سوى
النهي وفي التاخير نهي ايضا والله اعلم ولو اريد به الصلوة فانما المكان لاجلها فلا وجه للحضور دون مكان الفعل
والله اعلم وعلى ذلك امر الجنب في استثناء عابري السبيل يكون على فعل الصلوة بالتيمم فيكون في الاية دلالة التيمم للجنب
او المكان فيباح الدخول فيه على العبور فيه بالتيمم ايضا فعلى ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه اذا كان فيه بالتيمم و
الله اعلم واذا ابيح للجنب على المنع عن دخول المسجد الا بالتيمم فثبت ان التيمم قد جعل له الطهارة فله الصلوة به لعذر والله
اعلم ثم في المروي دلالة عمن اقر في المغرب بقل يا ايها الكافرون على طرح اللاآت في حال السكر حتى نزل قوله تعالى لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى ان كلام الكفر في حال السكر لا يكفر صاحبه اذ ما خاطبهم باسم الايمان فلذلك لم يكن عند ابي
حنيفة رحمه الله كافرا على ان المخطي انما يجري على لسانه كلمة الكفر لا يصير كافرا في الحكم والسكران يجري على لسانه
على الخطا دليله ما لا يذكره وما كان من عقد القلب فهو لا شيء ولخاصة المذاهب كلها يختار عن تكرار الاسباب
وعن اختيار الاحق من الامور عنده اما لحجة او شبهة او شهوة من نحو الالف بالتقليد وحسن الظن والذي يكون
على ما ذكرت لا يحتمل السهو عنه حتى لا يخطر بباله لو اراد بدعوة عن قريب ثبت انه كان عن خطا وقد جاء برفع الخطا
واصله الانسان معبر عن الاعتقاد في امر الدين وبخاصة في الكفر الذي يكون بالقلب خاصة بلا استعمال اللسان دون
القلب الذي اللسان عنه معبر ومن عبر الكفر باللسان ووصفه لا يكفر الا بان يكون يعبر عن نفسه انه اعتقده فلذلك
كان على ما بينا على انه قد يجري بتلاوة القران على اللسان بالغلط ما يكفر عليه بالتعمد فلا يجوز ان يجعل تلاوته التعظيم
والايمان به كفرا ثبت بذلك ورفع حكم الكفر عمن اخطا في اجرائه على اللسان فمثله السكران اذ هو مخطي والله اعلم ثم
اختلف اهل التاويل في تاويل قوله تعالى ولا جنبا الا عابري سبيل عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال هو ان يكون
مسافرا ولا يجد الماء فيتيمم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال هو المسافر وقيل ولا جنبا الا عابري سبيل نهي ان يدخل
المسجد ومكان الصلوة الا عابري سبيل الا مجتازا ومن تاول الاية على المرور في المسجد فهو غير بعيد يقول لا ينبغي
للجنب ان يستوطن المسجد فاما المار فلا ما يعرض له فقلد رخص لها الا ترى ان الجنب رخص له ان يقرا بعض الاية
ولا يجوز ان يتمها لمرور في المساجد اذا لم يجلس فيه كقراءة بعض الاية اذا لم يتمها وعلى ذلك امر الجنب واستثناء
عابري السبيل يكون على فعل الصلوة بالتيمم فيكون في الاية دلالة التيمم للجنب والمكان فيباح الدخول فيه على
العبور فيه بالتيمم ايضا فعلى ذلك عندنا الدخول للاغتسال فيه اذا كان منه بالتيمم والله اعلم واذا ابيح للجنب
دخول المسجد بالتيمم فثبت ان التيمم قد جعل له الطهارة فله الصلوة به لعذر والله اعلم وقوله عز وجل وان كنتم
مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط الاية اباح الله تعالى للمريض المقيم ان يتيمم والاية ذكرت المرض عاما
واجمعوا ان المريض الذي لا يخاف ان يضربه الماء لا يتيمم وانما اجازوا ان يتيمم اذا خاف ضرر الماء ان هو توضا به فدل
ان الله تعالى لما اباح للمريض التيمم لم يبح باسم المرض ولكنه لمعنى في المرض دليله ما ذكر انه لم يبح لكل مريض دون مريض
وفيه دليل لقوله ابي حنيفة رضي الله عنه حيث اباح للمقيم الجنب التيمم اذا خاف على نفسه الهلاك الا ترى انه لا يباح

له التيمم في الامصار وان كان اسم السفر موجوداً لعدم معنى السفر فعلى ذلك اباحة التيمم للمريض اباحة لمعنى في المريض الا ترى
انه ذكر مجيئه من الغائط والغائط هو المكان المطمئن الذي يقضي فيه الحاجة ولا كل من جاء من ذلك المكان يلزمه الوضوء
والتيمم بل انه لمعنى فيه فعلى ذلك الاول وروي ان رجلاً غسل فمات فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه
قاتلهم الله انما كان يكفيهم كف من تراب وكذلك غسل مجدور فمات فقال قتلوه انما يكفيه كذا ونحو هذا فاذا ثبت ان المراد
من المرض والسفر والغائط المعنى الذي فيه لا لعين المرض والسفر والغائط لما ذكرنا اذ لا كل مريض يباح له التيمم و
انما يباح لمريض دون مريض وكذلك ابيح لكل سفر دون سفر ومكان دون مكان وهو المكان الذي يعدم الماء فيه
ونفقد فعلى ذلك المراد من قوله او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً عين اللمس وهو الجماع وكذلك
روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والجماع نكاح ولكن الله تعالى كنى وعن الحسن
وعبيد ابن عمير وعطا قالوا الملامسة الجماع كان قبل ما الحكمة في ذكر المرض والسفر والغائط والملامسة اذا كان
المراد من ذكرها غيرها قيل الحكمة في ذكرها هو ان المرض في الاغلب احواله يعجز المرء عن اصابة الماء وكذلك السفر
في اغلب احواله يعجز صاحبه عن الماء فخرج الذكر على اغلب الاحوال وكذلك من الغائط الاغلب انه انما يجيء عن قضاء
الحاجة لانهم كانوا لا يخرجون الا لقضاء الحاجة وكذلك الملامسة من الزوجين الاغلب فيها قضاء الوطر والحاجة
فعلى الاغلب خرج الذكر وان احتمل غيره وهذا يدل على ان الاحتجاج بالظواهر والعموم لحق المخرج باطل لما لا يجوز
لاحد ان يحتج بظاهر هذه الاية ان تقول على كل مريض او على كل مسافر الا كذا ثم اللمس ان اريد به الجماع فهو ممكن لوجهين
احدهما البينة بالقبلة واللمس باليد بين الزوجين ظاهر لا يحتمل ان يعرف به الرسول والائمة من فعل العوام فلو
كان الوصف فيه لان ما يحتمل ترك اظهار البيان حتى يلزم اكثر الامة المنكر في فعلي الصلوة والله اعلم والثاني ان يكون
الامر بالمعروف في كل لمس ومس جرى لذكره بين الذكور والاناث فهو على الكناية عن الجماع وكذلك سائر الحروف المحتملة
الكناية عنه من نحو المباشرة والغشيان ونحو ذلك وبه قال من لجاز التيمم للجنب في حق الصلوة من الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم والله اعلم وان اريد به غير الجماع مما قدم يحتمل وجوها فهو لا يجمع الكل ولكن يرجع الى خاص وهو الذي
في الغالب ان يكون ثم خروج وان لم يكن وهي المباشرة الفاحشة دليله ذكر المرض والسفر على غير اقران الحكم
بنفسه اذ ما هو اسمها الوجوه فانصرفا الى غاية ما له وقعت الرخصة من العجز والعدم فمثله امر الوضوء في
الاول والله اعلم وقوله عز وجل فتيمموا صعيداً طيباً قيل التيمم القصد يقال تيممت الصعيد وامته لغتان وقوله
فتيمموا اي تعمدوا صعيداً طيباً فاذا كان التيمم القصد والتعمد التعمد الى الصعيد لم يكن الا بالنية لانه عز وجل امر بالقصد اليه
والتعمد وذلك امر بالنية لان القصد نية وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنهما فأموا صعيداً طيباً اي قصدوا وقصده
الصعيد قيل هو وجه الارض وسمي صعيداً لما تصعد عليها وقيل الصعيد عليها وقيل الصعيد هو الارض
التي تنبت الا ترى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً الا السبخة والمقبرة
وقيل انها ملعونة ولهذا امال ابو يوسف رحمه الله ان التيمم لا يجوز بالارض السبخة لانها ليست بطيب والطيب
ما ينبت واما ابو حنيفة رضي الله عنه فانه قال الطيب هو الطاهر الحلال له ان يتيمم به اذا عدم الماء الطيب اسم
ما حمل من المقصود فيه والمقصود في التيمم التطهر فهو الطهور والطاهر وايده الخبر الذي ذكر من جعل الارض طهوراً
والله اعلم وقوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وايديكم لا مر يقع بمسح الايدي على الذراعين دون الكفين دليله امر
الوضوء ثم يغسل الذراعان وقت غسلهما بلا غسل كفين اذ تقدم غسلهما فالذراعان دخلتا في المسح بذكر
اليد وكذلك في الوضوء لان الكفين يغسلان قبل غسل الوجه فالامر بغسل اليه يقع على الذراعين وما وراء ذلك
وعن موسى بن عقبة عن الاعرج عن ابي جهيمة قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غائط وبول فسلمت
عليه فلم يرد على السلام فضرب باليد الحائط ضربة فمسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها يديه الى المرفقين
ثم رد السلام وهكذا يقول اصحابنا رحمهم الله بالضربتين ضربة للوجه وضربة للذراعين لان الاصل انه اذا قال الله
عز وجل في الوضوء وايديكم الى المرافق اثر في وقت الامر بفعل الغسل الى المرافق غير مخاطب بغسل الكفين على حق بغسل
الذراع اذ قد قضى فرض غسلها من قبل فصارت الاية لانها في غسل الذراع بالامر بغسل اليه وعرف بذلك غسل
الكف لانها مثله امر التيمم فصارت الاية كانها في حق الذراع ودخل الكف في ذلك بالخبر على امر الطهارة فيما اضيفت
الى عضو وبدن لم يجعل يدخل كالمضاف اليه في الاستواء بنقضا حقها نحو الجنابة والوجه والرأس فكذلك امر اليد
في التيمم لكن قصر عن التمام بدلالة بيان السنة وعموم الفتيا وما لا شك في قضاء حكم الوضوء وليس هو في بعض اليد
فلا يعمل فيما ليس هو فيه بدله اذ حقه التقصير من كمال وظيفة الاصل لا الزيادة عليه والله اعلم وقوله عز وجل
ان الله كان عفواً الماضي من الذنوب غفوراً لما يستقبل والعفو الصفح والمحو والعفو الستر هو يعفو عنه ويستر على صاحبه
والعفو هو التجاوز فيختلف اللفظ على ارادة معنى واحد وقوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيباً يقول اعطوا حظاً
من علم الكتاب وهم علماؤهم يشترون الضلالة بعلم الكتاب ويحتمل يشترون الضلالة بالهدى وكذلك قيل في حرف
حفصة على ما ذكر في غير هذه الاية اشتروا الضلالة بالهدى وذلك انهم كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث على هواهم كفروا به كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويحتمل
يشترون ضلالة غيرهم بالتحريف والرشاء ونحو ذلك كقوله تعالى والذين ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله وقوله

ابتغوا سبيلا

ابتغوا سبيلا لم ترجرف التعجب عن امر قد بلغه فيخرج مخرج التذكير ولم يبلغه فيخرج مخرج التعليم والله اعلم وقوله عز وجل
ويريدون ان تضلوا السبيل يحتمل وجهين ويريدون اي يتمنون ان تضلوا السبيل لئلا تدوم لهم الرياسة والسياسة على من كان
على دينهم ولم يكن لهم ذلك على من لم يكن على دينهم فتمنوا ان يكونوا على دينهم ليكون لهم الرياسة عليهم وقيل يريدون ان
تضلوا السبيل اي يأمروهم ويدعوهم الى دينهم لما ذكرنا من طلب المنافع وابقاء الرياسة والله اعلم وقوله عز وجل والله اعلم
باعدائكم كانهم والله اعلم يطلبون موالاة المؤمنين ويظهرون لهم الموافقة فنهى الله تعالى المؤمنين عن موالاتهم كقوله تعالى لا تتخذوا
بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا الى قوله سبحانه ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم الاية فاخبر الله سبحانه وتعالى المؤمنين
انه اعلم باعدائكم منكم ويحتمل ان يكون المؤمنون استنصروهم واستعانوا بهم في امر فاخبر عز وجل انهم اعداؤكم وهو اعلم
بهم منكم ثم قال وكفى بالله نصيراً اي كفى به ولياً ومعيناً وكفى به ناصراً ويحتمل قوله وكفى بالله مما اعطاكم اي لا ولي افضل من
الله تعالى ولا ناصراً افضل منه منه البراهين والحجج والله اعلم وقوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه وكفى بالله نصيراً ومن الذين هادوا على الاستيناف والابتداء اخبر وفي حرف غيره من الذين هادوا ومعناه و
الله اعلم الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا ولا ذكر للنصارى في ذلك وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
ذكر النصارى في الذين اوتوا نصيباً وفي حرف حفصة رضي الله عنه من الذين هادوا من يحرف الكلم عن مواضعه ثم تحريف
الكلم يحتمل وجهين يحتمل تغيير المعاني وتبديل التأويل على هواهم كقوله تعالى وان منهم لفريقاً يلوون السنتهم الاية ويحتمل تغيير
اللفظ والكتابة نفسها كقوله سبحانه وتعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله عز وجل ويقولون
سمعنا وعصينا قيل سمعنا قولك وعصينا امرك وقوله عز وجل واسمع غير مسمع قيل اسمع قولنا غير مسمع اي غير مجيب
وقيل اسمع قولنا غير مسمع لا سمعت على السب وقوله وعصينا الاسرار به منهم اظهره الله تعالى عليهم ليكون اية الرسالة
وقوله عز وجل راعنا قيل يقولون لمحمد صلى الله عليه وسلم راعنا سمعك وقيل وراعنا حقوقنا وهو من الرعاية
وقوله عز وجل ليا بالسنتهم اي تحريفا والتحريف ما ذكرنا كقوله تعالى يلوون السنتهم بالكتاب الاية وقيل في قوله تعالى واسمع
غير مسمع اي اسمع يا محمد منا قولنا غير مسمع منك قولك ولا مقبول ما نقول وقوله عز وجل ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا و
اسمع وانظرنا لكان خيراً لهم اي لو قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك وانظرنا فلا تعجل علينا ننظر وقيل في قوله وانظرنا
افهمنا وقوله عز وجل لكان خيراً لهم مما قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك لكان خيراً لهم في الدنيا فدوام الرياسة
التي خافوا فوتها لو اطاعوه واتبعوه اذ قد امن منهم واطاعوه تبعيته فلم تذهب عنهم الرياسة والذكر في الدنيا بل ازداد لهم
شرفاً وذكراً في الحيوة وبعد الممات واما في الاخرة فثواب دائم غير زائل ابداً وقوله عز وجل واقوم يعني اعدل واصوب
لما ذكرنا ولكن لعنهم الله بكفرهم واللعن هو الطرد طردهم الله عز وجل من رحمته ودينه لما علم منهم انهم لا يؤمنون باختيارهم
الكفر وقوله عز وجل فلا يؤمنون الا قليلاً قيل والقليل من اسلم منهم نحو ابن سلام واصحابه وقيل قوله تعالى فلا يؤمنون
الا قليلا منهم او لا يؤمنون الا بقليل من الكتب والانبياء عليهم الصلوة والسلام كقوله تعالى نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقوله
عز وجل يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم دل هذه الاية ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب ولا ممن
اوتوا الكتاب لانه قال عز وجل امنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم وليس عند المجوس كتاب حتى يكون المنزل على محمد صلى الله عليه
وسلم مصدقاً لما معهم ثم قوله مصدقاً لما معكم اي موافقاً لما معكم وانما كان موافقاً لما معهم بالمعاني المدرجة فيه
والاحكام ولا بالنظم واللسان لانه معلوم ان ما معهم من الكتاب يخالف القران نظماً ولساناً وكذلك سائر كتب الله تعالى
موافق بعضها بعضاً معانياً واحكاماً وان كانت مختلفة في النظم واللسان دل انها من عند الله تعالى نزلت اذ لو كانت
مختلفة الا ترى انه قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ففيه دليل لقول ابي حنيفة رضي
الله عنه حيث اجاز الصلوة بالقراءة بالفارسية لان تغيير النظم واختلاف اللسان لم يوجب تغيير المعاني
واختلاف الاحكام حيث اخبر عز وجل انه موافق لما معهم وهو في اللسان والنظم مختلف والمعنى موافق ثم
يحتمل قوله مصدقاً لما معكم بصفته ونعته ونبوته ومبعثه وزمانه فيه فيما معكم لا يخالف في شيء من ذلك ويحتمل
انه هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي امنتم به قبل ان يبعث فكيف كفرتم بالله والله اعلم وقوله عز وجل من قبل ان
نطمس وجوهاً الاية قيل لما نزلت هذه الاية قدم عبد الله ابن سلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم
وقال يا رسول الله ما كنت ارى اني اصل اليك حتى يتحول قفاي وقيل طمسها ان تعمى ابصارها وتردها على ادبارها
وقيل طمس الوجوه ان تعمى وترد عن بصيرتها وذلك انهم كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم مستيقنين
بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي الله يجدونه في كتبهم يقول حققوا ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه من قبل ان
يضلكم عن هداكم فتصيروا ضلالاً لا فلا تعلمون ما كنتم تعلمون ويحتمل ان تكون الاية خرجت على الوعيد وهي على التمثيل
لا على التحقيق ويحتمل على التحقيق كقوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت ويحتمل ان يكون هذا في الاخرة وقوله عز وجل
ايضاً من قبل ان نطمس وجوهاً يحتمل الحقيقة فيرجع الى يوم القيامة فيذهب منه جميع محاسن الوجه او نطمس
وجوه الحق عنه بعنادهم فيصير الحق بغير صورته بعد ان كانوا رأوا كل شيء بصورته في كتبهم المنزلة والله اعلم ان نطمس
وجوهم عند اتباعهم الذين لاجلهم غيروا وحرفوا بما يطلعهم على خيانتهم ويظهر لهم تبديلهم وقد فعل بعد
الله تعالى وقد يحتمل الوعيد ان يفعل بهم ان لم يؤمنوا حقيقة ذلك كفعله باصحاب السبت تغير الحوم ثم لعل اولئك
قد اسلموا او نزل بهم ولم يذكروا والله اعلم وقوله عز وجل وكان امر الله مفعولاً اي كان يأمر الله عز وجل مفعولاً كما يقال

لجنة رحمة الله والمطر رحمة الله اى برحمة فعلى ذلك معنى قوله سبحانه امر الله مفعولا اى بامر الله كان مفعولا ويحتمل قوله
وقد كان امر الله اى عذاب الله نازلا بهم وقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اجمع
الناس ان يغفر الذنوب كلها الشرك وما دونه اذا انتهى وتاب بقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف دل ان اطماع المغفرة
لما دون الشرك لمن لم يتب عنه وقال الخوارج الكبائر كلها الشرك بالله تعالى فمن ارتكبها دخل تحت قوله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به والمسئلة بيننا وبينهم فى ذلك فيقال لهم المعنى الذى صار مشركا عند ارتكاب الكبيرة ذلك
المعنى موجود فى ارتكاب الصغاير ينبغى ان يكون كافرا فاذا لم يصر بذلك كافرا لم يصر بارتكاب الكبائر كافرا وقالت
المعتزلة صاحب الكبيرة يخرج من الايمان ولا يدخل فى الكفر وقال ابو بكر الاصم ظهر الوعيد فى الكباير وشرط المغفرة
لما دون الشرك بقوله تعالى لمن يشاء فهو للصغاير كقوله يكفر عنكم من سيئاتكم اخبر ان من السيئات ما يكفر ومنها ما لا
يكفر فهو الصغاير واما عندنا فان الله تعالى عز وجل اطمع المؤمنين المغفرة ما دون الشرك ولو كان لا يجوز فى العقل
المغفرة لكان لا يطمع لانه لا يجوز ان يطمع ما لا يجوز فى العقل فاذا اطمع دل انه يجوز فى العقل المغفرة لما دون الشرك
ثم له المشية ان شاء عذبهم فيها وان شاء عفى عنهم واما اطماع المغفرة فى الشرك فانه لا يجوز فى العقل لان
من اعتقد دينا انما يعتقده للابد وليس كل من ارتكب ذنبا يرتكبه للابد بل انما يرتكبه لقضاء شهوة تغلبه فهو
يندم على اثره لذلك قلنا يجوز فى العقل اطماع المغفرة لما دون الشرك ولا يجوز للشرك وبالله التوفيق ووجه
اخر ان الوعيد الذى ذكرته يحتمل الاستحلال والاستخفاف بالامر والنهى فلا ينزل ما اطمع بهذه الاية من المغفرة
فدل ان الطمع والرجاء ووعيد المتوجه وجهان الوقف فيهم فاما القطع فى احد الوجهين بالمحتمل ومنع القطع
بالاخر لاحتمال فهو تحكم ولا قوة الا بالله ووجه اخر ان الاية فى التفصيل بين المحتمل للغفران والذى لا يحتمل فاذا
صرفت الى الصغاير فيبطل تخصيص اسم الشرك ويلتبس على السامع محله ولبس امر الوعيد فيما جاء بموضع التفصيل بل
الذى جاء بحق التفصيل ذكر الغفران بالتكفير والتكفير يكون مقابلة الجزاء من حسنات او عقوبات كقوله تعالى ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاية والله الموفق ووجه اخر قال الله عز وجل لمن يشاء وهذا كناية عن الانفس نعفو
لا عن الايام التى تفعلوها بحرف التخصيص الا ثم بالاية المكى باعره الانفس فى ايات الوعيد تحقيق فى الذين
جاءتهم وفيما جاء عاما فبان لا صرف فى ذلك فهو اولى والله الموفق وبعد فانه عز وجل قال لمن يشاء والمشيئة ثم عندكم
مغفورة بالحكمة لا بالوعد والاية فى التعريف ولا قوة الا بالله وقوله تعالى ايضا ان الله لا يغفر ان يشرك به
معلوم انه فيما يلزمه حتى يختم به لا فيما يتوب عنه يدل ذلك قوله ان ينتهوا يغفر لهم الاية وغير واحد من الايات
التى جاءت فى الكفرة لما امنوا والله اعلم فصار كانه قال لا يغفر ان يشرك به اذا لم يتب عنه ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وان لم يتب منه فلو كان شيئا مما دونه لا يحتمل فى الحكمة المغفرة لضمها الى الممتنع من الاحتمال الا ان الحقه
بالمحتمل له فيما كان معلوما انه القصد فيه الى بيان ما فيه الرجاء والاياس وايد ذلك قوله تعالى لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون فلو كان يلزم الاياس لما دونه ليجب الوصف له بالكفر اذ الاياس لهم بالكفر وفى تحقيقه
فى الوجهين لزم تبعة الاخر فى حق الاياس لا وجود فعله اذ قد يوجد فعل الرجاء فى الكفرة ثبت ان ذلك
فى الحكم والتحقيق لا فى وجود الفعل وبالله التوفيق وقوله عز وجل الم تر الى الذين يزكون انفسهم قيل هم اليهود
جاؤا بابنائهم اطفالا فقالوا يا محمد هل على ولدنا هؤلاء من ذنب قال لا قالوا فوالذى يحلف به ما نحن الا كهم
ما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل الا كفر عنا بالنهار فذلك التزكية منهم وقيل تزكيتهم
انفسهم بقولهم نحن ابناء الله واحباؤه لا ذنوب لنا ويحتمل ان يكون تزكيتهم انفسهم ما قال الله عز وجل
يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين وكان اكثر الانبياء عليهم السلام انما بعثوا
من بنى اسرائيل وكانوا يذكرون انفسهم بذلك قوله عز وجل بل الله يزكى من يشاء او يبرئ من يشاء من الذنوب
ثم التزكية تذم ان يزكى احد نفسه لان التزكية هى التنزيه من العيوب كلها والذنوب وذلك مما لا يسلم احد
عنها ولا يبرئ ولا يستحق مخلوق وذلك معنى النهى لا تزكوا انفسكم اذ يخرج التزكية مخرج التكبر وذلك لجهله بنفسه
بما لا يرى غيره شكل نفسه ولا مثله فتكبر عليه ولو عرف انه مثله وشكله ما تكبر على احد قط ولا زكى نفسه وقول
الرجل انا مؤمن ليس ذلك تزكية انما هو اخبار عن شئ اكرم به والتزكية هى التى يرى ذلك من نفسه وقوله ايضا
الم تر الى الذين يزكون انفسهم ليس فى اظهار الايمان تزكية لما لا يخلوا من ان تظهر لمن ادى مثل ما ذكرت فيه فعليك
الاظهار بحق الدعوة اليه لتدعوه الى ما تدين به او هو شئ اكرمك فيه والتزكية فى الحقيقة فيما يوجب تقديمك
ولنفع هذا وايضا ان القول بالايمان ليس بمقدر عن معنى العبادة او سبب فيه علو من حيث ذلك انما هو خبر عن
امر هو فى اللغة تصديق والتصديق بامر هو ذلك ليس بالذى يعد فى اداب بل على كل ذلك ولا احد الا وقد يؤمن باشياء
يصدق فليس فى القول به منقبة وكذلك ما من احد الا وعليه التكذيب باسور فلا بالتكذيب فى الاطلاق لوم ولو
لوما التصديق بالاطلاق مدح اذ فى كل ذلك لكن لزم فى تكذيب به فيكون من حيث كذلك ذممت ثم تتفاوت
على تفاوت درجات الكذب ثم التصديق لو كان ثم مدح فهو يصدقه ايضا ولا احد يخرج الصدق كله فيصير المرء
يوصفه نفسه صادقا فى شئ تزكية ومدحا ولا قوة الا بالله على ان للايمان حدا وكل عبادة ذات حد فاداه
من قد اداها بالاختيار عن الاداء ولخصائصه الفرائض منها نحو من يقول قد صليت الظهر او اديت زكوة مال

اويحتج

او يحتجوا ونحو ذلك وفيما يقول هو برا او تقيا وحبيبا لله تعالى او نحو ذلك الى ما لا يعرف حده من الخيرات فهو بذلك
يرتفع على اشكاله ويتجبر عليهم فيما لو كان صادقا كان فى ذلك منه اغفال عن حق ذلك ولو كان بذلك حالفا فيه
ممقوتا بالكذب والله الموفق وقوله عز وجل لا يظلمون فتيلا عن ابن عباس رضى الله عنه قال الفتيل ما فتلت
بين اصبعك والنقير الذى يكون فى ظهر النواة وهو على التمثيل وقيل فى حرف حفصة الم تر الى الذين قالوا انا نزكى
انفسنا بل الله يزكى من يشاء وقوله عز وجل انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الاية ظاهرة وقوله
عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب قيل اعطوا حظا من الكتاب وهم علماؤهم يؤمنون بالجبت والطاغوت
اختلف فيه قيل الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن وقيل الجبت السحر والطاغوت الشيطان وعن ابن عباس رضى الله
عنهما قال الجبت الشيطان بكلام الحبشة والطاغوت كهان العرب وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الشيطان وقيل
الجبت حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف يخبر عز وجل عن سفههم بايمانهم بهؤلاء وحسدهم محمدا صلى الله عليه
وسلم واصحابه رضى الله عنهم ويحذر المؤمنين عن صنيعهم لان هؤلاء كانوا علماء وهم مؤمنين بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا قيل فى القصة ان هؤلاء اتوا مكة ليحالفوا قريشا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اجله ففعلوا فقال
ابو سفيان البيت فى مثل عدتهم لكانوا بين استار الكعبة فتحالفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه
رضوان الله عليهم اجمعين ليكون كلمتنا واحدة ولا تخذل بعضنا بعضا ففعلوا ثم قال ابو سفيان ويحكم يا معشر
اليهود انتما اقرب الى الهدى والى الحق الحق امر محمد واصحابه فانا نعمر هذا المسجد ونحجب هذه الكعبة ونسقى الحاج ونفادى
الاسرى فنحن افضل ام محمد واصحابه قالت اليهود لا بل انتم فذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من
الذين امنوا سبيلا وحرف حفصة ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وحرف حفصة ويقولون
للذين اشركوا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا ثم قال الله عز وجل اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن فلن تجد له نصيرا واللعن
يكون على وجوه اللعن هو العذاب وقيل لعنهم الله عذبهم الله واللعين الممنوع عن الاحسان والافضال وقيل هو الطريد
اى طرد واعز رحمة الله وافضاله واحسانه قال الطاغوت هو اسم اشتق من الطغيان كالرحموت والرهبوت من الرحمة
والرهبة ونحو ذلك سمى به كل من ينتهى فى الطغيان غايته حتى يستحل ان يعبد دون الله فهو طاغوت وعلى ذلك
تاويل قوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله اى بعبادة كل من عبد دون الله وقيل هم مردة اهل الكتاب وقيل
هو الشيطان وقيل الصنم وذلك كله يرجع ما ذكرت وقيل فى ذلك كاهن وقد سمى جبتا وقيل فى الجبت السحر فان كان
الجبت السحر فهو على ما قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان الايات واى شئ مما ذكرت فقد كانوا امنوا بذلك
فعيرهم الله تعالى وسفه احلامهم بالايمان بمن ذكرت وسفاهتهم على ما الهم من الاتباع على رسول رب العزة عليه
افضل الصلوات واكمل التحيات بعد علمهم بموافقة صلى الله عليه وسلم رسلهم وتصديقه بكتبهم وعلمهم بعدولا ولئك
عن هذه الرتبة بغيا وحسدا وكان فى اظهار ذلك عليهم بيان الرسالة واعلام انباء عمم تحريفهم كتب الرسل بيانا لما فى
قلوبهم من الحسد لنزول الشبهة عن الاتباع ويظهر المعاندة فى المتبوعين ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ام لهم
نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اختلف فيه قيل لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
من بخلهم وقلة خيرهم وقيل لهم نصيب من الملك من الشرف والاموال والرياسة فيما بينهم لكن لا يؤتون الناس نقيرا
فكيف يتبعونهم وقيل قوله سبحانه ام لهم نصيب من الملك فكيف يؤتون الناس شيئا انما الملك لله تعالى عز وجل
هو الذى يؤتى الملك من يشاء كقوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل
من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير الاية انما يستفاد ذلك بالله عز وجل لا باحد دونه والله تعالى اعلم وقوله
عز وجل ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله يقول بل يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما اتاه الله من
فضله من الكتاب والنبوة يقول الله عز وجل ردا عليهم فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة والنبوة فلم يحسدوه
فكيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم بما اتاه الله تعالى من الكتاب والنبوة وهو من اولاد ابراهيم صلى الله
عليه وسلم فهذا والله اعلم معناه وقوله واتيناهم ملكا عظيما قيل واراد الملائكة والجنود وقيل هو ملك سليمان
بن داود وداود وكان من ال ابراهيم عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل ام يحسدون الناس يعنى محمدا صلى الله
عليه وسلم على ما اتاهم الله من فضله قيل من كثرة النساء لكن ذلك ليس بحسد انما هو طعن طعنوه وعيب عابوه
لان الحسد هو ان الاخر شيئا ليس له فيتمنى ان يكون ذلك له دونه وقد كان لهم نساء لكنه ان كان ذلك فهو طعن
طعنوه وعيب عابوه على كثرة النساء ويقولون لو كان نبيا لشغلته النبوة عن النساء ويقولون يحرم على الناس
اكثر من اربع ويتزوج تسعا وعشرا فانزل الله تعالى عز وجل ردا عليهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الاية
وكان لداود تسع وتسعون امراة ومما قيل ايضا ان سليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة سرية وسبعمائة حرائر
ثبت ذلك فكثرة النساء له لا تمنع ثبوت الرسالة والنبوة وانما يمنع كثرة النساء لاحد شيئين اما الخوف منه
الجور واما للعجز عن القيام بايفاء حقهن فالانبياء عليهم الصلوة والسلام يؤمن ناحيتهم الجور وكانوا يقومون بايفاء
حقهن مع ما كان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة تسعا او لعشر من النساء من ايات النبوة لانه كان معروفا بالعبا
لله ليلا والصيام له نهارا وتحمل الجوع وانواع المشقة تباعا ومعلوم فى الخلق ان من كان هذا سبيله لم يقدر على وفاء

حق امرأة واحدة فضلا ان يقوم لا بقا حق العيش واكثر فدل انه بالله قدر على ذلك وعلى ذلك قيام داود وصلوات
الله عليه لمائة من النسا وقيام سليمان صلوات الله عليه الالف منهن فذلك من ايات النبوة لما ذكرنا انه ليس في وسع احد
سواهم القيام بذلك وكذلك في قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم لاظهار هذا الدين من غير اتباع كان له او ملك او فضل
سعة دليل انه كان بنصر الله الظهور بعوذه به بجميع هذا الخلق على دينه في قوله ايضا ام يحسدون الناس على ما ذكر فقد اتينا
ال ابراهيم الاية يحتمل وجهين احدهما الحاجة ان كيف يحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم واتباعه من ال ابراهيم واولاد
بما خصهم به من فضله ولم يزل ذلك في ال ابراهيم ولم يكونوا احسدوهم على هذا قوله تعالى فمنهم من امن به اى بمحمد صلى الله عليه
وسلم او بكتابه الذى انزل عليه والثاني ان يكون على التصبر على اذاهم الذى كان منهم بالحسد كما كان هذا فيمن تقدمه
من ال ابراهيم ومن فضله ومن الحساد لهم في ذلك والمؤذين لهم فصبروا ولم يكافوهم نحو قوله تعالى فمنهم من امن به اى بابراهيم
عليه السلام او بما انزل اليه او اله والله اعلم الاصل في اختلاف التاويل للاية واحدة فيما يجب في ذلك من الحق انه
على اقسام احدها انه يتسع الكل ويحتمل دخول الكل في المراد ويحتمل ارادة البعض فان كان ذلك مما يجب العمل به يلزمه
طلب الدليل على الموقع للمراد فان وجد من طريق الاحاطة شهد عليه بالمراد وان لم يوجد عمل حسب الاذن
في العمل به بالاجتهاد من غير الشهادة عليه انه المقصود لا غير والله اعلم وان كان ذلك مما لا يجب العمل به وانما
حقه الشهادة تشهد به على ما هو في الحكمة وحجوب تلك الشهادة من غير ان يقضى على الاية بقصد ذلك اذا كانت
بحيث يتسع له ولغيره نحو القول بانه سميع عليم على انه مورهم مراد له الخصوص لو كانت تحتمل الخصوص وفي
الحكمة انه سامع كل صوت وعليم بكل شيء فيه يشهد ولا يقال في ذلك انه اراد ان من الخاص نحو قوله تعالى وان عزموا
الطلاق فان الله سميع عليم قال قوم لا يقع الطلاق حتى يوقع لانه ذكر انه سميع ولو اوقع الطلاق في بغير قول
لم يكن لذكر السميع في هذه الموضع فائدة وقال قوم سميع لايلائه ان هو قسم ينطق به عليم لعزمه وقد ذكر سميع عليم
فيجب توجيه كل حرف الى وجه ليفيد حقيقته ذلك في هذه الموضع ولو كان لا يقع دون قول لكان كلاما مستغنى
ليلتحق القول بانه سميع عن القول بانه عليم وفي جملة العقد من طريق الحكمة الله سميع بكل صوت عليم بكل شيء لكن في النوازل
بتوجه وجهين لا يجب القطع عليه في الارادة الا ان يجئ ما يوجب الاحاطة وقد علق به الخلق على الاختلاف والله
اعلم ووجه اخر من التاويل انه يحتمل وجوها لا يسع للكل في حق العلم وفي حق الشهادة لكنها لاحد الحقين فان كان ذلك
في حق العمل يجب طلب دليله ويكون الدليل على وجهين احدهما ان يوجب على حق العمل والشهادة جميعا والاخر ان يوجب
حق العمل خاصة وقد بينا ذلك وان كان في حق الشهادة فيجب الوقف في تحقيق المراد والتسليم لله حتى يظهر وذلك
في حق اضافة الاستواء الى الله تعالى على العرش والقول بالرؤية من حيث تمثل ما ليس على الاشارة اليه لا بالاحاطة
ونحو ذلك من الامور والله اعلم ووجه اخر ان يكون احتمال وجوهها انما يكون بمقدمات فتختلف على اختلاف
تلك المقدمات فلا يجوز تاويل تلك الا بمعرفة المقدمة اذا لم يكن فيها غير معرفة للموقع من المقدمة نحو قوله تعالى فاذا
فرغت فانصب لم يكن لاحد تاويل واحد من الوجهين حتى يعلم بالسمع انه فيم كان مشغولا وقوله تعالى فلينظر ايها ازكى
طعاما لم يكن لاحد طلب مراد قائله او تاويل مراده ولا يظفر به الا بالوحي ولا قوة الا بالله والقول في حفظه الحالين
تبيين ما كان في حق الشهادة فلازم الوقف فيه حتى يظهر وما كان في حق العمل فان كان في نوع ما يحتمل الاحتياط فحكم
القيام به حتى يظهر دليل التوسع على الوجهين اللذين ذكرت وان كان فيما لا يحتمل الاحتياط فحكمه التوقف حتى يظهر والله
اعلم ولا يخلو نوع الا احد الوجهين به حاجة من دليل يكون له وقوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها اى غير جلود النضجة
كقوله تعالى انا لفي خلق جديد اى تجدد ما قد فنى وكذلك اعيد ما قد كان من الجلود قبل النضج جديدا في راى العين من حيث
صار الاول نضيجا الا ان كان هذا غير الاول بل هو الاول غير نضيج ان ذلك نعت الحلول وتعذيب ما كان ارتكب
المعصية لان التعذيب في الحقيقة على غير الذى اثم فيه وقال قائلون الجلود والعظام ونحو ذلك لم يكن عصيت ولا
الا طاعت بل استعملت قهرا وجبرا لا انها عملت طوعا لكن الذى به عملت والذى استعملها في الجسد به يتلذذ ويتألم
فهو المعذب والمثاب بما صدر من الجسد الا ترى ان اجسا اهل الجنة تنزوا والحسن والجمال وجعل لاهله حد لا يزوا
دولا ينتقص واجساد اهل النار مشوهة قبيحة ليكون لهم في التقبيح عقوبة وللاول بالتحسين ثواب فكانت فيها
احوال الجزاء لم يكن للاعمال فثبت ان المثاب والمعاقب ما ذكرت لكنه يتالم ويتلذذ فجعلت على ما بها تمام اللذة والالم
من الاجسا الا على اعادة نفس تلك الاجسا بل على التجديد كما ذكره القران وكذلك المقطوع بعض الاعضا في حال
الكفر اذا اسلم يبعث سليما لا كذلك ومثله في حال الاسلام لو ارتد لم يرفع عنه الم ذلك فدل الذى ذكرت
على حق تجدد والثاني على ما شاء الله والذى به كان المأثم والبر على ما قد كان والله اعلم والمذهب الاول ان جزاء هو لما عم
عليه اذ لو كان اسلم لم يمتنع لنفسه الم الاحول واسلم البنية ليستعملها بالخير اوجب ذلك ابطال جميع السيئات كانت
بجوارح ذهبت او بقيت وكذلك من اختار الكفر فقد اثره واختار ان يكون على ذلك وان سلمت جوارحه وتمت فلزمه
حكم احتياط جميع ما تقدم بكل فائت منه وباق وفي الاول السوا ب جعل ما تقدم منه بالغائب والباقي حسنا
لما ندم عن الكل بكل الجوارح فلحق حكم تبديل السيئات بالحسنات في الكل فيكون على حكم اعادة الاول بحق التجديد في المعنى
والله اعلم نحو قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم وقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية وفي الاعادة
كقوله تعالى من يعيدنا الاية وقوله عز وجل انا لفي خلق جديد الاية وغير ذلك من ايات البعث والله اعلم وقال قائلون

الواجب

الواجب من العقوبة للكفر وغيره بحكم التبع له وكذلك الثواب الواجب عنه للايمان ولغيره بحكم التبع بل به قام ولا ولية
سقطت عنه شيئه العفو فصار الذى به الجزاء خاصا وغيره بحكم التبع يزداد وينتقص فعلى ذلك امر الجزاء والتجديد و
الاعادة وكل ذلك للذى هو بحق التبع والاتباع في الشاهد يتجدد من الافعال ولا يدوم والاعتقاد في الامرين
يدوم فعلى ذلك والله الموفق ولهذا الوجه ما يبطل الجلود لما سوى الكفر اذ في ذلك ابطال الجزاء الدائم من حيث الافعال وادامة
بجزاء المنقطع من حيث الافعال فيكون فيه زيادة في العقوبة على المثل والله يقول لا يجزى الا مثلها والله الموفق ثم
اختلف في المبعوث انه يبعث بجسده او يبعث الروحانى منه سمته بعض الفلاسفة نفسا وبعضهم جوهرا روحانيا وبعضهم
بسيطا فان كان حيث فيه روحانى في حياته ومنافعه وجد له كالمنافع عن جميع ما يحتمل من الاموال اذ الجوهر الروحانى
لطيف ينفذ في الاشيا ويتخلل الاحاطة من ذلك امر الانام ان النفس تخرج لقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وهي
بما يكن الجوارح وينقطع عنها هم الجسد به يرجع الى حصته جوهره فيراها يطوف في البلاد النائية وفي الامكنة العلوية
حتى لا يصفها ارض ولا سما ياتى بالاخبار عنها كانها شاهده اماما كان ذلك عملها بالجوهر حيث يكون من النفاد اذا
لم يحبس او هي بالجوهر يخرج فيفعل ذلك وهي تسمع وتبصر وتعقل في المنام كانها بالجسد كذلك فدل ان العمل في حال اليقظه
وما الجزاء لها فعلى ذلك امر الجزاء وعلى ذلك جميع الجواهر التي بها الاغذية والحيوة ليست باعين تلك الاشيا ولكن بما جعل
في سريتها من الروحانى وهي القوى التي تظهر في البدن الى كل اجزاء البدن فتقوى وتصح فيه بحيوة روحه ويذول عنه
الافات وكذلك عن السمع والبصر والعقل عن شيء من تلك نقله فعلى ذلك امر المعاد من الجزا فهو على ذلك وكذلك الثواب
يكون من كل موعود مما يعرف في الشاهد بجسده يرجع الى الريح التي هي روح في الجسد الاخرى انه لا يبقى في الاخرة بالاكل
الاجساد التي تلتقي وهي الاثقال التي تفضل في الجسد ويخرج عنها جميع ما فيها من الاقوية والروح فثبت ان الامر يرجع
الى ما ذكرت وهذا معنى قوله عليه السلام ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان ذلك الجواهر لا تدركه
العين ولا تسمعه الاذن في الشاهد ولا يخطر على القلب ويكون لذة ذلك روحانيا لا هذه ذلك الحياة بحيوتها السمع و
البصر وكل باطن في الجواهر ولذة الاجسا انما يكون بالمهاة في الطعم وبالعين في اللون وهذا النوع فيذهب هذا ويكون
الاول وعلى ذلك يذهب العبادات الجسدانية وتبقى الروحانية من الحمد والثنا والتعظيم والهيبة والمعرفة ونحو ذلك
يبقى ابدا بل يزداد لما يذهب عنها الحواجب من الجسدانى وعلى ذلك يبطل تقدير الرؤية وابطاله مما عليه امر الشاهد الا
ما به كونها في الشاهد وجوع الامر انما يحاط به على سقوط الحواجب والله اعلم اختلف من ذكرت في امر البعث فمنهم
من لا يرى على ما في الجسد من الروحانى فناء والبعث هو اسقاط الاجساد وخروج ما فيها من الروحانى بصورها ومنهم من يقول
يفنى ويعاد على حالها ومعلوم ان ذكر الجديد لا يحتمل بالاذهاب الاصل وذكر الاعادة بلا قوة وقال من يعيدنا قل الذى
فطركم اول مرة وجعل انشاء الاولى دلالة الاخرى وليس ثم اجرى بل هما لا ولى والاولى هي على ما تزعمون غير معروفة
عند المنكرين فيحتج عليهم بما يجب ان يعرفوا الاولى ولا ثم يساعدون على نفى البعث ويلزمون الاظهار والدهرية
ومنكرى البعث يقولون في جميع العالم بالظهور بعد الكون وبالكون في الاصول بالقوة ثم الظهور بالفعل فكيف
ينكرون البعث فيحتج عليهم بالخلق الاول والله اعلم وقال قوم بالبعث بالاجسا على ما كانت لكنها كانت في الدنيا
منشأة للفناء مشتملة عليها اثار الفناء ويحيط علام الهلاك ومن افات كلها وسواتر تحجبن عن اعمال اللطائف الجواهر
وعن ادراك الروحانيين والا فهي كما وصفهم الله تعالى انه خلقهم في احسن تقويم وكونهم باقوم جوهر اكمل تر
والتي خلقه فاذا وقعت عليهم الافات والعيد والبلا فنزول عليهم جميع الظلمات التي هي حواجب وسواتر لهم
على الاحاطة بحقائق الاشيا وبواطنها وعلى شكلهم نشأ الاجسا المجعولة جزاء لهم فيلحقون بجميع اللطائف بحسد
بما فيها من الجواهر الروحانى فتصير هذه في اللطف كذلك الجواهر وهي ما تنتقل الى الطف من ذلك وانوار لهم كالامروا
فيفضلون على الروحانيين بما فيها من اللطافة والنفاذ في الامور التي هي كما الروحانيين في التمثل وما فهم
حق الروحانيين الظفر عن ذلك بارتفاع اثار الفنا عنها وخروجها من ان يعمل فيها الفنا وعلى ذلك اجساد الجزاء
فانها تخرج عن الافات وتمتنع عن الفنا وتصير اجسادها في الطيب والصفا كالروحانى يبقى فيها على كل حال لا يفنى و
الاصل فيه الجزاء لحق الشهوات واللذات لا بحق الاغذية وحياة اجسا المستغنين بها فيكون هو بجسدها وسرها
واحد وتقابالاجسا لها احق من بقاء الروحانى في هذا العالم من طريق الاعتبار لان الذى له حق الروحانى في الشاهد به
البقاء والغذاء والحيوة لما يدفع بها الافات العارضة في الارواح من جهة الغوالب التي تضعف وتقوى وفي الاخرة
لا تعرض الافات يحتاج فيها الى الاغذية وانما ينال او فوق من جهة السمع وما عليه الاعتبار فاما من جهة السمع فان الله
عز وجل قال ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم الاية وقال اذا كنا عظاما ورفاتا الاية وقال عز وجل من يحي العظام وهي
رميم قل يحييها الذى انشأها اول مرة الاية وغير ذلك مما حاج به منكرى البعث والاشكال كان لهم في الاجساد
وفيما جرت المحاجة لذلك كانت هي اولى في الاعتبار معا كانت الاشيا الطبيعة التي لا تمس ولا تحس في التجديد لم
يكن بحيث احتمال الانكار لوجودهم في كل حال نحو العقول تذهب باسباب ثم تعود وكذلك العادم والسمع والبصر
ونحو ذلك ثم الكسبات اللطائف نحو الليل والنهار والنور والظلمة والظل ونحو ذلك يرون الفناء والعود في
كل حين لا ينكرون هذا النوع ليحاجوا بالذى ذكروا بهذا فلذلك كان القول بالاجساد احق والله اعلم والاعتبار
ان الله سبحانه وتعالى انشاء هذا الخلق على ما يتلذذون ويتألمون ليكون ذلك مما للترغيب والترهيب بالموعود وما عجل

من الآفات واضدادها في الروحاني في الجسد يكون له سرور وحزن لا يتألم ويتلذذ وقد جرى الوعد بالمولم والملذ وكذلك
حكمة خلق الجسد على ذلك ما يحقق العلم بالمرغب والمرهب من الموعود على ان السرور والغموم ليسا بحيث يرغب فيهما او
يزهد الا من جهة بالجسد وعلى ذلك يكون فيه الامران السرور والحزن فلذلك كان القول بالاحيا احق من طريق
التقدير على ما جرى به حق السمع والعقل والله اعلم بحقيقة ذلك وبيده الملك يكرم من يشا بما شاء فضلاً منه ويهين من يشا
بما يشا عدلاً منه والله الموفق وقوله عز وجل فمنهم من امن به بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود ومنهم من صد عنه
قال فمنهم من امن به يعني بالكتاب الذي اعطي ابراهيم ومنهم من صد عنه من الكتاب وقول ابن عباس رضي الله عنه وقيل
فمنهم من امن به يعني ابراهيم ومنهم من صد عنه يعني عن ابراهيم عليه السلام وقوله عز وجل وكفى بجهنم سعيراً كان
جهنم والله اعلم معظم النار وجميع دركاتها والسعير هو التهابها ووقودها كقوله تعالى عز وجل وان جهنم لموعدهم
اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ويحتمل قوله وكفى بجهنم سعيرا اي عذابا والله اعلم وكفى بجهنم اي
بالتهابها اذ السعير الالتهاب والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين كفروا بآياتنا يحتمل الايات اعلام الدين واثاره ويحتمل
الآيات الربوبية له ويحتمل الايات اعلام رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون الكفر بها كفرا بالله وقوله تعالى
سوف نصليهم نارا قيل نصليهم نشويهم يقال شاة مصلية اي مشوية وقوله عز وجل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها كلما احترقت جلودهم بدلنا جلودا غيرها اي جددنا لهم جلودا غيرها ليزدادوا التهابا وايقادا من غير ان يسكن
الم العذاب فهو من حيث التجديد غير لان الاولى قد احترقت ونضجت ومن حيث العين نفسها الا ترى ما يقال يتبدل فلان
فانما يقال من حيث تغيره من لون الى لون لا ان كانت تحولت نفسه وتبدل من حال الى حال فعلى ذلك قوله تعالى هم
جلودا غيرها هي من حيث العين انها تلك بعينها واحد وعلى ذلك البعث بعد الموت والانشا هو من حيث التجديد غير حيث تفانوا
وذهبت اثارهم ومن حيث الاعادة الى الحالة الاولى هم بانفسهم ليسوا بغير وعلى ذلك قد يسمى البعث خلقا جديدا وان
كان بعث الاولى في المعنى ثم تكلموا في قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها قالوا كيف كان ان يعذب جلودا لا ماثم فيها
وانما الماثم في الجلود التي احترقت ونضجت وقالوا ايضا فيمن قطع يده وهو كافر ثم اسلم فمات على الاسلام
ما حال اليد المقطوعة تعذب في النار او تكون مع النفس في الجنة وفيمن قطعت يده وهو مسلم ثم كفر ومات على كفره تلحق
النفس او تكون في الجنة فالجواب لهذا كله ان الجوارح والاعضاء ليست تعمل بالاختيار والطوع ولكنها كالمكرهة والمقهورة
في العمل الا ترى ان الاكراه عليها يوجب تحويل الفعل منها الى المكره هو الذي قد فعل ذلك في حق الضمان فهذا يدل ان
هذه الجوارح كالمكرهة والمقهورة الحقنا ان النفس حيث كانت ثم معلوم ان من اسلم في آخر عمره يتمنى سلامة جوارحه
التي كانت ذهبت عنه ليعمل بها في طلب مرضاة ربه تعالى وكذلك من كفر بعد الاسلام يتمنى سلامة جوارحه ليستعملها فيما اختار
من الدين فاذا كان كذلك لحقت النفس حيث كانت في طاعتها ومعصيتها وقالت فرقة من الملحدة ان الثواب في الآخرة
لا يكون لهذه النفس التي تاكل وتشرب وتعمل كل ما تعمل ولكن انما يكون للروحاني الذي جوهرها جوهر النور ولكن هذه النفس
ممتحنة في الدنيا بالاكل والشرب مشوبة بالآفات والعيوب فاذا صفت عن الآفات وتذهب عن العيوب التي بها
امتحنت صارت اهلا للثواب العظيم ومحلا للجزاء الجزيل وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل ليذوقوا العذاب
اما ذوق الطعام والشراب يكون بالفم ليعرف طعمه ولذته واما ذوق العذاب فانما يكون بكل جارحة منه ليجد الم
ذلك في جميع الجوارح والله اعلم الذوق في العرف ليعرف الطعم يقلب به كل شيء يعرف يقال فلان ذوق في امر كذا اي
بصر ومعرفة وقوله عز وجل ان الله عزيزا حكيما قيل العزيز ما يتعزز وجوده في الشاهد وقيل هو عزيز لا يعجز
فهو عزيز لا يوصف في الافهام ولا يدرك بالاوهام وقيل العزيز المنتقم وقد ذكر في غير موضع وقوله عز وجل و
الذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة
من الآفات والعيوب ليس كازواج الدنيا ونسائها وقوله عز وجل وندخلهم ظلا ظليلا لا تنسخه الشمس ولا اذى
فيه لان الشمس فيها منافع للناس واذى وكذلك القمر فيه اذى وان كان فيه منافع والظلمة كذلك فيها منافع
واذى واما الظل نفسه فليس فيه اذى على كل حال كان فهو للزمان لا للظل بنفسه فاخبر عز وجل انه يدخلهم
الظل الذي ليس فيه اذى الشمس ولا اذى الظلمة ولا اذى الزمان ليس كظل الدنيا مشوب باذى غيره والله اعلم
وذلك تاويل الظليل ان نظله عن جميع المؤذيات والله اعلم وقوله عز وجل ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
قيل قيل لما فتح الله مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس رضي الله عنه يا رسول الله لو جعلت
السقاية والحجابة فينا فاخذ مفاتيح الكعبة من ولد شيبة فدفعها الى العباس فانزل الله تعالى هذه الآية فاخذ
النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة فردها الى ولد شيبة قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم ان الله تعالى احب ان
يرزأ ولا يرزأ شيئا وقيل انها نزلت في الامرا في الذي استامنتهم على جمعها وقسمها والصدقات التي استامنهم
على جمعها وقسمها والآية يجب ان تكون نازلة في كل امانة وغير المرء فيهما من نحو ما كان فيما كان بينه وبين ربه
وما كان فيما بين الخلق اما ما كان فيما بينه وبين ربه من نحو العبادات التي امر المرء باداتها
ومن نحو تعليم العلم الذي رزقه الله تعالى له كقوله سبحانه وتعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض الآية وكقوله
تعالى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الآية وكقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل كل ذلك امانة يدخل في قوله
تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وكذلك كل امانة يؤتمن المرء عليها تدخل في ذلك ذكر ان نبي الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم قال اد الامانة الى من ائتمنك عليها ولا تخن من خانك ومن قال نزلت في الامرا استدل بقوله تعالى ان تحكموا
بالعدل لان الحكم الى الامرا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها قال هي مبهمة المؤمن
والكافر فيه سواء وقوله عز وجل ان الله نعما يعظكم به من الحكومة بالعدل واداء الامانات الى اهلها ان الله كان سميعا بصيرا
يحتمل مجيب لمن دعاه وسأل كقوله عز وجل واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان مجيب
لمن استجاب وادى الامانة ويحتمل سميعا بصيرا اي لا يخفى عليه شيء واختلف اهل العلم في العارية اذا ضاعت قال
اصحابنا رحمهم الله لا شيء عليه وقال غيرهم عليه الضمان ولاصحابنا رحمهم الله في ذلك عدة حجج احدها ان المستعير ان
لبس القميص او ركب الدابة او حمل عليها ما اذن له في حمله عليها واصابها في ذلك نقصان في قيمتها فلا شيء عليه فاذا لم
يكن عليه ضمان فيما وقع بها من الضرر والنقص بفعله ولبسه وركوبه فلا يجب عليه ضمان ما هلك منها بغير فعله
والثاني ما روي عن ابن الحنفية عن علي رضي الله عنه قال العارية ليس تبعة ولا مضمونة انما هي معروف الا ان يخالف
وروي عن الحسن قال اذا خالف صاحب العارية ضمن واحتج من خالف من اصحابنا في ذلك بحديث النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال على اليد ان ترد ما اخذت اذا كان قائما عليها ردها الا ترى ان الوديعة لا تضمن اذا تلفت وعليه ان
يردها اذا كانت قائمة فالعارية مثلها والثاني ان يحتمل معنى ذلك في الغصب واشباهه فعلى الغاصب ان يردها
قائما او تالفا ولا يدخل في عموم الخبر العارية الا ترى ان الوديعة لم تدخل فيه وان كان فيه اخذ واحتجوا ايضا
بحديث صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعار من صفوان يوم حنين درعا فقال اغصب يا محمد فقال
بل عارية مضمونة وروي في خبر اخر ان صفوان هرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد حنينا فقال يا صفوان
هل عندك من سلاح قال عارية او غصبا قال بل عارية فاعاره ولم يذكر فيه الضمان فهو عندنا ان ثبت خبر صفوان
مضمونة الرد على المستعير رد العارية ليس كالوديعة لان الوديعة ما لم يطلب صاحبها لم يرد وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما يؤيد قولنا وهو قوله العارية مؤداة وقوله عز وجل اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
وقال الله عز وجل ان الله يامركم بالعدل والاحسان فمن ولي امرا وحكما فيما بين الناس فقد ولي امانة يجب ان يؤديها
الى اهلها وعلى ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يكون على شيء من هذه الامور قلت
او كثرت فلا يعدل فيهم الا اكبه الله تعالى في النار وفي خبر اخر ايما امرئ ولي من امر الناس شيئا ثم لم يحطهم مثل ما يحوط به
نفسه واهله لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من احب الناس الي واقربهم مجلسا مني يوم القيامة امام عادل وان ابغض الناس الي يوم القيامة واشدهم عذابا
امام جائر وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان قيل كيف خص الله
تعالى المؤمنين بالخطاب بالطاعة له وطاعة الرسول والامر بها يعم المؤمن والكافر جميعا قيل بوجوه ثلاثة احدها
ان من عادة الملوك انهم اذا خاطبوا بشيء انما يخاطبون اهل الشرف والمجد ومن كان اسمع لخطابهم واعظم لقولهم
كقوله تعالى عز وجل يا ايها الملأ افتوني في امري وقال تعالى يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها يخاطبون ابدا اهل الشرف
ومن هو اقبل لقولهم واطوع لامرهم فعلى ذلك خاطب الله تعالى المؤمنين وامرهم ان يطيعوه ويطيعوا رسوله
وان كان الخطاب بذلك يعمهم والثاني يحتمل ان يكون الخطاب بذلك للمؤمنين خاصة لان الكافر انما يخاطب
باعتقاد الطاعة له اولا فاذا اجاب الى ذلك فعند ذلك يخاطب بغيره والمؤمن قد اعتقد طاعة ربه وطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم لذلك خرج الخطاب منه للمؤمنين خاصة والله اعلم ويحتمل ان يكون تخصيص الخطاب
للمؤمنين لما امر بطاعته اولا لا امر بعلم انه انما امر بطاعة اولي الامر اذا كانوا مؤمنين والله اعلم فيه دلالة جواز
الطاعة لغير الله لان كل من عمل بامر اخر فقد اطاعه هو الائتمار للامر واما العبادة فهو اخلاص الشيء بكليته لله
عز وجل حقيقة اذ الاشيا كلها لله بكليتها حقيقة ليس لاحد سواه لذلك لم يجز ان يعبد غير الله تعالى وقد يجوز
ان يطاع غيره لما ذكرنا ان الطاعة هي الائتمار بالامر وليس العبادة كذلك لذلك افترقا ثم طاعة الرسول صلى الله
عليه وسلم يكون طاعة لله لانه بامره يطاع وفي طاعته له طاعته ثم قيل قوله تعالى اطيعوا الله في فرائضه ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في سنة وقيل اطيعوا الله فيما امركم ونهاكم في كتابه واطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما امركم
ونهاكم في سنة ثم اختلف في اولي الامر قيل هم الامرا على السرايا وقيل هم العلما والفقها وقيل هم اهل الخير ويحتمل اولي
الامر الذين يولون السرايا فكيف ما كان ومن كان ففيه الدلالة ان لا يولى الا من له العلم والبصر في ذلك
امراء السرايا كانوا او غيرهم لانه عز وجل امر بطاعتهم ولا يؤمر بطاعة احد الا بعلم وبصر يكون له في ذلك والآية
التي تقدمت وهو قوله سبحانه وتعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل يدل على ان اولي الامر الامرا لانه تعالى امر
في الآية الاولى بالعدل وامر الرعية بالسمع لهم والطاعة فيما يحكمون ويامرون والله اعلم الا ترى انه روي في الخبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اسمعوا واطيعوا وان امر عليكم حبشي مجدع فاسمعوا له واطيعوا ما اقام
فيكم كتاب الله وعن ابن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره
الا ان يؤمر بمعصية فمن امر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة وبعد هذه الآية التي تليها تدل على ان اولي الامر الفقها
وهو قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول والتنازع يكون بين العلما فكانه والله اعلم امر عامة اولي
الامر بطاعتهم وامر اولي الفقه برد ما يختلفون فيه الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والآية

تحمل المعنيين والله اعلم ان على العامة طاعة امرائهم فى احكامهم وعليهم اتباع علمائهم فى فتواهم يبين ذلك قول الله تعالى
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين الاية فلو لم يجب على قومهم قبول قول علمائهم ما وجب عليهم
انذار قومهم وفى هذه الاية دليل على ابطال قول الرافضة فى الامامة لان الله تعالى قال اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولى الامر منكم فليس يخلو اولوا الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يكون الامراء والفقهاء والامام الذى تدعيه
الرافضة فان كان المعنى فى اولى الامر الفقهاء والامراء ففيه ابطال قول الرافضة انه الامام الذى يصفونه ومحال
ان يكون هو الامام الذى يذكرونه لانه قال الله عز وجل فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول وذلك
الامام عندهم طاعته مفترضة وهو بين اظهر المتنازعين عندهم ومخالفته كفر فى مذهبهم فلو كان ذلك كذلك
لقال والله اعلم فردوه الى الامام فان من خالفه فقد كفر ولكنه تعالى عز وجل امر برد المتنازع الى الكتاب الله تعالى وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فدل على ان قول احد لا يقوم فى الحجة مقام قول الرسول الله تعالى عليه وسلم عز وجل
فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول قيل الى الله اى الى كتاب الله تعالى او الى رسوله صلى الله عليه وسلم اذا كان
حيا فلما مات فالى سنته واستدل قوم بهذه الاية على ابطال الاجتهاد وترك القول الا بما يوجد فى كتاب الله تعالى
او فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويقولون فنكل امره الى الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه افضل الصلوات و
اكمل التحيات وليس ذلك عندنا والاية تحتمل وجهين احدهما ان يحمل تأويلها على ان التنازع اذا كان فى عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجب ان يرد اليه عليه الصلوة والسلام ونسأله عن ذلك ولا نستعمل فى الحادثة الاجتهاد
ولا النظر فاما ما كان من التنازع بعد وفات رسول الله صلى الله عليه وسلم فان حكم الحادثة يطلب فى كتاب الله او فى
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او فى اجماع المسلمين فان وجد الحكم فى احدهم بينا والا قيل بالاجتهاد والوجه
الثانى ان يكون المجتهد اذا ما اجتهد فيه الى الكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول وجدت فى الكتاب
او فى السنة كذا وكذا وهذه الحادثة تشبه هذا الحكم فحكمها حكمه ويكون رد الحكم الحادثة الى الكتاب الله تعالى وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم او شبهها بما وجد من الحكم فيهما واذا كان ما وصفنا من تأويل محتملة فلا حجة لهم علينا فى ذلك
والله المستعان وفى الاية دلالة جعل الاجماع حجة وهو قوله فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول الاية
انه انما امر بالرد والرسول صلى الله عليه وسلم عند التنازع لم يأمر عند الجماع دل انه اذا كان ثم اجماع لا تنازع فيه
لم يجب الرد الى ما اودع فى الكتاب وفى السنة وفى الاية دلالة انه يدرك بالطلب المودع فيه لانه لو لم يدرك اوليس
ذلك معنى الا ترى انه قال الله سبحانه وتعالى لعلمه الذين يستنبطونه فانما يستنبط ما فيه دل ان كل حكم الحوادث مذكور
فى هذين فى الكتاب والسنة اذ لو لم يكن الفرج عند النظر والطلب لكان لا يفيد الامر بالرد اليهما معنى ثم
لا يوجد نصوص فى كل ما يبلى ثبت انه مطلوب وهو يدل على لزوم البحث فى استخراج المودع من المنصوص والله اعلم
وفى قوله ايضا يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول الاية تخصص المؤمنين على اشتراك الجميع فى اللزوم
يخرج على وجه احدها على مخاطبة الاشراف والنجباء وعلى ذلك امر الملوك فى الامور يريد وذا اشتراك الرعية واهل
المملكة فى ذلك كقوله سبحانه قالت يا ايها الملاء وقال سليمان عليه الصلوة والسلام يا ايها الملاء وقال فرعون للملاء
وقال اذهب الى فرعون وملائه ذلك لمثاله الذى نحن فيه والله اعلم والثانى انهم بما قد عرفوا الامور والمناهى فقيل
لهم اطيعوا الله وما ذكروا علموا انهم فيمن امروا به ونهوا عنه ولم يكن من الكفرة علم بالذى يوجبون الامر اليهم فلذلك
خص من ذكر والله اعلم والثالث ان الكفرة قد انكرت المعبود والرسول فجرى الخطاب فيمن ثبتت لهم المعرفة بذلك
معا يحتمل ان يكون فى هذا الخطاب فى الشرائع وهى غير لازمة للكفرة فلذلك كان على ما ذكرت والرابع ما ادخل فى
الخطاب اولى الامر منا ولا يلزمهم طاعتهم لذلك خص المؤمنين وكان المقصود بالاية بيان طاعة اولى الامر منا
والا كانت طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بما كان ايمانهم قد ثبت ولكن جمعت طاعة من ذكر ليعلم
ان قد يكون بطاعة اولى الامر طاعة الله والله الموفق ومما يبين الذى ذكرت ان الكل من عرف الاله عرف ان عليه طاعته
بما عرف اسمه الذى سمعت العرب كل معبود الها فمن عرف منهم الاله عرف انه معبود ثم عرف ما له عنده من الايادى
وعليه من النعم على ان عليه شكره وطاعته به ثم من عرف الرسول صلى الله عليه وسلم عرف ان طاعته هو طاعة الله لانه
اليه يدعو عن امره ونهيه بأمره وينهى اذ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم منه الى الخلق وليس من عرف الله وعرف
الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف ان عليه طاعة اولى الامر بما لم يروعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين الله تعالى
ذلك فى هذه الاية ليعلموا ان طاعتهم هى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك هو الدليل على جعل الاجماع حجة
وان متبعهم هو مطيع الله تعالى اذ صير الله طاعتهم طاعته وهم فى ذلك الاجماع وعلى ما ذكرت من شان الرسول صلى الله
عليه وسلم يخرج قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الاية ضير الواجد حرجا
مما قضى واحد احرجا من قضاء الله تعالى فى نفى حكم الايمان وعلى ذلك قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
اى ليكون عليهم طاعته بامر الله تعالى اذ هى طاعة الله او لا يكون طاعته طاعة الله باذنه وبامره والله الموفق ثم اختلف
فى اولى الامر ومعلوم انهم هم الذين اليهم يرجع تدبير امور الدين وعن ارائهم يصدرهم الذين تضمنتهم اية ارجعوا نكون
فيها الكفاية فى تعريف المقصود بها وهو قوله عز وجل ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم فجعل اولى الامر من عندهم الاستنباط وشهد لهم بالعلم فبما ورد اليهم فثبت انهم الفقهاء المعروفون

بالاستنباط

بالاستنباط وعارفين امور الدين وفى هذا ايضا دلالة على اصابتهم فيما اجمعوا عليه اذ شهد لهم فى الجملة بالعلم وعلى ذلك
قوله تعالى كنتم خير امة الاية وقوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية ثم كانت الشهادة والامر والنهى للعلماء بها ثبت
ان الامر فى ذلك ينصرف الى العلماء وانهم اذا اجتمعوا على شىء بالامر وبالنهى يكون اجماعا لان ذلك كذلك عند الله
تعالى ويجوز شهادتهم على جميع العوام ومن تأخر ومن ذلك كان عند اولئك الخاص على ذلك اذا لم يغيروا ولا شهد
فى ذلك بغيره وامراء السرايا لو كانوا اهل البصر فى الامر مع العلم بالشرع والفتيا يلزم فيهم ذلك لانهم صيروا
فى الباب اهل الامر وابد الاول انهم العلماء قوله تعالى فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والى الرسول ومعلوم
ان على العوام الذى لا اشكال والحاجة الرد الى اولى الامر بما ذكرت من الاية فثبت ان هذا فى تنازع العلماء
وهو يوضح ابطال قول الروافض فى جعل اولى الامر امامهم وابطال قول من يجعل اولى الامر امراء ونحوه والتمام
العلماء فى كل نوع حتى يمكن فيهم التنازع واما مهم واحد لا معنى للتنازع فيهم والتنازع انما يكون عن تدبر وبحث
ونظر ولا معنى فى ذلك للعوام الذين لا يعرفون الاصول والفروع والله الموفق ثم اختلف فى تأويل قوله تعالى
فردوه الى الله والرسول فقال قوم كانه قيل كلوا الامر فيه الى الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم ولا تجتهدوا
فيه كقوله تعالى وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله تعالى ولان الاختلاف كان على تأويل الكتاب والسنة فكيف يطلب
من بعد فيهما وبعد الطلب حدث التنازع وقال قوم الاختلاف يقع فى التأويل بقوله عز وجل فردوه الى الله والرسول
الى ظاهر ذلك ولا تتنازعوا فتختلفوا اذا الاول كان على التأويل وقال قوم هذا كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يظهر فى ذلك نص الحكم والحق فى ذلك فيكون الامر الذى يتنازع فيه اولوا الامر لم يجز لاحد العمل الا بالبيان
ولهم وجه الوصول الى البيان فى الحقيقة فامروا بذلك معا كان يجوز ان يكون التنازع فى وقت لم يفرغ من بيان
جميع ما بالخلق اليه حاجة بالكفاية اذا كان ذلك الوقت وقت حدوث الشرائع ووقت احتمال التناسخ وتبديل
الاحكام فاذا وقع التنازع لمجتهدين فلهم مع اشكال التنازع شبهة احتمال ان اصله لم ينزل وان الذى يتضمن
حكمه من المنصوص لم يبلغهم فى ذلك فيجب فى ذلك الرد الى الله سبحانه وتعالى بالرد الى رسوله صلى الله عليه وسلم
واما بعده فقد فرغ من جميع اصول الحوادث التى يعلم الله سبحانه وتعالى كفاية اذ لو لم يبين ذلك العذر ليبقى تنازع
لا انقطاع له ولا يجوز الحكم ولكان لا يعلم الحادث الذى له اصل يطلب ذلك وفى ذلك تمكين المعنى الذى يخرج الى الرسالة
مما قد تكلم جميع الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ومن بعدهم الى اليوم فى الحوادث من غير ان يظهر عن احد قول
بان هذا هو ما لم ينزل له الاصل نصا وذلك اجماعا فى بيان اصول كل حادث فيجب طلبه فى الاصول والله اعلم والامر
انه فيما يوكل الى احد يوكل الى من يعلم الحكم وعلى اظهاره فلو كان التنازع يجب الرد الى الله تعالى وترك الحكم فى ذلك
بالاجتهاد فاذا يبطل ان يكون فى الرد اليه علم الحكمة الا الوقت الذى لا يحتاج الى الحكم وهو يوم القيامة على انه
معلوم لو كان يرده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان لا يدعهم على ما هو عليه من التنازع الذى هو اصل كل
شىء وفساد فعلى ذلك فيما يرد الى الله سبحانه وتعالى واذ علم عز وجل لجميع النوازل كلها مردودات اليه فيجب
ان يكون حكم فيها اذ قال الله عز وجل فحكمه الى الله تعالى واذا لم يحكم اليه بل لا حكم فيه الى الله تعالى فلما وجب بالذى ذكرت
ان يكون مما تضمنه البيان لزم الاجتهاد ثم لو كان الحق عند التنازع الظاهر دون ان يطلب على اصح التأويلات
دليل لكان لا يجوز التنازع ان يقع لان الظاهر قد كان فى ايديهم وهو حجته لا يحتمل ان يترك احد الا بالدليل لو كان
حجة وكان قد قام الدليل على لزوم العدول عن الظاهر بتأويل جميع اولى الامر فى ذلك فثبت ان دليل ذلك
مطلوب يوجد ويتفقون عليه اذا انصفوا وانعموا النظر واعرضوا عن حسن الظن تفريق من الائمة على ان الذى
يقوله هؤلاء يقتضى احكام الحوادث كلها بيقين فثبت ان احكامهم مودعات فى المنصوص فصول متعلقات بالمعانى
لا بالظواهر ثم الاصل ان العمل بالظواهر فى محتمل المعانى ومختلف التأويلات مما فيه التنازع فى الامة والتنازع
فى الامة والتنازع امر بالرد فبعيد ان يرد الى ما لم تثبت صحته بل فى الظاهر وجه فى ظاهر الاسم باللسان والظاهر
من التفاهم فى المعتاد نحو القول بان اغسلوا وجوهكم انه باى شىء غسل يستحق اسم الغسل فى اللغة لكن لما قيل
بعادة فى الاستعمال الى ذلك ينصرف الخطاب ويصير الظاهر فى المعتاد به اولى من الظاهر فى اللسان ويكون
فى ذلك منع الذى ذكر حتى يوضحه دليلا ويعلم انه المعتاد فيكون ذلك دليلا والله اعلم ثم لا يحتمل التنازع فيما
فيه المعتاد من التفاهم والعدول عنه الا بدليل فيجب القول لمن عدل ان كان عنده دليل فيكون بما يوجب
العمل منع والله اعلم ثم قيل فى قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول باوجه ثلاثة اطيعوا الله تعالى فيما بلغ واطيعوا
الله فيما فرض والرسول فيما سن واطيعوا الله تعالى عز وجل فيما انزل ونص والرسول فيما بين والاصل
فى معبود اللسان ان الطاعة يكون فى الائتمار فرسول الله صلى الله عليه وسلم مطاع فى جميع ما امر لازم طاعته
فى ذلك امره اذا اثبت انه امره هو امر الله تعالى عز وجل وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة الله عز وجل
وله يجب به ظهور الخصوص والعموم والناسخ جميعا وبه بين الفرض والادب وكل نوع وما يظهر على لسانه صلى
الله عليه وسلم كما كان او تنزيلا فالتقسيم بين الذى لله عز وجل والذى لرسوله صلى الله عليه وسلم يوجب الشبهة
وتوهم الاختلاف جل الله عز وجل ان يبعث رسولا يخالفه وبالله المعونة والتوفيق وقوله عز وجل ذلك خير
واحسن تأويلا يحتمل قوله عز وجل ذلك خير اى ذلك الرد خير لما ذكر ويحتمل ذلك خير اى لا يتلاف فيما يمكن تيسير

خير من الاختلاف واحمد وقوله عز وجل واحسن تاويلا اى عاقبة وقيل احسن تاويلا اى جزاء وفى حرف حفصة
ذلك خير واحسن ثوابا وعن ابن عباس ذلك خير واحسن تاويلا وقال القران احسن تاويلا وقوله عز وجل الم
تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الاية ذكر فى القصة ان رجلين تنازعا احدهما منافق والاخر
يهودى فقال المنافق اذهب بنا الى كعب بن الاشرف وقال اليهودى اذهب بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فاختصما
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى على المنافق فلما خرجا قال المنافق انطلق بنا الى عمر بن الخطاب نختصم اليه
فاقبل معه اليهودى الى عمر رضى الله عنه فقال اليهودى يا عمر انا اختصمنا الى محمد صلى الله عليه وسلم فقضى لى
عليه فزعم انه لا يرضى بقضائه وهو يزعم انه بقضائك فاقض بيننا فقال عمر رضى الله عنه للمنافق كذلك قال
نعم فقال رويدكما اخرج اليكما فدخل عمر رضى الله عنه البيت فاشتمل على السيف ثم خرج فضرب به المنافق
فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت
والطاغوت قيل هو كعب بن الاشرف وقيل الطاغوت اسم الكاهن وقيل الطاغوت الكافر والطاغوت هو كل
معبود دون الله تعالى وعلى هذا التاويل خرج قوله سبحانه وتعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم
جاؤك يحلفون بالله اى جاء اهل النفاق يحلفون بالله انه لم يرد بالتحاكم الى ذلك الا احسانا وتوفيقا وفى الاية
دليل اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان قوله سبحانه وتعالى يريدون ان يتحاكموا فقصدوا ان يتحاكموا
بعد ما اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فعلموا انه انما علم ذلك بالله لكنهم لشدة تعنتهم وتمردهم
لم يتبعوا وقوله عز وجل وقد امروا ان يكفروا به اى امروا ان يكفروا بالطاغوت كقوله تعالى ومن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى وقوله عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اى يريد
الشيطان ان يضلوا ضلالا لا يعيا اى لا يعودون الى الهدى ابدا فيه اخبار انهم يموتون على ذلك فكذلك
كان وهو فى موضع الاياس عن الهدى وقيل بعيدا عن الحق وقيل طويلا وهو واحد وقوله عز وجل واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول اى اذا قيل لهم تعالوا الى حكم ما انزل الله والى الرسول والى امر الرسول صلى الله
عليه وسلم وسنته رايت المنافقين يصدون عنك صدودا والصد وهو الاعراض فى اللغة والصد الصرف
وقال الكسائى يقرأ يصدون بكسر الصاد ويصدون بضم الصاد وفى حرف حفصة واذا دعوت الكافرين والمنافقين
الى ما انزل الله رايت المنافقين يصدون عنك صدودا وقوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا يحتمل هذا ما ذكر فى القصة الاولى ان عمر رضى الله تعالى عنه
لما قتل ذلك الرجل المنافق جاء المنافقون الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم يحلفون بالله ما اراد ذلك الرجل الا احسانا
اى تخفيفا وتيسيرا عليك ليرفع عنك المؤنة وتوفيقا الى الخير والصواب وقيل نزلت فى المنافقين فى بناء مسجد ضرار
كقوله سبحانه وتعالى وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ويحتمل قوله تعالى فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم
ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا الاية فى كل مصيبة تصيبهم وكل نكبة تلحقهم ان كانوا ياتون
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعتذرون كما يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا
الله تعالى من اخباركم الاية لانهم كانوا يميلون الى حيث ما كانوا يطمعون من المنافع من الغنيمة وغيرها ان رات النكبة
والدبرة على المؤمنين مالوا الى هؤلاء ويظهرون الموافقة لهم طمعا منهم ويقولون انا معكم وان كانت النكبة
والدبرة على الكافرين يظهرون الموافقة لهم كقوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن
معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين هذا كان دابهم وعادتهم ابدا وقوله تعالى
عز وجل ان اردنا الا احسانا وتوفيقا قيل فيه بوجوه قيل الا تخفيفا وتيسيرا عليك وقيل قالوا تحاكمنا اليه
على انه ان وفق والا رجعنا اليك وفيه دلالة بطلان تحكم الكافر والتحاكم اليه وذلك حجة لاصحابنا رحمهم
الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق والخلاف غير ما حلفوا اعرض عنهم
ولا تعاقبهم فى هذه المدة وقل لهم ان فعلتم مثل هذا ثانية عاقبتكم ويحتمل ان يكون على الوعيد اى لا تعاقبهم
فان الله تعالى عز وجل هو معاقبهم وقوله تعالى ان اردنا الا احسانا وتوفيقا قيل اى تخفيفا وتيسيرا عليك على انه
ان وفق للصواب والا رجعنا اليك احسانا وتوفيقا لما نقل التحاكم اليهم يحملهم على الرجوع الى دين الاسلام وقيل
احسانا لا يحسنون الثناء ويبرئونا يفضلون اموالهم وقيل توفيقا يفضلون اموالهم وقيل توفيقا اى صوابا وقوله
عز وجل وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا قيل اوعدهم وعيدا حتى اذا عادوا الى مثله يعاقبون وقيل الزمهم الحجة
فى ذلك وابلغها اليهم حتى اذا عادوا عاقبتهم وقوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله الاية
يحتمل قوله تعالى باذن الله وجوها قيل ليطاع باذن الله اى بمشيئة الله وقيل ليطاع باذن الله اى بامر الله وقيل
ليطاع باذن الله اى بعلم الله ومن قال باذن الله بمشيئة الله اى من اطاع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انما يطيعه
بمشيئته وكذلك من عصاه انما يعصيه بمشيئته من اطاعه او عصاه فانما ذلك كله بمشيئة الله وما تاول الا باذن
الله العلم يقول انه يعلم من يطيعه ومن يعصيه اى كل ذلك انما يكون بعلمه لا عن غفلة منه وسهو كصنيع ملوك
الارض انما يستقبلهم من العصيان والخلاف انما يستقبلهم منهم وسهو بالعواقب فاما الله سبحانه وتعالى
اذ بعث رسله بعث على علم منه بالطاعة لهم وبالمعصية لكنه بعثهم لما لا ينفعه طاعة احد ولا يضره معصية

احد فانما

احد فانما ضرر ذلك عليهم ونفعه لهم ثم قالت المعتزلة فى قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع اخبر انه
ما ارسل الرسول الا ليطاع ومن الرسل من لم يطع كيف لا يثبتان من الفعل ما قد اراد عز وجل ان يفعل وان
يكون ولكن لم يكن على ما اخبر انه ما ارسل الرسول الا ليطاع ثم رسل قد كان من الرسول ولم يطع قيل هو ما ذكر
فى اخر الاية ليطاع باذن الله اى بمشيئة الله لمن شاء من الرسول ان يطاع فقد اطيع ومن شاء ان لا يطاع
فلم يطع وكذلك من علم انه يطاع فارسله ليطاع فاطيع ومن علم انه ليطاع ومن ارسل ان يطاع بامر ليكون
عليه الحجة فذلك مستقيم ومن ارسل ليطاع بالامر فلا يجوز ان لا يطاع وقوله ايضا ليطاع باذن الله قيل فيه
بامر الله وقد مر بيانه وقيل ليطاع بمشيئة الله فيطيعه كل من شاء الله بعلم الله فهو فيمن يعلم انه يطيعه اذ لا
يجوز ان يعلم الطاعة ممن لا يكون والمعتزلة فى هذا انه اخبر ارسل ليطاع ولم يطعه الكل ما يبعد ان يكون
اراد ليطاع وان كان لا يطيعه الكل فقلنا اذا قال ليطاع باذن الله يتوجه الى ما ذكرت فعلى ما ذكرت كان
ليطاع ممن يطيعه لا غير فحصل الامر على الدعوى وهو كقوله سبحانه وتعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ومعلوم ان الصغار منهم لا يعبد ولئن تخرج الجزاء الى الخصوص بالوجود لان كان فى كل امر فعلى
ذلك امر الارادة فيمن وجد لان فى كل على انه فيه يعلم وهو يرجع الى بعض دون الكل فثبت الاذن على
ارادة المشيئة والله اعلم وقوله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اى علموا ان حاصل ظلمهم راجع اليهم لان
الظلم هو وضع الشى فى غير موضعه وهم وضعوا انفسهم فى غير موضعها فاذا لم يعرفوا انفسهم لم يعرفوا
وقوله عز وجل جاؤك فاستغفروا الله اى جاؤك مسلمين تائبين عن التحاكم الى غيرك راضين بقضائك نادمين
على ما كان منهم واستغفر لهم الرسول ان تشفع لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اى قابلا لتوبتهم
وقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون قيل قوله فلا صلة وكذلك فى كل قسم اقسم به كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد
ولا اقسم بيوم القيامة ونحوه كله صلة كانه قال اقسم وربك لا يؤمنون وقيل قوله فلا وربك هو ليس
على الصلة ولكن يقال ذلك على نفى ما تقدم من الكلام وانكاره كقول الرجل لا والله هو ابتداء الكلام ولكن
فعلى ذلك هذا وفيه دلالة تفضيل رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من البشر لان الاضافة اذا خرجت
الى واحد تخرج مخرج التعظيم لذلك الواحد والتخصص له واذا كانت الى جماعة تعظيما له كقوله واجد المساله
وقوله له ما فى السموات والارض ونحوه وقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكما وان لم يحكموه لكن معناه والله اعلم حتى يحكموك فيما شجر بينهما اى حتى يرضوا
بحكمك وقضائك وقوله عز وجل فيما شجر بينهم اى اختلفوا بينهم وتنازعوا وقوله عز وجل ثم لا يجدوا فى انفسهم
حرجا مما قضيت قيل ضيقا وقيل شكا مما قضيت بينهم انه حق وقيل انما ثم فى الاية ان الايمان يكون بالقلب لانه
قال تعالى ثم لا يجدوا فى انفسهم اى فى قلوبهم الاترى انه قال الله تعالى فى اية اخرى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا ذكر ضيق الانفس وهو واحد الا ترى انه قال الله عز وجل فى اية اخرى ولم تؤمن قلوبهم فهذه الايات ترد على
الكرامية قولهم لانه قال تعالى لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم وهم يقولون بل يؤمنون
فيقال لهم انتم اعلم ام الله ثم قيل ان الاية نزلت فى اليهودى والمنافق اللذين تنازعا فتحاكما الى الطاغوت وقيل نزلت
فى شان رجل من الانصار والزبير بن العوام كان بينهما تشاجر فى الماء فارتفعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال للزبير
اسق ثم ارسل الماء الى جارك فغضب ذلك الرجل فنزلت الاية فلا يؤمنون الاية ولا ندرى كيف كانت القصة
وفيم كانت ثم روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاخبار انه قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه
من نفسه واهله وولده وماله والناس اجمعين وقيل فى قوله تعالى ثم لا يجدوا فى انفسهم اى فى قلوبهم حرجا
اى شكا مما قضيت انه هو الحق ويسلموا القضاء لك لهم وعليهم تسليما وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
قيل تاويله انه ما ارسل رسولا فى الامم السالفة الا ليطيعوا فكيف تركتم انتم طاعة الرسول الذى ارسل
اليكم وقوله تعالى الا ليطاع باذن الله ما ارسل الله رسولا الا وقد امرهم ان يطيعوه لكن منهم من قد اطاعه
ومنهم من لم يطع وقوله عز وجل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل
منهم الاية قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لو كتب علينا نزلت يا رسول الله لبدات بنفسى واهل بيتى وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك لفضل يقينك على يقين الناس وايمانك على ايمان الناس وعن الحسن قال
لما نزلت هذه الاية قال رجل من الانصار والله لو كتب علينا لقتلنا انفسنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى
نفس محمد بيده للايمان اثبت فى صدور الرجال من الانصار من الجبال الرواسى وقيل ولو انا كتبنا عليهم الاية
هم يهود نفيا به العرب كما امر اصحاب موسى عليه السلام وقيل قال عمر رضى الله عنه ونفر معه والله
لو فعل ربنا لفعلنا فالحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للايمان اثبت
فى قلوب المؤمنين من الجبال الرواسى ثم اختلف فى قتل الانفس قال بعضهم هو ان يقتل كل نفسه وقال الاخرون
هو ان يقتل بعض بعضا واما قتل كل نفسه فانه لا يحتمل لوجهين احدهما وذلك انه عادة شديدة مما لا يحتمل
احد كقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها اخبر انه لا يكلف ما لا طاقة له والثانى ان فيه قطع النسل وحصول
الخلق الى فناء خاصة وذلك مما لا حكمة فى خلق الخلق الى فناء خاصة وقوله عز وجل ما فعلوه الا قليل منهم

قيل هو عبد الله بن مسعود وعمار وفلان وفلان رضي الله عنهم ولا ندري ايصلح ام لا ولو كان قوله تعالى ان اقتلوا
انفسكم قيل بعض بعضا فذلك مما امروا به بمجاهدة العدو والاخراج من المنزل والهجرة ثم اخبر انهم لا يفعلون
ذلك الا قليل منهم وقوله عز وجل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم يحتمل هذا وجهين لو فعلوا
ما يؤمرون به من الاسلام والطاعة لكان خيرا لهم ذلك ويحتمل لو انهم فعلوا ما يؤمرون به من القتل
لو كتب عليهم لكان خيرا لهم في الاخرة واشد تثبيتا قيل حقيقة وقيل تحقيقا في الدنيا وقيل ما يوعظون
به من القران لكان خيرا في دينهم واشد تثبيتا يعني تصديقا بامر الله وقوله عز وجل واذا لاتيناهم من لدنا اجرا
عظيما يحتمل وجهين الاجر العظيم في الاخرة ويحتمل في الدنيا كقوله فسنيسره لليسرى وقوله عز وجل ومن
يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية
قيل في بعض القصة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبكى ثم قال والذي لا اله غيره لانت
احب الي من نفسي وولدي واهلي واني لا ذكرك فلولا اني اجيء فانظر اليك لرايت اني سأموت وذكرت موتي
وموتك ومنزلتك في الجنة ترفع مع النبيين فاني وان دخلت الجنة كنت دون ذلك وذكرت فراقي اياك
عند الموت فبكيت لذلك مما اجاب النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات
يوم على بعض اصحابه فراى وجوههم كابة وجزعا قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم وما غير وجوهكم ولونكم فقالوا
يا رسول الله ما بنا من مرض ولا وجع غير انا اذا لم نرك ولم نلقك اشتقنا اليك واستوحشنا وحشة شديدة حتى
نلقاك فهذا الذي نرى من اجل ذلك ونذكر بالاخرة فنخاف ان لا نراك هناك فانزل الله تعالى الاية ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية ويحتمل ان لم يكن في واحد من ذلك ولكن
في وجوه اخر احدها ان اليهود وغيرهم من الكفرة والذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرطوا في تعنتهم و
تمردهم في ترك اجابتهم اياه وطاعتهم له ظنوا انهم وان اسلموا واطاعوا الرسول عليه السلام لم يقبل ذلك عنهم توبتهم
ولم ينزلوا منزلة من لم يؤذه ولم يترك طاعته فاخبر عز وجل انه اذا اطاع الله والرسول فيكون مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كان لم يترك طاعته ابدا والله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف ويحتمل ان يكون ذلك لما سمعوا ان لكل احد في الجنة مثل الدنيا فظنوا ان لا يكون لهم الاجتماع والالتقاء
لبعد بعضهم من بعض فاخبر عز وجل ان يكون لهم الاجتماع لان ذلك لهم في الدنيا من اعظم النعم واجلها ويحتمل
ان يكون على الابتداء ان من اطاع الله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم فيكون مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين في دار واحد لا يكونون في غيره الوجوه كانها اشبه والله اعلم اذهم بالطاعة
اجابوا والله اعلم ثم اختلف في الصديقين قال بعضهم اتباع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وخلفاؤهم في كل امر من التعليم
والدعاء لهم الى كل خير وطاعة وقيل الصديقين هو الذي يصدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اول دعوة دعاه
الى دين الله تعالى وفي اول ما عاينه وقوله عز وجل والشهداء قيل الشهيد الذي قتل في سبيل الله وقيل الشهيد هو العالم
بدينه وقيل الصديق والشهداء والصالحين كله واحد وقوله عز وجل ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما دلت
الاية على ان الجزاء افضل من الله تعالى اذ قد سبق من عنده الانعام والافضال عليهم فيخرج طاعتهم له مخرج الشكر له
لا ان عليه ذلك الانعام الذي انعم عليهم فضل من الله ويحتمل قوله ذلك الفضل من الله اي ما احسن من لم رفقه بينهم
فذلك فضل منه والاية ترد على اصحاب الاصلح لان تلك الافعال انما صارت قربة لله بانعام من الله وافضاله و
توفيقه وبه استوجبوا الثواب وقوله تعالى ايضا ذلك الفضل من الله بعد العلم بان الفضل هو بذل ما لم يكن عليه وبذل
ما عليه وهو الوفاء لان الفضل في متعارف اللسان والمعتاد ثم لا يخلوا من ان يرجع معناه الى الخيرات التي اكتسبوها
فيبطل به قول المعتزلة بما لا يخلو من ان كان منه ذلك الفضل او مثله الى الكافر او لي فان كان منه وجه يستحقه و
قد كان منه الى غيره فلم ينل تلك الدرجة ولا بلغ تلك الرتبة فبان انه لا بذلك بلغ من بلغ فيكون منه فيما لم يكن
معه ذلك عنهم لم يكن البذل فضلا لما ذكرت ثبت ان لمن لحق عليه كل ما به الاصلح في الدين لما يزيل معنى الفضل و
وان لم يكن اعطاء الكافر مثله فهو عندهم محاباة منه على المؤمن وقد منع بعض ما عليه في الاصلح وذلك عندهم
ظلم جل الله عما وصفوه وان كان ذلك في الثواب فلان له ان يمتحن بصبر ما اتا بعليه فضلا ولا يحتمل ان لا يرضى
بطاعة العبد واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فثبت ان الرضا ليس هو المراد والله الموفق وقوله عز وجل وكفى
بالله عليما قيل عليما بالاخرة وثوابها وقيل وكفى بالله عليما بما وعد من الخير في الاخرة لهؤلاء الاصناف وعن ابن
عباس رضي الله عنه قال الصديقون هم الذين ادركوا الرسل عليهم الصلوة والسلام وصدقوهم وعن ابي ذر
رضي الله عنه قال الصديقون هم الذين المؤمنون وقيل الصديقون السابقون الذين سبقوا الى التصديق النبيين
انعم الله عليهم بالصديق والشهداء هم الذين انعم الله عليهم بالشهادة والصالحين هم المؤمنون اهل الجنة وقوله
يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم قيل خذوا عدتكم من السلاح وقيل قوله خذوا حذركم من جميع ما يحترس به العدو كقوله
سبحانه وتعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية وقوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة امر الله
عز وجل بالاعداد للعدو والاعداد له واذ لا يوكل الامر في ذلك الى الله دون الاعداد للعدو وقيل لقائه

وان كان بقدر نصر اوليائه وقهر عدوه من غير الامر بالقتال معهم اذ في ذلك محنة امتحنهم بها فعلى ذلك امرهم
بالاعداد للعدو واخذ الحذر لهم وذلك اسباب تعد قبل لقائهم اياه وفيه دلالة تعلم اداب الحرب قبل لقاء
العدو ليحترس منه وفيه دلالة اباحة الكسب لانه فرض عليهم الجهاد وامر بالاعداد له ليتحرس من العدو و
لا يوصل الى ذلك الا بالكسب والله اعلم وفي قوله ايضا يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم اي ما تحذرون به عدوكم
وما تحذرون به وجوه منها الاسلحة ومنها البنار ومنها النكار عند الالتقاء والثبات وذكر الله عز وجل كما قال
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وفي هذا امر بالاعداد للعدو قبل اللقاء وابد ذلك قوله عز وجل ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له عدة وكذلك قوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فيكون الامر بالاعداد قبل وقت الحاجة
دليل جواز الكسب لحاجات تجددت وان الاستعداد للحاجات ليس رغبة في الدنيا اذ لم يكن الاعداد فيل و
ولا ترك التوكل على ان الجوع وحاجات النفس تعين وقلق العدو ولا حول ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل
فانفروا ثبات او انفروا جميعا قيل الثبات هو السرايا وانفروا جميعا يعني عسكرا وقيل ثبات يعني فرقا اي عصبا
او انفروا جميعا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال زحفا وقيل الثبات الاثبات والبينة في كلام العرب
الجمع الكثير ومعناه انفروا كثيرا او قليلا وفي ذلك دلالة الامر بالخروج الى العدو فرادى وجماعة وفرقا و
جماعة والله اعلم وقوله عز وجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا ومعلوم ان عليهم الدفع فيحتمل ان يكون قوله تعالى
انفروا اذا وذا اي على ما استنفرتم من جميع او بعض فيكون في ذلك دلالة قيام البعض عن الكل على غير الاشارة
الى ذلك وقد يجب فرض في يجبون على كل القيام حتى يعلم الكفاية بمن خرج وهذا كفرائض يعرف لا يعرف بعينها
او حرمات تظهر لا نعرف المحرم بعينه فعلى من حرم عليه الابتغاء والقيام الجميع الفرائض ليخرج عما عليه ثم
اذا غلب عليهم في البدل الكفاية بمن خرج سقط عن الباقين ولو لم يكن يسقط لم يكن للامام استنفار البعض
يدل على ذلك فلولا نفر من كل فرقة الاية وقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار واصله انه فرض لعله لا يجوز
نفاده وقد زالت العلة على ان خروج الجميع من جهة ابداء للعورة من جهات فلذلك لم يحتمل تكليفه لخروج
الجميع من حيث استنفر منها والله اعلم وقوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن قوله منكم يحتمل وجوها يحتمل
في الظاهر منكم ويحتمل في الحكم منكم ويحتمل في الدعوى لانهم كانوا يدعون انهم منا ويظهرون الموافقة للمؤمنين
وان كانوا في الحقيقة لم يكونوا وقوله تعالى ليبطئن قيل ان المنافقين كانوا يبطئون الناس عن الجهاد ويتخلفون
كقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الناس الا قليلا كانوا يسترون ذلك
ويضمرونه فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى وفيه دلالة اثبات رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن
اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم يكن بينكم وبينه مودة وعلى التقديم والتاخير يسر ويفرح اذا اصابتهم مصيبة
كان لم يكن بينكم وبينه مودة لان كل من كان بينه وبين اخره مودة اذا اصابته نكبة يحزن عليه ويتالم فاخبر الله
عز وجل ان هؤلاء المنافقون اذا اصاب المؤمنين نكبة يسرون بذلك ولا يحزنون كان لم يكن بينهم مودة
ولا صحبة وقوله عز وجل ولئن اصابكم فضل من الله يعني الغنيمة والفتح يقولون يا ليتني كنت معهم فافوز
فوزا عظيما ان ياخذ من الغنيمة نصيبا وافرا وقوله عز وجل فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا هذا قول للمكذب الشامت ولئن اصابكم فضل من الله الاية هو قول الحاسد وهو قول
قتادة وقوله تعالى وان منكم ليبطئن يعني ليتخلفن عن اليقين فان اصابتكم مصيبة يعني شدة وبلاء من العيش
والعدو قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا فيصيبني ما اصابهم كان لم يكن بينكم وبينه مودة وقوله
عز وجل فانفروا ثبات او انفروا جميعا دل ان فرض الجهاد فرض كفاية يسقط بقيام البعض عن الباقين
لانه قال انفروا ثبات او انفروا جميعا امر بتخيير الثبات فلو كان لا يسقط بقيامهم عن الباقين لم يكن
للامر به معنى وتاويله والله اعلم اذا قيل لكم انفروا فانفروا ثبات او انفروا جميعا وقوله عز وجل فليقاتل
في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة كانه والله اعلم نهى المنافقين بالخروج الى الغزو وقوله
تعالى فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وامر المؤمنين ان يخرجوا
لذلك لانه قال الله تعالى فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة والمؤمنون هم الذين يشرون
الحيوة الدنيا وقوله عز وجل في سبيل الله قيل في طاعة الله ودين الله وقيل في طاعة الله تعالى ونصر اوليائه وقوله
عز وجل ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما في الاية دلالة ان بذل نفسه وما
له لله تعالى غاية ما يجب ان يبذل استوجب العوض قبله وان لم يتلف نفسه فيه ولا احدث لانه قال عز وجل
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب جعل لمن يتلف نفسه فيه الثواب والعوض الذي يتلف نفسه فيه
وكذلك قوله سبحانه وتعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون يجعل لمن قتل فيه العوض فهذا يدل على مسائل لنا من ذلك ان المراة اذا سلمت نفسها
الى زوجها في الوقت الذي كان عليها التسليم استوجب كمال الصداق وان لم يقبض الزوج منها ومن ذلك البايع
ايضا اذا سلم المبيع الى المشتري كان سلم وان لم يقبض المشتري وكذلك من صلى صلوة الظهر في منزله ثم خرج

الى الجمعة بصبروا قضياً للظهر لان عليه الخروج اليها فيصير بالخروج اليها كالمباشر لها وان لم يباشر على سبيل ما جعل
الباذل لنفسه لله عز وجل والمسلم اليه كانها اخذت منه في استيجاب العوض الذى وعد له فعلى ذلك يجب ان يجعل
تسليم ما ذكرنا الى المحق كاخذ المحق منه وان لم ياخذ كالقيام الى الخامسة ولا كالمتوجه الى عرفات قبل فراغه من العمرة
لان هولاء القراع مما كانوا فيه ثم التوجه الى عرفات والقيام الى الخامسة فلم يصح ذلك واما المراة والبايع والمودى
الظهر في منزلة عليهم التسليم والبذل لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وفي الاية ان الله تعالى عامل عباده معاملة اهل الفضل
والاحسان كان لا حق له لا معاملة ذى الحق وان كانت الانفس والاموال كلها له في الحقيقة حيث فرض عليهم الجهاد
وجعل لهم بذلك عوضا كقوله تعالى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما وقال الله
عز وجل في اية اخرى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم من المؤمنين كثيرا من لا حق له فيها وهي له
في الحقيقة ووعد لهم على ذلك عوضا واجرا عظيما **وقوله** تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله وقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله الاية مثل هذا لا يقال الا لتفريط سبق منهم ثم لم يزل اسم الايمان
منهم بذلك وما كان الجهاد فرضا عليهم فهذا ينقض على من يخرج مرتكب الكبيرة من الايمان وقوله تعالى ما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان عن ابن عباس رضي الله عنه قال وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله وفي المستضعفين وكذلك روى عن الكسائى وفيه دلالة ان على المسلمين ان يستنقذوا اسراهم
من ايدى الكفرة اذا اسروا باى وجه ما قدروا عليه بالاموال والقتال وغير ذلك وذلك فرض عليهم وحق ان
لا يتركوهم في ايديهم لانه قال الله تعالى وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الاية دلالة ان اسلام الضعفاء اسلام وكفرهم كفر اذا عقلوا الا ترى قال
الله تعالى والولدان الذين والكبار من الرجال والنساء لا يسمون ولدانا انما يسمون الضعفاء منهم لا ترى انهم بتركهم
في ايدى الكفرة فلو كانوا ولا دا الكفرة لم يكن للتعيير والعتاب وجه بتركهم في ايديهم فدل انه انما لحقهم العتاب
لاسلامهم وكذلك قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض
قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم الاية ثم استثنى المستضعفين فقال عز وجل
الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة فلو لم يكن اسلام الولدان اسلاما ولا كفرهم
كفرا لم يكن لاستثنائهم من اولئك واخراجهم من الوعيد الذى ذكر معنى والله اعلم **وقوله** عز وجل ربنا اخرجنا من
هذه القرية سالوا الله عز وجل ان يخرجهم من القرية وهم علموا انه لا يتولى بخروج السماء ولكن على ايدى قوم يعينهم
على ذلك وهم علموا ان الله تعالى في ذلك صنعا والمعتزلة لم يعلموا وذلك ينقض قولهم وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل
الظالم اهلها كل ظالم منعهم عن الخروج الى دار الاسلام والهجرة **وقوله** عز وجل لو جعل لنا من لدنك وليا في ديننا
ونصيرا يمنعنا عن المشركين ويقال ما نعا يمنع عنا المشركين وقد ذكرنا الولى والنصير في غير موضع والله اعلم
وقوله عز وجل الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله ذكرنا الذى امر خلقه بالسلوك فيه **وقوله** عز وجل والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت قال ابن عباس رضي الله عنهما الطاغوت هو الشيطان في هذا الموضع لانه
هو الذى يامر بالسلوك في سبيله وفي الاية دلالة ان لا يامر الكفار بالجهاد ولا بالصلوة ولا بالزكوة
ولا بغيرها من العبادات لانه اخبر انهم لو قاتلوا انما يقاتلون في سبيل الشيطان وكذلك اذا صلوا صلوا له وكذلك
سائر العبادات ولكن يامرون اولا باتيان ما لو فعلوا من العبادات كانت في سبيل الله وهو الايمان وهذا ينقض
قول من يقول ان الكافر مامور مكلف بالصلوة والزكوة وغيرها من العبادات والله اعلم **وقوله** عز وجل فقاتلوا
اولياء الشيطان هذا يدل على ان الطاغوت هو الشيطان هاهنا وكل ما عبد دون الله فهو طاغوت **وقوله** عز وجل
ان كيد الشيطان كان ضعيفا يحتمل قوله ان كيد اولياء الشيطان كان ضعيفا اذا كان الله ناصركم كقوله سبحانه
وتعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم ويحتمل ان كيد الشيطان كان ضعيفا لانه لا يعمل سوى الدعاء والامر يدعوهم
الى سبيله فذلك لضعفه لا يباشر القتال ولا الضرر انما هو اشارة منه ودعاء كقوله سبحانه وتعالى وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم قوله عز وجل الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال الاية اختلف فيه قيل نزلت الاية في بني اسرائيل وهي الاية التي ذكرها الله تعالى
في سورة البقرة الم تر الى الملاء من بني اسرائيل من بعد موسى الى قوله فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
وقيل انها نزلت في المؤمنين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قتال كفار مكة سرا لكثرة ما يلقون من الاذى منهم فنزل قوله تعالى كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى لم
تؤمروا بالقتال فنهاهم عن ذلك فلما كتب عليهم القتال وامروا به كرهوا ذلك فذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق
منهم يخشون الناس كخشية الله الاية وقيل انها نزلت في المنافقين الذين كانوا يقاتلون مع النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله عز وجل يخشون الناس يعني المنافقين كخشية المؤمنين الله او اشد خشية كقوله سبحانه وتعالى يحبونهم
كحب المؤمنين الله او اشد حبا وان كانت في المؤمنين فتاويله يخشون الناس في القتال كخشية الله في الموت
او اشد خشية لانه اهيب واسرع نفاذا والله اعلم **وقوله** عز وجل ايضا الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
الاية تكلموا في ذلك فمنهم من حمله خبرا عن امر بني اسرائيل الذين قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا الاية انهم امروا

بالكف عن مقاتلته تمنوا الاذن في ذلك وسالوا نبيهم عليه السلام عن ذلك ثم فيهم من اعرض عن الطاعة
وقد كان اهل الايمان يتمنون الاذن في ذلك كقوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت فوعظوا بمن ذكرت ليقبلوا
العافية ولا يتمنوا محنة فيها شدة فيبعثهم على ما بعث اولئك وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا ربكم العافية واذا لقيتموهم فثوروا في وجوههم او كان في علم الله
سبحانه وتعالى انه لو امروهم فاخبروا بالذين قتلوا وحل بهم لئلا يفعلوا مثل فعلهم والله اعلم وخشيتهم كخشية
الله كقوله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده الى تمام القصة وقد قيل الاية نزلت فيما سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاجيبوا في ذلك ثم تناظرهم الذى ذكر لكن اختلف في ذلك فمنهم من يقول كان ذلك في المصيد قبل
لكن اشتد عليهم الامر وذلك نحو ما كان منهم يوم حنين واحد ونحو ذلك حتى اغاثهم الله تعالى وفرج عنهم بمنه
وعلى ذلك قوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت اى ما فيه الموت من الجهاد وعلى ذلك يخشون الناس كخشية الله هو
او اشد خشية فلما عاينوا السبب الذى فيه هلاكهم ويبلغ عند ذلك الخشية غايتها نحو قرب الموت وشدة
المرض يكون المرء يخشى منه الموت ما لا يخشى لولا تلك الحال لانه يرى الموت من المرض وان كان الذى يظهر عليه
من خشية الموت في تلك الحال اشد فهو في الحقيقة خشية من الله تعالى ان يكون جعل ذلك سبب الموت واثره
وقرب منه فيكون في ظاهر الامر كمن يخشى من تلك الاحوال وقد جعل لما جبل عليه الخلق في مثله معروف مثله اعني
ان المريض يعد الموت لما يغلب عليه الموت لما يغلب عليه الاياس من حيوته وان كان الذى يصيب يستوى عليه
احواله فعلى ذلك امر الاول وعلى ذلك فيما طبع عليه الخلق من طمانينة القلب عند ملك اسباب الرزق والتقلب
عليه مالا يركن في غيرها وان كان من حيث قدره الله تعالى واحد فيكون ذلك الخشية جبلية طبيعته لا اختيارية
او سخط بحكم الرب وهو كالذى جاء بقوله تعالى عليكم القتال وهو كره لكم الاية وقوله على ذلك ربنا لم
كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب الاية يحتمل وجهين احدهما الخبر عن ما في طباعهم كما قال عز وجل
كتب عليكم القتال وهو كره لكم الاية وقال النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وانما ذلك على الطبع
كالسائل عن ذلك وربما يضيفون القول والسوال على اعتبار الاحوال الى ما لا يطيق له فعلى ذلك هذا والله
اعلم ويحتمل ان يكون قولا منهم عن وجه الحكمة لهم بالامر فيما علم انهم يبلغون بالقتل والجبن الى حال لا يقومون
للعدو ولا يملكون انفسهم في ذلك الوقت فاخبر الله عز وجل ان الذى حملهم على ذلك رغبتهم في التمتع بالدنيا
ولو صودوا متاع الاخرة في قلوبهم ليذهب عنهم ذلك ويثبتون للعدو ولا يبالون للعدو بما يحل ولا يخشون
لذلك وكانه وعد لهم ان متاع الاخرة لكم على هذا الفعل لو صبرتم خير لكم وما وعد لكم عليه خير من متاع
الدنيا وايضا ان هذا وان اعظم هوله على الطبع فانه اذا كان لله بحق العبادة لهو ايسر واهون من الموت
على صاحبه اذا حضر اذ يريهم الله متاع الاخرة او بعض ما فيه الكرامة فيصير ذلك متاع الاخرة لهم وقت
الموت فهو خير من تمتعهم في الدنيا ثم الموت ولا ذلك منه كما قيل فينا وبه قوله عليه الصلوة والسلام
من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ان المؤمن يرى ما له من الكرامة فيحب
الموت ان يعجل به ليصل الى ذلك والكافر يرى سخطه فيكرهه وعلى هذا تاويل القول في الدنيا انها سجن المؤمن
وجنة الكافر ان يكون كذلك في ذلك الوقت والله اعلم وتاويل اخر ان يكون الاية في المنافقين انه يظهر وقت
اللقاء والمحنة بالجهاد دون غيره من العبادات قال الله تعالى ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة الاية بين
ما نزل بالمنافقين وكذلك قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم الايات والله اعلم فيمن نزلت الاية لكنها معلوم
ان فيها ترغيبا فيما عند الله وتزهيدا في الدنيا ودعاء الى الرضى بحكم الله تعالى فيما خف وثقل والله المستعان
وعلى التاويل الاخر جميع ما ذكرنا ظاهر في المنافقين مذكور ذلك في الايات التي ذكرناها وفيهم قال الله تعالى
لن ينفعكم الفرار الاية وغير ذلك مما دل على انكارهم وفضل خوفهم في ذلك والله اعلم فان قال قائل
كيف قال الله تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقد هلك به اكثر البشر قيل قد يخرج على وجوه والله اعلم
احدها انه يضعف كيده على من يعوذ بالله تعالى كقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية
وانما يقول على من جنح له ومال الى ما دعاه اليه كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
الاية الى قوله تعالى ثم لا يقصرون والثانى ان يكون ضعيفا على المقبل على ربه والذاكر له في احواله والمفوض
امره الى ربه فاما من تولاه واقبل على شاهده فهو الذى جعل له السلطان على نفسه بما اثره في شهواته
ومال بهواه كقوله تعالى ليس له سلطان على الذين امنوا الاية وقد سماه الله تعالى الوسواس الخناس بما يخنس
بذكر الله تعالى ويوسوس عند الغفلة عن الله فكان سلطانه به والله الموفق والثالث انه لا يملك الجبر والقهر
ولا الكتاب الضرر في الابدان والاموال فهو ضعيف والله اعلم **وقوله** عز وجل ربنا لم كتبت علينا القتال
قيل في حرف حفصة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فلما كتب عليهم القتال اذا هم
يخشون الناس كخشية الله كان في الاية انما يستبين ذلك حرف حفصة والا لم يكن في ظاهر الاية خبر حتى يكون
قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم الاية جوابا له وقوله عز وجل ربنا لم كتبت علينا القتال فان كانت
الاية في المنافقين فهو على الانكار قالوا ذلك وان كانت في المؤمنين فهو يخرج على طلب الحكمة في فرض

القتال علينا وقد يطلب الحكمة في الاشياء ولا عيب يدخل في ذلك واصله ان كل امر في الظاهر من هو فوقه فذلك
سؤال في الحقيقة لا امر فيخرج سؤاله مخرج الخضوع والتضرع له ومن امر من دونه فهو في الحقيقة ليس بسؤال
فهو يخرج على الامر والنهي وهو الامر الظاهر في الناس وقوله عز وجل قل متاع الدنيا قليل معناه والله اعلم انا لم
نخلقكم للدنيا وللمتاع فيها انما خلقناكم للاخرة وللمقام فيها فلو خلقتكم للدنيا ثم كتبت عليكم القتال لكان ذلك
عبثا خارجا عن الحكمة ولكن خلقناكم للاخرة وللمقام فيها ويحتمل فيها قوله تعالى يخشون الناس كخشية الله او اشد
خشية وقوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال الى اخره ان لم يقولوا ذلك قولا ولكن كان ذلك خطرا في قلوبهم
فاخبرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم عما اضمروا ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى عز وجل ليدلهم على نبوته ورسالته
وقوله عز وجل لولا اخرتنا الى اجل قريب فنموت حتف انفنا ولا نقتل قتلا فيشتد ذلك الاعداء ربنا لا تجعلنا
فتنة للقوم الظالمين وفي القتل فتنة وقوله عز وجل قل متاع الدنيا قليل يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا انهم
لم يخلقوا لمتاع الدنيا ولكن انما خلقوا لمتاع الاخرة والثاني قليل من متاع الاخرة كقوله سبحانه وتعالى وما متاع
الدنيا في الاخرة الا قليل وكقوله تعالى افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون وقوله عز وجل والاخرة خير لمن اتقى لان متاع الاخرة دائم غير منقطع ومتاع الدنيا زائل منقطع
وقوله عز وجل ولا يظلمون فتيلا قد ذكرنا وقوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
قيل لما استشهد من استشهد يوم احد قال المنافقون لو كان اخواننا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فانزل الله تبارك
وتعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ويحتمل ان يكون جوابا لما سبق من القول قولهم لم كتبت
علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب يقول من كتب عليه الموت ينزل به لا محالة قاتل او لم يقاتل وقوله سبحانه وتعالى
قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الاية ويحتمل ان يكون قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم
الموت نازل بكم لا محالة في القتل انفع لكم لانكم تستوجبون بالقتل الثواب الجزيل ولا يكون ذلك لكم اذا متم حتف
انفكم والله اعلم وقوله عز وجل في بروج مشيدة قال القراء المشيد والمشيد واحد غير ان المشيد بالتشديد فيما
يكثر الفعل والشيد فيما لا يكثر الفعل وقيل المشيد هو المجصص والشيد الجص وقال بعضهم بروج مشيدة
اي حصينة وقيل قصور محصنة طوال وقوله عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك معلوم انهم لم يريدوا بالحسنة والسيئة حسنة في الدين وسيئة في دينهم
ولكن انما ارادوا بالحسنة والسيئة في الدنيا من المنافع والبلايا والشدايد ذلك انهم ما كانوا يحزنون لما يصيبهم من
السيئة في الدين ولا كانوا يفرحون بالحسنة والخير في الدين ولكن فرحهم بما كانوا يصيبون في الدنيا من الخصب
والسعة وحزنهم بما يصيبهم من الضيق والشدة وكانوا يتطيرون برسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان
داب الكفرة من قبل كانوا يتطيرون بالانبياء عليهم الصلوة والسلام كقوله عز وجل اخبارا عن قوم موسى على نبينا
وعليه الصلوة والسلام ان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وكقوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال
طائركم عند الله بل انتم قوم تفتنون وقال الله عز وجل انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون فعلى
ذلك قولهم وان تصبهم حسنة يقولون هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك تطيرا منهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل قل كل من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
اي بتقديره كان وقضائه فضلا كقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وجزاء كقوله عز وجل وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم اي ما اصابهم بسوء صنيعهم برسل الله عليهم الصلوة والسلام وتكذيبهم اياهم كقوله تعالى وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله عز وجل فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا اي لا يفقهون
ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل ما اصابكم من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وروي في حرف
ابن مسعود رضي الله عنه قال وانا قدرتها عليك يحتمل ان يكون قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله يرجع الى
ما ذكرت من السعة والعافية ونحوها وما اصابك من سيئة من البلاء والشدة فمن نفسك بحق الجناية على الاية التي
ذكرت من قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويحتمل ان تكون الاية الاولى في امر الدنيا والاخرى
في امر الدين اذا اختلف الاضافة في هذا واتفقت في الاولى على ما عليه امر المحنة من قوله تعالى ونبلوكم بالخير والشر فتنة
وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا جعل الله
تعالى يختلف احوال العباد لا متنع لهم في ذلك وكذلك قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء الاية والثاني في حق
الافعال فيضاف الى الله ما صلح منها شكرا وحمدا بما انعم الله عليه وذلك قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وقوله صراط الذين انعمت عليهم وقوله ولكن الله يمن عليكم الاية وقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور وقوله ولكن الله حبب اليكم الاية وغير ذلك فيضاف اليه بما منه في ذلك من الفضل
والنعمة شكرا والثاني في زلة وضلالة لا تجوز الاضافة اليه لما شبه الاعتذار ولا عذر لاحد في ذلك
ويقبح في الاضافة وذلك نحو القول يا رب السموات والارض والاثقال هو رب الخنازير والاقذار و
نحو ذلك لما يقبح في السمع وان كان من حيث الخلق والتقدير واحدا فمثله امر الافعال والله الموفق ونفي الاضافة
عنه لا يدل على نفي ان يكون خلقته لما بينا من الاشياء الاضافة اليه كالتخصيص فيقال يا خالق القرد والخنازير

ويا الله الاقذار والخبائث ويا رب الشرور والمصايب ومن كان كل ذلك داخلا في اسماء الجملة ويحق منه تقديرها
وخلقها وكذلك الفواحش والكباير والله اعلم والثاني الخيرات والاعمال الزاكية قد تضاف اليه لا من وجه
التخليق عند الجميع بل عندنا من جهة الافضال بالتوفيق والانشاء وعند المعتزلة من جهة الامر والترغيب
فعلى ذلك نفي الاضافة فيما لم يضف اليه لهذا وابين هذا قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وانا
قدرتها عليك قال قائل ذلك لا يقع على الافعال لقوله ما اصابك ولو كان عليها كان يقول ما اصبت ثم كان له
جوابان احدهما ان الاصابة اسم مشترك ما يصيبه هو يصيب ذلك فسواء لو اضيف اليه او اضيف هو اليه والله
اعلم والثاني ان ذلك يخرج الجزاء ايضا اذا كان على ما يقول فيكون على ما يصيبه من جزاء حسنة وسيئة واذا لم
يجعل الله في حسنة فضلا لو يحتمل الاضافة اليه معا قد بينا من اضافات اعمال الخير اليه ودفع الشر الى ابليس
في فعله من الله افضال عليه بر انعام وكان في فعل الخير ذلك لا بالامر والنهي اذ هما يستويان في كل والله اعلم
ثم اوضح ذلك خبر عبد الله فطعنه قوم لمخالفة المصحف المعروف قلنا ليس بذي خلاف انما هو بيان
المطلق وقد يقبل خبر الاحاد في مثله والله اعلم وقيل خبر عبد الله من خبر الاحاد ولعله ليس قبل مصحفه تروى
عنه العامة لا يحتمل التبديل واما خبره من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز اخراج القراة مرفوع
وخبر الفرد فيه يقبل فيما لا خلاف فيه وان كان فيه تأويل الظاهر والله اعلم وقوله عز وجل وارسلناك للناس
رسولا قيل في حرف حفصة وارسلناك الى الناس رسولا وكفى بالله شهيدا قيل كفى بالله شهيدا اي بانك
رسول الله وقيل وكفى بالله شهيدا على ما يضمرون في قلوبهم وقيل فلا شاهد افضل من الله بانك رسوله وفي قوله
ايضا وكفى بالله شهيدا وجوه احدها ان جحدوا تبليغك في الدنيا ويقولون لم نعلم رسالتك والثاني ان تكون
بالايات التي جعلها الله تعالى لرسالتك تحقق وشهادة الله لك بالرسالة شهيدا لك او مبينا او حجة والثالث
ان يكون جعل علم الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وتبليغهم الخبر اليهم شهادة وكفى بالله شهيدا على
اضاف بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ونصره ولبايعه اليه قال الله تعالى اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء
بني اسرائيل ويحتمل شهيدا مبينا او حكما مليا فعلى تحتمين لهم بالمعاينة ما كان بينه بالدلالة والايات
وحكما فاصلا بين المحق والمبطل فيخرج الوجهان جميعا مخرج الاعراض عن المحاجة مما يظهر من العناد والمكابرة
وتفويض الامر الى الله واخبار عن الفراغ مما كان عليه فيهم من حق البلاغ ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل
ومن يطع الرسول فقد اطاع الله لان الله عز وجل امر بطاعة الرسول فاذا اطاع رسوله صلى الله عليه وسلم
فقد اطاع الله تعالى لانه اتبع امره الا ترى انه قال عز وجل اطيعوا الرسول وحتى جعل طاعة الرسول عليه الصلوة
والسلام من شرط الايمان بقوله عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية والثاني ان الرسول
صلى الله عليه وسلم انما امر بطاعة الله فان اطاع رسوله صلى الله عليه وسلم وائتمر بامره فقد اطاع الله عز وجل لانه
هو الامر بطاعة الله وبالله التوفيق وقيل لان الرسول صلى الله عليه يامر بامر الله تعالى لذلك كان طاعة الله وذكر
في بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة من احبني فقد احب الله تعالى ومن اطاعني فقد اطاع
الله فعيره المنافقون في ذلك فانزل الله تعالى تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاع الله فقد ذكر وان
قلت صلاته وصيامه وتلاوة القرآن ومن عصاه فقد نسي الله تعالى وان كثرت صيامه وصلوته وتلاوة القرآن
لطاعة الله تعالى انما يكون في اتباع امره واجتناب مناهيه وكذلك محبته انما يكون في اتباع امره ونواهيه كقوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي قوله ايضا ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ظاهر مكشوف حقيقته
انه يطيعه بطاعة الله اذ الامر يطيعه على اثر بدعوه الى طاعته وطاعته اجابته له بما يطيع الله به وحكمته انه
لم يجعل مسالك الطاعة عبادة وان كانت هي لله عبادة ولا يجوز عبادة الرسول فصير الله طاعته عبادة
الله تعالى فاعلم ان الطاعة قد يكون غير مستحقة لاسم العبادة اذ قد يستحق لا من ذلك الوجه وكذلك جاز القول
بمطاع في الخلق ولا يجوز بمعبود والله اعلم وايضا فيه شهادة له بالعصمة في كل ما دعا اليه وامر به والزام
للخلق الشهادة له بالصدق في ذلك والقيام به اكد بقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره وبقوله عز وجل
فلا وربك لا يؤمنون الايتين جميعا وذلك الا بالى اللزوم طاعته اخوف مخالفة العذاب الاليم وازال عن الواجد
في نفسه من قضائه الحرج الايمان ثم ليست طاعته في فعله خاصة او قول ما يقوله ولكنها بوجهين احدهما اعتقاد
كل فعل وقول له على ما عليه عنده من خصوص او عموم او الزام او اداب او اباحة او ترغيب والثاني في الوفاء
بالذي عنه المراد فيه من يفعل كفعله او ينتهي ذلك او يستعمله في حق الاباحة او ما اراد من محله فيه بعرف
موقع كل من ذلك بالادلة ولا قوة الا بالله وقول من يقول لا يلزم طاعته في او يلزم كلام بهذا الاطلاق
لا معنى له وقوله عز وجل فما ارسلناك عليهم حفيظا في اعمالهم واقوالهم فانما عليهم ما علموا وعليكم ما تسال
انت عن اعمالهم ولا يسألون عما فعلتم والله اعلم ويحتمل قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا يطلع على سرائرهم انما عليك
ان تعاملهم على الظاهر والله اعلم وقوله عز وجل ويقولون طاعة قيل ان المنافقين قد اظهروا التصديق لله تعالى
ولرسوله صلى الله عليه وسلم فانا دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله امرك طاعة لهم
بما شئت نفعله واذا امرهم بامر ونهاهم عنه خالفوا امره وغيروا ما امرهم ونهاهم فانزل الله تعالى على رسوله

صلى الله عليه وسلم من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى الى قوله تعالى بيت طائفة منهم غير الذي تقول وقوله عز وجل بيت طائفة منهم غير الذي تقول قوله بيت قيل غير ما امرهم به وقيل بيت اي قدروا بالليل القول والقوا وكل كلام وقوله مقدر بالليل مؤلف فيه يقال بيت ومعناه والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا او الله اعلم معنى قوله بيت طائفة منهم غير الذي تقول والاظهار هو هذا ليس على ما قاله اهل التفسير وبالله التوفيق وقوله عز وجل والله يكتب ما يبيتون اي الله تعالى يامر باثبات ما يبيتون من القول الكذب والتغير من القول ليلزمهم الحجة لانهم كانوا يسترون ذلك ويضمرونه لا يظهرون اظهارا ليخبرهم خبر ذلك وقوله عز وجل فاعرض عنهم يحتمل اعرض عنهم ولا تكافيهم على هذا ويحتمل اعرض عنهم ولا تتكلف اظهار سترهم ولا تطلع عليه انما ذلك الي لاطلعكم على ما يسرو ليعلموا انك انما عرفت ذلك بالله ففيه دلالة اثبات الرسالة وتوكل على الله وثق بالله ولا تخافهم فان الله تعالى يدفع عنك شرهم وكيدهم ويحتمل وتوكل على الله في جزائهم فان الله هو يتولى جزاءهم تكذيبهم اياك والله اعلم وكفى بالله وكيلا فيما وكلوا اي كفى بهم ما مقا فلا احدا منع منه وقيل وكفى بالله شهيدا بما يبيتون وحافظا وقال بعضهم لا يكون التبييت الا بالليل بل لقول الشيء ويقدرونه بالليل وقوله عز وجل افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لو كان الحكم الظاهر المخرج على ما يقوله قوم لكان القران خرج مختلفا متناقضا لانه قال الله عز وجل في الاية لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية ويقول في اية اخرى انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر كان على ظاهر المخرج فهو مختلف وكذلك قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وقال الله عز وجل في اية اخرى فلا جناح عليهما ان يتراجعا في احدهما حظر وفي الاخر اباحة فلو كان على ظاهر المخرج والعموم لكان مختلفا ومتناقضا وتجد اهل الالحاد وضع طعن فيه واسر سبيل الى القول بانه غير منزل من عند الرحمن اذ نه وصفه انه لو كان من عند غير الله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية قال عز وجل وانا له لحافظون ثم وجد اكثر ما فيه الحكم متفرقا الى غير المخرج وتخصاد على غير مجرى اللفظ من العموم والخصوص فدل به ان الحكم لا كذلك ولكن لمعنى المودع فيه والمودع لا يوصل الى ذلك الا بالتدبر والتفكر فيه والى هذا ندب الله عباده لتدبر فيه ليفهموا مضمونه وليعلموا به ثم يحتمل بعد هذا وجهان احدهما قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا اي لو كان هذا القران من عند غير الله لكان لا يوافق ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم من سرائرهم موافقا له دل انه خبر من الله تعالى والثاني انهم كانوا يقولون ان هذا الا اختلاق وما هذا الا افك مفترى ونحوه فاخبر الله عز وجل انه لو كان من عند غير الله لكان لا يوافق لما عندهم من الكتب بل كان مختلفا متناقضا فلما خرج هذا القران مستويا موافقا لسائر الكتب كقوله تعالى مصدقا لما معهم ومصدقا لما بين يديه من التوراة دل انه من عند الله نزل ويحتمل وجها اخر وهو ان هذا القران نزل على محمد صلى الله عليه وسلم في اوقات متفرقة متباعدة على نوازل مختلفة فلو كان من عند غير الله نزل لخرج مختلفا متناقضا بعضه بعضا لان حكيما من البشر لو تكلم بكلمات في اوقات متباعدة لخرج كلامه متناقضا مختلفا الا ان يستعين بخالق رب العالمين ويعرضه عليه فعند ذلك لا يتناقض فلما خرج هذا مع تباعد الاوقات غير مختلف ولا متناقض دل انه من عند الله تعالى نزل وبالله التوفيق وفيه الاحتجاج على الملحدة حيث قال عز وجل افلا يتدبرون القران الى قوله اختلافا كثيرا فلو وجدوا لاظهروا ذلك وقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ولو قدروا على ذلك لاتوا به دل ترك اتيانهم ذلك انهم لم يقدروا على اتيان مثله ولو وجدوه مختلفا لاظهروه ولو كان من كلام البشر على ما قالوا لاتوا به لانه من البشر فظهر انه منزل من عند الله والله الموفق وقوله عز وجل افلا يتدبرون القران وقوله ليدبروا اياته دلالة بينة على وجهين احدهما ان المقصود منه يدلك على التامل والتدبر لانه يجري الامر والترغيب قبل وقت العمل بل لزم القيام بما يعقل بالتدبر فيه وجهان احدهما ان الامر ليس على مخرج الكلام وعند اهل الاشتباه على حق الاية في اللغة وافق مثله الى يرغب في معرفة الموقع عند اهل الشام من التخريج والوجه اليه لا يتدبر فيه والله اعلم ومعلوم ايضا ان لا يتدبر فيه حفظا كما اهل الشعر حفظ العوام وما عرف من حيث اللسان فهو حفظ القرين تثبت الى العوام اتباع الخواص فيما فهموا والا قصدا اياهم والله اعلم والثاني انه معقل وعنه معرفة الاختلاف ولا تتفاق بالتدبر فيه لانه يقوم الكلام السمع واذا ثبت ذلك لم يلزم العمل بشي من الظاهر حتى يعرف الموقع فيؤمر بذلك بالتدبر ليلحق المتمسك به التنقيص بالتدبر والله اعلم والوجه الثالث ما تضمنت الاعتقاد ان ارتفاع الاختلاف في جملة حجة على ان الله تعالى على انه لا احد بملك تحقق الاختراع لان علم السماع ينتهي اليه على الله الخبر المراد من تاليف الكلام ونظم مثله من متناقض ولا مختلف لم ينبغي ينتهي الاختلاف ما قرن به من الكهنة اذ كذلك كلام الكهنة يخرج مختلفا وما قرن من تعليم الشعر واساطير الاولين والسحر ونحو ذلك اذ كل يخرج ذلك عن الاختلاف وفي ذلك بيان خطر حمل الحجج بحق اللسان من الاسم حجة ودليلا لما يوجد من ذلك الوجه اختلافا كثيرا ولو كان من ذلك الوجه لا احتجاج لوجد الاختلاف ومن ثم ان يجعل القران لو لم الخبر سوا قسمة على جهة قصد يقع فيه الاختلاف دونه فهو وصف القران مع اجتماع الخبر بنفي الاختلاف وانما هو في نفسه مختلف فيتدله الكل لكن ويشتبرايد نثبت التناقض امكن لمن لم يلبد عنه ان كان عنه مترجم

معبر يحيهم تاويله اليه فيبطل ان يكون على احد وجود اختلاف في مكان ويكون احتجاج العدد عنا جل عن ذلك شرما ذكر يحتمل الاحكام والحدود والامور والنواهي وذلك يوجب ان التناسخ والخصوص والعموم لا يكون مختلفا ويحتمل الاخبار والوعد والوعيد ويحتمل ذلك واعلي بالاخبار عن الغيب وعما كان اخبر وجل عن شرك المنافقين وعما اليه موجب الامور وعما كان عنهم ونحو ذلك مما خرج كذلك والله اعلم وقوله عز وجل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه واذا جاءهم نبا من خوف او امن اذاعوه وكذلك في حرف حفصة قال الكسائي هما لغتان اذعت به واذعته واذا فشية وقيل سمعوا به وافشوه وقيل فشوه واشاعوه ثم اختلف فيمن نزلت قال الحسن نزلت في المؤمنين وذلك انهم اذا سمعوا خبرا من اخبار السرايا والعساكر مما يسرون ويفرحون افشوه في الناس فرحا منهم واذا سمعوا ما يحزنهم اظهروه في الناس حزنا وغما ثم استثنى الا قليلا منهم لا يذيعون ولا يفشون بالخبر فلو سكتوا وردوا الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخبر النبي بما كان من الامر وورود الاولى الامر حتى يكونوا هم الذين يخبرون به كان اولى وهو في التقديم والتاخير وقال ابو بكر الكسائي نزلت الاية في المنافقين وذلك ان المنافقين اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر من نصر المسلمين الى الاعداء يذاك لاعداء واعلم ذلك واذا سمعوا ان الاعداء قد اجتمعوا واعدوا الحرب اخبروا بذلك متعقبة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمتنعوا عن الخروج اليهم فقال الله عز وجل ولو ردوه الى الرسول حتى كان هو مخبرهم عن ذلك اوردوا الى اولي الامر منهم يخبروا بذلك والله اعلم ثم اختلف في اولي الامر منهم قيل هم امراء السرايا وقيل هم علماء الفقهاء الذين يستنبطون منهم الذين يطلبون علمه بقوله وقيل ولي الامر هاهنا مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم اجمعين لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجونه من كتاب الله تعالى وقيل ولو الامر ولاة الامر الذين يستنبطونه والذين اذاعوا به قوم اما منافقون واما مؤمنون على ما ذكرنا انما هو اذاعوا به الا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم لاتبر على قوله بعض وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا واختلف فيه قيل فضل الله رسولنا محمد عليه افضل الصلوات ورحمته القران تاويله لولا محمد صلى الله عليه وسلم والقران لاتبعوا الشيطان الا قليلا منهم لم يتبعوه ولكن امنوا بالعقل وقيل ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الامر والنهي عن الاذاعة والافشا والا لاذاعوه واتبعوا الشيطان في اذاعتهم به الا قليلا منهم فانهم لا يذيعون به وعن الضحاك قال هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا احدثوا انفسهم باموره من امور من امور الشيطان الا طائفة منهم اخر يحدثوا بانفسهم وقال الاخرون هم المنافقون كانوا اذا بلغهم ان الله تعالى اظفر المسلمين على المشركين وفتح عليهم صغروه وحقروه واذا بلغهم ان المسلمين نكبوا نكبة شنعوه وعظموه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الا قليلا منهم بقول العلوم الامر الذين استثنى الله عز وجل حين قال ابليس لعنه الله لاحتنكن ذريته الا قليلا وحيث قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال غيرهم ما ذكرنا على التقديم والتاخير واذا جاءهم امر من الامن والخوف اذاعوا به الا قليلا منهم والله اعلم بذلك وقوله عز وجل فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك قوله لا تكلف الا نفسك يحتمل وجهين اي ليس عليك حسابهم من شيء وكقوله عز وجل فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم والثاني لا تكلف الا نفسك اي تكلف انت بالقتال والجهاد وان تختلف هؤلاء عن الخروج معك يؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال هذا حين استنصر النبي صلى الله عليه وسلم اصحاب رضي الله تعالى منهم يوم دعا ابي سفين بدر الصغرى فخذل الناس فانزل الله تعالى هذه الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخرجن الى بدر وان لم يتبعني احد منكم فاتبعه اهل الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفيه دليل وعد النصر له والفتح والنكبة على الاعداء لانه تخلف الخروج وعده فلو لم يكن وعد النصر له لم تؤمر بالخروج الا ترى انه قال الله عز وجل عليهم ان يكف باس الذين كفروا وعسى من الله تعالى واجب وفي قوله تعالى عسى الله وعد نصر والخروج وحده اذا العسى هو من الله واجب وقوله عز وجل وحرض المؤمنين على القتال يحتمل حرض المؤمنين بالثواب لهم وكريم الماب على ذلك ويحتمل المؤمنين قوله تعالى حرض المؤمنين على القتال لما في القتال معهم اظهار دين الله الاسلام وفي ترك المجاهدة والقتال معهم نصر العدو عليهم واظهار دينهم امر عز وجل رسوله عليه الصلوة والسلام ليرغبهم في مجاهدة اعدائهم والثالث وحرض المؤمنين على المجاهدة والقتال معهم وعدا بالنصر لهم والفتح والغنيمة والله اعلم وقوله عز وجل عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والعسى من الله واجب وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يكف عنهم باس الذين كفروا وقوله عز وجل والله اشد باسا واشد تنكيلا قيل وقوله اشد باسا لما يدفع باس المشركين عنكم ولا يقدرون هم دفع باس الله عن انفسهم فباس الله اشد وقوله سبحانه واشد تنكيلا قيل التنكيل هو العذاب الذي يكون للاخر فيه زجر ومنع وقيل حين قال له لا تكلف الا نفسك ولو لم يتبعك احد من الناس لكف الله عنك باس المشركين وقيل الباس هو عذاب الاخرة لانه يخوفهم بباسه لتخلفهم عن العدو ومخافة باسهم وعذابهم فاخبر عز وجل ان باس الله وعذاب اشد من باس الاعداء والله اعلم وقوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها الا

بذكر ما تلك الشفاعة التي يشفع فيحتمل الشفاعة الحسنة هي الدعاء له بالمغفرة والرحمة وهو لذلك مستوجب
فيكون له بذلك نصيب والشفاعة السيئة هو الدعاء عليه باللعن والمقت وهو لذلك غير مستوجب فيكون
له منها نصيب وقيل كقوله العرب الدال على الخير كفاعله من دل اخر على الخير فله في ذلك نصيب وكذلك
من دل اخر على الشر ويحتمل الشفاعة الحسنة في مظلمة يسعى في دفع مظلمة عن اخيه المسلم وهو شفاعة حسنة
فله في ذلك نصيب ويحتمل الشفاعة السيئة هو ان يسعى في فساد امر يلحقه من ذلك نقمة ومظلمة فله في ذلك
اثم وقيل الشفاعة الحسنة هي التي ينتفع بها وعمل بها في بينك وبينه هما فيها شريكان والشفاعة هي التي تصير بـ
ها فيها شريكان ويحتمل ان يكون الشفاعة الحسنة كل معروف وكل امر بر والشفاعة السيئة كل صانع منكر وا
فيهما شريكان في ذلك الامر والفاعل جميعا ويحتمل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل معروف صدقة
والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وما صدقة اللسان يا رسول الله قال الشفاعة تجريها الى اخيك وقد
وقع عنه نقل الكريهة ونحو بها الدم والكفل والنصيب واحد وقيل الكفل الجزاء وقيل الاثم ولكن ليس ثمه
خاصة الا ترى انه قال يؤتكم كفلين من رحمته والشفاعة من اعظم ما احتيج اليها اذ قد جاء القرآن بها والاثار
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والشفاعة في العهود من الامر يكون عند زلات يستوجب بها المقت
والعقوبة فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الاخيار واهل الرضاء بهم ثم كانت الصغائر مما لا يجوز التعذيب عليها
عند القائلين بالخلود والكبائر مما يعفى عنها بالشفاعة فاذا بطل عظم ما جاء من القرآن والاثار في الامتنان
وسقط ما جبل عليه اهل العلم بالله وبرحمته ويبطل رجاء المسلمين بشفاعة الرسل صلوات الله عليهم ولا قوة
الا بالله وقال بعضهم الشفاعة تخرج على وجهين على ذكر بمجلس احد عند اخر ليغفر له عنده المنزلة والرتبة
والثاني يدعو له فالاول هو الذي يحتمل توجيه الشفاعة اليه والثاني قد بين بقوله الذين يحملون العرش
الى قوله تعالى لا يشفعون الا لمن ارتضى والخوف يدل على وجهين الشفاعة لان المرتضى هو ذو منزلة وقدر
ممن تضمنته اية شفاعة الملائكة فيقال الوجه الاول في الاخرة لا معنى له لوجهين احدهما انه في تقرير الامر عند
من يجهله والله جل ثناؤه هو العليم بحقيقة ذلك بل غيره مما يجوز عليهم خفاء الحقائق كقوله تعالى يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا الاية وقال عيسى عليه الصلوة والسلام ما قلت لهم الا ما امرتني به
الاية وكان في ذلك ان الحاكم في ذلك عند الله وهم تبرؤا عن العلم بذلك واقروا بان الله هو المتفرد بعلم ذلك و
بالله التوفيق والثاني ان ثمة كتابا يقرأ فيها اعمال بني ادم وما سبق منهم من صغير وكبير فهي الكافية في التقدير
كان في حق الاحتجاج وان كان في حق الاعلام فعلم الله بهم مغني عن ذلك ولا قوة الا بالله واما الدعاء فكذلك نقول
يدعا على له ذلك الوصف ويشفع له فيما كان في ذلك منه من المآثم والذنوب لانه اذا كان كل فعالهم ذلك
يشفع لهم لانه لا يجوز في الحكمة تعذيبهم على ما ذكر من الافعال بل هم عليها اعظم الثواب وارفع المأوى وطلب
الشفاعة والمغفرة لمثله يقبح من وجوه احدها ان ذلك لا يجوز في الحكمة فكانهم طلبوا منه ان لا يجوز ولا يسعه
وذلك لا يسبق الخلق بخروج مخرج السفه فضلا من ان يتضرع الى الله بجل الكريم الحليم عن هذا الوصف والثاني
ان يخلق في مثله اذ هو مخاطب غير معاقب بلغ ذلك منه بالشكر والحمد وفي الدعاء كتمان ذلك وكفرانه وكالا الاذن
في مثله وبالله التوفيق والثالث ان ذلك في الموعود بالجنة والمبشر بها فطلب مثله يوجب الكها له بذلك لانه يكون
الوقت لم يتبين يكون ذلك في الاستعجال وهو قولنا في اصحاب الكبائر انهم لو عذبوا بقدر الذنوب لكان ذلك
في الحكمة عدلا فيشفع لسائلهم بالفضل والاحسان دون العدل والاستيفاء ولا قوة الا بالله والاصل انما
مقادير العقوبات انما تعرف من يعرف مقادير الاجرام وليس من الخلائق يحتمل تركيبه احتمال العلم بمقاديرها
اذ لا احد يبلغ في معرفة تعظيم الله كنه عظمته ليعرفوا قدر الخلاف لامره جل وعلا وما كان هذا سبيله فحق
القول الاتباع ان الله لا يجزي بالسيئة الا مثلها ثم معلوم ان لا سيئة اعظم من الكفر وجعل مثلها من الجزاء الخلود
في النار فمن الزم ذلك لما دونه وصف الله تعالى انه يجزي بالسيئة اكثر من مثلها والله عز وجل خبرنا انه لا يجزي
ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ايضا من يشفع شفاعة سيئة يكون فيما بين المرء يشفع اليه بالمغفرة لاحد و
التجاوز عن المذنب فيكون نصيب منها ويحتمل ان يكون الله تعالى برحمته يرحمه على اخيه بالشفاعة البعض بالتجاوز عنه
والمغفرة ويحتمل ان يكون الله تعالى اذا غفر له يجعل له في شفيعه شفاعة يهبه له كما وهب الاول له وفي السيئة فيما
يلعنه او يدعو الله عليه بالهلاك من غير استحقاق وعليه في نفسه ضرر يكون له نصيب بلفظ الاخر واحد يلعنه
ويدعو عليه بان يعاقبه بالثار ثم الى اخيه في طلب الهلاك بلا معنى له **وقوله** عز وجل ايضا من يشفع الاية يحتمل
فيما بينه وبين ربه يشفع له يخبر اليه من عفو وتجاوز او يسوء اليه من لعنه او هلاكه والتصيب منها بوجهين
احدهما المغفرة في الاول هي برحمته اخاه واشفاقه عليه او يعطي المشفوع له الشفاعة فيكون ذلك له نصيب
منها وفي الثاني بجزيه بما سابقه من العقد ودعاء عليه بالهلاك بلا استحقاق بقبض الاول او واحد ثم يبله فيه والله
اعلم ويحتمل فيما بينه وبين الناس ثم يكون ذلك بوجوه احدها بما يشفع الى من بين اخيه والخروج في دفع ذلك
وملت التحية او الالفة او الى ضد ذلك يشفع في اقالة عثرة او نميمة بينهما لالقاء عداوة او يشفع اليه بالدلالة

على ملهوف

على ملهوف في اغاثة او مظلوم في نكبة او يصنع معروفا او منكرا يبعث ذلك على خير او شر ولا قوة الا بالله **وقوله**
عز وجل وكان الله على كل شيء مقيتا قيل حولها فقط وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل المقيت حسيبا اي
مقتدرا مجازيا بالحسنة والسيئة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من استأكل بمسلم اكلة اطعمه الله من نار
جهنم ومن قام باخيه المسلم مقام سمعة ورياء اقامه الله تعالى مقام سمعة ورياء ومن تتبع عورة اخيه المسلم
تتبع الله عورته ومن تتبع عورته يفضحه في بيته وعن القراء والكسائي قالا المقيت المقتدر منا وفات بقيت
اقاته وقيل المقيت مشتقة من القوت يقود رزق كل دابة على الله حتى تستوفي اكلها ورزقها وقيل مقيتا واجبا
بحلومهم ويرزقهم وقال ابو بكر الكسائي وهو مأخوذ من الكتب السابقة ليس هو بلساننا فنحن لا نتأوله فلعله
على خلاف ما نتأوله والله اعلم **وقوله** عز وجل اذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ذكر التحية ولم يذكر
ما تلك التحية واسم التحية يقع على اشياء من نحو ما جعل الصلوة التحية المسجد والطواف تحية البيت وغير ذلك
مما يكثر عدوها لكن اهل التأويل اجمعوا على صرف هذه التحية الى السلام دون غيرها من التحية التي ذكرنا الا ترى
انه قال عز وجل وردوها ولو كان غيرها اراد لم يقل وردوها لان غيرها من التحية لا ترداد في الرد ترك
القبول ولم يؤمر بذلك دل انه اراد بالتحية السلام ويدل على ذلك ايات من كتاب الله تعالى قال الله عز وجل
فسلموا على انفسكم تحية من عند الله فجعل تحية الملائكة صلوة للمؤمنين السلام كقوله تعالى سلام عليكم بما صبرتم
وجعل تحية اهل الجنة السلام كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وكقوله تعالى تحيتهم فيها سلام وتحية الملائكة
بعضهم على بعض بالسلام الا ترى انه قال الله عز وجل فسلموا على انفسكم تحية من عند الله الاية فعلى ذلك يمكن ان يكون
المراد من قوله تعالى اذا حييتم بتحية السلام وجعل الله عز وجل السلام علما وشعارا فيما بين المسلمين وامانا يؤمن بعضهم
بعضا عن شره الا ترى ان اهل الريبة لا يسلمون ولا يردون السلام وان كان لا يعرفون تفسيره ولا معناه ولكن
على الطبع جعل ذلك لهم والسلام قيل هو اسم من اسماء الله تعالى فهو يحتمل وجوها يحتمل سلام سلم طاهر عن الاشباه
والاشكال وسلام عدل منزه عن العيوب كلها والجور والظلم **وقوله** ورحمة الله اي برحمته ينجو من نجا و
سعد من سعد وبركاته به ينال كل خير وهو اسم كل خير الا ترى ان التحليل من الصلوة بالسلام بقوله السلام
عليكم ورحمة الله على ما جعل تحريمها باسم الله فعلى ذلك جعل الافتتاح بما به جعل الختم ثم اختلف في قوله عز وجل
فحيوا باحسن منها او ردوها فقيل حيوا باحسن منها المسلمين او ردوها على اهل الكتاب وعن انس رضي الله
عنه قال نهينا ان نزيد على اهل الكتاب على عليك وعليكم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال السلام اسم من
اسماء الله وضعه في الارض فافشوه بينكم فان الرجل اذا سلم كتبت له عشر حسنات فان هم ردوها عليه
كتب لهم مثله وقيل قوله تعالى فحيوا باحسن منها بالزيادة او ردوها بمثلها وروي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليكم ورحمة الله ثم جاءه اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال النبي عليه الصلوة والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ثم جاءه اخر فقال السلام عليكم فقيل له انك زدت في الاول والثاني فقال ان في الاول
والثاني قد ابقيا لي زيادة وهذا لم يبق زيادة وقيل انه سلم عليه رجل فقال السلام عليكم فقال النبي عليه الصلوة
والسلام عشر يعني عشر حسنات وسلم عليه اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون وقال اخر السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون ومنتهى السلام قوله وبركاته لا يزاد عليه كقوله ورحمة الله
وبركاته عليكم اهل البيت فان قيل يسلم في الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم ايها النبي ورحمة
الله وبركاته ولا يقول في التحليل من الصلوة وبركاته قيل لوجهين تفضيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم و
الثاني بقاء لهم في الرد زيادة ويسلم الراكب على الماشي والقائم على القاعد روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يسلم الماشي الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقائم على الجالس والصغير على الكبير وروي عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس وان
قام والقوم جلوس فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من تشبه بغيرنا فليس منا وقال لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى فان تسليم النصارى بالاكف
وتسليم النصارى بالاكف وتسليم اليهود بالاشارة ويكره ان يبدئ باهل الكتاب بالتسليم ولكن اذا بدأهم يرد على
ذلك جاءت الاثار وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله لا تبدأوا اليهود والنصارى بالتسليم
واذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم الى اضيقها وعن ابي نضرة الغفاري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لهم يوما اني راكب الى يهود فان سلموا عليكم فقولوا وعليكم ثم قيل في تفسير السلام عليكم بوجوه قال
بعضهم تأويله الله شهيد عليكم وقيل الله قائم عليكم وهو كقول الله تعالى افمن هو قائم على كل نفس برا وفاجر برزقهم
ويحفظهم ويستجيب لهم وقيل هو الدعاء لهم بالمغفرة والسلامة وهو ما ذكرنا بديا **وقوله** عز وجل ان الله كان
على كل شيء حسيبا قيل شهيدا وقيل حفيظا وقيل كافيا مقتدرا يقال حسبي هذا اي كفاني وقال الكسائي مشتقة
من الحساب كقوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليكم حسيبا اي حاسبا كالامير والامر والقدير والقادر والله تعالى اعلم
وقوله عز وجل ان الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه هذا والله اعلم لما الزم الله واجرى
على السنتهم الله وانه خالق السموات والارض وانه خالقهم كقوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله اخبر

ان الذي يتجمونه الله وقلتم انه خالق السموات والارض هو واحد لا اله غيره ولا رب سواه هو واحد لا شريك معه
ولا ند وان الاصنام التي تعبدونها دون الله قد تعلمون انها لا تنفعكم ان عبدتموها ولا تضركم ان تركتموها عبادتها
وبالله التوفيق وقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة قيل فيه بوجهين قيل ليجمعنكم ليوم القيامة كقوله يوم يجمعكم ليوم
الجمع وقيل ليجمعنكم في القبور الى يوم القيامة ثم يبعثكم والله اعلم وقوله ومن اصدق من الله حديثا معناه والله اعلم
انكم تقبلون الحديث بعضكم من بعض وان احد منكم يكون صدقا ويكون كذبا فكيف لا تقبلون حديث الله وخبره
في البعث وما اخبر في القران وحديثه لا يحتمل الكذب هذا والله اعلم تأويله وقوله عز وجل فما لكم في المنافقين
فئتين اختلف في قصة الاية قيل ان ناسا من اهل مكة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا
واقاموا بها ما شاء الله ان يقيموا ثم ندموا على الهجرة والاقامة فيها وارادوا الرجعة الى مكة فخرجوا يتحولوا منقلة
منقلة حتى تباعدوا من المدينة فلحقوا بمكة فكتبوا كتابا ثم بعثوا به مع رسول من قبلهم الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقدم بهم الرسول عليه بالمدينة فاذا فيه انا على الذي فارقناك عليه من التصديق بالله وبرسوله
اشتقنا الى ارضنا واجتوينا المدينة ثم انهم خرجوا من مكة متوجهين الى الشام للتجارة فبلغ ذلك المسلمين وهم
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض فما يمنعنا ان نخرج الى هؤلاء الذين رغبوا من ديننا
وتركوا هجرتنا فنقتلهم ونأخذ ما معهم فقال فريق منهم كيف تقتلون قوما على دينكم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم ساكت لا ينهى واحدا من الفريقين حتى نزل قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين بين الله عز وجل لرسوله امرهم
وما صاروا اليه وقيل تخلف رجال عن احد فكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فئتين فرقة تقول
اعف عنهم فنزلت الاية فما لكم في المنافقين فئتين وقيل ان قوما كانوا يتحدثون لما خاصموا في اهل مكة فقال بعضهم
انهم كفار وقال اخرون انهم قد اكلوا ذبائحكم وصلوا صلوتكم واجابوا دعوتكم فهم معكم وقال غيرهم تركوا النبي
صلى الله عليه وسلم وتخلفوا عنه فاكثروا في ذلك فنزله قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين الاية فلا ندري كيف كانت القصة
ولكن فيه النهي عن الاختلاف والتنازع بينهم كانه قال والله اعلم كيف تختلفون في قوم ظهر نفاقهم وكيف لا تسألون
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالهم وهو بين اظهركم كقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الاية
وظهور نفاقهم يحتمل الخبر منه نصا انهم منافقون ويحتمل الظهور بالاستدلال على افعالهم وقد يوقف
على حال المرء بفعله انه كافر او مؤمن وقوله عز وجل والله اركسهم بما كسبوا قال الكسائي فيه لغتان يقال ركسته و
اركس الرجل اذا وقع فيه ورجع اليه وقيل في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وحفصته رضي الله عنه والله ركسهم
بما كسبوا ثم قيل اركسهم اي ردهم وعن ابن عباس رضي الله عنه اركسهم بما كسبوا قال اوقعهم ثم يحتمل قوله تعالى
اركسهم بما كسبوا وجهين ما اظهروا بما كان في قلوبهم من النفاق والخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله
تعالى بما كسبت قلوبكم ويحتمل ابتداء كسب كسبوا بعد ما اسلموا اي كفروا وارتدوا عن الاسلام بعد ما صح اسلامهم
وفي ما فيه ارتكاسهم الى الله دلالة خلق فعلهم وحرمان امرهم والله اعلم بما كسبوا من احداث شرك او تكبهم
بالقلوب وقت اظهارهم الايمان في ان ظهر عليهم يلحوقهم اخوانهم من الكفرة او لما جعل الله من اعلام النفاق التي
ظهرت بفرض الجهاد والعبادات والله اعلم وقوله عز وجل اتريدون ان تهدوا من اضل الله تأويله والله اعلم
اتريدون ان تهدوا وقد اراد الله ان يضلوا لما علم الله منهم انهم لا يهتدون باختيارهم الكفر ويحتمل انكم لا تقدرون
على هداهم اذا لم يهدهم الله تعالى كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي قوله ايضا تريدون
ان تهدوا قيل ان تسموا مهتدين وقد اظهر الله تعالى ضلالهم صلة كقوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين حذرهم
عن الاختلاف في التسمية بعد البيان وقيل ان يجعلوهم مهتدين وقد جعلهم ضالين على نحو قوله تعالى انك لا تهدي
من احببت الاية ابتداء تمام الاية واوضح الاول قوله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يقول من اضله الله عن الهدى
وقيل دينا وقيل مخرجا وهو واحد والله اعلم وقوله عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء قيل ود
الذين تركوا الهجرة ورجعوا الى اهلهم ومنازلهم الذين قال الله فما لكم في المنافقين فئتين ان تكفروا بما كفروا اي
تتركون الهجرة وترجعون كما رجعوا منهم فتكونون انتم وهم سواء شرعا في الكفر فسماهم الله كفارا وامرهم
بالبراءة منهم فقال فلا تتخذوا منهم اولياء بالهجرة الاولى كقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء قال الله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وكقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهاهم ان تتخذوا
اولياء حتى يهاجروا هجرة ثانية الى المدينة ويثبتون على ذلك هذا على قول من قال انهم كانوا هاجروا ثم
لحقوا بمكة واما في قول من قال انهم كانوا في اهلهم تكلموا بالاسلام فيها ولم يهاجروا فمعنى هذا لا تتخذوا
منهم اولياء حتى يهاجروا كما هاجر غيرهم وقيل المهاجرون على طبقات منهم من هاجروا قام وسمع وطاع
وثبت على ذلك ومنهم من هاجر ثم خرج من غير اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق باهله وابطل هجرته
الذي هاجروا بما نهم الذي امن ومنهم من تكلم بالاسلام واقام باهله ولم يهاجر وبه قوة للهجرة كان كذلك
ومنهم من تكلم بالاسلام ولم يكن له قوة على الهجرة كانوا مستضعفين وهو والله اعلم ما قال الله الا المستضعفين
المستضعفين من الرجال والنساء الاية وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت انا وامي من المستضعفين
والذين امنوا ولم يهاجروا ولهم قوة الهجرة ما قال الله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من

يحتمل

شيء حتى يهاجروا وفي قوله تعالى فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا يحتمل من اظهر الموافقة من المنافقين
للكفرة ولحق بهم ويحتمل من قد امن ولم يهاجر فيكون الاول على ولاية الدين والثاني على ولاية الميراث كقوله
تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء ومن ثنيا ولا الاية على اظهار الكفر دون الخروج من الدين
فهاجر ثم تخرج وعلى وجهين احدهما ان يكون قد انضم فيها الى معاني الكفرة فيما يترك صحبتهم والثاني ان
يهاجر الاعلام المجعولة لاهل النفاق فيما يظهر ذلك فيما امتحنوا به من الافعال فيظهر خلاف ذلك كقوله
ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم وقوله فان تولوا وابوا الهجرة فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم لانهم صاروا حربا لنا حيث تركوا الهجرة وما بطلوا ايمانهم الذي تكلموا به ولا تتخذوا منهم وليا
ولا نصيرا لما ذكرنا والله اعلم وقوله ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
يخرج على وجهين احدهما في لحوق قوم من مظهري الايمان انهم الحقوا بمن لا ميثاق بينكم وبينهم ولا عهد فاقتلوا
حتى يتوبوا ويهاجروا ولو لحقوا باهل الميثاق لا تدعوهم الولاية التي كانت بينكم وبينهم والثاني ان تكون الاية
في قوم من الاعداء واهل الحرب لو انضموا الى اهل الميثاق والعهد فلا تقاتلوهم فيكون الامر عقيب موادعة
تجري بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قوم في دورهم على ان لا تمانع بينهم لاهل الاتصال في الزيادة والاجتماع
الى المدة المجعولة للعهد ممن اذا خيف منهم نبذ اليهم العهد ويوفي اليهم المدة اذا وفوا والله اعلم كقوله الا الذين
عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم وقوله عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وقوله عز وجل الا الذين
يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق قال بعضهم استثنى الذين خرجوا من دار الهجرة مرتدين الى قومهم وكان بينهم
وبين المؤمنين عهد وميثاق وقال وفيهم نزل قوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين كانه قال والله اعلم
ان وصل هؤلاء الى اولئك الذين بينكم وبينهم عهد وميثاق فلا تقاتلوهم وقيل كان هذا في حي من العرب
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم امان وعهد وكان الموادعة على ان من اتاهم من المسلمين فهو امن ومن
جاء منهم الى المؤمنين فهو امن يقول والله اعلم ان وصل هؤلاء وغيرهم الى اهل عهدهم او قال عهدكم فانهم
مثل الذي لاولئك من العهد وترك القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما صد مشركوا مكة نبي الله صلى
الله عليه وسلم عن البيت جاء رجل يقال كذا من بعض القبائل لينظر ما امر محمد وقريش فراهم قد حالوا بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين البيت فقال يا معشر قريش هلكتم اتردون قوما عما ضفروا رؤسهم عن البيت
والله لا نشركم في هذا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ووادعه ان لا يكونوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يكونوا عليه ومن لجأ اليه فهو امن فلا ندري كيف كانت القصة في ذلك غير ان فيه دليلا
ان من اتصل باهل العهد وكان على رأيهم فهو بمنزلتهم لا نقاتلهم ومن قولنا ان الامام اذا وادع اهل بلدة
من بلدان اهل الحرب فمن دخل فيها واتصل بهم فهم امنون مثلهم لا يحل قتالهم ولا اسرهم حتى ينبذ اليهم
عهدهم واذا امن قوما منهم في دار الاسلام ووادعهم ثم انضم اليهم اخرون فدخلوا معهم دار الاسلام
له قتالهم واسرهم والله اعلم وقوله عز وجل او جاؤكم حصرت صدورهم قيل اي ضيقة صدورهم وهكذا
قال الكسائي كل من ضاق صدره عن فعل او كلام فقد حصر فهذا والله اعلم ما ذكرنا ان الموادعة ان لا يعين
بعضهم بعضا في القتال ولا يعينوا عليهم عدوهم فيها امر الله عن قتالهم لما اخبر ان قلوبهم تضيق على ان يقاتلوكم
مع قومهم معكم وفي قوله تعالى ايضا او جاؤكم حصرت صدورهم يحتمل ان يكون حكم هذا الحرف ما ضمنه الحرف
الاول فيكون ذلك الشيء عمن ذكرت اذا كان هذا صفته ان يضيق صدره عن مقاتلة المؤمنين والكافرين جميعا
اما بالطبع او بوفاء العهد او بالنظر في الامر ليتبين له الحق وهو متردد في الامر بما يجد المعروف من بالكتب التي
احتج بها الرسول الله صلى الله عليه وسلم مختلفين فيه على ما عقولهم مرتقب بهم وتخافون من الاحاطة بحق الحق
الا بعد طول النظر والله اعلم فيكون معنى قوله او جاؤكم بمعنى وجاؤكم ويحتمل في قوم سوى ما ذكرت من الذين
يصلون لكن اولئك المعاهدين نفسه الذين ابت انفسهم نقض العهد بينهم وبين المؤمنين وعرفوا على الوفاء
برواتب انفسهم ايضا معونة المؤمنين على قومهم بالموافقة بالمذهب والدين وعلى ذلك وصف جميع المعاهدين
عرضوا على الوفاء بالعهد وذلك في حق الايات التي ذكرنا ثم بين بنا قضون العهد او المنافقين الذين متى يبلوا
عن الكون على رسول الله والعون لاعدائه الامر فيهم وذلك كقوله تعالى يا اهل يثرب لا مقام لكم ولو دخلت عليهم
من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وتكون هذه الاية فيهم كقوله تعالى لئن لم ينته المنافقون الاية فيكون
في هذه الاية الاذن والله اعلم وقوله عز وجل ولو شاء الله لسلطهم عليكم اي نزع في قلوبهم الرعب والخوف
فقاتلوكم ولم يطلبوا منكم الصلح والموادعة فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعني طلبوا الصلح وهو قول
ابن عباس رضي الله عنه وقيل قالوا انا على دينكم واظهروا الاسلام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي حجة وسلطانا
القتال امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن هؤلاء ثم قال ستجدون اخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا
قومهم الاية قيل كان رجال تكلموا بالاسلام متعوذين ليأمنوا في المسلمين اذا القوم ويأمنوا في قومهم بكفرهم
فامر الله بقتالهم الا ان يعتزلوا عن قتالهم وقيل قوله تعالى ستجدون اخرين غيرهم ممن لا يبغي لكم ما كان بينكم
وبينهم من العهد يريدون ان يأمنوكم يقول يريدون ليأمنوا فيكم فلا تتعرضوا لهم ويأمنوا في قومهم بكفرهم

الضعف يبلغ الشعر وغيره عريضا والصغير مثله
شرح

وهم متردد دون قوامهم لانهم وجدوا
علماء الدين جمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالكتب التي في ايديهم مختلفين فيه
مع كمال عقولهم واجتهادهم بمعرفة الكتب
التما وتم بعضهم اسوابه وبعضهم لم يؤمنوا
توافقوا في ذلك للتبيين لهم الحق ولا يمكنهم الاحاطة
بحقيقة الحق الا بعد طول التامل والنظر
شرح

فلا تتعرضوا لهم ثم اخبر عز وجل عن ضيعهم وحالهم فقال كلما ردوا الى الفتنة يعني الشرك اركسوا فيها اي كلما
دعوا الى الشرك رجعوا فيها فهؤلاء امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم نعتا لهم وعرفه صفتهم ان لم يعتزلوا ولم
يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا القتل وحجته وفي
حرف ابن مسعود رضي الله عنه ويكفوا ايديكم عن ان يقاتلوكم وفي حرفه ركسوا فيها وفي حرف حفصة ركسوا فيها
وفي حرفها ان يقاتلكم ويقاتلوا قومهم ثم يحتمل نسخ هذه الآية وقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقوله
تعالى فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم بقوله عز وجل اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم لان الفرض
ان نقاتل من قاتلنا وبدأنا ثم ان الله تعالى قال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم وقوله عز وجل
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اختلف فيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
بغير حق عمدا الا خطأ فيما لا يملك وقيل الا بموضع الواو كانه قال وما كان المؤمن متعمدا ولا خطاء وذلك جائز
في اللغة وقيل وما كان ينبغي لمؤمن ان يترك قتله اذا قتل اخر عمدا الا خطاء فانه يترك قتله ولا يقتل به وهو قول ابي بكر
الكيساني وقيل وما كان ينبغي المؤمن ان ينزل حكم قتله الا خطاء قال ابو بكر الكيساني حكم القتل ما ذكرنا من القصاص والقود
وكلام نحو هذا ويحتمل قوله وما كان المؤمن ان ينزل حكم قتله الا خطاء قال ابو بكر الكيساني حكم القتل ما ذكرنا من
القصاص والقود او كلام نحو هذا ويحتمل قوله وما كان المؤمن ان يقتل مؤمنا قط بعد ما سبق من الله بيانه
في غير اي من القران نحو قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص وهو قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس
وقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وغيرها من الآيات الا خطاء فانه لم يسبق منه الحكم فيه
الا في هذه الآية وقيل وليس المؤمن ان يقتل مؤمنا على كل حال الا ان يقتله مخطئا نعلمه ما في القران وهو قريب
مما ذكرنا ثم الخطأ عندنا على وجهين خطأ قصد وخطأ دين فخطأ القصد هو ان يقصد احد فيصيب غيره
وخطأ الدين هو ان يعرفه مشركا كافرا من قتل حلال الدم فيقتله على ما عرفه من قبل وهو للحال مسلم فان قيل
كيف لزمه في قتل الخطأ ما لزمه من الكفارة وقد اخبر الله عز وجل ان لا يؤاخذه له وان لا حرج عليه في ذلك
بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقال في آية اخرى لا جناح عليكم فيما
اخطأتم فيه ولكن ما تعمدت قلوبكم وغيرها من الآيات قيل ان الفعل فعل ماثم وان كان لم يوجد منه القصد
لما اوجب انما اوجب لما الفعل فعل ماثم والثاني يجوز ان يكون الله يكلفنا بترك القتل والفعل في حال
السهو والغفلة الا ترى انه قال لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا والخطأ بقبض الصواب فلا يجوز ان يؤمر
بطلب الصواب ولا ينهى عن اتيان ضده كقوله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا الآية ثم اختلف في المعنى
الذي اوجب عليه رقبة مؤمنة قيل لانه اتلف نفسا خلقها الله تعالى للعبادة فاوجب مكانها نفسا مؤمنة
لتعبد الله على ما عبدت تلك لكن التأويل لو كان يحتمل في العمد ما وجب في الخطأ لانه وجد ذلك
المعنى لكن اوجب لا لذلك المعنى والله اعلم ولكن تغليظا وتشديدا عليه لما اتلف نفسا مؤمنة فعليه ما ابقى له نفسا
اوجب عليه مثلها رقبة مؤمنة وفي قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اختلف في تأويله
وما كان لمؤمن فيهم من يقول باضمار وما كان بمتروك لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ تخريج معنى بمتروك على
وجهين احدهما ما قال له ابو بكر الاصم اي بمتروك له في القصاص الا ان يقتله خطأ لكن هذا يوجب
منع العفو لما به التنزل ومعلوم انه امر رغب فيه حتى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولي القتيل الى العفو
الى اخذ الدية ثم ما ابيت بنفسه عند ذلك اذ كان له في القصاص ويدل على ذلك قوله تعالى فمن عفي له الآية وقوله
تعالى وكتبنا عليهم فيها الى قوله تعالى فمن تصدق به فهو كفارة له الا ان يرجع في قوله بمتروك الى الوجوب
اي لا يرفع عنه ايجاب القصاص الا من قتل مؤمنا خطأ فانه ليس عليه القصاص والثاني انه ما كان بمتروك
له من التأنيب والتوبيخ والتعيير بسوء صنيعه باخيه وتعديه حد الله ومعونته ولي القتيل اذ قال من قتل نفسا
بغير نفس الآية فكانما قتل الناس جميعا يحق ذلك على الناس ان يظهروا له النكير عليه ويقوموا بالنصر لوليه والله
اعلم الا ان يكون خطأ فلا يتلقون بشيء مما ذكرت بل يقومون بالشفاعة له والمعونة في احتمال ما لزمه
ولذلك جعل والله اعلم امر العقل على ما به من ابقاء الالفة ودفع الضغينة واجتماع التناصر في المصيبة ومنهم
من يقول في تأويل الآية وما كان لمؤمن اي حرام عليه ذلك الفعل بما حرم الله وبما بينهما من الاخوة في الدين
وبما هو شفقته وحسنه بما لم يتأت لاخر والنفس عن مثله تنهى والطبع ينفر فكان لا
له بعد هذا ان يقتل وقوله عز وجل الا خطأ قيل فيه بوجوه احدها ان يقع ذلك منه على الخطأ فيكون على
ما يلحقه الائمة التي ذكرنا ولا وصف التعدي الذي وصفنا والثاني ان يكون الاستثناء منقطع بمعنى لكن
بمعنى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة لكن من قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة كقوله لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما بمعنى لا يسمعون فيها لغوا البتة لكن الذين يسمعون يسمعون سلاما وقيل وما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا الا خطأ الا ان لا يعلمه انه مؤمن وكان من عرفه كما قاله قبله ما روت من الاذن في البيات
وقتل عيون الكفرة بما سبق من ظهور كفرهم وان احتمل ايمانهم فيما بين الوقتين فيكون بمعنى حرام عليهم
الا من هذا وصفه ويجوز ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اي ليس لمؤمن ذلك فعلا الا ان يقتل خطأ

فانه ليس

فانه ليس فيمن يقال كان له او لا لما يقع به الا ان يفعله هو في التحقيق اذ حقيقة الفعل ان يقع بارادة ويخرج
عليها وهذا لا يقع بها ولا يخرج عليها وقوله عز وجل ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة فلم يذكر
في القاتل انه مؤمن عند ذكر قتله لكنه رجع اليه بوجهين احدهما ان الآية في بيان قتل يكون من المؤمن
وعليها جرى تفسير الحكم عند الوقوع والثاني قوله توبة من الله والتوبة بالتحرير تكون لمؤمن لا غيره والله
اعلم على انه حق الشرع من العبادات فلا يحتمل قصد الكافر به وابد ذلك المذكور من الصيام وهو لا يقوم الا
بالايمان ثم جعل الايمان شرطا من حيث الذكر وتاكده باوجه ثلاثة احدها بالتاكيد بذكر كل قتيل على اختلاف اهل
القتل وفي ذلك دليل ان ذلك جعل عليه لمكان امر يدخل على دينه مما عليه من الحق ان يحفظ حرمته ويحرمه
بنفي قتل من ذكر اذ حرم دينه عليه فيصير في قتله مصيبا فما الزم ما ذكرت في كل انواع القتيل لرجوع امر ذلك
كله الى التضييع من حق دينه ولذلك قيل توبة من الله وذلك يخرج على وجهين احدهما على ما تجاوز منه اذ لم يأخذه
بالخطاء فيكون يحق جعل ذلك شكرا من العبد بما لم يؤاخذه بالخطا فيكون معنى التوبة انه لم يؤاخذه بالخطا
لان في الاعتاق ذلك والاعتاق للشكر له فيما لم يكن اخذه وقد يجوز ان يؤاخذه لما بالجهد في التحفظ قد يؤمن
ذلك فلما لم يكلفه وتجاوز عنها كان على الخطا ان امرنا بالشكر لذلك والثاني قبول منه ذلك في حق التوبة عن غير
القتل من الزلات فيكون في قيام بما امر يوجبه في حكمة العفو عن مثله بجعل ذلك من العبد مقبولا لمحق التوبة
من الزلات او نسب الى التوبة منه اذا كان على التوفيق لفعله وذلك تسمية الله توابا على التوفيق او التجاوز
والله اعلم والثاني يرجع الى فعل العبد فيكون توبة من الله على عبده القاتل بان يتوب باعتاق رقبة مؤمنة
وذلك يخرج على وجهين احدهما ان يكون الفعل فعل ما تمرو الله تعالى مواخذته عليه لانه بالجهد يمكن اتقاء
ذلك تعبد بقوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا واذا كان كذلك فيكون ذلك منه توبة الى الله
ليحفظ عن مثله في الذين في الثاني ان يكون عليه حفظ دينه عما يقع فيه من التضييع الذي يبلى بانساء الشيطان
ونفرط غفلة او نحو ذلك فيلزم خبر ذلك بما ذكروان لم يعلم اذ قد يجوز وقوع النقصان في ذي الحرمات من
وجد لا اثم يلحق نحو المذكور في الشاذي وفي امر السهو في ذلك فيؤمر به ليخبر ذلك وذلك نحو ما قد يفسد
بامور من وجه لا يعلم به فكذلك امر النقصان فيؤمر بالتوبة الى الله عز وجل عن ذلك بما يمتحن الله به من الامور
والله اعلم مما قد تمثل بالقتل ما له حكم الخطا بانه ثم عليه ويخرج لجائز ان يرجع حرف التوبة من الله الى ذلك
وهو سمي خطاء العمد والثاني مما يدل على جعل الايمان شرطا انه جعل لما وقع في حق الدين من التضييع اذا تعلقت
الحرمة بالدين من الوجه الذي بينا ولا فرق بين عبادة يشار اليها بقع فيها تضييع في حد ستها بيرم تلك بكفارة
وبين جملة من العبادات يعتمدها الانسان ويضمن الوفاء بما يقع في حدستها تضييع ان مقدار احدها من
الغرض لا يعلمه الا من يعلم حد التضييع من الاهل ولا يعلم حده غيره الذي جعل الحدود فيكون في ذلك بيان
المبرم ويدونه لعله لا يجزي فالزم بالاحتياط ذلك وعلى امر الحدود للاجرام والثالث يتفق القول على موقع
الشرط انه يحق اللزوم وعلى ذلك شرط في الصيام له هذا المعنى والاول جميعا وعلى هذا الاتفاق جعل قوم
امر هذا اصلا لغيره من الكفارات ونحن لا نجعلها لوجهين احدهما مما لم يجعل ذكر التتابع في هذا اصلا لكل
من اصل ذلك انه انما يعلم ما حدوا من الاصل ومعلوم الاختلاف في الكل لذلك لم يجب هذا لكن يطلق المطلق
ويقيد المقيد بالذكر وابد ذلك ان الله تعالى قد ذكر في كل قتل ولو كان بالذي يحتمل درك الحد بالتدبير لكان
ترك الذكر في هذا لافهام الحكم في نوع المذكور اقرب منه في غير ترعنه فبين والله اعلم لوجهين احدهما التنبيه
على اللزوم في هذا الى الذكر والثاني للتنبيه انه لم يجعل لمكان القتيل لكن لما وقع في الدين من التضييع وجائز
ان يكون شرط الايمان بما سبق من تضييع حد من الحدود والذي اقتضى ايجابه عليه الايمان فامر باعتاق
من يسلم له الرقبة لحفظ ما الزمه حق الايمان من الشغل عنه بحق الرق فيه لغيره ويجوز ان يكون انما يقيته
بنفسه وهي مؤمنة فامر ان يشكر الله تعالى بابقاء نفس مؤمنة اذ بالعتق احياء وعلى ما ذكر من اختلاف الحدود
ومما لم يحدود في حق الشرع لم يقس الطعام على الصيام عند العجز عنه على ما قضي به في حق الظهار
والفطر معا في لفظها رحق لها لم يكن له التأخير الى القدرة عليه اولئك الرقبة وليس هاهنا وامر الفطر هو في
بعض صيام قد جعل لا صله من الطعام عوضا عرف حده بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه الآية فعلى ذلك
امر عوض التعدي فيه وليس في امر القتل ذلك ودلت الآية بذكر الايمان على ان له حدا يعرف موقعه ثم الذي
تبين فيها انه النصيب بخاصته ما جمع بين المؤمن الذي يحتمل ان يكون منه سائر الشرائع والذي لا يحتمل سوى
نفس الايمان وهو المؤمن الذي من قوم عدو لنا اذ قد يؤمن في دار الحرب ما في العقل دليله ولا يعلم بغيره من
العبادات التي لها حق الشرائع وقد يجوز ان يكون في الابلاغ في وصف ما يكفر به ابلاغ في التحذير عن الغفلة
التي لا بد بها خوف وقوع ما ذكرت من تضييع حق لزمه دينه لزم النفرد كل واحد منهم الكفارة على التمام
لما انفرد كل بما لزمه من الحق بدينه في التضييع وعلى هذا قولهم في المحرمين يقتلون الصيد ان كل واحد منهم
جنى على احرامه الذي لم يتصل احرامه باحرام غيره على ان النفس اذ هي لا يحتمل التجزية لم يتجز المحمول لها
وعلى هذا امر القصاص والدية لم يجب في الحقيقة للنفس اذ هي قد تجب لما دونها فيما يحتمل التجزية اكثر مما

يجب للنفس واذا بلغت النفس فسقط بعض ماله منها حكم الوجوب ولما هي ترجع الى غير الجاني ومحال اخذ الكل
ممن يرجع اليه بالكل بما يكون في طلب التخفيف لا جحاف واهلاك الخلق ولما كان حق النفس من حيث القتل في المال
يختلف ومن حيث القصاص والكفارة لا ثبت ان المرجع في هذين الاحوال في نفس القاتلين من دين يصنع حقه
او امتناع عن احتمال التحرير او احياء اريد بالموضوع ولو لم يجعل في الجماعة ليذهب فائدة الاحياء اذا الوجود
بالاحاد غير فيبطل الاحياء في ابلغ احوال الحاجة اليه ثم اذا رجع امر الكفارة الى من تولى قتله وقد سبق
عليه امر الدية كقوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة بمعنى عليه تحرير ما ذكرا وقد اوجب عليه وعلى ذلك
جميع ما في القران من الامر على اثر الاسباب ثم نسق على ذلك بقوله ودية مسلمة الى اهلها فحقها ان يكون عليه
والخبر الوارد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر العقل الذي توارثته الامة الى يومنا هذا بل الامم حتى
كان قد ظهر عن امر الرسول السالفة بحق التواتر في المؤمنين ثم والمنكرين لهم فكان ذلك بحق التعاون ولذلك
قال اصحابنا رحمهم الله تعالى في الذين لا عاقلة لهم يجب الدية في اموالهم وعلى ذلك فيما ظهر بيانا وبليهم دون
البنات وهو الحق اذ فيما يجب فيه القصاص انفسهم يتلف فعلى ذلك الدية والاصل في ذلك ان معنى القصاص
معقول ابدا الذي ذكره الله تعالى في القران من قوله ولكم في القصاص حيوة فلا معنى لصرف ذلك الى غير المتولي لما يذهب
الحيوة وجاز شرع ذلك بحق العقل ليزجر الناس به ولتسلم لهم الحيوة الذي هي الذ الاشياء اذ بها يعرف اللذات
كلها وذلك المعنى ليس لنفس القتيل احق من غيره من ان يجعل القصاص حقه بل لا ولي ان يجعل لا محالة للردع والزجر
مما كان معلوما ان نفس القتيل لا ينتفع بل انما نفعها في ان ينفي خوف القصاص ممن يروم قتله اشفاقا على نفسه
وليس ذلك المعنى في امر الدية لنفي وانما توجب بعد الوفاة ولم تجب من وجه يتولد منه الضغائن والعداوة التي
لا بها سفك الدماء على حق تخصيص الدماء لما هي تجب بالخطا من وجه يعلم عذر من منه ذلك لكن الله تعالى بفضله
بما جعل للمتصلين معونة وشرفا في كثرة الا قوام ونباهة في الدنيا مما يقع بها التناصر والتدافع الذي بمثله
الدوام والقوام فيعظم في مثله مصيبة العقل والخاصة من وجه لعلة بسبق اليهم الا فعال في التلبيس على
اهله بالخطا وان ذلك ليس بحق فيخاف وقوع الشر بينهم والعداوة التي تولد الفساد فجعل الله تعالى بمنه وفضله
لهم ما تطيب بمثله انفسهم وتسكن المعنى الذي يخاف من حدوث الشر بينهم معالهم جميع ما للخلق له ابتداء
المحنة بما ذكر بلا سبب سبق فهو بالسبب احق واذا جعل بهذا من الوجه الذي له حق الابتداء فله وضع ذلك
في احوالهم بأنفا نفس القاتل لهم ما ذكرت من المنافع على ما جعل في ذلك وان لم يرجع منفعة الواجب في ذلك
الى القتيل بما لا يعلم انه يقتل ليجعل ذلك لوجه يتزود به لمعاده وان حرم ذلك في دنياه فيصير المجعول في ذلك
فيمن لهم وعليهم بالذي ذكرت من دفع الفساد والقيام بحق الاحسان ثم الاصل في اتلاف الاموال ان منافعها
عند القيام ومضارها عند الاتلاف ترجع الى اربابها خاصة والانفس يرجع مالها في ذلك الى العشاير و
المتصلين فعلى ذلك المجعول فيها معيما كانت الاموال تملك فيصير من ضمنه كانه اشتراه وكل مشتري بالتسليم
اليه الخروج منه فلا يحتمل ان يضمن من لم يكن منه الجناية لما يسقط لو ضمن بعقد التسليم ولا على ذلك امرجنا
بان الانفس فجايز في حق الشرع الموضوع على غير من يتولى على غير التسليم الى احد يستوجب بدله ثم وقوع
الخطا يكون من وجهين احدهما من جهة دينه نحو ان ظنه القاتل كافرا بما كان عرفه كذلك او بما عليه سيماء
الكفرة ومن جهة نفسه في ان يرمي غيره فيصيبه والحكم وجهي الخطا واحد والخطأ الثالث وهو الذي لم
يقتضه حق هذه الدية وهو عند الضرب قد يقع ذلك فيما اخطأ الدين وفيما تعمدا والنفس جميعا وقوله عزوجل
فدية مسلمة الى اهله لم يبين من اهله وقال في موضع اخر ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ولم يبين
من وليه فكان الاهل والاولى لهم ورثته على ما جاء في الخبر ورث امراة اشيم من دية زوجها وان كانت
الدية لاهل العصبة منهم من قبل ولان هذه الدية انما وجبت لمكان ما لهم من المنافع من القتيل في حال
حيوته فاذا قتل فذهب منافعه عنهم اوجب ذلك لهم لانهم هم المنتفعون في حيوته دون غيرهم وقيل ان
القتل يوجب الضغاين فيما بين اولياء القتيل واولياء القاتل فيحمل ذلك على الفساد والاهلاك فاذا وجبت
هذه الدية لتطيب انفسهم بذلك ولا يحمل ذلك على الضغاين والحقد وقيل وجب هذه الدية لئلا يدعي
الخطا فيسقط القصاص عن نفسه بدعوى الخطا فاوجب الدية لا اذا ادعى الخطا اخذ بالدية وقد ذكرنا
ان الخطا على وجهين وهو ان يقصد شيئا فيصيب انسانا فهو خطا لانه اصاب غير الذي قصده بالضربة
والثاني خطا الدين وهو ان عرفه كافرا فقتله على ذلك فاصلا له فهو خطا وللخطا وجه اخر وهو ان
يضرب الرجل قاصدا لذلك بغير حديدة فان كان الذي ضرب حجرا صغيرا او عصا صغيرة فحكمه حكم الخطاء
وان كان حجرا كبيرا مثله يقتل او عصا عظيمة فان اصحابنا رحمهم الله تعالى اختلفوا في ذلك قال ابو حنيفة رضي الله
عنه لا قود في ذلك وعلى عاقلته الدية مغلظة وقال محمد رحمه الله يقتل به اذا كان من مثله لا ينجي وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين ان العمد ما كان بحديد فهو حجة لابي حنيفة رضي الله عنه في الحجر العظيم
ودليل على ان القصد بالضرب قد يكون خطاء وروي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كل شيء خطأ الا الحديد والسيف وسنذكر هذه المسألة في باب شبه العمد ان شاء الله تعالى ثم

اجمع اهل العلم على ان الرقبة على القاتل لا على العاقلة واما الدية فلم يذكر على من تجب فقال اكثر السلف الدية ايضا
على العاقلة وعلى ذلك تواترت الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض الناس الدية ايضا على القاتل كالرقبة
فيقال له ان الصيام بدل عن الدية او عن العتق قيل له فذلك يدل على ان الذي يجب على القاتل هو العتق الذي ان لم
يجده صام مكانه ويدل على ان الدية ليست عليه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل الدية على العاقلة
عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنه قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار ان يعقلوا
معاقلهم ويعدوا عانيهم بالمعروف والاصلاح بين المسلمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قضى في الجنين غرة عبدا او امة على العاقلة والتي ضربت ضرتها بعمود فسطاط فقتلتها فقضى النبي صلى الله عليه
وسلم بديتها على عصبة العاقلة وفيما في بطنها غرة فقال الاعرابي يا نبي الله اتغرمني من لا طعم ولا شرب ولا
ولا صاح فمثل ذلك يطل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اسجع كسجع الاعراب اغرم فان الدية على العاقلة
والميراث لاهل الفرايض وعمود الفسطاط مما يقتل مثله ولم يوجب النبي صلى الله عليه وسلم على التي ضربت
ضرتها بر فقتلتها القصاص فذلك حجة لابي حنيفة رضي الله عنه في قوله ان الخشبة العظيمة والصغيرة سواء
ولا قصاص فيه والاخبار فيه كثيرة وقوله عزوجل ايضا ودية مسلمة الى اهله على الحث والترغيب في التسليم و
النهي عن التشاجر الذي عنه توهم حدوث الشر والفساد الذي يدفع مثله جعله جعل العرض في قتل الخطا وعلى
ذلك قوله فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وقد بينا من يسلم ثم بين التسليم
الى اهله القتيل ولم يبين من اهله وقد اجمع السلف على ان اهله ورثته والاصل في ذلك ان الدية جعلت بدلا
لنفس القتيل فيصير متروكة عنه وعلى ذلك لو كانت منه الوصايا او عليه دين ينفذ منها فصارت فيما قال
الله تعالى للرجال نصيب مما ترك الا بات التي فيها بيان من يرث من بعد الوصية والدين فذلك لهم فيصير
اهله بعد وفاته من ينتفع بتركته اذ كذلك وصف الاهل في الحيوة انه يرجع الى المتصلين به وعنا فيه مما
كان اسم الاهل في الزوجة غير ممتنع استعماله له على كل حال فيجب دخولها في ذلك وغيرها من الورثة احق وقد روي
في مثل ذلك مرفوعا في توريث امراة اشيم الضبابي وعمل به عمر بحضرة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين والذين
لهم سائر الولايات سوى ولاية الميراث احق والله اعلم وقوله عزوجل الا ان يصدقوا فالثنيا من الدية
لانه لا حق لاحد في العتق حتى يحتمل التصدق وهو كقوله تعالى في القصاص فمن تصدق به فهو كفارة له
وذكر التصدق على ما عليه الترغيب في الديون من قوله وان تصدقوا خير لكم ثم الاصل ان التصدق من
المعروف الى ذوي الحاجات والعقل انما وضع اصله على الاغنياء لكن يخرج على وجهين احدهما ان الاية
جاءت بذكر القاتل ووجود الدية المسلمة كلها لكل قاتل عشر فكان الترغيب على ذلك والثاني انه معروف
في الديون وكذلك حكم الصدقات اذ لا يقع له الثواب في الدنيا اذ ربا يقع لغير المعروف فيكون فعلهم في
الحقيقة لله لا لابتغاء الجزاء فسمي صدقة اذ هو اسم لما يقع من المعروف لله مما يتمكن في ذلك ان العقل
ليس شرطه الغناء الذي له يجب الزكوات وغير ذلك النوع من الغناء لا يخرج اهله عن احتمال الصدقة
بل جعل على اهل الديوان وهم الذين اموالهم هي التي تخرج بحق العطايا يؤخذ لوقت الخروج لا بعد الوقوع
بالملك وتمام شرط الغناء له وفي هذا صرف الثنيا الى الذي يلي من الكلام دون الذي تقدم وحمله على بعض الكلام
دون الكلام ليعلم ان مرفع الفهم عن الحكم على ما يقتضيه حق الحكمة دون الذي ينتهي اليه حق اللسان والله اعلم
وقوله عزوجل وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
يكون الرجل مؤمنا وقومه كفار في دار الحرب فيقتله مسلم فلا دية عليه عتق رقبة مؤمنة وعنه ايضا قال
كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه فيقيم فيهم فيغزوهم الجيش من المسلمين فيصاب فيمن يصاب فانزل الله تعالى وان كان
من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وقال بعضهم كيف يكون للمؤمن المقيم في دار الحرب ديته
واولياؤه حرب لنا فهل يجوز ان نعطي لهم الدية ونحن نغنم اموالهم فان قيل تكون الدية لبيت المال قيل له
انما يجوز ان يكون لبيت المال من لو كان حيا كان له في بيت المال حق فاما المسلم المقيم في دار الحرب فلا حق له
في بيت المال كان حكمنا لا يجري في داره فكيف يستحق بيت المال دية وبعد فان المسلم في دارهم لم يعصموا بالاسلام
محرزا نفسه وماله لان دار الحرب ليس بدار يحرز بها الدماء والاموال فاذا كان كذلك فلم يكن للانفس والاموال
هنالك بدل لذلك لم يجب الدية الا ترى من اتلف مال ذلك المسلم لم يغرم بدل نفسه لان حرمتها سواء في دار
الاسلام ثم اختلف في تاويل قوله ايضا وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة الاية على الاتفاق
ان لا دية فيه لكن الاختلاف في انه من يخرج على ثلاثة اوجه احدها ان ذلك فيما يقتل على الاغارة نحو ان يغار
على اهل الحرب وفيهم مسلم فانه لا دية فيه لما يجب الاغارة فيجب على هذا امران احدهما ان يكون دفع الكفار
في ذلك احق من دفع الدية التي هي حق العباد ولم يرد ممن هو له الاباحة فلما اوجب هو قال الدية احق ان تجب
فاذا لم تجب بان انه ليس على ما قد رووا والثاني ان يكون لو كان كذلك فيجيء ان يكون ذلك فيمن كان من قوم عدو
او لا سواء من حيث الاغارة بل اذا صارت مباحة وان كان فيهم مسلم ذهب حق النفس من الامرين جميعا
من الدية والكفارة وكذلك الجواب في قوم تترسوا بالمؤمنين انه اذا ابيح الرمي فيستوي الامران جميعا من

من الدية والكفارة وعلى ذلك الخلف فيما له القصاص فيما دون النفس فمات من الا قتصاص ان لا كفارة في ذلك
وقد اختلف في الدية وعلى ذلك من يقتله ممن لا يحتمل القلم وما اوجب من العقل فوجود بلا دية يوجب ان يكون
الدية احق في الايجاب من الكفارة فاذا لم تجب بان ان ليس دفع الدية لما ظنوا والقول الثاني ذهبوا الى القتيل الذي
قومه اهل الحرب انه لا يجب فيه الدية بقوله من قوم عدو لكم وهو مؤمن ويؤيد ذلك قوله فدية مسلمة الى اهله
واهله عدو لا يحتمل التسليم اليهم بما لنا اخذ اموالهم فيصير بذلك لنا واما الكفارة فهي بين العبد وبين الله فيلزم اذ
هي في حق التوبة والكفارة لنا في ذلك من معنى الاثم فيدخل على ذلك ايضا امران احدهما ايضا ان الدية عن كل نفس لا وارث
لها اذ قتل من اهل دار الاسلام اذ لا اهل لها وعدم الاهل اكثر من كون الاهل وهم اعداء له بل يعزم الذي قتله
وقومه لبيت المال فعلى ذلك الاول لو كان يجب ولكن لم يجب لا لهذا ان قد راينا الوجوب بما هو اعظم في العدة من هؤلاء
وابد ذلك الايجاب في المؤمن الذي قومه من اهل الميثاق والكافر الذي هو من اهل الميثاق والعداوة لم يكن انقطعت
بالميثاق والوجه الثاني انه لا توارث يجري بين المسلم واهل الكفر ليبطل حق الدية بوجوبها لهم بل يتحول الميراث
بالاسلام الى اهل الاسلام وان لم يكن له خصوص اهل وعلى ذلك جميع تركته فبان انه لا لهذا لم يوجب والقول الثالث
ان الاية فيمن اسلم في دار الحرب ولم يخرج الينا حتى يقتله مؤمن خطاء ان عليه تحرير رقبة فيكون المعنى من قوم
عدو لكم هو من قوم في الظاهر عند القاتل لم يخرجوا بعد عن اظهار المعاداة ثم يكون قتله الخطأ من وجهين احدهما
ما كان عرف كفره ولم يظهر انتقاله عما كان عليه في الظاهر لا بخروجه الى دار الاسلام ولا سيما يظهر وذلك
ظاهر الوجود وفي مثله نزل قوله ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا الاية وقد اخبرا انهم كانوا كذلك يكتمون دينهم
حتى من الله عليهم بالاظهار فيكون هذا بين اظهرهم على الامر الاول وعلى ذلك شان المسلمين الذين دخلوا تلك الدار
بالامان ولا يحتمل ان يلحقه هذا النوع من قتل الخطاء فلزم في نفسه البدل والاصل على حال والثاني ان يرمي غيره
فيصيبه على ما يكون خطا اهل هذه الدار ولم يجب له الدية لما يقع فيه الخطأ من الوجه الذي على الامر يفعل على
ما ثبت فلا يحتمل ان يجعل لنفسه بدل والاصل في ذلك ان دار الحرب وفي الحرب سفاد الدماء واتلاف الاموال فلا يقع
بها احراز الدماء والاموال فلذلك لم يجب فيها البدل وليس كدار الاسلام لانها دار سلم وامن حتى جعلت تحرز بها
الدماء والاموال على ما كان انفس الاعداء اذا دخلت بالميثاق الينا استوجبت حق الاعراض ولزوم البدل وان
كانوا من قوم عدو لنا اذ هي الدار دار سلم واحراز ولا يشبه الذي اسلم ولم يخرج الذي خرج من هذه الدار مسلما
لما كان يخرج بامان وفي الاذن ما لزوم حفظ الامر الاول وليس في الاول ذلك على ان احد الامرين في ابتداء الايجاب
والاخر في البقاء على ما وجب ومعلوم تفاضل هذين في الاصول واختلاف الامر بينهما وقد كان في ابقاء بعض ما يستوجب
بالدين لترك الهجرة كقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقد نسخت تلك
الهجرة ولم ينسخ الهجرة الى دار الاسلام وان نسخنا الى المدينة فلم يكن لنا من ولايتهم من شيء وانما حق بذل الانفس
لمن يبقى عنه من الاولياء والاهل وقد بقي ذلك فلذلك لم يجب وعلى هذا يخرج قولنا فيه لو قتل عمدا ان لا يجب
القصاص ولا الدية لان الله تعالى قال فقد جعلنا لوليه سلطانا وقد بقي فيما نحن فيه الولاية كذلك بطل السلطان
وفي بطلانه بطلان البدل ويجوز معه بقاء الحق الذي بينه وبين الله لثبات تلك الحرمة ووجه اخر في تاويله قوله
من قوم عدو لكم اي في قوم مظهر العداوة دليل ذلك انه وان خرج الى هذه الدار فيهم قومه لكنه ليس فيهم
يرجع الى المؤمن امن وهو بعد فيهم ان لا شيء فاذا خرج الى هذه الدار فيهم قومه لكنه ليس فيهم يرجع الى المؤمن
امن وهو بعد فيهم ان لا شيء فاذا خرج ان عاد اولا فله حكم نازله لم يقتضه حق الاية فيجب فيه الذي يجب
على حسب الدليل الموجب والله اعلم وقوله عز وجل وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله
وتحرير مؤمنة اختلف فيه قال بعضهم ذلك القتيل معاهد من قوم بيننا وبينهم ميثاق فاحتج بعض اصحابنا رحمهم
الله تعالى بهذه الاية الكريمة في ايجاب الدية في قتل المعاهد دية مسلمة وهي مثل دية المسلم لان الله تعالى قال فيهما جميعا
فدية مسلمة فيهما سواء وقد روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه والاية يحتمل غير هذا لان الله تعالى قال في اول
الاية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطاء الى قوله فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فاكتفى بذكر الايمان في القتيلين الاولين عن اعادة ذكر الايمان في القتيل الثالث
ولم يكتف بذكر الايمان في القتيل الاول عن اعادته في الثاني لانه لو قال وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا
ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة مؤمنة ولم يرد على هذا كنا نوجب الدية في قتل كل مؤمن فذكر الايمان
في الثاني للتفريق بينهما واما ذكر الايمان في الثاني غني عن ذكره في الثالث كانه لا تفرقة بينهما كذلك كان ما ذكرنا
عن الحسن وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق قال مؤمن واستدل من ذهب الى ان المقتول مسلم بان الله
تعالى قال فتحرير رقبة مؤمنة ولا يجب الكفارة على قاتل المعاهد اذا لم يكن ذمة الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
فدى قتيلي عمرو بن امية وكان لهما عهد ولم يبلغنا انه امر بالكفارة فيقال ان الكفارة واجبة على قاتل
المعاهد السنا من بطاهر الاية بقوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق وقال ايضا ومما يدل ان المقتول
معاهد انه لو كان مسلما لم يجب لاهله من المعاهدين الدية لانهم لا يرثونه اذا كان معاهدا وهذا يؤيد قول
اصحابنا رحمهم الله تعالى في وجوب كمال دية المسلم على قاتل المعاهد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ودى

ذمتيا دية

ذمتيا دية مسلم وحديث عمرو بن امية انه كان ببعض الطريق فقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا في ظل هو فيه و
كان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو وقد علم انهما من بني عامر فلما نام عدا عليهما
فقتلهما وهو يرى انه اصاب منهما ثارة من بني عامر فلما قدم عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد
قتلت قتيلين لادينهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان الدية كانت تامة وان لم تسم لان
العرب كانت لا ترضى ان تنقص دياتها عن ديات المسلمين وعن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
جعل دية العامريين دية الحرين المسلمين وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال دية اهل الكتاب مثل دية المسلم فان
قيل روي عن عمر رضي الله عنه قال دية اليهودي والنصراني اربعة الاف درهم ودية المجوسي ثمانمائة درهم
وعن عثمان رضي الله عنه مثله قيل يحتمل هذا ما روي عن عمر ان قوم الابل فبلغت قيمتها اربعة الاف
درهم ثم قومها ثانيا فبلغت ستة الاف الى ان بلغت عشرة الاف وما ذكر فيحتمل انه لما قومها فبلغت اربعة
الاف كان ذلك في دية يهودي او نصراني فظن الراوي انه انما اوجب اربعة الاف لانه دية النصراني
او اليهودي فروي على ذلك معا روي عن عمر وعثمان رضوان الله عليهم اجمعين بعشرة الاف وروي
ان ابا بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم اجمعين قالوا دية المعاهد دية الحر المسلم فهذا يوهن قولهما الاول
ويحتمل ان يكون على الاصطلاح فان قيل روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال دية الكافر نصف دية المسلم قيل ان كلا الفريقين تركوا العمل بهذا الخبر لان من يقول باربعة الاف لم يأخذ
لان اربعة الاف ثلث دية المسلم على قوله لان دية المسلم الحر اثنا عشر الفا عنده ومن يقول بعشرة الاف
لم يؤخذ به فقد اجمعوا على ترك العمل به وذلك لما لم يثبت عندهم والله اعلم معا وصفنا في باب قتل المسلم بالكافر
ما يدل على ان ذلك واجب فاذا وجب قتل المسلم بالذمي وجب ان يكون ديتهما سواء الا ترى ان الكفارة على قاتلهما سواء
وقوله ايضا وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اختلف في تاويل هذا الحرف من وجهين احدهما ان الاية
في المؤمنين خاصة لكنهم على اقسام ثلاثة احدها على النشو على الايمان والاخر على احداث الايمان في دار الحرب
من اهل الحرب والثالث على احداث الايمان من اهل الميثاق في دار العهد والاخر من وجهين الاية بيانات
جميع من ما يجب في نفسه حق اذا قتل خطأ من مؤمن قد احرز دمه بالايمان او بالايمان والدار او بالعهد وفي
ذلك انما قطع الحق عن كثير ممن يلتهي عن قتلهم اذ لم يضمنهم هذه الاية من يخونا من اهل الحرب والذراري
فلم تجب الدية بما لم يحرز دما فهم بدار الحرب ولم تجب الكفارة بارتفاع الميثاق وان كنا لا نقتلهم فان
كان تاويل الاية هذه فكان في الاية ايضا على تخصيص القتيل المؤمن من اهل الحرب ان لا دية فيه وعنها كان
فهم الاجماع ان الله لو اراد الجمع بين القتيل لكان يخرج الامر على الابلاغ على ما في الكفارة وما فيها من صفة
الايمان او على الايجاز والتدريج فيها بالمعنى فالذكر في قتيل واحد كان فلما ذكر في قتيلين ولم يذكر في الواحد دل
انه على التفريق وابد ذلك امر الصيام انه ذكر مرة والحكم يأتي على الكل وعلى ذلك حق الدية معا بين الذي هو
وصفه وان كان تاويل الاية الاولى فاوجب في المعاهد بالمروي من رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قضى في عامريين دخلوا بامان فقتلا بدية حرين مسلمين وفي ذلك بيان ان الدية لم يكن وجبت بالنهي عن القتل اذ هو
في الدار اذى والنساء قائم ولم يجب لكن بالعهد فاذا كان على الاتفاق في الدين والنهي فرق بينهما بالعهد فعلى
ذلك امر المسلمين على الاتفاق في الدين والنهي نفرق بينهما بمكان العهد والاحراز وابتداء وتاويل الثاني شرط
الايمان في قوله تعالى فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فلولا ان الذكر يقتضي القتيل من العدو لم يكن يحتاج الى ذكر
المؤمن وقد سبق بيان المقصود في ابتداء الاية في النهي والثناء جميعا فاذا لم يذكر في اهل الميثاق فصار متروكا على
ما يقتضيه وابد ذلك الذي هو وصفه ان ذكر النوعين يدل على التفريق اذ ليس على حق الاقتضاء بالمعنى ولا على
حق الابلاغ في البيان وجميع الكل يخرج على ذلك اللفظين في حق الحكم لذلك صار الحق ثم الذل هو قد يقمن الخطاب
بامرين احدهما في حق هتك الحرمة والاخر في حق العوض من غير تفريق في وزن الملفوظ وجاء البيان للواحد
وهي دية المؤمن فيصير كان البيان في الاية ومعلوم انه لو كان لكان بأخذ الكل الا ان يجيء التفريق على ما ذكر
من امر الصيام وحق التوبة وان ذكر الاحاد في حق بيان التضمين كذلك في الكل الدية على حد واحد معا استوى
امر الكفارة فيما له حق البيان التام او بيان الكفاية فعلى ذلك الاول وابد ذلك وجهان احدهما ان الدية يبلغها
كانت في الجاهلية فاقرت على ذلك في الاسلام وكذلك حق القسامة وكانت كذلك في اهل الكفر بعهد الامان فعلى ذلك
اليوم او يلزم الذي عرف حتى يظهر ولذلك والله اعلم لم يجز في الامر البيان لانه كان على معروف وابد ذلك جميع
الامور المنقسمة من نحو الحدود بين العبيد والاحرار في التفريق والديات بين الذكور والاناث انه يجب
ذلك الانقسام في اهل الكفر فعلى ذلك حد الكملة والنصف والثاني خبر ابن عباس رضي الله عنه في العامريين وعلى
ذلك جاء عن عمر وعلي رضي الله عنهما وما روي عن عمر رضي الله عنه فهو في الوقت الذي بلغت من الابدال
لانفسهم لانه لا بهم جعلت الدية لكن بالشرع فيه يعرف التفريق والجمع فلما لم يثبت التفريق والمعنى الى كل
نفس من المنافع واليها ما في غيرها لزم الجمع حتى يجيء علم التفريق والاصل ان البدل امر يرجع الى منافع تقع للمجني
عليه مكان ما ذهب منه او لغيره فيما يدخل عليهم من النقصان بفوت نفسه ثم كل امر مجعول للمنافع فالنظر

فيها الى قدر المنافع عند اهلها واهل الذمة احق بالزيادة لتعجيل المنفعة لهم في الدنيا اذ لا حظ لهم في الاخرة وقد زعم
الشافعي ان العبد لو بيع على انه كافر فوجده مسلما انه عيب يرد فيصير الاسلام عيبا في قيمته فلا يبعد ان يكون الحرمة
لم قل قيمته من الحربي وبحل الدين ما ذكرت فهذا وان كان القول به منه شنيعا لا يجوز ان يحتج به فهو في موضع
الشبه وقوله يلزمه كقوله سبحانه وتعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فحاجتهم بالذي عند ابتهم
فعلى ذلك يحاج بالذي عنده ولا قوة الا بالله وقد حاج بنفي الالهية بما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر
ان كان وجود ما انتفى لا يوجب القول به ثم القتل على اقسام ثلاثة عمد وهو ينقسم الى قسمين احدهما ان يتعمد
نفس القتيل والثاني ان يتعمد ذنبه فيقتل لاجل ذنبه وخطأ وهو ايضا على قسمين احدهما ان يقع باحد الجنايتين
عن غير قصده والثاني ان يقع له على قصده لكن على ظن لزومه الدين الذي يستوجب القتل به وبين الخطأ
والعمد قتل اخر يسمى خطأ العمد او شبه العمد مما لم يبين حكمه في منصوص القران ولا هو مما يحتمل معرفة حقيقته بالعبارة
لانه لا يلتبس في العين جناية تقع من حيث الوقوع الا عن عمد او خطاء فصار ذلك معروفا وحكمه بالشرع ولله ان يشرع
في حقيقة الخطا والعمد شرعا واحدا على ما عليه امر شرعه في جميع الامور وقد جاء الخبر فيه واتفاق الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين على ايجاب الدية في ذلك وليس في ذلك ذكر الكفارة فلما ثبت الحاقه بالذي هو خطأ في
الحكم قيس عليه امر الكفارة مما كان لذلك اوجه تقدر احدها ان في العمد ما هو لنفسه كفارة وهو القصاص
وقد رفع ذلك في شبه العمد والدية يلزم العاقلة فلا بد من وضع كفارة في ذلك كالذي ذكر في الخطأ فيه والثاني
انه ذكر في الكفارة توبة من الله والتوبة من الله تخرج على اوجه ثلاثة على التوفيق لفعلها وعلى ما كان من الزلة او على
جعل ذلك الفعل منه توبة عن زلته واي هذه الوجوه الثلاثة كان ففي ذلك معنى وصف التوبة فيكون مما قد يتوجه
الى العمد بحق ومني الزلة وامر يجوز الحكم به فيقع العدول عنه اذ قال ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت
قلوبكم فاذا جعل في ذا توبة فهو وجه فيه جناح فيدخل في ذلك قتل فيه جناح ويكون له حكم الخطأ ببينة الخبر
والثالث اتفاق اهل الفتوى على القول به وايضا ان الذي يقع الخطاء فيه لذنبه فقصد تلك قتل ووجبت عليه
الكفارة فقد وجدت كفارة مع تعمد فيما لا يبدل لنفسه فاذا كان شبه العمد يجب فيه البدل فهو لوجوب الكفارة
احق واما العمد الذي فيه القصاص ففيه اوجه ثلاثة احدها ان الله تعالى بين ما فيه من الحق على نحو ما بين في الخطأ
وانما يجب طلب العمل بالحكم فيما لم يتبين نصوصا من النوازل انه يعلم ان الله تعالى فيها حكما اذ لم ينص عليه فقد جعله مبينا بالنص
لا بالتصريح فاذا بين سقطت الحاجة وبطلت الاجتهاد والتعرف به وعلى ذلك ايجاب لقتل الصيد عمدا ان الحكم فيه
لم يبين بالتصريح فهو متروك للتضمن والثاني ان الكفارة في حق الرة جرعته والتكفير لفعله وفي السيف ذلك والزيادة
فيه فلذلك لم يضمن اليه غيره ثم معلوم ان الكفارة انما جعلت بما معه الابقاء حتى بصوم شهرين وفيما فيه القصاص
لا مهلة له يستوجب به بقاء النفس لعتوم بالكفارة فلذلك لم يجب والثالث الاتفاق ان الذي يقتص لا يلزمه الكفارة
لمن وجب له حكم العمد لم يجب عليه الكفارة ولو اوجبنا الكفارة على القاتل جعلناها حقا لله من حيث النفس لا من حيث
معنى في الجناية له تجب وذلك المعنى في نفسي القاتل والقتيل سواء فيكون ولي القتيل اخذ الذي لم وقع القصاص لكن له
الكفارة فتلزمه فاذا لم تجب بان انها تجب بحال في النفس والجناية فلم تجب فيما عدمت تلك الحالة والاصل
انها لم تجعل للخطر ولا للنفس المحرمة اذ قد يوجد قتل نفس محظورة لم تجعل فيها الكفارة نحو الذراري والنساء من
اهل الشرك بل لو كان لذلك كان الخطأ من ابعد ما يجعل له الكفارة فثبت انها لم تجعل لذلك ومن يقيس يقيس بذلك فبطل
والله اعلم وقوله عز وجل فتحرير رقبة مؤمنة اختلف فيه قال بعضهم لا يجزئ الا من صام وصلى ومن ابن عباس قال
الرقبة المؤمنة كل مولود ولد في الاسلام صغيرا كان او كبيرا والاشبه ان يجزئ الصغير من المؤمنين حكم الكبير منهما
ومما يدل على ذلك ايضا ان الحكم الصغير من المؤمنين وميراثه وتزويجه وطلاق الرجل لزوجة الصغيرة حكم الكبير
فهم مؤمنون في الحكم وان كانوا صغارا ولكن لسنا نذكر من اصحابنا رواية منصوصة في جوازه والقياس ما ذكرنا والله
اعلم وقوله عز وجل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين وصف الله سبحانه وتعالى الشهرين بالتتابع ووصف الرقبة
بالايمان فهو والله اعلم يحتمل ان يكون على التغليظ والتشديد لما يجوز ان يجاوز جرم حكم الخطا جرم غيره من الاشياء
نحو ان يقتله بعصا او بسوط ونحوه قاصدا ولا شك ان جرمه اعظم من جرم غيره من الافعال التي توجب من الايمان
والظهار وغيره فغلظ فيه ما لم يغلظ في غيره بالايمان في الرقبة والتتابع في الصيام وهذا كما يقولون ان ضرب
التعزير اشد من ضرب حد شرب الخمر وغيره لان جرم فعل التعزير ربما بلغ جرم الزنا او يجاوز وهو ان يحقق
الحرمة او مرتين لا شك ان حرمته اعظم من حرمة من قذف او شرب قطرة من خمر فغلظ فيه وشدد لما ذكرنا
فعلى ذلك شرط الايمان في الاعتاق في كفارة القتل والتتابع في الصوم تغليظا وتشديدا للمعنى الذي ذكرنا وهو ان يقتله
قتل شبه العمد اي عمد القصد خطأ الحكم الا ترى انه غلظ في الدية في شبه العمد ولم يغلظ في غيره وروي عن ابن عمر رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قتيل السوط والعصا فيه الدية مغلظة ومن النعمان بن بشير رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خطاء الا السيف والحديد ولكل خطأ ارش ذكر الله تعالى قتل الخطا والعمد
فبين حكمهما ولم يذكر غيرهما في كتابه لكنا عرفنا قتل شبه العمد والحكم فيه بما روينا من خبر ابن عمر رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث النعمان عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال الا ان قتيل خطأ العمد قتيل

السوط والعصا ففيه الدية مغلظة ثلاثون جذعة وثلاثون حقة واربعون ما بين ثنية الى بازل عامها كلها
خلفة واختلفت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين روي عن عمر رضي الله عنه ما ذكرنا من الخبر المرفوع اثلاثا
وعن علي رضي الله عنه قريبا منه اثلاثا وعن ابي موسى الاشعري والمغيرة ما روينا من الخبر المرفوع اثلاثا وعن ابن
مسعود رضي الله عنه في شبه العمد ارباعا خمسة وعشرين حقة وخمسة وعشرين جذعة وخمسة وعشرين
بنات لبون وخمسة وعشرين بنات مخاض ثم لا يحتمل ان يكون الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قالوا ذلك
رأيا من انفسهم لان هذا باب ما لا يوقف الا بالسمع والخبر عن الله سبحانه وتعالى فيحتمل انهم جميعا سمعوا ذلك
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت واحد فقد اثر في وقتين مختلفين فهو على التناسخ فلم يظهر الا ولم نعلم ما
من الاخر فاوجب الاخف باليقين ولم يوجب الاغلظ بالشك وهذا قول ابي حنيفة رحمه الله تعالى حيث قال
في شبه العمد بالارباع واما محمد رحمه الله فانه ذهب الى ظاهر الخبر المرفوع بالاثلاث ثم اختلف اصحابنا رحمهم
الله تعالى فيمن رمى اخر في بحر فغرق فمات قال ابو حنيفة رضي الله عنه لا يقتل به وقال فيمن احرق اخر بالنار قتل به
وكان يفرق بينهما بوجهين احدهما ان يقول الرامي في الماء حسب انه يحسن ان يسبح وذلك موجود في كثير من
الناس فصار ذلك شبهة يزول بها القصاص عن الرامي واما الذي رمى صاحبه في النار فليس له ان يدعي مثل ذلك الشبهة
لذلك لم يزل عنه القصاص والثاني ان النار جارحة الا ترى انها تستعمل في موضع السلاح ويحارب بها وهي من
اشد السلاح وليس كذلك الماء ثم القول في مبلغ الدية من الابل روي ان الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعمرو بن حزم في العقول في النفس مائة من الابل وما روينا من خبر ابن عمر رضي الله عنه قال خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان قتيل خطاء العمد فيه الدية مغلظة مائة من الابل ثم القول في اسنان
الابل في الدية وما روي عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دية الخطأ اخماس وكذلك روي عن عبد
الله بالاخماس وعن عمر رضي الله عنه كذلك وعلي بن ابي طالب رضي الله في الخطأ ارباعا وكان ابو حنيفة رح
يذهب الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم والى ما روي عن عمر وعبد الله عنهما ويجعل دية الخطأ
اخماسا من الابل وفي شبه العمد لما ذكرنا ومحمد رحمه الله يذهب الى ما روي عن علي رضي الله عنه بالارباع
في الخطا وفي شبه العمد بالاثلاث بالخبر المرفوع والوجه فيه ما ذكرنا ثم المسئلة في مبلغ الدية من الورق
روي في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى بالدية اثني عشر الفا وعن ابن عباس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر الفا وروي عن عبيدة السلماني قال وضع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الديات فوضع على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق عشرة الف درهم وعلى اهل الابل
مائة من الابل وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة ثم روي عن عمر رضي الله
عنه انه قال قوموا الابل فقوموها اوقية ثم غلت الابل فقال قوموا فقومت اوقية ونصفا ثم غلت حتى قومت
عشرة الاف درهم فلو علم عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدراهم لم يحتج الى ان يقوموا
الابل ومحال ان يخفى على عمر وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين سنة النبي صلى الله عليه وسلم حتى
يضطر الى التقويم الابل فدل ان الخبر في اثني عشر فبرئنا بشيء الاختلاف ان الدية من الدنانير الف دينار فوجب ان
يكون الدية من الورق عشرة الاف لانه روي عن عمر رضي الله عنه انه جعل قيمة كل دينار عشرة وروي انه كتب
الى امراء الاجناد ان يأخذ الجزية من اهل الورق اربعون درهما ومن اهل الذهب اربعة دنانير وعن علي رضي الله
عنه انه قال لا تقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم دل ما ذكرنا من قول الصحابة رضوان الله عليهم ان قيمة كل دينار
عشرة دراهم فلما اجمعوا في ان الدية من الذهب الف دينار وجب ان يكون من الورق عشرة الاف الا ترى انه
يؤخذ في الزكوة من مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين دينارا نصف دينار دل على ان الدية عشرة الاف ثم
يحتمل الخبر ان ثبت ان الدية اثني عشر الفا وزن ستة لان الدية كان اصلها الابل فقومت الابل دراهم فبلغت
اثني عشر الفا من وزن ستة ثم ردت الاوزان الى وزن سبعة فكانت اثني عشر الفا وكسر وزن سبعة الفا
الكسر لان القيم لا تعرف منصوصا وانما تعرف بالاجتهاد وقد تزداد وتنقص ويكون بين القيمتين الشيء اليسير
فتركوا ذلك الكسر لما وصفنا ولانه لم يكن في الدية في اصلها كسر وهذا وجه محتمل فاخذ اصحابنا رحمهم الله تعالى
بالحوالتقدير لان الاوزان استقرت على وزن سبعة وبطل وزن ستة ولا شك ان وزن سبعة هي الاخرة
لاستقرارها في الناس على ذلك وبالله التوفيق وقوله عز وجل فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قد ذكرنا معنى
التتابع في ذلك وفي قوله تعالى فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين عند الجميع من ذكر من القائلين في هذه الاية ثم
قوله تعالى توبة من الله قال بعض اهل العلم ندامة من الله تعالى وقد يندم الرجل على فعله خطأ لكن عندنا على حقيقة
التوبة لان الفعل فعل مأثم وان كان خطأ ولانه يجوز ان يكلف الانسان وينهى في حال الخطأ لما الاتيان بمثل
ذلك ولا ينظر لبلا بترك التامل في ذلك والنظر فيكون التوبة على الحقيقة لما ذكرنا وفي قوله ايضا توبة من الله قد
بينا الوجه في ذلك وقال بعض اهل التأويل التوبة في الحقيقة هو الندامة على الامر وكل من يتولد من فعله قتل احد
فهو يندم على ذلك الفعل الذي حدث منه الذي ذكر ويحزن عليه فيكون على هذا التقدير معنى التوبة من الله
القاء ذلك الحزن في قلبه او رجوعه بالتأسف الى الله بالاعتاق والصيام والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله

علياً حكيماً لمن قتله خطأ ولم يقصد ومن قصده وعلياً بما حكم عليكم من الدية والكفارة او علياً ما جل احكم حليماً في قضائه
وحكمه حيث وضع كل شيء وضعه والله اعلم به وقوله تعالى وكان الله حكيماً علياً يخرج ذلك عند ذكره هذه الاية
وهو كذلك بذاته على اوجه احدها انه عليم بالذي عليه خرج عليه حقيقة فعل ذلك القاتل من القصد وغير القصد
وهو حكيم بما حكم علينا الذي ذكرنا هو احوال القتيل وان لم يعرف حقيقة الامر في ذلك اذ الذي له حكم العمد و
الخطأ لا يظهر بغيره والثاني وكان الله لم يزل علياً بالذي يكون من عباده وبالذي المصالح بينهم فحكم بما فيه
المصالح فيما علم من وقوع الجنايات والثاني يتبين انه لا عن جهل يقع الخلاف الامر ولما لم يرض به من خلقه ولا عن
خطأ في التدبير اي عليم بالذي يكون من الخلق لا من جهل بهم خرج امرهم وحكيم في التدبير اي لا يلحقه الخطأ في تدبير
الخلائق على ما يكون منهم من الفساد والشراذ بمثله من غيره بعلم الخطأ والجهل لما في ذلك ضرر يقع به والله سبحانه من هذا
عز وجل ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها الاية قيل في بعض القصة ان رجلاً قتل اخر عمداً فلما علم
انه يقتل به ارتد عن الاسلام ولحق بدار الحرب فنزل الوعيد وهذا والله اعلم كقوله تعالى والذين يؤتون الزكوة
وهم بالاخرة هم كافرون كانوا يمنعون الزكوة لما كان عندهم ان الزكوة تنقص المال فجاءوا بها رأساً كقوله لم نك
من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين فتركوا الصلوة والزكوة لما يلحقهم
بذلك مؤن واشغال تشغلهم ذلك كله مما تهوى انفسهم فانكروا رأساً لانهم ان صلوا وادوا الزكوة لا يكون
ذلك صلوة وزكوة اذ كانوا يكذبون بيوم الدين فعلى ذلك قاتل المسلم عمداً اذا علم انه مقتول به ترك دينه فصار من
اهل النار خالداً مخلداً فيها ويحتمل قوله ومن يقتل مؤمناً متعمداً لدينه يقتله عمداً غير غالط فيه ولا جاهل عالم بذلك
والى قتله لدينه قاصد ومن كان هذه صفته فقد كفر ووجب له هذا الوعيد الذي ذكره في كتابه الكريم الا ان يجدد
ايماناً فان الله تعالى يتقبل ايمانه وتوبته والثالث ان يكون الوعيد الذي ذكره في كتابه ذلك جزاه ولله الافضال عليه
بالعفو والمجاوزة اذ ذلك جزاؤه ان لم يكن له حسنات كقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ثم الدليل
ان الاية فيمن قتل مسلماً لدينه قاصداً لنفسه دون قوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى وانما كتب
عليهم اذا كان القتل لغير الدين وابقى لهم بعد القتل اسم الايمان ثم قال فمن عفي له من اخيه شيء فابقى لهم اسم الاخوة ثم
قال ذلك تخفيف من ربكم ورحمة اطمعه عز وجل في رحمته وبعيد ان يكون له مع ذلك هذا الخلود في النار فدلت الاية
على بقاء الرحمة وهما معنيان ينقضان قول المعتزلة حيث خلدوه بالكبيرة في النار وتاولوا الاية فجزاؤه جهنم خالداً
فيها والخلود يقبل بجزيه وله ان يتفضل بالعفو عنه على ما وصفنا وبالله التوفيق والنجاة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تاويل
الاية بما يؤيد ما قلنا وروي عنه انه قال في قوله سبحانه وتعالى فجزاؤه جهنم الاية قال جزاؤه ان شاء عذبه وان شاء
غفر له وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن قبلكم رجل قتل
تسعاً وتسعين نفساً فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قد قتل تسعة وتسعين نفساً بغير حق فهل
له من توبة فقال لا فقتله ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل فاتاه فقال اني قتلت مائة نفس بغير حق فهل
لي من توبة قال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا فان بها ناساً يعبدون الله فاعبد معهم فانطلق حتى
اذا انتصف الطريق اتاه الموت فاختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فاتاهم ملك فجعلوه حكماً بينهم فقال
قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى واقرب فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة
الرحمة الاية اي انه لما كان كافراً فقتل ما به نفس فقبلت توبته ولو كان مسلم كانت مظالم المقتولين في عنقه باقية الحديث
يدل والله اعلم على ان التاويل ما ذكرنا وبالله التوفيق عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
الاية قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى دار الحرب فسمعوا سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم
فهربوا واقام رجل لاسلامه فلما رأى الخيل خاف ان يكونوا من العدو من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالجأ غنمه الى ثم قام دونها فسمع التكبير فهبط اليهم وهو يقول لا اله الا الله فاتاه رجل من هؤلاء فقتله
واستاق غنمه وما معه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه الخبر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتلتموه ارادة ما معه وهو يقول لا اله الا الله فقال لو الحر قال متعوذاً فقال هلا شققتم عن قلبه
وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله بعث سرية فلقيتهم رجل فسلم عليهم وحياهم بتحية الاسلام فحمل عليه
رجل من السرية فقتله فلامه اصحابه وقالوا اقتلت رجلاً حيانا بتحية الاسلام فلما قدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخبروه بالذي صنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلته بعد ما قال ما انما قالها تعوذاً قال
فهلا شققت عن قلبه فتعلم ذلك فنزل قوله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن
القى اليكم السلم لست مؤمناً فلا ندري كيف ما كانت القصة ولكن فيه الامر بالتثبت عند الشبهة والنهي عن الاقدام
عندها وهكذا الواجب على المؤمن الوقف عند اعتراض الشبهة في كل فعل وكل خبر لان الله تعالى امر بالتثبت في الافعال
بقوله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمناً وقال في الخبر ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا امر بالتثبت
في الاخبار عند الشبهة كما امر في الافعال النبيه صلى الله عليه وسلم ولا تقف ما ليس لك به علم في والاية دليل فساد
قول المعتزلة لانه نهاهم ان يقولوا لمن قال اني مسلم لست مؤمناً وهم يقولون صاحب الكبيرة ليس بمؤمن وهو يقول الف
مرة على المثل اني مسلم فاذا نهى ان يقولوا هو مؤمن فيقال لهم انتم اعلم ام الله على ما قيل لا ولئك عز وجل يبتغون

عرض الحيوة الدنيا قيل الغنيمة فعند الله مغانم كثيرة هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله فعند الله مغانم كثيرة اي اجر
عظيم وجزاء كبير ويحتمل فعند الله مغانم كثيرة يعطيها لكم في غير هذا كقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها الاية
وقوله عز وجل كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم الاية اختلف فيه قيل كذلك كنتم من قبل ضلالاً كفاراً فمن الله عليكم بالاسلام
والهجرة وهداكم به وقيل كذلك كنتم من قبل تخفون ايمانكم في المشركين وتكتمونه فمن الله عليكم باظهار الاسلام وابدائه
وقيل كذلك من قبل تأمنون في قومكم من المؤمنين بلا اله الا الله ولا تخيفوا من قالها فمن الله عليكم بالهجرة وعن ابن عباس
قال كذلك كنتم من قبل كفاراً تقاتلون على الدنيا وعرضها وقوله تعالى فتبينوا اعاد الى الاول وامر بالتثبت عند الشبهة
الا ترى انه روي في الخبر انه قال المؤمن وقاف وقاف يقف عند الشبهة ووزان يزن الاعمال فيختار
افضلها وقوله عز وجل لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم
وانفسهم قال الحسن كان هذا في الوقت الذي كان الجهاد تطوعاً لانه لو كان فرضاً فكان لا معنى لقوله تعالى لا يستوي
كذا من كذا وهما غير مستويين احدهما فرض عليه والاخر لا قيل له هذا الذي ذكرت لا يدل على ان الجهاد لم يفرض
في ذلك الوقت الا ترى انه قال فمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم جمع بين متضادين ثم قال لا يستوون وفعل ذلك وهو اول
وقوله عز وجل غير اولي الضرر استثنى اهل الضرر مجملاً في هذه الاية وبينهم ومن ازال عنهم من فرض الجهاد في اية اخرى
وهو قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على المريض حرج وقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وهذا
مما اجمع عليه اهل العلم وانا بوالحرج عمن كان في مثل هؤلاء الذين وصفهم الله تعالى وعذرهم بتخلفهم عن الجهاد
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين على القاعدين ورغبهم في الجهاد بقوله لا يستوي
القاعدون من المؤمنين الاية اتاه عبد الله بن ام مكتوم الاعمى فقال يا رسول الله تعالى ذكر الله تعالى فضيلة المجاهدين
على القاعدين وحالنا ما ترى ونحن نشتهي الجهاد فنزل غير اولي الضرر فجعل لهم من الاجر ما للمجاهدين لزمانتهم
وعلى ذلك اكثر اهل التفسير وقال الكسائي الضرر مصدر الضرير والمضرور والضرير الاعمى يقال ضر يضر فهو ضرير
ومضرور اذا عمي وقوله عز وجل وكلا وعد الله الحسنى القاعد والمجاهد وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً
عظيماً قيل هذا الفضل للمجاهد على القاعد الذي قعد لا لعذر جعل له الاجر العظيم وقوله وفضل الله المجاهدين
على القاعدين درجة على القاعد الذي قعد لعذر لانه جعل فضيلة عليه بدرجة وفي الثاني جعل فضيلة عليه
بدرجات لكن قوله درجة ودرجات عندنا واحد الا ترى انه تعالى قال وللرجال عليهن درجة ليس هو شيء
واحد ولكنه اشياء والذي قعد لعذر يستوي في الاجر مع الذي خرج اذا كان يتمنى ان يخرج ان قدر لانه لو لم
يكن كذلك لكان لا معنى للاستثناء وفي الاية دلالة ان فرض الجهاد فرض كفاية يسقط عن الباقين بقيام بعضهم
وان كان الخطاب يعمهم في ذلك وهو قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم وفرض الخروج لطلب العلم فرض كفاية اذا خرج بعضهم لطلبه يسقط عن الباقين فمن ذلك
فعلى ذلك فرض الجهاد وان ذلك خلاف ما عاتب الله عليه الثلاثة الذين خلفوا في سورة براءة لان اولئك تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه فانما عاتب اولئك لتخلفهم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت الاية
في قوم من المنافقين خرجوا مع المشركين الى بدر فلما التقت المسلمون والمشركون ابصروا قلة المسلمين وهم مع المشركين
على المؤمنين فقالوا غر هؤلاء دينهم واظهروا النفاق فقتلوا وما تهم ضربت الملائكة وجوههم فقالت لهم
الملائكة فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض وقيل انها نزلت في نفر اسلموا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اقاموا عن الهجرة وخرجوا مع المشركين الى القتال فلما رأوا قلة المؤمنين شكوا في النبي صلى الله عليه فقالوا غر هؤلاء
دينهم فقتلوا فقالت الملائكة فيم كنتم قالوا كذا وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانت الهجرة يومئذ مفترضة
فكفروا بترك الهجرة وهو كقوله الذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فلا ندري كيف كانت
القصة وليس لنا الى معرفة القصة حاجة بعد ان يعرف ما اصابهم مما اصابهم وقوله قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين هذا يتوجه وجوهاً احدها مع من كنتم مع محمد صلى الله عليه وسلم كنتم واصحابه ام مع اعدائهم والثاني
فيم كنتم اي في دين من كنتم في دين محمد صلى الله عليه وسلم او في دين اعدائه والثالث قالوا بمعنى يقولون اي يقولون في
الاخرة فيم كنتم قالوا كذا وقولهم كنا مستضعفين في الارض هذا ليس جواباً لقوله فيم كنتم جوابه ان يقال
كنا في كذا ولكنه كانه على الاضمار قالوا لهم ما الذي منعكم عن الخروج والهجرة الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا عند ذلك
كنا مستضعفين في الارض اعتذروا ان كانوا مستضعفين في الارض وظاهر هذا ان منعنا عن الخروج الى الهجرة
وحال المشركون بيننا وبين اظهار الاسلام فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني المدينة واسعة امنة
لكم من العدو فتخرجوا اليها فتقلبوا بين اظهرهم والله اعلم كانهم اعتذروا في التخلف ذلك لما كانوا يتقلبون بين
اظهر الكفرة ويتعيشون فيهم فقالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها قطعوا عليهم ويحتمل وجهاً اخر هو انهم
ان منعوكم عن الاسلام ظاهراً وحالوا بينكم وبين اظهاره الستم تقدرون على اداء الاسلام ستراً لا يعلمون هم بذلك

فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا اخبران لا عذر لهم في ذلك وفي قوله تعالى فيم كنتم دلالة اخبار الموتى في القبر والسؤال
فيه عما عملوا في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الاية بين الله تعالى اهل العذر
في ذلك حيث قال لا يستطيعون ولا يهتدون سبيلا قال ابن عباس رضي الله عنه كنت انا وامي من المستضعفين فاولئك
عسى الله ان يعفو عنهم وعسى من الله واجب كانه يقول فاولئك يعفو الله عنهم وقوله عز وجل ومن يهاجر في سبيل
الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قيل المراغم المذهب والملجاء وسعة في الرزق اي يجد في الارض وفي غير الارض
وفي غير الارض التي هم فيها ما ذكر وقيل المراغم المتزحزح اي يجد متزحزحا عما يكره ومراغما وعن ابن عباس رضي
الله عنه قال المراغم التحول من ارض الى ارض والسعة في الرزق وقيل من الضلالة الى الهدى ومن العيلة الى
الغنى وقيل المراغم المهرب وقيل لما نزلت هذه الاية سمعها رجل وهو شيخ كبير وقيل انه مريض فقال والله ما انا
ممن استثنى الله واني لاجد حيلة والله لا ابيت الليلة بمكة فخرجوا به يحملونه حتى اتى التنعيم فادركه الموت بها فصفق بيمينه
على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك ومات فنزل فيه ومن يخرج مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله اي وجب اجره وقيل انه لما سمع الرجل ان الملائكة ضربت
وجوه اولئك وادبارهم وقد ادنف للموت فقال اخرجوني فاحتمل يبتغيه النبي فلما انتهى الى عقبة فتوفي بها فانزل
الله هذه الاية والله اعلم بذلك وفي قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان دلالة ان اسلام الولدان
اذا عقلوا اسلامهم وكفرهم كفر لانه تعالى عز وجل استثناهم وعذرهم في ترك الهجرة فلو لم يكن اسلامهم اسلاما ولا كفرهم
كفرا لكان مقامهم هنالك وخروجهم منها سواء ولا معنى للاستثناء في ذلك اذا لم يكن عليهم خروج والله اعلم وقوله
عز وجل واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم الاية اباح الله تعالى القصر من
الصلوة اذا ضرب في الارض اذا خاف ان يفتنه الكفار ولم يبين القصر فيما ذا فيحتمل القصر قصرا من الركعات على ما
قال اصحابنا رحمهم الله تعالى ويحتمل القصر قصر الاقتداء وذلك ايضا مباح عند الخوف ثم تاول قوم ان الصلوة كانت
ركعتين فزيدت في صلوة الحضر واقرت في صلوة السفر ورخص في القصر من ركعتي السفر في حال الخوف وقالوا صلوة
الخوف وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال فرض الله تعالى صلوة الحضر اربعا وصلوة السفر ركعتين وصلوة الخوف
ركعة على لسان نبيكم وكذلك روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال صلوة الخوف ركعة ركعة وقال اخرون
انما رخص الله تعالى في قصر الصلوة من اربع اذا كان الخوف فردها الى ركعتين رخصة وقالوا ثم ان رسول الله
اعلمنا ان الله تعالى تصدق علينا ان نقصر في حال الامن فثبت بالسنة ان القصر في غير الخوف جائز كما اجازه الله في حال الخوف
والقصر في قول هؤلاء ان يرد الاربع الى ركعتين والقصر في قول الاولين ان يرد الركعتان في حال الخوف الى ركعة وقال
غيرهم القصر انما كان في حال الخوف كما قال الله تعالى فاما الامن فان المسافر اذا صلى ركعتين فليس ذلك بقصر ولكنه
اتمام بقول عمر رضي الله عنه حيث قال صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وروي ان رجلا سال
عمر رضي الله عنه عن قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا قال وقد امن
الناس اليوم فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة
تصدق الله تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته فيحتمل ان يكون قوله صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر يريد بركات
النبي صلى الله عليه وسلم لما قال صدقة تصدق الله تعالى بها عليكم صار الفرض ركعتين وارتفع القصر وصارت الركعتان
تماما غير قصر اذ كانتا هما الفرض بعد الصدقة التي تصدق بها الله علينا فكل واحد من الخبرين مرافق لصاحبه اعني
خبر عمر رضي الله عنه مما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم سافر من المدينة الى مكة
لا يخاف الا الله يصلي ركعتين وهذا يؤيد حديث عمر رضي الله عنه صدقة تصدق الله بها عليكم لان النبي صلى الله عليه
وسلم كان لا يصلي وهو امن ركعتين مع شرط الله الخوف الا وقد رفع الله شرط الخوف من المسافر وقال قوم ان التقصير
في السفر والحضر هو الاتمام واحتجوا بقول الله سبحانه وتعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة قال ترفع الحرج
عن المقصر ولو كان التقصير حتما لكان قال وعليكم جناح ان لا تقصروا من الصلوة لكن الامر ليس كما توهموا وذلك انا
قد ذكرنا ان النص في القصر انما جاء في حال الخوف واما الامن فلا نص فيما يوجب القصر وانما جاء القصر من الصلوة
في حال الامن بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق عليكم وتقصيره في سفره ومحال ان يتصدق الله
الركعتين علينا ويقول قائل فرض قائم فاين موضع الصدقة اذ لو كان الامر على ما ذكروا هذا عندنا معنى قول
عمر رضي الله عنه ان صلوة السفر ركعتان تماما اذا كانتا فرض المسافر ومما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سافر اسفارا كثيرة فلم يرو عنه احد انه اتم الصلوة في شيء من الاحوال في سفره وكل روى انه عليه الصلوة والسلام
كان يصلي ركعتين فلو كانت الفريضة اربعا والقصر رخصة لاتم في وقت وقصر في وقت الا ترى الافطار في السفر
لما كان رخصة غير حتم افطر النبي صلى الله عليه وسلم في اوقات وصام في اوقات فدل ذلك ان فرض المسافر ركعتان
غير قصر وروي عن ابن عمر رضي الله عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين ومع ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ركعتين ومع عمر رضي الله عنه ركعتين ومع عثمان رضي الله عنه صدرا من خلافته ثم صلى اربعا ويحتمل
ان يكون عزم على المقام وكذلك روي عن الزهري قال بلغني انه قال انما صلى اربعا لانه ازمع ان يقيم بعد الحج وعن
عمران بن حصين قال حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى يرجع الى المدينة

واقام

واقام بمكة ثماني عشرة ايام لا يصلي الا ركعتين وقال لاهل مكة صلوا اربعا فانا قوم سفر وخالف بعض اهل العلم هذا الحديث
لانهم يقولون اذا اقام ببلد في غير حرب اربعا يتم بعد ذلك وان لم يكن عزم على المقام بذلك البلد وروي عن
ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلوة المسافر ركعتان حتى يقول الى اهله او يموت
وروي عن ابن عمر رضي الله عنه انه سئل عن الصلوة في السفر قال ركعتان ركعتان من خالف السنة كفر واستدل
قوم بقوله تعالى ان ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان القصر رخصة والفضل في
اتمام الصلوة اذ لا جناح يستعمل في موضع التخفيف لا في موضع الامر على نحو الصيام بقوله يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر وهذا حرف لا يستعمل في موضع الامر والايجاب والله اعلم وسلم قوم لهم هذا المعنى في
الاية وردوا القصر الى قصر الخوف يلحق عند الضرب في الارض واذا كان على وجهين احدهما في بيان المراد في قوله
فان خفتم فرجالا او ركبانا انه ليس على تمام المعروف من الصلوة لكن على القصر على الحد الذي ينتهي اليه الخوف
من امر القبلة او ترك القيام والركوع والسجود الى الايمان والقعود والله اعلم والثاني ما في قوله واذا كنت فيهم
الاية وانما يذكر ذلك في احوالهم الا نفروا عنه وهو احوال السفر ومعلوم ان ذلك في حق قصر الاقتداء قال لا جناح
عليكم بالاقتداء به وان اقصرتم في الاقتداء عن تمام حقه من الجماعة وكذلك اصابت الكل افضل فبين ارتفاع ذلك
لا يمنعكم الاقتداء ولا يلزمكم نصب امام اخر لتودوا جميع الصلوة في الجماعة وابد الوجهين قوله تعالى ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا الى قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون وصلوة السفر على ما عليه لبس بخوف وايد ذلك ما
التبس على عمر رضي الله عنه حتى سال عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقة بمعنى حكم الله عليكم في ان لم يعرض عليكم في السفر غير ركعتين وكذا جميع المذكور من الله من
العفو فهو في الاسقاط وايد ذلك ما كان يقول عمر رضي الله عنه بعد ذلك صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر
على لسان نبيكم فعلم ان ذلك لبس في حق الاية لكن في الابتداء الشرع وعلى ذلك المروي بان الصلوة كانت في الاصل
ركعتين فزيدت في الحضر واقرت في السفر والى هذين التاويلين يتوجه قول اصحابنا رحمهم الله وقد يحتمل الاية
قصر السفر ثم قوله ليس عليكم جناح يرجع الى وجهين احدهما الى ترك الركعتين وان لم يتم السفر بعد الخروج له
وليس كاتم الاعذار نحو الحيض اذا لم يتم انه يلزم اعادة المتروك والاغماء ونحو ذلك وامر الصوم في السفر بعد
الخروج له ليس كسائر الاعذار اذا ترك انه يعاد والثاني ليس عليكم جناح في السفر وان كان ذلك الاختيار منكم لترك
صلوة الحضر وليس عليكم ما على المقيم من الجناح لو لم يتم فاذا رجع الجناح الى ذلك بقي الامر بالقصر وان خرج بحل الخبر
اذ قد يكون خبرا في المخرج امرا في الحقيقة نحو قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون الايات وذلك كقوله تعالى
فلا جناح عليه ان يطوف بهما انه لما صار لا جناح راجعا الى ما كان ثم من الاصنام او الفعل بقي حق الامر بالصواب
عن الجميع والله اعلم وقوله عز وجل واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة الاية اختلف اهل العلم في صلوة الخوف
قال بعض اهل العلم يجعل الامام القوم طائفتين يصلي بالطائفة ركعة وتقوم الطائفة الاخرى مصافة العدو فاذا
صلى بهم ركعة فيقومون ويصلون الركعة الثانية وحدانا ثم ينصرفون ويقومون بازاء العدو وترجع الطائفة
التي كانت مصافة العدو فيصلي بهم الامام فيقومون ويقضون الركعة الاولى وحدانا ويقولون لا تزليس في الاية
اتيان الطائفة الاولى وعودها الى الامام كذلك لا يفعل وقالوا ايضا بان القيام بعد الفراغ من الصلوة مصافة
العدو اطمع وارجى من القيام في غير الصلوة واما اصحابنا رحمهم الله فانهم ذهبوا الى ما روي عن الاخبار روي
عن ابن عمر رضي الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فصلى باحدى الطائفتين ركعة
والطائفة الاخرى مواجهوا العدو ثم انصرفوا ذلكوا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى
بهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم سلم النبي عليه السلام ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة وعن عبد الله قال صلى
بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف فقاموا صفين فقام صف خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصف
مستقبل العدو وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصف الذي يلونه ركعة ثم قاموا فذهبوا وقاموا مقام اولئك
واستقبلوا هؤلاء العدو وجاء اولئك فقاموا مقام هؤلاء فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم
سلم فقاموا يصلون لانفسهم ركعة ثم سلموا فذهبوا فقاموا مقام اولئك مستقبلين العدو وجاء اولئك
الى مقامهم فصلوا لانفسهم ركعة ثم سلموا وروي ابن عباس وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك فاتفق على هذه الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الجلة من الصحابة رضوان
الله عليهم اجمعين ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت وحذيفة رضي الله عنهم كلهم يقولون ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهوا العدو ثم صلى بالطائفة
الاخرى ركعة وان واحدا منهم لم يقض بقية صلوته حتى فرغ النبي عليه الصلوة والسلام من صلاته كلها فصلى
المؤتمون ما بقي عليهم من صلوتهم وهذا نظرنا عليه المسلمون جميعا فيما سبقهم الامام لا يقضون حتى يفرغ الامام
من صلوته ثم يقضون ما فاتهم والاخبار التي جاءت بخلاف ذلك يحتمل ان يكون في الوقت الذي كانوا يقضون
الطائفة قبل فراغ الامام من صلوته ثم نسخ ذلك بما توارث الامة القضاء بعد الفراغ والله اعلم وقوله عز وجل
وليأخذوا اسلحتهم اختلف فيه قيل هم الطائفة التي بازاء العدو ويأخذون السلاح ليكون اهيب للحرب والقتال

و قيل هم الطائفة الذين يصلون يأخذون السلاح حتى اذا استقبلهم العدو والحرب يقدمون على ذلك وقيل اذا وقع بينهم
الحرب فليهم تأخير الصلوة الى وقت انقطاع الحرب بينهم و قال الحسن يصلي الامام بكل طائفة تمام الصلوة لانه
ذكر في الخبر انه كان يصلي بكل طائفة سجدة هي اسم القام وهذا جائز في اللغة لكن عندنا ما ذكرنا من الاخبار
عن الصحابة عن عمر وابن عباس و غيره رضوان الله عليهم اجمعين حيث قالوا صلوة السفر ركعتان و صلوة الفطر
والاضحى ركعتان وصلوة الخوف ركعة تمام غير قصر وما روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالصف الاول
ولم يسجد معه الصف الثاني فلا رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من السجود تين سجدهما اهل الصف الثاني
فهذا يدل على ان الامر ما وصفنا اذا كان لعدو مواجهة القبلة فالامام بالخيار ان شاء جعل القوم صفين صف امامه
بازاء العدو ومعه يصلي بهم هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل بالمسلمين روى جابر بن عبد الله رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم والعدو في القبلة فصلى بطائفة ركعة وجاءت الاخرى فصلى بها الرى
وان شاء صلى القوم كلهم خلفه صفين فيصلي بهم فاذا انتهوا الى السجود سجد الصف الثاني يحرس العدو فلا فرغ
هؤلاء سجد الاخرون ثم كذلك يفعل بهم في الثانية وهذا ايضا روى ثم فيخبر ايهما شاء وقوله عز وجل وليكونوا
من ورائكم اي ليكونوا مصافا للعدو ويحرسونهم من العدو وقوله عز وجل وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يحتمل قوله
حذرهم اي يأخذون ما يسترون به ويحرسون العدو من نحو الترس والدرع ونحوه وقوله عز وجل واسلحتهم ما يقاتل
به من السلاح ويحارب ويحتمل ما يتحصن به من نحو الحصن من الحول الحيال غيره وفيه الامر بتعلم آداب الحرب القتال
واخذ الاهبة والاعداد دون ان يكلوا الامر الى ذلك ولكن يكلون الامر الى ما وعد الله لهم من النصر بقوله
تعالى وما النصر الا من عند الله و بقوله خذوا حذركم في الاية دلالة ان الله تعالى لم يرد بقوله ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم بذلها للقتل حيث رخص لهم وضع الاسلحة واخذ الحذر عند ما بلوا بالمطر والمرض لا ترى لو كان المراد
بشراء الانفس منهم بذلها للقتل لكان لا يرفع ذلك عند ما يخافون على انفسهم من الهلاك اذا المرض وخوف
الهلاك لا يرفع ذلك في الاحوال كلها اذا كان الامر بذلك امرا بالقتل والهلاك الا ترى ان من وجب عليه الرجم لم يرفع
عنه بالمرض الوهم لان في الرجم هلاكه فلما رفع عنهم القتال في حال المرض وفي الحال الذي يخاف الهلاك دل انه لم يرد بشراء
الانفس بذلها للقتل ولكن ارادوا الله علا اظهار دين الله ونصر اهل دينه الا ترى انه قال في اية اخرى فيقتل او يغلب
فسوف نؤتيه اجرا عظيما جعل الثواب والاجر عند الغلبة على عدوه مثل ما جعل عند القتل ولو كان الامر بذلك
امرا بالقتل خاصة لا يستوجب الاجر والثواب لغيره دل انه ما ذكرنا الا ترى انه قال فيقتلون ويقتلون
وعدا عليه حقا جعل الوعد لاحتمال ما جعل للمقتول هذا كله يدل ان الامر بذلك ليس على القتل وقوله عز وجل
وخذوا حذركم قد ذكرنا ان الامر باخذ الحذر يحتمل وجهين احدهما فيه الامر بتعلم آداب الحرب واسباب القتال وان
لا يكلوا الامر الى ذلك خاصة لكن الى ما وعدتهم من النصر والظفر على عدوهم بعد اخذ الاهبة الا ترى انه
انه قال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاية و قال تعالى وليأخذوا اسلحتهم الاية والثاني يحتمل ان يأمرهم
بأخذ ما يدفعون فيه سلاح العدو وعن انفسهم ويتقون به من الترس والدرع او البنيان والله اعلم وقوله
عز وجل ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا اي اعد لهم من العذاب ما يهانون فيه نصروا او غلبوا اعد لكم
من الثواب ما تشرفون وتعزون به نصرتم او غلبتم فما لكم لا تقاتلون وقوله عز وجل فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قيل يحتمل وجهين يحتمل اذا قضيتم الصلوة اي اذا فرغتم منها فاذكروا الله على كل حال
تستعينون به بالنصر على عدوكم كقوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا امر بالثبات عند لقاء العدو و
وذكر الله استعانة منه على عدوهم فعلى ذلك ويحتمل ان يكون معناه اذا اردتم ان تقضوا الصلوة فاذكروا الله كثيرا
في اي حال كنتم في حال القيام والركوع والسجود كقوله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة معناه والله اعلم
اذا كنت فيهم فاردت ان تقيم لهم الصلوة فافعل كذا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل فاذا اطمأننتم
فاقيموا الصلوة هذا والله اعلم مقابل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم
الاية وقد ذكرنا ان القصر يحتمل وجوها يحتمل القصر للضرب في الارض وهو القصر في عدد الركعات ويحتمل القصر
للمرض والخوف فهو قصر الايماء فنحن نأخذ بذلك كله على اختلاف الاحوال فعلى ذلك قوله فاذا اطمأننتم يحتمل الوجوه
التي ذكرنا اي اذا اطمأننتم من تمام اصحاء فصلوا كذا صلوة الاصحاء ويحتمل فاذا اطمأننتم امنتم من الخوف فصلوا كذا
ويحتمل ايضا فاذا اطمأننتم اذا رجعتم واقمتم صلوا صلوة المقيمين اربعا فهذا والله اعلم على ما ذكرنا مقابل قوله واذا
ضربتم في الارض الاية وقوله عز وجل ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي لها وقت كوقت الحج وهو قول
ابن مسعود رضي الله عنه وقيل كتابا موقوتا محدودا فنحن نقول بهذا كله انها مفروضة موقتة محدودة على ما قيل
والله اعلم والاية ترد على من يقول بان على الكافر الصلوة لانه اخبر انها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وهم يقولون
على الكافرين والمؤمنين لكنها كتبت على المؤمنين فعلا وعلى الكافرين قبولا هذا والله اعلم معنى قوله ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا اي لم تزل هي كانت كتابا موقوتا على الامم السالفة لان هذه الامة خصت بها كقول ابراهيم
عليه الصلوة والسلام رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وقول عيسى عليه السلام واوصاني بالصلوة والزكوة وقول
موسى عليه السلام واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة ويحتمل قوله تعالى كانت اي صارت على المؤمنين كتابا موقوتا علـ

لم تكن وكل ذلك محتمل ولكن لا نشهد على الله انه اراد كذا وكذلك في قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة و قوله تعالى فاذا اطمأننتم نتأول فيه ونحمل فيه بالوجوه كلها على اختلاف الاحوال
التي ذكرنا فلا نقطع القول فيه ولا نشهد على الله انه اراد كذا وهكذا السبيل في جميع المجتهدات ان نعمل
بها ولا نشهد على الله انه اراد ذا وامر بذا و بالله التوفيق ذكر الله تعالى ما بين فرض الصلوة و وجوبها في غير
موضع من كتابه منها الاية التي ذكرناها و منها قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء
ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة و ذلك دين القيمة وقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم
في الدين ولم تدل هذه الايات على كيفية الصلوة وعددها انما دلت على وجوبها ولزوم فرضها و دلت ايات
اخر على عددها وجملة اوقاتها قال الله سبحانه وتعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان
قرآن الفجر كان مشهودا فهذه ثلاثة اوقات ذكر الله تعالى فيهن ثلاث صلوات وروى عن مجاهد عن ابن
عباس رضي الله عنه قال سألته عن قول الله سبحانه وتعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس عن بطن السماء الصلوة
الظهر الى غسق الليل قال بدء صلوة المغرب وعن ابن عمر رضي الله عنه قال لدلوك الشمس قال دلوكها زيغها
بعد نصف النهار و هو وقت الظهر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال دلوكها دوالها وقد روى عن ابن
مسعود وابن عباس قال دلوك الشمس غروبها فان قال قائل ان كان دلوك الشمس فقد اوجب فيه صلوة و
صلوة عند غسق الليل وصلوة عند الفجر فهذه ثلاث صلوات قال الله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا
من الليل فاحد طرفي النهار يجب فيه صلوة الفجر وقد ذكر في هذه الاية والطرف الاخر قبل غروب الشمس
فهذه رابعة وهي العصر وروى عن الحسن رضي الله عنه ان الصلوات الخمس مجموعة في هذه الاية اقم الصلوة
طرفي النهار قال صلوة الفجر والطرف الاخر الظهر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء فان قال قائل
كان فان صلوة العصر مذكورة في هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله عنه قال جمعت هذه الاية مواقيت
الصلوة فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر
وعن ابن عباس رضي الله عنه ايضا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قال الصلوة المكتوبة دلت
هذه الاية والله اعلم ان الله سبحانه وتعالى فرض على عباده في كل يوم وليلة خمس صلوات وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف فرضت الصلوة ومتى فرضت وروى عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول خمس صلوات كتبها الله تعالى على العباد فمن اتى بهن لم يضيع من حقهن شيئا استخفافا بحقهن
فان له عند الله عهدا ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله
الجنة وعن ابي سعيد الخدري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث بعث معاذا الى اليمن
قال انك تاتي قوما اهل الكتاب فادعهم الى الشهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فان طاعوك لذلك فاعلمهم
ان الله سبحانه وتعالى فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة وعلى ذلك اتفاق الامة الا اختلاف بينهم الا ان
قوما زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم اوجب بعد ذلك الوتر بقوله ان الله زادكم صلوة الا وهي الوتر وليس
في الكتاب ذكره ولا دليل وجوبه فتركنا الكلام فيها لكن ابا حنيفة رضي الله عنه سلك فيها مسلك المكتوبة
وقوله عز وجل ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
في الاية دلالة فرضية الجهاد لانه عز وجل اخبر انهم يألمون ويتوجعون بما يصيبهم من الجراحات كما تألمون
انتم وتتوجعون في الاية دلالة فرضية بها فلو كان نفلا لكان يرفع منهم الجهاد عند الالم والتوجع ما يرفع
سائر النوافل عند الالم والتوجع فدل انه فرض لكنه فرض كفاية و فرض الكفاية يسقط بقيام البعض عن الباقين
وقد ذكرنا فيما تقدم الوجه فيه وقوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم فمعناه والله اعلم اي لا عذر لكم
في ان لكم ان تهنوا في ابتغائهم فانهم يألمون كما تألمون ولا يضعفون في ذلك وترجون انتم العاقبة من الثواب
الجزيل ما لا يرجون ثم هم لا يضعفون فكيف تضعفون انتم في ذلك وكل من لا عاقبة له فهو عبث وليس لامرهم
عاقبة وهو عبث ولامركم عاقبة محمودة فانتم اولى في ذلك ودل قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم على تأكد فرضية
الجهاد اذ لم يأذن لهم في التخلف عن ذلك على ما فيه من التألم وخوف هلاك النفس في ذلك ثم بين ما يخف لتحمله
تحمل المكروه على الطبع له وقد تحتال له مباشرة الا تعالى النفس منه عوافب تنقطع وتزول فكيف فيما
لا انقطاع له من رجاء الثواب بذلك التألم والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله عليما حكيما اي عن علم بالتألم
امركم بذلك لا عن جهل وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق يتوجه
وجوها بحق الله عليكم انزل اليك الكتاب ويحتمل بحق بعض على بعض انزل اليك الكتاب لتحكم بين الناس ويحتمل
قوله بالحق اي بالمحنة يمتحنهم بها اذ في عقل كل احد ذلك واهمال كل ذي لب لا يؤمر ولا ينهى خروج عن الحكمة
وان يقال بالحق وبالعواقب لتكون لهم العاقبة وقوله تعالى بالحق اي بالحق الذي لله والبعض على بعض او لامر
كانت وهو البعث ليعمل ويتزود بالذي يحمل عليه فاعله اذا الحق صفة لكل ما يحمد عليه فاعله والباطل
لما يذم وقد يحتمل بالعدل والصدق على الامر من التغيير والتبديل والله الموفق وقوله عز وجل لتحكم
بين الناس بما اراك الله قيل ان في الاية دلالة جواز الاجتهاد لانه قال لتحكم بين الناس بما اراك الله دل قوله

ولكن نقول له لتحكم بين الناس بالكتاب دل انه يحكم بما يريد به الله بالتدبر فيه والتامل لكن اجتهاده كالنص كانه لا
يخطئه لانه اخبر انه يريه ذلك فلا يحتمل ان يريه غير الصواب واما غيره من المجتهدين فيجوز ان يكون صوابا
ويجوز ان يكون خطاء لانه لا ينكر ان يكون الشيطان هو الذي اراه ذلك فيكون خطأ فلا يجوز ان يشهد عليه
بالصواب ما لم يظهر واما اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فهو كله يكون صوابا لان الله سبحانه وتعالى هو الذي
اراه ذلك فيشهد انه صواب وقوله عز وجل ولا تكن للخائنين خصيما قال اكثر اهل التفسير انه هم ان يقوى
سارقا يقال له طعمه ويصدقه في قوله فنزل قوله تعالى ولا تكن للخائنين خصيما فلو لم يقولوا ذلك كان
اوفق واحسن فان كان ما قالوا فذلك لما يظهر منه الخيانة عنده اذ ذكر في القصة انه وجد السرقة
في دار غيره فلئن كان ذلك انما كان لما ذكرنا واما النهي عن ان يكون للخائنين خصيما نهي وان كان يعلم انه لا يكون
لما عصمه الله كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وان كان عصمه من ان يكون منهم والعصمة
انما تنفع اذا كان ثمه امر ونهي فاما اذا لم يكن ثمه امر ولا نهي فلا معنى للعصمة والتوفيق وقوله عز وجل واستغفر
الله ان الله كان غفورا رحيما وقوله تعالى واستغفر الله ليس هو قول الناس نستغفر الله ولكن كانه قال كونوا
على الحال التي تكون اعمالكم مكفرة للذنوب الا ترى الى قول هود لقومه وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه الاية
وقال نوح عليه السلام لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية فلم يريدوا ان يقولوا نستغفر الله لكان
لا ينفعهم ذلك فعلى ذلك قوله واستغفر الله كان غفورا رحيما وحقيقة الاستغفار وجهان احدهما
الانتهاء عما اوجب العقوبة لقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك معنى قولنا ذكرنا والثاني طلب الستر بالعفو
والتجاوز وقوله عز وجل ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم الاية هو ما ذكرنا ان العصمة لا تنفع اذ لم يكن
امر ونهي وقوله عز وجل يختانون انفسهم لا احد يقصد خيانة نفسه ولكن لما رجع في العاقبة حاصل الخداع اليهم
صاروا كانهم خدعوا انفسهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو
معهم يحتمل وجهين يحتمل يستخفون من الناس اي يحتشمون من الناس ان يعلموا بصنيعهم ولا يحتشمون من الله
على علم منهم انه لا يخفى عليه شيء ويحتمل يستخفون من الناس او يستترون سترهم من الناس وكذلك روي في حرف
حفصة ولا يستترون من الله ولكن الله يطلع الناس على ما يسترون وهو معهم اي لا يخفى عليه شيء وقوله
يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم على وجهين احدهما على نفي القدرة واثباتها ان لهم
ذلك في الاخفاء من الناس وليس لهم في الاخفاء من الله والثاني على قلة المبالاة بعلم باطلاع الله عليهم وتركهم
مراقبة الله في الامر واجتهادهم في ذلك عن الخلق والله اعلم وقوله عز وجل اذ يبيتون ما لا يرضى من القول
عن ابن عباس قال اذ يبيتون ما لا يرضى من القول من العمل والفرية من اليهودي بالسرقة وقيل يبيتون اي يؤلفون القول
فيما بينهم فيقولون ناتي به النبي فيقول له كذا وكذا ليدفعوا عن صاحبهم الخيانة والتهمة وهو طعمة على ما قيل في
القصة انه سرق درع رجل في دار يهودي وقيل انه خباها في دار يهودي فلما طلب منه حلف بالله انه ما سرق
وقيل التبييت هو التقدير بالليل قد ذكرنا في قوله بيت طائفة منهم الاية وقوله عز وجل وكان الله بما يعملون
محيطا هو على الوعيد اي عن علم منه يفعلون هذا لا عن غفلة كقوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
لكنه يؤخره الى يوم على علم منه ذلك وعلى الاعلام ان الله لم يزل عالما بما يكون وعلى ذلك امتحنهم وبالله التوفيق
وقوله عز وجل ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا قيل يعني اصحاب طعمة اي لو خاصمتم
عنهم يا هؤلاء في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة لا احد يخاصم عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا يخاصم
عنه يوم القيمة وقيل كفيلا اي في الدفع عنهم كقوله تعالى الذين يجادلون في ايات الله اي في دفعها واراد ذات
ليدحضوا بالباطل وقيل رقيبا وقيل كفيلا والوكيل هو القائم بحفظ الامور والمقاضي للحوائج والمزيح للعلل وقوله
ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه هما سواء اي من عمل سوء فقد ظلم نفسه ومن ظلم نفسه فقد عمل سوء ويحتمل ما قال ابن
عباس رضي الله عنه من يعمل سوءا الى الناس او يظلم نفسه فيما بينه وبين الله ثم روي عن عبد الله ابن مسعود رضي
الله عنه قال ارجى الاية في القران هذه قوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية وروي عنه ايضا اربع ايات
من كتاب الله تعالى احب الي من حمر النعم وسودها قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الى
اخره وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاءوك فاستغفروا الله الاية وقوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه الاية وعن علقمة والاسود قالا قال عبد الله
ان في كتاب الله لايتين ما اصاب عبد ذنبا فقراها ثم استغفر الله الا غفر له والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
الى اخر الاية وقوله ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله وقوله تعالى ايضا ومن يكسب خطيئة او اثما يحتمل كل واحد
منها الاخر كرر على التاكيد فيما جرى له الذكر ويحتمل التفريق ان يكون سوءا الى الناس وخطيئة اليهم او يظلم نفسه
بما ياثم بينه وبين الله وقوله عز وجل ومن يكسب خطيئة واثما فانما يكسبه على نفسه لان حاصله يرجع اليه فكانه
كسب على نفسه وقوله ومن يكسب خطيئة او اثما يحتمل ان يكون قوله ومن يكسب خطيئة او اثما واحد الخطيئة هي
الاثم والاثم هو الخطيئة وقيل من يكسب خطيئة سرقة الدرع او اثما يقول بيمينه الكاذبة انه لم يسرقها وانما
سرقها فلان اليهودي وقوله عز وجل ثم يرم بريئا قيل لما طلب في داره رماها في دار اليهودي ثم حلف باطلا وزورا

انه لم يسرقها وقوله عز وجل فقد احتمل بهتانا واثما مبينا يقول كذبا على اخر بما لم يفعل والبهتان هو ان يبهت
الرجل الرجل كذبا بما لم يفعل واثما مبينا بيمينه الكاذبة والله اعلم وقوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم ان يضلوك قال اكثر اهل التاويل نزلت هذه الاية في شان طعمة الذي سرق درع جار له بالذي سبق
ذكره قالوا لولا فضل الله عليك ورحمته لهم قوم طعمة ان يضلوك وليس هو الاضلال في الدين ولكن ان
كان ما قالوا فهو يخطئك الحكم ويحتمل قوله ان يضلوك اي يجهلوك في حكم السرقة ويجوز ان يكون جاهلا في سرقته
لما لم يدر انه سرق وكان يصدقهم في الحكم انه لم يسرق لانه انما كان يعلم الاشياء بالوحي ثم اعلم انه قد سرق
ويحتمل ان يكون الاية في الكفار كلهم لان الكفرة والمنافقين لم يزالوا كانوا يريدون ان يضلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن الهدى ويصرفوا عنه كقوله تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وكقوله
تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا ثم يحتمل قوله تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته
حيث عصمكم بالنبوة والا لاضلوك عن سبيل الله الهدى وهو كقوله عز وجل ولولا ان ثبتناك اي بالعصمة لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا والثاني ولولا فضل الله عليك ورحمته حيث اعلمك بالحكم في ذلك وبصرك به بالوحي
وصرفك عن تصديق ذلك الخائن اذ ثبت ما قالوا والا لهموا ان يخطئوك ويجهلوك فيه ثم في الاية نقض قول المعتزلة
لانه من على رسوله صلى الله عليه وسلم انه عصمه وهم يقولون كان عليه ان يعصمه وهو كان يستحق ذلك قبله
فلو كان عليه ذلك لم يكن للامتنان عليه بذلك معنى اذ فعل ما كان عليه ان يفعل على زعمهم ومن فعل فعلا عليه
ذلك لم يفعل انه مفضل دل انه ليس كما قالوا وبالله التوفيق والعصمة ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت
طائفة منهم ان يضلوك يخرج على وجهين احدهما يكفهم عما هموا والثاني يعصمه عما راموا فيه ان يظفروا منه
بعد ان اظهروا ما طلبوا وقوله تعالى يضلوك الحكم بالتلبيس وانواع التمويه يرجع ذلك الى نازله والثاني ان يكون
بالاضلال عن السبيل واطمع في الصرف عن الطوح وهذا هو الذي لم يزل اعداء الله يقصدون برسول الله و
بجميع اهل الخير فكفهم بوجهين يتوجه كل وجه الى وجهين احدهما ظواهر الاسباب من الوحي والايات
وكذا في كفهم مرة بالقتال والاسباب الظاهرة ومرة باللطف والعصمة وسمى ذلك فضلا ورحمة ليعرف
ان ذلك فضله لا حقا قبله اذ ليس بدل الحقوق بعد في الفضايل وقوله عز وجل وما يضلون الا انفسهم
لا احدا يقصد قصدا اضلال نفسه لكن لما رجع حاصل ذلك الاضلال الى انفسهم كانوا اضلوا انفسهم
وقوله عز وجل وما يضرونك من شيء امن رسوله عن ضرر اولئك كقوله تعالى والله يعصمك من الناس
عز وجل وانزل الله عليك الكتاب والحكمة قد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم من الحلال
والحرام والاحكام كلها وغير ذلك كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فهو كذلك كان وقوله
عز وجل وكان فضل الله عليك عظيما فيما علمك من الاحكام وعصمك بالنبوة والرسالة وصرف عنك
ضرر الاعداء والله اعلم وقوله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم اختلف في النجوى قيل النجوى القوم كقوله
واذ هم نجوى اي رجال وقيل النجوى هو الاسرار كقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الاية ثم استثنى الا من امر
بصدقة ومعروف الاية فان كان التاويل من النجوى هو فعل النجوى خاصة فكانه قال لا خير في كثير من
نجواهم الا الامر بالصدقة والامر بالمعروف والاصلاح بين الناس وان كان هذا اقرب ومعنى الثنا الكثير
فيما يرجع الى القوم فكان قال لا خير في كثير منهم الا من يرجع امره الى ما ذكر فيصير الى خير وقد يحتمل ان قوما
منهم يرجع نجواهم الى خير وهم اقلهم ومن الفعل على ان الفعل ربما يكون فعل خير وان كانوا اهل النفاق
والكفر لكن بين انه غير مقبول الا ان يبتغي به مرضاة الله وذلك لا يكون الا ان يؤمنوا والله اعلم وقوله عز وجل
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قيل لما تبين خيانته لرسول الله صلى
الله عليه وسلم استحيى ان يقيم بالمدينة فارتد ولحق بمكة كافرا فنزل قوله تعالى ومن يشاقق الرسول يقول يخالف
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وعن ابن عباس رضي الله عنه من بعد ما تبين له
الهدى يقول من بعد ما كان كافرا تبين له الاسلام وقال لما ابان امر طعمة وعلم انه سرق الدرع انزل الله تعالى
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما قيل له يا طعمة ان رسول الله قاطعك فخرج هاربا الى مكة وقوله عز وجل
ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني غير دين المؤمنين وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ويسلك غير سبيل المؤمنين
وقوله عز وجل قوله نوله ما تولى اي نتركه وما تولى من ولاية الشيطان وقيل ندعه وما اختار من الدين غير دين المؤمنين
ونصله جهنم اي فندخله جهنم في الاخرة وقيل قوله ما تولى اي نوله الاخرة ما تولى في الدنيا وساءت مصيرا يقول
بئس المصير صار اليه وقوله تعالى نوله ما تولى انه تولى الشيطان فجعله الله وليا كقوله تعالى ومن يتخذ الشيطان
وليا وغير ذلك ويكون يتخذ له فيما اختاره ويكون نجزه جزاء توليه ويكون الخلق توليه منه جورا باطلا مهلكا
والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الاية في الاية دليل ان لا يصير
بكل ذنب مشركا على ما قاله الخوارج لما قسم الكتاب ولا يحتمل اضمار التوبة لان الشرك قد يغفر بالتوبة فيبطل
قولهم وفيه بطلان قول من يبطل المغفرة في الكبائر بلا توبة لان الله جعل لنفسه مشية المغفرة وذلك
فيما في الحكمة وقع سفه فلزم الذي ذكرنا الفريقين جميعا ثم الذي ينقض قول الخوارج الذين يكفرون بارتكاب

الصغاير مما يلي بها الانبياء والاولياء وما يكفرها حتى يسقط النبوة والولاية ومن كان وصف ايمانه بالانبياء
عليهم السلام هذا فهو على كافرهم وعلى المعتزلة في ذلك ان الله وصف الانبياء عليهم السلام بالدعاء له تضرعا وخيفة
وخوفا وطمعا وبكاء بهم على ما كان منهم من الزلات وتضرعهم اليه حتى اجيبوا في دعائهم ولو لم يكن ذنوبهم
بحيث يحتمل التعذيب عليها في الحكمة لكان في ذلك تعدي الحد والوصف بالجور والتعوذ به وذلك اعظم
من الزلات فهذا ينقض قول المعتزلة في اثبات المغفرة في الصغاير واخراج فعل التعذيب عن الحكمة وقول
الخوارج بازالة اسم الايمان بها ولا عصمة الا بالله ثم قوله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
يحتمل الشرك في الاعتقاد وهو ان يشرك غيره في ربوبيته والوهيته والثاني ان يشرك غيره في عبادته
وذلك كله شرك بالله تعالى اذ لا فرق بين ان يشرك غيره في ربوبيته والوهيته وبين ان يشرك غيره في عبادته
الا ترى انه قال عز وجل انما الهكم اله واحد ثم قال الله تعالى في اخره ولا يشرك بعبادة ربه احدا جعل الاشراك
في الالوهية والربوبية والاشراك في العبادة واحدا كله شرك بالله وبالله التوفيق ثم قوله ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء لا يحتمل ما قالت المعتزلة انه وعد المغفرة فيما يشاء ثم بين ذلك في الصغاير بقوله تعالى ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقد ثبت الوعيد في الكبائر بنفي الوعد بحقه لم يزل بالذي ذكر لا محالة
وقيل قوله لمن يشاء كناية عن الانفس المغفورات لا عن الاثام والاجرام التي تغفر لم يجز صرف التخصيص الى الاثام
المكني بها عن الانفس لانه لم يقل ما شاء ولكن قال عز وجل لمن يشاء فذلك كناية عن الانفس في ايات الوعيد تحقيق
في الذين جاءتهم وفيما جاء على ما قيل لا صرف في ذلك فهو اولى وبعد فانه قال لمن يشاء والصغاير عندهم مغفورة
بالحكمة لا بالوعد والابتداء في التعريف والله اعلم وقوله عز وجل ان تدعون من دونه الا اناثا عن الحسن قال الاناث
الاموات لا روح لها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه وقيل قوله تعالى الا اناثا الملائكة لانهم يقولون
الملائكة بنات الله في السماء فعبدوها فانهم انما عبدوا الاناث عندهم وفي زعمهم وقيل اناثا من الوثن وكذلك
روي في حرف عائشة رضي الله عنها انها كانت تقرأ ان تدعون من دونه الا اوثانا وهو الصنم سمي اناثا لما
صوروها بصور الاناث وحلوها وقلدوها وزينوها بزيهم ثم يعبدونها على كان في الاصل فسمي بذلك
وقيل سمي اناثا لانهم كانوا يسمون ما يعبدون من الاصنام والاوثان اللات والعزى ومناة فاسماؤهن
اسماء الاناث والله اعلم وقوله عز وجل وان يدعون الا شيطانا مريدا اخبر الله عز وجل وان كانوا يتبرءون
من الشيطان ويانفونه فانهم بعبادتهم الاصنام والاوثان يعبدون الشيطان لان الشيطان هو الذي
يدعوهم الى عبادتهم الاصنام فكانهم عبدوه الا ترى ان ابراهيم صلوات الله عليه وسلم وسلامه قال يا ابت
لا تعبد الشيطان جعل عبادة الصنم عبادة الشيطان حيث قال له لا تعبد الشيطان فدل ان عبادتهم
الاوثان عبادة الشيطان وبالله العصمة وقوله عز وجل مريدا قال ابن عباس رضي الله عنه المريد هو العاتي
وقوله عز وجل لعنه الله اللعنة هو الابعاد من رحمة الله فسمي ملعونا لانه مبعد من رحمة الله مطرد منها
وقوله عز وجل وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا انه لعنه الله وان قطع القول فيه لاتخذن من كذا
قطعا فهو ظن في الحقيقة الا ترى انه قال في اية اخرى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه دل ان ما قاله ظنا لكنه خرج
مقطوعا محققا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل نصيبا مفروضا او مبينا معلوما والنصيب المفروض هو ما ذكر
ولاضلنهم الى اخر ما ذكر مفروضا اي مبينا من يطيعه ومن لا يطيعه وقوله عز وجل ولاضلنهم ولامنينهم الاية
قيل هذا اخبار عن الله تعالى عباده عن صنيع اللعين ليكونوا على حذر منه ثم قوله لاضلنهم ليس على حقيقة الاضلال
و[illegible] عليهم طريقه ويلبس عليهم طريق الهدى فذلك معنى اضافة الاضلال اليه والا لم يملك اضلال احد
في الحقيقة كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم الاية ثم اذا ضلوا بدعائه الى ذلك وتزيينه
عليهم سبيله يمنيهم عند ذلك حتى يتمنوا اشياء كقولهم وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه الاية وكقوله تعالى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم ونحو ذلك من الاماني وذلك
مما يمنيهم الشيطان لعنة الله عليه وعن ابن عباس رضي الله ولاضلنهم يعني عن الدين ولامنينهم ان يصيبوا
خيرا لا محالة ليأمنوا وفي حرف مسعود رضي الله عنه ولاعدنهم ولامنينهم ولاحرم عليهم الانعام ولامرنهم
فليبدلن خلقك ولامرنهم فليبتكن وقوله فليبتكن اذان الانعام فجعلوها للاوثان والاصنام التي كانوا
يعبدونها وقوله عز وجل ولامرنهم فليغيرن خلق الله يحتمل هذا وجهين سوى ما قال اهل التاويل احدهما
ان الله تعالى خلق هذا الخلق ليأمرهم بالتوحيد وليجعلوا عبادتهم له لا يعبدون دون الله غيره كقوله تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم الاية فهو دعاؤهم ان يجعلوا عبادتهم لغير الله وهو
ما قيل في قوله عز وجل فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم قيل الدين لله فعلى
ذلك يحتمل قوله فليغيرن خلق الله اي من الذي كان خلقه امرهم لذلك والله اعلم والثاني ان الله عز وجل خلق
الانعام والبهائم لمنافعهم وسخرها لهم فهم حرموها على انفسهم وجعلوها للاوثان والاصنام كالبحيرة
والسائبة والوصيلة والحام منعوا منافعها التي خلقها لهم عن انفسهم وذلك تغيير ما خلق الله لهم والله
اعلم واما اهل التاويل فانهم قالوا غير الذي ذكرنا قال بعضهم قوله فليغيرن خلق الله الاخصاء وهو قول ابن

لمن يشاء ولمن يشاء يعني الذي شاء مغفرته صح

رضي الله عنه وقال اخرون هو دين الله روي عن ابن عباس رضي الله عنه ايضا دين وقيل هو ما جاء من النهي عن
الواشرة والنامصة والمتفلجة والواصلة والواشمة ولا يحتمل ان يكون خطر بباله يومئذ انه اراد تغيير خلق الله
ما قالوا من الاخصاء او المثلة والواشرة والنامصة كانه انما قال ذلك يوم طلب من ربه النظرة الى يوم
البعث والا يحتمل له علم ان لا يحل هذا والنهي عن مثله اذ قد يجوز ان ترد الشريعة في مثله لذلك بعد هذا
والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله اي يطيعه ويجيبه الى ما دعاه ويعبده دون
الله فقد خسر خسرانا مبينا في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فذهاب المنافع عنهم التي جعلوها للاصنام والاوثان
وفي الاخرة العقوبة وقوله عز وجل يعدهم اما فقرا واما سعة ويمنيهم هو ما ذكرنا من الاماني وقضاء الشهوات
في الدنيا وما يعدهم الشيطان الا غرورا والغرور هو ان يرى شيئا يظهر خلافه اولئك ماواهم جهنم ولا يجدون
عنها محيصا الاية ظاهرة قيل مفرا وقيل ملجأ وقوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد ذكرنا هذا فيما تقدم ان الايمان هو التصديق والاعمال الصالحات غير
التصديق وقوله عز وجل وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا قيل هذا والله اعلم ان يقال لكم ممن يقبلون
الاخبار والقول من الناس ثم لا احد اصدق قولا من الله تعالى ولا انجز وعدا منه كيف لا تقبلون قوله وخبره
انه بعث وجنته وناره ويكذبون قول ابليس ان لا جنة ولا نار ولا بعث وقوله عز وجل ليس باماينكم ولا اماني
اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به اخبر عز وجل ان الامر ليس بالاماني ولكن الى الله عز وجل فهو والله اعلم يحتمل ان
يكون في المنزلة والقدر عند الله لانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
وغير ذلك من الاماني واهل التاويل يذهبون الى غير هذا وقالوا ان كل فريق منهم كانوا يقولون ان ديننا خير
من دينكم ونحن افضل من هؤلاء فنزل ليس باماينكم ولا اماني اهل الكتاب ذلك بعيد وقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
اختلف فيه قال بعضهم قوله تعالى من يعمل سوءا يعني شركا يجز به يدل على ذلك قوله عز وجل ولا يجد له من دون الله
وليا ولا نصيرا وذلك وصف الكافر ان لا يكون له ولي يتولى حفظه ولا نصير ينصره الا ترى انه قال ومن يعمل
من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ذكر الذين يعملون الصالحات وهم مؤمنون
ان يدخلوا الجنة فهذا ايضا يدل ان قوله عز وجل من يعمل سوءا يجز به اراد به الشرك وقال اخرون قوله عز وجل
من يعمل سوءا يجز به اي كل سوء يدخل فيه المسلم والكافر الا ترى انه روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت
هذه الاية قال يا رسول الله كيف الفلاح بعد هذا وكل شيء عملنا جزيناه قال غفر الله لك يا ابا بكر الست تحزن الست
تنصب الست تمرض الست يصيبك الاذى فهذا ما يجزون به يجزى بها المؤمن في الدنيا والكافر في الاخرة فان كان التاويل
هذا فقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا هو في الكافر اي لا يجد له وليا ولا نصيرا اذا لم يرجع عن كفره ومات
عليه واما اذا رجع عن ذلك وتاب ومات على الايمان فانه يجد له وليا ولا نصيرا ينصره الله تعالى وبالله التوفيق وقوله
عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن في الاية دليل ان الاعمال الصالحات غير الايمان لانه
قال ومن يعمل الايمان وهو مؤمن فدل بما ذكرنا انها غير الايمان وفيه دلالة ايضا ان الاعمال الصالحة انما تنفع اذا
كان ثمه ايمان لانه شرط فيه الايمان بقوله تعالى وهو مؤمن دل ان الاعمال الصالحة لا تنفع اذا لم يكن ثمه ايمان ولا قوة
الا بالله وقوله عز وجل ولا يظلمون نقيرا قد ذكرناه وقوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن
الاية يحتمل وجهين يحتمل من احسن دينا المسلمين ممن يعمل جميع عمله موافقا لدينه ممن يعمل بل الذي عمل بجميع عمله موافقا
لدينه احسن دينا من الذي لم يعمل شيئا وهو كما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو وزن
ايمان ابي بكر الصديق رضي الله عنه بايمان جميع امتي لرجح ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوي في دينه
ضعيف في بدنه الا ترى انه خرج لمقاتلة اهل الردة وحده وذلك لقوته في الدين وصلابته فيه لا لزيادة الايمان
ولا لنقصان ايمان في غيره والله اعلم والثاني مقابلة سائر الاديان اي ومن احسن دينا عن اسلم وجهه لله من لم
يسلم وجهه لله الى اخره ما ذكروا والله اعلم ثم قوله تعالى اسلم وجهه لله من الحسن جميع جهة امره الى الله جميع ما يعمل انما يعمل
لله لا يعمل لغير الله وقيل اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه لله ولا يجعل لاحد فيها شركا كقوله تعالى ورجلا سلما لرجل
الاية اي يسلم نفسه له والله اعلم وقوله عز وجل وهو محسن يحسن ما يعمل ان جميع ما يعمل لعلمه فيه ويعمل قوله وهو
محسن من الاحسان وهو ان يزيد العمل على المفروض عليه يؤدي المفروض عليه ويزيد على ذلك ايضا وقوله
عز وجل واتبع ملة ابراهيم حنيفا الملة قيل هي الدين وقيل الملة السنة اقرب لان دين الانبياء عليهم الصلوة والسلام
كلهم واحد لا يختلف دين ابراهيم عليه الصلوة والسلام ودين غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام واما
السنن والشرايع فيجوز ان يختلف الا ترى انه روي في الخبر ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعضها سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل السنة تفسير الملة فالملة بالسنة ثم خص ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم لان سنة
كانت توافق سنن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل حنيفا قيل مخلصا وقيل سمي حنيفا اي مائلا الى الحق
ولذلك سمي الاحنف احنفا لميل احد قدميه الى الاخرى والله اعلم وقوله عز وجل واتخذ الله ابراهيم خليلا ذكر
في بعض الاخبار ان الله عز وجل اوحى الى ابراهيم اني متخذ خليلا في الارض فقال يا رب من هو قال فاوحى الله تعالى
اليه لم لا تسألني عنه قال من احبه واتخذه كما اتخذته خليلا او كلام نحو هذا فقال انت يا ابراهيم واصل الخلة المنز

وفي الحديث الشريف لعن الله المتفلجات للحسن اللواتي
يفلجن ثغورهن للتفلج بالحسن تغيير خلق الله
النامصة والمتنمصة والواشرة
والموتشرة والواصلة والمستوصلة
والواشمة والمستوشمة
النمص نتف الشعر
والوشر تحديد
الاسنان
والواصل
ان يصل

القراميل ما تشده المرأة في شعرها م

والرفعة والكرامة بقول واتخذ الله ابراهيم خليلا اى جعل له عنده منزلة وكرامة لم يجعل مثله لاحد من الخلائق
لما ابتلاه الله ببلايا وامتحنه بمحن لم يبتل احد بمثله فصبر عليها من ذلك ما القى في النار فصبر ولم يستغث باحد سواه وما
ابتلى بذبح ولده فاضجعه وما امر ان يترك اهله وولده الطفل في جبال مكة لا ماء هنالك ولا زرع ولا نبات ففعل
ومن ذلك امر المهاجرة مما يكثر ذلك فجاز تخصيصه بالخلة لذلك والله اعلم وجايز ان يكون ذلك كرامة اكرمه الله
بها لان اهل الاديان كلهم ينتسبون اليه ويدعون انهم على دينه وعلى ذلك يخرج قوله اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد كما صليت على ابراهيم قيل خص هو بهذين الوجهين اللذين ذكرتهما في الخلة وقيل انه اتخذه خليلا لانه كان يعطي
ولا يأخذ وكان يحب الضيف وكان لا يأكل وحده وان بقي طويلا والله اعلم بذلك واصل الخلة ما ذكرنا من الكرامة
والمنزلة لان من يحب اخيره ويكرمه ومن لا يحبه يعاديه ويظهر له الجفا ولا قوة الا بالله واختلف في المعنى الذي
وصف ابراهيم عليه الصلوة والسلام بالخلة انه خليل الله فقد قيل بما سخت نفسه في بذل كل لذة من لذات
الدنيا لله وله يتوانى مكان اتيان الاضياف وابناء السبيل وكان لا يأكل وحده وكانت عادته التقديم بكل ما يتهيأ
له عند نزول الاضياف عليه والابتداء بذلك قبل كلامهم والقيام للاضياف مع عظم منزلته ايد ذلك امر الملائكة
الذي جاءوه بالبشارة والله اعلم وقيل انما امتحنه الله بامور فصبر عليها نحو النار التي القي فيها لله وذبح الولد والهجرة
مرتين وبذل الاهل والولد لله حيث لا ضرع ولا زرع ولا ماء وغير ذلك مما اكرمه الله تعالى بالثناء عليه بوفاء
ما امتحن اتمام ما ابتلي من قوله وابراهيم الذي وفى وفي قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن وحاج فرعونه
وجميع قومه ويجادلهم فيمن يعبدونهم فغلبهم والزمهم حجة الله وغير ذلك من وجوه المحن وقيل بما به كان
بناء البيت الذي جعله الله قياما للناس ومأمنا للخلق ومثابا لهم ومنسكا فعظم شأنه فيما بالخلق اليه حاجة
في امر الدين وعلى ذلك اكرمه الله تعالى بميل القلوب اليه واظهار التدين بدينه من جميع اصناف اهل الاديان
والله اعلم وقيل انما هو خصايص في اهل الخيرة من الرسل واولو العزم منهم اختصهم باسماء عرفن في الفضائل والكرامات
نحو القول بكليم الله وروح الله وذبيح الله وحبيب الله فعلى ذلك كان لابراهيم عليه الصلوة والسلام خصوصية
في الاسم فسماه الله خليلا فنحن نقول وبالله التوفيق ونحن نعلم بان الله تعالى لا يسميه بالذي ذكرنا عبثا باطلا ولكن
سماه به تعظيما لقدره واظهارا لكرامته وبيانا للمنزلة عنده لما شاء من الوجوه التي لعلها لم يطلع عليها من الخلق
ولا يحتمل ان يدرك ذلك الا بالوحي فحق ذلك علينا تعظيمه ومعرفته بالذي اختصه الله واصطفاه دون تكلف المعنى
الذي له كان ذلك مع ما لا وجه ولا معنى يصار حقيق ذلك واكرم الا بمعنى اكرمه الله واكرمه بفضل الله ورحمته
لله ان يبتديه بالخلة ثم يكرمه بانواع الكرامات التي هي اثار الخلة وان يكرمه بانواع الكرامات التي لها يقع كرامة
الخلة ويصلح والله المن في ذلك والفضل وعلينا الحمد لله والشكر بما اكرمنا من معرفة كرام خلقه وجعل في قلوبنا مودتهم
حتى صاروا بفضل الله ورحمته احب الينا من اشد الخلق حبا بل من انفسنا ولا قوة الا بالله ثم ليس للنصارى ادعاء
النبوة لله من حيث الكرامة على الاعتبار بالخلة لان الله سبحانه وتعالى عظم امر الاولاد حتى جعله كالشرك ولا كذلك
امر الخلة ولان امر الاولاد حقه المجانسة والخلة حقه الموافقة ثم الشكل لا دالشهوة والحاجة والخلة الطاعة والتعظيم
يخارج احد الوجهين الى شهوة الولد وحاجته والاخر الى تعظيم يكون من ذلك العبد وتجليله والطاعة له والخضوع ثم
الاصل ان المعنى الذي تقتضيه الخلة قد يجوز ان يطلق كل بالطاعة وان كان الاسم له في حق الانبياء نحو قوله تعالى ان
الله يحب التوابين الاية وقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله والمحبة قريبة من الخلة ومحال ان يلحق الاولاد والنبوة بشيء من الطاعة
لان الله اختلف الامران والله اعلم وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض الاية تأويل هذه الاية والله اعلم انه وان
اكرمهم واعظم منزلتهم عنده واعلاها فانهم لم يأنفوا عن عبادته ولم يخرجوا انفسهم من ان يكونوا عبيدا بل كانوا
اذ وادلهم عند الله منزلة وقدرا كانوا اخضع له واطوع كقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون وفي موضع اخر لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون الاية وقوله عز وجل وكان الله بكل شيء محيطا
اى احاط بكل شيء علمه وهو يخرج على الوعيد اى من جهل بصنيعهم كملوك الارض وبالله التوفيق وقوله عز وجل ايضا
وكان الله بكل شيء محيطا وبصيرا وعليما ونحو ذلك يخرج على التوعيد والتخويف ليكونوا مراقبين له حذرين كمن يعلم في
الامور ان عليه رقيبا والله اعلم ويخرج على البناء انه امر من يكتب الاعمال لا للخفاء عليه لكن بما ان لا يمتحق لحاجة
به ولكن لمصلحة لعباده فيمتحن بما شاء فامتحن اولئك الكتبة بما يكون متقنين فاظرين لا يغفلون عن ذلك طاعة منهم
لله والثاني ان يكون العلم بمن يكتب عليه كل امر فيما جبل عليه البشر اذكر له واشد في التنبيه فجرى حكم الله في ذلك
اذ امر المحنة موضوع على المصلحة وذلك ابلغ في الرجوع والله اعلم ويخرج على ان الله تعالى بذلك محيطا ليعلموا انهم لا يتركون
سدى بل يحصي عليهم للجزاء والله اعلم وجملة ذلك ان الله تعالى قال كان كذا العلم انه لا عن جهل خلق الخلق وبعث الرسل
وانشأ الايات مما عليه امر الخلق انهم كيف يعملون مؤذكرت وذلك خارج على حق الحكمة وان كان لا يعرفون
في بعث الرسل عليهم الصلوة الى من يكذبهم ولا تفويت الاعداء على ما به قهر الاولياء ولا الامر والنهي لمن يعلم
انه لا يأتمر ولا ينتهي كبير حكمة ربما كان ذلك من الله فهو خارج على حد الحكمة او ذلك كله من الخلق يقع لحاجة او
لمنفعة ترجع اليهم فاذا ناقض خرج الفعل من الحكمة فاما الله سبحانه وتعالى يمتحن عباده ويبعث الرسل عليهم السلام
لا لحاجة بالمبعوثين اليهم وبالممتحنين ولمنافع ترجع اليهم فيكون ذلك منه كهدايا فمن لا يقبلها فنفسه تضر وحقها يبخس

لا ان يرجع اليه ذلك فزال ذلك المعنى الذي له خرج الفعل من الخلق عن حد الحكمة فلزم القول بموافقة الحكمة والمصلحة
ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الاية ذكر الاستفتاء في النساء وليس
فيه بيان عما وقع به السؤال اذ قد يجوز ان يكون في الجواب بيان المراد في السؤال وان لم يكن في السؤال بيان
نحو قوله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض على ان السؤال عن المحيض انما كان في الاعتزال
وان لم يكن في السؤال بيان المراد وكذلك قوله تعالى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم على ان
السؤال انما كان عن مخالطة اليتامى وقوله ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير على ان السؤال عن الخمر و
الميسر ما ذكر في الجواب من الاثم وان لم يكن في السؤال بيان ذلك ثم قوله تعالى يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم
فيهن ليس في السؤال ولا في الجواب بيان ما وقع به السؤال في امورهن جميعا في الميراث وغير ذلك من الحقوق
ثم ذكر واحدا كقوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك وكقوله وللنساء نصيب
مما اكتسبن وللرجال نصيب الاية هذا في الميراث واما في الحقوق فقال الله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن
بالمعروف ويحتمل غيرها من الحقوق سوى حقوق النكاح فترك البيان في الجواب لما ذكر واحدا فواحدا في غيرها
من الاى اذ الجواب يخرج العدة انه يفعل بقوله عز وجل يفتيكم وقد فعل هذا والله اعلم ويحتمل غير هذا وهو ان
يترك البيان في السؤال والجواب لنوازل يعرفها اهلها لم يحتج الى البيان وما وقع به السؤال لمعرفة اهلها به ويحتمل ما قاله
اهل التأويل وهو انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد وانما كانوا يورثون المقاتلة من الرجال والذين
يحرزون الغنائم فلما بين الله عز وجل للنساء نصيب في الاموال وفرض لهن سهما سألوا عند ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فانزل الله يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه وذكر القصة
هكذا والله ويحتمل ان يكون السؤال وقع عن يتامى النساء الا ترى انه قال عز وجل وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى
النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن الاية قيل كانت اليتيمة في حجر الرجل ذات مال يرغب
عن ان يتزوجها لدمامتها ويمنعها عن الازواج رغبة في مالها وهكذا روي عن عائشة رضي الله عنها وعلى ذلك
يخرج قوله وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية وقوله والمستضعفين من الولدان
هذا والله اعلم كانه معطوف على قوله يستفتونك والمستضعفين من الولدان على ما ذكرنا من الميراث والحقوق
وان تقوموا لليتامى بالقسط في ابقاء حقوقهم واداء ما لهم عليك وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما فيجزيكم
به من يفعل الخير ومن لا يفعل الخير والله اعلم وعن الحسن في قوله وترغبون ان تنكحوهن اي ترغبون نكاحهن وعن
ابن سيرين يرغب في نكاحها لدمامتها ولا يزوج من غيره رغبة في مالها وقول ابن سيرين وترغبون يرغب في نكاحها
رغبة في مالها وعلى ذلك يخرج في قوله تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط الاية وقوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى الاية وقوله تعالى وترغبون ان تنكحوهن دلالة ان للولي ان يزوج اليتيمة الصغيرة لانه لو لم يكن ذلك
لم يكن للعتاب على ترك تزويجهن من غيره معنى فان قيل اسم اليتيم يقع على الصغيرة والكبيرة جميعا فلعل المراد
من اليتيمة الكبيرة هاهنا قيل كذلك غير ان الغالب يقع على الصغاير منهن والله اعلم وفيه دلالة ان النكاح
قد يقوم بالواحد لانه قال عز وجل وترغبون ان تنكحوهن فلو لم يكن له ان يتزوجها لم يكن لهذا العتاب
معنى دل ان له ان ينكح وقوله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا قيل خافت اي علمت من بعلها نشوزا
وقيل الخوف هاهنا خوف لا غير فمن قال بالخوف فهو حمل على ان يظهر بها منه جفاء يحضرها لدمامتها او لكبرها
ويسوء صحبتها لترضى بالفراق عنه لتزوج غيرها وهو الخوف حقيقة وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله
عنه قال ان سودة بنت زمعة خشيت ان يطلقها النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت يومها لعائشة رضي الله
عنهما فانزل الله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا واعراضا الاية ثم قال فهذا الصلح الذي امر الله فجعل الخوف
هاهنا خشية وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت هي المرأة تكون عند الرجل دميمة ولا يحبها زوجها
فتقول لا تطلقني وانت في حل من شاني وقيل خافت من بعلها نشوزا اي علمت والعلم هو ان يكون للرجل امرأتان
احدهما كبيرة دميمة والاخرى شابة يميل قلبه الى الشابة منهما ويكره صحبة الكبيرة منهما ويستثقل المقام معها واراد
فراقها فتقول له لا تفارقني واجعل ايامي لضرتي او نصيبا لها على ان يكون عند الشابة اكثر من عند الكبيرة وهو
ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت هي المرأة تكون عند الرجل دميمة ولا يحبها زوجها فتقول لا تطلقني
وانت في حل من شاني بالخوف هو ما يظهر لها من نشوزه قيل في زوج اخرى باعلام والعلم هو ما يظهر من ترك
معنا جعنه اياها وسوء صحبته معها وعلى هذين الوجهين روي عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين عن
بعضهم يكون عند الرجل امرأتان احداهما كبيرة والاخرى شابة فيؤثر الشابة على الكبيرة فيجري بينهما صلح
على ان يمسكها ولا يفارقها على الرضا منها بابطال حقها او بدون وهو ما روينا من خبر ابن عباس رضي الله عنه
ان سودة رضي الله عنها جعلت ايامها لعائشة رضي الله عنها خشية ان يفارقها وكذلك روي عن عمر رضي
الله عنه وروي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل يستفتيه في امرأة خافت من بعلها نشوزا قال هي المرأة تكون
عند الرجل فينبو عيناه من دمامتها او كبرها او فقرها او سوء خلقها فيكون فراقها فان وضعت له من مهرها
شيئا حل له وان جعلت من ايامها شيئا لغيرها فلا حرج دلت هذه الاحاديث التي ذكرنا على ان الرجل اذا كان

لهنسوة ان يستوى بينهن فيقيم عند كل واحدة يوما الا ان يصطلحا على غير ذلك والصلح خير كما قال الله عز وجل وبين
قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء الاية ان على الرجل وان عدل بين نسائه في قسمة الايام ان لا يخل احديهن
من الوطئ والله اعلم ولا يكون وطئه كله لغيرها ويكون الاخرى كالمعلقة التي ليست بايم ولا ذات زوج لكنها
اذا رضيت بابطال حقها او ببعض حقها فانه لا حرج على الزوج في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فلا جناح عليهما
ان يصلحا بينهما صلحا يحتمل ان يكون رفع الحرج عن الزوج خاصة وان كان الفعل منهما فاليهما اذ ليس للمراة في ترك حقها
حرج وكذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به ليس على المراة جناح في الافتداء لانها تفتدى بما لها ولها
ان تملك على مالها من شاءت بمكاتبة قال عز وجل فلا جناح عليه في اخذ ما افتدت او في ابطال حقها اذا رضيت ويحتمل
ان يكون على ما ذكر وهو ان لا حرج على المراة المقام معه وان استثقل الزوج ذلك ويكره صحبتها والله اعلم وقوله عز وجل
واحضرت الانفس الشح عن ابن عباس رضى الله عنه قال شحت المراة بنصيبها من زوجها ان تدعه للاخرى وشح
الرجل بنصيبه من الاخرى وقيل الشح الحرص وهو ان يحرص كل على حقه وكان الشح والحرص واحد وان كان احدهما
في المنع والاخر في الطلب لان البخل يحمله على الحرص والحرص يحمله على المنع وكل واحد منهما يكون سبب الاخر والله اعلم
وقوله عز وجل وان تحسنوا وتتقوا في ان تعطوهن اكثر من حقهن وتتقوا في ان لا تبخسوا من حقهن شيئا ويحتمل وان
تحسنوا في ايفاء حقهن والتسوية بينهن وتتقوا الجور والميل وتفضيل بعض على بعض ويحتمل وان تحسنوا في اتباع
ما امركم الله من طاعته وتتقوا عما نهاكم الله من معاصيه وقوله عز وجل فان الله كان بما تعملون خبيرا على الترغيب
والوعيد وقد ذكرناه معناه في غير موضع وقوله عز وجل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم عن
ابن عباس رضى الله عنه في قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في ابتغاء الحق اذ يستوى في قلوبهم الحب
ولو حرصتم على العدل لا يقدرون عليه في ذلك فلا تميلوا كل الميل الى التي تحب في النفقة والقسم فتاتي الشابة التي
تحبك وتدع الاخرى بغير قسم ولا نفقة روى عن عمر رضى الله عنه انه كان يقول اللهم اما قلبي فلا املك ولكن
ارجو ان اعدل فيما سوى ذلك والعدل هاهنا التسوية الا ترى انه قال في اية اخرى وهم بربهم يعدلون ليس هو ضد
الجور ولكن التسوية يسوون بين ربهم والاصنام في العبادة وعن عبيدة قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء
ولو حرصتم في الحب وروى عن ابى قلابة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعدل بين نسائه في القسمة ويقول
اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك انت ولا املك واصل ذلك ان في كل ما كان المرء مدفوعا مضطرا
فانه غير مكلف في ذلك وفي كل ما كان باختيار منه وايثار غير عليه فانه مكلف في ذلك والحب مما يدفع المرء وفيه
ويضطر ولا صنع له فيه لم يكلف التسوية فيما يكون مدفوعا فيه مضطرا لانه لا يملك التسوية وعلى هذا يخرج
قولنا ان الكافر مكلف بالايمان في حال الكفر لشغله به واختياره فعل الكفر ليس كالمضطر وقد ذكرنا فيما تقدم
ان الاستطاعة يكون على ضربين استطاعة احوال واسباب واستطاعة افعال والاستطاعة التي هي استطاعة
الاحوال والاسباب من نحو الصحة والسلامة وغيرها يجوز قبل ومع وبعد واما استطاعة الافعال فانها
لا تكون الا مع الفعل بالله والتوفيق وقوله فلا تميلوا كل الميل في النفقة والقسمة معناه لا يحملنكم شدة الحب
والميل بالقلب ان يتركوا الالتفات عليها وابتغاء الحق اعني حقها القسم وقوله عز وجل فتذروها كالمعلقة ليست
بايم ولا ذات بعل ليست هي بايم فتتكلف مؤنتها كما تتكلف الايم ولا ايم ولا ذات بعل يحمل البعل وفي حرف ابي بن كعب
فتذروها كالمسجونة وهو ما ذكرنا لا ينقض هو عليها ولا يطلقها لتتزوج زوجا اخر فهي كالمحبوسة وقوله عز وجل
فان الله كان غفورا رحيما هذا ينقض قول من يقول انه لم يكن رحيما ثم صار رحيما لانه اخبر انه كان رحيما وهو يقول
صار رحيما وبالله العصمة ثم المسالة بان المراة اذا جعلت ايامها لضرتها كان لها ان ترجع وتفسخ ذلك لانها جعلت
لها ما لم يجب بعد يلزم فكان كمن ابرا اخر عن حق لم يجب بعد فان ابراءه باطل له ان يعود اليه فياخذه به اذا وجب
فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته اي الزوجان ان تعذر فالمالم يقدر الزوج على التسوية
بينهن يغن الله كلا من سعته المراة تزوج اخر والرجل بامراة اخرى ويحتمل كلا من سعته ان كل واحد منهما وان كان
غنيا بالاخر في حال النكاح فالله قادر على ان يغني كل واحد منهما بعد الافتراق كما كان يرزق قبل الفراق وفيه
دليل قطع طمع الارتزاق من غير الله وان جاز ان يجعل غيره سببا في ذلك لانه قال عز وجل وان يتفرقا يغن الله ليعلم
كل ان غناه لم يكن بالاخر حيث وعد لهما الغناء وكذلك في قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين الى قوله تعالى ان
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله دليل قطع طمع الارتزاق بعضهم من بعض في النكاح لما وعد لهم الغناء اذا كانوا
فقراء وفيه دليل وقوع الفرقة بينهما بالمراة بالمكنى من الكلام لمشاركتها فيه وان كان الزوج هو المتفرد بالفراق
لما اضاف الفعل اليهما بقوله وان يتفرقا يغن الله وكذلك قوله تعالى فارقوهن وسرحوهن والله اعلم وفيه دليل
لزوم النفقة في العدة لانه ذكر الافتراق انما يكون بانقضاء العدة ثم اخبر عز وجل عن غناء كل واحد منهما بالاخر
قبل الفراق دل ان للمراة غناء بالزوج ما دامت بالعدة والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله واسعا حكيما قيل واسعا
وجودا وقيل واسعا يوسع على كل منهم رزقه حكيما حكم على الزوج امساكا بمعروف او تسريحا باحسان وقيل حكيما
حيث حكم فرقتهما واصل الحكم ان يضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله الاية دعى الخلق كلهم ان اتقوا الله ثم قوله عز وجل ولقد وصينا الذين

اوتوا الكتاب

اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قيل وصينا امرنا وقيل وصينا فرضنا على الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
واياكم ان اتقوا الله وقوله عز وجل ان اتقوا الله قيل اي امرناهم ان يوحدوا الله ويتقوا الشرك وقال مقاتل
ان اتقوا الله اي وحدوا الله وقيل قوله تعالى ان اتقوا الله اي اطيعوه فيما امركم ونهاكم عنه ويحتمل ان اتقوا الله
اي اتقوا عذاب الله ونقمته ولا تعبدوا غيره دونه وان تكفروا ولم تتقوا فيما امركم الله ونهاكم فان لله ما في السموات
وما في الارض ذكر هذا على اثر قوله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ليعلموا انه لم يامرهم
بذلك لحاجة له في عبادتهم ويامر لمنفعة نفسه اذ من له ملك ما في السموات وما في الارض لا يحتاج الى احد ينتفع
به ولكن ليعلموا انه تعالى انما امرهم بذلك لحاجتهم في ذلك ولمنفعة انفسهم الا ترى انه قال عز وجل وكان الله
غنيا حميدا غنيا عن عبادتكم له وطاعتكم اياه وحميدا في سلطانه ويكون غنيا عن خلقه في الاول حميدا في فعله و
ذلك الحميد في الفعل يخرج على اتقان الفعل واحكامه او على احسانه الى خلقه وانعامه عليهم وقوله عز وجل ولله ما في السموات
وما في الارض هو ما ذكرنا من غناه عن عبادة خلقه وطاعتهم له ان شاء يذهبكم ويات باخرين والله اعلم اي من
له ما في السموات وما في الارض يقدر ان يذهبكم اي يهلككم ويات باخرين اخير منكم واخوف واطوع لله منكم لكنه
لا يفعل لانه غني عن عبادتكم لم يخلقكم في الابتداء لحاجته في عبادتكم ولمنفعة له ولكن لحاجة انفسكم ومنافعكم
والله اعلم ثم يحتمل قوله عز وجل ان يشا يذهبكم ويات باخرين في قوم خاص كما كان في الامم الخالية من الاهلاك عند
المعاندة والمكابرة ويحتمل في الكل ان يشا يذهبكم ان يهلككم الكل ويات باخرين والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله
على ذلك قديرا اي كان الله على الاهلاك والابدال قديرا ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا والاخرة قال بعض اهل التاويل من كان يريد بعمله عرض الدنيا ولا يريد به الله اتاه الله
ما احب من عرض الدنيا او وقع عنه ما احب في الدنيا فليس له في الاخرة من ثواب لانه عمل لغير الله وهو كقوله
عز وجل ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق ومن اراد بعمله الذي يعمله في الدنيا ثواب
الاخرة اتاه الله تعالى من عرض الدنيا ما احب ودفع عنه وجزاه في الاخرة الجنة بعمله في الدنيا والله اعلم ويحتمل
الاية غير هذا وجوها انهم كانوا يتخذون من دون الله الهة يعبدونها طلبا للرياسة والعز والشرف كقوله عز
وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا فاخبر ان العز والشرف ليس في ذلك ولكن عند الله عز الدنيا والاخرة
والثاني انهم كانوا يعبدون الاوثان والاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله فاخبر ان ليس في عبادتكم هذه الاصنام لمنافع يأملون بذلك في الدنيا والسعة في الدنيا كقوله
تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه الاية فعلى ذلك
قوله عز وجل من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة لا عند من تطلبون والله اعلم وقوله
وكان الله سميعا لمقالتكم بصيرا بما تريدون وتعملون وهو وعيد وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم الاية عن ابن عباس رضى الله عنه قال كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت
من قريبا وبعيدا ولو على نفسه فاقربها وكذلك قال عامة اهل التاويل قوله تعالى قوامين قوالين لله ولكن يقول في كل عمل
وقول يلزم ان يقوم لله ويجعل الشهادة له فاذا فعل هكذا لم يمنعه عن القيام بها قرب احد ولا بعده ولا ما يحصل على
نفسه او والديه وكذلك قال الله تعالى في اية اخرى واقيموا الشهادة فاذا جعلها الله عز وجل لم يجعلها المخلوق امكن له القيام
بها وان كان على نفسه او من ذكر تم ما يمنع القيام بها يختلف اما على نفسه لنفع يطمع او لدفع ضر يدفع بذلك واما
على الوالدين بالاحتشام ويحتشم منهما فيمتنع عن اداء ما عليه واما القرابة فطلب الغناء لهم ودفع الفقر عنهم
فاخبر انه اولى بهما فلا يمنعك غناء احد منهم ولا فقره القيام بها وكذلك روى عن ابن عباس رضى الله عنه في تاويل
هذه الاية وقوله عز وجل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا قيل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي تميلوا لغير الله وقيل
فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا ويحتمل فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا عن الحق من الصرف بالعدول وقوله
عز وجل وان تلووا او تعرضوا فيه لغتان تلوا بواو واحدة من الولاية يقول لو كنتم عاملين لله وقائلين للحق قائلين
له مؤدين الشهادة له وان كتم ذلك وقيل تلووا بواوين من التحريف يقول لا تتبعوا الهوى ولا تحرفوا الشهادة
ولا تعرضوا عنها وتكتموها وفي حرف حفصة رضى الله عنها ان يكونوا اغنياء او فقراء فالله اولى بهما وعن قتادة
رضى الله عنه فاولى فيهما يقول الله اولى بغنائك وفقرك فلا يمنعكم غناء غني ان تشهد عليه لحق علمته ولا مرتبة
لفقير ان تشهد عليه بحق علمته وفي حرف حفصة رضى الله عنها وان تلووا وتعرضوا وهو من الولاية الى ذكرنا
وقيل وان تلووا من التحريف وطلب الابطال وفي حرف ابن مسعود رضى الله عنه فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا بين
الناس وهو من العدل على ما ذكرنا وقال بعضهم هو من الصرف والعدول عن الحق وقوله عز وجل فان الله كان
بما تعملون خبيرا خرج على الوعيد على كل ما ذكر من منع الشهادة والقيام لله بها وتحريف ما لزم وبالله العصمة ويمثل ذلك
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقم شهادته على من كانت
ومن كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجحد حقا هو عليه وليؤده عفوا ولا يلجئه الى سلطان ولا الى خصومة
ليقطع بها حقه وايما رجل خاصم الى فقضيت له على اخيه بحق ليس هو عليه فلا ياخذنه فانما اقطع له قطعة من جهنم
وروى في خبر اخر يا ابن ادم اقم الشهادة ولو على نفسك او على ذي قرابتك او شرف قومك فانما الشهادة لله وليست

للناس ان الله رضي بالعدل والاقساط لنفسه والعدل ميزان الله في الارض يرد على المظلوم من الظالم وعلى الضعيف
من الشديد وعلى المحق من المبطل وبالحق يصدق الله الصادق ويكذب الله الكاذب ويرد المعتدى ويوبخه وبالعدل
اصلح الله الناس وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا بالله ورسوله يحتمل قوله عز وجل امنوا بالله ورسوله وجوها
يا ايها الذين امنوا فيما مضى من الوقت امنوا في حادث الوقت ويحتمل يا ايها الذين امنوا امنوا اى اثبتوا عليه
ويحتمل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا بالسنتكم امنوا بقلوبكم كقوله تعالى امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ويحتمل يا ايها
الذين امنوا عند رؤيتهم للناس والعذاب امنوا في الحقيقة كقوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده ويحتمل
وجها اخر قوله يا ايها الذين امنوا بالرسل كلهم كما امن المؤمنون كقوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وهم كانوا
يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كقوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وهم كانوا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض
كقوله عز وجل نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويحتمل يا ايها الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث امنوا به
اذا بعث لانهم كانوا مؤمنون به قبل ان يبعث فلما بعث تركوا ايمانهم كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على
الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به امنوا بالله ورسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والكتاب الذى نزل
على رسوله اى امنوا بالكتاب الذى نزل على رسوله وهو محمد صلى الله عليه وسلم والكتاب الذى انزل من قبل
اى امنوا ايضا بالكتب السماوية التى نزلتها الله ثم الايمان بالله حقيقة ايمان بجميع الرسل والكتب لان كل نبي كان
يدعو الى الايمان بجميع ذلك وكذلك في كل كتاب من الكتب السماوية دعاء الى الايمان بجميعها الا ترى ان الكفر بواحد منهم
كفر بالله وبجميع الرسل والكتب وما ذكروا بالله العصمة وقوله عز وجل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله
واليوم الاخر الاية يحتمل هذا وجهين يحتمل ومن يكفر بجميع ما ذكر فقد ضل ضلالا بعيدا وهو على التاكيد ويحتمل ومن
يكفر بالله او ملائكته او كتبه او رسوله او اليوم الاخر فقد كان ما ذكر لان الكفر بواحد من ذلك كفر بالكل حتى لو انكر اية
من ايات الله تعالى كفر بالله وبالكتب والرسل كلها والله الموفق وقوله ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم
ازدادوا كفرا لم يكن عن ابن عباس رضي الله عنه قال انزلت الاية في الذين قال الله تعالى في سورة ال عمران كيف يهدى
الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وقيل انها نزلت في الذين امنوا بموسى عليه السلام ثم كفروا
بعد موسى ثم امنوا بعزير ثم كفروا بعده ثم امنوا بعيسى عليه السلام وبالانجيل ثم كفروا من بعده ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى
الله عليه وسلم وبالقران الكريم وهو الاول وقيل غير هذا لكن ليس بنا الى انها فيهم نزلت حاجة ولكن فيه دليل انها
في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا ولا يتوبون لانه قال لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اخبر انه لا يغفر لهم
وهو كقوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم لما علم الله انهم لا يتوبون والا لو امنوا
وتابوا قبلت توبتهم فعلى ذلك الاول لما علم انهم لا يتوبون ويموتون على ذلك اخبر انه لا يغفر لهم وفيه دليل
ان تقبل توبة المرتد اذا تاب ليس كما قال بعض الناس انه لا تقبل توبة المرتد لانه اثبت لهم الايمان بعد الكفر والازدياد
بقوله امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كذا فدل انه اذا تاب يقبل منه وقال اصحابنا يستتاب المرتد ثلاثا فان اسلم
والا قتل روى عن على بن ابي طالب رضي الله عنه قال يستتاب المرتد ثلاثا ثم تلا هذه الاية وعن ابن عمر رضي الله
كذلك وعن عمر رضي الله انه قدم عليه رجل من الجيش فقال هل حدث لكم حدث فقال ان رجلا من المسلمين ارتد ولحق
بالمشركين فاخذناه قال ما صنعتم به قالوا قتلناه قال هلا ادخلتموه بيتا واغلقتم عليه بابا واطعمتموه كل يوم رغيفا
واستتبتموه ثلاثا فان تاب والا قتلتموه ثم قال اللهم انى لم اشهد ولم امر ولم ارض حين بلغني وقال ابو حنيفة
رضي الله عنه اذا ارتد ثلاثا ثم تاب في كل مرة فانه يحبس في الثالثة اذا تاب حتى يظهر منه خشوع التوبة وذلك
ان الثبات على توبة لا تر اظهر الفسق والفاسق يحبس حتى يظهر خشوع التوبة وقوله عز وجل لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم سبيلا لا يحتمل ان يكون اراد بقوله ولا ليهديهم سبيلا البيان على ما قاله قوم لانه قد تولى لهم
البيان لكنهم تعاندوا ولم يهتدوا فدل ان ثم معنى منه سوى البيان لم يعطهم لما علم انهم لا يهتدون ابدا و
هو التوفيق فهذا يرد على من لا يجعل الهدى الا بيانا اذ قد بين لهم ذلك وقوله عز وجل بشر المنافقين بكذا البشارة
المطلقة المرسلة لا يكون الا بالخير خاصة واما اذا كانت مقيدة مفسرة فانها تجوز في الشر كقوله تعالى بشر المنافقين
بان لهم كذا وكذلك قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وفي القران كثيرا ما ذكرها في الشر الا مفسرة مقيدة وقوله عز وجل
بشر المنافقين يدل هذا على ان الاولى في اهل النفاق والمرادة على ما ذكرنا من التاويل لانه لم يسبق فيما تقدم ذكرهم
سوى قوله تعالى امنوا بالله ورسوله ويحتمل على الابتداء والابتناف على غير ذكر تقدم وذلك جائز في القران كثير ثم
المنافقين فقال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ثم يحتمل قوله تعالى يتخذون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين قولا وفعلا اما القول كقولهم انا معكم انما نحن مستهزءون وغيره من الايات واما الفعل وكانوا
يمنعون المؤمنين ان يغزوهم كقوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن كقوله ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وكقوله تعالى
فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين كانوا يمنعون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن ان يغزوهم
ويقاتلوهم فهم وان كانوا يرون من انفسهم الموافقة للمؤمنين في الظاهر فانهم كانوا في الحقيقة معهم فهذا
والله اعلم تاويل قوله تعالى يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة
قيل قوله تعالى ايبتغون على طرح الالف وانها زائدة اى يبتغون بذلك من عندهم العزة ثم يحتمل قوله تعالى ايبتغون

عندهم

عندهم العزة وجهين يحتمل العزة المنعة والنصرة وكانوا يطلبون بذلك النصرة والقدرة عند الكافرين ويحتمل
ليتعززوا بذلك والاصل ان حرف الاستفهام كله من الله له حق الايجاب على ما يقتضي جوابه من حقيقة الاستفهام
ان الله عالم لا يخفى عليه شيء يستفهم جل عن ذلك وقوله عز وجل فان العزة لله جميعا اى القدرة والنصرة كله
لله من عنده يكون به يتعزز في الدنيا والاخرة ليس من عند اولئك الذين يطلبون منهم وقوله عز وجل وقد نزل
عليكم في الكتاب اى اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزئ بها قال بعضهم قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب هو ما
ذكر في سورة الانعام وهو قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره ثم قال وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء الاية نهاهم عز وجل عن القعود معهم اذا خاضوا في طعن
القران وايات الله فاخبر ان ليس لهم من حسابهم من شيء اذا قعدوا ثم قال في هذه الاية فلا تقعدوا معهم حتى
يخوضوا في حديث غيره ثم قال وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء الاية نهاهم عز وجل عن القعود انكم اذا
مثلهم نهاهم عز وجل عن القعود معهم واخبر انهم اذا فعلوا ذلك يكونون مثلهم فهو والله اعلم على نسخ هذا الاول
ويحتمل ان يكون قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء في المشركين ثم يلحقهم من العقوبة والماثم لانهم
لا يقدرون على منع المشركين عن الاستهزاء بايات الله والطعن فيها ويقدرون على منع المنافقين عن ذلك
فشاركوهم في العقوبة فيما تقدرون على منعهم فلم يمنعوا ورفع عنهم ذلك فيما لا يقدرون على دفعه وفيه دلالة
ان من يلي منكر له قدرة التغيير على اهله فلم يغير ان يشاركهم في ذلك واذا لم يكن له قدرة التغيير عليهم فعل اى انكر
عليهم وغيره والا فارقهم والا يخاف ان يشاركهم في العقوبة والله اعلم وقوله عز وجل ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الاية لانهم كانوا معهم في السر والحقيقة وان كانوا يظهرون للمؤمنين
الموافقة باللسان فهذا يدل على ان الحقايق في العواقب هو ما يستر المرء ويضمر ليس ما يظهر لان المنافقين
كانوا مع المؤمنين في الظاهر في جميع الاحكام في الانكحة والعقود كلها واظهار الايمان لهم باللسان
لكنهم اذا اضمروا خلاف ما اظهروا لم ينفعهم ذلك ان الحقايق في العقوبات ما يسر ويضمر والله اعلم وقوله
عز وجل الذين يتربصون بكم يحتمل يتربصون الغنيمة والنصر فان كان الفتح للمؤمنين قالوا الم نكن معكم في الدنيا
والاحكام كلها يطلبون الغنيمة والاشتراك فيها كقوله له تعالى اشحة على الخير الاية واذا كانت الدبرة والبوار
على المؤمنين الكافرين يقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
وكقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية كانوا بين المسلمين كعيون لهم يخبرون
عوراتهم ويطلعونهم على مقصود المؤمنين فذلك منعهم على المؤمنين واستحوا وهم عليهم والله اعلم ويحتمل يتربصون
بكم يعني محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه عندهم بان لا يدوم ذلك بل ينقطع عن قريب والله اعلم ويحتمل يتربصون
ما ذكر من قوله تعالى وتربصتم وارتبتم ثم خرج تاويله في قوله فترى الذين في قلوبهم مرض يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة ثم خص ذلك بقوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر الاية فبين انهم يتربصون
بهم انقلاب الامر ورجوعه الى اعداء الله فمتى ظهرت لهم العواقب اظهروا الذى كان دينهم في الحقيقة انه
كان لسعة الدنيا ونعيمها كقوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن الاية وقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف
الاية وقوله عز وجل ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا الاية يحتمل هذا ايضا وجهين يحتمل لن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجج في الدنيا اى ليس للكافرين الحجة على المؤمنين في الدين من شيء الا ان يموه عليه ويتعلق
به بحجة المؤمن في اقامة الحجة عليه ودفع تمويهاتها والا ليس للكافر حجة يقيمها على المؤمن في الدنيا ويحتمل ولن يجعل
ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الاخرة على دفع شهادتهم لان امة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون
عليهم كقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ثم لا سبيل لهم على دفع شهادتهم لان امة محمد التى شهدوا عليهم وردها
والله اعلم ايضا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجة او في الشهادة او عند الله في الخصومة وانما دعوا
الى كتبهم اذا اجابوا فيما دعاهم الى الايمان بالكتب والرسل عليهم السلام او في النصر فيرجع امره الى العواقب والله
اعلم وقوله عز وجل الم نستحوذ عليكم الاستحواذ الغلبة وقيل الاستيلاء وقال بعضهم الم نخبركم بعورة محمد واصحابه
ونطلعكم على سرهم وتكتب به اليكم ومن ابن عباس رضي الله عنه الم نحط من ورائكم وفي حرف ابن مسعود رضي
الله عنه الم نستحوذ عليكم ومنعناكم من المؤمنين قال الكيكا هذا في كلام العرب كثير ظاهر ومعنى لم نستحوذ
الا استحوذنا ومنعناكم وهو طريف واصل الاستحواذ الغلبة والقهر وهو ما ذكرنا انهم يجيبون اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله عز وجل فان الله يحكم بينكم يوم القيامة وحكم
بينهم والله اعلم ان ينزل المؤمنين الجنة والمنافقين النار ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا في الحجة
على ما ذكرنا وكذلك وردها على انفسهم سبيلا والله اعلم وقوله ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم
قوله تعالى يخادعون اولياء الله او دينه فاضيف اليه فهو جائز في القران كثير كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم
اى تنصروا دين الله او اولياءه ينصركم وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب وقوله عز وجل وهو خادعهم اى يجزيهم
جزاء خداعهم المؤمنين فسمى خداعا وان لم يكن في الحقيقة خداعا لانه جزاء الخداع وهو كما سمى جزاء السيئة
سيئة وان لم تكن الثانية في الحقيقة سيئة وكذلك سمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء فعلى

ذلك سمي هذا خداعا لانه جزاء الخداع واللغة غير ممتنعة عن تسمية الشي باسم سببه على ما ذكرنا والله اعلم ثم اختلف
في جهة الخداع عن ابن عباس رضي الله عنه قال يعطى المنافقين على الصراط نورا كما يعطى المؤمنين فاذا مضوا به على الصراط
طفي نورهم وتبقى نور المؤمنين يمضون بنورهم فينادون المؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم فيجوزهم فينادونهم
الملائكة ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقد علموا انهم لا يستطيعون الرجوع فذلك وهو خادعهم وكذلك قال
الحسن ثم قال فتلك خديعة الله اياهم وقال الاخرون يفتح لهم باب من ابواب الجنة فاذا راوا ذلك نهضوا واذا ذلك
الباب فلما دنوا منه اغلق دونهم فذلك الخداع والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو انهم شاركوا المؤمنين في هذه الدنيا
ومنافعها والتمتع والتقلب فيها فظنوا انهم يشاركونهم في منافع الاخرة والتمتع بها فيحرمون ذلك فذلك الخديعة و
الله اعلم وقوله عز وجل واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس الاية جعل الله تعالى للمنافقين علاما في قوله وفعله
يعلم بها المنافق اما في القول ما قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم وقوله وان منكم لمن ليبطئن وقوله تعالى قد يعلم
الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا الاية واما في الفعل وهو قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله ولا ياتون الباس الا قليلا اي القتال وقوله سبحانه وتعالى فاذا جاء
الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت الاية ومثله كثير في القران مما جعل ذلك علامة
لهم وهو كقوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم الاية وكقوله تعالى واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض الاية يراؤن في جميع فعالهم الناس وفي حرف حفصة رضي الله عنها يراؤن
الناس والله يعلم ما في قلوبهم ولا يذكرون الله الا قليلا عن الحسن في قوله تعالى لا يذكرون الله الا قليلا فقال
اما والله لو كان ذلك القليل منهم لله لقبله ولكن ذلك القليل رياء وقيل لو كان ذلك القليل لله يريدون به وجهه
لقبله لكان كثيرا ولكن لا يقبله فهو لا شيء وقد يتكلم بالقليل واليسير على ارادة النفي من الاصل والله اعلم وروي
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الصلوة حيث يراه الناس واساءها حيث
يخلو فتلك استهانة يستهين بها ربه وروي في علامة المنافق اخبارا روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم ان للمنافق علامات يعرفون بها تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول لا يقربون المساجد الا هجرا
ولا ياتون الصلوة الا دبرا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه
كان منافقا خالصا اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا ائتمن خان وروي ثلاث وروي عن
عبد الله قال اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر وانزل فيه الايات ومنهم من عاهد
الله لئن اتانا من فضله الاية وعن وهب قال من خصال النفاق يحب الحمد ويكره الذم وقوله عز وجل مذبذبين
بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء قال اكثر اهل التاويل ليسوا بمسلمين مخلصين ولا مشركين مصرحين وهو ابعد
قول قتادة وقال مقاتل ليسوا مع اليهود فيظهرون ولايتهم لهم وليسوا مع المؤمنين في التصديق مع الولاية
ويحتمل غير هذا وهو انه لم يظهر لكل واحد من الفريقين منهم الموافقة لهم والكون معهم بل ظهر منهم الخلاف
عند كل فريق لانهم كانوا اصحاب طمع عبادا لانفسهم يكونون حيث راوا السعة معهم فلا الى هؤلاء في حقيقة
الدين عندا نفسهم ولا الى هؤلاء فذلك والله اعلم تاويله وقوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا قيل
حجة على ما قيل في الاول وقيل فلن تجد له سبيلا يعني هدى وطريق المستقيم والله اعلم وعن الحسن ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا ما دام كافرا فاذا تاب ورجع عن ذلك فله السبيل وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المؤمنين عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في المنافقين الذين اتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين سماهم الله تعالى مؤمنين باقرارهم بالايمان علانية وتوليهم الكافرين سرا وان يقال سموا مؤمنين
لما كانوا ينتسبون الى المؤمنين فسموا بذلك وقيل نزلت في المؤمنين نهاهم ان يتخذوا المنافقين اولياء باظهارهم
الايمان علانية وامرهم ان يتخذوا المؤمنين اولياء ثم وجه النهي في الولاية واتخاذهم اولياء يكون من وجوه
يحتمل النهي عن ولايتهم ولا في الدين اي لا تتبعوا بهم ولا تصدقوهم ولا تامنوهم في الدين فانهم يريدون ان يصرفوكم
عن دينكم كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم الاية ويحتمل النهي ولياء في امر
امر الدنيا كقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا الاية نهى المؤمنين عز وجل ان يجعلوا
المنافقين موضع سترهم في امرهم من امور الحرب وغيره والثالث في كل امر اي لا تجادلوهم ولا تجالسوهم ولا تامنوهم
وقوله عز وجل اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي تجعلون لله عليكم سلطانا مبينا قيل عذرا مبينا وقيل
حجة بينة يحتج بها عليكم والله اعلم وقوله عز وجل اتريدون والله اعلم وقوله عز وجل اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا فهو والله اعلم الارادة وهي صفة كل فاعل في الحقيقة وحرف الاستفهام من الله ايجاب فكانه قال قد جعلتم لله
في تعذيبكم حجة بينة يعقلها كل اذ ذلك يكون وهو اتخاذ الكافرين اولياء دون المؤمنين حجة ظاهرة في لزوم
المقت وجائز ان تكون الاضافة الى الله ترجع الى اولياء الله نحو الامر بنصر الله والقول بمخادعة الله وكان ذلك
منهم حجة بينة عليهم لاولياء الله انهم لا يتخذون الشيطان اولياء عبادة غير الله اتخذوه ولا قوة الا بالله قوله
عز وجل ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار الدرك بالجزم والفتح لغتان وهما واحد يقال للجنة درجات وغرفات
وللنار دركات بعضها اسفل من بعض وقيل كلما كان اسفل كان العذاب فيها اشد الا ترى انه اخبر عنهم بقوله و

قال الذين

قال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين فلو لم يكن اسفل منهم
في الدركات اشد عذابا لم يكن لقولهم نجعلهما تحت اقدامنا معنى فدل ان كل ما كان اسفل من الدركات كان في العذاب اشد
والله اعلم وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عبد المطلب وهشام بن المغيرة فقال هما من ادنى اهل النار عذابا وهما في ضحضاح
من النار خالدين فيها وادنى اهل النار عذابا في رجليه نعلان من نار يغلي بهما دماغه وابن مسعود رضي الله عنه قال
الادراك توابيت من حديد تصمت عليهم في اسفل النار وقيل ان العذاب في النار واحد في الظاهر وهو يختلف في الحقيقة
وايد ذلك قوله تعالى عز وجل ولكل ضعف انما لهم لكن بعضهم لا يشعر بعذاب غيرهم كقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء
اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف سالوا ربهم ان يجعل لهم ضعفا من العذاب جزاء ما اضلوا فاخبر ان لكل
ضعفا من الائمة ثم تخصيص المنافقين في الدرك الاسفل من النار دون سائر الكفرة وجوه ثلاثة احدها انهم كانوا يسعون
في فساد ضعفة المسلمين ويشككونهم في دينهم ويتكلمون في اخراجهم من الايمان وكان ذلك دابهم وعادتهم فاستوجبوا بذلك
ذلك العذاب جزاء في افسادهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك لهم لانهم كانوا عيونا للكفرة وطلايع لهم يخبرون بذلك عن
اخبارهم وسرائرهم ويطلعون على عوراتهم فذلك سعي في امر دينهم ودنياهم بالفساد كقوله اشحة عليكم الاية ويحتمل
وجها اخر وهو انهم لم يكونوا في الاحوال كلها اهل دين يقيمون عليه في حال الرخاء والضيق ولكن كانوا مع السعة والرخاء
حيث كان ولا كذلك سائر الكفرة بل كانوا في حال الرخاء والشدة على دين واحد يعبدون الاصنام واولئك مع المؤمنين
في حال اذا كانت السعة معهم ومع الكافرين في حال اذا كانت السعة معهم لا يقرون على شيء واحد مترددين بين ذلك
كما قال الله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء الاية والكفرة عبدوا من عبدوا على رجاء التقرب الى الله وامر الله
عز وجل لهم بذلك ليكونوا لهم شفعاء عند الله واهل النفاق لم يكونوا يعبدون غير بطونهم ومن معه شهواتهم فلذلك
ازداد عذابهم على غيرهم ولما جمعوا الى الكفر بالله المخادعة والتعزير واغراء الاعداء واستعلائهم ولما قد اشتركوا الفرق
كلهم في اللذات وفي طلب الشهوات فعاد اليهم ما استحق كل منهم من العقوبة وبما بذلك شاركوا في كل المعاصي وسبيلها
اعطاء الانفس الشهوات مع ما منهم تعزير ضعفة المؤمنين والتلبيس عليهم ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل الا الذين تابوا
واصلحوا عن ابن عباس قال تابوا من النفاق واصلحوا اعمالهم واعتصموا بالله وقيل الا الذين تابوا واخلصوا دينهم لله
فاولئك مع المؤمنين يقول من المؤمنين اي صاروا واكسائر المؤمنين وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وابي الا الذين
تابوا ثم امنوا بالله والرسول والكتاب الذي انزل اليه من ربه وما انزل الى النبيين من قبل ثم اخلصوا دينهم لله واعتصموا
اولئك على المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما وعن ابن عباس رضي الله عنه واخلصوا دينهم لله قال لم يراؤا
وكانت سريرتهم كعلانيتهم او افضل وقوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم تاويله والله اعلم ان ليس لله عز وجل
حاجة في تعذيبه اياكم ان صدقتم وامنتم ولكن الحكمة توجب تعذيب من كفر به والا ليس له حاجة في تعذيبكم والله اعلم
ويحتمل ان يكون هذا في قوم فرطوا في التكذيب ومعاندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظنوا انهم وان امنوا به
وصدقوه لم يغفر لهم ما كان من التفريط في التكذيب والتمرد في المعاندة فاخبر عز وجل انه لا يعذبهم ان امنوا به
بما كان منهم من الكذب والعناد كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم ثم الشكر فيما بين الخلق يكون
على الجزاء والمكافاة اذ ليس في وسعهم القيام باداء شكر اصغر نعم انعمها عليهم ربهم فدل انه ليس يخرج
الامر على ما به امر المكافاة ولكنه يخرج على وجوه على وجوه على معرفة النعم انها منه والثاني على معرفة التقصير
والاعتراف بالعجز عن اداء شكرها والثالث ان لا يستعملها الا في طاعة ربه وقوله عز وجل وكان الله شاكرا عليما
يقبل الايمان بعد الجحود والتكذيب اذا تاب وقيل شاكرا اي يقبل القليل من العمل اذا كان له خالصا كمن لوذ
الارض لا يقبلوا ت اليسير من الاشياء وقيل شاكرا يقبل اليسير من العمل ويعطي الجزيل من الثواب وذلك هو الوصف
في الغاية من الكرم والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما يعبا الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان
الله شاكرا لا عمالكم الحسنة عليما بها وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول
الا من ظلم اختلف في تاويله وتلاوته قال بعضهم لا يحب الله الجهر بالسوء من الدعاء الا من ظلم فانه لا باس ان
ان يدعو اذا كان مظلوما وقال اخرون الجهر بالسوء من القول هو الشتم اخبر انه لا يحب ذلك لاحد من الناس
ثم استثنى الا من ظلم واعتدي عليه وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه قال الجهر بالسوء من القول ان يشتم
الرجل المسلم في وجهه الا ان يشتمه فيرد كما قال وذلك قول الله عز وجل الا من ظلم وان تعفوا فهو افضل وقراء
بعضهم الا من ظلم بالنصب فهو يحتمل الا من ظلم فان له الجهر بالسوء من القول وان لم يكن له ذلك وهو كقوله
تعالى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فانهم وان يكن حجة عليكم فانهم يحتجون عليكم فعلى ذلك الظالم
وان لم يكن الجهر بالسوء من القول وان لم يكن ذلك الجهر بالسوء من القول فانه يفعل ذلك والله اعلم ومن قراء
الا من ظلم بالرفع فتاويله ما ذكرنا والله اعلم انه لا يبيح لاحد الجهر بالسوء من القول الا المظلوم فانه لا يباح له
ولا يؤذن ان يرد عليه مثله وينتصر منه وقيل نزلت الاية في ابي بكر رضي الله عنه شتمه رجل بمكة فسكت عنه
ما شاء الله ثم انتصر فقام النبي صلى الله عليه وسلم وتركه وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا
فهو على البادي حتى يعتدي المظلوم وقال الا لا تسبوا فان كنتم فاعلين لا محالة فعلم الرجل من صاحبه فليقل انك
الجبار وانك لبخيل واصل هذا الاستثناء ان الاول وان لم يكن من نوع ما استثنى فهو جزاؤه وجزاء الشيء يسمى

الضحضاح الماء القريب القعر

باب معنى قدامهم اي الاقدام

ولم يراؤا ان نحنا من الطرفات ولا داموا ايشي من العبادات شرح

ويجوز ان يكون قوله الا من ظلم مجازا عن المجازاة

الا انه يكره الانتقام منه شرح

باسمه كما يسمي الله عز وجل جزاء السيئة بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمي جزاء الاعتداء وان لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك استثنى الا من ظلم وان لم يكن من نوعه لانه جزاء الظلم والاعتداء والله اعلم وقيل ان الاية نزلت في الضيف ينزل بالرجل فلا يضيفه ولا يحسن اليه فجعل له ان يأخذه بلسانه والى هذا يذهب اكثر المتأولين لكنه بعيد وفي قوله لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم دليل على ان ليس في اباحة الشيء في حال يوجب حظره في حال اخرى لانه نهى عن الجهر بالسوء من القول ثم لم يدل ذلك على انه لا ينهى عن ذلك في غير حال الجهر وقوله عز وجل وكان الله سميعا بجهر السوء عليما به ثم قال ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء يحتمل والله اعلم ان العفو والتجاوز خير عند الله من الانتصار يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون على الترغيب رغبهم عز وجل بالعفو عن السوء والظلمة لما انه يعفو عن خلقه ويتجاوز عنهم مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن ظالمكم ايضا وان قدرتم على الانتصار والانتقام منهم فيكون لكم بذلك عند الله الثواب ويحتمل ان يأمرهم بالعفو عن مظالمهم ليعفو عز وجل عن مظالمهم التي فيما بينهم وبين ربهم وعلى ذلك يخرج قوله فان الله كان عفوا قديرا والله فان الله سبحانه وتعالى عز وجل اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو صاحبكم المسيء اليكم وقال بعضهم الله اجود واحرى ان يعفو عنك اذا عفوت عن اخيك في الدنيا وهو على ذلك اقدر وقوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله يحتمل قوله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون اي يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله فيكون قوله يكفرون بالله في الدهرية لانهم يكفرون بالله ولا يؤمنون به ويقولون بقدم العالم فذلك فيهم وقوله ورسله يكون في الذين يؤمنون بالله ويكفرون بالرسل كلهم وقوله عز وجل ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله في الذين كفروا ببعض الرسل وامنوا ببعض الرسل ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ثم اخبر عز وجل عنهم جميعا مع اختلاف مذاهبهم انهم كفار وحقق الكفر فيهم بقوله تعالى اولئك هم الكافرون حقا ويحتمل ان يكون فيمن امن ببعض الرسل وكفر ببعض فيكون الكفر ببعض الرسل كفرا بالله وبجميع رسله وبجميع كتبه لان كلا من الرسل يدعو الخلق كلهم الى الايمان بالله والايمان بجميع الرسل والكتب واذا كفر بواحد منهم كفر بالله وبالرسل جميعا والله اعلم وقوله عز وجل اولئك هم الكافرون الذين حق عليهم الكفر بالله والثاني يكفرون ببعض الرسل انهم وان كفروا ببعض الرسل فقد حق عليهم الكفر بالله تعالى لان الكفر بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعا وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وقوله مهينا يهانون فيه وقوله تعالى يريدون ان يتخذوا بين ذلك غير سبيلا وعلى طرح ارادة اي يتخذون بين ذلك بين ايمان ببعض الرسل وكفر ببعض الرسل دينا فذلك لا ينفعهم اذا كفروا ببعض الرسل ثم نعت المؤمنين فقال عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل قالوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الى اخر ما ذكر وفي الاية نقض قول المعتزلة لانهم لا يسمون صاحب الكبيرة مؤمنا وهو قد امن بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد من رسله فدخل في قوله تعالى اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وهم يقولون لا يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما اخبر عز وجل انه لم يزل غفورا رحيما ولكن صار غفورا رحيما وبالله العصمة وقوله عز وجل يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء قيل في احد التأويلين كان يريد كل احد منهم ان يأتي الى كل رجل منهم بكتاب ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله سبحانه وتعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة كلا وكقوله تعالى ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيله سألوا ان يأتيهم بكتاب بجملة مثل التورية مثل قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كما انزلت التورية على موسى جملة واحدة لانهم غير متفرقة فاخبر انهم سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة وقد سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل سؤال اولئك موسى وهو قوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا يعزي عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ويصبره على اذاهم بقوله والله اعلم انهم سألوا ايات على رسالته في بها فلم يؤمنوا بها فيخبر ان سؤالهم سؤال تعنت لا سؤال استرشاد لان سؤالهم لو كانوا سؤال استرشاد لكانوا اذا اتوا بها قبلوها ولذلك اخذهم العذاب بقوله تعالى فاخذتهم الصاعقة بظلمهم لانهم كانوا يسألون سؤال تعنت لا سؤال رشد وفي الاية دلالة ان المسؤول لا يلزم الدليل على شهوة السائل وارادته ولكن يلزم ان يأتي بما هو دليل في نفسه وفيه دلالة ايضا ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب لانه لما قالوا يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء لم يخطر بالاحد انه اراد المجوس بقوله اهل الكتاب والله اعلم وقوله عز وجل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم والصاعقة هي العذاب الذي فيه الهلاك وقد ذكرنا فيما تقدم وانما اخذهم العذاب بكفرهم بموسى بعدما اتاهم موسى عليه السلام بايات الرسالة لا لسؤالهم الرؤية لانه لو كان ما اخذهم العذاب انما اخذ بسؤال الرؤية لكان موسى بذلك اولى حيث قال رب ارني انظر اليك فدل ان العذاب انما اخذهم بتعنتهم وكفرهم بعد ظهور الايات لهم انه رسول الله وذلك قوله تعالى ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن شدة تعنتهم في تكذيب الرسل وكثرة ردهم وسفههم ليصبر على اذى قومه ولا يظن انه اول مكذب من الرسل وقوله عز وجل واتينا موسى سلطانا مبينا قيل السلطان المبين يحتمل الايات التي اراهم ما يعقل كل احد انه لم يعاند ولما كان يراها ساحرا اذ هي كانت حاجة من الحجج المعاند من الخلق من نحو اليد البيضاء والعصا وفرق البحر وغير ذلك وقوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم حين لم يقبلوا التورية فعند ذلك قبلوا ثم اخذ عليهم الميثاق بذلك وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت عن ابن عباس رضي الله عنه قال وقلنا لهم لا تعدوا في السبت يقول لا تعملوا في السبت عملا من الدنيا تفرغوا فيه للعبادة وفي حرف حفصة رضي الله عنها وقلنا لهم

لا تعدوا في السبت وقال ابو معاذ ويقرأ لا تعدوا على معنى لا تعتدوا تلقى احد التائين واذ شئت تعتدوا ولم يدغم التاء في الدال وقوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا هو ما ذكر قال ابن عباس رضي الله عنهما من ارسل الله اليه رسولا فانه لقد اوجب على نفسه ميثاقا غليظا وقال مقاتل الميثاق الغليظ اقرارهم بما عهد الله اليهم في التورية وقوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله قال الكسائي ما ههنا صلة فبنقضهم ميثاقهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وكفرهم بايات الله من بعد ما تبين وقال مقاتل فبنقضهم اقرارهم بما في التورية وبكفرهم بايات الله يعني بالانجيل والقرآن وهم اليهود وقوله عز وجل وقتلهم الانبياء بغير حق يحتمل على حقيقة القتل ويحتمل على القصد اليهم وقد هموا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كانوا يقتلون الانبياء واما الرسل عليهم السلام فكانوا معصومين لم يقتل رسول قط الا ترى انه قال انا لننصر رسلنا وقال عز وجل انهم لهم المنصورون وقوله عز وجل وقولهم قلوبنا غلف قيل بوجهين احدهما انهم قالوا قلوبنا اوعية للعلم لا تسمع شيئا الا حفظته فالقرآن في هذا الوجه غلف والثاني قالوا قلوبنا في اكنة مما تقول لا نعقل ما تقول فالقراءة في هذا الوجه غلف فيه ثم قال عز وجل بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل ان يكون هذا جوابا وردا على قولهم ان قلوبنا اوعية للعلم لا تسمع شيئا الا وعته اخبر عز وجل انه طبع على قلوبهم بكفرهم فلا يفقهون شيئا والله اعلم وقوله عز وجل وقولهم على مريم بهتانا عظيما قال ابن عباس رضي الله عنه قذفوها بالزنا وهو قولهم لقد جئت شيئا فريا وقيل قوله تعالى وكفرهم اي كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وقولهم على مريم ما قالوا لقد جئت شيئا فريا وقولهم انا قتلنا المسيح قيل سمي مسيحا لان جبريل عليه الصلوة والسلام مسحه بالبركة فهو كالممسوح الفعيل بمعنى المفعول وذلك جائز في اللغة وقيل المسيح بمعنى ماسح لانه كان يمسح المريض والابرص والاكمه فيبرأ فسمي لذلك مسيحا وذلك الفعيل بمعنى فاعل والله اعلم وقوله عز وجل انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله الاية لبعض الناس تعلق بهذه الاية من وجهين احدهما في احتمال الغلط والخطاء في المشاهدات والمعاينات والثاني في احتمال المتواتر من الاخبار الغلط والكذب وذلك انه قيل في القصة ان اليهود طلبت عيسى عليه الصلوة والسلام ليقتلوه فحاصروه في بيت ومعه نفر من اصحابه الحواريين فادركهم المساء فباتوا يحرسون فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلوة والسلام اني متوفيك ورافعك الي فاخبر اصحابه وقال ايكم يحب ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويجعله الله يوم القيامة معي في درجتي فقال رجل منهم انا يا رسول الله فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتلوه وصلبوه وقيل انه القي شبهه على رجل من اليهود وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما هموا بقتله التجأ الى بيت فدخل فاذا جاؤا في طلبه فدخل رجل منهم البيت ليقتله فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فلما خرج وقد القي شبهه عليه فقتلوه وقالوا انا قتلوا ذلك وعندهم انه عيسى لما كان به شبهه ثم لم يكن ذلك عيسى ما يمنع ايضا ان يشاهدوا بانه في الحقيقة على غير ذلك كما شاهدوا اولئك القوم وعاينوا وعندهم انه عيسى ثم لم يكن والله اعلم ثم الخبر ايضا قد تواتر فيهم بقتل عيسى فكان كذبا ما يمنع ايضا ان الاخبار المتواترة يجوز ان يخرج كذبا وغلطا قيل الخبر بقتله انما انتشر عن ستة او سبعة على ما ذكر في القصة والخبر الذي كان انتشاره بذلك القدر من العدد وهو من الاخبار الاحاد عندنا واما قوله تعالى ولكن شبه لهم يجوز ان يكون ذلك التشبيه خبرا انه قتل من القاء الشبه على غيره وقتله حقيقة وذلك انه ذكر في بعض القصة انهم لما طلبوا في ذلك البيت فلم يجدوه ولم يكن غاب احد منهم فقالوا قتلناه لانهم قالوا انه دخل البيت فدخلوا على اثره فلم يجدوه كان ذلك انباء من عظيم رسالته فلم يحبوا ان يقولوا ذلك فقالوا قتلناه كذبا فذلك تشبيه منهم لهم والله اعلم فان احتمل هذا لم يكن ما قالوا من تخطئة الخبر لهم درك فلو كان ما قال اهل التأويل من القاء شبهه عليه فذلك من ايات رسالته اراد الله ان يكون اية انه قائم بعد غيبته عنهم وفي حال اقامته بينهم والله اعلم وقوله عز وجل وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه قيل لفي شك من قتل عيسى عليه السلام قتل او لم يقتل وقيل لفي شك منه في عيسى اي على الشك يقولون انه ابن الله ما لهم به من علم الا اتباع الظن اي ليس لهم بذلك الا اتباع الظن الا قول منهم يظنونه في غير يقين وما قتلوه يقينا اي ما قتلوا ظنهم يقينا بل رفعه الله وقيل وما قتلوه يقينا اي يقينا ما قتلوه بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حين حال بينهم وبين عيسى ان يقتلوه ويصلبوا اليه حكيما حكم ان يرفعه الله حيا وعن ابن عباس رضي الله عنه وكان الله عزيزا حكيما ان رسله يكونون معصومين وهو قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز وقوله عز وجل ايضا ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه قال بعضهم قوله تعالى قبل موته اي قبل موت عيسى اذا نزل من السماء آمنوا به اجمعون وبه يقول الحسن وقال الكلبي ان الله تعالى اذا انزل عيسى السلام عند مخرج الدجال يؤمن به بقية اهل الكتاب فلا يبقى يهودي ولا نصراني الا اسلم وقال بعضهم الا ليؤمنن به قبل موته اي قبل موت الكتابي لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى صلوات الله عليه وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام قيل وان ضرب بالسيف قال وان ضرب بالسيف وقال هي في حرف ابي ليؤمنن به قبل موتهم لكن التأويل ان كان هو الثاني فهو في رؤسائهم الذين كانت لهم رياسة فلم يؤمنوا خوفا على ذهاب تلك الرياسة والمنافع التي كانت لهم فلما حضرهم الموت ايقنوا بذهاب ذلك عنهم فعند ذلك

لا تعدوا

يؤمنون وهو والله اعلم كقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان
لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كقوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل لانها ايمان دفع العذاب
والاضطرار وكقوله تعالى فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية فكان ايمانهم ايمان دفع العذاب عن انفسهم
لا ايمان حقيقة لانه لو كان ايمان حقيقة لقبل ولكن ايمان دفع كقول فرعون حتى ادركه الغرق قال امنت انه لا اله
الا الذي امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فلم يقبل ذلك منه لانه ايمان دفع العذاب وايمان اضطرار
لا ايمان حقيقة فعلى ذلك الاول وبالله التوفيق وقيل في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وان من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به قبل موته وفي حرف حفصة رضي الله عنها وان كل اهل الكتاب لما ليؤمنن به قبل موته وقيل ليؤمنن
به قيل بالله وقيل بعيسى وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان عيسى عليه السلام اذا نزل يدعوا الناس الى الايمان
بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله عز وجل ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا قيل الله يكون عليهم شهيدا بانه
قد بلغ رسالة ربه اليهم واقر على نفسه بالعبودة وقيل الشهيد الحافظ وقيل يوم القيامة يكون عليهم شهيدا
وقيل يكون محمد عليهم شهيدا وهذا كله محتمل والله اعلم بما اراد وقوله عز وجل فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم لولا اية اخرى سوى هذه والا صرفنا قوله سبحانه وتعالى حرمنا عليهم طيبات على المنع دون تحقيق
التحريم لانهم اهل كفر فلا يبالون من الحرم والحلال ولا يمتنعون عن التناول فاذا كان ما ذكرنا فيجيء ان نصرف تاويل
الاية الى المنع كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل فليس هو على التحريم ولكن على المنع اي منعناه فلم ياخذ من لبن
المراضع دون لبن امه فعلى ذلك يجب ان يكون الاول ثم المنع لهم يكون من وجهين احدهما منع من جهة منع الانزال
لقلة الامطار والقحط كسني يوسف عليه السلام وسني مكة على ما كان لهم من القحط والثاني من جهة الخلق لا يعطوا
شيئا لا بيعا ولا شراء ومعروفا ولكن في الله اخرى بيان ان قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم انه على التحريم ليس
على المنع وهو قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما
او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر عز وجل ان ذلك جزاء بغيهم فدل ما ذكرنا في الاية ان ذلك
على تحقيق التحريم لما يحتمل ان يكونوا لا يستحلون ما ذكر في الاية ولكن كانوا يتناولون على غير الاستحلال لحرم ذلك
عليهم وفي قوله تعالى حرمنا عليهم طيبات احلت لهم دلالة لاصحابنا رحمهم الله في قولهم ان من قد اقر فقال هذا
الشيء لفلان اشتريته منه له ولا يؤخذ منه والا في ظاهر قوله هذا الشيء لفلان اشتريته منه اذا اشتراه
منه لا يكون لفلان فيكون ذلك اقرارا له لكنه على الاضمار كانه قال هذا الشيء كان لفلان اشتريته منه وكذلك
قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم اي كانت لهم وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وحرف ابن عباس
رضي الله عنهما حرمنا عليهم طيبات كانت احلت لهم وقوله عز وجل وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي بصدهم الناس
عن سبيل الله كثيرا يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم صدوا من يستجهلون ويستسفهون عن سبيل الله كانوا يدلون
على الباطل وعلى غير سبيل الله فذلك الصد ويحتمل انهم كانوا يصدون عن سبيل الله بالقتال والحرب وقوله عز وجل
واخذهم الربوا وقد نهوا عنه دل ان الربوا لم يزل محرما على الامم كلها كما حرم على هذه الامة وقوله عز وجل
واكلهم اموال الناس بالباطل يحتمل هذا وجهين يحتمل اكل اموالهم بالباطل هو الرشوة كقوله تعالى واكلهم السحت
قيل هو الرشوة وقيل ما كانوا ينالون من اموال الاتباع والسفلة بتحريفهم التوراة لهم وهو قول ابن عباس رضي الله
عنه وقوله عز وجل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما الا من ظاهره وقوله عز وجل لكن الراسخون في العلم استثنى الراسخين
في العلم منهم والرسخ هو ثبات الشيء في القلب يقال رسخ العلم في القلب ورسخ الايمان في القلب وقوله لكن الراسخون
في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة روي عن عائشة رضي الله عنها
قالت هذا اخطاء من الكاتب هو المقيمون الصلوة والمؤتون الزكوة وكذلك في حرف ابن مسعود رضي الله عنه والمقيمون
الصلوة والمؤتون الزكوة وقال الكسائي وجه قرائتنا يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة
لقوله يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويؤمنون باقامة الصلوة كما قال عز وجل في سورة البقرة ولكن
البر من امن بالله معناه ولكن البر الايمان بالله وقال بعضهم قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل قبلك و
بالمقيمين الصلوة يعني الرسل وفي حرف حفصة رضي الله عنها لكن الراسخون في العلم يؤمنون بما انزل اليك وما
انزل قبلك وبالمقيمين الصلوة يعني الرسل وفي حرف حفصة رضي الله عنها لكن الراسخون في العلم يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتين الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الاخر سوف نؤتيهم اجرا عظيما وكذلك
في حرف ابي المقيمين الصلوة بالنصب وقوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده قيل فيه
بوجوه قيل قوله كما اوحينا الى نوح الكاف صلة زائدة معناه انا اوحينا اليك ما اوحينا الى نوح ومن ذكر من بعده
اي لا يختلف ما انزل اليك وما انزل الى غيرك من الرسل وهو كقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وان هذا لفي الصحف
الاولى الاية وقيل انا اوحينا اليك من الحجج والايات اي قد اعطاك من الحجج والايات ما يدل على رسالتك ونبوتك
كما اعطى اولئك من الحجج والايات على صدق ما ادعوا من الرسالة والنبوة ثم لم يؤمنوا وقيل ان اليهود قالوا ان
محمدا لو كان رسولا لكان يؤتى كتابا جملة كما اوتي موسى كتابا جملة من غير وحي فقال الله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده وحيا من غير ان اوتي كل منهم كتابا جملة كما اوتي موسى ثم كان اولئك رسلا فعلى ذلك

محمد صلى الله عليه وسلم رسولا وان لم يؤت كتابا كما اوتي موسى والله ان يفعل ذلك يؤتي من يشاء كتابا كما اوتي موسى والله
ان يفعل ذلك يؤتي من يشاء كتابا جملة مرة ومن يشاء يوحي اليه بالتفاريق والله اعلم بذلك وقوله عز وجل واوحينا الى
ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب ومن ذكر يحتمل ذكر ابراهيم ومن ذكر من اولاده بعد قوله انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين على التخصيص لابراهيم ومن ذكر لانه ذكر النبيين من بعد نوح فدخلوا فيه ثم خصهم بالذكر تفضيلا
وتخصيصا لهم ويحتمل الى نوح وكما اوحينا الى الرسل من بعدهم وكما اوحينا الى ابراهيم فهذا يدل على ما ذكرنا من ابتداء
الذكر لهم والله اعلم والاية ترد على القرامطة مذهبهم لانهم يقولون الرسل ستة سابعهم قائم الزمان
لانه ذكر في الاية من الرسل اكثر من عشرة فظهر كذبهم بذلك وخيالهم التي سول لهم الشيطان وزين في قلوبهم
وقوله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ذكر في بعض القصة ان اليهود قالوا ما بال
موسى لم يذكر فيمن ذكر من الانبياء فانزل الله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل هؤلاء بمكة في الانعام
وفي غيرها لانه قيل ان هذه السورة مدنية ثم في قوله ورسلا لم نقصصهم عليك دلائل من وجوه احدها
ان معرفة الرسل باجمعهم واحدا بعد واحد ليس من شرط الايمان بعد ان يؤمن بهم جميعا لانه اخبر عز وجل
ان من الرسل من لم نقصصهم عليه ولو كان معرفتهم من شرط الايمان لقصهم عليه جميعا لا يحتمل ترك ذلك
دل انه ليس ذلك من شرط الايمان والله اعلم والثاني ان الايمان ليس هو المعرفة ولكنه التصديق لانه لم
يؤخذ عليه معرفة الرسل واخذ بتصديقهم والايمان بهم جملة وقوله عز وجل وكلم الله موسى تكليما اختلف
فيه قال بعضهم خلق الله كلاما وصوتا والقى ذلك في مسامعه وقال الاخرون كتب له كتابا فكلمه بذلك
فذلك معنى قوله وكلم الله موسى تكليما فان كلمه بكلامه ولا ندري كيف كان سوى انا نعلم انه احدث صوتا لم
يكن فاسمع موسى ذلك كيف شاء وما شاء ممن شاء لان كلامه الذي هو موصوف به في الازل لا يوصف بالحروف
ولا بالهجاء ولا بالصوت ولا بشيء مما يوصف به كلام الخلق بحال وما يقال هذا كلام الله انما يقال على الموافقة و
المجاز كقوله حتى يسمع كلام الله ولا سبيل له ان يسمع كلام الله الذي هو موصوف به بالازل ولكنه على الموافقة
والمجاز يقال ذلك وقوله عز وجل وكلم الله موسى تكليما يخرج هذا والله اعلم مخرج التخصيص له اذ ما من رسول الا
وقد كان له خصوصية لموسى عليه الصلوة والسلام اذ كلمه من غير ان كان ثم سفير ورسول وكان سائر الرسل
وحيا يوحى اليهم اي دليل برسول والله اعلم وقوله عز وجل وكلم الله موسى تكليما دل المصدر على تحقيق الكلام اذا
المصادر مما يؤكد حقايق ما له المصادر في موضع اللغة وايد ذلك الامر المشهور من تسمية موسى كليم الله وما جرى
على السن الخلق من القول بان الله كلم موسى فثبت انه كان له فيما كلمه خصوصية لم يشركه فيه غيره من الرسل وعلى
حق الوحي وانزال الكتب له شريكا في ذلك من الرسل فثبت ان لما وصف به موسى خصوصية كثير من الرسل باسماء اوتوها
اوجبت لهم الفضيلة بها وان كان جملها يحتمل تلك الخصوصية قد يتوجه الى ما قد يشترك في ذلك جملة الرسل فعلى
ذلك امر تكليم موسى عليه السلام وقوله عز وجل رسلا مبشرين ومنذرين اخبر انه بعث الرسل بالبشارة في العاقبة
لمن اطاعه والانذار لمن عصاه فهذا ليعلم ان كل امر لا عاقبة له فهو عبث ليس من الحكمة وان الذي دعى الرسل الخلق
اليه انما دعوا الامر له عاقبة اذ في تعقل كل احد ان كل امر لا عاقبة له ليس بحكمة فهذا والله اعلم معنى قوله رسلا
مبشرين ومنذرين لمن اطاع الله بالجنة ومنذرين لمن عصاه بالنار وقوله عز وجل لئلا يكون للناس على الله حجة
يحتمل هذا وجهين يحتمل لئلا يكون للناس على الله تعالى الاحتجاج بانه لم يرسل الينا وان لم يكن لهم في الحقيقة
عند الله عز وجل ذلك فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى ويحتمل قوله تعالى لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل حقيقة الحجة لكن ذلك انما يكون في العبادات والشرائع التي سبيل معرفتها السمع
لا العقل فلا يكون واما الدين فان سبيل لزومه بالعقل فلا يكون لهم في ذلك على الله حجة اذ في خلقة كل احد من
الدلائل ما لو تامل وتفكر فيها لدل له على هيئته وعلى وحدانيته وربوبيته لكن بعث الرسل لقطع الاحتجاج لهم عنه
وان لم يكن لهم الحجة وان كان على حقيقة الحجة فهو في العبادات والشرائع فبعث الرسل على قطع الحجة لهم والله اعلم وقوله
عز وجل وكان الله عزيزا حكيما اي لا يعجزه شيء عن اعزاز من اراد ان يعجزه ولا على اذلال من اراد لانه حكيما يضع
وضع كل شيء موضعه وقد ذكرناه وبله في غير موضع وقوله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله
بعلمه والملائكة يشهدون قيل فيه بوجهين قيل يشهد الله يوم القيمة والملائكة يشهدون ايضا ان هذا
القران الذي انزل اليك انما انزل من عند الله لا كما يقولون انما يعلمه بشر وما هذا الا افك مفترى ان هذا الا اختلاق
كما قالوا وقيل قوله لكن الله يشهد بما انزل اليك اي يبين بالايات والحجج الحجج الذي يعجز الخلائق عن اتيان مثلها ويلزمهم
الاقرار بانه انما انزل من عند الله والله اعلم وقوله عز وجل انزله بعلمه يحتمل وجهين انزله بالايات والحجج الشاهدة
ويحتمل انزله بعلمه اي انزله على علم منه بمن يقبل ومن لا يقبل ليس كما يبعث ملوك الارض بعضهم الى بعض رسائل
وهذا بالا يعلمون قبولها ولا ردها ولا علم لهم بمن يقبلها وبمن يردها ولو كان لهم بذلك علم ما ارسلوا الرسل ولا بعثوا
الهدايا اذا علموا انهم لا يقبلون فاخبر عز وجل انه على علم منه انزل بمن يقبل وبمن يرد والله اعلم وقوله عز وجل
وكفى بالله شهيدا اي شاهدا على ما ذكرنا من شهادته يوم القيمة على احد الناس ويلزم انه انزل ويحتمل قوله شهيدا اي
مبينا اي كفى بالله مبينا بالايات والحجج وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما انزل لكن الراسخون في العلم منهم الى قوله

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل الاية قالت قريش من يشهد لك انما تقول حق فانزل الله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا او انزل على اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم الاية وقوله عز وجل ان الذين كفروا اي كفروا بايات الله وصدوا الناس عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا اي قد تاهوا وتحيروا وتحيرا طويلا ويحتمل قد ضلوا ضلالا بعيدا اي هلكوا هلاكا لا نجاة لهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل ان الذين كفروا وظلموا اي كفروا بايات الله وحججه وظلموا امر الله وتركوه ويحتمل قوله تعالى وظلموا حيث جعلوا انفسهم لغير الله وجعلوا العبادة لمن دونه وهو انما خلقهم ليجعلوا عبادتهم له فقد وضعوا انفسهم في غير موضعها لذلك وصفهم بالظلم وضع شيء في غير موضعه ويحتمل ظلموا انفسهم وان كانوا لا يقصدون ظلم انفسهم فان حاصل ذلك يرجع الى انفسهم فكانهم ظلموا انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم كان على الاضمار بان لا يهديهم في الاخرة طريقا الا طريق جهنم ويحتمل ما قال اهل التاويل قالوا لا يهديهم طريق الاسلام الا طريق جهنم طريق الكفر والشرك هما طريقا جهنم في الدنيا والاسلام هو طريق الجنة في الدنيا وهذه الاية والاية الاولى في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا ويموتون على ذلك حيث اخبر انه عز وجل لا يغفر لهم ولا يهديهم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا ظاهر وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم يحتمل قوله بالحق من ربكم بالحق الذي لله عليكم ويحتمل بالحق من ربكم بالحق الذي لبعضكم على بعض قد جاءكم الرسول من الله ببيان ذلك كله ويحتمل قوله قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم الحق الذي هو ضد الباطل ونقيضه وفرق بينهما وازال الشبه اذ لم تعاندوا ولم تكابروا فانتهوا خيرا لكم لان الذي كان يمنعهم عن الايمان يمنعهم عن الايمان بالله حب الرياسة وخوف زوال المنافع التي كانت لهم فقال امنوا خيرا لكم لان ذلك لكم في الدنيا والاخرة دائم لا يزول ذلك خير لكم من الذي يكون في وقت ثم يزول عنكم عن سريع وقوله عز وجل وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض الاية يخبر والله اعلم ان ما يامر خلقه وينهى ليس بامر وينهى لحاجة له ولمنفعة ولكن يامر وينهى لحاجة الخلق ومنافعهم اذ من له ما في السموات وما في الارض وملكهما لا يقع له حاجة ولا منفعة وهو غني بذاته وقوله عز وجل وكان الله عليما حكيما عليما عن علم باحوالكم خلقكم لا عن جهل وعليما بما به صلاحكم وفسادكم حكيما حيث وضع كل شيء موضعه ويحتمل قوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض جوابا اخر وهو الذي تكفرونه يقدر ان يخلق خلقا اخر سواكم يطيعونه اذ له ما في السموات وما في الارض والله اعلم وقوله عز وجل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم والغلو في الدين هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم وكذلك الاعتداء هو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم في الفعل وفي النطق وما قال بعضهم تفسير الخلق ما ذكر ولا تقولوا على الله الا الحق كالقول على النبي بما لا يليق به غلو وقيل لا تغلوا اي لا تعمقوا في دينكم ولا تشددوا فيحملكم ذلك على الافتراء على الله والقول بما لا يحل ولا وقوله عز وجل ولا تقولوا على الله الا الحق اي الصدق وعن ابن عباس رضي الله عنه لا تغلو في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق يقول لا تقولوا الله تعالى ولدا ولا صاحبة وفي حرف حفصة رضي الله عنها ولا تقول الله ثالث ثلاثة انما هو اله واحد وقوله عز وجل انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله الخطاب يقول يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم في حقيقة المعنى للخلق كلهم لان على كل الخلائق ان لا يغلوا في دينهم وهو في الظاهر في اهل الكتاب والمقصود منه النصارى دون غيرهم من اهل الكتاب حتى يعلم ان ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم المراد ولا في مخرج خصوصه دليل خصوصه ولكن قد يراد بعموم اللفظ الخصوص وخصوص اللفظ العموم فيبطل به قول من يعتقد بعموم اللفظ عموم المراد وبخصوص اللفظ خصوصه ثم افترقت النصارى على ثلاث فرق في عيسى صلوات الله عليه بعد اتفاقهم على انه ابن مريم قال بعضهم هو الله ومنهم من يقول ابن الاله ومنهم من يقول هو ثالث ثلاثة الرب والمسيح وامه فاكذبهم الله عز وجل في قولهم واخبر انه رسول الله ابن مريم ولو كان هو الها لكانت امه احق ان يكون الها لان امه كانت قبل عيسى عليه السلام ومن كان قبله احق بذلك ممن يكون من بعده ولان من اتخذ الولد انما يتخذ من جوهره لا يتخذ من غير جوهره فلو كان ممن يجوز ان يتخذ ولدا لم يتخذ من جوهر البشر كقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا الاية وقوله عز وجل وكلمته القاها الى مريم وروح منه قال بعضهم كلمته ان قال له كن فكان لكن الخلائق كلهم في هذا كعيسى لان كل الخلائق انما كانوا بقوله عز وجل كن فكان فليس لعيسى عليه السلام خصوصية واصله انه سمى كلمة الله لما القاها الى مريم ولا ندري انه كلمة كانت وانما خلقه بكلمته التي القاها اليها فسمي بذلك كما خلق ادم من تراب فنسب اليه وحوا خلقها من ضلع ادم فنسبها اليه وسائر الخلائق خلقهم من النطفة فنسبهم اليها فعلى ذلك عيسى لما خلقه بكلمة القاها اليها نسب اليه لكن في ادم وغيره من الخلائق ذكر فيهم التغير من حال الى حال ولم يذكر ذلك في عيسى فيحتمل ان يكون له الخصوصية بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وروح منه كقوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا فسمي لذلك روحا لما به كان يحيي الموتى الا ترى انه سمى القران روحا وهو قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا سماه روحا لما به يحيي القلوب كما يحيي الابدان بالروح وقيل وروح منه اي احياه الله وجعله روحا وقيل وروح منه اي رسول منه وقيل وروح منه اي امر منه وقوله عز وجل فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة لان الرسل كلهم لم يدعوكم الى الذي انتم عليه انه ثالث ثلاثة انما دعاكم الرسل ان الله اله واحد لا شريك له ولا ولد انتهوا خيرا لكم بما ذكرنا بالايات الاولى وقوله ولا تقولوا ثلاثة بالرفع اي لا تقولوا هو ثلاثة وقوله عز وجل سبحانه ان يكون

له ولد

له ولد له ما في السموات وما في الارض نزه نفسه عن عظيم ما قالوا فيه بان له ولدا ثم اخبر ان له ما في السموات وما في الارض وانما يتخذ الولد لاحدى خصال ثلاث اما لحاجة تمسه فيدفعها به عن نفسه او لوحشة تصيبه فيستأنس به او لخوف غلبة العدو فيستنصر به ويقهره او لما يخاف الهلاك فيتخذ الولد ليرث ملكه فاذا كان الله سبحانه يتعالى عن ان يمسه حاجة او تصيبه وحشة او للملك زوال يتعالى عن ان يتخذ ولدا وهو عبده وكفى بالله وكيلا قيل حافظا وقيل شهيدا وقيل الوكيل هو القائم في الامور كلها والله اعلم وقوله عز وجل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون تكلم الناس في هذه الاية قال الحسن فيه دليل تفضيل الملائكة على البشر لانه قال الله عز وجل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الثاني يخرج مخرج التاكيد للاول والابدا انما يذكر ما به يؤكد اذا كان افضل منه وارفع لا يكون التاكيد بمثله ولا بما دونه كما يقال لا يقدر ان يحمل هذه الخشبة واحد ولا عشرة ولا يحمل هذا الحمل واحد ولا عدد فهو على التاكيد يقال فعلى ذلك الاول خرج ذكر الملائكة على اثر ذكر المسيح على التاكيد والابدا انما يقع التاكيد بما هو اكبر لا بما دونه والثاني قال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال فكيف يستوي حال من لا يفتر عن عبادته طرفة عين مع حال من يرتكب المناهي والثالث ما قال الله تعالى حكاية عن ابليس حيث قال لادم وحوا عليهما السلام فانهما كادتكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين لو لم يكن للملائكة فضل عندهم ومنزلة ليس ذلك للبشر لم يكن ابليس بالذي يغرهما بذلك الملك والوعد لهما انهما يصيران ملكين ولا كان ادم وحوا بالذي يغتران بذلك دل ان الملك افضل من البشر والرابع ان الانبياء صلوات الله عليهم ما استغفروا الا بدءوا بالاستغفار لانفسهم ثم لغيرهم من المؤمنين كقول نوح عليه السلام رب اغفر لي ولوالدي الاية وكقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وما امر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فقال واستغفر لذنبك الاية وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وما امر بذلك وما فعلوا ذلك الا لما يحتمل ذلك فيهم والملائكة لم يستغفروا لانفسهم ولكنهم طلبوا المغفرة للمؤمنين من البشر كقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم والى هذا ذهب بعض الناس بتفضيلهم الملائكة على البشر وقال الاخرون بتفضيل البشر على الملائكة ولا يجب ان يتكلم في تفضيل البشر على الاطلاق على الملائكة لانهم يعملون بالفساد ويحل فسق الا ان يتكلم في تفضيل اهل الفضل من البشر والمعروف منهم بذلك على الملائكة فذلك يحتمل ان يتكلم فيه ويذهب من قال بتفضيل من ذكرنا من البشر على الملائكة الى انه ليس في قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون على ان الملائكة كلهم افضل منهم لانه انما ذكر المقربين لم يذكر الملائكة مطلقا فيجوز ان يكون لمن ذكر فضل على البشر وكلامنا في تفضيل الجوهر على الجوهر ولان البشر ركب فيهم من الشهوات والاماني التي تدعوهم الى ما فيه الخلاف لله والمعصية له وجعل لهم اعداء امروا بالمجاهدة معهم من انفسهم والشياطين الذين سلطوا عليهم ولا كذلك الملائكة عليهم السلام فمن حفظ نفسه وصانها واخلصها من بين الاعداء وقمع ما ركب فيهم من الشهوات والحاجات الداعية الى الخلاف لله والمعصية له كان افضل ممن لا يشغله شيء من ذلك والله اعلم وما ذكر من اغترار ادم وحوا بقول ابليس الا ان تكونا ملكين لا يحتمل ان يكون ادم لما خلقه من جوهر البشر واخبر انه جعله خليفة في الارض انه يتناول ما نهي عنه ليصير من جوهر الملائكة ولكنه والله اعلم راى ان الملائكة طبعوا على حب العبادة لله ولم يركب فيهم من الشهوات والحاجات التي تشغل المرء عن العبادة لله والقاطعة له احب ان يطبع بطبعهم ليقوم بعبادة الله كما قاموا والله اعلم والتكلم في مثل هذا في فضل ذلك الى الله تعالى واليه التخيير والافضال ثم تاويل قوله عز وجل والله اعلم لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وذلك انهم كانوا يعبدون الملائكة دون الله ويعبدون المسيح دونه فاخبر ان اولئك الذين يعبدونهم انهم لم يستنكفوا عن عبادتي فكيف تستنكفون انتم وقوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فهو والله اعلم على الاضمار كانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ومن لم يستنكف ولم يستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ثم بين جزاء من لم يستنكف عن عبادته ولم يستكبر ومن استكبر فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم الاية واما الذين استنكفوا واستكبروا الاية والا لم يكن في الذين استنكفوا مؤمن بل كانوا كلهم كفارا بالاستنكاف والاستكبار عن عبادته والاستنكاف والاستكبار واحد في الحقيقة وقال الكيساني وانما جمع بينهما لاختلاف اللفظين وهذا من حسن كلام العرب كيف حالك وبالك والحال والبال واحد ومثله في القران والشعر كثير لكن الاستنكاف والانفة لا يضاف الى الله تعالى والاستكبار يضاف فمن هذا المعنى مختلف واما في الحقيقة فهما واحد والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم والبرهان هو الحجة وتوضح وتظهر الحق من الباطل وقيل بيان من ربكم وهما واحد قال بعضهم هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال الاخرون هو القران فانهما كان فيه حجة وبيان يلزم الحق ويبين من لم يعاند وقوله عز وجل وانزلنا اليكم نورا يبصر به الحق من الباطل وبه يعرف وهو القران سماه نورا لما به يبصر الحق وان لم يكن هو بنفسه نورا كالنهار سماه مبصرا لما به يبصرون ان لم يكن هو كذلك وقال قتادة نورا مبينا هو هذا القران وفيه بيانه ونوره وهداه وعصمة لمن اعتصم به وقوله عز وجل فاما الذين امنوا بالله واعتصموا

جعل الاعتصام به ما به ينال رحمته وفضله والاعتصام هو ان يلتجاء اليه في كل الامور وبه توكل لا يلتجاء
بمن دونه والله اعلم وقوله عز وجل ويهديهم اليه صراطا مستقيما كانه والله اعلم على التقديم والتاخير فاما الذين
امنوا بالله واعتصموا به ويهديهم اليه صراطا مستقيما فسيدخلهم في رحمة منه يعني الجنة وفضل كقوله تعالى
فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والكلالة ما ذكر ان امرؤ هلك
ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك الى اخر ما ذكر قال جابر رضي الله عنه انه قال ما سالت النبي صلى الله عليه
وسلم عن شيء اكثر مما سالته عن الكلالة ثم طعن في صدري باصبعه فقال الا يكفيك اية الصيف التي في اخر سورة
النساء وفيه دلالة انه قد ينزل بيان ما يدرك بالاجتهاد والنظر ولا يبين ليجتهد ويدرك بالنظر لان عمر رضي
الله عنه سال غير مرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبينه واشار الى الاية التي فيها ذكر ما سال عنه لينظر ويجتهد
ليدرك وفيه دليل جواز تاخير البيان لان عمر ساله غير مرة ولم يبينه حتى امره بالنظر في الاية وعمر رضي الله
عنه لم يكن عرف قبل ذلك فدل جواز تاخير البيان وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال الكلالة من
ليس له ولد ولا والد وكذلك قال عمر رضي الله عنه وقال اني استحيي الله ان ارد شيئا قاله ابو بكر وسئل ابن عباس رضي الله
عنه عن الكلالة فقال من لا والد له ولا ولد وروي عن جابر رضي الله عنه قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعودني وابو بكر الصديق معه فوجدني قد اغمي علي فدعا بوضوء فتوضأ وصب وضوءه علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي وكان
لي تسع اخوات ولم يجبني حتى نزل قوله تعالى يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها
نصف ما ترك الى اخر ما ذكر قال جابر رضي الله عنه في نزلت الاية قال بعض الناس اذا مات الرجل وترك ابنته واختا
فلا شيء للاخت لان الله تعالى قال ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك والابنة ولد فلا ميراث للاخت
وللاخ مع الابنة لانها ولد فيقال ان الله عز وجل جعل للابنة النصف اذا لم يكن معها ابن بقوله تعالى وان كانت واحدة
فلها النصف فاذا مات وترك ابنة واختا فللابنة النصف الباقي اذا لم يعط للاخت يرد الى الابنة فيكون لها كل الميراث
وقد جعل الله تعالى ميراثها اذا لم يكن معها ولد ذكر النصف او لا يرد الى الابنة فيجب ان ينظر ايهما احق بذلك النصف
الباقي فجاء في بعض الاخبار ان الاخوات مع البنات عصبة لذلك كانت الاخت اولى بذلك النصف الباقي والله اعلم
وقوله عز وجل فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ذكر للاثنين الثلثين ولم يذكر ما للثلاث فصاعدا منهن
وذكر في الابنة الواحدة النصف في اول السورة بقوله وان كانت واحدة فلها النصف ولم يذكر ما للبنتين ولكن
ذكر الثلاث فصاعدا بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فترك بيان الحق في الابنتين لبيانه في الاختين
وترك البيان للاخوات لبيانه في البنات ففيه دليل القياس حيث اكتفى ببيان البعض عن الاخر وقوله عز وجل وان
كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين قوله تعالى اخوة رجالا ونساء ان اسم الاخوة لجميع الاناث
والذكور جميعا لانه ذكر اخوة ثم فسر الرجال والنساء فهو دليل لنا في قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس
انهم يحجبون الام عن الثلث ذكورا او اناثا والله اعلم وقوله عز وجل يبين الله لكم ان تضلوا قيل ان لا تضلوا قال
الكسائي العرب تقول للرجل اطعمتك ان تجوع واغنيتك ان تفتقر على معنى ان لا تجوع ولا تفتقر وفي القران كثير مثل
هذا ثم قوله يبين الله لكم ان لا تضلوا قيل ان لا تضلوا في قسمة المواريث وقيل ان لا تخطئوا وقيل ان لا تختلفوا
وهو واحد والله بكل شيء عليم وعبد وبالله الحول والقوة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاستعانة

سورة المائدة

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اجمع اهل التاويل على ان العقود هاهنا هي العهود ثم العهود على قسمين
عهود فيما بين الخلق امر الله عز وجل بوفائها وعهود فيما بينهم وبين ربهم وهي المواثيق التي اخذ عليهم من نحو الفرائض
التي فرض الله عليهم والنذور التي يتولون هم ايجابها وغير ذلك امر عز وجل بوفائها واما العهود التي فيما
بينهم من نحو الايمان وغيرها امر بوفاء ذلك اذا لم يكن فيها معصية الرب كقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها امرها
هنا بوفاء الايمان ونهى عن تركها ونقضها ثم جاء في الخبر انه قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير
وليكفر عنه امر فيما فيه معصية بفسخها او امر بوفاء ما لم يكن فيه معصية ونهى عن نقضها بقوله تعالى ولا تنقضوا
الاية وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اوفوا بالعقود هو ما احل وما حرم وما فرض وما حد في القران كله وهو
ما ذكرنا وقيل ان العقود التي امر الله تعالى بوفائها هي العهود التي اخذ الله تعالى على اهل الكتاب بان يؤمنوا بمحمد صلى
الله عليه وسلم ويأخذوا بشرائعه ويعملوا بما جاء به وهو كقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم وكقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا و
قال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية فالخطاب لهم على هذا التاويل لانهم كانوا امنوا به
قبل ان بعث فلما بعث كفروا به وقوله عز وجل احلت لكم بهيمة الانعام قال بعضهم هي الوحوش وهو قول الفراء الا ترى
انه قال غير محلي الصيد وانتم حرم وقال الحسن هي الابل والبقر والغنم وقال اخرون البهيمة كل مركوب لكن عند ما كل ماكول
من الغنم والوحش والصيد وغيره والاصل يذكر دليله ما استثنى الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه
قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة و

والموقوذة

والموقوذة الاية غير محلي الصيد وانتم حرم دل قوله غير محلي الصيد على ان الصيد فيه كالمذكور وان لم يذكر لانه
استثنى الصيد منه وابدا انما يستثنى الشيء من الشيء اذا كان فيه ذلك واما اذا لم يكن فلا معنى للاستثناء فاذا استثنى
الصيد دل الاستثناء على ان الصيد فيه وان لم يذكر ودل قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا على ان النهي كان عن الاصطيا
د في حال الاحرام لا عن اكله لان للمحرم ان ياكل صيدا صاده حلال ودل قوله غير محلي الصيد على ان الصيد قد دخل
في قوله احلت لكم بهيمة الانعام على ما ذكرنا تقدم ان البيان في الجواب يدل على كونه في السؤال وان لم يكن مذكورا
في السؤال فعلى ذلك يدل الثنيا من الصيد على كونه فيه والله اعلم ويحتمل بهيمة الانعام الثمانية الازواج التي ذكرها
في سورة الانعام من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى اخر ما ذكر والاية فدل على ان الذي احل من البهائم الانعام
منها ثمانية دل عليه قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم قال والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ففصل بين الانعام وبين الخيل والبغال والحمير خلقها للركوب والانعام للاكل وقوله تعالى الا ما يتلى
عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم يحتمل يتلى على لو عداه يتلى عليكم
من بعد ما ذكر على اثره حرمت عليكم الميتة والدم الى اخره ويحتمل الا ما يتلى عليكم وهو ما ذكر وفي حرف ابن مسعود رضي الله
عنه الا ما يتلى عليكم فيها في سورة الانعام قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخره وقوله عز وجل ان الله يحكم ما يريد
هذا والله اعلم اي ان الله الحكم يحكم بما شاء من التحريم والتحليل فيما شاء على ما شاء ليس لمن الحكم عليه وهذا ينقض قوله
لم يرد لا تزلوا واد لحكم وبالله العصمة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله عن ابن عباس رضي الله عنه
قال كان المشركون يحجون البيت الحرام ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فاراد المسلمون
ان يغيروا عليهم فانزل الله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يعني لا تستحلوا قتالا فيه ولا الهدي ولا القلائد
الاية وقال غيرهم قوله لا تحلوا شعائر الله يعني المناسك لا تستحلوا ترك شعائر الله والشعائر هي المناسك الا ترى
ان الله تعالى سمى كل نسك من الحج شعائر الله كقوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله وقال والبدن جعلناها لكم
من شعائر الله كل هذا من شعائر الله وهي معالم الله في الحج وقيل شعائر الله فرائض الله كانه قال لا تستحلوا ترك ما فرض الله
عليكم وقال الحسن شعائر الله قال دين الله وهو واحد وقيل في قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام حتى بلغ الهدي والقلائد
فقال حواجز ابقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر جريرة وارتكب كبيرة ثم لجأ الى حرم الله تعالى لم يتناول
ولم يطلب ولو لقي قاتل ابيه في الاشهر الحرم لم يتعرض له وكان الرجل لو لقي الهدي مقلدا وهو ياكل العصب من الجوع
لم يتعرض له ولم يقربه واذا اراد البيت تقلد قلادة من شعر فحرمته ومنعته من الناس حتى ياتي اهله حواجز ابقاه
الله بين الناس في الجاهلية اما رائهم والله اعلم ويحتمل قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله اي لا تستحلوا ما اشعركم الله حرمته
وهو من الاعلام ويحتمل ان يكون اراد به مشاعر الحرام الذي ذكرنا وقال لا تحلوا الحرام ولا الشهر الحرام ولا الهدي
والا القلائد وهذه امور كانت من قبل فنسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية وعن الشعبي انه قال
لم ينسخ من المائدة غير هذه الاية نسخها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقوله فاذا انسلخ
الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية وقالت عائشة رضي الله عنها انها اخر ما انزل فما وجدتم فيها
من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه وقوله عز وجل ولا
الشهر الحرام وهو كقوله تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وقد ذكرنا ان الله عز وجل اطلق
الحرم في الشهر الحرام بعد ما كان محظورا بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم واما قوله ولا الهدي ولا القلائد
وهو ما ذكرنا من صنيعهم في الجاهلية فيما ذكرنا وفيه دليل لقول اصحابنا رحمهم الله حيث قالوا ان الغنم لا تقلد
والابل والبقر تقلد لانه ذكر الهدي والقلائد فدل ان من الهدي يقلد ولا امين البيت الحرام اي قاصدين البيت
الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قيل ان المشركين كانوا يقصدون البيت الحرام يلتمسون فضل الله ورضوانه
بما يصلح لهم دنياهم كقوله تعالى فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق وقد يجوز ان يكونوا
لما التمسوا عند انفسهم رضوان الله امر المؤمنين بالكف عنهم وان كانوا قد غلطوا في توجيه العبادة فجعلوها
لغير الله كقوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وقوله عز وجل واذا حللتم
فاصطادوا دل هذا على ان النهي في قوله غير محلي الصيد في اخذ الصيد والاصطياد في الاحرام لا اكله وهو اباحة
ما حظر عليهم بالاحرام وان كان ظاهره امرا ومعناه فاذا حللتم لكم ان تصطادوا واصله ان كل امر خرج على
اثر محظور فهو امر اباحة واطلاق ذلك المحظور المحرم لا امر الزام وايجاب من نحو قوله تعالى اذا نودي للصلوة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ثم قال تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله هو اطلاق المحظور المتقدم وقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم ثم قال عز وجل و
لكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا امر اطلاق واباحة ما حظر عليهم ومثله كثير في القران مما يكثر ذكره
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ولا امين البيت الحرام ولا تاموا وكذلك في حرفه فاموا صعيدا طيبا و
قيل في قوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حجهم فلا يقبل عنهم حتى يسلموا فنهى الله تعالى رسوله عن قتالهم
وقال بعضهم ان الاية نزلت في رجل من اهل اليمامة يقال له شريح وذلك انه اتى بالمدينة فدخل على النبي صلى الله عليه
وسلم فقال انت محمد النبي فقال نعم فقال الى ما تدعو قال ادعو الى ان تشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله

هذا اشرط شديد وان بي امراء ظلمة رجع اليهم فاعرض عليهم ما اشترطت علي واستأمرهم في ذلك فان اقبلوا اقبلت
واذا ادبروا ادبرت فكنت معهم ثم انصرف خارجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خرج قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقد خرج من عندي بعقبي غادر ولقد دخل علي بوجه كافر وما الرجل بمسلم فمر شريح بسرح اهل المدينة
فساقها معهم فلما كان من العام الثاني قدم شريح المكي ومعه تجارة عظيمة في حجاج وكانت العرب في الجاهلية يغير
بعضهم على بعض فاذا كان اشهر الحرم امن الناس كلهم بعضهم بعضا فمن اراد ان يا فر قلد بعيره من الشعر والذين
فيامن بذلك الهدي حيث ما ذهب فلما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحج شريح وقدومه الى مكة فاردنا
ان يغيروا على شريح فيأخذوا ما معهم ويقتلوهم كما اغار شريح على سرح اهل المدينة قبل ذلك فاستأمروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت الاية فيهم لا تحلوا شعائر الله الى اخره فلا ندري كيف كانت القصة وليس بنا الى
معرفة القصة حاجة الا القدر الذي ذكر الله في ذلك وقوله عز وجل ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد
الحرام ان تعتدوا وقال تعالى في موضع اخر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن
قوم على ان تعتدوا الاية وقال في اية اخرى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الو
الدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا الاية ذكر في بعضها الاعتداء ونهى عنه وهو المجاوزة عن الحد الذي حد لهم
وذكر في بعضها العدل وامر به ونهى عن الظلم والجور ثم الاسباب تحملهم وتبعثهم عن الاعتداء والظلم وتمنع القيام
بالشهادة والعدل ثلاثة احدها ما ذكر عز وجل البغض والعداوة بقوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان تعتدوا وقال
على ان لا تعدلوا وقال كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكون غنيا او فقيرا
امرهم بالقيام بالشهادة واخبر ان لا يمنعكم الولاية والقرب القيام بالشهادة او طمع غني او خوف فقر هذه الوجوه
التي ذكرنا تمنع الناس القيام بالشهادة وتبعثهم عن الجور والاعتداء فنهاهم الله عز وجل ان يحملهم بغض قوم وعداوة
احد على الجور والاعتداء او يمنعهم النفقة او القرب او طمع غنى احد او خوف فقر القيام بالشهادة وما عليهم
من الحق وامران يجعلوه كله لله بقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله فاذا كان كله لله قدر ان يعدل في الحكم
وترك مجاوزة الحد الذي حد له وقدر على القيام بالشهادة وما ذكروما يمنع شيء من ذلك القيام به من نحو ما ذكر
من البغض والعداوة والقرب والشفقة او طمع الغنى وخوف الفقر اذا جعل الحكم لله عدل فيه ومنعه عن الجور فيه
والاعتداء وكذلك الشهادة اذا جعلها لله قام بها دائما ولو على نفسه اما ذكرنا لم يمنعه شيء عن القيام به وقوله عز وجل
وتعاونوا على البر والتقوى كان البر هو اسم كل خير والتقوى هو ترك كل شر والانتهاء عن كل شر ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان الا ترى انه ذكر بازاء البر الاثم والتقوى العدوان فهذا يبين ان البر اسم لكل خير والتقوى هو الانتهاء
من كل شر ويجوز ان يكون ما ذكر في الاية الاولى وامر به وهو قوله لا تحلوا شعائر الله الى قوله البيت الحرام يقول
عاونوهم على ما يأتون به من ذلك فانهم الى البر يقصدون عند انفسهم وان لم يكن فعلهم برا لعبادتهم غير الله
تعالى وانما امروا عما ونتهم وترك التعرض لهم ان ثبت ما ذكر في القصة اذا احرموا او قلدوا او قصدوا البيت الحرام
في الوقت الذي جاز ان يعاهدوا فيه كما يجوز لنا معاهدة اهل الكتاب على ان لا نعرض لكتابهم وان كانوا يعبدون
الله فيها لانهم يدينون بذلك ويقصدون بر البر عند انفسهم فلما امر بنقض عهود مشركي العرب امر بمنعهم
من دخول المسجد وان تقتلوا حيث وجدوا والى هذا المعنى ذهب اصحابنا رحمهم الله تعالى والله اعلم في فرقهم بين
شهادة اهل الذمة على امثالهم وشهادة فساق المسلمين ان اهل الذمة متدينون بكفرهم والفساق غير متدينين
بفسقهم وكذلك فرقهم بين ما يغلب عليه المشركون من اموال المسلمين وبين ما يغلب عليه الفساق من اموال المسلمين
وكذلك سبيل الدماء التي يصيبها المحاربون من اهل البغي من اهل العدل ولا تشبه ما يصيبه الفساق منها لان امر المتدين
بدين خطأ مخالف في الحكم امر المقر بالذنب فيه الا ترى انه يجوز ان يطلق لمن يعاقدوه من اهل الكتاب الصلوة وكنا
بيعهم وان كان ذلك عندنا معصية حرام ولا يجوز ان يطلق المعصية لفساق المسلمين بحال وقوله عز وجل واتقوا الله
اي نقمة الله وعذابه في ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاكم عنه ان الله شديد العقاب قال ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام اي لا يحملنكم بغض قوم لصدهم اياكم عن البيت فتاثموا
فيهم ان تعتدوا فتقتلوهم وتأخذوا اموالهم وقال وتعاونوا على البر والتقوى البر ما امرت به والتقوى الكف
عما نهيت عنه وقال والعدوان هو المجاوزة عن حد الله الذي حده وقوله ولا يجرمنكم قال بعضهم لا يحملنكم
بغض قوم ان تعتدوا وقال الاخرون لا يكسبنكم وفيه لغتان يجرمنكم برفع الياء ونصبها يجرمنكم وهو ما ذكرنا وقوله
عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به هو على والله اعلم كانه قال حرم عليكم
اكل الميتة والدم واكل لحم الخنزير الى اخرها ذكر الاية ثم قال يجوز الانتفاع بصوف الميتة وبعظمها ولا تدل على الحرمة
اكل والانتفاع بجلدها لا يجوز الانتفاع بعد الدباغ لان الجلد ربما يتنوع مع اللحم فيؤكل فهو حرام لحرمة اللحم لان يدبغ
ثم في الاية دليل الامتحان من وجهين احدهما اباحة التناول من جوهر وحظر من جوهر بحرمة الخنزير والدم ولحمه لحمة سبب
ولا بغير سبب والامتحان بحل الخنزير بسبب وحرم بسبب والثاني في نفس حل تنفر الطبع منه لان كل ذي روح تألم
بالذبح واستخراج الروح منه ويحمل بطبيعة كل احد مما ينفر عنه الا ما ثبت بطيب انفسهم بذلك ثم جعل ما يخرج
من الارض كل حلالا بلا سبب يكتسبوا الا انه لا يقدرون على التناول منه لخوف الهلاك لا ثمرات لا تتغير الدابة

الخنق بكسر النون قال العلماء في ولا يقال بالسكون وهو مصدر وخنقه اذا اعصر حلقه
٤٢

عنه ثم جعل اسباب الحل اسبابا يكتسبونها الا بعمل في استخراج ذلك الدم المحرم منه حل الكل واذا لم يعمل في استخراج ذلك
الدم فهلك فيه افسده لا تزلف فيه ما هو محرم فافسده فاستخراج ذلك الدم مما يطيب ذلك ويمنع عن الفساد الا في
طول الوقت والذي هلك فيه الدم يفسد في قليل الوقت وقوله عز وجل وما اهل لغير الله به قال الكيسائي ما اهل
لغير الله به اي ذكر وسمي عليه غير اسم الله مشتق من استهلال الصبي ومنه اهلال الهلال واهل المحرم بالحج اذا لبى قال
قتادة كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها والكافر في الحقيقة يهل لغير الله لانه لا يعرف الله هو
حقيقة لكنه اجيز ذبائح الكتابي لانه يسمي عليه اسم الله تعالى والموقوذة كانوا يضربون بالعصي حتى اذا ماتت ثم اكلوها
والمتردية كانت تردى في بئر او من جبل فتموت والنطيحة كان الكبشان ينتطحان فيموت احدهما فيأكلونه وما اكل السبع
الا ما ذكيتم كان اهل الجاهلية اذا قتل السبع شيئا من هذا واكل منه اكلوا ما بقي فقال الله تعالى الا ما ذكيتم ثم روي عن
ابن عباس رضي الله عنه قال والموقوذة فادركت من هذا كله يتحرك بالذنب او يطرف له العين فاذبح واذكر اسم
الله عليه فهو حلال وروي عن علي رضي الله عنه قال اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او حركت ذنبها فهو ذكية
وكذلك روي عن ابن الزبير انه سمع عبيد بن عمر رضي الله عنه يقول كذلك وكان يروي مرفوعا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كذلك وهذا والله اعلم اذا خنقها او وقذها بغي عليها فاذا ذبح فحركت ذنبها او طرف عينها او ركضت
رجلها الى فوق فاستدل بذلك على حيوتها وليس هذا ذكاة بنزع الذئب او السبع ما في بطنها او صار بحال لا يحتمل
بذلك انها وان تحركت او طرفت بعينها فانها لا تؤكل واصله ان كل ما لو قطع العروق فتركت فانت تكون ميتة
فاذا ادرك في تلك الحال فذكاه كانت ذكية وكل ما لو صار بحال الموتات كانت ذكية فاذا ادرك في تلك الحال فذكاه
كانت ميتة والمتردية الممتنعة عن الذبح في المذبح اذا ذبح من غير المذبح يجوز اكله روي عن نافع بن خديج قال
اصبنا ابلا وغنما فند منها بعير فرماه رجل بسهم فحبسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهذه الابل اوابد
كاوابد الوحش فاذا كان غلبكم شيء منها فاصنعوا به هكذا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في البعير يتردى
في البئر اذا لم يقدر على نحره فهو بمنزلة الصيد ينحره من حيث ادرك وسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن بعير تردى
في بئر فصار اعلاه اسفله فقال قطعوه اعضاء وكلوه وعن ابن عمر رضي الله عنه وروي انه سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقيل هل تكون الذكوة الا في الحلق واللبة فقال اما انها لو طعنت في فخذها اجزى عنك واذا ذكى بغير السكين
من نحو المروة والقصبة مما يقطع يجوز لما روي ان عدي بن حاتم رضي الله عنه قال يا رسول الله ارسل كلبي فيأخذ الصيد
وليس معي ما اذكيه فاذبحه بالمروة والقصبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الدم بما شئت واذكر اسم الله
عليه وكذلك روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وروي ان رجلا اشاط دم جزور بجدل فسأل النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اذا انهرت الدم فكل وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذبح بكل
ما افرى الاوداج واهراق الدم ما خلا السن والظفر والى هذا يذهب اصحابنا رحمهم الله في ذلك ويرون كل
ما انهر الدم من حجر او مروة او نحو ذلك مذكى ويؤكل ويحملون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا السن والظفر
على انهما اذا كانا غير منزوعين لان ذلك خنق وليس بذبح تفسير ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه حيث قال الخنق
وفي الخبر بيان لانه قال كل ما انهر الدم وافرى الاوداج ما خلا السن والظفر فانهما مدى الحبشة وهم انما كانوا
يذبحون بسن او ظفر غير منزوعة والله اعلم وقوله عز وجل ما ذبح على النصب اي النصب قيل كانوا يذبحون للاوثان
والاصنام التي يعبدونها يتقربون بذلك اليها كما كان اهل الاسلام يتقربون بالذبائح يذبحونها الى الله فحرم الله
عز وجل ما كانوا يذبحون للنصب وما اهل لغير الله به لما ذكرنا ان الامر به خرج مخرج قبول النعمة والشكر له فيما انعم
من عظيم النعم فاذا اهلوا به لغير الله اي لغير وجه الله لم يقبلوا نعمه ووجهوا الشكر الى غيره فحرم لذلك والله اعلم
وقوله عز وجل ان تستقسموا بالازلام قيل سهام العرب وكعاب فارس التي يتقامرون بها وقيل الازلام هي القداح
كانوا يقتسمون بها الامور وكان الرجل اذا اراد سفرا اخذ قدحا فقال هذا يأمره بالخروج فهو مصيب في سفره
خيرا ويأخذ قدحا اخر فيقول هذا يأمره بالمكث فان هو خرج فليس بمصيب خيرا في سفره والمنيح بينهما فنهى الله
عن ذلك وانبأ ان ذلك فسق بقوله ذلكم فسق وعن الحسن قال كانوا يعمدون الى قداح فيكتبون على احدهما امرني
وعلى الاخر نهاني ثم يجيلونها اذا اراد والامر فان خرج عليه امرني مضى في وجهه وان خرج الذي عليه نهاني
لم يخرج قال ابو بكر الكيساني ان في النهي عن العمل بالازلام دليل النهي عن العمل بالنجوم فاذا نهى عن العمل بقوله
المقتسمين وينهى ايضا عن العمل بقول المنجمة لانهم يقولون حين ما يقول اولئك ويعملون به لكن المنجمة ليسوا
يقولون ان نجم كذا يأمركم كذا ونجم كذا ينهى عن كذا على ما كان يفعل اولئك ويجوز ان يكون الله عز وجل في النجوم
علوما ومعاني يدركون بها ويستخرجون شيئا يحتمل ذلك ويكون على ما يستخرج اهل الاجتهاد بالاجتهاد اشياء من
معنى النصوص واحكاما لم تذكر في المنصوص فعلى ذلك المنجمة يجوز ان يستخرجوا اشياء من النجوم بدلائل ومعان
يكون في النجوم ولا عيب عليهم في ذلك ولا لائمة انما اللائمة عليهم فيما يحكمون على الله ويشهدون عليه قال العتبي
الازلام القداح واحدها زلم وزلم والاستقسام بها ان يضرب فاخذ الاستقسام من القسم وهو التنصيب كانه
طلب النصيب قال ابو عوسجة استقسمت اي ضربت بالقداح قال كانه من القسم وقال ابو عبيدة انما سمي استقسامًا
لانهم كانوا يطلبون قسم الرزق وطلب الحوائج بها فكانوا يأتونها ان قسم لهم والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم

فسق يحتمل قوله فسق اى العمل بالازلام والشهادة على الله انه امر بذلك فسق وعلى هذا من يستجيز العمل بالقرعة لانه يقول بقرع لمن خرجت قرعته بحكم له فانما يحكم له بامر القرعة لان القرعة تأمره بالحكم بهذا بهذا وتنهاه عن الحكم بهذا بهذا فهو بالازلام والقداح التي نهى الله عن العمل بذلك اشبه وبها امثل من غيره ويحتمل قوله تعالى ذلكم فسق اى التناول مما ذكر من المحرمات من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به وما ذبح على النصب وما ذكر في اول السورة من الاصطياد في الاحرام والتناول منه ذلك كله فسق وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل اليوم يئس الذين كفروا من دينكم انهم كانوا يطمعون دخول اهل الاسلام في دينهم وعودهم فايأسهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك فقال اليوم يئس الذين كفروا ان يترككم دين الاسلام فلا تخشوهم واخشون امنهم عن ذلك وقوله عز وجل اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال ابو عبيد كان دينهم الى ذلك اليوم ناقصا فحينئذ كمل دينهم فعلى زعمه ان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الخلق الى دين ناقص ومن مات من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار رضوان الله عليهم اجمعين ماتوا على دين ناقص ويحشرون يوم القيامة على دين ناقص واي قول وحش من هذا واسمج وقال اخر من اصحاب الحديث كان الدين كاملا الى ذلك الوقت فلما بعث الله بالفرائض وافترض عليهم صار الدين ناقصا الى ان يؤدوا الفرائض وما افترض عليهم فعند ذلك يحمل فهذا القول ايضا في الوحشة والسماجة والقبح مثل الاول ويقال لابي عبيد قل ايضا بانه لم يكن رضي لهم بالاسلام دينا قبل ذلك رضي ولا صار فيما وثيل الاية وجوه احدها اليوم اكملت لكم دينكم اى برسوله وبعثته اكملت لكم دينكم وبه اتممت عليكم نعمتي ويحتمل قوله اليوم اكملت لكم دينكم اى اليوم اظهرت لكم دينكم ولم يكن قبل ذلك ظاهرا حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقال الا لا يحجن بعد العام مشرك وذلك لظهوره ولغلبة اهل الاسلام عليهم وان لم يكن هذا قبل ذلك ويحتمل قوله اليوم اكملت لكم دينكم لما امنهم من العدو والعود الى دين اولئك واياس اولئك عن رجوعهم الى دين الكفرة واى نعمة اتم واكمل من الامن من العدو ويقول الرجل اليوم تم ملكي اذا اهلك عدوه ولا منه من عدوه وان كان لم يوصف ملكه قبل ذلك بالنقصان فعلى ذلك هذا والله اعلم وقيل اليوم اكملت لكم دينكم اى امر دينكم بما امروا بامور وشرايع لم يكونوا امروا بها قبل ذلك وهذا جائز وقوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا اى اكرمتكم بالدين المرضي وهو الاسلام كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقوله عز وجل فمن اضطر في مخمصة قيل المخمصة المجاعة وقال ابو عوسجة رجل خميص اى جايع وقال غيره هو من ضيق البطن وهو واحد لانه من الجوع ما يضيق البطن وقوله عز وجل غير متجانف لاثم قال بعضهم غير متجانف لاثم اى غير متعمد لاثم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال الكلبي غير متجانف غير متمايل والجنف الميل وكذلك قال العتبي قال ابو عوسجة ايضا الجنف الميل ثم قوله غير متجانف لاثم يحتمل وجهين قيل غير مستحل اكل الميتة في حال الاضطرار حرم عليه التناول من الصيد وقيل غير متلذذ ولا مشتهي يتناول على التكره منه لا على التلذذ والشهوة وقيل ايضا انه لا يتمنى ولا انه في حال الاضطرار وكقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد وقوله عز وجل غير باغ ولا عاد وتفسير قوله هذا والله اعلم وقوله عز وجل فان الله غفور رحيم اى من رحمته ان جعل لكم التناول من المحرم ورخص لكم اذ له ان يترككم تموتون جوعا كقوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم الاية وقوله عز وجل يسألونك ماذا احل لهم ليس في السؤال بيان ثم كان سؤالهم ولكن في الجواب بيان والمراد من سؤالهم فقال قل احل لكم الطيبات دل قوله تعالى احل لكم الطيبات ان سؤالهم كان عن الطيبات وما يصطاد من الجوارح ثم اختلف في قوله تعالى احل لكم الطيبات قال بعضهم الطيبات هي المحللات لكنه بعيد لانه قال احل لكم المحللات على هذا التاويل لكنه بعيد لانه تعالى قال قل احل لكم المحللات على هذا التاويل لكنه يحتمل وجهين غير هذا احدهما ان احل لكم باسباب تطيب به انفسكم من نحو الذبح والطبخ والخبز وغيره لم يحل لكم ما يكره به انفسكم التناول منه غير مطبوخ ولا مذبوح ولا مشوي ولكن احل لكم باسباب طابت به انفسكم التناول منه والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان احل لكم ما تطيب به طباعكم لا ميتا تنكره طباعكم وتنفر عنه والله اعلم وقوله عز وجل وما علمتم من الجوارح كانهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يحل من الجوارح فذكر ذلك لهم مما ذكر في بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر بقتل الكلاب فاتاه اناس فقالوا ماذا يحل لنا من هذه الامة التي امرت بقتلها فنزل قوله تعالى يسألونك ماذا احل لهم الاية وقيل سمي جوارحا لما يكتسب بها والجوارح من الكواسب قال الله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات قيل اكتسبوا وجرح كسب وقال ابو عبيد سميت جوارح لانها صوائد وهو ما ذكرنا من الكسب يقال فلان جارح اهله اى كاسبهم وقال غيره سميت جوارح لانها تجرح وهو من الجراحة فاذا لم يجرح لم يحل صيده واحتج محمد رحمه الله بهذا المعنى في صيد الكلب اذا قتل ولم يجرح مسئلة من كتاب الزيادات ومما يدل على صحة ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عدي بن حاتم رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعراض فقال ما اصبت بعرضه فلا تاكل فهو وقيذ وما اصابت بحده فكل وقوله عز وجل مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله الاية قال بعضهم مكلبين من الكلاب يكالبن الصيد وقال العتبي المكلبين اصحاب الكلاب وكذلك قال الفراء والكسائي المكلبون هم اصحاب الكلاب والكلب المعلم وقوله عز وجل تعلمونهن قال الحسن وابو بكر تضرونهن يقال كلب مضراة على كلب الصيد وهما يبيحان الصيد وان اكل منه الكلب فعلى قولهما يصح تأويل الاضراء اذ يبيحان التناول وان اكل منه وقال تؤدبونهن ليمسكوا الصيد لكم وهو عندنا على حقيقة التعلم ليعلم ليمسكوا الصيد لهم وقوله عز وجل مما علمكم الله يتوجه وجهين احدهما مما علمكم الله اى

من اصحاب الحديث سح

روى عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انا نرسل الكلاب من المعلمة قال كل ما امكن عليك قلت وان قتلن قال وان قتلن قلت انا نرمي بالمعراض قال ما خرق وما اصاب بعرضه فقتل انه وقيذ فلا تاكل

مما جعل بينكم بحيث احتمل تعليم هؤلاء ولم يجعل غيركم من الخلايق محتملا لذلك ولا اهلا ويحتمل قوله تعالى مما علمكم الله ان قال لكم علموهن بكذا وافعلوا كذا فكيف ما كان ففيه دليل جعل العلم شرطا فيه ثم تخصيص الكلاب بالذكر دون غيرها من الاشياء وان كانت الكلاب وغيرها سواء اذا علمت لخبث الكلاب ولما طلبها الناس حتى جاء النهي عن اقتنائها وجاء الامر بقتلها في وقت لم يجئ بمثله في ساير السباع ليعلم ان ما كسب هؤلاء مع خبثها اذا كن معلمين يحتمل التناول منه مما لم يجئ فيه ذلك احرى وقوله عز وجل فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه انما اباح اكل ما امسك علينا ولم يبح مما امسك على نفسه لان الكلب وغيره من السباع من طباعهم اذا اخذوا الصيد ياخذون لانفسهم ولا يصبرون على ان لا ياكلوا منه فاذا اخذوا الصيد ولم يتناولوا منه دل انه انما امسك لصاحبه واذا تناول منه لم يمسك لصاحبه لان البازي لا يدري انه امسكه لصاحبه او امسك لنفسه لوقت اخر لما شبع وعلى ذلك جاءت الاثار روي عن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انا قوم نتصيد بهذه الكلاب والبزاة فهل يحل لنا منها فقال يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم مما علمتم من كلب او باز فذكرت اسم الله عليه قلت وان قتل قال اذا قتله ولم ياكله فانما امسك عليك وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه فقلت يا رسول الله ارايت ان خالطت كلابنا كلابا اخرى قال اذا خالط كلبك كلابا فلا تاكل فانك انما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على كلب غيرك عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اذا اكل الكلب من الصيد فليس بمعلم وعنه ايضا قال اذا اكل الكلب من الصيد فلا تاكله واذا اكل الصقر فكل لان الكلب تستطيع ان تضربه والصقر لا وعن علي رضي الله عنه قال اذا اكل الكلب فلا تاكل وانتزع وقد ذكرنا من الاخبار ومما يدل على ان الكلب اذا كان غير معلم يؤكل صيده من خبر عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله انا قوم نتصيد بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله عليها فكل مما امسكن عليك وان قتلن الا ان ياكل الكلب فان اكل فلا تاكل وعلى هذا يخرج قولنا انه اذا اكل من دمه يؤكل لانه لو امسكه علينا كنا لا ناكله وذلك من غاية تعليمه لانه لم يتناول الخبيث وامسك الطيبة على صاحبه ولو كان صيد الكلب اذا اكل منه حلالا لكان المعلم وغير المعلم سواء وكان ما امسك على نفسه وعلى صاحبه سواء لان كل الكلاب تطلب الصيد اذا ارسلت عليه وتمسكه حتى تموت وتاكل منه الا المعلم فما معنى تخصيص الله تعالى المعلم منها والممسك على صاحبه لو كان الامر على ما قال مخالفنا وقد روي عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه قال ان علم الكلب حتى صار لا ياكل من صيده ثم اكل من صيد بعد ما تعلم يجزان يؤكل من صيده الاول اذا كان باقيا ومذهبه عندنا والله اعلم ان صيد الكلب لا يؤكل حتى يكون معلما وان امسك في اول ما يرسل فلم يؤكل فاذا امسك مرارا ثم اكل ولنا كله على ان امساكه عن الاكل لم يكن لانه معلوم اذ قد يمسك غير المعلم للشبع ولو كان معلما ما اكله فاستدل باكله في الرابعة على ان امساكه في الثالثة كان على غير حقيقة تعليم وهذا عندنا في صيد يقرب بعضه من بعض فاما اذا اكثر امساكه ثم ترك ارساله مدة يجوز ان ينسى فيها ما علم ثم ارسل فاكل فليس فيها رواية عنه ويجوز ان يقال يؤكل ما بقي من صيده الاول ويفرق بين المسئلتين بان الثاني قد نسي والاول بعد من النسيان لتقارب ما بين الصيدين فلا وجه الا ان يجعل غير مستحكم التعلم في صيده المتقدم وقد ذكرنا فيما تقدم ان الصقر والبازي من الجوارح واسندنا على ذلك بما صححناه فدل ذلك على ان صيد ما ليس بمعلم من الطير لا يؤكل الا ان يدرك ذكاته ثم يكون تعليم البازي والصقر باجابته صاحبه ورجوعه اليه وتعليم الكلاب ترك الاكل منه لان البازي ونحوه مستوحش عن الناس ينفر طبعه عنهم فدل الفة الناس واجابته اصحابهم على التعلم وان اكل منه ولا يحتمل ان يكون بالتناول منه يخرج عن حد التعليم لانه انما يعلم بالاكل من الصيد واما الكلب فانه يالف الناس ولا يستوحش ومن طبعه الاكل اذا اخذ الصيد فدل امساكه عن التناول منه على انه معلم وقد روي عن علي رضي الله عنه ما يدل على تاييد ما ذكرنا قال اذا اكل الصقر فكل وان اكل الكلب فلا تاكل وعن سلمان كذلك وقوله عز وجل واتقوا الله ان الله سريع الحساب يحتمل قوله اتقوا الله فلا تستحلوا ما لم يذكر اسم الله عليها فانها ميتة ويحتمل اتقوا الله في ترك ما امر ونهى كله ان الله سريع الحساب يحتمل السرعة كنايه عن الشدة سريع الحساب شديد العقاب وقوله عز وجل اليوم احل لكم الطيبات يحتمل قوله اليوم حرفا فتاح يفتتح به الكلام الا شارة الى وقت مخصوص على ما ذكرنا في قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقد يتكلم باليوم لا على اشارة وقت مشار اليه وهو والله اعلم ما حرم عليهم من الثمانية الازواج التي ذكر الله تعالى في سورة الانعام وهو قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين الى اخر ما ذكر ثم قال وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية وما حرموه على انفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغيرها من المحرمات التي كانت فاحل الله ذلك لهم فقال اليوم احل لكم الطيبات وكانت محرمة عليهم قبل ذلك لكن اهل التاويل صرفوا الاية الى الذبائح لم يصرفوا الى ما ذكرنا وقد ذكرنا المعنى الذي به صارت الذبائح طيبات فيما تقدم وقوله عز وجل وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اى ذبائحهم حل لكم وذبائحكم حل لهم الى هذا حمل اهل التاويل فان قيل ليس جعل ذبائحنا محللة لهم وذبائحهم محللة لنا فانه يحل ذبائحنا لهم ولغيرهم كيف لا يحل ذبائحهم وذبائح غيرهم وهو ذبائح المجوس قيل حل الذبائح شرعي وليس للمجوس كتاب امنوا به فيحل ذبائحهم واما اهل الكتاب فانهم امنوا بما في الكتاب بحله وحرمته لذلك افترقا والله اعلم والاية على قول اصحاب العموم

بوجب جميع طعامنا لهم لانه قال وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم فعلى قولهم لكل واحد من الفريقين ان
يتناول طعام الفريق الاخر دل انه يخرج عموم اللفظ لا يوجب الحكم عاما للفظ والله اعلم **وقوله** عز وجل والمحصنات من المؤمنات
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اختلف فيه قال بعضهم المحصنات اراد به الحرائر وقال اخرون اراد به العفايف
منهن غير زانيات كقوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة نهى عن نكاح الزانيات ورغب في نكاح العفايف
وهذا اشبه من الاول لانه قال في اخر الاية محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان دل هذا على انه اراد بالمحصنات
العفايف منهم لا الحرائر ودلت الاية على حل نكاح الحرائر من الكتابيات وعلى ذلك اتفاق اهل العلم لكن يكره ذلك روي
عن ابن عمر رضي الله عنه انه كره تزوجهن فهذا عندنا على غير تحريم منه لتزويجهن ولكن راى تزويج المسلمات
افضل واحسن لسا ركتها المسلم في دينها وروي عن عمر رضي الله عنه كرهه ذلك وذلك لان حذيفة رضي الله عنه تزوج
يهودية فكتب اليه عمر رضي الله عنه يامره بطلاقها ويقول كفى بذلك فتنة للمسلمات فهذا ايضا لا على سبيل التحريم
ولكن لما ذكر من الفتنة فتنة المسلمات فاصحابنا رحمهم الله يكرهون ايضا تزويج الكتابيات ولا يحرمونه واختلف
اهل العلم في تزويج اماءهن قال اول قوم قول الله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب على الحرائر وتاوله اخرون على
العفايف وقد ذكرنا ان صرف التاويل الى العفايف اشبه بدلالة محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان
معما لو كانت المحصنات ههنا هن الحرائر لم يكن فيه حظر نكاح اماء الكتابيات لانه اباحة نكاح الحرائر من الكتابيات
وليس في اباحة شيء في حال حظر غيره فيه قد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم فالمجوسية ليست عندنا من اهل الكتاب
والدليل على ذلك قول الله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب
على طائفتين من قبلنا فاخبر الله تعالى ان اهل الكتاب طائفتين فلا يجوز ان يجعلوا ثلاث طوائف ولو كان ذلك خلاف ما دل
عليه القرآن الا ترى ان رجلا لو قال انما لي عليك يا فلان درهمان لم يكن له ان يدعي عليه اكثر من ذلك ولو قال
انما لقيت اليوم رجلين وقد لقي ثلاثة كان كاذبا لان قوله انما لقيت رجلين كقوله لقيت اليوم رجلين ولا يجوز
مثل هذا في اخبار الله لانه الصادق في خبره عز وجل فان قيل هذا شيء حكاه الله عز وجل عن المشركين وقد يجوز
ان يكونوا غلطوا لحكي الله تعالى عنهم ما قالوا قيل له لم يحك الله تعالى هذا القول عن المشركين ولكن قطع بالقرآن
عذرهم فقال انزل الكتاب لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين فهذا
كلام الله واحتجاجه على المشركين وليس حكاية عنهم ومن الدليل على ان المجوس ليس من اهل الكتاب ما قال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه وهو في مجلس بين القبر والمنبر ما ادري كيف اصنع بالمجوس وليسوا باهل الكتاب فقال
عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب فصرح عمر رضي الله
عنه بانهم ليسوا اهل الكتاب ولم ينكر عبد الرحمن ذلك عليه ولا احد من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فلو كانوا
اهل الكتاب ولم يقل سنوا بهم سنة اهل الكتاب وكذلك روي عن الحسن بن محمد انه قال كتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى مجوس هجر فقال ادعوكم الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فان اسلمتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا
ومن ابى فعليه الجزية غير اكل ذبايحهم ولا ناكحي نساءهم الى هذا ذهب اصحابنا رحمهم الله في قولهم ان المجوس ليس
باهل كتاب واما نصارى بني تغلب فان عليا رضي الله عنه قال لا تحل ذبايح نصارى العرب فانهم ليسوا باهل كتاب
وقرأ ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وقال ابن عباس رضي الله عنه يؤكل وقرأ ومن يتولهم منكم فانه منهم والاية
الاولى تدل على انهم اهل كتاب لان الله عز وجل قد جعلهم منهم بقوله ومنهم اميون فحكمهم حكمهم اذا اخبر الله عز وجل
انهم منهم ومما يدل على ذلك ايضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا يتخلجن في صدرك طعام ضارعت
فيه النصرانية لانه لم يرم فيه النصارى فدخل فيه عربهم وعجمهم لانهم دانوا بدينهم وكل من دان بدين قوم فهو منهم و
من الدليل على ان العرب اذا دانوا بدين اهل الكتاب فهم من اهل الكتاب ان العجم لما اسلموا صار حكمهم حكم عرب اهل
الاسلام فان ارتد احد منهم وسال ان يؤخذ منهم الجزية كما توخذ في الابتداء في المجوس لم يجب الى ذلك وقيل له
اما ان تسلم واما ان تقتل فهو بمنزلة عربي مسلم لو ارتد عن الاسلام فلما كان حكم العجمي اذا دان بدين النبي صلى الله عليه
وسلم حكم العرب وجب ان يكون حكم العربي اذا دان بدين العجم من اهل الكتاب ان يجعل حكمه حكمهم وبالله التوفيق **وقوله**
عز وجل والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن وقد يحل لنا اذا لم يؤت اجورهن
دل ان ذكر الحكم في حال لا يوجب خطره في حال اخرى فهو دليل لنا في جواز نكاح الاماء من اهل الكتاب وان ذكر
في الاية المحصنات **وقوله** عز وجل ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الاية اي ومن يكفر بالذي عليه الايمان به وهو المؤمن به
اي الله لانه لا يكفر بالايمان ولكن يؤمن به وهو كقوله حتى ياتيك اليقين اي الموقن به فعلى ذلك الاول معناه من يكفر بالذي
عليه الايمان به وهو المؤمن به فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وبالله العصمة والهداية **وقوله** عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق لو حملت الاية على ظاهرها لكان لا سبيل
لاحد القيام باداء ما فرض الله عليه من الصلوة لانه كلما قام الى الصلوة يلزمه الوضوء فلا يزال يبقى فيه لكنها
على الاضمار كانه قال يقال اذا قمتم الى الصلوة وانتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق والا ظاهر الاية
يوجب ما ذكرنا لكن الحدث مضمر فيه ومن الناس من يوجب الوضوء لكل صلوة بظاهر هذه الاية وقد جاء من الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين الفعل بذلك روي عن ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم انهم توضؤوا لكل صلوة وروي عن

النبي صلى الله

النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه صلى الظهر ثم قعد في الرحبة فلما حضرت
العصر دعا بكوز من ماء فغسل يديه ووجهه وذراعيه ورجليه وشرب فضله وقال هكذا رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يفعل وقال هذا وضوء من لم يحدث وروي عن عبيد بن عمير انه كان يتوضؤ لكل صلوة وتاول
هذه الاية وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يتوضؤ لكل صلوة فلما كان يوم فتح مكة صلى الصلوات كلها بوضوء
واحد فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انك فعلت شيئا لم تكن تفعله قال لي عمدا فعلته يا عمر وروي عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم في كل صلوة الوضوء ومع كل وضوء
السواك وكل ما روي من الاخبار بالوضوء لكل صلوة وهو على الفضل عندنا والاستحباب لا على الحتم الا ترى
انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصلوات كلها بوضوء واحد وقال اني فعلت عمدا ذلك ما ذكرنا وقد
يحتمل تاويل الاية معنى اخر ما روي عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراق ماء نكلمه
فلا يكلمنا ونسلم عليه فلا يرد علينا حتى ياتي اهله فيتوضا وضوءه للصلوة فقلنا له في ذلك حتى نزل اية الرخصة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فهذا يدل ان معنى الاية على الاضمار اذا قمتم الى الصلوة وانتم
محدثون فاغسلوا وجوهكم وايديكم وروي في تاويل الاية اذا قمتم من المضجع الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم وروي في تاويل الاية اذا قمتم من المضجع الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وقد رويت الاخبار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان ينام ثم يصلي الصبح ولا يتوضا فسئل عن ذلك فقال اني لست كاحدكم انه تنام عيناي
ولا ينام قلبي ولو احدثت لعلمت وروي عن صفوان بن عسال اذ كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
يامرنا ان لا ننزع خفافنا اذا ادخلناها طاهرتين ولا نخلعهما من غائط ولا نوم الا من جنابة فهذه الاحاديث
لا توجب الوضوء من النوم مجملا وجاء حديث اخر مفسرا بايجاب الوضوء اذا نام مضطجعا روي عن ابن عباس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على من نام قاعدا وضوء حتى يضطجع استرخت مفاصله فهذه
الاخبار التي جاءت مجمله وقد جاءت الاخبار انه اذا نام في الصلوة قائما او قاعدا او ساجدا فلا وضوء عليه
فيدل ذلك على ان النوم في الصلوة ليس بحدث وروي عن عمر رضي الله عنه قال لا يوجب الوضوء حتى يضع
جنبه وينام فهذا يؤيد ما قلنا مما اجتمع اهل العلم في ان الوضوء ليس بواجب على من قام الى الصلوة وهو غير
محدث فكان التاويل ما ذكرنا **وقوله** عز وجل فاغسلوا وجوهكم الخطاب من الله عز وجل بغسل الوجه ما يعرف
اهل الوجه فالتكلم فيه والتحديد بانه من كذا الى كذا فضل تكلم والامر بالغسل يرجع الى ما ظهر وعرف اهله انه
وجه وكذلك الامر بمسح الراس يرجع الى ما عرف اهله انه راس وليس كالاذنين لان معرفة الاذنين انهما من
الراس سمعي لانهما لا يعرفان انهما من الراس بالسمع وكذلك الامر بغسل اليد والرجل يقع على ما يعرف الناس وعرف
الناس اليد الى الابط والرجل الى الركبة فخرج ذكر المرافق في غسل الايدي على اخراج ما وراء المرافق وكذلك ذكر
الكعب في الرجل لاخراج ما وراء الكعب لان اسم اليد على الاطلاق يقع من اطراف الاصابع الى الابط **وقوله**
عز وجل وارجلكم الى الكعبين قرؤا بالنصب وقراوه بالخفض قال بعضهم من قراء بالنصب فهو يرجع الى الغسل
نسقا على الوجه وبالخفض الى المسح مسح الخفاف نسقا على مسح الراس لكن هذا بعيد لانه تركنا قصد لا يجوز ان يامر به
بالغسل والمسح جميعا ومعنى الخفض لقرب جواره بقوله تعالى وامسحوا برؤوسكم وقد يجوز ذلك نحو قوله تعالى
ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون فمن قراء بالخفض انما قال لقرب الجوار بالخفض فعلى
ذلك الاول ثم الحكمة في الامر بغسل هذه الاعضاء لبذكرهم تطهير باطنهم والمعنى في غسل هذه الاعضاء الظاهرة
والله اعلم لمعنيين احدهما شكرا لنا اليد بها يتناول ويقبض واما الرجل لما بها يمشي وبها يصل اليه والوجه يجمع الحواس
التي يعرف عظيم نعم الله عز وجل من نحو البصر والفم وغيرهما من الحواس التي بها يكون التلذذ والتشهي وامر بذلك
تكفيرا لما ارتكب بهذه الحواس من الاجرام لانه بها يرتكب جل الاثام وبها يوصل اليها من المشي والقبض وغير ذلك
وقوله عز وجل وان كنتم جنبا فاطهروا قيل اغتسلوا باخذ الجنابة الظاهر من البدن وبواطنه والحدث لا ياخذ
الا الظاهر من الاطراف لان السبب الذي يوجب الجنابة لا يكون الا باستعمال الجميع ما فيه من القوة الا ترى
انه به يضعف اذا اكثره وبتركه يقوى فعلى ذلك اخذ جميع البدن ظاهره وباطنه واما الحدث فكان سببه يكون
بظواهر هذه الاطراف من نحو الاكل والشرب والحدث وليس باستعمال كل البدن والله اعلم **وقوله** عز وجل و
ان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء الاية ذكر المرض والسفر والمجيء من الغائط
والملامسة ثم الحكم لم يتعلق باسم المرض ولا باسم السفر ولكن باسم الغائط ولكن كان متعلقا لمعنى فيه دل لا يجوز
القياس لانه ذكر الغائط والمجيء منه والغائط هو المكان الذي يقضي فيه الحاجات والمراد منه المعنى وهو
قضاء الحاجات فهذا اصل لنا ان النص اذا ورد لمعنى فوجد ذلك المعنى في غيره وجب ذلك الحكم في ذلك
الغير فاذا عدم الماء في المكان الذي يعدم وان لم يكن سفر يجوز التيمم فيه وكذلك اذا خاف الضرر من الماء
جاز له التيمم يكون مريضا لانه ليس اباح ذلك للمريض باسم المرض ولا باسم السفر ولكن لمعنى فيه **وقوله** عز وجل
او لامستم النساء قد ذكرنا فيما تقدم ان الملامسة هو الجماع كذلك روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما وقال
ابن عباس رضي الله عنه الملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والغشيان كله جماع ولكن الله كريم يكني **وقوله**

يجمع والكسائي والمفضل عن عاصم بالخفض فيهما

عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا جعل الطهارة بالماء والتراب لأن بهما معا نشر الخلق وبهما قوام الأبدان حتى جعل جميع أغذية الخلق وجل مصالحهم منهما فعلى ذلك جعل قيام هذه العبادات بهما والله أعلم ثم الحكمة في وجوب الطهارة وجهان أحدهما ما ذكرنا أن يذكرهم طهارة الباطن والثاني يكفر لما ارتكبوا بهذه الجوارح من الأجرام أو يشكروا لما أنعم عليهم من المنافع التي جعل لهم فيها من القبض والبسط والتناول والأخذ والمشي وغير ذلك مما يكثر ثم الحكمة في جعل الطهارة في أطراف البدن للتزين والتنظيف لأنه يتقدم على الملك الجبار ويقوم بين يديه ويناجيه ومن أتى ملكا من ملوك الأرض يتكلف التنظيف والتزين ثم يدخل عليه فعلى ذلك هذا والله أعلم وقوله عز وجل وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا قال عبد الله بن مسعود وعمر رضي الله عنهما الملامسة ما دون الجماع وقالا لأن الجنب لا يتيمم وإن لم يجد الماء شهرا وإنما قالا أنه لا يتيمم لما قالا إن اللمس ما دون الجماع فلم يدخل الجنب في هذه الآية وأوجبوا عليه الغسل بقوله تعالى وإن كنتم جنبا فاطهروا وجعلا قول الله تعالى ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا على مرور الجنب في المسجد ولم يجعله على أنه يصلي إذا كان مسافرا ولم يجد الماء بالتيمم فهذا الذي منع عبد الله أن يطلق للجنب أن يصلي بالتيمم على حال فأما علي وابن عباس رضي الله عنهما فإنهما جعلا اللمس الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية الجماع وقالا كنى الله تعالى عن الجماع بالمس والغشيان والمباشرة وجعل قول الله تعالى إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا في المسافر الذي لم يجد الماء وهو جنب وقد روي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه أذن للجنب من الجماع أن يتيمموا إذا لم يجد الماء فكان ذلك حجة على من منع الجنب من التيمم ثم قول الشافعي قول ثالث خارج عن قول الصحابة والسلف رضوان الله عليهم أجمعين لأنه يزعم أن اللمس هو الجماع وما دونه فذلك ابتداع في الآية قولا وتفسيرا خالف فيه ما روي في تفسيرها عن الصحابة رضي الله عنه جملة والسلف لذلك كان مخطئا وأصله أن الله تعالى ذكر الوضوء وأمر به في الآية وهو قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الآية ولم يذكر الحدث وأمره بالاغتسال من الجنابة وهو قوله وإن كنتم جنبا فاطهروا ولم يذكر من أي جنابة ثم ذكر الحدث في قوله أو جاء أحد منكم من الغائط فعلى ذلك قوله تعالى أو لامستم النساء كان بيانا لما تقدم من الأمر بالاغتسال من الجنابة والله أعلم وقوله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا قيل اقصدوا والصعيد طيبا والصعيد هو وجه الأرض وقوله عز وجل طيبا قال بعضهم الطيب ما ينبت من الزرع وغيره وقال آخرون الطيب ها هنا هو الطاهر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا أينما أدركتني الصلوة تيممت وصليت أخبر أن الأرض جعل له مسجدا وطهورا فكان قوله طهورا تفسيرا لقوله طيبا والله أعلم وقوله عز وجل فامسحوا بوجوهكم وأيديكم قد ذكرنا فيما تقدم أن التيمم ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين وقوله عز وجل ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج يحتمل هذا وجهين يحتمل ما يريد أن يضيق عليكم لأمركم بحمل الماء إلى حيث ما كنتم في الأسفار وغيره ولكن جعل لكم التيمم ورخص لكم أن تؤدوا ما فرض عليكم به ولم يكلفكم حمل الماء في الأسفار وغيره والله أعلم ووجه آخر ما أراد الله بما تعبدكم من أنواع العبادات أن يجعل عليكم من حرج ولكن أراد ما ذكر وقوله عز وجل ولكن يريد ليطهركم به بالتوحيد والإيمان به وبالرسل جميعا ويحتمل قوله يريد ليطهركم من الذنوب والآثام التي ارتكبوها كقوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات ويحتمل التطهير من الأحداث والجنابات كما قال أهل التأويل وقوله عز وجل وليتم نعمته عليكم تمام ما ذكرنا من التوحيد والإيمان والهداية لدينه والتكفير مما ارتكبوا ويجوز أن يكون هذا في قوم علم الله أنهم يموتون على الإيمان حيث أخبر أنه يتم نعمته عليهم وقوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم أمر والله أعلم بشكر ما أنعم عليهم من أنواع النعم وميثاقه الذي واثقكم به يحتمل الميثاق ميثاق الخلقة وشهادتها إذ خلقة كل أحد تشهد على وحدانيته وربوبيته ويحتمل الميثاق الذي ذكر ميثاق قول قالوه وقبلوا ما دعوا إليه وقوله إذ قلتم سمعنا وأطعنا قال بعضهم أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك وقال آخرون سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقوله عز وجل اتقوا الله في ترك ما أمركم ربكم وارتكاب ما نهاكم إن الله عليم بذات الصدور وهو على الوعيد وقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الآية يحتمل أن يكون الآية في الشهادة نفسها كأنه قال أن قوموا شهداء لله واجعلوا الشهادة له فإذا فعلوا هكذا لا يمنعهم بغض أحد ولا عداوة القيام بما عليهم لله أن يقولوا في الشهادة لله والحكم له يحكم للعدو كما يحكم للولي ويقوم في الشهادة للعدو كما يقوم للولي والله أعلم ويحتمل أن يكون في بيان الحق والحجج وتعليم الأحكام والشرائع كأنه يقول والله أعلم قوموا في بيان الحجج الحق وتعليم الأحكام لله لا يمنعكم بغض قوم ولا رضاهم على أن لا تبينوا الحق لهم ولا تعلموا الحجج والأحكام لهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ولا يجرمنكم أي لا يحملنكم شنآن قوم أي بغض قوم على أن لا تعدلوا فيهم في تمام العدل لله في الرضا والسخط اعدلوا بقول قولوا العدل بالحق فإنه أقرب للتقوى وقوله عز وجل اعدلوا هو أقرب للتقوى أي عدلوا هو التقوى كقوله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين لأن العدل ليس إلا التقوى واتقوا الله في ترك ما أمركم به وارتكاب ما نهاكم عنه إن الله خبير بما تعملون وتضمرون من العدل والجور خرج على الوعيد وقوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال بعضهم هذه الآية هي صلة ما تقدم في قوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط إلى آخر ما ذكرنا فإذا فعلوا وقاموا في الشهادة و

والعدل في الحكم كان لهم ما ذكر من الوعد والله أعلم ولكن يحتمل هي على الابتداء والله أعلم كأنه قال وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات وعدا ثم بين ما في ذلك الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم لستر على ذنوبهم ويتجاوز عنها وأجر عظيم الجنة قال ابن عباس رضي الله عنه لهم مغفرة في الدنيا لذنوبهم وأجر عظيم في الآخرة الجنة وهو ما ذكرنا والله أعلم وقوله عز وجل والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم قيل كفروا بآيات الله وكذبوا بآياته يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن أولئك أصحاب الجحيم وقيل كفروا بتوحيد الله وكذبوا بآياتنا بالقرآن بأنه ليس من الله تعالى وهما واحد وهذا يدل أن الآية على الابتداء خرج ليس على الصلة على ما قالوا وقوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم عنكم يحتمل أن يكون هذه المنة التي ذكر الله تعالى في هذه الآية من كف أيدي الأعداء عنهم بعد ما بسطوا إليهم أيديهم في جملة المؤمنين لأن المؤمنين كانوا في ابتداء الأمر مختفين ما بين الكفرة لا يقدرون على إظهار الإسلام وإعلانه وقد هموا قتل المؤمنين غير مرة فبما كف أيديهم عنهم منة عظيمة علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين ويحتمل أن يكون في قوم خاص قد أحاطوا بهم وبسطوا أيديهم إليهم وهموا بقتلهم فكف الله عز وجل بفضله أيديهم عنهم ومن أيديهم ثم اختلف فيه عن ابن عباس رضي الله عنه قال هم بنو قريظة يبسطوا أيديهم بالقتل فكف الله تعالى أيديهم عنهم بالمنع وقيل نزلت في اليهود دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا لهم في النخل وأصحابه وراء الجدار واستعانهم في شيء من دية غرمها ثم قام من عندهم فأتمروا بينهم بقتله فخرج يمشي القهقرى معترضا ينظر من خيفتهم ثم دعا أصحابه رضي الله عنهم إليه رجلا رجلا حتى تناهوا إليه فلا ندري كيف ما كانت القصة وليس لنا إلى معرفة القصة حاجة بعد أن نعرف منة الله التي من علينا بكف الأعداء عنهم ونشكر له على ذلك وفي هذه الآية دلالة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عما كان منهم من غير أن شهد ذلك ليعلم أنه بالله علم وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي على الله يتكل المؤمن في كل أمره وبه يثق وقوله عز وجل ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا هذا والله أعلم تعليم من الله تعالى هذه الأمة وأنباء منه أنه قد أخذ العهود والمواثيق على الأمم السالفة كما أخذ منكم لا أنه ذكر أنه قد أخذ من هؤلاء والميثاق بقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به الآية ثم أعلمهم بما وعدهم الثواب أن وفوا بتلك العهود والمواثيق التي أخذت عليهم وبما أوعدهم من العقاب إن نقضوا العهود التي أخذ عليهم ليكونوا على حذر من نقضها وليقيموا على وفائها وإن يقال إنه إنما ذكر ما أخذ على أولئك من العهود والمواثيق ليكون ذلك آية من آيات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن الأمم السالفة وهو لم يشهدها ولا حضرها ليعلموا أنه إنما علم ذلك بالله ثم يحتمل تلك العهود والمواثيق التي أخذت عليهم ما ذكر على إثرها وسياقها وهو قوله تعالى وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوة إلى آخر ما ذكر ويحتمل ما قال ابن عباس إحلال ما أحل الله وتحريم ما حرم الله وحسن موازرتهم وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا يعني ملكا وهم الذين بعثهم موسى إلى بيت المقدس ليعلموا له علمها ويحتمل أن يكون اختار وامتحنهم أولئك فسألوا موسى أن يجعلهم عليهم قدوة يقتدون بهم ويعلمونهم الدين والأحكام ويأخذ عليهم المواثيق والعهود فيكون ما أخذ على أولئك من المواثيق والعهود عليهم والله أعلم ثم اختلف في النقيب قال بعضهم النقيب هو الملك وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقال أبو عوسجة النقيب هو المنظور إليه والمصدر عن رأيه وهو من وجوه القوم وجمعه النقباء مثل الوفاء وقال أبو عبيد النقيب الأمير والضامن على القوم وقال الكسائي والفراء يقال منه نقب عليه أنقب نقابة وهو فوق العريف يقال من العريف عرف عليهم عرافة وهم النقباء والعرفاء والمناكب واحدهم منكب وهم كالعون يكون مع العريف وقال القتبي النقيب الكفيل على القوم والنقابة والنكابة شبيه بالعرافة وقوله عز وجل وقال الله إني معكم قال بعضهم قال للنقباء إني معكم في النصر والدفع عنكم لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة إلى آخر ما ذكر وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ويحتمل أن يكون هذا الوعد لكل من قام بوفاء ذلك النقباء وغير النقباء وما ذكر من الوعيد في الآية التي هي على إثرها على كل من نقض ذلك العهد النقيب وغير النقيب ثم قوله ولئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة يحتمل وجهين يحتمل أنه أراد بالصلوة الخضوع والثناء له وبالزكوة تزكية النفس وطهارتها وذلك في العقل على كل أحد القيام به في كل وقت ويحتمل أن يكون أراد بالصلوة والزكوة الصلوة المعروفة المعهودة والزكوة المعروفة ففيه دليل وجوب الصلوة والزكوة على الأمم السالفة وقوله عز وجل وآمنتم برسلي يحتمل أن تؤمنوا برسلي جميعا ولا تفرقوا بينهم أن تكفروا ببعض وتؤمنوا ببعض كقولهم نؤمن ببعض ونكفر ببعض وعزرتموهم قال القتبي وأبو عوسجة وعزرتموهم عظمتموهم والتعزير التعظيم وقال بعضهم نصرتموهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال وعزرتموهم أعنتموهم يعني الأنبياء عليهم الصلوة والسلام وأقرضتم الله قرضا حسنا أي صادقا من كل أنفسكم تبتغي بها وجه الله وقال بعضهم وأقرضتم الله قرضا حسنا أي محتسبا طيبة بها نفسا ويحتمل قوله وأقرضتم الله قرضا حسنا أي اجعلوا عند الله أنفسكم أيادي ومحاسنا تستوجبون بذلك الثواب الجزيل ثم قال لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار وعدهم وتكفير ما ارتكبوا من المآثم إذا قاموا بوفاء ما أخذ الله عليهم من المواثيق وقوله عز وجل فمن كفر منكم بعد ذلك فقد ضل سواء السبيل قال بعضهم فمن كفر بعد ذلك أي بعد المواثيق والعهود التي أخذ عليهم ويحتمل قوله فمن كفر بعد ذلك أي من كفر فقد ضل سواء السبيل أي أخطأ

فصد السبيل وقوله تعالى عز وجل فبما نقضهم اى فبنقضهم قبل ما زائدة فبنقضهم ميثاقهم لعناهم يحتمل لعناهم اى طردناهم
الملعون هو المطرود عن كل خير ويحتمل لعناهم اى دعونا عليهم باللعن وجعلنا قلوبهم قاسية بما نزع منها الرحمة
والرأفة اذا نقضوا العهود وتركوا امر الله لان الله تعالى اخبر انه جعل فى قلوب الذين اتبعوا امر الله واطاعوه رسوله
والرحمة والرأفة بقوله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة فاذا نزعت الرحمة من قلوبهم صارت
قسية يابسة وقوله عز وجل يحرفون الكلم عن مواضعه يحتمل ان يكونوا يغيرون تأويله ويقولون هذا من عند الله
ويحتمل التحريف تحريف النظم والمتلو ومحوه ويكتبون غيره ونسوا حظا مما ذكروا به قيل ضيعوا كتاب
الله بين اظهرهم ونقضوا عهده الذى عهد اليهم وتركوا امره وقوله عز وجل مما ذكروا به اى وعظوا به وقيل
تركوا نصيبا مما امروا به فى كتابهم من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة منهم
اخبار عن تمردهم فى المعاندة وكونهم فى الخيانة وايا س عن ايمانهم ثم استثنى فقال الا قليلا منهم وهم الذين
اسلموا منهم وقوله عز وجل فاعف عنهم واصفح ولا تكافهم لما اذوك ثم قال بعضهم هو منسوخ باية القتال
فى سورة براءة وهو قول تعالى وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية ويحتمل فاعف عنهم واصفح الى ان يؤمر بالقتال
والله اعلم وقوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اى كونوا انصار الله فقالوا بل نكون نصارى قوله انا نصا
اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ما من احد يعقل الا وقد اخذ الله عز وجل عليه العهد والميثاق
وقد اخذ الميثاق على المؤمنين بقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به الاية واخذ الميثاق
على اليهود بقوله ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الاية واخبر ايضا انه قد اخذ الميثاق على النصارى فى هذه الاية
بقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم وقد تقدم ذكر الميثاق ومعناه فى موضع وقوله عز وجل فنسوا
حظا مما ذكروا به يحتمل هذا وجهين ويحتمل اى تركوا حظهم مما امروا به من التوحيد بالله والايمان بالرسل
كلهم وتمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى والوفاء بالعهود التى عهد اليهم فتركوا ذلك كله وضيعوا ويحتمل نسوا
حظا مما ذكروا به اى لم يحفظوا ما وعظوا به وقوله عز وجل فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة قيل
اغرينا القينا بينهم العداوة والبغضاء قال الحسن من حكم الله تعالى ان يلقى بينهم العداوة والبغضاء بجعل قلوبهم قاسية
ومن حكمه ان يكون بين المسلمين رأفة ورحمة وقال بعض المعتزلة قوله تعالى اغرينا بينهم العداوة والبغضاء اى
خذلناهم وتركناهم لكن هذا كله منهم احتيال وفرار عما يلزمهم من سوء القول وقبحه فيقال لهم ان شئتم
معا خذلانا وان شئتم تركا اجعلوا ما شئتم ولكن هل كان من الله فى ذلك صنع او اضاف ذلك الى نفسه ولا
صنع له فى ذلك وذلك الحرف على غير اثبات الفعل فيه او شيء حرف ذم لا يجوز ان يضيف ذلك الى نفسه ولا
يجوز ان يضيف ذلك الى نفسه ولا فعل له فى ذلك ولا صنع فدل انه له فيه صنعا وهو ما ذكرنا ان خلق ذلك
منهم وكذلك فيما اضاف الى نفسه ولا فعل له فى ذلك ولا صنع فدل انه له صنعا وهو ما ذكرنا ان خلق ذلك
منهم وكذلك فيما اضاف فى نفسه من جعل الرأفة والرحمة فى قلوب المؤمنين فلو لم يكن فى ذلك صنع لكان
لا يضيف ذلك الى نفسه وذلك الحرف حرف الحمد والمدح فدل ان له فيه صنعا وهو ان خلق الرأفة والرحمة
فى قلوب المؤمنين وخلق القساوة والعداوة فى قلوب اولئك الكفرة وبالله التوفيق وفى الاية دلالة اثبات
رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه القى بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة واخبر انه
لا تزال تطلع على خائنة منهم وكان كما قال على علم منهم انه لا تطلع على ما فى قلوبهم من الخيانة والقساوة
وغير ذلك من الامور فدل انه بالله علم ذلك وقوله عز وجل وسوف ينبئهم الله فى الاخرة بما كانوا يصنعون فى الدنيا
وهو قول ابن عباس وقوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب الاية
قال عز وجل قد جاءكم رسولنا ولم يقل فلان ابن فلان ليعلم ان الرسل عليهم الصلوة والسلام ليسوا يعرفون
بالاسامى والانساب ولكن انما يعرفون بالايات المعجزة والبراهين النيرة وفيه دليل ان من امن بالرسل كلهم
ولم يعرف باسمائهم انه يكون مؤمنا ولم يؤخذ علينا معرفة اسامى الرسل انما اخذ علينا الايمان بهم جملة الا ترى
ان الله عز وجل لم يذكر فى الكتاب الانبياء والرسل جميعا واحدا فواحدا ولا ذكر اسمائهم انما ذكر بعضا منهم
افترى ان من لم يعرف اسماءهم لم يكن مؤمنا هذا بعيد وفيه دلالة اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم لانه قال يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب وهم اذا كتموا ذلك واخفوه اعنى الرؤساء ولم يخبروا
احدا انهم كتموا ذلك واخفوه حتى يبلغ الخبر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اختلف الى احد منهم او نظروا فى كتابهم قط ليعلم ما كتموا فلما بين لهم ما قد كتموا واخفوا
من الناس دل ذلك لهم انه انما علم ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير اختلف فى تأويله وتأويل قال بعضهم تبين بالنون ويعفوا كثيرا
اى الله يبين لهم كثيرا ما يخفون ويعفوا الله تعالى عن كثير اذا امنوا ورجعوا عما كانوا يخفون ويكتمون وقال اخرون
يبين لهم كثيرا اى جميع ما كانوا يخفون ويعفو عن جميع ذلك واما عندنا فقوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب ويعفو عن كثير بالياء اى رسول الله يبين لهم كثيرا ويعفوا عن كثير على قدر ما اذن له البيان لهم لان الرسل
انما يأتون بالبراهين والحجج على قدر ما اذن لهم لا بكل ما لهم من الايات الا ترى ان سحرة فرعون لما القوا حبالهم و

وعصيهم

وعصيهم فصارت حيات ولم يلق موسى عصاه حتى اذن الله له فى ذلك وهو قوله تعالى وجاؤ بسحر عظيم واوحينا
الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون انما القى بالاية بعد ما اذن له بذلك فعلى ذلك قوله يبين لهم
كثيرا انما يبين ان قدر ما اذن له بالبيان والحجة والله اعلم مما كنتم تخفون من الكتاب يحتمل مما كنتم
من الكتاب من الشرايع والاحكام ويحتمل كتموا ما فى الكتاب من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته الكريمة
عز وجل قد جاءكم من الله نور وكتاب هو القرأن سماه نورا لما يوضح ويضيء كل شيء على ما هو عليه
حقيقته وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل الله نور السموات والارض الاية اى به يتضح كل شيء على ما هو عليه
فى الحقيقة وبالله التوفيق عز وجل يهدى به الله من اتبع رضوانه يحتمل قوله يهدى به اى الله اى محمد
صلى الله عليه وسلم ويحتمل بالقران اى به يهدى الله من اتبع رضوانه يحتمل رضاه عز وجل سبل السلام السلام
قيل هو الله كقوله تعالى السلام المؤمن المهيمن اى به يهدى سبل السلام سمى سبيلا لان سبيل الله وان كان كثيرا
فى الظاهر فهو فى الحقيقة واحد وسمى سبل الشيطان سبلا وقال لا تتبعوا السبل الاية لان سبله متفرقة مختلفة
ليست ترجع الى واحد واما سبل الله وان كانت سبلا فى الظاهر فهو ترجع الى واحد وهو الهدى والصراط
المستقيم عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم كفروا كفر مكابرة ومعاندة لا كفر شبهة وجهل لانهم اقروا انه ابن مريم ثم يقولون انه اله
فاذا كان هو ابن مريم وامه اكبر منه فمن البعيد ان يكون من هو اصغر منه الها لمن هو اكبر منه وربا والا الكفر
قد يكون بدون ذلك القول لكن التأويل هو ما ذكرنا انهم كفروا معاندة ومكابرة مع اقرارهم انه ابن مريم
حيث جعلوا الاصغر اله الاكبر وربا له عز وجل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم
وامه ومن فى الارض جميعا اى لا احد يملك من دون الله شيئا ان اراد اهلاك المسيح وامه الاية اى لو كان
الها كما تقولون لكان يملك دفع الاهلاك عن نفسه وعن امه ومن عبدهما حين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
فقال ولله ملك السموات والارض اى كلهم عبيده واماؤه يخلق من بشر وغير بشر والله على كل شيء قدير اى قادر
على خلق الخلق من بشر ومن غير بشر والله اعلم عز وجل وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية
يحتمل ان يكون هذا القول لم يكن من الفريقين جميعا ولكن كان من احد الفريقين هذا ومن الفريقين الاخر غيره
وكان كقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى كان هذا القول كان كل فريق الاخر الجنة
لا ان قالوا جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى يحتمل ان كان من النصارى نحن ابناء الله لما
ذكر فى بعض القصة ان عيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام قال لقومه ادعوكم الى ابى وابيكم الذى فى السماء
فقالوا عند ذلك نحن ابناء الله وكان من اليهود نحن احباء الله ويحتمل ان يكون هذا القول كان منهما جميعا قال
كل واحد من الفريقين نحن ابناء الله واحباؤه وقيل انهم قالوا ذلك فى المنزلة والقدر عند الله تعالى اى لنا
عند الله من المنزلة والقدر الولد عند والده ومنزلته عنده ولا يعذبنا فقال قل يا محمد فلم يعذبكم بذنوبكم
ان كان ما تقولون حقا فلم يعذبكم حيث جعل القردة والخنازير ولا احد من الخلق يحتمل قلبه ان يكون ولده وصديقه
قردا او خنزيرا وقال لا احد يحتمل قلبه تعذيب ولده وحبيبه بذنبه بالنار وقد اقررتم انكم تعذبون فى الاخرة قدر
ما عبد اباؤكم العجل ثم قال بل انتم بشر ممن خلق اى من اتخذ ولدا وحبيبا ان يتخذ من شكله ومن جنسه فالله تعالى انما خلقكم
من بشر كغيره من الخلق وانتم وهم فى ذلك سواء فكيف خصصتم انفسكم بذلك عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح بن مريم دليل ان من رفع احدا من الرسل فوق قدره فى الكفر كمن حط عن قدره ومرتبته
يغفر لمن يشاء اى من تاب واسلم ويعذب من يشاء من دام على الكفر ومات عليه عز وجل ولله ملك السموات
والارض وما بينهما اى كلهم عبيده واماؤه وخلقه يعظم نفسه عن قولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولا احد يتخذ
عبده ولدا وحبيبا فانتم اذا اقررتم انكم عبيده كيف ادعيتم البنوة والمحبة والله اعلم وفى الاية دلالة اثبات رسالة
نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم قالوا قولا فيما بينهم ثم اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليعلم
انه انما عرف ذلك بالله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم يحتمل قوله تعالى يبين لكم ما كنتم تكتمون
من نعته وصفته وتحرفون كقوله تعالى يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير ويحتمل يبين لكم مما لكم
وعليكم من الاحكام والشرايع ويحتمل يبين لكم مما كان عليه الانبياء والرسل عز وجل على فترة من الرسل قيل
على انقطاع من الرسل من لدن اسرائيل الى عيسى عليه السلام لانه قيل انه كان رسول على اثر رسول لم يكن بين رسولين
انقطاع فاخبر عز وجل انه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل وقيل على فترة من الرسل ليس على انقطاع
منهم ولكن على ضعف امور الرسل اثارهم وهو من الفتور يقال فتر يفتر فتورا يخبر والله اعلم انما بعث الرسول
بعد ما درس اثار الرسل وضعف ووقع فيما بينهم اختلاف للضعف ليبين لهم ما ذكر ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا
نذير يقطع احتجاجهم بذلك وان لم يكن لهم فى الحقيقة احتجاج وهو كما قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وكقوله ان لا يقولوا على الله الا الحق بشير بالجنة لمن اطاع ونذير بالنار لمن عصاه فقد جاءكم بشير ونذير والله
على كل شيء قدير يحتمل على كل شيء قدير من بعث الرسل على فترة منهم واحياء ما درس من اثار الرسل وما ضعف من
رسومهم والله اعلم عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الاية يحتمل قوله اذكروا نعمة

الله عليكم ما ذكر من بعث الرسل والانبياء عليهم السلام على فترة منهم ويحتمل ما ذكر على اثره وهو قوله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين كانه يقول اشكروا نعمتي التي انعمت عليكم من جعل الانبياء فيكم ولم يكن ذلك لامة من الخلق وجعلكم ملوكا تستنصرون من الاعداء لان الملوك في بني اسرائيل هم الذين كانوا يتولون القتال وامر الحرب مع الاعداء كقوله ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله فاخبر انه جعل فيهم الانبياء يعلمونهم امور الدنيا والاخرة ويحتاج غيرهم الى معرفة ذلك وانما يعرفون ذلك بهم وجعل فيهم ملوكا يستنصرون من الاعداء ويقهرونهم فيقهرون ويشرفون في الدنيا والاخرة وقوله عز وجل واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يحتمل ما ذكر من جعل الانبياء والملوك فيهم ويحتمل ما رزقهم في التيه من المن والسلوى وغيره من النعم وقيل في قوله وجعلكم ملوكا اي جعلكم بحيث تملكون انفسكم وكنتم قبل ذلك يستعبدكم فرعون ويتخذكم خولا لنفسه والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم قيل قوله كتب الله لكم اي كتب الله عليكم قتال اهل تلك الارض ليسلموا وهو كقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يعني الكفر فعلى ذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم قتال اهلها ليسلموا والله اعلم وقوله عز وجل لكم اي عليكم وهذا جائز في اللغة كقوله وان اساتم فلها اي فعليها وقيل قوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم فتحها ان اطعتم امر الله فيما امركم به وانتهيتم عما نهاكم عنه واجبتم رسوله الى ما دعاكم اليه اي اذا فعلتم ذلك يفتح الله تلك الارض والله اعلم وقوله عز وجل الارض المقدسة قيل هي الشام وقيل غيرها ثم سماها مرة مقدسة ومرة مباركة وهو كقوله تعالى باركنا حوله بكثرة الثمار والفواكه وسعة عيشها وكثرة ريعها ويحتمل ان سماها مباركة لما كانت معدن العباد والزهاد منزه عن الشرك وجميع الفواحش والمناكير والله اعلم وقوله عز وجل ولا ترتدوا على ادباركم هذا والله اعلم كناية عن الرجوع عن الدين وهو كقوله تعالى ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وانما صار ذلك كناية عن الرجوع عن الدين والله اعلم لما ذكرنا في احد التاويلين انه كتب عليهم قتال اهل تلك الارض فتركوا امر الله وطاعته ويحتمل ان وعد الله لهم فتح تلك الارض فلم يصدقوا رسوله فيما اخبر عن الله من الفتح لهم فكفروا بذلك وقوله عز وجل فتنقلبوا خاسرين الاية يحتمل ان يكون ذلك لهم في الاخرة ويحتمل في الدنيا منهزمين ويحتمل قوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم اي لا ترجعوا وراءكم ولكن ادخلوها وقوله عز وجل قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فانا داخلون يحتمل ان يكون هذا والله اعلم لما راوا فرعون مع قومه وكثرة جنوده مع ادعاء ما ادعى من الربوبية لنفسه لم يقدر على فتح تلك الارض وعجز عن غلبة اهلها وقهرهم وجعلهم تحت يده براوا هؤلاء ان لا يقدرون على ذلك مع ضعفهم في انفسهم وقلة عددهم وقصور اسبابهم لذلك امتنعوا عن الدخول فيها الا بعد خروج من فيها من الجبارين عنها خوفا منهم على انفسهم لكن موسى عليه السلام كان وعدهم الفتح والنصرة مع ضعفهم وقلة عددهم اذا دخلوا فيها وقوله عز وجل قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اختلف في الرجلين اللذين قالا ذلك لهم قال قائلون كان ذلك الرجلان من اولئك الذين بعثهم موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام الى اهل تلك الارض وامرهم بالدخول فيها وهما ممن قد انعم الله عليهما من تصديقهما وعد موسى من الفتح والنصرة فقالا فاذا دخلتموه فانكم غالبون صدقوا موسى بما وعدهم من الفتح وقال قائلون كان ذلك الرجلان اللذان قالا ذلك لهم هما من اهل تلك الارض لانهم اذا سمعوا ان موسى قصد نحوهم خافوا من ذلك فذلك معنى قوله من الذين يخافون انعم الله عليهما من الاسلام فقالا ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون لما علموا من خوف اهلها من موسى ومن معه وفزعهم وقوله عز وجل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين الاية اي مصدقين بوعد موسى بالفتح لكم والنصر ويحتمل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مسلمين فان كل من توكل على الله ووثق بنصر الله وجعله غالبا على عدوه والله اعلم وقوله ادخلوا عليهم الباب كان المراد من الباب ليس نفس الباب ولكن جهة من الجهات التي يكون الدخول عليهم من تلك الجهة اوفق واهون كانه قال ادخلوا عليهم جهة كذا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها من تعرض لرسول من الرسل بمثل هذا ما تعرض هؤلاء لموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها يكفر لان موسى عليه الصلوة والسلام قد وعدهم النصر والفتح اذا دخلوها فقالوا لن ندخلها ابدا لم يصدقوا موسى عليه السلام فيما وعدهم من الفتح ومن كذب رسولا من الرسل بشيء يخبر فهو كافر وقوله عز وجل فاذهب انت وربك فقاتلا لا يريد قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا على ان المراد بالدخول فيها امر بالقتال مع الاعداء حين قال ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وان المكتوب عليهم القتال معهم لانهم قالوا فاذهب انت وربك فقاتلا والله اعلم ثم قيل في قوله تعالى فاذهب انت وربك فقاتلا من وجهين قيل اذهب انت وربك فقاتل وحدك وليعينك ربك وينصرك لانك تقول ان الله قد وعدك فتحها والنصر عليهم قالوا عدو الجماعة فيها سواء اذا كان الله ناصرك ومعينك والثاني اذهب انت واخوك بربك فقاتلا لانهما كانا جميعا مامورين بتبليغ الرسالة لانهما اذا قاتلا انما قاتل بربهما ويجوز الاضافة اليه والنسبة لما كان بفعل بر كقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هم المباشرون للقتل والرمي في الحقيقة لكنه اضيف اليه بنصره وبمعونته قتلوا ورموا فعلى ذلك الاول والله اعلم اضيف اليه لما بمعونته ونصره يقاتلون وقوله عز وجل انا ها هنا قاعدون اي ليس يريد به القعود نفسه ولكن والله اعلم انا ها هنا منتظرون وقوله عز وجل قال رب اني لا املك الا نفسي واخي الاية يحتمل اني لا املك في الاجابة

والطاعة

والطاعة لك الا نفسي واخي ايضا لا عرفت بالعصمة التي اعطيته ان يجيبني ويطيعني في ذلك واما هؤلاء فاني لا املك اجابتهم ولا طاعتهم فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين يحتمل اني لا املك الا نفسي واخي لا يملك ايضا الا نفسه وعلي لا غيرا ولانهما كانا جميعا رسولين مامورين بتبليغ الرسالة بقوله تعالى فقولا له قولا لينا الاية وقوله عز وجل فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال قائلون انما طلب موسى عليه السلام الفرقة وبين الذين ابوا الدخول فيها وقالوا لن ندخلها ابدا وقال قائلون انما طلب موسى الفرقة بينهم وبين الجبابرة الذين كانوا في الارض التي امروا بالدخول فيها والقتال معهم والله اعلم وقوله عز وجل قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة الاية قوله تعالى محرمة عليهم من الحرمان والمنع هو والله اعلم ليس على التحريم كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ليس هو من التحريم الذي هو تحريم حكم ولكن من المنع والحرمان فعلى ذلك الاول والله اعلم وقال قائلون محرمة عليهم ابدا لم يدخلوها حتى ماتوا لكن ولد لهم اولاد فلما ماتوا دخل اولادهم لانهم قالوا لن ندخلها ابدا وقال قائلون قوله تعالى محرمة عليهم اي التوبة محرمة عليهم لن يتوبوا ابدا والله اعلم وقوله عز وجل اربعين سنة يتيهون في الارض فالمدة هاهنا للتيه والله اعلم لا لقوله تعالى محرمة عليهم ثم اختلف في التيه قال قائلون لم يكن موسى وهرون عليهما السلام معهم في التيه لان ذلك لهم من الله كان عقوبة ولا يحتمل ان يكون الله تعالى عز وجل يعذب رسوله بذنب قومه لانه لم يعذب قوم بتكذيب الرسول قط الا بعد ما اخرج الرسول من بين اظهرهم فعلى ذلك لا يحتمل ان يكون موسى يعذب بعصيان قومه والله اعلم وقال اخرون كان موسى معهم في تلك الارض مقيما فيها ولكن الحيرة والتيه كانت لقومه قيل كانوا يرتحلون ثم ينزلون من حيث اصبحوا اربعين سنة وكان ماويهم في الحجر الذي كان مع موسى عليه السلام فكان اذا نزل ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتي عشرة عينا لكل سبط عين ولم يكن حل بموسى ما كان حل بقومه قليل ولا كثير انما امر بالمقام فيها فاقام من غير ان كان به حيرة وقوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا قال الحسن وغيره لم يكونا ابني ادم من صلبه ولكن كانا رجلين من بني اسرائيل قربا قربانا فتقبل قربان احدهما ولم يتقبل قربان الاخر وانما نسبهما الى ادم لان كل البشر ولد ادم ينسب اليه كقوله تعالى يا بني ادم فعلوا كذا ولا تفعلوا كذا ليس يريد به ولد ادم لصلبه ولكن البشر كله فعلى ذلك الاول والله اعلم واما ابن عباس رضي الله عنه والكلبي وغيرهما من اهل التاويل فانهم قالوا انهما كانا ابني ادم من صلبه احدهما يسمى قابيل والاخر هابيل وكان لكل واحد منهما اخت ولدت معه في بطن واحد وكانت احديهما جميلة والاخرى دميمة فاراد كل واحد منهما نكاح الجميلة منهما فتنازعا في ذلك فقال احدهما لصاحبه تعال حتى نتقرب قربانا فان تقبل قربانك فانت احق بها وان تقبل قرباني فانا احق بها فقربا قربانهما فقبل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قابيل فحسده فهم ان يقتله فذلك قوله تعالى اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين ولكن لا ندري كيف كانت وفيما كانت وكانا ابني ادم لصلبه او لم يكونا وليس لنا الى معرفة هذا حاجة انما الحاجة في هذا الى معرفة ما فيه من الحكمة والعلم لنعلم ذلك ونعمل به فهو والله اعلم ما ذكر عز وجل فيما تقدم من قوله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما تخفون من الكتاب وقال في اية اخرى ويبين لكم على فترة من الرسل فكان هذا انباء ابني ادم كان في كتبهم فامر عز وجل رسوله ان يتلوا عليهم ذلك على ما كان ويبين لهم ما في كتبهم لانه قال قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويبين لكم على فترة من الرسل لتعلموا انه انما علم ذلك بالله لا باحد من البشر لانه انما بعث عند دروس اثار الرسل وانقطاع العلوم فبين لهم واحدا بعد واحد ففيه دليل اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسورة المائدة كان اكثرها نزلت في مخاطبة اهل الكتاب لانه يقول في غير موضع يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويبين لكم على فترة من الرسل يدعوهم الى الايمان بالرسل ونزل سورة الانعام في مخاطبة اهل الشرك لان فيها دعاء الى التوحيد وقوله عز وجل واتل عليهم نبا ابني ادم انه بالله علم وانه علم سماوي وقوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين هذا يحتمل وجهين يحتمل انما يتقبل الله قربان من اتقى الشرك لا يتقبل من لم يتق والى هذا يذهب الحسن وقال كانا رجلين من بني اسرائيل احدهما مؤمن والاخر منافق فتنازعا في شيء فقربا ليعلم المحق منهما فتقبل من المؤمن ولم يتقبل من الاخر وقال ابو بكر الاصم كانا رجلين مصدقين لان الكافر لا يقرب القربان لكن احدهما كان اتقى قلبا فتقبل قربانه والاخر لا فلم يتقبل قربانه والتقوى شرط في قبول القرابين وغيرها من القرب كقوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين وقوله والكافر لا يقرب القربان يقال قد تقرب لما يدعي من الدين ان الذي هو عليه حق ليظهر المحق منهم الا ترى انهم يدعون ان فيهم من هو احق بالرسالة من محمد صلى الله عليه وسلم يقولون لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وغير ذلك من اباطيل قالوها وبالله التوفيق وقوله عز وجل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك قال بعض الناس ان الواجب علينا ان نفعل مثل فعل اولئك لا ينبغي لمن اراد احد قتله ان يقتله ولكن يمنع من ذلك على ما امتنع احد ابني ادم حيث قال له لاقتلنك فقال له الاخر ما انا

ان الله سبحانه [illegible] وقال يا بني ادم وقال يا بني [illegible] ادم

بباسط يدي اليك لاقتلك واحتجوا في ذلك باخبار رويت روي عن ابي موسى الاشعري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توجه المسلمان بسيفيهما فقتل احدهما صاحبه فهما في النار فقيل يا رسول الله ارايت المقتول فقال انه اراد ان يقتل صاحبه وعن سعيد بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان استطعت ان تكون عبد الله ولا تقتل احدا من اهل القبلة فافعل وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابني ادم ضربا لهذه الامة مثلا فخذوا بالخير منهما وعن ابي ذر رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا ابا ذر اذا كانت بالمدينة قتلت بغير حجارة قال قلت البس سلاحي قال شاركت القوم اذا قال قلت كيف اصنع به يا رسول الله قال ان خشيت ان يبهرك شعاع السيف فالق ناحية ثوبك على وجهك تبوء باثمك يحتجون بمثل هذه الاخبار وقال اخرون له ان يقاتل اذا لم يتعظ صاحبه بالله واراد قتله فهو في سعة من قتل من يريد ان يبتديه بالقتل استدلالا بما امر الله تعالى بقتال اهل البغي كقوله تعالى فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فصار الحكم في امتنا ما امرهم الله به من قتال البغاة لان الله تعالى قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا على ان قتال المشركين كان محظورا في اول مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقبل ذلك باوقات وقالوا فغير منكر ان يكون الوقت الذي ذكره الله في هذه الاية كان قتال المشركين وتجريد السيف فيه محظورا فاذن الله في قتالهم وقتال اهل البغي فصار الحكم في امتنا ما امر الله به من قتال البغاة والمشركين والله اعلم واما ما احتجوا به من الاخبار التي رويت من اقتتال المسلمين واشباهها فان ذلك والله اعلم ما حجوا به من الاخبار التي رويت في حال الفتن وقتال الفئتين اللتين لا امام فيهما يستحق الامامة لحمية او امر جاهلية او عصبية فهما على خطاء فالصواب في مثله ما ذكر من الاخبار واما اذا كان للناس امام مهدي فقد عقد والله البيعة فخرجت عليه خارجة ظالمة فقتالهم واجب اتباعا لعلي رضي الله عنه ومن حارب معه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل البغي والخوارج فاما قتال الخوارج فهو كالاجماع لان جميع الطوائف قد حاربوهم ورويت في ذلك اثار كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا يذهب من راى قتل من يهم بقتله وقوله عز وجل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان ترجع باثمي بقتلك اياي واثمك الذي عملته قبل قتل قال القتبي باثمي ان تقتلني واثمك ما اضمرت في نفسك من الحسد والعداوة وقال الحسن ترجع باثمي بقتلك اياي واثمك يعني الكفر الذي كان عليه لانه يقول كان احدهما كافرا فقتل صاحبه فرجع بالكفر والله اعلم وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك يجوز ان يتكلم بالارادة على غير تحقيق الفعل كقول القائل اريد ان اسقط من السطح وهو لا يريد سقوطه منه وكقوله فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض والجدار لا فعل له فاذا جاز اضافة الارادة الى من لا فعل له يكون منه دل انه ليس على حقيقة الفعل ولكن على ما يقع انه يكون كذلك ويؤول امره الى ذلك او اراد ان يبوء باثمه لما علم منه ان يقتله لا محالة ويعصي ربه اراد ان يبوء باثمه وذلك جائز والله اعلم وقوله عز وجل فطوعت له نفسه قتل اخيه قال القتبي اي شايعته وانقادت له وقال ابو عوسجة فطوعت له نفسه اي امرت وزينت له وقال مجاهد اي شجعته واعانته وكله يرجع الى واحد وقوله عز وجل فاصبح من الخاسرين وقال في اية اخرى فاصبح من النادمين يحتمل وجهين يحتمل اصبح نادما لان الندامة توبة وذلك اذ من اذنب ذنبا فندم عليه كان ذلك منه توبة فانه لم يكن توبة لنا ولقوله اصبح اي يصبح في الاخرة من النادمين وهو كقوله واذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اي يقول في الاخرة لا ان قال له فعلى ذلك قوله تعالى اصبح من النادمين اي يصبح من النادمين في الاخرة والله اعلم ويصبح من الخاسرين وقوله عز وجل فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه استدل من قال بان القصة كانت في ابني ادم لصلبه بقول فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه لان القصة لو كانت في بني اسرائيل لم يكن ليجهل دفن الميت اذ قد راى ذلك غير مرة وعاينه فدل انه كان في اول ما جهل السنة فيه وقال من قال انهما كانا رجلين من بني اسرائيل اذ قد يجوز ان يخفى على المرء شيء علمه قبل ذلك وعاينه اذا اشتد به الخوف ونزل به الهول كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا وقد كان لهم علم بذلك لكن ذهب عنهم والله اعلم ثم اختلف فيما اخبر عن بحث الغراب في الارض قال الحسن رضي الله عنه يبحث التراب على ذلك الميت ليرى ذلك القاتل لا انه كان يبحث التراب اخر على ما ذكرنا في القصة ان غرابا قتل اخر ثم جعل يبحث التراب عليه لانه ذكر السوأة وليس للغراب سوأة والسوأة العورة لكنه ليريه كيف يواري سوءة اخيه واخبرا انه يريد ان كيف يواري سوأته والله اعلم وقوله عز وجل قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي عجزت في الحيلة ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي وقوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا اي من استحل قتل نفس الاية يحتمل وجوها يحتمل قوله تعالى من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا اي من استحل قتل نفس حرم الله قتلها بغير حق فكانما استحل قتل الناس جميعا لانه يكفر باستحلال قتل نفس محرم قتلها فكان كاستحلال قتل الناس جميعا لان من يكفر باية من كتاب الله يصير كافرا بالكل فعلى ذلك الاول اذا استحل قتل نفس محرمة يصير كانه استحل قتل الانفس كلها ويحتمل ان يكون هذا في اول قتيل قتل لم يكن قبل ذلك احد قتل قتيلا فلما قتل هذا قتيلا جعل الناس يقتلون بعد ذلك بعضهم بعضا وكان ذلك واحدا فلما قتل هذا قتيلا جعل الناس يقتلون بعد ذلك بعضهم بعضا وكان

منه سنة استن الناس به فهو كما روي في الخبر ان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من وزرهم شيئا فيشترك هذا القاتل في وزر كل قتيل قتل الى يوم القيامة بغير حق ويحتمل الاية وجها اخر وهو ما قيل ان يجب عليه من القتل مثل ما انه لو قتل الناس جميعا ومن احياها اعطاه من الاجر مثل ما لو انه احيا الناس جميعا اذا احياها فلم يقتلها وعفا عنها وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لمن احل ابني ادم حين قتل اخاه كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس بلا نفس وجب عليها القصاص او فساد في الارض يقول فكانما قتل الناس جميعا يقول يعذب عليها كما انه لو قتل الناس جميعا لهم وهو مثل الاول وعن عبد الله بن عمرو وقرأ من اجل ذلك الاية قال لو لم يكن يؤخذ في بني اسرائيل ارش انما كان قصاصا بقصاص يقول من قتل الناس جميعا ومن احياها فعلى نحو ذلك ويحتمل قوله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي من استنقذ جميعا من مهلكة فكانما استنقذ الناس جميعا في الاخرة وقيل ومن ومن احياها بالعفو وجر في احياها فكانما يوجر من احيا الناس جميعا اذ على الناس معونة ذلك فاذا عفا عنها فكانما عفى الناس جميعا قال الحسن ومن احياها في الاجر اما والله من يستطيع ان يحييها اذا جاء اجلها ولكنه افيد فعفا ووجه اخر انه يلزم الناس جميعا دفع ذلك عن نفسه ومعونته له فاذا قتلها او سعى عليها بالفساد فكانما سعى بذلك على الناس كافة فعلى ذلك من احياها فكانما احيا الناس جميعا والله اعلم وقوله عز وجل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون في الاية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تكذيب الكفرة الفجرة اياه وانه ليس باول مكذب في الحق بل كانت الرسل من قبله يكذبون فيما ياتون من الايات والحجج والبيان وقوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الاية قال بعضهم الاية نزلت في اهل الكفر وبيان الحكم فيهم وهو قول الحسن وابي بكر الاصم وقال لا لان الله عز وجل ذكر محاربته الله ورسوله وذكر السعي في الارض بالفساد وكل كافر قد حارب الله ورسوله وسعى في الارض بالفساد فللامام ان يقتلهم باي انواع القتل شاء ما دام الحرب فيما بينهم قائما فاذا اثخنوا في الارض يترك ذلك بمن الله عليهم ان شاء واما المسلم اذا قطع الطريق فانه لا يقال انه حارب الله ورسوله فدل انها نزلت في اهل الكفر لكفرهم لا لقطع الطريق وقال اخرون نزلت في المشركين اذا قطعوا الطريق على الناس واخافوهم روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال وادع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابا بردة هلال بن عويمر الاسلمي فجاء اناس يريدون الاسلام فقطع الطريق عليهم فنزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد فيهم ان من قتل واخذ المال صلب ومن قتل ولم ياخذ المال قتل ومن اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف ومن جاء مسلما هدم الاسلام ما كان في الشرك فدل حديث ابن عباس رضي الله عنه على ان الاية نزلت في الموادعين غير المحاربين وروي عن انس قال ان اناسا من عكل وعرينة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فشكوا اليه الجهد فبعث معهم بلقاح وراعيا وقال لهم اشربوا البانها وابوالها فلما ان صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل وارتدوا عن الاسلام فبعث في اثارهم فاتي بهم بعد ما ترجل بهم النهار فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وقطع السنتهم وتركوا بالمكان حتى ماتوا فنزلت الاية وروي عن علي رضي الله عنه ما يخالف هذا روي ان حارثة بن بدر حارب الله ورسوله وسعى في الارض فسادا وتاب من قبل ان نقدر عليه فكتب علي بن ابي طالب الى عامله بالبصرة ان حارثة قد تاب قبل ان نقدر عليه فلا تتعرض له الا بالخير الا ترى ان حارثة قد تاب اطلق فيه انه حارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان مؤمنا فهذا يدل على ان الحكم الذي اجري على قطاع الطريق الكفرة يجب ذلك الحكم في المسلمين اذا كان منهم ما كان من المشركين مع قطع الطريق على الناس واخافته عليهم وقد يتوهم ان الاية نزلت في اهل الحرب وقد ابيح لنا قتل من ظفرنا به منهم كيف شئنا وان لم يفسدوا في الارض ولم يقطعوا الطريق وهذا يدل ان الاية نزلت بالحكم في اهل الكفر واهل الاسلام جميعا ان سعوا في الارض بالفساد ومن الدليل على ذلك ان الله قال الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم واجمعوا ان الكافر اذا قتل مسلما واظهر في الارض الفساد فقدرنا عليه واسرناه ثم اسلم انه يزول عنه القتل والقطع والصلب فدل ذلك على ان الاية نزلت بالحكم في المسلمين لانه يختلف حكمه اذا تابوا من قبل ان نقدر عليهم او بعد قدرتنا عليهم ولم نزل فيمن يستوي حكمه في الحالين جميعا اذا تابوا بعد القدرة فالحكم ثابت عليهم فاما الذين روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من فعله بالعرنيين فقد روي عن بعض المتقدمين ان الاية نزلت بعد قتل العرنيين من نحو ابن سيرين وغيره فالواجب على من ادعى ان الاية نزلت في العرنيين دعواه وكان اصحابنا رحمهم الله يذهبون الى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ويرون ان يؤخذ المحارب اذا تاب قبل ان نقدر عليه مما اصاب من دم ومال على سبيل القصاص ولا يصلب ولا تقطع يده ورجله فما اصاب من مال فكانهم ذهبوا الى ان الحد الذي لله على المحارب بتوبته قبل ان نقدر عليه وهو ما كان الى الامام فامنه ولا امر للولي فيه واما الحقوق التي هي للعباد فان التوبة لا تعمل في ابطالها ولكل ذي حق ان ياخذ بحقه لا حق للامام لان الحق صار للولي دون الامام وفي قوله الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم دلالة على ان السارق اذا رد السرقة قبل ان نقدر عليه ان لا قطع عليه وكذلك روي عن بعض المتقدمين انهم قالوا ليس على تائب قطع ودل قوله ويسعون في الارض فسادا على ان السارق في المصر ليلا او نهارا لا يكون محاربا

وانما هو سارق تقطع يده دون رجله لانه ذكر السعي في الارض بالفساد والسارق في المصر لا يقال سعى في الارض الا ترى
الى قوله تعالى واذا ضربتم في الارض ولم يرد الضرب في المصر ولكن اراد الاسفار فعلى ذلك الاول واما الكلام في القتل و
الصلب والقطع فروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا حارب وقتل واخذ المال قطعت يده ورجله من خلاف وصلب
فان قتل ولم يأخذ المال قتل وان اخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله من خلاف وتأويل الاية الذين يحاربون
الله ورسوله الاية على ان الواجب على المحارب من العقوبة له على قدر جنايته ويزاد في عقوبته بقدر زيادة في جرمه
وتأول غيره الاية على انها نزلت في المحارب الذي يصيب المال والنفس واذا اصاب الامرين كان للامام ان يقتل كيف
شاء ان شاء قتله بالسيف قتلا وان شاء قطع يده ورجله ثم يتركه حتى يموت وان شاء صلبه حيا وان ابطأ عليه
الموت طعن بالرماح حتى يموت والى هذا كان يذهب ابو حنيفة رضي الله عنه واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله
قالا اذا صلب لم تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وجعلا عقوبته مختلفة على قدر جنايته فان قيل فما معنى التخيير
فيه قيل معناه والله اعلم ان يقتل بالسيف او يقتل بالصلب او يقتل بقطع اليد والرجل واصله ان حرف التخيير اذا
كان في متفق الاسباب يخرج مخرج التخيير في كفارة اليمين وكفارة الظهار وكفارة المتأذي لان سبب وجوبه
واحد واذا كان في مختلف الاسباب يخرج مخرج بيان الحكم لكل في نفسه كقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب
واما ان تتخذ فيهم حسنا لا يحتمل التخيير ولكنه على بيان الحكم لكل في نفسه لان سبب وجوبه مختلف فتأويله اما
ان تعذب من ظلم وتتخذ الحسن فيمن آمن بالله الا ترى انه قال اما من ظلم فسوف نعذبه واما من آمن فله جزاء الحسنى
وقول من جعل الحكم فيمن جمع القتل وقطع الطريق اقرب الى التأويل والله اعلم بمن لم يجمع لانه قال عز وجل انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله الاية فمن حارب وافسد في الارض فقد اتى بالامرين لان محاربته ان يقتل وافساده في
الارض بقطع الطريق فاذا جمع هو بين الامرين يجمع بين عقوبتين واصله ان امر قطاع الطريق محمول على فضل تغليظ من
نحو ما يجمع بين قطع اليد والرجل في اخذ المال وذلك لا يجمع في اخذ المال في المصر ومن نحو الصلب وذلك لم يجعل في غيره
من القتل في المصر فدل انه محمول على فضل تغليظ فجاز ان يجمع بين ما ذكرنا وقوله عز وجل او ينفوا من الارض ذلك لهم
خزي قال بعضهم وينفوا من الارض على اسقاط الالف ويكون في القتل والصلب نفيه اذا قتل واخذ المال وقال
بعضهم نفيه ان يصلب فلا يقدر عليه وعن الحسن قال يصلب حتى يخرج من ارض الاسلام وذلك الى الامام واصله ما
ذكرنا انه اذا قدر عليه وقد قتل واخذ المال يقتل وفي القتل نفيه واذا لم يقتل ولم يأخذ حبس ان قدر عليه وفي
الحبس نفيه وان لم يقدر عليه يصلب حتى يبرح من الطريق والله اعلم وقول ابي عبيد حيث قال انه يصلب بعد القتل لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة فيقال له المثلة يراد بها على ما قال محمد بن الحسن رحمه الله تعالى ولان الصلب
جعل عقوبته والميت لا يعاقب ولو جاز ان يصلب بعد القتل لجاز لغيره ان يقول تقطع يده ورجله بعد القتل فذلك
بعيد وقوله عز وجل الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم قد ذكرنا فيما تقدم ان قطاع الطريق اذا تابوا قبل
ان يقدر عليهم سقط عنهم الحدود التي هي لله تعالى لا يؤاخذون بها وليس كغيرها من الحدود التي تلزم في غير المحاربة
ان التوبة لا تعمل في اسقاطها لوجهين احدهما ان التوبة من غير المحارب لا تظهر حقيقة فاذا لم تظهر لم تعمل في اسقاط
ما وجب وفي المحارب تظهر لانه في يدي نفسه اذا ترك المحاربة والسعي في الارض بالفساد وظهرت منه التوبة
فلم يؤاخذ به وفي سائر الحدود لا تظهر منه ترك ما كان يرتكب لذلك افترقا والثاني انه لو لم يقبل منه ذلك لتمادى
في السعي في الارض بالفساد في حق المسلمين من الضرر اكثر مما لو اخذوهم بذلك فاستحسنوا قبول ذلك منهم ودرء
ما وجب عليهم من الحدود التي هي لله تعالى واما الحقوق التي هي للعباد فذلك الى الاولياء ان شاؤا اخذوهم بذلك وان
شاؤا تركوا والله اعلم وقوله من جاء مسلما هدم الاسلام ما كان في الشرك معناه اذا جاء تائبا لان الحدود جعلت
زواجر والاسلام يزيد في الزجر والتغليظ فلا يجوز ما كان سببا للتغليظ سببا لاسقاطه دل ان المعنى منه من جاء
مسلما تائبا والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة يحتمل ان تكون الاية صلة ما مضى
من الايات من ذلك قوله تعالى اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من
المتقين اخبر انه انما يتقرب به من المتقي وقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية ثم قال تعالى اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة اي ابتغوا بتقوى الله عن معاصيه القربة والوسيلة والوسيلة القربة وكذلك الزلفة يقال
توسل اليه بكذا اي تقرب وهو قول القتبي وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وقوله عز وجل وجاهدوا في سبيل الله الاية
يحتمل هذا وجهين احدهما جاهدوا انفسكم في صرفها عن معاصيه الى طاعته وهو كقوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا ويحتمل ان جاهدوا مع انفسكم واموالكم اعداء الله في نصرة دينه وبالله التوفيق وقوله عز وجل
ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم كان الذي
يمنعهم عن الاسلام والايمان بالله وبالرسل قضاء شهواتهم وطلب العزة والشرف بالاموال فاخبر لو ان
لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا ويصرفوا العذاب عن انفسهم ما تقبل منهم ولا ينفعهم ذلك يذكر هذا
والله اعلم ليصرفوا انفسهم عن معاصي الله والخلاف له بان في شيء يطلبون من الاموال والشهوات واخبر انه لو كان لهم
ما في الارض ومثله معه لا فتدوا بعذاب يوم القيامة ما نفعهم ذلك وما تقبل منهم والحكمة في ذكر هذا والله
اعلم ليعلموا ان الآخرة ليست بدار يقبل فيها الرشى كما يقبل في الدنيا وقوله عز وجل عذاب اليم دل هذا على ان

من العذاب ما لا الم فيه من نحو الحبس والقيد فاخبر ان عذاب الآخرة اليم كله ليس كعذاب الدنيا منه ما يكون اليما
ومنه ما لا يكون وقوله عز وجل يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها الاية يحتمل قوله عز وجل
يريدون ان يخرجوا منها اي يطلبون ويسألون الخروج منها من غير عمل الخروج بنفسه ويحتمل قوله تعالى يريدون
ان يخرجوا منها ولكن يردون ويعادون الى مكانهم كقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي
يجهدون في الخروج منها اعيدوا فيها فيه دليل انهم يعملون عمل الخروج ولكن يردون ويعادون فيها وقوله
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية عامة في السراق وخاصة في السرقة لانه يدخل جميع اهل الخطاب
في ذلك وان كان يجوز ان يدرأ الحد عن بعض السراق اذا سرقوا عن محارمهم او ممن له تأويل الملك في ماله او شبهة
التناول منه لانه اذا سرق ممن ليس له ذلك التأويل ولا تلك الشبهة قطع فدل انها عامة في السراق وعلى هذا
يخرج قول ابن عباس رضي الله عنه حيث سئل عن قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اخاص هو ام
عام فقال لا بل عام اي عام في السراق الا ترى انه قال في خبر آخر حيث سئل عن ذلك فقال ما كان من الرجال
والنساء قطع واما قولنا خاص في السرقة لانه يحتمل قلب احد قطع اليد في الشيء التافه الخسيس الذي اذا اخذ
منه دل ان الخطاب بذلك من الله عز وجل رجع الى سرقة لا الى كل ما يقع عليه اسم وكذلك الخطاب بقطع اليد
رجع الى بعض وهو الكف وان كان اسم اليد يقع من الاصابع الى الابط لان الناس مع اختلافهم اتفقوا على
ان اليد لا تقطع من الابط ولا من المرفق لكنهم اختلفوا فيما دون ذلك فعلى قول بعضهم تقطع الاصابع دون
الكف وعندنا انه تقطع الاصابع بالكف لانه بها يقبض الشيء ويؤخذ فخرج الخطاب بالقطع عاما والمراد منه
رجع الى بعض اليد دون بعض وكذلك قوله تعالى فاقطعوا ايديهما فخرج الخطاب بالقطع عاما ليس فيه بيان من يتولى
القطع والمراد منه رجع الى الولاة فهذا كله يدل على ان ليس في مخرج عموم اللفظ دليل عموم المراد ولا في مخرج
خصوص اللفظ دليل خصوصه بل يعرف ذلك كله بدليل يقوم العموم بدليل العموم والخصوص بدليل الخصوص
فهذا ينقض قول من يقول انه على العموم حتى يقوم دليل الخصوص والله اعلم فان قيل لنا ايش الحكمة في اقامة الحد
في السرقة على ما يرتكب السرقة وهو اليد ولم يقم الحد في سائر الحدود فيما به كان اكتسابها من نحو القصاص والزنا و
غيره انه اذا قتل آخر لم تقطع يده وبها كان اكتساب القتل وكذا الزنا لم يقم الحد على ما به كان الزنا بل اقيم على غيرها
كان ذلك الفعل وفي السرقة اقيم على ما به كان ذلك خاصة قيل والله اعلم لخلتين اما لقصور في الاستيفاء من الحق ولخوف
الزيادة في الاستيفاء على الحق لانه اذا قتل او قطعت يده بقيت له النفس وقد تلفت نفس الآخر فكان في
ذلك قصور في استيفاء الحق وفي الزنا لو اقيم به على الذي به كان اكتساب الفعل لخيف تلف نفسه به فكان في ذلك
استيفاء الزيادة على الحق واما السرقة فانه امكن استيفاء الحق مما كان به اكتسابها على غير قصور يقع في الاستيفاء
ولا خوف الزيادة في الاستيفاء لذلك كان ما ذكروا والله اعلم فان قيل ما الحكمة في قطع يد قيمتها الوف بسرقة عشرة
وذلك مما لا يماثله في الظاهر وقد اخبر انه لا يجزي الا مثلها كيف جزى هذا باضعاف ذلك قيل لهذا جوابان
احدهما ان جزاء الدنيا محنة يمتحن بها المرء ولله ان يمتحن عباده بانواع المحن ابتداء على غير جعل ذلك جزاء
لكسب يكتسب فمن له الامتحان بانواع المحن على غير جعلها جزاء الشيء كان له الامتحان بجعل ما ساوى الوفا
فلسا او حبة وبالله العصمة والنجاة والثاني ان ليس القطع في السرقة جزاء ما اخذ من المال ولكنه جزاء ما هتك
من الحرمة الا ترى انه قال جزاء بما كسبا ولم يقل جزاء بما اخذا من الاموال فيجوز ان يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة
قطع اليدوات فقصر علم البشر على ذلك لان مقادير العقوبات انما يعرف من يعرف مقادير الاجرام وليس احد
من الخلائق يحتمل علمه مبلغ مقادير الاجرام فاذا لم يحتمل علمهم مبلغ مقادير عقوباتها فاذا كان لحق القول
فيه الاتباع والتسليم بعد العلم في الاتباع ان الله لا يجزي بالسيئة الا مثلها وبالله التوفيق ثم الكلام
في قطع اليمنى ما روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه فاقطعوا ايمانهما وعن علي رضي الله عنه اذا سرق الرجل
قطعت يده اليمنى وعلى ذلك اتفاق الامة ثم المسألة في مقدار السرقة وليس في الاية ذكر مقدارها واختلف
اهل العلم في ذلك فقال بعضهم تقطع في ربع دينار فصاعدا وقال اصحابنا لا تقطع اليد الا في عشرة دراهم فصاعدا
او دينار وقد روي عن من الاخبار ما احتج به كل فريق منهم روي عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقطع في ربع دينار فصاعدا وعروة بن الزبير يقول كانت عائشة رضي الله عنها تحدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقطع اليد الا في المجن او في ثمنه وتزعم ان قيمة المجن اربعة دراهم فدل قول
عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يقطع اليد الا في ثمن المجن قولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا
يقطع اليد الا في ربع دينار ان ثمن المجن كان عندها ربع دينار ولا يكون كذلك وعلى ذلك ما روي عن ابن عمر
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم في الخبر انه قطع في مجن واما التقويم
فانما هو من عند عبد الله وانس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن فقيل يا ابا حمزة
كم كانت قيمته قال وزن خمسة دراهم هذا يدل على ان التقويم كان من انس كان ذلك كتقويم ابن عمر وعائشة
رضي الله عنهم وليس في التقويم حجة في واحد من المقومين لمخالفة كل واحد منهم صاحبه وانما قوموه من قبل انفسهم
فاما ان كان في مجنين مختلفين فهو على التناسخ واما ان كان في مجن واحد في وقتين مختلفين فان كان في وقتين مختلفين

لم يكن لمخالفنا فيه حجة لما يحتمل الزيادة والنقصان على اختلاف الاوقات وان كان في مجنين مختلفين فهو على التنابخ فلم يظهر فلا يقدم على القطع بالشك ثم الاخبار التي تمنع القطع بدون العشرة ما روي عن عمرو بن شعيب قال دخلت على سعيد بن المسيب فقلت له ان اصحابك عروة ومحمد بن مسلم وفلان رجل اخر يقولون ثمن المجن خمسة الاخبار التي تمنع القطع بدون العشرة ما روي عن عمرو بن شعيب قال دخلت على سعيد بن المسيب فقلت له ان اصحابك عروة ومحمد بن مسلم وفلان رجل اخر يقولون ثمن المجن خمسة دراهم او ثلاثة فقال اما هذا فقد مضت السنة فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ثمن المجن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دراهم وعن ابن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقطع اليد الا في ثمن المجن وهو يومئذ يساوي عشرة دراهم فلما اختلف المقومون في قيمة المجن رجعنا الى ما روي عن سعيد بن المسيب حيث قال مضت السنة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعشرة دراهم وان كان مرسلا فالا معارض له ويؤيد هذا ما روي عن نجباء الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من نحو عمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وروي ان عمر اتي بسارق فامر بقطعه قال عثمان رضي الله عنه سرقته لا تساوي عشرة دراهم فامر بها فقومت ثمانية دراهم لا تقطع اليد الا في دينار او عشرة دراهم وروي عن عائشة قالت لم يكن اليد تقطع على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الشيء التافه فاخذ اصحابنا رحمهم الله بهذه الاخبار ولم يروا قطع اليد بدون العشرة لانهم مع اختلافهم اتفقوا على ان اليد تقطع في سرقة عشرة دراهم واختلفوا في وجوب القطع فيما دون العشرة وهو حد فدرئ بالاشكال والله اعلم وقوله عز وجل جزاء بما كسبا نكالا من الله الاية يحتمل قوله نكالا من الله اي عظة وزجرا من الله لغيره لان من عاين اخر قطعت يده في سرقة اتعظ به وزجره ذلك على الاقدام عليه والله اعلم وقوله عز وجل فمن تاب بعد ظلمه واصلح الاية اي تاب عن الشرك واصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال شركه فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم وعد له المغفرة والرحمة اذا تاب عن الشرك واصلح ما كان يفسده ويرتكبه في حال الشرك حتى لم يؤاخذ بشيء مما كان يرتكبه في حال الشرك ويتعاطاه اذا اسلم الا ترى انه قال تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم في حال الاسلام اذا ارتكب حدودا وتعاطاه ثم تاب اخذ بها لوجهين احدهما ان الكافر لو اخذ بعد ما اسلم بما كان ارتكب في حال الكفر وتعاطاه فذلك يمنعه عن الاسلام ويزجره فاذا كان كذلك فكان في اقامة ذلك والاخذ بها من الفساد اكثر من الصلاح واما المسلم اذا لم يؤخذ بما ارتكب وتعاطى بعد التوبة يدخل في ذلك من الفساد ما يحتمل وذلك انه كما اريد ان يقام عليه الحد تاب فسقط ذلك عنه ثم عاد ثانيا ثم ثالثا الى ما لا يتناهى فعمل في الارض بكل الفساد من غير ان لحقه ضرر لذلك اخذ له بعد التوبة والكافر لا والله اعلم والثاني ان الكافر فيما يرتكب ويتعاطى في حال الكفر انما يرتكبه تدينا يدين به فاذا رجع عن ذلك الدين وذلك دان بدين اخر ما يكون ذلك حراما في دينه الذي تمسك به ترك ما كان يرتكب في دينه الاول تدينا فظهر ذلك منه فلم يقم عليه لما يظهر منه ترك ما تعاطى قبل ذلك واما المسلم فليس يتعاطى ما يتعاطى تدينا بدين به ولكنه يتعاطاه شهوة وذلك مما لا يظهر منه التوبة حقيقة لذلك اختلفا والله اعلم وفيه دليل جواز تأخير البيان لانه قال تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء ولا يحتمل ان يتبين له جميع شرائط السرقة التي يجب فيها القطع وقت قرع الخطاب السمع فدل انه انما بين له على قدر الحاجة بعد السؤال والبحث عنها والله اعلم وكان جميع ما ذكر من العقوبات انما نزل في اهل الكفر لانهم هم الذين كانوا يتعاطون ذلك دون المسلمين وترك عامة العبادات في المسلمين لانهم هم الذين يرغبون فيها من ذلك قوله تعالى الذين يحاربون الله ورسوله الاية وما ذكر في بني ادم وقوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما الاية وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال نزلت في طعمة ابن ابيرق سرق درع جارة فنزلت الاية وعلى ذلك قال عامة اهل التأويل ثم صار ذلك الحكم في المسلمين اذا ارتكبوا تلك الاجرام وفيه دليل جواز القياس والله اعلم وقوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء ذكر هذا والله اعلم على اثر قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وعلى اثر قوله الذين يحاربون الله ورسوله الاية ان له ملك السموات والارض وله ان يعذب من يشاء بعد التوبة وقبل التوبة ويغفر لمن يشاء وله يعذب بعد التوبة وذلك ان المحارب اذا تاب قبل ان يقدر عليه الحد الذي وجب في حال المحاربة والسارق اذا تاب قبل ان يقدر عليه اخذ به اخبر ان له ان يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وفيه نقض على المعتزلة لانهم يقولون الصغيرة مغفورة ليس له ان يعذب عليها والكبيرة يخلد صاحبها في النار ليس له ان يعفو عنه فلو كان عليها قالوا لذهب معنى التخيير بقوله تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء اذ عنى ما عليه ان يعفو وكذلك ما عذب ما عليه ان يعذب فيذهب فائدة التخيير وقد اخبر انه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقوله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الاية يحتمل وجوها احدها ان لا يحزنك كفر من كفر منهم وليس على النهي عن ذلك ولكن ان لا يحمل على نفسه بكفرهم ما يمنعه عن القيام بامره كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك من الايات مما يشتد به الحزن بكفرهم لشدة رغبته في اسلامهم ويحتمل قوله تعالى لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي لا يحزنك تمرد هؤلاء وتكذيبهم اياك فان الله ناصرك ومظفرك ويظهرك عليهم ويحتمل لا يحزنك صنيع هؤلاء الكفرة وسوء عملهم فانك لا تؤاخذ بصنيعهم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وفي قوله تعالى يا ايها الرسول

دلالة تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء والرسل لانه تعالى في جميع ما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال يا ايها الرسول ويا ايها النبي ولم يخاطب باسمه وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام انما خاطبهم باسمائهم يا موسى ويا ابراهيم ويا نوح وجميع من خاطب منهم او ذكر انما ذكر باسمائهم وقوله عز وجل من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم قال قالوا آمنا بافواههم ولم يقل آمنوا بافواههم ليعلم ان القول به ليس هو من شرط الايمان انما الايمان هو تصديق القلب لكن يعبر به اللسان عن قلبه الا ترى انه قال ولم تؤمن قلوبهم والايمان هو التصديق في اللغة لان ضده التكذيب فيجب ان يكون ضد التكذيب التصديق يكون بالقلب حيث قال عز وجل ولم تؤمن قلوبهم لكن اللسان يعبر عن ضميره فهو ترجمان القلب فيما بين الخلق فهذا يدل ايضا على ان الايمان ليس هو المعرفة لان الايمان لو كان معرفة لكان يجب ان يكون ضده جهلا فلما كان ضد الايمان تكذيبا وجب ان يكون ضد التكذيب التصديق والتصديق والايمان في اللغة سواء ولان المعرفة قد تقع في القلب على غير اكتساب فعل ربما والتصديق لا يكون الا باكتساب ترك مضادته وهو التكذيب لذلك قلنا ان الايمان ليس هو المعرفة ولكنه تصديق ثم اختلف في هؤلاء قال بعضهم هم المنافقون الذين كانوا يظهرون الايمان باللسان قلوبهم كافرة وقال اخرون هم اليهود والمنافقون الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ومن الذين هادوا سماعون للكذب هذا يدل قوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم في المنافقين وقوله عز وجل سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوك يحتمل سماعون الى النبي صلى الله عليه وسلم خبره سماعون لقوم اخرين لم يأتوك خبره بالكذب ومعناه والله اعلم انهم كانوا يستمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وما يقول لهم ثم يأتون الذين لم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونهم خلاف خبره وغير ما سمعوا منه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان في التوراة كذا من الاحكام والشرائع فاذا سمع هؤلاء منه ذلك اتوا اولئك الذين لم يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون انه كاذب وليس في التوراة ما يقول هو ونحو ذلك وقيل انهم كانوا طلائع الكفرة وعيونا لهم يخبرون ضعفة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما اتاهم نحو قولهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانوا يخبرونهم لئلا يغزوهم والله اعلم وقوله عز وجل يحرفون الكلم من بعد مواضعه يحتمل التحريف وجهين تبديل الكتابة من الاصل كقوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ويحتمل تغيير المعنى في العبارة على غير تبديل الكتاب يغيرون على السفلة والذين لا يعرفون غير ما فهموا منه وقوله عز وجل يقولون ان اوتيتم هذا يعنون بهذا ما عرفوه وغيروه فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت الاية في رجل وامرأة من اليهود زنيا وكان حكم الله في التوراة في الزنا الرجم وكانوا يرجمون الوضيع منهم اذا زنى ولا يرجمون الشريف وكانا في شرف وموضع وكانا قد احصنا فكرهت اليهود رجمهما في كتابهم الرجم وكانوا ارادوا ان يرتفع الرجم من بينهم وان يكون حدهم الجلد فذلك قوله تعالى ان اوتيتم هذا يعنون الجلد فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا فكتبوا بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوا عن ذلك فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما وهل تجد فيهما الرجم فيما انزل الله تعالى عليك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم وقال له ان ابوا ان يأخذوا به فسألهم عن رجل منهم يقال له ابن صوريا ووصف له فاجعله بينك وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد فيما انزل الله على ان الزانية والزاني اذا احصنا وزنيا فان عليهما الرجم فنفروا من ذلك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعرفون رجلا شابا صفته كذا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودي على ظهر الارض بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم ابن صوريا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اجعلوه بيني وبينكم قالوا نعم رضينا به اذا رضيت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى هل تجدون في كتابكم الذي اتاكم به موسى في التوراة الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني ولولا خشية ان تحرقني النار ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ففي هذا وجوه من الدلائل احدها انه سألهم عما كتموا من الاحكام والحقوق التي بينهم وبين الله تعالى ليظهر خيانتهم وكذبهم فيما كتموا من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله وفيه اثبات رسالته والثاني انهم طلبوا منه الرخصة والتخفيف في الحد لانهم عرفوا انه رسول الله لكنهم كابروا في الانكار بعد ما عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا وفيه دلالة جواز شهادة بعضهم على بعض لانه قبل شهادة ابن صوريا عليهم حيث شهد بالرجم وقال بعضهم قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه الاية انها نزلت في قتيل قتل عمدا بين قبيلتين بني قريظة والنضير وكان القتيل من بني قريظة وكانوا بنو النضير اذا قتلوا من بني قريظة لم يعطوهم القود لكن يعطوهم الدية واذا قتل بنو قريظة من بني النضير لم يرضوا الا بالقود يتعززون عليهم فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فارادوا ان يرفعوا امرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم فقال رجل من المنافقين ان قتيلكم قتل عمدا وانا اخشى عليكم القود فان كان محمد امركم بالدية لقتيل منكم فاعطوه والا فكونوا على حذر فاخبر

عز وجل تنبيه عليه الصلوة والسلام بما قالوا فقال يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه يعني الدية وان لم تؤتوه فاحذروا
فلا ندري فيم كانت القصة وفيه من الدلائل ما ذكرنا من اثبات الرسالة والنبوة والله اعلم وقوله عز وجل ومن
يرد الله فتنته قيل من يرد الله عذابه واهلاكه فلن تملك له احد دفع ذلك العذاب عنه وقيل الفتنة المحنة اى
من يرد الله ان يمتحن بالرجم والقتل فلن تملك له احد دفع ذلك عنه وقوله عز وجل اولئك الذين لم يرد الله ان
يطهر قلوبهم قالت المعتزلة قوله لم يرد الله ان يطهر قلوبهم تاويله يحتمل وجهين يحتمل لم يرد الله اى لم يطهر الله
قلوبهم والثاني لم يرد الله ان يطهر قلوبهم بالشرك والكفر وذلك بعيد لانه كيف يطهر بالكفر وبالكفر يتنجس لكن
الوجه عندنا في قوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اى لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اذ علم منهم انهم
يختارون ما اختاروا ويريدون ما ارادوا فانما اراد ما كان علم منهم يريدون ما ارادوا وانما اراد ما كان
علم منهم انهم يريدون ويختارون وكذلك قوله تعالى ومن يرد الله فتنته يريد فتنته من علم انه يريدها ويختارها
فانما يريد ما اراد هو ويختار وظاهر الاية على المعتزلة لانه قال لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وذلك ظاهر الخلاف
وبالله العصمة وقوله عز وجل لهم في الدنيا خزي الخزي في الدنيا القتل والعذاب والجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم
وقوله عز وجل سماعون للكذب يحتمل وجهين يحتمل سماعون اى يستمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليعرفوا فيكذبوا عليه ويحتمل قوله سماعون للكذب اى قائلون لا لحق لهم من الكذب كانوا يقبلون لما القى اليهم
من الكذب والله اعلم وقوله عز وجل اكالون للسحت قال بعضهم كل حرام هو سحت وان كان السحت اسم كل حرام
فذلك يعم كل حرام وجميع الكفرة او اكثرهم وقال اخرون السحت هو الرشوة في الحكم فان كان السحت هذا فذلك
يرجع الى رؤسائهم الذين يحكمون فيما بينهم ويأخذون على ذلك رشوة وقوله عز وجل فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم اختلف فيه قال بعضهم هو على التخيير اذا دفعوا الى الامام ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض ولا يحكم
لكنه منسوخ بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم امر بالحكم بينهم اذا جاؤا ونهى ان يتبع
اهواءهم وفي ترك الحكم بينهم اتباع هواهم وقال وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم امر بالحكم بينهم
اذا جاؤا او نهى ان يتبع اهواءهم واحذرهم قالوا منسوخ بهذه الاية وامكن الجمع بينهم وهو ان قوله تعالى فاحكم
بينهم او اعرض عنهم في قوم من اهل الحرب دخلوا دار الاسلام بامان فرفعوا الى الامام امرهم فالامام بالخيار
ان شاء ردهم الى مأمنهم ونقض عليهم امانهم ولم يحكم بينهم وان شاء تركهم وحكم بينهم فذلك معنى التخيير و
الله اعلم واما قوله فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم فذلك في اهل الذمة الراضين بحكمنا
اذا رفعوا الى الحاكم يجب ان يحكم بينهم ولا يرد عليهم ما طلبوا منه من اجراء الحكم عليهم لانهم بقبولهم الجزية
ما اعطى لهم من العهود والمواثيق وهم قد رضوا بحكمنا لذلك لزم الحكم بينهم والله اعلم وقوله عز وجل وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يقع الاعراض عنهم موقع الجفاء ويعدون ذلك جفاء فامنه عز وجل
نبيه عليه الصلوة والسلام عن ان يلحقه ضرر منهم ويحتمل قوله فلن يضروك شيئا اى ليس عليك ضرر ما هم
فيه فانما ضرر ذلك عليهم وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء و
ما من حسابك عليهم من شيء الاية وقوله عز وجل وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اى بالعدل كقوله تعالى كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله وكقوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل الاية ان الله يحب المقسطين اى
العادلين في الحكم وقوله عز وجل وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله يعجب نبيه صلى الله عليه وسلم شدة
سفههم وتعنتهم بتركهم الحكم بالذي صدقوا وطلب الحكم كذبا بوا لانهم صدقوا التوراة وما فيها من الحكم وكذبوا
ما انزل على محمد عليه افضل الصلوات يقول والله اعلم انهم اذا لم يعملوا بالذي صدقوا كيف يعملون بالذي كذبوا
وذلك تعجيب منه اياه شدة السفه والتعنت وقوله عز وجل فيها حكم الله اى حكم الله الذي تنازعوا فيه وتشاجروا
رجما كان او قصاصا او ما كان والله اعلم وقوله عز وجل ثم يتولون من بعد ذلك يحتمل وجهين يحتمل يتولون
من بعد ما تحكم بينهم بما حكمت ويحتمل يتولون من بعد ما عرفوا من الحكم عليهم بما في التوراة وقوله عز وجل فلا تخشوا
الناس فيما تحكم عليهم واخشون امن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرهم وتكيدهم وامرت ان تخشوه بكفيه شرهم
واذاهم ثم اختلف في الاحبار والربانيون قال بعضهم الربانيون علماء اليهود والاحبار علماء النصارى وهما
واحد سموا باسمين مختلفين وقيل قول فلا تخشوا الناس واخشون انما خاطب علماءهم اى لا تخشون ان تخبروهم
بالحكم الذي في التوراة واخشون ولا تشتروا بايات الله ثمنا قليلا لهم خرج الخطاب بهذا على التاويل لنا في
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون هكذا من جحد الحكم بما انزل الله ولم يره حقا فهو كافر وذكر في القصة
ان الاية نزلت في قتيل كان بين بني قريظة وبني النضير ان بني النضير اذا قتلوا من بني قريظة لم يرضوا الا بالقود والحر
اذا قتلت احدا منهم كانوا لم يعطوهم القود ولكن يعطوهم الدية فنزل وكتبنا عليهم ان النفس بالنفس الاية
وقوله عز وجل وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين الى اخره اخبر الله عز وجل انه كان كتب على اهل التوراة
النفس وقد كتب علينا ايضا قتل النفس بقوله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى كانه قال كتب عليكم القصاص في النفس
بالنفس كما كتبت عليهم ولم تمار القصاص فيما دون النفس فانه لم يبين في الاية التي اخبر عز وجل انه كتب علينا القصاص
القصاص في النفس ثم يحتمل ان يكون قوله والعين بالعين والانف بالانف الى اخر ما ذكر وجهين يحتمل ان يكون

اخبارا عما كان مكتوبا عليهم من القصاص فيما دون النفس كالنفس الا ترى انه قرئ في بعض القراءات بالنصب نسقا على
الاول ويحتمل على الابتداء على غير اخبار منه ولكن على الايجاب ابتداء والذي يدل على ذلك قوله فمن تصدق به فهو كفارة
له لا يحتمل ان يكون هذا في الخبر لان ذلك ترغيب في العفو في الحادث من الوقت دل انه ليس على الاخبار ولكن على
الابتداء الا ترى اكثر القراء قرؤا بالرفع غير قوله النفس فانه بالنصب ثم ذكر العين بالعين والانف والاذن بالاذن
ولم يذكر اليد والرجل وذلك يحتمل وجهين احدهما لم يحتمل ان يكون القصاص في اليد ظاهرا فيستدل بوجوبه فيما هو اخفى
على وجوبه فيما هو اظهر منه لان التمتع بالبصر والانف والسمع ليس الا لصاحبه وقد يجوز ان ينتفع غيره بيداخى
ورجله والثاني ان يكون وجوب القصاص في اليد في قوله والجروح قصاص ثم تخصيص الاسنان بوجوب القصاص
دون غيرها من العظام لان الاسنان بادية ظاهرة ويقع عليها البصر يقدر على الاقتصاص واما غيرها من العظام مما
لا يقع عليها البصر ولا يقدر على الاقتصاص الا بعد كسر اخر وقطع لحم لذلك خصت الاسنان بالاقتصاص دون سائر
العظام والله اعلم ثم فيه دليل وجوب القصاص في العضو في العضو الذي لا منفعة فيه سوى البهاء بذهاب
البهاء لانه ذكر الانف والاذن وليس في الانف والاذن الا ذهاب البهاء فاوجب في ذهاب البهاء القصاص كما اوجب
في ذهاب المنفعة وعلى هذا يخرج قولنا وجوب الدية في ذهاب البهاء على الكمال كوجوبها في ذهاب المنفعة على الكمال
على اهل العلم يجمعون ان القصاص واجب بين الرجال الاحرار في العين والانف والاذن والسن والجروح التي ليس فيها
كسر عظم اذا جنى على شيء من ذلك عمدا بحديده واما القصاص بين الرجال والنساء والعبيد والاحرار فيما دون النفس فاهل
العلم اختلفوا فيه وكان اصحابنا رحمهم الله تعالى لا يرون القصاص بينهم في ذلك ويرون القصاص في الانفس فاهل العلم
اختلفوا فيه ويفرقون بينهما والفرق بينهما ان جماعة لو قتلوا رجلا قتلوا به ولو قطع جماعة يد رجل لم تقطع ايديهم
فالتفاضل في النفس غير معتبر به ويعتبر فيما دون النفس وقد ذكرنا هذه المسئلة فيما تقدم ذكرا كافيا وقوله عز وجل
فمن تصدق فهو كفارة له اختلف فيه قال بعضهم هو صاحب الدم كفارة لما كان ارتكب هو وعلى ذلك روى
عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من تصدق بدم فما دونه كان له كفارة من يوم ولد الى يوم تصدق وقال
بعضهم قوله فمن تصدق به فهو كفارة له يعني كفارة للقاتل اذا عفا الولي وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وعن
مجاهد هو كفارة للجارح واجر المتصدق على الله والاول كانه اقرب واشبه والله اعلم وقوله عز وجل ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الظالمون هذا اذا ترك الحكم بما انزل الله جحودا منه فهو ما ذكرنا وقوله وقفينا على اثارهم بعيسى بن مريم
قوله تعالى وقفينا اى اتبعنا على اثارهم وهو من القفا وقوله اثارهم يحتمل وجهين يحتمل على اثار الرسل ويحتمل
على اثار الذين انزل فيهم التوراة وقوله عز وجل واتيناه الانجيل فيه هدى ونور من الضلالة لمن تمسك به ونور لمن
عمل باستناره ومصدقا لما بين يديه من التوراة تهدا يدل ان الكتب كانت مصدق بعضها بعضا على بعد اوقات
النزول جل الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل وموعظة للمتقين يحتمل موعظة للمتقين لان المؤمن
هو الذي يتعظ به واما غير المؤمن فلا يتعظ به ويحتمل قوله وموعظة للمتقين الذين يتقوا المعاصي كلها وفي قوله
فمن تصدق به فهو كفارة له وكذلك قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء دلالة ان القصاص للعباد خاصة حيث
في العفو عنه والترك له ليس كالحدود التي هي لله تعالى لانه لم يذكر في الحدود العفو ولا التصدق به وذكر في القصاص
والجراحات دل ان ذلك للعبد له تركه وسائر الحدود لله ليس له ابطاله والله اعلم وقوله عز وجل وليحكم اهل
الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ذكر في موضع ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون وفي موضع الظالمون وفي موضع الفاسقون فامكن ان يكون كله واحدا ان من لم يحكم بما انزل الله جحودا
منه له واستخفافا فهو كافر ظالم فاسق ويحتمل ان يكون ما ذكر من الكفر بترك الحكم بما انزل الله اذا ترك الحكم به
جحودا منه وانكارا وما ذكر من الظلم والفسق ذلك في المسلمين لانه قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين
والانف بالانف الى اخر ما ذكر ثم قال فمن تصدق به فهو كفارة له ثم قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون تركوا
الحكم بما انزل الله اتباعا لهواهم لا جحودا فقد ظلموا انفسهم لان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه والفسق هو
الخروج عن الامر كقوله تعالى ففسق عن امر ربه اى خرج ثم يحتمل ان يكون هذا في حال الجهل به والعلم سواء لانه اذا لم يحكم
بما انزل الله فقد وضع الشيء في غير موضعه وخرج عن امره لكن هذا في القول يقبح ان يقال هو ظالم فاسق وهو ما
يفعل انما يفعل عن جهل به يجوز ان يقال فعله فعل ظلم وفسق واما في القول فهو قبيح لما ذكرنا وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه من الاحكام اى حكم كان فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب بالحق قوله
بالحق قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل مصدقا لما بين يديه قد ذكرناه ايضا وقوله عز وجل ومهيمنا
عليه عن ابن عباس رضي الله عنه قال مؤتمنا عليه والكسائي المهيمن الشهيد وقيل الرقيب على الشيء قال هيمن فلان
على هذا الامر فهو مهيمن اذا كان حافظا له والرقيب عليه وعن الحسن قال مهيمنا عليه مصدقا بهذه الكتب
وامينا عليها والقتبي قال امينا عليه وابو عوسجة قال مسلطا عليه وقيل مفسرا يفسر التفسير وقال ابو بكر الكيسانى
قوله مهيمنا هي كلمة مأخوذة من كتبهم غير معدة مأخوذة من لسان العرب وفيه اثبات رسالته صلى الله عليه
وسلم وتاويله هو شاهد وحافظ على غيره من الكتب ومصدقا لها من عند الله نزلت سوى ما غيروا فيها وحرفوا
ليميز المغير منها والمحرف قال ابن عباس رضي الله عنه ومهيمنا عليه القران شاهد على الكتب كلها وقوله عز وجل فاحكم

قراء الكسائي
وابو عبيد والعين بالعين
والانف بالانف والاذن
بالاذن والسن والجروح بالرفع
هذه الاحرف الخمسة وقراهما
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وابو جعفر في رفع والجروح
فقط ونصبوا ما قبلها
وقراء الاخرون
جميع ذلك
بالنصب
في كتاب
ما يتعلق
القراء

بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق يحتمل قوله فاحكم بينهم بما انزل الله من الرجم في الزاني الثيب على ما ذكر في بعض القصة انهم رفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الزاني والزانية منهم فطلبوا منه الجلد وكان في كتبهم الرجم ولا تتبع اهواءهم قولهم ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا وان يقال احكم بينهم بما انزل الله من القتل لانه ذكر في بعض القصة ان بني قريظة كانوا يرون لانفسهم فضيلة على بني النضير وكانوا اذا قتلوا منهم احدا لم يعطوهم القود يعطونهم الدية واذا قتلوهم احدا منهم لم يرضوا الا بالقود فانزل الله تعالى فاحكم بينهم بما انزل الله وهو القتل والقتل ولا تتبع اهواءهم في تركهم القود واعطاءهم الدية والله اعلم بالقصة ان كيف كانت وليس بنا الى معرفة القصة وماهيتها حاجة بعد ان يعرف ما اودع فيه وادرج من المعاني وقوله عز وجل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الاية فان قيل كيف نهاه عن اتباع اهوائهم وقد اخبر عز وجل لكل شرعة ومنهاجا وقد يجوز ان يكون ما هووهم شريعة لهم قيل يحتمل النهي عن اتباع هواهم لما يجوز ان يهووا الحكم بشريعة قد نسخ الحكم بها لما اعتادوا والعمل بالمعتاد من الحكم ايسر فهووا ذلك او كان ما نسخ اخف فيهوون ذلك فنهاه عن اتباع هواهم لان العمل بالمنسوخ حرام وان كان هو في بعض على غيرها شرع وفي بعض ما شرع فانما نهي عن اتباع هواهم بما لم يشرع والله اعلم وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وليس في نسخ شريعة خروج عن الحكمة من عرف النسخ بيان منتهى الحكم الى وقت ليس على ما فهمت اليهود من البدو والرجوع عما كان وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم ما فيه مقنع بحمد الله تعالى ومنه وقوله عز وجل قال ابن عباس رضي الله عنه الشرعة هي السبيل وهي الشريعة وجمعها شرايع وبها سميت شرايع الاسلام وكل شيء شرعت فيه فهو شرعت فيه شريعة وقال المنهاج السنة والشرعة هي السبيل وقيل الشرعة السنة والمنهاج السبيل يعني الطريق الواضح الذي يتضح لكل سالك فيه الا المعاند والمكابر فانه يترك السلوك فيه مكابرة يخبر عز وجل والله اعلم انه لم يترك الناس حيارى لم يتبين لهم الطريق الواضح يسلكون فيه بل بين لهم ما ينجح لهم ان لم يعاند وليقطع لهم العذر والحجاج وان لم يكن حجاج وبالله التوفيق وقوله عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اختلف فيه قيل لو شاء الله لجعلكم جميعا على شريعة واحدة لا تنسخ بشريعة اخرى لكن نسخ بشريعة اخرى لفضل امتحان ولله ان يمتحن عباده بمحن مختلفة كيف شاء بما شاء وقيل لو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي على دين واحد وهو دين الاسلام لم يجعل كافرا ولا مشركا ولكن امتحنكم باديان مختلفة على ما تختارون وتؤثرون ثم اختلف في المشية قال المعتزلة هي مشية الجبر والقسر وقال اصحابنا المشية مشية الاختيار وقد ذكرناها في غير موضع وقوله عز وجل فاستبقوا الخيرات قيل سابقوا بالامة يحتمل الامم كلها بالخيرات ويحتمل قوله تعالى فاستبقوا الخيرات التي بها تستوجبون المغفرة كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم واصل قوله فاستبقوا الخيرات اي اعملوا الخيرات كقوله اعملوا صالحا الاية وقوله عز وجل وان احكم بما انزل ولا تتبع اهواءهم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع اهواءهم من العلم انه لا يتبع اهواءهم والوجه فيه ما ذكرنا ان العصمة لا تمنع النهي بل تؤيد وقد ذكرنا فيما تقدم ويحتمل ان يرجع النهي الى غيره ويراد بالنهي والامر غير المخاطب به على ما ذكرنا من عادة الملوك انهم اذا خاطبوا من هو اجل عندهم واعظم اهواءهم فيما طلبوا منك من الجلد مكان الرجم والدية مكان القصاص لما راى بنو النضير لانفسهم من الفضل على بني قريظة والله اعلم وقوله عز وجل واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قوله ان يفتنوك اي يصدوك عن الحكم ببعض ما انزل الله اليك والفتنة هي المحنة وهي تتوجه الى وجوه وقد ذكرنا الوجوه فيه فيما تقدم وقوله عز وجل فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم قوله فان تولوا فان اعرضوا عن الحكم الذي تحكم بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اختلف فيه قال بعضهم انما يعذبهم الله ببعض ذنوبهم لا يعذبهم بجميع ذنوبهم وقال اخرون عذاب الدنيا عذاب ببعض الذنوب ليس هو عذاب بكل الذنوب لانه لا يدوم واما في الاخرة فانهم يعذبون بجميع ذنوبهم لان عذاب الاخرة دائم فهو عذاب بجميع الذنوب وعذاب الدنيا زائل فهو عذاب ببعض الذنوب والله اعلم وقوله عز وجل افحكم الجاهلية يبغون قال بعضهم ان هذا صلة قوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا افحكم الجاهلية يبغون وقال اخرون وروي عن ابن عباس رضي الله عنه يقول افحكم الجاهلية يبغون عندك يا محمد في القران يعني بني النضير وقوله عز وجل ومن احسن من الله حكما اي لا احد احسن من الله حكما على اقرارهم ان الله اذا حكم لا يحكم الا بالعدل وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض يحتمل قوله تعالى لا تتخذوهم اولياء ويحتمل لا تتخذوهم اولياء في الدين لانهم اذا اتخذتم لا يدينوا بدينهم فالحكم اذا دان بدينهم صرتم اولياءهم ويحتمل لا تتخذوهم اولياء في النصر والمعونة لانهم اذا اتخذوا اولياء في النصر والمعونة صاروا امثالهم لانهم اذا نصروا الكفار على المسلمين او اعانوهم فقد كفروا وهو كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا الاية نهاهم ان تتخذوا اولئك موضع سرهم وخفتهم فعلى ذلك الاول والله اعلم والثالث لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء في المكسب والدنيا فانهم اذا فعلوا ذلك لا بد من ان يميلوا اليهم ويصدروا عن رأيهم في شيء فذلك مما يستقبهم ويخرج شهادة ثم فهذا النهي يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا والله اعلم وفي الاية دلالة ان الكفر كله ملة واحدة وان اختلفت مذاهبهم فالواجب ان يرث بعضهم بعضا كقوله تعالى بعضهم اولياء بعض كان اهل الاسلام يرث بعضهم بعضا وان اختلفت مذاهبهم الا ترى انه قال المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض الاية وليس ذلك بداخل في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا

لا يتوارث

يتوارث اهل ملتين فالاسلام ملة حق والكفر ملة باطل ولا نرثهم ولا يرثوننا وما روي لا نرث اهل الكتاب ولا يرثونا الا ان يرث الرجل عبده او امته ليس بميراث انما هو ماله كان ملكه قبل موته فهو له بعد موته وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وقوله عز وجل ومن يتولهم منكم فانه منهم الوجوه التي ذكرنا للولاية في الدين والولاية في النصر والمعونة فانهم اذا فعلوا ذلك صاروا منهم في حكم الدنيا والاخرة والولاية في المكسب والدنيا فيصيرون منهم في حكم الدنيا والله اعلم فان قيل ايرث المسلم المرتد وقد قال ومن يتولهم منكم فانه منهم اخبر انه من تولاهم من المسلمين صار منهم ونحن لا نرث اليهود والنصارى فكيف ورث من صار من المسلمين قيل معنى قوله فانه منهم في الدين والكفر لا في الحكم والحقوق لان المرتد الى النصرانية ليس يترك على دينه فلم يكن من اهل تلك الملة وانما الملة ما يقارن على اهلها الا ترى انه لا يرث النصراني المرتد لانه لا يترك فلو كانت النصرانية له ملة ورثه اهلها الا انا نعلم ان النصارى يرث بعضهم بعضا فلم يرثوه دل ذلك على انه ليس من ملتهم وان حكمه في الميراث حكم الملة التي يجبر على الرجوع اليها وعلى ذلك جاءت الاثار عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين روي عن علي رضي الله عنه انه اتي برجل قد ارتد عن الاسلام الى النصرانية فعرض عليه الاسلام فابى فضرب عنقه وجعل ميراثه لورثته المسلمين وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مثل ذلك وروي عن زيد بن ثابت مثله وقوله عز وجل ان الله لا يهدي القوم الظالمين قد ذكرناه فيما تقدم وقوله عز وجل فترى الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون كقوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض الى قوله ولتعرفنهم في لحن القول وهو وصف المنافقين يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة كانوا يظهرون الموافقة للمسلمين خوفا منهم وفي السر مع الكفرة لانهم كانوا اهل ريب وشك ولا دين لهم يميلون الى من راوا السعة معهم والامن وكانوا على شك من امر محمد صلى الله عليه وسلم وريب يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة لعل محمدا لا ينصر ولا يتم امره فاستروا في انفسهم الموافقة للكفر والغش للاسلام واهله ويظهرون الموافقة للمؤمنين لما كانوا يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد النصر والظفر للمؤمنين لكن ذلك لا يتحقق عندهم وكانوا كما قال الله عز وجل مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء الاية وكانوا ينظرون النصر والظفر فيميلون الى حيث كان النصر والظفر فيقولون للمؤمنين ان كان الظفر لهم الم نكن معكم وان كان للكافرين فيقولون الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين وقوله عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح اي بالنصر بنصر محمد صلى الله عليه وسلم والظفر له على اعدائه وفتح البلدان والامصار واظهار دينه دين الاسلام على ما روي انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وعلى ما فتح له البلدان كلهم وقوله عز وجل او امر من عنده قيل عذاب اولئك الكفرة وهلاكهم في الدنيا فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين عند العذاب والهلاك او يندمون في الاخرة لما اصابهم من العذاب ما اسروا في انفسهم في الدنيا من المودة لهم والعداوة للمؤمنين والله اعلم وفي قوله يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة دلالة اثبات رسالة محمد لانه لا يحتمل ان يقولوا نخشى ان تصيبنا دائرة من حيث يسمع اهل الاسلام ذلك منهم دل ذلك انهم انما عرف ذلك بالله وكذلك ما اخبر من الوعد بالنصر له والظفر ثم كان على ما اخبره ووعد دل انه خبر عن الله تعالى وقوله عز وجل ويقول الذين امنوا بعضهم لبعض لما ظهر نفاق اهل النفاق وقتلوا وفضحوا كقوله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا قال المؤمنون عند ذلك اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم وقد كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويحلفون بالله على ذلك ويضمرون الخلاف لهم والعداوة والمودة للكفرة كقوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ويحلفون لكم لترضوا عنهم ونحو ذلك فذلك معنى قوله اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم والله اعلم وقوله حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اي حبطت اعمالهم التي عملوها قبل اسرارهم ما اسروا في انفسهم اذا اسروا في ذلك فاصبحوا اي صاروا الخاسرين بعد الافتضاح حيث ذهبت منافعهم التي كانت لهم قبل الافتضاح وظهور نفاقهم ويحتمل قوله تعالى حبطت اعمالهم التي عملوا ظاهرا مراءاة للناس وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه ان قوله تعالى من يرتد وان كان حرف توحيد وتفريد فان المراد منه الجماعة الا ترى انه قال فسوف ياتي الله بقوم دل هذا على ان المراد منه الجماعة والعصابة ولان الواحد والاثنين اذا ارتدوا عن الاسلام يؤخذ ويحبس ويقتل ان ابى الاسلام والجماعة اذا ارتدوا عن الاسلام احتيج الى نصب الحرب والقتال على ما نصب مع اهل الردة وفي الاية دلالة امامة ابي بكر الصديق رضي الله عنه لان العرب لما ارتدت عن الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حاربهم وكان هو ومن قام بحربهم ممن احب الله واحبه الله وعن الحسن رضي الله عنه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هو قال والله ابو بكر واصحابه رضي الله عنهم اجمعين وقوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه لانه كان الداعي الى حرب اهل الردة فانه قيل يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي دعاهم قيل له قال الله تعالى قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فمحال ان يدعوهم فيطيعوا وقد قال الله انهم لن يخرجوا معه ابدا فان قيل قد يجوز ان يكون عمر رضي الله عنه هو الذي دعاهم قيل له فان كان فامامة عمر رضي الله عنه ثابتة بدليل الاية واذا صحت امامته صحت امامة ابي بكر رضي الله عنهما لانه المختار له والمستخلف فان قيل قد يجوز ان يكون علي رضي الله عنه هو الذي دعاهم الى محاربة من حارب قيل له قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وهذه صفة من يحارب من مشركي العرب الذين لا يقبل منهم الجزية وعلي رضي الله عنه

انما حارب اهل البغي وهم مسلمون ولم يحارب احد بعد النبي اهل الردة غير ابي بكر رضي الله عنه فكانت الاية دليلا على
امامته وقوله عز وجل فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه فسوف كقوله عسى والعسى واجب الخبر عز وجل انه يأتي
بقوم يحبهم ليبذلوا انفسهم في مجاهدة اعداء الله وتركهم في الله لومة لائم فذلك الحبهم الله لا تراه احد يبذل نفسه للهلاك
وترك لومة لائم الا لمن يحب الله واحبهم الله لما اثنى عليهم بقوله يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ويحبهم
الله لما بذلوا انفسهم في مجاهدة اعدائه وتركهم لومة لائم وفيه دلالة اثبات امامة ابي بكر رضي الله عنه لانه عز وجل
اثنى عليهم بغزوهم في سبيل الله ومجاهدة اعدائه فلو كان غاصبا ذلك على علي رضي الله عنه او كان غير محق لذلك لم يكن
الله ليثني عليه بذلك لانه كان اخذا ما ليس له اخذه ومضيعا حقا لغيره ومن كان هذا سبيله لم يكن يستوجب كل هذا
الثناء من الله تعالى فهذا ينقض على الروافض قولهم وما روي من كنت مولاه وغيره من الاخبار وذلك في الوقت الذي
طلب علي رضي الله عنه الخلافة وحارب عليها لانه لا يحتمل ان يعلم ان له الخلافة في زمن ابي بكر رضي الله عنه ويرى الحق لنفسه
ثم يترك طلبها لانه كان مضيعا حق الله عليه فدل سكوته وترك طلبه على ان الحق ليس له ولكن كان لابي بكر رضي
الله عنه والله اعلم وقوله عز وجل اذلة على المؤمنين اي ذوي رحمة ورأفة للمؤمنين اعزة على الكافرين اي ذوي شدة
على الكافرين وهو ما وصفهم عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية بذلك وصفهم عز وجل وقوله ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء اختلف فيه قال بعضهم ذلك الجهاد في سبيل الله اي في طاعة الله فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل
ذلك الاسلام فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم قد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله عز وجل انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا الاية قال بعض اهل التأويل قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا هو صلة قوله يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض وكذلك قوله تعالى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا
ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء هو صلة ما تقدم ذكره نهى المؤمنين ان يتخذوا الذين اوتوا الكتاب
والذين لم يؤتوا الكتاب اولياء في غير اي من القرآن واخبر ان الله ورسوله هو ولي الذين امنوا ايضا بعضهم اولياء بعض
بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فاذا كان الله عز وجل ورسوله والذين امنوا اولياء لنا لم
ينبغ ان نتخذ الكفار اولياء وذكر في بعض القصة ان عبد الله بن سلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان اليهود اظهروا
لنا العداوة من اجل اسلامنا وحلفوا ان لا يكلمونا ولا يخالطونا في شيء ومنازلنا فيهم وانا لا نجد متحدثا دون
هذا المسجد فنزلت الاية فقالوا قد رضينا بالله وبرسوله والمؤمنين اولياء ثم اختلف في نزوله قال بعضهم نزلت
في شأن علي رضي الله عنه تصدق بخاتمه وهو في الركوع ويقولون خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو بمسكين
فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل اعطاك احد شيئا قال نعم يا رسول الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال
خاتم فضة قال من اعطاك قال ذلك الرجل القائم يعني عليا قال النبي صلى الله عليه وسلم على اي حال اعطاك قال
اعطانيه وهو راكع فكبر النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له واثنى عليه فاحتج الروافض بهذه الاية على تفضيل علي
بن ابي طالب على ابي بكر رضي الله عنهما واثبات الخلافة له دون غيره ويقولون نزلت في شأنه رضي الله عنه لما روي
عن ابي جعفر رضي الله عنه قال تصدق علي بن ابي طالب رضي الله عنه بخاتمه وهو راكع فنزل الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم راكعون فقال لهم هب ان الاية نزلت في شأنه وليس فيها دلالة اثبات الخلافة فيه في نقض ابي بكر الصديق رضي الله عنه
لانا قد ذكرنا في الاية الاولى ما يدل على اثبات الامامة له في الوقت الذي كان هو اماما ونحن لا نجعل لعلي كرم الله وجهه
الخلافة له في الوقت الذي لم ير نفسه الخلافة فيه لانه روي عنه انه قال ان ابا بكر هو خير الناس بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم او كلام نحو هذا وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو وليتم ابا بكر لوجدتموه قويا في دينه
ضعيفا في بدنه وان وليتم عمر لوجدتموه قويا في دينه وبدنه وان وليتم عليا لوجدتموه هاديا مهديا مرشدا فنقول
نحن على ما كان من علي وسائر الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من تسليم الاموال الى ابي بكر وتفويضهم اليه من غير
منازعة ظهرت عن علي كرم الله وجهه في ذلك فلو كان الحق له في ذلك الوقت لظهرت منه المنازعة على ما ظهرت
في الوقت الذي كان له فقالوا لان عليا رضي الله عنه لم يكن له انصار وفي الوقت الذي ظهرت المنازعة منه والطلب
كان له انصار قيل لا يحتمل ان يكون الحق له فيها ثم لا يطلب لما لم يكن له انصار الا ترى ان ابا بكر رضي الله عنه مع
ضعفه في بدنه خرج وحده لحرب اهل الردة حتى لما رأوه خرج وحده حينئذ تبعوه فابو بكر لم يترك طلب الحق
لعدم الانصار مع ضعفه في بدنه فعلي رضي الله عنه مع شدته وقوته وفضل علمه بامر الحرب حتى ما بارز واحدا من الاعداء
الا غلبه واهلكه فكيف يتوهم منه ترك طلب الحق لفقد الانصار والاعوان في ذلك هذا مما لا يتوهم في اضعف
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا ان يتوهم في علي رضي الله عنه فدل ترك طلب ذلك منه على انه ترك
لما رأى الحق له والله اعلم واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي انت مني بمنزلة هرون
من موسى غير انه لا نبي بعدي وهرون كان خليفة موسى ما لكن ثم ايضا ان عليا رضي الله عنه كان خليفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل لهذا جوابان احدهما ان قوله منى انت بمنزلة هرون من موسى يحتمل ان يكون في الاخوة التي
كان اخاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في اثبات الخلافة له والثاني انه كانت له الخلافة في الوقت الذي كان هو وليس
في الخبر جعل الخلافة له في الاوقات كلها وهكذا جواب ما روي عنه من كنت مولاه والله اعلم ثم ان الحديث الذي
روي عن ابي جعفر رضي الله عنه صحيحا في الاية معناه ان اصحابها فضيلة علي كرم الله وجهه وقد كان كثير الفضائل مكثرا

خصال

خصال الخير والاخر ان العمل اليسير في الصلوة لا يفسدها وقد روي في بعض الاخبار عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
انه خلع نعله في الصلوة وانه مس لحيته وانه اشار بيده وغير ذلك من العمل اليسير فعله في صلوته فيقاس كل عمل يسير على
ما دل عليه الخبر على جواز الصلوة وفيه وجه اخر وهو ان الصدقة التطوع تسمى زكوة لان صدقة علي رضي الله عنه
بالخاتم لم تكن صدقة مفروضة بل كانت تطوعا فسماها الله زكوة وان كانت تطوعا الا ترى انه قال في اية اخرى وما
اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فسماها الله زكوة وان كانت تطوعا الا ترى ثم قال في اية اخرى وما اتيتم من زكوة
تريدون وجه الله فسماها زكوة وان كانت تطوعا كما سمي صلوة الفرض والتطوع صلوة وصوم التطوع والفرض
صياما فعلى ذلك هذا وظاهر الاية في جملة المؤمنين ليس علي رضي الله عنه اولى بها من غيره فان كان فيه نزل فهو ما ذكرنا
والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون ظاهر هذا لو صرف الى ابي بكر الصديق
رضي الله عنه كان اقرب لانه كان هو الغالب على اهل الردة من اول ما وقع بينهم الى اخره وعلي رضي الله عنه انما
لا مرله في اخره حين حارب الخوارج والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا
الى اخره يحتمل النهي عن اتخاذ اولئك وجوها يحتمل النهي بعد ما اتخذوا اولياء في الدين ولكن في بعض المكاسب ويحتمل
ان يكون النهي للمنافقين ان لا يكونوا مع اولئك على المؤمنين وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والحزب هو العون والنصر في
اللغة قال الليث تقول العرب فلان حزبي اي ناصري وعوني وقوله واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا يخبر نبيه
صلى الله عليه وسلم غاية سفههم بصنيعهم اذا نودي الى الصلوة لا تذكر في القصة انهم اذا سمعوا المنادي يقول
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا احرق الكاذب وقالوا والله ما نعلم اهل دين من هذه الاديان
اقل حظا في الدنيا والاخرة منهم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فدخلت خادمهم ليلة من
الليالي بنار وهو نائم فسقطت شرارة فحرقت البيت واحترق هو واهله وقوله عز وجل ذلك بانهم قوم لا يعقلون نفي
عنهم العقل لما لم ينتفعوا بما عقلوا والا كانوا يعقلون وعلى ذلك يخرج قوله انا نعلم انهم كانوا يبصرون ويسمعون
لكن نفى عنهم لما لم ينتفعوا بالبصر والسمع واللسان لكن ليس له ذلك في اصل والله اعلم ويحتمل وجه اخر وهو ان
شدة بغضهم وحسدهم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم تمنعهم عن فهم ما خوطبوا به وتحول بينهم وبين معرفة
ذلك كانوا لم يكن ليس لهم ذلك رأسا وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية قيل هل تنقمون منا تطعنون
علينا وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل وهل تعيبون علينا وقال ابو عوسجة هل تنقمون منا اي تنكرون
منا وهو يرجع الى واحد والنقم هو العيب والطعن والانتقام هو الانتصار ومعناه هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل من قبل اي كيف تطعنون علينا وتعيبون وانتم ممن قد دعوتم الى الايمان بما انزل في الكتب وانتم
ممن قد اوتيتم الكتاب وفي كتابكم الايمان بالله والايمان بالكتب كلها فكيف تنكرون الايمان بذلك كله وتعيبون
علينا ولا تعيبون على انفسكم بفسقكم وخروجكم عن امر الله تعالى وعما امركم كتابكم ودعاكم اليه ونهاكم عما انتم فيه وما انزل
الينا وهو القران وهو يصدق ما قبله من الكتب وما انزل من قبل من الكتب المتقدمة من التوراة والزبور والانجيل
وهي تصدق القران بعضها يصدق بعضا فكيف تنكرون الايمان به وقوله عز وجل قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ذكر هذا والله اعلم على اثر قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله على اثر قوله
واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا الاية وذلك انهم كانوا يستهزؤن بالمؤمنين ويضحكون منهم ويطعنون
في دينهم ويعيبون عليهم فقال على اثر ذلك قل يا محمد هل انبئكم بشر من ذلك اي مما المؤمنون عليه مثوبة عند الله قالوا
من قال الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير الاية فمن كان هذا وصفه فهو شر مما
عليه المؤمنون وقد كان فيهم جميع ذلك مما غضب الله عليهم ولعنهم اي حول جوهرهم الى اقبح جواهر واوحشها
وهي القردة والخنازير بسوء صنيعهم او يكون ذلك على اثر قول ما قالوا ما ذكر في بعض القصة والله ما نعلم من اهل
دين اقل حظا في الدنيا والاخرة من هؤلاء يعنون المؤمنين لانهم كانوا يدعون ان الدنيا والاخرة لهم وليس لهؤلاء
دنيا ولا اخرة فقال الله سبحانه وتعالى قل يا محمد هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله اي ثوابا عند الله الاية
فقالوا من هم قال من لعنه الله وغضب عليه والملعون هو المطرود عن الخيرات وجعل من حول جوهره الى جوهر
القردة والخنازير وهو اقبح جوهر في الطبع والعقل واوحشه ومن عبد الطاغوت يعني الشيطان اولئك شر
مكانا في الدنيا لما حول جوهرهم الى اقبح جوهر في الارض من الذين لم يحول جوهرهم الى ذلك اذ لم يروا احدا من المؤمنين
حول جوهره من ذكر وقدرا واكثر مراوا انهم قد حولوا من جوهرهم الى هذه الجواهر المستقبحة في الطبع المؤذية
او يكون على الاضمار على اثر امر كان ونحن لم نعلم به فنزل عند ذلك وعن الحسن قال قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك
الذين لعنهم الله والذين غضب عليهم والذين عبدوا الطاغوت والذين جعل منهم القردة والخنازير منهم من جعله
قردة ومنهم من بقي على جوهره الذي كان اولئك شر مكانا في الدنيا والاخرة واضل عن سواء السبيل اي اخطأ
طريقا والله اعلم بالقصة وقوله عز وجل واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به قيل ان الاية
في اليهود وقيل انها في المنافقين وهي في المنافقين اشبه ذكر انهم كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويظهرون
الموافقة له ويخبرونه انهم يجدون نعته وصفته في كتبهم ويضمرون الخلاف له في السر ويهزؤن به فقال عند ذلك
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اخبر تعالى عز وجل نبيه عليه الصلوة والسلام انهم دخلوا بالكفر لانهم يقولون

ذلك استهزاء وعلى ذلك خرجوا فيه دلالة اثبات رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما اضمروا ليعلموا
انه انما علم ذلك بالذي يعلم الغيب مع علمهم انه لا يعلم الا الله والله اعلم بما كانوا يكتمون ويضمرون من الكفر والهزء
وقوله عز وجل وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت الاية يحتمل ان يكون قوله وترى
كثيرا منهم من ملوكهم وعوامهم يسارعون في الاثم اي في قول الكفر والعدوان والعدوان هو المجاوزة عن الحد
الذي حد لهم ويسارعون ايضا في اكل السحت والسحت قيل هو كل حرام وقيل هو الرشوة في الحكم وعن عمر رضي الله
عنه انه قال الرشوة هي الكفر واما السحت هو ان يرفع حاجة اخيه الى السلطان فيأكل عنده وقد ذكرنا هذا فيما
تقدم ثم قال على اثر ذلك لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون
عاتب الله عز وجل الربانيين والاحبار عن تركهم نهيهم اولئك عن صنيعهم واشركهم في الاثم شرعا سواء ليعلموا
ان العامل بالاثم والمعصية والراضي به والتارك النهي عن ذلك سواء وفيه دلالة ان تارك النهي عن المنكر يلحقه
من الوخم ما يلحق الفاعل به والربانيون والاحبار قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة
الاية قال الحسن قوله تعالى يد الله مغلولة اي محبوسة ممنوعة عن تعذيبنا لقولهم نحن ابناء الله واحباؤه وقوله
عز وجل غلت ايديهم في الاخرة بالسلاسل الى اعناقهم وقوله عز وجل بل يداه مبسوطتان بالمغفرة والتعذيب يغفر لمن
يشاء قال ابن عباس رضي الله عنه قولهم يد الله مغلولة لا يعنون بذلك ان يده موثقة مغلولة حقيقة اليد والغل
ولكن وصفوه بالبخل وقالوا امسك ما عنده بخلا منه تعالى الله عن ذلك وقال اخرون ان الله تبارك وتعالى قد كان
بسط على اليهود الرزق فكانت من اخصب الناس واكثرهم خيرا فلما عصوا الله في محمد عليه افضل الصلوات وكفروا
وبدلوا نعمة الله كفرا بالنعمة كف الله تعالى عنهم بعض الذي كان بسط عليهم من السعة في الرزق فعند ذلك قالوا
يد الله مغلولة لم يقولوا يده مغلولة الى عنقه ولكن ممسكة عنهم الرزق فلا يبسط كما كان يبسط وكقوله ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط نهي عن البخل في الانفاق لا انه اراد حقيقة فعلى ذلك قولهم يد الله
مغلولة كناية عن البخل ووصف به لا حقيقة الغل وبالله العصمة وتأويل قوله غلت ايديهم على هذا التأويل اي
ايديهم هي الممسكة عن الانفاق وهم الموصوفون بالبخل والشح بل يداه مبسوطتان اي نعمه مبسوطة يوسع على من يشاء
ويقتر على من يشاء وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه بل يداه بسطان قال الفراء يقال وجه مبسوط وبسط ثم
لا يحتمل ان يفهم من اضافة اليد الى الله ما يفهم من الخلق لما وجد اضافة اليد الى من لا يحتمل ان يكون له اليد من ذلك
قوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يفهم من القران اليد كما يفهم من الخلق فعلى ذلك لا يجوز
ان يفهم من اضافة اليد الى الله تعالى كما فهم من الخلق الا ترى انه قال ذلك بما كسبت يداك وبما كسبت ايديكم لم
يفهم منه اليد نفسه وكذلك قوله ذلك بما قدمت ايديكم لكن اضيف ذلك الى اليد لما باليد يقدم ويعطي ويكسب
الا ترى انه قال تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ومعلوم انه لم يفهم من اليد اليد نفسه ولكن اضيف
ذلك اليه لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولعنوا بما قالوا قيل عذبوا بما قالوا يد الله مغلولة واللعن هو الطرد
كانه قال طردوا وابعدوا رحمة الله وايسوا عنها حتى لا ينالوها ابدا بقولهم الذي قالوا وقيل فيه اخبار انهم يموتون
على ذلك ولا يؤمنوا فماتوا على ذلك فذلك دليل رسالته عليه الصلوة والسلام والله اعلم وقوله عز وجل وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك قيل فيه بوجهين قيل يريد ما انزل الله اليك من القران كثيرا منهم يعني اليهود
طغيانا وكفرا وقيل وليزيدن كثيرا منهم ما انزل الله من ربك من البيان عما كتموا من نعته وصفته التي كانت
في كتابهم وما حرفوا فيه وغيروه من الاحكام فذلك مما زادهم طغيانا وكفرا قيل طغيانا اي تماديا بالمعصية
وكفرا بالقران وقيل الطغيان هو العدوان وهو المجاوزة عن الحد الذي حد فان قيل ما معنى اضافة زيادة الطغيان
الى القران والقران لا يزيد طغيانا ولا كفرا قيل اضافة الافعال الى الاشياء تكون لوجوه ثلاثة منها ما يضاف
لحقيقة الفعل لها ومنها ما يضاف للاحوال ومنها ما يضاف لمكان ما به يكون الفعل وهاهنا اضيف ذلك الى
القران لما كان فيهم من الطغيان والكفر لمكان ما انزل اليهم بالكفر الذي كان فيهم وهو كقوله تعالى انهن
اضللن كثيرا من الناس انهن لا يضللن احدا في الحقيقة ولكن لما صاروا بهن ضلالا اضيف اليهن كقوله تعالى وغرتهم
الحيوة الدنيا والحيوة الدنيا لا تغر احدا ولكن لما لو كانت لها حواس لكان ما بدا من الزينة لغرت وقوله والقينا بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيمة اختلفوا فيه قال بعضهم القينا بينهم بين اليهود والنصارى اي لا يحب اليهودي
نصرانيا ولا النصراني يهوديا وقال اخرون بينهم اي بين اليهود لان اليهود على مذاهب مختلفة واهواء متشتتة
منهم من يقول عزير ابن الله ومنهم من يذهب مذهب التشبيه هم على اهواء مختلفة فبينهم عداوة وبغضاء على
ما ذكر الاختلاف الواقع بينهم ثم معنى ما اضاف من القاء العداوة بينهم الى نفسه لا يخلو اما ان يكون له في نفس
العداوة فعله او ان يكون في سبب العداوة ولا يجوز ان يكون له في فعل العداوة صنع لانه فعلهم ولا في سبب
العداوة ايضا لان سببه الاختلاف والاختلاف فعلهم ايضا فاذا بطل ان يكون له في واحد من هذين صنع دل ان
له ذلك من الوجه الاخر وهو ان خلق فعل العداوة وسبب العداوة منه وبالله التوفيق والعصمة فان قيل ذكر
هنا انه تعالى القى بينهم العداوة وذكر في اية اخرى ان بعضهم اولياء بعض بقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم اولياء بعض كيف يجمع بينهما قيل بعضهم اولياء بعض في اصل الدين وهو الكفر وبينهم عداوة

لاختلاف

وعن مسروق قال سألت عمر رضي الله عنه فقلت يا امير المؤمنين ارأيت الرشوة في الحكم من السحت قال لا ولكنه كفر

وفي حرف عبد الله و[illegible] مصحف اخر بل يداه بسطان والمعنى واحد تقول العرب للرجل اذا كان جوادا سمحا بسط ويد بسطة اي مطلقة ومطلقة منه

ما يضاف [illegible] ان من [illegible] الفعل [illegible] منه يتحقق الفعل [illegible] ما هنا من هذا القبيل

لاختلاف في الاهواء والمذاهب والله اعلم وفي الاية دلالة الامتنان على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما
اخبر انه القى بينهم العداوة ولو كانوا على مذهب واحد ولم يكن بينهم اختلاف في عداوة لكان ذلك عليه
اشد وللمقام بينهم اصعب لكن من عليه بالاختلاف فيما بينهم ليجعل الاختلاف والتنازع سبب الفشل كقوله
تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا الاية وقوله عز وجل كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله يحتمل وجهين يحتمل ان ارادوا
مكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعوا امرهم على قتله اطلع الله نبيه عليه الصلوة والسلام على ذلك
حتى لم يقدروا على مكروه والثاني كلما انتصبوا للحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا عليه فرق الله
شملهم وخذلهم بحيث لا يجتمعون على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ويسعون في الارض فسادا يحتمل وجهين
ايضا يحتمل السعي بالفساد على حقيقة المشي على الاقدام وهو ما كانوا يسعون في نصب الحرب مع المؤمنين و
الاختلاط بينهم من المكر والاستغاثة بهم فذلك هو السعي في الارض بالفساد والثاني ما كتموا من نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفته وحرفوا ما في كتبهم من علامة نبوته وآيات رسالته ودعوا الناس
الى ما لم يكن فيه وذلك سعي في الارض بالفساد وبالله التوفيق وقوله عز وجل والله لا يحب المفسدين اي
لا يحب الفساد ولا يرضى به وقوله عز وجل ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم
جنات النعيم عامل الله عز وجل خلقه معاملة الكرام الاكرم من حيث وعدهم المغفرة ويكفر ما ارتكبوا في حال الكفر
قولهم في الله من القبيح الوحش لو امنوا واتقوا الذي قالوا في الله وهو كما قال قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
والله اعلم انه اذا تاب ورجع عن صنيعه يرجع عن جميع ما كان منه ويندم على ذلك ويتمنى ان يكون لما كانت
منه ويندم على ذلك ويتمنى ان يكون ما كان منه في تلك الحال من الشر خيرا فهو كقوله تعالى فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات لانهم يندمون على تلك السيئات التي كانت منهم ويتمنون ان يكون الذي كان منهم في
تلك الحال خيرا لا شرا والله اعلم وقوله عز وجل ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم يحتمل
هذا وجهين يحتمل ولو انهم اقاموا ما في التورية والانجيل وما انزل اليهم من القران لكان كذا ويحتمل ولو انهم
اقاموا التورية والانجيل على ما انزل ولم يحرفوا ما فيها وغيروه وكتموه من نعت نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته وما فيها من الاحكام لكان لهم كذا والله اعلم وذلك انهم كانوا في القحط اذا اسلموا او
هو والله اعلم وذلك قوله ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا فاخبر الله عز وجل انهم لو امنوا واتقوا الشرك لوسع
عليهم العيش وقوله عز وجل لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم ليس على حقيقة الاكل ولكن يخرج على المبالغة في
الوصف والذكر كما يقال فلان من قرن راسه الى قدمه في نعمة على حقيقة ما وصف ولكن على المبالغة في الوصف
بالسعة ويحتمل ان يكون على حقيقة الاكل انه ما يخرج من تحت الارجل فهو ما يخرج من الارض من الماكول و
المشروب ومن فوقهم من الثمار والفواكه يخرج من الاشجار ويحتمل ما ذكر من فوقهم وهو الجبال ومن تحت
ارجلهم الارض اخبار ان يكون نزل الجبل والسهل جميعا وقيل لاكلوا من فوقهم اي ارسل الله عليهم مدرارا
ومن تحت ارجلهم تخرج الارض بركتها وتنبت لهم الثمرة وقال قتادة لاعطتهم الارض نباتها والسماء بركتها
والله اعلم وقوله عز وجل منهم امة مقتصدة قيل فيه بوجهين قيل امة مقتصدة من اسلم منهم وقيل منهم
امة مقتصدة على كتاب لم يحرفوه ولا غيروه ولا كتموا شيئا ولا سعوا في الارض بالفساد على ما عمل اكثر
هم من التحريف والتغيير والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما
بلغت رسالته هذا والله اعلم وذلك ان اهل الكفر كانوا على طبقات ثلاث منهم من يقول لن نؤمن
بهذا القران ولا بالذي بين يديه وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ومنهم من كان يخوفه بمكر به
ليقتلوه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية ومنهم من كان تعرض
عليه النساء والاموال ليترك ذلك وان لا يدعوهم الى دينه الذي هو عليه كانوا على الوجوه التي ذكرنا
فامره الله عز وجل ان يقوم على تبليغ رسالته وان لا يمنعه ما يخشى من مكرهم وكيدهم على قتله لان المرء قد
يمتنع عن القيام لما عليه اذا كذب في القوم ولحقه اذى لذلك فامر الله عز وجل نبيه عليه الصلوة بتبليغ
ما انزل الله اليه وان خشي على نفسه الهلاك او التكذيب في القول والاذى وترك طلب الموالاة اي لا يمنعك
شيء من ذلك من تبليغ ما انزل اليك او ان يكون الامر بتبليغ الرسالة في حادث الوقت ان تبلغ ما انزل
اليك من البيان كما بلغت تنزيلا وهو كقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم اخبر عز وجل
انه انما الرسل على لسان قومهم ليبينوا لهم فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل وان لم تفعل فما بلغت رسالته
اي وان لم تبلغ ما انزل اليك لما تخشى من الهلاك والمكر بك كان لم يبلغ الرسالة راسا لم يعذر نبيه صلى الله عليه
وسلم في ترك تبليغ الرسالة اليهم وان خاف على نفسه الهلاك ليس كمن اكره على الكفر ابيح له ان يتكلم بكلام الكفر
بعد ان يكون قلبه مطمئنا بالايمان اذا خاف الهلاك على نفسه ولم يبح له ترك تبليغ الرسالة وان خشي على
نفسه الهلاك ذلك والله اعلم ان تبليغ الرسالة تعلق باللسان دون القلب والايمان تعلقه بالقلب دون اللسان
فاذا اكره على الكفر ابيح له التكلم به بعد ان يكون القلب على حاله مطمئنا بالايمان واما الرسالة فلا سبيل له ان
يبلغها الا باللسان لذلك لم يبح له تركها وان خاف الهلاك وهذا يدل كقولنا في المكره بالطلاق والعتاق انه

اذا تكلم به عمل لتعلقهما باللسان دون القلب فالاكراه لا يمنع نفاذها لتعلق باللسان دون القلب كالرسالة
التي ذكرنا والله اعلم ويحتمل قوله تعه وان لم تفعل اى لم تبلغ الرسالة فى حادث كان لم تبلغ فيما مضى او ان لم تبلغ البيان
كما بلغت التنزيل فما بلغت الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل والله يعصمك من الناس دليل ثبات رسالته صلى الله
عليه وسلم لانه عز وجل اخبر انه عصمه من الناس فكان ما قال فدل انه علم ذلك بالله وكذلك فى قوله تعه فكيدونى
جميعا ثم لا تنظرون كان يقول بين ظهرانى الكفرة كيدونى جميعا ثم لم يلحقه من كيدهم شىء دل انه كان بالله
تعه وعن عايشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله تعه عليه وسلم يحرس فلما نزل قوله تعه والله يعصمك من الناس
قال انصرفوا الى منازلكم فان الله عصمنى من الناس فانصرفوا ويحتمل قوله تعه بلغ ما انزل اليك من ربك اى بلغ ما انزل
اليك من ربك اى بلغ ما انزل اليك من الايات والحجج والبراهين التى جعلها الله اعلاما لرسالتك واثارا لنبوتك
ليلزمهم الحجة بذلك والله اعلم وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التورية والانجيل لا يبتداء
الكلام بمثل هذا عن قول ودعوى تسبق وليس فى الاية بيان ما كان منهم فيشبه ان يكون الذى كان منهم
ادعوا انهم على دين الله وعلى ولايته او ما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه او ما قالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى ونحو ذلك من امانيهم ودعاويهم التى ادعوا لانفسهم فقال لرسوله قل لهم لستم على شىء
حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم قال الحسن قوله تعه حتى تقيموا التورية والانجيل اى حتى تقيموا
ما حرفتم وغيرتم من التورية والانجيل وبدلتم وتستووا على ما انزل وتؤمنوا به وقال غيره قوله تعه حتى تقيموا
التورية والانجيل بالشهادة والتصديق لما فيهما وعن ابن عباس رضى الله عنه حتى تقيموا التورية حتى تعملوا بما فى
التورية والانجيل من صفة محمد ونعته وبعثه ونبوته صلى الله عليه وسلم وتبينوه للناس ولا تكتمونه وما
ذكرنا واحد وما انزل اليكم من ربكم من كتب انبيائكم وحتى تقيموا ايضا ما انزل من الكتب كتب الرسل اجمع لان الايمان
ببعض الرسل وببعض الكتب والكفر ببعض لا ينفع حتى يؤمن بالرسل كلهم وبالكتب جملة وقوله عز وجل وليزيدن
كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا قد ذكرنا هذا وقال بعضهم قوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك
القران من امر الرجم والقصاص طغيانا وكفرا وقال بعضهم لستم على شىء حتى تقيموا التورية والانجيل هو ما امر الله نبيه
عليه الصلوة والسلام ان يبلغ ما انزل عليه بقوله بلغ ما انزل اليك وقوله عز وجل فلا تأس على القوم الكافرين
اى لا تحزن على كفرهم كقوله تعه لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ونحو قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وقوله عز وجل ان الذين امنوا قال ابن عباس رضى الله عنه هم الذين امنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم وقال
بعضهم هم الذين امنوا ببعض الرسل لم يتسموا باليهودية ولا بالنصرانية والذين هادوا والصابئون والنصارى
قد ذكرنا فيما تقدم منهم وقوله عز وجل من امن بالله واليوم الاخر اى بل الاية والله اعلم وان اختلف اديانهم
وتفرقت مذاهبهم لو امنوا بالله وما ذكر فلا خوف عليهم بما كان منهم فى حال كفرهم كقوله تعه ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف ولاهم يحزنون على فوت ما اعطاهم اى لا يفوتهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق
بنى اسرائيل قد اخذ الله عز وجل الميثاق على جميع البشر وخصهم به دون غيرهم من الخلايق لما ركب فيهم ما يعرف
كل به شهادة الخلقة على وحدانية ربه كقوله سبحانه وتعه انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان ثم خص بنى اسرائيل من البشر بفضل الميثاق لما ارسل اليهم الرسل
منهم وهو قوله وارسلنا اليهم رسلا وكانهم قد قبلوا تلك المواثيق كقوله تعه وقال الله انى معكم لئن اقمتم
الصلوة الى اخره وكقوله تعه واوفوا بعهدكم كان من الله لهم عهد ومنهم لله عهد فاخبر انهم اذا اوفوا
بعهده يوف بعهدهم وقوله عز وجل كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
وفى الاية دلالة انهم كانوا يخالفون دين الرسل باجمعهم لما احدثوا من اتباع هوائهم وان الرسل وان اختلف
اوقات مجيئهم فانهم انما يدعون باجمعهم الى دين واحد وقوله عز وجل فريقا كذبوا وفريقا يقتلون منهم من كذبهم
ومنهم من قتل لكن القتل ان كان فهو فى الانبياء غير الرسل لان تعه قال انا لننصر رسلنا اخبر انه ينصر رسله وليس
فى القتل نصر ويحتمل قوله فريقا تقتلون اى فريقا قصدوا قصد قتلهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل
وحسبوا الا تكون فتنة ولم يبين ما الفتنة التى حسبوا ان لا تكون فاهل التاويل اختلفوا فيها قال قائلون
الفتنة المحنة التى فيها الشدة حسبوا ان لا يأتيهم الرسل بامتحانهم على خلاف هواهم بل جائتهم الرسل يمتحنوا
على خلاف ما احدثوا من هواء انفسهم وقال بعضهم قوله وحسبوا ان لا تكون فتنة اى هلاك وعذاب بتكذيبهم
الرسل وقصدهم قصد قتلهم وقال ابن عباس رضى الله عنه اذ لا يكون شر وقيل حسبوا ان لا يكون فتنة اى حسبوا
ان لا يبتلوا بتكذيبهم الرسل وبقتلهم الانبياء بالبلاء والقحط فعموا عن الهدى فلم يبصروه وصموا عن الهدى
فلم يسمعوا ما لم ينتفعوا به ثم تاب الله عليهم فدفع عنهم البلاء فلم يتوبوا بعد رفع البلاء ويحتمل ان يكون قوله
وحسبوا ان لا يكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا ما ذكره فى اية اخرى وهو قوله وقضينا الى
بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله تعه ثم رددنا لكم الكرة عليهم الاية
تابوا مرة ثم رجعوا ثم تابوا فذلك قوله فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا الاية وقوله عز وجل
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم الاية يحتمل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا اى كفروا بعيسى لان

عيسى

عيسى كذبهم فى قوله انه ابن الله بقوله يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم الاية وبقوله ان الله ربى وربكم
فاعبدوه وبقوله انى عبد الله اتانى الكتاب الاية اخبر انه عبد الله ليس هو الها ولا ابنه تعه الله عن
ذلك والثانى كفروا بعلمهم لانهم علموا انه ابن مريم ويسمونه ابن مريم ثم قالوا هو الله او ابن الله فان
كان ابن مريم انى يكون له الوهية فاذا كانت امه لم تستحق الالوهية وهى قدم منه كيف يكون لمن بعدها
ولكن لسفههم قالوا ذلك تعه الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة ومأواه النار اذا حرم عليه الجنة صار مأواه النار وقيل سمى مسيحا قال الحسن سمى ذلك لانه ممسوح
بالبركات وسمى الدجال مسيحا لانه ممسوح باللغة وقيل المسيح بمعنى الماسح وذلك جائز الفعيل بمعنى الفاعل
وهو ما كان يمسح المريض والاكمه فيبراء ويمسح الموتى فيحيون ومثل ذلك فسمى بذلك والله اعلم والفعيل
بمعنى المفعول جائز ايضا يقال جريح ومجروح وقتيل ومقتول هذا كله جائز فى اللغة وقوله عز وجل لقد كفر
الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قوله تعه كفروا بعلمهم علموا بوحدانيته فكيف يكون ثالث ثلاثة وهو واحد
فان قالوا هو الله فلا يكون هناك ثان ولا ثالث وذلك تناقض فى العقل والثانى انهم لم يروا غير الله خلق
السموات والارض ولا رأوا احدا خلقهم سوى الله كيف سموا دونه الها ولم يخلق ما ذكرنا انما خلق ذلك
الله الذى لا اله غيره وذلك قوله وما من اله الا اله واحد اى يعلمون انه لا اله الا الله اله واحد لكنهم يتعنتون
ويكابرون فى ذلك وقوله عز وجل وان لم ينتهوا عما يقولون عما تقدم ذكره ليمسن الذين كفروا منهم عذاب
اليم وقوله عز وجل افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه عن مقالتهم الشرك فان فعلوا فان الله غفور رحيم كقوله
تعه ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وبالله العصمة وقوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول فى الاية دلالة
المحاجة مع الفريقين لانهم كانوا فريقين احد الفريقين كانوا يكفرون انه رسول والفريق الاخر يدعون له
الربوبية والالوهية فقال انه ابن مريم وابن مريم لا يحتمل ان يكون الها والثانى اخبر انه رسول قد خلت
من قبله الرسل اى قد خلت من قبل عيسى رسل مع ايات وبراهين لم يقل احد من الامم السالفة انهم كانوا الهة
فكيف قلتم انتم بان عيسى اله وان كان معه ايات وبراهين لرسالته وقوله عز وجل وامه صديقة قيل
مطهرة من الاقذار كلها صالحة وقيل صديقة تشبه النبيين وذلك ان جبرئيل عليه السلام لما اتاها وقال
انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا صدقته كتصديق الانبياء والرسل الملائكة واما ساير الخلايق
انما يصدقون الملائكة باخبار الرسل اياهم وهى انما صدقت جبريل باخباره انه ملك وانه رسول لذلك
سميت صديقة والله اعلم وقيل كل مؤمن صديق كقوله تعه والذين امنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون
الاية وقوله عز وجل كانا ياكلان الطعام فيه الاحتجاج عليهم من وجهين احدهما ان الجوع قد كان يغلبهما
ويحوجهما الى ان يدفعا ذلك عن انفسهما ومن غلبه الجوع وقهره كيف يصلح ان يكون ربا الها والثانى انهما
اذا احتاجا الى الطعام لا بد من ان يدفعهما ذلك الى ازالة الاذى عن انفسهما ودفعه والقيام فى اخبث
الاماكن واقبحها فمن دفع الى ذلك لا يكون الها تعه الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم
الايات والايات ما ذكر من وجوه المحاجة عليهم احدها انه ابن مريم ومن كان ابن اخر لا يكون الها والثانى من كل
الطعام احتاج ان يدفع عن نفسه الاذى ويقوم فى اخبث مكان ومن كان هذا امره لم يكن ربا وليس فى القران
والله اعلم انه اكثر ولا ابين احتجاجا على النصارى من اولئك ولا اقطع لقولهم من هذه الاية للمعانى التى وصفنا
وقوله عز وجل ثم انظر انى يؤفكون اى من اين يكذبون قال ابو عبيدة يؤفكون يصرفون ويحادون
عن الحق كل من صرفته عن شىء فقد افكته ويقال افكت الارض اذا اصرف عنها القطر وقوله يؤفك عنه
من افك وقال ابن عباس رضى الله عنه وذلك افكهم وما كانوا يفترون قال اضلهم فاذا ضلهم فقد صرفهم
عن الهدى قال ابو عوسجة الافك عندى الصرف عن الحق وفى الاصل الافك الكذب وقال القتبى يؤفكون
يصرفون عن الحق ويعدلون وقيل انى يؤفكون يخدعون بالكذب وقوله عز وجل قل اتعبدون من دون
الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اى لا يملك لكم ضرا ان عصيتموه ولا نفعا ان اطعتموه ويحتمل قوله ما لا يملك لكم ضرا ان كان الله اراد بكم
نفعا ولا نفعا ان هل بكم الضر اى لا يملكون رفعه عنكم وقوله عز وجل والله هو السميع لمسئلتكم عليكم الله تعالى
العليم بعبادتكم غير الله ويحتمل السميع المجيب لدعائكم العليم ابتلائكم والله اعلم وقوله عز وجل قل يا اهل الكتاب
لا تغلوا فى دينكم غير الحق خاطب الله عز وجل بالنهى عن الغلو فى الدين اهل الكتاب لم يخاطب اهل الشرك
بذلك فيما خاطب بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق وذلك ان اهل
الكتاب ادعوا انهم على دين الانبياء والرسل كانوا من قبل فنهاهم الله عز وجل عن الغلو فى الدين والغلو هو
المجاوزة عن الحد الذى حد وا والافراط فيه والتعمق فى كلماته والله اعلم قال لا تجاوزوا فى الدين الحد الذى
حد فيه بنسبة الالوهية والربوبية الى غير الله والعبادة له واما اهل الشرك فانهم يعبدون ما يستحسنون
ويتركون ما يستقبحون ليس لهم دين يدينون واما هؤلاء فانهم يدعون انهم على دين الانبياء والرسل كذلك
خرج الخطاب لهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعنى من قبل الرسول بذلك
والله اعلم واضلوا كثيرا اى اتباعهم وضلوا عن سواء السبيل اى عن قصد طريق الهدى وقوله عز وجل لعن الذين

قالوا فعلوا ذلك ضرب الله م بعضهم ببعض وقلوبهم لعنه فلعن الذين كفروا من بنى اسرائيل يعنى قال لاجود الله الى فعل لا فاسقون قال لا الغم بالعيون وتعبير من النكر على الاخذ بمابلكم الظالم ولتاطرونه على الحق اطرا او لتقصرنه على الحق قصرا او ليضربن عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه هذا الكذب زيادة وتضرب الله قلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم وفى هذه الاية دلالة على النهى وما ذكرنا من النبى لا النكر والنهى عن مجالسة اهل المعاصى دون الهجران ولا يكتفى بالنهى دون ... [illegible]

كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم قال بعضهم لعنوا بكل لسان لعنوا على عهد موسى عليه السلام في
التوراة وعلى عهد داود في الزبور وعلى عهد عيسى في الانجيل وعلى عهد رسول الله محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات
في القران وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقيل مسخوا بدعائهم بما عبدوا وصاروا قردة وخنازير فكان ابن عباس
رضي الله عنه القردة والخنازير من نسل الذين مسخوا او قال الحسن انقطع ذلك النسل واصل اللعن هو الطرد كانهم
طردوا واعرض رحمة الله ويحتمل تخصيص اللعن على لسان داود وعيسى عليهما السلام كان له غلظة وخشونة وهو الذي
كان ابعد الى البحله والبحث الحرث وعيسى كان به اللين والرفق ليعلم ان اللعن الذي كان منهما كان عند انتهاكهم
وحدود الله وعصيانهم ربهم وكانوا مستوجبين لذلك محقين لذلك استجيب دعاؤهم عليهم باللعن على دعاء
الرسل عليهم الصلوة والسلام و وقوله عز وجل كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ذكر في بعض القصة عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم
فلم ينتهوا فجالسوهم واكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن
مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون قال فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا قال لا والذي نفسي بيده
حتى تأطروهم على الحق اطرا قال ابو عبيد يعني تعطفوهم عطفا وقال غيره حتى تكسروهم كسرا و وقوله عز وجل ترى كثيرا
منهم يتولون الذين كفروا قيل قوله ترى كثيرا منهم يعني المنافقين يتولون الذين كفروا ويعني اليهود يتولون الذين
كفروا من مشركي العرب وغيرهم كانوا يظاهرون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعانوا وتولوا عليهم
وقد كان من الفريقين جميعا ذلك ويحتمل وجها اخر قوله ترى كثيرا منهم من هؤلاء الذين شهدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتولون الذين كفروا يعني اسلافهم وودوا اتهم ثم كقوله تعالى لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا الاية تولى هؤلاء اولئك واتبعوا اهواءهم و وقوله عز وجل لبئس ما قدمت
لهم انفسهم ان سخط الله عليهم اي ما قدمت انفسهم بسخط الله عليهم و وقوله عز وجل ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي يعني المنافقين اهل النفاق وآمنوا بالنبي الاخر اليهود ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وما انزل اليه القران ما اتخذوهم اولياء ولكن ثم يحتمل قوله ما اتخذوهم اولياء
في الدين اي في النصر والمعونة ولكن كثيرا منهم فاسقون و وقوله عز وجل لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا يحتمل هذا وجوها يحتمل ان يكون من ذكر من شدة عداوة اليهود للذين
آمنوا قوما مخصوصين منهم ويحتمل اليهود الذين كانوا بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من اشد
عداوة لهم ويحتمل اليهود جملة فهو والله اعلم على ما كان منهم من قتل الانبياء وتكذيبهم اياهم ونصب
القتال والحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وما كان منهم من قول الوحش في الله سبحانه
ما لم يستقم احد بمثل ذلك ما وصفوا الله عز وجل بالبخل والفقر وهو قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة
وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء وغير ذلك من القول وذلك لشدة بغضهم وعداوتهم وقساوة قلوبهم
فعلى ذلك كل من دعاهم الى دين الله تعالى فهم له اشد عداوة واقسى قلبا واما النصارى فلم يكن منهم واحد
كان من اليهود من قتل الانبياء ونصب الحروب والقتال معهم ولم يروا في مذهبهم القتال ولا الحرب ولا كان
منهم من القول الوحش ما كان من اليهود بل كان فيهم اللين والرفق حتى حملهم ذلك على القول في عيسى ما قالوا
وذلك منهم له تعظيم فوق القدر الذي جعل الله له حتى رفعوه من قدر العبودية الى قدر الربوبية لذلك كفروا ولا
كانوا يؤمنون بالكتب والانبياء عليهم الصلوة والسلام من قبل الا ترى انه قال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
اخبر عز وجل ان منهم قسيسين ورهبانا والرهبان هم العباد وقيل القسيسين هم الصديقون ولم يكن من
اليهود رهبان ولا قسيس لذلك كان النصارى اقرب مودة والين قلبا من اليهود والله اعلم فان كان
ذلك في قوم مخصوصين منا والنهم وهو ما ذكر في القصة ان بني قريظة والنضير كانوا يعاونون ويظاهرون
مشركي العرب على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمرونهم بذلك ظاهروا واعانوا من لم يؤمن بنبي ولا كتاب
قط على من قد آمن بالانبياء والكتب جميعا وذلك لسفههم وشدة تعنتهم حتى قاتلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم واجلاهم من بلادهم الى ارض الشام وان كان ذلك عن قوم بقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
وهو ما كان من يهود المدينة حيث بايعوا اهل مكة على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا عيونا لهم عليهم
وطلائع ولم يذكر في قصة من القصص انه كان من النصارى شيء من ذلك كان اقرب مودة للمؤمنين والله اعلم
وما قاله بعض اهل التاويل بان من اسلم منهم كان اقرب مودة للمؤمنين من اليهود فحاصل
هذا الكلام ان المؤمن اقرب مودة للمؤمنين من الكافرين وذلك لا يفيد معنى و وقوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع سرورا على انفسهم مما ظفروا مما كانوا يسمعون من نعته صلى الله عليه
وسلم ويطمعون من وجد وقد يحمل السرور هذا العمل اذا اشتد به وفرح القلب فاضت عيناه سرورا ويحتمل
قوله تعالى ترى اعينهم تفيض من الدمع حزنا على قومهم حيث لم يؤمنوا بعد ان بلغهم ما بلغ هؤلاء من اعلام
النبوة واثار الرسالة اشفاقا عليهم انه كيف لم يؤمنوا كقوله تعالى اعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما
ينفقون قد فاضت اعينهم حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون والله اعلم و وقوله يقولون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول

فاكتبنا مع الشاهدين الاية قيل مع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحديث ذكر في القصة انها نزلت في النجاشي و
اصحابه وقيل نزلت في اربعين رجلا من مسلمي اهل الانجيل بعضهم قدموا من ارض الحبشة وبعضهم قدموا من ارض الشام
فسمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اشبه هذا بالذي يحدث عيسى فبكوا وصدقوا فنزلت الاية
فيهم فلا تدري كيف كانت القصة وفيمن نزلت اذ ليس في الاية بيان وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه
من شدة رغبتهم في القران وسرورهم على ذلك و وقوله عز وجل وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق يحتمل
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل القران ويحتمل كليهما و وقوله عز وجل ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين
قال الحسن قوله تعالى نطمع اي نعلم ان يدخلنا ربنا الجنة اذا امنا بالله وما جاءنا من الحق قيل نطمع وهو الطمع و
الرجا اي نطمع ونرجو ان يدخلنا ربنا في دين قوم صالحين والصالحين يحتمل ما ذكرنا من الانبياء والرسل ويحتمل
اصحاب محمد صلوات الله عليه وسلامه و وقوله عز وجل فاثابهم الله بما قالوا الثناء الحسن في الدنيا حيث ذكرهم
في القران فيذكرون الى يوم القيامة ويثني عليهم وفي الاخرة الجنة ونعيمها وذلك جزاء المحسنين المحسن كانه هو الذي
يتقي المعاصي ويأتي بالخيرات والحسنات جميعا يعمل عملين جميعا والمتقي هو الذي يتقي المعاصي والمكاره خاصة وقوله
عز وجل والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قال بعضهم الجحيم هو اسم معظم النار وقال غيرهم هو اسم درك
من دركات النار وكذلك السعير و وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية ترد على المتقشفة
يوترنها الا ان ناكل طيبات ما احل الله لنا وهم يحرمون ذلك وقال الله عز وجل قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
والطيبات من الرزق تحرم لا فرق بين تحريم ما احل الله لنا من الطيبات وتحليل ما حرم الله علينا من الخبائث بشر
يلزمهم ان يحرموا على انفسهم التناول من الخبز والماء وهما من اطيب الطيبات الا ترى ان المرء قد يمل ويسأم من
غيرهما من الطيبات اذا كثر ذلك ولا يمل البتة من الخبز والماء دل انهما من اطيب الطيبات الا ان تبتغوا من
التناول من غيرهما ايثارا منهم غيرهم على انفسهم لما يلحق القوم من المؤمن في غيرهما من الطيبات ولا يلحق في
الخبز والماء لانهما موجودان يجدهما كل احد ولا يجد غيرهما من الطيبات الا من تحمل مؤنة عظيمة فان كان تركهم
التناول منها لهذا الوجه فانه لا باس وبعد فان الله تعالى جعل الاطعمة والاشربة والفواكه للتشرق الوقت
والحال التي تطيب انفسهم بها وتلذ ذلا نه لم يحل لهم في اول خروجها من الارض والتحليل انما احلها لهم بعد نضجها و
ينعها واتخاذها خبزا وبلوغها في الطيب نهايته وجعل البهائم ذلك في اول ما يخرج فاذا كان الشيء خصوا بذلك
لم يحتمل ان يحرم ذلك ويبطل ذلك التخصيص والتفضيل والله اعلم فان قيل انما لم يتناول منها لما يعجز عن شكر
الله لذلك يقتصر على ما يقيم الرمق منه قيل له فيجب ان لا يتزوج من النساء الا او ... اكبرهن سنا لانها
تصونه عن الفجور فان لم يكن في تزويج العجائز والقبائح وترك الشابات الحسان زهادة فليس في اكل الخبز الشعير
وترك المحرور والمبدة زهادة ولكن لما خاف ان يدخله الرغبة في طيب الطعام في شبهة مكسبه فواجب عليه
ان يحيطه في ذلك المكسب وينزه نفسه عنه ويقتصر على القوت الذي لا بد له منه وقيل الاية نزلت في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد وسالم رضوان
الله عليهم اجمعين وهؤلاء حرموا على انفسهم الطعام والنساء وهموا ان يقطعوا مذاكيرهم وان يلبسوا
المسوح ويدخلون الصوامع فيترهبوا فيها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتى منزل عثمان فلم يجدهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي عليه السلام لامرأة عثمان احق ما بلغني عن عثمان واصحابه قالت ما هو يا
رسول الله فاخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بالذي بلغه فكرهت ان تكذب النبي صلى الله عليه وسلم وتبدي
على زوجها فقالت ان كان عثمان اخبرك فقد صدقك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولي لزوجك اذا
جاء انه ليس منا من لم يستن بسنتنا ويأكل ذبيحتنا فلما رجع عثمان واصحابه اخبرته امرأته بقول النبي صلى
الله عليه وسلم فقال عثمان والله لقد بلغ النبي امرنا فما اعجبه فذروا الذي كره فانزل الله لا تحرموا طيبات
ما احل لكم الاية فلا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه بيان ما ذكرنا والله اعلم و وقوله عز وجل وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا يحتمل ان يكون الحلال هو الطيب والطيب هو الحلال سماهما باسمين وهما واحد
ويحتمل ان يكون قوله كلوا مما رزقكم الله حلالا بالشريعة والدين وطيبا بالطبيعة لان الحل والحرمة معرفتهما
بالشريعة والطيب ما يستطيب به الطبائع في الاية دليل انه قد يرزق ما هو خبيث ليس بطيب لانه
لو لم يرزق لم يكن لشرط الحلال والطيب معنى والله اعلم و وقوله عز وجل واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون
وفي الاية دلالة ان الخطاب للمؤمنين لانه قال واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ولم يقل ان كنتم مؤمنين
ونحوه فقد سماهم مؤمنين مطلقا دل انه يجوز ان يسمى ... اتقوا الله ولا تحرموا ما احل الله لكم الذي انتم به
مؤمنون انه لا يحل ولا يحرم الا هو وليس لاحد دونه تحليل وتحريم مسألة اختلف الناس في تاويل احرف ذكرت
في قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان الى قوله لعلكم تشكرون مما للناس
حاجة الى معرفة حقيقة ما في كل حرف منها انه لم يزل تنازع اهل الفقه في احكامه مما يعلم ان الحق البيان في الخطاب
لا يبلغ ما يقطع موضع التنازع فيه ولا بحيث يبلغ حقيقته كل سامع وان في شرط المحن بالاسباب التي تمتحن بها الرغ
الفكر فيها والبحث عنها والتواد عنها الذي خصوا به مهابتوا لهما من ... الابانة عنها او مقابلتهم

بما سبق لهم العلم بها في معرفة ذلك بيان ما خفي من معنى الذي قرع سمعه او بغير ذلك مما فيه دليل ذلك اذ لا يجوز المحنة بالذي لا يحتمل الوسع الوصول اليه ولا في جملة ما به امتحن ايضاح ذلك لما يوجب الامر بفعل ما هو عنه ممنوع وذلك بعيد بل يكون البيان السمعي على قدر البيان العقلي ان من المعارف ما يكون بالحواس ومنها ما بها يوصل اليها اما بالتعليم او بالاستدلال لا لفعله حق السمعي والله اعلم من ذلك قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اثر عز وجل ذكر يمينا لا يؤاخذ فيها في موضعين من غير ان ذكر انها اي يمين هي ولا باي شيء لا يؤاخذ فيها والحالة لازمة ان ذلك في موضع الامتنان منه جل وعلا في العفو عن امر كان له المؤاخذة وحق على السامع معرفة نعمة الله تعالى ليشكره عليها ثم معلوم ان اليمين لو كانت بالطلاق والعتاق والنكاح والايلاء لا بعد والامرين معا كان لا يلزمان بلا شرط يصير الموقع عالما واعظم ما في رفع المؤاخذة في اليمين ان يرفع عنه اليمين وهما يجتنان ويتهما فيقعان من غير ان كان في الاية ذكر التفصيل ولكن يجب معرفة حقيقة ذلك بالذي يتناس نظيره والنظر فيما لا يعرف في ذلك خلافا وهذا يوضح ان العفو فيما كان الايمان بالله تعالى فعلى ذلك ما نسق على ما لا يؤاخذ من المؤاخذة وذلك يمنع من احتج بايجاب الكفارة على الحالف بالقرب من حيث كان ذلك منه يمينا والله اوجب في اليمين كفارة وانما ذلك في اليمين لا في اليمين بالقرب ثم كانت اليمين بالقرب لو كانت على مخرج اليمين بالله لم يجب فيها شيء نحو ان يقول بالعتق لا افعل كذا او بالصلوة او بالصيام ولو قال بالله يجب ثبت ان وجوب ذلك وصيرورته قربة كان بحق النذور وقد امر الله ورسوله في النذور بالوفاء فكذلك اليمين بها ومما يبين ذلك انه لو قال ان فعل كذا فعليه قتل فلان او اتلاف ماله انه لا يلزمه شيء ثبت ان ما لزم لزم بحق لزوم ذلك في النذور وحق ذلك الوفاء لا غير مع ما جاء الخبر بالامر بالحلف بالله والنهي عن الحلف بغيره والنذور ابدا يكون بغيره ثبت ان وجوب ذلك بحق النذر فلذلك يجب الوفاء به والله اعلم ثم الاصل في ذلك الحلف بغير الله يكون على قسمين قسم ان لا يجب فيه شيء وقسم انه لو وجب يجب المسمى نحو الطلاق والعتاق فيما يجب فلما كان في الحلف بالقرب في لزومه وهو حلف بغير الله تعالى يجب ان يكون الواجب في ذلك ما اوجب والله اعلم ثم اختلف في معنى اللغو فقال القوم هو الاثم كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما وقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ثم اختلف من قال بهذا على قولين احدهما انه لا يؤاخذ بالاثم في ايمانكم التي لم تعتقدوها لكنها جرت على اللسان ومثل ذلك روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت هو قول الرجل لا والله ما كان كذا وبه قال ابو بكر الكيساني في تفسيره وابتدا ذلك قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم دل ان الاول بما يجري على اللسان دون ما يقصده قلبه والله اعلم والثاني ان لا يؤاخذ بترك المحافظة فيما كان في المحافظة مأثم ثم دليله صلة ذلك قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم الاية فكانهم يتحرجون عن ترك المحافظة فيما سبقت منهم الايمان قبل النهي بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فنزل قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في بعض ايمانكم اذا كان حفظها مأثما وذلك نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه وعلى ذلك قوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولا يحتمل ان يؤخذ بالعقد وهو من معظم رتبه ولكن لما فيه من عقد ما عقدتم الايمان اذا كانت المحافظة اثما وفيما لم يكن فهو في قوله واحفظوا ايمانكم والله اعلم والى هذا يذهب سعيد بن جبير في تأويل الاية وقال قائلون هو الشيء الذي لا حقيقة له نحو اللعب وعلى ذلك والعفو فيه انهم لم يقصدوا التحقيق اقرب يظهرونه ولكن قصد والتلبس بما يتعلق بما كان كذا قيل له يسمعون فيها لغوا باطلا كل ما يسمع فيها فهو حق وحكمة ثم رجع تأويله الى وجهين احدهما يجري على اللسان من غير عقد ثم يغلب على ما قربه تفسيره والثاني ان يكون بالحلف بما لا حقيقة له على ظن ان حقيقة ما حلف عليه الحالف كما حلف وكذلك روي عن ابن عباس والحسن رضي الله عنهما في تأويل الاية ثم لو كانت الاية على التأويل الاول لكانت في رفع المأثم خاصة وهو التأويل الذي ذكره سعيد بن جبير رضي الله عنه واما الكفارة فهي لازمة على ما ذكر في الخبر المرفوع فما ذلك وما هو واجبة بالحنث في اليمين وترك الوفاء بالعهد والمعنى في الامرين موجود ولذلك لزمت الكفارة في الوجهين جميعا مما لا بد من الالزام فيها خطأ او تعمد من حيث لم يكن استثناء حالة منهما صاحبه وذلك يبين ان ذلك الحلف في عقد اليمين ولا يخرج الفعل مخرج الا استخفافا فاذا قويل فعله بعقد وان كان المسلم قد عصم عن ذلك الوجه فامر بتكفيره لذلك وكذلك المعنى موجود في الوجهين لذلك لزمت الكفارة والامرين والله اعلم ولو كانت على التأويل الثاني وعلى احد وجهي التأويل لا يمكن ان لا يؤاخذ بالمأثم ولا بالكفارة جميعا والذي يبين ان هذا التأويل اثر ذكر المؤاخذة في الاية بين احدهما بكسب القلوب وكسبها تعمدها والمؤاخذة بها يكون بالمأثم لا بالحقوق والكفارات اذ لا يؤخذ في غير كسب القلب خاصة كفارة وعقبا توجب وان كان قد يؤخذ بذلك عند افعال الجوارح فاما الله خاصة فلا وقد يكون بالطاعة والمعصية وعلى ذلك قوله ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم واذا ثبت ان ذلك في المأثم فلا يؤاخذ بما اثم لا ما تم فيما ذكرنا من عقد اليمين في القصد اذ هو يخرج مخرج التعظيم لله وقد روي عن عمر ذلك بيان عن الرسول فثبت ان المؤاخذة فيها بالكفارة فلا

في اللغو ايضا وابتدا ذلك ان الله تعالى ذكر ما لا يؤاخذ مرتين وذكر المؤاخذة كذلك فلو كانت المؤاخذة بواحد لكان الذكر الواحد كافيا فثبت انه بامرين مختلفين فعلى ذلك امر العفو والله اعلم مع انه قد تبين في اية المعاقدة كيفية المؤاخذة ولم يتبين في كسب القلب ان يكون العفو عما جرى به اللسان المؤاخذة احق منه متى لم يجئ به ثبت انه في رفع المؤاخذة بالكفارة ولو كان على ما يقوله سعيد لكانت تجب الكفارة بما سلف بيانه لذلك قلنا ان هذا احق بالاية والله اعلم بها اذا ثبت ان اللغو مما لا يجب فيه الكفارة يحتمل ان يكون لم يجب من حيث لم يعص الله به ويحتمل ان يكون لم يجب لان يمينه كانت على ما كانت الحنث به معه او قبله فيمنع صحة اليمين وان اطلق هذا الاسم اذ كانت الاسماء مطلقة لما فسد من العقود وصح وانما يختلف لها الاحكام والمقاصد منها فان كان لما لم يعص الله يجب ان يكون في كل حنث يؤمر به لا يجب به الكفارة فاذا جرت السنة بايجابها على الامر بالحنث فقد يجب ايضا فيما كان فعل الحنث على حال خطاء او نوم او جنون او فعل غير الحالف فيم الحنث به على تعمد ان يأثم بفعله اذ قال الله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى ثبت انها تجب لا بالاثم لم يعص الله ولكن للوجه الذي ذكرت والله اعلم ثم كان ذلك المعنى قائما في اليمين الذي يتعمد عليه الكذب وهو ما قيل اليمين الغموس يجب ان لا يلزمه كفارة اليمين انما يلزمه كفارة فعل المراة والمخالفة لله والله اعلم ولكن هذا الاصل وجهان احدهما يستوي الامران في اليمين المعقودة على الحادث فيما عصي من الحنث فيها او اطاع ان يستويا في اليمين على الماضي في الوجهين جميعا فانا لم يجب الكفارة في احد الوجهين لم يجب في الاخر والله اعلم والثاني ما روي عن نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم في شان اللعان بعد الفراغ منه ان احدكما لكاذب فهل منكما تائب ومعلوم ان صاحبها لو كانت تجب فيه الكفارة الى البيان منها اكثر من صاحبتها الى بيان كذب احدهما ثم لزوم التوبة اذ ذلك يعرفه كل سفيه وحكيم بلا سمع والكفارة لا تعرف الا بالسمع ثبت انها غير واجبة وكذا الاخبار التي رويت في الخصمين انه يقضى لاحدهما حتى ذكر فيه الوعيد الشديد ثم امرهما بالتآخي بينهما وان يحلل كل واحد منهما الاخر فلا يحتمل ان يكون فيه كفارة ولا يبين وكذلك علم في الموضع الذي امر بالحنث اذ قد يشتبه على بعض من لبس له روية وقد قال اتفق اجمع المسلمون على ان لا يجب فيه الكفارة فقول من يوجبها ابتداء شرع ونصب حكم لله تعالى على الخلق وهو لم يشرك في حكمه احدا ثم الاصل في ذلك ان الاسباب التي ترفع العقود وتوجب الحرمات اذا تأخر العقود واسباب الحل فهي على اختلافها متفقة على منع ابتدائها اذا قارنتها فعلى ذلك امر سبب الحنث فلذلك بطلت اليمين والكفارة وهي كفارة اليمين فلا يجب فيما لا يمين يجب فيها وليس ذلك كقول من اشتراه ونحو ذلك لان اليمين في هذا على ما يكون فيه سبب الحنث لم تقترن بها فتحتمل لذلك اختلف الامران وهذه المسألة توضح حال رجلين الشافعي في قوله ان الكفارة تجب للحنث وههنا لا حنث لما لم يصح العقد يحنث فيه ويكون الحنث ايضا بعد العقد ولم يكن معا كان الضم بالكفارة في اليمين المعقودة التي امر فيها بالحفظ ونحو الامر بالحفظ في هذه اليمين وانما يجب الحفظ عنها ان يحلف به والله اعلم وحال ابي عبيد حيث لا يوجب الكفارة بعقد اليمين الغموس يمين لا يحنث فيها الكفارة فهذا يوضح ان الكفارة تجب للذي يرد في اليمين لا لنفسها والله اعلم ثم احتج قوم بوجوب الكفارة بعقد اليمين بقوله ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ثم قال فكفارته اي عندهم كفارة ما عقدتم من الايمان بما فيها الاضمار ولم يسبق غير ذكر العقد يضاف اليه وكقوله ذلك كفارة ايمانكم اضيف الى اليمين وعلى ذلك تسمية المؤمنين كفارة اليمين مع ما فيه وجهان من المعتبر احدهما ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة الطعنة اقسم ليمثلن بكذا من قريش فنزل النهي عن الوفاء بذلك فكفر عن يمينه ومعلوم انه لا يحنث في يمينه الا في الوقت الذي لا يحتمل تمثيله في حيوته ثبت انها كانت لليمين وكذا ما جاء من حلف على يمين الى ان قال وليكفر عن يمينه انما امر بتكفير يمينه والله اعلم والثاني ذكر ابو عبيد ان الله اذ نهى عن الوعد الا بالاستثناء بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فذلك النهي في اليمين اوكد واشد فمن حلف بلا استثناء عصى الله فيلزمه الكفارة والاصل عندنا ان الكفارة تجب للحنث في اليمين اذ هي كفارة والكفارات انما تكون للسيئات كقوله تعالى نكفر عنكم سيئاتكم وغير ذلك من الايات ومن البعيد في العقل طلب تكفير الحسنات تكفير السيئات والحنث في التحقيق اسم المأثم ثم معنى الذنب فيه لانه تركان عاهد الله ان لا يفعل ثم يخرج نقض العهد فيه فيأثم لا بالعهد ولذلك قال الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وفي الجملة امر الله ان يوفوا بعهده لا ان ينقضوا وقد جعلت اليمين عهده وامرنا بوفائه فنقضه يوجب الخلف في وعده والنقض لعهده فيأثم الحالف لا بالحلف فلذا تجب الكفارة ولو كانت لليمين كفارة لكان ذلك الكفارة لكان الحنث احق ان يوجب الكفارة ثم لا يجوز ان يكون من حلف ان يطيع يكون به عاصيا ثبت ان الكفارة لو كانت تجب اليمين تجب اليمين على المعصية فيجب ثم حق كفارة مثلها الحنث فيها وعلى ذلك روى ابو هريرة رضي الله عنه ان من حلف على شيء فرأى غيره خيرا منها فانما كفارته ان يأتي الذي هو خير فكذلك يكون كفارة اليمين لو احتملت ان ترجع عن الوفاء بها واما كفارة ما لا وجه لدفعه تكون بالتوبة والحسنة تكفر لا بالرجوع وعلى ذلك جميع انواع الكفارات اذ ما احتمل دفع الحقيقة والرجوع عنه ونقض ما قد فعل وما لا يحتمل فيعتبر

ذلك فلو كان اليمين كفارة لكانت توبتر وفسخا لا غير فاذا وجب الله غير الرجوع ثبت ان ذلك للحنث والله اعلم
ثم الدليل على انه لا تحمل ايجاب الكفارة بعقد اليمين لوجه احدها ان العقد يخرج مخرج التعظيم لله والتبجيل
جعله مفزعا اليه وما منا للحلق عنه ولذلك جعلت الايمان لدفع التهم وتحقيق الامر للخلق عن الحالفين والا
ذلك لوجه احدها ما روى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حلفتم فاحلفوا بالله وقال لا تحلفوا بابائكم
ولا بالطواغيت لقدر الحلف بغيره بما فيه تعظيم ذلك ودفعه عن قدره والزم ان لا يجعلوا لاحد ذلك القدر
الا الله سبحانه والثاني قوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ولا يجوز انه ينهى عن الرجوع
المعصية ويؤمر بالوفاء بها والثالث الامر الظاهر عن نبي الرحمة للحلفة وقسمه في غير موضع وما ذكر في قصة يعقوب
بالولده وامر ابراهيم عليه الصلوة والسلام في شان الاصنام وامر ايوب عليه السلام لم يجز ان يكون عصاه بنعم
وذلك ينهى عن جراة من زعم ان للحالف ما حمل بها ترك الثناء ومن ذكرنا من الانبياء عليهم السلام قد تركوا الثناء وليس
ذلك كالوعد لانه الى نفسه يضيف الفعل وهو يجعل تحت مشية الله تعالى وفي اليمين بالله يستضيف واليه يفزع فلذلك
اختلف الامران والله اعلم والدليل على انها لم تجب باليمين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين
فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذي هو خير وليكفر يمينه وليأت الذي هو خير ولو كانت الكفارة واجبة باليمين
لكان لا وجه للامر بالذي يأتي وهي واجبة ويقول من حلف على يمين فليكفر يمينه فاذا لم يقل ولكن قال فيما كان
ثم حنث ثبت انها لا تجب والله اعلم ووجه اخر اتفاق القول انه اذا كان مع اليمين بر فلا كفارة عليه واذا كان
معها حنث تجب فلو كانت تجب لليمين لكانت هي عند الوفاء اوجب فالكفارة فيه يكون اوجب فاذا لم يكن اذا
بر ثبت انها بالحنث وجبت والله اعلم وايضا ما اجمع ان من حلف ان لا يقرب امرأته بشيء لا يلزمه لو حنث بسببه
لم يلزم فيه حكم الايلاء فلو كانت الكفارة تجب باليمين لكان الحالف بر عند الفراغ عن يمينه صار بحيث لا يلزمه من
بعد شيء فيجب ان يسقط حق الايلاء فاذا بقي عليه حكمه جاء بذلك كتاب وجرت به السنة ثبت ان القول بوجوبها
قول مهجور والله اعلم ثم اذا ثبت هذا رجع تأويل الاية الى وجهين احدهما قوله ولكن يؤاخذكم بمحافظة ما عقدتم
من الايمان كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فان تركتم ذلك فكفارته كذا والثاني
ان يكون على اضمار حيث يؤاخذكم بحنثكم فيما عقدتم وذلك غير مدفوع في حق الكفارات كقوله تعالى فان احصرتم
الاية وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه الاية لا على الوجوب للعذر ولكن باستعمال الرخصة فيه
اذ لا يكون العذر سببا لايجاب بمثله في الاول لا يكون تعظيم الرب ايجاب الكفارة فيصير الحنث فيه مضمرا
والله اعلم والا مما قرن الى الايمان على ارادة الحنث فيما كان من كفارة الفطر الى الصيام والدم الى الحج والتحرير الى
السهو وان كانت الكفارات لتثبت لما اضيفت اليه ايد ذلك ما ذكرت والله اعلم وتكفير رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمينه لانه قد عصم عن المعصية وفي الوفاء بذلك معصية اذ نهي عنه ويمينه كانت قبل النهي فصار انسا عن البر
بذلك وبذلك يكون الحنث لا بعدم امكان الوفاء لكن غيره اذ لا يؤمن منه العصيان فذلك وقت اياسه عنه و
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قد عصم عن ذلك فوقت اياسه وقت النهي ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل
اطعام عشرة مساكين في متعارف اللغة على التقريب لياكلوا لا على التمليك وكذلك الامر المتعارف بين الخلق
فيما ينسب بعضهم الى بعض الاطعام ولابد ذلك قوله من اوسط ما تطعمون اهليكم ولا نعرف التمليك في اطعام الاهل
ولا تعقل بال احد ذلك وقد عرفهم الله تعالى ما فرض عليهم بالذي كان عليه عند كل احد معلوما اذ قل انسان
يخلو من ان يكون اهلا لاحد او له اهل فلا يحتمل ان يظن باحد الجهل بمعنى مثله فيكون ذلك الزام الغرض
مع وهم الجهل بما عن العقول ثم لا نعرف بها والله اعلم والذي يوضح هذا من طريق العبرة انه ذكر في ذلك اطعام عشرة
مساكين والمسكنة هي الحاجة وحاجة المسكين الى الطعام انما تكون الى اكله دون ملكه وجهات حاجات الاملاك
مما يعم المساكين وغيرهم مما قدر ذلك بالكفاية والشبع وحق ذلك في التقريب للتطعم لا في التمليك عليه ولكن يجوز
التمليك بما به التمكين لذلك فيجب بذلك الجواز بكل ما فيه تمكين ذلك بها او ما كان وجواز التمليك بحق التمكين به
لا بحق التصرف مما كان في تمليك الثمن الوصول الى ما يختار وهو على الوجه الذي يختار الا عند ارفاق ذلك اقرب
الى قضاء حاجته ولو كان الامر على تمليك ما يكون خاصة لكان الدعاء والتقريب اليهم بالملك احق ان يجوز
لوجهين احدهما انه اقرب الى دفع الجوع وسد المسكنة من تمليك بر لا يصل اليه الا بعد تحمل المؤنة وطول
المدة والثاني ان الكفارة جعلت بما ينفر عنه الطبع ليذيقه الم الاخراج من الملك والبذل فيكفر ما اعطى نفسه
من الشهوة التي لم يؤذن فيها وكذلك معنى الحسنات المكفرة للسيئات ثم كان دعاء المساكين وجمعهم على
الطعام وخدمتهم والقيام بما فيه الاختيار اليهم اشد على الطبع من التصدق عليهم فيجيء ان اقرب للتكفير
وعلى ذلك يجوز بدل الثمن لما فيه تحمل المكروه على الطبع كهو في الطعام فيجوز بهما اذ جعل ذلك حقا للمساكين
يخرج من عليه بالتسليم اليهم من طوع منهم ويجوز مثله من التبادل في جميع الحقوق بمثله عن الكفارات
والله اعلم على ان الله تعالى قال لما استيسر من الهدي ويجوز فيه غير ذلك النوع وكذلك في كل الصدقات
والله اعلم ثم جعل ذلك الكلتين لوجهين احدهما القول باطعام المساكين ثم اريد به دفع المسكنة والمسكين هو الخاضع
فاحق من يستحق اسمه السائل لانه يخضع للسؤال بالسؤال وقد روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال

في يوم الفطر اغنوهم عن المسألة في مثل هذا اليوم ثم كان اقل ما اخبر فيه نصف صاع من حنطة فعلى ذلك صدقة
للمسكين ومثل ذلك اذا اطعم بكفي مرتين وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفارة الاذى ثلثة اصوع
بين ستة مساكين فمثل مقدار طعام المسكين فيما اريد لا طعام القدر وذلك مثله ما نحن فيه وذلك بعدل الكلتين
وبه قال عمر وعلي رضي الله عنهما والثاني انه عز وجل قال من اوسط ما تطعمون اهليكم والاوسط فاله حد و
ذلك ثم يرجع ذلك الى اوجه ثلاثة احدها الى الاوسط من صفات المأكول والثاني الى الاوسط من مقدار
الاكل والثالث الى الوسط من احوال الاكل فالاول نحو الاجود والاردى وبين ذلك والثاني نحو السرف
والقتر وبين ذلك والثالث نحو مرة وثلث مرات في يوم واحد وبين ذلك فاذا لم يثبت في خبر ما اليه رجوع
المراد فحق الاحتياط ان يكون الوسط من الكل ليخرج عما فرض عليه فذلك وجب الكتمان معا حقيقة الواسط
من الانواع والمقادير لما لا منتهى لطرفيه وقد نعرف حقيقة عدد الاكثر والاقل من الوقت فهو ان يعتبر
والله اعلم ثم كان الامر في الظاهر بالاطعام واجمع على رجوع الامر الى الحد وان لم يذكر فهو والله اعلم ويحتمل
ان يكون انتزع حده من حكم الكتاب من وجهين احدهما ان الاية اذا كانت على ما يؤكل ويطعم كان فيما عليه العرف
ان لا احد يقرب الى اخر ما يطعمه فيقتصر على اقل ما يستحق اسمه وقد يتصدق بالقليل في العرف فلذلك في الامر
تحديدا اذا كان مما يعرف فيه التحديد ولذلك لم يذكر فيه التفسير مرفوعا وذكر في قصة الاذى لما ليس في
لفظها دلالة الحدود وفي لفظ الاطعام دلالة اذ فيه عرف وعلى هذا امر ما جاء من البيان في الصدقات
ولم يذكر في الاطعام الا لمكان التناول وعلى هذا يجب ان يجوز الاطعام ايضا وان لم يكن فيه تمليك و
الله اعلم والثاني قوله تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم ومعلوم ان كل شيء له واسط فهو ذو حد وذو
اطراف على انه رد الى طعام الاهل وفيه الاشباع لا محالة لذلك وجب القول بالحد والله اعلم واذ ثبت
العدد فيه بحق الخطاب يجب وصل ذلك به ليعرف به حقيقة المقصود والله اعلم وكانه قال اطعام عشر
مساكين اذ اطعام عشرة في العرف عبارة عن قدر طعامهم واطعام عشرة عبارة عن فعل الاطعام وقد
ثبت انهما ارتدا جميعا فكانهما ذكرا موصولين ولو توهمنا ذلك لم يكن بحق حفظ العدد بل بحق حفظ مقدار
ذلك العدد من الصيام كان مدفوعا الى الواحد او اكثر والله اعلم لذلك اجاز اصحابنا جمع الكل في مسكين
واحد عشرة ايام ولم يجيزوا في يوم واحدا وحق الامر على ان يغدي ويعشي وان كان تجويز الدفع لما فيه
حق الاطعام فصير طعام كال ذلك وهو قدر طعام مسكين فيزول عنه المسكنة لكن الاطعام فيه لا يجوز
او اذا كان حق ما ذكرت الجواز فقياده لمعنى اعترض فمنع لانه لا خارج عن ان يراد له على ذلك وذلك لخروج
بعض المساكين لعلل عن الدفع اليهم لانه لو اجيز كان كالخلاف للذكر فمثله الاول والله اعلم ودليل اخر
انه لا يجزى ذكر عشرة لان لا تجعل العشرة شرطا انه معلوم بالمعنى الذي له جعل الدفع اليهم او الاطعام
لم يستحق الجواز ان ذلك يجب تحمل المكروه على الطبع وكف الهوى عن مثله واذاقة النفس مرارة الدفع
لله جل ثناؤه ليكفر ما اتبعها هواها واوصلها الى مناها فيما خالف الله في فعله حيث لم يف بالعهد الذي عهد الله
او الزم نفسه عهدا ممن منع عن الوفاء فيخرج فعله مخرج فعل ناقض العهد ومخلف الوعد بالله وذلك
المعنى في البذل لا في مراعاة العدد ولانه كان حقا لهم قبل الدفع بل باختيار الدفع اليهم بجعلهم محقين
فيه بما له اختيار غيرهم والخروج عن ذلك بالعتق والصيام الذي لا يعود اليهم نفعه ولكن الكفارة اذا جعلت
مما يغدي ويعشي ونحو ذلك اذا اريد الخروج به منه بمسكين واحد يحتاج الى تجديد الايام ومرور الاوقات
وفي ذلك خوف بقاء الذنوب عليه ولعله يحله المنية فيبقى ذنبه غير مكفر جعل الله له التكفير في المساكين تيسيرا و
تمكينا من الخروج الذي ركنه لا يفوت معنى ما له التكفير فلذلك يجوز على ما ذكرت وهذا الوجه يوجب منع
الجواز في يوم واحد والله اعلم وبعد فانه متى اطعم مسكينا بقي عليه خطاب اطعام تسعة وذلك لو ابتداء الخطاب
تسعة مما يقتضيه الخطاب فكذلك اذا كان بعد اسقاط الواحد من الخطاب والله اعلم ثم لو كان العدد شرطا
لكان لوجود معنى العدد في الواحد اسقاطه اذ ذلك في موضع التكفير والتطهير وكل ذلك يتعلق بالمعاني
مما ذكر فيها من الاعداد نحو الغسل من الاحداث الجنابة والانجاس فمثله الكفارة وبعد فانه معلوم ان لكل
مسكين قدرا من الطعام ثم كان القدر الواحد يتفرق الاملاك عليه يستوجب حق قدر العشر فعلى ذلك
المسكين الواحد بما يتفرق عليه المسكنة كل يوم ويتجدد الحاجة يصير كعدد المساكين وذلك ايضا شبيه هو
مما روي من الاستنجاء بثلثة احجار على استحقاق كل حرف من ذلك حق حجر على حدة من حيث كان غير مستنجى به
فكذا ما نحن فيه اذ له كل يوم حق مسكين اخر من حيث حدثت له حاجة لم تدفع بالاطعام الاول والله اعلم
وليس كالاعداد في الشهادة لما جعل العدد فيها بما يلحق الواحد تهمة اوله بر منفعة التصديق او نوع
عبادة في موضع الحكم والقضاء وتسليم الامر لغير من الحج وفي هذا معنى التكفير قد بينا وذلك كمعنى التطهير
في الذي وصفنا على ان الشهادة في اليوم الثاني اعادة الاول والاطعام هو تجديد الدفع والواحد قد يقوم
في الشهادات مقام ما ثم اذا كان لكل حق التجديد والله اعلم ثم قوله تعالى عشرة مساكين من غير ذكر القريب
والبعيد والمؤمن والكافر والصغير والكبير وقدر المسكنة والعلم الذي به تعرف ومعلوم ان لكل جهة

مما بينا حد بالناس الى معرفته حاجة وللناس في كل جهة تنازع والاجتهاد في الوقوف على الحقيقة على الاتفاق وعلى انه
لم يجعل الامر على الاسم خاصة وان الذي هو في حد الفقر فيما ذكر قبله المسكين والفقير قائم مقام المسكين هٰهنا
في الجواز ليعلم ان المعنى فيهم مقصود يجب طلبه والبحث عنه والله اعلم ثم اجمع ان الصغير الذي قدر اللقمة
لقمة الكبير لم يعم في حق الاطعام الا من حيث التمليك اذ الجمع على اقل العدد او امره والمدى يكفي عشرة مثله ثبت انه
لا الى مثله رجع الخطاب وايد ذلك قوله تعالى من اوسط ما تطعمون اهليكم ان مثله لا يبلغ اقل ما يطعم الاهل
على انه لو اريد بالاهل الزوجة لكان مثلها لا يطعمها الزوج فثبت ان المراد راجع الى الخصوص والله اعلم والاصل
في ذلك ما بينا من تألم الطبع بدفع مثله وابن بوم ميل الطبع الى ارضاع مثله بل لا يحتمل امهاله وبعد فان مثله لا
لا يطعم ثبت ان الامر راجع الى واجبه والله اعلم وعلى ما ذكرنا قالوا في الوالدين والولدانه لا يجوز لان الطبع
يألم بمسكنة عنهم بل جعل الله تعالى الطبايع بين هؤلاء بحيث لا تحتمل نزول البلاء والشدة بهم وبحيث يجتهد كل بدفع
الضرر عنهم على مثل الدفع عن نفسه وبذل المال لصون عرضهم حتى لعد لئيم من لم يتعاهد منهم ذلك ويلام اعظم
اللوم واذا كان كذلك لم يتضمنهم هذا الامر ادهم لا بل يقومون بذلك بحق الطبيعة لا بامره فقد بينا وجه
الكفارة انه في مخالفة الطبع والله اعلم وعلى ذلك ما روي عن الذي امر بتفريق زكوته فاعطى ابنه فاختصما الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فلان لك ما نويت وقال للآخر لك ما اخذت ولو كان يجوز اختياره مثله
لكان ذلك احب ما صار اليه واثر قد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انت ومالك لابيك فلا يحتمل
مع هذا الجواز بالاختيار ويصير ما يدفع الى ابنه كان له وما يدفع الى ابيه كانه لنفسه دفع فلذلك لم يجز ولا اصل
في هذا وفي الزكوات انها حقوق جعلها الله تعالى في الاموال لوجهين احدهما بما ابتدأ الله عبيده بالنعم وخصهم
باعطاء ما اشتهت انفسهم ومالت طباعهم فاستأدا لهم شكر ذلك بالذي جعل في طباعهم النفار عنه وفي
انفسهم الالم به من الاخراج عن الملك ومعونة من لم يكرمهم بر والا انعم عليهم به والثاني ان لا يكونوا قربوا مما اعطوا
انفسهم هٰهنا واوصلوا طباعهم الى هواها بغير الوجه الذي اذن له في ذلك من هوله في الحقيقة وهو الذي
اختصهم فعليهم للخروج بما فعلوا من الوجه الذي في الطبع النفار عنه وفي النفس الالم به ليذيقوا انفسهم بذل
ما اعطوها من اللذة المرارة فمن هو من المتصدق بالحل الذي يجد به هذا فهو مقابل بما له اكرم وبه اوف ومن
لا يجد به هذا فليس بمقابل ذلك فلم يف بحق فلم يخرج مما يخرج مما عليه من الفرض وان كان الله بكرمه وجوده
بحيث يرجى من العفو ومنه القبول منه والله اعلم وعلى ذلك عندنا امر الزوجين اذ يوجد بينهما في البذل شهوة
وميل الطبيعة ويكون التناكح بمثله على ما ذكر من النكاح لاربعة اوجه احدها لمالها وما كذلك الموجود في الطباع
والله اعلم وعلى هذا المعنى يخرج امر الشهادة اذ هي موسومة على دفع التهم عن المدعين فاذا رجعت منافعهم الى
بحيث مكنت فيهم ذلك فلم تقبل وجملة ذلك ان الشهادة ودفع الزكوات والكفارات بحق الامانات وهي بحيث الامنا
الانتفاع بها فكل وجد فيه انتفاع المؤتمن فانه له الانتفاع بلا تمانع في العرف او بما في الطبع ابيان نفعه فكان
له فيه ما نروانه جعل امينا فلو يثبت له الامانة فيه والله اعلم وعلى هذا يخرج امر الدفع الى المكاتب والشهادة
له والله اعلم ثم الدفع الى الكفارة القياس ان يجوز جميع ذلك من حيث كان المعنى الذي له يختار في الدفع
اليهم ويجد من ثقل الطبع والم النفس وعلى ذلك احترت عندنا الكفارات وايد ذلك قوله تعالى ان تبدوا الصدقات
الى قوله ويكفر عنكم من سيئاتكم صير الصدقات مكفرة لما ذكرتم يدل على ذلك فيما قال اهل التفسير في قوله ليس
عليك هداهم لا تبرات ذلك في التصدق على اهل الكفر اي لا يمنعك ذلك وكان على اثر الوعد بالتكفير بالصدقة
فامكن ان يكونوا اهم في ذلك سيما كانت الكفارات جعلت بشرط المسكنة وقبيح في المسلم دفع السؤال وان
كانوا كفرة فجائز الدفع اليهم وجملة ذلك ان ذلك بما اختار من اعطاء النفس شهواتها فيما لم يؤذن له فكون
كفاراتها بالكف عن شهوتها فيما كان بخل والبذل بالذي كان بسعة منع ذلك وذلك المعنى موجود في ذلك
على ان التصدق عليهم نقض ما يرغبهم في الاسلام لم يجز المنع والله اعلم واما الزكوات فهي مخصوصة عاجلا
من اضافة الدفع الى من يؤخذ من غنيهم ولما بين اهلها وجعل عليها سعادة ليتحروا المواضع واما الكفارات
جعل الى اربابها ايجابها والخروج عنها في تحرى اهلها مما كانت الزكوات اوجبت بالاكتساب بحق الشكر وحق
الشكر الانفاق في الطاعة ثم كان الانفاق على من يطيع الله به يخرج مخرج المعونة على الطاعة وعلى الكافر
لا فيقتصر عن شرط التمام في معنى الشكر والكفارة في حق اعطاء النفس الشهوة فيمضيها باخراج ما في شهوتها
المنع وذلك المعنى موجود في الكافر على التمام لذلك اختلفا وبعد فان الزكوات تجب بلا ايجاب وقد قطع الله
الحق الذي ذلك سبيله ثم بين مختلفي الملك بحق المواريث والكفارات يجب بما اكتسبوا وبين الفريقين في الحقوق
المكتسبة اشتراك ولا قوة الا بالله والاصل في ذلك ان الزكوات اوجبت في الاموال حقا للفقراء ثم هو يخرج
الى من اوجبت لهم فالم يعلم من اوجبت له لم يخرج على مثل حقوق المواريث للقرابة وغير ذلك والكفارات ليست
بواجبة في الاموال تخرج بل ينظر الى وقت الدفع والقيام بالتكفير فان كانت له اموال دفعها منها والا ثبت
عليه فصارت الحقوق كانها بالدفع اذ لو توهم وقت الوجوب له الغنى والفقر لكان الامر لا يختلف واذا
كان كذلك وله ابتداء التصدق عليهم بحق التطوع والنذور وغيرها فيجوز فيهم والزكوات اذا الدفع منها

تسليم الى من كان له الحق احتج في ذلك الى مبين ذلك والله اعلم وصدقة الفطر بحق اظهار السرور ودفع السؤال
كما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اغنوهم عن المسئلة في مثل هذا اليوم لا بحق ما كان جعل في مال
يخرج منه بل بحق المعونة وذلك لازم في العقول لكل مائل والخاصة في الدفع اليهم ليمتنعوا هم بما فيه سرور اهل الا
والله اعلم وانبأنا ان الزكوات اوجبت في الابتداء حقا للفقراء اذ الله سبحانه وتعالى اخرج ارزاق الخلق اجلالا كما
لبعضهم والزمهم تحمل كفاية من لم يملكهم اعين تلك الاموال اذا لم يخلق ابتداء الخلق لهم الجملة واذا كان محل الزكوات
في الابتداء وجعل لاهلها بها الغنى واهل الكفر ابوا قبول الدين الذي ذلك حق جعل للمحتاجين في اموال الاغنياء فلم
يكن لهم في مذهبهم ذلك الحق بل لو كان كان في اموال اغنياء مذهبهم ولاهل الاسلام ان ذلك الحق في اموال
اغنيائهم وكذلك من عليهم الحق قبلوه والذين لا هله لم يدخل في ذلك غيرهم ثم كانت الكفارات والنذور ونحوها
ليست بمجعولة بالذين لحق الفقراء والتماهي واجبة يتعاطى ارباب من لزمهم ليتقربوا بها الى ربهم ويخرجوا بها
مما جنوا على مذهبهم وقد جعل ذلك في جملة الصدقات وفي انواع العبادات التي لا عبرة فيها لمنافع الخلق فثبت
انها لم تجب لهم وانما اشترط عليهم فيها ما يكون عبادة وقربة الى الله تعالى وقد جعل الله تعالى في الدفع الى مساكينهم
قربة وعبادة فجازت وعلى هذا يخرج قولنا في العتق على ان قولنا لجميع المخالفين لنا في هذا اولى لان مذهبهم اعتماد
العموم الا في قدر ما يمنعهم عن ذلك والعموم لجميع الفرق كلهم باسم المساكين واسم تحرير الرقبة ولا دليل لهم
على الخصوص الا ضرب من القياس ومن مذهبه ان اخراج بعض ما تضمنه الاسم لا يوجب خصوص ذلك فكذا
يلزمهم ان لا يعتنوا الوجود التخصيص في غيره ان ذلك ابعد على انهم اجمعوا ان نقاس ما ليس فيه ذكر التتابع على المذكور
تمثله امر الايمان وجملته انه قد يجوز في العتق مع قيام كثير من العيوب التي لا تحتمل التغير فعيب الدين الذي يمكنه
احق وكذلك من قول الجميع ان العجز بالمرض عن المكاسب لا يمنع اذ هو قد يزول فالذي لا عجز فيه ويمكنه
اختياره احق ان يجوز والله اعلم ثم الاصل ان الله تعالى في الكفارة التي جعل الايمان فيها شرطا ذكر العتق
في ذلك في قتل ثلاث فرق ذكر في كل مرة تحرير رقبة مؤمنة لم يدع ذكر ذلك في شيء منها للذكر في نوع من ذلك
على قرب ما بين اولئك الاسباب فلو كان يحتمل الاقتصار على بيان الكفاية دون المبالغة اوجب ذلك
في النظر لكان يذكر مرة كفاية على نحو الصوم فاذا لم يكتف على تقارب المعنى بان ان ذلك نوع ما لم يؤذن
فيه تعلق الحكم بالمعنى بل لو كان لا ما دونا قيله لكان يوجد في القتل معان لا توجد في غير ذلك فلا يجوز
قياس غيره عليه والله اعلم ثم ان قال قائل اذ قال الله تعالى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ثم قد جعل سببه
الظهار وفي القتل عتق رقبة وبالصيام صوم شهرين متتابعين فكيف جعل مثل سيئة الحنث بالعتق عشرة مساكين
وبالصيام ثلاثة ايام فلو كان ثلاثة عدل العتق فاذا زاد في الظهار والقتل في الجزاء نقول وبالله التوفيق
لذلك اجوبة ثلاثة ان الجزاء في الدنيا هو ما يجوز به المحنة ابتداء لا على الجزاء فعلى ذلك يجوز فيه الزيادة
بحق المحنة لا الجزاء والنقصان بحق العفو كما قال الله عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال وبلوناهم
بالحسنات والسيئات وفي الآخرة لا يكون بحق ابتداء المحنة انما ذلك بحق الجزاء وهو عز وجل حكيم عدل
لا يزيد على ما توجبه الحكمة ويجوز التجاوز بما هو عفو كريم فلذلك اختلف الامران والثاني ان يقال حق جزاء
كل ما فيه العتق صيام شهرين متتابعين والله العفو فيه عما في الحانث فرضي منه بصوم ثلاثة ايام لما علم عز وجل
في ذلك من المصالح والله اعلم والثالث ان يكون حق الجزاء في اليمين بالصيام ما ذكر وكذلك في القتل والظهار وفيهما
حق العتق كذلك وفي اليمين دونه ولكنه تمم بما لا يحتمل التجزية على حق كل شيء لا يتجزى ان جزءا منه متى وجب
يجب كله فعلى ذلك العتق والله اعلم ثم نقول وظاهر هذا يشهد لابي يوسف رحمه الله ومحمد رحمه الله
انه متى اوجب جزءا منه عتق كله اذ لا يحتمل التجزية دليله امر الكفارات والله اعلم ومذهب ابي حنيفة
رضي الله عنه انه يحتمل ان يكون هذا لما لا يحتمل العتق التجزية وان كان العتق في نفسه يحتمله فيجب عرض ذلك
على ما فيه بيانه فوجد الامر بالتحرير حيث كان بذكر الرقبة ولو كان لا يحتمل من حيث التحرير لكان يغني عن ذكر
الرقبة فاذ ذكر في كل ما امر به انه ذكر ليتم بالاعتاق لانه يتم بلا ذكر فعلى ذلك امر الطلاق لم يذكر فيها معنى
رقبتها لما لا يحتمل والله اعلم بعض ذلك ثم كانت الحقوق ترجع الى الانتفاع او قولا ومضرة او نحو ذلك لا يحتمل
نفوذ حر المعتق منه دون غيره ثبت ان ذلك ان كان كذلك فهو لما لا يحتمل حقوق الكمال في ترك الكمال فوت
نفع ما اوجب والله اعلم ثم قد يجوز اعتاق الجزء من حيث كان الملك والجزية باخذ العين والمنافع تصل الى الباقي
والمباشرة لا تحتمل التمييز وفي القول فيه جملة يحتمل لذلك اختلفا وعلى ذلك امر الطلاق لا ملك ثم في النفس
انما حقيقة المباشرة والانتفاع وذلك لا يحتمل الجزء المطلق منها اوجب دون غيره فلذلك اكمل والله اعلم وقوله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال الميسر القمار
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا هذه الكعاب الموسومة التي يزجر بها زجرا فانها من الميسر وعن ابن مسعود
رضي الله عنه مثله وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله
وعن ابن عمر رضي الله عنه قال الميسر القمار وعن علي رضي الله عنه قال لان اخذ جمرتين من نار فاقلبهما في يدي
احب الي من ان اقلب كعبتين نرد وعن علي رضي الله عنه ايضا قال الشطرنج هو ميسر الاعاجم وعن عطاء ومجاهد وسعيد بن

جبير والشعبي وهؤلاء السلف قالوا الميسر القمار كله حتى الجوز الذي يلعب به الصبيان وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا جلب ولا جنب ولا شغار ولا رباط في الاسلام وقيل الرباط القمار وقيل الجلب هو ان يجلب وراء الفرس حتى يدنو او يحرك وراءه الشيء ليستحث السبق والجنب هو الذي يجنب مع الفرس الذي يسابق به فرس آخر حتى اذا دنا تحول راكبه الى الفرس المجنوب فاخذ السبق واجمع اهل العلم على ان القمار حرام وان الرهان هو المخاطرة مثل القمار وما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه خاطر اهل مكة في غلبة الروم فارس فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذ درهم في الخطر وابعد هم في الاجل فكان ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة في الوقت الذي لم ينفذ حكمه فاما في دار الاسلام فلا خلاف في ان ذلك لا يجوز الا ما رخص فيه من الرهان في السبق في الدواب والابل اذا كان الاخذ واحدا ان سبق اخذ وان سبق لم يدفع شيء وكذلك ان كان السبق بين الرجلين ايهما سبق اخذ وان دخل بينهما فرس ان سبق اخذ وان سبق يغرم صاحبه شيئا فهو جائز وليسمى الداخل بينهما المحلل فاما الرخصة فيه فما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا سبق الا في خف او حافر او نصال هذا الذي وصفنا كله من الميسر والانصاب هي الاحجار والاوثان التي كانوا ينصبونها ويعبدونها ويذبحون بها واما الازلام فالقداح التي يستقسمون بها في امورهم ويستعملونها ففيه دليل بطلان الحكم بالقرعة لان الاستقسام بالقداح هو ان كانوا يجعلون الثمن على الذي خرج سهمه اجبرا ويتصدقون بما اشتروا على الفقراء ففيه ايجاب الثمن على الغير فيجعلون الامر الى من ليس له تمييز فعوتبوا على ذلك الحكم بالقرعة تسليم الى من ليس له تمييز بين المحق وغير المحق فيلحق هذا ما لحق اولئك ثم اخبر ان ذلك كله رجس من عمل الشيطان وليس هو في الحقيقة عمل الشيطان لان الشيطان لا يفعل هذا حقيقة لكن نسب ذلك اليه لما يدعوهم الى ذلك ويزين لهم وكذلك قول موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان انه كذا وكذلك قوله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه وهو لعنه الله لم يتولى اخراجهما ولكن كان هو سبب الاخراج والازلال وهو الدعاء الى ذلك والمراد لم تنسب ذلك اليه والله اعلم

قوله عز وجل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر هو في الظاهر لم يجتمعوا على العداوة والبغضاء بل يكون اجتماعهم على الالفة والمودة على ذلك يجمعهم في الابتداء لكن لما شربوا واخذهم الشراب وقع بينهم العداوة والبغضاء فكان قصدا الى جمعهم في الابتداء على المحبة والمودة ما يطلب منه في العاقبة من القاء العداوة بينهم وتفريق جمعهم وهو كقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير ولم يدعوهم الى عذاب السعير ولو دعاهم الى ذلك لما اجابوه ولكنه دعاهم الى الفعل الذي يوجب لهم عذاب السعير فعل ذلك هو دعوهم الى الاجتماع على الخمر والميسر ليوجب ويقع بينهم العداوة والبغضاء ففيه ان الاعمال ينظر فيها العواقب ويدل ايضا على تحريم الخمر لانه قال رجس من عمل الشيطان والرجس حرام كقوله تعالى فانه رجس او فسقا وما يدعو اليه الشيطان ايضا حرام وكذلك قوله تعالى فهل انتم منتهون وروي عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس فقال يا ايها الناس ان الله تعالى يعرض بالخمر تعريضا ولا ادري لعله سينزل فيها امرا فمن كان عنده منها شيء فليبعه ولينتفع به فما لبثنا الا يسيرا حتى قال ان الله تعالى قد انزل تحريم الخمر فمن كتبت هذه الاية وعنده منها شيء فلا يشربها ولا يبيعها قال فاستقبلوها في طريق المدينة وعن عمر رضي الله عنه قال لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الاية التي في البقرة يسئلونك عن الخمر والميسر فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الاية التي في النساء لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة قال لا يقرب الصلاة سكران فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الاية التي في المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فلما بلغ فهل انتم منتهون قال انتهينا وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال كنت ساقي القوم ونبيذنا تمر وزبيب وبسر خلطناه جميعا فبينا نحن كذلك والقوم يشربون اذ دخل علينا رجل من المسلمين فقال ما تصنعون والله لقد انزل تحريم الخمر فاهرقنا الباطية وكفاناها ثم خرجنا فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر يقرا هذه الاية ويكررها انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء الى قوله فهل انتم منتهون فالخليطان حرام فاجمع اهل العلم على ان الخمر حرام قليلها وكثيرها وان عصير العنب اذا غلا واشتد فصار مسكرا خمر واختلفوا فيما سوى ذلك من الاشربة فكان ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله يقولان ما كان من الاشربة متخذا من النخلة والعنب فهو حرام كنبيذ البسر والتمر والزبيب اذا اسكر كثيره فهو حرام عندهما وعلى ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين من النخلة والعنب فلا يحرم وان كان يتاتى السكر منه لان غيرها من الاشربة قد يتخذ لا للسكر وان كان في مكان لا يتخذ الا للسكر فهو مكروه قليله وكثيره كالمتخذ من النخلة والعنب وكانا يقولان ما كان من الانبذة مطبوخا فهو حلال وان قل طبخه الا العصير فانه لا يحل بالطبخ حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه وكانا يفرقان بين العصير وغيره بان العصير ليس فيه شيء من غيره وان ترك بحاله غلا فاسكر فاذا طبخ حتى يذهب ثلثه او نصفه فهو يغلي ويسكر فلم يخرجه الطبخ من حده الاول اذ كان يسكر قبل ان يطبخ وهو الان يسكر بنفسه اذ لم يجعل فيه شيء غيره وسائر ما يتخذ منه الانبذة ان بقيت لم ينتبذ ولم يسكر حتى يلقى عليه الماء ويخلط بها غيره فحينئذ يسكر ففي مثل العصير اذا ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ان بقي دهرا لم يسكر حتى يلقى عليه الماء فحينئذ يسكر فاذا صار العصير

في حال ان بقي مدة لم يغل بنفسه حتى يلقى عليه غيره كان بمنزلة الزبيب والتمر اذا القي عليهما الماء فطبخا وعلى ذلك ما روي عن عمر رضي الله عنه في الطلا انه لا يحل حتى يذهب عنه سلطانه يقول اذا كان يغلي بنفسه من غير ان يصب عليه الماء ففيه سلطانه فاذا صار لا يغلي بنفسه وهو ان يطبخ حتى يذهب ثلثاه فقد ذهب سلطانه وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان ابا عبيدة ومعاذ بن جبل وابا طلحة رضوان الله عليهم كانوا يشربون من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وقد وصفنا فرق ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله بين المطبوخ وبين المثلث والمنصف من العصير واما فرقهم بين المطبوخ ما يتخذ من النخلة والعنب والني منه فهو الخمر التي لا خلاف في تحريمها في العصير التي يصير خمرا فكل ما كان نيا من الشجرتين اللتين سماها النبي صلى الله عليه وسلم فهو حرام اذا اسكر فاذا كان مطبوخا فقد عمل فيه وخرج به من حد الخمر فان قيل يجب ان يقاس ذلك على النيء لانه يسكر وفيه صفات الخمر قيل الخمر حرمت لعينها لما لا يتخذ الا للسكر ولا يقاس عليها غيرها وانما يقاس على ما حرم وحل لعلة دون ما حرم بعينه وانما غيره من الانبذة فانما يحرم منه السكر الا ترى انه في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث ابا موسى ومعاذا الى اليمن قال له ابو موسى ان شرابا يقال له البتع فاشرب منه وما ندع قال اشربوا ولا تسكروا وعن ابن عباس رضي الله عنه قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والسكر من كل شراب وعن علي رضي الله عنه قال فيما اسكر من النبيذ ثمانون وفي الخمر قليلها وكثيرها ثمانون فدل قول علي رضي الله عنه فيما اسكر من النبيذ ثمانون معناه في السكر ثمانون وذلك يدل ان قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ان السكر منه حرام وعن عمر رضي الله عنه انه اتي بسكران فقال يا امير المؤمنين انما شربت من نبيذك الذي في الاداوة فقال عمر رضي الله عنه لست اضربك على النبيذ انما اضربك على السكر فهذه الاخبار التي ذكرنا دلت على تحريم الخمر بعينها والسكر من كل شراب وقوله عز وجل ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة يدل على تحريمها لانه اذا سكر صده عن ذكر الله وعن الصلوة وقوله عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول في تحريم الخمر والميسر والازلام والانصاب وغيرها واحذروا معصيتهما وخلافهما فان توليتم عن طاعتهما فيما حرم عليكم وحذركم عنه فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين في تحريم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا من الخمر قبل تحريمها اذا ما اتقوا شربها بعد التحريم وامنوا اي وصدقوا بالتحريم ثم اتقوا بها وامنوا في حادث الوقت ثم احسنوا وذكر في بعض القصة انه لما نزل تحريم الخمر قالوا وكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فنزل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية لكن هذا لا يحتمل ان يكون كما ذكر لانهم شربوا الخمر في وقت كان شربها مباحا ولم يشربوا بعد تحريمها لكن هذا ان كان فانما قالوا في انفسهم فنزل ان ليس عليكم جناح فيما شربتم قبل تحريمها بعد ان اتقيتم شربها بعد نزول حرمتها والله اعلم وقال بعضهم ان في الاية تكرارا في قوله تعالى اذا ما اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين لكن الوجه فيه ما ذكرنا ليس على التكرار والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد وليس فيه بيان انه ابتلي بالامر فيه او بالنهي لكن بيانه في اية اخرى ان الابتلاء انما كان بالنهي عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا ودل هذا على ان المحرم كان منهيا من الاصطياد بقوله واذا حللتم وان الابتلاء الذي ذكر في الاية كان بالنهي عن الاصطياد والله اعلم ثم اختلف في الاية قال بعضهم النهي بشيء من الصيد لاهل الحرم الا ترى انه روي في الخبر قال لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها فكان الابتلاء بالنهي عن الصيد لاهل الحرم لما اخبر انه لا ينفر صيدها واما المحرم فانما نهي عن الاصطياد بقوله واذا حللتم فاصطادوا وبقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال اخرون الابتلاء بالنهي عن الاصطياد للمحرمين وفي قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم نهي عن قتله وهناك نهي عن اخذه بقوله تناله ايديكم وقوله تعالى بشيء من الصيد اي في بعض الصيد دون بعض لان المحرم لم ينه عن اخذ صيد البحر بقوله احل لكم صيد البحر وقال تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فذلك معنى قوله بشيء من الصيد والله اعلم ويحمل على التقديم والتاخير كانه قال ليبلونكم الله بشيء تناله ايديكم ورماحكم من الصيد والله اعلم ثم اختلف في قوله تناله ايديكم قال بعضهم ما تناله الايدي هو البيض وعلى هذا يخرج قولنا ان المحرم منهي عن اخذ البيض فان اخذ بيضا فان عليه الجزاء والذي يدل على ذلك ما روى ابو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيض النعام صيام يوم او اطعام مسكين وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في بيض نعام اصابه محرم بثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنه ثمنه او قيمته وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وقال بعضهم تناله ايديكم هو صيد الصغار وهي الفراخ التي لا تطير فيؤخذ بالايدي وقوله عز وجل ورماحكم قال بعضهم ما رميت وطعنت وقيل في قوله تناله ايديكم ما يؤخذ بغير سلاح ورماحكم ما يؤخذ بالسلاح من نحو النبل والرماح وغيرها من السلاح ثم في الاية دلالة ان المحرم قد نهي عن اخذ الصيد وكذلك في قوله تعالى فاصطادوا والاصطياد هو الاخذ لا القتل وانما النهي عن القتل في قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقوله عز وجل ليعلم الله من يخافه بالغيب ليعلم ما قد علم انه يكون كائنا او ان يقال ليعلم ما قد علم غائبا عن الخلق شاهدا كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة الاية وقوله عز وجل من يخافه بالغيب اختلف فيه قال بعضهم يخافه بالغيب بغيب الناس اي يخافه وان لم يكن بحضرته احد وقال اخرون يخاف العذاب بالاخبار وان لم يشهد ويصدق والله اعلم وقوله عز وجل فمن اعتدى بعد ذلك اي من استحل قتل الصيد بعد ما ورد النهي والتحريم فله عذاب اليم ان شاء عذب وان شاء عفى واذا عذب كان عذابا اليما وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي وانتم محرمون الاية في ظاهرها على قتل الصيد كله ثم ان رسول الله صلى

الصحيح ولكن ان المراد بكل واحد من المكرر بالاخرين فالمراد بالاول الاتقاء فيما سلف والمراد بالثاني الاتقاء منهم في المستقبل والمراد بالثالث اتقاء ظلم العباد والاحسان اليهم ولكن على فالثاني جديد احق من الحمل على الثاني كبيره

شرح م م قال الزمخشري رفع الجناح عن المؤمنين من اي شيء طعموه من مباحات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وامنوا وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وامنوا ثم داموا على التقوى والايمان وقال بعض اهل العرب اذا ما اتقوا اي الشرك وامنوا بالله وحده وعملوا الصالحات ثم اتقوا اي تمام الصلاة عن شهود الخلق وامنوا بان الله تعالى يعلم السر والعلانية ثم اتقوا حظ النفس لتحقيق بذلك منهم الاحسان والله يحب المحسنين

م م قيل اذا ما اتقوا المحرمات قبل تحريم الخمر ثم اتقوا الخمر بعد التحريم ثم اتقوا ما سيحرم وقيل الاول عمل الاتقاء والثاني دوام الاتقاء والثالث ختم الاحسان الى الاتقاء قيل اذا ما اتقوا الشرك وامنوا بالله وعملوا الصالحات ثم اتقوا والخمر والميسر بعد تحريمهما وامنوا بتحريمها ثم اتقوا سائر المحرمات قال القشيري رحمه الله اتقى الشرك فعرف ثم اتقى الحرام فاتعرف ثم اتقى الشرف فالسرد ما اسرف وقال الاول للعوام اتقوا الشرك والمعاصي وامنوا بالتوبة الاوامر والثاني من الله تعالى والثاني للخواص اتقوا المنع وامنوا بالمنع والثالث للخواص اتقوا شهود الخلق واحسنوا العمل لله والاحسان ان تعبدوا لله م م

الله عليه وسلم رخص في اشياء اذن في قتلها فيقال في خمس من الدواب لا جناح على من قتلهن وهو محرم في الحرم الحداءة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وعن عائشة رضي الله عنها امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل خمس فواسق في الحل والحرم الحداة والغراب والفارة والعقرب والكلب العقور وفي بعض النسخ والاخبار الذئب فيحتمل ان يكون الكلب العقور الذئب وروي عن سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يقتل المحرم فقال الحية والعقرب والفويسقة والغراب والفيلة والكلب العقور والسبع العادي والكلب العقور الذي امر المحرم بقتله ما قتل الناس وعدا عليهم مثل الاسد والنمر والذئب وما كان من السباع لا تعدوا مثل الضبع والثعلب والهرة وما اشبههن من السباع فلا يقتلهن المحرم فان هو قتل شيئا منهن فداه وان قتل شيئا من الطير سوى ما ذكر في الخبر فعليه جزاؤه وفي بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتل المحرم الفارة فانها توهن السقا وقال بعض الناس ما قتل المحرم من السباع التي لا يؤكل لحمه فلا فدية عليه فكان تاركا لظاهر الاية وهو قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم فان احتج بحديث ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رخص للمحرم في قتل خمس من الدواب وذلك ما لا يؤكل لحمه قيل اباح النبي صلى الله عليه وسلم قتل الخمس لعلة انه لا يؤكل لحمها فان قال نعم قيل ما الدليل على ذلك فان قال لانها لا توكل فكل ما لا يؤكل من الصيد فقتله مباح فيقال له قولك لا يؤكل ليس بعلة لان ذلك لا يزول ولا يتغير والعلة هي التي تحدث في وقت وتزول في وقت ولو كان قول القائل لا يؤكل علة فيما لا يؤكل كان قوله يؤكل علة فيما يؤكل وكان الشيء علة لنفسها وهذا بين الخطا واذا لم يكن تحريم اكل الخمسة التي اذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتلها للمحرم علة في اطلاق قتلها كان القياس عليها على ما لا يحل اكله خطا لان القياس انما يكون على العلل وما لا علة فيه لا يجوز القياس عليه وعندنا ان هذه الخمسة المسماة يبتدي المحرم وغيره بالاذى وان لم يبتديها المحرم وما سوى ذلك مما لا يؤكل لحمه لا يكاد يبتدي بالاذى حتى يبتديها الانسان فحينئذ تعرض له وبيان ذلك ان الحداة ربما اغارت على اللحم يراه في يدي الرجل والغراب يسقط على دبر الدواب فيفسده والعقرب تقصد من تلدغه وتتبع حسه والكلب العقور لا يكاد يهرب من الناس كما يهرب السباع سواه فاما الضبع والخنزير والكلب والذئب واشباهها فهي تهرب من بني ادم ولا يكاد يوذيهم حتى يبتدؤها بالاذى فجعلنا العلة فيما رخص النبي صلى الله عليه وسلم للمحرم قتله ما يعرف من قصدها لاذى المحرم وان يؤذيها المحرم ان كان معروفا فيها معلوما انه اكثر شانها فلما لم يكن في سائر الطير المحرمة والسباع هذه العلة وكان المعروف فيها انها لا يبتدئ بالاذى لم يجز ان يشبه بالخمسة التي في الخبر فاذا ابتدئ منها مبتدئ المحرم بالاذى كان حينئذ مثل الخمسة فجاز له قتلها بغير فدية وبعد فان الذي لا يؤكل لحمه يسمى صيدا والضبا دون يصيدون فكان داخلا تحت عموم الخطاب ومخالفنا تارك لاصله في العموم لانه خص الاية بغير دليل ومن اصله ان الاية على العموم ولا تخص الا بدليل واصحابنا رحمهم الله يجعلون الصيد كله محظورا اكلا ولم يؤكل الا ما عدا منها فان قتله قبل ان يعدو عليه لزمه الفدا اذ ذهبوا في ذلك الى ما روي في الخبر خبر ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يقتل المحرم كذا وكذا والسبع العادي فالعادي ما يعدو على المحرم والى ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وغيره مما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل على المحرم قتل ضبعا جزاؤه وكذلك عن عمر وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وهي مما يؤكل وعن جابر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الضبع فقال هو صيد وفيه كبش وعن عمر رضي الله عنه كذلك وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما كذلك وقوله عز وجل ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم اختلف في الاية في تاويلها على وجهين فاحدهما من حمل الاية على ظاهرها فلم يوجب في الخطأ كفارة عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا اصاب المحرم الصيد خطأ فليس عليه شيء وكذلك روي عن عطا وسالم والقاسم انهم قالوا لا شيء عليه مثل قول ابن عباس رضي الله عنه والقول الثاني فيما قال اكثر اهل التاويل قالوا قوله ومن قتله منكم متعمدا لقتله ناسيا لاحرامه فذلك الذي يحكم عليه وهو الخطأ المكفر وان قتله متعمدا لقتله ذاكرا لاحرامه لم يحكم عليه وكذلك روي عن الحسن انه قال متعمدا لصيده ناسيا لاحرامه وقال ومن عاد فينتقم الله منه متعمدا للصيد وذاكرا لاحرامه فكانهم ذهبوا الى ان المحرم لا يقصد قصد الصيد وهو ذاكر لاحرامه احسن الظن به وعندنا ان الاحرام مما لا يجوز ان يخفى على المحرم وينسى لانه المحرم علوما تذكره تلك الاعلام الحال التي هو فيها وعندنا ان ما لا يجوز ان ينسى ويخفى على المرء لم يعذر صاحبه في نسيانه وعندنا ان على قاتل الصيد الكفارة عمدا قتله او خطأ وليس يخلو الاية من ان يكون اوجبت الكفارة على المتعمد للقتل الناسي لاحرامه كما قال الحسن ومجاهد او يكون اوجبت الكفارة على المتعمد للقتل ذاكرا لاحرامه اولى بالكفارة لان ذنبه اعظم وجرمه اكبر فان قيل انكم لا توجبون الكفارة على قاتل النفس عمدا فما منع ان يكون قتل الصيد مثل ذلك وان كان حرمته اعظم كما قيل ان قاتل النفس عمدا وان كنا لم نوجب عليه الكفارة فقد اوجبنا عليه القصاص وهو اعظم من الكفارة وقاتل الصيد عمدا لقتله ذاكرا لاحرامه لو ازلنا عنه الكفارة فلا شيء عليه سواها لذلك اختلفا ثم نقول انا عرفنا الحكم في قتل الصيد في الخطأ انما يعرف بغيره وليس في ذكر الحكم وبيانه في حال دليل نفيه في حال اخرى ولنا على هذا اسئلة قد ذكرناها فيما تقدم في غير موضع كرهنا اعادتها في هذا الموضع ثم تخصيص ذكر الكفارة في قتل العمد يحتمل وجوها احدها ان الكفارة في قتل النفس انما ذكرت في قتل الخطأ ثم ذكر في قتل العمد ليعلم انها اذا وجبت في العمد تجري في الخطا اوجب والثاني ان الكفارة انما وجبت بجنايته على صيد

امين في الحرم وكل ذي امانة اذا اتلف الامانة لزم الغرم عمدا كان اتلافه وخطأ فعلى ذلك هذا والله اعلم والثالث ان ذكر التخيير في حال الضرورة يخرج مخرج التوسيع والتخفيف على اهلها ولا يكون ذلك في غير حال الضرورة فدل ذكره في غير حال الضرورة على ان ذلك كالمذكور في حال الضرورة وقوله عز وجل فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم اختلف اهل العلم فيما يجب من المثل فقال قوم في الظبي شاة وفي النعامة بدنة وفي حمار الوحشي بقرة واشباه ذلك وقال اخرون المثل قيمة الصيد يقومه عدلان فيوجبان قيمته دراهم فيشتري بتلك الدراهم شاة او يطعم طعاما فيتصدق به على كل مسكين نصف صاع او يصوم عن كل نصف صاع يوما وقال غيرهم ان بلغ دما ذبح شاة وان لم يبلغ دما تصدق به واحتج قولنا ان المثل هو القيمة لا المثل في راي العين ذهبنا في ذلك الى وجوه احدها ان المحرم اذا اصاب صيدا في هذا الوقت حكم بحكمان فلو كان مثل الظبي شاة في كل الدهور والاوقات كان ما تقدم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من الحكم في ذلك كافيا لا يحتاج الى حكم غيرهم فدل اجماعهم على ان حكم الحكمين باق على ان المثل غير موقت بل هو مختلف على قدر الازمنة والمواضع والاوقات واذا جعلنا المثل قيمة كانت الحاجة الى الحكمين قائمة واذا جعلناه هديا فالحاجة اليها زائلة ولا يجوز ان يبطل امر الحكمين وقد ذكره الله في كتابه والثاني ما اجمعوا عليه ان ما لا مثل له في الانعام من الصيد اذا اصابه المحرم فعليه قيمته فاذا كان المثل في بعض الصيد قيمته فهو في كل الصيد قيمته وكذلك روي عن ابن عباس وغيره من السلف رضي الله عنهم انهم قالوا ذلك فان قيل ما لا مثل له من النعم لا يكون قيمته اكثر من قيمته قيل له فيجعل ذلك مثلا فان قال بل قيل فقد صارت القيمة مثلا في بعض الصيد فما منع ان يكون مثلا في كل الصيد فان قال المثل هو الهدي فيما له مثل فاما لا مثل له من الهدي فليس الواجب فيه بمثل انما ذلك قيمة ولم يجب ذلك بنص الكتاب وانما وجب ذلك بنص الكتاب المثل من الهدي فانما وجب قيمته بالاجماع قيل له حدثنا عن قول الله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم هل دخل في عموم الاية الفرخ ونحوه فيكون منهيا عن قتله فان قال نعم قيل فاذا دخل الفرخ في عموم قتل الصيد فهو ايضا داخل في عموم قوله ومن قتله منكم متعمدا الاية فان قال لا يدخل الفرخ في عموم قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم قيل له قد قال الله تعالى ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم فروي ان ذلك في البيض والفراخ فان لم يجعل الفراخ والاشياء منها داخلا في الاية فما معنى الاية ونحن لا نتناول بايدينا من الصيد الا صغاره وما يعجز عن الطيران والعدو منه فالاية توجب ان الصيد كله قد دخل في عمومها ما قلت قيمته وما كثرت وذلك يوجب ان يكون الواجب من قيمة الفرخ والعصفور مثله والله اعلم ولان النعامة لا مثل لها من النعم فمن اوجب فيها بدنة فقد اوجب فيها ما ليس مثلا لها ولا نظيرا ومن اوجب فيها قيمتها فقد اوجب مثلا لها فهو موافق للنص عندنا والله اعلم وكذلك الموجب في الحمامة شاة لا تشبه الصيد المقتول في عينه ولا في صفته ولا في جنسه فهو غير موجب المثل بل الموجب فيه القيمة اقرب الى ايجاب المثل فيه والله اعلم فان قيل كيف يسمى قيمة الشيء مثلا وليست من جنسه وانما المثل ما كان من جنس الشيء قيل قد ذكرنا ان قيمة ما لا مثل له من النعم يسمى مثلا ولان الله قال او عدل ذلك صياما واذا جاز ان يسمى الصيام عدل الطعام جاز ان يسمى القيمة عدلا للصيد او تماما والصيام عدلا للطعام بالتقديم والمثل والعدل في المعنى متقاربان والله اعلم ولان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ولو كان المراد من المثل المنظور في راي العين لم يكن لشرط ذوي عدل فيه معنى لان المثل في راي العين يعرفه كل احد بصير فيه او لم يكن فدل ما شرط من نظر ذوي عدل باطن فيه وخفي لا ما ظهر والله اعلم وقوله عز وجل يحكم به ذوا عدل منكم تاويله ما ذكرنا بنظر الى رجلين عدلين بهما ومعرفة في ذلك فيقومانه ثم يشتري بها هديا ان شاء فيهدي وان لم يبلغ هديا قومت الدراهم طعاما فان لم يجد صام مكان نصف صاع يوما روي عن ابن عباس رضي الله عنه كذلك والحسن وابراهيم والقاسم والسلف جملة وعندنا انه مخير بين هذه الاشياء الثلاثة يفعل اي هذه الثلاثة شاء لان الله تعالى قال في المحصر ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك ولا خلاف بينهم في ان لصاحب الفدية في حلق الراس ان يفعل اي هذه الثلاثة فالواجب ان يكون في جزاء الصيد مثله لان الخطاب يخرج على حرف التخيير وكل خطاب يخرج على حرف التخيير وكان سبب وجوبه واحدا فهو على التخيير نحو كفارة اليمين وما ذكرنا في دفع الاذى عن راسه والله اعلم وقوله عز وجل هديا بالغ الكعبة شرط بلوغ الكعبة وهو لا يبلغ نفس الكعبة فدل ان المراد رجع الى بلوغه قرب الكعبة وعلى هذا يخرج قولهم فيمن حلف انه لا يمر على باب فلان فمر بقرب بابه حنث استدلالا بقوله هديا بالغ الكعبة لم يرد به بلوغ عين الكعبة ولكن قربها او مكانها فعلى ذلك هذا والله اعلم وكان محمد بن الحسن يقول يحكم عليه بمثله من النعم حيث كان وابو حنيفة رضي الله عنه يقول يحكم عليه بقيمة الصيد في الموضع الذي اصابه فيه واختلافهما في هذا يرجع الى ما اختلف فيه من المثل عينا او قيمة وقد روي عن عمر وعبد الرحمن رضي الله عنهما وغيرهما انهم حكموا في الظبي شاة ولم يسالوا عن الموضع الذي اصيب فدل تركهم السؤال عن ذلك على ان المواضع كلها كانت عندهم سواء وانهم اجروه مجرى الكفارات دون القيم لانهم لو اجروا ذلك مجرى ضمان القيم لسالوا عن اماكن الجنايات اذا كان الصيد يختلف قيمته ولا يستوي في ذلك الاماكن كلها فهذا يؤيد قول محمد ومن وافقه واما عند ابي حنيفة رحمه الله ان المهلك للمحرم في الصيد وكل من اتلف ملك الغير او جنى على مال احد وانما ينظر الى قيمته في المكان الذي اتلفه فعلى ذلك النظر في الصيد الى المكان الذي اصابه ثم المسالة

في جزاء الصيد ان يذبح عندهم جميعًا لا يجوز ان يذبح الا بمكة لانه لو جاز ان يذبح في غير الحرم حيث شاء زالت
فائدة قوله هديًا بالغ الكعبة وليس في ذلك بينهم خلاف واما الاطعام والصيام فان الله عز وجل لم يذكر فيهما موضعًا
ولا جعل لهما مكانًا فله ان يطعم وان يصوم حيث شاء فان قيل ان الهدي يذبح في الحرم لمنفعة اهل الحرم بره وتصدقه
بره عليهم فعلى ذلك الاطعام يجب ان يطعم اهل الحرم لانه جعل لمنفعة ثم قيل لا خلاف بينهم انه لو ذبح الهدي في غير الحرم
ان لا يجوز دل انه لا لما ذكر ولكن لما الهدايا لا تذبح الا بمكة الا ترى من قال لله تعالى عليه ان يهدي ليس له ان يذبح الا
بمكة ولو قال عليه الاطعام والصدقة له ان يتصدق حيث شاء دل ان الهدي مخصوص ذبحه بمكة لا يجوز في غيره
فاما الصدقة فانها تجوز في الاماكن كلها لذلك افترقا والله اعلم وقوله عز وجل ليذوق وبال امره اي لينال امره
والمه كما نال لذته وقيل جزاء ذنبه وهو الكفارة وقوله تعالى عفا الله عما سلف اذا تاب ورجع عما استحل من قتل
الصيد وهو كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله عز وجل ومن عاد فينتقم الله منه اي من عاد الى
استحلال الصيد في الحرم ينتقم الله منه في النار ويحتمل من عاد الى قتل الصيد ينتقم الله منه بالكفارة وقوله عز وجل
والله عزيز ذو انتقام اي لا يعجزه شيء ويقال عزيز اي كل عز عنده عزه ذل وغنى اي كل غنى عنده غناه فقر ونحوه
والله اعلم وقوله عز وجل احل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا
اخبر الله تعالى ان صيد البحر وطعامه حلال للمحرم ثم اختلف اهل التأويل في تأويله قال بعضهم صيده ما صيد وطعامه
ما قذفه البحر كذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه قال صيده ما صيد وطعامه ما قذف وعن ابي بكر وابن عباس
رضي الله عنهما قالا وطعامه ما قذف وقال بعضهم صيده ما اخذ طريًا وطعامه مليحه قوله عز وجل متاعًا لكم اي منفعة
لكم اي للحاضر وللسيارة اي للمسافر وعن بعضهم صيده ما صيد طريًا وطعامه ما تزودت في سفرك ثم يجيء على قول
اصحاب الظواهر ان يكون كل صيد البحر وطعامه حلالًا مباحًا بظاهر قوله احل لكم صيد البحر وطعامه الآية وكذلك ما
روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال الطهور ماؤه والحل ميتته انه لم يخص ميتة دون ميتة ولا طعامًا دون طعام غير
ان المراد عندنا رجع الى السمك خاصة ما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال احلت لنا ميتتان ودمان اما الميتتان فالجراد
والسمك دل الخبر ان المراد من الآية والخبر رجع الى السمك والله اعلم وقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا
عن ابن عباس رضي الله عنه قال هي مبهمة لا يحل لك ان تصيده ولا ان تأكله وروي عن علي رضي الله عنه وهو محرم انه دعي
الى طعامه فقرب اليه يعاقيب وحجل فلما راى ذلك علي قام وقام معه ناس فقيل لصاحب الطعام ما قام هذا الا
معه الا كراهية لطعامك فارسل اليه فجاء فقال ما كرهت من هذا ما اشرنا ولا امرنا ولا صيد لنا قال علي رضي الله عنه
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا ثم انطلق وعن عثمان رضي الله عنه مثله وقريبًا منه واما عندنا فانه
يحل للمحرم ان يأكل لحم الصيد اذا لم يصد هو ولا صيد له ما روي عن ابي قتادة رضي الله عنه انه كان مع النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اذا كان ببعض الطريق بمكة تخلف مع اصحاب له محرمين وهو غير محرم فراى حمارًا وحشيًا فاستوى
على فرسه فسأل اصحابه ان يناولوه سوطًا فابوا فسألهم رمحه فابوا فاخذه ثم اشتد على الحمار فقتله فاكل منه بعض اصحا[به]
وابى بعضهم فلما ادركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذلك فقال انما هي طعمة اطعمكموها الله سبحانه
وقال هل معكم من لحمه شيء وفي خبر اخر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال عقر ابو قتادة حمار وحش ونحن
محرمون وهو حلال فاكلنا منه ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر عن ابي قتادة رضي الله عنه قال
اني اصبت حمار وحش وعندي منه فقال للقوم كلوا وهم محرمون وفي بعض الاخبار عن جابر بن عبد الله قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد البر حلال لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد لكم رخص النبي صلى الله
عليه وسلم في اكل لحم الصيد للمحرم اذا لم يصد ولم يصد له وبذلك اخذ اصحابنا وفي الآية دليل لقولنا وهو قوله تعالى
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقال وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرمًا فمنعنا والله اعلم اصطياده الا ترى ان صيد
ما لا يؤكل لحمه محظور فدل ذلك على ان الآية نزلت في الاصطياد لا في اكل لحمه لان لحم الصيد من ان يصاد فالتحريم
غير واقع عليه ليس كالبيض لان البيض قد يصير صيدًا واللحم ليس كذلك ولان المحرم لو اتلف البيض غرم قيمتها
ولو اتلف لحم الصيد لم يضمن شيئًا فما لزمه الضمان منع عن اكله وما لم يلزمه لا ولانه لو حرم على المحرم التناول
من لحم صيد صاده حلال يجب ان يحرم على اهل مكة التناول منه اذ هم اهل حرم الله وذلك بعيد فاخذ اصحابنا
رحمهم الله تعالى بما روينا من الاخبار عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من حديث ابي قتادة وغيره وبما
دل عليه ظاهر الكتاب وهو قول عمر وعثمان وغيرهم رضي الله تعالى عنهم فان قيل روي عن ابن عباس رضي
الله عنه عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى المحرم عن لحم الصيد وفي خبر اخر عن زيد بن ارقم رضي
الله عنه قال اهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عضوًا من لحم صيد فرده فقال انا حرم لا نأكله وفي خبر
اخر انه سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن محرم اهدي له لحم صيد قال لا تأكل منه لكن هذا الحديث يجوز ان يحمل
على ان كان صيد بعد ان احرم او ان يكون صيد من اجله واذا صيد من اجله لم يحل له اكله دليله من خبر عثمان
رضي الله عنه ما امرت بصيد ولا صيد من اجلي وخبر جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لحم صيد البر حلال لكم وانتم حرم ما لم تصيدوه او يصاد لكم ثم المسألة في معرفة صيد البر من البحر قال بعضهم
ما كان يعيش في البر والبحر فلا تصده وما كان حبوته في الماء فذاك البحري وقال اخرون اكثر ما يكون في الماء

حتى يفرخ وقال غيرهم صيد البر هو الذي ان اخذه الصائد حيًا فمات في يده لم يحل اذا ادرك ذكوته الا بتركيته فكل ما كان
هذه صفته فهو البري وان كان قد يعيش في الماء وما كان الصائد ياخذه حيًا وهو يعيش في الماء فمات في يده
اكله فذلك صيد البحر وذلك السمك وفي ذلك وجه اخر وهو ان كل ما القاه البحر وقذفه فمات تحل لنا اكله فذلك
طعامه وان لم يحل اكله فليس بطعامه فما كان طعامه والقاه فمات فهو اذا صيد البحر وما لا يحل اكله اذا القاه
فليس بصيد البحر اذا صيد لان الله اباح صيد البحر وطعامه فما ليس بطعامه اذا القاه فمات فليس بصيد اذا
اخذ حيًا والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله في استحلال قتل الصيد في الحرم واتقوا الله في اخذ الصيد في حال
الاحرام بعد النهي واتقوا الله في كل ما لا يحل الذي اليه تحشرون فتجزون باعمالكم ان خيرًا فخير وان شرًا فشر ويحتمل
قوله اليه تحشرون اي الى حكمه تصيرون كقوله تعالى له الحكم واليه ترجعون والله اعلم جعل الله الكعبة البيت
الحرام قيامًا للناس الآية اختلف فيه قال بعضهم قوله تعالى قيامًا للناس اي ثباتًا للناس ودوامًا لان الله تعالى جعلها
موضعًا لاقامة العبادات من نحو الحج والطواف والصلوة واراقة الدماء والهدايا وغير ذلك من العبادات
ثم ان تلك العبادات جعلها ثابتة دائمة لا تبدل لا تنسخ ابدًا فذلك معنى القيام للناس والله اعلم وقال
بعضهم قيامًا بمعنى قوامًا اي جعلها قوامًا لهم في معاشهم ومعادهم لانه جعلها مأمنًا لهم وملجأ حتى ان من ارتكب
كبيرة او جرم جريمة ثم لجأ اليه لم يتعرض له بشيء من ذلك ولا يتناول منه وكانوا اذا وجدوا هديًا مقلدًا
لم يتعرضوا له وان كانت حاجتهم اليه شديدة ونحو هذا كثير مما يطول ذكره وجعل فيها عبادات وبقصد
ما لم يجعل في غيرها من البقاع من القضاء المناسك وغيرها وكذلك الشهر الحرام كان جعله مأمنًا لهم اذا دخلوا فيه
يأمنون من كل خوف كان بهم وجعل في الهدايا والقلائد منفعة لاهلها فكان في ذلك قوامًا لهم في معاشهم
ومعادهم وعن سعيد بن جبير قال الله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس شدة لدينهم وقوله عز وجل ذلك
لتعلموا اي ذلك الامن وما ذكرنا من جعل الكعبة قوامًا لهم في معاشهم ومعادهم لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما
في الارض اي علم جعل هكذا قبل ان يكون وقال بعضهم قوله ذلك اي ما سبق ذكره من تحريف الكتب وتغييره وتبديل
نعته صلى الله عليه وسلم وصفته اي على علم منه بالتحريف والتبديل خلقكم لا عن جهل امتحنكم لما يضيع كفر كافر
ولا ينفعه ايمان مؤمن بل حاصل ضرر الكفر يرجع الى الكافر وحاصل نفع الايمان يرجع الى المؤمن
وقوله عز وجل واعلموا ان الله شديد العقاب اي اعلموا انه شديد العقاب لمن عصاه وخالف امره على ما علمتم انه
عن علم منه كان جميع ما كان وان الله غفور رحيم واعلموا ايضًا ان الله غفور رحيم لمن تاب واناب اليه وشديد
العقاب الان من العقوبات ما ليس بشديد وخاصة عقوبة الاخرة لا انقضاء له ولا فناء لذلك وصف بالشدة
والله اعلم وقوله عز وجل ما على الرسول الا البلاغ فيه وجهان احدهما ردًا على من يقول ان الموعظة لا تنفع و
لا تنجع فيه اذا لم يكن الواعظ مستعملًا لما يعظ غيره اذ ليس احد من الخلق اشد استعمالًا من الرسل عليهم الصلوة والسلام
ثم لا تنفع مواعظهم وذكرهم قومهم ولا تنجع فيهم لشرهم ولشدة تعنتهم والثاني انباء ان على الرسل الا البلاغ
ولا ضرر عليهم بترك القوم اجابتهم كقوله تعالى فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا
وما على الرسول الا البلاغ المبين وقوله عز وجل والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ما تبدون من العداوة لمحمد صلى
الله عليه وسلم ولاصحابه وبنصب الحرب والقتال معهم وما تكتمون من المكر له والقصد لقتله كقوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله الآية كانوا يمكرون ويقصدون
قصدًا هلاكه لكن الله عز وجل اطلع رسوله على مكرهم واخبر انه يعصمه من الناس وقال الله عز وجل كلما اوقدوا
نارًا للحرب اطفأها الله ويسعون في الارض فسادًا وقوله عز وجل قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك
كثرة الخبيث الآية يحتمل وجهين احدهما خرج عن سؤال قد سبق منهم عن كثرة الاموال لما راوا اولئك كانوا
يستكثرون ويجمعون من حيث يحل ولا يحل تمالت انفسهم الى ذلك ورغبت فقال لا يستوي الخبيث والطيب
كانه قال ان القليل من الطيب خير من الكثير من الخبيث والله اعلم والثاني انهم رغبوا في عبادة اولئك من الترهب
والاعتزال عن الناس لدفع اذى انفسهم عنهم وكثرة ما كانوا يتحملون من الشدائد والمشقة فرغبوا في ذلك
وهموا على ذلك على ما ذكر في القصة عن بعض اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انهم هموا ان يترهبوا ويعتزلوا
من الناس فقال قل لا يستوي الخبيث والطيب ان العمل القليل مع اصل طيب خير من الكثير مع خبث الاصل وقوله
عز وجل فاتقوا الله في مخالفة امره ونهيه يا اولي الالباب فيه دلالة ان الله لا يخاطب احدًا الا من كل عقله ثم
وبالله العصمة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم يحتمل ان يكون النهي عن السؤال
عن اشياء خرج عن اسولة كانت منهم لم يكن لهم حاجة اليها فنهوا عن ذلك الى ان يقع لهم الحاجة فعند ذلك يسئلون كانهم نهوا
عن البيان والايضاح قبل ان يحتاجوا اليه الا ترى انه قال وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الآية ويحتمل ان يكون
خرج النهي عن السؤال ابتداء على غير تقدم سؤال كان منهم ولكن نهوا عن السؤال عنها ثم يحتمل بعد هذا ان كان على ابتداء
سؤال كان من اهل النفاق يسألون سؤال تعنت لا سؤال استرشاد ويسألون منه ايات بعد ما ظهرت لهم وثبت عندهم
الحجج وعرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان النهي للمؤمنين فهو ما ذكرنا من سؤال البيان قبل وقوع الحاجة
اليه وقيل نزلت في قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء قال احدهم من ابي وقال الاخر اين انا قال انت

ابن جلان ونحو ذلك من الاسؤلة فنهوا عن ذلك وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج فقال رجل في كل عام يا رسول
الله لو قلت نعم صار مفروضا فاذا صار مفروضا تركتم جحدتم كفرتم لان من جحد فرضا مما فرضه الله كفر وكلام نحو هذا وقد
ان يعتبر هذا انه كان في كذا فليس في كتاب الله بيان سوى ان فيه النهي من سؤال ما لا يحتاج اليه وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال لا تسألوا عن اشياء قد عفى الله عنها ان تبد لكم تسؤكم اي نظهر لكم تسأكم اي امرتم العمل بها والله اعلم بذلك وقوله
عز وجل قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين هذا يدل على ان النهي عن السؤال في الاي لاحد شيئين اما ان تسألوا الآيات
عنه بعدما ظهرت وثبت لهم رسالته فلما اتى بها كفروا بها الا ترى انه قال قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وقد كان
الامم السالفة يسألون من الرسل عليهم الصلوة والسلام الايات بعد ظهورها عندهم ويحتمل ما ذكرنا من قولهم ابن
نحن ومن ابي ومن انا ونحوه فلما ان اخبرهم بذلك كفروا به والله اعلم وقوله عز وجل ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام اي ما جعل الله قربانا مما جعلوا هم لانهم كانوا يجعلون ما ذكر من البحيرة والسائبة وما ذكر قربانا
يتقربون بذلك الى الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها دون الله فقال ما جعل الله من ذلك شيئا مما جعلتم انتم
من البحيرة والسائبة فقوله ما جعل الله من بحيرة وما ذكر اي ما امر بذلك ولا اذن بها قيل حرم اهل الجاهلية هذه
الاشياء منها ما حرموه على نسائهم دون رجالهم ومنها ما حرموه على الرجال والنساء ومنها ما جعلوه لالهتهم
ثم قيل البحيرة ما كانوا يجدعون اذانها ويدعونها لالهتهم والسائبة ما كانوا يسيبونها والوصيلة ما كانت
الناقة اذا ولدت ذكرا وانثى في بطن قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوها تركوها لالهتهم قال ابو عبيدة البحيرة اذا
نتجت خمسة ابطن قطعت اذانها وتركت والسائبة اذا ولدت خمسة ابطن سيبت فلا ترد عن حوض ولا علف
والوصيلة من الغنم اذا ولدت عناقين تركا واذا ولدت عناقا وجديا قالوا وصلت العناق الجدي وتركا واذا
نتجت ذبح والحامي اذا نظر الى عشرة من ولده قيل حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه شيء وقال مجاهد ولا حام اذا
ضرب الجمل من ولد البحيرة فهو الحامي والحامي اسم والسائبة من الغنم على نحو ذلك الا انها ما ولدت من ولد بينها وبين
ستة اولاد كانت على هيئتها فاذا ولدت السابع ذكرا وذكرين نحرا فاكله رجالهم دون نسائهم وان اتأمت بذكر و
انثى فهو وصيلة بترك ذبح الذكر بالانثى وان كانتا انثيين تركتا وقال القتبي البحيرة الناقة اذا نتجت خمسة ابطن
والخامس ذكر نحر فاكله الرجال والنساء وان كان الخامس انثى شقوا اذنها وكان حراما على النساء ولبنها فاذا ماتت
حلت للنساء والسائبة البعير يسيب بنذر يكون على الرجل ان سلمه الله من مرضه او بلغه منزله ان يفعل ذلك والو
الوصيلة من الغنم كانوا اذا ولدت الشاة سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبح فاكل منه الرجال والنساء
وان كانت انثى تركت في الغنم وان كان ذكرا قالوا وصلت اخاها فلم يذبح لمكانها وكان لحومها حراما على النساء ولبن
الانثى حراما على النساء الا ان يموت منهما شيء فيأكله الرجال والنساء والحامي الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا نتج
من صلبه عشرة ابطن قالوا حمى ظهره ولا يركب ولا يمنع من كلاء ولا ماء كانوا يحرمون الانتفاع بما ذكرنا ويقولون
ان الله حرم ذلك علينا وهو ما ذكر في اية اخرى قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام فقالوا هذا لله
بزعمهم وهذا لشركائنا الاية يحرمون اشياء على انفسهم ويضيفون تحريمها الى الله ثم سفه احلامهم بقوله
ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين لم يكن
تحريمهم هذه الاشياء بالسمع ولكن رأيا منهم وتحكما فاحتج الله عليهم على ذلك الوجه ليظهر فساد قولهم
من الوجه الذي ادعوا فقال قل الذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا الذكرين فقد كان من الذكر ما لم يحرم فان قالوا
انثى فقد كان من الانثى ولم يكن فيها تحريم ففيه دليل ان الحكم اذا كان بعلة يجب وجوب ذلك الحكم ما كانت تلك العلة
قائمة والله اعلم وقوله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا الاية
كانها نزلت في مشركي العرب وكانوا اهل تقليد لا يؤمنون بالرسل ولا يقرون بهم انما يقلدون اباءهم في عبادة
الاوثان والاصنام فاذا ما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما انزل الله او دعاهم احد الى ذلك قالوا
حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون ونحو ذلك يقلدون اباءهم في ذلك فقال الله عز وجل
ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون اي تتبعون اباءكم وتقلدونهم وان كنتم تعلمون ان اباءكم
لا يعلمون شيئا في امر الدين ولا يهتدون وكذلك قوله قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم وتقتدون
بهم وان جئتكم باهدى مما كان عليه اباءكم يسفههم في احلامهم في تقليدهم اباءهم وان ظهر عندهم انهم على ضلال
وباطل وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ظن بعض الناس ان الاية رفعت
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعة في ترك ذلك وليس فيه رفع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن فيه
انباء ان ليس علينا فيما يرد ولا يقبل من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر شيء وهو قوله تعالى عليك من حسابهم من
شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله تعالى فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية ليس فيه رخصة ترك تبليغ الرسالة
اليهم ورفعه عنهم ولكن اخبار انه ليس عليه فيما يرد وترك القبول شيء وكقوله ان عليك الا البلاغ فعلى ذلك الاول
والله اعلم ويحتمل ان يكون في الاية ليس فيه رخصة دليل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه قال لا يضركم من ضل
بترك قبول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا اهتديتم انتم بالامر والنهي عن المنكر بل الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر واجب وبذلك وصف الله هذه الامة بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون

اي ان نظهر لكم تأمركم بالعمل بها ساءكم شرح

عن المنكر

عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن
المنكر فليس منا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي وقد حفزه النفس فتوضأ ثم
خرج الى المسجد فقمت من وراء الحجاب فصعد المنبر ثم قال ايها الناس ان الله يقول مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر
قبل ان تدعوني فلا اجيبكم وتسألوني فلا اعطيكم وتستغيثوني فلا اغيثكم وتستنصروني فلا انصركم وعن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقاب ويقوله لولا ينهاهم الربانيون و
الاحبار عن قولهم الاثم الاية ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على مراتب مع الكفرة بالقتال والحرب
ومع المؤمنين باليد واللسان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب فرض ما لم يدخل في ذلك فساد ويصير الامر به
والنهي عنه منكرا فاذا اخشوا ذلك يرخصوهم الترك والا روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قولوها
ما لم يكن دونها السيف والسوط فاذا كان دونها السيف والسوط فعليكم انفسكم وقوله عز وجل الى الله مرجعكم جميعا
الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والذي يرد عليه المعروف والنهي عن المنكر فينبئكم بما كنتم تعملون خرج على الوعيد
والتحذير وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم
او اخران من غيركم الاية اختلف فيه عن قتادة قال رجل مات بقرية من الارض وترك تركة واوصى وصية واشهد
على وصيته رجلين فان اتهما في شهادتهما استحلفا بعد صلوة العصر وكان يقال عندها يصبر الايمان فان عثر على
اطلع منهما على خيانة على انهما كتما او كذبا وشهد رجلان ذوا عدل منهما بخلاف ما قالا اجيزت شهادتهما و
ابطلت شهادة الاولين اثنان ذوا عدل منكم من المسلمين او اخران من غيركم من اهل الكتاب اذا كان ببلد لا يجد
الا هؤلاء وعن الحسن قال اثنان ذوا عدل منكم اي من عشيرتكم او اخران من غير عشيرتكم فيقول ان الحق على
المسلم اذا اراد ان يوصي ان يسند الوصاية الى احد عشيرته وكذلك يشهد على ذلك من اهل عشيرته لانهم اهل خبرة
احفظ لذلك واحوط واكثر عناية واقوم للشهادة ولذلك الاجنبيان فان قال قائل خاطب الله عز وجل المؤمنين
جملة بقوله يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم الاية فكيف يحتمل ان يكون قوله او اخران من غيركم من غير دينكم فنقول
سبحان الله ما اعظم هذا القول يرد شهادة موحد مخلص دينه لله لفسق يرتكبه ويامر بقبول شهادة كافر كاذب
قال على الله بالولد والشريك هذا مما لا يحتمل وقال ايضا تحبسونهما من بعد الصلوة وهم كانوا يستهزؤن بالصلوة
اذا نودي لها بقوله واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا دل انه لا يحتمل ما ذكروا وعن سعيد بن جبير في
قوله او اخران من غيركم قال اذا حضر المسلم الموت في السفر فلم يجد مسلمين فاوصى الى اهل الكتاب فان جاءا بتركته
فاتهموا احلف هؤلاء ان متاعه كذا وكذا واخذوه وبعض الناس يجيزون شهادة النصارى واليهود في السفر
في الوصية بظاهر الاية وقال مجاهد او اخران من غيركم من غير ملتكم وعن عامر الشعبي قال شهد نصرانيان على
وصية مسلم مات عندهم فارتاب اهل الوصية فاتوا بهما الى ابي موسى الاشعري فاستحلفهما بعد صلوة العصر
بالله ما اشتريا به ثمنا قليلا ولا كتما شهادة الله انا اذا لمن الاثمين ثم قال ابو موسى الاشعري والله ان هذه القصة
ما قضي بها منذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم قد بين الشعبي ان ابا موسى انما استحلفهما فيما
اتهمهما به من ترك الميت وهذه يمين واجبة عند المسلمين جميعا ولم يحلفهما على ان ما شهدا به كما شهدا به كما زعم
قوم ان شهادتهما تصح بيمينهما وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال خرج رجل من المسلمين فمر بقرية ومعه
رجلان من المسلمين فدفع اليهما ماله ثم قال ادعوا لي من اشهد على ما قبضتما فلم يجدوا احدا من المسلمين في تلك
القرية فدعوا ناسا من اليهود والنصارى واشهدهم على ما دفع اليهما ثم ان المسلمين قدما الى اهله فدفعا ما
له الى اهله فقال الورثة لقد كان معه من المال اكثر مما اتيتما فاستحلفوهما بالله ما دفع اليهما غير هذا ثم قدم
ناس من اليهود والنصارى فسألهم اهل الميت فاخبروهم انه هلك بقريتهم وترك كذا وكذا من المال فعلم اهل
المتوفى ان قد عثروا على ان المسلمين قد استحقا اثما فانطلقوا الى ابن مسعود فاخبروه بالذي كان من امرهم
فقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من كتاب الله من شيء الا قد جاء على الدلالة الا هذه الاية فالان
جاء تأويلها فامر المسلمين ان يحلفا بالله لا نشتري به ثمنا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا
لمن الاثمين ثم امر اليهود والنصارى ان يحلفوا بالله لقد ترك من المال كذا وكذا ولشهادتنا احق من شهادة
هذين المسلمين وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ثم امر اهل الميت ان يحلفوا بالله ان كان ما شهدت به اليهود
والنصارى حق فحلفوا فامرهم ابن مسعود ان يأخذوا من المسلمين ما شهدت به اليهود والنصارى وكان ذلك
في خلافة عثمان بن عفان فان ثبت هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو خلاف ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال لو يعطى الناس بدعواهم لادعى قوم دماء قوم واموالهم لكن البينة على المدعي واليمين
على المدعى عليه وهو ايضا غير مستوفي لظاهر الاية فلا نراه ثبت هذا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
كان رجل يقال له تميم الداري وعدي بن بداء يختلفان الى مكة في التجارة فخرج رجل من بني سهم فتوفي بارض
ليس فيها مسلم فاوصى اليهما فدفعا تركته الى اهله وحبسا جاما من فضة فاستحلفهما رسول الله ما كتمتما و
لا اطلعتما ثم عرف الجام بمكة فقالوا اشتريناه من عدي وتميم فقام رجلان من اولياء السهمي ولشهادتنا احق

من شهادتهما فاخذ والجام وفيهم نزلت هذه الاية وفي الحديث ان اليمين وجبت على المدعى عليهم لما ادعى عليهم الورثة
انهم تركوا بعض تركة الميت وفيه ان الاناء لما ظهر ادعى تميم وصاحبه وهذا ان حكمان موافقان لسائر الاحكام والتنزيل
لما كان الامر كما ذكر في هذا فليس في الاية نسخ ولا فيها ما يخالف الاحكام الظاهرة وليس يجوز عندنا ان يحلف الشاهد
اذا كانا كافرين مع شهادتهما لان ظاهر الاية تنسخ ولا فيها الاحكام يوجب اليمين على العدلين منا ومن غيرنا فلما لم
يجز ان يحلف الشهود المسلمين على الوصية التي يشهدون لها وانما يحلفون على شيء ان ادعوا انهم حبسوه شيئا كان
كان سبيل الكفار كذلك واذا كانت الاية نزلت في قصة تميم وصاحبه وكانا نصرانيين فان ذلك يدل على ان شهادة
بعضهم على بعض جائزة لان الله تعالى قال اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم فمعنى الاية على هذا التاويل والله اعلم
ان يكون الميت يحلف تركته عند ذميين على ما ذكر في القصة وقال لا ترك في ايديهما كذا وكذا وادعى الورثة اكثر من ذلك
فاستحلف الذمي قبلهم وقوله تحبسونهما على هذا التاويل هو المدعى عليهما وقوله عز وجل فان عثر على انهما استحقا
اثما يريد والله اعلم ان يشهد عليهما شاهدان منا ومنهم بشيء جحداه انه من تركة الميت فهذا استحقاق الورثة
فاذا قال المدعى قبلهما اشتريناه من الميت فعلى الورثة ان يحلفوا فهذا والله اعلم معنى قوله فاخران يقومان مقامهما
لان الورثة صاروا مدعى عليهم فقاموا في هذه الحال في وجوب اليمين عليهم مقام الاولين لما كانت الاولين لما كا
المدعى عليهم فهذا والله اعلم اقرب الوجوه في تاويل الاية واشبهها وهو ان شاء الله معنى ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه وان لم يذكر تفسير قوله من غيركم وهو والله اعلم على غير دينكم لانه ذكر المؤمنين جملة واصحابنا لا يجيزون
شهادة اهل الكفر في الوصية لمسلم لا في ضرورة ولا في غيرها لانهم مع اختلافهم اتفقوا في ان شهادة الكفار لا
تجوز على غير الوصية في حال ضرورة ولا في غيرها فشهادتهم في الوصية على المسلمين مثل ذلك وامكن ان يكون تاويل
الاية شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم في بيان ما يجوز شهادة ذوي العدل
منا في الحضر والسفر في الوصية وفي غير الوصية كقوله واشهدوا ذوي عدل منكم وقوله تعالى واستشهدوا شهيدين
من رجالكم الاية هذا في السفر ولكي في الدين وغير الدين سواء فعلى ذلك الاول ثم ابتداء الحكم في غيره فقال او اخران
من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فان قيل فما معنى قوله ذلك ادنى
ان يأتوا بالشهادة على وجهها قيل في ذلك بيان ان المؤتمن اذا ادعيت عليه الخيانة وقال هو قد رددت ما كان في
يدي فانه لا يصدق الا بعد ان يحلف فاذا علم انه لا يقبل قوله الا بيمين كان احرى ان يقول حذرا من ان يحلف على
كذب او يقرخوفا من الاثم في اليمين فتتبين خيانته فان قيل ما معنى قوله تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله
ان ارتبتم قيل يحتمل ان يكون على زيادة التغليظ في اليمين وللحاكم ان يغلظ في اليمين على الخصم اذا اتهمه باكثر من هذا
وهو ان يحضر يمينه جماعة اذا سأل الخصم ذلك او ذكر بعد الصلوة لما كان ذلك الوقت هو وقت الجلوس الحاكم بعد صلوة
الفجر او بعد صلوة العصر لا على التغليظ وان كانت الاية نزلت فيما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في نصرانيين فقد يجوز
ان يكون الله امر بذلك تغليظا عليهما وهما تميم وصاحبه اذ كانوا يعظمون وقت غروب الشمس وما قرب من ذلك
ووقت طلوعها لانه وقت عبادتهم اياها والله اعلم وقوله عز وجل فان عثر على انهما استحقا اثما قال بعضهم فان اطلع منهما
على خيانة انهما كتما وكذبا فالخاء اخران يشهدان على غير ما شهدا عليه اجيزت شهادة الاخرين وابطلت شهادة الاولين
قال القتبي فان عثر اي ظهر وقال ابو عوسجة قوله فان عثر اي علم واطلع عليه يقال عثرت على فلان وعلى ما يفعل فلان
اي علمت به واطلعت عليه اعثر عثرا وكذلك اعثرنا عليهم في سورة الكهف من هذا اي اطلعنا عليهم واعلمناهم مكانهم
ويقال اعثرت فلانا على سر فلان اي اعلمته ثم وعظ الله المؤمنين وحذرهم ان يفعلوا مثل ذلك فقال واتقوا الله و
اسمعوا موعظة والله لا يهدي القوم الفاسقين ما داموا في فسقهم او قال ذلك لقوم علم الله منهم انهم لا يرجعون
من ذلك ابدا وقوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب دل انه لا لما
ذكروا ولكن للوجهين قال اهل التأويل بل انما يقولون ذلك لفزعهم من هول ذلك اليوم وشدته تطير قلوبهم وتذهل
افئدتهم فيقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب فلو كان ذلك منهم للهول والفزع على ما قال اهل التأويل لكان
لا يتهيأ لهم الاجابة وقد قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب دل انه لا لما ذكروا ولكن للوجهين الاخرين والله اعلم
احدهما ان سألهم عن حقيقة اجابة قومهم لهم بالضمائر او لم تطلعنا على علم الضمائر والغيوب فانت اعلم بذلك والثاني ان احدثوا
امورا وابدعوها من ذات انفسهم فنسبوا ذلك الى الرسل كقوله تعالى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته الى قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به كانهم قالوا ان
عيسى صلوات الله على نبينا وعليه هو الذي دعاهم الى ذلك فيقول لهم ماذا اجبتم فقالوا لا علم لنا فيما ادعوا علينا من الامور
التي اتوها انك انت علام الغيوب بالا نقل لهم ولم ندعهم الى ما ادعوا من الامور على هذين الوجهين يخرج تأويل الاية
والله اعلم ومثل هذا السؤال لهم ما اخبر في اية اخرى انه سألهم كقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين يسأل
الرسل عن تبليغ الرسالة الى قومهم ويسأل قومهم من اجابتهم لهم ليقطع احتجاجهم وان لم يكن امر الحجاج وقوله عز وجل اذ قال
الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اما نعمه عليه ما ذكر على اثره اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد و
كهلا الى قوله اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت الاية تشهد في حال طفوليته بوحدانية
الله وربوبيته واخلاص عبوديته له وذلك من اعظم نعم الله عليه واجل منه وما ذكر ايضا واذ علمتك الكتاب

والحكمة

والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني الى اخر ما ذكر من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وكف بني اسرائيل عنه عند مجيء الايات وهو كقوله تعالى والله يعصمك من الناس فقيه اعظم النعم عليه وما ذكر ايضا في
بعض القصة ان ثبت ان عيسى لما دفع الى الكتاب جعل له المعلم يقول له باسم فيقول هو بسم الله واذ قال المعلم باسم
الله فيقول هو الرحمن واذ قال الرحمن فيقول هو الرحيم فيقول المعلم كيف اعلم من هو اعلم مني ونحو هذا كثير مما يكثر ويطول
ذكرها واما ما انعم الله على والدته هو ما ذكر في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا
كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الاية وما ذكر في قوله يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين طهرها عن جميع ما تبلى به بنات ادم فذلك من اعظم النعم واجل المنن ثم امر عيسى بشكر ما انعم عليه
وعلى والدته حيث قال اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك وفي ذكر النعم شكرها وامر ايضا بشكر ما انعم على والدته
ليعلم ان على المرء شكر ما انعم على والدته كما يلزم شكر ما انعم على نفسه وقوله عز وجل اذ ايدتك بروح القدس اختلف
فيه قال بعضهم بروحه المبارك الذي اعطي في حال طفوليته بركان يدعو الناس الى توحيد الله وعبادته له
وقيل ان روح القدس هو الدعاء المبارك الذي به كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص بدعائه وقال اهل
التأويل الروح جبريل والقدس هو الله كقوله تعالى نزل به الروح الامين اي جبريل وقوله عز وجل واذ علمتك
الكتاب والحكمة قال الحسن الكتاب والحكمة واحد الكتاب هو الحكمة هي الكتاب لان جميع كتب الله كان حكمة وقال
بعضهم الكتاب ما يكتب من العلم والحكمة هي ما يعطى الانسان من العلم على غير تعلم وقال بعضهم الكتاب هو ما
يحفظ والحكمة هي الفقه وهو واحد وقوله عز وجل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني وقوله واذ تخلق
من الطين اي تصور وتقدر من الطين كهيئة الطير كان من عيسى ليكون له اية لصدقه وبنوته وعلى ذلك
الايات التي يأتي بها الرسل ليست الرسل يأتون بها في الحقيقة بل كان الله هو الاتي بها والمنشئ لتلك الايات
حقيقة لكنه جرها على ايدي الرسل ليكون ايات صدقهم ودلالات رسالتهم فاما ان يأتي الرسل بالايات
والحجج من عند انفسهم فلا وقوله عز وجل تخلق ذكر التخليق لما تسمي العرب تصوير الشيء تقديره تخليقا
فعلى ذلك خرج الخطاب وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وتبرئ الاكمه قيل الاكمه الذي يولد اعمى
واما الاعمى فهو الذي يذهب بصره بعدما كان بصيرا وقيل الاكمه هو الذي لا حدقة له وهو ما ذكرنا
والله اعلم وقوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين والحواريون قيل هم خواصه وكذلك اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم هم حواريه وقد ذكرنا هذا في سورة ال عمران الاختلاف فيه ثم قوله اوحيت الى
الحواريين يحتمل الوحي اليهم ويحتمل احدهما انه اوحي الى رسوله عيسى عليه الصلوة والسلام فنسب ذلك
اليهم واضيف لان الوحي الى عيسى كالوحي اليهم كقوله تعالى قولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وما انزل
على كذا ما انزل الى رسول الله كالمنزل الينا فعلى ذلك الوحي الى عيسى هو كالوحي اليهم والثاني اوحي اليهم وحي
الهام كقوله واوحى ربك الى النحل الاية وقوله تعالى واوحينا الى ام موسى ونحوه انه وحي الهام وقد لا وحي
رسالة والقذف في القلب من غير تكلف ولا كسب وهو الاخطار بالقلب على الشرعة ان امنوا بي وبرسولي
والخطر يكون من الله تعالى ويكون من الشيطان لكن ما يكون من الله تعالى يكون خيرا يتبين ذلك في اخره وقوله عز وجل
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون يحتمل ويحتمل قالوا لعيسى واشهد انت عند ربك باننا مسلمون ويحتمل ان
لا سألوا ربهم ان يكتبهم من الشاهدين كقوله تعالى امنا فاكتبنا مع الشاهدين وقوله عز وجل اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف فيه قيل ان قوما من الحواريين
قد قلنا انهم كانوا خواص عيسى عليه السلام فكان من بدت له حاجة الى بعض الملوك فانه انما يرفع اولا
الى خواصه فهم الذين يتولون رفعها الى الملك فعلى ذلك رفعوا حاجتهم الى الحواريين ليسألوهم نبي الله عيسى
عليه السلام ليسأل ربه وقال اخرون لم يسألوا قومهم ذلك ولكن الحواريين هم الذين سألوا عيسى عليه
السلام ان يسأل ربه حتى ينزل عليهم مائدة من السماء لكن سألهم ذلك يحتمل سألوا ذلك لما ارادوا ان يشاهدوا
الاية ولم يكونوا شاهدوا قبل ذلك فاحبوا ان يشاهدوها وان كانوا قد امنوا به وصدقوه من قبل ليزدادوا بذلك
طمانينة ويقينا وهو كقول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
لا يحتمل ان نفسه كانت تحدث وتنازع في ذلك واحب ان يعاين ذلك ويشاهده ليزداد له طمانينة ويقينا فعلى ذلك
اولئك كان انفسهم تحدث وتنازع في مثل هذه الايات فاحبوا ان يريهم بذلك ليزدادوا طمانينة ويقينا و
هداية في التصديق والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون عيسى يخبرهم ان لهم كرامة ومنزلة عند الله فاحبوا ان يعرفوا
منزلتهم عند الله وكرامتهم والثالث سألوا ذلك ليعرفوا منزلة عيسى عليه السلام عند الله وكرامته هل يجيب
ربه دعاءه اذا سأل ربه والله اعلم وان كان السؤال من قوم غير الحواريين فهو لما بدت لهم من الحاجة اليها لا يعلم
ذلك الا بالخبر الصادق وقوله عز وجل هل يستطيع ربك يقرأ بالتاء والياء جميعا فمن قرأ بالتاء وبل الى ان فيه اضمار
كانهم قالوا هل تستطيع ان تسأل ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ومن قرأ بالياء قال هل يستطيع ربك اي هل يجيب
ربك دعاءك اذا دعوته ان ينزل مائدة من السماء وقال القتبي قد يكون مثل هذا السؤال على غير الجهل من السائل
بالمسئول لانه يجوز ان يقال في الكلام هل يستطيع فلان ان يقوم حاجتنا وفي امرنا على علم منه يستطيع ربك

علم منهم ان عيسى يستطيع السؤال لربه لكنهم قالوا ذلك لما ذكرنا وذلك جائز في اللغة ويجوز ان يراد بالاستطاعة
الارادة يقولوا الرجل لآخر لا استطيع ان انظر الى فلان وهو يقدر النظر لكنه يريد بذلك لا اريد ان انظر اليه
فعلى ذلك قوله هل يستطيع ربك اي هل يأذن لك ربك بالسؤال في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل اتقوا الله ان كنتم مؤمنين
اي اتقوا الله لا تسألوا شيئا لم يأذن لكم في ذلك ان كنتم مؤمنين وقوله عز وجل قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن
قلوبنا قوله وتطمئن قلوبنا يدل انهم سألوا ذلك لما كانت تحدث انفسهم وتنازع في مشاهدة الايات
ومعاينتها وان كانوا اصدقوا عيسى عليه السلام فيما يقول لهم ويخبر عن الله للمعنى الذي ذكرنا في ابراهيم عليه السلام
والله اعلم وقوله عز وجل ونعلم ان قد صدقتنا اختلف في تلاوته وتفسيره وتأويله قال بعضهم بالنصب نعلم في القراءة
الظاهرة المشهورة ومعناه وان نعلم ما قد صدقتنا والثاني ان العلم بالشيء من جهة الخبر ربما تعترض الوساوس
والشبه فطلبوا الاية من جهة الحس والعيان ليكون ذلك ادفع لما يعترض من الشبه والوساوس وقوله عز وجل
ونكون عليها من الشاهدين اي نكون عليها لمن انكرها من الشاهدين انها نزلت وقوله عز وجل قال عيسى ابن مريم
اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا اي طعاما دائما قال بعضهم قوله تكون لنا عيدا
اي مجمعا وسمي يوم العيد لاجتماع الخلق ثم قيل نزلت يوم الاحد فجعلوا ذلك اليوم يوم عيدهم ثم اختلف في نزول
المائدة قال الحسن لم تنزل المائدة لانه لو تسأل ان يكون لنا عيدا لاولنا واخرنا ونحن من اخرهم فلم يكن لنا ما ذكروا لانه
قال اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ولا يكفر منهم ثم لم نظهر انه
عذبهم عذابا لم يعذب به احدا من العالمين وقال بعضهم ليس فيه دلالة انها لم تنزل لانه يجوز ان يكون قوله تكون
لنا عيدا لاولنا واخرنا ما لم يأت النسخ فكان لهم ذلك الى ان يبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنسخ ذلك بيوم الجمعة
وقالوا قوله فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ذكر في بعض القصة ان من كفر منهم بعد ذلك مسخهم
خنازير فذلك تعذيب لم يعذب احدا من العالمين وقيل يحتمل قوله تعالى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين
في الاخرة والله اعلم بذلك كله وقوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله الاية يحتمل هذا القول اوجها ثلاثة احدها ان كان هذا القول منه في الوقت الذي كان عيسى بين
اظهرهم ليكون ذلك اية وحجة لمن يتبعه على من زاغ عن طريقه وضل عن سبيل الهدى لانه تبرأ ان يكون قال لهم ذلك
ويحتمل ان يكون قال ذلك له وقت رفعه الى السماء فقرر عنده ان قومه يقولون ذلك القول بعد مفارقته قومه
ويحتمل يقول ذلك له يوم القيامة ويكون قال بمعنى يقول كقوله تعالى وقال الذين كفروا لخزنة جهنم وكقوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا ان يقولون وذلك جائز قال بمعنى يقول وذلك في القرآن
كثير واتخاذهم عيسى وامه الهين قول متناقض لانهم سموها ام عيسى فاذا ثبت لها الامومة بطل ان يكون الها
لانه لا يكون ابن يخرج الها لكنهم قوم سفهاء يقولون ذلك من سفه قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس
لي بحق اي لانه لا ينبغي ان اقول ما ليس ذلك بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
يتكلم على وجهين احدهما يراد ما يضمر والثاني على ارادة الذات فان كان الله تعالى من ان يوصف بالذات
كما يوصف الخلق دل انه انما يراد بذلك غيره وهو ان يقال تعلم ما عندي ولا اعلم ما عندك او يقول تعلم ما كان
مني ولا اطلع على غيبك انك انت علام الغيوب اي انت علام ما غاب عن الخلق وقوله عز وجل ما قلت لهم الا
ما امرتني به اي ما دعوتهم الا الى ما امرتني ان ادعوهم اليه من التوحيد والعبادة لك وقوله عز وجل وكنت
عليهم شهيدا اي شاهدا عليهم هذا تدل على ان ذلك القول كان منه وقت رفعه الى السماء ويكون يوم القيامة
ويقال وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي كنت عليهم حفيظا ما كنت بين اظهرهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب
عليهم اي الحفيظ عليهم وانت على كل شيء شهيد بما امرتهم من التوحيد والعبادة لك وشاهدا عليهم بما قالوا
من البهتان وذكر في بعض القصة لما قال الله تعالى لعيسى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قيل
ان تعدت مفاصله وخشي ان يكون قالها فقال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد
علمته الاية وذكر ايضا متكلمان يتكلمان يوم القيامة نبي الله عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وعدو الله
ابليس لعنه الله فاما كلام عيسى عليه السلام يقول الله انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقال
عيسى ابن مريم سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق الى قوله فانك انت العزيز الحكيم واما كلام اللعين فيقول
ما كان لي عليكم من سلطان الاية وقوله عز وجل ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اختلف
فيه عن الحسن قال يقول ذلك في الاخرة ان تعذبهم ان تعذب من مات على ما كان منه من القول الوحش في الله
وان تغفر لهم اي وان تغفر لمن اكرمت له بالاسلام والهدى فانك انت العزيز الحكيم لان منهم من قد امن بعد هذا
القول الوحش في الله وقال اخرون هذا القول كان من عيسى في الدنيا ان تعذبهم يقول ان تعذب من مات على
الكفر الذي كان منهم فانهم عبادك وان تغفر لمن اكرمت له الهدى فانك انت العزيز وهم عبادك اذلاء و
في حرف ابن مسعود رضي الله عنه فانك انت الغفور الرحيم وهو ظاهر لانه ذكر انه غفور على اثر المغفرة وروي
في الخبر ان نبي الله عليه السلام كان احيا ليلة يقول ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك العزيز الحكيم به
قام وبه سجد وبه قعد فهو والله اعلم على التشفع والتضرع اليه كانه قال ان خذلتهم فمن الذي ينصرهم ويدفع ذلك

عنهم

عنهم وانك وهم عبادك اذلاء وان اكرمتهم فمن الذي يمنعك عن اكرامهم والثاني ان تعذبهم فلك سلطان
عليهم ولست انت في تعذيبهم اياهم جائرا لانهم عبادك لان الجور هو المجاوزة عن الحد الذي له ليس له وقوله
عز وجل قال الله هذا قيل قال بمعنى يقول الله يوم القيامة يوم ينفع الصادقين صدقهم اي اليوم ينفع الصادقين
صدقهم في الدنيا وينفع صدق الصادق ايضا في الدنيا لانه اذا عرف بالصدق قبل قوله وان لم يظهر صدقه
في قوله ثم اختلف في الصادقين من هم قال بعضهم هم المؤمنون جملة اي يومئذ ينفع ايمان المؤمنين وتوحيد
الموحدين في الدنيا كقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون وقال بعضهم الصادقون
هم الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقوله عز وجل لهم جنات تجري من تحتها الانهار قد ذكرنا فيما تقدم خالدين
فيها ابدا وخالدين وابدا واحد لكنه يذكر على التاكيد وقوله عز وجل رضي الله عنهم لسعيهم في الدنيا ورضوا
عنه بالثواب لسعيهم ويحتمل ورضوا عنه بما وفقهم على سعيهم المحمود في الدنيا ذلك الفوز العظيم لانه
ليس بعده خوف الهلاك ولا خوف الفوت فهو الفوز العظيم ليس كفوز الدنيا لانه لا يذهب عنه خوف
الهلاك ولا خوف الفوت وقوله عز وجل لله ملك السموات والارض وما فيهن كان هذا خرج على اثر قوله
انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله انه كيف يتخذا ربا وولدا وله ملك السموات والارض
وملك ما فيهن من الخلق كلهم عبيده واماؤه وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض الحمد هو الثناء عليه بما صنع الى خلقه من الخير الا ترى ان الذم نقيضه في
الشاهد ويحمد المرء بما يصنع من الخير ويذم على ضده فالتحميد هو تمجيد الرب والثناء عليه والشكر له بما انعم عليهم
والتسبيح هو تمجيد الرب وتنزيهه عما قالت الملحدة فيه من الولد وغيره والتهليل هو تمجيد الرب وتنزيهه
عما جعلوا له من الشركاء والاضداد والوصف له بالوحدانية والربوبية والتكبير هو تمجيد الرب والوصف
له بالعظمة والجلال وتنزيهه عما وصفوه بالعجز والضعف عن ان يكون ينشئ من العظام البالية خلقا وقوله
تعالى الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور سفههم عز وجل بما جعلوا له من الشركاء والاضداد على
اقرار منهم انه خلق السموات والارض ولم يجعلوا له شركاء في خلقهما وعلى علم منهم انه تعلق منافع الارض بمنافع
السماء مع بعد ما بينهما كيف جعلوا شركاء يشركونهم في العبادة والربوبية وقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
قال الحسن الظلمات والنور الكفر والايمان وقال غيره من اهل التأويل الليل والنهار والنور في الحقيقة ما يكشف
عما استتر من الابصار ابصار الوجوه وابصار القلوب والظلم ما يستر ويغطي على الابصار ابصار الوجوه القلوب فالظلمة
يجعل كل شيء مستورا عليه والنور يجعل كل شيء كان مستورا ظاهرا باديا عليه هذا هو تفسير الظلمة والنور حقيقة
وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قيل يشركون مع ما بين لهم ما يدل على وحدانية الرب وربوبيته اي جعلوا لكل
ما يعبدونه من دون الله عدلا لله واعتقدوا المعادلة بينه وبين الله تعالى وليس لله تعالى عدل ولا نديد ولا شريك
ولا ولد ولا صاحبة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الحسن بربهم يعدلون اي يكذبون وقوله تعالى هو
الذي خلقكم من طين اي خلق ادم ابا البشر من طين فاما خلق بني ادم من ماء كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين اخبر الله تعالى انه خلق ادم من الطين وخلق بني ادم سوى عيسى عليه الصلوة والسلام من النطفة وخلق عيسى
عليه الصلوة والسلام من الطين ولا من الماء ليعلمنا انه قادر على انشاء الخلق لا من شيء وانه لا اختصاص للخلق بشيء
ولا ينكرون ايضا انشاء الخلق واحياء موتهم وذلك لانه لا يخلوا ما ان صاروا ترابا وماء ولا داء ولا ذا ارواح
انه خلق ادم من الطين وخلق سائر الحيوان من الماء وخلق عيسى عليه الصلوة والسلام لا من هذين كيف انكروا انشاء
الخلق بعد الموت وهو لا يخلو من هذه الوجوه التي ذكرنا فيكون دليلا على منكري البعث بعد الموت وعلى الدهرية
في انشاء الخلق لا من شيء فانهم ينكرون ذلك ويجيلونه ولهذا وقعوا في القول بقدم العالم والله الهادي ويحتمل
قوله هو الذي خلقكم من طين ان يراد به في حق جميع بني ادم وانما اضاف خلقنا الى الطين وكان الخلق من الماء لما يتربى
خلقنا من قوة ذلك الطين الذي في ادم واثره وان لم يرد تلك القوة وذلك الاثر وهذا كان الانسان يرى انه ربما كل و
يشرب ويغتذي ويحصل به زيادة قوة في سمعه وبصره وفي جميع جوارحه وقد يحيي بها جميع الجوارح وانه لم
ير تلك القوة فكذلك هذا ويحتمل ايضا على ما روي في القصة انه يمازج مع النطفة شيء من التراب فيؤمر الملك بان
ياخذ شيئا من التراب من المكان الذي حكم بان يدفن فيه فيخلط بالنطفة فيصير علقة ومضغة فانما نسبهم الى
التراب لهذا ويحتمل النسبة الى التراب وان لم يكونوا من التراب لما ان اصلهم من التراب وهو ادم وقوله تعالى
ثم قضى اجلا واجل مسمى فالقضاء يتوجه الى وجوه كلها ترجع الى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد يكون لابتداء
فعل وانشاء كقوله تعالى فاقض ما انت قاض ويقال قضيت هذا الثوب اي عملته واحكمته وقد يكون بمعنى
الامر قال الله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اي امر ربك لانه امر قاطع حتم وقد يكون بمعنى الاعلام
قال تعالى وقضينا الى بني اسرائيل اي اعلمناهم اعلاما قاطعا وقد يكون لبيان الغاية والانتهاء منه والختم كقوله تعالى
ثم قضى اجلا اي ختم ذلك واتمه وقد يكون غير ما ذكرنا ثم قوله قضى اجلا

يحتمل هذا كله سوى الامر ثم قوله قضى اجلا قيل هو الموت واجل مسمى يوم القيمة اطلعنا على احد الاجلين وهو الموت
لانا نرى من يموت ونعاين ولم يطلعنا على الاخر وهو الساعة والقيمة وقيل قضى اجلا اجل الدنيا من خلقك الى ان
يموت واجل مسمى عنده يوم القيمة وقوله عز وجل ثم انتم تمترون اى تشكون وتكذبون بعد هذا كله وقوله عز وجل
وهو الله فى السموات وفى الارض هذا والله اعلم صلة قوله الحمد لله الذى خلق السموات والارض فاذا كان خالقهما
لم يشركه احد فى خلقهما كان اله من فى السموات واله من فى الارض لم يشركه احد فى الوهيته ولا فى ربوبيته ويحتمل
قوله وهو الله فى السموات وفى الارض اى الله تدبير ما فى السموات وما فى الارض وحفظه اليه لا تر هو المتفرد بخلق
ذلك كله فاليه حفظ ذلك وتدبيره وقوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اختلف فيه قيل يعلم سركم ما تضمرون فى القلوب
وجهركم ما تنطقون ويعلم ما تكسبون من الافعال التى تعمل الجوارح اخبر انه يعلم ذلك كله ليعلموا ان ذلك كله يحصيه
ليحاسبهم على ذلك كقوله ان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اخبر انه يحاسبهم بما ابدوه وما اخفوه فعلى
ذلك الاول فيه اخبار ان ذلك كله يحصيه عليهم ويحاسبهم فى ذلك ليكونوا على حذر من ذلك وخوف وقيل يعلم سركم
ما خلق فيهم من الاسرار من نحو السمع والبصر وغيرهما لان البشر لا يعرفون ما هية هذه الاشياء وكيفيتها ولا يرون
ذلك كما يرون غيرها من الاشياء والا يعرفون حقايقها اخبر انه يعلم ذلك وانتم لا تعلمون وقوله عز وجل وجهركم
اى الظواهر منكم ويعلم ما تكسبون من الافعال والاقوال وقوله عز وجل وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا
عنها معرضين يحتمل ما تاتيهم من اية من ايات توحيده او من ايات اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم فى اثبات
البعث والنشور بعد الموت لما اخبر انه خلقهم من طين فاذا ما توا صاروا ترابا فاذا كانوا بدو انشاهم من طين فاذا
ما دوا اليه يقدر على انشائهم ثانيا اذ ليس انشاء الثانى با عسر من الاول ثم يحتمل الايات ايات القران ويحتمل
الايات ما كان اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات سوى ايات القران ثم اخبر عن تعنتهم ومكابرتهم بقوله
وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فاذا اعرضوا عنها لم ينتفعوا بها ليعلم انه انما ينتفع بالايات
من تاملها ونظر فيها لا من اعرض عنها ثم سورة الانعام انما نزلت فى محاجة اهل الشرك ولو لم يكن القران معجزا كانت
سورة الانعام معجزة لانها نزلت فى محاجة اهل الشرك فى اثبات التوحيد والالوهية لله والبعث فكيف وقد جعل الله
القران اية معجزة اعجز البشر عن اتيان مثله ولم يكن يومئذ يعرف التوحيد والبعث كانوا كلهم كفارا عبدة الاوثان
والاصنام لا يحتمل ان يكون رسول الله الف وانشاء من ذات نفسه ليعلم انه انما عرف ذلك بالله وفيه دلالة
اثبات المحاجة فى التوحيد والمناظرة فيه لان اكثرها نزلت فى محاجة اهل الشرك وهم كانوا اهل شرك وينكرون
البعث والرسالة فنزل اكثرها فى محاجتهم فى التوحيد واثبات البعث والرسالة وفيه انه اذا ثبت فساد قول احد
الخصمين ثبت صحة قول الاخر لان ابراهيم لما قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الافلين اثبت فساد عبادة من
يعبد الافل بالافول وقوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يحتمل الحق الايات التى كان ياتى بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ايات التوحيد واثبات البعث ويحتمل القران ولو لم يكن ياتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
باية كانت نفسه اية عظيمة من اول نشاته الى اخر عمره لانه عصم حتى لم يات منه ما يستسمج ويستقبح فعلى قولك
ان ذلك لما جعله اية فى نفسه وموضعا لرسالته وعلى ذلك اجابة ابى بكر رضى الله عنه فى اول دعوة دعاه الى
ذلك لما كان راى منه ايات فلما دعاه اجابه فى ذلك معما كان معه ايات عظيمة واعلام عجيبة وقوله عز وجل
فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن معناه والله اعلم ان ياتيهم وينزل بهم ما نزل بالمستهزئين والا كان
اتاهم انباء ما نزل بالمستهزئين ولكن معناه ما ذكرنا اى ينزل بهم ويحل ما نزل وحل بالمستهزئين ويحتمل وجها
اخر قوله فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وهو العذاب لان الرسل كانوا يوعدونهم ان ينزل
بهم العذاب بتكذيبهم الرسل فعند ذلك يستهزؤن بهم كقوله عجل لنا قطنا وكقوله ويستعجلونك بالعذاب
وغير ذلك اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم فاخبر انه ينزل بهم ذلك كما نزل باولئك وقوله عز وجل الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن قال الحسن
الم يروا الم يعتبروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن وقال ابو بكر الكيسانى الم يروا قد راوا انا اهلكنا من قبلهم
من قرن وهو واحد قد راوا اثار الذين اهلكوا بتكذيبهم الرسل وتعنتهم ومكابرتهم لكنهم لم يعتبروا بذلك وقوله
عز وجل مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم قال بعضهم اعطيناهم من الخير والسعة والاموال ما لم نمكن لكم يا اهل مكة
اى لم نعطكم ثم اذا كذبوا الرسل اهلكهم الله تعالى وعاقبهم بانواع العقوبة ويحتمل مكناهم فى الارض من
القوة والشدة كقوله وقالوا من اشد منا قوة ثم مع شدة قوتهم اهلكوا اذا كذبوا الرسل ويحتمل وجها اخر
مكناهم فى الارض اى فى قلوب الناس من نفاذ القول وخضوع الخلق لهم لانهم كانوا ملوكا وسلاطين الارض
من نحو نمرود وفرعون وعاد معما كانوا كذلك اهلكوا اذا كذبوا الرسل وانتم يا هؤلاء ليس لكم شىء من ذلك
افلا تهلكون اذا كذبتم الرسل والله اعلم لما كانوا ذا سعة وقوة فلم يروا
الخضوع لمن دونهم فى ذلك جورا غير حكمة وانما اخذوا ذلك من ابليس اللعين حيث قال عند امره بالسجود لادم
فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فعلى ذلك هؤلاء الكفرة راوا الامر بالخضوع لمحمد صلى الله
عليه وسلم جورا منه حتى قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله عز وجل وارسلنا السماء

عليهم مدرارا قال القتبى مدرارا بالمطر اى غزيرا من دريدر وقال ابو عوسجة اى درت عليهم السماء بالمطر اى كثر
ودام وتتابع واحدا بعد واحد فى وقت الحاجة وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم اخبر عن سعة اولئك وانعم عليهم
من كثرة الامطار والانهار ما لم يكن ذلك لهؤلاء بعشر معشار ما كان اعطاهم ذلك اهلكهم اذا كذبوا الرسل فان
قيل ذكر اهلاك هؤلاء وخوف اولئك ذلك بتكذيبهم الرسل وقد اهلك الرسل والاولياء من قبل قيل لان
اهلاك اولئك اهلاك عقوبة وتعذيب لانه كان اهلكهم هلاك استيصال واستيعاب خارجا من الطبع
واهلك اولئك الرسل والاولياء لا هلاك عقوبة خارجا من الطبع لذلك كان ما ذكرنا وقوله عز وجل ولو نزلنا
عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم يخبر لشدة تعنتهم انهم وان اتوا ما سالوا من الايات لم يؤمنوا به
لانهم كانوا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل كتابا يعاينوه ويقرؤه كقوله ولن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه وكقوله لولا نزل عليه القران جملة واحدة ونحوه من الايات يقول ولو نزلنا عليك
كتابا فى قرطاس اى فى صحيفة مكتوب يعلمون انه لم يكتب فى الارض ولمسوه بايديهم وعاينوه لم يؤمنوا به
ولا صدقوه وقالوا ان هذا الا سحر مبين بعتر رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون ويخبره بشدة
تعنتهم انهم لا يؤمنون وان جئت بكل اية اذ قد اتاهم من الايات ما ان تاملوا ولم يتعنتوا لدلتهم على ذلك لكنهم اعرضوا
عنها ولم يتاملوا فيها لتعنتهم وشدة مكابرتهم والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه ملك ان مشركى
العرب كانوا لا يعرفون الرسل ولا الكتب ولا كانوا امنوا برسول ولا كتاب فقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى
ربنا ونحوه من السؤال ليسألون انزال الملك ثم يحتمل سؤالهم انزال الملك لما لم يكونوا راوا والرسل يكونون من البشر
وانما راوا الرسول ان كان يكون ملكا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة ويحتمل ان يكون سؤالهم انزال الملك
سؤال عناد وتعنت لا سؤال الطلب الرسول من الملائكة فقال ولو انزلنا ملكا على ما سالوا لقضى الامر اى ان
الملك اذا انزل على اثر سؤال العناد والتعنت ينزل بالعذاب والهلاك فهذا يبين ان سؤالهم سؤال
تعنت وعناد وقوله عز وجل لقضى الامر ثم لا ينظرون انهم كانوا يسألون انزال الملك اية لتصديق رسله التى
فقال ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون اى يهلكون لان الايات اذا انزلت على اثر سؤال العموم ثم خالفوا
الايات وكذبوها لتنزل بهم العذاب والهلاك وان جاءت الايات على غير سؤال فكذبوها يمهلون ولا يعذبون
عند تكذيبهم اياها والله اعلم وقوله عز وجل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قيل ادميا قيل ادميا بشرا يحتمل هذا
وجوها اى لو بعثنا الرسول ملكا لجعلناه على صورة البشر لانه لو كان على صورة الملائكة لصعقوا ودهشوا
لانه ليس فى وسع البشر رؤية الملك على صورته لا ترى ان جبريل عليه الصلوة والسلام اذا نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم ينزل على صورته ولكنه كان ينزل على صورة البشر حتى ذكر انه كان ينزل اليه على صورة دحية
الكلبى وانه متى راه على صورته اصعق وتغير حاله فاذا راوا ذلك فى وجهه قالوا انه مجنون فقال ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا ويكون فيه ما فى رسول الله من اللبس به والثانى لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لانهم لا يعرفون صدقه
فيحتاجون الى الدلائل والايات تدلهم على انه ملك وعلى صدقه فذلك لا يعرف الا بالبشر لانهم لا يعرفونه
ولا صدقه وقوله عز وجل وللبسنا عليهم ما يلبسون الاية قالوا لا يجوز اضافة اللبس الى الله تعالى الا على المجازاة
للبس كالاستهزاء والمكر والخداع ويحتمل قوله وله وللبسنا عليهم ما يلبسون اى لو جعلناه ملكا للبسنا عليهم
ما لبس اولئك على ضعفهم حيث قالوا ما هذا الا بشر مثلكم وما انتم الا بشر مثلنا وغير ذلك من الكلام لكنا لا نفعل
حتى لا يكون ذلك لبسا اذ ليس فى وسعهم النظر الى الملك ولو جعلنا ذلك ملكا لكان ذلك لبسا فان قال لنا ملحد فى
قوله لولا انزل عليه ولو انزلنا ملكا لقضى الامر سالوا ان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك وقال
ولو انزلنا ملكا لقضى الامر وانتم تقولون انه قد انزل عليه الملك وهو اخبر لو انزل عليه الملك لقضى الامر
ولم يقض الامر كيف لا بان لكم انه انما اخترع ذلك من نفسه لا ان الله انزل عليك قيل انهم انما سالوا ان ينزل
عليهم الملك وان لم يذكر فى الاية السؤال ما ذكر فى اية اخرى كقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا
او سالوا ان تاتيهم الملائكة وتاتيه قالوا كيف يختص هو باتيان الملائكة دوننا وهو كواحد منا كقوله
لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وهذا جائز ان يكون اسؤله لم يذكر ويكون فى الجواب بيان ذلك
على ما ذكرنا من قبل فى غير موضع وقوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزؤن يصبر رسوله على تكذيب قومه ليعلم انه ليس هو اول مكذب ولكن قد كذب الرسل الذين من قبلك
ويخبره انه يحق هؤلاء بتكذيبك كما حق اولئك بتكذيبهم الرسل وقوله عز وجل فحاق قال ابو عوسجة حاق
اى رجع يقال حاق يحيق حيقا اى رجع عليهم وقال الكسائى حاق بهم اى احاط بهم ونزل وقوله عز وجل
قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس على الامر بالسير فى الارض ولكن على الاعتبار و
التفكر فيما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل لانه عز وجل اراهم ايات عقلية وسمعية فلم ينفعهم ذلك فاراد ان
يريهم ايات حسية ليمنعهم ذلك عن التكذيب والعناد وقوله عز وجل قل لمن ما فى السموات والارض قل لله
الاية يحتمل وجهين احدهما ان تخرج مخرج البيان لهم انه ليس على الامر لانه لو كان على الامر لكان يذكر سؤاله
لهم ولم يذكر ان سؤالهم لا يحتمل ان لا يخبروه ذلك فلما لم يذكر سؤاله لهم عن ذلك ولا يحتمل ان يامره

بالسؤال ثم لا يسأل او يسألهم ولا يخبرون فدل انه على البيان يخرج لا على الامر والثاني على امر سبق كقوله تعالى قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله وكقوله قل من بيده ملكوت كل شيء الى قوله سيقولون لله وقوله قل من رب
السموات والارض ونحوه كان على امر سبق فيخبرهم عز وجل حتى قالوا الله كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله ذلك تستخبر منه اياهم حتى قالوا الله وفي حرف ابن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهما قل لمن
ما في السموات والارض قالوا لله هذا يدل على انه كان على امر سبق وقال بعضهم قل لمن ما في السموات والارض
قل لله اي سلهم فان اجابوك فقالوا لله والا فقل لهم انه لله وقال قائلون فان سألوك لمن ما في السموات
والارض قل لله **وقوله** عز وجل كتب على نفسه الرحمة قال الحسن كتب على نفسه الرحمة للتوابين ان يدخلهم الجنة
بعمله انما يدخلون الجنة برحمته وعلى ذلك جاء الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته
قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقيل كتب على نفسه الرحمة ان يجمعهم الى يوم
القيمة حيث جعل للعدو عذابا وللولي ثوابا اي من رحمته ان يجمعهم جميعا يعاقب العدو ويثيب الولي وقيل اي من رحمته
ان عجل لهم الجمع فاوعد العاصي العذاب ووعد المطيع الثواب ليمتنع العاصي ذلك عن عصيانه وليرغب المطيع في طاعته
وذلك من رحمته وقال قائلون كتب على نفسه الرحمة لامة محمد ان لا يعذبهم عند التكذيب ولا يستأصلهم كما عذب
غيره من الامم واستأصلهم عند التكذيب لما ان خبر الذي اخرهم الى يوم القيمة من الرحمة التي كتب **وقوله** عز وجل
ليجمعنكم الى يوم القيمة قيل الى صلة ومعناه ليجمعنكم يوم القيمة وقيل الى يوم القيمة اي اليوم القيمة كقوله ليوم لا ريب
فيه وقال قائلون قوله ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة ثم يجمعكم يوم القيمة والقرون السالفة **وقوله** عز وجل
لا ريب فيه اي لا ريب في الجمع والبعث بعد الموت عند من يعرف ان خلق الفناء خاصة لا للبعث والاحياء بعد
الموت للثواب والعقاب ليس بحكمة **وقوله** عز وجل الذين خسروا انفسهم قد ذكرنا **وقوله** عز وجل وله ما سكن في
الليل والنهار وهو السميع العليم في الاية والله اعلم انباء ان الخلق كلهم تحت قهر الليل والنهار وسلطانهما مقهورين
مغلوبين اذ لم يكن لاحد من الجبابرة والفراعنة الامتناع عنهما وصرف احدهما الى الاخر بل يدركانهم شاؤا او ابوا و
سلطانهما جار عليهم ليعلموا ان لقيام فيهما تدبيرا وان قهرهما الخلق وسلطانهما كان بسلطان من له التدبير والعلم
ثم جريانهما على سنن واحد يدل على ان منشئهما واحد ومدبرهما عليم حكيم وقال بعض اهل التأويل ما يسكن في الليل والنهار
وما استقر في الليل والنهار من الدواب والطير في البر والبحر فمنها ما يستقر نهارا وينتشر ليلا ومنها ما يستقر بالليل
وينتشر بالنهار وعن ابن عباس رضي الله عنه قال وله ما سكن في الليل والنهار وذلك ان كفار اهل مكة اتوا رسول
الله صلى الله عليه وقالوا يا محمد انا قد علمنا انه ما يحملك على هذا الذي تدعونا اليه الا الحاجة فنحن نجعلك في اموالنا حتى
تكون اغنانا رجلا وترجع عما انت عليه فنزل وله ما سكن في الليل وهو السميع لمقالة اولئك العليم من ابن يرزقهم
لكن الوجه فيها ذكرنا ان الخلق تحت قهرهما وسلطانهما وفيهما وجوه من الحكمة احدها بعض ما ذكرنا التعليم
ان مدبرهما واحد وفيه نقض قول الفلاسفة لانهم يقولون الظلمة كما في ستارة والنور فوق ذلك وفيهما
ما ذكر من المنافع بقوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وغيره من المنافع **وقوله** عز وجل وهو السميع لمن دعاه
العليم بمصالح الخلق وحاجتهم **وقوله** قل اغير الله اتخذ وليا وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ربا كان هذا صلة قوله
قل لمن ما في السموات والارض قالوا الله فاذا اقررتم ان ذلك كله لله فكيف تتخذون له شركا فيعبدون غير الله
وهو فاطر السموات والارض ومنشئهما ومنشئ ما فيهما كيف صرفتم العبادة الى غير الله **وقوله** عز وجل وهو يطعم
ولا يطعم قال اهل التأويل هو يرزق ولا يرزق وليس كمن له عبيد في الشاهد يرزقهم بعضهم بعضا الموالي
من العبيد من الشادات ينتفع بعضهم من بعض فاما الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لا لمنفعة نفسه لانه غني بذاته
والخلق فقراء اليه كقوله تعالى انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد **وقوله** عز وجل قل اني امرت ان اكون اول من اسلم قال
بعض اول من اسلم من قومه واصله اني امرت ان اكون اول من اسلم اي امرت ان اسلم واخضع انا اولا ثم امركم بذلك
واحتج بعض الناس بظاهر هذه الاية ان الاسلام لا يلزم الا بالامر والدعاء اليه وقالوا ان من مات قبل ان
يؤمر به وقبل ان يدعى اليه فانه لا شيء عليه وعلى ذلك من مات في وقت الفترة وانقطاع الرسل والرجل لانه قال
اني امرت ان اكون اول من اسلم اخبر انه امر بذلك واذا لم يكن ثم امر لم يلزم لكن الوجه في الاية ما ذكرنا وامرت
ان اسلم واخضع اولا ثم امر غيري فاذا كان التأويل هذا بطل ان يكون في ذلك حجة لهم **وقوله** عز وجل قل اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قال ابن عباس رضي الله قل يا محمد لكفار اهل مكة اني اخاف اي اعلم ان عصيت
ربي فعبدت غيره عذاب يوم عظيم هذا التأويل صحيح ان كان ما ذكر من سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرضهم المال عليه ليعود ويرجع الى دينهم فيخرج هذا على الجواب لهم وقال بعضهم قوله تعالى اني اخاف ان
عصيت ربي على الخوف لكن لقائل ان يقول كيف خاف عذاب يوم عظيم وقد اخبر انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر وكيف قال ان عصيت وقد اخبر انه عصمه وغفر له قيل يحتمل ان يكون المغفرة له على شرط الخوف غفر له لم
يخاف عذابه **وقوله** عز وجل من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه قال بعض المعتزلة الرحمة ها هنا الجنة لان الله
تعالى جعل في الاخرة دارين احدهما النار وسماها سخطة والاخرى الجنة سماها رحمة وانما حملهم على هذا لانهم
لا يصفون الله بالرحمة في الازل فعلى قولهم يكون قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان

يتغمدني الله

يتغمدني الله برحمته فيصير تقديره لا يدخل احد الجنة الا بجنته اي بنيته الجنة ولكن سميت الجنة رحمة عندنا لما انهم
يدخلون الجنة لا باعمالهم لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لا يدخل احد الجنة الا برحمته
قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته يدخل فيها وعلى هذا يخرج ما سمي المطر رحمة
لما برحمته نزل وكذلك كل ما سمي رحمة في الشاهد يخرج على ما ذكرنا والله اعلم ثم قوله من يصرف عنه يومئذ
قيل من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه وكذلك روي في حرف حفصة من يصرف عنه شر ذلك اليوم
فقد رحمه ويحتمل ان يكون قوله من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه صلة قوله قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله تعالى قل لكفار اهل مكة حين دعوك الى
دينهم على ما ذكر في بعض القصة اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد
رحمه **وقوله** عز وجل وذلك الفوز المبين وذلك الصرف يعني صرف العذاب الفوز المبين وانما ذكره والله
اعلم فوزا مبينا لانه فوز دائم لا زوال له وليس كفوز هذه الدنيا يكون في وقت ثم يزول عن قريب
وكذلك فوز الاخرة **وقوله** عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فيه
اخبار ان ما يصيب العبد من الضر والخير انما تصيب به ثم الضر المذكور في الاية لا يخلو من ان يراد سقم
النفس او ضيق العيش او شدة وظلم يكون من العباد لا يخلو من هذه الاوجه الثلاثة فاذا كان كذلك دل
اضافة ذلك الى الله تعالى على ان لله فيه فعلا وهو ان خلق فعل ذلك منهم فهو على كل شيء قدير من كشف الضر
له والصرف عنه واصابة الخير لا يملك ذلك غيره **وقوله** عز وجل وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير
في هذه الاية والاية الاولى ذكر اهل التوحيد لانها خبر ان ما يصيب العباد من الضر والشدة لا كاشف
لذلك الا هو ولا يدفع ذلك عنهم ولا يصرف الا الله وان ما يصيبهم من الخير انما يصيب ذلك بالله وفي
اخبار انه على كل شيء قدير وفي قوله وهو القاهر فوق عباده اخبار انه قاهر يقهر الخلق عزيز قادر وله سلطان
عليهم وانهم انه لا تحت سلطانه وفي قوله فوق عباده اخبار بالعلو له والعظمة وبالتعالي من اشباه
الخلق وهو الحكيم يضع كل شيء موضعه الخبير بما يسرون وما يعلنون اخبار ان لا يخفى عليه شيء وانه يملك
وضع كل شيء موضعه وان ما يصيبهم من الضر والشدة انما يكون به لا يملك احد صرفه وان ما ضر احدا
في الشاهد ونفع احد احدا انما تكون ذلك بالله في الحقيقة وفي هذه الاحرف اخبار عن اصل التوحيد
وما يحتاج اليه لما ذكرنا من الوصف له بالقدرة والقهر والوصف له بالعلو والعظمة والتعالي عن اشباه
الخلق والوصف له بالحكمة في جميع افعاله والعلم بكل ما كان ويكون **وقوله** عز وجل قل اي شيء اكبر شهادة كان في الاية
اضمار والله اعلم ان قل يا محمد اي شيء اكبر شهادة فيقولون الله لانهم كانوا يقرون انه خالق السموات والارض
وانه اعظم من كل شيء لكنهم يشركون غيره في عبادته ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والا كانوا يقرون
بالعظمة لله والجلال فاذا سألوا اي شيء اكبر شهادة فيقولون الله ويحتمل ايضا ان يقول لنبيه عليه الصلوة والسلام
انهم اذا سألوا اي شيء اكبر شهادة قل الله فانك اذا قلت لهم ذلك يقولون هم ايضا **وقوله** عز وجل قل الله شهيد
بيني وبينكم في كل اختلاف بيننا وبينكم في التوحيد والبعث بعد الموت ونحوه ويحتمل قل الله شهيد بيني وبينكم في
كل حجة وبرهان اتاها الرسول بهم وفي قوله قل اي شيء دلالة انه يقال الله شيء لانه لو لم يجز ان يقال له شيء لم
يستثن الشيء منه وكذلك في قوله ليس كمثله شيء انه شيء لا كالاشياء في الشاهد انما يقال اما للتشبيه او للتصغير
فلا يجوز في الغائب التشبيه ولا التصغير دل انه انما يراد بالشيء الاثبات لا غير وبالله العصمة ذكر في بعض القصة في قوله
قل اي شيء اكبر شهادة ان رؤساء مكة اتوا رسول الله فقالوا يا محمد اما وجد الله رسولا يرسله غيرك ما نرى
احدا يصدقك بما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر ولا صفة ولا نعت
فارنا من يشهد لك انك رسول الله فقال الله سبحانه وتعالى يا محمد قل لهم اي شيء اكبر شهادة يقول اعظم شهادة
يعني البرهان محمد حجة وبرهان وكل نبي حجة وبرهان فان اجابوك فقالوا الله والا فقل لهم الله اكبر شهادة من خلقه
اني رسوله والله شهيد بيني وبينكم في كل اختلاف بيننا وبينكم في التوحيد واثبات الرسالة والبعث وكل شيء
وذكر في هذه القصة انهم لما قالوا من يشهد ان الله ارسلك رسولا قالوا فهلا انزل اليك ملك فقال لنبيه
قل لهم اي شيء اكبر شهادة فقالوا الله اكبر شهادة من غيره فقال الله قل لهم يا محمد الله شهيد بيني وبينكم اني
رسول الله وانه اوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ القران من الجن والانس فهو نذير له ثم قال لهم ائنكم
لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قالوا نعم نشهد فقال الله لنبيه قل لهم لا اشهد بما شهدتم ولكن اشهد انما هو
اله واحد وانني بريء مما تشركون **وقوله** عز وجل واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ كانه قال اوحي الي هذا
القران الذي يعرفون انه من عند الله جاء لانه قال لهم فأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن اتيان مثله فدل عجزهم
عن اتيان مثله انهم عرفوا انه جاء من عند الله **وقوله** عز وجل ومن بلغ كانه قال واوحي الي هذا القران لانذركم به
وانذر من بلغ القران صار رسول الله نذيرا ببلوغ القران لمن بلغه فاذا صار نذيرا به لمن بلغه وان كان هو في اقصى
الدنيا يصير هو نذيرا في اقصى الزمان لكل زمان وهو والله كقوله تعالى ولكل قوم هاد ورسول الله هاد لقومه الى
يوم القيمة وفي الاية دلالة ان البشارة والنذارة يكون ان يبعث الرسل مبشرا ونذيرا وهو دليل لقول اصحابنا ان من خلق

اي عبد من عبيدي بشرى بكذا فهو حر فبشره برسول او بكتاب يكون بشارة وقوله عز وجل ائنكم لتشهدون ان مع
الله الهة اخرى هذا في الظاهر استفهام ولكن في الحقيقة ايجاب انكم تشهدون ان مع الله الهة اخرى بعد ما ظهر
عندكم ايات وحدانيته وحجج ربوبيته لما عرفتم انه خالقكم وخالق السموات والارض به تعيشون تحيون
وبه تموتون عما ظهر لكم هذا اشركتم مع الله الهة اخرى وليس ذلك لكم مما تشركون في عبادته ولو هيته وانا
لا اشهد وانما اشهد انه اله واحد وانني بريء مما تشركون وقوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنا
ءهم قيل نزلت سورة الانعام في محاجة اهل الشرك الا ايات نزلت في محاجة اهل الكتاب احدها هذه وجائز
ان يكون اهل الشرك يعرفون انه رسول كما يعرفون ابناءهم ويكون الكتاب هو القران
ها هنا لما قرع اسماعهم هذا القران وامروا ان ياتوا بمثله فعجزوا عنه او بما كانوا يختلفون الى اهل الكتاب ويسالونهم
عن نعته وصفته ويخبرونهم فعرف اهل الشرك انه رسول كما عرف اهل الكتاب بوجود نعته وصفته ويخبرونهم
في كتابهم وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لعبد الله بن سلام ان الله قد انزل على نبيه عليه السلام بمكة الذين
اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف يا عبد الله المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته فيكم حين
رايته كما اعرف ابني اذا رايته مع الصبيان يلعب وانا اشد معرفة بمحمد مني لابني فقال كيف ذلك فقال انا اشهد
انه رسول الله صلى الله حق من الله ولا ادري ما صنع النساء او ما احدث النساء وقد عرفته في كتابنا فقال
عمر صدقت واصبت وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال اهل التاويل لا احد اظلم ممن افترى
على الله كذبا لكن هذا في الحقيقة كانه سؤال واستفهام كانه قال من اظلم من الظالمين قال من افترى على الله
كذبا يقال لمن فعل هذا قال فلان او من قال هذا قال فلان فهو والله اعلم على السؤال والاستفهام ثم قيل
الذين افتروا على الله كذبا ان معه شريكا لقولهم ان مع الله الهة اخرى وقوله عز وجل وكذب باياته قيل محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل القران انه لا يفلح الظالمون قال بعضهم انه لا يفلح الظالمون بظلمهم لكن عندنا قوله انه لا يفلح
الظالمون ما داموا في ظلمهم ونقول لا يفلح الظالمون اذا ختموا وماتوا على الظلم والكفر وقوله عز وجل ويوم نحشرهم
جميعا المطيع والعاصي والكافر والمؤمن ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ذكر ههنا شركاؤكم
ثم اضاف ذلك اليهم لانهم كانوا من جنسهم وجوهرهم يعنون كما يعنون وذكر في اية اخرى شركائي الذين كنتم
انتم شركائي وقوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال الحسن الاية نزلت في المنافقين
وذلك انهم كانوا يكذبون في الدنيا فيما بينهم فظنوا ان يروج كذبهم في الاخرة كما كان يروج في الدنيا وسماهم مشركين
لانهم كانوا اشركوا في السر فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقال غيره من اهل التاويل الاية نزلت في اهل الشرك
من العرب وذلك انهم كانوا يشركون مع الله الهة وكانوا ينكرون البعث بعد الموت وينكرون الرسالة فلما ان عاينوا
ذلك انكروا ان يكونوا اشركوا غيره في الوهيته وربوبيته وقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي لم يكن
افتتانهم في الدنيا بافترائهم على الله الكذب واشراك غيره معه وتكذيبهم ايات الله الا ان قالوا في الاخرة والله
ربنا ما كنا مشركين وذكر في بعض القصة ان المشركين في الاخرة لما راوا كيف يتجاوز الله عن اهل التوحيد فقال
بعضهم لبعض اذا سئلنا فقولوا انا كنا موحدين فلما جمعهم الله وشركاءهم فقال اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
في الدنيا بانهم معي شريك ثم لم تكن فتنتهم قال اهل التاويل معذرتهم وجوابهم الا ان الكذب حين سئلوا فقالوا
والله ربنا ما كنا مشركين تبرؤوا من ذلك ثم قال الله انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم في الاخرة ما كانوا
يفترون من الشرك في الدنيا قيل لما انكروا ان يكونوا مشركين في الدنيا ختم الله على السنتهم وشهدت الجوارح
عليهم بالشرك وقيل انظر كيف كذبوا على انفسهم يقول كيف صار وبال كذبهم عليهم وضل عنهم قيل واشتغل
عنهم ما كانوا يفترون يقولون يكذبون واصله انه يذكر نبيه شرح تعنتهم وسفههم انهم كيف يكذبون عند
معاينة العذاب فاذا كانوا ثابتين منه وبعد ما كانوا اشد تكذيبا واكثر تعنتهم لانهم يطلبون الرد الى الدنيا
فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقوله عز وجل ومنهم
من يستمع اليك كانوا يستمعون اليه ليحاجوه على ما ذكر حتى اذا جاؤك يجادلونك دل هذا انهم كانوا يستمعون
اليه ليحاجوه معه والخصومة وقيل في بعض الحكايات ان الناس ثلاثة نفر في اخبار الرسل والانبياء
عليهم الصلوة والسلام منهم من يستمع للحجج والاستكبار ومنهم من يستمع لياخذ عليهم سقطاتهم وما يجري
على لسانهم من الخطا ومنهم من يستمع لياخذ الحق منه ويترك الباقي لكن هؤلاء يستمعون اليه ليخاصموا فذلك
ويجادلوه ليعرف قومهم انهم يستمعون اليه ويعرفون ما يقول ليصدوا بذلك اتباعهم والثاني يستمعون
ويحاجون في ذلك ليعرفوا انهم اهل حجاج وعلم ليصدوا وهم منه ثم يحتمل ان يكونوا اهل نفاق لانهم كانوا يرون
ويظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف ويحتمل اهل الشرك اي روساؤهم
يستمعون اليه ويحاجونه فيما يستمعون اليه وقوله عز وجل وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
اخبر ان على قلوبهم اكنة وفي اذانهم وقرا وقال صم بكم عمي فنفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بذلك كله وان لم يكونوا
في الحقيقة صما ولا بكما ولا ما ذكر لما لم ينتفعوا بما انشا فيهم من السمع والبصر والعقل فنفى عنهم ذلك
ثم قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة لا يحتمل ما قدر ذلك في نفسه من ان يكون خلق منهم فعل الكفر او خلق

الظلمة

الظلمة في قلوبهم يعني ظلمة الكفر لان ظلمة الكفر تستر وتغطي كل شيء ونور الايمان ينير ويبين كل شيء فاضافة الفعل اليه
لا تخلو من احد هذين الوجهين اما تخلق فعل الكفر منهم فيه لانه خلق فعلهم واما خلق ظلمة الكفر في قلوبهم
وفيه رد قول المعتزلة لانكارهم خلق فعل العباد وقوله عز وجل وفي اذانهم وقرا قيل الوقر هو الثقل في
السمع يقال وقرت اذنه توقر وقرا فهي موقورة واما الوقر فهو الحمل وقال ابو عوسجة الوقر الصدع في العظم
ايضا وقوله عز وجل وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها يحتمل كل اية جعلها [illegible] دليلا على وحدانيته وربوبيته وقد تدل على البعث
واية رسالته ونبوته ويحتمل كل اية سالوها اي لو اتاهم بها لا يؤمنون [illegible] يسالونك لا يؤمنون بك
بعد ذلك ابدا كقولهم لولا انزل عليه ملك او نرى ربنا ونحو ذلك مما سالوا من الايات يقول
انك وان جئت بما سالوك من الايات لا يؤمنون بك ولا يصدقونك يقولون ان هذا الا اساطير الاولين
اي ما هذا الا اساطير الاولين قبل احاديث الاولين والاسطورة الكتاب يقولون ذلك تعنتا منهم
لانهم كانوا يعرفون انه حق وانه ليس بكلام البشر لانهم عجزوا عن اتيان مثله ولو كان هو مفترى على ما
قالوا لقدروا على ان ياتوا بمثله حيث قيل لهم فاتوا بسورة مثله فلما لم يقدروا [illegible]
انه ليس من كلام البشر وانه سماوي وقوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه قيل ينهون
غيرهم عن اتباعه ويتباعدون هم ويحتمل ما ذكر والقصة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند ابي طالب
يدعوه الى الاسلام واجتمعت قريش عنده يريدون بالنبي سوءا قال ابو طالب وانشد فيه والله
لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذلك
منك عيونا فدعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا قد علمت بانه
من خير اديان البرية دينا لولا الملامة اوحذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا كان ينهى الناس
عن اذى محمد صلى الله عليه وسلم ويتباعد هو عنه فلا يتبعه في دينه فنزلت هذا وقوله عز وجل ان
يهلكون الا انفسهم وما يشعرون انهم بذلك يسعون في هلاك انفسهم وقوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا
على النار عن الحسن قال سترى اذ وقفوا على النار وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولو ترى اذ عرضوا
على النار وكذلك في ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ولولا ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه وقفوا
عرضوا على النار والا يجوز ان يحملوا قوله اذ وقفوا على النار اي عند النار او في النار او على مكان عند او مكان
في وذلك جائز في اللغة ولكن ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه اقنعنا عن ذلك ثم يحتمل والله
اعلم ان يكون هذا صلة ان الا اساطير الاولين وهكذا الواجب على كل احد ان يرحم عدوه اذا كان عاقبته
النار والتخلد فيها وان لا يطلب الانتقام منه بما كان منه بمكانه او ان ينال ولو تراهم اذ وقفوا على
النار من الذل والخضوع لرحمتهم بما كان منهم من التكبر والاستكبار في الدنيا وهو كقوله ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم الاية اخبر عن ذلهم وخضوعهم في الاخرة بما كان منهم في
الدنيا من الاستكبار والاستنكاف فعلى ذلك يخبر نبيه بما يصيبهم من الذل بتكبرهم في الدنيا والله اعلم
وقوله عز وجل فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين تمنوا عند معاينتهم العذاب
العود والرد الى الدنيا ثم فيه وجهان احدهما انهم عرفوا ان ما اصابهم انما اصابهم بتكذيبهم الايات
وتركهم الايمان حيث قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا والثاني ان الايمان هو التصديق الفرد
لا غير لانهم انما فزعوا عند معاينتهم العذاب تمنوا الرد والعود الى الدنيا ان يكونوا من المؤمنين لم
يفزعوا الى شيء اخر من الخيرات دل ان الايمان هو التصديق الفرد لا غير وانه ضد التكذيب والتكذيب
هو فرد فعلى ذلك التصديق وقوله عز وجل بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل قيل فيه بوجوه قال بعضهم قوله
تعالى ومنهم من يستمع اليك انها نزلت في المنافقين يدل على ذلك قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وهو
سمة اهل النفاق لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف ويخفون العداوة لهم
ويحتمل قوله تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل رؤساءهم كانوا عرفوا في الدنيا انه رسول وان ما انزل
عليه هو من الله وعرفوا ان البعث حق لكنهم اخفوا ذلك على اتباعهم وستروه ثم اظهر ما كانوا يخفون
على اتباعهم وقيل قوله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وذلك انهم حين قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
وقوله ولو ترى اذ وقفوا على النار اي حبسوا اذ الوقوف حبس لو وقف حبس والنار لا يوقف عليها بل
يكون فيها ما قال عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم
غواش ويحتمل الوقف عندها قبل الدخول في حال الحساب والمسائلة كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم
الاية ولو ترى اي لو ترى ذلهم وخضوعهم كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم ولم يبين جواب
لو وقد يترك جواب لو لما يعلم ربما يعلم بالعامل وبالذكر كقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا بمعنى ظننتم او على ما ذكر في موضع اخر نحو قوله قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وكذلك قوله
ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم انما يجيب للو وغير ذلك فعل معناه لو ترى ذلهم
بعد استكبارهم لرحمتهم على ما هم عليه وكان عليك التصبر لا ذا هم ولا تشفق عليهم ويحتمل قوله ترى ما يتر

من نقمة الله وعجل بهم من عذابه لعلمت ان القوة جميعا وانه بحلمه ورحمته يمهلهم ويستدرجهم كقوله ولو ترى
الذين ظلموا اذا يرون العذاب ان القوة لله جميعا ويحتمل الا يكون جوابه فيما ذكر من تمنيهم العود وندامتهم على
ما سلف منهم وشدة تلهفهم على ضيعهم لرايت ذلك امرا كافيا وجزعا بالغا لما يكون ما نزل بهم اعظم عندك
مما تلقى منهم وقد يخرج الخطاب الرسول الله على تضمن تنبيه كل مميز وتذكير كل متامل والله اعلم وقوله عز وجل
يا ليتنا نرد قيل الى الدنيا وقيل الى المحنة من حيث لا يحتمل كون الدنيا بعد كون الاخرة لكن هذا تكلف تحقيق
مراد قوم ظهر سفههم ولعله ليس عندهم هذا التمييز او يقولون سفها كما قالوا كذبا بقوله وانهم لكاذبون
عز وجل بايات ربنا قال الحسن بل ربنا وقال قوم نجح ربنا فيكون في الاية اعتراف انهم على التعنت كذبوا
في الاول لا على الجهل وان كان ثم ايات عاند وهاؤهم قوم قد سبق من الله الخبر عنهم مما فيه العناد منهم
كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك يدل على تعنتهم في القول يتخلصو
عما بلوا بجميع ما يحتمل وسعهم لا ان ذلك كذلك في قلوبهم لذلك والله اعلم قال الله تعالى وانهم لكاذبون ثم
دل قوله ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين انهم قد عرفوا ان الايمان هو التصديق لوجهين احدهما
انهم جعلوا الايمان مقابل التكذيب ليعلم انه التصديق والثاني انهم ذكروا الايات والايات يكذب بها ويصدق
لا ان يعمل وبعد فان الذي في حد امكان الاتيان مما فات هو التصديق اذ الغير لو توهم الامر لم يوجد ما سبق من
الترك والتصديق لوامر فهو اما سبق من التكذيب على انه اجمع ان لا يؤمر احد بقضاء شيء مما فات فثبتت
انهم ارادوا به التصديق وفيه انه اسم لذلك حتى عرفه اهله وغير اهله معرفة واحدة والله اعلم وقوله
عز وجل بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يخرج على وجوه احدها على ان الاية في اهل النفاق اظهروا ما قد اضمرو
من الكفر والثاني ان تكون الاية في رؤساء الكفرة العلماء بالبعث وبان الرسل تكون من البشر وان لا شريك لله فبدا
للاتباع ما كان الرؤساء يخفون في الدنيا ويحتمل وبدا لهم من صنيعهم ما قد اسروه واضمروه في انفسهم
ظنوا ان لا يطلع على ذلك احد وذلك في قوله يوم تبلى السرائر وقوله وحصل ما في الصدور وغير ذلك ويحتمل ما
كانوا يخفون من الخلق او بدا لهم ذلك بالجزاء وقوله عز وجل ولو ردوا اي الى ما تمنوا ان يردوا اليه لعادوا لما
نهوا اخبر الله عن علمه بما قد اسروه في ذلك الوقت انما كان في علمه ان يكون وان كان من حكمه ان لا يردوا
فذلك ان الاية لا يضطر صاحبها ولا قوة الا بالله وقال قوم ان الخلود يلزم في النار بما هم في علم الله انهم يلزمون
ما هم عليه لو مكثوا الابد وقال قوم اذا لم يجز لزوم العذاب بما يعلم الله من العناد من احد لو امتحن بلا محنة وتخلد
فعلى ذلك امر الخلاف لكن الاية في خاص منهم وهم الذين اعتدوا وعندوا الحق بعد الوضوح على ما ذكر في كثير من
الكفرة انهم لا يؤمنون ابدا ثم امهلهم على ذلك وهذا يبين ان ليس تمنع الاعادة لما يعودون له لو كان يحتمل
في الحكمة الاعادة اذ قد امهل وابقى على العلم بذلك فعلى ذلك الاعادة لكنا خبر عن تعنتهم ثم ظنت المعتزلة ان
الله لو علم انهم لا يؤمنون لردهم الى ذلك اذ بين انهم لا يؤمنون فيستدلون بهذا ان ليس لله قبض روح يعلم انه
لو لم يقبضه يؤمن يوما من الدهر وقد بينا نحن ان ذلك لا يوجب ان كان اولئك في علم ان يعودوا الى ذلك بما قد يترك
في الدنيا من يعلم انه يلزم الكفر ويحيى من المهالك من يعلم انه يعود ثم قد يترك من يعود الى الكفر على وجود ما به النجاة عنه
والله اعلم وبعد فان الله تعالى قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فبين انه لو بسط لهم لبغوا وقال
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية ثم قد جعل لكثير ممن ضل بهم قوم نحو الفراعنة
وكثير منهم وقد بغوا في الارض اذ لو لم يكن البسط لفرعون لم يكن ليدعي الالهية لكن الاول طريق الفضل
يفضل به والثاني طريق العدل وما يجوز في الحكمة فعلى ذلك الامهال يبين ذلك ما كان الله يأمر بقتل من لعله يؤمن
لو امهل بما ندب الى القتال ولا يحتمل ان يأمر في قتل من ليس له قبض روحه وقد يبقى من به يهلك ويضل وان
قبض كثيرا منهم مما يضل به لو ابقي كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا والله اعلم وظنت الخوارج بهذه
الاية ان كل من يرتكب كبيرة ثم يظهر منه كذب فيما وعد انه لا يفعل اذ الله سماهم كذبة بما في علمه انهم يعودون
الى ذلك فاذا تقرر عندنا من احد ركوب ما كان في عهده واذا نراه يرتكب يظهر به كذبه وذلك خطاء لما لو
كان كذلك لكان الصغائر والكبائر واحدا ومن كذب في امر الصغائر في العهد او روى يكفر ومن ارتكب الصغيرة
لم يصر كذلك فعلى ذلك الكبائر لكن الاية تخرج على وجوه احدها انها في قوم ارادوا بذلك دفع العذاب لان
عزموا على ما ذكروا دليله فتنتهم بقوله والله ربنا ما كنا مشركين والثاني ذكر كذبهم انطق الله جوارحهم
فشهدت عليهم بما كتموا من الشرك فتمنوا عند ذلك العود والرد ويحتمل بدا لهم ظهر لهم ما كانوا يخفون
من نعت محمد وصفته صلى الله عليه وسلم في الدنيا وكتموه والله اعلم وقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
وانهم لكاذبون تعلق بظاهر هذه الاية الخوارج والمعتزلة اما المعتزلة فانهم قالوا انهم انما طلبوا الرد ولم
يردوا لما علم انهم لو ردوا لعادوا الى التكذيب ثانيا ولو علم منهم انهم لا يعودون لكان لا يردهم فدل
انه انما لم يردهم لما علم منهم انهم يعودون الى ما كانوا من قبل فيستدلون بظاهر هذه الاية على ان الله لا
لا يفعل بالعبد الاصلح لهم في الدين وقالوا لو علم منهم الايمان لكان لا يجوز له ان لا يردهم ومن قولهم
انه اذا علم من كافر انه يؤمن في اخر عمره لم يجز له ان يميته وغير ذلك من المخاييل والاباطيل وقالت الخوارج اخبر

لو ردهم

لو ردهم لعادوا لما نهوا عنه وسماهم بالقول كاذبين لما في علمه انهم لا يفعلون بما يقولون فعلى ذلك كل صاحب
كبيرة انما كان في اعتقاده الذي اظهر انه لا ياتي بها فاذا اتى بها يصير فيما اعتقده ان يأتي بها كاذبا ولذلك
يجعلون اصحاب الكبائر كذبة في القول الاول وذا انهم لا يأتون بها وعلى ذلك المبايعة بقوله يبايعنك على ان لا
يشركن بالله الاية فاذا سرقن صرن كاذبات في البيعة كما جعل من ذكر كاذبا في الوعد اذا اخلف وعلى ذلك
يجعلونه كافرا وقوله عز وجل وانهم لكاذبون يحتمل لكاذبون اي ليكذبون لو ردوا وانهم لكاذبون
في قولهم ويكونون من المؤمنين اي يضمرون انهم لا يؤمنون كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد انك لرسول الله الى قوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون يقولون انك لرسول الله لكنهم
لما اضمروا خلاف ذلك في قلوبهم سماهم كاذبين فعلى ذلك هؤلاء لما اضمروا في انفسهم التكذيب
وان ذكروا غيرهم كاذبون في ذلك وقوله عز وجل ولو ردوا قيل الى الدنيا ولكن ردوا الى المحنة ثانيا لعادوا لما
نهوا عنه والثاني انه ذكر كذبهم بما اعتادوا العناد وظهر منهم الجحود في القديم فبذلك سماهم كذبة
كما سمى اهل النار كفرة بما كانوا من كفرهم قبل ان يصيروا اليها فعلى ذلك هذا والثالث ان يكون على الخبر عما فيهم
انهم يصيرون كاذبين لو ردوا وعرض عليهم ذلك وبعث اليهم الرسل بالايات لان يكذبوا في ذلك الوعد
وقوله عز وجل وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين قوله تعالى ان هي يحتمل هي الحيوة الدنيا ويحتمل
هي الدنيا نحو هذا القول يحتمل ان يكون من الدهرية لانهم ينكرون البعث والحيوة بعد الموت ويقولون
ان هذا الخلق كالنبات ينبت ثم يتلاشى فعلى ذلك الخلق يموتون ويصيرون ترابا ثم يحيون في الدنيا كقوله
نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر ويحتمل ان هذا القول كان من مشركي العرب اما لم يروا الا الدهر ولم يشاهدوا
غيره فظنوا انه ليس يهلكهم الا ذلك الدهر الذي يدور الدنيا عليه فان كان ذلك منهم فانما كان ذلك من
كبرائهم ورؤسائهم لعلمهم بذلك اي بالبعث يلبسون ذلك على السفلة والاتباع ليكونوا اشد اتباعا لهم
وانقيادا لانهم لو علموا الاتباع بالبعث بعد الموت لعلهم يتركون طاعتهم واتباعهم لما يشتغلون بها
بالاستعداد لذلك والعمل له ففي ذلك ترك اتباعهم وطاعتهم وقوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على ربهم
اي لربهم كقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وكقوله تعالى وما ذبح على النصب اي للنصب واصله
ما روي في حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولو ترى اذ وقفوا او عرضوا على ربهم وقوله عز وجل قال اليس
هذا بالحق اي البعث بعد الموت لانهم كانوا ينكرون البعث ويقولون انه باطل ويحتمل بما كانوا اوعدوا به
بالعذاب ان لم تؤمنوا فكذبوا ذلك فقال اليس ما اوعدتم في الدنيا حق فاقروا فقالوا بلى وربنا فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون في الدنيا وقوله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يحتمل قوله تعالى كذبوا بلقاء الله اي
كذبوا بلقاء وعد الله ووعيده في الدنيا وعلى ذلك يخرج ما روي في الخبر من احب لقاء الله اي احب لقاء ما وعد
الله ومن كره لقاء الله اي كره لقاء ما وعد له واصله من احب الرجوع الى الله احب الله رجوعه ومن كره الرجوع
الى الله كره الله رجوعه اليه والمحبة لله اختيار امره وطاعته وعلى ذلك ما روي في الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الدنيا جنة الكافر يلعب فيها ويرتكض في امانيها وسجن المؤمن وراحتها بالموت واصله
انها سجن المؤمن لان المؤمن يمنعه دينه من قضاء شهواته اما يخاف هلاكه ويحذر عما يفضيه الى الهلاك والكافر
لا يمنعه شيء من ذلك عما يريد من قضاء شهواته في الدنيا فتكون له كالجنة وللمؤمن كالسجن على ما ذكرنا ويحتمل
وجها اخر وهو ان الكافر عند الموت يعاين مكانه وما اوعد له في النار فيصير عند ذلك الدنيا كالجنة له يكره الخروج
والمؤمن يعاين موضعه في الجنة فيصير كالسجن له وقوله عز وجل حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قيل سميت القيمة
ساعة لسرعتها ليست كالدنيا لان في الدنيا تتغير فيها على المرء الاحوال يكون نطفة ثم يصير علقة ثم مضغة
ثم يصير خلقا اخر ثم انشاناه ثم يكون طفلا ثم رجلا تتغير عليه الاحوال واما القيمة فانها لا تقوم
على تغير الاحوال فسميت الساعة لسرعتها بهم وقيل سميت القيمة الساعة لانها تقوم في ساعة وهو كقوله وما
امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقيل سميت الساعة لما تقوم ساعة فساعة وقوله عز وجل بغتة اي فجاءة
وقوله عز وجل يا حسرتنا على ما فرطنا فيها قيل التفريط هو التضييع فيحتمل قوله ما فرطنا فيها اي ما ضيعنا في الدنيا
من المحاسن والطاعات ويحتمل ما ضيعنا في الاخرة من الثواب والجزاء الجزيل بكفرهم في الدنيا وقوله عز وجل وهم
يحملون اوزارهم على ظهورهم هو والله اعلم على التمثيل ليس على التحقيق وهو يحتمل وجهين يحتمل انه اخبر انهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم بما الزموا اوزارهم لم يصاروا فوقها فقط وصيرهم بالحمل على الظهور وهو كقوله تعالى وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه ولكن اما الزم ذلك صار كانه في عنقه والثاني انما ذكر الظهور يحمل مكان كقوله فيما كسبت
ايديكم وبما قدمت ايديكم لان الكفر لا يكتسب بالايدي ولا يقدم بها لكن اكتساب الشيء وتقديمه اما كان باليد
ذكر اكتساب اليد وتقديمه وكقوله فنبذوه وراء ظهورهم لما تركوا العمل به والانتفاع صار كالمنبوذ وراء الظهر
لان الذي ينبذ وراء الظهر هو الذي لا يعبأ به ولا يكترث اليه ويحتمل وجها اخر ما ذكر في بعض القصة انه يأتيه عمله
الخبيث على صورة قبيحة فيقول له كنت احملك في الدنيا باللذات والشهوات وانت اليوم تحملني فيركب ظهره فذلك
قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وقوله عز وجل وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو

للحيوة الدنيا خاصة لان العمل اذا لم يكن لعاقبة يتأمل فهو عبث كمن يبني بناء لا لعاقبة يتأمل ويقصد ببنائه
فهو لعب وعبث فعلى ذلك الحيوة الدنيا لا لدار اخرى يتأمل ويرجى بها الثواب والعقاب ليس بحكمة وانما هو لعب
بحكمة وانما هو لعب ولهو وعلى ذلك يخرج قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية اخبر ان خلقه اياهم اذا لم
يكن للرجوع اليه فهو عبث فعلى ذلك الحيوة الدنيا اذا لم يكن هناك بعث ولا حيوة بعد الموت للثواب
والعقاب فهو لعب ولهو واللهو ما يقصد به قضاء الشهوة خاصة لا يقصد به العاقبة واللعب هو الذي
لا حقيقة له ولا مقصد وقوله عز وجل وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون اي الدار الاخرة خير للذين
يتقون الشرك والفواحش كلها من الحيوة الدنيا واصله ان الحيوة الدنيا على ما عند اولئك الكفرة لعب ولهو
لان عندهم ان لا بعث ولا ثواب ولا عقاب فاذا كان عندهم هكذا فيصير لعبا ولهوا لا يتحصل انشاء لا عاقبة
له فيكون كبناء البناء الذي ذكرنا اذا كان عاقبة غير مقصودة فهو لا ينتفع به وقوله عز وجل قد نعلم انه
ليحزنك الذي يقولون هذا والله اعلم اخبار منه نبيه عليه الصلوة والسلام انه من علم منه بتكذيبهم اياك
بعثك اليهم رسولا وامرك بتبليغ الرسالة اليهم وكان عالما بما يلحقك من الحزن بتكذيبهم اياك ولكن بعثك
اليهم رسولا مع علم منه بهذا كله لتبلغهم بذكر هذا والله اعلم ليعلم رسوله ان لا عذر له في ترك تبليغ الرسالة
وان كذبوه في تبليغها ثم الذي يحمله على الحزن يحتمل وجوها يحتمل يحزنه افترائهم وكذبهم على الله او كان يحزن
لتكذيب اقربائه وعشيرته اياه فانا كذبه عشيرته انتهى الخبر الى الابعدين فيكذبونه فيحزن لذلك او يحزن
حزن طبع لان طبع كل احد ينفر عن التكذيب او كان يحزن اشفاقا عليهم بما ينزل عليهم من العذاب بتكذيبهم
اياه واذاهم له كقوله تعالى لعلك باخع نفسك الاية وكقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله
عز وجل فانهم لا يكذبونك اختلف في تلاوته قراء بعضهم بالتخفيف وبعضهم بالتشديد والتثقيل فمن قراء
بالتخفيف لا يكذبونك اي لا يجدونك كاذبا قط ومن قراء بالتثقيل لا يكذبونك اي لا ينسبونك الى الكذب
ولا يكذبونك في نفسك ويحتمل قوله ولا يكذبونك في السر ولكن يقولون ذلك في العلانية والتكذيب
بايات الله والظالمين يحتمل وجهين احدهما الظالمين على نعم الله على نعم الله عادتهم التكذيب بايات الله او الظالمين
على انفسهم لانهم وضعوها في غير موضعها وقوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا و
اوذوا يخبر نبيه عليه الصلوة والسلام ويصبره على تكذيبهم اياه واذاهم بتبليغ الرسالة يقول لست انت
باول مكذب من الرسل بل كذب اخوانك من قبلك على تبليغ الرسالة فصبروا على ما كذبوا واوذوا ولم يتركوا
بتبليغ الرسالة مع تكذيبهم اياهم فعلى ذلك لا عذر لك في ترك تبليغ الرسالة وان كذبوك في التبليغ واذوك
وهو ما ذكرنا انه يخبره انه بعثك رسولا على علم منه بكل الذي كان منهم من التكذيب والاذى وقوله عز وجل
فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا اخبر الله انه نصر رسله ثم يحتمل ذلك النصر وجوها احدها
نصرهم اي اظهر حججه وبراهينه حتى علموا جميعا انها هي الحجج والبراهين وانهم رسل الله لكنهم تعاندوا
وكابروا ويحتمل النصر لهم بما جعل اخر امرهم لهم وان كان قد اصابهم شدائد في بدو الامر او نصرهم
لما استأصل قومهم واهلكهم بتكذيبهم الرسل وفي استيصال القوم واهلاكهم اياهم وابقاء الرسل نصرهم
وكذلك قوله تعالى انا لننصر رسلنا وقوله انهم لهم المنصورون يخرج على الوجوه التي ذكرنا وقوله عز وجل ولا مبدل
لكلمات الله هو ما ذكرنا من النصر لهم واستيصال قومهم وما اوعدهم من العذاب فذلك كلمات الله ويحتمل
قوله كلمات الله حججه وبراهينه كقوله ويحق الله الحق بكلماته اي بحججه واياته وكقوله تعالى قل لو كان البحر
مدادا لكلمات ربي اي حجج ربي وقوله عز وجل ولقد جاءك من نباء المرسلين يحتمل ما ذكرنا من اهلاك القوم
وابقاء الرسل قد جاءك ذلك النباء ويحتمل قوله تعالى ولقد جاءك من نباء المرسلين من تكذيب قومهم لهم
واذاهم اياهم فان كان هذا ففيه تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشق عليه كفر قومه واعراضهم عن
الايمان حتى كادت نفسه تتلف وتهلك لذلك اشفاقا عليهم كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ونحو ذلك من الايات يشفق عليهم بتركهم الايمان لما يعذبون
ابدا في النار فعلى ذلك قوله وان كان كبر عليك اعراضهم او كان يكبر عليه ويثقل اعراضهم لما كانوا يطلبون
منه الايات حتى اذا جاء بها لا يؤمنون من نحو ما قالوا ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وغير ذلك
من الايات التي سالوها فطمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ايمانهم اذا جاء بما سالوا من الايات فكان الله عالما
بانهم وان جاءتهم ايات لم يؤمنوا وانما يسالون سؤال تعنت لا سؤال طلب ايات لتدلهم على الهدى فقال عند ذلك
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء او ان يكون قوله فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض
نهيا عن الحزن عليهم اي لا تحزن عليهم كل هذا الحزن بما ينزل بهم وقد تعلم ضعفهم وسوء معاملتهم ايات الله
وكذلك روي في القصة عن ابن عباس رضي الله عنه ان نفرا من قريش قالوا يا محمد ائتنا باية من عند ذلك كما كانت
الانبياء تاتي قومها بالايات اذا سالوه فان اتيتنا امنا بك وصدقناك فابى الله ان ياتيهم ما قالوا فاعرضوا
عنه فكبر ذلك عليه وشق فانزل الله فان استطعت يقول ان قدرت ان تبتغي يقول ان تطلب نفقا في الارض يقول
سربا في الارض كنفق اليربوع نافذا او مخرجا فتوارى منه منهم او سلما في السماء يكون سببا الى صعود السماء

فاتيهم

فتاتيهم باية التي سالوها فافعل قال القتبي النفق في الارض المدخل وهو السرب والسلم في السماء المصعد وقال ابو عبيدة
النفق الغار والانفاق العبران والغار واحد وقوله عز وجل ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال الحسن اي لو شاء
الله لقهرهم على الهدى واكرههم كما فعل بالملائكة اذ من قوله ان الملائكة مجبورون مقهورون ثم هو يفضل الملائكة
على البشر ويجعل لهم مناقب لا يجعل ذلك لاحد من البشر فلو كانت الملائكة مجبورين مقهورين على ذلك لم يكن في
ذلك لهم كبير منقبة ففي قوله اضطراب وامّا تاويله عندنا لو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لجعلهم جميعا بحيث
اختاروا الهدى واثروه على غيره ولكن لما علم منهم ان يختاروا الكفر على الهدى لم يشأ ان يجمعهم على الهدى
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ان لا يكون الهدى في حال القهر والجبر وانما يكون في حال الاختيار وقوله
عز وجل فلا تكونن من الجاهلين يحتمل وجوها يحتمل فلا تكونن من الجاهلين من قضاء الله وحكمه ويحتمل لا تكونن
من الجاهلين من احسانه وفضله اي من احسانه يجعل لهم الهدى ويحتمل لا تكونن من الجاهلين انه يؤمن بك بعضهم
وبعضهم لا يؤمن قال ابو بكر الكيساني في قوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله ابتلاهم بدون ما ابتلاهم
بان يخفف عليهم فيجيبون باجمعهم او يقول لو شاء لوفقهم جميعا للهدى فيهتدون وهو قولنا لكن لم يشأ لما ذكرنا
انه لم يوفقهم لما علم منهم انهم يختارون الكفرة وقوله فلا تكونن من الجاهلين بان الله قادر لو شاء لجعلهم
جميعا مهتدين ثم معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معصوما لا يجوز ان يقال انه يكون من الجاهلين
او من الشاكرين على ما ذكر ولكن ذكر هذا والله اعلم ليعلم ان العصمة لا ترفع الامر والنهي والامتحان بل تزيد لذلك
كان ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل انما يستجيب الذين يسمعون معناه والله اعلم انما يستجيب الذين ينتفعون
بما يسمعون والا كانوا يسمعون جميعا لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه انما يجيب الذين ينتفعون بما يسمعون وهو
كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر كان النبي صلى الله عليه وسلم ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع لكن انتفع بالانذار
من اتبع الذكر ولم ينتفع من لم يتبع من لم يتبع وهو ما ذكر عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اخبر ان الذكرى
تنفع المؤمنين ولا تنفع غيرهم وقوله عز وجل والموتى يبعثهم الله اختلف فيه قال بعضهم والموتى يبعثهم الله على الابتداء يبعثهم
الله ثم اليه يرجعون وقال قائلون اراد بالموتى الكفار سمى الكافر ميتا والمؤمن حيا في غير موضع من القران كقوله او من كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات فهو والله اعلم ان جعل لكل بشر سمعين وبصرين وحيوتين
سمع ابدي في الاخرة وبصر ابدي في الاخرة وكذلك جعل لكل احد حيوتين حياة الاخرة وحيوة منقبضة وهي حيوة الدنيا
وكذلك سمع ابدي وهو سمع الاخرة وسمع ذو مدة لها انقضاء وهو سمع الدنيا ثم في السمع والبصر والحيوة فمن لم
يدرك بهذه السمع والبصر والحيوة التي جعل له في الدنيا ولم يبصر سمع الابدية وبصر الابدية والحيوة الابدية لا نها انما
جعل لهم هذا في الدنيا ليدركوا بها ذاك وكذلك العقول التي ركبت في البشر انما ركبت ليدركوا بها ويبصروا ذلك
الابدي والا لو كانت تركيب هذه العقول في البشر لهذه الدنيا خاصة لا لعواقب تتامل الجزاء والعقاب فالبهائم
قد تدرك بالطبع ذلك القدر وتعرف ما يؤذي وتتقي وما يصلح لها فدل ان تركيب العقول فيمن ركب انما ركب لا لما
يدرك هذا اذ مدرك ذلك المقدار بالطبع من لم يركب فيه وهو البهائم التي ذكرنا والسمع والبصر والحياة قد
جعل في الدنيا لمعاشهم ومعادهم وكذلك جعل لهم اللسان لينطق بحوائجهم في الدنيا ويعرف بعضهم من بعض
حاجة في الدنيا ويدرك به الازلي فاذا لم ينتفعوا بذلك ازال عنهم ذلك وسماهم العمي والصم والبكم الا ترى
انه قال صم بكم عمي لما لم ينتفعوا بذلك الا ترى انه اذا لم يدرك الازلي والابدي من ذلك سماه اعمى حيث قال رب
لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا والحيوة حيوتان مكتسبة وهي الحيوة التي تكتسب بالهدى والطاعات وحيوة منشأة
وهي حيوة الاجساد فالكافر له حيوة الجسد وليس له حيوة مكتسبة واما المؤمن فله حيوتان جميعا المكتسبة والمنشأة
فسمى كلا باسماء التي اكتسبها فالمؤمن اكتسب افعالا طيبة فسماه بذلك والكافر اكتسب افعالا قبيحة فسماه بذلك
وقوله عز وجل وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية هؤلاء قوم همتهم العناد
والمكابرة قد كان انزل عليه ايات عقليات وسمعيات وحسيات فاما الايات العقليات هي ما ذكر فقل
لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله الاية واما الايات السمعيات
هي ما انباهم عن اشياء كانت غائبة عنه من غير ان كان له اختلاف الى من يعلمها وينبؤها عنها والايات الحسيات
هي ما سقى اقواما كثيرة بلبن قليل من قصعة وما قطع مسيرة شهرين بليلة واحدة ونطق العاق الذي شوى
له وحنين المنبر وغير ذلك من الاشياء مما يكثر ذكرها لكنهم عاندوا وكانت همتهم العناد وقوله عز وجل
قل ان الله قادر على ان ينزل اية التي سالوك ولكن اكثرهم لا يعلمون يحتمل وجهين يحتمل ان يكون ان اكثرهم
لا يعلمون انه انزل اية على اثر السؤال لا نزل عليهم العذاب واستاصلهم اذا عاندوا ويحتمل قوله تعالى و
لكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ينزل الاية عند الحاجة بهم اليها ويحتمل ان لا يسالون الاية ليعلموا ولكن يسالون
ليتعنتوا واذا نزل اية على اثر سؤال فلم يقبلوها ولم يؤمنوا بها ولم يؤمنوا بها اهلكهم على ما ذكرنا من سنته
في الاولين لكنه وعد ابقاء هذه الدنيا الى يوم القيمة وقوله عز وجل وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه
الا امم امثالكم يشبه ان يكون هذا صلة قوله قل ان الله قادر على ان ينزل اية لانه ذكر دابة والدابة كل ما يدب
على وجه الارض من ذوي الروح وذكر الطائر وهو اسم كل ما يطير في الهواء لما كان قادرا على خلق هذه الجواهر

المختلفة وسوق رزق كل منهم اليهم لقادر على ان ينزل اية لاضطروا جميعا الى القبول لها والاقرار بها ولكنه لا ينزل
لما ليستلهم الحاجة اليها والايات لا تنزل الا عند وقوع الحاجة بهم اليها على هذا يخرج قوله ولكن اكثرهم لا يعلمون
من الناس استدل بهذه الاية على ان البهايم والطير ممتحنة حيث قال الا امم امثالكم ثم قال وان من امة الا خلا فيها
نذير ثم اختلف في قوله تعالى الا امم امثالكم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال في قوله تعالى الا امم امثالكم اي الا يحشرون
يوم القيمة البهايم بعضها من بعض ثم يقال لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا كالبهايم
وعن ابن عباس قال وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم اي يفقه بعضها من بعض كما يفقه
بعضكم من بعض وامم امثالكم في معرفة ما توتى ويتقى ويحتمل الا امم امثالكم في الكثرة والعدد والخلق والصنوف تعرف
بالاسامي كما تعرفون انتم واصله انما ذكر من الدواب والطير امم امثالكم سخرها لكم لم يكن منهم ما يكون منكم من العناد
والتكذيب للرسل والخروج عليهم بل خاضعين لكم مذللين تنتفعون بها ويحتمل قوله الا امم امثالكم في حق معرفة
وحدانية والوهيته او حق الطاعة لله كقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وقوله عز وجل ما فرطنا في الكتاب من شيء
اختلف فيه قال بعضهم ما فرطنا اي ما تركنا شيئا الا وقد ذكرنا اصله في القران وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال ما تركنا شيئا الا قد كتبناه في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل ما فرطنا ما ضيعنا في الكتاب ما قد يقع
لكم الحاجة اليه او منفعة الا قد بيناه لكم في القران ثم الى ربهم يحشرون قبل الطير والبهايم يحشرون يعني بني ادم
وقوله والذين كذبوا باياتنا قال الحسن باياتنا ديننا وقال غيره كذبوا باياتنا بحججنا حجج وحدانية والوهية وحجج الرسالة
والنبوة ويحتمل ايات البعث كذبوا بذلك كله وقد ذكرنا هذا في غير موضع عز وجل صم وبكم وهو ما ذكرنا انه نفى عنهم السمع
والنطق والبصر لما لم ينتفعوا بنعمة السمع ونعمة البصر ونعمة اللسان ولا يجوز ان يجعل لهم السمع والبصر واللسان ثم لا يعلمهم
ما يسمعون بالسمع وما ينطقون باللسان دل انه يحتاج الى رسول يسمعون منه ويسمعون اليه وينطقون ما علمهم فاذا
لم يفعلوا صاروا كما ذكر صم بكم عمي لما لم ينتفعوا به ولم يعرفوا نعمته التي جعل لهم فيما ذكرنا ونفى عنهم السمع والبصر
والنطق لما ذكرنا ان السمع والبصر والحياة على ضربين مكتسب ومنشأ فنفى عنهم السمع المكتسب والبصر المكتسب
والحياة المكتسبة وقوله عز وجل في الظلمات يحتمل وجهين يحتمل ظلمات الجهل والكفر والغافي
هم في ظلمات يعني ظلمات السمع والبصر والقلب وهم في ظلمات من جميعها في ظلمة الجهل والكفر وظلمة السمع و
البصر كقوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض والمؤمن في النور كقوله تعالى نور على نور عز وجل من يشاء الله
يضلله ومن يشاء يهده وصف عز وجل نفسه بالقدرة وجعلهم جميعا متقلبين في مشيته واخبر انه
شاء لبعضهم الضلال ولبعضهم الهدى فمن قال انه شاء للكل الهدى لكن لم يهتدوا او شاء للكل الضلال
فهو خلاف ما ذكره عز وجل لانه اخبر انه شاء الضلال لمن ضل وشاء الهدى لمن اهتدى واصله انه اذا
علم من الكافر انه يختار الكفر شاء ان يضل وخلق فعل الكفر منه وكذلك اذا علم من المؤمن انه يختار
الايمان والاهتداء شاء ان يهتدي وخلق فعل الاهتداء منه وقوله عز وجل قل ارايتم ان اتاكم عذاب
الله الذي وعد لكم في الدنيا انه ياتيكم او اتتكم الساعة لانه كان وعد لهم ان ياتيهم العذاب وكان يعد لهم
ان تقوم الساعة فقال ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون في رفع ذلك وكشفه
عنكم ان كنتم صادقين ان معه شركاء والهة او ان كنتم صادقين ان ما تعبدون شفعاؤكم عند الله او تقربكم
عبادتكم اياها الى الله تعالى وقوله تعالى اغير الله تدعون يحتمل حقيقة الدعاء عند نزول البلاء ويحتمل العبادة
اي غير الله تعبدون على رجاء الشفاعة لكم وقد رايتم انها لم تشفع لكم عند نزول البلايا ثم اخبر انهم لا يدعون
غير الله في دفع ذلك وكشفه عنهم واخبر انهم الى الله يتضرعون في رفع ذلك عنهم وهو ما ذكر عز وجل
واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وكقوله
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ذكر هذا والله اعلم انكم اذا مسكم الشدائد والبلاء يا الذين
الذين تشركون في عبادة ربكم الوهيته كيف اشركتم اولئك في ربوبيته في غير الشدائد والبلايا وتنسون
ما تشركون اي تتركون ما تشركون بالله من الالهة فلا تدعونهم ان يكشفوا عنكم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء اختلف فيه قال بعضهم الباساء والشدائد التي تصيبهم
من العدو والضراء ما يحل بهم من البلاء والسقم الشماري وقال بعضهم الباساء هو ما يحل بهم من الفقر
والقحط والشدة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قوله فاخذناهم بالباساء الزمانة والخوف والضراء
البلاء والجوع لعلهم يتضرعون اي ابتلاهم بهذا وامتحنهم لعلهم يتضرعون ويرجعون عما هم عليه وقوله
عز وجل فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا انذكر في ظاهر هذا انه قد اصابهم البلاء والشدة ولم يتضرعوا ولكن
قست قلوبهم ويذكر في غير من الايات انه اذا اصابهم البلاء والشدائد تضرعوا ورجعوا عما كانوا عليه
وهو كقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقوله فاذا ركبوا في الفلك وغيرها من الايات
لكن يحتمل هذا وجوها ان هذا كان في قوم والاول كان في قوم اخرين وذلك ان الكفرة كانوا على احوال
فاذا اصابه خير اطمان به واذا زال عنه وتحول تغير وهو كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف
الاية ومنهم من يتضرع ويلين قلبه اذا اصابه الشدة والبلاء وعند السعة والنعمة قاسي القلب معاندا

وهو كقوله

وهو كقوله دعوا الله مخلصين له الدين الى اخر الاية وكقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه ومنهم من كان فرحا عند الرحمة وعند الشدة والبلاء كفرا اخر بيانا كقوله تعالى ولئن اذقنا الانسان
منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ومنهم من كان لا يخضع ولا يتضرع في الاحوال كلها لا عند
الشدة والبلاء ولا عند الرخاء والنعمة ويقولون ان مثل هذا يصيب غيرنا وقد كان اصاب اباءنا وكانوا
اهل الخير والصلاح وهو كقوله قالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كانوا على احوال مختلفة ومنازل متفرقة
فيشبه ان يكون قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم في القوم الذين لم يتضرعوا عند
اصابتهم الشدائد والبلايا وجاز ان يكونوا تضرعوا عند حلول الشدائد فاذا انقطع ذلك وارتفع عادوا
الى ما كانوا من قبل كقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ويشبه ان يكون قوله لعلهم يتضرعون وقوله
لعلهم يتضرعون وقوله دعوا الله مخلصين له الدين فيما بينهم وبين ربهم وهذا فيما بينهم وبين ربهم وهذا
فيما بينهم وبين الرسل لان الرسل كانوا يدعون الى ان يقروا برسالتهم ويصدقوهم فيما يقولون لهم ويخبرون
فتكبروا عليهم واقروا الله وتضرعوا اليه تكبروا عليهم ولم يتكبروا على الله ويحتمل ان يكون قوله فلولا اذ جاءهم
باسنا تضرعوا في الامم السالفة اخبار منهم انهم لم يتضرعوا ويحتمل قوله ايضا فلولا اذ جاءهم باسنا فتضرعوا
وجهين احدهما انهم لم يتضرعوا اذ جاءهم باس الله ولكن عاندوا وثبتوا على ما كانوا عليه والثاني تضرعوا عند نزول
باسه لكن اذا ذهب ذلك وزال عادوا الى ما كانوا فيصير كانه قال فلولا لزموا التضرع اذ جاءهم باسنا وقوله
عز وجل وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون اي زين لهم صنيعهم الذي صنعوا ويقولون ان هذا كان يصيب
اهل الخير ويصيب اباءنا وهم كانوا اهل خير وصلاح او زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الشرك والتكذيب
ويقول لهم ان الذي انتم عليه حق وقوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به يحتمل ابتداء ترك اي تركوا الاجابة الى ما
دعوا وتركوا ما امروا به ويحتمل نسوا ما ذكروا به من الشدائد والبلايا فتحنا عليهم ابواب كل شيء يحتمل وجهين
يحتمل ابواب كل شيء مما يحتاجون اليه حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ويحتمل فلما نسوا ما ذكروا به
اي تركوا ما وعظوا به يعني بالامم الخالية بما دعاهم الرسل فكذبوهم فتحنا عليهم اي انزلنا عليهم ابواب
كل شيء من انواع الخير بعد الضر والشدة الذي كان نزل بهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذاهم
مبلسون اختلف فيه قال بعضهم الايس من كل خير قال القتبي المبلس الايس الملقى بيده وقال ابو عوسجة المبلس
هو الحزين المغتم الايس من الرحمة وغيرها من الخير وقال الفراء المبلس هو المنقطع الحجة وقيل لذلك سمي ابليس
لعنه الله ابليس لما ايس من رحمة الله وقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا قيل استوصل القوم الذين ظلموا
بالهلاك جميعا والظلم هاهنا هو الشرك وقيل قطع دابر القوم الذين ظلموا اي اصلهم وقيل دابر القوم اي
اخرهم وكله واحد وذلك انه اذا اهلك اخرهم وقطعوا فقد استوصلوا ويشبه ان يكون قوله فقطع دابر القوم
الذين ظلموا اي قطع افتخارهم وتكبرهم الذي كانوا يفتخرون به ويتكبرون وقوله عز وجل والحمد لله رب العالمين
الحمد في هذا الموضع على اثر ذلك الهلاك يخرج على وجوه والا الحمد انما يذكر على اثر ذلك الكرامة والنعمة لكن هاهنا
وان كان نقمة واهلاكا فيكون للاولياء كرامة ونعمة لان هلاك العدو يعد من اعظم الكرامة والنعمة
من الله فاذا كان في ذلك شر للاعداء والانتقام فيكون خيرا للاولياء وكرامة ورب شيء يكون شرا لاحد لا
ويجوز ان يكون في ذلك خيرا لاخر فيكون الحمد في الحاصل في الخير والنعمة والثاني انه يجوز ان يكون في الهلاك نفسه
الحمد اذا كان الهلاك بالظلم لانه هلاك بحق اذ لله ان يهلكهم ولم يكن الهلاك على الظلم خارجا عن الحكمة فيحمد
عز وجل في كل فعل حكمة والثالث يقول والحمد لله رب العالمين على اظهار حججه بهلاكهم وقوله عز وجل قل ارايتم ان
اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به اختلف فيه قال بعضهم يراد باخذ السمع
والبصر والختم على القلوب اخذ منافع هذه الاشياء اي قد اخذ منافع سمعكم ومنافع بصركم ومنافع عقولكم
من اله غير الله ياتيكم به عينا في سمعكم ومنافع بصركم ومنافع عقولكم فاذا كانت الاصنام والاوثان التي تعبدون
من دون الله وتشركون في الوهيته وربوبيته لا يملكون رد ذلك المنافع التي اخذ الله منكم فكيف تعبدونها
وتشركون في الوهيته وقيل يراد باخذ السمع والبصر وما ذكر اخذ اعينها وانفسها اي لو اخذ الله سمعكم وبصركم
وعقولكم لا يملك ما تعبدون رد هذه الاشياء الى ما كان لا يملكون رد السمع الى ما كان ولا رد البصر والعقل
الذي كان الى ما كان فكيف تعبدون دونه وتشركون في الوهيته لسفه احلامهم لما يعلمون ان ما يعبدون
ويجعلون لهم الالوهية لا يملكون نفعا ولا ضرا فهما يعرفون ذلك منهم يجعلون لهم الهة معه وقوله عز وجل
كيف نصرف الايات اي نبين لهم الايات في خطاهم في عبادة هؤلاء واشراكهم في الوهيته ثم هم يصدفون
اي يعرضون عن تلك الايات وقوله عز وجل قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون
معناه والله اعلم انهم يعلمون ان العذاب لا ياتي ولا ياخذ الا الظالم ثم انهم ظلمة لعبادتهم غير الله مع علمهم
انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا يسالون العذاب بقوله سال سائل بعذاب واقع وقوله ويستعجلونك بالعذاب وقوله
عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اخبر انه لم يرسل الرسل
الا مع بشارة لاهل الطاعة ونذارة لاهل معصيته وبين ان الرسل ليس اليهم الامر والنهي انما اليهم البلاغ الامر

والنهي ثم بين البشارة فقال فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا خوف عليهم لما ليس لذلك فوت ولا زوال
ليس كثواب الدنيا ونعيمها انه على شرف الفوت والزوال ولا هم يحزنون لانه سرور ولا يشوبه الحزن ليس كسرور الدنيا
يكون مشوبا بالحزن والخوف والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون هذه هي النذارة وقوله عز وجل
يمسهم العذاب ذكر المس والله اعلم لما لا يفارقهم العذاب ولا يزول عنهم والفسق في هذا الموضع الكفر و
الشرك وما ذكر من الظلم هو ظلم شرك وكفر وقوله عز وجل قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب لم
يحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنه حيث قال انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل الله عليك كنزا تستغني به
فانك محتاج ولا جعل لك جنة تاكل منها فتشبع من الطعام فانك تجوع فنزل عند ذلك هذا لا يحتمل ان يقولوا
له ذلك فيقول لهم اني لا اقول لكم اني ملك وليس عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب فان كان من السؤال شيء من ذلك
فانما يكون على سؤال سألوا لانفسهم كقوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل
وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ونحو ذلك من الاسولة التي سألوه لانفسهم فنزل عند ذلك ما ذكر فهذا
لعمري يحتمل فيقول لهم ليس عندي خزائن الله فاجعل لكم هذا ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع اي
ما اتبع الا ما يوحى الي والثاني جائز ان يكون النبي عليه السلام اوعدهم بالعذاب وخوفهم فسألوا العذاب
استهزاء وتكذيبا فقالوا متى يكون كقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقال عند ذلك قل لا
اقول لكم عندي خزائن الله ومفاتيحه انزل عليكم العذاب متى شئت ولا اعلم الغيب متى وقت نزول العذاب
عليكم ولا اقول لكم اني ملك نزلت من السماء بالعذاب انما انا رسول بشر مثلكم ما اتبع الا ما يوحى الي هذا محتمل جائز
ان يكون على اثر ذلك نزل ويحتمل وجها آخر وهو انه يخبر ابتداء اي لا اقول لكم عندي خزائن الله لاني لو قلت عندي
خزائن الله وانا اعلم الغيب واني ملك كان ذلك اشد اتباعا وارغب واكثر اطاعة لكن تقولوا انما انا بشر مثلكم يوحى
لتعلموا اني صادق ومحق فيما ادعوكم اليه وقوله عز وجل قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول
لكم اني ملك يعلم بالاحاطة ان هذا ونحوه خرج على الجواب لاسولة كانت منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن
لسنا نعلم ما كانت تلك الاسولة كانت من اولئك حتى كان هذا جوابا لهم فلا نفسر ولكن نتقف مخافة الشهادة
على الله يحتمل ان يكون جوابا لما ذكر في آية اخرى وهو قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون
لك جنة من نخيل وعنب فقال عند ذلك لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب جوابا لسؤال وقت الساعة
او وقت نزول العذاب وقوله عز وجل ولا اقول لكم اني ملك جواب لقولهم او ترقى في السماء فقال عند ذلك لا اقول اني
اعلم الغيب حتى اعلم الغيب وقت نزول العذاب او قيام الساعة ولا اقول اني ملك حتى ارقى في السماء وقوله قل هل يستوي
الاعمى والبصير افلا تتفكرون اي تعرفون انتم انه لا يستوي الاعمى اي من عمي بصره والبصير اي من لم يعم بصره كيف
لا تعرفون انه لا يستوي من عمي عن الآيات ومن لم يعم عنها او تقولوا فاذا لم يستو الاعمى والبصير كيف يستوي من يتبع
عن الحق ومن لم يتبع افلا تتفكرون انهما لا يستويان وقوله عز وجل افلا تتفكرون في آيات الله وما ذكركم او تقول
افلا تتفكرون في وعظكم الله تعالى وقوله عز وجل وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع اختلف فيه قال بعضهم هو صلة قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب الآية اياس
الكفرة عما سألوا من الاشياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر بالانذار الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم وهم المؤمنون اي يعلمون انهم يحشرون الى ربهم وان ليس لهم ولي يدفع عنهم ما يحل بهم ولا شفيع
يشفع لهم ما لم يعطوا وجائز ان يكون تخصيص الامر بانذار المؤمنين لما كان الانذار ينفعهم ولا ينفع غيرهم
وليس فيه لا ينذر غيرهم وهو كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب ليس فيه انه لا ينذر من
لم يتبع الذكر ولا خشي الرحمن ولكن انبأ انه انما ينفع هؤلاء كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اخبر ان الذكرى
تنفع المؤمنين ولا تنفع اولئك ينذر الفريقين من اتبع ومن لم يتبع ومن نفع ومن لم ينفع ويكون قوله ليس لهم ولي
يعني ليس لاولئك اولياء ولا شفعاء لانهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى ونحوه اخبر ان ليس لهم ولي ولا شفيع دونه وقوله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون يذكر في بعض القصة ان رجالا من اصحاب رسول الله كانوا يسبقون الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيجلسون قريبا منه فيجيء اشراف القوم وسادتهم وقد اخذ اولئك المجلس فيجلس هؤلاء ناحية فقالوا اعز
ان يجلس ناحية فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا سادات قومك واشرافهم فلو ادنيتنا منك
المجلس فهم ان يفعل ذلك فانزل الله هذه الآية يعاتب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي الآية والى هذا يذهب عامة اهل التاويل لكنه بعيد ينسبون رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى وحش فعل واخشه ما لو كان فيه اسقاط نبوته ورسالته اذ لا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم
يقرب اعداءه ويدني مجلسهم منه ويبعد الاولياء هذا لا يفعله سفيه فضلا ان يفعله رسول الله المصطفى
على جميع بريته او يخطر بباله شيء من ذلك وكان فيه ما يجد الكفرة عليه مطعنا يقولون يدعو الناس الى التوحيد
والايمان به والاتباع له فاذا فعلوا ذلك واجابوه طردهم وابعد مجلسهم منه هذا العمري مدفوع في عقل كل
عاقل ولكن ان كان فجائز ان يكون منهم طلب ذلك طلبوا منه ان يدني مجلسهم ويبعد اولئك هذا يحتمل واما

ان بهم

ان بهم ان يفعل ذلك او خطر بباله شيء من ذلك فلا يحتمل وجائز ان يكون هذا من الله ابتداء تأديب وتعليم يعلم
رسوله صحبة اصحابه ومعاملته معهم كقوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ونهى ان يمد
عينيه الى ما متع اولئك كقوله ولا تمدن عينيك الآية ويخبره عن عظيم قدرهم عند الله وقد ذكرنا ان العصمة
لا تمنع الخطر بل العصمة تزيد في النهي والزجر واخبر ان ليس عليه من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
فانما عليك البلاغ وعليهم الاجابة وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله عز وجل يدعون ربهم
بالغداة والعشي يشبه ان يكونوا يجتمعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل غداة ومساء فيستمعون
منه ثم يفترقون على ما عليه امر الناس من الاجتماع في كل غداة ومساء عند الفقهاء واهل العلم وجائز
ان يكون ذكر الغداة والعشي كناية عن النهار جملة كقوله والضحى والليل اذا سجى ليس يريد بالضحى الضحوة
خاصة ولكن النهار كله الا ترى انه قال والليل اذا سجى ذكر الليل دل انه كان الضحى كناية عن النهار جملة
فعلى ذلك الغداة والعشي يجوز ان يكون كناية عن الليل والنهار جملة والله اعلم وجائز ان يكونوا اصحاب
الحرف والمكاسب لا يتفرغون للاجتماع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستماع منه في عامة
النهار ولكن يجتمعون اليه ويستمعون منه بالغداة والعشي فكان ذكر الغداة والعشي لذلك او لما ذكرنا
وجائز ان يكون المراد بذكر الغداة والعشي صلوة الغداة وصلوة العشاء يقول لا تطرد من يشهد هاتين
الصلاتين وانما يشهدهما اهل الايمان واما اهل النفاق فانهم لا يشهدون هاتين الصلاتين ويحتمل ما ذكرنا
وقوله عز وجل فتطردهم فتكون من الظالمين الظلم على وجوه ظلم كفر وظلم شرك وظلم يكون بدونه وهو ان
يمنع احدا حقه او اخذ منه حقا بغير حق فهو كله ظلم والظلم هاهنا والله اعلم يشبه ان يكون هو وضع الحكمة
في غير اهلها لانه لو كان منه ما ذكر من طرد اولئك وادناء اولئك لم يكونوا اهلا للحكمة ويجوز ان يوصف
واضع الحكمة في غير موضعها بالظلم على ما روي في الخبر ان من وضع الحكمة في غير اهلها فقد ظلمها ومن منعها عن
اهلها فقد ظلمهم وقوله عز وجل وكذلك فتنا بعضهم ببعض وقوله وكذلك لا يتكلم الا على امر سبق فهو والله اعلم يحتمل ان
يقولوا لما قالوا يا محمد رضيت بهؤلاء الاعبد من قومك افنحن نكون تبعا لهؤلاء ونحن سادة القوم واشرافهم فقال
عند ذلك وكذلك فتنا بعضهم ببعض اي كما فضلتكم على هؤلاء في امر الدنيا فكذلك فضلتهم عليكم في امر الدين ويكون
هم المقربين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدنيين مجلسهم اليه وانتم اتباعهم في امر الدين وان كانوا هم
اتباعكم في امر الدنيا وكذلك امتحان بعضهم ببعض ويحتمل وجها آخر وهو ان يقال كما كان له امتحان كل في نفسه
ابتداء محنة كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وكقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله ولنبلونكم بشيء من
الخوف والجوع الآية فعلى ذلك له ان يمتحن بعضكم ببعض واشد المحن ان يامر المتبوع ومن يرى لنفسه فضلا بالخضوع
للتابع ومن هو دونه منزلة يشتد ذلك عليه ويتعذر لما كانوا يرون هم لانفسهم الفضل والمنزلة في امر الدنيا فظنوا
انهم كذلك يكونون في امر الدين وعلى ذلك يخرج لما امتحن ابليس بالسجود لآدم رأى لنفسه فضلا عليه فقال انا خير منه
ولم ير الخضوع لمن دونه عدلا وحكمة فصار ما صار فعلى ذلك هؤلاء لم يروا اولئك الضعفة ان يكونوا متبوعين عدلا
وحكمة وظنوا انهم لما كانوا مفضلين في امر الدنيا وكان لهؤلاء اليهم حاجة يكونون في امر الدين كذلك ويقولون
لو كان خيرا ما سبقونا اليه ونحوه من الكلام وقوله عز وجل ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا قال بعضهم هو موصول
بالاول يقول فتنا بعضهم ببعض ليقولوا يقول الكافر قول الكفر والمؤمن قول الايمان ثم ابتداء فقال اهؤلاء اي يقول
الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا وقال بعضهم قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ليس مفصول من قوله ليقولوا
ولكن موصول به ليقولوا يعني الكفرة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ثم يحتمل قوله اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالحفظ
بالتقريب والادناء في المجلس وجعلهم متبوعين من بيننا بعد ما كانوا اتباعا لنا فقال عند ذلك اليس الله باعلم
بالشاكرين اي عرف هؤلاء نعمه الله تعالى ووجهوا شكرها اليه وانتم وجهتم شكرها الى غيره بعدما عرفتم انه هو المنعم
عليكم والمسدي اليكم وقوله عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم هذا يدل على ان النهي عن الطرد
ليس للابعاد خاصة في المجلس ولكن في كل شيء في بشاشة الوجه واللطف في الكلام وفي كل شيء لانه قال فقل سلام
عليكم وقوله عز وجل كتب ربكم على نفسه الرحمة قال بعضهم ربكم على نفسه الرحمة هو ان يبدأهم بالسلام فذلك الذي
الذي كتب على نفسه الرحمة وقال بعضهم قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اي لم يأخذ في اول ما وقعوا في المعصية ولكن
امهلهم الى وقت وجعل لهم المخرج من ذلك بالتوبة وعلى ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يقبل الله
للعبد التوبة الى ان يأتيه الموت وقوله عز وجل انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم
اي كل من عمل سوءا بجهالة ثم تاب من بعد ذلك واصلح انه يغفر له ما كان منه ومن قرأها بالنصب عطفه على قوله
كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم لذلك وجائز ان يكون
قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة اي كتب على خلقه الرحمة ان يرحم بعضهم بعضا وجائز ما ذكرنا انه كتب على نفسه الرحمة اي
كتب على خلقه الرحمة ان يرحم بعضهم بعضا وجائز ما ذكرنا انه كتب على نفسه الرحمة اي اوجب ان يرحم ويغفر لمن تاب
وقوله من عمل منكم سوءا بجهالة جائز ان يكون الآية في الكافر اذا تاب يغفر الله له ما كان منه في حال الكفر والشرك
كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الآية وقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله

ان يكون في المؤمنين ثم ذكر علامة بجهالة وان لم يكن يعمل بالجهل لان الفعل فعل الجهل وان كان فعله لم يكن على الجهل وكذلك ما ذكر
من النسيان والخطأ في العمل لان فعله فعل ناس وفعل مخطئ وان لم يفعله الكافر على النسيان والخطأ والنسيان لكان لا يؤاخذه
كقوله وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به لكن الوجه ما ذكرنا ان الفعل فعل نسيان وخطأ وان لم يكن ناسيا ولا مخطئا فيه
وعلى ذلك فعل جهل وان لم يكن جاهلا والفعل فعل جهل ولم يكن بالجهل والمؤمن جميع ما يتعاطى من المساوي يكون
بجهالة لانه انما يعمل السوء اما لغلبة شهوة او للاعتماد على كرم ربه بالعفو عنه والصفح من ذلك او يعمل السوء على نية التوبة
والعزم عليها في اخرة على هذه الوجوه الثلاثة يقع المؤمن في المعصية واما على التعمد فلا يعمل وقوله عز وجل وكذلك نفصل
الايات ولتستبين سبيل المجرمين قرئ بالياء والتاء جميعا فمن قرأ بالتاء نصب السبيل بجعل الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اي لتعرف سبيل المجرمين ومن قرأ بالياء رفع السبيل كانه قال نفصل الايات وجوها اي نبين الايات ما به
الناس يعرفون انها ايات من عند الله غير مخترعة من عند الخلق ولا مفتراة ما يتبين سبيل المجرمين من سبيل المهتدين والثاني
نفصل الايات ما بالخلق حاجة اليها والى معرفتها والثالث نبين من الايات ما نبين بين المختلفين اي بين سبيل المجرمين
وبين سبيل المهتدين ولتستبين سبيل المجرمين تاويله ما ذكرنا ان من قرأ بالتاء حمله على خطاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي نبين من الايات لتعرف سبيل المجرمين بالنصب ومن قرأ بالياء نبين من الايات ليتبين سبيل المجرمين
من سبيل غير المجرمين والله اعلم وقوله عز وجل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله معناه والله اعلم
اني نهيت بما اكرمت من العقل واللب ان اعبد الذين تعبدون من دون الله او يقول اني نهيت بما اكرمت من الوحي
والرسالة ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين ثم اخبر ان ما يعبدو
هم من دون الله انما يعبدون اتباعا لهوى انفسهم وان ما يعبد هو ليس تتبع هوى نفسه ولكن انما يتبع الحجة والسمع
وما يستحسنه العقل الا ترى انه قال قل اني على بينة من ربي اي على حجة من ربي يخبر ان ما يعبدهم هو ان يعبد اتباعا للحجة
والعقل وما يعبدون اتباعا لهوى انفسهم وما يتبع بالهوى يجوز ان يترك اتباعه ويتبع غيره لما تهوى نفسه هذا
ولا تهوى الاول واما ما يتبع بالحجة والسمع وما يستحسنه العقل فانه لا يجوز ان يترك اتباعه ويتبع غيره وفيه
تعريض تسفيههم لانه قال قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اي لو اتبعت هواكم لضللت اذا وانتم
اذا اتبعتم اهواكم لعبادتكم غير الله ضالون ولستم من المهتدين فهو تعريض التسفيه لهم والشتم منه وقوله عز وجل
قل اني على بينة من ربي وكذبتم قيل على بيان من ربي وحجة وقيل على دين من ربي وقوله عز وجل وكذبتم به قيل بالقران
وقيل العذاب ما اوعدتكم ويحتمل كذبتم ما وعدتكم وقوله عز وجل ما عندي ما تستعجلون به اي العذاب كقوله تعالى ويستعجلو
بالعذاب وغيره فقال ما عندي ما تستعجلون به من العذاب ثم هذا يدل على ان قوله قل لا اقول لكم عندي خزائن
الله ولا اعلم الغيب ان المراد بالخزائن العذاب اي ليس عندي ذلك انما ذلك الى الله وعنده ذلك وهو قوله ان الحكم
الا لله اي ما الحكم والقضاء الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين اختلف في تلاوته وتاويله قرأ بعضهم بالضاد والبعض
بالصاد فمن قرأ بالصاد يقص يقول يبين الحق لان القصص هو البيان وقال اخر وهو خير الفاصلين اي خير المبينين و
ومن قرأ بالضاد يقول يقضي بحكم ثم اختلف فيه قال بعضهم اي يقضي بالحق وكذلك روي في حرف ابن مسعود
رضي الله عنه انه قرأ يقضي بالحق وقيل فيه اضمار اي يقضي ويحكم وحكمه الحق وهو خير الفاصلين اي القاضين و
الفصل والقضاء واحد لانه بالقضاء يفصل والله اعلم وقوله عز وجل قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني
وبينكم عن ابن عباس رضي الله عنه لو ان عندي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم وقيل لقضي
الامر بيني وبينكم اي لعجلته لكم بالقضاء فيما بيننا يخبر عن رحمة الله وحلمه اي لو كان بيدي لارسلت عليكم لكن الله بفضله
ورحمته يؤخر ذلك عنكم ثم فيه نقض على المعتزلة في قولهم بان الله لا يفعل بالعبد الا الاصلح في الدين لانه قال
قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم ثم لا يحتمل ان تاخير العذاب والهلاك خير لهم واصلح ثم
هو يهلكهم ويكون عظة لغيرهم وزجرا لهم ثم ان الله تعالى اخر ذلك العذاب عنهم وان كان فيه شر لهم فدل ان
الله قد يفعل بالعبد ما ليس ذلك باصلح له في الدين وقوله عز وجل والله اعلم بالظالمين اي عليم بمن الظالم منا ومنكم
وقوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو هذا والله اعلم يحتمل ان يكون صلة قوله قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب وصلة قوله ما عندي ما تستعجلون به كانوا يطلبون منه صلى الله عليه وسلم وسالوه
اشياء من التوسع في الرزق وغير ذلك مما كان يعدهم من الكرامة والمنزلة والسعة وكان يوعدهم بالعذاب ويخوفهم
بالهلاك فيستعجلون ذلك منه ما وعدهم فقال وعنده مفاتح الغيب ليس ذلك عندي لا يعلم ذلك الا هو ومفاتح
من المفتح ليس من المفتاح يكون جمعه مفاتيح والمفتح يقال في النصر والمعونة يقال فتح الله عليه بلد كذا اي نصره وجعله
غالبا عليهم ويقال فيما يجد ثم ويستفيد منه فتح فلان على فلان باب كذا اي علمه علم ذلك وقوله عز وجل مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو اي من عنده يستفاد ذلك ومنه يكون ومن نصر اخر انما ينصر به ومن علم اخر علما انما يعلمه به ومن
وسع على اخر رزقا انما يوسعه بالله كل هذا يشبه ان يخرج تاويل الاية وقوله عز وجل ويعلم ما في البر والبحر هذا يحتمل
وجوها يحتمل ما في البر والبحر اي يعلم ما في البر والبحر من الدواب وما يكون فيها من ذي الروح كثرتها وعددها وصغيرها
لا يخفى عليه شيء والثاني يعلم ما في البر والبحر اي يعلم رزق كل ما في البر والبحر ويعلم حاجته ثم يسوق الى كل من ذلك رزقه
بغير هذا والله اعلم ليعلموا انه لما ضمن للخلق لكل منهم رزقهم يسوق اليه رزقهم من غير تكلف ولا طلب كما يسوق ارزاق

ما في البحر

ما في البر والبحر من غير طلب ولا تكلف لا يضيق قلوبهم لذلك فما بالكم تضيق قلوبكم على ذلك وقد ضمن ذلك لكم كما ضمن
لاولئك والثالث يعلم ما في البر والبحر من اختلاط الاقطار بعضها ببعض ومن دخول بعض في بعض يخرج هذا على
الوعيد انه لما كان عالما بهذا كله يعلم باعمالكم ومقاصدكم فان قيل هذا الذي ذكر كله في الظاهر دعوى فما الدليل
على انه كذلك قيل اتساق التدبير في كل شيء واثاره فيه يدل على انه كان بتدبير واحد لان اثار التدبير في كل شيء
وانشاءه على سنن واحد ظاهرة بادية فذلك يدل على ما ذكر وقوله عز وجل ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين الاية
ويحتمل الكتاب هاهنا التقدير والحكم اختلف فيه بعضهم قوله الا في كتاب مبين اي محفوظ كله عندي يقول الرحمن
لا يخرج ذلك كله عندي مكتوب يريد الحفظ اي محفوظ عندي وذلك ما تعرف الكلام وقيل الكتاب هاهنا هو اللوح المحفوظ
اي كله يبين فيه وقال الحسن رحمه الله ان الله يخرج كتابا في كل ليلة القدر ويدفع الى الملائكة وفيه مكتوب كل ما يكون
في تلك السنة ليحفظوهم على ما يكون او كلام نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم
بالنهار وقال بعض اهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا يقبض عند النوم ثم يرد اليها سوى روح الحيوة
فانه لا يقبض لانه يكون اصم بصيرا متكلما ناطقا ويكون اعمى سميعا ويكون اخرس سميعا بصيرا فثبت ان لكل حاسة
من حواس النفس روحا على حدة يقبض عند النوم ثم يرد اليها اذا ذهب النوم واما الروح الذي به تحيى النفس
فانه لا يقبض فانه لا يقبض ذلك منه الا عند انقضاء اجله وهو الموت وقالت الفلاسفة الحواس هي التي
تدرك صور الاشياء بطينتها وقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار فيه دلالة ان ليس
ذكر الحكم في حال او تخصيص الشيء في حال دلالة سقوط ذلك في حال اخرى لانه قال ويعلم ما جرحتم بالنهار ليس
فيه انه لا يعلم ما جرحتم بالليل بل يعلم ما يكون منا بالليل والنهار جميعا وليس فيه انه لا يتوفانا بالنهار وان لا يخرج
بالليل لكنه ذكر الخروج بالنهار والوفاة بالليل لما ان الغالب ان يكون النوم بالليل والخروج بالنهار فهو كقوله تعالى
وجعل النهار مبصرا ليس ان لا يبصر بالليل لكن ذكر النهار لما ان الغالب مما يبصر انما يكون بالنهار فعلى ذلك
الاول ثم فيه دلالة ان النائم غير مخاطب في حال نومه حيث ذكر الوعيد فيما يجرحون بالنهار ولم يذكر بالليل
وقوله عز وجل ويعلم ما جرحتم بالنهار قال بعضهم جرحتم اي عملتم بالنهار وقيل يعلم ما كسبتم بالنهار وقوله
عز وجل ثم يبعثكم فيه يستدل بقوله يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم فيه على الاحياء بعد الموت لانه يذهب روح
هذه الحواس ثم يردها اليها من غير ان يبقى لها اثر فكيف تنكرون البعث بعد الموت وان لم يبق من اثر الحيوة
القول في الجمع بعد التفرق مما الخلق يفعل ذلك ويقدر عليه نحو ما يجمع من التراب المتفرق فيجعله طينا ورفع
البناء من مكان ووضعه في مكان اخر وغير ذلك من جمع بعض الى بعض وتركيب بعض على بعض فدل ان لا تحويه
في رد ما ذهب كله حتى لم يبق له اثر الا في جمع ما تفرق والله اعلم وقوله عز وجل ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم ويرد اليكم
ارواح الحواس ليقضي اجل مسمى العمر الى الموت ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون خرج هذا على الوعيد لما
ذكرنا ليكونوا على حذر وقوله عز وجل ويعلم ما جرحتم بالنهار وقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما
في البر والبحر يعلم كل ما يغيب عن الخلق ولا يخفى عليه شيء لانه عالم بذاته لا يحجبه شيء فليس كعلم من يعلم بغيره فيحول
بينه وبين العلم بالاشياء الحجب والاستار فاما الله سبحانه وتعالى عالم بذاته لا يعزب عنه شيء ولا يكون
له حجاب عن شيء وقوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة فيه جميع ما يحتاج اهل التوحيد
في التوحيد لانه اخبر انه قاهر خلقه وهم مقهورون ومن البعيد ان يشبه القاهر المقهور بشيء او يشبه
المقهور القاهر بوجه او يكون شريك القاهر في معنى لانه لو كان شيء من ذلك لم يكن قاهرا من جميع الوجوه
ولا كان الخلق مقهورا في الوجوه كلها فاذا كان الله قاهرا بذاته الخلق كله كان اثار قهره فيهم ظاهرة واعلام
سلطانه فيهم بادية دل على تعاليه عن الاشباه والاضداد وانه كما وصف ليس كمثله شيء وقوله وهو القاهر
فوق عباده يكون على وجهين احدهما وهو القاهر وهو فوق عباده والثاني على التقديم والتاخير وهو فوق
عباده القاهر ويحتمل قوله فوق عباده بالنصر والمعونة والدفع عنهم كقوله يد الله فوق ايديهم اي بالنصر
والمعونة والعظمة والرفعة والجلال ونفاذ السلطان والربوبية وقوله عز وجل ويرسل عليكم حفظة اخبر انه
القاهر فوق عباده وانه ارسل عليهم الحفظة ليعلموا ان ارسال الحفظة عليهم لا لحاجة له لم يكن قاهرا لان
كل من وقعت له حاجة صار مقهورا تحت قهر اخر فالله تعالى يتعالى عن ان تمسه حاجة او يصيبه شيء مما يصيب
الخلق بل انما ارسلهم عليهم لحاجة الخلق اما امتحانا منه للحفظة على حفظة اعمال العباد والكتابة عليهم من
غير ان تقع له في ذلك حاجة يمتحنهم على ذلك والله ان يمتحن عباده بما شاء من انواع المحن وان اكرمهم ووصفهم
بالطاعة في الاحوال كلها بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وغير ذلك من الايات والثاني ارسله
عليهم محافظة اعمالهم والكتابة عليهم ليكونوا على حذر في ذلك وذلك في الزجر ابلغ واكثر لان من علم ان عليه
رقيبا في عمله وفعله كان احذر في ذلك العمل وانظر فيه واحفظ له ممن لم يكن عليه ذلك وان كان يعلم كل مسلم
ان الله عالم الغيب لا يخفى عليه شيء عالم بما كان منهم وبما يكون ومتى يكون ثم اختلف في الحفظة هاهنا قال بعضهم
هم الذين قال الله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون يكتبون اعمالهم ويحفظون عليهم وقال
اخرون هم الذين يحفظون انفاس الخلق ويعدون عليهم الى وقت انقضائها ووقتها ثم تقبض منه الروح

ويموت الا ترى انه قال على اثره حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون دل على ان الحفظة ههنا هم
الذين سلطوا على حفظ الانفاس والعد عليهم الى وقت الموت والله اعلم ثم في قوله حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا دلالة خلق افعال العباد لانه ذكر مجيء الموت وتوفي الرسل وقال خلق الموت والحيوة ومجيء الموت
هو توفي الرسل هو مجيء الموت ثم اخبر انه خلق الموت دل انه خلق توفيهم فاحتال بعض المعتزلة في هذا وقال
ان الملك هو الذي ينزع الروح ويجمعه في موضع ثم ان الله يتلفه ويهلكه فلو كان ما قال فاذا لا يموت يتوفى
الرسل ابدا لانهم اذا نزعوا وجمعوا في موضع بركا الا حيوة الموضع الذي جمعوا فيه لانه اجتمع كل روح النفس
في ذلك فان لم يكن دل ان ذلك خيال والوجه فيه ما ذكرنا من الدلالة وهو ظاهر بحمد الله يعرفه كل من تامل
فيه ولم يعاند وبالله التوفيق ثم اختلف في قوله توفته رسلنا قال بعضهم هو ملك الموت وحده وان اخرج
الكلام مخرج العموم بقوله رسلنا والمراد منه الخصوص الا ترى انه قال في اية اخرى قل يتوفيكم ملك الموت الذي
وكل بكم اخبر انه هو الموكل والمسلط على ذلك وقال اخرون يتوفاه اعوان ملك الموت ثم يقبضه ملك الموت ويتوفاه
وقال قائلون يكون معه ملائكة تقبض الانفس ويتوفيهم ملك الموت لكن ذلك لا ندري كيف هو وليس بنا الى
معرفة ذلك حاجة ولكن الى معرفة ما ذكرنا وقوله وهم لا يفرطون فيه اخبار عن شدة طاعة الملائكة ربهم وان
الرافة لا تاخذهم فيما فيه تاخير امر الله وتفريطه لان من دخل على من في النزع اخذته من الرافة ما لو ملك حياته
ليذل له فاخبر عز وجل انهم لا يفرطون فيما امروا ولا يؤخرونه لتعظيمهم امر الله وشدة طاعتهم له وعلى ذلك
وصفهم غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال عز وجل لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون وقال لا يفترون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله عز وجل ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ذكر الرد الى الله وانه
مولاهم الحق وان كانوا في الاحوال كلها مردودين الى الله وكان مولاهم الحق في الدنيا والاخرة وكذلك قوله وبرزوا
لله جميعا وكذلك قوله لمن الملك اليوم لله كان الملك له في الدنيا والاخرة وكانوا بارزين له جميعا في الاوقات
كلها لما كانوا اصحاب الشرك فارتفع ذلك عنهم وتخلص بروزهم ورده الى الله خالصا لا شك فيه وكذلك كان الملك
في الدنيا والاخرة وهو الا بامكانه لكن تنازع غيره في الملك في الدنيا ولا احد ينازعه في ذلك اليوم في الملك فقال
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وعلى ذلك قوله مولاهم الحق كان مولاهم الحق في الاوقات كلها والاحوال ولكن
عند ذلك يظهر لهم انه كان مولاهم الحق وقوله ثم ردوا الى الله عز وجل يحتمل ردوا الى ما وعدهم واوعدهم وقوله
عز وجل الا له الحكم يحتمل قوله الا له الحكم في تاخير الموت والحيوة وقبض الارواح وتوفي الانفس ويحتمل قوله له
الحكم والتعذيب في النار والثواب والعقاب ليس يدفع ذلك عنهم دافع سواه ولا ينازعه احد في الحكم وهو اسرع
الحاسبين من الحسن قال هو سريع العقاب لانه انما يحاسب ليعذب كما روي من نوقش الحساب عذب وهو اسرع
الحاسبين لانه لا يحاسب عن حفظ وتذكر ولا يشغله شيء واما غيره فانما يحاسب عن حفظ وتفكر وعن شغل
فهو اسرع الحاسبين لانه لا يشغله شيء وقوله عز وجل قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ليس هذا على الامر ولكن
على المحاجة كقوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ليس على الامر بالسير في الارض ولكن
على الاعتبار باولئك الذين كانوا من قبل والنظر في اثارهم واعلامهم كيف صاروا بتكذيبهم الرسل وما ذا اصابهم
بذلك فعلى ذلك هذا فيه الامر بالمحاجة معهم في الهتهم انه من ظلمات البر والبحر الهتكم التي تعبدون من دون
الله وتشركونها في الوهيته وربوبيته او الله الذي خلقكم فسيخبرهم حتى قالوا هو الذي ينجينا من ذلك فقال قل الله
ينجيكم منها ومن كل كرب فاذا كان هو الذي ينجيكم من هذا لا الهتكم التي تعبدونها فكذلك هو الذي
ينجيكم من كل كرب ومن كل شدة ويحتمل قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي لا احد ينجيكم من ظلمات البر والبحر
كقوله ومن اظلم اي لا احد اظلم اي لا احد اظلم ممن تخافون على الهتكم الهلاك كما تخافون على انفسكم فلو احد سوه
ينجيكم من ذلك ومن كل كرب قال ابو بكر الكيساني هم عرفوا في الدنيا انه هو الذي ينجيهم من ذلك كله وهو الذي يعطيهم
ما اعطوا بما قامت عليهم الحجج ولم يعرفوا انه هو الذي ينجيهم في الاخرة ويهلكهم وهو هكذا عرفوا الله في الدنيا
ولم يعرفوه في الاخرة ثم اختلف في ظلمات البر والبحر قال بعضهم الظلمات هي الشدائد والكروب التي تصيبهم بالسلوك
في البر والبحر وقال اخرون الظلمات لان اسفار البحار والمفاوز انما تقطع باعلام السماء فاذا اظلم السماء بقوا
متحيرين لا يعرفون الى اي ناحية يسلكون ومن طريق ياخذون فعند ذلك يدعون الله تضرعا وخفية قال الحسن
التضرع هو ما يرفع به الصوت والخفية هو ما يدعى سرا وهو من الاخفاء وفي حرف ابن مسعود تدعونه تضرعا
وخيفة وهي من الخوف قال الكلبي في خفض وسكون وتضرع الى الله وقوله عز وجل لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين قال ابو بكر قوله لنكونن من الشاكرين اي لا نوجه الشكر الى غيرك والشكر ههنا هو التوحيد اي لئن
انجيتنا لنكونن من الموحدين لك من بعد لانهم كانوا يوحدون الله في ذلك الوقت لكنهم اذا نجوا من ذلك اشركوا
غيره في الوهيته الا ترى انه قال قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون وقوله عز وجل ثم انتم تشركون
بعد علمكم ان الاصنام التي تعبدونها لا تملك الشفاعة لكم ولا الزلفى الى الله يذكر سفههم في عبادتهم الاوثان
على علم منهم انها لا تشفع ولا تملك رفع شيء عنهم وقوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض اختلف في نزول الاية فيمن نزلت قال بعضهم نزلت في

مشركي العرب

مشركي العرب وهو قول ابي بكر الاصم لانها نزلت على اثر ايات نزلت في اهل الشرك من ذلك قوله قل لا اقول
لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب وقوله ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم الاية وقوله وهو القاهر فوق
عباده ويرسل عليكم حفظة الى قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق هذه الايات كلها نزلت في اهل
الشرك فهذه كذلك نزلت فيهم لانها ذكرت على اثرها ولان سورة الانعام نزل اكثرها في محاجة اهل
الشرك الا ايات منها نزلت في اهل الكتاب وسورة المائدة نزل اكثرها في محاجة اهل الكتاب لانه يذكر فيها
قل يا اهل الكتاب ومنهم من يقول نزلت في اهل الاسلام وهو قول ابي بن كعب وقال هن اربع فجاء منهن
ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم البسهم شيعا واذيق بعضهم باس بعض اما لبس الشيع هي
الاهواء المختلفة ويذيق بعضكم باس بعض هو السيف والقتل هذان قد كانا في المسلمين وبقي ثنتان لا بد
واقعتان ومنهم من يقول كان ثنتان في المشركين من اهل الكتاب وثنتان في اهل الاسلام وهو قول الحسن
قال فظهر في اهل الاسلام الاهواء المختلفة والقتل والفتن واما اللذان في اهل الشرك من اهل الكتاب هو
الخسف في الارض والحجارة من السماء ثم اختلف في قوله عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا
ويذيق بعضكم باس بعض عن ابن عباس رضي الله عنه قال عذابا من فوقكم اي من امرائكم او من تحت ارجلكم
اي من سفلتكم لان الفتن ونحوها انما تهيج من الامراء الجائرة ومن اتباعهم وقوله عز وجل او يلبسكم شيعا قال
الاهواء المختلفة وقوله تعالى ويذيق بعضكم باس بعض اي تسلط عليهم على بعض القتل والعذاب ومن قال
بان الاية نزلت في اهل الشرك يقول كان في اشباعهم ذلك كله اما العذاب من الفوق هو الحصب بالحجارة كما فعل
بقوم لوط ومن تحت ارجلهم وهو الخسف كما فعل بقارون ومن معه وقوله او يلبسكم شيعا يقول فرقا واحزابا
وكانت اليهود والنصارى فرقا مختلفة اليهود فرقا والنصارى كذلك كقوله والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة وقوله فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وقوله ويذيق بعضكم باس بعض هو الحرب
والقتال وقول الحسن ما ذكرنا انه ظهر في اهل الاسلام الاهواء المختلفة وظهر الحرب والقتل واما الخسف
والحصب فلم يظهر فهو في اهل الشرك ويحتمل قوله عذابا من السماء ارسلها عليهم لانهم قد اقروا انه رفع السماء
فمن قدر على رفع شيء يقدر على ارساله وقوله او من تحت ارجلكم لانهم عرفوا انه بسط الارض ومن ملك بسط
شيء يملك طيه وخسفهم وقوله عز وجل انظر كيف نصرف الايات قيل اي نردد الايات كل مرة مرة او نقول
كيف نصرف الايات ليعلم كل صدقها وحقيقتها انها من الله جاءت لعلهم يفقهون يحتمل وجوها صرفها
ليفقهوا وذلك يرجع الى المؤمنين خاصة والثاني لعلهم يفقهون اي ليلزمهم ان يفقهوا وقد الزم الكل
ان يفقهوا لكن من لم يفقه انما لم يفقه لانه ترك النظر اليه بعين الاستخفاف والثالث نصرف الايات اي نصرف
الرسول ونبلغها اليهم على رجاء ان يفقهوا لكن يفقهوا ان نظروا فيها وتاملوها وذكر لعلى لان منهم من فقه
ومنهم من لم يفقه وكذب به قومك يحتمل به بالقران ويحتمل بما ذكر من الايات ويحتمل الايمان به والتوحيد
وهو الحق وكذب به قومك وهم احق ان يصدقوك بما جئت به وانبائهم لانك نشأت بين اظهرهم فلم يأخذ كذب
قط ولا رأوك انك تختلف الى احد يعلمك فهم احق ان يصدقوك بما جئت به وانبائهم والله اعلم وقوله عز وجل
قل لست عليكم بوكيل قال عامة اهل التاويل الوكيل الحفيظ والوكيل هو القائم في الامر اي لست بقائم عليكم
لاجبركم على التوحيد والايمان شئتم او ابيتم ولست بحافظ على اعمالكم انما علي التبليغ كقوله ما على الرسول
الا البلاغ وقوله عز وجل لكل نبإ مستقر قال بعضهم لكل امر حقيقة وقيل لكل خبر غاية ينتهي اليه ويحتمل
ان يكون صلة قوله لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر اي لست عليكم بوكيل لكن لكل نبإ مستقر في
ان اغنم اموالكم واسبي ذراريكم كقوله لست عليهم بمصيطر الا من تولى وكفر ويحتمل قوله وكذب به
قومك اي بما كان وعدوا وعدوا والله اعلم وفي قوله او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض ولا له فنقض
المعتزلة لانا نعلم ان الخالق حقيقة الفعل في القتل والحرب والاهواء المختلفة ثم اضاف ذلك الى نفسه
دل ان له صنعا في افعالهم وليس كما تقول المعتزلة لانه لا يملك ذلك وكذلك ما ذكر من اضافة تلبيس
الشيع اليه رد لقولهم لانهم يقولون هم يختلفون وقد اخبر انه هو يجعلهم شيعا وذلك ظاهر النقض
عليهم لانه اخبر انه يذيق بعضهم باس بعض وهم يقولون هو لا يذيق ولكن ذلك القاتل والضارب
او المعذب هو يذيقهم دون رب العالمين وكذلك قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وهم يقولون هو لا
يعذبهم ولكن الخلق يعذبونهم وكذلك قوله ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا وهم يقولون
هؤلاء يملك تعذيبهم بايديهم وذلك رد الظاهر الاية وتركها خائبا وقوله عز وجل واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره يشبه ان يكون قوله يخوضون في اياتنا
فاعرض عنهم اي يكفرون بها ويستهزؤن بها كما قال في سورة النساء وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا
سمعتم ايات الله يكفر بها فيكون الخوض في ايات الكفر بها والاستهزاء بها ويكون قوله تعالى فاعرض عنهم
اي لا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم وقوله عز وجل فاعرض عنهم يحتمل النهي
عن القعود معهم على ما ذكرنا من قوله فلا تقعدوا معهم ويحتمل الاعراض الصفح عنهم وترك المجازاة

لمسا و يم كقوله تعالى فاصفح عنهم و قل سلام كقوله تعالى فاعرض عنهم وعظهم و قل لهم فى انفسهم قولا بليغا و قبه ه
الامر بالتبليغ فينهى عن القعود معهم والامر بالتبليغ وقوله عز وجل واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى
مع القوم الظالمين معناه والله اعلم ان الشيطان اذا انساك القعود معهم فلا تقعد بعد ذكرى ومعنى النهى بعد
ما انساه الشيطان اى لا تكن بالمحل الذى يجد الشيطان اليك سبيلا فى ذلك وقوله عز وجل وما على الذين يتقون
من حسابهم من شيء قيل فيه وحصة الجلوس معهم وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم ثم نسخ ذلك بقوله تعالى وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزؤ بها فلا تقعدوا
معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وكان النهى عن مجالستهم ليس الجلوس نفسه ولكن ما ذكرنا من خوضهم فى ايات الله
بالاستهزاء بها والكفر بها هو الذى كان يحملهم على ذلك ليس ان لا يجوز ان تجالسوهم وكذلك ما نهانا ان نسبهم
ليس ان لا يجوز لنا ان نسبهم ولكن لما كان سبنا اياهم هو الذى يحملهم على سب الله ولكن ذكرى لعلهم يتقون
يحتمل النهى عن القعود معهم وجوها نهى هؤلاء عن القعود معهم لما كان اهل النفاق يجالسونهم ويستهزون
بالايات ويكفرون بها فنهى هؤلاء عن ذلك ليرتدع اهل النفاق عن مجالستهم والثانى انه نهى المؤمنين عن
مجالستهم ليمتنعوا عن صنيعهم حياء منهم لانهم لو امتنعوا عن مجالستهم فيمنعهم ذلك عن الاستهزاء بها
والكفر بها لما كانوا يرغبون فى مجالسة المؤمنين فيئذ كوون عند قيامهم عنهم فيتقون الخوض والاستهزاء
ولا يخافون ان يعرفوا فى الناس بترك مجالستهم المؤمنين فيحملهم ذلك على الكف عن الاستهزاء بالايات وبرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى وذر الذين اتخذوا لعبا ولهوا دينا
على التقديم والتاخير والثانى اتخذوا اللعب واللهو دينهم حتى لا ينقادوا اللعب واللهو لان الذين انما يتخذ
للابد فعلى ذلك اتخذوا اولئك اللعب واللهو للابد كالدين ثم هو يخرج على وجوه احدها اتخذوا دينهم عبادة ما لا
ينفع ولا يضر ولا يبصر ولا يسمع ولا يعلم ومن عبد من هذا وصفه واتخذ ذلك دينا فهو عابث لاعب والثانى
اتخذوا دينهم ما تولت انفسهم ودعتهم الشياطين اليه ومن اتخذ دينه بهوى نفسه وما دعته نفسه اليه فهو
عابث لاعب والثالث صار دينهم لعبا وعبثا لانهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ومن لم يقصد بدينه الذى دان بر
عاقبة فهو عابث مبطل كقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية صير عدم الرجوع اليه عبثا وقوله وغرتهم
الحيوة الدنيا اى شغلهم ما اختاروا من الحيوة الدنيا والميل اليها عن النظر فى الايات والبراهين والحجج او ان يكون
قوله وغرتهم اى اغتروا بالحيوة الدنيا اضاف التغرير الى الحيوة الدنيا لما بها اغتروا والله اعلم وقوله عز وجل
وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت قيل وذكر به قبل ان تبسل نفس بما كسبت وانما يذكرهم بهذا لئلا يقولوا غدا
انا كنا عن هذا غافلين واصل الابسال الاهلاك والاسلام للجناية والهلاك ثم اختلف فى قوله ان تبسل نفس بما
كسبت عن ابن عباس قال ان تفضح نفس بما كسبت وقيل تبسل تؤخذ وتحبس وهو قول قتادة وكذلك قال فى قوله
ابسلوا بما كسبوا اى حبسوا بما كسبوا وعن ابن عباس رضى الله عنه ابسلوا اى فضحوا على ما قال فى تبسل وعن الحسن
تبسل اى تسلم للهلكة وعن الكيسانى تبسل تجزى نفس بما كسبت وقال الفراء تبسل ترهن واصل الابسال هو الاسلام
وتفسيره ما ذكر على اثره وهو قوله ليس لها من دون الله من ولى ولا شفيع كما يكون بعضهم شفيعا لبعض فى الدنيا و
اعوانا لهم وانصارا فى دفع المضار والمظالم عنهم وجر المنافع اليهم واما فى الاخرة فان كل نفس تسلم بما كسبت
لا شفيع لها ولا ولى كقوله يوم يفر المرء من اخيه وكقوله وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة وغير ذلك من الايات
تسلم كل نفس الى كسبها لا شفيع لها ولا ولى وقوله وذكر به يحتمل بالقران والايات ويحتمل به اى بالله اى عظ به ان
تهلك نفس بما كسبت وقوله عز وجل وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اختلف فيه قال بعضهم العدل الفداء يقول
وان فدت نفس كل الفداء لتتخلص مما حل بها لم يؤخذ ولم يقبل منها ذلك وقال الحسن العدل كل عمل البر والخير
اى وان عملت كل عمل البر والخير من الفداء والتوبة لم يقبل منها ذلك يخبر ان الدار الاخرة ليست بدار العمل ولا يقبل
فيها الرشى كما تقبل فى الدنيا واخبر ان لا يكون شفعاء يشفعون لهم ولا اولياء ينصرونهم ليس كالدنيا لان من
اصابه فى هذه الدنيا شيء او حل به عذاب او غرامة فانما يدفع باحدى هذه الخلال الثلاثة واما بشفعاء يشفعونه
او باولياء ينصرونه او بالرشى فاخبر ان الاخرة ليست بدار تقبل فيها الرشى فيدفع ما حل بهم او اولياء ينصرونهم
فى دفع ذلك عنهم او شفعاء يشفعونهم فان قيل ما معنى ذكر العدل والفداء وليس عنده ما يفدى ولا يبذل وما
يكن من العمل قيل معناه والله اعلم اى لو مكن لهم من الفداء ما يفدون فى دفع ذلك عن انفسهم ومكن لهم
من العمل ما لو عملوا لم يقبل ذلك منهم وقوله عز وجل اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا قد ذكرنا الاختلاف فى الابسال
واصله الاسلام يسلمون لما اكتسبوا لا يكون لهم شفعاء ولا اولياء ولا يقبل منهم الرشى وقوله عز وجل لهم
شراب من حميم قيل الحميم هو ماء حار ينتهى حره يغلى ما فى البطن اذا وصل اليه فيشبه ان يكون لهم من الشراب
ما ذكر لما تناولوا فى الدنيا من الشراب المحرم فكان لهم فى الاخرة الحميم مكان ذلك والعذاب الاليم لما اعطوا انفسهم
فى الدنيا من الشهوات واللذات جزاء ذلك وقوله عز وجل قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يحتمل هذا وجوها
يحتمل ان يكون اولئك الكفرة دعوا رسول الله والمؤمنين الى عبادة الاصنام التى كانوا يعبدونها فقال عند ذلك
انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا بعد ما عبدنا الله الذى نفعنا وضرنا وكان اهل الكفر يدعون اهل

الاسلام الى عبادة الاوثان التى كانوا يعبدونها انما طمعا بشيء يبذلونهم ليرجعوا الى عبادة الاصنام والاوثان عن عبادة
الله او تخويفا منهم لهم فقال قل يا محمد اندعوا من دون الله ما لا يملك نفعنا ان عبدناه ولا يملك ضرنا ان تركنا عبادته
بعد ما عبدنا الذى يملك نفعنا ان عبدناه ويملك ضرنا ان تركنا عبادته وعن ابن عباس رضى الله عنه قل اندعوا من
دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا هذا مثل ضربه الله للاصنام التى عبدوها دون الله ومن يدعوا اليها وللدعاة الذين
يدعون الى الله والى عبادته كمثل رجل ضل عن الطريق فانه ضال اذ ناداه مناد يا فلان بن فلان هلم الى الطريق وقوله
عز وجل ونرد على اعقابنا فى الكفر والشرك بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران يقول
مثلهم ان كفروا بعد الايمان كمثل رجل كان مع قومه على الطريق فيضل الطريق فحيرته الشياطين فى الارض واصحابه
على الطريق فجعلوا يدعونه اليهم يقولون ائتنا فانا على الطريق قال فلم يأتهم فذلك مثل من تبعكم بعد المعرفة
بمحمد ومحمد صلى الله عليه وسلم هو الذى يدعوهم الى الطريق وهو الهدى ويحتمل ان يكون المثل الذى ضرب من وجه
اخر وهو ان مثل هؤلاء كمثل من كان فى بعض المفاوز والبرارى فضل الطريق فذهبت به الغيلان حتى اوقعوه
فى الهلكة وهو الذى تقدم ذكره ويشبه ان يكون قوله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران له اصحاب
يدعونه الى الهدى ائتنا انه ما من احد من مشرك ومؤمن الا وله اصحاب يدعونه اما المؤمن فله اصحاب من
الملائكة يدعونه الى الهدى والكافر له شياطين يدعونه الى الشرك هذا اشبه ان يحمل عليه لكن اهل التأويل
حملوا على ما ذكرنا قال قتادة هذه خصومة علمها الله محمدا يخاصم بها اهل الشرك لان سورة الانعام نزل
اكثرها فى محاجة اهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنه استهوته اضلته قال ابو عوسجة اى ذهبت به استهوته
واهوته واحد اى دعته الى الهلكة وقيل اضلته وقوله نرد على اعقابنا اى نرجع عن الايمان الى الشرك بعد اذ هدانا الله
وقوله عز وجل ان هدى الله هو الهدى قيل بيان الله هو البيان وقيل ان دين الله هو الهدى وهو الدين وقوله
عز وجل وامرنا لنسلم لرب العالمين قيل هذا صلة قوله قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا وامرنا لنسلم
لرب العالمين ولنقيموا الصلوة ولنتقوه وقال بعضهم ليس على الصلة ولكن على الابتداء امرنا لنسلم لرب العالمين
وقيل لهم اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون قد ذكرنا وقوله عز وجل وهو الذى خلق السموات
والارض بالحق قيل قوله بالحق اى خلق السموات والارض بالحق لم يخلقهما باطلا كقوله سبحانه وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا قيل لم يخلقهما باطلا ولكن خلقهما بالحق وهو يحتمل وجوها قيل خلقهما للعاقبة لان
كل امر لا عاقبة له فهو باطل ليس بحق فانما خلق السموات والارض وما بينهما للعاقبة وذلك لامر عظيم كقوله
ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل قوله بالحق اى خلقهما ليمتحن فيهما وامتحنة سكانهما لم يخلقهما لغير
شيء وقيل بالحق اى خلقهما بالحكمة من نظر فيهما وتدبر له دلاه على ان لهما خالقا ومدبرا ولدلاه على ان مدبرهما
ومنشئهما واحد فاذا كان كذلك فكان خلقهما بالحق بالحكمة والعلم وقوله عز وجل كن فيكون قد ذكرنا ان قوله
كن هو اوجز كلام فى لسان العرب يعبر به فيفهم منه لا ان كان من الله كاف ونون لكنه ذكروا الله اعلم ليعلموا
ان ليس على الله فى الاحياء والانشاء بعد الموت مؤنة كما لم يكن على الخلق فى التكلم بكن مؤنة ولا يصعب عليهم ذلك
فعلى ذلك ليس على الله فى البعث بعد الموت مؤنة ولا صعوبة والثانى ذكر هذا السرعة نفاذ البعث كقوله ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة اخبر ان قولهم وبعثهم ليس الا كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة وكقوله وما
امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب يخبر لسرعة نفاذ الساعة وبعثهم وذلك ان الرجل قد يلمح البصر وهو لا
يشعر به فعلى ذلك القيمة قد تقوم وهم لا يشعرون والثالث يذكر هذا والله اعلم ان البعث بعد الموت
والاحياء اعادة الشيء عندكم اهون من ابتداء انشاء وعلى ذلك يخرج قوله وهو اهون عليه اى هو اهون عليه
عندكم وقوله عز وجل قوله الحق يحتمل قوله الحق اى البعث بعد الموت حق على ما اخبر ويحتمل قوله الحق اى ذلك
القول منه حق يكون كما ذكر وقوله عز وجل وله الملك ذلك اليوم كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وكقوله الملك يومئذ لله ذكر هذا والله اعلم لما لا ينازعه احد فى ملك ذلك اليوم وقد نازعه الجبابرة فى الملك
فى الدنيا وان لم يكن لهم ملك ولا الوهيته ويحتمل قوله وله الملك اى ملك جميع الملوك لله فى الحقيقة كقوله
مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وقوله عز وجل يوم ينفخ فى الصور قال بعضهم النفخ هو الروح والروح من الريح
والروح انما يدخل بالنفخ فنفخنا فيه من روحنا وقال بعضهم لا يكون هنا له فى الحقيقة نفخ ولكن يذكر لسرعة
نفاذ الساعة لان الرجل قد يتنفس وهو لا يشعر به فذكر هذا لسرعة نفاذ الساعة لانه ليس شيء اسرع جريانا
ونفاذا من الريح وقال بعضهم هو على حقيقة النفخ هو ما ذكرنا وقوله عز وجل عالم الغيب يعلم ما يغيب الخلق
بعضهم من بعض الشهادة ما يشهد بعضهم بعضا ويحتمل عالم الغيب اى يعلم ما يكون اذا كان كيف كان او يعلم
وقت كونه والشهادة ما كان وشوهد يخبر انه لا يغيب عنه شيء ولا يعزب منه وهو الحكيم فى خلق السموات
والارض وخلق ما فيهما والحكيم فى بعثهم والحكيم هو واضع الشيء موضعه الخبير بكل شيء وقوله عز وجل واذ قال
ابراهيم لابيه ازر قيل ازر هو اسم ابى ابراهيم عليه السلام والحسن يقرأ ازر بالرفع ويجعله اسم ابيه وقال
اخرون هو اسم صنم فهو على التقديم والتاخير كانه قال واذ قال ابراهيم لابيه اتتخذ ازر اصناما الهة وقوله
اتتخذ استعظاما لما يعبد من الاصنام دون الله لان مثل هذا انما يقال على العظيم من الفعل وقال ابو بكر

الكيابي قوله آزر قيل هو اسم عيث عندهم كانه قال يا ضال اتتخذ اصناما الهة كقول الرجل لاخر يا ضال وليس لنا
الى معرفة ذلك حاجة كان اسم ابيه او اسم صنم وفي الاية دلالة ان اباه كان من رؤساء قومه بقوله اني اراك وقومك
في ضلال مبين وفيه دلالة ان لا باس للرجل ان يشتم اباه لمكان دينه لان ابراهيم عليه السلام سماه ضالا وفيه
دلالة ان الايمان والتوحيد يلزم اهل الفترة في حال الفترة لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام سماهم
ضلالا لا شك فيه ولا شبهة وهو ما ذكر في اية اخرى حيث عبد ما ذكر حيث قال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا هذا الضلال المبين وقوله عز وجل وكذلك نري ابراهيم ذكر كذلك والله اعلم على
معنى كما اريناك ملكوت السموات والارض والايات كذلك كما اريناه ابراهيم ونري بمعنى اريناه وذلك جايز
في اللغة وكذلك لا تذكر الا على تقدم شيء لكن الوجه فيه ما ذكرنا كما اريناك من السموات والارض من الايات
والحجج والبراهين كذلك كما ارينا ابراهيم وقوله عز وجل ملكوت السموات والارض اختلف فيه قال بعضهم سلطان
السموات والارض وقيل الشمس والقمر والكواكب وقيل فرجت له السموات السبع حتى نظر الى ما تحت العرش وما
فيهن وكذلك فرجت له الارضون حتى راى ما فيهن وقيل ملكوت السموات والارض خبا ابراهيم صلوات الله عليه
من الجبابرة في سرب فجعل الله في اصابعه رزقا فاذا مص اصبعا من اصابعه وجد فيها رزقا فلما خرج اراه الله
الشمس والقمر فكان ذلك ملكوت السموات والارض وملكوت الارض الجبال والبحار والاشجار وقيل نظر الى
ملك الله فيها حتى نظر الى مكانه وراى الجنة وفتحت له الارضون حتى نظر الى اسفل الارضين فذلك قوله واتيناه
اجره في الدنيا قال اري مكانه في الجنة وقيل اجره الثناء الحسن وقال ابو عوسجة ملكوت السموات والارض
الملك وكذلك قال ابو عبيد وهو كجبروت ورحموت ورهبوت فكذلك ملكوت واصله ما ذكر من الايات
والعجايب والله اعلم وقوله عز وجل وليكون من الموقنين الايقان بالشيء هو العلم بالشيء حقيقة بعد الاستدلال
والنظر فيه والتدبر ولذلك لا يوصف الله باليقين ولا يجوز لله ان يقال موقن لما ذكرنا هو العلم الذي يعقبه
الاستدلال وذلك منفي عنه وقوله عز وجل وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
وقيل في قوله وكذلك نري ابراهيم اي كما اريناك ملكوت ما ذكر فقوله نري بمعنى اريناه وقوله وكذلك له وجهان
احدهما انه كما اريناك ما ايقنت به ان الربوبية لله وانه الواحد لا شريك له من الايات والادلة اريناه ايضا ما ذكر
حتى ايقن فهو والله اعلم على التسوية بين الاسباب الدالة على الوحدانية لله والربوبية في المعنى وان كانت
الاعيان مختلفة وعلى ان طريق المعرفة الاستدلال بما انشا الله من الدلالة لا السمع والحس وان كان في جهة
السمع تاكيد والثاني ان يكون نريه على ما اظهر من الحجج على قومه وهو كقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه
واعطاه ما اريه واستغلبه من الحجج التي الزم قومه بما انطق بها الله عز وجل لسانه يلزم حجة الحق والله الموفق
وملكوت السموات والارض الملك في الحقيقة من الوجه الذي يكون اتم للايقان ودليلا للاخاطر بالحق ثم
اختلف في وجه ذلك فمنهم من قال هو ما اى صح اعني هذا الوجه نحو الذي ذكر من فتح السماء حتى راى ما فيها
من العجايب والايات الى العرش او حيث قدر والارض حتى راى ما فيها من انواع الخلق الى الثرى وحيث بلغ
ومنهم من قال رفع السماء حتى كانت الارض بين فيها راى العين وكان له صلوات الله عليه شغل هذا من الامر علو
امر الناس والحجر الى حيث لا ضرع ولا زرع وما جعل رزقه في اصابعه وامر بلوغ صوته في قوله تعالى واذن في الناس
بالحج ان كان علم ما سمع منه والله اعلم ومنهم من قال هو ما راى بصر قلبه من وجوه العبر وانواع الادلة عند التامل
في خلق الله بالفكر من عيان كان في الخلق تعجز على الاحوال التي كانت عليه وهو احق من يكون له في الذي كان
كفا به من حدوث احوال تدل انه هو بحجة الله سبحانه على قومه من الوجه الذي جعل لجميع الخلق لا من جهة
خصوص ايات فثبت ان ذلك كان له بهذا الوجه ثم هو يخرج على وجوه منها ما راى من تسخير القمر والشمس
والنجوم وطلوعها وافولها في كل يوم وليلة اطراف السماء والارض جميعا وسيرها تحت الارض الى ان يعود كل الى مطلعه ليبين
كل ذلك ما فوق الارض الى السماء واستواء احوال ذلك على ما عليه حد لكل عام ويوم وشهر لا يزداد ولا ينقص ولا يتقدم
ولا يتاخر مع عظم ما بها من المنافع لانواع دواب الارض والطير جميعا ما يوقن كل من تامل ان مثل هذا لا يعلم
بالطباع الا ان يكون له مدبر حكيم جعله ذلك الطبع وسواء على ما شاء من الحدة وان لا يتسق الا مع الى التدبير والحكمة
الا ان يكون مدبر ذلك بحيث لا يحتاج الى المعين ولا يجوز ان يكون له فيه منافع ثم هو علم قد يروما في
الارض من تدبير الليل والنهار شعا قبال اليد اولا وسيران يفهوان ما فيهما من البدايع والغرايب حتى ان اجتمع جميع اهل
الارض على زيادة او نقصان او تقديم او تاخير لما لهم من الحاجة اليه ما فيهم من القوة والقدرة مع معونة الجميع لهم
على ذلك لما امكنهم ولا بلغ توهم احد الى احتمال ذلك حتى يصير عنده وجود كل ان لا اخر لم يكن فيما شم عند العود اليهم
كما نامهم نهار فهم قط مع ما لجميع اهل الارض بهما من المنافع وعليهم فيها انواع مضار ولهما سلطان على انما رهم
على ما فيها من اثر التسخير والتذليل الذي كل مقهور بالاختراع اخ سلطانه وبلغ وجلع وليس في واحد منهما امتناع
من قهرها لاخر وان كان هو الظاهر القوي جريا جميعا على حد واحد وسنن واحد ولا على ما دل عليه الا ويقع ما فيها
من اثر البعث امرا ما هرا لا يجعل ان يجهله الا سفيه معاند والله اعلم ثم النور والظلمة والفلل ونحو ذلك الذي بتبسط
بساط جميع اطراف السماء والارض بستر واحد كل شيء وتبدو الجزء من كل شيء ويحيط الغالب بكل شيء ثم تعلق

منافع

منافع الاهل بها على اختلافها وبالسماء الارض على تباعد ما بينهما وبالسهل والجبل والبحر والبر على تضاد معاينها
وعلى ذلك جميع الامور فكان صلوات الله عليه بما اري من الحق وغيره من الموقنين ان لا اله الا الله وحبه اليه
نفسه وان كل شيء نسب اليه الالوهية محال ان يكون فيه او له امكان ذلك ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل
فلما جن عليه الليل الى قوله وما انا من المشركين تكلموا في تاويل الاية على اوجه ثلاثة فمنهم من حمل الامر على
ما عليه الظاهر انه غير عارف بربه حق المعرفة الى ان عرف من الوجه الذي بان له عند الفراغ من اخر ما نسب
اليه الربوبية انه لا يعرف من جهة درك الحواس ووقوعها عليه ولكن من جهة الايات واثار العقل فقال
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الاية لكن اهل هذا القول اختلفوا على وجوه ثلاثة احدها ما روي
في التفسير انه ربي في السرب ولم يكن نظر الى شيء من خلق السماء فنظر من باب السرب في اول الليل فراى الزهرة
بضوئها وتلالؤها وكان في علمه ان له ربا وانه يرى فلم ير ضوئها ولا نور فقال هذا ربي فلما افل وله علم ان الرب
دائم لا يزول فقال لا احب يعني ليس هذا برب كقوله ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء اي ليس لنا وقول
عيسى حيث قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق بمعنى ما قلت ذلك لكن اهل هذا التفسير حملوا الاول
على غيبوبتها بنفسه وهو عندنا على غيبوبته في سلطان القمر وقهر سلطان القمر لما اطلع سلطان النجم وعنده
ان الرب لا يقهر وان سلطانه لا يزول وعلى ذلك امر القمر والشمس بظلمة الليل وفي ذلك انه لو كان منا ان الرب
لا يقهر وان سلطانه لا يزول انه لا يرى لا نكر من ذلك الوجه ان يكون ربه بل قربه وانكر الافول والزوال
وهذا ينقض قول من يصفه بالزوال والانتقال من حال الى حال ومنهم من يقول كان هذا منه في وقت لم يكن
جرى عليه القلم سمع الخلق يقول في خلق السماء والارض ونحو ذلك وينسبون ذلك الى الله وعلى ذلك امر جميع
اهل الشرك كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله قل لمن الارض الى قوله ما اتخذ
الله من ولد ثم راهم عبدوا الاصنام وسموها الهة فتامل فوجدها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر
علم ان مثلها لا يحتمل ان يكون يخلق ما ذكرت وان الذي ذلك فعله لعلي عظيم يجب طلب معرفته من العلو بما
كان يسمع نسبة الملائكة الى السماء ونزول الغيث منها ومجيء النور والظلمة وكل انواع البركات وغيرها
منها فصرف تدبر الطلب الذي نسب اليه الخلق اليها ثم اول ما اخذ في التامل والنظر لم يقع بصره على اله
احسن وابهى من الذي ذكر فظن ذلك ثم لما قهر وقد كان علم بان خلق من ذكر لا يجوز ان يقهر ففي ذلك علم
انه ليس هو وقال لمن قهر وذلك الى ان قهر الليل ضوء الشمس او صارت بحيث لا يجري له السلطان او راى
في الكل اثار التسخير والتذليل ولم ير فيها اعلام من له الامر والخلق فعلم ان الرب لا يدرك من ذلك الوجه
ولا يعرف من جهة الحواس فرجع الى ما سمع من اثر خلق السموات والارض فوجه نفسه اليه بالعبودية و
واعترف له بالربوبية بما في الخلق من اثار ذلك وفي القول من تسمية من له الخلق ربا والها فامن به وذلك
كان اول احوال احتماله علم الاستدلال وبلوغه المبلغ الذي من بلغه يجري عليه الخطاب ولا قوة الا بالله
ومنهم من قال انه كان بالغا قد جرى عليه القلم وقد كان راى ما ذكر غير مرة لكن الله لما اراد ان يهديه
الهمه ذلك والقى في نفسه فانتبه انتباه الانسان بشيء كان عنه غافلا من قبل فراى كوكبا احمر يطلع عند غروب
الشمس فرعاه الى ان افل فازداد من الله قربة وعلم ان ربه لا يزول ولا يتغير ففزع اليه وقال لا احب الا
فلين وكذلك ذكر في القمر والشمس الى ان عرفه الله فتبرأ مما كانوا يشركون ووجه بالتوحيد والعبادة اليه
والى هذا التاويل ذهب الحسن والى الاول روي عن ابن عباس رضي الله عنه والثاني قال به جماعة من اهل الكلام
ونحن نتبرأ الى الله ان نخيله رجلا بالغا جرى عليه القلم وهو كان عن الله بهذه الغفلة حتى يتوهمه في معنى
نجم او قمر او شمس مع ما يرى فيها الظهور بعد ان لم يكن والافول بعد الوجود ثم اثار التسخير والعجز عن التدبير
بما هو في جهد وبلاء ومن له يجعل في راحة وسرور ثم لا يرى في شيء من العالم اوله معنى يدل على رجوع التدبير
لينتحق له القول بذلك والله يصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم وقيل سليم من الشرك لم يشبه بشيء وقال
وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وما يذكرون انما اتاه على نفسه اذ هو في الغفلة عنها والجهل بمن له الا بان شريك
قومه وقد قال ايضا وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ومعلوم ان ذلك على معاينة او ذلك قد اري كلا منها
ولكن على ما ثبت من الوجهين وفيهما حقيقة وليس في قوله وليكون من الموقنين دلالة الشك في الابتداء والجهل في الحال
التي يحتمل بربه عز وجل ولكن على اثر على ذلك الوجه يكون الايقان بمن لا يقع عليه الحواس ولا يوجب علمه الضرورات
انما هو الاستدلال بالاثار او تلقي الاخبار ولا قوة الا بالله وذلك كقوله الله الذي رفع السموات بغير عمد لا عن عيان
كان وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور لا ان كانوا من قبل في الظلمات وقول يوسف اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله لا عن كون فيها وهكذا امر الايمان ان يكون العبد في كل وقت موقنا بالله وان لا اله غيره لا عن شك فيما تقدم
من الوقت او الجهل فيه امر ابراهيم عليه السلام والوجه الثاني مما تكلم في التاويل ان يكون ابراهيم صلوات الله عليه
كان مؤمنا في ذلك الوقت عارفا بربه حق المعرفة ولكنه كلم قومه كلام مستدرج باظهار المتابعة لهم على هواهم
فيكونون به اوثق واليه اميل وذلك ابلغ في الحجاج والطف في المكيدة فيبين لهم من اراد من غير جهة النقض والعناد
قبله استعظم ما عظموه اذ هم قوم كانوا يعظمون النجوم وبالعلم بامرها اخبروا نمرود بولادة من يهلك على يديه

هو ويزول ملكه وهذا كما ذكر انه نظر نظرة في النجوم في مقاييسها وعلمها لانه نظر اليها ثم قال الذي ذكر لا من حيث علم النجوم ولكن
من حيث علمه انه يموت ومن يموت يسقم لكن اراهم انهم فقير في العلم الذي لهم في ذلك الباب دعوى فكذلك ما نحن فيه وعلى
ذلك امر البد الذي كان يعبده قوم عظمته الحواري الذي ارسل اليهم حتى اطمانوا اليه وصدروا عن تدبيره وبلوا بعدو كا
ويحيط بهم فدعاهم الى دعاء البد ليكشف لهم اذ لمثله يعبد حتى ابوا فدعاهم الى الله فكشف عنهم فامنوا بمثله الاول
والى هذا التاويل يذهب القتبي لكنه ذكر انهم كانوا اصحاب نجوم وكهانة ومن ذلك قوله لا يعبد النجوم لا يراه ربا كيف
اظهر الموافقة بتسمية النجم ربا ثم النقض عليه بالافول ولكن على ذلك لو كان فاما كان في قوم يعبدون النجوم
والشمس والقمر فالزمهم بالافول اذ فيه التغير وغلبة سلطان وهذا الوجه يجوز ان يظهر على اضمار معنى في نفسه
مستقيم كالمكره على عبادة صليب يقصد قصد عبادة الله والمكره على شتم محمد صلى الله عليه وسلم يقصد قصد محمد آخر
يصون في دمه ونحو ذلك وهو على ما قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون على جعل ان كانوا ينطقون
شرطا في نفسه في قوله بل فعله كبيرهم هذا والله اعلم وقيل في الاستدراج من غير هذا الوجه على التسليم انهم اهل كهانة
ونجوم وهو انه لما رآهم يعبدون الاصنام والاوثان دعاهم من طريق المقابلة اذ هم مالوا الى ذلك بما راوا من حسن
ذلك في البصر بما قد زين بانواع الذي وحلي بانواع الحلي فاراهم انه يعبد النجم وما ذكروا ان الذي ذكر احسن واعظم
نورا وضياء اذ هو نجوم ونفسه كذلك وما كانوا يعبدون بما فعلوا به وجعلوا كذلك ليكره اليهم عبادتهم الاصنام
ويستنقذهم عما اعتادوه بالمعنى الذي ذكرت ثم الزمهم فساد ما مالوا اليه وقبلوا منه قبل ان يقر ذلك في قلوبهم
وتطمئن الى ذلك انفسهم بما اظهر من فساد ان يكون الذي بذلك الوصف من التسخير وملكه على شرف الزوال او يصير
بحيث يتغير فلو بهم عبادة من لا يشهد ونفر وقت العبادة فيلزمهم على ذلك عبادة المستحق لها او ان يقول اذا كانت
النجوم وما ذكر مع سنائها ونورها وكثرة منافع الخلق بها لم يصلح لها الالوهية عند الجميع بالافول والتسخير فالذي كانوا
يعبدون على ما نحتوا كانوا نحت الشراذل لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع احق ان لا يكون له الربوبية وان لا يوجه
اليه العبودة والله اعلم فهذا النوع من الاستدراج فيما لو ظهر انهم لم يكونوا يتخذون النجوم اربابا يعبدها
وكذلك الذي ذكره القتبي والتاويل الثالث للاية يخرج مخرج الانكار والاستهزاء ويكون في ذلك معنى الاستدراج
اذ هو الالزام من حيث لا يشعر به او نقض اسباب الشبه درجة فدرجة في حلول المقت والزوم المقصود ويكون
ذلك الابتداء بالكشف عن الاسباب ثم قيل في هذا اوجه احدها انهم كانوا يعبدون النجوم وما ذكر ويدعون
الى ذلك الاولاد والصبيان وابراهيم منهم فيما كانوا يدعونه اليه فقال لما راى النجم هذا الذي تعبدون ربي اي
الى عبادته تدعونني اي هذا ربي الذي تدعونني الى عبادته فلما راه طالعا ساجدا غائبا ثبت عنده انه مسخر فقال لا احب
عبادته لكن ذا قد يكون في خاص نفسه متفكرا في الذي دعوه اليه ليعرف دفع قولهم من الوجه الذي يقر ذلك في
القلوب اذا قابلهم به وقد يكون في ملاء منهم يظهر لهم قوله هذا ربي على اضمار تدعونني اليه ليلزمهم بما بان
له فساد الربوبية فيكون استدراجا ايضا لانه الزمهم بعد ظهور الوفاق منه لهم وقد يكون ذكر هذا الذي
تدعونني فيه انه ربي سترا ويهزء بهم باظهار الموافقة يبين لهم ذلك بما الزمهم ان الابتداء لم يكن على المساعدة
الا ذلك المعنى الذي به الزم كان ظاهرا عنده في الابتداء وعندهم جميعا والثاني ان يكون قوله هذا ربي على ما يقال
هذا فلان الذي تخبرونني عنه بمعنى اهذا هو على انكار انه ليس بالمحل الذي اخبرتموني عنه او على الاستفهام لتعرف
عنه واي الوجهين كان فقد هزئ بهم وظهر في التعقب ان الاول كان على الهزء بهم والانكار او الاستفهام وذلك
كقوله خلقوا كخلقه على انهم لم يخلقوا كخلقه يوضح قوله قل الله خالق كل شيء وفي الاول احب الافلين ويجوز ان يكون
هنا يضمر في قوله هذا ربي اي رب هذا ربي الى اخر ما ذكر ثم رجع اليه عندهم انه لا يليق الربوبية بالذي ظنوا انه
ساعدهم عليه ثم قد بينا الدليل على انه لم يكن كافرا في ذلك الوقت مع ما قد ثبت عصمة الرسل عن الكبائر فكيف يبلون
بالكفر والله يقول الله اعلم حيث يجعل رسالته وكل ممكن فيه الكفر شريك امثاله فلا وجه لتخصيص الاهل به ثم
جملة ذلك ان الله سبحانه لو اراد ان يبين حقيقة الحال ولا انتهى الى معرفة حقيقة ذلك من المراد والوقت
والحاجة في امر الدين لكان يبين ذلك او يرد في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن العلم بحقيقة ذلك اذ هو
علم الشهادة بما البين لنا وعلينا بالوصول عمل يخلف ولا نكلف الشهادة بوقت القول وما يمكن فيه تحققه ان يتامل وجه
الحكمة في ذكر القصة وما فيها من الحجة في امر الدين فهو والله اعلم يخرج على وجوه احدها ما جعل ذلك حجة لرسالته
رسوله اذ هو من انباء الغيب ونبي الله نشأ بمكة ولم يكن نشأ من يعلم ذلك ولا فارق قومه واختلف الى من عنده علم
الانباء بتوارثهم كتب الانبياء ولا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يخط بيمينه او يقف على المكتوب دل انه علمه بالله
سبحانه وتعالى مع ما كان في القصة حجج التوحيد ورفع عبادة الاصنام وتسفيه اهل ذلك لم يحتمل ان يكون يعلم مثل ذلك
من الذ فعين لذلك المدعين على ابراهيم اليهودية والنصرانية وبعد فان كتبهم بغير لسانه وفي العبارة بلسان يوهم
الاختلاف والتغيير فلا يحتمل الاحتجاج بمثله بما يحتمل الانكار والدفع وفيه استعطاف قوم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ هم من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام بما يدعوهم الى دين ابائهم مع ما كانوا اصحاب تقليد وحفظ اثار
الاباء فالزمهم القول في ابائهم بما لا مدفع لهم كقول بغير الذي قلدوا اذا ابراهيم عليه السلام عند جميع المشركين امام
يؤتم به واحق من كل اب مع ما كان كل مولود على دينه مذكورا محفوظا في الخلق ومن خالفهم فهو محوق الاسم والذكر

بجميعها

جميعا فكان في ذلك اعظم الدليل ان هؤلاء من الانبياء احق بالتقليد من الذين اتبعوه وعلى ذلك اتفاق اهل الكتاب
على موالاة ابراهيم من غير ان تهيأ لهم دفع ما اثبت رسول الله من توحيده ولا ما قرر عندهم من دينه بشيء
يجدونه خلافا لذلك في كتبهم والثالث ان ابراهيم صلوات الله عليه صرف معرفة الرب من جهة خلقه ودلائل
ربوبيته من جهة النظر في الايات والبحث عنها دون ان قلد اباه او قومه ليعرف سبيل طلب الحق ووجه اتباعه
ليكون ذلك تذكرة لجميع ذريته والرابع انه ذكر الخبر عن احواله بمخرج ظاهره يوهم المكروه وله وجه التصرف
الى ما الحق بها رغبة عنه للطبع ولا تابى العقل ليمتحن عباده بالقول فيه والوقف في امره والخامس ليعلم ان المحاجة في الدين
على قدر ما يحتمله العقول لازمة اذ بها افحم ابراهيم قومه واظهر دين ربه فيبطل بذلك قول كثير من المسلمين الذين
يكرهون المناظرة في الدين ويرون في ذلك تقليد الاستاذين او ظواهر ما جاء به الاثار التي في اتباع امثالها
تناقض عند العقلاء ولا قوة الا بالله والسادس ان المناظرة تكون بوجهين لطلب الدلالة في تثبيت القول وبالابطال
الفساد بما يتمكن فيه من العيب اذ هو رد ما ادعوا من الربوبية فمن ذكر ما في ذلك من اثار التدبير لغيره وكذلك
قال في الاصنام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقال وما لي لا اعبد الذي فطرني وقال في موضع
اخر الذي خلقني الى اخر ما اخبر ثم انه ابطل قولهم بالمعنى الذي بضده احتج في اثبات قبله وجائز في كل ذلك ان يقول
لهم ما الدليل على ما تدعون لما تذكرون من الربوبية والسابع جواز التسليم باظهار الموافقة وان كان المسلم يعتقد
ذلك منكرا ولهوا فيما اذا كان في المساعدة بذلك التظاهر نيل الفرصة والظفر بالبغية اذ على ذلك خرج مناظرته قومه
وعلى ذكر ما احتج به في قوله ربي الذي يحيي ويميت اذ قال خصمه انا احيي واميت واقبل له على حجة هي اوضح من ذلك
واقهر للعقل والزم في الطبع فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب والثامن ان يعلم ان
الله لم يهمل القوم في شيء من الازمنة دون ان جعل لهم ادلة للحق يظفرون بها لو تاملوا ولا الزمن
خلقه في زمان من الازمان لشيء لو بحث عنه لا يوقف عليه ولا تهيأ له ولذلك اظهر الحجج والايات والبينات
ليعلم انه جعل امره كلها قائمة الادلة والبراهين ليقطع بها عذر من تابى نفسه القبول به والتاسع ان
يعلم انه لا احد يقوم بالحجاج ولا ينطق بحسن البيان الا بعطية الله وامتنانه عليه بما ينطق به لسانه وفوت
للقياس بقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه ثم العاشر ان يكون بفضله ينال الدرجات في امر دينه
ويرتقي الى منازل الفضل والشرف بمشيئته كما قال نرفع درجات من نشاء وانه متى شاء الرفع كان والله اعلم
وقد قال بعض اصحاب الامامة في تاويل الاية زعم انهم اخذوا من شرح على ان تاويل النجم المأذون والقمر
اللاحق والشمس الامام بمعنى انه قال للمأذون هذا ربي عنى به رب التربية رباه بالعلم وقوله عز وجل فلما
افل اي غني عما عنده رغب عنه وقال لا احب هذا ثم ظهر باللاحق ثم كذلك بالامام ثم توجه نحو التالي
بالقبول من الرسول اذ التالي عندهم هو الذي فطن ما ذكر فلما جاوز درجة المتم وهو الامام صار الى درجة
الرسالة وهو القابل من التالي بالخيال والمصور للشرائع عندهم فالزموا بهذا عبادة ارباب وان لا يرتفع
من درجة باولئك وذلك امر مناقض على التاويل لانه لما فني ما عند المأذون صار الى اللاحق والمأذون
كان به مأذونا فلم يكن التالي بما يصير اليه احد من الاول اذ كان به صار مأذونا ولو كان ثم درجة اخرى لما
ان يكون بيان ذلك في الوقت الذي يلقى المأذون ذلك الى غيره او لا فان كان لا ينال فلو اسفله من المأذون حيث امتنع
عما يقلبه الى الدرجة الثانية ويبلغ غيره او ينال معه فاذا صار هو معه في درجة المتم فكيف قال لا احبه
وهو اثر الذي ذلك وصفه ثم كيف قال لا احب وذهاب ما به اخذ بخطه عن الاخذ من الاخر وكيف صار ربه
قبل ان يربيه فلما رباه تبرا من ربوبيته والخروج الى اخر فاذا عاقبه بشكره سعى رتبه في شانه كفرانه بربوبية كل
درجة فدرجة حتى يكفر بالتالي ثم بالعقل ثم يصير الى رب العالمين وهو الرب في الابتداء والانتهاء
لا رب لاحد سواه عز وجل عن الشركاء اذ اليه حاصل الامر ومصير الخلق ولو كان كل مرتق حد ارتقى اخر
لكانت تلك الحدود يكون ابدا اخرها فيكون الكل توالى او تطفا ويبطل الاولاد والمأذونون والائمة
جميعا وقد كرم الله تعالى عليا كرم الله وجهه عن هذا الخيال وعصمه عن هذا الوسواس والحمد لله وحاجه
قومه ذكر محاجة ولم يبين فيما حاجوه لكن في الجواب بان ان المحاجة فيما كانت وهو قوله قال اتحاجوني في الله
ثم يحتمل المحاجة في الله في توحيد الله ودينه ويحتمل في اتباع امر الله وطاعته وذكر في بعض القصة عن ابن
عباس رضي الله عنه قال وحاجه قومه في الهتهم وخوفوه بها وقالوا ايخاف الهتنا وانت تشتمها ولا نعبدها
ان تخبلك وتفسدك وذلك محتمل وهو كقول قوم هود لهود عليه السلام ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا
بسوء ثم قال لهم ابراهيم صلوات الله عليه فما تخافون انتم منها قالوا كيف نخاف ونحن نعبدها قال
لانكم تسوون بين الصغير والكبير والذكر والانثى اما تخافون الكبير اذ سويتموه بالصغير وما تخافون الذكر
اذ سويتموه بالانثى ويحتمل انهم خوفوه بالله بترك عبادة الهتهم لما كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فخوفوا ابراهيم بترك عبادتهم لما كان عندهم ان عبادتهم
اياها تقربهم الى الله زلفى وترك العبادة لها يبعدهم فقال وقد هداني ولا اخاف ما تشركون به ويحتمل قوله
وقد هداني الدين والتوحيد والتوحيد وهداني طاعته والاتباع لامره فقال كيف اخاف وقد هداني

وقوله عز وجل الا ان يشاء الله ربي شيئا هذا يحتمل وجهين يحتمل لا اخاف الا ان عصيت ربي في شيء فعند ذلك
اخاف واما اذا هداني ربي فاني لا اخاف بترك عبادتهم والثاني الا ان يشاء الله ربي الا ان يبتليني ربي بشيء من المعصية
فعند ذلك اكون في مشيته ان شاء عذبني وان شاء لم يعذبني وقوله عز وجل وسع ربي كل شيء علما اي علم ذلك كله
عنده عصيت او اطعت وقوله عز وجل وكيف اخاف ما اشركتم بالله من الاصنام ولا تخافون انكم اشركتم ما لم
ينزل به عليكم سلطانا يقول عذرا في كتابه فاي الفريقين احق بالامن اي اهل انا وانتم احق بالامن ان كنتم تعلمون
انا اعبد الها واحدا وانتم تعبدون الهة شتى وقيل انهم كانوا يخوفونه بتركه عبادة الهتهم واشراكه اياها
في عبادة الله فقال وكيف اخاف ما اشركتم انتم بالله من الالهة ولا تخافون انتم انكم اشركتم بالله غيره ما لم
ينزل به عليكم سلطانا اي حجة بان معه شريكا ثم قال اي الفريقين احق بالامن انا او انتم من عبد الها واحدا ام
من عبده ومن عبد الهة شتى صغارا او كبارا اذكروا واعلموا او ان يقال ان كيف اخاف الهتكم التي تعبدون
من دون الله بترك عبادتها وهي لا تملك ضرا ان تركت ذلك ولا نفعا ان انا فعلت ذلك ولا تخافون انتم بترككم عبادة
الهي وهو يملك الضر ان تركتم عبادته والنفع ان عبدتموه فاي الفريقين احق بالامن من عبد الها يملك الضر والنفع او من عبد
الها لا يملك ذلك فقيل رد عليه قومه فقالوا الذين امنوا برب واحد يملك الضر والنفع ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
قيل لم يخلطوا تصديقهم وايمانهم بشرك ولم يعبدوا غيره ودين اولئك لهم الامن وهم مهتدون من الضلال والشرك
قيل الظلم ههنا الشرك روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فاينا لا يظلم نفسه قال ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا
ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال لاصحابه ما تقولون
في هاتين الايتين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا ثم عملوا والله واستقاموا على امره والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يذنبوا فقال
لقد حملتموها على امر شديد الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بشرك والذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
عليها فلم يعدلوا عنها بشرك ولا غيره فان ثبت هذه الاخبار فهو ما ذكر فيها ان الظلم هو الشرك والا احتمل
الظلم ما دون الشرك ان من لم يظلم ولم يذنب فهو في امن من الله ومن ارتكب ذنبا او ظلما فله الخوف وهو في
مشية الله ان شاء عذبه وان شاء غفر له وعفى عنه وقوله عز وجل وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه
الاية ينقض قول من يقول بان ابراهيم كان غير مؤمن في ذلك الوقت وعارف بربه لانه اخبر انه اتاه حجته
على قومه ولو كان هو على ما قالوا لكانت الحجة التي اتاه عليه فلما اخبر انه اتاه حجته على قومه دل انه ليس على ما قالوا ولكن
كان عارفا بربه مخلصا له على ما سبق ذكره فان قال قائل ان الحجة التي اخبر انه اتاها ابراهيم على قومه قوله وحاجه
قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الى اخر ما ذكر فيقال ان هذه ليست بمحاجة انما هو
تقرير التوحيد والدين الا ترى انه قال ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء الله ربي شيئا والمحاجة ما ذكر في قوله
لا احب الافلين وقوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وغيرها من الايات
التي فيها وصف توحيد الرب عز وجل والوهيته وفساد الهتهم من ذلك قوله اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم
وما تعملون وقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله هل يسمعونكم اذ تدعون الى قوله واذا
مرضت فهو يشفين وفيه دليل نقض قول المعتزلة لانه قال وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه والاشياء
من الاعطاء والنجوم والشمس والقمر وما ذكر قد كانت دل ان الذي اتى ابراهيم هو محاجة قومه بما ذكرنا
والاحتجاج عليهم بذلك دل ان له في محاجة ابراهيم قومه صنعا حيث اضاف الى نفسه وهو ان خلق محاجته
قومه وبالله العصمة وقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه والذين كانوا يعبدون الاصنام والاوثان
وهو ما بين سفههم في عبادتهم الاصنام حيث قال في غير اية وعلى نمرود حين قال انا احيي واميت الى اخر الاية وقوله
عز وجل نرفع درجات من نشاء وفيه ايضا دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله قد شاء لكل احد ان
يبلغ الذي اذا بلغ ذلك يصلح للنبوة والرسالة لكنهم شاؤا ان لا يبلغوا ذلك المبلغ يجعلون المشية في ذلك الى انفسهم
دون الله والله اخبر انه يرفع درجات من يشاء وهم يقولون لا يقدر ان يرفع بل هم يملكون ان يرفعوا درجات
انفسهم فدلت الاية على ان من نال الدرجة او فضيلة انما ينال بفضل الله ومنه ثم قوله نرفع درجات يحتمل هذه
الدرجات وجوها يحتمل النبوة ويحتمل الدرجات في الاخرة ان يرفع لهم ويحتمل الذكر والشرف في الدنيا لما يذكرون
في الملاء من الخلق وقوله عز وجل ان ربك حكيم عليم اي حكيم في خلق الخلائق خلقا يدل على وحدانيته ويدل على انه مدبر
ليس بمبطل في خلقهم ثم عليم باعمالهم وعليم مصالح الخلق ربما يصلح لهم وما لا يصلح والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطا في
التدبير وقوله عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب يحتمل ما ذكرنا من رفع الدرجات ما ذكر من هبة هؤلاء وفيه
دليل ان ما يكون له من الفضل في هبة اولاده يكون ذلك في اولاد اولاده وقوله عز وجل كلا هدينا ونوحا هدينا
من قبل والهداية هدايتان هداية اصابة الحق وهداية العلم بالحق وهي هداية البيان فهذه الهداية مما يشترك
فيها المسلم والكافر جميعا واما هداية اصابة الحق فهو خاصة للرسل والانبياء والمسلمين جميعا والهداية ههنا هي
اصابة الحق لا العلم بالحق لانهم اشتركوا جميعا في العلم بالحق الكافر والمسلم ومن ذريته داود قيل ذرية ابراهيم

وقيل ذرية نوح كانوا جميعا من ذرية نوح ابراهيم ومن ذكر من الرسل وقوله عز وجل وكذلك نجزي المحسنين اي كذلك
نجزي المحسنين بالذكر والشرف والثناء الحسن الى يوم القيمة كما جزى هؤلاء الرسل بالذكر والشرف والثناء الحسن
في ملاء الناس ويحتمل ان يذكروا في ملاء الملائكة كما ذكروا في ملاء الخلق في الارض ويحتمل وكذلك نجزي المحسنين
في الاخرة بالثواب ورفع الدرجات والجزاء الجزيل ثم ذكر في فريق ثم كذلك نجزي المحسنين وذكر في فريق اخر كل
من الصالحين وذكر في فريق وكلا فضلنا على العالمين وهذا والله اعلم ليس على تخصيص كل فريق بما ذكر من الذكر
ولكن على الجمع انهم محسنون صالحون مفضلون على العالمين ثم يحتمل التفضيل لهم بالنبوة انهم فضلوا على العالمين
بالنبوة ويحتمل انهم كانوا متفضلين على العالمين بالاحسان والصلاح لو لم يكن لهم رسالة ولا نبوة ثم يحتمل
انه سماهم محسنين باختبارهم الحال التي كانوا اهلا للرسالة والنبوة فان كان هذا فهم الرسل خاصة ويحتمل محسنين
باختيارهم الهداية واصابة الحق فان كان هذا فهو مما يشترك الانبياء واهل الاسلام فيه وقوله عز وجل ومن
اباءهم وذرياتهم واخوانهم اما اباءهم من تقدمهم وذرياتهم من تاخرهم واخوانهم الذين بقوا زمانهم
وقيل ذرياتهم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المؤمنون من بعدهم وقوله عز وجل واجتبيناهم يحتمل اجتباهم
بالنبوة والرسالة وهديناهم الى صراط مستقيم فذلك لهم خاصة ويحتمل اجتباهم بالتوحيد ودين الاسلام
فذلك يعم الانبياء والمؤمنين جميعا لانه اجتباهم بذلك جميعا ويحتمل اجتباهم بما ذكر من رفع الدرجات
والفضائل ويكون صلة قوله نرفع درجات من نشاء وذلك ايضا يعم الرسل والمؤمنين والله اعلم بذلك وفي قوله
ومن اباءهم وذرياتهم الاية دلالة ان من اباءهم وذرياتهم من لم يجتبهم بقوله من اذ من هو حرف التبعيض وقوله
عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده اي ذلك الهدى الذي هدى هؤلاء فبهداه اهتدوا وفي الاية
دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله قد شاء ان يهدي الخلائق كلهم لكن لم يهتدوا وعلى قولهم لم يكن من
الله الى الرسل والانبياء من الهداية والفضل الا كان ذلك الى جميع الكفرة فالاية تكون مسلوبة الفائدة على قولهم
لانه ذكر انه يهدي من يشاء وهم يقولون شاء ان يهدي الكل لكن لم يهتدوا فان كان كما ذكروا لم يكن لقوله من يشاء
فائدة دل انه من الخلائق من قد شاء ان لا يهديهم اذا علم منهم انهم لا يهتدون ولا يختارون الهدى وبالله
التوفيق وقوله عز وجل ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون هذا ابناء عن الحكم فيهم لو اشركوا الا انهم لا يشركون
لان الله قد عصمهم واختارهم لرسالته واختصهم للنبوة فلا يحتمل ان يشركوا لكن ذكر هذا ليعلموا ان حكمه
واحد فيمن اشرك في الله غيره وضيعا كان او شريفا وقوله لحبط عنهم ما كانوا يعملون من الحسنات والخيرات
التي كانت قبل الاشراك وقوله عز وجل اولئك الذين اتيناهم الكتاب قيل الكتب التي اعطى الرسل والحكم قيل العلم
والفقه والفهم وقيل الاحكام التي اعطاهم والنبوة هي انباء الغيب وقد ذكرنا وقوله عز وجل فان يكفر
بها هؤلاء قيل بها كناية عن انباء الغيب والنبوة التي ذكر وقيل بها كناية عن الكتب التي انزلها على الرسل
وقيل هي كناية عن الايات والحجج التي اعطى رسوله وقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها
بكافرين اختلف فيه قال بعضهم فان يكفر بها يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اهل المدينة
من الانصار والمهاجرين وهو قول ابن عباس وقيل ان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين
يعني من عدد من الرسل والانبياء وقيل فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني اهل
قرابتك واهل وصايتك فقد وكلنا بها قوما من غير اهل قرابتك ليسوا بها بكافرين وقيل فان يكفر بها هؤلاء يعني
اهل زمانك فقد وكلنا بها قوما من تقدمهم من اباءهم واجدادهم ليسوا بها بكافرين وقيل فان يكفر بها
هؤلاء يعني اهل الارض فقد وكلنا بها قوما يعني اهل السماء ليسوا بها بكافرين قال الحسن رحمه الله فان
يكفر بها هؤلاء يعني امتك فقد وكل الله بها النبيين والصالحين من الامم الخالية ليسوا بها كافرين والله اعلم
بذلك وهو كما ذكرنا وقوله عز وجل اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده يحتمل فبهداهم الذين هدوا امتهم
اهد انت امتك ويحتمل فبهداهم الذين هدوا هم اهتد انت بامره عز وجل بالامر بالاقتداء باخوانه الذين مضوا
من الرسل والهدى هو اسم ما يدان به ليس هو اسم الافعال لانه لا يقال لتارك الصلوة والزكوة والصيام هناك
انما يقال ذلك لمن دان بضد الهدى امر رسوله ان يقتدي بهم بذلك وذلك يدل على ان الانبياء والرسل كانوا على
دين واحد وان الدين لا يحتمل النسخ والتغيير الا ترى انه قال في اية اخرى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى اخر ذلك
يدل على ان الدين واحد لا يحتمل النسخ واما الشرائع فهي مختلفة لانها تحتمل النسخ وتحتمل الامر بالاقتداء بهم ما ذكر
قل لا اسئلكم عليه اجرا اي اقتدي بمن تقدم من الرسل ولا تاخذ على تبليغ الرسالة اجرا كما لم ياخذوا هم وفي
قوله قل لا اسالكم عليه اجرا دليل نقض قول من يجيز اخذ الاجر على تعليم القران والعلم ورواية الحديث وغير ذلك
من العبادات وكذلك قوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون كان والله اعلم يجعل لهم العذر في ترك الاجابة
له بما يلحقهم من ثقل الاجر والغرم والله اعلم وفيه ايضا دلالة نقض مذهب القرامطة لانهم يعرضون مذهبهم
على الناس وياخذون منهم المواثيق والجعل في ذلك وانما اخذ المواثيق من الرسل على تبليغ الرسالة الى قومهم
وامروا بتاليف قلوب الخلق وفي اخذ الجعل منهم نفور قلوبهم وطباعهم عن ذلك وقوله عز وجل ان هو الا ذكرى
للعالمين اي ما هذا القران الا ذكرى اي عظة وزجر للعالمين وقوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قيل نزلت

وقيل

سورة الانعام في محاجة اهل الشرك الا ايات نزلت في محاجة اهل الكتاب احدها هذه وما قدروا الله حق قدره الاية
وذكر في موضع اخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا الاية ثم قال بعض اهل التاويل ما عرفوا الله حق معرفته وقال بعضهم
ما عظموا الله حق عظمته ذكروا ان هؤلاء لم يعظموا الله حق عظمته ولا عرفوه حق معرفته ومن يقدر ان يعظم الله حق
عظمته او ان يعرف حق معرفته او من يقدر ان يعبد الله حق عبادته وكذلك روى في الخبر ان الملائكة يقولون يوم
القيمة يا ربنا ما عبدناك حق عبادتك مع ما اخبر عنهم انهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال لا يستكبرون
عن عبادته ولا يستحسرون فهم مع هذا كله يقولون ما عبدناك حق عبادتك ومن يقدر ان يعرفه حق معرفته او يعظموه
حق عظمته ولكن تاويلهم والله اعلم اي ما عرفوا الله حق المعرفة التي يعرف بالاستدلال ولا عظموه حق عظمته
التي يعظم بالاستدلال هذا تاويلهم والا لا احد يقدر ان يعرف الله حق معرفته ولا عظمه حق عظمة حقيقة
وهو يخرج على وجهين احدهما ما قدروا الله حق قدره ولا اتقوا حق تقواه مما كلفوا به واطاقوه ومما جرى الامر
بذلك وانما تجرى الكلفة منه على قدر الطاقة والوسع والا لا يقدر احد ان يعظم ربه حق عظمته ولا اتقى
تقواه لكن ما ذكرنا مما جرت الكلفة والثاني ما قدروا الله حق قدره ولا حق نعمائه على القدر الذي يعملون لانفسهم
اي لو اجتهدوا في تقواه وعظمته القدر الذي لو كان ذلك العمل لهم فيجتهدون ويبلغ جهدهم في ذلك
وقوله عز وجل اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء لو كان هؤلاء في الحقيقة اهل الكتاب ما انكروا الرسل ولا الكتب
لان اهل الكتاب يؤمنون ببعض الرسل وببعض الكتب وان كانوا يكفرون ببعض لكن هؤلاء انكروا الرسل لما
كانوا اهل نفاق ويكون من اليهود اهل نفاق كما يكون من اهل الاسلام كانوا يظهرون الموافقة لهم ويضمرون
الخلاف لهم والموالاة لاهل الشرك ويظاهرون عليهم كما كان يفعل ذلك منافقوا اهل الاسلام كانوا
يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويضمرون الخلاف له ويظاهرون المشركين عليه فاطلع
الله رسوله على نفاقهم ليعلم قومهم خلافهم وان ما كان من تحريف الاحكام وتغييرها وكتمان نعت محمد
عليه افضل الصلوات وصفته انما كان من هؤلاء وذكر في بعض القصة انها نزلت في شان مالك بن الصيف
وكان من احبار اليهود وكان سمينا فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تجد في التورية ان الله يبغض كل حبر سمين فقال نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت
حبر سمين يبغضك الله فغضب فقال ما انزل الله على بشر من شيء فانكر الرسل والكتب جميعا فاكذبه الله تعالى واظهر
نفاقه عند قومه فقال قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها و
تخفون كثيرا قيل تجعلونه قراطيس يعني صحفا ثم كتبتموه في الصحف ثم تنكرون انه ما انزل الله على بشر من شيء اي
فالذي كتبتم كتبتموه ان لم ينزل الله على بشر من شيء تبدونها وتخفون كثيرا يقولون يظهرون ما في الصحف ما ليس
فيه صفة رسول الله ونعته صلى الله عليه وسلم وتخفون ما فيه صفته ونعته وتغيرون وقيل تبدونها اي
يظهرون قرائتها وتخفون كثيرا مما فيه نعته صلى الله عليه وسلم اي ما فيه من الاحكام التي لا تطيب بها انفسهم
من امر الرجم والقصاص وغير ذلك وقوله عز وجل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس سمى
عز وجل جميع كتبه نورا وهدى وهو نور من الظلمات اي يرفع الشبهات ويجليها وهدى من الضلالات اي بيانا
ودليلا من الحيرة والهلاك وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قال مجاهد
الاية في المسلمين يقول علموا ما لم تعلموا ولا اباؤهم وقال الحسن الاية في الكفرة اي علمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
من تحريف اولئك الكتاب وتغييرهم اياه وقيل وعلمتم ما في التورية ما لم تعلموا انتم ولم يعلمه اباؤكم ثم قال
ثم ذرهم قال بعضهم قوله قل الله موصولة قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا يا محمد الله انزله على
موسى وقيل صلة قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا قل يا محمد الله وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
قال قل يا محمد الله علمكم ويحتمل ان يكون عز وجل يخبرهم حتى قالوا ذلك فكان ذلك حجة عليهم عز وجل ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون هذا يحتمل وجهين يحتمل ذرهم ولا تكافيهم بصنيعهم كقوله فاعرض عنهم واصفح والثاني انه قد قام
عليهم الحجج وظهرت عندهم البراهين لكنهم كابروا وعاندوا فامره ان يذرهم لا يقيم عليهم الايات والحجج بعد ذلك
ولكن تدعوهم الى التوحيد لا تذر دعاءهم الى التوحيد ولكن تذرهم ولا تقيم عليهم الحجج وقوله عز وجل في خوضهم اي
في باطلهم وتكذيبهم يعمهون وقوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه مبارك قيل القران انزلناه مبارك سماه مرة
مباركا ومرة نورا ومرة هدى ورحمة ومرة شفاء ومجيدا وكريما وحكيما وليس يوصف هو في الحقيقة بنور
ولا مبارك ولا رحمة ولا هدى ولا شفاء ولا مجيد ولا كريم ولا حكيم لانه صفة ولا يكون للصفة صفة توصف
بها ولو كان هو في الحقيقة نورا ورحمة وهدى وما ذكر فلما ذكر اثر بعضها على بعض واخبر انه يزداد بذلك رجسا الى
رجسهم دل انه ليس هو في الحقيقة كذلك لانه لو كان كذلك لكان لكل احد لكن سماه بهذه الاسماء سماه نورا
لما يصير نورا للمسترشدين ويصير شفاء ورحمة للمتبعين لشفاء الداء الذي يحل في الدين وسماه روحا لما يحيي به
الدين وسماه حكيما لما يصير من عرف بواطنه واتبعه حكيما وكذلك سماه مجيدا كريما لما يدعو الخلق الى المجد والكرم
لمن اتبعه تخلق باخلاق حميدة فيصير مجيدا كريما وسماه مباركا لما يربي لكل بركة والبركة اسم لكل ما ينمو ويزيد في
الحوادث فمن اتبعه نال به كل بر وخير وكل ثمرة ونما في الحادث هذا وجه الوصف بما ذكرنا وقوله عز وجل مصدق

الذي بين يديه من الكتب لانه كان يدعو الخلق الى ما كان يدعو سائر الكتب التي انزلها على الرسل من توحيد الله
والنهي عن اشراك غيره في الالوهية والربوبية ويدعو الى كل عدل واحسان وينهى عن كل فاحشة ومنكر وكذلك
سائر الكتب دعت الخلق اليه ما دعا هذا لم يخالف بعضهم بعضا بل كانت موافقة بعضها لبعض لذلك قال مصدق
الذي بين يديه والله اعلم وقوله عز وجل ولتنذر ام القرى ومن حولها وقيل ام القرى مكة وسميت ام القرى لوجهين
احدهما لانها متقدمة ومنها دحيت الارض على ما ذكر اهل التاويل والثاني سميت ام القرى لانها مقصد الخلق
في الحج وفيها تقضى المناسك واليها يقصدون ويامون واليها يتوجهون في الصلوات وهي مقصد اهل القرى وقوله
عز وجل ولتنذر ام القرى اي اهل ام القرى وقوله عز وجل والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به فان قيل اخبر ان
من امن بالبعث يؤمن بهذا الكتاب واهل الكتاب يؤمنون بالبعث ولا يؤمنون به لما معناه قيل يحتمل هذا وجوها
احدها ان يكون هذا في قوم مخصوصين اذا امنوا بالبعث امنوا به كقوله انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون هذا في قوم
مخصوصين لانه قد امن كثير منهم بالانذار فعلى ذلك الاول والثاني قوله والذين يؤمنون بالاخرة بالعلم والحجج امنوا
بالقران جاء فيه بالحجج البعث وتاكيده فلا يجوز ان يؤمنوا بما يؤيده القران ولا يؤمنوا بالقران والثالث يحتمل
ان يكون اخبارا عن اوائلهم انهم كانوا مؤمنين بالبعث بالايات والحجج وانتظروا فيه فلما جاء امنوا به وامكن ان تكون
الاية في المؤمنين اخبر انهم امنوا بالاخرة وامنوا بالقران الا ترى انه قال وهم على صلوتهم يحافظون ويحتمل
الذين يؤمنون بالاخرة يحق لهم ان يؤمنوا بالقران لانه به يفوزون بالاخرة ويحتمل ما ذكرنا من الوجوه وقوله عز وجل
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هذا في الظاهر استفهام وسؤال لم يذكر له جواب لكن اهل التاويل فسروا فقالوا
لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا وهذا جواب له هو تفسيره لكن ترك ذكر الجواب لمعرفة اهل الخطاب به وقد
يقول الجواب لمعرفة اهله به وقوله عز وجل ومن اظلم اكثرهم قد ظلموا وكلهم قد ظلموا لكن كانه قال لا احد
افحش ظلما ممن افترى على الله لانه يتقلب في نعم الله في ليله ونهاره فهو افحش ظلما واوحش كذبا وقوله عز وجل
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء في الاية دلالة ان المدعي للرسالة ممن له الرسالة في الافتراء على الله والكذب
كمدعي الرسالة لنفسه وليست له الرسالة سواء كلاهما مفتر على الله كذبا وكذلك من ادعى انه ينزل مثل ما انزل
الله او من ادعى انه لم ينزل الله شيئا فهو في الافتراء على الله كالذي ادعى انه ينزل مثل ما انزل الله النافي والمدعي
في ذلك سواء شرعا فعلى ذلك يكون في الشيء ومثله في اقامة الحجة والدليل سواء والله اعلم وذكر اهل التاويل
ان قوله اوحي الي ولم يوح اليه شيء نزل في مسيلمة الكذاب ونزل قوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله في
عبد الله بن سعد بن ابي سرح لكن ليس لنا الى معرفة هذا حاجة هم وغيرهم ومن ادعى وافترى على الله كذبا
سواء في الوعيد وقوله ومن قال سانزل مثل ما انزل الله ادعى بعضهم انهم يقولون مثل ما قال الله انكارا
منهم له كقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا وقوله عز وجل ولو ترى اذ الظالمون
في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم عن ابن عباس رضي الله عنه قال قوله في
غمرات الموت ونزعات الموت وسكراته وغشياته والملائكة باسطوا ايديهم يقول ملك الموت واعوانه
الذين معه من ملائكة العذاب باسطوا ايديهم يقول ضاربوا ايديهم انفسهم يقولون لها اخرجي يعني الارواح
وهو قوله اخرجوا انفسكم وهو عند الموت وكذلك يقول قتادة وقال الحسن ذلك في النار وفي الاخرة ضرب
الوجوه والادبار وقوله عز وجل في غمرات الموت اي كثرة العذاب وشدته يقال للشيء الكثير الغمر وهو كقوله
ياتيه الموت من كل مكان اي اسباب الموت ولو كان هناك موت يموت لشدة العذاب وقوله عز وجل باسطوا
ايديهم يضرب الوجوه والادبار اخرجوا انفسكم على حقيقة الخروج منها كقوله يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها والاول ليس على حقيقة الخروج ولكن كما يقال عند نزول الشدائد اخرج نفسك وقال
مجاهد هذا في القتال يضرب الملائكة وجوههم وادبارهم يعني الاستاه ولكنه يكون وهو قول ابن عباس
رضي الله عنه وقتادة عند الموت قال ابو عوسجة غمرات الموت وسكراته وشدائده والغمر هو الماء الكثير
والغمر الذي لم يجرب الامور والغمر الدسم والغمر القدح الصغير من الخشب وغمرة الحرب وسطها وقوله عز وجل
اليوم تجزون عذاب الهون قيل عذاب الهون لا رافة فيه ولا رحمة اي الشديد بما كنتم تقولون على الله
غير الحق بان معه شريكا والهة وكنتم عن اياته تستكبرون انه لم ينزل شيئا ولم يوح اليه شيء وانما اوحي
الي وغير ذلك من الافتراء الذي ذكروا وبالله العصمة وقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
اول مرة يحتمل هذا والله اعلم وجوها اي اعدناكم وبعثناكم فرادى بلا معين ولا ناصر كما خلقناكم اول مرة بلا معين
ولا ناصر والثاني اعيدكم وابعثكم فرادى بلا اعوان لكم ولا شفعاء يشفعون لكم يعين بعضكم بعضا كما خلقناكم
في الابتداء فرادى لم يكن لكم شفعاء ولا اعوان وقيل يبعثكم ويعيدكم بلا مال ولا شيء من الدنيا وترا كما خلقكم
في الابتداء ولم يكن لكم مال ولا شيء من الدنيا وترا وجائز ان يكون قوله ولقد جئتمونا فرادى ليس معكم ما تفتخرون
به من الخدم والاموال والقرابات التي افتخرتم في الدنيا كما خلقناكم اول مرة وجائز ان قوله كما خلقناكم اول مرة
منفصلا قوله ولقد جئتمونا فرادى لكن جواب سؤال ان كيف يبعثون فقال اي تبعثون كما خلقناكم
اول مرة وقوله عز وجل وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يحتمل تركتم وراء ظهوركم ولا تنتفعون به

ولا تنظرون كالمنبوذ وراء ظهوركم انما نظركم الى اعمالكم التي قدمتموها والثاني لم تقدموا ما خولناكم ولم تنتفعوا منه بل تركتم وراء ظهوركم لا تنتفعوا به انما منفعتكم ما قدمتموه وانفقتم منه وقوله عز وجل خولناكم قيل اعطيناكم وقيل رزقناكم وقيل ملكناكم وهو واحد وقوله عز وجل وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء انهم كانوا يعملون لله شركاء في عبادته والوهيته ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول الله وما نرى شفعاءكم الذين زعمتم انهم شركاء الله في عبادتكم وزعمتم انهم شفعاؤكم عند الله بل شغلوهم بانفسهم يخبر عن سفههم وقلة نظرهم فيهم وقوله عز وجل لقد تقطع بينكم قرئ بالرفع والنصب جميعا فمن قرأ بالرفع يقول لقد تقطع تواصلكم ومن قرأ بالنصب يقول لقد تقطع ما كان بينكم من الوصل يخبر عز وجل عن قطع ما كان بينكم من التوصل وتعاون بعضهم بعضا في هذه الدنيا انهم كانوا يتبعون ويتناصرون بعضهم بعضا يخبر ان ذلك كله ينقطع في الآخرة ويصير بعضهم اعداء لبعض ويتبرأ بعضهم من بعض كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وكقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكقوله تعالى واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكقوله سيكفرون بعبادتهم الآية يصير المعبودون اعداء للعابدين والعابدون اعداء للمعبودين ويصير الوصلة والمودة التي فيما بينهم في هذه الدنيا عداوة والرحم والقرابة الذي كان بينهم منقطعا حتى يفر بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الآية وقوله عز وجل وضل عنكم ما كنتم تزعمون اي ذهب عنكم وبطل ما كنتم تزعمون انهم شفعاؤكم عند الله وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى قيل فالق الحب والنوى كما قال الله تعالى فاطر السموات والارض وكقوله تعالى وهو الذي فطركم اي خلقكم يخبر انه فالق الحب والنوى خص الحب بالذكر لما منهما خلق جميع ما في الدنيا من الانزال والحبوب كقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة منه ما خلق ما في الدنيا من البشر فاضاف ذلك اليه فعلى ذلك لما خلق هذه الانزال كلها من الحب والنوى ومنهما اخرج اضاف اليهما ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون ليس باخبار عن ابتداء انشاء ولكن اخبار عن لطفه والفلق هو الشق يخبر انه يشق النواة مع شدتها وصلابتها ويخرج منها نبتا اخضر لينا ما لو اجتمع كل الخلائق على انفاذه واخراج مثله من غير اذى يصيب ذلك النبت ما قدروا عليه يخبر عن لطفه وقدرته اي من قدر على هذا لقادر على اعادة الخلق وبعثهم بعد اماتتهم وافنائهم وان لم يبق لهم اثر كما قدر على هذا يعرفهم قدرته انها غير مقدرة بقدرة الخلق وقوتهم بل خارجة عن قوتهم لان قوته وقدرته ذاتية ازلية بلا سبب وقوتهم وقدرتهم باسباب وكذلك ما يشق من الورق الضعيف اللين الشجر والنخل مع شدته وصلابته ما لو اجتمع الخلائق كلهم على شق ذلك الشجر بذلك الورق مع لينه ما قدروا عليه يعرفهم لطفه وقدرته انه لا يعجزه شيء وفيه ان ذلك فعل واحد لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اراد هذا شقه منع الآخر عن ذلك وفيه انه على تدبير خرج لا جزافا حيث اتفق ذلك في كل عام على قدر واحد وقوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ان الحب والنواة التي ذكرت فيخرج منهما النبات الاخضر حيا ثم يميت ذلك ويخرج منه حبا والنواة وفيه دلالة البعث بعد الموت يقول ان الذي قدر على اخراج النبات الاخضر الحي من حبة ميتة او نواة ميتة وليس فيها من اثر ذلك الحي شيء لقادر ان يبعثهم ويحييهم بعد الموت وان لم يبق من اثر الحيوة شيء وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل فاني تؤفكون اي ذلكم الذي يفعل ذلك هو الله تعالى لا الاصنام التي تعبدونها واشركتم في عبادتكم لله والوهيته اي جهة تصرفكم عما ذكر اي لا حجة لكم في صرف الالوهية عنه الى غيره ولا صرف العبادة الى الاصنام وقوله عز وجل فاني تؤفكون قيل فاني تصرفون عما ذكر من دلالات وحدانيته والوهيته وربوبيته والافك هو الصرف في اللغة كقوله قالوا اجئتنا لتأفكنا ولتصرفنا وقيل تؤفكون تكذبون اي ما الذي حملكم على الكذب والكذب والصرف واحد في الحقيقة لان الكذب هو صرف قول الحق الى الباطل وهما واحد وقوله عز وجل فالق الاصباح هو يحتمل الوجهين اللذين ذكرتهما في قوله فالق الحب والنوى خبر عن ابتداء خلقه ويحتمل الشق اي يشق النهار من الليل والليل من النهار بعد ما تلف كل واحد منهما لم يبق له اثر فيه دليل البعث والاحياء بعد الموت اي ان الذي قدر على انشاء النهار من الليل والليل من النهار بعد ما تلف وذهب اثره لقادر على انشاء الخلق وبعثهم بعد الموت وذهاب آثارهم وقوله عز وجل وجعل الليل سكنا جعل الله الليل سكنا وراحة للخلق والنهار معاشا لهم تعيشون فيه وجعلهما آيتين من آيات ربوبيته ووحدانيته مسخرين يقلبان الخلائق ويفنيانهم ويكونون تحت سلطانهما ويجريان على سنن واحد دل ان لهما مدبرا خالقا عليهما ولو كانا يجريان بطبائعهما لكان يختلف جريانهما ولو لم يتسق فدل اتساقهما وجريانهما مجرى واحدا ان لغيره فيهما تدبيرا وكذلك الشمس والقمر جعلهما مسخرين لمنافع الخلق النضج الانزال وينعها ولمعرفة عدد الايام والشهور والسنين ويجريان مجرى واحدا وسلكا واحدا غير مختلف دل ذلك انهما كانا بتدبير عليم حكيم وفي قوله فالق الاصباح وجعل الليل سكنا دلالة نقض قول المعتزلة لان الاصباح هو فعل الخلق لانه مصدر اصبح وكذلك السكن هو فعل الخلق ثم اضاف ذلك كله الى نفسه دل انه خالق افعالهم وقوله عز وجل والشمس والقمر حسبانا اختلف فيه قال ابو عبيدة هو من الحساب وهو جمع حساب وحسبانا مثل شهاب وشهبان وهو كقوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقيل حسبانا اي يجريان بحساب ويدوران ابدا لا يستريحان دل انهما كانا بغير مسخرين للخلق لانهما لو كانا بطبائعهما لكانا يستريحان وقيل حسبانا اي ضياء كقوله جعل الشمس ضياء والقمر نورا والله اعلم بذلك وقوله

عز وجل ذلك تقدير العزيز العليم اي ذلك الجريان الذي ذكر وتلك المنافع التي جعلت فيهما تقدير العزيز قال الحسن العزيز هو الذي لا يعجزه شيء والعزيز هو الذي يعز كل عزيز وقال بعض اهل التأويل العزيز المنيع في سلطانه المنتقم من اعدائه العليم بمصالح الخلق وبما كان ويكون وبجوابح صدورهم وبالله التوفيق وقوله عز وجل وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر والمراد منه الظلمات وذكر في قوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر واراد بالظلمات الشدائد والاهوال التي تصيبهم الا ترى انه قال تدعونه تضرعا وخفية عند الشدائد والاحوال كانوا يدعون ربهم تضرعا وخفية على ما ذكرهم ههنا عظيم سلطانه وقدرته لما يدفع عنهم الشدائد والاهوال التي تنزل بهم بما الذي دفع عنهم ذلك لا هؤلاء الاصنام التي يعبدون من دون الله ويشركونها في عبادته ويذكر في قوله جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر عظيم ما انعم عليهم بما جعل لهم من السماء نجوما يهتدوا بها الطرق والمسالك في البحار والبراري عند اشتباهها عليهم وفيه دليل وحدانية الرب وتدبيره وحكمته لانه جعل في السماء ما دلهم يهتدون بها ويستدلون على معرفة الطرق مع بعد ما بينهما من المسافة وتسوية اسباب الارض باسباب السماء وتعلق منافع بعضها ببعض ليعلموا انه كان بواحد مدبر عليم حكيم اذ لو كان بعدد او بغير لا تدبير ولا حكمة لم يحتمل ذلك ولم يتسق ما ذكرنا دل انه كان بالواحد العليم الحكيم مع علمهم ان الاصنام التي يعبدونها واشركوا في عبادته لا يقدرون على ذلك لكنهم يعبدونها ويشركونها في الوهيته سفها منهم وعنادا وبالله العصمة والتوفيق وفي قوله فالق الحب والنوى وقوله فالق الاصباح وقوله جعل لكم لتهتدوا بها وغير ذلك من الآيات التي ذكر تذكير نعمه واحسانه اليهم ليتأدى بذلك شكره وجعل الشكر له وجائز ان يستدل به على تدبيره وقدرته وسلطانه ان من قدر على ما ذكر لا يحتمل ان يعجزه شيء وفيه تذكير تدبيره وعلمه وحكمه على ما ذكرنا من اتساق الامور والاحوال على امر واحد وقوله عز وجل قد فصلنا الآيات قيل صرفنا الآيات اي صرفنا كل آية الى موضعها الذي يكون لهم دليلا عند الحاجة اليها وقيل قد فصلنا الآيات قد بينا الآيات لقوم يعلمون اي لقوم ينتفعون بعلمهم فاذا انتفعوا بها صارت الآيات لهم لان من انتفع بشيء يصير ذلك له لذلك ذكر لقوم يعلمون لانهم اذا لم ينتفعوا بها لم تصر الآيات لهم وقوله عز وجل وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فيه دلالة انه يبدئ ويعيد من غير شيء لانه اخبر انه خلق البشر كله من نفس واحدة والخلائق كلهم لو اجتمعوا ما احتملت الارض ولم تكن الخلائق باجمعهم في تلك النفس الواحدة دل انه قادر على الابتداء والاعادة لا من شيء اذ لم يكن لتلك النفس التي خلق الخلائق منها تقدمه شيء وقوله عز وجل فمستقر ومستودع قال الحسن مستقر في الآخرة بعمله الذي ختم به ان ختم بعمل الخير يبقى ابدا في الخير وان ختم بشر يبقى ابدا في الشر ومستودع في اجله ينتقل من وقت الى وقت ومن حال الى حال وقيل مستقر في الدنيا ويشبه ان يكون مستقر ومستودع في كل وقت مستقر في حال القيام حتى ينتقل الى حال اخرى ومستودع في الآخرة بالجزاء لاعمالهم التي عملوا ومستودع في الدنيا ويحتمل مستقر بالليالي ومستودع في الآخرة بالنهار [illegible] والنبي ادم خاصة ثم وقوله عز وجل لقوم يعلمون ولقوم يفقهون الفقه هو معرفة الشيء بمعناه الدال على نظيره والعلم ما يعرف بنفسه ولهذا لا يقال لله فقيه ويقال عالم لانه عالم بالاشياء بذاتها لا باغيارها ونظائرها والفقيه هو الذي يعرف الاشياء باغيارها ونظائرها ودلائلها وقوله عز وجل وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء يذكرهم عز وجل عظيم منته بما ينزل من السماء من الماء ويخرج به نبات كل شيء كما ذكرهم من النعم بما جعل لهم من الشمس والنجوم ليهتدوا بها في الظلمات واشتباه الطريق وما جعل الليل للسكون والراحة والنهار للمعاش والتقلب وما جعل لهم من الشمس والقمر وجعل لهم فيهما من المنافع من نضج الانزال والزروع وينعها ومعرفة عدد السنين والحساب والآجال التي يجعلون للعقود وغير ذلك من النعم التي انعمها عليهم لئلا يوجهوا شكر هذه النعم الى غيره ولا يتخذوا انها سواه وقد ذكرنا ان سورة الانعام نزل اكثرها في محاجة اهل الشرك في اثبات الوحدانية له والالوهية لله واثبات الرسالة والنبوة واثبات البعث بعد الموت لانهم كانوا ينكرون ذلك كله وقوله عز وجل فاخرجنا به نبات كل شيء يحتمل قوله نبات كل شيء مما للخلائق حاجة اليه ليعلم ان كل ما يخرج في الارض اصله من الماء به ينبت مما يكون غذاء البشر وغذاء الحيوان كلهم والطيور كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون يذكرهم عظيم ما جعل لهم في الماء من المنافع على ما اخبر انه يخرج نبات كل شيء وبه حياة كل شيء ثم من الآفات ما لو نزل من السماء عالم يلبث دل انه انما ينبت بتدبير غيره لا بالماء وقوله عز وجل فاخرجنا منه خضرا قيل به يخرج اول ما يخرج خضرا يكون ابتداء كل نبت اخضر ثم يتحول الى لون يخبر عن لطفه وصنعه بما يخرج من الحب متراكبا بعضه على بعض ما لو اجتمع الخلائق كلهم لم يقدروا على تركيب مثله ليعلموا ان لغيره في ذلك تدبيرا وصنعا وفيه دلالة انه قد ينشئ الاشياء من لا شيء ولا سبب وان كان قد انشأ بعضها باسباب [illegible] اخرج من ذلك النبات الاخضر حبوبا ولم يكن الحبوب في النبات ليعلموا انه قادر على انشاء الاشياء لا من شيء ولا سبب وفيه نقض قول الدهرية في كون الاشياء في شيء واحد كما هي لانه لا يحتمل ان يكون عشرة آلاف نواة او حبة في نواة واحدة او في حبة واحدة او يكون الشجرة مع طولها وغلظها وعظمها في نواة او حبة وقوله عز وجل ومن النخل اي يخرج من النخل طلعها بالماء وفيه من عظيم لطفه وتدبيره ان جعل النخل والاشجار تشرب بعروقها الماء ثم ينتشر في اصلها الى اغصانها

ثم يخرج منه ويظهر خضر البعلم عظيم تدبيره ولطفه وقوله عز وجل قنوان دانية قيل القنوان العذوق يكون فيها التمر والثمار واحدها قنو وقوله عز وجل دانية قال الحسن دانية بعضها الى بعض مجتمعة غير متفرقة على ما يكون من الاعناب والتمر والحبوب فان كان هذا فهو في الكل وقال بعضهم دانية قريبة ملتزقة بالارض ينالها القائم والقاعد جميعا وعن ابن عباس قنوان دانية قصار النخل اللاصقة عذوقها بالارض وقوله عز وجل وجنات من اعناب اي اخرج الماء جنات وكرومها والزيتون والرمان قيل اخرج بالماء ايضا الزيتون والرمان وقال بعضهم الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه اي يشبه ورق الزيتون في النظر ورق الرمان وغير متشابه اي يشبه ورق الزيتون في النظر ورق الرمان وغير متشابه ثمرتها في اللون والطعم ولكن هو على الكل على كل الثمار والاشياء يشبه بعضها بعضا منها ما يشبه ساق هذا ساق الاخر والثمار والحبوب يختلف ومنها ما يشبه في اللون والطعم يختلف ومنها ما يشبه في الطعم واللون يختلف ليعلموا ان لغير في ذلك تدبيرا وصنعا لطيفا لم يكن كذلك بالماء لانه لو كان كذلك بالماء لكان لا يختلف كل هذا الاختلاف في اللون والطعم والساق والورق دل انه كان كذلك لمدبر عليم مدبر حكيم انشاء على ما اراد بلطفه وقوله عز وجل انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه يحتمل الامر بالنظر وجوها اي انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان كيف يقلبها ويحولها من حال الى حال ومن لون الى لون وانه يخرج في ساعة لطيفة ما لو اجتمع الخلائق على تقديره ومعرفته ان كم يخرج واي مقدار يخرج لم يقدروا عليه ليعلموا انه قادر على احياء الخلق بعد موتهم وفي انزال المطر من السماء مع ثقلها اية عجيبة وحكمة بالغة وهو انه ينزله واحدا حتى لا يختلط بعضه ببعض مع كثرة المطر وازدحامه وبعد السماء ولو اجتمع الخلائق على حفظ مثله ما قدروا عليه دل عليه انه كان بتدبير عليم حكيم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون قد ذكرنا انها تصير ايات لمن صدق بها وامن وعاند وكابر ولم يتامل فيها لم يفهم ما فيها من عجيب اياته وعظيم منته وفي قوله انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه وجهان اخران من الحكمة ان انظروا الى ثمره اذا اثمر انه اول ما يخرج يخرج على لون واحد وعلى قدر واحد وعلى طعم واحد ثم يختلف الوانها وطعمها وتتفاوت اقدارها ليعلموا انه كان بتدبير واحد عليم حكيم قادر على خلق الاشياء بلا سبب لانه لو كان كذلك بسبب لا بتدبير فيه كان سبب هذا كله واحدا فيجيء ان يخرج كله على سنن واحد دل انه خالق بذاته لا بسبب والثالث ان انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه انه جعل ما يطيب منه للبشر وعليهم اسبابا يتخذون بها الطيبات من ذلك من نحو النضج والطبخ ونحوه وجعل لغيرهم من الحيوان كما هو خارج من الارض ليعلموا ان غيرهم من الحيوان والدواب انما جعلهم لمنافع البشر مسخرين لهم وان البشر هم المقصودون في خلق الاشياء كلها وبالله الحول والقوة له المنة والفضل وقوله عز وجل وجعلوا لله شركاء الجن اي قالوا لله شركاء وكذلك قوله ويجعلون لله شركاء البنات اي يقولون لله البنات او وصفوا الله دليله ما ذكر في اخره سبحانه وتعالى عما يصفون دل هذا ان قوله وجعلوا لله شركاء اي وصفوه بالشركاء والولد وقوله عز وجل شركاء الجن قال بعضهم هذا كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وقيل انهم لم يعبدوا الجن ولا قصدوا قصد عبادة الشيطان حيث قال يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين لان جميع اهل الكفر على اختلاف مذاهبهم يبغضون الشيطان ويلعنونه ويلعنون عليه ولكن معناه ان الشيطان هو الذي دعاهم الى عبادة الاصنام والاوثان فاذا عبدوا الاصنام بدعائه فكانهم عبدوه اذ بامره وبدعائه يعبدونها او ان يكون كما روي في الخبر ان الشمس اذا اطلعت تطلع بين قرني شيطان فاذا عبدوها فكانهم عبدوا الشيطان مثل هذا يحتمل والله اعلم فان قيل فاذا صاروا كانهم عبدوا الشيطان ومن ذكر من الجن بدعائهم الى ذلك وبامرهم بذلك حتى نسب واضاف العبادة اليهم كيف لا صار المؤمنون كانهم عبدوا الرسل لانهم انما عبدوا الله بدعاء الرسل وبامرهم قيل لان الرسل انما دعوهم الى عبادة الله وامروهم بذلك لان الله تعالى امرهم بذلك واما اولئك انما دعوهم الى عبادة من ذكر بذات انفسهم وفي قوله وجعلوا لله شركاء الجن اخبار لاوليائه وتذكيرهم حسن صنيعه الى اعدائه من الانعام عليهم والاحسان اليهم وقبح صنيع اولئك اليه من وصفهم اياه بالولد والشركاء ليعاملوهم معاملة الاعداء ومعاملة امثالهم وخلقهم اي يعلمون انه هو خلقهم ثم يشركون غيره في الوهيته وعبادته لا يوجهون شكر نعمه اليه والثاني معاملة الاعداء او معاملة امثالهم وخلقهم اي يعلمون انه هو خلقهم ثم يشركون غيره في الوهيته وعبادته لا يوجهون شكر نعمه اليه والثاني قوله خلقهم اي خلق هذه الاصنام التي يعبدونها ويعلمون انها مخلوقة مسخرة مذللة فمع ما يعلمون هذا يشركون في الوهيته وعبادته فكيف يكون المخلوق المسخر شريكا له وقوله عز وجل وخرقوا له بنين وبنات بغير علم كانوا فرقا واصنافا فمنهم من يقول بان عيسى ابنه وهم النصارى ومنهم من يقول بان عزيرا ابنه وهم اليهود وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله فقال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقال ام له البنات ولكم البنون وقال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم فاذا انفتم انتم من البنات كيف نسبتم البنات اليه في هذه الاية تصبر وتسلي الله على اذاهم بقوله مع كثرة ما كان لهم من الله من النعم والمنن يشركون في عبادته غيره كانت اذا لم يكن منك اليهم شيء من ذلك اولى ان تصبر على اذاهم وقوله عز وجل بغير علم اي يعلمون هم ان ليس له ولد ولا شريك ولكن كانوا يكابرون ويحتمل بغير علم بل جهل يقولون ذلك وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يصفون هو حرف تعظيم وتنزيه جعل فيما بين الخلق به يعظمون وبه ينزهون وبه ينفون كل عيب فيهم فعلى ذلك ذكر عند وصف الكفرة بالولد والشريك والعيوب

تنزيها

تنزيها وتبرئة عن كل عيب وصفوه ونهاه الباعث عن جميع ما قالوا فيه وهو والله اعلم كما يقولون معاذ الله تعظيما وتبرئة عن ذلك وفي قوله سبحانه وتعالى عما يصفون نقض قول المعتزلة لقولهم ان صفات الله ليس الا وصف الواصفين فلو لم يكن الا وصف الواصفين لا غير لكان لا معنى لذم بعض الواصفين وحمد بعضهم ثبت ان في ذلك صفة سوى وصف الواصفين وقوله عز وجل بديع السموات والارض انى يكون له ولد قوله بديع السموات والارض اي انشاءها بلا احتذاء ولا امتثال بغيره هذا يرد على القرامطة قولهم لانهم يقولون فهو مبدع ويقولون المبدع الثاني هو اول مخلوق خلق منه جميع العالم فلو كان اول خلق خلق مبدعا فهو مبدع والابداع هو احداث شيء لم يسبق له اصل ولا مثال ولهذا ما يقال لمن احدث في دينه شيئا مبتدع لانه احدث فيه شيئا لم يسبق له اصل ولا مثال وقوله عز وجل بديع السموات والارض انى يكون له ولد اي من قدر على ابداع السموات والارض لا عن اصل سبق ولا عن مثال تقدم فانى يقع له الحاجة الى الولد والولد في الشاهد انما يتخذ لاحدى خصال ثلاث اما للانتصار على الاعداء والانتقام منهم واما لوحشة تاخذهم واما الحاجة تمسهم فالله سبحانه يتعالى عن ذلك كله فانى يتخذ ولدا والثاني انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة اي تعرفون ان الولد لا يكون في الشاهد الا عن صاحبة وليست له صاحبة فانى يكون له ولد كان الخطاب كان في قوم ينفون عنه الصاحبة وانما الحاجة الى الصاحبة الشهوات التي مكنت فيهم فالشهوة هي التي تقهر المرء وتحمله على الحاجة وقوله عز وجل وخلق كل شيء فيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر انه خلق كل شيء وعلى قولهم لم يخلق جزءا من الف جزء من الاشياء لانهم يقولون ان الله لم يخلق افعال العباد ولا حركاتهم ولا سكناتهم ولا قيامهم ولا قعودهم ولا شيئا من ذلك ثم لا يجوز ان يصرف الاية الى الخصوص وهو يخرج مخرج الامتداح ولو جاز ان يصرف هذا على شيء دون شيء لجاز لغيرهم ان يصرفوا قوله وهو بكل شيء عليم الى شيء دون شيء وكذلك قوله خالق كل شيء على قول المعتزلة هو خالق بعض الاشياء ليس هو بخالق الاشياء كلها على ما اخبر فلان جاز صرفه الى بعض الاشياء دون بعض لجاز ايضا صرف قوله وهو على كل شيء وكيل الى بعض حفظ بعض الاشياء ولم يحفظ الكل فان لم يجز هذا لانه خرج مخرج الامتداح فعلى ذلك لا يجوز صرف الاول الى بعض دون بعض لانه امتداح ولئن جاز ان يقال بان العبد هو خالق ذلك جاز ان يقال هو خالق الكل والقادر عليه فهذا مما ينبغي ان نسال الله العصمة عن السرف في القول والزيغ عن الحق فانه لا حول ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم اي ابتدع خلق السموات والارض وما ذكر من انواع المنن والنعم التي انعمها عليهم من نحو ما جعل لهم من النجوم ليهتدوا بها في الظلمات وما ذكر انه انشاهم من نفس واحدة وما ذكر من انزال الماء من السماء واخراج ما اخرج به من النبات والثمار والحبوب والاعناب وغير ذلك من عجيب حكمته ذلك كله بالله الذي لا اله الا هو منشئ ذلك كله فاعبدوه اي اليه وجهوا شكر نعمه ولا توجهوا الى غيره قال الكسائي اي بديع السموات وبارع السموات واحد كما يقال عليم وعالم وبديع ومبدع بمعنى واحد وقال بعضهم هو مثل قوله فاطر السموات والارض وقوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قيل كنى بالابصار عن الخلق كانه قال لا يدركه الخلق وهو يدرك الخلق وانما كنى بالابصار عن الخلق لما بالابصار يدرك الاشياء ويحاط بها لذلك كان معنى الكناية والله اعلم وقيل هو على حقيقة الابصار لكنه بصر القلب لما به نفع المعارف فان كان بصر الوجه ففيه دليل اثبات الرؤية لانه نفى عنه الادراك فلو لم يكن لنفي الادراك معنى لانه لا يدرك ما لا يرى فدل نفي الادراك على ان هنالك رؤية لكنه لا يدرك ولا يحاط به على ما ذكر ولا يحيطون به علما اذ من الاشياء الظاهرة مما يقع عليها البصر يكون لها سر وفيها خفي من نحو البصر والسمع والانف وغير ذلك من الاشياء مما لا يدرك حقيقة ماهيتها وكيفيتها ولا تقديرها بصيرا بالبصر اشياء لا يعرف حقيقة كيفية البصر ولا ماهيته وكذلك السمع لا يدري انه كيف هو ولا بم يسمع وكذلك هذا في كل جارحة وحاسة يجد اليوم خشونة الشيء الذي غمسه ولينه لا تعرفه بجد ذلك وتعرفه وكذلك الكلام من اللسان والشم من الانف لا يدري ما هو وكيف وبم يجد ذلك الرائحة والنتن فاذا كان معارف الخلق في الاشياء الظاهرة التي يقع عليها البصر لا تدرك حقيقة ماهيتها ولا يعرف كيفيتها ولا يحاط بها علما فالله سبحانه الذي بحكمته وقع ذلك وبلطفه ركب ابعد عن الادراك واحرى ان لا يحاط به ولا يدرك وهذا يرد على المجسمة مذهبهم لانهم يتصورون ربهم في قلوبهم ويمثلونه فعلى ذلك يعبدونه فهم مشبهة واصله ان الله تبارك وتعالى يعرف بالايات والدلائل لا بالمحسوسات والمشاهدات وكل شيء سبيل معرفته الايات والدلائل فهو غير محاط به ولا مدرك فهو على ما وصف نفسه لا يحيطون علما ولا تدركه الابصار لان الادراك والاحاطة انما يقع بالمحسوسات لا بما يعرف بالايات والدلائل وعلى ذلك جاءت دلائل الرسل نحو ما قال موسى حين ساله فرعون فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق دلالة على الوهيته ووحدانيته من جهة الايات والدلائل لا من غيره وعلى ذلك دل الله الخلق على معرفته ووحدانيته وربوبيته بقوله هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها وقال وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل وقال وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الى اخر ما ذكر لهم على ما يعرفون الوهيته ووحدانيته من جهة الايات والدلائل لا من جهة ما يقع به الاحاطة والادراك وبالله الهداية

والرشاد وقوله عز وجل وهو اللطيف الخبير قيل اللطيف في افعاله الخبير بخلقه وباعمالهم وقيل اللطيف البار الرحيم وقيل اللطيف هو العليم بخفيات الاشياء والخبير بظواهر الاشياء ثم هو اللطيف العظيم والعظيم في الشاهد غير اللطيف واللطيف غير العظيم لان العظيم في الشاهد هو الذي بركنا فيه واللطيف ما يلطف في نفسه ويرق وكل واحد منهما مما ينا قض الاخر ليعلم انه لطيف عظيم لا من الوجوه التي تعرف في الخلق وكذلك قوله هو الاول والاخر والظاهر والباطن هو اول اخر وظاهر باطن وفي الخلق من كان اولا لم يكن اخرا ومن كان ظاهرا لم يكن باطنا ليعلم انه اول واخر وظاهر وباطن لا من الوجه الذي يعرف ويفهم من الخلق ولكن ما وصف نفسه وقوله عز وجل قد جاءكم بصائر من ربكم قيل بينات من ربكم وقيل البصائر الهدى بصائر في قلوبهم وليست بصائر الرؤس وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقيل بصائر اي بيان وهو واحد وقيل بصائر شواهد اي قد جاءكم من الله شواهد تدلكم على الوهيته وهو كقوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل الانسان من نفسه بصيرة اي شاهدة تشهد كل جارحة منهم على وحدانية الله والوهيته الا ترى انه قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون هذا والله اعلم لانهم كانوا يقلدون اباءهم في عبادة الاوثان والاوثان والاصنام ويقولون ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول قد جاءكم بصائر من ربكم من الايات والرسل ما لو اتبعتموها لكانوا لكم شفعاء عند الله والثاني قد جاءكم بصائر ما لو تفكروا وتدبروا ونظروا فيها لعرفوا انها بصائر من الله لان البشر انشئوا بحيث ينظرون في العجيب من الاشياء فكانوا على امرين منهم من نظر وتفكر وتفكر وعرف انها بصائر لكنه عاند وكابر ولم يعمل بها ومنهم من ترك النظر فيها فعمي عنها ما لو تفكروا ونظروا لتبين لهم وقوله عز وجل فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها اي ابصر الحق والهدى وعمل به فلنفسه عمل ومن ابصر وعمي عنها اي ترك كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فان قيل ذكر في اية اخرى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة اخبر ان من هلك عن بينة ومن حيي حي عن بينة وها هنا يقول يقول فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها ذكر عمي عنها فكيف وجه التوفيق بينهما قيل يحتمل قوله عمي بعد ما تبين له فترك العمل به فعليها ذلك لانه ابصرها وعرف انها من الله لكنه عاندها وكابرها وقوله عز وجل وما انا عليكم بحفيظ اي قد جاءكم بصائر من ربكم فليس علينا الا التبليغ كقوله ما على الرسول الا البلاغ وقوله عز وجل وكذلك نصرف الايات اي نرددها في الوجوه التي تبين لقوم يطلبون البيان او نقول نصرف الايات اي نقنع كل اية ونصرفها الى الوجوه التي تكون بالخلق اليها حاجة وقوله عز وجل وليقولوا درست فيه لغات درست ودارست ودرست قرأت ودارست تعلمت وقيل دارست اهل الكتاب جادلتهم ودرست بالجزم قيل تقادمت فهذا الاختلاف فيه لاختلاف قول كان من الكفرة لرسول الله منهم من يقول ان هذا الا افك مفترى وهو تأويل درست فعلى اختلاف اقاويلهم خرجت القراءة ثم اختلف في تأويل قوله تعالى وليقولوا درست فهو صلة قوله قد جاءكم بصائر من ربكم ليقولوا درست وقال الحسن قوله وليقولوا درست اي قد جاءكم بصائر من ربكم ليقولوا درست لان من قوله انه بعث الرسل وانزل الكتب ليكون من الكافر قول كفر ومن المؤمن قول ايمان وقوله عز وجل وليقولوا درست يخرج والله اعلم على التعجب بعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قبيح صنيع الكفرة وسوء معاملتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءهم بصائر من ربهم وبينات وحجج ثم بعد هذا كله يستقبلونها بالرد والتكذيب وهو على ما قلنا ان الله ذكر نعمه عليهم بما انشأ لهم من الانعام والجنات المعروشات والزرع والنخل وما اخبر عنه وقد علموا ذلك كله ثم جعلوا له بعد معرفتهم وهذا شركاء الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ولا بينة فهو على التعجب التعجب لهم كيف جعلوا له شركاء وقد علموا ان الذي جعل هذا كله لهم هو الله فعلى ذلك هذه الاية انهم كيف قذفوه بالدراسة وقد تبين لهم صدقه وانه من عند الله بالايات في الدلائل وبما كان لا يخط كتابا ولا شهدوه يختلف الى من عنده علم ذلك وقوله عز وجل ولنبينه لقوم يعلمون اي لنبينه يعني القران وقيل البصائر التي ذكر لقوم ينتفعون بعلمهم وقوله عز وجل اتبع ما اوحي اليك من ربك فان قيل ما معنى قوله من ربك وانما اوحي اليه من ربه ويكفي قوله اتبع ما اوحي اليك ولكن معناه على الاضمار والله اعلم كانه قال الذي اوحي اليه على يديه قل اتبع ما اوحي اليك من ربك ثم امر نبيه باتباع ما اوحي اليه من ربه اي اعمل بما اوحي اليك ثم الامر بالعمل يحتمل وجهين يحتمل الامر بالاعتقاد بذلك ويحتمل نفس العمل الى عمل ويشبه ان يكون بالامر بالامر بالاتباع ما اوحي اليه صدقا في الخبر وعدلا في الحكم كقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا قيل صدقا في الاخبار وعدلا في الاحكام فعلى ذلك امكن ان يكون الامر بالاتباع اتباع ما اوحي اليه صدقا في الاخبار وعدلا في الاحكام ثم على ما امر نبيه باتباع ما اوحي اليه وانزل من ربه امر امته كذلك وهو قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء امرهم باتباع ما انزل اليهم من ربهم ونهاهم عن اتباع ما اتخذوا من دونه اولياء فعلى ما نهاهم عن اتخاذ اولياء دونه قال في الاية التي امر رسوله باتباع ما اوحي اليه من ربه فقال اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو وقوله عز وجل لا اله الا هو وقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء واحد لانه امر باتباع ما اوحي اليه من ربه ونهى ان يتبع دونه اولياء لانه اخبر ان لا اله الا هو وقوله عز وجل واعرض عن المشركين يحتمل امره بالاعراض عن المشركين وجوها يحتمل ان لا تكافئهم على اذاهم ولكن اصبر ويحتمل الامر بالاعراض عنهم النهي عن قتالهم كانه نهى عن قتالهم في وقت ويحتمل ان يكون

الاية في قوم خاص قال اعرض عنهم فانهم لا يؤمنون ولا تقم عليهم الايات والحجج لما علم منهم انهم لا يؤمنون ثم على ما امر نبيه بالاعراض عنهم امر المؤمنين ايضا بالاعراض عنهم وهو قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقوله عز وجل ولو شاء الله ما اشركوا قالت المعتزلة المشيئة ها هنا مشيئة قهر وجبر اي لو شاء الله لا عجزهم ومنعهم عن الشرك على رفع الابتلاء والامتحان واما عندنا المشيئة مشيئة اختيار والطوع على قيام الابتلاء والامتحان وبعد فان مشيئة الجبر هي خلقة وقد كانوا جميعا غير مشركين بالخلقة فلا معنى لتأويلهم الذي تأولوا في المشيئة ثم لا يحتمل ان يكون قوله ولو شاء الله ما اشركوا مشيئة قهر وقسر لانه لا يكون في حال الجبر والقهر ايمان ولا كفر انما يكون ذلك في حال الاختيار والطوع لان الجبر والقهر يمنع من ان يكون له فعل حقيقة بل يحول الفعل منه ويسقط ويثبت للذي جبر وقهر فذلك بعيد فدل انه ما ذكرنا وبالله الرشاد وفي قوله ولو شاء الله ما اشركوا دلالة ان طريق الارسال الافضال والانعام ولله ان يخص بر من كان اهلا للافضال والانعام باللطائف التي عنده ويحرم ذلك وله ان يجعل بعضهم اهلا لذلك افضالا منه ولا يجعل البعض عدلا منه وقوله عز وجل وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل اي لم يؤخذ عليك حفظ اعمالهم او الوثاب عن سيئهم انما عليك التبليغ وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء كقوله تعالى فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه وقيل الحفيظ والوكيل واحد وقيل الوكيل هو الكفيل وقد ذكرنا في غير موضع فيما تقدم وقوله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم نهانا الله عز وجل عن سب من يستحق السب مخافة سب من لا يستحق السب فان قيل كيف نهانا عن سب من يستحق السب مخافة سب من لا يستحق وقد امرنا بقتالهم واذا قاتلناهم قاتلونا وقيل سب المؤمن بغير حق من المناكير وكذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة والتلاوة عليهم وان كانوا يستقبلونه بالتكذيب قيل ان السب لاولئك مباح غير مفروض والقتال معهم فرض وكذلك التبليغ فرض يبلغ اليهم وان كانوا ينكرون ما يبلغهم وكذلك القتال نقاتلهم وان كان في ذلك اهلاك انفسنا واصله ان ما خرج الامر به مخرج الاباحة فانه ينهى عما يتولد منه ويحدث وما كان الامر به امر فرض ولزوم لا ينهى عن المتولد منه والحادث ويجوز ان يستدل بهذا على تأييد مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه في قوله ان قطع يد اخر بقصاص فمات في ذلك اخذ بالدية واذا قطع اليد بحد لزمه فمات لم يؤخذ به لانه ابيح له قطع يده والقصاص لم يفرض عليه وفي الحد يلزم اقامة الحد لله فاذا كان قيامه بفعل ابيح له الفعل نهي عما يتولد منه ويؤخذ به واذا كان قيامه بفعل فرض عليه لم يؤاخذ بما تولد منه وعلى هذا يخرج قوله في الامر بالختان اذا تولد من ذلك الموت لانه امر باقامة السنة وكذلك الامر بالحجامة لانه يفرض عليه الحجامة في حال ذا خاف عليه الهلاك اذا لم يحتجم واما الامر بالدق وغيره مما اشبه امر اباحة لا امر لزام فلذلك ضمن ما تولد منه فعلى ذلك السب الذي يسب الهتهم اذا حملهم ذلك على سب الله عز وجل وسب رسوله لا يسبون وان كانوا مستحقين لذلك لانه قد ينهى الرجل ان يعود نفسه السب فعلى ذلك يجوز ان نهوا عن سب الهتهم لما فيه الاعتياد لذلك نهوا عن سب الهتهم ثم ذكر في القصة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يسبون الهتهم فيسبون الله عدوا بغير علم وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم بسوء فقالوا لتنتهين عن ذلك او لنهجون ربك وعن ابن عباس رضي الله عنه وذلك حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية فقالوا عند ذلك ما قالوا فنزل ولا تسبوا الذين يدعون ولكن لا ندري كيف كانت القصة ولكن فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل عدوا بغير علم قال الكسائي وابو عبيدة عدوا من الاعتداء وهو مجاوزة الحد وقال ابو عمرو وعدوا بالرفع وقال انما العدو من عدو الرجلين وكذلك قال في يونس عدوا وقيل فلما نزل قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله الاية فقال رسول الله لاصحابه لا تسبوا ربكم فامسكوا عن سب الهتهم وقوله عز وجل كذلك زينا لكل امة عملهم قال ابو بكر الكيساني انه صلة قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم انهم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان رجاء ان تقرب عبادتهم اياها الى الله لانهم كانوا يعبدونها ويتخذونها الهة دونه فاذا سبوا معبودهم فكانهم سبوا الله عدوا بغير علم اذ العبادة في الحقيقة لله فيرجع سبهم اياها الى الله لذلك كان معنى السب فقال فعلى ذلك رجع قوله كذلك زينا لكل امة عملهم حتى امتنعوا عن سب الله فذلك الذي زين عليهم وقال الحسن قوله زينا لكل امة عملهم اي زينا عليهم اعمالهم فيما امر وابر وفرض ويجب عليهم ان يفعلوا لا فيما لا يفرض ولا يحل لهم ان يفعلوا وكذلك يقول جعفر بن حرب وغيرهم من المعتزلة انه زين عليهم عملهم الذي فرض عليهم ان يعملوا او يأتوا بها واما ما لا ينبغي ان يقول فلو كقوله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان الاية ذكر في الايمان التزيين وفي الكفر التكريه ويقولون انه اضاف التزيين الى الشيطان بقوله زين لهم الشيطان اعمالهم وقوله الشيطان سول لهم واملى لهم فالشيطان يزين لهم المعاصي والفسوق فلا يحتمل ان يكون الله يزين لهم ما يزين الشيطان فدل انه انما يزين لهم ما يؤمرون به ويفرض عليهم ولكن يضاف اليه التزيين ما يضيف اليه حرف الاضلال والاغواء واما عندنا فالتزيين على وجهين تزيين في العقول وهو تزيين من طريق الايات والبراهين فذلك لا يحتمل فعل الكفر والضلال ان يكون مزينا من جهة الايات والحجج والثاني تزيين في الطباع بالشهوات

والاماني وفعل كل احد مزين بالشهوة الحاجبة التي مكنت فيه ولا شك ان كلا لو سئل عن فعله الكفر والضلال فيقول
هذا الذي زين لي وليس اضافة فعل التزيين الى الله باكبر وابعد من اضافة الاضلال والاغواء وقد ذكرنا معنى اضافة
الاضلال والاغواء اليه في غير موضع فعلى ذلك التزيين ويقولون ايضا ان التزيين تزيين وعد وثواب فالكافر متى يؤمن
بالوعد في الاخرة والثواب فيها وهو ليس يؤمن فهذا بعيد ولا يحتمل ما قال الكسائي ايضا لا يزاد كل الكفرة كانوا يعبدون
الاصنام ليقربهم ذلك الى الله زلفى بل اكثرهم لا ان لهم خالقا وربا ويحتمل اضافة التزيين الى الشيطان على جهة التمني
والتشهي كقوله ولامنينهم واضافة الى الله على القدرة عليها والسلطان او ان يخلق لما لهم مزينة عندهم مستولة واضافة
فعل الضلال والغواية الى الشيطان على الدعاء اليه والترغيب فيه واضافته الى الله على ان يخلق فعل الضلال منهم وقوله
عز وجل ثم الى ربهم مرجعهم قد ذكرنا فينبئهم بما كانوا يعملون في جزاء الثواب او في اليم عذاب فهو على الوعد
وقوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم قالوا جهد ايمانهم بالله فهذا يخرج على وجوه احدها ان الحنث في اليمين
يخرج مخرج الاستخفاف والتهاون وان كان في اليمين التعظيم وفي الحنث استخفاف وفي اليمين بالله جهد اليمين ويحتمل
وجهين سوى هذا وذلك ما قيل ان الكفرة كانوا لا يحلفون بالله الا عند العظيم من الامور والجليل منها كانوا يحلفون
بدونه فسمي اليمين بالله جهد اليمين تعظيما لله وتبجيلا والاخر يحتمل انهم كانوا يحلفون باشياء ويؤكدون اليمين بالله
وبذلك وبه كقوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقوله عز وجل لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قيل انهم كانوا اقسموا
جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم آيات لئن جاءتهم يؤمنون
بها من نحو ما قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وكقولهم ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وغير ذلك من الايات فقال قل يا محمد انما الايات عند الله هو الذي يرسلها وينزلها وانا لا املك ارسالها
ولا انزالها كقوله قل لا اقول لكم عندي خزائن الله وغير ذلك من الايات اشياء منه انه لا يملك انزال ما كانوا يسألون
من الايات ثم قال وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون اختلف فيه قال الحسن وابو بكر الاصم انه خاطب
بقوله وما يشعركم اهل التقسيم الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم ليؤمنن بها فقال وما يشعركم اي
ما يدريكم انكم تؤمنون اذا جاءتكم آية ثم استأنف فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون وهكذا كان يقرؤه الحسن
بالخفض انها اذا جاءت لا يؤمنون على الاستئناف والابتداء وقال غيرهم من اهل التأويل الخطاب لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم لما قالوا لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ظنوا انهم لما اقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم يؤمنون اذا جاءتهم لا يفعلون ذلك ويؤمنون على ما يقولون فقال لهم وما يشعركم انها
اذا جاءت لا يؤمنون على طرح لا اي ما يدريكم انها اذا جاءت يؤمنون ويحتمل فيه وجها اخر على الاضمار كانه
قال وما يشعركم فاعلموا انها اذا جاءت لا يؤمنون على الوقف في قوله وما يشعركم ثم ابتدأ فقال اعلموا
انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا كان اقرب ويحتمل وجها اخر وهو ان اهل الاسلام قالوا انهم وان
جاءتهم آية لا يؤمنون فقال عند ذلك وما يشعركم خاطب به هؤلاء انها اذا جاءت لا يؤمنون والثاني
انهم وان امنوا بها اذا جاءت فتنقلب افئدتهم من بعد وعلى هذا التأويل ان نقلب افئدتهم وابصارهم
كقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي خلق زيغ قلوبهم فكذلك الاول وقوله عز وجل ونقلب افئدتهم وابصارهم
اي نقلب افئدتهم وابصارهم بالحجج والايات ونردها فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به اول مرة وقال اهل التأويل ونقلب
افئدتهم وابصارهم اي نحول بينهم وبين الايمان لو جاءتهم تلك الايات فلا يؤمنون كما حلنا بينهم وبين الايمان
اول مرة ويحتمل وجها اخر وهو ان يقلب في افئدتهم وابصارهم آيات وحدانيته والوهيته فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا
اول مرة ثم تخصيص الافئدة والابصار دون غيرهم من الجوارح لان القلب والبصر لا يقع الا على ما يشهد
كل على وحدانية الله والوهيته وقوله عز وجل كما لم يؤمنوا به اول مرة قال بعضهم ان هؤلاء وان جاءتهم
آية فانهم لا يؤمنون كما لم يؤمن اوائلهم من الامم الخالية لما سألوا الايات قبلهم فكذلك هؤلاء
لا يؤمنون بها وان جاءتهم الاية بعد السؤال وقال غيرهم قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة اي قد جاءتهم
آيات قبل هذا على غير سؤال فلم يؤمنوا بها فكذلك وان جاءتهم بالسؤال فلا يؤمنون بها ويحتمل وجها اخر وهو
ان مشركي العرب كانوا يقسمون بالله انه ان جاءهم نذير يؤمنون به وهو قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم يعنون والله اعلم اليهود والنصارى اي لو جاءهم نذير ليكونن
اهدى من اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا اخبر انهم كما لم يؤمنوا بالنذير عند سؤالهم النذير
في الابتداء اذا جاءهم نذير فكذلك ايضا لا يؤمنون عند سؤالهم الايات وان جاءتهم آيات يخبر نبيه انهم
ليسوا يسألون الايات سؤال الاسترشاد ولكن يسألون سؤال عناد ومكابرة وهذا التأويل كان اقرب وقوله
عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون اذا علم انهم لا يؤمنون تركهم في ظلمات ضلالتهم يعمهون ويتحيرون
والعمه الحيرة في اللغة وقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى قيل هذه الاية صلة قوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم الى قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ثم قال ولو اننا نزلنا الاية اخبر انهم وان نزل
اليهم الايات بعد السؤال مثل الايات من انزال الملائكة وتكليم الموتى انهم لا يؤمنون اذ سؤالهم الايات
سؤال تعنت واستهزاء وعناد لا سؤال استرشاد لانهم قد جاءتهم آيات لو لم يعاندوا لامنوا ثم اذ علم

منهم

منهم انهم لا يؤمنون وان ما يسألون من الايات انما يسألون سؤال تعنت وعناد فجعل فيهم خصالا على الخذلان
من قساوة القلب حتى اخبر ان قلوبهم اقسى من الحجارة ومن نحو البغض والجهالة وغير ذلك من الخصال ما يدل على ما ذكرنا
وهو قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون نحو تعنتهم ومكابرتهم وفيه دليل ان الايات
لا تضطر اهلها على الايمان لانه قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا
ليؤمنوا الا انه لو كانت آية تضطرهم الى الايمان لكانت هذه وهذا يدل على ان معنى قوله ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين انهم لا يؤمنون بالاية ولكن اذا شاء ان يؤمنون لامنوا ولو كانت
الايات تضطر اهلها الى الايمان بها لكان لا اية اعظم من القيمة ولا ابين منها ثم اخبر عنهم انهم لو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فقد كذبوا عند معاينتهم القيمة
والعذاب فهذا يدل على ان الاية لا تضطر اهلها على الايمان بها ويدل ان تأويل قوله ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين انهم يخضعوا لا ان الاية تضطرهم على الخضوع بالدلائل التي ذكرنا
وقوله عز وجل الا ان يشاء الله قال الحسن هذه المشيئة مشيئة القدرة اي لو شاء الله ان يجبرهم حتى يؤمنوا
وهو كقوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ولو نشاء لمسخناهم ونحوه فهذه المشيئة مشيئة القدرة لكنا نقول
انه اخبر انه لو شاء ان يمسخهم لمسخهم فقل ايضا انه لو شاء ان يهديهم لهداهم ولو شاء ان يهتدوا لاهتدوا
وكذلك يقول المعتزلة ان المشيئة ههنا مشيئة القهر والجبر وقد ذكرنا ان لا يكون في حال القهر والجبر ايمان
فيصير على قولهم الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فامنوا فلا يكون ايمانا وقوله عز وجل وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
اختلف في قبلا وتفسيره وتأويله عن الحسن قال قبلا عيانا وعن قتادة كذلك قبلا عيانا حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانوا
ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهو على ما ذكرنا الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فيؤمنوا وعن مجاهد قبلا اي افواجا
قبلا وفي حرف ابي عمرو بن العلاء وحشرنا عليهم كل شيء قبلا يقول جيلا جيلا وفي حرف ابي قبلا اي قبيلة
وقال القتبي قبلا اي جماعة وقبلا اي صنافا ويقال القبيل الكفيل كقوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي ضمنا
كفلا قال الكسائي من قرأها قبلا فقد يكون جمع القبيل مثل الجبيل والجبل وقد يكون القبل ايضا من معنى الاقبال
كقوله من قبل ومن دبر ومن قرأها قبلا اراد معاينة وقال ابو عوسجة كل شيء قبلا يقال اتانا الناس قبلا اي
كلهم وقبلا من المقابلة وتأويله ما ذكرنا ان لو فعلنا هذا كله من انزال الملائكة اليهم وتكليم الموتى اياهم وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا فاخبرهم بالذي يقول محمد انه حق ما كانوا ليؤمنوا به الا ان يشاء الله لهم الايمان فيؤمنوا
وفيه ما ذكرنا من الدليل ان الايات لا تضطر اهلها الى الايمان بها الا ان يشاء الله ان يؤمنوا فحينئذ يؤمنون
وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون اي لكن اكثرهم لا ينتفعون بعلمهم وقوله عز وجل وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا قيل كما جعلنا لكل نبي من قبل عدوا كذلك يجعل لك عدوا ثم قوله جعلنا لكل نبي عدوا قال الحسن ان
من حكم الله ان يبعث رسلا وان كل من اتبع رسله يكون وليا له ومن عصى رسوله يكون عدوا له هذا حكم الله
في الكل وقال جعفر بن حرب والكعبي وغيرهم من المعتزلة ان قوله جعلنا اي خلينا بينهم وبين ما اختاروا من الكفر و
العداوة يقال جعل فلان كذا اذا كان مسلطا على ذلك وهو يقدر ان يمنعه عن ذلك ويصير التأويل على قول المعتزلة
اي لم يجعل لكل نبي عدوا ولكن هم جعلوا انفسهم اعداء لكل نبي وقلنا نحن ان قوله جعلنا لكل نبي عدوا اي خلقنا
لكل نبي عداوة كل عدو والجعل من الله هو الخلق كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقوله وجعلنا الليل والنهار
آيتين وقوله جعل لكم الارض مهادا كل جعل اضيف الى الله فهو خلق فعلى ذلك قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي
خلقنا لكل نبي عداوة كل عدو ولو كان الحكم على ما قال الحسن وما قال اولئك من التخلية لكان يجوز ان يضاف
فعل الكفر وفعل الضلال الى الله وذلك بعيد والثاني لم يوفق لهم فعل الولاية لما علم منهم انهم يختارون
فعل العداوة على فعل الولاية وقوله عز وجل شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا
اختلف فيه قال بعضهم الشياطين كلهم تكون من الجن ثم انهم يوحون الى الانس فيكونون هم الذين هم الذين يدعون
الخلق الى معصية الله فيكون من الجن وحيا الى الانس ومن الانس الى الخلق قولا ودعاء وقال بعضهم يكون من الجن
شياطين يدعون شياطين الجن الى معصية الله فهو شيطان وكذلك كبراء الكفرة ورؤساؤهم الذين كانوا يدعون
اتباعهم وسفلتهم الى الكفر والضلال بالله فهم شياطينهم الا ترى انه قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها وقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا
فاتهم عذابا ضعفا من النار وغيره من الايات ان كل من دعا غيره الى معصيته والكفر به فهو شيطان هو البعيد من
رحمة الله شطن اي بعد وقيل ان ابليس وكل شياطين بالانس يضلونهم ويدعونهم الى معصية الله وكل شياطين
بالجن يضلونهم وهو تأويل الاول وقوله عز وجل يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي يزين بعضهم
لبعض القول غرورا يغرون به قال القتبي رحمه الله زخرف القول غرورا ما زين منه وحسن وموه وقال واصل
الزخرف الذهب يقال زخرف الشيء اي حسنه قال ابو عوسجة الوحي ان يجيء بعينه او بشفتيه وهي اشارة وقوله
عز وجل ولو شاء ربك ما فعلوه قال بعضهم ربك خلقهم خلقا لم يركب الشهوات والحاجات حتى اطاعوه ولم يعصوا
كما خلق الملائكة لم يركب فيهم الشهوات والحاجات والاماني فلم يعصوه وقالت المعتزلة لو شاء ربك لا يجبرهم

وتهوهم حتى لا يقدروا على معصية الله والكفر به فآمنوا واهتدوا انه لو شاء ربك لهداهم فاهتدوا لكن لما علم منهم انهم
يختارون الضلال على الهدى شاء ان لا يهديهم وقد ذكرنا قبح تاويلهم الاية في غير موضع وقوله عز وجل فذرهم وما يفترون
فذا يخرج على الوعيد لهم كقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا وكقوله اعملوا ما شئتم انه كذا اى ذرهم وما يختارون فانك تراهم
في العذاب وقوله عز وجل ولتصغى اليه افئدة الذين قيل ولتميل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة الى زخرف القول
الذي كان يوحى ويلقي شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض وليرضوه لما كان الذي اوحى والقى بعضهم الى بعض
من زخرف القول الذي يوافق هواهم وكل من ظفر عا يوافق هواه فانه يرضى به كقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا
ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها لانهم كانوا لا يؤمنون بالآخرة ولا يرجون لقاءه وكان همتهم هذه الدنيا
ورضوا بها واطمأنوا فيها ويحتمل قوله ولتصغى اليه اى الى الكتاب افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة اى ليس ميل
قبول منهم له ولكن ميل طلب الطعن فيه وهكذا كانت اولئك الكفرة وعادتهم طلب الطعن فيه والاول اشبه
ثم ان كان زخرف القول الذي اوحى بعضهم الى بعض من كبرائهم وعظمائهم فقد اشترك هؤلاء واولئك في الكذب
الكذا منهم كان من الكبراء الدعاء الى ذلك ومن الاتباع الرضى والاجابة وكان منهم التزيين والزخرفة ومن الاتباع
القبول والرضاء به فقد اشتركوا جميعا في ذلك الكذب كالقول الغرور وقوله وليقترفوا ما هم مقترفون اختلف فيه
قال قائلون قوله وليقترفوا يعني هؤلاء الاتباع ما هم مقترفون اى ليكتسبوا هؤلاء الاتباع من الكذب ما كان اولئك
مكتسبون من الكذب وقيل وليقترفوا اولئك المتبوعون من الكذب ما هم يعني هؤلاء الاتباع مقترفون من القول
الغرور والزخرفة ثم اختلف في الاقتراف قال بعضهم الاكتساب الاكتساب كل شيء وقال قائلون الاقتراف هو موافقة
الذنب والاثم والله اعلم وقوله عز وجل افغير الله ابتغي حكما كان اولئك الكفرة دعوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحكم يحكم بينهم في ما تنازعوا وتعنت بينهم اما في الرسالة واما في الكتاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افغير الله ابتغي حكما ثم بين فقال وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا كيف ابتغي حكما غير الله وهو الذي انزل اليكم
الكتاب مفصلا ما يعلمون انه نزل لما عجز الخلق عن اتيان مثله ثم اختلف في قوله مفصلا بالحجج والبراهين ما يعرف
كل عاقل لم يكابر عقله انه من عند الله نزل وقيل مفصلا بالامر والنهي والتحليل والتحريم فيقول ابتغي حكما
غير ما انزل الله وقد انزل كتابا مفصلا مبينا فيه وعد ووعيد وقيل مفصلا مفرقا اى انزله بالتفاريق لم ينزله مجموعا
جملة ما يقع بمسامع كل احد علم ذلك وبيانه فاني يقع الى الحاجة الى الحكم غيره وقوله عز وجل والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق اختلف فيه قيل الذين آتيناهم الكتاب اى اهل التورية والانجيل يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقيل
الذين آتيناهم الكتاب يعني من اعطي هذا الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق لما عجزوا عن اتيان مثله وتأليفه وقوله
عز وجل فلا تكونن من الممترين يحتمل لا تكونن انهم قد غيروا اما في كتابهم من الاحكام ومن نعتك وصفتك ويحتمل فلا
تكونن من الممترين انه من عند الله نزل مع علمه ان رسوله لا يكون من الممترين ليعلم الخلق انه اذا نهى رسوله عن مثل
هذا ففيره احق وان يخاطب من طلب حكم غيره ويقول لا تكونن من الممترين انه من عند الله نزل وقوله عز وجل
وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا قيل صدقا في الانبياء والوعد وعدلا في الاحكام تمت انباؤه بالصدق واحكامه
تمت انباؤه بالصدق واحكامه بالعدل حتى يعرف كل احد صدق انبائه وعدل احكامه وقيل وتمت كلمة ربك
صدقا وعدلا بالحجج والبراهين لما يعرف كل من تامل فيها ونظر صدقها وعدلها انها من الله وقوله عز وجل لا مبدل
لكلماته هذا تفسير التمام انها تمت تماما لا يرد عليها النقص ولا الجور ولا الخلف ليس ككلمات الخلق انها تبدل
وتنقض تمنع لما يكون فيها من النقصان والفساد فانها تبدل وتنقض ويعجزون عن وفاء ما وعدوا او يمنعون
عن ذلك فالله تعالى يتعالى عن ان يبدل كلماته او يمنع عن وفاء ما وعد وانما ما يجوز في حكمه ويجوز ان يستبدل بقوله
وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لقول اصحابنا حيث قالوا من قال لامرأته انت طالق احسن الطلاق واعدل الطلاق
واعدل الطلاق فانه يقع بما وافق السنة لانه يرجع ذلك الى العدد لانه اخبر ان تمت كلمته صدقا وعدلا والموافق
للسنة هو الحق وهو العدل ويحتمل لا مبدل لكلماته اى لا مبدل لوعده ووعيده يكون ما وعد واوعد ويحتمل لا
مبدل لحججه وبراهينه وقوله عز وجل وهو السميع اى السميع بما القى الشيطان واوحى بعضهم الى بعض العليم بافعال
هؤلاء واجابتهم اياهم واهل التاويل يصرفون الى خاص من القول بعضهم يقولون ان قوله وتمت كلمت ربك
صدقا وعدلا هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال آخرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعاه اهل الكفر الى عبادة الاوثان ولكن هو يرجع والله اعلم الى كل ما وعد وعيد وكل خبر يخبر وقوله
عز وجل ان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله والآية دلالة ان اكثر اهل الارض كانوا ضلالا وعباد
الاوثان والاصنام لانه قال اكثر من في الارض وقوله عز وجل يضلوك لانهم اهل الضلال كانوا يدعونه
ثم الخطاب وان كان لرسول الله في الظاهر فهو كل مؤمن اذ معلوم ان رسوله لا يطيعهم فيما يدعونهم
الى عبادة الاوثان في الارض وفيه ان في الارض كان من يعبد الله وكان على دين الانبياء والرسل وقوله وان
تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ذكر في القصة ان اهل الكفر دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
عبادة الاوثان ويقولون انهم يعبدون الله في الحقيقة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله كانهم يعبدون الاوثان ويرتكبون الفواحش ويقولون الله امرنا بها قال

رسوله

رسوله انك لو اطعت هؤلاء الى ما يدعونك من عبادة هذه الاصنام لانما يظنون كقوله ان يتبعون الا الظن
اى ما يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ما هم الا يكذبون عليه على الله في قولهم ان ذلك يقربهم الى الله
زلفى وقولهم الله امرنا بها وقوله عز وجل ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين يعلم من يزيغ و
يضل عن سبيله ويعلم من يهتدى به وفي قوله ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله دلالة على انه على علم منه بالضلال
والتكذيب بعث الرسل اليهم وارسل الكتب لا عن جهل منه لكن صار بعث ما بعث من الرسل والكتب اليهم
حكمة على علم منه بما يكون منهم لانه انما يبعث لما كان الرسل اليهم ولحاجتهم وقوله عز وجل فكلوا مما ذكر
اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين صرف اهل التاويل الآية الى اهل الكفر وقالوا بانكم تاكلون ذبائحكم
التي ذبحتم ولا تاكلوا ما ذبح الله وذكاه صرفوا الخطاب به الى اهل الشرك والاشبه ان يصرف الخطاب به
الى اهل الاسلام لانه ذكر في آخره ان كنتم بآياته مؤمنين ومثل هذا لا يذكر في اهل الشرك انما ذكر خطاب اهل الاسلام
كقوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وقوله وذروا ما بقي من الربوا
ان كنتم مؤمنين ونحوه من الآيات فعلى ذلك الاشبه ان يصرف الخطاب بها الى اهل الاسلام كان قوما من
اهل الاسلام منعوا انفسهم عن اشياء من هذه الذبائح واللحوم فنهوا عن ذلك نحو ما روى في بعض القصة
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا ان يخصوا انفسهم وان لا يعطوا انفسهم شهواتهم
وان لا ينالوا من الطيبات فنهوا عن ذلك وقيل فيهم نزل قوله يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم فيشبه ان يكون قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه فيهم ولما علم ان قوما من المتقشفة والمتزهدة يحرمون
ذلك على انفسهم فنهوا عن ذلك فان كان ما قال اهل التاويل فهو والله اعلم كانه قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
ان كنتم بآياته مؤمنين بما يعلمون الخلق والامر له وقد انشأكم من الآيات ما تعلمون ذلك فكيف تحرمون مما
ذكر اسم الله عليه ثم امر باكل ما ذكر اسم الله عليه وعاتب عن ترك الاكل مما ذكر اسم الله بقوله وما لكم
الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه ولم يبين بم وباى وجه بالذبح او بغيره وكذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم ولم يبين باى وجه لكن الناس اتفقوا على صرف ذلك الى الذبح فكان الذبح
مضمرا فيه كانه قال فكلوا مما ذبح بذكر اسم الله عليه وما لكم الا تاكلوا مما ذبح بذكر اسم الله عليه ثم لا يخلوا
اتفاقهم بمعرفتهم ذلك اما ان عرفوا ذلك بالسماع من رسول الله او عرفوا ذلك بنوازل الاحكام
الا تنسخ الآية بيان ذلك فكيف ما كان ففيه دلالة نقض قول من يقول بان من عرف نوازل الاحكام وكان عنده
رواية فترك رواية يفسق لانه لم يذكرها هنا النوازل ولا السماع دل انه لا يفسق اذ كان قوله فكلوا مما ذكر
اسم الله عليه ذكر لمكان قول الثنوية لانهم يحرمون الذبائح ويقولون ليس من الحكمة ايلام من لا ذنب له او ذكر
لمكان قوم من يقول انكم اكلتم ما تذبحون بايديكم ولا تاكلون ما تولى الله قتله ثم قوله فكلوا مما ذكر اسم
الله عليه وقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق اباح عز وجل من الانعام ما ذكر اسم الله عليه
وحظر ما لم يذكر اسم الله عليه ونهى عن اكله بقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وبقوله وما اهل لغير الله به جعل
المهل لغير الله ميتة حراما وجعل المذكور اسم الله ذكيا حلالا فدل ان التسمية شرط في حل الذبيحة انه لو لم يكن شرطا في
حل الذبيحة لم يكن المهل به لغير الاسم الله ميتة حراما ولا نسمي ما لم يذكر اسم الله عليه فسقا والفسق هو الخروج عن امر الله
كقوله ففسق عن امر ربه اى خرج فدل ان التسمية شرط فيها ولهذا ما يحل لنا ذبائح اهل الكتاب اذا سمعنا هم يذكرون
اسم الله عليه وان كانوا لا يذكرون في الحقيقة غير الله لانهم لا يعرفون الله حقيقة ولكن اذا ذكروا اسم الله عليه
حل لنا ولا يحل ذبائح اهل الشرك لان اهل الشرك لا يرون الذبائح راسا يذهبون مذهب الزنادقة والزنادقة لا
الذبائح يقولون لنا انكم تقولون ان ربكم رحيم حكيم وليس من الحكمة والرحمة ان يامر احدا بذبح آخر ويقتله فيأكلون
الميتة ولا يرون اكل الذبيحة ويقولون ليس هذا امر من كان موصوفا بالرحمة او بالحكمة لكنا نقول ان كراهة الذبح
والنفور عنه نفور طبع وكراهته كراهة طبع لا كراهة العقل مما يكرهه الطبع وينفر عنه يجوز ان يباح لما يعقب نفعا في العاقبة
نحو ما يباح الافتصاد والحجامة والتداوي بادوية كريهة لنفع يعقب ويتأمل وان كان الطبع يكرهه وينفر عنه وليس
هو مما يقبحه العقل ان ما لا يجوز ان يباح فعل ويؤمر به مما يقبحه العقل ويكرهه العقل واما كراهة الطبع ونفوره
فانه يجوز ان يباح لما ذكرنا ويرتفع ذلك بالعادة فعلى ذلك الذبيحة كراهته كراهة العقل ونفوره والثاني ان هذه
الاشياء كلها انما خلق لنا وسخر لنا فضلا لم يخلق لانفسها فاذا كان كذلك يحل لنا ذبحها والتناول منها بامر الذي انشأها
لنا وسخرها لنا وبعد فان مذهبهم ان العالم انما كان بامتزاج النور والظلمة والروح من النوراني والجسم من الظلماني
ففي الذبح استخراج الروح ورده الى اصله اذ من قولهم انه يرجع كل الى اصله في العاقبة على ما كان في الاول واما
الجواب بما قاله اهل الشرك اكلتم ما ذبحتم انتم وتركتم ذبيحة الله وجهان احدهما ما قاله اهل التاويل ان الخلق له
وله الحكم عليهم فاحل لهم هذا وحرم عليهم هذا والثاني تعبدنا بذكر اسمه عليها فصار اسم الله اقامة عبادة
تعبدنا بها وفيما لم يذكر لم يكن عبادة كذلك حل لنا ما كان في ذلك اقامة عبادة ولم يحل لنا ما لم يكن فيها اقامة عبادة
والله اعلم وقوله عز وجل فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هو في الظاهر امر لكن الامر الذي يرجع الى شهوات النفس ولذاتها فانه
يخرج على وجهين اما ان يخرج على بيان ما يحل والنهي عما لا يحل فها هنا خرج على بيان ما يحل وتحريم ما لا يحل كانه قال

كلوا مما ذكر اسم الله عليه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وقوله عز وجل وقد فصل لكم ما حرم عليكم هو صلة قوله وما
لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم اي ما لكم ان لا تأكلوا كذا وقد بين لكم ما حرم عليكم
من الميتة والدم ولحم الخنزير الا ما اضطررتم اليه قال الحسن له ان يتناول له من الميتة حتى يشبع لانه احل له التناول
وعلى قولنا لا يحل له الشبع لانه انما احل عند الاضطرار لا الشبع ويقول الحسن لو ترك التناول منها حتى هلك لا شيء عليه
يقول لانه انما احلت له رخصة ووجه وليس على من لم يعمل بالرخصة شيء ولكن عندنا انها ابيحت في حال الاضطرار فاذا
ترك التناول منها حتى هلك صار ملقيا نفسه في التهلكة وقد حرم الله علينا ان نهلك انفسنا او نلقيها في التهلكة بقوله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولا فرق بين ترك التناول من الميتة وقد احل لنا التناول وبين منع من الاطعمة المحللة او يأتي
باسباب التلف في النفس فهما سواء ونقول ايضا له ان يتناول عند الاضطرار من مال غيره بلا اذنه واذا نهى صاحبه
عن ذلك يضمن بدل ذلك بالقاما يلغ فهذا بعيد لا يجوز ان يتناول من مال غيره ولا يلزمه البدل واذا نهاه عن ذلك
يلزمه البدل لان من كان له حق التناول من مال اخر بغير بدل ثم انه نهى او منع يلزمه البدل دل انه ليس له التناول
الا ببدل وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم دل هذا على ان الكل منهم لم يكونوا
يضلون ولكن البعض هم الائمة منهم والرؤساء لان الاتباع منهم كانوا لا يضلون الناس انما كانوا يضلون الكبراء
منهم والعظماء ان ربك هو اعلم بالمعتدين وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وذروا ظاهر الاثم وباطنه
اختلف فيه قيل وذروا ظاهر الاثم يعني ظاهر الجوارح وباطنها ظاهر الجوارح من نحو اليد والرجل واللسان والعين وباطن
الجوارح القلوب والضمائر وقيل ذروا الاثم في ملاء من الخلق وفي الخلاء منهم وقيل ظاهر الاثم ما ذكرنا وباطنه
الزنا قال ابو بكر الكيساني الزنا لا يحتمل ههنا لان الاية في ذكر ما يحل من الاطعمة وما لا يحل ولكن يجوز ان يبتدئ التحريم
الزنا وان كان اول الاية في ذكر الاطعمة ونظيره قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه كانه قال وذروا الاثم كله
ما ظهر منها وما بطن وقوله عز وجل ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون لا يتركون وما عملوا ولكن
يجزون جزاء ما عملوا من الاثم وهو وعيد يكسبون الاثم ويصرون عليه ولا يتوبون ولا ينقلعون عنه حتى ماتوا
على ذلك سيجزون بما ذكر وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال بعضهم هو الميتة وهو قول ابن عباس رضي الله
عنه وقال بعضهم هو ما اهل به لغير الله وقلنا نحن هو ما لم يذكر اسم الله عليه لان الله قد صرح بتحريم الميتة بقوله حرمت
عليكم الميتة والدم وصرح بتحريم ما اهل لغير الله به بقوله وما اهل لغير الله به بتصريح في غير هذا الموضع رجع هذا
الخطاب الى تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه وكذلك صرح بتحريم الميتة وما اهل لغير الله به بقوله قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما الاية فقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما كان لا يجد في ذلك الوقت ثم وجد ما لم يذكر اسم الله عليه محرما
في حادث الوقت وكذلك وجد كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير محرما في حادث الوقت كان لا يجد في ذلك الوقت
محرما الا ما ذكر ثم وجد اشياء محرمة من بعد وقال بعضهم من اهل التأويل قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه حين قالوا ما قتلتم وذبحتم انتم فتأكلونه وما قتل ربكم فتحرمونه وانتم تعظمون ربكم وهو من زخرف القول
الذي يوحي بعضهم الى بعض وما ذكر وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم لكنا نقول ان ما ذبح وقتل ذبيح الله
وقتيل بر ايضا فقد اذن لنا باكل بعض الذبح وحرم اكل بعض ولله ان يفعل ذلك له ان ياذن في اكل بعض ويحرم
اكل بعض على ما اذن لنا في اكل بعض ما خلق الله من الانعام ولم ياذن في اكل بعض فعلى ذلك قد اذن في اكل بعض ما ذبح به
وقتل ولم ياذن في بعض وهو كله ذبيح بالله وقتيل بر وله ذلك والثاني ان الخلق كله له ملكه ولا يقال لاحد في ملكه لم فعلت
ذا ولم تفعل ذا انما يقال ذلك في غير ملكه كشريك يقول لشريكه لم تعطي حتى ولم توفر علي نصيبي فاما ان يقول في ذي ملكه في ملكه
فلا والثالث ما ذكرنا انه تعبدنا بذكر اسم الله عليه اقامة عبادة له لذلك لم يجز هذا وقوله عز وجل وانه لفسق اخبر انه
ما لم يذكر اسم الله عليه فسق كما اخبر ان التناول من الميتة وما اهل لغير الله به فسق والفسق هو الخروج عن امر الله والذي
ترك ذكر اسم الله عليه خارج عن امر الله تعالى كالميتة التي ذكرنا قال قال قائل ان قول الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه فكيف يجوز لكم ان تطلقوا اكل الذبيحة اذا ترك ذكر اسم الله ناسيا لان الذابح انما هو من عمل القصابين والصبيان
فهم لم يعودوا انفسهم ذكر اسم الله حتى يؤاخذون بها على حفظ ذلك وهذا اصلنا ان من لم يعود نفسه فلا يعذر في
تركه وان يكابر في حال السهو والنسيان كالاكل في شهر رمضان ناسيا لانه عود نفسه الاكل والشرب والصوم هو
الكف مما اعتاد فعذر في التناول منه والعود الى العادة على السهو لانه يشتد على الناس حفظ النفس على خلاف
العادة ولان الله تعالى قال وانه لفسق ولا خلاف في ان من نسي ان يسمي الله على ذبيحة فليس بفاسق وانما يفسق
من تركها عامدا فدل ان الخطاب بالاية يرجع الى الذبيحة التي تركت التسمية عمدا فان قيل ليس يجوز ان يكون قوله
وانه لفسق يريد به ان الذي يأكل منها اذا لم يسم الله عليها عامدا او ساهيا فاسق وان كان هذا هو التأويل
فالاية على الاكل قيل لا دليل على ان قوله وانه لفسق اشارة الى الذبح الذي ترك ذكر اسم الله عليه عمدا دون
ان يكون ذلك اشارة الى ان الاكل من تلك الذبيحة فسق قول الله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم
يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فكان الاهلال بالذبيحة
لغير الله فسقا لمن فعله فوجب ان يكون ترك اسم الله على الذبيحة فسقا ممن تعمده وذلك يوجب ان يكون قول
الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه خاصا في المتعمد لترك التسمية فان كيف لم يجعلوا تارك التسمية ناسيا

كتاركها عامدا كما قلتم في التكبيرة الاولى في الصلوة ان عمدها وسهوها سواء قيل من قبل ان الذبيحة اذا تعمد صاحبها
ترك التسمية عليها انما حرمت بنص القران لانه فسق فقلنا متى زال الفسق عن الذابح زال التحريم عن الذبيحة
لان التحريم اذا وقع لعلة فزالت العلة زال التحريم ولم نقل ان صلوة التارك للتكبيرة الاولى فسدت صلوته
لانه فسق بتركها التكبيرة عامدا فيلزمنا ان نفرق بين سهوها وعمدها بل فسدت صلوته لانه صلى بغير تكبير
فالتارك للتكبير عامدا او ساهيا تارك فهما سواء وروي في الخبر ما يؤيد ما قلنا روي عن راشد بن سعد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال سمى او لم يسم ما لم يتعمد وعن ابن عباس رضي الله عنه في رجل
ذبح ونسي ان يذكر اسم الله قال اسم الله في قلب كل مسلم فليأكل وقوله عز وجل وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم
ليجادلوكم اهل التأويل صرفوا التأويل الى ان زخرف القول الذي يوحي بعضهم الى بعض في الاية الاولى هو مجادلتهم
في الذبيحة حيث قالوا ما قتلتم بايديكم فتأكلونه وما قتل الله فلا تأكلونه يعنون قتيله مجادلتهم اياهم ولكن مجادلتهم
في هذا في وحدانية الله تعالى وفي اثبات الرسالة والبعث بعد الموت وفي كل شيء حيث قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون فاخبر انهم لو اطاعوهم انهم لمشركون اي لو اطعتموهم فيما يجادلونكم ويوحون اليهم
انكم لمشركون وقوله عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها يشبه ثم اخرج من ذلك فابصر وسمع وعقل كمن ترك في تلك الظلمات ولم يخرج منها لا يبصر
ولا يعقل يقول والله اعلم لا يستوي من اخرج من ظلمات البطن بعد ما كان لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل ولا يفهم
ثم ابصر وسمع وعقل والذي ترك في تلك الظلمات على الحال التي كان كما هو لا يبصر ولا يسمع ولا يعقل فعلى ذلك
لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق ويسمع ويعقل كل خير ويعلمه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس بنوره اصحاب
يدعون الناس الى الهدى والخير والكافر الذي لا يبصر الخير ولا يسمع ولا يعقل ليس له اصحاب يدعونه الى الهدى
والخيرات اي ليس هذا كذلك الذي يبصر ويسمع ويعقل كالذي لا يبصر ولا يبصر ولا يعقل وجائز ان يكون المثل
الذي ضرب الله ان يكون المؤمن والكافر جميعا حسن في الجوهر لكن المؤمن اكتسب ما به يحيى بدا من العلم والقران
والايمان والكافر لم يكتسب من ذلك شيئا فهو كالميت الذي لا يبصر ولا يسمع الحق ولا يعقل ويحتمل هذا المثل
وجها اخر وهو ان المؤمن يكتسب في الدنيا الخيرات والاعمال الصالحة ويكون له نور في الاخرة بالاعمال التي اكتسب
في الدنيا ويمشي بنوره ذلك فيما بين الناس في الاخرة واما الكافر فانه لم يكتسب من ذلك شيئا فيبقى في الظلمات
كقوله قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وقوله عز وجل وجعلنا له نورا يمشي به في الناس والمعتزلة يقولون
هم جعلوا لانفسهم نورا يمشون في الناس وقد اخبر انه هو الذي يجعل لهم ذلك النور فذلك تحريف
منهم ظاهر القران وكذلك قوله وهو على كل شيء قدير وهم يقولون هو قدير على بعض الاشياء وقال
خالق كل شيء وهم يقولون هو خالق بعض الاشياء وقال ولو شاء الله ما فعلوه وهم يقولون شاء ان
لا يفعلوا ما فعلوا ولكن فعلوا غير ما شاء الله وكذلك قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وهم يقولون شاء
غير الذي فعلوا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وهم يقولون هم لم يجعل لكل نبي عدوا وهم جعلوا انفسهم
لهم اعداء وكذلك قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وهم يقولون جعل الاكابر فيها
لئلا يمكروا فيها وقوله عز وجل كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اختلف فيه قال بعضهم كما زينا
للمؤمنين عبادة الله كذلك زينا للكافرين عبادة الله لكنهم تعاندوا وصرفوا العبادة الى غير الله وهو
تاويل المعتزلة وقال قائلون زين لهم اعمالهم التي يعملونها ثم اختلف في الذي زينها قال الحسن زينها الشيطان
اعمالهم وقال غيره زينها الاكابر على الاصاغر وقال قائلون زينها الله ولكن ما اضيف الى الشيطان من التزيين و
الاضلال انما يضاف الى ما يدعوهم ويحثهم على ذلك ويوحي اليهم وما يضاف الى الاكابر القول والدعاء الى
ذلك وما يضاف الى الله من التزيين والاضلال والازاغة وغير ذلك يضاف لخلق منهم فعل الضلال
وفعل التزيين وفعل الزيغ يضاف الى الله خلقا والى الشيطان والاكابر دعاء ووحيا والقاء على هذا يخرج
جميع الاضافات والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها اي جعل في كل قرية من اهل
الكفر اكابر مجرميها وعظماءها كما جعل في قريتك اكابر مجرميها يصبر رسول صلى الله عليه وسلم على ذلك ليعلم
انه ليس بمخصوص هو به دون غيره من الانبياء ثم اختلف في قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وقد
ذكرنا اقاويلهم في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ثم قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها
قالت المعتزلة لم يجعل الاكابر فيها ليمكروا فيها ولكن لما وسع الدنيا وبسطها عليهم مكروا فيها وكذلك
قالوا في قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لا يجوز ان يخلقهم ولكن لما عملوا اعمال الكفر والفساد
صاروا لجهنم وقالوا هو على الاضمار كانه قال كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لئلا يمكروا لكنهم مكروا
فيها لما ذكرنا لكن قوله جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا ليكون ادعى واظهر للحجة لانه لو كان بعث الرسل الى الاكابر
لكان الناس يتبعون الاكابر وان لم يأتوا بالحجج وغيرهم لا يتبعون الا بالحجج والايات ومنهم من يقطع قوله
ليمكروا فيها من قوله جعلنا في كل قرية اكابر يقول معناه وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ثم قال ليمكروا فيها
اي ما جعل ذلك لهم ليمكروا ومنهم من يقول هو اخبار انه صار امرهم كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم

عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا انما التقطوه ليكون لهم وليا لكنه لما صار في العاقبة عدوا لهم
اخبر عما آل اليه امره فعلى ذلك قوله ليمكروا فيها اخبر عما اليه صاروا من المكر وعندنا لا يخلو هذا اما ان يقال
انه خلقهم لغير المكر والضلال وهو يعلم ان لا يكونون لما يخلقهم فذلك ليس فعل حكيم ان يعمل عملا ويعلم انه لا يكون
نحو من يبني بناء ويعلم انه لا يسكن او يقصد قصدا موضعا يعلم انه لا يصل اليه فهو بالقصد عابث ليس بحكيم فعلى ذلك
الله سبحانه لا يجوز ان يخلقهم للهدى والعبادة له مع علمه انهم لا يكونون لما يخلقهم او ان يخلقهم لذلك وهو
لا يعلم انهم يكونون كذلك فهو جهل بالعواقب فالله يتعالى عن ذلك فدل انه خلقهم ليكونوا على ما علم انهم يكونون
ويختارون ذلك وقوله ليكون لهم عدوا وحزنا كان عند الله انهم يلتقطون ليكون لهم عدوا وقوله عز وجل
وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون اي ما يشعرون ان عاقبة مكرهم ترجع اليهم وواقع بهم واصله ان الله
تعالى جعلهم وخلقهم على ما علم منهم انهم يختارون ويكون منهم ذلك وقوله واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يخبر عز وجل غاية سفههم وتعنتهم وانهم عن علم يعاندون ويتكبرون على رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا ان ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية رسول حيث قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله وعلموا ان الرسالة لا تجعل الا في المعظم عند الله والمفضل لديه حيث تمنوا انهم
لا يؤمنون حتى يؤتون من الايات مثل ما اوتي رسل الله لو ولم يكن كذلك لم يكونوا كذلك يتمنون ايتاء ما اوتي الرسل
وعلموا ان هذا القران الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم اية وحجة وانه من عند الله نزل حيث قالوا لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم وعلموا ايضا ان الرسالة لا تجعل الا في عظماء من البشر وكبرائهم حيث قالوا لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم لكنهم ظنوا انها انما تجعل في العظماء الذين هم عند الخلق عظماء فقال الله تعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالته فتناقضت اقاويلهم وحجاجهم مما ذكرنا من اقرارهم بالرسل والايات وتفضيلهم على غيرهم
من البشر ثم قال الله اعلم حيث يجعل رسالته جملة جواب ما قالوا لولا نزل هذا القران على كذا ان يقال انكم عرفتم
ان الله عالم قادر فهو اعلم حيث يجعل رسالته ثم اختلف في قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال بعضهم جعل
الرسالة في اوساط الناس اظهر للحجج وابين من جعلها في اكابر الناس وعظمائهم في الدنيا وبه لان الناس مجبولون على
اتباع الاكابر والاعاظم فلو جعلت الرسالة فيهم لكانت الحجج لا تظهر لانهم جبلوا على اتباعهم واما اوساط الناس
في الدنيا وبه اذا جعلت فيهم الرسالة لظهرت الحجج والبراهين لانهم لم يجبلوا على اتباع الاوساط من الناس فكان
اتباعهم الحجج والبراهين وقال بعضهم قوله الله اعلم حيث يجعل رسالته اي لا يجعل الرسالة فيمن يضيع وليس
هو باهل لها ولا موضعها لانه لو جعل لكان في ذلك تضييع الرسالة وقوله عز وجل سيصيب الذين اجرموا صغار عند
الله اخبر ان من تكبر على رسول الله وعاند يكون له عند الله صغار ومذلة وعذاب شديد يصيبهم الذي صنعوا
وقوله عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية
فقال نور يقذف فيه فقالوا وهل لذلك علامة قال نعم اذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح قالوا يا رسول
الله وهل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزول الموت فلو ثبت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا انشراح الصدر للاسلام فقليلا ما يوجد
على هذا الوصف الا ان يريد به الاعتقاد والتيقن بما ذكر ثم اختلف في تاويل قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا قال بعض اهل التاويل الارادة صفة كل فاعل يفعل
على الاختيار كانه قال فمن يهدي الله يشرح صدره للاسلام ومن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا وقال فريق من المعتزلة
من نحو جعفر بن حرب والكعبي وهؤلاء كلهم فمن يرد الله ان يهديه اي من قبل هداية الله في الابتداء شرح الله
صدره بعد ذلك بخيرات ثوابا لما قبل من الهداية ومن ترك قبول هداية الله في الابتداء عاقبه الله بضيق صدره
عقوبة له في ترك قبول الهداية والا فقد اراد الله ان يهدي الخلق كلهم وان يشرح صدرهم للاسلام لكنهم لم يهتدوا
وقال فريق منهم فمن يرد الله ان يهديه طريق الجنة في الاخرة يشرح صدره في الدنيا للاسلام ومن يرد الله ان يضله
طريق الجنة في الاخرة جعل صدره في الدنيا ضيقا حرجا فيقال لهم كذلك هو كما يقولون فقد قلتم انه اراد ان يضلهم
ثم يقال لهم تقولون انه اراد ان يهدي الخلق كلهم ويشرح صدرهم للاسلام ثم تقولون انه اراد ان يضل طريق
الجنة في الاخرة فهذا على زعمكم جور لانه اراد في الدنيا ان يهديهم ويريد في الاخرة ان يضلهم عن طريق
الجنة لاولئك بعينهم فذا جور على قولكم وظاهر الاية يرد قولهم وينقض مذهبهم لانه قال فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره كذا جعلهم على صنفين صنفا اراد منهم ان يهديهم وصنفا
اراد ان يضلهم من علم منه انه يختار الهدى ويقبله اراد ان يهديه ويشرح صدره للاسلام ومن علم منه انه يختار
الضلال اراد ان يضله ويجعل صدره ضيقا حرجا ولا يجوز ان يريد هو ممن يعلم منه انه يختار الضلال وعداوته
الولاية منه لان ذلك من الطمع من اراد عداوته وهو يريد ولايته او يريد منه غير الذي علم كونه منه والمختار
والمعتزلة يقولون قد اراد ان يهدي الكل لكنهم ارادوا ان لا يهتدوا فلم يهتدوا وغلبت ارادتهم ارادة الله تعالى
فذلك وحش من القول سمج فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الحق ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ضيقا حرجا
قيل الحرج ضيق الضيق وهو شدة الضيق وصف قلب المؤمن بالسعة والفسيح ووصف الكافر بالضيق والحرج وليس قلب

هذا في

هذا في راي العين اوسع من قلب الاخر لكنه والله اعلم وصف قلب المؤمن بالسعة لما انتفع بقلبه في الدنيا والاخرة
والكافر لم ينتفع بقلبه فوصفه بالضيق والحرج وهو كما وصف الكافر بالصمم والبكم والخرس لما لم ينتفع بهذه
الحواس وكذلك سماه ميتا لما لم ينتفع بحيوته وسمى المؤمن حيا لما انتفع بحيوته فعلى ذلك هذا وصف الكافر
بضيق الصدر لما لم ينتفع به وقوله عز وجل كانما يصعد في السماء قيل كالمتكلف للصعود الى السماء لا يقدر عليه
وقيل كانما يصعد في السماء كما يشق عليه الصعود وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال ما تصعد في شيء ما
تصعد في الخطبة اي ما شق علي شيء ما شق على الخطبة وقوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون اختلف
في الرجس قيل الرجس الاثم اي كما جعل قلوبهم ضيقة حرجة بكفرهم كذلك يجعل في قلوبهم الاثم وقيل الرجس اللعن
والغضب اي جعل في قلوبهم اللعن والغضب ومثله قوله قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب وقوله عز وجل
وهذا صراط ربك مستقيما لم يشر بهذا الى شيء لكن يحتمل قوله هذا الاسلام الذي سبق ذكره ان يشرح به صدر المؤمن
ويحتمل قوله هذا صراط ربك الذي يدعى اليه الخلق وهو التوحيد وقوله عز وجل قد فصلنا اي بينا الايات دلائل
التوحيد وحججه وقد ذكرنا لقوم يذكرون اي لقوم يتعظون بالمواعظ ويحتمل لقوم يقبلون الدلائل والحجج
ولا يكابرون وقوله عز وجل لهم دار السلام عند ربهم يحتمل السلام اسم الجنة كقوله والله يدعو الى دار السلام
ويحتمل السلام هو اسم الله اي لهم دار الله وهو الجنة وقوله عز وجل وهو وليهم بما كانوا يعملون
قيل وهو اولى بهم اي اولى بالمؤمنين كقوله فالله اولى بهما ويحتمل قوله وهو وليهم اي حافظهم وناصرهم وقد
ذكرنا فيما تقدم يصعد ويصاعد ويصعد كله لغات والمعنى واحد والضيق قال الكسائي الضيق من الضيق في
المعاش فاما في الامر فانه الضيق ومنه قوله ولا تك في ضيق مما يمكرون واما قوله حرجا فيه لغتان حرج
وحرج قال القتبي الحرج الذي ضاق فلم يجد منفذا وقال ابو عوسجة الحرج الضيق يقال منه حرج يحرج حرجا
فهو حرج وقوله عز وجل ويوم يحشرهم جميعا يعني من تقدم ذكره من الجن والانس او يحشر الاولين والاخرين
يا معشر الجن هو على الاضمار كانه قال يوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن والانس ثم نقول للجن يا معشر الجن
قد استكثرتم من الانس كقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي تقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى فكذلك هذا هو على الاضمار وقوله عز وجل قد استكثرتم من الانس قال اهل التاويل في قوله قد استكثرتم من
الانس وهم قد استكثروا من الاتباع من الانس في عبادة غير الله ومخالفة امر الله وتوحيده او قد استكثرتم
منا من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اختلف فيه قال بعضهم تعاون بعضنا
ببعض في معصية الله ومخالفة امره هؤلاء بالدعاء واولئك بالاجابة وقال قائلون ربنا استمتع بعضنا
ببعض اي انتفع بعضنا ببعض بانواع المنافع ما ذكر في بعض القصة ان الرجل من الانس اذا سافر فادركه المساء بارض
القفر خاف فيقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيأمن في ذلك بالتعوذ لسيدهم فذلك استمتاع
الانس بالجن فذلك والله كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن الاية واما استمتاع الجن بالانس ما يرد لهم
الذكر والشرف في قومهم يقولون لقد سودتنا الانس ويحتمل استمتاع الجن بالانس ما ذكر انه ثبت انه جعل
طعامهم العظام التي يستعملها الانس ويكون ذلك غذاءهم وعلف دوابهم ارواث دواب الانس وقال
الحسن ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا ان الجن امرت الانس فعملت ذكر جواب الانس لهم ولم يذكر جواب
الجن لهم قوله عز وجل وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قيل الموت وقيل البعث يوم القيمة لانهم كانوا ينكرون
البعث فاقروا عند ذلك بانا قد بلغنا الاجل لنا وكانوا كذبوا به فاقروا بما كانوا ينكرون قال النار مثواكم اي
مقامكم خالدين فيها الا ما شاء الله اختلف فيه قال الحسن الا ما شاء الله وقد شاء الله ان يخلدهم في النار وقال
غيره الاستثناء من وقت البعث الى وقت الخلود وهو وقت الحساب ووقت الحساب هو وقت الثنيا خالدين
فيها الا ما شاء الله ما داموا في الحساب وقيل الاستثناء للمؤمنين الذين اتبعوهم في فعل المعاصي والجرم ولم
يتبعوهم في الاعتقاد ففيه دليل ادخال المؤمنين النار بالمعاصي والعقوبة لهم بقدر معصيتهم ودليل الخروج
منها ان ثبت وقوله عز وجل الا ما شاء الله يحتمل وجوها ثلثة احدها ان خلود الاخرة اكبر من خلود الدنيا كان خلود
الدنيا على الانقضاء وخلود الاخرة لا على الانقضاء والثاني وقع الثنيا قبل دخولهم في النار والثالث لمن
لم يتبعهم في الكفر وقوله عز وجل ان ربك حكيم اي حكيم بما حكم ووضع كل شيء موضعه عليم بذلك وقوله عز وجل وكذلك
نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون الاية ينقض على المعتزلة قولهم لان الولاية منهم ثم ذكر ان
المؤمنين بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وذكر ان الكافرين بعضهم
اولياء بعض بقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض وقوله عز وجل يا معشر الجن
والانس الم ياتكم رسل منكم اختلف فيه قال بعضهم لم يكن من الجن رسل انما كان الرسل من الانس لكنه اضاف
الى الفريقين جميعا كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وكقوله وجعل القمر فيهن
نورا وانما يجعل في واحدة منهن وكقول الناس في سبع قبائل مسجد واحد وانما يكون في واحد منها وقد يضاف
الشيء الى جماعة والمراد واحد فعلى ذلك ما ذكر من اضافة الرسل الى الانس والجن وقال بعضهم كان من الفريقين
جميعا الرسل من الجن جني ومن الانس انسي لان الجن يستترون من الانس فانما يرسل الى الانس رسول يظهرون لهم

فبعث الى كل فريق الرسول من جوهرهم وقال بعضهم كان الرسل من الانس الى الفريقين جميعا وكان الجن نذيرا كقوله
واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية ذكر النذر منهم ولم يذكر الرسل دل ان مرتبة النذر دون مرتبة الرسل كرتبة الانبياء
من الرسل ولكن يجوز ان يقوى الرسل وان كان من الانس على الاظهار لهم وليس فيما لا يستترون عنهم منع بعث
الرسل اليهم من الانس وليس لنا الى معرفة هذا حاجة انما الحاجة الى معرفة الايات والحجج التي يأتي الرسل وقد عجز الخلائق
جميعا عن اتيان مثل هذا القران لقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون بمثله
فقد اعجز الجن والانس عن ان يأتوا بمثل هذا القران وان كان الجن اقوى على اشياء من الانس فدل انه اية ودل
عجز الجن عن ذلك وان كانوا اقوى على ان غيرهم اعجز الا ترى انه انزل هذا القران على لسان العرب ثم عجزوا عن اتيان
مثله فدل عجزهم عن ذلك على ان العجز له اعجز وجائز ان يكون الرسل وان كانوا من الانس فان الجن يستمعون
من الرسل فيلزمهم الحجة والعمل بذلك والتبليغ الى قومهم من غير ان يعلم الرسل بذلك والله اعلم عز وجل يقصون
عليكم اياتي يحتمل يتلون عليكم اياتي ويحتمل يقصون عليكم اياتي ايات وحدانية والوهية وايات البعث الذي
تنكرون وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء يومكم الذي تلقون ودل قوله ينذرونكم لقاء يومكم هذا على ان
ذلك انما يقال لهم في الاخرة قالوا شهدنا على انفسنا هذا منهم اقرار لما كان منهم من التكذيب كقوله فاعترفوا بذنبهم
اي شهدنا على انفسنا بانا كنا كذبنا الرسل في الدنيا بما قالوا واخبروا وقوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا ان للدنيا
معنيين ظاهر وباطن فيكون الظاهر غرورا ومن كان نظر اليه بغره ولها باطن ومن نظر الى ذلك الباطن يعظه اما
ظاهرها من تزيينها وزخرفها فالكافر نظر الى ظاهرها فاغترتها واما باطنها فهو انتقالها من حال الى حال وزوالها
وفناؤها فمن نظر الى ذلك الباطن اتعظ به ويعلم معناها ويعرف انها لم تخلق لهذه ولكن العاقبة تتامل
ثم اضاف الغرور الى الدنيا اي يكون منها ما لو كان ذلك من ذي عقل وذهن كان ذلك غرورا وقوله عز وجل و
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين هذا اعتراف بما كان منهم وقوله عز وجل ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم يحتمل قوله وذلك ما تقدم من قوله يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقوله عز وجل يا معشر الجن والانس
الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ونحوها من الايات التي ذكر فيها العذاب
ويحتمل ذلك اشارة الى الهلاك الذي كان بالامم الخالية ان لم يكن يهلك القرى بظلم ظلموا انفسهم اهلاك
تعذيب واستيصال الا بعد تقدم الوعيد لهم في ذلك او سؤالهم كان منهم بالعذاب ولا يهلك ايضا وهم
غافلون عن الظلم والعصيان لا اثر لا بيع ولكن سنة فيهم ان لا يهلك الا بعد تقدم ما ذكرنا لئلا يحتجوا فيقولوا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين وان لم يكن لهم الاحتجاج بذلك لما مكن لهم وركب
فيهم ما يعرفون انه لم يخلقهم ليتركهم سدى ولكن خلقهم لعاقبة لكن سنته قد مضت في الامم الماضية انه
لا يهلك قوما اهلاك تعذيب واستيصال الا بعد ما سبق منه وعيد وانذار والعلم لهم بالظلم والجهود
العناد منهم والمكابرة والسؤال بالعذاب سؤال تعنت وذلك منه فضل ورحمة لانه لا يسع ذلك
وقوله عز وجل ولكل درجات مما عملوا استدل بعض الناس بظاهر هذه الاية ان الجن لهم ثواب بالطاعات
وعقاب بالمعاصي لانه اخبر ان لكل منهم درجات مما عملوا وانما تقدم ذكر الفريقين جميعا بقوله شياطين
الانس والجن عز وجل ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن والانس ذكر ما كان من الفريقين جميعا من المعاصي
والجرم فعلى ذلك قوله ولكل درجات راجع الى الفريقين جميعا لكل درجات منهم ان عملوا خيرا فخيرا وان عملوا
شرا فشر وبه قال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله واحتجوا لابي حنيفة رحمه الله ان قوله ولكل درجات
انما ذكر على اثر ايات كان الخطاب بها للكفرة دون المؤمنين فعلى قوله ولكل درجات مما عملوا يكون لهم
هذا الوعيد خاصة ويكون قوله ولكل درجات اي دركات من العذاب والعقاب بما عملوا من المعاصي و
التكذيب للرسل ولان الثواب لزوم فضل ومنة والعذاب يوجبه الحكمة لان في الحكمة ان يعاقب من عصا
وخالف امره واما الثواب فوجوبه الفضل لانه كان من الله الى الخلق من النعم والاحسان ما لو جهدوا كل جهد
هم ما قدروا على ان يؤدوا شكر واحد من ذلك فيكون طاعتهم شكرا لما انعم عليهم فاذا كان كذلك لا يكون
لاعمالهم ثواب لا بالبيان من الله كما لا يقال الملائكة ان لهم ثوابا وقوله عز وجل وما ربك بغافل عما يعملون
يحتمل وجهين وما ربك بغافل عن اعمالهم التي يعملونها في معصية الله تعالى ولكن تؤخر تعذيبهم رحمة منه
وهو كقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم الاية والثاني عن علم باعمالهم وصنيعهم
خلقهم لا عن جهل لكن خلقهم على علم بذلك لما ضر اعمالهم ومنافعها ترجع اليهم لا اليه وقوله عز وجل وربك
الغني ذو الرحمة هذا يرد على الثنوية مذهبهم لانهم يقولون انه انما خلق الخلائق لمنافع نفسه لانه ليس بحكيم
من فعل فعلا لا يقصد منفعة نفسه فاخبر عز وجل انه غني بذاته وانما يقصد قصد المنفعة بفعله لحاجة تقع
له وضرورة تصيبه فيقصد بالفعل قصد قضاء الحاجة ودفع الضرورة عن نفسه فاما الله سبحانه هو الغني
بذاته انما خلق الخلائق لمنافع انفسهم وهو غني عن خلقه على ما اخبر وقوله عز وجل وربك الغني يحتمل غني عن
تعذيب اولئك الكفرة اي لا منفعة له في تعذيبهم بعذبهم او لحاجة له ولكن الحكمة توجب ذلك او ان يكون
صلة قوله يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقول لم يرسل اليكم ولا امتحنكم بالذي امتحنكم لحاجة

نفسه

نفسه او لمنفعة له اذ هو غني بذاته وقوله عز وجل ذو الرحمة يحتمل وجهين يحتمل ذو الرحمة فلا يعجل عليهم بالعقوبة
والثاني ذو الرحمة لما خلق الخلائق وجعل البعض ببعض الانتفاع بهم والاستمتاع وانما خلقهم لمنافع انفسهم
ويحتمل قوله ذو الرحمة من قبل رحمته وصار اهلا لها فاما من لم يقبل رحمته فانه ذو انتقام منه وقوله عز وجل
ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء لانه غني بذاته لم يخلقكم لمنافع نفسه او لحاجته ان شاء اذهبكم و
استخلف غيركم ولو كان خلقه الخلق لمنافع نفسه لكان لا يذهب بهم ويستخلف من بعدهم ما يشاء كما انشأكم
من ذرية قوم اخرين يخبر عن غناه منهم وعن سلطانه وقدرته انه يقدر على اهلاككم واستيصالكم وانشاء
قوم اخرين كان خلق الخلائق من جواهر مختلفة لا توالد فيهم ثم جعل في الاخر التوالد والتناسل ويستخلف بعض
من بعض بالتوالد والتناسل وقوله عز وجل ان ما توعدون لات من الوعد والوعيد او ان يكون قوله ان ما
توعدون من النصر لرسوله والمعونة له لات وكائن وما انتم بمعجزين قبل بفائتين ربكم وقيل وما انتم
سابقين الله باعمالكم الخبيثة حتى لا يجزيكم الله بها واصله وما انتم بمعجزين اي لا تعجزون ربكم عن تعذيبكم ونحو
وقوله عز وجل قل يا قوم اعملوا على مكانتكم قيل على جديلتكم وقيل على منازلكم وجديتكم ولكن نا وبله والله اعلم
اعملوا على مكانتكم اي ما انتم عليه ثم يحتمل هذا وجوها يحتمل اعملوا على مكانتكم اي على ما انتم عليه من امر الدين
اني عامل على ما انا عليه من امر الدين كقوله لكم دينكم ولي دين ويحتمل ان يكونوا هموا ان يمكروا برسول الله فيقال
امكروا اني ماكر بكم كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله
ويحتمل ان يكونوا يطلبون الدوائر والهلاك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيد ويمكر كقوله فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون هذه الكلمة تستعمل في انتهاء المكابرة نهايتها ووجود المعاندة غايتها بعد الفراغ
من الحجج والايات كقوله لكم دينكم ولي دين وقوله عز وجل فسوف تعلمون يحتمل فسوف تعلمون من تكون له العاقبة
ويحتمل فسوف تعلمون بالهلاك من كان محقا بالوعيد وسوف تعلمون من المحق منا مما اوعد وخوف
وقوله عز وجل انه لا يفلح الظالمون يحتمل لا يفلح الظالمون ما داموا في ظلمهم ويحتمل ان يكون ذلك مخصوصين في قوم
ويحتمل في الاخرة لا يفلح الظالمون وقوله عز وجل وجعلوا لله الاية يخبر عز وجل عن سفههم من وجوه احدها انهم
كانوا يجعلون لله نصيبا مما كان لله ذلك في الحقيقة مع علمهم ان الله هو الذي انشأ لهم تلك الاشياء وهو
ذرأها ثم يجعلون لله في ذلك نصيبا وللاصنام نصيبا بسفههم انهم اذا علموا ان الله هو الذي ذرأ لهم
تلك الاشياء وانشأ لهم فالى الاختيار في جعل ذلك لا اليهم اذ علموا انهم انما يملكون ما يجعل الله لهم و
هو المالك عليها حقيقة والثاني ما يبين سفههم ايضا انهم يجعلون لله في ذلك نصيبا وللاصنام نصيبا من الثمار
والحروث وغيرها ثم اذا وقع مما جعلوا لله شيئا وخالط مما جزاما وجعلوه لشركائهم تركوه واذا خالط شيء
مما جعلوا لشركائهم ووقع فيما جعلوه لله اخذوه وردوه على شركائهم وانتفعوا به وتركوا الاخر للاصنام
ايثارا للاصنام عليه واعظاما لها واذا زكى نصيب الاصنام ونما ولم يزك نصيب الله ولم ينم تركوا ذلك
للاصنام ويقولون لو شاء الله لازكى نصيبه واذا زكى الذي كانوا يجعلون لله ولا يزكو نصيب الاصنام
اخذوا نصيب الله فقسموه بين المساكين وبين الاصنام بضعفين بسفههم عز وجل بصنيعهم الذي يصنعون
ويبين عن جورهم بايثارهم الاصنام واعظامهم اياها والتفضيل في القسمة والتخير مع علمهم ان الله هو الذي
ذرأ ذلك وانشأ لهم وان الاصنام التي اشركوها في اموالهم وعبادتهم مع الله احد لا يستحق بذلك شيئا وهو
كما جعلوا لله البنات وهم كانوا يأنفون عن البنات كقوله واذا بشر احدهم بالانثى الاية فقال ام له البنات
ولكم البنون وقال تلك اذا قسمة ضيزى انهم يأنفون عن البنات وتضيفون اليه فهو اذا جور وظلم فعلى
ذلك تفضيل الاصنام في القسمة وايثارهم اياها على الله واشراكهم مع الله مع علمهم انه كان جميع ذلك
بالله وهو انشأ لهم جور وسفه ثم اخبر انهم ساء ما يحكمون اي بئس الحكم حكمهم وقوله عز وجل وكذلك
زين لكثير من المشركين اي كما زين لهم جعل النصيب للاصنام والتخير لها وصرف ما خلق الله لهم عنه الى
الاصنام كذلك زين لهم قتل اولادهم او كما زين لهم تحريم ما احل الله لهم من السائبة والوصيلة والحامي
كذلك زين لهم شركاؤهم قتل اولادهم واصله ان الشفقة التي جعل الله في الخلق لاولادهم والرحمة التي
جبلت طباعهم عليها تمنعهم عن قتلهم وخاصة اولادهم الضعفاء والصغار وكذلك الشهوة التي خلق
فيهم تمنعهم عن تحريم ما احل الله لهم لكن ذلك زين لهم شركاؤهم وحسنوا عليهم تحريم ما احل لهم وقتل
اولادهم فاحسن عليهم الشركاء وزين لهم من تحريم ما احل لهم وقتل اولادهم غلب على الشفقة التي جبلت
فيهم والشهوة التي خلق ومكن فيهم ثم اختلف في الشركاء قال بعضهم شركاؤهم شياطينهم التي تدعوهم الى
ذلك وقيل شركاؤهم كبراؤهم ورؤساؤهم الذين يتبعونهم ثم يحتمل قتل الكبراء اولادهم لكثرة منهم ويحتمل انهم
كانوا يأنفون عن اولادهم الاناث وقتل الاتباع مخافة العيلة والفقر وقوله عز وجل ليردوهم قيل ليهلكوهم
انهم كانوا يقصدون في التحسين والتزيين الارداء الاهلاك وان كانوا يرونهم في ذلك الشفقة وكذلك
كانوا يقصدون بالتزيين ليلبسوا الذين عليهم وقوله عز وجل ولو شاء الله ما فعلوه يحتمل وجوها قال
بعضهم لو شاء الله لاهلكهم فلم يفعلوا ذلك وقيل لا عجزهم ومنعهم عن ذلك كقوله ولو نشاء لطمسنا

على غيهم وقيل ولو شاء الله ما فعلوه اى لادراهم قبح فعلهم حتى لم يفعلوا واصله انه اذا علم منهم انهم
يفعلون ما فعلوا ويختارون ما اختاروا من التزيين وليس الذين عليهم شاء ما فعلوا واختاروا وقد ذكرنا ذلك
فى غير موضع وقوله عز وجل فذرهم وما يفترون اى ذرهم ولا تكافهم بافترائهم على الله ويحتمل ذرهم وما يفترون
فان الله يكافيهم ولا يفوتون ويحتمل ذرهم وما يفترون فانه لا يضرك ذلك الا افتراء عليهم ليس عليك ولا علينا
والله اعلم بذلك وقوله عز وجل وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قيل هذه الآية صلة قوله
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا هذا الذى جعلوا للشركاء هو الحجر
الذى ذكر فى هذه الآية انهم كانوا ينتفعون بذلك ويحجرونه وهو حجر واصل الحجر المنع وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الحجر ما
حرموا انفسهم من اشياء من الوصيلة والسائبة والحامى وتحريمهم ما حرموا من اشياء كانوا يحلون اشياء حرمها
الله ويحرمون اشياء احلها الله فى الجاهلية من الحرث والانعام وفى حرف ابى وابن عباس رضى الله عنهما حرج على تاخير الجيم
وتقديم الراء وعن الحسن حجر برفع الحاء واصل الحجر المنع ممنوع محجور يقال حجرت عليه اى منعته والحجر ايضا موضع بمكة
والحجار الاستتار وهو ان ياخذ الشىء ولا يعطى منه احدا شيئا وقوله عز وجل لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم
قال بعضهم قوله الا من نشاء يعنى لا يطعمها الا من يشاء الله لانهم كانوا يحرمون اشيا ويأتون بفواحش فيقولون ان
الله امرهم بذلك كقوله فى الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وقال بعضهم قوله الا من
نشاء بزعمهم يعنى للذين سنوا لهم لا يطعمها الا من نشاء قد ذكرت لكم اول من بدل دين اسماعيل وبحر البحيرة والسائبة
اولئك الذين سنوا ذلك وحرموا ذلك على شاتهم على ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان شئت فقد ذكرت لكم
اول من بدل دين اسمعيل وبحر البحيرة والسائبة فعلى ذلك اضافوا المشية الى اولئك الذين سنوا لهم ذلك وحرموا على
اناثهم واحلوا الذكورهم وقال بعضهم قوله الا من نشاء هؤلاء الرجال كانت مضافة الى الرجال دون النساء وفى ذلك
تسفيه احلامهم لانهم يكرون الرسالة لمكان ما يحرمون من الطيبات ثم يتبعون الذى حرم عليهم الطيبات التى
احلها الله لهم من البحيرة والسائبة ونحوها وقوله عز وجل وانعام حرمت ظهورها ما ذكر من البحيرة والسائبة والوصيلة
والحامى وهى الحجر الذى ذكر فى هذه الآية يجعلون تلك الاشياء لشركائهم لا ينتفعون بها وقوله عز وجل وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها قيل فيه بوجوه قيل لا يذكرون اسم الله عليها اى لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ليشكروا الله عليها
وقيل لا يذكرون اسم الله عليها اى لا يذبحون للاكل ولا يذكرون اسم الله عليها ويحتمل لا يذكرون اسم الله عليها
وقت الركوب كما يذكر اسم الله عليها وقت الركوب وهو قوله سبحان الذى سخر لنا هذا لانهم كانوا لا يركبونها ولكن يسيبونها
وقيل لا يحجون عليها والاول كانه اقرب كانوا لا ينتفعون بها ليعرفوا نعم الله ويشكروا عليها وقوله عز وجل افتراء على
الله سيجزيهم بما كانوا يفترون بان الله امرهم بذلك وبذلك وهو حرم عليهم وهو احل فذلك هو الافتراء على الله
او بما اشركوا شركاءهم فى عبادة الله وفى نعمه وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا
قيل موصلة قوله وقالوا هذه انعام وحرث حجر يحرمون على النساء ويحلون للرجال يعنى اذا ولدوا احياء كان
ينتفع بذلك رجالهم دون نسائهم واذا ولدوا ميتا اشتركوا فيه الاناث والذكر فى هذا كله سفها ولئك فى صنعهم
ويذكر فى قوله وهو الذى انشأ جنات الى اخره ونعمه التى انعم عليهم وقوله عز وجل سيجزيهم وصفهم اى افترائهم
على الله وتحريمهم ما احل الله لهم وتحليلهم ما حرم عليهم وقوله عز وجل قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم
وحرموا ما رزقهم الله افتراء اخبر انهم قد خسروا بقتلهم الاولاد وتحريمهم ما احل لهم ورزقهم قد ضلوا وما
كانوا مهتدين وبالله الهداية والرشاد وقوله عز وجل وهو الذى انشأ جنات معروشات وغير معروشات ذكر هذا
والله اعلم مقابل ما كان منهم من تحريم ما احل الله لهم ورزقهم من الحرث والزرع والانعام والانتفاع بها
فقال انشأ جنات وبان بين من تامل فيها وتفكر عرف ان منشئها مالك حكيم مدبر لا نربيتها ويخرجها من الارض
فى لحظة ما لو اجتمع الخلائق على تقديرها ان كيف خرج وكم خرج واى قدر ثبت ما قدروا على ذلك كقوله وانبتنا فيها
من كل شىء موزون ويخرج من الورد والثمار على ميزان واحد ما لو جهد واكل الجهد ان يعرفوا الفضل والتفاوت
بين الاوراق والثمار ما قدروا وما وجدوا فيها تفاوتا ويخرج ايضا كل عام من الثمار والاوراق ما يشبه العام
الاول فدل ذلك كله ان منشئها ومحدثها مالك حكيم وضع كل شىء موضعه وان ما انشأ انشأ لحكمة لم يرد
ينشئها عبثا فله الحكم والتدبير فى الحل والحرمة والقسمة ليس لاحد دونه حكم ولا تدبير فى التحريم والتحليل هذا
حلال وهذا الهذا وهذا الهذا انما ذلك الى مالكها فخرج هذا والله اعلم مقابل ما كان منهم من قوله وقالوا
هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وهذا لشركائنا وقوله تعالى وانعام حرمت ظهورها وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه وغير ذلك من الآيات التى كان فيها ذكر تحكمهم على الله واشراك انفسهم
فى حكمه ثم اختلف فى قوله معروشات وغير معروشات قيل معروشات مبسوطات ما تنبت منبسطا على وجه الارض
وغير معروشات ما يقوم بساق لا ينبسط على الارض وقيل معروشات ما يتخذ له العريش نحو القرعون
والقرع وغير معروشات ما لا يقع الحاجة الى العريش من نحو النخل والاشجار المثمرة وهما واحد وقيل على القلب
معروشات ما يقوم بساقها وغير معروشات ما لا ساق له والله اعلم ويفسره ما ذكر على اثره والنخل والزرع مختلفا
اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه فى اللون مختلفا فى الاكل والطعم ومنها ما يكون مختلفا فى اللون والمنظر

فى الطعم والاكل ليعلموا ان منشئها واحد وانه حكيم انشأها على حكمة وانه مدبر انشاها على تدبير لم ينشئها عبثا ومن الناس
من يقول ان قوله متشابها فى الذى ذكر وهو الرمان والزيتون لان ورقهما متشابه والثمر مختلف ومنهم من يقول
فيهما وفى غيرهما والله اعلم وقوله عز وجل كلوا من ثمره اذا اثمر كانه قال كلوا من ثمره اذا اثمر ولا تحرموا اخرج على مقابلة
ما كان منهم من التحريم اى كلوا منها ولا تحرموا البعض ويفسد وقوله عز وجل وآتوا حقه يوم حصاده ذكر عز وجل
الاشياء مما يحصد بعد ذكر النخل والزرع والزيتون والرمان حبا وغير حب ومما يقع فى الكيل وما لا يقع مجملا
ما ولم يفصل بين قليله وكثيره ففيه دلالة وجوب الصدقة والعشر فى قليل ما يخرج الارض وكثيره وكذلك قوله
تعالى فى سورة البقرة ومما اخرجنا لكم من الارض وحديث معاذ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال فى كل ما اخرجت الارض العشر او نصف العشر وحديث ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
كتب الى اهل اليمن بذلك وما روى عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى ما اخرجت الارض قليله
وكثيره العشر وخبر معاذ قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فامرنى ان آخذ من كل حالم دينارا او عدله
معافر وامرنى ان آخذ من كل اربعين مسنة ومن كل ثلثين تبيعا ومن كل ما سقت السماء العشر وما سقى بالدوالى نصف
العشر الى هذا كله يذهب ابو حنيفة رحمه الله ويوجب الصدقة فى قليل الخارج من الارض وكثيره ثم اختلف اهل التأ
ويل فى الحق الذى ذكره الله فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال قوم هى صدقة سوى الزكوة واحتجوا بان الآية
مكية وان الزكوة فرضت بالمدينة وهى منسوخة بآية الزكوة وقال قوم هى الزكوة فان نسخ انما نسخ قدرها لم
ينسخ الحق واساله انهم كانوا يتصدقون بالكل فلما نسخ انما نسخ بآية الزكوة قدرها الا ترى انه قال فى آخره ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين والاسراف فى اللغة هو المجاوزة عن الحد الذى حد له كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا كان
بين ذلك قواما وقيل فى قوله ولا تسرفوا اى لا تتصدقوا بالكل ولكن كلوا بعضه وآتوا حقه من بعضه وقيل الاسراف
هاهنا هو الشرك كانه قال ولا تشركوا الهتكم فيما رزقكم الله من الحرث والانعام فتحرمون ولا تنتفعون به والاسراف
هو الذى لا ينتفع به احد وما كانوا جعلوا لشركائهم لا ينتفعون به هم ولا ينتفع به احد يكون مقابل قوله هذه
انعام وحرث حجر الآية واما ابو يوسف ومحمد رحمهما الله يذهبان الى ما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صدقة فى الزرع ولا فى الكرم ولا فى النخل الا ما بلغ خمسة اوسق
وذلك ما ثم فرق وعن ابن عمر وعبد الله بن عمرو وابى هريرة رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله
وما روى موسى بن طلحة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس فى الخضراوات صدقة لا يؤخذ الا فيما بلغ كذا وليس فى الخضراوات
صدقة تؤخذ واما عليه فى نفسه صدقة يؤديها هو ثم ان كان ذلك الحق الذى ذكر فى الآية الزكوة فان الآية تدل
والله اعلم على ان زكوة الحب والثمار انما تجب فيما يبس الحبات المعروشات وغير المعروشات فدخل فى ذلك والله
اعلم الغيب وغير العنب والثمار كلها وقال والزرع والنخل والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه فجميع ما تخرج الارض
من كل الاصناف التى سبق ذكرها وقال كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده فجعل الحق الواجب فيه
يوم يحصد فيجوز ان يكون عنى بما قيل ذلك فان كان هذا هو التاويل فهو والله اعلم معنى ما روى عن النبى
صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر عفوا عن صدقة ما يؤكل منه ما كان فى ذلك فائدة
لان الثمر يؤكل ولا يصلح لغير ذلك الا الوجه الذى ذكرنا وهو انهم كانوا يحرمون ولا ينتفعون بها فقال
عز وجل كلوا وانتفعوا به ولا تضيعوه واذا كان قوله كلوا من ثمره عفوا عن صدقة ما يؤكل منه ظهرت
فائدة الكلام وهو على هذا التاويل والله اعلم ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا خرصتم فخذوا
ودعوا الثلث فان لم تدعوا الثلث فالربع وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال ليس فى العرايا صدقة وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان يبعث ابا خيثمة خارصا
للنخل ويقول له اذا وجدت اهل بيت فى حائطهم فلا تخرص بقدر ما ياكلون وعن مكحول قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال خففوا على الناس فى الخرص فان فى المال العرية والوصية فدلت هذه الاحاديث
على انه لا صدقة فيما يؤكل من الثمر رطبا اذا لم يكن فيما ياكلون اسراف وقدر النبى صلى الله عليه وسلم لذلك
الثلث او الربع وذلك والله اعلم يشبه ما دلت عليه الآية على تاويل من جعل الحق زكوة لان الله تعالى
قال ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين فاحتمل ان يكون ايضا معنى ذلك ولا تسرفوا فى الاكل فيجحف ذلك
باهل الصدقة ويحتمل ان يكون ذلك نهيا عن الاسراف فى جميع الاشياء على ما ذكرنا من قبل واذا صح ان لا صدقة
فيما يؤكل من الرطب والعنب والثمار بهذه الاخبار وان الصدقة انما تجب فيما يحقه الحصاد بما يمكن
ادخاره فالواجب ان لا يكون فى شىء من الخضر الذى يؤكل رطبه صدقة وان لا يكون الصدقة واجبة
الا فيما يبس منها ويمكن ان يدخر فاما البقول والرطاب والبطيخ والقثاء والخيار والتفاح واشباهها
فلا صدقة فيها هذا كله بدل لابى يوسف ومحمد رحمهما الله الا انا لا نعلم خلافا فيما يباع من الرطب
صدقة وان كان يؤكل كمينة فهذا بفسدما احتجا به لابى يوسف ومحمد رحمهما الله ومن وافقهما وتاويل
ما روى ان لا صدقة فى الخضراوات وليس فيما اقل من خمسة اوسق صدقة تؤخذ واما عليه فى نفسه ان
يؤديها والله اعلم وجائز ان يكون قوله وآتوا حقه يوم حصاده على اولئك خاصة فى ذلك الوقت

متشابها

او يقول وانوا حق ولا نصير لهم الى الاصنام التي يصرفون اليها والله اعلم وقوله عز وجل ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله هو صلة قوله انشاء جنات معروشات وغير معروشات الى اخر ما ذكر وانشأ ايضا من الانعام حمولة وفرشا ثم اختلف فيه قال بعضهم الحمولة ما يحمل عليها انشأها للحمل والفرش الصغار منها التي لا تحتمل وقيل الحمولة من نحو الابل والبقر والبغال وغيرها من الحيوان والفرش هو الغنم والمعز التي تؤكل وانشأها للحم ويحمل الفرش ما يؤخذ من الانعام ويتخذ منه الفرش والبسط وقال الحسن الحمولة ما يحمل عليها وهو خاص والفرش كل شيء من انواع المال من الحيوان وغيره يقال افرشه الله له اي جعله له قال ابن عباس رضي الله عنه الحمولة الابل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه واما الفرش فالغنم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الحمولة الابل والفرش البقر والغنم قال ابو عوسجة الحمولة مراكب الناس والفرش ما يكون للنتاج وقال القتبي الحمولة كبار الابل التي يحمل عليها والفرش صغارها التي لم تدرك ان يحمل عليها وهو ما دون الحقاق والحقاق هي التي يصلح ان تركب اي حق ذلك وقوله عز وجل كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان قوله كلوا مما رزقكم الله ووجهوا شكر ذلك اليه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما احل الله لكم وجعل ذلك لكم رزقا كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقوله هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها وقوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يقول كلوا مما رزقكم الله وكذلك قوله كلوا من ثمره اذا اثمر انتفعوا به ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ذلك على انفسكم واعرفوا نعمه التي انعمها عليكم ووجهوا شكر نعمه اليه ولا توجهوها الى غيره ثم قوله خطوات الشيطان قيل اثار الشيطان وقيل اعمال الشيطان وقيل دعاء الشيطان وتزيينه وكله واحد واصله ان كل من اجاب اخر الى ما يدعو اليه وائتمر بامره يقال قد اتبع اثره وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل انه لكم عدو مبين اي انه فيما يدعوكم الى تحريم ما احل الله لكم ورزقكم يقصد قصد اهلاككم وتعذيبكم لا قصد منفعة لكم في ذلك وكل من قصد قصد اهلاك اخر فهو عدو له وهو يخرج على ما ذكرنا من تذكير المنن والنعم التي انعمها عليهم يقول هو الذي جعل لكم ذلك فلا تصرفوا شكره الى غيره وقوله عز وجل ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الى اخر ما ذكر اي انشأ ايضا ثمانية ازواج على ما ذكر انشأ جنات معروشات وغير معروشات وانشأ من الانعام ايضا حمولة وفرشا وانشأ ايضا ثمانية ازواج مما عد علينا ويحتمل ان يكون قوله ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الى اخر ما ذكر هو تفسير قوله ومن الانعام حمولة وفرشا ويكون ثمانية ازواج التي ذكر في الاية بيان الحمولة والفرش التي ذكر في الاية الاولى ثم في قوله ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين في الاية تعريف المحاجة مع الكفرة وتعليمها من الله لانهم كانوا يحرمون اشياء على الاناث ويحلونها للذكور كقوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فقال الله عز وجل قل الذكرين حرم ام الانثيين يعرفنا المحاجة معهم وطلب العلة التي بها حرم فقال قل آلذكرين حرم ام الانثيين فان قالوا حرم الذكر فيجب ان كل ذكر محرم ثم من الذكور ما يحل فتناقضوا في قولهم وان قالوا حرم الانثى فيجب ان كل انثى ايضا تكون محرمة فاذا لم يحرم كل انثى ظهر تناقضهم لانه لا يجوز ان يجب حرمة شيء او حله لمعنى ثم يرتفع ذلك الحكم والمعنى موجود وحرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين فان كان لهذا فيجب ان كل مشتمل عليه ارحام الانثيين محرم فاذا لم يحرم ذلك دل ان التحريم لم يكن لهذا وفيه دلالة ان الحكم اذا وجب لعلة فذلك الحكم واجب ما دامت العلة قائمة موجودة وفيه الامر بالمحاجة وقوله عز وجل نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اي ليس عندكم علم تعلمون ذلك وليبينوا ذكر ههنا نبئوني ان كنتم صادقين في مقالتكم انه حرم وقال في الاية التي تليها ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا اي بتحريمها اي ليست لكم شهداء على تحريم ما تحرمون لا من جهة كتاب ولا رسول ولا استدلال لان العلوم ثلاثة علم استدلال وهو علم العقل وعلم المشاهدة والعيان وهو علم الحس وعلم السمع والخبر فيخبر انه ليس لهم من هذه العلوم شيء اما علم الاستدلال فلا عقل يدل على تحريم ما حرمتم ولا علم مشاهدة لانكم لم تشاهدوا الله حرم ذلك ولا علم من جهة السمع والخبر لانهم لا يؤمنون بالكتب ولا صدقوا الرسل فيقولوا اخبرنا الرسل بتحريم ذلك او وجدنا في الكتب حرمتها فبهتوا في ذلك وتحيروا وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا لا يحرمون هذه الاشياء ظاهرا فيما بينهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم نشأ بين اظهرهم منذ كان صغيرا الى كبره وعرفوا انه لم يختلف الى احد عرف ذلك ثم اخبر الله عز وجل ما حرموا وفساد ما صنعوا ليدلهم انه انما عرف ذلك بالله وبه علم حل ما حرموا وحرمة ما احلوا لا باحد من الخلائق وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا لانه هو الذي انشأهم وانشأ لهم جميع ما يحتاجون اليه ويقضون حوائجهم وبركان جميع نعمهم التي يتنعمون ويتقلبون فيها فلا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا فقال حرم كذا ولم يكن حرم وامر بكذا ولم يكن امر الا ترى انه قال عز وجل ومن اصدق من الله حديثا وقيلا فكما لم يكن احد اصدق منه حديثا فعلى ذلك لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا بعد علمه انه هو الفاعل لذلك كله وهو المنشئ ما ذكر وقوله فمن اظلم في الظاهر استفهام ولكن في الحقيقة ايجاب لانه لا يحتمل الاستفهام كانه قال لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله كذبا على الايجاب وقوله عز وجل ليضل الناس بغير علم

لانه يقصد بالافتراء على الله قصد اضلال الناس واغوائهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي وقت اختيارهم الكفر والظلم وقيل لا يهدي القوم الذين في علمه انهم يختمون بالكفر ويحتمل لا يهديهم اذا كانوا هم عند الله ظلمة كفرة وان كانوا عند انفسهم عدولا على الحق وقوله عز وجل قل لا اجد في ما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه قوله قل لا اجد يحتمل وجهين احدهما اي لا اجد مما تحرمون انتم فيما اوحي الي واما مما لا تحرمون فانه يجد والثاني لا اجد فيما اوحي محرما في وقت ثم وجد في وقت اخر وايهما كان فليس فيه دليل حل سوى ما ذكر في الاية على ما يقوله بشر وقوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه مثل هذا الخطاب لا يكون الا في معهود سؤال والا فمثل هذا الخطاب لا يستقيم على الابتداء فان كان في معهود فهو يخرج جواب ما كانوا يحرمون من اشياء من الانعام والحرث وما ذكر في الايات التي تقدم ذكرها وما كانوا يحرمون من البحيرة والوصيلة والسائبة والحامي فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما مما تحرمون انتم على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا وكان جواب سؤال في نازلة فقال قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الا فيما ذكر في الاية او لم يجده محرما في وقت الا ما ذكر ثم وجد في وقت اخر فايهما كان لم يكن لبشر علينا في ذلك حجة علينا حيث قال ان الاشياء كلها محللة مطلقة بهذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الا ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فقال لا يحرم من الحيوان الا ما ذكر ويقول ان النهي الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير انما هو خبر خاص من اخبار الاحاد وخبر الواحد لا يعمل في نسخ الكتاب وقد قال لا اجد فيما اوحي الي محرما وبعد فان ذلك الخبر من الاخبار المتواترة لانه ظهر في الخاص والعام وعملوا به وظهر العمل به حتى لا يكاد يوجد ذلك يباع في اسواق المسلمين دل انه من المتواتر قال الشيخ رضي الله عنه وعندنا ان انغلاق التحريم في الحيوان الا فيما ذكر في الاية من الميتة والدم المسفوح والخنزير ولكن يقال منهي عنه مكروه ولا يقال محرم مطلقا ويقال لا يؤكل ولا يطعم وبعد فان الاية لو كانت في غير الوجهين اللذين ذكرناهما لم يكن فيها دليل حل ما عدا المذكور في الاية لانه قال لا اجد ولم يوجد في وقت ثم وجد في وقت اخر هذا جائز وفي قوله محرما على طاعم يطعمه دلالة ان الجلد يحرم بحق اللحمة لانه امكن ان يشوى فيؤكل فمنه حرم اللحم فاذا دبغ خرج من ان يؤكل فطهر عن قوله على طاعم يطعمه والله اعلم ثم في قوله محرما على طاعم يطعمه الاية دلالة ان الحرمة التي ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية الى اخر ما ذكر حرمة الاكل والتناول منها لانه لم يبين في تلك الاية ما الذي حرم منها سوى ما ذكر حرمته تفسيرها هذه الاية وقوله عز وجل محرما على طاعم يطعمه الاكذا دل هذا ان الحرمة في تلك الاية الاكل والتناول منها وكذلك قوله اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ذكر الحل ولم يذكر الحل لما ذا ثم جاء التفسير في هذه الاية انه للاكل ثم الميتة التي ذكر انها محرمة للسنة هي التي ماتت حتف انفها خاصة الا ترى انه ذكر وما ذبح على النصب وما اهل لغير الله به قال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع كل هذا الذي بلغ ذكره لم يمت حتف انفه ولكن باسباب لم يؤمر بها فصارت ميتة فدل ان كل مذبوح او مقتول بسبب لم يؤمر به فهو ميتة لا يحل التناول منها الا في حال الاضطرار وفي قوله او دما مسفوحا دلالة ان المحرم من الدم هو المسفوح والدم الذي يكون في اللحم ويخالط اللحم ليس بحرام والدم المسفوح حرام قال ابو عوسجة المسفوح المصبوب تقول سفحت صببت وقال القتبي مسفوحا اي سائلا وقال ابن عباس رضي الله عنه المسفوح هو الذي يهراق عز وجل ولحم خنزير ذكر حرمة الميتة ليعلم ان الخنزير بجوهره حرام والميتة حرمتها لا لجوهرها لكن لما اعترض لذلك فلنا ان لا بأس بالانتفاع بصوف الميتة ووبرها وعظمها ولا يجوز من الخنزير بشيء والله اعلم وقوله عز وجل فمن اضطر غير باغ ولا عاد قيل غير باغ يستحله في دينه ولا عاد اي ولا متعمد بالاثم يضطر اليه فاكله وقد ذكرنا اقاويلهم والاختلاف في تأويله في صدر الكتاب فان ربك غفور لاكله الحرام في حال الاضطرار رحيم حيث رخص الحرام في موضع الاضطرار وهذا ايضا قد مضى ذكره في غير موضع وقوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قيل مثل النعامة والبعير وقيل كل ذي ظفر مثل الديك والبط والبعير وكل ما لم يكن منفرج الاصابع والقوائم وقيل حرمنا كل ذي حافر من نحو حمار الوحش والوز وغيره وقيل حرمنا كل ذي ظفر كل ذي مخلب من الطير وكل ذي ناب من السباع ومن الدواب كل ذي ظفر منشق مثل الارنب والبعير واشباههما وهو قول ابن عباس رضي الله عنه والاشبه ان يكون ما ذكر في اية اخرى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية وقوله عز وجل ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما قيل شحوم بطونهما ومن الثرب وشحم الكليتين او الحوايا وهي المباعر والمصارين اي الشحم الذي عليها او ما اختلط بعظم قيل الالية وقيل قوله الا ما حملت ظهورهما هو سمين اللحم قيل فيه اقاويل مختلفة في هذا وفي الاول في قوله حرمنا كل ذي ظفر لكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة لان تلك شريعة قد نسخت والعمل بالمنسوخ حرام فاذا لم يكن علينا العمل بذلك ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة كان داوونا وانما علينا ان نعرف لم كان ذلك تحريم عليهم ثم كان تحريم هذه الاشياء عليهم فهو والله اعلم ما ذكر في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا الاية اخبر ان ما حرم عليهم من الطيبات بظلمهم الذين ظلموا ولذلك

قال الله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر ان ذلك جزاء منهم الذين بغوا والثاني انهم كانوا يدعون ويقولون نحن ابناء الله واحباؤه يقول لو كنتم صادقين في زعمكم انكم ابناء الله واحباؤه لكان لا احد يعاقب ولده او حبيبه بادنى ظلم و لا يحرم عليه الطيبات فاذا كان الله حرم عليكم الطيبات وجزاهم بتحريم اشياء عقوبة لكم بظلمكم وبغيكم ظهر انكم كذبتم في دعاويكم وافتريتم بذلك على الله وفيه دليل اثبات رسالة محمد ونبوته صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يحرمون هذه الاشياء فيما بينهم ولا يقولون انهم ظلمة وان ما حرم عليهم بظلم كان منهم وبغي ثم اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان ما حرم عليهم من الطيبات انما حرم بظلمهم وبغيهم دل انه انما اخبر بذلك عن الله وبه عرف ذلك فدل انه اية من ايات نبوته صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك جزيناهم ببغيهم اي ذلك التحريم عقوبة لبغيهم وظلمهم وانا لصادقون بالانباء ان ذلك كان بظلمهم وبغيهم وانا لصادقون في كل ما اخبرنا وانبأنا وقوله عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة قال الحسن فان كذبوك فيما تدعوهم اليه وتامرهم به من التصديق والتوحيد له والربوبية فقل ربكم ذو رحمة اذا رجعتم عن التكذيب وصدقتم وعرفتم انه واحد لا شريك يغفر لكم ما كان منكم في حال الكفر ويكفر عنكم سيئاتكم التي كانت وقوله عز وجل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد باسه عن القوم المجرمين كانه على التقديم والتاخير يقول فان كذبوك فقل لا يرد باسه عن القوم المجرمين ثم قال ربكم ذو رحمة واسعة تبع في رحمته العفو اذا تبتم وقال غيره من اهل التاويل فان كذبوك يا محمد حين انباتهم بما حرم الله عليهم بظلمهم وبغيهم فقل ربكم ذو رحمة واسعة لا يهلك وقت ارتكابهم المعصية لا يعذبهم حاله ذلك لكنه يؤخره ولا يرد باسه اي عذابه اذا نزل بقوم مجرمين بجرمهم والله اعلم وقوله عز وجل سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء قيل الاية في مشركي العرب قالوا ذلك حين لزمتهم الحجة المناقضة وانقطع حجاجهم في تحريمهم ما حرموا من الاشياء واضافوا ذلك الى الله وهو سلسله قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين الى اخر ما ذكر الى قوله ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فلما الزمتهم المناقضة وانقطع حجاجهم فزعوا عند ذلك الى هذا القول لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء فيقول الله لنبيه كذلك كذب الذين من قبلهم من الامم الخالية رسلهم كما كذبك هؤلاء وكانوا يقولون لرسلهم ما قال لك هؤلاء لو شاء الله ما اشركنا الى اخر ما ذكر ثم اختلف في تاويل قوله ولو شاء الله ما اشركنا الى اخر ما ذكر ثم اختلف في تاويل قوله لو شاء الله ما اشركنا قال الحسن والاصم ان المشية ههنا الرضاء قالوا رضي الله بفعلنا وصنعنا حيث فعل اباؤنا مثل ما فعلنا وصنعوا مثل ما صنعنا فلم يحل الله بينهم وبين ذلك ولا اخذ على ايديهم ولا منعهم عن ذلك فلو لم يرض بذلك منهم لكان يحول ذلك عنهم ومنعهم عنه وانما استدلوا بالرضا من الله والاذن فيما كانوا فيه يخوفون اباءهم الهلاك والعذاب بصنيعهم الذي كانوا صنعوا ثم راوهم ماتوا على ذلك ولم ياتهم العذاب فاستدلوا بتاخير نزول العذاب عليهم على ان الله رضي بذلك والله اعلم وبظاهر هذه الاية للمعتزلة اوفى تعلق لانهم يقولون ان الله تعالى قد رد ذلك القول الذي قالوا وعاتبهم على ذلك القول كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا واوعدهم على ذلك وعيدا شديدا فلو كان يجوز اضافة المشية الى الله تعالى في ذلك على ما تضيفون انتم لم يكن يرد ذلك عليهم ولا عاتبهم على ذلك ولا اوعدهم وعيدا في ذلك دل انه لا يجوز ان يقال ذلك ولا اضافة المشية اليه في ذلك فنقول بالله التوفيق ان المشية ههنا تحتمل وجوها احدها ما قال الحسن والاصم من الرضا قالوا ان الله رضي بذلك والثاني الامر والدعاء والى ذلك يقولون ان الله امر بذلك ودعاهم الى ذلك والثالث كانوا يقولون ذلك على الاستهزاء والسخرية لا على الحقيقة وهكذا امر المجوس انهم اذا قيل لهم هذا لم لا تؤمنون وتسلمون يقولون ما قال هؤلاء لو شاء الله لامنا ولا اشركنا فهذا العتاب الذي لحقهم والوعيد الذي اوعدهم انما كان لما قالوا ذلك استهزاء منهم ولما ادعوا من الامر والدعاء على الله و افتروا عليه والرضاء انه رضي بذلك على هذه الوجوه الثلاثة تخرج المشية في هذا الموضع والله اعلم لا على ما قاله المعتزلة وهو ما ذكر في اية اخرى ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا هو كلمة حق لكن قالها استهزاء وهزا فلحقه العتاب وقوله عز وجل قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا اي هل عندكم من بيان وحجة من الله دون ان اهلكم ببغيكم ولبس فقد ترك من خالفكم في ذلك ثم لم يدل تركه اياهم على انه رضي بذلك فقال الله ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن وانهم لا يخرصون ويكذبون في ذلك ليست لهم حجة ولا بيان على ما يدعون من الامر والدعاء الى ذلك والترك ما هم عليه على الرضا به وقوله عز وجل قل فلله الحجة البالغة التي ابلغت كل شبهة ازالتها وكل غافل نايم نبهته وايقظته وقيل الحجة البالغة التامة القاهرة الظاهرة على كل شيء الغالبة عليه لم تبلغ شيئا الا قهرته وغلبته وقال الحسن الحجة البالغة في الاخرة ولا يعذب احدا ولا يعاقبه الا بحجة تلزمه لا يعاقب بهوى او انتقام او شهوة على ما يعاقب في الشاهد ولا غيره ما من احد من الخلايق الا ولله عليه الحجة البالغة اما الملك المقرب فان الله جبله على الطاعة فلا يعصيه منا من الله عليه طولا وفضلا فهو مقصر عن شكر نعمة الله عليه واما النبي المرسل والعبد الصالح فلله عليهما السبيل والحجة من غير واحد ثم يحتمل الحجة البالغة وجوها احدها هذا القران الذي انزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه معجزة وحجة بالغة ما عجز الخلايق عن اتيان مثله فدل عجزهم عن اتيان مثله على انه اية من ايات الله وحجة من حجج الله ارسلها على نبيه صلى الله عليه وسلم والثاني انه جعل في

كلية الخلايق والاشياء ما تشهد ان الخلايق والاشياء كلها لا شهادة خلقة وتدل كلية الاشياء على وحدانيته فهو حجة بالغة والثالث الرسل وانباؤهم حيث لم يؤاخذوهم بكذب قط فيما بينهم ولا جرى على لسانهم كذب قط ولا فحش عصمهم عز وجل عن ذلك فدل على انهم انما خصوا بذلك لما ان الله جعلهم حججا وايات على وجه الارض حجة بالغة وبالله العصمة وقال بعضهم فلله الحجة البالغة في تحريم الاشياء وتحليلها ليس لهؤلاء الذين يحرمون اشباههم في تحريمهم حجة انما يحرمون ذلك بهوى انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل فلو شاء لهداكم اجمعين قال الحسن المشية ههنا مشية القدرة وقال لو شاء قهرهم واجبرهم حتى لم يقدروا على معصية قط على ما جعل الملائكة جبلهم على الطاعة حتى لا يقدروا على معصية قط ثم هو يفضل الملائكة على الرسل والانبياء والبشر جميعا ويقول هم مجبورون على الطاعة فذلك تناقض في القول لا يجوز من كان مقهورا مجبورا على الطاعة يفضل على من يعمل بالاختيار مع تمكن الشهوات فيه والحاجات التي تغلب صاحبها وتمنعه عن العمل بالطاعة ويقول فضلهم بالجوهر والاصل فلا يجوز ان يكون لاحد بالجوهر نفسه فضل على غير ذلك الجوهر لان الله تعالى لم يذكر فضل شيء بالجوهر الا مقرونا بالاعمال الصالحة الطيبة كقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة خبيثة وغيره وقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه وقوله والعمل الصالح يرفعه ونحوه لم يفضل احدا بالجوهر على احد ولكن انما فضله بالاعمال الصالحة لذلك قلنا ان قوله يخرج على التناقض وتاويل قوله فلو شاء لهداكم اجمعين عندنا ظاهر لو شاء لهداهم جميعا ووفقهم للطاعة وارشدهم لذلك هو كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية فاذا كان الميل الى الكفر لكان ما جعل لهم من الفضة والزينة فاذا كان ذلك للمؤمنين امنوا ثم لم يجعل كذلك دل هذا على ان قولهم لو شاء الله ما اشركنا هو الامر و الرضا او ذكروا على الاستهزاء حيث قال فلو شاء لهديكم اجمعين والمعتزلة يقولون المشية ههنا مشية قسر وقهر وقد ذكرنا انه لا يكون في حال القهر ايمان وانما يكون في حال الاختيار والمشية مشية الاختيار ولا تحتمل مشية الخلقة لان كل احد بشهادة الخلقة المؤمن فدل ان التاويل ما ذكرنا وقوله عز وجل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا الذي تحرمون انتم من الوصيلة والسائبة والحامي وما حرموا من الحرث والانعام فان شهدوا ان الله حرمه فلا تشهد معهم كيف قال هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم دعاهم الى ان ياتوا بالحجة فاذا اقاموها لا تشهد معهم لكن هذا والله اعلم انهم يعلمون ان التحريم الى الله ليس الى احد من الخلايق فان شهدوا بانه حرم فلا تشهد معهم لانهم شهدوا باطل ويحتمل ان يكون امروا ان ياتوا لهم شهداء من اهل الكتاب يشهدون لهم بان الله حرم هذا لان هؤلاء كانوا اهل شرك وعبدة الاوثان يسالون اهل الكتاب واهل رسل يشهدون لهم بذلك فان شهدوا فلا تشهد معهم اي لا يشهدون لهم بذلك فلا تشهد انت ايضا معهم على الاخبار انهم لا يشهدون وهو كقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم الاية اخبر عن المنافقين انهم قالوا لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم والله يعلم انهم لكاذبون ثم اخبر عنهم انهم لئن اخرجوا لا يخرجون ولئن قوتلوا لا ينصرونهم الاية لكنه اخبر انهم لا يقاتلون راسا والا لو نصروهم لا ليولون الادبار فعلى ذلك قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون فان شهدوا فلا تشهد معهم لانهم لا يشهدون والله اعلم ويشبه ان يسالوا حتى ياتوا بابائهم حتى يشهدوا لانهم كانوا يقولون انا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وان الله رضي بصنيع ابائنا حيث لم يهلكهم وتركهم على ذلك فيسالون ان ياتوا باولئك حتى يكونوا هم الذين يشهدون على ذلك فلن يجدوا الى ذلك سبيلا ابدا او هو كقوله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فلا يجدون ابدا وقوله عز وجل ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا دل ان ما كانوا يحرمون انما يحرمون بهواهم لا بحجة وبرهان والذين لا يؤمنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون اي يعدلون الاصنام في العبادة والالوهية بربهم وقوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم يقولون تعالوا اقرا عليكم ما حرم ربكم وابين لكم ما حرم بحجة وبرهان وان ما حرمتم انتم حرمتم تقليدا منكم لابائكم او حرمتم بهوى انفسكم لا حرمتم بامر او حجة وبرهان ثم بين الذي حرم عليهم فقال ان لا تشركوا به شيئا الشرك حرام بالعقل ويلزم كل من يعقل التوحيد ومعرفة الرب لما كان منه من تركيب الصور وتقويمها باحسن صور ويرون ويعرفون انه لم يصورها احد سواه ولا قومها ولا يشركه اخر في ذلك وما كان منه اليكم من انواع الاحسان والايادي فكيف تشركون غيره في الوهيته وربوبيته فذلك حرام بالعقل والسمع وقوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا يخرج على وجهين احدهما على الوقف والقطع على قوله ربكم والابتداء من قوله الا تشركوا به شيئا كانه لما قال اتل ما حرم ربكم فقالوا بين الذي حرم علينا ربنا فقال الا تشركوا به شيئا والوجه الاخر على الوصل بالاول ولكن على طرح لا فيكون كانه قال حرم ربكم عليكم ان تشركوا به شيئا وحرف لا قد تطرح وتزاد في الكلام وقوله عز وجل وبالوالدين احسانا اي برا بهما فان قيل قال تعالى اتل ما حرم ربكم عليكم وههنا امر بالاحسان اليهما ولم يذكر المحرم قيل في الامر بالاحسان اليهما تحريم ترك الاحسان فكانه قال حرم عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وفرض عليكم برهما والاحسان اليهما ثم قيل انكم تعرفون بالعقل ان الاحسان الى الوالدين واجب والاساءة اليهما حرام عليكم ولم يكن منهم

اليكم من الاحسان اكثر مما كان من الله اليكم فكيف تختارون الاساءة الى الله والاشراك فى عبادة غيره ولا تختارون
الاساءة الى الوالدين بل تختارون الاحسان اليهم وقوله عز وجل ولا تقتلوا اولادكم من املاق فانهم كانوا
يقتلون اولادهم خشية الفقر والفاقة فهو مما حرم عليهم وهذا يدل على ان الحظر فى حال لا يوجب الاباحة
فى حال اخرى لانه قال ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وليس فيه اباحة القتل اذا لم يكن هنالك خشية الاملاق
لكن ذكر هذا لانهم كانوا يقتلون فى تلك الحال ففى ذلك خرج النهى وقوله عز وجل نحن نرزقكم واياهم اى على ما نخرج لكم
من الزرع والثمار فرزقكم من ذلك فعلى ذلك نرزق اولادكم مما نخرج من الارض من الزرع والثمار فلا تقتلوا اولادكم
خشية الفقر والفاقة كيف تقتلون اولادكم لذلك فالذى يرزقكم هو الذى يرزق اولادكم وقوله عز وجل ولا تقربوا
الفواحش ما ظهر منها وما بطن يحتمل قوله ولا تقربوا اى لا تواقعوها ويحتمل لا تدنوا منها ولكن
اجعلوا بينكم وبين الفواحش والمحرمات حجابا من الحلال وهكذا الحق على المسلم ان لا يدنو من الحرام ويجعل بينه
وبين ذلك حجابا وسترا من الحلال ثم اختلف فى قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قيل الفواحش
الزنا ما ظهر منها المخالطة باللسان والمجالسة معهن وما بطن فعل الزنا نفسه كانوا يجتمعون ويجالسونهن
ولكن لا يجامعوهن بين ايدى الناس ثم اذا خلوا بهن زنوا بهن وقيل كانوا يزنون بالحرائر سرا وبالاماء ظاهرا فحرم
ذلك عليهم وقيل ما ظهر منها نكاح الامهات وما بطن هو الزنا وكان نكاح الامهات وهو قول ابن عباس وسعيد
بن جبير رضى الله عنهما وقيل الفواحش المحرمات جملتها فما ظهر منها فيما بينهم وبين الخلق وما بطن فيما بينهم
وبين الله تعالى وقيل ما ظهر منها ما يكون بالجوارح وما بطن ما يكون بالقلب وعن مجاهد قال ما ظهر منها
الجمع بين الاختين وتزوج الرجل امرأة ابيه وما بطن منها الزنا وما حرم ايضا ويحتمل قوله ما ظهر منها ما يرى
غيره ويبصر وما بطن ما يكون بالعين والقلب على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العينان
تزنيان واليدان تزنيان وما بطن يكون زناء العين والقلب لا يراه ولا يعلم غير الناظر والله اعلم يبصر كانه
ذكر التحريم فى كل حرف من ذلك اى حرم عليكم الشرك وحرم عليكم ترك الاحسان الى الوالدين وحرم قتل النفس
الا بالحق فيصير كانه ذكر التحريم فى كل من ذلك وقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق اذا ارتد يقتل
به وفى الزنا اذا كان محصنا وقوله عز وجل ذلكم وصيكم به ذلك يعنى المحرمات التى ذكر وصاكم به اختلف فيه قيل ذلكم
فرض عليكم وقيل وصاكم به امركم به وقيل وصاكم به بين لكم المحرم وكله يرجع الى واحد وقوله عز وجل لعلكم تعقلون
انه لم يحرم الا ما ذكرها ولم يحرم ما حرمتم انتم من الانعام وغيرها ولعلكم تعقلون اى لكى تنتفعوا بعقولكم او تعقلوا
ان ذلكم وصاكم به لتعقلوا الا ان حرف لعل من الله على الوجوب وتعقلون عن الله بما خاطبهم به وامرهم وقوله عز وجل
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن قال ابو بكر الكيسانى لا تقربوا مال اليتيم اى لا تاكلوا مال
اليتيم الا بالتى هى احسن وقال ثم اختلف فى الوجه الذى يحسن قال بعضهم هو ان يعمل له فياكل من ماله اجر عمله
وقال اخرون ياكله قرضا وذلك مما اختلفوا فيه وقال غيرهم هو ان ينتفع بدوابه ويستخدم جواريه ونحو ذلك
وقال وذلك مما لا يحتمل تاويل الاية وعندنا ان الاية تحتمل هذا اولى لما يقع لهم الضرورة فى استخدام
مما ليكد وركوب دوابه والانتفاع بذلك لما يقع لهم المخالطة باموال اليتامى كقوله وان تخالطوهم فاخوانكم
والله يعلم المفسد من المصلح فاذا كان لهم المخالطة لا يسلمون عن الانتفاع بما ذكرنا وقال الحسن ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتى هى احسن اى الا بالوجه الذى يحل له والوجه الذى يحل له هو ان يكون فقيرا او هو
ممن يفرض نفقته فى ماله فله ان يقرب ماله وعندهم ان نفقة المحارم تفرض فى مال اليتيم اذا كانوا فقراء
فيان ان يحل له التناول فى ماله وان كان لا يفرض نفقته فى ماله ثم الاية تحتمل وجهين عندنا احدهما ان
لا تقربوا مال اليتيم الا بالحفظ والتعاهد له امركما قال لليتيم ان يحفظ ماله ويتعاهده والثانى يقرب
ماله بطلب الزيادة له والنماء ولذلك قال ابو حنيفة رضى الله عنه يجوز لكافل اليتيم اذا كان وصيا
ان يقرب ماله ببيع اذا كان ذلك خيرا لليتيم اى وقع له الفضل وطلب له الزيادة والنماء وقوله عز وجل حتى
يبلغ اشده وقال ابو بكر قوله حتى يبلغ اشده اى حتى يبلغ الوقت الذى يتولى اموره كقوله فان انستم منهم
رشدا الاية وقال غيره من اهل التاويل الاشد ثمانية عشر سنة ويشبه ان يكون الاشد هو الادراك حتى
يدركوا وقوله عز وجل واوفوا الكيل والميزان بالقسط يشبه ان يكون قوله واوفوا الكيل والميزان فى اليتامى
ايضا امران يوفوا لهم الكيل والميزان ونهاهم ان لا يبخسوا لهم على ما نهاهم عن قربان مالهم الا بالتى
هى احسن وكذلك قوله واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى امكن ان يكون هذا فى اليتامى ايضا اى اذا قلتم
قولا لليتامى فاعدلوا فى ذلك القول وان كان ذا قربى منكم وقوله عز وجل وبعهد الله اوفوا اى بعهد الله الذى
عهد اليكم فى اليتامى اوفوا بقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن وقوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا
وغير ذلك اوفوا بما عهد اليكم فيهم ويحتمل ان يكون قوله تعالى واوفوا الكيل والميزان بالقسط فى اليتامى وفى
غيرهم فى كل الناس وهو لوجهين احدهما ان فى ترك الايفاء اكتساب الضرر على الناس ومنع حقوقهم فامر
بايفاء ذلك كقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم والثانى للربوا لانه يلزم مثله كيلا فى الربوا فاذا لم يعرف حقه
واعطاه دونه صار ذلك الفضل له ربوا وقوله عز وجل لا نكلف نفسا الا وسعها يحتمل هذا وجهين يحتمل لا نكلف

احداما

احدا ما فى تكليفنا اياه تلفه وان كان يجوز له تكليف ما فى التكاليف تلفه كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم او اخرجوا من دياركم الاية وعلى ما امر بنى اسرائيل بقتل انفسهم والثانى لا نكلف احدا ما فى تكليفنا
اياه منعه نحو من يؤمر بشئ لم يجعل له الوصول الى ذلك ابدا ويجوز ان يؤمر بامر وان لم يكن له سبب
ذلك الامر بعد ان يجعل لهم الوصول الى ذلك السبب نحو من يؤمر بالصلوة وان يكن معه سبب ذلك
وهو الطهارة ونحو من يؤمر بالحج بقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا هذا يدل على ان
من جعل له وسع الوصول الى شئ يجوز ان يكلف على ذلك ويصير باشتغاله بغيره مضيعا امره وقوله عز وجل
فاذا قلتم فاعدلوا قال بعض اهل التاويل هذا فى الشهادة كقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين الاية ويحتمل قوله واذا قلتم فاعدلوا كل قول
والقول احق ان يحفظ فيه العدالة من الفعل لانه به يظهر الحكمة من السفه والحق من الباطل فهو اولى وقوله
عز وجل وبعهد الله اوفوا اى بعهد الله الذى عهد اليكم فى التحليل والتحريم والامر والنهى وغير ذلك ذلكم
وصاكم به لعلكم تذكرون ذكر ههنا تذكرون وفى الاية الاولى تعقلون وفى الاية الاخيرة تتقون اذا عقلوا
تذكروا واتعظوا وعرفوا ما يصلح وما لا يصلح او تذكرون اى تتعظون بما وعظكم به وزجركم عنه وتتقون
مهالككم وتتقون محارمكم وقوله عز وجل وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه يحتمل وجوها يحتمل وان هذا الذى
ذكر فى هذه الايات من امره ونهيه وتحليله وتحريمه صراطى مستقيما فاتبعوه على ما قال اهل التاويل
انها ايات محكمات لم ينسخهن شئ فى جميع الكتب وهن محرمات على بنى ادم كلهم ويحتمل قوله وان هذا صراطى
مستقيما الذى دعا اليه الرسل من كل شئ هو صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لان الرسل يدعون
اليها يدعون بالحجج والبراهين ويحتمل قوله هذا صراطى مستقيما اصل الدين وهو وحدانية الله واخلاص الانفس
له على غيره اشراك فى عبادته والوهيته او ان يكون قوله وان الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او الذى
ذكر فى القران والا ذكر هذا ولم يشر الى شئ بعينه فيحتمل ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله امر عز وجل باتباع ما ذكر من الصراط المستقيم ونهى عن اتباع السبل لان غيره من الاديان
المختلفة والاهواء المتشتتة لا حجة عليها ولا برهان وما ذكر من الصراط المستقيم هو دين بحجة وبرهان
لا كغيره من الاديان وان كان يدعى كل من ذلك ان الذى هو عليه دين الله وسبيله ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون المحرمات والمناهى والمعاصى التى ذكر فى هذه ولعلكم تتقون السبل والاديان المختلفة واصله ان السبل
الله والدين المطلق دين الله الكتاب المطلق كتاب الله وقوله عز وجل ثم اتينا موسى الكتاب تماما اختلف
فيه قال الحسن قوله تماما على الذى احسن اى من احسن صحبته تمت نعمة الله وكرامته عليه فى الاخرة قيل تماما
على الذى احسن يعنى على المحسنين والمؤمنين وعلى معنى للذى احسن وللذى امن ويجوز على فى موضع اللام كقوله
وما ذبح على النصب اى للنصب وقتادة قال فمن احسن فيما اتاه الله تمت عليه كرامة الله فى جنته ورضوانه ومن
لم يحسن فيما اتاه الله نزع الله ما فى يده ثم الى الله ولا عذر له وقال ابو بكر الكيسانى فى قوله ثم اتينا موسى
الكتاب تماما على الذى احسن اى ثم اتيناكم من الحجج والبيان تماما من موسى وكتابه اى موسى وكتابه مصدق
وموافق لما اعطاكم كقوله افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة
الاية ويحتمل تماما بالنعمة والكرامة ويحتمل تماما بالحجة والبيان وتماما بالحكمة والعلم وقوله عز وجل على الذى
احسن اى للذى احسن وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه تماما على الذين احسنوا وتفصيلا لكل شئ اى تبيانا
لكل شئ وهدى من الضلالات والشبهات ونعمة ورحمة من العذاب والعقاب لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون
اى وليكونوا بلقاء ربهم يؤمنون هو على التحقيق وعن ابن عباس رضى الله عنه قال تماما على الذى احسن يقول
اتم له الكتاب على احسنه على الذى بلغ من رسالته وتفصيل كل شئ تبيان كل شئ وهدى اى تبيانا من الضلالة
ورحمة اى نعمة لعلهم بلقاء ربهم اى بالبعث بعد الموت يؤمنون اى ليكونوا بالبعث ومنهم من يقول
فى قوله ثم اتينا موسى الكتاب اخبر وان اتى بحرف الترتيب فالمراد على الاخبار كانه قال ثم قد كنا اتينا موسى
الكتاب تماما معناه وقد اتيناه وقوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه يعنى القران انزلناه مبارك قال
ابو بكر الكيسانى البركة هى التى من تمسك بها اوصله الى كل خير وعصمه من كل شر وهو المبارك وقال لمن
اخذ واتبعه وعمل به فهو مبارك له وسمى هذا القران مباركا لما يبارك فيه لمن اتبعه هو مبارك
للمتبعه والعامل به والمؤمن لم يتبعه فليس هو مبارك له بل هو عليه شدة ورجس كقوله تعالى واذا
ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فهو ما ذكرنا مبارك لمن اتبعه وتمسك به وسمى مجيدا
ايضا وكريما لمن اتبعه يصير مجيدا كريما وكذلك سمى روحا وحياة لما يحيى به من اتبعه واصل البركة هو ان
ينتفع بشئ على غير تبعة فهو البركة وعلى ذلك يخرج قول الناس بعضهم لبعض بارك الله لك فى كذا اى جعل لك
فيه منافع لا تبعة عليك فعلى هذا يجئ ان يكون القران مباركا بكسر الراء لكن قيل مبارك لانتفاع الناس
به والبركة يحتمل وجهين احدهما اسم لكل خير يكون ابدا على النماء والزيادة والثانى اسم لكل منفعة لا تبعة

عليه ولا مثوبة والله اعلم وقوله عز وجل فاتبعوه واتقوا اي اتبعوا اثاره واتقوا نواهيه ومحارمه رحم وقوله
عز وجل ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا قال اهل التاويل انزل الكتاب على الطائفتين اليهود والنصارى
ومتى انزل الكتاب على اليهود والنصارى انما انزل على المسلمين لكن المعنى والله اعلم انما انزل الكتاب على طائفتين اي انما
ظهر نزول الكتاب التورية والانجيل عند الخلق بطائفتين من قبلنا سموا يهود ونصارى التورية والانجيل والا لم
يكن وقت نزول التورية يهود ونزول الانجيل نصارى ثم قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب هو صلة قوله وهذا كتاب
على طائفتين من قبلنا ولم ينزل علينا ويجوز ان يعني لئلا اي لئن تقولوا انما انزل الكتاب كقوله ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم اي لئن يؤتى احد مثل ما اوتيتم وقوله عز وجل وان كنا عن دراستهم لغافلين اي وقد كنا عن دراستهم
لغافلين ويجيء ان يكون عن دراستهم لا تهاد دراسة الكتب لكن اضيف اليهم اي اولئك القوم وقوله عز وجل او تقولوا
لو انا انزل علينا الكتاب هو على ما ذكرنا لئلا تقولوا لو انا انزلنا علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من
ربكم انزل الله عز وجل هذا القران قطعا لحجاجهم ومنعا لعذرهم وان لم يكن لهم الحجاج والعذر وعلى ذلك يخرج
قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل لا يكون لهم حجة على الله وان لم ينزل الرسل والكتب ثم يحتمل عذرهم ولا
ان يقولوا انما انزل الكتاب بلسانهم لم ينزل بلساننا ونحن لا نعرف لسانهم وكنا عن دراستهم لغافلين ولو كانت
لهم العذر لا الاحتجاج بهذا لكان للعجم الاحتجاج والعذر في ترك اتباع القران لما لم ينزل بلسان العجم ولم يعرفوا احد
لسانهم اعني لسان العرب ثم لم يكن للعجم الاحتجاج بذلك لما جعل لهم سبيل الوصول الى معرفته فجعل ذلك لا عذر للعرب
في ترك اتباع ما في الكتب التي انزلت بغير لسانهم لما في وسعهم الوصول الى معرفتها والتعلم منهم والاخذ عنهم وهذا
يدل على ان يجوز التكليف باشياء ليست معهم اسبابها بعد ان جعل لهم سبيل الوصول الى تلك الاسباب والثاني
من احتجاجهم ان يقولوا ان اليهود والنصارى قد اختلف وتفرقت تفرقا لا اجتماع بينهم ابدا فكيف نتبعهم في ذلك
فيقال ان مذاهبهم وكتبهم انما تفرقت بهم وبتقولهم فقد انزل من الحجج والبيان ما يعرف ذلك الذي تفرق بهم فلا حجة
لهم في ذلك وهذا كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وقد جاءتهم ايات فلم يؤمنوا
فعلى ذلك قوله ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وقوله وتقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وفي الاية دلالة على ان المجوس ليسوا من اهل الكتاب لانهم لو كانوا اهل الكتاب
صار اهل الكتاب ثلاث طوائف وقد اخبر انما انزل الكتاب على طائفتين وذلك محال فان قيل انما هذا حكاية
من الله تعالى عن المشركين ومعناه والله اعلم اني انزلت عليكم الكتاب لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
فلم يقولوا ذلك ولكن الله قطع بانزاله الكتاب حجتهم التي علم انهم كانوا يحتجون بها لو لم ينزله وان لم يكن
لهم في ذلك حجة ولا عذر وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم قيل القران وقيل
محمد صلى الله عليه وسلم وهدى اي هدى من الضلالة وكل شبهة ورحمة اي ذلك منه رحمة نعمة فمن اظلم ممن
كذب بايات الله اي لا احد اظلم ممن كذب بايات الله قيل بايات الله بحجج الله وقيل دين الله وقد ذكرناها في غير
موضع وقد ذكرنا ان قوله فمن اظلم حرف استفهام في الظاهر ولكن ذلك من الله على الايجاب كانه قال لا احد
وحش ظلما ممن كذب بايات الله وصدف عنها وقوله عز وجل هل ينظرون الا كذا قال اهل التاويل ما ينظرون
وهل حرف هل هو حرف استفهام وتعجب لكن اهل التاويل قالوا ما ينظرون حملوا على الجواب لانه لم يخرج
له جواب بجوابه ما قالوا ما ينظرون كما في قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن كذب
هو جواب لانه جوابه لم يخرج فجوابه ما قالوا لا احد اظلم لانه سؤال واستفهام فجوابه ما ذكروا فعلى
ذلك قوله هل ينظرون هو استفهام ولم يخرج له الجواب فجوابه لا ينظرون كقوله ما ينظرون الا صيحة
واحدة ثم قوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك هذا والله اعلم
يشبه ان يكون الاية في المعاندين منهم والمتمردين الذين همتهم العناد والتعنت خرج على اياس رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشبه ان تكون الاية في المعاندين عن اولئك الكفرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا
على ايمانهم مشفقا على انفسهم حتى كادت نفسه تذهب حسرات عليهم حرصا على ايمانهم واشفاقا على انفسهم
كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكقوله لعلك باخع نفسك الاية ونحوه فايسه الله تعالى عن ايمان اولئك
الكفرة لئلا يطمع في ايمانهم واسلامهم بعد ذلك ولا يذهب نفسه حسرات عليهم ليتخذهم اعداء ويبغضهم
ويخرج الشفقة التي في قلبه لهم وليذهب لعداوتهم ويتبرء منهم كما فعل ابراهيم فلما تبين له انه عدو لله
تبرء منه وكما قال لنوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ايسه الله عن ايمان
قومه الا من قد امن ونهاه ان يحزن عليهم وعلى فوت ايمانهم فعلى ذلك هذا ايس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ايمانهم ونهاه ان يحزن عليهم كقوله ولا تحزن عليهم الا الوقت الذي ذكر انهم يؤمنون
في ذلك الوقت وهو وقت نزول الملائكة واتيانهم باياتهم وهو قوله الا ان تاتيهم الملائكة ثم قال
بعضهم تاتيهم الملائكة ثم قال بعضهم تاتيهم الملائكة يقبض الارواح مع اللعن والسخطة فعند ذلك
يؤمنون بالله وقال بعضهم قوله الا ان تاتيهم الملائكة يوم القيمة وهو كقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ
للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقوله عز وجل او ياتي ربك على اضمار الامر كما قال او ياتي امر ربك على ما ذكر في سورة

النحل او ياتي امر ربك شو الامر فيه عذاب الله كقوله تعالى فلما جاء امرنا يعني عذابنا فعلى ذلك في هذا امر الله عذاب
الله والاصل فيما اضيف الى الله في موضع الوعيد لا يراد به الذات ولكن يراد به نقمته وعذابه وعقوبته كقوله
ويحذركم الله نفسه لا يريد به ولكن يريد نقمته وعذابه كقوله من كان يرجوا لقاء الله لا يريد به لقاء ذاته
وكذلك قوله والى الله المصير والى الله ترجع الامور وغيرها من الايات لا يراد به ذاته ولكن يراد به عذابه
ونقمته او نقول ان كل شيء يراد به تعظيمه يضاف الى الله تعالى فيراد به تعظيم ذلك اليوم او تعظيم عذابه ونقمته
وقوله عز وجل او ياتي بعض ايات يحتمل بعض اياته ما قال عز وجل فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكقوله
فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم الاية وكقوله سال سائل بعذاب واقع ونحوه من الايات يؤمنون
عند معاينتهم العذاب ولا ينفعهم الايمان ويحتمل ما قال اهل التاويل طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
وخروج الدابة وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن
امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال
ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم وامر العامة وخويصة احدكم
الموت وامر العامة الساعة اذا قامت وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال التوبة معروضة حتى تطلع الشمس من مغربها ثم
قال مهما بات عليكم عام والاخر شر ونحوه من الاخبار فان ثبتت هذه الاخبار فهي المعتمد وعن عائشة رضي الله
عنها قالت اذا خرج اول الايات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وقوله عز وجل لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل اخبر ان الايمان لا ينفع في ذلك الوقت لانه ليس بايمان اختيار في الحقيقة انما ايمان
دفع العذاب والباس عن انفسهم كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وانهم لكاذبون اخبر انهم لو ردوا الى الدنيا لعادوا الى تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله فدل ان ايمانهم في
ذلك الوقت ايمان دفع العذاب والباس وايمان خوف وهو كايمان فرعون حيث قال حتى اذا ادركه الغرق قال امنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين لم ينفعه ايمانه في ذلك لانه ايمان دفع الهلاك عن نفسه لا ايمان
حقيقة باختيار والثاني انه في ذلك الوقت وقت نزول العذاب لا يقدر ان يستدل بالشاهد على الغائب لكون
قوله لا عن معرفة وعلم وانما هو قول يقوله بلسانه لا عن معرفة في قلبه في ذلك الوقت لما ذكرنا وهو كقوله وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان لانه ايمان دفع الباس والعذاب او بالغ
بالاجتهاد حتى يكون ايمانه ايمانا باجتهاد لذلك كان ما ذكرنا ان يكون في طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال
ودابة الارض وما ذكر من البلاء والشدة والعذاب ما يضطرهم الى الايمان به فيكون ايمانهم ايمان اضطرار لا اختيار
ويشبه ان يكون التي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لا تقبل التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها وبعد خروج
الدجال ودابة الارض اي لا يثابون على طاعاتهم ولا من البعيد ان يدعوا الى الايمان والطاعات ثم اذا اتوا بها لم
تقبل منهم لكنه يحتمل ما ذكرنا ان لا يثابون على ذلك ويعاقبون بما كان منهم الكفر وكفران النعم لان جهة وجوب
الثواب افضال واحسان وفي الحكمة ترك الافضال بالثواب في الطاعات اذا كان من الله عز وجل من النعم ما يكون
ذلك شكر الله والعقاب على الكفر مما يوجبه الحكمة لذلك كان ما ذكرنا ولهذا يخرج قول ابي حنيفة رضي الله عنه حيث قال
لا ثواب للجن على طاعاتهم لانه طريق وجوبه الافضال ولم يذكر ذلك ويعاقبون بما كان منهم من الكفران والاجرام
لما ذكرنا من المعنى الذي وصفنا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل لا ينفع نفسا ايمانها عند معاينة العذاب والباس
والايات اذا لم تكن امنت من قبل وقوله عز وجل او كسبت في ايمانها خيرا اي لا ينفع لها الا بدا اذا عملت خيرا ولم تكن
امنت لا ينفعه ذلك ولم ينفعه ايمانه عند معاينة العذاب والايات اذا لم تكن كسبت قبل ذلك خيرا وقيل قوله
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا اي لا ينفع نفسا ايمانها اذا لم يعزم ان لا يرتد
ولا يرجع عنه ابدا وقيل لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل اي لا ينفع ايمانها او كسبت في تصديقها التعظيم
لله والاجلال فعند ذلك تنفع صاحبه لانه لا كل تصديق يكون فيه التعظيم له والاجلال يعني التعظيم له والاجلال
اذا لم يكن منه التعظيم له وقيل او كسبت في ايمانها خيرا اي لم تكن علمت في تصديقها خيرا قبل معاينة الايات وقوله
عز وجل قل انتظروا انا منتظرون هو يخرج على الوعيد اي انتظروا احدى هذه الثلاث التي ذكرنا فانا منتظرون
وهو كقوله قل تربصوا فاني معكم من المتربصين او انتظروا العذاب فانا منتظرون بكم ذلك وقوله ان الذين فارقوا
دينهم وكانوا شيعا عن عائشة وابي هريرة رضي الله عنهما قال اهل البدع فيكم في الكفرة وقال الاخر في اهل الصلوة وقيل
هم اليهود والنصارى ولكن لا ندري من هم وليس بنا الى معرفتهم حاجة ثم يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل فارقوا دينهم
حقيقة لان جميع اهل الاديان عند انفسهم انهم يدينون بدين الله لا احد يقول انه يدين بدين غير الله الا ترى
انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله منهم وان كانوا عند انفسهم
انهم يدينون بدين الله فهم في الحقيقة فارقوا دينهم ولبسوا على دين الله ويحتمل قوله فارقوا دينهم الذي امروا به
ودعاهم الرسل والانبياء صلوات الله عليهم فارقوا ذلك الدين ويحتمل فارقوا دينهم الذي دانوا به في عهد الانبياء
والرسل بدين الله ففارقوا ذلك الدين والله اعلم كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وكقوله اكفرتم بعد ايمانكم الاية كانوا مؤمنين به وكانوا شيعا اي صاروا فرقا واحزابا وقوله عز وجل

لست منهم فى شىء من الناس من صرفنا ولا لست منهم اى لست انت وقتالهم فى شىء كانه نهاه عن قتالهم فى وقت ثم اذن له بعد ذلك ثم نسخه اية السيف وهذا بعيد ويحتمل لست منهم فى شىء اى لست من دينهم فى شىء لان دينهم كان تقليدا لاباءهم ودينك دين بالحجج والبراهين فلست منهم اى من دينهم فى شىء ويحتمل لست منهم فى شىء اى لا تسال انت عن دينهم ولا تحاسب على ذلك كقوله ما عليك من حسابهم من شىء الاية يخرج على اياس اولئك الكفرة عن عود رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم كقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم الاية وقوله عز وجل انما امرهم الى الله يحتمل اى الحكم فيهم الى الله ليس اليك هو الذى يحكم فيهم او ان يكون امرهم الى الله فى القتال حتى ياذن لك بالقتال ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون هو وعيد وقوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها ليس فى قوله فلا يجزى الا مثلها ايجاب الجزاء ولا خلفا فى السيئة وفى قوله فله عشر امثالها ايجاب الجزاء لانه قال فله كذا فيه ايجاب الجزاء وانما ايجاب الجزاء فى السيئة بقوله من يعمل سوءا يجز به وغيره من الايات وقد ذكرنا ان ايجاب الجزاء والثواب فى الحسنات والخيرات افضال واحسان لانه قد سبق من الله تعالى كل احد من النعم ما يكون منه تلك الخيرات جزاء لما انعم عليه وشكرا له ولا جزاء للجازى الا من جهة الافضال والاكرام واما جزاء السيئة فيما يوجبه الحكمة لما خرج الفعل منه مخرج الكفران لما انعم عليه فيستوجب بالكفران العقوبة والجزاء على ذلك والثانى انه يخرج الفعل منه فى الخيرات والحسنات على موافقة خلقته وصورته وتقديمه وتسويته على ما خلقها الله وانشاها وبناها فلم يخرج الفعل به على خلاف ما هو بنى عليه فلم يستوجب به الجزاء واما السيئات فى اخراجها على غير ما خلقها وتقويمها وصرفها الى غير الوجه الذى كانت خلقتها وتقويمها فاستوجب بذلك العقوبة والجزاء عليها لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ليس هو على التحديد لا يزاد عليه ولا ينقص منه انما خرج والله اعلم على التعظيم لذلك والاجلال لانه اخبر فى النفقة التى تنفق فى سبيل الله انها تزاد وتنمو الى سبع مائة ولا يجوز ان يكون له فى الحسنة التى جاء بها فى التوحيد يبلغ الى ما ذكر واذا جاء بنفس ذلك التوحيد لا يبلغ ذلك او ينقص عن ذلك ولكنها والله اعلم على التعظيم له او على التمثيل كقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض ذكر هذا لما لا شىء عند الخلق اوسع منها وكقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض ومثله هو على التمثيل خرج لعظيم ما قالوا فى الله ليس على انها تنشق او تنفطر فعلى ذلك الاول انه يخرج لما ذكرنا لا على التحديد له والوقت ثم قوله من جاء بالحسنة فله كذا ومن جاء بالسيئة فله كذا ذكر مجىء الحسنة ومجىء السيئة ولم يحتمل من عمل بالحسنة فله كذا ومن عمل بالسيئة ليعلم ان النظر الى ما ختم به وقبض عليه فكانه قال من ختم بالحسنة وقبض عليها فله كذا لانه فيه يعمل بالحسنة ثم يفسدها وينقضها بما يرتكب ما ينقضه ويفسده من الشرك وغيره وعلى ما روى الاعمال بالخواتيم ثم اختلف فى قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال بعضهم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها بعد التوحيد فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة بعد التوحيد فلا يجزى الا مثلها وقال بعض اهل التاويل من جاء بالحسنة يعنى بالتوحيد فله عشر امثالها لكنه ليس على التحديد لما ذكرنا ولكن على التعظيم له والقدر عند الله او على التمثيل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لكن التخليد فى النار مثل الشرك لان الشرك اعظم السيئات وفى الابدية لان المثل قد يكون من غير نوعه حيث اوجب فى الحسنة من الثواب عشر امثالها ومن السيئة مثلها وليس واحد منهما من نوع الاصل والعمل الذى يثاب عليه وقيل من جاء بالحسنة فى الاخرة بالتوحيد فله عشر امثالها فى الاضعاف ومن جاء بالسيئة فى الاخرة يعنى الشرك فلا يجزى الا مثلها فى العظم فجزاء الشرك النار لان الشرك اعظم الذنوب والنار اعظم العقوبة وذلك كقوله جزاء وفاقا اى وفاقا للعمل وقوله عز وجل وهم لا يظلمون جميعا لا يزاد على المثل ولا ينقص مما ذكر وقوله عز وجل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم قال ابو بكر الكيسانى فى قوله هدانى اى دلنى ربى الى صراط مستقيم لكن هذا بعيد لانه يخرج مخرج ذكر ما من عليه بلطفه وليس فى الدلالة والبيان ذلك انما عليه البيان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على الهدى ويبين لهم طريقه ثم اخبر انه لا يهدى من احب بقوله انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء دل ان ذلك اكرام من الله تعالى بالهداية والتوفيق له والعصمة بلطفه لا الدلالة والبيان وكذلك قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان الاية فلو كان على الدلالة والبيان لكان منه ذلك ثم ان المنة عليهم لله تعالى لا لرسوله دل انه لما ذكرنا من الهداية نفسها لا الدلالة وقوله عز وجل دينا قيما قيل قائما مستقيما لا عوج فيه كقوله ولم يجعل له عوجا قيما والعوج هو الذى فيه الامت فيه ولا عوج وقوله عز وجل ملة ابراهيم ان اهل الاديان جميعا يدعون ان الذى هم عليه هو دين ابراهيم فاخبر ان دين ابراهيم هو الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا هم وقوله عز وجل حنيفا قيل مسلما والحنف هو الميل وهو الحنيف اى مائل الى دين الله اخبر انه يدعو الى دين الله تعالى والى الدين الذى كان عليه اباؤه واجداده اعنى به الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام وما كان من المشركين برأه عز وجل من الشرك وقيل كان حنيفا خالصا لله مخلصا لم يشرك احدا فى ربوبيته ولا فى عبادته على ما فعل اولئك الكفرة وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه وحفصة دينا قيما فطرتكم التى فطرتم عليها ملة ابراهيم حنيفا ويقراء قيما بالتشديد وقيما بالتخفيف ويخرج قوله اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم على الشكر له والحمد على ما انعم عليه وافضل له من الاكرام له بالهداية بالطريق المستقيم يحتمل الحق والبرهان وكذلك قوله دينا قيما بالحجج والبراهين اولئك دين اولئك دين يهوى انفسهم ولذلك قال حنيفا وقوله قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم وقوله عز وجل قل ان صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين وقوله عز وجل قل اغير الله ابغى ربا خاطب الله بهذه الايات رسوله صلى الله عليه وسلم والمراد به الخلق كله فمن بلى بمثل ما كان بلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من السؤال والدعاء فله ان يقراء او يكرما فى هذه الايات ولو كان المراد بالخطاب

بعد رسول الله

081

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة لكان لا يقول له قل ولكن يقول له افعل كذا وعلى ذلك الخطاب فى انشاء هذه خطاب بعض بعضا ان لا يقولوا قل فدل انه على ما ذكرنا وكذلك قوله قل هو الله احد من استوصف صفات فعليه ان يصف له ما فى سورة الاخلاص ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الخلائق سواء فى ذلك الخطاب ثم فى قوله قل اننى هدانى ربى الاية ذكر منته بما هداه والاستيداء الى شكر ما انعم عليه وفى قوله قل ان صلاتى ونسكى الامر باخلاص العبادة لله عز وجل واسلام النفس له فى جميع احواله محياه ومماته وفى قوله قل اغير الله ابغى ربا فيه الدعاء الى وحدانية الله وربوبيته ثم فى قوله اننى هدانى ربى دلالة رد قول من يستثنى فى ايمانه لانه امره ان يقول اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم من غير ان امره بالثنيا فمن استثنى فيه لا يخلو استثناؤه من احد معنيين اما ان يكون لشك فيه او لكتمان ما انعم الله عليه فعلى كل من انعم الله عليه ان يظهر ذلك وان يشكره على ذلك على ما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك وقوله قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين يخرج على وجهين احدهما يخرج على الامر بالدعاء لنفسه لانه قال قل اجعل صلوتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين والثانى على المنابذة مع اولئك الكفرة والفجرة يقول انا اجعل صلوتى وعبادتى ومحياى ومماتى لله لا اجعل لغيره شركا كما جعلتم انتم لغيره شركا فى عبادته وصلوته ونسكه والله اعلم ثم اختلف فى قوله صلاتى قال بعضهم الصلاة المفروضة وقال بعضهم الصلاة الخضوع والثناء يقول ان خضوعى وثنائى لله والصلوة هى الثناء فى اللغة وقوله ونسكى اختلف فيه قال الحسن نسكى دينى كقوله ولكل امة جعلنا منسكا اى دينا وقيل نسكى ذبيحتى لله فى الحج والعمرة وغيره وقيل نسكى عبادتى والنسك اسم كل عبادة وعلى ذلك قوله يسمى كل عابد ناسكا وقوله عز وجل ومحياى ومماتى لله رب العالمين اى انا حيى وميت لله لا اشرك احدا فى عبادتى ونفسى بل كله لله لا شريك فى ذلك ويحتمل ان يكون هذا على التقديم والتاخير كانه قال قل انى امرت ان اجعل صلوتى ونسكى لله او انى امرت ان ادعوا واسال الله ان يجعل صلاتى ونسكى وعبادتى له لا شريك غيره فيه وقوله عز وجل وانا اول المسلمين يحتمل قوله وانا اول المسلمين اى وانا اول من خضع واسلم بالذى امرت ان ابلغ لانه امر بتبليغ ما انزل اليه فيقول انا اول من اسلم بالذى امرت بالتبليغ ويحتمل ان يكون لا على توقيت الاسلام ولكن على سرعة الاجابة والطاعة له كقوله وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها هو على الوصف بغاية العظم ليس على ان بعضها اكبر واعظم وبعضها اصغر ولكن كلها اعظم واكبر فعلى ذلك هذا ليس على وقت الاسلام ولكن لسرعة الاجابة والطاعة له والله اعلم الاسلام هو جعل النفس وكلية الاشياء لله سالمة اى انا اول من جعل نفسه لله سالمة وقوله عز وجل قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شىء يحتمل هذا وجهين يحتمل اغير الله ابغى ربا وقد تعلمون ان لا رب سواه ويحتمل اغير الله ابغى ربا سواه وفى كل احد اثر ربوبيته والوهيته قائم ظاهر وفيما تدعون انه احد اثار العبودية والربوبية لله فيه فكيف اتخذ ربا سواه وقوله عز وجل ولا تكسب كل نفس الا عليها يحتمل وجهين يحتمل لا تكسب كل نفس من سوء الا عليها اى لا يحمل ذلك غيره عنه فى الاخرة وكذلك قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وكقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ويحتمل ان يكون قوله ولا تكسب كل نفس الا عليها اى لا تكسب كل نفس لو تركت وما تختار الا عليها لكن الله بفضله يمنع بعضها وما تختار على نفسها كقول يوسف عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى اخبر انها كاسبة السوء الا ما عصمها ربى وجائز ان يكون على الاضمار كانه يقول ولا تكسب كل نفس الا عليها ولها ومثله جائز فى القران كقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وهو نذير لقوم بشير لقوم اخرين نذير فى حال وبشير فى حال وقوله عز وجل ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون هو على الوعيد وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كبر للصلوة اتبع التكبير بهذه الاية ان صلوتى ونسكى الى اخره وعن على رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلوة كبر ثم قال وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين ان صلوتى ونسكى الى قوله من المسلمين وذكر انه كان يدعو بعد ذلك دعاء طويلا وروى عن عايشة وابى سعيد الخدرى رضى الله عنهما انهما قالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلوة رفع يديه حذاء منكبيه ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك فكان ابو حنيفة رحمه الله يختار من ذلك هذا فى الفرائض وكذا روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قام الى الصلوة فكبر ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وكان ابو يوسف يستحب ان يقول بهذه الكلمات والكلمات التى رواها على بن ابى طالب رضى الله عنه من غير ايجاب لذلك ولا خطر لما سواه وكان ابو حنيفة رحمه الله لا يستحب ان يزيد فى الفرائض على ما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روت عايشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روى عن عمر وعبد الله رضى الله عنهم واما فى النوافل فله ان يزيد ما شاء فيها من الثناء والدعوات فيحتمل ان يكون ما رواه على بن ابى طالب رضى الله عنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك فى النوافل وقوله عز وجل وهو الذى جعلكم خلائف الارض اختلف فيه قال بعضهم جعلكم خلائف الارض يعنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلهم خلائف من تقدمهم من المكذبين بالصدق ليعلموا ما حل بالمكذبين برسول الله صلى الله عليه وسلم ليحذروا التكذيب والخلاف له ويرغبوا فى تصديقه والموافقة له والطاعة ليكون لهم ممن تقدمهم عبرة فى التحذير والترغيب ويكون لهم ممن تقدمهم قدوة وعبرة ليعرفوا صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كيف يجب ان يصحبوه ويعاملوه من الاحسان اليه والتعظيم له والتصديق ويجتنبوا الاساءة اليه والتكذيب

وقال بعضهم قوله جعلكم خلائف الارض يعني البشر كلهم جعل بعضهم خلائف بعض في الوجود وفي الاحوال في الحيوة والموت
والغناء والفقر والصحة والسقم وفي العز والذل وفي كل شيء وفي الصغر والكبر ليكون لهم في ذلك عبرا ودليلا على
معرفة منشيهم وخالقهم لانهم لو انشاهم جميعا معا لم يعرفوا احوال انفسهم وتغيرهم من حال الى حال ولكن انشاهم واحدا
بعد واحد وقرنا بعد قرن ليعرفوا احوال انفسهم وانتقالهم من حال الى حال ليعرفوا ان منشيهم واحد لانهم لو كانوا جميعا
معا لم يعرفوا مبادي احوالهم من حال نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم من حال الصغر الى حال الكبر وكذلك هذا في جميع الاحوال
من الغناء والفقر والصحة والسقم ولو كان كله على حالة واحدة لم يعرفوا ذلك لكن جعل بعضهم خلائف بعض ليدلهم
على ما ذكرنا ويحتمل ما قال ابن عباس رضي الله عنه انهم صاروا خلف الجان فالاول يكون في بيان صحبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحسن المعاملة معه والثاني في بيان وحدانية الرب وقوله عز وجل ورفع بعضكم فوق بعض درجات يحتمل هذا في الاحوال
ويحتمل في الخلقة جعل لبعض فضائل ودرجات على بعض وجعل بعضا فوق بعض بدرجات في الدنيا ليكتسبوا لانفسهم في الاخرة
الدرجات والفضائل على ما رغبوا في الدنيا في فضائل الخلقة ودرجات بعض فوق بعض ونفروا في الدون من ذلك
ليرغبهم ذلك في اكتساب الدرجات في الاخرة وينفرهم عن اكتساب ما ينفرون عنه في الدنيا وقوله عز وجل ليبلوكم
فيما اتاكم يحتمل ليبلوكم فيما اتاكم من الاحوال المختلفة من الفقر والغناء والسقم والصحة والصغر والكبر وغير ذلك من الاحوال
ويحتمل فيما اتاكم من النعم اي ليبلوكم بالشكر على ما اتاكم من النعم وقوله عز وجل ان ربك سريع العقاب قال بعضهم هو اخبار
عن سرعة اتيان العذاب لان كل ات قريبا كان قد جاء وكقوله اتى امر الله واقترب للناس حسابهم واقتربت الساعة ونحو
انه اذا كان اتى لا محاله جعل كان قد جاء وقال بعضهم ذلك انباء عن شدة عذابه لمن عصاه وقوله عز وجل ورفع بعضكم فوق
بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم قيل يبتلي الموسر في حال الغناء والصحيح في حال صحته ويبتلي الفقير في حال فقره والمريض في حال مرضه
والابتلاء من الله تعالى على وجهين اما امرا بالشكر على ما انعم وصبرا على ما ابتلاه بالشدائد والابتلاء منه هو ما بين السبيلين جميعا
سبيل الحق وسبيل الباطل وبين ان كل سبيل الى ماذا افضاؤه لو سلكه لو سلك سبيل الحق افضاه الى النعم الباقية والسرور الدائم
وان سلك سبيل الباطل افضاه الى عذاب شديد وحزن دائم ثم خيره بين هذين فهو معنى الابتلاء وقوله عز وجل
وانه لغفور رحيم للمؤمنين وقد ذكرنا والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله العليم بخلقه اللطيف لرشد عباده ضرب لهم الايات
والبيان لينقلهم بحكمته وتدبيره من الجهالة الى العلم ومن الضلالة الى الهدى ووصى رسوله ان يدعوا عباده الى سبيله
بالحكمة والموعظة الحسنة فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وانزل اليه الكتاب تلاوة بما في الكتب الاولى
ليتبين لاهل الكتاب والمشركين ان النبي الامي العربي لم يعلم في الكتب لاعجمية الا من عند الله ليكون ذلك اوضح لهم في الحجة وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة معروفا عند الفريقين انه لم يتل كتابا ولا خطه بيمينه ولا كان عندهم من شعرائهم ولا
المعروف بانسابهم وعلم انبائهم وذلك ابلغ في البرهان فانبأ فيه علم الغيوب وفرض الفرائض وحكم فيه الاحكام وانزل
فيه الحجج بتاليف يعجزه عنه من دون الله ليبين لهم انه من عند الله فانف قومه وابوا ان يسمعوه واستكبروا عليه وقالوا
لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون فانه هو العليم الخبير من قبل انفسهم وكبرهم فانزل في الكتاب كلاما افتتح
السورة لم يكن من كلام قومه فلما سمعوا ظنوا انه يبدع ابتداع محمد كابتداعهم البلاغات والادوات ونفوا ان يكون
محمد يقدر من ذلك على ما لا يقدرون فتدبروا الكتاب ليعلموا اصدوره بما بعده من الكلام فسمعوا كلاما يجدا حكاما
عظيما وحججا نيرة ومواعظ شافية فدخل اكثرهم في الاسلام وقعد عنه رجلان معاندا متعهد وجاهل مقلد لا ينظر فيما
انزل مما وصف قوله كهيعص وطسم والمص والمر وما اشبهها فقال المص نقطع بها على النظر فيما بعدها ثم ابتدا
فقال كتاب انزل اليك يقول كتاب من ربك لتنذر به عباده فلا يكن في صدرك حرج منه يقول فلا تضيقن صدرك
عن الذي فرض الله عليك فيه من البلاغ الى قومك وبما فرض عليك من البراءة منهم ومما يعبدون من دون الله فكان
الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف ما خاف الرسل من قبله فقال موسى فاخاف ان يقتلون وقد كان يعرف قومه بالتسرع
الى القتل فيما ليس مثل ما يأتيهم به فامنه الله منهم بقوله والله يعصمك من الناس وقال في اخر هذه السورة ادعوا شركاءكم
ثم كيدون فلا تنظرون يفهمونها من الله تعالى فانها من اعظم ايات الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اعلمه انهم لا يصلون
الى ما يخاف منهم وفي الاثر ان الله تعالى لما ارسله الى قومه فقال اي رب اذا يشلغوا رأسي فيذروه مثل خبزة فامنه
الله تعالى من ذلك فقال فلا يكن في صدرك حرج من البلاغ ولا يضيقن صدرك مما فرض الله عليك من العبادة والحكم
الذي تخالف فيه قومك ثم وصف الكتاب فقال وذكرى للمؤمنين يقول يتذكرون بما فيه ويتدبرونه فيعلمون
به الحق من الباطل ويذكرون به ما فرض عليهم ويحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة خطابا خاطب الله بها رسله ثم
يفهمونها لا يفهمها غيرهم على ما يكون للملوك الارض بينهم وبين خواصهم اشارات يفهمها خواصهم ولا يفهمها
غيرهم هذا متعارف فيما بين الخلق ان يكون لهم فيما بينهم وبين خواصهم ما ذكرنا فعلى ذلك يحتمل ان يكون هذه
الحروف المقطعة خطابات من الله خاطب بها رسله وعم خواصه يفهمون غيرهم ثم وجه فهمهم يكون لوجهين
يخبرهم فيقول الى ذا انزلت اليكم كذا او فوادي من ذلك كذا او كان البيان والمراد منها مقرونا بها وقت انزالها

فهموا المراد منها بما افهمه الله واراد ما لم يرد ذلك غيرهم كقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
بما اراك الله اري رسله اشياء لم يرد ذلك غيرهم ولا اطلعهم على ذلك فهم من المتشابه على غيرهم واما على الرسل فليس
من المتشابه وقال القراء يحتمل ان يكون هذه الحروف المقطعة المتفرقة التي نزلها من اب ت ث الى اخرها كان تم
قال اني جمعت هذه الحروف المتفرقة فجعلتها كتابا فانزلتها من نحو المص والم الله والم ذلك الكتاب والمر ونحوه
والله اعلم بما اراد به ذلك وقد ذكرنا هذا في صدر الكتاب مقدار ما حفظنا وفهمنا من اقاويل اهل العلم في ذلك وقوله عز وجل
فلا يكن في صدرك حرج منه قيل الحرج هو الضيق في الصدر ثم يحتمل ضيق الصدر وجوها يحتمل ضيق الصدر بما يحمل
عليه في ذلك من الشدائد والخطرات بتبليغه الى الكفرة الذين لبثوا على الكفر والشرك وخاصة القرابة منهم والملوك
الذين همتهم القتل والاهلاك لمن استقبلهم بالخلاف او ان يوسوس في صدره الشيطان انه ليس من عند الله
او ان يقول له انه من اساطير الاولين على ما قالوا اولئك الكفرة ما هذا الا اساطير الاولين ثم يحتمل قوله فلا يكن في صدرك
حرج منه على النهي اي لا يكون في صدرك منه حرج اي لا يضيقن صدرك مما حمل عليك وقال بعضهم فلا يكن في صدرك
حرج اي شك انه من عند الله نزل وقد ذكرنا ان العصمة لا يمنع النهي لانه بالنهي ما يكون عصمة ويحتمل النهي على النهي
ولكن على ان لا تحمل على نفسك ما فيه هلاكك كقوله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون وكقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ليس على النهي ولكن على ان لا يحمل على نفسك ما فيه هلاكك فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم
ان الله عز وجل امنه مما كان يخاف من اولئك بقوله والله يعصمك من الناس وامنه من وساوس الشيطان على ما روي
في الخبر انه قيل الك شيطان فقال كان ولكن اعانني عليه فاسلم من عز وجل رسوله عن ذلك كله لما ذكرنا وقوله عز وجل
لتنذر به يحتمل انه امره ان ينذر به الكفرة ويبشر به المؤمنين كقوله لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين فعلى ذلك قوله
لتنذر به الكفرة وذكرى للمؤمنين اي بشرى على ما ذكرنا ويكون في الانذار بشرى لان في الانذار فعلا لا انذار فهو له
بشرى ويحتمل قوله لتنذر به اي الكل الموافق والمخالف جميعا كقوله نذيرا للعالمين وذكرى للمؤمنين اي الذي ينتفع به
المؤمنون وقوله عز وجل اتبعوا الاية لا تتبعوا اولئك في التحليل والتحريم وفي الامر والنهي لان للرسل الى الخلق التحليل
والتحريم وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امر المؤمنين ان يتبعوا ما انزل اليهم من ربهم على ما امر رسوله ان
يتبع ما انزل اليه من ربه كقوله اتبع ما اوحي اليك من ربك ليعلم ان ما انزل الى رسول الله هو منزل الى المؤمنين
وقوله عز وجل اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم فيما ذكروا ما يحل وما يحرم وما يؤمر وينهى ولا تتبعوا من دونه اولياء
قيل اربابا اي لا تتبعوا من دونه اولياء فيما يحلون ويحرمون ويأمرون وينهون اي انما عليهم اتباع ما حرم عليهم
واستحلال ما احل لهم واما اتخاذ التحليل والتحريم فلا وقال بعض اهل التاويل ولياء الاصنام والاوثان
ولكن لا يحتمل هنا ولكن ما ذكرنا انهم كانوا يتبعون عظماءهم في التحليل والتحريم كقوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله وكانوا لا يتخذون اولئك الاحبار اربابا في الحقيقة ولكن كانوا يتبعونهم فيما
يحلون ويحرمون ويصدرون اراءهم فسموا بذلك لشدة اتباعهم اولئك في التحليل والتحريم والله اعلم وقوله عز وجل
قليلا ما تذكرون قال اهل التاويل يعني بالقليل المؤمنين ولكن يحتمل قوله قليلا ما تذكرون اي لا يتذكرون راسا لان
الخطاب جرى فيه لاولئك الكفرة وفيهم نزلت الاية وقوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها قال اهل التاويل
التاويل كان يخوف اهل مكة بتكذيبهم الرسول باهلاكه الامم الخالية بتكذيبهم الرسل بقوله وكم من قرية اهلكناها
بتكذيبهم الرسل فانتم يا اهل مكة تهلكون بتكذيبكم الرسول وان كانوا لا يعرفون ثم اهلاك الامم الماضية انه
انما هلكوا بتكذيبهم الرسل غير انهم وان كانوا لا يعرفون هم ذلك بانفسهم فالذين عندهم كتاب لكن يصلون الى
علم ذلك ممن عندهم الكتب وهم الكتاب فيلزمهم الحجة كانهم وان كانوا لا يعرفون الكتاب الذي انزل بلسان
العرب فان الحجة تلزمهم بذلك لما كان لهم سبيل الوصول الى علم ذلك بالعرب فعلى ذلك هؤلاء وان لم يكن عندهم
علم باهلاك اولئك فتلزمهم الحجة باعلام اهل الكتاب اياهم وفي الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه و
سلم لانه اخبر عن اهلاك الامم الخالية بتكذيبهم الرسل وهو لم ينظر في كتبهم ولا اختلف اليهم ليعلموه عن ذلك ثم
اخبرهم بذلك فدل انه انما عرف ذلك بالله عز وجل وقوله عز وجل فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون قال ابو بكر الكيساني
البأس هو كل امر معضل شديد من المرض والحرج وغيره ويقول دوي عمر انه لما طعن له قيل له لا بأس عليك فقال ان كان
في القتل بأس فبي بذلك واما غيره من اهل التاويل فقالوا البأس العذاب وبأسنا عذابنا وقوله عز وجل بياتا او هم
قائلون البيات بالليل والقيلولة بالنهار عند الظهيرة وهما وقتا الغفلة او وقتا الامن اخبر انه انما يأتيهم عذابه
في حال الغفلة او في حال الامن لئلا يكونوا غافلين عن امره ولا يكونوا امنين عذابه وقوله عز وجل فما كان دعواهم اذ
جاءهم بأسنا اي ما كان دعواهم قبل نزول العذاب الا انهم قالوا نحن على الحق وان غيرهم على الباطل فاذا جاءهم
بأسنا اعترفوا بظلمهم كقوله الا ان قالوا انا كنا ظالمين وقال بعضهم فما كان دعواهم حين نزول العذاب الا ان
قالوا انا كنا ظالمين وقوله عز وجل فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين يذكر في هذه الاية انه يسأل لهم
جميعا الرسل والمرسل عليهم وقال في اية اخرى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقال لا يسئل عما يفعل وهم
يسألون ولكن قوله لا يسئل عن ذنبه اي لا يسئل عما فعل وعن نفس ما ارتكب كقوله فلما راوا بأسنا قالوا امنا بالله
وحده الاية لم اذنبت وما فعلت ولكن يسأل لماذا فعلت يسأل عن الحجة لم اذنبت ولم فعلت ذا او ان يسأل في وقت ولا

ولا يسأل في وقت آخر وقال بعضهم لا يسأل عن ذنب غيره وإنما يسأل صاحبه وفاعله يحتمل والله أعلم أن أمر الآخرة على خلاف أمر الدنيا لأن في الدنيا قد يؤاخذ غيره بذنب آخر ثمّا ويسأل احضار قريبه وأما في الآخرة فانه لا يؤاخذ غيره بذنب آخر كذلك كان ما ذكرنا أو أن يكون قوله لا يسأل عما أظهروا أبدى ولكن يسأل عما أسرّوا وأخفى لأن الملائكة قد يكتبون ما أبدوه وأظهروه كقوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فيقع السؤال عما أسرّوا على التقرير ولا يسأل بعد ذلك وقوله فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين قال بعض أهل التأويل يسأل الرسل عن تبليغ الرسالة إلى الأمم ويسأل قومهم هل بلغ الرسل إليهم الرسالة ويكون سؤال لهم الرسل سؤال شهادة كقوله لتكونوا شهداء على الناس الآية أنه قد بلغ الرسالة وقال بعضهم يسأل الملائكة عن تبليغ الرسالة إلى الأنبياء ويسأل الأنبياء عليهم الصلوة عن تبليغ الملائكة إليهم ويمكن أن يكون السؤال للرسل عما أجيبوا وكان سؤال الأمم عما أجابوا الرسل كقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم وكقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين أو أن يكون سؤال القوم سؤال تقرير عندهم وإقرار لما كانوا يكرون التبليغ إليهم كقوله وإذ قال الله يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله هذا السؤال سؤال تقرير وتعيير لأنه قد كان يعلم أنه لم يكن قال لهم ذلك لكنه يسألهم سؤال تقرير ليتبرّوا بذلك لئلا يقولوا هو قال لهم ذلك لأنهم قالوا عيسى هو الذي قال لهم ذلك فعلى ذلك الأول وقوله عز وجل فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين عن عملهم وصنيعهم ولكن يسألون لما ذكرنا والله أعلم يشبه أن يكون فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين ذكر هذا لما يحتمل أن يظن به الخفاء عليه لما ذكر من السؤال لهم والسؤال هو الاستخبار عما استتر وغاب عنه ليظهر ذلك هذا هو معنى السؤال في الشاهد والاستخبار فأخبر عز وجل بقوله فلنقصنّ عليهم بعلم على أن سؤاله ليس بسؤال استخبار واستطلاع ولكن سؤال توبيخ وتقرير وسؤال شهادة وعلى هذا يخرج الابتلاء منه والامتحان لتقرير الأمر والنهي لأنه لا يخفى عليه وإن كان في الشاهد يكون ذلك أو أن يستر ما قد خفي عليهم باديا ظاهرا عندهم فسمّى ذلك الأمر والنهي ابتلاء وامتحانا لما عند الخلق ابتلاء وامتحان وإن كان عند الله لا يحتمل ذلك فسمّى بالذي فيما بينهم والله أعلم وقوله عز وجل والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأولئك كذا قال الحسن يكون ميزانا له كفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات فمن ثقلت موازينه دخل الجنة ومن خفّت موازينه دخل النار وقال غيره من أهل التأويل يريد بالموازين الحسنات والسيئات نفسها فمن رجحت حسناته على سيئاته دخل النار إلى هذه ذهب أكثر أهل التأويل ولا يحتمل ما قالوا أما قول الحسن ميزان له كفتان يوزن فيه الحسنات والسيئات لا يحتمل لأنه قال فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون إذا ثقل إحدى الكفتين خفّت الأخرى وإذا خفّت إحديهما ثقلت الأخرى فكل واحد منهما في ثقل موازينه وخفّ وقد أخبر في الآية أن من ثقلت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ولا يحتمل أيضا ما قال غيره من أهل التأويل أنه أراد بالموازين الحسنات والسيئات لأن الآية في المؤمنين والكافرين فلا سيئة ترجح في المؤمن مع إيمانه ولا حسنة ترجح في الكافر مع شركه إلا أن يقال أن يوزن حسناته وثقل بسيئاته دون إيمانه وكذلك الكافر يقابل سيئاته بحسناته دون الشرك فذهب حسناته التي كانت لهم في الدنيا بما أنعم عليهم في الدنيا فعجّل لهم جزاء حسناتهم التي عملوا في الدنيا بما أنعم عليهم في الدنيا وأما المؤمن فيتجاوز عن سيئاته ويتقبل عنهم أحسن ما عمل كقوله أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم أو أن يكون ما ذكر من الميزان هو الكتاب الذي ذكر في آية أخرى كقوله فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره الآية كما قال فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه وقال بعضهم الوزن هو العدل كقوله ونضع الموازين القسط ولكن قال ونضع الموازين القسط والقسط هو العدل فهو إخبار عن العدل أنه يعدل بينهم يومئذ وقال بعضهم الوزن يومئذ الحق أي الجزاء يومئذ الحق تجزى الطاعة الحسنة والثواب والسيئة عقاب وعذاب فهو حق وقال بعضهم قوله الوزن يومئذ الحق أي الطاعة حق كل مطيع يومئذ فهو حق ويحتمل أن يكون الوزن الحد دون التعدد كقوله وأنبتنا فيها من كل شيء موزون أي محدود مقدر فعلى ذلك قوله الوزن يومئذ الحق أي الحد يومئذ الحق لا يزاد على السيئات ولا ينقص من الحسنات التي عملوا في الدنيا والله أعلم بما أراد بالوزن ثم قال أهل التأويل في قوله فأولئك الذين خسروا أنفسهم أي غبنوا وذلك أنه ما من أحد من مؤمن وكافر إلا وله في الجنة والنار منزل وأهل فيرث المؤمن المنزل الذي كان للكافر في الجنة ويرث الكافر المنزل الذي للمؤمن في النار فذلك الخسران الذي خسر ولكن هذا لا يحتمل أن يكون الله ثمّة يجعل للكافر في الجنة منزلا وأهلا مع علمه أنه لا يؤمن ويختم على كفره ويحتمل الخسران الذي ذكر هو أنهم خسروا في الدنيا والآخرة لما فات عنهم النعم التي كانت لهم في الدنيا ولم يصلوا إلى نعيم الآخرة فذلك هو الخسران المبين في الدنيا والآخرة وقوله عز وجل بما كانوا بآياتنا يظلمون قال الحسن بآياتنا دينا يكذّبون ولكن بآياتنا حججا يظلمون أي يضعونها في غير موضعها وهو ما ذكر من ظلمهم الآيات لأن الظلم وضع الشيء غير موضعه ثم المسألة فيمن ارتكب كل ذنب وكبيرة في حال كفره عمره ثم آمن في آخره صار ما كان ارتكب في حال كفره من الكبائر مغفورا معفوا عنه غير مؤاخذ بها ومن ارتكب ذلك في حال إيمانه وختم على الإيمان لم يجعل الإيمان في تكفيره وكان مؤاخذا به والله أعلم لوجهين أحدهما أن ليس على الكافر في نفس أفعال الطاعات وأعينها إنما عليه قبول ذلك فإذا أسلم فقد قبلها ولم يكن عليه في ذلك

الوقت

الوقت إلا القبول لذلك لم يؤاخذ بما كان منه من الأعمال وأما المؤمن فعليه أنفس أفعال تلك الطاعات وتلك الأعمال وقد كان منه القبول منه والتفريط في تلك الأعمال والثاني أن الكافر إذا أسلم بعدما ارتكب من الكبائر لم يخرج إيمانه ولا أدخل فيه نقصا فلا يؤاخذ بما كان منه لما قدم على قدم وتم بإيمان كامل وأما المؤمن إذا ارتكب كبائر فقد خرج الإيمان وأدخل النقصان بعمله الذي يخالف الإيمان ولأجل افتراق ذلك افترقا ويشبه أن يكون قوله فمن ثقلت موازينه ومن خفّت موازينه على التمثيل ليس على تحقيق الميزان والخفة ولكن على الوصف بالعظم لأعمال المؤمنين وبالخفة والتلاشي لأعمال الكافرين لأن الله عز وجل ضرب لأعمال المؤمنين المثل بالشيء الثابت والطيب ووصف أعمالهم بالثبات والقرار فيه وضرب لأعمال الكافرين المثل وشبهها بالشيء الساقط التالف ووصفها بالبطلان والتلاشي كقوله ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ووصف أعمالهم بالطيب والثبات والقرار ووصف أعمال الكافرين بالخبث والتلاشي والبطلان كقوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار وقال في آية أخرى والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا وقال والذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وكقوله فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ونحوه من الآيات ووصف أعمال المؤمنين بالثبات والقرار وأعمال الكفرة بالذهاب والبطلان فعلى ذلك قوله فمن ثقلت موازينه وصف بالعظم والقرار والثبات ومن خفّت موازينه وصف بالبطلان والتلاشي أن لا يكون لهم من الخيرات شيء ينتفعون بها في الآخرة والله أعلم وقوله عز وجل ولقد مكناكم في الأرض قال أبو بكر الكيساني مكناكم أي ملكناكم في الأرض وجعلنا في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش يتعيشون بها يذكرهم نعمه ومننه بما ملكهم في الأرض وجعل لهم منافع ليشكروا له عليها وقال الحسن مكناكم أي جعلناكم مستخلفين ممن تقدمهم بمكانهم يذكرهم عز وجل أيضا نعمه عليهم بما جعلهم خلفاء الأولين وجعل لهم معايش ويخوفهم زوال ذلك عنهم بما صار ذلك لهم بزوالها من الأولين ويمكن أن يذكرهم هذا بما جعل لهم مكان القرار وموضع الانتشار والتقلب والتعيش والتبرد بدله من ذلك وكله يرجع إلى واحد كقوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا أي جعلنا الحرم آمنا لكم بحيث تأمنون فيه وتتقلبون وتتعيشون فيه ويتخطف الناس من حولهم يذكرهم عظيم نعمه ومننه التي أعطاها لهم هذا إذا كان الخطاب به أهل مكة وإن كان الخطاب به الناس كافة فيخرج على تذكير النعم لهم حيث جعل الأرض لهم بحيث يقرون فيها ويتقلبون فيها وقوله عز وجل قليلا ما تشكرون يحتمل وجوها وكذلك قوله قليلا ما تذكرون أحدها أنهم كانوا يقرون أنه خالقهم بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله كانوا يقرون بالوهيته ويصرفون العبادة إلى غيره فلذلك قال قليلا ما تشكرون والثاني أي لا تشكرونه ولا تذكرونه البتة ويحتمل قليلا ما تشكرون أي المؤمنين يشكرون ولا يشكر أولئك والمؤمنون قليل وهم أكثر والرابع أي لا يسع في وسعهم القيام بشكر الجميع فذلك الشكر قليل وقوله عز وجل لقد خلقناكم ثم صورناكم قال الحسن قوله خلقناكم ثم صورناكم أي آدم خاصة لأنه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أخبر أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد الخلق ولو كان المراد منه غيره لكان بعد خلقنا كم ثم صورناكم وقد كان السجود قبل ذلك وقال غيره والمراد منه البشر كله لأنه قال ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولو كان المراد لآدم بقوله خلقناكم ثم صورناكم خاصة لكان لا يذكر آدم ثانيا فدل أراد ذريته وقال بعضهم خلقناكم آدم ثم صورناكم في أرحامكم ويحتمل ما قال الحسن ويحتمل وجها آخر وهو أن قوله ولقد خلقناكم أي قدرناكم من ذلك الأصل وهو آدم لأن الخلق هو التقدير كما تقول إنا خلقته أي قدرته يقول والله أعلم خلقناكم أي قدرناكم جميعا من ذلك الأصل والكيان ومنه صورناكم ثم قلنا للملائكة أي وقد قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وذلك جائز في اللغة وقد يقول بعض أهل الكلام أن النطفة هي إنسان يقوم ثم يصير إنسانا بالفعل ويقول بعضهم هو كيان الإنسان فجائز أن يكون أضافنا إلى ذلك الطين لما هو كيان وأصل لنا وقوله فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين قال الحسن إبليس لم يكن من الملائكة وذلك أن الله عز وجل وصف الملائكة جملة بالطاعة والخضوع بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وقال لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وغيره من الآيات ولم يكن من إبليس إلا كل شر وقال أيضا خلق الملائكة من نور وإبليس من نار على ما ذكر والنار ليست من جوهر النور دل أنه ليس من الملائكة وقال في قوله فسجدوا إلا إبليس مثل هذا يجوز أن يقال هذه الدار أهل البصرة إلا رجل من أهل الكوفة دل الاستثناء الأول دخل هنالك أهل الكوفة فعلى ذلك يدل استثناء إبليس على أن قال هنالك أمر بالسجود لآدم لغير الملائكة أيضا ولكن ليس لنا إلى معرفة ذلك حاجة أنه كان من الملائكة أو من غيره إنما علينا أن نعرف أنه عدو لنا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قيل قوله ما منعك أن لا تسجد أي ما منعك أن تسجد على ما ذكر في آية أخرى ولا زائدة وقوله عز وجل أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ظن عدو الله أن المخلوق من النار خير من المخلوق بالطين إلا أن يقال بأن النار جعلت لصلاح الأغذية فمن هنا وقع له ذلك أنها خير من الطين فيقال إن النار وإن جعلت لإصلاح الأغذية فالطين جعل لوجود الأغذية فالذي جعل لوجود الشيء هو أنفع وأكبر من الذي جعل لصلاحه ولعل الأغذية تصلح للأكل بغيرها بالشمس وغيرها وبعد فإن الطين مما يقوم للنار ويطفئها ويتلفها والنار لا تقوم للطين ولا تتلفه فإذا كان كذلك فلا يجوز أن يقع من هذا الوجه أنها أفضل وأخير

من الطين ثم اختلف في الجهة التي كفر عدو الله ابليس فقال بعضهم انما ابليس عدو الله لم ير لنفسه طاعة بامر السجود لآدم لذلك كفر وقال آخرون انما كفر عدو الله لانه لم ير الامر بالخضوع والطاعة من فوقه لمن دونه حكمة فكفر لما لم ير انه وضع الامر بالسجود موضعه بل رآه لعنه الله واضعا امره غير موضعه وقال غيرهم كفر عدو الله بالاستكبار والتكبر على آدم ولمعنى آخر وقيل اول من اخطأ في القياس وزل فيه ابليس لعنه الله وقوله عز وجل فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها اختلف فيه فقال بعضهم قوله اهبط منها يعني من السماء لانه لعنه الله كان في السماء فامر بالهبوط منها لما جعل السماء معدنا ومكانا للخاشعين المتواضعين فامر بالهبوط منها الى مكان جعل ذلك المكان مكان الخاضعين والمتكبرين جميعا وهي الارض اذ الارض معدن الفريقين جميعا وقال بعضهم الامر بالهبوط منها امر بالخروج من الارض الى جزائر البحور لان الارض هي قرار اهلها وجزائر البحور ليست مكان قرار لاحد ليكون فيها على الخوف ابدا الا ترى انه قال جعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم والبحار مما لا تميد باهلها وامكن ان يكون الامر بالهبوط منها امرا بالخروج من الصورة التي كان فيها الى صورة اخرى لا يعرف ابدا ولا يرى عقوبة له لتركه امر الله وارتكابه نهيه فما يكون لك ان تتكبر فيها في تلك الصورة وفي تلك الارض حتى لا يقر ابدا ويكون على خوف ابدا ويحتمل في السماء لما ذكرنا وقوله عز وجل فاخرج انك من الصاغرين وجه صغاره انه ما من احد ذكره الا وقد لعنه ودعا عليه باللعن فذلك صغاره وامكن ان يكون صغاره لما صيره بحال يغيب عن الابصار ولا يقع عليه البصر ولما طرده عن رحمة الله وقوله عز وجل انظرني الى يوم يبعثون اختلف فيه قال بعضهم انظره الى النفخة الاولى لئلا يذوق فيتصل حيوة الدنيا بحيوة الآخرة وهو ما ذكر في آية اخرى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقال بعضهم انظره الى يوم البعث قال انظرني الى يوم يبعثون فقال انك من المنظرين خرج ذلك جوابا لسؤاله وما ذكر من الوقت المعلوم في آية اخرى يحتمل ان يكون هو ذلك اليوم وقال غيره انظره ولم يبين له ذلك الوقت الذي انظره الى ذلك الوقت حتى يكون ابدا على خوف ووجل الا ترى انه قال فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم لو كان الوقت انظره معلوما عنده لكان لا يخاف الهلاك بدون ذلك الوقت دل انه كان غير معلوم عنده وقوله عز وجل فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم قال الحسن قوله فبما اغويتني اي بما لعنتني والاغواء هو اللعن كقوله فانك من المرجومين اي من الملعونين فعلى ذلك قوله اغويتني اي لعنتني وقال ابو بكر الكيساني انما اضاف الاغواء الى نفسه لما كان سبب ذلك منه وهو الامر الذي امره بالسجود لآدم والخضوع له ويجوز ان يضاف مثل ذلك لما كان منه السبب نحو قوله ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني سأل منه الاذن بالقعود ولا تكلفني بما لا اقوم فتعنتني بذلك وقال انما اضاف ذلك اليه لما كان منه سبب ذلك الافتتان فعلى ذلك هذا وقال بعض المعتزلة هذا قول ابليس فبما اغويتني وقد كذب عدو الله لم يغوه الله فيقال لهم فان كان ابليس عدو الله قد كذب في قوله فبما اغويتني فيقولون بان نوحا صلوات الله عليه قد كذب حيث قال ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اضاف الاغواء اليه دل هذا على ان ابليس لم يكذب باضافة الاغواء الى الله ولكن عندنا انه اضاف الاغواء الى نفسه لما خلق فيه فعل الغواية والضلال على ما ذكرنا في غير موضع ليس كما قال هؤلاء انه اضيف اليه لكان ما كان منه سبب ذلك لانه لو جاز ان يضاف فعل الاغواء اليه لسبب الاغواء لجاز ان يضاف الى الرسل والانبياء لانه كان منهم الامر بقومهم والدعاء الى توحيد الله ثم كذبوا في ذلك فكان سبب اغواء اولئك هم الرسل فذلك بعيد وكذلك لو كان الاغواء هو اللعن لكان كل لاعن عليه فهو مغوٍ به وقال بعضهم اغويتني اي خذلتني والوجه فيه ما ذكرنا انه خلق فيه فعل الغواية والضلال وكذلك من كل كافر خذله لما علم منه انه يختار الغواية والضلال وقوله عز وجل لاقعدن لهم ليس على حقيقة القعود ولكن على المنع عن السلوك في الطريق او على التلبيس عليهم الطريق المستقيم والستر عليهم لان من قعد في الطريق منع الناس عن السلوك فيه وقوله عز وجل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية قال الحسن من بين ايديهم من قبل الآخرة تكذيبا بالبعث والجنة والنار ومن خلفهم قال من قبل دنياهم يزينها لهم ويشهيها اليهم وعن ايمانهم قال من قبل الحسنات يبطئهم عنها وعن شمائلهم قال من قبل السيئات يأمرهم بها ويحثهم عليها ويزينها في اعينهم وعن مجاهد ثم لآتينهم من بين ايديهم قال من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون وقيل من بين ايديهم من قبل آخرتهم فاخبرهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث على ما ذكر الحسن ومن خلفهم من قبل دنياهم يأمرهم بجمع الاموال فيها لمن بعدهم من ذراريهم واخوف عليهم الضيعة فلا يصلون في اموالهم رحما ولا يعطون لها حقا وعن ايمانهم من قبل دينهم فان زين لكل قوم ما كانوا يعبدون فان كانوا على ضلالة زينها لهم وان كانوا على هدى شبهه عليهم حتى اخرجهم منه وعن شمائلهم من قبل اللذات والشهوات فازينها لهم هذا الذي ذكر اهل التاويل ويحتمل ثم ذكر الامام والخلف وعن ايمان وعن شمال ولم يذكر فوق ولا تحت فيحتمل ان يدخل ما فوق وما تحت بذكر امام واليمين والشمال والخلف كقوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء دخل ما فوق بذكر ما بين ايديهم ودخل تحت بذكر الخلف فعلى ذلك هذا يدخل ما تحت وما فوق بذكر ما ذكر فيصير كانه قال فلآتينهم من كل وجه ويحتمل انه لم يذكر هذا لما انه لا سلطان له على منع الارزاق والبركات لان ارزاق الخلق والبركات مما ينزل من السماء من المطر ويخرج من الارض النبات فليس له سلطان على منع انزال المطر واخراج النبات من الارض ولا له سلطان على غير ذلك او يكون لما يشغلهم ويشهيهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم

من اللذات

من اللذات والشهوات لما اذا رأى شيئا يعجبه اتبع النظر اليه واحدا بعد واحد من امام ووراء ويمين وشمال ولا كان من تحت ولا من فوق او ان يكون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه اذا تلا هذه الآية قال الله منعه من ان يأتيهم من فوقهم ولو كان ذلك لما نجا احد فاعمالهم تصعد الى الله ورحمته تنزل عليهم وقال قتادة اتاك اللعين من كل نحو يا ابن آدم غير انه لا يستطيع ان يحول بينك وبين رحمة ربك انما تاتيك الرحمة من فوقك والذي ذكرنا انه على التمثيل انه يأتيهم من كل جانب اشبه وقوله عز وجل ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم يخرج على وجهين احدهما ليس على ارادة بين وخلف وايمان وشمال ولكن على ارادة الجهات كلها كانه يقول لآتينهم من كل جهة والثاني ما ذكر الحسن واهل التأويل من بين ايديهم الآخرة تكذيبا بها ومن خلفهم الدنيا تزيينا بها عليهم وعن ايمانهم الحسنات وعن شمائلهم السيئات وقوله عز وجل ولا تجد اكثرهم شاكرين هذا من عدو الله ظن ظنه لا قاله حقيقة لكن الله عز وجل اخبر انه صدق ظنه بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقوله عز وجل اخرج منها يحتمل منها من السماء ويحتمل من الارض ويحتمل من الصورة التي كان فيها على ما قلنا في قوله اهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها وقيل الجنة وقوله عز وجل مذءوما مدحورا قيل مذموما ملوما اي مذموم ملوم عند الخلق جميعا مدحورا قيل مقصيا مبعدا من كل خير قال ابو عوسجة مذموم واحد ومدحورا مباعدا مطرودا وقوله اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين اخبر عز وجل انه يملأ جهنم من ابليس ومن تبعه واطاعه لانهم يتبعونه ويطيعونه في الكفر والشرك بالله تعلق الخوارج بظاهر قوله لمن تبعك منهم وكل مرتكب معصية تابع له لذلك استوجب الخلود وقالت المعتزلة كل مرتكب كبيرة بوعيد هذه الآية لانه تابع له وعندنا ليس لهم في الآية حجة في تخليد من ذكروا في النار لانه انما ذكرت على اثر نقض الدين ورد التوحيد فكانه قال لمن تبعك في نقض الدين ورد التوحيد لاملأن جهنم منكم اجمعين وقوله عز وجل ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما كان السكون في موضع من القرآن فيه والامن كقوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتقروا فيه وتأمنوا فقوله لآدم اسكن انت وزوجك الجنة اسكنها عز وجل ليقروا فيها ويأمنوا من كل ما ينقصهما تلك النعم التي انعم عليهما لان الخوف مما ينقص النعم ويذهب بلذتها فلما اسكنهما عز وجل الجنة آمنهما عن ذلك كله ثم فيه ان اول المحنة والابتداء من الله لعباده انما يكون بالانعام والافضال عليهم ثم بالجزاء والعدل بسوء ما ارتكبوا لانه عز وجل امتحن آدم اولا بالافضال والانعام عليه حيث اسجد ملائكته له واسكن جنته ووسع عليه نعمه ثم امتحنه بالشدائد وانواع المشقة جزاء ما ارتكبوا من تناولهما من الشجرة التي نهاه عن قربانها فهو ما ذكرنا ان شرط امتحانه عباده في الابتداء يكون بالافضال والانعام ثم بالعدل والجزاء لسوء صنيعهم الا ترى انه قال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم اخبر ان ما يصيبنا هو من كسب ايدينا وهو جزاء ما كسبنا وفيه وفي غيرها من القصص الذكر دليل اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لانه اخبرها كان من غير ان اختلف الى احد من يعرف ذلك ولا نظر في الكتب التي فيها دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف اهل التأويل في الجنة التي اسكن عز وجل آدم فيها وزوجته فقال بعضهم هي الجنة التي يكون عود اهل الاسلام اليها في الآخرة ولهم وعد عز وجل تلك وقال بعضهم هي جنة انشأها لآدم ليسكن فيها في السماء ولكن لا ندري ما تلك الجنة وليس لنا الى معرفة تلك الجنة حاجة انما الحاجة الى ما ذكر من المحن واختلف ايضا في الشجرة التي نهي آدم عن قربانها قال بعضهم هي شجرة العلم وقال بعضهم هي شجرة الحنطة وقد ذكرنا اقاويل اهل التأويل واختلافهم في صدر الكتاب قدر ما حفظناه وكذلك اختلفوا في وسوسة الشيطان لآدم وحواء انه كيف وسوس اليهما ومن اين كان وهذا ايضا قد ذكرناه في تلك القصة والحسن يقول انما وسوس اليهما من الدنيا الا ان كان دخل الجنة وقال بعضهم وسوس اليهما من رأس الجنة ومن فيها يكلمهما وقوله عز وجل ولا تقربا هذه الشجرة لم يرد به الدنو منها ولكن اراد الذوق والاكل منها الا ترى انه قال فلما ذاقا الشجرة دل ان النهي لم يكن للدنو والاكل منها وفيه ان الامتحان من الله مرة يكون بالحل ومرة بالحرمة لانه اذن له التناول مما فيها من انواع النعم وحرم عليه التناول من واحدة منها فذلك محنة منه ثم النهي عن التناول عن الشيء يخرج على وجوه احدها نهي بحق الحرمة لنفسه ونهي بحق ايثار الغير عليه ونهي عن التناول منه لداء فيه وآفة ونهي لما يخرج التناول منها بحق الجزاء فلم يكن بعد وقت الجزاء له وقوله عز وجل ما ووري عنهما من سوآتهما وقوله ما ووري اي ستر وغطي وسوآتهما عورتهما والسوأة العورة واللغة وفيه انه يجب ان يكونوا على حذر من شر ابليس اللعين لئلا يجد فرصة علينا فانه ابدا على سلب نعمة انعمها الله على عباده وحيث احتال كل حيلة حتى ابدى لهما ما ووري وستر منهما من العورة وعمل في اخراجهما من النعم واللذات واوقعهما في الشدائد والمشقة وفيه انه ليس حال عليه اشد من ان رأى احدا في النعم والسعة وقوله عز وجل وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين قد ذكرنا معنى هذا ايضا في صدر الكتاب وقوله عز وجل وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال الحسن قاسمهما في وسوسته اياهما اني لكما لمن الناصحين وهذا الذي يقول الحسن يوحي الى آدم قد علم انه الشيطان وقال ابو بكر الكيساني انه قد وقع عند آدم ان الشجرة التي نهاه ربه ان يتناول منها هي المفضلة على جميع الشجر فلما وسوس اليه الشيطان وقال له ما قال هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى فوافق ظنه قول اللعين وما دعاهما اليه ثم اشتغل فنسي ذلك فتناول على النسيان على وجهين نسيان الترك على العمد ونسيان السهو

ولا يحتمل ان يكون ادم ترك عمدا فهو على نسيان السهو الى هذا يذهب ابو بكر الاصم او كلاهما مخرج وقرا بعضهم قوله
الا ان تكونا ملكين بكسر اللام من الملك ذهب في ذلك الى ما قال هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقراءة العامة
الظاهرة الا ان تكونا ملكين بنصب اللام من الملائكة وقد ذكرنا جهة رغبة ادم في ان يصير ملكا حيث تناول منها
في صدر الكتاب على قدر ما حفظنا وقوله عز وجل فدلاهما بغرور وقال ابو عوسجة فدلاهما بغرور اي اوردهما يقال
دلاه في فلان يجعل غرورا اي اتزين القبيح حتى يركبه واصل التدلية من الدلو وهو من الدعاء اي دعاهما بغرور ودعاه
اياهما بغرور وهو قوله هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله عز وجل الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
عز وجل وبدت لهما سوآتهما فان قيل كيف خص السوأة بالذكر ومنته في اللباس كل البدن لا في السوأة خاصة وكذلك
قوله يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ذكر منته فيما انعم علينا من ستر العورة وفي غيره من البدن في
رفع البرد والحر وغير ذلك قيل لان كشف العورة مستقبح في الطبع والعقل جميعا واما كشف غيره من البدن فليس
هو بمستقبح في الطبع ولا في العقل وتما يبدي المرء غيره من البدن سوى العورة عند الحاجة ويستر عند غير الحاجة
واما العورة فانه لا يبدي الا في حال الضرورة لذلك كان ما ذكروا ان يقال ان المفروض من الستر هو قدر الضرورة
والاخر ليس اما يحق التجمل واما يحق رفع البرد والحر والاذى لذلك تخصيصه بالذكر والا المنة والنعمة عظيمة في
لباس غيره من البدن فان قيل ان الله كنى عن الجماع مرة بالمس ومرة بالغشيان ومن الخلاء بالغائط وهو المكان الذي يقضي
فيه الحوائج وكذلك جميع ما لا يستحسن ذكره مصرحا فانما ذكره بالكناية وههنا ذكر السوأة في العورة قيل السوأة
والعورة هما كناية لم يذكر الفرج ولا الذكر والدبر فهو كناية والثاني في ذكر تخصيص السوأة وذلك ان قصد الشيطان
انما كان الى ابداء عورتهما لا غير الا ترى ان ذلك لم يجعل لغير البشر عورة تستر ولذلك خص الستر بالبشر اذا مات
يقبر لاجل عورته ولا يقبر غيره من الدواب اذا هلك ولا يستر في حال حياته ثم تخرج ذكر تخصيص السوأتين لما ذكرنا
ان اللعين قصد بذلك قصد ابداء عورتهما لا غير الا ترى انه قال ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما كان قصده
الى ذلك وقوله عز وجل وطفقا يخصفان قال ابو عوسجة طفقا اي اخذا تقول طفقت افعل كذا اي اخذت والخصف
الخياطة في النعل والخف وهو مستعار ههنا وقال مجاهد يخصفان اي يرقعان كهيئة الثوب وقيل يخصفان بعضا
على بعض قوله طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اما حياء احدهما من الاخر وحياء من الله تعالى ولهذا نقول انه يكره للرجل
في الخلوة ان يكشف عورته ويبديها وعلى ذلك روي في الخبر انه قال فالله احق ان يستحيى وحياء احدهما من الاخر لا بدت
لكل واحد منهما عورة صاحبه ولهذا كره ابو حنيفة رحمه الله ان ينظر الرجل الى فرج زوجته والمرأة الى فرج زوجها
اولما وقع بصر كل واحد منهما على عورته فذلك يكره ايضا ان ينظر المرء الى فرجه الا ترى انه قال يبدي لهما ولم يقل يبديها
فهذا يدل على انه لا ينبغي ان ينظر الى فرج زوجته ولا الزوجة الى فرجه وقوله عز وجل وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما
الشجرة الاية يحتمل قوله وناداهما ربهما وحيا اوحى اليهما على يدي ملك كقوله فنفخنا فيه من روحنا انما نفخ
الى نفسه لما ينفخ فيه بامره فعلى ذلك هذا او الهاما الهمهما كقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقوله اذ
اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت واوحى ربك الى النحل ونحوه وانما هو الهام وقوله عز وجل ربنا ظلمنا
انفسنا حيث اوقعناها في الشدائد وكذا العيش والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقوله عز وجل ربنا ظلمنا انفسنا
قال الحسن هن الكلمات التي تلقاها ادم من ربه كقوله تلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه قال ادم ما ذكر في الاية
وكذلك قال نوح رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وقال ابراهيم
ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين وقال نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا بعضه خرج على الامر وبعضه
على السؤال وكله على الدعاء والسؤال ليس على الامر وان خرج ظاهره مخرج الامر لان الامر ممن هو دونه ويرى فوقه
امر لو ان سلكا من الملوك اذا امر بعض خدمه او رعيته الا مرشيئا فهو ليس بامر لكنه سؤال ودعاء فعلى ذلك
دعاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام ربهم فان قيل ان الرسل سألوا ربهم المغفرة لزلاتهم فلا يخلوا اما ان
اجيبوا في ذلك او لم يجابوا فان لم يجابوا فيما سألوا فهو عظيم فان اجيبوا في ذلك والمغفرة في اللغة الستر كيف ذكرت
زلاتهم في الملأ الى يوم القيمة قيل لوجوه احدها لما ارتكبوا تلك الزلات عظم ذلك عليهم واشتغلت قلوبهم
بذلك لعظيم ما ارتكبوا عندهم لم يخطر ببالهم عند سؤالهم المغفرة ستر ذلك على الناس وكتمانها عنهم بعد ان
اجاب الله بالتجاوز عنهم في ذلك او ان يقال اراد بافشاء ذلك واظهارها ايقاظ غيرهم وتنبيها في ذلك ليعلموا
ان الرسل مع جليل قدرهم وعظيم منزلتهم عند الله لم يحابهم في العتاب والتوبيخ بما ارتكبوا فمن دونهم احق
بذلك او ان ذكر ذلك ليعلموا انه ليس بغافل عن ذلك ولا يخفى عليه شيء والله اعلم بذلك وقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا
وقال وعصى ادم ربه فغوى وقال فنسي ولم نجد له عزما فاعلمنا الله عز وجل ان ادم نسي امر ربه فقال قوم من اهل العلم
اكل ادم من الشجرة وهو ناس لنهي الله اياه عن اكلها وكان اكله سهوا ظلما منه لنفسه وعصيانا لربه وان كان فعل
ذلك ناسيا ثم ان الله تفضل على امة محمد فرفع عنهم في الخطا والعصيان وما استكرهوا عليه وقال قوم معنى قوله
فنسي اي ترك امر ربه من غير نسيان وقالوا هذا كقوله نسوا الله فنسيهم ولا ندري كيف كان ذلك وقال بعض اهل
العلم ان الخطأ والنسيان في الاحكام موضوع بهذا الحديث فيقال فما تقولون في قتل الخطأ اليس فيه الدية والكفارة وما
تقولون في رجل افسد متاع رجل واحرقه ناسيا او مخطئا فان قالوا ذلك لازم عليه فكيف قلتم ان الحديث

جاء في الاحكام وانتم توجبون الضمان وقال بعضهم وجه الحديث عندنا ان الامم قبلنا كانت مأخوذة بالخطا
والنسيان فيما بينهما وبين ربها فرفع الله عنه الحرج عن هذه الامة في ذلك تفضلا منه علينا من بين الامم فاما
الغرامات والضمانات في الاحكام التي بين الناس فهي لازمة لهم خطا فعلوا او عمدا والله اعلم وفي قوله قالا ربنا
ظلمنا انفسنا دلالة النقض على المعتزلة لانهم يقولون الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر ثم من قولهم ان الرسل
والانبياء معصومون عن الكبائر فزلة ادم لا شك انها صغيرة لما ذكرنا ثم قال وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين فاذ لم يكن له ان يعذبه فيصير كما قال ان جرت وظلمت علينا لنكونن من الخاسرين وفائدة تغرير ادم
وحوا ان يكونا من الملائكة لان الملك ما ذكرا انه لا يفتر عن العبادة ولا يعصي ربه ولا يحتاج الى شيء من المؤنة ومن
وراء ما كان لان الملك يكون نافذ الامر والقول في مملكته وذلك فما يرغب فيه او ان يكون بذلك يشغلهما عن نهي
ربهما حتى ينسيا ذلك فيتناولا عن تلك الشجرة على ما فعلا وفيما ذكر الخلود لانه ليس بشيء الذ ولا اشهى من الحيوة
ولا شبهة ان يقال انه لم ينسيا نهي الله اياهما عن التناول منها ولكن نسي قوله فتكونا من الظالمين لذلك تناولا ولو
ذكرا قوله فتكونا من الظالمين ما تناولا والله اعلم وقوله عز وجل قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو عن ابن عباس رضي الله
عنه قال ادم وحوى وابليس والحية وقال الحسن ادم ووسوسة الشيطان لان من قوله ان الشيطان لم يكن في
السماء انما وسوس ادم وحوى من بعد فالامر بالهبوط لوسوسة ولذلك بقيت في اولاده الى يوم القيمة وقال
بعضهم دل قوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين على ان الامر بالهبوط انما كان من السماء وكانوا في السماء ثم
قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو كان الامر بالهبوط لم يكن معا لان ابليس امر بالهبوط حين ابى السجود وادم
وحوى حين تناولا من الشجرة ثم جمعهم في الامر بالهبوط ليعلم ان ليس في الجمع بالذكر دلالة وجوب الحكم والامر
مجموعا وقوله عز وجل اهبطوا لا يفهم منه الهبوط من الاعلى الى الادنى انه قال في اية اخرى اهبطوا مصرا اي انزلوا
فيه وقوله عدو وهو عدو لنا اما بالكفر واما بما سعى في هلاكنا وكل من سعى في هلاكنا فهو عدو لنا ونحن اعداؤه
وقوله عز وجل ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قيل الى منتهى اجالكم وابليس الى النفخة الاولى ويشبه ان يكون هذا
ليس على التوقيت ولكن على الدوام والقرار فيها وقوله عز وجل قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون قيل
في الارض تعيشون وفيها تموتون عند انقضاء اجالكم ومنها تخرجون في القيمة وقوله عز وجل يا بني ادم قد انزلنا
عليكم لباسا يواري سوآتكم قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن انزلنا ماء القراح من السماء فيتخذ منه اللباس
ما يواري عوراتهم ويتخذ منه الطعام والاشياء التي بها قوام انفسهم ويحتمل قوله قد انزلنا عليكم لباسا انزل
الماء والاسباب التي بها يتخذ اللباس والاطعمة والاشربة والعلم في ذلك الماء والاسباب والعلم بذلك والاعلام
للخلق ان كيف يتخذ ذلك لباسا والاطعمة والاشربة وفيه دليل اثبات الرسالة لانهم لم يعرفوا ذلك الا بوحي من
السماء او ان يكون قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا اي جعل لكم وانشأ لكم ما يتخذ منه اللباس
والطعام والشراب ليس على الانزال ولكن على ان جعل لكم ذلك كقوله جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون
وقوله جعل لكم اي انشأ لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم وهو ان خلق لنا ذلك وفيه دليل خلق افعال
الخلق لانه انما صار لباسا وطعاما وما لا يفعل من العباد انه انزل من السماء هكذا انه اخبر انه جعل ذلك لنا دل
انه خلق فعل الخلق فيه وقوله عز وجل وريشا قال بعضهم مالا وقال بعضهم معاشا وقال القتبي الريش والرياش
ما ظهر من اللباس وريش الطائر ما ستره وقوله عز وجل ولباس التقوى في حرف ابن مسعود رضي الله عنه ولباس
التقوى بالرفع على الابتداء اي لباس التقوى خير ومن نصبه ايضا فانما ينصبه على الجواب لما تقدم والاحق فيه
الرفع ثم اختلف فيه اهل التاويل وقال الحسن لباس التقوى الدين وقال ابو بكر الاصم القران وقيل العفاف وقيل
الحياء وقيل الايمان فكله واحد اي كل ما ذكر من لباس التقوى خير من اللباس الذي ذكر لان الدين والايمان والقران
والحياء يزجره ويمنعه من المعاصي فهو خير لانه لباس في الدنيا والاخرة لان المؤمن التقي العفيف الحيي لا يبدو له
عورة وان كان عاريا من الثياب وان الفاجر لا يزال يبدو منه عورته وان كان كاسيا من الثياب لا يتحفظ في لباسه
فالتقوى خير وهو كقوله فان خير الزاد التقوى هذا التاويل للقراءة التي تقرأ بالرفع لباس التقوى على
الابتداء واما من قرأ بالنصب فهو رده الى قوله قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ثم
انزلنا عليكم ايضا لباسا تتقون به الحر والبرد والاذى فيكون فيه ذكر لباس لستر البدن وفي الاول ذكر
لباس العورة وقوله عز وجل ذلك من ايات الله يحتمل قوله ذلك الذي اتخذ منه اللباس والاطعمة والاشربة
من ايات الرسالة لان كل ذلك انما عرف بالرسل بوحي من السماء وهو ما ذكرنا ان فيه دليل اثبات الرسالة ويحتمل
ذلك من ايات اي من ايات وحدانية الله وربوبيته لما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعدهما
بينهما دل ذلك ان منشئهما ومدبرهما واحد لانه لو كان تدبير اثنين ما اتسق تدبيرهما لاتصال منافع احدهما
بالاخر وقوله عز وجل لعلهم يذكرون اي لعلهم التذكير ولعلهم يتقون اي لعلهم يوفقون للتقوى
ولعلهم يوفقون للشكر لانه حرف شك هذا يحسن ان يقال والله اعلم او نقول لكي يلزمهم التذكر والشكر
وقوله عز وجل يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قال بعضهم خاطب به اهل مكة في تكذيبهم رسول
الله ومخالفتهم امره وان لا يخرجكم من الامن والسعة كما اخرج ابويكم من دار الامن والسعة وقال بعضهم قوله

لا يفتننكم الشيطان ان احتذوا وادعاه الى ما يدعوكم اليه فانه يمنع عنكم في الاخرة الكرامة والثواب كما اخرج ابويكم
من دار الكرامة والمنزلة وقال اهل التاويل لا يفتننكم الشيطان اي لا يضلنكم الشيطان ويغويكم كما فعل ابويكم اخرجهما
من الجنة وقال اخرون قوله لا يفتننكم الشيطان بما تهوى به انفسكم وامالت الى شهواتها واما نيتها كما اخرج ابويكم
من الجنة بما هوت انفسهما واشتهاها يحذرهم اتباع هوى النفس وشهواتها واما نيتها فان السبب الذي به كان
كان اخراجهما هو هوى النفس واما نيتها وقوله عز وجل ينزع عنهما لباسهما يحتمل قوله ينزع عنهما لباسهما وهذا
في القران كثير يفعل بمعنى فعل ويحتمل على الاضمار كانه قال اراد ان ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما وقد ذكرنا ان
المفروض من الستر هو ستر العورة لا غير احتيج اليه او لم يحتج واما غيره من الستر فانما هو لدفع الاذى من الحر والبرد
والمفتون بالشيء هو المشغوف به والمولع به يقول لا يمنعكم عن دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة هو وكان قصده
ما ذكر من نزع اللباس وابداء العورة وهو ما ذكر وقوله عز وجل انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم قيل قبيله
جنوده واعوانه حذرنا ابليس واعوانه بما يروننا ولا نريهم فان قيل كيف كلفنا محاربته وهو بحيث لا نراه وهو
يرانا ومثله في غيره من الاعداء لا يكلفنا محاربة من لا نراه او لا نقدر القيام بمحاربته وليس في وسعنا القيام بمحاربة
من لا نراه قيل انه لم يكلفنا محاربته اذ لم يجعل له السلطان على انفسنا وافساد طاعتنا وشاربنا وماد يننا ولو
جعل لهم لاهلكوا انفسنا وافسدوا اغذيتنا انما جعل له السلطان في الوساوس فيما يوسوس في صدورنا وقد
جعل لنا السبيل الى معرفة وساوسه بالنظر والتفكر نحو قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية
وقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا
علمنا ما به ندفع وساوسه وهمزاته وجعل لنا الوصول الى دفع وساوسه بحجج وباسباب جعل لنا فهذا يدل على ان
الله يجوز ان يكلفنا باشياء لم يعطنا اسباب تلك الاشياء بعد ان جعل في وسعنا الوصول الى تلك الاسباب
وان لم يكن وقت التكليف تلك الاسباب نحو الامر بالصلوة وان لم نكن على الطهارة اذ جعل في وسعنا الوصول
الى الطهارة ونحو الامر باداء الزكوة وان لم يكن وقت الامر من يؤدى اليه حاضرا ونحو الامر بالحج وغيره من
العبادات وان كان لا يتصل الى اداءها الفرض عليه الا بعد اوقات من احتمال الشدائد وهذا يرد قول من يقول
ان لا يلزم الاوامر والمناهي من جاهلها ولا يكلف الا بعد العلم بها ثم يتكلف حتى يلزمه فرض من افترض الله وتعبد
من عباده لانه انما يكلف باسباب العلم ابتداء يلزمه ذلك فهذا بعيد محال والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله تعالى عز وجل
انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اختلف اهل التاويل فيه قال ابو بكر الاصم الجعل من الله تعالى على وجوه
احدها السبب الذي اعطاهم السبب الذي به صاروا اولياء لهم كما يقول الرجل جعلت لك الدار والعبيد
والمال وهو لم يجعله ذلك ولكن اعطاه ما به صار ذلك وهو انما اعطاه سبب ذلك فيضاف ذلك اليه فهذا ذلك ما انما
يجعل اليه لانه اعطاه السبب وقال جعفر بن حرب الجعل التخلية خلى بينهم وبين اولئك والا جعل كما قال الرجل
جعل غيلك فالا ضربا انا اذا خلى بينه وبين ما يفعله وهو قادر على منعه فعلى ذلك فيما اضاف الجعل الى نفسه هو ان
خلى بينهم وبين اولئك يعملون ما شاؤوا وقال الحسن من حكم الله ان من عصى يكون عدوا له ومن اطاع يكون وليا له ومن اطاع
الشيطان فهو وليه ومن عصاه يكون عدوا له فكذا احكم الله تعالى في كل من اطاع يكون وليا له ومن عصاه يكون عدوا
له وقال غيرهم من المعتزلة قوله جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي وجدناهم كذلك اولياء لهم ولكن
لو جاز اضافة ذلك الى الله تعالى لما ذكر هؤلاء لجاز اضافة ذلك الى الانبياء لانه قد كان منهم التخلية في ذلك والتسمية
لهم بذلك والحكم على ما قال الحسن والوجود فاذ لم يجز اضافة ذلك اليهم دل انه قد كان من الله في ذلك شيء لم يكن
ذلك من الانبياء وهو ان خلق منهم فعل الولاية لهم لما علم منهم انهم يختارون ولايتهم ويتولونهم كقوله انما
سلطانه على الذين يتولونه وبالله العصمة والنجاة وقوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس رضي الله عنهما
كل معصية فاحشة والفاحشة كل ما عظم فيه النهي فاذا ارتكبوا ذلك فهو فاحشة وقال مجاهد فاحشتهم
انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وقال غيره من اهل التاويل الفاحشة هو ما حرموا من الحرث والانعام والبنات
وغيره من نحو السايبة والحام وغيره لكن الفاحشة ما ذكرنا ان كل ما عظم النهي فيه والزجر فهو فاحشة والفاحشة
هو ما عظم فيه الامر يعرف ذلك بوجهين احدهما بعظم ذلك في العقل والثاني بالسمع يرد فيه وقوله تعالى عز وجل
والله ما امرنا بها ادعوا في ذلك امر الله ورضاه فيه ويقولون لو لم يرض بذلك لم يأمر كان يجاهم ينتقم منهم يعنون
اباءهم فاستدلوا بتركهم وما فعلوا على الله فقد كان رضي بذلك وامرهم اذا فعلوا ذلك فدل تركه اياهم على ذلك
على انه قد امرهم بذلك ورضي عنهم لكن يخالف في الشاهد ملكا من الملوك في امره ونهيه فانه ينكله على ذلك وينتقم
منه اذ كان قادرا على ذلك فاذا لم يفعل ذلك به دل ذلك منه على الرضا به فعلى ذلك الله لما لم ينتقم منهم ولم ينكلهم
دل ذلك على الرضا والامر به والثاني كانهم اخذوا ذلك من المسلمين لما سمعوا من المسلمين قالوا ما شاء الله كان ظنوا
ان ما كان من ابائهم كان بامر من الله ورضاه لم يفصلوا بين المشية والامر المشية والارادة هي صفة فعل كل فاعل
يفعله على الاختيار نحو ان يقال شاء فعل كذا او اراد امر كذا ولا يجوز ان يقال امر نفسه بكذا او نهى
نفسه عن كذا واما قولهم انه لم ينكل اباءهم ولم ينتقم منهم بما فعلوا دل انه رضي بذلك فيقال ان فيهم من فعل
على خلاف فعلهم وغير صنيعهم بضد ما فعل اولئك ثم لم يفعل بهم ذلك فهل دل ذلك على الرضا منه بذلك فان

قلتم بلى فاذا رضي بفعل متضادين وان قلتم لا كيف دل ذلك في ذلك على الرضا والامر لم يدل فيمن فعلوا خلاف
فعلهم فدل انه ناقض وقد ذكرنا فيما تقدم والله اعلم قل لهم يا محمد ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون
ان الله امرنا بهذا وحرم هذا وقوله عز وجل قل ان الله لا يأمر بالفحشاء هو ما ذكرنا ما عظم النهي فيه او كل ما يشتد فيه
النهي ويغلظ او يكثر هو الفحشاء الا ترى انه يقال لكل شيء يكثر فحش من نحو الكلام وغيره انه اذا اخرج من حده
وجاوز يقال فحش فعلى ذلك الفحشاء ههنا هو ما جاوز حده في القبح او جاوز الحد من الكثرة وهم قد اكثروا الافتراء
على الله وقوله عز وجل اتقولون على الله ما لا تعلمون قال بعضهم بل تقولون على الله ما لا تعلمون انه امر بذلك
وقيل قوله اتقولون على الله اي اتعلمون انكم تقولون على الله ما لا تعلمون لانهم يكونوا يؤمنون بالرسل ولا كان
لهم كتاب فكيف تعلمون ان الله امركم بذلك وهو كقوله قل اتنبؤون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض لا يعلم
ان لا يعلم الله ولكن على النفي لذلك ليس كما تقولون وتنبئون ولكن يعلم خلاف ذلك وضده ويكون في نفي ذلك اثبات
وهم قوم لا يصدقون الرسل ولا يؤمنون بخبرهم وليس كتاب ايضا يقرؤنه فما بقي الا وحي الشيطان اليهم كقوله
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله عز وجل قل امر ربي بالقسط والقسط هو العدل في كل شيء في القول
والفعل وغيره كقوله واذا قلتم فاعدلوا وكقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط واصل العدل هو وضع الشيء
عن الحد الذي جعل له ووضعه موضعه وقوله عز وجل واقيموا وجوهكم عند كل مسجد اختلف فيه قيل اقيموا
اي سووا وجوهكم نحو الكعبة عند كل مسجد اي في كل مكان تكونون فيه وهو كقوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي اجعلوا
بيوتكم نحو الكعبة كقوله تعالى حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقيل اقيموا وجوهكم اي اجعلوا عبادتكم لله و
ولا تشركوا فيها غيره كقوله وادعوه مخلصين له الدين ويشبه ان يكون الوجه كناية وعبادة عن الانفس
كانه قال اقيموا انفسكم لله لا تشركوا فيها لاحد شركا كقوله ومن يسلم وجهه الى الله اي يجعل نفسه لله سالما وقوله
عز وجل وادعوه مخلصين له الدين يحتمل الدعاء نفسه اي ادعوه ربا خالقا ورحمانا مخلصين له الدين بالوحدانية
والالوهية والربوبية ويحتمل قوله ادعوه اي اعبدوه مخلصين له العبادة ولا تشركوا غيره فيها ويحتمل
اي دينوا بدين الذي دعاكم اليه وامركم به وقوله عز وجل كما بداكم تعودون قال قائلون هو صلة قوله
فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون كانهم سالوا مما نعودون اذا بعثوا فقال كما بداكم تعودون مثله
ويحتمل ان يكون هو صلة قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن تعودون كما كانوا في البداءة الكافر كافرا والمؤمن مؤمنا وقوله
عز وجل كما بداكم تعودون هو من التامة ليس من الابتداء لانه لا يجوز ان يقال للصبي كافر ومؤمن وهو الدوام
والمقام فيه الى وقت الموت وهو في البداءة وفي الاخرة الاعادة وهو كقوله وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده
وقوله يبدء ليس يريد ابتداء نشوة ولكن كونه في الدنيا فعلى ذلك قوله كما بداكم تعودون انه يخرج على وجهين
احدهما اي كما كنتم في الدنيا تعودون في الاخرة كذلك المؤمن مؤمن والكافر على كفره والثاني كما انشاكم في الدنيا لا من
شيء فعلى ذلك يبعثكم لذلك لا يعجزه شيء وقوله عز وجل فريقا هدى بما هداهم الله بفضله وفريقا حق عليهم الضلالة
بما اختاروا من فعل الضلال فاضلهم الله كقوله يضل من يشاء وقوله ومن يضلل الله فلا هادي له وقوله عز وجل ويحسبون انهم مهتدون فيه لزوم الحجة والدليل في حال الحسبان والظن اذا كان بحيث الادراك والوصول
اليه لانه قال ويحسبون انهم مهتدون عنا انهم عند انفسهم مهتدون ولم يكونوا ثم عوقبوا على ذلك دل ان الدليل
والحجة قد يلزم وان لم يعرف بعد ان يكون سبيل الوصول الى ذلك وهذا يرد قول من يقول بان فرائض الله لا تلزم
الا بعد العلم بها والمعرفة وقوله عز وجل يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد يحتمل ان يكون الخطاب وان خرج مخرج
الامر باخذ الزينة واللباس فهو على النهي عن نزعها لان الناس يكونون اخذين الزينة وساترين عوراتهم غير بادين
بها فاذا كان كذلك فهو على النهي من نزع لباسهم وابداء عوراتهم وهو ما ذكر في بعض القصة ان اهل الشرك
كانوا اذا طافوا بالبيت نزعوا ثيابهم ويقولون لا نطوف في ثياب التي اذنبنا فيها فان كان التاويل قال ابن عباس
وهؤلاء فيكون فيه اضمار كانه قال خذوا زينتكم عند هذا المسجد كما تأخذون عند كل مسجد سواء والاخراج تاويل
الاية على وجوه احدها يقول صلوا في كل مسجد ذكر هذا لمن لا يرى الصلوة الا في مسجده على ما روي ان لا صلوة
لجار المسجد الا في المسجد والثاني يصلوا بكل مسجد وبكل مكان كقوله عليه الصلوة والسلام جعلت لي الارض مسجدا
وطهورا والثالث يجعل الزينة العبادة نفسها يقول خذوا زينتكم ويحتمل ما ذكره اهل التاويل كانوا يستعيرون
من اهل مكة ثيابا يطوفون فيها فان لم يجدوا بها طافوا فيها عراة بادين عوراتهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك وقال
خذوا زينتكم عند كل مسجد اي لا تنزعوا ثيابكم التي على عوراتكم فهو على النهي عن نزع الثياب وابداء العورة وكذلك
قوله كلوا واشربوا يخرج على النهي عما حرموا على انفسهم من انواع المنافع والنعم التي احل الله لهم من تحريم البحيرة والسائبة
والوصيلة والحامي ومن نحو ما حرموا من الزرع والطعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت
ظهورها لانه خرج قوله وكلوا واشربوا على النهي عما حرموا ما احل لهم لا على الامر بالاكل والشرب لان كل احد يأكل
ويشرب ولا يدع ذلك فدل انه خرج على النهي لما حرموا كانه قال لا تحرموا ولكن كلوا واشربوا واستمتعوا بها فان كان على
ابتداء الامر باخذ الزينة فهو والله اعلم امر باخذ الزينة والتجمل عند كل مسجد والمسجد هو مكان كل عبادة ونسك
على ما يكون في عيد ذلك من الاوقات يتزينون ويتجملون عند اجتماع الناس فعلى ذلك يكونون في مكان العبادة

والشك او ان يكون كما في المسجد اجتماع الناس للعبادة فامروا بستر عوراتهم في ذلك ويكون قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا اي كلوا واشربوا واحفظوا الحد في ذلك ولا تجاوزوا وهو نهي عن الكثرة وما ذكرنا انه نهاهم من التحريم وترك الانتفاع بها وفي تحريم ما احل الله وترك الانتفاع بها اسراف انه لا يحب المسرفين لانه لا يحب الاسراف وقد ذكرنا ان المفروض من الستر هو ما يستر به العورة واما غيره فانما هو على دفع الاذى والتجمل الا ترى انه قال ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما وقال يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم من علينا بما انزل مما نستر به عوراتنا وان كانت له المنة في الكل وذلك قبيح في الطبع ان ينظر احد الى عورة اخر وعلى ذلك جاءت الاثار في الامر بستر العورة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احفظ عورتك الا من زوجتك او ما ملكت يمينك فقيل يا رسول الله فان كان بعضنا في بعض فقال ان استطعت ان لا تظهر عورتك فافعل فقيل فاذا كان احدنا خاليا فقال فالله احق ان يستحيى منه وعنه صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الى عورة الرجل ولا المرأة ومثله كثير وفيما ذكرنا كفاية وعلى ذلك يخرج الامر بالاقبار لستر العورة الا ترى انه قال تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه الاية لئلا يرى عورته لانه يكون جيفة وقوله عز وجل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قال ابو بكر الاصم الزينة ههنا هو اللباس لانه ذكر على اثر ذلك اللباس وهو قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد والطيبات من الرزق ما حرموا مما احل الله لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك مما كانوا يحرمون الانتفاع به كقوله حرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وقال الحسن زينة الله هو المركب كقوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة جعل الله ما يركب زينة للخلق وهم كانوا يحرمون الركوب والانتفاع بها فقال قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده وقال والطيبات من الرزق البانها ولحومها وقال غيره من اهل التاويل زينتها هنا النبات وما يخرج من الارض مما هو رزق للبشر والدواب جميعا كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الاية وكقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت سمى لنا ما اخرج من الارض زينة وقوله عز وجل قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة اختلف فيه قال الحسن هي يعني الطيبات خالصة للمؤمنين في الاخرة لا يشاركهم الكفرة فيها فاما في الدنيا فقد شاركوهم فالتاويل له ولا يخرج على التقديم والتاخير كانه قال قل هي للذين امنوا خالصة يوم القيمة وفي الحيوة الدنيا لهم جميعا بقوله قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار ويحتمل قوله قل هي للذين في الحيوة الدنيا لانهم لم يحرموا الطيبات التي احل الله لهم بل انتفعوا بها وحرم اولئك ولم ينتفعوا بها فكانت هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا لما انتفعوا بها في الدنيا وتزودوا بها للاخرة وكانت خالصة يوم القيمة وانما كان خالصا لهم يوم القيمة لما لا يكون لاهل الشرك ذلك لما لم يتزودوا ولما قد كانت لهم في الدنيا لو لم يحرموها وانتفعوا بها وفي قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق دليل اباحة الزينة والتناول من الطيبات وقد يحتمل ان يكون خرج على النهي والانكار على ما كان يفعله اهل الشرك من نحو تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة فقال قل من حرم ما حرمتم اذ لم يحرمه الله الا ترى انه قال قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن يقول والله اعلم لم يحرم ما حرمتموه من هذه الاشياء ولكن حرم الفواحش وما ذكر ولم يذكر جوابهم انهم ماذا يقولون فهو يخرج على وجهين ان قالوا حرم الله فيقال لهم من حرم وانتم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب فان قالوا حرم فلان فيقال كيف صدقتم فلانا في تحريم ذلك ولا تصدقون الرسل فيما يخبرون عن الله تعالى مع ظهور صدقهم يذكر سفههم في ذلك وقوله عز وجل قل من حرم زينة الله كانه يقول ليس لاحد تحريم ما ذكرنا انما التحريم الى الله وانما حرم ما ذكر وقد يحتمل ما ذكرنا من نزعهم الثياب عند الطواف عراة على ما ذكر في القصة والى هذا يذهب ابن عباس والحسن وقتادة وعامة اهل التاويل وعلى ذلك يخرج ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يطوفن بهذا البيت عريان ولا محدث وقوله عز وجل كذلك نفصل الايات اي نبين الايات لقوم يعلمون اي لقوم ينتفعون بعلمهم ونقول كذلك نفصل الايات اي كذلك نفصل حكم اية من اخرى نفصل هذا من هذا وهذا من هذا وقوله قل من حرم زينة الله انه اذا لم يفهم من زينة الله ما يفهم من زينة الخلق لان زينة الخلق ما تتزينون به وتتجملون به يجب ان يفهم من استواء اسماء الخلق ولا من تحسنه يجري الخلق لانه لا استواء الخلق هو انتقال من حال الى حال ولا يجوز ان يفهم منه ذلك مما لم يفهم من زينة الله وقوله عز وجل قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ثم يشبه ان يكون هذه الاية مقابل قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى كما خرج الاية بامر وهو قوله وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي مقابلا الاول وهو قوله ان الله يامر بالعدل والاحسان والنهي هناك نهي تحريم كالتنصيص على التحريم ههنا ويكون الفحشاء الذي ذكر في هذه الاية الفواحش التي ذكر في تلك والمنكر الذي ذكر ههنا هو الاثم الذي ذكر في ذلك وذكر البغي ههنا وهناك البغي ثم الفحشاء هو الذي ظهر قبحه في العقل والسمع والمنكر هو الذي ظهر الاثم بها وقيل يرتكبه والاثم هو الذي يأثم المرء فيه والبغي هو من مظالم الناس يظلم بعضهم على بعض وقال بعضهم الفواحش هي الكبائر والاثم هو الصغائر والبغي ومما اخذ مال الاغتصاب من مال ونفس بعقد الاسلام على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها ثم لما اجعلوا ما كان معصوما بالاسلام من مال او نفس اخذ ذلك بغير ظلم الا ما ذكر بحقها واصل البغي هو الطلب وزيادة من الحد الذي حد له وقال اهل التاويل الفواحش هو الزنا ما ظهر منها علانية وما بطن منها سرا لكن الفواحش ما ذكرنا وان ما قبح في العقل والسمع فهي الفاحشة واصل المنكر كل ما لا يعرف كقول ابراهيم انكم قوم منكرون والمنكر ما انكره العقل ولا يسمع اينما وقوله عز وجل وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا قال الله وحرم ايضا ان تشركوا بالله وقوله عز وجل ما لم ينزل به سلطانا ليس فيه انه نزل سلطانا على الاشراك بحال ولكن عليهم تشركون بالله من غير حجة وسلطان لان اهل الاسلام هم الذين يدينون بدين ظهر بالحجج والايات وهم يدينون بدين لا يظهر بالحجج والايات ولكن بما هوت به انفسهم واشتهت ويحتمل قوله ما لم ينزل به سلطانا اي عذرا لا تريحون ان يعذر المرء عمان في اجراء كلمة الكفر على لسانه عند الاكراه ولا يصير به كافرا اذا كان قلبه مطمئنا بالاسلام منشرحا به كقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان اي تشركون بالله من غير ان ينزل بهم حال عذر وقوله عز وجل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون والثاني اي تعلمون انهم يقولون على الله ما لا تعلمون انه حرم كذا وامر بكذا وقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون هذا على الجهل والاول على العلم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم اي تنبئون الله بما يعلم انه ليس ما تقولون وقوله عز وجل ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اختلف فيه قال بعضهم لكل امة اجل هو بعث الرسل اليهم فاذا اتاهم الرسول فكذبوه وعاندوا فعند ذلك يهلكون وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا ويحتمل ان لكل امة اجلا لا تهلك قبل بلوغ اجلها لا تستاخر ولا تستقدم فهذا رد على المعتزلة لانهم يقولون ان من قتل انما هلك قبل بلوغ اجله ويجعلون القاتل منه مستقدما لاجل ذلك المقتول والله تعالى يقول لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله عز وجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اذا جاء لا يستاخرون واذا لم يجئ لا يستقدمون وقوله عز وجل يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم قال اهل التاويل اما ياتينكم اي سياتيكم رسل منكم او سوف ياتيكم يقصون عليكم اياتي اي هداي كقوله فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقوله فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فعلى ذلك يقصون عليكم اياتي اي هداي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويحتمل الايات الحجج والبراهين التي يضطر اهلها الى قبولها الا من عاند وكابر فمن اتقى اتقى الشرك واصلح وامن بالله وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فمن اتقى يحتمل اتقى ما نهى الرسل واتقى المهالك واصلح فيما امر به الرسل او اصلح امره وعمله فلا خوف عليهم في ذهاب ما اكرمهم به مولاهم ولا فوته لان خوف الفوت مما ينغص النعم ولا يحزنون تبعا تزولا فاتر يخبران نعيم الاخرة على خلاف نعيم الدنيا وقوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد ظاهرنا وبلها وقد ذكرنا في غير موضع حتى لم ياخذوا على احد منهم وفي قوله يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم بر على خلقه من كثيرة ونعمة عظيمة حيث بعث الرسل من جنس المرسل اليهم احدها ان كل ذي جنس وجوهر مستانس بجنسه وجوهره وينفر من غيره فمن عليهم حيث بعث الرسل من جنسهم وجوهرهم ليستانس بعضهم ببعض ويالف بعضهم بعضا فذلك اخذ للقلوب وادعى الى الاتباع والاجابة والثاني بعث الرسل من قومهم الذين نشاوا بين ظهرهم وعرفوا صدقهم وامانتهم ليعلموا انهم صادقون فيما يدعون من الرسالة حيث لم يظهر منهم الكذب والخيانة قط حتى لم ياخذوا على احد منهم الكذب والثالث ان الرسل لو كانوا من غير جنسهم وغير جوهرهم لم يعرفوا ما اتوا من الايات والبراهين انها ايات وحجج لما لا يعلمون ان وسعهم لا يبلغ هذا وطوقهم لا يصل الى ذلك واذا كانوا منهم يعرفون ذلك اذا اتوا بشيء خرج عن وسعهم انها ايات وقوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا قال الحسن دينا واستكبروا عنها ويحتمل اياتنا حججنا اي كذبوا بحججنا فاذا كذبوا بحججه كفروا به لانه عز وجل لا يعرف من طريق الحس والعيان ولكن انما يعرف من طريق الحجج والايات والدلائل فيكون الكفر باياته وحججه كفرا به ويشبه ان يكون اياته ايات الرسالة وحججها ويحتمل اياته ههنا رسله اي كذبوا برسلنا سمى رسله اياته لان انفس الرسل كانت ايات للخلق تدلهم على وحدانية الله ورسالتهم من اعلام جعلت من انفسهم من صدقهم واما انهم واستكبروا عنها اي استكبروا التدبر فيها والنظر واولئك اصحاب النار لانهم يصحبون النار والسبب الذي يوجب لهم النار ابدا فسموا اصحاب النار بذلك كما يقال صاحب الدار وصاحب الدابة لانه هو يصحبها دائما فعلى ذلك هؤلاء سموا اصحاب النار لما هم يصحبونها دائما ابدا والله اعلم وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته قد ذكرنا فيما تقدم ان قوله فمن اظلم انما هو حرف استفهام وسؤال لا يخرج له جواب لكن اهل التاويل عرفوا ذلك فقالوا لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا اجابوا على ما عرفوا من السؤال والا ليس قوله لا احد اظلم نفسه قوله فمن اظلم اي لا احد افحش ظلما ولا اقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا مع علمه انه خالقه وانه متقلب في نعمه واحاطت به اياديه واحسانه وقوله عز وجل فمن اظلم اي لا افحش ظلما ولا اقبح ظلما ممن افترى على الله كذبا وقوله افترى على الله كذبا قيل الافتراء هو اختراع الكذب من نفسه من غير ان سبق له احد في ذلك كقوله يفترينه بين ايديهن وارجلهن واما قد يكون مما انشاه هو وما قد سبق له احد فسمع منه ثم افتراهم على الله انهم يكون بما قالوا ان له ولدا وبما قالوا بان له شريكا وصاحبة وبما عبدوا غير الله وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ويكون بما قالوا واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ويكون بما حرموا من اشياء على انفسهم فاضافوا ذلك الى الله ونحو ذلك من الافتراء وقوله عز وجل اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اختلف فيه قال الحسن من اطاع الله في امره ونهيه واطاع رسله فقد كتبت له الجنة خالدا فيها ابدا فذلك نصيبه وحظه من الكتاب الذي كتبت له ومن عصى الله وخالف رسله كتب له النار فهو نصيبه من الكتاب وقال ابو بكر الكيساني قوله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي حظهم من الخير والعقاب في الاخرة وهو قوله الشقي

يحتمل وجهين اخرين غير هذين احدهما ما حرفوا من الكتب وغيروها ثم اضافوا ذلك ونسبوه الى الله كقوله فويل للذين يكتبون
الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله وقوله عز وجل وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب
وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله فصار ما حرفوا وغيروه سنة عنهم يعملون بها الى
يوم القيمة فينالون هم جزاء ذلك يوم القيمة والثاني قوله ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والنعمة يستوفون
ذلك المكتوب لهم ثم يموتون ثم قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم على هذا التاويل جاءتهم الرسل بقبض ارواحهم
وهو ظاهر وعلى تاويل من حمل ذلك على الجزاء في الاخرة فهو يحتمل التوفي في النار لشدة العذاب وان كانوا لا يموتون
وهو كقوله ياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي باسباب الموت وعلى تاويل من يحمل قوله اولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب في الدنيا في استيفاء الرزق وما كتب لهم يكون قوله حتى على الاثبات وعلى تاويل من يقول ان ذلك في الاخرة
فيجيء ان يكون على الصلة والاسقاط وقوله عز وجل اين ما كنتم تدعون من دون الله يقول لهم الملائكة في النار على
تاويل هؤلاء على تاويل اولئك عند قبض ارواحهم او بعد قبض ارواحهم وقوله اين ما كنتم تدعون من دون الله
اي تعبدون من دون الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والاكابر
التي ذكر بقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اين اولئك الذين كنتم تعبدون من دون الله
قالوا ضلوا عنا وهلكوا اي بطل عبادتنا التي عبدناها الا ترى انه قال في اية اخرى اذا ضللنا في الارض اي هلكنا وبطلنا
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فان كان قوله اين ما كنتم تدعون من دون الله الكبراء منهم والرؤساء
يكون قوله ضلوا عنا اي شغلوا بامرهم عنا وان كان الاصنام تكون قوله ضلوا عنا اي بطل ما كنا نطمع من عبادتنا
اياهم وهو قوله شفعاؤنا عند الله وقوله عز وجل قال ادخلوا في امم قوله في امم يحتمل مع امم وذلك جائز في اللغة
يقال جاء فلان في جنده قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار المتبوعين والاتباع جميعا معا والعرب تضع
حروف الخفض بعضها في موضع بعض كقوله فادخلي في عبادي وادخلي قيل مع عبادي ويحتمل في موضع كان المتبوعين
يدخلون النار وقيل الاتباع سواء لا ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار وفيه دليل ان الكفار
من الجن يعذبون كما يعذب الكفار من الانس وقوله عز وجل كلما دخلت امة لعنت اختها لعن الاتباع المتبوعين
لما هم دعوهم الى ذلك وهم صرفوا عن دين الله كقولهم اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا وكقوله وقال
الذين استضعفوا وغير ذلك من الايات ولعن المتبوعين الاتباع لما يزداد لهم العذاب بكثرة الاتباع و[illegible]
فيلعن بعضهم بعضا وفيه دلالة ان اهل الكفر وان اختلفوا في مذاهبهم فهم اخوة واخوات بعضهم
لبعض كالمؤمنين بعضهم اخوة واخوات لبعض وقوله عز وجل حتى اذا اداركوا فيها جميعا قال بعضهم هو
من التدارك اي حتى اذا تداركوا وتتابعوا فيها وقيل هو من الدرك لان النار دركات لا يزال اهل النار يهوون
فيها لا قرار لها وفي ذلك اذ في القرار بعض الشيء والراحة فلا يزالون يهوون فيها دركا فدركا وقيل [illegible]
و[illegible] قيل حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي اجتمعوا فيها فعند ذلك يلاعن بعضهم بعضا فان كان على التدارك
فهو كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وان كان على الاجتماع فهو التضييق كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا
مقرنين لا يزال يجتمعون يلعن بعضهم بعضا وقوله عز وجل قالت اخراهم لاولاهم يحتمل قوله اخراهم الذين في اخر الزمان
واولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار واخبر يوم تقلب وجوههم
في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول [illegible] يكون قوله قالت اخراهم لاولاهم ليس على القول بعضهم
لبعض ولكن على الدعاء عليهم واللعن كقوله والعنهم لعنا كثيرا وقوله فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف
قال بعضهم لكل بضعف النار لانها لا تزال تزداد وتعظم وتكبر فذلك الضعف وذلك للاتباع والمتبوع جميعا
وقال بعضهم قوله لكل ضعف اي للمتبوعين والقادة بضعف [illegible] وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة
بعد ان يقال لهم ذلك وقوله عز وجل ولكن لا تعلمون في الدنيا ان لكم ضعفا منها وقيل لكل ضعف ولكن لا تعلمون الحال بان لكل
ضعفا من النار وقوله عز وجل وقالت اولاهم لاخراهم يحتمل اولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وسنوا لهم
لاخراهم الذين كانوا في اخر الزمان ويحتمل اولاهم الذين دخلوا اولا واخراهم الذين دخلوا النار اخيرا وهم الاتباع
فما كان لكم علينا من فضل قيل فيه بوجهين يحتمل ما كان لكم علينا من فضل في شيء فقد ضللتم كما ضللنا اي لم يكن لنا عليكم
فضل سلطان ولا كان معنا حجج وايات فقهرناكم عليه انما دعوناكم الى ذلك فاستجبتم لنا وقد كان بعث اليكم الرسل
مع حجج وايات فلم تجيبوهم وهو كما حكي عن ابليس حيث قال وقال الشيطان لما قضي الامر [illegible] فيقول هؤلاء
القادة للاتباع مثل قول الشيطان لمتبعيه وقوله فما كان لكم علينا من فضل يعني تخفيف العذاب بل نحن وانتم في
العذاب سواء لا فضل لكم علينا في تخفيف العذاب [illegible]
والاخرة في الدنيا وقوله عز وجل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الشرك والتكذيب لايات الله وكذلك جزاء
بما كانوا يكسبون ويعملون وقوله عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل
لا تفتح لهم ابواب السماء قال بعضهم يعني ابواب الجنان لان الجنان تكون في السماء [illegible]
السماء الجنان فيها الا ترى انه قال وفي السماء رزقكم وما توعدون وما يوعد لنا هو الجنة ثم اخبر انها في السماء
الا ترى انه قال ولا يدخلون الجنة ايضا وقال اخرون ابواب السماء هو ابواب السماء وذلك ان اعمال المؤمنين

اي يحتمل ان يراد بحرف في حقيقة
سرح

ترفع

ترفع الى السماء يصعد اليها ارواحهم واعمال الكفرة وارواحهم يرد الى اسفل السافلين كقوله اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه وقال في الكافر ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فاذا كانت اعمال
المؤمنين وارواحهم ترفع الى السماء وتصعد اليها اخبر انه لا يفتح لهم ابواب السماء ولا لاعمالهم ولكن ترد الى
السجين ويمكن ان يكون على التمثيل ليس على تحقيق السماء ولكن ذكر السماء لما ان السماء هو مكان الطيبات من الاشياء
وقرارها لا مكان الخبائث والاقذار والارض هو مكان ذلك واعمال الكفرة خبيثة فكنى عن اعمالهم الخبيثة بالارض
هو معدن الخبائث والانجاس وكنى من اعمال المؤمنين الطيبة بالسماء وهو كما ضرب مثل الايمان الشجرة الطيبة
الثابتة وفرعها في السماء وضرب مثل الكفرة بالشجرة الخبيثة المجتثة من فوق الارض ليس على ان يكون قوله فرعها
في السماء على تحقيق السماء ولكن على الوصف بالطيب والقبول فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل لا تفتح ابواب السماء
لا يستقيم مثله على الابتداء الا على نوازل تسبق خرج ذلك جوابا لها نحو قوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى الاية او ان ذكروا اعمال انفسهم انهم يعملون كذا فقال لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون
الجنة فان قيل كيف خوفهم بما ذكر من سد الابواب عليهم وجعل النار لهم مهادا وغواشا وهم لا يؤمنون
بذلك كله فكيف خوفوا به قيل ان المرء اذا خوف بشيء فانه يخاف ويهاب له ذلك وان لم يتيقن بذلك ولا تحقق عنده
ما خوف به حتى يستعد لذلك ويهيء فان كان على شك من ذلك وظن فعلى ذلك هؤلاء خوفوا بالنار وانواع العذاب
وان كانوا شاكين في ذلك غير مصدقين لما يجوزان بها بهم ذلك او ان يخوفهم بذلك المؤمنين كقوله واتقوا النار
التي اعدت للكافرين وقوله فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين او ان يكون التخويف لمن امن منهم بالبعث
لان منهم من قد امن بالبعث والجزاء والثواب وقوله عز وجل ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
قال بعضهم حتى يدخل البعير في خرق الابرة وقال ابن عباس رضي الله عنه حتى يدخل الجمل الذي يشد به السفينة
في خرق الابرة وقال ابو عوسجة يعني خرق الابرة او المسلة والجمل الحبل والخياط الابرة او المسلة وقال ابن عباس
رضي الله عنه ليس بالجمل ذو القوائم يعني القلس وقال ابن مسعود هو الجمل ذو القوائم الاربع والله اعلم بما اراد وقوله
عز وجل وكذلك نجزي المجرمين اي كذلك نجزي كل مجرم وقوله عز وجل لهم من جهنم مهاد قيل الفرش ومن فوقهم غواش
هي اللحف والغواشي ما يغشاهم فيه النار تحيط بهم من تحت ومن فوق وامام وخلف كقوله افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب يوم القيمة اي لا يتقي لما يحيط بهم العذاب وهو كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
الاية اخبر ان النار تحيط بهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
نفسا الا وسعها قال ابو بكر الكيساني قوله لا نكلف نفسا الا وسعها ليس من جنس ما ذكر من قوله امنوا وعملوا
الصالحات لكنه صلة قوله يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح يقول فيما تقدم
ذكره لا نكلف نفسا الا وسعها واما عندنا فانه يستقيم ان يجعل صلة ما تقدم اي لا نكلف نفسا من الاعمال
الصالحات الا وسعها بل نكلف دون وسعها ودون طاقتها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقال
الحسن قوله لا نكلف نفسا الا ما يسع ويحتمل وهو صلة قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا
يقول لا يكلف نفسا الا ما يسع ويحل لا ما لا يسع ولا يحل وقوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل قال
القتبي الغل الحسد والعداوة وقيل الغل والغش واحد وهو ما يضمر بعضهم لبعض من العداوة والحقد وقيل
الغل الحقد ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل في الدنيا ينزع الله عز وجل من قلوبهم
الغل يعني قلوب المؤمنين ويجعلهم اخوانا بالايمان كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
الاية اخبر انهم كانوا اعداء فالف بين قلوبهم بالايمان الذي اكرمهم به حتى صاروا اخوانا بعدما كانوا اعداء
قال الحسن ليس في قلوب اهل الجنة الغل والحسد اذ هما يهمان ويحزنان انما فيها الحب قال بعضهم هذا في الاخرة ينزع
الله تعالى من قلوبهم الغل الذي كان فيما بينهم في الدنيا ويصيرون جميعا اخوانا كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين وروي عن علي رضي الله عنه قال لارجوان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وعن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت في علي وابي بكر و
عثمان وطلحة والزبير وابن مسعود وعمار وسلمان وابي ذر رضوان الله عليهم اجمعين فينزع في الاخرة ما كان
في قلوبهم من غش بعضهم لبعض في الدنيا من العداوة والقتال الذي كان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والامر الذي
اختلفوا فيه فيدخلون الجنة هذا والله اعلم لان الذي كان بينهم من الاختلاف والقتال كان دنيويا لم يكن بحيث
الدين فذلك يرتفع في الاخرة ويزول واما العداوة التي هي بيننا وبين الكفرة فهي لا تزول ابدا في الدنيا والاخرة
لانها عداوة الدين والمذهب فذلك لا يرتفع ابدا ويشبه ان يكون قوله ونزعنا على ابتداء النزع لا على انه كانوا
فيه كقوله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور ومن النور الى الظلمات على الابتداء المنع اي لولا اخراجه اياهم
من ذلك والا كانوا فيه فعلى ذلك قوله ونزعنا اي لم يجعل في قلوبهم الغل راسا ولو تركهم على ما هم عليه لكان
فيهم ذلك وفيه دلالة ان الله في فعل العباد صنعا لان الغش من فعل العباد يذمون على ذلك ثم اخبر انه نزع
ذلك من قلوبهم واستاذى منهم الشكر بذلك بقوله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا الاية وقد ذم من طلب الحمد
على ما لا يفعل فقد طلب الحمد منهم على ان له فيه صنعا بذلك طلب منهم الحمد والحمد والله الموفق وقوله عز وجل تجري

من تحتهم الانهار ذكر هذا والله اعلم لما علم عز وجل من طباع الخلق لرغبتها في هذه الانهار الجارية في الدنيا فيما يقع عليها الاعين فرغبهم في الاخرة بما كانت طباعهم وانفسهم تميل الى ذلك في الدنيا لترغبوا فيما امروا وينتهوا عما نهى وكذلك جميع ما ذكر في القران من القصور والخيام والجواري والغلمان والاكواب والاباريق وغير ذلك مما يرغب طباع الخلق في ذلك في الدنيا وتميل انفسهم الى ذلك وعدهم في الاخرة ترغيبا منه لهم في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا قال الحسن وغيره هدانا ولنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واما عندنا فليس هو هداية الدلالة والبيان ولكن الهداية التي اكرمهم الله بها بفضله ولطفه وهو توفيقه اياهم على الهدى اخرج مخرج الامتنان والفضل ولو كان دلالة وبيانا لكان لا معنى لذلك على كل احد على الرسل وغيرهم لان عليهم البيان والدلالة فدل انه ليس على الدلالة والبيان ولكن غيره والثالث انه لا احدى عند نفسه انه يزيغ ويضل وقت ما هداه الله ووفقه وقد يجوز ان يكون ذلك في الدلالة والبيان ولا انه لم يحتمل ما قال اولئك من الدلالة والبيان والله الموفق وقال بعض الناس ان المعتزلة خالفوا الله عما اخبروا وخالفوا الرسل عما اخبروا عن الله تعالى وخالفوا اهل الجنة والنار وخالفوا ابليس اما مخالفتهم الله قوله ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ونحوه اما مخالفتهم الرسل قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت انصح لكم الاية وقول اهل النار قالوا لو هدانا الله لهديناكم وقول ابليس قال رب بما اغويتني هو اعلم بالله من المعتزلة وقوله عز وجل لقد جاءت رسل ربنا بالحق يحتمل وجوها يحتمل جاؤا بالحق اي بالدين الذي هو حق او جاؤا بالاعمال التي من عمل بها كان صوابا ورشدا وكل حق هو صواب ورشد ويحتمل جاءت رسل ربنا بالحق اي بالصدق ونحوه بالحق له وجهان احدهما بالحق الذي يستحقه على عباده والثاني انهم جاؤا بالذي هو حق في العقول وصواب وقوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة وقوله تلكم انما يتكلم عن غائب وهم فيها لكن تاويله والله اعلم ان تلكم الجنة التي كنتم وعدتم في الدنيا واخبرتم عنها اورثتموها بما كنتم تعملون اي وربكم وفيه دلالة ان الايمان من جملة اعمالهم حيث قال اورثتموها بما كنتم تعملون وانما يورث ذلك بالايمان وسائر الاعمال انما يصح بالايمان ذكر انهم اورثوا الجنة بما عملوا وان كانوا انما لو نالوها بفضل الله جزاء وشكرا لقولهم الذي قالوا ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقوله عز وجل ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وما وعد المؤمنين عز وجل وما فيها من النعيم واللذات والشهوات بقوله وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله لذة للشاربين هذا الذي وعد للمؤمنين ووعد الكفار النار وفيها من الشدائد وانواع العذاب فاقروا انهم قد وجدوا ما وعد لهم ربهم وقوله عز وجل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ان المراد بالحق الذي ذكر الوعد الذي وعدهم وتفسير الحق الصدق وان كان الموعود فنا وبليه وجدتموه كائنا حاضرا وهو ما ذكرنا في قوله ليعلم الله الذين ابتداء كذا فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين اي وجبت لعنة الله على الظالمين الذين وعدوا في الدنيا وقوله عز وجل فاذن مؤذن بينهم يحتمل الملك ويحتمل غيره وليس يعرف ذلك الا بالخبر وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فان قيل يذكر في الاية نداء اهل الجنة اهل النار واهل النار اهل الجنة ونداء بعضهم بعضا لا يكون الا بحيث يكون بعضهم قريبا من بعض وقد جاء في الاخبار من وصف الجنة وسعتها ما روي ان اقل ما يكون لواحد من الجنة مثل عرض الدنيا وما ذكر ان الحور العين لو نظرت نظرة الى الدنيا لامتلات الدنيا من ضوئها ونورها وكذلك من ريحها وعطرها وقد جاء في وصف النار ان شرارة منها وقعت في الدنيا لاحرقتها وكلام نحو هذا فاذا كان بعضهم من بعض بحيث يسمعون بعضهم نداء بعض لا ينادي اهل الجنة بالنار ولا ينتفع اهل النار بنعيم الجنة وكيف يعرف ذلك قيل والله اعلم وقادر ان يوضع نداء هؤلاء عاسمع اولئك ونداء اولئك عسا مع هؤلاء مع بعد ما بينهما فيسمع كل فريق نداء الفريق الاخر وان يكون الله تعالى ينقص بنية هذا الخلق وينشئهم في الاخرة على غير هذه البنية مع ارتفاع الافات والحجب التي تمنع ذلك فاذا ارتفع ذلك كان ما ذكر والله اعلم وبقرب الجنة من النار والنار من الجنة بحيث يسمع بعضهم من بعض ما ذكر من النداء ويجعل ذلك في اسماعهم بما شاء وكيف شاء كتسبيح الجبال وخطاب النمل وجوابه وقوله عز وجل الذين يصدون عن سبيل الله الصد يكون منع غيره ويكون منع نفسه وقوله عز وجل سبيل الله قيل دين الله قال الحسن سبيل الله دين الله الذي ارتضى لعباده وامرهم بذلك والى ذلك دعاهم رسله وقوله عز وجل ويبغونها عوجا اي يبغون الدين الذي فيه عوج وهو دين الشيطان كقوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فالعوج هو التفرق الذي ذكر في تلك الاية وامكن ان يكون قوله تبغونها عوجا اي طعنا في دين الله وقوله عز وجل وبينهما حجاب يشبه ان يكون ما ذكر من الحجاب ما ذكر في اية اخرى وهو قوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب فامكن ان يكون الحجاب المذكور بينهما هو السور الذي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال بعضهم هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم لم يبشروا بالجنة حتى لا يخافون عقوبته ولا ايسوا حتى لا يطمعون ولا يرجون دخولهم فيها وقال اخرون هم اهل كرامة الله اكرمهم الله بذلك يرفعهم على ذلك السور لينظروا الى حكم الله في الخلق وعدله فيهم وينظرون الى احسان الله فيمن يحسن اليه وعدله فيمن يعاقبهم وقيل هم الانبياء والاشبه ان يكونوا الانبياء يكونون على الاعراف يشهدون على الامم كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقال قائلون هم الملائكة

لكن ملائكة الله ما يسمون رجالا ولم نسمع بذلك والله اعلم بذلك ثم اختلف فيه قيل سموا اصحاب الاعراف وهو سور بين الجنة والنار سمي بذلك لارتفاعه وكل مرتفع عند العرب اعراف وهو قول القتبي وقال غيره الاعراف هو عرف كعرف الديك والفرس وهو ايضا من الارتفاع وقال الحسن هم اصحاب التعريف يعرفون اهل النار عدل الله فيهم وحكمه وان ما حل بهم من الشدائد وانواع العذاب ان ما حل بهم بما كان منهم في الدنيا من صدهم الناس عن سبيل الله واستكبارهم على الرسل يعرفونهم ان ما نزل بهم انما نزل بعدل منه ويعرفون اهل الجنة فضل الله واحسانه اليهم ان ما نالوه انما نالوا بفضل منه واحسانه او قوم نصبهم الله لمحاجة اهل النار كقوله ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فهذه هي المحاجة التي يحاجون بها اهل النار او ان يقال هم قوم نصبوا يترجمون بين اهل الجنة واهل النار يؤدون كلام بعضهم وينهون مخاطبات بعض الى بعض من ذلك قوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم قالوا نعم ونحوه والله اعلم من هم وقوله عز وجل يعرفون كلا بسيماهم قيل المؤمن يعرف ببياض وجهه والكافر بسواد وجهه ويحتمل ما قال الحسن هو ان يعرفوا بالمنازل والاماكن وقوله عز وجل ونادوا اصحاب الجنة يعني نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم ليس ان يقولوا سلام عليكم باللسان خاصة ولكن في كل كلام سديد وقول حسن وصواب كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اي سديدا صوابا وكذلك واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس على ان يقولوا سلام عليكم ولكن يقولون لهم قولا صوابا محكما فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل لم يدخلوها وهم يطمعون اختلف فيه قال عامة اهل التاويل هم اصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون دخولها وقيل هم كفار اهل النار يطمعون ان ينالوا منها كقوله ان افيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين لهذا الوقت كانوا يطمعون دخولها والنيل منها ثم ايسوا بهذا وقال بعضهم هم اهل الجنة يطمعون دخولها قبل ان يدخل اهل الجنة وقبل ان يدخل اهل النار النار وقوله عز وجل واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قيل واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين من شدة ما يرون من العذاب وما نزل بهم وقيل واذا صرفت ابصار اهل الجنة تلقاء اصحاب النار قالوا ذلك وفي حرف ابي واذا قلبت ابصارهم نحو اصحاب النار قالوا عائذون بك ان تجعلنا ربنا مع القوم الظالمين وقوله عز وجل ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ان كان ذلك الدعاء من الانبياء او من اهل كرامة الله الذين كانوا على الاعراف فذلك منهم شهادة انهم ظلمة وكفرة وفيه التعوذ منهم النار لانهم لم يدخلوا الجنة بعد فيخافون التقصير كان منهم في شكر المنعم او بالطبع يتعوذون لما يشعر كل احد اذا راى احدا في البلاء والله اعلم وقوله عز وجل ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال عامة اهل التاويل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون ولكن امكن ان يعرفوا بالاعلام التي كانت لهم في الدنيا سوى سواد الوجوه لانهم يخاطبونهم بقوله قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون فلو لم يعرفهم بالاثار كانت لهم في الدنيا لم يكونوا يعاتبونهم بجمع الاموال والاستكبار في الدنيا ولا يقال للفقراء ذلك انما يقال للاغنياء لانهم هم الذين يجمعون الاموال وهم المستكبرون على الخلق كقوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين ويشبه ان يخاطب الكل وفيهم من قد جمع واستكبر وذلك جائز هذا على تاويل من يجعل اصحاب الاعراف الذين استوت حسناتهم بسيئاتهم وقوله عز وجل اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال عامة اهل التاويل اقسمتم اهل النار ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة ولكن يدخلون النار معهم فتقول الملائكة لاهل النار هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويحتمل ان يكون القسم الذي ذكر في الاية كان عنهم في الدنيا قالوا يقسمون ان يدخلون هؤلاء الجنة يعنون اصحاب رسول الله عليه الصلوة والسلام كقوله ولو كان خيرا ما سبقونا اليه كانوا يقولون ان الذي هم عليه لو كان خيرا لو اهم ذلك اذ ثالوا هم كل خير في الدنيا يعنون انفسهم فعلى ذلك ينالون في الاخرة مثله ونحو ذلك من الكلام الذي يقولون في الدنيا فيقولون لهم في الاخرة هؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة وامكن ان يكون قوله ادخلوا الجنة لاهل الجنة قبل ان يدخلوها وقوله عز وجل لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قال الاصم يكون الحزن في فوت كل محبوب والخوف في نيل كل مكروه كقول يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب ذكر الحزن عند فوت محبوب والخوف عند نيل المكروه ولكن عندنا الحزن انما يكون بفوت الموجود من المحبوب والخوف بما يصيبه من المكروه وقوله عز وجل ونادى اصحاب الجنة اذ افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال الحسن الماء مما رزقهم الله ولكن مكرر مثنى وقال ابو بكر طلبوا الماء ليدفعوا عن انفسهم ما اشتد بهم من الظماء والعطش ثم تقع لهم الحاجة الى الطعام لان الرجل اذا اشتد به العطش والظماء ولا يهيا له الاكل ولكن يشبه ان يكون طلب بعضهم الماء بعضهم الطعام الذي رزقهم الله وهذا جائز وان لم يذكر كقوله وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لم يكن هذا القول من الفريقين ولكن كان من اليهود الا من كان هودا ومن النصارى او نصارى فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين قيل هذا مقابل قولهم في الدنيا للمؤمنين انطعم من لو يشاء الله اطعمه فالهم المؤمنون في الاخرة مقابل ما قالوا لهم في الدنيا ان الله حرمهما على الكافرين وهذا والله اعلم ليس على التحريم ولكن على المنع لان الكفرة لا تبا

بعد ان نالوا ذلك حراما كان او حلالا ولكن على المنع كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع ليس هو تحريم حرمة اكل ولكن منع
ويشبه ان يكون ذلك محرما على المؤمنين اطعام الكافرين ذلك وقوله عز وجل الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا قال الحسن
اتخذوا دينهم الذي كلفوا به وامروا ان يأتوا به لهوا ولعبا وجائز ان يكون قوله اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اي اتخذوا دينهم
الملاهي التي كانوا يلهون ويلعبون كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اي اتخذوا دينهم الذي
وانوا به لهوا ولعبا لانهم كانوا ينكرون البعث وفي انكارهم البعث انكار الجزاء للحسنات والسيئات وفي الحكمة
ايجاب ذلك فمن لم ير ذلك فهو لاه ولاعب واللهو واللعب هو الذي لا عاقبة له وكل من عمل عملا لا عاقبة له فهو لعب
ولهو وكل من عمل لعاقبة فهو ليس بلعب ولا لهو وهم كانوا يعملون لا لعاقبة لذلك كان لهم لهوا ولعبا وقوله عز وجل
وغرتهم الحيوة الدنيا قال بعضهم ان الحيوة الدنيا لا تغر احدا ولكن اضيف اليه التغرير لما كان سببا من اسباب
الاغترار بها فاضيف اليها كقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا اضاف الفرار الى الدعاء وقد يضاف الشيء الى سببه
كقوله والنهار مبصرا اي يبصر به وقال بعضهم اضيف ذلك اليها لما كان منها من السبب من الهيئة ما لو كان ذلك
من ذي العقل والتمييز كان ذلك غرورا من نحو التزيين وغيره وجائز اضافة التغرير اليها على ارادة اهلها اي غرهم
اهلها وهم القادة والرؤساء وقوله عز وجل فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا لا يجوز ان يضاف النسيان
الى الله تعالى بحال ولكن يجوز ان يقال يجزيهم جزاء نسيانهم فسمى الثاني باسم الاول وان لم يكن الثاني نسيانا نحو قوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية ليست بسيئة ولكن جزاء السيئة لكن سماها باسم السيئة لما هي جزاؤها فعلى ذلك
هذا وكقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه والثاني ليس باعتداء ولكن جزاء الاعتداء فسماه باسم الاعتداء
لما هو جزاؤه فعلى ذلك سمي الثاني نسيانا لانه جزاء النسيان ولان كان الله لا يجوز ان ينسى او يسهو عن شيء او يغفل
ولان في النسيان تركا وكل متروك منسي فيتركهم في العذاب والهوان كما تركوا امر الله ونهيه في الدنيا وقال الحسن
ان الله لا ينسى شيئا ولا يسهو ولكن الكفرة يكونون على الكرامة والرحمة والمنزلة كالشيء المنسي وعن العذاب
والهوان لا او كلام نحو هذا وقوله عز وجل وما كانوا بآياتنا يجحدون قال بعضهم ما ها هنا صلة كانه قال وكانوا
بآياتنا وقال بعضهم هو جحودها كما ذكر اي اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وكما كانوا بآياتنا يجحدون وقوله عز وجل
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه [illegible] يحتمل قوله فصلناه بيناه والتفصيل التبيين ويحتمل قوله فصلناه اي فرقناه وانزلناه
لم ينزل جملة واحدة كقوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس [illegible] وانزلناه على قدر النوازل بهم ليعملوا [illegible] انه
نزلت بالنوازل التي وقعت بهم لا تقع لهم الحاجة الى معرفة ما لم يقع بهم نزلت عليهم على حدة بل يعرفون ذلك
بالنوازل وانزله متفرقا او ان يكون معرفة ما فيه من الاحكام اذا كان منزلا بالتفاريق اهون واسهل على الطباع
عن معرفة ما فيه اذا انزل جملة ثم قوله فصلناه على علم منه يحتمل وجوها يحتمل فصلناه اي بيناه بالحجج والبراهين
على علم منه ان الخلائق لا يقومون باتيان مثله ليعلموا انه [illegible]
يكذب ولا يتبعه او على علم منه بمصالح الخلق ان انزله لصلاح الخلق او على علم منه عما ملة القوم اياه [illegible] الا ان المنفعة
في انزال المنزل عليهم لا للمرسل والمرسل فصور الهدى والمنفعة لهم وقوله عز وجل هدى ورحمة لقوم يؤمنون قال
ابو بكر هو هدى للكل للمؤمن والكافر جميعا ورحمة للمؤمنين خاصة واما عندنا فهو هدى للمؤمنين وعمى على الكافرين
على ما ذكر وهو عليهم عمى حيث المؤمنين بالهدى لهم لانهم هم المخصوصون بالانتفاع به دون اولئك وعلى اولئك عمى
ورجس على ما ذكر وصار للمؤمنين حجة على اولئك وقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم هذا للكافرين وقال للمؤمنين
فزادتهم ايمانا وقوله عز وجل هل ينظرون الا تأويله اي ما ينظرون الا وقوع ما وعدهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم من نزول بأس الله بهم اي لا يؤمنون الا بعد وقوع البأس بهم لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت يوم يأتي تأويله
يقول الذين نسوه من قبل والتأويل هو ما ينتهي اليه الامر ويؤول وما يقع بهم من البأس الموعود لهم وايمانهم ما ذكر من
قولهم قد جاءت رسل ربنا بالحق يعني الواقع بهم من بأس الله الذي كانت الرسل تعدهم اي ان ما وعدوا من وقوع
البأس بنا كان حقا ويحتمل قوله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي بالتوحيد اي ان الذي جاءت به الرسل في الدنيا من التوحيد
كان حقا او ان الذي اخبر الرسل من هذا اليوم كان حقا وقوله عز وجل فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا كانهم اذا حل بهم
ووقع ما اوعدهم الرسول من البأس تمنوا عند ذلك الشفعاء الذين كانوا يعبدون وهم في الدنيا كقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله او طلبوا الشفعاء كما كانوا يطلبون في الدنيا شفعاء اذا بدا لهم امر عظيم فيشفع بعضهم بعضا ويعين
بعضهم بعضا في هذه الدنيا فعلى ما كان لهم في الدنيا تمنوا في الآخرة ذلك فاذا ايسوا عن ذلك وايقنوا ان لا شفيع
يشفع لهم فعند ذلك قالوا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل لانهم قالوا ذلك مجموعا كقوله يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات
ربنا الى قوله لعادوا لما نهوا عنه وقال آخرون لو ردوا الى المحنة الى الامر والنهي لعادوا الى العمل الذي كانوا يعملون ثم
اخبر انهم قد خسروا انفسهم بعملهم الذي عملوا في الدنيا وبعبادتهم غير الله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي بطل عنهم
ما كانوا يفترون ان هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وغير ذلك من الافتراء ذلك
كله قد بطل عنهم فبقوا حيارى وانقطع رجاؤهم وامانيهم الذي طمعوا فقوله قد خسروا انفسهم عن رحمة الله
وقيل قد عدموا الو اطاعوا وقيل اهلكوها وقوله عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وذكر ما بينهما في مواضع ولم يذكر في مواضع وذلك داخل في ذلك بقوله قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين

ويجعلون

ويجعلون له اندادا ذلك رب العالمين الذي صنع ذلك وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
ثم جمع اليومين الاولين مع هذا الذي ذكر انا فيه وقال في اربعة ايام سواء للسائلين ليعلم ان ذا خلق في يومين ثم
قال استوى الى السماء الى قوله فقضاهن سبع سموات في يومين فتصير ستة الايام التي ابهمها في غير ذلك والله اعلم
ثم قد بين عز وجل فساد قول كل من عبد غيره وعجز كل ذلك عما له يعبد وجهله بمعنى العبادة وخروجه عن الاستحقاق
بما فيه من آثار التدبير وعليه من دلالة التقدير واستحقاق جميع ما في الخلقة ودخوله تحت الصنعة وحاجته الى من
احتاج اليه كل مما هي التي تبعث على العبادة وتوجب اظهار الذلة والخضوع لمن هو كذلك في الخلقة والجوهر فالزمهم
الفزع المميز بالحجج الى رب الحق ويدعوهم الى المعبود المتعالي عن الاشباه والاضداد بما يوجب الشبه والمشاكلة وفي وجوب
ذلك دليل على انه ذلك شهادة وذلك اثر الصنعة ودلالة الحدث وتحقيق الضد خوف ذهاب وفساد فتضمحل الالوهية
تستوجب حق الدخول تحت التقدير والقيام على ما شاء من له التدبير جل الله سبحانه عن توهم ذلك فاكرم من بعث الحاجة
الى معرفته ورفعته الخلقة الى العلم بمن انعم عليه واخصه من بين كثير من خلقه بما ركب فيه ما يريد بامر غيره وبه يعرف
قدر النعم عليه لمن اكرمه به يشكره فيما اولاه ويحمده على اعطاه فمن بازائها ورد ذلك على لسان رسوله الذي عرف خلقه بما
نصب من دلالة صدقه وائتمن بحجج عصمته عن الكذب فيما ينبئ واصابته فيما يخبر فقال ان ربكم الله الذي لا رب غيركم
سواه ولا وحد من الخلائق هو الله الذي لا اله غيره ليوجهوا اليه العبادة في الحقيقة وليفزعوا اليه شكرا لما انعم عليهم
وان كانت نعمه اعظم من ان يجزيها العباد وحقه اجل من ان يقوم به العباد ولولا ان الله سبحانه لم يرد من البيان على ذكر
والدليل على الوهية سوى ما انطق به على لسان رسوله بعد الا يتاح انه لا ينطق الا بالحق ولا يقول الا الصدق لكان
ذلك بيانا شافيا لكنه بفضل رحمته بين الادلة التي تحقق ذلك وتعلم انه كما اخبر رسوله الا ان يعاند الحق ويكابر العقل
فقال عز وجل الذي خلق السموات والارض الى آخر ما ذكر دلالة خلق ما ذكر من آثار التدبير وتحبب التقدير الذي به قوام كل
من يحتمل المنافع والمضار واتصال ما بين السماء والارض على تباعد بعض من بعض في المنافع مع جمع الاضداد التي من طبعها
التنافر في اصل ما ذكر حتى صارت كالاشكال بعد ان كانت السموات والارض متشبهة لا تنعدما قبلها من الحكمة ولا بالذي فيه
من انه من اي وجه يقضي الحاجة ليدل ان مدبر الكل واحد وانه عليم حكيم وضع كل شيء موضعه ودل كل ذي عقل على الوجه
الذي يظفر بحاجته ويقيم به اوده ويصل الى بغيته وسخر الذي ذكر فصير كلا من ذلك جارا دائبا بما لا ينتفع به هو ولا مضرة
عليه فيه ليعلم انه لغيره قدر ولحاجة غيره سخر وكذلك الذي جعل على القرار واسكن عن الزوال من غير ان كان له في حقيقة
الوجهين نفع او ضر ليعلم ان تدبير ذلك جرى لا له ولكن لاهل المتحنين الذين بهم يظهر العز والشرف وينيل الجود والكرم
ويعظم الملك والسلطان اذ عندهم تمييز الاحوال وتفريق الامور وتوجيه كل الى حقه واعطاء كل ذي فضل فضله
فيعلم من هذا وصغر انه لم ينشأ عبثا ولا خلق باطلا اذ به يعظم قدر كل خلق ويشرف جلالة كل جليل لم يحرما مهما مثله
فيكون خلق الجميع لغير شيء معنا في ذلك من فنائه وتبدده الذي في الحكمة قصد مثله في العقل يوجب العبث ثبت انه
خلق المحنة ولدار البقاء لكن جعل البقاء جزاء والفناء محنة ليكون البقاء هو المنتهى فيعظم القصد في الابتداء اذ فاسد ان
يجعل المحنة للبقاء فيدل على حاجة الممتحن مع ما في ذلك زوال الجزاء اذ محال تقدمه على ما له الجزاء والله الموفق ثم
الاصل ان الله سبحانه جعل العقل جزءا من عالمه وجعله دليلا لاهله في معرفة المساوي والمحاسن وعلما التمييز بين الحكمة
والسفه وبين الاتقان والعبث وجعله بالذي يعرف المحمود من المذموم والمرغوب فيه من المرجو عنه فلم يجز ان يكون انشأ
كل العالم على غير الحكمة لا تسفه وهو بالذي جزء من العالم يعلم بالذي هو من الحكمة ثبت انه انشأ الحكمة وعلى ذلك نقد بركل
عاقل على احتمال ما يصنع وينفعه بحق الجزاء والمحنة فثبت ان ذلك المحنة وان المحنة تم الهلاك بلا جزاء ولا نفع للممتحن عبث
ايضا وسفه فلزم به القول بالبعث واثبات دارين معا كان لكل شاهد دليل غائب يحمد عليه او يذم وكذا فعل كل ذي عقل انما
هو لما فيه يحمد عليه او يفعل عنه فيلزم عليه فعلى ذلك امر تدبير هذه الدار من اخرى فلا يجوز ان يخلي الجملة عن الدلالة ولا يخلو
جزء منها وجملة الافعال عن العواقب والواحد منها اذ اخرج يصير عبثا وسفها فثبت بالذي ذكرت القول بالتوحيد
وبالدارين وبالرسالة اذ بها يعرف العواقب بما هي غايبة وحقايق كل غائب تعرف بالاخبار عنها والدلالة عليها ثم
لا دلالة على ماهية الجزاء ولا الشكر ولا العبادة الا الدلالة من حيث التدبير على العلم بها جملة لزم القول بالرسل ولا قوة
الا بالله ثم قوله في ستة ايام يحتمل وجهين احدهما خلق اصول الاشياء التي يكون غيرها يحق التوالد من ذلك
والا تغالب ويحتمل ان يكون على خلق كلية كل شيء مما عليه تركيب هذا العالم ان يبدل بعالم آخر لا يبيد ولا يفنى فان
كان على الاول فهو ستة من السبعة التي عليهما مدار المدد والازمنة اذ جعل جلت ثناؤه جميع ما ذكر من الخلائق تحت الاز
والاوقات ويزول بزوال مدارها وكذلك عندنا كل الحوادث اذ الكل منها بد ابصير ذلك وقت ابتدائه وذلك ينقض على
الباطنية قولهم المبدع الاول لا يقع عن الزمان والمكان وانه لا يبيد ولا يفنى ولو كان كذلك لم يكن مبدعا ولكن كان
كان قديما لا يقع عليه الابداع فلما وقت ثبت له الحدوث فيجب وصفه بالوقت من حيث الابتداء وهو ايضا معلول عندهم
وعلته قبله وهو الابداع مما لو زالت علته لبادوا ذا ثبت انه معلول ثبت ان علة اوجبته واحدثته بعد ان لم يكن فوجب
له وقت به كان او كان قبله والله اعلم ثم على هذا كان انشاء من ذكر في الايام الستة ولم يذكر في ذلك ممتحنا فيشبه ان
يكون وقت كون الممتحنين يوم السابع وبهم تم ظهور الملك واستوى على العرش وهو الملك اذا لم يكن قبل ذلك من
له التمييز ومعرفة الملك والسلطان وقدر العلم بانها مدونة لي واصداد ذلك انما يكون باولئك الذين ركب

فيهم العقول واكرموا بالتمييز وبما لهم يجعل العالم وهم المقصودون من الانشاء لذلك جعل كل من سواهم مسخرا لنا فهم داخلة
تحت افهامهم مما يحتمل اكثر ذلك تدبر ليعلم انهم قصدوا لانفسهم والمعرفة ما عليهم من شكر النعم والعبادة فكان زمنهم
ظهور تمام الملك وبلوغه النهاية فاخبر بالاستواء اذ هو وصف العلو والرفعة ووصف التمام في الرتبة والقدر كقوله
ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وذلك في معنى الاستواء على العرش من حيث ظهور الملك وبيان الحجة والربوبية
للمستدلين والمعتبرين وان كان التاويل هو الثاني يخرج على وجهين احدهما ما قال بعض اهل التفسير ان كل يوم من ايام
الاخرة وذلك الف سنة لم يبين لنا مقدار ذلك فجائز ان يكون منتهى تدبير هذا العالم الى ذلك ستة ايام بمعنى ستة آلاف
بمعنى الاف سنة على القدر الذي قدره الله ثم يكون اليوم السابع هو يوم القيمة لا يبيد ابدا ولا ينقضي فيه تبدل
العالم ويقر كل محق له بالملك والجلال وان كان كذلك في الازل ففي ذلك اتفاق القول من طريق الاخبار والعلم بذلك
من كل جبار وغيره وعلى نحو ما قيل لمن الملك اليوم وقيل وبرزوا لله جميعا وقيل والامر يومئذ لله ونحو ذلك على ان له
الملك ابدا وكذلك لم يكن يخفى عليه شيء لكن ذلك مما يعلم كل اثر كذلك فبذلك يتم ظهور كل معنى من ذلك
وان كانت حقيقته موجودة قبل ذلك وعلى ذلك القول حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونحو ذلك انه اذ ذلك يظهر كل
معلومه فاضيف اليه بحرف الابتداء وهو عن ذلك متعال فعلى هذا جميع ما بينا وبذلك ظهور تمام شرائط الملك
والاعتراف من الكل بذلك والله اعلم والثاني ان يكون تلك الايام الستة على ما في علم الله تقدير لا يعلم احد سواه
الا من طريق الجملة التي ادى وقد بين يوما كخمسين الف سنة ويوما كالف سنة هذه لا يعلم غيره ثم كان اليوم
السابع يوم التنازع وتقع العقوبة والمثوبة وهو المقصود من خلق العالم الاول فيكون ما ذكرت من تمام الظهور
والله الموفق وعلى هذا الوقت بما قيل يحملون العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قيل لبيان المراد
من هذا العرش الاول وجائز ان يكون هذا هو السرير المعروف منشاء من النور ومما شاء ليكرم به اولياءه يوم
القيمة والاول هو الملك الذي ظهر تمامه وعلوه على ما بينا ثم لو كان العرش الذي قال عز وجل الرحمن على العرش
استوى هو ما فهمه اهل التشبيه من مكان لم يكن يجب ان يفهم من الاستواء عليه الاستقرار عليه الاستقرار وان
يكون لله مكان يوصف بالكون فيه وعليه لا نرتاب في كون احد في مكان وان جل قدره وعظم خطره رفعته
ولانباهته فيما يتعارف من امر الملوك والاجلة بل كل منسوب الى مكان من جهة التمكن فيه والقرار منسوب الى استغنا
وحاجة منه اليه جل عن ذلك وعلى انه اما ان يكون مثله او اعظم منه لكان له عديلا بالعظمة او دونه ومن السخف
الجلوس على مكان لا يطمئن به او يقصر عنه اذ قد يجوز ان يزاد فيه فيكون اعظم منه جل الله عن هذا الوصف وتعالى
بل كان ولا مكان فهو على ما كان يتعالى عن الاستحالة والتغير اذ هو اثر الحدث وامارة الكون بعد ان لم يكن ولا قوة
الا بالله ثم الاصل انه لو كان فهو باضافته الى العلو عليه تعظيم له وعلى ذلك في كل يضاف الى الله والله اليه من جهة
الخصوص فهو على تعظيم ذلك لا على ان يفهم منه ما يفهم مثله من الخلائق نحو القول بان المساجد لله وناقة الله
وزينة الله وحدود الله ونحو ذلك فما بال الشبهة فهمت من اضافة الاستواء على العرش المعنى المكروه على ان
الاستواء معاني سوى الذي ذكروا اذ يقال استوى ثم واستوى قصد واستوى استقر واستوى استولى فاذا
كان معناه يتوجه الى هذه الوجوه لم يحتمل ان يكون احد يقدر من ذلك اذ ثم ما يتوجه اليه ويعتمد عليه لولا الجهل
به ثم الاصل ان الاضافات الى الاشياء يفترق المقصود بها وان كان في ظاهر المخرج واحد باختلاف من اليه القصد
بالاضافة والاضافة جميعا يقال جاء الحق وجاء فلان وبيت فلان وبيت الله وقيل في الملائكة وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة وقال في الفسقة اولئك اصحاب النار ونحو ذلك لا على الجمع في المعنى فالاستواء الذي يتوجه
الى وجوه احق بذلك والله الموفق ثم قيل في قوله ثم استوى على العرش بوجوه احدها ما قال ابو بكر الاصم هو التقديم
والتاخير كانه قال ان ربكم الله الذي استوى على العرش ثم خلق ما ذكر فيكون معناه خلق كذا وقد استوى على العرش
كقوله خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها بمعنى وقد جعل منها زوجها وعلى هذا اللبس في قوله ان ربكم الله
الذي استوى على العرش الشبهة التي في الاول كما لم يكن في قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اذا صرف الى عند شبهة
فيكون وقد استوى خلق العرش كقوله ثم استوى الى السماء بمعنى ثم خلق السماء او قصد خلقه ونحو ذلك وقال
الحسن ثم استوى على العرش اي استوى عليه امره وصنعه اي لم يختلف عليه صنع العرش وامره والاجلا مرتبه
وصنعه كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة على استواء الامر في التدبير والصنع وقال الحسين معناه
استولى على العرش كما يقال استوى فلان على بغداد بمعنى استولى وقال قوم معناه استولى عليه وهو فوق كل شيء
في القدرة والعظمة تعظيما له على غير اختلاف عليه في التحقيق بينه وبين غيره كالذي ذكر بان الامر كله يوم
القيمة له والمساجد له على التفضيل دون تخصيص له في ذاته من حيث ذلك وقال قوم اذ كان العرش فوق كل شيء
في تقدير المعارف فقال هو علاه بمعنى لا يوصف في الخلق ولكن على ما كان ولا خلق ونحن نقول وبالله التوفيق
قد ثبت من طريق التنزيل بانه استوى على العرش وقد لزم القول بانه ليس كمثله شيء وعلى ذلك اتفاق القول انه لا يقيد
كلامه بما عرف من كلام الخلق ولا فعله بروما يوجبه ولا علمه ولا ما قيل هو رب كذا ومالك كذا لا يراد به
المفهوم من الخلق لكن الوجه الذي يليق به وما يوجبه حق الربوبية فمثله في الاول ثم يلزم تسليم المراد عنده
اذ لم يتبينه لنا وقد ثبت نفي ما يفهم من غيره وبعد فان القول فيه بالمكان يفسد بالذي به يحتج بوجوه احدها

ان قوله

ان قوله ثم استوى على العرش اخبار عن فعله الذي في التحقيق يضاف اليه في خلق الخلق على اختلاف المخرج في القول
نحو ان ذكر مرة ابدع ومرة فطر وجعل وانزل واثبت وكتب واعطى وانشاء وغير ذلك من الالفاظ حقيقة ذلك
اثر خلق اذ ذلك معنى فعله في الحقيقة وعلى ذلك كون وفعل وامر في بعض المواضع يجب توجيه كل من ذلك
الى الوجه الذي يليق فيه القول بخلق وكذا في هدى واضل وزين واتقن واحكم ونحو ذلك فكذلك في قوله ثم
استوى على العرش يجب ان يقابل بذلك بخلق اذ هو اضافة الى فعله ثم يخرج على وجهين احدهما ثم خلق العرش
ورفعه واعلاه بعد ان كان العرش على الماء كقوله ثم استوى الى السماء وهي دخان وليس ثم تنقل من حال الى حال اذ لو
كان كذلك لكان يصير حيث ثم ينتقل من خلق الى خلق فيما يخلق فيكون في الوقت الذي يصير الى العرش صابرا الى الثرى
وفي الوقت الذي يحدث خلقا في الارض وما في السماء منتقلا من ذا الى ذا وذلك تناقض فاسد وفي ذلك بطلان
معنى القول بالاستواء على العرش بل يكون ابدا غير مستو عليه حتى يفرغ من خلق جميع ما يكون ابدا وذلك
متناقض فاسد جل الله عن هذا التوهم وبالله التوفيق والثاني ان يكون قوله ثم استوى على العرش في خلقه
ورفعه وتمامه دليل احتمال على ذلك ان من حروف الخفض قد يوضع بعض موضع بعض كقوله اذا اكتالوا على
الناس بمعنى من الناس وقوله اذ وقفوا على ربهم بمعنى عند ربهم مع ما قال الله ان علينا بيانه وعلى الله قصد
السبيل بمعنى اليه وعلى ذلك ثم استوى على العرش الى العرش وهو على الماء كما ذكر في رفعه وتمامه كما قال ثم استوى
الى السماء وهي دخان فخلق ما ذكر والله اعلم والوجه الثاني المذكور في الاية من اسم الرب وخلق وتسخير الذي
وصف ثم لم يتوهم في شيء من ذلك المعنى الذي يضاف الى الخلق انه رب كذا وسخر كذا وصنع كذا بالحد والا بوجه
فكيف احتمل قلب المشبهين في قوله الرحمن على العرش استوى لوجهله بر وتقديره بالذي عليه او نفسه
والله الموفق والثالث ان الناس في خلق مختلفين فمنهم من جعله الخلق نفسه دون ان يكون الله بذاته
يلحقه وصف سوى اضافة الخلق اليه وان كان به فعلى ذلك قوله ثم استوى على العرش انما هو ما ذكر من غير
ان كان سبحانه يلحقه وصف لم يكن له ومنهم من يراه خالقا بذاته ليكون جميع الخلائق الى الابد بتكوينه الذي
الذي يعبر عنه بقوله كن من تغير ان كان ثم كاف او نون على كون كل شيء عليه به من غير تغيير عليه ولا زوال عما
كان عليه اذ لا شيء غيره فكل معنى لو حقق اوجب تغيرا او زوالا او قرارا ونحو ذلك فالله يجل عنه ويتعالى
اذ ذلك علم الحدث وامارة التغير ولا قوة الا بالله والرابع هو الذي يرى فعله على ما عليه فعل الخلق من التحرك
والزوال والتكون والقرار اضافة من ذلك وصفا المكان دون مكان وحال دون حال لحال فاسد لذلك بطل
القول بالمكان في جميع الافعال وابدا الذي ذكرت ما ختم به الاية من قوله تبارك الله رب العالمين وصف ذاته بالرفعة
بالتعالي من جميع معاني المربوبين اذ من حيث التشاكل يوجب خروجه من ان يكون ربا والاخر مربوبا فاذا ثبت ان
كل شيء من كل جهة مربوبا ثبت سبحانه بريء من ذلك الوجه والله الموفق ثم قوله خلق السموات والارض في ستة
ايام هو على وجهين احدهما اظهار ما بينهما على ما يجري الذكر به في غيره والثاني ان ذكر من وقت ابتداء الكون
الى الانتهاء لا على تحقيق ذلك في كل وقت كما يقال كان كذا في شهر كذا لا على احاطة كلية اجزاء الشهر به
فمثله معنى ستة ايام ومعنى التوقيت ليس الى حاجة الى ذلك اذ الوقت داخل فيما خلق لكن على وجه وان كان الله
سبحانه قادرا على انشاء جميع ما ذكر بقعة وحان ما ذكرت من معنى الايام لمداد مد الخلق واطول ما عليه
يفنى الاعمار والثاني على بيان منتهى العالم والثالث على ادخل كل ذلك مع علو درجات كثير منها وجلالة اقدار
ها في الاعين حتى لا احد ينظر اليها الا بالتعظيم وحتى يكثر منها قام تدبير العالم وحتى عبد دون الله تعظيما وان
كان في ذلك دلالة خروجه عن الاستحقاق فصيرها الله داخلة تحت الازمنة والمدد مقهورة بها حتى لو يد
بكل جهد وحيل اخراج شيء من ذلك وتخليص الجبابرة من ذلك لما تهيا لهم ليعلم ذلة الخلق وامارات الحدث وعلامة
الحاجة ثم كانت الاوقات مترادفة متتابعة لو اسقطت عنها الاولية لبطل الكل ولما جاز الحساب بالواحد و
لا انتهى الى ما هو بعد للمضي ليعلم باولية كل شيء من العالم وحد ثم مع ما جعلت الايام تدور على امر واحد بها بجميع
المحتاجين من ذكرت فثبت لذلك باسماء معروفة ليمكن قصد كل منها على الاشارة اليه باسمه المعروف ليحفظ
المراعيه ويعلم به ما يجب من الحقوق ويبطل والله اعلم ثم الاصل اذ جعلت هذه الدار دار المحنة انما تكون بمختلف
الاحوال لاختلاف نحو موت وحيوة وصحة وسقم وغنى وفقر وفي جمع الخلق على حالة منها الجهل بامتدادها وفي ذلك
الجهل باللذات والالام فيجب بذلك اختلاف الاحوال وعلى ذلك يجري امر خلق الخلائق وعلى ذلك امر الارزاق وغير
نعمى ذلك امر خلق ما ذكر في ايام مختلفة ثم يجمع في البعث بمرة وفيما ليس من حال اللذات والتعب بمرة معا كان اختلاف
الاحوال اقرب الى الدلالة واوضع للحجة فلذلك جعل في هذه الدار الزام الحجة واظهار المحنة والكلفة والله الموفق والا
اذ العقول انشات متناهية تقصر عن الاحاطة بكلية الاشياء والافهام متناقصة من بلوغ غاية الامور اذ هي
من اجزاء العالم الذي هو بكلية متناه واسباب الادراك التي يدرك بها باداء المشاعر التي تعجز عن كنه ما يقع عليها
من الظواهر فضلا عما استتر منها واذا كان هذا وصف ما يدرك به مبلغ الحكمة فهي قاصرة عن الاحاطة بالحكمة الموضوعة
من البشر فمن رام الاحاطة بها او بلوغ حكمة الربوبية من غير اشارة منه فهو يظلم العقل ويحمل عليه ما يعلم عجزه عنه
ومعلوم ان المذكور من الايام في خلق ما ذكر حكمة بالغة وان قصرت العقول عن الاحاطة اذ الذي قدرها هو الذي

جل الحكمة واوجب لاهل العقل ذم السفه واهله فاوجب ذلك تحقيق الحكمة لذلك وان لم يبلغها الا مقدار ما يكرم به والله
الموفق وقوله وسخر ما ذكر فكذلك سخرهن بالسير فيما يرجع الى منافع الخلق وجعل فيهن اثر لولا العيان لم يكن يصدق به احد ممن
يجحد البعث والرسل ونحو هو ان الخبر من سير نجوم واحد في اليوم الواحد مسيرة اكثر من الف سنة وتولد جواهر معونة
من يبعد عنه مقدار خمسمائة عام وتنضج كل شيء وصلاحه به لا يبعد عن احتمال القبول عن اعادة عند الفنا وارسال الرسل
باعلام ما خفي من المصالح والامور اذ ذلك امر متعالم في صنع الخلق مما في ذلك فيما به تقلب الزمان من الليل والنهار ولكن
الله سبحانه اظهر لهم من قدرته وعظيم حكمته بما بسط لهم بغلظها وسعتها ورفع عليها السماء بغير عمد يرى فاقر كلا من
ذلك لحاجة اهلها الى قرارها وسير فيها بالتسخير ما ذكر لحاجة الاهل في تسيير ذلك ليعلم ان لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه
امر ولا يدخل في تدبيره عوج ولا في خلقه تفاوت وان الذي اظهر اذا قوبل بالذي وعد بنا عف عليه بوجوه لا مع
ما كان الذي اظهر هو ابداع على غير احتذاء وانشاء لا عن مادة لا والله الموفق ثم من عجيب قدرته سبحانه في قوله
يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا ان الله تعالى يظهر النور في ابتداء النهار من طرف السماء والظلمة في اول الليل ثم ينشر ذلك
وينبسط في جميع اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع الاقطار والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة العين مما
لو اريد تقدير ذلك بالهندسة وبجميع ما في الخلق من المقادير لما احيط ذلك النور والظلام ليعلم ان الله
على ما يشاء قدير وانه لو اراد خلق جميع ما ذكر في ادق مدة والطف وقت وانه القادر على البعث وجميع ما جاء
بالخبر عنه الرسل على انه بالذي ذكرت يلبس وجوه كلية الاشياء ويستر ويجليها بطرف عين بالتدبير والعلم
الذي بما يوجب ذلك مما يعجز عن توهم مثله جميع الحكماء فضلا عن ادراكه ليعلم انه عليم لا يجهل عزيز لا يعجزه شيء
حكيم لا يتفاوت صنعه ولا يتناقض تدبيره ولا قوة الا بالله وقريبا من ذلك ما جعل في جوهر الانسان من البصر
الذي يبصر باول احوال الفتح قدر خمسمائة سنة والفكر الذي يبلغ به من غير ان يزول عن مكانه منتهى مرجع الخلق
من الجنة والنار ويبصر به المعاد والمعاش والعقل الذي يعرف حقائق من غاب عنه وحضر مما له صورة وطينة
او احدهما وما ليس له واحد من الامرين على قصور الحواس عن ادراك صورة شيء لا طينة له ليعلم ان الذي قدر
على تقدير مثله في جوهر واحد وعلم كيف يضع فيه ليعلم ذلك العلم قادر على كل شيء حكيم عليم وهذا معنى ما قيل ان
الانسان هو العالم الصغير يعني انه يوجد فيه لكل امر من الامور العالم الكبير فيه مثال ولا قوة الا بالله وقوله
بامره قال ابو بكر يحتمل وجهين احدهما انه امره كما يقال اتاه امر الله اي الموت والعذاب ونحو ذلك على ارادة
ذلك ترك به والثاني ان يطلعن ويغربن بامره توحيد الله والايمان فيه بما هو فيهن من عجيب الحكمة ورفع التقدير
وقال الحسن بامره الذي به كون الاشياء من قوله كن فالقول الاول هو قول من لا يرى خلق الخلق غير الخلق والثاني
قول من يرى كن عبارة عن التكوين الذي يكون به الخلق ابدا لا بدين من غير ان ثم في الحقيقة كاف او نون لكنه جاء بما
يفهم به المراد من الكلام مراد في ذلك نفي الصعوبة عنه وتيسر الامر عليه ويكون في الحقيقة غير الخلق اذا اخبر
في الخلق انه كان به وكل شيء يكون بشيء في المتعارف فصل القول يكون غيره وكذلك قوله الا له الخلق والامر فيه
وجهان احدهما الاخبار عن تكوين الخلق الذي هو له والثاني عن الامر في خلقه بم شاء ولا يرد شيء من امره عن الوجه
الذي امر والله اعلم وقوله عز وجل يغشي الليل النهار يذهب بضوء النهار وظلمة الليل وضوء النهار بظلمة الليل
اذا جاء هذا ذهب سلطان الاخر يطلبه حثيثا قيل سريعا وهو ان الله عز وجل يظهر النور في ابتداء النهار
في طرف من اطراف السماء والظلمة في اول الليل ثم ينشر ذلك في جميع اطراف السماء والارض وما بينهما من جميع الاقطار
والجوانب في قدر لحظة بصر وطرفة عين مما لو اريد تقدير ذلك بجميع ما في الخلق من المقادير ما قدروا عليه ليعلم
ان الله على ما يشاء قدير وانه لو اراد ان يخلق جميع ما ذكر انه خلق في ستة ايام لقادر ان يخلق في طرفة عين لكنه خلق
في ستة ايام لحكمة في ذلك وقوله عز وجل يطلبه حثيثا لا يكون مما ذكر طلب حقيقة لكن ذكر الطلب لان ما كان
من كل واحد منهما للآخر لو كان ممن يكون له الطلب كان طالبا وهاربا من غلبة كل واحد منهما صاحبه
وهو ما ذكرنا في قوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا انها انشئت على هيئة وجهة لو كان ذلك ممن يكون منه
التغرير كان غرورا وقوله عز وجل مسخرات بامره قال بعضهم بامره اي بتكوينه اي انشاها وكونها مسخرات
لهم قال بعضهم بامره منفعة للبشر وقوله عز وجل الا له الخلق والامر قال بعضهم الامر ههنا هو التكوين وقيل
الا له الخلق والتدبير في الخلق وقيل له الامر في الخلق وقوله عز وجل تبارك الله رب العالمين تعالى الله عما فهمت
المشبهة بقوله ثم استوى على العرش وقوله ادعوا ربكم قال بعضهم ادعوا اي اعبدوا ربكم كقوله ادعوني استجب
لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي ذكر في الابتداء وفي اخره العبادة فكان الامر بالدعاء امرا بالعبادة وقال
بعضهم الدعاء ههنا هو الدعاء وقد جاء ان الدعاء مخ العبادة لان العبادة قد تكون بالتقليد والدعاء
لا يحتمل التقليد ولكن انما يكون عند الحاجة لما راى في نفسه من الحاجة والعجز عن القيام بذلك فعند ذلك
الفزع الى ربه فهو مخ العبادة من هذا الوجه وقال بعض اهل التاويل في قوله ادعوا ربكم اي وحدوا ربكم
تضرعا وخفية قيل خضوعا وخفية اخلاصا وقيل تضرعا ظاهرا وخفية سرا واصله ان اعبدوا ربكم
في كل وقت وكل ساعة او ادعوا خاشعين مخلصين وقوله عز وجل انه لا يحب المعتدين قيل المجاوزين الحد با
لاشراك بالله وقيل لا يحب الاعتداء في الدعاء نحو ان يقول اللهم اجعلني نبيا او ملكا او انزلني في الجنة منزل

كذا او موضع

كذا او موضع كذا وروي عن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك كذا فقال له عبد الله سل الله الجنة
وتعوذ به من النار فاني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول سيكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور ويحتمل
الاعتداء في الدعاء هو ان يسال ربه ما ليس هو باهل له نحو ان يسال كرامة الاخيار والرسل واصل الاعتداء
هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له وعن الحسن قال في قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية علمكم كيف تدعون ربكم
وقال للعبد الصالح حين رضي دعاءه اذ نادى ربه نداء خفيا وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمل البر كله نصف العبادة والدعاء نصف العبادة ومنهم من صرف قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية الى الدعاء
وقال يكره للرجل ان يرفع صوته في الدعاء ويروون على ذلك حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع قوما يرفعون
اصواتهم في الدعاء فقال ايها الناس لا تدعون اصم ولا غائبا ولكن كذا وقوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها
قال بعضهم قوله بعد اصلاحها بعد ما بعث الرسل باصلاحها من الدعاء الى عبادة الله والطاعة ويأمرون بالحلال
وينهون عن الحرام وقال بعضهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بعد ما خلقها طاهرة عن جميع انواع المعاصي
والفواحش وسفك الدماء وغير ذلك ويقال بعد اصلاحها بعد ما اعطاكم اسبابا تقدرون على الاصلاح
وما به تملكون اصلاحها وجائز ان يكون المراد باصلاح الارض اهلها اي لا تفسدوا اهلها وهو كقوله وكاين من
قرية عتت عن امر ربها والقرية لا توصف بالعتو ولكن اهلها وقوله عز وجل وادعوه خوفا وطمعا قال بعضهم
خوفا لما كان في العبادة من التقصير وطمعا في النجاة وفي القبول لانه لا احد يقدر ان يعبد ربه حق عبادة لا تقصير في ذلك
وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمته قيل ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وعلى ذلك ما روي ان الملائكة يقولون يوم القيامة ما عبدناك حق عبادتك
ويجب على كل مؤمن ان يكون في كل فعل الخير خائفا راجيا الخوف للتقصير والرجاء للقبول وقال بعضهم خوفا من
عذابه ونقمته وطمعا في جنته ان رحمة الله قريب من المحسنين قال اهل التاويل ان الجنة قريب من المحسنين ويجوز ان
اراد بالقريب الوقوع فيها والنزول ويحتمل ان يكون المراد بالرحمة صفته فيكون تاويله ان منفعة رحمة الله
قريب من المحسنين وقال الحسن ان رحمة الله وهي الجنة قريب من المحسنين وقال بعضهم في قوله ان رحمة الله
قريب اي اجابة الله قريب لمن استجاب دعاه ويحتمل ما ذكرنا من منفعة رحمة الله قريب لمن ذكر ثم المحسنين
يحتمل المحسنين الى انفسهم او المحسنين الى خلقه او المحسنين الى نعم الله اي احسنوا صحبة نعمه القيام لشكرها
واجتناب الكفران بها او يريد الموحدين وقوله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يذكرهم
عز وجل في هذا حكمته وقدرته ونعمه ليحتج بها عليهم بالبعث اما حكمته فيما يرسل الرياح والامطار ويسوقها
الى المكان الذي يريد ان يمطر فيه ما لم يعاينوا ذلك ويشاهدوه ما عرفوا انه كيف يرسل المطر من السماء وكيف يرسل
الريح ويسوق السحاب ففي ذلك تذكير حكمته اياهم واما نعمه فهو ما يسوق السحاب بالريح الى المكان الذي فيه
حاجة الى المطر فيرسل على ذلك المكان المطر وذلك من عظيم نعمه ليعلم ان ذلك كان برحمته لانهم كانوا مستوجبين
لذلك واما ما ذكر من قدرته هو ما ذكر من احياء الارض بعد ما كان ميتة ليعلم ان الذي قدر على احياء الموتى
وبعثهم بعد موتهم على ما قدر على احياء الارض بالنبات واحياء النخل بالثمار بعد ما كان علم كل ان لا نبات
فيها ولا ثمار فيه فاذا خرج النبات منها والثمار من النخل على ما خرج في العام الاول دل ذلك على وحدانيته
وقدرته على احياء الموتى وبعثهم بعد ما ماتوا وصاروا ترابا على قدر ما ذكرنا والله اعلم وفي قوله بين
يدي رحمته دلالة ان لا تفهم من اليد الجارحة على ما تفهم من الخلق كما لم يفهم احد بذكر اليد في
المطر الجارحة لانه لا جارحة له فعلى ذلك لا يفهم من ذكر اليد له الجارحة من قوله بل يداه مبسوطتان
وكذلك قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يفهم من قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه الجارحة
للقران فعلى ذلك لا يفهم مما ذكر من يد به الجارحة ومن فهم ذلك فانما يفهم لفساد في اعتقاده وكذلك
ما ذكر من الاستواء على العرش والاستواء لا يفهم من استواء الخلق لانه بريء عن جميع معاني الخلق ومعانيهم
وهو ما وصف حيث قال ليس كمثله شيء وقوله عز وجل يرسل الرياح نشرا ونشرا وبشرى والنشر هو جمع نشور
وهو من الاحياء ونشرا من التفريق وبشرا بالباء من البشارة ثم قيل في قوله نشرا الله عز وجل هو الذي يفرق
ويسوق ذلك السحاب وقيل الريح هو الذي يرسل ويسوق ذلك السحاب وقوله عز وجل واذا اقلت سحابا ثقالا
قيل اقلت حملت وقيل رفعت الماء وهو واحد ثقالا اي سحابا فيه من الماء سقناه لبلد ميت الى بلد ميت فانزلنا به
الماء اي بالبلد فاخرجنا به من كل الثمرات قال بعضهم من كل الثمرات ما يأكلون من الثمرات كذلك يخرج الموتى
بعد ما ماتوا وذهب اثرهم كما اخرج النبات والثمار من الارض والنخل من بعد ما ماتوا وذهب اثر ذلك النبات وذلك
الثمار فعلى ذلك يخرج الموتى بعد ما ذهب اثرهم حتى لم يبق شيء لعلكم تذكرون وتتفكرون وتعرفون قدرته وسلطانه
على الاحياء بعد الموت او تذكرون اي تتعظون وبعد فان اعادة الشيء في عقول الخلق اهون وايسر من ابتداء الانشاء
الا ترى ان الدهرية والثنوية وهؤلاء قد انكروا الانشاء لا من شيء ورأوا وجود الاشياء وخروجها واعادتها عن اصل
وكيان وهو ما ذكر وهو اهون عليه اي في عقولكم وقوله عز وجل والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج
الا نكدا ذكر المثل ولم يذكر المضروب واهل التاويل قالوا ضرب المثل للمؤمن والكافر ثم يحتمل ضرب المثل وجوها احدها

انه وصف الارض التي يخرج منها النبات بالطيب ووصف الارض التي لا يخرج منها النبات بالخبث فعلى ذلك المؤمن لما كان
منه من الاعمال من الطاعة لربه والائتمار لامره موصوف هو بالطيب وجعله من جوهر الطيب والكافر لما يكون منه
الاعمال الخبيثة ولا يكون له من الاعمال الصالحة من الطاعة لربه خبيث كما ان الارض التي يخرج منها النبات الذي ينتفع به
موصوف بطيب الاصل والجوهر والتي لا يخرج منها النبات ولا ينتفع به موصوف بخبث الاصل وامكن ان يكون
من وجه اخر وهو ان الله عز وجل جعل هذا القران مباركا شفاء للخلق على ما وصفه الله تعالى في غير موضع من الكتاب
ووصف الماء الذي ينزل من السماء بالبركة والرحمة فاذا نزل ذلك الماء المبارك في الارض الطيبة في الارض الطيبة
الجوهر خرج منها النبات والانزال ينتفع بها واذا نزل في الارض السبخة الخبيثة لم يخرج لخبث اصلها فعلى ذلك
هذا القران هو مبارك شفاء فيسمع المؤمن فيتبعه ويعمل به والكافر يسمعه ولا يعمل به فصار مثل المؤمن الذي يسمع
هذا القران ويتبعه ويعمل بما فيه كمثل الماء الذي يدخل في الارض فيخرج منه النبات لطيب جوهرها واصلها
والكافر مثل الارض التي لا يخرج منها النبات لخبث اصلها وجوهرها واصله انه ضرب مثل الذي هو مستحسن بالعقل
بالذي هو مستحسن بالطبع لان ما حسن في الطبع فانما معرفته حسي وما حسن في العقل فانما يعرف حسنه بالدلايل
وهو غائب فضرب مثل معرفة حسنه بالعقل بالحسن بالحسن والمشاهدة وهو ما ذكر من النبات الذي يخرج
من الارض وذلك يدل على طيب اصلها وجوهرها والذي لا يخرج شيئا لخبث جوهرها واصلها ففي ذلك المؤمن
والكافر ثم حسن عمل هذا وطيبه وقبح عمل الاخر وخبثه انما يظهر في الاخرة وذلك يوجب البعث لانهما جميعا استويا
في هذه الدنيا فلا بد من دار اخرى فيها يظهر الطيب من الخبيث طاب عمل المؤمن وجميع ما يكون منه بحسن الطيب
اصله وخبث عمل الكافر وقبح ما يكون منه بخبث اصله كالارض التي ذكر وقوله عز وجل باذن ربه يحتمل بعلمه
وتكوينه وقوله عز وجل الا نكدا قال الحسن خبيثا اي لا يخرج الا خبيثا وقال ابو بكر لنكدا اي لا منفعة فيه وقيل الا عسيرا
وقيل الا قليلا وهو واحد وقوله عز وجل كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون اي لقوم ينتفعون بالايات وقوله
عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه كما ارسلناك الى قومك ولست انت باول رسول كقوله قل ما كنت بدعا من
الرسل وفيه دلالة ان الايمان يعتم بالانبياء والرسل وان لم يعرف اسامهم وكذلك يصح الايمان وان لم يعرف
اسماؤهم لان الانبياء منهم لا يعرف اسمه فيصح الايمان بجملة الانبياء وان لم يعرف اسماؤهم وفي ذلك دلالة
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن رسالة نوح فدل انه بالله عرف ذلك وقوله عز وجل اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قيل قوله اعبدوا الله اي وحدوا الله والقصد التوحيد عبادة لان العبادة تكون بحقيقة التوحيد فلهذا
خاطبهم بذلك مجازا ان يكون عبادة وقوله عز وجل ما لكم من اله غيره اي ما لكم من اله الحق الذي تثبت الوهيته
وربوبيته بالادلة بل من له تعبد وقوله عز وجل اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال بعضهم اني اخاف اي اعلم
ان ينزل عليكم عذاب يوم عظيم ان متم على هذا او قال بعضهم الخوف خوف الحذر وخوف اشفاق ويحتمل ان يكون
في الوقت الذي كان لا يطمع ايمان قومه لما اخبر الله بقوله لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقوله
عز وجل عذاب يوم عظيم هو يوم عظيم للخلق كقوله ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وهو عظيم للخلق على
ما وصف وقوله عز وجل قال الملأ من قومه هم اشراف قومه وساداتهم كقوله انا اطعنا سادتنا وكبراءنا لانهم كانوا
هم اضداد الانبياء والرسل لانهم كانوا يدعون الناس الى ما يوحي اليهم الشياطين والرسل كانوا يدعون الى
ما يوحي اليهم الله وينزل عليهم لذلك قالوا انا لنراك في ضلال مبين لانهم ظنوا ان ما اوحى اليهم الشيطان هو
الحق وان ما يدعون اليه الرسل هو ضلال وباطل وقوله عز وجل قال يا قوم ليس بي ضلالة اي لست انا بضال لانه اذا نفى
ان يكون ضلالة وهو حرف رفق ولين وعلى ذلك امر الانبياء والرسل ان يعاملوا قومهم لان ذلك انجع في القلوب والى
القبول اقرب ولكني رسول من رب العالمين والعالم هو جوهر الخلق ويحتمل قوله انا لنراك في ضلال مبين اي في خطاء
مبين ثم يخرج على وجهين احدهما نسبوه الى الخطاء لما راوه خالف الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل لمن خالفهم
والثاني نسبوه الى الخطاء لانه رد دين آبائه واجداده والله اعلم وقوله عز وجل ابلغكم رسالات ربي رسالة التي امرت بتبليغها
اليكم قبلتم او رددتم لاني ابلغها على اي حال استقبلتموني ويقول ابلغكم رسالات ربي رسالته التي ارسلها الي وقوله
عز وجل وانصح لكم يحتمل قوله انصح لكم اي ادعوكم وامركم الى ما فيه صلاحكم وانهاكم عما فيه فسادكم والنصيحة هي الدعاء
الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد ويكون النصيحة لهم ولجميع المؤمنين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الا ان الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله قال الشيخ ابو القاسم الحكيم رحمة الله عليه النصيحة هي التي ليس فيها من
صدق الغاية شيء الخيانة يبلغهم رسالات ربي ولم يبين فيما اذا في كتاب انزله عليه او يوحي في غير كتاب يوحي اليه وليس
لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى التصديق له فيما بلغ اليهم وقوله عز وجل واعلم من الله ما لا تعلمون قد اتاه من الله العلم بانباء
ما لم تأت اولئك مثله وهو كقوله ابراهيم صلوات الله عليه لابيه يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني ويحتمل
قوله واعلم من الله من العذاب ان ينزل بكم ما لا تعلمون انتم اذا دمتم على ما انتم عليه وقوله اوعجبتم ان جاءكم ذكر من
ربكم اي تعجبون بما جاءكم ذكر من الله على يدي رجل منكم ما لا اقدر انا ولا تقدرون انتم على مثله كانوا يعجبون ويكبرون
ان يكون رسل الله من البشر بقولهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك
هذا كانوا يكبرون رسالة البشر وما ينبغي لهم ان ينكروا ذلك لانهم قد كانوا رأوا تفضيل بعض البشر على بعض وفي وضع الرسالة

نبيهم اعني في الرسل تفضيلهم وذلك قدر ما فيما بينهم ولله تفضيل بعضهم على بعض اذ له الخلق والامر ولكل ذي ملك وسلطان
ان يضع في ملكه ما شاء من تفضيل بعض على بعض وغيره او يقول فعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على يدي رجل منكم ولو كان
جاء الذكر على من غير جوهركم كان في ذلك اللبس واشتباه عليكم وقوله عز وجل لينذركم عذاب الله ولتتقوا معاصيه ولعلكم
ترحمون ان اتقيتم ما نهيتكم عنه او كان في قومه من يجوز ان يرحم وقوله عز وجل فكذبوه يعني نوحا دعاهم الى عبادة
الله ووحدانيته ونهاهم عن عبادة غير الله اوكذبوه فيما اتاهم من ايات نبوته ورسالته وقوله عز وجل فانجيناه
يعني نوحا والذين معه في الفلك واغرقنا هم الذين كذبوا باياتنا اذا كان اهلاك تعذيب وعقوبة نجى اولياءه
ويبقيهم الى الاجال التي قدر لهم ويكون ذلك نجاة لهم من ذلك العذاب الذي حل بالاعداء وقوله عز وجل
كذبوا باياتنا التي جعلناه لاثبات رسالته ونبوته ويحتمل كذبوا باياتنا التي اعطينا لوحدانية الله والوهيته
انهم كانوا قوما عمين عموا عن الحق وقوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا اي ارسلنا هودا الى عاد وهو على
ما ذكر في نوح وهو قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه فعلى ذلك قوله والى عاد اخاهم هودا اي عاد ارسلنا
هودا ثم يحتمل الاخوة وجوها اربعة اخوة الجوهر وهو يقال هذا اذا كان من جوهره ولا يقال ذلك
في غير جوهره واخوة المحبة واخوة الدين ثم لم يكن بين هود وقومه اخوة الدين ولا اخوة المودة لكن
يحتمل اخوة النسب لان البشر على بعد من آدم كلهم اولاده فاذا كانوا كذلك فهم فيما بينهم بعضهم اخوة بعض
كاولاد رجل واحد يكون بعضهم اخوة بعض واخوة الجوهر على ما ذكرنا يقال هذا اخ هذا اذا كان من جنسه
وجوهره فهذين الوجهين يحتمل والوجهان الاخران لا وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من
اله غيره اي عبدوا الله الذي يستحق العبادة ما لكم من اله غيره اي ليس لكم من معبود سواه وهو المعبود في
الحقيقة وقوله عز وجل افلا تتقون عبادة غير الله او افلا تتقون الله في عبادتكم غيره وفي تكذيبكم هودا او
ان يقول افلا تتقون عذاب الله ونقمته عليكم بخلافكم اياه وقوله عز وجل قال الملأ الذين كفروا من قومه
قد ذكرنا قول الملأ من قومه اي اشراف قومه وسادتهم انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين ذكرها
هنا ظنهم في تكذيبهم الرسول في موضع اخر قطعوا في التكذيب وهو قوله ان هو الا رجل افترى على الله كذبا
وما نحن له بمؤمنين فكان قوله وانا لنظنك من الكاذبين في ابتداء ما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته كانوا
على ظن فيه انه كان عندهم صدوقا امينا قبل دعائهم الى ما دعاهم فلما ان اقام عليهم ايات الرسالة والنبوة
واظهر عندهم عيب ما عبدوا غير الله وابطله وتحقق ذلك عندهم عند ذلك قالوا ان هو الا رجل افترى على
الله كذبا وما نحن له بمؤمنين ليعلم انهم عن عنا وكذبوا الرسل فقال يا قوم ليس بي سفاهة ان الرسل صلوات
الله عليهم كانوا امروا ان يعاملوا الخلق باحسن معاملة وهو على ما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال له خذ العفو وامر بالعرف وقوله عز وجل ادفع بالتي هي احسن السيئة ونحوه فعلى ذلك الرسل الذين
كانوا مامورين بذلك لذلك قال لهم هو ولما تلقوه بالتكذيب والتسفيه قال ليس بي ما تقولون وتنسبوني اليه
ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اي ادعوكم الى وحدانية الله وعبادته
والتمسك بالدين الذي به نجاتكم وكل من دعا اخاه لما به نجاته فهو ناصح له ويحتمل قوله وانا لكم ناصح امين اي كنت امينا
لكم قبل هذا امين فيكم فكيف تكذبونني وتنسبونني الى السفه وانا امين على الرسالة والوحي الذي وضع الله عندي وقوله
عز وجل ابلغكم رسالات ربي شئتم او ابيتم او يقول ابلغكم رسالات ربي خوفتموني او لم تخوفوني قبلتم عني او لم تقبلوا او يقول
ابلغكم رسالات ربي فكيف تنسبونني الى السفه والافتراء على الله وقوله عز وجل واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح يحتمل قوله اذكروا اذ جعلكم خلفاء وجوها احدها انه جعلكم خلفاء قوم اهلكهم بتكذيبهم الرسل ولم
يهلكهم فاحذروا وانتم هالكون بتكذيبكم الرسول كما اهلك اولئك بتكذيبهم الرسل او ان يقال جعلكم خلفاء قوم
صدقوا رسولا من البشر وهو نوح فكيف كذبتموني في دعوى الرسالة لاني بشر ودعائي الى عبادة الله ووحدانيته
هذا تناقض والثاني ان اذكروا نوحا وهو كان رسولا من البشر فكيف تنكرون ان يكون الرسول من البشر وكان
الرسل جميعا من البشر والثالث ان اذكروا نعم الله التي انعمها عليكم من السعة في المال والقوة في الانفس وحسن الخلقة
والقامة وكان لعاد ذلك كله كقوله الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الا ترى هذا في السعة في المال واما القوة
في الانفس والقامة ما ذكر في قوله فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية وقوله كانهم اعجاز نخل منقعر فهو وصف
لهم بالقوة وطول القامة وعلى ذلك فسر بعض اهل التاويل وقوله وزادكم في الخلق بسطة يعني قوة وقدرة وقال
غيره هو الطول والعظم في الجسم ذكر الله عز وجل في عاد اشياء ثلاثة خصهم بها من بين غيرهم احدها العظم
في النفس كقوله وزادكم في الخلق بسطة والقوة فقوله من اشد منا قوة والسعة في الاموال يقول بعاد ارم ذات
العماد وفضل العلم بقوله وكانوا مستبصرين وقوله عز وجل فاذكروا الاء الله قال بعضهم الالاء هو في دفع البلايا
والنعماء هو في سوق النعماء اليه ولكن هما واحد لانه ما من بلاء يدفع عنه الا وفي ذلك سوق نعمة اجرى الله والاء
الله تعالى ذكر في سورة الرحمن الالاء بجميع ما ذكروا انما ذكر على سوق النعم اليه قوله فباي الاء ربكما تكذبان
حيث قال الرحمن علم القران خلق الانسان علمه البيان الى ما ذكر من السورة وهو ذكر في سوق النعم لا في دفع البلايا
وقوله عز وجل لعلكم تفلحون اي تفلحون ان ذكرتم نعمه وشكرتم له عليها ولم تصرفوا عبادتكم وشكركم الى غيره ويقول

كي يلزمكم الفلاح او حتى تكونوا من اهل الفلاح وقوله عز وجل قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا هذا يدل
ان رسالته التي يبلغها اليهم في دعائه اياهم الى عبادة الله وحده وتركهم عبادة من دونه حيث قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد اباؤنا ولا شك انه انما جاءهم ليعبدوا الله وحده وجاءهم ليذروا ما كان يعبد اباؤهم ثم في قولهم
تناقض لانهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر مما تشربون لم يرضوا برسالة البشر ورضوا بالهية الاحجار والخشب ثم بتقليد
اباهم في عبادتهم غير الله وفي اباتهم من يعبد الله لا يعبد غيره وهم الذين مع نوح فكيف لم يقلدوا من نجا منهم ولم
يعبدوا غير الله دون ان قلدوا الذين عبدوا غير الله فذلك تناقض حيث اتبعوا من هلك منهم بتكذيبهم الرسل وعبادتهم
غير الله ولم يتبعوا من نجا منهم يذكر عز وجل سفههم وتناقضهم في القول في انكارهم الرسول من البشر ولكن ذكر سفههم
وتناقضهم بالتعريض لا بالتصريح وكذلك عامة ما ذكر في كتابه من سفههم انما ذكر بالتعريض وقوله عز وجل فأتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين انه كان يعد العذاب ان لم يصدقوه فيما يدعوهم اليه وترك تقليدهم اباءهم في عبادتهم غير الله وقوله عز وجل
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب قال بعضهم الرجس العذاب اي وقد وجب عليكم العذاب بتكذيبكم هوداً وتقليدكم
اباءكم في عبادتكم غير الله وغضب وهو العذاب ايضا وجائز ان يكون الرجس ههنا الخذلان وحرمان التوفيق والمعونة
اي وقد وقع عليكم ووجب الخذلان وحرمان التوفيق باختياركم ما اخترتم وقال بعضهم الرجس هو الاثم والخبث كقوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وقوله رجس من عمل الشيطان وقوله اللهم اني اعوذ بك من الرجس
النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وقوله عز وجل اتجادلونني في اسماء سميتموها وعبادتهم ما قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده
ونجعل في اسماء اي ما اسماء سميتموها وقوله عز وجل ما نزل الله بها من سلطان قيل حجة اي لم ينزل لهم حجة في عبادتهم غير الله
وقيل السلطان ههنا عذر اي لم ينزل لهم عذراً في ذلك وقوله عز وجل فانتظروا اي انتظروا انتم وعد الشيطان اني معكم
من المنتظرين وعد الرحمن وقوله عز وجل ما نزل الله بها من سلطان اي من حجة في تسميتهم الاصنام التي عبدوها دون الله ما سموها
الهة وشفعاء ونحوه كانهم انما جادلوه في تسميتهم الهة وشفعاء وان ليس لهم حجة ولا عذر في عبادتهم غير الله ولا في
اشراكهم غيره في العبادة والالوهية فانتظروا قال الحسن انتظروا انتم مع الشيطان اني معكم من المنتظرين لوعد الله
وقوله عز وجل فانجيناه يعني هوداً والذين معه برحمة منا ان من حكم الله انه اذا اهلك قوما اهلاك تعذيب استاصلهم ونجى
اولياءه ونصرهم وقوله عز وجل برحمة منا يحتمل قوله برحمة التي هداهم عز وجل ولولا رحمته ما اهتدوا ولكن رحمهم فهداهم
فبرحمته اهتدوا ويحتمل انه انجاهم من العذاب برحمته منه وان كانت لهم ذنوب وخطايا يستحقون بها العذاب لكنه
انجاهم برحمته وفضله والله اعلم وفيه ان من نجى انما نجى برحمته وفضله وان كان رسولا لا باستيجاب منه النجاة وهو
ما روي حيث قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله
عز وجل وقطعنا دابر الذين كذبوا اي اصل الذين كذبوا باياتنا ولم يبين لنا الاية التي اعطي هوداً وليس لنا الى معرفة ذلك
حاجة سوى ما اخبر انه ما حل بهم من العذاب انما حل بتكذيبهم الرسول وذلك كان سنته وحكمته في الامم السالفة وقوله عز وجل
والى ثمود اخاهم صالحا قد ذكرنا انه صلة قوله لقد ارسلنا نوحا الى قومه كانه قال وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وقوله عز وجل
اخاهم قد ذكرنا انه يحتمل الاخوة وجوها اربعة اخوة النسب ولقوة الجوهر والشكل على ما يقال هذا اخو هذا اذا كان من
من جوهر وشكله واخوة المودة وان بعدا والخلة واخوة الدين ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من اخوة صالح كان اخوهم
في النسب او في الجوهر على ما ذكرنا في هود ولا يحتمل ان يكون في المودة والدين وانما اخوة النسب فانه يحتمل لما ذكرنا ان
بني ادم كلهم اخوة وان بعدوا لانهم كلهم من اولاد ادم وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد ذكرنا
ان الرسل باجمعهم صلوات الله عليهم انما بعثوا ليدعوا الخلق الى وحدانية الله والعبادة له وان لا معبود سواه
يستحق العبادة من الخلق وقوله عز وجل قد جاءتكم بينة من ربكم قيل فيه بوجهين قيل بينة من ربكم ما ذكر من الناقة
التي جعلها الله اية لرسالة صالح وهو هذه ناقة الله لكم اية وقيل بينة من ربكم ايات ظهرت لهم على لسان صالح وجرت
على يديه ما يدل على رسالة صالح ونبوته لكنهم كابروا تلك الايات في التكذيب وعاندوا وقوله عز وجل هذه ناقة
الله لكم اية وجه تخصيص اضافة تلك الناقة الى الله يحتمل وجوها وان كانت النوق كلها لله في الحقيقة احدها
لما خصت تلك بتذكير عباده نعمه اياهم ووحدانيته تعظيما لها على ما خصت المساجد بالاضافة اليه بقوله
وان المساجد لله جعلت تلك البقاع لاقامة عبادة الله خصت بالاضافة اليه لما جعلها الله اية من اية خارجة من
غيرها من النوق مخالفة بنيتها بنية غيرها اما خلقة واما في ابتداء احداثها وانشائها او في اي شيء كان فاضافها
اليه لذلك والله اعلم ثم لا يجب ان يتكلف المعنى الذي له جعل الناقة اية لانه جل وعلا لم يبين لنا ذلك المعنى فلو كان
ذكر ذلك فلعله يخرج على خلاف ما كان في الكتب الماضية فهذه القصص واخبار الامم الماضية انما ذكرت في القران
لتكون اية لرسالة محمد صلوات الله عليه فلو ذكرت على خلاف ما كان لهم في ذلك مقال ويحتمل معنى الاضافة
اليه وجها اخر وهو انه لم يجعل منافع هذه الناقة لهم ولا جعل عليهم مؤنتها بل اخبر ان ذروها تأكل في ارض
الله جعل مؤنتها فيما يخرج من الارض ليست كسائر النوق التي جعل مؤنتها عليهم ومنافعها لهم بازاء ما جعل
عليهم من المؤن ثم فيه التخصيص بالاضافة اليه لما لم يشركه فيها احد ولا في منافعها والله تعالى اعلم وقوله عز وجل
فذروها تأكل في ارض الله دلالة ان تلك الناقة كان غذاؤها مثل غذاء سائر النوق وان كانت خارجة عن طباع
سائر النوق من جهة الاية ليعلم انها وان كانت اية لرسالته ودلالة النبوة فتشابها سائر النوق في هذه الجهة

قالوا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون صح

لا يخرجها

لا تخرجها عن حكم الاباحة فعلى ذلك الرسل وان كانوا اساووا غيرهم من الناس في المطعم والغذاء لا يمنع ذلك
من ان يكونوا رسلا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ولا تمسوها بسوء يحتمل لا تتعرضوا لها بقتل ولا قطع ولا عقر
لما ليست هي لهم فيأخذكم عذاب اليم وفي موضع اخر فيأخذكم عذاب قريب فهذا يدل على انه انما اراد بالعذاب
الاليم عذاب الدنيا لا عذاب الاخرة لانه قد يأخذهم عذاب الاخرة بكفرهم فالوا قيد باخذ العذاب لهم
عذاب الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد قد ذكرنا تاويله في قصة هود
وبوأكم في الارض قيل انزلكم فيها تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا يذكرهم عز وجل ما انعم عليهم
من سعة المال وبسط الرزق لهم وما خصهم من اتخاذ البيوت من الجبال دون غيرهم من الناس خص هؤلاء
بسعة الرزق وبسط الاموال وقوم هود بالقوة والبطش بقوله وزادكم في الخلق بسطة وقال في اية اخرى وقال
من اشد منا قوة وقال واذا بطشتم بطشتم جبارين كان خصهم بفضل القوة والبطش والطول من بين غيرهم وهؤلاء
بسعة الارزاق لهم وبسط الاموال فاذكروا الاء الله من السعة في الاموال والبسط وبما جعلكم خلفاء من بعد عاد
وبما اقدركم من اتخاذ البيوت من الجبال لم يقدر على مثله احد لان غيرهم من الخلائق انما ينتفعون بالجبال على ما هي
عليها واما هم فقد مكن لهم على نحتها واتخاذها بيوتا ولا تعثوا في الارض مفسدين اي اذكروا نعمه ولا تشركوا في
عبادتكم غيره وقوله عز وجل قال الملأ الذين استكبروا من قومه قد ذكرنا ان الملأ من قومه هم كبراؤهم وسادتهم
استكبروا عليه لما رأوه دونهم في انفسهم في امر الدنيا فلم يتبعوه وقوله عز وجل للذين استضعفوا لمن امن منهم
فيه دلالة ان من المستضعفين من قومه من لم يكن امن حيث خص لمن امن منهم وفيه ان اول من اتبع الرسل هم
الضعفاء وكذلك كان الاتباع للرسل جميعا الضعفاء وقولهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون
قول هؤلاء الذين امنوا بصالح عليه السلام وصدقوه في رسالته لم يخرج في الظاهر جواب ما سألوا لانهم قالوا اتعلمون
ان صالحا مرسل من ربه انما سألوهم عن علمهم برسالته لم يسألوهم عن ايمانهم به فهم انما اجابوا عن غيرها ما سألوا
في الظاهر لكن يجوز ان يكنى بالعلم عن الايمان فكانهما قالوا لهم تؤمنون بصالح وتصدقونه لان العلم بالشيء فيه يقع موقع
الايمان لا يكون الا بقع منهم فكانهم انما سألوهم عن الايمان به لذلك قالوا انا بما ارسل به مؤمنون والثاني
كانهم قالوا بل علمنا انه مرسل من ربه وانا بما ارسل به مؤمنون وفيه دلالة ان من تمكن له من العلم باسباب جعلت
له يصل بها الى العلم به لم يعذر بجهله في ذلك بعد ما اعطى اسباب العلم حيث قالوا اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
اي لا تعلمون وقوله عز وجل قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون فيه دلالة ان الايمان هو التصديق في
اللغة والتكذيب هو ضد ما يكون به التصديق حيث اجابوا بالتكذيب لايمانهم به لقولهم انا بما ارسل به مؤمنون
فهؤلاء لم يعرفوا جميع الطاعات ايمانا على ما عرفوا بعض الناس انما عرفوه تصديقا وقوله عز وجل فعقروا الناقة
اضاف العقر اليهم جميعا وفي موضع اخر اضاف الى الواحد بقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وفي
سورة والشمس وضحاها كذلك اضاف الى الواحد اذ انبعث اشقاها لكن فيما كان مضافا فاليهم جميعا يحتمل ان
تولى واحد منهم عقرها بمشورتهم جميعا ومعونتهم وتدبيرهم وتراضيهم على ذلك فاضيف على ذلك اليهم لذلك
لاجتماعهم على ذلك والى الواحد فيما تولى جرحها ومنعها عن السير ففيه دلالة لمذهب اصحابنا ان قطاع الطريق
اذا تولى بعضهم القتل واخذ الاموال ولم يتول بعضهم يشاركون جميعا من تولى منهم ومن لم يتول في حكم قطاع الطريق
بعد ان يكون بعضهم عونا لبعض وكذلك اذا اجتمع قوم على قتل واحد فتولى بعضهم القتل ولم يتول بعض بعد ان
كانوا في عون اولئك فانهم يقتلون جميعا وعلى ذلك يخرج قول عمر رضي الله عنه حيث قال لو تمالا عليه اهل صنعاء لقتلتهم
واهل صنعاء لو اجتمعوا لا سبيل للكل ان يتولوا قتله فدل انه رام على العون والنصر لبعضهم بعضا فيشاركون جميعا في
القصاص على ما شاركوا اولئك جميعا في العذاب من تولى عقرها ومن لم يتول بعد ان كان ذلك العقر بمعونتهم وتدبيرهم
على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة انما اخذهم العذاب
لما استعجلوا منه العذاب وكذبوه فيما يوعدهم العذاب وبعد هم وقوله عز وجل وعتوا عن امر ربهم العتو هو الغلو
في التمرد والخلاف لا تمرد على العلم سماهم بالخلاف لا على الغفلة والجهل وقوله عز وجل فاخذتهم الرجفة قيل
الزلزلة وقيل الصيحة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصاعقة والقصة في ذلك كله واحد فجائز ان يكون ذلك واحدا لا
اختلف الفاظ وهو عبارة عن العذاب وجائز ان تكون الصيحة لما صيح بهم صعقوا جميعا فماتوا وهو واحد وقوله
عز وجل فاصبحوا في دارهم جاثمين قيل ميتين ولازقين بالارض فلما ماتوا وذهبوا ويقال جثم الطائر اذا لزق
بالارض ويقال اجثمته اي الزقته بالارض والجثمة يقال الطائر يشد جناحاه ورجلاه ثم يوضع بالارض ثم
يرمى بالنبل حتى يموت ويقال جثمت الطائر اي شددت رجليه وجناحيه ويقال جثم يجثم وجثما اذا فعل ما ذكرنا وقوله
عز وجل فتولى عنهم اي اعرض عنهم وخرج من بينهم حين علم ان العذاب ينزل بهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة
ربي ونصحت لكم والنصيحة ما ذكرنا ان كل من دل اخر على ما به نجاته وسعى على دفع البلاء والهلاك عنه فهو ناصح
له فعلى ذلك صالح وغيره من الرسل قد دلوا قومهم على ما به نجاتهم وسعوا على دفع الهلاك منهم لكنهم لم يقبلوا
النصيحة منهم وقوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ذكر في غيره من الانبياء دعاءهم قومهم
الى عبادة الله ووحدانيته على ما قال نوح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب و

وغيرهم من الانبياء ولم يذكر في لوط ذلك ههنا ولا يحتمل ان لم يكن منه الدعاء الى ما كان من غيره من الانبياء الى توحيد الله وعبادته قبل النهي عن الفواحش والتعيير عليها وهو ما ذكر في اية اخرى كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون الاية كان من الانبياء صلوات الله عليهم دعاء قومهم الى عبادة الله ووحدانيته ولا نهى عما ارتكبوا من الفواحش والمعاصي والتعيير عليها وقوله عز وجل اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين وقوله ما سبقكم بها من احد يحتمل ان يكون منهم ما كان من سائر الاقوام تقليد الاباء في العبادة لغير الله كقولهم اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا وقولهم وانا على اثارهم مهتدون وقوله بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون ونحو ما قالوا فهل ذلك من قوم لوط للوط لما دعاهم الى عبادة الله ووحدانيته فاجابوه بما اجاب الاقوام الانبياء ثم من التقليد لابائهم فقال اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي تعملون انتم عملا لم يعملها اباؤكم ولا تقلدون اباءكم في تركها من نحو ما ذكر من اتيان الفاحشة فقال ما سبقكم بها من احد من العالمين يعيرهم ويسفه احلامهم في اتيان ما تاتون من الفاحشة التي لم يسبقهم احد من العالمين على علم منهم ان ذلك فاحشة الا ترى قالوا انهم اناس يتطهرون ذكر هذا القول على ان ما تاتون من الفواحش تاتون على علم منهم انها فواحش حيث قالوا انهم اناس يتطهرون ثم قوله فاحشة لما في العقل والشرع لان ما حرم من المحرمات على الخلق واحل المحللات منه لهم على ذلك ثم جعل فيما احل لهم من الاطعمة والاشربة والاستمتاع بالنساء والجواري دوام لهذا العالم لانهم لو تركوا التناول من ذلك لهلكوا فاذا هلكوا انقطع هذا العالم لما ينقطع نسلهم ثم ركب فيهم الشهوات والحاجات التي تبعثهم على التناول مما احل لهم ليدوم هذا العالم لا انه احل لهم للشهوة خاصة ولكن لما ذكرنا فاخبر ان ما تاتون هم هو فاحشة لما ليس اتيانهم اياهم الا لنفس قضاء الشهوة اذ ليس في ذلك دوام العالم وبقاؤه فهو في العقل فاحش محرم وان لم يرد فيه النهي والله اعلم وقوله عز وجل بل انتم قوم مسرفون الاسراف هو الاكثار من الشيء والمجاوزة عن الحد كقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما القتر هو التضييق والاسراف هو الاكثار حيث قال وكان بين ذلك قواما فاذا كان الاسراف هو الاكثار من الشيء فكان لوط سماهم مسرفين لما اكثروا من ذلك النوع من الفواحش وجاوزوا الحد والله اعلم ويحتمل قوله قوم مسرفون وجوها ثلاثة احدها ما ذكرنا من اكثار الفعل والثاني مسرفون لما ضيعوا ما انعم الله عليهم حيث اعطى لهم الازواج فضلا منه ونعمة حيث اخبر من اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وكقوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا ونحوه ما جعل لهم من الازواج ثم هم لم يشكروه على ما انعم عليهم بل ضيعوها وجعلوها في غير ما جعل هو لهم فذلك اسراف منهم والثالث الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم فهم قد جاوزوه وقوله عز وجل وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون قوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا كذا كان من قومه اجوبة ليس على انه لم يكن منهم من اول الامر الى اخره هذا ولكن لم يكن من جواب قومه وقت ما نهاهم عما ارتكبوا من الفواحش وعيرهم عليها الا ما ذكر اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون لما نهاهم وعيرهم على ذلك ويحتمل ما قال اهل التاويل يتطهرون من ادبار الرجال وقيل يتحرجون عن ذلك ويعيبون عليهم في ذلك والثاني ما كان جواب قومه لبعضهم الا ان قالوا اخرجوهم واما للوط كان عنهم الاجوبة كقوله وما كان جواب قومه الا ان قالوا كذا وقال في اية اخرى فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله هذا فيما بينهم وبين لوط الاول فيما بينهم قال بعضهم لبعض اخرجوهم او لاختلاف المشاهد والمجالس وقوله عز وجل فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين الغابر الغائب يقال غبرت اي غيبت اي كانت من الغائبين عن لوط واهله وقت العذاب وقيل من الغابرين اي من الباقين في العذاب وقوله عز وجل وامطرنا عليهم مطرا اختلف فيه قال بعضهم قلبت قريات لوط وجعل عاليها سافلها على ما ذكر في الاية جعلنا عاليها سافلها ثم امطر على من كان غاب منهم الحجارة وقال بعضهم قلبت القريات فامطرت على اهلها كالمطر وقال اخرون قلبت الارض وامطر عليها حجارة من سجيل تسوى الارض او كلام نحو هذا ثم العذاب في الامم لم ياتهم في الدنيا بنفس الكفر ولكن لما كان منهم من سخل الاشياء حرم عليهم ومن قتل الانبياء واذاهم والمكابرات التي كان منهم بعد علمهم انهم على باطل وعناد وقوله عز وجل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين هذا الخطاب جائز ان ليس لرسول الله خاصة ولكن لكل احد امر بالنظر فيما حل بالامم السالفة بتكذيبهم الرسل وعنادهم ليكونوا على حذر عن صنيعهم لئلا يحل بهم ما حل باولئك وجائز ان يكون الخطاب لرسوله خاصة فان له فكانه امره ان ينظر في عاقبة المجرمين الا يرحمهم ولا يدعو عليهم بالهلاك والعذاب وقوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا هو ما ذكرنا فيما تقدم اي ارسلنا شعيبا الى مدين رسولا وقوله اخاهم قد ذكرنا فيما تقدم ان الاخوة انها تكون لوجوه اخوة النسب واخوة الجوهر واخوة المودة والخلة واخوة الدين فلا يحتمل اخوة الانبياء اولئك اخوة الدين والمودة لكن يحتمل اخوة الجوهر والنسب وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد ذكرنا ايضا ان الرسل انما جاؤوا وبعثوا بالدعاء الى توحيد الله والعبادة له وان لا معبود يستحق العبادة سواه وقوله عز وجل قد جاءتكم بينة من ربكم قال بعضهم كانت نفس شعيب بينة وحجة لقومه لكنا لا نعلم ذلك غير انا نعلم انه كانت معه ايات وبراهين لكن الله لم يبين لنا ذلك ونفس محمد عليه افضل الصلوات واكمل التحيات كانت

حجة وبينة باعلام التي جعل له في نفسه من ذلك الختم الذي كان بين كتفيه والنور الذي كان في وجه من كان في صلبه وقت كونه فيه والضرع الذي روي انه كان وقت ولادته والغمام الذي اظله وقت غيبته عن اهله وحفظه نفسه من جميع ما كان يتعاطاه قومه من عبادتهم الاصنام وتعاطيهم الفواحش فهو صلى الله عليه وسلم كان بريئا من ذلك كله ثم ولم يؤخذ عليه كذب قط وقد كان نشا بين اظهرهم وغير ذلك من الاعلام التي كانت في نفسه ظاهرة لقومه فلو لم يكن له ايات غيرها لكانت واحدة منها كافية لمن لم يكابر فكيف وقد كانت له ايات حسية وعقلية سوى ما ذكرنا تقهر المنصفين على قبولها ويحتمل قوله قد جاءتكم بينة من ربكم اي حجة في اثر رسول او على توحيد الله وقوله عز وجل فاوفوا الكيل والميزان وذكر في هود في قصته ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط وليس في قوله فاوفوا الكيل والميزان انهم كانوا لا يوفون وفي سورة هود ولا تبخسوا الناس اشياءهم ان الاشياء ملك لهم وان كان في قبض اولئك وفي ايديهم ثم يحتمل الامر بايفاء الكيل والميزان وجوه احدها لما كانوا امنا لئلا يذهب عنهم تلك الامانة التي كانت لهم في قومه والثاني لئلا يظلموا الناس في منع حقوقهم واموالهم والثالث لئلا يربوا كان ما منعوا منهم من الكيل والرزق ربوا لهم يدل ذلك قوله بالقسط ذكر العدل فلو كان يجوز تلك الزيادة والنقصان اذا طابت انفسهم بالزيادة والنقصان لكان لا معنى لذكر القسط فيه لان من زاد اخر على حقه لم يمنع عن ذلك ولم يذم دل النهي عن ذلك على انه للربوا ما منعوا والله اعلم وقوله عز وجل لا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعد ان جعلها لكم صالحة لمعاشكم ومنافعكم فيها او بعد ما امر وبين لكم ما به صلاحكم وصلاح دينكم او بعد ما ارسل من الرسل ما به صلاح الارض واهلها ذلكم خير لكم قال بعض اهل التاويل قوله ذلكم خير لكم اي وفاء الكيل والميزان خير لكم من النقصان لما ينمو ذلك الباقي ويزداد فذلك خير لكم من النقصان الذي تمنون فلا ينمو شيئا وهو كقوله بقية الله خير لكم ويحتمل ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اي امنكم في الاخرة خير لكم من نقصان الكيل والميزان في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يحتمل ما قاله اهل التاويل ان كبراء اهل الشرك ورؤساءهم كانوا يقعدون في الطرق اناس يصدون الذين ياتون شعيبا للايمان من الافاق والنواحي ويكون معنى قوله من امن به على هذا التاويل اي من اراد ان يؤمن به ويحتمل قوله ولا تقعدوا ليس على القعود نفسه ولكن على المنع من اقامة الشرائع التي شرع الله لشعيب كقوله ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ليس هو على القعود نفسه ولكن على المنع يمنعهم عن صراط المستقيم فعلى قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يمنعون من امن به عن اقامة الشرائع والعبادات التي دعوا الى اقامتها ويوعدون على ذلك ويخوفونهم فعلى هذا التاويل يكون معنى قوله من امن به على وجود الايمان وعلى التاويل الاول يكون من اراد ان يؤمن به والله اعلم وقوله عز وجل وتبغونها عوجا قيل تلتمسون لها اهل الزيغ وقيل تبغون هلاكا للاسلام وابطالا وقيل تبغون السبيل عوجا عن الحق وكله واحد وقوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يحتمل اذ كنتم قليلا في العدد فكثر عددكم زمن لوط كانهم انما توالدوا من بقية ال لوط ويحتمل اذ كنتم قليلا في الاموال والسعة في الدنيا فكثركم اي كثر لكم الاموال ووسع عليكم الدنيا وقوله عز وجل وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين امر بالنظر فيما حل بالامم الخالية بافسادهم في الارض وتكذيبهم الرسل لان من نظر في ذلك وتفكر ما حل بهم منعه ذلك عن الفساد في الارض والتكذيب للرسل اذ علم ان ما حل بهم انما حل بهم لما ذكر والله اعلم كانه امر بالنظر في الاسباب التي صارت نقمتهم اهل فساد ونزل بهم الهلاك ليتزجروا عن مثل صنيعهم والا كانوا عند انفسهم اهل صلاح لا اهل فساد وقوله عز وجل وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا قال ابن عباس رضي الله عنه كان قوم شعيب قليلا حين ادرك ذلك وقوم اخرون معه يقول لهم ذلك شعيب عليه السلام وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا يا معشر المؤمنين حتى يحكم الله بيننا بقضي عليهم بالهلاك ولم يكن شعيب امر بالقتال وقال بعضهم قوله وان كان طائفة منكم يعني المؤمنين امنوا بالذي ارسلت به من العذاب وطائفة يعني الكفار لم يؤمنوا بالعذاب فاصبروا يا معشر الكفار حتى يحكم الله بيننا في امر العذاب في الدنيا وهو خير الحاكمين ويحتمل غير هذا وذلك انهم كانوا يعبدون الاصنام ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون الله امرهم بذلك في اشياء يفعلون ويقول هؤلاء ان الذي نحن عليه هو الذي امرنا الله بذلك فيقول لهم اصبروا حتى يحكم الله بيننا بانه بماذا امر بالذي عليه الكفار والذي نحن عليه وقوله عز وجل قال الملا الذين استكبروا قد ذكرنا في غير موضع ان الملا من قومه هم كبراؤهم ورؤساؤهم وقوله عز وجل استكبروا اي استكبروا عن الخضوع والطاعة لمن هو دونهم عندهم لانهم كانوا يضعفون شعيبا فيما بينهم ويزدرونه كقولهم له انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز ثم لم يروا الامر بالخضوع لمن هو دونهم في امر الدنيا عدلا وهم انما اخذوا من ابليس اللعين واباه فلذلك ابى قال انا خير منه حين امر بالسجود لادم ولم ير اللعين الامر بالخضوع لادم من الله عدلا فعلى ذلك هؤلاء لم يروا الخضوع لمن دونهم عندهم عدلا فاستكبروا عليه فكفروا لذلك وقوله عز وجل لنخرجنك يا شعيب قال الحسن لنخرجنك اي لنقتلنك والذين امنوا معك من قريتنا وقال غيره لنخرجنك الاخراج نفسه اي نخرجك ومن معك من المؤمنين من قريتنا ان لم تتبع ديننا وقد كان منهم للانبياء المعنيين جميعا التوعد

بالقتل والاخراج جميعا كما قالوا لولا رهطك لرجمناك وكقول قوم لوط للوط لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين
وكقول قوم نوح لتكونن من المرجومين وما اخبر عن قول هؤلاء لرسولنا حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا وقد كان من
القوم الى الانبياء والرسل عليهم السلام والمؤمنين جميعا التوعد بالقتل والاخراج جميعا فعلى هذا يحتمل ذلك
من قوم شعيب ما ذكرنا والله اعلم وكذلك كانوا يقولون للرسل جميعا حيث قالوا وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم الاية هذا كانت عادة جميع الكفرة كانوا يخوفون الرسل بالاخراج مرة وبالقتل ثانيا وقوله عزوجل او لتعودن
في ملتنا يحتمل قوله او لتعودن في ملتنا اي ما عندهم انه كان على دينهم الذي هم عليه لما لم يروا منه عبادة فيما بينهم
ستر فقالوا لتعودن في ملتنا على ما كان عندهم انه على ذلك وهو كما قالوا لصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كما
عندهم انه على دينهم قبل ذلك يحتمل قوله هؤلاء لتعودن من العود الى ما كان عندهم انه على ذلك ويحتمل على
الابتداء الدخول فيها ولا بقيا وكقوله تخرجهم من الظلمات الى النور على منع الدخول فيها لانهم كانوا فيها
ثم اخرجهم فعلى ذلك الاول وقوله عزوجل قال اولو كنا كارهين يقول لتعودن في ملتكم وان كنا كارهين لها اي
عقولنا ونكره عليها عن الدخول في ملتكم فكيف نعود فيها قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها يحتمل قوله ان عدنا في ملتكم وجوها ثلاثا احدها ذلك منه اخبار عن قومه انه لا عن نفسه اي افتروا
على الله كذبا ان عادوا في ملتكم بعد اذ نجاهم الله منها وما يجوز لهم ان نعود فيها وما هو قاله الا بهم عن
نفسه ما ذكر في سورة هود ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل اخبار هو وقومه كما اجاب غيره من الرسل
قومهم حين اوعدهم بالقتل والعقوبة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كيدون فلا تنظرون وكما قال
هود اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ونحو ذلك من الجوابات التي كانت
من الانبياء صلوات الله عليهم الى اقوامهم ويحتمل الى ان يكون على الابتداء من غير ان كان فيها كقوله
فعلها ابتداء من غير ان كانت موصوفة وكقوله يخرجهم من الظلمات الى النور اخراج ابتداء الى ان كانوا فيها ثم
اخرجهم ويحتمل ما ذكر لانه اجابهم على ما عندهم انه كان على دينهم فاجاب لهم على ما عندهم انه على ذلك والله
اعلم وقوله عزوجل وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وقول شعيب قد افترينا على الله كذبا
ولكن قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم ثم يعرض تسفيه منه اياهم قد افتريتم على الله كذبا
حيث لم يقل قد افتريتم على الله كذبا ولكن قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم وذلك منه تلطفهم
وترفق وقوله عزوجل الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما اختلف فيه تاويله قال الحسن من قبل دينه واطاع
رسوله ان يكون وليا له ومن رد دينه وعصى رسوله يتخذه عدوا له ويكون وقال ابو بكر
الكيسا في قوله الا ان يشاء الله ان يتعبدنا ويمتحننا ببعض ما كانوا يتقربون به ونشرع لهم مما عمل وبيع لم يرد به
الذين الذي هم عليه لكن هذا لا يحتمل لان سؤالهم كان العود الى ملتهم فعلى ذلك خرج الثنا وقال ابو جعفر بن حرب
قوله الا ان يشاء الله الا ان يامرنا الله بما يوسهم على ذلك على الاياس وقطع الرجاء اي لا يشاء الله البتة ذلك كما
يقال كان كذا ان صعدت السماء وكقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وفعلت كذا اما يعلم انه لا يكون فعلى ذلك هذا لكن هذا كله
بعيد محال اما قول الحسن ان من حكم الله انه من ردة دينه وعصى رسوله انه يكون من الكافرين ومن قبل دينه واطاع
رسوله يكون من المؤمنين فليس فيه سوى انه يقول انه يعلم من كفر به ومن امن به فلا معنى للاستثناء لو كان التاويل
ما ذكروا واما قول ابي بكر انه يتعبدهم ويمتحنهم بما يتقربون به في دينهم وملتهم مما يجوز ان يأذن في ذلك فذلك
لا يحتمل لانه ذكر الملة التي كانوا هم عليها فالثنيا يرجع الى الثنيا لا يجوز الى غيره واما قول من يقول بالاياس
وقطع الطمع عن ذلك فذلك ايضا بعيد لان الاياس انما يكون فيما يعلم انه لا يكون البتة من نحو ما ذكر من
قوله لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ونحوه واما مثل هذا فانهم لا يفهمون منه الاياس وقطع الرجاء
بل كانوا ياتون بالفواحش ويقولون الله امرهم بذلك فاني يقع لهم الاياس بذلك واما عندنا فانه على حقيقة
الثنيا وذلك ان من علم الله منه انه الكفر ويؤثر ذلك على فعل الايمان والطاعة يشاء ذلك له على ما علم انه يختار
ومن علم منه انه لا يختار ذلك لا يشاء اذ لا يجوز ان يعلم منه غير الذي يكون او ان يشاء غير الذي علم انه يكون منه
لانه جهل وعجز واصله ان شعيبا خاف ان يسبق منه زلة او تقصير منه الاختيار لذلك فيشاء الله بذلك الزيغ
والضلال وكذلك جميع الانبياء خافوا ذلك كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث قال ولا اخاف ما تشركون
به الا ان يشاء ربي شيئا وقول يوسف حيث قال الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء كان خوف الانبياء عليهم
السلام كان اكثر من خوف غيرهم وقوله عزوجل ربنا وسع ربنا كل شيء علما معناه والله اعلم انه لا نعلم الى ماذا
يصير عاقبة امرنا علم الله وقوله عزوجل على الله توكلنا قيل على الله اعتمدنا فيما يخوفوننا من الاخراج واليه نلجاء في سلطانه
وملكه وبه نثق في وعده بما بعدنا من النصر والظفر على الاعداء وقوله عزوجل ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قيل قوله
افتح اي احكم بيننا وبين قومنا بالحق روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال ما كنت اعلم ما معنى الفتح في الاية حتى تزوجت امرأة
من بني كذا فوقعت بيننا مخاصمة فقالت لي تعالى حتى اقاضيك الى فلان فعند ذلك عرفت ان المفاتحة هي المحاكمة وقوله بالحق قيل
هو العذاب الذي كان وعدهم ان ينزل عليهم بتكذيبهم شعيبا وبايذائهم اياه ثم للمعتزلة ادنى تعلق ربنا افتح بيننا
وبين قومنا بالحق يقولون هو الدعاء والسؤال وان كان لا يحكم الا بالحق فعلى ذلك يقولون في قوله رب احكم بالحق ونحو

فكذلك يقولون في قوله الا في قوله الا ان يشاء الله لكن عندنا يخرج قوله احكم بالحق وافتح بيننا وبين قومنا بالحق على وجوه
احدها يقول ربنا افتح بيننا بحكمك وهو الحق والثاني يقول رب احكم بالحق في حادث الوقت كما حكمت في الوقت الماضي
وهو كقوله اهدنا الصراط المستقيم وهو النبوة والهداية والثالث على استعجال العذاب وقوله عزوجل وقال
الملاء الذين كفروا من قومه قد ذكرنا ان الملاء هم كبراء وسادتهم يقولون للاتباع والسفلة لئن اتبعتم شعيبا انكم
اذا لخاسرون قال ابو بكر لجاهلون ثم يحتمل قوله انكم اذا لخاسرون وجوها احدها ان شعيبا كان يحذر قومه
بالتطفيف في الكيل والوزن ويامرهم بوفاء حقوق الناس بقوله فاوفوا الكيل ولا تكونوا كذا وقوله عزوجل
ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيقول الكبراء والرؤساء للسفلة لئن اتبعتم شعيبا في
دينه وما يامركم به من وفاء الحق للناس فانكم اذا لخاسرون للارباح والثاني انه كان يحذرهم ويمنعهم عن عبادة
الاصنام والاوثان ويدعوهم الى عبادة الله ويرغبهم في ذلك وهم كانوا يعبدون تلك الاصنام ليقرب عبادتهم
اياها الى الله زلفى ويكون لهم شفعاء في الاخرة فقالوا لئن اتبعتم شعيبا فيما يدعوكم اليه وينهاكم عنه لكنتم من الخاسرين
لا شفعاء لكم في الاخرة والثالث انهم كانوا يوعدون شعيبا بالاخراج بقولهم لنخرجنك يا شعيب فقالوا لئن اتبعتم
شعيبا وهو يخرج لا محالة فتخرجون انتم فصرتم من الخاسرين والله وقوله عزوجل فاخذتهم الرجفة قيل الصيحة وقيل
اصابهم حر شديد فرفعت لهم سحابة فخرجوا اليها يطلبون الروح تحتها فسال عليهم العذاب ورجفت بهم الارض
فهلكوا وهو ما ذكر في اية اخرى عذاب يوم الظلة والله اعلم وقوله عزوجل فاصبحوا في دارهم جاثمين قد ذكرناه قوله
جاثمين فيما تقدم وقوله عزوجل الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين والله
اعلم مقابل قولهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون وجوابهم يقول الذين كذبوا شعيبا هم الخاسرون لا الذين
اتبعوه وقوله عزوجل كان لم يغنوا فيها قيل كان لم يعيشوا فيها ولم ينعموا قط وقيل كان لم يقيموا فيها قال القتبي يقال
غنينا بمكان كذا وكذا اي قمنا ويقال للمنازل مغان واحدها مغنى ويقال كان لم يغنوا فيها اي كان لم يكونوا فيها قط
وهو والله اعلم لما كانوا يستقلون نعم الله عليهم ويستحقرونها حتى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقوله كان لم يلبثوا
الا ساعة من النهار ونحوه وكله اخبار عن قطع اثارهم انه لم يبق منهم احد يحزن عليهم او يبكي عليهم حتى قال
شعيب فكيف اسى على قوم كافرين وجائز ان يكون قول شعيب حيث قال فكيف اسى على قوم كافرين حين علم انهم يهلكون
وينزل بهم العذاب اي لا احزن عليهم ما ذكر وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير قال ذلك في الوقت الذي قال
فلا تقعدوا بكل صراط يقول كيف احزن على قوم وعلمهم ما ذكر وقوله فتولى عنهم حين راهم هلكى فقال فكيف اسى
على قوم اي كيف احزن على قوم قد كذبوا في واختاروا عداوتي وصاروا على اعداء فكيف احزن عليهم بالهلاك
وهم اعدائي وقوله يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قد ذكرنا وقوله عزوجل وما ارسلنا في قرية من نبي الا
اخذنا اهلها بالباساء والضراء في الاية اضمار والله اعلم من وجهين احدهما قوله وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبوه الا
اخذنا اهلها المكذبين له بالباساء وما ذكروا لانه لا يحتمل ان يرسل اليهم رسولا ثم ياخذهم بما ذكر من غير ان كان
منهم ردا وتكذيبا له والثاني وما ارسلنا في قرية اهلكنا من نبي الا اخذنا اهلها قبل الهلاك بالباساء والضراء لعلهم
يتضرعون ثم لم ياخذ الله قوما بالهلاك قبل ان يبعث اليهم الرسول وقبل ان يغيروا ما انعم عليهم بانفسهم
كقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا الاية وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال ان
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وغير ذلك من الايات
اخبر انه لا ياخذهم بالعذاب والهلاك الا بعد قطع العذر لهم من جميع الوجوه وان كان له الاهلاك قبل ان يبعث
اليهم الرسول لما ركب فيهم من العقول السليمة مما بها يوصل الى فهم كل ما جعل فيهم من اثار وحدانيته وايات
ربوبيته وما جعل لهم من السمع والنطق ما به يوصل الى سمع كل ما غاب والنطق بكل ما يدون ما لم يجعل ذلك لغيرهم
من البهائم وما انعم عليهم من تصوير الصور ما لم يمن احدنا ويليه منها الى غيرها من الصور لكنه لا يهلكهم الا بعد بعث
الرسل اليهم لما ان الخلق على مراتب منهم من يفهم بالعقل لا يحتاج الى مؤنة السمع وهم الحكماء والعلماء الذين يدركون
الاشياء بالبديهة ومنهم من لا يدرك الا بدرك الا بمعونة السمع وهم كالصبيان انهم لا يدركون الا بالسمع وفضل
التنبيه ومنهم من لا يدرك بالعقل ذلك ولا بالسمع حتى يصيبهم الشدائد والغير في انفسهم وفيما انعم عليهم وهم كالبهائم
الذين لا عقل لهم ولا سمع ولكن يعرفون الشدائد وما يصيبهم من البلايا فعلى ذلك يمتحنهم عزوجل ويبتليهم بالشدائد
والبلايا اولا فان رجعوا عن ذلك وعرفوا نعمه والا اهلكهم بعد ذلك فعند ذلك ينتهون ويتذكرون وذلك قوله فاخذناهم
بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون وقوله بالباساء والضراء قد ذكرنا في صدر الكتاب وقوله عزوجل لعلهم يتضرعون
اي لكي يكون عليهم التضرع او لكي يلزمهم التضرع والتذكر وقوله ثم بدلنا مكان السيئة وهو ما ذكر اهل التاويل السعة
والرخاء بعد الشدة والقحط وما حل بهم من البلايا حتى عفوا قيل جمعوا واكثروا اي كشفنا عنهم ذلك حتى كثروا فعند ذلك اهلكهم
بغتة لان الهلاك في حال الشدة والبلاء لا يكون اخذا بغتة لان كل من حل به بلاء وشدة يخاف نزول الهلاك فاذا اهلك
في تلك الحال لم يكن اخذا بالهلاك بغتة الا ترى انه سمى الموت الذي يموت المؤمن من غير مرض حل به موت فجاءة والذي
يمرض يتقدم الموت لا وان الموت في الوجهين جميعا لا يعلم حلوله لكنه اذا لم يتقدم مرض فهو لا يخاف منه واذا كان به مرض
خاف به فلم يكن فجاءة فعلى ذلك اذا اخذوا في حال الشدة لم يكن اخذ بالبغتة لما يخافون فيه الهلاك واذا كانوا في سعة

ربناء لا يخافون فيؤخذون في تلك الحال فذلك اخذ بغتة وقال حتى عفوا قيل كان اهلك بعضهم وترك بعضا وترك بعضا حتى
عفوا اي كثروا من ذلك البعض ولكن الوجه فيه ما ذكرنا من البأساء والضراء والشدايد والقحط ثم كشف ذلك عنهم فكثروا ثم
اهلكهم والله اعلم وقوله عز وجل قد مس اباءنا الضراء والسراء قالوا ان اباءنا قد كان ينزل ذلك بهم ويصيبهم مرة
شدة ومرة نعمة فلم يكن ذلك بعقوبة لهم فعلى ذلك ما يصيبنا من الشدايد والبلاء بالبس ذلك بعقوبة لنا ولكن دوران
الدهر وتصرفه على الشدة والبلاء مرة ومرة على الخصب والسعة ثم اخبر انه اخذهم بغتة بعد قولهم قد مس اباءنا
الضراء والسراء وقوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا قيل ان يهلكوا بعدما اصابهم من الشدايد والبلاء با
لفتحنا عليهم بركات الاية اي لاعطوا كل خير ينال من السماء والارض والبركة ما ينال من كل خير على غير مؤنة البركة
كل شيء ينال بلا تبعة عليه ولا شدة ذكر ههنا انه يفتح عليهم بركات من السماء والارض لو امنوا واتقوا وذكر
اذا لم يؤمنوا ونسوا ما ذكروا به انه يفتح عليهم ابواب كل شيء ولم يذكر البركة ففيما لم يذكر البركة ينغصهم ما فتح عليهم
من كل شيء ويسوءهم وفيما ذكر فيه البركة بعد الايمان لا يلحقهم من ذلك تبعة ولا غرم والله اعلم وقوله عز وجل ولكن
كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون وقيل قوله ولكن كذبوا النعم التي انعمها عليهم اي الرسل فاخذناهم بما كا
يكسبون من التكذيب والله اعلم وقوله عز وجل افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون خرج هذا
في الظاهر مخرج الاستفهام ولكن في الحقيقة على الايجاب كقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون الاية
هذا في الظاهر وان خرج مخرج الشك والارتياب فهو في الحقيقة على الايجاب كانه قال في قلوبهم مرض وارتابوا
وخافوا ان يحيف الله عليهم فعلى ذلك قوله افامن اهل القرى على الايجاب كانه قال قد امن اهل القرى ان يأتيهم
بأسنا ضحى الاية ثم اختلف في قوله افامن اهل القرى وامن اهل القرى الى اخر ما ذكر قال الحسن هذه الايات
في الامم السالفة اخبر انهم نزول بأس الله وعذابه بهم لكن ذكر في هذه الامة ليكونوا على حذر عن مثل
صنيعهم وقال الاخرون هذه الايات في قرى هذه الامة لانه لا من السالفة يقول انس هؤلاء بأسنا كما امن اولئك
منه فانهم اذا صنعوا صنيعهم نزل بهم في الاخرة من العذاب مثل ما انزل باولئك في الدنيا من العذاب وقوله بأسنا بياتا
وهم نائمون وضحى وهم يلعبون اخبر ان العذاب انما نزل بهم في حال الامن وهو وقت النوم واللعب لانه هو وقت
الغفلة والسهو وامن ما يكون الانسان انما يكون في حال النوم وانما نزل بهم في وقت الغفلة والسهو يذكر بهذا والله
اعلم اهل مكة وغيرهم من الكفرة بتكذيبهم رسول الله لئلا يكونوا امنين عن بأسه بدا في وقت من الاوقات
والله اعلم وقوله عز وجل افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون المكر في الشاهد هو ان يراقب
من عدوه حال غفلة لينتقم منه وينتصر فاذا كان ما ذكرنا فسمى ما ينزل بهم من العذاب في حال الغفلة مكروا وعلى
ذلك الامتحان فيما بين الخلق هو استظهار ما خفي على بعضهم من بعض فيأمرون بذلك وينهون فسمى الله تعالى
ذلك امتحانا لمعنى الامر والنهي وان كانت الخفيات عن الخلق ظاهرة له بادية عنده وقوله عز وجل فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون فالاية على المعتزلة لانهم يامنوا مكر الله في العفو ومغفورة ليس له ان يعذبهم عليها
فهم امنون من مكره ويائسون رحمته لقولهم في الكبائر ان ليس له ان يعفو عنهم وقد اخبر انه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون وهم قد ايسوا من رحمة الله في الكبائر وامنوا مكره عن الصغائر فهذا تأن الايتان
على المعتزلة وقوله افامنوا مكر الله او جزاء مكرهم سمى جزاء المكر مكرا كما سمى جزاء السيئة وجزاء الاعتداء وان
لم يكن الثاني اعتداء ولا سيئة فعلى ذلك تسمية جزاء المكر مكرا وان لم يكن الثاني مكرا والله اعلم الا ترى انه
لم يجز ان يسمى مكارا ولو كان على حقيقة المكر يسمى بذلك دل انه جزاء وجائز ان يكون المراد من مكره جزاء
مكرهم سمى الجزاء باسم المكر لانه جزاؤه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية ليست بسيئة وقوله عز و
جل او لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها على تأويل من يجعل الاية في الامم السالفة يقول او لم يوفقوا ولم
يرشدوا او لم يهد للصواب بهلاك امة بعد امة وقوم بعد قوم وعلى تأويل من يقول بان الاية في هذه الامة
يقول او لم يبين لهؤلاء الذين ورثوا الارض من بعد هلاك اهلها ان لو نشاء اصبناهم بعذاب بذنوبهم
كما اصاب اولئك العذاب بذنوبهم وقوله او لم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي من بعد هلاك اهلها
وقوله او لم يهد على اسقاط الواو والالف اي لم يهد للذين يرثون الارض ثم يحتمل قوله لم يتفكروا بما اهلك الاولين
وما حل بهم بتكذيبهم الرسل انهم كانوا اذا تركوا التفكر والنظر فيهم وما نزل بهم كانوا اذا تركوا التفكر والنظر
فيهم وما نزل بهم لم يهدهم والثاني قد هداهم لكن نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به وهو ما نفى عنهم من السمع
والبصر والعقل لما لم ينتفعوا به ويحمل على غير اسقاط او كانه قال او لم يهد الذين يرثون الارض ولم يهدهم
الرسول قدرة الله في اهلاك الامم الخالية فعلى ذلك هو قادر على اهلاك الذين يرثون الارض من بعد اهلها
يحتمل هذه الوجوه التي ذكرنا والله اعلم او يقول او لم يهدهم وان الارض من بعد هلاك اهلها انهم بم اهلكوا
حتى يرتدعوا ويمتنعوا عن مثله وقوله او لم يهد للذين يرثون الارض يخرج على وجهين احدهما قد هداهم
وبين لهم ان من تقدمهم انما هلكوا بما اصابوا من ذنوبهم من التكذيب والعناد لكن لم يهتدوا والعناد هم
والثاني لم يهدهم لما لم يتفكروا فيها ولم ينظروا على التلاوة فرتب باسقاط وقوله ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم فان كانت في الامم السالفة فقوله ان لو نشاء اصبنا قوما بعد قوم بذنوبهم وان كانت في الذين يخلفون

قوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم على ما اصاب اولئك بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون والطبع يحتمل
الختم اي ختم على قلوبهم ويحتمل الطبع ظلمة الكفر اي ستر قلوبهم بظلمة الكفر كقوله وكل شيء ستر شيئا وتغشاه فهو
طبع فهم لا يسمعون يحتمل وجهين يحتمل لا يسمعون لما لا ينتفعون به ويحتمل لا يسمعون اي لا يجيبون
كقوله سمع الله لمن حمده قيل اجاب الله لمن حمده اي دعاه وقوله عز وجل تلك القرى نقص عليك من انبائها قوله
نقص عليك اي قصصنا عليك مما قص عليه من الانبياء بخبر رسول ان القرى التي كانت من قد سألوا رسلهم
الايات لمجاوزة ما ولم يصدقوها فعلى ذلك هؤلاء انك لو انبت ما سألوك من الايات لم يؤمنوا بها ولم
يصدقوها يخبره عن تعنتهم ومكابرتهم وعنادهم والثاني يذكر ان الايات ليس يجب ان يأتوا بها من الجهة التي
يريدون انما يجب ان يأتوا ما هو حجة وقوله عز وجل ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يحتمل الانباء التي انبات
الرسل اقوامهم من نزول العذاب بهم بالتكذيب والكفر بها ويحتمل البينات التي تدل على صدق الرسل بما يقولون
ويخبرون بعدما سألوهم الايات لكن ردوها وردوا عنادا ومكابرة بعدما عرفوا انها حق وقوله عز وجل
فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اي ما كانوا ليؤمنوا لما رأوا بأسنا بما كذبوا من قبل اي لا ينفعهم ايمانهم
عند رؤيتهم بأس الله كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل ويحتمل ما كانوا ليؤمنوا بسؤالهم
الايات اذا اتاهم الايات بما كذبوا من قبل لان تركهم الايمان وتكذيبهم الرسل ليس لما لم يكن لهم
الايات ولكن للتعنت فاخبر انهم وان سألوا الايات فانهم لا يؤمنون والثالث ما كانوا ليؤمنوا بما يخبرهم
الرسول من اتيان العذاب بهم بما كذبوا من قبل الانبياء عليهم السلام وقوله عز وجل وما وجدنا لاكثرهم
من عهد يحتمل العهد المذكور وجوها ثلاثة احدها عهد الخلقة لما في خلقة كل احد الشهادة بالوحدانية له والالوهية
فلم يوفوا بتلك العهود بل نقضوها والثاني العهد الذي اخذ الله عليهم على لسن الرسل كقوله وقال الله اني
معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي الاية فلم يوفوا بذلك والثالث ما اعطوا هم من انفسهم
من العهد كقول فرعون لموسى يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلم يوفوا بما اعطوهم
من العهود وقوله عز وجل وان وجدنا اكثرهم لفاسقين وقد وجدنا اكثرهم فاسقين بنقض العهد و
الله اعلم وقوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى يحتمل قوله ثم بعثنا من بعد هلاك قرون كثيرة موسى
رسولا باياتنا الى فرعون وملائه يحتمل قوله باياتنا حججنا ثم يحتمل حجج وحدانية الله والوهيته ويحتمل
ايات رسالته ونبوته وعلى قول الحسن باياتنا وعلى ذلك ديننا ولجميع الايات التي ذكرت في القران وقوله عز وجل
الى فرعون وملائه ان موسى كان مبعوثا اليهم جميعا الى فرعون والملاء والاتباع جميعا لانه كان مبعوثا
الى فرعون وملائه خاصة دون الاتباع وكذلك ذكر في مكان اخر الى فرعون خاصة وهو بعث اليهم جميعا
لكن يخرج تخصيص ما ذكر هؤلاء القادة والله اعلم لما ان الذي نازع الانبياء والرسل هم الكبراء والرؤساء
دون الاتباع والسفلة والاتباع هم الذين يصدرون لاراء الكبراء ويتبعونهم فيما يدعونهم اليه وعلى ذلك
سموا الكبراء والرؤساء اضداد الرسل والا كان موسى مبعوثا اليهم جميعا الوضيع منهم والرفيع وقوله عز وجل
فظلموا بها قال بعضهم قوله فظلموا بها اي ظلموا الايات والحجج التي اتى بها موسى الى فرعون وقومه سمى ظلما لانهم سموا
تلك الايات سحرا بعدما عرفوا انها منزلة من الله فوضعوها غير موضعها والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقال
قائلون قوله فظلموا بها اي ظلموا نعم الله التي انعمها عليهم حيث عبدوا غيره فصرفوا شكر تلك النعم الى غير الذي
انعمها عليهم فذلك ظلم شكروا من لم ينعم عليهم وصرفوا عن انعم عليهم والله اعلم ويحتمل ظلموا الاتباع بتلك الايات
حيث منعوهم عن اتباع الرسول واستتبعوهم او يقول ظلموا انفسهم حيث تركوا اتباعها وقوله عز وجل فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين هذا الخطاب في الظاهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان المراد بالخطاب غيره امر كل
بالنظر في عاقبة المفسدين لما حل بهم بفسادهم لان من نظر في عاقبة ما حل بغيره بمعصيته او فساد يمتنع عن مثله ويمكن
ان يكون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهين احدهما لما انه بما حل بهم بعض التسلي لانهم كانوا اذاه لانه
من يتوهم حلول الهلاك على عدوه في العاقبة صبر على اذاه ويكون له بعض التسلي في ذلك يذكرهم وينبههم
بما حل بهم في العاقبة ليمتنعوا عما ارتكبوا من المعاصي لان ذلك ازجر وقوله عز وجل وقال موسى يا فرعون اني
رسول من رب العالمين فان قيل كيف قال اني رسول الله وذلك يخرج في الظاهر مخرج الامتداح والتزكية
وقد نهينا عن ذلك لا ترى خبر يحل الذي يوضع الرسالة فيه وانه اهلها قبل ليس فيه امتداح نفسه ولا تزكية
له لانه انما يذكر منة الله تعالى انه جعله بحيث يوضع فيه الرسالة وجعله اهلا لها والتزكية والامتداح انما
يقع فيما هو فعله حقيقة لا فضل الله وان كان تزكية وامتداحا فهو قد امر بذلك فجاز ذلك بالامر واراد
بذلك تعريفهم لما كان من عادة الملوك انهم اذا بعث بعضهم الى بعض رسولا فانهم لا يستقبلون الرسل
بالمكروه والتعرض بل يعظمون الرسل ويكرمونهم وان كان بينهم معاداة فذكر انه رسول من رب العالمين
لئلا يستقبل بالمكروه وقوله من رب العالمين قيل العالم هو جوهر الكل وهو قول الفلاسفة وقال ابو بكر
الاصم رب العالمين اي مليك الخلائق وقوله عز وجل حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قال اهل التاويل
ان موسى لما قال لفرعون اني رسول من رب العالمين فقال له كذبت فعند ذلك قال له موسى حقيق على

ان لا اقول على الله الا الحق وامكن ان يكون ذلك منه على غير تكذيب القول من فرعون ولكنه قال ذلك لما انه حقيق على كل احد اكرمه الله بالرسالة واختاره لها ان لا يقول على الله الا الحق وان يقول انى رسول من رب العالمين حقيق على ما اكرمنى بالرسالة ان لا اقول على الله الا الحق وان يقول انى رسول من رب العالمين حقيق على ما اكرمنى بالرسالة ان لا اقول على الله الا الحق وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فقد ذكرنا ان لا يصح الابتداء بهذا الا بعد ان يسبق من فرعون كلام فخرج ذلك الكلام من موسى جوابا لما كان منه وهو ما قال اهل التأويل ان قال له لما قال انى رسول من رب العالمين انك كذبت لم يرسلك الله او كلام نحو هذا فعند ذلك قال حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق اى ما كان ينبغى لى ان اقول على الله الكذب وهو كما قال عيسى سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق لما قال له أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله كان ذلك القول من عيسى ما ادعى قومه على عيسى انه قال لهم ذلك وكذلك قول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بعدما قال لهم اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فعند ذلك قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم خرج ذلك القول منهم جواب ما تقدم فعلى ذلك قول موسى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق خرج على تقدم قول كان منهم والله اعلم ومن قرأ حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فتأويله الحقوق على ان لا اقول على الله الا الحق ومن قرأ بتشديد على فتأويله حق على ان لا اقول على الله الا الحق وقوله عز وجل قد جئتكم ببينة من ربكم يحتمل بينة من ربكم ما يبين وحدانية الله والوهيته ويحتمل بينة الرسالة ما يبين انى رسول رب العالمين غير كاذب عليه ولا مفتر وقوله عز وجل فارسل معى بنى اسرائيل اى لا تستعبدهم فانهم ليسوا بعبيد لم يرد ارسالهم معه ولكن طلب استنقاذهم من العبودة كقوله ان عبدت بنى اسرائيل وقوله عز وجل قال ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين دل قول فرعون ان كنت باية موسى اراد بقوله قد جئتكم ببينة من ربكم الاية ودل قوله ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين انه قد كان عرف انه ليس باله وعرف عبودة نفسه حيث طلب منه الاية على صدق ما ادعى من الرسالة ولو كان عنده انه اله لكان قال لموسى انا الاله فمتى ارسلتك ولم يطلب منه الاية وقوله عز وجل عصاه فاذا هى ثعبان مبين قال ابو عوسجة الثعبان الحية قال كل حية تسمى ثعبانا والثعابين جماعة وعن ابن عباس رضى الله عنه قال الثعبان هى الحية الذكر وقوله مبين اى مبين انها حية وهو كما ذكرنا فاذا هى حية تسعى مبين لا يشك احد انها ليست بحية ويحتمل مبين اى مبين ان ذلك التغيير والتحويل لا يكون الا من الله وقوله عز وجل ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ذكر نزع يده ولم يذكر مما ذا فهو ما ذكر فى اية اخرى وادخل يدك تخرج بيضاء من غير سوء اى من غير اذى ولا افة وقال اهل التأويل من غير برص ولكن عندنا من غير سوء من غير ان تستقبح او تستقذر لان خروج الشىء عن خلقته وجوهره مما يستقذر فاخبر انه لم يكن كذلك فان قيل لنا ما الحكمة فى ادخال يده جيبه على ما هى عليها واخراجه اياها بيضاء من غير ان كانت كذلك قبل ان يدخلها وكذلك صيرورة العصا حية بعد ما طرحها على الارض دون ان يصير حية وهى فى يده قبل ذلك والله اعلم انه انما اراد انه بعد ما اخرج العصا عن سلطانه وتدبيره ليعلم انها انما صارت لا بتدبيره وتغييره ولكن بالله عز وجل وكذلك اليد صيرها اية بعد ما غيبها عن بصره وتدبيره ليعلم انها صارت كذلك لا به ولكن بالله عز وجل الاية هى التى تخرج عن وسع الخلق وتدبيرهم وقوله عز وجل قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم وقال فى اية اخرى قال للملأ حوله ان هذا الساحر عليم يحتمل ان يكون فرعون قال للملأ ان هذا كذا ثم قال الملأ لقومه ان هذا الساحر عليم اراد والله اعلم تلبيس ما اتى به موسى من الاية على قومه واراد بقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره اغراء قومه عليه والسحر عندنا هو من ايات الرسالة ولو كان ما اتى موسى سحرا كان ذلك من ايات رسالته ونبوته لانه يستفاد لا بعلم من السماء وخبر منها وكذلك هذه الحرف والمكاسب التى تكتسب فى الخلق لا تنال ولا تعلم الا بالوحى من السماء لكنه ليس باية على الاشارة ولو كان ما اتى به سحرا لكان له اية لانه نشأ بين اظهرهم لم يروه اختلف الى ساحر قط لا عرف انه تعلم ذلك من احد فدل ذلك انه من الاية لكنه اخرج ذلك مما عرفوا من السحر لما لا كل احد يعرف انه لم يختلف فى ذلك ولا تعلم من احد فاخرجه عن وسع السحرة وتدبيرهم ليعرف كل احد انه ايات رسالته ونبوته لا السحر والله اعلم وقوله عز وجل يريد ان يخرجكم من ارضكم كان موسى لا يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن الله اعلم كانه قال فرعون لقومه لو اتبعتم موسى واجبتموه الى ما يدعو اليه لاخرجكم لكن اضاف ذلك الى موسى لما كان هو سبب اخراجهم والله اعلم او يقول يريد ان يذهب بعيشكم الطيب وراحتكم وتلذذكم بانواع التلذذ لانهم كانوا يستعبدون بنى اسرائيل ويتخذونهم ويستخدمونهم ويتمون فيقول القبط يريد ان يذهب بذلك كله عنكم وجائز ان يكون موسى لم يكن يريد ان يخرجهم من ارضهم ولكن يريد ان يخرجهم من دينهم الذى كانوا عليه ولكنه كان يغرى قومه عليه وقوله فماذا تأمرون دل هذا القول من فرعون انه كان يعرف انه ليس باله ولا رب لانه لو كان ما يقول انا ربكم الاعلى لكان لا يطلب من قومه الامر والاشارة فى ذلك دل ذلك انه كان يعرف عجزه وضعفه لكنه يكابر ويلبس على قومه ويموه بقول ان هذا الساحر عليم وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا الحرف حرف اغراء وتحريش عليه وقوله فماذا تأمرون هو حرف تقرب حيث جعل اليهم الامر والاشارة وجعلهم من اهل مشورته وقوله قالوا ارجه واخاه هذا الحرف لا يقال ابتداء الا ان يكون هنالك تقدم شىء فكانهم هموا بقتله كقوله ذرونى اقتل موسى وليدع ربه فقالوا له ارجه اى اخره واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق جميعا كانوا يمنعون فرعون عن قتله الا ترى انه قال ذرونى اقتل موسى لو لم يكن منهم منع عن قتله لم يكن ليقول لهم ذرونى

اقتل موسى

اقتل موسى وقوله قالوا ارجه واخاه قال القتبى ارجه واخاه هارون يقول احبسه اى اخره ومنه قوله ترجى من تشاء منهن سميت المرجئة وقال ابن عباس رضى الله عنه ارجه واخاه ولا تقتلهما وارسل فى المدائن حاشرين اى ارسل الى المدائن الشرط فاتوه من المدائن حاشرين اى يحشرون عليك السحرة والناس الى هذا يذهب ابن عباس رضى الله عنه وقوله يأتوك بكل ساحر عليم لا تقتلوه حتى يأتوك بكل ساحر عليم اى يجتمع كل انواع السحر ليتبين سحره والا كان ساحرا واحدا كاف ولكن ارادوا والله اعلم بقوله يأتوك بكل ساحر عليم يجتمع جميع انواع السحر عنده ليتبين سحره وقوله عز وجل وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين فى المنزلة والقدر وعندى هذا يبين ان همة الساحر ليس الا الدنيا لانهم طلبوا من فرعون الاجر والقدر والمنزلة عنده ان كانوا هم الغالبين ولا يجوز من همته الدنيا وما ذكر ان يكون له الرسالة بحال وهمة الانبياء كانت الدين وطلب الاخرة وقوله عز وجل قالوا يا موسى اما ان تكون نحن الملقين هذا ليس على الالقاء هذا وترك اولئك الالقاء لانه لو كان على الالقاء احدهما لكان لا يتبين السحر من الاية لكن الالقاء الاول كانهم قالوا يا موسى اما ان تلقى اولا او نحن الملقون اول مرة وهو كما ذكر فى اية اخرى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى وقول موسى القوا كانه امر ربه ان يأمر بذلك قال موسى القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم هذا يدل ان السحر انما يأخذ الابصار على غير حقيقة كانت له وهو كالسراب الذى يرى من بعيد كقوله يحسبه الظمآن ماء الاية فعلى ذلك السحر يأخذ الابصار ظاهرا فاذا هو فى الحقيقة باطل لا شىء و كالخيال فى القلوب لا حقيقة له وكان قصدهم بالسحر استرهاب الناس وتخويفهم به الا ترى ذكر فى اية اخرى فاوجس فى نفسه خيفة موسى وقد ذكرنا ان ما جاء به الرسل لو كان سحرا فى الحقيقة لكان ذلك حجة لهم فى اثبات الرسالة لان قومهم لم يروهم اختلفوا الى ساحر قط فيدل ذلك انهم انما عرفوا ذلك بالله تعالى وهو كالانباء التى اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فاوجس فى نفسه خيفة موسى يخرج على وجهين احدهما اخذ سحرهم بصره كما اخذ اعين الناس والثانى خاف ان سحرهم يمنع اولئك عن رؤية حقيقة ما جاء به وقوله سحروا اعين الناس اى حيروا كقوله مسحورون اى مأخوذ ابصاركم وقوله عز وجل واوحينا الى موسى ان الق عصاك فيه ان موسى كان لا يلقى عصاه الا بعد الامر بالالقاء وكذلك قوله اضرب بعصاك الحجر وان اضرب بعصاك البحر فانفلق ونحوه كان لا يضرب بالعصا ولا يلقى الا بعد الامر بالالقاء والضرب ليعلم ان فى ذلك امتحانا لموسى فيما يأمر بالالقاء على الارض لتصير حية وفيما يأمره بالضرب بها الحجر والبحر ولله ان يمتحن عبده بما شاء من انواع المحن والا كان قادرا ان يفلق البحر على غير الامر بالضرب بالعصا وكذلك يفجر الحجر ويشق على غير ضرب بالعصا وكذلك تصير تلك العصا حية وهى فى يده ولكن امره بذلك كله والله اعلم امتحانا منه اياه وابتلاء اذ هى دار محنة وابتلاء اذ فى زمن موسى كان السحر هو الظاهر وكان الناس وقتئذ يعملون بالسحر فجاء موسى من الايات على رسالته بنوع ما كانوا يعملون به ومن جنس ذلك ليعرفوا خروجه عن وسعهم ان ذلك ليس بسحر ولكن اية سماوية وكذلك ما جاء عيسى من الايات جاء بنوع ما كان يعمله قومه وهو الطب فجاء بنوع الطب ليعلموا انه بالله عرف ذلك وقوله عز وجل فاذا هى تلقف ما يأفكون قال القتبى تلقف تلتقم وتلقم اشتقاقه من اللقم والابتلاع وقوله وما يأفكون قيل ما يكذبون قال الحسن تلقف ما يأفكون حبالهم وعصيهم وقيل تلقف ما يأفكون ما جاءوا به من الكذب وقوله عز وجل فوقع الحق قيل اى ظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون هذا يحتمل وجهين احدهما بطل ما كانوا يعملون اى بطل ما عملوا من السحر والثانى بطل ما كانوا يعملون اى تلك السحرة العمل بالسحر اذ ظهر الحق لهم والله اعلم وقوله عز وجل فغلبوا هنالك اى عند ذلك غلب السحرة لانهم قالوا لفرعون فى الابتداء ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فذكر هاهنا انهم غلبوا عند ظهور الحق لا انهم صاروا غالبين وقوله فغلبوا هنالك ليس غلبة القهر والقسر ولكن غلبة بالحجج والبراهين اى غلبوا بالايات والحجج وقوله عز وجل وانقلبوا صاغرين قال بعض اهل التأويل رجع السحرة لما غلبوا صاغرين مذللين لكن نقول رجع فرعون وقومه الى منازلهم مذللين لا السحرة قد آمنت افلا يحتمل ان يوصفوا بالرجوع صاغرين مذللين وقد رجعوا مع الايمان وقوله والقى السحرة ساجدين اختلف فيه قال بعضهم قوله القى اى امروا بالسجود فسجدوا وقال اخرون قوله القى اى لسرعتهم ما سجدوا كانهم القوا والاية ترد على المعتزلة لانهم ينكرون ان يكون لله تعالى فى فعل العباد صنع وهاهنا قد اضيف الفعل الى غيرهم بقوله والقى السحرة ساجدين دل ان الله فى فعل العباد صنع وهو ان خلق فعل السجود منهم وقال جعفر بن حرب يجوز ان يضاف الفعل الى غيره وان لم يكن لذلك الغير فى ذلك الفعل صنع نحو ما يقال فى الشعر ان هؤلاء خلقوا اولئك وهم لم يخلقوا اولئك فى الحقيقة ولا صنع لهم فى التخلق ثم اضيف اليهم فعل التخليق فعلى ذلك هذا يقال ان هم فى ذلك صنع وهو انهم اذا لم يتنظروهم فقد خلفوهم ولهم فى ذلك صنع فاضيف اليهم او ان يقال انهم لا يملكون تخليف هؤلاء فاما الله سبحانه وتعالى قادر ان يلقيهم اى يخلق منهم فعل السجود فاضيف الفعل اليه لذلك وقوله عز وجل قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون قال بعض اهل التأويل انهم لما قالوا امنا برب العالمين قال لهم فرعون اياى تعنون فعند ذلك قالوا لا ولكن رب موسى وهرون ولكن لا ندرى هذا وموسى اول ما جاء فرعون ودعاه الى دينه قال انى رسول من رب العالمين فلا يحتمل ان يشكل عليه قولهم امنا برب العالمين انهم اياه عنوا بذلك وجائز ان يكون امنا برب العالمين

الذي ارسل موسى وهرون رسولا وقوله قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم هذا يدل على ان الايمان هو التصديق
لا غير لانهم لما قال السحرة امنا برب العالمين قال لهم فرعون امنتم به وهم لم يأتوا بسوى التصديق دل على ان الايمان
هو التصديق الفرد لا غير وقوله عز وجل ان هذا لمكر مكرتموه اي شيء صنعتموه فيما بينكم وبين موسى وهو كما قال في اية
اخرى انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقوله عز وجل لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف هذه الجملة باشد العقوبة
والنكال والالم يوعدهم بقطع الايدي والارجل من خلاف اذ ذلك ابر واقل في العقوبة من القطع من جانب
والقطع من جانب اشد وانكل من القطع من خلاف اذا القطع من خلاف لا يمنع القيام ببعض المنافع ولا يعمل في
اتلاف النفس اذ جعل ذلك حدا في بعض العقوبات ولم يجعل القطع من جانب عقوبة بحال دل انه اشد وانكل
ويعمل في اهلاك النفس والقطع من خلاف لا يعمل دل انه لجهله ما قال او ان اختار القطع من خلاف ليكون
مؤنة الطلب عليهم لا عليه لان المقطوع من خلاف قد يمكن له الصعود على الخشبة والثاني لا والله اعلم وقوله قالوا
انا الى ربنا منقلبون وقال في موضع اخر لا ضير هذا والله اعلم يخرج على وجهين على الاقرار منهم بالبعث والايمان
به والثاني وعيد منهم لفرعون حيث اوعدهم بقطع الايدي والارجل والصلب وغير ذلك من العقوبات
فقالوا انا وانت الى ربنا منقلبون فتجزى وتعاقب جزاء صنيعك ربنا وقوله عز وجل وما تنقم منا الا ان امنا بايات
ربنا لما جاءتنا قيل لوجهين قيل قوله وما تنقم منا اي وما تعيب علينا وتطعن الايمان بما كان منا من الايمان
بايات ربنا لما جاءتنا وهو ما جاءهم ما جاءهم من الايات وقيل وما تعاقبنا وما ينتقم منا الا ان امنا
بايات ربنا وكان الحق علينا وعلينا وعليك ان تؤمن بها كما امنا نحن وقوله عز وجل ربنا افرغ علينا صبرا قوله افرغ
علينا صبرا قوله افرغ قيل انزل علينا صبرا وقيل اغمرنا صبرا وقيل اصبب علينا صبرا وهو كله واحد ثم يحتمل سؤاله
لهم الصبر لما لعله اذا فعل بهم بما اوعدهم من العقوبات لم يقدروا على التصبر فيتركون الايمان لذلك سألوا
ربهم التصبر على ذلك ليثبتوا على ذلك ليثبتوا على الايمان به وتوفنا مسلمين سألوا ربهم ايضا التوفي على الاسلام
وهكذا كان دعاء الانبياء كما قال يوسف توفني مسلما الاية وكذلك كان اوصى ابراهيم بنيه حيث قال ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وهكذا الواجب على كل مؤمن ومسلم ان يتضرع الى الله في كل وقت
ويبتهل اليه في كل ساعة لئلا يسلب الايمان لكسب يكتسبه اذ الانبياء والرسل صلوات الله عليهم مع عصمتهم
كانوا يخافون ذلك ليعلم ان العصمة لا تسقط الخوف ولا تؤمن من الزلات وقوله ربنا افرغ علينا صبرا دلالة
على انهم علموا انهم اذا افرغ عليهم الصبر صبروا اذ لو لم يعلموا ذلك لم يكن لسؤالهم الصبر معنى فهذا على المعتزلة
في قولهم انه يفرغ ولا يصبروا انه قد اعطاهم غاية ما يصلح في الدين فدل سؤالهم ذلك على انه لم يعطهم وان
عنده مزيد لو اعطى لهم ذلك كان وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
قال بعضهم في اخراجكم من ارض مصر وافساد كم العيش عليكم او ما ذكروا من ترك عبادة فرعون واخذ منه ويذرك
والهتك وقد قرئ والهتك فمن قرأ والهتك حمله على العبادة اي يذرك وعبادتك ومن قرأ والهتك وهو قول
ابن عباس ومجاهد وقالوا ان فرعون قد كان جعل لقومه الهة يعبدونها ليتقربوا بعبادتهم تلك الاصنام الى
فرعون على ما كان يعبد اهل الشرك الاصنام دون الله ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويذرك والهتك
التي جعلت لهم وقال اخرون ان فرعون كان يعبد الاصنام والاوثان على ما عبد غيره وقال غيرهم لا يحتمل
ان يكون هو لا صنام ولكن لقومه الاصنام على ما ذكرنا الا ترى انه قال انا ربكم الاعلى ثم قال سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم قال بعضهم قوله سنقتل ابناءهم يعني رجالهم ونستحيي نساءهم لانه لا يحتمل قتل الابناء ولم يكن
منهم اليه صنع انما كان ذلك من الرجال وقال بعضهم قد كان فرعون يقتل ابناء بني اسرائيل في العام الذي قيل له انه
يولد مولود يذهب بملكك ويغير دين اهل الارض فلم يزل يقتلهم في ذلك العام الابناء ويترك البنات فذلك
قوله سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم والله اعلم وقوله عز وجل وانا فوقهم قاهرون قيل مسلطون عليهم
فان قيل لنا ما الحكمة في ذكر هذه القصص والانباء السالفة في القرآن قيل لوجوه والله اعلم ان فيها دليل اثبات
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لان هذه القصص والانباء كانت في كتبهم مبينة وقد علموا ان لسانه
كان على غير ما كانت كتبهم وعرفوا انه لم يختلف الى احد ممن يعرف ذلك ليتعلم منه ولا سمع من احد منهم ثم
انباءهم على ما كانت دل انه انما عرف ذلك بمن يعلم علم الغيب والثاني ان البشر جبلوا على حب الاستماع الى الاخبار و
الاحاديث وحبب ذلك في قلوبهم حتى ان واحدا منهم يولد احاديث ويثبتها من ذات نفسه لان يستمعوا
في ذلك اليه ويسمعوا منه فذكر لهم هذه الانباء والقصص ليكون استماعهم اليها وسماعهم لها وذلك احسن
القصص بقوله نحن نقص عليك احسن القصص والثالث ذكر لهم هذا ليعلموا ما حل بهم في العاقبة من الهلاك
والاستئصال وانواع العذاب بفسادهم وتكذيبهم الرسل وما عاقبة المفسد منهم والمصلح ليكون ذلك
زجرا لهم عن صنيع مثلهم والرابع ذكر ذلك ليعرفوا كيف كانت معاملة الانبياء والرسل اعداءهم ومعاملة
الاعداء الرسل ليعاملوا اعداءهم مثل معاملتهم والخامس انهم كانوا ينكرون ان يكون من البشر رسولا فاخبر
الرسل الذين كانوا من قبل كانوا كلهم من البشر والسادس انهم كانوا يعبدون هذه الاصنام والاوثان ويقولون
بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وانا على اثارهم مقتدون فاخبر ان كان في ابائهم السعداء وغيرهم الانبياء فكيف

اقتديتم بالاشقياء منهم وهلا اتبعتم بالسعداء دون الاشقياء والسابع فيها ان كيف الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن يأمر به ومن ينهى عنه وايضا ان فيه ذكر الصالحين منهم بعدما
ماتوا وانقرضوا فكانوا بالذكر كالاحياء وقوله عز وجل قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا يحتمل قوله
استعينوا بالله على اداء طاعته ربما يتقربون به الى الله ويكون لهم زلفى لديه او ان يقولوا لهم استعينوا بالله
بالنصر لكم والظفر واصبروا على الاذى والبلاء ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يحتمل هذا وجهين يحتمل ان
يخرج ذلك من موسى مخرج الوعد لهم بالنصر والظفر على الاعداء ويجعل الارض لهم من بعد اهلاك العدو وهو
كما ذكر في موضع اخر ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الاية ويحتمل
ان يخرج ذلك منه مخرج التصبر على الرضاء بقضاء الله تعالى ان الارض له يصيرها لمن يشاء فاصبروا انتم على البلايا
وارضوا بقضائه والعاقبة للمتقين قال الحسن العاقبة اي الاخرة للمتقين خاصة واما الدنيا فانها بالشركة بين اهل
الكفر واهل الاسلام يكون لهؤلاء مالا ولئك واما الاخرة فليست للكفار انما هي للمؤمنين خاصة وهو ما ذكر في
اية اخرى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية فعلى ذلك هذا والله اعلم وقال
غيره والعاقبة للمتقين اي عاقبة الامر بالنصر والظفر للمتقين على اعدائهم وان كان في الدفعة الاولى عليهم وقوله
عز وجل قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يخرج هذا على وجهين احدهما ان يخرج مخرج استبطاء
النصر والظفر لهم كانهم استبطؤا النصر واهلاك العدو والظفر عليهم فقال لهم موسى عند ذلك عسى
ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض والثاني ان يخرج ذلك منهم مخرج الاعتذار لموسى لما خطر ببال
موسى انهم يقولون ان ما اصابهم من البلايا والشدائد انما كان لسببه ولمكانه فقالوا ذلك له اعتذارا منهم
له ان قد اصابنا ذلك نحن من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا لئلا يتوهم انهم يقولون ذلك او يخطر ببالهم
ذلك والله اعلم وجائز ان يكونوا قالوا ذلك على التعيير له والتوبيخ يقولون يزل يصيبنا من الاذى لسببك
ولاجلك من قبل ان تأتينا من الاستخدام ومن بعد ما جئتنا من انواع الضرر وقوله عز وجل عسى ربكم ان يهلك
عدوكم ويستخلفكم والعسى من الله واجب فوعدهم هلاك العدو واستخلافهم في الارض وقال بعض اهل
التأويل فقوله اوذينا في سببك من قبل ان تأتينا بالرسالة يعنون بالاذى قتل الابناء واستخدام النساء ومن
بعد ما جئتنا بالرسالة من الشدائد التي اصابتهم من بعد لكن الاول اقرب واشبه وقوله عز وجل فينظر
كيف تعملون يحتمل هذا ايضا وجهين احدهما ان يجعل لكم الارض ويوسع عليكم الرزق فيمتحنكم في ذلك ويبتليكم
لا انه يجعل لكم ذلك على غير امتحان تعملون ما شئتم في ذلك والثاني يمتحنكم بالشدائد والبلاء بالنظر كيف تصبرون
على ذلك ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول لهم عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم الارض فينظر كيف تشكرون
ربكم فيما انعم عليكم وقوله فينظر كيف الواقع لكم من الجزاء والثواب وقوله قال موسى لقومه استعينوا بالله
واصبروا امرهم والله اعلم بطلب المعونة من الله تعالى على قضاء جميع حوائجهم دينا ودنيا ويحتمل ان يكون
على طلب التوفيق لما امر به والعصمة عما حذره عنه وكذلك الامر البين في الخلق من طلب التوفيق والمعونة
عن الله والعصمة عن المنهي عنه جرت به سنة الاخيار وبالله المعونة ثم لا يصح ذلك على قول المعتزلة
لان الدعاء بالمعونة على اداء ما كلف وقد اعطى اذ على قولهم لا يجوز ان يكون مكلفا قد بقي شيء مما به
اداء ما كلف عند الله وطلب ما اعطى كتمان للعطية وكتمان العطية كفران فيصير كان الله امر بكفران نعمه
وكتمانها وبطلبها منه تعنتا وظن مثله بالله كفر ثم لا يخلو من ان يكون عند الله ما يطلب فلم يعط التمام
اذا او ليس عنده فيكون طلبه استهزاء به اذ من طلب الى اخر ما يعلم انه ليس عنده فهو هازئ به في العرف
مع ما كان الذي يطلب اما ان يكون الله لا يعطيه مع التكليف فيبطل قولهم لا يجوز ان يكلف وعنده ما به
الصلاح في الدين فلا يعطي او ليس له ان لا يعطي فكانه قال اللهم لا تجر ولا تظلم ومن هذا مثله بربه فالاسلام
اولى به فهذا مع ما لا يدعو الله احد بالمعونة والا ويطمئن قلبه انه لا يزل عند المعونة ولا يزيغ عند العصمة وليس
مثله يملك الله عند المعتزلة ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
عن ابن مسعود رضي الله عنه بالسنين قال بالجوع وقيل بالقحط ومجاهد بالسنين قال بالجوائح ونقص من الثمرات
دون ذلك وقال القتبي بالسنين بالجدب يقال اصاب الناس سنة اي جدب فان قيل ذكر انه اخذ آل فرعون
وكان فيهم بنو اسرائيل فما معنى التخصيص قيل يحتمل ان يكون ذلك لهم خاصة دون بني اسرائيل وان كان فيهم
على ما ذكر في بعض القصة القبط كانوا يشربون الدم وبنو اسرائيل الماء وكان الجدب والنقص من الثمرات
يضر آل فرعون ولا يضر بني اسرائيل لما انهم كانوا يأكلون الشهوة وبنو اسرائيل للحاجة كان اقل حاجة الى الطعام
ممن يأكل للشهوة فاذا لم يجدوا ما يأكلون للشهوة كان لهم اضر بهم الا ترى انه قيل يأكل المؤمن في معى واحد
والكافر في سبعة امعاء او خرج تخصيص ذلك لهم لما ان في عقد بني اسرائيل ان الله ان يمتحنهم بجميع انواع المحن
مرة بالشدة ومرة بالسعة ومن معتقد القبط لا فاضيف اليهم ذلك لما لم يكن في عقدهم ذلك وان كانوا جميعا
في ذلك وقوله عز وجل لعلهم يذكرون اي يتعظون ولعل من الله واجب فقد تعظوا لكنهم عاندوا وكابروا
والا فقد لزمهم الاتعاظ وقوله عز وجل فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه اي الخصب والسعة قالوا لنا

هذه

اى هذا ما كنا نعرفه ابدا وما جرينا على اعتياده او ان يقولوا لنا هذه بفرعون وبعبادتنا له وان تصبهم سيئة قيل الضيق والقحط يطيروا بموسى وقالوا ابشومه وهذا كما قال العرب لمحمد وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كانوا يضيفون ما يصيبهم من الحسنة الى الله لانهم كانوا يقرون بالله ولقبط لا يقولون ذلك بل يقولون لنا من فرعون او على الاعتبار فقال قل كل من عند الله فعلى ذلك قال هاهنا الا انما طائرهم عند الله ثم يحتمل هذا وجوها قيل جزاء تطيرهم عند الله في الاخرة وقيل طائرهم وشومهم الذي كانوا تطيروا بموسى كان بتكذيبهم موسى اضاف ذلك الى ما عنده من الايات لانهم بنزول تلك الايات وارسالها عليهم تطيروا بموسى بتلك الايات تجدد تطيرهم وتشأمهم وقال بعضهم قوله انما طائرهم عند الله اى حظهم عند الله فكذلك قال في قوله الزمناه طائره وهو كما ذكر فزادتهم رجسا الى رجسهم لما كذبوا تلك الايات زاد ما نزل من الايات من بعد رجسا الى رجسهم فعلى ذلك شومهم وطائرهم الذي كان بتكذيبهم موسى وقوله عز وجل يطيروا من التطير وهو من التشام يقال تشاءمت بفلان اى قلت هو غير مبارك وتطيرت بفلان ايضا مثله ويقال تبركت به اذا قلت هو مبارك ويقال تطيرت واطيرت منه وبه الا انما طائرهم اى شومهم ذلك يخافون منه هو من عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون بانه من عند الله كان بتكذيبهم موسى وقوله عز وجل وقالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين قال ابو بكر الكيساني نا وبله كلما تأتنا به تزعم انه تريد ان تسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين وقال ابن عباس والحسن وهؤلاء اى ما تأتنا من اية لتسحرنا بها الاية وقوله مه زيادة وهو قول القتبي ومعناه اى ما تأتنا وقال الخليل هو في الاصل ما ما احدهما زيادة فطرحت الالف وابدلت مكانها هاء طلبا للتخفيف وقال سيبويه النحوي قوله مهما تأتنا من اية مه كأنهم قالوا له مه اى اسكت كما يقول الرجل لاخر مه اى اسكت ما تأتنا من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين والسحر هو التخييل واخذ الابصار ولا حقيقة له كقوله انى لاظنك يا موسى مسحورا اى مخيرا وقوله سحروا اعين الناس ثم دل قولهم مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها وما نحن لك بمؤمنين انما قالوا ان هذا ساحر وانه سحر عن علم بالاية والنبوة له قالوا ذلك لا عن جهل وغفلة حيث قالوا مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها وما نحن لك بمؤمنين ذلك منهم اياس عن الايمان به وقبول الايات لانهم اخبروا انهم لا يقبلون الايات ولا يصدقونه في ذلك وقوله عز وجل فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى اخر ما ذكر قال اهل التأويل فالوا ذلك ارسل الله بعد السنين ونقص الثمرات الطوفان والايات التي ذكر ويحتمل ان يكون هذا وان كان مؤخرا في الذكر فهو مقدم لما قال ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات فارسلنا عليهم الطوفان والجراد الى اخره لعلهم يذكرون اى يتعظون ثم اختلف اهل التأويل في الطوفان قال بعضهم الطوفان الماء والمطر حتى خافوا الهلاك وهو قول ابن عباس وعن عائشة قالت سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الطوفان فقال الموت فان ثبت فهو هو وقيل الطوفان هو انواع العذاب والجراد هو المعروف والقمل قال بعضهم هو بنات الجراد يقال الدبا وقيل هو الجراد الصغار التي لا اجنحة لها والضفادع والدم ايات مفصلات قيل مفصلات اى متفرقات واحدا بعد واحد لم يرسل اية الا بعد ذهاب اخرى بعضها على اثر بعض وقيل مفصلات اى مبينات واضحات ما علم كل احد انه ليس من احد وليس من عمل السحر ولكن انه سماوية لان لو كان سحرا لتكلفوا في دفعه واشتغلوا بالسحر على ما اشتغلوا بسحر العصي والحبال فاذ لم يتكلفوا في ذلك لم يشتغلوا بدفع ذلك بل فزعوا الى موسى ليكشف ذلك عنهم ووعدوا له الايمان به وارسال بني اسرائيل معه دل فزعهم اليه في كشف ذلك عنهم على انهم قد عرفوا انه ليس بسحر ولكنهم اقروا بها انها ليست بسحر وانها ايات الا انهم فزعوا عند ذلك الى موسى فقال ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل ووعدوا له الايمان به وبعث بني اسرائيل معه ان كشف عنهم الرجز وقوله عز وجل بما عهد عندك اختلف فيه قال بعضهم بما عهد عندك ما عهد اليك انك متى دعوت ربك اجابك وقيل بما عهد عندك انا متى امنا بك وصدقناك كشف عنا الرجز فقالوا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل وقوله عز وجل ولما وقع عليهم الرجز الرجز العذاب الذي كان نزل بهم من الطوفان والجراد والقمل والدم وما ذكر قالوا لئن كشفت عنا الرجز يحتمل ان يكون كلما حل بهم نوع من العذاب فسالوا ان يكشف عنهم فقالوا لئن كشف لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشف عنهم الرجز نكثوا ذلك وعادوا الى ما كانوا من قبل ويحتمل ان يكون قولهم يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك بعد ما حل بهم انواع العذاب فعند ذلك قالوا لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشف عنهم نكثوا عهدهم وقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وعادوا الى ما كانوا فعند ذلك كان ما ذكر من قوله فانتقمنا منهم وقوله لنؤمنن لك بما تدعي بانك رسول ولنرسلن معك بني اسرائيل امكن ان يكون ليس على نفس الارسال ولكن على ترك الاستعباد اى لا نستعبدهم بعد هذا لانهم كانوا يستعبدون بني اسرائيل وقوله عز وجل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون قال الحسن قوله كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه ولو اطاعوا ووفوا بالعهد الذي عهد والكنهم لما نكثوا ذلك انتقمنا منهم وهذا الحرف يؤدي الى مذهب الاعتزال لانهم يقولون ان من قتل او عذب تعذيب اهلاك انما هلك قبل اجله واجله الموت لكن هذا يبطل ممن يجهل العواقب واما الله سبحانه تعالى عن ذلك ان يجعل له اجلين احدهما الموت

والاخر القتل ولكن جعل الاجل من في علمه انه يقتل القتل ومن يموت حتف انفه الموت وكذلك ما روي في الخبر ان صلة الرحم تزيد في العمر اى من علم منه انه يصل رحمه جعل عمره ابدا ممن يعلم انه لا يصل رحمه لا انه يجعل عمره الى وقت ثم اذا وصل رحمه زاد لما ذكرنا ان ذلك امر من يجهل العواقب واما من يعلم ما كان وما يكون انه لو كان كيف يكون لا وقوله عز وجل فانتقمنا منهم يحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم ما ذكر على اثره من الغرق فاغرقناهم في اليم ويحتمل ان يكون قوله فانتقمنا منهم من الطوفان وانواع العذاب الذي كان حل بهم ثم كان الاغراق من بعد وقوله عز وجل بانهم كذبوا باياتنا يحتمل الايات التي جاء بها موسى على وحدانية الله تعالى وربوبيته وحججه والايات التي تقدم ذكرها من الطوفان والجراد والقمل وما ذكر وقال الحسن باياتنا دينا وقوله وكانوا عنها غافلين قيل معرضين مكذبين بها لانهم كانوا على غفلة لا سهو منها لكنهم اعرضوا عنها مكابرين معاندين كانهم غافلين عنها وجائز ان يكون غافلين عما يحل بهم من العقوبة بتكذيبهم وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها هو ما سبق من الوعد لهم بوراثة الارض فيها وانزالهم فيها وهو قوله عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض وكقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين كان وعدهم الاستخلاف والانزال في ارض عدوهم ثم اخبر انه انزلهم واورثهم على ما وعدهم بقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون باستعبادهم مشارق الارض ومغاربها قيل فيه بوجوه قيل مشارق الارض ومغاربها مملكة فرعون مصر ونواحيها ما يلي ناحية الشرق وناحية الغرب وقيل كان في بني اسرائيل من بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها كقوله وفضلتهم على العالمين قيل عالمي زمانهم من نحو ذي القرنين وداود وسليمان وقيل مشارق الارض ومغاربها ان نضلوا على اهل مشارق الارض ومغاربها كقوله وفضلناهم على العالمين قيل عالمي زمانهم ثم تفضيله اياهم على البهائم بالجوهر والخلقة وعلى الجن بالرسالة والنبوة والمنافع وعلى جوهرهم من بني ادم بالرسالة والحكمة والملك كقوله وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله عز وجل التي باركنا فيها قيل ارض الشام وقيل ارض مصر ونواحيها وقيل سماه مباركا لانها مكان الانبياء عليهم السلام وقيل مباركة لكثرة انزالها وسعتها وقوله عز وجل وتمت كلمة ربك الحسنى قيل هي الجنة اى تمت لهم الجنة بما صبروا وقيل وتمت كلمة ربك الحسنى بما كان وعدهم انه ينزلهم فيها ويستخلفهم ثم ذلك الوعد وهو ما قال ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ثم ما وعدهم ان يمن عليهم وقوله عز وجل بما صبروا يحتمل بما صبروا على اذى فرعون ويحتمل بما صبروا من اداء ما وجب عليهم والله اعلم وقوله عز وجل ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال بعضهم قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه على الوقف على قومه وما كانوا يعرشون معطوفا على قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وما كانوا يعرشون وهو من العرش الذي يتخذه الملوك وقيل ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ايضا اى اهلكنا ما كانوا يعرشون قال القتبي يعرشون اى يبنون والعرش بيوت والعرش سقوف وقال ابو عوسجة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اى اهلكنا وافسدنا يعرشون يعرش ويعرس يعني يبنون من البيوت والكروم والاعناب وقيل في قوله كانوا يستضعفون يعني بالاستضعاف قتل الابناء واستحياء النساء بارض مصر ودمرهم الله ذلك وقيل في قوله وتمت كلمة ربك الحسنى وهي النعمة التي انعم على بني اسرائيل بما صبروا على البلاء حين كلفوا ما لا يطيقون من استعباد فرعون اياهم والكلمة التي ذكر في القصص من قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر دل هذا على ان لله في فعل العباد صنع وفعل حيث اضاف ونسب المجاوزة الى نفسه وهم الذين جاوزوا البحر دل ان له في فعلهم صنع وهذا ينقض على المعتزلة حيث انكروا خلق فعال العباد وبالله المعونة والعصمة وقوله عز وجل فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم العكوف هو المقام والدوام وقوله يعكفون على اصنام لهم اى وجدوهم عكوفا على عبادة الاصنام مقيمين على ذلك وقوله عز وجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها يشبه ان يكون سؤالهم الها يعبدونه لا على الكفر بربهم والتكذيب لرسوله ولكن لما لم يروا انفسهم اهلا للعبادة لله والخدمة له لما راوا في الشاهد انه لا يخدم الملوك الا الخواص لهم والمقربون اليهم ومن بعد منهم يخدم خواصهم فعلى ذلك هؤلاء سالوا موسى الها يعبدونه لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله والخدمة له لتقربهم عبادة تلك الاصنام الى الله ويخرج ذلك مخرج التعظيم لله والتبجيل لا على الكفر وصرف العبادة عنه الى غيره وكذلك كان عادة العرب انهم كانوا يعبدون الاصنام لتقربهم عبادتها الى الله زلفى وكذلك ما ذكر في بعض القصص ان فرعون كان يتخذ لقدمه اصناما يعبدونها لتقربهم عبادة تلك الاصنام اليه زلفى فعلى ذلك سؤال هؤلاء لموسى اجعل لنا الها والله اعلم او كان سؤالهم ذلك لما لم يروا في الشاهد احدا يخدم الا لحاجة تقع له الى ذلك فراوا ان الله يتعالى ان يعبد ويخدم لحاجة ويخدمون القادة والرسل ويعبدونهم لما راوا ينالون من النعم وانواع المنافع من الرؤساء والكبراء لذلك كانوا يخدمونهم واما اهل التوحيد فانهم لا يرون العبادة لغير الله لانهم ما من احد وان بعد منزلته ومحله الا واثار نعم الله عليه ظاهرة حتى عرف ذلك كل احد حتى لو بذل له جميع حطام الدنيا او وعد بكل انواع الوعد ليترك الدين الذي هو عليه ما ترك البتة وفي امر موسى صلوات الله عليه خصلتان احديهما ان يعلم ان كيف يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكيف يعامل مرتكب الفسق والمنكر يعامل على ما عامل موسى قومه باللين والشفقة وان استقبلوه بالعظيم من الامر والمناكير والثانية

بيان في الاجل

ويحتمل ان يكون سوالهم الها يعبدونه لما ان اهل الكفر قالوا لهم ان الرسل هم الذين امروهم بعبادة الاصنام كقوله والله امرنا بها فعلى ما قالوا ان الرسل هم الذين امروهم بذلك سالوا موسى ان يجعل لهم الهة وقوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه اى ان عبادتهم هؤلاء متبر اى مهلكهم ومفسدهم وباطل ما كانوا يعملون اى باطل ما يأملون بعبادتهم هؤلاء وقال القتبي التبار الهلاك وقال ابو عوسجة المتبر المفسد يقال تبرت الشىء اى فسدته ويقال رجل تبرى مفسد وقوله عز وجل قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين يحتمل قوله فضلكم على العالمين بما هداكم ووفقكم للهداية بما لم يوفق ولم يهتد احد من العالمين من عالم زمانكم ويحتمل قوله ابغيكم الها دونه وقد فضلكم بما استنقذكم من استخدام فرعون وقهره اباكم واخرجكم من بلده واعطاكم رسولا يبين لكم عبادة الهكم الحق وقوله اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم يقول اما تستحيون ربكم ان تتخذوا الها تعبدونه دونه وقد فضلكم بما ذكر من انواع النعم والله اعلم وهو ما ذكر من قوله واذ انجيناكم من آل فرعون الاية يذكرهم نعمه عليهم بما استنقذهم من فرعون وآله واهلكهم وقوله عز وجل يسومونكم قيل يعذبونكم سوء العذاب قتل الابناء واستحياء فذلك قوله يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل في ذلك يعني فيما انجاكم من آل فرعون بلاء من ربكم عظيم يعني نعمة من ربكم عظيم ويقال البلاء بالمد هو النعمة ويقال المد مقصورا الشدة وقوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر ذكر ههنا ثلاثين ليلة ثم ذكر التمام بالعشرة وذكر في السورة التي ذكر البقرة اربعين ليلة بقوله واذ واعدنا موسى اربعين ليلة وهو واحد كالميعاد له اربعين ليلة لكنه يحتمل ذكر ثلاثين مرة وعشر اوجهين احدهما ان ثلاثين ليلة كان لامر وعشر كان لامر آخر فذكر متفرقة لما كان لامرين مختلفين والثاني ان كان في وقتين كان هذا في وقت والآخر في وقت والقصة واحدة والميعاد واحد فذكر التمام بعشر كقوله فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة اى ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة وان كان في وقتين والله اعلم وقوله عز وجل وتم ميقات ربه اربعين ليلة قيل تم الميعاد الذي وعد له اربعين ليلة وقوله عز وجل وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي فان قيل ما معنى قول موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي وهو كان مبعوثا معه رسولا الى فرعون مشتركا في تبليغ الرسالة الى فرعون كقوله واشركه في امري وقوله انا رسول رب العالمين وقوله فاتياه فقولا انا رسولا ربك وقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا فاذا كان هو رسولا كموسى في تبليغ الرسالة كيف احتاج الى ان يقول موسى اخلفني في قومي وهما شرعا سواء في الرسالة قيل يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكونا كما ذكر رسولين لكن من ولي اشتين امرا لم يكن لواحد منهما ان ينفرد به الا بامر الآخر فعلى ذلك هذا كانه قال له اخلفني في الحكم بينهم واصلح ذات بينهم ولا تتبع من دعاك الى سبيل المفسدين ويحتمل ان يكون موسى كان هو الرسول اذا وكان اليه الحكم وهرون كان وخيلا في امره ردءا له على ما قال فارسله معي ردءا يصدقني والا موسى كان هو المأمور بها والا والمبعوث اليهم دونه الا ترى انه كان هو المناجي ربه دون وكان هو المعطى الالواح دون هرون كقوله وكتبنا له في الالواح من كل شىء وهو الذي قال اني آنست نارا وهو الذي نودي بالبركة دون هرون وغير ذلك من الآيات فاذا كان كذلك استخلفه موسى في قومه وقوله عز وجل ولما جاء موسى لميقاتنا اى لميعادنا الذي وعدناه وكلمه ربه لا يجوز لنا ان نصف كيفية الكلام وما ثبته سوى انه انشأ كلاما وصوتا اسمعه موسى كيف شاء بما شاء بكلام مخلوق وصوت مخلوق قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني الاية قال قائلون ان موسى لم يسأل ربه الرؤية لنفسه ولكن سأل لقومه لسؤال القوم له كقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة لكن هذا بعيد لانه لو كان سؤاله لسؤال قومه لكان لا يقول رب ارني انظر اليك ولكن يقول ارهم ينظرون اليك فدل انه لم يكن لذلك وقال قائلون لم يكن سؤال ربه رؤية الرب ولكن سأل ربه رؤية الآيات والاعلام والادلة التي بها يرى وذلك جائز سؤال الرؤية سؤال رؤية الآيات والاعلام وذلك بعيد لانه قد اعطاه من الآيات والاعلام ما لم يكن له الحاجة الى غيرها من الآيات من نحو العصى التي كان يضرب بها البحر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وما كان من فرق البحر واهلاك العدو واليد البيضاء وغير ذلك من الآيات فاذا بطل ذلك دل انه سأل حقيقة الرؤية والقول بها لازم عندنا في الآخرة وهو من غير ادراك ولا تفسير والدليل على ذلك قوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ولو كان لا يرى لم يكن لنفي الادراك حكمة اذ لا يدرك غيره بغير الرؤية فوضع نفي الادراك وغيره من الخلق لا يدرك الا بالرؤية لا معنى له والله الموفق وايضا قول موسى رب ارني انظر اليك الاية ولو كان لا يجوز الرؤية لكان منه جهل بربه ومن يجهل لا يحتمل ان يكون موضعا لرسالته امينا على وحيه وبعد فانه لم ينهه ولا ابه وبدون ذلك فقد نهى نوحا وعاتب آدم وغيره من الرسل وذلك لو كان لا يجوز لتبلغ الكفر ثم قال فان استقر مكانه فسوف تراني فان قيل لعله سأل انه يعلم بها قيل لا يحتمل ذا لوجوه احدها انه قال لن تراني وقد اراه الآية وايضا ان طلب الآيات يخرج مخرج اذ قد اراه الآيات على ما ذكرنا وذلك صنيع الكفرة انهم لا يزالون يطلبون الآيات وان كانت الكفاية قد ثبتت لهم فمثله ذلك ايضا وايضا انه قال فان استقر مكانه فسوف تراني والآية التي يستقر معها الجبل هي دونه التي لا يستقر معها ثبت انه لم يرد بذلك الآية وايضا محاجة ابراهيم عليه السلام قومه في النجوم وما ذكر بالافول والغيبة ولم يحاجهم بان لا يجب ربا قال اذ هو دليل عدم الدوام ولا قوة الا بالله وايضا قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ثم لا يحتمل ذلك الا الانتظار لوجوه احدها ان الآخرة ليست بوقت للانتظار انما هي الدنيا وهي دار الوقوع والوجود الا في وقت الفزع وقيل ان يعاينوا في انفسهم

ما الحق الوقوع والثاني قوله وجوه يومئذ ناضرة وذلك وقوع الثواب والثالث قوله الى ربها ناظرة والحرف يستعمل في النظر الى الشيء لا في الانتظار والرابع ان القول به يخرج مخرج البشارة لعظيم ما نالوه من النعم والانتظار ليس منه مع ما كان الصرف عن حقيقة المفهوم فضلا على الله فيلزم القول بالنظر الى الله كما قال على نفي جميع معاني التشبيه عن الله سبحانه على ما اضيف اليه من الكلام والفعل والقدرة والارادة انه يجب الوصف به على نفي جميع معاني التشبيه وكذلك القول بالتشبيه فمن زعم ان الله لا يقدر ان يكرم احدا بالرؤية فهو يقدر في الرؤية التي فهمها من الخلق واذا كان القول بالرحمن على العرش استوى وغير ذلك من الآيات لا يجوز فهمها بالعرض على المفهوم من الخلق بل يحقق ذلك على نفي التشبيه فمثله خبر الرؤية وايضا قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وجاء في غير خبر النظر الى الله وقد يحتمل غير ذلك مما جاء فيه التفسير لكنه لولا ان القول بالرؤية كان امرا ظاهرا لم يحتمل صرف ظاهر لم يجئ فيها اليها ويدفع به الخبر والله اعلم وايضا ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير خبر انه قال سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون وسئل هل رأيت ربك فقال بقلبي قلبي فلم ينكر عن السائل السؤال وقد علم السائل رؤية القلب الذي هو علم قد علمه وانه لم يسأل عن ذلك وقد حذر الله المؤمنين عن الاشياء قد كفوا عنها بقوله لا تسألوا عن اشياء فكيف يحتمل ان يكون السؤال عن مثله يجيء وذلك كفر في الحقيقة عند قوم ثم لا ينهاهم عن ذلك ولا يوبخهم في ذلك بل يليق القول في ذلك ويروى ان ذلك ليس ببديع والله الموفق وايضا ان الله وعدان يجزي احسن مما عملوا به في الدنيا ولا شيء احسن من التوحيد وارفع قدرا من الايمان به اذ هو المستحسن بالعقول والثواب الموعود من نحو الجنة حسنه حسن وذلك دون حسن العقل اذ لا يجوز ان يكون شيء حسن في العقول لا يستحسنه ذو عقل وجائز ما يستحسنه الطبع طبعا لا يتلذذ به كطبع الملائكة ومثله في العقوبة لذلك لزم القول بالرؤية لتكون كرامة تبلغ في الجلالة ما اكرموا به وهو ان يصير لهم العيون بالغيب شهودا كما صار المطلوب من الثواب خصوصا ولا قوة الا بالله ولا يحتمل العلم لان كان يجمع على العلم بالله في الآخرة العلم الذي لا يعتريه الوسواس وذلك علم العيان لا علم الاستدلال وكثرة الآيات لا تحقق علم الحق الذي لا يعتري ذلك دليله قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وما ذكر من استعانة الكفرة بالتكذيب في الآخرة وانكار الرسل عليهم وقولهم لم يلبثوا الا ساعة من نهار وغير ذلك وبعد فانه لا يجوز ان يصير علم العيان نحو علم الاستدلال لم يجز ان يصير علم الاستدلال نحو علم العيان فثبت ان الرؤية توجب ذلك وبعد فان في ذلك العلم يستوي الكافر والمؤمن والبشارة بالرؤية خص بها المؤمن ولا قوة الا بالله ولا نقول بالادراك بقوله لا تدركه الابصار فقد امتدح بنفي الادراك لا بنفي الرؤية وهو كقوله ولا يحيطون به علما كان في ذلك ايجاب العلم ونفي الاحاطة مثله في حق الادراك وبالله التوفيق وايضا ان الادراك انما هو الاحاطة بالمحدود والله يتعالى عن وصف الحد اذ هو نهاية ويقتضي ما هو اعلى منه واحدى الذات والحد وصف المتفصل الاجزاء حتى يقتضي مع احالة القول بالحد اذا كان ولا مما يحلا ويحد فهو اعلى ذلك الا يتغير على ان لكل شيء حد يدرك سبيله نحو العلم واللون والذوق والحد وغير ذلك من حدود خاصة بها الاشياء جعل الله لكل شيء من ذلك وجها يدرك ويحاط به حتى العقول والاعراض فاخبر الله تعالى انه ليس بذي حدود وجهات هي طرق الادراك بالاسباب الموضوعة لتلك الجهات وعلى ذلك القول بالرؤية والعلم جميعا ولا قوة الا بالله وبعد فان القول بالرؤية يقع على وجوه لا يعلم حقيقة كل وجه من ذلك الا بالعلم بذلك الوجه حتى اذا عبر عنه بالرؤية صرف الى ذلك وما لا يعرف له الوجه بدون ذكر الرؤية لزم التوقف في ماتيها على حقيقتها واما الادراك انما هو معنى الوقوف على حدود الشيء الا ترى ان الظل في التحقيق يرى لكنه لا يدرك الا بالشمس والا كان مرئيا على ما يرى بوقت نسخ الشمس ولكن لا يدرك بالرؤية الا بما يتبين له الحد وكذلك ضوء النهار يرى لكن حده لا يعرف بدايته وكذلك الظلمة لان طرفها لا يرى فيدرك ويحاط به وبالحد ولا يدرك الشيء وان كان يرى لا بها ولذلك ضرب المثل بالقمر لانه لا يعرف حده ولا سعته فيتوقف وعادة يرى بيقين ولا قوة الا بالله والاصل فيه القول بذلك على قدر ما جاء ونفي كل معنى من معاني الخلق ولا يفسر لانه يجيء والله الموفق ثم زعم الكعبي ان الغائب انا لم يخرج عن الوجوه التي بها يعلم فكذلك لا يرى الا بالوجوه التي بها يرى من المباينة للمرئي ولما حل فيه المرئي بالمسافة والمقابلة وايضا الهواء والصغر وعدم الصغر والبعد ولو جازت الرؤية بخلاف هذه لجاز العلم به قال الشيخ رحمة الله عليه وهذا خطأ لانه قد رؤية جوهر وقد علم ان غير جوهره جوهر يرون من الوجه الذي لا يقدر على الاحاطة بجوهرهم فضلا عن ادراك بتبصره نحو الملائكة والجن وغيرهم مما يرونا من حيث لا نراهم والجنة الصغيرة نحو البق ونحو ذلك مما يرى بالبصر ونوهم مثل ذلك البصر لما احتمل الادراك ويرى الملك الذي يكتب جميع افعالنا ويسمع جميع اقوالنا على ما لو ادنا نعقد بروية المرء عليه جعلنا للزوم انكار ذلك كله وذلك عظيم وكذلك ما ذكر من تعلق الجلود وغيرها مما لو امتحن بمثلها امر الشاهد لوجد عظيما وبعد فانه في الشاهد يفصل بين البصريين في الرؤية والتمييز على قدر تفاوتهما ما اعتبرتها في الحقيقة الرؤية لا حد هما حال الآخر على حاله ويصلح مستنكرا واذا كان كذلك بطل التقدير بالذي ذكروا والله الموفق وايضا انه في الشاهد يكل اسباب العلم لا يعلم غير العضو والجسم ثم جاز العلم بالغائب خارجا منه فمثله الرؤية والثالث ما ذكرنا من رؤية الظل والظلمة والنور من غير شيء من تلك الوجوه والاربع

ابر قد يجوز وجود تلك المعاني كلها مع عدم الرؤية اما يجب او ما يجوز فجاز تحقيق الرؤية على نفي تلك المعاني نحو ما اجيب
القائل بالجسم عند معارضته بالفاعل والعالم اذ وجد جسم لا كذلك فيجوز وجود ذلك ولا جسم فمثله في
الرؤية على ان البعد الذي يحجبنا والرؤية يجوز ان يبلغه بصر غيرنا فصار ارتفاع الرؤية بالحجاب فاذا ارتفع
جاز ولا قوة الا بالله وبعد فان الذي يقوله تقدير برؤية الاجسام ولم يمتحن بصره بغير الاجسام والاعراض
ان كيف سبيل الرؤية له وبعد فان كل جسم يرى وان كانت الدقة والبعد يحجبان فيجوز ارتفاعهما عن بصر من
فيرى على ما يرى ملك الموت من باطن الارض ووسطها مما لو اعتبر ذلك ببصر البشر لما احتمل الادراك فثبت
ان الذي قدر به ليس هو سبب تعريف ما يجب به البصر فاذا ارتفع راى مع ما كان المنفي رؤيته لذاته عرض
والافعال جسم يرى فان لزم انكار الرؤية لما ليس بجسم اولما لا يرى الا بما ذكر ليلزم الاقرار بان الذي
لا يرى لذاته هو العرض والافعال غير يرى ولا قوة الا بالله وعوارض بامر الدنيا محال العوض بذلك لا يسقط
المحنة ويرفع الكلفة والدنيا لهما لا هي ذكرنا امر موسى ان ذلك على علم الاحاطة بالايات وقلبتها وقد فساد
ذلك وما ذلك العلم بالذي يسأل وهو رسول بعث الى ما به نجاة الخلق وذلك لا يكون بغير المحتمل اذ هو تبليغ الرسالة
والدعاء الى العبادة وهي محنة بل سأل الرؤية ليجل قدره ليعرف عظيم محله عند الله او ان يكون الله امره به
ليعلم الخلق جواز ذلك وبالله التوفيق ثم استدل بانه لم يرض بعقل انما ارى الجبل والجبل لا يعقل ليعلمه ولبراه
فيقال له ولو كانت الاية فالجبل لا يراها ولا يعقل واذا كان كذلك فالاية اذا صار اندكاك الجبل وانشقاقه
لو ان اراه الاية ليستدل بها وفي هذا الاثر قد ارى موسى الاية وهو اندكاك الجبل والله يقول لن تراني وجملته
على الاثر وقدراها ولا قوة الا بالله فان قيل ما معنى توبته لو كان سؤاله على انه مرقيل على العادة في الخلق
من يجد ثم عند الاهوال بلا حدوث ذنب اولما راى من جلال الله وعظمته فزع الى التوبة واحداث الايمان
به وان لم يكن ما يوجب ذلك وذلك متعارف في الخلق ويحتمل ان يكون قوله لن تراني وكان عنده جواز الرؤية
في الشاهد والاحتمال وسعه ذلك بما وعد الله في الاخرة رجع عما كان عنده والصق بالذي قال لن تراني وان
كان في اصل ايمانه داخلا على نحو احداث المؤمنين الايمان بكل اية تنزل وبكل فريضة تجدد وان كانوا في الجملة
مؤمنين بالكل والله الموفق وقد بينا ما قالوا في قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والاصل في الكلام
انه اذا كان على امر معهود ويقرن بالمقصود اليه سرف عن حقيقته والا لا وذلك نحو قوله الم تر الى ربك كيف
مد الظل والم تر كيف فعل ربك وانه انمن قال رأيت فلانا ونظرت الى فلان لم يحتمل غير ذاته ولذا قال رأيته
يقول كذا ويفعل كذا انه لا يريد به رؤية ذاته فمثله امر قصة موسى وعلى الاية وروي عن ضرار بن عمرو انه
الى البصرة فقال يا اهل البصرة اما ان كان موسى مشبها واما ان كان الله يرى لا تعلمه كان بالذي لا يرى فسأل
ربه رؤيته كان جاهلا به مشبها خلقه به فدل انه يرى ثم الاصل ان من تامل الذي ذكره المعتزلي علم انه مشبهي
المذهب لانه لم يذكر المعنى الذي له يجب ان يكون الرؤية بتلك الشرائط انما اعتبر كذلك وجد وهو قول
المشبهة انه وجد كل فاعل في الشاهد جسما وكذا كل عالم فيجب مثله في الغائب ثم ذكر معنى رؤية غير الجسم
حتى يكون له دليلا وبعد فانه نفى بالدقة والبعد وهما زائلان عن الله تعالى ثم احتج بامتداح الله تعالى
لا تدركه الابصار وقال لا يجوز ان يزول تمثله عليه في قوله خالق كل شيء وقوله وهو على كل شيء قدير فلا يجوز
ان يزول ثم قد وصف الله بالرؤية على اسقاط ما ذكر فثبت ان ذلك طريق لا يؤدي عن كنه ما به الرؤية
على اسقاط ما ذكر فثبت ان ذلك طريق لا يؤدي عن كنه ما به الرؤية فان قيل كيف يرى قيل بلا كيف اذ الكيفية
تكون لذي صورة بل يرى بلا وصف قيام وقعود واتكاء وتعلق واتصال وانفصال ومقابلة ومدابرة وقصير
وطويل ونور وظلمة وساكن ومتحرك ومماس ومباين وخارج وداخل ولا معنى يأخذه الوهم او يقدره العقل
لتعاليه عن ذلك وقوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا الاية قال ابو بكر الاصم تجلى بالايات والاعلام التي بها
يرى وكذلك قال في قوله رب ارني انظر اليك انما سأل ربه الايات والاعلام التي يرى [illegible] الذات
وقد بينا [illegible] من الايات والاعلام له غنية عن غيرها لا يحتاج الى غيرها وقال
الحسن [illegible] الرؤية [illegible] لكنه [illegible] سألها في الدنيا وعند هذا
[illegible] في الدنيا [illegible] الجبل [illegible] فكيف [illegible]
[illegible] قال موسى تبت اليك وانا اول المؤمنين [illegible] في الدنيا الرؤية
[illegible] على قدر [illegible] وقال اهل التأويل قوله فلما تجلى ربه
للجبل [illegible] من ظهور الخلق على ما ذكرنا في قوله استوى على العرش وقوله
وجاء ربك وغيره من الايات [illegible] الخلق وكذلك [illegible] وبالله
العصمة وروي في التوراة جاء من طور سيناء وظهر من جبل ساعير واطلع من جبل فاران [illegible]
على موسى بطور سيناء وظهر على عيسى بجبل ساعير واطلع على محمد بجبل فاران [illegible]
موسى [illegible] في الدنيا
[illegible] اعطاه اشياء لا يكون مثلها في الدنيا كيف في الاخرة

ختم لها من نحو انفجار العيون من الحجر بغير مؤنة تكون لهم في ذلك من حفر الابار واصلاحها وانواع المؤن
ونحو ما اعطاهم من اللباس الذي ينمو ويزداد على قدر قامتهم وطولهم ومن نحو ما اعطاهم من المن والسلوى
على غير مؤنة ولا جهد وذلك كله وصف الجنة فلما راى ذلك ظن ان الرؤية ايضا تكون في الدنيا على ما كانت له من
اشياء لم يكن مثلها لاحد في الدنيا ولما راى انه سمع كلام ربه والتمعا سمع كلامه لا من مكان ولا من قريب ولا بعيد
ولا من اسفل ولا من اعلى ولا من فوق ولا من تحت لكنه سمع بما شاء وكيف شاء بلطفه فعلى ظن انه يجوز له ان
يسأل رؤيته فيريه بما شاء كيف شاء بلطفه كما ذكرنا وقوله عز وجل قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي سمى الله عز وجل موسى وسائر الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه باسماء الجوهر موسى وعيسى
ونوح وابراهيم واسمعيل واسحق وسمى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وذلك يدل على تفضيله وكذلك
سمى سائر الامم المتقدمة يا بني اسرائيل ويا بني آدم وسمى امة محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين آمنوا وقال
كنتم خير امة ونحوه فذلك يدل ايضا على تفضيل امة محمد على غيرها من الامم وقوله اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
وبكلامي كان مصطفى ومفضلا بالكلام على الناس كافة الانبياء وغيرهم لان الله تعالى لم يكلم احدا من الرسل الا بسفير
سوى موسى فانه كلمه ولم يكن بينهما سفير واما قوله اصطفيتك على الناس برسالاتي على ناس زمانه واهله خاصة
ويحتمل برسالاتي التي بين موسى وبين الله تعالى وهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله تعالى لا يرسل رسولا الا
وهو يستحق الرسالة ولو كان طريقه الاستحقاق لا الافضال والاحسان لم يكن للامتنان معنى دل ان طريقه
الافضال والاحسان لا الاستحقاق والله اعلم وعلى قول المعتزلة لا يكون الله مصطفيا موسى ولا غيره من الانبياء
ولكن هم الذين اصطفوا انفسهم وقوله عز وجل فخذ ما آتيتك يخرج على وجهين احدهما القبول اي اقبل ما اعطيتك
كقوله خذ من اموالهم صدقة ويحتمل قوله فخذ ما آتيتك اي اعمل بما آتيتك باحسن العمل وكن من الشاكرين بنعمة
التي انعمها عليك من التكليم والرسالة وغيره من النعم والله الموفق وقوله عز وجل وكتبنا له في الالواح من
كل شيء يحتمل قوله وكتبنا له في الالواح وجهين احدهما انه انما اضاف ذلك الى نفسه لما تولى كتابتها الملائكة
البررة الكرام اضاف الى نفسه تفضيلا لهم وتعظيما على ما ذكر في الكتاب في غير موضع من نحو قوله فنفخنا فيه
من روحنا وقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله اخبر ان طاعة الرسول له طاعة وغير ذلك فكذلك هذا والله
اعلم او اضاف ذلك الى نفسه لما كان ويكون الى يوم القيمة انما يكون بكن الذي كان منه في الاوقات التي اراد
ان يكون فعلى ذلك كتبه ذلك الالواح كان تحت ذلك الكن وان كان اضاف بعض تلك الاشياء الى نفسه
كقوله جعل لكم الليل والنهار وجعل الشمس ضياء والقمر نورا وانزل لكم من السماء كذا وخلق لكم كذا وجعل لكم السمع
والابصار ونحو ذلك كله كانت تحت قوله كن فكانت على ما اراد ان تكون في الاوقات التي اراد ان تكون والله
اعلم وقوله وكتبنا له في الالواح من كل شيء يحتمل قوله من كل شيء مما يقع للعباد الحاجة اليه ويحتمل من كل شيء من امره
ونهيه وحله وحرامه وقوله عز وجل موعظة قال الموعظة هي التي تحمل القلوب على القبول والجوارح على العمل
قال بعضهم الموعظة هي التي تنهى عما لا يحل قال ابو بكر الموعظة هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون
الجامدة وتصلح الاعمال الفاسدة قال الشيخ رحمه الله وعندنا الموعظة هي تذكر العواقب وتحمله على العمل بها
وقوله عز وجل وتفصيلا لكل شيء قيل تفصيلا لما امروا به ونهوا عنه وقيل بيانا لكل ما يحتاج اليه وقوله
فخذها يحتمل ايضا وجهين يحتمل قوله فخذها اي اقبل على ما ذكرنا في قوله فخذ ما آتيتك ويحتمل اعمل بما فيها وقوله
عز وجل بقوة قال اهل التأويل بجد ومواظبة ولكن قوله فخذها بقوة القوة المعروفة وعلى قول المعتزلة لا يكون
اخذا بقوة وقد اخبر انه اخذها بقوة لانهم يقولون ان القوة تكون قبل الفعل ثم يقولون انها لا تبقى و
قتين فيكون في الحاصل لو كانت قبل الفعل اخذا بغير قوة دل انها مع الفعل وتقول المعتزلة دل قوله
فخذها بقوة على ان القوة قد تقدمت الامر بالاخذ لكن لا يكون ما ذكروا لانه امر ياخذ بقوة دل
انها تقارن الفعل لا تتقدم وقوله عز وجل وأمر قومك يأخذوا بأحسنها يحتمل قوله يأخذوا ما ذكرنا
من الوجهين القبول والعمل اي مرهم يقبلوا باحسن القبول ويحتمل مرهم يعملوا باحسن ما فيها من الامر
والنهي والحلال والحرام ويحتمل قوله باحسنها اي بما هو احكم واتقن او باحسن مما عمل به الاولون اذ فيه
اخبار الاولين وقوله عز وجل سأريكم دار الفاسقين قال بعض اهل التأويل قال ذلك لبني اسرائيل سأريكم
دار الفاسقين يعني سنة الفاسقين وهو الهلاك كقوله تعالى فقد مضت سنة الاولين وسنة في اهل
الفسق والكفر الهلاك وقال ابن عباس رضي الله عنه سأريكم دار الفاسقين جهنم وامكن ان يكون الخطاب
للفسقة سأريكم يا اهل الفسق دار الفاسقين وقوله عز وجل سأصرف عن آياتي الاية يخرج هذا على وجهين
احدهما سأصرفهم عن قبولها وتصديقها اذ لم يستقبلوها بالتعظيم لها بل استهزاء بها واستخفوا بها
على علم منهم انها ايات من الله وحجة والثاني سأصرفهم عن وجوه الطعن والقدح فيها والكيد لها ثم
ان كل واحد من هذين الوجهين يتوجه على وجهين قال الحسن ان للكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد يطبع
عليه فلا يقبل ولا يصدق باياته بعد ذلك والثاني انهم كانوا يتعنتون في اياته ويكابرون في ردها مع
علمهم انها ايات وحجج من الله فاذا تعنتوا صرفهم عن قبولها وتصديقها وهو كقوله تعالى ثم

انصرفوا صرف الله قلوبهم اي خلق منهم فعل الزيغ وفعل الانصراف وهكذا كل من يختار عداوة الله فالله
لا يختار له ولا يثيبه ولكن يختار له ما اختاره هو واما قوله ساصرف عن وجود الطعن فيها والقدح وذلك
ان الله عز وجل جعل للرسل والانبياء اضدادا من كبراء الكفرة وعظمائهم وكانوا يطعنون في الايات
ويقدحون فيها فاخبر انه يصرفهم عن وجود الطعن فيها والقدح والكيد لها اي لا يجدون فيها مطعنا
ولا قدحا والثاني قوله ساصرف عن اياتي الهلاك والابطال بل المهلكون والآيات هي الباقية ثم اختلف
في الايات قال الحسن اياتي ديني وتاويله ما ذكرنا انهم لا يبلغوا ذلك الحد صرفهم عنها وقال غيره اياته حججه وبراهينه وقوله
عز وجل الذين يتكبرون في الارض بغير الحق كانوا يتكبرون على الرسل لما لم يروهم امثالا لانفسهم واشكالا وهكذا
كل من تكبر على اخر يتكبر لما لم يره مثلا لنفسه ولا شكلا او يتكبر لما يرى نفسه سالمة عن العيوب ويرى في غيره عيوبا
او يرى لنفسه حقوقا عليه فيتكبر لهذا فالخلق كلهم اكفاء بعضهم لبعض لانهم امثال واشكال وفيهم العيوب
والحاجات فلا ينبغي لاحد الكبر على احد وانما التكبر لله تعالى فله ينبغي لما لا مثل له ولا شكل منزه عن العيوب كلها
والحاجات لذلك كان هو الموصوف بالكبرياء والعظمة وقوله عز وجل بغير الحق اي لا ينبغي باهل الكبر وقوله
عز وجل وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها امكن ان يكون قوله يروا اي وان علموا انه اية لا يؤمنون به ابدا هذا
في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا اي وان علموا ان ذلك هو
سبيل الغي والباطل يتخذوه سبيلا وقوله عز وجل ذلك بانهم كذبوا باياتنا يحتمل قوله ذلك الصرف الذي
ذكر عن اياته لما كذبوا بالايات بعد علمهم انها ايات من الله وكانوا عنها غافلين بغفلة الاعراض والعناد لا بغفلة
الجهل والسهو وقوله عز وجل والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي الذين كذبوا بالايات والبعث
وقوله عز وجل حبطت اعمالهم يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم كانوا مؤمنين من قبل فكذبوا الايات فكفروا بها
فحبطت الاعمال التي كانت لهم في حال الايمان وبطلت ويحتمل حبطت اعمالهم المعروف الذي كانوا يفعلون
في حال الكفر من نحو صلة الرحم والصدقات وغيرها من المعروف والخيرات التي عملوا بها حبطت ثواب ذلك
كله اذا لم ياتوا بالايمان وقوله عز وجل هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي ما يجزون الا ما كانوا يعملون
من الاستهزاء بالايات والاستخفاف وقوله عز وجل واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا وقوله
اتخذ قوم موسى كيفية وصف اتخاذ العجل ما ذكر في سورة طه بقوله فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا
هذا الهكم واله موسى فنسي الاية وصف الله عز وجل قوم موسى بعضهم بالهداية والعدالة واتباع الحق بقوله
ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وبعضهم وصفهم بالسفاهة وقلة الفهم والضعف في الدين
بقولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقالوا ههنا اتخذوا العجل الها عبدوه بذكر هذا والله اعلم لما لم يعرفوا نعم
الله ولم يتفكروا في اياته وحججه بذكر هذا لنا لننظر في اياته وحججه ولنتفكر في نعمه فنؤدي شكرها ونتدبر في اياته
وحججه لنتبعها ولا نضيعها على ما ضيع قوم موسى قوله من بعده اي من بعد مفارقة موسى قومه وقوله من حليهم
وقال في موضع اخر اوزارا من زينة القوم وكانت تلك الحلي عارية عندهم من قوم فرعون بقوله اوزارا من
زينة القوم اضاف الى فرعون واضاف ههنا الى قوم موسى بقوله من حليهم دل ان العارية يجوز ان تنسب
الى المستعير دلالة ان من حلف لا يدخل دار فلان فدخل دارا له عارية عنده يحنث وقوله عجلا جسدا
قال بعضهم صورته كانت صورة عجل ولم يكن عجلا في جوهره وقيل الجسد هو الذي لا تدبير له ولا تمييز ولا
لكنه ذكر فيه هذا ما لا يحتاج الى هذا وهو قوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لكنه كانه قال عجلا
له جسد بذكر سفههم انهم عبدوا من لا تدبير له ولا كلام ولا سبب الذي يعتبر به او دعا واختاروا الهيته
من وصفه ما ذكر وقوله له خوار قيل ان السامري قد اخذ قبضة من اثر الرسول فالقى ذلك القبضة في
الحلي الذي والقوه في النار فصار شبه عجل له خوار وقال بعضهم صاغ من حليهم عجلا فنفخ فيه من تلك
القبضة فصار خوار وقال بعضهم ان السامري كان هيا ذلك العجل الذي اتخذه بحال حتى اذا مسه وحركه
خار وقال بعضهم كان وضع في مهب الريح فيدخل الريح في دبره ويخرج من فيه فعند ذلك يخور والله اعلم وقوله
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ذكر انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وفي سورة طه لا يملك لهم
ضرا ولا نفعا ليس فيه انه ان كان يكلمهم او يملك لهم ضرا ولا نفعا يجوز ان يعبد ليعلم ان ذكر خصوص الحكم
في حال لا يوجب اباحة ذلك في حال اخرى وفيه ان امتناع العلة عن اطرادها يوجب نقضها وان كان
اطرادها في الابتداء في معلولاتها لم يدل على صحتها وفي قوله لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ولا يملك ضرا ولا نفعا
ذكر سفههم بعبادتهم شيئا لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله اتخذوه الها عبدوه وكانوا ظالمين في عبادتهم
العجل لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها والالهية في غير موضعها وقوله عز وجل ولما سقط في ايديهم هذا
حرف تستعمله العرب عند وقوع الندامة وحلولها وتاويله والله اعلم انهم قد ضلوا سقط في ايديهم اي ندموا
على ما كان منهم وقوله عز وجل لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا اي لئن لم يرحمنا ربنا ويوفقنا الهداية والعبادة
لك ويغفر لنا ما كان منا من العبادة للعجل والتفريط في العصيان لنكونن من الخاسرين ويحتمل قوله لئن لم
يرحمنا ربنا ويغفر لنا ابتداء سبب الرحمة والمغفرة كقوله واستغفروا ربكم الاية ويحتمل التجاوز لما كان منهم

والعفو

والعفو في قوله الم يروا انه لا يكلمهم بعد قوله له خوار دلالة ان الكلام هو ما يفهم منه المراد ليست الحروف
نفسها لانه اخبر ان له خوارا ثم اخبر انه كان لا يكلمهم دل ان الصوت وان كان ذا هجاء وحروف ليس بكلام
وذلك يدل لاصحابنا في مسئلة اذا حلف ان لا يكلم فلانا ثم خاطبه بشيء لا يفهم مراده ان ذلك ليس
بكلام ولا يحنث وقوله عز وجل ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف هو النهاية والحزن والغضب
كقوله يا اسفى على يوسف هو النهاية في الحزن والاسف في موضع الغضب قوله فلما اسفونا انتقمنا منهم اي
اغضبونا لكن الغضب يكون على من دونه والاسف ويحزن على من فوقه وقوله عز وجل غضبان اي لله على قومه
لعبادتهم العجل وتركهم عبادة الله حزنا على قومه لما يلحقهم بعبادتهم العجل من العقوبة وهكذا الواجب
على من راى المنكر انه يغضب لله على مرتكب ذلك المنكر لمعاينته المنكر ويأسف عليه لما يلحقه من العقوبة و
الهلاك رحمة منه له ورافة ويلزم الشكر لربه لما عصمه عن مثله وكذلك وصف رسوله عليه السلام بالاسف
والحزن لتكذيبهم اياه حتى كادت نفسه تهلك حزنا عليهم حيث قال له لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين
وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ذكر هذه القصة لنا لنعرف ان كيف نعامل اهل المناكر وقت
ارتكابهم المنكر وقوله عز وجل قال بئسما خلفتموني من بعدي يخرج هذا على وجهين احدهما بئس ما خلفتموني
بئس ما اخترتم من عبادتكم العجل على عبادة الله والثاني بئسما خلفتموني باتباعكم السامري لما دعاكم اليه بعد
اتباعكم اياي واخي رسول الله وما امركم به ودعاكم الى عبادة الله والله اعلم وقوله عز وجل اعجلتم امر ربكم
اختلف فيه قال بعضهم اعجلتم ميعاد ربكم كقوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي اعجلتم الوعد الحسن الذي وعدكم
ربكم وهو قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وقال اخرون قوله امر ربكم اي عذاب ربكم وغضبه بعبادتكم
العجل واتخاذكم الها وقد سمى الله تعالى الامر في غير موضع من القران عذابا كقوله اتى امر الله ونحوه جاء امر الله
وقوله عز وجل والقى الالواح قال اكثر اهل التاويل القى الالواح اي طرح على الارض غضبا منه فرفع منها كذا
وكذا وبقي كذا لكن لا يجوز ان يفهم من قوله القى الالواح طرحها لا غير الا ترى انه قال والقى في الارض رواسي
ليس يفهم منه الطرح والالقاء لكن انما فهم منه الوضع فعلى ذلك قوله والقى الالواح اي وضعه لانه اخذ راس
ولحيته اخي واس اخيه هرون ولا سبيل له الى ان ياخذ راسه ولحيته والالواح في يديه فوضعها على الارض
ثم اخذ راسه ولحيته يجره اليه وعلى ما ذكر في سورة طه حيث قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي دل هذا
ان كان اخذ راسه ولحيته جميعا لشدة غضبه لله على صنيع قومه وفيه دلالة ان العمل بالاجتهاد جائز لانه
قال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي ولا يحتمل ان يكون موسى ياخذ راسه بالوحي والامر من الله ثم يقول له هارون
لا تاخذ بلحيتي ولا بكذا ولا تفعل كذا وفيه ايضا ان هرون لما قال له لا تاخذ بلحيتي ولا براسي اني خشيت انما قال
ذلك بالاجتهاد حيث قال اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لانه لو كان يقول له بالوحي او بالامر لم يكن
ليعتذر اليه بقوله فلا تشمت بي الاعداء وقوله واخذ براس اخيه يجره اليه فيه دلالة انه انما اخذ شعر راسه
لانه لو كان اخذ راسه لكان لا يحتاج الى ان يجره اليه دل انه كان اخذ بشعر راسه وكذلك قوله لا تاخذ بلحيتي و
ولا براسي وفيه دلالة لاصحابنا ان من مسح راسه ثم ازال الشعر لم يسقط عنه حكم المسح واذا مسح على خفيه
ثم سقط زال عنه حكمه ولزم غسل قدميه لما سمى الشعر راسا وسمى الخف خفا وسقوطها يسقط حكم المسح و
سقوط شعر الراس لا والله اعلم وقوله عز وجل ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني خرج هذا صلة
قول موسى لهرون لما قال له يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري فقال عند ذلك
ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين وقوله عز وجل
قال رب اغفر لي ولاخي قال بعضهم انما خص اخاه بسؤال المغفرة لانهم جميعا قد عبدوا العجل سوى اخيه
هرون لذلك خصه بسؤال المغفرة وقال بعضهم انما قال ذلك جوابا منه لما قال هرون فلا تشمت
بي الاعداء الاية ويحتمل ان يكون تخصيص السؤال له بالمغفرة لما سال ربه ان يجعل له هرون وزيرا بقوله
اجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري لما سال ربه ان يشركه في امره ويشد به
ازره فعلى ذلك خصه بسؤال المغفرة والله اعلم وقوله عز وجل وانت ارحم الراحمين لان كل من يرحم دونه انما
يرحم برحمته وقوله ان الذين اتخذوا العجل اي عبدوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا قال
بعضهم غضب من ربهم عذاب في الاخرة لمن مات منهم على ذلك وذلة في الحيوة الدنيا القتل والهلاك في
الدنيا وقال بعضهم قوله غضب من ربهم القتل والهلاك وذلة في الحيوة الدنيا الجزية والسبي والقهر ويحتمل
قوله تعالى وذلة في الحيوة الدنيا ذكر الذم بصنيعهم وثناء الشر على ما كان بصنيع الخير الحمد في الدنيا وثناء الخير
وقوله عز وجل سينالهم غضب من ربهم هذا يحتمل وجهين احدهما اي قد نالهم غضب من ربهم وما ذكر والثاني
ان يكون هذا مذكورا في كتبهم ان من اتخذ العجل معبودا سينالهم غضب من ربهم فان كان هذا خبرا عما في كتبهم
فسينالهم على الوعد صحيح والا على الخبر اي قد نالهم وكذلك نجزي المفترين اي كذلك نجزي كل مفتر على الله تعالى
وقوله عز وجل والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا قال اهل التاويل قوله والذين عملوا السيئات
يعني الذين عبدوا العجل ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وهو في كل من عمل السيئات

اى سيئة كانت اذا تاب عنها وندم عليها وطلب من الله المغفرة غفر له وقوله عز وجل ولما سكت عن موسى الغضب
الله على قومه بعبادتهم العجل ولا يحتمل ما قال ابو بكر الاصم ان الغضب عقوبة وشتم لان الغضب معروف لا يجوز
ان يتأول ما قال هو وقوله عز وجل اخذ الالواح يعنى الالواح التى وضعها على الارض وقوله عز وجل وفى نسختها هدى
ورحمة قال بعضهم يعنى فى نسخة الالواح لما كانت نسخت من اللوح المحفوظ وقال بعضهم قوله وفى نسختها اى الكتب
التى انتسخها بنو اسرائيل من تلك الالواح وقوله هدى ورحمة اى هدى من كل ضلالة وبيان من كل عمى وشبهة ورحمة
من كل سخطة وغضب للذين هم لربهم يرهبون اى للذين يخشون ربهم فيعملون وقوله عز وجل واختار موسى
قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال بعضهم قوله لميقاتنا اى لتمام الموعد الذى وعد وهو الاربعون الذى وعد
لكن لا ندرى ما ذلك الميقات الذى ذكر وقوله واختار موسى قومه قال بعضهم السبعين الذين اختارهم موسى ليكونوا
مع هرون فعبدوا العجل فى فتنتهم فلم ينكروا ولم يغيروا عليهم فاخذتهم الرجفة وقال الحسن انهم جميعا قد عبدوا العجل
الا هرون فالرجفة التى اخذتهم انما اخذتهم عقوبة لما عبدوا العجل ولسنا ندرى من اولئك السبعين الذين اختارهم
موسى وامكن ان يكون موسى اختار السبعين ليخرجوا معه فيكونوا شهداء له على انزال التورية عليه وكلام ربه
وقيل هم الذين تركهم فى اصل الجبل فلما جاءهم موسى بالتورية قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
وهلكوا القوم ذلك وقد ذكرنا انا لا ندرى من كانوا وقيل اختارهم موسى ليتوبوا الى الله مما عمل قومهم وقوله
فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى قال بعض اهل التأويل لو شئت امتهم واياى بقتل
القبطى وقال آخرون لو شئت اهلكتهم على نفس الاهلاك واياى على القدرة اى تقدر على اهلاكى ولكن لا تهلكنا
لما لم يكن ما يستحقه ذلك ويشبه ان يكون قوله لو شئت اهلكتهم اهلاك فتنة واياى وقوله عز وجل اتهلكنا بما
فعل السفهاء منا هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم لك ان تهلكنا ابتداء اهلاك والسفهاء بما فعلوا الا انك
تقول لو شئت اهلكتهم قومنا لان موسى اتى قومه واخبرهم انهم اهلكوا بسبب كذا لم يصدقوا قومه بذلك ولكنهم
يتهمونه ويقولون انت قتلتهم على ما ذكر فى بعض القصة انه خرج بهرون الى بعض الجبال فمات هرون هنالك فاخبر قومه
بذلك فكذبوه وقالوا انت قتلته فعلى ذلك جائز ان يكون ههنا خاف ان يتهمه قومه فى اولئك ولا يصدقوه فيما
حل بهم والله اعلم وقوله عز وجل اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يحتمل هذا وجوها يحتمل يراد به التقرير ويحتمل الانكار
والرد ويحتمل الايجاب اما الانكار فيكون معناه اتهلكنا بما فعل السفهاء اى لا تفعل ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا
ومثل هذا قد يقال يقول الرجل لآخر اتفعل انت كذا على الانكار اى لا تفعل فعلى ذلك هذا والله اعلم ويراد به الايجاب
كانه قال لك انتهلكنا بما فعل السفهاء منا وما هى الا فتنتك ان يكون ذلك امتحانا وابتلاء ابتداء اى تفعله امتحانا
وابتلاء لا تعذيبا ويحتمل ان يكون على الاستفهام لكن لم يخرج له الجواب كقوله افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله ونحوه مما لم يخرج له جواب فعلى ذلك هذا ويجوز ان يكون اهلاكه اياهم محنة
بتفريط كان من بعضهم وان كان بعضهم براء من ذلك على ما كان من اهل المركز من العصيان وكان الفشل والتنازع عليهم
محنة منه اياهم كقوله اذ تحسونهم باذنه الآية فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء
وتهدى بها من تشاء قال ابو بكر تضل بها اى تنهى من فعل الاهتداء لكن حرف من انما يعبر عن الاشخاص دون الافعال
فلو كان على ما ذكر هو لقال تضل به ما تشاء فان لم يقل دل انه ليس على ما ذكر وتأويله عندنا انه يخلق فعل الضلال
ممن يعلم انه يختار ذلك ويخلق فعل الهدى ممن يعلم انه يختار ذلك وهو خالق كل شيء واصل ذلك ان جميع ما يضاف
الى الله من طريق الافعال على اختلاف الاضافة باختلاف وجوهها حقيقة ذلك من الله خلق ما اضيف
اليه من الوجه الذى يحق وصفه بانه خالقه فعلى ذلك قوله يهدى وتضل ويحتمل توفق وتخذل وقوله عز وجل
انت ولينا اى انت اولى بنا ويحتمل انت ولى هدايتنا او انت ولى نعمتنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين
وانت خير الراحمين لان كل احد انما يرحم وانما يغفر برحمته وقوله عز وجل واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة
وفى الآخرة يحتمل الكتابة الايجاب اى اوجب لنا فى هذه الدنيا حسنة وقال بعضهم قوله واكتب لنا اى وفقنا
العمل الذى نستوجب به الحسنة فى الدنيا والآخرة ويحتمل اكتب لنا فى الدنيا الحسنات ولا تكتب علينا السيئات
والله اعلم وقوله عز وجل فى هذه الدنيا حسنة تختم بها الدنيا وتنقضى بها والا ما من مسلم الا وله فى الدنيا حسنة
اتاها اياه وعلى ذلك يخرج قوله ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة انهم انما سألوا حسنة ان يختمون
عليها ويكون كقوله من جاء بالحسنة فله كذا والله اعلم بذلك وقوله عز وجل انا هدنا اليك قال بعض قوله هدنا
اليك اى ملنا اليك وقال غيرهم انا هدنا اليك اى تبنا اليك وقيل ولذلك سمت اليهود انفسهم يهودا
اى تائبين الى الله لكن لو كان كما ذكر كان قوله ما كان يهوديا اى تائبا وذلك بعيد ولكن ان كان سموا فهو والله
اعلم ما كان ابراهيم يهوديا اى لم يكن على المذهب الذى عليه اليهود وكذلك لم يكن على المذهب الذى ادعت النصارى
انه كان عليه ولكن كان حنيفا مسلما وقوله عز وجل قال عذابى اصيب به من اشاء ورحمتى وسعت كل شيء قال
الحسن يشاء ان يصيب عذابه من كفر بالله وكذب رسله ويشاء من اطاع الله وصدق رسله ان يصيب رحمته
ودل قوله عذابى اصيب به من اشاء انه لما شاء ان يصيبهم عذابه شاء العمل والفعل الذى كان به يصيبهم لان
عرف من انما يعتبر به عن بنى آدم ولا جائز ان يشاء لهم الايمان ثم يشاء لهم ان يصيبهم عذابه ولكن اذ علم

منهم

منهما انهم لا يؤمنون ويختارون فعل الضلال على فعل الهدى شاء لهم ما اختاروا وقوله ورحمتى وسعت
كل شيء ما من احد من مسلم وكافر الا وعليه من آثار رحمته فى هذه الدنيا بها يتعيشون ويتواخون ويتوادون وفيها
يتقلبون لكنها للمؤمنين خاصة فى الآخرة لا حظ للكافر فيها وذلك قوله فسأكتبها للذين يتقون معصية الله والخلاف
له ويؤتون الزكوة وكقوله قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيوة
الدنيا خالصة يوم القيمة جعل طيبات الدنيا ونعيمها مشتركا بين المسلم والكافر وخالصة للذين آمنوا يوم القيمة
لا حظ للكافر فيها فعلى ذلك رحمته نالت كل احد فى هذه الدنيا لكنها للذين آمنوا واتقوا الشرك خاصة فى
الآخرة ويحتمل قوله والله اعلم واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انهم سألوا الرحمة فقال سأكتبها
للذين يتقون معاصى الله ومخالفته والله اعلم وقوله ويؤتون الزكوة يحتمل يؤتون الزكوة المعروفة ويحتمل زكية النفس
كقوله قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها ومعلوم انه لم يرد به زكوة المال ولكن زكوة النفس بالتوحيد
والتقوى وكذلك قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا هو ذلك الزكوة لا الزكوة
المعروفة زكوة المال فعلى ذلك الاول والله اعلم وان كان على الزكوة المعروفة فذلك فى قوم ثقل عليهم واشتد
اخراج الزكوة من اموالهم كقوله الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة كذا وقوله عز وجل والذين هم باياتنا يؤمنون
قد ذكرنا فى غير موضع ان من آمن بآيات الله وحججها فقد آمن بالله وبرسله ومن كذب بآية كذب بالله وخالف
رسله لان طريق معرفة الله ورسله انما هو من طريق الآيات والحجج ليس من طريق المشاهدات والمحسوسات
لذلك كان الايمان بالآيات ايمانا بالله وبرسله وبالتكذيب بها كفرا بالله وبرسله وقوله عز وجل الذين يتبعون
الرسول النبى اى يتبعون اثر الرسول فى كل سيرته وفى كل امره ونهيه ويطيعونه سماه رسولا ونبيا بقوله
الرسول النبى والرسول كالمبعوث على تبليغ الرسالة والمأمور بها على كل حال والنبى كالمنبئ لهم اشياء عند السؤال
هو المأمور بالتبليغ سألوه او لم يسألوا لو شاؤا او ابوا وكان يجب عليه السلام كلاهما الانباء والتبليغ كقوله
ما انزل اليك من ربك وقوله ان عليك الا البلاغ وقوله عز وجل الامى الذى يجدونه مكتوبا الامى ما ذكر فى آية
اخرى وهو قوله ماكنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية
اى يجدونه مكتوبا فى التورية انه رسول نبى وانه امى قوله ماكنت تتلو من قبله من كتاب لئلا يقولوا انك اخذت
هذا من الكتب المتقدمة ومن علومها وحكمتها ولا تخطه بيمينك لئلا يقولوا انه من تأليفك وليعلموا انه من عند
الله جاء به لا من ذات نفسه وفى قوله يجدونه عندهم مكتوبا فى التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر الى آخر ما ذكر دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان اولئك لم يأتوا بالتورية والانجيل فيقولوا
لا نجد ما تذكر فى التورية والانجيل دل ذلك منهم على انهم وجدوه كذلك والله اعلم وقوله يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر اى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية انه يأمر بما امر الله به وينهى عما نهى الله عنه ويحل
لهم الطيبات ما احل الله لهم ويحرم عليهم ما حرم الله عليهم يجدونه فى التورية انه لا يأمر بشيء ولا ينهى
عن شيء ولا يحل شيئا ولا يحرم الا بامر من الله لكنهم ينكرونه انكارا عنادا ومكابرة كقوله تعالى يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم وغيره ويحتمل قوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لا يتراءى بامر ما هو معروف
فى العقل ونهيها دون الخلقة وهو التوحيد وكذلك ينهاهم عما هو فى العقل وشهادة الخلقة منكر وهو الكفر و
جميع فى الطبع بلغ غايته فى الطيب ولا كذلك جعل غذاء البهائم والانعام هذا محتمل والله اعلم م م م م
م م ثم المعروف الطيبات لو تركت العقول والطباع على ما هى عليه لكانت لا حاجة تقع الى رسول
يخبر ان هذا معروف وان هذا طيب او خبيث او منكر ولكن تعرف العقول والطباع ذلك كله لكن تعرض العقول
من الشبه فتمنعها عن معرفة ذلك فاحتاجت الى رسول الله يخبر عن ذلك وقوله عز وجل ويضع عنهم اصرهم قبل ما
غلظوا على انفسهم من الشدائد وقيل اصرهم شدة من العبادة والعمل وقيل اصرهم عهدهم وقيل اصرهم
الثقل الذى كان بنو اسرائيل لزموه وقال القتبى ويضع عنهم اصرهم اى ذنبهم الذى كانوا يذنبون اى عقوبة
الذنب الذى اذنبوا فى الدنيا وقوله عز وجل والاغلال التى كانت عليهم قال الحسن ان اليهود قالوا يد الله
مغلولة اى محبوسة عن عقوبتنا فقال عز وجل غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا اى غلت ايديهم الى اعناقهم
فى النار فاخبر ان امة محمد صلى الله عليه وسلم لما آمنوا به وصدقوه رفع تلك الاغلال التى عليهم عن هذه الامة
لما تبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الاغلال التى كانت عليهم الشدائد التى كانت عليهم من نحو ما
لا يجوز لهم العفو عن الدم العمد ولا اخذ الدية وما لا يجوز غسل النجاسات الا القطع وغير ذلك من الاشياء
التى لم تحل لهم واحلت لهذه الامة ويحتمل ان يكون الاصر والاغلال التى كانت عليهم من نحو ما حرمت
من اشياء بظلم كان منهم وتحريم نحو قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم
وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم حرمت تلك الاشياء عليهم عقوبة
ببغيهم وظلمهم الذى كان منهم اخبر انه وضع عن هؤلاء ذلك لم يحرم ذلك عليهم وفى هذه الآية دلالة
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه امى والامى ما ذكر فى قوله وماكنت تتلو من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك كان لا يتلو ولا يخطه بيده ثم اخبر على ما كان فى كتبهم من غير ان عرف ما فى كتبهم او نظر

بياض في الاصل

فيها وعن لسانهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى وقوله فالذين امنوا به اي صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه قيل اعانوه باموالهم ونصروه بايديهم بالسيف وقال عزروه ونصروه انما هو كلام مثنى وهو اعانه وقيل عزروه اي عظموه وقوله عز وجل واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القران سماه نورا لما يبين الاشياء عن حقائقها بالعقول لان النور في الشاهد هو الذي يكشف عن الاشياء سواترها فعلى ذلك القران وهو نور لما يرفع الشبه عن القلوب ويكشف عن سواترها وقال بعضهم سمي نورا لما ينير الاشياء ويعرف به ما غاب وما شهد فيصير الغائب به كالشاهد وقوله عز وجل قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فيه دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الناس كافة وكذلك روي انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت الى الاحمر والاسود وسائر الانبياء بعثوا الى اقوام خاصة والى البلدان والقرى المعروفة المحدودة وفيه انه لما خاطبه ان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا ولكن انما كان يبعث الرسل اليهم فينزل قول الرسل منزلة قول نفسه اني رسول الله اليكم فانتشر ذكره بتبليغ الرسل اليهم كانه هو بلغ ذلك وقال لهم اني رسول الله اليكم او ان الله عز وجل سخر الخلق حتى بلغ بعضهم بعضا رسالته حتى فشا خبره وانتشر ذكره في جميع افاق الارض شرقا وغربا وذلك من عظيم ايات نبوته ورسالته ثم بين انه رسول من الله فقال رسول الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت وذكر تخصيص السموات والارض وان كان له ملك الكل لما هما النهاية في ملك البشر او ذكر هذا ليعلموا ان من في السموات والارض له عبيده واماؤه او ذكر هذا ليعلموا ان التدبير فيهما جميعا لواحد حيث اتصل منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما وقوله عز وجل لا اله الا هو ذكر هذا لان العرب سمت كل معبود الها وهم كانوا يعبدون الاصنام دونه ويسمونها الهة فنفى الالوهية عمن يعبدونهم دونه واثبتها له او خبر انه هو المستحق الاسم الالوهية والعبادة لا غيره لانه يحيي ويميت ومن يعبدون دونه لا يملك الاحياء ولا الاماتة وذكر هذا والله اعلم الحيوة والموت لانه ليس شيء الذ واشهى في الشاهد من الحيوة ولا امر ولا اشد من الموت ليرغبوا في الذي يحييهم وينفروا عن الامر والاكره مما غاب عنهم والله اعلم او ذكر انه يحيي ويميت ليدل انه فعل احد لا عدد وقوله عز وجل فامنوا بالله ورسوله النبي الذي يؤمن بالله كان صلى الله عليه وسلم هو السابق الى كل خير فعلى ذلك دعا الخلق كقوله وانا اول المؤمنين وانا اول المسلمين فعلى ذلك انما امر بالايمان بعد ما امن هو وجائز ان يكون قوله يؤمن بالله وكلماته اي امن رسول الله بالله وكلماته التي كانت في الكتب الماضية فاخبرها على ما في كتبهم ليعرفوا انه انما عرفها بالله تعالى وقوله عز وجل وكلماته اختلف فيه قال عامة اهل التأويل كلماته القران وذكر في بعض القراءات وكلمته بلا الف فصرف التأويل الى عيسى كانه قال امنوا بالله ومحمد وبعيسى ويحتمل ان يكون قوله وكلماته ما اعطاه من الحلال والحرام والامر والنهي والحكمة والاحكام التي امرها وشرعها لنا على ما ذكر في ابراهيم انه ابتلاه بكلمات فاتمهن والله اعلم وقوله عز وجل واتبعوه لعلكم تهتدون قد ذكرنا الاتباع له فاذا اتبعوه اهتدوا وقوله عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق قيل امة يدعون الى سبيل الحق وبه يعدلون اي به يعملون بالحق وبه يعدلون فيما بينهم لكن الاول اقرب والله اعلم ثم قوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق جائز ان يكون الامة التي اكرم من قوم موسى كان في زمنهم يدعون الناس الى الايمان برسول الله وان يكون الامة من قومه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية من قوم موسى مؤمنين به يدعون الناس اليه وبه يعملون وقوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما قال ابن عباس رضي الله عنه هو ما ذكره وقطعناهم في الارض امما اي جماعة وقيل وقطعناهم اي جعلناهم اثنتي عشرة اسباطا فرقا وقال غيره قوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا امما اي جاوزنا بهم البحر وجعلناهم اثنتي عشرة اسباطا قال ابو عوسجة الاسباط الافخاذ والسبط واحد وقال القتبي الاسباط القبائل واحدها سبط وقيل الفخذ دون القبيلة وقيل وقيل ان اولاد اسحق تسمى اسباطا واولاد اسمعيل قبائل وافخاذ ولذلك يقال للعرب قبيلة كذا وفخذ كذا ولسان ذي كيف هو وقيل سبط الرجل ولد ولده على ما روي ان الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه قيل دل اذا استسقاه قومه انهم كانوا في المفازة لا في البلدان والقرى لانهم لو كانوا في القرى والقرى لا تخلوا عن انهار تجري فيها وعيون الارض الا ترى انه قال وظللنا عليهم الغمام دل انهم كانوا في المفازة لانه هنالك تقع الحاجة الى الغمام واما في القرى فلا وقوله عز وجل فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قال بعضهم انفجرت على ما ذكر في سورة اخرى وقيل ان هذه الكلمة بلسانهم لا بلسان العرب وقوله عز وجل قد علم كل اناس مشربهم قال بعضهم تعبدهم عز وجل بمعرفة كل منهم مشربه وقال بعضهم لا ولكن لئلا يزدحموا في ذلك فيقع في ذلك التقابل والفساد والتنازع والاختلاف وقوله عز وجل وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوى نعم ان جميع مؤنتهم كانت من السماء بلا مؤنة ولا تعب على انفسهم وقوله عز وجل كلوا من طيبات ما رزقناكم ما ذكر من المن والسلوى وغيره وما ظلمونا لا احد يقصد قصد ظلم الله ولكن اذا تعدوا حدود الله التي جعل لهم وجاوزوها فقد ظلموا انفسهم لما رجع ضرر ذلك التعدي اليهم وهذه النعم التي ذكر لهم جل وعلا انما جعلها لهم في حال العقوبة والابتلاء من المن والسلوى والعيون والغمام ويدل هذا على ان عقوبات الدنيا قد يشوبها لذة ونعمة وكذلك لذات الدنيا قد يمازجها شدائد وهموم فانما تخلص و

وتصفو عن

وتصفو هذه النعم في الاخرة وكذلك العقوبة هنالك تخلص وتفارق اللذات وقوله عز وجل واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية قال عامة اهل التأويل قوله اسكنوا هذه القرية بيت المقدس ويمكن ان تكون القرية التي ذكرها هي الارض التي ذكرت في سورة المائدة وهو قوله ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم امرهم بالدخول فيها ونهاهم بالدخول فيها ونهاهم عن الارتداد عن ادبارهم فامرهم هنا بالسكون فيها واباح لهم التناول منها حيث شاؤا وقوله عز وجل وقولوا حطة اي رجعوا الى السبب الذي يحط الاوزار عنهم وقولهم حط عنا كذا وهو ما قال هود عليه السلام استغفروا ربكم اي ائتوا بالسبب الذي به تغفر وهو التوحيد وادخلوا الباب سجدا الاية قد مضى ذكر هذا في السورة التي فيها ذكر البقرة وقوله عز وجل فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون هذا ايضا ذكرنا فيها سوى انه ذكر ههنا فارسلنا عليهم وذكر في سورة البقرة فانزلنا والقصة واحدة ليعلم ان اختلاف الالفاظ لا يوجب اختلاف المعاني والاحكام ولا تغييرها وذكر ههنا بما كانوا يظلمون وهنالك بما كانوا يفسقون والفسق هو الخروج عن الامر والظلم هو وضع الشيء غير موضعه وقد كان منهم الامران جميعا الخروج عن امر الله ووضع الشيء ايضا في غير موضعه اكرم الله عز وجل هذه الامة كرامات من الطاعة لرسولها والخضوع له والتعظيم له حتى لم يخالف احد الخلاف له بعد ما اتبعوا وامنوا به واكرمهم ايضا من الفهم والحكمة والفقه حتى ذكر انهم من الفقه انبياء وقوم موسى عليه السلام وغيره من الامم لم يكونوا مثل ذلك الا ترى ان قوم موسى قد خالفوه في اشياء امرهم موسى بها وقوله عز وجل واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال بعض اهل التأويل القرية التي كانت حاضرة البحر هي ايلة وقال اخرون اريحا ولسنا ندري ما تلك القرية وليس لنا الى معرفة تلك القرية حاجة اذ لا منفعة لنا في معرفتها ولو كانت لنا حاجة اليها لبينها لنا عز وجل وقوله واسألهم عن القرية التي كانت كذا امره بالسؤال عنها يحتمل ان كان هو المبين لهم بقوله اذ يعدون في السبت والسؤال هو الاستخبار والاخبار ابدا انما يلزم المسؤول دون المستخبر لكن الاستخبار يكون من وجهين احدهما ابتداء اخبار والثاني طلب التصديق ههنا لم يحتمل ابتداء الخبر وهو على طلب التصديق كانه قال لم يكن كذا فيقولون نعم يصدقونه بما يقول لهم وقال قائلون لم يأمره بالسؤال حقيقة ولكنه على التمثيل كانه قال لو سألتهم يقولون لك كذا كقوله سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ليس على الامر ان سألهم ولكن لو سألتهم كان كذا واجابوك بكذا فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابتدعوا السبت فعظموه فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان وقال مجاهد حرمت عليهم الحيتان يوم السبت فكانت تأتيهم يوم السبت شرعا بلا مؤنة ولا تكلف ابتلوا به ولا تأتيهم في غيره مثله وقال ابو عوسجة قوله شرعا التي قد دنت من الشط والواحد شارع وقوله عز وجل لا يسبتون اي لا يدخلون في السبت كما يقال لا يربعون ولا يخمسون اي لا يدخلون فيه ويسبتون اي يدخلون فيه وكذلك يربعون ويخمسون وقال القتبي شرعا اي شوارع اذ يعدون اي يتعدون الحق ويقال تعدوت على فلان اذا ظلمته وقال الكسائي يقرأ يسبتون بالرفع ويقرأ بالفتح فمن قرأها دخلوا في السبت وقال قائلون قوله شرعا اي كثيرة اي تكثر لهم الحيتان يوم السبت وهو اليوم الذي حرم عليهم الحيتان وقل في غير ذلك وقل في غير ذلك وقال بعضهم ابتلاهم الله بتحريم السمك في السبت ليرى الخلق المطيع منهم من العاصي وقال قائلون ابتلاهم بذلك لما كانوا يفسقون في الترليكون فسقهم وتعديهم ظاهرا عند الخلق كما كان عند الله لئلا يقولوا عند التعذيب انهم عذبوا بلا ظلم ولا تعد والله اعلم وذلك قوله كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقال قائلون في قوله واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر انما امره ان يسألهم بما عذبهم الله بذنوبهم ثم اخبر عن ذنوبهم فقال اذ يعدون في السبت اي يتعدون في السبت وقوله شرعا اي شارعات من غمرة الماء اي خارجات وقوله عز وجل واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا ذكر في الاول انهم كانوا ثلاث فرق فريق عدوا وتركوا امر الله وارتكبوا ما نهوا عنه وفريق نهوا اولئك الذين اعتدوا وانتهكوا حرم الله وفريق قيل لم يعتدوا ولم يرتكبوا نهيه ولا نهوا اولئك الذين اعتدوا وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الاية وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال انهم كانوا ثلاث فرق فرقة وعظت وفرقة موعوظة وفرقة ثالثة وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وهو ما ذكرنا انهم ذكرهم في الابتداء ثلاث فرق وذكر في الاخر الحال فرقتين فرقة هي التي هلكت بالاعتداء وفرقة هي التي نهت ونجت ثم اختلف اهل التأويل في الفرقة الثالثة قال بعضهم كانوا في الفرقة التي هلكت لوجهين احدهما انهم لم ينهوا اولئك الذين اعتدوا وكان فرض عليهم النهي عن المنكر والامر بالمعروف فاذا لم ينهوا اولئك هلكوا وشركوا في العذاب كقوله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم الاية والثاني كانوا معهم لما نهوا الناهين بقوله واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم وقال قائلون كانوا في الناجين قال الحسن لانهم كانوا نهوا اولئك عن الاعتداء والظلم الذي كانوا منهم وكان قولهم لم تعظون قوما بعد ما نهوهم ووعظوهم فلم يتعظوا فانما قالوا لاولئك لم تعظون قوما بعدما نهوا ووعظوا فقالوا كيف تعظون قوما لا يتعظون ولا ينتهون فانما قالوا ذلك بعد ما نهوا وقال قائلون هذا القول منهم نهي لانهم اتوا بوعيد شديد بقولهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فنفس هذا القول منهم نهي وزجر عما ارتكبوا حيث اتوا بالنهاية من الوعيد

وهو الهلاك والعذاب الشديد ولكننا لسنا نعلم انهم كانوا في الهلكى او في الناجين وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة ولو كان
لنا حاجة الى ذلك لبين لنا عز وجل ولم ينزل ذلك لانا نرى سوى ترتيب من ينجي منهم بالنهي عن الظلم والعدوان
وبين من اهلك وعذب بالظلم والعدوان بقوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب
بئيس بما كانوا يفسقون وقوله عز وجل قالوا معذرة الى ربكم قرئ بالرفع والنصب ايضا معذرة فمن قرا بالرفع
اضمر فيه هذه كانهم قالوا هذه معذرة الى ربكم كقوله سورة انزلناها اي هذه سورة انزلناها ومن
قرا بالنصب قال معذرة اي اعتذارا منهم الى ربهم لعلهم يتقون عما نهوا وقوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به
اي تركوا واعرضوا عما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قال القتبي
شديد وكذلك قال ابو عوسجة وقال غيره اي موجع وهو واحد وقال الحسن واخذنا الذين ظلموا بعذاب
على الوقف ثم قال بئس ما كانوا يفسقون وقوله عز وجل فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابو عوسجة قوله عتوا اي استكبروا
يقال عتى يعتو عتوا وكان العتو هو النهاية في اليبس فلذلك قيل في قوله عتيا يابسا لكن سمي مرة فسادا ومرة استكبارا
وقوله عز وجل فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال بعضهم حولت صورتهم وجسدهم صورة القردة وكانت
عقولهم على حالها عقول البشر ليعلموا تعذيب الله اياهم وما اصابهم بهتكهم حرم الله وقال قائلون حول
طباع القردة واما الصورة والجسد على حاله وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله خاسئين قال بعضهم هو من
خسأ الكلب صاغرا مبعدا يقال خسأته وقال ابو عوسجة خاسئين مبعدين وكذلك قال في قوله اخسئوا فيها
اي ابعدوا فيها وازجروا فيها يقال خسأت فلانا واخسأته اي باعدته فخسأ اي تباعد وقيل الخاسئ الذليل
وفي قوله واذ قالت امة منهم الى اخر ما ذكر من القصة وجهان احدهما دليل اثبات الرسالة والنبوة له
حيث اخبر على ما كان من غير نظر له في كتبهم ولا اختلاف الى احد ممن له علم في ذلك دل انه انما عرف بالله تعالى
والثاني انبأ عن عواقب الظلمة والفسقة وما حل بهم بظلمهم وانتهاكهم حرم الله ليكون ذلك يزجرنا
عن ارتكاب مثله وقوله عز وجل واذ تأذن ربك تأذن اي قال ربك وقال ابو عوسجة واذ تأذن هو من الاذان
اي اعلم ربك وقوله واذ تأذن ربك الاية قالت نزلت هذه الاية بمكة في شان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم لان الكفار كانوا يمنعون من اراد الاسلام واتباع محمد عليه الصلوة والسلام فوعدهم الله ليبعثن
عليهم من يقاتلهم ويأخذ منهم الجزية الى يوم القيمة جزاء لما كانوا يمنعون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم والاجابة له فيما يدعوا اليه وقال قائلون هو في بني اسرائيل وهو ما قال وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن
في الارض مرتين الى قوله عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا اخبر ان عادوا عدنا ولم يبين ان عادوا عدنا ما ذا ثم
بين في هذه الاية بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب وقال قائلون هذا انما كان في هؤلاء
الذين سبق ذكرهم في قوله انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قال ابو بكر الاصم
الاية لا تحتمل في هؤلاء لان من امن منهم لم يحتمل ذلك ومن صار منهم قرودا لم يحتمل ايضا بعد ما صاروا قرودا
فهو والله اعلم على الوجهين الذين ذكرناهما وقوله عز وجل ان ربك لسريع العقاب باخذهم في حال امنهم ليس كما يأخذ
ملوك الارض قومهم بعد ما يتقدم منهم اليهم تخويف فعند ذلك يأخذهم بالعذاب او ان يقال سريع العقاب
اي عن سريع يأخذهم بغتة وقوله لسريع العقاب لمن كفر وكذب غفور رحيم لمن امن وصدق بالله ورسوله وقوله
عز وجل وقطعناهم في الارض امما يحتمل فرقناهم في وقت بعد ما كانوا مجموعين ثم يحتمل الجمع وجهين كانوا مجموعين ثم
تفرقوا فصار بعضهم كفارا وبعضهم مؤمنين او كانوا مجموعين في المكان والمعاش والماء والكلأ ثم تفرقوا فصاروا
متفرقين في المكان والمعاش وغيره او كانوا في الدين واحدا فصاروا احزابا واصحاب اهواء ويحتمل قوله وقطعناهم
في الارض امما اي امة بعد امة وجماعة بعد جماعة بعضهم خلفا لبعض على ما ذكر فخلف من بعدهم خلف وقوله عز وجل
منهم الصالحون ومنهم دون ذلك فان كان قوله وقطعناهم في الارض في الدين والمذهب فيكون تأويله منهم
الصالحون المؤمنون ومنهم دون ذلك الكفار ويكون قوله دون ذلك اي غير ذلك كقوله يعبدون من دون
الله اي غير الله وان كان في المعاش فبعضهم دون بعض في المعاش وسع على بعض المعاش وشدد على بعض وضيق فيكون
بعضهم دون بعض في المعاش والرزق او بعضهم دون بعض في الدين بعضهم على الصلاح وبعضهم اصحاب اهواء والله
اعلم وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات ابتلى بعضهم بالخصب والسعة وبعضهم بالشدة والضيق ليذكرهم
الموعود من الثواب في الحسنات ويزجرهم الموعود من العقاب عن السيئات لعلهم يرجعون يتوبون ويرجعون عن ذلك
وقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فهو يخرج على وجوه احدها بلوناهم بالنعم والخصب و
السعة ليعرفوا فضل الله واحسانه فيرجعوا اليه بالشكر والثناء وبالسيئات اي بالبلايا في انفسهم والمصائب والضيق
ليعرفوا قدرة الله وسلطانه فيرجعون اليه بالتضرع والفزع والدعاء والتوبة والثاني معناه اي بلوناهم بالحسنات
لتقرر عندهم ان غيرهم املك بهم من انفسهم فيرجعوا اليه بالنفس لامره وحكمه والثالث بلوناهم بالحسنات المؤمن
منهم والكافر حتى اذا راوا الاستواء في الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهم فيضطر الجميع الى الايمان بالبعث اذ خروجهم
من الدنيا على سواء والرابع انه انما جعل التنعيم في الدنيا ليعرفوا لذة الموعود في الاخرة وكذلك الشدة فابتلاهم
بالامرين جميعا للبعث والرجوع الى الموعود لهم في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل فخلف من بعدهم خلف قال

قائلون هو صلة قوله منهم الصالحون ومنهم دون ذلك والصالحون هم الذين امنوا بالله وحفظوا حدوده
وحلاله وحرامه فخلف من بعدهم يعني الصالحين خلف من لم يحفظوا حدوده ومحارمه وقال قائلون هو صلة ما تقدم
من ذكر الانبياء والرسل كانه اخبر انه خلف من بعدهم خلف يعني خلف الرسل والانبياء ورثوا الكتاب وهو كما ذكر في
سورة مريم وهو قوله فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات وانما ذكر هذا من بعد ذكر الانبياء
والرسل والله اعلم وقوله عز وجل ورثوا الكتاب وعلموا ما فيه يأخذون عرض هذا الادنى ان اهل الكتاب كانوا
يأخذون الدنيا على احد وجوه ثلاثة منهم من كان يأخذها مستحلا لها كقوله تعالى اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات
وكقوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ومنهم من كان يأخذها
بالتبديل اعني تبديل الكتاب كقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب
الاية وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ومنهم من كان
يتناول على ما يتناول اهل الاسلام على قدر الحاجة وههنا لا يحتمل الاخذ الا اخذ الاستحلال والتبديل والاخذ
بالاستحلال ههنا اقرب كانوا يأخذون عرض هذا الادنى مستحلين له ويقولون سيغفر لنا يحتمل هذا وجوها
يحتمل ما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فيغفر لنا كانوا يستحلون اموال الناس ويأخذونها ثم يقولون
سيغفر لنا لانا ابناء الله واحباؤه والثاني يحتمل انهم قالوا سيغفر لنا مع علمهم انه لا يغفر لهم لما كان
في كتابهم ان لا يغفر لهم اذا تناولوا مستحلين وانهم اذا عوتبوا على ما فعلوا قالوا سيغفر لنا وقوله عز وجل
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه يحتمل قوله الم يؤخذ
ميثاق الكتاب انهم اذا استحلوا ذلك اضافوا ذلك الى الله امرنا بذلك فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
ان لا يقولوا على الله الا الحق اي لا يضيفون الى الله ما استحلوا وان يقال اخذ عليهم ان لا يقولوا نحن ابناء الله
واحباؤه وقال بعضهم قوله الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق فيما يوجبون على الله
من مغفرة ذنوبهم التي لا يزالون يعودون لها ولا يتوبون عنها قال بعضهم قوله يأخذون عرض هذا الادنى
قال يأخذونه ان كان حلالا او حراما وان يأتهم عرض مثله يأخذوه وقال قوله فخلف من بعدهم خلف سوء
ورثوا الكتاب بعد انبيائهم ورثهم الله الكتاب وعهد اليهم في سورة مريم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
واتبعوا الشهوات يأخذون عرض هذا الادنى وهو ما ذكرنا وقال القتبي الخلف الردي من الناس ومن الكلام
يقال هذا خلف من القول وقوله عز وجل ودرسوا ما فيه اي قرؤا ما فيه وعلموه والدار الاخرة خير للذين
يتقون افلا تعقلون اي يتقون الشرك او يتقون مخالفة الله ومعاصيه افلا يعقلون ما في كتابهم ان ترك مخالفة
الله خير في الاخرة ثم اخبر عن المؤمنين فقال والذين يمسكون بالكتاب ما فيه من الحلال والحرام واقاموا
الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين وقوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة قيل رفعنا الجبل كقوله ورفعنا
فوقهم الطور وقيل نتق قطع وقال بعضهم حرف اخذ من كتبهم فلا ندري كيف كان وقيل حركنا وهو قول
القتبي وقال ابو عبيد كل شيء قلعته من موضعه فرميت به ذكر هذا والله اعلم ليصبر رسول الله على سفه قومه
لان قوم موسى مع كثرة ما عاينوا من الايات التي جرت على يد موسى وعظيم ما كان لهم من موسى من النعم من
استنقاذه اياهم من استرقاق فرعون واخراجه من بلده وغرق البحر لهم ونجاتهم وتربيتهم وتفجير الانهار من الحجر و
انزال المن والسلوى لهم بجميع ما كان لهم من موسى ما ذكرنا لم يقبلوا التورية ولم يقروا بها الا بعد رفع الجبل
عليهم والارسال فعند ذلك يتلو الصبر رسولنا لئلا يضجر على جفاء قومه اياه وكثرة سفههم ثم يحتمل
ان يكون ما ذكر من رفع الجبل فوقهم وجهين احدهما لما عاينوا ذلك امنوا وقبلوا الكتاب لكن منهم ايمان
رفع اذ ذلك قهر ولا يكون في حال القهر ايمان والثاني صير ذلك اية عظيمة وحجة واضحة معجزة فقبلوها و
حققوا الايمان به ثم تركوا ذلك يدل على ذلك ما ذكر في سورة الاولى حيث قال ثم توليتم من بعد ذلك
وقيل فخلف من بعد بني اسرائيل خلف السوء وهم اليهود ورثوا الكتاب قبل التورية من ابائهم واوائلهم
يأخذون عرض هذا الادنى قال رشوة ويقولون سيغفر لنا وكانوا يرتشون ويقولون يغفر لنا لانهم
زعموا انهم ابناء الله واحباؤه وان يأتهم عرض مثله قيل رشوة مثله اخذوها وقوله عز وجل الم يؤخذ
عليهم ميثاق الكتاب قالوا لقد اخذ عليهم في التورية ان لا يستحلوا محرما ولا يقولوا على الله الا الحق في التورية
ودرسوا ما فيه وقوله والدار الاخرة خير للذين يتقون استحلال المحارم واكلهم الحرام وقوله عز وجل يمسكون
بالكتاب قيل بالتورية ولا يحرفونه عن مواضعه ولا يستحلون محرما واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين
وقوله عز وجل وظنوا انه واقع بهم اي ايقنوا انهم ان لم يقبلوا واقع بهم وقوله عز وجل خذوا ما اتيناكم بقوة قد
ذكرنا هذا فيما تقدم قوله خذوا ما اتيناكم بقوة يحتمل وجهين احدهما خذوا اي اقبلوا ما فيه والثاني اعملوا
بما فيه وفيه دلالة كون العقل مع الفعل وقوله واذكروا ما فيه قيل اعملوا بما فيه من الحلال والحرام لعلكم
تتقون العقوبة والمعصية تكلم الناس في تأويل قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم الاية فمنهم
من يقول ذلك عند ما خلق ادم اخرج من يكون من ذريته مثل الذر فعرض عليهم قوله الست بربكم قالوا بلى
لكن اختلفوا فمنهم من يقول جعل بالمبلغ الذي يجري على مثله القلم وهو قول الحسن ومنهم من يقول عرض ذلك

على الارواح دون الاجساد دون ذلك ومنهم من يقول بلا عرض انه خلق صنفين فقال هؤلاء في الجنة وهؤلاء
للنار ولا ابالي ومنهم من يقول عرض الكل على ما عليه احوالهم واجالهم في الدنيا والله اعلم كيف كانت القصة او كيف
يرى احوال الفقر والغناء في الذر وكيف هؤلاء في كذا ولا ابالي مع اجتماعهم على القول ببلى لما عرض عليهم
في قوله الست بربكم وقد رايتنا في تلك الاخبار ربما كان الكف عما له المراد ومحاصة حفظ العوام واهل الضعف
عن تبليغها الزم واعظم في النفع وابعد عن الشبه من روايتها وتكلف الكشف عنها فنسال الله العصمة عما به
المهالك والتوفيق للتصحيح بما به نجاة كل سامع ودفع كل شبهة وحيرة فانه لا قوة الا بالله ومنهم من ذهب في تأويل
الاية الى المعروف من ذرية ادم والاخذ عن الاصلاب والانشاء في الارحام على ما كان ويكون الى يوم القيمة
على ما قال الله سبحانه وتعالى فلينظر الانسان مم خلق الى قوله يخرج من بين الصلب والترائب وقال ان كنتم
في ريب من البعث الاية وقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال ما لكم لا ترجون لله وقارا
الاية وغير ذلك مما احتج الله به من اول ما جرى به قد بدا البشر الى اخر ما ينتهي به امره مما يعجز عن تقديره وسع الخلق
ويستتر عن عقولهم كيفية بدأ ذلك وما عليه تنقله من حال الى حال في كل طرف عين ولحظ بصر مع ما فيه من عجيب
التدبير وحسن التقويم الذي لو تكلف الخلق تصوير مثله بكل انواع الحيل من الاصول الظاهرة بحيث يبصر
كل بصير لكان يعجز عنه فكيف في الظلمات الثلاث مع ما ركب فيه من العقل والسمع والبصر وما جعل في كل ما
انشأ فيه ومنه مما لا يبلغ الاوهام فضلة من الاحاطة بما في ذلك من الحكمة ولذلك قال الله وفي انفسكم افلا تبصرون
وكان ذلك هو العهد الى جميع الذرية واشهادا انفسهم عليهم شهادة من دبرهم على ذلك وانشاهم على ما فيهم من
ان يكون له كذا او يقدر احد تقديره فذلك هو معنى اشهادهم على انفسهم اي جعلهم على انفسهم شهودا ان
يعلموا ان مدبرهم هو ربهم لا رب لهم غيره وانه ليس كمثله شيء مع ما في جعل ذلك ذرية يعرف كل بما يرى من عجزه
تدبير ولده وجهله باحواله في حال كونه في رحم ابويه بان علم انه لا كان بامره وانها تم علم ولكن برب العالمين
وذلك هو الذي يمنعهم عن القول بالغفلة عن ذلك اذ قد علمه كل منهم لا حال كونهم في الوقت الذي لا يذكره
احد والذي يبين ان هذا التأويل احق من الاول ما دل عليه سياق الاية من ذلك وقوله واذ اخذ ربك
من بني ادم ولو اقر لمن ذكرت على الاخذ من ظهر ادم والثاني قوله من ظهورهم وفي قولهم من ظهر ادم والثالث
قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وفي الثاني وبل ان لا تقولوا فكيف يحذرهم عن القول بذلك
وقد علم انهم كذلك ليس احد منهم يذكر ذلك ولا ما يتقرر عنده لو ينبه بكل انواع التنبيه والرابع قوله تقولوا
انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ما في ذلك العرض مما يمنع عن هذا القول وايضا انه ذكر في
بعض ذلك القول بان هؤلاء في النار ولا ابالي وفي القران الجمع بينهم في القول ببلى وذلك عند توحيد امتهم
مع ما في القران ان كنتم امواتا الاية وقالوا ربنا امتنا اثنتين الاية وفي بيان ذلك اثبات الموت والحياة اكثر
من العدد الذي جاء به القران في الكل ولا قوة الا بالله ثم قد يتوجه التأويل الثاني واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى الى وجه فاما الابتداء والاية فهو ذلك عندنا للتحقيق لانه ذكر الاخذ من بني ادم ثم من ظهورهم
والماخوذ من بني ادم ثم من ظهورهم هو النطف وهو الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب واشهدهم
على انفسهم اعلمهم ما منه انشاهم وقلبهم من حال الى حال الى ان تمت النسمة وظهرت البشرية على ما اعلم كل في ذريته
خروج بدوه من تدبير والديه وقيامه على ما عليه مداره وقراره وبتدبير من لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه امر
ليقولوا ان الذي ذكر هذا هو ربهم الذي رباهم على ذلك ليس كمثله شيء فكان ذلك اعلام من الله اياهم
على انفسهم وشهادة منها بالخلقة انه ربهم الذي رباهم وملكهم على ما جرى فيهم من تدبير الله جل ثناؤه ولئلا
يقولوا انما انهم عن هذا غافلين اذ قد عرف ذا كل ذي عقل وعرف انه كان بالله سبحانه وتعالى لا بوالديه ليجعلوا
شرك الاباء والامهات لانفسهم حجة من حيث كانوا منهم والله اعلم والثاني ان يكون الله اشهدهم
على انفسهم بما اراهم من احوال ذريتهم في الانتقال على احوال على ان انفسهم كذلك كانت دخل كل من بجوهرهم
في ذلك التدبير ليعلموا ان الذي ذكرهم على ذلك دبر الكل فيزول عنهم شبه الكون بغير الرب الذي ليس كمثله شيء
فيزول عنهم به عذر الغفلة وعلوق الشبهة بكفر الوالدين من حيث حق التبعية او سفه التقليد بما يعلم خروج
الجميع من التدبير ورجوع التدبير الى غير ليكون موضع الاسناد لا لما اراهم هو ودعاهم اليه لانما امرهم بر
الاباء والامهات ثم القول ببلى يكون نطقا ويكون تخلقة ويكون جواب الفطرة بحق التأمل فالنطق انه لا يتال
احد قبل التلقين الا وهو يقول بالرب والخالق وعلى ذلك قوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن
الله والخلقة بما كان من حاجته الى مقيم والى مدبر على شركة كل في ذلك اقراره بالربوبية وذلك معنى نفي التفاوت
عن خلقهم وفطرته بما يقلب عن احوال لو تامل الخلائق ادراك كل حال منها ووجه التنقل وقدر التغير في كل حال
لما نهاهم ليعلم ان في الفطرة شهادة بالتوحيد وهذا معنى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل مولود يولد
على الفطرة اي على حال لو تركت العقول والفكر فيها لشهدت بالتوحيد وذلك قوله بلى لان ثم قول لسانا بل نطق حال
كما قال الحكيم كل صامت ناطق لان صمته دليل تدبير اخر فهو ناطق بالبيان عن الواحد العزيز ولا قوة الا بالله وقد
يحتمل الاشهاد ان جعلهم شهداء على انفسهم بالعبودة لله وانه ربهم والمالك عليهم والقول ببلى بما يلزم ذلك

بالتأمل

بالتأمل فكانه قال والله اعلم وفي الاية دلالة اثبات خلق الله فعل الخلق وقد اخبر الله انه اخذ ذلك والله اعلم فان
قيل على ما ذا تخرج تأويل السلف قيل لعلهم وجدوا فيه خبرا ظنوا ان الاية تخرج عليه فاولوها على ذلك فاذا ارتبت
شبوبه ذلك بالاية لاية من زيادات تلحقها وتخرج عنها والا يخرج من ذلك ان يقول واذا اخذ ربك من بني ادم
ان يجعل من صلبه كانه قال واذا اخذ ربك من بني ادم وقد تكون كقوله تكفر عنكم من سيئاتكم وبنو ادم يؤخذ من ظهر ادم
كما يؤخذ ابن كل من ظهورهم اي اصل ابن كل من ظهره وذكر ظهورهم لما كانه منسوبا اليهم وان كان لو طرح حرف
الصلة يزول الشبه فحفظ في ذكرهم حق الوصل وان كان حق الاسقاط كقوله وكاين من قرية عتت الاية وغير
ذلك مما كنى عن اهل القرية باسمها وعلى ذلك اجرى ذكر الفعل وان لم يكن لها في الحقيقة فعلى فصل ذلك هذا فيصير
التحصيل كانه قال واذ اخذ ربك بني ادم من ظهره ثم يكون الماخوذ الذي عرض عليه محمول على حد نقل الخطاب
ومعنى قوله الست بربكم فاجاب بالذي ذكر والخبر الذي فيه القسمة اما ان كان لا في هذا فوصل به او كان
في الاية ذكر اجابة احد الفريقين وكان بين الجميع اتفاق في هذا الحرف واختلاف فيما جاوز هذا فالقسمة لما
عدا وقد يوجد في هذا القدر ايضا اتفاق ثم قوله ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين على اضمار
بعث الرسل وانزال الكتاب بالاخبار عن ذلك لئلا يدعوا الغفلة بما كانت منهم ذلك بما او قطعوا وانهم
او بما لا يحتجون بما اعترضهم من الغفلة اذ قد قطع عذرهم بغير ذلك من الادلة والرسل والله اعلم ولا يقولوا
انما اشرك اباؤنا من قبل اي بعث الرسل وانزل الكتب لتقطع هذا النوع من الشبه على الوجهين اللذين ذكرت
ولولا انا اهلكناهم بعذاب من قبله الاية وقوله ولولا ان تصيبهم مصيبة الاية وقوله وما كنا معذبين الاية
ويكون في التأويل الاول تظهر امر الذرية للاولاد في الخروج عن تدبير الاباء والامهات بقطع الحجاج بهذين
الحرفين وفي الثاني نزول الكتب وارسال الرسل مع ما امكن جعل هذا في التأويل جميعا والله اعلم وقوله وكذلك
نفصل الايات على وجهين احدهما على البيان ان نبين ما يكشف التهمة ويزيل الشبهة والثاني ان نفرق ونضع كل
واحدة منها في حق مواضعه واولى ذلك بقطع العذر ودفع العلل وقوله ولعلهم يرجعون ان تاملوا عما هم عليه
من الباطل والله اعلم وقوله افتهلكنا بما فعل المبطلون يخرج على وجوه احدها ان يكون ذلك الاهلاك ليس
هو التعذيب لكنه الاماتة كقوله تعالى ان امرؤ هلك اي تميتنا اذ فعل السفهاء ما فعل وان لا يبقيهم لما يرجى
من التوبة او يحدث منهم من لم يسفه والاماتة في الجملة بوجهين على ازادة من سفه منهم والثاني على الكل
اذ الموت حق مكتوب على جميع البشر الا على التعذيب على معنى لا تفعل انت لذلك كما يقول الرجل انا افعل هذا وانت
تفعل هذا على التبري والتبرئة وقوله ان هي الا فتنتك اي تفعله ابتلاء لا تعذيبا والثالث ان يكون على الابتلاء
بجمعهم في ذلك وان كان الذي استحق بعضهم في حق المحنة اذ له ذلك ابتداء وذلك نحو ما احدثها ابتلاهم
وان لم يكن منهم جميعا المعصية وعلى ذلك امر جميع انواع المصائب يجمع فيها بين اهل الخير والشر بحق المحنة
لا العقوبة وان كان في بعضهم عقوبة والله اعلم وقوله عز وجل واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ
منها اختلف اهل التأويل في هذا فقال بعضهم كان هذا نبيا فانسلخ منها يعني من النبوة وكفر بها لكن هذا بعيد
محال ان يجعل الله الرسالة فيمن يعلم انه يكفر بها ويختاره لوحيه وهو يعلم انه ليس باهل لها يقول الله اعلم حيث
يجعل رسالته وقال بعضهم كان بلعم ابن باعورا اعطاه الله تعالى ايات فكفر بها وانسلخ منها وقيل اعطي الاسم الاعظم
كان يستجاب له بجميع ما يسال ربه وقال بعضهم كان امية ابن ابي الصلت علم ما قبل منه عليه السلام انه امن بلسانه
وكفر قلبه وقال بعضهم نزلت الاية في منافقي اهل الكتاب قد كان اعطاهم الله الايات فكفروا بها وكذبوها
ولكن لا ندري فيمن نزلت وهو في جميع مكذبي الايات ليس يجب ان ننص واحدا ونشار الى واحد نزل فيه
ولكن نقول انها في جميع مكذبي الايات وقوله فانسلخ منها خرج منها ونزع منها وقبل تركها وكله واحد ثم
يحتمل قوله فانسلخ منها اي كانوا قبلوها مرة ثم ردوها من بعد القبول ويحتمل ان لم يقبلوها ابتداء فخرجوا
منها وكذبوها وقوله عز وجل فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين فيه دلالة ان الله لا يتبعه الشيطان
احدا ولا يزينه الا بعد ان كان منه الاختيار للضلال والميل اليه حيث قال فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين انما اتبع الشيطان بعد ما كان منه الانسلاخ والنزع وقوله فكان من الغاوين قيل كان
في علم الله ان يكون في ذلك الوقت من الغاوين وقيل كان من الغاوين اي صار من الغاوين اذا انسلخ منها
وخرج والغاوي الضال وقوله عز وجل ولو شئنا لرفعناه بها يحتمل قوله لرفعناه بها عصمناه حتى لا ينسلخ
منها ولا يكذب بها اي لو شئنا لوفقناه بها حتى يعمل بها وان يقال لو شئنا لعصمناه حتى لا يختار ما اختار
لكنه اذ علم منه انه يختار ذلك ويميل اليه شاء ان لا يعصمه ولا يوفقه فكيف ما كان فهو على المعتزلة لانه
اخبر لو شاء لرفعه بها وكان له مشية الرفع ثم اخبر انه لم يرفع ولو رفعه بها كان اصلح له في الدين ولا
انه قد يفعل به ما ليس هو باصلح في الدين وهم يقولون المشية القهر والقسر لا مشية الاختيار لكن ما ذكرنا
ان الايمان في حال الاضطرار والقهر لا يكون ايمانا فلا معنى لذلك ولا يكون ذلك رفعا فيبطل قولهم وقوله
عز وجل ولكنه اخلد الى الارض وهو ما ذكرنا لما علم منه انه يخلد الى الارض ويميل اليها لم يعصمه ولم يرفعه
والاخلاد في الارض قال الحسن سكن الى الارض وكذلك قال الكسائي الاخلاد في كلامهم السكون الى الشيء والركون

اليه وقال ابو عبيدة هو اللزوم للشيء في قوله ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه دلالة ان الاولى اخلد من الله وترك
العصمة له لما يكون من العبد الميل والركون الى مخالفته وترك الائتمار له واتباع الهوى قال قتادة قوله لو شئنا لرفعنا
بها يقول لو شئنا لرفعناه بها يقول لو شئنا لرفعناه من اتباع الهدى فلم يكن للشيطان عليه سبيل ولكن يبتلي من
عباده من يشاء وقوله اخلد الى الارض ذكر الارض يحتمل ان يكون كناية من الدنيا كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا ويحتمل
ان يكون كناية عن الذل والهوان لان كل متجبر ومتكبر انما يطلب السمو وهم اذا اختاروا ذلك اختاروا الذل
والهوان وقال الحسن في قوله فاتبعه الشيطان الآية قال خلى الشيطان بينه وبين ان يصحب الهدى بما مناه
وزين له واتبع هواه فمثله كمثل الكلب قال هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما امات فؤاد الكلب قال ساء مثلاً ضربه
الله وبئس المثل فاقصص القصص لعلهم يتفكرون فيتدبروا فيتفكروا في امثال الله التي ضرب واعقلوها الى
هذا ذهب الحسن وقال غيره وجه ضرب مثل الذي كذب بالآيات بالكلب وهوان الكلب من عادته انه
يذل ويخضع لكل احد لما يطمع ان ينال منه اوفى شيء ولا يبالي لما يصيبه من الذل والهوان في ذلك بعد ان ينال
منه بشيء فعلى ذلك الكافر والمكذب بالآيات لا يبالي لما يلحقه من الذل والهوان بعد ان يصيب من الدنيا
شيئاً ويشبه ان يكون وجه ضرب المثل بالكلب لما ان من عادة الكلاب اذا ظفرت بالجيف تنكب لها حتى
اذا نادى بها وتدعى وتكثرت اليه ولا تلتفت فعلى ذلك هذا الكافر ينكب لكل جيفة ويخضع ولا يلتفت الى
ما نودي ودعي اليه وقوله عز وجل ان تحمل عليه يلهث اي يخرج لسانه وينفس تنفساً او تتركه يلهث ومعناه والله
اعلم ان الكلب اذا اصابه العطش والجوع لهث واذا لم يصبه لهث ايضاً فعلى ذلك الكافر يميل الى ذلك ويختار اصابه
شدة او لم تصبه او كلام نحو هذا وقال قتادة هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما امات فؤاد الكلب ذلك مثل القوم
الذين كذبوا باياتنا ضرب الله عز وجل مثل الكافر مرة بالكلب ومرة بالميت ومرة بالاعمى ومرة بالتراب ومرة بالانعام
ونحو هذا وذلك لما فيه من معاني ما ذكر وقوله فاقصص القصص لعلهم كذا وهو قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا امر رسوله ليقص انباء الامم السالفة على هؤلاء ليكون زجراً ويحذر الكفار ليعلموا ما حل باولئك بصنيعهم
ليحذروا عن مثل صنيعهم ويكون عظة وتذكيراً للمؤمنين كقوله وموعظة للمتقين وقوله عز وجل ساء مثلاً
القوم الذين كذبوا باياتنا الآية وقد ذكرنا في غير موضع ان ابا نره قبل دينه وقبل حجته وبراهينه وقوله
ساء مثلاً اي ساء مثل الافعال التي ضرب الله مثلها بالذي ذكر في القرآن وقوله عز وجل من يهد الله فهو
المهتدي شهد الله تعالى من هداه فهو المهتدي اي من هداه الله في الدنيا فهو المهتدي في الآخرة ومن
يضلل في الدنيا فهو الخاسر في الآخرة فلو كان الهداية البيان والامر والنهي على ما ذكره قوم لكان الكافر
والمؤمن في ذلك سواء اذ كان البيان والامر والنهي للكافر على ما كان للمؤمن فلم يهتد واهتدى ان في ذلك
من الله زيادة معنى للمؤمن لم يكن ذلك منه الى الكافر وهو التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك
للكافر لاهتدى المؤمن ولو كان بيانا لكان ذلك البيان من الرسل وغيره على قولهم وكذلك قوله
ومن يضلل الله فاولئك هم الخاسرون اخبر ان من اضله فقد خسر دل انه كان منه زيادة معنى وهو
الخذلان والترك او خلق فعل الضلال وليس على ما يقوله المعتزلة انه قد هداهم جميعاً لكن لم يهتد واقبلا
هم انتم اعلم ام الله كما قال لليهود قل انتم اعلم ام الله فظاهر الآية على خلاف ما يقولون ويذهبون وقوله عز وجل
ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس قالت المعتزلة لم يخلقهم الله تعالى لجهنم ولكن خلقهم وذرأهم
اعطاهم من القوة ما يكتسبون الجنة غير انهم عملوا اعمالاً استوجبوا بها النار فصاروا للنار بما عملوا من الاعمال لا ان
خلقهم لجهنم ثم اختلفوا في تأويله قوله ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس قال بعضهم ذكر ما اليه العاقبة امرهم
كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً لم يلتقطوه ليكون لهم ما ذكر ولكن انما التقطوه ليكون
لهم ما ذكر كقوله عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً التقطوه لكنه صار لهم ما ذكر اخبر عما اليه الامر فعلى ذلك
هذا وكما يقال لدوا للموت وابنوا للخراب ولا احد يلد للموت ولا يبني للخراب ولكنه انباء ما يؤول اليه عاقبة امره من الموت
والخراب الى هذا يذهب عامة المعتزلة وقال ابو بكر الاصم الآية على التقديم والتأخير كانه قال ولقد ذرأنا كثيراً
من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون ولهم اعين لا يبصرون ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك لجهنم
واولئك كالانعام لكن هذا بعيد لانه لو جاز هذا في هذا لجاز مثله في جميع القرآن ان يجعل اول الآية في
آخرها وآخرها في اولها فهذا محال واما قولهم انه اخبار عما اليه العاقبة امرهم واستشهادهم بقوله
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم كذا فهو يصلح هذا لمن يجهل عواقب الامور فيخرج ذلك منه على التنبيه والابتداء
لما لم يعرفوا عاقبة ما صار اليه الامر فاما الله سبحانه عالم السر والعلانية وما كان يكون في الاوقات التي يكون
لا يحتمل ذلك وقولنا للناس لدوا للموت وابنوا للخراب فهو انما يذكرون هذا عند التنبيه والايقاظ لجهلهم عواقب
الامور وان كانوا لا يبنون ولا يلدون للموت والخراب وما قصدوا له واما التأويل عندنا على ما ذكر في ظاهر
الآية انه خلق لجهنم كثيراً من الجن والانس لما علم في الازل انهم يختارون فعل الكفر والاعمال الخبيثة التي يستوجبون
بها النار وخلقهم لجهنم لما علم منهم ذلك في الازل انهم يختارون الاعمال الخبيثة قد رآهم على ما علم منهم انهم يختارون
ويكونون منهم وكذلك خلق المؤمنين للجنة لما علم في الازل انهم يختارون فعل الهدى ويعملون اعمالاً طيبة يستوجبون

وقوله ساء مثلاً القوم الذين كذبوا باياتنا اي ساء مثل الافعال التي ضرب الله مثلها بالذي ذكر في القرآن

بالجنة

بها الجنة خلقهم للجنة لا ان خلقهم للجنة مرسلاً وخلقهم لجهنم مرسلاً ولكن لما ذكرنا والله اعلم واما قوله وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فانما خلق منهم للعبادة من علم انه يعبده ويطيعه وما من علم انه يكفر به
ويعصيه فهو انما خلقه لما علم انه خلقه يكون منه فمن كان علم منه في الازل انه يكون منه العبادة
خلقه للعبادة ومن كان علم منه انه يكون منه الكفر خلقه لذلك لانه لا يجوز ان يعلم منه المعصية وفعل
الكفر فيخلقه على خلاف ذلك دل انه على ما ذكرناه والله اعلم او ان يقال قوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون الفريق الذي علم منه العبادة لا الكل دليله قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً ولم يقل ذرأنا الكل
فهذا فريق وهذا في فريق آخر وهذا التأويل يرجع الى الخصوص لا ترى ان الصبيان والمجانين لم يدخلوا فيه
او ان يكون قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي الا لاكلفهم العبادة وامرهم بها فان كان
هذا فهي على الكل على الكافر والمؤمن جميعاً والله اعلم ويحتمل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ما خلقت
الجن والانس الا لتشهد خلقتهم على وحدانية الله وصرف العبادة اليه وقد تشهد خلقة كل كافر ومؤمن
على وحدانية الله والوهيته وقوله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها الفقه هو معرفة الشيء بمعناه
الدال على نظيره او معرفة الشيء بمعناه الدال على مدبره فهؤلاء الكفرة لم يفقهوا لما لم ينظروا الى الاشياء
لمعناها وحقائقها انما نظروا الى الاشياء لظواهرها وكذلك قوله ولهم اعين لا يبصرون بها لما نظروا
الى ظواهرها لم ينظروا الى معانيها وحقيقتها التي تدلهم على تدبير منشئها وحكمته وكذلك قوله ولهم
اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام لما كانت للانعام قلوب واعين واذان لكن لا يفقهون معناها
وحقيقتها وان كانوا يسمعون النداء وينظرون ظواهر الاشياء فعلى ذلك ظواهر الاشياء فعلى ذلك
الكفار وان كانوا يسمعون ويبصرون ما ذكرنا بعد ان لم يفقهوا معانيها وتدبير مدبرها فهم كالانعام
واصله انهم لما لم يستعملوا تلك الحواس فيما جعلت لهم لمعرفة حقائق الاشياء وما ادرج فيها من المعاني
والحكمة فصاروا في الحقيقة كمن لا حواس له اولم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك بل كانوا كمن ليس لهم تلك الآلات
نفى عنهم والله اعلم وقال قائلون نفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بها انتفاع من لهم تلك بل كانوا كمن ليس لهم
تلك الحواس للمعنى الذي جعلت تلك الحواس فهم كالانعام بل هم اضل لان هؤلاء اذا ضلوا الطريق فهدوا
رشدهم لا يهتدون ولا يرجعون عن ذلك والدواب اذا ضلوا الطريق فهدوا اهتدوا وعرفوا ومالوا
اليه فهم اضل من الانعام لما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل بل هم اضل لان بنية الانعام لا يحتمل فهم
ذلك وبنية هؤلاء يحتمل اذ جعل لهم عقول تميز وتعرف حكمة مدبرها ومنشئها لكنهم ضيعوها
ولم تكن من الانعام تضييع لذلك كان اولئك اضل قال ابن عباس رضي الله عنه قوله ولقد ذرأنا لجهنم
كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون
بها لما ختم الله على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فمن ثمه
لم يفقه قلوبهم ولم يبصروا اعينهم ولم تسمع اذانهم وقال ثم ضرب لهم مثلاً فقال اولئك كالانعام في الاكل اذ
همتهم ليس الا الاكل والشرب كهمة الانعام والبهائم ليست همتهم الا الاكل والشرب وقضاء الشهوة فهي
تسمع النداء ولا تعقل فعلى ذلك الكافر وقوله عز وجل اولئك كالانعام في فهم ما ألقي اليهم بل هم اضل لانهم اعطوا
سبب فهم ذلك والانعام لا وقوله عز وجل بل هم اضل لان الانعام تعرف ربها وتوحده وتذكره لقوله
الله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده الآية وكقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه وهؤلاء لا يعرفونه ولا يوحدونه
فهم اضل او ان يقال هم اضل لا يهتدون وان هدوا ودعوا والانعام تهتدي وهم اضل لانهم يضلون
ويضلون غيرهم والانعام لا او هم اضل لانهم لا ينتفع بهم والانعام ينتفع بها وقوله عز وجل اولئك هم
الغافلون عن فهم ما ألقي اليهم وامروا به وغافلون عما اوعدوا وقوله ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها
يحتمل هذا وجهين يحتمل انهم قد ظنوا ان في اثبات عدد الاسماء ايجاب اثبات عدد من الذات فاخبر ان
ليس في اثبات اعداد من الذات اذ قد يسمى الشيء الواحد باسماء مختلفة ثم لا يوجب ذلك اثبات عدد
ذلك ولا تجزئته من نحو ما يسمى الحركة حركة عرضاً شيئاً خلقاً من غير ان اوجب ذلك اثبات عدد الحركة
او تجزئته وكذلك في جميع الاشياء فعلى ذلك يجوز انه ليس في اثبات عدد الاسماء اثبات عدد من الذات على
ما ذكرنا ويحتمل ان يكون خرج هذا مقابل قول كان منهم وهو ان وصفوا الله بشيء لا يحسن ان يوصف
به واضافوا اليه اشياء لا يصلح ان تضاف من قولهم يا خالق الخنازير ويا خالق الخبائث ويا اله القرود ونحوه
فاخبر ان ادعوه بالاسماء الحسنى مما ثبت عنه الخلق انه من نحو ما اعطاهم يقال يا هادي يا رشيد ونحوه ويقال
ما اعطاهم من النعم يا كريم يا جواد يا لطيف ونحوه ويقال يا خالق يا رازق يا الله يا رحمن يا رحيم لما ظهر في
انفسهم من الوهيته وربوبيته فقال لا تدعوا الكل ولكن ادعوا بالاسماء التي تثبت عند الخلق تحقيقها
وانه يسمى به وهو ما ذكرنا والله اعلم وقد روي على هذا المعنى روي ان رجلاً دعى في صلوته فقال يا الله
ويا رحمن ويا رحيم فقال رجل من المشركين انظروا الى محمد واصحابه انهم يعبدون الهاً واحداً فما بال هذا يدعو
ربين نحو ما سموها آلهة وارباباً فقال هذه الاسماء التي تدعون بها الاصنام لله فادعوه بها ولا تدعوا الاصنام

وقوله عز وجل وذروا الذين يلحدون في اسمائه يحتمل اي لا تكافيهم بصنيعهم ولا تجازهم بالذاهم بالك فان الله هو
المكافي لهم والمجازي بصنيعهم الا ترى انه قال في الاخرة سيجزون ما كانوا يعملون وقوله يلحدون في اسمائه قيل
الالحاد هو الجور والميل عن الحق والوضع في غير موضعه وهم سموا ملحدين لما سموا غيره باسمائه او لاشراك غيره
في اسمائه او سموا بذلك لما صرفوا شكر نعمه الى غيره وعبدوا دونه مع علمهم انه لم يكن منهم اليهم شيء من ذلك انما كان
ذلك لهم من الله قال ابن عباس الالحاد الميل في جميع القران وقيل الالحاد التكذيب قال القتبي يلحدون اي يجورون
عن الحق ويعدلون واصله الجور والميل وقوله عز وجل سيجزون ما كانوا يعملون قال هذه بشارة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والظفر على اعدائه في الدنيا وقال قائلون هو حروف وعيد هم عز وجل بالذاهم
رسول الله وقوله عز وجل وممن خلقنا امة يهدون بالحق اي يهدون الخلق بالحق الذي عندهم وهو القران والكتب
التي عندهم وامكن ان يكون الحق هو رسول الله صلى الله عليه وسلم به يهدون الناس وبه يعملون وجائز ان يكون
قوله يهدون بالحق اي يهدون الخلق الى سبيل الله على ما ذكر في اية اخرى حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ويحتمل الحق ههنا هو الله كقوله ان الله هو الحق المبين وقوله عز وجل وبه يعدلون اي
بالحق الذي يهدون يعملون كقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه الاية وقوله عز وجل والذين كذبوا
باياتنا قد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله عز وجل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال قائلون هذا صلة
قوله ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا الاية وقال بعضهم فيه الوعد لرسول الله بالنصر له والظفر على
اعدائه والاستدراج هو الاخذ في حال الغفلة من حيث امن الرجل بغتة كقوله فاخذناهم بغتة وهم
لا يشعرون وقال قائلون الاستدراج المكر لكن معنى ما يضاف الاستدراج والمكر الى الخلق غير المعنى الذي
يضاف الى الله والجهة التي تضاف الى الله غير الجهة التي تضاف الى الخلق والجهة التي تضاف الى الخلق مذموم
والجهة التي تضاف الى الله محمود وكذلك ما اضيف الى الله من المكر والخداع والاستهزاء ونحوه وهو ما ذكرنا
على اختلاف الجهات والمعنى في الجهة التي تضاف الى الله غير الجهة التي تضاف الى الخلق لان الله تعالى ياخذهم
بما يستوجبون ويستحقون بحق الجزاء والمكافات فلا يلحقه في ذلك ذم واما الخلق فيما بينهم يمكرون ويكيدون
لا على الاستحقاق والجزاء وعن الحسن في قوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال كلما جددوا المعصية جدد
الله لهم نعمة ليستهزؤا وباشروا ويبطروا اشرهم بكلهم وقال بعضهم يظهر لهم النعم وينسيهم الشكر وجائز
ان يكون ما ذكر من الاستدراج والمكر والكيد عبارة عن العذاب اي ان اخذي اياهم وعذابي شديد حيث
قال ان كيدي متين اي عقوبتي شديدة وقوله عز وجل واملي لهم ان كيدي متين اي كيدوه انتم واملهم
واكيد لهم كقوله انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا الاية فيخرج قوله اكيد لهم مخرج جزاء كيدهم وكذلك قوله ومكروا
ومكرنا مكرا اي جزيناهم جزاء مكرهم وكذلك قوله سنستدرجهم اي نجزيهم جزاء استدراج وما هو عندهم
كيد وكذلك نفعل بهم ما هو عندهم مكر وخداع وان لم يكن من الله مكرا وخداعا كقوله وهو اهون عليه اي اعادة
الشيء عندكم اهون من الابتداء وان كان الاعادة والابتداء سواء على الله فعلى ذلك قوله سنستدرجهم
وكيدي متين ونحوه اي نفعل بكم ما هو استدراج وكيد عندكم والله اعلم ودل قوله واملي لهم على انه لم يبتليهم
لحاجة له اليهم او لمنفعة له فيهم ولكن انشاهم لحوايج انفسهم ولمنافع ترجع اليهم حتى ان عملوا نفعلوا انفسهم
وان تركوا اضروا انفسهم وقوله متين قيل شديد اي عقوبتي شديدة والمتين المحكم القوي وقوله عز وجل اولم
يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان الكفرة كانوا ينسبون رسول الله الى الجنون احيانا والذي حملهم على ذلك
والله اعلم لانهم كانوا اهل العز والشرف في الدنيا رتبة وكان لا يخالفهم احد ولا يستقبلهم بالمكروه الا احد به
بذ وهيبة وقوة وله اعوان وانصار ورجل به جنون لانهم كانوا يقتلون من يخالفهم في شيء من الامر
فلما راوا رسول الله خالفهم واستقبلهم بما يكرهون ولم يروا معه انصارا ولا اعوانا ظنوا انه لا يخالفهم الا بجنون
فيه فنسبوه الى الجنون لذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون نسبتهم اياه الى الجنون لما حرم عليهم عبادة الاصنام
والاوثان التي كانوا يعبدونها وهم قدروا العقلاء منهم قد عبدوا الاصنام ولم يحرموا ذلك فلما حرم ذلك
عليهم ظنوا انه انما حرم ذلك لافة لذلك حملهم بالنسبة الى الجنون والله اعلم ثم عاتبهم بتركهم التفكر فيه
بقوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ليتبين لهم انه ليس به جنون وذلك يحتمل وجهين انهم لو تفكروا في
رسول الله بما اخبرهم من المرغوب والمرهوب والمحذور وفي كيانهم على غير لسانهم واختلافهم الى احد منهم
ولا تعلم ليعلموا انه رسول وانما اخبرانما اخبر بالله وان يكون قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة اي
قد تفكروا فيه وعرفوا انه ليس به جنون وكذلك في قوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الاية
اي قد تفكروا في ذلك وعرفوا ان مثل هذا لم يخلق عبثا باطلا كما يقال اولم تفعل كذا اي قد فعلت لكنهم
عاندوا وكابروا اياته وحججه وامكن ان يكون قوله اولم يتفكروا اي في انفسهم وفي اولئك الذين عبدوا من
الاصنام والاوثان ليظهر لهم انهم على باطل وسفه وليتبين لهم ان الحق هو ما يدعوهم اليه محمد صلى الله
عليه وسلم ما كانوا هم عليه وفيه دلالة ان الحق يلزم وان كان لا يعلم لانه لا يعلم ذلك الا بالتفكر والتدبير لما الحق
هولاء من الوعيد الشديد والعقاب العظيم لما تركوا هم التفكر وكان لهم سبيل الوصول الى معرفة ذلك وقوله اولم

يتفكروا

يتفكروا ما بصاحبهم انه ليس له جنة هذا جواب من الله ويحتمل لو تفكروا في صاحبهم لعرفوا انه ليس به جنة ثم
اخبر انه نذير مبين ليس كما يقولون انه مجنون اذ معه ايات وبراهين فهو نذير مبين وقوله عز وجل اولم ينظروا
في ملكوت السموات والارض الاية يحتمل هذا على الابتداء ويحتمل على الصلة بالاول وهو انهم اذا تفكروا في ملكوت
السموات والارض عرفوا الوهية الله وربوبيته لما يرون من اتصال منافع بعض ببعض على ما بعد ما بينهما وانه
التدبير في ذلك فعرفوا ان ذلك كله مسخر لمن له التمييز وان المقصود في خلقه اهل التمييز فاذا عرفوا ذلك
عرفوا انهم يحتاجون الى من يعرفهم ذلك ويعلمهم ما يحتاجون في ذلك ويحتمل على ابتداء الامر بالتفكر في
ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ليدلهم على وحدانيته وربوبيته وقوله عز وجل وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم كما هذا نزل فيمن عرف وقصد قصد تكذيبه عاند في تكذيبه فقال وان عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم بجحودهم لئن رجعوا الى تصديقهم لما فيه الخروج من الدنيا على ما هم عليه وقوله عز وجل فباي حديث
بعده يؤمنون هذا يتوجه وجهين احدهما انكم ممن تقبلون الاخبار والحديث فان لم تقبلوا حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخبره ولم تضعفوه فباي حديث بعده تقبلون وتصدقون ومعه حجج وبراهين
والله اعلم والثاني ان يكون قوله فباي حديث بعده يؤمنون بعد القران يؤمنون وهو كما وصفه لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية وقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله فاذا لم تقبلوا هذا ولم تصدقوه وهو بالوصف الذي ذكر وانتم ممن تقبلون الحديث فباي
حديث بعده تقبلون بعده وجائز ان يكون قوله فباي حديث بعده يؤمنون يريد به في الاخرة يقول
اذا اقترب اجلهم فباي حديث يؤمنون اي لا حديث بعده يؤمنون والتاويل الاخر في الدنيا وقوله
عز وجل ومن يضلل الله فلا هادي له وفي موضع اخر ومن يهد الله فما له من مضل ولو كان الهداية الامر
والبيان على ما قاله قوم لكان ذلك من غيره وكذلك لو كان الاضلال والاغواء والتسمية هو التخلية لكان
ذلك يكون من غيره وكل من اراد الله ان يهديه اضله غيره وكل من اضله الله هداه غيره فذلك محال مع ما في
كل ما اضاف الله الاضلال الى الخلق ذمه وفيما اضاف الهداية اليه مدحه ثم اضافهما جميعا الى نفسه
دل ان هنالك زيادة معنى ليس ذلك في الاضافة الى الخلق وهو ما ذكر في غير موضع انما خلق فعل الضلال
من الكافر وخلق فعل الاهتداء والايمان من المؤمن وكان منه التوفيق والمعونة في الهدى والخذلان
في الكفر وهذان الوجهان اللذان ذكرناهما لا يكونان من الخلق انما يكونان من الله لذلك كان معنى الاضافة
اليه وانما يكونان من الخلق الدعاء وغيره لا ما قالته المعتزلة من البيان والامر والنهي والتخلية اذ يكون
ذلك من الخلق وبالله العصمة وقوله عز وجل ومن يضلل الله فلا هادي له اي من اهانه الله بالضلالة فلا احد
يملك اكرامه بالهدى وقوله عز وجل ويذرهم في طغيانهم يعمهون ولا ضرر يلحقه في طغيانهم لذلك تركهم فيه
ودل ذلك على انه لم يبتليهم لحاجة نفسه ولا لدفع ضرر نفسه ولكن لحاجة انفسهم كقوله سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون وكقوله ان كيدي متين وهو حرف الوعيد وقوله عز وجل يسالونك عن الساعة
ايان مرساها قيل ايان متى قيامها وقال القتبي ايان مرساها اي متى ثبوتها يقال رسا في الارض اذا ثبت
ورسا في الماء ويقال للجبال رواس لثبوتها ثم اختلف في السؤال عم كان قال بعضهم كان السؤال عن الفناء
فناء الخلق وهلاكهم لانه قال في اخره لا تاتيكم الا بغتة ونحوه وكقوله ما ينظرون الا صيحة واحدة الاية
وذلك يكون في الدنيا وقال قائلون كان السؤال عن البعث وقيام الساعة انكارا منهم اياها واستهزاء بالعذاب
كقوله وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وقولهم الذا متنا وكنا الاية وغير ذلك
من الايات يدل على ان السؤال كان عن الساعة وليس قوله لا تاتيكم الا بغتة انه كان عن الفناء اذ كانوا يعاينون
الفناء ولا يحتمل ان يكون السؤال عن ذلك ثم يحتمل بعد هذا وجهين احدهما ان كان السؤال عن المكذب لها
فهو سؤال الاستهزاء والاستعجال لما ذكرنا وان كان عن المصدق فهو سؤال الاستعلام والاشفاق لتباعدها و
يستعدوا كقوله والذين امنوا مشفقون منها لما سمعوا من الايات ما يقرب وقوعها كقوله اقتربت الساعة
وقوله اقترب للناس حسابهم وقوله اتى امر الله فلا تستعجلوه ونحوه من الايات وما سمعوا من رسول
الله انا والساعة كهاتين وفي بعض الاخبار قال كادت الساعة ان تسبقني وغير ذلك من الاخبار حملهم ذلك
على السؤال عنها ليتاهبوا لها ويستعدوا ثم امره ان يقول ان علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو اي لا يكشفها
ولا يظهر وقتها الا هو ليس كالامور التي تجري على ايدي الخلق ويكون لغيره فيه تدبير عن اخراج الثمار والنبات
والامطار وغير ذلك من الامور التي تجري على ايدي الخلق ويكون لهم فيها تدبير اعني الملائكة الذين سلطوا على حفظ
المطر والنبات واما الساعة فانها تقوم من غير ان كان لاحد من الخلائق تدبير فيها او علم وهو ما وصفها الله عز وجل
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب اخبر ان امر الساعة خارج عن تدبير الخلق بل تقوم بتدبير الله من غير ان
يجريها على يد احد والله اعلم وقوله عز وجل ثقلت في السموات والارض قيل ثقلت على اهل السموات والارض
ثم اختلف فيه قال قائلون قوله ثقلت اي خفيت على اهل السموات والارض فذكر الثقل لان كل من خفي عليه
شيء ثقل عليه فذكر انها ثقيلة عليهم لخفائها عليهم وقال قائلون ثقل وقوعها على اهل السموات والارض لكثرة اهوالها

وشدة وقوعها وامكن ان يكون قوله ثقلت في السموات والارض على نفس السموات والارض على ما ذكر في قوله تكاد السموات والارض يتفطرن منه الاية وذلك من شدة هولها ولكن ان كان على نفس السموات والارض اي لو كانت هي بحيث تعرف وتميز وبينها نبية من يعرف ثقل شيء لثقلت وهو ما قلنا في قوله وغرتهم الحيوة الدنيا والدنيا لا تغر احدا اي ما كان منها لو كان ممن يكون منه التغرير لكان تغريرا فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل يسئلونك كانك حفي عنها اختلف فيه قال قائلون قوله كانك حفي عنها اي مكرم متعرف عنده ذو منزلة فيعلمك عنها وكذلك قيل ثم كان نبي حفيا قبل ما راو حبا وقال قائلون كانك حفي عنها اي عالم بها وقال قتادة كانك حفي بهم كانك يحب ان ان يسئلونك عنها وقال غيره هو على التقديم والتأخير يسئلونك عنها كانك استحفيت السؤال عنها حتى علمتها ثم قال قل ما لي بها من علم وانما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انها كائن ويحتمل ولكن اكثر الناس لا يعلمون الا لا يعلم انها متى تكون او لا يعلمون ما عليهم وما لهم وقال الحسن في قوله ثقلت في السموات والارض اذا جاءت ثقلت على اهل السموات والارض وكبرت عليهم وقال بعضهم ثقل ذكرها على اهل السموات والارض وقال قتادة اثقل علمها على اهل السموات والارض واصله ما ذكرنا اي خفي علمها على اهل السماء والارض واذا خفي الشيء ثقل وقوله كانك حفي عنها ما ذكرنا من التأويل والله اعلم وعلى قول بعضهم الحفي الخبير العالم وقالوا هو المشرف المكرم البار الذي لا يستخفي منه شيء ولا يلبس عليه وقوله عز وجل قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال بعض اهل التأويل قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الهدى والضلالة وقال قائلون من اهل التأويل لا املك جر النفع الى نفسي ولا دفع الضر عنها الا ما شاء الله اي الا ان اقدرني الله على ذلك فاملك ذلك ويشبه ان يكون قوله لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا وقال ذلك لئلا يتخذوه معبودا او لا ينسبوه الى الله بالذي لا يليق النسبة به بما قالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت مشركوا العرب الملائكة بنات الله لعظيم ما وقع عندهم من عمل هؤلاء وقدرهم فقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا لئلا ينسبوه الى الله من الوجه الذي نسب اولئك اظهر من نفسه العجز والعبادة وهو ما قال عيسى اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وقال ابن عباس في قوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا وذلك ان اهل مكة قالوا الا يخبرك ربك بالمتاع بالتجارة المربحة فتتجر فيها فتربح او لا يخبرك بسنة القحط والجدوبة او يخبرك بوقت السعة والخصب فقال عند ذلك ولو كنت اعلم الغيب من جدوبة الارض والقحط لاستكثرت من الخير يقول لتهيأت لذلك وما مسني السوء من الضر والشدة الى هذا ذهب عامة اهل التأويل وقالوا في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لو كنت اعلم الغيب متى اموت لاستكثرت من الخير يعني من العمل الصالح ولكن الوجه فيه غير ما ذهبوا اليه لانه ان كان لا يعلم متى يموت لا يستكثر من الخير ومن العمل الصالح ولو كان يعلم الغيب لاستكثر المال على ما قال بعضهم هذا بعيد ولكن التأويل والله اعلم ان يجعل قوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا اي لا اعلم لكم نفعا ولا ضرا ولو كنت اعلم لكم الغيب لاستكثرت من الخير عند الله اي لو كنت اعلم لكم ذلك لصدقتموني وامنتم بي لاستكثرت من الخير عند الله بايمانكم بالله وتصديقكم اياي او ان يقال لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولو كنت املك لكم ذلك لاستكثرت من الخير لانكم اذا رأيتموني املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضر ما غاب لامنتم بي وصدقتموني فانا بذلك استوجبت عند الله خيرا كثيرا يجعل قوله لو كنت اعلم الغيب جواب ما تقدم من الكلام والله اعلم وقال بعضهم قوله قل لا املك لنفسي نفعا ولا اجرا ولا اعلم الغيب الا قدر ما اوحي الي لاستكثرت من الخير وقال بعضهم لا اعلم الغيب قبل ان اوحي الي ولو كنت اعلم ذلك لاستكثرت من الخير بذلك وحاصل التأويل في قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ما ذكرنا بتصديقكم اياي وايمانكم بي وما ذكرنا من السعة والخصب في الدنيا لاهله ولاصحابه او ما ذكرنا اي لو كنت املك لكم نفع ما غاب عنكم ودفع ضر ما غاب ايضا لامنتم بي وصدقتموني فانا بذلك استوجبت عند الله خيرا كثيرا وجائز ان يكون قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير اي لو كنت اعلم من المصدق ومن المكذب لاستكثرت من الخير لانه لا يشتغل بمن يعلم انه يرد ولا يجيب وانما يشتغل بمن يعلم منه انه يجيب ولا يكذب فيستكثر اتباعه المطيعين الله وقال بعضهم وما مسني السوء هو صلة قوله اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كانوا يقولون انه به جنون فقال وما مسني السوء من النسبة الى الجنون ويقول ما مسني السوء منكم سوء رد وتكذيب كانه لو علم الذي يجيبه ويصدقه من الذي لا يجيبه ولا يصدقه لم يمسه سوء منه الرد والاذى لانه لا يشتغل به بعد ما قام عليه الحجة من يجيب منكم ومن يرد وقوله عز وجل ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون وقوله وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا الاية قال عامة اهل التأويل ان ادم وحوا لما اهبطا تغشاها ادم فحملت فاتاها ابليس فقال يا حوا ما هذا الذي في بطنك قالت لا ادري قال لعله بهيمة من هذه البهائم ناقة او شاة او بقرة قالت لا ادري فاعرض عنها فلما اثقلت اتاها فقال كيف تجدينك قالت اني لاخاف ان يكون الذي ذكرت ما استطيع القيام اذا قعدت الا بجهد قال افرأيت ان دعوت الله يجعله انسانا مثلك ومثل ادم اتسميه بي قالت نعم فانصرف عنها وقالت لادم لقد اتاني ات فخوفني بكذا واني لاخاف مما ذكر فدعوا الله في ذلك فذلك قوله دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا يقول جعلته انسانا لنكونن من الشاكرين فكان هذا دعاؤهما قبل ان تلد فلما ولدت اتاها ابليس فقال الا تسميه بي كما وعدتني قالت نعم ما اسمك قال اسمي الحارث فسمته عبد الحارث فذلك قوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما على هذا حمل اهل التأويل الاية الى ادم وحوا وفرقوا

وذلك وحش من القول قبيح في ادم وحوى ذلك ولو ثبت ما قالوا انهما سميا ولدهما باسمه ونسبا اليه لم يكن في ذلك اشراك اذ لو كان في مثله اشراك لكان فيما اضاف العبيد والمماليك الى الخلق اشراك في الربوبية لكن التأويل عندنا على غير ما ذهبوا اليه والله اعلم وهو ان قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من ادم وجعل منها زوجها حوا ان خلق الذكور كلهم من ادم وخلق الاناث كلهن من حوا كقوله ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اخبر ان الازواج خلقهن من نفس الازواج فلما اضاف الزوجات الى نفس الزوج واتهن من انفسهن خلقهن كانه قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها كل ذي زوجة وزوج فلما تغشاها وحملت دعا ادم وحوا لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين اذ جميع الاولاد واولادهما يدعون الله في ذلك ليكون صالحا فمن كان مسلما منهما كان يدعائهما فعلى هذا التأويل يحصل دعاءهما لاولادهما الذين يولدون الى يوم القيمة لانهما اب وام وقد يدعو الوالدان لاولادهما بالصلاح والخبر على هذا يجوز ان يخرج تأويل الاية واما ما قاله اولئك فهو بعيد محال والله اعلم وقال بعضهم ان العرب كانوا اذا ولدهم اولاد ذكور ينسبون الى الاصنام التي يعبدونها ويضيفون اليها تعظيما لها يقولون ابن اللات وابن العزى وابن المناة ونحو ذلك وكانوا يقتلون البنات وكان اذا اصابتهم الشدة يفزعون الى الله ويتضرعون اليه كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وكقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه الاية واذا غشيهم موج الاية فلما ذهب ذلك عنهم والتجلي عادوا الى ما كانوا من قبل كقوله فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقوله ثم اذا خوله نعمة منه الاية فكذا كان اذا حملت زوجة منهم وثقل ما في بطنها جعلوا يدعوان الله ربهما لئن اتيتنا صالحا ذكرا وسلمت من الولادة لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا يعني ذكرا جعلا له شركا فيما اتاهما اي جعلا لله شركاء في الولد الذي ولد لهما وينسبونه الى الاصنام التي كانوا يعبدونها فذلك قوله جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون والله اعلم بذلك وقال الحسن الاية في مشركي العرب الا قوله خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها فان ذلك في ادم وحوا الا ترى انه قال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون دل انه ما ذكرنا وقال ابو بكر الاصم قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة وهو نفس ادم وجعل منها زوجها اي خلق كل نفس منكم من تلك النفس وجعل لكل نفس منكم زوجة من تلك النفس ليسكن اليها فعلى هذا التأويل يصرف الاية الى غير ادم وحوى وقال القتبي قوله فمرت به استمرت بالحمل وقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة ان العرب كانت تعبد الاصنام تقليدا لابائهم سلفهم فيذكر سفههم ان النفس التي منها لم تقلد احدا ولم تشرك احدا انما اتبعت ما في العقل حسنه او ما في السمع من الامر فكيف اتبعتم انتم النفس التي خلقتم منها وهي لم تتبع الا ما ذكرنا دون ما اتبعتم في الاشراك له اباءكم ولو كان القصة في ادم على ما يقول اهل التأويل للعرب تعلق واقتداء فيقولون انه اشرك ونحن نشرك فدل انه ليس على ما قالوا ولكن على الوجوه التي ذكرنا وفي قوله خلقكم من نفس واحدة دلالة ان ليس لاحد من البشر على اخر من جهة الخلقة والنسبة اذ كلهم انما خلقوا من نفس واحدة وهم اخوة واخوات وان كان لاحد فضل على اخر فانما يكون لاعمال يكتسبها واخلاق محمودة ومحاسن يختارها اما من جهة الخلقة فلا فضل لبعض على بعض كقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقوله عز وجل ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يذكر سفههم انهم يشركون في عبادته والوهيته من يعلمون انه لم يخلقهم وانما خلقهم الله سبحانه وهم مخلوقون فصرف العبادة الى غير الذي خلقهم سفه وجور وقوله عز وجل ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون يسفههم ايضا في الشاهد لا يخضع احدا حدا ولا يشكر له الا مجازاة لما سبق منه اليه من النعم او لما يأمل في العاقبة من المنفعة وانتم تعبدون هذه الاصنام ولم يسبق منها اليكم شيء ولا لكم رجاء نفع في العاقبة فكيف تعبدون او لا يستطيعون لكم نصرا يدفعون عنكم الضر ولا انفسهم ينصرون اي ولا من قصدهم بالكسر والاتلاف يملكون دفعه عن انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم يحتمل هذا وجهين يحتمل ان تدعوهم يعني الاصنام الى الهدى ليهتدوا لا يتبعوكم اي لا يجيبوكم ولا هم يهتدون والثاني وان تدعوهم الى ما لكم اليه من حاجة لا يتبعوكم لا يفقهون ولا يملكون ذلك ويحتمل ان يكون الخطاب للمسلمين يقول وان تدعوهم اهل مكة الى الهدى لا يتبعوكم اي لا يجيبوكم وجائز ان يكون خاطب به اهل مكة يقول وان تدعوا الاصنام التي تعبدونها الى الهدى لا يملكون اجابتكم يسفههم في عبادتهم من حاله ما وصف وقوله عز وجل سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ام ان تكون الاية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا كقوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقال بعضهم قوله وان تدعوهم يعني المشركين الى الهدى لا يتبعوكم فعلى ذلك يخرج قوله سواء عليكم ادعوتموهم وامكن ان يكون قوله سواء عليكم ادعوتموهم في الاصنام والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يحتمل قوله تدعون اي تعبدون من دون الله وقد كانوا يعبدون من دون الله اصناما واوثانا ويحتمل تدعون اي تسمونهم من دون الله الهة وقوله عباد امثالكم في الخلقة والدلالة على وحدانية الله في التدبير ونهم لما قال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها الى اخر ما ذكر اي ليس لهم ما ذكرتم دونهم في التدبير والمعونة ويحتمل قوله تدعون من دون الله عباد امثالكم الملائكة الذين عبدوهم عباد امثالكم فلو تسمونهم الهة اي لا تعبدوا عبادا امثالكم ولكن اعبدوا من لا مثل له ولا نظير له وان كان قوله عباد امثالكم الملائكة فقوله الهم ارجل يمشون بها الاية هو منه مقطوع مصروف الى الاصنام وقوله عز وجل

فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ذكر الدعاء والاستجابة ولم يبين فيما ذا يستجيبونهم ولا يجيب ان
يفسر الاستجابة في الشفاعة او في التقريب الى الله او في غيره الا ان يعلم انهم كانوا يدعونهم بكذا ويطلبون منهم
كذا وقوله عز وجل الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون
بها يسفه عقولهم بعبادتهم الاصنام التي لا ارجل لهم يمشون بها يهربون من يقصدهم بالسوء او يقصدون بهم
قصد من اراد الضرر بهم والسوء وكذلك يعبدون ما لا ايدي لهم يبطشون يدفعون عن انفسهم من اراد السوء
او يأخذون من يقصدهم وكذلك قوله ام لهم اعين يبصرون بها يبصرون من يقصدهم بالسوء ام لهم اذان
يسمعون من يشتمهم ويذكرهم بالسوء يسفههم في عبادتهم من لا يملك دفع من يقصده بالسوء ما هربا منه
واما قصدا منه اليه بالسوء فاذا كانوا لا يملكون ذلك كيف تعبدون وهو كقوله ابراهيم عليه الصلوة والسلام
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فاذا كانوا لا يملكون دفع ما يحل بهم كيف يملكون جر النفع
اليكم او دفع الضر عنكم وقوله عز وجل قل ادعوا شركاءكم قال بعض اهل التأويل خاطب به كفار مكة بقوله قل ادعوا
شركاءكم الذين تزعمون انهم الهة دون الله ويحتمل قوله شركاءكم اي ادعوا من شاركوكم في عبادة من دونه ثم
كيدون ويحتمل ان يكون الخطاب بجميع الكفار الذين كانوا يعبدون الاصنام والاوثان من دون الله قال ذلك
لهم رسول الله بين ظهرانيهم ثم كيدون فلا تنظرون ثم لم يقدر احد الكيد به والضرر مع قوتهم وعدتهم بالكثرة
والاعوان وضعف رسول الله وقلة اعوانه دل عجزهم عن ذلك انه كان اية في نفسه وانه بالله تعالى ينتصر وبه قوي على
اعدائه وذلك من عظيم اياته ثم قال ذلك لمن كانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فيما هم فيه ثم لم يقدر احد
منهم الضرر به دل انه كان بالله محفوظا وكذلك سائر الانبياء صلوات الله عليهم حيث قالوا بين ظهراني قومهم من
نحو هود ونوح وهؤلاء فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقال نوح قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون الاية وقوله عز وجل
ان ولي الله الذي نزل الكتاب الاية ذكر هذا على اثر قوله ثم كيدون فلا تنظرون كما ذكر هود اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم وكما قال نوح ان
كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم
اقضوا الي ولا تنظرون فزعوا الى الله عز وجل عند وعيد قومهم بالاهلاك وغلبة اعدائهم واوبه وثقوا فعلى ذلك
رسول الله قال ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين او هو وليي يحفظني وهو يتولى حفظ الصالحين اي يتولاه
صلحوا اي يتولى ويحفظ الصالحين مقابل قوله من ذكرنا من الرسل قومهم ثم قوله وليي الله يحتمل حافظي وناصري
او وليي تدبيري الله الذي نزل الكتاب او ولي امري او وثقي بالله الذي نزل الكتاب الذي عجزت الخلائق عن
اتيان مثله وهو يتولى الصالحين وقوله عز وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم
ينصرون ويذكر سفههم بعبادتهم من عجز عن دفع الضرر عن نفسه فضلا ان يدفع ذلك عنهم او عجزوا انفسهم منفعة
واخبر عن جهلهم انهم يعبدون من لا يملك دفع ضر ولا جر نفع بقوله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون
الهدى هذا يخرج على وجهين احدهما يخاطب به المؤمنين بقوله وان يدعوا اهل مكة الى الهدى لا يجيبوا وتريهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون اي لا ينتفعون به او لشدة تعنتهم لا يبصرون وجائز ان يكون بقول وان تدعوا الاصنام
التي تعبدون الى الهدى لا يسمعوا اي لا يجيبوا ولا يملكون الاجابة ويحتمل لا يسمعوا حقيقة السمع وتراهم ينظرون
اليك على التمثيل اي كانهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون حقيقة وقوله عز وجل خذ العفو يتوجه وجهين احدهما على حقيقة
الاخذ والثاني على العمل بالعفو فان كان على الاخذ فهو على وجهين يحتمل ان خذ الفضل الذي لا حق فيه وهو القليل
من ذلك واليسير والثاني ان خذ ما يفضل من انفسهم وحوائجهم من غير مسألة اي اقبل منهم ما اعطوك ولا تلح في
المسألة كقوله ولا يسألكم اموالكم وان يسألكموها فيحفكم تبخلوا الاية اخبر انه ان سأل لهم اموالهم حملهم ذلك
على البخل وان كان على العمل فهو على وجوه اي اعف عن الظلمة عن ظلمهم واعرض عن السفهاء واحلم معهم امر رسول
الله ان يعامل الخلق باشياء ثلاثة امر ان يعفو عن الظلمة عن ظلمهم لا يكافيهم ويحلم بهم وامر ان يعرض عن السفهاء
والجهال ويحلم معهم وامر ان يعامل المؤمنين باللين والرفق وكذلك وصفه بالرحمة والرأفة بقوله بالمؤمنين رؤوف
رحيم وروي عن عبد الله بن الزبير قال خذ العفو وامر بالعرف قال الخلق حسن ما انزل الله هذه الاية الا في اخلاق
الناس وعن قتادة خذ العفو وامر بالعرف قال الخلق حسن امر الله به نبيه ودعاه اليه الى هذا ذهب بعض اهل
التأويل والى ذلك صرف تأويل الاية وقال بعضهم هو اخذ الفضل من المال على ما ذكرنا فهو منسوخ باية الزكوة وروي
في حرف ابن مسعود واي خذ العفو وامر بالعرف وانه عن المنكر واعرض عن الجاهلين وفيه دلالة ان امر بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والمعروف هو اسم كل خير وامره بان يأخذ بالعفو عن الظلمة على ما ذكرنا دل على ذلك ما روي عن عائشة
قالت كان رجل يشتم رسول الله ويؤذيه فدخل على رسول الله فاوسع له وادناه ورحب به قالت فقلت يا رسول الله
اليس هذا كان يشتمك قال بلى يا عائشة ان من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء شرهم والسنتهم الى مثل هذا دعي رسول
الله بالعفو والصفح عن الظلمة وترك المكافاة وقوله وامر بالعرف اي مر الناس بالعرف وهو ما يشهد خلقتك وتامرك
به اشياء ثلاثة اثنان فيما بينه وبين ربه والواحد فيما بينه وبين الناس اما الاثنان اللذان فيما بينه وبين ربه احدهما
ان امر خلقته وتشهد على وحدانية الله والدلالة على الوهية والثاني تشهد على نعم الله اليه فيدعوه الى الشكر له فيما انعم

عليه

عليه واما الوجه الذي يدعو خلقته فيما بينه وبين الناس هو ما يرغب نفسه في كل محاسن ومرغوب فيه وينفر نفسه
عن كل اذى وسوء فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعامل الخلق بما يرغب نفسه ويطمع في المحاسن وتنفر عنه وتكره
تفعل اليهم في كل ما يرغب نفسه فيه ويطمع ويمتنع عن كل اذى وسوء والله اعلم وقوله عز وجل واما ينزغنك من
الشيطان نزغ قال بعضهم النزغ هو ادنى افعال المعصية وكذلك فسره ابن عباس رضي الله عنه يقول اذا اذنبت
ذنبا فاستعذ بالله وقال القتبي واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي يستخفنك ويقال نزغ شيئا اذا افسد و
قال ابو عوسجة النزغ التحريك للفساد وقال بعضهم قوله ينزغنك من الشيطان نزغ اي يوسوسك الشيطان
وسوسة فاستعذ بالله ثم في الاستعاذة وجهان احدهما امره بالفزع الى الله عند ما يوسوسه الشيطان
والالتجاء اليه لما رأى نفسه عاجزة عن دفع ما يوسوس اليه ورد ما يكون هو الدافع عنه ذلك وهو الولي
وقال الخليل اعوذ بالله اي الجأ الى الله تعالى وكذلك قوله استعذ بالله ومعاذ الله معناه اعوذ بالله ومنه الا
الاعاذة والتعوذ والتعويذ وقال غيره اعوذ بالله اي امتنع بالله وقيل اعوذ بالله اي اتحصن بالله وقيل
الاستعاذة هو الاستغاثة بالله تعالى لدفع ما اعترض له من الشيطان وكله قريب بعضه من بعض ثم
الحكمة فيما جعل عدوهم من غير جنسهم من حيث لا يرونه ويراهم وجهان احدهما ليكونوا ابدا على التيقظ
والانتباه غير غافلين عنه والثاني ليكونوا ابدا فزعين الى الله تعالى متضرعين اليه مبتهلين ليكون هو الحافظ
لهم والدافع عنهم شره ووسواسه وفيما امر بالفزع الى الله والاستعاذة به عند نزغ الشيطان نقض على
المعتزلة لانهم يقولون قد اعطاهم جميع ما يدفعون به وساوسه ونزغاته حتى لم يبق عنده شيء يعيذه فعلى
قولهم يخرج طلب الاعاذة مخرج كتمان النعمة او مخرج الهزؤ به اما الهذا به لانه يسأل ما يعلم انه ليس ذلك
عنده وقوله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وقيل طيف من الشيطان فمن قرأ طيف قال اللمة الخفيفة
الشيء يغشيك وقال واما الطائف فهو من الطواف وقيل الطيف الوسوسة وقيل الطيف ما يأتيك من الشيطان
وقيل الطائف والطيف سواء وعن ابن عباس اذا مسهم طيف من الشيطان قال اذا اذنبوا ذنبا تذكروا فاذا هم
مبصرون يقول تذكروا ذنوبهم فتابوا منها وكذلك قال في قوله ينزغنك من الشيطان نزغ هو ادنى ذنب
يرتكبه وان كان على هذا فهو يخرج على النهي عن ذلك فهو كالمخاطبات التي خاطب بها رسول الله كقوله ولا
تكونن من المشركين فلا تكونن من الجاهلين فلا تكونن من الممترين وان كان يعلم انه لا يشك ولا يجهل ولا
يشرك غيره في امره فعلى ذلك هذا الخطاب الذي خاطبه بقوله ينزغنك من الشيطان وان كان ما ذكر هو من
ادنى ذنب يرتكبه فهو يخرج ذلك على تعليمه امته ان كيف يفعلون اذا عرض لهم ذلك والله اعلم وقوله
ان الذين اتقوا اذا مسهم كذا يحتمل ان يكون قوله اتقوا مكايد الشيطان فاذا هم مبصرون اي بصروا انه
من الشيطان او ان يقال اي هم من اهل البصر يبصرون بما اتقوا به انه من الشيطان ويحتمل قوله ان الذين
اتقوا المعاصي اذا اصابهم وسوسة من الشيطان تذكروا ذلك وقال بعض اهل التأويل قوله ان الذين اتقوا
اي اتقوا الشرك لكن لا كل من اتقى الشرك يكون كما ذكر وقوله اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية
يحتمل وجوها احدها اذا مسهم بذلك فابوا عما كان منهم كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة الاية والثاني
تذكروا وجوه حيل دفع وساوسه والثالث تذكروا استعاذوا به حين امرهم بالاستعاذة به عند النزغ
وقوله عز وجل واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال بعض اهل التأويل قوله واخوانهم يعني اخوان
الكفار الشياطين يمدونهم في الغي قالوا في الشرك والمعصية ثم لا يقصرون منها اي لا ينتهون عنها ولا يبصرونها
كما ابصر الذين اتقوا عنها حين ابصروها ويحتمل ان يكون قوله واخوانهم يعني اصحاب الذين اتقوا وهم شياطينهم
من الانس يدعونهم الى دينهم لكن هم لا يجيبونهم ولا يطيعونهم فيما يدعون اليه اذ يجوز ان يكون لكل مؤمن
شيطان من الانس وشيطان من الجن كقوله وجعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فقد دعا اولئك
شياطين الجن فتذكروا فلم يجيبوهم ثم دعاهم شياطين الانس ايضا فلا يجيبونهم والله اعلم وقوله عز وجل
واذا لم تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها ظاهر الاية في سؤال اهل الكفر رسول الله الاية انهم كانوا اذا اتى بهم اية
استهزؤا بها وتعنتوا واذا لم يأتهم بها لوه الاية سؤال المستهزئين المتعنتين واذا لم يأتهم بها قالوا لولا اجتبيتها
لولا ابتدعتها واحدثتها وانشأتها وهلا انبأتها من قبل نفسك فقال انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي لا افعلها و
لا انشأها من نفسي انما اتبع ما يوحى الي من ربي وامكن ان يكون سؤال الاية من المؤمنين فان كان منهم فهو سؤال
الاسترشاد لما يزداد لهم بكل اية تنزل عليهم يقينا وفقه في دينهم كقوله واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول
ايكم زادته هذه ايمانا الاية واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الاية وكقوله فاذا انزلت سورة محكمة الاية
فاذا كان السؤال من المؤمنين فهو سؤال الاسترشاد وطلب زيادة الهدى وان كان من الكفار فهو سؤال
الاستهزاء والتعنت ثم اخبر انه لا يتبع الا ما يوحى اليه ثم اخبر انه بصائر من ربكم قيل بيان اي هذا القران
بيان من ربكم يبصر به من لم يعاين ولم يجد بعقله كل ماله وما عليه وانه البيان من الحق والباطل وهدى من الضلالة
ورحمة لقوم يؤمنون اي ورحمة من العذاب وقوله عز وجل واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا الاية
امر الله تعالى بالاستماع الى هذا القران والانصات له اذا قرئ وان كان في العقل ان من خاطب اخر بمخاطبات

يلزمه الاستماع الى ما يخاطبه ويشافهه فالله سبحانه اذا خاطب بخطاب اولى ان يستمع له مع ما ذكر في غير موضع من القران آيات ما يوجب في العقل الاستماع اليه كقوله هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة وقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وغير ذلك من الآيات ولا سبيل الى ان يعرف انه بصائر وانه هدى وما ذكر الا بالاستماع اليه والتفكر فيه فدل ان الاستماع لازم في العقل من له ادنى عقل على ما ذكرنا من المخاطبات لكنه ذكر ههنا الاستماع اليه والله اعلم لوجهين احدهما مقابل بما كانوا يقولون لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه امر عز وجل المؤمنين بالاستماع اليه مكان قولهم لا تسمعوا لهذا القران وامر بالانصات مكان ما يقولون والغوا فيه والثاني يجوز ان يكون امر بالاستماع اليه في الصلوة على ما قال بعض اهل التأويل انه في الصلوة وقال بعضهم في حال الخطبة لما يسبق الى اوهامهم انهم لما اشتغلوا بغيرها من العبادات ولزمهم انواع القرب ان يسقط عنهم حق الاستماع فامر بالا بالاستماع اليه والانصات له ليعلموا ان حق الاستماع لازم في كل حال ثم الاستماع اليه يكون لتفهم ما اودع فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيره والانصات للتعظيم له والتبجيل ثم الاستماع له لم يلزم لنفس التلاوة ولكن انما يلزم لما اودع فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيره ليفهموا ما فيه ويقبلوا ويقوموا بوفاء ذلك واما سائر الاذكار انما هي عبادة لنفسها لذلك لم يلزم الاستماع الى سائر الاذكار ولزم لتلاوة القران ولان القران كلام الله وكتابه ومن الجفاء والاستخفاف ان يكتب انسان الى اخيه كتابا لا ينظر فيه ولا يستمع له فترك الاستماع الى كتاب الله اعظم في الجفاء والاستخفاف ولان القران يجهر وسائر الاذكار لا يجهر فان كانت تجهر فيستمع بها كما يستمع الى القران والله اعلم وذكر في بعض القصة ان الآية نزلت في الصلوة كان رسول الله اذا قرأ في صلوته كانوا يقولون مثل ذلك فنزلت الآية بالنهي عن ذلك والامر بالاستماع اليه والانصات له وذكر انهم كانوا يرفعون اصواتهم في الصلوة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فنزلت الآية لذلك فلا ندري كيف كانت القصة وفيم كانت وقد يحتمل ما ذكرنا انفا فان كانت الآية في الصلوة ففيه دلالة النهي عن القراءة خلف الامام لانه امر بالاستماع اليه والانصات له وعلى ذلك جاءت الاخبار روي عن ابي العالية قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى فقرأ اصحابه اجمعون خلفه حتى نزل واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا فسكتوا وعن علي ابن احمران النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في صلوة الفجر الواقعة وقرأها رجل خلفه فلما فرغ من الصلوة قال من الذي نازعني في هذه السورة فقال رجل انا يا رسول الله فانزل الله واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وغير ذلك من الاخبار فقال قوم ان الانصات الذي امر به المؤتم معناه ان لا يجهر بقراءته وليس فيه نهي ان يقرأ في نفسه وزعم بعضهم ان القارئ خفيا يسمى ساكتا ومنصتا واستدل بما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كبر سكت بين التكبير والقراءة قلت بابي انت ارايت سكاتك بين التكبير والقراءة اخبرني ما تقول قال اقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المغرب والمشرق وغير ذلك من الدعوات فقال هذا القائل فسمى النبي القارئ مخفيا ساكتا والصامت مثل الساكت فيجوز ان يسمى صامتا وهو ان يقرأ مخفيا كما يسمى ساكتا قال ثم غلط هذا القائل في تشبيه الصامت بالساكت لان الاسماء لا تقاس وانما يطلق في كل واحد منهما ما اطلقته اللغة فيه ومما يبين غلطه ان الله يقول فاستمعوا له وانصتوا فلو كان القارئ مخفيا يسمى منصتا ما كان مستمعا وانما يكون مستمعا صامتا اذا صمت فلم يقرأ فمن اطلق له ان يقرأ والامام يقرأ فلم يستمع ولا انصت ومما يدل على غلطه ايضا ان العلماء جميعا ينهون المؤتم عن القراءة والامام يجهر بالقراءة وانما يأمره بالقراءة خلف الامام ان يقرأ اذا سكت امامه ويأمر هؤلاء الامام ان يقف ساعة اذا فرغ من قراءته حتى يقرأ المؤتمون فلو كانوا يجعلون القارئ في نفسه والامام يقرأ جهرا صامتا ما امروا بتأخير القراءة حتى يفرغ امامه من القراءة فهذا يبين غلط المستدل بحديث ابي هريرة في استدلاله ومما يدل على ان المؤتم منهي عن ان يقرأ والامام يجهر ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم صلوة فظن انها الصبح فلما سلم اقبل على الناس قال هل يقرأ احد منكم فقال رجل انا فقال النبي اني اقول مالي انازع القران قال ابو هريرة فانتهى الناس عن القراءة فيما يجهر فيه النبي فقال قوم ان ابا هريرة قال انتهى الناس عن القراءة خلف النبي فيما جهر فيه فيقال ان ابا هريرة لم يرو ذلك عن النبي ثم مما يدل ان المؤتم لا يقرأ جهر الامام او خافت قول النبي مالي انازع القران وقد علمنا ان المؤتم لم يجهر بقراءته فيناوله ولا منازعته النبي عليه السلام على انه شغل فلا وجه لقوله مالي انازع القران الا ينهيه المؤتم عن ان يقرأ جهر امامه او خافت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين النهي عن القراءة خلف الامام فيما يجهر فيه او خافت ما روي عن عمران ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه الظهر فلما قضى صلوته قال ايكم قرأ بسبح اسم ربك الاعلى فقال بعض الناس انا يا رسول الله فقال قد عرفت ان بعضكم خالجنيها فبين عمران بن حصين ان الرجل خافت بقراءته ودل ان النهي الذي رواه ابو هريرة لم يكن في حال الجهر للامام دون مخافتته وان المؤتم منهي عن القراءة خلف الامام في كل الصلوات وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن القراءة خلف الامام احاديث كثيرة ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمران بن حصين عنه وما روي عن عبد الله كنا نقرأ خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلطتم علي القران فان قيل لعلهم كانوا يجهرون بالقران فنهى عن الجهر قيل له لم ينقل لنا في شيء من الاخبار ان

المؤتمين

المؤتمين كانوا يقرؤون جهرا ولو كانوا يقرؤون جاهرين لادى ذلك الينا كما ادى انهم كانوا يقرؤون وفي ذلك وجه آخر انه لم يكن النهي عن الجهر خاصة ولكن للقراءة نفسها ما روي عن ابي وائل قال سألت عبد الله بن مسعود عن القراءة خلف الامام فقال انصت فان في الصلوة شغلا وسيكفيك ذلك الامام وعن عبد الله بن شداد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له امام فقراءة الامام له قراءة وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم ورجل خلفه يقرأ فنهاه رجل من اصحاب النبي عن القراءة في الصلوة فتنازعا فيه حتى ذكر للنبي عليه السلام فقال من صلى خلف امام فقراءة الامام له قراءة وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واذا قرأ الامام فانصتوا وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا قرأ فانصتوا وغير ذلك من الاحاديث واكثر ما يحتج به المخالف لعلمائنا رحمهم الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم يقرأ بام القران يرويه عبادة بن الصامت قال سفيان هذا عندنا فيمن يصلي وحده فذلك محتمل والاحاديث التي جاءت مفسرة في النهي عن القراءة خلف الامام فان قال يترك المؤتم القراءة فيما يجهر فيه امامه بحديث ابي هريرة ويقرأ فيما يخافت بحديث عبادة بن الصامت ليصلح حديث ابي هريرة وحديث عبادة جميعا قيل له فهلا جعلته في المصلي وحده ليصح حديث عبادة وحديث عمران بن حصين لان حديث عمران ينهى عن القران فيما خافت وحديث ابي هريرة عن القراءة فيما يجهر فيه فان جعلت حديث ابي هريرة خارجا عن عموم حديث عبادة فذلك يوجب ان لا يقرأ المؤتم فيما يجهر فيه امامه وخافت ويقال له هل رأيت فرضا من فرائض الصلوة يسقط عن المؤتم في حال ويجب عليه في حال فان قال لا قيل فبي اسقاطك تلك القراءة عنه في حال الجهر ما اوجب عليك ان تسقطها عنه في حال المخافتة وقد احتج بعض اصحابنا في ذلك بان قالوا وجدنا الرجل اذا جاء الى الامام وهو راكع فكبر ودخل في صلوته ولم يقرأ فكل يجمع ان صلوته تجزيه فدل ذلك ان القراءة غير فرض عليه فان قال انما اطلق لم ذلك للضرورة قيل لو جاء الى الامام وهو ساجد لم يعتد بتلك الركعة والضرورة قائمة فلو كانت الضرورة تزيل فرضا لازالت الركوع عمن لحق امامه وهو ساجد فهي لا تزيل فرض القراءة عمن لحق امامه ولكن لا يلزمه القراءة خلف الامام فلذلك اجزته صلوته لا للضرورة التي ذكرت والله اعلم وقد روي عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انهم قالوا لا قراءة على من خلف الامام منهم علي وابن مسعود وجابر وابو سعيد وابن عمر وابن عباس وزيد بن ثابت رضي الله عنهم اما عن علي رضي الله عنه قال من قرأ خلف الامام فقد اخطأ الفطرة وعن عبد الله قال من قرأ خلف الامام ملئ فوه ترابا وعن زيد بن ثابت قال من قرأ خلف الامام فلا صلوة له وعن سعد قال وددت ان الذي يقرأ خلف الامام في فمه جمرة وعن ابن عمر كان اذا سئل هل يقرأ احد خلف الامام قال لا فاذا صلى احدكم وحده فليقرأ وكان ابن عمر لا يقرأ خلف الامام وعن ابي سعيد انه سئل عن القراءة خلف الامام قال يكفيك ذلك الامام وعن ابن عباس ان رجلا سأله اقرأ خلف الامام قال لا الى مثل هذه الاحاديث ذهب اصحابنا وعلى ذلك دل الكتاب والسنة واجماع الصحابة وبالله التوفيق **وقوله** عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال اختلف اهل التأويل في الذكر الذي ذكر في الآية منهم من صرف التأويل الى كل ذكر ومنهم من صرف الى التلاوة فان كان ذكر الغدو والآصال كناية عن الليل والنهار فهو ذكر احواله يذكر الله عز وجل بنعمه واحسانه وذكره بنعمه شكره او يذكر بقدرته وسلطانه وذلك يحمله على الخضوع له والتواضع لامره ونهيه ووعده ووعيده وذلك يوجب الاقرار بالتقصير والخوف لعقوبته والرغبة في وعده كانه قال واذكر ربك في كل حال من الليل والنهار اما شكر النعمة واحسانه واما الاقرار بالتقصير في امره ونهيه واما الخوف لوعيده واما الرغبة لوعده فكانه قال اذكر ربك تضرعا وتواضعا وخيفة مع الخوف وان كان تأويل الغدو والآصال كناية عن الغداة والعشي فهو كناية عن التلاوة وهو ما سبق من ذكر التلاوة من قوله واذا قرئ القران فاستمعوا له وقوله هذا بصائر من ربكم وهو كقوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وتأويله والله اعلم ولا تجهر بصلوتك في بعض صلوتك ولا تخافت في بعضها او ان يقال لا تجهر جهرا عاليا ولا تخافت غاية المخافتة ولكن بين ذلك او ان يقول لا تشتغل بالجهر ولا بالمخافتة ولكن اقرأ ما فيه فعلى ذلك قوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال وقرأ بعضهم وخيفة وهو من الاخفاء حيث قال واذكر ربك في نفسك واما ظاهر القراءة فهو خيفة وهو من الخوف وقال مجاهد رخص الله ان تذكره في نفسك تضرعا وخيفة وانت خلف الامام تسمع قراءته والآصال قال ابو عوسجة العشيات الواحد اصل واصيل **وقوله** عز وجل ولا تكن من الغافلين معلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن من الغافلين في حال ولكن على النهي لا منه كقوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين ونحوه نهاه ان يكون ما ذكرنا نهيا لغيره والله اعلم **وقوله** عز وجل ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته قالت المشبهة لو لم يكن بين الله وبين الملائكة قرب الذات لكانوا هم والبشر بقوله عند ربك سواء ولكان لا معنى لتخصيص الملائكة بذلك لكن التأويل عندنا في قوله عند ربك في الطاعة والخضوع او في الكرامة والمنزلة ليس على قرب الذات ولكن على ما وصف عز وجل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصفهم بالطاعة له والخضوع فعلى ذلك الاول ليس على قرب الذات ولكن على ما ذكر من الطاعة والخضوع

الاترى انه قال واسجد واقترب ليس على انه في الارض يقترب منه اذا سجد واصل ما يضاف الى الله من جزئية الاشياء
يخرج مخرج تعظيم تلك الجزئيات كقوله وان المساجد لله خص المساجد بالاضافة اليه وان كانت البقاع كلها له تعظيما
لها وكذلك قوله الكعبة بيت الله وان كانت البيوت كلها له ونحو ذلك مما اضاف ذلك الى نفسه من جزئيات
الاشياء تعظيما لذلك واجلالا فعلى ذلك الاول اضافهم الى نفسه اما الطاعة لهم اياه والخضوع واما الكرامة
لهم والمنزلة واضافة كلية الاشياء الى الله تخرج مخرج تعظيم الرب من ذلك قوله الخلق والامر وقوله وهو على كل شيء
قدير وقوله خالق كل شيء ومن الناس من استدل بتفضيل الملائكة على البشر بهذه الاية لكن نقول ان الافضل عند الله
الاطوع له والاخضع والاتقى والاقوم لامره ونهيه على ما ذكرنا ان اكرمكم عند الله اتقاكم لا نشير الى ان هؤلاء
افضل من هؤلاء وقد ذكرنا الوجه في ذلك فيما تقدم وتأويل الاية والله اعلم في قوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته الابتداء انهم وان لم يكن لهم حاجة الى المأكل والمشرب وانواع الحاجات لا يستكبرون عن عبادته
فانتم مع حاجتكم الى الاكل والشرب وانواع الحوائج لحريكم اولى ان لا تستكبروا عن عبادته وان يقول ان الذين
ان الذين يعبدون من الملائكة لا يستكبرون عن عبادته فانتم احق ان لا تستكبروا عن عبادته لان من الناس
من يعبد الملائكة تخرج هذا جواب ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ويسبحونه التسبيح هو وصف الرب عز وجل
بالرفعة والعظمة والجلال والتعالي عن الاشباه والامثال وعما وصفه الملحدون والتسبيح هو تنزيه الرب
وتبرئته عن جميع معاني الخلق وقوله عز وجل وله يسجدون هو الخضوع في الغاية وليس في الاية دليل وجوب
السجدة على من تلاها وسمعها انما فيها الاخبار عن الساجدين انهم سجدوا غير مستكبرين وفي ذلك ترغيب في السجود
الا ان النبي صلى الله عليه وسلم روي انه سجد وسجد من معه وعن ابن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا موضعا يسجد فيه وعن ابن
عباس رضي الله عنه رأيت النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وفي بعض الاخبار عن ابن عمر قال كان رسول الله
يقرأ القرآن في غير صلوة فيسجد ونسجد معه وعن ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرأ سورة النجم فسجد فيها ولم يبق معه احد الا سجد الا شيخ كبير من قريش اخذ كفا من
حصى فرفع الى جبهته فلقد رأيته قتل كافرا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ذكر سجود القرآن اعد
فقال الاعراف والرعد والنحل وبني اسرائيل ومريم والحج سجدة واحدة والفرقان وطس والم تنزيل
وص وحم وقال وليس في المفصل سجود وعن ابن مسعود قال في السورة يكون في آخرها السجدة نحو اقترب
والنجم ان شئت فاسجد ثم قم فاقرأ وان شئت فاركع وعن ابن مسعود كان يسجد في الاعراف وفي بني اسرائيل
والنجم واذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك واحتج بعض مشايخنا ان السجود على من تلا آية السجدة واجب
ما اجمع اهل العلم ان على المصلي اذا تلا آية فيها السجدة ان يسجد في صلوته فلو كان السجود تطوعا ما كان
لاحد ان يزيد في صلوته ما ليس منها فدل ذلك على ان السجود واجب في الصلوة واذا كان في الصلوة واجبا
فهو على كل حال واجب ومن الحجة لنا ايضا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ آيات فسجد فيها فكان
السجود بها واجبا كما انه لما صلى صلوة العيدين كانت واجبة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول اختلف فيه قال
بعضهم الانفال هي المغانم التي يغنمها المسلمون من اهل الحرب وقال بعضهم الانفال هي الفضول عن حقوق
اصحاب الغنائم فان كانت الانفال الغنائم فالسؤال يحتمل وجهين يحتمل انهم سألوا عن حلها وحرمتها
لان الغنائم كانت لا تحل في الابتداء قيل انهم كانوا يغنمونها ويجمعون في موضع فجاءت نار فتحرقها سألوا
عن حلها وحرمتها فقال الانفال لله والرسول اي الحكم فيها لله يجعلها لمن يشاء ويحتمل السؤال عنها عن
قسمتها وهو ما روي في بعض القصة ان الناس كانوا يوم بدر ثلاثة اثلاث ثلث في نحر العدو وثلث
خلفهم ردا لهم وثلث مع رسول الله يحرسونه فلما فتح الله عليهم اختلفوا في الغنائم فقال الذين كانوا
في نحر العدو نحن احق بالغنائم نحن ولينا القتال وقال الذين كانوا ردا لهم لستم باولى منا وكنا لكم ردا وقال
الذين قاموا مع رسول الله لستم باحق بها منا كنا نحن حرسا لرسول الله فتنازعوا فيها الى رسول الله فنزل
يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول وقال ابو امامة الباهلي سألت عبادة ابن الصامت عن الانفال
قال فينا نزلت معشر اصحاب بدر حين اختلفنا وساءت فيه اخلاقنا فانتزعه الله من ايدينا فجعله الى
رسوله فقسمه على السواء ومجاهد وعكرمة قالا كانت الانفال لله والرسول فنسخها واعلموا انما غنمتم
من شيء فان لله خمسه وللرسول وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الانفال المغانم كانت لرسول
الله خالصة ليس لاحد فيها شيء ما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو
غلول فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم منها فقال قل الانفال لله والرسول ليس لكم فيها شيء
ويحتمل ان يكون الانفال هي فضول المغانم على قال بعضهم نحو ما روي في الاخبار ان منهم من اخذ كبة فقال اجعلها

بارسول الله واخذ الاخر سيفا وقال اجعلها لي ونحو ذلك كانوا يسألون رسول الله ذلك فقال قل الانفال
لله والرسول ويحتمل ان يكون سؤالهم عن التنفيل ان ينفلهم الرسول بعد ما وقع في ايديهم او بعد ما
انهزم الكفار وادبر العدو وانما يجوز للامام التنفيل في حال القتال الحرب وكذلك روي عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال النفل ما لم يلتق الزحفان والصفان فاذا التقيا فهو مغنم وروي عن مصعب
بن سعد قال نزلت في اربع آيات ثم ذكر انه يوم بدر اصبت سيفا فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقلت يا نبي الله نفلنيه اجعلني كمن لا عمل له فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضعه
من حيث اخذته فنزلت هذه الاية يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول ثم قال سعد دعاني
رسول الله فقال اذهب فخذ سيفك فدل حديث سعد ان النبي لم ينفل قبل الحرب احدا شيئا منه مما لا يأخذ
لانه لو كان نفلهم لم يمنع سعدا رضي الله عنه السيف الذي جاء به ويدل على ان النبي لم يأمر في الغنيمة بشيء
حتى نزلت آية النفل فرد الله الامر في الغنيمة الى رسوله فاطلق له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما رد الامر ويجوز ان يكون النبي لم ينفل احدا قبل الحرب شيئا ولكنه كان ينفل مما يؤتى به من يشاء ممن
قتل بغير ايجاب متقدم يبين ذلك قول سعد اجعل كمن لا عمل له وحديث عبادة يخبر ان النبي نفل ما
يأخذون من اهل الحرب قبل ان يأخذوه وهذا موضع الاختلاف بين الحديثين والظاهر من ذلك ان النفل
قد كان وقع الغنائم لان الله قد سماها انفالا قبل ان يحلها فلولا ان النبي كان نفلهم اياها قبل الحرب
او بعدها لم يسمها انفالا والله اعلم وفي حديث عبادة ان قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه
ذكر بعد ذكر النفل وانه حكم الناسخ الثابت وكذلك قول ابن عباس يدل على ذلك وقد اجمع اهل العلم على ما
ذكره عبادة في آخر حديثه فقالوا جميعا ان الغنيمة يخرج خمسها للاصناف الذين ذكرهم الله الا ما اختلفوا فيه
من سهم ذي القربى ثم يقسم الاربعة الاخماس بين اهل القسمة وجعلوا للامام ان ينفل السلب وغيره
فيقول من قتل قتيلا فله سلبه يحرض بذلك المقاتلة وينفل السرية تخرج من العسكر شيئا بعد الخمس ومما
اجمعوا عليه من قسمة الغنيمة اخماسا نزول القرآن وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الغنيمة لم تحل لاحد قبلنا وقد احلت لنا وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم تحل الغنيمة لقوم سود الرأس قبلكم كانت نار تنزل من السماء فتأكلها فلما كان يوم بدر اسرع الناس
في الغنائم فانزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل يسألونك عن الانفال يحتمل وجوها احدها يسألونك عمن له الانفال
فقال قل الانفال لله والرسول والثاني يسألونك عن الانفال على اسقاط عن وقد كانوا يسألونك الانفال
والمغانم والثالث يسأل كل عن نفل له الذي جعل له والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله واصلحوا قال اهل
التأويل اتقوا الله في اخذ الانفال ولكن في الانفال وفي غيرها اتقوا معصية الله ومخالفته في امره ونهيه
واصلحوا ذات بينكم امر باصلاح ذات البين لما ذكر من عظيم منته ونعمه التي انعم عليهم بقوله واعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر
انهم كانوا اعداء فالف بين قلوبكم وذلك من عظيم نعمه عليهم فامرهم ها هنا باصلاح ذات البين ليكونوا
على النعمة التي انعمها عليهم مجتمعين غير متفرقين وقوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله
في امره ونهيه ورسوله في ادابه وسننه ان كنتم مؤمنين ويقول اطيعوا الله فيما دعاكم اليه ورغبكم
فيه ورسوله فيما بين لكم ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين به وقوله عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم الى آخر ما ذكر يحتمل وجوها يحتمل قوله انما المؤمنون الذين ظهر صدقهم عندكم بما ذكر
من الافعال بين وجل القلب والخشية والثبات واليقين على ما كان عليه ليس كالمنافقين الذين كانوا
مرتابين في ايمانهم كما وصفهم في آية اخرى حيث قال واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى وكانوا اذا
انفقوا انفقوا كارهين وكانوا لا يذكرون الله الا قليلا مراءاة للناس واما المؤمنون فهم الذين يقومون
بوفاء ذلك كله حقيقة فيظهر صدقهم بذلك وهو ما وصفهم في آية اخرى انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
ويحتمل ان يكون على الاعتقاد خاصة ليس على نفس العمل كانه قال انما المؤمنون الذين اعتقدوا في ايمانهم
ما ذكر من وجل القلوب والخشية عند ارتكاب المعصية والتقصير عن القيام بما عليه وما يرتكب المؤمن
من المعاصي انما يرتكب عن جهالة ثم يتوب عن قريب كقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب يرتكب ذلك اما لغلبة شهوة او يعتقد التوبة من بعده او يرجو رحمة
الله من فضله في العفو عن ذلك فيكون قوله انما المؤمنون الذين اعتقدوا ايمانهم ما ذكر من الافعال
وهو كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو الاعتقاد والقبول له انهم اذا
اعتقدوا ذلك وقبلوا خلي سبيلهم وان لم يقيموا الصلوة وما ذكر فعلى ذلك الافعال يحتمل ذلك
والرابع يحتمل قوله انما المؤمنون هم الذين فعلوا هذا واتوا بذلك كله لكنهم اجمعوا ان من لم يقلهم

وصدق كان مؤمنا وان لم يات بغيره من الافعال نحو ان يؤمن ثم يخترم و يموت من ساعته مات
مؤمنا فدل انه لم يخرج ذلك على الشرط لما ذكرنا ولكن على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يخرج على وجوه احدها يخبر ان المؤمنين هو على
وصف ما ذكر او نقول ان المؤمنين الذين ينبغي ان يكونوا ما ذكر او يقول انما المؤمنون المختارون ما ذكر
جعل الله تعالى ما ذكر من وجل القلب وغيره علما بين الذين حققوا الايمان في الظاهر والباطن وبين الذين
اظهروا الايمان واضمروا الكفر والخلاف وكذلك ما ذكر في اية اخرى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله
واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا وقوله عز وجل واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا يحتمل قوله اياته
حججه وبراهينه اذا تليت عليهم ذلك يزداد لهم ثباتا وقوة على ما كانوا واما المنافقون فان الايات
التي نزلت كانت تزدادهم بها رجسا وبعدا فان المؤمنون يزيد لهم ذلك ثباتا وقوة او ذكر الزيادة
لان للايمان حكم التجدد والحدوث في كل وقت وساعة فاذا كان له حكم الحدوث والتجدد فهو زيادة على
ما كان فان شئت سميتها زيادة وان شئت سميتها ثباتا وقال ابو حنيفة رحمة الله يزيد الايمان
بالتفسير على الايمان بالجملة فاذا فسروا لهم وقالوا فلان رسول ونبي ازداد بذلك له ايمانا وان
كان قد امن به بالجملة وكذلك الايمان بجميع الكتب والامر وان كنا نؤمن في الجملة ان له الخلق والامر
فاذا عرف ذلك الامر زاد له ايمانا في ذلك والله اعلم لان من امن بالله وان له الخلق والامر فقد اتى
بعقد الايمان فاذا جاء بالتفسير واحدا بعد واحد ازداد له ايمانه بالتفسير على ايمانه بالجملة وقوله
عز وجل وعلى ربهم يتوكلون اى على ربهم يثقون ويعتمدون في كل امورهم لا يتكلون على غيره انما يتوكلون
على الله وليس كالمنافقين هم انما يتوكلون على النعم التي اعطوا كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف
فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ونحو ذلك واما المؤمن فانه في جميع احواله يتوكل
على الله ومنه يخاف وان كان يصل ذلك اليه ويجري على يدي غيره فهو في الحقيقة من الله وقوله عز وجل
اولئك هم المؤمنون حقا يحتمل وجهين يحتمل اولئك الذين حققوا ايمانهم والثاني اولئك المؤمنون
الذين وعدلهم وعدا حقا وهو ما وعدهم من الدرجات والمغفرة حق لهم ذلك الوعد والله اعلم درجات
عند ربهم قيل فضائل عند ربهم ومغفرة اى يستر عليهم ذنوبهم التي كانت لهم في الدنيا في الجنة ولا يسوؤهم
لان ذكر ذلك ينغص عليهم نعمتهم التي انعم عليهم ورزق كريم قيل الحسن ورزق يكرم به اهله وقوله
عز وجل كما اخرجك ربك من بيتك بالحق لم يخرج لهذا الحرف جواب في الظاهر لان جوابه ان يقول كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق يفعل بك كذا ثم اهل التاويل اختلفوا في جوابه قال بعضهم هو صلة قوله يسألونك
عن الانفال قل الانفال لله والرسول يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين
لكارهون يجادلونك كما كرهوا الخروج وجادلوك في قسمة الانفال جادلوك في قسمة الانفال جادلوك
في امر العير ومنهم من يقول جوابه في امره بالقتال يقول كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهم كارهون لذلك
كذلك يكلفك القتال وهم كارهون لذلك ومنهم من يقول جوابه في قوله اذ يغشيكم النعاس امنة
منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به
الاقدام يقول كما اخرجك الله في الخروج للقتال على تبرئه منكم في ذلك ولا تقدر فعلى ذلك يغشيكم النعاس امنة
منه وانزال الماء من السماء والتطهير به وتثبيت الاقدام عليه منكم ولا تدبير ومنهم من يقول قوله كما اخرجك ربك
من بيتك غير متاهبين للقتال ولا مستعدين له كذلك يعدكم النصر والظفر والله اعلم وقوله عز وجل بالحق يحتمل
وجوها يحتمل بالحق الذي لله عليهم من الامر بالخروج والقتال ويحتمل بالحق بالوعد الذي وعد لهم النصر
والظفر وقال بعض اهل التاويل بالحق اى بالقران ولكن كان فهو ما ذكرنا بالامر الذي بامر القران وقوله
عز وجل وان فريقا من المؤمنين لكارهون يحتمل وجهين يحتمل فريقا من المؤمنين في الظاهر وهم المنافقون
كرهوا الخروج للقتال ويحتمل ان يكون المؤمنون في الحقيقة كرهوا الخروج للقتال كراهة الطبع لا كراهة
الاختيار لما امروا بالخروج للقتال ولا مستعدين فكرهت انفسهم ذلك كراهة الطبع لما لم يكن معهم اسباب
القتال لا انهم كرهوا امر الله كراهة الاختيار وفي هذه الاية دلالة ان الامر قد يكون في الشيء وان لم يعلم وقت
الامر فيما يؤمر وفيه دليل جواز تاخر البيان لانهم امروا بالخروج للقتال ولم يعلموا وقت الخروج على ماذا
يؤمرون وقوله عز وجل يجادلونك في الحق قيل في القتال وقيل قوله في الحق الذي امرت به ان تسير الى القتال
ويحتمل ان يكون قوله في الحق الوعد الذي وعدهم بالنصر والظفر بعد ما تبين لهم يحتمل قوله بعد ما تبين لهم
الوعد الذي وعد الذي وعدهم الله عز وجل بالنصر وقوله عز وجل كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
فان كانت الاية في المنافقين فهو ظاهر وهم كذلك وصفوا بالكسل في جميع الخيرات والطاعات كقوله واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وان كان في المؤمنين الذين حققوا الايمان
فهو لما كانوا غير مستعدين للقتال ولا متاهبين له كانوا راهبين كذلك كراهة الطبع لا كراهة الاختيار وقال
قائلون قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اى وان فريقا من المؤمنين

اجاب ربهم وان كانوا كارهين للخروج من شدة الخوف وان كانوا من الخوف كانما يساقون الى الموت فاجاب الله هم
تعالى لهم بالنصر والظفر وامنهم من ذلك الخوف والله اعلم وقوله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها
لكم ذكر في بعض القصة ان عير قريش حين اقبلت من الشام خرج اصحاب رسول الله نحوهم على ما يخرج الى العير غير شاكين
انها لكم ذكر في بعض القصة للحرب وخرجت قريش من مكة تعتب عيرها فهي الطائفة الاخرى وعدلهم ان احدى
الطائفتين لهم اما العير واما العسكر انهم يظفرون عليهم وتودون ان غير ذات الشوكة اى التي ليس فيها
حرب ثم يكون لكم العير وهي اهون شوكة واعظم غنيمة كانوا يودون ذلك وقوله عز وجل وتودون غير ذات
الشوكة تكون لكم لما لم تكونوا معدين للقتال والحرب وكان بهم ضعف وفي اولئك قوة وعدة والله اعلم قال
الله تعالى ويريد ان يحق الحق بكلماته يحتمل والله اعلم يريد ان يظهر الحق بانه منه من غير وجود الاسباب منهم
وهو كما ذكر في قوله قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي
العين اخبر ان في غلبة اولئك مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وقصور اسباب الحرب من السلاح والعدة
وغير ذلك وقوة ابدان اولئك وكثرة عددهم وعدتهم وتاهبهم واستعدادهم لذلك اية عظيمة فاراد ان
يظهر الحق بالاية ليعلم كل منهم انه انما كان ذلك بالله لا بهم وهو ما قال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
ولكن الله رمى اخبر انه كان بالله ذلك لا بهم ويحتمل قوله بكلماته بالوعد الذي وعد رسول الله بكلمته بالنصر
والظفر لهم فاراد ان يظهر ذلك ويحققه ويحتمل بكلماته بعلمه وامره ويحتمل بكلماته بعلمه وامره ويحتمل بكلماته
بحججه اى يوجب ويظهر حججه وبراهينه ويحتمل بكلماته البشارات التي بشر بها المؤمنين بالنصر لهم والظفر و
والعداوة التي كان منهم ويحتمل بكلماته ملائكته الذي بعثهم مددا لهم يوم بدر على ما ذكر فسماهم
تعظيما لهم واجلالا على ما سمى عيسى روح الله وكلمته وموسى كليم الله تعظيما لهم واجلالا فعلى ذلك والله
اعلم ويقطع دابر الكافرين يحتمل اثارا لكافرين يقتلون جميعا ويستأصلون حتى لا يبقى لهم اثر ويحتمل يقطع ما
ادبرهم حتى لا ياتيهم مدد وقوله عز وجل ليحق الحق اى ليظهر الحق ويوجب يقال حق كذا اى وجب ويحتمل ليظهر
من الحق ويظهر بطلان الباطل او ان يقال قوله ليحق الحق ويبطل الباطل ما ذكر ليثبت الحق ويذهب الباطل
كقوله جاء الحق وزهق الباطل اى ذهب فعلى ذلك هذا يجيء الحق ويثبت ويذهب الباطل ولو كره المشركون
فان قيل في قوله كانما يساقون الى الموت وقوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم كيف خافوا كل هذا الخوف
حتى وصفهم لشدة الخوف كانما يساقون الى الموت وقد وعد لهم النصر والظفر بقوله واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين انها لكم كيف استغاثوا ربهم في ذلك وقد سبق منه لهم الوعد بالظفر والنصر وقد يمكن تصرف
الاية الى المنافقين وهو قوله كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون في غير انه ذكر في بعض القصة انه لم يكن ببدر
منافق بل كانوا كلهم مؤمنين حتى افتخر بذلك من شهد بدرا وان كان في المؤمنين فهو ما ذكرنا لقلة عددهم
وضعفهم وكثرة اولئك وعدتهم كانوا كما وصف والله اعلم لكن الاية تحتمل وجوها احدها امكن ان يكون
الوعد لهم بالنصر لنبي لرسوله ولم يبين لهم فالقى في قلوبهم الرعب والخوف لما لم يبين لهم الوعد بالنصر
او بين لهم وبلغهم الوعد بذلك لكن لم يبين لهم الوقت متى يكون ذلك الا ترى انهم امروا بالخروج ولا يدرون
الى ماذا يؤمرون والثالث ويجوز ايضا ان بين لهم الوعد بالنصر وبلغهم ذلك غير انهم خافوا ذلك وكرهوه
خوف طبع وكراهة النفس لا كراهة الاختيار وجائز الخوف في مثل هذا وكراهة الطبع وان كانوا على يقين
بالنصر والظفر وتحقيق ذلك لهم والرابع يجوز ان يكون الوعد لهم بالنصر والظفر بالتضرع اليه والاستغاثة
منه على ما يكون في الدعوات يكون شقاوة بعض ودخوله النار بمعاص يرتكبها وسعادة اخر ودخوله الجنة
بخيرات ياتي بها فيصير من اهلها والخامس جائز ان يكون ذلك من الله تعالى لهم محنة يمتحنهم بها كقوله ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع الاية يحتمل معنى الاية الوجوه التي ذكرنا والله اعلم ثم اختلف في قوله اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم الاية وقال بعضهم هو صلة قوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فالوا قوله
بالف من الملائكة مردفين فبين القتال وقوله بثلاثة الاف من الملائكة منزلين فيكون خمسة الاف مسومين ومنهم
من يقول ثلاثة كان في هذا ذكر على اثر قصة احد فان كان ما ذكروا فكان قوله من الملائكة مردفين اى في
ارداف الكفرة وهو المتتابع تابع اهل بدر المشركين وهم منهزمون او ان يكون الارداف الامداد فيكون
القتال وقال بعض اهل التاويل ان قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم هو رسول الله وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم راى كثرة المشركين ببدر وعلم انه لا قوة لهم الا بالله فدعا ربه وتضرع ولكن ذلك قولهم عندنا
والله اعلم اعني قول المؤمنين لا عن امر قال اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بكذا والله اعلم بذلك وليس
الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه البشارة لهم بالنصر والطمانينة لقلوبهم والنبا ان حقيقة النصر انما
يكون بالله لا باحد سواه وذلك قوله وما النصر الا من عند الله عن ان لا يذله شيء ولا يعجزه حكيم في امره
ونهيه لا يامر بشيء ولا ينهى عن شيء الا وفيه حكمة وفائدة ما ذكر من بعثه عدد الف ملك وثلاثة
الاف وما ذكر طمانينة قلوب اولئك المؤمنين والاملاك واحد كاف لهم وان كثر الاعداء ليراهم ولا
يرونه واهلاك مثله سهل وقوله عز وجل اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم

به ذكر النعاس بعد شدة خوفهم والنعاس لا يكون ممن اشتد به الخوف ولا يغشيه الا بعد الامن فذكر لطفه ومنته الامن بعد شدة الخوف ذكر عظيم ما من عليهم من الامن لما ذكر من القاء النعاس عليهم والنعاس انما يكون بعد الامن بعد ما كان من حالهم ما ذكر حيث قال كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون وقوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر في بعض القصة ان المشركين سبقوا فاخذوا الماء فبقي المسلمون في رمل لا يثبت اقدامهم عطشا فوسوس اليهم الشيطان انهم لو كانوا على حق ما ابتلوا بمثل ذلك في رمل لا تثبت اقدامهم عطشى فابدل الله تعالى مكان الخوف امنا امنون به وانزل عليهم من السماء ماء ليطهرهم به ويشربون ويتدون به الرمل فثبت اقدامهم فذلك قوله اذ يغشاكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان قال اهل التأويل وسوسة الشيطان التي وسوس اليهم وقيل الرجز الاثم ذهب ذلك عنهم كقوله رجسا او فسقا وقوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ذكر هذا والله اعلم على المبالغة اخبر انه انزل من السماء ما فيه نزع حوائجهم حتى وجدوا ما تطهر انفسهم وابدانهم وذهب عنهم رجز الشيطان ذكر السبب الذي به يذهب الرجز لان الرجز هو العذاب فذكر الرجز والمراد منه سبب الرجز وقوله عز وجل وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام يحتمل حقيقة تثبيت الاقدام ويحتمل الثبات على ما هم عليه والربط هو الشد لشيء فيحتمل قوله وليربط على قلوبكم اي شدها حتى لا يزال احدهما عما هو فيه ولا يزيغ عن ذلك وان ابتلاه الله تعالى بانواع الشدائد والبلاء بما ذكر في التوحيد والايمان الربط والتثبت بقوله كذلك لنثبت بقوله كذلك لنثبت به فؤادك وقوله ليربط على قلوبكم وقوله وربطنا على قلوبهم وذكر في الشرك والكفر الطبع والختم والقفل ونحوه فهو والله اعلم عقوبة لهم لما اختاروا ذلك الشرك وقوله ويذهب عنكم رجز الشيطان قيل وسوسة الشيطان وهو ما ذكر في بعض القصة ان المسلمين اصابهم ضعف شديد والقى الشيطان في قلوبهم القنوط ويوسوسهم ويقول لهم تزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم تصلون مجنبين فامطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا واذهب عنهم رجز الشيطان ونشف الرمل حين اصابه المطر مشى الناس عليه والدواب فساروا الى القوم وامد الله عز وجل نبيه والمؤمنين بالف من الملائكة فذلك قوله بالف من الملائكة مردفين ثم قال اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا الوحي كان يسمى وحيا لسرعة قذفه في القلوب ووقوعه فيها ولذلك سمي والله اعلم وحيا وسمى الشيطان وحيا بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي يقذفون في قلوبهم ويدعون الى اشياء من غير ان علموا بذلك انه ممن جاء ذلك وما سمي ذلك لسرعة قذفه ووقوعه في القلوب وكذلك سمي الالهام وحيا لسرعة وقوعه في القلوب قال تعالى واوحى ربك الى النحل وقيل هو الالهام اي الهم النحل ان تتخذ من الجبال بيوتا وقال عز وعلا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا بما ذكر ما انباء اخبر انه ليس لبشر ان يكلمه الا وحيا وهو ما الهمه سمي وحيا لسرعة وقوعه في القلب وقذفه على غير علم منهم انه ممن كان وممن كان وفيه دلالة ان غيره هو الذي اخطر ذلك في القلوب وقذف فيها لانه يحدث ذلك بنفسه على غير اختيار احد ولا تدبر فان كان ما قذف فيه خيرا فهو من الملك وان كان شرا فهو من قذف الشيطان ووسوسته ففيه دليل ثبوت الملك والشيطان والله اعلم وقوله عز وجل اني معكم في النصر والمعونة ودفع العدو عنكم او يقول اني معكم في التوفيق ويحتمل ان يكون قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اي اخبر المؤمنين اني معكم لما ذكرنا من النصر والمعونة والدفع وقوله عز وجل فثبتوا الذين امنوا امرهم ان يثبتوا الذين امنوا بالنصر لهم والامن بعد ما كانوا خائفين فشلين جبنين لما اجابوا ربهم مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم فابدلهم الله مكان الخوف لهم امنا ومكان الضعف القوة والنصر ومكان الذل العز وابدال المشركين مكان الامن لهم خوفا ومكان العز الذل ومكان الكثرة الضعف والفشل فذلك والله اعلم قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله فثبتوا الذين امنوا جائز ان يكون نفس نزول الملائكة تثبيتهم لانهم سبب تثبيتهم او يثبتهم من غير ان علم المؤمنون بهم وقوله عز وجل فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان قال قائلون قوله فاضربوا فوق الاعناق الاعناق اذا ظفروا بهم ووقعوا في ايديهم فقيد ذلك بضرب فوق الاعناق وهو الفعل الذي يبين الرأس بالضرب نهاهم عن المثلة وفي الضرب في غير ذلك مثلة ويحتمل قوله فاضربوا فوق الاعناق اي اضربوا الاعناق وما فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان معناه والله اعلم اي اضربوا على ما تهيأ لكم من الاطراف وغيرها واما قوله واضربوا منهم كل بنان في الحرب لانه لا سبيل في الحرب الى ان تضرب ضربا لا يكون مثلة فكانه قال فاضربوا فوق الاعناق اذا قدرتم عليهم ووقعوا في ايديكم واضربوا منهم كل بنان كيف ما تقدرون وحيث ما تقدرون والله اعلم وقوله وذلك يعني والله اعلم ذلك الضرب والقتل بانهم شاقوا الله اي حاربوا الله ورسوله والمشاقة الخلاف فخالفوا الله ورسوله ومن يشاقق الله والرسول فان الله شديد العقاب له في الاخرة وقوله ذلكم اي ذلكم العقاب والعذاب فذوقوه وان للكافرين عذاب النار بالخلاف لله ورسوله والمحاربة معهم وقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار وكان اول الامر بالقتال وفرضه كان لبذل الانفس للهلاك لانه ذكر الزحف والزحف هو الجماعة والعدو والذي لا يجد وليس للواحد القيام للجماعة فكان فرض القتال لبذل الانفس للقتل وعلى ذلك يخرج قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وليس في وسع الواحد القيام لعشرة اذا احيط

ويجوز

ويجوز ان نفرض بذل الانفس للقتال كقوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم اخبر انه لو امر بذلك لم يفعل الا القليل منهم فما زال الامر بذلك امتحانا منه لهم فان احتمل ما ذكرنا كان قوله كانما يساقون الى الموت هو على التحقيق اذا ان ذلك يساقون ويحتمل وجها اخر وهو ان الله عز وجل امر بذلك ليكون ابتر ويعرف كل احد انه انما قام بالله لا بقوة نفسه اذ ليس في وسع احد القيام لعشرة او لجماعة بقوته اذا احيط به فهو على الاية ان كان فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة والمتحرف للقتال هو المنتقل من مكان الى مكان للحرب والمتحيز الى فئة هو الملتجئ الى فئة على جهة العود اليهم والحرب يقال تحوزت وتحيزت بالواو والياء جميعا وهما نحو الحرب وفيه النهي عن الانهزام والتولي عن العدو الا ما ذكر من التحرف للقتال او التحيز الى الفئة على جهة العود اليهم ثم اخبر ان من ولى دبره سوى ما ذكر فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير قالت المعتزلة دل ما اوعد المتحرف بغير قتال والمتحيز الى غير الفئة بقوله فقد باء بغضب من الله ان مرتكب الكبيرة يخلد في النار لانه ذكر في اول الاية المؤمنين ولهم خرج الخطاب بقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا ثم اوعدهم الوعيد الشديد بما يوعد اهل النار غير اهل الايمان دل انه يخرج من الايمان بارتكاب الكبيرة ويخلد في النار وقالوا لا يجوز صرف الاية الى اهل النفاق لما ذكر في القصة انه لم يكن يوم بدر منافق لكن هذا غلط قال الله تعالى اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك يوم بدر كذلك ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فان كان المستثنى من قوله فقد باء بغضب من الله لم يكن فيه رخصة التولي ولكن فيه دفع الوعيد الذي ذكر وان كان مستثنى من قوله ومن يولهم يومئذ دبره ففيه رخصة التولي لما ذكر ثم الدلالة على انه مستثنى من هذا دون الاول ما جاء عن غير واحد من الصحابة توليه الدبر الى ما ذكر وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انا فئة لكل مسلم وبعد فانه لم يكن لاهل الاسلام فئة يومئذ يتحيزون اليها فدل انها في المنافقين واهل الكفر والله اعلم ثم يقال يجوز ان يكون ما ذكر من الوعيد لمعنى في التولية عن الدين والاعراض لا لنفس التولية عن الدبر اذ قد ذكر التولية عن الدين في اية اخرى والعفو عن ذلك وهو قوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الاية فان قيل لعل التوبة مضمر فيه تابوا فعفى عنهم قيل ان جاز ان يجعل التوبة مضمرة فيها جاز ان يضمر في التولية عن الدبر الردة فليس تلك ولي باضمار التوبة من هذه باضمار الردة وفي الايتين معان تدل على انه ما راضهما بما يوجب الوعيد الذي ذكر والله اعلم احدها ذكر التحيز الى الفئة واذا لم يكن للمسلم فئة يتحيز اليها فاذا تحيز انما يتحيز ليصير الى العدو فهو الردة التي ذكرنا والثاني ما ذكر في بعض القصة انه لما اصطف القوم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض ابدا ومن هرب او ولى الدبر عن مثل تلك الحال لم يؤل الا لقصد ان لا يعبد فهو كفر والثالث قد وعد لهم النصر والظفر على العدو ولمن ولى الدبر لم يول الا لتكذيب بالوعد الذي وعد لهم وقوله عز وجل فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قيل فيه بوجوه يحتمل قوله فلم تقتلوهم اي لم تكن جراحاتكم التي اصابتهم بمصيبة القتل ولا عاملة في استخراج الروح ولا كانت قاتلة ولكن الله تعالى صيرها قاتلة مصيبة القتل عاملة في استخراج الروح لان من الجراحات ما اذا اصاب لم تصب القتل ولا عملت في استخراج الروح وقوله فلم تقتلوهم الاية تخرج على وجوه احدها ان العبد لا صنع له في القتل واستخراج الروح منه انما ذلك فعل الله واليه ذلك وهو المالك لذلك لان الضرب والجرح قد يكون ولا موت هنالك وكذلك الرمي ليس كل من ارسل شيئا من يده وهو رمي انما يصير رميا بالله انفاذ السهم حتى يصل بطبعه المبلغ الذي يبلغ فانه لا صنع له في الرمي الا ترى انه لا يملك رد السهم اذا ارسله ولو كان فعله الملك رده ولهذا قال ابو حنيفة رحمه الله ان الاستئجار على القتل باطل والثاني فلم تقتلوهم بقوتكم والله نصره كما يقول الرجل لاخر انك لم تقتله وانما قتله فلان اي بمعونته فلان قتلته فعلى ذلك الاول وقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اي ما اصاب رميك المقصد الذي قصدت ولكن الله بلغ ذلك المقصد الذي قصدتم والثاني فلم تقتلوهم اي لم تطمعوا بجرح وحكم اليهم فتأتيهم لانهم كانوا بالمحل الذي وصفهم من الضعف وشدة الخوف والذلة كانما يساقون الى الموت فاذا كانوا بالمحل الذي ذكر فيقول والله اعلم لم تطمعوا بجرح وحكم اليهم وقصدكم اياهم قتلهم لما كان فيكم من الضعف وقوة اولئك ولكن الله اذلهم والقى في قلوبهم الرعب والخوف حتى قتلتموهم وكذلك قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى لا يطمع الانسان برمي كف من تراب النكبة باعدائه ولكن الله رمى حيث بلغ ذلك وغطى ابصارهم واعينهم بذلك الكف من التراب على ما ذكر في القصة انه رمى كفا من تراب فغشى ابصار المشركين فانهزموا لذلك ويحتمل ان يكون نسبة هذه الافعال الى نفسه واضافتها اليه لما نسب واضاف كل خير ومعروف الى نفسه من ذلك قوله يمنون عليك ان اسلموا الاية وقوله ولكن الله يهدي من يشاء وهو قوله اهدنا الصراط المستقيم الاية وغير ذلك من الايات التي فيها اضافة الافعال التي خلصت لله وصفت فعلى ذلك نسب فعلهم الى نفسه لخلوصه وصفائه له والله اعلم وقوله عز وجل وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا اي نعمة

عظيمة حيث نصرهم على عدوهم مع ضعف ابدانهم وقلة عددهم وكثرة اعدائهم وقوة ابدانهم وعدتهم وهو ما ذكر في هلاك فرعون وقومه انه بلاء من ربكم عظيم بقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ان الله سميع اي سميع لدعائكم الذي دعوتم ونصرتكم الذي تضرعتم اليه او ان يقول سميع اي مجيب لدعائكم عليم بافعالكم تسرون وتعلنون والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين قوله ذلكم اي ذلك كان بهم من القتل والاسر والهزيمة لما اوهن واضعف كيدهم تعالى ويحتمل ان يكون صلة قوله وليبلي المؤمنين بلاء حسنا اي ذلك الانعام والابلاء الذي من الله اليكم لما اوهن كيدهم وذلك يكون في جملة المؤمنين ما من سوء مسائة وله من الله اليه ابلاء وانعام في كل حال لا محالة كيد الكافرين وقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الاستفتاح يحتمل وجوها ثلاثة يحتمل الاستكشاف وطلب البيان ويكون طلب النصر والمعونة كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون ويكون طلب الحكم والقضاء بين الحق والباطل يقال فتح بكذا اي حكم به وقضى فهو يخرج على وجهين على طلب بيان المحق من المبطل وطلب بيان احق الدينين بالنصر والحكم فقد بين الله لهم احق الدينين ما ذكر في القصة ان ابا جهل قال اللهم افتح بيننا وبين محمد فقال اللهم اينا كان اوصل لرحم وارضى عندك فانصره ففعل الله ذلك ونصر المؤمنين وهزم المشركين فنزلت هذه الاية وقيل انه دعا اللهم انصر اعز الجندين واكرم الفئتين وخير القبيلتين فكان ما ذكرنا فقد بين الله عز وجل احق الدينين واعز الجندين لما هزم المشركين مع قوتهم وعدتهم وكثرة عددهم ونصر فئة ضعيفة ذليلة قليلة العدد وضعيفة الابدان والاسباب دل انه قد بين لهم الاحق من غيره وقيل انهم استفتحوا بالعذاب وكان استفتاحهم ما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء بعذاب اليم فجاءهم العذاب يوم البدر واخبرهم يوم احد ان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا الاية والاستفتاح هو ما ذكرنا قال الحسن الفتح القضاء ولذلك قال قتادة قالوا ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء في يوم بدر كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الاية وقال القتبي قوله ان تستفتحوا اي ان تسالوا الفتح وهو النصر فقد جاءكم وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل وان تنتهوا فهو خير لكم يحتمل قوله وان تنتهوا عما كنتم فهو خير لكم يغفر لكم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقيل وان تنتهوا عن قتال محمد فهو خير لكم من ان ينتهي محمد عن قتالكم وقوله وان تعودوا نعد يحتمل وان تعودوا الى قتال محمد نعد اليكم من القتل والقتال والاسر والقهر ويحتمل وان تعودوا نعد الى البيان والكشف الى ما كنتم من قبل البيان من التكذيب والكفر لمحمد نعد الى الانتقام والتعذيب كقوله وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقوله تعالى ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وان قيل ذكر انه لن تغني عنكم فئتكم وقد اغناهم كثرتهم وفئتهم يوم احد حيث ذكر ان الهزيمة كانت على المؤمنين قيل هذا الوجهين احدهما ان عاقبة الامر كانت للمؤمنين وان كان في الابتداء كان عليهم فلن يغني عنهم ذلك على ما ذكر لا ترى لو اغناهم ذلك لكانت لهم الابتداء والعاقبة والثاني انه لم تكن النكبة والهزيمة على المؤمنين الا لعصيان منهم كقوله ولقد صدقكم الله وعده الاية فما اصاب المؤمنين من النكبات انما كان بسبب كان منهم لا بالعدو ولذلك كان الجواب ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله اي اطيعوا الله في امره ونهيه ورسوله في بيانه وفيما دعاكم اليه وقيل اطيعوا الله في فرائضه ورسوله في سنة واداب ولا تولوا عنه وانتم تسمعون اياته وحججه ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي لا يكونوا في الايمان والتوحيد والايات كالذين قالوا سمعنا بذلك وهم لا يسمعون اي لا يجيبون ولا يسمعون ولا يؤمنون ويحتمل ان يكون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا الايات والحجج وهم لا يسمعون اي لا ينتفعون بسماعهم ولا يعقلون كالدواب وغيرها قال ابو بكر الاصم قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون استثقالا او بغضا اي لا يسمعون اليه لانهم يستثقلون شيئا وابغضوا سمع اليه كقوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقوله عز وجل ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون تاويله والله اعلم ان الذي هو من شر الدواب عند الله هو الصم البكم لا ينتفع بسمعه والبكم الذي لا ينتفع بلسانه ونطقه لانهم لم ينتفعوا بسمعهم لما جعل له السمع ولم ينتفعوا بنطقهم لما جعل له النطق ولم ينتفعوا بعقلهم لما جعل له العقل فهم شر الدواب كقوله اولئك كالانعام بل هم اضل واشر لان الدواب والانعام انتفعت بهذه الحواس لما جعلت لها هذه الحواس عرفت بهذه الحواس المهالك والمضار فتوقت عنها وعرفت الملاذ والمنافع بها فترغب فيها ونفع فانتفعت الدواب بالحواس التي جعل لها ما جعلت ولم يجعل لها هذه الحواس الا للمقدار الذي عرفت وفهمت وانتفعت وهؤلاء الكفرة لم ينتفعوا بالحواس التي جعلت لهم وما جعلت لهم الا ليعرفوا المنافع لهم والمضار والعواقب فيعملوا لذلك ويعرفوا [illegible] فينتفعوا بحواسهم التي جعلت الحواس لها فالدواب انتفعت بها لذلك كانوا شر الدواب وقوله عز وجل [illegible] الصم البكم العمي [illegible] في الاخرة كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون اي تركوا اكتساب البصر الدائم والسمع الدائم والحياة الدائمة [illegible] لما لم يكتسبوا بصر القلب ونطق القلب فهذه هي الحواس التي تكون بالاكتساب ولم يكتسبوها [illegible] الحواس وتركوا الاستماع بها والله اعلم وقوله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم قيل نزلت الاية في المردة من الكفرة وقال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار كانوا [illegible] قبل ذلك الكلام فيقال

فيقال

فقال لو علم الله فيهم خيرا انهم يقبلون جواب المسائل التي سالوا لاوحى اليهم ولاسمعهم ولكن علم انه لو اسمعهم جواب مسائلهم لا يقبلون وقالت المعتزلة دلت الاية انه قد كان اعطاهم جميع ما كان عنده لكنهم لم يقبلوا لانه قال لو علم فيهم خيرا لاسمعهم [illegible] هذا بعيد لانه لم يقل لو علم الله عنده خيرا لاسمعهم ولكن قال لو علم الله فيهم خيرا فانما نفى ان ليس عندهم خير ولا وجه فيه ما ذكر لانه لو علم فيهم خيرا يعلمون به لاوحى اليهم ولاسمعهم لكنه علم انهم لا يقبلون بقبوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون اي مكذبون لانهم سالوا تعنتا وتمردا منهم واخبر انهم سالوا سؤال تعنت وتمرد لا سؤال استرشاد وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بعضهم هذه الاية صلة قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يقول والله اعلم اجيبوا لله وللرسول الى ما يدعوكم وان كانت انفسكم تكره الخروج لذلك لقلة عددكم وضعف ابدانكم وكثرة عدد العدو وقوتهم وقوله عز وجل اذا دعاكم لما يحييكم بالذكر والشرف والثناء الحسن في الدنيا والحياة في الاخرة اللذيذة الدائمة وان متم وهلكتم فيما يدعوكم اليه يكون لكم في الاخرة حيوة الابد ويحتمل ان يكون الاية في جملة المؤمنين اي استجيبوا الله في امره ونواهيه والرسول فيما يدعوكم اليه وانما كان يدعو الى دار الاخرة كقوله تعالى والله يدعو الى دار السلام ودار الاخرة هي دار الحياة كقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون كانه قال والله اعلم اجيبوا لله و للرسول فانه انما دعاكم الى ما تحيون فيها ليس كالتي والذي لا تموت فيها ولا يحيى بتركم الاجابة وقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه امكن ان يخرج هذا على الاول اي اعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يجعل القوي ضعيفا والعزيز ذليلا والضعيف قويا والذليل عزيزا والشجاع جبانا والخائف امنا والامن خائفا فاجيبوا للرسول بالخروج للجهاد وان كنتم تخافون لضعفكم وقوتهم ويحتمل في جملة المؤمنين ان من اجاب الله وللرسول اذا دعاه يجعل قلبه هو الغالب على نفسه والحائل بينه وبين ما يدعو اليه النفس واذا ترك الاجابة يجعل نفسه هي الحائلة بينه وبين ما يدعو اليه قلبه والداعية الى ذلك وانه اليه تحشرون وللرسول بالطاعة في امر القتال اذا دعاكم الى الحرب لما يحييكم يعني بالحرب التي اعزكم الله يقول احياكم الله بعد الذل وقواكم بعد الضعف وكان ذلك حيوة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يخرج على وجهين يحول بين قلب المؤمن وبين الكفر ويحول بين الكافر وبين الايمان وقوله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يخرج على وجهين احدهما يستعجل التوبة قبل ان ينزل به الموت يقول اجيبوا لله وللرسول قبل ان يحال بين المرء وبين التوبة بالموت والثاني يحول بين المرء وقلبه بالاعمال التي يكتسبها بتشي الفعل الذي يفعله طبع قلبه وختمه وينشئ ظلمة تحول بينه وبين ما يقصده ويدعى اليه والله اعلم وقوله عز وجل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال بعضهم لا ههنا صلة زائدة كانه قال واتقوا فتنة تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي اتقوا فتنة التي تصيب الظلمة منكم خاصة بظلمهم وهو العذاب كقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين فعلى ذلك قوله واتقوا فتنة تصيبن الذين ظلموا في الاخرة وهو العذاب وذلك جائز في الكلام نحو ما قرا بعضهم قوله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بكسر الالف وطرح لا انها اذا جاءت يؤمنون اي انها وان جاءت لا يؤمنون واما على اثبات لا فانه يحتمل وجوها قيل واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا اي اتقوا ان تكونوا فتنة للذين ظلموا كقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا وربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ووجه جعله اياهم فتنة للذين كفروا هو ان يجعل العدو غالبا عليهم ناصرين وهم المغلوبون فيظنون انهم على حق والمؤمنون على باطل فذلك معنى دعائهم ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين لئلا يقولوا لو كانوا على حق ما غلبوا ولا قهروا ولا انتصروا منهم وقيل قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا نهى الاتباع شبههم ان لا يسعون فيما بين الظلمة بالفساد ولا يغري بعضهم على بعض فيقع فيما بينهم الفساد فيكون هؤلاء الاتباع فتنة للذين ظلموا باغراء بعضهم على بعض وذلك معروف فيما بين الخلق في الظلمة يغري الاتباع بعضهم على بعض فذلك فتنة ويحتمل وجها اخر وهو ان الله تعالى تغير الاحوال في الخلق مرة سعة وخصبا ومرة قحطا وضيقا ومرة غلبة العدو على الاولياء ونحوه ويدفع العذاب عن الظلمة بين لم يظلم ما لم يشاركوا الظلمة فاذا شاركوا ولئك يحل باولئك بظلمهم واهل الصلاح والعدل ببركتهم الظلمة واهل الفساد عن الظلم والفساد ولهم قوة المنع لهم عن ذلك فيقول لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولكن تصيبهم وتصيبكم فقال واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم اخذ الظلمة العذاب لمشاركة اهل العدل اولئك فيكونون فتنة لهم كقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض او ان يدفع عن الظلمة البلاء والعذاب ما دام اهل العدل يامرونهم بالمعروف وينهون عليهم المنكر فاذا تركوا ولا يغيرون عليهم المنكر نزل بهم البلاء الظالم وغيره والفتنة على وجهين فتنة الجزاء جزاء اعمالهم وذلك باخذ اهله خاصة وفتنة المحنة وذلك يعم الخلق والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس لا ترى ان اهل الاسلام في ابتداء الامر كانوا قليل العدد مستضعفين عند الكفرة حتى كانوا يخافون ان يسلب الكفرة ارواحهم وكانوا لا يامنون على انفسهم بالمقام في البلدان لقلة عددهم وضعفهم خوفا على انفسهم واشفاقا فتركوا المقام بالبلدان وخرجوا الى الجبال والغيران فاقاموا فيها واكلوا الحشيش واكلوا طعام الانعام خوفا على ابدانهم واشفاقا

Is. Rağıp Paşa

على دينهم ثم ان الله عز وجل واعهم وانزلهم في البلدان والامصار واتيهم ونصرهم على عدوهم ورزقهم من الطيبات طعام البشر بعدما اكلوا الحشيش طعام البهايم لعلهم يشكرون ليلزمهم الشكر على ذلك ولا يجوز لهم ان يشكروا بعدما اصابوا ذكر هذا والله اعلم لئلا تكونوا نحن من الاشفاق في الدين مثل اولئك حين هربوا منهم واتخذوا الجبال والغيران بيوتا والحشيش طعاما وتركوا اموالهم ونعمهم ورضوا بذلك اشفاقا على دينهم وقال عامة اهل التاويل نزلت الاية في اهل بدر وكانوا قليلي العدد والعدة ضعيف الابدان والعدو كثير العدد وقوي الابدان فاشتد عليهم الخروج لذلك كقوله كما اخرجك ربك من بيتك الاية فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون اي اذكروا كنتم قليلا وفيه دلالة لقول ابي حنيفة رحمه الله فيمن قال هذا الشيء لفلان اشتريته منه يصدق ويصير كانه قال هذا الشيء لفلان اشتريته منه دليله قوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض اي اذ كنتم قليلا وقوله وايدكم بنصره على هذا التاويل بالملائكة ورزقكم من الطيبات الغنائم التي رزقهم واحل لهم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم جعل الله عز وجل هذه الامة وسطا عدلا بقوله جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس فكانه قال يا ايها الذين امنوا قد جعلكم الله امناء عدلا وسطا فلا تخونوا الله فيه كقوله يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم الاية وقال لا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض اخبر انه الزمهم الامانة اعني البشر دون ما ذكر من الخلائق ثم منهم من ضيع تلك الامانة من نحو المنافقين والمشركين وخانوا فيها فلحقهم الوعيد بالتضييع وهو قوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات الاية فكانه قال يا ايها الذين امنوا قد قبلتم امانة الله فلا تضيعوها ولا تخونوا فيها كما قال اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وقال اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وغيرها من الايات التي فيها ذكر الامانات بها عهدا ان يخونوا فيها فيكونون كانهم خانوا اماناتهم ويحتمل قوله يا ايها الذين امنوا ان انفسكم واموالكم لله وهي عندكم امانة استحفظكم فيها فلا تستعملوها في غيرما اذن لكم لان من استحفظ احدا في شيء ووضع عنده امانة فاستعملها في غير ما اذن له صار خائنا فيها فانتم مثل ذلك انفسكم واموالكم لله عندكم امانة استحفظكم فيها فان استعملتم في غير ما اذن لكم فيها خنتم الله والرسول فيها فتخونوا اماناتكم التي لكم عند الله اذا ضيعتم الامانة كقوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال بعضهم قوله وتخونوا اماناتكم اي لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم التي فيما بينكم وامتحان الله عز وجل امتحنهم فيما امتحنهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم فيصيرون فيما خانوا فيما امتحنهم كانهم خانوا انفسهم وخانوا اماناتهم كقوله وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وقوله من عمل صالحا فلنفسه الاية ثم خيانة المنافقين والمشركين في الدين وخيانة المؤمنين في افعالهم فوعد لهم التوبة عن خيانتهم وعدا ولئك على ما خانوا بقوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وقوله عز وجل وانتم تعلمون ان انفسكم واموالكم ليست لكم انما هي لله عندكم امانة فلا تخونوا فيها وعن ابن عباس قال الامانة الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفريضة يقول لا تخونوا الله اي لا تنقصوا ثم اختلف اهل التاويل في نزول الاية قال بعضهم نزلت في ابي لبابة وذلك ما قيل بعض القصة ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة فسالوا الصلح على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات فابى النبي الا ان ينزلوا على الحكم فابوا فقالوا فارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحهم فبعثه النبي اليهم فلما اتاهم قالوا يا ابا لبابة انتزل على حكم محمد فاشار ابو لبابة بيده ان لا تنزلوا على الحكم فاطاعوه وكان ابو لبابة ماله وولده معهم لحال المسلمين فنزلت الاية في شان حاطب بن بلتعة فيقول ما فعل ابو لبابة وقيل نزلت في شان قوم بينهم وبين رسول الله عهد الذين كانوا يعبدون الاوثان والاصنام لكنا ندري في شان من نزلت وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه ما ذكرنا من النهي في الخيانة في امانة الله والامر بحفظها والله اعلم وقوله عز وجل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي لم يعطهم الاولاد والاموال لعبا وباطلا وليكون لهم الاموال والاولاد ولكن اعطاهم محنة وابتلاء وكذلك جميع ما انشا في الدنيا من الاشياء انما انشا لنا فتنة ومحنة كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع الاية وقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات الاية وغيرها من الايات يدل ان جميع ما انشا فتنة ومحنة يمتحن به البشر بقوله انما اموالكم واولادكم فتنة اي محنة وابتلاء امتحنا به في انواع التاديب والتعليم والحفظ والحقوق التي جعلها لها عليهم هو كقوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم الاية واوجب في الاموال حقوقا امتحنا باداء تلك الحقوق التي فيها وكذلك في جميع ما امر الله به الخلائق يا مورهم انما امرهم لمنفعة الخلائق ودفع الضرر عنهم لا لمنفعة نفسه او ضرر او حاجة يدفع به عن نفسه اذ له ملك ما في السموات والارض وهو العزيز بذاته لا تمسه حاجة تعالى عن ذلك وقوله عز وجل وان الله عنده اجر عظيم لمن لم يخن الله والرسول وعدهم الاجر العظيم اذا قاموا بوفاء ما امتحنهم الله وابتلاهم به من الاموال والاولاد حيث قال وان الله عنده اجر عظيم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال بعض اهل التاويل ان هذه الاية صلة ما سبق من الامر بالجهاد ببدر والخروج اليه كانه قال ان تتقوا الله واطعتم الله واجبتم له فيما دعاكم

اليه يجعل لكم فرقانا اي يجعل خروجكم اليه وجهادكم اية عظيمة يظهر بها الحق من المبطل كقوله ويريد الله ان يحق الحق بكلماته وقال ليحق الحق ويبطل الباطل اي ليظهر الحق من الباطل وقد كان بحمد الله ذلك وبان الحق من الباطل والمحق من المبطل وقيل قوله فرقانا اي مخرجا في الدين من الشبهات وقيل مخرجا في الدنيا والاخرة ويحتمل فرقانا اي بيانا لما ذكرنا جعل الله تعالى التقوى مشتملا على كل خير واصلا لكل بر وستره مخرجا لمن كل شبهة ومن كل ضيق وشدة وجعله سببا وسلما يوصل به الى كل لذة وسرور وينال به كل خير وبركة على ما ذكر في غير اي من القران وقوله عز وجل ويكفر عنكم سيئاتكم التي سبقت ويغفر لكم اي يستر عليكم ذنوبكم لا يطلع احدا عليها وذلك من اعظم النعم واصل المغفرة الستر وقوله عز وجل والله ذو الفضل العظيم اي عند الله فضل يعطيكم خيرا مما تطمعون وقوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك من الناس من يقول بان هذه الاية صلة قوله تعالى اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس كانوا ضعفاء اذلاء فيما بين الكفرة خائفين فيما بينهم فهموا ان يمكروا برسول الله والمكر به ما ذكر من القتل والاثبات وهو الحبس والاخراج كانهم تشاوروا فيما بينهم واستامروا ما يفعل بهم فذكر في القصة ان بعضهم اشاروا الى القتل وبعضهم الى الحبس وبعضهم بالاخراج فكان مشاورتهم وامرهم رجعت الى احد هذه الوجوه اما القتل واما الحبس ثم اخرج الله رسوله من بين اظهرهم على الوجه الذي يكون مطيعا لله متعبدا له فيما كان خروجه بامره ليكون خروجه على غير الجهة التي ارادوا هم به ويسمى خروجه هجرة وليعلموا انه انما علم بكيدهم ومكرهم به بالله ليكون اية من ايات نبوته ورسالته بعد خروجه من بين اظهرهم ومفارقته اياهم كما كان له من الايات وقت مقامه بين اظهرهم وهو كما كان لعيسى ايات وقت مقامه بين اظهرهم واية كانت له بالرفع بعد مفارقته قومهم فعلى ذلك الاول ولو كانوا يتفقوا بما ذكرنا من القتل والحبس دون الاخراج لم يكن ليخرج رسوله من بين اظهرهم وهم قد هموا باخراجه والله اعلم وفي قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الى اخر ما ذكر تذكير ما انعم على رسوله واصحابه لانه اواهم الى الامن بعد ما كانوا خائفين فيهم وانزلهم المدينة بعد ما كانوا في الغيران في الجبال هاربين منهم ورزقهم من الطيبات طعام البشر بعد ما كانوا ياتون ولون من طعام البهايم والسباع يذكر نعمه عليهم باستنقاذه اياهم من بين ظهرانيهم والحيلولة بينهم وبين ما قصدوا وهموا بالمكر به والهلاك بقوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فيه من الوجوه احتجاج عليهم احدها ما ذكرنا انهم تشاوروا فيما بينهم بالمكر له لم يطلعوا احدا ثم علم ذلك هو ليخرج ليعلموا ان الله هو الذي اطلعه على ذلك والثاني كان يخوفهم الهلاك بمكرهم برسوله فخرج من بينهم من بينهم من غير ان اصابه ما هموا به وقد اصابهم من الهلاك الذي كان يخوفهم وحل بهم ما كانوا يريدون وقصدوه وذلك ما ذكر من مكر الله بهم وقوله عز وجل ويمكر الله والله خير الماكرين قال بعضهم ارادوا هم بمكرهم بر شيئا وهو ان يطفئوا هذا النور ليذهب هذا الدين ويدرس اثاره واراد الله ان يسلم منهم نفرا ليكونوا اعوانا ونصرا له ليا خذوا حظهم بذلك فهو خير الماكرين وقيل ويمكر الله اي اراد واقتله ويمكر الله اراد قتلهم فقتلهم ببدر والله خير الماكرين اي افضل مكرا منهم غلب مكره مكرهم وقال بعضهم قوله ويمكرون ويمكر الله اي يجزيهم جزاء مكرهم وقوله واذا تتلى عليهم اياتنا يحتمل قوله اياتنا ايات القران التي كان يتلو رسوله ويحتمل اياته حججه وبراهينه التي توجب التوحيد وتصديق الرسل وقوله قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قالوا ذلك متعنتين اذ كان يقرع اسماعهم قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله وقوله فاتوا بسورة من مثله الاية ثم لم يكن يطمع احد منهم ان ياتي بمثله او يتكلفوا في ذلك دل ان قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا تعنت وعناد ان هذا الا اساطير الاولين كذلك كان يقول العرب انه اساطير الاولين وقوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية يذكرنا سفههم وغاية جراءتهم على الله وبغضهم الحق مع علمهم ان الله هو الاله والقادر على انزال العذاب وله السلطان على امطار الحجارة بقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلم يبالوا هلاك انفسهم لشدة سفههم وجراءتهم على الله وبغضهم الحق وهذا ذكروا والله اعلم ليعلم الناس ما لحق رسول الله بدعائه هؤلاء السفهاء الى دين الله الذي لم يبالوا هلاك انفسهم لشدة بغضهم الحق وجراءتهم على الله وما يحتمل منهم من العظيم وقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم يحتمل قوله وانت فيهم اي في جملة المؤمنين انه لا يعذب احدا في الدنيا ما دام هو فيهم وما دام مؤمن فيهم بقوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي يؤمنون وهم كما ذكر انه ارسله رحمة بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ومن رحمته ان لا يعذب احدا من امته في الدنيا انما يؤخر ذلك الى يوم التناد بقوله انما يؤخرهم ليوم كذا وقوله والساعة ادهى وامر ويحتمل ان يكون قوله وانت فيهم في اهل مكة خاصة ان الله لا يعذبهم ما دام هو فيهم وما دام فيهم احد من المسلمين من نحو النساء والذراري كقوله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم الاية اي لا نعذبهم وانت يا محمد فيهم اي بين اظهرهم حتى نخرجك من بينهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي يصلون وقيل يؤمنون وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه ولكن نعذبهم تعذيب القتال والجهاد ولا يعذبهم تعذيب استيصال على ما هلك سائر الامم ثم ان المعتزلة تعلقت بظاهر قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي يؤمنون اي لا يعذبهم ما دام

بعلم ان فيهم احدا يؤمن في اخر عمره او من قولهم ان لا يجوز لله ان يهلك احدا اذا كان في علمه انه سيؤمن في اخر عمره لقوله في الاصلح ان الله لا يفعل بخلقه الا ما هو اصلح لهم في الدين فعلى ذلك تأولوا ظاهر هذه الاية انه لا يعذبهم وهم يستغفرون اى سيؤمنون لكن لو كان كما قالوا لكان لا يجوز الجهاد معهم ابدا ويسقط الامر بالقتال اذ لعل فيهم من يسلم فاذا امره بالجهاد والقتال معهم دل ان ذلك ليس ما توهموا والله اعلم وقال بعضهم في قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اى وهم يدخلون في الاسلام وقيل يسلمون وقال بعضهم وهم يستغفرون بقية من بقي في مكة من المسلمين فلما خرجوا منها قال وما لهم الا يعذبهم الله الاية وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال فيكم امانان احدهما رسول الله وما كان ليعذبهم وانت فيهم والاخر الاستغفار لقول الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال فذهب امان وهو رسول الله وبقي امان وهو الاستغفار وعن ابي عباس رضي الله عنهما قال ان الله جعل في هذه الامة امانين لا يزالون معصومين من قوارع العذاب ما دام بين اظهرهم فامان قبضه الله اليه وامان بقي فيكم وهو الاستغفار الذي ذكر وروى عن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ساجدا في اخر سجوده في صلوة الايات فقال اف اف فقال رب الم تعدان لا تعذبهم وانا فيهم رب الم تعدان لا تعذبهم وهم يستغفرون وعن بعضهم امانان انزلهما الله اما احدهما فمضى وهو نبي الله واما الاخر فابقاه الله تعالى بين اظهركم وهو الاستغفار والتوبة وفي اثبات قول السفهاء ودعائهم بامطار الحجارة عليهم وجعل ذلك كتابا يتلى في الصلوات اوجه ثلاثة من الحكمة احدها تعريف لهذه الامة المعاملة مع السفهاء عند ارتكاب المناكير من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اتهم انما تمادوا في غيهم واستقبلوا بالمكروه والاذى ان لا يترك الامر لهم بالمعروف ولا يؤيس من خيرهم اقتداء بالنبي انه لم يترك دعاهم وامرهم بالمعروف مع شدة سفههم وتمردهم والثاني ليعلم الخلق ان حجة الله تلزم العباد وان كانوا قد جهلوه اذا كان التضييع جاء من قبلهم في ترك النظر والتفكر اذ لو طلبوا حقيقة العلم انه الحق لم يكونوا ليدعوا على انفسهم بالهلاك والثالث يكون فيه بيان وقوله عز وجل وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اى ما لهم من عذر في صرف العذاب عن انفسهم اذ قد كان منهم من انواع ما كان واحد من ذلك لكانوا يستوجبون العذاب من تكذيبهم الرسول والايات التي ارسلها اليهم وصدهم الناس عن المسجد الحرام وهو مكان العبادة وشؤالهم بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وائتنا بعذاب اليم اى ليس لهم عذر في صرف العذاب عن انفسهم والاحتجاج على الله انه لم يرسل رسولا بقولهم لولا ارسلت الينا رسولا الاية بل ارسل اليهم الرسول فكذبوه وبعث اليهم الايات فكذبوها وصدوا الناس عن المسجد الحرام فلا عذر لهم في وجه من الوجوه ان يصرف العذاب الا ان الله بفضله ورحمته يصرف العذاب عنهم ببركة النبي عليه السلام او استغفار المؤمنين والا فقد كان منهم جميع اسباب العذاب التي يستوجبون بها وقوله وهم يصدون عن المسجد الحرام اى عن الصلوة فيها ويحتمل ان يكون صدوا الناس عن رسول الله لكثرة ذكر المسجد لما كان رسول الله فيه لئلا يروا رسول الله فيتبعوه وقوله عز وجل وما كانوا اولياءه اى لم يكونوا اولياءه ليصرفوا العذاب عن انفسهم بالولاية وهو صلة قوله وما لهم ان لا يعذبهم وهم ليسوا باولياء ويحتمل قوله وما كانوا اولياءه انهم كانوا يصدون الناس عن المسجد الحرام لما ادعوا انهم اولياؤه وانهم اولياؤه وانهم اولى بالمسجد الحرام ثم اخبر انهم ليسوا اولياءه انما اولياؤه المتقون الذين اتقوا لما توهموا اولياؤه الموحدون لا الذين اشركوا غيره في عبادته والوهيته وقوله عز وجل وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال بعضهم كان احسن حالهم التي هم عليها هي حال الصلوة فاذا كان صلاتهم مكاء وتصدية فكيف حالهم في غير الصلوة وقال بعضهم قوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا صلوا في المسجد الحرام قام طائفة من المشركين عن يمين النبي واصحابه فيصفرون كما يصفر المكاء وطائفة تقوم عن يسارهم فيصفقون بايديهم ليخلطوا على النبي واصحابه صلوتهم فنزل قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ثم اختلف في المكاء والتصدية قال بعضهم المكاء هو مثل نفخ البوق والتصدية هو طوافهم على الشمال وقال القتبي المكاء الصفير يقال مكا يمكو وهو مثل ما قيل للطائر مكاء لانه يمكو اى يصفر يعني بصوت والتصدية هو التصفيق يقال صدا اذا صفق بيديه وقال ابو عوسجة المكاء شبه الصفير والتصدية ضرب باليدين وهو من الصدى من الصوت وقيل المكا صفير كان اهل الجاهلية يلعبون به والتصدية الصد عن سبيل الله ودينه وقوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال بعض اهل التاويل ذوقوا العذاب يوم بدر وهو الهزيمة والقتل الذي كان عليهم يوم بدر ويحتمل قوله فذوقوا العذاب في الاخرة بكفرهم في الدنيا وقوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الاية يذكرهم والله اعلم النعم التي انعمها عليهم من انواع النعم احدها ما انزلهم في بقعة خصت تلك البقعة وفضلت على غيرها من البقاع وهو مكان العبادة ثم صدوا الناس عن الدخول فيها والعبادة فيها ومن ذلك بعث الرسول منهم فيهم فكذبوه وما اعطاهم من الاموال فانفقوها في الصد عما لا بنا ان من مكان العبادة واقامة العبادة فيه ثم اختلف في معنى الصد قال بعضهم ان كفار قريش استأجروا لقتال بدر رجالا من قبائل العرب عونا لهم قتال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فذلك نفقتهم التي انفقوا فصار ذلك حسرة عليهم لما كانت الهزيمة عليهم روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن هذه الاية فقال تلك قد خلت اذ ناسا في الجاهلية كانوا يعطون ناسا اموالهم فيقاتلون

نبي الله فاسلموا عليها فطلبوا فكانت عليهم وعن سعيد بن جبير قال نزلت في ابي سفيان بن حرب استأجر يوم احد الفين من الاحابيش من كنانة فقاتلهم النبي ويحتمل ان يكون عليهم حسرة يوم القيمة اى النفقة التي انفقوها عليهم حسرة في الاخرة لما انفقوها للصد الناس عن سبيل الله وقوله عز وجل والذين كفروا الى جهنم يحشرون اى يجمعون وهو ظاهر يجمعون الى جهنم بكفرهم بالله وقوله عز وجل ليميز الله الخبيث من الطيب جعل الله تعالى الخبيث مختلطا بالطيب في الدنيا في سمعهم وبصرهم ونطقهم وجميع جوارحهم ولباسهم وطعامهم وشرابهم وجميع منافعهم من الغنى والفقر وانواع المنافع جعل بعضهم ببعض مختلطين في الدنيا على ما ذكرنا لكنه ميز بين الطيب والخبيث في الاخرة بالعلام يعرف بتلك الاعلام الخبيث من الطيب من نحو ما ذكر في الطيب قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال في الكافر وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وقال ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا الاية وغير ذلك من الايات ميز الله تعالى بين الخبيث والطيب بالاعلام التي ذكرنا في سمعهم وبصرهم ووجوههم ولباسهم ومأكلهم ومشربهم حتى تعرفوا جميعا بالاعلام ويحتمل ما ذكر من التمييز بين الخبيث والطيب بالمباهلة التي جرت بين ابي جهل وبين النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ابو جهل اللهم اهدانا سبيلا واترنا قسما واوصل رحما فاجيب فنصر رسوله واصحابه فميز بين المحق والمبطل ويحتمل ما ذكر من التمييز في الاخرة كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير وقوله عز وجل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا هذا يحتمل وجهين احدهما ان يجعلهم دركات بعضها اسفل من بعض كقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ويحتمل ان يجعل بعضهم على بعض مقرنين في الاصفاد فيركمه جميعا قيل يجمعه جميعا قيل يجمعه جميعا بعضهم على بعض ويحتمل فيركمه جميعا اخبارا عن الضيق كقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا وقال القتبي فيركمه جميعا اى يجعله ركاما بعضها فوق بعض وكذلك قال ابو عوسجة يقال ركمت المتاع اذا جعلت بعضه فوق بعض وقوله فيجعله في جهنم الجهنم هو المكان الذي يجمع اهل النار في التعذيب وقوله عز وجل قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ذكر عز وجل غاية كرمه وجوده بما وعد لهم من المغفرة والتجاوز عما كان منهم من الاشراك في الوهيته وصرف العبادة الى غيره وصد الناس عن عبادته وطاعته ونصب الحروب التي نصبوا بينهم وبين المؤمنين وغير ذلك من انواع الهلاك فمع ما كان منهم وعدلهم المغفرة بالانتهاء من ذلك ليعلم غاية كرمه وجوده والمغفرة تحتمل التجاوز عنهم ما كان منهم لا يؤاخذهم بذلك ويحتمل يستر عليهم معاصيهم التي كان منهم ولا يذكرون ذلك لانهم لو ذكروا ذلك ينغص عليهم النعم وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه اخبر انهم ان انتهوا وتابوا غفر لهم ما قد كان منهم وانما كانوا متصفين بالايمان ولم يجعل بين الايمان والكفر منزلة ثالثة وهم يجعلون بينهما منزلة ثالثة وهم يجعلون بينهما منزلة ثالثة ويقولون اذا ارتكب كبيرة خرج من الايمان ويخلد في النار ابدا ولم يكن داخلا في الكفر وفيه دليل نقض قول من يقول بان على الكافر فعل العبادات من نحو الصلوة والزكوة والصيام لانه ذكر الانتهاء والانتهاء عما كان من ترك العبادات القيام بقضائها واذا ما تركوا فلما لم يجب عليهم اداء شيء من ذلك دل انه لم يكن عليهم في حال كفرهم فعل تلك العبادات انما عليهم اعتقاد تلك العبادات اذ لو كانت عليهم لكان الانتهاء عنها بقضاء ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلوة او نسيها فعليه ان يصليها اذا ذكرها اذا استيقظ وذلك كفارته وكذلك قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ليس على الفعل ولكن في حق الاعتقاد انه لا سبيل الى القيام بفعل ما ذكر الا بعد حول ووقت طويل وفي هذه الاية دلالة على ان ليس بين الشرك والايمان منزلة ثالثة على ما يقوله المعتزلة في صاحب الكبيرة لانه لو كان بين الكفر والايمان منزلة ثالثة لكانوا اذا انتهوا عن الكفر ولم ينتهوا من تلك المنزلة لا يغفر لهم على قولهم فدل ما ذكر من المغفرة على ان ليس بينهما منزلة ولكن اذا انتهوا عن الكفر دخلوا في الايمان وقوله عز وجل وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين قال بعضهم وان يعودوا الى الكفر وقتال محمد بعد ما انتهوا عنه فقد مضى كذا يعني القتال ويحتمل ان يكون قوله تعودوا اى ذاموا فيه لانهم لا يخرجوا منه نحو قوله يخرجهم من الظلمات الى النور كانوا فيه لا ان كانوا خرجوا منه ثم دخلوا في غير ذلك ثم يحتمل وجهين بعد هذا احدهما ان للكفر حكم التجدد في كل وقت والثاني ما ذكرنا ان ذكر العود فيه لدوامهم فيه وان لم يخرجوا منه وذلك جائز في اللغة كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور ابتداء اخراج من غير ان كانوا فيه وكقوله رفع السموات ابتداء رفع لا ان كانت موضوعة ثم رفعها من بعد فعلى ذلك قوله وان يعودوا يحتمل اى داموا فيه وقوله فقد مضت سنة الاولين مضت يحتمل ما ذكرنا من القتال والثاني سنة الاولين الهلاك الذي كان وقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قيل الفتنة الشرك اى قاتلوهم حتى لا يكون الشرك ويكون الدين كله لله ويحتمل قوله حتى لا تكون فتنة اى محنة القتال كانه قال قاتلوهم الى الوقت الذي يرتفع المحنة وهو يوم القيمة وفيه دلالة لزوم الجهاد الى يوم الدين والفتنة هي المحنة التي فيها الشدة ويكون الدين كله لله وقوله عز وجل ويكون الدين كله لله هو يخرج على وجهين احدهما ويكون من الدين الذي هو الدين كله لله لا نصيب لاحد فيه وهو السبيل التي كانت للشيطان كانه قال ويكون الاديان التي يدان بها دينا واحدا وهو دين الله الذي يدعى

وقوله

لخلق الله وبذلك بعث الرسل والكتب والله اعلم ويحتمل ان يكون الحكم كله لله كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك
اي في حكم الملك وقوله عز وجل فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وقوله وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم قيل ناصركم وقيل
المولى المليك نعم المولى ونعم النصير اي الناصر والمعين ونعم النصير لانه لا يعجزه شيء وقيل مولاكم اي وليكم وقوله عز
وجل واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى قال عامة اهل التأويل ان الغنيمة هي التي
اصاب المسلمون من اموال المشركين بالقتال عنوة والفيء ما يعطون بايديهم صلحا والغنيمة يأخذ الامام الخمس
منها والباقي يقسم بينهم والفيء يأخذه الامام فيضعه في مصلحة المسلمين وليس فيه الخمس وقال بعضهم
الغنيمة والفيء واحد ثم قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الى اخر ما ذكر الخمس ولم يذكر الاربعة
الاخماس انها لمن لكنها للمقاتلة بقوله فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فكانت الغنيمة كلها لمن غنمها بظاهر هذه الاية
الا ما استثنى الله عنها بالاية الاولى وهو الخمس وهذا مما اجمع عليه اهل العلم وعلى ذلك تواترت الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صحابته موقوفة من بعده روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن
المال يعني الغنيمة قال لي خمسه واربعة اخماسه لهؤلاء يعني المسلمين وروي انه قسمها بين المقاتلة يعني الاربعة
الاخماس وفي بعض الاخبار ان ابا الدرداء وعبادة بن الصامت والحارث بن معاوية كانوا جلوسا فقال ابو الدرداء
ايكم يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الى بعير من المغنم فلما انصرف تناول وبرا من البعير فقال
ما يحل لي من غنائمكم ما يزن هذه الا الخمس ثم هو مردود فيكم وعن ابن عمر رضي الله عنه قال كانت الغنائم
تجزأ خمسة اجزاء ثم يسهم عليها فما كان لرسول الله فهو له وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الغنيمة تقسم
على خمسة اخماس فاربعة منها لمن قاتل عليها وغير ذلك من الاخبار وعلى ذلك اتفاق الامة ثم منهم من يقول يقسم
على ستة سهم لله يجعل في ستر الكعبة وسهم لرسوله ينتفع به ومنهم من قال يقسم على خمسة سهم لرسوله
واربعة اخماس لمن غنم ومنهم من يقول يقسم على اربعة سهم لرسوله وثلاثة ارباع لمن غنم ثم قوله فان
لله خمسه وللرسول يحتمل اضافة ذلك الى نفسه وجهين احدهما لما جعل ذلك لاقامة العبادات وانواع البر
والخير والقرب التي هي لله فاضيف المساجد اليه بقوله وان المساجد لله وان كانت البقاع كلها لله وكذلك
ما سمي الكعبة بيت الله وان كانت البيوت كلها لله لما جعلها لاقامة العبادات وانواع القرب فاضيف الى
الله ذلك فعلى ذلك يحتمل اضافة ذلك السهم الى الله لما جعله لاقامة العبادات والقرب وانواع البر والله
اعلم والثاني اضاف ذلك الى نفسه خصوصية لرسول الله اذا كان ذلك لرسوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جميع احواله واموره لله خالصا لم يكن لنفسه ولا لاحد من الخلق فعلى ذلك جميع ماله وما كان تحويه يده لم يكن
له انما كان ذلك لله خالصا يصرف ذلك في انواع القرب والبر في القرابة واليتامى والمساكين وابن السبيل والاغنياء
منهم والامراء جميعا والقريب منهم والبعيد جميعا الا ترى انه قال انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة
هذا يدل انه ما يترك صدقة لا يورث منه ولو كان له لورث ورثته ما يورث من غيره دل ان نفسه وماله
كان لله خالصا وكذلك جميع اموره لله الا ترى انه روي في الخبر انه كان يجوع يوما ويشبع يوما ويجوع ثلاثا و
وكان يربط الحجر على بطنه للجوع فاذا كان ما اضافه ذلك الخمس الى الله لخصوصية له وخلوص نفسه وماله له وان كان
جميع الخلائق وما تحويه ايديهم لله حقيقة لكن لهم فيها الانتفاع وقضاء الحوائج والتدبير لانواع التصرف
في ذلك ومشاركة غيره في ذلك لم يخص بالاضافة اليه وان كان ذلك كله لله حقيقة ولما كان نفس رسول
الله وما تحويه يده لله لا تدبير له في ذلك ولا شرك لاحد فيه خص بالاضافة ذلك اليه كله لله حقيقة ولما كان
نفس رسول الله وهذا كما قال والله اعلم الملك يومئذ لله وقال لمن الملك اليوم لله وقال مالك يوم الدين وقال
وبرزوا لله جميعا خص بالذكر ملك ذلك اليوم والبروز له لما ينقطع يومئذ تدبير جميع ملوك الارض ويذهب
سلطانهم عنهم ويصفو البروز له وان كان الملك في الاحوال كلها والاوقات جميعا وكذلك البروز له والمصير
اليه وان كان ذلك راجعا اليه في كل الاحوال فعلى ذلك الاول والله اعلم ثم ليس في ظاهر الاية دليل ان المراد
بقوله ولذي القربى قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل في ظاهره دلالة انه اراد به قرابة اهل السهام
في ذلك لانه خاطب به الكل بقوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى وظاهره انه
اراد به قربى من خاطب وكان الخطاب لهم جميعا الا ترى انه لم يفهم من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قرابة المخاطبين وكذلك لم يرجع قوله ان ترك
خيرا الوصية للوالدين والاقربين الى قرابة رسول الله بل الى قرابة المخاطبين به فعلى ذلك الظاهر من قوله
ولذي القربى الا ان يقال اراد قرابة رسول الله بدلالة اخرى سوى ظاهر الاية وهو ما روي قسم
الخمس بين بني هاشم وما روي انه قال ما لي من هذا المال الا الخمس والخمس مردود فيكم وما روي ان نجدة كتب
الى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن هو فقال هو لنا اهل البيت وقد كان عمر دعانا الى ان ينكح منه ايمنا
ويقضي عنه مغرمنا فابينا الا ان يسلمه الينا فابى ذلك علينا فدل فعل عمر هذا على ان التأويل في الخمس كان
عنده ان رسول الله كان يصل به قرابته ويسد بالخمس حاجتهم اذ كان جعل سبيل الخمس ما ذكرنا انه لله بمعنى
انه يصرف في وجوه القرب اليه فلو كان الخمس حقا لجميع القرابة لاعطي من ذلك غنيهم وفقيرهم وما يأخذه

الاغنياء من الخمس فانه لا يجري مجرى الصدقة ولا يجري مجرى القربة فبان بذلك انه لا يعطى منه اغنياؤهم بل يصرف الى فقرائهم
على قدر حاجتهم اذ لم يكن له مكاسب سواه يتعيش بها كما يكون لغيره من المكاسب وانواع الحرف ومما يدل على ان
رسول الله اعطى بعض القرابة دون بعض ما روي عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله سهم ذوي
القربى بين بني هاشم وبني المطلب اتيت انا وعثمان فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك
الذي وضعك الله فيهم ارأيت بني المطلب اعطيتهم ومنعتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم
لا يفارقوني في جاهلية ولا اسلام وانما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وقوله فان
لله خمسه وللرسول الى اخر ما ذكر بين ان خمس الغنيمة يصرف في وجوه البر فيمن ذكر من اهلها دون غيرهم
وليس ذلك ايجابا منه لكل صنف منها شيئا معلوما ولكن على بيان الاهل والموضع وهو كقوله انما الصدقات
للفقراء والمساكين الاية حمل اصحابنا ذلك على ان الصدقة لا يجوز الا لمن كان من اهل هذه الاصناف
دون غيرهم ولم يجعلوا الامر على ان لكل صنف منهم شيئا معلوما محدودا ولكن على بيان اهلها وعلى ذلك
روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم عمر وعلي وحذيفة وابن عباس وجماعة من السلف مما يكثر
عددهم قالوا اذا وضعت الصدقة في صنف واحد اجزأك فلو كان لاهل كل صنف الثمن منها كان المعطي بها
صنفا واحدا مخالفا لما امر به فعلى ذلك قوله فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى الاية معناه والله
اعلم ان الخمس الذي يتقرب به من الغنيمة الى الله لا يستحقه الا الرسول ومن كان من الاصناف التي ذكرها فالى رأيهم
دفع ذلك الخمس اجزاءه واذا كان التأويل ما وصفنا لم يكن لاحد من اهل هذه الاصناف ان يدعي منه خمسا
ولا ربعا ولكن يعطي كل من حضر منهم بقدر فاقته وحاجته وعلى قدر ما يراه الامام فاذا جاء فريق اخرون اعطوا
مما يدفع الى الامام من ذلك الخمس من المال كفايتهم وكذلك روي عن ابن عمر ان عباس قال كان عمر يعطينا من الخمس
نحوا مما كان يرى انه لنا فرغبنا عن ذلك وقلنا حق ذي القربى خمس الخمس فقال عمر انما جعل الله الخمس لاصناف سماها
فاسعدهم بها اكثرهم عددا واشدهم فاقة فاخذ ذلك ناس وتركه ناس وكذلك فعل عمر لما ولي الامر لما روي عن
ابن عباس قال عرض علينا عمر ان يزوج من الخمس ايمنا ويقضي منه مغرمنا فابينا عليه الا ان يسلمه الينا فابى ذلك علينا
فدل فعل عمر على ان القرابة يعطون من الخمس قدر حاجتهم وما يسد به فاقتهم اذ لو كان الخمس حقا لجميع القرابة
اعطى من ذلك غنيهم وفقيرهم لقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم كما قسم الاربعة الاخماس بين المقاتلة
بل اعطى منه بعض القرابة وحرم بعضا لما ذكرنا في جبير بن مطعم ومما يدل ايضا ان ذلك لاهل الحاجة منهم دون
الكل ما روي ان الفضل ابن عباس وفلان دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ عند زينب بنت
جحش فقالا يا رسول الله انت ابر الناس واوصل الناس وقد بلغنا النكاح فجئناك لتأمرنا على هذه الصدقات
فنؤدي اليك ما يؤدي العمال ونصيب منها ما يصيبون فسكت طويلا حتى اردنا ان نكلمه حتى جعلت زينب تلمع الينا من
وراء الحجاب ان لا تكلماه ثم قال الا ان الصدقة لا تنبغي لال محمد انما هي اوساخ الناس ادعوا لي محمية وكان
على الخمس ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب فجاءاه فقال لمحمية انكح هذا الغلام ابنتك للفضل فانكحه
وقال لنوفل انكح هذا الغلام ابنتك فانكحه ثم قال لمحمية اصدق عنهما من الخمس كذا وكذا دل هذا على ان
الحق لهم فيه لاهل الحاجة منهم ومما يدل ايضا على ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال ما لي من هذا المال الا الخمس والخمس مردود فيكم لم يخص القرابة بشيء منه كان سبيلهم سبيل امر المسلمين
يعطى من يحتاج منهم كفايته وعلى هذا مما امر الائمة الراشدين ولم يغير علي رضي الله عنه لما ولي الامر وكان ذلك
عندنا مما لا يجوز خلافهم عليه فان قيل لو كان قرابة النبي انما يعطون من الخمس على سبيل الفقر والحاجة فهم
فيهم على هذا يدخلون في عموم المساكين فما وجه ذكره اياهم اذا قيل ان الله تبارك وتعالى قال في الصدقات انما
الصدقات للفقراء والمساكين ثم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لمحمد ولا لال محمد فلو لم يسمهم
الله في الخمس جاز ان يقول قائل لا يجوز ان يعطوا من الخمس وان يكونوا فقراء كما لا يجوز ان يعطوا من الصدقة وكانوا
فقراء فكان لهذا السبب ذكر الله اياهم في الخمس لذلك والله اعلم ثم اختلف اهل العلم بعد وفاة رسول الله في سهم
الرسول وسهم ذي القربى فقالت طائفة سهم الرسول للخليفة من بعده وسهم ذي القربى لقرابة الخليفة
وقالت طائفة سهم القربى لقرابة الرسول وقال الحسن سهم القرابة لقرابة الخلفاء وقال غيره القرابة قرابة
رسول الله وقد ذكرنا انه يحتمل انه كان له يصل به قرابته بحق الصلة او يعطيهم بحق القرابة ما دام حيا ثم
قد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نورث ما تركنا صدقة فاذا لم يورث عنه ما قد حازه من
سهامه فكيف يورث عنه ما غنم بعد وفاته ولو كان سهمه الذي لم يجبه موروثا عنه كان سهمه الذي
قد حازه احرى ان يورث عنه فاذا لم يورث الذي قد حازه وملكه عنه لا يورث الاخر والله اعلم وعن عائشة
ان فاطمة والعباس اتيا ابا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله وهما حينئذ يطلبان ارضه من فدك وسهمه
من خيبر فقال لهما ابو بكر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا نورث ما تركنا صدقة انما يأكل
ال محمد في هذا المال اي حق الغنائم والله لا ادع امرا رأيت رسول الله يصنعه فيه الا صنعته وفي بعض الاخبار
قال لا يقسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة عاملي ومؤنة نسائي فهو صدقة وعن عمر قال كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق مما افاء الله عليه سنة ويجعل ما بقي مال الله وروي ايضا عنه قال كانت
اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله وكانت له خالصا وكان ينفق منها على اهله نفقة سنة وما بقي جعله
في الكراع والسلاح فهذه الاخبار تبين انه لم يورث سهم النبي بعد وفاته فهي تدل على انه لا نفذ بعد موت
النبي من خمس الغنائم للخليفة شيئا وان ذلك كان مخصوصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كالصفي الذي كان
له خاصة دون غيره وكالم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب فكان له ذلك خاصة فليس لاحد
لغير النبي صلى الله عليه وسلم خصوص من الخمس كما ليس له خصوص من الصفي وغيره واذا كان الامر في
سهم الرسول كما وصفنا ولم ينقص من الخمس الذي هو لله بعد موت النبي ويخرج ذلك الخمس كله من الغنيمة
فذلك يدل على ان الخمس ليس لاهل هذه السهام حقا مقسوما ولكن يعطون منه بقدر فاقتهم ويدل ذلك
ايضا على انه لا يجب لكل صنف من هذه الاصناف سهم معلوم لانا قد رددنا سهم النبي من الخمس على سائر سهامها
فكما جاز ان يرد عليهم سهم النبي فكذلك يجوز ان يجعل سهم اليتامى او بعضه للمساكين اذا حضروا وطلبوا
ولم يحضر اليتامى لان المعنى في الاية والله اعلم ان لا يعطى الا من كان من اهل هذه الاصناف فقد وضع الحق في
موضعه ولم يتعد به الى غيره ثم الخطاب في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء لا يحتمل كلا في نفسه كالخطاب
باداء الزكوة وغيرها من الحقوق بل الخطاب راجع الى الجماعة الذين غنموا الا ترى ان العسكر والسرايا اذا دخلوا
دار الحرب فتفرقوا فيها فغنم واحد منهم يجب ضم ذلك الى جميع العسكر والسرايا فعند ذلك يخرج الخمس منه
دل ان الخطاب بذلك راجع الى جماعة وهي الجماعة التي لهم منعة يقومون للعدو لا انه خاطب كل احد في
نفسه فهذا يدل على ان الواحد والاثنين اذا دخلوا دار الحرب بغير اذن الامام فغنموا غنائم لا تخمس
ولكن يسلم الكل واما الغنيمة نفسها لا يحتمل ان ترجع الى حد معلوم او مقدار محدود كالزكوة وسائر
الحقوق لان الغنيمة شيء يؤخذ من ايدي الكفرة وانما يؤخذ قدر ما يظفر به ويوجد فلا يحتمل ان يرجع
الخطاب به الى قدر دون قدر بل القليل من ذلك والكثير سواء لا حد في ذلك ولا مقدار ليس كالزكوة
وغيرها من الحقوق التي جعل فيها حدا ومقدارا للوجه الذي ذكرنا واما المصيبون لها والاخذون فلهم في ذلك
مقدار وهم الذين لهم منعة ثم تذكر مسئلة في قسمة السهام بين الرجالة والفرسان وان لم يكن في الاية ذكر ذلك
روي عن ابن عمر قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر الرجل سهما والفرس سهمين ثلاثة اسهم
له ولفرسه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للراجل سهما
وللفارس ثلاثة اسهم سهما له وسهمين للفرس ثم روي ايضا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقسم للفارس سهمين وللراجل سهم وعن المقداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم له يوم بدر
سهما ولفرسه سهما وعن علي قال للفارس سهمان وعن المنذر قال بعثه عمر في جيش الى مصر فاصابه
غنائم فقسم للفارس سهمين وقول بعضهم اسهم للفارس سهمين اختلافا وتضادا فحملوا على التناسخ
وقد يجوز ان لا يكون ذلك كذلك وقد تكون زيادة التي زادها النبي للفرس على سهم ان كان محفوظا
ثابتا للنفل نفله للافراس حينئذ ترغيبا منه للمقاتلة في اتخاذها وتحريضا كما يجوز ذلك بقول الامام من قتل
قتيلا فله سلبه ومن جاء براس كذا فله كذا يحرض بذلك المقاتلة في القتال فعلى ذلك زيادة سهم لمكان
الافراس ترغيبا منه وتحريضا على اتخاذها فاما ان كثرت الافراس فان سهما لها لا تكون اكثر من سهام
اصحابها لان الفارس اكثر غناء من فرسه فان لم يزد عليه لم ينقص عما يسهم وكان ابو حنيفة رحمه الله يسهم
للفارس بسهمين وابو يوسف يرى ان يسهم للفرس سهمين ولصاحبه بسهم والحجة في ذلك بقوله قال
الله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب فكانت النضير خالصة لرسول
الله ولم يكن لمن حضرها من المسلمين شيء اذ لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب وقد اتوها مشاة فلما منع
الرجالة من السهمان لا استحقاقهم في فتحها عن الخيل جاز ان يزاد الخيل في السهمان الرجالة اذا كان الرجال
يمنعون السهام وان حضروا اذا لم يلجأوا الى ركوب الخيل لكن الحجة على هذا ما ذكرنا ان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يحاربوا على النضير فرسانا ولا رجالة ولو احتاجوا الى الحرب لاحتاجوا الى
الحرب لاحتاجوا الى الخيل فمن حيث لم يحاربوا عليها لم يستحقوا منها شيئا وانما ذكرنا الله تعالى على سهولة امرها
وانهم لم يحاربوا عليها خيلا ولا ركابا واذا لم يحارب على مدينة فغنموا اموالا فهو مصروف في مصالح المسلمين
لا يجري فيه السهام فكانت النضير على ما ذكر خالصة للنبي يأخذ منها نفقة سنة ويصرف سائرها
الى مصالح المسلمين ومن الدليل على ان النضير لو احتيج منها الى حرب حاربهم النبي واصحابه رجالة جرت
فيها سهم الغنيمة ان قوما من المسلمين لو حاربوا اليوم على مدينة من مدائن الشرك رجالة قسم
ما غنم منها كما يقسم لو كان معهم فرسان ومن الدليل على ذلك ايضا ان الرجالة اذا كانوا مع الفرسان
في الحرب قسم لهم كما يقسم للفارس خاصة فلو كانت الغنيمة انما تقسم لسبب الخيل ما اعطى الرجالة
منها شيئا اذ لا افراس لهم وذلك يفسد ما ذكرنا لابي يوسف وقوله عز وجل ان كنتم آمنتم بالله قال بعضهم
موصلة قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ثم قال وان تولوا فاعلموا ان الله هو موليكم اي وان تولوهم

وقد آمنتم انتم فاعلموا ان الله موليكم ليس بولي لهم وقالت طائفة قوله ان كنتم آمنتم بالله ليس على الشرط على ان لا يكون
غنيمة اذا لم يكونوا مؤمنين ولا يجب في العدل في القسمة اذا كانوا غير مؤمنين ولكن على التنبيه والايقاظ كقوله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ليس على انه لا يجب ان يذروا اذا لم يكونوا مؤمنين ولا يجب ان يطيعوا اذا لم
يكونوا مؤمنين ولكن على ما ذكرنا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم
التقى الجمعان قيل قوله وما انزلنا على عبدنا الملائكة الذين ارسلهم يوم بدر لنصرة المؤمنين وانزل عليهم المطر
حتى شد الارض بذلك فاستقرت اقدامهم وثبت الجبال بقرار فلام فيها ولا تثبت وشربوا منه وروا بعد ما اصابهم
العطش اذ كان المشركون اخذوا الماء وقوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم بدر وقوله يوم الفرقان قيل يوم
فرق بين الحق والباطل لانه عز وجل جعل يوم بدر اية حيث غلب المؤمنون المشركين مع قلة عددهم وضعف ابدانهم
وفقد الاسباب التي بها يحارب ويقاتل وكثرة العدو وقوتهم ووجود اسباب الحرب والقتال ليعلموا انهم غلبوا
اولئك وهزموهم بنصر الله اياهم فكان اية فرق الحق منهم والمبطل وقيل هو يوم الفرقان ويوم الجمع جمع النبي و
المؤمنين وجميع المشركين ويوم الافتراق افتراق المشركين من المؤمنين انهزامهم وهو كما سمي يوم القيمة يوم
الجمع في حال ويوم الافتراق في حال اخرى والله اعلم وقوله عز وجل اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى قال بعضهم
العدوة القصوى شفير الوادي الاقصى والعدوة الدنيا شفير الوادي الادنى وكذلك قال القتبي العدوة الشفير شفير
الوادي وقال ابو عوسجة العدوة ناحية الوادي التي تليهم وقال انما سميت الدنيا لانها دنت منك والاخرى لانها استأخرت
وقيل في حرف ابن مسعود اذ انتم بالعدوة العليا وهم بالعدوة السفلى وقال ابو معاذ العدوة والعدوة لغتان والركب
والركبان والركاب والراكبون لغة وقال في حرف حفصة اذ انتم بالعدوة القصيا وقال بعضهم اذ انتم معشر المؤمنين
بالعدوة الدنيا من دون الوادي على الشط مما يلي المدينة وهم بالعدوة القصوى من الجانب الاخر مما يلي مكة يعني مشركي
مكة عز وجل والركب اسفل منكم يعني اصحاب العير على ساحل البحر على الماء وقال قتادة جمع الله المشركين والمسلمين ببدر
على غير ميعاد وهما شفير الوادي كان المسلمون باعلاه والمشركون باسفله والركب اسفل منكم ابو سفيان انطلق بالعير
في ركب نحو الحرب وقيل اذ انتم بادي المدينة وهم باقصى مما يلي مكة على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولو تواعدتم لاختلفتم في
الميعاد يحتمل اي لو علمتم انكم تخرجون الى الحرب دون العير لم تخرجوا الا للميعاد لتناهضوا للحرب والقتال فاختلفتم في الميعاد
اما للخروج نفسه واما الميعاد نفسه تخرجون او لا تخرجون او منكم من يؤخر الخروج عن وقت الميعاد ومنكم من لا يخرج
راسا لينقضي ذلك وقوله عز وجل ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا يحتمل لينجز الله ما كان وعد من الظفر والنصر
وليقضي الله امرا كان في علمه مفعولا لان احدى الطائفتين انها لكم كان قال وعد الله مفعولا اي منجزا ويحتمل
القضاء ابتداء الانشاء وخلق ولكن ليثبت الله ما قد علم انه يكون كائنا او ليحكم ما قد علم انه يكون كائنا والله اعلم
وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال بعض اهل التاويل ليكفر من كفر بعد ذلك عن بينة و
حجة ان رسول الله كان على الحق وكان صادقا ويؤمن من آمن على مثل ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
ليهلك من هلك عن بينة قال ليموت من مات عن بينة ويحيى من حي عن بينة يقول عن بيان وحجة وهو والله اعلم
ان رسول الله قد كان اتاهم بايات حسية فسموه ساحرا واخبرهم بانباء ماضية التي كانت في كتبهم فقالوا ان هذه
الا اساطير الاولين وقالوا انه معلم انما يعلمه بشر وقد كان رسول الله يخالفهم في جميع صنيعهم من عبادتهم الاصنام
والاوثان دون الله وكان يخوفهم ويوعدهم باشياء وكان لا يخافهم وهم كانوا رؤساء كبراء لا يخالفهم احد في
امرهم ويهابونهم الا من كان به جنون فلما راوا رسول الله خالفهم في جميع امورهم نسبوه الى الجنون وقالوا انما هو
مجنون فاراد الله ان يجعل له اية عظيمة حتى لا ينسبوه الى شيء مما كانوا ينسبونه من قبل فوعد لهم النصر والفتح
يوم بدر بعد ما علم اولئك بضعف المؤمنين وقلة عددهم وقوة انفسهم وكثرة عددهم ليكون حياة من حي بعد ذلك
عن بينة وموت من مات على مثل ذلك وان كان له من الايات ما لو لم يعاندوا ولا كابروا عقولهم لكانت واحدة منها
كافية فان قيل ما الحكمة في ذكر القصة من اولها الى آخرها وهم قد علموا ذلك كله وشاهدوا قيل يذكرهم الله والله
اعلم الحال التي كانوا عليها والقوة والاسباب ولكن بالله عز وجل لئلا يكلوا الى الكثرة ولا يعتمدوا على القوة ولا
يضعفوا ولا يجبنوا ولا يخافوا غيره ليعرفوا ان ما اصابهم من الهزيمة والغلبة اصابهم لمعصية كانت منهم او
اعجابا بالكثرة واعتمادا بالقوة والاسباب والله اعلم وقوله عز وجل اذ يريكهم الله في منامك قليلا اختلف فيه
قال بعضهم قوله في منامك قليلا المنام نفسه كان الله يري رسوله المشركين في منامه قليلا فاخبر الله بذلك
اصحابه بما راى فقالوا رؤيا النبي حق القوم قليل ليس كما بلغنا انهم كثير فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في اعين
المؤمنين تصديقا لرؤيا رسول الله وقال الحسن قوله اذ يريكهم في منامك قليلا اي في عينك التي تنام بهما وهو في اليقظة
لانه ذكر انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيني ولا ينام قلبي وانما اراه اياهم قليلا في العين
الذي به ينام وهو عينا الوجه ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لقد قللوا في اعيننا يوم بدر
حتى قلت لصاحب الى جنبي تراهم سبعين فقال اراهم مائة حتى اخذنا رجلا منهم فسألناه فقال كنا الفا فان كان التاويل هذا
الثاني انه اراهم رسوله قليلا في اليقظة بالذي به ينام فهو ظاهر فان كان اراه اياهم في المنام حقيقة فلقائل
ان يقول ان رؤيا الرسول وحي فكيف اراه اياهم قليلا وهم كثير خلاف ما هو في الحقيقة قيل يحتمل ان يكون اراه

بعضهم لا الكل فهو حقيقة ما اراه اياهم فلذلك قيل والله اعلم وجائز ان يكون اري اصحابه اياهم قليلا وان اضاف ذلك الى رسول الله دليله ما ذكر في اخره حيث قال واذ يريكموهم اذ التقيتم وذلك كثير في القرآن ان يخاطب به رسوله والمراد به غيره الا ترى انه قال اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ومعلوم ان نزول هذه الاية بعد وفاة الوالدين وقوله عز وجل ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي لجبنتم ولتنازعتم في الامر القتال والحرب ولكن الله سلم قيل سلم وامر المسلمين امرهم على عدوهم فهزموهم ونصرهم عليهم ويحتمل قوله سلم اي اجاب للمسلمين لما استغاثوا واستنصروه بالنصر الظفر لهم انه عليم بذات الصدور اي عليم بما في قلوب المؤمنين من الجبن والفشل وامر عدوهم والله اعلم وقوله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم يحتمل قوله واذ يريكموهم الاية لما راوا الملائكة لانفسهم انصارا واعوانا اذ كان قد وعدهم النصر والاعانة بالملائكة وكان العدو مع الملائكة فاستقلوا لان العدو وان كانوا كثيرا فهم قليل مع الملائكة فراوهم قليلا على ما كانوا وقلل هؤلاء في اعين اولئك لانهم لذلك كانوا قليلا فراوا على ما كانوا ولم يروا الملائكة وقال بعض اهل التاويل قلل هؤلاء وهؤلاء اذا التقوا ليغري بعضهم ويجترئ بعضهم على بعض على القتال والله اعلم وقوله ليقضي الله امرا كان مفعولا هو ما ذكرنا انه لينجز ما كان وعدهم من النصر والظفر للمؤمنين والغلبة والهزيمة على اولئك وكذلك ذكر في القصة ان قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر في بدر فيه وعد ذلك كقوله وكان وعد الله مفعولا ويحتمل قوله ليقضي الله اي ليخلق الله ويثبت ما قد علم انه يكون كائنا او ليفصل بين الحق والباطل مما قد علم انه يكون وقال بعض اهل التاويل ليقضي الله امرا في علمه مفعولا كائنا يقول فيوجب امرا لا بد كائن ليعز الاسلام واهله بالنصر ويذل الشرك واهله بالقتل والهزيمة والله اعلم وهو قريب مما ذكرنا والى الله ترجع الامور اي الى الله يرجع تدبير الامور وتقديره له لانه يدبر في ذلك في الدنيا والاخرة وذكر في بعض القصة ان ابا جهل لما راى قلة المؤمنين ببدر قال والله لا يعبد الله بعد اليوم فاكذبه الله وقتله فقال والى الله ترجع الامور لا الى الخلق والله اعلم وامر بدر من اوله الى اخره كان ايتا حتى عرف كل احد ذلك الا من عاند وكابر عقله وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا قيل الفئة اسم جماعة ينحاز اليها وهو من الفيء والرجوع يفيئون اليها ويرجعون ذكر ههنا الفئة وذكر في الاية التي تقدمت الزحف وهو قوله اذا لقيتم الذين كفروا زحفا مكان الفئة ونهى اولئك عن تولية الادبار بقوله فلا تولوهم الادبار وقال ههنا فاثبتوا ليعلم ان في النهي عن تولية الادبار امرا بالثبات وفي الامر بالثبات نهي عن تولية الادبار فيكون في النهي عن الشيء امر بضده والامر بالشيء نهي عن ضده والله اعلم وقوله عز وجل واذكروا الله كثيرا قال ابو بكر الكيساني في قوله اذكروا الله كثيرا اي اذكروا الله فيما يعبدكم من طاعته ووعدكم من نصره ولا تنظروا الى الكثرة فتظفروا ويحتمل اذكروا الله فيما لكم من انفسكم واموالكم اي ان انفسكم واموالكم له ان شاء اخذها منكم بوجه تتقربون به الى الله فاذكروا الله على ذلك وهو ما ذكر قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية ويحتمل اذكروا الله كثيرا في النعم التي انعمها عليكم او يقول اذكروا المقام بين يدي رب العالمين وذلك بالذي يمنعكم من المعاصي والخلاف لامره وبعض ما يرغبكم في طاعته فيكون على هذا التاويل لا يريد ذكر الاحوال ويحتمل الامر بذكر الله باللسان وذلك بعض ما يستعان في امر الحرب لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالنصر والظفر وتفلحون اي تظفرون وقوله عز وجل واطيعوا الله ورسوله اطيعوا الله فيما يامركم بالجهاد والثبات مع العدو ورسوله فيما يامركم بالمقام في المكان والثبات وترك الاختلاف والتنازع في الحرب وذلك بعض ما يستعان به في امر الحرب ولا تنازعوا فتفشلوا اي لا تنازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يامركم في امر الحرب وعما ينهاكم كقوله يجادلونك في الحق بعد ما تبين لانكم اذا تنازعتم اختلفتم فاذا اختلفتم تفرقتم فاذا تفرقتم فشلتم وجبنتم فلا تنصرون ولا تظفرون على عدوكم بل ظفر بكم عدوكم او ان يقال لا تنازعوا لانكم اذا تنازعتم تباغضتم فيشغلكم التباغض بانفسكم فيتبقى الجهاد مع العدو والله اعلم وقوله عز وجل وتذهب ريحكم قال بعضهم نصركم وظفركم وقال بعضهم يذهب بدولتكم ويحتمل الريح التي بها تنصرون وعلى ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وهو ما ذكرنا فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقوله واصبروا اي اصبروا للجهاد ولقتال عدوكم ان مع الصابرين بالنصر لهم والظفر وفي هذه الاية تاديب من الله المؤمنين وتعليم منه لهم فيما ذكرنا اي في امر الحرب واسباب القتال والمجاهدة مع العدو لانه امرهم بالثبات وامرهم بذكر الله ونهاهم عن التنازع والاختلاف وذلك بعض ما يستعان به في الانتصار على عدوهم وقوله عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قوله بطرا اي كفروا نعم الله كقوله ضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة الاية فعلى ذلك خرجوا من ديارهم كفرا بانعم الله لانهم خرجوا الى قتال محمد وهو من اعظم نعم كفرانا وتكبرا اي خرجوا متكبرين كافرين ورئاء الناس يحتمل مراءاتهم وجهين احدهما مراءاتهم في الدين لانهم قالوا اللهم انصر اهدانا سبيلا واوصلنا رحما واقرانا ضيفا عندهم انهم على حق وان المؤمنين على باطل ويحتمل مراءاتهم في امر الدنيا لانهم كانوا اهل ثروة ومال واهل عدة وقوة خرجوا مرائين للناس وقوله ورئاء الناس لانهم كانوا اهل الشرف عندهم فخرجوا لمراءاة الناس ويصدون عن سبيل الله اي يصدون الناس عن دين الله اخبر عز وجل عن خروج اولئك الكفرة انهم خرجوا لما ذكر فكان فيه امر للمؤمنين بالخروج على ضد ذلك كانه قال اخرجوا على ضد ما خرجوا هم وقوله عز وجل والله بما يعملون محيط اي علمه محيط بهم لا يغيب عنه شيء من مكايدهم وحيلهم والمكر برسول الله

فالدفع

في الدفع عنه والنصر له والثاني محيط بما يعملون يجزيهم ويكافيهم ولا يفوت عنه شيء على الوعيد والله اعلم وقوله عز وجل واذ زين لهم الشيطان اعمالهم قال بعضهم زين لهم الشيطان اعمالهم بالوسوسة وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانما قال لهم هذا ووسوس لهم لما القى اليهم انكم اهل حرم الله وسكان بيته وحفاظه فيقول يدفع عنكم نكبة هؤلاء يعني اصحاب محمد كما دفع عنكم فيما كان من قبل وقوله عز وجل واني جار لكم قيل مجير لكم مغيث فعلى هذا التاويل كان قوله اني جار لكم كانه يخبر عن الله انه يغيثهم كما اغاثهم من قبل في غير مرة وقال بعضهم ان الشيطان تمثل في صورة رجل يقال له سراقة بن مالك بن جعشم فاتاهم فقال لا ترجعوا حتى تستاصلوهم فانكم كثير وعدوكم قليل فيما من غيركم ونحو هذا من الكلام وقال صاحب التاويل الاول لا يحتمل هذا لان اهل مكة كانوا جبابرة واهل قوة وبطش وباس فلا يحتمل ان يصدروا الاراء رجل هو دونهم وهو بالوصف الذي ذكرنا وعلى هذا اهل التاويل انه تمثل به فلا يكون قوله واني جار لكم ما ذكر في بعض القصة ان ابا جهل واصحابه اعتزلوا واستشاروا فيما بينهم فاتاهم ابليس متمثلا بسراقة فامتنعوا عنه واستاخروا فلما راى ذلك منهم فقال اني جار لكم وكان جارا لهم فتاويل هؤلاء اشبه بما ذكر في اخر الاية وقوله عز وجل فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه اي رجع مستاخرا مقبلا وجهه اليهم فقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب اذا عاقب قيل راى جبريل مع الملائكة ينزلون فخاف عنهم فهرب لانه كان يخاف الهلاك قبل يوم المعلوم وقوله عز وجل اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم الذين في قلوبهم مرض هم المشركون غر هؤلاء دينهم وعن الحسن اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين وقال بعض اهل التاويل ان قوما كانوا اسلموا بمكة فاقاموا بها مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج كفار مكة الى بدر خرج هؤلاء معهم فلما عاينوا قلة المؤمنين وضعفهم شكوا في دينهم وارتابوا فقالوا غر هؤلاء دينهم يعنون اصحاب محمد يقول الله فيثق بوعده في النصر ببدر لقولهم غر هؤلاء دينهم فان الله عزيز لا يعجزه شيء وقوله غر هؤلاء دينهم لانه لم يكن معهم عدة ولا اسباب الحرب من السلاح وغيره فلم يكونوا يقاتلون الا لقوة دينهم وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم فان قيل لنا ما الحكمة في ذكر قول المنافقين في القرآن حتى نتلوه في الصلاة قيل ذكره والله اعلم لنعرف نحن عظيم منزلة الدين وخطر قدره في قلوبهم اعني قلوب المؤمنين وذلك انهم بذلوا انفسهم للهلاك لخروجهم لقتال عدوهم مع ضعفهم وقلة عددهم وكثرة اعدائهم وقوتهم رجاء ان يسلم لهم دينهم يذكر لنا لنعرف عظيم محل الدين في قلوبهم ليكون محل الدين في قلوبنا على مثل قدره وفي قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم دلالة اثبات رسالة محمد لانهم انما قالوا ذلك سرا فيما بينهم فاطلع الله رسوله على ذلك ليعلم انه عرف بالله ثم اختلف في قوله والذين في قلوبهم مرض قال بعضهم هم المشركون قال المنافقون والمشركون للمؤمنين غر هؤلاء دينهم وقال بعضهم هم قوم اسلموا وقد كانوا ضعفاء في الاسلام والدين فلما خرجوا الى بدر راوا ضعف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوة اولئك القوم قالوا عند ذلك غر هؤلاء دينهم وقد ذكر في بعض القصة ان قوما كانوا اسلموا بمكة ثم اقاموا مع المشركين ولم يهاجروا الى المدينة فلما خرج كفار مكة الى قتال بدر خرج هؤلاء معهم فلما عاينوا قلة المسلمين شكوا في دينهم وارتابوا فقالوا مع المنافقين غر هؤلاء دينهم يعنون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى ومن يتوكل على الله من المؤمنين فيثق به في النصر ببدر لقولهم غر هؤلاء دينهم وقوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض يحتمل ان يكون هم المنافقون على ما قيل في اية اخرى فان كان على ذلك فيكون على اسقاط الواو وكانه قال يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض الا ان يقال ان المنافقين هم الذين اضمروا الكفر حقيقة والذين في قلوبهم مرض هم الذين لم يضمروا الكفر لكنهم ارتابوا وشكوا واعترض شك وارتياب من بعد اذ راوا تاخر الموعود وقوله عز وجل غر هؤلاء دينهم يخرج على وجهين احدهما قالوا غر الموعود الذي وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتوح لهم والنصر في الدنيا يقولون غر ذلك الموعود الذي كانوا به من الفتوح والنصر الذي وعدهم والثاني يقولون غر هؤلاء الموعود الذي وعدوا في الاخرة من النعيم الدائم والحيوة الدائمة فيكون احدهما ويليق بالموعود في الاخرة وهو بالاسلام يكون والثاني بالموعود في الدنيا وهو الفتح والنصر الذي ذكرناه وقوله غر هؤلاء دينهم لما راوا انهم تركوا اباءهم واولادهم وجميع شهواتهم وبذلوا انفسهم للقتال ليسلم لهم دينهم لذلك قالوا غر هؤلاء دينهم لما لم يكن خروجهم وبذلهم انفسهم لذلك الا اشفاقا وخوفا على دينهم وطلبوا لما بذلوا انفسهم حيوة الابد في الاخرة فقالوا غر هؤلاء دينهم والله اعلم وقوله ومن يتوكل على الله اي اعتمد على الله في حرب بدر على ما ذكر اهل التاويل والنصر فيه وقوله فان الله عزيز لا يعجزه شيء يعز من يشاء بالنصر ويذل من يشاء بالقتل والهزيمة او يتوكل على الله في جميع اموره ويكل اليه اموره والله اعلم وقوله عز وجل عزيز حكيم العزيز في هذا الموضع هو الغالب حكيم مما امر بالقتال وقوله عز وجل ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم قال بعضهم الاية مقابلة قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يقول والله اعلم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا اي تقبض ارواح الذين كفروا كيف يضربون وجوههم وادبارهم كانه قال والله اعلم لو رايت الحال التي تقبض فيها ارواحهم وما ينزل لرايت ان ما عملوا

من صد الناس عن سبيل الله واستكبارهم على المؤمنين وخروجهم لقتال اصحاب رسول الله انما عملوا بانفسهم
لا بالمؤمنين وقوله ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم يحتمل ما ذكر من فعل الملائكة
بهم يوم بدر لان الاية ذكرت في قصة بدر ويحتمل ان يكون ذلك في كل كافر ان الملائكة يفعلون به ما ذكر كقوله
ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت باسطوا ايديهم الاية هذا في كل كافر وقوله يضربون وجوههم
وادبارهم ليس على ارادة حقيقة الوجه والدبر ولكن على ارادة ايصال الالم اليهم بكل ضرب وكل جهة
كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ليس على ارادة التحت والفوق ولكن على ارادة احاطة
العذاب بهم فعلى ذلك الاول وقال بعضهم يضربون وجوههم في اقبالهم المؤمنين وادبارهم في حال ادبارهم
منهم وقوله عز وجل بما قدمت ايديكم ذكر تقديم اليد وان كان الكفر من عمل القلب لما باليد يقدم في العرف وقوله
ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد وفي الاية دلالة الرد على المجبرة لانهم لا يجعلون للعبيد في
افعالهم صنعا يجعلون حقيقة الافعال لله وذكر بما قدمت ايديكم فلو لم يكن لهم صنع لم يكن لقوله بما قدمت
ايديكم معنى وكذلك قوله وان الله ليس بظلام للعبيد فلو لم يكن لهم حقيقة الفعل لكان التعذيب ظلما دل ان
لهم فعلا والله اعلم قوله ليس بظلام للعبيد فيما شرع من القتال والاهلاك والتعذيب في الاخرة لانه مكن لهم
ما يكسبون به من النجاة والحيوة الدائمة فما لحقهم مما ذكر انما كان باكتسابهم واختيارهم وقوله عز وجل كداب
ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله قال بعضهم صنع هؤلاء اي صنع اهل مكة بمحمد كصنيع فرعون وقومه
بموسى في التكذيب والكفر باياته وقال قائلون صنع الله باهل مكة بالعقوبة كصنيعه بفرعون واله ومن سبق من
الامم من الاهلاك والتعذيب وقد فعل باهل مكة يوم بدر لسوء معاملتهم رسول الله كما فعل ذلك بفرعون واله
لسوء معاملتهم موسى وكداب قيل كصنيع وقيل كصنيع وقيل كفعل وقيل كاشباه وقيل كعمل وهو واحد وقوله
عز وجل فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب وقوله شديد العقاب اي لا يضعفه شيء يمنعه عما يريد
وقوله ذلك اي ذلك العذاب والعقاب الذي ذكره بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم قال
قال قائلون النعمة التي انعمها عليهم هم الرسل التي بعثهم اليهم والكتب التي انزلها عليهم لم يك مغيرا لتلك
النعم حتى يغيروا بانفسهم بالتكذيب والرد وترك القبول وهو كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
يتلو عليهم اياتنا الاية وقال قائلون قوله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم اي حتى يصرفوا
شكر نعمه الى غير الله ويعبدون دونه اي لا يغير النعم التي انعمها عليهم حتى يغيروا ما بانفسهم يعبدون غير الله
ويشكرون غير الذي انعم عليهم فعند ذلك غير الله ما بهم من النعمة وكذلك قال ابن عباس نعمة من النعم ان
تولوا عن شكرها غير الله عليهم واخذها منهم والثاني يحتمل النعمة الدنيوية وهو تكذيبهم الرسل وردهم
الكتب بعد ما اقسموا انهم يكونون اهدى من احدى الامم واختيارهم الشرك والكفر على الاسلام والتوحيد
فاذا اختاروا المتغير بذلك غير عليهم وقوله عز وجل ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما
بانفسهم يخرج على وجهين احدهما النعمة الدنيا والاية لا تتغير تلك عليهم الا بتغيير من قبلهم اما بترك
الشرك بها واما بصرفه الى غير الذي انعمها عليهم ولو غيرت عليهم غيرت بتبدل فليس ذلك في الحقيقة تغيير
وان الله سميع عليم قيل اي سميع لشكر من يشكره ويحمده عليم لزيادة النعمة اذا شكر ويحتمل سميع اي مجيب عليم
بمصالحهم ويحتمل لم سميع لما اسروا من القول وجهروا به عليم بما اضمروا من العمل والشرور وقوله عز وجل
كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فان قيل ما فائدة تخصيص ذكر ال فرعون من بينهم
وما الحكمة في تكرار قوله كداب ال فرعون قيل يحتمل ذكر ال فرعون لما كانوا اقرب الى هؤلاء من غيرهم ممن
كان قبلهم الا ترى انه قال انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا وان يذكر
اهل الكتاب منهم لما كانوا ينكرون بعث الرسل من غيرهم ويقولون ان محمدا لم يبعث الا الا متبين مثله فقال
ان موسى لم يكن من القبط فبعث رسولا اليهم فعلى ذلك محمد كان اميا فبعث الى الاميين وغيرهم والله اعلم بذلك
واما فائدة التكرار والله اعلم وهو انه ذكر في الاية الاولى الاخذ بالذنوب والتعذيب ولم يبين ما كان ذلك
العذاب فبين في الاية الاخرى ان ذلك العذاب هو الاهلاك والاستيصال حيث قال فاهلكناهم بذنوبهم
واغرقنا ال فرعون الاية ويحتمل قوله فاخذهم الله بذنوبهم في الاخرة بكفرهم بايات الله في الدنيا ذكر في احد
الايتين العذاب في الاخرة وفي الاية الاخرى الاهلاك في الدنيا ولا تذكر في الاية الاولى الكفر بايات الله ولم
يبين ذلك وذكر في الاية الاخرى التكذيب باياته فتبين ان الكفر باياته هو تكذيبها ثم التكذيب انما يكون في
الاخبار وكذلك التصديق وفيه دلالة ان الايمان هو التصديق لا ترجعل مقابله وضده التكذيب وفيه
ان الايمان ليس هو المعرفة لان مقابله الجهل بالله ليس هو التكذيب لكن بالمعرفة يكون بالتصديق وبالجهل
يكون بالتكذيب وقوله عز وجل ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ذكر ههنا ان شر الدواب
عند الله الذين لا يؤمنون وقال في اية اخرى ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون هم شر دواب
حيث سمعوا الايات والحجج وعقلوها فلم يؤمنوا بها اي لم ينتفعوا بما عقلوا بما وقع في مسامعهم ومما درسوا
كمن لا سمع له ولا لسان نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا بما عقلوا ويحتمل ان يكون في الاخرة هم اي يبعثون يوم القيامة

صما بكما عميا لما لم ينتفعوا في الدنيا بهذه كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما الاية
وقوله ان شر الدواب عند الله اي شر من الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون وهو كما ذكر في اية
اخرى اولئك كالانعام بل هم اضل اخبر ان الذين كفروا بالله وكذبوا باياته اضل من الانعام وقد ذكرنا فائدة قوله
بل هم اضل في موضعه ويحتمل قوله شر الدواب اي شر من يدب على وجه الارض من الممتحنين الذين كفروا فهم
لا يؤمنون ثم يكونون بهذا الوصف اذا ختموا بالكفر ولم يكونوا الايمان ثم اختلف فيه قال بعضهم نزل في بني قريظة
عاهدوا رسول الله ثم اعانوا مشركي مكة على رسول الله بالسلاح وغيره فقاتلهم رسول الله وكانوا يقولون
نسينا واخطانا ثم عاهدهم ثانية فنقضوا العهد فذلك قوله ثم ينقضون عهدهم في كل مرة نقض العهد ولا يتقون
الشرك وقال بعضهم نزل قوله ان شر الدواب الى اخر الاية في المودة والفراعنة من الكفار كانوا عقلوا ما سمعوا
ودرسوا ولكن غيروها فلم يؤمنوا به على هذا حمل اهل التاويل الاية والى ما ذكرنا صرفوا والاصرف
الاية الى اهل النفاق اولى لانهم هم المعروفون بنقض العهد ومرة بعد مرة وقوله عز وجل فاما تثقفنهم في الحرب
قيل تاسرنهم في الحرب وقيل تلقينهم في الحرب وقيل تجدنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قيل نكل بهم من بعدهم
اي اصنع بهم ما ينكلون من خلفهم اي يتعظون وقيل فعظ بهم من خلفهم اي من سواهم الاية نزلت
في قوم علم الله انهم لا يؤمنون وكان عادتهم نقض العهد فامرهم عز وجل رسوله ان ينكل هؤلاء ليكون
ذلك عبرة وزجرا لمن بعدهم ان لم يكن ذلك لهم زجرا فيكون في تنكيل هؤلاء منفعة لغيرهم اذا راى غيرهم
انه فعل بهؤلاء ما ذكر يكون ذلك زجرا لهم عن مثل صنيعهم ولهذا ما قال ولكم في القصاص حيوة من راى انه
يقتل به امتنع عن قتل اخر فيكون في ذلك حيوة الخلق وكذلك ما جعل الله من القتال مع العدو ونصب
الحرب فيما بينهم رحمة لان في الطباع التنافر عن القتل فاذا راى انه يقتل بتركه الاسلام اجاب الى ذلك
اشفاقا على نفسه وخوفا على تلف مهجته فيكون في القتال رحمة وكذلك جميع ما جعل الله فيما بين الخلق من
العقوبات في الانفس وما دون النفس جعلها زواجر وموانع عن المعاودة الى مثله فعلى ذلك قوله فشرد بهم
من خلفهم عظة وزجرا لمن بعدهم لعلهم يذكرون لكي يذكرون النكال فلا ينقضوا العهد وكذلك
كل مرغوب في الدنيا ومرهوب جعل دواعي وزواجر الموعود في الاخرة وجعل كل لذة وشهوة في الدنيا
داعيا لما وعد في الاخرة وكل كربة وقبح زاجرا له من الموعود في الاخرة في النار على هذا انباء امر الدنيا
والتشريد قال ابو عبيدة معناه من التفرق اي فرق بهم وقال القتبي قوله فشرد بهم من خلفهم اي افعل
بهم فعلا من العقوبة والتنكيل يتفرق به من وراءهم من الاعداء قال ويقال وشرد بهم سمع بهم بلغة قريش
وقيل نكلهم اي اجعلهم عظة لمن وراءهم وعبرة وهو ما ذكرنا وقال ابو عوسجة التنكيل التخويف والرد بما
يكره والنكال العذاب وقال غيره له فشرد بهم من خلفهم بما صنع هؤلاء وقال ابو عبيد التشريد في
كلامهم التبديد والتفريق وبعضه قريب من بعض قال ابو عوسجة قوله فشرد بهم اي نكل بهم حتى يخاف
من خلفهم والتشريد الطريد والتشريد ايضا القليل وقوله عز وجل واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على
سواء اي لا تفعل بهم مثل ما فعلوا من الخيانة فتكون انت وهم في الخيانة سواء لانه عندهم انكم معاهدون
على عهد بعد عهد ولكن انبذ اليهم ثم ناصب فيما بينهم الحرب وقال بعضهم هو على حقيقة الخوف يقول
اذا خفت منهم النقض والخيانة فانبذ لهم اي الق اليهم نقضك لتكون انت وهم في العلم بالنقض سواء
قال ابو عبيدة قوله فانبذ اليهم على سواء اي اظهر لهم انك عدو وانك مناصبهم حتى يعلموا ذلك فيصير
على ذلك سواء وقال بعضهم سواء اي على مرتين قال ابو عبيد قال غير واحد من اهل العلم فانبذ اليهم على سواء
اي صر اليهم وقد علموا بك وعلمت بهم وبعضهم قريب من بعض وحاصل لنا وبلغوا لنا وبلغنا الذين ذكرناهما
والله اعلم واصل العهد ما ذكر عز وجل في اية اخرى وهو قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوا
شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم امر عز وجل باتمام العهد الى المدة اذا لم ينقضوا
شيئا ولم يخونوا ولم يظاهروا علينا احدا منهم فاذا فعلوا شيئا من ذلك فلنا ان ننقض العهد الذي كان بيننا
وبينهم وكذلك ابتداء العهد بيننا وبينهم اذا سالونا ليس للامام ان يعطي لهم العهد اذا لم يكن في العهد منفعة
للمسلمين منفعة ظاهرة وخيرا لهم فعلى ذلك ما دام يرجو في العهد منفعة للمسلمين وخيرا لهم مراعاة ذلك
العهد وحفظه فاذا خاف منهم او اطلع على خيانة منهم فله نقضه والله اعلم ثم اذا كان تلك الخيانة
من جملتهم او ممن له منفعة فله ان يناصب معهم الحرب وان لم ينبذ اليهم واذا كان ذلك من بعض على سبيل
التلصص والسرقة فليس له ان يحاربهم الا بعد النبذ اليهم وقوله عز وجل ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا
انهم لا يعجزون قال بعضهم لا تحسبن الذين نجوا وتخلصوا منك باحد من المشركين اي لا ظفرك بهم في غيره
من الحروب والمغازي وانهم يقولون ويعجزون الله عن ذلك وقال بعضهم لا تحسبن الذين كفروا انهم
يعجزون ويفوتون عن نقمة الله وعذابه وقرا بعضهم بنصب الالف انهم لا يعجزون فمن قرا بالنصب
طرح لا وجعلها صلة وقال تحسبن انهم يعجزون واما قراءة العامة فهي بالخفض انهم فهو بالابتداء
فقال انهم لا يعجزون وقيل المعجزين السابقين ما استطعتم من قوة قال بعضهم واعدوا لهم ما استطعتم من

قوة ولا تخرجوا الى الحروب من المغازى كما خرجتم الى بدر بلا سلاح ولا قوة لانه اراد ان يجعل حرب بدر اية
ليميز بين الحق والمبطل وبين الحق والباطل لذلك امركم بالخروج اليه بلا سلاح ولا عدة واما غيرها من الحروب
والمغازى فلا تخرجوا اليها الا مستعدين لها وبعد فانهم انما تركوا الاستعداد طاعة لربهم وفي الاشتغال بالاستعداد
ترك الطاعة له وامر عز وجل بالاعتداد لهم ما استطاعوا من الاسباب لما ان ذلك ارهب للعدو ومن ترك الاستعداد
وان كان عز وجل قادرا ان ينصرهم على عدوهم بلا سبب يجعلها لا نفسهم وهو كقوله لانتم اشد رهبة في صدورهم
من الله فامر الله بالاسباب في الحروب وان كان قادرا على نصرا وليا ئه على عدوه بلا سبب لكنه امر بالاسباب
لما ان جميع امور الدنيا جعلها بالاسباب من نحو الموت والحيوة وجميع الاشياء وان كان يقدر على ابقاء الانسان
والخلائق جميعا بلا غذاء يجعل لهم والموت بلا مرض ولا سبب ولكن فضل بما ذكرنا ثم اختلف في قوله
من قوة قال بعضهم القوة الرمي وعلى ذلك رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واعدوا لهم ما استطعتم من
قوة فقال الا ان القوة الرمي قال ذلك ثلثا ويحتمل قوله ما استطعتم من قوة ما تقوون به الحروب لا ما تقوون به
وقال بعضهم القوة السلاح وقال غيره الخيل وامكن ان يكون جميع الاسباب الحرب وفيه دلالة ان القوة التي هي
اسباب الفعل يجوز ان يتقدم ويكون قوله لو استطعنا لخرجنا معكم اراد استطاعة الاسباب لا استطاعة
الفعل والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم امر برباط الخيل والاعداد للحرب
رهبة للعدو وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم ترهبون برباط الخيل
المشركين وقال وآخرين من دونهم اليهود والنصارى وهؤلاء الذين كانوا فيما بينهم يرهب هؤلاء ايضا وقال
بعضهم واخرين من دونهم الذين كانوا فيما بينهم لا يعرفونهم كانوا طلايع للمشركين وعيونا لهم يخبرونهم عن
حال المؤمنين يرهب هؤلاء ايضا وقال اخرون قوله واخرين من دونهم هم الشياطين ورووا على ذلك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشياطين وقال لن يخبل الشياطين انسانا في داره فرس عتيق ويحتمل ان يكون
قوله وآخرين من دونهم هم الاعداء الذين يكونون من بعد الى يوم القيامة لا تعلمونهم الله يعلمهم فان كان
ذلك ففيه دلالة بقاء الجهاد الى يوم القيامة وقال بعضهم واخرين من دونهم هم الشياطين لا تعلمونهم الله يعلمهم
وهو كقوله انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فان قيل اي رهبة تقع للشياطين فيما ذكر من رباط الخيل
والسلاح الذي ذكر قيل يكون لهم رهبة في قمع اوليائهم او يكون الاولياءهم رهبة نسب ذلك اليهم وذلك كثير
في القرآن وقوله عدو الله وعدوكم سمى عدو الله وعدوكم سمى عدو الله وعدو المؤمنين ليعلم من اعتقد عداوة
الله صار عدو المؤمنين ومن اعتقد ولاية الله صار وليا للمؤمنين ومن كان وليا للمؤمنين يكون وليا لله **وقوله**
عز وجل وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اخبر ان ما انفقوا في سبيل الله يوف عليهم ذلك اما الخلف في الدنيا
كقوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه واما في الآخرة الثواب وانتم لا تظلمون يحتمل وجهين يحتمل وانتم لا تظلمون
فيما يأمركم بالجهاد في سبيل الله واتخاذ العدة والانفاق فيها اذ انفسكم واموالكم لله له ان يأخذها منكم والثاني
وانتم لا تظلمون في الثواب في الآخرة اي يعطيكم الثواب في الآخرة او الخلف في الدنيا والله اعلم **وقوله** وان جنحوا للسلم
فاجنح لها قرئ بالنصب للسلم وقرئ بالخفض للسلم وقال اهل اللغة من قرئ بالنصب للسلم حمل على المصالحة والموادعة
ومن قراء بالخفض للسلم حمل ذلك في الاسلام ورويا وبه والله اعلم اي اذا خضعوا للصلح وطلبوا منك فاجنح لهم
اي مل اليهم ولا يمنعك من الصلح معهم ما كان منهم من نقض العهد على ما ذكر في قوله الذين عاهدت منهم ثم
ينقضون عهدهم في كل مرة يقول لا يمتنع عن الصلح اذا طلبوا ذلك ما كان منهم من النقض ونكث العهود وتوكل
على الله ولا تخف خيانتهم ونقضهم العهد فان الله يطلعك ويكفيك على ذلك ومنهم من قال قوله وان جنحوا للسلم
اي اذا خضعوا وتواضعوا للاسلام فاقبل منهم واخضع لهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين امر بخفض
الجناح لهم وكقول ابي بكر ذكرها هنا انهم اذ اطلبوا الصلح منا ان نعطيهم واذا لم يطلبوا منا ذلك لا يحل لنا ان نطلب
منهم الصلح الا ان نضطر الى ذلك وهو ما ذكر في اية اخرى حيث فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون نهانا
ان ندعوهم الى الصلح ولنا قوة وعدة للقتال معهم واما اذا كانوا طلبوا منا ذلك اولا فنجابون الى ذلك ويحتمل
ما ذكرنا اي لا يمنعك لما كان منهم من نقض العهد وقوله فاجنح لها يحتمل ذكره بالتانيث اي للمسالمة والمصالحة
وقال بعضهم السلم هو مؤنث كقول القائل السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع **قوله**
فان قيل ما المعنى في قول من قال بالاسلام بقوله فاجنح لها وهو كان يدعو الى الاسلام وهو لا شك انه كان يقبل
منهم الاسلام قيل يحتمل ان يكون الامر بالقبول امر بترك المؤاخذة ما كان منهم في حال نقض العهد لان من قولنا
ان ما اصابوا في حال العهد من الجراحات والاخذ يتبعون بها ويؤاخذون اذا اسلموا واذا نقضوا العهد ثم اصابوا
شيئا من ذلك ثم اسلموا لم يؤاخذوا بذلك فيحتمل ان يقول لهم فاجنح لها ولا تؤاخذهم بما كان منهم في حال نقض
العهد وقال الحسن هذا منسوخ نسخها قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقال بعضهم نسخها قوله فاقتلوا
المشركين الاية وقال بعضهم نسخها قوله فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والوجه فيه ما ذكرنا ان الامام
اذا راى الصلح والموادعة نظرا للمسلمين اجابهم الى ذلك وصالحهم واذا طلبوا منه الصلح وبالمسلمين قوة القتال
والحرب معهم لم يجبهم الى ذلك وما ذكر هؤلاء من نسخه فذلك لا نعرفه والله اعلم **وقوله** عز وجل وان يريدوا

ان يخدعوك في الصلح ويخونوك فان حسبك الله اي امكنك الله منهم كقوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله
من قبل وان كان قوله فاجنح لها في الاسلام فيكون قوله فان حسبك الله اي يطلعك الله على ما في قلوبهم من النفاق
اي وان تخفت منهم انهم يظهرون لك الاسلام في الظاهر ويكونون في السر على ما كانوا من قبل فلا يمنعك ذلك
عن قبول الاسلام منهم فان الله يطلعك ذلك ويكفيك على ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين يحتمل قوله وبالمؤمنين بالملائكة الذين انزلهم معونة للمؤمنين يوم بدر ويحتمل بالمؤمنين
المؤمنين الذين كانوا معه فاخبر انه يؤيده بنصره وبنصر المؤمنين وكان النصر له بالله في الحقيقة فقوله
وما النصر الا من عند الله النصر من الله يكون مرة بالاسباب بالمؤمنين وبغير ذلك من الاشياء ومرة باللطف
منه بلا سبب **وقوله** عز وجل والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم قال بعضهم
الف بين قلوبهم بالدين الذي اجتمعوا عليه كقوله اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم
على شفا حفرة من النار اخبر انهم كانوا اعداء ما داموا في الكفر فلما اسلموا صاروا اخوانا ولكن عندنا الاسلام
يوجب التاليف والاجتماع بينها ولكن يجوز ان لا يوجد التاليف وان وجد ليعلم ان الله هو الذي
يولف بينهم بلطفه وفضله بقوله ولكن الله الف بينهم وقد يجوز ان يكون ما ذكر من تاليف القلوب
يكون مرة بالدين ومرة باللطف من الله فاذا كان الخلاف والعداوة بينهم بسبب الدين فانه اذا وجد الوفاق
ارتفع الخلاف والعداوة واذا كان للاطماع فهو يرتفع باللطف من الله انه عزيز حكيم عزيز لا يعجزه
شيء حكيم في امره وحكمه **وقوله** عز وجل يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال بعضهم
حسبك الله وحسبك من اتبعك من المؤمنين اي كفاك الله في العون والنصر له وكفاك المؤمنين ايضا فيما
ذكرنا وقال بعضهم حسبك الله نصر الله وحسبك نصر المؤمنين وهو على ما ذكر هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين
والاول اشبه والله اعلم **وقوله** عز وجل يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال التحريض على القتال يكون بوجهين
احدهما ان يعدهم من المنافع في الدنيا ويطمعهم ذلك من نحو ما جاء من التنفيل ان من فعل كذا فله كذا او يعد
لهم المنافع في الآخرة كقوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية وما ذكر من الثواب في الآخرة بالنفقة التي
ينفقونها في سبيل الله قوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الاية فيما ذكرنا فيه وعد المنافع لهم
في الدنيا والآخرة ووعد النصر لهم والثاني يكون التحريض بالحق اولئك ونكبة تنزل اليهم كقوله الا تقاتلون
قوما نكثوا ايمانهم الى قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم
مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء جمع الله عز وجل في هذه الاية جميع انواع الخير الذي
يكون في القتال مع العدو من وعد النصر للمؤمنين عليهم وادخال السرور في صدورهم ونفي الحزن عنهم ونعت
اولئك بايديهم وفيه اغراء على العدو ويقول الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول فذلك
كله يحرض على القتال ويرغبهم في الحرب مع العدو والله اعلم **وقوله** عز وجل ان يكون منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا الاية اختلف في معنى هذا قال بعضهم قوله
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا على الامر كانه قال ليكن منكم عشرون صابرون يغلبوا كذا امر
العشرة القيام لمائة وقال دليله انه على الامر قوله الان خفف الله عنكم ولو لم يكن على الامر والعزيمة
لم يكن لذكر التخفيف معنى وقال اخرون هو على الوعيد انهم اذا صبروا وثبتوا العدو وهم غلبوا عدوهم
على ما اخبر كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ليس على الامر لانه قال ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين اخبر انهم اذا صبروا غلبوهم وهو كذلك والله اعلم اذ ظاهره وعد وخبر والا
اشبه ان يكون على الامر ليس على الخبر على ما ذكرنا من قوله الان خفف الله عنكم **وقوله** عز وجل بانهم قوم
لا يفقهون ما لهم وما عليهم **وقوله** عز وجل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان قيل ما معنى قوله وعلم
ان فيكم ضعفا وقد كان يعلم ان فيهم ضعف وقت ما امر العشرة القيام لمائة والعشرين لمائتين قيل امر بذلك
مع علمه ان فيهم ضعفا وان كان في ذلك اهلاك انفسهم وذلك منه عدل اذ له الانفس ان شاء اتلفها
بالموت وان شاء بالقتل بقتل العدو والتخفيف منه رحمة وفضل امر الواحد القيام لعشرة على علم منه
بالضعف ابتداء امتحان منه وله ان يمتحن عباده بما فيه وسعهم وبما لا وسع لهم فيه وفي الحكمة ذلك
اذ له الانفس له ان يتلفها كيف شاء بما شاء وهو ما ذكر قوله ولو انا كتبنا عليهم ولو لم يكن له في الحكمة ذلك
لا يحتمل ان يكتب ذلك عليهم والثاني يعلم فيهم الضعف كائنا شاهدا كما علم انه يكون وهو ما ذكرنا في قوله
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين اي يعلم مجاهدا كما علم انه يجاهد فعلى ذلك هذا ثم ذكر العشرة والعشرين
يحتمل على التحديد ويحتمل لا على التحديد الا ترى انه ذكر في الناسخ عددا غير العدد الذي في المنسوخ لان في المنسوخ
ذكر العشرين لمائتين وفي الناسخ ذكر الالف لا لغير بقوله وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فان كان
لا على التحديد فيلزم الواحد القيام لاثنين وفي الاول الواحد لعشرة وعلى ذلك روي عن عمر رضي الله عنه
قال اذا لقي الرجل رجلين من الكفار فاستاسر فلا فداء له علينا فاذا لقي ثلاثة فاسر فعلينا فداؤه ولم يجعل
للواحد الفرار من اثنين حيث لم يوجب عليه الفداء وقد جعل له الفرار من ثلاثة حيث جعل عليه الفداء

وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ذلك ويحتمل على التحديد اذا كان العدد الذي ذكر لم يسع الفرار و يلزمهم القيام لهم واذا كان دون ذلك لم يلزم وكذلك قال الحسن امر ان يصبر عشرون لمائتين ان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر الرجل لعشرة لا لغير ان فروا منهم لم يعذروا قال ثم انزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فامر ان يصبر مائة لمائتين وان فروا منهم لم يعذروا وان يصبر الالف لالفين ان فروا منهم لم يعذروا فان كان على التحديد فهو ما يقولون انهم لم يكونوا منعة فانه يسعهم ان لا يقاتلوا وقوله عز وجل فان يكن منكم مائة صابرة قال بعضهم الصبر هو حبس النفس على ما امر الله وكفها عن جميع شهواتها ولذاتها فاذا فعل ذلك غلب على العدو وقهره وقال بعضهم الصبر هو ان يوطن نفسه في القتال مع العدو ويحبسها في ذلك والشكر قيل هو ان يبذل نفسه نفسه وما يجود به الله لا يجعل لغيره فيكون الشكر والصبر في الحاصل سواء وان كانا في العبارة مختلفين لان الشكر هو بذل النفس وما هو له والصبر هو الكف والاحتباس على جميع ما امر الله واداء ما افترض الله عليه فاذا حبسها عن غيره يكون باذلا ولهذا سمى الصبر ايمانا بقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات ذكر الصبر ههنا مكان ما ذكر في غيره الايمان بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله عز وجل والله مع الصابرين في النصر لهم على عدوهم والغلبة عليهم وقوله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض قال ابو بكر الاصم عاتب الله رسوله واصحابه في اخذ الاسارى بقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض وبالغ في العتاب في اخذ الفداء من الاسارى بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما استشار اصحابه في الاسارى اشار ابو بكر الى اخذ الفداء وعمر الى القتل فقال لو نزل من السماء عذاب ما نجا الا عمر لما نبههم بالاخذ اخذ الاسارى واشد العتاب في اخذ الفداء وامر بالقتل وضرب الرقاب بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان انما امر بضرب البنان وكذلك يخرج قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم على العتاب الى هذا يذهب ابو بكر الاصم وعن ابن عباس قال لم يكن الانبياء صلوات الله عليهم فيما مضى يكون لهم اسارى حتى يثخنوا في الارض وعن سعيد بن جبير قال لا يفادى اسارى المشركين ولا يمن عليهم حتى يثخنوا بالقتل ثم تلا حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق الى هذا ذهب هؤلاء وقوله ما كان لنبي ان تكون له اسرى يخرج تاويل الاية على وجهين احدهما يقول ما كان لنبي ان ياخذ من الاسرى الفداء حتى يثخن في الارض اي يغلب حتى اذا اخذ الفداء وسرحهم بعد ما غلب في الارض يكون رجوعهم الى غير منعة وشوكة واذا لم يغلب في الارض او حتى يصير الدين كله لله كقوله قاتلوهم حتى لا تكون فتنة الاية هذا كان لمن قبله فرخص لرسوله ذلك وقيل في قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم بوجوه احدها ما قال ابو بكر الاصم تاويله لولا كتاب من الله سبق ان لا يعذب المخطئين في عملهم على خلاف امره والا لمسكم العذاب فيما اخذتم من الاسارى والفداء منهم عذاب عظيم وقال اخرون قوله لولا كتاب من الله ان احل الغنائم لهذه الامة والا لمسكم العذاب فيما اخذتم واستحللتم عذاب عظيم وقال بعضهم لولا كتاب من الله سبق انهم يتوبون عما عملوا من الاخذ وغيره وانه يتوب عليهم والا لمسكم العذاب التاويل في هذا غير هذا كان في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان دلالة اباحة الامر ورخصته لانه قال فاضربوا فوق الاعناق هو الابانة من المفصل الذي يبان به الرؤوس وذلك قلما يمكن في القتال ولا يقدر ابانة الرؤوس في الحرب انما يمكن ذلك بعد ما اخذوا ودفعوا في ايديهم واما ما ذكر من ضرب البنان فهو في الحرب لانه في الحرب انما يضرب فيما ظفر ووجد السبيل الى ذلك ففيه دلالة وتاويل قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم الاية يحتمل ان يكون ملحقا على ما سبق من قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق الاية اي لولا كتاب من الله سبق اي لولا من حكم الله ان يجعل لكم الظفر على احدى الطائفتين والا لمسكم العذاب بجدالكم رسول الله ومخالفتكم اياه في الخروج وارادتكم العير او ان يقال لولا من حكم الله ان لا يعذب احدا ولا يؤاخذه في الخطأ في العمل بالاجتهاد والا لمسكم كذا ويكون قوله اخذتم اي علمتم ثم قالت المعتزلة في قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة دلالة على ان الله لا يريد ما اراد العباد اذا ارادوا المعاصي لانه اخبر انهم ارادوا عرض الدنيا وهو يريد الاخرة فهم ارادوا المعصية وهو يريد لهم الاخرة ولكن التاويل عندنا ان قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة اي تريدون عرض الدنيا والله يريد حيوة الاخرة وعرضها وبعد فانه قد كان الله اراد لهم الاخرة وحيوتها وهم ارادوا العير وعرض الدنيا وقد كان ما اراد الله لهم لا ما ارادوا هم اي اختار لهم غير ما اختاروا هم واصله ان الله عز وجل اراد الاخرة لاهل بدر فكان ما اراد واراد لاولئك الكفرة النار فكان ما اراد كقوله يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة والاشبه ان تكون الارادة ههنا المودة والمحبة اي تودون وتحبون عرض الدنيا والله يريد الاخرة وهو ما ذكر في اية اخرى حيث قال واذ يعدكم الله تعالى احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم كانوا يودون ان القتال مع غير ذات الشوكة حتى يكون لهم الغنائم والارادة التي تضاف الى الله تخرج على وجوه ثلاثة احدها الرضا كقوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا كانوا يستدلون بتركه اياهم وهم على ان الله قد رضي بصنيعهم والثاني الارادة الامر كقوله

واذا فعلوا

واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها والثالث الارادة هي صفة فعل كل فاعل يخرج فعله على غير سهو وغفلة ولا طبع بل يخرج على الاختيار وقال بعض اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار في الاسارى يوم بدر اصحابه فقال لابي بكر يا ابا بكر ما تقولون فيه فقال يا رسول الله قومك واهلك فاستبقهم واستانهم لعل الله يتوب عليهم وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم فاضرب اعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه واضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله فلم يجبهم شيئا ثم قام فدخل فقال ناس يقول ابو بكر وقال ناس يقول يقول عمر وقال ناس يقول يقول عبد الله ثم خرج عليهم رسول الله فقال ان الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر كمثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني وان مثلك يا ابا بكر كمثل عيسى حيث قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان مثلك يا عمر كمثل موسى حيث قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وقال يا عمر وان مثلك كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولا يفلتن احد منكم الا بفداء او ضربة عنق قال عبد الله الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله فما رايتني في يوم اخوف مني ان يقع علي حجارة في ذلك اليوم حتى قال رسول الله الا سهيل بن بيضاء فانزل الله ما كان لنبي ان يكون له اسرى الى اخر ما ذكر ثم يحتمل قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض قبلكم واما انتم فقد احلت لكم الاسارى والغنيمة ويدل ايضا ما روي من الاخبار والايات على انه اذا اثخن في الارض جاز له الاسر لانه لو لم يجز ذلك كان لا يجوز قبل الاثخان في الارض زالت فائدة الخصوص وقد بين الله ذلك بقوله حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ثم اختلف اهل العلم في فداء الاسارى بالمال قال ابن عباس رضي الله عنه قال ذلك يوم بدر والمسلمون قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله تعالى بعد هذا في الاسارى فاما منا بعد واما فداء فجعل النبي والمؤمنون بالخيار ان شاؤوا فدوهم وعن الحسن قال يصنع به ما صنع رسول الله بالاسارى يمن عليه او يفادى وقال غيرهم بخلاف ذلك وقال اصحابنا ان احتاج الامام الى مال فاداهم وقد دل ما ذكرنا من الايات والاخبار على جواز الفداء بعد الاثخان فيهم فان لم يكن الى المال محتاجا فله قتلهم لان ذلك انكا في العدو واشد رهبتهم من المؤمنين وقال فله ان يسترقهم فهو كما قالوا الا اذا كان الاسير من اهل الكتاب ومن العجم فاما عرب عبدة الاوثان فلا يسترقون لانا لا نعلم احدا منهم استرقه النبي لما اسره ولم يبلغنا ان ابا بكر استرق واحدا من اهل الردة وكيف يجوز استرقاقهم وقد قال الله تعالى تقاتلونهم او يسلمون واما الفداء والقتل فقد ظهر من فعل رسول الله في اسارى بدر وفيما روي من الاستشارة استشارة النبي اصحابه في الاسارى دلالة العمل بالاجتهاد وما روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر يا ابا بكر ويا عمر ان ربي يوحي الي ان اشاوركما ولولا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما عملت بخلاف رايكما فيه انه لا يجوز لاحد ان يخالفهما ورسول الله يقول لولا انكما تختلفان ما عصيتكما او ما عملت بخلاف رايكما ثم ما اخذ من الاسارى من الفداء لا يدرى على اي وجه اخذ على الترك والرد الى اوطانهم من غير ان تركهم بالجزية اذ من قولهم ان لا يجوز اخذ الجزية منهم والترك على ذلك وفي الاية دلالة ذلك وهو قوله تقاتلونهم او يسلمون وفي الخبر لا يجتمع دينان في جزيرة العرب الا ان يقال ان المفاداة التي ذكر كان هذا وهذا كان بعده والله اعلم وقوله عز وجل فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا قال بعضهم قوله حلالا طيبا واحد كل حلال طيب وكل حرام خبيث وانما يطيب اذا حل ويخبث اذا حرم ولكن يحتمل قوله حلالا طيبا بالشرع طيبا في الطبع وكذلك الحرام هو حرام بالشرع وخبيث بالطبع وانما يتكلم بالحل والحرمة من جهة الشرع والطيب والخبيث بالطبع والطيب هو الذي يتلذذ به ولا تبعة فيه لان خوف التبعة ينغص عليه ويذهب بطيبه ولذته وجائز ما ذكر من الطيب ههنا لما ان اهل الشرك كانوا ياخذون الاموال ويجمعونها من وجه لا يحل وباسباب فاسدة فيكرهون التناول منها اذا غنموا لتلك الاسباب الفاسدة فطيب قلوبهم بقوله طيبا وفيه دليل جواز التقلب في البيع الفاسد وطيب التناول منه وان كان مكتسبا باسباب فاسدة بعد ان يكون باذن فعلى ذلك الا وقد يحتمل ما ذكرنا وفيه دلالة ان اهل الكفر لا يؤاخذون بالافعال التي كانت لهم في الكفر ولا ما كانوا تركوا من العبادات لما ثبت عليهم انما يؤاخذون بالاعتقاد وقوله واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه فلا تعصوه ان الله غفور رحيم لمن تاب ورجع عما فعل وقوله عز وجل يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم قال عامة اهل التاويل ان الاية نزلت في العباس بن عبد المطلب واصحابه وكذلك يقول ابن عباس قالوا للنبي امنا بما جئت به ونشهد انك رسول الله فنزل ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي ان يعلم الله اعتقاد الايمان والتصديق له في قلوبكم يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي ايمانا وتصديقا فيخلف عليكم خيرا مما اصيب عليكم لكنها فيه وفي غيره من فعل مثل فعله فهو في ذلك سواء يكون من الموعود الذي ذكر ما يكون له وقوله ان يعلم الله في قلوبكم خيرا وهو الايمان الذي علم انهم اعتقدوا في قلوبهم وقوله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم اي اتاكم خيرا وهو الايمان

مما اخذ منكم من المال الذي ذكر في القصة ويجوز يفعل مكان فعل كقوله اذ يقول المنافقون اي قال المنافقون
وذلك كثير في القران فعلى ذلك قوله يؤتكم خيرا اي اتاكم خيرا ويحتمل قوله يؤتكم ايضا اي يثيبكم ويعطيكم افضل مما
اخذ منكم في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل ويغفر لكم والله غفور لما كان في الشرك كقوله فان انتهوا فان الله هو
غفور للذنوب وذو تجاوز ورحيم برحمتهم في الاسلام ويحتمل قوله يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء او ما اخذ
منهم بمكة اخبر الله يؤتهم خيرا من ذلك في الدنيا من الاموال وغيرها والاثخان قال ابن عباس القتل قال ابو معاذ
يثخنون اي يذللوا المثخن الذليل قال ابو عوسجة حتى يثخن في الارض اي يثخن في اهل الارض بكثرة القتل والجراحات يقال
اثخنت في العدو اذا كثرت فيهم القتل والجراحات ويقال ضربه حتى اثخنه اي ضربه حتى لا يقدر على القيام وهو ما
ذكر محمد في بعض مسائله انه اذا رمى صيدا بسهم فاصابه حتى اثخنه ثم رمى اخر بسهم فاصابه فاتلفه للاول لما انه
صيره بالاثخان خارجا من ان يكون صيدا وهو الضرب الذي وصفنا ويحتمل يثخن ثخانة فهو ثخين ويثخن ثخونة
واحدا اي غلظ وقوله عز وجل وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم يحتمل ان يكون الاية صلة ما سبق
من الايات وهو قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة الاية وقوله وان يريدوا ان
يخدعوك فان حسبك الله الاية وغير ذلك واما تخافن من قوم خيانة ونحوه فقال وان يريدوا خيانتك
في نقض العهد وغير ذلك من الامانات فقد خانوا الله من قبل فيما عهدوا ان يوفوا ذلك في قولهم لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين فقد انجاهم الله عن ذلك فلم يكونوا من الشاكرين وكقوله ومنهم من عاهد الله
لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم الله ذلك فلم يفوا ما عهد واو غير ذلك من العهود
التي عهدوا والامانات التي اوتمنوا فيها فخانوا الله في ذلك او ما عهد اليهم في امر محمد واظهار نعته وصفته
في كتبهم فكتموا ذلك وحرفوه واظهروا اخلاف نعته وصفته فذلك منهم خيانة فيقول انهم قد خانوا
الله من قبل فامكن الله منهم فاذا خانوك يمكنك منهم ايضا وقوله فامكن منهم اي انتقم منهم جزاء
جزاء خيانتهم وقال امكنك حتى انتقمت منهم وقوله وان يريدوا خيانتك ليس على الارادة ولكن على
وقوع فعل الخيانة كانه قال وان خانوك فقد خانوا الله من قبل لكنه ذكر الارادة لما هي صفة كل فاعل
مختار لما لا يكون الافعال الا بارادة وقوله والله عليم بما يسرون ويضمرون من الخيانة ونقض العهود
حكيم في امره وحكمه حيث امكنك منهم وقال بعضهم في قوله وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل
اي خانوك بعد اسلامهم بالكفر بك فقد خانوا الله من قبل اي فقد كفروا بالله قبل هذا يقول ان خانوك
امكنك منهم فقتلتهم واسرتهم كما فعلت بهم ببدر والله عليم بخلقه حكيم في امره وقوله عز وجل ان الذين
امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله قوله امنوا اي صدقوا ايات الله وحججه او
اوصدقوا رسوله في جميع ما جاء به كانه مقابل قوله كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات ربهم ذكر
ههنا التصديق بمكان التكذيب في ذلك وقوله وجاهدوا في اظهار دين الله ونصره باموالهم وانفسهم
اي بذلوا ذلك والذين اووا اي ضموا النبي ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض قال ابن عباس وعامة اهل
التاويل الولاية التي ذكرت في الاية في التوارث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام الذين
امنوا ولم يهاجروا الى المدينة وكذلك قالوا في قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء يعني
الميراث وروي عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والانصار بعضهم اولياء
بعض في الدنيا والاخرة والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم اولياء بعض في الدنيا والاخرة وعن
جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كذلك وعن المسعودي عن القاسم قال اخى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه فاخى بين عبد الله بن مسعود والزبير بن العوام اخوة يتوارثون
بها لانهم هاجروا وتركوا قراباتهم حتى انزل الله اية المواريث وعن ابن عباس في قوله والذين عاقدت
ايمانكم فاتوهم نصيبهم قال كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الانصار دون رحمه بالاخوة التي
اخى النبي بينهم فلما نزل قوله ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون نسختها والذين عاقدت
ايمانكم فاتوهم نصيبهم من النصر والنصيحة والرفادة ويوصى له ولا ميراث وعن الحسن في قوله تعالى
واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فكان المسلمون يتوارثون بالهجرة فكان الاعرابي لا يرثه
الاعرابي فحرضهم بذلك على الهجرة حتى كثر المسلمون فانزل الله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض الاية
فورث الاعرابي المهاجر وتوارثوا بالارحام الى هذا يذهب عامة اهل التاويل وكانوا يرون ان الهجرة
كانت مفترضة فزال فرضها بقول النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وعن عائشة
رضي الله عنها قالت انقطعت الهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فانما كانت الهجرة الى الله ورسوله والمؤمنون
يفرون بدينهم من ان يفتنوا عنه وقد افشى الله الاسلام هذا الذي ذهب هؤلاء في قول بعضهم اولياء
بعض في التوارث محتمل ويحتمل غير هذا وهو ان قوله ان الذين امنوا وهاجروا الى قوله والذين اووا ونصروا اولئك
بعضهم اولياء بعضهم اولياء بعض اي بعضهم اولياء بعض في تمام الولاية في التناصر والتعاون والحقوق
والديانة فهم اولى بعضهم ببعض من الذين امنوا ولم يهاجروا لانهم امنوا وهاجروا اي تركوا منازلهم واهلهم ١

وقراباتهم

وقراباتهم وبلدهم الذي كانوا فيه مقيمين اشفاقا على دينهم واستسلاما لهم ولانفسهم والانصار اووهم
وانزلوهم في منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم وتحملوا جميع مؤنهم من غير ان كان سبق منهم اليهم
شيء فصار والهم اعوانا وانصارا فصار بعضهم اولياء بعض في تمام ما ذكرنا من الولاية والذين امنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي ما لكم من ولايتهم اي من تمام ما ذكرنا من الولاية لهم
ولاية الدين والحبهم ولاية التناصر والتعاون والحقوق والمنافع التي تكتسب بالدين وفي قوله والذين
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء دلالة نقض قول المعتزلة لانه سماهم وعادا يتعلق الذين لم يهاجروا
اسم الايمان وكانت الهجرة عليهم مفترضة وفي تركهم الهجرة مرتكبين كبيرة فدل ان صاحب الكبيرة لا يزول عنه
اسم الايمان وقوله عز وجل واولو الارحام بعضهم اولى ببعض اي واولو الارحام اذا امنوا وهاجروا بعضهم
اولى ببعض من غيرهم لانهم اذا امنوا وهاجروا ولهم قرابة سابقة ورحم متقدم كانوا هم اولى من غيرهم
الذي لا قرابة بينهم ولا رحم اذا اجتمع فيهم الرحم والنصر والديانة والحقوق اجتمع فيه اشياء اربعة
وفي اولئك ثلاثة فهم اولى بهم من غيرهم هذا على التاويل ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وان استنصروكم
في الدين يعني الذين لم يهاجروا ويحتمل ويحتمل يحتمل اذا طلبوا منكم المعونة والنصرة على عدوهم فعليكم النصر
المعونة لهم اذا لم يكن بينكم وبين اولئك ميثاق والثاني اذا علمتم انهم يخشون على انفسهم من عدوهم ويخافونهم
فانصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي اذا استنصروكم في الدين على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم
اي وليس عليكم ان تنصروهم لانه لا يحل تنبذوا اليهم العهد يقول ان استنصروكم يا معشر المهاجرين اخوانكم
المؤمنون الذين لم يهاجروا اليكم فاتاهم عدوهم من المشركين فقاتلوهم ليردوهم عن الاسلام فانصروهم
ثم استثنى فقال الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق يقول ان استنصركم الذين لم يهاجروا الى المدينة على اهل
عهدكم فلا تنصروهم والله بما تعملون بصير في المعونة والنصرة وغيره وقوله عز وجل ما لكم من ولايتهم من
شيء قرئ بالخفض ولايتهم وبالنصب جميعا ولايتهم اعني بنصب الواو وخفضها وكذلك التي في الكهف هنالك
الولاية لله بالخفض والنصب جميعا الاية ثم قال بعض اهل الادب الولاية بفتح الواو النصرة والمعونة والولاية
بخفض الواو السلطان اي السلطان لله وقال بعضهم الولاية بالخفض المعونة والنصرة والولاية السلطان قال
اخرون هما سواء وهو النصرة والمعونة والولاية في الامارة والسلطان والولاية في الدين وقوله عز وجل والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض على قول ابن عباس وعامة اهل التاويل بعضهم اولياء بعض في التوارث على ما قالوا في
المهاجرين والانصار بعضهم اولياء بعض ويحتمل ما ذكرنا ان بعضهم اولياء بعض في التناصر والتعاون
والدين والحقوق جميعا على ما ذكرنا في المؤمنين وقوله عز وجل الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير قيل
فيه بوجوه احدها ان اخوانكم الذين لم يهاجروا اذا استنصروكم على عدوهم فلم تنصروهم تكون فتنة في الارض
وفساد كبير او ان لم تكونوا بعضكم اعوانا وانصارا لبعض على ما كان اهل الكفر بعضهم انصار البعض غلبكم
العدو وقهركم فيكون في ذلك فتنة وفساد ويكون كانه قال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
كله لله وقال بعضهم قوله الا تفعلوه تكن فتنة ملحقا بقوله الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي اذا استنصركم
اخوانكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق فنصرتموهم تكن فتنة وفساد كبير وقال بعضهم قوله الا تفعلوه فيما
امركم به من جعل التوارث فيما بين المؤمنين وجعلتم الميراث والتوارث فيما بينكم وبين الكفار تكن فتنة في
الارض وفساد كبير لان الله عز وجل ذكر المواريث ثم ذكر في اخر الاية تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله
وما ذكر من ترك حدود الله وطاعة رسوله وجعل الميراث في غير ما امر عز وجل تكن فتنة في الارض وفساد كبير
وقوله عز وجل والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اي ضموا رسول الله والمهاجرين
ونصروهم اولئك هم المؤمنون حقا اي المهاجرون والانصار الذين ضموا اولئك هم المؤمنون حقا لما حققوا
ايمانهم باعمالهم هاجروا ابلادهم واهليهم واموالهم اشفاقا على دينهم واستسلاما له واجابوا رسول الله و
ما طاعوه في ذلك واولئك الانصار ضموا الى انفسهم وانزلوهم في منازلهم وبذلوا انفسهم واموالهم ونصروهم
على عدوهم فقد حققوا جميعا ايمانهم باعمالهم التي عملوا ويحتمل قوله اولئك هم المؤمنون حقا اي صدقا في السر
والعلانية ليس كايمان المنافقين يكون في العلانية ولا يكون في السر كقوله ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن
الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين ويحتمل قوله اولئك
هم المؤمنون حقا اي وعدهم وعدا حقا وهو ما ذكر في اية اخرى لهم مغفرة ورزق كريم ويحتمل اولئك هم
المؤمنون حقا اي اولئك المؤمنون الذين حققوا الايمان به وقوله لهم مغفرة ورزق كريم اي حسن يكرم صاحبه
اهله به وقوله عز وجل والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم اي من امن بعد هؤلاء وهاجروا بعد
اولئك فانهم يلحقون اولئك في جميع ما ذكر في اولئك الذين هاجروا من قبل يذكر هذا والله اعلم لئلا يظن على ما
عمل اولئك من الهجرة والنصرة وبذل الانفس والاموال وغير ذلك الذين على ما بذل اولئك واشفقوا على دينهم وقوله
عز وجل فاولئك منكم واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله هو ما ذكرنا ان اولي الارحام بعضهم اولى
ببعض بالتركة والتوارث من جملة المؤمنين فاذا لم يكن اولو الارحام فجملة المؤمنين اولى وعلى ذلك يخرج قول

أصحابنا أن أولي الأرحام بالميراث أولى من جملة المؤمنين وهو بيت المال فما دام واحد من هؤلاء فهو أولى بالميراث وعلى ذلك يخرج قولهم في العقل أنه على ذوي الأرحام ما داموا فإذا لم يكن أحد منهم فهو على جملة المؤمنين في بيت المال وقوله عز وجل إن الله بكل شيء عليم بالعباد وما يكون منهم وبكل شيء عليم بما يحتاجون وما لا يحتاجون وما يحتاجون وهو حرف وعيد والله أعلم وقوله عز وجل وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض أي بعضهم أولى ببعض في حق التوارث من المؤمنين الذين هاجروا فنسخ هذه الآية حكم الميراث الذي ذكر في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء لأنه كان جعل التوارث بينهم بحق الإيمان والهجرة ثم نسخ ذلك وجعل الميراث بالرحم حيث قال وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض وكذلك ما ذكر في سورة الأحزاب حيث قال وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين أي فإذا لم يبق من الأرحام أحد فبعد ذلك يكون جملة المؤمنين وقوله عز وجل في كتاب الله في حكم الله أو في كتاب الله لأنه ذكر في كتاب الله ثم لزوم الهجرة على الذين هاجروا مع رسول الله وعلى الذين تأخر هجرتهم سواء فقد سوى بينهم في اللزوم وجمع بين المهاجرين والأنصار في حق الشهادة لهم بالتصديق والإيمان حيث قال أولئك هم المؤمنون حقا وجمع بينهم في حق الولاية وما يكتسب بها من المنافع حيث قال أولئك بعضهم أولياء بعض وجمع بينهم في الثواب والدرجة حيث قال لهم مغفرة ورزق كريم وجمع بينهم في هذه الخصال وإن قدم ذكر المهاجرين في غير واحد من الآيات لما كانوا مستوين في الأسباب التي استوجبوا ذلك لأن من المهاجرين ترك الأوطان والمنازل والخروج منها والمفارقة عن أهليهم وأموالهم وكان من الأنصار مقابل ذلك إنزالهم في منازلهم وأوطانهم وبذل أموالهم وقيام أهليهم في خدمتهم لذلك كان ما ذكر والله سبحانه وتعالى أعلم

قوله عز وجل براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين قال بعضهم من أهل التأويل ذلك في قوم كان بينهم وبين رسول الله عهد على غير مدة مبينة فأمر بنقض العهد المرسل وجعله في الأربعة الأشهر التي ذكر في قوله فسيحوا في الأرض أربعة أشهر وقال بعضهم هم في قوم كان لهم عهد دون أربعة أشهر فأمر بإتمام أربعة أشهر لبيانه قوله فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم وقال أبو بكر الكيساني في الآية في قوم كانت عادتهم نقض العهد ويكثر كقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة فأمر أن يعطى العهد أربعة أشهر التي ذكر في الآية ثم الحرب بعد ذلك وقال بعضهم لما نزل قوله براءة من الله ورسوله بعث رسول الله عليا إلى الموسم ليقرأه على الناس فقرأه عليهم براءة من الله ورسوله من العهد غير أربعة أشهر إلا الذين عاهدتم من المشركين على ما ذكرنا حمل هؤلاء كلهم قوله براءة على النقض وعندنا يحتمل غير هذا وهو أن قوله براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين في إمضاء العهد ووفائه والبراءة هي الوفاء وإتمامه ليس على النقض لأنه قال إلا الذين عاهدتم من المشركين والبراءة إليهم هو الإمساك والعهد إليهم ولو كان على النقض لقال من الذين عاهدتم من المشركين فدل أنه هو إتمام إعطاء العهد لهم وإمضاؤه إليهم ويؤيد ما قال بعض أهل الأدب أن البراءة هي الأمان يقال كتب له براءة أي أمانا هذا الذي ذكرنا أشبه مما قالوا عن أهل التأويل وقوله عز وجل فسيحوا في الأرض أربعة أشهر أي سيروا واذهبوا في الأرض أربعة أشهر أي في مدة العهد وقوله عز وجل واعلموا أنكم غير معجزي الله أي اعلموا أن المؤمنين وإن أعطى لكم العهد في وقت فإنكم غير معجزي الله أولياءه ولا فائتين عنكم في تلك المدة وأن الله مخزي الكافرين الخزي هو العذاب الفاضح الذي يفضحهم ويظهر عليهم ويحتمل أن يكون ذلك العذاب والإخزاء الذي ذكر في الآخرة وقوله عز وجل وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر قال القتبي وأذان من الله ورسوله أي إعلام ومنه أذان الصلاة هو الإعلام يقال آذنتهم أي أعلمتهم وكذلك قال أبو عوسجة وقوله عز وجل أن الله بريء من المشركين ورسوله يكون في قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله دلالة ما قال أهل التأويل من النقض لأن قوله براءة من الله ورسوله يكون فيه إمضاء العهد وإتمامه إلى المدة التي ذكر ويكون ما روي في الخبر في القصة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزل براءة بعث أبا بكر على حج الناس يقيم للمؤمنين حجهم وبعث معه براءة السورة ثم اتبعه علي بن أبي طالب فأدركه فأخذها منه ورجع أبو بكر إلى النبي فقال للنبي بأبي أنت وأمي نزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ غيري أو رجل مني أما ترضى يا أبا بكر أنك صاحبي في الغار وأنت أخي في الإسلام وأنت ترد علي الحوض يوم القيامة قال بلى يا رسول الله فمضى أبو بكر على الناس ومضى علي بن أبي طالب بالبراءة فقام علي بالموسم فقرأه على الناس براءة من الله ورسوله من العهد غير أربعة أشهر لأنهم يسيحون فيها ثم قوله يوم الحج الأكبر قال عامة أهل التأويل هو يوم النحر لأن فيه ذكر طواف البيت وذبح البدن وقال بعضهم هو يوم عرفة لأنه هو الذي يوقف بعرفة وبه يتم الحج على ما روي في الخبر الحج عرفة ومن أدرك عرفة بليل وصلى معنا بجمع فقد تم حجه وقضى تفثه وإذا كان يتم الحج وبفوته يفوت وعن الحسن أنه سئل فقيل له ما الحج الأكبر فقال سنة حج المسلمون والمشركون جميعا اجتمعوا بمكة وكان في اليوم لليهود عيد وللنصارى عيد لم يكن قبله ولا بعده فسماه الله حج الأكبر قال أبو بكر الأصم لا يحتمل أن يسمي الله لعيد النصارى واليهود يوم الحج الأكبر وهو يوم نزول السخطة عليهم واللعنة ولكن جائز أن يسمى بذلك لاجتماع الخلق فيه من كل نوع

على ما

على ما سمي يوم الحشر يوما كقوله عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وقوله فإن تبتم فهو خير لكم أي إن تبتم عما كنتم عليه فهو خير لكم لأنهم يأمنون عن الرعب الذي كان في قلوبهم ويكون ذلك الخوف والرعب في قلوب المشركين على ما روي في الخبر أنه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقوله وإن توليتم عما ذكرنا فاعلموا أنكم غير معجزي الله أي غير فائتين عن نقمة الله وعذابه ويحتمل قوله فإن تبتم عن نقض العهد فهو خير لكم والأول فإن تبتم وأسلمتم فهو خير لكم في الدنيا والآخرة ثم روي في بعض الأخبار عن علي رضي الله أنه سئل بأي شيء بعثت قال بأربع لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده أربعة أشهر ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الحرم مشرك بعد هذا وفي بعض الأخبار ولا يحج المشرك بعد عامه هذا وكذلك قال في الآية الأخرى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ففيه دلالة إثبات رسالة محمد لأنه قال في ملأ من الناس بالموسم لا يحج مشرك بعد هذا مع كثرة أولئك وقوتهم وقلة المؤمنين وضعفهم ثم لم يتجاسر بعد ذلك النداء أحد أن يدخل مكة للحج وغيره دل أن ذلك كله كان بالله تعالى لا بهم ثم من الناس من استدل بالخبر الذي روي أنه بعث أبا بكر الصديق على الحج وبعث معه ببراءة ثم اتبعه عليا فأدركها فأخذها منه ورجع أبو بكر إلى النبي فقال هل نزل في شيء قال لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني على أن عليا هو المستحق للخلافة وهو الأحق بها دون أبي بكر حيث قال لا يبلغ عني إلا رجل مني لكن يحتمل أنه ولى ذلك عليا لما كان من عادة العرب أنهم إذا عاهدوا عهدا أنه لا ينقض ذلك عليهم إلا من هو من قومهم فولى ذلك عليا لئلا يكون لهم الاحتجاج عليه فيقولون لم ينقض علينا العهد أو أن يقال ولما ولى عليا أمر الحرب وهو كان أبصر وأقوى بأمر الحرب من أبي بكر وولى أبا بكر أمر إقامة الحج والمناسك وكان أبو بكر هو المولى أمر العبادات وعلي أمر الحروب فالحاجة إلى الخلافة لإقامة العبادات وأن أبا بكر كان أمير الموسم وعليا كان مناديه فالأمير في شاهدنا أجل قدرا وأعظم منزلة من المنادي وأمر عليا ذلك لما أن ذلك إن كان أقبل وأسمع من غيره من الأمير نفسه والله أعلم وقوله عز وجل إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم أمر بإتمام العهد للذين لم ينقضوا المسلمين ولا ظاهروا عليهم أحدا وأما الذين كانت عادتهم نقض العهد ونكثه فإنه لا يتم لهم ولكن ينقض وكذلك تأولوا قوله براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين النقض ويحتمل أن يكون صلة قوله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ويكون العذاب الأليم هو القتل والأسر كأنه يقول وبشر الذين كفروا بالقتل والأسر إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا ثم يحتمل قوله لم ينقصوكم شيئا أي لم يخونوكم شيئا مما سموا في العهد ولم يظاهروا عليكم أحدا أي لم يعاونوا ولا أطلعوا أحدا من المشركين عليكم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم كقوله وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء أمر بالنبذ إليهم عند خوف الخيانة وأمر بالإتمام إذا لم يخونوا ولم يظاهروا عليهم أحدا ودل قوله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم إلا الذين عاهدتم من المشركين على أن قوله واعلموا أنكم غير معجزي أولياء الله في عذاب الدنيا لأنهم جميعا سواء في عذاب الآخرة مشركين فيه وقوله إلى مدتهم قال بعضهم مدة القوم أربعة أشهر بعد يوم النحر لعشر مضين من ربيع الآخر لمن كان له عهد ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرم خمسون ليلة وقال بعضهم إلا الذين عاهدتم من المشركين بالحديبية فلم يبرأ الله ورسوله من عهدهم في الأشهر الأربع ولم يظاهروا عليكم أحدا أي لم يعينوا على نبينا لكم أحدا من المشركين أي لم يفعلوا ذلك فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم وهو الأربعة الأشهر إن الله يحب المتقين الذين اتقوا المعاصي والشرك وقوله عز وجل فإذا انسلخ الأشهر الحرم قال بعضهم الأشهر الحرم هي أشهر العهد والأمان فإذا انسلخ تلك الأشهر ومضت فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم الأشهر الحرم هي الأشهر التي خلقها الله وجعلها حراما كقوله إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم وقوله عز وجل فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم قال بعضهم حيث وجدتموهم وخذوهم في الأماكن كلها لأن الحرم إنما يزجر عن مكان أمر بقتلهم في الأماكن كلها لأنه لم يخص مكانا دون مكان قال الآخرون هو في الأماكن كلها إلا مكان الحرم دليله ما ذكر في السورة التي فيها ذكر البقرة وهو قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم وقال ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام أمرهم بقتالهم في الأماكن كلها إلا المسجد الحرام وأمكن أن يكون أنهم يقتلون إلا أن يدخلوا الحرام فإذا دخلوا الحرام وقد نهوا عن الدخول فيها والحج هنالك على ما روي أن عليا نادى بالموسم ألا لا يحج بعد العام مشرك فإذا دخلوا يقتلون ويكون دخولهم فيه بعد النهي كابتداء مقاتلتهم إيانا فإذا قاتلونا عند المسجد الحرام قاتلناهم كقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم والله أعلم وقوله وخذوهم قيل أسروهم وقوله واحصروهم قيل واحبسوهم واقعدوا لهم كل مرصد والمرصد الطريق كأنه أمر بقوله فاقتلوا المشركين بقتلهم إذا قدروا عليهم وأمكن لهم ذلك والأمر عند الإمكان والحبس إذا دخلوا الحصن وحفظ المراصد عند غير الإمكان لئلا يفرقوا ويقال أرصدت له أي انتظرت أرصد فرصتي ويقال ترصدته أي انتظرته وقال بعضهم قوله كل مرصد أي كل طريق يرصدونكم كأنه أمر بذلك ليضيق عليهم الأمر ليضجروا وينقادوا وفيه دليل النهي عما يحمل إلى دار الحرب من أنواع الثياب والأمتعة وما ينتفعون به لأنه أمر بالحصر وحفظ الطرق والمراصد ليضيق

عليهم الا مروتشتد فينقادوا وفيما يجملون توسيع عليهم وقوله وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد
يحتمل ان يكون قوله وخذوهم واحصروهم اى قيموا عليهم الحج والبراهين ليضطروا الى قبول ذلك فاذا نقد والكم
والا فاقتلوهم حيث وجدتموهم وقوله عز وجل فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم توجب
بظاهره ان تقاتلهم امن ولم يقم الصلوة ولم يؤت الزكوة لان الله تعالى انما رفع القتل عنهم بالايمان
واقام الصلوة وايتاء الزكوة فاذا لم يأتوا بذلك فالقتل واجب عليهم وكذلك فعل ابى بكر الصديق لما ارتدت
العرب ومنعهم الزكوة حاربهم حتى اذعنوا باداءها اليه روى عن انس قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ارتدت العرب كافة فقال عمر يا ابا بكر اتريد ان تقاتل العرب كافة فقال ابو بكر انما قال رسول الله اذا
شهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة منعوا فى دمائهم واموالهم
والله لو منعونى عناقا مما كانوا يعطون رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه قال عمر فلما رايت رأى
ابى بكر قد شرح عرفت انه الحق وفى بعض الاخبار فقالوا نشهد ان لا اله الا الله ونصلى ولكن لا نزكى فمشى عمر
والبدريون الى ابى بكر فقالوا دعهم فانهم اذا استقر الاسلام فى قلوبهم وثبت ادوا فقال والله لو منعونى
عقالا مما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتهم عليه قبل او قاتل رسول الله على ثلاث شهادة ان لا اله
الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال الله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم والله
لا اسأل فوقهن ولا اقصر دونهن فقالوا انا نزكى ولكن لا نرفعها فقال والله حتى اخذها كما اخذها رسول الله
واضعها مواضعها وقال آخرون قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فى قبولهما والاعتقاد بهما دون
فعلهما الا يحتمل حبسهم ومنعهم الى ان يحول الحول فيأخذون باداء الزكوة دل على انه القبول والاقرار بذلك
واستدلوا بما روى فى بعض الاخبار عن رسول الله قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وانى رسول
الله فاذا قالوا ذلك عصموا منى كذا وفى بعضها حتى يقولوا لا اله الا الله وانى رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وانا فعلوا ذلك منعوا كذا دل ما ذكرنا من الزيادات والنقصان ان ذلك فى قوم مختلفين وانه على القبول لذلك
والاعتقاد لا على الفعل نفسه فمن كان لا يقر بشىء من ذلك فاذا قال لا اله الا الله كان ذلك منه ايمانا فى الظاهر
ومن كان يقول لا اله الا الله ولا يقول محمد رسول الله فاذا قال ذلك كان ذلك منه ايمانا ومن كان يقر بهذين و
لا يقر بالصلوة والزكوة فاذا اقر بذلك كان ذلك منه ايمانا فهو على الاقرار به والاعتقاد لا على الفعل الا ترى
ان للائمة ان يأخذوا منهم الزكوة شاؤا وابوا فلو كان الاداء من شرط الايمان لكانوا غير مؤمنين يأخذ
هؤلاء واختلفت الصحابة والروايات فى الحج الاكبر روى عن عبد الله بن الزبير قال قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم
عرفة هل تدرون اى يوم هذا قالوا نعم اليوم الحرام يوم الحج الاكبر قال فان الله قد حرم دماءكم واموالكم عليكم الى
يوم القيامة كحرمة يومكم هذا وعن عمر رضى الله عنه انه سئل عن الحج الاكبر فقال يوم عرفة وعنه انه وقف عليهم
يوم عرفة فقال ان هذا يوم الحج الاكبر فلا يصومنه احد وعن ابن الزبير يقول يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر وفى
بعض الاخبار عن ابن عمر قال رايت او قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم النحر عند المحراب
فى حجة الوداع فقال اى يوم هذا قالوا هذا يوم النحر قالوا فاى بلد هذا قالوا هذا بلد الحرام قال فاى شهر
هذا قالوا شهر حرام قالوا هذا يوم الحج الاكبر فدماؤكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد
فى هذا اليوم ثم قال هل بلغت وعن الحارث قال سألت عليا عن الحج الاكبر فقال يوم النحر وعن المغيرة
بن شعبة انه خطب يوم العيد فقال هذا يوم النحر ويوم الاضحى ويوم الحج الاكبر وعن ابن عباس رضى الله
عنه قال الحج الاكبر يوم النحر وفيه قول ثالث ما روى انه كان فى كتاب رسول الله الذى كتبه لعمرو بن حزم
والحج الاصغر العمرة وعن ابن عباس قال العمرة هى الحجة الصغرى وسئل عبد الله بن شداد عن الحج الاكبر فقال
الحج الاكبر يوم النحر والاصغر العمرة فاما حديث عمرو بن حزم فهو حكاية عن كتاب وليس فيه بيان عن يوم
الحج الاكبر انما يذكر فيه الحج الاصغر ولولا خبر على وابن عمر لجاز ان يقال يوم عرفة هو يوم الحج الاكبر لانه
يقضى فيه فرض الحج وهو الوقوف ومن فاته ذلك فقد فاته الحج وجاز ان يقال هو يوم النحر لان فيه يقضى طواف
الزيارة وهو فرض ويقضى فيه اكثر مناسك الحج بل يوم النحر اولى ان يكون يوم الحج الاكبر لان الحاج يفعل
فى يوم عرفة فرضا من فرائض الحج وهو الوقوف ويقضى فى يوم النحر فرضا اخر من فرائضه وهو طواف الزيارة و
يقضى مع ذلك اكثر مناسك الحج فقد استوى هذان اليومان فى انه يقضى فى كل واحد منهما فرض من فرائض
الحج وزاد يوم النحر على يوم عرفة بما يفعل فى يوم النحر من مناسك الحج ولا يفعل فى يوم عرفة شيئا من النسك
الا الوقوف بعرفة واحتج بعض الناس بفرضية العمرة بما رواه عمرو بن حزم ان الحج الاصغر هو العمرة والاكبر
هو الحج بما سميت العمرة حجا وقد ذكرنا الوجه فى ذلك فيما تقدم وعن على وابى هريرة وابن ابى اوفى رضى الله
عنهم انهم قالوا الحجة الكبرى يوم النحر وعن عمر وابن عباس انهما قالا يوم عرفة وقوله عز وجل وان احد من
المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقد قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الاية فامر بالاية الاولى عند الوجود وفى هذه بالقتل
والاسر وامر فى الاولى بتبليغه مأمنه وفى هذه بان يقعد له كل مرصد وحال هذه فى حال الاولى فى راى العين

ويتهيأ له فى كل وقت يظفر به ان يستجير لما ذكر وفى كل حال يرصد له ان يحتال ليرد الى مأمنه وفى ذلك زوال القيام بما فى
احدى الايتين فى الظاهر فالزم ذلك طلب المعنى الموفق بين الامرين من طريق التأمل بالاسباب التى هى يدل على حق
المعاملة بالايتين جميعا فقال اصحابنا انه اذا قصد نحونا اهل من الاسلام غير مظهر اعلام الحرب ولا بما يدل انه
على ذلك بجنبه بل يمشى مشى من ينقلب لحاجة ومن يتباعد من ينادى اليه بالاستجارة فيجار ولو كان مقبلا نحونا
متنا كالطالب لاحد عليه اعلام الحرب لكنه كالغافل عن الذين يرصدون له والذين لهم منعة ولا قوة به فلا يقبل
قوله وذلك على تسليم الامر الغالب من الاحوال اذ لا وجه لعلم الحقيقة فى ذلك وعلى ذلك وعلى ذلك عامة الامور
بين اهل الدارين وما ذكرت من الاثر فى لزوم ذلك الاعتبار اذ لا وجه له غير هو دليله والله اعلم ثم دل
قوله وان احد من المشركين استجارك بعد العلم بانه من مأمنه لا يقدر على الاستجارة لبعد مأمن كل من مأمن
الاخر ثم لا يكون مأمن الفريقين فى حد الدارين لما كان تحقيق امن كل فريق منهما نفى امن الاخر به خوفه
فثبت انه قد يؤذن له الخروج للاستجارة من مأمنه والدخول فى مأمن المسلمين الى ان يبلغوا ما يجهم فيستجيروا
فلذلك لا يوجب ذلك الوجود حق الاسر ولا القتل ويجب رده لو لم يجر ولا يتعرضه لشىء من ذلك ثم وقوله
وان احد من المشركين استجارك من غير ان تبين استجارته لماذا يحتمل ان يكون ترك بيانه لما فى الجواب ذلك بقوله
حتى يسمع كلام الله وذلك كقوله يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة انه فى الجواب بيان ما استفتوا ويحتمل
ان يكون ذلك لا زم ان يسمع كلام الله بمعنى حجته لاى وجه دخل بامان وذلك قريب لانا امرنا بالتضييق
عليهم ليسلموا فاذا ابحنا لهم الدخول للحاجات بلا عرض يذهب منفعة التضييق فيكون المقصود بالعهد لما
يرون من اثار الاسلام وحسن رعاية اهل الاسلام ويسمعون حججه وما به ظهور الحق فيه رجاء ان
يحسوا فلذلك يؤذنون وان كان فى ذلك قضاء حاجاتهم وقد روى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن
يقاتل حتى يدعو الى الاسلام فيما قد كان دعاهم غير مرة فذلك المعنى عند الامان اولى والله اعلم وقوله حتى
يسمع كلام الله فالاصل ان حقيقة الكلام لا تسمع بالكلام نفسه اذ الذى به يؤدى حروف الكلام بما يقلب
الحروف ويؤلفه ولا صوت له يسمع نحو اللسان والشفة ونحو ذلك وانما يسمع بصوت يهيج من حيث
الجارحة التى يتكلم وقوله فيبلغ كلامه او حروف كلامه السامع فالسمع يقع على الصوت الذى به يدرك
الكلام ويفهم فصار سمع الكلام فى الاصل مجازا لا حقيقة فعلى ذلك ما قيل من سماع كلام الله ثم هو يخرج
على وجوه احدها ان يسمع المعنى الذى جعل له الكلام وهو الامر والنهى والتحريم والتحليل ونحو ذلك وذلك مما ينسب
الى الله فقيل بذلك كلام الله لما اليه ينسب الكلام به والنهى ونحو ذلك والوجه الثانى ان يكون الفه ونظمه
على ما اعجز خلقهم عن مثله فينسب اليه بما منه تأليفه على ما هو عليه وان كان مسموعا من غيره على ما ينسب القصائد
الى مبديها والكتب الى مؤلفيها والاقاويل الى الاوائل التى منهم ظهرت وان لم يكن الذى يقوله فى الحقيقة قوله
او كلامه بما كان منه البدأ الذى عليه يتكلم فمثله بمعنى قوله حتى يسمع كلام الله والثالث ان يكون ذلك لما الكلام به
يعبر وبه يوصف ان له كلاما وبه يرجع الى ذلك وان كان الله تعالى يجل عن الوصف لكلامه بالحروف والهجاء والابعاض
ونحو ذلك فلما كان اليه المرجع وان كان نحو ذلك غير متوهم هنالك ولا منصور فينسب اليه كما قال الله تعالى
خلقكم من نفس واحدة وقال خلقكم من تراب من غير توهم كلية العالم فى ذلك التراب او النفس الواحدة لما اليه
مرجع الكل نسب اليه وعلى ذلك امر الكلام وذلك على ما قيل من لقاء الله والمرجع الى الله والمصير بما لا تدبير لاحد هنا
لك ذكر المصير اليه لا ان لذلك من صبر ورفع اليه فى الحقيقة ورجوع لم يكن من قبل فمثله لما قيل كلام الله ثم الله تعالى
يجل عن التصوير فى الاوهام او التقدير فى العقول فعلى ذلك صفته بل ذلك احق واولى اذ نجد صفات الخلق لا نعلم
لا تصور فى الاوهام ولا يقدرها العقول الا من طريق القول بالحقيقة لهم على ما هن اغيارهم والله تعالى المتعال
عن التصور فى الاوهام ووصفه بالعلم والكلام ونحو ذلك احق فى ابطال توهم ذلك فتدبر فيه وقد قال الثلجى يقال
كلام الله على الموافقة لا على الحقيقة كما يقال ذا قول فلان وكلام فلان وليس غيره كلام المتكلم به فالقائل الشاهد
وقال ابو بكر فهذا يدل على ان كلام الله يسمع من وجوه فكانه يذهب الى مثل ما يقال يعرف الله من وجوه على
تحقيق الوجوه فمثله كلامه والله اعلم من غير توهم المعنى الذى به يعرف الله عن الله سبحانه كذلك سماع كلامه
وفى قوله ثم ابلغه مأمنه دلالة انه لم يقبل ما اسمع وعرض عليه اذ لو قبل لكان يكون ما منه هذه الدار ولا تلك
ولكان يحق عليه الخروج منها لا العود اليها ثم معلوم ان كلام الله هو حجته وان الحجة قد لزمته لوجهين احدهما
ما اعجز الخلق عن مثله وانتشر الخبر فى الافاق على قطع طمع القائلين لرسول الله بالرد الباذلين مهجهم وما حوته
ايديهم فى اطفاء نوره فكان ذلك حجة بينة لزمتهم والثانى تجميع ما يتلى منه لا يؤتى عن اثبات الاد وفيها ما يشهد
بالعقول على قصور افهام الخلق عن بلوغ مثله من الحكمة وعجيب ما فيه من الحجة مما لو قوبل بما فيه من المعنى
وما يحدث به من الطائفة ليعلم ان ذلك من كلام من يعلم الغيب ولا يخفى عليه شىء واذا كان كذلك صار هو بالرد
مكابرا وحق مثله الزجر والتأديب الا انه لم يفعل بضمن امانة القبول ولا ان لا يعارضه بالرد وذلك اعظم مما فيه
الحدود فالحذا حق ان لا يقام عليه والله اعلم ثم قوله ابلغه مأمنه يحتمل وجهين احدهما ان يدعه ولا يمنعه
عن العود الى مأمنه ليعلم ان حكم تلك الدار لم يزل عنه وانه لا يلزمه الجزية الا عن طوع او دلالة عليه والثانى

ان يكون عليه حفظه الى ان يبلغه ما منه بدفع المسلمين عنه وفي ذلك لزوم حق الامان الجميع باجازة وعلى ذلك
كل مسلم ثم سماع كلام الله يخرج عن القرآن وفيه ما ذكرت من الدلالة وعلى سماع اوامر الله ونواهيه في حق العرض
عليه وعلى سماع حجج النبوة وآيات الرسالة او التوحيد من القران والله اعلم **وقوله** عز وجل ذلك بانهم قوم لا يعلمون
اي ما لهم وعليهم ويحتمل نفي العلم بما لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل ذلك تعليم مع رسول الله من كيفية معاملة
الكفرة اذ هم لم يكونوا يعلمون من قبل والله اعلم ثم قوله عز وجل كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
رسوله هو والله اعلم ان كيف يستحقون العهد وكيف يعطون لهم العهد وقد نقضوا العهود التي بينهم وبين
رسول الله فاما العهود التي بينهم وبين ربهم هو عهد الخلقة اذ في خلقة كل احد الشهادة على وحدانية الله
والوهية والشهادة على الرسالة وما عهد اليهم في كتبهم من اظهار صفة محمد ونعته للخلق فنقضوا ذلك كله ونقضوا
العهود التي بينهم وبين رسول الله ولم يحفظوها بقول والله اعلم كيف يستحقون ان يعطى العهد لهم وقد نقضوا العهد
الذي عهد الله اليهم والعهود التي اعطاهم رسول الله لا يستحقون ذلك الا ان الله عز وجل بفضله واحسانه
اذن ان يعطي لهم العهود فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم العهد اذا وفوا لكم وان انقضت المدة يقول والله
اعلم اذا استقاموا لكم في وفاء العهد فاستقيموا لهم في وفائه العهد انقضت المدة **وقوله** عز وجل الا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام استثنى الذين عاهدوا عند المسجد الحرام يحتمل ان لا يعطي العهد الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام ويحتمل قوله الا الذين عاهدتم كذا فانهم ان اوفوا لكم وفوا لكم ان الله يحب المتقين ان الله يحب
من اتقى الشرك واتقى من جور وظلم والله اعلم **وقوله** عز وجل كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة
يقول كيف تعطون لهم العهد وكيف يستحقون العهد ولو ظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة
وقال بعضهم وكيف لا تقاتلونهم وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الله والذمة
العهد وقيل الال القرابة وقيل الال العهد والذمة وكذلك ذكر في حرف حفصة لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة
وقال القتبي الال العهد قال ويقال القرابة وقال ابو عوسجة الال القرابة وقال ابو عبيدة الال العهد والذمة
التذمم وقال ابن عباس الال الله بمنزلة جبريل تفسيره عبد الله لما قيل جبريل هو عبد الله وقيل الال الحرم
يقول كيف تعطونهم العهد وهم وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم القرابة ولا العهد ولا يرقبون الحرم فيكم
وقد كانوا يحفظون فيما بينهم القرابة والرحم حتى يعاونون بعضهم بعضا ويناصر اذا وقع بين قرابتهم ورحمهم
وبين قوم آخرين مباغضة وعداوة وكانوا يرقبون حرم الله حتى لا يقاتلون في الاشهر الحرم وعند المسجد الحرام
وكانوا يحفظون العهود فيما بينهم من قبل ولا يرقبون فيكم ولا يحفظونها هذا والله اعلم تأويل قوله لا يرقبوا
فيكم الا ولا ذمة وقد كانوا يرقبونه من قبل **وقوله** عز وجل يرضونكم بافواههم يوفون العهد ويحفظونه
وتأبى قلوبهم الا النقض **وقوله** واكثرهم فاسقون في نقض العهد والفسق هو الخروج عن امر الله كقوله ففسق
عن امر ربه **وقوله** عز وجل اشتروا بآيات الله يحتمل حججه وبراهينه ويحتمل آيات القرآن ومحمدا ويحتمل آياته
دينه **وقوله** عز وجل فصدوا عن سبيله اصدوا الناس عن متابعة النبي وقيل صدوا الناس عن دين الله الاسلام
انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئس ما عملوا بصدهم الناس عن دين الاسلام ومتابعة محمد صلى الله عليه وسلم والله
اعلم **وقوله** عز وجل لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة هذا قد ذكرنا واولئك هم المعتدون في نقض العهد والاعتداء
هو المجاوزة عن الحد الذي جعل لهم **وقوله** فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين قال
بعض اهل التأويل انظروا الى كرم ربكم وجوده قوم قد افتروا على الله كذبا وكذبوا رسول الله وهموا بقتله
واخراجه من بين اظهرهم وطعنوا في دينهم وعملوا كل بلية من نصب الحروب والقتال فيما بينهم ثم
انه بالتوبة المغفرة والتجاوز عما كان منهم بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وجعل فيما بينهم الاخوة والمودة بقوله
فاخوانكم في الدين وقال وجعل بينكم مودة ورحمة وقال اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته
اخوانا وغير ذلك من الآيات وفيه ان كان له بمكان اخ ذنب او جفاء فاذا رجع عن ذلك وتاب لزمه ان يتجاوز
عنه وان لا يذكر بعد ذلك ما كان منه الذنب على ما جعل الله فيما بين هؤلاء الاخوة والمودة اذا تابوا وقال
فاخوانكم في الدين وقد كان منهم ما كان ومن حق الاخوة ان لا يذكر ما كان منهم من المساوي ثم قوله فان
تابوا من الشرك وما كان منهم **وقوله** واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة يحتمل قوله اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
وجهين يحتمل الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة زكوة المال وهو ما ذكرنا فيما تقدم من الاقرار لهما والاعتقاد
والقبول لذلك دون فعلهما وهو في الكبراء والقادة الذين كانوا يأنفون عن الخضوع لاحد ولا يؤدون
الزكوة ولا يتصدقون لما ظنوا انهم يخلدون في الدنيا اشفاقا على انفسهم ويحتمل ان يكون المراد من الصلوة
والزكوة الخضوع والخشوع لا الصلوة المعروفة والمراد من الزكوة زكوة النفس واصلاحها فان كان هذا فهو
لازم في الاوقات كلها ما من وقت الا وله على كل احد الخضوع والخشوع له ويزكي نفسه ويصلحها وهو كقوله
قد افلح من زكيها **وقوله** ونفصل الآيات لقوم يعلمون اي نبين الآيات لقوم يعلمون ينتفعون بعلمهم ويحتمل
لقوم يعلمون اي لقوم اذا نظروا فيها وتدبروا يعلموا لا لقوم لا يعلمون **وقوله** عز وجل وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم قوله ايمانهم العهود نفسها كقوله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ثم ذكر العهود ثم قال ولا تنقضوا

الايمان بعد توكيدها ويحتمل قوله وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم ايمانا يحلفون بعد اعطاء العهد توكيد
لئلا ينقضوا العهد اذا عاهدتم نقض العهد ونكثه **وقوله** عز وجل وطعنوا في دينكم في الدين ظاهر **وقوله** عز وجل
فقاتلوا ائمة الكفر اي ائمة الكفر وتخصيص الامر بمقاتلة لما ان الاتباع ابدا يقلدون الائمة ويصدرون
عن رأيهم وتدبيرهم فاذا قاتلوهم اتبع الاتباع لهم والثاني لنفي الشبهة ان ليس الائمة منهم كاصحاب
الصوامع وان كانوا ائمة في العبادة فلا يترك مقاتلتهم كما يترك مقاتلة اصحاب الصوامع لان اصحاب
الصوامع قد عزلوا انفسهم عن الناس عن جميع المنافع وحبسوها للعبادة والائمة ليسوا كذلك والثالث
خص الائمة بالقتال لانهم اذا قتلوهم لم يبق لهم امام في الكفر فيذهب الكفر رأسا وهو كقوله وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة الآية انهم لا ايمان لهم يحتمل لا ايمان لهم بعد نقضهم العهد اي لا توفوا لهم العهد
الذي كان لهم اذا نقضوا ويحتمل لا ايمان لهم اي لا يعطى لهم العهد ابدا وفيه لغة اخرى لا ايمان
لهم بكسر الالف لا ايمان لهم اي لا يؤمنون اي لا يؤمنون ابدا فان كان كذلك وذلك في قوم علم الله
انهم لا يؤمنون ابدا وفائدة قولهم انهم لا ايمان لهم تخرج على وجهين احدهما ان اهل العهد اذا نقضوا
العهد ينقض ذلك ويتركون على النقض ويقاتلون بعد النقض وليس كاهل الذمة اذا نقضوا الذمة لا يتركون
ذلك ولكن يردون الى الذمة ولا ينقض الذمة بينهم وقال الحسن قوله لا ايمان لهم يقول لا تصدقوهم
وقوله لعلهم ينتهون عن نقض العهد **وقوله** عز وجل الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم اي كيف لا تقاتلون قوما
نكثوا ايمانهم وايمانهم ما ذكرنا وهو حرف الاغراء على مقاتلة من اعتقاد نقض العهود والتحريض عليهم وهموا
باخراج يحتمل قوله وهموا باخراج الرسول القتل اي هموا بقتله وفي القتل اخراجه وهموا اخراجه من المدينة
على ما ذكر في بعض القصة ان اليهود قالوا للرسول لئن كان الانبياء والرسل بيت المقدس لا المدينة
فانتقل اليه وفي الآية دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا في انفسهم
وفيما بينهم اخراجه وقتله لا انهم اظهروا ذلك ثم اخبرهم بذلك دل انهم انما علموا انه انما عرف ذلك
بالله تعالى **وقوله** عز وجل وهم بدؤكم اول مرة يحتمل قوله هم بدؤكم اول مرة في نقض العهد اي هم بدؤكم
بنقض العهد ويحتمل هم بدؤكم بالقتال اول مرة والاخراج **وقوله** عز وجل اتخشونهم فالله احق ان تخشوه اي
لا تخشوهم واخشوا الله فانهم لا يقدرون ان يصل لكم نكبة الا باقدار الله فلا تخشوهم فاخشوا الله
ويحتمل قوله اتخشونهم فالله قادر بنصركم وبقهر عدوكم فالله ان تخشوه ان كنتم مؤمنين اذ هو قادر
على منعهم عنكم ونصركم عليه **وقوله** عز وجل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم الآية علم الله
عز وجل كراهة القتل وثقله على الخلق فامر المؤمنين بمقاتلة الكفرة ووعدهم النصر والتعذيب
بايديهم يحتمل وجهين يحتمل القتل والاهلاك ويحتمل الاسر والسبي ويخزهم يحتمل يضلوا بينا ويحتمل الهزيمة
والاذلال ويحتمل قوله يخزيهم في الآخرة كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته الخزي هو العذاب
الذي فيه الفضيحة والذلة وفي قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم دلالة نقض قول المعتزلة لقولهم
ان لا قدرة لله على افعال الخلق وقد اخبر انه يعذبهم بايديهم ولو كان غير قادر على فعالهم كان يعذبهم
بيده لا بايديهم وينصركم عليهم وعدهم النصر عليهم والظفر وخزي الكفرة وهو ما ذكر هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا دلالة نقض قولهم
لانه اخبر انه يصيبهم العذاب من عنده او بايدي المؤمنين لما ذكرنا **وقوله** ويشف صدور قوم مؤمنين
يحتمل ان يكون قلوبهم توجعت وتألمت بكفرهم بالله وتكذيبهم الرسول فوعدهم شفاء صدورهم
وذلك يحتمل وجهين احدهما انهم يسلمون فيصيرون اخوانا فيدخل فيهم السرور والفرح بازاء ما حزنوا
وتألموا وذلك شفاء صدورهم والثاني يشف صدورهم بالقتل والهزيمة يقتلون ويهزمون ففي
ذلك شفاء صدورهم لما تألمت وتوجعت بالتكذيب والكفر بالله وآياته **وقوله** عز وجل ويذهب غيظ
قلوبهم هذا يحتمل ايضا وجهين يذهب الغيظ الذي كانوا في قلوبهم غضبوا عليهم بالذي ذكرنا **وقوله** عز وجل
ويتوب الله على من يشاء اي من يشاء عذب ومن يشاء تاب عليه وفي الآية دلالة الرد على المعتزلة لانهم
يقولون شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون فاخبر انه يعذب بعضا ويتوب على بعض شاء
ان يعذب غير الذي شاء ان يتوب والله عليم اي عليم بما كان ويكون اي عن علم بما كان
منهم خلقهم لا عن جهل اذ خلقه اياهم ليس لمنافع نفسه وحاجته انما خلقهم لحاجتهم ومنافعهم
حكيم وضع كل شيء موضعه ويحتمل عليم بما كان من هؤلاء من التكذيب لرسول الله والكفر بآياته حكيم اي
ما جعل عليهم من القتل والتعذيب والخزي كانه وضع الشيء موضعه **وقوله** عز وجل ام حسبتم
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وايضا قوله ام حسبتم ان تتركوا ولما يأتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله الم احسب الناس ان يتركوا الآية هذه الآيات كانها في المنافقين
الذين اظهروا الايمان باللسان والمؤمنين الذين حققوا الايمان واخلصوا الاسلام والموافقة لهم
فقال ام حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الايمان باللسان فلا تبتلون بالقتال جعل الله تعالى القتال

مع الكفرة والله اعلم وامر به لمعنيين احدهما تطهير الارض من الكفر كقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
ويكون الدين كله لله والثاني امتحانا للمنافقين ليتبين نفاق من اظهر الايمان باللسان مراآة وصدق من اظهره
حقيقة ليعرف المحقق المخلص من المنافق المرائي لان القتال هو من ارفع اعلام يظهر بها نفاق المنافق لانهم انما كانوا
يظهرون الموافقة طمعا ليسلم لهم الدنيا ليسلم لهم المنافع التي كانوا ينتفعون بها فلما امر بالقتال خوف الهلاك
فاذا خافوا الهلاك على انفسهم امتنعوا عنه كقوله قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلموا الينا الاية
خوفا واشفاقا على انفسهم لما ذكرنا انهم انما كانوا يظهرون بالايمان باللسان ليسلم لهم ما طمعوا من المنافع
كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية هذا وصف المنافق واما المؤمن المحقق للايمان المخلص للاسلام فانه
يسلم نفسه لله في جميع احواله وان كان فيه تلف نفسه لما لم يكن عبادته الله على حرف ووجه كالمنافق ولكن على الوجوه
كلها والاحوال جميعا عبادته تكون لله لا يمنعه خوف الهلاك عن القتال بل نفسه تسخو لذلك وترضى ولا كذلك المنافق
وقد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يكون على الايجاب والالزام ثم قوله ام حسبتم يحتمل وجهين احدهما اي
قد حسبتم ان تتركوا على ما اظهرتم من الموافقة والخلاف في السر ولا تبتلون وتمتحنون ما تظهرون منكم مما اضمرتم
فلا تحسبوا ذلك والثاني ام حسبتم اي لا تحسبوا ان تتركوا على ذلك ولا تمتحنوا بالجهاد والقتال احد التاويلين يخرج
على النهي والثاني على الاخبار عما عندهم ثم قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ليعلم من قد علم انه يجاهد مجاهدا
ويعلم ما قد علم انه يكون كائنا لا على حدوث علمه بذلك اذ هو موصوف بالعلم بكل ما يكون في وقت ما يكون على ما يكون
فيكون قوله ليعلم المجاهدين منكم وليعلم الصابرين من كذا اي ليعلم من قد علم انه يجاهد مجاهدا وليعلم ما قد
علم انه يكون كائنا لانه لا يجوز ان يوصف الله بالعلم بما ليس يكون انه يعلمه كائنا كما لا يجوز ان يوصف انه يعلم من
الجالس القيام في حال جلوسه ومن المتحرك السكون في حال حركته ومن المتكلم السكوت في حال كلامه انما يوصف
بالعلم على الحال التي الخلق عليه لا يوصف بالعلم في حال غير الحال التي هو عليه والله الموفق ويحتمل هذا وجها اخر ان
فيما اضاف العلم الى نفسه كان المراد منه اولياؤه كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء ينصركم وان
تنصروا دينه ينصركم وان تنصروا رسوله ينصركم فعلى ذلك قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ليعلم اولياء
المنافق المرائي والمؤمن المحقق المخلص وليتبين لهم وكقوله يخادعون الله اي يخادعون اولياءه اذ الله لا يخادع
ولا ينصر اذ هو ناصر كل احد ولا يخفى عليه شيء عالم بما يكون في وقت ما يكون او ان يكون المراد من العلم الذي ذكر
العلوم وذلك جائز في اللغة جار وفي القران كثير **وقوله** عز وجل ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة اي لم يجدوا ملجأ يلجأون اليه من دون ما ذكر لو وجدوا ذلك لا تخذوا ذلك ولكن لما لم يجدوا لم يتخذوا
كقوله يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ الاية اخبر انهم لو وجدوا ملجأ
اليه ولو لو الا يظهرون ذلك **وقوله** وليجة قال بعض اهل الادب الوليجة البطانة من غير المسلمين واصلها من
الولوج وهو ان يتخذ الرجل من المسلمين دخيلا من المشركين وخليطا وودا وجمعه الولائج وقال البعض الوليجة اصلها
من الدخول كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط يقال ايضا فلان وليجة فلان اي خاصه وقال بعضهم الوليجة الخيانة وقال بعضهم
الوليجة ما يلجأ وقال بعضهم كل شيء ادخلته في شيء ليس منه فهو وليجة وبعضه قريب من بعض والله خبير بما تعملون
عوا لوعيد جرج **وقوله** عز وجل ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر قال بعض اهل التاويل
نزلت الاية في العباس بن عبد المطلب اسر يوم بدر فاقبل ناس من المهاجرين والانصار منهم علي بن ابي طالب وغيره
فعيروه بالكفر بالله والقتال مع النبي وقطيعة الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتذرون محاسننا فقالوا ولكم محاسن
قال اي والله انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب البيت ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله ردا عليه لكن في اخر الاية دلالة
انه لا يحتمل ان يكون في العباس على ما قالوا لانه قال اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وفي النار هم خالدون
والعباس قد اسلم من بعد فلو يحتمل هذا الا لوعيد بعد الاسلام وقال غيرهم من اهل التاويل **وقوله** ما كان للمشركين
ان يعمروا مساجد الله اي ما كان بالمشركين عمارة مساجد الله انما كان بهم خراب مساجد الله لان المساجد انما تعمر بالذكر
فيها والصلوة واقامة الخيرات كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الاية وهم لم يعمروها للذكر
اسم الله فيها انما عمروها لذكر الاصنام والاوثان فكان بهم خراب المسجد لا العمارة وقال بعضهم قوله ما كان
ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله على ما عندهم لان الذي منعهم عن الايمان بالله حبهم الدنيا وميلهم اليها ما
ينبغي لهم ان يعمروها وينفقوها ويضيعون اموالهم فيها ولا ينتفعون منعهم عن التوحيد والايمان
حبهم الدنيا وشهواتهم وميلهم اليها فعلى ما عندهم ما ينبغي لهم ان يعمروها وقال بعضهم قوله وما كان
للمشركين ان يعمروا مساجد الله اي ما كان على المشركين ان يعمروا مساجد الله لانهم لا ينتفعون بها في الاخرة
لانهم لا يؤمنون بالاخرة وانما يقصد بعمارة المساجد والانفاق عليها الثواب في الاخرة وهم لا يؤمنون
بها فتضيع نفقتهم في ذلك اذ لا مقاصد لهم ولا منفعة انما ذلك على المسلمين ويجوز له بمعنى عليه كقوله
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها اي فعليها وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله يحتمل
هذا اي ما كان بالمشرك عمارة الله انما يكون عمارته بمن امن بالله واليوم الاخر لا بمن اشرك بالله وكفر بالاخرة
وقوله شاهدين على انفسهم بالكفر قال بعضهم شاهدين على انفسهم اي على نفس محمد ومن امن معه سماهم انفسهم

لانهم

لانهم من قرابتهم وارحامهم وقد سمى الله المتصلين بهم بذلك كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم وقوله فسلموا على انفسكم
فعلى ذلك الاول يحتمل ما ذكرنا وشاهدين على انفسهم بالكفر عند الضرورات عند نزول العذاب بهم وعند الهلاك
كقوله فلما راوا باسنا الاية وغير ذلك من الاحوال التي كانوا يقرون بالكفر يرجعون عنه شهدوا عليهم بالكفر وقال
بعضهم قوله شاهدين على انفسهم بالكفر اي انفسهم تشهد بالكفر عليهم لان خلقتهم تشهد على وحدانية الله وانفسهم
تشهد على فعلهم بالكفر وهو ما قال تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة قيل بل الانسان من نفسه بصيرة اي بيان من نفسه
والله اعلم **وقوله** عز وجل اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة الى اخر الاية في قوم ماتوا على الكفر **وقوله** عز وجل
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر الوجوه التي ذكرنا في قوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله ان لم يكن
عليهم فذلك كله على المسلمين اي عليهم عمارة المساجد وبهم يعمر المساجد وهم ينبغي ان يعمروها واقام الصلوة واتى الزكوة
قد ذكرنا فيما تقدم **وقوله** عز وجل ولم يخش الا الله قال بعضهم هو صلة قوله اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان
كنتم مؤمنين امر ان يخشوا الله ولا يخشوا غيره ثم ذكر ههنا من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة
ولم يخش الا الله وقال بعضهم الخشية العبادة كانه قال ولم يعبد الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين
والعسى من الله واجب اي كانوا مهتدين **وقوله** اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم
الاخر في الاية اضمار فعل او فاعل لكي يصح المقابلة لان الاية انما يقابل فعل بفعل او فاعل بفاعل لا يقابل فعل بفاعل
ولا فاعل بفعل فيهما ذكر السقاية وعمارة المسجد مقابل من امن بالله فهو والله اعلم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد كايمان من امن بالله واليوم الاخر او ان يقال اجعلتم القائم باصلاح سقاية الحاج وعامر المسجد الحرام
كمن امن بالله ليكون مقابلة شخص بشخص او فعل بفعل ثم لا يصح ان يجمع بين الكافر والمؤمن فيقال لا يستويان
عند الله وان كان الكافر قد اتى بالمحاسن الا ان يقال ليس من فعل محاسنا في حال كفره ثم امن من بعده كمن فعل
محاسنا وهو مؤمن هذا يجوز ان يجمع فيقال لا يستوون عند الله واما الكافر الذي مات على الكفر وان عمل
خيرات والمؤمن الذي عمل الصالحات فمات على ذلك يجمع فيقال لا يستويان فلو ان يقال بالجهاد الذي ذكر
لا يستوي من بذل نفسه للقتل والتلف كمن سقى الحاج وعمر المسجد الحرام ولم يبذل نفسه لذلك فاما ان يقال
لا يستوي الكافر والمؤمن فذلك غير محتمل لانه انما يقابل الشيء بالشيء اذا قرب بعضه من بعض واما عند
البعد منه فلا يقال ولا يقابل **وقوله** عز وجل والله لا يهدي القوم الظالمين ما داموا في ظلمهم وما داموا
اختاروا الظلم لا يهديهم وقت اختيارهم الظلم او لقوم مخصوصين وقد ذكرنا معناه في غير موضع **وقوله**
عز وجل الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله قوله امنوا اي صدقوا رسول الله في جميع ما يخبر عن
الله انه صادق وفي جميع ما دعا اليه وامرهم به ونهاهم عنه انه حق والا كانوا مؤمنين بالله كقولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله كانوا مؤمنين بالله لكنهم يكذبون
الرسل ورسالتهم اي فارقوا اباءهم واخوانهم وعشيرتهم واموالهم ومنازلهم وبلادهم هاجروا جميع
ما تحبه انفسهم وتهواه وتميل اليه القلوب ما ذكر في الاية التي تتلو هذه الاية وفارقوا ذلك الكل اشفاقا
على دينهم ليسلم ما لو اعطوا قبل الاسلام الدنيا وما فيها اذا وعدوا بكل وعيد وخوف ما فارقوا اباءهم واخوانهم
وعشائرهم واولادهم الذين ذكر في الاية ثم اذا اسلموا فارقوهم واجابوا رسول الله في ذلك ابتغاء مرضات الله
وطلبا لرضوانه ليعلم عظم قدر الدين في قلوبهم وخطير منزلته عندهم ليعلم ان محن اصحاب رسول الله اعظم و
اشد من محننا لان محنتهم كانت على خلاف عاداتهم وخلاف ما طبعوا لان الانسان مطبوع على حب ما ذكرنا
مجبول عليه فهم مع ذلك تركوا وفارقوا ذلك وتحملوا كراهة ذلك ابتغاء مرضات ربهم واما محننا فانها
على سبق من العادة فهو اهون وايسر **وقوله** وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي بذلوا لله الذي
لا شيء احب اليهم من الاموال والانفس **وقوله** عز وجل درجة عند الله قال بعض اهل التاويل من صدق بتوحيد الله
وهاجر الى المدينة وجاهد العدو باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من الذي فخر بعمارة البيت وسقاية
الحاج وهم كفار وكذلك قالوا في قوله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ولكن الوجه في ذلك عندنا ومعنى المقابلة اولئك الذين ذكر
اعظم درجة عند الله من الذين اسلموا وتخلفوا اولئك **وقوله** واولئك هم الفائزون الفوز هو الظفر في
اللغة اي اولئك هم الكفا فرون بنعيم الله وكرامته والناجون عن عذاب الله ونقمته يبشرهم ربهم برحمة
منه يحتمل قوله يبشرهم ربهم برحمة منه اي بالنصر لهم في الدنيا والظفر لهم على عدوهم كقوله قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم الى اخر ما ذكر كله انما كان برحمته ويحتمل الثواب لهم في الاخرة
والكرامة **وقوله** عز وجل ورضوان اي يبشرهم ايضا ان ربكم عنكم راض وجنات لهم فيها نعيم مقيم اي
يبشرهم بجنات لهم فيها نعيم مقيم دائم وكرامة خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم قال الحسن ما سمى
الله عظيما فهو عظيم لا يدرك عظمه **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم ان استحبوا
الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون يحتمل الولاية الموافقة لهم في الدين ومن تولاهم
في الحقيقة فهو منهم وهو ظالم لا شك فان كان هذا فهو ظالم لا شك فلم يكن لقوله ومن يتولهم منكم

فاولئك هم الظالمون معنى ويحتمل الولاية اظهار الموافقة لهم في الظاهر على حقيقة لكن اظهار على غير حقيقة
يباح في حال اضطرار عند خوف الهلاك وذهاب الدين فيجوز ان يكون قوم استروا الايمان في انفسهم وكتموه ونطقوا
الموافقة لهم على دينهم وخوفا على انفسهم فيباح لهم ذلك لما ذكرنا فلما ان جعل الله الهجرة وجعل للمؤمنين
مأوى وانصارا يلجأون ويأوون اليهم لم يعذروا في اظهار الموافقة لهم وان كانوا في الترك ليسوا على دينهم
لما ذكرنا فهذا يدل على ان من اجرى كلمة الكفر على لسانه في غير اضطرار يصير كافرا على ما جعل هؤلاء اولياء
الكفرة حقيقة ظلمة مثلهم اذا تولاهم في الظاهر وان لم يكونوا في الحقيقة كذلك وهذا اشبه وهو ما قال
عز وجل ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم الاية لم يعذروا في تركهم الهجرة فعلى ذلك هؤلاء اذا اظهروا الموافقة
لهم بعد ما جعل لهم المأوى والانصار صاروا هم في الحقيقة كذلك نهانا عن موالاة الكفرة جملة بقوله لا يتخذ
المؤمنون الكافرين اولياء كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وهذا
النهي لنا في جملة الكافرين ثم نهانا عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
ثم نهانا ان نوالي المتصلين من الاباء والامهات وغيرهم من القرابات لما يقع الشبه في موالاة المختصين
بهم لخصوص النهي فيه وكذلك في تخصيص اليهود والنصارى لما بيننا وبينهم من موافقة في التوحيد والكتب لخصوص النهي
في ذلك ثم الولاية التي نهانا عنها تخرج على وجوه احدها المودة والمحبة اي لا تودوهم ولا تحبوهم والثاني
ان لا تتخذهم موضع سرنا وبطانتنا كقوله لا تتخذوا بطانة الاية والثالث ولاية الطاعة لهم اي لا تطيعوهم
كقوله اي لا تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم الاية وقوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم نهانا
ان نحبهم ونودهم ونهانا ايضا ان نتخذهم موضع سرنا ونفشي اليهم سرائرنا ونهانا ان نطيعهم فيما يدعوننا
اليه ويشيرون والله اعلم للخلاف الذي بيننا وبينهم في الدين وقوله عز وجل ان استحبوا الكفر على الايمان اي اختاروا
الكفر على الايمان والمحبة ههنا محبة الاختيار والايثار وقوله عز وجل قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها هو مقابل قوله الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
الى اخره وقوله عز وجل ان كان اباؤكم وابناؤكم وما ذكر اي ان كان طاعة هؤلاء ورضاهم احب اليكم من طاعة
الله وطاعة رسوله ورضاه واحب من جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره هو خوف وتهديد اي
انتظروا حتى يأتي الله بامره اي بعذابه قال اهل التأويل حتى يأتي بامره في فتح مكة ودل ما ذكر في قوله ان كان
اباؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم على ان المراد من قوله لا تتخذوا الاباء كل الاباء والابناء جميعا والاخوان
الاخوان وجميع المتصلين بهم دليله ما ذكر في اخره حيث قال ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم ذكر الاباء والازواج والعشيرة والله اعلم وقوله واموال اقترفتموها قال بعضهم
اكتسبتموها وقال ابو بكر الاصم واموال اقترفتموها اي اموال جعلوها حلالا وحراما ويقولون
الله اذن لنا في ذلك كقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما ويقولون الله اذن لنا في
ذلك وقوله عز وجل وتجارة تخشون كسادها كانوا يخشون فواتها وذهابها لا الكساد في الهجرة تركها رأسا
وقوله عز وجل لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اي نصركم في مواضع كثيرة كان فزعكم الى الله تعالى ونصركم
يوم حنين ايضا بعد ما هزمكم العدو واعجبكم الكثرة بصرفكم الفزع الى الله ونصركم ايضا يوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا يعني الكثرة يذكرهم عز وجل منته عليهم وفضله ان النصرة والظفر منه كان انما كان
بالله لا بكثرتهم وقوتهم لانه لو كان بالكثرة والقوة لم يكن للمسلمين قوة وكثرة ما كان يوم حنين ثم كانت الهزيمة
عليهم في الابتداء لاعجابهم الكثرة واعتمادهم بها ليعلم ان النصرة والظفر انما يكون بالله لا بالقوة والكثرة لئلا
يعتمدوا على الكثرة ولا يتكلوا اليها فان قيل قد امرنا باخذ العدة والقوة ما استطعنا بقوله واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة الاية قيل انما امرنا بما يعجبنا فما معنى النهي عن الاعجاب بالكثرة والقوة وكذلك نهانا عن التأسي
بما فاتنا ونهانا ان نفرح بما يؤتينا وقد كلفنا الشكر لما اتانا والصبر على ما فات منا فلو لم نفرح بما اتانا لم يلزمنا
الشكر ولا الصبر بما فاتنا فما معناه والله اعلم انه نهانا ان نفرح بما يؤتينا لنفس الاشياء ونتأسى لنفسها بما يصيبنا ويفوتنا
لما جعل لنا الله ثوابا في الاخرة واجرا عظيما وكذلك الكثرة امرنا بها فاذا اتانا ذلك يعجبنا فضل الله ومنته في ذلك
الكثرة لنفسها والقوة والله اعلم فان قيل الاعجاب بالكثرة كان من بعضهم لا من الكل فكيف هزم الكل وكذلك
العصيان يوم حنين انما كان من بعض كيف عاقب الجميع قيل لان له ان يتلف الكل ابتداء الا ترى في امر الواحد
القيام لاثنين ثم رخص في الامر بالجهاد امر على غير وسع ولا كذلك في سائر العبادات لانه امر الواحد القيام لاثنين
منهم وليس في وسع احد القيام لاثنين فهو والله اعلم لما ان له ان يكلف قتل انفسهم واتلافها الا ترى انه
قال ولو انا كتبنا عليهم الاية ولو لم يجز له ان يكتب قتل انفسهم لم يكن ليذكره دل ان ذلك له وان يمتحنهم
ويهلكهم فعلى ذلك ان يأمر بقتل انفسهم فاذا كان له ذلك اذ في وسعهم قتل انفسهم فعلى ذلك ان
يكلف الواحد القيام لاثنين ولعدد وان كان في ذلك تلف انفسهم وكذلك امرنا بمجاهدة الشيطان عدونا
واخبر انه يرانا ولا نراه نحن بقوله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم والمحاربة مع عدو لا نراه وهو
يرانا امر صعب شديد لكن الله علمنا اسباب ما نحارب معه ونجاهده فنغلبه وقال في الشياطين واما ينزغنك

من الشيطان

من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية علمنا اسبابا
نقاتل بها الشيطان فنغلبه ونقهره وما ذكر من ذكره لا يقوم هو لذلك قال في العدو الذي نراه من البشر حيث
قال اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقال واصبروا ان الله مع الصابرين قد علمنا اسباب الجهاد معه
واعلمنا الحيل التي تجوز للواحد القيام لاثنين فصاعدا بالحيل واذا لم يكن له الوسع به بالقوة نفسها ثم
الفرق بين الجهاد وبين غيره من العبادات لما يحتمل ان جعل الله الجهاد اية من ايات الحق والرسالة ليعلم الخلق
ان النصر والظفر كان بالله لا بغيره ليظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل والله اعلم وقوله عز وجل وضاقت عليكم
الارض بما رحبت هذا على التمثيل يقال عند شدة الحزن والغضب وعند بلوغها ضاقت عليهم الارض بما رحبت
يقال ذلك لسعة الارض في اوهام الخلق وقوله عز وجل ثم انزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين قال بعضهم
السكينة الملائكة كقوله وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به الاية وقال بعضهم انزل سكينته اي
نصرته وقيل وقاره ورحمته وقيل طمانينته واصله سكنت قلوبهم واطمانت بعد شدة الحزن باي وجه
ما سكن بالملائكة او بغيره فاسكن قلب رسول الله لما اشتدت عليه رجوع اصحابه ومفارقتهم اياه وانزل
جنودا لم تروها وهم الملائكة وعذب الذين كفروا بالقتال والهزيمة وذلك جزاؤهم وفي قوله ثم انزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين دلالة نقض قول المعتزلة لانه سماهم مؤمنين بعدما كان منهم التولي والتولي
لم يخرجهم من الايمان على ما قال وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا اختلف فيه قال بعضهم النهي عن دخول المسجد الحرام نفسه وعندنا ان النهي عن دخول المسجد الحرام نهي عن
دخول مكة نفسه للحج واقامة العبادات دليله وجوه احدها قوله بعد عامهم ولو كان لا دخول المسجد لكان ذلك
العام احق من المنع في دخوله في غيره والثاني قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وخوف العيلة انما
يكون في دخول مكة لانه لو كان النهي عن دخول المسجد نفسه لكان لا خوف عليهم في ذلك لانهم يحضرون يدخلون
مكة للتجارة فلا خوف عليهم في ذلك او ان يقال انه ذكر المسجد الحرام لما انهم كانوا يقصدون البيت والحج به فيكون
النهي عن دخول المسجد نهيا عن الحج نفسه وهو ما روي في الخبر انه بعث عليا في الموسم باربع وامره ان ينادي
في الناس ان لا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله الى مدته فاذا مضى مدته
فانه بريء من المشركين ورسوله ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك فالنهي الذي ورد عن دخول
المسجد انما هو نهي عن الحج نفسه لان البيت هو الذي يقصد اليه فيه الا ترى انه قال ولله على الناس حج البيت الاية
وقال فمن حج البيت او اعتمر الاية وقال وليطوفوا بالبيت العتيق ذكر البيت وهو المقصود بالحج في الاسلام والكفر
جميعا فعلى ذلك خرج النهي لكنه ذكر المسجد لما ان البيت فيه فاذا كان ما ذكرنا فان شئت فاجعل اخر الاية تفسيرا لاولها
قوله فان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وهو ما ذكرنا ان النهي لو كان لا دخول المسجد نفسه دون غيره من
البقعة لكان ليس عليهم خوف العيلة لانهم يدخلون مكة ويتجرون فيها ولا يدخلون المسجد وان شئت فاجعل اول
الاية تفسيرا اخرها وهو قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو ما ذكرنا فاذا كان ما ذكرنا دل
ان المشرك لا يدخلوا المسجد الحرام وخبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه ايضا يدل على ذلك فاما من كان من اهل الذمة
والعبيد منهم فليسوا والله اعلم بداخلين في الاية اذا كانوا ممن لا يحج فان قيل فقد روي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه انه نادى الا لا يدخل الحرم مشرك ولم يذكر الحج قيل له روي عنه انه قال نادى ان لا يحج بعد
العام مشرك فيكون قوله لا يدخل الحرم مشرك على الحج على ما ذكرنا وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يقرب المشركون المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا ان يكون عبدا او امة يحتمل استثناء العبد والامة
لان العبد لا يدخل للحج ولا لاقامة العبادة انما يدخل لخدمة المولى اذا كان مسلما وفي بعض الاخبار الا احدا
من اهل الذمة وعن جابر بن عبد الله موقوفا كذلك او احدا من اهل الذمة وفيه دلالة لقول ابي حنيفة انه
لا باس للكافر ان يدخل المسجد وقال ارأيت لو اراد ان يسمع كلام الله ليؤمن فيمنع عن ذلك ويلزم ان يستمع اتيان
ذلك المشرك فيستمع كلامه فيكون الامر بالابلاغ الماءمن لذلك المشرك الامام دل انه لا باس بذلك وقد
ذكرنا ان ليس في ظاهر الاية دلالة النهي عن دخول المسجد بل المراد من ذكر المسجد ما ذكرنا من الحج واقامة
العبادة لغير الله الا ترى الى قول الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد وان
سبيل مكة كلها هذا السبيل وكذلك قوله ثم محلها الى البيت العتيق والحرم كله منحر لان المعنى في ذلك والله
اعلم ما ذكرنا ان لا يدخل المشركون حاجا الا ترى انا لا نعلم ان المشركين لم يزالوا مقيمين في الحرم بعد النداء
ولم يخلوا عنه ومما يدل على ذلك ايضا قول الله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم فان كان يعني به موضع العهد فان ذلك العهد يوم الحديبية عند الشجرة فقد صار ذلك الموضع من المسجد
الحرام وهو في المسافة بعيد منه الذين عوهدوا فانهم كان يوم بدر نادى علي رضي الله عنه فذلك خارج
من مكة لان اهل مكة قد كانوا قبل ذلك حين فتحها النبي لحاضري المسجد الحرام هم من رج مكة في الحرم وما
حوله لا يقرب المسجد الحرام مشرك يخرج على وجوه احدها لا تدعوهم يقربوا المسجد الحرام والثاني قوله انهم
لا يقربوا المسجد الحرام والثالث على البشارة اي اذا قلتم لهم ذلك فلا يقربوا بعد ذلك وقوله انما المشركون

نجس اى افعال المشركين نجس والعبادات التى يأتون فيها نجس وهو ما ذكر حيث قال انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان صير عمل الشيطان رجسا فعلى ذلك العبادات التى يقيمونها نجسة فالنهى عن قرب
الحج نهى عن اقامة العبادات لغير الله لان تلك البقعة نزهت عن اقامة العبادة لغير الله ثم اختلف فيه قوله انما المشركون
نجس قال بعضهم هو نجس الافعال وقال بعضهم هو نجس الاحوال والاشبه ان يكونوا نجس الافعال لان قوله
انما المشركون نجس يخرج مخرج الذم ولا يحتمل ان يذموا ويشتموا بنجاسة الاحوال دل انه انما الحقهم ذلك الذم بما
اكتسبوا من الافعال الرديئة وهو كقوله انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان اخبر ان
عمل الشيطان رجس ونجس فعلى ذلك جائز ان يكون قوله انما المشركون نجس اى نجسة الافعال لان ذلك من كسبهم
فاستوجبوا المذمة لكسبهم واما الاحوال فلا صنع لهم فيها وقوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله
قيل خافوا من العيلة لما نفى المشركون من مكة لان معاشير اهل مكة انما كان من الافاق وباهل الافاق كان سعتهم
وتجاراتهم لكن الله وعدهم السعة والغنا بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال بعضهم دل قوله
ان شاء على انه انما وعدهم الاغناء فى بعض الاوقات وقال بعضهم قوله ان شاء كان من رسول الله لانه امر رسوله
انه يغنيهم ان شاء وهو ما امر ان يستثنى فى جميع ما يعده كقوله ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله ويحتمل ان يكون قوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء بهؤلاء الذين نفوا عنه لانه حبب اليهم التجارة والمكاسب
وما ينالون الارباح بها يجعلهم ذلك على الاسلام مسلمون فيدخلون فيها بجعلهم حب التجارة على الاسلام فيكون
لهم به غنى كما كان يجعلهم حب التجارة والربح عن الهجرة وقوله وتجارة تخشون كسادها فعلى ذلك الاول وقال
بعضهم قوله فسوف يغنيكم الله من فضله الجزية التى ذكرها فى الاية تتلو هذه وقوله عز وجل ان الله عليم بما
اضمروا من خوف العيلة او عليم بما لهم وعليهم وبمن يكن لهم الغنى حكيم فى امره وحكمه وان خفتم عيلة دلالة
اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اضمروا ذلك فى انفسهم ثم اخبرهم رسول الله بذلك
دل انهم علموا انه انما عرف ذلك بالله وقوله عز وجل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ذكر
اهل الكتاب اليهود والنصارى واخبر انهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وهم فى الظاهر يقرون بوحدانية
الله واليوم الاخر فى الحقيقة منه قبل هم وان امنوا فى الظاهر بالله واليوم الاخر فانما يؤمنون بالله له ولد
كما ذكره على اثره وهو قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فالايمان بالله له
ولد ليس بايمان بالله فهم غير مؤمنين وكذلك امنوا بالبعث واليوم الاخر ولكن لم يؤمنوا بالموعود فى
الاخرة فلا ايمان باليوم الاخر بغير الموعود فيه ليس بايمان به وان يقال انهم وان اقروا بما ذكرنا واستوا به
فقد استحلوا اشياء حرمها الله عليهم وحرموا اشياء احلها الله لهم ومن امن بالكتب كلها والرسل ولم يؤمن
باية منها او برسول منهم فهو غير مؤمن بالله واليوم الاخر ولا مصدق له وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الاخر الاية فان قال لنا ملحد انكم تقاتلون الكفرة للكفر ثم اذا اعطوكم شيئا من المال تركتم مقاتلتهم
فلو كان قتالكم اياهم لذلك لا لطمع فى الدنيا لكنتم لا تتركون مقاتلتهم لشىء غير زوالكم وكذلك لو كانت
المقاتلة للكفر نفسه لكان النساء فى ذلك والرجال سواء اذ هم فى الكفر شرعا سواء وقالوا لو كانت المقاتلة
معهم لما ذكرنا وهو حكمة ولا مزيد لك حكيما لكان الناس جميعا فى ذلك سواء ولا يتركون احدا بشىء من ذلك
بل يقاتلون ابدا ولا يرضون منهم غيره فيقال لهم انا لم نقاتل الكفرة للكفر ولكنا ندعوهم الى الاسلام فان
ابوا الى ذلك والا قاتلناهم ليضطرهم القتل الى الاسلام لهذا انما نقاتلهم لا لشىء سواه فاذا كان فى اخذ الجزية معنى
ماندعوهم الى الاسلام فاذا قبلوا ذلك تركناهم على ذلك لعلهم يرغبون فى الاسلام اذا راوا شرايعنا واحكامنا
لا انا تركناهم رغبة فيما نأخذ منهم او طمعا فى ذلك واصله المحنة اذ الدار دار المحنة ليست بدار الجزاء والمحنة تكون
بمختلف الاشياء لا بما تلفها مرة يمتحنهم بالقتال ومرة باخذ الاموال ومرة بما يشاء كقوله ولنبلونكم بشىء من
الخوف والجوع وقوله ونبلوكم بالشر والخير وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحو ذلك فاذا كان ذلك محنة
لا جزاء لذلك وكان ذلك حكمة واما قولهم بانا نقاتل الرجال ولا نقاتل النساء ونسترقهن لانهن اتباع
الرجال فى جميع الاحوال وخدم لهم فاذا اسلموا اسلمن هذا معروف فيما بينهم اذ هن فى ايدى الرجال يفعلون
بهن ما شاؤا واصله ما ذكرنا ان القتال محنة ليس هو جزاء الكفر اذ الدار دار محنة فله ان يمتحن بعضا
بالقتل وبعضا باخذ المال لا بدا ولذلك ولو كان جزاء لسوى بينهم هو التخليد فى النار ابدا فان قيل ما الحكمة
فى اخذ الجزية من سائر الكفرة اذا كانوا اهل الكتاب او المجوس وترك الاخذ من مشركى العرب قيل لوجوه احدها
ان ليس لمشركى العرب دين يدينون به يقاتلون عن ذلك الدين ولا لهم اصل يعتمدون عليه او كتاب يكلون
اليه انما هم قوم يقاتلون عن قبائلهم ويتناصرون بهم ولغيرهم من الكفرة دين يدينون به واصل
يعتمدون عليه ويحاجون الناس بالحجاج التى لهم فاذا كان كذلك امكن اقامة الحجج على هؤلاء والزام البراهين
ولا كذلك مشركو العرب اذ لا دين لهم ينسبون اليه ومذاهب يدعون غيرهم اليه بالحجاج وامكن فى غيرهم
لذلك افترقا والله اعلم بذلك والثانى انهم تمنوا ان يكون لهم رسول من جنسهم يتبعونه فيما يدعوهم
اليه ويدين يجيبونه حتى اقسموا على ذلك واكدوا القول فى ذلك كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يتر ولئن

يكن من غيرهم من الكفرة ماكان منهم فاذا كان كذلك فهم يقاتلون ابدا حتى يوفوا ما وعدوا كقوله تقاتلونهم او يسلمون
والثالث لفضل رسول الله اذا كان منهم ومن جنسهم فلا يترك احد فى تلك البقعة على غير دينه وامكن ان يكون
وجه اخر وهو ان مشركى العرب فى حد القليل يمكن المقاتلة معهم والقيام لهم فلا يرضى منهم الا الاسلام واما
غيرهم من الكفرة فى بقاع مختلفة وهم كثير اذا اجتمعوا لم يكن فى وسع اهل الاسلام القيام لهم والقتال معهم
فيلحق المسلمين فى ذلك ضرر بين لذلك كان ما ذكر وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الاية قد ذكرنا انهم وان كانوا يؤمنون
بالله واليوم الاخر عند انفسهم فانهم فى الحقيقة غير مؤمنين به لان شرط ايمانهم الايمان بالرسل جميعا والكتب
جميعا فهم قد تركوا الايمان ببعض الرسل وببعض الكتب ومن كفر برسول من الرسل او بكتاب من الكتب او بحرف
منها كان كافرا بالله وقوله عز وجل ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله يحتمل انهم لا يحرمون تحريف الكتب وكتمان
نعت رسول الله والله حرم ذلك عليهم او لا يحرمون عبادة الاوثان والله ورسوله حرم ذلك او لا يحرمون
ما حرم الله ورسوله من الخمر والخنزير وغيره والله اعلم وقوله عز وجل ولا يدينون دين الحق وهو الاسلام
لانه دين توجبه العقول كلها وتشهد خلقته انه دين كلها ان يقول لا يدينون دين الذى له الحق انما يدينون
بدين الذى لا حق له وهو دين الشيطان زهو ما يدعوهم اليه عبادة الاصنام فيجيبونه والله اعلم وقوله عز وجل
حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ويحتمل قوله يعطوا الجزية اى يقبلوها لا على الاعطاء نفسه وهو ما ذكرنا
فى قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة هو على القبول لها لا على الفعل نفسه ويحتمل نفس الاعطاء وهو
والله اعلم لما جعلت الجزية لحقن الدماء فتقدم ليحقن بها الدم وقوله عن يد وهم صاغرون قال بعضهم عن يد اى
لا يؤخرونها عن وقت قبولها بل تؤخذ يدا بيد وقال بعضهم عن يد اى عن قهر وغلبة وقيل عن يد اى عن طوع
وطيب وقيل عن جماعتهم لكننا لا ندرى ما يعنون بالجماعة وقوله صاغرون قيل ذليلون وهو من الذل يقال
يقال صغر الرجل يصغر صغارا فهو صاغر اى ذل فهو ذليل وقيل صاغرون اى مذمومون وعن ابن عباس رضى الله
عنه يمشون بها ملببين واصله الذلة وهو الخضوع والله اعلم الذلة وهو الخضوع والله اعلم الذلة التى ذكر الله فى
قوله ضربت عليهم الذلة والمسكنة اينما ثقفوا فاذا قبلوا ذلك فقد اذعنوا بالذل والصغار وقوله قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله الاية اما اليهود والنصارى واختلف بين اهل العلم فى ان من يذل منهم الجزية اخذت
منه واقر على دينه واما المجوس فانه يؤخذ منهم الجزية لما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال ما ادرى ما اصنع
بالمجوس فانهم ليسوا بمسلمين ولا من اهل الكتاب قال عبد الرحمن بن عوف اشهد انى سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب وفى بعض الروايات اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
الجزية من مجوس هجر وعن على ان ابا بكر وعمر اخذ الجزية من المجوس وقال على بن ابى طالب انا اعلم الناس بهم
كانوا اهل كتاب يقرؤنه واهل علم يدرسونه فنزع ذلك من صدورهم وعن ابى ذر عن ابى موسى قال لولا انى رايت
اصحابى اخذوا الجزية من المجوس ما اخذتها وعن ابى عبيدة ابن الجراح قال كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى المنذر انه
قال من استقبل قبلتنا وصلى صلوتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله ومن احب ذلك
من المجوس فهو امن ومن ابى فعليه الجزية وعلى ذلك مضت الائمة ولم ينكر احد من السلف حتى قال قوم ان المجوس
انما اخذت منهم الجزية لانهم اهل كتاب فاحلوا ذبايحهم ونساءهم وذهبوا الى ما روى عن على وقال اخرون
ليسوا من اهل الكتاب ولكن الجزية يؤخذ منهم اتباعا لرسول الله سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم
ولا اكلى ذبايحهم وما روى عن الصحابة وائمة الهدى ثم المسئلة فى تقدير الجزية روى فى بعض الاخبار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه بعث معاذا الى اليمن فقال له خذ من كل حالم دينارا او عدله معافر وروى عن عمر
رضى الله عنه انه بعث عثمان بن حنيف الى السواد وامره ان يضع على اهل السواد الخراج ثمانية واربعين درهما
واربعة وعشرين درهما واثنى عشر درهما وفى بعض الروايات انه ضرب على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى
اهل الورق اربعين درهما مع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلثة ايام واصحابنا يجعلونهم ثلث طبقات
اغنياء واوساطا وفقراء فيؤخذ من الغنى الموسر ثمانية واربعين درهما ومن الوسط اربعة وعشرين درهما
ومن الفقير المحترف اثنى عشر درهما وفى بعض الاخبار اربعين درهما او اربعة دنانير وضيافة ثلثة ايام
وعشرين درهما ودينارا وهو ما ذكرنا ثمانية واربعين بغير الضيافة وغير مؤنة وما روى من اربعين درهما واربعة
دنانير مع الضيافة والرزق الذى ذكر فى الخبر وهذا من عمر بحضرة المهاجرين والانصار فلم يأت عن احد منهم
النكير عليه ولا الرد فهو كالاتفاق منهم على ذلك ثم لا يحتمل ان يكون عمر قدر ذلك التقدير راى منه لان
المقدورات والمحدودات اسبيل معرفتها التوقيف والسمع لا العقل فهو كالمسموع عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما روى عن حديث معاذ حين امره النبى عليه السلام ان يأخذ من اهل اليمن من كل حالم دينارا فذلك
يحتمل ان يكون امره بذلك لما كانوا اهل ضعف وفقر على ما روى عن عمر فى الضعفاء من اهل مصر والشام وليس هو
الحد الذى لا يلزم اكثر من ذلك لما ذكرنا ان عمر الزم المياسير اكثر من دينار ولم ينكر ذلك احد من الصحابة فدل فعله
على ما وصفنا ثم المسئلة فى تمييز اصحاب الطبقات بين الموسر الغنى وبين الوسط والفقير قال بعضهم الفقير
من يحترف وليس له مال يجب فى مثله الزكوة على المسلمين وهم الفقراء المحترفون فمن كانت له اقل من مائتى درهم

فهو من اهل هذه الطبقة والطبقة ان يبلغ مال الرجل مائتي درهم فقال بعضهم اذا بلغ ماله اربعة الاف درهم وزاد عليها صار من اهل الطبقة الثالثة واحتجوا من قول ابي طالب رضي الله عنه وابن عمر حيث قالا اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوق ذلك كنز وقد يجوز ان يجعل الطبقة الثانية من ملك مائتي درهم الى عشرة الاف درهم وما زاد على ذلك يجعل من الطبقة الثالثة لحديث روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه ابو هريرة قال من ترك عشرة الاف درهم جعلت صفائح يعذب بها يوم القيامة ثم في قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر دلالة على ان الجزية انما تؤخذ ممن يجب ان يقاتل ان لم يبذلها والنساء والصبيان لا يقاتلون ولا يقتلن ان ظهر بهم فلا يجب ان يوضع عليهم الجزية بدليل الكتاب اذا كان الله انما امر ان يؤخذ الجزية ممن يقاتل وكذلك فعل عمر والائمة بعده روي ان عمر رضي الله عنه كتب الى امير الجيوش الا تقاتلوا الا من قاتلكم ولا تقتلوا الصبيان والنسا ولا تقتلوا الا من جرت عليه الموسى وكتب الى عماله ان تضربوا الجزية ولا تضربوها على النسا والصبيان وفي بعض الروايات انه كتب الى امير الاجناد ان لا تاخذوا الجزية الا على من جرت عليه المواسي قال والجزية اربعون درهما او اربعة دنانير وفي خبر معاذ دلالة لذلك حيث قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وامرني ان اخذ من كل حالم دينارا او عدله معافريا فذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ ذلك من الرجال دون الصبيان ودون النسا فان قيل روي عن معاذ قال امرني رسول الله ان اخذ من كل حالم وحالمة دينارا وفي بعض الروايات عنه انه قال ان اخذ من كل حالم ذكرا وانثى دينارا فان كان هذا ثابتا محفوظا فهو دليل لنا يؤخذ من نصارى بني تغلب ويكون حكم نساء العرب من اهل الكتاب فيما يؤخذ منهم خلاف نساء العجم منهم وان يقال انه غير محفوظ لما علم الامة بخلاف فيه لان الوفاق قد جرى على ان لا جزية على النساء ولو كان محفوظا لظهر العمل به وان يكون قوله خذ من كل حالم دينارا اي خذ منهما دينارا ولا تاخذ من كل واحد دينارا كقوله لكل سهو سجدتان لا يلزمه اكثر من ذلك ثم نذكر من ذلك مسألة للبس في الاية ذكرها وهو ان الجزية اذا ضربت فدخلت سنة اخرى قبل ان يؤديها اخذت منه للسنة الثانية ولم تؤخذ للسنة الاولى الماضية لتسرا كسائر الديون فان قيل السر الخراج من اخره من سنة الى سنة قبل كليت الجزية مثل الخراج يجب على المسلم في ارضه فهو كسائر الديون فان قيل ان المجوسي اذا اسلم بعد مضي السنة طولب بالجزية للسنة الماضية قيل وروي عن عمر ان رفع الجزية بالاسلام فقال والله ان في الاسلام لمعاذا ان فعل برفع عنه الجزية وروي في بعض الاخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس على مسلم جزية فمن طالبه بالجزية بعد الاسلام فقد خالف الخبر فان قالوا انما يزول عن المسلم ما كان عليه من الجزية في حال كفره لانه صار مسلما والحال لا يجوز ان توضع عليه ابتداء قيل ان الذمي اذا اجتمع عليه جزية سنتين فصاعدا والحال لا يجوز ان يلزم في الابتداء في مثلها اكثر من اثني عشر وهو الفقير لم يجز ان يلزم اكثر منها لانه جعل حكم مستند برجزية التي وجبت فاسلم صاحبها حكم الاستئناف في توظيف الجزية عليه فوجب ان يجعل حكم مستند بمن انت عليه سنتان حكم ابتداء واصله ان الجزية انما جعلت لحقن الدم فاذا مضى سنة صار دمه محقونا في السنة الماضية لذلك لم تؤخذ وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى اخره تضمنت هذه الاية احكاما منها الامر بقتال من لم يؤمن بالله واليوم الاخر وهم يقرون بالامرين لكنه يخرج على وجوه ثلاثة احدها انهم مشبهة ومن تشبيههم الله بخلقه احتمل قلوبهم القول له بالولد اذا الذين شهدوا من الخلائق على ذلك وجدوا يولد بعض من بعض واذا كان كذلك فهو غير مؤمن في الحقيقة بالله الذي هو الحق حتى يؤمنوا بم وانه بريكون الاخرة دون التي ادعوه والثاني ان الذي جبل عليه الخلق هو تعظيم رسل الملوك واجلالهم حتى يوجد من براوشل بين ملوك قد ظهرت بينهم العداوة فلما كذبوا رسول الله مع البراهين التي قد عجزت الخلائق وشهادة كتبهم به وتظاهر من عرفوا انهم مكذبون بكتبهم وبرسلهم على من صدق بذلك ثبت انهم في الحقيقة مكذبين جميع الرسل والكتب وان اظهروا الوفاق وان ذلك لا يكون الا لتكذيب منهم بالله فعلى ذلك ايمانهم بالله يكون بايمانهم بالرسل وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد عبد قيس انه قال امركم باربع امركم بالايمان بالله ثم قال اتدرون ما الايمان بالله ان تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فلذلك لم يكن ايمانهم بالله ايمانا حتى يؤمنوا برسول الله وعلى هذا يحاربون والثالث ان يكون نفي منهم الايمان بنفي منفعة الايمان عنهم اذا قل لمنفعة بر الايمان برسله والقبول عنهم بالتعظيم فاذا ظهرت منه هذه المنفعة وتركوا القتال ثم الترك على قبول الجزية جائز وان كان الامر قد تقدم بالقتل من غير ان يكون دليل انما لا يحل ذلك المال تقاتل كما كتب على كل نفس الموت ثم قد يتركون على ما هم عليه من اختلاف الاديان وتفرق الاهواء وان كان لا يدل ذلك على الامر بما هم عليه والرضاء بما اختاروا ومثله في الاول لا يدل على الرضاء بكفرهم ولا على القتال لاخذ تلك الاموال عنهم ثم الاصل ان القتال لم يجعل ليكون عقوبة للكفر اذ نوع القتل ومعناه قد يوجد في الاخيار والاشرار جميعا وهو الموت ثبت انه لم يجعل لذلك ولكن لوجهين ان يضطرهم على الاجابة الى ما فيه نجاتهم ويستحق كرامة الابد وكان ذلك بعد ان الزمناهم كل انواع الحجج فلم يقنعهم فقاتلناهم بما كان الذي يمنعهم من النظر في الحجج حب اللذات والنجاة الحياة فقاتلنا

حتى يائسوا من تلك اللذة المانعة عن النظر في الحجج والصادة عن الاجابة يزول عنهم ومن قبول الجزية قبل بعض الذل والصغار الذي ينبزعنه الطباع ويدعوا الى ما فيه الزوال فينظروا في الحجج ويقبلوا ما دعوا اليه فيكون به نجاتهم وزيادة لنا في الكرامة والثاني ان المحن كلها منقسمة على الحسنات والسيئات والخيرات والشرور ولذلك جعل الموت والحياة وعلى ذلك جميع امور الدنيا هو التقلب وعلى مختلف الاحوال فمثله الدعا الى الاسلام يكون مرة بمحاجة اليه ومرة بالقتال ومرة بالترك لا ان يجعل شيء من ذلك لشيء ولكن بما عليه امر المحن ليتذكر به وجوه الذل في قوم على ما في علم الله من المصلحة وعلى ما عليه حق الحكمة ثم الفرق بين مشركي العرب وغيرهم يخرج على وجوه احدها انهم قد كانوا اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فجاءهم فكذبوا ثم اقسموا لئن جاءهم نذير ليؤمنن به فجاءتهم ايات فلم يؤمنوا فاستوجبوا القتال الى ان يفوا بالعهد الذي سبق والقسم الذي جهدوا به وليس لغيرهم هذا او على قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم الاية فيئس الاياس عن ايمانهم الا ان يشاء الله فهو يخرج على وجهين احدهما الاياس عن ايمانهم وقبول الجزية ليخالطوا اهل شريعة الله فيسمعوا منهم الحجج ويعاينوا الافعال المحمودة في العقول والاخلاق الكريمة التي جاء بها الرسول فيؤمنوا وهؤلاء قد ايس الله عن ايمانهم واخبرهم انهم يياسون ابدا فلذلك لم يبسط لهم عهد وعلى ذلك ظهر نقضهم العقود مرة بعد مرة والله اعلم والثاني انه استثنى فيهم ان لا يؤمنوا بالايات الا ان يشاء الله فلعل الله شاء ان يكون ايمانهم بالقتال خاصة ففرض فيهم ذلك الى ان يؤمنوا ووجه اخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بعث فيهم ومنها فاوجب لهم الفضيلة بان لا يقبل منهم غير الايمان كما فضلت البقعة التي فيها بعث رسول الله ومنها ان لا يترك فيها غير المؤمن تفضيلا ووجه اخر انهم قوم ليس لهم اس والائمة في الدين اليهم يرجعون في التأسيس ومعلوم ان لا قوام في العقول لامر الدين الا بالائمة كالسياسات كلها والامور فيها القوام من الملك وغيره بل بما كانوا جروا على عاداتهم وقاتلوا عن القبائل فلا يرجعون في الحقيقة الا الى عادة خارجة عن التدين وغيرهم يرجعون الى مذاهب استست بما اسس من الديانات فقد تعلقوا بضرب من ذلك فتركوا اذا خضعوا لاء دفعوا واذعنوا لهم بحق التبع فيتركون رجاء ان يتاملوا اذ لكل مذهب نظر وليس لاولئك سوى العادة وتقليد الاباء ومن ذلك وصفه لا ينظر فيميل للنظر والله اعلم وايضا ان لسائر المذاهب اصول ينكر اهلها وفي الاقامة على القتال الى الفناء بتعنتهم بعض الى بعض فيناصرون فيجا فعلى المسلمين بابه رجاء التكثر الضناء والعرب بقل عددهم حتى لم يكونوا يقدرون على المناراة الا بمعونة اهل الكتاب وغيرهم فامكن ان يضطروا به الى القتل مع ما ليست لهم مذاهب معلومة اذ لا يذكر في شيء من الكتب لهم مذاهب وقد ذكر جميع الفرق فانما امرهم على العادة وقد يترك العادات بما لا يعترض فيها ما يمنع الاستمرار عليها من القتال والحرب فيتركونها واهل المذاهب عندهم انهم لزموا الحجج ومثل ذلك لا يترك الا بالحجج وذلك يكون بقبول الذمة والعهد وايضا انه يمكن الزم كل ذي مذهب بما يوجد في مذهبه ما يثبت القول بالاسلام وبالعهد رجاء الوصول اليه وليس لمشركي العرب ذلك لما لم يبن مذهبهم على الحجج او السنة انما هو تقليد وعادة والله اعلم **وقوله** عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال في اية اخرى تكاد السموات يتفطرن وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا اخبر ان السموات تكاد ان تتفطر وتنشق الارض وتخر الجبال لعظيم ما قالوا في الله سبحانه من البهتان والفرية عليه ان له ولدا ثم بين الذي ذكر ذلك فقال وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فذكر الاية واخبر والله اعلم انهم قالوا في الله ما قالوا لوجوه احدها دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لان هؤلاء المتاخرين لم يقولوا هذا ولكن انما قال ذلك اوائلهم لكن كتموا ذلك فاخبر رسول الله ان اوائلهم قالوا ذلك وهم كانوا يكتمون عن رسول الله ذلك ليعلموا انه انما علم ذلك بالله والثاني يخبر رسوله سفه اوائلهم ويصبره على سفه هؤلاء ليصبر على سفههم واذاهم والثالث يخبر انهم مشبهة لانهم نسبوا المخلوق اليه وقالوا ان فلانا ابنه لما راوا منه اشياء فلولا انهم عرفوا الله بمثل معرفتهم المخلوق والا ما قالوا ذلك ولا اعتقدوا من التشبيه وغير ذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ذلك قولهم بافواههم اي ذلك قول قالوه بلا ولا برهان كان لهم في ذلك او قالوا ذلك بافواههم على غير شبه اعترضت لهم تحملهم على ذلك **وقوله** عز وجل يضاهئون قول الذين كفروا من قبل يحتمل هذا ان قد كان قبل هؤلاء من قد قال بحجة مثل قول هؤلاء كذلك يحيي الله الموتى ليس انه يحيي الموتى كلهم احياء كما احيا ذلك القتيل بضرب بعض من البقرة ولكن يحييهم احياء ذلك قوله يضاهئون قول الذين كفروا من قبل في الكفر نفسه ويحتمل ضاهوا قول النصارى قول النصارى قول اليهود والمضاهاة المشابهة والاشباه وقوله يضاهئون قول الذين كفروا من قبل اذ شبه النصارى بقولهم لعيسى انه ابن الله قول اليهود من قبل عزير ابن الله فضاهاة النصارى في عيسى اليهود قبلهم في عزير **وقوله** عز وجل قاتلهم الله انى يؤفكون هذه الكلمة كلمة اللعن تستعمل عند مناكير القول والفعل من غير حصول المنفعة وقوله انى يؤفكون يحتمل من اين يؤفكون ويفترون على الله على غير شبهة اعترضت لهم ويحتمل

انى يؤفكون اى كيف يؤفكون باية منفعة تحصل لهم وقوله عزوجل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا قيل
الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد وقيل الاحبار هم اصحاب الصوامع من اليهود والرهبان من النصارى
وقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يحتمل ان يكون هذا في الاتقياء والاتباع وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله في العلماء منهم والرؤساء فاتخذ الاتباع اولئك اربابا
يتبعونهم في جميع ما يدعونهم اليه ويأمرونهم في جميع اوامرهم ونواهيهم لا انهم عبدوهم ولكن
ذكر اربابا لما ذكرنا من اتباعهم وانتظارهم اياهم يدعونهم اليه ويأمرونهم كقوله يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان وقول ابراهيم لابيه لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد بعبادة الشيطان وطاعته ولكن
نسب العبادة اليه لما يجيبونه في كل ما يدعوهم اليه ويأمرهم بفعل ذلك هذا ويحتمل ما روي في الخبر ان
ثبت انهم لم يعبدوهم ولكنهم احلوا لهم اشياء حرمها عليهم فاستحلوها وحرموا لهم اشياء احل الله
ذلك لهم فحرموا ذلك فقيل اتخذوهم اربابا والله اعلم يخرج هذا في الاحبار والرهبان على التمثيل اي
اتخذوا اربابا في الطاعة لهم والاتباع لامرهم كانهم اتخذوهم اربابا لا على التحقيق وهو ما ذكر من عبادتهم
الشيطان لا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن صاروا بالطاعة للشيطان والاتباع لامره كانهم
عبدوه واما في المسيح فهو على التحقيق لانهم قالوا انه اله وقالوا ابن الله فهو يخرج في المسيح على
التحقيق وفي الاحبار والرهبان على التمثيل وقوله عزوجل وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا يحتمل الا ليوحدوا
الها واحدا الذي لا اله الا هو ويحتمل وما امروا الا ان يعبدوا الهة على ما يعبدون من الاصنام والاوثان
ولكن امروا ان يعبدوا الها واحدا وقوله عزوجل يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم قيل نور الله ذكر الله
وتوحيده وقيل نور الله القران وقيل نور الله دينه وهو الاسلام فان كان النور هو الذكر والتوحيد فهو
والله اعلم انهم لم يكونوا يعرفون ذكر الله ولا يذكرونه انما كانوا يعرفون ذكر الاصنام واباءهم يذكرونها
ويعظمونها ويتناصرون فيها بينهم فلما بعث الله رسوله محمدا يذكر الله وتوحيده وامر باتباعه صرحوا
الذين ارادوا ان يطفئوا ذلك النور ومن قال اراد بنور الله القران ارادوا اطفاءه كقوله ما هو الا اساطير
الاولين وان هذا الا سحر مبين ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونحوه ارادوا اطفاءه بما ذكرنا ما هذا
الا افك مفترى وقولهم انما يعلمه بشر الاية ومن قال نور الله هو الدين كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه فقال الله نور السموات والارض مثل نوره في مثل نور المؤمن ومثله اراد والطفأ
هذا النور ليسلم لهم المنافع التي كانت لهم وقوله يريدون ان يطفئوا يحتمل وجهين يريدون اي يجتهدون ان
ان يطفئوه فما يقدرون على اطفائه ويحتمل يريدون اي يحتالون ان يطفئوه باسبابا يتكلفون ويحتالون
وقوله عزوجل ويابى الله الا ان يتم نوره بالحجج والبراهين وبالنشر والاظهار وقد تم كقوله اليوم اكملت
لكم دينكم وقوله عزوجل ولو كره الكافرون وقد كره الكافرون وقوله عزوجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق يحتمل قوله بالهدى هدى يهديهم الى ما يركبون جميع المحاسن والخيرات محاسن وخيرات لان المحاسن
والخيرات انما يقوم بالايمان وبه ينتفع بها بعثه لذلك ويحتمل قوله بالهدى وهو القران يهديهم ويبين لهم
المحاسن من المساوي والحسنات والسيئات وهو هدى يهديهم الى ذلك وقوله عزوجل ودين الحق وهو دين الحق
اي الاديان الذي يصير المحاسن والخيرات خيرات هو دين الحق ويحتمل قوله ودين الحق اي دين الله كقوله
ويعلمون ان الله هو الحق المبين وقوله عزوجل ليظهره على الدين كله يحتمل وجوها يحتمل ليظهر رسوله على اهل
الدين كله بالحجج والايات فقد اظهره بحمد الله على الاديان كلها بالحجج والبراهين حتى لم يتعرض احد في شبهه ذلك
فضلا ان يتعرض في ابطاله ويحتمل ليظهره على اهل الدين كله بالقهر والغلبة والاذلال فقد كان حتى خضعوا له
كلهم وذلوا حتى لم يبق في جزيرة العرب مشرك ولا كافر الا خضع له وصار اهل الكتاب ذليلين صاغرين في ايدي
المسلمين وان كان المراد من قوله ليظهره على الدين كله فهو بالحجج والبراهين كلها وان كان اراد بالدين ان يظهره
على الاديان كلها فبعد لم يكن ان شاء الله هو الظاهر على الاديان كلها يوم القيامة وقوله عزوجل على الدين
كله ولم يقل على الاديان كلها فالدين دينا ودال الاديان كلها كقوله يا ايها الانسان يدخل فيه كل انسان وجائز
ان يكون اديانا مختلفة فهو واحد لان الكفر كله ملة واحدة وهو دين الشيطان فسماه بذلك وقوله عزوجل
يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان اما الاحبار والرهبان فقد ذكرنا قوله عزوجل ليأكلون
اموال الناس بالباطل لانهم كانوا يأكلون اموالهم بما يحرفون كتاب الله ويبدلونه كقوله يحرفون الكلم عن
مواضعه وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب الاية فهم انما حرفوا
ذلك وبدلوه ليسلم لهم تلك الاموال فذلك اكل بالباطل لانهم خافوا ذهاب تلك المنافع والاموال اذا اسلموا
فيجوز ان يكون انما سماهم اربابا في الاية الاولى لما انهم جعلوا اموالهم اموالا لانفسهم وانفسهم عبيدا
لهم فهم كالارباب لهم وقوله عزوجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يحتمل
ان يكون هذا صلة ما قال ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله اي اخذوا اموالهم لصد
الناس عن سبيل الله وكنزوها ولم ينفقوها في سبيل الله انما انفقوها لصد الناس عن سبيله ومن الناس

من جملة

من جملة الاية في منع الزكوة روي في الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضوان
الله عليهم ان كل مال ادي الزكوة عنه فهو ليس بكنز وان كانت تحت سبع ارضين وكل مال لم يؤد الزكوة فهو
كنز وان كان على وجه الارض ومن اصحابنا من استدل بلزوم ضم الفضة والذهب بعضه الى بعض في الزكوة بهذه
الاية لانه ذكر كنز الذهب والفضة جميعا والحق الوعيد بترك الانفاق من الفضة بقوله ولا ينفقونها في
سبيل الله فلولا ان الضم واجب ويكون المؤدي عن احدهما مؤديا عن الاخر والا لم يكن كذلك معنى ثم
في متعارف الناس انهم يؤدون من الفضة عن الذهب لان الذهب اعز عندهم والفضة دونه ثم
ان كانت الاية في الكفرة فهو في القبول كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم وقوله
الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون وذلك على القبول لا في الاداء نفسه وقوله عزوجل يوم
يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الاية جعل الله تعذيب الكفرة في الاخرة
بالاسباب التي تمنعهم عن طاعة الله ودعتهم الى مخالفة امره وجمع بينهما في النار كقوله ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم ونحو ذلك ما كنزوا يحمى عليها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
يعذبهم بها لما منعتهم تلك الاموال عن طاعته ودعتهم الى صد الناس عن سبيل الله يجعل عذابهم
في الاخرة بها ويحتمل قوله جباههم كناية عن التقديم الى الاخرة اي لم يقدموها ولم ينفقوها في سبيل الله وقوله
وجنوبهم لما اخذوها من حلال ومما لا يحل من كل جهة وقوله وظهورهم لما انفقوها في الصد عن سبيل الله
ويحتمل ذكر هذا احاطة العذاب بهم من كل الجهات كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله لهم
من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اي يحيط العذاب بهم فعلى ذلك هذا والله اعلم وكقوله افمن يتقي بوجهه
سوء العذاب يوم القيمة اي يحيط بهم حتى لا يقدروا على رفعه عن وجوههم وقوله يوم يحمى عليها في نار
جهنم الاية وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي
حقها الا جعلت له يوم القيمة صفائح ثم احمي عليها في نار جهنم يكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم
كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وما من
صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اتي بها يوم القيامة تطأه باظلافها وتنطحه بقرونها ثم ذكر في
الاول قالوا يا رسول الله فصاحب الخيل قال هي لثلاث لرجل اجر ولرجل ستر ولرجل وزر فاما من ربطها عدة
في سبيل الله فانه لو اتز طولها في مرج خصب او في روضة كتب الله له عدد ما اكلت حسنات
وعدد ارواثها حسنات ولو انقطع طولها ذلك فاستنت شرفا او شرفين كتب الله له عدد اثارها حسنات
ولو مرت بنهر عجاج لا يريد السقي به فشربت كتب الله له عدد ما شربت حسنات ومن ارتبطها فخرا ونواء على
المسلمين كان له وزرا الى يوم القيامة ومن ارتبطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله في رقابها وظهورها
كانت له سترا من النار يوم القيامة فان ثبت هذا الخبر من رسول الله ففيه دلالة وجوب الزكوة في الخيل وهو
حجة لابي حنيفة لانه قال ثم لم ينس حق الله في رقابها والحق الذي في رقابها هو الزكوة والذي في ظهورها
هو الجهاد عليها والله اعلم وقوله عزوجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله من الناس من يقول
ان الشهور كانت التبست عليهم واختلطت لكثرة ما كانوا يؤخرونها ويقدمونها حتى لم يكونوا يعرفون الشهور
بعينها كل شهر على حدة فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بالموسم فقال الا ان الزمان قد استدار
كهيئة يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ثم قال لهم اي بلد هو واي شهر هو واي يوم هو
قالوا بلد حرام وشهر حرام ويوم حرام وقال الا هل بلغت قالوا بلى فقال اللهم اشهد وفي بعض الاخبار زيادة
فقال وان النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الاية وقالوا وذلك انهم كانوا يجعلون صفرا عاما حراما
وعاما حلالا ويجعلون المحرم عاما حراما وعاما حلالا فكان النسيء من الشيطان وصف رسول الله في هذه الاية
الاشهر الحرم وبينها فدل ذلك على ان النسيء كان تحريم القتال فيها على ما كان اهل الجاهلية يحرمونه وزاد ذلك
بيانا بعيب اصحاب النسيء اذ كانوا يستحلون القتال في المحرم ويؤخرونه الى صفر فيحرمون صفر مكان المحرم فعاب
الله عليهم تحليل ما حرم من الشهور وجعله زيادة في الكفر وقال يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة
ما حرم الله اي عدة الاشهر الاربعة التي حرمها الله وقال فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم ومنهم
من قال ان الله جعل عدة الشهور اثني عشر شهرا بالاهلة على ما عرفته العرب لنا ووقفوا على معرفة
ذلك ولم يوفق غيرهم وانما يعدون السنة بالايام والعرب تعرفها بالاهلة على ما خلقها الله
يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم قال بعضهم في الاشهر كلها لما جعل
هذه الاشهر شهودا عليهم يشهدون بما يعملون فيها من المعاصي والخيرات وبها تنقضي اجالهم يخبر ان لا تظلموا
في هذه الاشهر التي تاتي بكم بكل خير وبكل نعمة فانها تنصرف بما تعملون فيها من الخير والشر وقال بعضهم

قوله فلا تظلموا فيهن انفسكم اي في الاربعة الحرم خص الاربعة وان كان الظلم في الاشهر كلها الا يحمل على
ما خص مكة بترك الظلم وان كان الظلم حراما في الاماكن كلها كقوله سواء العاكف والباد ومن يرد فيه
بالحاد بظلم الاية اي لا تقاتلوا فيها اذ كل ظلم وقوله عز وجل ذلك الدين القيم قيل ذلك الحساب حساب الاشهر اي
صحيح مستقيم على ما خلقه الله وقيل ذلك الحساب هو القضاء العدل وقوله عز وجل في كتاب الله يحتمل كتاب الله اللوح
المحفوظ على ما قيل ويحتمل في كتاب الله اي في حكم الله ذلك وقوله عند الله يحتمل ما ذكرنا من اللوح المحفوظ ان ذلك
عند الله لم يطلع عليه غيره ويحتمل عند الله اي في علمه على ما عرفته العرب والله اعلم وقوله عز وجل وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يحتمل قوله كافة اي مجتمعون اي قاتلوهم مجتمعين على ما يقاتلونكم هم مجتمعين
ويحتمل كافة اي جماعة ويحتمل كافة الى الابد الى يوم القيامة اي قاتلوهم الى الوقت الذي يقاتلونكم كما يقاتلونكم
واعلموا ان الله مع المتقين في النصر والمعونة وقوله عز وجل انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الاية
كان هذه الاية التي قبلها قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في مشركي العرب وساير الايات التي قبلها
وهو قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقوله ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون
اموال الناس بالباطل في اهل الكتاب يخبران ملوك العرب اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا من دون الله حتى
يتبعونهم في جميع ما يحلونه ويحرمونه كما ان اليهود والنصارى اتخذوا انفس اولئك عبيدا فكافة قال للمؤمنين
ان ملوك العرب واحبار اليهود ورهبان النصارى اتخذوا انفسهم اربابا والاتباع عبيدا فانتم يا معشر المؤمنين
لا تتخذوا انفسكم اربابا والاتباع عبيدا الا ترى انه قال في الاية التي تتلوا هذه يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض قال بعضهم الاية في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك
كقوله وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة الاية فيفهم ذكر لك الوعيد وقال بعضهم الاية
في المؤمنين امروا ان ينفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض قيل استثقلتم النفر في سبيل الله واقمتم ويحتمل التثاقل
هو ان يروا من انفسهم التثقل من غير ان اقاموا كما يقال يتصامم ويتعامى من غير ان كان به الصمم والعمى ولكن
لما يرى من نفسه ذلك وقال بعض اهل الادب قوله اثاقلتم اي تثاقلتم وركنتم الى المقام وذلك في القران كثير كقوله
حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الدنيا في الاخرة الا
قليل اي ما متعكم في الدنيا قليل بما وعدان يمتعكم في الاخرة او ان يقال متاع الحيوة الدنيا من اولها الى اخرما ينتهي
قليل من متاع الاخرة وكراماتها لان كرامات الدنيا على شرف الزوال وكرامات الاخرة على الدوام ابدا او ان
يقول لمتاع الحيوة الدنيا قليل من متاع الاخرة لان متاع الدنيا منافعها يشوبه الافات والمضرات ومتاع الاخرة
لا يشوبه الافات والمضرات وقوله يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله الاية عاتب المؤمنين
بالتثاقل بالخروج الى الارض ونهاهم عن الركون الى الدنيا وقوله انما النسيء زيادة في الكفر اي لما احدث اولئك الملوك
من تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله زيادة في كفر اولئك احد نواميس وقت احداثهم وقوله عز وجل يضل به الذين كفروا يحتمل
وجهين يحتمل يضل به الذين كفروا اي يهلك به الذين كفروا اي الذين احدثوا ويحتمل يضل به الذين كفروا اي بما احدث اولئك
الملوك انما احدثوا ليضل به الاتباع يحلونه عاما على ما ذكر في القصة انهم كانوا يستحلون المحرم عاما فيصيبون فيه الدماء
والاموال ويحرمونه عاما فلا يستحلون فيه الدماء والاموال وقوله عز وجل ليواطئوا عدة ما حرم الله قيل ليوافقوا
عدة ما حرم الله كان عندهم ان التحريم انما كان بعدد الاشهر للاشهر لما في الاشهر فحفظوا عدد الاشهر ولم
يحفظوا الوقت وذلك تأويل قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم اي زين تأخير
الحلال وتقديم المحرم والله لا يهدي القوم الكافرين قيل لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر او لا يهديهم في الاخرة
طريق الجنة لكفرهم في الدنيا وقد ذكرنا تأويله في غير موضع قال ابو عوسجة النسيء التأخير يقال نسأت الشهر
اي اخرته ويقال انسأ الله في اجلك اي اخر الله وقوله ليواطئوا والمواطاة ان يدخلوا شهرا مكان شهر وهو التتابع
يقال تواطأ القوم على حديث كذا وكذا اي تتابعوا وواطأت فلانا اي تابعته وقال القتبي النسيء التأخير وكانوا يؤخرون
تحريم المحرم منها سنة ويحرمون غيره مكانه لحاجتهم الى القتال فيه ثم يردونه الى التحريم في سنة اخرى كانهم
يستنسئون ذلك ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله يقول اذا حرموا من الشهور عدد الشهور
المحرمة لم يبالوا ان يحلوا الحرام ويحرموا الحلال وقوله عز وجل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما او ان لم تنفروا يعذبكم
عذابا فان كانت الاية في المنافقين فهو ظاهر وان كانت في المؤمنين فيحتمل قوله يعذبكم عذابا اليما يحل بهم
ولم يبين ما ذلك العذاب وقال بعضهم شدد الله الوعيد في تركهم النفر والخروج في سبيل الله على ما شدد ديد
في التولية الدبر بقوله ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة الاية لكن غيرانه شدد يوم لما لم
يكن ملجأ وكان نفارهم نفار نفاق وههنا شدد لغير ذلك لوجوه احدها لما في تخلف المؤمنين عنه موضع العذر
للمنافقين بالتخلف عنه انهم للعذر فنحن تخلفنا ايضا للعذر ولنا في ذلك عذر والثاني يكون للكفار موضع
الاحتجاج عليهم يقولون انهم يرغبوننا في الاخرة ويحثوننا في ذلك ثم انهم ينفرون عن ذلك ويرغبون
عنه والثالث يكون في تخلفهم الشركة على المؤمنين اذ يقلون اذا تخلفوا وقوله عز وجل يستبدل قوما غيركم

على ما استبد لكم يا اهل مكة فينصرونه وقال بعض اهل التأويل يستبدل قوما غيركم اي يبعث قوما غيركم لكن تأويل
الاول اشبه الا ترى انه قال في اخره الا تنصروه فقد نصره الله وقوله ولا تضروه شيئا هو ما ذكرنا اي لا تضروا
رسول الله بالتخلف عنه وقال بعضهم لا تضروا الله شيئا والاول اشبه لما ذكرنا وقوله عز وجل الا
تنصروه فقد نصره الله يقول ان لم تنصروه رسول الله فانه ينصره على ما نصره في الوقت الذي كان في الغار ولم يكن
معه احد من البشر الا واحد فان لم تنصروه فالله كافيه في نصره على ما كفاه ونصره في الحال التي لم
يكن معه من البشر الا واحد فاليوم لا ينصره ومعه من الانصار والاعوان ما لا يحصى وكان ما استنفرهم
رسول الله وامرهم بالخروج الى العدو ولم يكن يستنفرهم لمكان نفسه اذ يعلم ان الله كافيه في نصره
ولكن انما كان يستنفرهم ويامرهم بالخروج لمكان انفسهم ليكتسبوا قربا وثوابا عند الله وزلفى الا ترى انه
قال الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما وقال ولا تضروه شيئا اي ان لم تنفروا ولم تنصروا رسول الله فلا تضروا
شيئا اذ الله كافيه في نصره وانما عاتبهم بترك النفر والخروج لئلا يركنوا الى الدنيا ولا يرضوا بالحيوة الدنيا
من الاخرة على ما ركن اولئك الكفرة لان ركونهم الى الدنيا وحبهم اياها هو الذي منعهم عن اتباع محمد و
هو الذي حملهم على الكفر بالله والتكذيب لرسوله وترك الاجابة له فيما يدعوهم اليه فيقول والله اعلم
للمؤمنين لا تركنوا الى الدنيا ولا ترضوا بها من الاخرة ليمنعكم ذلك عن النفر والخروج اذا ما امركم رسول الله
على ما منع اولئك الكفرة على ما ذكرنا واصله انه انما استنصرهم لا لحاجة له الى نصرهم اذ هو قادر
ان ينصر رسوله بما شاء لكن طلب منهم النصر له ليكتسبوا بذلك ثوابا لانفسهم وذكر في الاجل وكذلك
ولكن ليستديموا النعمة ويصلوا الى الباقية الدائمة وقوله عز وجل اذ اخرجه الذين كفروا اي اضطروه الى
الخروج حين هموا بقتله حتى خرج من بين اظهرهم وقوله عز وجل ثاني اثنين اذ هما في الغار ثاني اثنين اي لم يكن
معه من البشر الا واحد ليعلموا ان النصر لم يكن باحد من البشر انما كان بالله تعالى اذ لو احد لا يكون النصرة
والحفظ من العدو ويذكر فضل ابي بكر وكان هو ثانيه في كل امره وقوله عز وجل اذ يقول لصاحبه
لا تحزن ان الله معنا لم يكن حزن ابي بكر على نفسه ولكن اشفاقا على رسول الله ان يصاب وكذلك روي
في الخبر انه قال لرسول الله انك ان تصاب يذهب دين الله ولن يعبد الله على وجه الارض وفي بعض الاخبار ان
ابا بكر كان يبكي اشفاقا على رسول الله فقال له رسول الله ما يبكيك فقال لما ذكرنا فقال له يا ابا بكر ما ظنك
باثنين ثالثهما الله وقيل انهما اتيا باب الغار فسبق ابو بكر فدخل الغار وكان الغار معروفا بالهوام فالقمها
ابو بكر قدميه فاطال ذلك فقال ان كان فيه شيء بدا لي او كلام نحو هذا والله اعلم ان الله معنا ليس بنهي
عن الحزن ولكن على تخفيف الامر عليه وتيسير الحال التي هو عليها وقوله عز وجل فانزل الله سكينته عليه قيل
انزل سكينته على ابي بكر حين قال له رسول الله ما ظنك باثنين ثالثهما الله حتى سكن قلب ابي بكر من الحزن
والخوف على رسول الله وقال بعضهم انزل السكينة على رسول الله فهو يخرج على وجهين احدهما انه
انزل السكينة عليه حتى راى جنودا لم يروها حيث قال وايده بجنود لم تروها والثاني انزل سكينته
بالحجج والبراهين لكنه ان كان ما ذكر فهو قد انزل السكينة عليه في البدء ولانه كان رسول الله لا يخاف سوى
الله ويعلم انه ينصره وكذلك روي عن ابن عباس قال فانزل سكينته على ابي بكر لان النبي لم تزل السكينة معه
وهو اشبه وقوله وايده بجنود لم تروها يحتمل في ذلك الوقت ويحتمل في الغزوات التي نصره بالملائكة
يوم بدر وغيره يخبر انه قادر ان ينصره لا بالبشر ليعلموا انه انما يامرهم بالنفر لا لنصر رسول الله ولكن
ليكتسبوا بذلك ما ذكرنا من الثواب وقوله عز وجل وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا اي مكر الله
بهم ونصرة رسوله هي العليا كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا ما بينهم الذي
كانوا يدينون به ومذهبهم الذي ينتحلونه السفلى اي جعل ذلك السفلى بالحجج وجعل دين محمد هو العليا بالحجج والبراهين
على ذلك مكان ويحتمل قوله كلمة الذين كفروا السفلى اي جعل اهل الكلمة الذين كفروا هم السفلى واهل دين الله هم
الاعلون كقوله وانتم الاعلون وقوله عز وجل والله عزيز لا يعجزه شيء حكيم في امره وقوله عز وجل انفروا خفافا
وثقالا اختلف فيه قيل شبابا وشيوخا وقيل مرضى واصحاء وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل فقراء واغنياء
وقيل نشاطا وغير نشاط واصله انفروا مستخفين ومستثقلين اي انفروا خف عليكم الخروج او ثقل وما ذكر
اهل التأويل من الشيخوخة والشغل والفقر والمرض لان ذلك بالذي يثقل الخروج والنفر واصله ما ذكرنا ان
انفروا خف عليكم ذلك او ثقل وقوله انفروا خفافا وثقالا انفروا خف على النفس او ثقل وخف على الطبع او ثقل
او خف على العقل او ثقل وقوله عز وجل ذلكم خير لكم في الدنيا والاخرة اي اعلموا ان ذلك خير لكم من المقام وترك
النفر ان كنتم تعلمون وقوله عز وجل لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك قال بعض اهل التأويل لو كان
عرضا قريبا اي غنيمة قريبة وسفرا قاصدا اي هينا لاتبعوك في غزاتك ولكن بعدت عليهم الشقة يعني
السير وقيل العرض الدنيا وسفرا قاصدا ليس فيه مشقة واصل قوله لو كان عرضا قريبا اي منافع حاضرة
وسفرا قاصدا اي منافع غائبة والعرض هو المنافع يقول لو كانت لهم منافع حاضرة لاتبعوك لما لا
استتبعتهم لان عادتهم اتباع المنافع يعني المنافقين كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه

خيرا اطمأن به وان اصابه فتنة انقلب على وجهه اخبر انهم يعبدون الله على حرف وهو ما ذكر ان اصابه خير اطمأن
لمن عاد نهم انهم انما يتبعون المنافع واليها يميلون واما المؤمنون فانهم يعبدون الله في كل حال السعة و
في حال الضيق ويتبعون رسول الله ولا يفارقونه كانت لهم منافع او لم تكن اصابتهم مشقة او لا لهم لا يفارقون
رسول الله على كل حال **وقوله** عز وجل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم اى لو كان لنا ظهر وسلاح لخرجنا معكم
ولو كان زاد وما نشترى ما نحارب به لخرجنا معكم ثم اخبر ان لهم استطاعة على ذلك وانهم كاذبون انه لا
استطاعة لهم حيث قال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة وقالت المعتزلة دل قوله لو استطعنا لخرجنا معكم
ان الاستطاعة تتقدم الفعل لانه اخبر انهم كاذبون فيما يقولون انه ليس معنا ما ننفق وما نشترى به السلاح
لكنا نقول ان الاستطاعة على وجهين استطاعة الاسباب والاحوال واستطاعة الافعال واستطاعة الاسباب
والاحوال يجوز ان يتقدم وهذه الاستطاعة هى استطاعة الاسباب والاحوال الا ترى انه قال ولو ارادوا الخروج
لاعدوا له عدة ومن قولهم ايضا ان استطاعة الافعال لا تبقى اوقاتا ثم ان هذه اخبر انها كانت باقية اوقاتا
دل انها هى استطاعة الاسباب والاحوال **وقوله** عز وجل يهلكون انفسهم بايمانهم الكاذبة انهم لا يستطيعون
و قيل يهلكون انفسهم بتركهم الخروج لانهم يقتلون اذا تركوا الخروج كقوله ملعونين الاية ويحتمل يهلكون
انفسهم في الاخرة بنفاقهم في الدنيا **وقوله** عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين يحتمل قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اى يطلعك الله على نفاقهم فيكون ذلك
اية من ايات النبوة ان لم تأذن لهم بالتخلف وان لم تأذن لهم يتبين لك نفاقهم لانهم يتخلفون ويفارقونك
وان لم تأذن لهم والذين صدقوا لا يفارقونك فيتبين هؤلاء من هؤلاء ويظهر كذب هؤلاء من صدق
هؤلاء المؤمنين وفى قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم دلالة ان النبى انما اذن لهم بالتخلف بلا امر وفيه
دلالة جواز العمل بالاجتهاد دلالة انه لو كان اذن لهم بالتخلف بالامر لم يكن ليعاتبه على الاذن دل انه انما اذن
لهم بالتخلف بالاجتهاد دل اظن انهم انما يستأذنونه بالقعود للعذر فان قيل كيف عاتب رسوله بما اذن
لهم بالقعود وقد اخبر انه انما كان يحكم بما اراه الله بقوله لتحكم بين الناس بما اراك الله قيل يحتمل انه
انما عاتبه على ترك الافضل لان ترك الاذن لهم بالقعود افضل من الاذن اذ به يتبين له الصادق من
الكاذب ويكون فيه اية من ايات الرسالة ويجوز ان يعاتب على ترك الافضل ويحتمل ان يكون قوله عفا الله
عنك لم اذنت لهم تعليم من الله ان كيف يعامل الناس بعضهم بعضا ليس على العتاب ومن الناس من استدل
على تفضيل رسول الله على غيره من الانبياء صلوات الله عليهم بهذه الاية لانه بدأ بذكر العفو وكذلك فى جميع
ما ذكر من العتاب لم يذكر زلته وذكر فى سائر الانبياء الزلات **وقوله** عز وجل لا يستأذنك الذين يؤمنون
بالله واليوم الاخر الاية اى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله بالتخلف لغير عذر انما يستأذنك الذين لا يؤمنون
بالله واليوم الاخر بالقعود لغير عذر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون اى عن شكهم يترددون
وعن الحسن قال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله يترددون نسختها الاية التى فى سورة النور انما المؤمنون
الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك
الذين يؤمنون بالله ورسوله لكن هذا لا يحتمل لانه ذكر ان سورة التوبة من اخر ما نزلت وانهم اذا كانوا
فى امر جامع لم يذهبوا الا بعد الاستيذان لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين فى الامور الجامعة واما
واما فى الخلوات فلا **وقوله** عز وجل ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة يحتمل ان يكون هذا فى غزوة تبوك
على ما قاله اهل التأويل امروا بالخروج والتأهب للغزو فعزموا ان لا يخرجوا فعوتبوا على ذلك ويحتمل ان يكون
فى جميع الغزاة عزموا واعتقدوا ان لا يخرجوا ولا يتأهبوا له قط فقالوا لو استطعنا لخرجنا معكم فاكذبهم الله
لعله انهم كذبة وانهم اغنياء لكنهم عزموا ان لا يخرجوا ولا يعدوا له عدة والله اعلم **وقوله** عز وجل ولكن
كره الله انبعاثهم يحتمل قوله كره الله انبعاثهم اى لم يرض الله بخروجهم وانبعاثهم ثم بين الوجه الذى
لم يرض ما ذكر فى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا اى فسادا لم يرد الله خروجهم لما علم منهم انه
لا يزيد خروجهم فى الجهاد الا ما ذكر من الخبال والفساد **وقوله** عز وجل فثبطهم قيل حبسهم اى اذ علم منهم
ان خروجهم وانبعاثهم لم يزدهم الا فسادا حبسهم ويحتمل ان خلق منهم الفعل الذى كان منهم من الكسل
والتثاقل وفيه دلالة خلق الله فعل الشر ويكون فى ذلك خيرا لغيره وان كان شرا لهم فعلى ذلك خلق فعل المعصية
من العاصى وهو شر له ويكون ذلك خيرا لغيره **وقوله** عز وجل وقيل اقعدوا مع القاعدين يحتمل قوله قيل اقعدوا
لما استأذنوا رسول الله بالقعود اذن لهم فى ذلك على ما وقع عنده ان لهم عذرا فى ذلك وان كان من الله عز وجل
فهو على التهدد والتوعد ويحتمل ان يكون من الشيطان وسوس اليهم ان اقعدوا ترغيبا منه اياهم بالقعود
والتخلف والله اعلم **وقوله** عز وجل لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قوله لو خرجوا فيكم اى لو كانوا خرجوا فيكم
الا ترى انه قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم دل هذا انهم لم يكونوا خرجوا ولو كانوا خرجوا لم يكن يثبطهم
دل انه ما ذكرنا ولا انبعاث هو الخروج وكذلك فى حرف ابن مسعود ولكن كره الله خروجهم والتثبيط الحبس واصل
التثبيط التثقيل وقال ابو عوسجة الانبعاث هو القيام والخبال قيل الفساد والشر وقيل الغى وهو واحد وقوله

ما زادوكم الا كما يحتمل زيادة الخبال وجوها يحتمل ان يكونوا عيونا للعدو ويخبروهم عن عورات المسلمين
او كانوا يجبنون اهل الاسلام ويخوفونهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ونحوه **وقوله** عز وجل ولاوضعوا خلالكم
قيل هو من ايضاع الابل خلالكم يتخللون فيما بينكم وقيل ولاوضعوا خلالكم اى دوا حلهم حتى يدخلوا بينكم حتى
لا يصيبكم الا دوى كانوا يستترون بالمسلمين لئلا يصيبهم شئ من البلاء والشدة وقال القتبى ولاوضعوا خلالكم
من الوضع وهو سرعة السير وقال ابو عوسجة هو من الايضاع يكون على الابل وهو عندى من عدو الابل
يقال اوضعت البعير وركضت الفرس واجريت الحمار خلالكم بينكم وقيل الخلال القتال وهو ما ذكرنا انهم يدخلون
بينهم النقصان والقتال والفشل **وقوله** عز وجل يبغونكم الفتنة قيل يبغون منكم الفتنة وهو الشرك
الذى كانوا هم عليه ويحتمل ما ذكرنا من الفشل وادخال الفشل والجبن فيهم والله اعلم **وقوله** عز وجل وفيكم
سماعون لهم هذا يحتمل وجهين ايضا يحتمل ان هؤلاء المنافقين يكونون سماعا لهم وخبرا وعيونا يخبر
ونهم عن عورات المسلمين وضعفهم ويحتمل قوله وفيكم من المؤمنين سماعون لهم الاية قيل انه كان فى اصحاب
النبى اهل محبة لهم وطاعة لشرفهم وعن ابن عباس رضى الله عنه قال يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم قد
كان الرجل يرى الجماعة من المسلمين فيضرب دابته حتى يدخل بينهم ثم يقول ابلغكم ما بلغنى ان العدو امامكم
قد غوروا المياه وفعلوا كذا وهيؤا ويحتمل قوله وفيكم سماعون لهم اى فيكم من المنافقين الذين قعدوا ولم
يخرجوا يسمعون للمؤمنين الذين لم يخرجوا ايضا ما يكرهون يقولون الدبرة على المؤمنين ونحو ذلك من الهزيمة
وقوله عز وجل والله عليم بالظالمين اى لا عن جهل يمهلهم على ما هم عليه ولكن اخرهم ليوم كقوله ولا تحسبن
الله غافلا الاية **وقوله** عز وجل لقد ابتغوا الفتنة من قبل يحتمل الفتنة الوجهين الذين ذكرناهما **وقوله**
عز وجل وقلبوا لك الامور اى كلفوا واجتهدوا ليطفئوا هذا النور وظهر امر الله قيل دين الله الاسلام
ويحتمل حجج الله وادلته وهو ما ذكر يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ويحتمل
قوله وقلبوا لك الامور ظهرا لبطن ليمكروا برسول الله ويقتلوه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك
او يقتلوك الاية وظهر امر الله ما ذكرنا من دين الله وحججه وهم كارهون لذلك كقوله ليظهره على الدين كله فظهر
دين الاسلام وهم كارهون له **وقوله** عز وجل ومنهم من يقول ائذن لى فيه دلالة انه لا كل المنافقين قالوا
انما قال ذلك بعضهم وبعضهم قالوا غير هذا **وقوله** عز وجل ولا تفتنى قيل لا تؤثمنى وقيل ولا تكفرنى وهو واحد
يقول من قال ولا تفتنى اى لا تكن سبب فتنتى ومعصيتى اى لا تأمرنى بالخروج ولكن ائذن لى بالقعود لانك ان امرتنى بالخروج
ولم تأذن بالقعود والتخلف فقعدت وتخلفت كنت عاصيا تاركا لامرك فكنت انت سبب عصيانى وفتنتى والثانى
قوله ولا تفتنى اى لا تأمرنى بالمشقة والشدة ولكن الدعة والتمة هم كانوا عباد السعة والرخاء حيث كانوا
مالوا اليهم كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية يقول لا تكن سببا لاثمى وانقلابى ومنهم من قال
ان رجلا منهم قال يا رسول الله ائذن لى فان قلبى انى اذا رايت النساء لم اصبر حتى افتتن ولكن اعينك بمال فعنه نزل قوله
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وهو قول ابن عباس يقول لا تأمرنى بالخروج فانى مولع بالنساء لا اصبر اذا
رايتهن ولا ندرى كيف كانت القصة لكن الوجه فيه ما ذكرنا انفا **وقوله** ولا تفتنى اى ولا تمتحنى بالمحنة
التى فيها الهلاك والمشقة فقال الا فى الفتنة سقطوا اى الا فى المشقة والبلاء والهلاك سقطوا الا ترى هذا يدل
ان اهل النفاق هم كفرة **وقوله** عز وجل الا فى الفتنة سقطوا اى الا فى الشر والاثم سقطوا ملتاويل من تأول
ولا تفتنى لا تؤثمنى ولا تخرجنى وعلى تأويل من قال لا تفتنى لا تشق على ولا تأمرنى بالمشقة والشدة والضيق يقول
الا فى الشدة والضيق يسقطون **وقوله** عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين اى تحيط بهم حتى لا يجدون منفذا
او لا مخلصا او تحيط بهم من تحت ومن فوق وامام وخلف ويمين وشمال تحيط بهم حتى تصيب كل جارحة منهم
كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار الاية اخبر انها تحيط بهم وفيه دلالة ان المنافقين هم كفار لانه ذكر فى
اول الاية صفة المنافقين ثم اخبر ان جهنم تحيط بالكافرين **وقوله** عز وجل ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك
سيئة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل قيل ان تصبك حسنة اى الغنيمة والظفر والنصر على الاعداء يسوؤهم ذلك
وان تصبك مصيبة النكبة والهزيمة فرحوا بها يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اى اخذنا امرنا بالوثيقة والاحتياط حيث
لم نخرج معهم حتى لم يصبنا ما اصابهم ويحتمل ان يكون قوله قد اخذنا امرنا من قبل اى قد اظهرنا الموافقة للمؤمنين
فى الظاهر وكتمنا الكافرين فى السر والتيام فى الحقيقة وهو ما ذكر من انتظارهم احد الامرين فى قوله الذين يتربصون
بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم الاية ويتولوا وهم فرحون يحتمل يتولوا اولئك الكفرة وهم فرحون وفى الاية
دلالة اثبات رسالة محمد ونبوته لانه معلوم ان ما يسوؤهم كانوا يضمرون ويسرون عنهم ثم لغيرهم ما سروا واضمروا
دل انه انما علم ذلك بالله **وقوله** عز وجل قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قال بعضهم الا ما كتب الله لنا اى لن يصيبنا
الا ما قضى الله لنا وقال بعضهم الا ما كتب الله لنا اى ما جاء به القران وهو قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا ويحتمل قوله لن يصيبنا الا ما كتب الله
الا ذلك وان كنتم انتم تفرحون بذلك فذلك الذى كتب الله لنا هو مولانا اى ربنا ونحن عبيده يكتب لنا ما يشاء من الخير
والشر اى ما اكرمنا الله لنا اى ما احل لنا واباح واما القضاء فانه قل ما يقابل فيما يكون لهم وانما يقال فيما قضى

عليهم واما الكتاب فهم هو فيها [illegible] ويجعلهم ويبيح وقوله عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون
يحتمل وجهين يحتمل على الاخبار اى على الله يتوكل المؤمنون لا يتوكلون على غيره ويحتمل ان يكون على الامر اى على الله
توكلوا ايها المؤمنون وقوله عز وجل قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين عن ابن عباس رضى الله عنه قل هل تربصون بنا
الا احدى الحسنيين يعنى الشهادة والحيوة والرزق الدائم والكرامة كقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى
سبيل الله امواتا الاية ويحتمل الا احدى الحسنيين فى الدنيا الغنيمة والظفر يقول هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
اما الحيوة الدائمة فى الاخرة والرزق الحسن والكرامة واما الغنيمة والنصر فى الدنيا هذا الذى تربصون بنا ونحن نتربص
بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده العذاب فى الاخرة ان قتلتم او بايدينا اى القتل بايدينا فتربصوا انا معكم
متربصون العذاب بكم هم كانوا لا يتربصون بنا الا الدوائر والهلاك وهو ما ذكر فى اية اخرى حيث قال ويتربص
بكم الدوائر هم كانوا لا يتربصون بنا الحسنى ولكن ما ذكرنا من الدوائر لكن ذلك وان كان عنه اولئك
المنافقين هلاك ودائرة فهو للمؤمنين الحسنى فى الاخرة وقوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل
منكم قال بعضهم الاية فى الجهاد وان المنافقين كانوا يأمرون بالجهاد والقتال مع الكفرة على ما امر اهل
الايمان بذلك ثم منهم من كان يخرج للجهاد ومنهم من كان يجهز غيره ويقعد ومنهم من كان يخرج
كارها ونحوه فنزل قوله قل انفقوا طوعا او كرها اى خوفا لن يتقبل منكم ومنهم من قال الاية فى الزكوة
ان الله عز وجل فرض الزكوة فى اموال المؤمنين والمنافقون قد اظهروا الايمان وكانوا ينفقون ويؤدون
الزكوة لكن منهم من كان يؤدى طوعا ومنهم من يؤدى كرها فقال قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم
لانهم كانوا لا يريدون قربة وكانوا ينفقون وهم كارهون فى الباطن الا ترى انه قال ولا ينفقون الا وهم
كارهون دل انهم كانوا ينفقون جميعا وهم كانوا كارهون لذلك فى الباطن ثم بين ما به لم يتقبل نفقاتهم
وهو ما ذكر انكم كنتم قوما فاسقين وقال وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الاية فى الاية فى الاية
وجهان احدهما دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انهم لا يأتون الصلوة الا وهم
كسالى وهم فى الظاهر كانوا يأتون الصلوة على ما كان يأتى المؤمنون ثم اخبر انهم يأتونها كسالى دل انه
انما عرف ذلك بالله تعالى وكذلك اخبر انهم ينفقون وهم كارهون لذلك وكانوا ينفقون فى الظاهر مراءاة
الموافقتهم ثم اخبر انهم كانوا كارهين لذلك فى السر دل انه انما علم ذلك بالله تعالى والثانى ان لا تقوم
قربة ولا تقبل الا على حقيقة الايمان هو شرط قيام هذه العبادات او قبول القرب لان انفسها ايمان
وليسرون الكفر دل انه ما ذكرنا وبالله التوفيق وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اى لانكم كنتم فاسقين
ويحتمل قوله كنتم اى صرتم فاسقين بما انفقتم وانتم كارهون اذ هم قد اظهروا الايمان ثم تركوه كقوله
ذلك بانهم امنوا ثم كفروا اخبر انهم امنوا ثم كفروا فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل ولا يأتون الصلوة الا وهم
كسالى وكسلى وكسالى فيه لغات ثلاثة والمعنى واحد وهو انهم لا يأتون الصلوة الا مستثقلين لانهم كانوا لا يريدونها
قربة وقوله عز وجل فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا قال بعضهم
هو على التقديم والتأخير كانه قال فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فى الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم
بها فى الاخرة وقال بعضهم هو على ما ذكر فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة
وفى الحيوة الدنيا والتعذيب فى الدنيا هو ما فرض عليهم الجهاد وامروا بالخروج للقتال فكان يشق ذلك
التعذيب عليهم وهو ما ذكر فى اية اخرى اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم الاية والتعذيب فى الدنيا هو
القتل يقتلون ان لم يخرجوا وفى الاية دلالة الرد على المعتزلة لانهم يقولون لا يعطى احدا شيئا الا ما هو اصلح
له فى الدين ثم قال الرسول الله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم ولو لا انه لم يعطهم الاموال والاولاد الا للخيرات
والصلاح فكانه قال لا تعجبك ما اعطيتهم من الخيرات والصلاح فذلك بعيد فدل انه قد يعطى خلقه
ما ليس باصلح لهم فى الدين وكذلك فى قوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات الاية
دلالة الرد على قولهم لانه قال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات ثم قال بل لا يشعرون
انه يمدهم به لا للخيرات دل انه قد يعطى خلقه ما ليس هو باصلح لهم فى الدين وفى قوله انما يريد الله ليعذبهم
بها فى الحيوة الدنيا دلالة الرد عليهم ايضا لانه اخبر انه يعذبهم فى الدنيا والاخرة ولا يعذبهم مجانا فيما
لا فعل لهم فى ذلك دل ان لهم صنع فى ذلك وانه انما يعذبهم بفعل اكتسبوه وفى قوله انما يريد الله ليعذبهم
بها دلالة ان ليس كل ما يعطيهم انما يعطيهم انما يعطيهم ليرحمهم به ولكن يعطيهم لما علم منهم
فان كان علم منهم انهم يستعملون ما اعطاهم من الاموال وغيرها فيما فيه هلاكهم اعطاهم لذلك ومن
علم منهم انه يستعمله لنجاته اعطاه ليرحمهم به فانما اعطى كلا ما علم انه يكون منهم لانه لو اعطاهم على غير
ما علم منهم انه يكون فى اعطائه مخطئا وقوله عز وجل وتزهق انفسهم وهم كافرون قيل تخرج انفسهم وتهلك
خوفا قال ابو عوسجة يقال خرج نفسه من فرق وقيل تذهب انفسهم كقوله زهق الباطل اى ذهب وكذلك ابو عبيد
تزهق اى تذهب وفى الاية دلالة اثبات رسالة رسول الله لانه اخبر ان انفسهم تزهق وهم كافرون فكان
ما ذكر دل انه علم ذلك بالله وقوله عز وجل ويحلفون بالله انهم لمنكم فى الباطن فى الدين لانهم كانوا منهم فى الظاهر

وقال

وقال وما هم منكم فى الباطن فى الدين ولكنهم قوم يفرقون اى يخافون القتل فيظهرون الموافقة لهم وقوله عز وجل لو يجدون
ملجأ ومغارات او مدخلا لولوا اليه قيل لو وجدوا حرزا او مغارات يعنى الغيران فى الجبال ومدخلا اى سربا
فى الارض فى الجبال لولوا اليه اى رجعوا اليه وهم يجمحون اى يسعون وعن ابن عباس قال الجبال والمغارات الغيران
والمدخل السرب قال ابو عوسجة المغارات مثل الملجاء وهو شئ يتحصنون فيه ومدخلا هو موضع يدخلونه ايضا
وهم يجمحون اى يسرعون يقال جمحت الدابة تجمح جماحا فهو جامح وهو من الاسراع وكذلك قال القتبى وقال ابو معاذ
يجمح الراكب راسه وهواه وقال بعضهم قوله او مدخلا لا يجدون ناسا يدخلون بينهم لولوا اليه دونكم
واصله انهم لو وجدوا مأمنا يأمنون لولوا اليه اى لصاروا اليه مسرعين ولا يظهرون لكم الايمان ولكن ليس
لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ومنهم يعنى المنافقين من يلمزك فى الصدقات اختلف فيه قال بعضهم يلمزك
يزورك لمكان الصدقات طمعا فيها لتعطيهم الصدقات ويلمزك اى يزورك ليسألك من الصدقات
اى انما يزورونك لمكان الصدقات لتعطيهم لا يزورونك ولا يأتونك لمكان الرسالة او رغبة فى الدين ولكن
لمكان الصدقات فان اعطوا منها رضوا عنك ويعظمونك وان لم يعطهم اذا هم يسخطون لان اتيانهم
رسول الله وزيارتهم اياه لمكان الصدقة فاذا لم يعطوا منها شيئا سخطوا ومنهم من قال قوله ومنهم
من يلمزك فى الصدقات اى يطعن عليك فى الصدقات اى فى قسمة الصدقات روى عن ابى سعيد الخدرى قال
بينا رسول الله يقسم قسما له فجاءه رجل يقال له ابن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل يا رسول الله فقال له
النبى ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل انا فقال عمر ائذن لى يا رسول الله فاضرب عنقه فقال له النبى دعه فان له اصحابا
يحتقر احدكم صلوته الى صلاتهم وصيامه الى صيامهم لحسن صلوتهم وصيامهم فيحتقر صلوته عند صلوتهم اولئك
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ذكر حديثا طويلا وهو كانه كان من الخوارج وهو الذى قتله على بن
ابى طالب رضى الله عنه وقوله عز وجل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اتاهم الله من الرزق ورسوله
من الصدقات وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله وقيل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله من فضله اى من دينه
ورسوله وقالوا حسبنا الله كان خيرا لهم مما طمعوا فى هذه الصدقات وطعنوا رسول الله فى ذلك وقال
بعضهم رضوا ما اتاهم الله من فضله مما رزقهم لكان خيرا لهم مما فعلوا وقال بعض اهل التأويل ولو انهم
رضوا ما اتاهم الله من فضله اى من الصدقات التى كان اعطاهم رسول الله منها والى الله رغبوا لكان خيرا مما طمعوا
فى تلك الصدقات وطعنوا رسول الله وسخطوا عليه ويقرأ يلمزك ويلمزك برفع الميم قال ابو عوسجة اللمز الغيب
يقال لمزه لمزا وهمزه همزا وقال القتبى يلمزك اى يعيبك ويطعن عليك يقال همزت فلانا ولمزته اذا اغتبته
وعبته وكذلك قول الله ويل لكل همزة لمزة وقوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين يشبه ان تكون الاية
فى بيان موضع الصدقة على ما تقدم من الذكر بقوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا الاية
ما ذكر ان المنافقين كانوا يأتون رسول الله ويسألونه من الصدقات فان اعطاهم رضوا منه وان لم يعطهم طعنوا
فيه وعابوا عليه فبين ان الصدقات ليست لهؤلاء ولكن للفقراء من المسلمين والمساكين من المسلمين وكذلك
ما ذكر من الاصناف المكاتبين والغارمين انها لهؤلاء من المسلمين لا لهم ويدل على ذلك ما جاء من الاخبار روى
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه وضع صدقات باعيانها جعلت اليه فى صنف واحد ما روى انه اعطى الاقرع
بن حابس مائة من الابل واعطى فلانا كذا وروى عن الصحابة انهم وضعوا الصدقة فى صنف واحد روى عن حذيفة
انه قال هؤلاء اهلها فى اى صنف وضعتها اجزأك وعن ابن عباس انه قال كذلك وعن عمر انه كان اذا جمع صدقات
المواشى والبقر والغنم نظر ما كان منتجة للبن فيعطى لاهل البيت على قدر ما يكفيهم فكان يعطى العشرة شاة للبيت الواحد
ثم يقول عطية تكفى خير من عطية لا تكفى او كلام نحو هذا وقد روى عنه انه سئل عن ذلك فقال والله لاردن
عليهم الصدقة حتى يروح على احدهم مائة ناقة او مائة بعير وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه اتى بصدقة
فبعثها الى اهل بيت واحد هؤلاء اجلاء الصحابة استجازوا وضع الصدقة فى صنف واحد ولو كان حق كل صدقة
ان تقسم بين هؤلاء الاصناف الذين ذكر بالسوية على ما قال القوم لكان قال الله عز وجل انما الصدقات
بين الفقراء وبين من معهم من الاصناف كما يقال الميراث لقرابة فلان اى ليس للاجنبيين فى ذلك حق واذا قيل
الميراث بين قرابة فلان كان لكل فى ذلك حقا لان حرف بين يقتضى التسوية بجميعهم وقوله لهم يقتضى انه لا حق
فيه لغيرهم الا ترى انه يقال الخلافة لولد العباس يراد انه لا حظ فيها لغيرهم والتنفاة لبنى هاشم ونحوه
ليس يراد ذلك بينهم بالسوية وانما يراد ذلك ان لا حق لغيرهم فيها وبعد فانه لو كان فى الاية انما الصدقات
بين الفقراء وبين من ذكر معهم لكان لا يجب قسمة كل صدقة بين هؤلاء الاصناف المذكورة فى الاية لانه
ليس للصدقات انقطاع بل لها مدد دائم وقع صدقة واحدة لصنف واحد فاذا اتى بصدقة اخرى دفع الى صنف
اخر هكذا يعمل فى الاصناف كلها وبعد فانه لم يذكر عن احد من الائمة انه تكلف طلب هؤلاء الاصناف فقسمها
بينهم وكذلك لم يذكر عن احد من ارباب الاموال انهم دفعوا صدقة واحدة بين هؤلاء الذين ذكر فدل
انه خرج على ما ذكرنا لانه لو كان على تسوية كل صدقة بينهم لم يجز ان لا يقسموها كذلك ويضيعون حق البعض
من هؤلاء وبعد فانه لو تكلف الامام ان يظفر بهؤلاء الثمانية ما قدر على ذلك دل انه لم يخرج الخطاب

علي ما توهم خصومنا ولان الحق لو كان التسوية بينهم في كل صدقة لكان اذا لم يجد في بلدة مكاتبين وواحد
من هؤلاء الاصناف فيجب ان يسقط مقدار حصته من لم يجد عن اربابها فذلك بعيد فقد جاء في الخبر انه
بعث معاذا الى اليمن فقال له خذ من اغنيائهم ورد في فقرائهم ويكره اخراج صدقة كل بلد الى غيره من البلدان
ثم قد يحتمل الا يتجمع الصدقات التي يتصدق بها على الفقراء والمساكين من الفيء وغيره فتبين ان هؤلاء موضع
لذلك كله من نحو قوله واتوا حقه يوم حصاده وقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ويحتمل
زكوة الاموال المفروضة والوجه فيه ما ذكرنا فان قيل ان الرجل اذا اوصى فقال ثلث مالي لفلان اليس
هو مقسوم بينهم بالسوية ما منع ان الاول بمثله قيل لا يشبه الصدقات الوصايا وذلك ان الوصية انما
وقعت في مال معلوم لا يزيد فيه بعد موت الميت شيئا ولا يتوهم لها مدد والصدقات يزيد بعضها بعضا
واذا فني مال جاء مال اخر واذا مضت سنة جاءت سنة اخرى بمال جديد فاذا دفع الامام صدقة بجميع ما عنده
الى الفقراء ثم حضره غارمون فيحمل اليه صدقة اخرى يجعلها فيهم فيصلح بذلك احوال الجميع لما لا انقطاع للا
للاموال الى يوم القيامة وكيف يقسم الصدقة على ثمانية اسهم ولا خلاف في ان للعاملين بقدر عمالتهم زاد
ذلك على الثمن او نقص منه فاذا زالت القسمة في احد الاصناف زالت في الجميع فاعطي كل صنف منهم بقدر حاجته
كما اعطي العاملون وكيف يصنع بسهم المؤلفة قلوبهم وقد ارتفع ذلك ونسخ وعلى ذلك جاء عن بعض الصحابة
من نحو ابي بكر وعمر انهم لم يعطوهم شيئا الا ان يرد ذلك على سائر السهام فاذا جاز ان يزاد على الثمن في وقت جاز ان
ينقصوا منه في وقت وفي قوله والعاملين دلالة ان لا باس للائمة والقضاة اخذ الكفاية من بيت المال ولكل
عامل المسلمين اخذ كفايته ورزقه من ذلك اذا فرغ نفسه لذلك وكفها عن غيرها من المنافع والاعمال ثم اختلف
في الفقراء والمساكين قال بعضهم الفقراء هم من المهاجرين كقوله للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
والمساكين من الذين لم يهاجروا وقال بعضهم الفقير الذي به زمانة والمسكين الذي ليست به زمانة وهو محتاج
وقال بعضهم الفقراء هم المتعففون الذين لا يخرجون ولا يسالون الناس كقوله تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف والمساكين هم الذين يسالون وكذلك قال الحسن وعن عمر قال ليس المسكين الذي لا مال له
ولكن المسكين الذي لا يصيب المكسب وعن ابن عباس قال الفقراء فقراء المسلمين والمساكين الطوافون وهو قريب
مما قاله الحسن وعن الاصم قال الفقير الذي لا يسال وهو ما ذكرنا بدئا والمسكين الذي يسال اذا احتاج
ويمسك اذا استغنى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية ابو هريرة رضي الله عنه قال ليس
المسكين هذا الطواف الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قيل فما المسكين يا رسول الله
قال الذي لا يجد ما يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسال الناس فهذا لو حمل على ظاهره لدفع
قول من قال ان المسكين هو الذي لا يسال الناس ولكن يجوز ان يكون معناه والله اعلم ان الذي لا يسال وان كان
عندكم مسكينا فان الذي لا يسال اشد مسكنة منه ولا يحمل على غير ذلك لان الله قد سمى الذين لا يسالون الناس
فقراء ولا يجوز ان يجعلوا الحديث مخالفا للاية ما امكن ان يكون موافقا لها قال الله تعالى يتيما ذا مقربة او مسكينا
ذا متربة فقوله ذا متربة قيل هو الذي لا حائل بينه وبين التراب لفقره فدل بذلك والله اعلم على ان المسكين
هو الشديد الفقر والفقير هو الذي لا يملك شيئا ولم يبلغ في الفقر والضرورة حال المسكين ويدل لذلك
قول عمر ليس المسكين من لا مال له ولكن المسكين من لا مكسب له كانه يقول ان الذي لا مال له وله مكسب هو
فقير والمسكين اشد حالا من الفقير وليس له مال ولا مكسب وان حمل قول النبي عليه السلام ليس المسكين
الذي يسال ولكن المسكين الذي لا يفطن به ولا يسال لعلى ان ذلك الذي لا يفطن به هو اشد مسكنة من الاخر
وان كان الاخر مسكينا ايضا كان موافقا للمعنى الذي ذكرنا لانا قلنا ان المسكين هو الشديد الفقر وقد يكون
فقيرا وان لم يبلغ به الفقر مبلغ الضر الاول وقد يخرج قول من قال ان المسكين الذي يخرج هذا المخرج لان من شان
المسلم الفقير انه يتجمل ما كانت له حيلة ويتعفف ولا يخرج فيسال وله حيلة فخروجه يدل على شدة ضيقه وعلى
الزيادة في سوء حاله فكان القولان جميعا يرجعان الى معنى واحد واذا كان الفقير احسن حالا من المسكين
لما ذكرنا فقد يجوز ان يدفع الصدقة الى من له مال قليل لانه فقير وان لم يكن حاله في فقره حال المسكين
الذي لا يملك شيئا والله اعلم وقوله عز وجل والعاملين عليها اختلف فيه قال بعضهم يعطى لهم الثمن وقال بعضهم
يعطى لهم قدر عمالتهم وقال بعضهم يعطى لهم قدر كفايتهم وعيالهم اما قول من قال يعطى
لهم الثمن لا معنى له لانه لا يجوز ان يبلغ الثمن الوفاء وعمالته لا تبلغ عشر عشر ذلك ومن قال يعطى لهم قدر
كفايتهم وكفاية عيالهم فهو والله اعلم اذا كان هو يسلم نفسه لذلك واستعمله الامام في جميع امور المسلمين
فاذا كان كذلك يعطى له عند ذلك الكفاية له ولعياله واما اذا تولى شيئا من ذلك العمالة في وقت فيعطى له
الكفاية فلا والا شبه عندنا ان يعطى لهم قدر عمالتهم وهكذا الامام اذا استعمل احدا في عمل من اعمال
اليتيم فانه يعطى له قدر اجر عمله وقوله عز وجل والمؤلفة قلوبهم قد ذكرنا فيما تقدم انه عليه الصلوة والسلام
كان يعطي الرؤساء من المنافقين من الصدقات يتالف به قلوبهم ليسلموا على ما روي انه كان يعطي فلانا
مائة من الابل وفلانا كذا وروي انه قسم ذهبة في اديم مقروظ بعثها علي رضي الله عنه من اليمن بين الاقرع

بن حابس

بن حابس وبين فلان وفلان والحديث في هذا اكثر انه النبي كان يخص به الرؤساء منهم بالصدقة يتالفهم والاسلام
في ضعف واهله في قلة واولئك كثير ذو قوة وعدة فاما اليوم فقد كثر اهل الاسلام وعز الدين وصار اولئك
الى لا يحتاج الله فقد ارتفع ذلك وذهب اذ قوي المسلمون وكثروا فيها تلون حتى يسلموا وعلى ذلك جاء الخبر عن ابي
بكر وعمر رضي الله عنهما ما دل على ما ذكرنا وروي ان الاقرع بن حابس وعيينة بن فلان جاءا الى ابي بكر رضي الله
عنه فقالوا يا خليفة رسول الله ان عندنا ارض سبخة ليس فيها كلاء ولا منفعة فان رايت ان تقطعنا
ها فاقطعهما اياها وكتب لهما عليها كتابا واشهد عمر رضي الله عنه وليس في القوم فانطلقا الى عمر ليشهداه فلما
سمع عمر ما في الكتاب تناوله من ايديهما ثم نظر فيه فمحاه فتذمرا وقالا له مقالة سيئة وقال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يتالفكما والاسلام يومئذ قليل وان الله تعالى قد اعز الاسلام اذهبا فاجهدا جهدكما لا
ارعى الله عليكما ان رعيتما ونحن نذهب الى هذا الحديث لان ابا بكر لم ينكر على عمر قوله وفعله فصار ذلك وفاقا منهم
له فكفى بقولهما حجة لنا ولنا في ذلك وجوه من الحجج احدها ان النبي عليه السلام كان يجاهد قوما وهو الى مدا
راتهم ومعاداتهم محتاج لما ذكرنا من قلة اهل الاسلام وضعفهم فلما اعز الله الاسلام واكثر اهله رد الى اهل
العهود عهودهم ثم امر بحربهم جميعا والثاني ما قال الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فكانت
الحال الثانية التي فيها الاسلام وقوي اهله وعزوا خلاف الحال الاول في هذه الاشياء فكذلك امرنا فقيل جائز للرؤساء
في الحال الاول محظورا في الحال الثانية والله اعلم والثالث الاية دلالة جواز النسخ بالاجتهاد لارتفاع المعنى الذي به كان
ليعلم ان النسخ قد يكون بوجوه وفي خبر ابي بكر وعمر رضي الله عنهما دلالة ان اذن الامام شرط في احياء الموات
الموات لا تملك الا باذن لان ذينك الرجلين اللذين اتيا ابا بكر فقالا ارض لا كلا فيها وذلك صورة ارض الموات
وقوله عز وجل وفي الرقاب اختلف فيه قال بعضهم معناه العتق ويجوز ان يعتق عن الزكوة وقال بعضهم هم المكاتبون يستادون
كتابتهم وقالوا لا يشبه الاعتاق ما يدفع الى المكاتب فيؤدي فيعتق لان العتق ليس بتمليك وانما هو ابطال
ملك وما يدفع الى المكاتب فهو تمليك فذلك مختلف وانما تكون الزكوة زكوة اذا زالت من مالك الى مالك والثاني
ان العتق يوجب الولاء للمعتق فيجعله فيه باقيا والذي يدفع فيه الزكوة الى المكاتب لغيره ولا يرجع اليه بذلك
حق ولا يجب فيه ولاء فهما مختلفان والثالث وهو ان الله تعالى قال والغارمين ولو ان رجلا قضى عن غارم دينه
بغير امره لم يجزه من زكوة ماله وانما يكون زكوة اذا دفعها الى الغارم فعتق المزكي العبيد بمنزلة قضاء دين
الغارم لانه لا يحتاج في واحد منهما الى قبول من الغارمين والعبد واعطاء المكاتب في الزكوة كدفعه اياها
الى الغارم لانه قد دفعها اليه في كلا الحالين الى من قبلها منه من زكوة وقبضها وفي ذلك وجه اخر وذلك انه اشترى
عبدا من رجل لا يعتقه فقد صار ثمنه دينا في ذمتي قبل ان انقد المال فاذا قضيته فانما قضيته عن ذمتي دينا
قد لزمني ولا يجوز ان اقضي عن دين وقوله عز وجل وفي سبيل الله قيل هم الغزاة ويحتمل في سبيل الله اي في طاعة الله
ان لكل من سعى في طاعة الله وسبيل الخيرات فانه داخل في ذلك وقوله وابن السبيل قيل الضيف ينزل به وقيل هو المار
عليك وان كان غنيا المنقطع عن ماله قوله فريضة من الله يحتمل ايجابا من الله واعلاها اهل الصدقات منهم من
غيرهم ويحتمل قوله فريضة من الله اي واجبا من الله وفرضا والله عليم حكيم وقوله عز وجل ومنهم الذين يؤذون
النبي اخبر انهم يؤذون النبي ولم يبين بما كانوا يؤذون فيحتمل يؤذون النبي بتكذيبهم اياه وتركهم الاجابة
له والطاعة فيما يدعوهم اليه ويحتمل يؤذونه بكلمات يسمعونه وطعن يطعنونه ويعيبون عليه ويقولون
هو اذن قيل الاذن هو الذي يقبل العذر ممن اعتذر اليه ويسمع منه سواء كان له عذر او لا عذر له لكرمه
وشرفه وحسن خلقه فظن اولئك لما راوه انه كان يعاملهم معاملة اهل الكرم والشرف والمجد انه انما يعاملهم
هذه المعاملة لسلامة قلبه وصغر همته وقصور يده وهم كانوا اهل كبر وانفة قالوا هو اذن نقول ما شئنا ثم
نحلف ونعتذر اليه فيصدقنا ويقبل عذرنا قال الله تعالى قل يا محمد اذن خير لكم اي الذي يقبل العذر ويسمع خير لكم من
الذي لا يقبل ولا يسمع فكيف تؤذونه وتطعنون وتعيبون عليه ولا تصدقونه ولا تؤمنون به يخبر عن سفههم
قال ابو عوسجة الاذن الذي من قال له شيئا او حدثه حديثا صدقه واستمع منه وكذلك كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصدق كل من قال له شيئا او حدثه حديثا واستمع منه لكرمه وشرفه ومجده وحسن خلقه لا لما ظن
اولئك وقيل يقولون هو اذن اي يسر في نفسه ويكتم ولا يكافي من اذاه ولا يجازيه قال الله قل هو اذن خير لكم
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين قال بعضهم يؤمن بالله اي يصدق بالله اي يصدق بالله بما نزل عليه من اياته ويؤمن للمؤمنين
اي يصدقهم فيما بينهم من شهاداتهم وايمانهم على حقوقهم وفروجهم واموالهم ويحتمل قوله يؤمن
بالله ويصدقه بما يخبره من سر المنافقين وما استكتموه منه من الكيد له والكيد به ويؤمن للمؤمنين بما يخبرون
من قبل اولئك المنافقين من الطعن فيه والعيب عليه ولا ايمان باخرهم التصديق بجميع ما فيه والايمان
له من خبره وحديثه وقوله ويؤمن للمؤمنين فيما يشهدون وفي الاخرة له بالتبليغ اليهم كقوله فلنسالن
الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين او ان يكون قوله ويؤمن للمؤمنين اي يؤمن بالمؤمنين فيما بينهم
بالاخوة في الدين كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين وقوله عز وجل ورحمة
للذين امنوا منكم كان صلى الله عليه وسلم رحمة للمؤمنين لما استنقذهم من الكفر الى الايمان ومن

المهالك الى النجاة يشفع لهم في الآخرة بايمانهم في الدنيا والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم في الآخرة بقية من الآية الاولى وقوله والغارمين جعل الله الغارم موضعا للصدقة وهو الذي عليه الدين والغرم مما لزمه وجب لحقه على ذلك روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسألة لا تحل الا باحدى ثلاث من فقر مدقع او غرم مفظع او لذي دم موجع وفي بعض الاخبار ان الصدقة لا تحل الا لخمس للعاملين عليها او رجل اشتراها او غارم او غاز في سبيل الله وروي عن الحسن والحسين وابن عمر وابن جعفر ان رجلا سألهم شيئا فقالوا ان كانت مسألتك في احدى ثلث فقد وجب حقك في فقر مدقع او غرم مفظع او دم موجع هذه الاخبار كلها تدل على ان الغارم موضع للصدقة في دينه والكثر فانه قيل في الخبر او غرم مفظع قيل لاختلاف فيهم في ان من دينه غير مفظع فله ان يأخذ بقدر دينه من الصدقة فهذا يدل ان الذي روي في الخبر انما هو لكراهة المسألة لا على التحريم وهكذا نقول ان المسألة لا تحل له اذا كان غرمه غير مفظع ولكن يحل وضعه فيه واخذه له مسألة قوله في سبيل الله هو ما ذكرنا انه المنقطع من ماله جعله الله موضعا للصدقة فان كان غنيا في مقامه للحاجة التي بدت له وعلى ذلك روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا في سبيل الله او ابن السبيل او رجل له جار مسكين تصدق عليه فاهدى له وفي بعض الاخبار عنه ما ذكرنا قال لا تحل الصدقة الا لخمس وفيه او فقير تصدق عليه فاهداها للغني وقد يكون الرجل غنيا بان يكون له دار يسكنها ومتاع يتهيأ به وثياب ثم عزم على الخروج في سفر غزو احتاج من آلات سفره وسلاح يستعمل في غزوه ومركب يغزو عليه وخادم يستغني بخدمته الى ما لم يكن محتاجا اليه في حال اقامته فيجوز ان يعطى من الصدقة ما يستغني به في حوائجه التي تحدث لسفره فهو في مقامه غني بما يملكه لانه غير محتاج حينئذ لما وصفنا وهو في حال سفره فقير غير غني فيحتمل ان يكون معنى قوله لا تحل الصدقة لغني الا في سبيل الله على من كان غنيا في حال مقامه فيعطى بعض ما يحتاج اليه لسفره لما احدث له السفر من الحاجة الا ترى ان الرجل قد يكون له المتاع لا يحتاج اليه والدابة لا يركبها فاذا صار ذلك ما يجد رهم لم يجز له ان يأخذ من الزكوة فان عرض له مرض او سفر فاحتاج الى دابة ليركبها انه يخرج من الغنا بما حدث له من الحاجة الى الركوب وكان له ان يأخذ من الصدقة عندنا لا يستغني عما هو له وانما الغني من استغنى عما يملكه فكذلك الغازي على العرف قد تحدث له الحاجة الى اكثر مما يملك وصار ممن يجوز ان يعان وان كان ملكه الذي كان به غنيا قبل ذلك لم ينقص فهذا والله اعلم يحتمل وابن السبيل ايضا ما ذكرنا من الخبر ان لا تحل الصدقة لغني الا لابن السبيل ومن ذكر معه وعلى ذلك اتفاق الامة وهو ما قيل المجتاز من ارض الى ارض وعن ابن عباس رضي الله عنه في تأويل قوله الا عابري سبيل هو المسافر وهو ما ذكرنا انه المنقطع عن ماله وان كان غنيا في مقامه و الفقير الذي يجوز ان يعطى من الصدقة روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم اعطوا السائل ولو جاء على فرس وجاء في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يسأل عبد وقال احد مسألة وله ما يغنيه الا جاءت يوم القيامة خدوشا او كدوحا في وجهه قال يا رسول الله وماذا يغنيه او ما اغناه قال خمسون درهما او حسابها من الذهب وفي بعض الاخبار يقول من سأل وله اربعون درهما فقد الحف وعن علي وعبد الله قالا لا تحل الصدقة لمن له خمسون درهما او عوضها من الذهب وعن عمر كذلك وعن عباس قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان لي اربعون درهما استكثرا انا قال نعم وفي بعض الاخبار عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وفي بعض الاخبار لذي مرة قوي مكتسب وانما يحمل قوله لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي خرج من الزجر عن العرض على الصدقة والمسألة عليها الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لا تحل الا في احدى ثلاث فذكر احدها او فقر مدقع فذلك يبيح لذي المرة السوي ان يقبل الا ترى ان الرجلين اللذين سألا رسول الله قال لهما ان شئتما اعطيتكما فلو كان حراما عليهما ما اعطاهما الحرام ولكن ذلك على الزجر عن المسألة وروي عن سلمان انه حمل الى رسول الله صدقة فقال لاصحابه كلوا ولم يأكل هو ولا يتوهم متوهم ان اصحابه كانوا زمنى فهذا يبين ان النبي اراد الزجر عن المسألة والتعرض لها في حال الضرورة لا على التحريم لها وان من اخذها وله اقل من مائتي درهم او قيمتها فله فيما يملك سداد من عيش فذلك مكروه الا ترى انه روي عن الحسن انه قال كان اصحاب رسول الله يأخذون الصدقة ولاحدهم من السلاح والكراع والعقار قيمة عشرة الاف درهم فهذا احسن والتعفف عنها احسن لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من استغنى اغناه الله ومن استعف اعفه الله وقوله لان يأخذ احدكم حبلا فيحتطب خير له من ان يسأل الناس شيئا اعطوه او منعوه وقوله عز وجل يحلفون بالله لكم ليرضوكم بما حلفوا عليه ذكر بعض اهل التأويل ان الانصار مشت اليهم يعني الى المنافقين فقالوا قد عيرنا وما نزل فيكم حتى فكانوا يحلفون للانصار والله ما كان شيء من ذلك فكذبهم الله فقال يحلفون بالله لكم ما كان الذي بلغكم ليرضوكم بما حلفوا والله ورسوله احق منكم يا معشر الانصار ان يرضوه حيث اطلع على ما حلفوا وهم كذبة ان كانوا مؤمنين يقول ولكن ليسوا بمصدقين والاشبه ان تكون الآية نزلت في معاتبة جرت بين المؤمنين والمنافقين باستهزاء كان منهم برسول الله او طعن

فيه

فيه او استهزاء بدين الله فاعتذروا اليهم وحلفوا على ذلك ليرضوا فقال الله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين حقيقة ليسوا بمؤمنين واما ما قاله بعض اهل التأويل ان رجلا من المنافقين قال والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعها رجل من المسلمين فاخبر بذلك رسول الله فدعاه فقال ما حملك على الذي قلت فحلف و التعن ما قاله فنزل قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم هذا لو كان ما ذكر لكانوا يحلفون لرسول الله لا يحلفون لهم دل ان الآية في غير ما ذكر ويذكر عن ابن عباس ان الآية نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك فجعلوا يحلفون لرسول الله حين رجع انهم لا يتخلفون عنه ابدا وكذلك قال غيره من اهل التأويل ولكن لو كان ما قالوا لكانوا يحلفون لرسول الله ويرضونه لا للمؤمنين دل ان الاشبه ما ذكرنا وفيه وجوه احدها ان فيه دلالة تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ليعلموا انه رسول حيث اطلع على ما اسروا في انفسهم وكتموا من المكر وانواع السفه والثاني ليحذروا ويمتنعوا عن مثله والمعاودة اليه لما علموا انه يطلع على جميع ما يسرون ويكتمون والثالث تنبيها للمؤمنين وتعليما لهم منه بانه اذا وقع لهم مثل ذلك لا يشتغلون بالحلف طلبا لرضا بعضهم بعضا ولكن يتوبون الى الله ويطلبون مرضاته وقوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ذكر نفسه ورسوله ثم اضاف الرضا الى رسوله بقوله احق ان يرضوه ولم يقل احق ان يرضوهما فهو والله اعلم لانهم اذا ارضوا رسوله رضي الله عنهم وكان في ارضائهم رسوله ارضاء الله وهو ما ذكر انهم دعوا الى الله ورسوله ثم اضاف الحكم الى رسوله لانهم انما دعوا الى ان يحكم الرسول بينهم وقوله والله ورسوله احق ان يرضوه لان الخلاف والخيانة كان في حق الله وفي حق رسوله لم يكن في حق المؤمنين لذلك قال والله ورسوله احق ان يرضوه من المؤمنين ثم ذكر مخادعة الله ورسوله ثم اقتصر على رضا رسوله لانهم لم يقصدوا قصد مخالفة رسوله او ان يكون ذكر ارضاء احدهما لان في رضا رسوله رضاء الرب كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله عز وجل الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله في الآية دلالة انهم علموا انهم معاندين في صنيعهم وعلموا ان من عاند وكابر بغير حق فان له نار جهنم وقوله يحادد الله يحتمل يعاند الله وقيل يحادد الله يشاق الله ويخالف الله وهو واحد ثم وقوله الم يعلموا يخرج على وجهين احدهما اي قد علموا انه من يحادد الله ورسوله فان لم ما ذكر لكنهم عاندوا والخلاف والمحادة له مع علمهم والثاني اي اعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له ما ذكر على ما ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله يخرج على الايجاب والالزام وقوله عز وجل ذلك الخزي العظيم يحتمل وجهين يحتمل الخزي اي الفضيحة العظيمة في الدنيا ويحتمل ذلك الخزي العظيم في الآخرة اي نار جهنم خزي عظيم وقوله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يحتمل قوله يحذر المنافقون اي الحق عليهم ان يحذروا لما اطلع الله رسوله مرارا مما اسروا وكتموا ويحتمل على الخبر انهم كانوا يحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم مما في قلوبهم لكثرة ما اطلع الله ورسوله من سرائرهم وسعيهم وقوله عز وجل قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون فهو والله اعلم ليس على الامر ولكن على الوعيد يقول استهزؤا فان الله مظهر ومبين ما اسررتم وكتمتم من العيب والاستهزاء برسوله والطعن فيه وقوله عز وجل ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب ذكر السؤال ولم يبين مم سألهم ولكن في الجواب بيان ان السؤال انما كان على الاستهزاء حيث قال قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ذكر ان نفرا من المنافقين كانوا اختفوا في بعض الطريق ليغزو رسول الله او يرجع من الغزو فيقتلونه فاطلع الله نبيه على اجماعهم في ذلك انه لما ذا فعل ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وذكر بعض اهل التأويل ان النبي لما رجع من غزوة تبوك بينا هو يسير اذا هو برهط يسيرون بين يديه يضحكون ويستهزؤن فاطلع الله رسوله انهم يستهزؤن بالله وكتابه ورسوله فقال ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقيل غير ذلك وقيل ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض اي لو سألتهم ما تقولون فيقولون لك مما نخوض فيه الركب اذا ساروا وليس لنا الى معرفة كيفية استهزائهم حاجة ولا ما يشبه سوى ان فيما ذكرنا من خبر المنافقين تنبيه للمؤمنين وتحذير لهم ليحذروا اسرارا لم يظهروا على السنتهم ليعلموا ان الله مطلع على ما يسرون ويجهرون وقوله قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن قوله ابالله يحتمل الاضافة الى نفسه اضافة الى نفس المؤمنين لانه لا احد يقصد قصد الاستهزاء بالله ولكنهم كانوا يستهزؤن برسول الله وبالمؤمنين فاضاف الى نفسه كقوله يخادعون الله وكذلك قوله ان تنصروا الله الآية فعلى ذلك الاول كانوا يستهزؤن برسول الله وبالمؤمنين فاضاف الله الى نفسه تعظيما لهم واكراما وقوله وآياته يحتمل انهم كانوا يستهزؤن بالاحكام التي لها آيات فاستهزؤا بتلك الاحكام فاضاف الاستهزاء الى الآيات كقوله ولا تمسكوهن ضرارا الآية ولا تتخذوا آيات الله هزوا هم لم يتخذوا آيات الله هزوا ولكن هزوا بالاحكام التي لها آيات اضاف الهزؤ الى آياته ولكن من استخف بحكم من الاحكام التي لها آيات كان ذلك استخفافا بآياته والله اعلم وقوله عز وجل لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم اي لا تعتذروا فانه لا يقبل اعتذاركم لما لا عذر لكم فيما تعتذرون بعد ما قلتم انه اذن لما ظهر منكم الخلاف والكذب في ذلك كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم اخبر انه لا يصدقهم فيما اعتذروا لما ظهر كذبهم وتبين خلافهم وقوله وقد كفرتم بعد ايمانكم يحتمل كفرتم

فى الباطن بعد ما اظهرتم بالسنة ويحتمل قد كفرتم بعد ايمانكم حقيقة قد كفروا بعد ما امنوا وقوله عز وجل ان نعف عن
طائفة منكم نعذب طائفة قال بعضهم قوله ان نعف عن طائفة وذلك ان المنافقين قد امن منهم بعد النفاق
وتاب فاخبر انه يعف عنهم ويعذب الطائفة الذين لم يؤمنوا ولم يتوبوا وقيل ان يعف عن طائفة منكم
يعذب طائفة لان المنافقين من قد مات على الايمان ومنهم من قد مات على الكفر فوعد العفو عمن مات
على الايمان كقوله ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اخبر انه ان شاء تاب عليهم فقوله ان نعف
عن طائفة منكم الطائفة التى يتوب عليهم وقوله قل ابالله واياته ورسوله يحتمل وجهين احدهما على الايجاب
اى يفعلون بالله ورسوله ذلك ويحتمل على التوعيد والتوبيخ ابالله يفعلون هذا والله اعلم وقوله عز وجل المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض ذكر فى اهل الايمان بعضهم اولياء بعض بقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
اولياء بعض ذكر فى الكافرين الولاية لبعضهم ببعض بقوله والذين كفروا بعضهم اولياء بعض وقال فى المنافقين
بعضهم من بعض فهو والله اعلم ان لاهل الايمان دينا يدينون به ويتناصرون ويدعون الناس اليه واهل
الكفر يدينون ايضا بدين ويتناصرون ويتعاونون بعضهم بعضا فصار لكل واحد من الفريقين موالاة فيما بينهم
موالاة الدين واما المنافقون فانه لا دين لهم يدينون به ولا مذهب ينتحلونه ولا يتناصر بعضهم بعضا و
لا يعاونون بعضهم ولا يجرى بينهم التناصر والتعاون فانما هم عباد النعمة والسعة مالوا حيثما مالت النعمة
والسعة فلا موالاة فيما بينهم لما ذكرنا وفى قوله المنافقات دلالة ان من نافق بالتقليد لاخر او نافق
لا بتقليد سواء فى استيجاب الاسم والتعذيب فى ذلك والوعيد لان النساء من اتباع واهل تقليد للرجال
ثم سوى بينهم وبين النساء فى الاسم والوعيد قوله عز وجل يأمرون بالمنكر يحتمل قوله يأمرون بالمنكر اى
ما ينكره العقول وهو الشرك بالله والخلاف له وينهون عن المعروف اى ينهون عما يعرفه العقول وتستحسن
وهو التوحيد لله والايمان به ويدخل فى ذلك كل خير وحسن وفى المنكر يدخل فيه الشرك وكل معصية قوله
عز وجل يقبضون ايديهم قيل يقبضون ايديهم من الانفاق فى سبيل الخير لكن يحتمل ان يكون على التمثيل لا على تحقيق
قبض اليد ولكن على كف النفس ومنعها من الاشتغال بالخيرات وخوضها فيها وفى جميع الطاعات لكثرة ذكر اليد
لما باليد يعمل بها وبها يكتسب الخيرات والسيئات كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وذلك
مما لم يقدمه الايدى ولا كسبا انما ذلك كسب القلب لكثرة ذكر اليد لما ذكرنا انه باليد ما يقدم وبها يقبض
فى الشاهد وجائز ان يكون ما ذكر من قبض اليد كناية عن بخلهم وقلة انفاقهم فى الجهاد كقوله ولا ينفقون الا وهم
كارهون وقوله عز وجل نسوا الله فنسيهم قيل جعلوا الله عز وجل كالشىء المنسى لا يذكرونه ابدا فنسيهم اى
جعلهم كالمنسيين فى الاخرة من رحمة لا ينالونها ويحتمل نسوا الله اى نسوا نعم الله التى انعمها عليهم فلم يشكروها
فنسيهم على المجازاة لذلك وان لم يكن نسيا كما سمى جزاء السيئة سيئة وان لم يكن الثانى سيئة فعلى ذلك ذكر النسيان
على مجازاة النسيان وان لم يحتمل النسيان والثالث نسوا الله اى نسوا المعونة والنصرة وسؤال التوفيق فنسيهم
الله اى لم ينصرهم ولم يوفقهم قوله عز وجل ان المنافقين هم الفاسقون فان قيل اسم النفاق اشنع واقبح من
اسم الفسق فما معنى ذكر الفسق لهم فهو والله اعلم لانهم كانوا يظهرون الموافقة للمؤمنين بالنفاق فاخبر انهم [illegible]
علموا ما اظهروا والله اعلم وان يكون اسم النفاق اشنع واقبح عند الناس من اسم الفسق فعندهم يحتمل ان يكون اسم
الفسق اكبر فى القبح [illegible] فاسقين [illegible] ان كل اهل النفاق [illegible] التسمية الى الفسق والتسمية [illegible]
[illegible] فى انفسهم انهم اهل نفاق [illegible] واصل الفسق هو الخروج عن امر الله قوله
عز وجل وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم [illegible]
فيه والنار فيها يعذبون خالدين فيها هى حسبهم اى حسبهم جزاء لسيئتهم يقول للرجل لا خير
حسبك كذا اى كفاك ذلك جزاء لك قوله ولعنهم الله قيل اللعن هو الطرد فى اللغة اى يطرد عن رحمته وهو
عذاب [illegible] قوله عز وجل كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة اى هؤلاء المنافقين والكفرة
كالذين من قبلكم ولم يبين كاولئك فيما ذا ولكن يحتمل قوله كالذين من قبلكم اى صرتم الى العذاب كالذين صاروا
من قبلكم وكانوا اشد منكم قوة وبطشا واكثر اموالا واولادا وفى [illegible] يدفع العذاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فاستمتعوا بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم [illegible]
[illegible]
[illegible] وقال ابو عبيدة الخلاق [illegible]
قال الحسن فى قوله بخلاقهم [illegible] وقوله عز وجل وخضتم كالذى خاضوا [illegible] فى الباطل [illegible]
[illegible]
اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة [illegible] ثواب

الاعمال

الاعمال لما يكون فى الاخرة بالايمان واولئك هم الخاسرون خسرانا بينا وبطلان اعمالهم فى الدنيا لما يقبل واحد من
الفريقين من المؤمنين والكفار صنيعهم لانهم يرون من نفسهم الموافقة لكل واحد منهما وما كانوا مع
واحد من الفريقين كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وقوله عز وجل الم يأتهم نبأ الذين
من قبلهم قوم نوح وعاد الى اخره يحتمل هذا وجهين احدهما قوله الم يأتهم اى قد اتاهم خبر الذين من
قبلهم وما حل بهم وما انتقم الله منهم بتكذيبهم الرسل وسعيهم فى قتلهم واهلاكهم وهم من
جنس انفسكم واشد قوة وبطشا منكم وانتم تقلدونهم فى ذلك ثم حل بهم ما حل بتكذيبهم والخلاف
لهم فانتم دونهم فى كل شىء واقل منهم فى القوة والبطش واولى بذلك ان يصيبكم ويحتمل قوله الم
يأتهم نبأ الذين من قبلهم اى يأتيهم نبأ الذين من قبلهم وما حل بهم كقوله الم تر كذا اى سترى
فعلى ذلك هذا يحتمل وهو خوف ووعيد يحذرهم ما حل باولئك ليمتنعوا عن مثل صنيعهم وقوله عز وجل
والمؤتفكات اتتهم رسلهم قال اهل التأويل هى قريات لوط مؤتفكات اى منقلبات قال القتبى ائتفكت
اى انقلبت وقال ابو عوسجة المؤتفكات هى من الافك وهو الصرف انى يؤفكون اى يصرفون وقال بعضهم
المؤتفكات المكذبات اتتهم رسلهم بالبينات فكذبوهم فهلكوا وهو من الانقلاب كانه اشبه و
الله اعلم وقوله عز وجل فما كان الله ليظلمهم بتعذيبهم اياهم ولا يعذبهم وهم غير مستوجبين لذلك
العذاب ولكن هم ظلموا انفسهم حيث كذبوا رسله وردوا ما جاؤا بهم من البينات والبراهين وقوله
عز وجل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يحتمل قوله بعضهم اولياء بعض على الايجاب والاخبار
ان الدين الذى اعتقدوا وتمسكوا به يوجب عليهم الولاية ويصير بعضهم اولياء بعض كقوله اذ كنتم اعداء
فالف بين قلوبكم الاية وقوله انما المؤمنون اخوة ونحوه فهى اخوة الدين وولايته ويحتمل قوله والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض على الامر اى اتخذوا بعضهم اولياء بعض ولا تتخذوا غيرهم اولياء
كقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء نهى المؤمنين ان يتخذوا اوليا
من غيرهم فكما امر ان يتخذ المؤمنون بعضهم بعضا اولياء ولا يتخذوا من غيرهم ثم يحتمل الولاية
وجهين ولاية روحانية وهى ولاية فى الدين توجب مراعاة حقوق تحدث بالدين الذى جمعهم وحفظها
والثانية ولاية نفسانية وهى الولاية التى تكون فى الانفس والاموال من نحو ولاية النكاح والميراث
وغيره فهذه الولاية هى الولاية النفسانية التى كانت بالرحم والنسب فاذا اجتمعوا فى دين واحد وجبت
تلك الولاية لهم وهى الولاية نفسها وولاية الروحانية هى المحبة والمودة فيجب مراعاتها للدين وتعاهده و
هذا كما تقول حيوة روحانية وحيوة جسدانية وحيوة الروحانية هى العلم والادب يرى اشياء ويعرفها
من بعد وحيوة الجسدانية وهى الروح الذى به يحيى الجسد وبذهابه يموت الجسد والله اعلم وقوله عز وجل
يأمرون بالمعروف يحتمل المعروف الذى يوجبه العقول وهو التوحيد لله والايمان به وينهون عن المنكر اى
ينهون عما ينكره العقول وهو الشرك بالله والتكذيب له وهذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو فيما بين
الكفرة يأمرهم المؤمنون بذلك ويدعونهم الى ذلك وينهاهم عن ضد ذلك وان كان فيما بين المؤمنين
فهو امر بشرع يأمر بعضهم بعضا بما جاء به الشرع وينهاه عما لم يجئ به الشرع او يأمر بعضهم بعضا بكل خير وينهى
عن كل شر ومعصية ويقيمون الصلوة ويطيعون الله ورسوله فى كل امره ونهيه اولئك سيرحمهم الله وعدهم
برحمته ان الله عزيز حكيم قيل حكيم يرى اثار عزه فى كل شىء حكيم يرى اثار حكمته وتدبيره فى كل شىء وقوله
عز وجل وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ومساكن طيبة فى جنات
عدن وقوله عز وجل ورضوان من الله اكبر اى رضاء الله عنهم اكبر من كل ما اعطاهم لانه حيوة الروح
ولذته وما اعطاهم من الجنة والمساكن الطيبة فى حيوة الجسد ولذته وحيوة الروح ارفع واكبر من حيوة
الجسد لانه لا يؤثر زيادة فى الجسد وكذلك الغم والحزن ذكر الحسين فيه حيوة الروح ولذته اذ ليس فيه زيادة
فى الجسد انما هو فرح وسرور يدخل فيه واذا اصابه شىء من الذل او سمع مكروها حزن واهتم من غير ان يتألم
جسده او يجد الما وشدة فى نفسه وذلك لما اصاب روحه لم يصب جسده واصله ان العمل فى الدنيا لطلب مرضاة
الله ومرضاته اكبر من العمل بطلب ثوابه لان العمل لطلب الثواب امر له فالذى قام باداء ما عليه اعظم درجة
واكبر منزلة من الذى قام بعمل ماله لان كل احد يعمل ما له وله فيه نفع ولا كل احد يعمل لغيره لذلك كان ما ذكر وقوله
عز وجل ذلك هو الفوز العظيم لانه فوز ونجاة لا خوف بعده ولا هوان ولا ذل وقوله عز وجل يا ايها النبى جاهد
الكفار واغلظ عليهم يحتمل الامر بالجهاد الفريقين جميعا جهادا بالسيف ويحتمل مجاهدة بالحجج والبراهين الفريقين
جميعا ويحتمل ايضا الامر بالمجاهدة الكفار يجاهدهم بالسيف ويغلظ القول والتشدد على المنافقين ويقيم عليهم
عليهم الحدود فان كان على مجاهدة الفريقين جميعا بالسيف فهو والله اعلم فى المنافقين الذين انفصلوا من
المؤمنين وخرجوا من بين اظهرهم واظهروا الخلاف للمؤمنين بعد ما اظهروا الموافقة لهم فامثال هؤلاء
يجاهدون بالسيف ويقاتلون به وهو كقوله لئن لم ينته المنافقون الى قوله ملعونين الاية اخبر انهم يؤخذون
ويقتلون اينما وجدوا فيشبه ان تكون الاية فى الامر بالجهاد فى هؤلاء المنافقين ويحتمل وجها اخر وهو ان

المنافقين كانوا يطعنون في رسول الله ويعيبون عليه فأطلع الله رسوله على ذلك وهم قد علموا أن الله أطلعه على ما يطعنون فيه ويذكرونه بسوء فيقول والله أعلم جاهدهم إذا طعنوا فيك وذكروك بسوء بعد ذلك وإن كان الأمر على المجاهدة مجاهدة بالحجج فهو صلى الله عليه وسلم قد كان حاجّ الفريقين جميعا بالحجج وخاصة سورة براءة إنما نزلت في المحاجة المنافقين ويحتمل الأمر بالجهاد في الكفار خاصة وفي المنافقين تغليظ القول والتشديد وإقامة الحد والذي ذكرنا والتعزير إذا ارتكبوا شيئا مما يجب فيه الحد والتعزير والله أعلم بذلك لما أقاموا بين أظهر المؤمنين مظهرين لهم الموافقة وقوله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال بعض أهل التأويل الآية نزلت في شأن رجل منافق قال يوما والله لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعه ذلك غلام وهو ربيب ذلك القائل فقال له تب إلى الله وجاء الغلام إلى النبي فأخبر فأرسل إليه النبي فأتاه فجعل يحلف ما قال ذلك فنزلت الآية فيه يحلفون بالله ما قالوا لكن غير هذا كأنه أشبه لأن الآية ولقد قالوا كلمة الكفر وقول الرجل لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير هذا القول نفسه ليس هو كلام ذم به نفسه ويبعد أن في الآية يحلفون بالله فهو قول جماعة وقيل نزل في شأن عبد الله أبي قال لأصحابه فوالله ما مثلنا ومحمدا إلا كما قال القائل سمّن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن منها الأذل فأخبر النبي بذلك فدعاه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله لكن يشبه أن يكون الآية صلة قوله ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب الآية كانوا يستهزؤن بالله وبآياته وبرسوله والاستهزاء بذلك كفر أو أن قالوا قول كفر لم يتبين لنا ذلك فلا نفسره أنهم قالوا كذا لما ليس لنا إلى معرفة ذلك القول الذي قالوه حاجة وقوله عز وجل وكفروا بعد إسلامهم يحتمل كفروا بعدما أسلموا إسلام حقيقة ويحتمل قوله بعدما أظهروا الإسلام أي رجعوا عما أظهروا من الإسلام وفي الآية دلالة أن الإسلام والإيمان واحد قال وكفروا بعد إسلامهم وقال في آية أخرى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ثم قال في آية أخرى كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا فدل أن الإسلام والإيمان واحد وقوله عز وجل وهموا بما لم ينالوا قيل هموا بقتل رسول الله والمكر به فلم ينالوا ما هموا به وفيه دلالة إثبات الرسالة لأنهم أسروا ما هموا به ثم أخبر عن ذلك وهو غيب دل أنه بالله علم بذلك وقوله عز وجل وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال بعض أهل التأويل إن الرجل الذي قال ذلك تاب عن ذلك فقبل منه ذلك وكان له قتيل في الإسلام فوداه رسول الله فأعطاه ديته فاستغنى بذلك وقال ابن عباس رضي الله عنه وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله كان رسول الله يعطي المنافقين من الغنائم والصدقات يقول ما نقموا إلا ما أعطاهم رسول الله من الغنيمة والصدقة وقوله نقموا قال بعض أهل الأدب أبو معاذ وغيره نقموا أي طعنوا فيه لغتان نقموا بالخفض ونقموا بالنصب يقال نقم ينقم ونقم بكسر القاف فهو والله أعلم يقول ما طعنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذكروه بسوء إلا أن أغناهم الله لأنهم لو كانوا أهل فقر وحاجة ما اجترؤا على الطعن على رسول الله وما ذكروه بسوء ولكن طعنوا عليه لما أغناهم الله ويحتمل قوله ورسوله من فضله ما عاملهم رسول الله معاملة الكرام وبسط إليهم حتى قالوا إنه أذن يقبل العذر فذلك حملهم على الطعن وقوله عز وجل فإن يتوبوا يك خيرا لهم فيه أن المنافق يقبل منه التوبة وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما يحتمل قوله تولوا بعدما أسلموا ويحتمل قوله أي داموا على الكفر والنفاق يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة بما ذكرنا في الدنيا الأمر بالجهاد والقتل والخوف هذا التعذيب في الدنيا والتعذيب في الآخرة ظاهر وقوله عز وجل وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير قد ذكرناه في موضع غير هذا وقوله عز وجل وما لهم في الأرض ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن قال بعضهم نزلت الآية في ثعلبة بن حاطب سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله ليرزقه مالا وقال لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ومنهم من قال إنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أنه كان له أموال في الشام فقال لئن أتى تلك الأموال لأصدقن وأكون من الصالحين فلما آتاه الله تلك الأموال فبخل ومنع ما وعد ومنهم من قال نزلت في المنافقين جملة ليست في شأن واحد مشار إليه ولكن في المنافقين جملة وهكذا كانت عاداتهم إذا وعدوا شيئا أخلفوا ولم يوفوا الوعد ثم يحتمل قوله ومنهم من عاهد الله أنه كان منافقا وقت ما وعد الله لئن آتاه من فضله ليصدقن ويحتمل أنه لم يكن منافقا في ذلك الوقت لكنه صار بما بخل وكذب واعتقد الخلاف واستحل الخلف لما وعد منافقا فإن كان إنما صار منافقا بما بخل واستحل له والمنع فيكون قوله فأعقبهم نفاقا في قلوبهم أي صار في قلوبهم نفاقا وإن كان منافقا في ذلك الوقت فيكون قوله فأعقبهم نفاقا في قلوبهم أي أعقبهم الدوام على النفاق إلى يوم القيامة يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه فيكون هذا كقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الآية وفي قوله ومنهم من عاهد الله إلى قوله بما أخلفوا الله ما وعدوه دلالة أن النذر يلزم أهلها ويجب الوفاء بها ويؤاخذون بها إن تركوا الوفاء ويكفرون إن استحلوا نقض ما عهدوا وقوله عز وجل لنكونن من الصالحين قال بعضهم من المؤمنين فهو على تأويل من قال إنه كان منافقا وقتئذ ويحتمل ولنكونن من

الصالحين أي من الشاكرين وكذلك ذكر في الخبر أن ثعلبة لما سأل رسول الله أن يسأل الله له مالا فقال له قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تؤدي حقه أو كلام من نحو هذا وقوله فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يحتمل تولوا عن وفاء ما وعدوا أو تولوا عن طاعة الله أو معرضون عما وعدوا وعهدوا أن يوفوا وقوله عز وجل فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه قال بعضهم أثابهم نفاقا بما بخلوا إلى يوم القيامة وقال بعضهم أعقبهم الدوام على النفاق بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ينبغي للمسلم أن يجتنب الكذب والخلف في الوعد فإنه سبب النفاق أو نوع من النفاق وعلى ذلك روي في الخبر اجتنبوا الكذب فإنه باب من النفاق وعليكم بالصدق فإنه باب من الإيمان وفي بعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا من إذا حدث كذب وإذا وعد خلف وإذا عهد غدر وإذا خاصم فجر وفي بعضها وإذا ائتمن خان فإن قيل إن أولاد يعقوب ائتمنوا فخانوا وحدثوا فكذبوا بقولهم أكله الذئب ووعدوا فأخلفوا فترى أنهم نافقوا قيل ما روي أن من إذا حدث كذب أي كذب في أمر الدين وأما الكذب في غير أمر الدين فإنه لا يوجب النفاق وفي الآية دلالة أن لا ينبغي بالسؤال في شيء على غير طلب الخيرة في ذلك من الله ألا ترى أن ثعلبة لما ألح على رسول الله في السؤال أن يسأل ربه ليرزقه مالا فبخل فأعقبه الله النفاق إلى يوم القيامة وأولاد يعقوب قد قدموا التوبة والإصلاح قبل صنيعهم الذي صنعوا على خوف منهم بما فعلوا فلم يصيروا منافقين وأصله أن اعتقاد الكذب واستحلال الخلاف لما عهد والخلف في الوعد هو الموجب للنفاق فأما نزل فعل الوفاء على غير استحلال منه فلا يوجب ما ذكروا والله أعلم وقوله عز وجل ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم يحتمل هذا وجهين أن قد علموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم لكثرة ما يطلع رسوله على ما أسروا من الخلاف له وذكرهم السوء في رسول الله والثاني ألم يعلموا أي لم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم يطلع رسوله على سرهم ونجواهم فأتركوا الطعن في رسول الله وذكر السوء فيه والخلاف له وقوله عز وجل أن الله علام الغيوب أي علام الغيوب أو علام بما يكون التي غائب عن الخلق والأول ليس شيء يغيب عنه ما غاب عن الخلق وما لم يغب عنده بمحل واحد أو علام الغيوب أو علام بما يكون أبدا في الأوقات التي يكون وفيه دلالة يشبه أن تكون الآية صلة قوله ومنهم من عاهد الله إلى قوله أن أهل النفاق كانوا أهل بخل لا ينفقون إلا مراءاة وسمعة فظنوا بمن أنفق من المسلمين وتصدق ظنا بأنفسهم فقالوا إنهما أنفقوا وتصدقوا مراءاة وسمعة ذكر في بعض القصة أن عبد الرحمن بن عوف أتى بنصف ماله في غزوة تبوك يتقرب به إلى الله يا نبي الله هذا نصف مالي أتيتك به وتركت نصفه لعيالي فدعا له نبي الله أن يبارك فيما أعطى وفيما أمسك فلمزه المنافقون وقالوا ما أعطى إلا رياء وسمعة وجاء رجل آخر من فقراء المسلمين بصاع من تمر فنثره في تمر الصدقة فقال له نبي الله خيرا ودعا له فقال المنافقون إن الله لغني عن صاع هذا فذلك لمزهم فأنزل الله تعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم يعني الذي جاء بصاع قال القتبي الذين يلمزون المطوعين أي يعيبون المتطوعين بالصدقة والذين لا يجدون إلا جهدهم أي طاقتهم والجهد الطاقة قال والجهد المشقة وقال أبو عوسجة الجهد إنفاق الرجل من الشيء القليل يقال أجهد الرجل الضعيف أو من الفقر ويقال جهد في العمل يجهد جهدا فهو إذا بلغ في العمل قال أبو عبيد الجهد مثل الوسع والجهد الطاقة وكذلك قال أبو معاذ وفي الآية معنيان أحدهما دلالة إثبات رسالة رسول الله لأنه معلوم أنه كان منه من اللوم يكن ظاهرا ولكن كان سرا ثم أخبرهم رسوله بذلك دل أنه إنما عرف ذلك بالله والثاني أن الأمور التي فيما بين الخلق إنما ينظر إلى ظواهرها وإن كان في الباطن على خلاف الظاهر حيث عوتبوا بما طعنوا فيهم بالرياء والسمعة ليعلموا أن الأمور التي فيما بين الخلق تحمل على ظواهرها ولا ينظر إلى غير ظاهرها والحقيقة هو ما بطن وأسروا به بخلاص العمل لله والسر هو ما يسر المرء في نفسه والنجوى هو اجتماع جماعة على نجوة من الأرض أي المرتفع من المكان وقوله عز وجل فيسخرون منهم سخر الله منهم قال بعضهم إن من اعتذر إلى آخر فيقبل عذره على علم من المعتذر إليه أنه لا عذر له فيما يعتذر إليه وأنه كاذب في ذلك فقبول المعتذر إليه ما يعتذر من المعتذر سخرية من المعتذر إليه إلى المعتذر وقال بعضهم قوله سخر الله منهم أي يجزيهم جزاء السخرية فسمى جزاءه باسم السخرية وإن لم يكن الجزاء سخرية كما سمى جزاء السيئة سيئة وإن لم تكن الثانية سيئة وكذلك سمى جزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الثاني اعتداء فعلى ذلك سمى جزاء السخرية سخرية وإن لم يكن سخرية ويحتمل قوله سخر الله منهم أي سخر أولياء الله منهم فأضيف إليه وكذلك يحتمل قوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فذلك استهزاؤهم بهم وذلك جائز في اللغة إضافة الشيء إلى آخر والمراد منه غير المضاف إليه وقوله عز وجل استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال عامة أهل التأويل إنه لما مات عبد الله بن أبي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال لما أمرك الله بهذا قال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال قد خيرني ربي فقال افعل ولا تفعل وفي بعض الروايات قال له عمر لا تستغفر فإن الله قد نهاك عن هذا فقال يا عمر فلأستغفر أحدا وسبعين مرة أو كلام نحو هذا فأنزل الله عند ذلك سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لكن هذا بعيد يفهم رسول الله من الآية التخيير وعمر يمنعه عن ذلك ولا يجوز أن يفهم التخيير في ذلك أو يخرج ذلك على التحديد أو يكون هذه منسوخة بالتي في المنافقين لأنه وعيد والوعيد لا يحتمل النسخ والوجه فيه والله أعلم أن استغفرت

لهم فان استغفارك ليس بالذي يرد وقد يجاب لكنهم قوم كفروا بالله ورسوله وقد نعلم من حكمي ان لا اغفر من مات
على ذلك يخرج على الاعتذار لرسوله في ذلك والنهي له عن الاستغفار لهم كقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى وقد علم شرك المنافقين وكفرهم بالله ورسوله فنهاه عن الاستغفار لهم اذ لا يحتمل
ان يكون ذلك قبل ان يطلع رسوله على كفرهم فدل انه بعد العلم بذلك نهاه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة في
قولهم ان صاحب الكبيرة لا يغفر له لانه اخبر انه لا يغفر لهم بما كفروا بالله ورسوله فدل ان من لم يكن كفر بالله
ورسوله فانه يغفر له وان له الشفاعة وصاحب الكبيرة ليس بكافر فدل انه ما ذكرنا انه طلب المغفرة من الله و
الشفاعة لغيره يجيء ان لا يكون الا للخواص من الخلق وهم الرسل والانبياء على ما يكون في الشاهد لا يرفع الى ملوك
الارض الحاجة لغيرهم الا الخواص لهم ولا يشفعون الا لاهل الشرف عندهم والمنزلة لكن الله تعالى اذن لنا في
استغفار غيرنا بقوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقوله
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم يحتمل قوله عليهم اي سواء عندهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم ويكون طلب استغفارهم من رسول الله استهزاء منهم له حيث قال سيقول لك المخلفون من الاعراب
شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا يخرج قولهم فاستغفر لنا يخرج الاستهزاء على هذا التاويل ويحتمل قوله
سواء عند الله استغفرت لهم فانه لا يغفر لهم بكفرهم بالله ورسوله ثم قوله ان تستغفر لهم سبعين مرة يحتمل ذكر السبعين
لان السبعين هو النهاية والغاية في الاستغفار على ما روي انه كان يستغفر في كل يوم سبعين استغفارا فاخبر انك وان
انتهيت النهاية فيه لا يغفر لهم ولا ينفعهم ذلك وقوله عز وجل والله لا يهدي القوم الفاسقين وقت اختيارهم الفسق
او لا يهديهم طريق الجنة في الاخرة لفسقهم في الدنيا اذا ماتوا على ذلك وقوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله الاية جمعوا اعني المنافقين جميع خصال الشر التي فعلوا احدها ما ذكر من فرحهم بالتخلف عن رسول الله والثاني
كراهيتهم الجهاد مع رسول الله وبخلهم باموالهم والثالث صدهم الناس عن الجهاد والخروج في سبيل الله بقولهم
لا تنفروا في الحر جميع خصال المنافقين في هذه الاية وقوله فرح المخلفون ذكر المخلفون وهم كانوا متخلفين في الحقيقة لكنه
يحتمل وجهين مخلفون خلفهم الله لما ذكر ان خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وانهم يبغون الفتنة خلفهم
عن ذلك كقوله ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم قيل حبسهم فعلى ذلك خلفهم
الله لما علم ان خروجهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا ويحتمل مخلفون خلفهم اصحاب رسول الله لانهم لو ارادوا
ان يخرجوهم كرها لقدروا على ذلك فهم كالمخلفين من هذا الوجه لما لو ارادوا اخراجهم اخرجوهم وان كان متخلفين
في الحقيقة وقوله بمقعدهم خلاف رسول الله اي بخلاف رسول الله وقيل خلف رسول الله اي فرحوا بقعودهم بعد خروج
رسول الله وقوله بمقعدهم يحتمل القعود اي بقعودهم خلفه ويحتمل بمقعدهم اي موضع قعودهم وهو منازلهم وا وطانهم
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم بخلهم وخلو قلبهم الذي في قلوبهم وقوله عز وجل لا تنفروا في الحر هذا في الظاهر يخرج
على اظهار الشفقة للمؤمنين ولكن لم يكن ارادوا ذلك انما ارادوا حبسهم عن الخروج في سبيل الله لكن المؤمنون لا
يمتنعون عن الخروج في سبيل الله اذا قالوا لهم مطلقا لا تنفروا في الحر وهو كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم كانوا يجبنون المؤمنين عن الخروج الى الغزو وكانوا يحتالون في منعهم المؤمنين عن الخروج في سبيل الله ولو
طلقوا القول في المنع وصرحوه لفهم المؤمنين ذلك وظهر نفاقهم وجائز ان يكون قولهم لا تنفروا في الحر قالوا ذلك
لاتباعهم لا للمؤمنين كقوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى وقوله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا
لو كانوا يفقهون اي لو كانوا يفقهون ما انزل على رسول الله لعلموا ان نار جهنم اشد حرا من حر الدنيا ولو كانوا يفقهون
انهم لم يخلقوا في الدنيا للدنيا خاصة ولكن خلقهم فيها ليمتحنهم ليعلموا ان الموعود في الاخرة اشد مما امتحنوا
في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا يشبه ان يكون الضحك كناية عن الفرح والسرور والبكاء
كناية عن الحزن يقول افرحوا وسروا قليلا وتحزنون في الاخرة طويلا وكثيرا وامكن ان يكون على حقيقة الضحك لانهم
كانوا يضحكون ويستهزؤون بالمؤمنين في الدنيا يقول ضحكوا قليلا لان الدنيا قليلة تنقطع ويبكون كثيرا في الاخرة لا نهاية
لا تنقطع جزاء بما كانوا يكسبون وقوله عز وجل فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك دل قوله رجعك الله الى طائفة
منهم ان ليس كل من تخلف عنه في ذلك فهو منافق ولا كل المنافقين استعفوا وتخلفوا عنه وقوله عز وجل فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا الاية اخبر ان خروجهم معهم لا يزيدهم الا خبالا وفسادا فيقول
لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة اي عوقبوا بالقعود اول مرة لنفاقهم وقوله فقل
لن تخرجوا معي ابدا اي لن اذن لكم ان تخرجوا معي ابدا ولن اذن لكم ان تقاتلوا معي ابدا ويحتمل لن تخرجوا اي وان اذنت لكم
بالخروج فلن تخرجوا ابدا فاقعدوا مع الخالفين قيل مع المتخلفين وهم المنافقون ما ذكر ويحتمل ان اقعدوا مع اصحاب
الاعذار وقال بعضهم مع النساء والزمنى وهو واحد وقوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا يعني
المنافقين ولا تقم على قبره ذكر في بعض القصة انه لما مات عبد الله بن ابي جاء ابنه الى رسول الله فقال يا رسول الله
ان ابي مات واوصانا ان يكفن بقميصك وان تصلي عليه فخلع النبي قميصه فاعطاه ومشى فصلى وقام على قبره
وروي في بعض الاخبار انه صلى عليه والبسه قميصه وقيل له تلبس عدو الله قميصك وقال اني لارجو ان
يسلم بقميصي من بني الخزرج الف فذكر انه لما فعل ذلك اسلم الف رجل من المنافقين وروي انه لم يصل عليه فلو كان

كيف كان الامر بعد ان جاء النهي عن الصلوة على المنافقين بقوله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون سماهم فسقة واسم الكفرة اقبح وادوم لكنهم جمعوا مع الكفر
انواع الفسق ليعلم ان اعتقادهم الكفر والمذهب الذي يذهبون اليه انما اعتقدوا لهواهم اذ الفسق مما
يجرمه كل مذهب ودين وكل يانف عن الفسق ويتبرأ منه ولا كذلك الكفر لان كل من انتحل كفرا يعتقده
واصل الفسق هو الخروج عن الامر والله اعلم وقوله عز وجل ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان
يعذبهم في الدنيا قال بعضهم من اهل التاويل انه على التقديم والتاخير كانه قال ولا تعجبك اموالهم واولادهم
في الدنيا انما يريد الله ان يعذبهم في الاخرة وفيه نقض قول المعتزلة في الاصلح وقد ذكرنا الوجه الذي يدل
على نقض قولهم فيما تقدم ويحتمل قوله انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وهو القتال والحروف التي امروا بها
ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وهو التعذيب الذي ذكر لانهم يصيرون مقتولين وقوله عز وجل
وتزهق انفسهم قبل تذهب وتهلك وهم كافرون وقوله عز وجل واذا انزلت سورة ان امنوا بالله و
جاهدوا مع رسول الله اي اذا انزلت سورة فيها ان امنوا بالله لانها تنزل سورة بهذا الحرف ولكن فيها ذكر ان
امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله وهو كقوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال وقوله ان امنوا بالله
بقلوبهم لانهم قد اظهروا الايمان باللسان وهم لم يكونوا مؤمنين بالله حقيقة وقوله عز وجل استاذنك
اولوا الطول منهم قيل ولو الطول هم اهل الغنا والسعة وقيل اولوا الطول اهل الفضل والشرف الذين
كانوا يصدرون لارائهم وينظرون الى تدبيرهم وقد كان في اهل النفاق اهل السعة والغنا واهل النظر والتدبير
وقوله عز وجل وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين استاذنوا القعود عن الجهاد والله اعلم لما كانوا يوالون اهل
الكفر سرا فكرهوا القتال مع الاولياء او كانوا يتخلفون ويمتنعون من الخروج الى القتال واما اهل الايمان
فانهم انما يعملون للعواقب وكذلك اهل الكفر انما يقاتلون اهل الايمان اما غنيمة في العاقبة يتاملون
لكنهم كانوا يستاذنون القعود ويكونون مع القاعدين يرون من انفسهم ان لهم العذر في القعود ثم
قوله ذرنا نكن مع القاعدين يحتمل مع القاعدين من الضعفاء والمرضى والصبيان حتى اذا اتاهم العدو من بعد ما
خرج الرجال منهم الى قتال العدو ويقومون لدفع العدو عن هؤلاء او يكون قولهم ذرنا نكن مع القاعدين
من اهل العذر يرون انفسهم انهم اهل العذر ولم يكن لهم عذر في ذلك كقوله ان بيوتنا عورة وما هي بعورة
الاية فعلى ذلك الاول يحتمل هذا وقوله عز وجل رضوا بان يكونوا مع الخوالف قيل مع النساء فهذا حرف تعيير وتوبيخ
اي رضوا بان يكونوا في مشاهد النساء دون مشاهد الرجال وقوله عز وجل وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ان
للايمان نورا يبصر به عواقب الامور ويرفع الحجاب والستر من القلوب ومن الامور فيريها بادية ظاهرة
وللكفر ظلمة تستر الظاهر من الامور والبادي منها فتستر تلك الظلمة قلبه فذلك الطبع وقد ذكرنا الوجه فيه
في غير موضع والله اعلم فهم لا يفقهون ما يلحقهم من التعيير برضاهم بالقعود مع الخوالف والفقه هو معرفة
الشيء بمعناه الدال على نظيره بمعناه الدال على نظيره منع تلك الظلمة ان تعرف الاشياء بمعانيها وتبقا رها
للحجاب الذي ذكرنا وقوله عز وجل لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم يقول والله اعلم
ان الرسول والذين حققوا الايمان والتصديق جاهدوا باموالهم وانفسهم اي بذلوا انفسهم واموالهم لنصر دين
الله واظهار سبيله ولم يبخلوا كما بخل اهل النفاق في بذل اموالهم وانفسهم في نصر دينه بالمجاهدة مع اعدائه
ولم يحققوا الايمان والتصديق ثم اخبر ان للمؤمنين الذين حققوا الايمان والتصديق وبذلوا انفسهم واموالهم
وجاهدوا بها في نصر دين الله واظهار سبيله لهم الخيرات قال بعضهم لهم الخيرات الذكر في الدنيا والثناء الحسن
وسلوك الناس طريقهم وفي الاخرة الثواب والجزاء وقيل الخيرات في الاخرة لما بذلوا انفسهم واموالهم
في نصر دينه والمجاهدة مع عدوه وقيل لهم الخيرات الحور العين كقوله فيهن خيرات حسان والله اعلم واولئك
هم المفلحون المفلح هو الذي يظفر بحاجة يقال فلح وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ليعلم ان العظيم ليس يقع فيما فيه الغلظ والكثافة
ولكن العذر والمنزلة وقوله وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم قال بعضهم من اهل التاويل المعذرون
هم الذين يستاذنون القعود ولا عذر لهم في ذلك وقال الكلبي المعذرون هم الذين لهم عذر وبهم علة
وبعضهم قال المعذرون وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قرا المعذرون بالتخفيف وقال من اثبته
المعذرين كان يذهب الى ان المعذر هو الذي له عذر والمعذر بالتشديد الذي لا عذر له لذلك لعن المعذر
قال ابو معاذ واكثر كلام العرب المعذر الذي له عذر وهو قولهم قد اعذر من انذر وقال ابو عوسجة
المعذر بالتشديد الذي لا يبالغ انما يريد ان يعذر ويقال اعذرت في الامر اذا لم يبالغ فيه واعذرت
في الامر اي بالغت فيه وقال القتبي المعذرون بالتشديد هم الذين لا يجدون انما يعرضون ما لا يريدون
ان يفعلوه يقال عذرت في الامر اذا قصرت واعذرت جددت ثم قال بعض اهل التاويل دل هذا
على ان اهل النفاق كانوا صنفين صنف كانوا يستاذنون القعود وصنف لا يستاذنون ولكن يقعدون
بقوله وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا

منهم عذاب اليم دل قوله الذين كفروا منهم لهم عذاب اليم على ان من اهل النفاق من قد آمن وتاب وان من تاب يقبل ذلك منه لانه قال سيصيب الذين كفروا ولم يقل سيصيبهم عذاب اليم وقال بعضهم المعذرون بالتخفيف هم المؤمنون الذين لهم عذر وتخلف اتوا رسول الله ليستاذن في مرضهم الا وقد كان الخروج لهم ارفق يخرجون وان كان القعود اوفق يقعدون يدل على ذلك الاية التي نتلوها وهو قوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون الاية فان قيل كيف احتمل ان يكون اية واحدة في الفريقين مختلفين اذا قرئ بالتخفيف فهي في الذين لهم عذر واذا قرئ بالتشديد كانت في الذين لا عذر لهم قيل نصير على اختلاف القراءة كاتين في حالتين ووقتين مختلفين ان كان تاويل المعذر بالتشديد هو الذي يعتذر ولا عذر له والمعذر بالتخفيف هو الذي له عذر او كان تاويل احدى القراءتين على ضد الاخرى كان لهم عذر في حال ولا عذر لهم في حال اخرى والا لا يحتمل ان يكون القراءتان جميعا في وقت واحد وتاويلهما على الاختلاف الذي ذكروا وهو كقوله فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وربنا بالرفع باعد بين اسفارنا احدهما على الدعاء والاخر على الايجاب بهما ثبتان صدرت اية واحدة لاختلاف القراءة والله اعلم وقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج لم يذكر المرضى ولا الذين لا يجدون ما ينفقون لكان المفهوم من قوله ليس على الضعفاء المريض والذي لا يجد ما ينفق وكذلك اذا ذكر المريض والاعمى والاعرج وجميع من ضعف عن الخروج من انواع الاعذار شمله بدل ما ذكر من العدد وتخصيصه على نزل لمعنى ذكر فعلى ذلك خبر الزبوا ثم جعل العمى والعرج والمرض وعدم النفقة ونحوه عذرا في ترك الخروج ولم يجعل شدة الحر وبعد المسافة ونحوه عذرا بقوله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا واصله والله اعلم ان كل ما لم يعمل في المنع عن الخروج لشهوة او لطمع يرجو نيله من التجارة ونحوها لم يكن ذلك عذرا في ترك الخروج اذ شدة الحر وبعد السفر وخوف العدو مما لا يمنعهم عن الخروج للتجارة فلم يصير ذلك عذرا في التخلف عن الخروج للجهاد واما حال المرض والزمانة وعدم النفقة يمنع ويعجزهم عن الخروج في كل ما يهوون ويشتهون صار ذلك عذرا لهم بالتخلف عن الخروج للجهاد والثاني ان كل ما يقدر على دفعه بحال لم يجعل ذلك عذرا في التخلف وكل ما لا سبيل لهم الى دفعه فهو عذر والحر وبعد السفر وخوف العدو يجوز ان يدفع فيصير كان ليس وهو ما ذكر قل نار جهنم اشد حرا فاذا ذكر شدة حر جهنم وبعد سفر الاخرة وهوله هان عليه الخروج وسهل فارتفع ذلك فلذلك صار احدهما عذرا والاخر لا والله اعلم وقوله عز وجل اذا نصحوا لله ورسوله قيل لم يخدعوا احدا في دينه ولم يغشوا في دنياه وقيل اذا نصحوا الله ورسوله اي اطاعوا الله ورسوله في الحضرة ولم يتركوا طاعته وقوله عز وجل والله غفور رحيم بتركهم الخروج وتخلفهم عن الجهاد مع الاعذار وقوله عز وجل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه ذكر في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان اشق على امتي او قال على المؤمنين لا خرجت في كل سرية بعثتها لانهم لا يجدون ما ينفقون فيخرجون ولا اجد ما احملهم عليه فيشق عليهم مفارقتهم اياي فلا حرج بتركهم الخروج اذا لم يجدوا ما ينفقون ولا ما يحمل عليه ثم قال ولكن السبيل على الذين يجدون ما ينفقون فيتركون الخروج بقوله انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعني النساء وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون هذا قد ذكر ههنا قد طبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون وذكر في الاية الاولى وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون والفقه هو معرفة الشيء بغيره والعلم هو وقوع العلم لا بغيره ولذلك يقال الله عالم ولا يجوز ان يقال فقيه فاخبر عز وجل انهم لا عرفوا الشيء بغيره ولا بنفسه عنادا منهم ومكابرة وقوله عز وجل يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم فيه انباء عما يقول لهم المنافقون اذا رجعوا اليهم وتعليم من الله لرسوله والمؤمنين ما يقولون لهم وما ذا يجيبون لهم فقال يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم بما تعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم بما تعتذرون اي بما تظهرون لانفسكم من العذر وقوله لا تعتذروا ليس على النهي ولكن على التوبيخ والتعيير وقوله عز وجل قد نبانا الله من اخباركم يحتمل قوله قد نبانا الله من اخباركم انكم لا تصلحون ابدا كما قال انهم رجس وماواهم جهنم الاية الاية اخبر انهم رجس وان ماواهم جهنم وقيل قد نبانا الله من اخباركم حين قال لهم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الى قوله يبغونكم الفتنة وقالوا وهذا الذي نبانا الله من اخباركم وقوله عز وجل وسيرى الله عملكم ورسوله قال بعضهم سيرى الله عملكم ورسوله فيما تستانفون ويحتمل قوله سيرى الله عملكم ورسوله اي سيرى الله ورسوله عملكم باطلا ويقول سيرى الله عملكم اي يجزيكم جزاء عملكم ورسوله والمؤمنون يشهدون عليكم بذلك وقوله عز وجل ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة قد ذكرنا انه ليس شيء يغيب عنه او يكون شيء عنده اظهر من شيء ولكن ما يغيب عن الخلق وما لا يغيب عنده بمحل واحد وقوله عز وجل فينبئكم بما كنتم تعملون يخرج على الوعيد وقوله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم يحتمل قوله لتعرضوا اي لتجاوزوا عنهم ولا تكافؤهم فيكون قوله فاعرضوا عنهم لما سالوا من التجاوز عنهم وترك المكافاة ويحتمل قوله لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم اي لا تحاجهم ولا تشتغل بهم

فانهم

فانهم لا يطهرون ابدا وانهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون وقوله يحلفون لكم لترضوا عنهم وتقبلون منهم ما يظهرون من العذر ثم اخبر انكم ان رضيتم منهم وقبلتم ما يذكرون من عذرهم فان الله لا يرضى عنهم لما يعلم انه لا عذر لهم فيما يظهرون لكم من العذر والله اعلم ليس على النهي عن ارضاء اولئك لان ارضاء الخلق بعضهم لبعض انما يكون بالخلف وما يكون من الظاهر ولكن النهي عن ترك الموافقة في الباطن وفيه يتحقق رضاء الله وقوله عز وجل الاعراب اشد كفرا ونفاقا وهو ان رسول الله لا عالم المدينة ومنافقيها فايس عن ايمانهم بقوله فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم الاية فلما ايس عن ايمان هؤلاء اقبل يخوطاتقيك من الاعراب الذين كانوا بقرب المدينة وحواليها فاخبر انهم اشد كفرا ونفاقا من اهل المدينة ويحتمل انه اراد بالاعراب جملة انهم اشد اي الكفار منهم واهل النفاق كفرا ونفاقا من اهل الامصار والمدن فهو لوجهين احدهما ان اهل الامصار والمدن كانوا يسمعون الايات والحجج ويخالطون اهل رحمة ورافة واهل مودة ورافة والاعراب واهل البادية كانوا لا يسمعون الايات والحجج ولا خالطوا اهل رحمة ورافة فهؤلاء اقسى قلوبا واضيق صدورا واهل المدن والامصار الين قلوبا واوسع صدورا فهم اسرع للاجابة واولئك ابعد وابطا اجابة والثاني انهم وصفوا بفضل الجهل ما لم يوصف اهل المدن والامصار بذلك ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمنكم اعرابي وفي بعضها لا يؤمن اعرابي مهاجرا وفي بعض الاخبار من بدا جفا وذلك والله اعلم لانهم كانوا لا يدخلون الامصار والمدن ليتادبوا ويتعلمون الاداب فاذا كانوا كذلك فهم اجهل والايمان هو التصديق والتصديق انما يكون بعد العلم لانه ما لم يعلم لم يصدق فاذا كانوا بالجهل ما وصفنا كانوا اشد انكارا وتكذيبا من غيرهم وهو ما ذكر واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله وصفهم بالجهل وبالجهل يكون التكذيب وبالعلم التصديق وهو ما ذكرنا واجدر واحق واحرى واحد وقوله عز وجل حدود ما انزل الله على رسوله قال بعضهم هم اقل علما بالسنن وقيل بالفرائض وقيل الحدود ما بين من طاعة الله ومعصيته واصله انهم اهل جهل بجميع الاوامر والمناهي وجميع الاداب وما لا يحل وما يحل والله عليم اي عليم بما يكون منهم حلقهم حكيم حيث وضع الخلائق بموضع يدل على وحدانيته والوهيته لو تدبروا فيه ونظروا وقوله عز وجل ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما اي كان لا ينفق حسبة وقال بعضهم ينفق ولا يراه حقا انما يراه غرما يلحقه وغرما يفرضه واصله انهم لو كانوا علموا حقيقة انهم وما حونه ايديهم لله ليس لهم لم يعدوا ذلك غرما غرموا وتبعة لحقتهم ولكن لما يروا لله تعالى في اموالهم حقا ولم يعلموا ان اموالهم لله حقيقة لا لهم عدوا ذلك غرما وتبعة وقوله عز وجل ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء قيل الدوائر هو انقلاب الامور هو من الدوران ثم يحتمل قوله يتربص بكم ما قال بعضهم موت محمد وقيل دوائر الزمان وحوادثها عليهم دائرة اي عليهم انقلاب الامور عليهم ما تربصوا بالمؤمنين وقوله واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله ليس على حقيقة الانزال من موضع ولكن على خلق ذلك كقوله وانزل لكم من الانعام كذا يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا وقوله والله سميع عليم لما قال عليم بما اسروا واضمروا وقوله عز وجل ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ذكر في الاية ان من الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ليعلم ان قوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا كان في طائفة مشار اليها لا كل الاعراب لا ترى ذكر ههنا ان منهم من ينفق ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وذكر في الاية الاولى ان منهم من يتخذ ما ينفق مغرما اي لا يراه حقا واجبا ولكن غرما يلحقه ومنهم من يرى ذلك حقا لله واجبا في اموالهم فيجعلون ذلك قربة لهم عند الله واولئك يرون غرما يلحقهم لا قربة ثم في الاية خوف دخول المؤمنين في وعيد هذه الاية الذين لا يؤدون الزكوة ولا ينفقون وخوف لحوق النفاق لانه اخبر انهم يتخذون ما ينفقون مغرما فمن ترك اداءها انما يترك لانه لا يرى ذلك حقا لا يترك لو راى ذلك حقا واجبا لاداه على ما ادى غيره من الحقوق ولو كان مولعا بالبعث لا ننفق وجعل ذلك قربة له عند الله لان المؤمن انما ينفق ويعمل للعاقبة فاذا ترك ذلك يخاف دخوله في وعيد الاية ولحوق اسم النفاق به وان كنا لا نشهد عليه ذلك وقوله ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول قال بعضهم جعلوا ما انفقوا قربات عند الله وصلوات الرسول لانهم اذا انفقوا كان الرسول يدعو لهم بذلك ويستغفر فكان ذلك لهم قربات عند الله باستغفار الرسول ودعائه وقال بعضهم جعلوا ما انفقوا وصلوات الرسول قربات عند الله ويكون لهم ما انفقوا قربة عند الله وصلوات الرسول طمانينة لهم وبراءة من النفاق لان الرسول كان لا يدعو لاهل الكفر والنفاق فاذا دعا لهؤلاء وصلى عليهم كان ذلك طمانينة لقلوبهم وعلما لهم للبراءة من النفاق وعلى ذلك يخرج قوله ان صلوتك سكن لهم اي يسكن قلوبهم بصلوة الرسول وتطمئن بانهم ليسوا من اهل النفاق وانهم براء من ذلك والله اعلم وقوله عز وجل الا انها قربة لهم ذكر هذا مقابل ما ذكر في الاية الاولى وهو قوله ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء اخبر ههنا ان ما يتربصون هم بهم من الدوائر عليهم ذلك وههنا اخبر ان ما ينفق المؤمنون ويطلبون بذلك قربة عند الله انها قربة لهم ثم وعدهم الجنة بقوله سيدخلهم الله في رحمته

اي جنته سمى جنته رحمة لما برحمته يدخلون لا استيجابا لهم منه بذلك بل رحمة منه وفضلا ان الله غفور رحيم
منهم من المساوى والشرك اذا تابوا وامنوا رحيم حيث لم يواخذهم بذلك وقوله عز وجل والسابقون الاولون
من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان يحتمل هذا ان يكون مربوطا معطوفا على قوله سيدخلهم
الله مع السابقين الاولين اي اولئك الذين امنوا من بعد اولئك المهاجرين والانصار يدخلهم في الجنة مع
السابقين الاولين ويحتمل ان يكون على الابتداء لا على العطف على الاول ثم اختلف فيه قال بعضهم السابقون
الاولون في الاسلام والنصرة وقال بعضهم الاولون في الهجرة والنصرة والذين اتبعوهم باحسان على تأويل
من جعل السابقة في الاسلام وعلى تأويل من جعل على الهجرة اتبعوهم باحسان يجعلهم فريقين المهاجرين والانصار
ولا يجعل طبقة ثالثة واما قراءة العامة من القراء فهي على اثبات الواو وجعل طبقة ثالثة ثم منهم من قال
اهل التأويل السابقون الاولون من المهاجرين والانصار هم الذين بايعوا بيعة الرضوان وقال بعضهم هم
الذين صلوا القبلتين وقال بعضهم السابقون الى الاسلام الاولون من المهاجرين والانصار الذين صلوا القبلتين
والذين اتبعوهم على دينهم الى يوم القيامة باحسان ثم خصوص تسمية اهل المدينة انصارا وان كانوا هم و
المهاجرون جميعا نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا انصارا له فهو والله اعلم لانهم نصروا المهاجرين
حيث اووهم وانزلوهم في منازلهم واوطانهم وبذلوا انفسهم واموالهم وان كانوا جميعا في النصر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم شرعا سواء ثم في الاية دلالة الرد على الروافض لانهم يجعلون ابا بكر وعمر وهؤلاء
رضي الله عنهم ظلمة لاهل الحق بتوليتهم امر الامامة والخلافة ثم لا شك معلوم انهم كانوا فيما ذكر عز وجل بقوله
من المهاجرين والانصار ثم اخبر ان الله راض عنهم وانهم راضون عنه دل انهم كانوا على حق وصواب من الدين
وان من وصفهم بالظلم والتعدي هو الظالم والمتعدي واضع الشيء غير موضعه وفيه جواز تقليد الصحابة والاتباع
لهم والاقتداء بهم لانه مدح عز وجل من اتبع المهاجرين والانصار بقوله والذين اتبعوهم باحسان ثم اخبر عن جملتهم
ان الله راض عنهم دل والله اعلم ان التقليد لهم لازم والاقتداء بهم واجب واذا اخبر واخبروا واحدثوا
بحديث يجب العمل به ولا يسع تركه والله اعلم بذلك وقوله ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة
مردوا على النفاق اخبر ان من حولهم من الاعراب ومن اهل المدينة ايضا منافقون مردوا على النفاق فقال بعضهم
المرد في الشيء هو التناهي في الشر وقال بعضهم مردوا على النفاق اي ثبتوا عليه وداموا وقال بعضهم مردوا
اي عتوا عليه وبالغوا فيه اخبر انهم لشدة مكرهم وخداعهم وعتوهم لا تعلمهم انت نحن نعلمهم لان من
المنافقين من كان يعرفهم الرسول في لحن القول كقوله ولتعرفنهم في لحن القول ومنهم من كان يعرفهم في
صلوته كقوله فاذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى ومنهم من كان يعرف نفاقه في تخلفه عن رسول الله يعني عن الغزو
فاخبر عز وجل ان هؤلاء لشدة عتوهم ومكرهم وفضل خداعهم لا تعرف نفاقهم نحن نعرف نفاقهم ثم
اخبر انه يعذبهم مرتين قال بعضهم القتل والسبي وعن الحسن قال عذاب في الدنيا وعذاب في القبر وقال
بعضهم يعذبهم بالجوع مرتين وقال ابو بكر الاصم قوله سنعذبهم مرتين القتل والسبي قبل الموت والعذاب
الاخر يعذبون في القبر ثم يردون الى عذاب عظيم ويشبه ان يكون تعذيبه اياهم مرتين حيث اخذوا
بالانفاق على المؤمنين وبينهم وبين المؤمنين عداوة وامروا ايضا بالقتال مع الكفار وهم اولياؤهم وهم
هذا اشد العذاب لانهم امروا بالانفاق على اعدائهم وامروا ايضا ان يقاتلوا اولياءهم والعذاب
الثاني القتل في القتال فان قيل لم يذكر ان منافقا قتل (بياض في الاصل) قيل لم يذكر لعلة انهم كانوا لا يعرفون
لقوله لا تعلمهم اذا لم يعرفوا فيقتلون كما يقتل غيرهم من المؤمنين والله اعلم وقال بعضهم سنعذبهم مرتين
عند الموت ضرب الملائكة الوجوه والادبار كقوله يضربون وجوههم وادبارهم وفي القبر منكر ونكير ثم
يردون الى عذاب عظيم في الاخرة وقوله عز وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا
قال عامة اهل التأويل الاية فنزلت في ابي لبابة واصحابه تخلفوا عن غزوة تبوك عن رسول الله فندموا على
ذلك واعترفوا ورجعوا عن ذلك وتابوا فقبل الله توبتهم ووعدهم المغفرة بقوله عسى الله ان يتوب
عليهم ان الله غفور رحيم وذكر في بعض القصة انه لما رجع رسول الله عن غزوته تلك جاء هؤلاء الذين تخلفوا
عنه باموالهم الى رسول الله فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فخذها فتصدق بها عنا فكره
ان يأخذها فقال لم اومر بذلك فنزل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وهذا الوعد
لكل مسلم ارتكب ذنبا لم يخرجه من الايمان ثم ندم على ذلك وتاب يرجى والله اعلم ان يكون في عد هذه الاية لانه
ذكر المؤمنين وما هم عليه وذكر المنافقين وما هم عليه ثم ذكر الذين خلطوا اعمالهم الصالحة باعمالهم
السيئة ثم ندموا على ما فعلوا وتابوا وعد الله لهم قبول التوبة والمغفرة وقوله عز وجل خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها اختلف في هذه الصدقة التي امر الله رسوله باخذها من اموالهم قال بعضهم هي
صدقة فريضة ثم اختلف فيها اية فريضة هي فقال بعضهم فريضة زكوة الاموال وقال بعضهم هي
فريضة كفارة المآثم وذلك ان اولئك الذين تخلفوا عن رسول الله عن غزوة تبوك ندموا على تخلفهم
فلما رجع رسول الله جاؤا باموالهم فقالوا له تصدق باموالنا عنا فان اموالنا هي التي خلفتنا عنك فامر الله

رسوله

ان يأخذ منهم ذلك ويتصدق بها كفارة لما ارتكبوا ومن قال هي فريضة زكوة المال لما روي عن ابي امامة
قال ان ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال رسول الله ويحك يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم جاءه فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال ويحك
يا ثعلبة اما ترضى ان تكون مثل رسول الله لو سألت الله ان يسيل الجبال علي ذهبا لسالت ثم اتاه فقال
يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فوالله لئن اتاني الله مالا لاوتين كل ذي حق حقه فدعا له فقال اللهم
ارزق ثعلبة ثلاث مرات ودعوا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت عليه ازقة المدينة فتنحى بها وكان
يصلي الصلوات كلها مع رسول الله ويخرج اليها ثم ضاقت عليه مراعي المدينة فتنحى بها فكان يصلي الظهر والعصر مع
رسول الله ثم يتبعها ثم تنحى بها فكان يصلي الجمعة مع رسول الله ثم يتبعها ثم بلغ امره الى ان ترك الجمعة
والجماعات فتنحى بها ويتلقى الركبان فيسألهم عن الخبر مما انزل على رسول الله خذ من اموالهم صدقة الاية فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة رجلين فكتب لهما فرائض وامرهما ان يستقبلا الناس ويأخذا صدقاتهم
فخرجا يصدقان الناس فمرا بالسلمي فاقرأه كتاب رسول الله فاطاع بالصدقة ومرا بثعلبة فاقرأه كتاب رسول الله
فقال والله ما ادري ما هذه الا جزية او اخت الجزية فاذا فرغتما فمرا بي حتى ارى رأيي فلما فرغا من الناس مرا به
فقال لهما مثل مقالته الاولى وقال انطلقا فاني سائل رسول الله فانزل الله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من
فضله الى قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى هذا ذهب عامة اهل التأويل انها نزلت في شان ثعلبة ومنهم من
قال ما ذكرنا انها نزلت في شان اهل تبوك الذين تخلفوا عن رسول الله ومنهم من قال الصدقة التي امر الله رسوله
ان يأخذها من اموالهم هي صدقة تطوع وتبرع وهو ما ذكر ان رسول الله كان يحث الناس على الانفاق في غزوة
تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف بكذا وفلان بكذا فاخذها منهم وفيه نزل قوله الذين يلمزون المطوعين من
المؤمنين في الصدقات ومنهم من قال هو في كل صدقة تطوع قلت الصدقة او كثرت امر رسوله ان يأخذ
من اموالهم ما رأى لا يأخذ الكل لان اخذ الكل يحوجهم ويشغلهم عن جميع الطاعات والعبادات
ولكن امر ان يأخذ قدرا منها وطائفة مقدار ما يكفر ما ارتكبوا من المآثم وقوله تطهرهم وتزكيهم بها
ان كان صدقة الزكوة فهي تطهر اثامهم وتزكي اخلاقهم حتى يتيسر عليهم اخراج الصدقة واداؤها الى
اهلها وان كان صدقة كفارة لمن تخلف عن غزوة تبوك فهي تكفر اثامهم التي لحقتهم بذلك وتزكيهم قبل و
يصلحهم وهو ظاهر وان كان صدقة تطوع فهي مما يطهر ايضا ويزكيهم لما ينفي عنهم البخل ويؤدي الى الجود والكرم
الا يرى انه مدح من اعطى وذم من بخل ومنع بقوله فاما من اعطى الاية واما من بخل الاية قوله وصل عليهم
ان صلوتك سكن لهم قال بعضهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي احد بصدقة دعا له ويستغفر
وكان لا يستغفر لاهل النفاق وكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبي لما علموا بذلك انهم ليسوا من اهل النفاق
هذا يحتمل ويحتمل وجها اخر وهو ان الله امر رسوله ان يستغفر لهم ويصلي عليهم ثم لا يحتمل ان يأمره ذلك
فلا يفعل او يفعل فلا يجيبه فكانت قلوبهم تسكن وتطمئن باستغفار النبي اياهم لما قبلت توبتهم وكونه
منهم والله اعلم والله سميع عليهم قد ذكرنا هذا غير مرة وفي قوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
دلالة ان الصدقة اذا وقعت في يد المتولي والعامل عليها سقطت عن اربابها وان لم تقع في ايدي الفقراء ولم
تصل اليهم لان النبي كان لا يحل له الصدقة ثم اخبر انه اذا اخذها منهم كانت طهارة لهم وتزكية وفيه
استدلال لمحمد بن الحسن في الوقف اذا وقف واخرجه من يده وجعله في يدي اخر من لا حق له في ذلك كان
جائزا ويكون وقفا صحيحا ومن الناس من استدل بهذه الاية على ان يطلب زكوات الاموال وكذلك مضت
السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث المصدقين الى احياء العرب والبلدان والافاق لاخذ صدقات
الانعام والمواشي في مواضعها وعلى ذلك فعل الائمة من بعده ابو بكر وعمر والائمة الراشدون وظهر العمل بذلك
من بعدهم الى هذا الوقت حتى قال ابو بكر لما امتنعت العرب من اعطائه الزكوة والله لو منعوني عقالا كانوا
يؤدونها الى رسول الله لجاريتهم عليها فذلك يؤيد ما ذكرنا من مطالبة الامام اصحاب الانعام والمواشي
بزكوة انعامهم ومواشيهم وقد بين الله تعالى وجوب ذلك بيانا شافيا بقوله انما الصدقات للفقراء و
المساكين الاية فجعل للعاملين عليها حقا فلو لم يكن على الامام ان يطالب صدقات الانعام في اماكنها وكان
اداء ذلك الى ارباب الاموال ما كان لذكر العاملين وجه ولم يبلغنا ان النبي بعث في مطالبة المسلمين بزكوات
الورق واموال التجارة ولكن الناس كانوا يعطون ذلك او من حمله منهم الى الائمة يقبلون ما يحمل اليهم منه
ولا يسألون احدا عن مبلغ ملكه ولا يطالبونه به الا ما كان من توجيه عمر العشار في الاطراف وكان ذلك
منه عندنا والله اعلم للتخفيف عمن بعد عن داره وشق عليه ان يحمل صدقته الى امامه فجعل في كل طرف من
الاطراف عاشرا لتجار اهل الحرب والذمة وامر ان يأخذوا من تجار المسلمين ما يدفعونه اليه وكان ذلك
من عمر تخفيفا على المسلمين لا ان على الامام مطالبة ارباب الاموال اموال التجارة باداء الزكوة سوى
المواشي والانعام فان مطالبة ذلك الى الائمة الا ان يأتي احد منهم الامام بشيء من ذلك فيقبله ولا يتعدى
ما جرت به السنة الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة من عباده يحتمل قوله

الم يعلموا اي قد علموا ان الله يقبل توبة من تاب ويحتمل على الامر اي اعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده يحتمل قوله الم يعلموا اي
قد علموا ان الله يقبل ممن تاب ويأخذ الصدقات قيل يقبل ويشبه اضافة الاخذ الى نفسه اضافته الى رسوله بقوله خذ من اموالهم
صدقة وذلك كثير في القران وقوله عز وجل ان الله هو التواب الرحيم قال ابو بكر الاصم التواب هو صفة العافي وهو لم
للتائب والتواب عندنا هو الموفق للتوبة ثم الكافر اذا اسلم وتاب لم يلزم مع التوبة كفارة اخرى سوى التوبة
وان كان ارتكب مساويا وفواحش سوى الشرك والكفر والمسلم اذا ارتكب مساويا لزمته التوبة والكفارة جميعا وذلك
لان المسلم لما اسلم اعتقد حفظ ما لزمه من الشرايع فاذا ارتكب ما ذكرنا خرج شرايعه وادخل نقصانا فيما اعتقد فاذا
ترك حفظه فادخل فيه النقصان لزمته الكفارة يجبر بها النقصان الذي دخل فيه واما الكافر فليس عليه
شيء من الشرايع انما عليه ان يتوب عن الشرك ويأتي بالايمان لذلك افترقا وقوله عز وجل وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
ورسوله والمؤمنون اختلف فيه قال بعضهم ذلك في الذين كانوا تخلفوا عن تبوك ثم ندموا وتابوا عن ذلك
فتاب الله عليهم يقول اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اي ان عدتم الى ما عنه تبتم وهو التخلف يطلع
الله رسوله والمؤمنين على ذلك وستردون الى عالم الغيب والشهادة وقال بعضهم الاية في المنافقين يقول اعملوا فيما
تستأنفون فان الله يطلع رسوله والمؤمنين على نفاقكم فتفتضحون حيث يطلعون على سرايركم وستردون الى عالم
الغيب والشهادة اي تردون الى ما اعد لكم عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون اي يجزيكم جزاء ما كنتم تعملون
يخرج ذلك على الوعيد وذكر في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد جنازة والمؤمنون ايضا شهدوها
فاثني عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فقيل يا رسول الله ما وجبت قال الملائكة شهداء الله في السماء وانتم
شهداء الله في الارض فاذا شهدتم وجبت ثم قرا قوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فان ثبت هذا
ففيه دلالة جواز حجة الاجماع لانه قال الملائكة شهداء الله في السماء وانتم شهداء الله في الارض فاذا شهدتم وحيث
فاذا شهدوا على شر فهو شر واذا شهدوا على خير فهو خير فعلى ذلك اذا شهدوا على حكم يلزم العمل به وقوله وقل اعملوا فسيرى
الله عملكم ورسوله والمؤمنون ليس على الامر ان يقول لهم جميعا اعملوا كذا ولكن ان كل من يلقنه هذه الاية يتفكر فيها
ويتدبر فلا يقدم على عمل الا بتحسنه ان يكون رسول الله والمؤمنون بحضرته فاذا خلا به لا يعمله وكذلك قوله قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ليس على الامر بالسير في الارض ولكن على الامر بالتفكر والتدبر فيما نزل
بهم بالتكذيب وكذلك قوله قل هو الله احد ليس على الامر ان يقول لهم ذلك ولكن يتفكر كل فيه اثر واحد وقوله عز وجل
واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم قال بعضهم هو صلة قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا
صالحا واخر سيئا كانوا موقوفين محبوسين لا يدرون ما يحكم الله فيهم او يعذبهم او يتوب عليهم فنزل قوله واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقال بعضهم هو صلة قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا
وقال بعضهم قوله واخرون مرجون لامر الله فالثلاثة الذين خلفوا وقال ابو عوسجة واخرون مرجون لامر الله
اي محبوسون يقال ارجيته اي حبسته وقال القتبي مرجون لامر الله اي مؤخرون على امره كان هذه الاية نزلت في الذين
تخلفوا عنه للركون الى الدنيا ورغبة فيها وهم المؤمنون والاية التي كانت قبل هذه الاية في المنافقين الذين تخلفوا للركون
في الدنيا وكفرا ونفاقا وقوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين عن ابن عباس رضي الله عنه ان
المنافقين اتخذوا مسجدا فلما فرغوا منه جاؤوا الى نبي الله وهو يتجهز لغزوة تبوك فقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة وانا نحب يا رسول الله ان تاتينا فتصلي فيه قال رسول الله انا على سفر وحال
شغل ولو قدمنا من سفرنا اتيناكم فصلينا لكم فيه ان شاء الله فانزل الله على رسوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
الاية اخبر فيه انهم لم يقصدوا ببناء مسجدهم ذلك ما ذكروا انا بنينا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والاشفاق
على الدين وحفظ الصلوة بالجماعة ولكن يقصدون به ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وقوله ضرارا وكفرا وتفريقا
بين المؤمنين يكون قوله تفريقا بين المؤمنين تفسيرا لقوله ضرارا يقصدون ببناء المسجد الذي بنوا ريبة ان يفرقوا
بين المؤمنين وبين رسول الله حتى اذا جاءهم العدو وجدهم متفرقين فيكون ايسر واهون عليهم في الكسر عليهم
والظفر بهم من ان كانوا مجتمعين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لن يغلب اثنا عشر الفا كلمتهم
واحدة وقوله ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم جعل الاجتماع في الدنيا نعمة ونهاهم عن التفرق وهم كانوا
يقصدون قصد التفريق بينهم لما ذكرنا وكانوا يقصدون بذلك ان يفرقوا بين ضعفة من المؤمنين وبين
رسول الله فيلبسوا عليهم الدين لانهم كانوا اهل شك وجدل وذلك كله كفر على ما ذكر وفيه دلالة اثبات رسالة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم اسروا واضمروا فيما بينهم من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين فاطلع
الله نبيه على ما اسروا ليعلم انه انما عرف بذلك بالله تعالى وقوله عز وجل وارصادا لمن حارب الله ورسوله اي بنوا ذلك
المسجد ارصادا لمن حارب الله ورسوله قال عامة اهل التاويل هو ابو عامر ذكر ان ابا عامر حارب رسول الله ثم فر
فقال للمنافقين ابنوا مسجدا واستعدوا فاني ذاهب الى قيصر بالشام فاتي بجند فنخرج محمدا واصحابه من المدينة فذهب
الى قيصر بالشام فبنوا مسجدا ارصادا لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر قال القتبي ضرارا اي مضارة وارصادا اي ترقبا
بالعداوة وقال ابو عوسجة ضرارا اي مضارة وارصادا لمن حارب الله ورسوله اي وقوفا وانتظار الفرصة لمن حارب
الله على المؤمنين وقوله عز وجل وليحلفن ان اردنا اي حلفوا ما اردنا باتخاذ المسجد الا الحسنى والخير والله يشهد انهم

لكاذبون

لكاذبون فيه ما ذكرنا من الدلالة على اثبات الرسالة وقوله عز وجل لا تقم فيه ابدا قيل لا تصل فيه لانهم سالوه
ان يصلي فيه لانهم سالوه وقيل لا تقم اي لا تاته ولا تدخل وهو واحد لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق
ان تقوم فيه قال بعضهم هو مسجد قبا وقال بعضهم هو مسجد رسول الله وروي عن ابي سعيد الخدري قال اختصم
او قال اختصمنا المسجد الذي اسس على التقوى فقال النبي عليه السلام هو مسجدي هذا وعن ابي بن كعب قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال هو مسجدي هذا وظاهر ما ذكر ان يكون مسجد قبا لانه
ذكر لما نزل فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثناء في
الطهور فما ذا تصنعون قالوا اذا اغتسل منا اثر الغايط او البول وفي بعض الاخبار قالوا يا رسول الله انا نجد
مكتوبا علينا في التورية الاستنجاء بالماء فلا ندعه فقال لا تدعوه وقوله عز وجل فيه رجال يحبون ان يتطهروا
يحتمل اي فيه رجال يؤثرون التطهر بالايمان والتوحيد والصلوة فيه وكل مسجد هذا فيه فهو مؤسس على التقوى الشرك
والخلاف لامر الله ومناهيه ويقول فيه رجال يحبون اي يؤثرون التطهر بالتقوى والاعمال الصالحة على غيرها من
الاعمال التي تخبثهم ويحتمل ما ذكر اهل التاويل من التطهير من الاقذار والانجاس كانه قال فيه رجال يؤثرون
الابلاغ في التطهير من الاقذار والانجاس التي تصيبهم وقوله عز وجل افمن اسس بنيانه على تقوى من الله اي على
الطاعة لله والاخلاص له ورضوان له وطلب مرضاته خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار اي بني للاختلاف
والتفريق بين المؤمنين والكفر بالله هذا المثل مقابل مكان بمكان يقول من بنى بناء على قرار من الارض مما يقربه
وينتفع به خير ممن بنى بناء على المكان الذي لا يقر ويؤدي الى الهلاك ولا ينتفع به والاول مقابل فعل بفعل وهو
قوله والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين كالذي بنى لضده ذلك اي للبناء سواء ثم قال لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه هذا مقابلة فعل بفعل يقول الذين بنوا المسجد على الطاعة لله والاخلاص
له وطلب مرضاته والاجتماع فيه خير ممن بنى للكفر بالله والتفريق بين المؤمنين وضررهم هذا مقابلة فعل بفعل
وقوله افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هذا مقابل مكان بمكان
لما ذكرنا وقوله اسس اصل الاس والاساس والاسس واحد وقوله عز وجل شفا جرف هار قال ابو عو
سجة شفا جرف قال شفاه فمه والجمع اشفا وجرف ارض يسيل فيها السيل حتى يجرفها والجرفة جمع وقوله هار
قال الهار والمنهار الذي ليس بصلب ويقال انهار بنيانها اي انهدم ويقال لرجلها اي ضعيف وارض هشة اي رخوة
سريعة الانهدام والخشن الرخوة وقال القتبي شفا جرف هار اي حرف هار والجرف ما يجرف بالسيول
الاودية والهار الساقط ومنه يقال تهور البناء اذا سقط وانهار وقال ابو عبيدة على شفا جرف الشفا هو
الشفير والجرف ما تجرف من السيول من الاودية وهار يريد هاير وقوله عز وجل فانهار به في نار جهنم
قال بعضهم خسف الله مسجدهم في نار جهنم وفي حرف ابن مسعود فخر من قواعده في نار جهنم وقال حضرت
فيه فروي منها دخان ساطع وقال يهوي بنيانهم الذي بنوا في نار ولا ندري كيف هو وما معناه وقوله
عز وجل لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم قال بعضهم بنوا ريبة اي حسرة وندامة وقال بعضهم ريبة
اي شكا وريبا ومن قال حسرة وندامة فهو على وجهين يحتمل انهم تابوا وندموا على ما صنعوا ويحتمل
حسرة وندامة لما افتضحوا بما صنعوا وبما ارادوا بقوله والله يشهد انهم لكاذبون ومن قال شكا ونفاقا
الا ان تقطع قلوبهم الى الممات اي هم على الشك والنفاق الى الموت وهو كقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى
يوم يلقونه واصل الريبة التهمة يقال فلان مريب اذا كانت به تهمة وقوله عز وجل الا ان تقطع قلوبهم
هذا ايضا على وجهين احدهما على التمثيل ان الخوف والحزن اذا بلغ غايته يقال فلان منقطع القلب وقوله
عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يحتمل قوله اشترى اي استام
لان قوله اشترى خبر ولكن يحتمل الاستيام اي استام ان يبذلوا انفسهم واموالهم الله ليجعل لهم
الجنة ثم بين فقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويحتمل ان يكون قوله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم خبرا عن قوم باعوا انفسهم كان الله عز وجل اشترى منهم ثم بين انه كيف باع وكيف اشترى
فقال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون اي يقتلون العدو ويقتلون اي تقتلهم العدو وقد قرئ
الاول بالرفع فيقتلون والثاني بنصب الياء فهو ليس على الجمع ان يقتلوا ويقتلوا ولكن ان يقتلوا العدو
ويقتلهم العدو وايهما كان او يقاتلون العدو وان لم يقتلوا كقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل
او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقال هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله الاية سمى الايمان بالله والمجاهدة في سبيله تجارة ثم قال بان لهم الجنة يحقق الوعد
لهم فضلا منه لا يحق البدل ثم قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ذكر شرى انفسهم
واموالهم منهم وانفسهم في الحقيقة لله ان ياخذ منهما نفسهم واموالهم وان يتلفهم باي وجه
ما شاء ولكنه عامل عباده معاملة من لا ملك له في ذلك ولا حق كرما منه وفضلا وجودا ووعد لهم على ذلك اجرا
وبدلا وكذلك ما ذكر من القرض له ووعدهم على ذلك الاجر مضاعفا وكذلك ما وعد لهم من الثواب فيما يعملون
لانفسهم كالعاملين له حيث قال جزاء بما كانوا يعملون وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا ونحوه وان كانوا

في الحقيقة عاملين لانفسهم بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية ذكرها ذكر فضلا منه واكراما اذ هي له حق في الحقيقة
وهو كما قال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم فانما طلب منهم بذل انفسهم واموالهم له ذكر والله
اعلم شرى ماله في الحقيقة ليعلم الخلق ان كيف يعامل بعضهم وكذلك قال الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ما يظهر
معاملة من لا حق له في اموالهم وانفسهم يعامل الناس بعضهم بعضا في اموالهم وانفسهم لكن لا حق له في ذلك
وقوله عز وجل وعدا عليه حقا اي وعدا واجبا في التورية والانجيل والقران اي وعد ذلك في التورية
والانجيل والقران وفي حرف ابن مسعود عهدا عليه حقا في التورية والانجيل والقران وقوله عز وجل وعدا
عليه حقا في التورية والانجيل هذه الاية تنقض قول من يقول بان الانجيل نزل على التخفيف والتيسير والتورية
بالشدائد وكذلك قوله فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة وذلك مذكور في حكم الانجيل الا ان يقال
بان قوله وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل اي كان هذا مذكورا لهذه الامة في التوراة والانجيل وما ذكر ثم
قال ومن اوفى بعهده من الله هذا على ان قوله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية انما هو عهد اليهم
حيث قال ومن اوفى بعهده من الله اي لا احد اوفى واصدق بعهده من الله ان وفيتم انتم بعهده الذي عليكم والله
اعلم وقوله عز وجل فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به يشبه ان يكون الاستبشار الذي ذكر وقت الموت ان يقول
لهم الملائكة استبشروا ببيعكم الذي بايعتم به في الحيوة هذا يدل ان البيع يكون بيعا بالبدل وان لم يتلفظ بلفظة
البيع وقد ذكرنا فيما تقدم ان الاحكام لم تتعلق بالالفاظ والاسامي انما علقت بمعاني فيها فاذا وجد المعاني حكم بها
وذلك هو الفوز العظيم الذي ذكر وقوله عز وجل التائبون العابدون الحامدون الى اخره قال بعضهم على التلاوة بالاول
فيما ذكر من الشرى والوعد لهم الجنة اذا كانوا على الوصف الذي ذكر وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله
عنهما ان الله اشترى من المؤمنين التائبين العابدين الحامدين على الصلة بالاول بالكسر الى قوله والحافظون لحدود الله
قراءة والقائمين على حدود الله انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ومنهم من قال على الابتداء بالرفع التائبون العابدون
الحامدون الى اخره ويشبه ان يكون الشراء الذي ذكر في اول الاية وما وعدهم ببذل انفسهم واموالهم في الجهاد يكون
ذلك ايضا في غيره من الطاعات والخيرات من بذل نفسه لله فيما ذكر من العبادة له والجهد وما ذكر في الاية فهو بايع
نفسه منه كقوله ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله ونحوه وقوله التائبون يحتمل التائبون
من الشرك او من جميع المعاصي العابدون يحتمل الموحدون ويحتمل العابدون جميع انواع العبادة والحامدون
قيل الشاكرون وقيل المثنون على الله فان كان قوله العابدون من العبادة فيكون الحامدون المثنون على الله لان
العبادات كلها شكر وان كان قوله العابدون الموحدون فيكون قوله الحامدون والشاكرون المنعم التي انعمها
الله عليهم السائحون قيل الصائمون وعلى ذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن السائحين فقال
هم الصائمون وقال وسياحة امتي الصيام وقال القتبي واصل السائح الذاهب في الارض ومنه يقال ساح
الماء اذا جرى وذهب والسائح في الارض ممتنع من الشهوات فشبه الصيام به لانه ممسك في صومه عن المطعم
والمشرب وجميع اللذات وقال ابو عوسجة هم الذين يمضون على وجوههم في الارض ليست لهم منازل
يقال ساح يسيح سيحا وسياحة الراكعون الساجدون قيل المصلون وقيل الخاضعون لله والخاشعون
له وكذلك ذكر في حرف حفصة الامرون بالمعروف يحتمل التوحيد اي يامرون الناس بتوحيد الله ويحتمل
الامرون لهم بالخيرات والمعروف كلها والناهون عن المنكر الشرك ويحتمل كل معصية والحافظون لحدود
الله قال بعضهم لفرائض الله التي فرضها على عباده وقال بعضهم لسنن الله ولكن حافظون جميع احكام الله
لا يجاوزون ما حد لهم ولا يفرطون فيها وبشر المؤمنين يحتمل البشارة لهؤلاء الذين سبق ذكرهم ويحتمل
على الابتداء اي بشر جميع المؤمنين كقوله وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا والله اعلم وقوله
عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين دلت الاية بانها نهانا ان نستغفر لمن علمنا انه من
اهل النار لما ان الله لا يغفر له لما علم انه لا يؤمن فعلى ما علمنا انه لا يغفر له لم يجز لنا ان نقول انه اراد
الايمان لمن يعلم انه لا يؤمن ابدا كما لم يجب ان يغفر لمن وجبت له النار فهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله
قد اراد لكل كافر الايمان لكنه لم يؤمن ثم وقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين قال
بعض اهل التاويل ان رسول الله قد استغفر لاعدو الدين وذكر انه دخل على ابي طالب عمه فدعاه الى
شهادة ان لا اله الا الله فابى ثم استغفر له وقال لاستغفرن لك ما لم انه عنك وكلام نحو هذا فنزل
قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية قال الحسن لا يحتمل ان يكون
رسول من رسول الله لا يعلم ان الله لا يغفر للكافر اذ في العقل والحكمة ان لا يغفر له والتعذيب له ابدا
وعندنا في الحكمة تعذيب الكافر ابدا وان لا يغفر له لوجوه احدها ان في ذلك تسوية بين العدو ووليه
ومن سوى بين عدوه ووليه فهو ليس بحكيم اذ في الحكمة التمييز بينهما والثاني انه اذا عبد غير الله معه
انما يعبد غيره لجهله وتلك الجهالة لا ترتفع ابدا لانه اذا غفر له فيقع عنده انه انما جرى بما جرى وغفر لعبادة
غير الله والثالث انه لو غفر للكافر لذهب حكمة الافعال لان الافعال انما يؤمر بها لعواقب تتامل اما
اما حمدا واما ذما فاذا غفر له حمدا فعاله كان الحق له الذم بها ففي ذلك خروجها عن الحكمة وجاز ان يكون

رسول الله

رسول الله ليستغفر للمنافقين قبل ان يتبين له انهم منافقون فلما تبين له نفاقهم كف عن استغفارهم
فاما ان يستغفر للكافر على علم منه انه كافر فلا يحتمل على ما يقوله بعض اهل التاويل انه استغفر لعمه ولاعدو
الدين وقوله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه قال بعضهم وعد
اباه الاسلام فكان استغفاره لابيه على وعد الاسلام فانما كان استغفاره بعد اسلامه الا ترى
انه قال ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين فانما طلب له المغفرة في ذلك اليوم وقد كان
وعد له الاسلام لذلك كان استغفر له الا ترى انه تبرا منه اذا تبين له انه من اهل النار ويحتمل ان يكون
استغفار ابراهيم لابيه طلب السبب الذي به منه يستوجب المغفرة وهو التوحيد وهو كقول هود لقومه
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وكقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا ليس يامرهم ان يقولوا
نستغفر الله ولكن يامرهم بالاسلام ليغفر لهم ويكونوا من اهل المغفرة فعلى ذلك باستغفار ابراهيم لابيه
وكذلك قوله واغفر لابي انه كان من الضالين اي اعطه السبب الذي به يستوجب المغفرة وهو التوحيد
كان سؤاله سؤال التوحيد اذ لا يحل طلب المغفرة للكافر وفي الحكمة لا يجوز ان يغفر له فان قيل فان
كان على ما ذكرتم كيف استثنى الا قول ابراهيم لاستغفرن لك بعدما اخبر لنا ان في ابراهيم قدوة بقوله
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم قيل يحتمل الاستثناء الا قول ابراهيم لابيه اي حتى يعلم المعنى
من استغفاره لانا لا نعرف مراد ابراهيم من استغفاره لابيه وكذلك استغفار الانبياء عليهم السلام
لقومهم والمتصلين بهم فاستثنى ذلك الى ان نعلم مرادهم من استغفارهم وقوله عز وجل ان ابراهيم لاواه
حليم قيل الاواه الدعاء وعلى ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاواه وقال الدعاء الخاشع الم
المتضرع وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الاواه المؤمن وقيل الاواه الفقيه الموقن وقيل الاواه المتاوه
خولا وخوفا وحليم قيل الحليم ضد السفيه وقيل العليم هو الذي لا يغضب ولا سفه عند سفه السفيه وقوله
عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون اختلف اهل التاويل قال بعضهم الاية
في استغفار المؤمنين للمشركين وقال بعضهم الاية في نسخ الاحكام والشرائع التي تحتمل النسخ فان كان في
استغفار المشركين فانه ليس هنالك نسخ لانهم لم يسبق لهم الامر بالاستغفار ولا الاباحة لهم في ذلك
فانه قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا بالاستغفار بعد اذ جعلهم مهتدين حتى يعلموا بالنهي عن ذلك
والله اعلم وهو يحتمل ما ذكرنا من استغفارهم للمنافقين قبل ان يتبين لهم يقول لا يجعلهم ضلالا بذلك
حتى يبين لهم ذلك وان كان في نسخ الاحكام فكانه والله اعلم قال ما كان الله ليجعل قوما ضلالا جهالا
بفعلهم الذي فعلوا بالامر حتى يبين لهم ما يتقون اي حتى يعلموا الذي يلزمهم الانتهاء عنه وهو النسخ
هذا في الاحكام التي يحتمل النسخ واما الاحكام التي لا تحتمل النسخ فلا واصله ان كل ما كان في العقل امتناع نسخه
فانه لا يرد فيه النسخ وكل ما كان في العقل لا امتناع على نسخه فانه يجوز ان يرد فيه النسخ ثم المسالة
فيما عملوا بالمنسوخ قبل العلم به بالنسخ ما حال العمل الذي عملوا به يوجرون ويأثمون في عملهم بذلك في حال
نسخه او يثابون ويوجرون على ذلك فان كان الفعل نفس طاعة وقربة فانه يثاب في فعله وفضله ولا يحرج فيه
ولكن وان كان الفعل ليس بفعل قربة وطاعة ولكن فعل حل وحرمة فانه في فعله قبل بلوغ العلم بنسخه
لا يحرج في فعله نحو ما روي انهم كانوا يشربون الخمر ثم اتاهم ات فقال الا ان الخمر قد حرمت فصبوها
وكفوا عنها فهم في شربهم بعد التحريم قبل بلوغ الخبر اليهم لا يحرجون واما الفعل الذي هو فعل
قربة وطاعة فان لهم القربة في فعلهم وهو الصلوة ونحوه ما روي ان نفرا كانوا يصلون الى بيت المقدس
فمر عليهم مار فقال الا ان القبلة قد حولت وهم في الركوع الى الكعبة فتحولوا نحوها فاخبروا عن
ذلك رسول الله فلم يامرهم بالاعادة لان الفعل فعل قربة وطاعة فالطاعة والقربة موجودة في فعلهم
لان الافعال التي فرضت لم تفرض لنفس الافعال انما فرضت للطاعة والقربة لله فيها فانه يوجر على ذلك والله
الله اعلم وقوله عز وجل ان الله بكل شيء عليم بما فيه مصالح الخلق وما ليس فيه كان هذا والله اعلم خرج لانكار
من انكر النسخ في الشرائع يقول ان الله يعلم بما فيه مصالح الخلق وانتم لا تعلمون وفي الناسخ مصالح لهم وانتم
لا تعلمون ويؤكد ذلك قوله عز وجل ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وانتم عبيد وليس للعبد
انكار شيء على سيده وانما على العبد الطاعة لسيده والائتمار لامره والانتهاء عن نواهيه يحيي ويميت
اي كما له ان يميت بعد الحيوة ويحيي بعد الموت فله ان يتعبدهم في حال بعبادة وفي حال بعبادة اخرى وقوله
عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية قال بعض من اهل التاويل تاب الله عليهم لزلات
سبقت منهم وهفوات تقدمت من غير ان كان منهم زلات في هذا يعني في غزوة تبوك وهفوات
اما النبي فقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وعلى المهاجرين والانصار بما
كان منهم يوم احد ويوم حنين وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم
وقال بعضهم تاب عليهم لهفوات كانت منهم في غزوة تبوك هموا ان ينصرفوا في غير وقت الانصراف
على غير اذن لشدة اصابتهم فقال تاب عليهم لما هموا بالانصراف في غير وقت الانصراف ويشبه ان يكون

التوبة التي ذكر على وجهين سوى ما ذكروا وهو انه تاب عليهم اى جدد عليهم التوبة للهفوات التي تقدمت
او الثبات عليها من غير ان كان منهم في الحدوث شيء ولكن يكون لذلك حكم التجديد والثبات عليها فيكون
كسوال الهدى وهم على الهدى كقوله عزوجل اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله اى يا ايها الذين امنوا فيما مضى من الوقت امنوا في حادث الوقت
او اثبتوا في ذلك فعلى ذلك يحتمل ان يكون قوله لقد تاب الله عليهم اى جدد عليهم التوبة من غير ان كان
منهم هفوة او ثبتهم على التوبة التي كانت منهم والثاني انه ذكر التوبة وذلك انهم حيث صبروا على ما اصابهم
من الشدائد والجهد كشف الله عنهم اشياء كانت مستورة عندهم وجلاهم اعظية كانت لا تتجلى لهم من قبل
لكن انجلى ذلك لهم وانكشف لصبرهم على الشدائد التي اصابتهم كقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله
وانا اليه راجعون لما صبروا على ما اصابهم من المصائب ازدادلهم تفويضا وتسليم الامر والمرجع اليه و
كقوله ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الاية اى ازدادهم بما صبروا هدى وتجلى لهم اشياء لم يكن من قبل فعلى
ذلك يحتمل التوبة التي ذكر انهم لما صبروا على ما اصابهم من الشدة والجهد تجلى لهم اشياء كانت مغطاة
والله اعلم فانه ذكر من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ولم تذكر انها زاغت وذكر قلوب فريق منهم ولم يذكر
قلوب الكل فهو ما ذكرنا ويحتمل ذكر التوبة على النبي على الاشراك له مع المؤمنين من غير ان كان له ذنب لانه اخبران
ذنبه مغفور بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهو كما اشركهم في الاستغفار كقوله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات امره بالاستغفار لذنبه على الاشراك له مع استغفار المؤمنين اذ اخبر انه قد غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تاخر والحق به من الله تعالى تخرج على وجوه احدها التوفيق وفقهم للتوبة واكرمهم
بها كقوله ثم تاب عليهم ليتوبوا اى وفقهم للتوبة فتابوا والثاني التوبة منه قبولها منهم اى يقبل
منهم التوبة كقوله انه هو التواب الرحيم والثالث تاب عليهم اى تجاوز عنهم وعفى وصفح عنهم على هذه
الوجوه الثلاثة تخرج اضافة التوبة الى الله وقوله عزوجل الذين اتبعوه في ساعة العسرة قيل في عسرة
النفقة وعسرة الظهر وقوله عزوجل من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ذكر في بعض القصة انه قد اصابهم
من الجهد والشدة حتى ان الرجلين ليقتسمان التمرة بينهما وكانت التمرة تتداولون بينهم يمصها هذا
ثم تشرب عليها الماء ثم يمصها هذا ذكر نحو هذا ولكن لا ندري كيف كان الامر سوى انه اخبر ان
قلوبهم كادت تزيغ من الجهد وقوله عزوجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا عن التوبة نحو قوله لقد تاب
الله على النبي والمهاجرين والانصار فكانوا يبتهلون ويدعون الله حتى تاب الله عليهم فتابوا وقال قائلون
خلفوا من رسول الله لما تقدمهم القوم فهم المخلفون يتقدم اولئك وقال قائلون خلفوا خلفهم الله اى
خلقهم ويشبه ان يكون قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا ثم الذين تخلفهم فلحقوا رسول الله وهو ما ذكرنا
وقوله حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم يحتمل هذا على التحقيق ويحتمل ان
يكون على التمثيل والتحقيق وجهان احدهما ضاقت عليهم الارض بما رحبت ما ذكر انهم شدوا انفسهم
بالسواري والاسطوانات واتوا باموالهم التي منعتهم عن الخروج مع رسول الله وتصدقوا بالارضين
التي منعتهم عن الخروج وضاقت عليهم الارض بعد ما كانت عليهم متسعة يتسعون فيها لانه ذكر في القصة
ان واحدا من هؤلاء مما حبسته ارضه عن الخروج فتصدق بها على الفقراء وكان له التوسع بتلك الارض
ثم ضاقت عليه والثاني ضاقت عليهم الارض بما رحبت لما حبسوا انفسهم عن اراضيهم وتركوا شهواتهم و
امانيهم وما يتلذذون به فذلك ضيق الارض وضاقت عليهم انفسهم لما شدوا انفسهم بالاسطوانات
ويحتمل ان يكون على التمثيل وذلك ان الخوف اذا اشتد بالانسان وبلغ غايته حتى يمنعه عن القرار في الارض
والتلذذ فيها يقال ضاقت عليه الارض بسعتها وضاقت عليهم انفسهم لما ذكر كان الناس لا يكلمونهم
ولا يجالسونهم ولا يبايعونهم ولا يكلمهم اهاليهم وقوله عزوجل وظنوا ان لا ملجا من
من الله الا اليه قال بعضهم ظنوا ان لا نجاة من عقوبة الله الا عفوه اى يقنوا ان لا خلاص لهم ولا احتراز لهم
من عقابه وقيل فظنوا ان لا ملجاء من عذاب الله الا الى رحمته وقيل وظنوا ان لا ملجاء من رسول الله الا الى الله
الله لا ثم ذكر انهم سألوا رسول الله النجا وزعن ذلك فلم يجبهم فايقنوا عند ذلك ان المفزع والملجاء الى الله
لا الى احد دونه وقوله عزوجل ثم تاب عليهم اى وفقهم التوبة ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم اى
يقبل التوبة اى قابلها وقوله عزوجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين في ظاهر ما يدعي
ان قوما عرفوا الصدق فامروا بالكون معهم ويشبه ان يكون امرهم ان لا يتخلفوا عن رسول الله بالكون
مع المهاجرين والانصار الذين كانوا مع رسول الله وفيه دلالة على ان الاجماع حجة لانه امر بالكون
مع الصادقين في دين الله فلولا يلزمهم قبول قولهم لم يكن للامر بالكون معهم وجه وفي حرف ابن مسعود
رضي الله عنه وكونوا من الصادقين وهو ظاهر وقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وجوه احدها احفظوا
الله في حقه ولا تضيعوه وكونوا مع الصادقين في وفاء ذلك وحفظه او اتقوا الله فيما لزم ما امتحنكم
به من الخروج والجهاد مع رسول الله وغيره ذلك من المحن وتجنبوا مخالفة الله ورسوله فيما امركم

وكونوا

وكونوا مع الموافقين لا مر والله اعلم وقوله عزوجل ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان
يتخلفوا عن رسول الله يشبه ان يكون هذا صلة ما سبق منهم من المبايعة والعهود التي جرت بينهم وبين
رسول الله يقول والله اعلم ما كان اى لم يكن لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول
الله بعد ما قبلوا النصرة والمعونة وبايعوه على ذلك هذا محتمل ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون صلة ما ذكر على
اثره وهو قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله يقول والله اعلم ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله وقد جعل بكل ما يصيبهم في انفسهم من العناء والشدة
وفي اموالهم من النقصان وما ينفقون من النفقة قليلة كانت او كثيرة او يصيبون من العدو ومن القتل
والغنيمة الا كتب لهم بذلك العمل الصالح اى ما كان ينبغي لهم ان يتخلفوا عنه وقد كتب لهم بكل ما يصيبهم
من الشدة والشدة والعناء وما يصيبون من الخير العمل الصالح والاجر لهم والله اعلم ويقول ما كان لاهل المدينة
اذا اختلفوا من رسول الله ان يتخلفوا عنه وقوله عزوجل ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه يحتمل قوله ولا ير
غبوا بانفسهم عن نفسه اى ولا يرغبوا بالتخلف عن نفسه يقال جاء فلان بنفسه ورايت انا بعيني ونحوه اى
جاء هو ورأى هو فعلى ذلك هذا ولا يرغبوا اى ما كان ينبغي لهم ان يرغبوا عن رسول الله ويحتمل ولا يرغبوا
بانفسهم اى لا تنفسهم عن نفسه وذلك جائز ما ذكرنا وقوله عزوجل ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء قيل عطش
ولا نصب العناء والمشقة ولا مخمصة في سبيل الله اى مجاعة ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار قال بعضهم و
لا يطئون موقعا وقال بعضهم هو من الوطئ والموطئ للشيء الذي يوطا ولا ينالون من عدو نيلا قيل فيهم
والغارة عليهم الا كتب لهم به عمل صالح اى يكتب ما لهم وما عليهم العمل الصالح مكان من تخلف منهم مخافة
ان يصيبه ما ذكر من العناء والشدة يقول كتب لهم بكل ما يصيبهم العمل الصالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله
عزوجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم هو ما ذكرنا انه يجزيهم
بكل ما يصيبهم من الشدة والعناء في انفسهم وفي اموالهم النقصان وما ينفقون ليجزيهم الله احسن ما كانوا
يعملون اى يجزيهم لصالح اعمالهم واحسنها ولا يجزيهم ولسيئاتهم وهو كقوله اولئك يتقبل عنهم احسن ما عملوا
ويتجاوز عن سيئاتهم اخبر انه يتقبل منهم احسن ما عملوا ويكفر عنهم سيئاتهم فعلى ذلك الاول يخبر انه يجزيهم
احسن ما عملوا في الغزو ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله عزوجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الاية اختلف اهل التاويل قال بعضهم ان نبي الله كان اذا خرج للغزو خرجوا
جميعا فتبقى المدينة خالية عن الرجال فنهى الله عن ذلك وقال وما ينبغي للمؤمنين ان ينفروا كافة مع رسول
الله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وقال بعضهم كان رسول الله صلعم اذا بعث سرية
خرجوا جميعا فيبقى هو وحده لم يبق معه احد ممن يشهد التنزيل ليخبروا اولئك حضروا وقال اخرون الاية في
الوفود وذلك ان الوفود اذا قدموا من الافاق الى المدينة قدموا مع النساء والذراري جميعا فامروا ان ينفر الرجال
منهم دون النساء والذراري ومن كل قوم نفر ليتفقهوا في الدين ذكر في هذه الاية وما كان المؤمنون لينفروا
كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة نهى الكل ان ينفروا وامر في الاية الاخرى بنفر الكل بقوله فانفروا
ثبات او انفروا جميعا فهو يخرج على وجهين احدهما امر بالنفر الجميع عند قلة المؤمنين ليكون لهم الكفاية مع
العدو والثاني امر بنفر الكل عند النفير فيكون احدى الايتين في حالة النفير والاخرى انها في غير حال النفير
وما ذكرنا في وقت القلة والكثرة فمن يقول ان الاية في الذين كانوا يخرجون جميعا مع رسول الله اذا خرج كانه
نهى عن الخروج جملة مع رسول الله خوفا على اهاليهم وذراريهم لعل العدو سباهم واخذ اموالهم يقول الله فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين اى هلا نفر طائفة منهم فيخبروا الكفار المقيمين بما انزل
الله على رسوله من النصر والمعونة والهزيمة على الكفار الذين قاتلوا رسول الله فيكون ذلك سبب دعائهم
الى الاسلام والى هذا يذهب الحسن والاصم ويقولون ان هذه الاية نسخت الاية قبله وهو قوله وما كان
لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله يقول الحسن ان عليهم ان يخرجوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج فيقول هذا منسوخ بالاية التي تليها وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية
ومن يقول بان الاية في الوفود الذين كانوا ياتون رسول الله المدينة بالنساء والذراري فالنهي لذلك لما كانوا
يضيقون على اهل المدينة اوطانهم ويغلون اسعارهم ونحوه يقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة هم
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اى يتعلمون الدين واحكامه ثم ليرجعوا الى قومهم فيعلموهم ومن يقول
الاية في الذين خرجوا ونفروا مع السرايا نهاهم عن خروج الكل لما انه اذا نزل على رسول الله شيئا فلم يكن
معه احد يبلغه اليهم ثم يبلغ الى من هو غاب عنه ضاع ذلك فيقول فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم اى ليعلموا قومهم ما نزل على رسول الله وليبلغوا ذلك الى من غاب عنه وقوله من كل فرقة
منهم طائفة قيل من كل عصبة ومن كل قبيلة ومن كل حي ففي الاية دلالة سقوط فرض النفير لتعلم العلم والتفقه
في الدين عن الكل اذا قام بعض بذلك يخرجون ويتعلمون ثم يعلمون قومهم لانه قال فلولا نفر من كل فرقة
منهم طائفة الاية وفيه ايضا دلالة سقوط فرض الجهاد عن الجماعة اذا قام بعضهم عن بعض وفيه دلالة

لئن ولم لعمل بخبر الاحاد وان احتمل الغلط لان ما ذكر من الطائفة يحتمل ان يجتمعوا على ذلك كذبا او غلطا
ثم الزم قومهم قبول خبرهم وان احتمل الغلط والكذب بقوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون والاية تخرج على وجهين احدهما ان اهل بلدة واهل قبيلة يختارون من يصلح للتفقه في الدين
والتعلم فينفر حتى اذا تفقه وتعلم ورجع الى قومهم فيعلمهم والثاني يأمر من يصلح للتفقه بالتخلف عن الجهاد اذا
كان بهم غنية ليتفقه عند رسول الله فينذر قومهم اذا رجعوا اليه من غزاتهم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اختلف فيه قال بعضهم الاية قبل ان ينزل قوله قاتلوا المشركين كافة كان الامر بالقتال
بالادنى فالادنى فالادنى ثم جاء الامر بقتال الكفار عامة وقال بعضهم ان رسول الله كان اذا غزا
ربما كان يجاوز كفارا ويتركهم وراءه ويقاتل غيرهم ليكون ذلك اية لنبوته وليعلم انه لا يبالي بمن يقاتل ولا يخاف
من تركهم وراءه ثم امر الله المؤمنين ان يقاتلوا الاقرب فالاقرب منهم والادنى فالادنى وان لا يتركوا
العدو وراءهم الى هذا ذهب بعض اهل التاويل ويمكن ان يكون هذا تعليم من الله المؤمنين امر الحرب واسبابه
كما علمهم جميع ما يقع لهم من الحاجة الى اسباب الحرب في غير اي من القران من ذلك وقوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقوله اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الاية وقوله واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة الاية وغير ذلك من الايات ويحتمل ان يكون امر بقتال الاقرب فالاقرب منهم كسائر العبادات
وقوله عز وجل قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا انه يخرج على امر القتال منه
للمؤمنين والثاني انباء عن دوام الجهاد والقتال مع الاعداء ابدا لانه كلما فتح ناحية وقوما صار الذين يلوا
وراء هؤلاء الذين يلونهم وقوله عز وجل وليجدوا فيكم غلظة قيل شدة عليهم وفي حرف ابن مسعود وليجدوا
فيكم عليهم غلظة اي شدة ويقرأ غلظة برفع الغين ويقرأ غلظة بكسرها وهما لغتان ومعناهما واحد واعلموا ان
الله مع المتقين اي من اتقى الخلاف له بالنصر لهم على عدوهم وقوله ان الله مع المتقين يخرج على وجوه احدها ما
ذكرنا اذا الخلاف له فيما عليهم من امر الحرب يكون معهم بالنصر والثاني معهم في التوفيق و
الهداية والثالث في الجزاء وقوله عز وجل واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا قال اهل التاويل
قوله فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني يقول المنافقون بعضهم لبعض اذا خلوا عن المؤمنين ايكم زادته هذه
ايمانا استهزاء منهم بها وسخرية فاجاب الله تعالى فقال فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما
الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم اي تكذيبا وكفرا الى تكذيبهم الذي كان منهم
لان اهل النفاق والكفر ليسوا باهل انصاف يقبلون الحجة والدلالة اذا قامت عليهم انما همتهم العناد والتكذيب
والرد واما اهل الايمان فان همتهم قبول الحجج والانصاف فكلما ازدادت لهم الحجج والبراهين ازدادلهم ايمانا وتصديقا
على ما كان لهم ثم قوله فزادتهم ايمانا زادتهم ثباتا ودواما على ما كانوا من قبل بما قامت لهم من الحجج والبراهين
وكذلك ازداد لاهل النفاق والكفر بها الثبات على العناد في تكذيب الحجج والايات والثاني ازدادلهم ايمانا بالتفسير
على ايمانهم بالجملة وان كانوا مصدقين لذلك كله جملة فاذا نزلت لهم نوازل وفرائض ازدادهم بذلك التصديق
والثبات واصله انه لولا ما كان منهم من الايمان والتصديق لكان هذا منهم ابتداء ايمان واحداث تصديق وكذلك
لو لم يكن من اهل النفاق ما سبق من العناد لكان ذلك منهم احداث تكذيب وعناد فاذا كان منهم ما ذكرنا كان
ذلك زيادة على ما كان لما ذكرنا وقال بعضهم يزداد لاهل الايمان خيرات ولاهل النفاق شرور لكن هو واحد
وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل فزادتهم ايمانا فزادتهم رجسا يخرج على وجهين احدهما زادت للمؤمنين ايمانا على
على الذي كان لهم من الايمان والتصديق والثاني يزدادلهم حجة وبرهانا لما كان وكذلك يزداد لاهل النفاق
ضد ذلك وقوله عز وجل وهم يستبشرون قيل يفرحون بنزولها ثم اضافة الزيادة الى السورة بقوله فزادتهم
ايمانا لوجهين احدهما اضيف اليها الزيادة على ما اضيف الغرور الى الدنيا وهو لما ذكرنا انه يبدو اسبابها لهم
التزيين ما لو كان من دون الافعال والتغرير كان ذلك غرورا والثاني اضاف التغرير اليها لما بها اغتر اهلها
وكذلك اضافة الزيادة الى السورة لما بها ان ازدادلهم التكذيب والكفر وازداد لاهل الايمان
بها التصديق فاضيف الزيادة اليها وقال بعضهم ما ذكرنا انها حجة ودلالة فبالحجة يزداد لاهل الايمان بها
اذ هم قد اعتقدوا قبول الحجج والدلائل واما اهل النفاق والكفر فانهم اهل عناد ومكابرة اذ قد اعتقدوا العناد
ورد الحجج فكلما ازدادهم عنادا وكفرا وقال ابو بكر الاصم انما اضيف الزيادة اليها لانها كانت سبب الزيادة
وقد تضاف الاشياء الى اسبابها كما تضاف الى حقيقة الافعال ولكن يحتمل ان يكون السورة التي نزلت سببا زيادة
الكفر لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قيل
يبتلون بالجهاد والغزو فيتخلفون عنه فيظهر بذلك نفاقهم وكفرهم وقيل يبتلون بالشدة بجوع فيظهر ايضا
بذلك نفاقهم كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
وقيل يفتنون في كل عام مرة او مرتين وذلك انهم كانوا اذا خلوا تكلموا بالكفر فيما بينهم ثم اذا اتوا النبي اخبرهم
بما تكلموا به في الخلوة فيفتضحون بذلك افتتنوا هم وابناؤهم كان يظهر بما ذكرنا نفاقهم مرة في الجهاد في سبيل
الله ومرة بالشدة والخوف ومرة بما يطلع الله نبيه مما يضمرون ويتكلمون به ويحتمل هذه الاية الوجوه الثلاث

بالغزو في الاصل

الجهاد

الجهاد معه والابتلاء بالشدائد والافزاع ويحتمل اظهار الاسرار التي اسروا في انفسهم والافتضاح منهما
اخفوا لكن لو كان هذا فذلك مما يكثر منهم اعني كتمان النفاق واسرار الخلاف فيهم لكن ذكر المرة والمرتين يرجع
الى الافتضاح والاظهار فذلك يحتمل ان يكون في العام مرة او مرتين وقوله عز وجل ثم لا يتوبون عن نفاقهم
ولا هم يذكرون بما ابتلوا من الافتضاح وظهور النفاق منهم والله اعلم وقوله عز وجل واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم قال بعضهم الاية صلة قوله واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا اي كان نظر بعضهم الى بعض ثم يقولون ما ذكر ومنهم من يقول اذا
كانت السورة التي نزلت حجة في اظهار الدين والايمان يسمعون ويقولون ايكم زادته هذه ايمانا واذا
نزلت في اظهار نفاقهم وافتضاحهم نظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا ولا يسمعون منه السورة اشفاقا
لئلا يظهر نفاقهم وقوله صرف الله قلوبهم يحتمل خلق الله منهم انصرافهم فاضيف اليه الصرف ويشبه ان
يكون قوله صرف الله قلوبهم عقوبة اي عاقبهم الله بصرف قلوبهم باعتقادهم العناد وردهم الحجج وتركهم القبول
وقوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم اختلف فيه قال بعضهم من انفسكم اي من البشر وهو امتنان منه عليهم
حيث بعث الرسول من البشر ولو انه بعث من غير البشر لكنه بعث من البشر ليعرفوا الايات التي ياتي بها من النبوة
لانهم يعرفون مبلغ وسع البشر في الاشياء وقدر امكانهم بعلم الاشياء فاذا جاء بالاشياء التي هي خارجة من الطباع
ووسع البشر في التعليم عرفوا انها ايات لا تمويهات مع ما ان يالف كل ذي جنس بجنسه وينفر من غير جنسه هذا
ظاهر في الخلائق ان كل ذي جنس يالف بجنسه ولا يالف بغير جنسه فبعث الرسول من البشر ومن جنسهم ليالفوا
به ويقبلوا منه ما ياتيهم به ويجيبوه الى ما يدعوهم اليه وقال بعضهم رسول الله من انفسكم اي من المكان الذي انتم فيه
وهو الحرم وقال اخرون من انفسكم اي من انسابكم وهو ايضا موضع الامتنان عليهم حيث بعثه من انسابهم عرفوا
نسبه ومولده ونشاه من بين اظهرهم سليما عن جميع الافات بريا عن جميع المطاعن والعيوب لان المرء اذا كان
مولده ونشاه في قبيلة او في مكان لا يعرف له النسب ربما يمكن فيه الطعن والعيب ويقع التناكر في نسبه لجهلهم
بنسبه ومولده ونشاه على السلامة والصحة والبراءة من العيوب فبعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
لئلا يمكن فيه ما ذكرنا من المطاعن ولا يعرف شيء من العيوب والافات التي ذكرنا فيه وقال بعضهم قوله
من انفسكم من العرب اميا كما هم لا يكتب ولا يقرأ ولا يخطه بيمينه على ما وصفه في كتابه النبي الامي الذي يجدونه
الاية وقال ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وذلك ان العرب كانت تتمنى ان يبعث رسول منهم يقولون
لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم ذكر مجيء الرسول من انفسهم ليكون ابعد من المطاعن التي طعنوا فيه
والافات التي ذكروا فيه وابراءه عن العيوب التي قرفوا به من نحو السحر والكهانة والجنون والافتراء على الله و
اقرب الى المعرفة بانه رسول لانه لما اتى بهم من الايات والحجج يعرفون انها سماوية لما عرفوا انه لم يتعلم السحر و
لا اخذوا عليه بكذب قط ولا جن قط بما كان نشاه فيما بين اظهرهم وقوله عزيز عليه ما عنتم قيل شديد عليه ما
اعنتكم اي ما ضيق عليكم وضركم وقال القتبي العنت الضيق وقال بعضهم العنت الاثم اي شديد عليه ما اثمتم
وقال ابو عوسجة هو الى الاثم اقرب وهو يحتمل كل اثم الكفر وغيره حريص عليكم قال بعضهم حريص على من لم
يسلم ان يسلم وحريص عليكم بالهدى والرشد بالمؤمنين رؤف رحيم رحمة الدين والاسلام لا رحمة الطبع قال
الشيخ ابو منصور رحمه الله في قوله بالمؤمنين رؤف رحيم سماه بفعله الفعل الحسن وبرافته ورحمته بذلك
اي استحق ذلك الاسم بفعله وانما سماه بذلك لان عمله كان لله لم يكن عمله لنفسه شيئا وكذلك ماله
واكتسابه فلذلك لم يكن ماله مبذرا ثابتا ورعيه وقوله عز وجل فان تولوا اي اعرضوا عن اجابتك ودعائك
اياهم الى الايمان والتوحيد فقل حسبي الله اي يكفيني الله لا اله الا هو ويحتمل قوله فان تولوا عنك ورد واجابتك
والطاعة لك والانقياد وهموا اي يكيدوك ويمكروا بك فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت اي على ما وعدني
من النصر والظفر توكلت اي اتكلت على وعده ووكلت امري الى الله ويحتمل قوله فان تولوا عن نصرك ومعونتك
على الاعداء فقل حسبي الله في النصر والمعونة على الاعداء ويكفيني عليهم هذا في هذا الموضع اقرب لانه ذكر على
اثر ذكر المنافقين ويحتمل ما ذكرنا من الاعراض عن التوحيد والاجابة له وقوله عز وجل وهو رب العرش العظيم قيل
هو رب الملك العظيم اي كل ملك عند ملكه صغير ليس بملك فان كان العرش هو السرير على ما قاله بعض اهل التاويل
والله اعلم السرير الذي يكرم به الاخيار من الخلائق والابرار منهم وقد ذكرنا فيه فيما تقدم والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر تلك ايات الكتاب الحكيم قد ذكرنا الوجه في الحروف المقطعات في صدر الكتاب
وقوله تلك ايات الكتاب الحكيم قال بعضهم الحكيم هو الله كانه قال الكتاب ايات الله وقال بعضهم الحكيم هو صفة القران
والكتاب يحتمل وجهين يحتمل انه سماه حكيما فعيلا بمعنى انه محكم وجائز تسمية المفعول باسم الفعيل نحو قتيل بمعنى
مقتول وجريح بمعنى مجروح ونحو ذلك فيه الحلال والحرام والامر والنهي او محكم متقن مبرم من الباطل والكذب
والاختلاف وهو ما وصفه تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه الاية والثاني حكيما لما ان من تامل فيه ونظر وفهم

ما اودع فيه وادرج صار حكيما وهو ما وصفه وسماه مجيدا اي من تامله ونظر فيه صار مجيدا شريفا والحكيم
هو المصيب في الحقيقة ان كان صفة القرآن او صفة الله فهو حكيم واضع كل شيء موضعه فان كان صفة للقرآن
فهو كذلك ايضا واضع كل شيء موضعه وقوله آيات يحتمل آيات الكتاب المعروف ويحتمل الحجج والبراهين اي حجج الكتاب
وبراهينه او اعلامه وقد تقدم ذكر الآيات في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل اكان للناس عجبا يحتمل وجهين يحتمل
اي قد عجبوا ان اوحينا الى رجل منهم ويحتمل يعجبون ان اوحينا الى رجل منهم على الاستقبال فكانوا يعجبون من ثلاث
من انزال القرآن على رجل منهم يعجز الخلائق عن اتيان مثله ويعجبون من الوحي الى رجل منهم وارساله رسولا من بين الكل
او من البشر كقوله ابعث الله بشرا رسولا وكقوله انزل عليه الذكر من بيننا وكانوا يعجبون من البعث كقولهم ائذا متنا و
كنا ترابا وعظاما الآية ثم يحتمل قوله الى رجل منهم اي من البشر اي لا يعجبون ان اوحينا الى رجل من البشر فان
الايحاء الى من هو من البشر ابلغ في الحجاج واقطع للعذر واقرب الى الرأفة والرحمة لان البشر يعرفون خروج ما هو خارج
عن طوق البشر ووسعهم ولا يعرفون ذلك من غير جوهرهم وغير جنسهم ويألف كل جنس بجنسه وكل جوهر بجوهره
ولا يألف غير جوهره ولا غير جنسه فاذا كان ما وصفنا كان بعث الرسول من جنس المبعوث وجوهرهم ابلغ في
الحجاج واقطع للعذر واقرب الى الرأفة والرحمة ويحتمل قوله ان اوحينا الى رجل منهم اي من الاميين اي لا يعجبوا ان
اوحينا الى رجل منهم اي امي فان ذلك ابلغ في التعريف والحجاج لانه نشأ بين اظهرهم يعرفونه بدراسة الكتب المتقدمة او تلاوة
شيء منها ولا عرفوه اختلف الى احد منهم في تعليم كتبهم ولا عرف انه كتب شيئا او خط خطا قط ثم اخبر عما في كتبهم على موافقة
ما فيها وكانت كتبهم بغير لسانه ليدل انه انما عرف ذلك بالله فذلك ابلغ في اثبات الرسالة والحجاج والله اعلم وقوله
عز وجل ان انذر الناس قال بعضهم الانذار يكون في كل مكروه مرهوب والبشارة في كل محبوب مرغوب وقال بعضهم
ان انذر الناس يعني الكفار بالنار وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اختلفوا في قوله قدم صدق
عند ربهم قال بعضهم ان لهم الجنة عند ربهم وقيل ان لهم الاعمال الصالحة يقدمون صدق محمد صلى الله عليه وسلم
يشفع عند ربهم وقيل ان لهم الجنة عند زلفهم وقيل ان لهم الاعمال الصالحة قدموها بين ايديهم قدم صدق
اي سلف وعد وعدو عدهم بذلك وكان اصله من التقدم قال ابو عوسجة يقال في الكلام لفلان عندي قدم
صدق ويد صدق اي نعمة قد اسلفها الي وقال القتبي قدم صدق يعني عملا صالحا قدموه وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال سبق لهم السعادة في الذكر الاول من قال قدم صدق هو الشفاعة فالقدم كناية عن الشفاعة والصدق
اي واقعة ومن قال وعد ثواب اعمالهم وعد حق وصدق ويحتمل قدم صدق اي ثبت قدمهم لا يزل على ما وصف
من ثبوت قدم المؤمنين والقرار وزل قدم الكافرين كقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وقوله عز وجل الكافرون ان هذا
لساحر مبين ومن قرأ لسحر يعني هذا القرآن ومن قرأ لساحر بالالف يعني به النبي ثم السحر هو الذي يترائى في الظاهر انه حق وهو
في الحقيقة باطل لا شيء ثم هو يأخذ الابصار ويأخذ العقول فاما الذي يأخذ الابصار هو ما يترائى الشيء على غير
ما هو في الحقيقة والذي يأخذ العقول هو ان يذهب بعقله فيصير مجنونا وقال فرعون لموسى اني لاظنك يا موسى
مسحورا اي مجنونا لكن هؤلاء لم يريدوا بقوله لساحر مبين السحر الذي يأخذ العقول ولكن ارادوا السحر الذي يأخذ
الابصار يقول انه وان كان اخذ الابصار في الظاهر فهو لا شيء في الحقيقة ولكن في قولهم ان هذا لساحر مبين دليل
انهم عجزوا عن رده وعن قوله انه حق ولكن هم ارادوا التمويه على الناس كقول فرعون للسحرة حيث آمنوا به انه
لكبيركم الذي علمكم السحر اراد ان يموه على الناس والله اعلم وقوله عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ان القوم كانوا يعبدون الاصنام والاوثان ويتخذون الاحبار والرهبان اربابا من دون
الله يقول ان ربكم الذي يستحق العبادة والالوهية والالوهية هو الذي خلقكم وخلق السموات والارض لا الذي
تعبدونه وقوله في ستة ايام ثم استوى قد تقدم ذكره في صدر الكتاب وقوله عز وجل يدبر الامر وهو ايضا على
الاول ان الذي يستحق صرف العبادة اليه وتوجيه الشكر اليه هو الذي يدبر الامر في مصالح الخلق في جر المنافع اليهم
ودفع المضار عنهم لا الذين لا يملكون المنافع الى انفسهم او دفع المضار عنهم فضلا ان يملكوا جرها الى من يعبدهم
او دفع المضار عنهم قال بعضهم الله وبل يدبر الامر اي يقضيه والتدبير والقضاء واحد وقال بعضهم يدبر يقدر
وهو ما ذكرنا التدبير والتقدير سواء وقوله عز وجل ما من شفيع الا من بعد اذنه الشفيع هو ذو المنزلة والقدر
عند الذي يشفع اليه لا احد في الشاهد يشفع لآخر الى آخر الا بعد ان يكون الشفيع عند الذي يشفع اليه ذا منزلة وقدر
فاذا كان كذلك فمع ذلك ايضا لا يشفع الا من بعد ما اذن له بالشفاعة لمن جاء بالتوحيد وقوله عز وجل ذلكم الله
ربكم فاعبدوه يقول ذلكم الذي يستحق العبادة هو ربكم الذي خلقكم وخلق السموات والارض ودبر اموركم ولا تعبدوا
الذي لا يملك شيئا من ذلك افلا تذكرون انه هو المستحق للعبادة وهو المستوجب الشكر لا الذين تعبدون انتم او ان يقول
افلا تذكرون ان الذي خلقكم وخلق السموات والارض هو ربكم وهو مدبر امور الخلائق في مصالحهم في دنياهم ودينهم
لا الذي يعبدون من دون الله والله اعلم وقوله عز وجل اليه مرجعكم جميعا اليه مرجع الخلائق كلهم في جميع
الاوقات لكنه خص ذلك اليوم بالمرجع اليه لما ان الخلائق كلهم يعلمون يومئذ انهم راجعون اليه وكذلك قوله
وبرزوا لله جميعا هم بارزون له في الدنيا والآخرة لكنهم يومئذ يعرفون ويقرون بالبروز له وكذلك الملك
يومئذ لله الملك لله في الدنيا والآخرة وفي الاوقات جميعا لكنه خص ذلك اليوم لما لا ينازع في الملك

في ذلك اليوم وفي الدنيا من قد نازع في ملكه هذا والله اعلم وجه التخصيص لذلك اليوم بالملك وان كان الملك
له في الدارين جميعا فعلى ذلك المرجع او سمى البعث رجوعا اليه لما المقصود من النشأة فسماه بذلك لما ذكرنا انه
لو لم يكن المقصود من انشائه اياهم سوى الانشاء والافناء كان خلقه عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم
عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقوله عز وجل وعد الله حقا يحتمل وعد الله حقا البعث الذي ذكر انه يريد الخلق
ثم يعيده ويحتمل وعد الله حقا من الثواب والعقاب في الآخرة الثواب للمحسن منهم والعقاب للمسيء
وقوله انه يبدأ الخلق ثم يعيده اي عرفتم انه هو الذي بدأكم والخلق جميعا وكذلك هو يعيدكم بعد افنائكم اذ بدء
الشيء على غير مثال اشد عندكم من اعادته على مثال كقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه
اي اعادة الشيء اهون عندكم من ابدائه وقوله عز وجل ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط قيل بالعدل
لكن ما يجزيهم انما يجزيهم افضالا واحسانا لا استيجابا واستحقاقا ثم يحتمل قوله بالقسط وجوها احدها
انه يجزي المحسن جزاء الاحسان والمسيء جزاء الاساءة ويفصل بين الولي والعدو في الآخرة في الجزاء ويجعل
للولي علامة واثرا يعرف بها من العدو اذ لم يفصل في الدنيا بين الاولياء والاعداء في الرزق وما بسط اليهم
من النعيم ولا يجعل علامة يعرف بها الولي من العدو وجعل في الآخرة ذلك حتى يعرف هذا فهذا العدل الذي ذكرنا
يشبه ان يكون هو ذلك ويحتمل القسط الوزن اي يجزيهم بالوزن على تعديل النوع لا على العدد اي يجزي بالحسنة
قدرا لا يزيد على ذلك ولكن يجزي الخير خيرا وللحسنة حسنة وللسيئة سيئة ويحتمل قوله ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات بالعدل اي يجزي الذين عملوا بالعدل لم يجوروا فيه ولا جاوزوا الحد الذي حد لهم ولكن
عملوا بالعدل فيه ويشبه ان يكون على تقديم العدل ليجزي الذين آمنوا بالعدل اي لا يعذبهم في النار اذا
آمنوا ثم للذين عملوا الصالحات يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله والله اعلم بالصواب من
ذلك وقوله عز وجل ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط او يجزيهم في الآخرة بما اقسطوا في الدنيا
وعدلوا ويكون القسط على هذا التأويل نعتا لهم وان كان ما ذكر من القسط راجعا الى الله ووصفا له فهو
يخرج على وجوه احدها يجزي فريقا من المؤمنين بالعدل يجزي لاحسانهم جزاءهم لا حسنا ويكفر عن سيئاتهم
وهو كقوله اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا الآية وقوله ان الله لا يغفر الآية والثاني يجزيهم بالفضل
اذ العدل هو وضع الشيء موضعه اي يضع الفضل في اهله لا يضعه في غير اهله ووضع الفضل في اهل الايمان
عدل اذ هم اهل له والله اعلم وهو كقوله ويؤت كل ذي فضل فضله والثالث العدل الذي هو مقابل الاحسان
وهو الفضل لا العدل الذي هو ضد الجور كقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء الآية لا يحتمل ان يقول
لن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء في العدل الذي هو ضد الجور ومثل هذا يستطيعون ان يعدلوا بينهم فعلى
ذلك قوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالعدل الذي هو مقابل الاحسان هو الفضل ذو الفضل درجات
واصله ان جزاء الآخرة كله افضال واحسان وانعام لا استحقاقا واستيجابا وقوله عز وجل والذين كفروا لهم
شراب من حميم قيل الحميم الشراب الذي انتهى حره غايته وقوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ذكر
في الشمس الضياء وفي القمر النور فهو والله اعلم لان الليل مظلم يظهر نور القمر فيه ويغلب على ظلمة الليل ويقهرها
واما النهار فهو مبصر على ما ذكره عز وجل والنهار مبصرا فجعل فيه النور فلو جعل في الشمس النور خاصة
لكان لا يظهر نور الشمس ولا غلب نورها على نور النهار فكانت تذهب المنافع التي جعل فيها للخلق وجعل
عز وجل بلطفه فيها ضياء ليظهر نور النهار ويغلبه ويقهره ليظهر المنافع التي جعل فيها للخلق و
هو ما ذكر انه مد الظل واخبر انه لو شاء لجعله ساكنا ولو كان ساكنا ممتدا على ما جعل بقوله الم تر الى ربك
كيف مد الظل لكان لا يعرف الظل ثم اخبر انه جعل الشمس دليلا عليه ليعرف بها الظل فنسخ الشمس
ذلك الظل الممدود شيئا بعد شيء فصارت الشمس يعرف بها الظل وبها يظهر ذلك الضياء الذي في
الشمس كان به يعرف نورها من نور النهار وبه يوصل الى منافع الشمس ولو كان نورا لكان لا يعرف ولا يظهر
اذ لا يغلب احدهما صاحبه والله اعلم ولا يعرف اثر الشمس من اثر النهار ثم جعل اثر الشمس غالبة على
جميع الآيات لا يبصر النجوم بالنهار اصلا والقمر وان كان يبصر ويرى بحال فان نور الشمس قد يغلبه ويقهره
حتى لا يظهر ابدا وقوله عز وجل وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب يشبه ان يكون التقدير
الذي ذكر لهما جميعا ويعرف الحساب وعدد السنين بهما جميعا وكذلك ذكر في حرف حفصة وقدرهما
منازل وجائز ان يكون جعل الشمس التي يعرف بها اوقات الصلوات والازمنة من الشتاء والصيف لا يعرف
ذلك بالقمر وجعل في القمر معرفة الشهور والسنين وفي الشمس معرفة اوقات الصلوات والازمنة لا يعرف
الشهور والسنون الا بعد جهد وبالقمر لا يعرف اوقات الصلوات والازمنة جعل الله في الشمس منفعتين
منفعة التقلب ومعرفة الازمنة ومنفعة نضج الاشياء ونبعها وفي القمر منفعتين ايضا احدهما معرفة
حساب الايام والشهور والسنين ومنفعة نضج الانزال والاشباه وقوله عز وجل لتعلموا عدد السنين
والحساب ليس ان يعرف هذا بهما ولا يعرف غيره بل يعرف ما ذكروا اشياء كثيرة وقوله عز وجل ما خلق
قال ابو بكر الاصم الكيسان في ما خلق الله ذلك الا بالحق اي ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه دلالة معرفته

وقال قائلون ما خلق الله ذلك الا بالحق اى ما خلق الله ذلك الا وقد جعل فيه الشهادة له على الخلق وهى
شهادة الوحدانية والالوهية وقال بعضهم ما خلق الله ذلك الا بالامر الكائن لا محالة وهو البعث
ويحتمل قوله ما خلق الله ذلك الا بالحق اى بالحكمة لم يخلق ذلك عبثا باطلا وهو كقوله ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما باطلا ولكن بحكمة وقوله عز وجل نفصل الايات لقوم يعلمون قيل نبين ونصرف فيها لقوم
ينتفعون بعلمهم انما ذكر الايات فيما ذكر لقوم يعقلون ولقوم يتفكرون ولقوم يفقهون الايات التى
ينتفعون بها ويعقلون الشىء انما يعقلون بكون الذى ينتفع به لا للذى لا ينتفع به وقوله عز وجل ان
فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لايات لقوم يتقون ان فى اختلاف الليل والنهار ايته
اية البعث ودلالة تدبيرها بعينها اما دلالة البعث ان كل واحد منهما اذا جاء ذهب الاخر وفنى حتى لا يبقى
له الاثر ثم يتجددان ويحدثان على ذلك امرهما ويتلف كل واحد منهما صاحبه حتى لا يبقى له الاثر فمن قدر
على ما ذكرنا قدر على بعثهم وانشائهم بعد الموت بعد ما صاروا ترابا واما دلالة التدبير هو جريانهما وسيرهما
على سنن واحد وتقدير واحد من غير تغيير يقع فيهما او تفاوت او نقصان يقع فيهما او زيادة وان كان احدهما
يدخل فى الاخر دل ما ذكرنا انهما انما يجريان ويختلفان على سنن واحد وجريان واحد ان فيهما تدبير عبر ذاتى
وعلم ازلى وانه واحد اذ لو كان التدبير فيهما لعدد لكانا يختلفان ولا يجريان على قدر واحد من غير تفاوت
ان فيهما تدبيرا ونقصانا او زيادة دل انه واحد وبالله التوفيق وفى ذلك دلالة وحدانية منشيهما وخا
لقهما لاتساقهما وبينهما من البعد ما بينهما وجعل منافع احدهما متصلة بمنافع الاخر على ما بعد ما بينهما
دل ان منشيهما واحد اذ لو كان فعل عدد منع كل فعله عن الوصول بالاخر على ما هو فعل ملوك الارض وقوله
لقوم يتقون مخالفة الله ويتقون جميع الشرور والمساوى وقوله عز وجل ان الذين لا يرجون لقاءنا قال
قائلون لا يرجون لقاءنا من الرجاء اى لا يرجون ما وعد الخالق من الثواب ولا يرغبون فيما يرجى ويطمع من
الرغائب وقال بعضهم لا يرجون لقاءنا اى لا يخافون لقاءنا وما من خوف الا وفيه رجاء وما من رجاء
الا وفيه خوف لان الخوف الذى لا رجاء فيه هو ياس والرجاء الذى لا خوف فيه امن لكن الغالب فى الحسنات
والخيرات الرجاء وفيه خوف والغالب فى السيئات والشرور الخوف وفيه ادنى الرجاء وهو ما ذكرنا فى
الشكر والصبر انهما واحد لان الصبر هو كف النفس عن الشهوات واللهوات والشكر هو استعمالها فى الخيرات
فاذا كفها عن الشهوات استعملها فى الخيرات لذلك قلنا انهما فى الحقيقة واحد لان الشكر هو القبول وكذلك
الصبر ايضا غير ان الشكر فى قبول النعم والصبر فى قبول البلايا والمصائب والله اعلم بصير كانه قال ان الذين
لا يؤمنون بالاخرة وقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها اى اختاروا المقام فيما عملوا بها كانهم
يقيمون فيها ابدا والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون من ردهم الايات
وكفرهم وقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها يحتمل وجهين احدهما سروا بها واثروا ثواب محاسن الدنيا
على ثواب الاخرة والثانى رضاهم بالدنيا والطمانينة فيها منعهم عن التفكر والنظر فى امر الاخرة وقوله عز وجل
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يحتمل وجوها يحتمل يهديهم ربهم بايمانهم فى الدنيا
طريق الجنة فى الاخرة وهو معنى ما ذكر فى القصة ان المؤمن اذا خرج من القبر يصور له عمله فى صورة حسنة
والثانى يهديهم بايمانهم فيصيرون مهتدين بهدايته اياهم ويشبه يهديهم ربهم بايمانهم او يدعوهم
الى الخيرات فى الدنيا بايمانهم والله اعلم فهذا على المعتزلة لانهم يمتنعون عن تسمية صاحب الكبيرة مؤمنا
ومعه ايمان فيلزمهم ان يمتنعوا عما وعد له وان كان معه ايمان فاذ ذكر له الوعد مع هذا لزمهم ان يسموه
مؤمنا لما معه من الايمان وقوله عز وجل تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم يقول اهل التاويل من تحت اهل
الجنة وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل دعويهم فيها سبحانك اللهم قال قائلون قوله دعويهم الايمان اى
يدعون فى الاخرة من الايمان والتوحيد لله والتنزيه له كما ادعوا فى الدنيا وحدانية الله ونزهوه وقوله سبحانك
اللهم هو حرف تنزيه وتبرئة الرب عن الاشباه وجميع الافات التى وصفته المشبهة الملحدة فهذا يدل ان ما خرج
مخرج الدعوى فانه لا يختلف باختلاف الدور وقال عامة اهل التاويل هو من الدعاء لا من الدعوى يقولون
انهم اذا اشتهوا طعاما وتمنوا شيئا فيدعون بقول سبحانك اللهم فيؤتون ما تمنوا واشتهوا ولكن ذكر ان لا
ينقطع اللذات فى الجنة ولو كان ما يقولون لكان فيه انقطاع اللذات والشهوات الا ان يقال انهم يلهمون
شهوات واما نرفيشتهون وقال الله عز وجل ولكم فيها ما تشتهى انفسكم وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما
يشتهون ولا نعلم ما اراد به وقوله سبحانك اللهم يخرج على وجوه احدها يخبر انه ليس على اهل الجنة من العبادة
شىء سوى التوحيد وهو كلمة التوحيد والثانى يقولون ذلك لعظيم ما راوا من النعيم وعجيب ما عاينوا والثالث
شكرا لما اعطاهم من الوان النعيم والاطعمة وقوله عز وجل وتحيتهم فيها سلام قال اهل التاويل ان الملائكة
ياتون من الوان النعيم مما اشتهوا ويسلمون عليهم ويردون السلام على الملائكة فذلك قوله وتحيتهم فيها سلام
فاذا طعموا وفرغوا قالوا عند ذلك الحمد لله رب العالمين وهو قول ابن عباس وغيره من اهل التاويل ويشبه ان يكون
قوله وتحيتهم فيها سلام والسلام الذى لا عيب فيه ولا مطعن اى كلام بعضهم لبعض منزه منقى عن جميع العيوب

والمطاعن

والمطاعن كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا قيلا سلاما سلاما ونحوه وقوله واخر دعويهم ان
الحمد لله رب العالمين قال اهل التاويل يقولون على اثر فراغهم من الطعام والشراب ذلك وقال الحسن ان الله
رضى من عباده بالشكر لما انعم عليهم فى الدنيا والاخرة بالحمد لله رب العالمين ويشبه ان يكون قوله واخر دعوا
هم اى دعواهم فى الاخرة الحمد لله رب العالمين كما كان دعواهم فى الدنيا الحمد لله رب العالمين وقوله عز وجل ولو يعجل
الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم كان الاية على الاضمار كانه قال ولو يعجل الله للناس الشر اذا
استعجلوه كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لقضى اليهم اجلهم لانه ليس يذكر فى ظاهر الاية استعجالهم الشر انما يذكر تعجيله
ولكن فيه ما ذكرنا من الاضمار الاستعجال وهو ما ذكر فى غير اى من القران استعجالهم العذاب كقوله اتى امر الله
الاية وقوله امطر علينا حجارة الاية ونحو ذلك كانوا يستعجلون العذاب استعجال تضرع فيقول لو يعجل لهم العذاب
اذا استعجلوه كما يعجل لهم الخير اذا استعجلوه لقضى اجلهم يقول لهلكوا وفنوا هذا التاويل فى اهل الكفر خاصة
عند استعجالهم العذاب استعجال تضرع وسؤال ويشبه ان يكون هذا فى جملة الخلق على غير تضرع سؤال ولكن عند
ارتكابهم الشر يقول لو يعجل الله للناس الشر باكتسابهم الشر وبارتكابهم اياه وقت اكتسابهم كما يعجل لهم الخير وقت
اكتسابهم الخير لقضى اليهم اجلهم لهم جزاء شرهم وقت اكتسابهم الشر كما يعجل لهم جزاء خيرهم لكان ما يستوجبون
بارتكابهم الشر وقت فعلهم اياه لقضى اليهم اجلهم لكنه لم يعجل له ذلك واخره الى المدة التى جعل لاجالهم ويحتمل
وجها اخر وهو ما يدعو بعضهم على بعض باللعن والخزى يقول الرجل عند شدة الغضب اللهم العن فلانا اللهم اخزه
ونحو ذلك من الدعوات يقول لو يعجل لهم هذا كما يعجل لهم عند دعاء بعضهم لبعض بالرحمة والسعة لقضى اليهم اجلهم
لهلكوا وفنوا ويكون ذلك انقضاء اجلهم يكون هذا على وجوه ثلاثة احدها استعجال سؤال وتضرع الذى
ذكرنا والثانى بافعالهم وارتكابهم الشر وقت ارتكابهم والثالث فى الاسباب التى بها يرتكبون ويفعلون وقوله
لقضى اليهم اجلهم يحتمل لقضى لا يتقدم ولا يتاخر وهو ما ذكر لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قوله عز وجل
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون هو ما ذكرنا ان من حكمته ان لا يعاقب احدا من الكفرة فى الكفر
بصنيعه الذى صنع وقد يعجل لهم جزاء خيراتهم فى الدنيا لما ساق اليهم من انواع النعم ولكن من حكمته ان يؤخر عقوبتهم
الى يوم القيامة فذلك تاويله والله اعلم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون اى نتركهم يترددون
فى اعمالهم وحيرتهم الى الوقت الذى وعدهم العذاب والله اعلم وقوله عز وجل واذا مس الانسان الضر دعانا
لجنبه او قاعدا او قائما قال بعض اهل التاويل جميع ما ذكر فى القران الانسان فالمراد منه الكافر من ذلك قوله
يا ايها الانسان انك كادح وقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم وقوله والعصر ان الانسان لفى خسر
ونحوه لكن هذا لا نعلم انه اراد به الكافر فلئن كان ما ذكروا فان اهل الايمان فى هذا الخطاب اذا كان منهم ما
يكون من الكفرة لان من اهل الايمان من يقبل على الدعاء والتضرع الى الله عند مس الحاجة والشدة فاذا تجلى
ذلك وانكشف عنه ترك الذى كان دعا وذلك التضرع الذى كان يتضرع اليه فيدخل فى ذلك
ثم وقوله دعانا لجنبه او قاعدا او قائما ليس على ارادة حقيقة الجنب والقعود والقيام ولكن دعاء
فى كل حال اى يدعوه لما عرفوا ان الذى كانوا يعبدون من دون الله لا يملكون دفع ما حل بهم من الشدائد والبلايا
اقبلوا على الله بالتضرع والدعاء اليه فى كشف ذلك عنهم ثم اخبر عن سفههم وشدة تعنتهم وعودهم الى الحال
التى كانوا من قبل فقال فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه يقول والله اعلم مر كان لم يدعنا فقد نسينا
فى الرخاء كان لم يعرفنا وان التعدى عن الحد الذى جعل له وهو وضع الاموال والانفس فى الموضع الذى لا ينتفع
بها فى عبادة الاصنام وغيرها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا فان قيل قد اهلك
من لم يظلم ومن لم يظلم فما يعلم من هلك من الظلمة انما اهلكهم لظلمهم او اهلك لصلاح من لم يظلم قيل له اهلك الظلمة
اهلاك استيصال وعقوبة واهلك من لم يظلم لا اهلاك عقوبة واستيصال انما هو اهلاك باجالهم التى
جعل لهم ويحتمل قوله ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات انما اهلك اولئك
لسؤالهم الذى سالوا سؤال تعنت رسلهم الايات فاذا جاءتهم تلك الايات كذبوها فاهلكوا عند ذلك
فانتم يا اهل مكة اذا سالتم رسولكم الاية ثم كذبتموها لعذبكم كما عذب اولئك اذ من حكمه الاهلاك
على اثر السؤال كانه نهى اهل مكة عن سؤال الايات فان على اثره الاهلاك اذا لم يقبلوها وقوله عز وجل وجاءتهم
رسلهم بالبينات يحتمل البينات التى تبين ما يؤتى وما يتقى وقد ذكرناها فى غير موضع وما كانوا ليؤمنوا
يخبر رسوله انهم وان سالوك الايات فاذا جئت بها فانهم لا يؤمنون يعنى اهل مكة كذلك نجزى القوم
المجرمين كل مجرم وقوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم يحتمل قوله خلائف اى جعل
انفسكم خلفا نفس اولئك الذين لم يهلكهم مخرج هذا مخرج تذكر النعمة والامتنان والرحمة يذكرهم انه لو شاء اهلك
الكل فلا يكون هؤلاء خلف اولئك ولكن بفضله ورحمته ابقاكم ويحتمل قوله جعلناكم خلائف اولئك
فى المحنة والعبادة اى جعل عليكم من المحنة والعبادة كما كان على اباكم من المحنة والعبادة ويشبه ان يكون
قوله جعلناكم خلائف الذين لم يظلموا فكيف لا تتبعونهم لان الذين ظلموا قد اهلكهم فانتم خلائف اولئك
الذين لم يظلموا ولم يكذبوا الرسل فكيف لا تتبعونهم كانهم ادعوا ان اباهم كانوا على ما هم عليه وانهم على هذا مذهب اباءهم

يقول جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم أي لست أنا بأول رسول أرسلت إليكم بل لم يزل الله يرسل رسولا
في الأمم فكان فيه لهم اتباع يتبعون رسلهم إلى ما يدعونهم إليه ويجيبونهم فاتبعوني أنتم يا أهل مكة فيما دعوتكم
إليه وقوله عز وجل لننظر كيف تعملون لم يزل الله تعالى عالما بما كان ويكون منهم من المعصية والطاعة ولكن ليعلمهم
عصاة ومطيعين لأن المعصية إنما تكون بعد ما يكون النهي والطاعة إنما تكون بالأمر فيبتليكم فيعلمكم عصاة كما
علم أنه يكون منكم معصية ويعلمكم مطيعين كما علم أنه يكون منكم الطاعة وقد ذكرنا أمثال هذا فيما تقدم والله
أعلم وقوله عز وجل إذا تتلى عليهم آياتنا بينات البينات قد ذكرنا في غير موضع والبينات هي التي تبين أنها آيات نزلت
من عند الله لم يخترعها أحد من الخلق وقد ذكرنا قوله أيضا قال الذين لا يرجون لقاءنا وقوله عز وجل ائت
بقرآن غير هذا أو بدله يشبه أن يكون قولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله ألا ترى أنه قال قل ما يكون لي أن أبدله
من تلقاء نفسي إنما أجابهم في التبديل دل أن السؤال كان سؤال تبديل ولكن كانوا يسألون سؤال الاستهزاء والتكذيب
ثم اختلف أهل التأويل في التبديل الذي سألوا قال بعضهم سألوا أن يبدل ويجعل مكان آية العذاب آية الرحمة
أو يبدل أحكامه ويحتمل قوله ائت بقرآن غير هذا أي بدل أحكامه وأنزل رسمه ويحتمل ما ذكرنا أنهم سألوا أن يتلوا
مكان آية العذاب آية الرحمة ومكان ما فيه سب آلهتهم مدحها ونحو ذلك والله أعلم ونحن لا نعلم ما أراد بالتبديل
تبديل الأحكام وتبديل الرسم والنظم إنما نعلم ذلك بالسماع ثم أخبر أنه لا يقول ولا يتبع إلا ما يوحي الله ويؤمر به
بقوله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى وقوله عز وجل إني أخاف إن عصيت ربي إن تركت
تبليغ ما أمرت بالتبليغ إليكم وهذا كل من عرف ربه خاف أن عصاه خالف أمره ونهيه ومن لم يعرف ربه
لم يخف أن عصاه وخالف وقوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله سؤالهم سؤال تعنت واستهزاء لا استرشاد لأنه لم
لو أتى بغيره وبدله سألوا ما في هذا ولو جاز لهم هذا السؤال لجاز ذلك في كل ما أتى واحدا بعد واحد فذلك
مما لا ينقطع أبدا ولا غاية ولا نهاية فسؤال تعنت واستهزاء وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم ولا أدراكم به موصلة ما تقدم من قوله حيث قالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قد ذكرنا أن هذا يحتمل و
جهين يحتمل أنهم سألوه أن يبدل أحكامه على ترك رسمه ونظمه ويحتمل قوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله أي ارفع
رسمه ونظمه وأحكامه كأنهم ادعوا على رسول الله اختراع هذا القرآن من نفسه واختلاقه من عنده فقال قل
لو شاء الله ما تلوته عليكم تأويله والله أعلم لو شاء الله أن لا يظهر دينه فيكم ولا يلزمه حجة ولا يبعثني إليكم
رسولا ما تلوته عليكم تأويله والله أعلم لو شاء الله ولا أدراكم برأي ولا أعلمكم به ويحتمل قوله ولا أدريكم و
ولا أعلمكم ما فيه من الأحكام أو يقول لو شاء الله لم يوح إلي ولا أمرني بتبليغ ما أوحي إليكم ولا بالدعاء إلى ما أمرني
أن أدعوكم إليه وفي قوله لو شاء الله ما تلوته عليكم فلو لم يشأ أن يتلوه ما تلاه دل أن ما شاء الله كان وما لم
يشأ لم يكن وذلك يرد على المعتزلة فلو لهم شاء الله أن يؤمن الخلائق كلهم لم يؤمنوا والله أعلم وقوله عز وجل فقد
لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون أي فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فلم أدع ما أدعي الحال ولا تلوت ما أتلوا
فلا تعقلون أني لم أخترع هذا من نفسي ولكن وحي أوحي إلي إذ لو كان اختراعا مني لكان ذلك مني فيما مضى من الوقت
وكنت لابسا فيكم فإذا لم يكن مني ذلك أفلا تعقلون أني لم أخترع من نفسي يحتمل هذا الكلام وجوها أحدها
أنهم لما ادعوا عليه الاختراع من عنده قال إني قد لبثت فيكم من قبله أي قبل أن يوحى هذا إلي فلم تروني
خططت بيميني ولا اختلفت إلى أحد في التعلم والدراسة فكيف أخترع من عندي وإنما يتلف لا يلتام ولا يتم
الأسباب متقدم والثاني فقد لبثت عمرا سنين لم تعرفوني ولا رأيتموني كذبت قط فكيف أفتري على الله
واخترع القرآن من عند نفسي ألا ترى أنه قال على أثره فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أي لا أحد أظلم ممن افترى
على الله كذبا والثالث يحتمل قوله فقد لبثت فيكم عمرا من قبله فلم أسمع أحدا ادعى البعث ولا أقام حجة
عليه وأنا قد ادعيت البعث وأقمت على ذلك حجة أفلا تعقلون هذا أني لم أخترع من عند نفسي وقوله فمن
أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته يشبه أن هذا صلة قوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله أي
كيف تطلبون مني إتيان غيره وتبديل أحكامه وقد تعرفون قبح الكذب وفحشه فكيف تسألوني الافتراء
على الله وتكذيب آياته ويحتمل أن يكون صلة ما ادعوا عليه أنه افتراء من عند نفسه يقول إنكم لم تأخذوني
بكذب قط فقد لبثت فيكم عمرا فكيف تنسبوني إلى الكذب على الله وقد عرفتم قبح الكذب على الله وفحشه ويحتمل على
الابتداء ثم قد ذكرنا أن قوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام فجوابه ما قاله أهل التأويل لا أحد أ
ظلم وأفحش ممن افترى على الله كذبا لأن تفسيره ما قالوا وقد ذكرنا هذا في غير موضع أو كذب بآياته الافتراء
على الله تكذيب بآياته والتكذيب بآياته افتراء على الله وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم يحتمل وجهين ما لا يضرهم لو تركوا عبادته ولا ينفعهم إن عبدوه والثاني ما لا يضرهم أي ما لا
يملكون الضر بهم ولا ينفعهم أي ولا يملكون جر النفع إليهم ينفعهم في عبادتهم من لا يملك بهم دفع الضر
ولا يملك جر النفع وتركهم عبادة من به يكون جميع منافعهم وغذائهم ومنه يكون كل خوف وضر والله
أعلم وقوله عز وجل ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله يحتمل هذا القول منهم تقليدا لآبائهم كقولهم
وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ظنوا أن آباءهم لما تركوا ما هم عليه لم يعذبوا أنهم على الحق وأن الله قد رضي

بذلك

بذلك أو قالوا ذلك لما رأوا أنفسهم أهلا لعبادة الله والقيام بخدمته وقد يكون مثل هذا في ملوك الأرض
أن كل أحد لا يرى نفسه يصلح لخدمة الملك فيخدم من دونه المتصلين به رجاء أن يكون من خدمه شفيعا له عند
الملك فعلى ذلك هؤلاء طمعوا أن عبادتهم هؤلاء تقربهم إلى الله زلفى ويكونون لهم شفعاء عند الله والله أعلم
وقوله عز وجل قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض يقول أتنبئون الله بما لا يعلم أي تعلمون
أنه عالم أي تعلمون من يعلمون أنه يعلم ما ذكروا أنتم لا تعلمون ذلك وقد تعلمون أنه لو كان كذلك لكان هو أعلم به
منكم والثاني أن تقولوا ما لا يعلم أي يعلم أنه ليس كما تقولون كقول الناس ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون
أي وما يشاء أن لا يكون وقوله سبحانك كلمة جعلت لإجلال الله عما يحتمله غيره من الأشكال والأضداد
ومن العيوب والآفات وهو في هذا الموضع يتوجه إلى وجهين إذا كانوا يعبدون ما ذكروا ويقولون هم
شفعاؤنا عند الله فيقول سبحانه أن يجعل لأمثال أولئك شفاعة عنده إذ الشفيع أنه يكون من له منزلة
وقدر عند من يشفع والمنزلة تكون للعبد بما يتبعه هم فيقومون بتوقير ما يحتمل وسعهم من العبادة
فأما من لا يحتمل التعبد فهو بعيد عما ذكر سبحانه أي يجعل الشفاعة لمن ذكروا من الأنبياء والرسل وهم
قد أخبر وأنها لا تملك ضرا ولا نفعا وفي الشفاعة ذلك والثاني أن يكون عما أشركوا في العبادة فسبحانه
عن أن يكون معه معبودا وبأن لا أحد يعبد غيره والله أعلم وقوله عز وجل وما كان الناس إلا أمة
واحدة فاختلفوا فيه قال بعضهم قوله ما كان الناس إلا أمة واحدة أي أهل مكة كانوا كلهم أهل شرك
عباد الأوثان والأصنام لم يكن فيهم اليهودية ولا النصرانية ولا شيء من اختلاف المذاهب فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فمنهم من آمن به وصدقه وأخلص دينه لله ومنهم من عاند وكابر في تكذيبه
بعد أن عرف أنه رسول الله ومنهم من شك فيه ومنهم من لم ينظر في أمره قط ولا تفكر فيه فصاروا أربع
فرق وقال بعضهم ما كان الناس إلا أمة واحدة بالفطرة أي كانوا جميعا على الفطرة وفي فطرة كل لشهادة
على وحدانية الله تعالى وألوهيته كقوله وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وقوله فطرة الله التي
فطر الناس عليها خلقة كل أحد لشهادة الله بالوحدانية له والألوهية فاختلفوا فمنهم من كان على تلك الفطرة
ومنهم من كذب واختار الكفر وهو ما روي كل مولود يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهودانه وينصرانه أخبر
أنهم على الفطرة لو تركوا على ذلك لكن أبويه يمنعانه عن الكون عليها وقيل ما كان الناس إلا أمة واحدة أي كان
الخلائق جملة أمم كقوله وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم كأنه يعاتب هذه
الأمة يقول إن الأمم مع اختلاف جواهرها وأجناسها كانوا خاضعين لله مخلصين له فأنتم أيها الناس منه من
تلك الأمم فكيف اختلفتم وأشركتم غيره في ألوهيته وربوبيته مع ما ركب فيكم من العقول والتمييز بين ما
هو حكمة وما هو سفه وقد فضلكم على غيرها من الأمم في خلق ما خلق في السموات وما في الأرض لكم وسخر لكم
ذلك كله ما لم يفعل ذلك بغيرها من الأمم ومنهم من قال من أهل التأويل في قوله ما كان الناس إلا أمة
واحدة رهط نوح ومن دخل معه في السفينة كانوا على دين واحد فاختلفوا بعد ما خرجوا ومنهم
من قال آدم فاختلف أولاده ومنهم من قال إبراهيم لكنا نشهد كيف كان الأمر فلا نعلم إلا بخبر عن الله تعالى
وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون قيل لولا أن من حكمه أن لا يعذب هذه
الأمة عند تكذيبهم الآيات إذا سألوها كما أهلك الأمم الخالية بتكذيبهم الآيات عند السؤال ولكن أخر تعذيب
هذه الأمة إلى يوم القيامة والثاني سبقت من ربك أن لا يستأصل هذه عند تكذيب الرسل وإنما دل لهم أحد
التأويلين في ترك استئصالهم والآخر في تأخير العذاب إلى وقت وقوله لقضي بينهم ببيان يضطرهم
إلى القبول وقوله عز وجل ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله جوابه والله أعلم ما ذكر لولا
كلمة سبقت من ربك أن لا يعذب هذه الأمة بتكذيب الآيات عند سؤالها وإلا لعذبتم أنتم كما عذبت الأمم
الخالية بتكذيبهم الآيات عند السؤال وقوله عز وجل فقل إنما الغيب لله أي إنكم تعلمون أن علم الغيب
لله وقد أنزل من الآيات ما يبين ويدل على رسالتي وقوله فانتظروا إني معكم من المنتظرين وقيل انتظروا هلاكي
إني منتظر هلاككم لأنهم كانوا يوعدون بالهلاك وقيل انتظروا مواعيد الشيطان إني منتظر مواعيد الله
وهو حرف وعيد والله أعلم وقوله عز وجل وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا
قال أهل التأويل إذا أذقنا الناس يعني أهل مكة إذا أصابهم سعة وفرح ونجاة مما يخافون عادوا إلى ما كانوا
من التكذيب وعبادة الأصنام ولكن أهل مكة وغيرهم أنهم إذا أيسوا مما يعبدون من الأصنام والأوثان
فزعوا إلى الله ويخلصون له الدين كقوله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله وإذا
مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما الآية وقوله وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه الآية وغير
ذلك من الآيات مما يكثر عددها كانت عادتهم الفزع إلى الله عند إصابتهم الشدائد والبلاء بعلمهم أن الأصنام
التي كانوا يعبدونها لا يدفعون عنهم ذلك وقوله عز وجل إذا لهم مكر في آياتنا المكر في الآيات تكذيبها
وردها فيشبه أن يكون الآية ههنا محمدا كان هو آية الله إلى آخره أي مكروا به لما هموا بقتله غير مرة كقوله
وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية ويحتمل سائر الآيات ويجيء مكروا فيها أي كذبوها وردوها قل الله أسرع مكرا

المكر الا خذ من غيران يعلم موبر يقول الله اسرع اخذا باخذكم وانتم لا تعلمون به ولا تقدرون ان تاخذوا رسول الله ويمكروا به الا وهو يعلم بذلك وهو اسرع اخذا منكم ان رسلنا يكتبون ما تمكرون فيهم الحفظة ويحتمل قوله قل الله اسرع مكرا اى اسرع الجزاء المكر منكم او اسرع اخذا من حيث لا تعلمون انتم وقال بعض اهل اللغة المكر بالآيات هو الرد والجحود لها وقال بعضهم استهزاء بها فهو واحد والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذى يسيركم فى البر والبحر اختلف فيه قال بعضهم قوله وهو الذى يسيركم اى هو الذى سخر لكم ما تسيرون فى البر والبحر وهو الدواب والسفن التى يقطع بها البرارى والبحار وهو كقوله لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقول سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقيل هو الذى يسيركم فى البر والبحر اى سخر لكم البر والبحر وهو مكانا لخوف والهلاك اى حفظكم فيها حتى قضيتم فيهما حوائجكم وليس فى وسع الخلق حفظ البرارى والبحار مما فيهما من الاهوال فتولى الله بفضله حفظ السائرين فيهما حتى قضوا فيهما حوائجهم وهو كقوله وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجون منه حلية تلبسونها الى اخر ما ذكر انواع المنافع فلولا ان الله سخر لهم ذلك وحفظهم فيه والا لم يكن فى وسعه القيام بذلك وحفظ انفسهم فيه من الاهوال التى فيه يذكرهم نعمه ومننه التى انعمها اليوجهوا شكر نعمه اليه ثم قوله يسيركم فى البر والبحر يحتمل يخلق ويشى سيركم فى البر والبحر وهو كقوله وقدرنا فيها السير والليالى الايام والتقدير هو التخليق والمقدر المخلوق ففيه دلالة خلق افعال الخلق لان السير هو فعل الخلق اضافه الى نفسه دل انه منشئ فعلهم والله اعلم ويشبه ان يكون قوله يسيركم فى البر والبحر لم يرد به البر والبحر نفسه ولكنه اراد تذكير نعمه عليهم فى كل حال وكل وقت ليشكروا له فى كل حال وهو كقوله ظهر الفساد فى البر والبحر لم يرد به البر والبحر انفسهما ولكن اراد المكان الذى فيه المياه والمكان الذى لا مياه فيه اى ظهر الفساد فى الاماكن كلها فعلى ذلك الاول يذكرهم نعمه التى انعمها عليهم فى الاماكن كلها والاحوال جميعا والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا كنتم فى الفلك اى ركبتم الفلك وجرين بهم بريح طيبة اى تجرى بهم السفن بريح طيبة يخبران السفن ليست تجرى فى البحار بجريان الماء لان ماها راكد فى الظاهر لكن الريح هى التى تجريها وتسيرها وكذلك الامواج التى تكون فيها ليست لشدة جريان الماء ولكن ولكن الريح هى التى تهيج الامواج وترفعها لا نفس الماء وفرحوا بها قيل فرحوا بها سروا بها ويحتمل فى حوابها اى بطروا بها واشروا وقوله عز وجل جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان اخبران الريح اما هى طيبة هى تجرى بها السفن ومنها ما هى عاصفة قاصفة تكسر وتفرق السفن وتهلك اهلها ليعلم ان لو شاء تصلح مرة وتفسد تارة لا لنفسها ولكن لحفظ الحدود فيها وكذلك النار تحرق تارة وتفسد ومرة تصلح وذلك لحفظ فيها وكذلك الماء مرة يصلح ومرة يفسد وذلك اذا حفظ فى الحد اصلح وان لم يحفظ افسد والا لا يحتمل الشئ الواحد لنفسه يصلح مرة ويفسد تارة ولكن لحفظ الحدود فيه والله اعلم وقوله عز وجل وظنوا انهم احيط بهم قيل ايقنوا انهم مهلكون ولكن الايقان بالشئ الذى يصيبه فى حادث الاوقات انما يكون بالخبر لانه لا يدرى لعل الله يصرف ذلك عنهم فلا يقع به الايقان ولكن جعل غالب الظن فيه فى كثير من الاشياء كالايقان به الا ترى ان الله اباح الميتة فى حال الغرق لغالب الظن اذ قد يجوز ان لا يهلك بذلك وكذا ما ابيح للمكره بالقتل ان يجرى كلمة الكفر على لسانه لغالب الظن والدليس يعلم بالاحاطة انه يقتله لا محالة لكن جعل لغالب الظن فى بعض المواضع حكم اليقين والاحاطة فعلى ذلك قولهم ايقنوا انهم احيط بهم لغالب الظن به وقوله عز وجل دعوا الله مخلصين له الدين انهم لما ايسوا عن الاصنام التى عبدوها فى دفع ما حل بهم عنهم فزعوا الى الله واخلصوا الدعاء له وقالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ثم اخبر عن سفههم بعودهم الى ما كانوا من قبل فلما انجيهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق وهكذا كانت عادتهم كانوا يفزعون الى الله عند خوف الهلاك والاكبر عن الهتهم التى عبدوها ويخلصون الدعاء فاذا اكشف ذلك الكرب عنهم ودفع عادوا الى ما كانوا من قبل والبغى فى الارض هو الفساد فيها وقوله عز وجل انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا يحتمل قوله على انفسكم اى بعضكم على بعضهم على بعضهم ويحتمل على انفسكم اى حاصل بغيكم يرجع على انفسكم والبغى هو الظلم فان كان التاويل من قوله انما بغيكم على انفسكم اى حاصل بغيكم يرجع الى انفسكم فى العاقبة فيكون الوعيد لهم فى ذلك بعينه وان كان التاويل انفسكم بعضكم على بعض فيكون الوعيد فى قوله ثم الينا مرجعكم وقوله عز وجل ثم الينا مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون هذا قد ذكرنا وهو حرف وعيد والله اعلم وقوله عز وجل انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية فضرب مثل الحيوة بالزرع الذى ابو ذكر جوه قال بعضهم قوله انما مثل الحيوة الدنيا فى سرعة فنائها وانقطاعها ووجبة زوالها مثل ذلك الزرع الذى ذكر فى سرعة هلاكه وانقطاعه وزواله عن صاحبه او ان يقال انما مثل الحيوة الدنيا فيما يسر ويبهج مثل صاحب الزرع الذى ذكر فيما سريع وابهج ثم كان ما ذكر كان لم تغن بالامس وقال بعضهم انما مثل الحيوة الدنيا للحيوة الدنيا فيما ينفقون فيها مثل صاحب الزرع الذى ذكر ينفق عليه لما يعمل بامل من المنافع ويطمع منه ثم كان ولو علم فى الابتداء ان امر زرعه يئول ويصير الى ما صار لكان لا ينفق فعلى ذلك صاحب الحيوة الدنيا لو علم ان عاقبته امر نفقته تصير حسرة عليه وندامة ما انفق كما ان صاحب الزرع الذى ذكر لو علم ان عاقبته كما كان ما انفق عليه ولو علم انه لا ينتفع بما انفق تلك النفقة اى لو علم ان سروره وابتهاجه به لا يبقى ولا يدوم الى اخر ما تكلف ذلك او لو علم انها تزول عنه وتنقطع عن تلك السرعة ما انفق ذلك وما تكلف ويحتمل ضرب مثل الحيوة الدنيا بما ذكر من النبات

وجهين

وجهين احدهما يخبر عن سرعة زوالها وانقطاعها كالنبات الذى يتغير فى مدة ووقت وقوله عز وجل اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وحسنت فانبتت من الوان النبات وقال ابو عوسجة زخرفها زينتها من النبات وحصيدا اى محصودا كما يحصد الحصاد الزرع كان لم تغن بالامس اى لم تعش والمغانى هو المواضع التى يعيش فيها الناس قال وواحد المغانى مغنى وقال القتبى واصل الزخرف الذهب يقال للنقش والذهبة وكل شئ زين زخرف وقال كان لم تغن بالامس والمغانى المنازل واحدها مغنى وقال بعضهم كان لم تغن بالامس اى لم تنعم وقيل لم تقم وقال بعضهم هو من الغنى اى كان لم تكن غنيا بالامس والله اعلم وقوله عز وجل وظن اهلها انهم قادرون عليها اى ظن اهل الدنيا فيما ينفقون انهم قادرون على تلك النفقة كصاحب الزرع انه قادر على ذلك الزرع وقوله اتاها امرنا قيل عذابنا يسمى امر الله امره اتاه وفيه انه لم ياته عن غفلة وسهو ولكن عن علم وامر عظة لهم وتنبيها الا ترى انه قال كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون كان الايات فى هذا الموضع المواعظ اى فيما ذكر من ضرب مثل الحيوة الدنيا بالنبات والزرع الذى ذكر عظة وتنبيه لمن تفكر فيه والله اعلم وقوله عز وجل والله يدعو الى دار السلام اختلف فيه قيل الجنة والسلام الله اضافها الى نفسه كقوله ان المساجد لله فاضاف الجنة الى السلام ان كان دار السلام هى الجنة فهو والله اعلم لان المساجد هى امكنة يقام فيها القرب والجنة هى مكان اللذة وقضاء الشهوة فاضافها الى السلام اهلها عن جميع الافات والمساجد خصت بالاضافة الى الله لانها امكنة يقام فيها القرب وقال بعضهم دار السلام الاسلام ثم يحتمل كل واحد من التاويلين وجهين بما سمى الاسلام دار السلام والجنة كذلك سمى الاسلام دار السلام لانه يامن ويسلم كل من دخل فيه من جميع الاهوال والافات التى تكون والثانى سمى الاسلام دار السلام اضافه الى نفسه كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام الاية اخبر انه على نور من ربه فعلى ذلك اضاف الاسلام اليه ومن قال دار السلام الجنة سمى دار السلام لان كل من دخل الجنة سلم وامن من الاهوال كلها والافات جميعا والثانى دار الجنة والسلام الله اضاف اليه لانها دار اوليائه وقد يضاف الى الله على ارادة اوليائه والله اعلم وذكر فى بعض الاخبار عن ابى قلابة ان النبى عليه الصلوة والسلام قال قيل لى انت سيد ولتعقل قلبك ولتسمع اذنك فنامت عينى وعقل قلبى وسمعت اذنى ثم قيل لى سيد بنى دارا وجعل مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار واكل من المائدة ورضى عنه السيد ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم ياكل من المائدة ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار الاسلام والمائدة الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم ان ثبت هذا الخبر ففيه ان الدار الاسلام على ما قاله بعض اهل التاويل وفى خبر اخر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال رأيت فى المنام وكان جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى فقال احدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من اجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وانت يا محمد الرسول من اجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل ومن دخل الجنة اكل ما فيها يدل ايضا ان ثبت ان الدار التى ذكر فى الاية هو الاسلام والله اعلم وقوله عز وجل والله يدعو الى دار السلام الاية ذكر الاستثناء فى الهداية ولم يذكر فى الدعاء ليعلم انه لا كل من يدعو الى دار السلام يهديه وانما يهدى من يعلم منه انه يختار الهدى ودل ذلك على القدرية ثم الهدى على وجوه ثلاثة احدها الدعاء كقوله ولكل قوم هاد والثانى هو البيان كقوله هدى ورحمة يعنى القران والثالث التوفيق والعصمة اذا وفق اهتدى والهدى ههنا التوفيق وقوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة اختلف فيه قال بعضهم للذين احسنوا فى الدنيا لهم الحسنى فى الاخرة جزاء ذلك الاحسان وهى الجنة سمى الجنة الحسنى لانها جزاء الاحسان كما سمى النار السوآى كقوله اساءوا السوءى اى لانها جزاء السوء كقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان وزيادة قيل المحبة فى قلوب العباد يحبه كل محسن وهيبة له فى قلوب الناس يهابه كل احد على غير سلطان له ولا يد وقال قائلون قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة اى مثل تلك الحسنة وزيادة التضعيف حتى تكون عشرا او سبعمائة وما شاء الله يدل على ذلك قوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وقال قائلون قوله الزيادة الرؤية رؤية الرب والنظر كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال قائلون الزيادة قبول حسناتهم سماها من الخلط بالسيئات يقبل حسناته بفضله وان كانت تشوبها السيئات ورضاه منه وذلك طريقة الفضل والاحسان اذ قد سبق من النعم ما لا يقدر القيام على وفاء نعمة منها طول عمره وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب فلا ندرى ما الزيادة التى ذكرها عز وجل فى الاية الا بالخبر عن الله وقال قائلون الحسنى ما تقدره العقول وتدركها وتصورها الاوهام واما الزيادة فهى التى لا تقدرها العقول ولا تدركها ولا تصورها الاوهام كقوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله عز وجل ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة قيل لا يغشى وجوههم النار والوهج على ما وصف وجوه اهل النار وهو قوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة ولكن على ما وصف وجوه اهل الجنة بقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وذلك والله اعلم

اثار احسانهم التي احسنوا في الدنيا ولما لم يروا النعم التي كانت لهم من سواه ولم يصرفوا شكرها الى غيره والغبرة والقترة
التي ذكر لاهل النار هي اثار السيئات التي عملوها في الدنيا من عبادتهم دون الله وصرفهم شكر النعم الى غيره ونحو ذلك من صنيعهم
الذي صنعوا في الدنيا والله اعلم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وقوله والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها جزاء سيئة بما توجبه الحكمة ان يجزى بمثلها واما جزاء الاحسان والخير طريق وجوبه الافضال والاحسان
ليس طريق وجوبه الحكمة اذ سبق من الله الى كل احد من النعم ما ليس في وسعه القيام بكفائه واداء شكرها عمره وان
طال واجتهد كل جهده فضلا ان يستوجب قبله جزاء ما كان منه من الخيرات وقوله وترهقهم ذلة هو ما ذكر من
اثار السيئات التي عملوها في الدنيا ذلة وهوانا لهم ما لهم من الله من عاصم وذلك انهم والله اعلم كانوا يعبدون
الاصنام رجاء ان يكونوا لهم شفعاء عند الله فاخبر ان ليس لهم من عذاب الله مانع يمنع ذلك عنهم كقولهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله وقوله عز وجل كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل واعطيت قطعا شغلا وتحقيقا قطعا قيل القطع
بالتثقيل هو جميع القطعة والقطع بالتخفيف جزء من الليل يقال سرينا بقطع من الليل اي بجزء من الليل وقوله واسر باهلك
بقطع من الليل اي بجزء منه والله اعلم ثم شبه وجوههم بظلمة الليل ولم يشبه بسواد الوجوه على ما يكون من سواد الوجوه
في الدنيا فذلك والله اعلم ان سواد الوجوه على ما يكون في الدنيا لا يبلغ من القبح غايته اذ قد يرغب من كان جنسه ونوعه
في ذلك ويحسن ذلك عنده فاذا كانت الرغبة فقد تقع لبعضهم في بعض لم يبلغ في القبح غايته واما ظلمة الليل فان الطباع تنفر عنها
ولا تقع الرغبة فيها بحال لذلك شبه وجوه اهل النار بها والله اعلم ويوم نحشرهم جميعا قال اهل التاويل يعني العابد
والمعبود الذين عبدوا دونه ولكن نحشر الخلائق جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم وقوله عز وجل
مكانكم انتم وشركاؤكم هذا الحرف هو حرف وعيد يقال مكانك انت كذا وان كان هذا الحرف يجوز ان يستعمل في الكرامات
لبعضهم بعضا ولكنا لما نعرف ذا من ذا بالمقدمات فما تقدم ههنا يدل انه لم يرد به الكرامة ولكن اراد به
الوعيد والله اعلم وقوله عز وجل فزيلنا بينهم قيل فرقنا بينهم اي بين العابد والمعبود ثم يحتمل التفريق بينهم وجوها
فرقنا بينهم في الحساب بما عمل وبما صحب والثاني يحتمل فرقنا بينهم لما طمعوا بعبادتهم اياها الشفاعة ان يكونوا لهم شفعاء
عند الله ففرق بينهم في الشفاعة ويحتمل فرقنا بينهم فيما ضل عنهم ما كانوا يفترون فصار ما عبدوا ترابا وهم في النار
وقوله عز وجل وقال شركاؤهم سماهم شركاءهم وان لم يكونوا شركاء في الحقيقة لما عندهم انهم شركاء كما سمى الاصنام الهة
لما عندهم الهة والثاني شركاؤهم لما اشركوها في العبادة فهم شركاؤهم والله اعلم وقوله وقال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون ينطق الله عز وجل هذه الاصنام يوم القيمة وان لم يكن في خلقتها النطق في الدنيا كقوله يومئذ تحدث
اخبارها وقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية انطقهم ليشهدوا عليهم ما كنتم ايانا تعبدون
يحتمل الملائكة ان يكونوا عليهم الذين انكروا لانه زعم منهم من يعبد الملائكة انكروا ان يكونوا يعبدونهم لان العبادة لا
تكون انما تكون عبادة اذا كان من المعبود امر بها وكانت عبادتهم الاصنام عبادة الشيطان لانه هو الآمر لهم
بالعبادة للاصنام كقوله يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنه لما كان الآمر لهم
بالعبادة بالاصنام صاروا كانهم عبدوه وان لم يقصدوه بها ويحتمل ما ذكر من الانكار من الاصنام
وقوله عز وجل فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم اي كفى الله القاضي والحاكم بيننا وبينكم انا لم نامركم بعبادتنا وهو العالم
بانا كنا عن عبادتكم ايانا غافلين وقوله عز وجل هنالك تبلو كل نفس قيل عند ذلك وقيل يومئذ اي يوم القيمة وقوله
تبلو وتتلو بالباء وبالتاء وقيل تقرأ في الصحف ما كتب من اعمالهم وتبلو بالباء من الابتلاء يقال بلوته وابتليته واحد
وخبرته واختبرته ايضا وقيل تبلو تجد وتعلم كل نفس ما قدمت من الاعمال والله اعلم وقوله عز وجل وردوا الى الله
مولاهم الحق قيل ملكهم الحق لان غيره من الالهة التي عبدوها قد بطل عنهم وضل في الاخرة ويحتمل وردوا الى الله
مولاهم الحق اي حق ما تجد كل نفس ما قدمت من اعمالها وحق ان تقرأ كل نفس ما عملت وضل عنهم ما كانوا من العبادة
للاصنام وقول الكفر وردوا الى الله مولاهم الحق يحتمل الوجهين اي ردوا الى ما اعد لهم مولاهم الحق والثاني ردوا الى امر
مولاهم الحق لا الى امر الاصنام التي كانوا يعبدونها وقوله عز وجل قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع و
الابصار الاية يحاجهم يعني اهل مكة في التوحيد لانها مكية وقوله عز وجل قل من يرزقكم من السماء والارض
اي من يدبر الرزق في السماء ومن يدبر في الارض يحتمل وجهين احدهما من ينزل لكم الرزق من السماء ومن يستخرج لكم
الرزق والثاني من يرزقكم من السماء والارض اي من يدبر الرزق في السماء ومن يدبر الرزق في الارض ولا احد
يملك استنزال الرزق من السماء واستخراج الرزق من الارض وكذلك لا احد يملك تدبيره في السماء والارض سواه
ولا احد يملك انشاء السمع والبصر لا احد ايضا يملك اخراج الميت من الحي ولا تدبير الامر يعرفون حقيقة ماهية
السمع والبصر ولا يكيفونهما فكيف يملكون انشاء السمع والبصر ونصبهما ولا يملكون احد سواه اصلاح ما ذكر
اذا فسد ذلك فاقروا انه لا يملك احد سوى الله ذلك وهو قولهم فسيقولون الله فقل افلا تتقون بوائقه ونقمته
او يقولوا افلا تتقون عبادة غيره دونه واشراك غيره في الوهيته وربوبيته او يقولون افلا تتقون صرف
شكره الى غيره وقد اقررتم انه هو المنعم عليكم هذه لا من تعبدونه من دونه او يقول والله اعلم اذا عرفتم ما ذكرنا
فلا تتقون مخالفته وعصيانه فانهم اقروا ان الذي يملك تدبير ما بين السماء والارض وهو الذي له ملك السموات
والارض عرفوا الذي يستحق العبادة والقيام بشكره فاذا امتنعوا ذلك جمعهم عليه اسم الضلال فذلك

قوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقوله تعالى فذلكم الله ربكم اي ذلكم الذي ذكر ربكم بالحجج والبراهين فماذا بعد
الحق الذي هو حق بالحجج والبراهين الا الضلال لان ما لا حجة له ولا برهان فهو الضلال وقوله عز وجل فانى تصرفون
من عبادته الى عبادة غيره او فانى تصرفون عن شكر المنعم الى غير شكر المنعم او يقول فانى تعدلون من لا يملك
ما ذكر بمن يملك والله اعلم وقوله عز وجل كذلك حقت كلمة ربك حقت وجبت وقيل لذلك حقت كلمة ربك
على الذين فسقوا بالفسق انهم لا يؤمنون اي لا ينتفعون بايمانهم بعد ذلك وقوله كلمة ربك يحتمل وجهين
يحتمل كلمة ربك حجج ربك وبراهينه على الذين فسقوا وقوله عز وجل قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم
يعيده قال عامة اهل التاويل ثم يعيده البعث بعد الموت اي لا احد من شركائكم الذين تعبدون يملك بدء
الخلق ولا بعثه وقال بعضهم قوله ثم يعيده لا يحتمل البعث لانهم كانوا لا يقرون بالبعث فلا يحتمل
الاحتجاج عليهم بذلك ولكن قوله ثم يعيده ما سوى البشر لانهم انما ينكرون اعادة البشر فاما اعادة غير
من الاشياء لا ينكرون نحو اعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات ونحو الاشياء التي يشاهدونها اي
ثم يعيد مثله الليل ليلا مثله والنهار نهارا مثله وكذلك الخلائق تفنى ثم يعيد مثله فاذا ثبت في غير
البشر ثبت في البشر ويحتمل الامرين جميعا عندنا البعث واشياء مثله لانه يقلبهم منه لهم الا ترى انه قال
الله يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قيل تكذبون بتوحيد الله وقد عرفتم انه هو بدأ الخلق ثم يعيده لا
احد يملك ذلك الا ترى انه احتج عليهم ما يلزمهم ذلك بقوله كيف تكفرون بالله الاية وقوله عز وجل قل
هل من شركائكم من يهدي الى الحق يحتمل قوله يهدي الى الحق يدعو الى الحق فاذا كان هؤلاء الاصنام التي تعبدونها
كيف لا يملكون الدعاء الى شيء فلا يملكون الضر والنفع ومن الخلائق من لا يملك النفع والضر ويملك الدعاء الى
خير والى نفع فهؤلاء دون الخلائق جميعا اذ لا يملكون الدعاء فكيف يملكون الضر والنفع يبين عز وجل سفههم
بعبادتهم هؤلاء الاصنام لعلمهم انهم لا يملكون نفعا ولا ضرا ويحتمل قوله من يهدي الى الحق اي يبين ويقيم
الدلائل والبراهين على استحقاق العبادة لهم فاذا لم يملكوا الدعاء الى العبادة لهم فكيف يملكون نصب
الدلائل والحجج على استحقاق العبادة قل الله يهدي للحق اخبر ان الله هو الذي يهدي للحق ثم يحتمل الوجهين
الذين ذكرنا هو يملك الدعاء الى الحق ونصب الدلائل والحجج على ما دعاه اليه وهو يستحق العبادة له والربوبية
افمن يهدي الى الحق الذي يبين البراهين والحجج احق ان يتبع امن لا يهدي اي لا يدعو الا ان يهدى فان قيل ما معنى
الاستثناء وهو وان هدي لا يهتدي قيل يشبه ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ما كنتم ايانا تعبدون ينطقهم
الله عز وجل يوم القيمة فيشهدون عليهم انهم لم يامروهم بالعبادة لهم ولا دعوهم لاشراكهم في العبادة فكان
قوله الا ان يهدى الا ان يجعلهم الله بحيث يهتدون اذا هدوا ويجيبون اذا دعوا فما لكم كيف تحكمون بالجور
وصرف العبادة والشكر الى من لا يملك ما ذكر وقوله عز وجل امن لا يهدي الا ان يهدى قال بعضهم الاوثان
يهدي لا يحتمل الصنم والوثن الاهتداء وان هدي ولكن المراد منه الانسان وقال بعضهم الا ان يهدى
الا ان يحمل الصنم ويوضع فاما ان يهتدي هو بنفسه فلا ولكن يحتمل ما ذكرنا اذا اصنع بحيث يتكلم ومن جنس
ما ينطق واذن له في النطق احتمل الاجابة والاهتداء والله اعلم وقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا قال
بعضهم هذا في الائمة والرؤساء منهم حيث عبدوا الاصنام والاوثان وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك من القول يقول ما يتبع اكثرهم في عبادتهم بانهم يكونون
لهم شفعاء عند الله الا ظنا ظنوه وقال بعضهم هذا في الاتباع والعوام ليس في الائمة وذلك ان الائمة
قد عرفوا البراهين والحجج التي قامت عليهم والايات التي جاء بها رسول الله لكن ما قالوا ان هذا الا سحر مبين
وما هذا الا افك مفترى وان هذا الا اختلاق ونحو ذلك من الكلام ارادوا ان يلبسوا على العوام ويشبهوا عليهم
فاتبع العوام الائمة فيما قالوا انه كذا وصدقوهم يقول وما يتبع اكثرهم الائمة في ذلك الا ظنا ظنوه ويشبه
ان يكون قوله وما يتبع اكثرهم يعني اهل مكة اهل الاوائل والاسلاف في عبادة الاصنام والاوثان الا ظنا
لانهم عبدوا الاصنام ويقولون انا وجدنا اباءنا على امة الاية وابائنا كذلك يفعلون ثم اخبر ان الظن
الظن لا يغني من الحق شيئا اي الظن لا يدرك به الحق باليقين ان الله عليم بما يفعلون وهو حرف وعيد
ليكونوا ابدا على حذر وقوله عز وجل وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله قال بعضهم هو صلة قوله
قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله فيقول وما كان هذا القران ان يفترى من دون
الله كقوله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي وقال بعضهم ان كفار قريش
قالوا ان محمدا افترى هذا القران من عند نفسه ويقول من نفسه فقال ما كان هذا القران يفترى من دون
الله ان يضاف الى غيره او يختلق ولكن تصديق الذي بين يديه اي يصدق هذا القران الكتب التي كانت من قبل
ولو كان محمد هو الذي افتراه واختلقه من عند نفسه لكان يخرج هو وسائر الكتب المقدمة مختلفا اذ لم
يعرف محمد سائر الكتب المتقدمة اذ كانت بغير لسانه ولم يكن له اختلاف الى من يعرفها ليتعلم ثم خرج هو اعني
القران مصدقا وموافقا للكتب دل انه من عند الله جاء كقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
الاية وقوله عز وجل وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله يخرج على وجهين احدهما ما كان هذا القران

بالذي يحتمل الافتراء من دون الله لخروجه عن طوق البشر ووسعهم فذلك بالذي يحيله كونه معجزا بجوهره والثاني
لما اودع فيه الحكمة والصدق يدل على كونه من عند الله اذ كلام غيره يحتمل السفه والكذب ويحتمل الاختلاف
وتفصيل الكتاب لا ريب فيه قيل فيه بيان الكتب التي نزلت قبله وتمامه ان هذا واذا كان في اللفظ
مختلفا فهو في الحكمة والصدق مبين موافق للاول وقيل وتفصيل الكتاب اي تفصيل ما كتب لهم وما عليهم
او ان يقال الى الله تفصيل الكتب ليس الى غيره لا ريب فيه انه من عند رب العالمين ويقول مفصل من اللوح
المحفوظ وقوله عز وجل ام يقولون افتريه قل فاتوا بسورة مثله يقول ان كان محمد افتراه من عند نفسه
فاتوا انتم بمثله اذ لسانه ولسانكم واحد فانتم قد عرفتم بالفرية والكذب ومحمد لم يعرف به قط ولا اخذ
عليه بكذب قط فانتم اولى ان تاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دونه ان كنتم صادقين اختلف فيه
قال بعضهم ادعوا بالهتكم التي تعبدون لتعينوكم على اتيان مثله وقال بعضهم ادعوا من استطعتم اي من لسانه
من مثل لسانكم يعينوكم على ذلك او يقول استعينوا برؤساء الكتبة يعينوكم على مثله ان كنتم صادقين ان محمدا
افتراه من نفسه فدل تركهم اشتغالهم بذلك على انهم قد عرفوا انه ليس بمفتر وانه سماوي وقوله عز وجل بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه قال بعضهم ما لم يحفظوا النظر ولا لفظه ولا نظروا فيه ولا تدبروا ليعلموا معناه بل كذبوه
بالبديهة والشيء انما يعرف كذبه وصدقه بالنظر فيه والتفكر والتدبر لا بالبديهة فذلك والله اعلم تاويله
قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه والثاني بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه كذبوا على علم منهم انهم كذبة فيما يقولون
ويتقولون انه مفترى ليس بمنزل ولما ياتهم تاويله اي ولما ياتهم العلم بذا او بيله اي بتاويل القران ومعناه والله اعلم
انهم كذبوه من غير ان حفظوا نظمه ووعوا لفظه ولا تاملوا العلم بما فيه واخره قبل التاويل هو رد كل شيء
الى اولية الامر قالت الحكماء التاويل اخر كل فعل هو قصد في اوله وقصد كل شيء في اوله هو اخر في فعله
او نحوه وقال بعضهم ولما ياتهم تاويله قال ما وعد الله ان يكون قبل ان يكون وقال ابن عباس رضي الله عنه تاويل القران
ما يكون منه في الدنيا وما يكون منه يوم القيامة وهو العذاب الذي وعد وقال بعضهم تاويله ثوابه وقيل عاقبته
بيان ما وعد الله في القران في الاخرة من الوعيد واصل التاويل هو النظر الى ما يؤول عاقبة الامر وقوله عز وجل
كذلك كذب الذين من قبلهم اي كذلك كذب الامم السالفة رسلهم كما كذب كفار مكة رسولهم اي لست انت باول
مكذب بل كذب من كان قبلك من اخوانك ليكون له التسلي بما هو فيه من تكذيبهم اياه وورد عليه انه ينزل بهم ما نزل
باولئك ان هم قاموا على ما هم عليه والثاني ان يكون الخطاب وان كان خارجا لرسول الله فهو راجع الى قومه بامر
بالنظر فيما نزل بالامم السالفة وان يتاملوا احوالهم ليكون ذلك سببا لزجرهم عما هم فيه وقوله عز وجل فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين بالتكذيب اي كيف بما قبحون ويعذبون والله اعلم وقوله عز وجل ومنهم من يؤمن
قبل من اهل مكة من يؤمن يؤمن بهذا القران ومنهم من لا يؤمن به وهم كذلك كانوا منهم من قد امن به ومنهم
من لا يؤمن اي من لم يؤمن به ويحتمل على الوعيد فيما يستقبل اي منهم من اهل مكة من يؤمن بهذا القران منهم
من لا يؤمن به وهم كذلك كانوا منهم من قد امن به ومنهم من لم يؤمن به وقال بعضهم وهي في اليهود ليست
من اهل مكة وظاهره ان يكون في كفار مكة وعلى ذلك قول عامة اهل التاويل كان هذا يخرج على البشارة ان
منهم من يؤمن به لئلا ينقطع ويمنع دعاءهم واخبر ان منهم من لا يؤمن به يؤيسه حتى لا يشتد حزنه على كفرهم
وجائز ان يكون هذا اي منهم من قد يولد من بعد ومن يؤمن ومنهم من يولد فلا يؤمن وقوله عز وجل وربك
اعلم بالمفسدين ويشبه ان يكون معناه اي على علم بما يكون منهم من الفساد خلقهم وانشاهم وليس عن غفلة
وجهل بالفساد ولكن عن علم بذلك لما لا يضره فساد مفسد ولا ينفعه صلاح مصلح انما عليهم ضرر فسادهم
ولهم منفعة صلاحهم ويحتمل ان يكون على الوعيد اي عالم بفسادهم فيجزيهم جزاء الفساد والله اعلم وقوله
وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم تاويله والله اعلم اي ان كذبت فيما اخبرتكم انه جاء من عند الله فلي عملي اي
فعلي عملي فيما بلغتكم اي فعلي وزر عملي ولكم عملكم اي فعليكم جرم ما رددتم علي فيما بلغتكم عن الله وهو كقوله ام يقولون
افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اي على جرم ما افتريت ان افتريت وعليكم جرم ما رددتم
علي فيما بلغتكم عن الله ويحتمل ما قاله اهل التاويل لي عملي اي لي ديني ولكم عملكم اي لكم دينكم انتم بريئون مما
اعمل وانا بريء مما تعملون تاويله والله اعلم اي لا اواخذ بما دنتم انتم ولا انتم مواخذون تؤاخذون
بما دنت انا علنت وهو كقوله ما عليك من حسابهم من شيء الاية وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية وما
على الرسول الا البلاغ الاية وكقوله لا تسالون عما اجرمنا الاية وقوله عز وجل ومنهم من يستمعون اليك
اخبر ان منهم من يستمع اليه يعني الى رسول الله والى ما يتلو من القران لكنه يخبر انه لا كل مستمع الى شيء ينتفع بما
يسمع او يعقل ما يسمع ويفهم انما ينتفع بالاستماع ويعقل قدر المقصود والحاجة اليه ومنهم كانوا يستمعون
بقبول القول منهم والمنزلة ومنهم من كان يستمع اليه ليسمع غيره كقوله سماعون للكذب سماعون لقوم
اخرين ومنهم من كان يسمعه ويطيعه في ذلك فاذا خرج من عنده غيره وبدله كقوله ويقولون طاعة فاذا
برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول ومنهم من كان يستمع اليه استهزاء منه وطلب الطعن فيه
والعيب كانوا مختلفين في الاستماع ثم نفى عنهم السمع والعقل والبصر لوجهين احدهما ما ذكرنا انهم لما لم ينتفعوا

باسماعهم

باسماعهم وعقولهم وابصارهم وبهذه الحواس انتفاع من ليست له هذه الحواس لما جعلت لينتفع بها لا لتترك
هدى لا ينتفع بها والثاني كان العقل والسمع والبصر وهذه يكون منها مكتسبا بالاكتساب ومنها ما يكون غريزة فهم
تركوا اكتساب العقل الذي يحصل مكتسبا فنفي عنهم لما تركوا الاكتساب ذلك يحتمل نفي هذه الحواس لهذين الوجهين اللذين
ذكرتهما والله اعلم ثم نفى عمن لا يستمع العقل حيث قال لا يعقلون ونفى عنهم الاهتداء والابصار بترك النظر
وقال افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون لان بالبصر يوصل الى اهتداء الطرق والسلوك فيها الا ترى
ان البهائم قد تبصر الطرق وتسلك بها وتتقي بها المهالك ولا تعقل ما التبس لها سمع العقل فلا تعقل لما يسمع القلب
بعقل وبظاهر البصر تبصر الاشياء وقوله عز وجل ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون
يخبر ان ما حل باولئك من عذاب استيصال وعقوبة انما حل بظلمهم من الله تعالى وقوله عز وجل ثم يحشرهم
كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار وقال في قبورهم يتعارفون بينهم اذا اخرجوا من قبورهم وقال بعضهم
من اهل التاويل كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار في الدنيا واصله كانهم استقلوا طول مقامهم في الدنيا
وما تنعموا فيها لما عاينوا من اهوال ذلك اليوم وشدائده او استقلوا لبثهم في الدنيا ومقامهم لطول مقامهم
في الاخرة في العذاب واستقلوا وفيه وجه ثان وهو ان يذكر من شدة سفههم وغاية جهلهم انما يعدهم
من الحشر والعذاب الابد كانهم لا يلبثون فيها الا ساعة من النهار يعني لا يبالون ما يلحقهم من ذلك
وما يستحلون عليه من العذاب باكتسابهم تلك الاسباب وقوله عز وجل يتعارفون بينهم اي يعرف
بعضهم بعضا على قدر ما يلعن بعضهم على بعض كقوله ويلعن بعضكم بعضا وعلى قدر ما يتبرا بعضهم من بعض
ثم يغرون بينهم كقوله فزيلنا بينهم اي فرقنا بينهم وقوله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي خسروا
بما وعدوا في الاخرة من النعيم الدائمة بترك اكتسابهم اياها اذ قد اعطوا ما يكتسبون به نعم الاخرة فاكتسبوا ما
خسروا ذلك فهو كقوله فما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم على الاكتساب ما به يستوجبون النار والثاني فلخسروا
وقوله عز وجل واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك حرف اما حرف شك وكذلك
حرف او لكن يكون تاويله والله اعلم على حذف اما واضمار حرف ان كان يقول اذ اريناك اما نرينك بعض ما نعد
هم لا كل ما نعدهم ونتوفينك ولا نرينك شيئا وان يكون قوله ان نرينك بعض ما نقدم اي لقد نريك
بعض ما نقدم وهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا فعلى هذا التاويل نريه بعض ما نعدهم ولا نريهم
كل ما وعدهم وعلى التاويل الاول ان اراه انما يريه بعض ذلك ولا يريه شيئا فان قيل حرف اما حرف شك
وكذلك حرف او كيف يستقيم اضافته الى الله وهو عالم بما كان ويكون وانما يستقيم اضافته الى من يجهل العواقب
قيل جميع حروف الشك الذي اضيف الى الله هو على اليقين والوجوب نحو حروف عسى ولعل ونحو ذلك فعلى
ذلك حرف اما او وهو لم يزل عالما بما كان في او فاعرف واما حرف الاستفهام والشك يخرج على مخرج الايجاب
والالزام على ما ذكرنا في حرف التشبيه او ان يكون رسول الله وعدهم ان يريهم شيئا فقال عند ذلك
اما نرينك بعض ما نقدم او نتوفينك شيئا يقول ليس اليك ما عدتهم انما ذلك الينا كقوله ليس لك من الامر
شيء وقوله عز وجل فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون هذا يحتمل ثم الله شهيد لك يوم
القيمة على ما فعلوا من التكذيب بالايات وردها وهو كقوله قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا
القران الاية ويحتمل انه عالم بما يفعل لا يغيب عنه شيء وهو وعيد كقوله تعالى والله بصير بما يعملون
وهو بكل شيء عليم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ولكل امة رسول اي لكل امة نبيا خلا رسول الله بعث
اليهم لست اول رسول بعث اليكم كقوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فاذا
جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط يحتمل هذا وجهين يحتمل فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط اي يقضي
بين الرسل وبين الامم بالعدل بما كان من الرسل من تبليغ الرسالة اليهم والدعاء الى دين الله ومن الامم
من التكذيب للرسل والرد للايات قضي بينهم بالعدل وهم لا يظلمون لا يزاد على ما كان ولا ينقص ويحتمل
قوله قضي بينهم اي يهلك المكذبون منهم وينجي ومن صدقهم كقوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا الاية
ويجوز ان يقضي بين المعرضين وبين المجيبين والمطيعين يوم القيمة وقوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين وذلك انهم لما اوعدهم العذاب قال واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب فقالوا متى
هذا الوعد الذي توعدنا يا محمد ان كنت صادقا بان العذاب نازل بنا في الدنيا وهو على التاويل الذي
ذكرنا لقد نرينك بعض ما وعدتهم فقال قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا املك ايضا ولا املك ايضا جر منفعة
اليها يقول لا اقدر على ان ادفع عن نفسي سوءا حين ينزل بي ولا املك على ان اسوق اليها خيرا البتة فاذا لم
املك هذا كيف املك انزال العذاب عليكم انما ذلك الى الله هو المالك عليه والقادر وعلى ذلك لا يملك احد ذلك
سواء وهو كقوله قل انما انا بشر مثلكم وقوله عز وجل لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون اي اذا جاء اجلهم لا يقدرون على تاخيره ولا يستقدمون اي لا يقدرون على تقديمه ليس على
انهم لا يبطلون تاخيره ولا تقديمه فيسالون ذلك ولكن لا يؤخر اذا جاء ولا يقدم قبل اجله وفيه دلالة
ان لا يهلك احد قبل انقضاء اجله وهو رد على المعتزلة حيث قالوا من قتل اخر فانما قتله قبل اجله والله

يقول لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهم يقولون يستقدسون والله الموفق وقوله عزوجل قل ارايتم ان اتاكم
عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون يقول والله اعلم اى منفعة لكم ان اتاكم عذابه لا منفعة لكم فى ذلك
بل فيه ضرركم فاستعجال ما لا منفعة فيه سفه وجهل يسفههم فى سؤالهم العذاب ويخبر فى قوله لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون ان عذاب الله اذا نزل وجاء وقته لا يملك احد تقديمه ولا تأخيره ولا يحتمل استقدامه
ولا استيخاره بالفدى والمنزلة كما لا يحتمل ذلك فى الدنيا التقديم والتأخير بالشفاعة والفداء ويذكر عجزه فى
انزال العذاب عليهم فى قوله قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا وقوله عزوجل اذا ما وقع امنتم به الان قيل انى
العذاب اذا نزل بكم امنتم به الذى يخبر عنه انهم اذا نزل بهم العذاب يؤمنون ثم يحتمل قوله امنتم به اى بالله وبرسوله
كقوله فلما راوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا مشركين ثم اخبر ان ايمانهم لا ينفعهم عند معاينتهم العذاب
وهو كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا وقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل ويحتمل قوله امنتم به
الان اى بالعذاب لانهم يكذبون رسول الله فيما يدعوهم العذاب وهم يستعجلون به استهزاء وتكذيبا فاذا
نزل بهم امنوا اى صدقوا بذلك العذاب يقول امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون استهزاء وتكذيبا انه غير نازل
بهم ذلك والله اعلم وقوله عزوجل ثم قيل للذين ظلموا قيل اشركوا فى الوهيته وربوبيته وعبادته غيره
ذوقوا عذاب الخلد لانهم يخلدون فيه يقال ذلك بعدما ادخلوا النار هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
اى لا تجزون الا بما كسبتم فى الدنيا وقوله عزوجل ويستنبؤنك اى يستخبرونك احق هو يحتمل هذا وجوها
يحتمل قوله احق هو العذاب الذى كان يوعدهم انه نزل بهم على ما قاله عامة اهل التأويل ثم قال قل اى وربى
انه لحق اى قل نعم وربى انه لحق انه نازل بكم وما انتم بمعجزين اى بفائتين عنه ولا سابقين له ويحتمل قوله احق
هو ما يدعوهم اليه من التوحيد كقولهم لابراهيم اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات
والارض الذى فطرهن لا يتم فعلى ذلك قولهم احق هو ثم اخبر انه لحق بقوله قل اى وربى انه لحق وما انتم بمعجزين
بما تبين فاتين عنه ويحتمل الايات او محمدا والقران احق هو قل اى وربى قل نعم انه لحق كقوله ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اخبر انما يامرهم به ويدعوهم
اليه ليس هو هزوا ولا لعب ولكن حق امر من الله تعالى فعلى ذلك قوله احق هو وقوله عزوجل ويستنبؤنك
احق هو هذا الحرف يحتمل ان يكون من الشاكين منهم فى ذلك طلبوا منه انه حق ذلك اولا ومن المعاندين استعجال
العذاب الذى كان يوعدهم رسول الله استهزاء به وتكذيبا له ومن المتبعين له والمطيعين التصديق له
والايمان به كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين امنوا مشفقون منها كانوا فرقا ثلاثة فرقة
قد شكوا فيه وفرقة قد كذبوه وقوله عزوجل ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به يخبر عنهم انهم
يفدون ويبدلون جميع ما فى الارض لو قدروا عليه عند نزول العذاب بهم لشدة العذاب وان كان الذى
منهم عن الايمان هو حبهم الدنيا وبخلهم عليها وما فيها بقوله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها وقوله
عزوجل واسروا الندامة لما راوا العذاب الندامة لا تكون الا سرا بالقلب فكانه قال حققوا الندامة
فى قلوبهم على ما كان منهم من التكذيب بالايات والعناد فى ردها وقال بعضهم واسروا الندامة اى اظهروا
الندامة وهو مما يستعمل فى الاظهار والاخفاء كقوله شعب جمع وشعب فرق ونحوه وبعد فانه اذا اشرف
نفسه لا بد من ان يضع ذلك فى آخر ويخبره بذلك فذلك منه اظهار وقوله عزوجل وقضى بينهم بالقسط يحتمل
قوله قضى بينهم بالقسط ما يوجبه الحكمة لان الحكمة توجب تعذيب كل كافر ونعمة وكل قائل فى الله ما لا يليق به
او ان يكون تفسير قوله بالقسط ما ذكر وهم لا يظلمون ويحتمل قوله بالقسط اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم والقسط
هو العدل وهم يومئذ عرفوا انه كان يقضى بالعدل فى الدنيا والاخرة والله اعلم وقوله عزوجل الا ان ما فى السموات
والارض اى ان ما فى السموات والارض كلهم عبيده واماؤه وملكه لا لمن تعبدون دونه من الاصنام والاوثان
فمن عند من يملك الدنيا والاخرة اطلبوا ذلك منه لا من عند من لا يملك يبين سفههم فى طلبهم الدنيا من
يعلمون انه لا يملك ذلك والله اعلم وقوله عزوجل الا ان وعد الله حق فى كل وعد ووعيد انه كائن لا محالة
عذابا او رحمة ولكن اكثرهم لا يعلمون اى لا ينتفعون بعلمهم فنفى عنهم العلم وان علموا لما لم ينتفعوا به ويحتمل
قوله لا يعلمون اى لم يكتسبوا اسباب العلم وهو التأويل والنظر الى ما تروجيه ويحتمل نفى العلم عنهم لما بعطوا اسباب
العلم فلم يعلموا فان كان على هذا فيكونون معذورين وان كان على الوجهين الاولين فلا عذر لهم فى ذلك
وفى قوله الا ان لله ما فى السموات والارض دلالة اثبات البعث من وجهين احدهما فيما يذكر من قدرته من خلق
السموات والارض وما بينهما كا بغلظهما وكثافتهما وشدتهما وعظم خلقتهما وان تلك القدرة خارجة من وسع
البشر ونوهم لمن قدر على ذلك فهو قادر على احياء الخلق بعد فنائهم والثانى يخبر عن حكمته من تعليق منافع
الارض بالسماء على بعد ما بينهما والافضال على الخلق بانواع النعم التى يكبر الاحصاء وان كل شىء منها قد وضع موضعها
فلا يحتمل من هذا وصف فى الحكمة بخلق الشىء عبثا باطلا ولو كان للفناء لا حيوة بعده كان يكون خارجا عن الحكمة فظهر
انه خلقهم لامر اراد بهم والله اعلم وقوله عزوجل هو يحيى ويميت واليه ترجعون اى يعلمون انه هو محيى الاحياء
ويميتها لاموات ابتدا وهو الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون فاذا عرفتم انه هو يحيى الاحياء ويميت

الاموات لا غير فاعلموا انه هو يبعثكم واليه ترجعون الزمهم الحجة ولا للعبادة لان ثم اخبر عما يكون بالحجة التى ذكر
وقوله عزوجل يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وهو هذا القران قال بعضهم الموعظة التى كقوله يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا قيل ينهاكم ان تعودوا لمثله وقال الاخرون الموعظة هى التى تدعوا الى كل مرغوب وتزجر
عن كل مرهوب وقال بعضهم العظة هى التى تلين كل قلب قاس مظلم وفى القران جميع ما ذكر فيه النهى وفيه
الدعاء الى كل مرغوب والزجر عن كل مرهوب وهو يلين القلوب القاسية ويجلى القلوب المظلمة اذا تاملوا
فيه ونظروا وتفكر المسترشد وطالب الحق وقبل الموعظة التى تلين القلوب القاسية وتدمع العيون اليابسة وتجلى
الصدور المظلمة وقوله عزوجل وشفاء لما فى الصدور ان للدين افات وداء تضربه وتتلفه كما لهذه الابدان افات
وامراض تعمل فى اتلافها واهلاكها ثم جعلت لافات الابدان وامراضها ادوية يشفى بها الابدان المؤوفة فعلى
ذلك جعل هذا القران لهذا الدين دواء يداوى به فيذهب بافات الدين وامراضه كما يعمل الادوية فى دفع افات
الابدان وامراضها لذلك سماه موعظة وشفاء لما فى الصدور والله اعلم وقوله عزوجل وهدى ورحمة قيل هدى
من الضلالة ورحمة من عذاب او يقول وهدى ورحمة هدى اى يدعوا الى كل خير ويهدى به اليه ورحمة لمن تبعه
هو ورحمة لمن اتبعه وتمسك به وعمى وضلال لمن خالفه وترك اتباعه وهو ما ذكر وهو عليهم عمى وقال فزادتهم ايمانا
اى زاد للمؤمنين ايمانا الى ايمانهم وفزادتهم رجسا اى زاد للكافرين رجسا الى رجسهم والله اعلم وقوله
عزوجل قل بفضل الله وبرحمته قال بعضهم بفضل الله ورحمته القران وقال قائلون فضل الله القران ورحمته الدين
وفيه انه بانزال القران مفضل اذ له ان لا ينزل وفيه ان اهل الفترة يؤاخذون فى حال فترتهم والله اعلم وقوله عزوجل
فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون اى فى حكم ما ذكر هو خير مما يجمعون من الدنيا وقال بعضهم قوله قل بفضل الله وبرحمته
انما خاطب المؤمنين يقول قل للمؤمنين بفضل الله الاسلام ورحمته يعنى القران فبذلك يعنى فبذلك الفضل والرحمة
فليفرحوا يعنى المؤمنين هو خير مما يجمعون يعنى مما يجمع الكفار من الاموال من الذهب والفضة وغيره وقوله
عزوجل قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق يحتمل ما انزل الله لكم من رزق اى ما انزله الى السماء وان كانت الارزاق
انما تخرج من الارض لما كانت اسبابها متعلقة بالسماء يكون نضج الانزال ونبع الاعناب واصلاح الاشياء كلها فى
اسباب الارزاق من نحو مطر الذى به تنبت الارض النبات وبه تخرج جميع انواع الخارج مما يكون فيه غذاء البشر
والدواب ومن نحو الشمس الذى بها ينضج الانزال وبها ينبع الاعناب وجميع الفواكه ونحوه اضاف ذلك الى السماء
لما ذكرنا وكذلك قوله وفى السماء رزقكم وما توعدون اى اسباب ذلك فى السماء لا ان عين ذلك فى السماء ويحتمل قوله
ما انزل الله لكم من رزق اى ما خلق الله وكذلك جميع ما يضاف الى الله انما يضاف اليه بحق الخلق اى خلقه منه كقوله
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ونحو ذلك اى خلق لكم من الانعام ما ذكر والله اعلم وقوله عزوجل فجعلتم منه
حراما وحلالا وقال بعضهم ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة وما ذكر فى سورة الانعام والمائدة وقال
بعضهم ما حرموا للالهة التى كانوا يعبدونها اى جعلوها للاصنام وهو ما ذكر فى الانعام وهو قوله وجعلوا لله
مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الاية نحو ما ذكرنا فى الاية والله اعلم وقوله عزوجل قل الله اذن لكم ام على الله تفترون
اى الله اذن لكم فى تحريم ما حرمتم وتحليل ما احللتم ام على الله تفترون وذلك ان هذه السورة نزلت فى محاجة اهل مكة
وهم لم يكونوا مؤمنين بالرسل والكتب وانما يوصل الى معرفة المحرم والمحلل بالرسل والكتب والخبر عن الله وهم لا يكونوا
مؤمنين بواحد مما ذكرنا فكيف جعلتم منه حراما وحلالا وانتم لا تؤمنون بما به يعرف الحلال والحرام فكيف حرمتم
ما احل لكم او احللتم ما حرم عليكم يخبر عن سفههم وعنادهم وافترائهم على الله فاذا اخبر ان يفتروا على الله فعلى غيره
اجروا والله اعلم وقوله عزوجل وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة فان قيل كيف اوعدوا بيوم القيامة
وهم كانوا لا يؤمنون بالبعث قيل قد الزمهم الحجة بكون البعث بما اظهر من كذبهم وافترائهم على الله فى التحريم
والتحليل فكذلك يظهر كذبهم بتكذيبهم البعث وبعد فانه قد يوعد المرء بما لا يتيقن به ويخوف عليه ويحذر وان
لم يحط علمه به فكذلك هذا وبعد فانه قد جعل فى عقولهم ما يلزمهم الايمان بالبعث والجزاء للاعمال اذ ليس من
الحكمة خلق الخلق للفناء خاصة ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول وما ظن الذين يفترون على الله الكذب لو خرج
الامر حقا وكان صدقا على ما اخبر رسول الله وقال من البعث والجزاء لما اكتسبوا وقوله عزوجل ان الله لذو فضل
على الناس هو ذو فضل على جميع الناس من جهة ما ساق الى كل من الرزق كافرهم ومؤمنهم وانواع النعم وما
اخر عنهم العذاب الى وقت او لما بعث اليهم الرسل والكتب من غير ان كان منهم الى الله سابقة تمنع يستوجبون
ذلك خصوص فضل على المؤمنين ليس ذلك على الكافرين ولكن اكثرهم لا يشكرون لفضله وما انعم عليهم وقوله
عزوجل وما تكون فى شأن قال بعضهم من اهل التأويل فى شأن فى امرك وحالاتك وما تتلو منه من قران تبلغهم
الرسالة وقال بعضهم قوله وما تكون فى شأن اى فى عبادة وما تتلو منه من قران تبلغهم به الرسالة ولا تعملون
من عمل الا كنا عليكم شهودا انما خاطب نبيه تنبيها منه وايقاظا والمراد منه هو وغيره الا ترى انه قال ولا تعملون
من عمل عملهم جميعا فى ذلك يخبرانكم فى كل امر يكون بينكم وبين ربكم وفى كل امر بينكم وبين الناس فالله لكم وعليكم
شهودا وكل عمل تعملون لكم وعليكم الا كنا عليكم شهودا بينهم ويوقظهم ليكونوا على حذر ابدا متيقظين وقيل
يكثرون فيه وكله واحد ثم يحتمل قوله فيه فى الحق ويحتمل فى الدين ويحتمل فى القران ويحتمل فى رسول الله يقول

انا شاهد فيما تخوضون وفيما تقولون في رسول الله او في دينه او فيما تتلو عليكم وما يعزب عن ربك من مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء لا يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا في السماء فيما لا امر فيه ولا نهي ولا كلفة فالذي
فيه السؤال والامر والنهي والكلفة احرى واولى ان لا يغيب عنه شي وقوله عزوجل وما يعزب عن ربك من
مثقال ذرة في الارض هو تحذير وتخويف بتمثيل لا وعيد بتعزير وتصريح لان الوعيد على وجهين احدهما على التمثال
والاخر على التقرير في عينه وتصريح وقوله عزوجل الا في كتاب مبين قيل ما قال وما اكثر الا في كتاب اي الا في اللوح
المحفوظ مبين ويحتمل الا في كتاب مبين اي في الكتب المنزلة من السماء والله اعلم وقال ابو بكر الاصم في قوله اذ تفيضون
فيه اي تنتشرون فيه وتاويله ولا تعملون عن عمل تنتشرون فيه الا كنا عليكم شهودا وقوله عزوجل الا ان اولياء
الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قالت المعتزلة دلت الاية على ان اصحاب الكبائر ليسوا بمؤمنين لانهم لو كانوا مؤمنين
لكانوا اولياء الله واذا كانوا اولياء الله لكان لا خوف عليهم ولا حزن فاذا كان لا شك ان على اصحاب الكبائر خوف
وحزن في وقت دون وقت ويجوز لاصحاب الكبائر لا حزن في وقت ولينبغي الاية ان ليس على اولياء الله خوف ولا حزن
من وقت الامر الى اخره ويحتمل قوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون على ما يكون لاهل الدنيا في الدنيا
من الخوف والحزن انما خوفهم وحزنهم لما قبلهم ويشبه ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الجنة وهكذا يكون
اذا دخلوا الجنة يا منون عن جميع ما يفضعهم وقال بعضهم اولياء الله هم اهل التوحيد لكن تلك البشارة وذلك
الوعد لاهل التوحيد في الاعتقاد والوفاء جميعا لا لاهل الاعتقاد خاصة وقوله عزوجل لهم البشرى في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة وقال بعضهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا الرؤيا الصالحة وعلى ذلك رويت الاخبار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن هذه الاية ففسر بالرؤيا الصالحة فان ثبت فهو الحق قال بعضهم لا تحتمل الرؤيا
الصالحة لانه نسق البشرى في الاخرة على البشرى في الحيوة الدنيا ولا شك انه لا يكون في الاخرة الرؤيا الصالحة
ولكن ان ثبت ما ذكرنا في الخبر فهو ذلك ويشبه ان يكون البشارة التي ذكرها هنا نحو قوله فبشر عبادي الذين
يستمعون القول الاية وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله ذلك الذي
يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات وامثال ذلك وقال بعض اهل التاويل لهم البشرى في الحيوة الدنيا
يبشرهم الملائكة عند الموت وفي الاخرة الجنة والله اعلم وقوله عزوجل لا تبديل لكلمات الله يحتمل لا تبديل
لكلمات الله من وعده ووعيده وذلك مما لا تبديل له ولا تحويل ويحتمل لا تبديل لكلمات الله القران لا تبديل
لما فيه من الوعد والوعيد وغيره ويحتمل لا تبديل لما مضى من سنته في الاولين والاخرين من الهلاك والاستيصال
بتكذيبهم الرسل والايات كقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا وقوله وقد مضت سنة الاولين ويحتمل
قوله لا تبديل لكلمات الله اي لا تبديل للبشرى الذين ذكر هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ويحتمل لا تبديل لحجج الله ولا خبره
او لا تبديل لوعد الله ووعيده وقوله والله اعلم وقوله عزوجل ذلك هو الفوز العظيم اي ذلك البشرى هو الفوز
العظيم وذلك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هو الفوز العظيم اذ لا خوف بعده وقال بعضهم من اهل التاويل
لا خوف عليهم من النار ولا هم يخرجوا من الجنة ابدا الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل ولا يحزنك
قولهم يحتمل قولهم ما قالوا في الله مما لا يليق به من الولد والشريك يقول لا يحزنك ذلك فان العزة لله جميعا ويحتمل
قوله لا يحزنك قولهم الذي قالوا في القران انه سحر وانه مفترى وقالوا في رسول الله انه ساحر وانه يفترى على
على الله كذبا ويشبه ان يكون قوله ولا يحزنك قولهم مكرهم الذي مكروا به وكيدهم الذي كادوه ويؤيد ذلك قوله
فان العزة لله جميعا اي ان العزة في المكر والكيد لله وهو كقوله وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا اي
مكره ينقض مكرهم ويمنعه وكيده ينسخ كيدهم فعلى ذلك قوله فان العزة لله جميعا اي ينقض جميع ما يمكرون بك
ويكيدونك والعزة يقول ان القوة لله ينصرك على اعدائك ويدفع عنك كيدهم ومكرهم ومكرهم الذي هموا بك
وهو السميع العليم لقولهم الذي قالوا العليم بمصالحهم او السميع المجيب للدعاء العليم بما يكون منهم وقوله
عزوجل الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي تعلمون ان من في السموات ومن في الارض كلهم عبيده واما
فكيف تعلم ان فلانا ولده وان له شريكا ولا احد منكم يتخذ من عبيده ولا مائه ولدا ولا شريكا كقوله ضرب
لكم مثلا من انفسكم الاية فعلى ذلك هذا وكيف يحتمل ان يتخذ ولدا وله ملك ما في السموات والارض وانما
يتخذ في الشاهد الولد لاحدى خصال ثلاث اما الاستنصار على غيره واما الحاجة تمسه واما الوحشة اصابته
فهو غني له ملك السموات والارض لا حاجة تمسه فكيف تنسبون الولد اليه والشريك وما قالوا فيه مما لا
يليق به وقد ذكرنا هذا فيما تقدم او يخبره عن غناه عما يأمرهم وينهاهم ويتعبدهم اي ليس يأمرهم وينهى
ويتعبد بانواع العبادات ويمتحنهم بانواع المحن لحاجة له او لمنفعة له في ذلك ولكن لمنفعة لهم في ذلك وقوله
عزوجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي ما يتبعون فيما يدعون من دون الله من الشركاء بالحجج
والبراهين او الكتب يتقين او رسول انما يتبعون بالظن والحذر وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون
فيما يتبعون بدعائهم دون الله لانهم كانوا اهل شرك لم يكونوا اهل كتاب ولا امنوا برسول فهم قد عرفوا
انهم مغترون كاذبون في اتباعهم دون الله اذ سبيل معرفة ذلك الكتاب او الرسول ولم يكن لهم واحد من
ذلك والله اعلم وقوله عزوجل هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يبصر فيه وقال في اية اخرى

ومن رحمته

ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه يعني في النهار فهو في موضع الامتنان وتذكير النعم ليتأدى
بذلك شكر ما انعم عليه وفيه ان الليل والنهار يجريان على التدبير والتقدير لانهما لو كانا يجريان على غير تدبير
ولا تقدير لكانا لا يجريان على تقدير واحد ولا سنن واحد ولكن يدخل فيهما الزيادة والنقصان ولا يجريان
على تقدير واحد وان كان يدخل بعضه في بعض فدل جريانهما على تقدير واحد انهما يجريان على تدبير اخر فيهما اذ لو كان
على غير تدبير يجريان على الخلاف على الزيادة والنقصان على القلة والكثرة وفيه ايضا ان مدبرهما واحد لانه لو كان
مدبرهما عددا لكان اذا غلب احدهما الاخر دام غلبته ولا يصير الغالب مغلوبا غالبا فاذا صار وذلك ما ذكرنا
دل ان مدبرهما واحد لا عدد وفيه دلالة البعث بعد الموت لان كل اثره واصله قادر على البعث ومن
قدر على احداث نهار وقد فني وهلك لقادر على احداث ما ذكرنا من الموت وفيه ان الشيء اذا كان وجوبه
لشيئين لم يجب اذا عدم احدهما لانه قال والنهار مبصرا وانما يبصر بنور البصر ونور النهار جميعا لانه اذا
فات احد النورين لم يبصر شيئا من النور نور البصر ونور النهار دل ان الحكم اذا وجب بشرطين لا يوجب
الا باجتماعهما جميعا والليل يستر وجوه الاشياء لانه لا يرى بنفسه والنهار يكشف وجوه الاشياء وفي
الليل يستر وجوه الاشياء دلالة ان الحكم اذا كان وجوبه بشرطين يجوز صنعه بعلة واحدة لانه يستر نور
النهار ونور البصر جميعا وفي قوله جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجوه من الدلالة احدها
ما ذكرنا من تذكير النعم يدعوهم به الى الشكر وينهاهم عن الكفران وفيه تذكير القدرة له حيث انشاهما
واحد ثم اتلف الاخر فمن قدر على هذا لا يعجزه شيء وفيه دليل السلطان حيث ياخذهم ويستر عليهم
الاشياء شاؤا او ابوا وكذلك النهار ينبههم حتى يكشف وجوه الاشياء ويجليها شاؤا او ابوا وفيه دليل
التدبير والعلم لما ذكرنا من اتساق جريانهما على سنن واحد ومجرى واحد وفيه دلالة وحدانية
منشئهما بين ههنا فيما جعل الليل حيث قال لتسكنوا فيه اخبر انه جعل الليل للسكون والراحة فدل ذكر
السكون في الليل على انه جعل النهار للتعب وطلب العيش الا ترى انه قال في النهار مبصرا اي يبصرون فيه ما يعيشون
وهو ما ذكر في اية اخرى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الاية وقوله عزوجل ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون ولم يقل يبصرون فظاهر ما سبق من الذكر يجب ان يقال لقوم يبصرون لانه قال والنهار
مبصرا لكن يحتمل قوله يسمعون اي يعقلون كقوله ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا
لا يعقلون ويحتمل قوله يسمعون اي يجيبون كقوله سمع الله لمن حمده اي اجاب الله وقوله عزوجل وقالوا
اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني قال بعضهم اراد والبنوة بقولهم اتخذ الله ولدا حقيقة الولد كقوله ويجعلون
لله البنات سبحانه بل وقوله وقالت اليهود كذا وقالت النصارى كذا فنزه عزوجل نفسه عما
قالوا بقوله سبحانه هو الغني انه لم يلد احدا ولا ولد هو من احد ولهذا قال لم يلد ولم يولد اذ في الشاهد لا يخلو
ما ان يكون ولدا من اخر او والدا والخلق كله لا يخلو من هذا فاخبر انه لم يلد هو احدا ولا ولد من احد وقوله سبحانه
هو الغني له ما في السموات وما في الارض وبله والله اعلم انه في الشاهد من اتخذ ولدا انما يتخذ لاحد وجوه
ثلاثة اما الحاجة تمسه او لشهوة تغلبه او لما يستنصر به على اخر ممن يخاف فاذا كان له ملك السموات
والارض وملك ما فيهما كلهم عبيده واماؤه فلا حاجة تقع له الى الولد اذ هو الغني وله ملك ما في
السموات والارض ومن هذا وصفه فلا يحتاج الى الولد ولانه لا احد في الشاهد يحتمل طبعه اتخاذ الولد من
عبيده واماءه فاذا كان لله سبحانه الخلائق كلهم عبيده واماؤه كيف احتمل اتخاذ الولد منهم لو جاز
وقد بينا احالته ذلك وفساده ولان الولد يكون من شكل الوالد ومن جنسه كالشريك يكون من شكل
الشريك ومن جنسه فكان في نفي الشريك نفي الولد لان معناهما واحد وكل ذي شكل له ضد او شكل فانه
لا ربوبية له ولا الوهية وقال بعضهم قولهم اتخذ الله ولدا لم يريدوا حقيقة الولد ولكن ارادوا منزلة
الولد وكرامته فهو ايضا منفي عنه لان من لا يحتمل الحقيقة الولد امتنع عن منزلته وكرامته لانه لما
الحقيقة انتفت لعيب يدخل فيه فاذا اثبت له منزلة تلك الحقيقة والكرامة دخل فيه عيب الحقيقة
وقوله عزوجل ان عندكم من سلطان بهذا قيل ما عندكم من حجة على ما تقولون ان له ولدا لانهم كانوا
اهل تقليد لاباءهم واسلافهم وكانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب والحجج وانما يستفاد ذلك من جهة الرسالة
والكتب وهم كانوا ينكرون ذلك وقوله عزوجل اتقولون على الله ما لا تعلمون اي تقولون على الله اتخذ الولد
لما تعلمون انه لم يتخذ قل ان الذين يفترون على الله الكذب هو ما ذكرنا انهم علموا انه لم يتخذ ولدا لكن من
قالوا ذلك افتراء على الله لا يفلحون في الاخرة لما طمعوا في الدنيا بعبادتهم دون الله الاصنام بقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله لا يفلحون اي لا يظفرون بما طمعوا في الاخرة متاع
في الدنيا اي ذلك لهم متاع في الدنيا ليس لهم متاع في الاخرة ثم الينا مرجعهم يخاطب رسوله بذلك لم يخاطبهم
الينا مرجعكم فهو والله اعلم لما اشتد على رسول الله ما افتروا به على الله يقول الينا مرجعهم فيجزيهم جزاء فريتهم
والثاني يقول الينا مرجعهم فنذيقهم العذاب الشديد لا ما طمعوا من الشفاعة عندنا والزلفى والله اعلم
وقوله عزوجل واتل عليهم نبأ نوح اي خبره وحديثه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري

بايات الله قال بعضهم ان كان كبر عليكم طول مقامى ومكثى فيكم ودعائى اياكم الى عبادة الله واطاعته له وتذكيرى اياكم
بايات ثم قال بعضهم وتذكيرى بعدما بين بذلكم اجابتى ودعائى ويحتمل قوله ان كان كبر عليكم مقامى بما ادعى من الرسالة
وتذكيرى بايات الله اى بحجج الله على ما ادعيت من الرسالة فى قوله واتل عليهم نبأ نوح فيه وجوه احدها
اتل منابذة نوح قومه وما اراد وبهم من الكيد والمكر به والثانى اذكر عواقب قوم نوح وما حل بهم من سوء معاملتهم
رسولهم والثالث اذكرهم لا عواقب متبعى قومه ومخالفيه وقوله عزوجل فاجمعوا امركم وشركاءكم قال
بعضهم اى اجتمعوا انتم وشركاءكم ثم كيدون ثم لا يكن امركم عليكم غمة اى اجعلوا ما تريدون من الكيد والمكر بى
ظاهرا غير ملتبس ولا مشتبه وقال بعضهم فاجمعوا امركم اى اعدوا امركم وادعوا شركاءكم وكذلك روى فى حرف
ابى فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى اقضوا ما انتم قاضون وقال بعضهم قوله ثم
لا يكن امركم عليكم غمة اى لا يكبر عليكم امركم وقال الكسائى هو من التغطية والتلبيس اى لا تغطوه ولا تلبسوه اجعلوا
كلمتكم ظاهرة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنه قال لا يكن امركم غما عليكم اى فرحوا عن انفسكم كقوله
من كان يظن ان لن ينصره الله الاية وقوله عزوجل ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى اعملوا بى ما تريدون ولا تنظرون
وهو كقوله فاقض ما انت قاض وقال الكسائى هو من الانهاء والابلاغ وهو كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل الاية وقضينا
اليه ذلك الامر اى انهينا اليه وابلغنا اليه وقال ابو عوسجة ان شئت جعلتها ظلمة فلا يبصرون امرهم يعنى غمة
ان شئت جعلتها شكا واشتقاقها فى اللغة من غم يغم غما اى غطى يغطى تقول غممت رأسه اى غطيته ثم اقضوا الى اى
افعلوا بى ما اردتم وفى قول نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم الى قوله ولا تنظرون وقوله هود فكيدونى
جميعا ثم لا تنظرون وقول رسول الله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون دلالة اثبات رسالتهم
لانهم قالوا ذلك لقومهم وهم بين اظهرهم ولم يكن معهم انصار ولا اعوان دل انهم انما قالوا ذلك اعتمادا على الله
واتكالا بمعونته ونصرة اياهم وقال بعضهم فى قوله ثم اقضوا الى اى فافرغوا الى يقال قضى فرغ وهو قول ابى
بكر الاصم وبعضهم ثم اقضوا الى كقوله فراغ الى اهله وفراغ الى الهتهم ونحوه وقوله عزوجل فان توليتم فما سألتكم
من اجر التولى اسم لامرين اسم للاعراض والادبار كقوله واذا تولى سعى فى الارض واسم للاقبال والقبول
ايضا كقوله ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا الاية ونحوه فههنا يحتمل امرين جميعا اى فان توليتم اى
اقبلتم وقبلتم ما عرضته عليكم وادعوكم اليه فما سألتكم من اجر ان اجرى الا على الله وان كان فى الاعراض فكانه
يقول كيف اعرضتم عن قبوله ولم اسألكم على ذلك اجرا فيكون لكم عذر فى الاعراض والرد كقوله ام تسألهم
اجرا الاية اى لم اسألكم على ما اعرضه عليكم وادعوكم اليه غرما حتى يثقل عليكم ذلك الغرم فيمنعكم ثقل الغرم
عن الاجابة ففى هذه الاية وغيرها دلالة منع اخذ الاجر على تعليم القران والعلم لانه لو جاز اخذ الاجر على ذلك
لكان لهم عذر ان لا يبذلوا ذلك ولا يتعلموا شيئا من ذلك عند منع الله واستطاعتها والله اعلم وقوله
عزوجل وامرت ان اكون من المسلمين اى مسلما نفسى الى الله سالما لا اجعل لاحد سواه فيها حقا ولا حظا وامرت
ان اكون من المخلصين لله ولكا صفين له يحتمل ذلك كله وقوله عزوجل فكذبوه يعنى نوحا كذبه قومه فيما ادعى
من الرسالة اوما اتاهم من الايات اوما اوعدهم من العذاب بتكذيبهم اياه فنجيناه يعنى نوحا ومن معه فى الفلك
اى من ركب معه الفلك من المؤمنين وجعلناهم خلائف يحتمل خلائف خلفاء فى الارض وسكانا يخلف بعضهم بعضا
ويحتمل جعلناهم خلائف اى خلف قوما اهلكوا واستوصلوا بالتكذيب واغرقنا الذين كذبوا باياتنا يحتمل الايات
الحجج والبراهين التى اقامها على ما ادعى من الرسالة ويحتمل قوله كذبوا باياتنا العذاب الذى اوعدهم بتكذيبهم اياه
فيما وعد وقوله عزوجل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كان انذار الفريقين جميعا المؤمن والكافر جميعا كقوله
انما تنذر من اتبع الذكر فاذا كان ما ذكرنا فيكون تأويله فانظر كيف كان عاقبة من اجاب ومن لم يجب عاقبة
من اجاب الثواب وعاقبة من لم يجب العذاب ويحتمل المنذرين الذين لم يقبلوا الانذار ولم يجيبوا اى
انظر كيف كان عاقبتهم بالهلاك والاستيصال ويكون تأويل قوله انما تنذر من اتبع الذكر اى انما يقبل
الانذار من اتبع الذكر وانما ينتفع بالانذار من اتبع الذكر واما من لم يتبع الذكر اتبع الذكر واما من لم يتبع الذكر
واما من لم يتبع الذكر لم ينتفع والله اعلم وقوله عزوجل ثم بعثنا من بعده رسلا اى من بعد نوح رسلا الى قومهم
اى بعثنا الى كل قوم رسولا لانه بعث الرسل الى قومهم ولكن واحدا على اثر واحد فجاءوهم بالبينات يحتمل البينات
الحجج والبراهين التى اقاموها على ما ادعوا من الرسالة والنبوة ويحتمل البينات بيان ما عليهم ان يأتوا ويتقوا
ويحتمل البينات بما اخبروهم وانبأوا قومهم بالعذاب انه نازل بهم فى الدنيا وقوله عزوجل فما كانوا ليؤمنوا
بما كذبوا به من قبل وقال بعضهم ما كان كفار مكة ليؤمنوا وليصدقوا بالبينات كما لم يصدق بها اوائلهم وقال
بعضهم قوله بما كذبوا به من قبل اى قبل بعث الرسل فيه دلالة ان اهل الفترة يؤاخذون بالتكذيب فى حال
الفترة ويحتمل قوله بما كذبوا به من قبل اتيان البينات اى ما كانوا ليؤمنوا بعد ما جاءوا بالبينات بما كذبوا به
من قبل مجىء البينات كذلك نطبع على قلوب المعتدين اى هكذا نطبع على قلوب اهل مكة كما طبعنا على قلوب
اوائلهم اذ علم انهم لا يقبلون الايات ولا يؤمنون بها والاعتداء هو الظلم مع العناد والمجاوزة عن الحد الذى
جعل وقوله عزوجل فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل هو يخرج على وجهين احدهما ما كانوا ليؤمنوا بالبينات

اذا جاءتهم

اذا جاءتهم البينات على السؤال وهكذا عادتهم انهم لا يؤمنون بالايات اذا اتاهم على السؤال والثانى
ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا على علم منهم انها ايات وانه رسول والله اعلم وقوله ثم بعثنا من بعدهم اى من
بعد من ذكرنا من الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بعثهما الى الملاء وغير الملاء باياتنا يحتمل الحجج
التى ذكرنا فاستكبروا هذا يدل انهم قد عرفوا ان ما جاءهم الرسول من الايات انها ايات لكنهم عاندوا وكابروا
ولم يخضعوا فى قبولها وكانوا قوما مجرمين وقوله عزوجل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين
قال بعضهم قوله فلما جاءهم الحق من عندنا اى الحجج والايات من عندنا قالوا ان هذا يعنون الحجج والبراهين
التى جاءهم موسى لسحر مبين يسمون الحجج والبراهين سحرا لما ان السحر عندهم باطل لذلك سموا الحجج انها
سحر وذلك تمويه منهم يموهون على الناس لئلا يظهر الحق عندهم فيتبعونه وقال بعضهم الحق هو الاسلام
والدين كقوله ان الدين عند الله الاسلام قالوا ان هذا لسحر مبين يعنون الحجج والايات التى جاءهم بها
للدين لانه جاءهم بالدين وجاءهم ايضا بحجج الدين واياته قالوا بحجج الدين والاسلام سحرا فى التأويلين جميعا
سموا الحجج سحرا وقوله وجاءهم الحق من عندنا اى بامرنا وكذلك قوله ان الدين عند الله الاسلام اى الاسلام
هو الدين الذى امر الله به لانه يفهم للعند مكان ينتقل من مكان الى مكان ولكن معنى العند معنى الامر وعلى تخريج
قوله ان الذين عند ربك يعنى الملائكة لا يستكبرون عن عبادته اى ان الذين بامر ربك يعبدونه ولا
يستكبرون عن عبادته لما انه لم يفهم من مجىء الحق من عنده مكان فعلى ذلك لا يجوز ان يفهم من قوله
ان الذين عند ربك المكان اقرب المكان منه ولكن التأويل ما ذكرنا ان المفهوم من عند الله امره والله اعلم
وقوله عزوجل قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا والحق ما ذكرنا ولا يفلح الساحرون الافلاح هو
الظفر بالحاجة يقول ولا يفلح الساحرون اى لا يظفرون بالحاجة ولا يغلب لان السحر باطل ولا يغلب
الباطل بل الحق هو الغالب والسحر هو المغلوب على ما غلب الحق الذى جاء به موسى السحر الذى جاء به سحرة فرعون
او يقول لا يفلح الساحرون فى الاخرة بسحرهم فى الدنيا ويحتمل قوله ولا يفلح الساحرون بسحرهم فى حال سحرهم
كقوله لا يفلح الظالمون ولا يفلح الكافرون اى لا يفلحون بظلمهم فى حال ظلمهم واما اذا تركوا الظلم فقد افلحوا
والله اعلم وقوله عزوجل قالوا اجئتنا لتلفتنا قيل لتصرفنا ولتصدنا قال القتبى لفتت فلانا عن كذا اذا صرفته
والالتفات منه وهو الانصراف وقال ابو عوسجة لتلفتنا اى تردنا وتصرفنا على ما ذكر القتبى قال يقال لفته
يلفته لفتا وقوله عزوجل عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام والاوثان ويحتمل ما وجدنا عليه اباءنا
من عبادة فرعون والطاعة له وتكون لكما الكبرياء فى الارض قال اهل التأويل الكبرياء الملك والسلطان
والشرف اى الملك الذى كان لفرعون والسلطان يكون لكما باتباع الناس لكما لان كل متبوع مطاع معظم
مشرف ويحتمل قوله وتكون لكما الكبرياء فى الارض اى الالوهية التى كانت يدعى فرعون لنفسه لكما لان
عندهم ان كل من اطيع واتبع فقد عبد ونصب الها وما نحن لكما بمؤمنين اى بمصدقين فيما تدعوننا اليه او ما
تدعون من الرسالة وقوله عزوجل ائتونى بكل ساحر عليم هذا من فرعون ينقض ما ادعى من الالوهية حيث
اظهر الحاجة الى غيره ولا يجوز ان يكون المحتاج الها وقوله عزوجل فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم
ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله اى سيبطل عمل السحر الذى قصدوا به اى يجعلونه مغلوبا
كقوله ولا يفلح الساحرون اى لا يغلب الساحرون ولا يظفرون بالحاجة ان الله لا يصلح عمل المفسدين اى لا يصلح
ما افسدوا من اعمالهم فيجعلهم صالحين وقوله عزوجل ان الله لا يصلح عمل المفسدين هو ما ذكرنا اى لا يجعلهم باعمالهم
الفاسدة صالحين او لا يجعل اعمالهم الفاسدة وقال بعضهم لا يصلح اى لا يرضى بعمل المفسدين وقوله عزوجل ويحق
الحق بكلماته ولو كره المجرمون ذكر ان يحق الحق والحق حق وان لم يحق الحق وذكر كذلك فى الباطل ليبطل
الباطل والباطل باطل وان لم يبطل ولكن يحتمل قوله ليحق الحق ويبطل الباطل اى ليجعل الحق فى الابتداء حقا ويجعل
الباطل فى الابتداء باطلا فيكون باطلا بابطاله الباطل يكون باطلا وبتحقيقه الحق يكون حقا وهو كما يقال هدى
فاهتدى واضله فضل اى يهدى ايتم اهتدى وباضلاله ضل فعلى ذلك بابطاله الباطل بطل وبتحقيقه الحق حق
والله اعلم وقوله بكلماته يحتمل وجوها يحتمل يحق الحق بكلماته ما وعد موسى قومه من العذاب التى وعد من النعمة لهم
كقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقوله
عزوجل فما امن لموسى الا ذرية من قومه يحتمل قوله من قومه من قوم موسى لما قيل ان موسى كان من اولاد اسرائيل
لهم من ذريته من هذا الوجه يقال اهل بيت فلان وان لم تكن البيت له ويحتمل قوله الا ذرية من قومه من
فرعون فهو نسب اليه لما ذكرنا وقال اهل اهل التأويل اراد بالذرية القليل منهم اى ما امن منهم الا
القليل ولكن لا ندرى ذلك وقوله عزوجل فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون يحتمل قوله
ما امن من امن من قومه الا على خوف من فرعون وملائهم اى امنوا وان خافوا من فرعون وملائهم ويحتمل ما
ترك من قومه الايمان بموسى من ترك الا على خوف من فرعون ان يفتنهم اى يقتلهم ويعذبهم فعلى هذا دلالة
ان الخوف لا يعذر المرء فى ترك الايمان حقيقة وان كان يعذر فى ترك اظهاره لان التصديق يكون بالقلب
ولا احد من الخلق يطلع على ذلك لذلك لم يعذر فى ترك اتيانه ثم لا يعذر على اسراره الا ترى الى قوله

وقال رجل من آل فرعون يكتم ايمانه كان مؤمنا فيما بينه وربه وان لم يظهر وقوله عز وجل وان فرعون لعال في الارض وهو ما قال عز وجل ان فرعون علا في الارض اي قهر وغلب على اهل الارض وانه لمن المسرفين وقوله عز وجل قال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فيه دلالة ان الايمان والاسلام واحد في الحقيقة لانه بدأ بالايمان بقوله ان كنتم آمنتم بالله وختم بالاسلام بقوله ان كنتم مسلمين دل انهما واحد هو اعتقاد ترك تضييع كل حق والاسلام اعتقاد كل حق وترك تضييعه والله اعلم والاسلام هو جعل كلية الاشياء لله سالمة والايمان هو التصديق بكلية الاشياء فيما فيها من الشهادة لله بالربوبية له والالوهية وقوله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون قال ذلك لما خافوا مواعيد فرعون وعقوباته كقوله للسحرة لما آمنوا لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف الاية فقال عند ذلك عليه توكلوا في دفع ذلك فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين قوله لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يحتمل ما قاله على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم ما قبل ان يقتلهم ويعذبهم والله اعلم هذا يخرج على وجهين احدهما اي لا تجعل لهم علينا الظفر والنصر فيظنون انهم على هدى وعلى خوف ونحن على ضلال وباطل والثاني لا تجعلنا تحت ايدي الظلمة فيعذبوننا فيكون ذلك فتنة لنا ومحنة على ما فعل فرعون بالسحرة لما آمنوا وقوله عز وجل ونجنا برحمتك من القوم الكافرين فيه قوله الظالمين والكافرين واحد والله اعلم وقوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة الاية يحتمل وجهين احدهما يحتمل قوله ان تبوءا لقومكما اي اتخذا لقومكما مساجد يصلون فيها واجعلوا بيوتكم اي اجعلوا في بيوتكم التي اتخذتم المساجد قبلة ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا الامر باتخاذ المساجد ويكون في قوله اجعلوا بيوتكم قبلة الامر باتخاذ القبلة في المساجد التي امر بها والثاني قوله ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا اي اتخذا لقومكما بمصر مساجد على ما ذكرنا وقوله عز وجل واجعلوا بيوتكم قبلة اي اجعلوا في بيوتكم التي بنيتم لانفسكم قبلة تتوجهون اليها ويكون فيه دلالة ان نصب الجماعة واتخاذ المساجد والقبلة متوارثة ليست بمبتدعة لنا وفي شريعتنا خاصة ويؤيد ما ذكرنا ان فيه الامر باتخاذ المساجد وقوله واقيموا الصلوة دل ان الامر باقامة الصلوة على ان الامر بتبوية البيوت امر باتخاذ المساجد و الاية التي ذكر فيها اتخاذ المساجد تخرج مخرج الاباحة لنا وهو قوله في بيوت اذن الله ان ترفع هو في الظاهر اباحة قيل هو امر في الحقيقة وان كان في الظاهر اباحة الا ترى انه قال ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها الاية ولا شك ان ذكر اسمه والتسبيح له امر فيه دل انه ما ذكرنا والله اعلم واما اهل التأويل فانهم قالوا انهم كانوا يخافون فرعون وملاءه فامروا ان يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا خوفا من فرعون هذا يحتمل اذ كان قبل هلاك فرعون وقبل ان يستولوا على مصر واذا كان بعد هلاكه وبعد ما استولوا وملكوا على مصر واهله فالامر فيه ما ذكرنا امر باتخاذ المساجد ونصب الجماعة فيه واقامة الصلوة فيها وقال بعضهم من اهل التأويل وجهوا بيوتكم ومساجدكم نحو القبلة لكن هذا بعيد لا يكون بناء الا ويكون جهة منها الى القبلة فلا معنى له والوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل الامر بتبوية البيوت لقومهما بمصر وجعل البيوت قبلة وجهين احدهما الامر بالانفصال من فرعون وقومه حتى اذا ارادوا الخروج من عندهم قدروا على ذلك ولا يكون المرور عليهم وكان ذلك الانفصال انما كان من جهة القبلة والثاني ما ذكرنا ارادوا ان يعتزلوهم حتى يتهيأ لهم الصلوة فيها وكان لا يتهيأ لهم في بيوت فرعون وقوله عز وجل وبشر المؤمنين يحتمل البشارة في الاخرة بالجنة وانواع النعم ويحتمل ان يبشرهم بالملك في الدنيا والظفر على فرعون وانواع النعم بعد ما اصابوا الشدائد من فرعون كقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابو عوسجة قوله ان تبوءا لقومكما تهيئا من التهيئة اي هيئا لهم موضعا كقوله ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق اي هيأنا لهم مهيأ صدق وقوله عز وجل وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة يحتمل قوله زينة من انواع ما آتاهم من الانزال والنبات كقوله حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت ونحوه ويحتمل الزينة التي كانوا يتزينون بها من المراكب والملبس وما يتحلون بها من انواع الحلي واموالا كثيرة سوى ذلك وقوله عز وجل ربنا ليضلوا عن سبيلك قالت المعتزلة تأويل قوله ربنا انك آتيت فرعون وملاءه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك اي آتاهم لئلا يضلوا الناس عن سبيله ولكن اضلوهم وقالوا هذا كما يقال لم تك هذا كذا لتفعل كذا ولكن فعلت ونحوه من الكلام ولكن عندنا هو ما ذكرنا انهم الاموال وما ذكر ليضلوا عن سبيله لانه اذا علم انهم يضلون الناس عن سبيله ما آتاهم ليضلوا وهو كما ذكرنا في قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله نسارع لهم في الخيرات الاية وامثاله فكذا والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اطمس على اموالهم واجعل في قلوبهم قساوة وغلظة تنفر الاتباع ومن يقلد عن اتباعهم اتباعهم وتقليدهم فيكون ذلك اهون علينا في استنقاذ الاتباع وادعى لهم الى الايمان اعني الاتباع من يقلدهم ويكون ذلك سببا لابعادهم عن اتباعهم وتقليدهم اياهم هذا وجه والثاني قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اي اجعل ذلك

اية تضطرهم الى الايمان فانهم لم يؤمنوا بالايات التي ارسلتها عليهم من الطوفان والجراد وما ذكر من البلايا فيكون قوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم هذا من طمس الاموال وقساوة القلوب و شدتها والله اعلم قال بعض اهل التأويل واشدد على قلوبهم واطبعها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وهو الغرق فعند ذلك يؤمنون اما بهذه الايات فلا يحتمل اذ كان الله عز وجل اخبر موسى انهم لا يؤمنون فيسع له هذا الدعا واما ما قبل ان يخبره بذلك فلا يسع له ان يدعو بهذا وهو انما ارسله عليهم ليدعوهم الى الايمان والطمس قال ابو عوسجة هو الذهاب بها اي اذهب بها قال القتبي قوله ربنا اطمس اي اهلكها وهو من قولك طمس الطريق اذا عفا ودرس وقال غيره الطمس هو المسخ كقوله فطمسنا على اعينهم اي مسخناهم وقال بعضهم اطمس هو التغيير عن جوهرها دعا موسى بهذا الدعاء بالامر ايس من ايمانهم وهو كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك الاية عند الاياس منهم فعلى ذلك سبيل هذا والله اعلم وقوله عز وجل قال قد اجيبت دعوتكما قال بعضهم ان موسى كان يدعو وهرون يؤمن على دعائه فقال الله عز وجل قد اجيبت دعوتكما سمي كليهما داعيا ولهذا قال محمد بن الحسن رحمه الله في بعض كتبه ان الامام يدعو في القنوت في الوتر والقوم يؤمنون وقوله عز وجل فاستقيما على الرسالة وما امرتكما به ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وهو كقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون وكقوله ولا تتبع اهواءهم ونحوه وان كان العلم محيطا ان الانبياء صلوات الله عليهم لا يتبعون سبيل اولئك ولا يتبعون اهواءهم لما عصمهم عز وجل ولكن ذكر هذا والله اعلم لتعلم ان العصمة لا تزيل النهي والامر بل تزيد حظرا ونهيا والله اعلم وقوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده هذا ظاهر في قوله وجاوزنا ببني اسرائيل يجوز لانه خلق فعال دلالة واضافة الى نفسه جاوزهم وبنو اسرائيل هم الذين تجاوزوا دل ذلك انه خالق فعلهم واما قوله حتى اذا ادركه الغرق اي حتى اذا غرق لانه ذكر في بعض القصة ان فرعون لما ساحل البحر فرأى البحر منفرجا فقال انما انفرج البحر لي فلما دخل غرق فعند ذلك قال غرقا آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين ثم انما انه لم يقبل في ذلك الوقت لوجهين احدهما لما يحتمل ان يكون ايمانه عند رؤية البأس وخوف الهلاك فهو ايمان دفع البأس لا ايمان حقيقة وهو على ما اخبر عن ايمان الكفرة في الاخرة لما عاينوا العذاب كقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب وكقوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وكقولهم نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وامثاله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لما عاينوا من العذاب اكبر واشد مما عاين فرعون ثم اخبر انهم لو ردوا لعادوا لما نهوا الى ما كانوا يعملون لكنهم قالوا ذلك قول دفع فعلى ذلك ايمان فرعون ايمان دفع البأس عن نفسه لا ايمان حقيقة واختيار والثاني ان الايمان والاسلام هو تسليم النفس الى الله فاذا امن في وقت خرجت نفسه من يده لم يصر مسلما نفسه الى الله اذ نفسه ليست في يده ولذلك لم يقبل الايمان في ذلك الوقت وقت الاشراف على الهلاك ويحتمل وجها اخر وهو ان الايمان بالله انما يكون بالاستدلال بالشاهد على الغائب ولا يمكن الاستدلال على الغائب في ذلك الوقت اذ لا يكون ذلك الا بالنظر والتفكر وفي ذلك الوقت لا يمكن النظر والتفكر لذلك لم يكن ايمان حقيقة والله اعلم واما قوله فاليوم ننجيك ببدنك قيل بوجوه قوله ننجيك من النجوة اي نلقيك على النجوة وهو مكان الارتفاع والاشراف ليراه كل احد انه هلك ليظهر لهم انه لم يكن الها على ما ادعى واما سائر بدن قومه لم يلق على النجوة ولكن بقيت في البحر والثاني قيل ننجيك اي نخرجك من البحر ولا نتركك فيه لتكون لمن خلفك اية والثالث ننجيك ببدنك ولا نتبع بدنك روحك لانه ذكر في القصة انهم لما غرقوا صاروا وعرضوا الى النار كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا ثم اخبر انه لم يوجه روحه الى النار ولكن اخرج بدنه وهوت روحه الى النار مع سائر قومه والله اعلم ليرى جسده ويظهر كذبه ولا يشتبه امره عليهم وقوله عز وجل لتكون لمن خلفك اية يحتمل وجهين يحتمل ليكون هلاكك اية فلا يدعي احد الربوبية والالوهية مثل ما ادعى هو ويقول لتكون لمن خلفك آية اي من شاهدك كذلك غرقا ملقى كان آية له وقوله عز وجل وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون قال بعض اهل التأويل يعني اهل مكة عن هلاك فرعون وقومه لما قالوا ما هذا الا افك مفترى وما هذا الا سحر يقولهم غافلون عما اصاب اولئك اذ مثل هذا لا يفترى اي عن هذه القصص ويحتمل وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون اي كثيرا منهم كانوا غافلين عما اصابهم والغفلة تكون على وجهين احدهما غفلة اعراض وعناد بعد العلم ومعرفتهم ان ذلك حق والثاني يغفل بترك النظر والتفكر فكلا الوجهين مذموم وقوله عز وجل ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق قال عامة اهل التأويل نوانا انزلنا بني اسرائيل منزل صدق وقال بعضهم بوأنا هيأنا لبني اسرائيل مبوأ صدق ومهيأ صدق حسنا كقوله واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين الاية اي تهيئ للمؤمنين وقال بعضهم قوله من اهلك تبوئ المؤمنين الاية اي تهيئ للمؤمنين وقال بعضهم قوله بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق اي مكناهم تمكين صدق وهو كقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض الاية يحتمل ما ذكر

من التثبيت والتمكين الذي ذكر في هذه الآية وقوله مصدق وقال بعضهم منزل صدق اي كريمة وقال منزل صدق
اي حسن ويحتمل وجهين آخرين احدهما انه وعدهم في الارض فانجز ذلك الوعد فهو مبوأ صدق اي تمكين
صدق حيث انجز ذلك الوعد وصدق الوعد ما ذكر واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون الآية
والثاني مبوأ صدق اي مبوأ اهل صدق لان الشام كان لم يزل منزل اهل صدق وعلى هذا يخرج قوله
وعلى هذا يخرج قوله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الآية اي اخرجني مخرج اهل صدق
والله اعلم وقوله عز وجل ورزقناهم من الطيبات قال اهل التأويل يعني المن والسلوى ولكن الطيبات
هي التي طابت بها الانفس مما حل بالشرع مما لا تبعة على ربابها مما لم يعصوا فيها وقوله عز وجل فما اختلفوا
الا من بعد ما جاءهم العلم اي فما اختلفوا في الدين الا من بعد ما جاءهم العلم انه حق وقيل فما اختلفوا في محمد
في انه رسول الله الا من بعد ما جاءهم العلم انه رسول الله وقيل فما اختلفوا في القرآن والآيات التي انزلها
على رسوله الا من بعد ما جاءهم العلم انه منزل من عند الله ويحتمل قوله فما اختلفوا في موسى انه رسول الله
الا من بعد ما جاءهم العلم انه رسول الله وقوله عز وجل ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون الآية ظاهرة من الوجوه التي ذكر وقوله ان ربك يقضي بينهم يحتمل وجهين احدهما الجزاء والثواب
والثاني في تبيين المحق والمبطل وقوله عز وجل فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن
الكتاب اختلف فيه قال بعضهم الخطاب به والمراد به رسول الله ما كنت في شك مما اخبرتهم وانبأتهم
فمن قال الخطاب لرسول الله والمراد به غيره وهو ما ظهر في الناس انهم يخاطبون من هو اعظم منزلة عندهم
وقدرا ويريدون به غيره والا لا يحتمل ان يكون رسول الله يشك فيما انزل اليه قط وهو باب كقوله اما
يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما الآية ومعلوم انه في وقت ما خاطب به لم يكن ابواه احياء دل انه
اراد به غيره فعلى ذلك الاول ومن قال الخطاب والمراد به من حضر رسول الله يقول ان الوفود من الكفرة
كانوا يتقدمون رسول الله فيسألونه شيئا فيخاطب الذين يتقدم وكان يحضره الوفد والجماعة يقول
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب وقوله انزلنا اليك على هذا التأويل هو منزل
اليه اذ كل منزل على رسول الله عليه والى كل احد لقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم امر باتباع
ما انزل اليهم دل ان كل منزل على رسول الله نزل عليهم ومن قال الخطاب لرسول الله والمراد به غيره لما
لا يحتمل ان يكون رسول الله يشك في شيء مما انزل اليه ولكنه يريد به التقرير يريد به التقرير عنده لقول الكفار
الذي يلقي على محمد شيطان فيريد به التقرير عنده او يخاطب به كل شاك كقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
هو يخاطب انسانا واحدا ولكن المراد به كل انسان مغرور وكل كافر وذلك جائز في القرآن كثيرا ان يخاطب
به كلا في نفسه ومن قال خاطب به رسوله واراد هو ايضا وهو كان في الابتداء على غير يقين انه يوحى اليه
اولا كقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب وقوله ما كنت ما تدري ما الكتاب وقوله ما كنت ما تدري
ما الكتاب ولا الايمان فقال وان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب الانباء
التي اخبرتهم وانبأتهم وادعيت انها وحيت اليك ليخبروكم على ما اخبرتهم وقوله فسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك قال بعضهم فاسأل الذين يقرؤن الكتاب يعني من آمن منهم وقال بعضهم سل اهل الكتاب منهم
يخبرونك انه مكتوب عندهم كقوله يجدونه مكتوبا عندهم الآية وقوله عز وجل لقد جاءك الحق من ربك
قيل الحق القرآن جاء من ربك وقيل جاء البيان انه من عند الله وقوله فلا تكونن من الممترين الشاكين ولا تكونن
من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين هو ما ذكرنا انه يريد بالخطاب غيره والا لا يحتمل ان يكون
رسول الله يكون من الشاكين او يكون من الذين يكذبون بآيات الله او يكون من الخاسرين وقوله عز وجل
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون قوله حقت عليهم كلمة ربك هو قوله عز وجل لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين هذا يكون في الختم من يختم به يعني بالكفر فقد حقت كلمة ربك لاملأن جهنم او حقت
عليهم كلمة ربك ما ذكر في آية اخرى اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الآية او كلمة ربك ما ذكر ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة وقوله حقت عليهم كلمة ربك اي علم ربك باحوالهم اي من كان علمه انه لا يؤمن وقت اختياره
الكفر كقوله من يضلل الله فلا هادي له اي من يضلل الله فلا هادي له وقت اختياره الكفر وكذلك قوله والله
لا يهدي القوم الظالمين وقت اختياره الظلم ونحو ذلك فالتأويل الاول يرجع الى الختم به والثاني الى وقت
من يثبت عليه علم ربه انه لا يؤمن الى وقت انه لا يؤمن في ذلك الوقت وقوله عز وجل ولو جاءتهم كل
آية حتى يروا العذاب الاليم قيل في الدنيا ايمان دفع العذاب ويحتمل في الدنيا وقد ذكرنا هذا وقوله
عز وجل فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب الآية اي لم
تكن القرى آمنت عند معاينة البأس ايمانا نفعها الا ايمان قوم يونس فانهم آمنوا ايمان حقيقة وعلم الله
صدقهم من ايمانهم فنفعهم ايمانهم هذا يخرج على وجوه احدها ان سائر القرى كان ايمانهم عند اقبال العذاب
اليهم ووقوعه عليهم فلم ينفعهم ايمانهم الا قوم يونس فان ايمانهم انما كان لتخويف العذاب فينفعهم والثاني
يحتمل ان يكون قوم يونس كان نزول العذاب بهم على التخيير والتمكين ان قبلوا الايمان وآمنوا دفع العذاب

عنهم وان

عنهم وان لم يقبلوا انزل بهم والثالث كان ايمان سائر القرى بعد ما عاينوا مقاسهم في النار فآمنوا فيكون
ايمانهم ايمان اضطرار وقوم يونس آمنوا قبل ان يعاينوا ذلك ويشبه ان يكون قوله فلولا كانت قرية
آمنت بعد وقوع العذاب والبأس فنفعها ايمانها الا قوم يونس فانهم آمنوا اذا عاينوا العذاب قبل ان يقع
وايمان فرعون وقومه انما كان بعد ما غرقوا وبعد ما خرجت انفسهم من ابدانهم فلم يقبل وايمان قوم يونس
كان قبل ان يقع العذاب بهم وانفسهم في ابدانهم بعد فقبل وهو ما ذكر عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه
ظلة وظنوا انه واقع بهم الآية آمنوا عند ما عاينوا قبل ان يقع بهم وسائر الامم الخالية كان منهم الايمان
بعد وقوع العذاب بهم من نحو عاد وثمود وامثاله واصله ما ذكرنا آنفا وقوله عز وجل لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا قوله كشفنا عنهم الوعد بحلول العذاب بهم وعذاب الخزي هو العذاب
الفاضح والآية الخزي هو العذاب وقوله عز وجل ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا قالت المعتزلة
قوله لو شاء ربك لآمن من في الارض مشية القهر والقسر لو شاء لاجبرهم وقهرهم جميعا فيؤمنوا والا فقد
شاء ان يؤمنوا مشية الاختيار ولكنهم لم يؤمنوا واستدلوا على ذلك بقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين
فيقال لهم ان مشية الاختيار هي الظاهرة عندكم ومشية الجبر والقهر غائبة فاذا وجد منه مشية الاختيار
فلم يؤمنوا ولم تنفذ مشيته فيهم كيف يصدق هو في الاخبار عن المشية التي هي غائبة انها لو كانت لآمنوا
هذا فاسد على قولهم وبعد فان المشية لو كانت مشية القهر لكانوا مؤمنين بتلك المشية وهم خلقه
لان كلا كافر مؤمن بخلقته لان خلقة كل احد تشهد على وحدانية الله فاذا كانوا مؤمنين بالخلقة ثم انه ذكر
انه لو شاء لآمنوا دل انه لم يرد به مشية القهر ولكنه اراد مشية الاختيار وتأويله عندنا هو ان عند الله
لطف لو اعطاهم كلهم لآمنوا جميعا لكنه اذ علم انهم لا يؤمنون لم يعطهم وهو التوفيق والعصمة لكنه اذ علم
منهم انهم لا يؤمنون شاء ان لا يؤمنوا ثم لا يحتمل ان يتحقق الايمان بالجبر والقهر لانه عمل القلب والجبر والاكراه
لا يعمل على القلب فهو وان تكلم بكلام الايمان فلا يكون مؤمنا حتى يؤمن بالقلب فيكون التأويل على قولهم
ولو شاء ربك فلا يؤمنوا فهذا متناقض فاسد وبعد فان الايمان لا يكون في حال الاكراه والاجبار لان
الاكراه يزيل الفعل عن المكره كان لا فعل له في الحكم وقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فان قيل اليس
قال الله عز وجل تقاتلونهم او يسلمون حتى يسلمون وذلك اكراه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فذلك اكراه فكيف يجمع بين الآيتين قيل لوجهين احدهما ما ذكر ان هذه
السورة مكية وقوله تقاتلونهم او يسلمون مدنية فيحتمل قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لا تكرههم
ثم امر بالمدينة بالقتال والحرب والاكراه عليه والثاني يجوز ان يجمع بين الآيتين وهو ان يكون قوله تقاتلونهم
او يسلمون اي تقاتلونهم حتى يقولوا قول الاسلام ويتكلموا بكلام الايمان دليله ما روي حتى يقولوا لا اله الا
الله والقول يقول لا اله الا الله على غير حقيقة ذلك في القلب ليس بايمان وفي هذه الآية حتى يكونوا مؤمنين
وبالاكراه لا يكونون مؤمنين حقيقة لانه عمل القلب والاكراه مما لا يعمل عليه والله اعلم وتأويله قوله
افانت تكره الناس اي لا تملك ان تكرههم وكان رسول الله لشدة حرصه ورغبته في ايمانهم كاد ان يكرههم على
الايمان اشفاقا عليهم كقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله عز وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله قيل بمشية الله وقيل بعلم الله وقيل بامر الله وبارادته وهو ما ذكرنا لا تؤمن نفس الا بمشية الله
وارادته في ذلك ولا يحتمل قوله الا باذن الله سوى المشية والارادة لانه كم من مأمور بالايمان لم يؤمن فلم
يعمل الامر ولا يحتمل الاباحة لا يباح ترك الايمان في حال واصله ما ذكرنا لانه لا يحتمل ان يكون عز وجل يعلم من خلقه
اختيار عداوته والخلاف له شاء لهم الولاية يخرج ذلك مخرج العجز لان في الشاهد من اختار عداوة احد
فالآخر يختار ولايته انه انما يختار لضعفه وعجزه فيه وقوله عز وجل ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
قيل الاثم على الذين لا يعقلون وقيل ويجعل العذاب على الذين لا يعقلون اي لا يستعملون عقولهم
حتى يعقلون او على الذين لا ينتفعون بعقولهم وقال بعضهم في قوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها اي
لم تكن قرية آمنت فنفعها ايمانها عند نزول العذاب الا قوم يونس وقال بعضهم فهلا كانت آمنت اذا
بأسنا فكانت مثل قوم يونس فانهم آمنوا حين يروا العذاب واصله ما ذكرنا انه لا يحتمل ان يكون
الله تعالى يعلم من خلقه اختيار عداوته والخلاف له بالهم الولاية لا تخرج ذلك مخرج العجز لان
في الشاهد من اختار عداوة احد فالآخر يختار ولايته انه انما يختار لضعفه
والعجز والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله قيل وما كان لنفس في علم الله انها لا تؤمن
فتؤمن اي لا تؤمن نفس في علم الله انها لا تؤمن انما يؤمن واما من في علم الله انه لا يؤمن فلا يؤمن وقيل
وما كان لنفس اي لا تؤمن نفس الا بمشية الله اي اذا آمنت انما تؤمن بمشية الله ما يفعل انما يفعل بمشية
الله كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقال بعضهم قوله الا باذن الله اي بامر الله فمعناه اذا آمنت
انما تؤمن بامره لا تؤمن بغير امره فالاول اقرب والله اعلم وقوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
اي يجعل جزاء الرجس اي جزاء الكفر على الذين لا يعقلون اي الذين لا ينتفعون بعقولهم والله اعلم وقوله

عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض تأويله والله اعلم اي انظروا الى اثار نعمه واحسانه التي في السموات
والارض لكي تشكروه يقول انظروا الى ربوبيته والوهيته في السموات والارض فتوحدوه وتؤمنوا به ويقول
انظروا الى اثار سلطانه وقدرته فتخافوا نقمته وعقابه او انظروا الى اجناس الخلق وانشائه على تقدير واحد
ليدلكم على وحدانيته ونحو ذلك شيء في السموات والارض يقع عليه البصر الا وفيه دلالة الربوبية حتى طرفة
العين ولحظة البصر وقوله عز وجل وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون يحتمل وجوها يحتمل
يحتمل وما تغني الايات والنذر عن قوم همتهم المكابرة والمعاندة انما تغني الايات من همته القبول والانقياد
واما من همته المكابرة والعناد فلا تغني وهو كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية ويحتمل وما
تغني الايات والنذر في الاخرة عن قوم لا يؤمنون في الدنيا انما تنفع وتغني لقوم يؤمنون واما من لا يؤمن
فلا تغني والثالث وما تغني الايات والنذر والنذر يحتمل الرسل ويحتمل الوعيد التي اوعدوا والاحوال التي
تغيرت على اوائلهم والله اعلم وقوله عز وجل فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي فهل ينتظرون
يوما من الهلاك الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اي الا مثل ما انظروا الذين خلوا من قبلهم برسلهم من الهلاك
فهو يخرج على التوبيخ لانتظارهم هلاك الرسل وذهاب امرهم ويحتمل وجها اخر فهل ينتظرون ومن نزول العذاب
بهم الا مثل ما انتظر اولئك من نزول العذاب بهم الى هذا يذهب بعض اهل التأويل ويحتمل قوله فهل ينتظرون
من تأخيرهم الايمان الى وقت نزول العذاب بهم فهذا يخرج على الاياس من ايمانهم اي لا يؤمنون الى ذلك
الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم والوجه الاول على التوبيخ والتعيير وقوله قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين
ذلك وقوله عز وجل ثم ننجي رسلنا والذين امنوا قوله ننجي اي انجينا الرسل والذين امنوا لانه لم يكن بعده رسول
وتأويله والله اعلم انه وعد ان ينجي الرسل والذين امنوا حقا علينا ان ننجيهم وعدنا ان ننجي الرسل والذين امنوا
والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني قوله في شك من ديني الذي ادين به وان كنتم في شك
من ديني الذي ادعوكم اليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اذا شككتم في ديني الذي
ادعوكم اليه كنتم شاكين في دينكم الذي انتم عليه فتركتم دينكم الذي انتم عليه بالشك بذكر سفههم بتركهم اجابته
بالشك ودعائهم اياه بالشك يوجب الوقف في الاشياء ولا يوجب الدعاء اليه بطلان غيره لا الشك هذا والله
اعلم يحتمل وهو يخرج على وجهين ايضا احدهما على الاضمار والاخر على المنابذة والاضمار ما ذكرنا ان كنتم في شك
في ديني الذي ادين به وادعوكم اليه فانا لا اشك فيه هذا وجه الاضمار ووجه المنابذة يقول ان كنتم في شك
مما اعبد وادين به فلا تعبدون ذلك ولا تدينون به فانا لا اعبد ما تعبدون ولا ادين ما تدينون وهو كقوله
لكم دينكم ولي دين وقوله عز وجل ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والتوفي هو النهاية والغاية في الاضرار وما تعبدون
من الاصنام دونه لا يملكون ولا الاضرار لكم ان لم تعبد وما يذكر سفههم ويلزمهم الحجة ان الذي يتوفاهم
هو المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وقوله عز وجل وامرت ان اكون من المؤمنين يشبه ان يكون
قوله من المؤمنين من المرسلين كقوله انه من عبادنا المرسلين وقال انه من عبادنا المؤمنين فعلى ذلك هذا او
يحتمل الايمان نفسه على ما نهي ان يكون من المشركين او الشاكين فعلى ذلك امر ان يكون من المؤمنين المخلصين
له المسلمين انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا اي امرت ان اقيم نفسي لله خالصة
سالمة لا اشرك فيها غيره ولا اجعل لسواه فيها نصيبا او ان يقول اني امرت ان اقيم نفسي على ما عليها شهادة
خلقتها اذ خلقة كل نفس تشهد على وحدانية الله والوهيته ايقول اقم وجه امرك لما تدين به وتقيم عليه
ولا تكونن من المشركين هذا ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته واجبته
ولا يضرك ان تركت اجابته وطاعته وقوله ولا تدع من دون الله يحتمل لا تعبد من دون الله ما لا يملك جر المنفعة
ويحتمل الدعاء نفسه اي لا تسم من دون الله الها وقوله عز وجل فان فعلت فانك اذا من الظالمين ذكر ههنا الظلم
ان فعل ما ذكر والمراد منه الشرك وذكر في قصة آدم وحوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقد قرباها ولم يكونا مشركين انما كانا عصاة ليعلم ان ليس في الموافقة في الاسماء موافقة في الحقائق والمعاني
انما يكون الموافقة في الحقائق في موافقة الاسباب لذلك كان ما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو فيه نهي الرجاء والطمع الى من دونه اذا ضره لا يوجد ذلك من عند غيره وقوله
عز وجل وان يردك بخير فلا راد لفضله اخبر انه ان اراد خيرا فضلا فلا راد لذلك الفضل والخير والايمان
من اعظم الخيرات وافضلها فاذا اراد الانسان كان لا يملك احد دفع ما اراد ولا رده دل انه اذا اراد الايمان
لاحد كان مؤمنا فهو ينقض على المعتزلة حيث قالوا انه اراد الايمان للخلق كلهم لكنهم لم يؤمنوا اذا خيرا انه اراد به
خيرا فلا راد لفضله وهم يقولون بل يملك العبد رد ما اراد له ودفعه وبالله العصمة وفيه ان ليس على الله فعل
هو خير فعل الخير لانه سماه فضلا والفضل هو فعل ما ليس عليه وهو المفهوم في الناس ان ما عليهم من الفعل لا يسمونه
فضلا انما يسمون الفضل ما ليس عليه والله اعلم وقوله عز وجل يصيب به من يشاء من الفضل والخير او من الشر وفيه
دلالة تخصيص بعض على بعض حيث قال يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم لا يعجل بالعقوبة
وقوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم قيل الحق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الحق القران الذي

انزل عليه

انزل عليه وامكن ان يكون الحق هو الدين الذي كانوا يدعوهم رسول الله اليه لانه قال يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني فليشبه ان يكون الحق هو الدين الذي شكوا فيه اي قد جاءكم ما يزيل عنكم ذلك الشك اذ لم تكابروا لما اقام عليهم الحجج
والبراهين ويحتمل الحق محمدا صلى الله عليه وسلم على ما ذكر بعض اهل التأويل كان رسول الله في اول نشوه
الى اخره ويحتمل الحق على ما ذكره بعضهم وهو ما ذكر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد سماه باسماء مختلفة سماه حقا وسماه نورا وشفاء ورحمة وهدى ونحوه وفيه كل ما ذكر من تأمله
وتفكر فيه وتمسك به وقوله عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه له في الدنيا والاخرة ومن ضل فانما
يرجع ضرر ضلاله اليه وجنايته عليه اي يأمر وينهى ليس بأمر وينهى لمنفعة تحصل له او لحاجة نفسه انما
يأمر وينهى لمنفعة للخلق ولحاجتهم وقوله عز وجل وما انا عليكم بوكيل اي بمسلط قال بعض اهل التأويل هو
منسوخ نسخته اية القتال لكنه لا يحتمل وان كان مأمورا بالقتال فهو ليس بوكيل ولا مسلط على حفظ
اعمالهم انما عليه التبليغ كقوله ان عليك الا البلاغ وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم
وكقوله ما عليك من حسابهم من شيء الاية وقوله عز وجل واتبع ما يوحى اليك يحتمل القران وغيره من الوحي
القران وقوله عز وجل واصبر حتى يحكم الله اي اصبر على اذاهم لانهم كانوا يؤذونه ويقولون فيه بما لا
يليق به يقول اصبر على اذاهم ولا تعجل عليهم بالعقوبة حتى يحكم الله عليهم بالعقوبة وقت عقوبته وهو خير
الحاكمين واصبر على تكذيبهم اياك حتى يحكم الله بينك وبين من كذبك وهو خير الحاكمين واصبر على تبليغ الرسالة
والقيام لما امرت به والله الموفق

السورة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت قال الحسن احكمت اياته بالامر
والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد وقال بعضهم احكمت اياته بالوعد والوعيد ثم فصلت بالامر والنهي وقال
بعضهم احكمت اياته حتى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ولا يملك احد التبديل ثم فصلت بينت ما يؤتى
وما يتقى وبينت ما لهم وما عليهم وقال بعضهم احكمت اياته فلم تنسخ ثم فصلت بالحلال والحرام وقيل فصلت
اي فرقت في التنزيل انزل شيء بعد شيء على قدر النوازل والاسباب فلم ينزل جملة لانه لو انزل جملة لاحتاجوا
الى ان يعرفوا لكل سببه وشأنه وخصوصه وعمومه فاذا انزل متفرقا في اوقات مختلفة على النوازل والاسباب
عرفوا ذلك على غير اعلام والابانة والتفصيل هو اسم التفريق واسم التبيين وذلك يحتمل المعنيين جميعا والله اعلم
وقوله عز وجل احكمت اياته اي احكمت حتى لا يرد عليه النقض والتناقض واحكمت حتى لا يملك احد التبديل والتغيير
او احكمت عن ان يقع فيها الاختلاف وقال بعضهم احكمت اياته بالفرائض وفصلت بالثواب والعقاب ثم
الاية تحتمل وجوها احدها العبرة والثاني الحجج والثالث العلامة ثم الاية كل كلمة في القران تمت فهي عبرة او حجة
او علامة لا تخلو عن احد هذه الوجوه الثلاثة وقوله عز وجل من لدن حكيم خبير من عند حكيم عليهم جاءت
هذه الايات وقوله عز وجل الا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير مبين وبشير اي من الله نذير ومن عنده بشير
من اتبع ونذير من خالف وقوله الا تعبدوا الا الله في شهادة خلقتكم هو مستحق للعبادة ويحتمل لا تعبدوا
الا توحدوا الا الذي في شهادة خلقتكم وحدانيته وقوله عز وجل وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
ان كانت الاية في الكفار فيكون قوله استغفروا ربكم اي اسلموا ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه عن كل
معصية وكل اثم تأتونها وان كان في المسلمين فهو ظاهر فيكون قوله استغفروا وتوبوا واحدا وقوله عز وجل
يمتعكم متاعا حسنا اي يمتعكم في الدنيا متاعا تستحسنون الاخرة في ذلك التمتع واما الكفار فانهم لا يستحسنون
في الاخرة ما متعوا في الدنيا لان تمتعهم في الدنيا للدنيا والمؤمن ما يتمتع في الدنيا والمؤمن ما يتمتع في الدنيا
يتمتع لامر الاخرة والتزود لها والله اعلم وقوله عز وجل ويؤت كل ذي فضل فضله يحتمل قوله يؤت
كل ذي فضل في الدنيا جزاء فضله في الاخرة ويحتمل يؤت بمعنى اتى اي ما اتى كل ذي فضل في الدنيا انما اتاه بفضله
وقوله ويؤت كل ذي فضل فضله اي ويؤت كل ذي فضل في دينه في الدنيا فضله في الاخرة او يقول يؤت
كل ذي فضل في الدنيا والاخرة فضله لان اهل الفضل في الدنيا هم اهل الفضل في الاخرة وان تولوا ولم يسلموا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير الاية ظاهرة وقال العظيم في موضع اخر هذا لما يكبر على الخلق ويعظم ذلك
اليوم قال بعض اهل الفقه في قوله الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت دلالة تأخير البيان لانه قال احكمت اياته ثم
ثم فصلت وحرف ثم من حروف الترتيب ففيه جواز تأخير البيان والله اعلم وقوله عز وجل الى الله مرجعكم
اي اليه اعد لكم مرجعكم من وعد ووعيد وهو على كل شيء قدير اي وهو على كل ما وعد واوعد قدير وقوله
عز وجل الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه عن عبد الله بن شداد كان احدهم اذا مر بالنبي تغشى بثوبه
وحنى صدره وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله وذكره قال بعضهم نزلت
الاية في رجل له يقال له الاخنس بن شريق الثقفي كان يجالس النبي ويظهر له امرا حسنا وكان حسن
المنظر حسن الحديث وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه حديثه ويقربه مجلسه وكان يضمر خلاف ما يظهره

فانزل الله الا انهم يثنون صدورهم يقول يكتمون ما في صدورهم ويستترون وهو قول ابن عباس واصل تثنية الصدور هو ان
يضم احد طرفي الصدر الى طرفي الاخر ليكون ما اضمروا استر واخفى ويشبه ما ذكر من ثني الصدور ان يكون كناية عن ضيق
الصدور كقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا او عبارة عن الكبر كقوله ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله
الاية وكان اصله الميل الى غيره وهو ما قال ابو سجة يثنون صدورهم اي يميلون الى غيره وكذلك قوله ثاني عطفه
وقوله ليستخفوا منه قال بعضهم من الله وقال بعضهم منه اي رسول الله لكن ان كانت الاية في المنافقين على ما ذكر
بعض اهل التاويل فهو الاستسرار والاستتار من رسول الله لانهم كانوا يظهرون الموافقة ويضمرون له العداوة وان
كانت الاية في المشركين فهو على الاستسرار والاستتار من الله لانهم لا يبالون الخلاف لرسول الله واظهار العداوة
وعندهم ان الله لا يطلع على ما يسرون ويضمرون في قلوبهم فاخبر انه يعلم ما اسروا وما اعلنوا ففيه دلالة اثبات
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يسرون ذلك ويضمرون فاخبرهم بذلك ليعلموا انما علم ذلك بالله تعالى وقوله
عز وجل الا حين يستغشون ثيابهم اي يستترون بها قال الحسن الا حين يستغشون ثيابهم في ظلمة الليل وفي اجواف
بيوتهم يعلم تلك الساعة ما يسرون وما يعلنون واصله انهم يعلمون ان الله هو الذي انشا هذه الصدور
والقلوب والثياب الذين سحوها واكتسوها ثم لا يملكون الاستتار بما كسبوهم فلان لا يملكون الا
ستتار بما تولى هو انشاؤه احق وقوله الا حين يستغشون الا انما هو تاكيد الكلام وهو قول ابي عبيدة وغيره
وقوله عز وجل انه عليم بذات الصدور قال اهل التاويل عليم بما في الصدور ولكنه يشبه ان قوله عليم بذات الصدور
عبارة عن صدورها تدبير وتمييز وهو التمييز وقوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها قال بعضهم
عني بالدابة المتصل بها وهو البشر واما غيره من الدواب فقد سخرها للمنتفع به وقال قائلون اراد كل دابة تدب
على وجه الارض من المنتفع به وغيره وتمامه ما من دابة في الارض جعل قوامها وحياتها بالرزق الا على الله انشاء
ذلك الرزق لها ثم من الرزق ما جعله بسبب ومنه ما جعل بغير وقوله الا على الله رزقها اختلف ايضا قال
بعضهم قوله على الله رزقها اي على الله انشاء رزقها وخلقه لها الذي به قوامها وحياتها وهو كقوله في
السماء رزقكم اي بشيء ويخلق رزقنا بسبب من السماء من المطر وغيره فعلى ذلك قوله على الله رزقها اي على الله
انشاء رزقها وخلقه لها وقيل على الله رزقها اي على الله ان يبلغ اليها رزقها وما قدر لها وما به معاشها
ثم قوله على الله قال بعضهم ما جاء هاهنا من الرزق انما جاء من الله لم ياتها من غيره وعلى الله بمعنى من الله وذلك
جائز في اللغة كقوله اذا اكتالوا على الناس اي عن الناس وهو قول مجاهد ويحتمل قوله على الله رزقها اي على
الله وفاء ما وعد وقد كان وعدان يرزقها فعليه وفاء وعده وانجازه ويحتمل وجها اخر وهو انه لما خلقها
انه يبقيها الى وقت عليه تبليغ ما به تعيش الى ذلك الوقت والاجل الذي خلقها ليبقيها الى ذلك وبعضه قريب
من بعض وقوله عز وجل ويعلم مستقرها ومستودعها اختلف فيه قال بعضهم مستقرها بالليل ومستودعها
بالنهار في معاشها قال بعضهم المستقر الرحم والمستودع الصلب وقال بعضهم المستقر الصلب والمستودع الرحم
وقال بعضهم المستقر المتقلب في الدنيا والمستودع مثواها في الاخرة كقوله والله يعلم متقلبكم في الدنيا وغيركم
في معاشكم ومثواكم اي قراركم ومقامكم في الاخرة وقال بعضهم مستقرها في الدنيا ومستودعها في القبر ويشبه ان
يكون هذا عن العلم بها في كل حال سكونها وفي حال حركتها لا تخلوا اما ان تكون ساكنة تارة او متحركة اي يعلم منها كل حالها
ويشبه ان يكون صلة ما تقدم وهو قوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الاية يخبر انه اذا لم يخف عليه
كون كل دابة في بطن الارض وما تغيض به الارحام وما استودع في الاصلاب كيف يخفى عليه اعمالكم التي عليها العقاب
ولكم بها الثواب وفيها الامر والنهي والله اعلم وكل في كتاب مبين اي مبين في كتابه قبل في اللوح المحفوظ ويحتمل القران
وغيره وقوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في موضع اخر خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وقال في موضع اخر قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وقال فقضاهن سبع
سموات في يومين وقال وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام يجوز ان يكون جعل للارض يومين يوما لوجودها
ويوما لعدمها وكذلك السماء جعل يوما لوجودها ويوما لعدمها كقوله يوم تبدل الارض غير الارض الاية
وكقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ويوم تشقق السماء بالغمام وكذلك ما بينهما جعل يوما لوجوده ويوما
لعدمه فيكون يوم السابع يوم البعث يكون لكل من ذلك يومين يوما لوجودها ويوما لعدمها وقد ذكرنا
شيئا في ذلك مما احتمل وسعنا في سورة الاعراف وفي لا يرد لالة ان السماء والارض دخلت تحت الاوقات بقوله
في ستة ايام اذ الايام عند الناس انما هو مضي الاوقات فان دخلت تحت الاوقات ليستا بازليتين على ما يقول
بعض الملحدة انهما ازليين كانا كذلك والله اعلم وجائز ان يكون اليوم السابع هو اليوم الذي المتحرفيه وهو المقصود
في خلقهما ذكر من الاشياء على التيسير وقوله عز وجل وكان عرشه على الماء ان كان العرش اسم الملك والسلطان
على ما قال بعض اهل التاويل فنا وبليه والله اعلم كان اظهر ملكه عن الماء معنى عن وذلك جائز في اللغة لانه بالماء يحيى
كل شيء وبداه كقوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وان كان العرش اسم السرير والكرسي على ما قاله بعض الناس فهو عرش
الملك وسرير خلقه ليكرم به اولياءه ويمتحن ملائكته بحمله وخدمته له على ما يكون للملوك الارض سرير يستخدمون
خدمهم في ذلك وهو خلق من خلائقه اضافه اليه كما يضاف الاشياء اليه مرة بالجملة ومرة بالاشارة والافراد

ولكن ما اضاف اليه بالاشارة فهو على تعظيم ذلك الشيء وما اضيف اليه الاشياء بالاجمال والارسال فهو على ذكر
عظمته وكبريائه كقوله ملك السموات والارض وخلق السموات والارض ونحوه فيه ذكر سلطانه وعظمته وقوله
بيت الله وان المساجد لله ونحوه وهو يخرج على ذكر تعظيم البيت والمساجد والله اعلم وقوله عز وجل ليبلوكم
ايكم احسن عملا اي خلق السموات والارض وما فيهما للمحن لم يخلق هذه الاشياء لانفسها انما خلقها للمحن فيهما
كقوله وسخر لكم ما في الارض وما في السموات جميعا لان خلقها لانفسها عبث لانها مخلوقة للفناء خاصة فكل
مخلوق للفناء خاصة فهو عبث لذلك كان ما ذكروا الله اعلم وقوله عز وجل ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت
ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين قوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت هذا القول نفسه
انكم مبعوثون من بعد الموت ليس يقولون هذا سحر ولكن اذا اخبرهم انهم مبعوثون من بعد الموت واقام
الحجج والبراهين على البعث فحينئذ قالوا الحجج البعث وبراهينه ما هذا الا سحر ويحتمل وجها اخر وهو ان يذكر
سفههم انهم اعتادوا نسبة كل شيء الى السحر حتى الاشياء التي لا تحتمل السحر وهو الاخبار لان السحر انما يكون
في تقليب الاشياء واما فيما يخبر عن شيء يكون فلا وقوله عز وجل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة
قيل الى وقت معلوم هو البعث ذكرا منه والله اعلم لانه وقت به ينقضي اجال الامم جميعا ليقولن ما يحبسه
اي كانوا يقولون ما يحبس عنا العذاب الذي يعدنا لم نزل عادتهم استعجالا العذاب استهزاء بهم وقوله عز وجل
الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم ذلك اذ جاء لا يملك احد صرفه عنهم كقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
وقوله ما لهم من الله من واق ونحوه وقوله وحاق بهم قيل نزل بهم وقيل يحق بهم ما كانوا به يستهزءون جزاء
استهزائهم بالرسول والكتاب وقوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا اي لا يصرف عنهم بشفاعة من طمعوا شفاعته
كقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون ونحو ذلك لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان
تشفع لهم وقوله عز وجل ولئن اذقنا الانسان منا رحمة قيل سعة في المال ونعمة ثم نزعناها منه
انه ليئوس ايسه ذهاب ذلك المال عنه ونزعه منه عن العود ذلك اليه ويقنطه والاياس قد يكون
كفرا كقوله انه لا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون ويحتمل قوله انه ليئوس في حال ذهاب النعمة والكفور في
حال النعمة والسعة كفور لما راى نزع ذلك المال والسعة منه جورا وظلما فهو كفور وعن ابن عباس قال ولئن
اذقنا الانسان يعني الكافر منا رحمة يقول نعمة العافية وسعة المال وما يسر به ثم نزعناها منه يعني
الرحمة انه ليئوس يعني قنوط ايس واقنطه من رحمة الله وهو كقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان
تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات
عني انه لفرح فخور الفرح هو الرضا كقوله فرحوا بالحيوة الدنيا اي رضوا بها وقيل الفرح البطر يبطر في حال
السعة والرخاء كقوله ان الله لا يحب الفرحين والفرح قد يبلغ كفرا ويكون الفرح سرورا ولا يكون كفرا
فخور يفتخر على الفقراء بالمال الذي اعطي ويفتخر على الانبياء والرسل بالتكذيب وكذلك كان عادة رؤسائهم
انهم كانوا ذوي مال وسعة فلا يرون الرسالة تكون فيمن دونهم في المال كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم وكقولهم نحن اكثر اموالا واولادا ونحوه ويحتمل قوله ليئوس في حال الشدة كفور لله
في نعمه والرخاء واصله وذلك انهم كانوا لا ينظرون في النعم الى من انعم عليهم انما ينظرون الى عين النعم وانفسها
لذلك حملهم نزع ما اعطوا منهم على الياس والقنوط واعطاؤها اياهم على الكفران والفرح والفخر ولو نظروا
في تلك النعم الى المنعم لم يقع لهم اياس عند النزع ولا الكفران والفرح عند النيل بل يصبرون عند النزع من
ايديهم ويشكرون للمنعم عليهم في حال النيل ثم استثنى فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات قال بعض اهل التاويل
الا الذين صبروا وعملوا الصالحات قال بعض اهل التاويل الا الذين صبروا اي امنوا على ما ذكر في غيره واحد من الايات
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا ويكون قوله الا الذين صبروا عن
المعاصي فلم يرتكبوها وعملوا الصالحات اي الطاعات والايمان نفسه هو اعتقاد الانتهاء عن المعاصي كلها
والانقاء عن جميع ما يدخل نقصا فيها واتيان الطاعات جميعا وهكذا يعتقد كل مؤمن ان يتقي وينتهي كل معصية
ويأتي بكل طاعة ويعمل بها هذا اعتقاد كل مؤمن وحقيقته الوفاء ذلك كله وقوله عز وجل اولئك لهم مغفرة واجر
كبير يشبه ان يكون قوله لهم مغفرة لما ارتكبوا من الصغار من الذنوب وانتهوا عن الكبائر منها واجر كبير على ما اتوا
وعملوا من الكبائر من الطاعات ويحتمل قوله لهم مغفرة الستر في الدنيا ستر عليهم تلك الذنوب في الدنيا فلم يطلع عليها
الخلق واجر كبير بما اظهر منهم ما كان من الطاعات والخيرات حتى نظر الناس اليهم بعين عظيم بما ظهر منهم من
الخيرات وخفي عليهم بما ارتكبوا من المعاصي وهذا التاويل يكون في الدنيا والاول في الاخرة وقوله عز وجل
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك حرف لعل يحتمل وجهين يحتمل على النهي اي لا تترك بعض ما يوحى اليك وان
كان معلوما انه لا يترك كقوله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن من الممترين وامثاله نهاه وان كان معلوما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك وانما احتمل النهي كما يقال للرجل لا تخو لعلك تريد ان تفعل
كذا فهو نهاه عن ذلك والثاني يقال عند القرب الى الفعل والدنو منه كقوله لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
يقال حرف كاد عند الميل اليه والقرب منه في اتيانهم ذلك فيما يحل له الترك وذلك ما قيل من نحو سب الهتهم

وذكر العيب فيها وبحمله ترك سب الهتهم وشتمها وكذلك يخرج قوله لعلك باخع نفسك على هذين الوجهين على المنع ان
لا يحمل على نفسه اشفاقا على انفسهم ان لا يؤمنوا ما يوجب تلفه والثاني على التخفيف كقوله ولا تحزن عليهم الاية
ولا تخافي ولا تحزني هو على التخفيف ليس على النهي وفي قوله فلعلك تارك الاية وجه اخر وهو نهي يخرج مخرج الثناء
مما كان يخاف من ضيق صدره واشتغال قلبه عند سوء معاملتهم اياه فيقع له فيه في ابلاغ تبليغه فامنه الله عن ذلك
وعصمه والوجه الثاني في النهي عن ذلك هو ما يقع له فيه الحياء وذلك ان الاخيار اذا ابتلوا بالاشرار قد يؤذن
له في حال من الاحوال بتأخير التبليغ فايأسه عن ذلك وكلفه بتبليغ ما امر له في جميع احواله وبعض ما يوحى اليك
يحتمل ما ذكر اهل التأويل من سب الهتهم وعيبها وما تدعوا اليه وقوله عز وجل وضائق به صدرك بضيق صدره
بما يقولون له استهزاء وكذلك الحق ان كل من استهزئ به ان يضيق صدره لما لا يقدر على اتيان ما طلبوا منه من الملك
وانزال الملك وقد وعدوا ان يؤمنوا لو فعل والله اعلم وقوله عز وجل لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك لان الكنز
والملك محل في قلوب اولئك وقدرهما لو لا انزل عليه كنز فيعظمونه فيصدق ما يوحى ويدعي وكذلك الملك
له محل عظيم عندهم اذا كان معه عظموه وصدقوه وقوله عز وجل انما انت نذير على اثر قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء
معه ملك اي انما انت نذير ليس عليك تبيان ما سألوا انما ذلك تحكم منهم على الله وانما فعليك الابلاغ بما انزل اليك
كقوله ان عليك الا البلاغ والله على كل شيء وكيل اي حفيظ لكل ما يقولون فيك ويتفوهون به او هو الوكيل والحفيظ
لا انت كقوله لست عليهم بمصيطر وقوله وما انت عليهم بوكيل ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل ام يقولون
افتراه اي قالوا انه افتراه اي محمد افترى هذا القران من عند نفسه قل يا محمد ان كان افتريه على ما تقولون
فاتوا انتم بعشر سور مثله مفتريات لانكم اقدر على الافتراء من محمد لانكم قد عودتم انفسكم الكذب والافتراء
ومحمد لم تأخذوه بكذب قط ولا ظهر منه افتراء فمن عود نفسه الافتراء والكذب اقدر عليه ممن لم يعرف
قط فأتوا بعشر سور مثله وادعوا ايضا شهداءكم من الجن والانس من استطعتم من دون الله يعينونكم
على اتيان مثله ان كنتم صادقين انه افتراه من عنده او يقول فأتوا بعشر سور مثله مفتريات اي ان محمدا قد جاء
بسور فيه انباء ما اسررتموا واخفيتم ما لا سبيل الى معرفة ذلك والاطلاع عليه الا من جهة الوحي من السماء
واطلاع الله اياه فأتوا انتم بسورة مفتراة فيها انباء ما اضمروا واسروا تطلعون انتم على سرائره اطلع هو على
سرائركم وادعوا من استطعتم من تعبدون من دون الله من الهة ان كنتم صادقين انه افتراه او يقول ان لسانكم مثل
لسان محمد فان قدر هو على الافتراء افتراء مثله من عنده فقدرون انتم على الافتراء مثله فأتوا به وادعوا
ايضا ممن لسانه مثل لسانكم حتى يعينوكم على ذلك ان كنتم صادقين انه افتراه والله اعلم وقوله عز وجل فأتوا بعشر
سور مثله مفتريات وقال في موضع اخر فأتوا بسورة من مثله قال بعضهم بعشر نزل قبل ولم يقدروا على مثله
وقوله فأتوا بسورة من مثله دعوا ولا ان يأتوا بعشر سور فلما عجزوا عن ذلك عند ذلك قيل لهم ائتوا بسورة
[illegible]

انما انزل بعلم الله فيه دلالة نقض قول الجهمية والمعتزلة بنفيهم العلم عن الله وفي الاية اثبات العلم له بقوله
انزل بعلم الله وقوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قوله افمن حرف يقتضي الجواب له لم يخرج في
الظاهر لان جوابه ان يقول افمن كان على بينة من ربه كمن ليس على بينة من ربه كما قال في اية اخرى افمن يخلق كمن لا يخلق
وكقوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك كمن هو اعمى لا يعلم فعلى ذلك جواب قوله افمن كان على بينة من ربه كمن لا يكون
على بينة من ربه لكن الجواب عندنا يكون على وجوه مرة يكون بالتصريح وهو ما ذكرنا ومرة بالاشارة ومرة بالكناية
على غير تصريح ثم منهم من يجعل جوابه ما تقدم وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية اي لا يكون
كذلك ومنهم من يجعل جوابه فيما تأخر وهو قوله ومن يكفر به من الاحزاب كانه يقول افمن كان على بينة من ربه كمن يكفر به
الاحزاب اي لا يكون كذلك وقالوا يجوز تقديم الجواب وتأخيره كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر
الاخرة ويرجو رحمة ربه لم يخرج لهذا ايضا جواب التصريح ثم اختلفوا في جوابه قال بعضهم جوابه فيما تأخر في قوله
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون امن هو قانت وصف الذين يعلمون فكانه يقول افمن يعلم كمن لا يعلم
ومنهم من يجعل جوابه في قوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه
من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار يقول من جعل لله اندادا واضل
عن سبيله وصار من اصحاب النار كمن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما اي ليسا بسواء وقال مقاتل ليس الذي
على بيان من ربه كالذي موعده النار والله اعلم وجائز ان يكون على طرح الالف ثم كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد
منه ومن قبله كتاب موسى الاية يقول فمن كان على بيان من ربه اولئك يؤمنون به قوله بينة من ربه ويتلوه شاهد
منه قال بعضهم دين من ربه اي من كان على دين من الله ويتلوه شاهد منه يتلو ما هو عليه من الدين شاهد منه
كمن كان على دين الشيطان ولا شاهد له عليه وقال بعضهم قوله افمن كان على بينة من ربه اي على برهان من ربه وحجج
ويتلوه شاهد منه على ذلك كمن لا على برهان من ربه ولا حجج وشاهد له على ذلك ثم قال بعضهم قوله يتلوه شاهد
منه جبريل وملك غيره يتلو عليه القران وقال بعضهم يتلوه شاهد منه هو القران ونحوه ثم قوله افمن كان على
بينة من ربه يحتمل اصحاب عيسى الذين امنوا به ومن قبله كتاب موسى اصحاب التورية الذين امنوا به اولئك يؤمنون
به اي هؤلاء الذين امنوا به هؤلاء هم الذين يؤمنون بمحمد عليه افضل الصلوات وبما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله
عز وجل ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة قيل فيه بوجوه قيل ومن قبل القران كتاب موسى جاء به جبريل الى موسى
كما جاء بهذا القران اماما يقتدى به ورحمة من العذاب لهم ويحتمل قوله ومن قبله يعني قبل القران كتاب موسى
التورية اماما فيها انباء هذا القران وانباء محمد انه رسول كقوله يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
وقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وامثاله ويحتمل قوله اماما ورحمة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال
اماما ورحمة كان كتاب موسى وهو التورية اماما يقتدى به وكان رحمة اولئك يؤمنون به قال اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم الذين امنوا به من اهل الكتاب وغيرهم ويحتمل قوله اولئك يؤمنون به اي مؤمني اهل التورية
يؤمنون بالقران ويتقيدون به كما امنوا بالتورية واتقدوا بها وقوله عز وجل ومن يكفر به اي بالقران من الاحزاب
الاحزاب الفرق والاصناف يحتمل من يكفر به اي بالقران من الفرق ويحتمل يكفر به اي بمحمد ويحتمل الدين الذي هو عليه
ويدعوهم اليه والنار موعده ان مات على ذلك واما اذا اسلم ومات على الاسلام فلا يكون النار موعده وقوله
عز وجل فلا تك في مرية منه يحتمل في قوله الوجوه الثلاثة الذي ذكرنا من الدين والقران والنبي ويحتمل هو نفسه
ويحتمل الخطاب غيره لما ذكرنا في قوله فلا تكونن من الممترين فلا تكونن من المشركين فلا تكونن من الجاهلين وامثاله
فكذلك هذا وقد ذكرنا ان العصمة لا تزيل النهي والامر بل تزيدهما لان بالعصمة يظهر بموافقة الامر ومخالفة النهي
المحظور وقوله عز وجل انه الحق من ربك يحتمل القران ويحتمل الدين الذي عليه ويدعوهم اليه ويحتمل هو نفسه
الحق من ربه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هو ما ذكرنا ان لا احد اظلم
على نفسه ممن اخذ نفسه من معبوده وشغلها في عبادة من لا يملك له نفعا ان عبده ولا ضرا ان ترك عبادته او يقول
لا احد اظلم على نفسه ممن القى نفسه الظاهرة في عذاب الله ونقمته ابدا بافترائه على الله وبالله العصمة والقوة
وفي التاويل لا احد اظلم على نفسه ممن افترى على الله كذبا وفي المعنى لا احد افحش ظلما ممن افترى على الله كذبا بعد
معرفته ان جميع ماله من الله وقوله عز وجل اولئك يعرضون على ربهم اي اولئك الذين تعرض اعمالهم على انفسهم
عند ربهم فان وافقت اعمالهم ما في شهادة خلقتهم ادخلوا الجنة وان خالفت اعمالهم شهادة خلقتهم
ادخلوا النار تعرض على انفسهم عند ربهم لان الله عز وجل عالم بما كان منهم من الاعمال والاقوال على ربهم
اي عند ربهم كقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي عند ربهم وتاويله ما ذكرنا يعرضون على ربهم لانفسهم
لانهم انما يؤمرون وينهون ويمتحنون لانفسهم وللمنفعة انفسهم فيكون عرضهم لهم او ان يكون قوله اولئك
يعرضون على ما وعدهم ربهم في الدنيا ويقول اولئك يعرضون لانفسهم على ربهم من غير غيبة كان منه والله
اعلم وقوله عز وجل ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم اختلف فيه قيل الاشهاد الرسل والانبياء
وقال بعضهم الاشهاد الملائكة وقال بعضهم الاشهاد المؤمنون فمن قال هم الانبياء والمؤمنون فهو لقوله لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وكقوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ومن قال هم الملائكة كقوله ما يلفظ من قول

الا لديه رقيب عتيد وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين الاية ونحوه ومعناه والله اعلم ان قوله تعرض اعمالهم واقوا
لهم على انفسهم فان اقروا بها بعثوا الى النار وان انكروا تشهد عليهم ما ذكر من الشهداء فان انكروا يقال له اقرا كتابك
الاية فان انكروا ذلك فعند ذلك تشهد عليهم جوارحهم كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
الاية ويحتمل ان تكون الملائكة نادوا في ملأ الخلق قبل ان يدخلوا النار هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويحتمل ما ذكر
في شهادة الذين كانوا موكلين بكتابة اعمالهم واقوالهم يخبرون مما كتبوا في الكتب وقوله عز وجل الا لعنة الله على الظالمين
اللعنة قال بعضهم هو الطرد عن جميع المنافع والابعاد وعن رحمة الله في الدنيا وفي الاخرة عن ثوابه وقال بعضهم اللعنة
هي العذاب وقوله عز وجل الذين يصدون عن سبيل الله يصدون يحتمل وجهين اذا اعرضوا هم بانفسهم عن دين
الله ويحتمل صرف الناس عن دين الله لكنه يتبين ذلك بالمصدر اذا اراد الاول يقال في الاعراض بنفسه صد يصد
صدودا كقوله يصدون عنك صدودا ويقال في صرف غيره صد يصد صدا وقوله عز وجل يبغونها عوجا قال بعضهم
بغاة على دين الله بالجور وقال بعضهم يبغون من الناس الميل عن دين الله الى دينهم فذلك هو بغي العوج كل سبيل غير
سبيل الله فهو عوج وبغي كاثر قال يبغون سبيلا غير سبيل الله وهم بالاخرة هم كافرون في الدنيا وقوله عز وجل
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي اولئك لم يكونوا معجزين الله في الدنيا من ان يعذبهم وينتقم منهم ان شاء والثاني ولئك
لم يكونوا سابقين الله في الاخرة في دفع العذاب عن انفسهم وجائز ان يكون الاية في الائمة منهم والجبابرة يخبر انهم
غير معجزين الله فيما يريد منهم من التعذيب لهم وقوله عز وجل وما كان لهم من دون الله من اولياء
هم حسبوا ان اولئك الذين عبدوا دون الله يكونون لهم اولياء لانهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند
الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يطمعون في شفاعة الاصنام التي كانوا يعبدونها والذين
اتبعوهم يكونون لهم اولياء فاخبر ان ليس لهم اولياء على ما ظنوا وحسبوا بل يكونون لهم اعداء كقوله
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء الاية وامثاله كثير وكقوله ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا وكقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا اي لم يكن لهم ما طمعوا وقوله سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا اي صاروا لهم اعداء على ما ذكر ويحتمل ما كان لهم من دون الله من اولياء اي لا ينفعهم
الاية من اتخذوا اولياء كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين ونحوه وقوله عز وجل يضاعف لهم العذاب هذا يدل
على انه قوله الذين يصدون عن سبيل الله في الائمة الذين صرفوا الناس عن دين الله لانه اخبر انه يضاعف لهم العذاب
وهو يحتمل وجهين احدهما لما ضلوا بانفسهم والاخر لما صرفوا الناس عن دين الله وقوله عز وجل وما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال المعتزلة فيه بوجهين احدهما انهم كانوا يسمعون ويبصرون
لكنه قالوا لا يستطيعون السمع ولا يبصرون استثقالا منهم لذلك وهو كما يقول ما استطيع ان انظر الى
فلان ولا اسمع كلامه وهو ناظر اليه سامع كلامه لكنه يقول ذلك لاستثقاله النظر اليه وسماع كلامه
فعلى ذلك الاول كانوا يسمعون ويبصرون لكنهم كانوا يستثقلون السمع والنظر اليهم فنفى ذلك
والثاني كانوا لا يستطيعون السمع اي كانوا كانهم لا يستطيعون السمع ولا النظر وهو ما اخبر انهم صم
بكم عمي كانوا يتصامون ويتعامون عن الحق واما عندنا الجواب للتاويل الاول انهم لا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون استماع سمع الرحمة والنظر اليه بعين الرحمة والقبول فهم من ذلك الوجه كانوا لا يستطيعون
والثاني يحتمل سمع القلب وبصر القلب وهم كانوا لا يستطيعون السمع سمع القلب وبصر القلب كقوله فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهذه الاستطاعة عندنا هي استطاعة الفعل لا استطاعة
الاحوال اذ جوارحهم كانت سليمة صحيحة فدل انها الاستطاعة التي بها يكون الفعل لما ذكرنا وفي حرف
ابن مسعود رضي الله عنه يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع ثم سئل الحسن عن ذلك
فقال هو قول الله الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا اذا سمعوا الوحي تقنعوا
في ثيابهم فلم يستطيعوا احتمال ذلك وفي حرف حفصة وما كانوا يستطيعون السمع بالواو واما في حرف
ابن مسعود ظاهر تاويله اي يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلم يسمعوا عنادا وابطا واصلهم
ما كانوا يستطيعون السمع المكتسب والبصر المكتسب عندنا وما ذكر من السمع والبصر هو السمع المكتسب والبصر
المكتسب والحيوة المكتسبة لانه سمع الاخرة وحيوتها مكتسبا وحيوة الدنيا والسمع والبصر مخلوقة وقوله عز وجل
اولئك الذين خسروا انفسهم في الدنيا والاخرة اما في الدنيا عبادتهم غير معبودهم الذي كان منه جميع النعم
والمنافع وما لحقهم بذلك من الذل والصغار واما في الاخرة فالعذاب والهوان الدائم بدلا عن النعم الدائمة
وضل عنهم اي بطل عنهم ما كانوا يفترون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الاية وانتما
وقوله عز وجل لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون قال ابو عوسجة لا جرم واجب من الكلام اي حقا انهم
في الاخرة هم الاخسرون وقال بعضهم لا جرم اي نعم انهم في الاخرة هم الاخسرون وقال الفراء قوله لا جرم
اي لا بد ولكن الناس اكثروا استعماله فصار في متعارفهم حقا ولا بد في الحقيقة حقا لانه اذا كان لا بد فهو حق
وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة تاويله والله اعلم ان
الذين امنوا بالله وبجميع ما انزل على رسوله وعملوا الصالحات ولزموا ذلك حتى صاروا الى الله اولئك اصحاب

الجنة وهو كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى اي من تاب من الشرك وامن بالله وعمل صالحا
ثم اهتدى اي ثم لزم ذلك حتى صار الى الله هكذا فعلى ذلك قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى
ربهم لزموا ذلك كله حتى صاروا الى الله ويحتمل قوله ثم اهتدى ثم استن الذين اولئك كذا وقوله عز وجل واخبتوا الى
ربهم اختلف فيه قال بعضهم الاخبات التخشع والتواضع اي تخشعوا وتواضعوا في تاسن ربهم وقال بعضهم
اخبتوا الى اي اطمأنوا على ذلك اولئك كذا وعن ابن عباس رضي الله عنه اخبتوا قال خافوا من ربهم وقال القتبي اخبتوا
اي تواضعوا لربهم وقال الاخبات التواضع والوقار وقال ابو عوسجة الاخبات التوبة والمخبت التائب وقال
غيرهم الاخبات الانابة اخبتوا اي انابوا الى الله وبعضه قريب من بعض ومن قال الاخبات هو التواضع و
الخشوع فمعناه والله اعلم اي تواضعوا وخشعوا بالاجابة الى ما دعاهم اليه ربهم وندبهم اليه وقوله عز وجل
مثل الفريقين اي الصنفين الذين سبق وصفهما وهو قوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الاية فهو
صف الكافر والفريق الاخر قوله افمن كان على بينة من ربه الى اخر ما ذكر وفيه وصف المؤمن ويكون وصف
الكافر ما ذكر ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم الى قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون
هو وصف احد الفريقين وهم الكفار والفريق الاخر ما ذكر ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم
هذا والله اعلم الفريقين الذين ضرب مثلهما بالاعمى والاصم والبصير والسميع ثم وجه ضرب مثل الكافر بالاعمى والاصم
والمؤمن بالبصير والسميع فهو والله اعلم ان الكافر اعمى القلب واصم السمع لم يبصر ما غاب عنه من الموعود وانما ابصر
ظواهر الامر وكذلك انما سمع ظواهر من الامور وربما لم ينظر الى الغائب من الموعود ولا سمع ذلك وهو لم يخلق
لمعرفة ذلك الظاهر خاصة انما خلق لما وعدوا وعدوا الغائب والمؤمن ابصر ذلك الغائب وسمع ما غاب من الموعود
فيقول كما يسبق عندكم في الظاهر البصير والاعمى والسميع والاصم لم يستو من كان اعمى القلب بما كان بصير القلب
بذلك ولم يستويا ايضا من به صمم القلب من كان سميعا بذلك افلا تذكرون انهما لم يستويان او يقول افلا تذكرون
اي افلا تتعظون بما نزل من القران وتنتهون عما تنهون والله اعلم وفي قوله مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ونحوه من الاسولة احدها ان يقال كيف احتج عليهم وهو ما
ذكر انهم عميان والصم ولا يتكلف الاعمى الابصار والنظر ولا الاصم السماع والثاني يقولون انا بصراء سمعاء
لسنا بصم ولا عمي بل الاصم العميا والصم والثالث كيف ذكر المثل لهم وهم لا يتفكرون ولا ينظرون في المثل ولا
يلتفتون اليه اما جواب الاول بانه احتج عليهم لانهم تركوا اكتساب بصرا في الدين وسمعا في امر الدين وحيوة
الدين فيصير بذلك مكتسب الحيوة الدائمة والبصر الدائم والسمع الدائم فيكونون في الاخرة بصراء سمعاء
احياء كقوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم والثاني نفي عنهم هذه الحواس لانهم لم ينتفعوا بها لان
هذه الحواس انما انشات لهم وخلقت لينتفعوا بها وهو المقصود بانشائها فاذا تركوا الانتفاع بها كانها ليست
واما جواب ما قالوا انا بصراء وسمعاء وانتم العميان والصم فيقال لهم ان اهل الاسلام اذا سمعوا ذلك فاذا
اشتغلوا بالتفكر فيما قرع اسماعهم من الايات والنظر فيها وانتم لا بل تعاموا عنها وتصاموا فدل تفكرهم
ونظرهم فيها على انهم بصراء وسمعاء واحياء وانتم بالاهل لكفوا العميا والصم والاموات والثاني ان هذه
الايات انما نزلت في محاجة اهل مكة وهم قد علموا ان اباهم لم يكونوا حكماء ولا علماء فلم يكونوا ما ذكر بصراء
ولا سمعاء فصاروا اصما عميانا امواتا ولان احد الفريقين لا محالة ما ذكرنا اوهم ثم قد استووا في هذه
الدنيا وفي العقل والحكمة التفريق بينهما فدل انهم بما ذكرنا ولي واما جواب ذكر المثل لهم على علم منهم انهم لا يقبلون
المثل ولا ينظرون بانه افاد ذكر لاهل الاسلام ولان ذكر المثل به ربما يبعثهم على النظر فيه والتفكر وقوله عز وجل
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اخبر انه ارسله الى قومه ولم يفهم منه الارسال من مكان الى مكان وكذلك قوله
لقد جاءكم رسول من انفسكم ولم يكن مجيئه من مكان الى مكان فهذا يدل انه لا يفهم من ذكر المجيء الانتقال من
مكان وكذلك الارسال وقوله عز وجل اني لكم نذير مبين اي نذير لمن عصى بالنار وبعقابه بين الانذار وقوله
عز وجل الا تعبدوا اي لا تجعلوا عبادتكم الا لمعبود هو معبود بشهادة خلقتكم تشهد على انه هو المستحق لعبادة
لا من تعبدون من الاصنام والاوثان ويحتمل قوله الا تعبدوا الا الله تعالى اي وحدوا الله ولا تصرفوا الالوهية
الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم اضاف الالم الى اليوم واليوم ليس بمولم لكنه
والله اعلم اضاف اليه لما فيه يولم وكقوله وجعل الليل سكنا والليل لا يسكن ولا يوصف لكنه يسكن فيه
وكذلك قال والنهار مبصرا والنهار لا يبصر لكنه يبصر فيه فعلى ذلك قوله يوم اليم لما فيه يكون العذاب الاليم
وقوله عز وجل اني اخاف عليكم اي الخوف في غيره لا يكون في الحقيقة خوفا وكذلك الرجاء في غيره لا يكون في الحقيقة
رجاء وفي نفسه يكون في الحقيقة خوفا ورجاء لما يلحقه ضرر في نفسه ان حل به ذلك لغيره ويلحقه نفع فيكون
الخوف في نفسه حقيقة خوف والرجاء حقيقة رجاء اما وفي غيره لما لا يلحقه ضرر وان حل ذلك لغيره ولا ينال
من النفع في الرجاء ان نال ذلك الغير لكنه يخرج على وجهين احدهما على العلم اي اني اعلم انه ينزل بكم العذاب نحو قوله
وان خفتم شقاق بينهما اي علمتم وقوله فان خفتم الا يقيما حدود الله اي فان علمتم ان يضيعا حدود الله والثاني
يخاف عليكم اشفاقا فانه لان الخلق جبلوا على ان يتالم بما يحل بغيره حتى لا يكون في وسع بعض ان يروا ذلك في غيره على

هذين الوجهين يخرج يخرج الخوف على غيره وفي الخوف رجاء وفي الرجاء خوف لان الخوف اذا لم يكن فيه رجاء فهو
باس وقال الله عز وجل انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون والرجاء اذا لم يكن
فيه خوف فهو امن وقال ولا يأمن مكر الله الا الكا وقوله عز وجل فقال الملاء الذين كفروا من قومه قيل اشراف
قومه وائمتهم ما نراك الا بشرا مثلنا وكذلك قال عامة القوم لرسلهم الذين بعثوا اليهم ما انتم الا بشر مثلنا كان
هذا احتجاجهم في رد الرسالة يحتجون على الرسل فيقولون والله اعلم ان الرسل في الشاهد انما يجيئون من عند المرسل
وانتم نشأتم بين اظهرنا لم تأتونا من احد في الظاهر والرسول هو الذي يأتي من عند غيره ويكون للرسل خصوصية
عند المرسل ولا نرى لك خصوصية لا في الخلقة ولا في القدرة والمال وغيره فكيف بعثت الينا رسولا دون ان نبعث
نحن اليكم رسلا اذ انتم ونحن في الخلقة سواء وفي الامور الظاهرة سواء ونحوه من الكلام واحتجوا على رسلهم في رد
الرسالة وكذلك كان عادة الكفرة يقولون للرسل اذا الزمتهم الحجة واقيم عليهم نسبوها الى السحر ونسبوا الرسل انهم
بشر مثلهم فجواب هذا كله ما ذكر ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما قال لهم نوح يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده اي اتاني رحمة من عنده وجعل لي بينة وبرهانا على ما اتاني رحمة
من عنده بمثل هذا يحتج عليهم ويقال ايضا انكم لا تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض لما جعلكم ائمة ورؤسا
بامور الدنيا على غيرهم فكيف تنكرون فضل الله وتخصيص بعض على بعض بفضل الدين والرسالة وقوله عز وجل
ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي احتجوا ايضا في رد الرسالة يقولون ان الاراذل هم اتباع لكل من
دعاهم واهل طاعة لكل متبوع فليس في اتباع الاراذل اياك والضعفاء دلالة ثبوت رسالتك اذ هم يتبعون
بلا دليل ولا حجة وهم فروع واتباع لغيرهم ولم يتبعك احد من الاصول لكن يقال ان هؤلاء الاراذل لما اتبعوا
الرسل ولم يتبعوا الائمة والرؤساء الذين معهم الاموال والدنيا ولم يكن في ايدي الرسل ذلك ثم تركوا اتباع اولئك
وفي ايديهم ما يدعوهم اليه واتبعوا الرسل دل انهم انما اتبعوا الرسل بالحجة والبرهان التي اقاموها عليهم
اونحوه والاراذل قيل هم السفلة والضعفاء وقيل الفقراء اراذلنا شرارنا وبادي الرأي قال بعضهم ظاهر
الرأي من قولك بدا لي ما كان خفيا وقال بعضهم بادي الرأي خفيف الرأي لا يعرفون حقايق الامور انما يعرفون
ظواهرها كانهم يقولون انما اتبعك من كان خفيف الرأي وبادي لم يتبعوك من يعرف حقايق الامور والاصول
وقد قرئ بادي الرأي بالهمز وقد رئ بغير همز ومن قرا بالهمز فهو من الابتداء اي في اول الرأي وابتدائه
لا ينظر في عواقب الامور ومن قرا بغير همز فهو من الظهور اي ظاهر بالرأي على تفكر ونظر فيه وقوله عز وجل
وما نرى لكم علينا من فضل الاية يحتمل هذا اي فضلا في الخلقة او في ملك او مال ولا في شيء ولكن جواب
هذا ما سبق وقوله عز وجل بل نظنكم كاذبين هكذا كانت عادة الكفرة يردون دلالات الرسل ويحتج بالظن
لم يردوا بحقيقته ظهرت وقوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي على بيان من ربي وعلى
حجة من ربي وبرهان فيما اتاني من رحمته والرحمة تحتمل النبوة لانهم كانوا ينكرون رسالته لما انه بشر مثلهم
فيقول واتاني رحمة اي النبوة واتاني ايضا على ذلك بينة وحجة ويحتمل الرحمة الدين الذي كان يدعوهم
اليه والله اعلم وقوله عز وجل فعميت عليكم قرئ بالتخفيف والتشديد اي لبست او البس عليكم حيث اعرضتم
ومن قراء بالتشديد فعميت عليكم يرجع الى الاتباع والسفلة اي عميت عليهم القادة والرؤساء منهم ولبست
وعميت بالتخفيف اي التبس وعمي على القادة والرؤساء وقوله عز وجل انلزمكموها اي نوجبها عليكم وعمي التي ذكر
انه اتاها اياه البينة التي ذكرنا والدين الذي كان يدعوهم اليه اي لا نوجبها عليكم ولا نلزمها وانتم
لها كارهون بلا حجة ولا برهان وانتم لها كارهون اي لا نلزمها لكم بلا حجة شئتم او ابيتم ولكن بحجة وفيه ان
الدين لا يقبل بالاكراه وقوله عز وجل ويا قوم لا اسالكم عليه مالا على تبليغ الرسالة اليكم او على اقامة الحجة على
ما ادعى من الرسالة او على الدين الذي يدعوهم اليه اي لا اسالكم على ذلك اجرا فلماذا تعرضون عما ادعوكم اليه
واقيمه عليكم ليكون لكم الاحتجاج او الاعتذار وكذلك يخرج قوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لا تسألهم
اجرا على ما تبلغه اليكم وندعوكم اليه فيمنعكم ثقل ذلك الغرم اجابتكم اياه فعلى ذلك الاول ذكر هذا لان ما يلحق
الانسان من الضرر انما يمنعه عن الاذعان بالحق والاقبال اليه والقيام بوفائه او يمنع ذلك بما لا يتبين له الحق
لئلا يكون لهم الاحتجاج والاعتلال عند الله وان لم يكن لهم حجة وكقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
ليس عليه انه اذا سالهم على ذلك اجرا يكون لهم عذر في رد ذلك وترك الاجابة له لان الله ان يكلفهم الاجابة والطاعة
له بالمال والثاني يقوله لا اسالكم على ما ادعوكم اليه وابلغه اليكم مما لا يرجع حاجتي وقلة مالي فيقع عندكم اني ادعوكم
اليه رغبة فيما ايديكم من الاموال والمنفعة لنفسي بل انما ادعوكم الى ما ادعوكم اليه لمنفعة انفسكم وقوله عز وجل
ان اجري الا على الله اي ما اجري الا على الله في ذلك ليس عليكم وقوله عز وجل وما انا بطارد الذين امنوا فيه دلالة
انهم كانوا سالوا رسولهم ان يتخذ لهم مجلسا على حدة ويفرد لهم ذلك دون الاراذل والضعفاء الذين اتبعوه
ويطرد الضعفاء وهو كقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية وقالوا اهل لنا اويل وما انا بطارد
الذين امنوا اي ما انا بالذي لا اقبل الايمان من الاراذل والضعفاء عندكم تقولهم حيث قالوا وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي لانهم يقولون اتبعوك الاراذل ظاهرا واما في الباطن فلم يسلموا على ذلك ولذلك

قال

قال ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم يعني ما في قلوب السفلة فيقول ما انا
بطارد الذين امنوا ظاهرا الله اعلم بما في قلوبهم وقوله عز وجل انهم ملاقوا ربهم يحتمل وجهين اي ملاقوا ربهم فيشكون
مني اليه في ردي ايمانهم ويخاصمونني في ذلك ويطالبونني في طردي اياهم والثاني انهم ملاقوا ربهم ظاهرا كان
ايمانهم او باطنا اي في اي حال هم ملاقون ربهم فيجزيهم بما هم عليه كقوله ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون
وقوله عز وجل ولكني اراكم قوما تجهلون يحتمل تجهلون ما ادعوكم اليه او تجهلون في قولكم انهم انما امنوا
واتبعوا في ظاهر الحال واما في السر فلا او تجهلون ما يلحقني في طردهم وقوله عز وجل ويا قوم من ينصرني من الله
اي من يمنعني من عذاب الله ان انا طردتهم على ما تدعونني اليه او من عذاب الله ان لم اقبل منهم الايمان
افلا تذكرون انه لا ينبغي لي ما تدعونني اليه من طرد هؤلاء ورد ايمانهم او افلا تذكرون فتؤمنون
وما روي في حرف ابي بن كعب انلزمكموها شطر انفسنا فعنا انلزمكموها عن انفسنا وانتم قوم معاندون
وفي حرف ابن عباس انلزمكموها من شطر انفسنا اي من تلقاء انفسنا اي لا نقدر ان نلزمكم ذلك من تلقاء انفسنا
وانتم كارهون لذلك وقوله عز وجل ولا اقول لكم عندي خزائن الله يخرج على وجوه احدها يقول ليس عندي
خزائن الله والسعة فابذل لكم لتؤمنوا رغبة في المال والسعة والثاني يقول ليس عندي سعة فيقع عندكم اني
ادعوكم الى ما ادعوكم اليه افتعل لا رغبة في المال على ما يفعل المفتعلون للرغبة في المال ولكن تعلموا اني مكلف
في ذلك والثالث يحتمل ما ذكرنا من اسولة كانت منهم وقوله عز وجل ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول اني ملك هذا القول منه لهم يحتمل الوجهين احدهما انه قال ذلك لهم على اثر امور واسولة
كانت منهم من نحو قولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وقولهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة وقولهم او يكون لك بيت من زخرف
وامثال ما كان منهم فيقول لهم ليس ذلك عندي وبيدي انما ذلك عند الله وبيده ولا اعلم الغيب يحتمل
ان يكون سالوه ان يخبرهم عن امور تستقبلهم قبل ان تستقبلهم ان كان شرا فيتقوا وله في دفعه وان كان
نافع فيستقبلوها ويتهيؤا فيقول لهم ذا غيب فانا لا اعلم الغيب انما العلم في ذلك الى الله ولا اقول
اني ملك اعلم اخبار السماء والامور التي فيها انما انا بشر مثلكم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال ولا اقول
لكم عندي خزائن الله اي مفاتيح الله في الرزق فهذا كانهم سالوه السعة فيتبعونه فيقول ليس عندي ذلك
ويحتمل ان يكون قال لهم الرسول هذا لدفع الشبه عنهم وذلك ان من الكفار من اتخذ الرسول الها فعبدوه
بعدما ماتوا انه من البشر ومنهم من قال انه ابن الله ومنهم من قال انه ملك وكانوا لا يعبدون الملائكة وكانوا
يخبرونهم عن اشياء غابت عنهم فظنوا انه انما علم ذلك لانه اله فيقول لهم ذلك ليدفع عنهم تلك الشبه ويتبرأ
من ذلك ولذلك قال عيسى اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا هو عليه السلام كان يعلم في
نفسه انه عبد الله ولكن يقول لئلا ينسبوه الى الالوهية والربوبية على ما نسبوا اليه فاقر بالعبودية له
والله اعلم بذلك وقال بعض اهل التاويل ولا اقول لكم عندي خزائن الله اي مفاتيح الله بانه يهدي السفلة دونكم
ولا اعلم الغيب اي لا اقول ان عندي غيب ذلك ان الله يهديهم وهم مؤمنون في السر وذلك كقوله وما علمي بما
كانوا يعملون وقوله الله اعلم بما في انفسهم من الصدق ولا اقول اني ملك اي انما انا بشر لقولهم ما نراك الا بشرا
مثلنا الى اخر الاية ثم قال ولا اقول للذين تزدري اعينكم قيل الذين حقرتموهم يعني السفلة والاتباع وقال
ابن عباس الذين لم تأخذهم اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا يعني ايمانا الله اعلم بما في انفسهم من الصدق اني اذا
لمن الظالمين لهم ان لم اقبل منهم الايمان او طردتهم والله اعلم وقوله عز وجل قالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا قالوا ذلك لانه قد كان طال عمره وهو بين اظهرهم ويدعوهم الى الايمان فاكثر حجاجه
ومجادلته اياهم فقالوا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وكان يعدهم العذاب انهم
لم يجيبوه كقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم وما كان وعدهم في غير اية من القران لم يجيبوه فقالوا ائتنا
بما تعدنا من العذاب فقال انما يأتيكم به الله ان شاء اي ليس لي اتيان ذلك انما ذلك الى الله ان شاء عجل وان شاء اخر
الى ما بعد الموت وهو كقول رسول الله لقومه لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم وقوله
عز وجل وما انتم بمعجزين اي لا تعجزون الله عن تعذيبكم فتفوتون عنه وقيل وما انتم بسابقي الله باعمالكم الخبيثة
حتى يجزيكم بها وهو واحد والله اعلم وقوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم
تاويله والله اعلم لا ينفعكم دعائي الى ما يرغبكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي لا ينفعكم نصحي ان كان الله ان
يعذبكم في نار جهنم ويقول الغي العذاب كقوله فسوف يلقون غيا اي عذاب جهنم ونحوه من الكلام وما
عندنا فهو على ما اخبر ان كان الله يريد اغواء قوم ابدا فهم في الغواية واصله ان الله اراد غواية من في علمه
انه يختار الغواية والضلال اختيار عداوة ولا يجوز ان يريد هو هداية من يعلم انه يختار عداوة وانه لان ذلك
يكون من الضعف ان يختار المرء ولا يتم من يختار عداوة وانه قد انه لم يرد الهداية لمن علم منه اختيار الغواية
والضلال ثم اضافة الاغواء والازاغة والاضلال الى الله يخرج على وجهين احدهما انه ينشئ ذلك الفعل منهم
غيا وزيغا وضلالا لان فعلهم فعل غواية وزيغ والثاني انه خذلهم ولم يوفقهم ولم يرشدهم ولم يعصمهم ولا

سدد هم من هذا الوجه ليس فعله فعل الذم عليه حتى يخرج بالاضافة اليه ومن الاضافة الى الخلق يكون على الذم لان فعلهم نفسه فعل الغواية والضلال فاستوجبوا الذم عليه بذلك والاغواء من الخلق هو الدعاء الى ذلك والامر به فهو مذموم يذمون على ذلك وليس على ذلك وليس من الله من هذا الوجه ولكن على الوجهين الذين ذكرناهما وفي قوله ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم دلالة تعليق الشرط على الشرط وقوله عز وجل ام يقولون افتراه اي بل يقولون انه افتراه من عند نفسه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اختلف فيه قال بعضهم قال قوم نوح لنوح عليه السلام انه افترى على الله انه رسول اليهم ودعا قومه الى دين الله فقالوا له انه افتراه وقال بعضهم هو قول قوم محمد صلى الله عليه وسلم قالوا افترى محمد هذا القران من نفسه ليس هو من الله على ما زعم وهو ما قال في صدر السورة وهو قوله ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات الى اخر ما ذكر فعلى ذلك هذا هو قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه افترى هذا القران الذي يقول هو من الله من نفسه فقال قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون اي ان افتريته فعلي جرم افترائي وجزاؤه وانا بريء مما تجرمون معناه والله اعلم اي لا تؤاخذون انتم بجرم افترائي ان افتريته وانا لا اواخذ باجرامكم كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وكقوله ما عليك من حسابهم من شيء فعلى ذلك اجرامي وامكن ان يكون هذا القول لهم لما ايس من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم لما ايس عن ايمانهم وانقطع طمعه ورجاؤه عن اسلامهم فالهم ذلك ان لا محاجة بيننا وبينكم بعد هذا والله اعلم وقوله عز وجل واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال بعضهم ان نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بالهلاك ما دام يرجو ويطمع من قومه الايمان فاذا ايس وانقطع رجاؤه فحينئذ دعا عليهم بالهلاك كقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اي احدا انك ان تذرهم يضلوا عبادك الاية وعرف الاياس عن ايمانهم بقوله واوحي الى نوح الاية وكذلك سائر الانبياء والرسل لم يؤذن لهم بالدعاء على قومهم بالهلاك والخروج من بين اظهرهم ما داموا يرجون ويطمعون منهم الايمان والاجابة لهم اذا ايسوا وانقطع رجاؤهم وطمعهم عن ذلك فعند ذلك اذن لهم بالدعاء عليهم بالهلاك والخروج من بين اظهرهم وفي قوله من يؤمن من قومك الا من قد امن دلالة ان للايمان حكم التجدد والابتداء في كل وقت وكل حال لانه اخبر ان الذي قد امن قد يؤمن في حادث الوقت وعلى ذلك يخرج الزيادات التي ذكرت في الايمان فزادتهم ايمانا ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل فلا تبتئس بما كانوا يفعلون قيل لا تحزن بما كانوا يفعلون فهو يحتمل وجهين احدهما لا تحزن بكفرهم بالله وتكذيبهم اياك ليس على النهي عن الحزن في ذلك ولكن على رفع الحزن عنه والتسلي به لان الانبياء عليهم السلام كانوا يحزنون بكفر قومهم بالله وجعلهم انفسهم اعداء له كقوله لرسول الله لعلك باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وامثاله كان الانبياء عليهم السلام اشد الناس حزنا بكفر قومهم بالله وتكذيبهم اياه واشدهم رغبة في ايمانهم وكان حزنهم لم يكن على هلاكهم الا ترى ان نوحا دعا عليهم بالهلاك وكذلك سائر الانبياء عليهم السلام ان حزنهم لمكان كفرهم بالله وتكذيبهم اياه لا لمكان هلاكهم اشفاقا على انفسهم والثاني قوله فلا تبتئس بما كانوا يفعلون يحتمل انهم كانوا هموا قتله والمكر به فقال لا تحزن بما كانوا يسعون في هلاكك فاني كافيهم قال ابو عوسجة قوله فلا تبتئس هو من الحزن يقال ابتئس ابتئاسا قال الكسائي ابتئس لا تبتئس اي لا تحزن هو من البائس يقال لا تبتئس بهذا الامر وقوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا قال بعض اهل التاويل باعيننا بامرنا ووحينا وقال بعضهم بمنظرنا ومرءى منا ولكن عندنا يحتمل وجهين احدهما قوله باعيننا اي بحفظنا ورعايتنا يقال عين الله عليك اي حفظه عليك ثم لا يفهم من قوله باعيننا نفس العين على ما لا يفهم من قوله ذلك بما قدمت ايديكم وكسبت ايديكم ولكن ذكر الايدي لما في الشاهد انما تقدم باليد ويكتسب باليد فعلى ذلك ذكر العين لما بالعين يحفظ في الشاهد والثاني قوله باعيننا اي باعلامنا اياك لانه لولا تعليم الله اياه اتخاذ السفينة ونجرها لم يكن ليعرف ان كيف يتخذ وكيف ينجر انما عرف ذلك بتعليم الله اياه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون هذا يحتمل وجهين يحتمل اي لا تشفع الي في نجاة الذين ظلموا فانهم مغرقون في حكم الله والثاني لا تخاطبني في هداية الذين هم في حكم الله انهم يموتون ظلمة اي لا تسألني ايمان من في علم الله انه لا يؤمن وفيه نهي السؤال عما في علم الله انه لا يكون لانه اذا اخبر انه لا يكون او لا يفعل فانما سأله كان يسأله ان يكذب خبره الذي اخبر انه لا يكون وفيه ان من اراد الله ايمانه احدا امن ومن لم يرد ايمانه لا يؤمن وقوله عز وجل ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه الملأ هم الاشراف والرؤساء من قومه سخروا منه هم الذين سخروا منه قال بعضهم سخريتهم منه ان قالوا صار نجارا بعد ما ادعى لنفسه الرسالة وقال بعضهم سخريتهم منه لما راوه يتخذ الفلك ولم يكن هنالك بحر ولا واد ولا مياه جارية انما هي بادية فقالوا يتخذوا السفينة ليسيرها في البراري والمفاوز ونحوه من الكلام وقال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم وقالوا سخريته منهم انه اذا ركبوا الفلك راوا هم يغرقون قالوا كنتم على حق وعلى هدى ونحوه من الكلام لكن هذا لا نعلم ولا حاجة لنا الى معرفة سخريتهم ان كيف كانت سوى ان فيه سخروا منه ويحتمل قوله فانا نسخر منكم اي نجزيهم جزاء سخريتهم وقوله عز وجل فسوف تعلمون هو وعيد اي سوف تعلمون ان حاصل سخريتكم يرجع اليكم كقوله

وما تخذعون

وما تخذعون الاية اي سوف تعلمون اذا نجونا نحن وغرقتم انتم من يأتيه عذاب يخزيه اي عذاب يفضحه ويهلكه وهو الغرق ويحل عليه عذاب الاخرة كقوله اغرقوا فادخلوا نارا واما قول اهل التاويل ان سفينة نوح كان طولها كذا وعرضها كذا فليس لنا بذلك علم ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك فان صح ذلك فهو ما قالوا وقولهم كان لها ثلاثة ابواب وثلاثة اطباق فذلك ايضا لا نعرفه ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قوله جاء امرنا اي جاء وقت امرنا بالعذاب الذي استعجلوه كقولهم فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين وكذلك كانت عادة الامم السالفة استعجال العذاب من رسلهم سمي العذاب امر الله لما لا صنع لاحد فيه وكذلك المرض سمي امر الله لما لا صنع لاحد من الخلائق فيه وسمي الصلوة امر الله لما بامره يصلي وقوله عز وجل وفار التنور قال ابو عوسجة وفار التنور يقال فار الماء اي خرج يفور فورا اي غلا كما تغلي القدر وتصديقه قوله وهي تفور تكاد قالوا فار اي خرج وظهر والتنور اختلف فيه قال بعضهم التنور هو وجه الارض قالوا اذا رايت الماء خرج ونبع وظهر على وجه الارض فاركب وقال بعضهم التنور هو التنور الخابزة التي يخبز فيها قالوا اذا رايت الماء نبع من تنورك فاركب قالوا كان الماء ينزل من السماء وينبع من الارض كقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا لكن جعل علامة وقت ركوبه السفينة هو خروج الماء من الارض ونبعه منها وقوله عز وجل قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ويحتمل هذا وجهين يحتمل ان كنا قلنا له اذا فار التنور احمل فيها من كل زوجين اثنين ويحتمل ان قلنا له وقت فور الماء من التنور احمل فيها من كل زوجين وقوله عز وجل من كل زوجين اثنين الزوج هو اسم فرد لذي شفع ليس هو اسم الشفع حتى يقال عند الاجتماع ذلك ولكن ما ذكرنا انه اسم فرد لذي شفع كان الاناث صنف وزوج والذكور صنف وزوج فيكون الذكر والانثى زوجين والله اعلم وقوله عز وجل زوجين اثنين اي من ذكر وانثى ثم يحتمل زوجين من ذوي الازواج التي تكون لهم النسل لئلا ينقطع نسلهم ويحتمل ذوي الازواج وغيره والله اعلم وقوله عز وجل واهلك الا من سبق عليه القول قال بعضهم قوله واهلك اراد اهله والذين امنوا معه يقول احمل فيها من كل زوجين اثنين واحمل اهلك ايضا الا من سبق عليه القول اي الا من كان في علم الله انه لا يؤمن والا من كان في علم الله انه يهلك وقال بعضهم قوله واهلك اراد اهله خاصة ثم استثنى من سبق عليه القول وهو ابنه وزوجته وهما من اهله الا ترى انه ذكر من امن معه وهو قوله ومن امن معه اي احمل اهلك الذين امنوا معك الا من سبق عليه القول من اهلك وغيره انه في الهالكين او يقول الا من سبق عليه القول انه لا يؤمن فهذا يدل ان في اهله من كان ظالما كافرا حيث استثنى من اهله والله اعلم وقوله عز وجل وما امن معه الا قليل يذكر هذا والله اعلم تذكير الرسول صلى الله عليه وسلم منته ونعمه التي انعمها عليه لان نوحا عليه السلام مع طول مكثه بين اظهر قومه وكثرة دعائه قومه الى دين الله ومواعظه لم يؤمن من قومه الا القليل منهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع قلة مكثه وقصر عمره امن من قومه الكثير يعرف نعمه عليه وفيه دلالة رد قول من يقول ان المواعظ على قدر استعمال الواعظ وليس هكذا ولكن على قدر قبول الموعوظ اياها وقدر الاقبال عليها لان نوحا عليه السلام كان اشد الناس استعمالا للمواعظ واكثرهم ثم لم يؤمن من قومه الا القليل دل انه ليس لما فهموا ولكن لما ذكرنا واما ما ذكر اهل التاويل انه حمل في السفينة حبات العنب فاخذ ابليس فلم يعطه الا ان اعطى له الشرك فذلك شيء لا علم لنا به فان ثبت ذلك فيكون فيه دلالة ان لابليس في سائر الانبذة والاشربة نصيب انما يكون له فيما يخرج من العنب وتقدير الثلث والثلثين انما يكون في عصير العنب خاصة ليس في غيره والله اعلم وقوله عز وجل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها يحتمل قوله بسم الله مجريها لما قال لهم نوح اركبوا فيها قولوا بسم الله مجريها ومرسيها وهو كقول الناس بسم الله من اوله على ما يقال ويذكر اسم الله في افتتاح كل عمل من ركوب ونزول وغيره ويحتمل قوله بسم الله مجراها ومرساها اي بالله مجراها ومرسيها اي به تجري وبه ترسو وانه ليس كسائر السفن التي باهلها تجري وبهم تقف وهم الذين يتولون ويتكلفون اجراها ووقفها واما سفينة نوح كانت جريتها بالله وبه رسوها لا صنع لهم في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان ربي لغفور رحيم هو ظاهر لمن امن به وصدق رسوله ينجيه من الغرق والهلاك وقوله عز وجل وهي تجري بهم في موج كالجبال هذا يدل على ما ذكرنا انها كانت بالله تجري وبه ترسو حيث لم يخافوا الغرق ما كان من الامواج واما سائر السفن فان اهلها خافوا من امواجها لما كانوا هم الذين يتولون ويتكلفون اجراءها ووقفها والله اعلم وقوله وهي تجري بهم في موج كالجبال هذا يدل على انها كانت اية لان الامواج تمنع عن جريان السفينة وسيرها فاذا اخبر انها لم تمنع هي من جريانها دل انه اراد ان تصير اية لهم وقوله عز وجل ونادى نوح ابنه وكان في معزل يحتمل قوله وكان في معزل اي معزل من نوح او كان بمعزل من السفينة او ما كان وقوله عز وجل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين يحتمل لا تكن مع الكافرين لتغرق اي لا تكن مع الكافرين لنعم الله وقوله عز وجل سآوي الى جبل اي سانضم الى جبل يعصمني من الماء ظن مسكين ان هذا الماء كغيره من المياه التي يلجأ اليها بالالتجاء الى الجبال فاخبر عليه السلام انه لا عاصم اليوم من امر الله اي من عذاب الله سمى عذابه امر الله لما ذكرنا امر الله امر تكوين لانه هو النهاية في الصحيح

كقوله انما امرنا لشيء اذا اردناه الاية وهو كما سمي البعث لقاء الله لانه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر البعث
فعلى ذلك سمي عذابه امر الله وهو امر يكون لانه هو النهاية في الاحتجاج على من ينكر العذاب وقوله عز وجل الا من
رحم الله بهدايتهم اياه الا من سبقت له الرحمة من الله بالهداية له والنجاة وقوله وحال بينهما الموج يحتمل قوله
بينهما بين ابنه وبين نوح ويحتمل بينه وبين السفينة فكان من المغرقين يحتمل صار من المغرقين ويحتمل كان في علم
الله انه يغرق وهذا يدل على ان قوله في ابليس انه كان من الكافرين انه يخرج على وجهين على وجهين احدهما انه
كان في علم الله انه يكفر او صار من الكافرين كما ذكر وكان من المغرقين ولم يكن من المغرقين في الازل وقوله
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي قال بعضهم عاد كل ماء الى من حيث خرج ما ارسل من السماء عاد اليها
وما خرج من الارض غاص في الارض وغار فيها وقال بعضهم لا ولكن امسك السماء من ارساله وامسكت الارض
من نبعه وقوله عز وجل وقيل يا ارض ابلعي ماء ويا سماء اقلعي ليس على القول لهم ولكن الله امسكهما من ارساله
ونبعه ويحتمل على القول منهم لهم باللطف وجعل فيهم ما يفهم هذا وغيض الماء اي غار الماء في الارض وقضي الامر
بهلاك قوم نوح ويحتمل على التكوين على ما ذكر واستوت على الجودي اي استقرت على الجودي وهو جبل وقيل بعدا
للقوم الظالمين اي هلاكا ويحتمل بعدا للقوم الظالمين من رحمة الله وقال القتبي مرسيها اي تقف وقوله عز وجل
يعصمني من الماء يمنعني من الماء وقال لا عاصم اليوم من امر الله قال القتبي لا معصوم اليوم من عذاب الله كقوله
من ماء دافق اي مدفوق واصله لا عاصم اليوم من امر الله اي لا شيء يمنع اليوم من نزول عذاب الله عليهم ولا دا
فع لهم منه وقوله عز وجل ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق الاية فقال يا نوح انه
ليس باهلك هذا والله اعلم كان عند نوح ان ابنه كان على دينه لما انه كان يظهر الموافقة له والا لا يحتمل ان يقول
ان ابني من اهلي ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي في سؤال مثله حيث ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
ولا يحتمل ان يكون يعلم انه على غير دينه ثم يسأل له النجاة بعد ما نهاه عن المخاطبة في الذين ظلموا فقال انه ليس من اهلك
في الباطن والسر والا يخرج هذا القول مخرج تكذيب رسوله لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه كان في الظاهر عنده
انه على دينه لما كان يظهر له الموافقة وكان لا يعرف ما يضمره فسأله على الظاهر الذي عنده وكذلك اهل النفاق
كانوا يظهرون الموافقة وكان لا يعرف ما يضمره فسأله على الظاهر الذي عنده وكذلك اهل النفاق يظهرون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويضمرون الخلاف له وكانوا لا يعرفون نفاقهم الا بعد اطلاع الله
اياه فعلى ذلك نوح كان لا يعرف ما يضمره ولذلك خرج سؤاله فقال انه ليس من اهلك الذي وعد النجاة لهم
او ليس من اهلك لانه لم يؤمن بي ولم يصدقك فيما اخبرت انه عمل غير صالح روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يقرأ عمل غير صالح بغير تنوين وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ عمل غير صالح بالتنوين فمن قرأ بالنصب على
غير صالح اي ان ابنك عمل غير صالح ومن قرأ عمل يكون معناه والله اعلم ان سؤالك عمل غير صالح بالتنوين وكل القراءتين
يجوز ان يصرف الى ابنه اي انه عمل غير صالح وهو عمل الكفر وعمل غير صالح اي الذي كانوا عليه عمل غير صالح والله اعلم
وقوله ان ابني من اهلي ثم قال انه ليس من اهلك هذا في الظاهر يخرج على التكذيب له لكن الوجه فيه انه من اهلك
فيما شرطت من نجاة اهلك وقوله وان وعدك الحق يحتمل وجهين يحتمل وان وعدك باغراق الظلمة حق والثاني
وان وعدك بنجاة المؤمنين حق وانت احكم الحاكمين وقوله عز وجل فلا تسألني ما ليس لك به علم يحتمل هذا النهي عن
سؤال ما لم يؤذن له من بعد لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا لا يسألون شيئا الا بعد الاذن لهم في
السؤال وان كان يبيح لهم السؤال او ان يكون نهيا بالماسبق ولانبياء عليهم السلام كانوا يعاتبون في اشياء يحل
لهم ذلك نحو قوله لرسول الله عفى الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وقد كان منه الامر بالقعود
والنهي عن الخروج بقوله فقل لن تخرجوا معي ابدا ونحوه وقوله عز وجل اني اعظك ان تكون من الجاهلين هو كما نهى رسول
الله فلا تكونن من الجاهلين وامثاله وان كان معلوما انه لا يكون من الجاهلين وهو ما ذكرنا ان العصمة لا تمنع
النهي عن الشيء بل بالنهي يظهر العصمة وقوله عز وجل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم اني اعوذ بك
ان اعود الى سؤال لا اعلم بالاذن في السؤال هذا يحتمل وقوله والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين ان لم تغفر لي
بالعصمة من العود الى مثله اكن من الخاسرين هذا يشبه ان يكون ذكر هذا لما لا يستوجبون المغفرة والرحمة
الا برحمة الله وفضله على ما روي عن رسول الله انه قال لن يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله برحمته وقوله عز وجل والا تغفر لي وترحمني هو طلب المغفرة بالكناية وهو ابلغ واكبر من قولهم اللهم
اغفر لي كان في قوله والا تغفر لي وترحمني قطع المغفرة من غيره واخبار ان لا يملك احد ذلك وليس في قوله اغفر لي قطع كون
ذلك من غيره لذلك كان ذلك ابلغ من هذا وكذلك سؤال ادم وحواء المغفرة حيث قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية هو سؤال
بالكناية فهو ابلغ في السؤال وقوله عز وجل قيل يا نوح اهبط قال بعضهم اي انزل من الجودي الى قرار الارض وقال
بعضهم قوله اهبط اي انزل واقم على المقام والمكث في المكان ليس على الهبوط من مكان مرتفع الى مكان منحدر وقوله عز وجل
اهبط بسلام منا وبركات عليك السلامة هو ان يسلم عن الشرور والافات والبركة هي نيل كل خير وبر على غير تبعة
ثم هما في التحصيل واحد لانه اذا سلم عن كل شر وافة نال كل خير وبر واذا نال كل خير سلم عن كل شر وافة هما في الحقيقة
واحد لكنهما في العبارة يختلف وهو كالبر والتقوى من العبد البر هو كسب كل خير والتقوى هو اتقاء كل شر ومعصية

هما في العبارة مختلفان وفي الحقيقة واحد لانه اذا اتقى كل شر ومعصية عمل كل خير وبر واذا اكتسب كل خير وبر اتقى كل
معصية وشر وعلى ذلك يخرج الشكر والصبر هو كف النفس عن كل ماثم والشكر هو استعمال النفس في كل طاعة
هما ايضا في العبارة مختلفان وفي الحقيقة واحد لانه اذا كف نفسه من كل ماثم استعملها في الطاعة واذا استعملها
في الطاعة كفها عن كل ماثم ومعصية وعلى ذلك يخرج الاسلام والايمان الاسلام هو تسليم النفس لله خالصة سالمة
لا يجعل لغيره فيها حقا والايمان هو ان يصدق الله بالربوبية في نفسه وفي كل شيء وهما في الحقيقة واحد وفي العبارة
مختلفان لانه اذا جعل نفسه وكل شيء سالما لله اقر بالربوبية في نفسه وفي كل شيء واذا صدقه واقر بالربوبية
في نفسه وكل شيء جعلها لله وكل شيء له هذه الاشياء في العبارة مختلفة وفي التحصيل واحد ثم قوله اهبط
بسلام منا وجائز ان يكون جواب قوله والا تغفر لي وترحمني امنه عما خاف وطلب منه المغفرة والرحمة والثاني
السلام له منه هو الثناء الحسن كقوله سلام على نوح في العالمين وقوله عز وجل وبركات عليك يحتمل ان يكون
جواب قوله انزلني منزلا مباركا والبركة هو اسم كل خير لا انقطاع له او اسم كل شيء لا تبعة له عليه فيه ثم
قوله بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم على قول بعض اهل التاويل ذلك السلام
وتلك البركات في الدنيا السلام لما سلموا من الغرق والبركات ما نالوا في الدنيا من الخيرات والمنافع وعلى قول
بعضهم السلام والبركات جميعا في الاخرة ثم جعل عز وجل المؤمن والكافر مشتركين في منافع الدنيا وبركاتها
وجعل منافع الاخرة وبركاتها للمؤمنين خاصة بقوله والعاقبة للمتقين وبقوله قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم قال قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة شرك المؤمن
والكافر في زينة الدنيا ثم جعلها للمؤمنين خالصة يوم القيمة فذلك قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب
اليم اخبر انه يمتعهم ثم يصيبهم عذاب اليم ويمتع المؤمن ايضا في هذه الدنيا بانواع المنافع ثم اخبر ان العاقبة
بازاء ما جعل لهم عذابا اليما اعني الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل وعلى امم ممن معك ولم يكن مع نوح امم يومئذ انما
كانوا معه نفرا لكنه اراد والله اعلم الامم التي كانوا من نسلهم كانه قال وعلى امم يكونون من بعدك فهذا يدل
ان دين الانبياء والرسل عليهم السلام دينا واحدا وان اختلف شرائعهم لان تلك الامم لم يكونوا بانفسهم
مع نوح ولا كانوا معه في العبادات التي كان فيها نوح دل انهم كانوا جميعا على دينه وهو واحد وعلى ذلك يخرج
دعاؤه رب اغفر لي ولوالدي الاية دعاء بالمغفرة له لكل مؤمن ومؤمنة يكون من بعد وكذلك يخرج على
كل كافر دعاؤه ولا تزد الظالمين الا تبارا وقوله عز وجل تلك من انباء الغيب نوحيها اليك يحتمل قوله تلك اي
قصة نوح من انباء الغيب نوحيها اليك يحتمل قوله تلك اي قصة نوح من انباء الغيب غابت عنك لم تشهدها ولم
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ان كان المراد من قوله تلك من انباء الغيب قصة نوح خاصة وانباؤه
كان يجيء ان يقول هذه من انباء الغيب نوحيها اليك لكنه كانه على الاضمار اي هذه الانباء تلك الانباء التي
ذكرت في كتبهم وان كان المراد هذه وغيرها من الانباء يصير كانه قال هذه من تلك الانباء ويحتمل قوله تلك
من انباء الغيب القصص كلها قصة نوح وغيره من الانبياء من انباء الغيب غابت عنك لم تشهدها ولا تعلمها
ولا قومك خص قومه لان غيره من الاقوام قد كانوا عرفوا تلك الانباء منهم وهم فيعرفون به صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرهم على ما اخبر اولئك الذين
عرفوا تلك الانباء بكتبهم ليعلم انه انما عرف ذلك بالله اذ تلك الانباء كانت بغير لسانه ولم يعرف انه اختلف لاحد
منهم دل انه انما عرف بالله تعالى وقوله عز وجل فاصبر يحتمل قوله فاصبر على تكذيبهم اياك وعلى اذاهم واصبر على
ما امرت ونهيت او اصبر على ما صبر اخوانك من قبل كقوله كما صبر اولوا العزم من الرسل ونحوه وقوله عز وجل
ان العاقبة للمتقين يشبه ان يكون قوله للمتقين الذين اتقوا الشرك ويمكن الذين اتقوا الشرك والمعاصي كلها والاشبه
ان يكون المراد منه اتقاء الشرك لانه ذكر بازاء قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم فهو في العقد اشبه
وقال بعض اهل التاويل في قوله اهبط بسلام من السفينة بسلام منا فسلمه الله ومن معه من المؤمنين من الغرق وبركات
عليك وعلى امم ممن معك يعني بالبركة انهم توالدوا وكثروا بعد ما خرجوا من السفينة وعن ابن عباس رضي الله عنه
في قوله وبركات عليك وعلى امم ممن معك ممن سبق له في علم الله البركات والسعادة من النبيين وغيرهم وقوله
عز وجل والى عاد اخاهم هودا والله اعلم صلة قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فيقول وقد ارسلنا هودا الى عاد
اخاهم هودا والله اعلم صلة قوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فيقول وقد ارسلنا هودا الى عاد اخاهم ثم يحتمل قوله
اخاهم الاخوة تكون على وجوه اخوة جنس يقال هذا اخو هذا نحو مصراعي الباب يقال لاحدهما هذا اخو هذا ونحوا
حذو جي الخف وامثاله واخوة في النسب واخوة في الدين كقوله انما المؤمنون اخوة فهو لم يكن اخا لهم في
الدين فهو يحتمل انه اخوهم في الجنس وفي النسب لان الناس كلهم ينسبون الى ادم فيقال بنو ادم مع بعد ما بينه
وبينهم فعلى ذلك يكون بعضهم لبعض اخوة مع بعد النسب الذي بينهم والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره يعبد اي الذين تعبدون ليسوا بالهة لا يستحقون العبادة انما الاله الذي يستحق العبادة الله
الذي خلقكم وخلق لكم الاشياء وقوله عز وجل ان انتم الا مفترون اي ما انتم الا مفترون لا يحتمل ان يكون هو وقال
لهم هذا في اول ما دعاهم الى التوحيد وفي اول ما ردوا واجابه وكذبوه لانهم امروا بلين القول لهم وتذكير النعمة

عليهم كقوله لموسى وهرون حيث بعثهما الى فرعون بقوله فقولا له قولا لينا الاية ولكن كان قال لهم ذلك ما سبق
منه اليهم دعاء غير مرة واقام عليهم الحجة والبراهين فردوها فعند ذلك قال لهم هذا حيث قالوا يا هود ما جئتنا ببينة
الاية وقوله عز وجل ان انتم الا مفترون يحتمل في تسميتهم الاصنام التي عبدوها يقول ان انتم الا مفترون في ذلك
ويحتمل انه سماهم مفترين فيما قالوا لو الله امرهم بذلك يقول انتم مفترون فيما ادعيتم الامر بذلك او مفترون في
في انكارهم البعث او الرسالة وقوله عز وجل يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني هذا قد ذكر في غير موضع
يقول لهم والله اعلم اي لا اسألكم على ما ادعوكم اليه اجرا يمنعكم ثقل ذلك الاجر وغرمه عن الاجابة فما الذي يمنعكم
عن الاجابة لي ويحملكم على الرد بل ادعوكم على ما ادعوكم اليه ما ترغبون فيه فكيف يمنعكم عن الاجابة والنظر فيما
ادعوكم اليه افلا تعقلون اني رسول اليكم بايات وحجج جئت بها افلا تعقلون انها ايات وحجج ونحوه او يقول
افلا تعقلون ان الله واحد وانه رب كل شيء وخالق كل شيء ومنشئه وقوله عز وجل ويا قوم استغفروا ربكم ثم
توبوا اليه يحتمل ان يكون قوله استغفروا ربكم ثم توبوا اليه واحدا ويحتمل على التقديم والتأخير توبوا اليه
ثم استغفروا ما كان منكم من المساوي اي اقبلوا الى طاعة الله واندموا على فعالكم وقوله استغفروا ربكم معلوم
انه والله لم يرد بقوله استغفروا ان يقولوا نستغفر الله ولكن امرهم ان يطلبوا السبب الذي يجب لهم المغفرة
ويحق وهو التوحيد كانه قال وحدوا ربكم فامنوا به ثم توبوا اليه او يقول اطلبوا المغفرة بالانتهاء عن الكفر كقوله
تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله عز وجل يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم قال بعض
اهل التأويل انه قد كان قد انقطع عنهم المطر وانقطع نسلهم فاخبرهم انهم ان تابوا الى الله واستغفروا ربكم يرسل
السماء عليكم مدرارا الاية حتى تتناسلوا وتتوالدوا ويحتمل قوله ويزدكم قوة اي يزدكم قوة الى قوتكم لانهم
لانهم كانوا اهل قوة واهل بطش بقولهم قالوا من اشد منا قوة ويحتمل على الابتداء يرسل السماء عليكم مدرارا
ويزدكم قوة الى قوتكم فقوله ولا تتولوا مما ادعوكم فيه فتكونوا مجرمين المجرم قال ابو بكر هو الواثب في الاثم
وقيل هو المكتسب وقوله عز وجل وقوله قالوا يا هود ما جئتنا ببينة على ما تدعونا اليه او على ما تدعي من الرسالة
فعند ذلك قال لهم هود ان انتم الا مفترون وما نحن بتاركي الهتنا اي ما نحن بتاركي عبادة الهتنا عن قولك
اي بقولك كان لا يدعوهم هود الى ترك عبادة الهتهم بقوله خاصة ولكن قد دعاهم واقام على فساد ذلك الحجج
والبراهين لكنهم قالوا متعنتين متكابرين وما نحن لك بمؤمنين فيما تدعونا اليه وتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا
وقوله عز وجل ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قيل هو كان يسب الهتهم ويذكرهم بالعيب فيقولون انه
يعتريك من بعض الهتنا بسوء او يصيبوك بجنون او خبل فلو نخاف ان يصيبك منها ما حذرنا سالنا فذلك يخرج
منهم مخرج الامتنان اي انا انما نهاك عن سب الهتنا وذكر العيب فيها اشفاقا عليك لئلا يصيبك
شيء منها وقال ابن عباس رضي الله عنه قالوا شتمت الهتنا فخبلتك واصابتك بالجنون فنا وبله والله اعلم
انك تدعونا الى ما تدعونا اليه وتدعي ما تدعي لما اصابتك الهتنا بسوء واعترتك بجنون كانوا يخوفونه ان
تصيب الهتهم بسوء بترك عبادتها على ما كانوا يرجون ويطمعون بعبادتهم اياها شفاعتهم لهم قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون به وتعبدونه من الالهة واشهدوا انتم ايضا باني بريء من ذلك فكيدوني
جميعا انتم والهتكم فيما تدعونني من الهلاك او السوء ثم لا تنظرون اي ثم لا تمهلون في ذلك ويحتمل قوله فكيدوني
جميعا انتم والهتكم يقول اعملوا انتم والهتكم جميعا التي تزعمون انها خبلتني واخبتني ثم لا تنظرون اي لا تمهلون
وهذا من اشد ايات النبوة لانه يقول لهم وهو بين اظهرهم وحيدا فلولا انه يقول ذلك لهم بقوة من
الله والا عنادله عليه والانتصار به والا ما اجترا احد ان يقول امثل هذا بين اعدائه علم انه قال ذلك بالله
وكذلك قول رسول الله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون الاية وقول نوح ثم اقضوا الي الاية وقول شعيب
يا قوم اعملوا على مكانتكم الاية وامثاله قالوا ذلك بين اظهر الاعداء ولم يكن معهم انصار ولا اعوان دل
انهم قالوا ذلك بالله وذلك من ايات النبوة وقوله عز وجل اني توكلت على الله اي فوضت امري اليه او وكلت
في جميع عملي اليه او وثقت به واعتمدت عليه فيما تتوعدونني من الهلاك او توكلت عليه في دفع ما اوعدتموني
ربي وربكم اي كيف تتوعدونني بالهتكم التي تعبدون ولا اخاف الذين تعملون انه ربي وربكم اي كيف تتوعدوني
وهو كما قال ابراهيم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله الاية وقوله عز وجل ما من دابة الا هو
اخذ بناصيتها يميتها من شاء وقوله اخذ بناصيتها اي في ملكه وسلطانه يقال فلان اخذ بحلقوم فلان وفلان في
قبضة فلان ليس انه في قبضته بنفسه واخذ بحلقوم فلان ولكن يراد انه في سلطانه وفي قبضته ان ربي على
صراط مستقيم اي على الذي امرني ربي ودعاني اليه او يكون قوله ان ربي على صراط مستقيم اي ان الذي امرني
ودعاني اليه هو صراط مستقيم كقوله ان ربك لبالمرصاد وقال ابو عوسجة الاعتراء هو الاخذ يقال اعترته
الحمى اي اخذته وقال القتبي الاعتراء الاصابة يقول الا اعتراك اصابك يقال اعترتني اصبت وهو ما ذكرنا
وقوله عز وجل فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يحتمل على الاضمار اي فان تولوا عن اجابتك وطاعتك
فقل قد بلغتك رسالات ربي لان قوله تولوا انما هو خبر وقوله عز وجل ابلغتكم خطاب وامكن ان يكونا جميعا
على الخطاب يقول فان توليتم عن اجابتي فيما ادعوكم اليه فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم وليس علي الا التبليغ

الرسالة

الرسالة اليكم كقوله ما على الرسول الا البلاغ وكقوله ان عليك الا البلاغ يقول انما علي ابلاغ الرسالة
اليكم ليس علي جرم توليكم عن اجابتي كقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه والله اعلم وقوله
عز وجل ويستخلف ربي قوما غيركم خلفهم لانهم كانوا يقولون من اشد منا قوة يقول والله اعلم ان قوة ايديكم
وبطشكم لا يعجز الله عن اهلاككم وفيه ان عادا لسواهم النهاية في العالم بل يكون بعدهم قوم غيرهم والله اعلم
وقوله عز وجل ولا تضرونه شيئا اي لا تضرونه بتوليكم عن اجابتي ورد رسالة الله اليكم ليس كملوك الارض
اذا تولى عنهم خدمهم وحشمهم ضرهم ذلك والثاني لا تضرونه كما يضر ملوك الارض بالقتال والحرب
بعضهم بعضا والثالث لا تضرونه لانه لا منفعة له فيما يدعوكم حتى يضره ذلك اذ ليس يدعوكم
اليها يدعو لحاجة نفسه ولا لمنفعة انما يأمركم ويدعوكم لحاجة انفسكم والمنفعة ويحتمل ان يكون
لا تضرونه شيئا جواب قوله فكيدوني جميعا الاية ان ربي على كل شيء حفيظ لا يخفى عليه شيء وان لطف فكيف
يخفى عليه اعمالكم واحوالكم مع ظهورها وبدوها او يقول ان ربي على كل شيء حفيظ فيجزيه عليه اي لا يذهب
عنه شيء اي لا يفوته والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا هودا قوله جاء امرنا امر تكوين لا امر
يقتضي الساعة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فعلى ذلك هذا هو امر تكوين وقد ذكرناه
وقوله عز وجل نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا هذا يدل ان من نجا انما نجا برحمته منه لا بعمله وعلى
ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته لا على ما يقول المعتزلة ان من نجا انما نجا بعمله لا برحمته ثم
يحتمل قوله برحمة منا وجوها يحتمل الرحمة ههنا هودا اي رحمهم به حيث بعث اليهم رسولا فنجا من اتبعه
فان كان هذا ففيه ان اهل الفترة معاقبون في حالة لانه اخبر ان من نجا انما نجا بهود فدل انهم معاقبون
قبل بعث الرسل اليهم ويحتمل قوله برحمة منا اي بتوفيق منا اياهم نجا من نجا منهم والثالث ونجيناهم
من عذاب غليظ قال بعضهم نجيناهم من العذاب الذي اهلك هؤلاء ويحتمل ان يكون على الوعد اي نجيهم
في الاخرة من عذاب غليظ وقوله عز وجل وتلك عاد جحدوا اي وتلك اهل قرية عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا
رسلهم الكفر بالايات كفر بجميع الرسل والكفر بواحد من الرسل كفر بالرسل جميعا وبالله التوفيق لان كل واحد
من الرسل يدعو الى الايمان بالله وبجميع الرسل فالايمان بواحد منهم ايمان بالله وبجميع الرسل والايات والكفر بواحد
منها كفر بالله وبجميع الرسل وانما كان الكفر بالايات كفرا بالله لان الله انما يعرف من جهة الايات والكفر بالايات
كفر به وقوله عز وجل واتبعوا امر كل جبار عنيد قيل اخبر انهم اتبعوا امر الجبابرة واطاعوهم وتركوا اتباع الرسل
وطاعتهم قيل هو المتجبر الذي يتجبر على الرسل ويتكبر عليهم لان الرؤساء منهم كانوا يتجبرون على الرسل ويتكبرون
ثم الاتباع اتبعوا الرؤساء في ذلك قالوا ابو عوسجة الجبار هو المتجبر والعنيد هو المعاند المخالف وقال
القتبي العنود والعنيد والعاند المعارض لك بالخلاف عليك وقال ابو عبيدة العنيد والعاند هو الجائر وقوله
عز وجل واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة قال بعضهم اللعن هو العذاب انه اتبعوا في الدنيا وفي الاخرة
كقوله الا لعنة الله على الظالمين اي عذاب الله وقوله عز وجل واتبعوا اي الحقوا وقيل ان اللعن هو الطرد طردوا
من رحمة الله حتى لا ينالونها لا في الدنيا ولا في الاخرة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود اي لا بعد
من رحمة الله وقوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا هو ما ذكرنا اي ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وقوله اخاهم
قد ذكرنا ايضا ان الاخوة تتجه الى وجوه ثلاثة اخوة في الدين واخوة في الجنس واخوة في النسب وقوله
عز وجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان الرسل جميعا صلوات الله عليهم اول ما دعوا قومهم انما دعوا
الى توحيد الله وجعل العبادة له لان غيره من العبادات انما تقوم بالتوحيد وكان اول ما دعاهم قومهم
اليه لم يزل عادة الرسل وعليهم الدعاء الى توحيد الله والعبادة له وقوله عز وجل هو انشأكم من الارض
وقال بعض اهل التأويل هو انشأكم من الارض يقول هو خلقكم من ادم وخلق ادم من الارض لكنه اضاف خلق
الخلائق اليها كما اضاف في قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة الاية اخبر انه خلقنا من نفسه اي ادم وان
لم نكن انفسنا فيه فعلى ذلك اضافته ايانا بالخلق من الارض وان لم يخلق انفسنا منها اي خلق اصلنا وانشأ
من الارض فاضاف انشاءنا اليها انشأ اصلنا ويشبه ان يكون قوله انشأكم من الارض اي جعل نشأ الخلائق
كلهم ونماءهم وحيوتهم ومعاشهم بالخارج من الارض اذ به تشابههم ونماءهم وحيوتهم وقوامهم منها وقوله عز
وجل واستعمركم فيها قال بعضهم اسكنكم فيها وقال بعضهم استخلفكم فيها وقال غيره قوله واستعمركم فيها
اي جعلكم عمارا الارض تعمرونها لمعادهم ومعاشهم جعل عمارة هذه الارض الى الخلق هم الذين يقومون بعمارتها
وبنائها والزراع بها ويرجع كله الى واحد وقال بعضهم في قوله واستعمركم اي جعل عمركم طويلا وقوله عز وجل
فاستغفروه ثم توبوا اليه هذا قد ذكرنا فيما تقدم في قصة نوح اي كونوا بحال يغفر لكم هو كقوله ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف كانه قال فان انتهوا عن الكفر يغفر لكم وقوله عز وجل ان ربي قريب لحفظ الخلائق وقريب
لمن انعم عليهم وامثاله او قريب الى كل من يفزع اليه مجيب الدعاء كل داع استجاب له كقوله واذا سألك
عبادي عني الاية وكقوله واوفوا بعهدي الاية وقوله عز وجل قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا

انتهانا ان نعبد اباؤنا قال بعضهم قولهم قد كنت فينا مرجوا كنت ترحم الضعفا وتعود المرضى ونحوه من الكلام
فالساعة صرت على خلاف ذلك وقال بعضهم كنت فينا مرجوا كنا نرجوا كنا نرجوا ان ترجع الى ديننا
قبل هذا الذى تدعونا اليه فالساعة صرت تشتم الهتنا وتذكرها بعيب اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اى ما كان
اباؤنا عندك سفهاء من قبل هذا فالساعة تسفه احلامهم فى عبادتهم الاصنام واننا لفى شك مما تدعونا
اليه مريب او كانوا يذكرون هذا له احتجاجا لهم عليه فيما دعاهم الى توحيد الله وعبادتهم اباءه فقالوا انا على
يقين ان اباءنا قد عبدوا هذه الاصنام وانا على شك مما تدعونا اليه مريب اى بريبنا امرك ودعاؤك
لنا الى هذا الدين قد قبل هذا ولكنا لا نعلم ما كانوا يرجون فيه وما المعنى الذى قالوا له قد كنت فينا مرجوا سوى
انا نعلم انه كان مرجوا فيهم فى العقل والدين والعلم والبصيرة ونحوه فكان مرجوا فيهم بالاشياء التى ذكرنا هذا
نعلم ولا نعلم ما عنى اولئك بقولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربى اى ان كنت على حجة وبرهان وبيان من ربى فيما ادعوكم الى توحيد الله وصرف العبادة اليه والثانى
قوله ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى منه رحمة يحتمل قوله رحمة اى اتانى هدى ونبوة من عنده فمن ينصرنى
من الله اى من يمنعنى من عذاب الله ان عصيته ورجعت الى دينكم اى لا احد ينصرنى لو اجبتكم الى ما دعوتمونى اليه
اى لا احد ينصرنى دون الله لو اجبتكم واطعتكم فيما دعوتمونى اليه ثم الذى دعوه اليه يحتمل ترك تبليغ الرسالة
اليهم او دعوة الى عبادة الاصنام التى عبدوها وقوله عز وجل فما تزيدوننى غير تخسير قيل فما تزيدوننى بجدالكم
اياى فيما تجادلوننى الا خسرانا وقال بعضهم فما تزيدون بمعصيتكم اياى الا خسرانا لا نفعكم وقال القتبى غير تخسير
او غير تخسرا وغير نقصان وقال ابو عوسجة غير تخسير هو من الخسران يقال خسر اى لزمته الخسران وقوله عز وجل
ويا قوم هذه ناقة الله لكم فذروها تاكل فى ارض الله قال لهم هذا حين سألوا منه الاية فقال هذه ناقة الله
لكم اية على صدق صالح فيما ادعى من الرسالة او هذه ناقة الله لكم فذروها تاكل فى ارض الله قال لهم هذا حين
سألوا منه الاية فقال هذه ناقة الله لكم اية التى سألتموها من الرسالة وقوله عز وجل ناقة الله اضاف اليه
لخصوصية كانت فيها نحن لا نعرف ذلك ليست تلك الخصوصية فى غيرها من النوق لما جعلها اية لرسالته ونبوته
خارجة عما عاينوا من النوق وشاهدوها وهكذا كانت ايات الرسل كانت خارجة عن وسع البشر وطوقهم ليعلم
انها سماوية ثم لا يعرف اية خصوصية كانت لها اعظم جسمها وغلظ بدنها حيث قسم الشرب بينهم وبينها حتى
جعل يوما لها ويوما لهم بقوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولم يقسم مراعيها بينها وبينهم بقوله فذروها
تاكل فى ارض الله واما ما قاله بعض الناس انها خرجت من صخرة كذا وانها كانت تحلب كل يوم كذا واشياء اخر
ذكروها فانا لا نعرف ذلك ولا نقطع القول فيه انه كان كذلك سوى انا نعرف انها كانت خصوصية ليست تلك
الخصوصية لغيرها من النوق ولو كانت لنا الى تلك الخصوصية حاجة لبينها لنا واصله ما ذكرنا انه اذا اضيف جزئية
الاشياء الى الله فهو على تعظيم تلك الجزئيات المضافة اليه واذا اضيف الى كلية الاشياء فهو على ارادة التعظيم
لله والتبجيل له نحو قوله له ملك السموات والارض وله كل شىء ونحوه وقوله عز وجل ولا تمسوها بسوء نهاهم
ان يمسوا بسوء ولم يبين ما ذلك السوء فيحتمل ان يكون ذلك شىء عرفوا هم ونهاهم عن ذلك وقال بعض اهل التاويل
لا تمسوها بسوء اى لا تعقروها فيأخذكم عذاب قريب لما كان ذلك على اثر عقرهم الناقة بثلاثة ايام حيث قال
فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وما ذكر ايضا ان وجوههم اصفرت فى اليوم
الثانى ثم اسودت فى اليوم الثالث ثم نزل بهم العذاب فى اليوم الرابع فذلك ايضا مما لا نعرفه وقوله عز وجل
عذاب قريب قيل سريعا لا تمهلوا حتى تعذبوا وقوله ذلك وعد من الله غير مكذوب ليس فيه كذب وكان هذا بهم
انما نزل على اثر السؤال الاية سألوا ذلك فلما ان جاءهم بها كذبوها فنزل بهم العذاب وهكذا السنة فى الامم السالفة
انهم اذا سألوا الاية فجاءتهم فلم يؤمنوا بها نزل بهم العذاب وهو قوله وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب
بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها الاية والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء امرنا اى جاء ما امرنا
كما يقال جاء وعد ربنا اى جاء موعود ربنا لان وعده وامره لا يجىء ولكن جاء ما امر به وما وعد به وهو العذاب
او يقول جاء اى اتى وقت وقوع ما امر به ووعد وهو العذاب الذى وعد وامر به والله اعلم نجينا صالحا والذين
امنوا معه برحمة متابعة منا او بفضل منا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل ومن خزى يومئذ قيل
الخزى هو العذاب الذى يفضحهم وقيل كل عذاب فهو خزى اى نجيهم من خزى ذلك اليوم وقوله عز وجل ان ربك
هو القوى العزيز قيل القوى هو الذى لا يعجزه شىء والعزيز هو الذى يذل من دونه وقيل القوى المنتقم المنتصر
لاوليائه من اعدائه العزيز هو المنيع فى ملكه وسلطانه الذى لا يعجزه شىء وقوله عز وجل واخذ الذين ظلموا الصيحة
قيل عذابهم كان صيحة صاح بهم جبريل وقيل الصيحة الصاعقة وكل عذاب فهو صيحة لكن لا ندرى كيف كان
وان يكون عذابهم قد وصيحة لسرعة وقوعه بهم او يسمى ذلك العذاب صيحة لما راوه ما يصيحون فيما
بينهم او ما ذكرنا وقوله عز وجل فاصبحوا فى ديارهم جاثمين قال ههنا ديارهم وقال فى سورة الاعراف دارهم
والقصة واحدة قال بعضهم دارهم قراهم وديارهم منازلهم ولكن هو واحد اصبحوا جاثمين فى دارهم
ومنازلهم سواء وقوله جاثمين قيل خامدين موتى واصل قوله جاثمين اى منكبين على وجوههم يقال

جثم الطائر

جثم الطائر اذا انكب على وجهه مخافة الصيد وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل كان لم يغنوا فيها قيل
كان لم يعيشوا فيها وقيل كان لم يسكنوا فيها وقيل كان لم يعمروا فيها واصله انهم صاروا كان لم يكونوا فيها
لما لا يذكرون بعد هلاكهم فصاروا من حيث لا يذكرون كان لم يكونوا واما الاخيار والابرار فانهم
وان ماتت ابدانهم وصارت كان لم تكن ففى الذكر كانهم احياء حيث يذكر بعد موتهم وقوله عز وجل الا ان ثمود
كفروا ربهم قيل كفروا نعمة ربهم او كفروا بايات ربهم فذلك كله كفر بالله وقوله عز وجل الا بعدا لثمود اى
الا بعدا لثمود من رحمة الله وقوله عز وجل ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اختلفوا فى هذه البشارة
قال بعضهم جاؤهم ببشارة اسحق وحافد وهو قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وقال بعضهم
جاؤا ببشارة اهلاك قوم لوط وانجاء لوط واهله قيل لان لوطا كان ابن اخى ابراهيم وكان لوط فزع الى
الله بسوء عمل قومه وصنعهم ودعا بالنجاة منهم وهو قوله انى لعملكم من القالين الاية حتى ذكر فى بعض القصة
ان سارة قالت لابراهيم ضم ابن اخيك الى نفسك فان قومه يعذبون كانها عرفت انه لا يتركهم على ما هم
عليه بسوء عملهم قالوا بالبشارتين جميعا ببشارة الولد والحافد وبشارة هلاك قوم لوط ونجاة لوط واهله
الى هذا يذهب بعض اهل التاويل وقوله عز وجل قالوا سلاما قال سلام هذا يدل ان السلام هو سنة الانبياء
والرسل والملائكة فى الدنيا والاخرة لم تخص هذه الامة بل كان سنة الرسل الماضية والامم السالفة هو
تحية اهل الجنة بقوله سلام عليكم طبتم ونحوه هذا يدل ما ذكرنا ثم انتصاب قوله سلاما وارتفاع الثانى
لان الاول انتصب لوقوع القول عليه كقولك قال قولا والثانى حكاية لقولهم وقوله عز وجل فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ وقوله فما لبث ان جاء اى ما لبث عندهم حتى اشتغل بتقديم شىء اليهم والا قد يكون فى ذبح العجل
وشويه لبث الا ان يكون العجل مشويا فان لم يكن مشويا فتأويله ما ذكرنا ان لم يلبث عندهم فى المؤانسة
والحديث معهم على ما يفعل مع الاضياف حتى جاء بما ذكر وفيه ما ذكرنا من الادب وفيه دلالة فيمن نزل به
ضيف ان لا يشتغل بالسؤال عن احوال ضيفه من اين والى اين وما حاجتهم ولكن يشتغل بقراهم وازاحة
حاجتهم لان ابراهيم صلوات الله عليه انما اشتغل بقراهم لم يشتغل بالسؤال عن احوالهم ولكن اشتغل بما ذكرنا
فجاء بعجل حنيذ وهذا هو الادب بالضيف الا ترى انه لو كان سأل عن احوالهم فعرف انهم من الملائكة لكان
لا يشتغل بما ذكر اذ عرف انهم من الملائكة والملائكة لا يتناولون شيئا من الطعام وقوله بعجل حنيذ قال
بعضهم الحنيذ السمين وهو ما ذكر فى موضع اخر فجاء بعجل سمين وقال بعضهم الحنيذ هو المشوى الذى خد فى الارض
خدا ثم شوى بالحجارة المحماة وقال بعضهم الحنيذ هو المشوى الذى يسيل منه الماء وقال ابن عباس هو نضيج الحنيذ
النضيج وقوله عز وجل فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم قال بعضهم نكرهم وانكرهم واستنكرهم واحد
هو من الانكار اى لم يعرفهم ظن انهم لصوص لان اللصوص من عاداتهم انهم كانوا اذا ارادوا السرقة من قوم
لم يتناولوا من طعامهم ولم ياكلوا شيئا عندهم وقيل نكرهم انهم من البشر واوجس منهم خيفة قيل اضمر
منهم خيفة قال بعضهم خاف لما ظن انهم سراق ولصوص حيث لم يتناولوا شيئا مما قدم اليهم وقال بعضهم
خيفة اى وحشة اى اضمر وحشة حيث لم يتناولوا شيئا قرب اليهم فحينئذ علم انهم ليسوا من البشر لان منزل
ابراهيم كان نائيا من البلد ولم ينزل له احد من البشر الا وقد احتاج الى الطعام فلما لم يتناولوا علم انهم ليسوا من
البشر لما جاؤا الا لامر عظيم لتعذيب قوم وهلاكهم فخاف لذلك فقالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وقال فى موضع
اخر لا تخف وبشروه بغلام عليم وقال فما خطبكم ايها المرسلون يذكر ههنا ان قولهم انا ارسلنا على اثر سؤال وفيما
نحن فيه لا كذلك فالمعنى فيه والله اعلم ان ذلك كان على اثر سؤال ابراهيم بقوله فما خطبكم لكنه جمع ذلك فيما نحن
فيه بالحكاية عن قولهم وان كان مفصولا عنه وخرجت الحكاية فى موضع اخر على ما كان فى الحقيقة وذلك مستقيم
فى كلام العرب والله اعلم وقوله عز وجل وامراته قائمة فضحكت قال بعضهم قائمة على رؤس الاضياف لانها كانت
عجوزة ولا باس بعجوز ذلك الا ترى الى قول الله تعالى والقواعد من النساء الاية وقال بعضهم قائمة من وراء الباب
لكن لسنا ندرى اى ذلك كان وقوله عز وجل فضحكت قال بعضهم ضحكت تعجبا من خوف ابراهيم انهم لصوص وهم
كانوا ثلاثة واربعة دون عشرة وكان خدم ابراهيم يبلغ عددهم ثلثمائة على ما ذكر فى القصة ضحكت تعجبا انه
كيف يخاف من نفر عددهم دون عشرة وعنده من الخدم ما يبلغ عددهم ما ذكرنا وقال بعضهم ضحكت تعجبا مما
بشروها بالولد وقد بلغ سنها ما بلغ من الكبر وهو كذلك وقالت احق ان الد وقد كبرت من السن كذا وقال بعضهم
ضحكت اى حاضت من قولهم ضحكت الارنب اذا حاضت وهو قول ابن عباس وعكرمة وقال الفراء فضحكت حاضت
غير مسموع ولا معروف فعلى تأويل من قال انها ضحكت تعجبا مما بشرت بالولد فهو على التقديم والتاخير كانه قال
فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت سرورا بالامن منهم لانها خافت منهم
وقوله ومن وراء اسحق يعقوب فضحكت وقال بعضهم ضحكت ظاهر هذا انها بشرت باسحق ومن وراءه ولد اسحق
بولد يعقوب ولكن لم يكن يعقوب ولد من ابراهيم انما ولد من اسحق وهو حافد ابراهيم بن اسحق نافلة وبله من
وراء اسحق حافد فانما البشارة بالولد وبالحافد وهم كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وقال فى هذه
السورة وامراته قائمة فضحكت وقال فى موضع اخر فاقبلت امراته فى صرة فصكت فان كان على ما قالوا انها

كانت قائمة وراء الباب فيكون اقبالها خروجها الى القوم وان كان قيامها على رؤسهم فيكون معنى الاقبال هو الاقبال
في ضرب وجهها وصكها لكن ذلك من القدوم لكنه على الاقبال بفعل ما اخبر عنها من صك وجهها والله اعلم وقوله عز وجل
قالت يا ويلتى ءالد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب لم تتعجب قدرة الله انه قادر على ان يهب الولد
في كل وقت ولكنها تعجبت لما ران العادة في النساء والرجال انهم اذا بلغوا المبلغ الذي كانوهم لم يلد وانتعجبها
انها تلد في الحالة التي هما عليها او ترد ان الى حال الشباب فعند ذلك يولدها وكانوهما تعجبت الخروج على خلاف العادة
لا تعجبت قدرة الرب وهو كما ذكرنا من قول زكريا انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وفي موضع اخر وقد
بلغت من الكبر عتيا قوله انى يكون لي غلام في الحال التي انا عليها او يرد الى شبابي فعلى ذلك قولها الد وانا عجوز وهذا بعلي
شيخا ان هذا لشيء عجيب وقوله عز وجل قالوا اتعجبين من امر الله قال اهل التأويل اتعجبين من قدرة الله هذا
بيان قوله اهل وقوله عز وجل رحمة الله وبركاته عليكم يشبه ان يكون هذا اصلة قوله
قالوا سلاما لانه معلوم انهم لم يقولوا سلاما حسب لم يزيدوا على هذا بل زادوا لكانهم قالوا سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته او قالوا سلام الله ورحمته وبركاته عليكم اهل البيت بالنصب كانه قال يا اهل البيت كقوله صلى الله عليه وسلم حيث
قال تركت بعد الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي اي يا اهل بيتي انه حميد مجيد يحتمل حميد الذي يقبل اليسير من المعروف
ويعطي الجزيل كالشكور والمجيد من المجد والشرف وقيل الحميد المحمود والمجيد الماجد وهو الكريم والله اعلم وقوله عز وجل
فلما ذهب عن ابراهيم الروع قيل الروع هو الفزع والفزع الذي دخل فيه بمجيء الملائكة وجاءته البشرى في الولد والحافد وفي
نجاة لوط واهله وهو ما ذكرنا في قوله ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى وقوله عز وجل يجادلنا في قوم لوط
قال بعض اهل التأويل مجادلة ابراهيم في قوم لوط ما ذكر في القصة انه قال لهم ارايتم ان كان فيهم من المؤمنين كذا اتعذبونهم
قالوا لا ونحوه من الكلام فان ثبت هذا والا لا نعلم مجادلته اياهم في دفع العذاب عنهم او تأخيره دليله قوله
يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود ويحتمل مجادلته اياهم في استبقاء قوم لوط
شفقة عليهم ورحمة لعلهم يؤمنون ويقبلون ما يدعون اليه لئلا ينزل بهم العذاب ما اوعد والمتشفع
اليهم ليتألوا ربهم اذ يبقيهم والله اعلم وقوله عز وجل ان ابراهيم لحليم اواه منيب قيل الحليم هو الذي لا يجافي
من ظلمه ولا يجازيه بها ويحلم عن سفه كل سفيه اواه الموقن بلغة الحبش وقيل الاواه المتاوه وهو الدعاء
وكثير الدعاء وقيل الاواه المتقي الذي لا يفتر لسانه عن ذكره وقيل الاواه الخويف فيما بينه وبين ربه جمع
انواع الخير والطاعة ما كان فيما بينه وبين ربه وما كان بينه وبين الخلق حيث ذكر انه حليم وانه اواه وانه منيب
والمنيب قيل المخلص لله وقيل هو المقبل الى الله بقلبه وبدنه وقد ذكرنا هذا في سورة التوبة وقوله عز وجل
يا ابراهيم اعرض عن هذا يعني عن المجادلة التي كان يجادلهم انه قد جاء امر ربك اي جاءنا امر بربك وجاء مؤ
وانهم اتيهم عذاب غير مردود اي غير مدفوع لا يحتمل الرد بالشفاعة ويحتمل قوله يا ابراهيم اعرض عن هذا عن
المجادلة التي ذكرنا انه قد جاء امر ربك بالانصراف والرجوع عنك ويحتمل جاء امر ربك من انزال العذاب بهم وقوله
عز وجل ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم قوله سيء بهم قيل اي ساءه مجيئهم ومكانهم وكرههم لصنيع قومه بالغرباء
مخافة ان يفضحوهم وضاق بهم ذرعا اي لم يدر كيف يصنع بهم وكيف يحتال ليدفع عن ضيفه سوء قومه والذرع
قيل هو المقدرة والقوة اي ضاق مقدرته وقوته وقال هذا يوم عصيب قيل فظيع شديد لانه يوم يهتك الاستار
ويفضح الرجال وفيه دليل جواز الاجتهاد لانه قال يوم عصيب فظيع قبل ان لم يظهر له شدته لكنه قالوا اجتها
دا والله اعلم ثم قوله فلما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا بسوء صنيع قومه باضيافه لخوفان
جميعا ينصرف الى لوط لمكان قومه او لمكان اضيافه او يكون احد الخوفين لمكان ضيفه والاخر لمكان صنيعه
وما ينزل بقومه والله اعلم وقوله عز وجل وجاءه قومه يهرعون اليه قال بعضهم يسرعون اليه وقال بعضهم
يهرعون اليه اي يهرولون اليه وهو سير بين السعي وبين المشي بين بين وقال بعضهم قوله يهرعون اليه اي
يرعون اليه من الروع اي فزعين اليه والله اعلم وقوله عز وجل ومن قبل كانوا يعملون السيئات هذا يحتمل وجهين
قوله من قبل ان يبعث لوط رسولا اليهم كانوا يعملون السيئات ويحتمل قوله من قبل اي من قبل نزول الضيافة
بلوط كانوا يعملون السيئات والسيئات يحتمل الشرك وغيره من الفواحش التي كانوا يرتكبونها والله اعلم وقوله
قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم اختلف في قوله بناتي هن اطهر لكم قال بعضهم اراد بنات قومه لان الرسل هم
كالاباء لاولاد قومهم ينسبون اليهم الا ترى الى قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وهو اب لهم مما ازواجه امهاتهم والنبي اباهم فعلى ذلك يحتمل قوله لوط
هؤلاء بناتي اراد بنات قومه فنسبهن الى نفسه لما ذكرنا انه كالاب لهم ثم يحتمل معنى جعل النبي لاولاد قومه
كالاب وازواجه كالام وجهين احدهما نسبوا اليه للشفقة هو اشفق بهم من الاب والام او لحق التربية وتعليم
وتعليم الدين كالاب لهم فهو اولى بهم من انفسهم لهذين الوجهين وقال بعضهم اراد بنات نفسه ثم اختلف
فيه قال بعضهم كان ذلك منه تعريض لهم للنكاح يقول هؤلاء بناتي هن اطهر لكم نكاحا ان كنتم فاعلين
للابيان ومنهم من قال هو تعريض منه لما هو زنا عندهم لانه عرض ذلك عند نفسه وهذا كما يقولون ان
ان من اكره على ان يشتم محمدا صلى الله عليه وسلم فلا باس بان يشتم ويقصد بشتمه محمدا اخر يحل له شتمه وان كان

عند المكر

عند المكره انه يشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اخطر اسمه في قلبه غيره وكذلك ان اكره على ان
يشتم الاله فيقصد بالشتم شتم الهتهم وان كان عندهم انما يشتم الهه الذي يعبده فعلى ذلك يحتمل قول
لوط هن اطهر لكم تعريض زنا عندهم وان كان عنده انه ليس لذلك يقصد وقال قائلون قال هذا ليريهم
قبح الفعل الذي كانوا يقصدون باضيافه لانه لما كان عندهم محرما فعرض عليهم بناته ليعرفوا قبح ذلك
الفعل حيث احتمل قلبه في بناته ولم يحتمل في اضيافه ليمتنعوا عن ذلك او يحتمل ان يكون قال ذلك وان كان كلاهما
لا يحلان لكن احدهما ايسر واهون ويجوز الجمع بين شرين فيقال هذا اطهر واحل من هذا وهذا ايسر من هذا واهون وان
كان كلاهما شرين فالزنا وان كان حراما فذلك مما يحل وادبار الرجال لا يحل بحال وقال بعضهم انهم كانوا يخطبون بناته
وكان ابى ان يزوجهن منهم لما لم يكونوا اكفاء لهن ثم عرض عليهم في ذلك الوقت ليعلموا قبح ذلك الفعل الذي قصدوا
باضيافه وكلام نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي وقال في موضع اخر فلا تفضحوا
في ضيفي ليعلم ان الاخزاء هو الفضيحة هذا يدل على ان الخزي هو الذي يفضح من نزل به وقوله عز وجل اليس منكم رجل
رشيد قال بعضهم هم ان يزوج بعض بناته من بعض رؤسائهم فيمنعهم عنه كانه يقول اليس منكم من يرشد ويصد رؤسائه
وقوله عز وجل اليس منكم رجل رشيد اي ليس منكم رجل يقبل الموعظة ويرشدكم ويعظكم او يقول اليس منكم رجل
رشيد على النفي فيمنعهم عما يريدون ويقصدون وقوله عز وجل لقد علمت ما لنا في بناتك من حق على لنا ويلين الذين
ذكرناهما الحق حق النكاح او حق الاستمتاع وفي بعضها لنا وبيلات من حق من حاجة له وبذلك يقول عامة اهل التأويل
ما لنا في بناتك من حق اي من حاجة وانك لتعلم ما نريد يعنون الاضياف قال لو ان لي بكم قوة اي قوة في نفسي او اوي
الى ركن شديد قيل عشيرته والركن الشديد عند العرب العشيرة يقول لو ان لي بكم قوة في نفسي عشيرة يعينوني
لقاتلتكم فيه دلالة ان من راى اخر فاحشة فله ان يقاتله وقوله عز وجل ما لنا في بناتك من حق نا ويلها والله اعلم
انك تعلم ان ليس لنا في بناتك من حق كما ليس لنا من اضيافك حق فكيف تمنعنا عنهم وتعرض علينا بناتك فهن حق كاولئك
والله اعلم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك قيل قالوا ذلك للوط لن يصلوا اليك لما طمعوا عنهم وهو كقوله
ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر وقال قائلون قالوا ذلك للوط حين طمست
اعينهم ان ضيفك سحروا ابصارنا فستعلم غدا ما تلقى انت واهلك فقالوا عند ذلك لن يصلوا اليك بسوء غدا بانهم
يهلكون ودل قوله لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد على انهم قد هموا للوط واوعدوه حتى قال ما قال
الا ترى ان الملائكة قالوا له انهم لن يصلوا اليك فهذا على ما ذكرنا وقوله عز وجل فاسر باهلك بقطع من الليل قيل
قطع من الليل اخره وهو وقت السحر وقيل هو ثلث الليل او ربعه من اخره وهو واحد والله اعلم وقوله عز وجل
ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك قيل لا يتخلف احد منكم الا امرأتك فانها تتخلف ويصيبها ما اصاب اولئك
وقال بعضهم ولا يلتفت من الالتفات والنظر وقيل لا يترك احد منكم متاعه بعينك الا امرأتك فانها لا تتبعك فيصيبها
ما اصاب اولئك وقوله عز وجل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك يحتمل النهي عن الالتفات كانه يقول لا يلتفتن احد
ويحتمل الخبر كانه يقول لا يلتفت منكم احد الا من ذكر وهو زوجته فذلك علامة لخلاف فيها له وقوله عز وجل ان
موعدهم الصبح فقالوا اليس الصبح بقريب كان لوطا استبطأ الصبح لعذابهم فقالوا اليس الصبح بقريب هذا
من لوط لا يحتمل ان يكون قال ذلك وهو بين ظهرهم ويعلم ان قراه يقلب اعلاها اسفلها اعلاها ولكن قال والله
اعلم بعد ما اخرجوه واهله من بين اظهرهم فعند ذلك قال ما قال واستبطأ وقت نزول العذاب بهم والله اعلم
وقوله عز وجل فلما جاء امرنا يحتمل جاء الامر بالمراد بامرنا او امره هو جعله عاليها سافلها ثم قال اهل التأويل
قوله جعلنا عاليها سافلها ادخل جبريل جناحه تحت قريات لوط فرفعها الى السماء ثم قلبها فجعل ما هو اعلاها
اسفلها فهوت الى الارض فذلك قوله والمؤتفكة اهوى قيل اهواها جبريل من السماء الى الارض وامكن ان تكون
اذا اهلكهم جعلهم تحت الارض فذلك جعل اعلاها اسفلها لكن اهل التأويل حملوا على ما ذكرنا واجمعوا على ذلك
وقال بعضهم قلب القرى وجعل اعلاها اسفلها على ما ذكرنا وارسل الحجارة على من كان غائبا عنها وقوله عز وجل
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال بعضهم امطر الحجارة عليها ثم قلبها جبريل وقال بعضهم امطر عليها الحجارة بعد
ما قلبها جبريل فسوتها وكل واحد منهم كان غائبا من بلدة جاءت حجارة مكتوب عليها اسمه فقتله حيث كان والله
اعلم وقوله عز وجل من سجيل قال بعضهم السجيل هو اسم المكان الذي منه رفع الحجر الذي مطر وقال بعضهم هو طين مطبوخ
كالاجر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال سنك وكل منضود نضد الحجر بالطين والصق بعضه ببعض مسومة قيل معلمة
مخططة بسواد وحمرة وقال بعضهم مسومة اي مكتوب عليها اسم صاحبها وقوله عز وجل وما هي من الظالمين ببعيد قال
بعضهم ما هي من ظلمة قوم لوط ببعيد وقال بعضهم ما هي من ظالمي اهل مكة وحواليهم ببعيد اي ما يبعد بالله ليس ببعيد
يعذبهم ان شاء ويحتمل قوله وما هي من الظالمين ببعيد اي تلك القرى والامكنة التي اهلك اهلها ليست ببعيدة من
مشركي اهل مكة وهو ما ذكر وانكم لتمرون عليهم مصبحين الاية وفيه تذكير منه على هذه الامة حيث لم يجعل عذابهم
عذاب استئصال بحيث لا يملكون العود عنه والرجوع ولكن جعل عذابهم الجهاد حتى لو ارادوا الرجوع عنه ملكوا
والله اعلم وقوله عز وجل والى مدين اي الى مدين ارسلنا اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هذا قد
ذكرنا فيما تقدم ان كل نبي اول ما دعا قومه انما دعا الى توحيد الله وجعل العبادة له وفي قوله اخاهم شعيبا وما ذكر

في غيره من الاخوة دلالة على ان الرسل من قبل كانوا من البشر من جنس قومهم لا من الملائكة حيث قال اخاهم شعيبا ومعلوم
انهم لم يكونوا اخوة لهم في الدين وفيه ان الاخوة لا توجب فضيلة لمواخيه لان الرسل اخوة اولئك الاقوام وهم كفرة
وذلك يرد قول الروافض في تفضيل علي على ابي بكر بالمواخاة التي كانت بين رسول الله وبين علي والخلة توجب الفضيلة وقد
جاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو اتخذت من دون ربي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقوله عز وجل ولا تنقصوا المكيال
والميزان ذكر انهم ينقصون المكيال والميزان ولا يوفون الناس حقوقهم فنهاهم عن ذلك فهو والله اعلم لوجهين احدهما
انهم انما نهوا عن ذلك لتحقق الربوا لان النقصان اذا كان برضاء من صاحبه يجوز فدل انه انما نهاهم لتحقق الربوا وفيهما
يجري الربوا والثاني انه ان هبة المشتري للبائع وتقلبه قبل قيام البيع فيما بينهما غير جائز والله اعلم وقوله عز وجل اني اراكم
بخير قيل وسعة من المال وقيل في رخص من السعة وانما يحمل المرء على النقصان والظلم على اخر غرة الشيء وضيق الحال فكيف
تنقصون انتم في حال السعة ورخص السعة او يقول اني اراكم بخير في غير هذا فلا تظلموا الناس في هذا وتمنعوا حقوقهم و
اني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي يوم يحيط بهم العذاب ان كانت الاحاطة مضافة الى اليوم فهو محيط بالكل
وان كانت الاحاطة مضافة الى العذاب فهو محيط بالكفرة خاصة وهو والله اعلم انه ما من جارحة من ظاهره
وباطنه الا وقد يصيبها العذاب ويحيط بها ليس كعذاب الدنيا يأخذ جزءا دون جزء بل يحيط الكل وتخصيص نقصان
الكيل والميزان لا يدل على انه لم يكن فيه من المأثم والاجرام سوى ذلك لكنه خص هذا لانه كان الظاهر فيهم نقصان
الكيل والوزن فذكر ذلك وهو ما خص قوم لوط بقوله اتأتون الذكران من العالمين وانكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم
بها الاية ذكر هذا وخصهم ليس على انهم لم يكونوا يأتون من الفواحش غيرها لكن خص هذا لانه الظاهر فيهم هذا فعلى ذلك
نقصان الكيل والميزان في قوم شعيب والله اعلم وقوله عز وجل ويا قوم اوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا
الناس اشياءهم خص المكيال والميزان لما كانوا يطففون المكيال وينقصون الميزان رغبة فيهما وفيهما يجري الربوا
لما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تبخسوا الناس اشياءهم فيه دلالة ان المشتري يملك المبيع قبل ان يقبضه لانه قال
ولا تبخسوا الناس اشياءهم اضاف الى الناس اشياءهم فلو كان لا يملك لم يكن اشياء الناس فلما كان اشياءهم فانما نقص
ما له وقوله لا تعثوا في الارض مفسدين وهو ما ذكر في موضع اخر ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وقوله عز وجل
بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين قال بعضهم ما ابقى الله لكم ثوابه في الاخرة خير لكم ان انتم بروا طعمه مما تجمعون من
الاموال قال بعضهم بقيت الله خير لكم اي ما جعل الله لكم مما يحل خير لكم مما يحرم عليكم من نقصان الكيل والوزن ان
كنتم مؤمنين بالحلال او بالاخرة وقال بعضهم طاعة الله وهو ما يأمركم به ويدعوكم اليه خير لكم مما تفعلون وقال
الحسن رزق الله خير لكم من بخسكم الناس حقوقهم لكن هذا يرجع الى ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وما انا عليكم
بحفيظ يحتمل ما انا عليكم بحفيظ اي لست اشهد بياعاتكم واشريتكم حتى اعلم بخسكم الناس المكيال والميزان لكن انما اعرف
ذلك بالله وفيه دلالة اثبات رسالته والثاني وما انا عليكم بحفيظ اي بمسلط عليكم انما ابلغ اليكم كقوله ما على الرسول
الا البلاغ وقوله عز وجل قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وقال
بعض اهل التأويل صلواتك قرائتك تأمرك هذا وقال ابن عباس قالوا ذلك له لان شعيبا كان يكثر الصلوة كانه
يخرج على الاضمار يقولون اصلواتك تأمرك بان تأمرنا بترك عبادة ما عبد اباؤنا وقوله صلواتك يحتمل ان يكون
له صلوة معروفة يفعلها فيقولون اصلواتك التي تفعلها تأمرك ان نترك كذا ام وصلوة واحدة تكثرها فقالوا ذلك
فتخصيص الصلوة من بين غيرها من الطاعات لما لعلها كانت من اظهر طاعاته عندهم فقالوا له هذا ثم يحتمل وجهين
احدهما كانهم قالوا اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل كذا على التسفيه له او التجهيل كمن يوبخ اخر
ويسفهه يقول اعلمك يأمرك بذلك وايمانك يأمرك هذا كقوله قل بئسما يأمركم به ايمانكم ونحوه من الكلام يخرج
على التسفيه له او التجهيل والثاني يقال ذلك على الانكار يقول الرجل لاخر ايمانك يأمرك بذلك او علمك بهذا اي لا يأمرك
بذلك يحتمل قول هؤلاء اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا وان نفعل في اموالنا ما نشاء اي لا يأمرك بذلك هذا
اذا كانت الصلوة التي ذكروها مرضية عندهم فان لم تكن مرضية فالتأويل هو الاول وقوله عز وجل اصلواتك
تأمرك الاية حبب اليهم تقليد ابائهم في عبادة الاصنام واتباعهم اباءهم والاموال التي كانت لهم تمنعهم هذان
عن النظر في الحجج والايات لما حبب اليهم ذلك وهكذا جميع الكفرة انما يمنعهم عن النظر في ايات الله والتأمل في حججه
احد هذه الوجوه التي ذكرنا حب اللذات ودوام الرياسات والميل الى الشهوات ظنوا انهم لو اتبعوا رسل الله و
اجابوهم الى ما دعوهم اليه لذهب عنهم ذلك ثم قوله او ان نفعل في اموالنا ما نشاء يحتمل قضاء جميع الشهوات
ويحتمل ما ذكر من نقصان المكيال والميزان يقولون اموالنا لما ليس لاحد فيها حق نفعل فيها ما نشاء وقال بعضهم
قوله او ان نفعل الا لغو صلة وان نفعل في اموالنا ما نشاء وقوله عز وجل انك لانت الحليم الرشيد قال اهل التأويل
قالوا ذلك له استهزاء به وسخرية كنوا بالحليم عن السفيه وبالرشيد عن الضال اي انت السفيه حيث سفهت اباءنا في عبادتهم
الاصنام الضال حيث تركت ملتهم ومذهبهم وقال بعضهم على النفي والانكار اي ما انت الحليم الرشيد ويشبه ان يكون
على حقيقة الوصف له بالحلم والرشد لانهم لم يأخذوا عليه كذبا قط ولا رأوا على خلاف ولا على سفاهة قط فقالوا انك
لانت الحليم الرشيد اي كنت هكذا فكيف تركت ذلك وهو ما قال قوم صالح حيث قالوا قد كنت فينا مرجوا وقوله
عز وجل قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اي على علم وبيان وحجج وبرهان من ربي على ما ذكرنا فيما تقدم اي تعلمون

ذكرنا

اني كنت على بيان من ربي وحجج ورزقني منه رزقا حسنا يحتمل هذا منه مكان ما قال اولئك الانبياء واتاني رحمة
من عنده اي قال هود ورزقني منه رزقا حسنا الدين والهدى والنبوة على ما ذكرنا وامكن ان يكون الرزق
لحسن هو الاموال الحلال الطيبة التي لا تبعة عليه فقال ذلك وما رزق اولئك عليهم تبعة في ذلك لانهم
اكتسبوها من وجه لا يحل وقوله عز وجل وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه من الناس من يقول قال لهم
ذلك بازاء ما قالوا فيما ذكر في الاعراف لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
يقول ادعوكم الى الايمان بالله والتوحيد له وانهاكم عن الكفر به ثم ارتكب ما انهاكم عنه واترك ما ادعوكم
اليه وقال قتادة لم اكن انهاكم عن امر واركبه وهو واحد ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وفيه دلالة ان
الاستطاعة تكون مع الفعل لا يخلو اما ان يكون اراد استطاعة الارادة او استطاعة الفعل فكيف ما كان
فقد اخبر انه يريد لهم من الصلاح ما استطاع فقبله ما ذكرنا ويقوي نقض على المعتزلة مذهبهم لانهم يقولون ه
الاستطاعة تتقدم على الفعل وهي لا تبقى وقتين فيصير على قولهم ارادة الصلاح لهم بما عدم من الاستطاعة
وقوله عز وجل وما توفيقي الا بالله قال بعضهم التوفيق هو صفة كل مطيع والخذلان هو صفة كل عاص وقال
بعضهم التوفيق هو ما يوافق قوله فعله في الطاعة والخذلان ما يفرق بين قوله وفعله في المعصية وقال الحسين
النجار التوفيق هو قدرة كل خير وطاعة والخذلان هو قدرة كل شر ومعصية وعندنا التوفيق هو ان يوفق
بين عمل الخير والاستطاعة والخذلان هو ان يفرق بين عمل الخير والاستطاعة وان يقول هو ان يوفق بين عمل
الشر والاستطاعة وهما واحد وقوله عز وجل عليه توكلت اي عليه اعتمدت في جميع امري واليه وكلت
واليه انيب اي ارجع ويقول اليه اقبل بالطاعة وقوله عز وجل ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل
ما اصاب قوم نوح بالغرق وقوم هود بالريح الصرصر وقوم صالح بالصيحة على ما ذكر قال بعضهم لا يجرمنكم اي لا يحملنكم
شقاقي قيل خلافي ان يصيبكم مثل ما اصاب اولئك وقال بعضهم قوله لا يجرمنكم اي لا يؤثمنكم شقاقي في اي عداوتي ان يصيبكم
مثل ما اصاب اولئك وقيل لا يجرمنكم لا يكسبنكم عداوتي وقال الحسن شقاقي ضراري لكن يرجع الى معنى واحد لانه
لا تثبت العداوة ثبت المخالفة والبغض والضرر فكل ما ذكروا فهو واحد واصل الجرم الاثم والكسب ثم يخرج
النذارة اياهم بمن هلك من الامم على وجهين احدهما ان قوم شعيب قوم لا يؤمنون بالبعث وبالقيمة فانذرهم
بمن هلك من الامم السالفة لانه لو كان ينذرهم بالبعث لكان لا ينجع فيهم انهم لا يؤمنون به والثاني انذرهم
باولئك لانهم كانوا يقلدون اباءهم في عبادة الاوثان ويتبعونهم فيقول انكم تتقلدون اباءكم وتتبعونهم في عبادة
الاوثان فاتبعوهم ايضا بما بلغوا اليكم من هلاك اولئك بعبادتهم الاوثان وتكذيبهم الرسل فاذ قلدتموهم في ذلك
فهلا تقلدونهم وتتبعونهم فيما اصابهم بما اصابهم او يقول انكم تقلدون اباءكم الذين عبدوا الاوثان وقد هلكوا
فلا تقلدون من لم يعبد منهم ونجا وقد عرفتم ان من هلك منكم بم هلك ومن نجا منهم بم نجا والله اعلم
وقوله عز وجل وما قوم لوط منكم ببعيد اي انتم من مضى منهم فلا تنسون ما نزل بقوم لوط ولبنيانهم ببعيد منكم
وقوله عز وجل واستغفروا ربكم اي اطلبوا من ربكم المغفرة اي اطلبوا السبب الذي يقع لكم المغفرة من ربكم وهو
التوحيد ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه ولا تعودوا الى ما كنتم من قبل وقوله عز وجل ثم توبوا اليه اي ارجعوا
اليه رجوعا حتى لا تعودوا الى مثل صنيعكم ابدا ان ربي رحيم يرحم من تاب اليه والله يرحم ودود يحتمل وجهين
احدهما ودود اي حق ان يود لانه منه كل شيء وكل احسان والناس جبلوا على حب من احسن اليهم والثاني ودود لمن
توسل اليه وتقرب وقوله عز وجل قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول فقوله كانهم يقولون ذلك على الاستهزاء
والتعيير كانهم نسبوه الى الجنون يقولون لا نفهم مما تقول لان كلامك كلام مجانين وهذه هي عادة القوم كانوا
ينسبون الرسل الى الجنون ويحتمل ما نفقه مما تقول كثيرا مما تقول فان كان على الفهم فهو كقوله وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير وهم كانوا فريقين كانوا يقولون قلوبنا اوعية للعلم كقولهم قلوبنا غلف فان كان ما تقول حقا لفهم
ونعقل كما نعقل غيره وفريق قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر كانوا يعقلون انهم لا يفقهون لان
قلوبهم في اكنة وفي اذانهم وقر والفريق الاول يقولون ان قلوبنا اوعية للعلم فلو كان حقا لنعقل كما عقلنا غيره
فهؤلاء كانوا يصرفون العيب الى الرسول واولئك الى انفسهم فعلى ذلك قوم شعيب يحتمل ان يكون كذلك والله اعلم
وقوله عز وجل وانا لنراك فينا ضعيفا يحتمل هذا وجهين احدهما اي انك لست من كبرائنا واجلتنا انما انت
من اوساطنا وعلى ذلك الانبياء انما بعثوا من اوساط الناس لا من كبرائهم في امر الدنيا فالقوي والعزيز عند
اولئك القوم من عنده الدنيا والمال واما من لم يكن عنده المال فهو عندهم ضعيف ذليل لانهم لا يعرفون
الدين ولا يؤمنون بالاخرة لذلك قالوا ما قالوا والثاني لست انت بذي قوة وبطش في نفسك وقد ذكر انه
كان ضعيفا في بصره ونفسه يحتمل وصفهم بالضعف هذين الوجهين والله اعلم وقوله عز وجل ولولا رهطك
اي قبيلتك وقيل عشيرتك لرجمناك الرجم يحتمل القتل ويحتمل اللعن والشتم ثم يحتمل قوله لولا رهطك لرجمناك
وجهين احدهما لولا رهطك اي لولا حرمة رهطك لرجمناك كانهم كانوا يزعمون لموافقة رهطه اباهم في العبادة
اعني عبادة الاوثان وعلى ما هم عليه والثاني لولا رهطك لرجمناك خوفا منهم لما ذكر انه كان كثير العشيرة والقبيلة
كانوا يخافون عشيرته فلم يؤذوه والله اعلم وقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز اي ما انت اجلتنا وكبرائنا انما

انت من اوساطنا علينا بعزيز لان العزيز عندهم من كان عنده المال والدنيا لا يعرفون العزيز غير ذلك ولم يكن عند شعيب الدنيا فلذلك نسبوا الى ما ذكروا وانت ذليل عندنا لست بعزيز فيكون صلة قوله وانا لنراك فينا ضعيفا والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله هذا يخرج على وجهين يحتمل يا قوم ارهطي اعظم حقا عليكم من الله واكثر حرمة حتى تركتم ما اوعدتموني من النقمة لحقهم وحرمتهم والثاني قوله يا قوم ارهطي اعز عليكم اي رهطي اشد خوفا عليكم واكثر نكاية من الله لانا قلنا في قوله ولولا رهطك لرجمناك انه يخرج على وجهين احدهما الاحترام لرهطه لموافقتهم اياهم في جميع ما هم عليه والمساعدة لهم والثاني على الخوف والنكاية لقوتهم وكثرتهم وفضل بطشهم تركوا ما اوعدوا له خوفا من رهطه فقال خوفكم من رهطي اشد واكثر عليكم من الخوف من الله وقد بلغكم من نكاية الله ونقمته فيما حل بالامم الماضية او حرمة رهطي عندكم وحقهم اعظم من حق الله وحرمته وقد تعلمون احسانه اليكم وانعامه عليكم وقوله عز وجل واتخذتموه وراءكم ظهريا قال بعضهم قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا اي حملتموه على ظهوركم وحملهم اياه على ظهورهم استخفافهم اياه قال تقول العرب فلان حمل الناس على ظهره اي يستخفهم على نفسه ولكن لا ندري يقال هذا ام لا فان قيل هذا فهو محتمل ما قال وهو قول ابي بكر الاصم وقال غيره من اهل التأويل قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا اي نبذتم الله وراء ظهوركم اي نبذتم حق الله وامره وكتابه الذي انزل اليكم وراء ظهوركم لا تعملون به ولا تكترثون اليه نحو كالمنبوذ وراء ظهوركم هذا على التمثيل اي جعلوا امر الله ودينه الذي دعوا اليه كالمنبوذ وراء ظهورهم لا ينظرون اليه ولا يكترثون وما ذكر في قوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم على التمثيل اي الذي انتم عليه في القبيح كالانقلاب على الاعقاب ان ربي بما تعملون محيط هذا يخرج على وجهين ايضا اي ان ربي بما تعملون من الاعمال الخبيثة محيط فيجزيكم بها او يقول ان ربي بما تعملون من الكيد برسول الله والمكر به محيط فينصره عليكم وقوله عز وجل ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل هذا يخرج على وجهين احدهما ان كونوا على دينكم الذي انتم عليه وانا اكون على ديني كقوله لكم دينكم ولي دين لان قوم شعيب قالوا لشعيب لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا فقال لهم عند ذلك وهذا انما يقال عند الاياس عنهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم وامثاله والثاني قوله اعملوا على مكانتكم اني عامل اي اعملوا في كيدي والمكر في هلاكي اني عامل ذلك بكم وهو كما قال غيره من الرسل فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقوله فانتظروا اني معكم من المنتظرين ونحوه وقوله عز وجل سوف تعلمون في العاقبة وعيد من يأتيه عذاب يخزيه او سوف تعلمون في العاقبة من يأتي منا عذاب يخزيه نحن او انتم من هو كاذب وتعلمون ايضا في العاقبة من الكاذب منا نحن او انتم لان كل واحد من الفريقين يدعي على الفريق الاخر الكذب والافتراء على الله فيقول سوف تعلمون في العاقبة من الكاذب منا والمفتري على الله والصادق عليه وارتقبوا اني معكم رقيب ارتقبوا هلاكي وانا ارتقب هلاكم او ارتقبوا من العاقبة منا لنا او لكم اني معكم رقيب والله اعلم وقوله عز وجل ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا هذا قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل واخذت الذين ظلموا الصيحة صيحة جبريل اي هلكوا بصيحته وقال بعضهم الصيحة اسم كل عذاب وكذلك الرجفة سمي العذاب باسماء مختلفة مرة صاعقة ومرة صيحة ومرة رجفة وقوله عز وجل فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود هذا ايضا قد ذكرنا فيما تقدم قال بعض اهل التأويل قوله الا بعدا لمدين في الهلاك كما بعدت ثمود كما اهلكت ثمود لان كل واحد منهما هلك بالصيحة فمن ثم اختص ذكر ثمود من بين الامم وعن ابن عباس رضي الله لم يعذب واحد الا قوم شعيب وصالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب من فوقهم قال فنشأت لهم سحابة فيها عذابهم فلم يعلموا كهيئة الظلة فيها ريح فطاروا وحاروا اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فارسل عليهم العذاب من فوقهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة وقوله الا بعدا لمدين من رحمة الله كما بعدت ثمود من رحمته ويحتمل الهلاك الذي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين وهي حجج يحتمل قوله باياتنا وسلطان مبين واحد على التكرار فان كانت الايات هي الاوامر والمناهي وما يؤتى وما يتقى فقوله وسلطان مبين هو حجج والبراهين على ذلك وقوله عز وجل الى فرعون وملائه قد ذكرنا ان الملاء هو اسم لشيئين اسم لجماعة واسم للجلة والاشراف وهو كان مبعوثا الى الاشراف من قومه والى الجماعة جميعا خص بعثه الى فرعون وملائه وان كان مبعوثا الى الكل لما العرف في الملوك انهم انما يجالسون الكبراء منهم والاشراف وان كان المقصود من الخطاب الكل وقوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد قال بعضهم هو ما ذكر في حم المؤمن حيث قال لهم يا قوم ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فاطاعوا فرعون في قوله يقول الله وما امر فرعون برشيد اي يهدي او يقول ما الامر الذي عليه فرعون برشيد بل هو ضلال ولكن عندنا انهم اطاعوا فرعون في جميع امره ونهيه في عبادة الاصنام وغيره وهو ما ذكر فاستخف قومه فاطاعوه وقوله عز وجل وما امر فرعون برشيد اي ليس بهدى بل كان امره ضلالا لا حيث كان هو ضالا مضلا وقوله عز وجل يقدم قومه يوم القيمة قال بعضهم اي صار قدامهم وقال بعضهم يقود قومه الى النار حتى يوردهم الى النار ويحتمل قوله يقدم قومه اي يكون اماما لهم في الاخرة يتبعون اثره كما كان امامهم في الدنيا فاتبعوه كقوله يوم ندعو كل اناس بامامهم وكقوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار اخبر انهم يكونون ائمة لهم في الاخرة ويشبه ان يكون قوله فاوردهم النار اي دعاهم في الدنيا وامرهم بامور توردهم النار وتلك الاعمال فما اصبرهم على النار اي ما اصبرهم على عمل اهل النار وقال بعضهم يتبعونه حتى يدخلهم النار وقوله عز وجل وبئس الورد المورود قال بعضهم بئس المدخل المدخول والورد هو الدخول والمورد المدخول سمي الجزاء باسم سببه قال ابن عباس رضي الله عنه جميع ما ذكر في القران

من الورود فهو دخول منهم قوله بئس الورد المورود وقوله وان منكم الا واردها وقوله انتم لها واردون ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فقال والله لندخلنها كل بر وفاجر ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقوله واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة يحتمل اللعنة في الدنيا العذاب الذي نزل بهم ويحتمل لعن الخلائق ايضا من راهم يلعنهم من ذكرهم وفي الاخرة يحتمل الوجهين جميعا يحتمل يعذبون في الاخرة ايضا كما عذبوا في الدنيا ويحتمل لعن الخلائق ايضا من راهم يلعن هم الله واللعن هو الطرد في اللغة طردوا عن رحمة الله ولم يرحموا في عذاب الدنيا ولا يرحمون في عذاب الاخرة وقوله عز وجل بئس الرفد المرفود عن ابن عباس بئس الرفد المرفود يقول لعنة الدنيا والاخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنة الدنيا ولعنة الاخرة ولكن على زعمهم يجب ان يقال الرق فمن الترادف وقال بعضهم الرفد العون وهو قول القتبي وقال القتبي الرفد العطية والمرفود المعطي يقال رفدته اذا اعطيته واعنته كما يقال بئس العطا المعطي ولذلك قال ابو عوسجة بئس ما اعطوا واعينوا وبئس المعطي والله اعلم وقوله عز وجل ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد قوله ذلك من انباء القرى ذلك ما سبق من ذكر القرى والقرون في هذه السورة من انباء الغيب نقصه عليك ليعلم بها رسالتك ولتكون اية لنبوتك لانك لم تشاهدها ولا اختلفت لاحد منهم فتعلمت منهم ولا كانت الكتب بلسانك فيقولون نظرت فيها فاخذت ذلك منها ثم انبأت على ما كان وقصصت عليهم ليعلم انك انما عرفت بالله فتكون اية لرسالتك وقوله منها قائم وحصيد قال بعض اهل التأويل ههنا قائم ترى مكانها وتنظر اليها ومنها حصيد لا ترى له اثرا ولا مكانا وقال بعضهم قائم اي خاوية على عروشها وحصيد مستأصلة وعن الحسن قال منها قائم وما حصد الله اكثر اي ما اهلك الله من القرى اكثر واصله عندنا منها قائم نحو قرى عاد وثمود ومدين اهلك اهلها وبقيت القرى لا على الاستيلاء لانه يقول في قرى عاد فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم الاية ومنها حصيد ما اهلك اهلها والقرى جميعا نحو قوم نوح اهلكوا بنيانهم ونحو قريات قوم لوط اهلكت باهلها ايضا حتى لم يبق لا الاهل ولا البنيان فذلك والله اعلم تأويل قوله منها قائم هلك اهلها وبقي البنيان ومنها حصيد هو ما اهلك البنيان باهله حتى لم يبق لها اثر وفيه وجوه ثلاثة احدها اية الرسالة لما ذكرنا وغيره لاهل التقوى وهو ما ذكر في اخره ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة اي عبرة لمن خاف عذاب الاخرة وزجر لاهل الشرك والكفر لانهم يذكرون ما نزل باولئك فينزجرون عن صنيعهم فيه هذه الوجوه التي ذكرها والله اعلم وقوله عز وجل وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم وقوله وما ظلمناهم فيه وجهان اي لم نظلمهم لانهم وبنيانهم ملك الله تعالى وكل ذي ملك له ان يهلك ولا يوصف بالظلم من اتلف ملكه وهم ظلموا انفسهم لنبت لهم في الحقيقة وكذلك بنيانهم ومن اتلف ملك غيره فهو ظالم والثاني ان الظلم وضع الشيء غير موضعه يقول وما ظلمناهم بالعذاب لانهم يستوجبون ذلك بما ارتكبوا فلم نضع العذاب في غير موضعه بل هم الذين وضعوا انفسهم في غير موضعها حيث صرفوها الى غير مالكها عبد واغيره فهو ظالم هذا التأويل في انفسهم واما البنيان فهو قائم انما جعل لهم فاذا ملكوا هم هلك ما جعل لهم انما ابقى لهم ماذا سوى ما اذا بادوا فلا معنى لابقاء البنيان وما ذكر من ظلمهم انفسهم يحتمل وجوها احدها ظلموا انفسهم بعبادتهم غير الله والثاني ظلموا انفسهم بصرفهم الناس وصدهم عن سبيل الله عن عبادة الله والتوجيه الى عبادة غير الله والثالث ظلموا انفسهم بنزول العذاب وقوله فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك فيه وجهان احدهما ما اغنت عنهم عبادة الهتهم التي عبدوها من دون الله لما جاء امر ربك اي عذاب ربك كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا فعبادتهم الاصنام لا تنفعهم المنفعة التي طمعوا والثاني فما اغنت عنهم انفس الهتهم في دفع العذاب عنهم في خروج حال اليها العجزهم في انفسهم وضعفهم كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا لم يملكوا ذلك في وقت الحاجة اليهم فكيف يملكون في غيره من الحال والله اعلم وقوله عز وجل وما زادوهم غير تتبيب يحتمل ما زاد عبادتهم اياها غير تتبيب او ما زاد الهتهم التي عبدوها غير تتبيب والتتبيب قال عامة اهل التأويل هو التخسير وقال ابو عوسجة غير تتبيب غير فساد والتتبيب الفساد وكذلك قال في قوله وما كيد فرعون الا في تباب اي فساد وقال غيره الا في خسار وقال غيره غير تخسير وكذلك قالوا في قوله تبت اي خسرت وقال ابو عبيدة غير تتبيب غير تدمير واهلاك وكذلك قالوا في قوله تبت يدا ابي لهب وتب وكذلك قالوا في قوله الناس تبا لك وقال بعضهم غير شر والتتبيب الشر والتب الشر والخسران وهما واحد وقوله عز وجل وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى اي هكذا يأخذكم ربكم هذه الامة كما اخذ اولئك اي كما عذبنا الامم الخالية وهي ظالمة مشركة كافرة كذلك نعذب هذه الامة وفيه رحمة ان اخذه اليم شديد اي ان اخذه بالعذاب اليم شديد لان الاخذ نفسه يوصف بالشدة ولكن لا يوصف بالالم والعذاب يوصف بالالم لكن لما وصف بالالم والشدة دل ان الاخذ اخذ بعذاب والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة هو ما ذكرنا فيه عبرة لاهل التقوى ولمن خاف عذاب الاخرة وقوله عز وجل ذلك يوم مجموع له الناس خص الناس بالذكر وان كان الجمع لهم ولغيرهم لان الاية التي ذكر تكون لهم اي او لما هم المقصودون بالجمع وبذلك اليوم والله اعلم قبل يجمع فيه الاولون والاخرون وذلك يوم مشهود وقال بعضهم يشهده اهل السماء واهل الارض للعرض والحساب والله اعلم وقوله عز وجل

وما نؤخره الا لاجل معدود اي ما نؤخر هذا العذاب عن هذه الامة الا لاجل معدود وذكر هذا والله اعلم جواب لما
استعجلوه بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحوه فقال وما نؤخره العذاب عنهم الا لاجل معدود ولا
لوقت موقوف اي لاجل معدود عند الله ولو كان ما ذكر ابن عباس انه سبعة الاف فيكون معدودا عند الناس ويكون
وقت القيمة معلوما على قوله وقد اخبر لا يجليها لوقتها الا هو والله اعلم وقوله عز وجل يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه
اي لا تكلم نفس بالشفاعة لاحد الا باذنه كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى لا تكلم نفس لا هوال ذلك اليوم والفزعه
كقوله مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ولا تكلم نفس
من الجبلة والعظماء لاحد من دونهم بالشفاعة الا باذنه وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فمنهم شقي وسعيد فمنهم
شقي باعمال الخبيثة التي اذا اختارها وعملها ادخلته النار ومنهم سعيد بما اكرم من الطاعة والخيرات التي اذا اختارها
وعملها ادخلته الجنة وكل عمل يعمل فيدخله الجنة فهو سعيد وكل عمل يعمل يدخله النار فهو شقي يروى في ذلك خبر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عن عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية فمنهم شقي وسعيد سالت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله فعلى من نعمل على شيء قد فرغ منه او شيء لم يفرغ منه قال بل على شيء قد فرغ منه
وجرت به الاقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له فان ثبت فهو بدل لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فاما الذين شقوا
ففي النار لما ذكرنا لهم فيها زفير وشهيق قال بعضهم الزفير هو كزفير الحمار في الصدر وهو اول ما ينهق واما الشهيق
الحمار في الحلق فهو اخر ما يفرغ من نهيقه فهو شهيق وقال بعضهم الزفير هو ما لا يفهم منه شيء انما هو كالانين
والجزع من شيء يصيبه لا يتبين منه كقوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا والشهيق هو ما يرتفع منه الصوت يسمى شهيقا
ويحتمل ما ذكر من الزفير والشهيق انهم يصيرون بعد كثرة دعائهم ونداءهم حتى يكون منهم الزفير والشهيق لا يفهم
كصوت الدواب اذا اصابها الم وقوله عز وجل خالدين فيها ما دامت السموات والارض عن الحسن قال ما دامت السموات
والارض تبدل سماء غير هذه السماء وارض غير هذه فما دامت تلك السماء وتلك الارض لان هذه اخبر انها تنشق و
تطوى وتبدل كقوله يوم تشق السماء يوم نطوي ويوم تبدل ونحوه وقال بعضهم قوله ما دامت السموات والارض
انما صلة الكلام كانه قال خالدين فيها الا ما شاء ربك وقد يتكلم بمثل هذا على الصلة وقال بعضهم يدوم لهم العذاب ابدا
ما دامت السموات والارض لاهل الدنيا ما كانوا فيها لانهما انما يفنيان بعد فناء اهلهما وبعد احياء الاهل والبعث
فاخبران العذاب يدوم لهم كما يدوم لاهل الدنيا السماء والارض وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت السموات
اي ما دامت سماء الجنة وارض الجنة وسماء النار وارض النار لكن ذكر هذا لئلا يتوهم اهل الجنة والنار قبل
هلاك سماءها وارضها على ما يتوهم هلاك اهل الدنيا قبل هلاك سماءها وارضها وقال بعضهم خالدين فيها ما دامت
والارض اي ما دامت الارض ارضا والسماء سماء يتكلمون على ما بعد من الوهم فناؤها او على الصلة يقول الرجل
لا جولا كلك ما دام الليل والنهار اي ابدا هذا تاويل قوله ما دامت السموات والارض واما قوله الا ما شاء ربك
قال بعضهم ان ناسا من اهل التوحيد يعذبون في النار على قدر ذنوبهم وخطاياهم ثم يخرجون منها وقد روي في ذلك
روي عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستثناء في الايتين كلتاهما لاهل الجنة يعني
الذين يخرجون من النار من اهل التوحيد الا ما شاء ربك يقول لم يشفوا شقاء من يخلد في النار قال في الذين سعدوا الا
ما شاء ربك هم اولئك الذين لم ينالوا من السعادة ما نال اهل الجنة الذين لم يدخلوا النار وفي بعضها عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اما من يريد الله اخراجه من النار فانهم يماتون اماتة وقال في خبر اخر اما من يريد الله له الخلود فلا يخرجون
منها وامثال هذا من الاخبار فان ثبت هذا فهو المعتمد وقال بعضهم قوله الا ما شاء ربك اي قد شاء لاهل النار الابد
والخلود وشاء لاهل الجنة عطاء غير مجذوذ اي غير منقطع ويؤيد هذا التاويل ما ذكر في حرف ابن مسعود واتي ما
دامت السموات والارض في الايتين وفي الاولى الا ما شاء ربك وفي الاخرى ما دامت السموات والارض عطاء غير مجذوذ
وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود في اي انهما لم يذكرا الثنيا في اهل الجنة واصل هذا ما ذكر ابو عبيد قال الاستثناء الذي
هو في اهل السعادة فهو المشكل لانه يقال كيف يستثني وقد وعدهم خلود الابد في الجنة وقال في ذلك اقوالا لا ادري
الى من يسند الا ان لها مخارجا في كلام العرب وشواهدا في الاثار وانما يتكلم الناس في هذا على معاني العربية والله اعلم
بما اراد قال فاحد هذه الوجوه في الاستثناء فيما يقال كالرجل يوجب على نفسه الشيء ثم يقول ان شاء الله وعزيمته
مع ضميره مع استثنائه انه فاعله لا يريد غيره وهما يقوي هذا المذهب قول الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين
فاستثنى وقد علم انهم داخلوه البتة ومنه ما روي في حديث مكة عن النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ولا يختلى خلاها
الا الاذخر وقال بعضهم استثنى المشدد ولا يختلى له كما لا يختلى لغيره والوجه الثاني بان يكون الا في معنى سوى فان العرب
تفعل ذلك تقول عليك الف درهم من قبل كذا وكذا الا الالف التي قبل ذلك اي سوى الالف التي قبل ذلك وغير الالف التي
قبل ذلك فيكون المعنى على هذا انه وعدهم خلود الابد سوى ما اعد لهم من الزيادة في الكرامة والمنزلة التي لم يذكرها لهم
ومما يقوي هذا التاويل ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلبه بشر بله الذي ما اطلعتهم عليه ثم قرا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
الاية افلا ترى ان ههنا من الزيادة ما لم يطلعهم عليه والوجه الثالث ان يكون الاستثناء من خلودهم في الجنة
احتباسهم منها ما بين البعث والحساب وقد قيل ما ذكرنا انه ما بين الموت والبعث وهو البرزخ الذي ذكر الى ان يصيروا

الى الجنة ثم هو خلود الابد يقول فلم يغيبوا من الجنة الا بقدر اقامتهم في الحساب ومما يقوي هذا المذهب ما قيل في قوله ومن
ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قبل ما بين الموت والبعث والله اعلم بذلك وقوله عز وجل واما الذين سعدوا فقد اختلف
القراء في قراءتها قراها الكسائي وحمزة بضم السين سعدوا واما ابو عمرو واهل المدينة وغيرهم من القراء قرؤا بفتح السين
سعدوا على قياس شقوا قال ابو عوسجة لا اعرف سعدوا بضم السين وانما هو سعدوا بفتح السين وقال ابو عوسجة
غير مجذوذ اي غير مقطوع كقوله فجعلهم جذاذا اي قطاعا وقد ذكرنا قولهم في الزفير والشهيق على قدر ما حفظنا الله
وقوله عز وجل فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل تاويله والله اعلم لا تكن يا محمد
في شك بان هؤلاء قد بلغوا في عبادتهم الاصنام والاوثان الحد الذي بلغ اباؤهم في عبادتهم الاصنام والاوثان
لما هلكوا اذا بلغوا ذلك الحد فهؤلاء ايضا قد بلغوا ذلك المبلغ اي مبلغ الهلاك لكن الله برحمته وفضله اخرعنهم الى
وقت او يقال ان هؤلاء قد بلغوا في العبادة لغير الله بعد نزول القران والحجة المبلغ الذي كان بلغ اباؤهم
قبل نزول الحجة والبرهان في عبادتهم غير الله او كان في قوم قد اظهروا الموافقة لهم وكانوا يعبدون الاصنام
في السر على ما كان يعبد اباؤهم فقال هؤلاء وان اظهروا الموافقة لك فقد بلغوا بصنيعهم في السر مبلغ ابائهم
والله اعلم هذا يحتمل وجهين احدهما الخبر عن قوم خاص انه لا يؤمن احد منهم ليحمل شغلهم بغيرهم والثاني
اخبار انه لا يؤمن جميع قومك كما لم يؤمن قوم موسى باجمعهم بل قد امن منهم فريق ولم يؤمن فريق فعلى ذلك
يكون قومك وقوله عز وجل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص قال بعضهم قوله وانا لموفوهم نصيبهم في الدنيا
من الارزاق وما قد رلهم من النعم غير منقوص ولا ينقص ما قدر لهم اي لا يهلكون حتى يوفيهم وقال قائلون
وانا لموفوهم باعمالهم غير منقوص اي لا ينقصون من اعمالهم شيئا ولا يزيدون عليهم ان كان حسنا فحسن وان كان
شرا فشر هو على الجزاء وقال بعضهم قوله وانا لموفوهم نصيبهم يقول انا نوفيهم حظهم من العذاب في الاخرة
غير منقص عنهم ذلك العذاب وقوله وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ان كان التاويل في قوله فلا تك في مرية
مما يعبد هؤلاء ما يعبدون كما يعبد اباؤهم من قبل على الاياس من قوم علم الله انهم لا يؤمنون
فيكون تاويله ما ذكر في اية اخرى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الاية وان كان الثاني
فهو ما ذكر في اية اخرى وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم الاية وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة
فاختلف فيه اي اختلف في الكتاب والاختلاف فيه يحتمل وجوها ثلاثة احدها في الايمان به والكفر منهم من
امن به ومنهم من كفر والثاني اختلفوا فيه في الزيادة والنقصان والتبديل والتحويل والتحريف كقوله
وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب الاية وكقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وقوله يحرفون
الكلم عن مواضعه وامثاله من الايات والوجه الثالث من الاختلاف اختلفوا في تاويله وفي معناه بعد ما
امنوا به وقبلوه فالاختلاف في التاويل مما يحتمل كتابنا واما التبديل والتحريف والزيادة والنقصان
فانه لا يحتمل لما ضمن الله حفظ هذا الكتاب بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل
الاية وجعله ميسرا على السن التلبس وقلوبهم حتى من زاد او نقص او بدل وحرف شيئا او قدم او اخر عرف ذلك
فهو والله اعلم لا يحتمل هذا نسخها ولا يشرا بعده تبديلها واما الكتب السالفة فانما جعل حفظها اليهم بقوله
بما استحفظوا من كتاب الله فهو والله اعلم لما احتمل شرائعها واحكامها نسخها وتبديلها لذلك كان الا مرما ذكر
قوله ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ذكر هذا لرسول الله يصبره على ما اختلف قومه في الكتاب الذي انزل
عليه يقول وقد اختلف فيما انزل على من كان قبلك كما اختلف فيما انزل على من كان قبلك كما اختلف فيما انزل
عليك وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم بالهلاك اهلاك استيصال واستيفاء وكلمته
التي سبقت يحتمل ما كان من حكمه ان يختم الرسالة بمحمد وان يجعله من خاتم النبيين وامته اخر الامم بهم تقوم
الساعة يحتمل ان يكون كلمته التي ذكر هذا الذي ذكرنا ويحتمل وجها اخر وهو ان كان من حكمه انهم اذا اختلفوا
في الكتاب والدين وصاروا بحيث لا يهتدون الى شيء ولا يجدون سبيلا الى الدين ان يبعث رسولا يبين لهم
الدين ويدعوهم الى الهدى لولا هذا الحكم سبق والا لقضي بينهم بالهلاك والثالث لولا ما سبق منه ان يؤخر
العذاب عن هذه الامة الى وقت والا لقضي بينهم بالهلاك وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم
يحتمل الكلمة التي ذكر انها سبقت في قوم موسى وهو انه لا يهلكهم بعد الغرق اهلاك استيصال والتورية انما
انزلت من بعد فقد من امن من قوم موسى امة يهدون بالحق الاية وقوله عز وجل وانهم لفي شك منه مريب يحتمل
قوله لفي شك منه في الدين مريب وقال بعضهم لفي شك يعني من العذاب مريب وقد ذكرنا الفرق بين الشك والريب
فيما تقدم وقوله عز وجل وان كلا لما ليوفينهم قيل لما ههنا صلة يقول والله وان كلا ليوفينهم ربك جزاء
اعمالهم في الاخرة ان كان شرا فشر وان كان حسنا فحسن ومن قرا لما بالتشديد يحتمل وجهين احدهما الا و
الثاني لما اي لما اجتمع فيها ميمات طرحت الواحدة وادغمت احديهما في الاخرى وقوله عز وجل انه بما تعملون
خبير هو وعيد وقوله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا وقال في موضع اخر فلذلك
فادع فاستقم كما امرت قال بعضهم قوله فاستقم كما امرت ومن تاب معك الاستقامة هو التوحيد اي استقم
عليه حتى ياتي بر ربك كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ذلك حتى اتوا على الله به وقال بعضهم قالوا

ربنا الله ثم استقاموا بما تضمن قوله ربنا الله لان قوله ربنا الله اقرار منه له بالربوبية فيجعل في نفسه وجميع امور
الربوبية لله والالوهية له ويجعل في نفسه العبودية له هذه هي الاستقامة التي ذكروا والله اعلم ان يجعل في
نفسه وجميع اموره الربوبية لله والالوهية له ويأتي ما يجب ما يؤتى وينتهي ما يجب ما ينتهي وتتبع جميع اوامره
ونواهيه والله اعلم وقوله عز وجل فاستقم لرسول الله يحتمل على تبليغ الرسالة اليهم وقوله فاستقم كما امرت يخرج
على وجهين احدهما استقم على ما امرت ومن امن معك ايضا يستقيم على ما امروا والثاني يقول استقم الى ما امرت
حرف كا يخرج على هذين الوجهين ذكرناهما على ما امرت والى ما امرت وقوله ومن تاب معك من الشرك ادعوهم
على ان يستقيموا على ما اقروا وباشانهم ولا تطغوا وقال بعضهم الطغيان هو المجاوزة عن الحد الذي جعل له
وقوله انه بما تعملون بصير هذا وعيد وقوله عز وجل ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال الحسن هو صلة قوله فاستقم
كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال الحسن بينهما دين الله بين الركون
الى الظلمة والطغيان في النعمة الاية وان كانت في اهل الشرك نهى فيهم وفي غيرهم من الظلمة ان كل من ركن الى
الظلمة يطيعهم او يودهم فهو يخاف ان يكون في وعيد هذه الاية وما لكم من دون الله من اولياء في دفع العذاب
عنهم او احد انفع لهم ثم لا تنصرون لا ناصر لهم دونه ولا مانع والله اعلم وتأويل قوله ولا تركنوا الى الذين
ظلموا في ظلمهم فتمسكم النار الاية وان خرجت مخرج العموم فهي خاصة لا نرى كل ظلم يركن اليه تمسه النار وكان
انما خاطب به الاتباع يقول لا تركنوا الى الكبراء منهم والقادة في ظلمهم وفيما يدعونكم اليه فتمسكم النار الاية وقال
بعض اهل التأويل نزل قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا في رسول الله حين دعاه اهل الشرك الى ملة ابائه يقول
ولا تميلوا الى اهل الشرك ولا تخفوا بهم وقوله عز وجل واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ظاهر
هذا ان يكون فيها ذكر صلوات ثلاث صلوة الفجر في الطرف الاول وصلوة العصر في الطرف الاخر وزلفا من
الليل صلوة المغرب لا ترى ذكر زلفا من الليل والزلف القرب لان الزلفى هي القربة والرسالة ليكون قوله و
زلفا من الليل اي قريبا من طرف النهار من الليل وهو المغرب ويكون ذكر سائر الصلوات في قوله اقم الصلوة
لدلوك الشمس الى غسق الليل ذكر دلوك الشمس وهو زوال الشمس وغسق الليل العشاء او في قوله فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون حين تمسون صلوة العصر
وحين تصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العشاء وحين تظهرون صلوة الظهر وليس لصلوة المغرب ذكر
في الاية لكنها ذكرت في قوله وزلفا من الليل وقال بعضهم زلف من الليل ساعات الليل الا ان بعض اهل التأويل
صرفوها الى الصلوات الخمس وقالوا قوله طرفي النهار صلوة الصبح الظهر والعصر وزلفا من الليل صلوة المغرب
والعشاء وقال الحسن هما زلفتان من الليل صلوة المغرب والعشاء على ذلك جاءت الاثار في قوله ان الحسنات
يذهبن السيئات الحسنات هي الصلوات الخمس وروي ان رجلا اصاب من امرأة كل شيء الا الجماع فندم على ذلك
فاتى رسول الله فسأله فقال رسول الله ما ادري ما ادعليك حتى يأتي فيك شيء من الله قال فبينما هم كذلك
اذ حضرت الصلوة فلما فرغ من صلوته نزل عليه جبريل فقال اقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية صلوة الغداة
والظهر والعصر وزلفا من الليل صلوة المغرب والعشاء ان الحسنات يعني الصلوات الخمس يذهبن السيئات ذلك
يعني صلوات الخمس ذكرى للذاكرين قال توبة للتائب فقرأ رسول الله فقال عمر يا رسول الله اخاص له ام عام قال
لا بل عام للناس كلهم فان ثبت هذا فهو الاصل في ذلك وعن عثمان في بعض الاخبار انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الصلوات الخمس الحسنات يذهبن السيئات فقالوا فما الباقيات الصالحات يا عثمان فقال لا اله الا الله وسبحان
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصلوات كفارة للخطايا واقرؤوا ان شئتم ان الحسنات يذهبن السيئات وعن ابن عباس ان الحسنات
يذهبن السيئات قال الصلوات الخمس وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل
نهر جار على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات والاخبار في هذا كثيرة وقال بعضهم فيه ذكر اربع صلوات
يقول طرفي النهار الفجر والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقد جاءت الاثار في ان الحسنات من خمس صلوات
وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات قال بعضهم فعل الصلوات بنفسها وهو ما ذكرنا من الاخبار ان ثبت وقد
يذهبن السيئات وقال بعضهم نفس الصلوة لا تكفر ولكن يذكر ما ارتكب من الذنوب فيندم عليها فذلك يكفرها وهو
كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر الاية اخبر ان الصلوة تنهى ولا تنهى الا بعد ان تذكر ذلك وقال بعضهم
تنهى عن الفحشاء اي تمنع عن الفحشاء اي ما دام فيها ويحتمل قوله ان الحسنات يذهبن السيئات الصلوات وغيرها
من الحسنات فيه اخبار ان من الحسنات تكفر شيئا من السيئات والله اعلم وقوله ذلك ذكرى للذاكرين ذلك الذي
سبق ذكرها ذكرى عظة للمتعظين وقوله عز وجل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ظاهر ما ذكر من الكلامات
يقول فان الله لا يضيع اجر الصابرين لانه ذكر الصبر بقوله اصبر لكن يحتمل قوله والصبر من الشرور وكلها فالحسن
فان الله لا يضيع اجر المحسنين بل يجزيهم جزاء احسانهم او يقول اصبر على اداء ما كلفت من الطاعات وتبليغ ما
كلفت التبليغ اليهم ويحتمل وجها اخر اصبر على اذاهم ولا تكافئهم فقد احسنت اليهم فان الله لا يضيع اجر المحسنين
او يصله بقوله ان الحسنات والله اعلم قال ابو عوسجة قوله زلفا من الليل ساعات من الليل وقال الزلفة المرحلة والزلفى

القربى كقوله

القربى كقوله وان له عندنا لزلفى اي لقربة وقال ابو عبيدة الزلف زلفة وهي الساعة وهي المنزلة وقوله عز وجل فلولا
كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ظاهر هذا يخرج على المعاتبة او التنبيه
والتذكير لا تر يقول فلولا كان من القرون اي لم لا يكونوا كذا فليس شيء من اولئك من يعاتب او ينبه لكنها تخرج
على وجهين احدهما فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية اي فهلا كانوا ذوي بقية ينهون عن الفساد
في الارض معناه والله اعلم هلا كثر اهل الاسلام فيهم حتى قدروا على النهي عن الفساد في الارض لانهم اذا كانوا
قليلا لم يقدروا على النهي عن الفساد نحو لوط واهله كانوا عددا قليلا وكيف كان يقدر على النهي عن الفساد والمنع
عن ذلك وكنوح ايضا كان معه نفل عددهم لم يقدر على منع قومه عن الفساد ونحوه فاذا كان فكانه والله
اعلم يقول هلا كثر اهل الاسلام واولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض والثاني فلولا كان من القرون من
قبلكم اي قد كان منهم اولوا بقية لكنهم لم ينهوا عن الفساد في الارض فاهلكوا جميعا الا قليلا ممن انجينا منهم
وذلك القليل قد نهوا عن الفساد في الارض فنجوا بين اولئك حاصل هذا يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما
احدهما لم يكن منهم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض على ما قاله بعض اهل التأويل والثاني كان فيهم اولو
بقية لكنهم لم ينهوهم عن الفساد في الارض الا قليلا منهم فانهم قد نهوهم عن ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه هو يخرج على تحمل واتبع الاتباع والسفلة الذين ظلموا ما اترفوا فيه من الاموال اي
وتبع اليهم واعطوهم الاموال وهم الاجلة والائمة منهم اي اثروا اتباع الائمة والاجلة الذين اترفوا فيه
على اتباع الرسل والانبياء والثاني واتبع الذين ظلموا وهم الاجلة والائمة ما اترفوا فيه اي ما اعطوا من الاموال
اثروا الدنيا وما فيها على اتباع الرسل والانبياء احدا لتأويلين يرجع الى السفلة والاتباع وهو الاول والثاني الى الاجلة
والائمة هم اثروا اتباع الدنيا على اتباع الرسل ثم تبعهم الاتباع والسفلة في ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون اي ما كان ربك ليهلك القرى هلاك استيصال وانتقام واهلها كلهم مصلحون
انما يهلك القرى اذا كان اهلها كلهم مفسدين او عامة اهلها مفسدين هذا بدل ان الحكم في الدار انما يكون بغلبة اهلها
ان كان اكثر اهلها اهل الاسلام فالحكم حكم الاسلام وان كان عامة اهلها اهل الحرب والكفر فالحكم حكمهم ولا يسمى
اهلها كلهم بالكفر والفساد اذا كان اكثر اهلها مصلحين الا ترى انه قال في قوم لوط انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا من السماء سمى اهل قرية وان كان فيها لوط واهله مصلحون لم يعد لوطا واهله من اهلها وقوله وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم اي لا يكون في اهلاكهم ظالما ثم هو يخرج على وجهين احدهما ان الخلق له فهو باهلاكهم لم يكن
ظالما لانه اهلك ماله والثاني انه انما يهلكهم بظلم كان منهم كقوله وما ظلمناهم ولكن انما يهلكهم بشيء اكتسبوه فهو
بما اكتسبوا ظلموا انفسهم وهو كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس
قالت المعتزلة هذه المشية مشية القهر والقسر وذلك مما يدفع المحنة ويزول لديه المثوبة والعقوبة وكذلك في قوله
ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا وانما عندنا فلو شاء لجعلهم امة واحدة مشية لا تزول عنها المحنة والذي
يدل عليه خصال احدها ان الله قد عرفنا الايمان والذي يقع به اجتماع او فيه الاختلاف عاد كيف فيما من العقول
التي بها نعرف حقائق الاشياء ومجازاتها ومحاسن الامور وقبحها بمعونة السمع او بالتأمل فيما يحتمل بالامرين
جميعا انه لا يكون الا بالاختيار ولا يوصل الى السبب الذي به يدان الا بالاستدلال او التعليم اذ هو طاعة وتصديق
وذلك يكون ممن لا يحسن وطريقة الاجتهاد وكل ذي اضداد القسر فمحال ان يوجد الكون لو شاء على وجه قد عرفنا
انه لا يكون سمعا وعقلا فيكون في الحقيقة كانه قال لو شاء ان يكون لا يكون على ان ذا من يقبل عنه هذا الدعوى
على قولهم وهو منذ كان الخالق بان ان كان فيما شاء اثباته من افعال الخلق فلم يكن ولم يثبت فكان عندهم فهو كمن
ظهر عجزه بجميع ادلة العجز ثم يدعي ان له القدرة بها يفعل ما يشاء فذلك كمن لا يقوم للانتصاب والنهوض فيدعي
انه يقدر على الصعود او من لا يملك امساك مثل ذرة انه يمسك السموات والارض على انه لو كان كذلك لجاز ان يكون
يقدر على فعل الكفر والسفه والكذب اذ من يقدر على فعل شيء لا يقدر على فعل ضده عندهم ليس ذلك بقدرة ثم
لو كان ذلك كله بلاء غير تصيير له فعلا فكان يكون في الحقيقة سفيها كذوبا ومن كان ذلك وصفه فهو دنيء
ولا حكيم ومن ربوبيته تحت قدرة غيره او حكمته تحمل المضادات فهو مسؤول عما يفعل مطالب بالحجة فاني يكون
لمن ذلك وصفه ربوبيته جل عن ذلك والثاني ان الذي يكون بالقسر والقهر يكون امر الخلقة لا امر فعل العبد
وذلك في حقيقة الله لا للبشر وما هو له من جهة الخلقة موجود لا نفس كل احد بالخلقة مؤمن وقد شاء الله
تلك المشية فالقول بلو شاء لا معنى له بل قد شاء وكان ولا قوة الا بالله والثالث انه وعد ان لو شاء ان يجعل
من قد امن منهم في الحقيقة مؤمنا في المجاز كافرا في الحقيقة لا تتم بهذا يصيرون امة واحدة اذ صار كثير من هم
مؤمنين بالاختيار لا يحتمل ان يجعلهم على غير ذلك فيكون مجبورا عندا لا والله الموفق ثم الاصل ان الله تعالى
قد جعل دلالة كل موعود في الحق ظاهرا وكل معذور عليه بالوعد والدعوى له مما جعل عليه امرا بينا وهذا النوع
من المشية عندهم والدعوى بما جعل جميع ما نطالوا ان كاتبا فيصير بالذي ادعى لنفسه من القدرة مكذبا بما جعل
لمثله الدلالة ومن ذلك وصفه فهو غير حكيم جل الله من هذا على ان المتأمل بما اخبر يجد حقيقة دون ان يحتاج
الى دليل يوضح قدرته على ابقاء المحنة سبحانه سهلا بحمد الله لا يحتاج الى ما ذكروا من المكابرة وهو ما قال الله تعالى

ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية ومعلوم انهم لو كفروا جميعا بما ذكر لكانوا مختارين والى ما جاؤا به غير مضطرين
واذا استقام كونهم على دين الكفر بذلك لا يحتمل ان لا يوجب ذلك تبشّا على الايمان لو كانوا مختارين لذلك يستقيم كونهم على دين
الايمان مختارين او لو جعل ذلك للمؤمنين فقدرون على قولهم ان يجعلهم كفارا بالمحنة لا يقدر على ان يجعلهم
مؤمنين بها الا ان ذلك وصف العجز عندهم وان كان لا يكون كذلك عندنا لانه يستقيم القول بالاقدار على احداث
غيره ونعالى القول على جعل غيره قائما او على احوال غيره الذى لا يحتمل الوصف بالقدرة على اغناء غيره عنه وعليهم
اوضح اذا اجازوا له القدرة على كل حركة العبد وسكون بالاضطرار ولم يجوز وافى ذلك الاختيار واللهم الا يجوز ان يكون
العبد غير كامل القدرة وهى القدرة على مضارات الاشياء والله يجوز الوصف له بالقدرة الناقصة فيكون قريبا بما
جعلوا للعبد قدرة على ما يجهل الرب ويجعله كاذبا فيما يخبر على بقاء الربوبية له والله لا يقدر على مثله فى العبد على بقاء
العبودة له بالمحنة او بما قدر العبد على اهلاك من وعد الله فيه الابقاء ويريد ذلك وذلك فضله وعدله مع ذلك
ان يعطيه كذا فيأتى معاند فيقتل ويمنع الرب على انجاز وعده وعن سلطان بقاء رجل الرب عن هذا وذلك فى قولهم فيما يخبر
الله النبى او صديق اجلا يرى مصلحة عباده بقدر الكافر على قتله قبل مجىء ذلك الاجل وابطال جميع ما وعد والابقاء ما
هو منعه من ابقاء الحياة فيه ولا يقدر الله على انجاز ما وعد وابقاء على ما اراد والعبد يحاله الا ان يعجزه او يمنيه
او يجعله زمنا والله المستعان يشهد الاصل ان كل مريد بفعله فيما فعله امر الا يكون ذلك وهو لم يكن فعله الا لذلك يوجب
احدا مرين فى الحكمة اما جهلا بالعواقب وخطأ بالفعل لكن يفعل فلا يجرن عليه يلحقه بمكروه فهو لا يفعله له يظهر
فاعله انه عن جهل فعل وعن الخطأ يخرج فعله وعلى ذلك معنى التحذير فى الخلق والتنبيه بقولهم لدوا للموت وابنوا للخراب
وسرق ليقطع وبارز ليقتل من حيث كان الثانى متصلا بالاول بينه عن الغفلة على ارادة التحذير انه اليه يؤول امر فعله
على ذلك قوله فالتقطه ال فرعون الاية اوان يقال ذلك على انه كذلك فى فعله عند الله وان جهله هو او يوجب السفه
العقل والعبث اذ هو يقصد بفعله ما يعلم انه لا يكون او يريد ما يتيقن انه لا يبلغ واذا كان كذلك فما عطاء الله تعالى
القدرة ليؤمن او خلقه ليعبدوا وانه يفعل ذلك واختار ذلك الفعل لا لذلك يوجب احد ذينك الوجهين جل
الله عنهما وتعالى وقد ثبت ان الله عالم بالعواقب متعال عن العبث ثبت انه خلق واعطى ما اعطى لما علم انه يكون وقد
علم انه ما يكون وعلى هذا التقدير يخرج الامر فى قوله ولقد ذرانا لجهنم الاية وقوله ولا تعجبك اموالهم الاية
وقوله عز وجل ولا يزالون مختلفين انه خلقهم للذين علم انهم يصيرون اليه من اختلاف او اتفاق او عداوة او ولاية
لا يريد غير الذى علم ولا يعلم غير الذى يكون ممن يعلم ما يكون ولا قوة الا بالله وقالت المعتزلة قوله ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم اى للرحمة خلقهم فقال بعض متكلمى اصحابنا ان الرحمة تذكر بالتأنيث
وهو انما ذكر بالتذكير حيث قال ولذلك خلقهم ولم يقل ولتلك خلقهم دل انه لبس على ما يقولون قال قائلون
للاختلاف خلقهم الا من رحم ربك وقال بعضهم هو صلة قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
وعندنا ما ذكرنا انه خلقهم للذى علم انه يكون منهم وانهم يصيرون اليه من الاختلاف والاتفاق والعداوة
والولاية لا يخلقهم لغير الذى علم انه يكون منهم ولا يريد ايضا غير ما علم انهم يصيرون اليه ولا يعلم غير ما يكون
منهم والله الموفق والتاويل للمعتزلة فى قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة انها مشية القسر والقهر فذلك
نسبه لانه لا يكون فى حال القهر والاضطرار ايمانا لان من اكره واضطر على الايمان حتى آمن فانه لا يكون ايمانا يكون
الايمان ايمانا فى حال الاختيار واذا آمن مختارا ممتحنا فيه فعند ذلك يكون ايمانه ايمانا دل ان تاويلهم فاسد
وقوله عز وجل وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك تاويله والله اعلم كل الذى نقص عليك
او قصصنا عليك من انباء الرسل نبأ بعد نبأ وبناء على بناء ما نثبت به فؤادك وقوله ما نثبت به فؤادك يحتمل
وجوها احدها نثبت به فؤادك لما يحتمل ان نفسه كانت تنازعه وتنافسه بان الذى نزل او ياتى به ملك او كان
ذلك من القاء الشيطان والقائه عليه ووساوسه فقص عليه من انباء الرسل واخبارهم ليكون له ابين بلبنية وبين
ربه ليعلم ان ما نزل عليه انما هو ملك من الله ليدفع به نوازع نفسه وخطراته اذ لا سبيل للشيطان الى معرفة
تلك الانباء ولا فى وسعه القاؤها عليه فيكون له به طمانينة قلبه وهو كقول ابراهيم حيث قال رب ارنى كيف
يحيى الموتى قال اولم تؤمن قال الاية كان نفس ابراهيم تنازعه فى كيفية احياء الموتى فسأل ربه ليريه ذلك ليطمئن
بذلك قلبه وان كان يعلم انه يحيى الموتى وانه قادر على ذلك والثانى قص عليه انباء الرسل واحدا بعد واحد
ليثبت به فؤاده ليعلم كيفية معاملتهم وما ذا لقوا من قومهم فكيف صبروا على اذاهم ليصبر هو على ما صبروا ولئلا
ليعامل هو قومه بمثل معاملتهم ويشبه ان يكون قوله ما نثبت به فؤادك نبأ بعد نبأ لينظر ويتفكر فى كل نبأ وخبر
ويعرف ما فيه فيكون ذلك اثبت فى قلبه وهو كقوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك
لنثبت به فؤادك بانزال الاية واحدة وسورة بعد سورة وذلك اثبت فى فؤاده من ان لو انزل جملة لانه يرد على
مسامعه وفؤاده واذا كان بالتفاريق نظر وتفكر فهو اثبت فى قلبه وفؤاده والله اعلم وقوله عز وجل وجاءك
فى هذه الحق قال بعضهم جاءك فى هذه اى فى هذه الانباء التى قصها عليك جاءك فيها الحق وهو ما ذكرنا وقال
وقال بعضهم جاءك فى هذه اى فى هذه السورة الحق وهو ما ذكر من الانباء وهو كالاول وقال بعضهم جاءك
فى هذه الحق اى فى هذه الدنيا الحق يعنى الايات والحجج والبراهين لرسالته ودينه وموعظة وذكرى للمؤمنين اى جاءك

ما تعظ به قومك وتذكر به المؤمنين وقوله وموعظة وذكرى للمؤمنين خص المؤمنين بذلك لما يكون منفعة الموعظة و
الذكرى للمؤمنين والا هو موعظة وذكرى للكل وقوله عز وجل وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم المنزلة
والقدر ونقول ويقول اعملوا انتم على مكانتكم ومنزلتكم التى عند اتباعكم كانه يخاطب به الاشراف منهم والرؤساء
انا عاملون على المكانة والمنزلة التى لنا عند الله فننظر ايّنا اربح نحن او انتم وايّنا اخسر نحن او انتم وقوله عز وجل اعملوا
على مكانتكم انا عاملون يخرج على وجهين احدهما على التوبيخ والتخويف عندما بالغ فى الحجاج فلم ينجع فيهم فقال عند
ذلك كقوله لكم دينكم ولى دين ونحوه والثانى على الاحتجاج لما اراد وبه من المكر والكيد بقوله اعملوا ما تريدون وانا
اعمل وقوله عز وجل وانتظروا انا منتظرون بكم ذلك او يقول هذا لما كانوا يوعدونه ويخوفونه من انواع الوعيد
فيقول انتظروا ايّنا ذلك ما تخوفوننا بنا انا منتظرون بكم ما نخوفكم نحن والله اعلم وقوله عز وجل ولله غيب السموات
والارض وقال بعض اهل التاويل ولله غيب نزول العذاب وغيب ما فى الارض كانه خرج جواب ما سألوه من
العذاب كقوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وكقوله متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
وقوله ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فقال ولله غيب السموات والارض اى علم ذلك عند الله وكقوله عندى
ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم وامثاله ويشبه ان يكون جواب ما تحكموا على الله من انزال القرآن وجعل الرسالة
فى غيره كقوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولولا نزل القرآن جملة واحدة فقال اهم يقسمون
رحمة ربك نحن قسمنا بينهم الاية وقال الله اعلم حيث يجعل رسالته فعلى ذلك قوله ولله غيب السموات والارض اى
الى الخلق والله اعلم بما اراد واليه يرجع الامر كله اليه يرجع امر الخلق كله وتدبيرهم فاعبده فى خاص نفسك وتوكل
عليه فى تبليغ الرسالة اليهم اى لا يمنعك كيدهم ومكرهم بك عن تبليغ الرسالة ولا تخاف منهم فان الله يحفظك من
كيدهم ومكرهم بك كقوله والله يعصمك من الناس وما ربك بغافل عما تعملون هذا ما يؤيد ما ذكرنا اى ما ربك بغافل
عما يريدون بك من كيدهم ومكرهم بل يعلم ذلك ويصرفك ويعصمك منهم وهو كقوله لموسى وهرون فقولا له قولا
لينا لعله يتذكر او يخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى اسمع
قوله وجوابه اياكما وارى ما يفعل اى يضركما فلا تخافا فعلى ذلك الاول والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر تلك آيات الكتاب المبين ذكر تلك وهى كلمة اشارة الى شىء سبق ذكره ولم
يتقدم فيه ذكر شىء يشار اليه وذكر آيات ايضا وليس هناك ذكر آيات او شىء يكون آية فى الظاهر لكن قوله تلك
بمعنى هذه آيات ويجوز استعمال تلك مكان هذه على ما يجوز ذكر ذلك مكان هذا كقوله الم ذلك الكتاب اى هذا الكتاب
او ان يكون قوله تلك اشارة الى ما فى السماء اى الذى فى السماء آيات الكتاب او يقول تلك اشارة الى ما فى الكتاب
المتقدمة اى تلك آيات الكتاب المبين يحتمل المبين انها آيات الرسالة او بين انها من عند الله وقوله آيات الكتاب
هذا ايضا يشبه ان يخرج على وجهين احدهما اشارة الى الحروف المقطعة المعجمة فقال اذا جمعت كانت تلك آيات
الكتاب او ان يكون الله اراد امرا لا نعلم ما اراد فيقول تلك آيات الكتاب اى ذلك الذى اراد هو آيات الكتاب والله
اعلم بما اراد به وقوله المبين قيل المبين اى ليتبين فيه الحلال والحرام وما يؤتى وما يتقى كقوله تبيانا لكل شىء وقال بعضهم
ليتبين بركته وهداه ورشده او بين فيه الحق من الباطل والعدل والجور والكتاب هو اسم ما يكتب وسمى قرآنا لما نقر
او كتابا لما عن كتاب اخذ ورفع والقرآن لما قرئ عليه وقوله عز وجل انا انزلناه قرآنا عربيا قوله انزلناه هاهنا كتاب
الذى تقدم ذكره قرآنا عربيا انزله بلسان العرب ولا ندرى باى لسان كان فى اللوح المحفوظ غير انه اخبر انه
انزله بلسان العرب وهكذا كل كتاب انزل انما انزل بلسان المنزل عليهم لم ينزل بغير لسانهم وقوله عز وجل لعلكم
تعقلون ما لكم وما عليكم وما تأتون وما تتقون او تعقلون ان هذه الانباء التى يخبركم بها محمد صلى الله عليه وسلم
من الله تعالى لانها كانت فى كتبهم بغير لسانه فاخبر على ما كانت فى كتبهم دل انه انما عرف ذلك بالله تعالى او لعلكم تعقلون
بان فيه شرفكم لانكم تصيرون متبوعين لما يحتاج الناس الى معرفة ما فيه ولا يوصل ذلك الا بكم فتكونون متبوعين
والناس اتباع لكم وهو كقوله ولقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال اهل التاويل اى فيه شرفكم والله اعلم وقوله
عز وجل نحن نقص عليك احسن القصص قال بعضهم قوله نقص عليك اى نبين عليك احسن البيان بما اوحينا
اليك هذا القرآن وقال بعضهم نقص عليك اى نخبرك احسن ما فى كتبهم من القصص واحسن ما فى كتبهم من الانباء
والاحاديث وقوله احسن القصص اصدقه وكذلك قوله الله نزل احسن الحديث كتابا واحسن الحديث اصدقه
هو احسن القصص اى اصدقه واحسن الحديث اصدقه وقوله عز وجل وان كنت من قبله اى وقد كنت من
قبله لمن الغافلين من هذه الانباء وعن قصصهم فهذا يدل ان الايمان بجملة الانبياء والرسل ايمان وان لم يعرف
انفس الانبياء وانفس الرسل واساميهم لانه اخبر انه كان غافلا عن انبائهم وعن قصصهم ولا شك انه كان
مؤمنا بالله مخلصا وبالله العصمة وقال ابن عباس رضى الله عنه احسن القصص كلام الرحمن وقال مجاهد الله
نزل احسن الحديث كلام رب العالمين وقوله تلك آيات الكتاب يخرج على وجهين احدهما ان يكون الذى سألوا
عنه رسول الله عن قصة يوسف وصيرورة بنى اسرائيل بمصر وقد كانوا من قبل بالشام فقال تلك الانباء

سورة يوسف

والقصص بجملها ايات هذه السورة التي هي من الكتاب المبين وتلك وبراهين الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ هي من
انباء الغيب عنهم فعلم الانباء عنها بالله سبحانه وتعالى وقوله عز وجل اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد
عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قوله اني رايت احد عشر كوكبا ان اخوة يوسف كانوا علماء وعيون
الارض نجوما يقتدى بهم ويهتدون اذ بالنجوم يقتدى في الارض وبها يهتدى في الارض وبها يهتدون الطرق
والمسالك ودل قوله والشمس والقمر خرج على ابويه اذ كان بهما جميع منافع الخلق اذ بهما صلاح جميع الاغذية
في الارض ونضج جميع الفواكه والانزال وجميع المنافع التي ما بالناس حاجة الى ذلك ودل قوله اني رايت احد عشر
كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ان الرؤيا تخرج على غير ما رأى وتخرج على غيره بالمعنى الذي يتصل به لانه راى
الكواكب والشمس والقمر فخرج على اخوته وابويه كان المراد بالكواكب غير الشمس والقمر وذلك المعنى وذكر السجود وخرج
على عين السجود وحقيقته وكذا ما راى ابراهيم في المنام ذبح ولده خرج الذبح على حقيقته هو ذبح الكبش فهذا اصل لنا ان
الخطاب يخرج والمراد منه على غير ذلك الخطاب لا غير وقد يخرج لمعنى فيه فاذا اتصل ذلك المعنى بغيره حيث ذلك الحكم
وفيه يجوز الاجتهاد وطلب المعنى في المخاطبات وكذلك ما ظهر في الناس من تعبير الرؤيا على الاجتهاد يدل على جواز
العمل بالاجتهاد وقال بعض اهل التاويل ان يوسف لما قص رؤياه على ابيه بين يدي اخوته قال له هذه رؤيا النهار
ليس بشيء وقال ليوسف في السر اذا رايت رؤيا بعد هذا فلا تقصها على اخوتك لكن هذا كذب فلا يجوز ان يكذب رسول
الله يعقوب يقول له رؤيا النهار ليس يعني شيء ثم يعتزله في السر ولا يتوهم على نبي من انبياء الله الكذب وهو كذب فان
كان فهو بالامر وقوله عز وجل يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك دل قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك على
ان ما راى يوسف من سجود الكواكب له وسجود الشمس والقمر انما كان راى ذلك في المنام ويدل ما ذكر في اخره ايضا
على ذلك وهو قوله يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل ودل قوله لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان يعقوب
انما عرف ذلك بالوحي حيث قطع القول في قوله فيكيدوا لك ولم يستثن في ذلك وقد فعلوا به ما قال وفيه دلالة ان اخوته
قد كانوا يعرفون تعبير الرؤيا وكانوا علماء حكماء حيث قال لا تقصص رؤياك على اخوتك لانهم لو كانوا لا يعرفون
تاويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لينهاه عن ان يقص على اخوته لانه لو قصها او لم يقصها اذا لم يعلموا سواء وفيه
دلالة ان الاخ لا يتهم في اخيه ويكون من الاخ الخيانة الى اخيه والاب والام لا يتهمان في الابن والولد لا يتهم
في الاب ولا يكون من بعض الى بعض خيانة في الغالب لان يعقوب نهى ولده يوسف ان يقصها على اخوته واخبر
انهم اذا علموا بذلك كادوه وحسدوه ولم ينهه بمثله في امه دل ان الاخ لا يتهم في شهادة اخيه ويتهم الاب و
الام في شهادتهما لولدهما وكذلك الولد يتهم في والديه ولهذا قال اصحابنا ان شهادة الوالد لولده لا تقبل وكذلك
شهادة الولد لوالديه وشهادة الاخ لاخيه تقبل لما ينتفع الولد بمال والديه والوالد بمال ولده ولا ينتفع الاخ بمال
اخيه وكل من انتفع بمال اخر اتهم في شهادته له ولم تقبل شهادته وكل من لم ينتفع به قبلت والله اعلم وقوله عز وجل ان
الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة وقال موسى حين قتل ذلك هذا من عمل الشيطان انه عدو وكل شر يكون من
الشيطان يقذف في القلوب ويخطر في الصدور ثم تكون العزيمة على ذلك والفعل من العبد وهو ما قال واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف والطيف والنزغ هو القذف والوسوسة
فاذا ذكر الله ذهب وقيل الكيد والمكر سواء وهو قول ابي عوسجة وقال القتبي الكيد هو الاحتيال والاغتيال
وقيل الكيد هو ان يطلب ايصال شر به على غير علم منه وكذلك المكر وقوله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل
الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل تاويله والله اعلم اي كما اجتبى ربك ابويك
بالرسالة والنبوة واصطفاهم بانواع الخيرات واتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب ويحتمل قوله وكذلك يجتبيك ربك
اي كما اجتباك ربك بالرؤيا التي اراك يفعل ذلك بك وقوله عز وجل ويعلمك من تاويل الاحاديث قيل تعبير الرؤيا و
قال بعضهم علمه تاويل الصحف التي كانت لابراهيم وغيره وعلمه تاويل الصحف والاحاديث وقوله عز وجل ويتم نعمته عليك
وعلى ال يعقوب كما اتمها قال بعضهم كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق حين اراه ذبح ابنه فجعل مكانه كبشا فعلى
ذلك يتم نعمته عليك ويسجد لك اخوتك وابويك ثم من الناس من استدل بهذا ان الذبيح كان اسحق لانه ذكر تمام
نعمته على ابراهيم واسحق ودل قوله وعلى ال يعقوب على انه قد اجتباهم بالنبوة من بعد ما عنى اولاد يعقوب لان ولده من
الله وقد اخبر ان يجتبيهم ويتم نعمته عليهم كما فعل بابويهم ابراهيم واسحق وكذلك روي عن الحسن انه قال في اخوة
يوسف انهم تنبؤا بعدما صنعوا بيوسف ما صنعوا وقال بعضهم تاويل الاحاديث العلم والكلام قال وكان يوسف اعبر الناس
وهو ما قال الله تعالى ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وقوله عز وجل ان ربك عليم بما صنع باخوته وعليم بما ذكر من التمام
حكيم وضع كل شيء موضعه والله اعلم وقوله عز وجل لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين لا ريب اية للسائل
اذا كان السائل يسترشد وكذلك القران كله هو حجة واية للمسترشد واما المتعنت فهو اية عليه ثم يحتمل قوله ايات
للسائلين السائلين الذين سالوا على ما ذكر في بعض القصة ان اليهود سالوا النبي عن امر يوسف ونبائه فاخبرهم بالحق ودل
على ما كان فهو اية لهم ان ثبت ذلك ويحتمل قوله ايات للسائلين السائلين الذين يسالون من بعد الى اخر الدهر عن نباء
يوسف كل من سال عن خبره ونبائه فهو اية لهم ثم وجه جعله اية يحتمل وجوها احدها انه جعل قصة يوسف ونبائه
سورة وتلك السورة هي ايات الكتاب على ما ذكر الر تلك ايات الكتاب المبين جعل قصة يوسف ونباءه ايات من الكتاب

ويحتمل

ويحتمل ايضا انه جعل اية اي حجة لنبوة رسوله ورسالته لان قصته ونباءه كان في كتبهم بغير لسانه من غير ترجمة احد منهم
ولا تعلم ثم اخبرهم على ما كان في كتبهم من غير زيادة ولا نقصان دل انما علمه بالله تعالى لا انه اخذه من كتبهم وهو ما ذكر في القصة
ان اليهود سمعوا النبي يقرا سورة يوسف فقالوا يا محمد من علمك قال الله علمنيها فعجبوا من قراءته اياها على ما كانت في كتبهم
دل انه انما عرفها بالله ثم يحتمل انه يكون اية لمن سال عن حجة رسالته او هي اية لمن يسال عنها والله اعلم وقوله عز وجل
اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة في الاية دلالة ان لا باس للرجل ان يخص بعض ولده بالعطف
عليه والميل اليه اذا كان فيه معنى ليس ذلك في غيره ولهذا قال اصحابنا انه لا باس للرجل ان يخص بعض ولده
بالهبة له او الصدقة عليه اذا لم يقصد بها الجور على غيرهم من الاولاد ثم يحتمل تخصيص يعقوب يوسف
واخاه بالحب لهما وجوها احدها لما راى فيهما من الضعف في انفسهما والعجز في ابدانهما فان زادت شفقته لهما
وعطفه عليهما لذلك وهذا مما يكون فيما بين الخلق وكان ذلك منه لهما لصغرهما وهذا ايضا معروف
في الناس ان الصغار من الاولاد يكون عندهم احب وقلوبهم اليهم اميل وعليه اعطف ولهم ارحم من الكبار
او خصهما بذلك لفضل خصوصية كانت لهما من جهة الدين او العلم او غيره امره الله بذلك لذلك من دون
غيرهما او لما بشر يعقوب بنبوة يوسف فكان يفضله على سائر اولاده ويؤثره عليهم لذلك وانما قالوا ليوسف
واخوه احب الى ابينا منا لما رأوا ظهور عنده ما والا حقيقة المحبة لا تعرف وقوله عز وجل ونحن عصبة قيل العصبة الجماعة
وقال بعضهم العصبة من عشرة الى اربعين والعصبة الجماعة اي نحن جماعة ولنا منعة ولهذا ما قال اصحابنا ان التسعة
مع الامام سعة ليستوجبون ما يستوجب السرية اذا دخلت دار الحرب فغنمت غنائم يخمس منها وقوله ونحن عصبة
ان ابانا لفي ضلال مبين لم يعنوا ضلال الدين انما قالوا ذلك والله اعلم انا جماعة نقدر على دفع من يروم التعرض به
ويقصد قصد الشر بنفسه وماله ونحن اولى ان يوثق بنا نقوم بمعاشه واسبابه فكيف يؤثرهما علينا وكذلك
قوله ووجدك ضالا فهدى لم يرد به ضلال الدين ولكن وجها اخر فقالوا لما كانت له منافع من انفسهم لم يكن تلك
المنافع من يوسف واخيه وابدا انما يؤثر المرء من لا منفعة له منه فهو فيه في ضلال مبين حيث يؤثر من
لا منفعة له منه على من كانت له منه منافع وامثاله والله اعلم وقولهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم
وجه ابيكم لا يحتمل ان يكونوا عزموا على قتله ولكن على المشاورة فيما بينهم نفعل ذا او ذا كقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك الاية ليس على واحد ولكن على المشورة فيما بينهم يدل على ذلك قوله يخل لكم وجه ابيكم انهم ارادوا
ان يخلو وجه ابيهم لهم لا قتله انما ارادوا تغييبه عنه وقال بعضهم يخل لكم وجه ابيكم اي يقبل عليكم ابوكم بوجهه
وقال بعضهم اي يفرغ لكم من الشغل بيوسف وقوله عز وجل وتكونوا من بعده قوما صالحين يحتمل صالحين اي تائبين
وقال بعضهم تكونوا صالحين عند ابيكم من بعد وقال بعضهم يصلح امركم ومالكم منه ابيكم بعد ذهاب يوسف وجائز
ان يكونوا قوما صالحين في الاخرة وقال القتبي تائبين قبل ان يزلوا او يعصوا وقوله عز وجل قال قائل منهم لا تقتلوا
يوسف والقوه في غيابة الجب قال ابو عوسجة يعني في قعر البئر والغيابة ما يغيبه ويواريه والجب البئر والجباب جمع
وقال ابو عبيدة الغيابة كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة وقوله عز وجل يلتقطه بعض السيارة اي يرفعه بعض
السيارة ولذلك يقال للطائر يلتقط الحب ويلتقط اي يرفع ان كنتم فاعلين ان تغيبوه عنه واما قول اهل التاويل
ان قوله لا تقتلوا يوسف قاله فلان او فلان فذلك مما لا نعرفه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم
وقال ابو عوسجة السيارة اصلها من التسير هو مثل المسافرة وهي القافلة يعني العير وقيل الجب الركية التي لم تطو بالحجارة
فاذا طويت فليس بجب وقوله عز وجل قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف دل قوله ما لك لا تامنا على يوسف
قبل قولهم ما لك لا تامنا على يوسف على انه لم يطلبوا اخراجه من ابيهم غير مرة لان مثل هذا الكلام لا يتكلم به ابتداء
غير مسابقة شيء من امثاله فدل انهم قد استاذنوه في اخراجه غير مرة وانا له لناصحون الناصح هو الدال على كل
خير والله اعلم وقوله عز وجل ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون كان يعقوب خاف على نفسه اعني يوسف
الضيعة بتركهم حفظه فامنوه على ذلك بقولهم وانا له لحافظون وخاف عليه الضياع من جهة الجوع بتركهم
حفظه او فاته الاكل فامنوه على ذلك بقولهم يرتع اي ياكل وخاف قلبه ان يكلفوه امرا يشق عليه ويجهده فامنوه
ايضا على ذلك بقولهم ويلعب لانه ليس في اللعب مشقة ولا شدة يخاف عليه الضياع بالوجوه التي ذكر فامنوه على
تلك الوجوه كلها حتى استنقذوه من يديه وقوله يرتع ويلعب قال بعضهم يرتع ويلعب بلا كاف فهو يخرج جوابا
اني ليحزنني ان تذهبوا به قالوا له لا تحزن عليه فانه يرتع ويلعب على التقديم والتاخير وقال بعضهم يرتع ينبسط
ويلعب يلهو وقرئ بالنون نرتع ونلعب قال القتبي نرتع اي ناكل يقال رتعت الابل اذا رعت وارتعتها اذا تركتها
اذا تركتها ترعى ونقرا نرتع بكسر العين والمراد منه ان نتحارس ويرعى بعضنا بعضا اي يحفظه ومنه يقال رعاك
الله اي حفظك الله قوله يرتع ويلعب وقالوا يلعب فيما يحل ويسع من نحو الاستباق وغيره وهو ما ذكروا
انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا واللعب في مثل هذا يحل وقد روي ايضا في الخبر انه قال لا يحل
اللعب الا في ثلث وفيه ملاعبة الرجل فرسه او قوسه وملاعبة الرجل امراته الخبر انه لا يحل الا ثلاث والله اعلم
وقوله عز وجل اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب قال اني ليحزنني غيبة الواقع به والغائب عنه
من النعم التي انعمها عليه لا انه كان نعمة عظيمة له فات النظر اليه فذكر الحزن على ما فات عنه وذكر الخوف

بما خاف وقوعه في وقت يأتي وما سيقع فهذا تفسير قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لامر موجود للحال
تبرقا يت ولا خوف عليهم اي لا يخافون فوت لان يخوف فوت النعمة ينقص على صاحبه النعمة فامنهم على ذلك
وهو ما ذكرنا ان الحزن يكون بالواقع للحال والخوف على ما سيقع والله اعلم وقوله واخاف ان ياكله الذئب قال
بعض اهل التاويل كان يعقوب عليه السلام راى في المنام ان يوسف اخذه الذئب فمن ثمه قال واخاف ان ياكله
الذئب لكن هذا لا يحتمل لان رؤيا الانبياء اكثرها صدق وحق فلا يحتمل ان راى ذلك ثم يقول اخاف ان ياكله
الذئب او بعد عن يذهب معهم لكنه خاف عليه اكل الذئب على ما يخاف على الصبيان في المفاوز والبراري لا الخوف على
الصبيان في المفاوز والبراري والضياع عليهم يكون بالذئب اكثر من وجه اخر لانه يرجا ان يفترسه سبع من السباع
عند معافصة اخوتهم واشتغالهم بلعب من الاستباق لا يحتمل الضياع من الناس باخذه واحد من بين نفر وقال
بعض اهل التاويل ان قوله واخاف ان ياكله الذئب كناية عن بنيه اي اخاف ان يهلكوه ويضيعوه وقوله عز وجل
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة او لو وقع انا اذا لخاسرون وتاويله والله اعلم لئن اكله الذئب ونحن عصبة
اي جماعة انا اذا لخاسرون اي كانا نحن سلمناه الى الذيب وعرضناه للضياع هنا والله اعلم معنى الخسران الذي
ذكروا والاثم يلحقهم الخسران اذا اكله الذئب لانه اذا كان بهم قوة المنع فلم يمنعوه فكانهم ضيعوه وقوله عز وجل
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب قد ذكرنا وقوله عز وجل واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم
لا يشعرون يحتمل قوله واوحينا اليه وحي نبوة او وحي بشارة النجاة من ذلك الجب او بشارة الملك له والعز ثم
قوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون قال بعضهم هو قول يوسف حيث قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف
الاية قالوا انك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي هذا الذي نبأهم يوسف وهم لا يشعرون بذلك ويشبه ان
يكون قوله واوحينا اليه اي الى يعقوب لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ويكون قوله لتنبئنهم بامرهم
هذا وهم لا يشعرون هو ما قال لهم يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه الاية امرهم ان يطلبوه ويتجسسوا
من امره كانه علم انه حي كقوله واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون انه حي الا ترى انه قال لا
لا جدوع يوسف ولهذا قال حين القى الثوب على وجهه وارتد بصيرا اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك تاويل
قوله وهم لا يشعرون ان كانت الاية في يعقوب وان كانت في يوسف فهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
وجاؤا اباهم عشاء يبكون الاية في الاية دلالة ان احدا ان ارتكب صغيرة فانه يجا فعليه التعذيب
ولا يصير كافرا ومن ارتكب كبيرة لم تخرج من الايمان لان اخوة يوسف هموا بقتل يوسف وطرحه في الجب والتغييب
عن وجه ابيه واخلاهم عنه وذلك لا يخلو منهم اما ان يكون صغيرة او كبيرة فان كانت صغيرة فقد استغفروا
ربهما بقوله يا ابانا استغفر لنا الاية دل انهم انما استغفروا لما خافوا العذاب عليها وان كانت كبيرة فلم يخرجوا
من الايمان حيث صاروا انبياء من بعد وصاروا قوما صالحين حيث قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين دل لما ذكرنا ما
نقض قول المعتزلة في صاحب الصغيرة ان لا تعذيب عليه وصاحب الكبيرة انه يخرج من الايمان وينقض قول الخوارج
في قولهم انه اذا ارتكب كبيرة او صغيرة صار بها كافرا مشركا وفيه نقض قول من يقول ان من كذب او وعد واخلف
وائتمن فخان يصير منافقا لان اخوة يوسف ائتمنوا فخانوا ووعدوا فاخلفوا وحدثوا فكذبوا فلم يصيروا منافقين
لانهم قالوا اكله الذئب ولم ياكله وهو كذب وائتمنوا فخانوا حين القوه في الجب ووعدوا انهم يحفظونه فان
قيل روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من علامات النفاق من اذا حدث كذب واذا ائتمن
خان واذا وعد اخلف فكيف يوفق بين الاية والخبر اذ هو لا يحتمل النسخ لانه خبر والخبر لا يحتمل النسخ قيل يشبه
ان يكون هذا في قوم خاص من الكفرة اؤتمنوا بما اودع في التوراة من بعث محمد فغيروه ووعدوا ان يبينوه فاخلفوا
وكتموه وحدثوا انهم يتبعونه فكذبوا فيصير منافقا اذا كان ذلك في امر الدين واما في غيره فانه لا يصير به
منافقا ولا يكون تلك من علوم المنافق والله اعلم وقوله عز وجل وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين هذا القول
منهم له في الظاهر عظيم لانهم قالوا وما انت بمؤمن ولو كنا صادقين ولا يحتمل ان يكونوا عنده صدقوا ثم يكذبهم ويكون
نبي من الانبياء يعلم صدق انسان ثم لا يصدقه هذا بعيد لكن يحتمل قولهم وما انت بمؤمن لنا في هذا وما كنا صادقين
عندك من قبل في غير هذا او يكون قوله وما انت بمؤمن لنا اي متهمنا ولا تصدقنا لانك اتهمتهم حيث قال اني ليحزنني
ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب فاعترضت له التهمة وليس في الاتهام تكذيب انما هو في الوقف لانه من اتهم
اخر في شيء ثم اتهمه فيه لا يكون في اتهامه اياه تكذيبه فعلى ذلك قولهم وما انت بمؤمن لنا اي متهمنا لما سبقت
من التهمة ولو كنا صادقين على هذين الوجهين يخرج تاويل الاية والا لم يجز ان يكون نبي من الانبياء يكذب من يعلم
انه صادق في خبره وقوله فان قيل في قوله واخاف ان ياكله الذئب كيف ذلك وقد قال له يعقوب وكذلك يجتبيك
ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب لابنه انه يجتبيه ويعلمه من تاويل الاحاديث
ويتم عليك نعمته فكيف خاف اكل الذئب والضياع وذلك لا يحتمل ان يقول له الا بعلم من الله والوحي اليه قيل يحتمل
ان يكون ما ذكر على شرط الخوف انه يخاف ما ذكر فيكون له ما قال من الاجتباء وتعليم الاحاديث واتمام النعمة عليه
او خاف ذلك على ما خافوا جميعا ما هم عليه من الدين وان عصموا عما خافوا جميعا حيث قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد
امنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومعلوم ان ابراهيم لا يعبد الاصنام وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين

وشاله هو ما ذكرنا في غير موضع ان العصمة لا تزيل الخوف ولا تؤمن عن ارتكاب مضاداته بل يزيد الخوف على ذلك الاخيار
والابرار كان خوفهم واشفاقهم على دينهم اكثر من غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل نستبق قال بعضهم نشتد ونصيد
وقال ابو عوسجة نستبق هذا من السباق اي نعدو ونشتد حتى ينظر ايهم يسبق اي يتقدم من صاحبه ويغلبه في العدو
وقال القتبي نستبق ونتفعل ليسابق بعضنا بعضا في الرمي يقال سابقته فسبقته والله اعلم وقوله عز وجل وجاؤا على
قميصه بدم كذب انه لا يكون كذبا كلكله والله اعلم جاؤا على قميصه بدم فكذبوا فيه انه دم يوسف وان الذئب اكله
ولم يكن وقال الفراء بدم كذب بدم مكذوب والعرب قد تستعمل المصدر في موضع المفعول ثم قال بل سولت لكم
انفسكم اي زينت لكم انفسكم والتسويل هو التزيين في اللغة وتاويله والله اعلم اي زينت لكم انفسكم وحكم
الى امر تفصلون وتفرقون بيني وبين ابني لكنا لا نعلم ما ذلك الامر الذي زينت انفسهم لهم ويشبه ان يكون ذلك
قوله يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا والله اعلم وقوله عز وجل فصبر جميل يحتمل وجهين صبر لا
جزع فيه جميل رضي بما ابتليت به لان الصبر هو كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا مكافاة فيه لانهم بما فعلوا بيوسف
كانوا مستوجبين المكافاة فقال صبر كف النفس عن الجزع بذلك وجميل لا مكافاة فيه والله اعلم وقوله عز وجل والله
المستعان على ما تصفون الاية اي والله المستعين على الصبر بما تصفون او يقول به استعين على ما تقولون من الكذب
حين تزعمون ان الذئب اكله ونحوه وقوله وجاءت سيارة السيارة هي جماعة السابلين كالمسافرين فارسلوا واردهم الوا
ردهم الوارد هو طالب الماء ومستقبله فادلى دلوه اي ارسل دلوه في البئر وجد وقال يا بشرى هذا غلام قال
بعضهم بشرى هو اسم ذلك الرجل الذي كان يتبع الدلو الى الدلو فقال له يا بشرى هذا غلام كما يقال يا فلان هذا غلام
وقال بعضهم هو من البشارة كانه قال البشرى بهذا الغلام وفي بعض القراءة يا بشراي على الاضافة الى نفسه فكانه
بشر نفسه اي البشرى لي بهذا الغلام ويشبه ان يكون هذا كناية كلام كان هنالك لم يبين لنا ذلك والله اعلم بذلك
كقوله وقاسمهما [illegible] اخبر انه اقسم لكن لم يبين لنا ما ذلك القسم وقوله عز وجل واسروه بضاعة قال بعضهم الاسرار
هو من الاخفاء والاظهار جميعا كقوله واسروا الندامة لما راوا العذاب اي اظهروا الندامة فان كان ما ذكرنا انه
اسم لهما جميعا فكانه قال اظهروا البضاعة فان كان على حقيقة الاخفاء والاسرار فهو على الاضمار كانه قال
واسروا على ما كان واظهروا البضاعة لئلا يطلب صاحبهم في ذلك شركة والله عليم بما يعملون اي عليم بما على اخوة يوسف
او عليم بما عمل السيارة من الحسن او الاظهار والله اعلم وقوله عز وجل وشروه بثمن بخس اي باعوه بثمن بخس
دراهم معدودة قال بعضهم البخس هو النقصان اي باعوه بثمن لا يباع مثله بمثله وقال بعضهم البخس الظلم باعوا
ظلما واخذوا ثمنه ظلما لانهم باعوا حراما وبيع الحرام حرام واخذوا ثمنه ظلما حراما لان ثمن الحر حرام وقال
بعضهم بثمن بخس دراهم بهرجة وزيوف وكانوا فيه من الزاهدين اي كانت السيارة في يوسف من الزاهدين
حيث باعوا بثمن الدون والنقصان بما لا يباع مثله بمثل ذلك الثمن خشية ان يجيئهم طالب لما علموا ان
مثل هذا لو كان مملوكا لا يترك هكذا لا يطلب فباعوه بادنى ثمن يكون لهم لا كما يبيع الرجل ملكه على رغبة
منه خشية الطلب ولا يستنقذ من ايديهم وقال عامة اهل التاويل قوله وشروه بثمن ان اخوة يوسف
هم الذين باعوه من السيارة بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين اي لم يعرفوا منزلته ومكانه
والاول اشبه وقوله وكانوا فيه من الزاهدين اي كانوا في شرائه من الزاهدين اي خافوا من الثمن ان كان
مسروقا وقوله عز وجل وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه اي مقامه ومنزلته عسى ان ينفعنا
او نتخذه ولدا ان صدق الخبر انه بضاعة عندهم او نتخذه ولدا ان ظهر انه مسروق وانه حر لما وقع عندهم
ان البضاعة لا تباع بمثل ذلك الثمن الذي باعوه قوله وكذلك مكنا ليوسف تاويله كما مكنا ليوسف عند
العزيز والمؤاثرة كذلك مكنته عند اهل الارض ولكن ذكر مكنا على الخبر لانه كان ممكنا في هذا اليوم عند العزيز
والملك ويشبه ان يكون قولنا مكنا اي كذلك جعلنا ليوسف مكانا ومنزلة عند الناس وفي قلوبهم مكان
ما خذله اخوته ولم يعرفوا مكانه ومنزلته وبعد ما كان شبه المملوك عند اولئك والله اعلم وقوله عز وجل
ولنعلمه من تاويل الاحاديث هذا قد ذكرناه فيما تقدم وقوله عز وجل والله غالب على امره اي لا مرد لقضائه
اذا قضى امرا كان لقوله لا معقب لحكمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقول اهل التاويل انه بيع بعشرين درهما
او بعشرين ونيف ذلك مما لا يعلم الا بخبر يشك ان فيه انه بيع بثمن الدون والنقصان بقوله بخس والبخس هو
النقصان يقال بخسه اي نقصه كقوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا وهو ما قال ولا تنقصوا
المكيال والميزان وقيل البخس الظلم والحرام وقد ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولما بلغ اشده الاشد هو اشتد
كل شيء ونهايته كانوا في الكمال يحتمل اشده انتهاء بلوغه وانتهاء شبابه او انتهاء عقله في التمام لا يخلو من
هذه الوجوه الثلاثة وقول اهل التاويل ثماني عشرة سنة الى اربعين لا يدرى ويحتمل كل نوع من ذلك الى ذلك
والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اتيناه حكما وعلما قوله حكما من الناس والعلم في الحكم ويحتمل قوله حكما اي اعطينا
النبوة وعلما علم الاحاديث وتاويلها على ما تقدم ذكره او ان يكون اذا اعطاه الحكم اعطاه العلم واذا اعطاه العلم
اعطاه الحكم وقوله عز وجل وكذلك نجزي المحسنين يحتمل الاحسان في الاعمال اي عمل الاعمال الحسنة الصالحة ويحتمل
الاحسان الى الناس اي احسن اليهم او احسن الى نفسه لا تخلو من اوجه الثلاثة او يكون قوله وكذ

يجزي المحسنين اي كذلك يجزي من احسن صحبة نعم الله واحسانه وقام بشكره كذلك اي مثل الذي جزاء يوسف لا يريد ان يجزي غيره عين ما جزى يوسف ولكن يجزيه جزاء الاحسان وقوله عز وجل وراودته التي هو في بيتها عن نفسه دل قوله في بيتها ان البيت لها وذلك قد يجوز ان يضاف الى المرأة وان كانت البيت في الحقيقة لزوجها على ما اضاف بيت زوجها اليها وقوله عز وجل وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة قيل هي الدعوة والطلبة وراودته اي دعته الى نفسه وقال اهل التاويل راودته اي ارادته وغلقت الابواب وقالت هيت لك قيل ان هذه الكلمة اخذت من الكتب المتقدمة ليست بعربية ونحن لا نعرف ما ارادت بها لكن اهل التاويل قال بعضهم هلم لك وقال بعضهم تهيات لك وفي بعض القراءات هئت لك بالهمز ومعناه ما ذكرنا اي تهيات لك ويشبه ان يكون قوله هيت لك ها انا لك قال معاذ الله اي اعوذ بالله والجأ اليه انه ربي احسن مثواي قال اهل التاويل ربي اي سيدي الذي اشتراني احسن مثواي اي اكرم مقامي ومكاني دليله قوله لزوجته اكرمي مثواه هذا يدل ان قوله اكرمي مثواه اي احسني مثواه ولكن يشبه ان يكون اراد بقوله ربي احسن مثواي ربه الذي خلقه وقوله عز وجل انه لا يفلح الظالمون بظلمهم والمثوى الموضع الذي يثوى فيه والثوا المقام والثاوي المقيم ومعاذ الله قيل اعوذ بالله والجأ اليه والتحصن به انه لا يفلح الظالمون اذا اختاروا الظلم واما اذا اقلعوا عنه افلحوا وقوله عز وجل لقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه اما ما قاله اهل التاويل فيما سلفت له وهم بها اي حل سراويله والخلال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال فيه شيء من ذلك والدلالة على فساد ذلك وجوه احدها قوله هي راودتني عن نفسي ولو كان منه الارادة والمراودة لم يكن ليقول ذلك لها ويبرئ نفسه من ذلك والثاني قوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان شيء مما ذكروا من حل السراويل والجلوس بين رجليها لم يكن السوء مصروفا عنه والثالث قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ولو كان منه ما ذكروا لقد خانه بالغيب والرابع قولهن ما علمنا عليه من سوء وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه هذا كله يدل ان ما قاله اهل التاويل فاسد لا يحل ان يتكلم فيه بشيء من ذلك وليس في ظاهر الاية شيء مما قالوا من قليل ولا كثير الا ليس فيه سوى ان همت به وهم بها ثم يحتمل الهم وجوها عندنا احدها همت به هم عزم وهم بها هم خطر ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مواخذة عليه وهو قول الحسن والثاني همت به هم الارادة والتمكن وهم بها هم دفع لكنه يبطل عليه قوله لولا ان راى برهان ربه لو كان همه بها هم دفع لم يكن لقوله لولا ان راى برهان ربه معنى لكنه يشبه انه هم قتلها فاذا كان هم بقتلها فراى برهان ربه فتركها لما لا يحل قتلها والثالث كان تهم بها لولا ان راى برهان ربه على الشرط كان تهم بها لولا ما راى من برهان ربه وهو كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم لولا كان من تثبيتنا اياك وكذلك يخرج قول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون اي لو كان هو الذي ينطق لفعل هو ثم اختلف في قوله لولا ان راى برهان ربه قال بعض اهل التاويل راى يعقوب عاضا على شفته وقال بعضهم مثل له يعقوب وصور له فراى عاضا على اصبعه وقال بعضهم راى اية من كتاب الله ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الاية هذا كله لا ندري واصل البرهان الحجة اي لولا ما راى من حجة الله والا كان تهم بها ولكن لا ندري ما تلك الحجة والله اعلم بذلك والبرهان هو الحجة والاية لولا انه راى حجة ربه وبرهان ربه واياته والرسالة ويشبه الحجة اي النبوة وقوله عز وجل واستبقا الباب قال بعضهم استبقا الباب استبقت هي لتغلق الباب واستبق هو ليخرج ويفر لكن قوله لتغلق الباب لا يحتمل لان الابواب كانت مغلقة بقوله وغلقت الابواب ولكن استبقت هي لتحبسه وتمنعه واستبق هو ليخرج ويهرب وقوله عز وجل وقدت قميصه من دبر اي جرته لتحبسه وقوله عز وجل والفيا سيدها اي وجدا سيدها هذا يدل ان قوله ربي احسن مثواي لم يرد به العزيز الذي اشتراه ولكن العزيز الذي خلقه لانه قال سيدها ولم يقل سيده وقوله عز وجل قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم هذا يدل ان الارادة تكون مع الفعل لانها كانت لا تعلم ارادة ضميره فاذا اخبرت عما عرفت من الميل واظهار الفعل وكذلك قول اخوة يوسف ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وكانوا لا يعرفون ما في ضميره من الحب سوى ما ظهر لهم منه من الميل اليه وابداء الشفقة له فهذا يدل على ما ذكرنا من كون الارادة مع الفعل والله اعلم وقوله عز وجل قال هي راودتني عن نفسي اي دعتني والمراودة قد ذكرنا انها هي الدعوة كقوله سنراود عنه اباه اي سندعوا منه ونطلب فان قيل كيف هتك سترها بقوله هي راودتني عن نفسي قيل ليس فيه هتك الستر عليها بل فيه نفي العيب والطعن عن نفسه فالواجب على المرء ان ينفي العيب وما يشينه عن نفسه على ما فعل يوسف وقوله عز وجل وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فهو كذا وان كان كذا فهو كذا من كذا قال بعض اهل التاويل ذلك الشاهد هو ابن عم لها رجل حليم يقال كذا وقال بعضهم شق القميص من دبر هو الشاهد وامثاله لكن هذا لا يعلم من كان ذلك الشاهد وقيل صبي في المهد وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة قوله عز وجل ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين هذا لان القميص اذا كان قد من قبل فهو انما يتقدم من دفعها عن نفسها واذا كان القميص مقدودا من دبر فهو انما يتقدم من جرها اياه الى نفسها لا من دفعها اياه عن نفسها هذا هو الظاهر في العرف لذلك قال الشاهد ان كان قميصه قد من قبل فصدقت فهو من كذا وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن الاية استدل على اثر انما تمزق من جرها اياه لا من رفعها عن نفسه ففيه دلالة جواز العمل بالاجتهاد لان القميص في الغالب لا يتمزق من دبر الا عند دفع من وراء ولا عن قبل الا عند دفع من قدام لذلك دل على ما ذكرنا والله اعلم وان كان يجوز ان يكون

في الحقيقة

في الحقيقة على غير ذلك لكن نظر الى الغالب وقال ابو عوسجة قوله وقدت قميصه اي شققت ومزقت ومقدود اي مشقوق من دبر اي من خلف ومن قبل اي من قدام وهو ماخوذ من القبل من قبل المرأة وقوله والفيا سيدها لدا الباب ولم يقل سيدهما فهذا يدل ما ذكرنا لدا الباب اي عند الباب وهو ظاهر اي وجدا سيدها عند الباب وفي قوله ان كان قميصه قد من قبل فهو كذا وان كان قميصه قد من دبر فهو من كذا دلائل يستدل بها المسائل لاصحابنا من ذلك قولهم في حانوت فيه لؤلؤ واهاب تنازع فيه دباغ ولولوي فانه يقضي باليد لكل واحد منهما في ذلك للولوي باللولو والدباغ بالاهاب باليد يستدل بغالب الامر وظاهر اليد على ما قضى عليها بالمراودة بتمزق القميص من دبر وامثال هذا مسائل يكثر عددها يقضي بالدلالة الغالبة وان كان يجوز في الحقيقة على خلاف الظاهر وقوله عز وجل فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يشبه ان يكون كيدها انها لما راودته عن نفسه وامتنع على اظهار ذلك وافشائه عليه فافشت عليه ذلك حيث ابتدات فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا ذلك القول منها من كيدهن واصل الكيد والمكر هو الاخذ على الامن والله اعلم وفي الاية دلائل لقول اصحابنا في المتاع يختلف فيه الزوجان فان كان من متاع الرجال فهو في يد الرجل وان كان من متاع النساء فهو في يد المرأة في قول ابي يوسف ومحمد وقوله عز وجل يوسف اعرض عن هذا يحتمل قوله اعرض عن هذا اي عن قوله هي راودتني عن نفسي ويشبه ان يكون قوله اعرض عن هذا عن جميع ما كان بينهما اي استر عليها ولا تهتك عليها سترها وقوله عز وجل واستغفري لذنبك قال ليوسف ذلك القائل اعرض عن هذا وقال للمرأة استغفري لذنبك انك من الخاطئين لما ظهر عنده انها التي راودته وعنت في نفسها ثم اختلف في تاويل هذا القول قال بعضهم هو زوجها قال ليوسف اعرض عن هذا ولا تهتك عليها سترها لكنه ما لوا انه كان قليل الغيرة وقال بعضهم ذلك القائل بل هو رجل اخوه ابن عم لها وهذا اشبه وقوله واستغفري لذنبك قال بعضهم قال هذا لها لانهم وان كانوا يعبدون الاصنام فانما يعبدونها ليقربوهم الى الله زلفى حيث قال لها واستغفري لذنبك وقال بعضهم من اهل التاويل قوله واستغفري لذنبك الى زوجك حيث خنته فان كان التاويل هذا فذلك يدل ان القائل ذلك رجل اخر لا زوجها فان كان التاويل هو الاول فانه يحتمل كليهما ايهما كان والله اعلم وقوله عز وجل وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه يشبه ان يكون انما استكتمت سرها عند نسوة في المدينة فافشين سرها عند اهل المدينة ليبلغ ذلك الخبر الملك او ان لم تكن اعلمت ذلك النسوة فلا بد من ان يعلم ذلك بعض خدمها فالخادم اعلمت سرها وافشت عند نسوة في المدينة فقلن عند ذلك تراود فتاها اي تدعو عبدها الى نفسها وقوله عز وجل قد شغفها حبا قال بعضهم الشغاف هو حجاب القلب وغلافه قد شغفها حبا اي بلغ حبها اياه الشغاف والمشغوف قيل المجنون حبا وهو من العشق قال الحسن الشغف ان يكون قد بطن بها حب والشغف ان يكون مشغوفا به قال ابو عوسجة شغفها حبا اي دخل الحب في شغاف القلب وهو غطاؤه وقال من قراها شعفها اي ذهب بعقلها اي عشقها لكن هذا قول اولئك النسوة فلا ندري ما اذن بذلك انما ذلك خبر اخبر عن قول قلن هن والله اعلم وقوله عز وجل انا لنراها في ضلال مبين حيث خانت زوجها او في ضلال مبين اي في حيرة من حبه والله اعلم وقوله عز وجل فلما سمعت بمكرهن اي بقولهن المكر هو الاخذ في حال الامن وهو الخيانة فيما ائتمن واستكتم فهذه كانها استكتمت سرها وحبها ليوسف عن الناس وافشت ذلك للنسوة في المدينة على ان يستكتمن عن الناس فافشين عليها ذلك فذلك المكر الذي سمعت والله اعلم الى هذا ذهب بعض اهل التاويل وامكن ان يكون المرأة لم تفش سرها اليهن لكن بعض خدمها الذي اطلعت على ذلك هي التي افشت اليهن فافشين هن ذلك فلما سمعت ذلك منهن اما نبؤيثا ودعاء للضيافة فيها واما استزادة بزدنها واما قول اهل التاويل ان النسوة كانت امرأة الخباز والساقي ولا ندري من ما فذلك لا نعلمه وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل واعتدت لهن متكأ قال الحسن متكئا طعاما وشرابا ونكاة وقال بعضهم الاترج والترنج وقال بعضهم متكئا وسائدا وما يتكأ عليه وقال ابو عوسجة متكئا ممدود يعني هيات المجلس ما يتكأ عليه ومن قرا متكا مقصورا وهو الاترنج وطعام على ما قال الحسن وكذلك قال القتبي قال ويقال الترنج ما ودد وقوله عز وجل واتت كل واحدة منهن سكينا اي اعطت كل واحدة منهن سكينا ظاهر وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه هاهنا كلام انه كيف اطاع يوسف بالخروج على النساء بقولها اياه اخرج عليهن فذلك مما لا يحل لكنه يخرج على وجوه احدها انه انما يكره الدخول عليهن والخلوة بهن واما الخروج عليهن فهو ليس بمكروه اذ فيه الخروج منهن لانه اذا خرج عليهن كان يقدر ان يخرج منهن فكانه اما الخروج لما اذنت له بالخروج عليهن خرج رغبة ان يخرج من عندهن اذ لم يقدر ان يخرج من البيت عليهن بغير اذن منها الا من بالخروج عليهن اما دله اذنا بالخروج من البيت اذ لا سبيل له الى الخروج منه بلا اذن له منها فخرج عليهن ثم من عندهن الى غيره من المكان وذلك مما لا يكره اذا كان مما لا سبيل الى ما سواه ويشبه ان يكون منها الامر بالخروج حسب اذا خرج ولم تقل عليهن ولم يعلم يوسف انها انما تامره بالخروج على النساء فخرج لكن الله عز وجل اخبر عن مقصودها من الامر بالخروج خروجا عليهن فاخبر عن مقصودها بقوله وقالت اخرج عليهن ومثل هذا قد يكون في الكلام وجائز ان يكون قوله اخرج عليهن اي عنهن وذلك جائز في اللغة على مكان عن كقوله اذا اكتالوا على الناس اي عن الناس وامثاله كثير وفي هذه الاية دلالة ان مشتري يوسف كان يمنع يوسف عن ان يخرج الى البلد والسوق ومن ان تخالطه الناس

انا اشفاقا على نفسه او لئلا يفتتن به النساء او لئلا يطلع على نفس يعقوب لما وقع عنده انه مسروق فكيف ما كان ففيه
ان على المرء ان يحفظ ولده او عبده اشفاقا عليه وقوله فلما رأينه اكبرنه اى اكبرنه واعظمنه من حسنه ان يكون مثل هذا
بشرا الا ترى انهن قلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقطعن ايديهن قبل جزا جزا بالسكين وقوله
عز وجل حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم حاش لله قال اهل التاويل اى معاذ الله وقال بعضهم حاش لله كلمة
تنزيه من القبيح ودل هذا القول منهن انهن كن يؤمن بالله حيث قلن معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قوله
ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم كان الملك وان لم يرونه حسن عندهم فينسبون كل حسن الى الملائكة والشيطان
لعنه الله عندهم قبيح فينسبوا كل قبيح اليه قوله بشرا قرا بعضهم بشرا بالتنوين اى ما هذا بمشترى وقوله عز وجل قالت
فذلكن الذي لمتنني فيه بقولهن امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه اى انكن لمتنني فيه اراوده عن نفسه وانتن قطعن
ايديكن اذ رايتن وانكرتن ان يكون هذا بشرا فذلك اعظم وقوله عز وجل ولقد راودته عن نفسه اى دعوته الى نفسي فاستعصم
قيل امتنع كقوله لا عاصم اليوم من امر الله اى لا مانع ويشبه قوله استعصم بالله او بدينه ونبوته او بعقله هذا يدل على
انه لم يكن منه ما قال اهل التاويل من حل السراويل ونحوه حيث قالت فاستعصم وقوله عز وجل ولئن لم يفعل ما امره قالت
ذلك امراة العزيز ليسجنن وليكونا من الصاغرين يشبه ان يكون قولها ليسجنن وليكونن في السجن من الصاغرين او ليسجنن
وليكونا من المذلين الصاغرين هو الذليل لانه قال لامراته اكرمى مثواه فكان مكرما عندها معظما فلما ابى لما راودته
فقالت ليسجنن وليكونا من الصاغرين اى من الذليلين وقوله عز وجل رب السجن احب الى مما يدعونني اليه فيه دلالة
انه قد كان منهن من المراودة والدعاء ما كان من امراة العزيز من المراودة والدعاء الى نفسها حيث قال السجن احب
الى مما يدعونني اليه الا ترى انه قال في موضع اخر ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه وكذلك قالت امراة العزيز
فذلكن الذي لمتنني فيه اى كنتن لمتنني فيه انى راودته عن نفسه وانتن قد راودتنه عن نفسه وقول يوسف رب
السجن احب الى مما يدعونني اليه اى ذلك الذل والصغار احب الى اى اثر عندي واخير في الدين مما يدعونني اليه
وان كان ما يدعونه اليه تهواه نفسه وتميل اليه وتحبه فاخبر ان السجن احب اليه اى اثر واخير في الدين اذا
لنفس تكره السجن وتنفر عنه الا ترى انه قال والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فهذا يدل
على ان ما قال السجن احب الى مما يدعونني اليه انما اراد به محبة الاختيار والايثار في الدين لا محبة النفس والاختيار
بل كانت النفس تحب وتهوى ما تدعونه اليه دليله قوله اصب اليهن واكن من الجاهلين وليس الدعاء في قوله رب
السجن احب الى مما تدعونني اليه كما تقول بعض الناس انه انما وقع في السجن لانه سال ربه السجن فاستجيب له في ذلك
ولكن الدعاء في قوله والا تصرف عني كيدهن وهو كقول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا الاية ليس الدعاء في قولهم
ربنا ظلمنا انفسنا لانه اخبار عما كان منهم انما الدعاء في قوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وكذلك قول
نوح رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى وفي قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن دلالة
ان عند الله لطفا لم يكن اعطى يوسف ذلك اذ لو كان اعطاه لكان كيدهن وشرهن مصروفا عنه حيث قال والا تصرف
عني كيدهن ولو كان اعطى ذلك لم يكن لسؤاله ذلك معنى فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله قد اعطى
كل واحد كل طاعة وقوة كل خير والدفع عن كل شر وقوله الا تصرف عني كيدهن اى لا احد يملك صرف كيدهن
عني لو لم تصرف انت وكذلك قوله والا تغفر لى وترحمنى وهو ابلغ في الدعاء من قوله اللهم اغفر لى وارحمنى وقوله
اصب اليهن قال بعضهم اميل اليهن وقال بعضهم قال لو لم تصرف عني كيدهن لاتابعهن ويقال الصبو هو الخروج من الامر
يقال لكل من خرج من دينه قد صبا وبهذا كان المشركون يسمون النبي صلى الله عليه وسلم صابيا اى خرج مما نحن عليه
وقال ابو بكر الاصم الاصب هو الامر المعجب وقوله واكن من الجاهلين اى يكون فعلى فعل الجهال لا فعل العلماء والحكماء
ان لم تصرف عني كيدهن وقوله عز وجل فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن اى اجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
هذا يدل على ان الدعاء كان في قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن ليس في قوله رب السجن احب الى مما يدعونني
اليه انما هو خبر اخبره حيث اخبر انه اجاب له ربه فصرف كيدهن وقوله عز وجل انه هو السميع العليم السميع لكل قول
وكلام خفيا كان على الخلق وظاهرا العليم به لا يخفى عليه شيء وقوله والا تصرف عني كيدهن فصرف عنه كيدهن دلالة
انهن كن يدعونه الى ذلك من وجه كان يخفى عليه ولم يشعر به فالتجا الى الله في صرف ذلك عنه عز وجل ثم بدا لهم
من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين ذكر في بعض القصة انها قالت لزوجها ما زال يوسف يراودني عن نفسي
فابيت عليه فصدقها فحبسه في السجن وقوله عز وجل من بعد ما راوا الايات قال اهل التاويل هو قد القميص من
من دبره وخمش الوجه وغيره ولكنه يشبه ان يكون الايات التي راوها هي ايات نبوته ورسالته وقال بعضهم
حبسوه لينفوا عن المراة ما رميت به ولينقطع ذلك عن الناس ويموت ذلك الخبر ويذهب فيه انهم حبسوه بعد ما
راوا ايات عصمته وبراءته مما اتهموه بالظلمة فحبسه والله اعلم وقوله عز وجل ودخل معه السجن فتيان قيل عبدين
للملك غضب عليهما الملك قال احدهما انى اعصر خمرا وقال بعضهم اوضح يدعى العنب بها خمرا وسمى خمرا باسم سببه وباسم
اصله وجائز في اللغة تسمية الشيء باسم سببه وباسم اصله وقال الاخر انى اراني احمل فوق راسي خبزا كان احدهما
خبازا للملك والاخر ساقيه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين قال بعضهم احسانه في السجن انه كان يداويهم ويداوي
المرضى ويعزى حزينهم ويجتهد في نفسه في العبادة لربه هذا يحتمل لعله كان يبر اهل السجن ويصلهم ويجتهد في

العبادة

العبادة لله في الصلوة له والصوم وانواع العبادة التي يكون فيما بينه وبين ربه فسماه محسنا لذلك ويشبه ان يكون
قالوا انا نراك من المحسنين لما اتاه ربه سبا الخير واثاره او يدعوهم الى توحيد الله والعبادة له ويخلعهم عن
عبادة الاصنام والاوثان والانتزاع من ذلك فسمياه محسنا لذلك ويحتمل قوله انا نراك من المحسنين لما اوى
احسن الى اهل السجن ويحتمل الاحسان ههنا العلم انا نراك من العالمين وهو قول الفراء وقوله عز وجل نبئنا بتاويله
سمى التعبير تاويلا لانه التاويل هو الاخبار عن العواقب لذلك سموا تاويلا ثم خرج تاويل الذي كان
يعصر الخمر على العود الى ما كان في امره من السقي للملك وهو كان ساقيه على ما ذكر فلما راى انه دام على امره اول
بالعود الى امره الذي كان فيه والاخر كان خبازا على ما ذكر وهو انما كان يخبز للناس فلما راى انه حمل الخبز
على راسه وانه ياكل الطير علم انه يخرج من الامر الذي كان فيه وخروجه يكون بهلاكه لانه كان من قبل يخبز
للناس فلما رجع يخبز لغيرهم فاستدل بذلك على خروجه من امره وعمله لكنه اخبر انه يصلب لانه كان قائما له
منتصبا فاول ما كان امره والله اعلم وقوله عز وجل لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما
هذا والله اعلم كان يقول لهم ذلك ليعرفهم ان عنده علم ذلك علم ما لا يحتاج اليه فعلم ما يحتاج اليه احرى
ان يعلم ذلك وهذا والله اعلم منه احتيال لينزعهم عما هم فيه من عبادة الاوثان وعبادتهم غير الله ويرغبهم
في توحيد الله وصرف العبادة اليه ولهذا قال ذلكما مما علمني ربي هذا باللطف ما اضاف اليه انه علمه والا لتعلم
لا يكون الا باختلاف الملائكة اليه وذلك لطف من الله تعالى للرسل عليهم الصلوة والسلام وقوله لا ياتيكما
طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما والله اعلم اى لا ياتيكما طعام رايتما اثار ذلك في المنام
الا نباتكما بتاويل ذلك قبل ان ياتي ذلك وقوله عز وجل انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله اخبر انه ترك ملة
قوم لا يؤمنون الاية وقوله تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ليس انه كان فيه ثم تركه ولكن تركه ابتداء
بالوم يكن تركه كان اخذ بغيره وهو كقوله رفع السموات ليس انها كانت موضوعة فرفعها ولكن رفعها اول
ما خلقها وكذلك قوله والارض وضعها ليس انها مرفوعة ثم وضعها اى انشاها مرفوعة وموضوعة وكقوله
يخرجهم من الظلمات الى النور ليس انهم كانوا فيها فاخرجهم ولكن عصمهم حتى لم يدخلوا فيها فعلى ذلك الاية
والله اعلم وقوله عز وجل واتبعت ملة اباى ابراهيم واسحق ويعقوب قال في الاية الاولى انى تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله واخبر انهم كافرون بالله واليوم الاخر فيه ان من لم يؤمن بالله واليوم الاخر فهو كافر
فهذا ينقض على المعتزلة حيث جعلوا بين الكفر والايمان منزلة ثالثة ويوسف يخبر ان من لم يؤمن بالله فهو كافر
وهم يقولون صاحب الكبيرة غير مؤمن بالله وهو ليس بكافر ثم اخبر انه ترك ملة اولئك الذين لا يؤمنون
بالله واتبع ملة اباءه ابراهيم ومن ذكر ثم اخبر عن ملة اباءه وهو ما ذكر ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء عرفهم
ملة ابائه ودينهم وهو ترك الاشراك بالله وجعل الالوهية له وصرف العبادة اليه وفيه ان الملة ليس
الا ملتين ملة كفر وملة الاسلام واخبر ان من لم يكن في ملة الاسلام كان في ملة الكفر ثم خص بذكر هؤلاء
ابراهيم واسحق ويعقوب لان هؤلاء كانوا مكرمين عند الناس كافة كل اهل الدين يدعون انهم على دين اولئك
فاخبر انهم على دين الاسلام والحنيف المخلص ليس على ما تزعمون انهم ولهذا قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا
ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وفي قوله انى تركت ملة قوم لا يؤمنون دلالة ان الكفر كله ملة
واحدة حيث اخبر انه ترك ملة قوم لا يؤمنون على اختلاف مذاهبهم وقوله عز وجل ذلك من فضل الله
علينا وعلى الناس اى ذلك الدين والملة التي انا عليها واباءى من فضل الله علينا وعلى الناس لانه عز وجل فطر الناس
على فطرة يعرفون وحدانية الله وربوبيته بعقول ركب فيهم ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضل الله وما ركب
فيهم من العقول او ذلك الدين والهداية الذي اعطاهم من فضل الله لكن الناس يتركون ذلك وتلك الهداية
والله اعلم وقوله عز وجل يا صاحبي السجن ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يوسف لما سئل عن
تاويل الرؤيا دعاهم الى توحيد الله ودلهم عليه فقال ذلكما مما علمني ربي وقال يا صاحبي السجن اارباب متفرقون
خير ام الله الواحد القهار اى عبادة رب واحد وارضاؤه خير ام عبادة عدد وارضاء عدد لانه اذا عبد بعضا
واجتهد في ارضائهم اسخط الباقين فلا سبيل الى الوصول الى مقصوده والظفر بحاجته اذ لا يقدر على ارضائهم
جميعا وان اجتهد واما الواحد فانه يقدر على رضائه لانه لا يزال يكون في عبادته وارضائه فيصل الى حاجته والظفر
بمقصوده والثاني يخبر ان الواحد القهار يقهر غيره من الارباب ومن يعبدون فعبادة الواحد القهار خير
من عبادة عدد مقهورين وقوله عز وجل ما تعبدون من دونه من الاصنام والاوثان الا اسماء سميتموها الهة
انتم واباؤكم ولا يستحقون العبادة ولا التسمية بالالوهية انما المستحق لذلك الذي خلقكم وخلق السموات والارض
ما انزل الله بها من سلطان اى ما انزل الله على ما عبدتموهم وسميتم انتم واباؤكم الهة من حجة ولا برهان ان الحكم الا لله
اى ما الحكم في الالوهية والربوبية والعبادة الا لله او يقول ما الحكم في الخلق الا لله كقوله الا له الخلق والامر اى
له الخلق وله الامر في الخلق وامر ان لا تعبدوا الا اياه حكم هذا امر ان لا تعبدوا الا اياه وقوله عز وجل ذلك الدين
القيم اى عبادة الله وتوحيده هو الدين القيم لانه دين قام عليه الحجة والبرهان واما سائر الاديان فليست بقيمة
اذ لا حجة قامت عليها ولا برهان والقيم هو القائم الذي قام بحجة وبرهان وقال اهل التاويل القيم المستقيم

وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل لا يعلمون لما لم يتفكروا فيه ولم ينظروا فلم يعلموا ولو نظروا فيه وتفكروا
لعلموا وهذا يدل ان العقوبة تلزم وان جهل ان امكن له العلم به فلا عذر له في الجهل اذا امكن العلم به او علموا لكنهم
لم ينتفعوا بعلمهم فنفى عنهم العلم لذلك والله اعلم وقوله عز وجل يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر
فيصلب فتأكل الطير من رأسه هو ما ذكرنا انه تأول رؤيا الساقي وعبرها عن العود الى ما كان من قبل لما رأى انه كان
من قبل لما رأى انه كان عمل على ما كان يعمل من قبل ويصير وتأول الخباز بالهلاك لما رأى انه حمل الخبز على الرأس والخبز
اذا اخبز الخباز لا يحمله على رأسه فرأى انه قد انتهى امره ان عمل على خلاف ما كان يعمل من قبل فتأكل الطير من رأسه
فعبر انه يصلب وتأكل من رأسه لما رأى انه حمل الخبز على رأسه لما كان يخبز من قبل للعباد فلما رأى انه خبز لغيره عبر انه
يهلك فيهلك الطير من رأسه وقوله عز وجل وقضي الامر الذي فيه تستفتيان قال بعض اهل التأويل انه لما عبرهما
رؤياهما قال الذي عبر له الصلب والقتل لم ار شيئا انما كنا نلعب فقال لهما يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي فرغ وانتهى لكن هذا لا يعلم الا وذلك انه لم يقل سوى ان فيه انه عبر رؤياهما وكان ما عبرهما وقد علم ذلك
بتعليم من الله اياه بقوله ذلكما مما علمني ربي وقوله عز وجل وقال للذي ظن انه ناج منهما قال بعضهم ظن الذي
صدق هو ذلك الرجل فكان الظن في موضع الظن وان كان الظان هو يوسف فهو علم ويقين اي علم وايقن انه
ناج منهما لانه لا يحتمل على حقيقة الظن من يوسف اي وقال للذي ناج منهما ظن انه يذكره عند ربه وهو على
التقديم والتأخير وقوله عز وجل اذكرني عند ربك قال بعض اهل التأويل ان يوسف لما فزع الى غير الله وطلب
اخراجه من السجن من الملك انساه الله فيه سنين وارى فيه عقوبة له حين رجا غير ربه لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يكون
يوسف يتضرع الى غير الله ويدفع قلبه عن الله ويشغله عن ذكره ولكنه رأى والله اعلم ان الله عز وجل جعل سبب نجاته
على يديه وانه بقي فيه منسيا لما علم انه لم يكن منه سبب يلزمهم الحبس في السجن سوى الاعتذار الى الناس والاعتذار
لهم على بقوا ما فرقت بين زوجته او ليقطع ذلك الخبر عن السن الناس ويبعد عن اوهامهم فرأى انه اذا ذكره لعله
اخرجه من ذلك لما رأى انه جعل سبب نجاته على يديه لا انه رأى ذلك منه ودفع قلبه عن الله وهكذا جعل الله تعالى
امور الدنيا كلها وعلى ذلك تعبد عباده باستعمال الاسباب مع اعتقاد القلب العقد من الله نحو ما جعل
الانزال رؤيتهم باسباب يكتسبونها ونحو الاسلحة التي اتخذت للحرب والقتال بها مما يكثر عدد ذلك وانما يحاربون
بالله وبه يقاتلون ومن عنده ينصرون وقد امر بذلك كله وبتلك الاسباب فقال واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة وليس كل من فعل هذا كان فزع الى غير الله او رأى النصر والنجاة من ذلك الشيء والسبب بل رأى ذلك كله
من الله ومن عنده فعلى ذلك يوسف لا يجوز ان يتوهم انه فزع الى مخلوق مثله ورأى نجاته من عند ذلك ولكن
للوجه الذي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اذكرني عند ربك يحتمل وجهين احدهما اذكرني عند ربك لعل حاجته
بلا علم منه وبغير امره لان تلك المرأة هي التي اوعدت له السجن فوقع منه اتهام التي احتالت في حبسه فقال لذلك
ما قال والثاني يقول اذكرني بالذي رأيت مني وسمعت لانه دعاهما في السجن الى التوحيد حيث قال ارباب متفرقون
خير ام الله الواحد القهار وقوله عز وجل فانساه الشيطان ذكر ربه قال بعض اهل التأويل انسى الشيطان يوسف
دعاء ربه الذي انشاه وخلقه فلم يدع ربه الذي هو في الحقيقة ربه وقال بعضهم قوله فانساه الشيطان الذي
قال له يوسف اذكرني عند ربك ذكر ربه وهذا اشبه والاول بعيد لانه قال في آخره وادكر بعد امة اي بعد حين
انا انبئكم بتأويله فارسلون دل هذا انه انما انسى الشيطان على ذلك الرجل فلم يذكره عنده حينا وقال بعضهم لم
ينسه الشيطان ولكن تركه عمدا لم يذكره عنده لعله يذكر ما تقدم من المقال فيزداد غضبا عليه فيتركه عمدا
الى ان جاء وقته والله اعلم لان بدء كل شر يكون من الشيطان واضاف النسيان الى الشيطان وكذلك قال موسى
عليه وما انسانيه الا الشيطان فهو والله اعلم لان بدء كل شر يكون من الشيطان لانه يخطر بباله ويقذف في قلبه
ويوسوسه ثم يكون من العبد العزيمة على ذلك والفعل وفائدة النسيان والله اعلم هو ان الله تعالى اراد ان
يظهر آية رسالته وحجة نبوته بكونه في السجن ويظهر براءته في شأن تلك المرأة بشهادة اولئك النسوان وذلك
علم الاحاديث التي ذكروا الرؤيا التي عبرها وقوله عز وجل فلبث في السجن بضع سنين قال بعضهم خمس سنين وقال
سبع سنين ونحو ذلك ولكن لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان فيه انه لبث فيه حينا وقال
ابو بكر الاصم قوله يا صاحبي السجن بالالف فلما لم يقل هذا دل انه اضاف الى نفسه كانه قال يا صاحبي في السجن لانهما
كانا معه في السجن وقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان قيل فرغ وقيل انتهى الامر الذي فيه تستفتيان وانهى كقوله
وقضينا الى بني اسرائيل الاية وقضي الامر الذي فيه تستفتيان كانه بلغ اليهما وجاء اليه وامره اي هو كائن من غير رجوع
كان منهما على ما يقوله اهل التأويل والله اعلم وقوله عز وجل وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ذكر انه رأى
وليس فيه ذكر انه رأى في المنام ولكن ذكر في آخره الرؤيا دل انه رأى في المنام بقوله ان كنتم للرؤيا تعبرون وفيه
ان من الرؤيا ما هو حق ولها حقيقة ومنها باطل لا حقيقة لها لانه قال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا
تعبرون قالوا اضغاث احلام فكان الرؤيا هي حق ولها حقيقة تأويل عواقبها واضغاث احلام لا حقيقة لها وقوله
عز وجل اني ارى سبع بقرات سمان اما البقرات هي السنون هي المخصبات الواسعات ياكلهن سبع عجاف العجاف
هن المجدبات وسبع سنبلات خضر السنبلات وخضر عبارة عما يحصد واخر يابسات عبارة عما لا يحصد فيه

دلالة ان في الرؤيا ما يكون مصرحا مشارا اليها يعلم بالبديهية ومنها ما يكون كناية مبهما غير مفسر لا يعلم الا
بالنظر فيها والتفكر والتأمل لانه قال اري سبع بقرات وسبع هو سبع لا غير وبقرات هن كناية عن السنين
وسمان كناية عن الخصب والسعة يأكلهن على حقيقة الاكل لا غير وكذلك سبع عجاف السبع هو سبع والعجاف
كناية عن الشدة والجدب وسبع سنبلات هن عين السنبلات وخضر هن كناية عما يحصد ويابسات كناية
عما لا يكون فيه ما يحصد فقضيته ان من الخطاب ما يكون مصرحا مبينا مشارا اليه يفهم المراد منه بالبديهية
وقت قرع الخطاب السمع ومنه ما يكون مبهما غير مفسر فهو على وجهين منه ما يفهم بالنظر فيه والتفكر والتأمل
لا يفهم بالبديهية ولا بالنظر فيه والتفكر الا ببيان يقرن به سوى ذلك على هذا يخرج المخاطبات فيما بين الله
وبين الخلق والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون خاطب الاشراف من قومه
والعلماء بقوله يا ايها الملأ على ما ذكرنا فيما تقدم ان الملأ هو اسم للاشراف منهم والرؤساء وهكذا العادة
في الملوك انهم اذا خاطبوا انما يخاطبون اعقلهم واعظمهم منزلة عندهم واكرمهم مثواهم ودل قوله افتوني
في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون انه انما رأى ذلك في المنام والله اعلم وقوله افتوني في رؤياي لا دلالة فيه كانه
سألهم ان يتكلفوا التعبير للرؤيا التي راها اذا لم يكن لهم بها علم وكذلك الواجب على كل من يسأل عن شيء
لا يعلم ان لا يشتغل به ولا يتكلف علمه اذا لم يكن له به علم حيث قال افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا
تعبرون وقوله عز وجل قالوا اضغاث احلام قال بعضهم اباطيل احلام الكاذبة وقال بعضهم اخلاط احلام
الكاذبة مثل اضغاث النبات تجمع فيكون فيها ضروب مختلفة وهو كما قيل في قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب
به ولا تحنث اي جماعة من اعطان الشجر وقال بعضهم اضغاث احلام الضغث والاضغاث ما لا يكون له تأويل ويقال
لنوع من الكلأ ضغث وهو الحلفاء شبه البردي وغيره وقيل ان الضغث والاحلام هما اسمان لشيء لا معنى
له ولا تأويل وهما واحد واصل الاحلام كان يخرجه من وجهين احدهما العقول دليله قوله ام تأمرهم احلامهم
بهذا اي عقولهم ام هم قوم طاغون والثاني من الاحلام وهو ما ذكرنا من الحلم كقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الاية
فيشبه ان يكون يخرج على هذا لان الصبي ما لم يعقل لا يلعب به الشيطان ولا يحتلم كان الاحلام هو من لعب
الشيطان به فسمى الرؤيا الباطلة الكاذبة احلاما لانها من لعب الشيطان به كما سمي احتلام الصبي حلما لانه
اذا بلغ العقل لعب به الشيطان وقوله عز وجل وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يحتمل قوله تعالى وما نحن
بتأويل الاحلام بعالمين لانه لا تأويل لها كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين
اي لا شفيع لهم ويحتمل قوله وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين لها تأويل ولكن نحن لا نعلمها والله اعلم وقوله
عز وجل وقال الذي نجا منهما من الهلاك وهو الساقي الذي ذكر وقوله عز وجل وادكر بعد امة اي تذكر بعد
امة ههنا الحين اي ذكر بعد حين ووقت كقوله ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة قيل حين ووقت
معدود وقال الحسن وادكر بعد امة اي امة من الناس ويقرأ بعد امه قال ابو عوسجة الامه النسيان والسهو اي
تذكر بعد نسيان وسهو كقوله فانساه الشيطان ذكر ربه يقال منه في الكلام امه يامه امها
فهو امه وامه اي نسي والامة من الامم والقرون التي مضت والامة النعمة والامم جميع والامة ايضا الدين
والسنة كقوله انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون اي على دين ويقال الامة القامة ايضا يقال
فلان حسن الامة اي حسن القامة ويقال الامم القريب فهو يحتمل ههنا الوجهين الذين ذكرناهما اي ذكر بعد
حين ووقت او بعد نسيان من قرأه بالنصب والله اعلم وقوله عز وجل انا انبئكم بتأويله معناه اي انا انبئكم ببيان
تأويلها لانه كان ينبئهم هو بنفسه الا ترى انه قال فارسلون يوسف فيه اضمار كانه قال فارسلون الى
يوسف وليس في تلاوة الاية انه ارسل اليه ولا اتيانه اليه ولكن فيه دليل ارسل اليه فاتاه فلما اتاه قال له
ايها الصديق قيل الصديق هو كثير الصدق كما يقال سكيت وفسيق وسكير اذا كثر ذلك منه والصديق هو الذي
لم يؤخذ عليه كذب قط او سماه صديقا لما عرف انه رسول الله وهو ما قال في ابراهيم انه كان صديقا نبيا
او يقول انا انبئكم بتأويله اي انا اتعلم منه فانبئكم بتأويله وقوله عز وجل افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن
سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فافتاها له وعبرها عليه وهو ما قال تزرعون سبع سنين
دأبا الى آخر ما ذكر وقوله ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون هذا
تعبير رؤيا الملك الذي ساله وقوله عز وجل لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون هذا يحتمل وجوها يحتمل
يعلمون ان هذه الرؤيا حق ولها حقيقة ليس كما قال اولئك اضغاث احلام والثاني يعلمون فضلك على غيرهم
من الناس او يعلمون انك تصلح لحاجتهم التي في حال يقظتهم فيرفعونها اليك كما صلحت ما كان لهم في حال نومهم
ثم علمهم الزراعة وجمع الطعامات والادخار انه كيف يدخر حتى يبقى الى ذلك الوقت فقال تزرعون سبع سنين
دأبا قال بعضهم اي دائما اي تداومون الزراعة فيها وقال ابو عوسجة دأبا من الدوب من الجد والتعب وقال
القتبي دأبا اي جدا في الزرع ومتابعة وكله واحد وقوله عز وجل فما حصدتم فذروه في سنبله لا تنقوه
لان ذلك ابقى له من اذا ابقي وهو الا قليلا مما تأكلون فتنقونه ان شئتم اي قدر ما تأكلون وقوله ثم يأتي من
بعد ذلك سبع شداد قيل مجدبات من الشدة ياكلن ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم لهن الا قليلا مما تحصنون

قال بعضهم تدخرون وقال بعضهم تحرزون قال ابو عوسجة احصنتم اي ادخرتم وقوله عز وجل ثم ياتي من بعد
ذلك عام فيه يغاث الناس قال بعضهم هو من الغيث وهو المطر اي يمطرون وقيل يغاثون بالمطر من الاغاثة
والغوث وقوله عز وجل وفيه يعصرون قال بعضهم هو من عصر الاعناب والدهن والزيت وغيره انما هو اخبار
عن الخصب والسعة وقال بعضهم قوله يعصرون اي ينجون يقول من العصر يعني النجاة اي يلجاون الى الخصب والعصرة النجاة
وهو قول ابي عبيدة واما قول غيره من اهل الادب والتاويل فهو من العصر يعني عصر العنب وغيره والله اعلم وقوله
عز وجل وقال الملك ائتوني به يعني يوسف للرجل اذكرني عند ربك انما طلب بذلك براءة نفسه فيما اتهم به ليس كما قاله
اهل التاويل لانه لو كان غير ذلك لا يرد الرسول اليه ولكنه خرج والله اعلم وقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن
ايديهن يحتمل هذا وجهين احدهما اعنّ على كيدهن حتى بعد ان جعلن على ذلك والثاني ليعلم الملك براءته مما قرف به واتهم
وقوله عز وجل ان ربي بكيدهن عليم انهن كدن ثم قال لهن الملك ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هذا يدل
ان الملك قد علم انهن راودن يوسف عن نفسه لانه قال ما خطبكن اذ راودتن ولم يقل لهن من راودن ام لا ولكنه قطع
القول فيه وقوله عز وجل قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء بداتهن حتى اقررن انه كان بريئا مما قرف به واتهم ثم اقرت
امراة الملك بعد ذلك لما اقر النسوة فقالت الان حصحص الحق قيل الان تبين الحق وتحقق انا راودته عن نفسه وانه
لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي وقوله ما خطبكن ما شانكن وامركن والخطب الشان راودتن قد ذكرنا
وقوله قلن حاش لله قيل معاذ الله وقيل هي كلمة تنزيه وتبريه من القبيح وقوله ما علمنا عليه من سوء
قال اهل التاويل الزنا ولكن قوله ما علمنا عليه من سوء هو الذي قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا هو ذلك
السوء قالت انه اراد بها قلن ما علمنا منه ذلك وقوله حصحص الحق قد ذكرنا انه تبين الحق وفي قوله ما علمنا عليه من
سوء دلالة انه لم يكن منه ما قاله اهل التاويل من حل السراويل وغيره لانه لو كان منه ذلك لكن قد علمن منه السوء
وقوله عز وجل ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قوله ذلك الرد الذي كان منه وترك الاجابة لرسول الملك حيث قال ائتوني
ليعلم الملك اني لم اخنه بالغيب في اهله اذا غاب يعني رد القولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا وتصديقا لقوله حيث قال
هي راودتني عن نفسي وقال بعض اهل التاويل ذلك ليعلم الله اني لم اخنه يعني الزوج بالغيب لكن هذا بعيد لانه
قد علم يوسف ان الله قد علم انه لم يخنه بالغيب وقوله هل لنا من بلها قال يوسف ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال لهم
الملك ولا حين هممت بها هممت ما هممت فقال وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء هذا مما لا يعلمه وقد ذكرنا التاويل
في قوله ولقد همت به وهم بها ما لا يحل ولا يسع ان يتكلم به وفسادنا ويل اهل التاويل من الوجوه التي ذكرنا ومعنى قوله
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي عصم ربي والله اعلم انه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغيب لما عصمني الله عن ذلك ولو لم يكن عصمني لكنت اخبرت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي ما عصم
ربي لان النفس جبلت وطبعت على الميل الى الشهوات واللذات والهوى فيها والرغبة والنفور عن المكروهات
والشدائد الا ترى انه قال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فاما من طغى واثر
الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى اثبت للنفس الهوى وايثار الحيوة الدنيا وشهواتها هذا يدل ان قوله رب
السجن احب الي مما يدعونني اليه هو محنته لا اختيار والايثار في الدين لا ما تختار النفس وتؤثر النفس بدا اختيارا وتؤثره
ما هو الذ واشهى وتنفر عن الشدائد والمكروهات على هذا طبعت وجبلت وقوله عز وجل وان الله لا يهدي كيد الخائنين اي
لا يجعل فعل الكيد والخيانة هدى ورشدا انما يجعل فعل الكيد والخيانة ضلالا وغواية وقوله عز وجل وقال الملك
ائتوني به استخلصه لنفسي اصدر لرايه واطيع امره في هذا يقع استخلاصه اياه ولذلك قال مكنا ليوسف الاية
الا يرا ان يجعله لحاجة نفسه خالصا دون الناس لا يشرك غيره فيه دلالة ما ذكر في حرف حفصة انك
اليوم لدينا مطاع امين وقوله عز وجل فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم يذكر فيه انه اتي به ولكن
قال فلما كلمه فهذا يدل انه قد اتي به وان لم يذكر انه اتي به حيث قال فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قيل المكين
الامين قيل المكين الوجيه وقيل المكين الامين المرضي عندنا والامين على ما ائتمنا عليه وقوله عز وجل قال اجعلني
على خزائن الارض سال هذا لما علم انه لا يلي ويسعهم القيام باصلاح ذلك الطعام وعلم انه لو ولي غيره الخزائن
لم يعرف انزال الناس منازلهم في تقديم من يجب تقديمه والقيام بحاجة الاحوج من غيره وعلم انه اليه يرجع
ويقع حوائج اكثر الناس بمنازلهم وبر قوام ابدانهم فسال له ليقوم بذلك كله وعلى يديه يجري وكذلك كان اني
حفيظ عليم قال بعضهم حفيظ بما وليت عليم بامره وقيل حفيظ لما في الارض من غلة عالم بها وعن ابن عباس رضي
الله عنه حفيظ لما ولي عليم بالناس وقيل حفيظ بصير بتقدير عالم بساعات الجوع حين يقع اني حفيظ لما
استحفظت عليهم بحوائج الناس وعليم بتقديم الاحق وقوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض يقول والله
اعلم كما برانا يوسف مما قرف به واظهرنا براءته منه مكناه في الارض حتى احتاج اهل نواحي مصر واهل الافاق
اليه او ان يقال كما حفظناه ونجيناه مما قصد به اخوته من الهلاك تمكن في الارض وجائز ان يكون قوله وكذلك
مكنا ليوسف جوابا كما مكنا ليوسف في الارض بعد ما اخرج من عليه الابراء والغم كذلك نمكنك في الارض وتؤوى
بعد ما اخرجك من عليه اباك وقوله عز وجل يتبوا منها حيث يشاء اي ينزل منها حيث يشاء او يسكن منها حيث يشاء
وقوله عز وجل نصيب برحمتنا من نشاء يحتمل قوله برحمتنا سعة الدنيا ونعيمها كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة

فلا يمسك

فلا ممسك لها ويحتمل برحمتنا امر الدين من النبوة والعصمة وهو على المعتزلة لانهم يقولون ليس ان يختص
احدا برحمته ولا يصيب من رحمته انسانا دون انسان وعلى قولهم لم يكن من الله الى رسول الله من الرحمة الا وكان
الى ابليس مثله وقوله عز وجل ولا نضيع اجر المحسنين اي نضيع اجر من احسن صحبة الله في الدنيا والاخرة اي يجزيه
جزاء الحسنى او يقول ولا نضيع اجر من احسن صحبة نعم الله وقبلها بالشكر له وقوله عز وجل ولاجر الاخرة خير للذين
امنوا اي ثواب الاخرة واجرها خير لهم من ثواب الدنيا واجرها وقوله امنوا صدقوا وكانوا يتقون الشرك او امنوا
صدقوا وكانوا يتقون المعاصي والفواحش وقوله عز وجل وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
لما اراد الله يبلغ امر يوسف فيهما اراد ان يبلغ جعلهم بحيث لا يعرفونه لذلك قال فعرفهم وهم له منكرون اي
لا يعرفونه كقوله قوم منكرون اي غير معروفين عند ابراهيم والمنكر هو الذي لا يعرف في الشرع ولا في العقل وقوله
عز وجل ولما جهزهم بجهازهم اي اعطى لهم الطعام الذي طلبوا منه قال ابو عوسجة الجهاز المتاع واجهازا ايضا متاع
المراة التي تجهز بها ولا يقال جهازا بخفض الجيم وقال اهل التاويل ان يوسف عليه السلام قال لهم حين دخلوا عليه
انتم عيون بعثكم ملككم تنظرون الى اهل مصر ثم تاتونه بالخبر وتاتنا بكذا ذلك مما لا نعلمه انه قد كان قال لهم
ذلك من الكلمات التي قالوا انه قال لهم كذا وقالوا هم له كذا وكذا رجلا فهلك منا كذا ولنا اب كذا مثل هذا الا
كلام بعض العوام العلوم والله اعلم وقوله عز وجل قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين
مثل هذا لا يحتمل ان يقوله يوسف ابتداء على غير سبب وكلام كان هنالك لكنه لم يذكر الذي كان ونحن لا نعرف
ما الذي كان جرى هنالك فيما بينهم وكذلك قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اما اهل التاويل
فانهم قالوا قال لهم ائتوني باخ لكم الاخر ما ذكر لا ترك لها قال انكم جئتم تسبوننا ملككم فامر بحبسهم فقالوا نحن بنو يعقوب
النبي وكنا اثني عشر رجلا فهلك منا رجل في الغنم ووجدنا على قميصه دما فاتينا ابانا تخلينا كذا وقد خلفنا
عند ابينا اخاله من امه الذي هلك فعند ذلك قال لهم ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير
المنزلين لكن هذا الذي ذكروا لا يكون سببا لقوله ولا جوابا له وقد ذكرنا انه لا يصح هذا الكلام مبتدا لكنا نعلم
بالعقل انه كان هنالك سبب ومعنى امر يوسف ان يقول لهم ذلك والله اعلم ويحتمل ان لهم يوسف لا كيل لكم عندي
ولا تقربون وهو كان يعلم ان اباه يعقوب يحتاج الى طعام ويعرف حاجتهم في ذلك هذا لا يسع الا بسبب كان
ثم فامر يوسف بذلك وقوله فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فيما يستقبل اي لا تاتوني والله اعلم ويحتمل قوله الا ترون
اني اوفي الكيل وجهين احدهما قال ذلك لهم انه يوفي لهم الكيل لان اهل ذلك المكان كانوا ينقصون ويبخسون
الكيل في الضيق فقال لهم الا ترون اني اوفي الكيل ولا ابخس والثاني لا ترى اوفي الكيل على غير المحاجة وكان يجعل العشر
الطعام على المحاجة لضيق الطعام اي اوفي الكيل على قدر الحاجة وانا خير المنزلين في الاحسان اليكم والتوسيع
عليكم لان اهل ذلك المكان لا يحسنون الى النازلين بهم ولا يوسعون عليهم لضيق الطعام وكان قوله الا ترون
اني اوفي الكيل مؤخرا عن قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون كانه قال ائتوني باخ لكم من ابيكم فان
لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فعند ذلك قال الا ترون اني اوفي الكيل والله اعلم وقوله عز وجل سنراود عنه
اباه وانا لفاعلون هذا الكلام في الظاهر ليس هو جواب قول يوسف وانا لفاعلون جوابا فلا يحتمل حيث قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم وجوابه ان يقولوا له ناتي به او لا ناتي فاما ان يجعل قولهم سنراود عنه اباه وانا لفاعلون جوابا له
فلا يحتمل مع ما ان في قلوبهم سنراود عنه اضطراب يملكون او لا يملكون قولهم وانا لفاعلون على القطع لكن
يشبه ان يخرج على وجهين احدهما على الاضمار سنراود عنه اباه فان اذن له وانا لفاعلون ذلك او على التقديم
والتاخير يكون جواب قوله ائتوني باخ لكم في قولهم وانا لفاعلون كانه لما قال لهم يوسف ائتوني باخ لكم
من ابيكم قالوا انا لفاعلون ثم قالوا فيما بينهم سنراود عنه اباه على هذين الوجهين يشبه ان يخرج والله
اعلم وقوله ابو عوسجة المراودة المحاورة وهي شبه المخادعة وهي المعالجة وقيل سنراود اي سنجتهد ونطلب
وقوله عز وجل وقال لفتيانه والفتية الغلمان والفتيان المماليك اجعلوا بضاعتهم في رحالهم قيل جعلوا دراهمهم
في الاوعية لما ان الهبة قد تقع وان لم يصرح بها اذا وقع في يدي الموهوب له وقبضه وان لم يعلم هو
بذلك وقت ما جعل له لان يوسف جعل بضاعتهم في رحالهم هبة لهم منه وهم لم يعلموا بذلك وهو وقت ما
جعل ذلك لهم ملكا ليوسف ولهذا قال اصحابنا ان من وضع ماله في طريق من طرق المسلمين ليكون ذلك ملكا
لمن رفعه كان ما فعل والله اعلم وقوله عز وجل لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون هذا يحتمل
وجهين احدهما يرجعون مخافة ان يعرفوا بالسرقة والثاني ما قاله اهل التاويل لما تخوف يوسف ان يكون عند
ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخرى فجعل دراهمهم في اوعيتهم لكي يرجعوا الينا فلا يحبسهم عنا عدم
الدراهم لانهم كانوا اهل ماشية وقوله عز وجل فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فيما يستقبل و
يبانا في قوله فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون فارسل معنا اخانا نكتل بالنون وبالياء يكتل بالنون
اقرب لانهم قالوا منع الكيل فارسل معنا اخانا نكتل عن تشبيه ويكتل هو ان ارسلته وانا له لحافظون لا يحتمل
ان يقولوا له هذا من غير سبب كان هنالك من خوف خاف عليه ابوهم من ناحيتهم وتهمة اتهمهم لانه كان
الخوف من ابيهم خاف عليه ان يضيعوه او ان يستقبله امر يعينوه او امر كان لم يذكر ولسنا ندري ما ذلك

المعنى والله اعلم بذلك قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه هل تحفظونه الا كما حفظتم اخاه يوسف من قبل وفي هذا دلالة ان من ظهرت منه تهمة او خيانة في امر يجوز ان يتهم فيما لم يظهر شيء حيث اتهمهم يعقوب في ابن يامين بخيانة كانت منهم في يوسف وان لم يظهر له منهم في اخيه شيء وهو حجة لاصحابنا ان من ظهر فسقه في شيء او كذبه في شيء صار مجروح الشهادة في غيره وقوله فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين اي ان ارسلته فانما اعتمد على حفظ الله واليه اكل في حفظ لست اعتمد على حفظكم وهو ارحم الراحمين اي هو بكل مكروب وملهوف ارحم من لان كل من يرحم انما يرحمه برحمته ناله منه والله اعلم وقوله عز وجل ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم هذا قد ذكرنا وقوله عز وجل قالوا يا ابانا ما نبغي سوى الثمن فقد ردت الينا دراهمنا او يكون قوله ما نبغي وراء هذا اكبر شيء انما نبغي ثمن بعير واحد بعير لانه قد ردت بضاعتنا وهو ثمن عشرة ابعرة ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير لانه ذكر ان يوسف كان لا يعطي كل رجل الا حمل بعير واحد ولا يعطي اكثر من ذلك فقالوا ونزداد كيل بعير به ومن اجله ذلك كيل يسير قال بعضهم ذلك كيل يسير اي سريع لا حبس فيه وقال بعضهم وذلك كيل يسير اي يسير علينا الكيل ولا يحبس عنا الطعام ولا يثقل عليه ذلك بقوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم فان لم ناته به فلا كيل لنا وقد حبسنا عنه والله اعلم ويشبه ان يكون فيه وجه اخر اقرب مما قالوا وهو ان قوله ذلك كيل يسير اي طلب ثمن كيل بعير يسير لانه قد ردت اليهم بضاعتهم وهو ثمن كيل عشرة ابعرة فانما احتاجوا الى ثمن كيل بعير واحد فقالوا طلب ثمن كيل بعير واحد يسير وتكلفه سهل وهو ثمن كيل بعير ابن يامين والله اعلم وقوله عز وجل قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اي حتى تاتوني بمواثيق من الله وبعهود منه لتاتنني به فيه دلالة انه وان كان فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين واعتمد في الحفظ على الله ورأى الحفظ منه لم يرسله معهم الا بالمواثيق والعهود من الله وهذا امر ظاهر بين الناس انهم وان كان اعتمادهم على الله واليه يكلون في جميع امورهم في الاموال والانفس ومنه يرون الحفظ فانه يأخذ بعضهم من بعض المواثيق والعهود وفعل ذلك يعقوب انه وان اخبر ان اعتماده وكلاءته في حفظ ولده على الله لم يرسله معهم الا بعد ما اخذ منهم العهود والمواثيق لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان يجمعكم امر يعمكم ويحيط بكم الهلاك جميعا فعند ذلك تكونون معذورين فاما ان يخص به امر فلا والثاني الا ان يجيء امر عظيم يمنعكم عن رده كانه خاف عليه من الملك حيث طلب منهم ان يأتوه به وقوله عز وجل فلما اتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اي الله على المواثيق والعهود التي اخذتها منكم شهيدا ويقول الله له حفيظ كما قال فالله خير حافظا والله اعلم وقوله عز وجل يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال بعضهم من اهل التأويل ان يعقوب خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي صور وجمال وبهاء فخشي عليهم العين لذلك امرهم ان يدخلوا متفرقين وقال بعضهم خشي عليهم البيات والهلاك لانهم كانوا اهل قوة ومنعة فيخافهم اهل قوة ومنعة فيخافهم اهل البلد ويتهمون منهم السرقة فامرهم بالتفرق وهو قول ابن عباس فاذا كانوا متفرقين فلا يهلكون الكل وانما يهلك بعض وينجو بعض ولا بد ما ذا ذهب وقال بعضهم علم يعقوب انهم لا يهلكون لما راى يوسف من الرؤيا ان يسجد له اخوته ولكن خاف عليهم ان يصيبهم النكبة لذلك امرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة او سكك متفرقة او من طرق متفرقة او لما قالوا وقوله عز وجل وما اغني عنكم من الله من شيء اي لا ادفع عنكم من الله من شيء ان اصابكم نكبة او عين قال قيل لو كان امره اياهم بالتفريق لخوف العين او لخوف اهل البلد منهم السرقة والاغارة كيف لم يأمرهم بذلك في المرة الاولى وخوف العين لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع ما ذكر ابن عباس رضي الله عنه انه يخاف فيهم اهل البلد اذا اروهم مجتمعين اتهمهم لصوص وانهم كذا ولكن ان يكون في المرة الاولى لم يخش ذلك لما قد يقع الاجتماع في امثال ذلك من الرفقاء والجماعات فلا يكون في ذلك الخوف الذي ذكروا واذا عادوا في المرة الثانية قد يحتمل ذلك الخوف من العين وغيره اذا علم اهل البلد ان ذلك العدد تحت اب واحد امرهم بالتفرق الابواب بمحنة امتحن بذلك وامر بها والمعنى غاب عنا لا نحتاج اليه والله اعلم وقوله وما اغني عنكم من الله من شيء اي لا ادفع عنكم بما احتال ما قدر الله وقضاه ان يصيبكم لا محالة وينزل بكم ان الحكم اي ما الحكم في ذلك الا لله ما في حكمه قضاء ان يصيبكم فيصيبكم لا محالة وقوله عز وجل وعليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون هذا اصل كل امر يخاف المرء وان يأخذ بالحذر ويتوكل مع ذلك على الله على ما امر يعقوب عليه السلام بنيه بالحذر في ذلك ثم توكل على الله في ذلك والحذر هو العادة في الخلق والتوكل تفويض الامر الى الله والاعتماد عليه والله اعلم وقوله ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان يغني عنهم من الله من شيء اي ما كان يدفع ذلك عنهم ما حكم الله عليهم انه يصيبهم وقوله عز وجل الا حاجة في نفس يعقوب قضاها الحاجة في النفس احد شيئين اما الرغبة واما الرهبة كقوله ولا يجدون في صدورهم حاجة ففعل ذلك حاجة يعقوب لا تخلو اما ان كانت رغبة في تفرقهم او رهبة في اجتماعهم قضى تلك الحاجة وقوله عز وجل وانه لذو علم لما علمناه يشبه ان يكون هذا صلة ما قال يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة اي وانه لذو علم لما امرهم بالدخول على التفرق والنهي عن الاجتماع وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه ما اراد بقوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وعن ابن عباس رضي الله ولما دخلوا من ابواب متفرقة وعن ابن عباس رضي الله ولما دخلوا

من حيث امرهم ابوهم من السكك المتفرقة ما كان يغني عنهم من قضاء الله شيئا الا حاجة في نفس يعقوب قضاها خايفا بدا ها فتكلم بها وانه لذو علم لما علمناه يقول لما علمناه وقيل حافظ لما علمناه وقيل عالم به وقيل لذو علم لما علمناه اي عمل بجميع ما علم وانتفع به ولكن اكثر الناس لم ينتفعوا بما علموا ويحتمل وانه لذو علم بقصة يوسف من اولها الى اخرها لما اخبرناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك وجائز ان يكون قوله وانه لذو علم لما علمناه اي ما اصابه من الحزن بذهاب يوسف واخيه وما اصابه من الشدة والنكبة لم يؤثر ذلك في علمه الذي علمناه وان اثر ذلك في نفسه وبدنه اي علمه بما علمناه بعد ما اصابه كهو ما كان قبل ذلك لم يعمل فيه ولم يؤثر وعن الحسن فيما اظن في قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة قال اما والله ما كانت به طيرة يتطير بها ولكن قد علم وظن ان يوسف سيلقى اخاه فيقول اني انا اخوك واكثر اهل التأويل قالوا قوله الا حاجة في نفس يعقوب قضاها اي خيفة العين على بنيه لجمالهم وبهائهم وحسن صورهم ولما يكون لواحد كذا وكذا عددا من البنين فيقصدون قصدهم بالنكاية عليهم لما ذكرنا وما اراد بذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه هذا يحتمل وجهين يحتمل انهم لما دخلوا البلد الذي فيه دعا يوسف اخاه وضمه اليه ويحتمل انهم دخلوا جميعا على يوسف فضم اخاه الى نفسه فقال اني انا اخوك قال بعض اهل التأويل لم يقل له انا اخوك بالنسبة ولكنه قال انا اخوك مكان اخيك الهالك وقوله عز وجل فلا تبتئس يقول لا تحزن بما كانوا يعملون هذا يحتمل وجهين يحتمل لا تبتئس بما كان عمل اخوتك كانه لما دعاه فضمه الى نفسه شكا اليه عن اخوته فقال عند ذلك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ويحتمل فلا تبتئس بما يعمل بك هؤلاء اي خدمه وعماله كانه اخبره بما كان يريد ان يكيدهم من جعل الصاع في رحله فقال فلا تبتئس بما كانوا يعملون بك لانه لا يجوز ان يجعل اخاه متهما يعرف به من غير ان ظهر منه شيء وقد اخبره انه اخوه والله اعلم دل انه اراد ان يعلمه مما يريد ان يكيدهم ليكون هو على علم من ذلك وقوله عز وجل جعل السقاية في رحل اخيه السقاية قيل هي الاناء الذي كان يشرب فيه الملك وقيل هو الصاع الذي كان يكال به الطعام ولكن لا نعلم ما كان ذلك سوى انا نعلم انها كانت ذات قيمة وثمن الا ترى ان ذلك الرسول قال ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم فلولا انها كانت ذات قيمة وثمن لم يعط لمن جاء به حمل بعير الطعام وكان قيمة الطعام عندهم في ذلك الوقت ما كان ثم اذن مؤذن اي نادى مناد انكم لسارقون لا يحتمل ان يكون يوسف يأمر رسوله ان يقول لهم انكم لسارقون وقد علم انهم ليسوا بسارقين ولكن قال لهم ذلك المنادي ذاه والله اعلم انكم لسارقون من نفسه وهو من بعض من يتولى كيل الطعام على الناس وامثاله لا يبالون الكذب او قال لهم ذلك قوم كانوا بحضرتهم ايتها العير انكم لسارقون او ان يكون على الاستفهام والتقرير فان كان هذا فهو يحتمل من يوسف واما غيره فلا لانه كذب وضم يوسف اخاه يحتمل وجهين يحتمل لمكان سؤاله اياهم ان يأتوا به او لمكان فضله ومنزلته ليعلموا ان ما كان ليوسف واخيه عند ابيهم من فضل المحبة والمنزلة من الله اذ جعل ذلك لهما عند الملك وغيره والله اعلم وقوله عز وجل قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك اي اناء الملك سماه مرة صاعا ومرة سقاية فيجوز ان يستعمل في الامرين جميعا في الاستسقاء والكيل جميعا قالوا لمناد به ماذا تفقدون قال ابو عوسجة اي اضللتم يقال افتقدته وتفقدته اي تعهدته وقال القتبي فلا تبتئس هو من البؤس والسقاية المكيال وقيل مشربة الملك وصواع الملك وصاعه واحد وقوله عز وجل ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قيل ضمين لذلك الطعام وكفيل به والزعيم كان ايضا اسم لرئيس القوم وقوله عز وجل قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين هذا يحتمل وجوها يحتمل انهم قالوا ذلك لانكم رددتم الينا الدراهم وجعلتم في اوعيتنا ثم رددنا عليكم مخافة ان نعرف بالسرقة والفساد في الارض فكيف تفرقونا بهذا والثاني انكم تعلمون انا ابناء النبي والرسول والانبياء لا يكون منهم السرقة والفساد في الارض ومثل هذا لم يظهر في اهل بيتنا قط ولا قرفنا به فكيف قرفتمونا بهذا والثالث انكم ترونا صوامين قوامين هذا فعله فانه لا يتهم بالسرقة او ان يكون قوله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض لما رأوهم دخلوا من ابواب متفرقة ولو كانوا سراقا لدخلوا مجموعين لان عادة السراق الاجتماع لا التفرق ثم قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين اي ان كان فيكم من يكذب ويظهر ذلك منه فما جزاؤه قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله فهو جزاؤه اي يصير رقيقا مملوكا بماله او يصير محبوسا بها عنده والله اعلم وقوله عز وجل فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ظاهر هذا الكلام ان يكون يوسف هو الذي فتش اوعيتهم وطلب ذلك فيها حيث نسب ذلك اليه بقوله قبل وعاء اخيه لكنه نسب اليه لما يأمر فتش اذ الملوك لا يتولون ذلك بانفسهم وفيه انه قد فصل بينهم وبين ابن يامين سماه هذا اخاه ولم يسم اولئك بقوله بدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه وهو يخرج على وجهين احدهما انه قد ذكر هذا انه اخوه حيث قال له اني انا اخوك ولم يذكر اولئك فسمى هذا الحالة ونسب اليه بالاخوة لما كان ذكر له ولم يسم اولئك لما لم يذكر لهم انه اخوهم والثاني انه لم يكن لهذا اعني ابن يامين لمكان يوسف سوء صنيع ولا شرك بل هو على الاخوة والصداقة التي كانت بينه وبينه واما اولئك اعني غيره من الاخوة فقد كان منهم اليه ما كان من سوء صنيعهم وقبح فعالهم فخرج ذلك مخرج التبري من الاخوة

بسوء ما كان اليه وهو كقوله لنوح عليه السلام انه حين قال ان ابني من اهلي يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح نفى
ان يكون من اهله بسوء عمله وفعله غير صالح فعلى ذلك الاول يشبه ان يكون على هذا والله اعلم وقوله عز وجل ثم
استخرجها من وعاء اخيه دل هذا انه قد كان منه ايضا التفتيش والطلب في وعاء اخيه على ما كان في اوعيتهم
لا يستخرجها على غير تفتيش وقوله عز وجل كذلك كدنا ليوسف هذا يحتمل وجهين يحتمل كذلك كدنا اي علمنا
يوسف من اول الامر الى اخره ما يكيد ويحتال في امساك اخيه عنده ومنعه عنهم لان يخلولهم وجه ابيهم
جزاء ما طلبوا هم ان يخلولهم وجه ابيهم بتغييب يوسف عن ابيه لان اباهم قال حتى تؤتون موثقا من الله
لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما ابلغه ذلك الخبر تولى عنهم وهو قوله وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف
الاية هذا والله اعلم جزاء كيدهم الذي كادوا يوسف ليخلولهم وجه ابيهم ليتولى عنهم ابوهم هذا
يشبه ان يكون والثاني كدنا ليوسف اي علمناه ان كيف تفتيش وعيتهم لئلا يشعروا هم عن علم استخرجها من
وعاء اخيه لا عن جهل وظن نعلمه البداية في التفتيش باوعيتهم لئلا يقع عندهم انه عن علم ويقين باخذه
يشبه والله اعلم ان يخرج قوله كذلك كدنا ليوسف على هذين الوجهين او كدنا ليوسف بالكيد بهم جزاء
ما عملوا بمكانهم لما اهتموا بامساك اخيهم وقوله عز وجل ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكم الملك
ذكر ان حكم اخوة يوسف وقضاهم فيهم ان من سرق يكون عبدا بسرقته للمسروق ويستعبد بسرقته ومن
حكم الملك ان يغرم السارق ضعفي ما سرق ويضرب ويؤدب ثم يخلى عنه ولا نعلم ما حكم الملك في
السرقة سوى انه اخبر انه ليس له اخذ اخيه في دين الملك وقوله عز وجل الا ان يشاء الله ان يجعل
ذلك الحكم حكم الملك ويجعل له حق الاخذ وحبسه وان لم يكن ذلك في حكمه او ان يكون قوله الا ان يشاء
الله على ما كان من ابراهيم ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي الاية وكان الانبياء صلوات الله عليهم
وسلامه يذكرون الثنيا على حقيقة المشية او يقول الا ان يكون في علم الله مني زلة فاستوجب عند
ذلك الكون في دين ذلك الملك فيشاء ما علم مني وكذلك قول ابراهيم حيث قال ولا اخاف ما تشركون به الا
ان يشاء ربي شيئا اي لا اخاف ما تشركون به الا ان يكون مني ما استوجب ذلك بزلة فيشاء الله ذلك
مني وقوله عز وجل نرفع درجات من نشاء الدرجات هي الفضائل يرفع بعضهم فوق بعض بالنبوة والعلم
وفي كل شيء وفوق كل ذي علم عليم ما من عالم وان لطف علمه وكثر الا وقد يكون فوقه من هو الطف علما منه
واكثر واعلم في شيء او يكون قوله وفوق كل ذي علم عليم وهو الله تعالى فوق كل ذي علم يطلعهم العلم والله
اعلم من يقول انه عالم لا بعلم يحتج بظاهر هذه الاية حيث قال وفوق كل ذي علم عليم اثبت لنفسه العلم ولم
يذكر لنفسه بل قال عليم لكنه اذا قال عليم اثبت العلم ولانه اذا قال وفوق كل العلماء عليم يكون كذلك وقوله عز وجل
ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قال بعض اهل التأويل كانت سرقته انه كان صنم من ذهب لجده
ابي امه يعبده فسرق ذلك لئلا يعبد دون الله ولكنا لا نعلم ذلك ونعلم انهم كذبوا في قولهم فقد سرق
اخ له من قبل وارادوا ان يتبرؤا منه وينفوا ذلك عن انفسهم ليعلم انه ليس منهم فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها
لهم قال انتم شر مكانا عند الله قيل ان يوسف اسر هذه الكلمة في نفسه لم يظهرها لهم او اسروا ما اتهموه
بالسرقة وجائز ان يكون ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل خاطبوا به اخاه ابن يامين دون يوسف ان
سرقت فقد سرق اخ له من قبل يقولون فيما بينهم وقد ذكر في بعض الحروف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل
بالتشديد فان ثبت فالتأويل هو لقولهم وقال بعضهم قوله انتم شر مكانا اي انتم اشر صنعا بيوسف والله اعلم
بما تصفون من الكذب انه سرق اخ له من قبل وقوله عز وجل وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا
مكانه ارادوا والله اعلم ان يرقوا قلبه بهذا ان له ابا شيخا كبيرا لما يكون قلب الشيخ بولده الصغير اميل وهو
عنده اثر واكثر منزلة منا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين لما احسن اليهم في الكيل والانزال
في المنزل والضيافة قد رأوا القرى فدراوه وعلموه محسنا وقوله عز وجل قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا
متاعنا عنده قيل هذا قول يوسف معاذ الله اي اعوذ بالله اي نأخذ ونحبس بالسرقة الا من وجدنا متاعنا
عنده فان قيل كيف تعوذ على ترك اخذه واخذ غيره مكانه ولم يكن وجب له حق الاخذ اذ لم يكن سرقة
وانما يتعوذ على ترك ما لا يسع تركه قيل انه لم يتعوذ على ترك اخذ اخيه انما تعوذ على غير من وجد المتاع عنده
عنده انا اذا لظالمون عندكم لو اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده اذ في حكمهم اخذ من سرق بالسرقة والحبس
بها والله اعلم وقوله عز وجل فلما استيأسوا منه قيل ايسوا عن ان يرد اليهم اخوهم خلصوا نجيا قيل خلوا
من الناس وخلصوا منهم يتناجون فيما بينهم في امر اخيهم او في الانصراف الى ابيهم او في المقام فيه قال كبيرهم
الم تعلموا قال اهل التأويل كبيرهم في العقل ليس في السن وهو فلان قال بعضهم وهو يهوذا وقال بعضهم هو
شمعون ولكن لا نعلم من كان قائل هذا لهم ولا نحتاج الى معرفة ذلك سوى ان فيه قال كبيرهم اما ان كان كبيرهم
في السن الم تعلموا ان اباكم الم تعلموا والم تروا حرفان يستعملان في احد امرين في الامر ان اعلموا كذا او في موضع
التنبيه والتقرير وههنا كانه قال ذلك على التقرير والتنبيه اي قد علمتم ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
ومن قبل ما فرطتم في يوسف هذا يدل ان التأويل في قوله الا ان يحاط بكم هو الا ان يحكم امر ويجمعكم فتهلكون

فيه جميعا وليس كما قال بعض اهل التأويل الا ان يجيء ما يمنعكم عن رده الا ان تغلبوا فتعجزوا عن رده لانه قد جاء
ما يمنعهم عن رده ثم ابى اكبرهم الرجوع الى ابيه دل ان التأويل هو هذا ومن يقول ان التأويل في قوله
الا ان يحاط بكم الا ان يجيء ما يمنعكم عن الرد استدل بقوله ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
فلو كان على ما يعمهم ويجمعهم لم يكن ليأمرهم بالرجوع الى ابيهم دل انه ما ذكروا اما اهل التأويل الاول
يقولون ان قوله ارجعوا الى ابيكم ليس على الامر ولكن اذا رجعتم الى ابيكم فقولوا ان ابنك سرق وكذلك
يخرج قوله واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها ليس على الامر ولكن لو سألت
اهل القرية واهل العير لاخبروك انه كما قلنا فعلى ذلك قوله ارجعوا ليس على الامر ولكن لو رجعتم اليه فقولوا
كذلك وقوله عز وجل ومن قبل ما فرطتم اي من قبل ما ضيعتم امر ابيكم في يوسف او ضيعتم الله وعهده في
يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي هذا يحتمل وجهين يحتمل حتى يأذن لي ابي بالرجوع اليه اذا
ظهر عنده عذرنا وصدقنا في امر ابنه او يأذن لي ابي بالمنازعة في القتال مع الملك حتى استنقذ اخي
واستخلصه منه او يحكم الله لي في الرجوع ايضا او في القتال معه وهو خير الحاكمين او يحكم الله لي باظهار عذرنا
وصدقنا عند ابينا وهو خير الحاكمين في اظهار العذر لانه اذا حكم باظهار العذر ظهر ذلك في الخلق جميعا
وكذلك حكم غيره لان كل من حكم يحكم يجوز انما يحكم بحكم هو حكم الله فهو خير الحاكمين وكذلك قوله وهو ارحم
الراحمين لان من رحم من الخلق انما يرحم برحمته فهو ارحم الراحمين وقوله عز وجل ارجعوا الى ابيكم
يحتمل على الامر على ما هو في الظاهر ويحتمل ما ذكرنا اي لو رجعتم اليه فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق يشبه
ان يكون هذا منه تعريضا في المخاطبة على ما كان يؤثره على غيره من الاولاد اي الذي كنت تؤثره علينا
بالمحبة وميل القلب اليه قد سرق ويشبه ان يكون ليس على التعريض ولكن على الاخبار على ما ظهر عندهم
من ظاهر الامر وما شهدنا الا بما علمنا بما اخرج المتاع من وعائه وما كنا للغيب حافظين هذا على التأويل
الذي قيل في قوله الا ان يحاط بكم اي يحكم ويجمعكم اي ما كنا نعلم وقت اعطاء الموثق والميثاق انه يسرق
والا لم نعط العهد على ذلك ويحتمل وما كنا للغيب حافظين وقت ما اخرج المتاع من وعائه وانهم انه
سرق او لم يسرق لو هو وضع الصاع في رحله او غيره وضع اي ما كنا نعلم في الابتداء ان الامر يرجع الى
هذا والا لم نخرجه معنا وقوله عز وجل واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا اي لو سألت اهل القرية
واهل العير لاخبروك انه على ما نقول وانا لصادقون على ذلك على ما ظهر لنا من استخراج الاناء من وعائه
والله اعلم وقوله عز وجل قال بل سولت لكم انفسكم امرا فان قيل كيف قال لهم بل سولت لكم انفسكم امرا
وجعل ما اخبروه من تسويل انفسهم وتزيينها ولم يخالفوا هم فيما امرهم في امر ابن يامين ولا تركوا شيئا
مما امرهم به وليس هذا كالاول الذي قال لهم في امر يوسف بل سولت لكم انفسكم لانه قد كان منهم خلاف
لما امرهم به والتعدي على هلاكه فكان ما ذكر من تسويل انفسهم وتزيينها في موضع التسويل والتزيين واما
ههنا فلم يأت منهم اليه خلاف ولا ترك الامر فكيف قال بل سولت انفسكم امرا لكن يشبه ان يكون
قال ذلك لانهم لما اتهموا جميعا بالسرقة فقيل انكم لسارقون قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين قطعوا فيه القول انهم لم يكونوا سارقين وهو كان فيهم فكيف قطعتم فيه القول بالسرقة ان ابنك
سرق ولكن سولت لكم انفسكم امرا من البغض والعداوة من الايثار له وليوسف عليهم والميل اليهما دونهم
حيث قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة والله اعلم فسولت لكم انفسكم بغضكم وعداوتكم
حتى تركتم الفحص عن حاله وامر الا كل من وجد في رحله شيء يكون هو واضع ذلك الشيء بل قد يضع غيره فيه
على غير علم منه وقوله فصبر جميل قد ذكرناه وقوله عسى الله ان يأتيني بهم جميعا قال اهل التأويل قال
يأتيني بهم جميعا لانهم صاروا جماعة يوسف وابن يامين اخوه ويهوذا وشمعون قد تخلفا بسبب حبس يوسف
اخاه او يوسف واخوه وقال بعض اهل التأويل ان جبريل اتى يعقوب على احسن صورة فسأله من يوسف
في الاحياء ام في الاموات فقال بل هو في الاحياء فقال عند ذلك عسى الله ان يأتيني بهم جميعا او علم يعقوب
ان يوسف في الاحياء وانه غيرها لك لما رأى يوسف من الرؤيا من سجود الكواكب والشمس والقمر له علم انه
في الاحياء وانه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه وغير ذلك من الدلائل لكنه كان لا يعلم اين هو فقال ذلك انه
هو العليم الحكيم وقوله عز وجل وتولى عنهم اي اعرض عنهم وعاتبهم حين اخبروه ان ابنه سرق وقال يا اسفى
على يوسف قيل يا حزنا على يوسف وقيل يا جزعا وقال القتبي الاسف اشد الحسرة واصله ان الاسف كانه النهاية
في الحزن اذا بلغ غايته ونهايته يقال اسف وهو النهاية في الغضب ايضا كقوله فلما اسفونا اي لما اغضبونا
انتقمنا منهم وقوله عز وجل يا اسفى على يوسف يحتمل ان يكون لا على اظهار القول باللسان ولكن اخبار عما
في ضميره وذلك جائز كقوله انما نطعمكم لوجه الله اخبر عما في قلوبهم لان قالوا ذلك باللسان ويحتمل القول
به على غير قصد منه وقوله عز وجل فهو كظيم الكظيم هو كف النفس عن الجزع وتردد الحزن في الجوف على غير
اظهار في غير افعاله والجزع هو ما يظهر في افعاله والذي يهيج الغضب الا ان الحزن يكون على من فوقه
والغضب من تحت يده وسبب هيجانهما واحد وان يكون الكظيم هو الذي يستر ويغطي القلب اذا حل به والهم

هو ما يبعث على القصد من الهم هو ما يبعث على القصد من اهتم به والحزن هو على ما تؤثر التغير في الخلقة ولا يظهر في الافعال والجزع يظهر في الافعال ولا يغير الخلقة عن حالها لذلك في ضعف نفس يعقوب وعمل في اهلاكه بعضه حيث ذهبت عيناه وابيضت من الحزن والكظم ما ذكرنا هو الذي يرد الحزن في جوفه ولا يظهره ويكف عن الجزع وقوله عز وجل قالوا تالله يمينهم مكان والله او بالله وكذلك قال ابراهيم تالله لاكيدن اصنامكم وقوله عز وجل تفتؤ تذكر يوسف اى لا تزال تذكر يوسف ولا تنسى ذكره حتى تسلو من حزنه كانهم دعوه الى السلو من حزنه لانه بالذكر يتجدد الحزن ويحدث فقالوا له لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا قيل دنفا وقيل حرضا هرما واصل الحرض الضعف او تكون من الهالكين كذلك صار يعقوب ضعف في بدنه من الحزن وصار بعض بدنه من الهالكين حيث ابيضت عيناه ذهب من الحزن وقوله عز وجل قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله قال القتبي الحرض الدنف والبث اشد الحزن لانه لا صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه اى يشكوه وكذلك روى في الخبر من بث فلم يصبر اى شكا وما ذكر من الشكاية الى الله ليس على اظهار ذلك باللسان ولكن امساك في القلب وقال الحسن اشكو بثي اى حاجتي وحزني الى الله ويشبه ان يكون البث والحزن واحدا ذكر على التكرار وقال بعضهم الحرض الذي ذهب عقله من الكبر او تكون من الهالكين فتموت والله اعلم وقوله عز وجل واعلم من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التاويل قوله اعلم من الله من تحقيق رؤيا يوسف انه كائن ما لا تعلمون انتم وانا سنسجد له وقال ابن عباس رضي الله عنه قوله واعلم من الله ما لا تعلمون انه حي لم يمت وهو ما ذكرنا انه كان يعلم من الله ما لا يعلمون هم ويشبه ان يكون قوله اعلم من الله اى انتفع بعلم ما لا تنتفعون انتم واصله ان اخوة يوسف لو علموا ان امر يوسف يبلغ من الملك والعز ما قصدوا قصد تغييبه عن والده ولا سعوا فيه فيما سعوا من افساد امره لكنهم لم يعلموا والله اعلم وعلم من الله شيئا لم يبين ما لا يعلمون هم كقول ابراهيم وما ذكر اهل التاويل ان يعقوب قال كذا من النياح على يوسف والجزع عليه لا يحتمل ذلك لانه قال حين اخبروه بذلك فصبر جميل وما ذكروا انهم منه ليس هو بصبر فضلا ان يكون جميلا وقوله يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه قال اهل التاويل تحسسوا اطلبوه واستخبروه عنه وعن اخيه لكن غير هذا كانه اقرب وهو من وقوع الحس عليه كانه قال اذهبوا فانظروا اليه والى اخيه لانهم ان لم يكونوا يعلمون ان يوسف اين هو فلقد كانوا يعلمون من حال اخيه ابن يامين انه اين هو فلو كان على الطلب والبحث والاستخبار على ما قاله اهل التاويل ان احتمل في يوسف فذلك لا يحتمل في اخيه اذ هم كانوا يعلمون مكانه واين هو وان كانوا لا يعلمون مكان يوسف ولا اين هو وهو انما امرهم ان يتحسسوا منهما جميعا فدل والله اعلم انه من وقوع الحس والبصر عليهما لا من البحث والطلب والله اعلم فكانه علم بالوحي انه هنالك واخوه معه لكنه لم يخبرهم انه هنالك لما علم انهم يتكاسلون ويتثاقلون عن الذهاب اليه فانما امرهم بذلك امر تعريض لا امر تصريح او ان يكون قوله فتحسسوا من يوسف على الاضمار اى تحسسوا من يوسف واسألوا منه رد اخيه لما علم ان اخاه يكون معه وقال عامة اهل التاويل انما قال لهم هذا وعلم انه في الاحياء لانه رأى ملك الموت فقال له هل قبضت روح يوسف فيما قبضت من الارواح قال لا وقال بعضهم رأى في المنام ملك الموت فقال له ما ذكرنا فعند ذلك قال هذا القول لكنا نقول انه كان عالما في الاحياء ليس بهالك لما رأى من الرؤيا وعبرها فعلم انه لا يهلك الا بعد خروج رؤياه على الصدق والحق لكنه لم يكن يعلم انه اين هو من قبل ثم علم من بعد بالوحي عن مكانه وحاله فامرهم ان يأتوه فينظروا اليه والى اخيه واصل هذا ان ما حل بيعقوب من فوت يوسف وغيبته عنه محنة امتحنه ربه وبلية ابتلاه بها يبتلى بذلك حسرة عليهما الا ترى ان يوسف لو اراد ان يعلم اباه يعقوب عن مكانه وحاله لقدر عليه لانه كان يعلم بمكان ابيه وان يعقوب لا يعلم بمكان يوسف فلم يفعله الا بعد الامر بالاعلام والله اعلم وقوله عز وجل ولا تيأسوا قيل من رحمة الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اخبر انه لا ييأس من رحمة الله الا القوم الكافرون من آمن يعلم انه يتقلب في رحمة الله ونعمته واما الكافر فانه لا يعرف رحمة الله ولا تقلبه في رحمته فييأس من رحمته نهاهم عن الاياس لما كان عندهم انه هالك حيث قالوا انك لفي ضلالك القديم لما قال لهم اني لاجد ريح يوسف واخوه كان محبوسا بالسرقة والمحبوس لا يرد في حكمهم او يقول نهاهم وان لم يكونوا آيسين ثم يقول انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يخبر عن الله اخبر انه لا ييأس من رحمة الله الا القوم الكافرون وكذلك ما بشر ابراهيم بالولد حيث قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين نهاه عن القنوط ولا يحتمل ان يكون ابراهيم قانطا عند ذلك لكنه نهاه ثم اخبر فقال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون والاية ترد على المعتزلة قولهم ان صاحب الكبيرة خالدا مخلدا في النار وانه ليس بكافر وهو آيس على قولهم من روح الله وقد اخبر انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهم يقولون ان صاحب الكبيرة آيس من روح الله وقد اخبر انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وهم يقولون ان صاحب الكبيرة آيس من روح الله وهو ليس بكافر وقوله عز وجل فلما دخلوا عليه اى على يوسف قالوا يا ايها العزيز سموه عزيزا لما لعلهم يسمون كل ملك عزيزا او سموه عزيزا لما كان عند ذلك عزيزا بقوله اكرمي مثواه ولما كان بالناس اليه حاجة بالطعام الذي في يده وهو كان غنيا عما في ايديهم والله اعلم وقولهم مسنا واهلنا الضر قال اهل التاويل اصابنا الشدة والبلاء والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة قيل دراهم نفاية بهرجة لا تنفق في الطعام كاسدة لانه كان في عزة وتنفق في غيره وقال ابو عوسجة وجئنا ببضاعة مزجية اى قليلة وكذلك قال القتبي اى قليلة وقال ابن عباس هي الورق

الوزير لا تنفق حتى يوضع وقال ابو عبيدة الازجاء في كلام العرب الدفع والسوق وهو كقوله الم تر ان الله يزجي سحابا اى يسوق ويدفع وقال بعضهم ناقصة وقال بعضهم حا وابسمن وصوف وقيل ما وصنوبر وحبة الخضراء وامثال هذا ويشبه ان يكون مزجية كما يقال تزجي يوما بيوم وقوله عز وجل فاوف لنا الكيل قال بعضهم اوف لنا الكيل بسعر الجياد وتاخذ النفاية وتحسبها لنا الطعام بسعر الجياد لكن قوله فاوف لنا الكيل اى سلم لنا الكيل تاما لان الايفاء هو التسليم على الوفا كقوله واوفوا الكيل والميزان وتصدق علينا بفضل ما بين الثمنين في الوزن وقيل ما بين الكيلين وقال بعضهم وتصدق علينا اى رد علينا اخانا شيئا يكون ذلك صدقة منك لكن يشبه ان يكون ما قالوا وطلبوا منه الصدقة حط الثمن لان الصدقة لا تحل للانبياء ويجوز الحط لهم ويجوز حط من لا يجوز صدقته نحو العبيد المأذون له في التجارة يجوز حطه ولا يجوز صدقته وكذلك بني هاشم لا يجوز الشراء له بدون ثمنه ولا يحل له الصدقة ويحتمل قوله مسنا واهلنا الضر ذهاب بصر ابيهم سم بذلك واهلهم الضر وقوله عز وجل وتصدق علينا اى رد علينا اخانا بن يامين لعل الله يرد بصره عليه ان الله يجزي المتصدقين قال اهل التاويل لان الله يجزي المتصدقين ان كان على دين الاسلام كانهم ظنوا انه ليس على دين الاسلام ولو انهم ظنوا انه مسلم لقالوا ان الله يجزيك بالصدقة وقوله عز وجل هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه هو طلبهم يحتاج الى ذكره واتماما فعلوا باخيه قال اهل التاويل هو ما قالوا انه سرق لكنهم لم يقولوا انه قد ما ظهر عندهم فلم يكن يطعنهم بذلك القول فضل بغير لكن يشبه ان يكونوا آذوه بانواع الاذى ولا شك انهم كانوا ينقضون يوسف واخاه حيث قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وقوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه قد كانوا علموا ما فعلوا بيوسف لكنه كانه قال هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وانتم جاهلون ذلك تأسون يقول لهم لا تذكروا ما فعلتم بيوسف وتوبوا الى الله عن ذلك ولا تكونوا جاهلين عن ذلك او يقول لهم هل رجعتم وتبتم عن ذلك او انتم بعد فيه وقوله عز وجل اذ انتم جاهلون قال بعض اهل التاويل اذ انتم جاهلون اى مذنبون ولكن اذ انتم جاهلون قدر يوسف ومنزلته لانهم لو علموا ما قدر يوسف عند الله وما منزلته ما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا وما حملوا اباهم في حبه اباه حيث قالوا ان ابانا لفي ضلال مبين وما فعلوا والله اعلم قالوا انك لانت كانهم عرفوا انه يوسف بقول يوسف لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه او عرفوا بقول ابيهم حيث قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه لما ذكره اخاه وراؤه معه عرفوا انه يوسف لذلك قالوا والله اعلم قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر يحتمل من يتق معاصيه ويصبر على بلاياه او اتقى مناهيه وصبر على اداء ما امره او من اتقى وصبر فقد احسن او يقول انه من يتق الجفا وصبر على البلاء فقد احسن فان الله لا يضيع اجر المحسنين ويشبه ان يكون قوله وتصدق علينا اى رد اخانا علينا وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا تالله لقد آثرك الله علينا قسم قد اعتادوه في مجرى كلامهم على غير ارادة يمين بذلك هكذا عادة العرب والا كان يعلم يوسف ان الله قد آثره عليهم ويشبه ان يكون يخرج القسم ههنا على تاكيد معرفتهم فضله ومنزلته اى لم نزل كنت مؤثرا مفضلا علينا وان كنا لخاطئين اى وقد كنا خاطئين فيما كان منا اليك من الصنيع ان يكون قوله آثرك الله علينا فيما قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا اى لما كان يؤثرهما عليهم فقالوا كنت مؤثرا على ما كان ابونا يؤثرك علينا وقد كنا لخاطئين فقال يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال القتبي قوله لا تثريب اى لا تعيير عليكم بعد هذا اليوم بما صنعتم وقال بعضهم لا تثريب عليكم اليوم اى لا تنغيص عليكم وقيل اصل التثريب الافساد يقال ثرب علينا الامر اى افسده وقال ابو عوسجة التثريب الملامة يقول لا لوم عليكم في صنيعكم وقال ابن عباس رضي الله عنه لا تثريب عليكم اى لا اعيركم بعد هذا اليوم ابدا ولا اعيره عليكم وهو يحتمل هذين الوجهين احدهما لا تعيير عليكم ولا ملامة اى ليس في العقل تعيير ولا ملامة اذا تبتم واقررتم بالخطأ وهكذا كل من اذنب ذنبا او ارتكب كبيرة ثم ان نزع عنها وتاب منها لا يعير هو عليه ولا يلام وكذلك قيل في قوله ولا تنابزوا بالالقاب ذكر انهم كانوا يعيرون اهل الكفر وينابزونهم ثم اسلموا فنهوا ان ينابزوهم ويصنعوا بهم مثل ما يصنعهم بهم في حال كفرهم ولو وجب التعيير والملامة بعد الانتزاع عنه والتوبة او يجوز ذلك لكان اصحاب رسول الله معيرين ملامين لانهم كانوا اهل الكفر في الابتداء فهذا انما لا يحل في العقل والثاني قوله لا تثريب عليكم لا اعيركم على ما قال ابن عباس رضي الله عنه اى لا اذكر ما كان منكم الينا آمنهم عن ان يذكر شيئا مما كان منهم اليه ولذلك قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ذكر ان الشيطان هو الذي فعل الذي فعل ما كان بينه وبين اخوته وكذلك فعل حيث قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اضاف ذلك الى الشيطان ولم يضف الى اخوته وقوله عز وجل يغفر الله لكم قطع فيه القول بالمغفرة لهم حين اقروا بالخطايا وتابوا مما فعلوا وهكذا كل من تاب من ذنب ارتكبه ونزع عنه ان يقطع القول فيه بالمغفرة والرحمة وقوله يغفر الله لكم يخرج على الدعاء لهم بالمغفرة وعلى الاخبار بالوحي انه يغفر لهم او قد غفر لهم او يقول استغفروا الله الذي كان بين الله وبينكم يغفر لكم وهو ارحم الراحمين لان كل من يرحم من الخلائق انما يرحم برحمته منه اليه فهو ارحم الراحمين لما قلنا على ما قلنا في قوله خير الحاكمين واحكم الحاكمين لان من يحكم من الخلائق انما يحكم بحكم ناله منه وقوله عز وجل اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا دل هذا من يوسف حيث قطع فيه القول انه بصير بصيرا انه عز وجل قال هذا لا من رأي منه واجتهاد اذ قطع القول فيه انه اذا القي على وجهه يصير بصيرا

وقوله يأت بصيرا هذا يخرج على وجهين احدهما بصيرا على ما ذكرنا والثاني يأتيني بصيرا وقوله عز وجل واتوني باهلكم اجمعين اراد والله اعلم حيث امرهم ان يأتوا باهلهم اجمع ان يبرهم ويكرمهم حين تابوا عما فعلوا به واقروا له بالخطأ في امره وقوله عز وجل ولما فصلت العير قيل خرجت وفصلت وانفصلت واحد قال ابو عوسجة لاجد ريح يوسف قال اهل التأويل كان بينهما ثمانين فرسخا يعني بين مصر وبين كنعان مكان يعقوب وقيل مسيرة ايام ما بين الكوفة والبصرة ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك اذ لم كان بينهما سوى انا نعلم انه كان بينهما مسيرة ايام ثم وجد يعقوب ريح يوسف من ذلك المكان ولم يجد غيره ممن كان معه فذلك آية من آيات الله حيث وجد ريحه من مكان بعيد لم يجد ذلك غيره وذلك من آثار البشارة والسرور الذي يدخل فيه بقدومه قال بعض اهل التأويل ذلك القميص هو من كسوة الجنة كان الله كساه ابراهيم وكساه ابراهيم اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف كذلك وجد ريحه لانه كان من ثياب الجنة فهو وان ثبت ما قالوا فذلك ايضا حيث وجد هو ذلك ولم يجد غيره وكان ايضا هو لا يجد ذلك الريح قبل فصول العير وكان مع يوسف احتمل ما قالوا واحتمل ان يكون قميصا والله اعلم وقوله عز وجل لولا ان تفندون قيل تحزنون وقيل تهرمون وقيل تكذبون وقيل تضعفون وقيل تجزون وقيل تجهلون وقيل تسفهون وقيل تحمقون وقيل لولا ان تقولوا ذهب عقلك والمفند معروف عند الناس هو الذي يبلغ في الكبر غايته كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر وقوله لولا اذا كان على الابتداء فهو على النهي اي لا تفندون واذا كان على الخبر فهو على النفي كقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها اي لم ينفع وقوله عز وجل قالوا تالله هو ما ذكرنا انه يمين اعتادوه في كلامهم على غير ارادة القسم انك لفي ضلالك القديم قيل في حب يوسف وذكره القديم كان عندهم انه هالك لذا انكروا عليه وخطأوه فيما يجد من ريحه وعنده انه في الاخبار لذلك كان ما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا اي رجع بصيرا على ما كان قال اهل التأويل البشير كان يهوذا وقيل البريد ولا ندري من كان وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ان المدفوع اليه الثوب كان واحدا وان قال في الابتداء اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي وقوله عز وجل قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون قال بعض اهل التأويل وذلك ان يعقوب قال لهم قبل ذلك انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون انتم من تصديق رؤيا يوسف وانتم ترجون وكان يعلم هو من الله اشياء ما لا يعلمونهم وقوله عز وجل قالوا يا ابانا استغفر لنا من ذنوبنا انا كنا خاطئين قال يعقوب سوف استغفر لكم ربي طلبوا من ابيهم الاستغفار فاخرهم ذلك الى وقت وطلبوا من يوسف العفو واقروا له بالخطأ والذنب فعفا عنهم وقت سؤالهم العفو فمن الناس من يقول انما اخر يعقوب الاستغفار وعفا عنهم يوسف لان قلب الشاب يكون الين وارق من قلب الشيخ لذلك كان لكن هذا ليس بشيء انما يكون هذا في عوام من الناس فاما الانبياء كلما مضى وقت فتزداد قلوبهم لينا ورقة وخشوعا ومنهم من يقول انما كان كذلك لان وجد يعقوب كان اكثر من وجد يوسف لذلك كان اجابهم يوسف وقت سؤالهم العفو واخر يعقوب الى وقت قال الشيخ ابو منصور رحمه الله والوجه فيه عندنا والله اعلم انهم انما سألوا يعقوب وطلبوا منه الاستغفار من ربهم ليكون لهم شفيعا فاخر ذلك الى وقت الاستغفار والشفاعة اذ ليس كل الاوقات يكون وقتا للاستغفار وطلبوا من يوسف العفو منه فعفا عنهم وقت طلبهم منه العفو لهذا الوجه يحتمل ان يخرج معناه والله اعلم وان يكون يعقوب اخر الاستغفار لان الذنب في ذلك كان بينهم وبين ربهم واخر الى ان يجيء الاذن من ربه واما الذنب في يوسف فيما بينهم وبين يوسف فعفى عنهم من ساعته ويحتمل قوله سوف استغفر لكم ربي ان استغفرتم انتم او قال سوف استغفر لكم ربي اذا جاء وقته فهو ما قال ابن عباس رضي الله عنه انه اخره وقت الاستغفار الى السحر او ان يكون اخره الى ان يقدم شيئا بين يدي الاستغفار والشفاعة ليكون اسرع اجابة وقوله عز وجل فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ظاهر هذا ان يوسف كان تلقاهم خارجا من المصر فقال لهم ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ثم لما دخلوا المصر آوى الى نفسه ابويه وضمهما اليه ويشبه ان يكون قال لهم هذا القول وقت ما قال لهم ائتوني باهلكم اجمعين وادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ثم لما جاؤا وهم ودخلوا مصر ضم اليه ابويه وامرهم اباهم ان يدخلوا مصر آمنين لان المصر كان اهله اهل كفر فكانهم خافوا الملك الذي كان فيه فذكر لهم الامن لذلك والله اعلم وذكر الثنا فيه لا ترى عدم منه وعدم والانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا يعدون شيئا الا ويستثنون في آخره كقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وانما ذكر الثنا في الامن لم يذكر في الدخول لان الدخول منه امر وما ذكر من الامن فهو ما ذكرنا انه يستثني في الوعد ولا يستثني في الامر وقوله عز وجل ورفع ابويه على العرش يشبه ان يكون قوله آوى اليه ابويه هو ما ذكر من رفعه اياهما على العرش وخص بذكر ابويه بالرفع على العرش فيحتمل ان يكون رفع ابويه والاخوة جميعا لانه لو لم يرفعهم وقد كان عفى عنهم لما اقروا بالخطأ وقال لا تثريب عليكم اليوم لكان يقع عندهم انه قد بقي شيء مما كان منهم اليه لكنه خص ابويه بالذكر منهم وعظمهما على ما يخص الاشراف والاعاظم نحو قوله ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه ونحوه

رفع ابويه على العرش على ان اتخاذ العرش والجلوس عليه لا بأس به اذ لو كان لا يحل او لا يباح ذلك لكان يوسف لا يتخذه ولا كان يعقوب يجلس عليه دل ذلك منهما ان ذلك مباح لا بأس به والله اعلم وقوله عز وجل وخروا له سجدا قال بعضهم من اهل التأويل كانت تحيتهم يومئذ فيما بينهم السجود يسجد بعضهم لبعض وكان ما يسلم بعضنا على بعض واما اليوم فهو غير مباح وانما التحية في السلام لكن السجود لدون الله ليس يكره وينهى عنه في السجود وهو العبادة والتسفل لا يحل لاحد ان يجعل العبادة والتسفل له دون الله واما نفس السجود فانه كالقيام والقعود وغيره من الاحوال يكون فيها المرء والله اعلم ويحتمل قوله وخروا سجدا اي خروا له خاضعين له ذليلين وقال بعضهم وخروا لله سجدا اي خروا لله سجدا شكرا لله لما جمع بينهم ورفع ما كان بينهم وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقوله عز وجل وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا اي حقق تلك الرؤيا التي رآها من قبل وجعلها صدقا واي يوسف رؤياه بعد حين ووقت وزمان طويل فهذا ايدل ان الخطاب اذا قرع السمع يجوز ان يأتي بيانه من بعد حين وزمان ويجوز ان يكون مقرونا به وليس في تأخير بيان الخطاب تلبيس ولا تشبيه على ما قال بعض الناس وقوله عز وجل وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يقل سجنت وحبست وامثاله ما كان ابتلاه الله به وقوله عز وجل وجاء بكم من البدو وقيل من البادية لانهم كانوا اهل بادية اصحاب المواشي وقوله عز وجل من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي قال بعضهم نزغ اي فرق بعدما فرق الشيطان بيني وبين اخوتي وكان النزغ هو الافساد على ما ذكره اهل التأويل اي بعدما افسد الشيطان بيني وبين اخوتي واضاف ذلك الى الشيطان لما كان قال لهم لا تثريب عليكم حين اقروا له بالفضل والخطأ في فعلهم وقوله عز وجل ان ربي لطيف لما يشاء لطيف هو اسم لشيئين اسم البر والعطف يقال فلان لطيف اي بار عاطف والثاني نفاذ يقال لطف اي عالم بما يلطف من الاشياء ويصغر كما يعلم بما يعظم ويجسم او يقال لطيف اي يعلم المستور من الامور والخفية على الخلق كما يعلم الظاهر منها والبادية لا يخفى عليه شيء يعلم السر واخفى يقال له عظيم ولطيف ليعلم انه ليس يفهم من عظمه ما يفهم من عظم الخلق اذ لا يجوز في الخلق ان يكون عظيما لطيفا ويجوز في الله ليعلم ان ما يفهم من الآخر والله اعلم وقوله عز وجل انه هو العليم بما كان ويكون وما ظهر وما بطن وما يسر وما يعلن وبكل شيء عليم بعواقب الامور وبدايتها الحكيم حكم بعلم ووضع كل شيء موضعه لم يحكم بجهل ولا غفلة ولا سفه على ما يحكم الخلق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

تلاوث آيات في سورة يوسف على المعتزلة قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن اخبر انه لو لم يصرف عني كيدهن مال اليهن وهم يقولون قد صرف عن كل احد السوء والكيد لكن لم يصرف عنه كذلك قوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اخبر اذا رحمه امتنع عن السوء والامر به وهم يقولون انه وان رحم لا يمتنع السوء ولا الامر به وكذلك قوله نصيب برحمتنا من نشاء وهم يقولون ليس له ان يصيب احدا دون احد من رحمته ولا ان يخص احدا بذلك وقوله عز وجل رب قد آتيتني من الملك قال ابو بكر الاصم ذكر من الملك لانه لم يؤت كل الملك اذ كان فوقه ملك اكبر منه لكن لا هذا ذكر من الملك اذ معلوم انه لم يؤت لاحد كل ملك الدنيا قال الله تعالى تؤتي الملك من تشاء ويكون في وقت واحد ملوك وقال بعضهم من صلة كانه قال رب قد آتيتني من الملك لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث توفني مسلما الى آخر ما ذكر قدم دعاءه سؤاله ربه ما سأل الاحسانه اليه ومحامده وثنائه بعد ليكون ذلك له وسيلة الى ربه في الاجابة وفي ذلك دلالة نقض قول المعتزلة من جهتين احدهما يقولون ان كل احد شفيعه عمله فيوسف لم يذكر ما كان منه اني فعلت كذا فافعل بي كذا ولكن ذكر نعم الله واحسانه اليه والثاني من قولهم انه لا يؤتي احدا ملكا ولا نبوة الا بعد الاستحقاق ومن قولهم ان كل احد هو المتعلم لا ان الله يعلم احدا وقد اضاف يوسف التعليم الى الله حيث قال وعلمتني من تأويل الاحاديث وهم يقولون لم يعلمه ولكن هو تعلم وقوله عز وجل وعلمتني من تأويل قيل هو علم العاقبة وعلم ما يؤول اليه الامر كانه قال علمتني مستقر الانباء ونهايتها كقوله تعالى لكل نبأ مستقر والله اعلم وقوله عز وجل فاطر السموات كانه على النداء ذكر يا فاطر السموات والارض لذلك انتصب وقوله عز وجل انت وليي في الدنيا والآخرة يشبه ان يكون تأويله انت ولي نعمتي في الدنيا والآخرة كما يقال فلان ولي نعمة فلان ويحتمل انت اولى بي في الدنيا والآخرة او انت ربي وسيدي في الدنيا والآخرة وقوله عز وجل توفني مسلما تمنى صلى الله عليه وسلم التوفي على الاسلام والاخلاص بالله والالحاق بالصالحين فهو والله تعالى اعلم وذلك ان الله قد آتاه النهاية في الشرف والمجد في الدنيا دينا ودنيا لان نهاية الشرف في الدين هي النبوة والرسالة ونهاية الشرف في الدنيا الملك فاحب له ان يكون له في الآخرة مثله فقال توفني مسلما والحقني ثم يحتمل سؤاله ان يلحقه بالصالحين بكل صالح ويحتمل انه سأله ان يلحقه بالصالحين بآبائه واجداده وبجميع الانبياء والرسل وقوله عز وجل توفني مسلما والحقني بالصالحين هو ينقض على المعتزلة ايضا ومن قولهم انه اعطى كل احد ليس له ان لا يتوفاه مسلما فيكون في دعائه عابثا على قولهم لا يملك ان يتوفاه مسلما لان من قولهم انه اعطى كل احد ما به يكون مؤمنا حتى لم يبق عنده شيئا ومن سأل آخر شيئا يعلم انه ليس عنده فهو يهزؤ به او يكون

كتمان النعمة وفي كتمان النعمة كفرانها وقوله عز وجل ذلك من انباء الغيب الا يز ذلك اي خبر يوسف واخوته و
قصصهم التي قصصنا عليك واخبرناك من اوله الى اخره من انباء الغيب لم تشهدها
انت ولم تحضرها لقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا ليعلم انك انما علمت وعرفتها بالله وحيا
ليدلهم على رسالتك ونبوتك والله تعالى اعلم وقوله عز وجل وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
اي ما كنت لديهم ولا بحضرتهم انباءت على ما كان ليدل على ما ذكرنا من الرسالة وقوله عز وجل وهم يمكرون
بابيهم واخيهم اما مكرهم بابيهم حيث قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون اخبروه انهم له
ناصحون فخانوه ومكرهم باخيهم حيث قالوا ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ضمنوا له الحفظ
فلم يحفظوه مكروا بهما جميعا والمكر هو الاحتيال في اللغة والاخذ على جهة الامن وقد فعلوهم بابيهم يعقوب
واخيهم يوسف عليهما السلام وقوله عز وجل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اي ما اكثر الناس بمؤمنين
ولو حرصت يا محمد ان يكونوا مؤمنين كقوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء كان
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ من شفقته ورحمته على الخلق ورغبة في ايمانهم حتى كادت نفسه تهلك في
ذلك حيث قال لعلك باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك ولا تحزن عليهم كان نحرصه على ايمانهم
بلغ ما ذكر حتى خفف ذلك عليه بهذه الاية وقال بعض اهل التاويل قوله تعالى وما اكثر الناس يعني اهل
مكة ولو حرصت بمؤمنين وهم كذلك كانوا كان اكثرهم غير مؤمنين واهل مكة وغيرهم سواء كلهم
كذلك كانوا وقوله عز وجل وما تسالهم عليه من اجر اي على ما تبلغ اليهم وتدعوهم الى طاعة الله وجعل العالم
له وتوجيه الشكر اليه لا تسالهم على ذلك اجرا فما الذي يمنعهم عن الاجابة لك والا يتمار بامرك هذا يدل
انه لا يجوز اخذ الاجر على الطاعات والعبادات حيث نهى واخبر انه لا يسالهم على ما يبلغ اليهم اجرا وهو
لم يتول تبليغ جميع ما امر بتبليغه بنفسه الى الخلق كافة بقوله وما ارسلناك الا كافة للناس الاية
ولكن ولي بعضه غيره كقوله تعالى الا فليبلغ الشاهد الغائب فانه فاذا لم يجز له اخذ الاجر فيما يبلغ هو فالذي
كان مامورا ان يبلغ عنه ايضا لا يجوز ان ياخذ الاجر على ما يبلغ وفي قوله وما تسالهم عليه من اجر وجهان
احدهما انه ليس يسالهم على الذي يبلغه ويدعوهم اجرا حتى يمنع بذل ذلك ويثقله عن الاجابة والثاني
اخبار ان ليس له ان ياخذ وان يجمع من الدنيا شيئا كقوله ولا تمدن عينيك الاية ومعلوم انه لا يمد عينيه
الى ما لا يحل فيكون النهي من اخذ المباح وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين اي هذا القران الذي تبلغهم
ليس الا ذكرى وهو عظة للعالمين او هو نفسه عظة وذكر للعالمين اعني النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ان
هو الا ذكر للعالمين اي شرف وذكرى لمن اتبعه وما قام وهو ما ذكر في اية اخرى ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب وقوله لاية للمؤمنين اي منفعته تكون لمن اتبعه فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل وكاين من اية
الاية اي كم من اية في السموات والارض قال بعض اهل التاويل الايات التي في السماء الشمس والقمر والنجوم
والسحاب وامثاله والايات التي في الارض من نحو الجبال والانهار والبحار والمداين ونحوها لكن السماء
نفسها اية والارض نفسها اية وما يخرج منها اية من النبات يمرون عليها وهم عنها معرضون اي هم عنها
معرضون عما جعلت هي ايات لا انها جعلت ايات لوحدانية الله والوهية فهم عما جعلت هي من ايات
معرضون وبالله الهداية والعصمة وقال بعضهم في قوله وكاين من اية اي كم من دليل وعلامة على وحدانية
الله في خلق السموات والارض وهو قريب مما ذكرنا وقال بعضهم ايات السماء ما ذكرنا من نحو الشمس
والقمر والكواكب وايات الارض فمثل ايات الامم التي اهلكوا من قبل من نحو قوم نوح وعاد وثمود
وقوم لوط وغيرهم ممن قد اهلكوا يمرون عليها ويرونها ولا يتعظون بهم والوجه فيه ما ذكرنا انهم
معرضون عما جعلت تلك ايات وانما جعلت ايات الوحدانية له والوهيته او معرضون عن التفكر فيها و
النظر اعراض معاندة ومكابرة ثم يحتمل الاعراض وجهين احدهما اعرضوا اي لم ينظروا فيها ولم يتفكروا
ليدلهم على وحدانية الله والوهية فهو اعراض عنها والثاني نظروا وعرفوا انها ايات لوحدانيته لكنهم
اعرضوا مكابرين معاندين ليس في السموات ولا في الارض شيء وان لطف الا وفيه دلالة وحدانية
الله والوهيته واية الوهيته وقوله تعالى عز وجل وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون يحتمل هذا
وجهين احدهما في الاعتقاد وما يؤمن اكثرهم بالله بانه الاله الا وهم مشركون الاصنام والاوثان
في التسمية وسموها الهة كقوله تعالى عز وجل قل لو كان معه الهة الا الله كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي
العرش سبيلا والثاني اشراك في الفعل اي وما يؤمن اكثرهم بالله عز وجل الا وهم يعبدون غيره من
الاصنام والاوثان او ان يكون وما يؤمن اكثرهم بالله تعالى بلسانهم الا وهم مشركون بقلوبهم او يقول
وما يؤمن اكثرهم بالله في النعمة انها من الله سبحانه وتعالى الا وهم مشركون في الشكر له تعالى وقوله تعالى عز وجل
افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون اي كيف امنوا ان ياتيهم
عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وقد سمعوا الاتيان العذاب بمن قبلهم وهلاكهم وقد جاءهم ما يحوبه
فهم انهم ان الساعة عرضا فواعنها وان لم يعلموا بذلك حقيقة لما تركوا العلم بها نزل منزلة ومكابرة لانه

مالم يبين لهم ومن لم يات له التخويف والاعلام وغاشية من عذاب الله تعالى قالوا الوقوع مجللة رحمة
الله اي مجللة تغشيهم ومنه قوله هل اتاك حديث الغاشية وهو ما ياتيهم العذاب من فوقهم او ال
غيره غاشية من عذاب الله اي عذاب من عذاب الله سبحانه وتعالى وهو كقوله ولئن مستهم نفحة من
عذاب ربك يجب ان يكون اهل الاسلام معتبرين بقوله وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وكذلك بقوله افامنوا ان ياتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة واذ كانت الايات
نزلنا فيهم لانهم يمرون بما ذكر من الايات ولا يعتبرون بما ذكر وكذلك يكون امنين عن غاشية من عذاب
الله سبحانه وقوله تعالى عز وجل قل هذه سبيلي قيل السبيل يؤنث ويذكر ويحتمل هذه الطاعة او العبادة
لله تعالى ويحتمل قوله تعالى سبيل هذه التي انا عليها ويحتمل هذه سبيلي التي ادعوكم الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
البصيرة العلم والبيان والحجة النيرة اي هذه سبيلي التي انا ادعوكم اليها انما ادعوكم على بصيرة اي على علم وبيان
وحجة قاطعة وبرهان نير ليس كسائر الاديان التي يدعى اليها على الهواء والشهوة بغير حجة ولا برهان من
اتبعني اي ومن اتبعني اي ومن اتبعني ايضا فانما يدعوكم ايضا على حجة وبرهان اذ من يجيبني فانما يجيب على
بصيرة وبيان وحجة وسبحان وما انا من المشركين قيل هذا صلة قوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون سبحان الله تنزيها لما قالوا وتبرئة عما قالوا في الله بما لا يليق به وما انا من المشركين في الوهيته و
ربوبيته غيره او في عبادته والله اعلم وقوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم ذكرها
لا والله اعلم اي لم نبعث رسولا من قبل الا بشرا لم نبعث ملكا ولا جنا فكيف انكرتم رسالة محمد بانه بشر ولم
تروا رسولا من قبل ولا سمعوا الا من البشر كقولهم ابعث الله بشرا رسولا وكقوله ولو جعلناه رجلا هذا
والله اعلم الا رجالا مثلك بشرا لا ملكا ولا جنا او ذكرا رجالا لا انه لم يبعث امراة رسولا وقوله عز وجل
يوحى اليهم من اهل القرى اي انما ارسل جملة من اهل الامصار والمدن لم يبعثوا من اهل الامصار والمدن
لم يبعثوا من اهل البوادي واهل البراري والقرى انما يريد الامصار والبلدان وقال الله تعالى وضرب الله
مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان قيل هي مكة جميع ما ذكر في القران من القرية
والقرى يريد بها الامصار والمدن والمدن وانما بعث الرسل والانبياء من الامصار ولم يبعثهم من البوادي
ومن اهل البراري لوجهين والله اعلم احدهما لان اهل الامصار والمدن اختلطوا باصناف الناس وامتزلوا
بانواع الخلق ويكون لهم تجارب بالخلق فهم اعقل واحلم وابصر من اهل البادية والبرية اختلاطهم و
امتزاجهم انما يكون بالماشية والانواع لذلك بعثوا من الامصار دون البادية وبعد فان الرسل يكون
لهم اسباب واعلام تتقدم عن وقت الرسالة يحتاج الى ان يظهر ذلك للخلق ليكون ذلك اسرع الى الايمان
لهم وادعى وانفذ الى القبول فاذا كانوا من اهل البوادي لا يظهر ذلك للخلق والثاني انه يراد من الرسالة
اظهارها في الخلق في الافاق والاطراف والامصار والمدن هي الامكنة التي ينتاب الناس اليها في التجارب
وانواع الحوايج من الافاق والاطراف فيظهر ذلك فيها وفي اهل الافاق والبوادي والبراري ليس
يدخلها ولا ينتاب اليها الا الشاذة من الناس ولا تقضى فيها الحوايج فلا يظهر في الخلق الرسالة وما
يراد بها وقوله عز وجل افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي لم ينظروا ولم يتفكروا
فيمن هلك من قبلهم من الامم بتكذيبهم الرسل انه كيف كان عاقبتهم بالتكذيب في الدنيا ليمتنعوا عن تكذيب
رسولهم افلم يسيروا في الارض الاية يخرج على وجهين احدهما اي قد ساروا ونظروا كيف كان عاقبة
المكذبين لكنهم عاندوا ولم يعتبروا والثاني اي سيروا في الارض وانظروا ولكن ليس على نفس السير في الارض
ولكن على السؤال عما نزل باولئك وقوله عز وجل ولدار الاخرة خير للذين اتقوا الشرك او خلاف الله
ورسوله افلا تعقلون ان ذلك افضل واخير من لم يتق بذلك والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا وكذبوا كلاهما لغتان قال بعضهم ايس الرسل عن ايمان قومهم وتصديقهم
الرسل ثم يحتمل اياسهم عن ايمانهم لكثرة ما راوا من اعنادهم الايات وتعريضهم ردها ايسوا عن
ايمانهم وكان اياسهم بالخبر عن الله انهم لا يؤمنون كقوله واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد
امن الاية وامثاله وقوله وظنوا انهم قد كذبوا قال بعضهم وظن الرسل ان اتباعهم الضعفة قد
كذبوهم لكن هذا ان كان من الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم لكثرة ما اصابهم من الشدائد وطال
عليهم البلاء واستاخر عنهم النصر فوقع عند الرسل ان اتباعهم قد كذبوهم لكثرة ما اصابهم وان
كان من الاعداء فقد استيقن الرسل انهم قد كذبوهم وروي عن عروة بن الزبير انه سال عايشة
قال فقلت ارايت قول الله حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قال فقال بل كذبهم قومهم
قال فقلت ارايت قول الله حتى والله لقد استيقنوا ان قومهم قد كذبوهم وما هو بالظن فقال
يا عروة لقد استيقنوا بذلك قال قلت فلعلهم ظنوا ان قد كذبوا قال معاذ الله لم تكن الرسل لتظن
ذلك بربها وما هذه الاية قالت هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستاخر
عنهم النصر حتى اذا استياس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم قد كذبوهم جاءهم

فصر الله عند ذلك وقال بعضهم حتى اذا استيأس الرسل عن ايمان قومهم وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من العذاب انه نازل بهم لما ابطأ عليهم العذاب وقال بعضهم وظنوا انهم اى ظن قومهم ان رسلهم قد كذبوهم خبر السماء جاءهم نصرنا فان كان الاية في اتباع الرسل على ما ذكر بعضهم فهو كقوله والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب فان كانت في غيرهم من المكذبين فقد جاء الرسل نصر الله وقوله فنجي من نشاء من المؤمنين فهو في ظاهره خبر على المستقبل انه ينجي من يشاء من هؤلاء المؤمنين ويشبه ان يكون على الخبر في اولئك فان كان على هذا فنجي ان يكون نجينا من نشاء منهم واهلكنا من نشاء منهم لكن يجوز هذا في اللغة او يكون في الاخرة ينجي من نشاء وقوله عز وجل ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين اى لا يرد عذابنا اذا نزل عن المجرمين وقوله عز وجل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب يحتمل قولهم في قصصهم قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب ويحتمل قصص الرسل والامم السالفة جميعا لاولي الالباب والاعتبار انما يكون لاولي الالباب الذين ينتفعون بلبهم وعقلهم وقوله عز وجل ما كان حديثا يفترى يحتمل اى ما حدث محمد صلى الله عليه وسلم وما اخبر من القصص واخبار الرسل والامم السالفة بالذي فترى بل انما اخبر ما كان في الكتب السالفة على غير تعلم منه ولا دراسة ويحتمل ما كان هذا القران بالذي يقدر ان يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه اى تصديقا للذي نزل على رسول الله الكتب التي كانت من قبل وتفصيل كل شيء اى تفصيل ما للناس حاجة اليه وهدى من الضلالة لمن اهتدى ورحمة للمؤمنين وفيما ذكر من قصة يوسف واخوته على رسول الله دلالة التصبر على اذى قريش يقول ان اخوة يوسف مع موافقتهم اباه في الدين والنسب والمولد عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر به فقومك مع مخالفتهم اباك في الدين احرى ان تصبر على اذاهم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل المر تلك ايات الكتاب يحتمل ان يكون قوله المر كناية عن الاحرف المقطعة المعجمة فيكون قوله تلك ايات الكتاب تفسير المر هذا هو الظاهر ان يقال في كل حروف المعجمة والمقطعة ان يكون ما ذكر من بعدها على اثرها كان تفسيرا لها والثاني يشبه ان يكون قوله المر كناية عن الحجج والبراهين وسائر الكتب كانه قال تلك الحجج والبراهين وسائر الكتب جعلناها ايات القران وحججه وقد ذكرنا القول في الحروف المقطعة فيما تقدم اختلف في قوله تلك ايات الكتاب والذي انزل اليك من ربك هو القران الذي انزل قال بعضهم تلك ايات الكتاب التورية والانجيل وسائر الكتب المتقدمة وقوله والذي انزل اليك من ربك هو القران الذي انزل على محمد عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم تلك ايات الكتاب هو القران لكنه اخبر انه منزل من ربك الحق وقوله الحق يحتمل هو الحق اى منزل من الله ليس كما قالوا انه ليس من الله انما يقوله محمد من تلقاء نفسه ويحتمل الحق اى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والله اعلم وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يؤمنون انه من الله واكثر الناس لا يؤمنون انه ايات الله وحججه والله اعلم وقوله عز وجل الله الذي رفع السموات قوله رفع اى انشاها مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها في الابتداء مرفوعة وكذلك قوله والارض وضعها للانام ومد الارض والجبال ارساها ونحو ذلك اى انشاها مرفوعة ممدودة لا انها كانت مرفوعة فوضعها او كانت منقبضة فبسطها ولكن انشاها كذلك وقوله عز وجل بغير عمد ترونها قال بعضهم هي بعمد ترونها لكن لا ترونها اى ترونها بغير عمد وقال بعضهم هي بغير عمد على ما اخبر ولكن اللطف والاعجوبة بما يمسكها بعمد لا ترى كاللطف والاعجوبة فيما يمسكها بغير عمد لان في الشاهد لم يعرف ولا قدر على رفع سقف فيه سعته وبعده بغير عمد لا ترى لكن ما يرفع انما يرفع بعمد ترى فاللطف في هذا كاللطف في الاخر وفيه دلالة قدرته على البعث لانه ذكر هذا ثم قال لعلكم بلقاء ربكم توقنون اى ان من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد وبعدها بلا عمد يقادر على اعادة الخلق وبعثهم واحيائهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشيء بعد فنائه اذ في الشاهد من قد يقدر على اعادة اشياء بعد فنائها ولا يقدر على رفع سقف ذي سعة وبعد بغير عمد من ذا الوجه امكن ان يحتج والله اعلم وقوله عز وجل ثم استوى على العرش لما لم يفهم من قوله سميع عليم مدبر المكان وان كان في الشاهد يفهم عنه المكان اذا اضيف الى المخلوق لم يجز ان يفهم من استواء الخلق وبعد فان في الشاهد اذا قيل فلان استولى على بلدة كذا او استوى امره لم يفهم منه نفاذ الامر والسلطان والمشية فعلى ذلك لم يجز ان يفهم من الله اذا اضيف اليه المكان واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه اخبر انه ليس كمثله شيء فهو في كل شيء وكل وجه لا يشبه الخلق اذ الخلق في الشاهد ليس يشبه بعضه بعضا من جميع الجهات انما يشبه بعضهم بعضا بجهة ثم صاروا جميعا اشكالا واشباها بتلك الجهة التي وقعت بينهم تشابه فاذا الله سبحانه وتعالى لما اخبر انه ليس كمثله شيء دل انه انما نفى عنه الجهات التي يقع بها التشابه والمثل فهو يخالف الخلق من جميع الوجوه وهذه مسئلة مذكورة فيما تقدم اختلف في العرش قال بعضهم العرش هو الممتحنون بهم استوى تدبير انشاء غيرهم من العالم لانهم هم المقصودون في انشاء ذلك كله وقال بعضهم العرش البعث به استوى وتم تدبير انشاء الخلائق بما لولا البعث يكون انشاءه عبثا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم

عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل عدم الرجوع اليه انشاء الخلق عبثا وقال بعضهم العرش هو الملك وبه سمي ماذكر وقيل هو سرير الملك وقوله عز وجل يدبر الامر [illegible] لا يخرج عن علم وحكمة ووضع ليس على الجزاف بلا تدبير [illegible] وقوله عز وجل يفصل الايات يحتمل يبين الحجج والبراهين ويحتمل يفصل الايات اى ايات القران [illegible] لعلكم بلقاء ربكم توقنون [illegible] ورفع السماء بلا عمد دلالة البعث والاحياء بعد الموت وقوله عز وجل بلقاء ربكم هو كما ذكرنا في قوله اليه مرجعكم جميعا [illegible] والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي مد الارض وقال في اية اخرى والارض بعد ذلك دحاها وقال في موضع اخر والى الارض كيف سطحت وكله واحد [illegible] يذكر نعمه التي انعمها عليهم [illegible] وجعل فيها رواسي [illegible] كما تكفو السفينة [illegible] فاستقرت وثبتت [illegible] من الجبال ولكن [illegible] بالجبال ثباتها واستقرارها لان الارض والجبال من طبعها التسفل والانحدار في الماء والهواء [illegible] التسفل والانحدار [illegible] وقوله عز وجل [illegible] والله اعلم [illegible] وقوله عز وجل [illegible]

ومنه انه ان يقال زوجين اثنين الطيب والخبيث فلا يكون ثالث واما اللون فانه يكون ذو الوان وذو طعوم وقال بعضهم الذكر والانثى فهذا يصح اذا اراد به الشجر فمنه ما يثمر ومنه ما لا يثمر فالذي يثمر هو انثى والذي لا يثمر هو ذكر وما على غير هذا فانه لا يصح واصل الزوجين هو اسم اشكال وامثال واسم اضداد دفعه دليل نفي ذلك كله عن الله واصل الزوج هو من له المقابل من الاشكال والاضداد اذ ما اخبر انه جعل الخلق كله ذا اشكال واضداد من نحو الليل والنهار والذكر والانثى فهو في حق المنافع كشيء واحد وفي حق انفسهم كالاشياء وقوله عز وجل يغشي الليل النهار اى يذهب ظلمة الليل بضوء النهار وضوء النهار بظلمة الليل ويلبس احدهما الاخر ويغطي الليل ما هو بالنهار باد ظاهر للخلق وبالنهار ما هو مستور خفي على الخلق والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيما ذكر دلالة البعث والاحياء ودلالة التدبير والعلم والحكمة ودلالة الوحدانية لقوم يتفكرون في اياته وحججه لا لقوم يعاندون اياته ويكابرونها وقوله ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ذكر ان الايات تكون اياتهم بالتفكر والنظر فيها والله اعلم لا ان تصير ايات مجانا بالبديهة او يقول ان منفعة الايات تكون لمن تفكر فيها لا لمن ترك التفكر والنظر والله اعلم وقوله عز وجل وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب دل قوله قطع متجاورات ان التجاور انما يذكر ويثبت اذا كانت الارض ارضا واحدة فانه لا يقال فيها التجاور فهذا يبطل قول من يقول ان التجاور انما يذكر فيما فيه الشركة فيجب الشفعة فيما فيه الشركة واما في غيره فلا يجب واما عندنا هو ما ذكر عز وجل انه انما اثبت التجاور في الارض التي صارت قطعا وقوله عز وجل قطع متجاورات وجنات من اعناب القطع المتجاورات هي الارضون الضواحي التي تصلح للزروع وجنات من اعناب اى جنات متجاورات ايضا والجنات هي البساتين المحفوفة بالاشجار فيها الوان الثمار وزرع ونخيل صنوان قيل صنوان هو النخلتان في اصل واحد وغير صنوان النخل المتفرق وقيل الصنوان ما كان اصله واحدا وهو متفرق وغير صنوان التي تنبت وحدها وقيل صنوان هي النخلة تخرج فاذا خرجت انشعبت بعد خروج الاصل فهو الصنوان ولهذا قيل عم الرجل صنو ابيه تسقى بماء واحد اى تسقى ما ذكر من الزروع والنخيل والجنان بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل يذكر هذا والله اعلم ان جواهر الارض كلها واحد وهي قطع متجاورة بعضها ببعض ثم هي مختلفة في حق الثمار والفواكه وكذلك الاشجار والنخيل كلها من جوهر واحد من منبت واحد لا في جوهرها ونسقي كلها بماء واحد ثم يخرج مختلفا في الوانها وطعومها وطيبها وخبثها ومناظرها ليعلم انها لم

تكن بنفسها ولا بالاسباب التي جعلها ولكن بلطف واحد مدبر عليم حكيم لانها لو كانت بانفسها وطبعها نحوها وبا
وبالاسباب لكانت كلها واحدة متفقة في طيبها وخبثها والوانها وطعومها فلما لم يكن ما ذكرنا على لون واحد
ولا طعم واحد ولا منظر واحد دل انه كان بتدبير مدبر واحد عليم لطيف وقوله عز وجل ونفضل بعضها على بعض
في الاكل قيل في الحمل بعضها اكثر حملا من بعض وبعضها يحمل وبعضها لا ولكن ما ذكرنا في الطيب والخبيث والطعم واللون
والمنظر مفضل بعضه على بعض واصله ان الارض واحدة متجاورة متصلة بعضها ببعض والماء واحدا ثم
خرجت الثمار والفواكه والزروع مختلفة متفرقة ليعلم ان ذلك ليس هو عمل الارض ولا عمل الماء ولا عمل الاشياء
والطباع ولكن باللطف من الله لانه لو كان بالماء او بالارض او بالاسباب والطباع لكانت متفقة مستويات
في ذلك لايات لما ذكرنا من وحدانيته وتدبيره وعلمه وحكمته لقوم يعقلون اي لقوم همتهم العقل والفهم و
النظر والتفكر في الايات لا لقوم همتهم العناد والمكابرة او لقوم ينتفعون بعقلهم وعلمهم وقال الحسن
هذا مثل ضرب لقلوب بني آدم كانت الارض في الاصل طينة واحدة فسطحها الرحمن ثم بطحها فصارت قطعا متجاورات
فينزل عليها الماء من السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج نباتها ويحيي مواتها ويخرج هذه سبخها
وملحها فصارت الارض قطعا متجاورات وخبثها وكلتاهما تسقى بماء واحد فلو كان الماء ملحا قيل استسبخت
هذه من قبل الماء كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام من السماء تذكرة واحدة فترق قلوب فتخشع وتخضع
وتقسو قلوب فتلهو وتلهو وتجفو وكلام نحوه ثم قال الحسن والله ما جالس القرآن احد الا قام من عنده
بزيادة او نقصان ثم تلا قوله وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
وقوله عز وجل وان تعجب فعجب قولهم اي فاعجب اعجبا قولهم يقول لكن قولهم عجب عندك حين قالوا اذا كنا ترابا
انا لفي خلق جديد تكذيبا للبعث واصله والله اعلم يقول انك ان تعجب من قولهم في تكذيبهم اياك في الرسالة ولم
تكن رسولا من قبل فقولهم وانكارهم قدرة الله على البعث والاحياء بعد الموت اعجب اذ قد راوا وشاهدوا
من قدرة الله واياته بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم مالو تفكروا وتاملوا ولم يعاندوا عرفوا انه قادر على ذلك
كله فوصفهم الله تعالى بالعجز وانه لا يقدر على البعث والاحياء بعد الهلاك اعجب من تكذيبهم اياك في الرسالة
ولم يكن سبق منك اليهم ما يوجب رسالتك وتصديقك وقد سبق من الله اليهم ما يعرفهم قدرته على ذلك
او على اكثر منه واصله والله اعلم وان تعجب لانكارهم رسالتك وتكذيبهم اياك ولم يكن منك اليهم حقيقة
الهداية والنعم والايات والحجج وانما كان منك البيان والدعاء فاعجب قولهم في انكارهم قدرة الله على البعث
وقولهم في الله سبحانه ما قالوا فيه بعد معرفتهم حقيقة ذلك كله بالله اليهم والله اعلم وقوله عز وجل
اولئك الذين كفروا بربهم يشبه ان يكونوا لما كفروا بالبعث كان كفرهم بالبعث كفرا بالله لانهم عرفوه عاجزا
حيث قالوا لا يقدر على بعث الخلق ومن عرف ربه عاجزا فهو لم يعرف الرب الحقيقة والاله الحقيقة وقوله
عز وجل فاولئك الاغلال في اعناقهم قال بعضهم صار الكفر في اعناقهم اغلالا لانه حيث انكروا الرسالة
والتبر ثم جعلوا الاصنام والاوثان معبودهم يعكفون لها ويعبدون فذلك هو الاغلال في اعناقهم
وقال بعضهم قوله فاولئك الاغلال في اعناقهم في الاخرة كقوله خذوه فغلوه الاية واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون وقوله عز وجل ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال يكون على وجهين
يكون طلب الفعل بنفسه كقوله ادعوني استجب لكم قيل اجيبكم وقوله تعالى فليستجيبوا لي اي يجيبوا لي
وقوله ويستعجلونك فان كان على طلب الفعل فهو ما سألوا رسول الله العذاب سأل سائل بعذاب واقع
وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء الاية فيدوا بسؤالهم تأخير وامهاله وتأخير العذاب عندهم وامهاله من الحسنة فاستعجلوا
بهذا قبل هذا وان كان الفعل بنفسه فقوله يستعجلونك اي يعجلونك بالسيئة اليك قبل ان تكون منهم
اليك حسنة حيث كذبوك في الرسالة واذوك في نفسك ولم يكن منهم اليك الحسان من قبل والله اعلم
بذلك وقيل بالسيئة العذاب على ما ذكرنا قبل الحسنة اي قبل العفو رسوء الهم السيئة والعذاب يجعل
منهم انه رسول وانه صادق فيما يخبر ويوعد من العذاب كانوا لا يسألون لانهم يعلمون ان الله يقدر على
ان ينزل عليهم العذاب لكن سألوا ذلك بجهلهم بانه رسول سؤال استهزاء وسخرية وان كان على هذا سؤالهم
كان فيه دلالة ان العقوبة والعذاب قد يلزم من جهل الامر اذا كان بسبيل العلم به والنظر والتفكر فيه
وهؤلاء جهلوا انه رسول الله لتركهم النظر والتفكر والله اعلم وقوله عز وجل وقد خلت من قبلهم المثلات
قال بعضهم العقوبات اي قد كان في الامم الخالية العقوبات بسؤالهم العذاب والمعاندة في الايات اذا ماتت
ثم المعاندة فيها يقول كان في الامم الماضية من سؤال العذاب والايات ثم المعاندة من بعد نزولها فنزلت
لهم العقوبات فعلوا ذلك هؤلاء وقال بعضهم المثلات الامثال والاشباه وكذلك ذكر في حرف حفصة
وقد خلت من قبلهم الامثال وتأويله والله اعلم اي قد خلت من قبلهم الامثال ما لو اعتبروا بها كان
مثلا لهم ولكن لا يعتبرون فيمنعهم عن امثال ذلك وقوله عز وجل وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم
قال بعضهم لذو مغفرة اي ذو ستر على ظلمهم وتأخير العذاب الى وقت كقوله انما يؤخرهم ليوم وقوله

وما نؤخره الا لاجل معدود وقال بعضهم لذو مغفرة للكفار لمن لم يتب ومات على الظلم والشرك وقوله
وان ربك لشديد العقاب للكفار وعلى التاويل الاول وان ربك لشديد العقاب اذا عاقب وقوله عز وجل
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه وقال في موضع آخر فلياتنا باية كما ارسل الاولون وقال
في آية اخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخر ما ذكر فيحتمل سؤالهم الاية كما ارسل الاولون
عين تلك الايات التي اتت بها الرسل الاولون وليس عليه ان ياتي بعين تلك الاية انما عليه ان
ياتي باية تخرج عن عرفهم وطباعهم والرسل جميعا لم ياتوا باية واحدة انما جاؤوا بايات مختلفات
كل جاء باية سوى ما جاء بها الاخر فقال الله ليس عليك انما انت منذر او سالوا الايات سؤال الاعنات ولذلك
هلاكهم على ما فعل الاولون فقال انما انت منذر فقد عفا عن الامة احضار الايات وانزالها لانها
هلاكهم وان كانوا في سؤالهم الايات معاندين لانهم قد جاءهم من الايات على اثبات رسالته و
اظهارها ما كفتهم لكنهم يعاندون وقوله عز وجل انما انت منذر لا تملك اتيان الايات قل انما الايات
عند الله وقال قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر الاية او يقول انما انت منذر ليس اليك انشاء
الايات واختراعها قل انما الايات عند الله وقوله عز وجل ولكل قوم هاد اي داع يدعو الى توحيد الله
ودينه كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله ولكل قوم هاد يحتمل لكل وقت هاد ثم اختلفوا
انه من ذلك الداعي قال بعضهم الله وقال بعضهم نبي من الانبياء وقال بعضهم داع دليل سوى النبي وقالت
الباطنية هو امام يكون معصوما مثل النبي لئلا يزيغ عن الحق ولكن عندنا معصوما فان في القرآن ما يمنع عن
الزيغ ويعرف ذلك منه اذا زاغ وضل عن الحق ولكل قوم هاد اي داع وهو كما قال وان من امة الا خلا
فيها نذير وقوله عز وجل الله يعلم ما تحمل كل انثى قيل تعلم انها حملت انثى ذكرا مستويا او غير مستو فانه يخبر
عز وجل من علمه وقدرته انه لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء فان قيل هذا دعوى ما الذي يعلمنا انه يعلم
ذلك قيل اتساق تدبيره ولطفه يدل على علم ذلك فيه حيث رباه فيه وانشاه مستويا غير مؤف سليما عن
الافات وتمام الحوايج كلها على الاستواء لا يكون بعضها انقص وبعضها اتم نحو العينين تراهما مستويتين
لا زيادة في احدهما دون الاخرى بل تمتوان على الاستواء وكذلك اليدين والرجلين والاذنين وامثاله
فدل ذلك على العلم له به والتدبير وقوله عز وجل وما تغيض الارحام وما تزداد اي يعلم ما تغيض وما
تزداد قال عامة اهل التاويل ما تغيض الارحام ما تنقص عن التسعة الاشهر وما تزداد على التسعة
الاشهر فكان الحسن يقول غيضوضة الرحم ان تضع لستة اشهر او ثمانية واما الزيادة فما زاد على
التسعة اشهر وفي حرف ابي الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تضع ولكن يحتمل قوله وما تغيض الارحام وما تزداد
وجهين احدهما ما تغيض الارحام اي ما لا تحمل شيئا وهي التي تكون عقيما لا تلد والغيضوضة تكون ذهاب
الشيء قال الله تعالى وغيض الماء اي ذهب وما تزداد اي ما تحمل وما تغيض الارحام فتلد بدون الوقت
الذي تلد النساء وما تزداد على الوقت الذي تلد النساء وما تغيض الارحام وما تزداد في زيادة
عدد الاولاد ونقصانهم ما تحمل واحدا او اكثر من واحد ويكون في زيادة قدر نفس الولد ونقصانه
لان من الولد ما يصيبه في البطن آفة فلا يزال يزداد وله نقصانا في البطن ومنه ما ينمو ويزداد وامثال
والله اعلم وكل شيء عنده بمقدار بمقدار بالتقدير ليس على الخبر فيجري ما يكون عند الخلق ولكنه بتقدير
وتدبير عالم الغيب قال بعضهم لا يغيب عنه شيء ولكن هو عالم بالذي يغيب عن الخلق ويشهده الخلق اي
ما يغيب عنهم وما يشهدونه عنده بمحل واحد في العلم به وقال بعضهم عالم الغيب ما غاب بنفسه وما شهد بنفسه
فالغائب بنفسه هو ما لم يوجد بعد ولم يكن والشهادة ما قد وجد وكان يعلم ما لم يوجد بعد انه يوجد
او لا يوجد واذا وجد كيف يوجد ومتى يوجد وفي اي وقت يوجد وما وجد ويشهد بعلمه شاهدا موجودا
على هذين الوجهين يجوز ان يخرج الاية والله اعلم ويعلم ما غاب عنهم مما شهدوا من نحو قوة الطعام
في الطعام والقوة التي في الماء وما ثم البصر والسمع والعقل والروح وكيفيتها وهذا كله مما غاب
عن الخلق وقوله عز وجل الكبير المتعال عن جميع ما يحتمله الخلق يقال هذا اعظم القوم وكبيرهم وهذا واحد
زمانه لا يعنون عظم النفس وكبرها وتوحده من حيث العدد ولكن من حيث نفاذ الامر له والمشيئة فيهم
والعز والسلطان وله الخلق والخضوع فعلى ذلك لا يفهم مما وصف هو به ما يفهم من الخلق من عظم الجسم
وكبر النفس وعلى ذلك ما وصف هو باسماء لا يحتمل ذلك في الخلق يقال اول واخر وظاهر وباطن وعظيم ولطيف
ليعلم انه ليس يفهم مما اضيف اليه ووصف هو به ما يفهم مما يضاف الى الخلق اذ من قيل في الشاهد انه
عظيم لم يقل انه لطيف ومن قيل انه اول لم يقل انه آخر وكذلك الظاهر والباطن اذا وصف باحدهما انتفى عنه
الاخر وكذلك مما وصف به الغايب واضيف اليه ليعلم انه لا يفهم بما يوصف هو به ويضاف اليه ما يفهم
مما وصف به الخلق واضيف اليهم والله اعلم وقوله عز وجل سواء منكم من اسر القول في نفسه في حال
انفراده ومن جهر به بغيره ومن هو مستخف بالليل في ظلمة الليل وسارب بالنهار وقيل لما هرب بالنهار
وقال بعضهم وسارب بالنهار يكون في السرب وهو الغائب بالنهار وقال بعضهم من هو مستخف بالليل اي

ساكن بالليل مغتره وسارب بالنهار اى متصرف متقلب بالنهار فى حوايجه لكن هذا اصله ما تقدم وهو قوله يعلم ما تحمل كل انثى ويعلم ما تغيض الارحام ويعلم ايضاً ما تزداد وما ذكر انه عالم الغيب والشهادة يقول ايضاً يعلم من اسر القول ومن جهر به ومن كان مستخفيا بالليل او ساربا بالنهار اى يعلم كل شئ لا يخفى عليه شئ من عمل ستر امن الخلق او عمل بظاهر منهم يذكر هذا والله اعلم ليكونوا على حذر من المعاصى لان من علم ان عليه رقيبا حفيظا يكون احذر واخوف ممن يعلم ان ليس عليه ذلك وقال مقاتل سواء منكم عند الله من اسر القول ومن جهر به وسواء منكم من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار اى من مستخف بالمعصية فى ظلمة الليل وهو منتشر بتلك المعصية بالنهار معلن بها فعلم ذلك كله عند الله سواء فى ذلك تذكير امرين احدهما يذكرهم نعمة التى انعمها عليهم من اول حالهم الى اخر ما ينتهون اليه يستادى بذلك شكره ليستديموا بذلك تلك النعم ابدا ما كانوا والثانى يذكرهم علمه بجميع احوالهم وافعالهم ليكونوا ابدا على حذر من معاصيه والخلاف له انما علمه هو ما ذكر الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله سواء منكم الاية واما نعمه ما ذكر له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله وقوله له معقبات قال بعضهم هم الامراء والشرط الذين يحفظونه فى ظواهر من امره يخبر انه محفوظ عليه الخفيات من امره حيث قال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الاية حيث اخبر انه يعلم ذلك ومحفوظ عليه الظواهر من امره وقال بعضهم له معقبات الملائكة الذين يحفظونه وعلى ذلك روى فى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجتمعون منكم عند صلوة العصر وصلوة الصبح يحفظونه من بين يديه ومن خلفه مثل قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد قال الحسنات من بين يديه والسيئات من خلفه الذى عن يمينه وقوله عز وجل له معقبات يحتمل قوله اى لله معقبات يحفظونه ويحتمل من كل ذكر وانثى يكون مثله قوله يعلم ما تحمل كل انثى وقوله عز وجل يحفظونه من امر الله يحتمل قوله يحفظون نفسه من البلايا والنكبات التى تنزل على بنى ادم فان كان فى حفظ نفسه فقوله من امر الله اى من عذاب الله وبلايا حتى اذا جاء امرنا وهو عذابنا ويحتمل قوله يحفظون اعماله بامر الله ثم يحتمل قوله من بين يديه ومن خلفه الشرور والسيئات ويحتمل قوله من بين يديه ما قدم من الاعمال ومن خلفه ما بقى واخر كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ويحتمل من بين يديه ما مضى من الوقت ومن خلفه ما بقى والله اعلم وقوله عز وجل ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم يشبه ان يكون هذه النعمة نعمة الدين من رسول الله والقران او ما كان فى امر الدين لا يغير ذلك عليهم الا بتغيير يكون منهم كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وكقوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ويحتمل ان يكون ذلك فى النعمة الدنيا وهى من الصحة والسلامة والمال لا يغير ذلك عليهم الا بتغيير ذلك من انفسهم فان قيل ان الانبياء قد كانوا بلوا بشدايد وبلايا ولا يحتمل ان يكون ذلك منهم البداية فى التغيير قيل ابدلت لهم مكان تلك النعمة خيرا منها فليس ذلك بتغيير ولكن لما ذكرنا انه ابدلت لهم مكان النعمة نعمة هى خير منها ثم ما كان من النعم والافضال من الطاعات لها حق التجدد والحدوث يكون التغيير عليهم حالة اختيارهم وتغييرهم على انفسهم واما الافعال التى لها حق البقاء يكون التغيير من الله من بعد وهو من نحو السلامة والصحة والسعة والذى له حق التجدد والحدوث الطاعات والمعاصى وقوله عز وجل واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له الاية ترد على المعتزلة قولهم لانهم يقولون انه لا يريد الا ما هو اصلح لهم فى الدين وقد اخبر انه اذا اراد بهم سوءا فلا مرد له الاية وعلى المعتزلة قولهم لانهم يقولون انه لا يريد دل هذا انه قد يريد السوء اذا غيروا ما انعم الله عليهم اراد ان يغير عليهم والمعتزلة يقولون يملك الخلق دفع سوء اراده الله بهم واذا اراد الخير يملكون رد ذلك والله يقول فلا راد لفضله ولا مرد لشئ وقوله عز وجل وما لهم من دونه من وال اى ليس لهم دفع العذاب الذى اراد بهم ولى يدفع عنهم او نصير ينصرهم كقوله وما لهم من دون الله من ولى ولا نصير وقوله عز وجل هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا اى مخوفا ومطموعا او ما تخافون وتطمعون وقال اهل التاويل خوفا للمسافر وطمعا من دون الله من ولى ولا نصير وقوله عز وجل هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا اى مخوفا ومطموعا او ما تخافون وتطمعون وقال اهل التاويل خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقيل خوفا لاهل البنيان وطمعا لاهل الانزال وعندنا يطمعون ويخافون قوم واحد يطمعون نفعه فى وقت المنفعة ويخافون ضرره فى غير وقت النفع او يطمعون نفعه ويخافون من او يطمعون منفعته ويخافون نزوله والضرر به فى غير وقت النفع ونحوه ويحتمل وجها اخر فى قوله يريكم البرق خوفا وطمعا اى يريكم خوفا موعودا وطمعا موعودا لان البرق نور ونار ويطمع النور الموعود فى الجنة والنار يخوف الموعودة فى الاخرة فيها نارا الا ترى انه اذا استخف على من اصابه وقوله عز وجل وينشئ السحاب الثقال يقال نشأت السماء اذا ارتفع الغيم فيها ويسمى الغيم نشأ وقوله انشأ اى اخذ فيه ويقال انشأ الله الخلق اى خلقهم نشأ ارتفع وانشأ رفع وهو من هذا والله اعلم ويسبح الرعد بحمده اختلف فى الرعد والبرق قال بعضهم هو اسم ملك من الملائكة موكل بالسحاب صوته تسبيحه روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اقبلت يهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب بحيث شاء الله فقالوا فما هذا الصوت الذى نسمع قال زجرة السحاب اذا زجره حتى

ينتهى الى حيث امر قالوا صدقت فان ثبت هذا فهو هو وعن على رضى الله عنه انه سئل عن البرق والرعد قال الرعد الملك والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد وقيل الرعد ملك على ما ذكرنا يزجر السحاب بالتسبيح وبسوقه فاذا شذت سحابة ضمها واذا اشتد غضبه صار من فيه النار فهى الصواعق وقيل هى الريح تسوق السحاب فاذا زالت السحاب فلم تجد منفذا صوتت فذلك صوتها فقال بعض الفلاسفة الرعد اصطكاك الاجرام فيحدث هذا الصوت بمنزلة الحجر يصك الحجر وقال بعضهم من الفلاسفة انما هى ريح تختنق تحت السحاب فتصدع فذلك الصوت منه واى شئ كان الرعد الملك او الريح او ما كان فالتسبيح يحتمل من كل شئ على ما اخبر الله تعالى التسبيح من كل شئ حيث قال وان من شئ الا يسبح بحمده فيحتمل تسبيح الخلقة جعل فى خلقة كل شئ حمده ثناء وبراءة ونزاهة من كل ما وصفه الملحدون ودلالة الوهيته وربوبيته ويحتمل تسبيح جعل فى سرية كل شئ تسبيحه وتنزيهه ما لا يفهمه الخلق وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال الرعد ملك وهذا تسبيحه والبرق سوطه الذى يزجر به السحاب قيل امثال هذا كثير والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى انه هول هايل يهول الخلق ويذكرهم سلطانه وعظمته ولولا انهم اعتادوا ذلك والا لم تقم انفسهم لسماع ذلك وقوله ويسبح الرعد بحمده اى يذكرهم سلطانه وعظمته فيكون ذلك تسبيحه وما ذكروا من سلطانه وعظمته والملائكة من خيفته اى تسبيح الملائكة من خوفه والرعد يسبح ويذكر الخلق عظمة الله وسلطانه فتدل الثناء عليه و الملائكة يسبحونه فيما بينهم وبين ربهم فلم يذكر فيهم التسبيح بحمده وذكر فى الرعد والملائكة من خيفته اى من خوفه ثم الخوف يخرج على وجهين احدهما خوف من عقوبته لانه قد جاء فيهم الوعيد اذا زلوا كقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية والثانى خوف رهبة وهيبة لا خوف عقوبته لان الله تعالى وصفهم بالطاعة له والاستسلام كقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله ولا يستحسرون الاية ويخوف ذلك بمثل خوف الهيبة لا يزول فى الاخرة وخوف العقوبة يزول وقوله عز وجل ويرسل الصواعق قيل الصاعقة الصيحة التى فيها موت البعض ويذهب عقل البعض كقوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض وقيل هى اسم العذاب وقد ذكرنا فيما تقدم ذكر فى بعض الاخبار ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فساله عن شئ من امر الرب فجاءت صاعقة فاحرقته ونزل ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال وقوله عز وجل وهم يجادلون فى الله اى فى توحيد الله لان اهل الكفر كلهم كانت مجادلتهم فى توحيد الله والوهيته وقوله عز وجل وهو شديد المحال قال بعضهم شديد الانتقام والعقوبة وقيل شديد القوة وقيل شديد الاخذ وقال القتبى المحال المكيد والمكر واصل المحال الحيلة لكن سمى باسم الاول لانه جزاء الحيلة فيكون كتسمية جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء والمكر ما ذكرنا انه الاخذ من حيث لا يشعرون به وقال ابو عوسجة المحال عندى وقال ابو عوسجة المعقبات الحفظة الذين يحفظونه بامر الله ويقال عقبة اى حفظته واما قوله لا معقب لحكمه اى لا راد لحكمه قال ويقال غير هذا اعقب فلان فلانا اى ذهب هو وجاء هذا ويقال عقبت اى رجعت وماخذها من العقب ويقال رجع على عقبيه اى من حيث جاء وقال القتبى معقبات ملائكة يعقب بعضها بعضا فى الليل والنهار اذا مضى فريق خلف فريق يحفظونه من امر الله وقوله وما لهم من دونه من وال اى ولى مثل قادر وقدير وحافظ وحفيظ وذلك جائز فى اللغة وقوله عز وجل له دعوة الحق يحتمل وجهين يحتمل اى له عبادة الحق وليس لمن دونه عبادة الحق اى هو المستحق للعبادة ليس من يعبدونه بالذى يستحق العبادة وعبادة الحق له ليس لمن دونه والثانى له دعوة الحق اى له اجابة من دعا بالحق فعلى التاويل الاول الدعوة العبادة وعلى الثانى الدعوة الاجابة اى له اجابة دعوة من دعا بالحق والله اعلم هو يملك اجابة دعوة فاما من عبد دونه ودعى دونه لا يملك ذلك يدل على ذلك قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ اى والذى يدعون من دونه لا يملكون الاجابة او لا يملكون ما يأملون من عبادتهم الاصنام فيكون مثله ما ذكر الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وجه صرف مثل من يدعون من دون الله بباسط كفيه الى الماء هو والله اعلم ليس من يدعون من دون الله الا كباسط كفيه الى الماء فيدعو الماء فكما لا يجيبه الماء وان دعاه فعلى ذلك من يدعوا الاصنام لا يملكون اجابته والله اعلم بذلك او ان يكون وجه ضرب هذا المثل ان من عبد دون الله او دعا من دونه ليس الا باسط كفيه الى الماء وهو على بعد من الماء فكما لا يصل هو الى الماء لا يصل من عبد دون الله الى ما يومل ويطمع او يحتمل من وجه اخر وهو ان الماء يغترف اذا قبض الكف ولا سبيل الى الاغتراف اذا بسطت فعلى ذلك من عبد دون الله وقوله عز وجل وما دعاء الكافرين الا فى ضلال اى دعاؤهم وعبادتهم لا يعقب لهم الا الخسار فى الاخرة حاصله يضل ذلك كله عنهم لا يصلون الى ما يأملون بالدعاء والعبادة كقوله وضل عنهم ما كانوا يعملون او يفترون وقوله عز وجل ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها يحتمل قوله يسجد على حقيقة السجود يسجد له المؤمن والكافر جميعا اما المؤمن فانه يسجد له بالاختيار والطوع ويحتمل ما ذكر من السجود وجوها احدها حقيقة السجود فان كان هذا فهو فى المؤمنين خاصة والثانى سجود الخلقة فان كان على هذا فهو فى جميع الخلايق جعل الله فى خلقة كل شئ دلالة وحدانيته واية الوهيته وربوبيته والثالث سجود الاحوال فهو فى المؤمن

والكافر جميعًا اما المؤمن فهو يسجد له في كل حال واما الكافر فانه يسجد له ويخضع في حال الشدة والضيق ولا يسجد له في حال السعة والرخاء ويشبه ان يكون الكافر يكون سجوده اختيارًا وطوعًا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انهم وان عبدوا الاصنام فيرون السجود والعبادة لله لكنه لم يقبل ذلك منهم لاشراكهم غيره في ذلك وقوله عز وجل وظلالهم بالغدو والاصال اي يسجد ظلالهم بالغدو والاصال ينتقل ظل كل احد بانتقال نفسه ينتقل حيث ينتقل نفسه فذكر الغدو والاصال اي لا تر بالغدو والعشي يظهر الظل ويحتمل السجود انه يسجد اي يخضع له من في السموات والارض طوعا وكرها فان كان على الخضوع فهو في الخلائق كلهم في البشر وغير البشر وذي الروح وغير ذي الروح وظلالهم بالغدو والاصال اي ظلالهم تخضع له ايضًا بالغدو والاصال ويحتمل ان يكون المراد من السجود والخلقة فليسجد له خلقة كل احد فان قيل معنى الغدو والاصال قيل يحتمل ابدًا دائمًا لبس على المراد الوقت ولكن على الاوقات كلها وقوله عز وجل قل من رب السموات قل الله امره ان يسألهم من رب السموات والارض ثم امره ان يجيب هو لهم فيقول الله وهو في الظاهر دعوى اكثر ما في هذه الا دعوى وبعضه حجاج وهو قوله لا يملكون لانفسهم نفعا وقوله خلقوا كخلقه لانهم يقرون بهذا لا يخلقون كخلقه ولا يملكون دفع الضر ولا جر النفع قوله قل من رب السموات والارض قل انما امره ان يسألهم من رب السموات والارض ولم يقل من ربكم فانما امره ان يسألهم ما لا يتجاسرون ان يقولوا الاصنام التي يعبدونها ارباب السموات والارض فلا بد من ان يقروا الله رب السموات فاذا اقروا بهذا انه رب السموات والارض فقد دخل ما في السموات والارض في ربوبيته او السموات والارض انما خلقتا لاهلهما فاذا كان رب السموات والارض كان رب ما فيهما وقال بعضهم قل من رب السموات قل الله امره ان يسألهم ان يسبقهم بالاجابة لانه هو السابق بكل خير وهو يجيبون له انه رب السموات والارض دليله حرف ابي وابن مسعود وحفصة حيث قرءا من رب السموات والارض قالوا الله يدل انه امره ان يسبقهم بالاجابة كما كان هو السابق على كل خير وقوله عز وجل افاتخذتم من دونه اولياء يقول والله اعلم اذا اقررتم ان رب السموات والارض هو الله وهو الاله فكيف اتخذتم من دونه هذه الاصنام الهة او اربابا وعبدتموها وكيف جعلتم من ليس هو رب السموات والارض اولى ممن اقررتم بالعبادة له اقررتما والله اعلم وقوله عز وجل لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا او لا يملكون نفعا لانفسهم ولا دفع الضر عنها فكيف يملكون نفع غيره او دفع ضر عن غيره فعرفهم انهم لا يملكون ذلك وان الله هو المالك فكيف تركتم عبادة من يملك ذلك وعبدتم من لا يملك فيخرج تأويله على وجهين احدهما يقول لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف اتخذتم دون الله الهة والثاني لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا مع وجود الحاجة فيها فكيف تعبدون على رجاء النفع لكم بقولكم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله قل هل يستوي الاعمى والبصير اي تعلمون ان الاصنام التي تعبدونها انها عمي لا تبصر شيئًا والله هو البصير فكيف تركتم عبادة من يبصر وعبدتم من لا يبصر هل يستوي ذلك اي لا يستوي او يقول لهم انكم تكونون بعبادتكم الاصنام طمعتم شفاعتهم عند الله وهم عمي وانتم بصراء فهل رايتم اعمى يقود بصيرًا في الشاهد رايتم من لا يكون دليلا لبصير فاذا لم تروا ذلك فكيف طمعتم من الاصنام ذلك وقال اهل التأويل قل هل يستوي الاعمى والبصير الاعمى الكافر والبصير المؤمن ام هل يستوي الظلمات والنور الظلمات الكفر والنور الايمان ووجه قولهم حيث شبهوا الكفر بالظلمة والايمان بالنور لان الظلمة تحجب وتستر كل شيء والنور يرفع ذلك الحجاب وذلك الستر فالايمان له دلائل وحجج ترفع تلك الحجب والستر فينور له كل شيء والكفر ليس له حجج ودلائل ترفع ذلك فهو ظلمة لم يبق له شيء والايمان نور كل شيء بالدلائل والحجج التي ذكرنا فصار الكافر كالاعمى لا يبصر شيئا لانه في الظلمة والمؤمن كالبصير والمؤمن لان معه الدلائل والحجج وقوله عز وجل ام جعلوا لله شركاء اي بل جعلوا لله شركاء في العبادة بعدما علموا انهم لا يملكون نفعا ان عبدوها ولا ضرا ان تركوا العبادة لها وقوله خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم اي خلق هؤلاء الاصنام التي عبدوها وانكروا في الوهيته كخلق الله فتشابه عليهم من خلق الاصنام اي عرفوا انها لم تخلق شيئا كما خلق الله فكيف اشركوا هذه الاصنام في عبادة الله والوهيته وهم كانوا قد اقروا ان الله هو خالق كل شيء وهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله لم يخلق افعال الخلق ولا يقدر على خلقها فاذا كان الله لم يخلقها فهم خلقوها على زعمهم فيكون موضع تشابه الخلق عليهم على قولهم فيدل على بطلان قولهم وفساد مذهبهم والله الموفق وقوله عز وجل قل الله خالق كل شيء في السموات والارض وهو الواحد القهار اي كل شيء تحت قدرته وقهره وسلطانه والاصنام التي تعبدونها مقهورة مغلوبة وقوله عز وجل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الى اخر ما ذكر من الامثال الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض قال بعض اهل التأويل هذا مثل ضربه الله لليقين والشك فاحتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فاما الشك فلا ينفع منه عمل واما اليقين فينفع الله به اهله وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك فاما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وهو اليقين وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك وهو قول ابن عباس وقال قتادة قوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها الصغير بصغره والكبير بكبره فاحتمل السيل زبدا رابيا يقول عاليا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء والجفاء ما يتعلق بالشجر من الزبد واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض فضرب

المثل للحق والباطل يقول والله اعلم كما اضمحل هذا الزبد الذي ظهر على فوق الماء فصار جفاء لا ينتفع به ولا يرجى بركته كذلك يضمحل الباطل من اهله كما اضمحل هذا الزبد وكما مكث هذا الماء في الارض ومما توقدون عليه في النار وقرارها فامرعت وربت بركته كذلك واخرجت له نباتها كذلك يبقى الحق لاهله كما بقي هذا الماء في الارض ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية يقول يبقى هذا الذهب والفضة حين ادخل في النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله او متاع يعني هذا الحديد والصفر الذي ينتفع به وفيه منافع يقول كما بقي خالص هذا الحديد وهذا الصفر حين ادخل النار وذهب خبثه كذلك يبقى الحق لاهله كما بقي خالصهما وقال الكلبي قوله انزل من السماء ماء وهو القران فاحتمله القلوب باهوائها دون اليقين على قدر يقينه وذو شك على قدر شكه فاحتملت الاهواء باطلا كثيرا وجفاء فالماء هو الحق والاودية هي القلوب والسيل الاهواء والزبد الباطل والحق المتاع والحلية قال كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض فالزبد وخبث الحديد وخبث المتاع هو الباطل من اصاب من هذا شيئا لم ينتفع به فكذلك الباطل يوم القيامة لا ينتفع بباطله واما الحلية والماء والمتاع فهو الحق من اصاب شيئا منه انتفع به وكذلك صاحب الحق يوم القيامة ينتفع بالحق اما الحلية فالذهب والفضة واما المتاع فالصفر والحديد والرصاص والنحاس ونحوه ليس شيء من هذا ينتفع به حتى يدخل النار فيميز صفوه من خبثه وقال الحسين بن وقد وهو قول مقاتل ضرب الله الكفر والايمان ومثل الحق والباطل انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها سال الوادي الكبير على قدر كبره والصغير على صغرها فاحتمل السيل زبدا رابيا اي عاليا ثم قال ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية الذهب والفضة ثم قال او متاع المشية والحديد والصفر والرصاص زبد مثله اي السيل زبد لا ينتفع به والماء ينتفع به والحلي والمتاع ايضا زبد مثل زبد السيل اذا ادخل النار وهو خبثه لا ينتفع به والحلي والمتاع ما خلص منهما ينتفع به فمثل الاودية مثل القلوب ومثل السيل مثل الاهواء ومثل الماء والحلي والمتاع الذي لا ينتفع به مثل الباطل فكما ينتفع بالماء وما خلص من الحلي والمتاع الذي ينتفع به اهله في الدنيا فكذلك الحق ينفع اهله في الاخرة وكما لا ينفع الزبد وخبث الحلي وخبث المتاع اهله في الدنيا فكذلك الباطل لا ينفع اهله في الاخرة كذلك اي هكذا يضرب الله الامثال اي يبين الله ما ذكر من مثل الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء قال يعني يابسا فلا ينتفع به واما ما ينفع الناس من الماء فيمكث في الارض فيسقون ويزرعون عليه وينتفعون به فهذه ثلاثة امثال ضربها في مثل واحد يقول هكذا يبين الله الامثال والاشباه للذين استجابوا اي اجابوا لربهم في الدنيا بالايمان والتوحيد الحسنى لهم وهي الجنة في الاخرة فضرب الله مثل الايمان والحق ووصفها بالثبات والقرار والطيب بالارض الطيبة مرة وشجرة ثانيا وضرب مثل الكفر والباطل بالارض الخبيثة والشجرة الخبيثة ووصفهما بالخبث والذهاب فقال ومثل كلمة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين وقال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وقال والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه الاية وضرب مثل المؤمن مرة بالبصير والسميع ومثل الكافر بالاعمى والاصم فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا وضرب مثل الكفر مرة بالظلمات ومرة بالرماد والموت ومثل الايمان بالنور والضياء والحياة ونحوه فهذه الامثال ضرب الله عز وجل تخرج كلها مخرج الدعوى في الظاهر ليس فيها بيان الحق منها وبيان المحق من غير المحق سوى ان فيها هل يستوي ذا مع ذا لا يستوي على ما ذكر هل يستوي الطيب الخبيث او البصير والسميع الاصم والاعمى او الميت الحي او الظلمات النور وامثاله هذا كله غير مستوي كل اهل الاديان وان اختلفت مذاهبهم يقول كل انا الذي عليه هو الحق والباطل هو الذي عليه غيري ويبقي كل من نفسه العمى والصمم وكونه في ظلمة ويدعي كونه في النور ونحوه فليس في نفس الامثال التي ضربت بيان الحق من الباطل والمحق من غيره فذلك يعرف بغيرها بالدلائل والحجج والبراهين وهو ما ذكر وتلك الامثال نضربها للناس الاية فبالدلائل والحجج والبراهين يعرف الحق من الباطل والمحق من غير المحق فللايمان والحق دلائل وحجج يعرف ذو العقول بالعقول حسنه وطيبه وما يعقب من ثمرته ويبين قبح الكفر والباطل الذي ذو العقول بالعقول واستخباثهم الباطل وما يعقب لاهله من الخبث والقبح والشرور قال القتبي زبدا رابيا اي عاليا على الماء ابتغاء حلية اي حلي او متاع اي يعني من فلز الارض وجواهرها مثل الرصاص والحديد ونحوه والذهب والفضة حيث تعلوها اذا اذيبت مثل زبد الماء والجفاء ما رمى به الوادي الى جنباته يقال اجفأت القدر بزبدها اذا القت زبدها عنها وقال ابو عوسجة رابيا اي مرتفعا فوق ظهر الماء وهو واحد ويقال زبد الماء اذا صار له زبد ابتغاء حلية هو من الحلي من الذهب والفضة مما يتحلى به فيذهب جفاء اي باطلا لا ينتفع به واما الجفاء فهو الظاهر الزاهون بالاشياء وقلة الاكتراث له والاستخفاف به وقال الجفا هو الغثاء ويقال قد اجفأ الوادي اذا علاه ذلك ثم جرى به الماء قال ابو عوسجة والغثاء عندي ما حمله السيل من العيدان والبعر وما يشبه ذلك وقال القتبي قوله فجعله غثاء احوى اي يبسا قال ابو عبيدة الجفاء الجمود ويذهب الى ان الزبد يجمد ويجتمع على

على الماء ثم يذهب بما نبتها وقال القرا يذهب جفاء اي يذهب سريعا كما جاء وقال الشيخ رحمه الله عليه ولشبه
ان يكون المثل الذي ضرب بالماء هو الدين وهو ان الدين الحق الذي انزل من السماء واحد لكن الناس اتخذوا اديانا متفرقة
ومذاهبا مختلفة كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فالدين الذي امر ليسلكوا واتباعه
واحد وهو كالماء الذي انزل من السماء واحد صاف وهو الاصل فحدث منه اشياء لا يعبا به ولا يكترث فعلى
ذلك السبل او ان يكون وجه ضرب مثله بالماء وهو ان الماء اذا انزل من السماء انزل طيبا عذبا لكن
اختلف الوانه وطعومه باختلاف جواهر الارض بعضه خرج مالحا اجاجا وبعضه مرا لا ينتفع به وبعضه
عذب وذلك على اختلاف جواهر الارض والا كان المنزل من السماء كله عذب طيب فالذي ينتفع به
واحد وهو العذب فعلى ذلك الدين الذي ينتفع به واحد والبواقي لا ينتفع بها كالمياه المرة والمالحة
او يكون غير هذا ونحن لا نعرفه والله اعلم وقوله عز وجل كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم اي
اجابوا ربهم فيما دعاهم اليه واتمام دعاهم الى السبب الذي يوجب لهم دار السلام وهي الجنة بقوله والله
يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم دعاهم الى دار السلام ومكن لهم من الاجابة له
والرد فمن اجابه فيما دعاه كان له دار السلام والحسنى الذي ذكره ومن رد دعاه كان له النار ووطا رهوان فانهما الختار
الموعود الذي وعد ان اختار اجابته الى ما دعاه فله النعيم الدايم الذي وعد دار السلام وان اختار الرد والا
الاجابة فله ما وعد من العذاب الدايم والهوان والامثال التي ذكرها للذين استجابوا لربهم الحسنى هو هكذا
للمؤمنين لانهم هم المنتفعون بها وكذلك ما ذكر من القران انه هدى ورحمة للمؤمنين واما على اهل الكفر فهو عمى
وضلال وكذلك قوله ويشف صدور قوم مؤمنين واما قلوب الكفرة فما زادتهم وحسا الى رجسهم وفي قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا وامثاله وقوله عز وجل لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اي ضعف
معه لافتدوا به يذكر هذا والله اعلم ان الذي كان يمنعهم عن الاجابة الى ما دعاهم اليه رغبتهم في هذه الدنيا و
ميلهم اليها يتمنون لما يحل فيهم من العذاب والشدايد ان يكون لهم ما في الارض جميعا ان يفتدوا به اولئك لهم
سوء الحساب اي يحاسبون حسابا يسوءهم لا نحسناتهم التي عملوها وطمعوا الانتفاع بها لم تنفعهم بل صارت
كالسراب الذي ذكر يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ولم يتجاوز عن سيئاتهم وماولهم جهنم وبئس
المهاد لما يسوءهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق اي من يعلم الحق حقا كمن هو
يعمى هو عنه ولا يعلم او من يعلم الحق انه حق كمن يعلمه الحق لنبا سواء كقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا
يعلمون وقوله عز وجل انما يتذكر اولوا الالباب اي انما يتذكر بالتذكير اولوا الالباب وذوو العقول الذين ينتفعون
بعقولهم وليهم ثم بين من هم فقال الذين يوفون بعهد الله يحتمل عهد خلقه يوفون ما في خلقتهم من العهد انه في خلقة
كل احد دلالة وحدانيته وشهادة الوهيته فوفوا ذلك العهد ويحتمل عهد الله ما جرى على السن الرسل وقد ذكرنا هذا
فيما تقدم وهو ما ذكر في اية اخرى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
الاية ولا ينقضون الميثاق العهد والميثاق واحد وسمي العهد ميثاقا لانه يوثق المرء يمنعه عن الاشتغال
بغيره والله اعلم وقوله عز وجل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل الصلوة التي امر الله بها ان توصل على جهات
ومراتب اما ما بينه وبين المؤمنين ان لا يحبهم الا ما يحب ولا يصحبهم الا بما يحب هو ان يصحب واما فيما بينه وبين
محارمه ان يؤدي ويحفظ الحقوق التي جعل الله لبعضهم على بعض ولا يضيعها واما فيما بينه وبين الرسل فهو
ان من حقهم ان يوصل الايمان بالنبيين جميعا والكتب كلها هذا والله اعلم الصلة التي امر الله ان يوصل بها
ويخشون ربهم اما في التقصير فيما امر ان يوصل واما بالتفريط في ذلك وترك الصلة ويخافون سوء الحساب
حين لم تنفعهم حسناتهم ولا يتجاوز عن شيء من سيئاتهم فذلك يسوءهم والله اعلم وقوله عز وجل والذين صبروا
لما ذكرنا فيما تقدم ان الصبر هو كف النفس وحبسها عما تهواه على ما تكره ويثقل عليها ثم يحتمل كفها وحبسها
عن الجزع في المصائب وعلى اداء ما افترض الله عليهم وامرهم بها او كفوا انفسهم وحبسوها عن المعاصي يكون
الصبر على الوجوه الثلاثة التي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ابتغاء وجه ربهم يحتمل وجهين يحتمل ابتغاء
رضوان الله ويحتمل ابتغاء وجه يكون لهم عند الله وهو المنزلة والرفعة ولذلك سمي الرفيع وذو منزلة
وجيها كقوله وجيها في الدنيا والاخرة اي ذو منزلة ورفعة في الدنيا والاخرة وعلى ذلك يخرج قوله فاينما
تولوا فثم وجه الله اي ثم الجهة التي امر الله ان يتوجه اليها فعلى ذلك هذا صبروا ابتغاء وجه ربهم اي ابتغاء
المنزلة والرفعة التي عند ربهم وابتغاء رضوان الله ومرضاته والله اعلم وقوله عز وجل واقاموا الصلوة
اي داموا على اقامتها ليس انهم اقاموا مرة ثم تركوها ولكن داموا على اقامتها وعلى ذلك قوله اقيموا الصلوة
اي دوموا على اقامتها ويحتمل قوله واقاموا الصلوة اي جعلوها قائمة ابدا وقوله عز وجل وانفقوا مما رزقناهم
سرا وعلانية يحتمل كل نفقة الصدقة والزكوة وما ينفق على عياله وولده سرا وعلانية اي ينفق في كل وقت
سرا من الناس وعلانية منهم اي ينفق على جهل من الناس وعلى علم منهم ينفقون على كل حال لا يمنعهم علم الناس
بذلك عن الانفاق بعد ان يكون ابتغاء وجه ربهم وقوله عز وجل ويدرءون بالحسنة السيئة اي يدفعون بالحسنة
السيئة ثم يحتمل وجهين احدهما يدفعون بالاحسان اليهم العداوة التي كانت بينهم كقوله ادفع بالتي هي احسن

فاذا الذي

فاذا الذي بينك وبينه عداوة الاية والثاني يدرءون الاساءة التي كانت لهم بالخير اليهم بالمعروف ولا يكافون
بالسيئ السيئ وبالشر ولكن يدفعونه بالخير وقال بعضهم في قوله ويدرءون بالحسنة السيئة اي اذا سفه عليهم
عليهم حلموا والسفه سيئة والحلم حسنة اولئك لهم عقبى اولئك الذين صبروا على ما ذكر من وفاء العهد و
الصلة التي امروا بها ان يصلوا والصبر على اداء ما امر به وافترض عليه والانتهاء عما نهى عنه الدار التي دعاهم
اليها بقوله والله يدعوا الى دار السلام والثاني اولئك لهم عقبى الدار اي عقبى حسناتهم دار الجنة اولئك
لهم عقبى هذه الدار الجنة او عاقبتهم دار الجنة ثم نعت تلك الدار فقال جنات عدن يدخلونها عدن قال
اهل التاويل عدن هو بطنان الجنة وهو وسطها وقال بعضهم عدن هو الاقامة اي جنات يقيمون فيها
يقال عدن اي اقام وقوله عز وجل ومن صلح من اباءهم وازواجهم وذرياتهم فان قيل كيف خص بالذكر الاباء
والازواج وذرياتهم فان قيل كيف خص بالذكر الاباء والازواج والذرية وهم قد دخلوا في قوله الذين يوفون
بعهد الله وفي قوله يصلون ما امر الله به ان يوصل والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم فما معنى تخصيصهم بالذكر
هذا يحتمل وجوها احدها انهم اسلموا فاخترموا اي ماتوا كما اسلموا ولم يكن لهم مما ذكر من الخيرات والحسنات
فاخبر ان هؤلاء يدخلونها ويلحقون باولئك والثاني لم يبلغوا الدرجة التي بلغ اولئك فاخبر عز وجل انه
يبلغهم درجة اولئك ويلحقهم به كقوله والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم
الاية يضم بعضهم الى بعض في الاخرة كما كانوا في الدنيا يضم كل ذي قرين في الدنيا قرينا اليه في الاخرة وفي
قوله ومن صلح من اباءهم وما ذكر دلالة ان صلاح غيره وان قرب منه لا ينفعه حتى يكون في نفسه صلاح من اباءهم
الى اخر ما ذكر وهو ما قال لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح دل هذا ان صلاح الوالد او قريبه لا يجدي له نفعا
في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل والملائكة يدخلون عليهم من كل باب هذا يحتمل ان يكون لمقامهم ومنازلهم
ابواب فيدخل عليهم من كل باب ملك والثاني يحتمل ان يكون باب في كل ملك بتحفة التي بها الاخر على اختلاف
منازلهم وقدر اعمالهم من كل باب اي من كل نوع من التحف وفيه وجهان احدهما ان الملائكة يكونون خدم
اهل الجنة وفي ذلك تفضيل عليهم او ان يكون على حق المصاحبة لما احبوا هم اهل الخير من البشر في الدنيا الخير هم
فجعل الله بينهم الرفقة والصحبة في الاخرة والله اعلم بذلك وقوله عز وجل سلام عليكم بما صبرتم كقوله تحيتهم فيها
سلام وقوله عز وجل فنعم عقبى الدار هو ما ذكرنا في قوله اولئك لهم عقبى الدار وقوله عز وجل والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه العهد قد ذكرناه في غير موضع وكذلك النقض وقوله عز وجل ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون في الارض كل حرف من هذه الحروف يقتضي معنى الحرف الاخر اذا نقضوا العهد والميثاق
قد قطعوا ما امر الله به ان يوصل وسعوا في الارض بالفساد واذا قطعوا ما امر الله ان يوصل نقضوا العهد
وسعوا في الارض بالفساد الا ان يقال ان نقض العهد يكون بالاعتقاد دون ذلك يكون منهم وبين نياتهم و
كذلك قطع ما امر الله به ان يوصل اذا كان الامر الذي امر به صلة الايمان بالنبيين والكتب جميعا فان كان
صلة الارحام فهو فصل والسعي في الارض بالفساد فعل ايضا من زنا وسرقة وقطع الطريق وغير ذلك من المعاصي وقطع
الطريق وقوله عز وجل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل ما امر الله به ان يوصل ما ذكرنا من وصل الايمان
ببعض الرسل بالكل وجميع الكتب ويحتمل صلة الارحام التي فرض عليهم صلتهم فقطعوا ذلك او امرهم ان يصلوا اعمالهم
ما اعتقدوا وقوله عز وجل اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار اللعنة هي الطرد في اللغة والابعاد كانهم طردوا
وابعدوا عن رحمة الله في الاخرة او طردوا وابعدوا من هداية الله وارشاده في الدنيا ولهم سوء الدار قد ذكرنا
انهم دعوا الى دار وحذروا عن دار دعوا الى دار السلام فان اجابوا فلهم الحسنى على ما ذكر وحذروا عن دار
الهوان فلم يحذروا دار السوء والهوان اوسماها سوء الدار لما يسوء مقامهم فيها او ذكر لاهل النار سوء
الدار مقابل ما ذكر لاهل الجنة حسن المآب وحسن الثواب والحسنى وقوله عز وجل الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يرغبهم فيما عنده ويوبسهم عما في ايدي الخلق ويقطع رجاءهم عن ذلك لان الذي كان يمنعهم
عن الايمان به ويحملهم على تكذيب الرسل وترك الاجابة هذه الاموال التي كانت في ايدي اولئك وبها رأوا دوام
الرياسة والعز والشرف لهم في هذه الدنيا فقال هو الباسط لذلك والقابض اولئك هو يوسع على من يشاء
ويقتر على من يشاء ليس ذلك الى الخلق وذكر انه يبسط الرزق لمن يشاء من اوليائه واعدائه ويقدر على من يشاء
من اعدائه واوليائه ليعلموا ان التوسيع في الدنيا والبسط لا يدل على الولاية ولا التقتير والتضييق على العداوة
ليس كما يكون في الشاهد يوسع على الاولياء ويبسط ويضيق على الاعداء لان التوسع في الدنيا والتضييق
بحق المحنة وفي الاخرة بحق الجزاء ويسوي في المحنة الولي والعدو ويجمع بينهما في المحنة ويفرق بينهما في الجزاء
وقوله عز وجل وفرحوا بالحيوة الدنيا يحتمل قوله فرحوا صلة ما تقدم وهو قوله الذين ينقضون عهد الله
الى قوله ويقطعون ما امر الله به ويفرحون بالحيوة الدنيا انما الفرح يحتمل وجوها يحتمل فرحوا بالحيوة
الدنيا اي رضوا بها كقوله بالحيوة واطمانوا بها او فرحوا سرورا بها فان قيل ان المؤمن قد يسر بالحيوة
الدنيا قيل يسر ولكن لا يلهيه سروره بها ولا يغفل عن الاخرة واما الكافر فانه لشدة سروره بها وفرحه
عليها يلهى عن الاخرة وعن جميع الطاعات وهكذا يعرف الناس انه اذا اشتد بالمرء السرور بالشيء فانه

يلهي عن غيره ويغفل عنه او يكون قوله فرحوا ما اشروا وبطروا كقوله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب
الفرحين وهو الاشروا البطر والله اعلم وقوله عز وجل وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع تأويله والله اعلم
او ما الحيوة الدنيا مع طول تمتعهم بها يمتع الاخرة الا كمتاع ساعة او كمتاع بشيء يسير وهو كقوله لم يلبثوا
الا عشية او ضحيها وكقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار ويظنون مع طول ما متعوا في هذه الدنيا عند متاع الاخرة
كانهم ما متعوا بها الا ساعة فعلى ذلك قوله وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع وهو ما ذكر في موضع خرما متاع
الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل عند متاع الاخرة لان متاع الاخرة ونعيمها دائم متصل غير منقطع لا يشوبه آفة
ولا حزن ولا خوف ومتاع الدنيا منقطع غير متصل مشوب بالآفات والاحزان لذلك كان قليلا عند متاع
الاخرة ونعيمها وقال بعض اهل التأويل وما الحيوة الدنيا في الاخرة الا متاع اي الا لهو وباطل لكن الوجه فيه
ما ذكرنا وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه يحتمل سؤالهم الاية انفس الايات التي اتت بها
الرسل من قبل قومهم او سألوا ايات سموها كقوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الاية او يكون لك بيت من زخرف الى اخر
ما ذكر من الايات سألوها منه او سألوه ايات تضطرهم وتقودهم على الايمان كقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء
آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وفيه دلالة آية لو شاء لانزل عليهم ايات لا منوا كلهم بها واهتدوا عند
اشياء لو اعطاهم لكان ذلك سبب اهتدائهم وتوحيدهم ولذلك لو اعطى اشياء لكان ذلك سبب كفرهم
جميعا كقوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية لكنه لا ينزل
الاية على شهواتهم واماناتهم ولكن تنزل اشياء يكون عند التأويل والنظر حجة لمن تأمل فيها وتفكر لا هتدى ومن
بالاختيار ومن اعرض عنها ولم يتفكر ضل وزاغ بالاختيار ويحتمل قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اي نشأ ايمانهم
واهتداءهم تنزل عليهم اية وذلك تأويل قوله على اثر سؤالهم الاية قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب
اي ينزل من الايات ما يهتدي بها المنيب اليها والمقبل ويضل المعرض عنها والصاد بالاختيار ويكون اهتداؤهم
باختيارهم وضلالهم باختيارهم لا بالاضطرار والقهر الا ترى انه قال الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وهو
القران الذي انزله على رسوله فهو وصف للمقبل المنيب الى ذكر الله يسكن وتطمئن قلوبهم بالتأمل والتفكر فيها واصله
ان الله عز وجل شاء اهتداء من علم انه يختار الاهتداء والايمان وشاء ضلال من علم انه يختار فعل الضلال والزيغ
يشاء لكل لما علم منه انه يختار ذلك وقوله عز وجل الا بذكر الله تطمئن القلوب وتسكن اليه وقال بعض اهل التأويل
هو في الحلف في الخصومات الا في الحلف بالله تطمئن وتسكن قلوب الذين امنوا لا تطمئن بالحلف بغير الله وقال
بعضهم الا بالقران بما في القران من الثواب يسكن ويطمئن قلوب الذين امنوا ويشبه ان يكون
قوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله اي تفرح وتستبشر قلوب الذين امنوا بذكر الله لا بذكر
تستبشر وتفرح قلوب الذين امنوا لانه ذكر في الكفرة الفرح بالحيوة الدنيا وهو قوله وفرحوا بالحيوة الدنيا
واطمانوا بها وذكر في المؤمنين الاستبشار والفرح بذكر الله وفي اولئك ذكر ان قلوبهم تشمئز بذكر الرحمن
وتستبشر بذكر من دونه وهو قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة لا يؤمنون
بالاخرة اذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون اخبر عز وجل ان قلوب المؤمنين تستبشر وتفرح بذكر
الله قلوب اولئك تشمئز وتستبشر بذكر من دونه وقوله عز وجل الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله
يخرج على وجهين احدهما تطمئن قلوبهم بذكر الله لهم وذكر الله لهم التوفيق والتسديد والعصمة ونحوه
والثاني تطمئن قلوبهم بذكر الله وذكر حمد الله احسانه ونعمه وعظمته وجلاله ونحوه وقوله عز وجل
الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ماب قيل خير لهم وغبطة وقيل حسنى لهم ونعمى لهم وقيل
يقال لطوبى لك ان اصبت خيرا وقيل هو اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل بالهندية وقيل اسم شجرة في الجنة
اصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في دار امته فان كان هذا وهو اسم شجرة فذلك
لا يستقيم الا تقدمه كان اهل الكتاب ادعوها لانفسهم فاخبر انها الذين امنوا لا لهم كقولهم لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى ثم قال عز وجل بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن ادعوا الجنة لانفسهم
فاخبر انها ليست لهم ولكن للذي اسلم واخلص وجهه لله فعلى ذلك يشبه ان يكونوا ادعوا بلا نفسهم
فاخبر انها ليست لهم ولكن للذين امنوا وان كان في مشركي العرب فهم ينكرون البعث والجنة والنار فيشبه
ان يكونوا قالوا ان كان بعث على ما يقولون وجنة طوبى فهي لنا كقوله لاجدن خيرا منها منقلبا وقال بعضهم
طوبى كلمة مدح الله بها ثوابهم وغبطهم بها وقال بعضهم طوبى كرامة اعداء الله تعالى لاوليائه وهي مذكورة
في الكتب وقوله عز وجل كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم اي كما ارسلنا الى امم من قبلك رسلا وهم
يكفرون بالرحمن وقالوا ربنا لا اله الا هو عليه توكلت الاية اي كل رسول كان ارسل قبلك كان امر ان يقول
ذكر كذلك ارسلناك الى قومك رسولا وان كانوا يكفرون بالرحمن فقل انت ما قال اولئك الرسل ربي لا اله
الا هو الاية لم تخل امة من رسول كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك يشبه ان
يكون هذا صلة قوله لولا انزل عليه اية من ربه يقول ارسلناك لتتلو انباء الرسل والامم الذين كانوا من قبلك
عليهم ليكون اية لرسالتك ليعلموا انك انما علمت تلك الانباء بالله تعالى وقوله عز وجل وهم يكفرون بالرحمن

يقول والله

يقول والله اعلم هم يكفرون بالرحمن وفي كل الخلق اية توحيد الرحمن والوهيته ولا في كل الخلق اية لرسالتك
وهم مع هذا كله يكفرون بالرحمن فعلى ذلك يكفرونه بايات رسالتك وقال ابو بكر الاصم وهم يكفرون بالرحمن
هو صلة قوله لولا انزل عليه اية من ربه وكانوا اهل التعهد من الكبرا فقال لو جئتهم بقرآن سيرت به الجبال
او قطعت به الارض او كلم به الموتى يقول لو جئت بذلك كله كان امرهم التكذيب والعناد وهو كقوله
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء الاية يخبر عز وجل عن عنادهم
انهم لا يؤمنون بالاية وان عظمت الا ان يشاء الله وقوله عز وجل لله الامر جميعا كقوله ما كانوا ليؤمنوا
الا ان يشاء الله اي الامر لله من شاء ان يؤمن فيؤمن ومن شاء ان لا يؤمن فلا يؤمن البتة وقال بعضهم
قوله وهم يكفرون بالرحمن اي يكفرون باسم الرحمن لانهم قالوا ان محمدا كان يدعونا الى عبادة الله وتوحيده
فالساعة تدعونا الى عبادة الرحمن والوهيته فذلك عبادة اثنين فقال قل هو ربي لا اله الا هو اي دعاء
الى عبادة الرحمن والوهيته هو دعاء الى عبادة الله هو واحد ليس هو باثنين ولا عدد كقوله قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن اي عدد الاسماء لا يوجب عدد الذات او يكون لشيء واحد في الشاهد اسماء مختلفة فاختلاف
الاسماء لا يوجب اختلاف الذات فعلى ذلك في الله وقال بعضهم الرحمن اسم من اسماء الله في الكتب الاول
قالوا كتبها رسول الله ابوا ان يقروا به قالوا وما الرحمن الا الا نعرفه فنزل وهم يكفرون بالرحمن والله اعلم
وقوله عز وجل ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخر ما ذكر قال بعض اهل التأويل تأويله لو ان قرانا ما غير
قرانك سيرت به الجبال عن اماكنها او قطعت به الارض او كلم به الموتى لفعلناه بقرانك ايضا ذلك ولكن لم نفعل
بكتاب من الكتب التي انزلنا على الرسل الذين من قبلك ولكن شيء اعطيته انبيائي ورسلي بل لله الامر جميعا تقول
بل جميع ذلك الامر كان من الله وليس من قبل القران اي لو فعل بالقران ذلك كان جميع ذلك من الله تعالى وقوله
عز وجل بل لله الامر جميعا ان شاء فعل ما سألتم وان شاء لم يفعل ويشبه ان يكون غير هذا اقرب ان يكون
صلة ما تقدم من سؤالهم الايات وهو قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه فيقول لو ان
قرانك الذي تقرأه عليهم لو سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لما امنوا بك ولما صدقوك
على رسالتك علما لا يؤمنون بالرحمن وكل الخلق يدل له اية لوحدانيته والوهيته يخبر عن شدة تعنتهم وتمردهم
في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سؤالهم الاية سؤال تعنت وتمرد ليس سؤال استرشاد واستدلال
وقال بعضهم قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال اي لو ان قرانا عمل بما ذكر لكان هذا القران تعظيما لهذا القران
والتأويل الذي ذكرنا قبل هذا كانه اقرب والله اعلم وقوله عز وجل افلم ييأس الذين امنوا قال بعضهم هو صلة
ما تقدم من قوله وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال الاية يقول والله اعلم افلم ييأس الذين امنوا
من ايمان من كان على ما وصف الله وتمام هذا ان المؤمنين سألوا لهم الايات ليؤمنوا لما سألوا هم الايات
من رسول الله فيقول افلم ييأس الذين امنوا عن ايمان هؤلاء وهو كما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية
ليؤمنن بها كان المؤمنين سألوا لهم الايات ليؤمنوا فقال وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون اي يؤمنون على طرح لا على هذا التأويل وقال بعضهم افلم ييأس الذين امنوا فلم تبين للذين امنوا انهم
لا يؤمنون لكثرة ما رأوا منهم من العناد والمكابرة فسروا الاياس بالعلم والاياس لان الاياس اذا غلبت
يعمل عمل العلم كالخوف والظن ونحوه جعلوه يقينا وعلما للغلبة لانه اذا غلب يعمل عمل اليقين والعلم وقال
بعضهم افلم ييأس اي فلم يعلم الذين امنوا ان الله يفعل لو شاء لهدى الناس جميعا وقوله افلم ييأس الذين امنوا
قالت عائشة رضي الله عنها قوله افلم ييأس خطأ من الكاتب انما هو فلم يتبين للذين امنوا ان لو يشاء الله فمعناه
اي قد تبين للذين امنوا وقال بعضهم قوله افلم ييأس اي فلم يعلم الذين امنوا اي قد علم الذين امنوا لو شاء الله ايمان
الناس واهتداءهم لامنوا واهتدوا وقال صاحب هذا التأويل ان جائز في اللغة ييأس يعلم وذكر انها لغة نخع وغيرها
والله اعلم وقال بعضهم قوله افلم ييأس الذين امنوا مقطوع من قوله ان لو يشاء الله الاية وهذا موصول بما تقدم
من قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه ثم قالوا جوابا لما قالوا كانه قال لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء اي علم منه انه يختار الضلال ويؤثره يشاء ذلك له من
علم منه انه يختار الهدى يشاء له ويكون قوله افلم ييأس امنوا مقطوع لا جواب له كانه قال افلم ييأس الذين
امنوا عن ايمانهم لكثرة ما رأوا منهم من العناد والتعنت بعد رؤيتهم الايات والحجج كان اهل الايمان والاسلام
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات التي سألوهم رغبة في اسلامهم واشفاقا عليهم فيقول والله اعلم
الم يأن للذين امنوا الاياس من ايمانهم اي قد اتى للذين امنوا ان ييأسوا من ايمانهم كقوله ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة الاية فعلى ذلك هذا يقول قد اتى للذين امنوا ان ييأسوا من ايمانهم ولو شاء لهدى الناس جميعا كقوله
ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقوله عز وجل ولا يزال الذين كفروا قال بعضهم الذين حاربوا رسول الله هو
صلى الله عليه وسلم تصيبهم بما صنعوا قارعة القارعة هي اسم ما يقرع القلوب ويكسرها ثم قومهم يكون
بعذاب وقتل وغيره من الهزيمة ويسبى ذراريهم ويغنم المسلمين اموالهم وتحل انت قريبا من دارهم قال
بعضهم او يكون القارعة يخبر انهم الذين قرب منكم دارهم وقال بعضهم لا تزال سرية من اباد رسول الله صلى الله

عليه وسلم تحل ببعضهم او ينزل هو قريبا منهم حتى يأتي وعد الله ووعيد الله يكون بوجهين احدهما ان يظفر بهم
جميعا وان يورث المؤمنين ارضهم وديارهم واموالهم والثاني يكون وعد الله فتح مكة كقوله واخرى لم تقدروا
عليها قد احاط الله بها الاية ان الله لا يخلف الميعاد ما وعد رسوله من الفتح والنصر وغيره وقوله عز وجل ولا يزال
الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة يحتمل ما ذكر من اصابة القارعة الجوع والشدائد التي اصابتهم ويحتمل القتال
والحروب التي كانت بينهم وبينهم وقوله او تحل قريبا من دارهم نزول السرايا بقرب من دارهم حتى يأتي وعد الله
يحتمل فتح مكة اي تحل قريبا من دارهم حتى يأتي ما وعد الله من فتح مكة عليك او ان يكون وعد الله هو البعث والله اعلم
وقوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول ولقد استهزئ برسل من قبلك قومهم كما استهزئ بك قومك
يعزي نبيه ليصبر على تكذيبهم وقال ابو بكر الاصم ولقد استهزئ برسل من قبلك من تقدم من الرسل سالهم
قومهم الايات والعذاب بالهزء تخبر بهذا ان ما سالوه من الاية اراد والهزء وهو صلة ما تقدم من قوله
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقوله عز وجل فامليت للذين كفروا يقول امهلتهم في كفرهم
وهو هذا يدل ان تاخير العذاب عنهم لا يؤمنهم وقوله عز وجل ثم اخذتهم وهم امنون فكيف كان
عقاب يقول اهلكت بهم جزاء ما كانوا يهزؤن منه قال بعضهم فكيف عقاب الله اي شديد عقابه وهو كقوله
وكاين من قرية امليت لها الاية وقيل كيف رأيت عذابي لهم اي لبئس وجدوه شديدا والعالت فكيف كان
عقاب اي لبئسما اوعدهم الرسل من العذاب كان حقا صدقا وقوله عز وجل افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
قال ابو بكر الاصم يقول من الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت الله ام شركاؤكم قال القتبي هو المدبر لها حفظ
بكل ما فيه الخلق ويشبه ان يكون تأويله افمن هو قائم اي حافظ وعالم على كل نفس بما كسبت او بالرزق لهم
والدفع عنهم كمن هو اعمى عن ذلك من ذلك ليسا بسواء كقوله افمن يعلم الله انما انزل اليك من ربك الحق الاية
او يقول افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن هو غيره قائم عليه ليسا بسواء وقال مقاتل افمن هو قائم
على رزقهم وطعامهم ثم قال وجعلوا لله شركاء اي وصفوا لله شركاء وعبدوها والله احق ان يعبد
من غيره يقول الله انا القائم على كل نفس ارزقهم واطعمهم افاكون انا وشركائي الذين لا يفعلون ذلك
سواء والوجه فيه ما وصفنا افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي برزق ويبصر ويعلم ما تعمل وتكسب
عن انواع البلايا كمن هو اعمى جاهل عاجز عن ذلك كله اي ليس هذا كذلك ويسفههم في اشراكهم الاصنام التي
عبدوها في الالوهية والعبادة وهي بالوصف الذي ذكر كمن هو اعمى عاجز عن ذلك اي ليسا بسواء وقوله
افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت يحتمل قائم على كل نفس بما كسبت فيما قدرها وقواها او في الجزاء يجزي على ما تكسب
وجعلوا لله شركاء في العبادة او في تسميتهم الهة لا يعلمون ما كسبها ولا يملكون جزاء ما كسبوا لها بينا يبين
سفههم في جعلهم هذه الاصنام والاوثان شركاء الله في العبادة وتسميتهم الهة مع علمهم انهم لا يقدرون
ولا يملكون شيئا من ذلك وقوله عز وجل قل سموهم قال بعض اهل التاويل قوله قل سموهم بذلك الاسم ولو سموهم
سموهم بكذب وباطل وزور وعندنا قوله قل سموهم اي لو سميتموها الهة واتخذتموها معبودا فسموها ايضا باسما
سميتم الله من نحو الخالق والرازق والرحمن والرحيم ونحوه والله اعلم وسميتم هذه الاصنام الهة ومعبودا فسموها
ايضا خالقا ورازقا ورحمانا ورحيما وهم يعلمون انها ليست كذلك والله اعلم وقوله عز وجل ام تنبؤنه بما لا يعلم
في الارض اي ام تنبؤن الله وهو عالم بما في السموات وما في الارض وعالم بكل شيء وهو لا يعلم في الارض ما تقولون
من الالهة وما تصفونه بالشركاء وكذلك يخرج قوله قل تنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض ام
تنبؤنه بما ليس في الارض شيء مما تقولون وتصفونه شيء اي تقول اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات والارض
وهو عالم بكل شيء تقرون انه عالم بكل شيء وهو لا يعلم بما تقولون وتسمونه من الشركاء وغيره والثاني ام تنبؤنه
بما لا يعلم اي ليس في الارض وقوله عز وجل ام بظاهر من القول قال اهل التاويل بظاهر من القول اي بل بباطل
من القول وزور ويشبه ان يكون بظاهر من القول اي بضعيف من القول وخفيف يسمون الشيء الذي لا حقيقة
له ولا ثبات ظاهرا باديا كقوله الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اي وخفيفهم لا خفيف له ولا قرار ويحتمل قوله
ام بظاهر من القول في الخلق والاسلاف اي لم يظهر ما يقولون ويضيفون اشراك هذه الاصنام وتسميتها الهة
معبودا فيكون ام في موضع حقيقة ويقين على هذا التاويل والله اعلم وقوله عز وجل زين للذين كفروا مكرهم
قولهم الذي قالوه من الكذب والزور انها الهة وانها شركاء الله لكن يشبه ان يكون قوله مكرهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث احتالوا حيلا ليقتلوه لئلا يظهر هذا الدين في الارض ويطفئون هذا النور ليدوم عزهم
وشرفهم في هذه الدنيا وهو كقوله وان يمكر بك الذين كفروا والمكر هو الاحتيال والاخذ من حيث الامن والله
اعلم وقوله عز وجل وصدوا عن السبيل صدوا الناس عن مكرهم واختيارهم ما اختاروا والسبيل المطلق هو سبيل الله
والذي كان جميع الاديان والمذهب يسمى سبيلا كقوله ولا تتبعوا السبل لكن ما ذكرنا ان السبيل المطلق وسبيل الله
والكتاب الله والدين المطلق دين الله وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد من اضله الله فلا يملك احد
هدايته وهداه فلا يملك احد اضلاله وقوله عز وجل لهم عذاب في الحيوة الدنيا العذاب لهم في الحيوة الدنيا
يحتمل القتل والقتال والخوف والجوع وانواع البلايا كقوله وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها

رغدا من كل مكان الاية وقوله عز وجل ولعذاب الاخرة اشق اي اشد وما لهم من الله من واق اي
ما لهم من عذاب الله من واق يقيهم من عذابه وقوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون يحتمل بصف الجنة التي
وعد المتقون او صفة الجنة التي وعد المتقون ويحتمل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية
يقول والله اعلم كشبه النار التي وعد الكافرون اي ليسا يشتبهان ولا مثلين لا يكون هذا مثل هذا ولا شبيهها
كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية يقول والله اعلم يقول الذي وصف
كذا من النعم الدائمة كالذي يكون عذابه وصف كذا اي لا يكون فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل تجري
من تحتها الانهار اكلها دائم اي ثمارها دائمة لا تزول ولا تنقطع ليس كثمار الدنيا لانها تزول ونعيمها
ليس من ثمرة من ثمار الدنيا الا وهي تزول وتنقطع في وقت فاخبر ان ثمار الاخرة وما فيها من النعيم
غير زائلة ولا منقطعة وكذلك عذابها دائم لا يزول وظلها ايضا اخبر ان ظل الجنة لا يزول ولا ينقطع
لا يكون فيها شمس يزول ظلها بزوالها وصف جميع ما فيها بالدوام والمنفعة الظل شيء لا اذى فيه
وفيه منافع والشمس فيها اذى ومنافع وكذلك جميع ما يكون من الاشياء في الدنيا يكون من الاشياء
فيها منافع ومضار وانها تزول وتنقطع فاخبر ان ظل الاخرة وما فيها من النعم دائمة باقية غير زائلة و
لا منقطعة ولا مضرة فيها ليس كنعيم الدنيا وظلها والله اعلم وقوله عز وجل تلك عقبى الذين اتقوا
وعقبى الكافرين النار اي جزاء الكافرين النار وظاهر هذا ان يكون الذين اتقوا الشرك لانه ذكر عقبى
الكافرين اتقوا وعقبى الكافرين النار اي جزاء وعقبى ما ذكرنا اي تلك الجنة جزاء الذين اتقوا الشرك
وعقبى الكافرين النار اي جزاء النار وعقبى هذه للذين اتقوا الجنة وعقبى اولئك النار وقال بعضهم
تلك عقبى الذين اتقوا اي عاقبة اعمالهم وحسناتهم الجنة وعاقبة اعمال الذين كفروا وسيئاتهم النار
وقوله عز وجل والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يشبه ان يكون الاية صلة قوله
وهم يكفرون بالرحمن فاخبر عز وجل ان الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك بذكر الرحمن ثم اختلف
في قوله الذين اتيناهم الكتاب قال بعضهم اصحاب محمد فرحوا بما انزل الى رسول الله وقال بعضهم الذين
اتيناهم الكتاب اهل التورية يفرحون بما انزل اليك يذكر ههنا انهم يفرحون بما انزل اليك ويذكر في موضع
انه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم وقال بعضهم في موضع اخر الذين اتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به فمن تلا منهم الكتاب حق تلاوته ولم يبدله ولم يغيره فهو
يؤمن به ويفرح بما انزل على محمد ومن غيره وبدله فهو لم يفرح بما انزل عليه وقوله والذين اتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك تأويله والله اعلم والذين اتيناهم منافع الكتاب اولئك يفرحون اليك وهو ما قال
في اية اخرى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته لان اكثرهم يفرحون بما انزل على محمد وقوله عز وجل
ومن الاحزاب من ينكر بعضه يحتمل اهل الكتاب كانوا ينكرون بعض ما انزل اليه لانهم ينكرون نعته وصفته
لانهم كتموا نعته وصفته التي في كتبهم ويحتمل قوله من الاحزاب من ينكر بعضه مشركي العرب وهم ايضا
انكروا بعض ما انزل اليه وهو ما ذكر وهم يكفرون بالرحمن وقوله اجعل الالهة الها واحدا ونحوه لم ينكروا كله
وقوله عز وجل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو كان هذا قاله على اثر قول كان منهم كانهم دعوه
الى ان يشاركهم في عبادة الاصنام او دعوه ان يكون على ما كان اباؤهم فقال قل انما امرت ان اعبد الله
وامرت ان لا اشرك به ويحتمل قوله ولا اشرك به قال ذلك من نفسه اليه ادعو يقول الى توحيد الله
ادعوا غيري ثم اخالف واعبد غيره واليه ماب اي اليه المرجع وقوله عز وجل وكذلك انزلناه اي
كما علمناك ادابا واعطناك النبوة كذلك انزلنا عليك حكما عربيا قيل حكمة عربية وكانت العرب لا تفهم الحكم
وتفسير قوله وكذلك انزلناه حكما عربيا ما ذكر في اية اخرى وهو قوله الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه
قرانا عربيا سمى القران حكما لانه للحكم انزل وقوله عز وجل ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم هذا لانه
انهم كانوا يدعونه الى ان يشاركهم في بعض ما هم فيه ما لك من الله من ولي ينصرك ويمنعك من عذاب الله ولا
واق يقي العذاب وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية قال بعض اهل
التاويل نزل هذا وذلك ان اليهود عيروا رسول الله وطعنوا في كثرة النساء والاولاد وقالوا لو كان
نبيا على ما يزعم لكان لا يميل بالنساء ولا يطلب الاولاد كما يفعله غيره وكانت النبوة تشغله عن ذلك
فانزل الله ولقد ارسلنا الاية اي ان الاستمتاع بالنساء واستكثارهم منهن لم يمنع عن الاختصاص بالنبوة
والرسالة على ما لم يمنع غيره من الرسل الذين كانوا من قبله والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لرسول ان يأتي
باية الا باذن الله اي لا يملكون انزال الايات من انفسهم انما ينزلها الله اذا شاء ذلك وهو قول
عيسى حيث قال انا ابرئ الاكمه والابرص لانه اخبر ان ما يأتي من الايات انما يأتيها باذن الله وبامره لا من
نفسه ويحتمل ان يكون جواب ما ذكر اهل التاويل وجواب غير ذلك ايضا وهو طعنهم الرسل بالاكل والشرب
والمشي في الاسواق وسؤالهم الايات التي سألوهم وجواب انكارهم الرسل من البشر يقول لست انت
باول رسول طعنت بما طعنك به قومك ولكن كان قبلك رسل طعن قومهم بما طعن به قومك وسالوهم

من الايات ما سال به قومك فلم يكن ذلك لهم عذرًا في رد ما ردوا وترك ما تركوا بل نزل بهم العذاب فعلى ذلك قومك وقوله عز وجل لكل اجل كتاب اختلف فيه قال قائلون لكل كتاب اجل وهي الكتب التي انزلت على الرسل يعمل بها الى وقت ثم تنسخ ويترك العمل بها وقال قائلون هو ما قال لكل اجل كتاب اي لكل ذي اجل اجله الى وقت انقضا ليس يراد به الكتابة بالبد ولكن الاثبات كقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي ثبت ليس ان كتب هنالك بالبد فعلى ذلك قوله لكل اجل كتاب اي اثبات الى وقت ويحتمل قوله لكل كتاب اجل اي لكل ما كتب له الاجل وجعل له الوقت من العذاب ينزل بالمعاندين والنصر للرسل فانه لا يكون قبل ذلك الوقت ولا يتاخر ايضا عن ذلك الوقت وهو كقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة الاية وقوله عز وجل يمحوا الله ما يشاء ويثبت ذلك قال قائلون قوله يمحوا الله ما يشاء المحو ههنا ان انشاه في الابتداء ممحوا ليس على ان كان مثبتا فمحا ولكن انشاه هكذا ممحوا وهو كقوله فمحونا اية الليل ليس اثر كان مثبتا كذا ثم محي ولكن انشاه في الاية ممحوا وكقوله رفع السموات ليس انها كانت موضوعة ثم رفعها ولكن انشاه ها مرتفعة كما هي فعلى ذلك هذا ثم يحتمل ذلك الاعمال التي كانت معفوة في الاصل من اعمال الصبيان والاعمال التي لا جزاء عليها وقال قائلون على احداث محو ثم يحتمل وجوها ما ينسخ من الاحكام فهو على محو الحكم به والعمل ليس على محو نفسه ويثبت وهو ما لا ينسخ ولا يترك العمل به والحكم ويحتمل المحو محو الاحوال وهو ما ينقل ويحول من حال الى حال من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة يحوله وينقله من حال الى حال اخرى فذلك هو المحو ويحتمل المحو ايضا هو ما يختم به امر السعادة والشقاء اذا كان كافرا ثم اسلم في اخر عمره محيت الاعمال التي كانت له في حال كفره فابدلت حسنات واذا كان مسلما ثم ختم بالكفر محيت اعماله التي كانت له من الصالحات فلم ينتفعوا بها او ان يكون ما ذكر من المحو والاثبات هو ما يكتب الحفظة من الاعمال والافعال يمحى عنها ما لا جزاء لها ولا ثواب ويبقى ما له الجزاء والثواب ويترك مكتوبا كما هو اويكون للخلق مقاصد في افعالهم والحفظة لا يطلعون على مقاصدهم فيكتبونه ما هو في الحقيقة حسنة لقصد سيئة على ظاهر ما عمل وحسنة في الظاهر وهو في الحقيقة سيئة فيغفر ذلك فيجعل ما هو في الحقيقة شر وفي الظاهر خير شرا بالقصد وما هو في الحقيقة خير وفي الظاهر شر خيرا ويكون في كتابة الحفظة من وجه اخر وهو ان الحفظة يكتبون الاعمال ثم يعارض ذلك بما في اللوح المحفوظ فيمحى من كتابة الحفظة من الزيادة ويثبت فيها ما كان فيه من النقصان والله اعلم وقوله عز وجل وعنده ام الكتاب هذا يحتمل عنده الذي يعارض به كتب الملائكة ويحتمل وعنده ام الكتاب الذي يستنسخ منه الكتب التي انزلت على الانبياء والرسل وهو اللوح المحفوظ وفيه دلالة ان اختلاف الالسن لا يوجب تغير المعنى لانه لا يدري ان تلك الكتب في اللوح باي لسان هو ثم انزل منه كل كتاب على لسان الرسول الذي نزل عليه وكذلك الملائكة الذين يكتبون اعمال بني ادم لا يحتمل ان يكتبوا بلسان الخلق لانه نظر لو كانوا يكتبون بلسان هؤلاء فدل انهم انما يكتبون بلسان انفسهم فهذا كله يدل ان اختلاف اللسان لا يوجب اختلاف المعنى والله اعلم وقوله عز وجل واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب كانه صلوات الله عليه طمع او ساله ان يريه جميع ما وعد له من انزال العذاب عليهم وانواع ما وعد فقال ان شئنا نرينك بعض ما وعدناهم وان شئنا نتوفينك ولم نرك وانما عليك البلاغ اي ليس لك من الامر شيء اي ليس اليك هذا انما عليك البلاغ وهو كقوله ليس لك من الامر شيء الاية انما عليك كذا فيخرج مخرج العتاب والتوبيخ ليس مخرج الوعد والعدة اذ قوله ذا او اوذا بحرف شك فهو يخرج على الوعد وعلى النهي عن سؤال كان من رسول الله فان كان على النهي فكانه نهاه ان يسال انزال العذاب عليهم يقول ان شئنا انزلنا وان شئنا لم ننزل وان كان على الوعد يقول نرينك بعض ما وعدناو لا نريك كله والا فظاهره حرف شك وقوله وعلينا الحساب يحتمل حساب ما وعد وجزاه ويحتمل الحساب المعروف الذي يحاسبهم يوم القيمة والله اعلم وقوله عز وجل الم يروا قد ذكرنا فيما تقدم انه انما هو حرف تعجيب وتنبيه فهو يخرج على وجهين احدهما على الخبر اي قد راوا انا فعلنا ما ذكروا والثاني على الامر اي راوا انا فعلنا ما ذكر وهو ما ذكر من قوله اولم يسيروا في الارض اي قد ساروا في الارض اي سيروا انا نات الارض ننقصها من اطرافها قال بعضهم هو ما جعل من ارض الكفرة للمسلمين بالفتح لهم والنصر على اولئك والخروج من سلطان اولئك الكفرة والديهم وادخالها في ايدي المسلمين فذلك النقصان والله اعلم لما وعد رسوله ان يريه بعض ما وعد لهم فقال الكفرة عند ذلك اين ما وعدك ان يريك فقال عند ذلك اولم يروا انا نات الارض ننقصها اي الم يروا انه جعل بعض ما كان لهم من الارضين للمسلمين فما قدر على جعل البعض الذي كان لهم لهؤلاء لقادر ان يجعل الكل لهم فلا يعتبرون هذا والله اعلم ما اراد بما ذكر من النقصان وقال قائلون نقصان الارض موت فقهائها وعلمائها وفنائها ووجه هذا وهو ان الفقهاء والعلماء هم عمار الارض واهلها وبهم صلاح الارض فوصف الارض بالنقصان بذهاب اهلها وهو كما وصف الارض بالفساد وهو قوله لفسدت الارض وقوله ظهر الفساد في البر والبحر فالارض لا تفسد بنفسها ولكن وصفت بالفساد لاهلها فعلى ذلك لا تنقص هي بنفسها ولكن وصفت بالنقصان لذهاب اهلها وعمارها فقهائها وعلمائها ثم يحتمل ذهاب العلماء المتقدمين الذين تقدموا رسول الله في الامم السالفة وهم علماء اهل الكتاب فيقولوا لا يجي

[في الهامش: يمحوا الله ما يشاء ويثبت]

[في الهامش: ثم يحتمل ذلك الاعمال التي كانت معفوة في الاصل]

[في الهامش: بعضهم قالوا على احداث المحو]

[في الهامش: المحو والاثبات من كتب الحفظة]

[في الهامش: ام الكتاب هو نسر اختلاف]

باولئك

باولئك الذين قبضوا وتفانوا من علمائهم فلا بد من رسول يعلمهم الاداب والعلوم ويجدد ما درس من الرسوم وذهب من الاثار فكيف انكروا رسالته وفي بعث الرسول حدوث العلماء وذلك وقت حدوث العلماء وزمانه فان كان اراد العلماء المتاخرين وفقهاءهم فيخرج ذلك مخرج التعزية له اي تصبر الارض يحال يوصف بالنقصان بذهاب العلماء والفقهاء والله اعلم وقوله عز وجل والله يحكم لا معقب لحكمه قيل لا راد لحكمه ويحتمل العذاب الذي حكم على الكفرة يقول لا راد للعذاب الذي حكم عليهم وهو كقوله رب احكم بالحق اي احكم بالعذاب الذي حكمت عليهم ويحتمل قوله لا معقب لحكمه اي لا يتعقب احد حكمه ولا يعقب احد سلطانه كما يكون في حكم الخلائق يتعقب بعض عن بعض وكما ذكر في الحفظة له معقبات من بين يديه يتعقب بعض عن بعض في الحفظ وفيما سلطوا والله اعلم وهو سريع الحساب هذا قد ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل وقد مكر الذين من قبلهم اي مكر الذين من قبلهم برسلهم كمكر هؤلاء بك يصبر رسوله على اذاهم به ثم يحتمل المكر به وجهين احدهما مكروا بنفسه هموا بقتله واهلاكه والثاني مكروا بدينه الذي دعاهم اليه وارادوا اطفاء هموهم اطفاء ذلك وابطاله وكذلك مكر الذين من قبلهم برسلهم يخرج على هذا والله اعلم وقوله عز وجل فلله المكر جميعا هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما يقول فلله جزاء المكر جميعا يجزي كلا بمكره والثاني اي لله حقيقة المكر ياخذهم جميعا بالحق من حيث لا يشعرون واما هم فانما ياخذون لا بالحق ولكن بالباطل ولا يقدرون على الاخذ من حيث لا يشعرون الا قليلا من ذلك فحقيقة المكر الذي هو مكر بالحق في الحقيقة لله لا لهم ويحتمل قوله فلله المكر جميعا اي لله تدبير المكر جميعا ان نشأ امضا وان شاء منعهم اليه ذلك لا اليهم والله حقيقة المكر يغلب مكره مكر اولئك وقوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس من خير او شر وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار يشبه ان يكون عقبى الدار هو في ما عندهم وهي الجنة فكونه مثله قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فيقول والله اعلم سيعلمونهم لمن عقبى الدار لهم ام للمؤمنين او ان يكون جواب قوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا انهم لما راوا هم مفضلين في من الدنيا ووسع عليهم الدنيا ظنوا انهم في الاخرة كذلك فقال ذلك جوابا لهم وقوله عز وجل ويقول الذين كفروا اي قالوا لست مرسلا اي لن يبعثك الله رسولا وهم كانوا يقولون كذلك له فامره ان يقول لهم كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اني نبي رسول الله اليكم بالايات التي اتى بها او كان قال لهم هذا لما بالغ في الحجاج والبراهين في اثبات الرسالة والنبوة فلم يقبلوا ذلك فايس من تصديقهم فعند ذلك قال كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب اي يعلم من كان عنده علم الكتاب يعني التورية م فيشهد ايضا اني رسول نبي اي يعلم من كان عنده علم الكتاب اني على حق واني رسول الله وهو كقوله اولم يكن لهم اية الاية وقوله فاسئلوا اهل الذكر ومن قرا بالخفض ومن عنده علم الكتاب فنا ويلم والله اعلم اي من عند الله جاء علم هذا الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكذلك روى في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقرا ومن عنده علم الكتاب بالخفض واما القراء جميعا كانهم يختارون بالنصب ومن عنده علم الكتاب قال ابو عبيد وقرا بعضهم ومن عنده علم الكتاب به بخفض الميم والدال ورفع العين وقال انكر لا ادري عن هو وروى عن عبد الله بن سلام انه قال في نزل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب هذا يؤيد ان يثبت قول اهل التاويل حيث قالوا ومن عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه والله اعلم بالصواب

[في الهامش: سورة ابرهيم]

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر كتاب عن حروف مقطعة جعلها بالحكم كتاب انزلناه اي جمعناها وجعلنا كتابا اعني تلك الحروف المقطعة كتابا وانزلناه اليك بعد ما لم يكن تدري ما الكتاب وهو كما قال ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله ولا تخطه بيمينك لتخرج الناس وما يضاف الاخراج الى الله فانه يكون باعطاء الاسباب وحقيقة ما يكون به الافعال وهي القدرة وما يضاف الاخراج الى الرسل فانه لا يكون الا باعطاء الاسباب لانه لا يملك احد سوى اعطا ما به يكون الفعل ثم الاسباب يكون بوجهين احدهما الدعاء الى ذلك والثاني ما اتى بهم من البيان والحجة على ذلك فهو الاسباب التي تملك الرسل اتيانها واما ما به حقيقة الفعل فانه لا يملك الا الله وقوله لتخرج الناس من الظلمات الى النور قيل من الكفر الى الايمان التي يملك الرسل اتيانها سمى الكفر ظلمات وهو واحد لانه يستر جميع منافذ الجوارح من البصر والسمع واللسان يبصر ما لا يصلح ويسمع ما لا يصلح وكذلك القول يقول ما لا يصلح وكذلك جميع الجوارح والايمان يرفع ويكشف جميع الحجب والستور ويضي له كل مستور والثالث قوله من الظلمات اي من الشبهات الى النور الى الايمان والهدى وقوله تخرج الناس من الظلمات الى النور الاخراج المضاف الى الله والهداية يخرج على وجوه اولها احدها بامر يدعوهم اليه ما ذكر والثاني يكشف ويبين والثالث يرغب ويرهب حتى يرغبوا في المرغوب ويحذروا المرهوب والرابع تحقيق ما يكون به الهداية وذلك لا يكون الا بالله وهو التوفيق والعصمة واما الوجوه الثلثة الاول

فانما تكون برسول الله يأمر ويدعو ويرغب ويرهب ويبين ويكشف والله اعلم وقوله الر كتاب انزلناه اليك
لتخرج الناس كانه قال كتاب انزلناه اليك لتأمر الناس بالخروج مما ذكر الى ما ذكر والثاني انزلناه لتخرج به الناس
مما ذكر باذن ربهم قيل بأمر ربهم اى يدعوهم بأمر ربهم وقال قائلون بعلم ربهم اى انزل هذه الحروف المقطعة
بعلمه والثالث يحتمل بتوفيق ربهم الاذن من الله يحتمل احد هذه الوجوه التي ذكرنا الامر والعلم والتوفيق وقوله
عز وجل الى صراط العزيز الحميد هو الله اى يدعوهم الى طريق الله الذي من سلكه نجا العزيز الحميد سمي عزيزا لان كل
عزيز به يعز ويقال عزيز لانه عزيز بذاته ليس بغيره كالخلائق او العزيز هو الذي لا يطلب والحميد هو الذي لا يلحقه
الخطأ في تدبيره وقال اهل التأويل العزيز المنيع والحميد الذي هو يقبل اليسير من العباد وقوله عز وجل الله
الذي له ما في السموات وما في الارض من قرأ بالخفض صير موصولا بالاول وجعله كلاما واحدا واتبع الخفض الخفض
ومن قرأ بالرفع الله الذي جعله مقطوعا عن الاول على حق الابتداء فقال الله الذي له ما في السموات وما في الارض
ليعلم انه بما امر الخلق ويدعوهم الى دينه ويمتحنهم بانواع المحن لا يفعل ذلك لمنافع نفسه او لحاجته في ذلك
بل لحاجة الممتحنين ولمنافعهم وقوله عز وجل وويل للكافرين من عذاب شديد قال قائلون الويل الشدة وقيل الويل
هو اسم واد في جهنم وقال الاصم الويل هو نداء كل مكروب وملهوف من شدة البلاء وقول الحسن كذلك وقوله
عز وجل الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وصف اولئك الذين ذكر ان فيهم الويل منهم فقال الذين يستحبون
الحيوة الدنيا على الاخرة اى اثروا واختاروا الحيوة الدنيا على الاخرة اى رضوا بها واطمأنوا فيها كقوله ورضوا
بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها اختاروا الحيوة الدنيا لان الدنيا لم تختار والاخرة فالدنيا انشأت لا للدنيا ولكن
انما انشأت للاخرة فمن اختارها لها لا ليسلك بها الى الاخرة ضل وزاغ عن الحق وقوله الذين يستحبون الحيوة
الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة حتى يلهوا عن الاخرة ويسهوا فيها ويغفلوا
والا اهل الاسلام ربما يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة وهو ما ذكرنا انهم يختاروه ذلك للاخرة واولئك
للدنيا وقوله عز وجل ويصدون عن سبيل الله يحتمل يصدون وجهين احدهما اعرضوا بانفسهم والثاني صرفوا الناس عن
سبيل الله الذي من سلكه نجا لكن انما يتبين ويظهر ذلك بالمصدر صد يصد صدا صرف غيره وصد يصد صدودا اعرض
هو بنفسه ويبغونها عوجا اى طعنا وعيبا فيه دل هذا على ان الاية في الرؤساء منهم والقادة الذين كانوا يصدون
الناس عن سبيل الله ويبغونها في دين الله الطعن والعيب فما وجدوا الى ذلك سبيلا قط وقوله عز وجل اولئك في ضلال
بعيد الضلال يحتمل وجوها يحتمل الضلال اى هلكوا هلاكا لا نجاة فيه قط ويحتمل الحيرة والتيه اى تحيروا فيه
وتاهوا حتى لا يهتدون ابدا ويحتمل الضلال البطلان اى في بطلان بعيد حتى لا يصلحوا ابدا وهو في قوم علم الله انهم
انهم لا يهتدون ابدا ويموتون على الضلال وقوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لو كان غيره من
الكتب ارسلت بغير لسانهم لا لم يكن هذا الكتاب يجب ان يكون مبعوثا بلسان قومه لانه جعل هذا الكتاب نفسه
حجة واية لرسالته لانهم يعجزون عن اتيان مثله وهو كان بلسانهم ليعلموا انه من الله جاء اذ لو كان من اختراع الرسول
لقدروا على اختراع مثله لان لسانهم مثل لسانه فاذا عجزوا عن اتيان مثله دل انه منزل من الله تعالى لا من عند الخلق
ثم يحتمل قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وجوها قال قائلون هذا بعد ما اختلف الالسن ارسل هذا
وقبله انبياء او انهم الذين كانوا لسانهم غير لسان هؤلاء واخبارهم ليعلموا انه انما عرف تلك الانباء والاخبار
التي كانت بغير لسانهم بالله وقال بعضهم ارسل بلسان قومه لئلا يكون لهم مقال كقوله لولا فصلت اياته الاية
والثالث انه اذا كان بلسانهم يكون الف واقرب الى القبول مما كان بغيره اذ كل ذي نوع وجنس يكون بجنسه ونوعه
الف من غير نوعه وجوهره كقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اذ ليس في وسع البشر رؤية الملك والنظر اليه على
ما هو عليه فعلى ذلك كل ذي لسان يكون بلسانه افهم واقرب للقبول والفهم من غيره وقوله عز وجل ليبين لهم
قال قائلون ليكون ابين لهم وافهم وقال قائلون ليبين لهم فيفهمون قول رسولهم وقوله عز وجل ليبين لهم
فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ان يضل الله من اثر سبب الضلال ويهدي من يشاء من اثر سببا الذي به
يهتدي يهديه لذلك وقال قائلون يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء هذا حكم الله ان يضل المكذبين ويهدي
المصدقين لكن الوجه فيه ما ذكرنا بدءا انه يضل من اثر سبب الضلال ويهدي من يشاء هذا حكم الله ان يضل
المكذبين ويهدي المصدقين ومن اثر سبب الاهتداء وهو العزيز الحكيم لان جميع الخلائق مفتقرون اليه اذلاء
بعز من عز او ان يكون العزيز هو الذي لا يغلب والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في الحكم والتدبير او الحكيم في بعث
الرسل وفي جميع فعله ولم يؤخذ عليه في فعله خطأ قط مصيب وضع كل شيء موضعه وقوله عز وجل ولقد ارسلنا
موسى باياتنا يحتمل اياته حججه وبراهينه التي ارسل بها على وحدانية الله والوهيته ويحتمل اياته التي بعثها الى
موسى ليقيمها على رسالته ان شئت قلت اياته حججه وان شئت سميتها اعلاما والايات والاعلام والحجج كله واحد
فيكون اعلام وحدانية الله والوهيته واعلام رسالته وقال قائلون باياتنا اى بديننا اى ارسلنا موسى
بديننا ليدعوهم اليه ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وعلى ذلك بعث جميع الرسل والانبياء بعثوا ليخرجوا
قومهم من الظلمات الى النور وقد ذكرنا هذا في غير موضع وقوله عز وجل وذكرهم بايام الله التذكير هو
العظة اى عظهم بايام الله قال قائلون ايام الله نعمه قال قتادة امره ان يذكرهم نعم الله التي انعمها عليهم فان

الله عليكم اياما من النعم كايام القوم كم من خير قد اعطاه الله لكم وكم من سوء قد صرفه الله عنكم وكم من غم قد فرجه
الله عنكم فاللهم ربنا لك الحمد وقال قائلون ايام الله وقايعه اى ذكرهم بوقايع الله في الامم السالفة كيف اهلكهم
لما كذبوا الرسل هذا يحتمل يذكرهم نعم الله التي كانت على المصدقين بتصديقهم وهو ما انجا المصدقين من
التعذيب والاهلاك اهلاك تعذيب او ذكر المكذبين منهم بالوقايع التي كانت عليهم اولئك بالتكذيب
وهو الاهلاك ويشبه ان يكون قوله بايام الله الايام المعروفة نفسها امره ان يذكرهم بها لان الايام
تأتي بارزاقهم وتمضي باعمالهم واعمارهم وان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وتفنى اعمارهم واجالهم
وفيما يأتي بارزاقهم نعم من الله عليهم وفي ذهاب اعمارهم واجالهم اظهار سلطان الله وقد ترقا مره
ان يذكرهم بذلك والله اعلم هذا يشبه ان يكون امر موسى ان يذكر بني اسرائيل ما كان عليهم من فرعون من انواع
التعذيب ثم الانجا من بعد بقول والله اعلم ذكرهم الايام الماضية وما تبلوها وهذا اشبه واقرب
من فرعون من انواع التعذيب ثم الانجاء من بعده بقول والله اعلم ذكرهم الايام الماضية وما تبلوها وهذا
اشبه واقرب الى والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لكل صبار شكور قد ذكرنا ان الصبر هو كف
النفس عن معاصي الله وعن جميع مناهيه والشكر هو الرغبة في طاعته اخبر ان فيما ذكر ايات لمن كف هو نفسه
عن المعاصي ورغب في طاعته لا لمن تطاول على الرسل وتكبر عليهم وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم اليه ليس
لامثال هؤلاء عبرة واية لمن تطاول على الرسل وتكبر عليهم وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم
لمن ذكرنا ويشبه ان يكون عليهم وترك اجابتهم ولم يرغب فيما دعوهم اليه ليس لامثال هؤلاء عبرة
واية الا لمن ذكرنا ويشبه ان يكون الصبار والشكور كناية عن المؤمن لان كل مؤمن امن بالله ووصله اعتقد
الكف عن جميع والرغبة في كل طاعته وان كان يقع احيانا في معصيته فكأنه قال ان في ذلك لايات للمؤمنين
على ما ذكر في غيره من الايات من ذلك قوله ان في ذلك لاية للمؤمنين وللموقنين وللمتقين ونحوه والله اعلم
وقوله عز وجل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يشبه ان يكون هذا
على الاضمار وهو ما ذكر في اية اخرى اى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الاية واذكروا
ايضا اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم قيل يعذبونكم سوء العذاب وقال قائلون يبغونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم السوم الاذاقة والتعريض يقال سامني كذا اى اذاقني وعرضني ويقال
سمت الدابة على الحوض اى عرضتها وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هذا ايضا قد ذكرناه فيما تقدم في سورة
البقرة والاعراف والله اعلم وقوله عز وجل واذ تأذن قال بعضهم واذ تأذن قال ربكم وقيل اذا علم ربكم
واخبر والعرب ربما قالت افعلت في معنى تفعلت فهذا من ذلك ومثله في الكلام اوعدني وتوعدني وهو قول القرآ
حقيقة وعد ربكم او كفل ربكم لئن شكرتم لازيدنكم لم يقل لئن شكرتم نعمة كذا ولا بين اي نعمة النعم كلها
او نعمة دون نعمة والحال شكرتم عاما وقال لازيدنكم لم يذكر الزيادة فيماذا ومن اى شيء هي فيشبه ان
يكون قوله لئن شكرتم بالتوحيد اى وحدتم الله في الدنيا فيما خلقكم خلقا وركب فيكم ما تلذذون وتتنعمون
في الدنيا وفيما قومكم من احسن تقويم لازيدنكم النعم الدائمة في الاخرة فيصير على هذا التأويل كانه قال
لئن كنتم شاكرين في الاخرة لازيدنكم النعم الدائمة والى هذا يذهب ابن عباس رضي الله عنه او قريب منه
الا ترى انه قال ولئن كفرتم ان عذابي لشديد اى ولئن كفرتم ولم توحدوه واشركتم غيره فيه وصرفتم
شكر تلك النعم الى غيره ان عذابي لشديد ويحتمل ان يكون كل نعمة يشكرها يزيد له من نوعها في الدنيا و
يدوم ذلك له وفي قوله ولئن شكرتم لازيدنكم لطف وفضل لان الشكر هو المجازاة والمكافاة لما سبق
والله تعالى لا يبقى فيما انعم لانهم يستزيدون لانفسهم الزيادة بالشكر الذي ذكر فهو ليس بشكر في الحقيقة
لكن هذا منه لطف ذكره وهو كما قال الله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا الاية وقال ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم الاية فهذه الانفس والاموال في الحقيقة لله ليست لهم فهم فيما يقرضون يقرضون
لانفسهم وكذلك في الشرا يشترون لانفسهم من مولاهم لكنه ذكر شراه لطفا منه وفضلا فعلى ذلك
فيما ذكر من الشكر له يطلبون الزيادة لانفسهم لطفا منه وان كان الشكر في الظاهر موضوعه المكافاة
ولكن سبب الزيادة ولكن سمي شكرا لطفا منه وفضلا على ما ذكر التصدق قرضا والله اعلم الا ترى
انه قال ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد اى غني بذاته ليس يأمرهم بأمر لحاجة
نفسه لا لمنفعة له ولكن ما امتحنكم انما امتحنكم لحاجة انفسكم ولمنفعة ابدانكم وقال بعضهم قوله ان تكفروا
انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني عن عبادة خلقه حميد عند خلقه وهو ما ذكرنا انه ليس يأمرهم
فيما يأمر لمنفعة نفسه او لحاجة نفسه ولكن لمنافع تحصل للخلق والحوايج تبدو لهم وكذلك النهي عما ينهى
ليس ينهى لخوف مضرة تلحقه ولكن للضرر يلحقهم ولا فقر تتوجه اليهم يخبر عز وجل عن غناه عما يأمر خلقه في
طاعته وعبادته وتوجيه الشكر اليه والحميد هو الذي لا يلحقه الذم في فعله بقول والله اعلم انتم وان تكفروا
وكان علم منهم انهم يكفرون فعله بذلك لا يجعله في انشائهم مذموما والله اعلم وقوله عز وجل الم يأتكم
نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح الاية يشبه ان يكون الخطاب لاهل الايمان منهم والرسل خاطبهم عز وجل تصبيرا وتنبيها

على تكذيب الكفرة اباهم واذاهم واستهزائهم بهم فقال الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم اى قد اتاكم نبؤا الذين من قبلكم ما فيه
مزجر لكم عن مثل ما عملتم بالرسول وهو ما ذكره ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر انه ما نزل بهم بتكذيبهم
الرسل والاستهزاء باتباعهم يذكر هذا لهم ليهون ذلك عليهم وليخف لان من علم ان له شركا فيما يلى به وامتحن
كان ذلك عليه اهون واخف من ان يكون هو المخصوص فيه ويحتمل ان يكون الخطاب لاهل الكفر منهم يقول
الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم اى قد اتاكم خبر الذين من قبلكم انه ما ذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل واستهزائهم باتباعهم
فينزل بكم ما نزل بهم لان الذى انزل لذلك عليهم حى قادر على انزال مثله فيخرج ذلك مخرج التوبيخ والتعيير والوعيد
ليحذروا عن صنيع اولئك والله اعلم وقوله عزوجل لا يعلمهم الا الله فيه دلالة ان تكلف معرفة الانساب
وحفظها الى ادم شغل وتكلف لانه اخبر ان فيهم من لا يعلمه الا الله وروى فى الخبر انه كان ينسب الى معد ولا ينسب
الى اكثر من ذلك قال ابو بكر الاصم قوله لا يعلمهم الا الله يكذب من ادعى معرفة الحساب المتقدمة لانه قال
لا يعلمهم الا الله وقد اخبر ايضا انه لم يقص عليه خبر الكل بقوله منهم من قصصنا عليك فمن البعيد ان يتكلف
تعرف ما لم يقص على رسوله والله اعلم وقوله عزوجل جاءتهم رسلهم بالبينات قيل البينات بينات على وحدانية الله
والوهيته ويحتمل الحجج التى اتوا بها الرسل على اثبات الرسالة والنبوة وقال بعضهم البينات ما يتقون وما ياتون
وما يحل عليهم وما يحرم وقوله عزوجل فردوا ايديهم فى افواههم يحتمل ان يكون هذا على التمثيل والكناية عن
التكذيب وترك الاجابة لان رد الايدى فى افواههم يمنعهم عن التصديق كقوله كباسط كفيه الى الماء الاية
اذا ترك اجابته وقوله وقوله يردوكم على اعقابكم وامثاله ويشبه ان يكون على تحقيق جعل الايدى فى افواههم
ثم يخرج على وجهين احدهما ردوا ايديهم فى افواههم فى افواه الرسل فيقولون انكم كذبة ويحتمل ردوا الايدى
فى افواه انفسهم يصتون ويستهزؤن بهم واتباعهم كقوله وما كان صلوتهم عند البيت الاية وقد ذكرنا
معناه فى موضعه فعلى ذلك والله اعلم وقوله عزوجل وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به الاية وقد ذكرنا معناه
يحتمل قوله بما ارسلتم به التوحيد لانهم ارسلوا بالدعاء الى توحيد الله والعبادة له يدل ذلك قولهم وانا لفى شك مما تدعوننا
اليه مريب وقول الرسل افى الله شك الاية ويحتمل قوله انا كفرنا بما ارسلتم به من اثبات الرسالة واقامة
الحجة عليها وانا لفى شك مما تدعوننا اليه من التصديق بالرسالة والنبوة مريب هذا يدل انهم كانوا على شك
مما يعبدون من الاوثان والاصنام لانه لو كان لهم بيان فى ذلك وحجة ودعاء اليه لكانوا لا يقولون انا
لفى شك مما تدعوننا اليه مريب ولكن كانوا يقطعون فيه القول فدل انهم كانوا على شك وريب فى عبادتهم
الاصنام والاوثان التى عبدوها ثم الشك والريب قال بعضهم هما سواء وقال بعضهم الشك هو الشك هو
المعروف والريب هو النهاية فى الشك وقال بعض اهل التاويل فى قوله تعالى فردوا ايديهم فى افواههم اى
اعضوا على اصابعهم غيظا على ما دعوا فقال بعضهم ردوا عليهم قولهم وكذبوهم وهو ما ذكرنا بديا وقال
ردوا عليهم بافواههم وقوله عزوجل قالت رسلهم افى الله شك ان افى الوهية الله شك افى عبادة الله شك اى ليس
فى الوهيته ولا فى عبادته شك او تقرون انه اله وانه معبود وكذلك اقر اباؤكم انه اله وانه معبود
فليس فى الوهيته ولا فى عبادته شك انما كان الشك فى عبادة من تعبدون دونه من الاوثان والاصنام
والوهيتها لان اباءكم اقروا بالوهية الله وانه معبود حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واقروا انه خالق السموات والارض فاطر جميع ما فيها بقوله و
لئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وان الاصنام التى عبدوها لم تخلق شيئا فليس فى الله
شك عندكم انما الشك فيما تعبدون دونه او فى وحدانية الله او يقول افى الله شك انه لم يزل انه معبود
ليس فى الله شك انه لم يزل معبودا انما الشك فى الاصنام التى قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فاما
فى الله فلا شك انه لم يزل معبودا فاطر السموات والارض يشبه ان يكون على الاضمار اى افى الله شك وقد
تقرون انه فاطر السموات والارض وتعلمون انه خالقهما ويحتمل ان يكون على الاحتجاج اى افى الله شك
وهو فاطر السموات والارض اى تعلمون انه فاطر السموات والارض وتقرون انه خالقهما وقوله عزوجل يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم هذا يحتمل وجهين يحتمل ليغفر لكم ذنوبكم التى كانت لكم فى حالة الفترة اذا اسلمتم وغيره لان
والله اعلم ان الماثم التى كانت لهم فى وقت الفترة ماخوذة عليهم ثم وعد لهم المغفرة اذا اسلموا و
الثانى وعد المغفرة والتجاوز لما كان منهم من الافتراء على الله والقول فيه بما لا يليق به اذا اسلموا وتابوا عن
ذلك اى انكم وان افتريتم على الله وقلتم فيه ما قلتم وكذبتم رسله فاذا اسلمتم وتبتم وصدقتم رسله غفر لكم
ذلك كله وفيه ذكر لطفه وصغر معاملته خلقه ويحتمل ايضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى
اجل مسمى جواب ما قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا ويحتمل ايضا قوله يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم
يقول اذا اسلمتم وتبتم لا تتخطفون ولكن تبلغون الى اجالكم الثمان ويؤخر الى اجل مسمى تتعلق المعتزلة بظاهر
هذه الاية ان لكل انسان اجلين اجل فى حال اذا كان فعل كذا واجل فى حال اذا فعل كذا لكن جعل الاجلين
انما يكون بجهل فى العواقب من يجهل العواقب فاما سبحانه وتعالى هو عالم بما كان ويكون فلا يحتمل ان يجعل
له اجلين وهو عالم بما يكون فانما جعل اجله بالذى علم انه يكون منه فى الوقت الذى جعل والله الموفق وقوله

عزوجل

عزوجل قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فى قولهم تناقض من وجهين احدهما
انهم تركوا طاعة رسلهم واتباعهم لانهم بشر مثلهم حيث قالوا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فذلك
تناقض فى القول والثانى انهم لم يروا الرسل متبوعين لبشر لما يخلوهم بانفسهم من ان يكونوا متبوعين
استتبعوا غيرهم من دونهم او كانوا تباعا لغيرهم حيث قالوا انا وجدنا اباءنا على اثارهم مقتدون
فذلك تناقض فى القول فاتونا بسلطان مبين سالوا الحجة على ما دعوا اليه من الوهية الله تعالى وربوبيته
وعلى ما ادعوا من الرسالة من الله وفى كل شىء وقع عليهم بصرهم دلالة وحدانية الله والوهيته لكنهم
سالوا ذلك سؤال تعنت وعناد وكذلك قد اقاموا الحجج على ما ادعوا من الرسالة لكنهم تعاندوا وكابروا فى رد
ذلك فسالوا سؤال اية وحجة تضطرهم وتقهرهم على ذلك او يكون عند اتيانها هلاكهم فاجابهم الرسل
فقالوا وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اى ما كان لنا ان ناتيكم باية تكون بها هلاككم انما
ذلك الى الله ان شاء فعل وان شاء لم يفعل وقوله ان نحن الا بشر مثلكم اى ما نحن الا بشر مثلكم رد قول
الباطنية لانهم ينكرون كون الرسالة فى جوهر البشرية ويقولون انما تكون الرسالة فى جوهر الروحانية
فهم صلوات الله عليهم انما اجابوا قومهم حيث قالوا لهم ما انتم الا بشر مثلنا وقولهم ان نحن الا بشر
مثلكم لم يذكروا شيئا سوى البشرية فدل ان قول الباطنية باطل حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله
يمن على من يشاء من عباده فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يختص احدا بالرسالة
الا من كان منه ما يستحق به الرسالة وهم صلوات الله عليهم لم يذكروا سوى منة الله عليهم دل انه يمن عليهم
ويختصهم لا بشىء من الاستحقاق يكون منهم من الاعمال ولكن بالمنة والفضل منه عليهم وقوله عزوجل وما
كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله هو ما ذكرنا الاذن موضوعه الاباحة ثم مقابل الحجر لكن الاذن
المذكور فى القران ليس كله على وجه واحد ولكن يتجه فى كل موضع ويحتمل على ما يليق به قال الله تعالى عزوجل فهزموهم
باذن الله اى بنصر الله لان الهزيمة هى موضع النصر يحتمل عليه وقال واحى الموتى باذن الله اى بانشاء
الله فعلى ذلك الاذن ههنا حيث قال وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اى بانشاء الله السلطان
واجرائه على ايدينا ويحتمل الاذن المذكور فى القران على ما يصلح ويليق بما تقدم ذكره ويحتمل الاذن ههنا
الامر اى بامر الله باتى اى ان امرنا الله بذلك ناتى به وقوله عزوجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون يشبه ان
يكون ذكر هذا على اثر وعيد واذى كان منهم اليهم فقالوا على الله نتكل وبعتمد المؤمنون فى دفع وعيدكم
واذاكم وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون هذا يخرج على وجهين احدهما على الامر اى على الله توكلوا ايها
المؤمنون فى جميع ما يرعدكم اهل الكفر وفى جميع اموركم ويحتمل على الاخبار عن صنيع المؤمنين انهم انما يتوكلون
على الله وبه يعتمدون فى جميع امورهم ومنه يرون كل خير ولا يرون بالاسباب التى لهم ولا يرون منها واما
اهل الكفر فانما يتوكلون ويعتمدون بالاسباب ومنها يرون كل سعة وخير والله اعلم وقوله عزوجل وما
لنا الا نتوكل على الله كان هذا يخرج على اثر جواب كان منهم لما قال الرسل وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان
الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فاجابوهم بحرف فعند ذلك قال الرسل وما لنا ان لا نتوكل
على الله لكنه لم يذكر ما كان منهم ولكن ذكر جواب الرسل لهم وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا قال
بعضهم وقد بين لنا سلوك سبلنا وعندنا قوله وقد هدانا اى وفقنا السلوك فى السبل التى علينا ان
نسلكها واكرمنا لذلك اى ما لنا الا نتوكل عليه فى النصر والظفر عليكم وقد وفقنا واكرمنا السلوك فى
السبل التى علينا سلوكها وذلك اعسر من القيام للاعداء والنصر بهم وقد اكرمنا ما هو اعسر واعظم
فان ينصرنا اولى والله اعلم وقوله عزوجل ولنصبرن على ما اذيتمونا يحتمل ان يكون هذا قبل ان امروا
بالقيام لهم والاستنصار منهم امروا بالصبر على اذاهم فقالوا ولنصبرن على ما اذيتمونا ويشبه
ان يكون قوله وما لنا الا نتوكل على الله انهم قالوا ذلك لما كان اهل الكفر فى كثرة وكان اهل الاسلام
واتباع الرسل فى قلة يستقلون اهل الاسلام ويعايرون على ذلك فقالوا عند ذلك وما كان لنا الا نتوكل
على الله بالنصر على اعدائنا والغلبة عليهم وقد اكرمنا بما ذكر وقوله عزوجل وعلى الله فليتوكل
المتوكلون كانه يخرج على الامر اى على الله فتوكلوا لا تتوكلوا غيره ويشبه ان يكون على الخبر اى لا يتوكل
المؤمن الا على الله لا يتوكل على غيره كقول الرسول حيث قال انى توكلت على الله الاية وهو قول هود
وقول المؤمنين على الله توكلنا ربنا افتح بيننا الاية ونحوه وقوله عزوجل وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا الاخراج يحتمل وجوها ثلثة احدها على حقيقة الاخراج من البلد الى غيره من البلدان
والارضين ويحتمل الاخراج الحبس لنخرجنكم اى لنحبسنكم عن الانتفاع بالبلد وباهله وبما فيه ويحتمل القتل
القتل اى لنقتلنكم وقد كان اهل الكفر يوعدون ويخوفون الرسل واتباعهم بهذه الثلثة كقوله واذ يمكر
بك الذين كفروا الاية ونحوه ثم فى وعيدهم الذى اوعدوا الرسل وجوها ثلثة حيث تجاسروا اقبال
الرسل بمثل هذا الوعيد ومع الرسل ايات وحجج احدها انهم راوا انفسهم مسلطين على اولئك قاهرين
عليهم وكانوا اهل كبر وتجبر الا ترى انه قال واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد دل هذا انهم كانوا راوا انفسهم

كما ذكرنا اهل تسليط وتجبر والثانى قالوا ذلك لهم لما لم يكن عندهم ما يدفعون حجج الرسل وبراهينهم فهو اقتلهم واخراجهم لعجزهم عن دفع ما الزمهم الرسل وهكذا الامر المتعارف بين الخلق ان الخصم لا يقصد اهلاك خصمه مادام له الوصول الى الحجاج فاذا عجز عن ذلك فعند ذلك يهم بقتله ويقصده اهلاكه والثالث جواب الرسل اياهم عند القول الذى بالقول الذى ليس فوقه احسن منه وقوله عز وجل او لتعودن فى ملتنا الملة الذين كقولهم لا يتوارث اهل الملتين وقوله ملة ابراهيم حنيفا اى دين ابراهيم وقوله ليعودن ليس انهم كانوا فيها فتركوها ولكن على ابتداء الدخول فيها على ما ذكرنا وقوله عز وجل فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم وعد لهم النصر والظفر عليهم والتمكين فى ارضهم مع قلة عدد اتباع الرسل وضعف ابدانهم ومع كثرة الاعداء وقوة ابدانهم ليعلموا انهم انما قالوا ذلك بوحى من الله وعلم اياهم لا من حيث انفسهم والله اعلم فكان على ما اخبروا فكان ذلك من ايات رسالتهم وما ينبغى لهم ان يطلبوا من الرسل الايات والحجج على ما ادعوا لانهم لم يدعوهم الى طاعة انفسهم او عبادتهم انما دعوهم الى وحدانية الله تعالى والوهيته وجعل الطاعات والعبادة له دون ما عبدوها من الاصنام وذلك فى شهادة خلقتهم وشهادة كل خلقة وان لطف وصغر فلم يحتجوا الى ان يقوموا البراهين والحجج على ما ادعوهم ودعوهم اليه لكنهم كانوا قوما معاندين مكابرين لا يقبلون قولهم ولا يصدقونهم تعنتا منهم وتكبرا لم ينظروا فى خلق الله ليدركوا اثار وحدانيته والوهيته فكلفوا اقامة الحجج والايات لئلا يكون لهم مقال واحتجاج وان لم يكن لهم الاحتجاج والله اعلم وقوله عز وجل ذلك لمن خاف مقامى الاية قوله تعالى ذلك يحتمل وجوها لانه قد سبق خصال ثلاث ما يحتمل رجوع هذا الحرف الى كل واحد من ذلك احدها قوله ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فيحتمل قوله ذلك المن والفضل لمن خاف مقامى وخاف وعيد وسبق ايضا قوله ومالنا الا نتوكل على الله اى ذلك الهدى السبيل التى هدانا اليها اى ذلك الهدى والهداية لمن خاف مقامى وخاف وعيد وسبق ايضا فاوحى اليهم ربهم الاية اى ذلك النصر والظفر بهم والتمكين فى الارض لمن خاف وعيدهم قوله ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد قال بعضهم خاف مقامى فى الدنيا والاخرة وقال بعضهم والله اعلم اى خاف سلطانى ونقمتى وعذابى فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا لما نزل بمكذبى رسله وانبيائه وخاف وعيد وعذابه فى الاخرة حيث وعد انه يحل بهم بالتكذيب وترك الاجابة وقال بعضهم خاف مقامى فى الاخرة وهو كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين يخاف ذلك المقام وخاف ما وعد من العذاب فى النار ثم قوله مقامى يحتمل اضاف اليه ليس فى الاشتباه باقل من قوله استوى قوله وجاء ربك والملك وقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله الاية وامثاله فكيف اشتبه هذا على التشبيه ولم يشتبه قوله مقامى حيث سألوا فى هذا وهذا ان لم يكن اكثر فى الاشتباه فليس باقل والاصل فى هذا وامثاله من قوله اليه المصير واليه مرجعكم واليه مآب ومتاب ذكر هذا وان كان الخلائق يكون مصيرهم ومرجعهم اليه لا ترحل وعلوم يخلقهم للمقام فى الدنيا والدوام فيها انما خلقهم للزوال عنها والفناء والمقام فى الاخرة والدوام فيها لكن خلقهم ويبتلون فيها ثم يصيرون الى دار المقام فالاخرة هى المقصود فى خلقهم فى الدنيا لا الدنيا فاذا كان كذلك اضاف المصير الى نفسه لما هو المقصود فى خلقهم فى الدنيا والاخرة ما يرى اليه خبر غايته عنه طرفة عين ولا فايتين وبالله النجاة ذكر الله عز وجل انباء الرسل الماضية واتباعهم وانباء اعدائهم وما عامل بعضهم بعضا وما نزل بالاعداء بما عاملوا رسلهم من العذاب والاستئصال وانواع البلاء وما اكرم رسله واتباعهم واولياءهم من النصر على اعدائهم والظفر بهم والتمكين فى الارض وجعل ذلك كله كتابا بالحكمة ليعلم بعاقبة الاعداء والاولياء ليرغب فيما استوجب الاولياء من الكرامات وليحذروا عن مثل صنيع الاعداء وليعلموا ان كيف عامل الله رسله واولياءه وكيف عامل الرسل ربهم اضاف الرسل جميع ما نالوا من الخيرات والكرامات الى الله كان لا صنع لهم فى ذلك حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم لكن الله يمن على من يشاء من عباده ذكر قوله ان نحن الا بشر مثلكم ليعلم ان الخير ليس يكون بالجوهر ولكن بفضل من الله تعالى وبرحمته وقوله عز وجل ومالنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا وامثاله واضافوا ذلك اليه كانهم لا صنع لهم فى ذلك وذكر الله عز وجل ما اكرم اولياءه ورسله من النصر والتمكين والانزال فى الدنيا ذكر انهم استوجبوا ذلك بفعل كان منهم وهو قوله ذلك اى ذلك النصر والتمكين وما ذكرنا من الوجوه لمن خاف مقامى وعيد ذكر انهم استوجبوا ذلك لا ان كان من الله ذلك من الله بحق افضال وامتنان ليعلموا معاملة الله رسله واولياءه ومعاملة الرسل والاولياء ربهم ومولاهم والله اعلم وقوله عز وجل واستفتحوا يحتمل وجهين احدهما الاستنصار استنصروا الله على اعدائهم كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون والثانى استفتحوا اى تحاكموا الى الله فى النصر للاحق منهم والاقرب الى الحق كقوله ربنا افتح بيننا الاية وهو التحاكم اليه وقوله عز وجل وخاب كل جبار عنيد هو ما ذكرنا تحاكموا الى الله فنصر اولياءه واهلك اعداءه على ما ذكر ان ابا جهل قال اللهم دينك القديم وانا دينك الحسنة اينا كان احب اليك واقرب من الحق فانصره فنصر المؤمنين واهلك الاعداء وقوله وخاب كل جبار عنيد اى تجبر على رسله واوليائه والعنيد قيل المعرض المجانب عن الحق والطاعة وقال بعضهم الجبار القاتل على

الغضب

الغضب والضارب على الغضب وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل من ورائه جهنم اى من وراء عذاب الدنيا لهم عذاب جهنم وعذابه وقوله من ورائه جهنم الوراء قد يستعمل فى اسام ما حل بهم جهنم ويحتمل وراء ما اصابهم ما ذكر وقوله عز وجل ويسقى من ماء صديد اى يسقى فى جهنم صديد مكان ما يسقون فى الدنيا وهو الذى يسيل من القروح جعل الله للكافر فى الاخرة مكان ما كان لهم فى الدنيا لباسا وشرابا وطعاما ما كانت تكرهه انفسهم جعل مكان ما يسقون فى الدنيا من الماء فى النار الصديد والغسلين والحميم ومكان الطعام فى الدنيا فى النار الزقوم والضريع ومكان اللباس القطران ونحوه ومكان القرين والصديق فى الدنيا يجعل قرينه الشيطان كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين انه ذلك كله يمنعهم عن دين الله ويصدهم عن ذكره ليكون جزاؤهم من نوع ما كان يمنعهم فى الدنيا عن طاعته ثم قال بعضهم ان الصديد الذى يسقون هو ان النار تخرجهم قبل من ذلك الصديد فيسقون من ذلك فقال بعضهم لا ولكن يجعل شرابهم فيها صديدا كشراب اهل الجنة وطعامهم من غير اسل وقوله ويسقى من ماء صديد ويحتمل يسقى من ماء فى ظنهم ماء وهو فى الحقيقة صديد ويحتمل ان يكون فى الحقيقة والظاهر صديد لكن يشربون رجاء ان يدفع عطشهم وقوله عز وجل يتجرعه قال ابو عوسجة التجرع ما يشربه مكرها عليه ولا يكاد يسيغه يقال اسغته اى ادخلته فى الحلق يقال اسغته فساغ فى حلقه اذا دخل دخولا سهلا لا يؤذيه وقوله عز وجل ويأتيه الموت من كل مكان قال قائلون يأتيهم الغم والهم من كل مكان وكذلك المتعارف فى الخلق اذا اشتد بهم الغم والهم والشدة يقال كانك متّ او تموت غما وقال بعضهم ويأتيه الموت اى اسباب الموت ما لو كان من قضاء الموت فيها لماتوا فالشدة ما يحل بهم ولكن قضاؤه اى لا يموتون فيها وما هو بميت موت حقيقة ليستريح من العذاب وقوله من كل مكان قال بعضهم من كل ناحية من فوق ومن تحت ومن خلف ومن قدامهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش اخبر ان النار تأتيهم وتأخذهم من كل جانب ومن كل جهة ويحتمل من كل مكان اى من كل سبب من تلك الاسباب التى تأتيهم ما لو كان قضاء الموت لماتوا بكل سبب من تلك الاسباب وقال بعضهم اى ليس من موضع من جسده ومن شعر وجوارحه الا والموت يأتيه منها من شدة ما يحل بهم حتى يجد واطعم الموت وكربه وقوله عز وجل ومن ورائه اى من وراء ذلك العذاب عذاب غليظ لا ينقطع ولا يفتر وصفه بالغلظ والشدة الدوامه والاياس عن انقطاعه والله اعلم وقوله عز وجل مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد هو والله اعلم على التقديم اى مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد اشتدت به الريح يحتمل اعمالهم الاعمال التى كانت لهم فى حال ايمانهم ثم كفروا بها احدثوا من الكفر ابطل ذلك الاعمال الصالحة فى الايمان وهو ما ذكر ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله او يكون مما سعيهم التى كانت لهم فى حال الكفر طمعوا ان ينتفعوا بتلك المحاسن فى الاخرة فلما انتفعوا بها فصارت كالرماد الذى تذروه الريح الشديدة لم ينتفع صاحب ذلك الرماد به بعد ما عملت به الريح ما عملت فعلى ذلك الاعمال الصالحة التى عملوها فى حال كفرهم او اعمالهم الصالحة التى كانت لهم فى حال الايمان ثم احدثوا الكفر لا ينتفعون بها وقال فى اية اخرى اعمالهم كسراب بقيعة فيشبه ان يكون هذا فى اعمالهم السيئة فى نفسها فرأوها صالحة حسنة كقوله سوء عمله فرآه حسنا فشبهه ما كان فى نفسه سيئا بالسراب لانه لا شئ هنالك انما يرى خيالا فعلى ذلك اعمالهم السيئة فى نفسها رأوها حسنة صالحة وما كان وما يشبه بالرماد فهى اعمال الصالحة فى نفسها لكن الكفر ابطلها وقوله عز وجل فى يوم عاصف اليوم لا يكون عاصفا ولكن على الاضمار كانه قال فى يوم فيه ريح عاصف كقوله والنهار مبصرا النهار لا يبصر ولكن يبصر فيه او يبصر به والعاصف قيل هو القاصف الكاسر الذى يكسر الاشياء او يكون قوله اشتدت به والعاصف والقاصف حرفان يؤديان جميعا معنى واحدا وقوله عز وجل لا يقدرون مما كسبوا على شئ كالرماد الذى ذكرنا ان صاحبه لا يقدر به بعد ما عملت به الريح وذهبت والله اعلم وقوله عز وجل ذلك هو الضلال البعيد يحتمل ذلك الكفر هو الضلال البعيد لا نجاة فيه ابدا او ذلك الذى اتوا به بعيد عن الحق والله اعلم وقوله عز وجل الم تر ان الله خلق السموات والارض لم ترحرف تنبيه عن عجيب يبلغه وعلم به بغفل عنه او نقول حرف تنبيه عن عجيب لم يبلغه بعد ولم يعلم به على هذا الوجهين يشبه ان يكون والله اعلم وقوله عز وجل خالق السموات والارض بالحق قال عامة اهل التأويل بالحق اى للحق وقيل قولهم والله اعلم للحق اى للكافرين لا محالة وهى الاخرة لان خلق العالم الاول والعالم الثانى والمقصود فى خلق هذا العالم هو العالم الثانى فكان خلقهما الثانى لا للاول دون الثانى عبثا خلقهما للفناء وذلك خارج عن الحكمة وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقال قائلون بالحق الذى وجب له عليهم بالامتحان والابتلاء خلقهما للشهادة له على المحق او نقول خلقهما بالحق اى بالحكمة وقوله ان الله خالق السموات والارض بالحق ان كان الخطاب به لرسول الله فيصير كانه قال قد رأيت وعلمت ان

ان الله خالق السموات والارض بالحق وان كان الخطاب به لغيره من اولئك يقول اعلموا ان الله خلق السموات
والارض بالحق لم يخلقها عبثا باطلا وقوله عز وجل ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد قال بعض اهل التاويل
هذه المخاطبة يخاطب بها اهل مكة يذكر قدرته وسلطانه على بعثهم بعد الموت والهلاك يقدر على اذهابكم
واهلاككم ويقدر ايضا ان يأتي بغيركم فعلى ذلك يقدر على بعثكم بعد هلاككم وقوله عز وجل وما ذلك على الله بعزيز قال
اهل التاويل اي عليه هين يسير ولكن عندنا والله اعلم وما ذلك اي ذهابكم وفنائكم عليه ليس بشديد عليه ولا
شاق ليس كملوك الارض اذا خرج شيء من ملكهم يشتد ذلك عليهم فاما الله سبحانه وتعالى لا يزيد الخلق في سلطانه
ولا في ملكه ولا ينقص فناهم وذهابهم منه شيئا كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اي شديد
عليهم وهو ما وصفهم عز وجل اشداء على الكفار رحماء بينهم ذكر مكان الشدة العزة ومكان الذلة
ههنا الرحمة او ان يكون قوله وما ذلك على الله بعزيز اي ما بعثكم واحياكم بعد الممات على الله بشاق والذلة
وقوله عز وجل وبرزوا لله جميعا قال مقاتل خرجوا الى الله من قبورهم جميعا وقال جميعا لانه لا يغادر
احدا الا بعث ويحتمل وجوها اخر سوى ذلك وهو ان قوله وبرزوا لله اي لامر الله اي لوعده الذي وعد انهم
يبعثون او يريد الحكم الله يحكم في بعثهم ويبرزوا اي ظهروا وبرزوا ووجدوا فيكونون موجودين ظاهرين بعد ان
كانوا فانين ذاهبين غائبين اي عندهم في الدنيا انهم فانين غائبين عن الله فيومئذ يعلمون انه كان لا يخفى
عليه شيء من افعالهم واحوالهم وهو ما ذكرنا في قوله ليعلم الله من يخافه ورسله بالغيب وقوله حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين وامثاله ان يعلمهم مجاهدين صابرين كما علمهم غير مجاهدين وغير صابرين
كقوله عالم الغيب والشهادة ويعلمهم شهودا كما علمهم غيبا فعلى ذلك قوله وبرزوا لله جميعا اي يكونون
له موجودين ظاهرين والله اعلم واضافة البروز اليه في الآخرة وان كان بروزهم له في الدارين جميعا وكذلك
من المصير اليه والمرجع اليه والمآب ونحوه فهو والله اعلم لما لا ينازع احد في البروز في ذلك اليوم وقد ينازعون
في الدنيا وخص ذلك البروز بالاضافة لما هو المقصود من انشاء اياهم وخلقهم ليس المقصود في خلقهم
وانشائهم الاول ولكن الآخر فخص ذلك بالاضافة اليه والله اعلم وقوله وبرزوا لله جميعا اي يومئذ يعلمون
انه كان لا يخفى عليه شيء وكانهم لم يكونوا يعلمون وقبل ذلك وقوله عز وجل فقال الضعفاء للذين استكبروا
انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قال قائلون قوله فهل انتم مغنون عنا اي دافعون
عنا من عذاب الله اذ كنا لكم تباعا وانتم متبوعين فادفعوا عنا ذلك لكن هذا بعيد ان يطلبوا منهم دفع العذاب
عنهم وقدرواهم في العذاب فلو قدروا على دفع عنهم لدفعوا ولدفعوا عن انفسهم الا ان يكون فيهم حيرة وعمى
كما كان في الدنيا فالحيرة ما قالوا كقوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى والاشبه انهم يطلبون عنهم
رفع بعض العذاب عنهم ويحتمل بعض لان مؤنة الاتباع في العرف يحملها المتبوع فيطلبون منهم رفع شيء او
يحمل بعض ما حل بهم وهو ما ذكر في آية اخرى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار طلبوا منهم تحمل بعض ما حل
بهم وقوله عز وجل قالوا لو هدانا الله لهديناكم قال بعض اهل العلم ان الكفرة جميعا اتباعهم ومتبوعهم علم
بهداية الله من المعتزلة لانهم قالوا لو هدانا الله لهديناكم علموا ان الله عز وجل لو هداهم لاهتدوا او
يملك هدايتهم والمعتزلة يقولون قد هدى الله جميع الكفرة وجميع الخلائق فلم يهتدوا وانهم لو ارادوا ان
يهتدي احدهم يملك والكفرة حيث قالوا لو هدانا الله لهديناكم راوا وعلموا ان الله لو هداهم لاهتدوا لانهم
لو لم يهتدوا بهدايته اذا هداهم لم يهتدوا الى اتباعهم لهديناكم وقال ابليس رب بما اغويتني اضاف الاغواء اليه
وهم يقولون لا يغوي الله احدا فابليس اعلم بهذا من المعتزلة وقولهم لو هدانا الله اي لو رزقنا الله الهدى
واكرمنا به لهديناكم ولكن لم يرزقنا ذلك ولم يكرمنا وقال ابو بكر الاصم تاويل قولهم لو هدانا الله لهديناكم
لو كان الذي كنا عليه لهديناكم فيه صرف هذه الآية عن وجهها بلا دليل فلو جاز له هذا جاز لغيره صرف
جميع الآيات عن ظاهرها بلا دليل معها مع ان الاتباع قد علموا ان الذي كانوا عليه لم يكن هدى فلا معنى
لهذا وقوله عز وجل سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال اهل التاويل انهم قالوا فيما بينهم تعالوا حتى
نجزع لعل الله يرحمنا فجزعوا حينا فلم يرحموا ثم قالوا تعالوا نصبر لعل الله يرحمنا فلم يرحموا فعند ذلك قالوا سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص لكن لا يحتمل ان يقولوا ذلك بهذا الامتحان والاختبار ولكن كانهم قالوا ذلك
بالذي سمعوا وهو قوله فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ولما سمعوا ذلك عند ذلك
قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي منجى ومخلص لا يحتمل ان يقولوا سواء علينا اجزعنا ام
صبرنا ما لنا من محيص في اول احوالهم وامورهم ولكن يحتمل ما ذكر اهل التاويل انهم يقولون ذلك عند الاياس
وقوله عز وجل وقال الشيطان لما قضي الامر قال بعضهم قضي الامر اي دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
يقوم ابليس خطيبا في النار وخطب كما ذكر وقال قائلون قضي الامر اي ميز بين اهل النار وقبل ان يدخل اهل
النار النار واهل الجنة الجنة قام خطيبا يخطب لاتباعه كما ذكر ويحتمل قوله لما قضي الامر اي لما فرغ من الحساب
ومن امرهم عند ذلك يخطب ما ذكر وهو كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين اي لما فرغ من السماع
فعلى ذلك هذا وقال بعضهم لما قضي الامر اي قضي ولما نزل بهم العذاب والاشبه ان يكون قوله لما قضي الامر

هوان الله

هو ان الله كان وعد ان يوم ابليس خطيبا لهم فقضى الامر اي انجز ما وعد انه يخطب او ان يكون لاهل الكفر
لجاجات ومنازعات فيما بينهم يوم القيامة كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
وكقوله فيحلفون له كما يحلفون لكم الآية يكذبون في الآخرة ويكون لهم لجاجة على ما كان منهم في
الدنيا ويحتجون فيقولون ان ابليس هو كان غلبنا وقهرنا لانه كان يرانا ونحن لم نكن نراه فالمغلوب
المقهور غير ماخوذ بما كان منه في حكمك يحتجون بمثل هذه الخرافات واللجاجات ويقولون هو الذي
اضلنا فيقوم عند ذلك ابليس خطيبا بينهم وقال وما كان لي عليكم من سلطان حتى اقهركم واغلبكم الا
الدعاء فاستجبتم لي طائعين غير مقهورين ولا مضطرين والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ان الله وعدكم
وعد الحق يشبه ان يكون وعد ما وعد على السن الرسل ان البعث والجنة والنار والحساب والعذاب
كائن لا محالة وجميع ما اوعد من صواعق فذلك كله حق اي كائن لا محالة ووعدتكم يحتمل ما ذكر
حيث قال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وامثاله من عداته كانت كلها اماني وغرورا وكذا
وقوله عز وجل وما كان لي عليكم من سلطان يحتمل السلطان وجهين احدهما اي ما كان لي عليكم من ملك
وقهر وغلبة اقهركم واغلب عليكم الا الدعاء فاستجبتم طوعا ويحتمل قوله من سلطان من حجة وبرهان
اي لم يكن لي حجة وبرهان على ما دعوتكم اليه انما كان لي دعاء ووساوس وكان للرسل حجج وبراهين
فتركتم اجابتهم فاستجبتم لي بلا حجة وبرهان اي لم اقهركم اغلب عليكم لكن هذا لا يصلح لانه لو كان
له عليهم سلطان القهر والغلبة لكانوا معذورين غير معذبين لان المقهور والمغلوب مضطر فالمضطر
معذور ولكن السلطان حجة وقوله عز وجل فلا تلوموني ولوموا انفسكم ليس يراد به لعنه الله انه لا يلوم
ولكن مراده ارجعوا الى لائمة انفسكم واشتغلوا بها فان ذلك كان منكم لم يكن مني الا الدعاء وقوله عز
وجل ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي قيل ما انا بناصركم وما انتم بناصري وقيل ما انا بمغيثكم وما انتم
بمغيثي وقيل ما انا بنافعكم وما انتم بنافعي ما نزل بي هذا كله واحد وقوله ما انا بمصرخكم اي ما انا بمالك
اغاثتكم وانقاذكم وما انتم بمالكي اغاثتي والا لو كان لهم ملك ذلك لفعلوا وقوله عز وجل اني كفرت بما اشركتمون
من قبل اي كفرت بما اشركتموني في عبادة الله وطاعته اي كنت بذلك كافرا ويحتمل اني كفرت اي تبرأت
اليوم مما اشركتموني مع الله في الطاعة والعبادة من قبل احداثنا ولئن ترجع الى انه تبرأ في ذلك اليوم وقت
ما قام خطيبا والثاني اني كنت تبرأت من ذلك في الدنيا وقت اشركوه ان الظالمين لهم عذاب اليم وقوله
عز وجل وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي اذن لهم بالدخول في الجنة قوله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وقوله خالدين فيها باذن ربهم الاذن ههنا كانه الرحمة اي
خالدين فيها برحمة ربهم تحيتهم فيها سلام يحتمل السلام ويحتمل الثناء اي يثنون على ربهم كقوله الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن الآية وقوله عز وجل تحيتهم فيها سلام قال بعضهم على بعض ويحيي بعضهم بعضا بالسلام
وقال بعضهم السلام هو اسم كل خير ونعمة وبركة كما قال لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما والله اعلم وقوله عز
وجل الم تر قد ذكرنا ان كلمة الم تر حرف تنبيه عن عجيب كان بلغه فغفل عنه او تنبيه عن عجيب لم يبلغه
وقال ابو بكر الاصم هي كلمة تفتتح بها العرب عند الحاجة يقول الرجل لآخر الم تر الى ما فعل فلان ونحوه
هذا يحتمل في غيره من المواضع واما في هذا فانه غير محتمل وقوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا
قيل بين الله مثلا واظهر كلمة طيبة كشجرة طيبة قال قال ابو بكر الكيساني كلمة طيبة هو هذا القرآن وكلمة
خبيثة هي الكتب التي احدثها الناس شبه القرآن بالشجرة الطيبة وهي النخلة على ما ذكر انه تثمر او كل شجرة
ثمرة وشبه الكتب التي احدثها الناس بالشجرة الخبيثة وهي التي لا تثمر وقال انما شبه القرآن بالشجرة
الطيبة لان الشجرة الطيبة هي باقية الى آخر الدهر ينتفع بها الناس بجميع انواع المنافع لا يقطعونها
فهي تدوم وتبقى دهرا فعلى ذلك القرآن ينتفع بها الناس وهو دائم ابدا وقوله عز وجل اصلها ثابت وفرعها
في السماء اصلها ثابت لها قرار فعلى ذلك القرآن هو ثابت بالحجج والبراهين والكتب التي احدثها اولئك
هي باطلة فاسدة لا حجة معها ولا برهان كالشجرة الخبيثة التي هي غير مثمرة لا بقاء لها ولا قرار ولا ثبات
وقال بعضهم الكلمة الطيبة هي الايمان والتوحيد شبهها بالشجرة الطيبة وهي التي تثمر وتنمو وتزكو هي
على ما وصفها عز وجل في قوله تؤتي اكلها كل حين باذن ربها فعلى الايمان والتوحيد لا يزال يثمر لاهله الخيرات
والاعمال الصالحة كالشجرة التي وصفها انها تؤتي اهلها اكلها في كل حين وكل وقت اصلها ثابت بالحجج والبراهين
وفرعها في السماء في كل وقت يرتفع ويصعد العمل الى السماء والكلمة الخبيثة هي الكفر لا تزال منفعة لاهلها
فيها اذ لا عاقبة له ولا حجة معها ولا برهان انما شيء اخذوه عن شهوة واما في كان كالشجرة الخبيثة التي
لا ثمرة لها ولا منفعة لاحد فيها فهي لا تبقى ولا تدوم فذلك قوله اجتثت من فوق الارض ما لها من
قرار ويشبه ان يكون ضرب المثل بغير هذا المعنى وهو انه ذكر جواهر طيبة وجواهر خبيثة مما يقع عليها
الحواس ويقع عليها البصر ليكون كل جوهر من هذه الجواهر التي يقع عليها الحواس ويقع عليها البصر
من خبيث او طيب دليلا وشاهدا على ما غاب عن الخلق ولا يقع عليها الحواس وهكذا جعل الله تعالى هذه

المحسوسات والاشباه الظاهرة دلالة وشاهدا لما غاب عنهم ولا يقع عليه الحس تدرك بالعقول التي ركب فيهم
ليرغب الطيب مما يقع عليه الحس والبصر على الموعود الغائب ويحذر الخبيث المحسوس عما غاب واوعد كذلك
هذه الآلام والامراض والشدائد التي جعل في هذه الدنيا لتزجرهم عن الافعال التي بها يستوجبون مثلها في
الآخرة كذلك النعم التي في الدنيا واللذات جعلها لتدلهم على النعم الدائمة على هذا يجوز ان يخرج لا انه اراد
بالشجرة الطيبة الشجرة نفسها او بالشجرة نفسها ولكن ما وصفنا والله اعلم بذلك وقال قائلون ضرب الله
مثل الشجرة الطيبة مثلا للمؤمنين هو في الارض وعمله يصعد في السماء كل يوم فكما تؤتي الشجرة اكلها كل حين
كذلك المؤمن يعمل لله في ساعات الليل والنهار وقوله عز وجل كل حين قال قائلون كل عام لانها تثمر في كل عام
مرة وقال قائلون ستة اشهر من وقت طلوعها الى وقت ادراكها وقال قائلون كل عشية وغدوة كقوله
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال قائلون شهرين وامثاله ويشبه ان يكون ما ذكرنا انه ليس في
وقت دون وقت ولكن الاوقات كلها في كل وقت وكل ساعة فان قال لنا ملحد ان الكلمة التي ضرب الله
مثلها بالشجرة الطيبة كلمتنا ونحن المراد بذلك والكلمة الخبيثة التي ضربها الله مثلها بالشجرة الخبيثة هي
كلمتكم وانتم المراد بها الجواب قيل قد سبق لهذا المثل اشكال ودلائل على ان الكلمة الطيبة هي التي لها عاقبة ولكن
وكل امر له عاقبة والنظر في آخره فهو الحق والذي انتم عليه لا عاقبة له ولا آخرة وفي الحكمة ان كل امر لا عاقبة
له فهو باطل والكفر لا عاقبة والثاني ان الايمان والتوحيد له الحجج والدلائل والكفر مما لا حجة له ولا دلائل
انها توجد بالاماني والشهوة من تزيين الشيطان وتزيينه لذلك كان ما ذكرنا ويحتمل الكلمة الطيبة ايضا
ان يكون الوحي الذي اوحى الله الى رسول والكلمة الخبيثة ما اوحى الشيطان اليهم كقوله وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم الآية فوحي الله هو ثابت دائم ينتفع به اهله في الدنيا والعاقبة ووحي الشيطان هو باطل مضمحل
لا عاقبة له ولا ينتفع به اهله والله اعلم وقوله عز وجل اجتثت من فوق الارض قال بعضهم استوصلت
وقيل انتزعت وقال ابو عوسجة اجتثت من اصلها يقال اجتثت الشجرة اجتثها اجتثاثا اذا قلعتها من اصلها
وقوله عز وجل ما لها من قرار هو ما ذكرنا وقال بعض اهل التاويل شبه كلمة الشرك بحنظلة قطعت فلا اصل
لها في الارض ولا فرع في السماء اي لا يصعد له عمل ولا حمل وشبه كلمة الايمان في نفعها وفضلها وثباتها وقرارها
في الارض بما ذكر من الشجرة والله اعلم ثم من الناس من احتج بهذا المثل في خلق الايمان والكفر فقال لانه ضرب مثله بما
هو مخلوق وهو الشجرة فعلى ذلك الايمان ولكن عندنا لا بهذا يجب ان يستدل في خلقه ولكن لما ثبت ان شبهها واحد
لانه لو كان شبهها مختلفا لكان لا يضرب مثل هذا بهذا ولا هذا بهذا فاذا ضرب دل ان شبهها واحد فاذا
ثبت ذلك دل على ما وصفنا ومن الناس من استدل بهذا انه يزداد وينقص حيث شبهه بالشجرة وهي تزداد
وتنقص ونحن نقول ليس فيه دلالة ما ذكروا لان الشجرة في نفسها ليست بذي حد والايمان ذو حد فاذا
هو فوق التزيين والتحسين واما الايمان نفسه فانه لا يزداد كالشجرة اذا تورقت وخرجت ثمارها توصف
بالزينة والحسن فاما نفس الشجرة فلا توصف بالزيادة فعلى ذلك الايمان وقوله عز وجل ويضرب الله
الامثال التي يقع عليها الحس ويقع عليها البصر والاشياء الظاهرة لتدلهم على ما استتر وغاب عنهم يدركون
بالعقول ما استتر وخفي بالظاهر والمحسوس لعلهم يتذكرون لعلهم يتعظون وقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة
الكلمة الطيبة يحتمل التوحيد وفروعها هي الخوف والخشوع والخضوع والرغبة واكلها هو الاعمال الصالحة
والخيرات تكون منه والكلمة الخبيثة هي الشرك وفروعها ما يكون منه في الشرك من الفساد والتمرد والعناد
واكلها هو الاعمال التي تكون منه الشرك او ان يكون الكلمة الطيبة هي الايمان وفروعها هي الشرائع والاحكام
التي تعمل واكلها هو ما يثاب عليه في الدنيا والآخرة ابدا والله اعلم وقوله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ذكر مرة بالتثبت ومرة بذكر الزيادة وقوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومرة
بذكر الابتداء والتجديد بقول يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله وقوله اهدنا الصراط المستقيم فالتجديد
والابتداء في حادث الوقت لان تلك الافعال تنقضي وتذهب ولا تبقى واما الزيادة على ما كان وكلها واحد
في الحقيقة وقوله عز وجل ويضل الله الظالمين اضاف الاضلال مرة الى نفسه ومرة الى الشيطان ولا شك ان
ما اضيف الى الشيطان انما اضيف على الذم فاذا كان ما ذكر فيكون الجهة التي اضيف الى الله غير الجهة التي
اضيف الى الشيطان والجهة التي اضيف الى الله هو ان خلق فعل الضلال من الكافر وما اضيف الى الشيطان
هو على التزيين والتسويل لتصحيح الاضافتان ولو كان على التسمية على ما يقوله المعتزلة انه سماه ضالا لكان
كل من سمى آخر ضالا كافرا جاز ان يسمى مضلا فاذا لم يسم بتسميته ضالا او كافرا مضلا دل انه انما سمى الله نفسه
مضلا لتحقق الفعل له فيه وهو ما ذكرنا انه خلق فعل الضلال منه والمعتزلة يقولون ان الله هدى الخلق
جميعا لكنهم لم يهتدوا وضلوا من غير ان يكون الله اضلهم فهذا صرف ظاهر الآية الى غيره بلا دليل وقوله عز وجل
ويفعل الله ما يشاء وعلى قول المعتزلة لا يقدر ان يفعل ما يشاء لانهم يقولون انه شاء ايمان جميع البشر لكنهم لم
يؤمنوا وكذلك قال فعال لما يريد وهم يقولون اراد ايمانهم لكنه لم يفعل ما اراد ولا يملك وقد اخبر انه
اراد فقال لما يريد ولما يشاء ثم يقولون لم يملك ان يفعل ما شاء واراد بل العباد يفعلون ما شاء غير ما شاء

هو فينا وعليهم خلاف ظاهر القرآن والله اعلم وقوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الآخرة يشبه ان يكون هذا صلة قوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة علينا وبل من يقول
ان الكلمة الطيبة هي القرآن يكون القول الثابت هو القرآن يقول والله اعلم ثبت الله الذين آمنوا في الحيوة
الدنيا حيث تلقوه بالاجابة والقبول والعمل به وفي الآخرة اي بالآخرة والبعث يقرون به ويضل الله
الظالمين حيث تركوا الاجابة وتلقوه بالرد والمكابرة والعناد ومن يقول الكلمة الطيبة التوحيد والايمان
يكون القول الثابت هو الايمان يثبتهم في الحيوة الدنيا باحيائهم وفي الآخرة قيل في قبورهم يثبتهم لاجابة
منكر ونكير ويمكن لهم ذلك ويضل الله الظالمين الذين تركوا الاجابة له في الحيوة الدنيا وفي القبور
حيث تركوا الاجابة في الدنيا ويحتمل ان يكون قوله يثبت الله الذين تركوا الاجابة له في الحيوة الدنيا هو ما
ذكر والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ثبت من اجاب الله الى ما دعا في الدنيا
وفي الآخرة يهديه الطريق الذي به يوصل الى دار السلام والكافر حيث ترك اجابته الى ما دعاه ويضله في
الآخرة طريق دار السلام بترك اجابته في الدنيا والله اعلم بذلك وقوله ويفعل الله ما يشاء في هداية
من اختار الاجابة والاهتداء والاضلال من اختار ترك الاجابة والغواية وقوله عز وجل الم تر الى الذين
بدلوا نعمة الله كفرا اختلف في نزوله قال بعضهم هذه السورة كلها نزلت بمكة الا هذه الآية فانها نزلت
بالمدينة وقال بعضهم نزلت بمكة كلها ممن يقول نزلت بالمدينة يقول قوله واحلوا قومهم دار البوار جهنم
هو بدر اي جاؤوهم الى بدر حتى قتلوا لانه لم يكن بمكة بدر انما كان بالمدينة ومن يقول نزلت بمكة يقول دار
البوار هي جهنم على ما فسر ظاهر الكتاب وهو الاشبه ظاهر الآية لانه بين تلك الدار فقال جهنم وفي
الآية دلالة ان الآية في عظمائهم وكبرائهم حيث قال واحلوا قومهم الآية ثم اختلف في النعمة التي
ذكر انهم بدلوها كفرا فهو يحتمل وجوها احدها ان الله عز وجل قد انعم عليهم في هذه الدنيا ووسعها عليهم
فحرموا تلك النعم على انفسهم فجعلوها للاصنام التي عبدوها وسيبوها ولم ينتفعوها ولم ينتفعوا بها
من نحو البحيرة التي ذكر والسائبة والوصيلة والحامي وما جعلوا للاصنام هو ما ذكر هذا لشركائنا فذلك
تبديل النعمة كفرا حيث حرموا ما انعم الله عليهم كفرا وجل نعمة والثاني تلك النعمة محمدا والقرآن او الاسلام
وهو نعمة كذبوه او ان يكونوا بدلوا الشكر الذي عليهم بما انعم عليهم كفرا جعلوها سببا للكفر فلم يشكروا
ما انعم عليهم وقوله عز وجل بدلوا نعمة الله كفرا حقيقته يخرج على وجهين احدهما بدلوا وصرفوا ما انعم الله
عليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم عن انفسهم حتى اخذ منهم بدلوا به كفرا والثاني بدلوا به كفرا بعد ما سألوا
ربهم واقسموا بالله الآية فلم يشكروا لما انعم عليه وبدلوا الشكر كفرا وقوله عز وجل واحلوا قومهم دار
البوار اي انزلوا دل هذا ان الآية نزلت في الرؤساء من الكفرة والاتباع منهم حيث اخبر انهم احلوا قومهم
دار البوار ذكر حلوا قومهم على الماضي لانه قد وجد منهم الخيانة بالاحلال في دار البوار وذكر في دخولهم
جهنم على الاستقبال بقوله جهنم يصلونها وبئس القرار لما لم يوجد بعد سيوجد ويجوز ان يستدل بهذا لاصحابنا
لمسألة وهو ان العبد اذا حفر بئرا ثم اعتق فوقع في البئر انسان ينظر الى قيمة العبد يوم حفر لان الحفر منه
جناية والى الواقع فيه يوم الوقوع لا يوم الحفر لانه لم يوجد بعد يوم الحفر جناية او ان يقال احلوا قومهم
دار البوار فقد حل اجسادهم يومئذ فقد حل بعد وقوله عز وجل وجعلوا لله اندادا ثم فسر انهم لم احلوا
قومهم دار البوار فقال وجعلوا لله اندادا اعدالا وامثالا ليضلوا عن سبيله يحتمل قوله جعلوا لله اندادا
في العبادة يعبدونها كما يعبد الله او في التسمية يسمونها آلهة كما يسمى الله جعلوه اندادا في هذين الوجهين
يذكر سفههم حيث جعلوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يدفع ولا يضر امثالا واعدالا لله على علم
منهم ان الله هو الذي خلقهم ورزقهم وينعم عليهم وهو الذي يدفع عنهم كل بلاء وشدة وجائز ان
يكون قوله وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله هو تفسير ما ذكر من تبديل النعمة كفرا وقوله عز وجل
تمتعوا بهذه النعم التي ذكر انهم بدلوها كفرا فان مصيركم الى النار وهذا في قوم ماتوا على الكفر ويقول
قل تمتعوا في الدنيا وتمتعوا بالكفر فان مصيركم الى النار وهذا في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا وفيه
دلالة اثبات الرسالة وقال ابو عوسجة البوار الهلاك والفناء يقال بار الرجل يبور بورا فهو بائر وقوم
بور اي هالكون ويقال بارت السوق وبارت السلعة اذا كسدت ويقال بارت المرأة تبور بورا فهي
بائرة اذا كبرت وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من بوار الايم قيل يعني من كسادها والله
اعلم وقوله عز وجل قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة يحتمل اقامة الايمان بها كقوله فان
تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو اقامة الايمان يراد لا يحتمل الحبس الى ان
يقيموا اقامة الفعل والوفاء اذ في ذلك حبسهم ابدا ويحتمل اقامة الوفاء بها والفعل لانه انما خاطب
المؤمنين على اقامتها وقد سبق منهم ما ذكرنا من الايمان بها قبل هذا جائز ان يأمرهم باقامة الايمان
بها في حادث الوقت لان للايمان حكم التجدد في كل وقت وهو كقوله يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله
اي آمنوا في حادث الوقت فعلى ذلك هذا يحتمل الامر باقامتها اقامة الايمان بها ويحتمل ما ذكر من اقامة

الصلوة في الاية والانفاق هي الصلوة المعروفة والمفروضة والاداء لهما واللزوم بهما ويحتمل القبول
والوفاء بهما وقوله عز وجل وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية قال الحسن الامر بالانفاق مما رزقناهم
الزكوة المفروضات الا ترى انه ذكر الوعيد في الاخرة وقال من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ولا يحتمل
الوعيد في صدقات التطوع وهو ما ذكر ايضا في اية اخرى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت
ولا يحتمل طلب الرجوع والتأخير الى اجل في النوافل دل انه اراد به الزكوة المفروضات وقال بعضهم و
ينفقوا مما رزقناهم سرا هي التطوع والعلانية الفريضة لان الفريضة لا بد من ان تظهر وتعلن
وليس في ادائها رياء والله اعلم وقوله عز وجل من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال يوم لا بيع فيه
اي يوم لا يقدر احد ان يبيع نفسه من ربه وفي الدنيا يقدر ان يبيع نفسه من ربه كقوله ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله وقوله ان الله اشترى وقوله من قبل ان ياتي يوم لا يقدر احد بيع نفسه من ربه
ويحتمل قوله يوم لا بيع فيه اي لا ينفعه بيع نفسه منه في ذلك اليوم وان باع كقوله لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل وقوله فلما راوا باسنا الاية فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل ولا خلال
هو مصدر خاللت وهو من الخلة والصداقة ثم هو يحتمل وجهين احدهما ان لا تنفعهم الخلة التي كانت
بينهم في الدنيا لان كل خلة كانت في الدنيا مما لغير الله فهي تصير عداوة في الاخرة كقوله الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو اخبر ان الاخلاء الذين كانوا اخلاء في الدنيا فيهم الاعداء الا الخلة التي كانت
لله فهي تنفع اهلها وهو ما ذكر عز وجل يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وامثاله يخبر
ان الخلة كانت بينهم في الدنيا لا لله فهي تصير عداوة في الاخرة حتى يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم
من بعض والثاني ان يكون لهم شفعاء واخلاء ولكن لا ينفعون كقوله لا يشفعون الا لمن ارتضى و
تشفع لهم لكن لا يقبل كقوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله عز وجل الله الذي خلق السموات
والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم الى اخر ما ذكر فيه دلالة ان تدبير الله محيط
متسق بجميع ما في السموات والارض وعلمه محيط بجميع الخلائق حيث ذكر انزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم يعني للبشر جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل انه عن تدبير
فعل هذا وعلم وانه تدبير واحد عليم قدير لما ذكر من تسخير السموات والارض مع شدة السماء وصلابتها
وغلظ الارض وكثافتها وتسخير البحر مع اهواله وامواجه وتسخير الانهار والجاري وتسخير الشمس والقمر
الليل والنهار لهذا البشر في ذلك كله وجهان احدهما يذكرهم نعمه التي انعمها عليهم من المنافع التي جعل لهم
في تسخير هذه الاشياء التي ذكر لهم على جهل هذه الاشياء انهن مسخرات لغيرهم ليستادي بذلك شكرها
والثاني يذكر سلطانه وقدرته حيث سخر هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وغلظها واهوالها و
من قدر على تسخير ما ذكر قادر على البعث والاحياء بعد الموت ويحتمل ما ذكر من تسخير الاشياء
التي ذكر انه انشأ هذه الاشياء مسخرة مذللة لنا والثاني سخر لنا اي علمنا من الاسباب والحيل التي
تتهيأ لنا الانتفاع بها والتسخير وقوله عز وجل واتاكم من كل ما سالتموه فيه لغتان بالتنوين وبلا تنوين قال
بعضهم واتاكم من كل على التنوين ما سالتموه على الجحد اي اتاكم من غير ان سالتموه الاشياء التي ذكر انه سخرها
لنا اي اتاكم من غير سؤال ولا طلبة والثاني واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه لانه اعطانا اشياء
قبل ان نعلم انه يجب ان نسأل حيث خلق هذه الاشياء التي ذكر من قبل ان خلقنا وقال الحسن من كل ما سالتموه
قال الحسن من كل ما سالتموه قال ما لم تسالوه وهو ما ذكرنا فان قيل انا نسال اشياء لم يعطها فما معنى الاية
قيل بوجوه احدها ذكر حرف التبعيض وهو ما قال من كل ما سالتموه والثاني واتاكم على منافع ما سالتموه
قبل ان تسالوا وجهه على الانتفاع به والثالث واتاكم من كل ما يحق السؤال ويليق به على هذه الوجوه
يخرج الاية والله اعلم وقوله عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال بعضهم لا تحصوها اي لا تشكروها
اي لا تقدروا شكرها وقال بعضهم اي لا تقدروا احصاها وعددها وهكذا لا يقدر الناس نعمه لو تكلف
احصاء ما اعطاه ما قدر عليه من حسن الجوهر والصورة واستقامة التركيب والبنية وسلامة الجوارح
وغير ذلك مما لا سبيل له الى ما ذكرها واحصائها الا بعد طول التفكر والنظر وقال بعضهم وان تعدوا نعمة
الله لا تحيطوا بكثيرها ونهايتها وقوله عز وجل ان الانسان لظلوم كفار لظلوم اي ظلم نفسه حيث صرفها
الى غير الجهة جعلت وامروا دخلها في المهالك والقاها في التهلكة كفار لنعم حيث صرف شكرها الى الغير الذي
جعلها له والله اعلم واستدل بعض المعتزلة بقوله قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما
رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ان صاحب الكبيرة يخلد في النار لانه
اوعد بترك الصلوة والزكوة التخليد ابدا وترك الصلوة والزكوة من غير عذر من الكبائر دل انه ما ذكرنا فنقول
نحن وبالله التوفيق ان الاية تحتمل الامر باقامة الصلوة وما ذكر من الزكوة والصدقة اقامة الايمان
بها على ما ذكرنا من قبل بعض اهل التاويل فان كان على هذا على اقامة الايمان بها فمن ترك ذلك فهو مخلد لا
لا شك فيه او يكون من استحل تركها فهو بالاستحلال يكفر فهو مخلد او يتركها لعذر فهو لا يخلد على اتفاق

القول

القول فاذا كان ما ذكرنا محتملا دل ان الاية مخصوصة ثم معرفة تخليد صاحب الكبيرة انما هي بالدلائل
سوى هذا الذي في ظاهر الاية دلالة التخليد لما ذكرنا من احتمال الخصوص دل انه انما يطلب الدليل من وجه
اخر قال القتبي لا خلال مصدر خاللت فلانا خلالا ومخالة والاسم الخلة وعلة وهي الصداقة وقال
ابو عوسجة ولا خلال قال من المخالة يعني المودة دائبين قال يجريان ابدا وهو من الدءوب اي من التعب
وقوله عز وجل واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا لما يامن الخلق فيه كما سمي النهار مبصرا والنهار
لا يبصر ولكن يبصر فيه ومثله كثير ثم يحتمل قوله اجعل هذا البلد امنا قال بعض اهل التاويل انما طلب
ابراهيم ان يجعله امنا على اهله وولده خاصة لا على الناس كافة اذ قد سفك فيه الدماء
وهتك فيه الحرم دل انه جعله امنا على اهله وولده خاصة ولكن لو كان ما ذكروا محتملا ما يصنع بقوله
اولم يروا انا جعلنا حرما امنا الاية وقوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وغيره من الايات اخبر انه
جعل تلك البقعة مأمنا للخلق يأمنون فيها ثم يحتمل وجهين احدهما جعله امنا بحق الابتلاء والامتحان
الزم الخلق حفظ تلك البقعة عن سفك الدماء فيها وهتك الحرم وغير ذلك من المعاصي وان كانوا
صنعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يصلح كالمساجد التي تبنى للعبادة واقامة الخيرات الزم اهلها وعلى
جميع الخلق حفظها عن ادخال ما لا يصلح ولا يحل ثم ان الناس قد صنعوا ذلك وعملوا فيها ما لا يليق
بها ولا يصلح فعلى ذلك الحرم الذي اخبر انه جعله مأمنا والثاني جعله مأمنا بالخلقة من ذا الوجه يجوز
ان يقال كيف سفك فيه الدماء وهتك فيه الحرم وهو بالخلقة جعله امنا قيل يجوز هذا بحق
العقوبة وان كان امنا الا ترى انه قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية
الطيبات بالخلقة حلال لكنه حرم عليهم ذلك بالظلم الذي كان منهم بحق العقوبة والانتقام فعلى ذلك
الحرم جعله مأمنا بالخلقة ثم قتل فيه عقوبة لما كان منهم من المعاصي والله اعلم وقوله عز وجل واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام الاية فان قيل كيف دعا وطلب منه العصمة وقد عصم بالنبوة والرسالة واختاره
عن ذلك كله قال بعض اهل التاويل انما سال عصمة ولده وذريته لما علم ان ذريته قد يختلفون في دين
الله وتوحيده وما ذكر نفسه لما المعروف ان من دعا لاخر بدأ بنفسه قالت المعتزلة دعاء ابراهيم
وطلبه العصمة مما ذكر يدل انه قد يجوز ان يدعى بدعوات عبادة وان كان قد اعطاه ذلك او يعلم انه
يفعل وقيل دعا ابراهيم وغيره من الانبياء عليهم السلام يجوز ان يكون عصمتهم كانت مقرونة منه و
لو تضرعوا اليه ان معلوم انهم لم يستفيدوا تلك العصمة باجتهادهم وتركهم اياها سدى بل انما
وجب لهم ذلك بما اجتهدوا انفسهم في طاعة الله ثم الاية على المعتزلة من وجهين احدهما ان ابراهيم
طلب منه العصمة عن عبادة الاصنام وهو علم انه يعتصم اذا عصمه من ذلك واهتدى اذا هداه وهم
يقولون ان الله يعصم العبد ويهدي والا يهتدي العبد ويقولون اذا اعطى اخذ ذلك يخرج ذلك من يده
ولا يملك اعطاء ذلك فعلى قولهم يخرج دعوات الرسل على الهزء وعلى الكتمان لان من سال من اخر شيئا
يعلم انه ليس ذلك عنده فهو هزء او سال وهو يعلم انه قد اعطاه ذلك فهو كتمان وكان خوف الانبياء والرسل
والكبراء من الخلق اشد واكثر على دينهم والزيغ عما هم عليه لما خافوا ان يكونوا عند الله على غير ما
هو عند انفسهم كانوا ابدا وجلين خائفين على سلب ما هم عليه وهكذا الواجب ان يكون الخوف
على من نعمه عليه اكثر تخوفه اشد وقال ابو عوسجة اجنبني اي باعدني وجنبني ايضا وقال القتبي اي
جنبني واياهم وقوله عز وجل رب انهن اضللن كثيرا من الناس نسب الاضلال الى الاصنام وان
لم يكن لها صنع في الاضلال لانهم بها ضلوا وكانت الاصنام سبب اضلالهم وقد ينسب الاشياء الى
الاسباب وان لم يكن للاسباب صنع فيها نحو ما ذكرنا من قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا
الى رجسهم والسورة لا تزيدهم رجسا لكن ينسب الرجس اليها لما كانت هي سبب زيادة رجسهم وهو
انها لما نزلت ازدادوا بها تكذيبا وكفرا بها فنسب ذلك اليها فعلى ذلك الاول والثاني ينسب الى الاحوال
التي كانت بها ما لو كانت تلك بذوات الارواح لكانت تضل وتغوي ممن يكون منه الاضلال لانها تزين
وتحلي بالاشياء المموهات المغرورة الى الدنيا وان كانت الدنيا لا تغر لانها تكون بحال لو كانت تلك
الاحوال لمن ذي الروح لكان ذلك تغريرا فعلى ذلك نسبة الاضلال الى الاصنام والله اعلم وقوله
عز وجل فمن تبعني فانه مني يشبه ان يكون مني اي موافقي في الدين او في الولاية وحاصله والله اعلم معنى في
الدين وفي امر الدين وكذلك من غش فليس منا اي ليس بموافق لنا او ليس من ملتنا وكذلك قوله فانه مني اي
من ملتي وحاصله فمن تبعني واجابني فيما دعوته اليه وامرته به فانه مني اي مما انا عليه وكذلك قوله
من غشنا فليس منا اي ليس مما نحن عليه وقوله عز وجل ومن عصاني فانك غفور رحيم يشبه قوله ومن
عصاني ليس عصيان شرك ولكن عصيانا دون الشرك فانه غفور رحيم او ومن عصاني فانك غفور اي
ساتر عليه الكفر الى وقت معلوم لان الغفران هو الستر فستر عليه الى اجل كقوله انما يؤخرهم ليوم او يقول
ومن عصاني فانك غفور رحيم اي تمكن له من التوبة والاسلام فيسلم ويتوب فتغفر له ما كان منه من

العصيان وترحم عليه وقوله ومن عصاني فيما دعوتهم اليه وامرتهم به فانك غفور رحيم تمكن له من التوبة
والرجوع عما كان منه فيغفر له ويرحمه وقوله عز وجل ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع لا يحتمل ان
يكون قال هذا اول ما قدم تلك البقعة لانه قال عند بيتك المحرم ولا بيت هنالك دل انه انما دعا بهذه
الدعوات ربنا اني اسكنت من ذريتي وما ذكر ربنا واجعلنا مسلمين لك الى اخر ما ذكر بعد ما رفع البيت وقوله
عز وجل اسكنت من ذريتي دل انه انما اسكن بعض ذريته لم يسكن ذريته كلها حيث قال من ذريتي فقد امتحنه
الله بمحن ثلاثة لم يمتحن بمثلها احدا من الانبياء احدها امتحنه باسكان ولده بواد غير ذي زرع وغير ذي
ماء مما لا يحتمل قلب بشر تركه في مثل ذلك المكان مثله دل انه انما فعل بامر من الله تعالى والثاني امتحنه بذبح ولده
حتى اذا اشرف على الهلاك فداه الله بكبش وامتحنه بالقائه في النار فالقي حتى اذا اشرف على الهلاك جعلها الله
تعالى عليه بردا وسلاما ففي ذلك كله دلالة رسالته وكان له هجرتان احديهما الى مكة حيث اسكن فيها ولده
والهجرة الثانية الى بيت المقدس وهو ما ذكر ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها الاية ثم قوله
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع هو دعاء بتعريض لا بتصريح والدعاء بالتعريض والسؤال بالكناية
ابلغ واكثر من السؤال بالتصريح وهو كدعاء ادم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا الاية فهذا ابلغ في السؤال من قوله اغفر لنا
وارحمنا لان مثل هذا قد يسئل من دونه ولا يكون فيه ما ذكر فيه عن الخسران وقوله من ذريتي يحتمل ان
يكون كلمة من صلة اي اسكنت ذريتي ويحتمل على التبعيض اي اسكنت بعض ذريتي على ما ذكر في بعض القصص وهو ولد
اسمعيل واسحق وقوله عز وجل عند بيتك المحرم يحتمل قوله المحرم وجهين احدهما حرمه ان يستحل فيه ما لا
يحل ولا يصلح لكنه خص تلك البقعة بالذكر وان كان ذلك لا يحل في غيرها من البقاع لفضل الحرمة التي جعلها الله
لها كما خص المساجد باشياء لفضلها على غيرها من الامكنة والبقاع والثاني قوله عند بيتك المحرم اي الممنوع يقال
حرم اي منع كقوله وحرمنا عليه المراضع ليس ذلك على التحريم ان لا يحل له المراضع ولكن على المنع اي منعنا عنه
لنرده الى امه فعلى ذلك قوله عند بيتك المحرم اي ممنوع الخلق لله حتى لم يقدر احد من الفراعنة والملوك
الغلبة عليها وادخالها في ممالكهم وانفسهم بل هي ممنوعة عنهم على ما كان وفيه ايات الوحدانية له والالوهية
والله اعلم وقوله عز وجل ربنا ليقيموا الصلوة قال بعض اهل التاويل فيه تقديم يقول جنبني وبني ان نعبد الاصنام
ليقيموا الصلوة لك عند بيتك ويحتمل ايضا غير هذا وهو ان يقال اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع اي
ليس فيه ما يشغلهم عن الصلوة لان الزرع وغيره من التعيش يمنع الناس عن اقامة الصلوة ثم يحتمل الصلوة
الصلوة المعروفة ويحتمل الصلوة الدعاء والاذكار وغيرها من الدعوات ويحتمل قوله ربنا ليقيموا الصلوة
الصلوة نفسها وغيرها من الطاعات وكذلك قوله رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي وقوله عز وجل
فاجعل افئدة من الناس يحتمل سؤاله ربه ان يجعل افئدة الناس تهوي اليهم وجهين احدهما لما اسكن ذريته
في مكان لا احد فيه ولا نبات ولا زرع ففي مثل هذا المكان يستوحش المقام فيه فسأل ربه ان يجعل افئدة
الناس تهوي اليهم ليأنسوا بذلك المكان فيذهب عنهم تلك الوحشة فيستأنس بهم او سأله ان يجعل افئدة
الناس تهوي اليهم ليتعيشوا بما ينقل اليهم من الزاد والاطعمة اذا سكنهم في مكان لا زرع فيه ولا يتعيشون
فيه بر وقد جعل الله بلطفه هذا البيت لا قوام لهم الا بالاغذية والاطعمة فسأل ربه ليتعيشوا بما يحمل اليهم
وقال اهل التاويل فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم للحج وقالوا لو قال فاجعل افئدة الناس تهوي اليهم ولم يقل
من لحجه الخلق جميعا الكافر والمؤمن لكن لا يحتمل عندنا ان يكون سؤاله للخلق جميعا او يكون قوله واذن
في الناس بالحج الخلائق جميعا الكافر والمؤمن بل يرجع ذلك الى الخصوص والله اعلم وقوله عز وجل وارزقهم من الثمرات
لعلهم يشكرون يحتمل وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون تلك الثمرات ويحتمل لعلهم يشكرون بما جعل لهم من التعيش
بما حمل اليهم من الاغذية والاطعمة وقوله وارزقهم من الثمرات ليس على تخصيص الثمرات ولكن سأل الثمرات
وما به غذاؤهم وقوامهم وقوله عز وجل ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن لا يحتمل ان يكون مثل هذا الدعاء منه
مبتدءا بل كانه والله اعلم عن نازلة دعاء اذ يعلم صلوات الله عليه انه كان يعلم ما يخفون وما يعلنون لكن لم يبين
ما تلك النازلة واهل التاويل يقولون قال هذا اي تعلم ما نخفي من الحزن والوجد على اسمعيل وامه حين تركهما
بواد لا ماء فيه ولا زرع ويقولون وما نعلن وهو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي لكن لا نعلم ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء كان هذا جوابا من الله واخبارا منه اياه انه
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي لا يخفى عليه ما لا امر فيه ولا نهي ولا جزاء فكيف يخفى عليه
الاعمال التي عليها الجزاء والامر وقوله عز وجل الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق قال اهل التاويل
انه وهب له الولد وهو ابن كذا وامراته ابنة كذا لكن لا نعلم ذلك سوى ما ذكر انه وهب له الولد على الكبر في
وقت الاياس عن الولد حيث بشر بالولد فقال ابشرتموني على ان مسني الكبر وحيث قالت امراته لما بشرت
بالولد األد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا يعلم انه وهب له الولد وهما كانا كبيرين في وقت الاياس عن الولد وقوله
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق يكون حمده على الامرين جميعا على الهبة وعلى الولادة في حال
الكبر وهو حال الاياس اذ كل واحد مما يوجب الحمد عليه والثناء وقوله عز وجل ان ربي لسميع الدعاء قيل

المجيب الدعاء وقوله عز وجل رب اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي فقد سبق من الله الامر باقامة الصلوة
وهو المقيم لها فدل ان الدعاء منه والسؤال على ان يجعله مقيم الصلوة ان عند الله لطفا سوى الامر لم يعطه
فسأله ذلك هو التوفيق وعلى قول المعتزلة لقولهم انه قد اعطى كل شيء حتى لم يبق عنده ما يعطيه وقوله
عز وجل ربنا وتقبل دعاء قال بعضهم تقبل دعائي في اقامة الصلوة لنفسه وذريته لكن لا يجب ان
يخص دعاء من الدعوات التي سأل ربه وقد دعا ربه بدعوات كثيرة نحو ما قال اجنبني وبني ان نعبد
الاصنام وقوله ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين
لك وغير ذلك من الدعوات وقوله عز وجل ربنا اغفر لي ولوالدي طلب من ربه المغفرة لوالديه قال الحسن
ان امه كانت مسلمة واما ابوه فكان كافرا لانه قال اغفر لابي انه كان من الضالين خص والده بالضلال
دل ان امه كانت مسلمة لكنا لا نعلم ما حال الام امه كانت مسلمة او كافرة واما ابوه فهو لا شك انه كان
كافرا ثم يحتمل دعاؤه لوالديه وهما كافران ان كانت امه كافرة الدعاء على اضمار الاسلام اي اغفر لهما ان اسلما او ان
يكون سؤال المغفرة لهما سؤال الاسلام نفسه او ان يكون طلب منه الستر عليهما في الدنيا وان لا يفضحهما
ولا يخزيهما لكنه سأل المغفرة يوم يقوم الحساب ولا يحتمل طلب الستر الا ان يفصل بين قوله ربنا اغفر لي
ولوالدي وبين قوله وللمؤمنين يبتدء بالمؤمنين يوم يقوم الحساب وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ودعى ابراهيم
وسؤاله المغفرة لوالديه يكون سؤال السبب الذي يستحقان به المغفرة من ربهما ويكونان اهلا لها
وهو التوحيد ومعرفة المولى وهو ما ذكرنا في امر نوح قومه الاستغفار له وكذلك قول هود حيث قال
ويا قوم استغفروا ربكم الاية وقوله عز وجل يوم يقوم الحساب يحتمل قوله يوم يقوم الحساب بالعدل
يقول الرجل لاخر قم حسابي اي عدل فيه واتمامه الحساب العدل فيه على ما يوجبه الحكمة لا يزاد ولا ينقص
كقوله ونضع الموازين القسط وقال بعضهم يوم يقوم الحساب يوم يحاسبون قيام الحساب هو المحاسبة
نفسه والله اعلم ويحتمل قوله انك تعلم ما نخفي وما نعلن كانت له حاجات اخفاها طلب قضاها فقال تعلم
حاجاتي خفيتها او علنتها فاقضها لي او ان يكون قومه طعنوا في شيء فقال ذلك على التبري من ذلك
انه يعلم ما نخفي وما نعلن ولم يعلم ذلك الذين يطعنون في مني والله اعلم كقوله عيسى تعلم ما في نفسي وان
يكون قال ذلك لان اهل الاديان جميعا كانوا يتولون ابراهيم ويدعون انه على دينهم وكذلك قال ما كان
ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية برأه الله مما ادعى كل فريق ثم منهم من كان من هذه الفرق يدعون
الاسرار عن الله والاخفاء عنه فقال هذا ليعلم الناس توحيده انه لا يخفى عليه شيء اخفي او اعلن
ليعرفوا توحيده انه ليس شيء يخفى عليه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
قال بعضهم المخاطبة بهذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة على علم منه ان رسول الله كان لا يظن
ان الله يغفل عما يعمل الظالمون لكنه خاطب بما خاطب به في قوله ولا تدع مع الله الها اخر وقوله ولا
تكونن من المشركين وامثاله بها مع العلم انه لا يفعل ذلك واصله في هذا ان العصمة لا ترفع المحنة الا الامر
والنهي اذ لو رفعت العصمة المحنة والامر والنهي لذهبت فائدة العصمة ولا حاجة تقع اليها فدل ان العصمة
تزيد في المحنة ومع المحنة يحتاج اليها وينتفع بها ويحتمل ان يكون الخطاب بالاية غيره كل ظان يظن بالله الغفلة
من ظلم الظالم وهو كما خاطب بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم انما خاطب به كل غار بربه الكريم
لا كل انسان فعلى ذلك خاطب بقوله ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون كل ظان بالله الغفلة عن ظلم
الظالم ثم ان الذي حملهم على الظن بالله الغفلة عن ظلم الظالم حلمه وتاخيره العذاب عنهم عن وقت
ظلمهم وترك اخذهم بذلك فمنهم من ادعى الغفلة عن ذلك لما راوا من عادة ملوك الارض ان من ظلم احدا
منهم انتقم منه في عاجل وقت يقدر على الانتقام منه فلما اخر الله العذاب منهم والانتقام منهم على
القول بالغفلة ومنهم من ادعى الرضا بما اختاروا من الشرك والكفر بالله وادعوا الامر بذلك لما لم يأخذهم
ولم يستأصلهم بصنيعهم فاستدلوا بذلك رضاه بفعله وامره اياهم بذلك فاخبر رسوله ان تاخير
العذاب عنهم وامهاله اياهم ليس عن غفلة عنه ولا عن سهو ولا رضاه وامر ولكن انما يؤخرهم ليوم تشخص
وصف ذلك اليوم لشدة هوله وفزعه فقال ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد
اليهم طرفهم قال بعضهم هذا كله يرجع الى الطرف والبصر يقولون شاخصة ابصارهم مهطعين ناظرين
اليه اي الى الداعي مقنعي رءوسهم رافعي رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم لهول ذلك اليوم هذا كله تصرف
الى الابصار دون النفس لان الاهطاع والاقناع هو النظر والشخوص الابصار ومنهم من صرف قوله تشخص فيه
الابصار ولا يرتد اليهم طرفهم الى البصر وصرف قوله مهطعين مقنعي رءوسهم الى الانفس وهو ما ذكر في موضع اخر
مهطعين الى الداعي اي مسرعين اليه الاجابة رجاء التخلص والنجاة عما حل بهم بترك الاجابة والاهطاع قيل هو
النظر الدائم والاقناع هو الرفع رفع الرؤس مهطعين اي مديمي النظر مقنعي رءوسهم رافعيها وعلى ذا قال بعضهم
مسرعين على ما ذكرنا وقال بعضهم مقنعي رءوسهم اي رافعيها ملتزقا الى اعناقهم وقوله ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون يخرج على وجهين احدهما يقول لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وقت ظلمهم الظلم

وانشاءهم مما يكونوا منهم من الظلم اى لا عن غفلة وسهو عن ظلم الظالمين انشاهم وخلقهم ولكن على علم بما يكون
منهم انشاهم وخلقهم لكن انشاهم على علم منه ذلك عن الحكمة والثانى ما ذكرنا ان تاخيره العذاب عنهم ليس
لغفلة منه بذلك ولكن لما فى اخذهم بالعذاب وقت صنيعهم رد المحنة لا تصير العذاب والثواب مشاهدة
وقوله عز وجل وافئدتهم هواء خالية لهول ذلك اليوم اى خالية عن التدبير لان فى المشاهدان من ابتلى بلا وشدائد
يتدبر ويتفكر فى دفع ذلك فيخبر ان افئدتهم هواء يومئذ اى خالية عن التدبير اذا افئدتهم لا يكون منهم لشدة
اهواله وقال بعضهم وافئدتهم هواء اى لا شئ فيها ما ينتفعون بها وهكذا الهواء كل شئ يوصف بالخلاص
عن كل شئ والله اعلم وقوله عز وجل وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل
قريب يحتمل قوله وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب قولهم الذى يقولون يومئذ ربنا اخرنا الى اجل قريب و
يحتمل وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب الذى يحل بهم ثم اخبر عما يقولون اذا حل بهم العذاب ربنا اخرنا
الى اجل قريب قال بعضهم الى الدنيا والدنيا اجلها قريب لكن هذا لا يحتمل لان الدنيا اولى والآخرة فلو كان
هذا لتكون الآخرة اولى فذلك بعيد لكن طلبوا والله اعلم الرد الى ما لا الا من يحسبوا داعيا ان لم تنفعهم
اجابتهم فى حال الخوف لهول وما حل بهم انما حل بتركهم فى حال الامن فطلبوا الرد الى الامن ليجيبوا واعلم
لتنفعهم اجابتهم حيث قالوا نجب دعوتك ونتبع الرسل وقوله عز وجل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم
من زوال لم يبين بما اقسموا فى هذه الآية وهو ما بين فى آية اخرى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت ثم قوله ما لكم من زوال قال قائلون ما لكم من زوال من الدنيا اى كنتم تقولون ان ليس لنا من الدنيا
لا زوال لنا عنها احيا وموتى كقولهم ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا الآية على ما ذكر من قسمهم انهم لا يبعثون
وقال قائلون قوله ما لكم من زوال جواب لسؤالهم ربنا اخرنا الى اجل قريب على الابتداء فقال ما لكم مما انتم
انتم فيه من العذاب الى ما تسألون من المدة والتاخير اى ما لكم الى ذلك سبيل وقال بعضهم فى قوله وافئدتهم
هواء اى تنزع قلوبهم حتى صارت فى حناجرهم فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها لشدة هول ذلك
اليوم وفزعهم عليه وهو على التمثيل والكناية كقوله اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم الآية لشدة
خوفهم وهو على التمثيل اذ لا يحتمل بلوغ القلوب الحناجر فى الدنيا حقيقة اذ لو بلغت ذلك لخرجت فما توا اذ الدنيا
يحتمل الموت فيها فدل ان ذلك على التمثيل لشدة خوفهم وقوله عز وجل وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بتكذيبهم
الرسل وتاويل والله اعلم انهم كانوا يطلبون من ربهم الرد الى حال الامن خوفا ليجيبوا بقولهم ربنا اخرنا الى اجل
قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل والله اعلم فقال وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بتكذيبهم الرسل اى
سكنتم فى الدنيا فى مثل منازلهم ومساكنهم فرايتم ما نزل باولئك الذين صنعوا مثل صنيعكم ذلك وقوله عز وجل وتبين
لكم كيف فعلنا بهم من التعذيب والاستئصال ثم لم تتعظوا بما حل بهم فعلى ذلك اذا رددتم الى الحال الامن لا تتعظوا
بها بل بكم فى هذه الحال وهو ما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فيما يقولون انهم
يجيبون دعوتك هذا والله اعلم تاويله وقال بعض اهل التاويل وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم اى عملتم
مثل اعمالهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم من الاستئصال بالتكذيب بتكذيبهم الرسل فلم تتعظوا بذلك فلا تتعظون
بهذا ايضا اذا رددتم والله اعلم وفى قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم الى آخرها ذكر دلالة لزوم
النظر والاستدلال ولزوم القياس ودلالة لزوم العقوبة وان كان لم يعلموا بها اذ مكنوا من العلم بها اما دلالة
النظر والاستدلال هو قوله وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم فهلا نظرتم ما حل بهم من تكذيبهم
الرسل واتعظتم به ودلالة القياس هو ما خوفهم ان ينزل بهم ما نزل باولئك لانهم اشتركوا فى المعنى
الذى نزل باولئك ما نزل هو تكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم وقوله عز وجل وضربنا لكم الامثال اى ضربنا
لكم من الامثال ما لو تفكرتم فيها ونظرتم لكان ذلك لكم موعظة وزجرا عن مثل صنيعكم او يقول وضربنا لكم
الامثال اى قد بينا لكم الامثال والاشباه ما لو تفكرتم لعلمتم ان اولئك لكم اشباه وامثال وصنيعهم لصنيعكم
اشباه وامثال فينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم مكروا واحتالوا على اهلاك
الرسل ومثلهم كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وكيدهم الذى ذكر فى غير آى من القرآن برسل الله حتى قال
الرسل فكيدونى جميعا ومكروا ايضا بدين الله الذى اتت به الرسل مكروا واحتالوا على اطفاء ذلك النور فابى الله
ذلك عليهم واظهر دينه وابقى نوره الى يوم القيامة كقوله يريدون ان يطفئوا نور الله كان مكرهم وحيلهم
يرجع فى احداثنا ويلين الى انفس الرسل حين هموا ربعدوا اهلاكهم والثانى يرجع الى اطفاء الدين الذى فى ايدى
الرسل والنور الذى دعوا اليه وقوله عز وجل وعند الله مكرهم يحتمل عند الله جزاء مكرهم الذى مكروا برسل
الله وبدينه او عند الله مكرهم اى عند الله العلم بمكرهم محفوظ ذلك عنده لا يفوت ولا يذهب عنه شئ فيجزيهم
بذلك فى الآخرة او عند الله مكرهم اى عند الله الاسباب التى بها مكروا من عند الله استفادوا وهو النعم الذى اعطاهم
والاموال التى ملكتهم والعقول التى ركب فيهم بما قدروا على المكر والاحتيال عند الله والله اعلم وقوله عز وجل
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اختلف فى تلاوته وقراءته وتاويله قرأ بعضهم وان كان مكرهم بالدال وهو حرف
عمر وابن مسعود وابى وابن عباس رضى الله عنهم وقرأ بعضهم ان كان مكرهم باللتون قرأ نختلف فى قوله وان كان

وقال الحسن وغيره وان بمعنى ما اى ما كان مكرهم لتزول منه الجبال قال كان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول
منه الجبال قال كان مكرهم وان بمعنى ما كثير فى القرآن كقوله لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين اى ما كنا
فاعلين وكقوله ان نحن الا بشر مثلكم اى ما نحن الا بشر مثلكم وقد يستعمل ان فى موضع قد كقوله ان كان
وعد ربنا لمفعولا اى قد كان وعد ربنا لمفعولا فمن حمله على ما قد استهان بمكرهم واستخف به فقال
ان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول منه الجبال والجبال اوهن واسرع زوالا من رسالة الرسل
ودين الله بل رسالة الرسل ودين الله ورسله معهما حجج الله وبراهينه فاذا لم يعمل مكرهم فى ازالة
الجبال لا يعمل فى ازالة دين الله ورسله معهما حجج الله وبراهينه فاذا لم يعمل مكرهم فى ازالة الجبال لا يعمل
فى ازالة دين الله ورسالة الرسل ومعهما الحجج والبراهين ومن قال وان كان قد كان حمله على الاستعظام
بمكرهم وعلى ذلك من قرأ كاد بالدال على الاستعظام بمكرهم كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض
وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا من عظيم ما قالوا فى الله كادت السموات ان تنشق فعلى ذلك مكرهم
جميعا الوجهين ان بينهما ان مرة ويستعظم الاخر ان يقال ان كلمتهم من حيث الشرك والكفر عظيمة ومن حيث
احتيالهم ومكرهم فى ازالة ذلك النور واطفائه ضعيف والله اعلم وقوله عز وجل فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله الخطاب به يحتمل ما ذكرنا اى لا تحسبن ان ما تأخر من نزول ما وعد انه يخلف وعده الذى وعد رسل
كالذين يكون تاخير العذاب عنهم من وقت ظلمهم عن غفلة وسهو ولكن كان وعده الى ذلك الوقت وخلف الوعد
فى الشاهد من الخلق انما يكون لوجهين احدهما لما لا يملك انجاز ما وعد والثانى لما يضره الانجاز فالله تعالى
عن ذلك كله وقوله عز وجل ان الله عزيز ذو انتقام قال بعضهم عزيز لا يعجزه شئ وقيل عزيز قاهر يقهر
ويذل الخلائق كلهم اولاء دونه وقوله عزيز اى غالب قاهر ذو انتقام لاوليائه من اعدائهم اى غالب
الاعداء وقاهرهم وناصر الاولياء واما قال اهل التاويل فى قوله وقد مكروا وعند الله مكرهم وان كان
مكرهم لتزول منه الجبال انه نزل فى شان نمرود وانه اتخذ تابوتا وربط نسورا على قوائمه وما ذكروا الى
آخره فلا علم لنا الى ذلك والله اعلم اتركه خيال نقول الا القدر الذى ذكر فى الآية ولتزول بنصب اللام الاولى
ورفع الآخرة على معنى التوكيد ولتزول بكسر اللام ونصب الآخرة على الجحد اى ما كانت الجبال لتزول من مكرهم
وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال الحسن تعنى هذه الارض
ثم تعاد من ساعته مستوية لا شجر فيها ولا جبل ولا اكام قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقال
بعضهم تبدل هذه الارض ارضا غير هذه بيضاء نقية لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها بالمعاصى وكذلك السموات
ومنهم من يقول لا تبدل عينها ولكن يتغير صفتها وزينتها كما يقول الرجل لآخر تبدلت يا فلان لا يريد تبدل
اصله وعينه ولكن تغيرا لاخلاق والذين فعلى ما ذكر من تبديل الارض والسموات والاشبه ان يكون على اختلاف
الاحوال لانه ذكر فى آية يومئذ تحدث اخبارها وقال واذا الارض مدت وقال يوم تشقق واذا السماء انشقت
واذا السماء انفطرت وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ويوم نسير الجبال وقال ويسئلونك
عن الجبال وقال فجعلناه هباء منثورا ذكر مرة تمد الارض وذكر مرة انها تخبر وتحدث عما عمل عليها وذكر فى
السماء بالتشقق والانفطار وفى الجبال بالسير والمرور ومرة بالرفع ومرة اخبر انه جعلها هباء منثورا و
امثاله فيشبه ان يكون هذا كله على اختلاف الاحوال والاوقات اذ يوم القيمة يوم طويل فيكون كل ما ذكر على
ما قال يومئذ فهم لا يتساءلون قال فى آية واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال ولا يتساءلون وقوله
يسأله من فى السموات والارض فهو والله اعلم ذلك على اختلاف الاحوال والاوقات فعلى ذلك الاول
والله اعلم بذلك وتبدل الارض والسموات يحتمل وجهين احدهما تبديل اهلها على ما يذكر الارض والقرية والمراد
منها الاهل كقوله واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وقوله قرية كانت آمنة الآية ونحوه
كثير والثانى تبديل نفس الارض ثم يحتمل كل واحد من الوجهين وجهين اما تبديل اهلها هو ان يكونوا مستسلمين
خاضعين له فى ذلك ولم يكونوا فى الدنيا والثانى تبدل اهلها هو ان يكون الاولياء فى النعم الدائمة واللذة الباقية
والاعداء فى عذاب والم وشدة وكانوا فى هذه الدنيا جميعا مشتركين الاولياء والاعداء فى اللذات والآلام فان
كان تبديل نفس الارض فهو يخرج على وجهين احدهما تغيير زينتها وصفتها والثانى تبديل عينها وجوهرها وهو ما
ذكر ان ارض الجنة تكون من مسك وزعفران ونحو ما روى فى الخبر والله اعلم كان قوله يوم تبدل الارض غير
الارض صلة قوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله الآية فقالوا حتى يكون ذلك فقال يوم تبدل الارض
غير الارض يخرج جوابا لسؤال والله اعلم وقوله عز وجل وبرزوا لله الواحد القهار قد ذكرنا تخصيص بروزهم
لله يوم القيمة انه والله اعلم انشأ هذا العالم الاول العالم الثانى فالعالم الثانى هو المقصود فى انشاء هذا العالم فخص بروزهم
يومئذ له لما هو المقصود فى انشائهم وقال قائلون تخصيص البروز له يومئذ لانهم يخرجون من قبورهم
للحساب لا لغيره فهو بما سبهم فاضاف البروز اليه لما يخرجون له لا له واما فى الدنيا فانما يخرجون لحوائج انفسهم
لذلك خرج التخصيص له والاضافة وقوله وبرزوا لله يحتمل وجهين احدهما بدو اله مستسلمين خاضعين قائمين
طائعين ولم يكونوا فى الدنيا كذلك والثانى يبرزون له لما وعدوا واوعدوا يبرزون لوعده ولوعيده ولما وعدوا

اليه ورغبوا فيه والثالث يبرزون له لما لا يملكون اخفاء انفسهم وسترها بل ظاهرين له وقوله عز وجل الواحد القهار الذي لا شريك له والقهار يقهر الخلائق كلهم ويغلبهم الجبابرة والفراعنة او يبرزون له ليجزيهم على ما ذكر ثم ليجزي الله كل نفس ما كسبت والله اعلم وقوله عز وجل وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران قيل القطر هو النحاس والآني الذي قد انتهى حره كقوله من حميم آن وقيل الصفر وقال بعضهم من قطر آن اي من نحاس اني لهم ان يعذبوا وقال بعضهم هو من القطران المعروف الذي يطلى به الابل ذكر هذا لانه اشد احراقا واشتعالا وقوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد الى آخر ما ذكر جعل الله عذاب الكفرة في الآخرة بالاسباب والاشياء التي كانوا يتفاخرون بها في الدنيا من اللباس والشراب والاصحاب وغيره وهو كان سببهم عن اجابة الرسل فيما دعوهم اليه فجعل تعذيبهم في الآخرة بذلك النوع من النار فقال وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد يقرن ويقيض بعضهم ببعض كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الآية لانهم كانوا يتبعونه ويأتمرون امره وكقوله احشروا الذين ظلموا الآية وكذلك الرؤساء منهم والمتبوعون وقوله سرابيلهم من قطران لما كانوا يتفاخرون في الدنيا بلباسهم وكذلك كل نوع يفتخرون به في الدنيا ويمنعهم عن الاجابة الرسل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والاصفاد قيل الاغلال اي قد قرن بعضه الى بعض في الاغلال واحدها صفد وهو قول القتبي وكذلك قول ابي عوسجة في الاصفاد الاثر قال واحدها صفاد والصفد العطية سرابيلهم قميصهم واحدها سربال من قطران القطر ما ذكرنا النحاس والآني الذي قد انتهى حره وهو قول القتبي وابي عوسجة ذكر هذه المواعيد والشدائد وانواع ما يعذبون به في الآخرة ونحوها على السن من قد ظهر صدقهم بالآيات والحجج ليحذروا ما اوعدوا ويرغبوا فيما رغبوا لئلا يكون لهم الاحتجاج يومئذ كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله ليهلك من هلك عن بينة الآية ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل وتغشى وجوههم النار لان ايديهم مغلولة الى اعناقهم فلا يقدرون ان يتقوا النار بايديهم ذكر هذا لان في الشاهد من اصاب وجهه اذى يتقي عنه بيده فيخبر انهم انما يتقون ذلك بوجوههم والله اعلم ليجزي الله كل نفس ما كسبت لما ذكرنا يبرزون لله ليجزيهم من خير وشر وقوله عز وجل ان الله سريع الحساب قال بعضهم كان قد جاء حسابه والثاني ذكر هذا لان الحساب انما يبطئ لا يتذكر من له الحساب بمن يحاسبه في الشاهد فيما يحاسبه فيطول الحساب او لاشتغاله بشيء عنه او الجهل بالحساب فاما الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء ولا يشغله شيء عن شيء كله محفوظ عنده فهو سريع الحساب والله اعلم او نقول انما يطول الحساب في الشاهد ويمتد لما يحتاج الى التفكر والتذكر في ذلك فالله سبحانه متعال عن التفكر والنظر بل كل شيء محفوظ عنده والله اعلم وقوله عز وجل هذا بلاغ للناس ولينذروا به يحتمل قوله هذا بلاغ القرآن هو بلاغ للناس على ما ذكر في صدر السورة كتاب انزلناه اليك الآية هو بلاغ على ما ذكر والله اعلم ولينذروا به اي بالقرآن ايضا على ما ذكر وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها ويحتمل قوله هذا بلاغ ما ذكر من المواعيد وهو قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد الى آخر ما ذكر اي هذا الذي ذكر بلاغ يبلغهم لا محالة ولينذروا بما ذكر وليعلموا انما هو اله واحد لا شريك له بالآيات التي اقامها على وحدانية الله والوهيته وليذكر اولوا الالباب اي ذوو العقول والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قد ذكرنا فيما تقدم انه يحتمل ان الحروف المقطعة كنايات عن كتب او آيات او ترجمها على ما توجبه الحكمة فجعلها كتابا او آيات كتاب يتلى او يكون كناية عن الانباء والاخبار عن الامم السالفة التي لم يشهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الانباء والاخبار التي جعلناها كتابا او آيات ليعلموا ان هذا الكتاب انما نزل من السماء وانه انما علم بالوحي من الله وقد ذكرنا هذا في غير موضع وقرآن مبين قال بعضهم فيه ما يؤتى وما يتقى ومبين يبين بين الحق والباطل والله اعلم وقوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال عامة اهل التاويل انما يودون الاسلام والتوحيد بعدما عذب بالنار قوم من اهل التوحيد بذنوبهم ثم اخرجوا منها بالشفاعة او بالرحمة فعند ذلك يتمنى اهل الشرك ويودون الاسلام والتوحيد لو كانوا مسلمين لكن هذا بعيد ان لا يتمنوا الا في النار بعد ما اخرج اولئك وقد اصيبوا الشدائد والبلايا من قبل ان يأتوا النار قال الله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الآية اخبر انه يتمنى عند حلول الموت الاسلام حيث طلب الرجوع الى الدنيا دل انهم يودون الاسلام قبل الوقت الذي ذكروا ويتمنون الاسلام اذا حوسبوا او اذا بعث اهل الجنة وبعثوهم الى النار يتمنون الاسلام قبل ذلك في مواضع وربما يتمنى الآحاد من الكفرة ويودون لو كانوا مسلمين في احوال واوقات يظهر لهم الحق لكن الذي يمنعهم وقد بان لهم الحق لكن الذي يمنعهم عن الاسلام فوت شيء من الدنيا وذهاب شيء قد طمعوا فيه وقال الحسن في قوله الر تلك آيات الكتاب قسم لما ذكر ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين نقول اقسم بالحروف المقطعة انهم يودون الاسلام والله اعلم وقوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا هذا ليس على الامر ولكن على التوعيد والتهديد والابلاغ في الوعيد وتاكيد كقوله اعملوا ما شئتم الآية وهو على التوعيد حيث قال انه بما تعملون بصير فعلى ذلك قوله ذرهم ياكلوا وعيد بقوله فسوف يعلمون ويشبه ان يكون ذرهم ولا تكافهم بصنيعهم وقوله عز وجل فسوف يعلمون المحق المبطل وان المحق والمبطل

من اتباعهم او اوهم وسوف يعلمون نصحك اياهم وشفقتك لهم انك نصحت لهم واشفقت لا انك خنتهم او يعلمون بما سخروا بك وهزؤوا وقوله ويلههم الامل لا امل الطمع اختلف فيه قال بعضهم اي يمنعهم طمعهم انهم وآباؤهم قد اصابوا الحق ذلك منعهم عن الاجابة والنظر في الآيات والحجج والثاني يقلدهم بامتداد دعوتهم ليبقى لهم الرياسة والشرف ذلك الذي كان يمنعهم عن الاجابة والانقياد له والنظر في الآيات والحجج والثالث يطمعون هلاك النبي صلى الله عليه وسلم ويتمنون ذلك وانقطاع ملكه وامره والعود اليهم فذلك الذي كان يمنعهم وفي حرف حفصة ذرهم يخوضوا ويلعبوا ويلههم الامل وقوله ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية في قوم علم الله انهم لا يؤمنون ايس رسوله عن ايمانهم وهو كقوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قال الحسن وما اهلكنا اهل قرية اهلاك تعذيب الا وقد ارسلنا اليهم رسلا بكتاب معلوم يتلوا ذلك الكتاب المعلوم عليهم فاذا كذبوهم وآيس من ايمانهم فعند ذلك يهلكون اهلاك تعذيب وهو ما قال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا عليهم آياتنا فعلى ذلك الاول و قال بعضهم وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم يقول كتاب فيه اجل معلوم موقت لها على هذا التاويل كانه قد خرج جوابا بالقول كان من اولئك الكفرة من استعجالهم الاهلاك وقوله عز وجل ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اي ما تسبق امة اجلها الذي جعل الله لها بلا هلاك وما تستأخر عنه وهو ما قال لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا ينقض على المعتزلة قولهم حيث قالوا ان الله يجعل لخلقه اجالا ثم يجيء آخر فيقتله قبل الاجل الذي جعله الله له والله يقول لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب يخبر انه لجاءهم العذاب لولا ما جعل من اجل مسمى قد وعد جل وعلا انه يبقيها وعدم البلوغ الى الاجل الذي سمى وعلى قول المعتزلة لا يملك انجاز ما وعد لانه يجيء انسان فيقتله فيمنع الله عن وفاء ما وعد فذلك عجز وخلف في الوعد فنعوذ بالله من السرف في القول والزيغ عن الحق وقوله عز وجل وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني القرآن انك لمجنون قال الحسن قوله يا ايها الذي تدعي انه نزل عليه الذكر انك لمجنون فيما تدعي من نزول الذكر هو على الاضمار الذي قال الحسن والا في ظاهرهنا تناقض لانهم كانوا لا يقرون بنزول الذكر عليه لانهم لو اقروا نزول الذكر عليه لكان قولهم متناقضا فاسدا انك لمجنون سموه مجنونا والذي حملهم على تسميتهم اياه مجنونا وجوه احدها انهم لما راوه انه قد اظهر الخلاف لذوي العقول منهم والافهام والدعاء الى غير ما هم فيه ورأوا انه ليس يخالف اهل العقول والفهم الا مجنون به فسموه مجنونا والثاني راو قد اظهر الخلاف للفراعنة والجبابرة الذين كانت عادتهم القتل والهلاك من اظهر الخلاف لهم في امر من امور الدنيا دينه فكيف من اظهر الخلاف لهم في الدين فظنوا انه ليس يخالفهم ولا يخاطر بنفسه وروحه الا مجنون فيه والثالث قالوا ذلك لما راوه كان يتغير لونه عند نزول الوحي عليه فظنوا ان ذلك لآفة فيه ومن تامل حقيقة ذلك علم ان من قرفه بالجنون به هو المجنون لا هو حيث قال اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة الآية وقال ما انت بنعمة ربك بمجنون اخبر انهم لو تفكروا وعرفوا انه ليس به جنة ولكن عن معاندة ومكابرة يقولون وجهل وسموه ساحرا فذلك تناقض في القول لانه لا يسمى ساحرا الا لفضل بصر وعلم فذلك تناقض وقوله عز وجل لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين تاويله والله اعلم يقولون له انك تزعم ان الملائكة يأتونك بالوحي فهلا اظهرت لنا اذا اتوك فننظر اليهم املائكة هم على ما تزعم ام شياطين وقال بعضهم لوما تأتينا بالملائكة فيشهدون انك رسول الله وانك ارسلت على ما تدعي من الرسالة فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق الا بالموت وما كانوا اذا منظرين قال بعضهم انه ليس في وسع البشر رؤية الملائكة على صورتهم فقال ما ننزل الملائكة الا بالحق الا بالموت لو رأوا الملائكة لماتوا لم يجعل في وسعهم رؤية الملائكة وهو كقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك الآية اخبر انه لو انزل عليهم الملك لما تولوا اذ ليس في وسعهم رؤية الملك على صورته ثم اخبر ايضا انه لو جعله ملكا لجعله رجلا ويكون في ذلك لبس على اولئك وقال بعضهم ما ننزل الملائكة الا بالحق اي الا بالحجج والآيات والبراهين على الرسل وعلى من هو اهل لذلك ليس على كل احد وقال بعضهم الا بالحق اي بالعذاب الذي يكون فيه هلاكهم وهكذا ان الملائكة لا تنزل الا بالعذاب الذي فيه هلاكهم او بالحجج والبراهين والله اعلم وقوله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن وانا له لحافظون حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل وكل الحفظ الى نفسه لم يقدر احد من الطاعنين مع كثرتهم ان ينزل موضع الطعن فيه وذلك يدل انه سماوي وانه محفوظ وقال بعضهم وانا له لحافظون اي لمحمد عليه افضل الصلوات اي نحفظه بالذكر الذي انزل عليه كقوله والله يعصمك من الناس وكقوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي الآية اخبر انه انما يهتدي بما يوحي اليه ربه فعلى ذلك يحفظه بالقرآن الذي انزل عليه ويحتمل ان يكون الذكر النبوة اي انا نحن نزلنا النبوة وانا له اي لرسوله لحافظون بالنبوة والرسالة وقوله عز وجل ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين قيل في ملك الاولين وقيل في فرق الاولين وقيل في جماعات وهو واحد وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون يصبر رسوله على استهزاء قومه اياه واذا هم يقول والله اعلم لست انت المخصوص بهذا ولكن لك شركاء واصحاب في ذلك يخفف ذلك عليه ويهون لان العرف في الخلق ان من كان له شركاء واصحاب في شدة اما او بلاء مصيبة كان ذلك ايسر عليه واهون من ان يكون مخصوصا به من بين سائر الخلائق والله اعلم كان هذه الآية

صلة قوله يا ايها الذي نزل عليه الذكر فكان لما سمع هذا اشتد عليه وضاق صدره بذلك فعند ذلك قال ولقد ارسلنا
من قبلك في شيع الاولين الى اخره يصبره على اذاهم وهزئهم به فانما يشتد عليه ذلك على قدر شفقته ونصيحته لهم
وكان يبلغ نصيحته وشفقته لهم ما ذكر لعلك باخع نفسك وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كادت نفسه تهلك
وذكر هذا الله لما ان هؤلاء الاعداء في قومه انما استهزؤا به تقليدا لابائهم واسلافهم وتلقنوا منهم لانهم انشاؤا ذلك
من انفسهم واولئك اعني الاوائل انما استهزؤا برسلهم لا تقليدا باحد ولكن انشاء من ذات انفسهم فمن استهزأ
باخر فشتم تقليدا واقتداء وتلقنا كان ذلك ايسر عليه واخف من فعل به من انشأه لانه انما يلقن المجانين والصبيان
ومن به افة بمثل ذلك فهم الذين يعملون بالتلقين واما العقلاء والسالمون عن الافات فلا فذلك اهون
عليه من استهزاء اولئك برسلهم والله اعلم وقوله عز وجل كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اختلف فيه قال بعضهم
كذلك نسلك التكذيب والاستهزاء في قلوب المجرمين لا يؤمنون به يقول من حكم الله ان يسلك التكذيب
في قلب من اختار التكذيب وكذب به ومن حكمه ان يسلك التصديق في قلب من صدق به واختاره كقوله فلما زاغوا
ازاغ الله قلوبهم وكقوله وما يضل به الا الفاسقين وقال بعضهم قوله كذلك نجعل الكفرة التكذيب في قلوب
المجرمين بكفرهم كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الاية وقوله وجعلنا قلوبهم قاسية وكره ويحتمل
قوله نسلكه في قلوب المجرمين الحجج والايات ليكون تكذيبهم وردهم الايات والحجج وتكذيبهم تكذيب عناد ومكابرة
لا يؤمنون به وقوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي مثل الذي سلكنا في قلوب المؤمنين من قبول الايات
والتصديق لها لما علم انهم يختارون ذلك نسلك في قلوب المجرمين من تكذيب الايات والحجج وردها لما علم منهم الرد
والتكذيب لها هذا يحتمل ويحتمل غير هذا ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وقد خلت سنة الاولين يحتمل قوله قد خلت
سنة الاولين بالتكذيب والرد والمعاندة والمكابرة بعد قيام الحجج والايات ويحتمل وقد خلت سنة الاولين الهلاك
والاستئصال عند مكابرة حجج الله ومعاندتهم اياها وقال بعض اهل التاويل كذلك نسلكه اي نجعله اي نجعل على
ما ذكرنا الكفر بالعذاب في قلوب المجرمين لا يؤمنون به اي لا يصدقون بالعذاب وقد خلت سنة الاولين بالتكذيب
لرسلهم بالعذاب فهذا عذاب فهؤلاء يستنون بسنتهم وقال ابو عوسجة كذلك نسلكه اي ندخله يقال انما السلك الادخال
والسلوك الدخول وسلكت ادخلت وانشد بيتا قوله كذلك سلكناه وقال اسلك يدك في جيبك اي ادخل وقوله
عز وجل ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يحتمل وعلا عن سفههم وعنادهم في سؤالهم
الايات وطلب نزول الملائكة بقوله لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين يقول ان سؤالهم الايات
وما سألوا ليس تعنتين مكابرين للبلواهم مسترشدين لكن اهل الاسلام لا يعرفون تعنتهم بالذكر حيث قال واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية الاية ثم قال وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون وذلك ان المؤمنين كانوا
يشفعون لهم ليسألهم الايات لعلهم يؤمنون فاخبر وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون فعلى ذلك
قوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يخبر انهم يسالهم نزول الملائكة معاندين مكابرين ليسوا
بمسترشدين ثم اختلف فيه قال بعضهم قوله ولو فتحنا عليهم يعني على الملائكة بابا حتى راوا وعاينوا الملائكة ينزلون
من السماء ويصعدون فلا يؤمنون وقالوا انما سكرت ابصارنا قيل خيرت وسدت بل نحن قوم مسحورون
اي سحرت اعيننا فلا نرى ذلك وقال بعضهم قوله ولو فتحنا عليهم اي لهم بابا من السماء كقوله وما ذبح على
النصب اي للنصب وقوله عز وجل فظلوا فيه حتى يعرجون فيه ويعاينون نزول الايات ويشاهدون كل شيء
لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون يقولون ذلك لشدة تعنتهم وسفههم وينكرون معاينة
ذلك وقوله عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا قيل نجوما ويحتمل البروج المنازل التي ينزل فيها الشمس والقمر
والنجوم جعل لكل واحد من ذلك منزلا ينزل في كل ليلة في منزل على حدة ويحتمل ما ذكر من البروج هي مطالع من الشمس
والقمر والنجوم وقوله عز وجل وزيناها للناظرين يعني السماء للناظرين وفي قوله زيناها للناظرين دلالة نقض قول
من ينهى عن النظر الى السماء من اهل القرآن لانه اخبر انه زينها للناظرين ولا يحتمل ان يزينها ثم ينهى عن النظر اليها دل
انه لا باس للناظرين وقال في اية اخرى هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها الاية وقال في موضع اخر ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح وجعل الله في الشمس والقمر والنجوم منافع يهتدون بها الطرق في ظلمات الليل وجعلها
مصابيح في ظلمات واخبر انه زينها للناظرين لان ما يقبح في العين من المنظر لا يتفكر الناظر فيه ولا ينظر اليه
فزينها لهم ليحملهم ذلك على التفكر فيه والنظر اليها ليعلموا انه تدبير واحد حيث جعل منافع السماء متصلة
بمنافع الارض مع بعد ما بينهما وجعل اشياء هي في الظاهر اشباه وهي في الحقيقة كالاضداد لها ومنها ما هي
في الظاهر اضداد وهي كالاشكال نحو النور والظلمة هي في الظاهر اضداد ثم صارت كالاشكال حيث بضوء النجوم
في ظلمات الليل حتى ينتفع بذلك اهل الارض وهما في الظاهر اضداد فصارت بما يظهر من منافعهما كالاشكال ولا جعل
لا ينتفع بضوء النجوم مع نور القمر ولا ينتفع بنور القمر مع ضوء الشمس وهي اشكال بما يذهب كل واحد منها
بسلطان الاخر كالاضداد ليعلم انه تدبير واحد حيث صارت الاضداد كالاشكال والاشكال كالاضداد في
حق المنفعة وقوله عز وجل وحفظناها يعني السماء من كل شيطان رجيم ذكر ان الشياطين كانوا يصعدون السماء
فيستمعون من اخبار السماء من الملائكة ما يكون في الارض من غيث وغيره فيزدادوا فيها ما شاؤا فيلقون

ذلك الى الكهنة فيخبر الكهنة الناس فيقولون الم نخبركم بالمطر في يوم كذا وكذا وكان حقا ثم منعوا من صعودهم
اعني السماء وحفظوا عنهم فجعلوا يسترقون السمع فسلط الله الشهب عليهم حتى يقذفون وهو قوله ويقذفون
من كل جانب دحورا وقوله فاتبعه شهاب ثاقب ويحتمل حفظناها اي اهلها من الشيطان الرجيم لما ذكرنا
من ذكر اشياء من القرية والمصر والعير وغيره والمراد منه اهله فعلى ذلك هذا الا ان اهل السماء باجمعهم
اهل ولاية الله واهل طاعته واما اهل الارض فمنهم من الفاسقين الضالين فهم اولياء اهل الشيطان كقوله
انما سلطانه على الذين يتولونه الاية ويحتمل حفظ السماء نفسها بالملائكة وهو ما ذكر ويقذفون الاية
ويحتمل بالشهب التي في غير اي من القران وقال بعضهم الرجيم اللعين وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود من
شيطان لعين واللعين في اللغة هو المطرود المبعد وهو مثل ما ذكر دحورا وقوله عز وجل والارض
مددناها والقينا فيها رواسي وقال في اية اخرى وجعلنا فيها رواسي ان تميد بهم يعني الجبال في ظاهر
هذا ان الارض كانت تضطرب وتتكفأ باهلها فاثبتها بالجبال والا من طبعها السفل والانحدار وكذلك
الجبال من طبعها السفل والانحدار فكيف كان ثباتها بشيء طبعه السفل والتسرب الا ان يقال ان
طبعها كان الاضطراب والانكفاء فاثبتها بالجبال عن الاضطراب والانكفاء او ان يقال من طبعها ما ذكرنا
السفل والانحدار الا ان الله بلطفه اثبت ما هو طبعه السفل بما هو طبعه كذلك ليعلم لطف الله وقدرته
وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل وانبتنا فيها من كل شيء موزون قال بعضهم فيها يعني في الجبال
من كل شيء موزون اي مما يوزن من نحو الذهب والفضة والحديد والرصاص ونحوه مما يستخرج منها وهذا
كلام ليس بصحيح لانه لا يقال في الذهب والفضة والحديد انه انبت في الارض كما يقال ذلك للنبات وما
ينبت فيها وانما يقال للذهب والفضة والحديد جعلنا فيها او خلقنا فيها وقال بعضهم وانبتنا فيها يعني
في الارض من كل الوان النبات موزون اي معلوم مقدر بعيور كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم ويحتمل
وانبتنا فيها ما يصير موزونا في الاخرة من الزروع وغيرها والحبوب او ما ذكرنا اي معلوم مقدر والله
اعلم ليس على الجزاف على ما يكون من فعل جاهل على غير تدبير ولا تقدير ويحتمل قوله من كل شيء موزون
ما لو اجتمع الخلائق لم يعرفوا قدر ما يزداد وينمو من النبات في لحظة واحدة وطرفة عين في اول ما يخرج ويبدو
من الارض وذلك موزون عند الله معلوم فلذلك ليعلم لطفه وتدبيره وقدرته وعلمه وانه تدبير واحد حيث
لم يختلف ذلك ولم يتفاوت والله اعلم قال ابو عوسجة فظلوا فيه اي صاروا يومهم يعرجون يرتفعون ويصعدون
وقال غيره ظلوا اي مالوا كقوله فظلت اعناقهم اي مالت وقال قوله سكرت ابصارنا اي حيرت يقال تسكر بصره
اذا تحير وقال يقال ايضا تحيرت يقال سكر الله بصره اي حيره وسكرت الريح تسكر سكرا اذا سكنت ويقال ليل
ساكر اي ساكن وسكوت الماء اسكره سكرا اي حبسته والسكر السد والسكور جمع والسكو مصدر والسكر مصدر
سكر يسكر سكرا فهو سكران وقوم سكرى وسكارى والسكرة الغمرة والغمرة الشدة وقال عز وجل وجاءت
سكرة الموت بالحق اي شدته وعلزه وقال القتبي سكرت غشيت ومنه يقال سكر النهر اذا سد فالسكر اسم
ما سكرت وسكر الشراب منه انما هو الغطا على العقل والعين وقال الحسن سكرت بالتخفيف وسحرت وقوله
عز وجل بروجا قال اثنى عشر بروجا واصل البروج الحصن والقصر وقوله وحفظناها من كل شيطان رجيم
الا من استرق السمع يقول حفظناها من ان يصل اليها شيطان او يعلم من امرها شيئا الا استراقا ثم يتبعه
شهاب مبين اي كوكب مضيء وقال ابو عوسجة الا من استرق السمع يقال استرق السمع اي تغفلت قوما
حتى سمعت حديثهم وهم لا يعلمون وهكذا لو علم الملائكة ان الشياطين يسترقون السمع ويخطفون لمنعوا
من ذلك وامتنعوا عن التكلم به حتى لا يستمعون كلامهم وحديثهم والشهاب كوكب وقيل الشهاب خشبة في
طرفها نار والشهبان جماعة وقال بعضهم شهاب مبين لرسول الله كان له خاصة لم يكن والله اعلم وقوله
عز وجل وجعلنا لكم فيها معايش اي في الارض والجبال وقوله عز وجل ومن لستم له برازقين قال الحسن اي
جعلنا لكم في الارض معايش ما تعيشون به ولمن حولكم ايضا جعل فيها معايش لا ترزقونها انما ذلك على الله
هو يرزقهم واياكم وقال بعضهم ومن لستم له برازقين الوحش والطير واما الانعام فانه قد اشركهم البشر
في النعم بشر وكان غير هذا اقرب واوفق وهو ان اهل مكة كانوا يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولون نحن ربيناه وغذيناه وانفقنا عليه ورزقناه ثم فعل بنا كذا فخرج هذا جوابا لهم جعلنا لكم
فيها معايش ومن لستم له برازقين اي محتاجا وقوله عز وجل وان من شيء الا عندنا خزائنه يحتمل هذا والله اعلم
وان من شيء يخزن في الخلق الا عندنا خزائنه اي الا عندنا تلك الخزائن اي ما تخزنون من الاشياء فتلك عندنا
وفي خزائننا وما ننزله الا بقدر معلوم على هذا وما ننزله اي ما نعطيه الا بقدر معلوم اي وان كان عندكم
مخزونا محبوسا فانه ذلك كله خزائنه اعطى من شاء وحرم من شاء ويحتمل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه
الخزائن هي الامكنة المخفية التي تخزن فيها الاموال وبواطن من الارض نقول والله اعلم وان من شيء كان في
بواطن الارض واماكن خفية الحصيد تدبيره ذلك وعلمه يخبران تدبيره وعلمه في الخفية من الامكنة كهو في الظاهر
لا يخرج شيء عن تدبيره وعلمه بل كل ذلك في تدبيره وعلمه وقال الحسن وان من شيء الا عندنا خزائنه اي الماء

الذى به حيوة كل شىء ولا يخرج شىء عن منافعه فهو خزائن الاشياء كلها وبه قوام كل شىء وقالا لا ترى انه قال وما ننزله الا بقدر معلوم وذكر الانزال والذى ينزل من السماء ظاهر هذا الذى قاله يحتمل لكن تمامه ان يقال ان الماء خزائنه هى الموضع الذى يخزن فيه وفى الماء قوة ومعنى يكون فيه حيوة الخلق ومنافعهم فيما جعل فيه لا فى نفس الماء الا ترى انه يصلب عروق الشجر فيظهر منافعه فى غصونها فى اعلاها فثبت ان فيه قوة سرية ومعنى يكون المنافع بها لا بنفس الماء والله اعلم بذلك ثم ما ذكر من الخزائن والرياح والماء والمطر وغير ذلك من النعم يذكر على الاحتجاج عليهم لانه انما انشأ هذه الاشياء وخلقها لهؤلاء لا انه انشأها لنفسها فاذا كان انشأها لهم فلا يحتمل ان يتركهم لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم ولا يجعل لهم عاقبة يثابون ويعاقبون ولذلك قال فى آخره وان ربك هو يحشرهم **وقوله** عز وجل الا بقدر معلوم على التأويل الاول ما ذكرنا اى ما نعطيه الا بقدر معلوم وان خزائنه وجيبه ويحتمل الا بقدر سابق معلوم ذلك اى ان كان على هذا فانه يدل على ان يكون ويحدث انما يكون بقدر سابق لا يكون غير ما سبق تقديره او بقدر معلوم محدود اى ليس ينزل جزافا ولكن معلوما محدودا والله اعلم **وقوله** عز وجل وارسلنا الرياح لواقح قال بعضهم لواقح حوامل قال بعضهم هذا لا يصح لو كان على هذا لكان ملاقح وملقحات قال ابو عوسجة لواقح تلقح الشجر اى تنبت ورقها وهى ملقحة وقال يقال ناقة لاقح اى حامل قد حملت ونوق لواقح ويقال وحرب لاقح اى شديدة وسحاب لاقح الذى فيه ماء اى مطر وريح لاقح اى ملقح يلقح الشجر اى تنبت ورقه وحمله ويقال يلقح ويقال القح الرجل اذا نتجت ابله اى حملت ورجل ملقح واللقوح الناقة التى معها ولد صغير والجمع لقاح وجمع الجمع اللقائح واللقح اللواقح وهى الحوامل من الابل قال القتبى قال ابو عبيدة لواقح انما هى ملاقح جمع ملقحة يريد انها تلقح الشجر وتلقح السحاب كانها تنتجه واللواقح المنتجة والثمار من الاشجار والسحاب وغيره والله اعلم **وقوله** عز وجل فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين هو ما ذكرنا على التأويل وان من شىء الا عندنا خزائنه وما انتم له بخازنين وعلى تأويل الحسن هو ما ذكر من الماء والمطر وما انتم له بخازنين اى حابسين لما جرى به الذكر من المطر والماء الذى ذكر انه انزل من السماء ويحتمل وما انتم له اى لله خازنين اى ليست خزائنه فى ايديكم ولا بيد احد ولكن بيد الله عز وجل وعلى تأويل الاخر وما انتم له بخازنين بما ترون ما خزن فى الارض ودفن **وقوله** عز وجل وانا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون اى انا نفنى الخلق كله فيبقى هو ولذلك سمى من خلف الميت وارثا لانه يموت ويبقى الوارث وهو باق وكذلك يخرج قوله انا نحن نرث الارض ومن عليها والله اعلم **وقوله** عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين قال بعضهم ولقد علمنا المستقدمين من المكذبين منكم ما حل بهم بالتكذيب وقد علمنا المستأخرين من المكذبين منكم وقال بعضهم ولقد علمنا من كان منهم ومات وعلمنا المستأخرين من يكون منهم ويولد ولذلك قال وان ربك هو يحشرهم من مضى ومن بقى لم يكن بعد الى يوم القيمة وقال الحسن ولقد علمنا المستقدمين منكم فى الخير والمستأخرين فى الشر وقال بعضهم فى الوصف الاول والاخر لكنه بعيد **وقوله** عز وجل انه حكيم عليم الحكيم هو الذى يضع الاشياء مواضعها والثانى هو الذى يجعل للاشياء موضعها فالاول قد يعرف الخلق وضع الاشياء مواضعها واما الثانى فلا يكون ذلك الا بالله **وقوله** عليم علم بمصالح الخلق وما لهم وما عليهم او عليم بوضع الاشياء مواضعها **وقوله** عز وجل ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حماء مسنون وقال فى آية اخرى خلقكم من طين وقال من طين لازب وقال فى آية اخرى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال خلقناكم من تراب ذكر مرة الحماء المسنون وقيل هو الطين الاسود المتغير وذكر مرة التراب ومرة الطين اللازب وهو الملتزق ومرة من سلالة الطين فيشبه ان يكون على الاحوال واختلاف الاوقات كان فى حال الاول ترابا وفى حال الاول ترابا وفى حال طينا لازبا وفى حال حماء مسنونا وهو الذى اسود وتغير لطول مكثه وصلصالا ونخارا فقبل ان يكون خلقا مركبا الجوارح فيه والعظام كان عليه هذه الاحوال الثلاثة على ما اخبر من تغير احوال اولاده حيث قال خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ذكر فيه احوالا ثلاثة قبل ان يخلق لحما وعظما فى حال كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة فعلى ذلك يحتمل ما ذكر فى آدمه من تراب وطين وحماء ونحوه ان كان على اختلاف الاحوال على ما ذكرنا وان يكون على التشبيه والتمثيل ووجه التمثيل بالطين الذى ذكر وهو ان الطين الذى يكون كالصلصال والفخار واللازب ونحوه هو الطين الطيب الذى يكون منه البنيان والاوانى والقدور وجميع انواع المنافع واما الطين الذى يخبث فانه لا يتخذ منه شىء مما ذكرنا ولا يتخذ ولا يتهيأ اتخاذ شىء من ذلك فشبه خلق آدم بالطين الذى يجتمع فيه جميع انواع المنافع فعلى ذلك جمع فى آدم جميع انواع المنافع والخير كالطين الطيب ثم فيه دلالة قدرته وسلطانه وذكر نعمه حيث اخبر انه خلق آدم من تراب وطين وما ذكر وليس فى التراب ولا فى الطين من اثر البشرية شىء وكذلك ليس فى النطفة التى خلق البشر منها اثر البشرية شىء ليعلم انه قادر على انشاء الاشياء من شىء ومن لا شىء اذ ليس فيما ذكر من الطين والتراب الذى خلق منه ابا البشر من اثر البشرية فيه شىء ولا فى النطفة التى خلق منها اولاده من اثر البشرية والانسانية من اللحم والعظم والشعر وغيره وما ركب فيهم من العقل والعلم والتدبير والجوارح وغير ذلك شىء ليعلم قدرته وسلطانه على خلق الاشياء لا من شىء وليعرفوا نعمه التى انعمها عليهم حيث اخبر انه خلق آدم من طين لازب وصلصال وما ذكر وذلك وصف الطين الطيب لان ما خبث من الطين لا يبلغ المبلغ الذى وصف ولا يصير الى تلك الحال وان طال مكثه لانه لا ينتفع به لا من اتخاذ البنيان والاوانى والقدور ولا ينبت

الزروع ايضا فيحتمل على التمثيل الذى ذكرنا لا على التحقيق وعلى التحقيق على الاحوال المختلفة فدل انه انما خلقهم من طين طاب اصله فعلى ذلك يحتمل النطفة التى يخلق منها البشر يكون طاهرة وهى لا تصيب شيئا وهى على غير الوصف يخرج لانه قال من ماء دافق وقال من ماء مهين والصلصال قال بعضهم هو التراب اليابس والحماء الطين الاسود والمسنون المنتن المتغير وقال بعضهم الصلصال هو الذى اذا ضربته تصوت ومنه يقال صلصلة اللجام والفرس اذا كان يصلصل وهو قول ابن عباس رضى الله عنه وقال القتبى الصلصال الطين اليابس الذى لا يصيبه النار فاذا نقرته صوت فاذا مسته النار فهو فخار والمسنون المتغير الرائحة والمسنون ايضا المصبوب وسننت الشىء اذا صببته صبا سهلا وسن الماء على وجهك وهو قول القتبى وقال ابو عوسجة من حماء مسنون الحماء التراب الاسود يكون فى اسفل البئر ومن هذا سمى الحماء لانه يحمى ان يرعى ويقال حميت الحرب والشمس والتنور يحمى اذا اشتد حره ومسنون اى مخلوق وقال الحسن المسنون الذى سن عليه خلقه الخلق يعنى ولده على خلقته اى على خلقته خلق الخلق واشكال هذا والله اعلم بذلك **وقوله** عز وجل والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال بعضهم الجان هو ابليس قال بعضهم الجان هو ابو الجن وابليس هو ابو الشياطين سموا شياطين لتمردهم فى فعلهم ذلك مقتدر من فعلهم الا ترى انه ذكر من الانس والجن شياطين وهو قوله شياطين الانس والجن وذلك لتمردهم والجان مقتدر عن الجن والله اعلم بذلك والسموم قال بعضهم السموم لهب النار كانه وليس له دخان وهو المارج من نار والمارج هو المنقطع منها وقال بعضهم من جنس النار كانه اراد لهبها وقال نار السموم الحارة التى تقتل فان كان السموم والمارج ما ذكر بعضهم انه لهب النار فمن طبعه الارتفاع والعلو فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الارتفاع والعلو وهم الجان الذى ذكر والطين طبعه التسفل والانحدار الى الارض فعلى ذلك ما خلق منه طبعه الهوى الى الارض والميل اليها والجان قال ابو عوسجة الجن واحد الجان والجمع جان سمى ذلك لاستجنانه وقال غيره الجن الجماعة والجان الواحد **وقوله** عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته اى تممته ونفخت فيه من روحى وقال فى آية اخرى فنفخنا فيه من روحنا ثم يشبه هذا على الناس ولم يفهموا من قوله ونفخت فيه من روحى ونفخنا فيه من روحنا ما فهموا من نفخ الخلق فما بالهم فهموا من قوله ثم استوى على العرش واستوى الى السماء ونحوه استواء الخلق بل فهم نفخه من فهم نفخ الخلق اكثر من استوائه لانه امكن صرف الاستواء الى وجوه ولا يمكن صرف النفخ فيه لكنه اشتبه عليهم لانهم اعتقدوا فعل الله بفعل الخلق ولا يجب ان يعتبروا بالخلق على ما لم يعتبروا فى قوله حدود الله وحكم الله وعباد الله وخلق الله وامثاله وقد اخبر انه ليس كمثله شىء او تلقين من الشيطان وقوله روحى وروحنا اى الروح الذى به حيوة الخلق الذى يكون به حيوة الخلق على ما ذكرنا **وقوله** عز وجل فقعوا له ساجدين يحتمل ان يكون قوله خالق بشرا مما ذكر خبرا انه سيفعل وامرهم بالسجود فيكون الامر بالسجود بعد ما خلقه اياه فهذا يدل انه قد يجوز تقدم الامر عن وقت الفعل والله اعلم **وقوله** عز وجل فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ظاهر الامر بالسجود والاستثناء الذى ذكر يدل ان ابليس من الملائكة لانه فيهم كان الامر بالسجود منهم ووقع الثنيا وقد ذكرنا الاختلاف فيهم وفى ابائهم فيما تقدم مقدار ما حفظنا قال والاصل بان كل ما خرج مخرج الاستثناء يجب ان تسقط اسم ما جمل نحو قول الرجل لا خر لك على عشرة الا درهم سيقط الاستثناء ما جمل من الاسم حتى صار تسعة وكذلك اذا قال الفا الا خمسين واذا لم يسقط ذلك الاسم فلا بد ان يكون الكل فيه مضمرا نحو قول الرجل رأيت علماء بلدة كذا الا فلانا يجب ان يضمر فيه حرف الكل حتى يقع على كل نحو ان يقول رأيت كل علماء بلدة كذا الا فلانا فعلى ذلك تخصيص العموم وقال الحسن فى قوله من صلصال من حماء مسنون قال الصلصال هو الطين الحر الذى يصلصل من صلابته ويبوسته والحماء الطين والمسنون قال مسنون خلقته فهو سنة الخالق بعده من ذريته ان يخلقوا على خلقته وكقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين يقول استلها من بين ظهرانى الطين لا من كل طين خلقه وكذلك قال فى بنائه ذريته وهو قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ليس من كل ما خلقه ولكن استلها من بين ظهرانى الماء وقال الجان ابليس هو ابو الجن خلقناه من قبل ادم من نار السموم يقول السموم هو اسم من اسماء جهنم ولها اسماء كثيرة اخبر انه خلقه من نار السموم اى جهنم والله اعلم **وقوله** عز وجل الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون وقال فى موضع اخر الا ابليس ابى واستكبر وقال له يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال فى موضع اخر ما منعك ان تسجد وقال فى موضع اخر خلقتنى من نار وخلقته من طين ذكر مثل هذا على اختلاف الالفاظ ومعلوم ان هذه المخاطبات معه لم تكن معه مرارا ولكن بمرة واحدة ولكن بمرة واحدة قال ابو بكر الاصم ذكر الله قصة ابليس وقصة الانبياء جميعا فى مواضع على اختلاف الالفاظ لانها كذلك كانت فى كتبهم فذكرها على ما فى كتبهم ليعلموا ان نبى الله انما عرف ذلك بالله ليدلهم على صدقه وفيه دلالة ان اختلاف الالفاظ وتغييرها لا يوجب اختلاف الحكم بعد ان لا يغير المعنى فهذا يدل ان الخبر اذا ادى معناه على اختلاف لفظه فانه يجوز وكذلك اذا قرأ بغير لسان الذى نزل

فانه يجوز ان يكون ذا في معناه والله اعلم وقوله عز وجل فاخرج منها فانك رجيم قوله فاخرج منها قال بعضهم اخرج من السماء
الى الارض وقال بعضهم اخرج من الارض الى جزاير البحر وقال بعضهم اخرج من الجنة وامثاله اواخرج من سورة الملائكة الى
سورة الابالسة وجائز ان يقال اخرج من كذا اى تحول من مكان كذا الى مكان كذا على غير حقيقة الخروج ولسنا ندرى
كيف كان كذلك وقوله عز وجل رجيم قيل الرجيم الملعون وقيل الرجيم ما يرجم بالكواكب وقوله عز وجل وان عليك
اللعنة الى يوم الدين اللعن هو الطرد في اللغة والخذلان طرد عن رحمة الله الى يوم الدين حتى لا يهتدى الى
دين الله وهداه ثم يوم الدين له العذاب الدائم واللعنة الدائمة وقوله عز وجل قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون
قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم لعن اللعين وطرد عن رحمته الى يوم الدين اى لا تدركه الهداية
لان الهداية في الدنيا انما يدرك برحمته والرحمة في الاخرة هي العفو عما في مله ووجب عليه مسالة تكلموا فيها
ما الحكمة في خلق الله تعالى ابليس مع علمه ما يكون منه من افساد خلقه والدعاء الى المعاصي وانظاره الى يوم الى
الوقت المعلوم وقد علم انه انما ينظره ليفسد عباده فمع علم ما يكون منه فما الحكمة في خلقه قال بعضهم خلق ابليس
واهل المعاصي مع علمه ذلك ليعلم انه لم يخلق لمنافع نفسه ولحاجة نفسه وان معاصيه لا تضره ولا تدخل نقصانا
في ملكه فخلقه مع علمه بما يكون منه ليعلم انه لم يخلق الخلق لمنافع نفسه ولا لحاجته ولكن لمنافع انفسهم ولحاجاتهم
وقال بعضهم خلق الاعداء والاولياء نظرا للاولياء ليعلم اولياؤه الاختصاص الذى خصهم به ولو كان لا جميعا
اولياؤه لم يعرفوا فضيلة الله وافضاله اياهم وهكذا النعم واحسان الله لا يعرف بنفس النعم ونفس الاحسان
وانما يعرف بالبلايا والشدايد التي تحل فعلى ذلك الاولياء لو لم يكن الاعداء لم يعرفوا اختصاص الله لهم وفضائله
التي اكرمهم بها وقال بعضهم خلق الاعداء نظرا للاولياء على ما ذكرنا لكن من وجه اخر
واصله ان الله عز وجل جائز ان ينشئ اشياء فيها حكمة وسر لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة البشر على ما جعل النعم
الظاهرة فيها حكمة معنى لا يبلغه علم الخلق ولا حكمة البشر وكذلك البلايا والشدايد فيها حكمة لا يبلغها علم الخلق فعلى ذلك
جائز انه خلق ابليس والعصاة والغواة لحكمة جعل في ذلك حكمة لا يبلغها علم الخلق ولا يدركها حكمة البشر على ما ذكرنا من النعمة
الظاهرة والشدايد الظاهرة واصله ان الله تعالى خلق الخلق على علم منه انهم يعصون ويعادون لكن كن لهم من الاختيار والايثار
ما به نجاتهم وهلاكهم اذا اختاروا ذلك فاذا اختاروا ما به نجاتهم نجوا واذا اختاروا ما به هلاكهم هلكوا فيكون هلاكهم
باختيارهم ونجاتهم باختيارهم واصله ما ذكرنا في غير موضع انه انشاهم في هذه الدنيا ليمتحنهم فيها وفي خلق ما ذكر من ابليس
وغيره من الاعداء ليتم لهم المحنة وفي تركه ذهاب المحنة وهي دار الامتحان وقوله عز وجل فانك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم قال بعض اهل التاويل الى النفخة الاولى وقيل الى النفخة الثانية ونحوه لكننا لا نعلم ذلك وكانه تعالى
انظره الى الوقت المعلوم ولم يبين له ذلك الوقت ولم يطلعه عليه حيث قال واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص
على عقبيه الاية اخبر انه يرى ما لا يرون وانه يخاف الله ولو كان بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف هلاكه
قبل ذلك الوقت فهذا يدل على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض قال الحسن
قوله بما اغويتني اى لعنتني وهذا منه احتيال وفرار من مذهب الاعتزال وما يلزمهم في قوله اغويتني يلزم في
قوله لعنتني لان اللعن هو الطرد فاذا طرد عن رحمته فقد خذله في الطرد والاغواء والاضلال سواء فيلزم
في اللعن ما يلزمهم في الاغواء وقال ابو بكر الاصم الاغواء واللعن من الله شتم لكن هذا بعيد لا يجوز ان يضاف
الى الله الشتم انه يشتم لان الشاتم والساب كالخرق الشاهد بما يشتمه مذموم عند الخلق فلا يجوز ان يضاف الى الله
ما به يذم واصله ان قوله رب بما اغويتني يحتمل انه خلق فعل الغواية منه او اغواه لما علم انه يختار الغواية والضلال
وقوله رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين كانه يقول رب بما اغويتني لازيدن لهم في الغواية
بما اغويتهم وقد ذكرنا هذه المسالة فيما تقدم فان قيل قوله اغويتني قول ابليس وهو كاذب بالاضافة اليه قيل لو كان
فيما اضاف اليه الاغواء كاذبا لكذبه فيه ورد عليه قوله كما كذبه في قوله ورد عليه انا خير منه خلقتني من
نار وخلقته من طين حيث قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فلما لم يرد عليه ولم يكذبه فيما اضاف اليه من
الاغواء دل ان الاضافة اليه الاغواء والاضلال حقيقة وان يكون قوله خلقتني من نار وخلقته من
طين انما ذلك منه ذكر فضل واحسان حيث اخبر انه خلقه مما هو افضل واعظم مما خلق ادم فيخرج ذلك
مخرج الشكر واما قوله اغويتني ليس على ذلك فلا يحتمل ان لا يكذبه ولا يرد عليه قوله اذا كان كاذبا فيه
لانه يفعل شراضا فه اليه اذا لم يكن منه الاغواء لذلك اختلفا ولو كان قول ابليس لعنه الله كذبا في تضعون
يقول نوح عليه السلام حيث قال ان كان الله يريد ان يغويكم وقال موسى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم ثم
قوله رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين يحتمل ان يكون
منه عزم على ما ذكر دون ان تفوه بذلك فاخبر عز وجل منه ما كان عزم من الاغواء وغيره بالقول وذلك
جائز يخبر عن العزم والقصد كقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا لا يحتمل ان يكون
هذا القول الذى اخبر عنهم قولا منهم لا نرى احدا من المتصدق يقول بمثل ذلك عند التصدق لكنه اخبار عما
قصدوا وعزموا بالتصدق فعلى ذلك يشبه ان يكون هذا من الله اخبارا عما عزم ابليس وقصد على غير التفوه
به والقول وهو ما ذكر والله اعلم ما تبدون وما تكتمون اخبر انهم كتموا فيه واضمروا ويحتمل ان يكون على

بلغ مقابلة الاصل

التفوه بما ذكر قال ذلك لما قال الله عز وجل ان عليك اللعنة الى يوم الدين لما شهد الله عليه باللعن الى يوم الدين
ايس لعنه الله عن الهدى فقال رب بما اغويتني اى لعنتني وشهدت على بذلك لازينن لهم في الارض ولاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين المخلص بخفض اللام هو الذى اخلص له الاعتقاد والعمل والوفاء والمخلص
بنصب اللام هو الذى اخلصه الله وحفظه وعصمه واختصه بذلك والمخلص لا يقال الا بعد ان يكون لله فيهم
صنع ولهم اختصاص وفضائل اختصهم بذلك برحمة الله وفضله والمعتزلة يقولون لا يستوجب احد
الاختصاص والفضيلة الا بفعل يكون منه لا يستوجب بالله يقولون ان الله لا يغوى احدا الا ابليس ولا واحدا
من اتباعه فابليس اعرف بالله من المعتزلة حيث راوا ان الله لا يغوى احدا ولا يخص احدا الا بصنع يكون
منه وقوله عز وجل هذا صراط على مستقيم قال بعضهم قوله على بمعنى الى اى الى صراط مستقيم يقول هو يهدى
ليس بيد احد وقال بعضهم الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعوج على شىء ويحتمل قوله على مستقيم اى على بيانه
وهو مستقيم كقوله وعلى الله قصد السبيل اى بيان قصد السبيل وقال بعضهم لما قال ابليس لاغوينهم اجمعين قال
الله تعالى هذا صراط على مستقيم يقول على ممر من اغويته وتابعك كقوله لاخرا دار وعد انه طريقك على والله اعلم
وقوله عز وجل ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله ليس لك عليهم سلطان اى ليس لك عليهم حجة الا من
اتبعك من الغاوين فانهم يتبعونك بلا حجة ولا برهان ويحتمل قوله ليس لك سلطان يقهرهم وتضطرهم على
ذلك الا من اتبعك من الغاوين فانهم يتبعونك على غير قهر واضطرار اى من كان في علم الله انه يتبعك ويختار الغواية
وان لم يكن اغواك اياه فان لك عليه سلطانا وقوله وان جهنم لموعدهم اجمعين اى لموعد ابليس واتباعه وقوله
عز وجل لها سبعة ابواب يحتمل الابواب المعروفة ويحتمل الابواب المواد والجهات التي تكون لها الا ترى انه
قال لكل باب منهم جزء مقسوم فهذا يدل ان المراد بالابواب الوارد والدركات لا نفس الابواب اذ جزءه
مقسوم انما يكون للدركات لا يكون للابواب نفسها قال الحسن والاصم لها سبعة ابواب يعنون بالابواب
الطبقات والدركات لكل باب منهم جزء مقسوم لليهود باب وللنصارى باب وللمجوس باب وللذين اشركوا باب
وللمنافقين باب ولاهل الكبائر باب وذكر ايضا بابا لفريق ادخلوا اهل الكبائر فيها والصابئين والدهرية وعنده
ان ظاهر الاية في الكافرين لانه قال ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين والغاوون هم الكافرون وكذلك
فالسبعة الابواب التي ذكرها كلها لاهل الكفر لا يدخل اهل الكبائر فيه ويحتمل باب للجاحدين وهم الذين ينكرون العالم الشاهد
والغائب لا يقرون بشىء وباب للدهرية وهم الذين ينكرون الصانع وباب للثنوية وهم الذين يقولون بالاثنين
وباب للذين اشركوا وهم يقولون بالواحد لكنهم يشركون فيه غيره يعبدون الاصنام والاوثان وباب
لليهود وباب للنصارى وباب للمنافقين فذلك سبعة ابواب وليس لاهل الكبائر باب مسمى معلوم انما
ذلك كله لاهل الكفر وقوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون ان كان اهل الكبائر في قوله لها سبعة ابواب
فيكون قوله ان المتقين الذين اتقوا الكبائر وان كان اصحاب الكبائر لم يدخلوا في قوله لها سبعة ابواب فيكون
قوله ان المتقين الذين اتقوا الشرك وقوله عز وجل في جنات البساتين والبساتين هي التي التفت بالاشجار والنخيل
والعيون قد تكون جارية في الدنيا وقد تكون غير جارية فاخبر في اية اخرى ان عيون الاخرة تكون جارية بقوله
فيهما عينان تجريان وعيون قال بعضهم ذكر العيون ليعلم ان مياه الجنة ليست تكون من الثلوج والانهار العظام على
ما تكون في الدنيا ولكن تنبع فيها وقال بعضهم ذكر العيون لانه ينبع في بستان كل احد عين على حدة لا ياتى بستانه من ملك
اخر ومن بستان اخر على ما يكون في الدنيا ولكن تنبع في جنة كل احد عين على حدة على ما اراد الله ليس انها تتصل بالارض
كما ذكر في قصة بنى اسرائيل فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ان الله في ذلك لحجرا يخرج لهم على غير اتصاله بالارض
ولكن بلطفه ينشئ فيه ماء فعلى ذلك في الجنان التي وعد ويشبه ان يكون ذكر هذا لما يختلف رغائب الناس
في الدنيا منهم من يرغب في الدين ويتلذذ بالنظر اليها ومنهم من يرغب في النهر الجارى فذكر مرة العيون ومرة
الانهار كقوله تجرى من تحتها الانهار وعلى ما ذكر مرة الخيام والقباب والغرف وانواع الفرش والبسط والكيزان
والاكواب والجوارى والغلمان وغير ذلك على ما يرغب الناس في الدنيا منهم من يرغب في نوع اخر فذكر فيها كل
ما يرغبون في الدنيا ليبعثهم ذلك على العمل الذى به يوصل الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ادخلوها بسلام امنين
قال بعضهم قوله ادخلوها بسلام اى اجعلوا تحيتكم فيها سلاما على ما امرهم في الدنيا يجعلوا الدخول في المنازل
كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية الاية وعلى ما اخبر ان الملائكة يسلمون عليهم كقوله سلام عليكم
طبتم وكقوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما وقال بعضهم قوله ادخلوها بسلام امنين اى
ادخلوها بسلام لا يصيبكم مكروه امنين لا ينغصهم خوف ولا حزن على ما اخبر لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقال بعضهم وقوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل قال بعضهم هو صلة قوله ان
المتقين في جنات وعيون اى نزعنا ما في صدورهم من غل الذى كان في الدنيا بالكفر فصاروا اخوانا بالاسلام الذى
هداهم الله اليه فكانوا اخوانا ثم قيل لهم ادخلوا الجنة بلا غل وهو ما قال فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار فانقذكم منها قد نزع من قلوبهم الغل في الدنيا فصاروا اخوانا فدخلوا الجنة وقال بعضهم قوله ونزعنا
ما في صدورهم من غل في الاخرة اذا دخلوا الجنة وتقابلوا اخوانا على سرر فعند ذلك ينزع الغل من قلوبهم والمظالم

بلغ في الاصل

التي كانت بينهم فان كان هذا فهو بين اهل الاسلام وعلى ذلك يحتمل ان يكون من جفا اخر في الدنيا ان ينسى الله ذلك
منهم في الجنة لان ذكر الجفا ينقص النعم التي فيها وكذلك ما يكون بين الرجل وولده من الجفا والعقوق يجوز ان
ينسي ذلك عليهم وعلى ذلك ما روي عن علي رضي الله عنه قال اني لارجو ان اكون انا وطلحة والزبير ممن قال الله ونزعنا ما
في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وقوله عز وجل قال بعضهم يجعل الله منازلهم بعضا مقابل بعض فينظر
بعضهم الى بعض ويزور بعضهم بعضا وقال بعضهم بامر الله السرر التي هم عليها جلوس يكون بعضها مقابل بعض اذا اشتهى
بعضهم زيارة بعض ولا يكونون مدبرين ولا معرضين بل مقبلين يخبر عن اجتماعهم في الاخرة في الشراب وانواع الطعام
على ما يجتمعون في الدنيا الاخوان بينهم الاجتماع على الشراب والطعام والتلذذ والنظر بعضهم الى بعض فعلى ذلك اخبر انه
لهم في الاخرة كذلك اجتماع في الشراب والنظر وانواع التلذذ والله اعلم وقوله عز وجل لا يمسهم فيها نصب اي عناء
ومشقة اخبر انه لا عناء يمسهم كما يكون في الدنيا لان في الدنيا من اطال المقام في موضع يمل عن ذلك ويسأم وكذلك
اذا اكثر من نوع من الطعام او الشراب او الفاكهة يمل عن ذلك ويسأم ويتأذى به ولا يتأذون فاخبر ان اهل الجنة لا يملون
ولا يتأذى بهم طعامها وان اكثروا وقوله عز وجل وما هم منها بمخرجين اخبر انهم لا يخرجون منها ولا هم يطلبون الخروج
منها كقوله لا يبغون عنها حولا لان خوف زوال النعم ينغص على صاحبها تلك النعمة وطيبها فاخبر انهم فيها ابدا
وتلك النعمة لهم دائمة غير زائلة عنهم والله اعلم وقوله عز وجل نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم قال بعضهم نبئ
عبادي اي اخبرهم اني انا الغفور الرحيم لمن استغفرني وتاب مما ارتكب من معاصيه وان عذابي هو العذاب الاليم
لمن عصاني ولم يستغفر ولم يتب اليه ويحتمل غير هذا وهو ان يقول نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم لئلا ييأسوا
عن رحمتي ولا يقنطوا مني ولكن يرجون رحمته وعفوه ويخافون عذابه ونقمته ونبئهم ايضا ان عذابي هو العذاب
الاليم لئلا يكونوا امنين ابدا فيكون فيه امران يبشروا ان ينذروا كما قال بشر اوليائي وان عذابي شديد اليم
لاعدائي وفي قوله نبئ عبادي فيه بشارة ونذارة اما البشارة فهو قوله اني انا الغفور الرحيم واما النذارة
فهو قوله وان عذابي هو العذاب الاليم وقوله عز وجل ونبئهم عن ضيف ابراهيم اي نبئ قومك عن ضيف ابراهيم
اي نبئهم بتمام ما فيه من الزجر والموعظة لان في ذلك اخبار ما نزل بالمكذبين بالرسل وهو الاهلاك
ونجاة من صدق الرسل ففيه تمام ما يزجرهم ويعظهم من الترهيب والترغيب فان فيهم اية لرسالتك ونبوتك لانه
يخبرهم على ما في كتبهم لم تشهد ما هو فيدلهم انه انما عرف ذلك بالله ونبئهم فان ذلك ما يزجرهم عن مثل صنيعهم
وفيه ذكر نعمة الله لانهم جاؤا بالبشارة بشارة الولد وجاؤا باهلاك قوم مجرمين فذلك بالذي يزجرهم عن مثله و
البشارة ترغبهم في مثل صنيع ابراهيم فنبئهم فان فيه ما ذكرنا ودل قوله ضيف ابراهيم ان الضيف اسم كل نازل
على اخر طعم عنده او لم يطعم وكان نزوله للطعام او لا وقوله عز وجل اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي سلموا على ابراهيم
فرد ابراهيم السلام عليهم وقال ابو بكر الاصم السلام جعله الله امانا بين الخلق ومعطفا فيما بينهم وسببا لاخراج
الضغائن من قلوبهم وقال بعضهم جعل الله السلام تحية على كل داخل على اخر وهو ما ذكرناه قال بعضهم السلام
هو اسم كل خير وبر وبركة كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما والله اعلم وقوله عز وجل انا منكم وجلون اي
خائفون قال بعض اهل التاويل انما خاف لانه ظن انهم لصوص واهل ريبة لكن هذا لا يحتمل ان يخاف منهم ويظن انهم
لصوص واهل ريبة وقد سلموا عليه وقت ما دخلوا عليه واللصوص واهل الريبة اذا دخلوا بيت اخر لا يسلمون عليه
لكنه انما خافهم اذ راى ايديهم لا تصل اليه كما قال فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة عند
ذلك خافهم فلما راى ذلك ظن ابراهيم انهم ملائكة انما جاؤا لامر عظيم حيث لم يتناولوا ما قرب اليهم وبين ابراهيم و
بين المكان الذي يدخل منه مكان يقع لهم لحاجة الى الطعام وقوله عز وجل لا توجل اي لا تخف انا نبشرك بغلام عليم
وقال في اية اخرى فبشرناه بغلام حليم والحلم هو الذي ينفي عن صاحبه كل اخلاق دنية والعلم هو الذي يدعو صاحبه الى
كل خلق رفيع ليعلم انه اجتمع فيه جميع الخصال الرفيعة ونفي عنه كل خلق دني وقوله عز وجل ابشرتموني على ان مسني
الكبر اي ابشرتموني ان يولد لي وانا على الحال التي انا عليها او يرد الي شبابي وشباب امراتي فبم تبشرون على الحال التي انا عليها
وامراتي او يرد الشباب الينا والولد لا يحتمل ان يخفى عليه قدرة الله هبة الولد في حال الكبر لكنه لم ير الولد يولد في تلك
الحال فاستخبرهم انه يولد في تلك الحال او يرد الى حالة اخرى حال الشباب والله اعلم وقوله عز وجل قالوا بشرناك
بالحق اي بما هو كائن لا محالة اي وعد كائن لا محالة والواجب على كل من انعم عليه بنعمة ان يشتغل بالشكر للمنعم
لا يستكشف عن الوجوه التي انعم والاحوال التي يكون عليها فرق البشارة الولد بشارتان احدهما بشارة بالغلام و
الثاني بالبقاء والبلوغ الى وقت العلم حيث قالوا انا نبشرك بغلام عليم وهو ما قال في اية اخرى ويكلم الناس في المهد و
كهلا وفي قوله كهلا دلالة وبشارة انه يبقى الى ان يصير كهلا والا الكهل يضعف وقوله عز وجل فلا تكن من القانطين
قد ذكرنا فيما تقدم ان الانبياء قد زموا عن اشياء قد عصموا عنها ما لا يحتمل ان يكون منهم ما نهوا عنه نحو قوله
فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من المشركين ومن الظالمين الكافرين وامثاله وذلك مما لا يوجب كونه منهم وذلك
لما ذكرنا ان العصمة لا ترفع المحنة لانها لو رفعت لذهبت فائدة العصمة لانه انما يحتاج اليها عند المحنة فاما اذا لم
يكن محنة فلا تقع اليها فعلى ذلك ابراهيم لم يكن قنط من رحمة ربه انه لا يهب له الولد في كبره ولكن ما ذكرنا ثم
بين انه لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون اخبر ان القنوط من رحمة الله هو ضلال والاياس من رحمته كفر فعند ذلك هم

تعبيق

تعبيق رحمته حتى لا يبيع فيها الكبائر والمعتزلة يقنطون من رحمة ربهم لقولهم في اصحاب الكبائر ما يقولون
وقوله عز وجل قال فما خطبكم ايها المرسلون قيل فما خبركم وما قصتكم وما شانكم والخطب الشان اي على اي امر
وشان ارسلتم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يحتمل ان يكون اول ما اخبروا ابراهيم وقالوا هذا ولكن كان
فيه ما ذكر في اية اخرى انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين وانا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
من السماء بما كانوا يفسقون ثم قال لابراهيم ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها يذكر ههنا على الاختصار فذلك يدل
ان الخبر اذا ادي معنا يجوز وان لم يؤت بلفظة على ما كان وقوله عز وجل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال
لوط كان الثنيا ههنا تكون عن الاشخاص وانفس اهل القرية عن قوله مجرمين لان ال لوط لم يكونوا مجرمين
فلو يحتمل الاستثناء من ذلك او لا يكون على حقيقة الثنيا وان كان في الخبر استثناء وقوله عز وجل الا ال لوط انا لمنجوهم
اجمعين الا امراته اخبر انهم يهلكون قومه ثم استثنى اله ثم امراته من اله ففيه دلالة ان الثنيا ليس برجوع
لانه لو كان رجوعا لكان يوجب الكذب في الخبر ولكن في الثنيا بيان تحصيل المراد ما اجمل في اللفظ وفيه دلالة
ايضا انه يجوز ان يستثنى من الاستثناء لانه استثنى امراته من اله بقوله الا ال لوط الا امراته خصلت المراة
من قومه حيث استثناها من ال وفيه انه فلا يجوز ان يستثنى من خلاف نوعه لانه استثنى ال لوط من قومه
والمجرمين ليس من نوع الصالح ثم استثنى امراته من اله وهي ليست منهم وفيه ايضا ان ال الرجل يكون اتباعه حيث
استثنى الله منهم يدخل فيه من تبعه الا ترى انه قال ال فرعون وانما هم اتباعه وان موسى وال هرون وال
عمران كل يرجع الى اتباعهم فيه دخل في قولهم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كله من تبعه والله اعلم وقوله
الا امراته قدرنا انها لمن الغابرين قال ابو بكر الاصم قدرنا انها اي اخبرنا لكن هذا منه احتيال على تمويه مذهب لانه
لانهم ينكرون ان يكون افعال العبد مقدرة لله مخلوقة ففي ذلك دلالة ان افعالهم مخلوقة لله مقدرة له
واصله اي قدرنا بقاءها من الاصل وقوله عز وجل لمن الغابرين اي الباقين قال ابو عوسجة الغابرون الباقون
والغابرون الماضون ايضا يقال غبر يغبر غبورا اذا بقي واذا مضى ايضا وقوله عز وجل فلما جاء ال لوط المرسلون
قال انكم قوم منكرون اي انكم قوم منكرون لا يعرفون باهل هذه البلدة وانما قال لهم هذا لان قومه كانوا
مليعلون بالغرباء لا يعلمون باهل البلد الا ترى انهم قالوا له اولم ننهك عن العالمين ان تضيف احدا منهم والله
اعلم وقوله عز وجل قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون هذا ليس بجواب لما سبق من قوله انكم قوم
منكرون ولكن قالوا ذلك له والله اعلم بعد ما كان بين لوط وبين قومه مجادلات ومخاصمات من ذلك وقوله ان هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون وغير ذلك من المخاصمات وقد كان لوط يعدهم العذاب بصنيعهم
الذي كانوا يصنعون والثالث قالوا له ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فعند ذلك قالوا بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون قال بعضهم بما كانوا فيه يشكون بما كان يعدهم من العذاب وقال بعضهم بما كانوا فيه يمترون يجادلون
وينازعون او يقول بل جئناك بجزاء ما كانوا يمترون ثم امترا ثم يحتمل مجادلتهم اياه وما كانوا عليه من البلية
وقوله عز وجل واتيناك بالحق وانا لصادقون قال بعضهم واتيناك بالحق اي بنجاتك ونجاة اهلك وهلاك قومك
وقال بعضهم واتيناك بالحق اي بالعذاب الذي كنت تعدهم وانا لصادقون بما تقولون يحتمل هذا ان لم يكن هذا
منهم قولا قالوه لان لوطا يعلم انهم صادقون بما يقولون حيث علم انهم ملائكة الله لكن اخبر عنهم على ما كانوا عليه
على غير قول كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل فاسر باهلك بقطع من الليل اي ببعض من الليل وقال بعضهم بسحر على
ما قال نجيناهم بسحر وهو بعض سحر كان او غيره واتبع ادبارهم اي سر من ورائهم وهكذا الواجب على كل مولى قوم
ان يتبع اثرهم او المرء يتبع اثرهم ليلحق بهم من تخلف منهم رجل لتقطع منهم وليكون ذلك احفظ لهم وقوله
عز وجل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك فلعلها تخلف عنهم فيصيبها ما اصاب اولئك هذا يدل ان ليس في تقديم
الكلام وتاخيره ضيع ولا في تغيير اللسان ولفظه بعد ان يؤدي المعنى خطر لان قصة لوط وغيرها من القصص
ذكرت وكررت على الزيادة والنقصان وعلى اختلاف الالفاظ واللسان فدل ان اختلاف ذلك لا يوجب تغيرا
في المعنى ولا باس بذلك وقال بعضهم في قوله لا يلتفت منكم احد اي لا ينظر احد وراءه فهو والله اعلم لما علم
اذا نظروا وراءهم فراوا ما حل بهم من تقليب الارض وارسالها عليهم لا يحتمل بنيتهم وقلوبهم فيهلكون او يصعقون
الا ترى ان موسى مع قوته لم يحتمل اندكاك الجبل ولكن صعق فصار مدهوشا في ذلك الوقت فهؤلاء اضعف وما
حل بقومهم اشد فنهاهم لعله ان لا يحتمل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقضينا اليه ذلك الامر قوله قضينا
قيل اوحينا اليه كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب اي اوحينا اليهم وقال بعضهم قوله وقضينا اليه اي
انهينا اليه واعلمناه وهو قول الكسائي والقتبي وقوله عز وجل ذلك الامر يحتمل قوله ذلك الامر هو ما ذكر ان
دابر هؤلاء مقطوع مصبحين هذا الذي اوحي اليه واعلمه ويحتمل قوله وقضينا اليه ذلك الامر اي اوحينا
الى محمد صلى الله عليه وسلم ان ذلك الامر الذي بلغك مقطوع مصبحين ويحتمل الوحي الى لوط على البشارة ان دابر قوم
مقطوع مصبحين اي مقطوع نسلهم فيه اخبار عن قطع نسلهم وفي الخبر عن قطع نسلهم اخبار عن هلاكهم وقوله
عز وجل ان دابر هؤلاء مقطوع قال بعضهم اصل هؤلاء وقال بعضهم دابر هؤلاء مقطوع اي مستاصلون مصبحين اي يريد
حين اصبحوا اي حين لا بد طلوع الفجر ولكن اراد طلوع الشمس الا ترى انه قال فاخذتهم الصيحة مشرقين و

واشراق الشمس هو ارتفاعها وبسطها في الارض دل انه ما ذكرنا والله والصيحة يحتمل وجوها احدها ذكر الصيحة لسرعة هلاكهم او قدر صيحة والثاني هلكوا بالصيحة اوصاح اولئك لما اهلكوا والصيحة اسم كل عذاب وقوله عز وجل وجاء اهل المدينة يستبشرون يحتمل يستبشرون بنزول اضيافه او يبشر بعضهم بعضا لما راوا بهم من حسن الهيئة والمنظر ورفعة اللباس وقوله عز وجل ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون يحتمل هذا وجهين فلا تفضحون في ضيفي فانهم انما نزلوا بنا على امن منا فلا تفضحون عندهم وهو ما قال في اية اخرى ولا تخزون في ضيفي ويحتمل لا تفضحون في الخلق يقولون ان في اهل بيت لوط يفعل بالاضياف كذا وكذا تعرف اهل بيتي عند الخلق بالصلاح و الا فلا تفضحون في الخلق واتقوا الله في صنيعكم بالرجال ولا تخزون عند الخلق قيل هو من الهوان ويشبه ان يكون قوله واتقوا الله ولا تخزون ان يكون الاخزاء هو الفضيحة دليل ما ذكر ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون فيكون هذا تفسير ذلك ويحتمل الهوان وكذلك قيل في قوله ان الخزي اليوم اي الهوان اليوم وقوله عز وجل اولم ننهك عن العالمين هذا يدل على انه قد كان سبق النهي عن انزال الاضياف كانه قد نهوه عن انزال الاضياف لذلك قالوا اولم ننهك عن العالمين قال ابو بكر الاصم يخرج قولهم اولم ننهك عن العالمين مخرج الاعتذار له لانهم كانوا يعظمون الرسل اليهم سوى الخلاف في الدين والدعاء الى دين الله فهم وان كذبوا الحجج التي اتت بهم الرسل فقد كانوا يعظمونهم الا ترى انه قال لرسولنا صلوات الله عليه قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون الاية والاول اشبه والله اعلم وقوله عز وجل هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين وفي موضع اخر هؤلاء بناتي هن اطهر لكم وقد ذكرنا ذلك في السورة التي فيها ذكر هود وقال بعضهم انما عرض عليهم بنات قومهم لانه كالاب لهم على ما ذكر ان نساء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امهاتنا وقال بعضهم في البنات اجنادا منه لهم انها لا تحل صنيعهم لانه يجوز ورود الشرع على بناته لهم ولا يجوز حل ذلك بالرجال وقوله عز وجل لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون قال الحسن نقسم الاشياء من خلقه وليس لاحد ان يقسم الا بالله وانما اقسم بحيوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال بعضهم اقسم بحيوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقسم بحيوة غيره وبغيره وقال بعضهم قوله لعمرك كلمة تستعملها العرب في قسمهم على غير ارادة القسم بحيوة احد وشبهه من قال انما ذلك على التعريض واصله ان الله قد اقسم باشياء اقسم بالشمس والقمر والليل والنهار واقسم بالجبال والسماء وغيرها من الاشياء التي تعظم عند الخلق ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخبره انه رسله رحمة للخلق وهدى ولي ان يعظم بالقسم به الا ترى انه قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فمن كان رحمة للعالم كلها اولى ان يعظم من غيره لان منافعه اعم واكثر وقال بعضهم لعمرك اقسم بحيوة الرسول ولكن بدينه وهو قول الضحاك وقوله عز وجل انهم لفي سكرتهم يعمهون قال بعضهم لسكرة الشدة التي قل بهم عند الموت شبههم بحيرتهم التي فيهم بسكرة الموت يعمهون يترددون وقال بعضهم في ضلالتهم وكفرهم يعمهون يتحيرون وقوله عز وجل فاخذتهم الصيحة قد ذكرنا في غير موضع اختلافهم في الصيحة قال بعضهم الصيحة هي العذاب نفسه اي اخذهم العذاب وقال بعضهم سمى صيحة لسرعة نزوله بهم واخذه اياهم وقوله عز وجل مشرقين قال بعضهم اشرقت الشمس اذا ارتفعت وانارت وشرقت اذا بزغت وهو قول الكيساني وقال ابو عوسجة مشرقين اي اذا اشرقوا اذا طلعت الشمس عليهم وقد ذكرنا هذا وقوله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها قد ذكرنا في السورة التي فيها ذكر هود وقوله عز وجل ان في ذلك لايات للمتوسمين قال بعضهم للمتوسمين المتفرسين من الفراسة وروي في ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه ابو سعيد الخدري قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله قال ثم قرا ان في ذلك لايات للمتوسمين فان ثبت الخبر ثبت تلاوة هذه الاية على اثر ما ذكر فهو هو وقال بعضهم المتوسمين المعتبرين وقيل المتفكرين وقيل الناظرين ذكروا انه المعتبرين ولكن لم يبينوا من اي وجه يكون اية لمن ذكر فيحتمل وجوها احدها اية للمتوسمين المعتبرين لرسالة الرسل لانه ذكر قصة ابراهيم ولوط على ما كان وهم لم يشهدوها فذلك يدل على صدقه وانه رسول والثاني انه لصدق خبر ابراهيم وصدق لوط لانهم كانوا يخبرون قومهم ان العذاب ينزل بهم وغير ذلك من الوعيد فيدل ذلك على صدق خبر الانبياء عليهم السلام في كل ما يخبرون والثالث في هلاك من اهلك منهم والنجاة من انجي منهم اية لمن ذكر من هلك منهم هلك بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق فيكون لهم اية والرابع قد بقي من اثار من هلك منهم اية فيكون هلاكهم اية لمن ذكر واصل هذا ان الله ذكر ان في ذلك لاية للمتوسمين اي المؤمنين المتقين والاعتبار والتفكر المؤمنين لانهم هم المنتفعون قال والمتوسم هو الذي يعرف بعلامة وكذلك المتفرس هو الذي يعرف بعلامة في غيره ينظر في غيره انه هلاك كيف كان فينزجر عن صنيعه ويتعظ به وهو كالمنفعة الذي يعرف بالمعنى والله اعلم وقوله عز وجل وانها لبسبيل مقيم اي طريق دائم لا يزول ان في ذلك لاية للمؤمنين وهو ما ذكرنا ان الاية تكون للمؤمن والله اعلم ذكر في الاية الاولى لايات لان انباء ابراهيم وقصة قوم لوط ففي ذلك ايات لمن ذكر وذكر في هذه الاية لاية للمؤمنين لانه ذكر شيئا واحدا وهو السبيل وقوله عز وجل وان كان اصحاب الايكة لظالمين اي وقد كان اصحاب الايكة لظالمين والايكة ذكروا انها الغيضة من الشجر وهي ذات اجام وشجر كانوا فيها فبعث اليهم شعيب وهم في الغيضة وذكر بعض اهل التاويل ان شعيب بعث الى قومين الى اهل غيضة مرة والى اهل مدين مرة على ما ذكر والى مدين اخاهم شعيبا وقال في اية اخرى كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون وقوله وان كان اصحاب الايكة لظالمين سماهم الله تعالى الكفرة باسماء مختلفة سماهم مرة ظالمين ومرة فاسقين ومشركين واسم الظلم قد يقع فيما دون الكفر والشرك وكذلك اسم الفسق يقع فيما دون

الكفر والشرك

الكفر والشرك ثم الكفر لم يقبح لاسم الكفر وكذلك الايمان لم يحسن لاسم الايمان اذ ما من احد الا وهو يكفر باشياء ويؤمن باشياء قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله المؤمن يكفر بالطاغوت بالاصنام كان اهل الكفر عبدوها وكذلك الكافر يؤمن باشياء ويكفر باشياء يؤمن بالاصنام ويكفر بالله فثبت ان الكفر لاسم الكفر ليس بقبيح وكذلك الايمان ليس بحسن ولكن انما حسن لانه ايمان بالله والكفر انما قبح لانه كفر بالله واما الظلم فهو لاسم الظلم قبيح وكذلك الفسق لاسم الفسق قبيح فسماهم باسماءهم باسمها قبيح لكن الايمان المطلق هو الايمان بالله والكفر المطلق هو الكفر بالله وان كان يسمي بدون الله كفرا وايمانا كما قلنا الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله وان كان اسم الكتاب والدين يقع على هاد ونحو وقوله عز وجل فانتقمنا منهم ذكر الانتقام منهم ولم يذكر ها هنا ما كان كان الانتقام وقال في اية اخرى فاخذتهم الرجفة وقال في اية اخرى فاخذتهم الصيحة وقال في اية اخرى فاخذهم عذاب يوم الظلة فيحتمل ان يكون الرجفة لقوم والصيحة لقوم ويوم الظلة لقوم منهم او كان كله واحد فسماها باسماء مختلفة وليس لنا الى معرفة ذلك العذاب حاجة سوى ما عرف انهم انما اهلكوا وعذبوا بالتكذيب ليكون ذلك اية لمن بعدهم ليحذروا مثل صنيعهم والله اعلم وقوله عز وجل فانتقمنا منهم للرسل كما انتقمنا من قوم لوط للوط بسوء صنيعهم وسوء معاملتهم اياه فعلى ذلك تنتقم من اهل مكة لمحمد صلى الله عليه وسلم بسوء صنيعهم ومعاملتهم اياه وقد كان ما نزل باصحاب الايكة كفاية مزجرا لهم وعظة لا يحتاج الى ما ذكر ما نزل بقوم لوط وقوله عز وجل وانهما قال بعضهم يعني قوم لوط وقوم شعيب وقوله عز وجل لبامام مبين اي طريق مستبين اي بين هلاكهم وقوله عز وجل وانهما لبسبيل مقيم وانهما لبامام مبين واحد اي بين واضح اثارهم من سلك ذلك الطريق او دخل قراهم ومكانهم لاستبان لهم اثار هلاكهم وما حل بهم وقوله لبامام مبين اي طريق يؤم ويقصدون بين واضح وقوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل اصحاب الحجر قوم صالح وثمود وقالوا الحجر هو اسم واد وقيل هو اسم القرية على شط الوادي نسبوا اليه وقوله ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال اهل التاويل يعني بالمرسلين صالحا وحده لكن ذكر المرسلين لان صالحا كان دعا سائر الرسل فاذا كذبوه فكأن قد كذبوا الرسل جميعا اذ كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فاذا كذب واحد منهم فقد كذب الكل والله اعلم وقوله واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين يحتمل الايات ايات اثبات وحدانية الله وحججه ويحتمل جميع الايات ايات الوحدانية وحججه وايات رسالته معرضين اي لم يقبلوها فقد اعرضوا عنها واعرضوا عنها اي كذبوها وقوله عز وجل وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين مما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين كانوا امنين عن ذلك وقال بعضهم كانوا امنين عن ان يقع عليهم ما نحتوا لحذاقتهم وهو ما قال وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على تاويل بعضهم حاذقين وقوله عز وجل فاخذتهم الصيحة مصبحين يحتمل اخذتهم ظاهرة بالنهار وقوله عز وجل فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يحتمل قوله فما اغنى عنهم اي ما كانوا ينحتون لا ينجيهم من عذاب الله من شيء ويحتمل فما اغنى عنهم ما عملوا من عبادة الاصنام والاوثان قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله اي لم يغنهم ما عبدوا من عذاب الله او يقول ما اغنى عنهم ما منعوا وانعموا في هذه الدنيا في دفع عذاب الله عن انفسهم كقوله فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم الاية اي وان اعطوا ما ذكر من السمع والبصر والافئدة اذا لم ينظروا ولم يتفكروا في ايات الله وجحدوها وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يحتمل بالحق الحق الذي جعل تسميته على اهلها والحق الذي لبعض على بعض والحق هو اسم كل محمود مختار من القول والفعل والباطل اسم كل مذموم من القول والفعل قال بعضهم تاويله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا شهود الله بالحق على اهلها وقوله عز وجل الا بالحق اي لم يخلقهما لغير شيء ولكن خلقهما للمحنة يمتحنهم بالعبادة فيها والى هذا ذهب الحسن وقيل خلقهما وما بينهما الا مركبا ثم اي لعاقبة للثواب والجزاء لم يخلقهم للفناء خاصة ولكن للعاقبة لان خلق الشيء خاصة عبث وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون اخبر ان خلقهم لا للرجوع اليه ولا للعاقبة عبث وقد ذكرناها فيما تقدم ويحتمل ان يكون قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لاتية على الاحتجاج على اولئك لانكارهم الساعة لوجهين احدهما ما ذكرنا انه لو لم تكن الساعة حصل خلقهما وما بينهما للفناء خاصة وخلق الشيء للفناء خاصة عبث باطل كبناء للنقض خاصة لا لعاقبة تقصد عبث والثاني انه يكون في ذلك التسوية بين الاعداء والاولياء وفي الحكمة التفريق بينهما وما قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا الاية لم يكن ظنهم انه خلقهما باطلا ولكن لما انكروا البعث صار في ظنهم خلقهما باطلا وقوله عز وجل وان الساعة لاتية فاصفح الصفح الجميل قال بعضهم فاصفح الصفح الجميل اي اعرض عنهم ولا تكافهم بما ازمك بالسنتهم وفعلهم وان الساعة لاتية فاذا كان فيهم منك على اذاهم اياك وصنيعهم يومئذ والصفح الجميل هو ما لا نقص فيه ولا منة في العرف اي اصفح الصفح ما يوصف فيه بتمام الاخلاق وما لا نقص فيه ولا منة يحتمل الصفح الجميل هو ان يصفح ولا يمن عليهم كما امره ان يصفح صفحا لا منة فيه وان الساعة لاتية فتجزيهم ثبت على صفحك الجميل وهم على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان ربك هو الخلاق العليم هذا يحتمل وجهين احدهما انه على علم بما يكون منهم خلقهم من المعصية والخلاق لا خلقهم عن غفلة وجهل بذلك ليعلم انه لم يخلق الخلق لحاجة

نفسه ولا لنفعة نفسه ولكن خلقهم ليمتحنهم بما امرهم به ونهاهم ولما يرجع اليهم نفعهم وحوايجهم والثاني ان
ربك هو الخلاق لخلقه العليم بمصالحهم بان الصفح الجميل لهم ذلك اصلح في دينهم من المكافاة والله اعلم وقوله عز وجل
ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم اختلف في قوله سبعا من المثاني قال بعضهم سبعا من المثاني المثاني هو القران
كله كقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وقيل سمي مثاني لترديد الامثال فيه والعبر والانباء فان كان
على هذا فيكون قوله سبعا من المثاني اي سبعا من القران العظيم ثم يحتمل السبع الطوال على ما ذكر بعض اهل التاويل كانه قال
اتيناك سبعا من القران العظيم ويحتمل سبعا يعني فاتحة الكتاب من القران اي اتيناك فاتحة الكتاب من القران وقال قوم
يقولون سبع المثاني فاتحة الكتاب ويردون على ذلك حديثا عن رسول الله روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وعن ابي رض قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما انزل الله في التوراة ولا الانجيل مثل ام القران وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ما سال ومنهم
من يقول المثاني القران كله يذهب الى ما ذكرنا من الاية بما يروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما انزلت في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور والفرقان مثلها يعني ام القران وانها سبع من المثاني والقران العظيم
الذي اعطيت ذكروا انها سبع من المثاني فان كان سبع المثاني فاتحة الكتاب يصير كانه قال ولقد اتيناك سبعا وهي المثاني
وان كان سبعا من المثاني هو الطوال يكون هكذا اي اتيناك سبعا وهو المثاني وروي ايضا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم
وقال اتاني السبع الطوال مكان التورية والمثاني مكان الانجيل فضلني ربي بالمفصل ثم ان ثبت ما روي في الخبران سبع
المثاني فاتحة والا الكف والامساك عن ذلك اولى لانه لا حاجة بنا الى معرفة ذلك وليس يكون تسميتنا اياها سوى الشهادة
وما خرج مخرج الشهادة من غير حصول النفع لنا فالكف عنه والامساك اولى ومنهم من يقول هي المفصل ومن قال المثاني
فاتحة الكتاب قال لانها تثنى في كل ركعة او ما جعل فيها مكرره معادة لان كل حرف منها يودي معنى حرف اخر فسمي مثاني بذلك
ومن قال المثاني هو القران قال لما ذكرنا لان امثاله وانباءه وغيره معادة مرددة ومن قال المثاني السبع الطوال فقال
لانه تثنى فيها حدود القران وفرائضه وعامة احكامه والله اعلم وقوله عز وجل والقران العظيم سماه عظيما وسماه
مجيدا وحكيما وهو اسم الفاعل ولا عمل له ولا فعل في الحقيقة لكنه يخرج والله اعلم على وجوه يحتمل سماه عظيما مجيدا
لما عظمه وشرفه ومجده فهو عظيم مجيد حكيم اي محكم الفعيل بمعنى المفعول وذلك جائز في اللغة او سماه بذلك لان من
تمسك به وعمل به يصير عظيما مجيدا وسماه عظيما مجيدا حكيما وسماه اي جاء من عند عظيم مجيد حكيم واصل الحكيم
المصيب المواضع كل شي موضعه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم يحتمل المراد بقوله
عينيك نفس العين ثم يحتمل وجهين احدهما نهى رسوله ان ينظر الى ما منع اولئك مثل نظرهم لانهم ظنوا انهم انما
متعوا هذه الاموال في الدنيا لخطرهم وقدرهم عند الله وعلى ذلك قالوا ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا
وقال ولئن رجعت الى ربي الاية ونحوه ظنوا انما متعوا في هذه الدنيا لخطرهم وقدرهم عند الله لذلك قالوا ما قالوا
فنهاه ان ينظر الى ذلك بعين الذين نظروهم اليه ولكن بالاعتبار والثاني نهاه ان ينظر الى ذلك نظر الاستكبار والتجبر على
المؤمنين والاستهزاء بهم على ما نظروهم لانهم بما متعوا من انواع المال تكبروا على الناس واستهزؤا بهم اذ النظر
قد يقع من غير تكلف فيصير كانه نهاه عن الرغبة والاختيار فيما متعوا فيه لان ما متعوا به هو ما ذكر ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وقال في اية اخرى لنفتنهم فيه وقوله لا تمدن عينيك فيما متعوا فانهم
انما متعوا فانهم انما متعوا الما ذكر ويحتمل النهي عن مد العين لا العين نفسه ولكن نفسه كانه قال لا تمنين نفسك فيما متعوا
ولا ترغبها في ذلك فانه ليس يوسع ذلك عليهم لخطرهم وقدرهم ولكن ليعلم ان ليس لذلك خطر عند الله وقد حث على
من افترى على الله ويجد نعمه وفضله وفي الاية تفضيل الفقر على الغنا لانه نهى رسول الله بمد عينيه الى ما متعوا ومعلوم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد الى ذلك ليس يمد للدنيا ولا لشهواته ولكن يستعين به في امر جهاد عدوه ويعين
به اصحابه في سبيل الخيرات ثم نهاه مع ذلك عنه دل ان الا خير والا فضل ما اختاره من الفقر وقصود فوات يده
والله اعلم وقوله عز وجل ازواجا منهم اي اصنافا من الاموال والوانا من النعم وقال بعضهم ازواجا منهم اي
الاغنياء منهم واشباههم فان كان قوله ازواجا منهم هو اصنافا في الاموال فهو على التقديم والتاخير كانه
قال لا تمدن عينيك الى ما متعنا فيهم ازواجا وان كان ازواجا منهم هو اصنافا في الناس فهو على النظم الذي
جرى به التنزيل اي لا تمدن عينيك الى ما متعنا به قوما منهم وفي قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
ولا له نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الله لا يعطي احدا شيئا الا ما هو اصلح له في الدين ولو كان ما منع
هولاء اصلح لهم في الدين لم ينه رسوله عن مد عينيه اليه دل انه قد يعطي ما ليس باصلح في الدين وكذلك قوله
ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما اخبر انه انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وهم يقولون يملي لهم ليزدادوا خيرا وكذلك قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو
خيرا بل هو شر لهم الاية هذه الايات كلها تنقض عليهم قولهم وقد ذكرنا هذا في غير موضع فيما تقدم وقوله
عز وجل ولا تحزن عليهم يحتمل النهي نفسه نهاه ان يحزن عليهم اشفاقا عليهم بل امره ان يغلظ عليهم كقوله جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يحتمل النهي نفسه وعلى هذا يخرج قوله واخفض جناحك للمؤمنين اي رفقهم
ولن عليهم واشدد على اولئك واغلظ عليهم وهو ما وصفهم اشداء على الكفار رحماء بينهم اذلة على المؤمنين اعزة على

الكافرين

الكافرين اخبر انهم اهل شدة على الكفار واهل غلظة رحماء بينهم واهل ذلة على المؤمنين واهل شفقة عليهم اي على
الكفار فعل ذلك هذا ويحتمل ان ليس على النهي ولكن على التخفيف والتسلي ودفع الحزن عن نفسه لانه كان يحزن لكفرهم
بالله وتركهم الايمان حتى كادت نفسه تتلف لذلك كقوله لعلك باخع نفسك الاية وقوله فلا تذهب نفسك
الاية وامثاله ويحتمل ايضا وجها اخر وهو انه كان يحزن عليهم وتضيق صدره لما يمكروا به وكايدوه كقوله ولا
تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون فاني كافيهم والله اعلم وقوله عز وجل وقل اني انا النذير المبين يحتمل
انا النذير على معاصيه المبين على طاعته او النذير على العصاة من عذاب الله المبين لاموره ونواهيه والله
اعلم وقوله عز وجل كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين وقال الحسن الكتب كلها قران يعني كتب
الله اقتسموها وجعلوها عضين اي فرقوها بالتحريف والتبديل لها وانهم اخذوه وما لم يوا فقهم غيروه
وبدلوه كقوله يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ونحوه فذلك اقتسامهم وتعضيتهم
على قوله وكقوله يجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا ونحوه وقال بعضهم
اقتسامهم وهو ان نفرا من قريش كانوا اقتسموا عقاب مكة لتصد الناس عن رسول الله فيقول طائفة منهم
اذا سئلوا عنه هو كاهن وطائفة اخرى هو شاعر ساحر مجنون ونحوه وعضين قولهم هو سحر شعر كهانة اساطير
الاولين افترى على الله كذبا واشباه ما قالوا فذلك اقتسامهم وعضينهم وقال بعضهم هو على التقديم اي
اتيناك المثاني والقران العظيم انزلته عليك كما انزلنا التورية والانجيل على اليهود والنصارى فهم المقتسمون
كتاب الله فامنوا ببعض وكفروا ببعض وقال ابو عوسجة يقال عضيت الجزور اي قسمتها عضوا وقال
غيره هو من العضة وهو السحر بلغة قريش يقال للساحر عاضة وقال القتبي المقتسمون قوم تحالفوا على عضة النبي
صلى الله عليه وسلم وان يذيعوا ذلك بكل طريق ويخبروا به النزاع اليهم وعضين اي فرقوه وعضوه وقيل فرقوا
القول فيه وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قوله فوربك قيل قسم
اقسم به لنسالنهم اجمعين قال بعضهم الخلايق كلها كقوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين اخبر
انه يسالهم جميعا الرسل عن تبليغ الرسالة والذين ارسل اليهم عن اجابتهم لهم وقال بعضهم قوله فوربك لنسالنهم
اجمعين هؤلاء الذي سبق ذكرهم المقتسمين الذين جعلوا القران عضين والذين استهزؤا برسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه يسالهم عن حجج ما فعلوا والمعنى الذي حملهم على سوء معاملة رسول وكتابه لاي شي نسبتم رسولي
وكتابي الى السحر والكذب والكهانة والافتراء على الله لا يسالون ما فعلتم واي شي عملتم لان ذلك يكون مكتوبا في
كتبهم يقرؤن كقوله اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وهو وعيد شديد في نهاية الوعيد والشدة
لانه وعيد مقرون بالقسم وكل وعيد قرن بالقسم فهو غاية الشدة اذ لو جاء مثل ذلك الوعيد من ملك من
ملوك البشر يجب ان يخاف فكيف من ربنا وقوله عز وجل فاصدع بما تؤمر وقال بعضهم فاصدع بما تؤمر اي
استقم كما تؤمر كقوله فاستقم كما امرت فهو في كل ما امر به وقال بعضهم اصدع اي امض بما تؤمر من تبليغ
الرسالة واعرض عن المشركين اي اعرض عن مكافاتهم والله اعلم امض على ما تؤمر من تبليغ الرسالة اليهم ولا
تخفهم ولا تهبهم ولا يمنعك شي عن تبليغ الرسالة الخوف ولا القرابة ولا شي من ذلك ولكن امض على ما تؤمر
وهو كما قال ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقال كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
اي لا يمنعكم عن القول بالحق والعدل بغضكم اياهم ولا قرابتكم التي فيما بينكم فعلى ذلك قوله فاصدع بما تؤمر اي امض على
امرت من تبليغ الرسالة ولا يمنعك من ذلك الخوف والوعيد والقرابة التي فيما بينك وبينهم وقال القتبي اصدع بما تؤمر اي
اظهر صدع اظهر ذلك واصله الفرق والفتح يريد اصدع الباطل بحقك حتى ياتيك اليقين به وهو الموت وقال
ابو عوسجة اصدع اي امض على ما تؤمر وصدعت اي مضيت وذلك من المضي واصل هذا كله الشق ويقال تصدعوا
اي تفرقوا والله اعلم وقوله عز وجل واعرض عن المشركين اي اعرض عن مكافاتهم فانا كافيهم منك على ما اذولك
وقال بعض اهل التاويل قوله واعرض عن المشركين هو منسوخ باية السيف لكن على الوجه الذي ذكرنا ليس بمنسوخ
ويحتمل واعرض عن المشركين ان كان اراد به القتال والدعاء الى التوحيد فهو في وقت دون وقت او في قوم
خاص علم الله انهم لا يجيبونه ولا يؤمنون به ايا س رسوله عن ايمانهم فقال اعرض عن هؤلاء ولا
تشتغل بهم ولا تدعهم فانهم لا يؤمنون ولكن ادع قوما اخرين والله اعلم وقوله عز وجل انا كفيناك المستهزئين
قال بعضهم قوله كفيناك المستهزئين لكثرة جميعا فمنعناهم عن ان يصلوا اليك من اهلاكك وغيره كقوله نصرت
بالرعب مسيرة شهرين وقال بعضهم قوله كفيناك المستهزئين الذين كانوا على الطرق وللمراصد ليصدوا الناس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في القصة العدد الذي ذكر سبعة او خمسة كفاه الله بان اهلكهم بما ذكر اهل التاويل ان الذين
استهزؤا به اهلكوا جميعا بعقوبات مختلفة وقوله عز وجل الذين يجعلون مع الله الها اخر قوله يجعلون ليس على الجعل
لانهم لو جعلوا لكان لان كل مجعول كائن موجود ولكن قوله يجعلون اي يزعمون ان مع الله الها اخر اما في التسمية او
في العبادة وكذلك قوله جعلوا القران عضين هم لا يقدرون على ان يجعلوه عضين ولكن زعموا انه كذا لان الله وكل
حفظه الى نفسه بقوله وانا له لحافظون وقال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اخبر انه يحفظه حتى لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه فلو قدروا على جعله عضين لكان قد اتى الباطل من بين يديه دل انه على القول الذي قالوا

وهو على المجاز وكذلك قوله فراغ الى الهتهم وقوله اجعل الالهة الها واحدا فهو كله على المجاز على ما عندهم انما يحق التسمية لها لما انها الهة وانما يصرف العبادة اليها بظاهر هذا ان المستهزئين الذين ذكرهم انه كفاه عنهم هم الكفرة جميعا لكن يحتمل في الذين ذكرهم اهل التاويل كانوا على مراصد مكة اضاف ذلك اليهم ونسب لانهم هم الذين امروا غيرهم ان يجعلوا دونه الهة فكانهم فعلوا ذلك وهم قالوا او قوله كفيناك المستهزئين الذين فعلوا به ما فعلوا فمن تقدم ذكرهم فيكون قوله الذين يجعلون على اضمار وكان اى الذين كانوا يجعلون مع الله الها اخر وان كان في الذين يكون من بعد لهو على ظاهر ما ذكر تجعلون على المستقبل وقوله عز وجل فسوف يعلمون وعيد اى سوف يعلمون ما عملوا من الاقتسام والعضة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه اذا نزل العذاب بهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون وما قالوا من الاقتسام والعضة والاستهزاء به وانواع الاذى الذي كان منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم اى نعلم ذلك وهو محفوظ عندنا نجزيهم على ذلك فلا يضيق صدرك لذلك فهو على التصبر على الاذى والتسلي عن ذلك وترك المكافاة لهم والله اعلم وكان يضيق صدره مرة لتركهم الاجابة له ومرة للاذى باللسان والثاني على علم منا بما يكون منهم ومن ضيق صدرك بذلك لكنا انشاناهم ومكناهم على علم منا بذلك امتحانا اياك بذلك واياهم وقوله عز وجل فسبح بحمد ربك قال بعض اهل التاويل اى صل بامر ربك وكن من الساجدين اى من المصلين وقوله فسبح هو امر فاذا فعل ذلك كان بامره فلا معنى لذكر الامر من بعد بقوله بحمد ربك ان كان الحمد هو الامر على ما قال بعض اهل التاويل ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله فسبح اى نزه الله عن جميع ما قالت الملحدة فيه اذ التسبيح هو التنزيه في اللغة بحمد ربك اى بثناء ربك اى نزه عن ذلك كله بثناء تثنيه عليه وكن من الساجدين اى من الخاضعين اذ السجود هو الخضوع او ان يكون امره اياه بالتسبيح على التسلي والتوسيع صدره بالذي يكون منهم اى فسبح ربك مكان ذلك وقوله عز وجل واعبد ربك يحتمل التوحيد اى وحد ربك وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كل عبادة ذكرت في القران فهو توحيد بامر باعتقادها لا حاد صوله في كل امر ويحتمل العبادة نفسه ابا مره بالعبادة له شكرا له على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى حتى تورمت ساقاه فقيل له الم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال بلى افلا اكون عبدا شكورا وقوله عز وجل حتى ياتيك اليقين اى ما تيقنت به وهو الموقن به وكذلك قوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله اى من يكفر بالمؤمن به فقد حبط عمله لان الايمان لا يكفر به فعلى ذلك اليقين لا ياتيه ولكن ياتيه الموقن به وكذلك ما ذكر الصلوة امر الله وهو المامور به لان الصلوة لا تكون امر الله لكن بامر الله وكذلك ما يجيء من هذا النحو ويحتمل قوله حتى ياتيك اليقين فيهم وهو ما وعد من العذاب فيهم اى يتيقنون بذلك بعض اهل التاويل سورة النحل كلها مكية الا ثلاث ايات لانها نزلت بالمدينة والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه في قوله اتى امر الله فلا تستعجلوه وجهان احدهما ان يصرف قوله امر الله واراد وما الذي استعجلوه وانما استعجلوه الساعة والقيامة بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها الاية ونحوه من الايات وقال بعضهم امر الله هو عذابه وكذلك ما ذكر في جميع القران من امر الله المعنى منه عذابه كقوله جاء امر الله او عذابه ونحوه ويحتمل قوله اتى امر الله رسوله الذي كان يستنصر به اهل الكتاب على المشركين كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الاية وكان يتمنى مشركوا العرب ان يكون لهم رسول كسائر الكفرة كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم الاية فلا تستعجلوه ذهاب ما كنتم تمنون محمد صلى الله عليه وسلم او شيء اخر والله اعلم ثم انه لم يرد بقوله اتى امر الله ونحوه ولكن قرب اى قرب اتيان امر الله كما يقال اتاك الخير واتاك امر كذا على ارادة القرب لا على الوقوع ويجوز ان يكون قوله اتى امر الله اى ظهر اعلام امر الله واثاره وليس على اتيان امره من مكان الى مكان كقوله جاء الحق وزهق الباطل واثاره هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان به ختم النبوة فهو كان اعلام الساعة على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم فقال انا والساعة كهاتين اشار الى اصبعين لقربها منه والله اعلم وقوله عز وجل فلا تستعجلوه لانه لا منفعة لكم فيها فلماذا تستعجلونه كقوله قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اى لا منفعة لهم فيه بل فيه ضرر عليهم وقوله عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون سبحان هو كلمة اجلال الله يجريها على السن اوليائه على تبرئة ما قالت الملحدة فيه وتعاليه عن جميع ما نسبوا اليه من الولد والصاحبة والشريك وغيره من الاشباه والاضداد وتعالى عن ذلك سبحان الله حرف يذكر على اثر شيء مستبعد او مستعجب او مستعظم جوابا لذلك وهو ما ذكره على اثر وصف وقوله لا يليق بالله من الولد والشريك ونحوه فقال سبحان الله على التنزيه عما وصفوه وقوله عز وجل ينزل الملائكة بالروح من امره قال بعضهم قوله بالروح اى بالوحي الذي انزله على رسله والرحمة والروح الرحمة وهو الذي به نجاة كل من رحمه الله وهلاكه من طغيانه وهو ما ذكر حيث قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل الرسالة والنبوة وما ذكر روحا لانه به حيوة الدين كما سمي الذي به حيوة الابدان ارواحا وقال الحسن قوله بالروح من امره اى بالحيوة من امره وهو ما ذكرنا من حيوة الدين وقوله عز وجل على من يشاء من عباده اى على من يشاء ان يختص من عباده ويختاره وهو مشيئة الاختيار وان كان غيره يصلح لذلك وفيه دلالة اختصاص الله بعضهم على بعض وان كان غيره

يصلح لذلك وقوله عز وجل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون على هذا اجاب الرسل والانبياء عليهم السلام جميعا بالانذار والدعاء الى وحدانية الله وتوجيه العبادة اليه وقوله ان انذروا هو صلة ما تقدم من قوله ينزل الملائكة ان انذروا او لا يوصل بما تقدم ثم يخرج على الاضمار اى انذروا وقولوا انه لا اله الا انا فاتقون وقوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق قد ذكرنا قوله بالحق في غير موضع انه لم يخلقهما وما فيهما عبثا انما خلقهم لامر كائن وللمحنة والجزاء ونحوه وقوله عز وجل تعالى عما يشركون من لا يخلق ولا ينفع ولا يضر ولا يدفع في الذي يخلق وينفع ويضر ويدفع تعالى عن ذلك وتبرأ وقوله عز وجل خلق الانسان من نطفة يذكرهم عز وجل نعمه عليهم وقدرته وسلطانه وعلمه لانه لو اجتمع الخلايق كلهم على ان يدركوا المعنى الذي به صير النطفة نسمة وانشاءها ما قدروا عليه حيث خلق من النطفة انشاءها على احسن تقويم واحسن صورة وفيه نقض قول الدهرية حيث انكروا خلق الشيء من لا شيء لانهم لم يدركوا المعنى الذي به خلق الانسان من النطفة فيلزمهم ان يقروا بخلق الشيء من لا شيء وان لم يشاهدوا ذلك ولم يدركوا وفيه دلالة البعث لان من قدر على انشاء الانسان من النطفة وليس فيها من اثار الانسان شيء يقدر على البعث وانشاء الاشياء لا من شيء وقوله عز وجل فاذا هو خصيم مبين قال بعضهم الخصيم هو الذي يجادل بالباطل مبين اى ظاهر مجادلته بالباطل ومخاصمته وقال بعضهم الخصيم هو الجدل الذي يجادل فيه كان قال ابو عوسجة الخصيم هو المخاصم والمخاصم كلاهما خصيم ويقال فلان خصمي مبين ظاهر خصومته والخصيم هو الفعيل والفعيل قد يستعمل في موضع الفاعل والمفعول جميعا فكانه قال فاذا هو خصيم مبين اى منقطع عن الخصومة بين انقطاعه وهو ما ذكر من خصومته في اية اخرى وانقطاع حجته حيث قال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فهذا احتجاج عليه فاذا انقطعت حجته وبهت الذي انكر قدرته على البعث حيث لم يتهيأ له جواب ما احتج عليه وقوله عز وجل والانعام خلقها لكم يحتمل قوله خلقها لكم على الظاهر ان خلق هذه الاشياء لنا فيها رزق ومنافع كقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ويحتمل قوله والانعام خلقها اى هو خلقها ثم اخبرنا فيها منافع ذكر انواع المنافع والنعم التي انعم علينا مفسرة مبينة واحدة بعد واحدة في هذه السورة وفي غيرها من السور انما ذكرها بجملة غير مشارة الى كل واحدة بينها على ما اشار ما في هذه السورة ليقوموا بشكرها وليعلموا قدرته على خلق الاشياء لا من الاشياء ثم قوله فيها دفء قال بعضهم الدفء نسل كل دابة وقال بعضهم ما ينتج منه وقال القتبي الدفء ما استدفأت به ويشبه ان يكون تفسير الدفء والمنافع التي ذكرها ما فسر في اية اخرى هو قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم الاية جعل الله عز وجل الانعام وما ذكر وقاية بجميع انواع الاذى من السماء وغيره مما يهيج من الانفس من الحر والبرد والجوع وغير ذلك فما يكثر عددها ويطول مدتها وذكرها وجعل فيها منافع كثيرة من الركوب والشرب والاكل كما قال ولكم فيها منافع وقال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة الى اجل مسمى واخبر ايضا ان فيها جمالا وزينة بقوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون فان قال قائل اى جمال يكون لنا فيها الا راحة وحين التسرح وقال بعض اهل التاويل وذلك انه يعجب ما يكون اذا راحت عظاما ضروعها طوالا اسنمتها وحين تسرحون اذا سرحت لرعيها او ان يكون الجمال عند الاراحة والتسرح شرب البانها وقرى الضيف من البانها في الرواح والمساء وقال بعضهم ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك انهم كانوا يسرون عند الاراحة والتسريح وذلك السرور يظهر في وجوههم فاذا ظهر ازداد لهم جمالا حسنا وهكذا المعروف في الناس انهم اذا سروا يظهر ذلك السرور في وجوههم فيزداد لهم بذلك جمالا واذا حزنوا واصابهم غم يؤثر ذلك الغم نقصانا في خلقهم فيزداد لهم قبحا وشينا وقال بعضهم انهم اذا اراحوها وسرحوها راى الناس ان اربابها اهل غنى واهل ثروة وانهم لا يحتاجون الى غيرهم وان يكون لغيرهم اليهم حاجة فيكون لهم بذلك ذكر عند الناس وشرف وذلك جمالهم وشرفهم فيها والجمال لهم فيها ظاهر لان ما يبسط ويفرش انما يتخذ منها ومن اصوافها وكذلك ما يلبس انما يكون منها وانما يبسط ويفرش ويلبس للتجمل والبهاء والله اعلم وقوله عز وجل وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ذكر ايضا ما جعل فيها لنا من النعم ما تحمل من الاثقال من مكان الى مكان ومن بلد ما لم نكن نتشاهد على الدنيا التي اخبر انها تحمل اثقالنا الى ذلك بدونها الا بجهد وشدة وذلك والله اعلم ان الله جعل في هذه الانفس حوائج وقواما بالا قوام لها الا بذلك فلعله لا يظفر بما به قوام النفس الا في بلد اخر ومكان اخر فلو تحمل ذلك بنفسه لكان في ذلك تلف نفسه وذهاب ما به قوامه فذكر انه خلق لنا ما يحمل به من بلد الى بلد ما به قوام انفسنا وما حاجتنا والله اعلم وقوله عز وجل ان ربكم لرءوف رحيم اى من رحمته ورأفته ما جعل لكم من المنافع في الانعام وما ذكر وذكر هذا ليرحموا على هذه الانعام التي خلقها لهم في الانفاق عليها والاحسان اليها وذكر فيه ومنها تاكلون وذلك لا يوصل الى اكله الا بالذبح ليعلم ان الذبح فيما يؤكل ليس بخارج من الرحمة والرافة وذلك ينقض الثنوية قولهم انكروا ذبح هذه الاشياء ويقولون انهم يتألمون بالضرب والذبح والقتل كما تتالمون انتم فمن قصد قصد احدكم بالقتل فهو سفيه عندكم غير حكيم ولا رحيم بل موصوف بالقساوة والسفه فالله سبحانه موصوف بالحكمة والرحمة والرأفة لا يجوز ان يامر بالذبح والقتل لهذه الاشياء اذ ذلك مما يزيل الرحمة والحكمة فيجاب لهم بوجوه احدها ان الله خلق هذا البشر

في هذه الدنيا للمحنة ولعاقبة قصدها اما ثوابًا واما عقابًا واخبر انه خلق هذه الاشياء لنا وجعل لنا فيها منافع تتامل
وتقصد وقد نجد في الشاهد من هو موصوف بالرحمة والرافة على نفسه يجرح بنفسه الجراحات ويحمل عليها الشدايد والمكروهات
لنافع تقصد وغير يتأمل في العاقبة ثم لم يوصف بالسفه ولا بالخروج من الحكمة والرحمة من نحو الحجامة والافتصاد
وشرب الادوية الكريهة الشديدة ما لو لم يتأمل ما قصد من النفع والعافية في العاقبة ما تحمل تلك المكروهات والشدايد
فدل ما وصفنا ان تحمل الاذى والالم والمكروه غير خارج عن الحكمة والرحمة ولا الفعل بما فعل سفه اذا كان لمنافع تقصد في
العاقبة وعافية تتأمل فيبطل قول الثنوية ان ذلك مما يزيل الرحمة على ان هذه الانعام والبهايم لم تخلق للمحنة والجزاء
في العاقبة ولكن خلقت لمنافع البشر فلهم الانتفاع بها مرة بلحومها ومرة بحمل اثقالها والانتفاع بظهورها مع ما ذكرنا
ان تحمل المكروهات وانواع الشدايد والالم لا يخرج الفعل عن الحكمة ولا يزيل الرحمة والرافة اذا قصد به النفع في العاقبة
وطمع فيه الخير وهذا يدل انه ابيح لنا الانتفاع بها والذبح على غير جعل حقيقتها لنا حيث لم يبح لنا اتلافها اذ لو كانت
اصول الاشياء لنا لكان لا يمنع عن الاتلاف فدل انه ابيح لنا الانتفاع بها على غير جعل الحقيقة والاصول لنا فيبطل
قول من يقول ان الاشياء في الاصل على الحل والاباحة حتى يقوم ما يحظر قال ابو عبيدة حين تريحون يقال منه ارحت
الابل اريحها راحة والاراحة عند العرب ان يصدر الرعاء مواشيها بالليل الى ماويها ولهذا سمي ذلك الموضع المراح
وقوله وحين تسرحون هو اخراجها الى المرعى يقال سرحتها اسرحها سرحًا وسروحًا وكذلك قال القتبي
وابو عوسجة والدفء ما ذكرنا انه من الاستدفاء وقوله عز وجل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقوله
وزينة يحتمل وجهين احدهما ان الماشي هو دون الراكب والمشي يؤثر نقصانًا في الوجه والركوب لا وذلك زينة على ما ذكرنا
في قوله ولكم فيها جمال والثاني ان الراكب اذا نظر الى الماشي سر بركوبه فالسرور يظهر في وجهه وذلك يزيد في حسنه
وجماله واصله ما ذكر عز وجل والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع الاية والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
بين انه لماذا خلق الانعام وما جعل فيها وهو ما ذكر انه جعل فيها الدفء والمنافع ومنها تاكلون وبين انه لماذا خلق
الخيل وهو ما ذكر لتركبوها وزينة وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن لحوم الخيل فقرأ والخيل والبغال والحمير لتركبوها
ولم يقل لتاكلوها فكره اكلها لذلك وتمام هذا ان الله ذكر الانعام وما ذكر من النعم والاشفاع وبالغ في ذكرها
الا ترى قال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون وقال ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون
الاية وقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر وقال ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات وقال وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحمًا طريًا الى اخر ما ذكر ذكر جميع ما ينتفع به من انواع المنافع ذكر
اشياء مبالغًا غير يكفي فدل ما ذكر في الخيل من الركوب وكذلك في البغال والحمير على انه ليس فيها منفعة اخرى سوى
ما ذكر وهو الركوب اذ خرج الذكر لها على المبالغة والاستقصاء ليس على الاكتفاء ولو كان هنالك منفعة اخرى لذكر
على ما ذكر في غيره والله اعلم والثاني من الاشياء يعرف حلها بنفار الطباع والصبيان اول ما يبلغوا يرغبون في ركوبها
لا احد يرغب في اكلها الا من تغير طبعه عما كان مجبولا به فهو يرغب في اكله واما من ترك وطبعه يستخبث ويتنفر طبعه
عن اكله والله اعلم وروي عن جابر قال لما كان يوم خيبر اصاب الناس مجاعة واخذ والحمر الاهلية فذبحوها فحرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الانسية ولحوم الخيل والبغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب
من الطير وحرم الخلسة والنهبة وروي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ذلك قال اطعمنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر وعن اسماء بنت ابي بكر قالت نحرنا فرسًا في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاكلنا وفي بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر واذن لنا في لحوم الخيل فلئن ثبت فقد يجوز
ان يكونوا اكلوه في الحال التي كان يؤكل فيها الحمر لان النبي انما نهى عن اكل لحوم الخيل صحيحًا فقد يجوز ان يكونوا اكلوا لحم
الفرس في حال الاباحة اذ لم يذكروا الوقت وعن الحسن قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكلون لحوم الخيل في
مغازيهم وكان الحسن لا يرى فيها بأسًا على كل حال وقول الحسن انهم كانوا ياكلون لحوم الخيل في مغازيهم يدل على انهم
كانوا ياكلون في حال الضرورة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل لثلاثة فهي لرجل كذا ولرجل اخر كذا وعلى
رجل وزر ويتبين انها لا تصلح لغير ذلك ولو صلحت للاكل لقال الخيل لاربعة ولقال ولرجل طعام ومما يتبين ما ذكرنا ان
البغل حرام وهو من الفرسة فلو كانت امه حلالا لكان هو ايضًا حلالا لان حكم الولد حكم امه لانه منها وهو كبعضها
فمن حرم لحم البغل لزمه ان يحرم لحم الفرسة في حكم النظر والمقاييس الا ترى ان حمار وحش لو نزى على حمارة اهلية لم يؤكل
ولدها ولو ان حمارًا اهليًا نزا على حمارة وحشية فولدت اكل ولدها فلا ترى انه جعل حكم امه ولم يعتبر بالفحل فلما
كان لحم البغل حرامًا وجب ان يكون لحم الفرسة كذلك الا ان ابا حنيفة رحمه الله كان لا يطلق تحريم اكلها لما فيها
من الشبهة والاختلاف والاحاديث المروية عن رسول الله لكنه ذكر الكراهة للشبهة التي فيها وكان ابو يوسف رحمه الله
يبيح اكلها وقد يجوز ان يحتج لابي يوسف في الفرق بين المولود من الفرسة وبين ولد الحمارة الوحشية اذا نزا عليها حمار
اهلي بان ولد الحمار لم يتغير عن جنس امه فحكمه حكمها والبغل ليس من جنس امه هو من جنس ثالث فلذلك لم يكن سبيلها سبيله
والله اعلم وقوله عز وجل ويخلق ما لا تعلمون اخبر انه يخلق ما لا نعلم فليس لنا ان نتكلف في علم ذلك او نخلق من النعم
فيما خلق ما لا تعلمون انتم ان انها نعم او قال يقول قوم ان ليس لله ان يخلق شيئًا لا يطلعه الممتحن وقوله عز وجل وعلى الله
قصد السبيل اختلف فيه قال بعضهم اي على الله بيان قصد السبيل وهدى يبين الهدى من الضلالة ويبين من السبل

التي تفرق

التي تفرقت عن سبيله كقوله ثم ان علينا بيانه وقوله عز وجل ومنها جائر اي عليه بيان ما يجوز منها مقصد السبيل بعد
ويجار او يغال وبالله يوصل الى قصد السبيل وقال بعضهم وعلى الله اي وبالله يوصل بقصد السبيل وهي السبيل التي
ذكرنا ومنها جائر كقوله وان هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقال بعضهم طريق الحق والعدل لله وقد
يستعمل حرف على مكان له وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اي لربهم وكقوله تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين ومنها جائر وهي السبل المتفرقة عن سبيله وقوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين
قد ذكرنا تاويله وقوله ولو شاء لهديكم اجمعين يخرج على وجهين احدهما لو شاء اكرم الخلق كله اللطف الذي اكرم اولياءه فاهتدوا
فيهتدون والثاني لو شاء اعطاهم جميعًا الحال التي يكون بها الاهتداء وهو ما قال ولولا ان يكون الناس امة واحدة
الى اخر ما ذكرنا لا يحتمل انه اذا كان ذلك مع الكفار لكفروا جميعًا واذا كان تلك الحال للمسلمين لا يسلمون وقوله عز وجل
هو الذي انزل من السماء ماء موصول بقوله خلق السموات والارض بالحق وقوله خلق الانسان من نطفة وقوله
والانعام خلقها لكم والخيل والبغال يقول الذي خلق لكم ما ذكر من الاشياء هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه
شراب ومنه شجر هذا يحتمل ما ذكرنا انه انزل من السماء ماء لنا ثم اخبر انه منه شراب ومنه شجر ويحتمل هو الذي
انزل من السماء ماء ثم اخبر لكم منه شراب ومنه شجر ثم يحتمل قوله منه شراب جميع ما يشرب من الاشربة
او منه تكون منه الاشربة جميعًا وجميع الاشياء ويحتمل منه شراب الماء خاصة ومنه شجر الشجر معروف
هو الذي يعلو ويرتفع في الارض لا يسمى الحشيش وما ينبسط على وجه الارض شجرًا فظاهر هذا ان يرجع الى ذلك
المعروف الا انه ذكر شجرًا فيه تسيمون اي ترعون دل هذا انه انما اراد بالشجر المنبسط على وجه الارض والمرتفع
عليها وقال القتبي السائمة الراعية وكذلك قال ابو عبيدة اسمت سامتي اي رعيتها وكذلك قوله والخيل المسومة
اي الراعية وقوله عز وجل ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات اي ينبت لكم بالماء
الذي ذكر انه انزل من السماء الزرع والزيتون وجميع ما ذكر جعل الله بلطفه الماء لقاح كل الاشياء المختلفة والمتفقة
ليس ككثيره من الدواب حيث لم يجعل لقاح شيء من جنس اخر انما جعل لقاح كل نوع من نوعه وجعل في الماء
بلطفه سريته لو ان فوق جميع الاشياء المختلفة لو اجتمع الخلايق على ادراك ذلك وان اجتهد والم يقدروا عليه
يعرفون الماء ظاهرًا ولكن لا يدركون ما فيه من اللطف والسرية الذي به يكون حيوة كل احد وموافقته
وقوله ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ذكر ان فيه اية لقوم يتفكرون ولم يذكر انه لماذا لكنه ذكر انه اية
لقوم يتفكرون بالتفكر يعرف انه اية لماذا وهذا يدل على ان الاشياء التي غابت عنا ظواهرها بالتفكر والنظر يدرك
وقوله عز وجل وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وما ذكر وجه تسخير هذه الاشياء لنا وهو ان الله
خلق هذه الاشياء وجعل فيها منافع للخلق تتصل تلك المنافع الى الخلق شئنا او ابينا احببنا او كرهنا جعل في النهار معاشًا
للخلق وتقلبًا فيه يتعيشون ويتقلبون وجعل الليل راحة لهم وسكنًا ينتفعون بها شاءوا او ابوا وكذلك ما جعل في الشمس
والقمر والنجوم من المنافع من انضاج الفواكه والثمرات وادراك الزروع وبلوغها ومعرفة الحساب والسنين والاشهر
ومعرفة الطرق والسلوك بها وغير ذلك من المنافع ما ليس في وسع الخلق ادراكه ينتفع الخلايق بما جعل فيها من المنافع
شاءت هذه الاشياء او ابت فذلك وجه تسخيرها لنا ويحتمل ما ذكر من تسخير هذه الاشياء لنا ما جعل في وسعنا
استعمال هذه الاشياء والانتفاع بها في الحيل التي بها نقدر على استعمالها في حوايجنا ويحتمل تسخيرها لنا ما ينتفع
بها شئنا او ابينا بالطباع والله اعلم وقوله عز وجل مسخرات بامره يحتمل وجهين يحتمل اي بامره تنفع الخلايق
ويحتمل بامره اي كونها في الاصل هكذا بان تنفع الخلق والله اعلم وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
قال في الاية الاولى لقوم يتفكرون جعل الله عز وجل التفكر سبيلا للعقول الى ادراك الغيبة بالحواس الظاهرة
ان لا سبيل للعقل الى ادراك ما غاب عنه الا بالحواس الظاهرة لا يدرك العقل فجعل الحواس الظاهرة سبيلا للعقول
الى درك المغيب عنها ذكر عز وجل في الاية الاولى لقوم يعقلون وفي الاية الثالثة لقوم يذكرون وفي الرابعة لقوم
يشكرون فهو والله اعلم كرره على مراتب لانه بالتفكر فيها يعقل ويعلم ثم بعد العلم والعقل والفهم يتذكروا اذا
تذكروا اذا تذكر عند ذلك شكر نعمه ثم قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون ويتفكرون وما ذكر فيه دلالة
وحدانية الله تعالى ودلالة تدبيره وعلمه وحكمته ودلالة قدرته وسلطانه لان الليل والنهار يأتيان الجبابرة
والفراعنة ويذهبان بعمرهم ويفنيانه شاءوا او ابوا فذلك اية سلطانه وقدرته ليعلم ان له السلطان والقدرة لا لهم
وفيهما دلالة البعث لانه اذا اتى هذا ذهب الاخر حتى لا يبقى له اثر ثم يأتي مثله بعد ان لم يبق من الاول شيء ولا
اثر فالذي قدر على انشاء النهار والليل بعدما ذهب اثره وتلاشى لقادر على انشاء الخلق بعد ما ذهب اثرهم
وكذلك الشمس والقمر والنجوم وما ذكرنا اتسق هذا كله على سنن واحد ونقدير واحد على غير تفاوت فيها ولا تفاضل
وعلى غير تقديم ولا تاخير جرى كله على واحد وتقدير واحد وميزان واحد من غير تفاوت ولا اختلاف دل انه على
تدبير واحد خرج ذلك لا على الجزاف وان مدبر ذلك كله واحد اذ لو كان تدبير عدد لخرج مختلفًا متفاوتًا فدل
انه تدبير واحد لا عدد وانه على تدبير غير خرج وجرى كذلك لا بنفسه وانه على حكمته وعلم جرى كذلك فيدل على
لزوم الرسالة والعبادة له والله اعلم تاويل قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وقوله عز وجل وما ذرأ لكم
في الارض مختلفًا الوانه اي مختلفًا اصنافه وجواهره يخبر عز وجل عن قدرته وسلطانه ونعمه التي انعمها عليهم انما

سلطانه وقدرته ما خلق في الارض وانبت فيها بالماء لم يرجع الى جوهر الارض وجنسها ولا الى جوهر الماء كالاب والارض
كالام فلم يرجع ما خرج منها من جنسها ولا من جوهرها كما كان في سائر الاشياء رجع التوالد منها الى جنس الوالدين وجوهر
هما بل رجع التوالد والمنشو من الارض والماء الى جنس البذر وجوهره ليعلم قدرته وسلطانه الى انشاء الاشياء بلا
سبب واسباب ومن شيء ومن لا شيء ويذكر نعمه حيث اخبر انه خلق في الارض من الاصناف المختلفة والجواهر المتفرقة
لينتفعوا بها ويحتمل قوله مختلفا ألوانه من جنس واحد من شيء واحد لانه يكون من جنس واحد ألوان مختلفة ومن قدر
على انشاء الوان مختلفة من شيء واحد لا يعجزه شيء وقوله عز وجل ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وفي اية لقوم يعقلون
وفي اية لقوم يتفكرون وفي اية اخرى لكل صبار شكور وللمؤمنين وفي اية للمؤمنين فيحتمل ان يكون كله كانه
من المؤمنين كانه قال ان في ذلك لاية للمؤمنين اذ يجمع الايمان جميع ما ذكر من التفكر والتذكر والعقل والا
الاعتبار والصبر والشكر وغيره ويحتمل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ويعقلون ويذكرون اي لقوم همتهم الفكر
والنظر في الايات ولقوم همتهم التفهم والاعتبار فيها لا لقوم همتهم العناد والمكابرة والاعراض عن النظر في الايات
والفكر فيها وفي ذكر الاية للمتفكرين والعاقلين والمتذكرين لما منفعة الاية تكون لهؤلاء وان كانت الايات هم
ولغيرهم فمنفعتها لمن ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتسخيره اياه لنا هو ما
بذل للخلق ما فيه من انواع الاموال التي خلق الله فيه من الحلي والجوهر واللؤلؤ وبذل ما فيه من الدواب السمك وغيره فلولا
لا تسخير الله اياه للخلق وتعليمه اياهم الحيل التي بها يوصل الى ما فيه من الاموال النفيسة والا ما قدروا على استخراج ما فيه
والوصول اليه لشدة اهواله وافزاعه وقوله عز وجل لتاكلوا منه لحما طريا يحتمل السمك خاصة ويحتمل السمك وما فيه
من الدواب من نوع ما لو كان بريا لكل من نحو الجواميس وغيرها وقوله عز وجل وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يحتمل الحلية
اللؤلؤ والمرجان الذي ذكر في اية اخرى حيث قال يخرج منها اللؤلؤ والمرجان ثم يحتمل قوله حلية اي ما يتخذ منه حلية
وهذا جائز ان يسمى الشيء باسم ما يتخذ منه وباسم ما يصير في المنقلب او يسمى حلية لانه زينة ولا شك ان اللؤلؤ والمرجان
هما زينة وجمال وفي الخيل والبغال كذلك فالزينة في اللؤلؤ والمرجان اكثر والجمال فيه اظهر اخبر انه جعل لنا الوصول الى
الثاني قعر البحر وهو ما ذكر من اللؤلؤ وانواع الحلي وما في بطن البحر وهو ما ذكر من اللحم الطري وما هو على وجه الماء وهو السفن
التي ذكر وجه تسخيره اياه الحيل والاسباب التي علمنا حتى نصل الى ما فيه فكانه قال سخرت لكم البحر من اسفله الى اعلاه
وفي ذلك دلالة اباحة التجارة بركوب الاخطار لان الغائص في البحر يخطر بنفسه وروحه وكذلك راكب
السفن فاول انه مباح له طلب ذلك والاية ما ذكر هذا في منه الا وهو يخرج مخرج ذكر الامتنان والله اعلم وقوله عز وجل
وترى الفلك مواخر فيه قال الحسن والاصم المواخر السفن المحشوات المواقرة حمالها واثقالها يذكر منته التي من بها
عليهم حيث جعل لهم السفن والفلك التي يحمل بها الاحمال الثقال العظام في البحار مما سبيلها التسفل والانحدار في البحر
فامسكها فيه بالسفن العظام المثقلة وقال بعضهم مواخر اي جارية مقبلة مدبرة بريح واحدة في البحر لان ماء
البحر راكد فاجرى السفن فيه بالرياح حيث اراد والقصد وان الاشياء قد تجري على جري الماء اذا كان له جرية واما
اذا كان راكدا ساكنا فلا سبيل الى ذلك فيذكر عظيم منه وقدرته على اجراء السفن في الماء الراكد بالريح وقال بعضهم
مواخر اي جواري تشق الماء شقا وتخرقه يقال مخرت السفينة ومنه مخر الارض انما هو شق الماء لها وهو قول القتبي
فكذلك قال ابو عبيدة انه من شق السفن الماء وقال ابو عوسجة المواخر المستقبلة يقال استمخرت الريح اذا استقبلتها
وقال ابو عبيدة واخر من الاسند ... يقال اذا اراد احدكم البول فليستمخر الريح اي ينظر برها والله اعلم وقوله عز وجل
ولتبتغوا من فضله يحتمل بالتجارة التي جعل فيها حيث جعل سبيل قطع البحار الى بلاد نائية بعيدة بالسفن
لتبتغوا ما به قوام ابدانهم وانفسهم اذ جعل بنيتهم بنية لا تقوم الا بالاغذية ولعلهم لا يظفرون
ما به قوام ابدانهم وبنيتهم في بلادهم فيحتاجون الى البلاد النائية البعيدة عنهم فمن عليهم بذلك
كما من بقطع المفاوز والبراري بالدواب بقوله وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
او قال ولتبتغوا من فضله بما يستخرج منه ولعلكم تشكرون جميع ما ذكر من الوان النعم والمنافع من
اول السورة الى اخرها بما دعي به شكره وفي قوله ولتبتغوا من فضله دلالة اباحة التجارة وطلب
الفضل بركوب الاخطار واحتمال الشدائد حيث اخبر انه سخر البحر حتى امكنهم ركوبه بالحيل والاسباب
التي علمها لهم لان الغواص يخطر بروحه ونفسه وكذلك راكب السفينة وقوله عز وجل والقى في الارض رواسي ان
تميد بكم اي القى في الارض رواسي لئلا تميد بكم لانها بسطت على الماء فكانت تتكفأ باهلها كما تتكفأ السفينة في
الماء فاثبتها بالجبال لئلا تتكفأ باهلها لكن لو كان على ما ذكروا انها بسطت على الماء لكانت لا تتكفأ ولا تضطرب
ولكنها تسرب في الماء وترسب فيه لان من طبعها التسفل والتسرب في الماء الا ان يقال ان الله عز وجل جعل بلطفه
طبعها طبع ما يضطرب ويتكفأ فعند ذلك يحتمل ما ذكروا والله اعلم ولو قالوا انها بسطت على الريح لكان يحتمل
ما قالوا ويكون اشبه بقولهم الا ترى ان السراج في الابار والسروب لا يضيء بل ينطفئ كالسراج فيشبه ان يكون
انطفاؤه لريح يكون في الارض وقد ذكرنا هذا فيما تقدم والله اعلم بذلك وقال بعضهم بسطت على ظهور
الثور فكانت تضطرب بتحركه فارسيها بما ذكروا والله اعلم ثم قوله والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا
يخرج ذكر ذلك منه ذكر الامتنان والنعمة لانه له ان يترك الارض على ما خلقها ولا يثبتها بالجبال لتميد باهلها وتقلبها

فلو يقدر

فلو يقدروا على القرار عليها والانتفاع بها لكنه بفضله ومنه اثبتها بالجبال ليقروا عليها ويقدروا على الانتفاع بها
وكذلك له ان لا يجعل لهم فيها انهارا جارية فيكون مياههم من آبارها وكذلك له ان يحوجهم بانواع الحوائج
ثم لا يبين لهم الطرق والسبل التي بها يصلون الى قضاء حوائجهم ويكلفهم طلب الطرق والسبل التي بها يصلون
الى قضاء حوائجهم ويكلفهم طلب الطرق والسبل التي بها يقضي حوائجه بانواع الحوائج ثم لا يبين لهم الطرق
والسبل لكنه بفضله ومنه بين لهم الطرق والسبل التي تفضي الى البلدان والامكنة التي فيها تقضى حوائجهم
وكذلك بفضله جعل لهم في الارض انهارا جارية واثبت الارض بالرواسي ليقروا عليها وذلك كله بمنه وفضله
وقوله عز وجل لعلكم تهتدون الطرق والسبل التي تقضيهم الى الحوائج ويحتمل تهتدون الهدى والمعروف بما ذكر
من نعمه ومنه والله اعلم وقوله عز وجل وعلامات وبالنجم هم يهتدون هذا ايضا يخرج مخرج ذكر المنن
والنعم عليهم لانه لو ما جعل الله اعلاما في البحار والبراري يعرفون بها المسلوك فيها والا لم يقدر احد معرفة
الطرق في البحار والبراري ثم يحتمل الاعلام معرفة طعم الماء والجبال التي جعل فيها وبالرياح ومرة تكون
بالنجم يعرفون بطعم الماء ان هذا الطريق يفضي الى موضع كذا وكذلك يعرفون بالجبال وبالرياح يعرفون السبل
الى حوائجهم ومقصودهم وكذلك بالنجم يعرفون الطرق فالاعلام مختلفة بها يهتدون الطرق والسبل ويحتمل
يهتدون بما ذكر من الاعلام والنجم سبب اهتدائهم الى توحيد الله وقوله عز وجل افمن يخلق كمن لا يخلق افلا
تذكرون يحتمل هذا وجهين احدهما على الاحتجاج عليهم اي لا تجعلوا من لا يخلق ولا ينفع ولا ينعم كمن هو خالق
الاشياء كلها ومنعم النعم عليكم افلا تذكرون اي ان صرف العبادة والشكر لمن تعبر خالقكم وغير منعمكم جور وظلم و
الثاني يخرج مخرج تسفيه احلامهم انهم يعبدون من يعلمون انه ليس بخالق ويتركون عبادة من يعلمون انه
خالق الاشياء كلها افلا تذكرون والله اعلم وقوله عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا يحتمل
وجوها وان تعدوا انفس نعمة الله التي انعمها عليكم واعينها لا تقدروا على عدها لكثرتها والثاني وان تعدوا
وان تكلفتم واجتهدتم كل جهدكم ان تقوموا الشكر لما انعم الله عليكم ومما قدرتم على القيام لشكر واحدة منها
فضلا ان تقوموا للكل والثالث يخرج على العتاب والتوبيخ اي كيف فرغتم العبادة من لا يخلق ولا ينعم عن عبادة
من خلق وانعم وكنتم لا تقدرون على احصاء ما انعم عليكم فضلا ان تقوموا الشكره وقال الحسن في قوله وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها لا تعرفوا كل النعم لان كثيرا من النعم ما لا يعرفه الخلق كقوله نعمه ظاهرة وباطنة فاذا لم يعلموا
يقدروا احصاها وقوله عز وجل ان الله لغفور رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما انكم وان افتريتم على الله وعاندتم
حججه واياته وكذبتم رسله فاذا استغفرتم وتبتم عما كان ذلك منكم يغفر لكم ذلك كله كقوله ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف والثاني لغفور اي يستر عليكم ما كان منكم ما لو اظهر ذلك لافتضحتم لكنه برحمته ستر ذلك عليكم
رحيم بالستر عليكم او ذكر لغفور رحيم على اثر ذكر النعم وانواع المنافع ليكونوا رحماء على ما ذكر مما سخر لنا واذل
والله اعلم وقوله عز وجل والله يعلم ما تسرون وما تعلنون هذا يخرج على وجهين احدهما ذكر هذا ليكونوا ابدا
واحذر لان في الشاهد من يعلم ان عليه رقيبا حافظا ما يفعل كان هو اراقب واحفظ لاعماله ويكون احذر ممن يعلم
انه ليس عليه حافظ ولا رقيب والثاني يعلم ما تسرون من المكر برسول الله والكيد له من القتل والاخراج وغير
ذلك كله منكم ما اسررتم واعلنتم وهو يخرج على نهاية الوعيد والتنبيه وقوله عز وجل والذين يدعون من دون
الله يحتمل يدعون اي يسمونها الهة وربما كانوا يدعونهم عند الحاجة ويحتمل يدعون يعبدون اي الذين يعبدون
من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فهذا يرجع الى الاول افمن يخلق كمن لا يخلق وقوله عز وجل اموات
غير احياء الاية يحتمل المراد بقوله اموات غير احياء الذين عبدوا الاوثان وجميع من كفر بالله هم اموات غير احياء
لان الله تعالى سمى الكافر في غير اي من القران ميتا فيشبه ان يكون قوله اموات غير احياء ايضا وما يشعرون
ايان يبعثون اي يشعرون حين يبعثون اي لو شعروا هذا في الدنيا ما شعروا في الاخرة لم يعملوا ما عملوا ويحتمل قوله
اموات غير احياء الاصنام التي عبدوها هي اموات غير احياء قال بعضهم اموات لانها لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر
ولا تنفع ولا تضر كالميت غير احياء اي ليس فيها ارواح تنتفع بها كالبهائم والانعام ويكون قوله وما يشعرون
ايان يبعثون راجعا الى الذين عبدوا الاصنام لانها لا تشعر ايان يبعثون وهم يعلمون انها لا تشعر ذلك لكنهم
يشعرون حين يبعثون وقال بعضهم قوله وما يشعرون ايان يبعثون يبعث الالهة والذين عبدوها جميعا كقوله
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقوله احشروا الذين ظلموا
وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وقال بعضهم يحشر اولئك الذين عبدوا الاصنام وما يشعرون
هم ايان يبعثون اي حين يبعثون وما شعروا ذلك في الدنيا ما فعلوا وان كان قوله والذين يدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون راجعا الى الملائكة والملوك الذين عبدوا دون الله يكون تاويل قوله وما يشعرون
ايان يبعثون اي لا يشعرون وقت يبعثون وان كان راجعا الى الاصنام فقوله وما يشعرون ايان يبعثون
اي لا يشعرون انهم يبعثون لا يحتمل ان يكون قوله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ان يقال ذلك في الاصنام لان
اولئك يعلمون انهم لا يخلقون وانما يقال ذلك في الاصنام لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع فدل ان ذلك راجع الى
الملائكة والذين عبدوهم وقوله عز وجل والهكم اله واحد قد ذكرنا فيما تقدم ما يبين ابطال ما كانوا يعبدون من دون الله

يليق بما شاء لها العبادة لها وضلهم الهة ثم ذكر ما يبين جعل الالوهية والربوبية انه لواحد وانه هو المستحق لذلك دون
العدد الذي عبد وهما فقال الهكم اله واحد لا العدد الذي عبدوا اولئك وقوله عز وجل فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم
منكرة يحتمل قوله قلوبهم منكرة اي منكرة للايمان بالاخرة والبعث بعد الموت او قلوبهم منكرة بجعل الالوهية والربوبية
لواحد وصرف العبادة اليه كقولهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ويحتمل قوله قلوبهم منكرة لما جاء به
الرسول لهم مستكبرون على ما جاء به من الله وقوله عز وجل وهم مستكبرون يحتمل مستكبرون على رسول الله لم يروه اهلا
للخضوع لامثالهم لمثله او مستكبرون الى ما دعاهم الرسل لان الرسل جميعا دعوا الخلق الى واحدانية الله وجعل العبادة له
وقوله عز وجل لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون يحتمل قوله ما يسرون من المكر برسول الله والكيد له وما يعلنون من
المظاهرة عليه او يعلم ما يسرون من اعمالهم الخبيثة التي اسروها واعلنوها يخبر انه لا يخفى عليه شيء من اعمالهم اسروا او اعلنوا
او قوله لا جرم قال الحسن لا جرم كلمة تستعملها العرب في ايجاب تحقيق او نفي تحقيق كقولهم حقا ولعمري وايم الله ونحوه وقال
الحسن هو كلمة وعيد وقال بعضهم لا جرم حقا وبلى ولا بد وكله في الحاصل يرجع الى واحد وهو وعيد لان في قوله يعلم
يعلم ما يسرون وما يعلنون لوعيد والله اعلم وقوله عز وجل انه لا يحب المستكبرين لانه لا يحب الاستكبار ولا يليق لاحد
من الخلائق ان يتكبر على غيره من الخلق لان الخلق كلهم اشكال وامثال ولا يجوز لكل ذي مثل وشكل ان يتكبر على شكله لان
تكبر بعض على بعض كذب وزور واذ جعل كلهم امثالا واشكالا لذلك كان زورا وكذبا وقد حرم الله الكذب والزور وجعله
قبيحا في العقول وقوله عز وجل واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين اي قال الاتباع للرؤساء ماذا انزل
ربكم قال الرؤساء انزل اساطير الاولين جواب سؤالهم ماذا انزل ربكم مغرفا لانهم كانوا يقرون الله بقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلا يحتمل ان يكونوا اذا سئلوا ماذا انزل ربكم فيقولون اساطير
الاولين الا ان يكون في السؤال او في الجواب اضمار فيكون والله اعلم كانه قال واذا قيل لهم ما كان يزعم هو هذا انه
انزل عليه ربكم قالوا عند ذلك يقول اساطير الاولين كقوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي قالوا يا ايها الذي يزعم
انه نزل عليه الذكر او يكون قوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم فقالوا لم ينزل الله شيئا انما يقول اساطير الاولين كقوله
وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي قالوا يا ايها الذي يزعم انه نزل عليه الذكر او يكون قوله واذا قيل لهم ماذا انزل
ربكم فقالوا لم ينزل الله شيئا انما يقول اساطير الاولين ومثل هذا يحتمل ان يكون وقوله اساطير الاولين قال ابو عوسجة احاديث
الاولين والواحد سطور وهي الاحاديث المختلفة كقوله ان هذا الا اختلاق اي لا اصل له واصله الكذب وهكذا عادة اولئك
الكفرة يقولون للانبياء اساطير الاولين وكانوا ينسبون ما يقرأ عليهم الى السحر ولو كان في الحقيقة سحرا واحاديث الاولين كان
دليلا له وقالوا ذلك على الاستهزاء وذلك جائز ان يخرج قولهم ذلك على الاستهزاء والله اعلم وقوله عز وجل ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم هذا يحتمل وجهين احدهما انهم يحملون اوزارهم كاملة يعني الذين
قالوا للرسل اساطير الاولين ومن اوزار الذين يقلدون رسلهم ووقدم الذين بعثوا عن السؤال عن رسول الله تحملوا
اولا اوزار انفسهم واوزار الذين يقلدون الرسل ويقتدون بهم بغير علم لانهم لم يحملوا ان اولئك يقتدون
بالرسل فيضلون وهم وان لم يعلموا فذلك عليهم لانهم هم الذين سنوا ذلك وهو كما روي من سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ويحتمل ليحملوا اوزارهم ومن اوزار الذين طمعوا الاسلام اذا اسلموا سقط تلك
الاوزار عنهم وقوله ليحملوا اوزارهم هم لم يفعلوا ما فعلوا ليحملوا اوزارهم ولكن معناه والله اعلم او ليصيروا حاملين
لاوزارهم الذين اضلوهم وقوله عز وجل بغير علم يحتمل بغير علم اي ليفقه الا ساء ما يزرون اي ساء ما يحملوا ان تصير اوزارهم
عليهم او لم يعلموا ما يلحق بهم وقوله عز وجل قد مكر الذين من قبلهم لم يزل كانت عادة الكفرة المكر برسل الله والكيد لهم
وكذلك مكر كفار مكة برسول الله يذكر هذا والله اعلم لرسول الله ليصبره على اذاهم اياه كما صبر اولئك على مكر قومهم
وترك مكافاتهم اياهم كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم مكرهم الذي ذكر كان يخرج على وجهين احدهما فيما
جاءت به الرسل كانوا يتكلفون تلبيس ما جاءت به الرسل على قومهم والثاني يرجع مكرهم الى نفس الرسل من الهم بقتلهم
واخراجهم من بين اظهرهم ونحوه نحو ما فعل بذلك اهل مكة بصنيعهم لرسول الله ان ينزل بهم كما نزل باولئك الذين مكروا
برسلهم لئلا يعاملوه بمثل معاملة اولئك رسلهم والله اعلم وقوله عز وجل فاتى الله بنيانهم من القواعد قال الحسن
هذا على التمثيل بالبناء الذي بني على غير اساس يتهدم ولا يعلم من اي سبب انهدم فعلى ذلك مكرهم يبطل ويتلاشى كالبناء
الذي بني على غير اساس ويشبه ان يكون على التمثيل من غير هذا الوجه وهو انهم قد مكروا واحكموا مكرهم بهم ليتحصنون
بذلك كالبناء الذي يتحصن به فابطل الله مكرهم كقوله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا الاية وقوله ومكروا ومكر الله الاية
وقوله عز وجل فخر عليهم السقف من فوقهم هو ما ذكرنا من ابطال مكرهم الذي به كانوا يتحصنون كوقوع السقف الذي به
يتحصن من انواع الاذى والشرور ويحتمل على التحقيق وهو ما نزل بقوم لوط من الخسف وتقليب البنيان وامطار الحجارة عليها
واما ما ذكر بعض اهل التاويل من الصرح الذي بنى نمرود وبنيانه ووقوعه عليهم فانا لا نعلم ذلك وقوله عز وجل
واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون كذلك كان يأتي العذاب الظلمة الكذبة من حيث لا علم لهم بذلك كقوله فاخذناهم
بغتة الاية وقوله فاتى الله بنيانهم هو من الاتيان ومعلوم انه لا يعني من اتيانه الاشتغال من مكان ولكن اتيان
عذابه اضيف اليه الاتيان لما بامره يأتيهم ومنه فعلى ذلك لا يفهم من قوله وجاء ربك وقوله
الا ان يأتيهم الله في ظلل لا يعني اتيان الانتقال وحجبه من مكان الى مكان وقد ذكرنا هذا وامثاله في غير موضع وقوله

بيان في تاويل

عز وجل ثم يوم القيمة يخزيهم اخبر انه يخزيهم يوم القيمة بعد ما عذبهم في الدنيا بقوله واتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون وقوله يخزيهم قال اهل التاويل يعذبهم وكان الاخزاء هو الاذلال والاهانة والفضح يذلهم ويهينهم
ويفضحهم في الاخرة مكان ما كان منهم من الاستكبار والتجبر على النبي واصحابه وكذلك قوله يوم لا يخزي الله
النبي والذين امنوا اي لا يذلهم ولا يهينهم لتواضعه للمؤمنين وخفض جناحه لهم والله اعلم وقوله عز وجل
ويقول اين شركاءي الذين كنتم تشاقون فيهم اي تعادون اولياءي فيهم او تعادونني فيهم وقوله اين شركاءي لم يثبت له
شركاء ولكن اضاف الى نفسه شركاء على ما زعمتم في الدنيا انها شركاؤه وكذلك قوله فراغ الى الهتهم اي الى ما في
زعمهم وتسميتهم اياها الهة وقوله عز وجل كنتم تشاقون فيهم اي كنتم تخالفون فيهم وتعادون اي تخالفون
المؤمنين في عبادتهم اياها لانهم يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه كانوا
يخالفون المؤمنين وكانوا يشاقون في ذلك الا انه اضاف ذلك الى نفسه لانهما اولياؤه وانصار دين الله واضاف
اليه المخالفة والمشاقة لانهم خالفوا امر الله وقوله قال الذين اوتوا العلم قال اهل التاويل الذين اوتوا العلم
الملائكة الكرام الكاتبون هم وغيرهم من المؤمنين يحتمل وقوله عز وجل ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين اي
الذل والهوان والافتضاح وكل سوء على الكافرين هكذا ابدا بل كل معاند ومكابر في حجج الله وبراهينه
مكان استكبارهم وتجبرهم في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة قال الحسن تتوفاهم الملائكة
من بين يدي الله يوم الحساب الى النار وقال بعضهم تتوفاهم الملائكة وقت قبض ارواحهم ظالمي انفسهم بالشرك
والكفر بالله على تاويل الحسن يكون قوله ظالمي انفسهم في الدنيا ويجوز ان يوصفوا بالظلم في الاخرة ايضا بكذبهم
فيها في قولهم ما كنا نعمل من سوء وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وامثاله من الكذب حيث ينكرون الاشراك
في الوهية الله وعبادته كان هذا الانكار والكذب منهم في اول حالهم ظنا منهم ان ذلك ينفعهم فاذا لم ينفعهم
انكارهم طلبوا الرد الى الدنيا او الى حال الامن ليعملوا غير الذي عملوا كقولهم او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فاذا لم
يردوا وايسوا عن ذلك فعند ذلك انطلق الله جوارحهم حتى تشهد عليهم بما كان منهم فعند ذلك يقرون
ويعترفون بذنوبهم كقوله فاعترفوا بذنبهم وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فالقوا السلم
قال بعضهم يسلمون ويستسلمون لامر الله ولكن لو كان ما ذكروا لم يكونوا ينكرون عمل السوء كقولهم ما كنا نعمل
من سوء وقال بعضهم فالقوا السلم هو الاستخذاء والخضوع والتضرع ويشبه ان يكون قوله فالقوا السلم عند
الموت يؤمنون عند معاينة ذلك او سلموا عليهم في الاخرة على ما راوا في الدنيا المؤمنين يسلم بعضهم على بعض
وقوله عز وجل ما كنا نعمل من سوء في الاخرة والله اعلم بذلك فاكذبهم الله في قولهم ما كنا نعمل من سوء فقال
بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون هذا وعيد يخبر انه لا يجوز كذبهم في الاخرة ولا يحتمل كما جاز في الدنيا ولم يظهره
وقوله عز وجل فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها وقوله فلبئس مثوى المتكبرين اي بئس مقام المتكبرين الذين تكبروا
على دين الله او تكبروا على ما جاء به الرسل من الله وما انزل الله عليهم وقوله عز وجل وقيل للذين اتقوا ماذا انزل
ربكم قالوا خيرا قال اهل التاويل هذا قول المؤمنين مقابل قول المشركين واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير
الاولين ثم اختلف في قوله قالوا خيرا قال بعضهم قوله قالوا خيرا اي قولهم الذي قالوا انه رسل بحق وانه كذا خبر
وقال بعضهم قوله قالوا خيرا حكاية عما انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيرا اي انزل عليه ربنا خيرا
وان يكون الناس الذين يأتون من الافاق يسألون عن رسول الله صلى الله فاذا سألوا المؤمنين ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا واذا سألوا الكفرة قالوا اساطير الاولين وجائز ان يكون اتباع المؤمنين سألوا كبراءهم ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا مقابل ما كان من كبراء الكفرة لاتباعهم اساطير الاولين وقوله عز وجل للذين احسنوا
في هذه الدنيا حسنة من النصر لهم والظفر على عدوهم ولدار الاخرة خير لهم مما كان اعطاهم في الدنيا وقالوا
بعضهم للذين احسنوا العمل في هذه الدنيا لهم حسنة في الاخرة ولدار الاخرة خير لهم مما كان اعطاهم في الدنيا
اي الجنة خير وافضل للمؤمنين مما اوتوا في الدنيا ولنعم دار المتقين قال هذا للمؤمنين مكان ما قال للكافرين
فلبئس مثوى المتكبرين ثم نعت الدار التي وعد للمتقين فقال جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار
لهم فيها ما يشاؤون من اللذات والشهوات فان قيل ارايت لو شاؤوا ان يكون لهم درجات الانبياء ومنازل الابرار
والصديقين ايكون لهم ما شاؤوا قيل لا يشاؤون هذا لان مثل هذا انما يكون في الدنيا اما حسدا واما تمنيا فلا
يكون في الجنة حسد لان الحسد هو ان يرى لاحد شيئا ليس له فيحسده ويتمنى مثله فاهل الجنة يجدون جميع
ما يتمنون ويخطر ببالهم فلا معنى لسؤالهم ربهم ما لغيرهم والله اعلم وقوله عز وجل كذلك يجزي الله المتقين
ظاهر وقوله عز وجل الذين تتوفاهم الملائكة طيبين على تاويل الحسن تتوفاهم الملائكة وهم طيبون من بين يدي
يوم الحساب يقولون لهم سلام عليكم ادخلوا الجنة وقد ذكر ان السلام هو تحية جعل الله بين الخلق في الدنيا
والاخرة وقد ذكرنا في غير موضع وقال بعضهم الذين تتوفاهم الملائكة يقبضهم الارواح في الدنيا يقبضون
ارواحهم وهم طيبون وقال بعضهم طيبون احياء وامواتا وهم المؤمنون الذين طابت اعمالهم في الدنيا يحتمل
السلام وجهين احدهما تحيتهم الملائكة بالسلام في الجنة كما يحيي اهل الايمان في الدنيا بعضهم بعضا والثاني السلام يكون
منهم امنا من جميع الافات والمكروهات والله اعلم وقوله عز وجل هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر

وبك هذا الحرف يخرج على الاياس منا بما هم الا ما ينتظرون الا اتيانهم الا وقت قبض ارواحهم او وقت نزول العذاب عليهم اي لا يؤمنون الا في هذين الوقتين ولا ينفعهم ايمانهم في هذين الوقتين لان ايمانهم ايمان اضطرار كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته عند معاينتهم باس الله لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت يخبر انهم ينتظرون ذلك الوقت يؤمنون رسوله عند ايمانهم انهم لا يؤمنون ليرفع عنه مؤنة الدعاء الى الايمان والقتال معهم وقيل او ياتي امر ربك يحتمل العذاب في الدنيا ويحتمل عند معاينتهم العذاب في الاخرة وقوله عز وجل كذلك فعل الذين من قبلهم هذا يحتمل وجهين احدهما كذلك فعل المعاندون والمكابرون والذين كانوا من قبل برسلهم من التكذيب لهم والعناد وتركهم الايمان الى الوقت الذي ذكرنا فعل قومك من التكذيب لك بالحجج والعناد ويحتمل كذلك فعل الذين من قبلهم اي كما انزل العذاب بمن كان قبل قومك بتكذيبهم الرسل وعنادهم وسعيهم والله اعلم وقوله عز وجل وما ظلمهم الله باخذ بهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث وضعوا انفسهم في غير موضعها الذي وضعها الله وحيث صرفوها عن عبادة من نفعهم وانعم عليهم واستحق ذلك عليهم الى من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يستحق العبادة فهم ظلموا انفسهم حيث صرفوها عن عبادة من نفعهم وانعم عليهم واستحق ذلك عليهم الى من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يستحق العبادة فهم ظلموا انفسهم حيث صرفوها عن الحكمة الى غير الحكمة لان الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه والحكمة هي وضع الشيء في موضعه فهم وضعوا انفسهم في غير موضعها … في المواضع التي توجب الحكمة ومنعها وقوله عز وجل هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة … كان قال ما ينظرون الا … الحجج الحسيات الا نزول الملائكة بالعذاب من الله فهل على عليهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقام عليهم الحجج السمعيات والعقليات والحسيات فلم يؤمنوا ولم يصدقوه فيقول انهم ما ينتظرون الا الحجج التي تقهرهم وتضطرهم فعند ذلك يؤمنون وهو ما ذكر من نزول العذاب بهم او يقول ما ينظرون بايمانهم الا الوقت الذي لا ينفعهم ايمانهم وهو الوقت الذي يخرج انفسهم من ابدانهم فاخبر … ايمانهم لا ينفعهم في ذلك … وقوله عز وجل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم وقال في سورة الانعام كذلك كذب الذين من قبلهم … وقال قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وقال ههنا فهل على الرسل الا البلاغ المبين وهل هو حرف استفهام في الظاهر لكن المراد منه ما على الرسول الا البلاغ المبين على ما قال واهل التاويل … وكذلك قوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة اي ما ينظرون … وامثالها لما سبق من الله ما يبين لهم ان ليس الاوثان ما وقد ذكر قوله وقال الذين اشركوا في سورة الانعام ويحتمل قولهم هذا وجوها قالوا ذلك على الاستهزاء كقوله ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا والثاني قولهم لو شاء الله اي لو امر الله ان نعبده ولا نعبد غيره لفعلنا كقوله والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها الاية والثالث قالوا لو لم يرض الله منا ذلك ما تركنا فعلنا ذلك ولكن اهلكنا وقوله عز وجل ولقد بعثنا في كل امة رسولا يخبر رسوله انك لست باول مبعوث الى امتك ولكن قد بعث الى كل امة رسولا وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير صبره على ما يصيبه منهم من المكروه والاذى اي لست انت باول من يصيبه ذلك بل كان الرسل قبلك اصابهم من امتهم ما يصيبك من امتك وقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله هو على الاضمار كانه قال ولقد بعثنا في كل امة رسولا وقلنا لهم قولوا ان اعبدوا الله الاية ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت على ذلك كان بعث الرسل جميعا الى قومهم بالدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له والنهي من عبادة الاوثان دونه كقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ويكون قوله اجتنبوا الطاغوت كقوله ما لكم من اله غيره هما واحد والطاغوت قال بعضهم كل من عبد دون الله فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت هو الشيطان اضيف العبادة اليه بقوله ولا نعبد الشيطان لان من يعبده ويعبده بامره فاضيف لذلك اليه وقد ذكرنا هذا ايضا فيما تقدم وقوله عز وجل فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا يدل انه لم يرد بالهدى البيان على ما قاله بعض الناس اذ قد سبق منه البيان لكل احد وما ذكر ايضا ومنهم من حقت عليه الضلالة وهذا يرد على المعتزلة قولهم حيث قالوا الهدى البيان من الله لكن الهدى منه في هذا الموضع ليس هو البيان هو ما يكرم الله به عبده ويوفقه لدينه وقوله فمنهم من هدى الله لاختياره الهدى ومنهم من حقت عليه الضلالة اي لزمت لزوم الضلالة واختياره اياه وقوله عز وجل فسيروا في الارض قال الحسن قوله فسيروا ليس على الامر ولكن كانه قال او سرتم في الارض لرايتم كيف كان عاقبة المكذبين بالتكذيب وقال بعضهم سيروا لكانه على الحجاج عليهم ان سيروا في الارض فانكم ترون اثار من كان قبلكم الذين اهلكوا بالتكذيب كان النبي يخبرهم من انباء الامم الخالية وما نزل بهم فينكرون ذلك فقال عند ذلك فسيروا في الارض فانظروا الى اثار من كان قبلكم ويشبه ان يكون ليس على السير نفسه ولكن على التامل والنظر في اثار اولئك وامورهم انه بم نزل بهم ما نزل والله اعلم وقوله عز وجل ان تحرص على هديهم قال ابو بكر الاصم كان يحب ويحرص على هدى قرابات كقوله انك لا تهدي من احببت فقال فان الله لا يهدي

من ضل اي لا يهديهم بضلالهم وقت ضلالهم او لا يهدي وقت اختيارهم الضلال او لا يهدي من علم الله يختار الضلال ولا ينجي من يهلك عن الضلال وفيه لغات ثلاث فان الله لا يهدي اي لا يهدي من اضله الله اي اذا اضله الله فليس احد يهديه ولا يهدي من يضل ما ذكرنا ولا يهدي من يضل اي لا يهتدي من اضله الله والله اعلم بذلك او لا يهتدي في الشرع طريق الجنة من اضله الله في الدنيا لاختياره الضلال وهو كقوله والله لا يهدي القوم الكافرين والله لا يهدي القوم الظالمين وقت اختيارهم الكفر والظلم او لا يهدي من علم منه ان يختار الضلالة والظلم او لا يهدي من يلزم الضلال وقت لزومه وقوله عز وجل وما لهم من ناصرين ظاهرنا وبلية وقوله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فان قيل لنا ما الحكمة والفائدة في ذكر قسمهم الذي اقسموا في القران وجعل ذلك ايتلى وذلك القسم الذي اقسموا كان بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم علموا حالهم الانباء والقصص التي كانت من قبل اذا كان ذلك شيئا بعينه لم يشهدها فاخبرهم على ما كان ففي ذلك اثبات رسالته ونبوته فالحكمة والفائدة من ذكرها في القران وجعلها ايات تتلى ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى واما القسم الذي اقسموا ليس فيه ما ذكرنا من اثبات الرسالة وهم قد علموا ذلك فما الفائدة في ذكره قيل يشبه ان يكون ذكره لنا عز وجل لنعلم نحن عظيم سفه اولئك وقلة عقولهم وحلم الرسول واحتماله لما احتمل منهم من الاذى والمكروه لنعلم نحن انه كيف نعامل السفهاء واهل العناد والعصاة من الناس على ما عامل رسل الله اقوامهم مع عظيم سفههم وقلة عقلهم فهذا ذلك فائدة ذكر قسمهم في القران فيه تكلف اولئك الكفرة الكبراء منهم في تلبيسهم بالبعث والحجج التي اتت بها الرسل مرة بالقسم الذي ذكر حيث اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لا يبعثون ومرة بالنسبة الى السحر ومرة بالافتراء ومرة بالنسبة الى الجنون وقد لا نعلم بانه انما تعلمه بشر … ذلك التلبيس على الاتباع ثم البعث واجب بالعقل والحكمة واخبار الرسل انه ليس خبرا اصدق من اخبار الرسل … وهم ممن يقبلون الاخبار فاخبار الرسل اولى بالقبول والتصديق من غيره لان معهم الايات صدقهم ولا تلزم تحقيقهم واما العقل فهو ان يكون هذا العالم والانشاء للفنا خاصة خارج عن الحكمة اذ كل عمل لا يكون له عاقبة عبث وهو كما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا لانه اخبر انه لو لم يكن رجوع اليه يكون خلقه اياهم عبثا واما الحكمة فهي ان لا تفاوت … والمطيع والعاصي … ولو لم يكن بعث والحيوة قبل الموت ليتقم من الظالم … ويجزي المحسنين لاحسانه يذهب فائدة الترغيب على الطاعة والاحسان ووعيد الظالم بالانتقام فالبعث واجب للوجوه التي ذكرنا والتفريق بين الاولياء والاعداء وقد جمعهم في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينها وقوله جهد ايمانهم لان مشركي العرب كانوا لا يقسمون بالله لو ما يعظم من الامر ويشتد عليهم تعظيما له واجلالا انما كانوا يقسمون بالاصنام والاوثان التي عبدوها فاذا حلفوا بالله لان يعظم من الامر فذلك جهد ايمانهم وقوله عز وجل بلى وعدا عليه حقا قوله بلى رد على قولهم لا يبعث الله من يموت فقال بلى يبعث وقوله وعدا عليه حقا يحتمل وعدا اي وعد البعث حق عليه ان ينجز ما وعد الخلقا عليه ان بعد البعث والانجاز له والله اعلم وقوله عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهذا يحتمل وجهين احدهما انه نفى منهم العلم لما لم ينتفعوا بعلمهم فهو كنفي علم السمع والبصر وغيرهما من الحواس بانهم لم ينتفعوا بها الانتفاع بما له كان خلقها فنفى ذلك عنهم والثاني نفى عنهم ذلك على حقيقة النفي لانهم لم ينظروا ولم يتاملوا في الاسباب التي بها جعل لهم الوصول الى العلم فلم يعلموا ثم لم يعذرهم بجهلهم ذلك لما جعل لهم سبيل الوصول الى علم ذلك بالنظر والتامل في الايات والحجج لكنهم شغلوا انفسهم في غيرها ولم ينظروا في الاسباب التي جعلها لهم سبيل الوصول اليه فهذا يدل ان من جهل امر الله ونهيه يكون مؤاخذا به بعد ان جعل له سبيل الوصول اليه بالدلائل والاشارات فلو يخرج مؤاخذته اياه وعقوبته بترك امره عن الحكمة واما في الشاهد من امر عبده شيئا ولم يعلمه بالامر ثم عاقبه بترك ذلك فهو خارج عن الحكمة اذ لا سبيل الى الوصول بما امر به الا بالتصريح ولم يكن منه تصريح اعلام لذلك كان ما ذكر … او عظيم الوعيد الشديد في الاخرة بقوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل قوله ليعلم الذين كفروا اي ليعلم اتباعهم ان الرؤساء كانوا كاذبين والذي كان الرؤساء منهم كانوا كاذبين عند انفسهم او ان يكون قال ذلك لما ادعى اولئك الكفرة ان الاخرة لهم كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فقال ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في الدعائهم الاخرة لانفسهم ثم قوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه قال بعضهم انما اختلفوا في البعث منهم من صدقه ومنهم من كذبه فقوله يبين لهم ذلك ويحتمل قوله الذي يختلفون فيه اي في الدين والمذهب لانهم اختلفوا في الدين والمذهب وكل من ادعى دينا ومذهبا حتى دعى غيره الى دينه ومذهبه فيتبين لهم الحق منهم من غيره والصادق منهم الكاذب وقوله وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يحتمل كفرهم بالبعث وانكارهم اياه او كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم او وحدانية الله انهم كانوا كاذبين في انكار ما انكروا ليبين لهم ذلك في الاخرة وقوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يخبر عن سرعة نفاذ امره وسهولة الامر عليه انه يكون الشيء من غير كلفة تصيبه ولحقة عين وفيه دلالة ان خلق الشيء ليس هو ذلك الشيء لانه عبر بكن

عن تكوينه ويكون عن المكون وكذا أكنى عنه بالشيء لقوله إنما قولنا لشيء فكنى عنه بوقوع القول عليه والتكوين ثبت
أن التكوين ثبت أن التكوين غير المكون ثم لا يخلو إما أن يكون التكوين بتكوين آخر إلى ما لا نهاية له أو لا بتكوين
وقد بيّنا فسادهما جميعا وهما وجها الحدث ثبت أن الله تعالى موصوف في الأزل وبالله التوفيق والثاني
من فعله كسب سمي كاسبا ومن فعله باسم سمي به فلو كان فعل الله كلية الخلق يسمى به فيسمى ميتا متحركا ساكنا جنبا
طيبا صغيرا كبيرا ونحو ذلك فإذا كان يتعالى عن هذا وقد سمي فاعله مميتا محييا محركا مسكنا جامعا مفرقا ثبت أن فعله
هو غير مفعوله وأنه بذاته يفعل الأشياء لا بغيره وفي ذلك لزوم الوصف له به في الأزل والله الموفق وقوله عز وجل
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا كان ظلمهم إياهم على وجوه منهم من ظلم بالإخراج من الديار والطرد من البلد
كقوله إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم الآية ومنهم من ظلم بالمنع من الهجرة ومنهم من
ظلم بالمنع عن إظهار الإسلام والعمل له وأنواع ما أوذوا وظلموا بإظهارهم الإسلام وإجابتهم رسول الله وإتيانهم
إياه ثم وعدهم في الدنيا حسنة فقال لنبوئنهم قيل لنعطينهم وقيل لننزلنهم وغير واحد في الدنيا حسنة يحتمل الحسنة
في الدنيا العز بعد الذل والسعة بعد الضيق والشدة والنصر والغلبة لهم بعد ما كانوا مقهورين مغلوبين في أيدي
الأعداء والذكر والشرف بعدما هو أن هذه الحسنة التي بوأهم في الدنيا ولهم أجر المقاطعة كأنه قال والذين قاطعوا
أرحامهم وأقاربهم وأموالهم ومكاسبهم وديارهم فأبدل الله لهم مكان الأرحام والأقارب
إخوانا ومكان أموالهم ومكاسبهم وديارهم فأبدل الله لهم مكان الأرحام والأقارب إخوانا
أموالهم الأخرى وكذلك الدور وكل شيء تركوا هنالك فأبدلهم مكان ذلك كله وأما قوله ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا
يعلمون يشبه أن يكون ذكر هذا عن هذا كان من الكفرة إنما جزى لهم أجرهم في الدنيا وبواهم فيها وأعزهم ورفع
ذكرهم وأظهرهم ونصرهم حسدهم أهل الكفر بذلك فقال ولأجر الآخرة لهم أكبر وأعظم في الآخرة لو كانوا
يعلمون بما وعدهم في الآخرة ويحتمل أيضا قوله ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون هؤلاء الذين نحن
عليهم احتمال ما أوذوا وظلموا أو يعلمون والله أعلم وقوله عز وجل الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون قال الحسن أي
على ربهم يثقون في الخارج وما وعدهم في الآخرة لم يتجز ذلك ويحتمل قوله صبروا على ما جرى أو صبروا على الهجرة انقطاع
ما ذهب عنهم وغير ذلك ما كان لهم وقوله عز وجل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم هذا والله أعلم يكون
على أثر إنكار من الكفرة نحو ما قال أهل التأويل إنهم قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة ونحوه
من كلامهم فقال وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم أي لا يبشرا إليهم ولا رسل من غير
البشر فيكون قوله إلا رجالا كناية عن البشر أو أن يكون قوله إلا رجالا يوحى إليهم أي لم يبعث من النساء رسولا إنما
بعث الرسل من الرجال إلى الرجال والنساء والله أعلم وقوله عز وجل فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون قال بعضهم أمرنا
الأمر بالسؤال ولكن التوبيخ أي سلوا أهل الذكر لا يخبروكم أنه لم يبعث الرسول من قبل إلا من البشر وقال بعضهم هو على الأمر
بالسؤال أي سلوا أهل الذكر فتقلد وهم أي إن كان لا بد لكم من التقليد فاسألوا أهل الذكر فقلدوهم ولا تقلدوا آباءكم
ومن لا يعرف الكتاب ولكن قلدوا أهل الذكر قال بعضهم فاسألوا أهل الذكر فقلدوهم إن كنتم لا تعلمون بالبينات
والحجج لأنهم كانوا أهل تقليد لم يكونوا أهل نظر وتفكر والحجج والبينات ويحتمل أن يكون قوله إن كنتم لا تعلمون
بالبينات والزبر الرسل التي أتت به الرسل ليخبروكم أن الرسل إنما بعثوا من البشر بالبينات والكتب فيكون على التقديم
الذي ذكره بعض أهل التأويل وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم بالبينات والزبر ويحتمل قوله فاسألوا أهل الذكر
أي أهل الشرف من أهل الكتاب ليبينوا لكم البينات والزبر لأنهم لا يخفون الكتمان والكذب وإن كان أهل الذكر جميع أهل الكتاب
فاسألوا عن الرسل أنهم كانوا من البشر والرجال لا أنهم يعلمون ذلك وقوله وأنزلنا إليك الذكر قيل أنزلنا إليك القرآن
لتبين للناس ما نزل إليهم يحتمل قوله لتبين للناس من أنباء الغيب وما غاب عنهم وما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وتبين
لهم جميع ما يؤتون وما يتقون وما يحل وما يحرم ولعلهم يتفكرون في ذلك ويحتمل قوله وأنزلنا الذكر لتبين ما حرفوا
من كتبهم وبدلوه وغيروه فيكون فيه إثبات رسالتك أو يكون الذي نزل إليه كالمنزل إليهم حيث ذكر أنه يبين لهم ما نزل
إليه والله أعلم وقوله عز وجل أفأمن الذين مكروا السيئات قوله أفأمن قد ذكرنا أنه حرف استفهام إلا أنه من الله غير
محتمل ذلك وهو على الإيجاب ذلك ثم هو يخرج على وجهين أحدهما على الخبر أنهم قد أمنوا مكره والثاني على النهي أي لا تأمنوا
كقوله فأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون هذا يشبه أن يكون على هذا الذي ذكرنا تأويله وخوفهم
مكر الله وعلى النهي أن لا تأمنوا لخبر الخبر لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون الكافرون لأنهم كذبوا الرسل
فيما أوعدوا لهم من العذاب فأمنوا لذلك أو لما لم يعرفوا الله ولم يعرفوا حقوقه ونعمه ونقمته فأمنوا لذلك
وأما من عرف الله وعرف حقه ونعمته وعرف نقمته فإنه لا يأمن مكره والله أعلم ثم قوله مكروا السيئات قال بعضهم
مكرهم السيئات هو ما مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما أوصلوا إليهم من ذلك السيء هم وما ظاهروا عليهم
عدوهم وقال بعضهم مكرهم السيئات هو أعمالهم التي عملوها وكل ذلك قد كان منهم كانوا مكروا برسول الله وأصحابه
وكانوا ظاهروا عليهم عدوهم وقد عملوا أعمالهم الخبيثة السيئة وقوله عز وجل أن يخسف الله بهم الأرض أي أمنوا حين
مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ويأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون في الحال التي لا يكون لهم أمن لا خوف
وقوله عز وجل أو يأخذهم في تقلبهم قيل في أسفارهم وفي تجاراتهم لأن الناس إنما يتقلبون ويتجرون في البلدان

في حال انتهائهم أو يأخذهم على تخوف قال بعضهم على تقريع وقال على تنقص من الأموال وغيره كقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف
والجوع الآية وقال بعضهم أو يأخذهم على تخوف أن يأخذ قرية فقرية وبلدة حتى يأتي قريبا منهم ثم يأخذهم
كلما أخذ قرية كان لهم من ذلك خوف فذلك أخذ بتخوف وهو ما قال ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة
أو تحل قريبا من دارهم الآية وعد الله حلوله قريبا من دارهم كان تخوفهم حتى نزل بساحتهم فذلك أخذ بالتخوف
غير أن عذابه لا يؤمن حلوله وأخذه إياهم في كل حال التي ليس لهم أمن ولا خوف أي لم يغلب هذا على هذا
على هذا وفي الحال التي يكونون آمنين في تقلبهم وحوائجهم وفي الحال التي يكونون متخوفين وقوله عز وجل فإن
ربكم لرؤوف رحيم حيث لم يستأصلكم ولم يأخذكم بما كان منكم من الافتراء على الله والتكذيب لرسله والمكابرة
والمعاندة لحججه وآياته وتعنتكم ولكن أمهلكم وأخر ذلك عنكم أو رؤوف رحيم إذا تبتم ورجعتم عما كان منكم يرحمكم
ويغفر لكم ذلك وقوله عز وجل أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله قوله أولم
يروا يحتمل وجهين أحدهما أي قال ذلك لقوم قد تقرر عندهم وثبت أن كل شيء يسجد لله ويخضع له فقال ذلك
لهم على العتاب لكم قد علمتم أن كل شيء لم يركب فيه العقل ولم يجعل فيه الفهم والتمييز يخضع لله ويسبح له فأنتم
لا تخضعون له فما ركب فيكم العقول وجعل فيكم الأفهام وغيرها والثاني على الأمر أي اعلموا أن كل شيء من خلق الله هو
يسبح له ويخضع وقد أقام لهم من الحجة على ذلك ما لو تأملوا وتفكروا لعلموا أن كل ذلك يخضع ويسبح والأمر
قوله أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله إن يقولوا لم تر أن كان الخطاب لأهل مكة على ما ذكره أهل التأويل
لكن يخرج على هذين الوجهين اللذين ذكرنا ويشبه أن يكون ذكر قوله أولم يروا إلى ما خلق الله الآية لما استوحش
أهل الإسلام مما عبد أولئك الكفرة الأصنام وعظم ما قالوا في الله مما قالوا فقال لذلك أولم يروا إلى كذا وقوله
يتفيؤا ظلاله قال بعضهم يريد بالظلال شخص ذلك الشيء والظلال كناية عن الشخص كما يقال رأيت ظل فلان أي شخصه و
قال بعضهم أراد بالظل الظل نفسه لكن خضوعه وسجوده يكون للشمس والقمر على تأويل من يجعل الظل كناية من الشخص
يجعل كل نفس تفيؤ خضوعا وسجودا ثم معنى سجوده هذه الأشياء الموات وخضوعهن من نحو قوله يتفيؤ ظلاله
عن اليمين والشمائل سجدا لله ومن نحو قوله يسبحن بالعشي والإشراق وقوله يا جبال أوبي معه والطير وقوله وإن
من شيء إلا يسبح بحمده وقوله تكاد السماوات يتفطرن منه وأمثاله يحتمل وجوها أحدها أن يجعل الله عز وجل
بلطفه في سريرة هذه الأشياء معنى نعلم السجود لله والخضوع له وهو كما ذكر في الريح التي تجري بأمره رخاء
حيث أصاب أخبر أنها تجري بأمره دل أنها تعلم أمر الله وقوله شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا
يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أخبر أنها تشهد وتنطق ولولا أنها تفهم
وتعلم الخطاب والأمر ما خوطبت وإن كانت مواتا فعلى ذلك تسبيحها وخضوعها جائز أن يكون الله يجعل في سريرة
هذه الأشياء ما تعرف السجود والتسبيح وتفهمه والثاني يكون سجوده هذه الأشياء وتسبيحها بالتسخير جعلها
مسخرات لذلك ولا نعلم نحن ذلك ولم نعرف لكن جعلها بالخلقة كذلك والثالث أن جعل خلقة هذه الأشياء
دالة وشاهدة على وحدانية الله والوهيته فهن مسبحات لله وساجدات وخاضعات له بالخلقة التي جعلها
دالة وشاهدة على وحدانية الله والوهيته هذا والله أعلم معنى سجودهن وخضوعهن والله أعلم وقوله عز وجل
وهم داخرون قيل صاغرون ذليلون وقوله عز وجل ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم
لا يستكبرون يذكر هذا والله أعلم يسجد له أعلى الخلائق وأعظمهم وهم الملائكة ويسجد له أشد الخلق وأصلبه وهو
الجبال والسماوات والأرض ويسجد له أيضا ويخضع أسفه الخلق وأجهله وهو الدواب وغيرها وأنتم أبيتم السجود له
والخضوع واستكبرتم عن عبادته فهؤلاء الذين ذكرهم يسجدون بجبرهم سفهه وأولئك في إبائهم السجود له والخضوع
واستكبارهم عليه وقوله عز وجل يخافون ربهم من فوقهم قال بعضهم خوف الملائكة والرسل خوف هيبة الله وجلاله
لا خوف نزول شيء من نقمته عليهم وخوف غيره من البشر خوف نزول شيء بعقوبتهم وكذلك رجاؤهم وطمعهم رجاء
نفع يصل إليهم ورجاء الملائكة والرسل وطمعهم رجاء رضاء الله عنهم لا رجاء نفع يصل إليهم وقال بعضهم يخافون
خوف العقوبة والانتقام لأنهم ممتحنون وكل ممتحن يخاف عذاب الله ونقمته ألا ترى أنه كيف أوعدهم الوعيد
الشديد فقال ومن يقل منهم إني إله من دونه وقال إبراهيم عليه السلام واجنبني وبني أن نعبد الأصنام خاف عبادة
غير الله ومن خاف ذلك يخاف وعيده وعذابه والله أعلم وقوله عز وجل يخافون ربهم من فوقهم الفوق
والتحت والأسفل ونحوه في الأمكنة والمجلس ليس فيه فضل عز وشرف ومرتبة لما يجوز أن يكون الذي كان
فوق هذا في المكان والمجلس تحته وأسفل منه فلا يزداد بما صار فوقه عزا وشرفا ومرتبة ولا لهذا بما كان
تحته ذل وهوان لهذا الاتراك يحمد من فوقه فوق المكان ولا تحته لأن من صعد الجبال والأمكنة المرتفعة لا
يوصف بالعلو والعظمة وإذا قيل فلان أمير على العراق أو على خراسان كان في ذلك تعظيم لأنه ذكر بالقدرة
والسلطان ونفاذ أمره ومشيئته وقدرته وسلطانه فيهم أو اطلاعه على جميع ما يسرون ويضمرون ويعلنون
ويظهرون وعلمه على جميع أعمالهم على هذا يجوز أن يتأول الفوق والله أعلم وقوله عز وجل ويفعلون ما يؤمرون
وصفهم الله عز وجل بفضل طاعتهم له ويحتج عليهم إياه وهو ما قال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهو ما قال لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومثله وقوله

عز وجل وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد لا نعلم الخطاب بهذا إلا لمن كان الخطاب بهذا لأهل مكة لأنهم قد اتخذوا آلهة بقولهم أجعل الآلهة إلها واحدا الآية إلا أن يخاطب به الثنوية والزنادقة فإنهم يقولون باثنين ويشبه أن يكون أهل مكة وإن اتخذوا آلهة فإنهم في الحقيقة عبدوا اثنين لأنهم إنما كانوا يعبدون تلك الأصنام بأمر الشيطان وطاعتهم إياه فنسب العبادة إليه بأمره يعبدون هذه الأصنام فالعبادة إليه أو أن يكون المراد من ذكر اثنين إنما هو على الواحد كأنه قال لا تتخذوا ولا تعبدوا أكثر من إله واحد وقوله عز وجل فإياي فارهبون لا تخافوا الأصنام التي تعبدونها فإنكم إن تركتم عبادتها لا تضركم وقوله عز وجل وله ما في السموات والأرض أي وله يخضع ما في السموات والأرض أي لم وأنتم لا تخضعون له وما في السموات والأرض كلهم عبيده وإماؤه فكيف أشركتم عبيده في الألوهية لله تعالى وربوبيته وقوله عز وجل وله الدين واصبا قال بعضهم دائما لأن غيره من الأديان باطلة كلها يبطل ويضمحل ويبقى دينه في الدارين جميعا وقال بعضهم وله الدين واصبا أي خالصا من الوصب والتعب وتأويله والله أعلم أي وله دين لا يوصل إليه إلا بتعب وجهد فاجتهدوا وأتموا أخلصوا له الدين هذا معنى قوله مخلصا وقوله عز وجل أفغير الله تتقون أي الخالقة غير الله تتقون أي لا تخافوا ولكن تتقوا الخالقة غيره ويقول لا تخافوا غير الله ولا تتقوا سواه ولكن اتقوا الله وتقل نقمته وقوله عز وجل وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون أي تتضرعون يخبر عن سفههم وقلة عقلهم أنهم يعلمون أن لله ما في السموات والأرض وأن كل ذلك ملكه وأن ما لهم من النعمة منه وأن ما يحل بهم من البلاء والشدة هو الكاشف لهم والدافع عنهم ثم يكفرونه ويصرفون شكرها منه إلى غيره في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال الشدة والبلاء فيقول أنا المنعم عليكم تلك النعم وأنا المالك عن كشف عنكم لا الأصنام التي عبدتموها فكيف كفرتم في الرخاء والسعة وآمنتم بي في وقت الضيق والبلاء كانوا يخلصون له الدين في وقت ويشركون غيره في وقت فيقول ادعوا إلى الدين بقوله وله الدين واصبا ولا تتركوا الإيمان في وقت وتؤمنوا بي في وقت وكذلك كان عادتهم كانوا يكفرون بربهم في حال الرخاء والسعة ويؤمنون به في حال البلاء والشدة كقوله فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله الآية ويحتمل أن يكون فرض الجهاد على المسلمين والقتال معهم لهذا المعنى لأن منها ذكر الإيمان في وقت البلاء والشدة والخوف ففرض عليهم عليهم القتال معهم ليضطروا إلى الإيمان فيؤمنوا ويدوموا الإيمان ولما فرض القتال معهم كثر أهل الإسلام فدخلوا فيه فوجا فوجا وكان قبل ذلك يدخل فيه واحدا واحدا وفيه دلالة إثبات رسالة محمد عليه الصلوة والسلام قال وما بكم من نعمة فمن الله فإنما أخبر عما عرفوا وتقرر عندهم أن كل ذلك من عند الله ليعلموا أنه إنما عرف ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل ليكفروا بما آتيناهم هذا يحتمل وجهين أحدهما أن يجعلوا ما آتاهم الله وأنعم عليهم سبب كفرهم بالله والثاني يكفرون بنعم الله تعالى بعبادتهم الأصنام وصرفهم الشكر عنه ويشبه أن يكون إخبارا عن سفههم من وجه آخر وهو أنهم لم يروا في البشر أحدا يطاع ويخضع لأحد رجاء أن دافع بلاء عنه أو جاد نفع إليه فالأصنام التي عبدوها ليس منها دفع بلاء ولا جر منفعة فلم يعبدونها وقال أبو بكر ليكفروا بما آتيناهم أي بالقرآن وقوله عز وجل فتمتعوا فسوف تعلمون هذا وعيد من الله لهم بقوله فسوف تعلمون ما ينزل بكم من كفران نعمه وصرف الشكر عنه أنه أمهلكم ومنزل بكم عذابه في قوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون أي تتضرعون موعظة المؤمنين أيضا لأنهم يجعلون يتضرعون إلى الله إذا أصابهم الضر والبلاء وإذا انكشف ذلك عنهم تركوا ذلك التضرع أي تعلمون أن ما بكم من نعمة فمن الله فكيف تصرفون شكرها إلى غيره في حال وقوله عز وجل ويجعلون أي يقولون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم من الأنعام والحرث وغيره الذي جعل الله لهم قال بعضهم يجعلون للأصنام والأوثان التي يعبدونها نصيبا مما رزقناهم من الأنعام والحرث وغيره الذي جعل الله ولا يعلمون لهم نصيبا في ذلك وهو كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا نما ذكروا على أنفسهم ما جعل الله لهم وجعلوه لأصنامهم ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا وهو الشيطان أي ما يجعلون للأوثان فذلك للشيطان في الحقيقة هو الذي أمرهم بذلك وهو الذي دعاهم إلى ذلك وهو كقوله يا أبت لا تعبد الشيطان ولا أحد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم إذا عبدوا الأوثان كأنهم عبدوا الشيطان لأنه هو أمرهم بذلك وهو دعاهم إلى ذلك فعلى ذلك ما يجعلون للأوثان ذلك للشيطان لما ذكرنا لكن لا تعلمون أن ذلك لهم نصيب ويحتمل قوله ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا أي يعلمون أن ليس لها نصيب في ذلك ولكن يجعلون ذلك لها على علم منهم أي لا نصيب للأوثان في ذلك وهو كقوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض أي أتنبئون الله بما يعلم أنه ليس ونحوه أي يعلم غير الذي تنبئون وقد ذكرنا قوله يجعلون على القول أي يقولون والله لا يملكون جعل ذلك لله وقوله عز وجل تالله لتسألن عما كنتم تفترون يحتمل قوله تفترون تسميتهم الأصنام آلهة ويحتمل افتراؤهم على الله ما قالوا وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها زعموا أنه فعل آبائهم وفعلهم كان بأمر من الله ورضاه حيث تركهم على ذلك فذلك افتراؤهم وقوله تالله لتسألن عما كنتم تفترون يحتمل السؤال الجزاء أي تالله لتجزون بما كنتم تفترون ويحتمل السؤال الحجة يسألون على ما ادعوا على الله من الأمر الحجة على ذلك والله أعلم وقوله عز وجل ويجعلون لله البنات أي يقولون لله البنات يخبر عن شدة سفههم حيث يأنفون ويستحيون من البنات ثم ينسبون ذلك إلى الله ويضيفونها إليه يصبر رسوله على أذى الكفرة حيث قالوا فيه ما قالوا إنه ساحر وإنه مفتر ونحوه على علم منهم ويقين بنبوته وخالفتهم فمن أكرم بالرسالة

أولى بالصبر على قوله والحلم منه سبحانه كلمة تنزيه عما قالوا فيه وحرف تعجيب حيث نسبوا إلى الله ما يكرهون لأنفسهم وقوله عز وجل وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم قال بعضهم قول العرب قبح الله وجهك وسود الله وجهك ليس على إرادة السواد والقبح ولكن على إرادة ما يكرهه وقال الحسن قوله ظل وجهه مسودا أي متغيرا من الغم وهو كظيم أي حزين وهكذا العرف في الناس أنه إذا اشتد بهم الحزن والغم يظهر ذلك في وجوههم قبحا وسوادا يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون يذكر فيه كيف يصنع به يمسكه على هون أي على هوان يصير به ويبقى صحبته أم يدسه في التراب وهو حي فيقول إن ربي خبثا البنات فابعثه بها إلى ربي فإنه أحق بها وهو وهي الموؤودة التي قال الله وإذا الموؤودة سئلت وإنما كانوا يصنعون ذلك خشية إملاق كقوله ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وقوله عز وجل ألا ساء ما يحكمون في جعلهم لله ما كرهوا لأنفسهم أو في قولهم والله أمرنا بها أو في قولهم هذا لله وهذا لشركائنا ونحوه والله أعلم وقوله عز وجل للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء قال بعضهم قوله مثل السوء أي لهم جزاء السوء وهو النار وقال الحسن مثل السوء أي صفة السوء التي وصفوا بها ربهم أنه اتخذ البنات ولله المثل الأعلى أي الصفة العليا التي ليس لها شبه فإن تلك الصفة من صفته ويشبه أن يكون قوله لهم مثل السوء ما سماهم مرة موتى ومرة فسقة ومرة ظلمة ومرة هم في الظلمات وأمثاله لهم ذلك الوصف بما أنكروا الآخرة وذلك مما يوجب الحكمة والعقل والشريعة فلهم ذلك الوصف والمثل السوء بما أنكروا ما توجبه الحكمة والعقل والشريعة ويحتمل مثل السوء أشباه السوء ويحتمل مثل السوء النعت والصفة فإن كان هو على الشبه فهو في الدنيا لما شبههم في غير آي من القرآن بالشجرة الخبيثة والكلمة الخبيثة وبالرماد وبالزبد التراب ونحوه وإن كان على النعت والصفة فهو في الآخرة وهو ما ذكر الذين يحشرون على وجوههم وقوله عز وجل ولله المثل الأعلى أي لأولياء الله المثل الأعلى وهم المؤمنون لما أن الله وصف المؤمنين بالحياة والنور والعدل وغير ذلك من الأسماء الحسنة وذلك لله في الحقيقة لكنه بفضله ومنه وصفهم وسماهم بذلك كما أضيف إلى الله لما بفضله استوجبوا لا باستحقاق في أنفسهم وكذلك قوله ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها أضيف ذلك إليه بفضله تستوجبون تلك الأسماء التي سماهم ويحتمل قوله ولله المثل الأعلى أي لأولياء الله المثل الأعلى أي لأولياء الله المثل الأعلى كما ثم قال وللذين يؤمنون بالآخرة مثل الأعلى مقابل ما ذكر حيث قال للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء وهو العزيز الحكيم قال الحسن العزيز بالغلبة منه في الأشياء كلها على ما أمره وكل شيء دونه ذليل الحكيم بالعدل منه في كل قضاء وقد ذكرنا في غير موضع وقوله العزيز الحكيم في هذا الموضع كأنه قال هو العزيز بنفسه لا بخلقه وأوليائه كما يكون لملوك الأرض يكون عزهم بخدمهم وحشمهم فإذا ذهبوا وعصوه يصير مقهورا مغلوبا فأما الله سبحانه وتعالى هو عزيز بذاته والحكيم أي إنشاؤه العصاة منهم على علم منه بذلك لم يخرج ذلك على غير الحكمة والله أعلم وقوله عز وجل ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة دل قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم أن له أن يستأصلهم ويهلكهم بما كان منهم لكنه بفضله تركهم إلى المدة التي ضرب لهم لأنه لو لم يكن له ذلك لم يكن للوعيد الذي أوعد معنى وقال أبو زيد البلخي إن الله بما أوعد من الوعيد ليس يوعد لمضرة نفسه ولا لنفع يصل إليه ولكن يوعد بما توجبه الحكمة فدل أن الوعيد لازم واجب ونحن نقول يوعد بما توجبه الحكمة وقد يهملهم بعد الوعيد فعلى ذلك يجوز أن يخرجهم من النار بعد ما أدخلهم النار بما ارتكبوا من الكبائر ثم في قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية دلالة نقض قول المعتزلة لأنهم يقولون ليس لله أن يهلك قوما قد علم منهم الإيمان في وقت أو يكون في أصلابهم من يؤمن إذ قد كان فيمن أوعد ذلك الوعيد من بعضهم الإيمان أو في أصلابهم من قد كان آمن فدل الوعيد لهم أنه قد يهلك من يعلم أنه يؤمن في آخر عمره إذ لا يوعد إلا بما له أن يفعل لكنه بفضله أخره إلى وقت دل أن له أن يفعل ما ليس ذلك بأصلح لهم في الدين ثم اختلف في قوله بظلمهم قال بعضهم هذا للكفرة خاصة وقال بعضهم لهم وللمؤمنين كل مرتكب زلة إذ ما من أحد يرتكب زلة إلا وقد استوجب العقوبة بذلك والمؤاخذة به لكنه بفضله عفا وقوله عز وجل ما ترك عليها من دابة قال بعضهم أراد بالدابة الدابة التي خلقها لهم إذا أهلك الناس فقد أهلك الدواب إذ خلقه إياها لهم وقال بعضهم قوله ما ترك عليها من دابة أي على ظهر الأرض من دابة لأن الدواب إنما تعيش بالذي يعيش الناس فإذا هلكوا هم هلكت الدواب أيضا لما ذهب سبب عيشها وجائز أن يكون أراد بالدابة البشر أي ما تركهم بظلمهم ولكن يهلكهم وسماهم دابة لأنه إذا ذكرهم في موضع الظلم وإن كان سماهم في غير موضع بالأسماء الحسنة وهو كما سماهم في موضع آخر دابة حيث قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ولا شك أن البشر دخلوا في هذه التسمية فعلى ذلك جائز دخولهم في الأخرى وإن كان المراد ما ذكر من الدابة البشر فالأنبياء والرسل إنما يكون هلاكهم بقطع نسلهم لأن الأنبياء أكثرهم ولدوا من الآباء الظلمة فإذا أهلك آباؤهم لم يولد الرسل والأنبياء فيكون هلاكهم لا بظلم هؤلاء ولكن بقطع النسل وإن كان المراد بتلك الدابة الدواب أنفسها فلأن الدواب إنما أنشئت للبشر ولمنافعهم فإذا أهلكت الدواب أهلك المنافع لهم والله الحاكم وقوله لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون دلالة قول المعتزلة لأنهم يقولون يجعل الله للخلق أجلا

ثم تجئ كافر فيقتله دون بلوغ الاجل الذي جعله الله حيث اخبر انهم لا يستأخرون ساعة بعد الاجل المضروب لهم ولا يستقدمون قبل ذلك وهم يقولون بل يستقدمه كافر فيقتله فذلك سرف في القول وهذا يخرج على وجهين احدهما لا يتأخر الاجل الذي جعل لهم ساعة ولا يتقدم عن ذلك والثاني لا يجاب في التأخير ولا في التقديم وقوله عز وجل ويجعلون لله ما يكرهون كانوا يجعلون لله اشياء يكرهون ذلك لانفسهم من نحو البنات يقولون لله البنات ويكرهون لانفسهم البنات ويجعلون له الشركاء من عبيده وهم كانوا يكرهون لانفسهم الشركاء من عبيدهم وامثاله كقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية يخبر عز وجل عن سفههم وسرفهم ويخبر عن حلمه حيث لم يستأصلهم ولم يهلكهم فما قالوا في الله من عظيم القول من الولد والشريك لنعلم انه يمهلهم لغفلة ولا سهو ولكن يعلم لان يعلم لان يجعل الخلق في ذات الله ولا يعجل بالعقوبة اذ لو اراد اهلكهم لاهلكهم ساعة قالوا ذلك ولا يمهلهم يعيشون لكن اخر لذلك اليوم وهو ما قال ولا تحسبن الله غافلا الاية وجائز ان يكون قوله ويجعلون لله اي يجعلون لاولياء الله مما يكرهون لانفسهم لانهم يقولون ان لهم الحسنى في الاخرة وهي الجنة وان للمؤمنين النار بقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله عز وجل وتصف السنتهم الكذب قال ابو بكر الاصم يقولون انا دين الله وعلى الحق لعبادتنا ويقولون ان لهم الحسنى يعنون انهم محسنون في اعمالهم وبما هم عليه من دين وقال بعضهم قوله ان لهم الحسنى يعنون البنين لانهم كانوا يضيفون البنات الى الله وينسبون البنين الى انفسهم فذلك الحسنى الذي ذكروا وقال بعضهم بان لهم الحسنى اي الجنة كقوله ولئن رجعت الى ربي الاية ثم كذبهم في قولهم فقال لا جرم ان لهم النار ليس لهم الحسنى على زعموا ولكن النار وقد ذكرنا قوله لا جرم فيما تقدم كان اهل الكفر فرقا منهم من ادعى الاشتراك في نعيم الاخرة كما كان لهم اشتراك في نعيم الدنيا كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ومنهم من ادعى الاخرة لانفسهم كما كانت لهم الدنيا فجائز ان يكون قوله ويجعلون لله ما يكرهون هم الذين ادعوا الحسنى وهي الجنة لانفسهم وقوله عز وجل وانهم مفرطون هو من الفرط وهو السبق والتقدم كان الاية في الرؤساء اخبر انهم سابقون اتباعهم الى النار وهو كقوله وقالت اولاهم لاخراهم الاولى هم المتبوعون واخراهم الاتباع وقال بعضهم معجلون اليها بين يدي اتباعهم وقال بعضهم مفرطون اي متروكون منسيون في النار وقال بعضهم مفرطون مبعدون عن رحمة الله لكن هذين ليسا بشيء وبالاية اذ كل من في النار فهو منسي متروك فيها مبعد عن رحمة وقال بعضهم وانهم مدخلون فيها والوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك هذا لا يحتمل ان يكون هذا القسم منه ابتداء لكن كانه من انكار كان منهم للرسالة فعند ذلك اقسم بقوله تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك واكد بما انكروا الرسالة بالقسم الذي ذكر فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد قوله تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك كما ارسلناك الى قومك فزين لهم الشيطان اعمالهم كما زين لامتك فهو كان وليهم يومئذ كما هو ولي لامتك اليوم بصيره وقوله عز وجل فزين لهم الشيطان اعمالهم يقول لهؤلاء لاوائل من زين لهم الشيطان اعمالهم ولكن كان في الامم الماضية من زين لهم الشيطان اعمالهم فيكذبون رسلهم فلست انت باول مكذب بل كان ذلك شركا في التكذيب فهو وليهم اليوم في الدنيا لان الدنيا هي دار الولاية بينهم كقوله بعضهم اولياء بعض وقوله اولياؤهم الطاغوت واما في الاخرة فيصيرون اعداء كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقوله ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الاية وقوله قال قرينه ربنا ما اطغيته ونحوه ولا يحتمل ان يكونوا اولياء في الاخرة ثم يلعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض فذلك علامة العداوة وقال بعضهم قوله فهو وليهم اليوم في الاخرة اي وليهم فيقرون بهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فهو وليهم اي صاحبهم كقوله احشروا الاية وكقوله قال قرينه ما اطغيته وقوله عز وجل وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه قال بعضهم قوله الذي اختلفوا فيه الكتب التي كانت من قبلهم لانهم اختلفوا في كتبهم فمنهم من بدل ومنهم من غير وحرف فيقول والله اعلم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا في كتبهم لان هذا الكتاب انزله مصدقا لما بين يديه من الكتاب يبين هذا الكتاب ما اختلفوا في كتابهم الحق من الباطل وقال بعضهم لا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه في الرسل والايات في الكتاب المنزل عليه اختلفوا في ذلك كله يبين لهم الحق من الباطل في جميع ما اختلفوا فيه بالكتاب الذي انزل عليه اذ فيه انباء الامم الماضية وهو لم يشهدها ولم يختلف الى من يخبره منها ثم انبأهم على ما كانت فدل انه انما عرف ذلك بالله ومنه نزل ذلك وفيه دلالة ان الحوادث التي علم الله انهم يبتلون بها الى يوم القيامة انه جعل لهم سبيل الوصول الى بيانها في الكتاب اما بيان كفاية واما بيان تصريح حيث قال وما انزلنا عليك الكتاب الاية حيث لم يدعهم في الاختلاف على غير بيان فعلى ذلك حيث علم انهم يبتلون بالحوادث التي ليس بها منصوص في الكتاب لا يحتمل ان لا يتبين لهم ذلك ويدعهم حيارى يكون بيانا على وجهين بيان تصريح يعقل بديهة العقل وبيان كفاية يدرك بالنظر والتأمل والاستدلال واصله في قوله الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه اي الا لتبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه لانهم اختلفوا في الحق في ذلك لان كل فريق منهم ادعى انه هو المحق وان الذي هو عليه الحق وان غيره على باطل فاخبر انه انزل الكتاب عليه ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه وقوله عز وجل وهدى ورحمة لقوم يؤمنون جعل الله تعالى رسوله وكتابه هدى ورحمة للمؤمنين لانهم امنوا بهما وصدقوهما وقبلوهما فصار ذلك لهم هدى ورحمة ونورا واما من كذب بهما ولم يقبلهما فهو عذاب عليهم وعمى وهو كقوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما في قلوبهم مرض الاية وهو ما ذكر وهو عليهم عمى وقوله عز وجل والله الذي انزل من السماء ماء

فاحيا به الارض بعد موتها يذكر عز وجل قدرته وسلطانه حيث اخبر انه ينزل من السماء ماء فيحيي به الارض وهي ميتة ويخرج منها نباتا وزروعا واشجارا فمن قدر على هذا القادر على احياء الارض بعد موتها انه لا فرق بين الاحياءين الانفس فمن قدر على احدهما قدر على الاخر ان في ذلك فيما ذكر لاية لقوم يسمعون قال بعضهم لاية لقوم يسمعون المواعظ وقال بعضهم لاية لقوم يسمعون الايات والحجج واما من لم يسمع فلا يكون له اية واصله ان في ذلك لاية لقوم ينتفعون بسماعهم ولاية لقوم يعقلون اي ينتفعون بعقولهم واصله ان هذا كله يصير اية للمؤمنين على ما ذكر كله لانهم هم الذين يقبلون عن الله ما امرهم به وتناهيهم عنه وهم يسمعون اياته ومواعظه وكله كاية من المؤمنين والله اعلم وقوله عز وجل وان لكم في الانعام لعبرة الاية اي انشاء لكم انعاما فيه الاية هو صلة قوله والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها اي نزل من السماء ماء وانشأ الانعام لكم فيه الاية انشأ جل وعلا في الانعام لبنا غذاء الاولاد في الوقت الذي لا يحتمل الغذاء بالعلف وجعل لاربابها الانتفاع بذلك اللبن في الاشياء التي لا يؤكل لحمها لم يجعل لاربابها الانتفاع بما يفضل من اللبن لم يجعل لها فضل لبن وقوله عز وجل نسقيكم مما في بطونه ذكر بالتذكير فظاهره ان يذكر بالتأنيث لانه اراد ان يبين الامهات التي يدر منها اللبن وجماعة من الذكر ان منها فكيف ما كان فهو يذكر بالتأنيث لكن بعضهم يقولون ذكر باسم التذكير على ارادة الاصل الذي به كان اللبن وهو الفحل وهذا يدل لابي حنيفة واصحابه رحمهم الله لقولهم في لبن الفحل انه يحرم وقال بعضهم ذكر باسم التذكير على ارادة الجنس والجوهر بين الاجناس والجواهر دون العدد والجماعة وقوله عز وجل من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين قال ابن عباس رضي الله عنه معنى استخراج اللبن من بين فرث ودم وذلك ان العلف اذا وقع في الكرش طبخه الكرش فيجعل الفرث اسفله والدم اعلاه واللبن بين ذلك ثم يسلط الكبد عليهم فيجعل الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث في الكرش كما هو وقال بعض الفلاسفة ان العلف اذا وقع فيه يصير منه دما ثم يصير لبنا خالصا فهو كالنطفة التي وقعت في الرحم تصير علقة ثم تصير مضغة ماكولة فعلى ذلك اللبن الذي ذكر اعلم ويحتمل ما قال بعض الفلاسفة ان العلف يصير فرثا ثم دما ثم لبنا ويحتمل ان يكون مجرى اللبن بين ما ذكر من الفرث والدم فاي الوجهين كان فيه اللطف الذي ذكرنا ووجه ذكر هذا والله اعلم على الامتنان وكذلك من الثمرات والاعناب انه باطلعه اخرج اللبن الصافي في اصفى الاشياء والطفه من حيث الاشياء واكدره في رأي العين فمن قدر على حفظ هذه الاشياء عما ذكر بلا حجاب يدرك او حاجز يعرف لقادر على انشاء الاشياء من لا شيء لان الخلائق لو اجتمعوا على ان يدركوا السبب الذي به كان حفظ هذا من هذا ومنعه عن الخلط بالخبث ما ادركوا ذلك وكذلك ما يخرج من النخيل والكروم الثمرات الطيبة والاعناب الحلوة من غير ان يرى اثر ذلك فيها ومن غير ان يدركوا السبب الذي كان به الاعناب والثمرات ذلك ثم قادر على انشاء الاشياء من لا شيء اذ هي خشبة يابسة والله اعلم وقوله عز وجل تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال بعضهم السكر ما حرمه والرزق الحسن ما يؤكل تمرا وزبيبا ونحوه وقال بعضهم السكر الحرام والرزق الحسن ما ينبذون ويخللون ويأكلون وروي في بعض الاخبار انه حرم السكر ولم ينسخ الاية وفي الاخبار انه بعث معاذا الى اليمن وامره ان ينهاهم من نبيذ السكر وعن عبد الله قال ان اولادكم ولدوا على الفطرة فلا تسقوهم السكر فان الله تعالى لم يجعل في حرام شفاء وليس بين فقهاء الامصار في تحريم السكر وفضيخ البسر ونقيع الزبيب اذا اسكر كثيرها ولم يطبخ اختلاف انها حرام وقد ذكرنا هذا في سورة البقرة ان في ذلك لما ذكر لاية لقوم يسمعون يعقلون وقال القتبي الفرث ما في الكرش لان اللبن كان طعاما فخلص من ذلك الطعام دم وبقي منه فرث في الكرش وخلص من الدم لبنا سائغا اي سهلا في الشرب لا يشجى به شاربه ولا يغص وكذلك وقال ابو عوسجة اسغته اي ادخلته في حلقي سهلا وقوله تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا اي تتخذون ما يحرم اكله ورزقا حسنا ما يحل منه كقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية وتخرج على تذكير النعم في الوقت الذي كان السكر حلالا اي تتخذون منه سكرا ما تشربون ورزقا حسنا سوى الشراب وقوله عز وجل واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا الى اخر ما ذكر قال بعضهم اوحى اي قذف في قلوبها ان افعلي ما ذكر الوحي هو القذف سمي بذلك لسرعته وقوته ونفاذه في القلوب من غير ان يشعر الملقى فيه والمقذوف في قلبه ان احدا فعل ذلك والقاه فيه وهو ما مكن الله للشيطان من الوسوسة في القلوب من غير ان يعلم الموسوس اليه والمقذوف في قلبه ان احدا دعاه الى ذلك او زينه ذلك وكذلك ما يلهم الملائكة بني ادم من اشياء من غير ان علموا ان احدا دعاه الى ذلك والقاه في قلوبهم فهذا كله يرد على من ينكر الشيطان والملائكة وهم طائفة من الملحدة يقولون ان الشهوات والاماني التي جعلت في انفسهم هي التي تبعثهم وتهيجهم على ذلك لا الشيطان فيقال لهم ان الانسان قد يناله اشياء من غير ان كان منه تفكر في ذلك او اماني وسابق تدبير فذلك يدل ان غيرا القى ذلك في قلبه وقذف لا على الاماني والشهوات وهذا ايضا يدل على لطف الله في البشر انه يوفقهم على الطاعات ويحثهم عليها من غير ان يعلموا انه يغير في ذلك صنعا وكذلك الخذلان في المعاصي وانواع الاجرام التي يكتسبونها ثم يحتمل قوله واوحى ربك الى النحل اي النحل وغيرها من البهائم وجهين احدهما يحتمل انه انشأ هذه البهائم على طبائع تعرف بالطبع مصالحها ومعاشها وقوام ابدانها وانفسها وما به فسادها وصلاحها من غير ان يعلم ان احدا يدعوهم الى ذلك او يشير اليها او يأمر وينهى لكنه بالطبع يعرف ذلك ويعلم من نحو اشياء يعلم اشياء بالطباع من غير ان يعلم ان احدا علمه ذلك من نحو الوليد يسبح في الماء بالطبع من غير ان يعلم انها تسبح وكذلك الطير الذي يطير في الهواء من غير ان يعلم بالطيران فعلى ذلك يحتمل فهم هذه

البهايم وعرفها نما ماذكرنا من المصالح والمهالك من غير ان يعلم انها تعرف ذلك والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون الله عز وجل
جعل خلقة هذه الاشياء بالذي يقومون على المخاطبات والامر والنهي ويعرفون ذلك ما لا يعرف مثله البشر الا ترى
ان البشر لا يعرف المهالك والمصالح الا بالتعلم والبهايم وان صغر ذلك تعرف حتى تتوقى المهالك وترغب في المصالح
ومما يدل ان هذه الاشيا مما يفهم الامر والنهي والمخاطبات قوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون و قالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء الا ترى انهم فهموا الخطاب
حيث ردوا عليهم الجواب بقوله انطقنا الله فذلك ما ذكرنا والله فذلك الوحي والعذ في كل البهايم لا للنحل
خاصة لما ذكرنا من معرفتها المهالك والمصالح وما به معاشها وغذاها فسادها وصلاحها حتى يعرفون ذلك
من غير ان تعلم والبشر لا يعرف الا بالتعلم فهو والله اعلم لوجهين احدهما للمحنة ان البشر امتحنوا بالتعليم فذلك
من الله امتحان لهم والبهايم لا محنة عليهم فعرفوا ذلك على غير تعلم او كان للبشر فضل بعض على بعض في العلم بالتعلم
اذ البهايم يستوي صغيرها وكبيرها في معرفة ذلك وفي بني ادم متفاضل ويتفاوت بالتعلم والله اعلم فان قيل
فاذا كان البهايم كلها مشترك في ذلك الالهام والوحي فما معنى تخصيص النحل في الذكر من غيرها من البهايم قيل
يحتمل تخصيص النحل بالذكر والله اعلم لما ان هذه الاشياء غير النحل لا تعطي تلك المنافع التي جعلت فيها ولا تبذل
للبشر الا بالرياضة والنحل تعطي ذلك لهم وتبذل من غير تعلم ولا رياضة والله اعلم ثم قوله ان اتخذي
من الجبال بيوتا وقوله ثم كلي من كل الثمرات وقوله فاسلكي سبل ربك ذللا ونحوها هو لكن حقيقة تمكين وتسهيل
نحو قوله سيروا في كذا في الظاهر امر وفي الحقيقة تمكين وتيسير ثم في هذه الاية وفي قوله يخرج من بطونها شراب
وفيما سبق من الايات وهو قوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا دلالة قدرته على انشاء الاشياء من لا شيء ودلالة علمه وتدبيره لانه اخرج
من هذه الجواهر المختلفة اشياء من غير جوهرها وجنسها ما لم يكن شيء مما اكل منها هذه البهايم من الجواهر التي خرج منها
من نحو العسل الذي اخرج من الفواكه التي اكلت واللبن من العلف الذي اكل والعصير والسكر والاعناب من الكروم اذ
ليس شيء يخرج منها من جنس ما اكل ولا من جوهر ما سقى دل انه كان بغير علم قادر على انشاء الاشيا من لا شيء ولا
سبب وفيه دلالة علمه وتدبيره وحكمته لان انشاء ذلك اللبن في البطن على غير جوهر ما تناولت ومن خلاف لونه
في تلك الظلمات دل ان علمه غير مقدر بعلم الخلق وان حكمته غير مقدرة بحكمة الخلق وكذلك قدرته غير مقدرة بقدرة
الخلق ثم قوله فاسلكي سبل ربك قيل طرق ربك ذللا وقيل مطيعة وقيل من الذل اي الرفق واللين كقوله اذلة
على المؤمنين وقوله واخفض جناحك الاية من الذل ومن الرفق واللين وهذا يخرج على وجهين احدهما ذللت
سبلها وسهل السلوك فيها حتى تسلك كيف شاءت وقوله عز وجل ومما يعرشون قيل مما يبنون ويتخذ مما
تتخذ من العريش وهو الذي يتخذ من الخشب وقوله عز وجل مختلف الوانه قال الحسن الشهد والعسل يحتمل قال
بعضهم مختلف في الطعم وقيل في الالوان الابيض والاحمر والاصفر وقوله عز وجل فيه شفاء للناس قال
بعضهم فيه شفاء للناس من كل داء حتى القروح وكل شيء وقال بعضهم قوله فيه شفاء من داء دون داء وقال
بعضهم فيه شفاء يعني في القران فيه شفاء القلوب للدين ويحتمل قوله فيه شفاء فان اراد هذا فهو ظاهر
لا شك ان فيه ذلك الشفاء ويحتمل فيه شفاء للدين فان كان هذا فيكون ذلك من جهة النظر فيه يدرك ويوصل
يصل الى ذلك الشفاء وقوله ثم كلي من كل الثمرات قال بعضهم من نوع ما تاكل النحل وقال بعضهم من جميع الثمرات
التي يكون في الجبال عن عبد الله قال القران والعسل هما الشفاء القران شفاء الدين والعسل شفاء الابدان
وقال بعضهم من اهل اللغة الوحي في كلامهم كلام العرب على وجوه منها وحي النبوة فهو ارسال الله الملائكة الى انبيائه
ورسله كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا ومنها وحي الاشارة كقوله فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة
وعشيا ومنها وحي الالهام وهو قوله واوحى ربك الى النحل وقوله واوحينا الى ام موسى وقوله بان ربك اوحى
لها ونحوه ومنها وحي الاسرار كقوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول الاية وقال بعضهم الوحي وصل الوحي
عند تاهوا ان يلقي الانسان الى صاحبه شيئا لا يستر ولا خفاء وقد يكون ذلك بالايمان والخط واصل الوحي
ما ذكرنا انه سمي به لسرعة وقوعه وقذفه في القلب وقال ابو بكر الوحي ان يعلم الذي يوحي اليه ويرشده
وذلك من وجهين احدهما ان الله ارشد كل دابة سوى الانسان الى مصلحتها والهرب من مهلكها ومتلفها بما فطر
ها الله عليه كما ارشد الانسان الى ما يصلحه في دينه ودنياه بالتعليم فمثل الله تعليمه كل دابة ما فيه مصلحتها و
ومفسدتها بما دبرها عليه كما علم الانسان بالقول والبيان فقال واوحى ربك الى النحل اي ارشدها ودلها بفطرتها
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر بيوتا فيها ومما يعرشون يعني واتخذي مما يبني الانسان لسكنهم وقال العرش
الحيطان التي لا سماء لها بفطرتها تتخذ خلايا في كل ذلك لما فيه الخلق ثم قال ثم كلي من كل الثمرات والثمرات مختلفة
الطعم والمنظر والمشم فاسلكي سبل ربك وهو ما سبل الله لها من الرزق والماوى ذللا قال يقول ذلك ذلك
كل شيء قدره لرزقك ومسلكك وذللك في طلب ما سبلك لبني ادم وجعلها سببا لمنافعهم وصغر قدرها
ليريهم بذلك قدرته وسلطانه وعلمه ما شاء ليعلموا ان خالقهم لا يعجزه شيء وانه القدير على ما يعدهم من البعث
والثواب والعقاب وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه يقول الجنس واحد ثم هو مضروب كالالوان

التمر

التمر والعنب وسائر الثمار في مذاقه والشامة ومنظره وكله عسل فيه شفاء للناس لمنافعهم ومنافعهم وفيما
الهم الله من قدرته على ما يشاء ومن ذلك فيه شفاء في الدين والعلم يعلمون بما يشاهدون من تدبير الله وقدرته على
ما يشاء وقوله عز وجل ان في ذلك لاية يقول لعبرة ودلالة وتبرها لقوم يتفكرون فيما يشاهدون من تدبير الله
وتقديره وقدرته على ما يشاء والله اعلم وفي قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب يقول ولكم عبرة ودليل
ان النخل جذاع خشب لا طعم فيها والكروم ايضا وما فيها من سعف وورق لا عسل فيها ولا عنب فاخرج الله منهما
ثمرات مختلفات فيه عسل وفيه تمر وزبيب وتتخذون منه ما تتخذون من الشراب وقال هذا قبل تحريم
الخمر والسكر كل ما يسكرهم وتتخذون منه ايضا رزقا حسنا اي طيبا وهو ما تاكلون منها سوى ما تشربون وتكسبون
بها اموالا كثيرة من الله بها عليهم وقال بعضهم السكر كل شيء حرمه الله من ثمارها من الشراب الخمر من العنب والسكر
من التمر والرزق الحسن ما احل من ثمرها الزبيب والتمر والنبيذ وقال السكر ما يسكر والرزق الخل واشباهه
ان في ذلك لاية ودلالة وبيانا لقوم يعقلون ما يتبينون فيعلمون ان الذي لم يعجزه ما خلق لهم من الثمار من خشب
يابس يقدر ان يحيي الموتى ويخلق ما يشاء وما عرفه الخلق انه يكون من النطفة الولد ومن الماء والاشجار الفواكه
ومن العلف اللبن وغير ذلك من الحوادث التي تحدث من الاشياء وتلك اسبابها ما لم يدرك كون تلك الاشيا
فيها ولا يرى لا يعرف ذلك الا بتعليم من هو عالم بذاته لا يتعلم ذلك لو كان يتعلم لو اجتهد وكل جهده لم يدركوا
حدوث تلك الاشياء مما ذكرنا جهة دل ان الذي يعلمهم هو عالم بذاته فاذا كونه تثبت بما لم يذاته وان كانوا لم يشاهدوا
الله عالما بغير تعليم ذلك هو قادر على انشاء الاشياء من لا شيء وان كانوا لم يعاينوا في الشاهد شيئا الا من شيء وفيه
انه لم يحدث ويكون من اللبن بالعلف الذي ياكل والطعام الذي يتناول والفواكه والثمار التي تخرج ليس يكون
بنفس الماء او بنفس الطعام والعلف ولكن باللطف من الله تعالى لانه قد يسقى ذلك الماء الشجر والنخل في حال
ثم لا يكون فيه الثمر وكذلك الدواب تعلف في حال لا يكون ذلك منه وقوله عز وجل والله خلقكم ثم يتوفاكم
ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا فان قيل لنا منة له علينا في ذكر خلقنا ثم توفينا ثم ورده
لنا الى الحال التي هو حال الجهل حتى نعلم شيئا قيل ذكر هذا والله اعلم يحتمل هذا وجوها احدها يذكرهم انه
هو الذي خلقكم ثم يتوفيكم ثم هو يملك ردكم الى الحال التي لا يعلمون شيئا وفي ملكه وسلطانه تتقلبون
فكيف عبدتم الاصنام والاوثان التي لا تملكون شيئا من ذلك واشركتموها في الوهيته وعبادته ويذكرهم
انه خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم بعدما احياكم ثم يردكم الى الحال التي لا تعقلون شيئا بعد ما جعلكم
عقلاء علماء فمن يملك هذا ويقدر على الاحياء بعد الموت والبعث بعد الفناء ويذكرهم انه لم يكن المقصود
بخلقهم الفنا خاصة لكن لامر اخر قصد بخلقهم وهو ما ذكر فيما تقدم من انواع النعم وتسخير ما ذكر من الاشيا
لهم ليعلموا ان المقصود في خلقهم لم يكن الفنا خاصة اذ لو كان الفنا خاصة لم يحتج الى ما خلق لهم من الاغذية والنعم
التي انشاها لهم والاشياء التي سخرها لهم وقال ابو بكر الاصم قوله والله خلقكم وكنتم نطفا امواتا فاحياكم
ثم يتوفيكم اطفالا وشبابا ومنكم من يعمر الى ارذل العمر يقول يرده بعد قوة وعلم وتدبير الامور الى الخرف
والجهل بعد العلم ليتبين لخلقه ان العمر والرزق ليس بهما ذرى وقوى لا بهما ثابتان ثم يبلى ويفنى بهما ويرجع الى الجهل
ولكن بلطف من الله وتدبير منه لا بالاغذية والله اعلم ان الله عليم بما دبر في خلقه فما يدركون به قدرة ما لهم وتصريف
الامور وما يكونون به حكماء وعلماء ان الذي دبرها حكيم فتدبر على ما شاء الحكمة فيها ذكر من تفريق الاجال ليكونوا
ابدا خائفين راجين لانه لو كانت اجالهم واحدة لامنوا ولتطاولوا على المعاصي الى قربها يعلمون وقت نزول الموت
بهم والثاني ليعلموا ان التدبير في انفسهم وملكهم لغيرهم لا لهم لان التدبير والامر لو كان اليهم لكان كل منهم
يختار من الحال ما هو اقوى واكمل وقوله عز وجل والله فضل بعضكم على بعض في الرزق قال بعض اهل التاويل يذكر هذا
مقابل ما اشركوا خلقه وعباده في الوهيته وعبادته يقول فضل بعضكم على بعض في الرزق والاموال حتى بلغوا
السادة والموالي فلو ترضون ان يكون عبيدكم ومماليككم شركاء في ملككم واموالكم فكيف ترضون لله ان يكون
عبيده ومماليكه شركاءه الى هذا يذهب بعض اهل التاويل وقال ابو بكر الاصم قوله فضل بعضكم على بعض في الرزق
اغنى بعضكم وافقر بعضا وجعل منكم احرارا وعبيدا فما الذين فضلوا بالغنى والتمليك برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم من عبيدهم فهم فيه سواء ان يستوي المولى وعبده فيما ملكت يمينه يقول فليس احد منكم يرضى ان يكون عبده
بمنزلته فيما يملك سواء فاذا رايتم انتم ذلك نقصا بكم لو فعلتم فكيف زعمتم ان الله اشرك بينه وبين احجار حتى
اشركتم وما ملككم الله بينه وبين الاوثان في العبادة وفيما اتاكم من رزق فقلتم هذا لله وهذا لشركائنا افبنعمة
الله يجحدون تقول انعم الله عليهم بانفسهم وازواجهم واموالهم واولادهم فاشركوا غير الله فيها وجحدوا نعم
الله عليهم بما عصوا وبما كفروا ثم الزمهم النظر في الفضل الذي ذكر انه فضل بعضهم على بعض انه عن الفضل الذي
كان من الله لا الى الاسباب التي اكتسبوها ليعلموا انهم لم ينالوا تلك الفضائل باستحقاق منهم ولكن انما نالوا بفضل
منه ورحمة فيكون ذلك دليلا لهم فيما انكروا من افضال الله واختصاصه بعضهم بالرسالة والنبوة وان كانوا
جميعا من بشر ومن جنس واحد علوا فضل بعضهم على بعض في الرزق والسعة والملك والخير والسلطان وان كانوا جميعا في
الجنس فاذا لم تنكروا هذا النوع من الفضل والاختصاص لبعض على بعض فكيف انكرتم ذلك الفضل والاختصاص على

بعض فكيف انكرتم ذلك الفضل والاختصاص بالرسالة من فضله ورحمته فلذلك قال والله اعلم اهم يقسمون رحمة ربك
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اخبر انه برحمته وفضله ينال ما ينال من الرسالة
وغيرها لا بالاستحقاق والاستيجاب كان منهم او ان يذكر سفههم بانهم يابون ان يشركوا عبيدهم ومماليكهم في اموالهم
وامور الخير ولهم منهم منافع من الخدمة والاعانة في الامور ثم انهم يشركون الحجارة والخشب لا منفعة لاحد منها في الوهية
الله وربوبيته وفي عبادته افبنعمة الله يجحدون وعلى تاويل النبوة ابفضل الله ورحمته يجحدون ان الله يفضل بعضا على بعض
بالرسالة او يجحدون ما انعم الله من النعم فيصرفون نعمه الى غيره وهي الاصنام التي عبدوها فقالوا هذا لشركائنا ويصرفون
شكر نعمه الى غيره وهي الاوثان التي عبدوها والله اعلم وقوله عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة قال الحسن وغيره الحفدة الخدم والمماليك فهو على التقديم على تاويل هؤلاء يقول جعل لكم من انفسكم ازواجا
وخدما من مثلكم لم يذكر فيما تقدم والله فضل بعضكم على بعض في الرزق الاية يذكر عظم نعمه وفضله الذي ذكر انه
جعل لكم من جنسكم ازواجا وخدما تحت ايديهم يستمتعون بالازواج ويستخدمون الخدم والمماليك وهم من جنسهم
وجوهرهم يذكر عظم فضله ومنته عليهم ويشبه ان يكون هذا صلة قوله واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا
الاية كانوا يانفون عن البنات ويدفنونهن احياء اذا ولدن انفا منهن يقول والله اعلم كيف تانفون منهن وقد جعل لكم
من البنات ازواجا تستمتعون بهن حتى لا تصبروا عنهن وكذلك جعل لكم من البنات البنين الذين ترغب انفسكم فيهم ما لولا
البنات لم يكن لكم الازواج التي تستمتعون بهن ولم يكن لكم البنون الذين ترغبون فيهم والانصار والاعوان والخدم
الذين ترغبون فيهم بين ما ذكرنا قصدهم في الانفة منهن يانفون منهن ومن البنات يكون ما يرغبون فيهن فهذا يدل ان
النساء يصرن كالملك للازواج ويصرن تحت ايديهم في حق ملك الاستمتاع كالمماليك في حق ملك الرقاب ثم جعل عز وجل
التناسل في الخلق على التفاريق وتقليبهم من حال الى حال وتنقلهم ابدا كذلك ليكون اذكر لتدبيره وانظر في اياته ودلالاته
ولو شاء لانشا الخلق كله بمرة واحدة وافناهم بدفعة واحدة وكذلك ما جعل لهم من الارزاق وانواع النبات
لو شاء لاخرج لهم ذلك كله بمرة واحدة في وقت واحد لكنه انشاهم بالتفاريق ليذكرهم النظر في اياته وتدبيره
ليكون ذلك لهم ادعى الى المرغوب وابعد للمرهوب وكذلك ما ردد من الانباء والقصص والمواعيد وذكر الجنة
والنار في القران في غير موضع ليبعثهم ويحثهم على النظر في اياته وتدبيره ويرغبهم في كل وقت في المرغوب ويحذرهم
عن المحذور والمرهوب ثم قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا وقال في اية اخرى فسلموا على انفسكم وقال ولا تقتلوا انفسكم
ونحوه ذكر الانفس في كله ثم لم يفهم اهل الخطاب من هذا كله معنى واحدا وشيئا واحدا وان كان في حق اللسان
واللغة واحد الكلمة فهموا في كل غير ما فهموا في اخر فهذا يدل انه لا يفهم الحكمة والمعنى في الخطاب بحق ظاهر
اللسان واللغة ولكن بد لنيل الحكمة المجعولة في الخطاب ومن اعتقد في الخطاب الظاهر حسم باب طلب الحكمة فيه
والمعنى لا بد من يجعل المراد منه الظاهر وقوله عز وجل وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة [illegible]
اختلف فيه قال بعضهم الحفدة الخدم [illegible] وقال بعضهم الحفدة [illegible] وقال ابن مسعود رضي الله عنه الحفدة
الاختان [illegible]
[illegible]
الحفدة [illegible] وقال ابو عوسجة
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وقوله عز وجل ورزقكم من الطيبات قال بعضهم [illegible]
[illegible]
شكره [illegible] يؤمنون [illegible]
من البنات [illegible]
[illegible]
[illegible]
يكفرون [illegible] وقوله ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
دون الله شيئا [illegible]
شيئا وقال بعضهم يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال اي

لا تجعلوا لله امثالا من الخلق واشباها في الوهيته وعبادته ولا تقولوا لله ان له اشباها وامثالا ويقول فلا تجعلوا
لله امثالا في العبادة واشباها في تسميتها الهة على علم منكم ان ما يكون لكم انما يكون بالله لا بالاصنام التي تجعلونها امثالا
لله في العبادة والالوهية وجائز ان يكون فلا تضربوا لله الامثال اي فلا تضربوا لاوليائه الامثال فانه قد بين
محال اوليائه ومكانهم وقوله عز وجل ان الله يعلم ان لا مثل له من الخلق ولا شبه وانتم لا تعلمون ذلك او ان الله يعلم مصالحكم
وانتم لا تعلمون ما به صلاحكم وهلاككم وقوله عز وجل ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا ضرب المثل بهذين وبحين احدهما ان من لا يقدر ولا يملك ان ينفق
في الشاهد عندكم لا يستوي من يملك ويقدر ان ينفق فهو كقوله هل يستوي الاعمى والبصير وكقوله مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع اي الذي يستوي البصير والاعمى ولا الاصم والسميع فعلى ذلك لا يستوي من يملك الانفاق و
والانعام على الخلق وهو المعبود الحق ومن لا يملك ذلك وهو المعبود الباطل والثاني ضرب مثل المؤمن والكافر ان
الكافر لا ينفق ما انعم عليه من المال في طاعة الله ولا في خيرات والمؤمن ينفق جميع ما انعم عليه واعطى في طاعة
الله وخيرات فلما لا يستوي من انفق في طاعة الله ومن لا ينفق شيئا احدهما يكون ضرب مثل الاله الحق والمعبود
الحق بالمعبود الباطل والثاني مثل المؤمن بالكافر في نفقته في الخير وغيره في الله لا نال احدهما ان القدرة لا تفارق
الفعل حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه جعل مقابل الفعل
القدرة فلو كانت لا تفارق الفعل لكان ذكر مقابل القدرة مثلها مقابل الفعل فعلا مثله فلما ذكر مقابل القدرة
الفعل انها لا تفارق الفعل وفيه ان العبد لا يملك حقيقة الملك حيث ذكر عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وان
قدر ما انما يملك باذن من له الملك وكذلك الخلائق كلهم لا يملكون حقيقة الملك وانما حقيقة الملك في الاشياء
لله والله تعالى انما يملكون بالاذن على قدر ما اذن لهم وفيه ان العبد لا يملك الانفاق والتصدق
حيث قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ثم قال فمن يملك ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق دل انه لا يملك
العبد الانفاق والهبة وقوله عز وجل هل يستوون الحمد لله قال بعضهم ذكر الحمد لله على اثر ما ذكر لانه
عرف رسوله النعم وانواع المنافع لم يعرفه غيره فلذلك الحمد لله وقال بعضهم الحمد لله ثناء اخبر ان اكثرهم لا يعلمون
حمد الله وثناءه قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا [illegible] وذلك جائز سائغ في اللغة بل اكثرهم
لا يعلمون يحتمل نفي العلم عنهم لما لم ينتفعوا بما علموا او على حقيقته انهم لم ينظروا في الادلة حتى يعلموا
فلم يعلموا والله اعلم وقوله عز وجل وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه الى اخر الاية
قالوا هذا المثل كالاول ويحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما في الاول احدهما المؤمن والكافر يشبه الكافر بالمملوك الابكم
الذي لا يقدر على شيء وهو كل على سيده لا ياتي المولى بخير ولا ينتفع به ويشبه المؤمن بالذي ياتي بكل خير ونفع
يقول اهل يستوي هذا مع هذا عندكم لا يستوي فعلى ذلك لا يستوي الكافر الذي لا يعمل شيئا من طاعة الله ولا
ياتي بخير والمؤمن الذي يعمل كل طاعة الله وياتي بكل خير ويامر بكل عدل فمن هو ابكم والثاني ضرب مثل الاله المعبود
بالعبد الباطل يقول هل يستوي من يتاكم بكل نعمة وكل خير ويامر بكل عدل بمن هو ابكم لا يقدر على شيء ولا يضر
ولا ينفع ولا يجيب وهو عيال على من يعبده ويخدمه هل يستوي هذا مع ذلك لا يستويان فعلى ذلك البتة غير ان
المثل ههنا ضرب للذي لا ينطق بالحق ولا ياتي بالعدل الذي يامر بالعدل ذكر مقابل الابكم الذي لا يامر بالعدل
وفي الاول ضرب المثل الذي لا يملك الانفاق بالذي يملك الانفاق وقوله عز وجل وهو على صراط مستقيم اي
هو على الحق المستقيم وهو المطلوب بالحق فالابكم يحتمل الكل العيال وكذلك قال غيره من اهل الادب
وقال بعضهم الكل العقير وهو واحد والاخرس والابكم الاخرس وهو الذي لا ينطق البتة
وقالوا ومن يامر بالعدل بالتوحيد وقوله عز وجل ولله غيب السموات والارض من هذا يحتمل وجوها
احدها ما ذكر اهل التاويل من السؤال عن الساعة وعن وقتها كقوله يسالونك عن الساعة ايان مرسيها
قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة [illegible]
الخبر انه لا يجليها الا هو وقتها فوقف فيما لا يعلمه غيره والثاني ولله علم ما غيب اهل السموات واهل
الارض اي ما غيب بعضهم من بعض فذلك ليس بغيب عن الله بل ما غاب عن الخلق وما ظهر لهم فذلك
لله كله ظاهر بحق واحد هو كقوله يعلم ما يسرون وما يعلنون والثالث قوله ولله غيب السموات والارض
اي له علم ما في سترها هذه الاشياء الظاهرة ما لا سبيل للخلق الى علم ذلك وان كانت هذه الاشياء ظاهرة و
الاشياء الظاهرة ويقع حواسهم عليها لا يعلمون ما في سترتها من المعاني التي بها حيوة كل حي وغير
الخلقة التي يخلق منها الاشياء لا يعلمون المعنى الذي به يبصر الاشياء ومن نحو السمع والبصر والعقل يعلمون
ويدركون بها الحواس ولكن لا يدركون المعنى الذي به يسمع وبه يبصر وبه يعقل ويجهل يقول والله
اعلم والله علم ما غاب عن الخلق ما في هذه الاشياء الظاهرة [illegible] والله ملك ما غاب
عن اهل السموات والارض وملك ما لم يغب عنهم وظهر فيكون كقوله ولله ملك السموات والارض والله
على كل شيء قدير [illegible] والله العلم الذي غيب عن اهل السموات واهل الارض [illegible]
عليها غيره وقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر قال بعضهم قوله وما امر الساعة [illegible] على الله [illegible]

البصر اذ ليس شيء ابصر واهون على الانسان من لمح البصر لانه يلمح البصر وهو او هو اقرب اي بل هو اقرب اي انه يلمح
لمح البصر وقال الحسن اعادة الخلق على الله ايسر واهون من لمح البصر لانه يلمح بسرعة فيبصر بحدقته ما بين الارض
الى السماء وهو مسيرة خمس مائة عام يقول من قدر ان يبشيء في خلق من خلو بخلقه ما يبصره بلمحة البصر مسيرة
خمسمائة عام لقادر على اعادة الخلق وبعثهم بعد الفناء بل هو اقرب اي اعادتهم اياهم اسرع واقرب من لمح البصر
الى هذا يذهب الحسن وقال بعضهم وما امر الساعة اي ما وقت قيام الساعة الا كلمح البصر اي ليس بين وقت قيامها
وبين كونها الا كلمح البصر بل هو اقرب من لمح البصر لكنه مثل لمح البصر لما ليس شيء عند الناس اسرع واهون من لمح البصر
لما ذكرنا انه يلمح ولا يشعر بسرعته وخفته عليه فذكر هذا على التمثيل ليس على ارادة حقيقة الوقت بقدر لمح
البصر ولكن على المبالغة في السرعة وذكر اقصى ما يقع في الاوهام وينتهون من عقولها قال لمن يعمل بمثقال ذرة
خيرا يره ويقول يره وما قال ما يملكون من قطمير ولا يظلمون فتيلا ولا يظلمون نقيرا وامثاله كله ذكر على التمثيل
ليس على التحقيق اي ما يعمل من قليل او كثير يره شرا كان او خيرا وكذلك لا يظلمون فتيلا ونقيرا اي لا يظلمون شيئا
وكذا ما يملكون من قطمير اي لا يملكون شيئا الا ان القطمير لا يملك لانما يذكر هذا وامثاله على التمثيل الذي ذكرنا
او ان يكون تاويل قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اي ليس ما بين الساعة وبينكم مما مضى من الوقت الا وقدر لمح البصر
لم يبق من وقت قيامها مما مضى الا ما ذكر من لمح البصر او اقرب مما ذكر على الاستقصار بما بقي ان الله على كل شيء قدير
وعلى البعث والاعادة وعلى كل شيء لا يعجزه شيء وظاهر الاية ينقض على المعتزلة قولهم لا يتكلم في خلق افعال
العباد لانه اخبر انه على كل شيء قدير وعلى قولهم هو غير قادر على الف الف شيء وقوله عز وجل والله اخرجكم من بطون
امهاتكم لا تعلمون شيئا يذكر بهذا قدرته وسلطانه على ما سبق من ذكر سرعة القيامة والعلم بها والحكمة التي جعل
والبعث فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا خلق الولد في ظلمات ثلاث وجعل غذاءه بغذاء الامهات
ويحول من شيء الى شيء في تلك الظلمات من حال الى حال ما لو اجتمع الخلائق على ان يعلموا الغذاء بغذاء الاصحاب وتقلبه من حال
الى حال ومن جوهر الى جوهر ما قدروا على ذلك فيدل هذا على ان من قدر على هذا وعلم هذا في تلك الظلمات لقادر
على البعث واعادة الخلق بعد الفناء وعلم ما غاب عن الخلق ويذكرنا انه اخرجنا الى ما اخرجنا من بطون امهاتنا ونحن
لا نعلم شيئا ثم صيرنا بحال صرنا علماء بالاشياء يذكرنا نعمه ومنته علينا في بلوغنا الى الاحوال التي صرنا اليها بعد ما
كنا ما ذكر والثاني يذكرنا انكم كنتم بالحال التي ذكر لنعلم انه صيرنا في البطون بلا استعانة بنا ولا باحد منا ولا عون منه من
احد والله اعلم وقوله عز وجل وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لمن قدر على جعل السمع حتى يسمع الاصوات
ويميز بينها وبصر ويميز بين الوان الاجسام والفؤاد ليفهم ويعقل ما له وما عليه مما لا يدركون ما ثبته ما لم
يسمعون ويبصرون ويعقلون ويعبرون بين ما ذكرنا فمن قدر على انشاء الخلق بعد الفناء والاعادة بعد
الموت ثم ذكر على اثر قوله لا تعلمون شيئا السمع والبصر والافئدة فذلك يدل على ان هذه الاشياء من اسباب
العلم بالاشياء يتوصل الى العلم بالاشياء فمن اعطى اسباب العلم بالشيء فكان قد اعطي له العلم به والله اعلم وقوله
عز وجل لعلكم تشكرون هو حرف شك في الظاهر وكان والله اعلم لا ترى كل الناس يشكرون نعمه او لكي يلزمهم الشكر له
وقوله عز وجل الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله اي من قدر على امساك الطير وهي اجسام
كثيرة من الاجسام في الهواء بلا عماد ولا تسفل ولا تعلق بشيء لما قادر على انشاء الخلق واعادتهم
بعد الفناء او يقول او لم يروا الى اللطف الذي جعل في الطير والحكمة التي انشأ فيها حتى قدرت على الاستمساك
في الهواء والطيران في الجو ما لو اجتمع الخلائق جميعا ان يدركوه ذلك اللطف او تلك الحكمة ما قدروا على ادراكه وفي
ذلك نقض قول المعتزلة لان الطيران فعل الطير ثم اضاف ذلك الى الله حيث قال ما يمسكهن الا الله دل ذلك ان لله
في ذلك صنعا وفعلا وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون جميع ما ذكر يكون اية لمن امن لانه هو
المنتفع قال ابو عوسجة لمح البصر سرعة النظر وجو السماء هواها ويقال بطن السماء ويقال جو في السماء ويقول
الجو ما اطمأن من الارض والاول اشبه وقوله عز وجل والله اعلم جعل لكم من بيوتكم ظاهر هذا انه قد جعل لنا من
البيوت ايضا ما ليس سكنا لانه قال جعل لكم من بيوتكم سكنا وهو ما ذكر في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا
غير مسكونة وهو كالمساجد والرباطات وغيرها ويشبه ان يكون ذكر هذا ليعرفوا عظيم منته ونعمه حيث جعل
الارض بحال يقرون عليها ويمكن لهم المقام بها بالرواسي التي ذكر انه اثبت فيها بعد ما كانت تميد بهم ولا تقرهم الخبر
فيها رواسي او ان يكون حرف من صلة اي جعل لكم بيوتا تسكنون فيها ثم قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا يحتمل وجهين
احدهما اي سخر لكم الارض حتى قدرتم على اتخاذ المساكن فيها تسكنون فيها او جعل لكم بيوتا اي علمكم تسكنون
فيها ثم قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا يحتمل وجهين احدهما اي سخر لكم الارض حتى قدرتم على اتخاذ المساكن فيها
او جعل لكم بيوتا اي علمكم ما تبنون فيها من البيوت ما لولا تعليمه اياكم ما تقدرون على بناء البيوت فيها يذكر منته
عليهم والله اعلم وفي هذه الايات في قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ونحوه دلالة
نقض قول المعتزلة لانه ذكر انه جعل بيوتا سكنا والسكن فعل العباد دل ان لله في فعلهم صنعا وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا قال اهل التاويل جعل لكم من جلود الانعام اي من صوفها الخيام اثاثا فيها اي الجلود ملابس الجلود تخرج و
منها ... وهو ما ذكر ومن اصوافها وهو صوف الغنم واوبارها وهو صوف الابل واشعارها ما يخرج من المعز

يوم ظعنكم قبل يوم سفركم ومسيركم ويوم اقامتكم قال بعضهم في المصر وقال بعضهم في السفر حين النزول والحمل في
هذا يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا في قوله جعل لكم من بيوتكم سكنا احدهما على التسخير لهم والثاني على التعليم ذكر عز وجل
في البيوت المتخذة من المدار السكنى حيث قال من بيوتكم سكنا ولم يذكر في البيوت المتخذة من الجلود والاوبار والاشعار
فكانه ترك ذكره في هذا لذكره في الاول ذكر تصريح وذكر في الثاني ذكر دلالة وقوله عز وجل اثاثا قيل الاثاث
والرياش واحد وهو المال وقيل ما يتخذ من الثياب والامتعة وقوله عز وجل ومتاعا الى حين يحتمل الى حين الى وقت
بلاء ذلك الاثاث او الى حين وقت فنائهم وقوله عز وجل والله جعل لكم مما خلق ظلالا يحتمل قوله ظلالا البيوت
التي ذكر وهي تظلهم ويحتمل الاشجار وجعل لكم من الجبال اكنانا وهي الغيران والبيوت التي تتخذ في الجبال تقيهم من
الحر والبرد وجعل لكم سرابيل قيل القميص والدروع ثم ذكر ان ما ذكر من البيوت والاكنان والسرابيل تقيكم الحر
وتقيكم ايضا باس العدو وكذلك يتم نعمته عليكم ما ذكر من انواع النعم وقوله عز وجل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ذكر انها
تقي من الحر وهي تقي الحر والبرد جميعا فكان في ذكر احدهما ذكر الاخر ذكر كفاية وقوله كذلك يتم نعمته عليكم اي كذلك يتم
نعمته عليكم ليلزمهم الاسلام او حجته ثم يحتمل النعمة ما تقدم ذكره ويحتمل الرسول وقوله عز وجل
لعلكم تسلمون جميع ما ذكر من النعم والايات في هذه السورة من اولها الى اخرها انما ذكر لهذا الحرف وهو قوله
لعلكم تسلمون وما ذكر لعلكم تشكرون ولعلكم تهتدون يحتمل ان يكون هذه الاحرف كلها واحدا ويحتمل ان يكون
لكل حرف من ذلك معنى غير الاخر والله اعلم وقوله عز وجل فان تولوا عن الاجابة لك وعما تدعوهم اليه فانما عليك
البلاغ المبين اي ليس عليك اجابتهم انما عليك التبليغ اليهم والبيان لهم وقوله عز وجل يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها يحتمل النعمة ههنا محمدا صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وما ذكر يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل ويحتمل نعمة الله يعرفون نعمة الله وهو ما ذكر عرفوها انها من الله ثم ينكرونها
بعبادتهم الاصنام وصرفهم شكرها الى غيره كقوله ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله مع ما يعرفون ان الله
هو خالقهم وان ما لهم كله من عند الله يعبدون الاصنام فيكون عبادتهم دون الله كفران نعمة الله وقال
ابو عوسجة يوم ظعنكم يوم مسيركم ظعن يظعن سار والسرابيل القميص يقول تقيكم اي تستركم وقال القتبي ظلالا
اي ظلال الشجر والجبال وقوله كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون هذا والله اعلم في قوم علم الله انهم يؤمنون بما ذكر
لهم من انواع النعم والافضال ليعلم ان الاسلام من اعظم نعم الله لانه لا احد الا بنعمة وقال بعض اهل التاويل سميت
سورة النحل سورة النعم لما فيها من ذكر النعم وانواع منافع الخلق من اولها الى اخرها وقوله يوم نبعث من كل امة
شهيدا قال بعضهم شهيدها ان يشهد عليهم من نحو ما ذكر من شهادة جوارحهم عليهم وهو قوله يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم الاية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم الاية وقوله يومئذ تحدث
اخبارها ونحو ذلك من الايات التي فيها ذكر الشهادة عليهم عند ما يكادهم اعمالهم التي عملوها وقال بعضهم شهيدها
رسولها الذي بعث اليهم يشهد عليهم انه قد بلغ اليهم رسالات ربهم وهو كقوله وان من امة الا خلا فيها نذير والنذير
هو الرسول المبعوث اليهم وهو ما ذكر ايضا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وكقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اخبر انه يجيء بمحمد صلى
الله عليه وسلم شهيدا على اولئك ان الرسل قد بلغوا الرسالة اليهم وهو ما ذكر فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن
المرسلين وقوله يوم يجمع الله الرسل الاية وقوله ويوم يناديهم يسال الرسل عن تبليغ الرسالة الى قومهم و
ويسال قومهم عما اجابوا الرسل الى هذا يذهب بعض اهل التاويل والله اعلم جميع ما ذكر في القران من مجيئه واتيانه
ونحوه جائز ان يكون ذلك البعث تفسير ذلك كله قوله يوم نبعث من كل امة كذا من ذلك وقوله وجاء ربك
والملك هل ينظرون الا ان ياتيهم الله وقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فهو البعث والله اعلم وقوله عز وجل
ثم لا يؤذن للذين كفروا وقال الحسن لا يؤذن لهم بالاعتذار لانه لا عذر لهم وهو ما قال هذا يوم لا ينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون لانه لا عذر لهم واعتذارهم لا ينفع لهم شيئا اذا اعتذارهم هو نحو قولهم ربنا
هؤلاء اضلونا وقولهم لولا انتم لكنا مؤمنين ونحو هذا مما لا ينفعهم ذلك فلا يؤذن لهم لذلك ولا هم
يستعتبون قال الحسن ولا هم يقالون وكذلك قال في قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي من المقالين
اي لا يقالون عما كان منهم وقال بعضهم لا يؤذن لهم ولا يمكن لهم من التوبة والرجوع عما كانوا لان ذلك
الوقت ليس هو وقت التوبة والرجوع كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وقال فلم يك
ينفعهم ايمانهم ونحوه ولا هم يستعتبون العتاب في الخلق وهو تذكير ما كان من الغلط ليرجع عما كان منه
وذلك في الاخرة لا يحتمل ويحتمل قوله ثم لا يؤذن للذين كفروا اي لا يؤذن لهم بالكلام كقوله اخسئوا فيها
ولا تكلمون او لا يؤذن للشفعاء ان يشفعوا للذين كفروا ويؤذن للشفعاء ان يشفعوا للمؤمنين وقوله عز وجل
واذا راى الذين ظلموا العذاب اي وقعوا فيه دليله ما ذكر فلا يخفف عنهم دل هذا انه لم يرد به رؤية العذاب
ولكن الوقوع فيه فلا يخفف عنهم لا تزيد ولا تخفيف مما يدوم من العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون من
العذاب والثاني لا يخفف عنهم عما استحقوا واستوجبوا وما ذكرنا انه لا يكون لعذابهم انقطاع وقوله
عز وجل واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك قال الحسن قوله شركاؤهم

اى قرناؤهم واولياؤهم من الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية وكقوله وقيضنا لهم قرناء الاية
وقوله نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا الاية وقوله شركاؤهم
اوليآؤهم كانوا لهم فى الدنيا ثم شركاؤهم الذى ذكر وقولهم هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك على
هذا التاويل كنا ندعوهم اياهم من دونك فالقوا اليهم القول اى يقولون لهم انكم لكاذبون وقال بعضهم قولهم هؤلاء
شركاؤنا الذين ندعوا من دونك الاصنام التى عبد وها فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اى يكذبونهم وهو ما ذكر
ان كنا عن عبادتكم لغافلين يكذبونهم فيما قالوا ويخبرون انهم كانوا غافلين عن عبادتهم وقال بعضهم شركاؤهم
الملائكة الذين عبدوهم كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اخبروا انهم انما عبدوا الجن بامرهم ولم يعبدوهم او يكون شركاؤهم
رؤساءهم الذين انقادوا لاتباع لهم ويحتمل الاصنام وما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون
هو ما ذكرنا يقولون لهم انكم لكاذبون او يكذبونهم فيما يزعمون ويدعون وقوله عز وجل والقوا الى الله يومئذ
السلم اى يخضعون كلهم لله يومئذ ويخلصون له الدين ويسلمون له الامر والالوهية وضل عنهم ما كانوا يفترون
اى بطل عنهم ما طمعوا بعبادتهم الاصنام والاوثان التى عبدوها من الشفاعة وغيرها كقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله بطل عنهم ما طمعوا ورجوا من عبادة اولئك من الشفاعة
لهم والقربة الى الله وقوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون قال بعضهم هؤلاء كانوا رؤساء الكفرة وقادتهم ضلوا هم بانفسهم واضلوا اتباعهم فلهم العذاب
الدائم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلال غيرهم وهو كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وكقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم الاية اخبر انهم يحملون اوزارهم
واثقالهم واوزار الذين اضلوهم ومنعوهم عن الاسلام فعلى ذلك قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما اضلوا
اتباعهم وسعوا فى الارض بالفساد وهو قول ابى بكر الاصم وقال بعضهم ان عذابهم كلما اراد ان يفتر ينضج الجلود
زيدت لهم تبديل الجلود نارها كلما ارادت ان تخمد زيدتهم سعيرا كقوله بدلناهم جلودا غيرها وقوله كلما
خبت زدناهم سعيرا فذلك هو الزيادة فى العذاب ويحتمل غير هذا وهو ان عذاب الكفرة دائم ابدا فيزدادهم
عذابا بما كان لهم فى الكفر سوى الكفر اعمال ومساوى كما يعفى ويتجاوز عن المؤمنين بما كان منهم من المساوى كقوله
اولئك الذين يتقبل عنهم يقابل ما كان يعفى من المؤمنين المساوى زيد لاهل الكفر على عذاب الكفر المساويهم وفى
حرف ابن مسعود زدناهم عذابا ضعفا بما كانوا يفسدون واصله ان جزاء الاخرة من الثواب والعذاب على المضاعفة
لانه دائم لا انقطاع له وما ذكر من الزيادة والفوق وغيره فهو على المضاعفة وقوله عز وجل يوم نبعث فى كل امة
شهيدا عليهم من انفسهم يحتمل قوله من انفسهم اى من البشر ويحتمل ما ذكرنا من شهادة الجوارح عليهم وقوله عز وجل
وجئنا بك شهيدا على هؤلاء هو ما ذكرنا يشهد الرسول عليهم بالتبليغ ويشهد لمن اجابه واطاعه وعلى من رد وكذبه
بالرد والتكذيب وقوله عز وجل ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء يحتمل قوله تبيانا لكل شيء ما ذكر فى هذه السورة
لانه ذكر فيها جميع اصناف النعم وجواهرها ووجوه الاسباب التى بها يوصل اليها وذكر فيها ما سخرهم من انواع
الجواهر وفيه ذكر ما وعدوا واوعدوا امروا نهوا وذكر ما حل بالاعداء وما ظفروا ولباثهم وفيه ذكر سلطانه وقدرته
وذكر سفه الكفرة وعنادهم وذكر ما يؤتى ويبقى فذلك تبيان كل شيء او ان يكون فى الكتاب تبيان كل شيء
وفى القرآن ما ذكرنا من الامر والنهى والوعد والوعيد واخبار الامم الماضية وامثالهم وجميع ما يؤتى ويبقى ففيه
تبيان كل شيء من الوجه الذى ذكرنا وان يكون انزل عليه الكتاب تبيانا لكل ما جاء به الرسل وجاءت به الرسل والكتب
جميعا فى هذا الكتاب بجميع ما اتى به الرسل من الكتب من الامر والنهى والوعد والوعيد كقوله ومهيمنا عليه ثم
اختلف فى ذلك البيان قال بعضهم يحتمل الاية وجهين احدهما الخصوص بالرسول دون الفروع كذكر الكمال للدين
لكون ذلك وصف الدين وقد يقع له الكمال بالكتاب والسنة وهذا الكتاب لم يجز التفصيل عن الاشتمال عما لزمت
الحاجة فى امر الدين وان كان الكتاب تبيانا لكل ما وقعت اليه حاجة فى اصول الدين من الايمان وانواع العبادات
والاحكام مع الحدود والحقوق ومكارم الاخلاق فى تنظيم صلة الرحم وعشرة الاخوان ومحبة الجيران ونحو ذلك
فتشتمل على الجملة على اصول الدين وما وراها ما يكون موكولا الى بيان الرسول لبيان الكتاب باشراطه تلاوة وولاية له
الوجه والوجه الثانى ان يكون تبيانا لكل شيء مفصلا لما فيه جملة ومبهمة ومشكلة وليبان الرسول جمله وتفسيره
مبهمه وايضاحه ودلالته على مشكله وقال والسنن كلها بيان للكتاب ويرتبط بعض ببعض ثم قد يحتمل الايات التى
فيها ذكر البيان والتفصيل وجوها غير الوجهين اللذين ذكرتهما احدها انه تبيانا لكل شيء ظهر فيه التنازع بين اهل الاديان
والزمتهم الضرورة فيه الى البيان فجعل الله الكتاب تبيانا الى ما لزمهم بالتدبر العلم بانه من عند الله بحجج ما عليه وضح
القوم عن نوع ما ذكر فيه من الحجج والادلة وما يعجزهم عن المعارضة بمثله ونظر لمن يتفكر فيه انه ما اتاهم
فيما بهم الحاجة والحاجة الضرورة الى من يطالبهم الحق فيما لو اهلوا عن ذلك لتولتهم العداوة والعناد فانهم
الله عليهم يروين فيه جميع ما بين اليه من الحاجة والوجه الثانى ان يكون فيه تبيانا لكل شيء بالطالبين من عنده
وما يحث فيه الطلب بكل ما ينزل بهم من الحاجة الى الابد فيكون هو اصل ذلك لكن باختلاف الاسباب يوصل الى حقيقة

العليم

العليم وذلك نحو ما جعل الماء حيوة لكل شيء ووصف ان فى السماء رزق جميع الخلق فانه انزل من السماء للناس والرياش
واخبر انه خلقنا من تراب ثم اخبر انه خلقنا جميعا من نفس واحدة على رجوع كل ما ذكر باختلاف الاسباب والتولد
اليه والله اعلم وذلك كما قال اهل الكلام فى جعل المحسوس ادلة لكل غائب جعلها الله ادلة توصل اليه بالتامل
والنظر فيكون المحسوس مبينا من ذلك والاعلى اختلاف الدرجات فى حد البيان منها فجعله الله كذلك
حتى انه فى العقل سقه من تكلفا استخراج كلية امور العالم العلوى والسفلى وما على ذلك مدلولا عليه من
بين هذا المحسوس فتلك امر القرآن والله الموفق والثالث ان يكون فيه بيان على الرمز والاشارة وعلى الكشف بانيا
فما كان منه على الرمز فهو مطلوب فى المعانى وطريق الوصول الى ما فى تلك المعانى من الامور مختلفة منها ما
يقع بمعونة الوحى من غير الكتاب على اختلاف وجوه الوحى من ارسال على لسان ملك او رؤيا او الهام والتامل
فى ذلك او الاستنباط بما فيها وصحة بعله توفيق الله للنبى وفى ذلك عصمه عن الزيغ او على ماشاء من ترتيب الحكم فى
حق لتفاهم لغوامض الامور وغير ذلك مما يريد الله ان يطلع عليه بنبيه فان لطف رب العالمين فيما عامل
به الاخيار يجل عن احتمال العبارة عنه او تصويره فى الاوهام نحو كتابة الحفظة وقبض ملك الموت ارواح
الخلائق فى وقت واحد فى اطراف الارض ونحو ذلك وذلك كله عند اللطف الذى يعجز البشر عن الاحاطة فعلى ذلك
امر تبيان كل شيء مما يحتمل الرجوع ثبا وبل الاتيه الى اغلب الامور ومرجعها كقوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حى و
غيره ولا قوة الا بالله والاصل عندنا ان البيان حد يحفظ العدد على ما ذكره قوم ان على خمسة اوجه
انما عوا عرا ان احدهما ما يبين هو والثانى ما يبين غيره لكن الوجه الذى يبين يجمع ما غاب عن الحواس ما البيان اصله الوقع
تحت الحواس اذ البين الذى من جهة مرجعا وقد درجات البيان عن فهم الخبر عنه ان الحجود وكفى كلام مومنا خصومتهم
شم خبره منها يصير بالتامل على الوجوه التى جعلت للوصول اليه وان بعد او قرب بدليله كالمحسوس اذا التامل
فى الاسباب هو سبب الوصول الى ما غاب كالمحسوسات فيما يشهد فمن اراد القطع على حد او شيء يحتاج الى
دليل فيه واصل البيان حقيقته هو الظهور واسباب اظهاره والاشياء منتفا وشروط ذلك مقاديرها من الظهور
وجلته ارتفاع اللبس عن القلوب وتجلى حقائق الامور بها عن قدر العقول فى الادراك وما يتجلى القلوب
على مقدار ما يحمل من الظهور وقوله عز وجل وهدى ورحمة يحتمل ان يكون قوله تبيانا لكل شيء وقوله وهدى ورحمة
كله واحد الرحمة والهدى والبيان وبرحمته ويهداه يتبين لهم ويتضح لكنهم قالوا البيان للناس كافة يتبين ويتضح الا
من عاند وكابر والهدى والرحمة للمؤمنين خاصة على ما ذكر وهدى وبشرى للمسلمين ذلك للمسلمين خاصة والله اعلم
وقوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخر ما ذكر قال الحسن قوله ان الله يامر بالعدل فيما بين الناس
اى يامر الحكم فيما بينهم بالعدل والاحسان هو ما كلفهم بالطاعة له او ان يكون الامر بالاحسان الى انفسهم او الى
الناس وجائز ان يكون الامر بالعدل فيما بينه وبين الله والاحسان فيما بينه وبين الخلق اى يعامل ربه بالعدل
لان العدل هو وضع الشيء موضعه وهو لا يقدر على المجاوزة عن العدل حتى يكون فى حد الاحسان فيما بينه وبين
ربه ويقدر ان يصنع الى خلقه اكثر ما يصنعون هم اليه فيكون محسنا اليهم واما الى الله فلا يكون محسنا وايتاء ذى
القربى اى اعطاء ذى القربى الصدقة من غير الزكوة المفروضة وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى هى المعاصى اى ينهى عن
المعاصى كلها وقال ابو بكر الاصم يامر بالعدل اى بالحق الذى له عليهم والاحسان هو ما تعبدهم من العبادات و
الطاعات التى تحمل سبب عطف بعضهم على بعض وايتاء ذى القربى صلة القرابة والارحام وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى وقال ابن عباس ومقاتل وقتادة وهؤلاء قوله يامر بالعدل بالتوحيد والاحسان اى اداء الفرايض
وهو قول ابن عباس وقتادة وقال مقاتل قوله والاحسان هو فيما بينهم يحسن بعضهم الى بعض وايتاء ذى القربى صلة
الارحام وينهى عن الفحشاء اى الزنا والمنكر اى الشرك والبغى مظالم الناس وقال بعضهم المنكر ما لا يعرف فى الشرايع
والسنن ويقال المنكر ما اوعد الله عليه النار والبغى الاستطالة والظلم لم يجب حقيقة العدل ما هو فهو والله
اعلم وضع كل شيء موضعه فيدخل فيه كل شيء التوحيد وغيره يجعل الربوبية والالوهية لله لا شريك
فيها غيره ولا يصرفها الى غيره ولا يضيف بل ينسب الربوبية والالوهية الى الله والعبودية الى العباد ولا يضاف
العبودية الى الله ولا الربوبية والالوهية الى العباد وذلك العدل ووضع كل شيء موضعه الربوبية فى موضعها
والعبودية فى موضعها هذا والله اعلم معنى العدل واما الاحسان فهو ما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان جبريل
سأله عن الاحسان حين ساله عن الايمان والاسلام فقال ما الاحسان فقال ان تعمل لله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك ومن يعمل لاحد بحيث يراه وينظر اليه يكون ابدا طالب رضاه فى ذلك العمل واخلاصه له وطلب مرضاته
مرضاته فيه فهو يحتمل وجوها ثلاثة اعنى الاحسان احدها ما ذكرنا ان يعمل له كانه يراه وذلك فيما بينه وبين
ربه والثانى فيما بينه وبين الخلق وهو ان يحب لهم كما يحب لنفسه فيما اذن له فى ذلك وتقول على الاطلاق يجب
لهم كما يحب لنفسه فان عورض بالقتال والحروب التى بيننا وبين اهل الحرب وذلك بالذى لا نحب لا نفسنا ونحب
لهم قيل فى ذلك طلب نجاتهم وتخليصهم من الهلاك والعذاب القائم الابدى وذلك مما نحبه نحن لانفسنا ان
يجاهد فى نجاة احد يامن المهلكة الاخرى انه قال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والنبى فى الظاهر رحمته لكن
فى الحقيقة رحمة حيث يحملهم القتال على الاسلام اذا كان قبل نصب القتال والحروب سعيهم لم يسلم الا قليل منهم

فلما نصب الحروب معهم والقتال دخلوا في الاسلام افواجا افواجا فصار ذلك في الحقيقة رحمة وان كان في رأي
العين في الظاهر ليس برحمة وكذلك هذه المصائب والبلايا التي تحل بالخلق هي في الحقيقة نعمة ورحمة وذلك عدها
وسماها يعقل الناس لما تعقب من الثواب والنعمة اذا صبر عليها ورأى ذلك منه حقا وعلى الاحوال في حال الضراء و
السراء منه فهو يطيب نفسه في جميع الاحوال لتصرف ايام الشدة والضيق فاذا راى ما يعقب من الخير و
النفع في العاقبة فمن هذه الجهة يجوز ان يقال ذلك نعمة ورحمة واما في ظاهر الحال فلا وذلك ان كل بلاء يترك
باحد فصبر عليه كان في ذلك خصال اربعة احدها تكفير ما كان ارتكب من المعاصي والثاني معرفة العبودة و
غيره عليه والثالث ما يعقب من الثواب والاجر الدائم والرابع معرفة النعم من الشدة يعرف النعم واما الفحشاء
الى نفسه وهوان يعقلها مما فيه هلاكها وقوله وينهى عن الفحشاء هو ما يكبر ويفحش من الشيء والمنكر هو الشيء
الغريب الذي لا يعرف الا ترى الى قول ابرهيم انكم قوم منكرون سماهم منكرين لما لم يعرفهم والمنكر ما يفعل
من هو غير معروف بالخير والصلاح من الزلات لما يكون ذلك منهم غريبا اذ لم يعرفوا بذلك فذلك منهم والفحشاء
ما يكون من اهل الفساد والشرور وذلك مما يكبر ويفحش ذلك منهم والبغي هو الظلم ويحتمل ان يكون هذا كله المنكر
والفحشاء والبغي وكله واحد الفحشاء هو المنكر والفحشاء هو البغي والمنكر هو الفحشاء والبغي والله اعلم وقوله
عزوجل يعظكم قال بعضهم اي ينهاكم عما ذكر كله لعلكم تذكرون وتنتهون عنه وقال بعضهم والموعظة هي التي تلين القلوب
القاسية وتصرفها الى طاعة الله وقد ذكرنا وقوله عزوجل واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد
توكيدها يحتمل امرها بوفاء العهود التي يعطي بعضهم لبعض امرهم بوفاء ذلك ونهاهم عن نقضها ويلزمهم
وفاء عهد الله وان لم يعاهدوا في ذلك لكنه ذكر وفاء العهد ان اعاهدوا ونهى عن النقض لا ترك وفاء ما عاهدوا
او نقض ما اعطوا على ذلك شرطا اقبح واوحش مما لم يعاهدوا وهو كقوله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي
واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا ترك الوفاء ونقضه بعد قولهم سمعنا واطعنا اوحش واقبح من نقضه اذا لم يكن
لهم عهد سابق وشرط متقدم وهذا والله اعلم معنى امره بوفاء العهد اذا عاهدوا وان كان وفاء العهد لازما
لهم وان لم يعاهدوا الا جعل الله البشر بحيث يقبلون الحكمة والمحنة وجعل بنيتهم وخلقتهم بحيث يقدرون على القيام
بذلك كقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها الاية اي في خلقتهم وبنيتهم اي لم يجعل
خلقة هذه الاشياء وبنيتها يحتمل ذلك وحملها الانسان اي خلقته وبنيته تحتمل ذلك والقيام بها ويحتمل ان
يكون العهود التي امر بوفائها اذا عاهدوا على الايمان التي يقسمون بها حيث قال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
ذكر الايمان ونهى عن نقضها ثم لا يحتمل ان يكون النهي عن النقض في الايمان التي يأثم بها المرء اذا حلف لانه نهى
عن نقضها ولو كان يأثم بعقدها لكان لا ينهى عن نقضها لان الايمان التي يأثم بها المرء اذا حلف ينقضها ولا
يؤمر بوفائها وحفظها ثم ذكر نهيه بعد توكيدها ولم يبح نقض اليمين وان لم يؤكدها اذ لم يكن في الوفاء بها اثم
لكنه ذكر التوكيد لان النقض بعد ذلك اقبح واوحش من النقض على غير التوكيد على ما ذكر من القبح والفحش في نقض
العهود بعد ما عاهدوا وقال بعضهم قوله بعد توكيدها هو حلفهم بالله لان مشركي العرب كانوا لا يقسمون بالله الا
ما يعظم من الامر جل وذلك اخرا فيما بينهم ولذلك قال بعض اهل التأويل في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم يقول جهد ايمانهم
هو قسمهم بالله وقوله عزوجل وقد جعلتم الله عليكم كفيلا قيل كانوا يحلفون فيما بينهم على جعل الله كفيلا عليهم
وقيل الكفيل هو الشهيد الحافظ وهكذا يؤخذ الكفيل فيما يؤخذ لحفظ المال والنفس وقوله عزوجل ان الله يعلم
ما تفعلون من الوفاء بما عاهدوا والنقض والله اعلم وقوله عزوجل ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هي اربى من امة اختلف في تاويل الاية قال بعضهم الاية نزلت في مخالفة اهل
الكفر بعضهم بعضا وهو ان يرث بعضهم بعضا وينصر ويعين بعضهم بعضا ويحلفون على ذلك ويقيمون فان هلكوا في
ذلك اي في نصر بعضهم بعضا ثم اذا راوا الكثرة والغلبة مع غير الذين حالفوا نقضوا ذلك ورجعوا الى الذين معهم الكثرة
والغلبة فنهوا عن ذلك قال بعضهم الاية في الذين يكونون بعد رسول الله واصحابه لما علم انه يكون خوارج واهل
اختلاف في الدين فربما كانت الكثرة والغلبة لهم على اهل العدل فنهى من عاهد اهل العدل وبايعهم ان ترك
بكثرتهم وغلبتهم الكون مع اهل العدل واعانتهم ونقض ما عاهدوا ولذلك قال انما يبلوكم الله به وقال هذا يدل
انه في اهل الاسلام وقال بعضهم الاية في اهل النفاق انهم كانوا يقسمون بالله انهم ينصرون رسول الله واصحابه
ويقولون انا معكم كقوله ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم لانهم كانوا يرون من انفسهم الموافقة لهم والنصر و
العون لهم على اعدائهم ويحلفون على ذلك ثم اذا راوا الكثرة مع الكفرة والغلبة وقلة المؤمنين تحولوا اليهم ولذلك
نقضوا ايمانهم وكانوا معهم كقوله فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ
عليكم الاية ويحتمل قوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة اي لا تكونوا في نقض العهود والمواثيق كالمراة
التي نقضت غزلها من بعد قوة وجائز ان يكون غير هذا يقول ولا تظنوا في الله انه يكون في انشاء الخلق كالمراة التي نقضت
غزلها من بعد قوة فلو لم يكن بعث لكان يكون في انشاء الخلق كالمراة التي نقضت غزلها من بعد قوة وقد عرفتم قبح
ذلك فعلى ذلك انشاء الخلق اذ لم يكن بعث يكون في القبح ما ذكر ثم ضرب الله مثل من اعطى العهود والمواثيق ووكد
الايمان في ذلك ثم نقض ذلك بامراة تغزل من بعد قوة انكاثا يقول والله اعلم كما لم تنفع هذه المراة بغزلها

اذا نقضت من بعد ابرامها اياه كذلك لا تنفع ولا يوثق بمن اعطى العهد ثم نقض يقول فلا هي تركت الغزل تنتفع به
ولا هي تركت القطن والكتان كما هو فكذلك الذي يعطي العهد ثم ينقضه فلا هو حين اعطاه وفا به ولا هو ترك
فلم يعطه ونحوه ثم اختلف في تلك المراة قال بعضهم هي امراة من قريش حمقاء بمكة كانت اذا غزلت انقضته وقال
بعضهم هذا على التمثيل يقول والله اعلم اي لو سمعتم بامراة نقضت غزلها من بعد ابرامه لقلتم ما احمق هذه
فعلى ذلك من اعطى العهد والميثاق ثم نقض فهو كذلك وقوله عزوجل تتخذون ايمانكم دخلا بينكم قال ابو بكر الاصم
الدخل الذي لا يصح ولا يستقيم يقال هذا مدخول اي غير صحيح وقال غيره دخلا اي خديعة ومكرا يخدع بعضكم
بعضا وهو قول ابي عوسجة ايضا وقال القتبي دخلا بينكم اي خيانة وغلا بينكم ان تكون امة اي فريق اربى من
فريق وقال ابو عوسجة انكاثا هي جميع نكث والنكث من الحبل خيوط تنكث ثم تطرق وتصير صوفا ثم من بعد
ذلك تفتل قال والمطرف قضيب يضرب به الصوف حتى ينفش ويلين كما يندف القطن يقال طرقت الصوف اطرقه
طرقا اي ضربته ويقال نفشته انفشه نفشا اي فرقت بنيه فتفرق ومنه قوله كالعهن المنفوش ويقال
حبل مثنى اذا كان ذا طاقين ومثلوث ومربوع ومخموس ومسدوس ومسبوع ومثمون ومعشور وقال القتبي
الانكاث ما نقض من غزل الشعر وغيره واحدها نكث يقول لا تؤكدوا على انفسكم الايمان والعهود ثم تنقضوا
ذلك وتحنثوا فتكونوا كامراة غزلت ونسجت ثم نقضت ذلك فجعلته انكاثا والله اعلم وقوله عزوجل ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة قال الحسن لو شاء الله المشيئة ههنا مشيئة القهر والقسر اي لو شاء لجبرهم وقهرهم على الايمان
فامنوا جميعا فهذا فاسد لانه لا يكون بالقهر والجبر ايمان لانه لا صنع للعبد في حال القهر والجبر فيبطل تاويله
اذ لا يجوز ان يثبت ايمان في تلك الحال وقال ابو بكر تاويله قوله لو شاء لانزل لهم اية حتى يؤمنوا جميعا لتلك الاية
كقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين اخبر انه لو انزل اية يكون لها خاضعين لكن
عندنا انهم ليسوا يؤمنون ويخضعون للاية ولكن بما شاء لهم ذلك ولا يحتمل ان يحملهم الاية على الايمان شاؤا او ابوا الا ترى
انهم يكذبون يوم الحشر عند معاينتهم الايات وهو قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين
شركاؤكم الى قوله والله ربنا ما كنا مشركين اخبر انهم يكذبون وقد عاينوا الايات وليست الاية التي تنزل عليهم في الدنيا
باعظم من الايات بما يعاينونها يوم القيمة ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب دل ان الاية ليست تحملهم على الايمان ولا تضطر
هم عليه ولكن لو شاء لامنوا بالاختيار فيبطل تاويله ثم الاية تحتمل عندنا وجهين احدهما قوله ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة بظاهر الشيئة الذي اذا اعطاهم لامنوا له ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية اخبر انه لولا ما يرغب
الناس في الكفر فيكونون كفارا كلهم والا جعل سقف اهل الكفر ومعارجهم من فضة فلو انه جعل ذلك بغية لاهل
الاسلام وفي ايديهم لامنوا ايضا كلهم لانه لا يحتمل ان يكون الناس ذلك في ايدي الكفرة فيحمل اهل الاسلام
على الكفر واذا كان ذلك بغية لاهل الاسلام لا يحمل اهل الكفر على ترك الكفر والدخول في الاسلام والوجه الثاني
لو شاء لجعلهم امة واحدة بلطف منه يشرح صدره للاسلام من غير ان يعلم ان احدا القى ذلك في قلبه من نحو ما
مكن الشيطان عدو الله حتى يقذف في قلوب الخلق ويلقي وساوس من غير ان يعلموا ان احدا دعا الى ذلك او القى الى قلوبهم
الا ترى ان ابليس لما وسوس الى ادم عم ليتناول من الشجرة التي نهى عنه ربه لو علم انه ابليس لما اجابه وكذلك ما مكن الملائكة
من تثبيت قلوب الذين امنوا والقاء اشياء في قلوبهم ويلهمونهم وهو قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم
فثبتوا الذين امنوا من غير ان يعلموا احدا دعاهم الى ذلك او القى احد ذلك في قلوبهم فمن ملك يمكن عدوه وملائكته على
ما ذكرنا يملك شرح الصدر للاسلام والدعاء الى ذلك من غير ان يعلموا ان احدا فعل ذلك وقوله عزوجل ولكن يضل من يشاء
ويهدي من يشاء على قول الحسن على الحكم لذلك وقال ابو بكر يضل بالنهي من نهى ويهدي بالامر لكن هذا فاسد لانه لو كان
بالنهي مضلا وبالامر هاديا لكان مضلا للانبياء والرسل لانه قد نهاهم عن مناهي فيكون مضلا لهم فان قيل لم يصر ما ذكرت
لانهم لم يرتكبوا المناهي قبل الارتكاب فعلهم فلا يحتمل ان يكون نفعلهم ذلك فدل ان ما ذكرنا فاسد وعلى قولهم
يكون بالنهي غاصبا مضلا وعندنا قوله يضل من يشاء اي يخلق فعل الضلال منهم او يضل من علم انه يختار الضلال
على الهدى ويخذلهم وقوله عزوجل ولتسألن عما كنتم تعملون هو ظاهر وقوله ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم قد ذكرنا
وقوله عزوجل فتزل قدم بعد ثبوتها قال ابو بكر دل قوله فتزل قدم بعد ثبوتها ان الايات التي تقدم ذكرها في اهل
الاسلام لانه اخبر انه تزل قدم ثبوتها وهو الكفر بعد الاسلام وعندنا ما ذكرنا ان قوله فتزل قدم الخوف بعد
بعد ثبوتها وبعد ما كانوا امنين لانهم بايمانهم كانوا امنين وبنقضهم العهد والايمان خائفون فيكون قوله فتزل
قدم كناية عن الخوف والثبوت كناية عن الامن اي صاروا خائفين بنقضهم العهود والايمان بعد ما كانوا امنين
والله اعلم وقوله عزوجل وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله على هذا التاويل يذوقون ذلك في الدنيا بالقتل
والقهر ويحتمل في الاخرة بما صدوا الناس عن دين الله واستبدلوا به الكفر بعد الايمان ولكم عذاب عظيم
وقوله عزوجل ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا قال بعضهم عهد الله دين الله وقال بعضهم عهد الله الذي
عهد اليهم ويحتمل عهد الله ما اعطوا من العهد والايمان اي ينقضونها بشيء يسير انما عند الله هو خير لكم دائم
باق وهذا زائل فان او ما يجزى بوفاء ما عهد واصبركم من هذا اي يجزيكم بوفاء ما ذكر من العهد خير لكم من غيره والله
اعلم وقوله عزوجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق اي ما اخذتم من الاموال واكتسبتم بنقض العهود والايمان ينفد

وبقي وما عند الله من الجزاء والثواب بعهد الوفاء باق وليجزين الذين صبروا اجرهم يحتمل قوله على ما امروا ونهوا
وصبروا على وفاء العهد باحسن ماكانوا يعملون يحتمل قوله باحسن اي الجزاء الذي يجزيهم على الصبر احسن من وفاء العهد
او يجزيهم باحسن ما عملوا اي يجعل سيئاتهم حسنات كقوله فاولئك يبدل سيئاتهم حسنات وقوله اولئك الذين
يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم والله وقوله عزوجل من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة
طيبة اختلف اهل التاويل فلنحيينه حيوة طيبة قال بعضهم قوله حيوة طيبة في الاخرة وهي الجنة وقال بعضهم
حيوة طيبة في الدنيا فمن قال الحيوة الطيبة هي الجنة في الاخرة يكون تاويله من يكن عمله في الدنيا صالحا فلنحيينه
الله في الاخرة حيوة طيبة والا ظاهر قوله من عمل صالحا انما هو على عمل واحد وكذلك قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة
ظاهره على حسنة واحدة لكن الوجه فيه ما ذكرنا من يكن عمله في الدنيا صالحا فيفعل ما ذكر وقوله ربنا اتنا في
الدنيا حسنة اي ما تؤتينا في الدنيا اتنا حسنة او ان يكون على الختم به اي من ختم بالعمل الصالح فيحييه الله حيوة
طيبة في الجنة كقوله من جاء بالحسنة فله كذا وقال الحسن الحيوة الطيبة هي الجنة لان في الدنيا ما ينقص حيوته
وقال بعضهم الحيوة الطيبة في الدنيا فتاويله من يكن همه وجهده في الدنيا العمل الصالح فلنحيينه حيوة اي توفقه
ونيسره الخيرات والعمل الصالح والطاعات وهو ما روي انه قال كل ميسر لما خلق وكقوله فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى وكقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ونحوه فذلك هو الحيوة الطيبة في الدنيا حيث
يسر عليه العمل الصالح ووفق للطاعات والخيرات وقال وقال بعضهم قوله من عمل صالحا من ذكر او انثى اي قنع في
الدنيا بما قسم الله له ورزقه ورضي به فلنحيينه في الدنيا حيوة طيبة بما ازال عنه هم طلب الفضل وغمه وذلة
حرصه عليه لان اكثر هموم الناس في الدنيا وذلهم لما لم يرضوا بما قسم الله لهم ولم يقنعوا به فهو يحيى حيوة طيبة
لما عصم عن ذلك والله اعلم وقوله عزوجل وليجزينهم اي في الاخرة باحسن ماكانوا يعملون على تاويل من قال الحيوة الطيبة
في الدنيا وقال بعضهم وهو قول ابي بكر وليجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون في الدنيا ما ذكر هولاء وقال بعضهم
حيوة طيبة الرزق الحلال وقوله باحسن ماكانوا يعملون وفالتكرنا وقوله عزوجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله
من الشيطان الرجيم وقال في اية اخرى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال في اية اخرى وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين الاية فيحتمل ان يتعوذ من همزاته بعلم ما امر رسوله او عند نزغ الشيطان على ما ذكر
لكنه اذا تعوذ منه تعوذ من همزاته ونزغاته فان قيل كيف خص قراءة القران بالقران بالتعوذ منه دون غيره من
الاذكار والعبادات والاعمال الصالحة قيل قد يتعوذ منه دون غيره من الاذكار والعبادات والاعمال الصالحة
قيل قد يتعوذ منه دون غيره ايضا في غيره من العبادات والاذكار ويفتحونهم بسم الله ان يفتح شيء الا بسم فذلك
تعوذهم منه لكن التعوذ في هذا تعوذ بكتابة والتعوذ في قراءة بالتصريح وذلك انه حجة وبرهان فطعن الاعداء
فيما هو حجة في نفسه اكثر من الاعمال التي فعلوها الا ترى انه كان يلقنهم اعني الشيطان اولياءه انه ساحر وانه اساطير الاولين
وانما يعلمه بشر ونحو قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم كانوا يطلبون الطعن في القران لانه
حجة وبرهان ولم يشتغلوا بطعن فعل من الاعمال او ذكر من الاذكار وفعلي ذلك يجوز ان يكون التعوذ منه فيما
هو حجة بالتصريح وفي غيره بكتابة والله اعلم ثم في هذه الاية وفي غيرها من قوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وقوله وقوله واذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم لم يفهم اهلها منها على ظاهر المخرج ولكن فهموا
على مخرج الحكمة لان ظاهر المخرج ان يفهم التعوذ بعد فراغه من القراءة وكذلك يفهم من الامر بالقيام الى الصلوة الوضوء
بعد القيام اليه ثم يفهموا في هذا ونحوه هذا ولكن فهموا اذا ردت قراءة القران فاستعذ بالله وكذلك فهموا
من قوله اذا قمتم او اذا اردتم القيام الى الصلوة فاغسلوا كذا ولم يفهموا كل قيام انما فهموا قياما دون قيام اي اذا القيام
الى الصلوة وانتم محدثون وفهموا من قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وفهموا من قوله فاذا طعمتم
فانتشروا وكذلك فهموا من قوله فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله الفراغ منها دل ان الخطاب لا يوجب المراد والفهم
على ظاهر المخرج ولكن على مخرج الحكمة والمعنى واصل التعوذ هو الاعتصام بالله من وساوس عدوه وكيده وقوله عزوجل
انه ليس له سلطان على الذين امنوا قال بعضهم ليس له سبيل على الذين امنوا وقال بعضهم السلطان الحجة اي ليس له حجة على
الذين امنوا وقال بعضهم اي ليس له ملك على الذين امنوا ملك القهر والغلبة انما ملكه على الذين يتولونه لكن ليس له ملك
القهر على الذين يتولونه ايضا انما يتبعون ويطيعونه باشارات منه طوعا فدل ان تاويل الملك لا يصح في السلطان
ويكون تاويله السبيل والحجة ثم يحتمل قوله ليس له سلطان على الذين امنوا بالقران لانه ذكر على اثر ذكر القران ويحتمل
الذين امنوا بربهم فيما واحد في الحاصل انما سلطانه حجته او سبيله على الذين يتخذونه وليا فيطيعونه في كل امر
وجميع اشاراته وما يلقون اليهم واصله ليس له سلطان على الذين امنوا بربهم وعلى ربهم يتوكلون في جميع
احوالهم وساعاتهم اي لا سلطان له ولا سبيل على من امن به وتوكل عليه وقوله عزوجل والذين هم به مشركون
ابليس يتبعونه ويعدلون بربهم ويحتمل به مشركون بربهم والتوكل هو الاعتماد به وتفويض الامر اليه في كل حال
السراء والضراء وفي وقت الضيق والسعة فذلك التوكل به وقوله عزوجل واذا بدلنا اية مكان اية الاية
يحتمل وجهين احدهما ما قاله اهل التاويل على التناسخ ان يبدل اية مكان اية وهو على تبديل حكم اية بحكم اية اخرى لا على
رفع عينها والثاني قوله واذا بدلنا اية مكان اية اي بدلنا حجة بعد حجة واية بعد اية لرسالته قالوا انما انت

مفتر كلما اتاهم بحجة على اثر حجة واية بعد اية يقولون انما انت مفتر ينسبون اليه الافتراء انه افترى وكذلك
كان عادتهم المعاندة والمكابرة كقوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين وكقوله ما ياتيهم من
ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون ونحوه من الايات كلما اتى بهم بحجة واية بعد اية كانوا يستقبلونه
بالتكذيب لها ونسبة رسول الله الى الافتراء من نفسه ويزدادهم بذلك كفرا وهو ما قال واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم
مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اخبر انه كان يزداد لاهل الايمان بما نزل عليهم من سورة ايمانا ويزداد لاهل
الشرك رجسا وكفرهم مثل هذا ولو كان يحتمل ان يكون حرف اذا مكان لو لكان اقرب ويكون تاويله ولو انزلنا
حجة بعد حجة واية جديدة فما امنوا كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء
قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الاية اي لو ان هذا القران سيرت به الجبال او كلم به
الموتى فما امنوا به لعنادهم فعلى ذلك الاول ويحتمل قوله واذا بدلنا اية مكان اية اذا بدلنا اية بالسؤال مكان اية قالوا
انما انت مفتر وقوله عزوجل والله اعلم بما ينزل يحتمل قوله والله اعلم بما ينزل به صلاحهم وغير صلاحهم او ان يكون
والله اعلم بما ينزل من مثبت قلوب الذين امنوا كقوله ليثبت الذين امنوا او ان يكون والله اعلم بما ينزل جبريل على رسوله
جواب القولهم انما انت مفتر وكقوله قل نزله الروح القدس من ربك بالحق الاية ليس به فتر ولكن نزله جبريل من ربه
وقوله عزوجل قل نزله روح القدس من ربك بالحق يحتمل قوله بالحق اي بالحق الذي عليهم لبعضهم على بعض والحق في الاقوال
هو الصدق وفي الافعال صواب وشدو في الاحكام عدل واصابة والحق هو الشيء الذي يحمل عليه فاعله وقوله
عزوجل ليثبت الذين امنوا هذا تفسير قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا لانه اخبر انه ليثبت الذين امنوا فاذكر من
زيادة الايمان هو التثبت الذي ذكرها هنا قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وذكر قوله انما انت مفتر مقابل قوله
والذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم ليعلم ان الزيادة التي ذكر في سورة التوبة هي ما ذكرها هنا من
التثبيت والطمانينة ونحوه وقوله عزوجل وهدى وبشرى للمسلمين اي هدى من الجهالات والشبهات التي كانت
تعترضهم او من الضلالة وبشرى للمسلمين وقال في اية اخرى وهدى ورحمة للمؤمنين ليعلم ان الايمان والاسلام
واحد وقوله عزوجل ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لم يقولوا انما يعلمه بشر ولكن كانوا ينصون واحدا فلانا
لكن الخبر من الله على ذكر البشر الا ترى انه اخبر ان لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين دل ان البشر الذي
اخبر عنهم انهم يقولون انه يعلمه كان منصوصا عليه مشارا اليه حيث قال لسانه هذا اعجمي ولسان النبي عربي فكيف فهم
هذا عن هذا وهذا من هذا ولسان هذا غير لسان هذا وما قاله اهل التاويل انه كان يجلس الى غلام يقال له كذا وهو
يهودي يقرا التوراة فيستمع الى قراءته وكان يعلمه الاسلام حتى اسلم فعند ذلك قالت له قريش انما يعلمه بشر ولو كان
ما ذكروا انه كان يعلمه الاسلام فاسلم فلقائل ان يقول كيف فهم ذلك الرجل منه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولسانه غير لسانه على ما اخبر لكن يحتمل ان ذلك في القران حيث قالوا انما انت مفتر ثم يقولون انما يعلمه بشر فيقول والله اعلم
انه كيف علمه هذا القران وهو لا يفهم من لسانه الا يسيرا منه فانتم لسانكم عربي لا تقدرون ان تاتوا بمثله ولا بسورة من مثله
ولا باية فكيف قدر على مثله من لا يفهم لسانه ولا كان ذلك بلسانه يخرج ذلك على الاحتجاج عليهم وبعد فان في قولهم
ظاهر التناقض لانهم قالوا انما انت مفتر ثم قالوا انما يعلمه بشر فالذي علمه غيره ليس بمفتري انما يكون الافتراء
من ذات نفسه فهو ظاهر التناقض وقوله عربي مبين يحتمل مبين مالهم وما عليهم او ما عليهم او مبين الحقوق
التي لله عليهم وما لبعضهم على بعض او مبين اي بين انه من عند الله نزل ليس بمفترى وهذه الاية ترد على الباطنية قولهم
لانهم يقولون ان رسول الله هو الذي الف هذا القران بلسانه ولم ينزل الله عليه بهذا اللسان فلو كان على
ما ذكروا كان لا ولئك اولى ما ادعوا على رسول الله من الافتراء قوله يلحدون اليه قال بعضهم يميلون
اليه وهو قول ابي عوسجة والقتبي قالوا الالحاد الميل ولذلك سمي الملحد لحدا لميله الى ناحية القبر وقال
الكسائي هو من الركون اليه اي يركنون وقوله عزوجل ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يهديهم الله قال
الحسن انه والله من كذب بايات الله فهو ليس بمهتد عند الله وقال ابو بكر لا يهديهم الله بتكذيبهم الايات
فهو كله خيال على كل من يتكلف ويحتمل ان من كذب بايات الله فهو غير مهتد ومن يظن هذا وقول ابي بكر ايضا
من يتوهم ان من كذب بايات الله انه يهديه هذا فاسد خيال كله واصله عندنا قوله ان الذين لا يؤمنون
بايات الله لا يهديهم لعنادهم ومكابرتهم لانهم كانوا يعاندون ايات الله ويكابرونها ويكذبون مع
علمهم انها ايات وانها حق او قال ذلك لقوم علم انهم لا يؤمنون ويموتون عليه فمن علم منه انه لا يؤمن
لا يهديه وقوله عزوجل انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لا الذين يؤمنون بها ويصدقونها
واولئك الذين كذبوها هم الكاذبون وقوله عزوجل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان قوله من كفر بالله من بعد ايمانه يحتمل وجهين ذكر من كفر بالله احدهما كفر بالله في زعم المكره لانه اكرهه
به ففي زعمه كافر بالله لطلبه ذلك منه وهو كقوله فراغ الى الهتهم في زعمهم لانهم لم يكونوا الهة وكقوله
وانظر الى الهك سماه الها لانه في زعم السامري اله والثاني من كفر بالله شارحا صدره بالكفر هو الكافر به
واما من اظهر الكفر بلسانه بالاكراه وقلبه معتقد بالايمان على ما كان مطمئنا به فهو ليس بكافر والله

صلة ان من اعتقد مذهبا ودينا انه يعتقده بخصال ثلاث احدها بتقليد اخر لما راه ابصر واحد واعلم فيه وهو لا يبلغ ذلك فيقلده لفضل بصره وعلمه فيه ورأيه والثاني يعتقد للشبهة لما يتراءى عنده انه الحق فيعتقده لتلك الشبهة التي ذكرنا والثالث تتضح له الحق فيعتقده فلهذه الوجوه الثلاثة يعتقد من يعتقد دينا او مذهبا فاما ان يعتقد الانسان مذهبا مجانا على الجزاف فلا وثانيا اذا كان اظهار كفر هذا لاكراه من اكرهه لم يصر كافرا واصله ان الايمان والكفر انما يكونان بالاختيار والاكراه يزيل الاختيار اختيار الكفر لذلك يبقى على الايمان على ما كان لما لم يوجد منه اختيار الكفر فان قيل اليس امرنا ان نقاتل اهل الكفر حتى يسلموا وذلك اسلام باكراه وعلى ذلك نطق الكتاب وهو قوله تقاتلونهم او يسلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ثم اذا سلم بخوف السيف كان اسلامه اسلاما في الظاهر ما منع كذلك انه اذا اكره على الكفر فاجرى كلمة الكفر على لسانه كان كفره كفرا في الظاهر فيحكم بحكم كما حكم في الاسلام على الاكراه فالفرق فيه قيل كذلك كان يجيء الا ان الله تعالى عفى عباده عن ذلك فابقاهم على الايمان وحكمه وان اظهروا بلسانهم كلام الكفر بعد ان تكون قلوبهم مطمئنة بذلك فضلا منه ونعمة والا القياس ان يحكم بحكم الكفر اذا تكلم بكلام الكفر واما الطلاق والعتاق والنكاح ونحوه هو ظاهر على ما تكلم به عامل واقع لان الطلاق والعتاق ونحوهما مما تعلقا بالكلام نفسه لا غيره فهو وان اكره على ذلك فهو مختار للتكلم به قاصد له لانه المكره لو احب ان يستعمل لسانه بالتكلم بما ذكر ما قدر عليه دل انه على الاختيار يتكلم واما البيع والشراء ونحوه لم يتعلق بالكلام نفسه اذ قد يكون بالاخذ والتسليم دون التكلم به لذلك عمل الاكراه في ابطاله فابقاهم على الايمان وحكمه ولذا ظهر بلسانه كلام الكفر بعد ان يكون قلبه مطمئنا بذلك وعلى ذلك ما روى عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عفوت عن امتي الخطاء والنسيان وما استكره هو عليه وذلك في الكفر ليس في غيره لان الاكراه على الكفر كان ظاهرا يومئذ ولم يكن في غيره من طلاق وغيره واما قتالنا اياهم ليسلموا فهو يحتمل وجوها على المجازاة كقوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة فنقاتلهم ليظهروا على الاسلام وان لم يعرف حقيقة على المجازاة والثاني قبلنا منهم الاسلام على الاكراه ليخرجهم فيما بين المسلمين فيرون الاسلام ويتعلمون منهم حقيقة الا ترى انه قال اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات سماهن مؤمنات ثم امرنا بامتحان من بقوله فامتحنوهن فانما يمتحن ليظهر حقيقة ايمانهن والا لم للامتحان معنى لولا ذلك واصله ان الله جعل حقيقة الايمان والكفر بالقلب دون اللسان وغيره من الجوارح لان غيره من الجوارح يجوز استعمالها بالاكراه واما القلب فانه لا يملك احد سواه باستعماله وذلك تفضله ومنه ولكن من شرح بالكفر صدرا ومن شرح صدره بالكفر فهو كافر به ان كان ذلك على الاكراه لما ذكر انه باختياره الكفر ينشرح له الصدر لما لا يعمل الاكراه على القلب فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم لما هو وقوله عز وجل ذلك بانهم اي ذلك الغضب والعذاب بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة يحتمل وجهين احدهما استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة جحودا وانكارا والاخر استحباب قد يكون من المؤمن فلا يزول عنه اسم الايمان كقوله يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله الى قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فلم يزل عنهم اسم الايمان باختيارهم واستحبابهم الحيوة الدنيا فدل ان الاول عن الجحود له والانكار وهذا على الميل اليه دون الجحود او ان يكون كذلك لما لم يروا الاخرة كائنة لا محالة ولكن ظنا ظنوا لعلها كائنة كقولهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين واما اهل الاسلام لم يكونوا فيها ظانين شاكين ولكن متحققين مستيقنين فاستحقوا بذلك وقوله عز وجل وان الله لا يهدي القوم الكافرين وقت اختيارهم الكفر وان الله لا يهدي القوم المختارين الكفر على الايمان وقال ذلك لقوم علم الله انهم يختارون الكفر وانهم يموتون على الكفر فلا يهديهم وقوله عز وجل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم الطبع هو التغطية تغطي ظلمة الكفر نور القلب والسمع نور البصر كان لكل احد نورين ويبصر بظاهر وباطن يبصر بهما جميعا فاذا ذهب احدهما او عمي صار لا يبصر كمن يبصر ببصر الظاهر انما يبصر بنور بصره ونور الهواء فاذا دخل في احدهما افة ذهب الانتفاع وصار لا يبصر شيئا فعلى ذلك للقلب بصر خفي وبصر ظاهر الذي هو معروف فانما يبصر بهما فاذا غطى ظلمة الكفر بصر القلب صار لا يبصر شيئا الا ترى انه قال لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اخبر ان الابصار الظاهرة لم تعم ولكن عميت القلوب التي في الصدور وهذا يدل على ما ذكرنا والله اعلم معنى طبع السمع والبصر وقوله عز وجل واولئك هم الغافلون عن النظر في اياته وحججه ويحتمل غافلون عما يحل بهم بكفرهم وتكذيبهم ايات الله وحججه وقوله عز وجل لا جرم قد ذكرنا ما قيل فيه لابد وحقا وقيل هو حرف وعيد لا جرم انهم في الاخرة من الخاسرون قال الحسن انهم والله خسروا الجنة ورحمة الله خسروا اهلهم ومنازلهم الذي كان لهم في الجنة وخسرانهم انفسهم حين قذفوها في النار وقال ابو بكر الاصم خسروا النعم الدائمة الباقية باللذة الفانية وخسروا انفسهم حيث قتلوا واسروا في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا قيل عذبوا على الايمان بمكة ثم جاهدوا مع النبي واصحابه عدوهم وصبروا على ذلك ان ربك من بعدها لغفور رحيم قيل من بعد الفتنة لغفور لما كان منهم رحيم ذكر مرتين احدهما قوله ثم ان ربك للذين هاجروا ثم قال ان ربك من بعدها لغفور رحيم قيل من بعد الفتنة فيجيء ان تكتفي بواحد بقول لغفور رحيم موصولا بقوله للذين فعلوا ما ذكر لكنه ذكر مرتين

والله اعلم انه لغفور لهم يعني لهؤلاء الذين فتنوا وعذبوا ولغيرهم ذكر اهل التاويل ان اناسا من المؤمنين خرجوا الى المدينة فادركهم المشركون ليردوهم فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية ومنهم من يقول ايضا فيهم نزل قوله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا الاية واكثرهم قالوا ان قوله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان انما نزل في عمار بن ياسر وليس لنا الى ذلك حاجة انما الحاجة فيما ذكرنا من الحكم به والحكمة والله اعلم وقوله عز وجل يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها قال الحسن تجادل اي تخبر عن نفسها بما عملت من خير او شر وقال ابو بكر الاصم ان كل نفس رهينة بما كسبت من شر حتى يكون طائرا في عنقه ولكن ليس فيما ذكر هؤلاء مجادلة المجادلة المخاصمة كانها تخاصم عن نفسها من ارتكاب اشياء ودعوى اشياء على ما ذكر في غير اية من قوله ثم لم تكن فتنتهم وقال بعضهم ان جهنم تزفر زفرة حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وقد جثا بركبتيه خوفا منها فعند ذلك تجادل وتخاصم كل نفس عن نفسها ويشبه ان يكون مجادلتهم على غير هذا وهو ما ذكر تشهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فتلك مجادلتهم انفسهم وكقوله ثم لم تكن فتنتهم وكذلك ما ذكر في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الاية وذلك كله مجادلتهم انفسهم اذ ان يقال تجادل لكن لا نفسر ما تلك المجادلة لان الله تعالى ذكر المجادلة ولم يذكر ما تلك المجادلة وقوله عز وجل وتوفى كل نفس ما عملت اي توفر كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون اي لا ينقصون من حسناتهم ولا يزداد ون على سيئاتهم وهذه الاية ترد على المعتزلة لانهم يقولون بالتخليد لصاحب الكبيرة وقد اخبر انه توفى كل ما عملت فما بالها توفر ما عملت من سوء ولا توفر ما عملت من الخيرات والطاعات وقوله عز وجل وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة اختلف في ضرب المثل بهذه الاية وفي نزولها قال بعضهم ضرب المثل لاهل مكة وفيها نزلت بقريات نزل بهم العذاب بتكذيبهم ودلهم في بني اسرائيل يحذر اهل مكة بتكذيبهم رسول الله نزول العذاب بهم كما نزل باوائلهم وقال بعضهم ضرب المثل لاهل المدينة وفيهم نزل باهل مكة يحذر اهل المدينة لئلا يكذبوا محمدا كما كذب اهل مكة فيحل بهم كما حل باهل مكة من لباس الجوع والخوف لتكذيب وقوله عز وجل قرية كانت امنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان قيل هي مكة وهكذا كانت مكة اهلها كانوا امنين فيها من خير وشر مطمئنين يأتيهم رزقهم من كل مكان ويحتمل قرية اخرى غيرها كانوا على ما ذكر وقوله عز وجل فكفرت بانعم الله اي كفرت بالشكر لانعم الله اي لم يشكروها لمن انهم لم يروها من الله تعالى وقوله عز وجل فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اللباس هو ما يستر وجوه الجواهر الا ترى انه سمى الليل لباسا لما يستر وجوه الاشياء فعلى ذلك الجوع يرفع الستر واللباس الذي كان قبل الجوع اذا اشتد غير وجه صاحبه ورفع ستره والجوع ما ذكر انه اصابهم جوع حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والخوف ذكر انه بعث رسول الله اليهم الا ترى انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وقيل الخوف القتل وقوله رغدا قال الكسائي رغد الرجل اذا اصاب مالا او عيشا من غير عناء وكد وقال القتبي رغدا اي كثيرا واسعا وقوله عز وجل ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون قوله رسول منهم اي من انفسهم من نسبهم وحسبهم يعرفونه كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون بالتكذيب حيث وضعوا الشيء في غير موضعه او ظالمون على انفسهم اخبر انه بعث الرسول من جنسهم ومن حسبهم لانه اذا كان من غير جوهرهم لم يظهر لهم الاية ولا الحجة من الشبهة لانه اذا خرج على غير المعتاد والطوق عرفوا انه اية وانه حجة اذ لا يعرفون من غير جوهرهم الخارج عن المعتاد والطوق ويعرف ذلك من جوهرهم وكذلك يعرف صدق من نشأ بين اظهرهم من كذبه ولا يعرف اذا كان من غيرهم وقوله عز وجل فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا قال بعضهم الحلال والطيب واحد وهو الحلال كانه قال كلوا مما حل لكم كقوله فانكحوا ما طاب لكم اي ما حل لكم وقال بعضهم حلالا طيبا اي حلالا يطيب لكم ما تتلذذون به لان من الحلال ما لا تتلذذ به النفس ولا تستطيب بل تكره وقوله تستطيب له انفسكم وتتلذذ به لا ما تستخبث لان الله جعل غذاء البشر ما هو طيب والذي جعل للبهائم والانعام ما هو خبيث واخشن لان ما هو اطيب ادعى للشكر له ويحتمل ان يكون قوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا لا تبعة عليكم وفي الاية دلالة انه قد يرزق ما يخبث ولا يحل على ما يختاره حيث شرط فيه الحلال وقوله عز وجل واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون الشكر له عليهم لازم وان لم يعبدوا وهو كقوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين طاعته وطاعة رسوله واجبة وان لم يكونوا مؤمنين او يقول وجهوا شكر نعمه اليه ان كنتم عابدون له بجهة اي فعلوا العبادة له والشكر في الاحوال كلها وقوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير اي حرم اكل الميتة وما ذكر كانه قال هذا وذكر على اثر تحريمهم اشياء احل لهم تحريمها حرموا على انفسهم اشياء احل لهم من الزرع والانعام والبحيرة والسائبة وما ذكر فقال لم يحرم ذلك ولكن انما حرم ما ذكر من الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه على هذا يجوز ان يخرج تاويله واما على الابتداء فانه يبعد والله اعلم وقوله عز وجل فمن اضطر الى ما ذكر من المحرمات غير باغ على ما نهي عنه وهو الشبع كقوله فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم ولا عاد اليه وقال بعضهم غير باغ يستحله في دينه فلا عاد ولا متعد في اكله وقال بعضهم غير باغ على المسلمين مفارق لجماعتهم مشاقهم ولا عاد عليهم بسيفهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وافاويلهم

واما تأويله عندنا غير باغ على المسلمين بسكون ما يحرم الاهلاك عن نفسه ولا عاد متعد ومتجاوز اضطراره ولا يحتمل ما قاله بعض الناس غير باغ على الناس ولا متعد عليهم لوجهين احدهما انه لا يحتمل البغي على الناس في حال الاضطرار لانه لا يقدر عليه والحال ما ذكر والثاني انه وان كان باغيا على ما ذكروا لم يبح له التناول من الميتة يكون باغيا على نفسه لانه ان لم يتناول هلكت نفسه فيصير باغيا على نفسه فدل انه على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام يحتمل اي لا تعودوا الى ما وصفت السنتكم من الكذب هذا حلال وهذا حرام وان لا تقولوا الكذب الذي الذي السنتكم هذا حلال وهذا حرام وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لا تقولوا لما احللتموه هذا حلال ولما حرمتموه هذا حرام وهو كقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية وفي هذه الاية دلالة ان لا يسع لاحد ان يقول هذا مما احله الله وهذا مما حرمه الله الا باذن من الله ومن يقول بان الاشياء في الاصل على الاباحة او على الحظر فهو مفتر بذلك على الله الكذب لان الله لم يأذن له ان يقول ذلك بل نهاه عن ذلك مما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لتفتروا على الله الكذب اي تكونوا مفترين على الله الكذب اذا قلتم من افان قيل كيف سماهم مفترين على الله بتسميتهم الحرام حلالا والحلال حراما قيل لان التحليل والتحريم والامر والنهي ربوبية فاذا حرموا شيئا احله الله او احلوا شيئا حرمه الله فكانهم على الله افتروا انه حرم او احل وحرموا هم واحلوا فانما فوا ذلك الى الله تعالى انه هو الذي حرم او احل فقد افتروا على الله لان من احل شيئا حرمه الله او حرم شيئا احله الله فقد كفر لبس من تنفع بالمحرم او ترك الانتفاع بالمحلل كفرا انما يصير اثما مجرما وكذلك تارك الامر ومرتكب النهي وقوله عز وجل ان الذين يفترون الكذب في تحليل ما حرم عليهم وفي تحريم ما احله وقولهم والله امرنا بها وقوله عز وجل لا يفلحون اي لا يفلحون وهم مفترون على الله واما اذا انتزعوا من الافتراء وتابوا افلحوا ولا يفلحون في الاخرة اذا كانوا مفترين على الله في الدنيا ثم قوله متاع قليل على الابتداء وانما سمي قليلا والله اعلم لوجوه احدها ان متاع الدنيا على الزوال والانقطاع فكل ما كان على شرف الزوال والانقطاع فهو قليل كما قيل كل ات قريب لما يأتي لا محالة فعلى ذلك كل زائل منقطع قليل والثاني سمي قليلا لما هو مشوب بالافات والاحزان وانواع البلايا والشدائد فهو قليل في الحقيقة او انه سماه قليلا لما ان متاع الدنيا قليل مما وعد في الاخرة فمتاعها من متاع الاخرة قليل لما ليس فيها الوجوه التي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وهو ما قص في سورة الانعام وهو قوله حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله فبظلم من الذين هادوا الاية وقوله عز وجل وما ظلمناهم بتحريم ما حرمنا عليهم لانا انما حرمنا عليهم تلك الطيبات عقوبة لهم وجزاء لبغيهم وهو ما قال في سورة النساء وهو قوله فبظلم من الذين هادوا وهو ما قال ذلك جزيناهم ببغيهم اخبر انه انما عليهم ذلك بظلم كان منهم عقوبة وجزاء لبغيهم لكن هم ظلموا انفسهم في ذلك او ان يكون قوله وما ظلمناهم لانهم عبيده وإماؤه ولله ان يمتحن عباده وإماءه بتحريم مرة وتحليل ثانيا ولكن ظلموا انفسهم حيث وجهوها الى غير ما لها او صرفوا شكر ما انعم عليهم الى غيره وقوله عز وجل ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اي عمل السوء بجهالة ويحتمل وجهين احدهما ان الفعل فعل جاهل وسفيه وان لم يجهل يقال لمن عمل السوء يا جاهل يا شفيه والثاني جهل ما يحل به بعمله السوء ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة الى اخره يجيء ان يكون في الاية اضمار لم يذكر ثم قال ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا شكروا ذلك الحرف على الابتداء من غير ان ذكر له جواب وهو قوله ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة من بعدها لغفور رحيم فظاهر الجواب الا يقول ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك لغفور رحيم على ما ذكرنا في قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية لكن يخرج على الاضمار او على التكرار على ارادة التاكيد وعلى الابتداء والاكتفاء بجواب ذكره في موضع اخر ثم قال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم هذا والله اعلم جوابه اي ان ربك من بعد التوبة لغفور رحيم فهو قبل ان يعمل عمل السوء والعرب قد تكرر اشياء على ارادة التاكيد والله اعلم وقوله عز وجل ان ابراهيم كان امة قانتا قال عبد الله بن مسعود الامة الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله وقال بعضهم امة امة قانتا اي مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقال بعضهم كان امة اي اماما يقتدى به في كل خير كقوله اني جاعلك للناس اماما وقال الحسن كان امة اي سنة يقتدى به ويحتمل ان يكون سماه امة لما كان كالامة والجماعة من القيام مع الاعداء لانه وان كان منفردا وحده فكان قيامه مع الاعداء والاكابر منهم كالجماعة والامة والممتنع عنهم كالمنفرد واصل الامة قيل الجماعة والعدد ويحتمل قوله كان امة اي يجمع كل خير وكل طاعة لما عمل هو من الخير عمل الجماعة واجتمع فيه كل خير فسمي امة لهذا الذي ذكرنا او ان يكون تفسير الامة ما ذكر على اثره قانتا لله حنيفا والقانت قيل المطيع والقنوت كما ذكر انه سئل عن افضل الصلوة فقال طول القنوت اي طول القيام فعلى هذا المعنى هو القائم لله في كل ما يعبده وامره وقيل امة اي دينا لقوله ان هذه امتكم امة واحدة اي دينكم دينا واحدا وقوله عز وجل حنيفا قيل الحاج وقيل الحنيف المسلم وقيل المخلص وفيه كل ذلك كان حاجا مسلما مخلصا لله واصل الحنيف الميل اي كان مائلا الى امر الله وما تعبد والله اعلم وقوله عز وجل ولم يك من المشركين لا شك انه لم يكن من المشركين لكنه ذكر هذا لوجهين احدهما لما ادعى كل اهل الاديان انهم على دينه وانتسب كل فرقة اليه فبراه الله من ذلك واخبر انه ليس على ما هم عليه من الدين وهو ما قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الاية والثاني ذكر هذا انه لم يكن من المشركين بقوله هذا ربي لا شك انه

هو كان

هو كان ذلك منه على ظاهر ما نطق كان ذلك في الظاهر اشراكا ففيه شبه في ظاهره فبراه الله عن ذلك واخبر ان ذلك منه لم يكن اشراكا ولكن على المحاجة خرج ذلك منه محاجة قومه كقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه والله اعلم وقوله عز وجل شاكرا لانعمه اي لم يصرف شكر نعمه الى غير المنعم بل صرف شكرها الى منعمها والشكر في الشاهد هو المكافات ولا يبلغ احد من الخلائق في المرتبة التي بها في الله في اصغر نعمة انعمها عليه ولا يتفرغ احد عن اداء ما عليه من احسان الله عليه فضلا ان يتفرغ لمكافاته لكن الله عز وجل بفضله ومنه سمى ذلك شكرا وان لم يكن في الحقيقة شكرا كما ذكر الصدقة التي تصدق بها العبد قرضا كما سمى تسليمه نفسه وبذله لامر الله شراء وان كانت انفسهم واموالهم في الحقيقة له ولا يطلب المرء في العرف القرض من عبده وكذلك الشراء لكنه بلطفه عامل عباده معاملة من لا ملك له في انفسهم واموالهم فعلى ذلك في تسمية الشكر والله اعلم وقوله عز وجل اجتباه قال بعضهم لرسالته ونبوته او اجتباه من بين ذلك القوم وجعله اماما يقتدى به وقوله عز وجل وهداه الى صراط مستقيم وهو دين الاسلام وهو ما ذكر قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما الاية وقوله عز وجل واتيناه في الدنيا حسنة قال بعضهم الثناء الحسن وقال بعضهم الحسنة في الدنيا لان جميع اهل الاديان يتولونه ويرضونه ويحتمل ان يكون قوله واتيناه في الدنيا حسنة اي ما اتاه الله لم يؤته الا حسنة على ما ذكر في قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة اي ما اتيناه في الدنيا اتينا كلها حسنة لان قوله حسنة انما هي اسم حسنة واحدة او ان يكون واتيناه في حسنة عند قبض روحه اي على الحسنة قبض روحه وقوله عز وجل وانه في الاخرة لمن الصالحين اي لم ينقص ما اتاه في الدنيا مما يؤتيه في الاخرة وقال بعضهم في قوله واتيناه في الدنيا حسنة النبوة والرسالة وان يقال انه لم يبين الحسنة التي اخبر انه اتاها اياه لكنه خص به كما هو خص في قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم فقد كان من ابراهيم معنى حتى خص الله ابراهيم به من بين غيره فذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا اي دين ابراهيم وسبيله وذكر في بعض الاخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال جاء جبريل الى ابراهيم صلوات الله عليه يوم التروية فراح به الى منى فعلمه المناسك كلها واراه اياه فاوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فنحن امرنا ان نتبع ملته في الحج وفي غيره واصل الملة الدين والله اعلم كقوله لا يتوارث اهل ملتين اي اهل دينين وقوله عز وجل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال بعضهم اختلافهم وذلك ان موسى امر بني اسرائيل ان يتفرغوا في كل سبعة ايام يوما للعبادة وهو يوم الجمعة ويتركوا فيه عمل دنياهم فقالوا نتفرغ يوم السبت فان الله لم يخلق يوم السبت شيئا فقال فريق منهم انظروا الى ما امركم نبيكم فخذوا به فذلك اختلافهم فجعل لهم يوم السبت على ما سالوا فاستحلوا فيه المعاصي فحرم الله عليهم العمل فيه عقوبة لهم وقال الحسن وقتادة انما جعل السبت اي العن في السبت فمسخوا قردة الذين اختلفوا فيه وكان اختلافهم انه حرمه بعضهم واستحله بعض وقال ابو بكر اختلافهم كان في تكذيب الرسل والانبياء فمنهم من صدق ومنهم من كذب فحرم عليهم يوم السبت عقوبة او ان يكون اختلافهم ما سالوا موسى من الايات العجيبة والاسولة الوحشية كقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وكقوله اجعل لنا الها كما لهم الهة ونحوه بعد ما اقام عليهم من الايات كانت لهم فيها كفاية فيشبه ان يكون اختلافهم الذي ذكر ذلك وقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يخرج على وجهين احدهما انما جعل محنته السبت على الذين اختلفوا فيه اي على الذين فسقوا فيه حيث قال بما كانوا يفسقون والثاني انما جعل عقوبة السبت على الذين اعتدوا فيه دون الذين اختلفوا فيه لان فريقا منهم قد نهوهم عن ذلك وفريقا قد اعتدوا فاهلك الذين اعتدوا دون الذين نهوهم وقوله اختلفوا فيه يحتمل فيه اي في موسى او في يوم السبت الذي اختلفوا فيه وعوقبوا فيه والله اعلم وقوله عز وجل وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يحكم بينهم بالجزاء ويحكم بما بين لهم المحق من المبطل فيثيب فريقا وينجي فريقا فكيف قال يحكم بينهم فيما كانوا يختلفون لكن يشبه ان يكون ذلك بالجزاء على ما ذكرنا وقوله ادع الى سبيل ربك قيل دين ربك بالحكمة قال الحسن الحكمة القران اي ادعهم الى دين الله بالقران وقال بعضهم بالحكمة بالحجة والبرهان اي ادعهم الى دين الله بالحجج والبراهين اي الزمهم دين الله بالحجج والبراهين حتى يقروا به وقوله عز وجل والموعظة الحسنة قال الحسن اي عظهم بالمواعظ التي وعظهم الله تعالى في الكتاب وقال ابو بكر اي ذكرهم النعم التي انعم عليهم وجادلهم بالتي هي احسن اي جادلهم احسن المجادلة بلين القول وخفض الجانب والجناح لعلهم يقبلون دينهم ويخضعون لربهم وكذلك اختلفوا في قوله واذ علمتك الكتاب والحكمة وقوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة قال الحسن الكتاب والحكمة واحد اسم شيء وهو القران وقال بعضهم الكتاب هو القران وهو سماع الوحي والحكمة وحي الالهام وهو السنة وقال بعضهم الكتاب هو التنزيل والحكمة هي المعنى المودع فيه فمن يقول ان الكتاب والحكمة واحد وهو القران يقول في قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة القران ومن يقول ثمة انهما غير يقول هاهنا ان الحكمة الحجة والبرهان اما من جهة الالهام او من جهة الانتزاع من الكتاب ويحتمل ان يكون قوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة التي ذكر في هذه السورة من ذلك قوله يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه يعني من بطون النحل وقوله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا للشاربين وما ذكر انه يخرج من الخشب اليابسة الاعناب وانواع الثمرات ونحوه فذلك كله حكمة اي ادعهم الى دينه وذكرهم بهذا وهو

يقرون به ليقبلوا دينه ويخضعوا لامره والموعظة الحسنة ما ذكر في قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية
وذلك كله مستحسن في العقل وتوجبه الحكمة لان العدل والاحسان وما ذكر من ايتاء ذي القربى الصدقة مستحسن في عقل
كل احد والنهي ايضا عن الفحشاء والمنكر مستحسن مستقبح ارتكابه واتيانه كان الحكمة هي التي تشتمل على العلم والعمل جميعا
كانه قال ادعهم الى دين الله بالعلم والعمل جميعا حتى يجتمع ذلك فيهم او ادعهم باللين وخفض الجناح مرة وبالعنف
والخشونة ثانيا فيكون وضع الشيء موضعه ثم قال يعظكم لعلكم تذكرون وقوله عز وجل وجادلهم بالتي
هي احسن يحتمل والله اعلم اي جادلهم بالذي يقرون على ما ينكرون وهو ما ذكر افمن يخلق الاية وقوله ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا وقوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الاية وقوله وضرب مثلا رجلين
احدهما ابكم لا يقدر على شيء الاية وقوله والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم
على ما ملكت ايمانهم الاية ونحو هذا يجادلهم باحسن المجادلة بالذي يقرون انه كذلك على الذين ينكرون
ليلزمهم القبول والخضوع له ثم في الاية دلالة تعليم المناظرة في الدين وكيفية المعاملة بعضهم لبعض فيها
حيث قال ادع الى سبيل ربك بالحكمة التي عنده بالقران او غيره من الحجج والبينات والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن هكذا يجب ان يناظر بعضهم بعضا بالوجه الذي وصف الله وعلى ذلك ما ذكر الله
في كتابه مناظرة الانبياء والرسل مع الفراعنة والاكابر وهو ما قال الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى اخر ما ذكر
وقوله وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله الاية ومناظرة فرعون مع موسى صلوات الله عليه حيث قال وما
رب العالمين قال رب السموات والارض الاية وما قال رب المشرق والمغرب وقوله فات به ان كنت من الصادقين
فالقى عصاه وما قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وامثاله مما يكثر فهذه مناظرة
الرسل والانبياء مع الفراعنة والاعداء فكيف المناظرة بين الاولياء فهذا كله يرد على من يابى المناظرة في
الدين ويمتنع عن التكلم فيه والاحتجاج وقوله عز وجل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله في الاية نسبتهم
الى الضلال اشارة وكناية لا تصريحا لانه لم يقل لهم مصرحا انكم قد ضللتم عن سبيله لحسن معاملته التي علم رسوله
وامره ان يعاملهم لان ذلك اقرب الى القلوب واخذ الا ترى انه قال لموسى وهرون حين ارسلهما الى فرعون
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقوله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اختلف في سبب نزول
ذلك قال بعضهم في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان نفرا منهم قد مثلوا يوم احد مثلة سيئة من
قطع الاذان وجدع الانوف وبقر البطون ونحوه فقال اصحابه لئن ادالنا الله منهم لنفعلن كذا وكذا فارادوا
ان يجازوا ذلك فانزل الله وان عاقبتم بمثل ما عوقبتم به الاية وفيه البشارة لهم بالنصر والظفر على اعدائهم لانه
لو لم يكن لهم الظفر بهم كيف يقدرون على معاقبة مثل ما عاقبوا دل انه على البشارة لهم بالنصر والظفر بهم وفيه
دلالة جواز اخذ من لم يتول القتل والاخذ والضرب لما لعلهم لا يظفرون باولئك الذين تولوا ذلك لكن يؤخذ
اخوانهم بهم لما يعاون بعضهم بعضا فعلوا ويكون فيه دليل اخذ قطاع الطريق بالقتل والقطع وان كان الذي
تولى ذلك بعضا منهم لما ان من تولى ذلك انما تولى بمعونة من لم يتول وقال بعضهم انما نزلت الاية في ابتداء
الامر الذي كان القتل مع الكفرة قتل مجازاة مثل قوله وقاتلوا المشركين كافة وكقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم
ومثله فاذا كان على المجازاة امران لا يتجاوزوا عقوبتهم ولكن مثله واما اذا كان القتال معهم لا قتال
معهم لا قتال مجازاة فانهم يقتلون جميعا اذا ابوا الاسلام بقوله فاقتلوا الذين لا يؤمنون بالله الاية وقوله
عليه الصلوة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون وقال
بعضهم لا ولكن الاية نزلت في اهل الاسلام وحكمه في القصاص والقطع فيما دون النفس والجراحات امران لا يتجاوزوا
حقوقهم كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقوله فمن اعتدى عليكم الاية وقوله كتب عليكم القصاص في القتلى الاية
وقوله عز وجل ولئن صبرتم على ما ذكر هو خير اي الصبر خير للصابرين ودل قوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
على ان الاية في القصاص لا في الحرب لانه لا يقال اصبروا ولا يكون الصبر خيرا دل انه في غير المحاربة والله اعلم
وقوله عز وجل واصبر يا محمد وما صبرك الا بالله اي ما توفيقك على الصبر الا بالله كقول شعيب وما توفيقي الا بالله
الاية والثاني واصبر وما صبرك الا بالله اي تركك القصاص لامر الله حيث امرك به لا لضعف او عجز فيك وقوله ولا
تحزن عليهم قال بعضهم انه كان تحزن ويضيق صدره لمكان كفرهم بالله وتركهم الايمان بالله كقوله لعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقال ولا تحزن عليهم لذلك على التسلي والتخفيف لا على
النهي عن ذلك ويحتمل ان يكون قوله لا تحزن على المؤمنين الذين قتلوا واستشهدوا لانهم مستبشرون فرحون عند
ربهم بما اتاهم الله من فضله اي لا تحزن عليهم وهو فيما ذكر ولا تحزن على المؤمنين ولا يضيقن صدرك مما يمكرك
اولئك الكفرة اذ كانوا يمكرون برسول الله وباصحابه ويؤذونهم اخبر انه لا يضيقن صدرك لذلك وقال بعضهم نزلت
في امر حمزة سيد الشهداء انه مثل وجرح جراحات عظيمة فاشتد على النبي فقال لئن ظفرنا باولئك لنفعلن كذا ولنفعلن
كذا فنزلت الاية وان عاقبتم بمثل ما عوقبتم به لكن ان ثبت هذا فانه يكون في الوقت الذي كان يؤخذ غيره القاتل و
الجارح بالقتل وذلك قد كان في الابتداء الا ترى انه قال الحر بالحر والعبد بالعبد كانوا هموا ان ياخذوا الحر بالعبد و
الذكر بالانثى حتى نزل هذا فصار منسوخا به وبقوله ولكم في القصاص حيوة ولو كان يؤخذ غير القاتل بالقصاص لم يكن

فيه حيوة او ان قاتلوا في الحرب مع الكفرة فذلك لا يحتمل لانه في الحرب لهم ان يقتلوا الكل وان لا يتركوا واحدا
منهم دل انه يخرج على احد وجهين على النسخ الذي ذكرنا او على النهي عن اخذ اكثر من حقه كقوله فما عتدوا عليه
الاية وقوله عز وجل ان الله مع الذين اتقوا مخالفة الله ورسوله بالنصر لهم والعون فان الله ناصركم
ومعينكم عليهم وقوله عز وجل والذين هم محسنون في العمل والتوحيد او يقول ان الله مع الذين اتقوا محارم
الله وارتكاب مناهيه بالنصر لهم والمعونة والذين هم محسنون الى نعم الله بالقيام بالشكر لها والله تعالى اعلم

سورة بني اسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا قيل سبحان كلمة اجلال الله
عن الاكفاء وتنزيه عن الشركاء وتبرئة عما قالت المعطلة فيه وظنت الملحدة به من الولد والحاجات والآفات
وجميع معاني الخلق وروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير سبحان الله قال
قال هو تنزيه الله عن كل سوء ومعنى قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
هو والله اعلم كانه ذكر ان من قدر على ان يسري بعبده ليلا مسيرة شهر يقدر على احياء الموتى بعد الموت
وعلى حفظ رسوله والنصر له واظهار ايات نبوته ورسالته وقطع جميع حيل المكذبين له والمخالفين وقوله
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى سماه اقصى وهو لا بعد من قصي يقصي قصي فهو قاص كانه لم يكن يومئذ الا المسجد
الحرام ومسجده بالمدينة ومسجد بيت المقدس فسماه لذلك والله اعلم المسجد الاقصى وقوله عز وجل الذي باركنا
حوله قيل سمي مباركا لكثرة انزاله وخيراته وسعته وقيل سمي مباركا لانه مكان الانبياء ومقامهم وقبورهم
فيه ببركتهم ويمنهم والله اعلم وقوله عز وجل لنريه من اياتنا اي لنريه من اياتنا الحسية بعدما اراه الايات
العقلية لان الايات الحسية اكبر في قطع الشبهة ودفع الوساوس من العقلية اذ لا شك احد فيما كان سبيل
معرفته الحس والعيان وقد يعترض ربما الشبه والوساوس في العقليات لانه لا يملك احد في نفسه انه
هو فاحب عز وجل ان يري رسوله ايات حسية تضطر المنصفين على قبولها والايمان بها والاقرار له انه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما يعلمون انما كان يخبرهم من اخبار حيث قال انه راى غير فلان واموارا يعلمون انه لا ينال
الا عن مشاهدة وعيان لانه كان نما اتى من الايات العقليات قالوا انه سحر وما ذكر من الانباء التي كانت في كتبهم
المتقدمة قالوا اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فلبس ذلك عمل سحر ولا افك ولا افتراء ولا اساطير الاولين على ما
نسبوه الى السحر مرة والى الافك والافتراء ثانيا ونحوه وقوله عز وجل انه هو السميع البصير اي من قدر على ما
ذكر لا يحتمل ان يخفى عليه شيء من قول وعمل ثم ما روي من الاخبار انه عرج به الى السماء حتى راى اخوانه الانبياء
الماضين قبله وما ذكر فيها فنحن نقول ما قال الصديق رضوان الله عليه ان كان قال ذلك فانا اشهد على ذلك والا نعتقد
على مقدار ما في الاية انه اسري به الى بيت المقدس المسجد الاقصى ولا نزيد عليه لانه من اخبار الاحاد فلا نشيع القول
له وقوله عز وجل واتينا موسى الكتاب يعني التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل كل كتاب الله هدى لمن استهدى ورشد
لمن استرشد وبيان لمن استوضح لانه يدعوا الى ثلث خصال دعت الى معالي الامور ومكارم الاخلاق ومصالح الاعمال
ونهت عن ثلث عن مساوي الاعمال وعن سفاسف الامور ودناءة الاخلاق وردا بها ذكر انه جعل الكتاب هدى
لبني اسرائيل لان منفعة الكتاب حصلت لهم لانهم هم الذين استهدوا به فعلى ذلك هو هدى لمن استهدى والله
اعلم وقوله عز وجل الا تتخذوا من دوني وكيلا اي معتمدا اي قلنا لهم فيه او ذكرنا لهم فيه او قرنا لهم
فيه الا تتخذوا من دوني وكيلا اي معتمدا موكولا الوكيل هو موكول الامر اليه معتمد في الاحوال عليه قائم في
جميع ما وكل اليه بالتبرع والتفضل وقوله عز وجل ذرية من حملنا مع نوح قال بعضهم يعني بالذرية الانبياء الذين
كانوا من قبل اي كانوا من ذرية نوح ومن حمل معه وهم بشر قال ذكر هذا لانكارهم بعث الرسل من البشر حيث
قالوا ابعث الله بشرا رسولا والثاني يحتمل غيره اي من ذرية من حملنا مع نوح اي هؤلاء من ذريته من حملنا مع
نوح فكيف خالفوا اباءهم الذين كانوا على الهدى وتابعوا غيرهما ويذكرهم ان هؤلاء الرسل من ذرية من
حملنا مع نوح وهو بشر فكيف انكروا الرسل من بشر ثم قال بعضهم هو على النداء والدعاء يا ذرية من حملنا مع
نوح في السفينة في اصلاب الرجال وارحام النساء زمان الطوفان لا تتخذوا من دوني وكيلا قيل ربا والها وقيل
ربا والها وقيل شريكا واصله ما ذكرنا ان الوكيل هو المعتمد انه كان عبدا شكورا يعني نوحا قال بعضهم سماه شكورا لانه
كان يذكر ربه في كل احواله وقال بعضهم الشكور هو الذي يبتغي مرضات منعمه ويجتنب مساخطه وقال بعضهم الشكور
هو المطيع لله وقد ذكرنا معنى الشكر انه اسم المكافاة او يقال كانت عبادته لله عبادة شكر لا عبادة استغنا
اي كان شكورا في عبادته لا مستغفرا وقوله عز وجل وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين
اختلف في قوله وقضينا قال الحسن وغيره اوحينا اليهم واخبرناهم واعلمناهم في الكتاب لتفسدن في الارض
مرتين وقال بعضهم قضينا عليهم وقال بعضهم كتبنا عليهم فكيف ما كان ففيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر انه
اخبرهم واعلمهم على تاويل من زعم ان القضاء ههنا هو الاعلام والاخبار لهم فيما لهم كان اخبرهم واعلمهم
ليصدق في خبره اولا فان كان اخبرهم ليصدق في خبره فذلك منه حكم انهم ليفسدن في الارض مرتين فان كان تاويل

القضاء الكتاب والحكم فهو ظاهر وهو ما نقول ان كل فاعل فعلا طاعة كانت او معصية كان بحكمه ثم من سال الخروج عن
المعصية انها كانت بقضاء الله فلا يجب ان يجاب له على الاطلاق في شيء ولا الا ان يبين انه ما يريد بالقضاء وما
يفهم منه لان القضاء يتوجه الى وجوه يرجع الى الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات اي خلقهن والقضاء
الامر بقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي امر ربك والقضاء الحكم كقوله فاقض ما انت قاض اي احكم ما انت
حاكم ولم يعرف القضاء الحمل والدفع على ما يقوله المعتزلة ونحوه فلا يجاب على الاطلاق الا ان يبين انه ما اراد بالقضاء
فان اراد بالقضاء الحكم فعند ذلك يقال نعم كان بقضاء وحكمه وليس فيما قضى وحكم دفعه في المعصية ثم اختلف في قوله
مرتين قال بعضهم من اهل التاويل ان بني اسرائيل عصوا ربهم فسلط الله عليهم جالوت فقتلهم وسبى ذراريهم واموال
هم فكانوا كذلك زمانا ثم تابوا ورجعوا عن ذلك ثم بعث الله داود فقتل جالوت واستنقذهم من يديه وردهم
الى كان منهم ثم عادوا الى ما كانوا من قبل ثم سلط عليهم بخت نصر ففعل بهم ما فعل جالوت ثم تابوا فبعث محمد صلى
الله عليه وسلم وقال بعضهم بعث اولا بخت نصر ثم فلانا وفلانا وهو ما قال فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم
عبادا الى قوله وان عدتم اي عدتم الى العصيان عدنا الى العقوبة ولكن ليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما فيه
من وجوه الحكمة والدلالة احدها فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عما كان في كتبهم
من غير ان علم ما في كتبهم ولا اختلف الى احد منهم فكان على ما اخبر دل انه انما عرف ذلك بالله بما اخبره في كتابه وفيه انه
لا يهلك قوم بنفس الكفر اهلاك استيصال حتى كان منهم مع الكفر السعي في الارض بالفساد والعناد للايات وفيه ان
ليس على الله حفظ الاصلح لهم واعطاؤه في الدين حيث لم يمتهم على الايمان ولكن تركهم حتى عصوا ربهم ثم سلط من قتلهم
على تلك الحال ودعاهم الى دينه وهو كفر فلو كان عليه اعطاء الاصلح لاماتهم على الاسلام فذلك اصلح لهم في الدين وقوله
عز وجل ولتعلن علوا كبيرا قيل لتجبرن وتجترءن جراءة عظيمة وقيل لتقهرن ولتعلن غلبة كقوله ان فرعون علا في الارض اي
قهر وغلب الا ترى انه قال وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم ثبت انه على الغلبة والقهر وقيل العلو هو
العتو والجراءة والتكبر وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل فاذا جاء وعد اولاهما اي جاء وعد هلاك من عصى منهم
اولا وخالف امر الله وكفر به بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد قال الحسن قوله بعثنا عليكم ليس على بعث الوحي اليهم
ولكن على التخلية اي خلينا بينهم وبين عباد اولي باس شديد اي اولي باس بطش شديد وقوة كقوله الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين اي سلطنا عليكم وقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد على المعتزلة لانه ذكر بعث عليهم عبادا اولي
باس شديد وانما بعثهم بجزاء اساءتهم ولسوء صنيعهم وذلك شر يفعل بهم دل ان لله صنعا في جميع فعل العباد
وقوله عز وجل فجاسوا خلال الديار قال بعضهم جاسوا من التجسس اي يتجسسون اخبارهم ويسمعون اذنهم
وهم جنود جالوت من فارس وقال بعضهم فجاسوا اي قتلوا الناس في الازقة وقيل في الطرق وقوله عز وجل و
كان وعدا مفعولا اي الذي قال لتفسدن في الارض مرتين وعدا كائنا مفعولا اي كان وعدا موعودا مفعولا
كائنا والة الوعد لا يأتي وكذلك قوله وكان وعده ماتيا اي موعودا ماتيا وكذلك ما اشبه هذا وقوله عز وجل ثم
رددنا لكم الكرة عليهم اي الغلبة والهلاك عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا اي اكثر رجالا
منكم قبل ذلك وعدا ثم اذا عصوا ثانيا وكفروا ربهم سلط الله عليهم قوما اخرين فدمروا عليهم فذلك
قوله فاذا جاء وعد الاخرة الهلاك والتدمير اي موعود الاخرة ليسوء وجوهكم ثم وعدهم الرحمة
ان تابوا ورجعوا عن ذلك بقوله عسى ربكم ان يرحمكم ثم اوعدهم العود اليهم بالعقوبة بقوله وان
عدتم عدنا اي وان عدتم الى المعاصي عدنا عليكم بالعقوبة ثم قول اهل التاويل انه سلط عليهم بخت
نصر وجالوت ثم فلانا وفلانا فذلك لا يعلم الا بالخبر عن رسول الله وليس في الاية سوى انه بعث عليهم عبادا
لنا اولي باس شديد فلا يزاد على ذلك الا بالخبر سوى انه ذكر هذا لنا وفيه وجوه من الحكمة احدها ما
ذكرنا من اثبات نبوة محمد ومن صدق رسولهم حيث حذرهم العقوبة بعصيانهم فكان كما قال وفيه تحذير
عن مثل صنيعهم لانهم ليسوا بذلك اولى من غيرهم وقال القتبي فجاسوا خلال الديار اي عاثوا بين الديار و
افسدوا ويقال حاسوا وجاسوا ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة وقوله عز وجل اكثر نفيرا اي عددا وقال
ابو عوسجة اكثر نفيرا هو من الخروج والنفر ومعناه اكثر عددا وقال ابو عبيدة فجاسوا خلال الديار معناه
اي فقتلوا في ديارهم وقال قتادة النفير المقاتلة الذين يستنفرون للقتال اي لو استنفرتم انتم
واستنفر اولئك كنتم اكثر منهم ثم جاء قوله فاذا جاء وعد اولاهما الى قوله فجاسوا خلال الديار معلوم
انه لم يكن في كتابهم هذا اللفظ بعثنا عليكم فجاسوا على الابتداء ولكن كان والله اعلم اذا جاء وعد اولاهما لتبعثن
عبادا اولي باس شديد يتجسسون او يجاسون لكنه خاطب بهذا والله اعلم كانوا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان كانوا لم يفعلوا ما ذكر لكن لما فعل اوائلهم خاطب هؤلاء لما كانوا يفتخرون باوائلهم ويقولون
نحن ابناء الله واحباؤه فيذكر هؤلاء النعم التي انعم على اولئك ويحذرهم صنيعهم وهو ما خاطبهم بقوله واذ
قلتم يا موسى لن نؤمن لك الاية وقوله واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ونحوه خاطب هؤلاء الذين
كانوا بحضرة رسول الله وعاتبهم على صنيع اولئك وفعلهم وان كان هؤلاء لم يفعلوا ذلك لما رضوا بصنيع
اولئك وفعلهم استيداء منهم الشكر لما انعم على اولئك وتحذيرا لهم عن مثل صنيعهم والله اعلم وقوله عز وجل

عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم لا لله اذ اليكم يرجع منفعة ذلك اذ اليكم يرجع منفعة ذلك وانتم تجزون وعلى
ذلك وان اساتم فلها اي فعليها كقوله من عمل صالحا فلنفسه الا ترى انه قال عليها ضرر ذلك وعلى ذلك جميع ما امر الله
عباده من الاعمال ونهاهم عنها انما امر ونهى لمنفعة انفسهم ولحاجتهم لا لمنفعة له او لحاجة له وقال
بعضهم وان اساتم فلها اي واليها اي الى انفسكم تسيئون وقوله عز وجل فاذا جاء وعد الاخرة اي اذا جاء
وعد موعود الاخرة وهو العقوبة بعصيانهم وتكذيبهم رسل الله وقوله فاذا جاء وعد الاخرة بالتغيير
وتبديل الدين ليسوءوا وجوهكم بواوين على الجماعة وبواو واحد على الواحد ليسوء وجوهكم ولم يبين من يسوء وجوهكم
فيشبه ان يكون يبعث قوما يسوؤن وجوههم كما ذكر في الوعد الاول فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي باس شديد فهم يسوؤن وجوهكم ومن قرأ بالنون لنسوء وجوهكم اضاف الى نفسه لما بامره ما كان
يفعل وبتسليطه اياهم عليهم وقال بعضهم ذكر الوجه ههنا كناية عن الحزن والهم والدها ترلهم كما يقال
في السرور اكرم وجهه اي ادخل فيه سرورا او ذكر الوجه لما بالوجه يظهر ذلك التغيير والقبح والله اعلم
وقوله عز وجل وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة فظاهر الاية ان يدخل الاولون المسجد في المرة الثانية
كما دخلوا في المرة الاولى لانه قال كما دخلوه اول مرة لكن يحتمل ليدخل عباد اخرون المسجد في المرة الثانية
كما دخل الاولون في المرة الاولى وقال بعضهم المسجد ههنا الكنيسة والبيعة وقوله وليتبروا ما علوا تتبيرا اي
ليهلكوا ما علوا برا يعني ما غلبوا به وقهروا اي الاسباب التي بها عصوا وقال ابو عوسجة ما علوا اي ليفسدوا وما
هلكوا والتبار الفساد يقال علوت الشيء اي ملكت وقوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يحتمل ان يكون ذلك
لاولئك الذين تقدم ذكرهم وفيهم نزل ما نزل يرحمهم ان تابوا ويشبه ان يكون على الابتداء وعسى ربكم
ان يرحمكم بمحمد وان عدتم عدنا اي وان عدتم الى التكذيب والعصيان عدنا الى العقوبة والقتال الى يوم القيمة
وقوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قيل سجنا لا يخرجون منها وقيل محبسا وحصيرا يحصرون
فيها والله اعلم وقوله عز وجل ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم معنى التانيث في قوله للتي هي اقوم قيل بوجوه
قيل ان هذا القران يهدي للملة التي هي اقوم الملل واعدلها والملة هي الدين دين الله وقال بعضهم يهدي
الى الامور التي هي اعدل الامور واصوبها وقيل يهدي الى السبيل التي هي اقوم السبل واعدلها يحتمل هذه
الوجوه الثلاثة التي ذكرناها وجائز ان يكون قوله يهدي للتي هي اقوم اي للاعمال الصالحات والخيرات لان
الاعمال الصالحات قوامها بر ثم قوله يهدي يحتمل وجهين يحتمل يبين والثاني يدعو فهو يهدي الكل لو استهدوا
لكن خص هؤلاء لما منفعة تكون لمن ذكر وقد ذكرنا ان هذا القران وغيره من كتب الله هدى ورحمة لمن
يدعوا الى ثلاث خصال الى معالي الامور ومكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومصالحها وينهى عن مساوي الاعمال
ودناءة الامور وسيئ الاخلاق ودناءتها فهو هدى ورحمة على ما اخبر لمن استهدى به ورشد لمن استرشد وقوله
عز وجل ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات البشارة المطلقة انما جعل للمؤمنين الذين عملوا الصالحات لم يذكر
للمؤمنين خاصة على غير العمل الصالح فالمسئلة فيهم غير المسئلة وهؤلاء وفيه دلالة انه يقع اسم المؤمنين
بدون العمل الصالح لانه قال المؤمنين الذين يعملون الصالحات دل ان ذلك الاسم يقع بدون ذلك الاسم وفيه
دلالة ان اسم الايمان قد يتحقق بدون العمل الصالح حيث يشرط فيه العمل الصالح وقوله عز وجل ان لهم اجرا كبيرا
سماه كبيرا الكبير خطره عند الله كما سمى النار عظيما لعظم خطره عنده او سماه كبيرا لانه اكبر ما يقصد اليه
ويرغب فيه وهو ثواب الجنة والنار اعظم ما يحذر بها ويرهب عنها وقوله عز وجل وان الذين لا يؤمنون
بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما انكارهم البعث وكفرهم به هو الذي حملهم على تكذيبهم الرسل وكفرهم بالله
ليسلم لهم شهواتهم في الدنيا لان الرسل جميعا دعوهم الى ترك شهواتهم في الدنيا ورغبوهم بما يوجب لهم الثواب
في الاخرة وحذرهم عما يوجب العقاب فانكروا الاخرة والبعث راسا ليسلم لهم الدنيا فذلك الذي حملهم
على انكار الرسل وتكذيبهم الا ترى انه قال والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بالقران او بمحمد
ايمانهم بالبعث حملهم على الايمان بالقران والرسول وتكذيبهم الاخرة حملهم على تكذيب الرسل والله اعلم
وقوله عز وجل ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير قال بعضهم اذا غضب الانسان يدعو على نفسه وولده
واهله ويلعن كدعائه عليهم بالخير لذلك انتصب قوله دعاءه وقال الحسن ان الانسان يتضجر ويضجر وقلبه
بادنى شيء يكره يلعن على نفسه واهله فلو يجيبه الله ثم يدعو بالخير فيعطيه او نحوه من الكلام وقوله
ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير هذا يحتمل وجهين احدهما يدعو الانسان بالشر على العلم منه بذلك كدعائه
بالخير على العلم منه بذلك والثاني يدعو الانسان بالشر لو اجيب فيه على الجهل منه والغفلة كدعائه بالخير لو اجيب
في ذلك ثم ان كان ذلك الانسان هو الكافر فهو يدعو على الاستهزاء كقوله فامطر علينا حجارة من السماء الاية
وكذلك قوله سال سائل بعذاب واقع ونحوه وان كان مسلما فهو يدعو بالشر على السهو والغفلة منه نحو ما يتمنى
الاموال والنكاح ولعل ذلك شر له وقوله عز وجل وكان الانسان عجولا قال بعضهم هذا لادم لانه لما خلقه الله
فنفخ الروح في بعض جسده هم ان يقوم فسماه عجولا لكن كل الانسان خلق في الطبع من الاصل عجولا الا ترى
انه لا يصبر على امر واحد ولا على شيء واحد وان كان نعمة لم يصبر عليها ولكن عجل عنها وكذلك في ادنى شدة

وبلاء اذا بلي به لم يصبر عليه فابدا يريد الانتقال من حال الى حال الا ترى ان قوم موسى قد اكرمهم الله بكرامات من انزال المن والسلوى عليهم من غير كد ولا جهد ولا مؤنة وكذلك اللباس ثم لم يصبروا على ذلك حتى قالوا لن نصبر على طعام واحد فسالوا ربهم الفوم والبصل ونحوه على هذا طبع الانسان ملولا عجولا الا ترى ان الله مكن في باطنه وجعل في سعه رياضة نفسه وصرفها الى احد الوجهين اللذين يحمد عليه ولا يذم وهو ان يروضها ويعودها على الصبر والحلم والوقار ويصرف تلك العجلة الى الخيرات والطاعات التي يحمد عليها المرء بالعجلة والا ففي ظاهر الخلقة والطبع منشاء على العجلة وما ذكر الا ترى انه قال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا كذا وهو ما ذكرنا والله اعلم لكن بما امتحنه من الامر والنهي والترغيب في الموعود والترهيب صبره بحيث يملك اخراجه عما طبع وانشاء الى حال اخرى بالرياضة التي ذكرنا الا ترى انه ذكر الهلع والجزع ثم استثنى الا كذا وعلى ذلك خلق الله الخلق على همم مختلفة واطوار متشتتة لم يخلقهم جميعا على همة واحدة بحيث يرغبون جميعا في معالي الامور ومعاظم الحرف وارفع الاسماء بل طبعهم على طباع مختلفة فمنهم من يرغب في معالي الامور ومعاظم الامور والحرف ومنهم من كانت همته الرغبة في الدون من الامور والحرف في الحجامة والدباغة والحياكة ونحوها وكذلك في الاسماء ومنهم بخلاف ذلك ولو كانت همتهم همة واحدة لذهب المنافع والمعارف جميعا والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين اختلف فيه قال بعضهم المراد بالليل والنهار الشمس والقمر اي جعلنا في الشمس والقمر الا ترى انه اضاف الاية الى الليل والنهار حيث قال فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة وحيث قال ايضا ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما يعلم ذلك بالقمر الا ترى انه قال ايضا هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا الاية انما اضاف معرفة عدد السنين والحساب الى القمر دل انه بالقمر يعلم ذلك وهو قول علي وابن عباس رضي الله عنهم وغيرهم من اهل التاويل ويكون تاويل المحو الذي ذكر في قوله فمحونا اية الليل ما قالوا في محوه وهو السواد الذي يرى والنقصان الذي يكون فيه في اخره وقال بعضهم محي منه تسعة وستون جزءا من سبعين جزءا الى هذا يذهب هؤلاء واما الحسن وابو بكر وهؤلاء فهم يقولون ليس في الاية ذكر الشمس والقمر انما ذكر الليل والنهار واخبر انه جعلهما ايتين فهما كذلك ايتان وبهما يعلم عدد السنين والحساب لانه بالايام يعرف ذلك فاما الشهور فانه انما تعرف بالقمر لا تعرف بالايام ويكون تاويل قوله فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة اي جعلنا اية الليل في الابتداء ممحوة مظلمة وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة في الابتداء ليس ان كانتا جميعا مبصرتين مضيئتين ثم محي اية الليل وابقيت اية النهار مضيئة ولكن انشاء اية الليل في الابتداء مبصرة وهو كقوله والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت اي انشاءها في الابتداء كذلك لا ان السماء كانت موضوعة ثم رفعها وكذلك الجبال كانت منبسطة ثم نصبها ولكن انشاها في الابتداء كذلك فعلى ذلك قوله فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة اي جعلهما في الابتداء هذا مظلما ممحوا وهذا مبصرا مضيئا وجعلنا الليل والنهار ايتين هما ايتان مختلفان بل متضادان يضاد كل واحدة منهما صاحبتها اذا كل واحدة تنسخ اخرى حتى لا يبقى لها اثرها ابنان دالتان على وحدانية الله تعالى لانه لو كان فعل عدد لكان اذا اتى هذا و غلب عليه يمنع عن ان يكون للاخر سلطان لانه فاذ لم يكن دل انه صنع واحد وفيهما دلالة تدبيره حيث جريا على سنن واحد ومقدار واحد على غير تفاوت يكون فيهما وتفاضل او تغير على ما كان ومضى دل انه عن تدبير خرجا وكان كذلك وفيه دلالة علمه وحكمته لما جعل فيهما من المنافع ما لو كان الليل سرمدا ذهب منفعة الليل نفسه ولو كان النهار سرمدا لذهب منفعة النهار رأسا وفيه دلالة البعث لانه يتلف احدهما اذا جاء الاخر حتى لا يبقى له اثر ثم يعيده على ما كان من غير ان يعلم انه غير اد ثم قوله ايتين والايتان علامة وعلامتها لا تعرف الا بالتامل والنظر فيهما فعلى ذلك لا يعرف ما في القران والمعنى المودع فيه الا بالتامل والنظر فيه وفيهما دلالة نقض قول اصحاب الطبايع واصحاب النجوم والدهرية وجميع الملحدة اما نقض قول اصحاب الطبايع لما ذكرنا من اتساق مجراها على سنن واحد وامرها واحد دل انه بالتدبير صار كذلك لا بالطبع واما نقض قول اصحاب النجوم حيث لم يملك الخلق ومعظمهم يغلبها منشئها الشمس ويبود القمر حتى لا ترى ذلك انه لا تدبير لهما وان التدبير لغيرهما وعلى غيرهم من الملحدة ما ذكرنا من اتصال منافع هذا بهذا لو منا مع هذا بهذا دل انه ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لتبتغوا فضلا من ربكم يحتمل الفضل الذي ذكر الرزق والمعاش الذي ذكر في اية اخرى وجعلنا النهار معاشا ويحتمل انواع فضل تكون في الدين ولتعلموا عدد السنين والحساب وهو ما ذكرنا انه بهما يعرف وقوله تعالى وكل شيء فصلناه تفصيلا يحتمل التفصيل تفصيل اية من اخرى او لم يجعلهما اية واحدة على ما ذكر وقال الحسن اي فصل بين ما هو مرصاد وما هو بين و فصل ما يؤتى وما يتقى وفصلناه اي فضله تفضيلا لم يتركه مبهما بل بين ما اية ابيان وقوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اختلف في قوله طائره قال بعضهم طائره شقاؤه وسعادته ورزقه وعيشه وقال بعضهم عمله الذي يعمل من خير او شر وقال بعضهم خطه ونصيبه من عمله وهو جزاؤه ونحو ذلك فذلك كله يرجع الى معنى واحد انه انما يبعد ويشقى بعمله الذي يعمل وكذلك جزاء عمله ولذلك قال الحسن في تاويل قوله قالوا اطيرنا عليكم شؤمنا اي باعمالنا التي عملنا ما قد تخرج تسمية العمل وما ذكروا طائرا لوجهين احدهما

على وجه التفاؤل والطيرة كانوا يتفاءلون ويتطيرون باشياء بالطائر وغيره ويقولون جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له بكذا من الشر على طريق الفال والطيرة فخاطبهم على ما يستعملون واخبر ان ذلك يلزم اعناقهم وهو ما قال الله تعالى يطيروا بموسى ومن معه وكقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وقوله ايضا قالوا اطيرنا بك وبمن معك الاية ونحوه والثاني سمي الاعمال التي عملوها طائرا لما ان الذي يتولد منه تلك الاعمال كالطائر وهو الهمة اولا يخطر بباله شيئا فيلا خطار لا صنع له فيه ثم بعد ذلك تبعث الهمة الارادة ثم تبعث على الطلب والعمل فالهمة التي في النفس التي يتولد منها الاعمال كالطائر فسماه لذلك باسمه والله اعلم وقوله عز وجل في عنقه يحتمل ان يكون العنق كناية عن النفس اي الزمناه نفسه وذلك جائز يقال هذا لك علي وفي عنقي والثاني ذكر العنق كما يقول الرجل للاخر اذا اراد التخلص عن عمل قلدتك هذا العمل وجعلته في عنقك اي تكون انت الماخوذ به ان كان في ذلك شر وانت الماجور به المثاب ان كان فيه خير و المعنى في قوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه اي لا يؤخذ غيره بعمله وشقائه ولكن هو الماخوذ به وهو ما قال من اهتدى فانما يهتدي لنفسه وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى هذه الايات الثلاثة معناها واحد وهو ما ذكرنا ان لا يؤخذ غيره بعمل اخر ولا تحمل نفس خطيئة اخرى ولا وزرها ولكن كل نفس هي تحمل خطيئة نفسها وقوله عز وجل ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا هذا يحتمل وجهين احدهما اي يجعل ما الزم عنقه كتابا يلقاه منشورا والثاني اي يجعل بما الزم عنقه كتابا وقوله عز وجل اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قيل شهيدا وقيل كافيا وحاسبا وهو واحد ان المؤمن بما سبق من صالحاته يقف فيها لا يقطع القول فيها لرجائه في رحمته ولخوفه عن مساويه فلا يشهد على نفسه بالنار لما لم يكن له ما يطمع رحمته وقوله اقرأ كتابك اي نخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وفي ذلك لطف عظيم بقراءة كتابه باي لسان كان لانه لم يتبين باي لسان يكتب ثم يتذكر جميع ما عمل في عمره وقد ينسى الرجل عملا يعمل في ادنى مدة لكن هذا يتذكر في ساعة ووهلة ما كان عاملا منه وقوله عز وجل من اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي من اهتدى الى ما جعل الله عليه من انواع النعم وقام باداء شكرها فانما فعل ذلك لنفسه لانه هو المنتفع به او يقول من اختار الهدى واجاب الى ما دعاه مولاه فانما يهتدي لنفسه اي فانما اختار ذلك لنفسه لانه هو المنتفع به وهو الساعي في فكاك رقبته وقوله عز وجل ومن ضل اي من ضل اي من اختار الضلال فانما يضل عليها اي فانما يرجع عليها ضرره وهو ما ذكر من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها وقوله ومن ضل عن ذلك فانما يضل عليها اي الى نفسه يرجع ضرر ضلاله على نفسه كقوله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه وقوله عز وجل ولا تزر وازرة وزر اخرى هو ما ذكرنا اي لا تحمل نفس خطيئة اخرى ولا تاثم بوزر اخرى والله اعلم ذكر هذا ليعلم ان امر الاخرة خلاف امر الدنيا لان في الدنيا قد يؤخذ نفس مكان اخرى ويحمل نفس مؤنة اخرى وفي الاخرة لا يؤخذ نفس بدل اخرى والثاني قد يتبرع بعض عن بعض بتحمل المؤنات والقيام في كفايتها واما في الاخرة فلا يتبرع بذلك وقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يحتمل ما كنا معذبين تعذيب استيصال في الدنيا الا بعد دفع الشبه ورفعها عن الحجج من كل وجه وبعد تمامها وان كانت الحجة قد لزمتهم بدون بعث الرسل ليدفع عنهم عذرهم من كل وجه او ان يكون قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا افضالا منه ورحمة وان كان العذاب قد يلزمهم والحجة قد قامت عليهم والعذاب الذي كانوا يعذبونهم في الدنيا ليس هو عذاب الكفر لان عذاب الكفر انه ابدا لا انقطاع له وهذا انما ينقطع وينفصل لكن يعذبون ما شاء كانت منهم من العناد ودفع الايات واما عذاب الكفر فهو في الاخرة ابدا لا ينقطع وفي الاية دلالة ان حجة التوحيد قد لزمتهم قد لزمتهم وقامت عليهم بالعقل حيث قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فلو لم تلزمهم لكان الرسل اذا دعوهم الى ذلك يقول من انتم ومن بعثكم الينا فاذا لم تكن لهم هذا الاحتجاج دل ان الحجة قد قامت عليهم لكن الله بفضله اراد ان يدفع الشبه عنهم ويقطع عنهم عذرهم برسول يبعث اليهم لما ان اسباب العلم بالامور ثلاثة فمنها ما يعلم بظاهر الحواس بالبديهة ومنها ما يفهم بالتامل والنظر ومنها ما لا يعلم الا بالتعليم والتنبيه وقال القتبي ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وهو ما ذكرنا اي نخرج بذلك العمل كتابا وقال ابو عوسجة اي نكتب ما عمل ثم نقلد في عنقه فيجيء به يوم القيامة وقال ابو عبيدة طائره حظه وقال غيره من المفسرين ما عمل من خير او شر الزمناه عنقه وقال القتبي وهذان المعنيان يحتاجان الى بيان والمعنى فيما ارى والله اعلم ان لكل امرئ حظا من الخير والشر قد قضاه الله فهو لازم عنقه والعرب تقول لكل ما لزم الانسان قد لزم عنقه وهو لازم طائر عنقه وهذا لك علي وفي عنقي حتى اخرج منه وانما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب ما ذكرنا جرى له الطائر بكذا من الخير وجرى له الطائر بكذا من الشر على وجه الفال والطيرة على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سببا وهو ما ذكر وقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا التعذيب يكون على وجوه ثلاثة احدهم يعذب

في الدنيا ابتداء بتعذيب امتحانا وابتلاء بلا جرم كانت منهم كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحوه فيكون شبيها ونذكيرا لهم لا تكفيرا والثاني تعذيب تعذيب العناد والمكابرة وهو تعذيب إهلاك واستئصال فهو عقوبة لهم وموعظة للمتقين وعبرة لغيرهم وهو الذي يأتي على إثر وعيد والثالث عذاب الموعود في الآخرة بقول وما كنا معذبين في الآخرة حتى نبعث رسولا في الدنيا والأشبه أن يكون ما ذكر من التعذيب من التعذيب هو تعذيب استئصال والله أعلم وقوله عز وجل وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها بالتخفيف والتثقيل أمرنا مترفيها ثم من قال أمرنا بالتثقيل يحتمل وجهين أحدهما أمرنا مترفيها من الإمارة والتسلط عليهم أي أمرنا عليهم وسلطنا مترفيها أي أكثرنا عددهم وسلطنا مترفيها ففسقوا فيها واستكبروا بها والثاني أمرنا مترفيها أي أكثرنا عددهم ومنعتهم بكثرتهم هذا لقولهم وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية الآية قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة الآية وقولهم نحن أكثر أموالا وأولادا الآية كانوا يزعمون أنهم لا يعذبون لأنهم قد أنعموا في هذه الدنيا وأكثروا أموالهم وأولادهم فأخبرهم عز وجل أنه ما أهلك من الأمم الخالية إلا بعد ما كثر عددهم ووسع عليهم الدنيا لم يهلكوا في حال القلة والضيق كقوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا أي كثروا وقوله حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون لم يأخذ بالعذاب الأمم الخالية إلا في حال كثرتهم وأمنهم وغرتهم بالسعة يحذر هؤلاء لئلا يغتروا بكثرة أموالهم وأولادهم وعددهم ومن قال أمرنا مترفيها بالتخفيف هو من الأمر أي أمرنا عظماءهم وكبراءهم طاعة الرسول والإجابة إلى ما دعاهم إليه حتى إذا عصوا رسله وتركوا إجابتهم على العناد والمكابرة فعند ذلك يهلكون لما ذكرنا أنه لم يستأصل الأمم الخالية إلا بعد عنادهم في آيات الله ومكابرتهم في دفعها وتكذيبها إلا يهلكهم في أول ما كذبوا بآيات الله وخالفوا رسله وقوله مترفيها قال بعضهم المترف المنعم وقال بعضهم المترف المكرم والمستكبر وكله واحد وفي قوله وإذا أردنا أن نهلك قرية دلالة أن الإرادة غير المراد لأنه أخبر بتقدم الإرادة عن وقت الإهلاك دل أنها غيره وفيه أنه أراد السبب الذي به يهلكون وهو التكذيب والعناد لما علم منهم أنهم يختارون ذلك إذ لا يحتمل أن يريد هلاكهم وهو يعلم منهم غير سبب الهلاك فهذا يرد قول المعتزلة أن الإرادة هي المراد وأنه لم يرد ما كان منهم من سبب الهلاك والله أعلم وقوله عز وجل فحق عليها القول بما أراد إهلاكهم وجب عليهم أو يكون قوله فحق عليها القول بما أخبر من الأمم الخالية وهو قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل الآية وقوله عز وجل فدمرناها تدميرا أي أهلكناها إهلاكا وقوله عز وجل وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحتمل أن يكون الخبير والبصير واحدا ويشبه أن يكون بينهما فرق الخبير العالم بأعمالهم والبصير بمصالحهم ومعاشهم ويجزاهم يقال فلان بصير في أمر كذا وفلان أبصر من فلان أبصر من فلان ويحتمل أن يكون بذنوب عباده وهو مكرهم الذي كانوا يمكرون برسول الله فقال وكفى بمكرهم الذي يمكرون بك وقوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما يشاء لمن يريد يحتمل هذا وجهين أحدهما أنهم كانوا يعملون بأعمالهم الحسنة في حال كفرهم من نحو الإنفاق والصدقات وبذل الأمور وغير ذلك يريدون بذلك العز والشرف والذكر في الدنيا فأخبر أن من أراد بما يفعل ذلك عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والثاني يكون قوله من كان يريد العاجلة أي لا يريد بها إلا جمع الأموال وسعتها عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم أخبر أنه لا كل من أرادها يعجل له ذلك ولا ما أراد يعجل له ذلك ولكن إنما يعجل ما أراد الله ولمن أراد إذ لا كل من أراد شيئا يعطي له ذلك ثم أخبر عما يعطي له في الآخرة من أراد العاجلة فقال ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا أي مذموما بما يسمى بأسماء قبيحة دنية مذمومة عند الخلق أو يذم ويلام في النار مدحورا مطرودا من الأسماء الحسنى ومن الخيرات أو مبعدا عن رحمته وقوله مذموما عند نفسه أي يذم نفسه يومئذ أو مذموما عند الملائكة والخلق جميعا وفي قوله وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وجهان أحدهما يحتمل أن يكون أراد بإهلاكه إياهم سوءتهم بأحوالهم يقول هم كانوا عددا قليلا زمن نوح ثم كثروا حتى صاروا قرونا ثم ماتوا حتى لم يبق منهم أحد ويحتمل أن يكون الإهلاك ههنا إهلاك استئصال فهو يخرج على وجهين أحدهما أنه قد استووا في هذه الدنيا في الولي والعدو وفي الحكمة التمييز بينهما والتفريق فلا بد من دار تفرق بينهما فيها ويميز والثاني قد هلكوا جميعا وفي العقل والحكمة إنشاء الخلق للإفناء خاصة بلا عاقبة تقصد عبث باطل فدل أن هنالك دارا أخرى هي المقصودة حتى صار خلق هؤلاء حكمة وفيه إلزام البعث وقوله عز وجل ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن تفسير قوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد كأنه قال من كان يريد العاجلة وهو كافر به مكذب بالآخرة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ومن كان يريد الآخرة وهو مؤمن بربه مصدق بالآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن هذا يدل أنهم إنما أرادوا العاجلة بكفرهم بالآخرة ثم أخبر أن من أراد بعمله في الدنيا الآخرة ولها سعيها ما سعى وهو مؤمن بها فأولئك كان سعيهم مشكورا أي يجزى مقبولا وقوله عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء أي المؤمن والكافر يعطي هذا وهذا أي لا يحرم عن العاجلة من أراد الآخرة بخيرا ولئك الكفرهم بالآخرة أنه ليس يعطي الدنيا وسعتها لمن يكفر بالآخرة ولكن يعطي من كفر بها ومن آمن بها البلاء يحملهم ذلك على حبهم الدنيا وطلب العز والشرف فيها على كفرهم بالآخرة

حيث قال كلا نمد هؤلاء وهؤلاء أي يعطي المؤمن والكافر والبر والفاجر وقوله عز وجل وما كان عطاء ربك محظورا أي رزق ربك وفضله محظورا قال بعضهم محبوسا وممنوعا وقال بعضهم محظورا أي منقوصا فهو في الآخرة أي لا ينقصون في الآخرة من جزائهم وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان العبد همه الآخرة كفى الله له من ضيعته وجعل غناه في قلبه وإذا كان همه الدنيا أفشى الله عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه فلا يمسي إلا فقيرا ولا يصبح إلا فقيرا وقوله من كان يريد العاجلة للعاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وأما من كان يريد العاجلة للآخرة فهو ليس بمذموم فهو ما ذكر في قوله فأولئك كان سعيهم مشكورا وهو ما قال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم الآية وقوله اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو حيوة الدنيا الدنيا لعب ولهو وأما من أراد الحيوة الدنيا لحيوة الآخرة فهو ليس بلعب ولهو لأن الدنيا لم تنشأ لنفسها إنما أنشئت للآخرة فمن رآها وأرادها لنفسها فهو لعب ولهو ومن رآها للآخرة وأرادها للآخرة فهو ليس بلعب ولا لهو وقوله عز وجل انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الدنيا في الرزق وفي الخلقة يكون بعضهم أعمى وبعضهم بصيرا ويكون أصم ويكون سميعا ونحوه فعلى ما يكون في الدنيا على التفاوت والتفضيل يكونون في الآخرة كذلك في المنزلة والقدر عند الله لا في الضيق والسعة والأحوال التي يكونون في الدنيا حيث قال وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ولم يقل أكثر ولا أوسع دل أنه على القدر والمنزلة عند الله لا على اختلاف الأحوال التي يكونون في الدنيا والله أعلم وقوله عز وجل ولا تجعل مع الله إلها آخر قد ذكرنا فيما تقدم أن النهي في مثل هذا والخطاب لرسوله وإن كان غير موهوم ذلك منه للعصمة التي عصمه فإنه غير مستحيل في ذاته لما ذكرنا أن العصمة إنما ينتفع بها مع النهي والأمر لا تزيل الأمر والنهي ما احتيج إليها أو على إرادة غيره على ما يخاطب به ملوك الأرض الأقرب إليهم والأعظم والأخطر منهم دون خسائس الناس وأرذالهم والثاني أنه يخاطب كلا في نفسه ليس أنه يخص رسوله بذلك ولكن كل موهوم ذلك منه ويحتمل أن يخاطب به كقوله يا أيها الإنسان ويا أيها الناس ليس إنسان أحق بهذا الخطاب من إنسان فعلى ذلك الأول أو يقول يخاطب رسوله ليعلم من دونه أن ليس لأحد وإن عظم قدره عند الله وارتفع محله ومنزلته محاباة في الدين لأن الرسل هم المكرمون على الله المعظمون عنده فإذا لم يعفوهم في هذا لم يعف من دونهم ألا ترى أنه قال للملئكة ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهم أكرم خلق الله حيث وصفهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فعلى ذلك الرسل ألا ترى أنه قال على إثره وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه إلى قوله إما يبلغان عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ومعلوم أن أبويه كانا ماتا فلا يحتمل أن يخاطب رسوله في قوله وقل رب ارحمهما دل أنه خاطب به كل محتمل ذلك منه وموهوم وقوله عز وجل فتقعد مذموما عند الناس مخذولا أي ذليلا مقهورا لأن الخذلان هو ضد النصر والعون ألا ترى أنه قال إن ينصركم الله الآية ذكر الخذلان مقابل النصر فعلى ذلك قوله مخذولا أي مقهورا ذليلا غير منصور والله أعلم وقوله عز وجل وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه قال بعضهم قضى حكم وقال بعضهم قضى ههنا أمر ربك ألا تعبدوا إلا إياه وقال بعضهم قضى ربك أي وصى ربك وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وأبي رضي الله عنهما أنهما كانا يقرآن ووصى ربك قال بعضهم وعهد ربك وقال القتبي وقضى ربك أي حتم ربك وهو من العرض والإلزام أي فرض ربك وألزم أن لا تعبدوا إلا إياه وكذلك حكم وهو أشبه ألا ترى أنه قال في آية أخرى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ثم قال ومن يعص الله ورسوله دل قوله ومن يعص الله ورسوله أن قوله إذا قضى الله ورسوله معناه أي فرض الله ورسوله وحكما أمرا ثم قوله وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه فرض وحتم وحكم وأمر أن لا تعبدوا إلا إياه إلا أن له المعبود الحق المستحق للعبادة والربوبية لا تعبدوا دونه أحدا وقد أبان لنا أنه هو الإله والرب المستحق للعبادة والألوهية والربوبية لا الذين تعبدون من دونه من الأوثان والأصنام بوجوه ثلاثة أحدها عجز العقول وجهالتها عن درك كيفية العقول وما بينها لأن العقول لا تعرف كيفية أنفسها ولا ماهيتها وتعرف محاسن الأشياء ومقابحها فقد عرفت الألوهية لله وحسن العبادة وقبحها لغيره والثاني ما يوجد في جميع الخلائق من آثار الوهيته وربوبيته وجعل العبادة له شكرا له وعلى ذلك جعل في كل جارحة من جوارح الإنسان عبادة شكرا له لما فيها من آثار الوهيته والثالث السمع أنبأنا أن لا معبود إلا الله ولا الوهية لسواه دونه فذلك معنى ما فرض على خلقه وأمرهم أن لا يعبدوا إلا إياه وتأويل حكم ربك ألا تعبدوا إلا إياه لما أنشأ في خلقه كل أحد آثار وحدانيته وشهادة ربوبيته استحقاق العبادة له فذلك تأويل من قال قضى أي حكم وأما تأويل من قال قضى أي أمر ربك وكلف أن لا تعبدوا إلا إياه يكون فيه أمر بالعبادة له والنهي عن عبادة غيره كأنه قال أمر ربك أن اعبدوه ونهاكم أن تعبدوا غيره ثم الفرق بين الطاعة والعبادة يجوز أن يطاع غيره ولا يجوز أن يعبد غيره لأن الطاعة هي الائتمار كقوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم أي ائتمروا وأما العبادة هي الاستسلام والخضوع له والشكر له ولا يجوز ذلك لغيره سوى الله أو أن يكون

في العبادة معنى لا يدركه كمعنى الرحمن لا يدرك حيث لم يجوز تسميه غيره به فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل وبالوالدين احسانا كانه قال وفرض عليكم ايضا وحكم احسان الوالدين ثم الاحسان في عرف الناس هو الفعل الذي ليس عليه انما هو فضل ومعروف يصنعه الى غيره هذا هو الاحسان في العرف واللغة لكن المراد من الامر بالاحسان الى الوالدين هو الشكر لهما ذكرنا من الاحسان المعروف عند الناس وهو ما ذكر في اية اخرى ان اشكر لي ولوالديك لان الشكر هو المكافاة والجزاء لما انعم وضع من المعروف فهو والله اعلم وان ذكر الاحسان في هذا وفي غيره من الايات وهو قوله الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وقال في اية اخرى واعبدوا الله و ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وغيرها من الايات فالمراد منه والله اعلم الشكر لهما لما ذكر في اية اخرى ان اشكر لي ولوالديك والشكر هو المكافاة امره ان يكافئهما ويجازي بعض ما كان منهما اليه من التربية والبر و العطف عليه والوقاية من كل سوء ومكروه في البطن وبعد ما خرج من البطن حتى كانا يؤثرانه على انفسهما في السرور ويعادان انفسهما وقايته له من كل سوء وتحف ووفاء الولدان يشكر لوالديه بجزاء ومكافاة لما كان منهما اليه مما ذكرنا هذا ذكر في الحال التي عجزا عن القيام لامر انفسهما والحوائج لهما وذلك والله اعلم لانهما اذا كانا قويين قادرين لحوائج انفسهما ومنافعهما يبران ولدهما ويحسنان اليه فيحمل برهما واحسانهما اليه على الطاعة لهما في البر والاحسان اليهما على المجازاة وهكذا المعروف عند الناس انه اذا بر بعضهم بعضا يبعث ذلك على المكافاة لئلا يدوم ذلك عليهم وان لا ينقطع لذلك ذكر والله اعلم الاحسان الى الوالدين في الحال التي هي حال ضعف وعجز حيث قال اما يبلغان عندك الكبر احدهما او كلاهما ثم امره ان يذكر الحال التي هو عليها وهي حال طفوليته وصغره انه كيف ربياه وبرا وعطفا عليه ولا نالا له قولا وفعلا حتى لم يستقذرا منه شيئا ما يستقذر الناس بعضهم من بعض ولم يبعد تباعدا عنه ما يبعد الخلق بعضهم من بعض من انواع الاذى والخبث فامره ان يعاملهما اذا بلغا الحال التي كان هو عليها من الجهل والضعف والعجز عن القيام بالحوائج على ما كان هو وبلغا المبلغ الذي يستقذر منهما ويبعد عنهما اي لا يستقذر هو منهما ولا يبعد عنهما كما لم يستقذرا منه ولا ينهرهما عند السؤال والحاجة اليه كما لم يفعلا هما له بل يلين ويذل كما لانا هما له وخضعا وهو ما قال والله خلقكم ثم يتوفاكم الاية وقال في اية اخرى الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اخبر انه يرد من بعد القوة والعلم الى الحال التي كانوا عليها وحال الضعف والجهل حيث قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم الاية وقال خلقكم من ضعف الاية فقال فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقال بعضهم قوله له فلا تقل لهما اف هو كناية عن اظهار الكراهة لهما في الوجه ولا تنهرهما اي لا تعنفهما في القول والكلام على ما لم يفعلا هما بك وقال بعضهم اف المراد منه هو اف لا غير ولا تنهرهما اي لا تعنفهما ولا تخشن لكنه ذكر اول حال الاستثقال والكراهة منه واخرها اي لا تقل لهما اف على ما يستثقل الناس شيئا ويكرهون في اول حال يرون شيئا مستثقلا مكروها يقولون اف اي لا تقل اف لئلا يحمل ذلك على العنف والخشونة والزجر وعلى هذا المعنى قالوا في قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم الاية قال بعضهم يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم لان النظر بالبصر يحمله على الزنا في الفرج ومنه يكون بدء الفجور وقال بعضهم قوله يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذكر اول حال واخرها ليمتنعوا عن كل ذلك فعلى ذلك قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ذكر اول الحال واخرها والثاني اي لا تظهر في وجهك من الكراهة والاستثقال ليحمل ذلك على العنف والانتهار فان قيل قوله اف اف لا غير ففيه حجة لابي حنيفة رحمه الله في قوله اذا نفخ المصلي في موضع سجوده وهو كلام يقطع صلوته حيث قال فلا تقل لهما اف اي لا يتكلم به والله اعلم وقوله عز وجل وقل لهما قولا كريما حيث نهاه ان يقول لهما اف ونهاه ان ينهرهما فاذا امتنع عن الاف والنهر كان بعد ذلك قولا لينا لطيفا قال ابو عوسجة يقال نهرته وهو الخشن من الكلام شبه الوعيد وقال ابو بكر الكيساني الكريم هو الذي يتولى على اخر نعمه ويهنيه بترك الاذى والمن كقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال غيره في وصف السخي فقال الذي يبذل ما احتوى عليه لمن احتاج اليه وقطع طمعه عما احتوى عليه غيره عند حاجته اليه ويشبه ان يكون الكريم قريبا منه فان قيل ان الوالدين كالمجبولين المطبوعين على البر لاولادهما والشفقة عليهم ولا كذلك الاولاد فكيف يشبه بر من كان مجبولا به مطبوعا عليه بر من لم يكن ذلك بطبعه قيل لذلك ذكر هذا في الولد دون الوالدين وامرهم بذلك لان ما يفعل الوالدان من البر والاحسان الى الولد يفعلان بطبع والولد لا لذلك كان ما ذكر والله اعلم ولهذا ما لم يجعل ولم يشرع قتل الوالد بولده الا القصاص حبوة بينهم وشرع قتل الولد بوالديه اذ في الوالدين من الشفقة والرحمة ما يمنع قتل الولد وليس في الولد ذلك فجعل في قتل الولد والده القصاص ولم يجعل في قتل الوالدين ولدهما فعلى ذلك هذا في البر والاحسان كان قبل ما الحكمة فيما قرن الله من شكر والديه شكره في غيره اي من القران اشكر لي ولوالديك قيل لانه بهما كان نماؤه من اول حاله الى اخر ما انتهى اليه من التغذية والتربية والوقاية عن كل سوء والحفظ عن كل افة وشر وفي الاية دليل لقول ابي حنيفة حيث قال في المكاتب اذا اشترى والده او امه صار مكاتبا واذا اشترى اخاه او ذا رحم محرم منه لم يصر مكاتبا لان الاب والام يصيران كذلك بحق الجزاء والشكر فعليه ذلك واما الاخ وغيره من المحارم بحق المعروف فلكم لا يحتمل ذلك

والخطاب

والخطاب من الله وان كان مع رسوله فالمراد منه غيره لان رسول الله معلوم انه لم يدرك والديه في الوقت الذي ارسل اليه وخاطبه بما خاطب دل انه اراد بالخطاب غيره كل محتمل ذلك وموهوم منه وامره ان يعاملهما بالمعاملة التي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يحتمل ان يكون الجناح كناية عن اليدين لان اليدين في الانسان بموضع الجناح للطائر وجناح الطائر يداه فكانه قال اخفض واخضع لهما بيديك كما امره ان يخضع لهما بلسانه بقوله وقل لهما قولا كريما اي اخضع لهما قولا وفعلا ويحتمل ان يكون الجناح كناية عن النفس اي اخضع لهما بجميع النفس والجوارح وقوله الذل يحتمل ان يكون المراد من الذل الذل نفسه اي كن لهما كالمستعين المحتاج اليهما لا كالمعين لهما قاضي الحاجة ولكن ذليلا كالمستعين من الاخر الحاجة اليه ويحتمل ان يكون الذل كناية عن الرحمة التي تكون في القلب اي اخضع لهما برحمة القلب والجوارح جميعا الا ترى انه قال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين رحماء على المؤمنين اشداء على الكافرين الا ترى انه قال في اية اخرى اشداء على الكفار رحماء بينهم وذكر مقابل الذل في تلك الاية الرحمة في هذا ومقابل العزة الشدة فعلى ذلك يحتمل ان يكون قوله جناح الذل كناية عن الرحمة فيكون معناه ان اخضع لهما بالظاهر والباطن جميعا على ما ذكرنا في قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما والله اعلم وقوله عز وجل وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا قال بعضهم رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ويحتمل ان على الاضمار فيكون والله اعلم كانه قال رب ارحمهما كما رحماني وربياني صغيرا وقول اهل التاويل ان هذا منسوخ نسخه قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية بعيد وامكن ان يكون الاية في المؤمنين والكافرين فالرحمة التي ذكر تكون في الكافرين سؤال الهداية لهم وجعلهم اهلا للرحمة والمغفرة وذلك جائز كقول نوح لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا اي استهدوا ربكم فهديكم فيغفر لكم ما كان منكم انه كان لم يزل غفارا اذ لا يحتمل ان يامرهم بالاستغفار ويعدهم بالمغفرة على الحال التي هم عليها وكذلك استغفار ابراهيم لابيه او ان يكون من الرحمة التي يتراحم بعضهم لبعض والشفقة التي يكون بين الال كما يتراحم الصغار والضعفاء ثم مثل هذه المعاملة التي امر الولد ان يعامل ابويه يلزم المؤمنين من جهة الدين ومكارم الاخلاق ان يعامل بعضهم بعضا غير ان هذا فيما بين الناس ليس بفرض لازم وذلك لازم لانهما بحق الشكر والجزاء لهما بما كان منهما اليه من البر والاحسان وحق التربية والتعظيم حقهما وجليل قدرهما وخصوصيتهما وهو كما يقال لرسوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والا فقد وصف المؤمنين بتراحم بعضهم على بعض على ما ذكر رحماء بينهم وامرهم بذلك وقوله عز وجل ربكم اعلم بما في نفوسكم قال بعضهم قوله اعلم بما في نفوسكم من اسرار المحبة لهما والبر والكرامة وقال ربكم اعلم بما في نفوسكم اي اعلم ما تفعله نفوسكم وهو كما قال عيسى تعلم ما في نفسي اي تعلم ما تفعله نفسي ولا اعلم ما في نفسك من التدبير والتقدير فعلى ذلك هذا وجائز ان يكون قوله ربكم اعلم بما في نفسكم صلة قوله فلا تقل لهما اف الاية اي ربكم اعلم بما في ضميركم من الاستقذار لهما والاستثقال والكراهة اذا بلغ المبلغ الذي ذكر ولكن لا يظهر ذلك لهما ولا توافق ظاهرك باطنك او ان يقول ربكم اعلم بما في نفوسكم فلا يرون الناس ولا يعرفوا ما في ضميركم لكن لا يعلم ذلك يخاطب الكل على الابتداء ان لا يجعل ما في قلبه لغيره بل يخلص له او ان يكون قوله ربكم اعلم بما نفوسكم اي ما تفعله انفسكم وتدبرها وقوله عز وجل ان تكونوا صالحين اي تصيروا صالحين لان قوله تكونوا انما هو في حادث الوقت وقوله عز وجل فانه كان للاوابين غفورا يشبه ان يكون قوله ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا للاولين ولمن يشاء ثم اختلف في الاواب قال بعضهم الاواب الرجاع التواب وهو قول ابي عوسجة قال القتبي الاواب التائب مرة بعد مرة وهو من اب يؤب اي رجع وهما واحد وقال بعضهم الاواب المطيع وقيل المسبح ونحوه وقال ابو عوسجة في قوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اي لن لهما وارفق بهما ذكر بر اللسان للوالدين ولطفه اياهما قولا وفعلا وليس في ظاهر الاية ذكر البر بالمال والانفاق عليهما فيشبه ان يكون ذلك داخلا في قوله وبالوالدين احسانا ولم يذكر ذلك لان المال الولد مال لهما الا ترى الى ما روي عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابوه فقال يا رسول الله ان لي مالا وان لي ابا وله مال وان ابي يريد ان ياخذ مالي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك او لا ترى ايضا انه اضاف بيوت الولد اليهما حيث قال ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباءكم قوله من بيوتكم معناه بيوت ابنائكم وقال بعض في قوله انه كان للاوابين غفورا انه صلوة الضحى ويروى في ذلك خبرا روى زيد بن ارقم قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على قوم وهم يصلون الضحى فقال صلوة الاوابين اذا رمضت الفصال وفي خبر اخر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث امرني ان اصوم ثلاثا في كل شهر وان لا انام الا على وتر وان اصلي ركعتي الضحى فانها صلوة الاوابين وقد يروى احاديث كثيرة في الحث على صلوة الضحى وفعلها وانه صلى هو ركعتين واربعا وستا ودونها مما يكثر ذكرها ويطول ومن صلاها فانما صلاها على سبيل التطوع ليس على سبيل اللزوم الواجب او السنة المؤكدة لان النبي صلى الله عليه وسلم صلاها مرة وتركها مرة فكان كصلوة الليل يدرك فاعلها الفضل وقوله عز وجل وات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل كان الاية هي صلة قوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اي وقضى ايضا اي تؤتي ذا القربى حقه ومن ذكر اي فرض وحتم

وحكم على اختلاف ما فيها لو او هو كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى لانه
امر عز وجل ببر الوالدين والشكر لهما وصلة ذي القربى فريضة ومن ذكر ثم اختلفوا في قوله حقه قال بعضهم ذلك
الحق فريضة وهو الزكوة حيث جعل ذلك صلة ما هو فرض وهو الشكر لله وجعل العبادة له وشكر الوالدين جزاء لما
كان منهما اليه وقد ذكرنا ان ذلك فرض لازم فعلى ذلك صلة هؤلاء اذ صلتهم فريضة لما جاء من الموا عيد الشديدة
في قطع الرحم والترغيب في صلتهم ومنهم من قال ذلك الحق نفل الا ترى انه قال ولا تبذر تبذيرا ولا تبسطها كل البسط
وقال اما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فلو يحتمل ما ذكر من الاعراض عنهم ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها في الفرض دل انه في النفل والله اعلم وقوله عز وجل ولا تبذر تبذيرا قال بعضهم التبذير الاسراف واحد
وهو المجاوزة عن الحد الذي جعل في الانفاق والحقوق والمجاوزة من المحق وغير المحق روي عن ابن مسعود انه
سئل عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وكذلك قول ابن عباس رضي الله عنهم وقال بعضهم التبذير هو الانفاق
فيما لا ينتفع به ويحتمل ما ذكرنا انه يترك الانفاق على المحق وهم ذو القربى وينفق على الاجنبين وقوله عز وجل
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي كانوا اولياء الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا اي كفورا لنعم ربه
وقوله عز وجل واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها عن الحسن قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يسال فيقول ما لال محمد وانهم لنسعة اهل ابيات الا صاع من طعام فانزل الله تعالى فقل لهم قولا ميسورا اي
عدهم ان سوف يأتي بالرزق عن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله واما تعرضن عنهم اذا سالوك وليس عندك
شيء انتظرت رزقا من الله يأتيك فقل لهم قولا ميسورا يكون ان شاء الله شبه العدة وامثال هذا قالوه ويحتمل
قوله واما تعرضن عنهم اعراض الوجه ويحتمل اعراض الاجابة فذلك يكون بالاستثقال والاستخفاف في مرة ولما
ليس عندك شيء يعطيهم ثانيا لكن لا نعرف ان الاعراض كان للاستثقال والاستخفاف ولما ليس عنده ما يعطيهم
فامر يبين لهم ان الاعراض عنهم ليس للاستثقال والاستخفاف وكذلك ترك الاجابة لهم ولكن لما ليس عنده
شيء ليعلموا ان الاعراض عنهم ليس للاستخفاف ولا للاستثقال ولكن لما ليس عنده ما يعطيهم او يطلب ما يعطيهم
وهو ما قال فقل لهم قولا ميسورا جمع اهل التاويل ان هذا الاعراض هو السؤال لانه كان يعرض عنهم لابتغاء
ما يعطيهم فذلك الاعراض يرجع منفعته الى السؤال ثم اختلفوا في قوله ميسورا قال بعضهم عدهم عدة حسنة اذا
كان ذلك اعطيناك وقال بعضهم اي عدهم خيرا وقال بعضهم قل لهم قولا لينا وسهلا وقال ابو عوسجة ميسورا
اي حسنا وهو من التفسير ونحو ذلك قالوا اي اردد عليهم ردا حسنا ليقع عندهم ان الاعراض لما ليس عنده
شيء لا لوجه اخر وقوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك في الانفاق اذا كان عندك ولا تبسطها كل البسط
فيلومك من رجاك ولكن لما قال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا والاية امر الله ان ينفقوا نفقة ليس فيها
سرف ولا اقتار وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وغيره وقال بعضهم لا تمسك عن النفقة فيما امرك ربك
به عن الحق ولا تبسطها كل البسط فيما نهاك عنه فتقعد كذا وقال بعضهم هذا نهي عن البخل والسرف فلئن كان
هذا نهيا عن البخل كان قوله ولا تبسطها كل البسط نهيا عن البخل كان قوله ولا تبسطها كل البسط نهيا عن الجود
ولا يحتمل ان ينهى احد عن البخل والجود لانهما غريزتان طبيعيان ولا ينهى احدهما كان سبيله الطبع والغريزة ولكن
ما ذكرنا والله اعلم من كف اليد وقبضها عن الانفاق في الحق والمحق وبسطها في غير الحق وذي المحق وقال ابو بكر
الاصم دل قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ان قول اليهود يد الله مغلولة انهم لم يريدوا حقيقة اليد ولكن
التضييق والتقتير وكذلك لم يرد بقوله بل يداه مبسوطتان حقيقة بسط اليد ولكن اراد التوسيع في الرزق
والتكثير الا ترى انه قال ينفق كيف يشاء ثم يحتمل الخطاب في هذه الايات الوجوه الثلاثة التي ذكرنا فيما تقدم
في غير موضع احدها انه خاطب رسوله بذلك كله وشارك فيه قومه وفي القران كثير انه خاطب رسوله باشياء
فيشرك قومه في ذلك والثاني خاطب كلا في نفسه نحو ما ذكرنا في قوله يا ايها الانسان ويا ايها الناس وقوله
قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ونحوه من الخطابات خاطب كل احد في نفسه
اذ لا يحتمل ان يخاطب في قوله قل هو الله احد رسول الله خاصة ولا يخاطب غيره بل الخطاب به كل الناس وكل
انسان والثالث خاطب رسوله على ارادة غيره على سبيل الخصوصية له نحو ما يخاطب ملوك الارض خواصهم
واعقلهم من رعيتهم على ارادة ذلك الخطاب غير المخاطبين فعلى ذلك يحتمل هذا وان يكون خاطب بقوله و
لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك غيره ممن يمسك ويخاطب بقوله ولا تبسطها كل البسط رسول الله لانه لا
الله صلى الله عليه وسلم لا يحتمل ان يكون ما ذكر وقد يحتمل البسط لذلك كان ما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل
فتقعد ملوما محسورا يحتمل قوله ملوما عند نفسك وعند الناس تلوم نفسك بانك لم انفقت وعند الناس
لما لم تجد ما تنفق عليهم وعند الله ايضا اذا انفقت في غير حق محسورا قال القتبي اي يحسرك العطية ويقطعك
كما يحسر السفر البعير فيبقى منقطعا وقال ابو عوسجة هو من الحسرة وهي الندامة يقال الحسر الرجل فهو محسور و
قال التبذير الفساد وملوما اي ملوما محزونا وقوله عز وجل ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي هو يوسع
الرزق على من يوسع وهو يقتر ويضيق على من يضيق ويتبرا ذلك الى الله لا الى الخلق ليقطعوا الرجا من الخلق ويروا
ذلك من الله لا يرون من غيره والثاني ذكر هذا ليدوم الفضل لمن ذكر الفضل ويبين لهم حيث قال انظر كيف فضلنا

بعضهم

بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا ومن الناس من قال بان قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر صلة قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط يقول والله اعلم انك منعته حرمته
وكان في تقدير الله التوسيع عليه والبسط لم يضره منعك ولا حرمانك ولو وسعت عليه وبسطت وكان
في تقديره التضييق والتقتير لم ينفعه بسطك ولا توسيعك ليعلموا ان التوسيع والبسط والتضييق والمنع
من الله او ذكر ليقطعوا الرجا من الخلق ويطمعوا في رحمته وفضله والله اعلم وقوله عز وجل انه كان
بعباده خبيرا بصيرا اي عالما باعمالهم بصيرا بمصالحهم وما لهم وما عليهم او ان يكون الخبير والبصير واحدا او ذكر
هذا ليعلم انه على علم بما يكون منهم انشاهم من الخلاف في الامر والرد والتكذيب لرسله ولم يخرج فعله وانشاؤه
اياهم على علم بما يكون منهم عن الحكمة لانه لا منفعة له في طاعتهم اياه وايتمارهم ولا مضرة ولا تبعة في خلافهم
اياه بل المنفعة والمضرة في ذلك راجعة اليهم لذلك كان انشاؤه اياهم على علم بما يكون منهم حكمة ومن
ملوك الارض سفهاء وجهلاء لان ما يرسلون من الرسل ويعملون من الاعمال ويبعثون لمنافع انفسهم
ولدفع مضارهم فاذا فعلوا شيئا يضرهم على علم منهم بالضرر كان ذلك سفها والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق قال ابو بكر الاصم ان من عادة العرب انهم كانوا يقتلون البنات ويقتلون
البنين اذا صاروا بحيث لا ينتفعون بهم ويقتلون الاباء والامهات اذا بلغوا ارذل العمر فنهى الله اهل الاسلام
عن الاستنان بسنتهم وامر ان يبروا الاباء والامهات اذا بلغوا ذلك المبلغ وهو ما قال وبالوالدين احسانا
اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما الى اخر ما ذكر وفي قتل ما كانوا يقتلون من البنات قطع التناسل والتوالد
الذي كان المقصود من انشاء هذا العالم ذلك لان المقصود من انشاء العالم هذا الذي ذكرنا وفي قتل البنات قطع
ذلك وذهاب المقصود من انشائه ثم قال نرزقهم واياكم اي هم لا ياكلون من ارزاقكم بل لكل منكم رزق
على حدة ليس في بقائهم نقصان في رزقكم ولا في فنائهم زيادة بل كل ياكل رزقه او لا ترون انه قد انشا
لهم رزقا لا شركة لكم فيه وهو ما انشا لهم من اللبن في الضرع ولا تنتفعون انتم به فظهر ان كلا ياكل رزقه
لا يدخل بعض في رزق بعض نقصانا ثم قال ان قتلهم كان خطاء كبيرا لما ذكرنا ان في قتلهم قطع ما به قصد
في انشاء هذا العالم وفنائه او يقول ان قتلهم كان خطأ كبيرا في الامم الخالية ويشبه ان يكون خطاب
ما مضى طبع هؤلاء الايات من قتل الاولاد والزنا وقتل النفس بغير حق وغير ذلك ما تقدم وما تاخر لوجهين
احدهما ما كان للعرب افعال وعادات السوء مما يخرج على السفه والقبح في العقل خارجة عن الحكمة نهاهم
عن ذلك والثاني ذكر هذا ونهى لما علم انه قد يكون في خلفه ان يفعل ذلك خشية ما ذكر ويحملهم ذلك
على ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا اي في العقل كان وقت ما
كان فاحشة لان في اباحة الزنا ذهاب المعارف التي بها يوصل الى الحكمة والعلم او كان فاحشة في الحكمة الازلية
انه قال ان الله لا يامر بالفحشاء دل قوله ان الله لا يامر بالفحشاء على ان هنالك فحشاء قبل الامر في الحكمة
او في العقل حتى قال لا يامر بالفحشاء اذ لو لم يكن لكان قال لا يامر حسب وفي اباحة قتل الانفس ذهاب
ما به قصد من انشاء العالم اخبر عنه وكان خطأ كبيرا وهو ما يعظم في العقل وذكر في الزنا فاحشة وهو ما يفحش
في العقل والحكمة وذكر في قتل النفس الاسراف وقال فلا يسرف في القتل والاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي
جعل له ويحتمل قوله ولا تقربوا الزنا اي لا تزنوا فانه كان فاحشة ويحتمل لا تقربوا الاسباب التي بها يوصل
الى الزنا وقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق والحق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لا يحل دم امرء مسلم الا في ثلاث كفر بعد اسلام او زنى بعد احصان او قتل نفس بغير حق حرم
الله قتل النفس بغير حق اذ في اباحته ذهاب ما قصد من انشاء العالم وفي التحريم حيوة الانفس وفي اباحة
الزنا ذهاب المعارف وجهالتها وفي تحريمها حيوة المعارف وابقاؤها والوصول الى الحكمة والعلوم التي
يطلب بعضهم من بعض اذ لا يعرف اهل الحكمة من غيرهم وفي ذلك ذهاب العلوم والحكمة وفي القتل
على الدين اذا استبد له حيوة الدين لان من تفكر قتل نفسه اذا ترك الدين اعني دين الاسلام ورجع عنه
لم يترك دينه الاسلام ومن تفكر رجمه بالزنا امتنع عن الزنا وتركه ومن تفكر انه يقتل اذا قتل غيره امتنع
عن قتله ولذلك قال ولكم في القصاص حيوة فان قيل في المراة اذا ارتدت عن الاسلام انها لا تقتل قيل لانه
ليس في قتلها حيوة الدين لان النساء اتباع للرجال في الدين لا يمتن بلمن باسلام ازواجهن ويصرن ذمية
بذمة الازواج فاذا كان كذلك فليس في قتلهن حيوة الا ترى انه روي ان فلانا اسلم واسلم معه كذا وكذا
نسوة والله اعلم وقوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق والحق ما ذكرنا وقوله ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله يحتمل بالاسلام او بالذمة باعطاء الجزية والا بالحق ما ذكرنا وقوله عز وجل ومن قتل مظلوما فقد
جعلنا لوليه سلطانا قيل سلطانا اي تسلطا وقهرا وقال بعضهم سلطانا اي حجة على القتل فيما يستوجب به القصاص
ثم ذكر انه جعل لولي القتيل سلطانا ولم يذكر اي ولي فيشبه ان يكون المراد من الولي الذي يخلف الميت في التركة
وهم الورثة اذ هو حق كغيره من الحقوق فذلك الى الورثة فعلى ذلك حق الدم فكانه قال ومن قتل مظلوما فقد
جعلنا لورثته سلطانا اي حجة فيما يستوجب وفي ظاهر هذه الاية دلالة ان الواحد من الورثة القيام باسـ

باستيفاء الدم اذ لو كان للكل الاستيفاء لدخل في ذلك الاسراف الذي ذكر فلا يسرف في القتل اذ لو ضرب كل الورثة لصار في ذلك مثله وقد منعوا عن ذلك فاذا كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالة لقول ابي حنيفة رح حيث قال اذا الورثة اذا كان بعضهم صغارا وبعضهم كبارا للكبار ان يقوموا بالاستيفاء دون ان ينتظروا بلوغ الصغار والله اعلم وقوله عز وجل فلا يسرف في القتل قال بعضهم لا يقتل غير قاتل وذلك اذ كان من عادة العرب قتل غير القاتل وقال بعضهم فلا تسرف في القتل الاول حيث قتل نفسا بغير حق فذلك اسراف كما قال من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله فلا تسرف في القتل هذا يحتمل ان يكون خاطب به ولي القتيل فقال فلا تسرف في القتل اي لا تجاوز الحد الذي جعل له علما وراء اذا قتلت فاحسن القتل والثاني خاطب به القاتل يقول له لا تقتل فانه اسراف والله اعلم وقوله عز وجل انه كان منصورا قال بعضهم ان المقتول كان منصورا بالولي بنصره الولي بقوله فقد جعلنا لوليه سلطانا ويحتمل منصورا بالمسلمين اي على المسلمين والحكام وغيرهم دفع ذلك القتل عنه هذا على تاويل من يتاول في قوله فلا تسرف في القتل قتل غير قاتل وليه او يزيد في جراحاته ويمثل مثلا يقول احذروا ذلك فان على المسلمين دفع ذلك عنه او كان منصورا في الآخرة وفي ظاهر هذه الآية دلالة ان القصاص واجب بين الاحرار والعبيد وبين اهل الاسلام واهل الذمة لان الله عز وجل قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق فكانت نفس اهل الذمة والعبيد داخلة في هذه الآية لانها محرمة وفيه ما ذكرنا ان الكبير من الورثة قتله وان كان فيهم صغار وروي ان الحسن بن علي رضي الله عنهما قتل قاتل ابيه فلانا وفي الورثة صغار لم يدركوا يومئذ ويحتمل ان يكون انه كان منصورا في ظاهر هذا ان القاتل هو كان منصورا ولم يقل هو منصور فجائز ان يقول كان منصورا قبل مثل هذا اذا كان على المسلمين نصرة فلما قتل كان غير منصور الا ان يقال ان الولي صار منصورا وذلك جائز وفي قوله ولا تقربوا الزنا يحتمل النهي عن نفس الزنا ويحتمل اسباب الزنا من نحو القبلة والمس وغيره على ما ذكر العينان تزنيان واليدان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله او يكذب وقوله عز وجل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن قوله احسن هو اصله ان كان في الاشكال فهو على غاية الحسن وان كان في الجوهرين فهو على طلب الحسن كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي اتبع ما هو طاعة كما ثم قال ولا تقربوا مال اليتيم الا ما هو خير وحسن وهو ما قال ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا يقول لا تاكلوا اسرافا وبدارا ولكن اقربوا ما هو خير له وان كان على طلب الغاية من الحسن فهو ما قال ابو حنيفة رح اذا قرب مال اليتيم لمنفعة نفسه فلا يقربه الا لمنفعة حاضرة لليتيم لا يقرب ماله لمنفعة مرجوة واذا قرب مال اليتيم لليتيم فانه يجوز ان يقربه لمنفعة مرجوة له وان لم يكن فيه منفعة حاضرة وقد ذكرنا تاويله وما فيه من الدلالة لقول ابي حنيفة رح فيما تقدم في سورة الانعام ثم من الناس من احتج بهذه الآية لقول ابي حنيفة حيث قال ان للوصي ان يبيع مال اليتيم من نفسه اذا كان خيرا له لان له ان يبيع من غيره بمثل قيمته فدل ان ذكر الخير له اذا كان يبيع من نفسه وقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن كانه على الاضمار اي لا تقربوا مال اليتيم الا بالوجوه التي هي احسن له وانفع وهو الحفظ له وطلب الربح والنماء والله اعلم وقوله عز وجل حتى يبلغ اشده اي حتى يستحكم عقله ويشتد تدبيره في ماله وامره فعند ذلك يكون الامر اليه وليس فيه انه لا يكون بعد ذلك الامر الى الوصي ان كان ولكن باذنه يبيع ويشتري وقوله عز وجل واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا يحتمل ان يكون قوله بالعهود والمواثيق التي بين الناس امروا بوفاء ذلك ويحتمل الامر بوفاء العهد ما ذكر في هذه الآيات من الامر والنهي من نحو ما قال وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الى هذا الموضع اي واوفوا بذلك كله فان ذلك كله كان مسؤولا يسال عنه وفاء كان ذلك او نقضا وقال بعضهم ان العهد كان مسؤولا اي فاقض العهد كان مسؤولا ثم ان العهد على وجوه احدها عهد خلقة او العهد الذي اخذ عليهم على السن الرسل او العهد الذي يجري بين الناس والله اعلم وقوله عز وجل واوفوا الكيل اذا كلتم امر بوفاء الكيل اذا كالوا والوزن اذا وزنوا لهم وايفاء حقوقهم وهو ما قال ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ان من عادتهم اذا كالوا او وزنوا بخسوا الناس اشياءهم ولم يوفروا حقوقهم فنهاهم عن ذلك واوعدهم بالوعيد الشديد وهو قوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ذكر تخصيص الكيل والوزن من بين سائر الاشياء يحتمل وجهين احدهما انهما يجري عامة معاملة الناس فامرهم بايفاء ذلك والثاني يخوف الربوا لان الكيل والوزن هما اللذان يكونان دينا في الذمة فاذا اخذ شيء منهما اخذ عما كان دينا في الذمة فان نقص او زاد فيكون ربوا لذلك خص وان كان غيره من الاشياء يؤمر بالايفاء وقوله عز وجل وزنوا بالقسطاس المستقيم قال بعضهم القسطاس حرف اخذ من كتب الناقلة ليس بمعرفة وقال بعضهم هو العدل اي زنوا بالعدل وقال بعضهم هو الميزان كقوله اوفوا المكيال والميزان بالقسط وقال بعضهم القسطاس القبان فكيف ما كان ففيه ما ذكرنا من الامر بوفاء الكيل والوزن والايفاء بحقوقهم والنهي عن البخس والنقصان وقوله عز وجل ذلك خير واحسن تاويلا يحتمل قوله ذلك خير ما ذكر من توفير الكيل والوزن وايفاء الحقوق خير في الدنيا لما فيه امن لهم من الناس واحسن تاويلا اي احسن عاقبة في الآخرة ويحتمل قوله ذلك ما ذكر في هذه الآيات من اولها الى آخرها اذا عملوا بها خير لهم في

الدنيا واحسن

الدنيا واحسن تاويلا اي عاقبة وقوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم قيل لا تقف اي لا تقل وقيل لا ترم وقيل لا تتبع فكيف ما كان ففيه النهي عن القول والرمي فيما لا علم له به والتبع ما ليس لك به علم ولا تقل ما ليس لك به علم ولا تقل ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا قال بعضهم كل اولئك يعني السمع والبصر والفؤاد يسال عما عمل صاحبه كقوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم الآية الآية وقوله شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم يسال هؤلاء عما عمل صاحبها فيشهدون عليه وقال بعضهم هو عن كل اولئك كان مسؤولا اي يسال المرء عما استعمل هذه الجوارح وانه فيم استعملها وقال بعضهم قوله اولئك يعني الخلائق جميعا عنه يعني عما ذكر من السمع والبصر والفؤاد مسؤولا وقال بعضهم في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم يقول لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم ومنهم من قال في شهادة الزور وقال احتج بعضهم بهذا في ابطال القياس والاجتهاد فيقول اذا قاس الرجل فقد قال ما ليس له به علم لكن ليس كذا لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تكلموا في الحوادث بارائهم وتشاوروا في امورهم وولي ابو بكر عمر رضوان الله عليهما الخلافة بغير نص من الرسول عليها وجعلها عمر شورى بينهم ولم يرو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نقول انهم فعلوا ذلك بغير علم ولا قالوا ما لا يعلموا فدل ما ذكرنا ان معنى قول الله ولا تقف ما ليس لك به علم ليس يدخل فيه الاجتهاد في الاحكام وتشبيه الفرع الحادث بالاصل المنصوص عليه والله اعلم وقال القتبي حتى يبلغ اشده اي يتناهى في النبات الى حال الرجال ويقال ثماني عشرة سنة وقال اشد اليتيم غير اشد الرجل في قوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة والاشد ما ذكرنا من استحكام عقله وتدبيره الى ان لا يؤخذ بالنقصان وهو اذا جاوز الاربعين يأخذ في النقصان الى اربعين يكون على الزيادة والنماء ويحتمل قوله ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد اي لا تقف ما ليس لك علم باسباب العلم وهو ما ذكر من السمع والبصر وجائز ان يكون ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا يسال عن شكر هذه الاشياء او يسال عنها امتحن بهذه الاشياء وفي قوله واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم دلالة جواز الاجتهاد لانه امر بايفاء الكيل والوزن ولا يقدر على ذلك الا باجتهاد الكائل والوازن لان كيل الرجل يزيد على كيل غيره وينقص وربما كان الرجل الشيء يعيد كيله هو بنفسه فيزيد وينقص ولا يكاد يستوي الكيلان وان كانا من رجل واحد وانما كلف الاجتهاد في كيله وترك التعمد للزيادة والنقصان فان فعل ذلك فقد وفى الكيل وادى الواجب وهذا عندنا اصل الاجتهاد والاستحسان لان الكائل انما يجتهد في توفيه الحق ولا يعلم يقينا انه وفر ما كان عليه من من الكيل الذي سماه في العقد فعلى ذلك الاستحسان انما هو اجتهاد العالم في اختيار احسن ما يقدر عليه اذا لم يكن للحادثة اصل يردها عليه ويشبهها به والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا ليس النهي عن المشي نفسه انما النهي للمشي لمرح ثم النهي عن الشيء يوجب ضده وكذلك الامر بشيء ان النهي عن الشيء يوجب الامر بضده وههنا نهي عن المراح فيكون امرا بما ذكر كقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال بعضهم مرحا بطرا واشرا وقيل متعظما متكبرا بالخيلاء وقوله عز وجل انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا قال بعضهم ذكر خرق الارض وبلوغ الجبال طولا لان من الخلائق من يخرق الارض ويدخلها ويبلغ طول الجبال وهم الملائكة ثم لم يتكبروا على الله ولا تعظموا عليه ولا على رسوله بل خضعوا له فمن لم يبلغ في القوة والشدة ذلك احرى ان يخضع له ويتواضع ولا يتكبر ويحتمل ان يكون ذكر هذا لما انهم كانوا يسعون في اطفاء هذا الدين وقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول كما لم يتهيأ لكم خرق الارض وبلوغ الجبال طولا لم يتهيأ لكم اطفاء دين الله وقهر رسوله وهو ما ذكر ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه او يذكر هذا يقول انك لن تبلغ بكبرك وعظمتك مرتبة الرؤساء والقادة ومنزلتهم على هذا التمثيل يحتمل ان يخرج والله اعلم او يقول انك لن تخرق الارض اي لا تقدر ان تخرق الارض فتستخرج ما فيها من الكنوز والمنافع فتنتفع بها ولا تقدر ان تبلغ الجبال طولا فتنتفع بما في رؤوس الجبال من المنافع وكيف تتكبر وتمرح على غيرك وهو مثلك في القوة والشدة واصل الكبر ان من عرف نفسه على ما هي عليه من الاحداث والآفات وانواع الحوائج لم يتكبر على مثله والله اعلم وقوله عز وجل كل ذلك اي كل ما امر الله به ونهى عنه في هؤلاء الآيات كان سيئه بالفعل عند ربك مكروها مسخوطا وفيه دلالة ان الامر الذي امر في هذه الآيات ونهاهم عنه لم يكن امر ادب ولا نهي ادب ولكن امر حتم وحكم حيث ذكر ان ذلك عند ربك مكروها اذ لو كان ادبا لم يكره اي شيء ما ذكر في مكروه عند ربك وهو كقوله فيتبعون احسنه اي يسمعون الكل فيتبعون احسنه ويتركون غيره فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي ذلك الذي امر الله به ونهى عنه في هؤلاء الآيات من الحكمة ليس من السفه اي ما امر فيها هو حكمة وما نهى عنه وقال بعضهم الحكمة ههنا القرآن قوله ذلك الذي اوحى اليك هو حكمة وقال بعضهم الحكمة الاصابة اي ذلك الذي اوحى اليك صواب وقوله ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي ما ذكر في هذه الآيات وامر ونهى عنه هو من الحكمة والحكمة هي وضع الشيء موضعه يقول حكمة وضع كل شيء موضعه لا وضع الشيء غير موضعه وقوله عز وجل ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا معلوم ان رسول الله لا يجعل معه الها آخر لما عصمه واختاره لرسالته لكنه ذكر هذا ليعلم انه لو كان منه ذلك فيفعل به ما ذكر فمن هو دونه احق ان يفعل به

ماذكروهو ما قال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الآية انه عصمهم حتى اخبر انهم لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون فمن لم يكن معصوما لم يوصف انه لا يسبقه بالقول فعلى ذلك قوله ولا تجعل مع الله الها
آخر فتلقى في جهنم ملوما عند الله او عند نفسك او عند الخلق مدحورا مبعدا مطرودا من رحمته في النار وخاطب
به رسوله واراد به غيره على ما ذكرنا في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة
اناثا يخبر من سفه مشركي العرب انهم نسبوا الى الله البنات والبنين الى انفسهم بقوله ويجعلون لله البنات سبحانه
ولهم ما يشتهون والذي حملهم على ذلك قول اهل الكتاب حيث وصفوا الله بالولد فقرا وان ما يكون
له الولد يكون له البنات فقال انكم لتقولون قولا عظيما لم يرد على هذا العظيم ما قالوا في الله فلم يضرب لقولهم
ذلك شاهدا لبين ورآء ذلك مثل يضرب لانه ضرب مثل ما قالوا بالولد له بانفطار السماء وانشقاق الارض وخرور
الجبال حيث قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هذا الآية اخبر ان السموات وما ذكر كادت
ان تنقلب عن وجهها العظيم ما قالوا في الولد من الولد وقال في الشريك ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء الآية
فهذا غاية ما ذكر من الامثال لمن قال له بالولد والشريك فليس وراء هذا يذكر لمن قال له بالبنات ولكن قال
انكم لتقولون قولا عظيما لم يرد على ذلك لان الذي قالوا له ونسبوا اليه نهاية في السفه والسرف في القول تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا او يقول انكم لتقولون قولا عظيما في عقولكم لو تفكرتم وتدبرتم لعلمتم ان
ما قلتم في الله سبحانه وتعالى عظيم قال ابو عوسجة افاصفيكم ربكم اي اعطاكم ربكم يقال اصفيته اعطيته واصفاكم
اي اختاركم وقوله عز وجل ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا قال الحسن قوله صرفنا نقول بينا في هذا القرآن
ما نزل بمكذبي الرسل من الامم الخالية بتكذيبهم الرسل امة فامة ليذكروا ما نزل بهم فينتهوا عن تكذيبهم الرسل
ما يزيدهم ما بين لهم الا نفورا اي تكذيبا للرسل وقال بعضهم ولقد صرفنا في هذا القرآن اي بينا في هذا القرآن والآيات
التي تقدم ذكرها جميع ما يؤتى ويتقى وما لهم وما عليهم ليعتبروا فيؤمنوا وما يزيدهم القرآن الا تباعدا من الايمان
وهو ما ذكر ذلك مما اوحى اليك ربك الآية وقال بعضهم صرفنا في هذا القرآن من المواعيد الشديدة انه ما نزل
بهم في الآخرة من العذاب والعقوبة بصنيعهم وتكذيبهم الرسل لكن لو لم يؤمنوا بالآخرة لم يزدهم ذلك الوعيد
الا نفورا ويعد فان الله قد ذكر في القرآن المواعظ الكبيرة ما لو نظروا فيه وتاملوا لكانت تمنعهم وتزجرهم
من مثل صنيعهم لكن لم ينظروا اليه بالتعظيم ولكن نظروا اليه بالاستهزاء والاستخفاف به فلذلك اضيف زيادة
النفور اليه واضاف ذلك اليه لما احدثوا بنزوله الكفر والتكذيب له فاضاف ذلك اليه لما ازدادهم التكذيب
وحدث لهم الكفر به اذا نزل كما كان لاهل الاسلام يزدادهم الايمان واليقين اذا نزل وجائز ان يكون قوله
ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا اي ليتشرفوا كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم او ليذكروا ما
نسوا وتركوا وغفلوا عنه ثم قوله صرفنا في هذا القرآن ليذكروا معناه والله اعلم انزله ليلزمهم الذكر او ليكون
عليهم او ليامرهم بالذكر وهو ما ذكرنا في قوله وما خلقت الجن والانس الآية وقوله وما ارسلنا من رسول الا
ليطاع باذن الله اي ليلزمهم العبادة والطاعة او ليامرهم بالعبادة والطاعة او ارسل وخلق لمن علم منه العبادة
والطاعة وقوله عز وجل ليذكروا اي ليكون لهم الذكرى بذلك لانه لا يحتمل ان يبين لهم ويجعلهم لهم بابا ليذكروا
ثم لا يكون ولكن ما ذكرنا ليكون لهم الذكرى وقد كانت لكن لم تنفعهم وقوله عز وجل وما يزيدهم الا نفورا
ليس القرآن بالذي يزيدهم نفورا ولكن لما نظروا اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء زادهم بذلك نفورا
عندها وتكذيبا والا القرآن لا يزيد الا هدى ورشدا على ما وصفه وقوله عز وجل قل لو كان معه آلهة كما يقولون
اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا قال عامة اهل التاويل الآية في الاصنام والاوثان التي كانوا يعبدونها اي لو كانت
هي آلهة معه كما تقولون اذا لابتغوا التقرب والزلفى الى ذي العرش سبيلا وقال بعضهم لو كانت لهم عقول لابتغت
وامكن لها من الطاعة والعبادة اذا لابتغت الى ذي العرش سبيلا بالطاعة له والعبادة وهو ما قال في الملائكة
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الآية لكن لا يشبه ان يكون الله تعالى ان لا يقول في الاصنام
مثل هذا لو كان معه آلهة انما هي خشب لكن قال فيها ما قال لا تسمع ولا تعقل ولا تبصر وما ذكر في آية اخرى لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وما قال ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا الآية مثل هذا ان
يقال في الاصنام واما ما ذكر لو كان معه آلهة كما تقولون الآية معلوم انها ليست من اهل الابتغاء الا ان يقال ما
ذكر بعضهم اي لو كانت الاصنام التي تعبدونها آلهة على ما تزعمون اذا لابتغوا الى الله سبيلا ويتخذونهم معبودا
او في الثنوية الذين يقولون بالعدد الذين لهم تدبير والذين يقولون بقدم العالم واصوله فهو يخرج على وجوه
فنقول والله اعلم لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا اي اذا لاظهروا ولادعوا ربوبيتهم والوهيتهم بانشاء
الخلائق كما اظهر الله سبحانه الوهيته وربوبيته بانشاء الخلائق ولم يظهر ممن يدعون لهم الالوهية انشاء شيء
من ذلك فدل انه ليس هنالك اله غيره وقال بعضهم لو كان معه آلهة كما تقولون اذا لابتغوا الى [illegible]
الله اي في الانشاء والافناء والتدبير ومنعوه عن نفاذ الامر له في خلقه والمشية له فيهم واتساق التدبير والنظم
يكن ذلك منهم انه لا اله معه سواه ويكون كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق الآية وقال بعضهم
لو كان معه آلهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا في القهر والغلبة على ما عرف من عادة ملوك الارض

انه يبتغي

انه يبتغي كل منهم في غلبة غيره وقهر آخر ويناصبه كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض اي غلبة قهر وناصب ويحتمل غير هذا وهو ان يمنع كل منهم ان يكون لله الواحد بالخلق دلالة الوهية
وربوبية وجهة الاستدلال له بذلك فاذا لم يمنعوا ذلك دل انه لا الوهية لسواه وهو الاول يعني به وقال
بعض اهل التاويل لعرفوا فضله ومرتبته عليهم ولابتغوا ما يقربهم اليه وقيل ولابتغت الحوائج اليه وهذا هو
الذي ذكرناه بدءا من طلب الطاعة له وقوله سبحانه تنزه نفسه وبرأها عما يقول الملحدة فيه ووصفوه بالشركاء
والاشباه والولد وما لا يليق به فقال سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ثم قال تسبح له السموات السبع والارض
ومن فيهن ثم يحتمل تسبيح ما ذكر وجهين احدهما جعل الله تعالى في خلقه السموات والارض وما ذكر دلالة على
وحدانية الله والوهيته وشاهدة له انه واحد لا شريك له ولا شبيه فان كان على هذا فيدخل فيه كل شيء
ذو الروح وغيره فيكون قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم الكفرة خاصة واما اهل الاسلام يفقهون ذلك والثاني
انه جعل الله في سرية هذه الاشياء ما ذكر من التسبيح والتنزيه لكن لا نفقه نحن ذلك ولا نفهمه على ما اخبر ولكن لا
تفقهون تسبيحهم وهي لا تعرف ايضا ان ذلك تسبيح على ما جعل في الجوارح والاعضاء تسبيحا وعبادة له وان
كانت هي لا تعرف ذلك انه تسبيح والثالث انه جعل صوت هذه الاشياء وتسبيحا له حقيقة على معرفة هذه الاشياء
انه تسبيح وان كان لا يعرف ذلك الا الخواص من الناس وهم الانبياء والله اعلم وقوله عز وجل انه كان حليما غفورا
الحليم هو ضد السفه وهو الحليم والثاني يقال الحليم الذي لا يعجل اي لا يعجل بالعقوبة غفورا اذا تابوا او غفورا
حيث ستر عليهم فضايحهم الحلم ما ذكرنا ضد السفه والعجلة ذكر ههنا على اثر ما ذكر منهم من القول الوحش
فيه والعظيم انه حليم ليعلموا انه عن حلم لم يأخذهم بالعقوبة عاجلا وغفورا ليعلموا انهم وان اعظموا القول
فيه يغفر لهم ويتجاوز عنهم ان رجعوا وتابوا فان قال لنا ملحد انكم تصفون ربكم بالحلم والرحمة ثم تقولون
انه يعذب ابد الآبدين في النار بكفر كان منه فاني يكون فيه رحمة او حلم قيل انكم لا تعرفون ما الحلم وما الرحمة
ولو عرفتم ما قلتم ذلك ولو لم يعذب على الكفر ابد الآبدين لم يكن حليما ولكن سفيها وكذلك الرحمة وليس يخرج
الشيء على غير موافقة الطبع بالذي يخرج صاحبه عن حد الحكمة والرحمة فانتم انما تصورتم الحكمة والرحمة على
موافقة طباعكم وليس كذلك وكذلك يقال للمعتزلة حيث قالوا انه لا يفعل الا ما هو اصلح لنا في الدين لانه جواد
فلو منع الاصلح والاخير لم يكن جوادا موصوفا بالجود وانما قلتم وقلتم على ما وافق طباعكم وانفسكم ولو عرفتم
حقيقة الجود ما قلتم ذا ولا خطر على بالكم شيء من ذلك او ما على الله ان يختار لكل ما علم منه انه يختار ويؤثر
لا ترى لا يجوز ان يختار الولاية لمن علم منه انه يختار عداوته وكذلك لا يجوز ان يختار العداوة لمن علم منه
انه يختار ولايته وليس على الله تعالى حفظ الاصلح لاحد في الدين بل عليه حفظ ما يوجبه الحكمة والربوبية وفي
ذكر تسبيح ما ذكر من جميع الموات على اثر ما ذكر من قول اولئك الكفرة من وصف الله تعالى بالولد والشركاء نحو
يخرج على وجوه احدها ذكر سفههم انهم مع ادعائهم العقل والعلم والتمييز والتوحيد وصفوا الله بالذي لا يليق
به وما يسقط الالوهية والربوبية معه على زعمهم فالذين ليس لهم شيء من ذلك التمييز والفهم والعقل نزهوه
عن ذلك كله وبرأوه عن جميع ذلك والثاني ذكر تسبيحهم على اثر ذلك ليعلم ان لا حاجة الى تسبيحهم ولا منفعة
له في ذلك انه يسبح له جميع الخلائق سواهم بل منفعة تسبيحهم ترجع اليهم والثالث ذكر لاثبات الرسالة للرسل
لانهم ذكروا تسبيح الموات ولا يفهم ذلك ولا يعقل الا بوحي من السماء فذلك يدل على الرسالة فعلى هذه
الوجوه الثلاثة التي ذكرنا يخرج ذكر تسبيح ما ذكر على اثر ذكر ما ذكر وكذلك ذكر سجود الموات يخرج على هذه
الوجوه التي ذكرناها والله اعلم وقوله عز وجل واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا مستورا قال بعضهم ان الكفرة كانوا يمنعون رسول الله عن تبليغ الرسالة الى الناس وقراءة ما انزل
اليه من القرآن عليهم وقد امر بتبليغ الرسالة فانزل الله عليه هذه الآية فاخبر انه جعل بينه وبين اولئك
حجابا مستورا ومكن له التبليغ اليهم بالحجاب الذي ذكر ثم اختلف في ذلك الحجاب قال بعضهم شغلهم
في انفسهم بامور واشغال حتى يبلغ اليهم ومنهم من يقول التي في قلوبهم الرعب والخوف حتى لم يقدروا
على منع ذلك ومنهم من يقول صيرهم بحيث كانوا لا يرونه ويستمعون قراءته وتلاوته ولم يقدروا على اذا
هم به والضرر عليه فبلغهم وجائز ان يكون ما ذكر من الحجاب هو حجاب الفهم وذلك انهم كانوا ينظرون
اليه بالاستخفاف والاستهزاء به فحجبوا عن فهم ما فيه وهو كقوله ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون
في الارض بغير الحق الآية يدل على ذلك قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه الآية ثم قال الحسن في
قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا اي طبع على قلوبهم حتى لا يؤمنون ومذهبه
في هذا انه يقول ان للكفر حدا اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يؤمن ابدا واستوجب بذلك
العقوبة والاهلاك بالذي كان منهم الا ان الله بفضله ابقاهم لما علم انه يلد منهم من يؤمن او يبقيهم لنفع
غيره والا فقد استوجب الهلاك فيقول الحسن اضاف ذلك الى نفسه لما استوجبوا هم بفعلهم وقال
ابوبكر الاصم اضاف ذلك اليه لانهم انفوا عن اتباع الرسل وتكبروا عليهم فاستكبروا ولكن نقول له الاستكبار
الذي ذكرت فعلهم لا فعل الله فما معنى اضافة ذلك اليه فهو خيال وفرار عما يلزمهم في مذهبهم وقال

جعفر بن حرب في الاية اضمارا لما هم اضافوا ذلك اليه انه هو جعل كذلك وهو ما قالوا قلوبنا في اكنة وقلوبنا
في اكنة وقلوبنا غلف ونحوه من الخبال فلو جاز صرف هذه الايات الى ما ذكروا من الخبال لجاز لغيرهم صرف
الكل الى مثله فهذا بعيد ولكن عندنا ان اضافة ذلك الى نفسه تدل على ان له فيه صنعا وفعلا وهو ان يخذلهم
باختيارهم ما اختاروا واضاف ذلك اليه لما خلق ظلمة الكفر في قلوبهم وهذا معروف في الناس ان من
اعتقد الكفر يضيق صدره ويحرج قلبه حتى لا يبصر غيره وهو ليس يعتقد الكفر لئلا يبصر غيره ولا يهتدي الى غيره
لكن لا يبصر غيره فيدل هذا انه يصير كذلك لصنع له فيه وكذلك من اعتقد الايمان يبصر بنوره اشياء وهو
ليس يعتقد الايمان ليبصر بنوره اشياء غابت عنه دل انه بغيره ادرك ذلك وكذلك المعروف في الخلق ان
من اعتقد عداوة اخر يضيق صدره بذلك وكذلك من اعتقد ولاية اخر ينشرح صدره له باشياء فهذا كله
يدل ان لغيره في ذلك فعلا وهو ما ذكرنا من الخذلان والتوفيق وخلق ذلك منهم والله اعلم ثم يدخل فيما ذكرنا
في قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة الاية واصله انما ذكر من الحجاب والغلاف والاكنة انما هو على العقوبة
لهم لعنادهم ومكابرتهم الحق لانهم كلما ازدادوا عنادا وتمردا ازدادت قلوبهم ظلمة وعمى وهو ما
ذكر في غير اية حيث قال فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم الاية وقال ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقال كلا بل
ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخبر ان ما ران على قلوبهم بكسبهم الذي كسبوا وازاغ قلوبهم باختيارهم
الزيغ وصرف قلوبهم باختيارهم الانصراف فعلى ذلك ما ذكر من جعل الحجاب والاكنة عليها بما كان منهم
والله اعلم وقوله عز وجل واذا ذكرت ربك في القران وحده ولوا على ادبارهم نفورا قال بعضهم الشيطان
اذا ذكر الله ولى عنه واعرض وفر منه وهو ما ذكروا اما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية وقال
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية وقال بعضهم ولوا على ادبارهم نفورا الانس ولوا
عما دعوهم اليه واقبلوا لخواصنا منهم التي عبدوها وقوله واذا ذكرت ربك في القران يحتمل واذا ذكرت دلالة
وحدانية ربك والوحدانية ودونه اوذكرت دلالة رسالتك اولا دلالة البعث يحتمل ذكر لا دلالة هذه الا
الثلاث انهم كانوا منكرين هذه الاشياء فعند ذلك ذكرها يولون على ادبارهم نفورا عمل الهرب والعزبة
ويحمل الحكاية عن الانكار والتكذيب وقوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى
كانهم يستمعون الى القران اما ليتحملوا نظمه ووصفه او يستمعون اليه لما فيه من الانباء العجيبة او ليستمعون
اليه ليجدوا موضع الطعن فيه فان كان استماعهم للوجهين الاولين فاذا سمعوا موضع الخلاف والتناقض وهو ما يذكر
فيه من دلالة الوحدانية ودلالة الرسالة ودلالة البعث عند ذلك كانوا يولون الادبار فرارا لانكارهم
وان كان الاستماع لطلب الطعن فهو محتمل ايضا واختلف في قوله نحن اعلم بما يستمعون به قيل كانوا يستمعون اليه
ليكيدوا عليه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين كانوا يتربصون الاستماع
ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكيدوا عليه وقال بعضهم كانوا يستمعون
اليه ليجدوا موضع الطعن فيه وقال بعضهم استمعوا اليه ليروا الضعفة والاتباع انهم انما يطعنون
فيه بعد ما استمعوا اليه وعرفوه فيقع عندهم ان الطعن كان في موضع الطعن والله اعلم وقوله واذ هم
نجوى قيل ويتناجون فيما بينهم انه مسحور وانه مجنون وانه كاهن وشاعر اخبر الله نبيه ما اسروا فيه وتناجوا
بينهم لئلا يخطر لهم على رسالته وانه انما عرف بالله وسماهم ظالمين لما علموا انه ليس بمجنون ولا مسحور ولكن قالوا ذلك
له ونسبوه الى ما نسبوه من السحر والجنون على علم منهم انه ليس كذلك وقوله عز وجل انظر كيف ضربوا لك الامثال
بالمجانين والسحرة والكهنة فضلوا وضربوا لك الاسباب التي تزجر الناس وتمنعهم عن الاقتداء بك
مما وصفوا له ونسبوه اليه من السحر والجنون والكهانة فذلك كان يمنعهم عن اجابتهم من اراد اجابته ولا يقتدي
به وقوله عز وجل فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اختلف فيه قال بعضهم لا يستطيعون الى ما قصدوا من
منع الناس عنك وصدهم سبيلا وقال بعضهم لا يستطيعون الى المكر به والكيد له سبيلا لانهم قصدوا
به ذلك وقال بعضهم لا يستطيعون الى ما نسبوه اليه سبيلا وقال الحسن لا يجدون الى الهدى والايمان سبيلا
لما طبع على قلوبهم وجعلها في اكنة وغلف ويحتمل ان يكون قوله فلا يستطيعون الى الاحتجاج على الحجج والادلة
والدلالات التي اقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوحيد والرسالة والبعث سبيلا والله اعلم
وقوله عز وجل وقالوا ائذا كنا عظاما بالية ناخرة ورفاتا قيل ترابا وقيل رفاتا اي بالية حتى اذا فتتت تكسرت
وذهبت كقوله ائذا كنا عظاما ناخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي غير كائنة قالوا ذلك كله انكارا للبعث
واستهزاء بهم انهم يبعثون ويجزون باعمالهم وهذا كانهم قالوا ذلك على التعجب والاستبعاد عن كون
ذلك والاستهزاء بذلك والجهل به هو الذي حملهم على التعجب والاستهزاء بما ذكر انكر هؤلاء الكفرة قدرة
الله على البعث كما انكر المعتزلة قدرته على خلق افعال العباد وليس لهم الاحتجاج على اولئك الكفرة بانشاء الاول
لانهم ان يقولوا انكم تقرون بالقدرة على خلق الاول وتنكرون خلق افعالهم وليس لكم الاحتجاج وقوله عز وجل
قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم قال بعضهم اهل التاويل اي لو كنتم حجارة او حديدا فيميتكم
لكن هذا بعيد لانهم لم يكونوا ينكرون الموت اذ كانوا يشاهدون الموت فلا يحتمل الانكار ولكن كانوا ينكرون

البعث

البعث بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا ورفاتا الا ان يقال انكم لو كنتم بحيث لا تبعثون ولا تجزون باعمالكم
لكنتم حجارة او حديدا لم تكونوا بشرا لان الحجارة والحديد ونحو ذلك غير ممتحن ولا مامور بشيء ولا منهي
عن شيء وانما البشر فانهم لم ينشاوا الا للامتحان بانواع المحن والامر والنهي والحل والحرمة فلا بد من الا
الامتحان فاذا امتحنوا باشياء لا بد من البعث للجزاء والعقاب فاذا لم تكونوا ما ذكر ولكن كنتم فاعلموا انكم
تبعثون وتجزون باعمالكم على هذا يحتمل ان يصرف تاويلهم لما الى ما قالوا والا ظاهرها قالوا وما قالوا لا
يحتمل لما لا احد انكر الموت ويحتمل قوله كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي لو كنتم ما ذكر
حجارة او حديدا واشد ما يكون من الخلق لقدر ان ينشئكم بشرا من ذلك فكيف اذا كنتم بشرا في الابتداء
ان يعيدكم بشرا على ما كنتم كما انشاكم في الابتداء من ماء وتراب وليس في ذلك الماء والتراب من اثار البشر شيء
من العظام واللحوم والعصب والجلد وغيرها فمن قدر على انشاء هذا قادر على انشاء البشر بعد الموت وبعد ما
صاروا ترابا ورفاتا على هذا يجوز ان يتاول ووجه اخر ان يقال ظنوا ان لو كنتم حجارة او حديدا او ما ذكر ليبعثكم
فكيف تظنون انه لا يبعثكم اذا كنتم ترابا ورفاتا او كلام نحوه وقوله عز وجل او خلقا مما يكبر في صدوركم
فكونوا هذا وكل ما يكبر في صدوركم على ما ذكر فسيقولون من يعيدنا استهزاء منهم به قل الذي فطركم اول
مرة لانهم وان قالوا ما قالوا استهزاء به وسخرية فقد امر الله تعالى اولياءه والمؤمنين ان يحاجوهم محاجة
العقلاء والحكماء مع الحجج والبراهين وان كانوا قالوا ما قالوا سفها واستهزاء وعلى ذلك عاملهم الله وان كانوا
سفهاء في قولهم مستهزئين وكذلك امر رسله ان يعاملوا قومهم احسن المعاملة حيث قال وجادلهم بالتي
هي احسن وقال وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وانما ذكر الله هذه الايات لنحاج بها هؤلاء ونعلم ان كيف
المعاملة مع هؤلاء اذ قد اقام الله تعالى من الايات والحجج على بعثهم واجابتهم محاجاته ما لم يحتج الى مثل هذا
لكنه ذكر هذا لما ذكرنا والله اعلم كان الذي حملهم على انكار ذلك وجوه من الاعتبار احدها انهم لم يروا
من الحكمة اماتتهم ثم الاحياء على مثل ذلك اذ لو كانوا يحيونهم ثانيا لكان لا يميتهم كنقض البناء على قصد بناء
مثله والثاني لما راوا قوما قد ماتوا من منذ طويل ثم لم يبعثوا فيقال لهم انه قد تاخر كونكم وانشاءكم ثم لم
يدل تاخركم على انكم لا تكونون فعلى ذلك لا يدل تاخر البعث على انه لا يكون واما جواب الاول فانه يقال
لهم انكم تقرون انه انشاكم اول مرة وانه يميتكم فليس من الحكمة انشاء ثم الاماتة لانه يكون كمن بنى بناء
للنقض والافناء فاذا كان حكمة كان الثاني ايضا حكمة والله اعلم وقوله عز وجل قل الذي فطركم اول مرة اي
يعيدكم الذي خلقكم اول مرة ولم تكونوا شيئا على ما ذكرنا واعادة الشيء ومعرفته وانما يتكلفون تعلم ابتداء
الصناعات ومعرفتها ثم يعرفون اعادة بمعرفة ابتدائه فدل انه اهون وايسر وهو ما قال وهو اهون
عليه اي في عقولكم ذلك اهون وايسر وقوله عز وجل فسينغضون اليك رؤسهم اي يحركون رؤسهم استهزاء
به وهزؤا ويقولون متى هو على الاستهزاء ايضا اي لا يكون وقوله عز وجل ويقولون متى هو قالوا ذلك
جهلا به وانكارا ولا لو علموا انه كائن لا محالة لكانوا لا يقولون ذلك بل يخافون كما خاف الذين امنوا به وقوله
عز وجل قل عسى ان يكون قريبا وعسى من الله واجب اي يكون لا محالة وقوله عز وجل قريبا اي كائنا القريب
يقال على الكون اي كائنا ويقال على القرب والبعيد كذلك يقال على الانكار راسا ويقال على الاستبعاد كقوله
انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا اي هم لا يرونه كائنا ونراه نحن كائنا كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون
بها والذين امنوا مشفقون كانوا يستعجلون بها لما لم يكونوا يرونه كائنا والمؤمنون يرونه كائنا والله اعلم
وقوله عز وجل يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده يحتمل هذا الدعاء والاجابة دعاء الخلقة واجابة الخلقة
لما كانت خلقتهم تعظم ربهم وتحمد في كل وقت وتنبئ على ما ذكرنا في غير اي من القران ويحتمل دعاء القول
واجابة القول والعمل لما كانوا عاينوا قدرته وعظمته اجابوه بحمده وثنائه كقوله مهطعين الى الداع ونحوه
او ان يكون قوله يوم يدعوكم يوم القيامة كقوله يوم يدع الداع الى شيء نكر الاية وقوله مهطعين مقنعي
رؤسهم الاية اخبر انهم يجيبون داعيهم يومئذ ويثنون على الله لما راوا من الاهوال من ترك الاجابة
في الدنيا وقوله عز وجل فتستجيبون بحمده اي تجيبون داعيه بثنائه وبحمده اي تثنون على الله وتحمدونه وقوله
عز وجل وتظنون ان لبثتم الا قليلا قال الحسن قوله تظنون اي تعلمون وتستيقنون انكم ما لبثتم في الدنيا
الا قليلا وكذلك قال قتادة اي تحقرون الدنيا وتصغرونها لما عاينوا القيامة واهوالها ثم من انكر
عذاب القبر احتج بظاهر هذه الاية حيث قال وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقوله لبثنا يوما ومثله قالوا
في العذاب والشدة لم يكونوا يستقصرون المقام فيه اذ كل من كان في عذاب وبلاء وشدة يستعظم
ذلك ويستكثر ولا ينساه ابدا هذا المعروف عند الناس فاذا هم استقلوا ذلك واستقصروه حتى قالوا يوما
او بعض يوم وقالوا قليلا ويسيرا دل ذلك انهم لم يكونوا في عذاب وبلاء وتاولوا قوله النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا على التقديم والتاخير يقولون نار وبله ويوم القيامة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ليس على ان لا يكون لهم عذاب فيما بين ذلك ولكن على ما في الجنة ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا ومن يقول بالعذاب في القبر يقول قوله وتظنون ان لبثتم الا قليلا في الدنيا

او يقولون ذلك في وقت وهو ما بين النفختين كذلك يقولون انه يرفع عنهم العذاب ما بين النفخة الاولى والثانية وهذا احتمال ويقال ايضا لبيّن استقلالهم المقام والاستقصار ما يدل على انه لم يكن لهم عذاب في القبر لان العرف في الناس انهم كانوا في بلوى وشدة ونوع من المرض ثم نزل بهم ما هو اشد من ذلك واعظم استصغروا ما كانوا هم فيه ونسوا ذلك فعلى ذلك هؤلاء اذا عاينوا عذاب القيمة واهوالها وافزاعها استصغروا ما كان بهم من العذاب في القبر ونسوا ذلك الا ترى انهم اذا عاينوا الجنة ونعيمها نسوا ما كان لهم من النعم في الدنيا ولا شك انه قد كان لهم نعم في الدنيا فعلى ذلك العذاب وقال ابو عوسجة ورفاتا قال رفاتا منكسرة وفتته اى كسرته وقال القتبي وكذلك جمع كان مثل عظام واعطية واذ هم نجوى اى متناجون يسار بعضهم بعضا انه مجنون وانه ساحر كاهن واساطير الاولين وقال بعضهم كان نجويهم ما ذكر في سورة الانبياء حين قالوا هل هذا الا بشر مثلكم افتاتون السحر الاية فذلك قوله قال الظالمون ان تتبعون اى ما تتبعون الا رجلا مسحورا قال ابو عبيدة مسحورا اى قد سحر به وقد بينا قبح قولهم وقد ذكرنا وجه تناقض قوله فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن الوجوه الثلاثة احدها الدعوة كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة امر ان يدعوا الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة فالتانيث للدعوة كانه قال الدعوة التي هي احسن الدعوة على اضمار الدعوة وجائز على اضمار الحسنة اى قل لهم ان يقولوا لهم الحسنة التي هي احسن او على اضمار الاقوال كانه قال يقولوا لهم الاقوال التي هي احسن الاقوال والظاهر ان يقول يقولوا الذى هو احسن والثاني على اضمار المجادلة المناظرة معهم كقوله وجادلهم بالتي هي احسن امر رسوله ان يجادلهم احسن المجادلة والمحاجة معهم والثالث في حسن المعاملة معهم والعفو والصفح عما كان منهم الى المسلمين من انواع الاذى فامرهم ان يحسنوا معاملتهم ويصفحوا عنهم كقوله فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وكقوله ادفع بالتي هي احسن الاية وقوله والكاظمين الغيظ الاية ونحوه من الايات امرهم ان يعاملوا اولئك احسن المعاملة ولا يكافوهم بسوء صنيعهم ولكن يعفون عنهم ويصفحون لما لعلهم يكونون اولياء وحميما على ما اخبر ويصيرون اخوانا لهم من بعد هذا في حق هذه الاية واما من جهة الحكمة وهو ان الله تعالى انشأ هذا اللسان وجعله ترجمانا بين الخلق يفهم بعضهم من بعض ويقضي الحوايج بعضهم من بعض وبه قوام معاشهم ومعادهم وبه بعث الرسل والكتب جميعا فاذا كان كذلك فالواجب ان لا يستعمل الا في الخير والحكمة ولا ينطق به الا ما هو احسن واصوب والله اعلم وقوله عز وجل ان الشيطان ينزغ بينهم اى يفسد بينهم ويوسوس اليهم ويغري بعضهم على بعض ليفسد بينهم وذلك دابه ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اى كان الشيطان منذ كان للانسان عدوا ظاهر العداوة مبينا جعل الله تعالى الشيطان يحث يوسوس اليهم ويدعوهم الى اشياء يظنون او ذلك خير لهم وابدا يلقي اليهم ما يقع عندهم ان ذلك انفع لهم ويحبب الى كل مذهبا يقع عنده هو الحق فيقصد بذلك الافساد والقاء العداوة بينهم ابدا هذا دابه وشأنه يحركهم الى جهة ويرى كل احد جهة غير الجهة التى ادى لاخر والله اعلم وقوله عز وجل ربكم اعلم بكم هذا يحتمل وجهين احدهما اعلم بكم بمصالحكم وما لا يصلح لكم في الدنيا والاخرة والثاني ربكم اعلم بكم بما تسرون وما تعلنون وما تعملون وتفعلون والا فلا شك انه اعلم بنا منا وقوله عز وجل ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم قال بعضهم ان يرحمكم فينجيكم من اذى هؤلاء او ان يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم والثاني ان يشأ يرحمكم فيهديكم لدينه ويوفقكم لسبيله او ان يشأ يترككم ويخذلكم ولا يهديكم الى سبيله ولا يوفقكم لدينه وقوله ان يشأ يرحمكم يحتمل الرحمة في الدنيا والاخرة اما في الدنيا هو ان يوفقهم على الطاعة ويعينهم على ذلك وفي الاخرة ينجيهم ويدخلهم الجنة واما التعذيب في الدنيا ان يخذلهم ويتركهم على ما يختارون وفي الاخرة يعذبهم في النار بالذى اختاروا في الدنيا وقوله عز وجل وما ارسلناك عليهم وكيلا قال بعضهم اى لم نجعلك حفيظا على ردهم واجابتهم وعلى صنيعهم وقال بعضهم وكيلا اى تجيء باعمالهم اى لا تؤاخذ انت بصنيعهم كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقال بعضهم وما ارسلناك عليهم وكيلا اى مسلطا عليهم وقاهرا لهم وقوله عز وجل وربك اعلم بمن في السموات والارض يحتمل ما ذكرنا انه اعلم بمصالحهم ومفاسدهم وما يسرون وما يعلنون ويحتمل غير هذا جوابا لقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته يقول والله اعلم وربك اعلم بمن في السموت اى اعلم بمن يصلح للنبوة والرسالة وبمن لا يصلح ومن هو اهلها او يقول اعلم بمن في السموات والارض اى عن علم بما يكون منهم انشاهم لا عن جهل واعلم بهم من انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض مثل هذا لا يكون الا في نازلة لكنه لم يذكر النازلة التي عندها نزلت ثم اختلف فيما ذكر من تفضيل بعض على بعض قال بعضهم انه اعطى كلا شيئا لم يعط غيره من نحو ما ذكر انه كلم موسى واتخذ ابرهيم خليلا واعطى عيسى احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وهو روح منه وكلمته واعطى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واعطى داود زبورا واعطى سيدنا محمدا ان بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ومثله وقال بعضهم فضل بعضا على بعض في الدرجة والمنزلة والقدر عنده فالاول يكون التفضيل في الايات والحجج والثاني في انفسهم في المنزلة والقدر ويحتمل ما ذكر من تفضيل بعض على بعض في الايات والحجج ويحتمل في كثرة الاتباع بتفضيل بعضهم على بعض بكثرة الاتباع

والثالث

والثالث بتفضيل بعضهم على بعض في القيام بشكر ما انعم عليه وبصبر ما ابتلاه به والرابع [بياض في الاصل] وعلى قول المعتزلة لا يكون لاحد فضيلة عند الله الا باستحقاق منه وقوله عز وجل واتينا داود زبورا جميع كتب الله زبور لان الزبور هو الكتاب وقد ذكرنا انا لا ندري لاية نازلة ذكر هذا ولا يحتمل ذكر مثل على الابتداء والابتداء لكن فيه ان التفضيل والمنزلة انما يكون من عند الله ومن عنده يستفاد ولا يستدير من انفسهم واستحقاق حيث قال انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لئلا يرى احد الفضل والمنزلة لنفسه باسباب منه ولكن من عند الله وقال الاصم في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بقوله يخاطب به اهل الكتاب انا وايلكم كانوا يرون لبعض على بعض فضلا في الدنيا وثم شرفا اولئك المفضلين كانوا يتبعون الرسل لما داوا لهم من الفضل والخصوصية فما بالكم يا اهل مكة لا تتبعون محمدا وقد ترون فضائل وخصوصية ما لا ترون ذلك لانفسكم ولا لاحد سواه وكلام نحو هذا والله اعلم وقوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وفي سورة سبأ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة الاية فيشبه ان يكون الاية عند ما نزل بهم البلوى والشدائد على ما قاله اهل التأويل فامروا عند ذلك ان يطلبوا كشف ذلك عنهم من الذين يعبدون من دونه فيقول لهم ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه يكشفوا عنكم ما نزل بكم ويشبه ان يكون لا على نازلة ولكن على تبيين سفه اولئك حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله اخبر ان ليس لهؤلاء شفاعة عند الله وان عبادتهم اياها لا تقربهم الى الله زلفى كقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اخبر انهم لا يملكون ما يطمعون بعبادتهم اياها او ان يذكر هذا ليقطع ما يرجون من دون الله من كشف ضر عنهم ودفعه او جر نفع اليهم وسوف خبر علينا اخبر انه لا يملك ذلك احد سواه كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة الاية وقوله وان يمسسك الله الاية اخبر انه لو فتح هو رحمة لا يملك احد دونه امساكه ولو امسك هو لا يملك احد ارساله دونه ولو مس ضر لا يملك احد كشفه وان اراد خيرا لا يملك احد دفعه ورده هذا يذكر والله اعلم للمسلمين لئلا يرجوا احدا من الخلق من دون الله ولا يخافوا احدا سواه ثم صرف اهل التأويل تأويل الاية الى الملائكة لكن الاية يحتمل كل معبود دون الله الملائكة والجن والاصنام التي عبدوها واما الاية الثانية التي تتلوها ظاهرها في الملائكة والجن وهو قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة اى اولئك الذين يعبدون من دونه يبتغون هم الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه الاية اختلف فيه منهم من صرفها الى الملائكة ومنهم من صرفها الى الجن وهو قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ان قوما من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم الجن فبقي اولئك كانوا يعبدونهم بعدما اسلموا منهم فيقول اولئك الذين تدعون من دونه يبتغون الى ربهم الوسيلة فكيف تعبدونهم ومن قال انها في الملائكة اختلفوا في قوله ويرجون رحمته ويخافون عذابه قال الحسن يرجون محبته ورضاه ويخافون عذابه اى خوف الهيبة والاجلال والعظمة لا خوف عذاب النار ونقمته لان الله عصمهم من ان يرتكبوا ما يوجب لهم النقمة والعذاب حيث قال لا يعصون الله ما امرهم وقال لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقال في قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم هذا اخبار انهم لو قالوا ذلك لفعل به ما ذكر ليس على ان يقول احد منهم ذلك وقال ابو بكر يرجون رحمته ثوابه ويخافون عذابه نقمته حيث قال فهم من الوعيد ما قال ومن يقل منهم الاية فقد اثبت لهم الوعيد فيه لكن ثوابه ما يتلذذ به وعذابه ما لم يتألم به ويتوجع ومنهم من يقول من اهل التأويل يرجون رحمته اى جنته لكن هذا يشبه ان يكونوا يرجون صحبة اهل الجنة كقوله يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم الاية وجائز ان يحتمل صرف قوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الى الاصنام التي عبدوها من دونه ايضا ويكون تأويله يدعون يبتغون اى لو يكون لهم من العبادة والطاعة وركب فيهم من اسبابه لكانوا كما ذكر وهو كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل اى لو مكن له وركب فيه ما ركب في البشر ومكن لهم لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله على ما ذكر من سفه اولئك الذين عبدوا دون الله يقول كيف تعبدون من لو مكن من العبادة والطاعة لكانوا يبتغون بذلك الوسيلة الى ربهم او كيف تعبدون من هو بطاعة ربه يبتغي الوسيلة اليه ان كانت الاية في الملائكة كانه يذكر سفه اهل مكة حيث سألوا العذاب بقوله فامطر علينا حجارة الاية ونحوه واهل السماء والارض جميعا يخافون عذابه وقوله قل ادعوا الذين زعمتم فلا يملكون ما ذكر ليس هو بامر في الحقيقة وان كان ظاهره امرا ولكن اخبار عن عجز ما يدعون من دونه وتعجيز ما ذكر من كشف الضر ودفعه والتحويل وكذلك قوله قل كونوا حجارة الاية ليس هو بامر انما هو اخبار عن قدرته انه لا يعجزه شيء وان بدلتم اصلب الاشياء واعظمها وقوله عز وجل فلا يملكون كشف الضر عنكم اى دفعه ورده ولا تحويلا يحتمل وجهين احدهما فلا يملكون تحويل ذلك الضر الى غيركم ولا صرفه والثاني ولا تحويلا من الاشد والاثقل الى الاخف والايسر وقوله عز وجل ان عذاب ربك كان محذورا اى يحذره اهل السماء واهل الارض وقوله عز وجل وان من قرية الا نحن مهلكوها

قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا قال ابو بكر الاصم وان من قرية الا نحن مميتوها وقد يستعمل الهلاك في موضع
الموت كقوله امرؤ هلك اي مات ويقال ايضا هلك فلان اي مات فعلى ذلك يقول قوله الا نحن مهلكوها مميتوها قبل يوم القيامة
كقوله كل نفس ذائقة الموت وكقوله كل من عليها فان او معذبوها اي نستقنوها عذابا شديدا فعلى تأويله يقع على جميع القرى
والبلدان ليس قرية دون قرية ولا مدينة دون مدينة ولكن على الكل على ما اخبر من اهلاك الكل بقوله كل نفس ذائقة الموت
وكل من عليها فان ويحتمل ما ذكر من اهلاك القرية اهلاك الاهل من اهلاك القرية بعد اهلاكهم على ما فعل بكثير من
القرى وجائز ان يكون يهلك الاهل ويبقى القرية على حالها ثم تهلك بنفسها قبل يوم القيامة والله اعلم على تأويل ابي بكر
يفعل ذا او ذا اما يميتهم موتا باجالهم او يعذبهم عذاب اهلاك وقال الحسن قوله الا نحن مهلكوها اي مميتوها
على ما قال ابو بكر او معذبوها شديدا يقول اذا قامت الساعة قبل يوم القيامة كقوله ونفخ في الصور فصعق
من في السموت الاية وقوله ان زلزلة الساعة الاية فذلك كله قبل يوم القيامة وهو يقول ان الساعة تقوم
على شرار الناس فيكون ما ذكر من التعذيب لاولئك الذين تقوم بهم الساعة على قوله وقال قتادة هذا
قضاء من الله كما تسمعه ليس منه بد اما ان يهلكها بموت كقوله كل نفس ذائقة الموت واما ان يهلكها بعذاب
مستاصل اذا تركوا امره وكذبوا رسله وهو ما ذكر لامر الانتقام وقال بعضهم يميت القرية باجالهم واما
القرية الظالمة فياخذها بالعذاب الذي ذكر فهو في القرون الماضية ان احتمل ولك ويشبه ان يكون قوله
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة وهو ان يهلك رؤسا اهل الكفر وقادتهم فيصير الدين كله دينا
واحدا وهو الاسلام على ما قال بعض اهل التاويل في قوله اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها قالوا هو ان
يهلك اهل الكفر فيجعل ملك اهل الكفر لاهل الاسلام فذلك نقصانها من اطرافها لا يزال ينقص اهل الكفر قرية
فقرية وبلدة فبلدة حتى تصير الارض كلها لاهل الاسلام وهو ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه
قال زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فذلك والله اعلم تاويل
قوله وان من قرية الا مهلكوها اي تهلك اهل الكفر ويشبه ان يكون قوله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل
قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا على ما اخبر انه كان يفني جميع من كان على وجه الارض ويجعل الارض
مستوية لا بناء فيها ولا ارتفاع حيث قال كل من عليها فان وقال ويسالونك عن الجبال الاية وقال وبست
الجبال بسا الاية اخبر انه لا يبقى عليها احد ولا بناء فيصير كلها قاعا صفصفا لا عوج فيها ولا امتا فذلك اهلاكها
وتعذيبها والله اعلم وقوله عز وجل كان ذلك في الكتاب مسطورا قال بعضهم كان ذلك في الكتاب الذي عند الله
وهو اللوح المحفوظ مكتوبا وقال بعضهم كان ذلك في جميع كتب الله التي انزلها على رسله مكتوبا اي ما من كتاب
انزله الله على رسله الا وكان فيه كل من عليها فان وكل نفس ذائقة الموت مسطورا والله اعلم وقوله عز وجل
وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون اخبر انه ليس يمنعه من انزال الايات تكذيب الاولين بها فان
قيل فاي شيء فيما يكذب الاولون بالايات ما يمنع انزالها على هؤلاء قيل كانه على الاضمار اي ما منعنا ان نرسل
بالايات الا علمنا بان الاخرين يكذبون بها كما كذب بها الاولون فان قيل عن هذا انه ان علمه بتكذيب الاخرين
كعلمه بتكذيب الاولين ثم لم يمنع علمه بتكذيب الاولين اياها انزالها كيف منع علمه بتكذيب الاخرين ذلك
اوليس قد ارسل الرسول وانزل الكتاب على علم منه انهم يكذبون الرسول والكتاب ثم لم يمنع علمه بذلك انزاله
الكتاب وارساله الرسول فكيف منع علمه بتكذيب الايات منهم عن ارسال الايات ولم يمنع علمه بتكذيب الرسول
على بعث الرسول وانزال الكتاب قيل انه قد مضى من سنته انه اذا انزل الايات على اثر السؤال اعني سؤال
الايات فكذبوها اهلكهم هكذا مضت سنته في القرون الاولى ثم قد سبق منه وعده ان لا يهلك
هذه الامة اهلاك تعذيب واستيصال في الدنيا رحمة منه وفضلا على ما اخبر رسوله حيث قال وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فرحمته ان من عليهم بابقائهم وازاله العذاب عنهم في الدنيا واستيصالهم
فكانه قال والله اعلم وما منعنا ان نرسل بالايات سبق من وعدنا ورحمتنا ان لا نهلك هذه الامة اهلاك
استيصال وتعذيب فذلك الوعد والرحمة الذي ذكرنا منعنا عن ارسال الايات على علم منا انهم يكذبونها اذا
ارسلناها اليهم وقد مضت السنة منا على الاهلاك اذا انزلنا الايات على اثر سؤالهم اياها ثم التكذيب
من بعد ثم قد سبق الوعد لهؤلاء ان لا يهلكوا في الدنيا اهلاك تعذيب رحمة منه لهم على ما اخبر انه لم
يرسل الا رحمة للعالمين واصله ان الله عز وجل قد انزل الايات والحجج على اثبات رسالة الرسل ايات كافية
وحججا تامة ما لم يقع لهم الحاجة الى غيرها من الايات والحجج فما سالوا من الايات بعد والحجج من بعد انما سالوا
سؤال تعنت وتمرد لا سؤال استرشاد واستهزاء فاذا كان سؤالهم الايات سؤال عناد وتعنت اهلكوا اذا كذبوا
ولم ينظروا كقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون وقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين
ونحوه الا ترى ان عيسى لما سالوه ان يسال ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء لتكون لهم اية منه فسال له
فاخبر انه منزلها عليكم ثم اخبر ما يفعل بهم اذا كفروا بعد ذلك وهم كانوا يسالونه سؤال تعنت وتمرد
فقال اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم الاية هكذا كانت سنته فيمن سال الايات سؤال تعنت وعناد وجائز
ان يكون الذي منع عن ارسال الايات على اثر السؤال واهلاك هذه الامة ما يكون من الاسلام من نسل هؤلاء

الامة

الامة بعد نبيهم وابقاء التناسل الى يوم القيامة والله اعلم وقوله واتينا ثمود الناقة مبصرة قيل اي
لرسالة صالح وقال بعضهم مبصرة اي معاينة يعاينونها انها اية من الله لهم حيث راوها مخالفة لنوقهم
وهو ما قال هذه ناقة الله لكم اية فظلموا بها اي كذبوا بها وجحدوها ثم عقروها بعد علمهم انها اية من الله
لهم حيث راوها وعاينوها خلوقا لنوقهم خارجة عن نوق البشر والله اعلم وقوله عز وجل وما نرسل
بالايات الا تخويفا قال ابن عباس والحسن وغيرهما الموت الذريع اي السريع وقال بعضهم وما نرسل بالايات
الا تخويفا للناس فان لم يؤمنوا بها عذبوا في الدنيا ويقول وما نزل بالايات مقرونة بالسؤال سؤال
التعنت فكذبوها الا تخويفا للهلاك على ما ذكرنا من الايات التي سالوها او ان يكون قوله وما نرسل بالايات
على اثر السؤال بها ثم التكذيب بها الا تخويفا لمن ياتي من بعدهم ممن يسال مثلها فكذب او كلام نحوه ويحتمل الايات
التي ذكر كسوف الشمس والقمر وغيره وما نرسل ذلك الا تخويفا للناس والله وقوله عز وجل واذ قلنا لك
ان ربك احاط بالناس اي وقد قلنا لك ان ربك احاط بالناس الاحاطة بالشيء يكون بالوجوه الثلاثة
احدها بالغلبة والقدرة والسلطان كقوله وظنوا انهم قد احيط بهم اي اخذهم الهلاك والغلبة وقدر
عليهم والثاني الاحاطة العلم به كقوله وكان الله بكل شيء محيطا اي عالما وقوله ولا يحيطون بشيء من
علمه اي لا يعلمون والثالث الاحاطة المعروفة بين الخلق من احاطة بعضهم بعضا فذلك يحتمل في الله سبحانه
وتعالى فهو على الوجهين الاولين على احاطة العلم بهم او القدرة عليهم والغلبة ثم قوله اختلف قال بعضهم
احاط باعمالهم بما لهم وما عليهم وبالا يصلح لهم وما يصلح وهو ما ذكرنا في قوله وربك اعلم بمن في السموت
والارض وقال بعضهم انهم كانوا يمكرون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون اطفاء نوره ويمنعونه عن
تبليغ الرسالة كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية فيقول ان ربك احاط بالناس اي قد علم بمكرهم بك على
علم منه بمكرهم بك بعثك رسولا اليهم وكلفك على تبليغ الرسالة اليهم لكنه وعد ان يعصمك منهم ويمنعك
منهم حتى تبلغ الرسالة بقوله والله يعصمك من الناس وقوله فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا الاية
كان عز وجل يبعث الرسل ويكلفهم تبليغ الرسالة اليهم على علم منه بما يكون من قومهم من المنع والمكر برسله لكنه
عصمهم ومكن لهم حتى بلغوا الرسالة اليهم فعلى ذلك قوله ان ربك احاط بالناس بالعلم والقدرة والغلبة
عليهم والله اعلم وقوله عز وجل وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال عامة اهل التاويل ان
الرؤيا التي اراها اياه لم تكن رؤيا المنام ولكن كانت يقظة ورؤيا عين معاينة بالتي تنام لا بالذي لا ينام
منه لا ندري عنه صلى الله عليه وسلم انه قال تنام عيناي ولا ينام قلبي فانما اراه من الرؤيا بالعين التي
كانت تنام لا رؤيا قلب والله اعلم قال سعيد بن المسيب رؤيا منام روي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم راى
قوما على منابر فساءه ذلك فذكر انهم كانوا يعطون مالا فذلك فتنة لهم وقال بعضهم انه اري رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المنام كانه يدخل المسجد الحرام امنا فاخبر بذلك اصحابه انه راى ذلك فلما كان
عام الحديبية وصرف عن البيت ارتاب بعض الناس في رؤياه فذلك فتنة للناس على ما خبر لكنه لم يبدله
حتى يدخل فيه وقد وعد انه يدخل فيه امنا وهو ما قال لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الاية
وقوله الا فتنة للناس والفتنة المحنة الشديدة فان كان ذلك في الرؤيا التي راها في مسيره بيت المقدس
وما اخبر من الايات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر ولا بسحر فذلك للذي اخبرهم انه راى فتنة لهم ومحنة
في التصديق والتكذيب في الخبر الذي اخبر من الايات لا يتوهم مثل ذلك بتعليم بشر فان كان على رؤيا
منام فهو فتنة لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل والشجرة الملعونة في القران اي كانت الشجرة الملعونة
التي ذكرت في القران ايضا فتنة لهم كقوله انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم الاية
ووجه فتنتها لهم ما ذكر في القصة انهم قالوا ان محمدا يقول ان في النار شجرة والنار من طبعها ان تاكل
الشجرة فكيف يكون في النار الشجرة وهي تاكلها ولكن لم يعرفوا ان شجر النار يكون من النار وشرابهم من النار
وكذلك طعامهم من النار فاذا كان من النار لم تاكلها النار ومنهم من قال ان زقوم هو الزبد والتمر فكيف
يكون فيها ذلك فيدعون بذلك الكذب عليه فيما يخبرهم ان في النار شجرة فتلك الشجرة ايضا كانت فتنة
لهم ومحنة في تصديق رسول الله وتكذيبه وسمي ملعونة قال بعضهم ان العرب سمت كل طعام مودي
ملعونا فلذلك سميت شجرة الزقوم ملعونة اذ كانت ضارة لاهلها مؤذية قال الحسن سميت ملعونة لما لعن
اهلها بها فسميت باسم اهلها وهو ما سمي النهار مبصرا والنهار لا يبصر ولكن يبصر به فسمي باسمه فعلى ذلك
هذا واصل اللعن الطرد فطرد منها كل خير ونفع فهي ملعونة وكقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس اضاف
الاضلال الى الاصنام لا صنع لها في ذلك لكن كثيرا من الناس ضلوا بهن فكانها اضللتهم وكقوله وغرتهم
الحيوة الدنيا اي اغتروا بها وقوله في القران اي ذكرت في القران والا الشجرة لا تكون في القران وهو ما ذكر
من المصائب وغيرها كقوله ما اصاب من مصيبة في الارض الاية والمصائب لا تكون في الكتاب لكن ذكر
فيه ونخوفهم بما ذكرنا وقوله عز وجل فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا هو ما ذكر انهم نظروا اليه بعين الاستخفاف
والاستهزاء فزادهم ما ذكروا اما اهل الاسلام فزادهم ايمانا وهدى لانهم نظروا اليه بعين التعظيم والتبجيل

وقوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قوله أأسجد اى
لا اسجد كقوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال فدل هذا ان قوله أأسجد معناه اى لا اسجد ذكر فى قصة
ابليس الفاظا مختلفة مرة قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال فى موضع ما منعك ان تسجد وفى
موضع اخر ما منعك ان لا تسجد ونحوه فجائز ان يكون ذكر هذا على اختلاف الاحوال لا فى حال واحدة هذا
من هذا على ما ذكر فى قصة ادم من اختلاف الاحوال حيث قال مرة من تراب وقال مرة من طين ومرة من صلصال
ونحوه وذلك اخبار عن احوال تغيرت فيها وجائز ان يكون ذلك بغير هذا الذى ذكرها هنا بالفاظ مختلفة
والزيادة والنقصان لان اختلاف الالفاظ لا يغير المعنى وقوله عز وجل قال ارايتك هذا الذى كرمت
على قد اقر ابليس لعنه الله بالفضيلة لادم والاكرام له اما من الطاعة والنبوة التى اعطاها الله وان ادعى
لنفسه الفضيلة عليه من جهة الخلقة بانه نارى وهو طينى حيث قال ارايتك هذا الذى كرمت على اقر بالفضل
له عليه والاكرام اما لطاعتهم له او لما جعله رسولا الى خلقه وقوله عز وجل لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن
ذريته الا قليلا لا يحتمل ان يخاطب ربه ويقول لئن اخرتنى الى كذا لاحتنكن لانه لما يطلب التاخير والبقاء الى يوم
القيامة طالب نعمة منه ومنة فيقول مقابل ما يطلب من النعمة لئن اعطيتنى ذلك لاعصينك انما يذكر مقابل
طلب النعمة الطاعة له والشكر على ما قال ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن انما يقابل بطلب النعمة
الطاعة له واما مقابلة المعصية فلا نعرف ثم يخرج قوله لئن اخرتنى الى يوم القيامة على وجهين احدهما
على التاكيد يقول اى انك وان اخرتنى الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته او على التمنى منه الامرين جميعا التاخير
واحتناك ذريته وسؤاله اياهما ثم اختلف فى قوله لاحتنكن ذريته قال بعضهم لاحتوينهم ولاحيطن بهم وقال
بعضهم لاضلنهم على ما ذكر فى اية اخرى ولاضلنهم ولامنينهم وقال بعضهم لاحتنكن لاستنزلن وقيل لاستولين
وقال القتبى لاحتنكن اى لاستاصلنهم ويقال هو من حنك الدابة يحنكها حنكا اذا شد فى حنكها الا
الاسفل حبلا يقودها به وقال القتبى اى لاقودنهم كيف شئت ثم قوله لئن اخرتنى الى يوم القيامة لاحتنكن
ذريته كانه سال ربه التاخير على ما ذكر فى اية اخرى حيث قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون كان للعين لما سمع
قوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين انه لا دين له الرحمة فى الايمان به حيث ذكر اللعنة عليه الى يوم الدين واللعين
هو المطرود عن رحمته فعند ذلك سال ربه النظرة الى يوم الدين ليغويهم عن عبادته وقد علم اللعين ان طاعة خلقه لم
لا تزيد فى ملكه شيئا وعصيانهم لا ينقص فى ملكه شيئا لذلك قال لاحتنكن ذريته ولاغوينهم ولاضلنهم وما
ذكر وقوله عز وجل قال اذهب فمن تبعك منهم مع احسانى اليهم والنعماء عليهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا
وقوله عز وجل واستفزز من استطعت منهم بصوتك هذا يخرج على وجهين احدهما على التمكن له ذلك والاقدار
على ما ذكر اى يمكن له ذلك واقدر عليه لخذلانه اياه لما عصى ربه وترك امره بالسجود لادم حولا منه حيث قال
له وان عليك اللعنة الى يوم الدين مكن له ذلك ليتم له اللعنة والخذلان والثانى قال ذلك له على التوعد والتهدد الا ترى
انه ذكر هذا على اثر وعيد وهو قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا فيخرج قوله واستفزز على
اثر ذلك مخرج الوعيد له ولمن تبعه واجابه كقوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير هذا وان كان ظاهره امرا
فهو وعيد فعلى هذا قوله واستفزز من استطعت منهم فان لك ولمن تبعك كذا او لما ذكرنا من التمكين له
ذلك والاقدار على ذلك ليتم له الخذلان واللعن الذى لعنه والا لا يجوز ان يكون الله يامره بما ذكر اذ يخرج الامر
بما ذكر مخرج سفه والامر بالفحشاء وقد اخبر انه لا يامر بالفحشاء والمنكر وانما يامر بالعدل كقوله ان الله يامر
بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى فلو حمل هذا على الامر لكان امرا بالفحشاء
والمنكر فدل انه يخرج على احد الوجهين اللذين ذكرناهما او على الاستبعاد والاياس عن ان يملك او يقدر عليهم بما ذكر
الا من اختار منهم اتباعه وهو ما ذكر ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الاية والله اعلم وقوله عز وجل واستفزز
قال القتبى اى استخف والرجل الرجالة وقال ابو عوسجة واستفزز اى استخف اى دعاه فاجابوه وامره فاطاعوه على
هذا يخرج قوله فاستخف قومه فاطاعوه اى امرهم فاطاعوه ودعاهم فاجابوه وقوله عز وجل بصوتك يحتمل
وجوها ثلاثة احدها على حقيقة الصوت يكون له صوت يدعو الناس به فيسمع ذلك الصوت النفس الخفية التى
تكون فى هذه النفس الظاهرة الكثيفة ولا يسمع النفس الظاهرة على ما يخطر اشياء بالقلب من غير ان يعلم
به الانسان انه من اين جاء ومن اين هجانه وعلى ما يقذف ويوسوس شيئا فى القلوب من غير ان يعلم ذلك ويطلع
عليه فعلى ذلك يجوز ان يكون له صوت يدعو الناس به وان كان لا يسمعه لكنه يسمع النفس الخفية بما يسمع
النفس الظاهرة وربما يضاف الى النفس الخفية الا ترى ان النائم يرى اشياء ويكون فى قصى الدنيا ونفسه
الظاهرة ملقاة ههنا فذلك كله بالنفس الخفية والثانى على التمثيل ليس على تحقيق الصوت لكن ذكر الصوت
لما بالصوت يرسل الى اعلام بعضهم بعضا ويدعو بعضهم بعضا عند البعد فذكر الصوت له مكان الوسوسة
التى يوسوس الناس اشياء من بعد ويدعوهم به الى معاصى الله وكذلك قال الحسن فى قوله فوسوس اليه الشيطان
من بعد من غير ان كان هناك تقرب منه والثالث على اضافة عمل كل عاص من نحو الغناء والمزامير وغيره او ما يشبه
عمل كل طاع وكل ضال اليه اضيف ذلك اليه كما اضاف موسى حيث قال هذا من عمل الشيطان وقوله وما انسانيه

الا

الا الشيطان ولم يكن ذلك عمل الشيطان حقيقة ولكن قال ذلك واضافه اليه لما امره ودعا ثم يعمل ذلك وقال عامة
اهل التاويل بصوتك اى بدعائك وقوله عز وجل واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال بعضهم اجلب اى اجمعهم ويقال
واجلبهم اى اعنتهم ايضا وهو قول ابى عوسجة وقوله بخيلك ورجلك يخرج على الوجوه الثلاثة التى ذكرنا احدها
ان يكون له خيل ورجال من جنسه وجوهره يجلبهم بهم ولكنا لا نراهم كما قال انه يريكم هو وقبيله الاية
فجائز ان يكون له خيل ورجال وجنود لا نراهم نحن وهم يروننا والثانى على ما ذكرنا انه على التمثيل لكثرة
ذكر الخيل والرجل لما بالخيل والمشى يصل بعض الى بعض عند الحاجة اليه فى البعد والقرب فذكر ذلك له على
ما ذكرنا فى الصوت والثالث انه اضاف كل خيل راكب فى معصية الله او كل ماش فى معصية الله اليه على
ما ذكرنا فى الصوت انه اضاف كل صوت فى معصية الله اليه والله اعلم وقوله جزاؤكم جزاء موفورا قال القتبى
موفورا اى موفرا وقال غيره وافرا وفى قوله لئن اخرتنى الى يوم القيامة دلالة نقض قول المعتزلة لان ابليس سال
ربه التاخير والابقاء له الى يوم القيامة وقد علم انه اذا اعطاه ذلك له بقى لهما وعدوا بقاءه الى ذلك الوقت
وهم لم يعرفوا ذلك بل قالوا انه يجب عنه فيقتله فيمنعه على وفاء ما وعد والابقاء الى الوقت الذى
وقت له فهو اعرف بربه منهم وكذلك قال رب بما اغويتنى وهم يقولون لم يغوه فهو اعرف بربه منهم
وقوله عز وجل وشاركهم فى الاموال والاولاد قال بعض اهل التاويل مشاركته فى الاموال هى ان يجعلوه البحيرة
والسائبة والوصيلة والحامى على ما كانوا يفعلونه واما الاولاد فانهم هودوهم ونصروهم ومجسوهم و
هو قول قتادة وقال بعضهم مشاركته فى الاموال هى ان يكتسبوها من خبيث وحرام وينفقوها فى مثله وفيما
لا يحل واما الاولاد هم ما ولدوا من الزنا وقال بعضهم الاموال ما كانوا يذبحون لالهتهم ويجعلون
لها من الحرث والانعام والاولاد ما ولدوا من الزنا وجائز ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله واستفزز
من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك الى اخر ما ذكر حتى تشاركهم فى الاموال والاولاد
ثم معنى المشاركة له فيما ذكر والله اعلم هو ان هذه الاموال والاولاد لله تعالى حقيقة لما هو انشاها
وخلقها فحقيقة الملك له بما ذكرنا وظاهر الانتفاع لعبده اذ هذا كله لله بحق المحنة يمتحنهم وحق الانتفاع
لهم اذ لا يجوز ان يخلق الله شيئا لمنفعة نفسه ولكن يخلق لمنافع انفسهم ليمتحنهم بها وقد شرع الله لهم
شرائع وشرع لهم ابليس شرائع وهو ما ذكر ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله فاذا صرفوا
ذلك الى ما شرع لهم ابليس دون ما شرع الله فقد اشركوه فيها وكل ما اطيع فيها مما سن لهم ابليس وشرع
لهم فذلك شركته فيها وذلك ان الاولاد فى الشاهد انما تطلب لاحد الوجوه الثلاثة اما للاستيناس بهم
فى حال الوحشة واما للاستنصار بهم والعون على اعدائهم واما للذكر بعد الوفات وكذلك الاموال
تطلب منها ما ذكرنا الانتفاع بها فى حال الحيوة واما للمعونة على الاعداء او الذكر بعد الموت بخيرات
تتركونها فاذا صرفوها الى ما امرهم ابليس اشركوه فيها ومشاركته اياه فى الاموال حتى انه يامرهم
ويدعوهم الى اكتساب ما حرم والانفاق فيما لا يحل وفى الاولاد وكذلك يامرهم بالمعصية ويدعوهم
اليه فيطيعونه ويجيبونه فى ذلك فذلك والله اعلم مشاركته وقوله عز وجل وعدهم قال عامة اهل التاويل
اى وعدهم ان لا جنة ولا نار ولا بعث لكن يعدهم بخلاف ما وعدهم الله ويخوفهم على ضد ما خوفهم
الله ما كان من الله وعد رجاء يكون منه وعيد وما كان من الله وعد خوف يكون منه وعد رجاء وهو ما
قال ان الله وعدكم فاخلفتكم اخبر ان ما وعدهم قد اخلف فذلك تاويل قوله وما يعدهم الشيطان الا
غرورا اى كذبا وباطلا لانه يخرج كله على خلاف ما وعد وقوله عز وجل ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
يحتمل قوله سلطان وجوها ثلاثة احدها القدرة والقهر والثانى فى الحجة والبرهان والثالث الولاية
فاما القدرة والقهر فليس له عليهم ذلك لانه لم يجعل له قدرة القهر عليهم شاؤا او ابوا وكذلك ليس له
عليهم الحجة فيما يدعوهم اليه ويامرهم به كقوله يوم القيامة حين يقول وما كان لى عليكم من سلطان
الاية فانما له ذلك على من اختار اتباعه وتوليه كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه وقوله ان عبادى
المخلصين الذين اخلصوا الى ليس لك عليهم سلطان يحتمل قوله سلطان اى حجة لانهم انما يتبعون امر الله
بحجة فلا يتبعوا الشيطان باماني التى يمنيهم وشبهات التى يشبه عليهم او ان يكون قوله ليس لك عليهم
سلطان اى سلطان القهر والغلبة انما له عليهم الدعاء والتزيين لا غير او ان يكون قوله ان عبادى ليس
لك عليهم سلطان من الحجة والملك على ما ذكرنا انما سلطانه عليهم سلطان الولاية على الذين يتولونه وقوله
عز وجل وكفى بربك وكيلا يحتمل وكيلا عاصما يعصمك عن تمويهاته ووساوسه او ناصرا ينصرك على مكائده
او مفزعا تفزع اليه او معتمدا تعتمد عليه فى جميع امورك والله اعلم وقوله عز وجل ربكم الذى يزجى لكم
الفلك فى البحر يجرى ويسير ويسوق الفلك فى البحر قال الحسن اى سخر الفلك او السفن لنا فى البحر والدواب فى
البر لنقطع بها البحار والمفاوز والبرارى لنصل بذلك الى حوائجنا التى جعلت لنا فى البلدان النائية والامكنة
البعيدة وكذلك قال فى قوله تعالى يسيركم فى البر والبحر اى سخر لنا ذلك ونحن نقول كذلك سخر لنا ما ذكر لكن
ان اضافة ذلك اليه على قولنا هو ان خلق سيرنا وجرينا فى البر والبحر سخر لنا ذلك ونحن نقول كذلك سخر لنا

ما ذكر الا ان اضافة ذلك اليه على قولنا ان افعالنا مخلوقة له ثم يذكر فيه قدرته وسلطانه وعلمه حيث خلق الخشب
وجعل فيها معنى تقر على وجه الماء مع ثقله ومن طبع الشيء الثقيل التسرب في الماء والسفل فيه ولا يقسم المعنى
الذي به تقر على وجه الماء وان كان دون ذلك في الثقل يسفل فيه ويتسرب او جعل ذلك بطبعه بحيث يقر على
وجه الماء ولا يتسرب فيه لطفاً منه فمن قدر على انشاء ما يقر على وجه الماء لمعنى جعل فيه لا نعقله نحن او يلطف
لقادر على انشاء هذا الخلق واعادته بعد فنائه وتفرقه وان كانت عقول الخلائق لا تدرك ذلك وانما التي
نعجز عن دركها قدر على انشاء ما هو طبعه التسرب في الماء والسفل فيه بحيث يقر ويركد على الماء يقدر على
تسكين الامواج في البحر ليعبر فيها وخلق رياحاً فيها تجري السفن كما تجري بالماء الجاري فمن قدر على هذا يقدر
على ما ذكرنا من الاحياء بعد الفناء وفيه ما ذكرنا من تذكير نعمه لتشكروه وتذكير قدرته وسلطانه لتهاب
منه ولا تنكروا قدرته وسلطانه في شيء من الاشياء على ما انكر قدرته بعض خلقه لقصور عقولهم من درك
ذلك وفيه وجوه من الدلالة احدها تعليم الاسباب التي بها يوصل الى قطع البحار والبراري من اتخاذ السفن
والحمل عليها وغير ذلك والثاني تسخير البحار والبراري لنا ما لولا ذلك ما تهيأ لنا استعمال ذلك والثالث
دلالة الرسالة اذ لولا خبر السماء والا ما يعرف ان ما يحتاج اليه هو في تلك البلدان النائية والامكنة البعيدة
وما يعلم ان ذلك الطريق يفضي الى تلك الامكنة الا بخبر الرسول عن الله تعالى وقوله عز وجل انه كان بكم رحيماً
قال بعضهم اي من رحمته ان جعل لكم الفلك والدواب لتصلوا بها الى ارزاقكم التي في البلاد النائية البعيدة وقال
بعضهم انه لم يزل بكم رحيماً اذا تبتم ورجعتم عن ذلك او كانت الاية في المؤمنين فهو لم يزل بهم رحيماً وان كانت
في الارزاق فيهم جميعاً فان قالت الثنوية انكم تصفون ربكم بالرحمة والرأفة وهو يميتكم ويقتلكم ويحمل عليكم
الشدائد والمؤن العظام فذلك ليس من صفة الرحيم قيل انا قد ذكرنا لكم في غير موضع جواب السؤال ان المرء
على نفسه وله الرحمة والشفقة عليها ثم مع ذلك يحتمل على نفسه الشدائد والمؤن العظام لما يأمل من النفع في
العاقبة من نحو الحجامة والافتصاد وشرب الادوية الكريهة ما لولا ما يأمل من النفع في العاقبة ما تحمل ذلك
وكذلك الوالدان فيهما من الرحمة والرأفة لولدهما ما لا يخفى ذلك على احد ثم يحملان على ولدهما ما ذكر من
الشدائد والمؤن العظام لما يأملون من النفع لهم في العاقبة ثم لا يمنع ذلك من الوصف بالرحمة والرأفة
فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى لا يمنع ما يحمل علينا من الشدائد عن ان يوصف بالرحمة ولا يخرجه ذلك عن الحكمة بل
هو على ما قال وهو ارحم الراحمين وقوله عز وجل واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه اي بطل ما كانوا
يأملون من عبادتهم الاصنام الا العبادة التي كانت لله فانه لم يبطل ما لم يؤمل من عبادتهم اياه لانهم كانوا يعبدون
الاصنام والاوثان ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فاخبر
عز وجل عن سفههم لعبادتهم الاصنام وعجزهم عما يأملون منها في الاخرة حيث لم يملكوا دفع شيء مما مستهم
وكشف ما اصابهم في الدنيا فكيف يأملون ذلك في الاخرة او ان يكون ضل من تدعون الا اياه اي ضل كل اله الذي
عبد وهاد دون الله الا الله الحق المستحق للعبادة فانه اجابكم ونجاكم من الهلاك وقوله عز وجل فلما نجاكم الى البر اعرضتم
هكذا كانت عادتهم انهم اذا خافوا الهلاك على انفسهم اخلصوا الدعاء لله كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين الاية وكقوله وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين
له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا فريق منهم بربهم يشركون ويحتمل قوله
فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن وفاء ما عهدتم وانجاز ما وعدتم لانهم قالوا لئن انجيتنا من هذه لنكونن من
الشاكرين فاعرضوا عن هذا والوعد ولم يوفوا ذلك وقوله عز وجل وكان الانسان كفوراً لنعم ربه يذكر
سفههم من وجهين احدهما عبادتهم من يعلمون انه لا ينعم عليهم في حال الرخاء ولا يدفع عنهم البلاء في حال
الشدة والثاني ان في الشاهد من انعم على آخر نعمة واحسن اليه يشكر له ويثني عليه واذا حل به بلاء وشدة
من احد من الخلائق يدعو عليه ويلعنه فمعاملة اولئك الكفرة مع الله على خلاف معاملة الخلق بعضهم بعضاً
يخلصون له الدعاء في حال الشدة والبلاء ويكفرون نعمه في حال الرخاء والله اعلم وقوله عز وجل افامنتم ان يخسف
بكم جانب البر على ما خسف قوماً في البر او يرسل عليكم حاصباً على ما ارسل على قوم من الحصباء وهي الحصى فاهلكهم
ثم لا تجدوا لكم وكيلاً ناصراً ينصركم او معتمداً تعتمدون عليه وقوله عز وجل ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة
اخرى اي يحوجكم الى ركوب البحر مرة اخرى فيغرقكم بما كفرتم او يذكر هذا ان من قدر على انشاء ما ذكر من
الفلك واجرائها في البحر وتسكين امواجه ودفع اهواله عنكم لقادر على اهلاككم في البر واعادتكم في البحر ثانياً
واغراقكم فيه وفي قوله يزجي لكم الفلك في البحر والبر دلالة ان الله في فعل العباد صنعاً لانهم هم الذين يسيرون
في البحر وهم الذين يجرون الفلك فيه ثم اضاف الاجراء الى نفسه وكذلك السير ليعلم ان له فيه صنعاً وفعلاً
وقوله عز وجل ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً قال بعضهم تبيعاً اي من تبعنا بدمائكم ويطالبنا بها وقال ابو عوسجة
التبيع الكفيل ويقال المتقاضي في موضع وقال غيره هو من التبعة اي لا تجدوا لكم علينا به تبعة وهو ما ذكرنا وقال
القتبي الحاصب الريح سميت بذلك لانها تحصب اي ترمي بالحصباء وهي الحصى الصغار والقاصف الريح الشديدة
التي تقصف الشجر اي تكسرها وكذلك قال ابو عوسجة القاصف الشديدة من الرياح وقوله عز وجل ولقد كرمنا بني

آدم كرمهم بان خلقهم في احسن صورة كقوله وصوركم فاحسن صوركم وقومهم في احسن تقويم واحسن
قامة كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكرمهم بان ركب فيهم العقول التي بها يعرفون الكرامات
من الهوان ويعرفون بها المحاسن من المساوي والحكمة من السفه والخير من الشر وكرمهم بان جعل لهم لساناً
يتكلمون بها الحكمة وكل خير وبها يتوصلون الى درك الحكمة وجميعها وكرمهم بان جعل ارزاقهم اطيب
الارزاق وجعل لغيرهم ما خبث منها وما فضل منهم وكرمهم بان خلق جميع ما على وجه الارض لهم
كقوله خلق لكم ما في الارض جميعاً وكرمهم بان سخر لهم جميع الخلائق وسخر لكم ما في السموات وما في
الارض جميعاً منه وجعل بني آدم هم المقصود من خلق جميع الخلائق ونحوه وكرمهم حيث جعلهم
بحيث يتهيأ لهم استعمال السماء والارض واستعمال الشمس والقمر واستعمال البحار والبراري وجميع الصعاب والشدائد
في حوائجهم ومنافعهم ما لا يتهيأ لغيرهم من الخلائق ذلك فذلك تفضيلهم وجائز ان يكون كرم بني آدم
لما كرم آدم لانه اسجد ملائكته له وبعثه رسولاً اليهم حيث قال انبئهم باسمائهم فلما كرم آدم صار بنوه مكرمين
ايضاً ولهذا نقول بان الاب يصير مشتوماً بشتم ابنه وما قال اهل التأويل ان فضل بني آدم على غيرهم من
الحيوان والدواب حين اكلوا وشربوا هم بايديهم وسائر الدواب يأكلون بافواههم هذا الذي ذكروا
هو من التفضيل الا ان ذكره له خاصة ليس فيه كثير حكمة وفضل لكن فضلهم وكرمهم بما ذكرنا من وجوه
الكرامات والله اعلم وقوله عز وجل وحملناهم في البر والبحر هذا تفسير ما ذكر من تكريم بني آدم وتفضيله اياهم
ثم يحتمل هذا وجهين احدهما ان جعل لهم البر والبحر مسخرين حتى يصلوا الى ما في باطن البحر وظاهره من انواع
المال والمنافع وكذلك البر سخر لهم حتى يصلوا الى ما في باطنه من الاموال والمنافع وظاهره والثاني ان
جعلهم بحيث يقضون حوائجهم التي كانت لهم من وراء البحر ووراء البر ما لم يجعل ذلك لغيرهم من
الخلائق قضاء الحوائج من ورائهما وذلك معنى تفضيلهم الذي ذكر على اثر قوله كرمنا بني آدم وهو تفسير
تفضيله واكرامه حيث قال وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وجائز ان يكون ما ذكر من
تكريم بني آدم وتفضيله اياهم هو ما جعل فيهم من الانبياء والرسل والاتقياء والاخيار منهم ما لم
يجعل ذلك من غيرهم الا ترى ان موسى قال يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم الاية وقوله ورزقناهم
من الطيبات هو ما ذكرنا ان جعل ارزاقهم وغذاءهم ما بلغ في الطيب غايته وليس كذلك غذاء غيرهم
من الدواب ورزقهم لانهم لا يأكلون الا بعد ان يخرجوا منه ما فيه من اذى وخبث وخشونة من النخالة
وغيرها وفي الطبخ والنضج حتى يبلغ في الطيب والطيب واللين غايته واما غيره من الدواب فانما يأكلون كما هو
نيئاً غير مطبوخ ولا نضيج وفيه من الخبث والاذى وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً اما بعض
اهل التأويل فانه قال فضلناهم على كثير ممن خلقنا على الجن والشياطين واصحابهم غير الملائكة وقال
بعضهم على كثير ممن خلقنا من الحيوان والدواب تفضيلاً بالاكل بالايدي وجعل رزقهم من غير رزق
الدواب ويحتمل على كثير ممن خلقنا ممن على وجه الارض من الجن وغيرهم لما لم يرسل الى الجن رسول منهم ولا
انزل عليهم كتاب على حدة وما جعل ارزاقهم مما يفضل من البشر من الطعام والسرقين وغيره على ما ذكر
فذلك وجه تفضيلهم عليهم واما الكلام في تفضيل البشر على الملائكة وعلى البشر فانا لا نتكلم في شيء من ذلك لانعلم
ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة فالامر فيه الى الله في تفضيل هؤلاء على هؤلاء وهؤلاء على هؤلاء
ليس الينا من ذلك شيء ولا جائز ان يجمع بين خبث البشر وفسقهم وبين الملائكة الذين لم يعصوا الله طرفة
عين فيقال انهم افضل من الملائكة ولكن ان كان لا بد فانما يجمع بين الانبياء والرسل واتقى الخلائق وبين الملائكة
فيتكلم حينئذ بتفضيل بعض على بعض فهو ما ذكرنا ان الامر في ذلك الى الله ليس الينا من ذلك شيء والله اعلم
وقوله عز وجل يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال الحسن هذا صلة قوله يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
فيقول اي يوم فيقول يوم يدعو كل اناس بامامهم ثم اختلف في قوله بامامهم قال بعضهم ندعوا بامامهم
اي بدينهم الذي دانوا به وزينوا عنه ويدعى كل بدينه الذي دان به ودعا عنه وقال بعضهم بامامهم
اي برؤسائهم وائمتهم الذين اضلوهم اي يدعى الاتباع بائمتهم ورؤسائهم الذين اضلوهم حتى يلوم بعضهم
على بعض ويلعن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم من بعض كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الاية
وقوله ويلعن بعضكم بعضاً وقوله يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين يدعى
الاتباع بالمتبوعين وقال بعضهم يدعى كل اناس بداعيهم الذي دعاهم ان كان رسولاً فالرسول وان كان
شيطاناً فالشيطان وهو قريب فما ذكرنا وقال بعضهم بامامهم كتابهم الذي كتب الملائكة اعمالهم فيه
وقال بعضهم يدعى بكتابهم الذي انزل عليهم يدعى كل بما ذكر ليعلموا ان الحجة قد قامت عليهم ووجبت لهم
العذاب باتباعهم ما اتبعوا بلا حجة ولا برهان وحاصل اقاويل هؤلاء ترجع الى وجوه ثلاثة احدها يوم
ندعوا امام كل اناس كان اماماً لهم في خير او شر فيجزى له جزاؤه ثم يكلف هو دعاء اتباعه الى ما اعد لهم
من الثواب والعقاب والثاني يدعى كل امام ورئيس في خير او شر باتباعهم الذين يتبعونهم فيما يدعوهم اليه
نحو كل رسول يدعى بقومه الذين اتبعوه وكل رئيس وشيطان استتبعهم والثالث امامهم كتابهم

الذي كتب لاعمالهم الذي كتبوا كقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ونحوه وقوله عز وجل فمن اوتي
كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم كانهم قد يقرؤن كتابهم غير ان المؤمن اذا نظر في الكتاب فرح به واستبشر بما
فيه فسهل عليه القراءة وهان لما كان يتبع حجج الله واما الكافر ان نظر في الكتاب يحزن واغتم به فيصعب عليه قراءة كتابه
بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه الاية ويقول الكافر يا ليتني لم اوت كتابيه الاية
لانه اتبع ما اتبع بلا حجة او ان يكون المؤمن اذا نظر في كتابه راى سيئاته مغفورة كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم
احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فرح بذلك والكافر راى سيئاته باقية عليه وحسناته قد بطلت حزن
بذلك واهتم لذلك فال ما قال والله اعلم وقوله عز وجل ومن كان في هذه اعمى واضل سبيلا قال بعضهم من كان
هذه الدنيا اعمى عن توحيد الله والايمان به مع كثرة اياته ودلالته على وحدانيته فهو عن الايمان بالاخرة والبعث
بعد الموت اعمى وقال بعضهم من كان في هذه الدنيا اعمى عن الحق فهو في الاخرة اعمى عن حجته لانه اذا عمي عن الحق نفسه
فهو عن حجته اعمى فتكون في معنى عن اذا الايات والدلالات على وحدانية الله اكثر واظهر من الدلالة على البعث
والاخرة اذ ليس شيء الا وفيه اثر وحدانيته ودلالة الوهيته ولا كذلك الاخرة فهو عن الايمان بها اشد
عمى وقال بعضهم من عمي في هذه الدنيا عن الايمان بالله فهو في الاخرة اعمى عن الايمان به لان الدنيا مما يقبل فيها
الايمان وفي الاخرة لا يقبل وهو ما قال وحيل بينهم وبين ما يشتهون اي حيل بينهم وبين ما يشتهون من الايمان
به كما فعل باشياعهم من قبل اي كما حيل بين اشياعهم وبين الايمان به عند معاينة باس الله وعذابه وهو قول
الحسن وقال ابو بكر قريبا من هذا وهو ان من عمي عن الرشد والحق في هذه الدنيا ظاهر له فهو في الاخرة عند علمه
بالرشد والحق اشد عمى او كلام نحو هذا وقال بعضهم من عمي قلبه في الدنيا عن الايمان بالله والتوحيد له فهو في الاخرة
يكون اعمى الوجه والحواس كقوله لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وكقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم
عميا وبكما وصما الاية ما ذكر ذاهبة حواسهم لما تركوا الانتفاع بها في الدنيا لما جعلت لهم الحواس ويشبه ان يكون
قوله من كان في هذه اعمى ما الافتراء على الله في الاخرة اعمى ومفتر على الله ايضا كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين ونحوه يفترون في الاخرة ويكذبون كما كذبوا في الدنيا وكقوله او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
ثم اخبر عنهم فقالوا ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال قتادة ومن كان في هذه اعمى يقول ومن كان
في الدنيا فيما اراه الله من اياته من خلق السموات والارض والجبال والنجوم فهو في الاخرة الغائبة عنه التي لم يرها
اعمى واضل سبيلا وهو قريب مما ذكرنا وقال ابن عباس رضي الله عنه ومن كان في هذه النعم اعمى ان يعلم انها من الله فهو
في الاخرة اعمى عن حجته ويقال الحسن بن الله واضل طريقا ويقال ضل عن حجته وقال غيره من اهل التاويل من كان
في هذه النعم اعمى يعني الكافر عمي عنها وهو يعاينها فلا يعرف انها من الله فيشكر ربها فهو في الاخرة اعمى يقول عما غاب عنه
من امر الاخرة من البعث والجزاء اعمى واضل سبيلا واخطأ طريقا وبعضه قريب من بعض والله اعلم وقوله
عز وجل وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك دل على هذا انه قد كان من الكفرة شيء من الدعاء الى
شيء يصير به مفتونا لو اجابهم الى ذلك وكذلك كانت عادة الكفرة كادوا ان يضلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويفتنوه عن الذي اوحي اليه ويصرفوه عنه كقولهم ائت بقران غير هذا او بدله هكذا كانت
عادتهم كانوا يطلبون منه الافتراء على الله والضلال على وجه المكر به لا ضلال تصريح وكفر تصريح ولكن معنى يؤدي
ذلك الى الضلال والكفر يريدون منه المساعدة لهم في بعض ما هم فيه بما كانوا يرونه من الموافقة له والمساعدة
لكن الله عصم رسوله عن جميع ما كانوا يطلبون منه بالايات التي ذكر في كتابه وبالعقول كقوله فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية اخبر انهم لا يؤمنون حتى لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضى ومن لم يكن
معصوما يجوز ان لا يوجد منه حرج مما قضى به وكقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يكن معصوما يجوز ان يؤذي ولا يلحقه اللعنة وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية فمن لم يكن
معصوما يجوز ان يكون الخيرة من امره وقوله اطيعوا الله ورسوله وامثاله فما يكثر عدها وكذلك العقول
تشهد انه كان معصوما فمن اراد ان يصرف ويزيل عنه العصمة بتاويل يتاوله في بعض الايات او بحديث يرويه
فانا لا نقبل تاويله ولا خبره الذي روى ونشهد انه كذب ويجوز ان يكون في خبره الذي روى معنى اخر سوى
فليس له ان يروي الا بالمعنى الذي كان فيه قال بعض اهل التاويل انه القى عليه الشيطان ولقنه عند تلاوته
افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى وقال بعضهم لا ندعك
تستلم الحجر الا ان تستلم الهتنا ونحوه ان ذلك كله فاسد خيال انه كان لا يحوم حوم اصنامهم في حال صغره ولا
دنا منها حتى لم يطمعوا ذلك منه ما دام صغيرا فكيف طمعوا ذلك الاسلام لها بعد ما اوحي اليه وصار رسولا
وكذلك ما ذكروا انهم طلبوا منه ان يطرد بعض الذين تبعوه عنه ليكونوا هم اتباعه فهم ان يفعل ذلك
فنزل وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لكن ذلك كله فاسد خيال لا يحتمل ما توهموا فيه لانهم
لم يعرفوه حق معرفته والا لو عرفوه حقيقة المعرفة ما توهموا فيه شيئا من ذلك وبالله التوفيق و
المعونة ثم قوله ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره قد ذكرنا ان عادتهم ذلك الا ان الله
عصمه عن ذلك ثم قوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ظاهره لا يرد جميع ما قال

اهل

اهل التاويل في هذه الاية لانه يقول ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اخبر انه قد ثبته فلم يركن لانه
اخبر انه قد ثبته فلم يكد ان يركن اليهم وقال شيئا قليلا سمى ذلك شيئا يسيرا ولو كان ما قال اولئك لكان
شيئا كبيرا عظيما بل يبلغ الكفر دل انه لم يكن ما ذكروا وقال لقد كدت تركن وكاد هو حرف قلب اي قارب
ان يركن كقوله تكاد السموات اي قارب ان ينفطرن وليس فيه انه ركن اليهم فقولهم فاسد للوجوه
التي ذكرنا شيئا قليلا وما قالوا كبير عظيم يخاف ان يبلغ الكفر والثاني قال كدت وهو حرف تقارب والثالث
ذكر على الشرط ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا فلم يركن لما ثبته وهو ما قال ابرهيم
بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون وما ذكرنا في قصة يوسف ولقد همت به وهم بها
لولا ان راى برهان ربه ليس فيه انه هم ولا فيه انه ركن لانه خرج على الشرط وقال الحسن في قوله لقد كدت
تركن اليهم اي همت لكنه هم به هم خطرة وخطرة ابليس وكذلك قال في قصة يوسف همت به هم عزم وهم بها خطرة
وقال غيره ارادوا منه ان يجعل لهم مجلسا على حدة ليسلموا فهم به ان يفعل ذلك حرصا على اسلامهم و
شفقا عليهم فمثل هذا يجوز الفعل الا ان الرسل لا يجوز لهم ان يفعلوا شيئا وان صغر الا باذن من الله
الا ترى ان يونس لما خرج من عند قومه مغاضبا عليهم بغير اذن منه عاتبه ربه بذلك معاتبة
عظيمة حيث قال فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ومثل هذا لو فعله غيره من كان
لا يحمد وكان محمودا في ذلك فهذا يدل ان الانبياء لم يكن لهم صنع شيء وان قل الا باذن من الله والله اعلم
وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات
وقال ابو عوسجة ضعف الحيوة اي مثل الحيوة وغيره قال ضعف الحيوة عذاب الدنيا وضعف الممات عذاب
الاخرة وقوله عز وجل ثم لا تجد لك علينا نصيرا قيل مانعا وقيل ناصرا ينصرك وشافعا يشفع لك الينا والله
اعلم وقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قال الحسن قوله ليستفزونك اي كادوا ليقتلونك
وليخرجوك منها بالقتل وقد كانوا هموا قتله لكن الله عصمه عن ذلك بقوله والله يعصمك من الناس وقوله
عز وجل واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا هكذا كان سنة الله في الامم الخالية انهم اذا قتلوا انبياءهم لم يلبثوا
بعده الا قليلا حتى اهلكوا وقال بعضهم هو على الاخراج نفسه الا ان الله عز وجل اخرجه اخراج هجرة الى المدينة
لما سبق من رحمته وفضله ان لا يهلك هذه الامة اهلاك استيصال فلو كانوا هم اخرجوه لاستوجبوا
الاهلاك لما كان من سنته في الاولين اهلاكهم اذا اخرجوا رسولهم من بينهم وقال بعضهم على حقيقة الاخراج
منهم اخرجوا رسول الله من بينهم وفعلوا ذلك فلم يلبثوا بعده الا قليلا حتى اهلكهم الله بالقتل يوم بدر
وغيره وهو ما قال وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم فيه
دلالة انهم اخرجوه وانهم اهلكوا بذلك وكذلك كانت سنة الله في الرسل اذا فعل بهم قومهم مثل ذلك
وقال اهل التاويل في قوله وان كادوا ليستفزونك اي ليستزلونك من ارض المدينة قالت له اليهود ان هذه الارض
ليست بارض الانبياء والرسل انما ارض الانبياء والرسل ارض الشام فان كنت نبيا رسولا فاخرج اليها فخرج الرسول
عليه الصلوة والسلام متوجها الى الشام فعسكر على راس اميال ليثاب اليه اصحابه فنزل به جبريل بهذه الاية
لكن ذكرنا ان هذا وامثاله لا يحتمل لانه لا يجوز ان يخرج رسول الله من ارض المدينة الى ارض الشام
بقول اولئك اليهود من غير ان كان من الله اذن له في ذلك هذا لا يحتمل ولا يتوهم منه ذلك والوجه فيه
ما ذكرنا والله اعلم ويشبه ان يكون قوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك اي كادوا ان يفتنونك
بالمكر والكيد والخديعة لك ليستفزونك من الارض لانهم كانوا يطمعون ان يفتنوه ويضلوه عن الذي
اوحي اليه على التصريح والافصاح ولكن على جهة المكر به والخديعة والله اعلم وقوله عز وجل سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا على قول الحسن السنة في الامم الذين قبله انهم اذا قتلوا الرسول اهلكوا وعذبوا وعلى قول
بعضهم السنة فيهم انهم اذا اخرجوا الرسول من بينهم على علم منه انهم لا يؤمنون بعده الاهلاك وعلى قول
بعضهم على الاخراج نفسه وهؤلاء وقد اخرجوا رسولهم من بينهم بقوله الا تنصروه فقد نصره الله اذ
اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين الاية وقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم
لكنهم عذبوا تعذيب رحمة واهلاك رحمة لا اهلاك استيصال وقوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تبديلا
تحويلا وقوله عز وجل اقم الصلوة يحتمل الامر باقامة الصلوة الامر بالدوام عليها واللزوم بها اي الزم
بها وادمها او اسم التمام والكمال اي تممها واكملها بالشرائط التي امرت بها ويحتمل قوله اقم فعلها ولم يفهم
من قوله اقم الصلوة الانتصاب على ما ينصب الشيء ويقام به فدل انه لا يفهم من الخطاب ظاهره وقوله
عز وجل لدلوك الشمس اختلف فيه قال بعضهم دلوك الشمس زوالها الى غسق الليل اي الى ظلمة الليل وقران الفجر
اي صلوة الفجر فيقول الناس في هذه الاية بيانا اوقات الصلوات الخمس جميعا لانه ذكر اول ما يجب من الصلوة وهي
الظهر الى ما ينتهي وهي الفجر فعلى هذا التاويل الى لا تكون غاية ولكن تكون كانه قال اقم الصلوة لدلوك الشمس و
غسق الليل والله اعلم وقوله عز وجل لدلوك اختلف فيه قال بعضهم دلوك الشمس زوالها الى غسق الليل اي
الى ظلمة الليل ومنهم من يقول فيه ذكر صلوات النهار لانه ذكر دلوك الشمس وهو زوالها الى غسق الليل وغسق

الليل هو بدو ظلمة الليل فيدخل فيه الظهر والعصر فعلى تاويل هذا يكون حرفا الى غاية لا يدخل صلوة الليل فيه ثم تخصيص الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والامر له باقامة الصلوة يكون كانه قال اقم لهم الصلوة فان كان هذا ففيه دلالة صحة صلوة القوم بصلوة الامام وتعلق صلاتهم بصلوة الامام حيث قال اقم لهم الصلوة ولو كان كل احد يقيم صلوة نفسه لكان لا يقول اقم لهم الصلوة ولكن يقول صل الصلوة فدل انه على ما ذكرنا ثم قوله لدلوك الشمس يحتمل وجهين احدهما اقم الصلوة للذي يدلك له الشمس كقوله يتفيؤ ظلاله الاية والثاني اقم الصلوة لا وقت الذي يجوز دلوك الشمس للصلوة ثم تخصيص الفجر لما ذكر حيث قال ان قران الفجر كان مشهودا التخصيص لقران الفجر لانه مشهود والفرضية بها بقوله اقم قراءة الصلوة على ما ذكرنا ثم قوله ان قران الفجر كان مشهودا اي لم يزل في علم الله كان مشهودا او صار مشهودا ثم قال وقران الفجر وصلوة الفجر وانما ذكر صلوة النهار وقد دخل صلوات الليل بقوله ومن الليل فتهجد به لكنهم يقولون ان التهجد بعد النوم وقد يكره النوم قبل فعل المغرب والعشاء فلا يصح هذا ومنهم من يقول دلوك الشمس غروبها وهو قول عبد الله بن مسعود وغيره وقال بعضهم فيه ذكر صلوات الليل لانه ذكر بدو ظلمة الليل وذلك بالغروب وقران الفجر هو اخر ما ينتهي ظلمة الليل لانه يبقى ظلمة الليل الى وقت الفراغ من الفجر وقوله عز وجل وقران الفجر يحتمل هذا وجهين احدهما القران يكون كناية عن صلوة الفجر كانه قال اقم الصلوة لدلوك الشمس واقم ايضا صلوة الفجر لانه نسق على الاول ويحتمل قوله وقران الفجر اي قراءة الفجر اي اقم قراءة الفجر ويجوز ان يقال القران مكان القراءة كقوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اي قراءته ثم من الناس من احتج بفرضية القراءة في الصلوة بهذا الاية لانه نسق على الاول على ما ذكرنا كانه قال اقم القراءة ومنهم من يقول انما حث على قراءة الفجر دون غيرها من الصلوات لما طول القراءة فيها لتقصيرها عن الاربع لانه لم يجعل غيرها من الصلوات ركعتين فحث على قراءتها لهذا والله اعلم وقوله عز وجل ان قران الفجر كان مشهودا قال عامة اهل التاويل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار اي حرس الليل وحرس النهار وعلى ذلك رويت الاثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وقوله ان قران الفجر كان مشهودا اي قراءة الفجر تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار وعلى هذا حمله اهل التاويل وعلى ذلك رويت الاخبار لا يجاز ان يقال فيه اخر وهو ان تشهده القلوب والسمع والعقول لان ذلك الوقت هو وقت الفراغ عن جميع الاشغال والموانع التي تشغل عن الاستماع والفهم عنه ما لا يكون ذلك الفراغ لغيرها من الصلوات من صلوة المغرب والعشاء لانهما يؤديهما لاشتغال وللحوايج الا ترى ان الجهر بالقراءة انما جعل في الاوقات التي هي اوقات الفراغ عن الاشتغال وهي المغرب والعشاء ثم وقت الفجر هو اخلى وقت عن غيره لانه بعد فراغ النوم وقبل هجوم وقت التقلب فالقراءة فيها والقلوب اشهد لها لكن اهل التاويل صرفوا ذلك الى ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال بعضهم النافلة الغنيمة كقوله يسألونك عن الانفال اي الغنايم وقوله نافلة لك اي غنيمة لك تغنم بها غنايم او كلام نحو هذا وقال الحسن قوله نافلة لك اي خالصة لك وخلوصه له وهو ان لا يفعل هو عن شيء منها في حال من الاحوال وغيره من الناس يفعلون فيها عن اشياء وقال بعضهم ذكر انه نافلة له لانه كان مغفورا له فما يعمل يكون له نافلة واما غيره فان ما يعمل من الخيرات يكون كفارة لذنوبهم فلا يكون لهم نافلة والله وقوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يبعثك ربك مقاما محمودا تحمد عاقبة بالتهجد اي يبعثك ربك مقاما تحمد انت تلك العاقبة جزاء تهجدك في الدنيا وقال بعضهم مقاما محمودا ما يحمده كل الخلايق الاولون والاخرون وقال بعضهم مقاما محمودا هو مقام الشفاعة والله اعلم اي تشفع امتك واهل العصيان منهم وجائز ان يكون هو صلة قوله ما تقدم من قوله فتقعد مذموما مخذولا وقوله فتقعد ملوما محسورا وقوله فتلقى في جهنم ملوما مدحورا وما ذكر من المواعيد لما سمع هذا وقرع سمعه ذلك اخافه ذلك وافزعه فنزل قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ان عبدت الله واطعته في جميع اموره ونواهيه واتممت له الصلوة والصيام وقوله عز وجل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق ظاهر هذا الخطاب يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث امره ان يدعو بما ذكر وقد عرف هو ما امره من الدعاء بقوله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق فلا حاجة تقع لنا الى ان نطلب المراد من ذلك الا ان يكون لغير فدل انه اشترك فعند ذلك يتكلف فيه ويطلب المراد منه وقد تكلم اهل التاويل في ذلك قال بعضهم قوله رب ادخلني مدخل صدق كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة منها الى المدينة وامر ان يدعو بهذا الدعاء رب ادخلني المدينة مدخل صدق امنا على رغم اليهود واخرجني من المدينة الى مكة مخرج صدق امنا على رغم كفار مكة ظاهرا عليهم لانه قال واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا عليهم ففعل الله ذلك له واجابه وقد ذكرنا في غير موضع ان حرف السلطان يتوجه الى وجوه ثلاثة يكون مرة عبارة عن حجة قاهرة غالبة ويكون عبارة عن ولاية نافذة غالبة ويكون عبارة عن اليد القاهرة الغالبة ايضا وقد كان بحمد الله ومنه لرسول الله على الكفرة ذلك كله وقال بعضهم رب ادخلني مدخل صدق في مكة ليعلم اهل مكة اني قد بلغت الرسالة واخرجني منها مخرج صدق ليعلم يهود المدينة اني نصرت وبلغت ما امرت به وقال الحسن اخرجني مكة مخرج صدق وادخلني في الجنة مدخل صدق وقال بعضهم رب ادخلني مدخل صدق فيما حملتني من الرسالة والنبوة وما امرتني به لاؤديها على ما امرتني وابلغ الرسالة الى الخلق على ما كلفتني واخرجني مخرج صدق اي اخرجني مما كلفتني سالما لا تبعة علي او كلام نحوه واصله كانه امره ان يسأل ربه الصدق في جميع افعاله واقواله وفي جميع ما يتعبده به من الدخول في امر والخروج منه اذ لا يخلو العبد من هذين من الدخول في امر والخروج

منه سأله الصدق في كل حال وكل دخول وكل خروج وقال مجاهد رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق في الرسالة والنبوة وهو ما ذكرنا وقوله عز وجل واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اي اجعل في قلوب الناس هيبة لنا يوقرني وقد كان من الهيبة بحيث هابوه من مسيرة شهرين وقال بعضهم هو السلطان الذي ينصرون به الدين ويقيمون الحدود والاحكام ونحوه وقيل السلطان هو اقامة الحدود والاحكام والشرائع وهو تفسير الولاية لانه بالولاية ما يقيمها وهو ما ذكرنا من الولاية اقامة الاحكام ثم قيل في الصدق والاخلاص قال بعضهم الاخلاص قال بعضهم الاخلاص هو ان لا يجعل الشيء بقلبه نصيبا لاحد سواه والصدق والصدق وان جعل لا يجد لذلك لذة الصدق عندنا ان يجعل الفضل في جميع افعاله لله لا يجعل لنفسه شيئا من الفضل وعلى ذلك يلزمه الشكر لربه في جميع خيراته وعن الحسن قال لما مكر كفار مكة برسول الله صلى الله عليه وسلم ليثبتوه او يقتلوه او يخرجوه فاراد الله بقاء اهل مكة فامر نبيه ان يخرج منها مهاجرا الى المدينة وعلمه ما يقول فانزل الله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ووعده الله لينزعن ملك فارس والروم ويجعله لامته وقوله عز وجل وقل جاء الحق وزهق الباطل قال بعضهم جاء الحق وهو الاسلام وقيل جاء الحق القران وقيل جاء الحق اي محمد ويقول جاء انار الحق فذهب الباطل واثاره او جاء حجج الحق وبراهينه وذهب شبه الباطل وتمويهاته والحق يحتمل ما ذكرنا من الاسلام ورسول الله وقوله عز وجل وزهق الباطل اي ذهب وبطل غيره من الاديان وغيره من المذاهب وعبادة الاصنام ونحو ذلك قالوا واصله ان الناس كانوا في حيرة وتيه قبل بعث الرسول لما كانوا فقدوا دين الله وسبيله منذ كان رفع عيسى من الارض الى السماء لا يجدون سبيل الله ولا يهتدون الى شيء حيارى حيران حتى بعث الله محمدا ليدعوهم الى دين الله ويبين لهم سبيله الذي كان يتمسك به الانبياء من قبله ويخرجهم من تلك الحيرة التي كانوا فيها ففعل صلى الله عليه وسلم فذلك الذي قال الله تعالى جاء الحق وزهق الباطل اي جاء الحق الذي فقدوه فسروا بذلك وزهق الباطل اي ذهب واضمحل ان الباطل كان زهوقا اي ذاهبا مضمحلا لا يجدي خيرا ولا يعقب لاهله نفعا والحق هو الذي يعقب ويجدي نفعا لاهله ثم قوله جاء الحق وزهق الباطل لم يفهم اهل الخطاب بمجي الحق الانتقال من مكان الى مكان ولا بذهاب الباطل على ما يفهم من مجي فلان وذهاب فلان بل فهموا من مجي الحق ظهوره وعلوه وفهموا من زهوق الباطل وذهابه فناءه واضمحلاله وتلاشيه وعلى ذلك لم يفهموا من مجي الاعراض ما فهموا من مجي الاجسام والاجشاء فعلى ذلك لا يجب ان يفهموا من قوله وجاء ربك الانتقال من مكان الى مكان وكذلك لا يفهم من قوله ثم استوى على العرش استواء الخلق ولا من نزوله نزول الخلق على ما لم يفهم مما اضيف الى الاعراض من الافعال ما فهموا من الاجسام بل فهموا من الاخر فعلى ذلك لا يفهم مما اضيف الى الخلق بل يتعالى عن ان يشبه الخلق او يشبهه الخلق في معنى من المعاني او في وجه من الوجوه بل هو كما وصف نفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله سبحانه وتعالى عما يصفون وتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل وننزل من القران ما هو شفاء كان الاية نزلت في ابتداء الامر حيث قال وننزل ولم يقل ونزلنا من القران ما هو شفاء وجائز ان يكون قوله وننزل من القران ما هو شفاء نفس القران وهو ما ذكرنا ويحتمل المواعيد التي في القران من وقايع تكون عليهم وكان في ذلك شفاء للمؤمنين كقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية او تقول بانه يجوز نفعل بمعنى فعلنا وذلك كثير في القران ثم قوله ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين اي شفاء للمستشفين في الدنيا ورحمة لمن تمسك به في الاخرة فيه شفاء لمن استشفاه في الدنيا ورحمة في الاخرة لمن تمسك به وعمى وخسار وظلمة لمن اعرض عنه ونظر اليه بعين الاستخفاف والاستثقال واما من نظر اليه بعين التعظيم والاجلال فهو له شفاء ورحمة وان كان القران نفسه شفاء ونورا وهكذا في الاشياء هذا لمن يبصر شيئا انما يبصر بنور البصر وبنور الهواء بارتفاع ما يستر النور من جميعا لانه اذا كان عمي البصر لم يبصر شيئا وان كان نور الهواء متجليا وكذلك لا يبصر اذا كان نور البصر متجليا بعد ان سترت الظلمة نور الهواء فان كان ما ذكرنا انه لا يبصر في الشاهد شيئا الا بنورين نور البصر ونور الهواء فالكافر لم يبصر بنور القران وشفاءه لما سترت الظلمة نور قلبه والمؤمن ابصر بنوره وشفاءه بنور ما به وهكذا الادوية فانها لا تجدي نفعا وان كانت نافعة شافية في انفسها الا بقبول الطبيعة لان الطبع اذا لم يقبلها وان كانت شافية نافعة لم تنفع صاحبها ولم يكن له شفاء وصارت كانها في الاصل كانت ضارة غير شافية فعلى ذلك القران وان كان في نفسه شفاء ونورا صار للكافر عمى وخسارا كان لا شفاء فيه ولا رحمة لما سترت ظلمة الكفر نوره فصار كما تزايد له رجسا وطغيانا ونفورا وهو ما قال ولا يزيد الظالمين الا خسارا والله اعلم وقوله عز وجل واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه يشبه ان يكون النعمة التي ذكر هو محمد لما ذكرنا انهم كانوا في حيرة وعمى لا يجدون السبيل الى دين الله وقد اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فذلك الاعراض الذي ذكروا والله اعلم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ليدعوهم الى دين الله ويبين سبيله فذلك منه نعمة عظيمة اعرضوا عنه وتباعدوا منه ويشبه ان يكون ما قال اهل التاويل انه اذا وسع عليه الرزق والعيش اعرض عن الدعاء له وتباعد بجانبه وقوله عز وجل واذا مسه الشر كان يؤسا اي ايسا من الخير ان لا يعود اليه اصلا وهكذا كانت عادتهم كانوا يخلصون الدعاء له اذا

مسه بضر دعانا او اصابتهم شدة ويكفرون به اذا تجلى ذلك لهم وانكشف كقوله فاذا ركبوا في الفلك الاية واذا انعمنا على الانسان
الاية وامثاله وكان الناس كلهم في كل ارتفعة منهم من كان مذهبهم ما ذكرنا انهم كانوا يخلصون له الدعاء في حال الشدة
ويكفرون في حال الرخاء ومنهم من كان يؤمن به في حال الرخاء والنعمة ويكفر به في حال الشدة كقوله ومن
الناس من يعبد الله على حرف الاية وهم اهل النفاق ومنهم من يكفر به في الاحوال كلها كقوله
والفرقة الرابعة هم اهل الاسلام يؤمنون به في حال الرخاء وحال الشدة في الاحوال كلها على هذا كانوا في الاصل
وعلى هذا يجيء ان يكون قوله واذا مسه الشر كان يؤسا من الاصنام كقوله ضل من تدعون الا اياه فيكون اياسهم
من الاصنام التي عبدوها لكن اهل التاويل صرفوا الى ما ذكرنا من الاياس عن الخير من ان يعود اليهم وقوله عز وجل
قل كل يعمل على شاكلته لسنا نعلم انه اي سبب كان هنالك حتى قال قل كل يعمل على شاكلته اذ لا يجوز ان يقال هذا بلا سبب
كان منهم ابتداء لكن يشبه ان يكون قال هذا على الاياس منه بما انهم لما لم يزدهم دعاؤه اياهم وكثرة تلاوته
اياه عليهم واقامة حجة عليهم الا عنادا وانكارا فقال عند ذلك قل كل يعمل على شاكلته اي على دينه وطريقته
كقوله لكم دينكم ولي دين وكقوله وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون فهو كله
على الاياس عن ان يؤمنوا به ويقبلوا دينه ثم قال فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي ربكم اعلم بمن منا على الهدى ومن
ليس او من منا اهدى سبيلا نحن وانتم وقال ابو عوسجة الشاكلة الحاضرة اي على ناحيته وقال القتبي شاكلته اي على
خليقته وقال قطرب على طريقته وكان هذا اشبه وقال بعضهم على نيته وقيل على دينه ومذهبه وقيل على جديلته
ومنهاجه وكله يرجع الى واحد ويشبه ان يكون اي كل عمل بما هو الشبه به وما هو يشبهه لان الشكل هو ما يشبه
الشيء يقال هذا اشكل هذا وقوله قل كل يعمل على شاكلته على قول من يقول على خليقته خلق عليها لانه خلق على ما علم منه
انه يختار ويؤثر والله اعلم وقوله ان الباطل كان زهوقا قيل ذاهبا باطلا لا يجد لاهله نفعا لانه يتلاشى ولا يبقى
والحق يجد لاهله نفعا ويبقى وعلى ذلك ضرب الله مثل الحق بالشيء الذي يبقى وضرب مثل الباطل بالذي لا يبقى
ولا يثبت فقال كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقد
ذكرنا في موضعه ضرب مثل الباطل بالزبد وهو يتلاشى لا ينتفع به فعلى ذلك الباطل وضرب مثل الحق بالماء وهو يبقى
في الارض وينفع الناس وضرب مثل الباطل ايضا بالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ولا يكون لها قرار
بقوله ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الاية وضرب مثل الحق بالشجرة الطيبة الثابتة في الارض ذات قرار وثبات
بقوله الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء فهو على ما وصفهما الحق ثابت باق وله
قرار ينفع اهله والباطل يرى ثم يتلاشى ولا بقاء وقوله عز وجل ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي اختلف
فيه قال ابو بكر الاصم الروح القران ههنا كقوله ينزل الملائكة بالروح من امره وكذلك قوله اوحينا اليك روحا من امرنا
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان الاية قل الروح من امر ربي اي من تدبير ربي ما لو اجتمع الخلائق ما قدروا على مثله
فان قيل كيف سالوا عن القران وهم لم يقروا بالقران فقال سموه قرانا وروحا على ما عند رسول الله كقوله وقالوا
ما لهذا الرسول ياكل الطعام وهم لم يكونوا اقروا انه رسول ولكن سموه رسولا لما عند نفسه وزعمه رسولا اي
ما هذا الذي يزعم انه رسول ياكل الطعام فعلى ذلك قوله ويسالونك عن الروح وهو الذي به حيوة الابدان من جهل
الضلال اي من تمسك به نجا من هلاك الضلال وقوله عز وجل قل الروح من امر ربي اي بامر ربي ينزل وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال الروح من امر ربي اي من خلق ربي وهو واحد وقال بعضهم الروح هو الملك وانما سالوه عنه كقوله تنزل
الملائكة والروح فيها يعني الملك وقال بعضهم انما سالوه عن الروح المعروف الذي به حيوة الابدان لكنه لم يجبهم
ووكل امره الى الله لما لم يدركوا ذلك لو بين لهم وامثاله وروي عن ابي يوسف رحمه الله انه كان ينهى عن الخوض في الكلام
ويحتج بظاهر هذه الاية حيث سالوه عن الروح فلم يجبهم ولكن فوض امره الى الله وما سئل من الاحكام الا وقد بين
لهم كقوله يسالونك عن الخمر والميسر الاية ويسالونك عن الانفال الاية ويسالونك عن اليتامى ويسالونك عن المحيض
ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن مثل هذا ما سئل عن شيء من الاحكام الا وقد اجابهم وبين لهم بيانا شافيا
وقال ههنا قل الروح من امر ربي وقال جعفر بن حرب ان الله قد امر بالتكلم في الكلام بقوله وجادلهم الاية وقال ولا
تجادلوا اهل الكتاب الاية ونحوه فكيف نهى عن الخوض في الكلام لكن ابا يوسف انما نهى عن الخوض في الكلام الذي لا يدرك ولا يزيد
الخوض فيه الا حيرة وضلالة نحو ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال تفكروا في المخلوق ولا تتفكروا في الخالق
لانه لا يدرك فالتفكر فيما لا يدرك لا يزيد الا عمى وحيرة وتيها واما الخوض في الذي يدرك ويعقل فانه لم ينه عن مثله
واصله ما ذكرنا من اباحة التكلم في الدين والخوض في الكلام في كثير من الايات من ذلك قوله وجادلهم بالتي هي احسن
الاية ونحوه قال الشيخ رحمه الله اولا تفسير الروح ما هو لما لا نعلم انهم ما ارادوا بالروح وهم قد علموا ما ارادوا
او علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالوا وانما سالوا ذلك عما في كتبهم ليعلموا صدقه فيما يدعي من الرسالة لما
علموا ان غير الرسول لا يعلم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال بعضهم اي ما اوتيتم من العلم
الذي به مصالحكم وما حاجتكم الا قليلا وقال بعضهم اي ما اوتيتم من العلم الذي انشاه والعلم الذي عنده الا قليلا وهو
هكذا انا لم نؤت من العلم الا علم ظواهر الاشياء وبادئها لم نؤت علم بواطن الاشياء وحقائقها وذلك انا نعلم ان البصر
يبصر والسمع يسمع واللسان ينطق واليد تقبض وتاخذ والرجل تمشي والعقل يدرك لكن لا نعلم المعنى الذي جعل فيه

بيان الاصل

يسالونك عن الروح

سؤال جعفر بن حرب

به يسمع

به يسمع وبه يبصر وبه ياخذ وبه يمشي وبه يدرك وكذلك نعرف هذه الجواهر التي نشاهدها ونعاينها بان هذا
حمار وهذا ثور وهذا كذا وكذا ولكن لا نعرف المعنى الذي صار هذا حمارا وهذا ثورا وكذلك كل جواهر واجناس
فلا نعرف من العلوم التي انشاها الله الا القليل منها ظواهرها واما الحقائق فلا وقوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك من يقول بان الروح الذي سالوه عنه هو الوحي والقران الذي الذي انزل عليه يحتج بهذه الاية
وبقوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران الاية لو لم يكن الا لما خرج ذكرها على اثر سؤالهم الروح فدل
انه ما ذكرنا وقد ضل بهذه الاية فريقان الحشوية والمعتزلة اما الحشوية فانهم يقولون ان القران والكلام هو صفة
الله الذي هو لم يزل به موصوف وانه لا يزايله ثم يقولون القران في المصاحف بعينه وهو في الارض وفي القلوب فقولهم
متناقض لانه اذا كان صفته لا هو ولا غيره لا يجوز ان يكون في المصاحف بعينه او في الارض او في القلوب قال
الشيخ ابو منصور رحمه الله اما الذي في المصاحف هو ما يفهم به ذلك او ما يقع به ذلك على القران ويقال
هذا حكاية عن ذلك واما المعتزلة فانهم ينكرون خلق افعال العباد ثم يقولون ان القران مخلوق فعلى زعمهم يكون
القران والكلام ما يكتب ويثبت ويمحى وذلك فعل العباد ثم يقولون افعالهم غير مخلوقة فذلك تناقض في القول
بين وعلى قولنا ما ذكر من الذهاب والمجيء كله على المجاز اي المراد فيه لا على الحقيقة كما يقال سمعت كلام فلان وقول
فلان وكتبت حديث فلان ونحوه فذلك كله على المجاز لا على التحقيق لانه لا يسمع قول فلان حقيقة ولا كلامه و
لا حديثه ولكن يسمع صوتا يفهم به قوله وكلامه وحديثه فعلى ذلك الاول يذهب بالذي يسمع ويكتب فاما
حقيقة ذلك فلا يوصف بشيء من ذلك وبعد فانه قد اضيف المجيء الى الذي لا يعرف منه ذلك يحتمل قوله
ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ان يكون صلة قوله ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك حتى لا يظفر به والا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم انه لو شاء
لذهب بالذي اوحى اليه وقادر عليه وله رفعه وكذلك يعرف هذا كل مؤمن وان كانت الاية على الابتداء
فهو يخرج على ذكر المنة والرحمة اي له ان يرفع هذا الذي اوحي اليه ليعلموا ان بقاء النبوة والوحي فضل منه ورحمة
وكذلك الوحي اليه في الابتداء وبعثه رسولا اليهم فضلا واختصاصا لا استحقاقا منه واستيجابا كقوله
والله يختص برحمته من يشاء وقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اخبر ان النبوة له وما ارسل اليه
اختصاصا منه وفضلا لا استحقاقا منه فعلى ذلك ابقاء النبوة والوحي رحمة وفضل منه وفيه دلالة
نقض قول المعتزلة من وجوه احدها ما قالوا ان لا يختار الله احدا للرسالة والنبوة الا من كان مستحقا لها ومستوجبا
لذلك وقد اخبر انه بفضله واختصاصه ارسله رسولا وبفضله ورحمته ابقاها وتركها بعدما اوحي اليه
وارسله رسوله والثاني فيه ان له ان يفعل ما ليس هو باصلح لهم في الدين حيث اوعدهم برفع ما اوحي اليه
وارسله واذهابه اياه ولا يوعد الا بما له ان يفعل ما اوعد اذ لا يوعد بما ليس له الفعل في الحكمة ثم لا شك
ان ابقاء النبوة وترك ما اوحي اليه اصلح لهم من رفعها وتركها اياهم خلوا عن ذلك دل انه قد يفعل ما ليس هو
باصلح لهم في الدين وفيه انه قد يكلف خلقه التوحيد والايمان وان لم يرسل رسولا ولا اوحى اليه وحيا
لانه معلوم انه لو لم يرسل الرسول ولا كانوا مكلفين في انفسهم لكان خلقه اياهم عبثا لم يتركهم سدى فدل انهم
مكلفون بتوحيده ومعرفته وان لم يرسل ولا اوحى حيث اخبر ان بعث الرسالة وابقاها فضل منه ورحمة
بقوله الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا وقوله الا رحمة من ربك اي ابقاء النبوة والوحي رحمة
من ربك وفضله ايضا في ابقاء ذلك كبيرا وفيه ان الحفظ والنسيان وان كانا من العبد فلله فيهما صنع به يحفظ
حيث قال ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اخبر انه لو شاء لذهب بالمحفوظ في القلب بنسيه دل ان له
قدرة في فعل العبد وفي قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وجه اخر من الحكمة وهو ان يعلم المؤمنون
ان الفضل كله من الله لئلا يروا لانفسهم في ذلك فضلا ومعنى والله يضيفون جميع ما يجري على ايديهم من افعال
الخير والطاعة والله اعلم وقوله عز وجل قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله يشبه ان يكون هذا صلة قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لو اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثله ما قدروا عليه وقوله بمثله اي به كقوله ليس كمثله شيء اي ليس كهو شيء اذ لا مثل له فدل
انه قوله لا ياتون بمثله اي لا يقدرون ان ياتوا به بعدما عرفوه وعاينوه فلان لا يقدروا على اتيانه ابتداء
قبل ان نظروا فيه وعرفوا مثاله اشد اذ بعد انتظام الشيء وتصوره بعدما عاينوا الاشياء والمصور
اهون وايسر من تصويرها ونظمها قبل ان يعاينوها ويشاهدوها وجائز ان يستدل بهذه الاية على انه
كان مبعوثا الى الانس والجن جميعا حيث قال قل لئن اجتمعت الانس والجن لانه لو لم يكن مبعوثا الى الفريقين
جميعا لم يكن لذكرها معنى وفائدة وفيه دلالة ان في الجن من لسانه لسان العرب اذ لو لم يكن يذكرا ولذلك
ثم جائز ان يكون قوله لئن اجتمعت الانس والجن اي الجن مع الانس والانس مع الجن او هؤلاء على ان ياتوا بمثل
هذا القران لا ياتون بمثله وقال بعض اهل التاويل انما ذكر هذا القولهم انه سحر وانما يعلمه بشر وقولهم
ما هذا الا افك مفترى وقولهم ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ومثله يقول ان لا ذلك والسحر وما
ذكرتم لا يكون الا من هذين من الجن والانس فاخبر انهم لو اجتمعوا على ان ياتوا بمثله ما قدروا عليه والله

يحتمل قوله تعالى ولئن شئنا

والدلالة على انهم عجزوا عن ذلك ولم يطمع احد منهم ذلك الا سفيه الطبر اليه سفهه وكذبه في القران حيث قال لو نشاء
لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
لم يسال التوفيق ان كان هو حقا ولكن سال العذاب دل انه كان سفيها غاية السفه وان هذا الا اساطير الاولين نسئم
ارتاب فيه وشك بقوله ان كان هذا هو الحق من عندك والاخلم يطمع ولم يخطر بباله احد من الخلايق التكلف لذلك
دل انه اية معجزة من الله تعالى ثم اختلف قوله على ان ياتوا بمثل هذا القران قيل مثل نظمه ووصفه وقيل مثل حقه
وصدقه ويحتمل مثل حججه وبراهينه ويحتمل مثل علمه وحكمه ويحتمل مثل احكامه والتقاير يحتمل قوله على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله هذه الوجوه الخمسة التي ذكرنا ثم قوله بمثله يحتمل ما ذكرنا اي بالذي رفع
وذهب به على التاويل الذي جعلناه صلة قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ولئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القران بالذي ذهب به ورفع لا ياتون بمثله اي لا يقدرون على اتيانه وان كان على الابتداء فهو على
المثل اي لا يقدرون على ان ياتوا بمثله على ما لم يقدروا عليه بعد ما قرع سمعهم هذا فلو كان في وسعهم هذا
لفعلوا ليخرج قولهم صدقا وقول الرسول كذبا فاذ لم يفعلوا ذلك ولم يتكلفوا دل انهم عرفوا ان ذلك من الله وانه
اية معجزة خارجة عن وسعهم وقوله عز وجل ولقد صرفنا اي بينا ويحتمل ضربنا ويحتمل فرقنا للناس من كل مثل اي ذكرنا
للناس مثلا على اثر مثل ومثلا بعد مثل ما لو تفكروا فيه وتاملوا لعرفوا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم و
كذب نفسهم وسفههم ولعرفوا الحق من الباطل والمحق من المبطل ولكن لم يتفكروا فيه ولم يتاملوا وعاندوا وقوله عز وجل
من كل مثل لا يريد كل الامثال ولكن ما ذكرنا من كل مثل لو تأملوا فيه وتفكروا لكان لهم معتبر وفي قوله ولقد صرفناه
للناس في هذا القران من كل مثل يكون ما ذكر من تصريف الامثال وضربها للناس من وجوه ثلاثة احدها ضرب المثل لهذه
الامة من شهد رسول الله وغيره من سكنه بهم ومصدقيهم بالامم الماضية ما حل بالمكذبين منهم رسل الله من نقمته
وعذابه وقد اخبر ان تلك سنته في المكذبين منهم وذكر ان سنته تلك لا تحول ولا تبدل وهي غير محولة ولا مبدلة لا راحة
من الامم والثاني يحتمل تصريف الامثال هو ما بين لهم وذكر ما به صلاح معاشهم ومعادهم وصلاح دينهم ودنياهم هم لو
تأملوا فيها وتفكروا وادكروا ذلك والثالث يكون تصريف الامثال التي ذكر دعاهم الى دين الله وسبيله بالحكمة والموعظة
الحسنة كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الى هذه الوجوه الثلاثة يتصرف جميع ما ذكر من الامثال
في القران وقوله عز وجل فابى اكثر الناس الا كفورا يحتمل [illegible] بالامثال التي ضربها لهم في القران وصرفها
لهم او يقول [illegible] وقوله عز وجل و
قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا [illegible] الاسولة يشبه ان يكون
هذه الاسولة جميعا من فريق واحد ويجوز ان يكون من كل فريق سوال [illegible] كقوله وقالوا كونوا
هودا او نصارى تهتدوا [illegible]
تهتدوا فعلى ذلك يشبه ان يكون [illegible] على هذه الاسولة الحالة الفاسدة وجوه احدها
[illegible]
ان تركوا [illegible] من اسقاط السماء [illegible] ذلك
استهجا الا انهم على الاستهزاء كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها او ان يكون اهل الكتاب علموا مشركي
العرب الذين لا كتاب لهم هذه الاسولة الفاسدة الحالة التي عرفوا انهم لا يجابون فيها ليشانوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم علما انه لا يجيبهم ليرى سفلتهم والاتباع ان لو كان رسولا لاجابهم فيتمادون
في طغيانهم وضلالتهم ويبقون على ما هم عليه او ان يكون الرؤساء منهم والقادة سالوه عن ذلك على علم منهم
انه لا يجيبهم ليرى اتباعهم وسفلتهم انهم قد حاجوا رسول الله واعترضوا حججه وبراهينه لئلا ينظروا الى حججه و
براهينه ليبقى لهم الرياسة والمنافع التي كانت لهم ولا يذهب ذلك عنهم ثم بين ان اسولتهم التي سالوها
سؤال تعنت وعناد لا سؤال استرشاد وحاجة ما ذكر في قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله
والملائكة قبيلا وقوله عز وجل او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه دل هذا كله ان سؤالهم
اياه كله سؤال معاندة لا سؤال استرشاد واستهداء لانهم لو كانوا يسالون ما يسالون سؤال استرشاد واستهداء
لكانوا لا يسالونه اسقاط السماء عليهم اذ لا منفعة لهم في ذلك وان في سؤالهم الجنة منفعة بذكر سعة القوم
وتعنتهم وسوء معاملتهم رسول الله ثم الحكمة والفائدة في جعل سعتهم قرانا يتلى الى يوم القيامة ليعرف المتاخرون
معاملة السفهاء اذا ابتلوا بهم انه كيف يعاملونهم معاملة رسول الله وقوله عز وجل قل سبحان ربي امره ان ينزه ربه
من ان يكون لاحد الاحتكام عليه والحكم والذي سالوه احتكام منهم على الله وفي قوله قل سبحان ربي هل كنت
الا بشرا رسولا ينزهه ويبرئه عن ان يملك سواه ما سالوه من اتيان الجنة وغير ذلك مما ذكر في الاية والله اعلم وقوله عز
وجل هل كنت الا بشرا رسولا اي هل كنت الا بشرا كغيره من الرسل الذين كانوا من قبل من البشر فلم يسالوهم مثل الذي
تسالوني انتم من الاسولة او ان سالوا ذلك فلم يجابوا كقوله ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل او ان
يكون قوله هل كنت الا بشرا رسولا اي ليس للرسول ان يعترض على الرسل بشيء انما على الرسول تبليغ ما ارسل وامر
بتبليغه او يقول اني لا املك مما تسالوني سوى تسبيح ربي وتنزيهه وقوله قل سبحان ربي اي تعالى ربي وتعالى من ان يكون

لعباده

لعباده عليه احتكام واختيار وقال ابو عوسجة والقتبي الينبوع العين والينابيع جمع والكسفة القطعة والكسف جمع
وقال غيره الكسف بالجزم عذاب وكسفا مثل قطعا والله اعلم وقوله عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى اذ جاءهم الرسول بالهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقال في سورة اخرى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم
الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين لكن هذا على الاياس عن ايمانهم انهم لا يؤمنون الا عند معاينتهم
باس الله والايمان في ذلك الوقت لا يقبل ولا ينفعهم واما قوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا
ابعث الله بشرا رسولا فيخرج هذا القول منهم مخرج الاحتجاج لو شاء الله ان نؤمن لانزل ملائكة كقوله قالوا لو شاء
ربنا لانزل ملائكة ففيه موضع الشبهة لهم ان يقولوا هو بشر فليس هذا اولى بالرسالة الينا من ان نكون نحن رسله اليه
فذلك موضع الشبهة فاجابهم لذلك لما استنكروا واستبعدوا بعث الرسول اليهم من جوهرهم وجنسهم فقال
قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين اي مقيمين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ثم اختلف
فيه قال بعضهم لو كان في الارض ملائكة اي لو كان سكان الارض ملائكة فبعث اليهم رسولا منهم لكان لهم ان يقولوا
ابعث الله ملكا رسولا اي ابعث الله الينا من جوهرنا اي ليس لهم ان يقولوا ذلك فعلى ذلك اذا كان سكانها البشر
ليس لهم ان يقولوا ابعث الله الينا من جوهرنا رسولا والثاني لو كانت الارض مكان الملائكة وهم سكانها لكان
لهم ان يقولوا ابعث الله بشرا رسولا من غير جوهرنا فاما اذا كانت الارض مكان البشر وهم سكانها فليس لهم
لهم ان ينكروا بعث الرسول منهم ومن جوهرهم لانهم لا يعرفون الملائكة ولا من كان من غير جوهرهم ويعرفون
من كان من جوهرهم فبعث الرسول من جوهرهم اولى بهم من غير جوهرهم او يقول لو كان في الارض ملائكة وبشر
فعرفوا الملائكة لكان لهم ان يقالوا رسولا من الملائكة لما عرفوهم فاما اذا كان سكان الارض هم البشر فليس لهم
ان يقولوا ذلك لانهم لم يعرفوا قوى الملائكة ولا قوى الجن وقد عرفوا قوى البشر فيعرفون الايات والحجج من التمويهات
اذ عرفوا قواهم ولم يعرفوا قوى الملائكة والجن فلو يعرفون ما اتى سوا انها ايات وحجج او كان ذلك بقواهم ويعرفون
ذلك من البشر اذا خرجت من احتمال وسعهم وقواهم وبعدها انهم قد اقروا برسالة البشر لانهم لا يعرفون الملائكة
الا بخبر من البشر انه ملك اذ لم يكن معهم خلط ليعرفوهم وانما يعرفونهم بخبر من البشر انه ملك فليس لهم ان ينكروا رسالة
البشر واصله ما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لما ذكرنا انهم لا يعرفون الملائكة ومن كان من غير جوهرهم فلا بد
من ان يكون رجلا فكان في ذلك تلبيس عليهم على ما اخبر والله اعلم وقوله عز وجل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم قال
بعضهم كفى بما اقام الله من الايات والحجج على رسالتي واني رسول اليكم اذ كان ذلك من قول كان منا ولتلك الكفرة من انكار الرسالة
وقال بعضهم يحتمل ان يكون ذلك على الاياس من ايمانهم كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا الاية وقوله عز وجل انه كان
بعباده خبيرا بصيرا يذكر هذا والله اعلم بانه عن علم باجابتهم وردهم بعثه اليهم رسولا لا عن جهل باحوالهم وليس
فيما يعلم انهم يردون ولا يجيبون رسله خروج عن الحكمة لانه ليس في اجابتهم منفعة للرسل ولا في ردهم ضرر له
انما المنفعة في الاجابة لهم وفي الرد الضرر عليهم لذلك لم يكن في بعث الرسل على علم منه بالرد خروجا عن الحكمة لان
في الشاهد انما يبعث الرسول لمنفعة يتامل ويصل اليه او دفع ضرر عنه فاذا علم انه يرد رسالته ولا يجيب كان
في وقت بعث الرسول اليه بعد علمه بالرد خروجا من الحكمة او يخرج قوله انه كان بعباده خبيرا بصيرا على الوعيد
وكذلك امثاله وان احتج علينا بعض المعتزلة بقوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى يقولون له منعنا
القضاء والقدر اذ من قولكم ان ما يفعل الانسان من فعل معصية او طاعة فانما يفعل بقضائه وتقديره فيكون
لهم الاحتجاج عليه بان يقولوا منعنا قضاؤك وتقديرك لكن هذا فاسد لانهم لا يفعلون هم ما يفعلون عند وقت
فعلهم لان الله قضى ذلك وقدر ولو جاز لهم هذا الاحتجاج لانه كذلك قضى وقدر فاذا كانوا هم عند انفسهم
لا يفعلون ما يفعلون لانه كذلك قضى عليهم وقدر لم يكن لهم الاحتجاج عليه بذلك لان القضاء والقدر لم يضطرهم
عليه بل كان غيره ممكنا لهم لذلك لم يكن لهم الاحتجاج عليه بذلك لان القضاء بهذا عني بالقضاء والقدر لكان
لهم الاحتجاج عليه ايضا بالعلم ان لا شك انه علم ذلك منهم فاذا لم يكن الاحتجاج عليه بما علم منهم ذلك اذ لا يقدرون
ان يفعلوا غير الذي علم منهم فعلى ذلك لم يكن الاحتجاج عليه بالقضاء والقدر لما علم انه يختار ذلك
ويؤثره على ضده لجاز ذلك لهم بالعلم ونحوه دل ان ذلك ليس بشيء لما قضى ذلك عليهم وقدر واذا كانوا هم عند
انفسهم لا يفعلون وقت فعلهم لما كذلك قضى عليهم فلم يكن الاحتجاج لهم عليه بذلك ان القضاء والقدر لم
يمنعهم عن ذلك لما لا يضطرون على ذلك وانما قضى ذلك لما علم انهم يفعلون ويختارون ذلك لذلك كان ما ذكرنا
وكذلك كل من قضى في الشاهد على اخر انما يقضي لما سبق منه العلم به وقوله عز وجل ومن يهد الله فهو المهتد اي من وفق
الله لقبول ما كان من الهدى وعصمه عما وسوس اليه الشيطان فهو المهتدي عند الله وعند من عقل الهدى ومن يضلل
اي من خذله ولم يعصمه حتى يقبل من الشيطان ما جاء من وساوسه فهو ضال فلن تجد لهم اولياء من دونه يحتمل
لن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم لدينهم ويوفقونهم او لن تجد لهم اولياء ينصرونهم من دونه ويدفعون
عنهم ما نزل بهم من العذاب والله اعلم وقوله عز وجل ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما قال
الحسن يحاسبون حتى يعلموا سوء صنيعهم الذي صنعوا في الدنيا ثم يحشرون الى جهنم ما ذكر عميا وبكما وصما وكلام
نحو هذا ثم يحتمل قوله الذين يحشرون ما ذكر في اية اخرى يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله افمن يتقي بوجهه

سوء العذاب الاية انما يتقي بوجهه لما يكون ايديهم مغلولة الى اعناقهم وقوله عميا وبكما وصما هذا يحتمل بوجهين
احدهما اسماهم عميا وبكما وصما لذهاب منافع هذه الحواس ولذاتها في الاخرة ليس على حقيقة ذهابها لكن حال بينها وبينه
الانتفاع بها ماذكر لهم من فوقهم ظلل الاية فتلك الظلل تحول بينها وبين رؤية الاشياء وسماهم في الدنيا عميا وبكما
وصما ليس على حقيقة ذهاب اعينها ولكن لما لم ينتفعوا بهذه الحواس في الدنيا ولم يستعملوها فيما امروا استعمالها نفى
ذلك عنهم فعلى ذلك في الاخرة ويحتمل على حقيقة ذهاب اعين هذه الحواس عقوبة لما لم يستعملوها في الدنيا لما له خلقت كقوله
حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقوله عز وجل ماويهم جهنم اي مقامهم جهنم واليها يأوون وقوله عز وجل كلما خبت زدناهم
سعيرا قال مجاهد لهبها من غير ان يذهب وجع ما اصابهم ثم يزداد لهم سعيرا قال بعضهم كلما خبت اي نضجت جلودهم
وسكنت النار زدناهم سعيرا اي نعودها على ما كان وجعلت تلتهب وتستعر كقوله كلما نضجت جلودهم وقال بعضهم
وذلك ان النار اذا اكلتهم فلم يبق منهم غير العظام وصاروا فحما سكنت النار فهو الخبت ثم بدلوا جلودا غيرها حيث ذلك
فيكون وقودها والله اعلم وكله واحد وقال بعضهم كلما خبت اي كلما احرقتهم النار فصاروا رمادا خلقوا لها خلقا جديدا
فيعاودهم النار فتحرقهم وذلك قوله زدناهم سعيرا وهو قوله لا تبقي ولا تذر لا تبقي منهم شيئا اذا اخذتهم حتى
تحرقهم وقوله عز وجل ذلك جزاؤهم اي ذلك الذي ذكر جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا ثم قال ولم يروا اي ولم يعتبروا ولم ينظروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم
هذا الاعتبار يحتمل وجهين احدهما انكم تقرون ان الله هو خالق السموات والارض وخالقكم فخلق السموات والارض على
الابتداء وخلق سائر الخلائق على الابتداء احتذاء فقدم وسبق اعظم واكبر من خلق مثله ونشر من قدر على انشائكم واعادتكم
اقدر واعادة الشيء في عقولكم اهون وايسر من ابتدائه والثاني تعلمون انه خلق السموات والارض وخلقكم ايضا فلم يخلقها
للفناء خاصة اذ خلق الشيء للفناء خاصة لا لعاقبة عبث ولعب فدل انه خلقكم وخلق السموات والارض لعاقبة وهي
البعث وعلى ذلك يخرج قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه جوابا لما استعجلوا من العذاب فقال وجعل لهم اجلا لا يتقدم
عنه ولا يتأخرون او يكون قوله وجعل لهم اجلا لا ريب فيه الموت الذي به ينقضي اجالهم لكنهم لم يخلقهم للموت خاصة
ولكن للعاقبة وهو ما ذكرنا وقال القتبي خبت اي سكنت يقال خبت اذا سكن لهيبها ولم يطفأ الجمر قلت خمدت تخمد خمودا
فاذا طفئت ولم يبق منها شيء قيل هدت تهمد همودا وقوله عز وجل زدناهم سعيرا اي نارا فتسعر اي تلتهب وقال
ابو عوسجة التسعير التلهب يقال سعرت النار اذا اوقدتها ويقال نار مسعورة اي موقدة وقوله عز وجل فابى الظالمون الا
كفورا بالبعث الظالمون ههنا هم الكافرون ولو قال فابى الكافرون الا ظلموا لما كان واحدا وقوله عز وجل قل لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق يحتمل الاية وجوها وقال بعضهم هي صلة ما تقدم من سؤالهم وهو قوله
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب او يكون لك بيت من زخرف وقوله او تكون
له جنة يأكل منها كانوا يسألون هذه الاشياء على التعنت والعناد والاستهزاء فاخبر انه وان اعطاهم ما سألوا
لا ينفقون بل يمسكون عن الانفاق ومن سنته انه اذا اعطاهم ما سألوا على السؤال فتركوا الايمان به والوفاء
انهم يهلكون فاخبر انهم يسألون سؤال ما يتوسعون بها وفي الاية اثبات الرسالة وهو ما بين عن بخلهم وامساكهم
عن الانفاق وقال بعضهم قوله انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق في قوم خاص علم الله
انهم لو اعطوا ما سألوا لفعلوا ما ذكر لا في كل منهم وهو كقوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون الاية وكقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الاية كان في قوم علم الله انهم لا يؤمنون فعلى ذلك الاول ويحتمل ان يكون الاية في قوم ضمنوا الله
الانفاق والتوسيع وعاهدوا الله على ذلك ان وسع عليهم فاخبر انهم لا يؤمنون ما عاهدوه وضمنوا كقوله ومنهم
من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الاية ويحتمل ان يكون هذا اخبارا منه عن طبع الملق
وعادتهم وذلك انهم لما استكثروا من الاموال وجمعوا يزداد لهم بذلك حرص على جمعها وبخل على التوسيع والانفاق
لما لم يكن قبل الجمع والاستكثار وهذا المعروف في الناس فاخبر انهم يمسكون عن الانفاق والتوسيع اذا ملكوا ما ذكر على ما طبع
الانسان بالبخل والتضييق عند الاستكثار ما لم يكن قبل ذلك وقوله عز وجل وكان الانسان قتورا يحتمل ان يكون
هذا صفة كل كافر وكذلك قوله ان الانسان خلق هلوعا ومنوعا يكون عادتهم البخل والجزع عند المصائب وجائز
ان يكون هذا صفة كل انسان في الابتداء هكذا يكون ثم بالامتحان والتجربة يكونون اسخياء صابرين ويكون
يخبر انهم لو ملكوا واعطوا جميع ما يرزقون في عمرهم على التفاريق دفعة واحدة مجموعا لامسكوا من الانفاق
خشية الفقر في اخر عمرهم اذ لا يعلمون الى ما ينتهون من اجالهم فيحملهم ذلك على البخل والامساك او يذكر لما انه
جبلهم وانشاهم على الامساك والمنع في الابتداء وان لم يكن لهم حاجة الى ذلك ترى الصبيان والصغار من
الاولاد يمنعون ما في ايديهم عن غيرهم وان لم يكن لهم حاجة الى ذلك هذا معروف فيهم والجاهلهم وانشاهم هكذا
ثم يمتحنهم بالجود والتوسيع والبخل والتضييق والا كانوا في اصل خلقتهم وابتداء انشائهم على ما ذكرنا الشحة بخلاء وهو ما
اخبر ان الانسان خلق هلوعا وجزوعا وكان الانسان عجولا انشاهم جزوعا عن الالم والمصائب غير صابرين عليها
وكذلك انشاهم عجولا لا يصبرون على امر واحد ولا حال واحد ثم امتحنهم على الصبر وترك الجزع والعجلة فعلى
ذلك قوله وكان الانسان قتورا اي طمعا بخيلا ممسكا مضيقا والله اعلم ثم ترك ذلك واعتياد ذلك وخلافه
وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هذا والله اعلم فيما اتاه من الايات وامره ان يحاج بها فرعون

والايات

والا كانت ايات موسى عليه السلام اكثر من تسع كانها تبلغ عشرين وتزداد عليه ان كان في عصاه اربع من الايات
احدها حيث ضرب بها البحر فانفلق وحيث كان يضرب بها الحجر فينفجر منه عيونا وحيث القاها فصارت ثعبانا
وحيث كانت تتلقف حبالهم وعصيهم وامثاله كانها تبلغ الى ما ذكر من تسع ايات بينات التي امره ان يحاج بها فرعون
وقومه وقوله عز وجل بينات انها من عند الله جاءت وانها ليست من البشر وانها سماوية او بينات اي مبينات
ما يبين صدق موسى في جميع ما يخبر ويقول ويتبين عدله في حكمه وفعله لان في ايات الرسل يحتاج الى هذا ان تبين
للناس صدقهم في قولهم وعدلهم في حكمهم لانهم يدعون الى عبادة الله والطاعة له وذلك يوجب على
كل عقل وطبع سليم فالحاجة الى الايات لبيت الاصدقهم وعدلهم في حكمهم ثم اختلف في الايات
قال بعضهم العصا واليد والحجر والطمس والخمس التي ذكر في سورة المص وهو قوله فارسلنا عليهم الطوفان
وقال بعضهم الخمس التي ذكر في سورة المص والعصا والموت الذي ارسل عليهم واليد البيضاء وانفلاق
البحر وقال بعضهم انما الخمس التي ذكر في سورة المص واليد وحل العقدة التي بلسانه وفي العصا ايتان وقال
ابن عباس رضي الله عنه العصا واليد والسنون ونقص من الثمرات ثم منهم من يجعل السنين ونقصا من
الثمرات اية واحدة من يجعلها اثنين وكذلك العصا منهم من يجعل اية واحدة ومنهم من يجعل ايتين ومنهم من
يجعل اثنين ومنهم من يعد الطمس ومنهم من لا يعد ونحن نجعل العصا اية واحدة والسنين ونقصا
من الثمرات اية واحدة والطمس اية والخمس التي ذكرت في سورة المص فتكون التاسعة قوله ولقد علمت
ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لانه قال لقد علمت انها انها ايات ولم يكذبه فرعون
ولم يستقبله بشيء يكذبه في قوله وهو ما قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا اخبر انهم جحدوا بها
بعدما استيقنوا انها ايات وانها ايات وجحدوها ظلما وعلوا وما روي صفوان بن عسال المرادي انه قال ان يهود
يتين اتيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع ايات التي ذكر انه اتاها موسى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تسحروا و
لا تمشوا ببريء الى ذي سلطان فيقتله ولا تأكلوا الربوا ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم
خاصة يا يهود بان لا تعدوا في السبت قال فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد انك نبي الله فقال عليه السلام
فما يمنعكما ان تسلما قالا انا ان اسلمنا تقتلنا اليهود فان ثبت هذا الخبر عنه فلا يجوز ان يتعدى الى غيره من التاويل
والله اعلم وقوله عز وجل فاسئل بني اسرائيل اذ جاءهم يعني موسى صلوات الله عليه قال بعضهم امر رسولنا
صلى الله عليه وسلم ان يسأل بني اسرائيل الايات التسع التي كانت في كتبهم على النفر عندهم انه انما عرف
ذلك بالله وانه رسول لما علموا انه كان تلك الايات في كتبهم بغير لسانه وكان لا يخط بيده ولا كان اختلف الى
احد منهم ليعرف ذلك فدل انهم علموا انه انما عرف ذلك بوحي السماء وقال بعضهم ليس هو على الامر ان يسألهم
ذلك ولكن لو سألتهم لاخبروك عنها كقوله فاسألوا اهل الذكر ان لا تعلمون الاية وقوله عز وجل اني لاظنك
يا موسى مسحورا في فعلك اي سحرت والمسحور هو المغلوب في العقل وقولهم منا قبل لانهم قالوا مرة ساحر ومرة
مسحور فالساحر هو الذي يبلغ بالبصيرة غايته والمسحور المغلوب وقوله عز وجل قال لقد علمت ما انزل هؤلاء
الا رب السموات والارض بصائر قوله علمت بالنصب والرفع جميعا قد قرئا وامكن ان يكون قال في ابتداء امره لقد
علمت ما انزل هذه الايات الا رب السموات والارض وقال في اية اخرى لما القاها عليه لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض بصائر ما يبصر بها الحق من الباطل من لم يعاند ولم يكابر وقوله عز وجل اني لاظنك يا فرعون مثبورا
مقابل ما قال له فرعون حيث قال اني لاظنك يا موسى مسحورا قال بعضهم مثبورا هالكا وقيل ملعونا وقال بعضهم
مبعدا ويحتمل قوله لاظنك يا فرعون مثبورا اي تدعو على نفسه بالثبور وهو الهلاك كقوله واذا القوا منها مكانا
ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا اي هلاكا والظن يكون في موضع الظن ويكون في موضع العلم وقوله عز وجل
فاراد يعني فرعون ان يستفزهم من الارض قال اهل التأويل اراد ان يخرجهم ويستخفهم من الارض اي
من ارض مصر لكنهم قد كانوا خرجوا طائعين قبل ان يخرجهم من حيث امر موسى باخراجهم بقوله واوحينا الى
موسى ان اسر بعبادي ليلا انكم متبعون الاية فيكون تأويل قوله فاراد ان يخرجهم من الارض بالقتل والهلاك
من الدنيا الا ترى انه قال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها اراد من مشارق
الارض والله قد كانوا هم قد خرجوا من ارضه على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فاغرقناه ومن معه
جميعا هو ما قال في اية اخرى فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا الاية وقوله عز وجل وقلنا من بعده لبني اسرائيل
اي بعد هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض اختلف فيه قال بعضهم قوله اسكنوا الارض ارض مصر التي كان
يسكن فرعون وهو كقوله واورثكم ارضهم وديارهم وقال بعضهم اسكنوا الارض الشام والارض المقدسة كقوله
يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقال بعضهم اسكنوا الارض ليس في ارض دون ارض ولكن
اسكنوا اي ارض شئتم مشارقها ومغاربها امنين لا خوف عليكم على ما ارادوا ان يخرجكم من مشارق الارض ومغاربها
بالقتل كقوله واورثنا القوم الذين كانوا الاية وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وعلى هذا قال في قوله فاذا جاء
وعد الاخرة بعث عيسى بن مريم جئنا بكم لفيفا اي جميعا مجتمعين من مشارق الارض ومغاربها على ما تفرقوا وقال

وقال بعضهم فاذا جاء وعد الآخرة يعني حيوة عيسى ونزوله من السماء جئنا بكم لفيفا اي جميعا النزاع من القرى
ههنا وههنا لفوا جميعا وهو مثل الاول واما عامة اهل التأويل فانهم قالوا فاذا جاء وعد الآخرة يوم القيامة
جئنا بكم لفيفا اي جميعا انتم وفرعون وجنوده حتى يروا كرامتكم التي اكرمتم بها ويروا هوانهم وقوله عز وجل وبالحق
انزلناه وبالحق نزل قال الحسن بان في القرآن حكما وانباء وحكمه عدل وانباؤه صدق وحق وهو كقوله وتمت كلمة
ربك صدقا وعدلا صدقا فيما فيه من الانباء وعدلا فيما فيه من الحكم فبذلك الحق الذي فيه من الحكم العدل والانباء
الصدق انزل ويقال الصدق في الاخبار والانباء والعدل في الاحكام والحق وقوله عز وجل وبالحق نزل اي بذلك
الحق الذي فيه دام وقر فيكم او كلام نحو هذا ويحتمل قوله بالحق انزلناه اي بالحق الذي لبعضهم على بعض وبالحق نزل
اي بذلك الحق الذي لله على خلقه دام واستقر بالحق الذي لبعضهم على بعض ثبت واستقر واصله ان قوله وبالحق
انزلناه وبالحق الذي نزل الحق اسم كل محبوب محمود والباطل اسم كل مكروه ومذموم فمن اتبعه صار محبوبا محمودا
ومن خالفه وترك اتباعه صار مذموما او ان يكون قوله وبالحق نزل اي لم يأته التغيير والتبديل وقوله عز وجل
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اخبر انه لم يرسله الا للبشارة والنذارة لكن هذا في حق الرسالة لم يرسله الا
لهذين اللذين ذكروا والا فقد كان امتحنه نفسه بمحن كثيرة فلم يكن في جميع الاوقات مشغولا بهذين خاصة لكنه
في حق الرسالة لم يرسله الا للبشارة والنذارة اي لم يرسلك حافظا ولا وكيلا ولا مسلطا عليهم بل ارسلك لتبليغ الرسالة
اليهم ثم البشارة والنذارة وهما امران يكونان في عواقب الامور البشارة تكون عاقبة كل محبوب ومحمود والنذارة
عاقبة كل فعل مكروه ومذموم ثم القائل ان يكون في قوله وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا البشارة لمن اجابه
فيما امره به ودعاه اليه والنذارة لمن ارتكب ما نهى عنه فكيف لا دل هذا على ان النهي يوجب الحظر والتحريم
حيث الحقه النذارة بارتكاب ما نهى عنه قيل ان النذارة عاقبة كل مكروه ومذموم والبشارة عاقبة كل محبوب
ومحمود فيكون ذلك في الاداب وغيرها ولان الرسل لم يبعثوا الا لتغيير مناكير وفواحش ظهرت في الخلق وتغيير
من الفواحش والمناكير لم يبعثوا الصغائر ظهرت فيهم ثم دخل الصغائر والاداب فيما ارسل تبعا والا كان سبب
ارسالهم الكبائر والفواحش فاذا كان ما ذكرنا كان في النهي نهي ادب ونهي حتم وحكم وبعد فان الله تعالى قد اخبر انه
قد يعفوا عن كثير من السيئات وما عفى عنه لم يلحق فيه النذارة والوعيد والله اعلم وقوله عز وجل وقرآنا فرقناه
بالتخفيف والتثقيل فرقناه قال بعضهم فرقناه بالتخفيف اي احكمناه وثبتناه حتى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه وقال بعضهم فرقناه وقطعناه في الانزال سورة فسورة وآية فآية على ما انزل لتقرأه على الناس على
مكث فهو والله اعلم لوجوه احدها ما ذكر قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك
لنثبت به فؤادك فاخبر عز وجل انه انما انزله بالتفاريق ليثبت به فؤاده لان ذلك اثبت في القلب وايسر في الحفظ
والثاني انزله بالتفاريق على قدر النوازل ليتجدد لهم البصيرة ويزداد لهم الحجة بعد الحجة ولو كان جملة لم يكن
ليتجدد لهم ذلك ولا يزداد لهم البصيرة او ان يكون انزله بالتفاريق للتنبيه لينبههم في كل وقت ويعظهم
في كل حال اذ ذلك انبه لهم واوعظ من ان يكون منزلا جملة واحدة الا ترى ان الآيات اذا دامت تكون في التنبيه اقل
واذا كانت منقطعة في الاوقات كانت اخوف وانبه نحو كسوف الشمس بالليل صار بالدوام غير مخوف ولا منبه لهم
للدوام وكسوفها بالنهار صار منبها للانقطاع فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل قل آمنوا به او لا تؤمنوا ظاهر
هذا خرج على التخيير لكن المراد منه يخرج على حتم المواعظ وتأكيد الوعيد وتغليظه وكذلك قوله اعملوا ما شئتم
ظاهره على التخيير لم يفهموا منه على ما خرج ظاهره لكن فهموا منه تأكيد الوعيد وحتم الوعظ وهكذا المعروف
في الشاهد ان انسانا لو امر آخر بامر ووعظه مرارا فلم ينجع فيه يقول له ان شئت فافعل وان شئت لم تفعل
علينا لو فعلت او لم تفعل فانما ضرر ذلك عليك ان تركته ونفعه يرجع اليك لو فعلت فعلى ذلك قوله قل آمنوا به
او لا تؤمنوا فلا ضرر علينا في ترككم الايمان به ولا يرجع نفعه الينا لو آمنتم به انما نفعه لكم وضرره عليكم ان شئتم
فعلتم وان شئتم لم تفعلوا فهو كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وكقوله من عمل
صالحا فلنفسه الآية ونحو ذلك مما يخبر ان كل من عمل خيرا فلنفسه عمل ومن عمل شرا فعلى نفسه ضرر ذلك فهذا ينقض
على اصحاب الظواهر حيث قالوا يفهم من الخطاب ظاهره لا يتعدى عن ظاهره حيث لم يجب ان يفهم من قوله قل
آمنوا به او لا تؤمنوا التخيير لكن فهموا الوعيد والتوكيد والتغليظ وحتم المواعظ فان قيل ما الحكمة في لزوم الامر
وتراضيه اذا كان ما يأمرنا وينهانا للمنافع لانفسنا والضرر على انفسنا ومن لم يعمل في الشاهد لنفسه ولا سعى لنفع نفسه
فلا لائمة عليه ولا مؤاخذة قيل في الحكمة ان يفرض علينا السعي في فكاك انفسنا ودفع الهلاك عن انفسنا وفي امره ايانا
امر بالسعي في فكاك انفسنا ودفع الهلاك عنها وحاصل امره ونهيه يكون المنفعة لنا لا له وكذلك الضرر وعلى ذلك
يخرج قوله وما ظلمناهم الآية وعلى ذلك يخرج دعاء آدم عم وغيره ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقوله عز وجل ان الذين اوتوا
العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وهذا ايضا ينقض على اصحاب الظواهر لانه لا كل من اوتي العلم منهم
يخر للاذقان على ما خرج ظاهره فدل ان الاعتقاد ليس بالظاهر على ما قرع السمع ولكن على ما توجبه الحكمة ثم قوله
ان الذين اوتوا العلم اي ان الذين اوتوا منفعة العلم يخرون للاذقان سجدا ثم يحتمل قوله يخرون للاذقان سجدا على
التمثيل ليس على حقيقة السجود ولكن على الانقياد لما سمعوا والخضوع له والذلة على ما ذكرنا من التمثيل في قوله انقلبتم

على اعقابكم ليس على حقيقة الانقلاب على الاعقاب ولكن على التمثيل الرجوع وترك العمل فعلى ذلك الاول وكقوله
فنبذوه وراء ظهورهم على ترك العمل به ويحتمل ان يكون السجود كناية عن الصلاة اي يصلون لله ويحتمل ان
يكون على حقيقة السجود خروا لله سجدا اذا تتلى عليهم آيات الله وحججه وهو كسجود سحرة فرعون حين عاينوا آيات
الله وحججه وهو كقوله فالقي السحرة ساجدين فعلى ذلك يحتمل سجود هؤلاء والله اعلم وقوله عز وجل ويقولون
سبحان ربنا عما قالت الملحدة فيه ان كان وعد ربنا لمفعولا اي قد كان موعود ربنا لمفعولا وكذلك قوله وكان امر الله مفعولا
وكان امر الله قدرا مقدورا اي كان ما يأمر الله لكائنا ومفعولا اي قد كان يأباه ووعده مفعولا وهو ما ذكرنا ان
وعد الله مفعول وقوله عز وجل ويخرون للاذقان يبكون فان كان التأويل من السجود الصلاة ففيه دليل لقول
ابي حنيفة رحمه الله ان المصلي اذا بكى في صلاته خوفا على نفسه واشفاقا وسرورا على ما انعم الله عليه واكرمه
دينه لم تفسد صلاته واذا كان البكاء للتسلي مما حل به من الشدائد والبلايا تفسد صلاته واصله ان البكاء
اذا كان لله فهو لا يفسد الصلاة واذا كان للدنيا او لحاجة نفسه فهو يفسد وقوله عز وجل ويزيدهم خشوعا
اي يزيد ما يتلى عليهم من القرآن خشوعا وخضوعا لهم او الآيات وقال الحسن الخشوع هو الخوف الدائم في القلب
وقوله عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ذكر هذا والله اعلم ان العرب كانت
لا تعرف الرسل والكتب المنزلة من السماء ولا يؤمنون بها وكانت لا تعرف ذكر الرحمن ولا التسمية به وكذلك
غيره من الاسماء لما لا سبيل الى معرفة ذلك الا بالسمع الرسل والانبياء واتيان الكتب المنزلة من السماء فاذا لم
يؤمنوا بالرسل ولا عرفوا الكتب حملهم ذلك على الانكار والجحود لاسمائه ولذلك قالوا وما الرحمن وقوله وهم
يكفرون بالرحمن اي يكفرون بذكر الرحمن واسمه لما ذكرنا او ان يكونوا انكروا اسم الرحمة واما الله فهم يسمون
كل معبود الها وعلى ذلك سموا الاصنام التي كانوا يعبدونها آلهة ويقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء
شفعاؤنا عند الله فيسمون الله لما هو المعبود عندهم ورجعت عبادتهم الاصنام الى الله حيث زعموا ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى كانوا يطلبون بعبادتهم الاصنام القربة الى الله لذلك انكروا غيره من الاسماء على ان العرب
لم ينكروا الشيء الواحد سمي واكثر وعرفوا ان اختلاف الاسماء وكثرتها لا توجب اختلاف المسمى ولا اوجب عددا
منه وان ما قالوا انه كان يدعوا حتى الآن الى عبادة واحد فالساعة تدعوا الى عبادة اثنين واكثر انما قالوا على التعنت
والعناد والا فقد عرفوا الشيء الواحد يسمى واكثر لكنهم انكروا والله ذلك لما ذكرنا تعنتا منهم وعنادا على هذا يجوز ان
يتأول الآية والله اعلم ثم اختلف في تخصيص ذكره بهذين الاسمين قال بعضهم وجه تخصيصهما لانهما اسمان
مخصوصان له لا يجوز ان يسمى غيره بهذين الاسمين واما غيرهما من الاسماء فانه يجوز ان يسمى غيره بها وقال
الحسن خص بذكرهما لانهما اسمان معظمان عند الخلق ما لم يجعل لغيرهما من الاسماء من التعظيم ما جعل
لهذين وقال ابو بكر الاصم خص بذكر هذين لان غيرهما من الاسماء اسماء اخذت عن صفاته واما هذان
فهما ليسا اخذا عن صفته وقال الزجاج الرحمن هو ماخوذ من الرحمة الدائمة المتناهية في الرحمة لانه فعلان وهو
ما يقال غضبان اذا انتهى غضبه غايته والا قوله الرحيم والرحمن كلاهما من الرحمة الا ان الرحمن فعلان
والفعلان هو المتناهي من وصف الرحمة لما ذكرنا وغيره من الخلائق لا يبلغون في الرحمة ذلك المبلغ لذلك خص
بذكر الرحمن دون الرحيم وهذا كله واحد ليس فيه خلاف واصله ما ذكرنا لا يشرك غيره في هذين ويجوز في غيره
وقوله عز وجل فله الاسماء الحسنى اي اسماؤه التي يسمى بها كلها الحسنى ليس شيء منها قبيحا او ان يكون
قوله فله الاسماء الحسنى اي كل اعمال صالحة وامور حسنة له اي تنسب اليه ويضاف ولا يجوز ان يضاف
وينسب ما قبح منها وسمج واصله ما ذكرنا اليه ينسب اليه كل حسن وكل صالح على الزيارة والتسمية به
وهو ما يذكر التحيات لله والصلوات والطيبات الى آخره ينسب اليه كل طيب وكل حسن وقوله عز وجل فله
الاسماء الحسنى هذا يحتمل وجهين احدهما له اسماء حسنة يسمى بها والثاني ان كل حسن يسمى به غيره فهو راجع
اليه في الحقيقة وهو مسمى به وكل حسن منسوب اليه وقوله عز وجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا اختلف اهل التأويل في ذلك قال بعضهم قوله لا تجهر بصلاتك اي لا تجعل صلاتك في مكان شيطانها
للمشركين ولا تخافت بها اي ولا تسر عن اصحابك فتخفى عليهم لكن ابتغ بين ذلك سبيلا وقال بعضهم لا تجعل كل
صلاتك في جماعة ولا تخافت بها ولا كلها في غير جماعة وابتغ بين ذلك سبيلا ولكن اجعل بعضها بالجماعة وبعضها
لا بالجماعة وقال بعضهم لا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي لا تجاوز الحد في الامور والاعمال التي امرتك
بها ولا تقصرها عن الحد الذي حددت لك فيها ولكن ابتغ بين ذلك سبيلا وقال بعضهم ولا تجهر بصلاتك
مرائيا للناس ولا تخافت بها اي ولا تجتنب بها للاختفاء وجائز ان يكون قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
اي لا تجهر بجميع الاذكار التي في الصلاة او بجميع القراءات التي فيها ولا تخافت بالكل ولكن بعضها بالجهر وبعضها
بالمخافتة وقال بعضهم انه كان يجهر في صلاته بحيث يسمعه المشركون فيؤذونه فامره ان لا يجهرها لئلا يؤذوه
ولا تخافت كل المخافتة فلا يسمع اصحابك فيأخذوا قراءتك وقال بعضهم ذلك في الدعاء لا اللهم
ونوعيده في حق التبليغ والمسألة وامثاله ولكن لا نجيز ان نقطع القول في هذا وامثاله فيقال انه كان كذا
الا بخبر منه ثابت لان الخطاب به خطاب لا نقطع التأويل فيه والقول على شيء واحد شهادة على الله ولا ندري

ولا يحل الشهادة على الله ولا على رسوله الا بالمشاهدة انه اراد ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقل الحمد لله الذي لم
يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ذكر في هذه الاية جميع ما يقع به الحاجة الى التوحيد لان من نفى التوحيد والكفر
انما نفى لاحد الوجوه التي ذكر منهم من قال له بالولد وهم اليهود والنصارى ومنهم من قال له بالشريك وهم
مشركو العرب ومنهم من قال له بالولي والعون من الذل وهم الثنوية وغيرها حيث قالوا انشاء هذا النور
ليستعين به على التخلص من وثاق الظلمة فنزه نفسه وبرأها عن جميع ما قالوا فيه ونسبوا اليه لان الولد
في الشاهد انما يطلب اما للتلهي واما للاستئناس والله يتعالى عن ان يقع له الحاجة الى ذلك ويتعالى عن ان يكون
له شريك لان الشركاء في الشاهد انما يتخذ للمعونة والتقوي بهم على بعض ما لهم وما هم فيه والولي من الذل
انما في الشاهد للاستنصار والاستعانة على اعدائه والله يتعالى عن ان يقع له الحاجة الى شيء من ذلك فنفى عنه
جميع معاني الخلق وجميع ما يستبعدهم ويضاف ويصفون به وقوله عز وجل وكبره تكبيرا اي صفه بما وصف نفسه
وانف عنه جميع معاني الخلق فيكون في ذلك تعظيمه وتكبيره او يقول اعرفه بما ذكر فاذا عرف هكذا فقد عظمه
وكبره والولد في الشاهد انما يتخذ ويطلب لوجوه احدها للتسلي به والاستئناس عن وحشة او الحاجة بحمية
فيستعين به على قضاء بها او لذل يخافه من عدو له فيستظهر به عليه والله يتعالى عن ان يصيبه شيء من ذلك وقوله
ولم يكن له ولي من الذل اي لم يتخذ الاولياء ليستعزوا بهم من الذل بل انما اتخذ اولياء رحمة منه وفضلا ليعزهم
بذلك ويكونون عظماء وذكر لم يتخذ ولدا وقد خلق الاولاد للخلق ليعلم ان ليس في خلق الشيء ما يصلح ان يتخذ
لنفسه وقوله ولم يكن له شريك في الملك ولو كان على ما تقوله المعتزلة لكان له شريك في الملك على قولهم
لانهم يقولون ان الله لم يرد لاحدهم الكفرة الملك لهم وانما اراد لاوليائهم فعلى قولهم صار الغرا عنه شركا له
في الملك حيث لم يكن ما اراد هو وكان ما ارادوا هم والله اعلم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب تأويل الحمد ههنا
وفي امثاله والله اعلم اي حق الحمد للذي منه وصلت الى كل احد نعمة اي نعمة وان وصلت على يدي من وصلت الى كل من وصلت
لان حق الحمد والثناء له في تلك النعمة وان حمد من دونه ذلك لا من الذي وصلت على يده وان الذي وصلت
على يديه كالمستعمل له فحق الحمد والثناء له لا لمن دونه وان يكون قوله الحمد لله اي قولوا له الحمد والثناء لا لمن في جميع
ما ذكر الحمد له لحق به شيئا اما قدرته وسلطانه واما نعمه التي انعم على الخلق كقوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض
الاية والحمد لله فاطر السموات والارض الاية والحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ونحوه وقوله الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ما ذكر الحمد لنفسه والثناء الا ذكر على اثره ما قدرته وسلطانه واما نعمه فما كان المذكور على اثره النعمة
فهو ينادي به شكره وحمده وان كان الملحق به القدرة والسلطان فيخرج القول منه مخرج الامر بالتعظيم له و
الهيبة والاجلال والله اعلم وقوله انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما اي لم يجعله عوجا ويجوز زيادة
اللام في مثله كقوله ردف لكم وردف لكم هذا جائز في اللغة ثم قوله انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما
اي لم يجعله عوجا وهو يخرج على وجهين احدهما على التقديم والتاخير على ما قاله اهل التأويل اي انزل على عبده
الكتاب قيما ولم يجعله عوجا والثاني على زيادة بل كانه قال انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا بل جعله
قيما على احد هذين الوجهين يخرج والله اعلم ثم قوله ولم يجعل له عوجا قيما اذا لم يكن عوجا كان قيما واذا كان
قيما كان غير عوج في كل واحد من الحرفين معنى الاخر الا ان من عادة العرب تكرار الكلام واعادته على التاكيد كقوله
عصيات غير ساقطات ولا اكن متساقطات لم يكن عصيات حرفان مؤديان بمعنى واحد الا التكرير لما ذكرنا من
عادة العرب التكرار وكذلك ما ذكر لينذر باسا شديدا البأس هو الشديد هو البأس هما واحد فعلى ذلك الاول
ثم اختلف في قوله قيما قال بعضهم القيم هو الشاهد اي القيم على الكتب المتقدمة والشاهد عليها في الزيادة والنقصان
وفي التغيير والتحريف يبين ما زادوا وافتروا وما حرفوا وما غيروه كقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الاية
وقوله يحرفون الكلم عن مواضعه وقوله وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب يحرفون نظمه ورصفه ومنهم من كان
يحرف احكامه وشرائعه فهذا القرآن شاهد وقيم في بيان ما فعلوا وقال بعضهم قوله قيما اي ثابتا قائما ابدا
لا يبدل ولا يغير ولا ينسخ ولا يزاد ولا ينقص وهو على ما وصفه لا ياتيه الباطل الاية وهو على ما وصف
الحق بالثبات والقيام والباطل بالذهاب والتلاشي كقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل الاية وما وصف
الكلمة الطيبة بالثبات والقيام لها والخبيثة بالزوال والتغيير والذهاب فعلى ذلك هذا القرآن لانه حق
وقال بعضهم قيما اي مستقيما وتأويل المستقيم المستوي الموافق اي يصدق بعضه بعضا ويوافق اوله اخره
واخره اوله اي لم يخرج مختلفا وهو على ما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا متناقضا
ينقض اوله اخره واخره اوله فاذا لم يكن دل انه من عند الله نزل ولو كان على ما يقولون اصحاب العموم
والظاهر لكان لم يكن قيما ولا مستقيما بل يخرج مختلفا متناقضا لانهم يعتقدون على العموم والظاهر ثم يخصون
بدليل فهو مختلف واصله قيم بالحجج والبراهين على ان تأويل كان وبالله التوفيق وقوله لينذر باسا شديدا

انزله

اي انزله على عبده لينذركم باسا شديدا اي لينذر ببأس شديد والبأس العذاب وقوله عز وجل من لدنه هذا
يحتمل وجهين احدهما انزل على عبده الكتاب من لدنه اي من عنده والثاني لينذركم الكفار باسا شديدا
نزل من عنده والله اعلم وقوله عز وجل ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات فيه دلالة انهم قد يكونون المؤمنين
ويستحقون اسم الايمان وان لم يعملوا الصالحات حيث ذكر المؤمنين ثم ذكر الاعمال الصالحات خص المؤمنين
بعمل الصالحات لكن البشارة المطلقة انما تكون للمؤمنين الذين عملوا الصالحات لا نرى ذكر البشارة المطلقة
في جميع القرآن الا للمؤمنين الذين عملوا الصالحات ثم المؤمنون الذين عملوا غير الصالحات في مشيئة الله ان شاء
عفى عنهم وان شاء عذبهم بقدر عملهم الذي كانوا عملوا وان شاء قابل سيئاتهم بحسناتهم فان فضلت حسناتهم
على سيئاتهم بدل سيئاتهم حسنات على ما اخبروا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات هم في مشيئة الله
على ما ذكر وليست لهم البشارة المطلقة التي للمؤمنين الذين عملوا الصالحات وقوله عز وجل ان لهم اجرا حسنا لا سوء
فيه ولا قبيح وقوله ان لهم اجرا حسنا دون قوله ان لهم اجرا كريما كبيرا في الذكر لكنه صار مثله بقوله ماكثين فيه
ابدا لا يخرجون منه ابدا وهم مقيمون فيه ثم يحتمل وجهين احدهما ماكثين فيه اي لا تأخذهم سامة
ولا ملولة فيه فيريدون التحول منه الى غيره على ما يكون في الشاهد انه يسأم المرء ويمل من طعام وان كان فيما
يرغب فيما دونه وهو ما قال خالدين فيها لا يبغون عنها حولا والثاني ماكثين فيه ابدا لا تخوف الخروج
والزوال عن النعمة على صاحبها وهو ما قال خالدين فيها ابدا وقال لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله
عز وجل وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم هذا يحتمل وجهين احدهما اي يعلمون انه لم
يتخذ ولدا ولكن يقولون ذلك على العلم منهم كذبا وزورا كقوله وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر بالله
واشرك به ما ليس لي به اي اشرك ما اعلم منه ليس هو لشريك له وكقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات اي انبئون
بما يعلم انه ليس على ما يقولون والثاني يحتمل قوله ما لهم به من علم اي عن جهلهم يقولون من الولد والشريك لا عن
علم تقليدا لابائهم لانهم ليسوا باهل كتاب يعرفون به ولا كانوا يؤمنون بالرسل واسباب العلم وهذه الكتاب
والرسل فما قالوا انما قالوا من جهل لا عن علم وكذلك اباؤهم فان كان على هذا ففيه دلالة ان من قال شيئا
عن جهل فانه مؤاخذ به حيث قال وينذر الذين قالوا الاية وقوله عز وجل كبرت كلمة تخرج من افواههم
اي كبرت وعظمت تلك الكلمة التي قالوها على من عرف الله حق المعرفة حتى كادت السموات والارض ان
تنشق لعظم ما قالوا في الله كقوله تكاد السموات يتفطرن منه الاية وقوله ان يقولون الا ما يقولوا
الا كذبا ثم تكلم اهل الادب في نصب كلمة قال بعضهم انتصب على المصدر اي كبرت كلمتهم التي قالوها
كلمة كقوله وكلم الله موسى تكليما وقال قطرب هو على الوصف كما يقال بئس رجلا ونعم رجلا على الوصف
به وذلك جائز في اللغة فعلى ذلك هذا وقال الخليل انما نصبت لانها نعت لاسم مضمر معرفة وهو بمنزلة
قوله ساء مثلا وانما كان نعتا لاسم مضمر لانه قال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا فهذا القول هو فرية
فتأويله كبرت الفرية كلمة وقد قيل كبرت المقالة كلمة وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل تخرج من افواههم
اي كبرت تكلموا بها او يقول كبرت كلمة تكلموا بها وقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا
وقال في اية اخرى لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين اخبر انه فاعل ما ذكر ولم يقل له افعل او لا تفعل
في هذا فيشبه ان يكون النهي ما ذكر في اية اخرى وهو قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولهذا قال
بعض الناس ان في قوله فلعلك باخع نفسك نهي عن الحزن عليهم وعندنا ليس يخرج على النهي ولكن على التسلي و
التسلية ثم اختلف في قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا في الاسف قال بعضهم الاسف هو النهاية في
الغضب كقوله فلما اسفونا انتقمنا منهم قال اهل التأويل اسفونا اغضبونا وقال بعضهم الاسف هو النهاية
في الحزن كقوله يا اسفى على يوسف اي يا حزني ويحتمل ان يكون منه الحزن اشفاقا عليهم ان تتلف انفسهم في النار
بتركهم الايمان او كانت نفسه تغضب عليهم بتركهم الاجابة والقول في الله سبحانه على ما قالوا فيه وكلاهما يجوز
ان اذا كان ذلك لله كادت نفسه ان تتلف حزنا عليهم اشفاقا منه او كادت تتلف غضبا عليهم وفيه دلالة
انه لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والتلف ولكن كان يقاتلهم ليسلموا حيث كادت نفسه تتلف اشفاقا عليهم وفيه
فلا يحتمل ان يكون يقاتلهم للقتل وفي القتل ترك الشفقة ولكن كان يقاتلهم ليضطرهم القتال الى الاسلام
فيسلموا فلا يهلكون وفيه تذكير للمسلمين وتنبيه لهم من وجهين احدهما ما اخبر عن عظيم محل الذنوب
في قلبه لمحل ذلك يؤذيه فيحقهم اللعن كقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله الاية وفي ذلك زجر
عن ارتكاب ما يؤذيه ويؤذي به والثاني تعليم منه لامته ان كيف يعامل كفرة واهل المناكير منهم فيما تلون
في الظاهر ويضمرون الشفقة لهم في القلب على ما فعل بهم رسول الله وعاملهم وقوله بهذا الحديث سمى
القرآن حديثا وهو ما قال الله نزل احسن الحديث سماه باسامي قصصا وحديثا وذكرا وروحا وامثاله
والنهاية في الحزن والغضب للانبياء انفسهم تقوم لهذين واما غيرهم من الخلائق فلا يحتمل انفسهم الا لاحدهما
اذا كان الحزن ذهب الغضب واذا كان جاء الغضب ذهب الحزن فالانبياء هم المخصوصون بهذا وقوله
عز وجل انا جعلنا ما على الارض زينة لها اختلف فيما اخبر انه جعل للارض زينة قال بعضهم كل ما على وجه

الارض من النبات والشجر والانسان وغيره هو زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً فان كان التأويل على هذا
فيكون قوله وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً القيمة يعني جميع ما على وجه الارض فتبقى قاعاً صفصفاً وذلك
اخبار عن القيامة وقال بعضهم زينة لها هو النبات التي عليها وما جعل لهم بما جعل لهم من الارزاق بالامر
والنهي والعبادات وغيره لم يجعل ذلك النبات عليها وتلك الارزاق مجاناً ولكن ليختبرهم ويبتليهم بانواع
الامتحان فاذا كان كذلك ففيه دلالة ان ليس لاحد ان يتناول مما عليها الا باذن ولا يقدم على شيء منها الا باذن
من اربابها وقال ابو بكر عبد الرحمن بن كيسان زينة لها اهلها جعل ذلك ليبلوهم ذكر ههنا انه جعل ما على الارض
ليبلوهم ايهم احسن عملاً وقال في آية اخرى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملاً ثم من الناس
من يجمع بين الاثنين فيقول جعل الحيوة للابتلاء والموت للجزاء فيستدل على ذلك بقوله انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً اخبر انه يبلوهم بالزينة والحيوة لا بالضيق والموات ومنهم من يقول امتحنهم بهما
جميعاً بالحيوة ليتزودوا فيها لما بعد الموت كما يتزود في حال السعة والرخاء حال الضيق والشدة فمن لم يتزود
في حال السعة فلا زاد له في حال الضيق فعلى ذلك من لم يتزود في الحيوة فلا زاد له بعد الموت وقوله عز وجل
وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً اي يبتليهم ويختبرهم ايضاً بذهاب النبات والانزال وتأويله ان يبتليهم
بالرخاء والسعة وبالضيق والشدة كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
الاية وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحوه فعلى ذلك قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ايهم احسن عملاً وانا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً والله اعلم اي نبتليهم بالسعة والرخاء والضيق والشدة و
قال القتبي باخع نفسك اي مهلك نفسك وقال ابو عوسجة باخع يبخع نفسه اي اخرجها وقالا جميعاً الاسف
الحزن وقال غيرهما الاسف الغضب ايضاً دليله قوله فلما اسفونا انتقمنا منهم اي اغضبونا وقال القتبي الصعيد
المستوى ويقال وجه الارض ومنه قيل التراب صعيد لانه وجه الارض والجرز الارض التي لا تنبت شيئاً يقال
ارض جرز وارضون اجراز وكذلك قال ابو عوسجة والجرز التي لا تنبت فيها والصعيد التراب وقوله عز وجل ام
حسبت قيل احسبت وقيل قد حسبت ويحتمل بمعنى بل حسبت كقوله ام يقولون افترى اي بل يقولون فعلى
ذلك قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم وقد ذكرنا في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله يكون على
الايجاب والالزام ثم هو يخرج على وجهين احدهما على الامر احسب اعلم ان انباء الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجباً او ما ذكرنا بل حسبت وهو كذلك او يقول لا تحسبن ان اصحاب الكهف والرقيم من آياتنا عجباً ليس اعجب
منها بكثير والله اعلم ثم اختلف في الرقيم قال بعضهم الرقيم الكتاب كقوله كتاب مرقوم اي مكتوب وقال بعضهم
الرقيم الوادي الذي فيه كهفهم وقيل الرقيم اللوح الذي كتب فيه اسامي الفتية وقيل الرقيم القرية التي
خرجت الفتية منها وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما ادري ما الرقيم لكني سألت كعباً عنها فزعم
انها القرية التي خرجوا منها وقيل الرقيم الكلب الذي كان معهم قالوا امثال ما ذكرنا وليس بنا الى معرفة الكهف و
الرقيم حاجة انما ذلك بلسانهم ولم يسألوا عن الكهف والرقيم وانما سألوا عن اصحاب الكهف والرقيم فما ينبغي
لهم ان يشتغلوا به ثم قال اهل التأويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قصة اصحاب الكهف والرقيم
وانبائهم فقال اخبركم غداً ولم يستثن فعاقبه الله فيه ان حبس عنه الوحي كذا ويوماً فنزل ولا تقولن لشيء اني
فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله لكن ذلك فاسد وما توهموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم محال لانه كذب
لا يجوز ان يكون رسول الله يقول اخبركم غداً والله لم يأمره بذلك او قال ولم يستثن فيحبس الله الوحي عنه ولا
يخبرهم في الوقت الذي قال انه يخبرهم فيظهر كذبه عندهم بعد ما اختاره لرسالته واصطفاه لموضع وحيه
ثم يكذبه فيما اخبر هذا فاسد محال غير محتمل ما توهموا به على الله وعلى رسوله قد كان من كفار مكة التعنت ومنع
رسول الله عن تبليغ الرسالة الى الناس والحيلولة عن الدعاء الى ما امر ان يدعوهم واستقبال بحجج وبراهين
يتمويهاتهم وقد ذكر في غير قصة وخبر انهم سألوا اليهود عنه وعن نعته هل تجدون نعته في كتبكم اذ لم تكونوا
اهل كتاب يعلمون ذلك فاحتاجوا الى من يعلمهم ويخبرهم عن ذلك فسألوا يهود المدينة عنه وعن خبره فقالوا
نجد نعته في كتابنا كما تقولون فهذا وقت خروجه وانه فقالوا لهم حدثونا بشيء نسأله لا يعلمه الا نبي فقالوا
سلوه عن ثلاث خصال فان اجابهن فهو نبي والا فهو كذاب سألوه عن اصحاب الكهف وسألوه عن ذي القرنين
فانه كان ملكاً وكان من امره كذا وكذا وسألوه عن الروح فان اخبركم فهو نبي وان لم يخبركم فهو كذاب فسألوه
فاخبرهم عن ذلك وفي بعض القصة سألوه عن الروح فان اخبركم عنه فهو ليس بنبي وان لم يخبركم ولكنه وكل
امره الى الله فهو نبي ثم قوله ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً يحتمل ان يكون الخطاب به
وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره على ما خاطبه في غير اي من القران والمراد به غيره ويحتمل
ان الخطاب له والمراد هو وان كان هو المخاطب بهذا فانه يحتمل قوله ام حسبت الى اخره وجهين احدهما يقول
قد حسبت ان انباءهم واخبارهم كانت من آيات لرسالتك ونبوتك عجباً فيكون الحساب على هذا التأويل
في موضع العلم واليقين كانه قال قد علمت ان انباء اصحاب الكهف واخبارهم آية عجيبة لرسالتك والثاني
اخبار عن احوالهم وتقلبهم من حال الى حال فان كان على هذا فيكون الحسبان في موضع الحسبان كانه قال

فحسبت

قد حسبت ان احوالهم وتقلبهم كان من آياتنا عجباً هذا اذا كان الخطاب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واما اذا كان الخطاب به غيره فانه يجوز على الحسبان والظن وغيره والله اعلم وقوله عز وجل اذ اوى الفتية الى
الكهف اي انضم قال بعضهم الكهف الغار في الجبل وقيل الفضاء وقيل الملجاء ولكن قد ذكرنا انا لا ندري ما الكهف
وما الرقيم ذلك بلسانهم وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وهم الفتية اسم الاحداث منهم والشبان لا اسم المشيخة
ثم يكون المماليك والخدم ويكون الاحرار والله اعلم وقوله عز وجل فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال الحسن
ربنا من لدنك رحمة اي جنة وهيء لنا من امرنا رشداً اي يسيراً وهو ما ذكر في قوله ينشر لكم ربكم من رحمته
ويهيء لكم من امركم مرفقاً فهذا ليس بدعاء انما هو تلقين والهام منه اياهم فيكون تفسيراً للاول وقال
بعضهم قوله آتنا من لدنك رحمة اي رزقاً لانهم كانوا يفارقون قومهم لكفرهم ليسلم لهم دينهم الذي
هم عليه وهو الاسلام وقد عرفوا انه يسع مفارقة الناس لسلامة الدين ولكن لم يعرفوا انه يسع
قومهم وما به قوام انفسهم المكان ان سال عن ذلك فسألوا ربهم الرزق اشفاقاً على انفسهم بقولهم آتنا
من لدنك رحمة اي رزقاً وهيء لنا من امرنا رشداً اي احمل جميع امورنا على الصواب والرشد على ما ذكرنا
انهم عرفوا سعة المفارقة للدين ولكن لم يعرفوا سعة ذلك اذا كان فيه خوف هلاك انفسهم فسألوا ربهم
ان يحمل امرهم ذلك على الرشد والصواب ويحتمل آتنا من لدنك رحمة نعمة وسعة وهيء لنا من امر ديننا صواباً
يقول آتنا من لدنك رحمة دنيا وهيء لنا من امر ديننا وقوله عز وجل فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً ضرب
على الاذان هو المحو محو الاسماع ويقال اضرب على حديث كذا لحه ثم يحتمل محو الاسماع وجهين احدهما محو الارواح
التي بها تحيى الانفس فيكون كناية عن الموت او يكون محو ارواح الاسماع التي يسمع لا الموت فلما قال في آية اخرى
وتحسبهم ايقاظاً وهم رقود دل انه انما اراد محو ارواح الاسماع لا محو الارواح التي بها حيوة الانفس وهو
كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل الاية وقوله عز وجل ثم بعثناهم من رقودهم لنعلم اي الحزبين اي لنعلم
ما قد علمناه غائباً شاهداً اذ كان عالماً بما يكون منهم وتأويله ما ذكرنا ليعلم الخلق شاهداً كما علم هو غائباً او ليعلم
المخطيء منهم من المصيب او يقال وصفه بالعلم بالمخطيء ولا مخطيء ثم وبالمصيب ولا مصيب ثمة لما اذا كان كذلك
فيكون قوله ليعلم المخطيء من المصيب من المخطيء اذا كان واصله انه يعلم كائناً على ما علم انه يكون وقوله عز وجل
احصى لما لبثوا امداً يحتمل ليعلم اي الحزبين قال بعضهم مشركهم ومؤمنهم ومنهم من قال الملك والفتية وقال
بعضهم هم اختلفوا في مكثهم اذ بعثوا قال بعضهم لبثنا يوماً او بعض يوم وقال بعضهم ربكم اعلم بما لبثتم ولكن لسنا
ندري من اي الحزبين وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة سوى ما ذكرنا قول اهل التأويل وقوله عز وجل نحن
نقص عليك نبأهم بالحق الحق في النبأ الصدق والحق في الاحكام العدل وفي الافعال الصواب وقال
بعضهم الحق ههنا هو القران فيكون قوله بالحق وهو القران اي نقص عليك نبأهم في القران والله اعلم
وقوله عز وجل انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم هذان الحرفان معناهما واحد
الزيادة والربط كل واحد منهما يؤدي معنى صاحبه زيادة الهدى وتثبيتاً هم على الهدى ويجوز انه يقال
هو التثبيت والربط كذلك ويجوز ان يقال على التجديد والابتداء انه للايمان حكم التجدد في كل وقت اذ هو يكون
منكراً جاحداً للكفر في كل وقت فهو يجدد لايمان كذلك في كل وقت فان شئت حملته على الثبات والزيادة
على ما كان وان شئت على الابتداء والتجدد وكذلك قوله فزادتهم ايماناً وقال الحسن في قوله زدناهم هدى
اي من حكم الله اي من اهتدى زاده هدى كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى لكن هذا لو كان على ما ذكر لكان
لا يجوز ان يكفر اذا اهتدى مرة لا يزال يزيد له هدى فاذا لم يكن دل انه لا يصح ذلك والوجه فيه ما ذكرنا
وقوله عز وجل اذ قاموا فقالوا ربنا يحتمل قوله اذ قاموا بالحجج والبراهين ويحتمل اذ قاموا انهم خرجوا الى الكهف حين
انضموا اليه او قاموا لله ولدينه او قاموا من عند اولئك الكفرة فقالوا اما ذكر ربنا رب السموات والارض
اي قالوا ربنا هو رب السموات والارض ورب ما فيهن وقوله عز وجل لن ندعوا من دونه الهاً يحتمل قوله لن
ندعو من دونه الهاً اي لن نسميهم آلهة على ما سمى قومهم الاصنام التي عبدوها آلهة وقوله عز وجل لقد قلنا
من دونه آلهة فسموهم آلهة على زعمهم وعلى ما عندهم كقوله فراغ الى آلهتهم وقوله وانظر الى الهك الذي ظلت
عليه عاكفاً لا يجوز ان يسمي الانبياء الاصنام التي كانوا يعبدونها آلهة وهي ليست بآلهة ولكن قالوا ذلك على
زعمهم وعلى ما عندهم فعلى ذلك قوله لن ندعو من دونه الهاً اي لن نعبد فان كان على العبادة ففيه اضمار
اي لن نعبد من دونه الهاً غير الله كفعل قومنا ولو فعلنا لقد قلنا اذاً شططاً اي جوراً وظلماً ثم قالوا هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه آلهة يعبدونها لولا يأتون عليهم بسلطان بين اي هلا يأتون على تسميتهم آلهة او استحقاق
العبادة لها بحجة بينة ثم حرف هلا يستعمل في الماضي ويستعمل في المستقبل فان كان على الماضي فهو على
الانكار اي لم يكن وان كان على المستقبل فهو على السؤال اي ائتوا بحجة بينة اي انها آلهة كما تزعمون ان الله
هو الاله الحق وانه خالق السموات والارض ورب ما فيها قال القتبي فضربنا على آذانهم اي انمناهم والامد هو
الغاية وربطنا على قلوبهم اي الهمناهم الصبر وثبتنا قلوبهم وقوله شططاً اي غلواً يقال اشط على ان اعلا في القول
وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً اي لا احد اظلم ممن جعل مع الله آلهة وقد ذكرنا ويله في غير موضع

وقوله عز وجل واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه واذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فتأويل الاية على القراءة الظاهرة وما يعبدون الا الله اي وان اعتزلتموهم والذين لا يعبدون الا الله فلا نعتزلوا عبادته لانهم كانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الله ايضا ويرونه معبودا فكانهم قالوا واذا اعتزلتموهم والذين يعبدون الا الله فلا نعتزلوه وهو كقول ابراهيم عليه السلام لقومه حيث قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون الاية استثنى عبادة رب العالمين من بين عبادة من يعبدون من دونه اذ كانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الله ويرونه معبودا الا ان بعضهم لا يرون انفسهم بلغت منزلة عبادة الله فيعبدون الاصنام رجاء ان تشفع لهم عنده او تقرب عبادتهم الى الله زلفى وامثاله وجائز ان يكون قوله واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله على التقديم والتأخير واذ اعتزلتموهم فأووا الى الكهف لانهم كانوا لا يعبدون الا الله يعني اصحاب الكهف والثاني ما ذكرنا واذا اعتزلتموهم وما يعبدون في الحقيقة الا الله وان كانوا في الظاهر يعبدون غير الله وتأويل قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه واذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون من دون الله ويحتمل ان يكون هذا منهم ليس على القول والنطق ولكن القي في قلوبهم وقذف انهم اذ فارقوا قومهم وباينوا ويأوون الى الكهف وينشر لكم ربكم من رحمته وقال الحسن ان في قومهم من قد امن سواهم فقالوا انكم اذا باينتموهم وفارقتموهم فأووا الى الكهف فلا تقيدوا منهم فلعلهم يلحقونكم ويطلبون لقاءكم فلا تقيدوا منهم ويشبه ان يكون قوله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته لما عزموا ان يفارقوا قومهم اغتر لهم الشيطان فقال انكم تفارقون قومكم الى مكان وليس معكم شراب ولا طعام فتهلكون انفسكم قد فعلوا ما وسوسه بقوله ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا ثم قوله ينشر لكم ربكم من رحمته قال بعضهم يخلق لكم ربكم كقوله وانظر الى العظام كيف ننشرها بالراء كيف نخلقها وقال بعضهم ينشر لكم اي يبسط والنشر هو البسط وقوله عز وجل من رحمته يحتمل الرزق ويحتمل كل شيء به يدفع الهلاك عن انفسهم وقوله عز وجل ويهيئ لكم من امركم مرفقا اي ما ترتفقون به وتنتفعون وهو قول ابي عوسجة وهو من الرفق والمرفق ايضا مثله لا ينتفع وقال القتبي مرفقا ما يرتفق به وقال ابو عبيدة المرفق ما ارتفقت به فاما في اليد فهو مرفق والله اعلم وقوله عز وجل وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم قيل تميل عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال كانت لا تصيبهم لا عند طلوعها ولا عند غروبها لان الكهف كان مستقبل بنات النعش وكل شيء يكون مستقبل بنات النعش لا تصيبه الشمس وقال بعضهم لا ولكن كان ثمة حجاب وستر يحجب الشمس عنا ان تقع عليهم لكن هذا لا يصح لان الله عز وجل جعل لهم ذلك اية من اياته وكرامة من كراماته فليس فيما لا يقع عليهم الشمس بحجاب او ستر كبير اية ومنة انما الاية فيما تقع الشمس عليهم ثم تدفع عنهم ضررها واذاها فاذا كانوا بحيث لا تصيبهم الشمس فاذاها وضررها ايضا لا يصيبهم فليس في ذلك كبير اية وحكمة اذ ليس فيما لا يصيب الشمس ضرر واذى ولكن يذكر لطفه حيث منع ضرر الشمس واذاها عنهم مع اصابة الشمس اياهم ووقوعها عليهم والله اعلم وقوله عز وجل تزاور عن كهفهم ذات اليمين يمينهم او يمين القبلة وكذلك ذات الشمال شمالا ولئك او شمال القبلة فاما يمين الجبل والغار على ما قال اهل التأويل فانه ليس للجبل يمين ولا شمال وقوله عز وجل وهم في فجوة منه قال بعضهم الفجرة الظل وقال بعضهم الفجوة الفضاء وقال بعضهم هي سعة المكان يخبر عز وجل عن لطفه ومنته انه قد حشرهم الى غار كانوا يسعون فيه حتى يتقلبون فيه والغار الذي يكون في الجبال لا هكذا يكون بل يكون ضيقا وقوله عز وجل ذلك من ايات الله هذا يرد قول من ينكر جري الايات على يدي غير الانبياء لانه جعل في اصحاب الكهف عددا من الايات كلها خارجة عن احتمال وسع الخلق وعاداتهم لمفارقتهم قومهم لسلامة دينهم احدها ما اخبر انه ضرب على اذانهم وانامهم نوما خارجا عن طبع الخلق وعاداتهم وهو ثلثمائة سنة ثم بعثهم لتساءلوا بينهم على ما اخبر عز وجل والثاني لم تبل ثيابهم في مثل تلك المدة وفي مثل المكان ولم تتغير الا ترى انهم قالوا حين بعثوا لبثنا يوما او بعض يوم ولو كانت ثيابهم بالية او متغيرة لم يستقلوا ولا استقصروا لكن هذا يوما او بعض يوم الا ترى انهم فزعوا الى الطعام ولم يفزعوا الى الثياب حيث قالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة ولو كانت ثيابهم بالية او متغيرة لكان فزعهم الى الثياب كهو الى الطعام وهو اولى والثالث ما اخبر من تزاور الشمس اذا طلعت ذات اليمين وقرضها اياهم ذات الشمال والرابع دفع الحر والبرد عنهم اذ من طبعهما الاهلاك والفساد اذا اشتد وكثر والخامس ما ذكر من تقليبه اياهم ذات اليمين وذات الشمال وحفظه اياهم عن ان تفسدهم الارض وتاكلهم اذ من طبع الارض ذلك عند امتداد الوقت والسادس ما ذكر في الاية من الهول والهيبة اذا دخل عليهم واطلع حيث قال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا خوفا عما ترى فيهم من الاهوال هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف لمن دونه والسابع حفظه اياهم عن جميع الخلائق حتى لم يطلع ولم يعثر عليهم احد من الخلائق والناس احياء اكثر من ثلثمائة سنة بلا غذاء ولا نفس لا تبقى بلا غذاء بدون ذلك وذلك باللطف وامثال هذا كثير مما يكثر عدها واحصاؤها كلها من ايات عظيمة خارجة عن وسع الخلق وعاداتهم فذلك لهم باختيارهم دين الله من بين قومهم ومفارقتهم اياهم ليسلم لهم دينهم اذ الغلبة فيهم يومئذ الكفر فاكرمهم الله بذلك بالكرامات لله ذكرنا فلا ننكر ان يعطي الله احدا من اوليائه قطع مسيرة ايام بيوم او بساعة او المشي على الماء ونحو ذلك ليس بمستبعد ولا مستنكر

وقول اهل التأويل انهم كانوا كذا والكلب كذا واساميهم كذا وعددهم كذا ونحوه فذلك مما لا يعلم الا بخبر الصدق وقول الحق وقد نهى رسوله ان يستفتي فيهم منهم احدا حيث قال ولا تستفت فيهم منهم احدا وهو ما ذكر هؤلاء كله من الاستفتاء الذي نهى رسوله عليه عن ذلك قال ابو عوسجة تزاور اي تميل وتزور مثله تقرضهم اي تدعهم على شمالها اي ان الشمس لا تصيبهم طالعة ولا غاربة عند طلوعها وغروبها ويقال قرضته تركته اقرضه قرضا ويقال قرضت موضع كذا اي جاوزته وتركته خلفي ويقال قرضه اي قطعه بمقراض وتزاور وتزور اي عدل ومال وهم في فجوة منه اي سعة وفجوات جمع ويحتمل قوله ذلك من ايات الله اي ذلك النبأ وما ذكر من قصة اصحاب الكهف من ايات قدرة الله او من حجج الله على اثبات رسالة رسوله ونبوته او من ايات كراماته للفتية ولمن اختار دين الله واثره على غيره وقوله عز وجل ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا قد ذكرنا في غير موضع وقال بعضهم تزاور وتقرضهم كلاهما واحد وهو انه يميل عن كهفهم فتدعهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم اي تدعهم ذات الشمال وقوله وهم في فجوة منه اي ناحية من الكهف قال ابو معاذ الزابية قد رما يصلح وقال بعضهم في قوله يهيئ لكم اي يبوئ لكم كقوله تبوئ المؤمنين اي تهيئ وهيئ لنا من امرنا رشدا الرشيد الصالح وقال مقاتل رشدا اي مخرجا ويهيئ لكم من امركم مرفقا قال ابن عباس رضي الله عنه غذاء تاكلونه وهو ما ذكر كل ما يرتفق به ويقال لمخرجا وقوله عز وجل وتحسبهم ايقاظا وهم رقود قال بعضهم لانهم كانوا مفتحي الاعين والابصار كاليقظان وقال بعضهم وتحسبهم ايقاظا لانهم كانوا يتقلبون في رقودهم اليمين والشمال كما يتقلب اليقظان يمينا وشمالا وقال بعض اهل التأويل انما كان تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ليدفع عنهم اذى الارض وضررها لئلا يفسدوا ولا يبلوا وان كان الله قادرا ان يدفع عنهم الاذى وضرر الارض لا بتقليبهم من جانب الى جانب وان كان مما يفعل من لا يملك دفع الاذى عما ذكرنا فاما من كان قادرا بذاته مستغنيا عن الاسباب التي بها يدفع فغير محتمل وقوله على التعليم منه اياهم ان كيف يتقي الاذى وكيف يدفع الضرر فاذا لم يكن يشهد من الخلق فلا معنى له وقال بعضهم قوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود لانهم كانوا في مكان الريبة واللصوص مما لا ياوي اليه الا رب من ريبة وشر او قاصد ريبة وطالب شر ومكابرة لم يكونوا في مكان ينام فيه ويرقد ولا يختار للنوم مثله فقال وتحسبهم ايقاظا وهم رقود لما كانوا في مكان لا ينام فيه للخوف كانهم ايقاظ وهم رقود والله اعلم ولكن لا ندري لاي معنى ذكرانهم يحسب الناظر اليهم كانهم ايقاظ وهم رقود ولم يبين الله ذلك فلا نفسر وقوله عز وجل ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال هو ما ذكرنا وقوله قد يتقلبون في نومهم من جانب الى جانب وذكر التقليب وجائز ان يكون لما ذكر بعضهم من دفع اذى الارض وضررها او ذكر فعله لما له في تقليبهم صنع وفعل والله اعلم وقوله ذات اليمين وذات الشمال ان لا يفهم من ذات الشيء غير ذلك الشيء او شيئا اخر سواه لانه ذكر ذات اليمين فهو اليمين والشمال نفسه لا غير فعلى ذلك في قولنا عالم بذاته لا يفهم غيره اي عالم وقوله عز وجل وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال بعضهم الوصيد هو فناء الباب وقال بعضهم الوصيد هو عتبة الباب قال القتبي الوصيد الفناء ويقال عتبة الباب وهذا اعجب الي لانهم يقولون اوصد بابك اي اغلقه ومنها انها عليهم مؤصدة اي مطبقة واصله ان تلصق الباب بالعتبة اذا اغلقته فان كان الوصيد هو عتبة الباب ففيه ان الكلب كان داخل باب الغار وان كان الفناء ففيه انه كان خارج باب الغار وفيه ايضا ابقى الكلب ثلثمائة سنة على ما ابقاهم وان لم يكن من جوهرهم بلطفه وقوله عز وجل لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا قال بعض اهل التأويل وذلك ان شعورهم قد طالت واظفارهم قد اشتدت وعظمت فكانوا بحال يرعب عنهم ويهاب لكن هذا لا يحتمل لانهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فلو كانوا على الحال التي ذكروا من طول الشعور وامتداد الاظفار وتغير احوالهم لم يكونوا ليقولوا لبثنا يوما او بعض يوم اذ لو نظروا في انفسهم من تغير الاحوال لعرفوا انهم لم يلبثوا ما ذكروا من الوقت دل ذلك ان ذلك الخوف والهيبة لا لذلك وقال بعضهم لانهم كانوا في مكان الريبة فيما لا يؤوي الى مثله الا لخوف ريبة او طلب ريبة لا ثابوا برأية لهذين هارب من شر او طالب شر على اخر على ما ذكرنا ان من اقام في مهاب ومكان يخوف بها يرسنه ويخاف وان يكونوا بحيث يهابون ويخاف منهم لئلا يدنوا منهم احد ولا يقرب فلا يوقظهم احد ليبقوا الى المدة التي اراد الله ان يبقوا فيه ولذلك يحتمل هذا المعنى في تقليب اليمين والشمال وجائز ان يكون قوله لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ذلك الخوف وتلك الهيبة الذي على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهرين وذلك لدينه ولحقيقة امره فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من هيبة احوالهم لدينهم الذي اختاروا من بين قومهم وفارقوهم ليسلم دينهم الى مكان لا طعام فيه ولا شراب وذلك لحقيقة ما اختاروا من الدين كان ذلك لمعنى لم يطلع الله رسوله على ذلك فلا نفسر والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك بعثناهم اي كما انباكم من انباءهم وقصصهم كذلك بعثهم او كما ضرب على اذانهم وانامهم سنين كذلك يبعثهم وقوله وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم بعثهم لما علم ما يكون منهم وهو التساؤل وهكذا جميع ما يخلق وينشئ انما يخلق وينشئ لما يعلم انه يكون منهم كقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا الاية ذرأهم لما علم انه يكون منهم وهو عمل اهل جهنم وكذلك قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون من علم انه

بعبده ويعلم له عمل اهل الجنة خلقه لذلك هكذا كل ما يخلق انما يخلق لما يعلم انه يكون منه اذ يخرج الفعل لذلك
مخرج العجز والجهل بالعواقب فاذا كان الله عالما بما كان ويكون ومتعاليا عن ان يكون فعله عبثا لعجز ان يخلق
شيئا لغير ما علم انه يكون وهكذا في الشاهد من عمل عملا او فعل فعلا لغير ما علم انه يكون فهو عابث وجاهل بعواقبه
وبالله العصمة وقوله عز وجل قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال بعضهم ثم وبعد ذكر ثم بعثناهم
لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا وقوله عز وجل لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ان ذلك لما لم يروا في انفسهم اثارا
واعلاما تدل على طول المكث والمقام فيه ثم لما تذكروا احوالهم وما يرى النائم في نومه من العجائب واشياء كثيرة
عرفوا ان ذلك القدر من الاشياء ومثل ذلك من العجائب التي راوا لا يحتمل ان يكون في يوم او بعض يوم فعند ذلك
وكلوا الامر الى الله فقالوا ربكم اعلم بما لبثتم واما الذي اماته مائة عام لما بعثه قطع القول في ذلك ولم يكل الامر
الى الله حيث قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم لانه كان ميتا والميت لا يرى شيئا ولم يكن في نفسه اثار تدل على ذلك
فقطع القول فيه ولم يكل الامر الى الله واما النائم فانه يرى في نومه اشياء فيعرف انه لا يكون في وقت قصير لذلك
وكلوا الامر الى الله تعالى وقوله عز وجل فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فيه انهم لما فارقوا معهم زادا وهو
الورق امر بعضهم بعضا ان يبعث بالورق ليأتيهم بالطعام وفيه انه اضاف الورق اليهم ولا شك انه كان
له فيه نصيب حيث قال بورقكم هذه وفيه دلالة جواز المناهدة في الاسفار وغيرها اذ كان ذلك الورق
بينهم وفيه دلالة جواز الوكالة وانها ليست ببدعة ولكن كانت في القرون الماضية وهي متوارثة وقوله عز وجل
فلينظر ايها ازكى طعاما اختلف فيه قال بعضهم قوله ازكى طعاما اي احل طعاما لان بعض اهل تلك المدينة يذبحون
للاصنام وباسم الاوثان التي كانوا يعبدونها فامروا ان يأتيهم بما لا يحل لهم اكله والتناول منه وقال بعضهم
ازكى ارخص واكثر لانهم كانوا في مكان لا يدرون متى يخرجون منه فطلبوا الاكثر لشدة حاجتهم اليه ويكفي لوقت مقامهم
ونحوه وقال بعضهم ازكى طعاما اي اطيب واجود لان الطيب ازيد للعقول واصلح للانفس وانفع ولذلك جعل الله ارزاق
البشر ما هو اطيب والين لما يزيد ذلك في العقول والفهم وجعل اغيرهم من الدواب كل حشن خبيث لما ليس لهم عقول
يحتاج الى ما يزيدها فيها واصل الزكاء النماء والزيادة وقوله عز وجل وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا يحتمل قوله وليتلطف
اي ليرفق بهم لئلا يشعرن انه من اولئك الذين فارقوهم لدينهم او امره بالتلطف اي بالسماحة والسهولة في الشراء لما
في الخبر رحم الله سهل البيع سهل الشراء ولا يشعرن بكم احدا انه فلان بن فلان وانه من قوم كذا فيعرفون انه من اصحاب
الكهف اولا يشعرن بمكان بكم احدا اولا يشعرن بمكانكم احدا من الناس وقوله عز وجل انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم
يحتمل يقتلوكم او ما ارادوا به او يعيدوكم في ملتهم اي في دينهم الكفر وقوله عز وجل ولن تفلحوا اذا ابدا اي ما دمتم
في ملتهم ودينهم هذا كانهم لم يعرفوا التقية والا لو اعطوهم بلسانهم ولم يعطوهم بقلوبهم لكانوا قد افلحوا وعرفوا
التقية لانه لم يكن للقرون الماضية التقية ولم يؤذن لهم فيها وهي رخصة رخص لهم والافضل ان
لا يعطي ذلك ولا يظهر والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك اعثرنا عليهم اختلف في قوله وكذلك قال بعضهم كما اخرج
المبعوث بشراء الطعام من الكهف مع الورق المتقدم ضربها فكان ذلك سبب اعلام اهل المدينة عن الفتية كذلك
اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم وقال بعضهم كما اعلم عن انباء الفتية واصحاب الكهف وقصصهم من اولها الى اخرها
كذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم والله اعلم وجائز ان يكون قوله وكذلك اعثرنا عليهم اي كما ضرب على اذانهم
ليعلموا ان ما وعد لهم الرسل عن الله حق ثم اختلف في اطلاعهم عليهم قال بعضهم اطلع الله الملك الذي هو مؤمن
واهل المدينة بعد ما اماتهم لكن حيل بينهم وبين اولئك وقال بعضهم اطلعهم قبل ان يميتهم فحيل بينهم وبينهم
فسدوا باب الكهف فبقوا هنالك ثم اماتهم بعد ذلك ما ذكر فهلك ذلك الملك وانقرض تلك القرون ثم ولي ملك
اخر مسلم صالح ثم اطلع ذلك الملك عليهم وامثال ذلك قد قالوا فلا ندري كيف كانت القصة وفي ظاهر الاية انه اطلع عليهم
بعد ما اماتهم وبعثهم وليس فيه بيان انه من اطلع عليهم الملك الاول او الثاني او لقوما وغيرهم ولا يجوز ان
يقطع فيه القول انه فلان لان هذه الانباء ذكر في القران حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلو قطع القول على
شيء او زيد او نقص مما كان في كتبهم خرجت من ان يكون حجة له وقوله عز وجل ليعلموا ان وعد الله حق يشبه ان يكون
الرسل من قبل كانوا يخبرون قومهم انهم يهربون من ملكهم اشفاقا على دينهم ويلتجئون الى الكهف فيناموت
كذا كذا سنة ثم يبعثون فاكذبهم قومهم بما اخبروا قومهم من انبائهم فقال اعثرنا عليهم ليعلموا ان ما وعد
الرسل واخبروهم من نبأ اصحاب الكهف حق والثاني يحتمل ان يكونوا ينكرون البعث والساعة والرسل يخبرون
انهم يبعثون فاطلع على اولئك ليعلموا ان البعث والقيامة حق لان الاعجوبة في ابقاء انفس اصحاب الكهف في نومهم
ثلثمائة سنة او اكثر بلا غذاء يغتذون ولا طعام يطعمون ولا شيء يقوم به الانفس ان لم تكن اكثر واعظم من
احياء الموتى وجمع العظام الناخرة البالية لا تكون دونه لما لم يروا الانفس تبقى اياما بلا غذاء فضلا ان تبقى
سنين كثيرة ثلثمائة او اكثر فبعث هؤلاء ليعلم من انكر البعث من قدر على ابقاء الانفس مدة مديدة طويلة
بلا غذاء تغتذي لقادر على احياء الموتى وبعثهم بعد الموت او ان يكون ما ذكرنا بديا ان الرسل السالفة كانهم
اخبروا قومهم عن قصة اصحاب الكهف فكذبوهم فاطلع الله عليهم وخبرهم ليعلم اولئك ان الذي اخبرهم
الرسل حق وصدق والله اعلم ثم ان هذه الانباء والقصص المتقدمة ذكرت في القران حجة لرسول الله ودلالة

في اثبات رسالته فلا يجوز ان يقطع القول في شيء لم يتبين فيه ولم يوضح ولم يفسر لما يخاف فيه الكذب على الله
ولا الزيادة فيها والنقصان على ما ذكر فيه لما لعلها تخرج مخالفة لما ذكرت في كتبهم فلا يكون له فيها حجة
ولا دلالة فان قيل كيف علموا ان ما اخبرهم الرسل حق اذ كانوا لا ينكرون ان وعد الله حق بوجوه احدها
ما راوا من الدراهم التي كانت في يدي المبعوث لشراء الطعام من الضرب المتقدم وان كان يجوز ان
يكون تلك الدراهم من كنز اصاب ذلك الرجل لا من دراهم اصحاب الكهف فاذا صدقوا ذلك الرجل فيما
اخبر انها من دراهم اصحاب الكهف فيصدق الرسل اولى وخبرهم احق ان يصدق والثاني علموا لما راوا
انه انامهم مدة طويلة خارجة عن العادة وحفظهم من كل مرد واذى وفساد وابقاهم من غير طعام
ولا شراب على علم منهم ان الانفس لا تبقى ولا تقوم بغير طعام ولا شراب بدون تلك المدة بكثير فضلا
ان تبقى الى مثل تلك المدة فعلموا ان من قدر على حفظ ما ذكرنا وابقاهم لقادر على البعث والاحياء ولا يعجزه عن
شيء يريد كونه وانه فعال لما يريد والثالث علموا ان ذلك حق لما راوا انه اناهم وقتا طويلا وحفظهم عن جميع
الافات ثم بعثهم واحياهم انه لم ينمهم الا لعاقبة تتأمل وحكمة تقصد فعلى ذلك احيا الخلق واماتهم
ليس الا لعاقبة تتأمل وحكمة تقصد والله اعلم وقوله عز وجل اذ يتنازعون بينهم امرهم لسنا ندري فيما ذا تنازعوا
في امرهم فيما بينهم وقوله عز وجل فقالوا ابنوا عليهم بنيانا او تنازعوا في السبب الذي به التجأوا الى الكهف ويشبه
ان يكون تنازعهم في البناء الذي ذكر في المسجد وغيره ويحتمل في عددهم ونحوه ولكن لا نقطع القول فيه اذ وكل
امرهم الى الله حيث قال ربهم اعلم بهم وقوله عز وجل قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ثم قوله
لنتخذن عليهم مسجدا يحتمل بناء المسجد عليهم اكراما لهم واعظاما لهم ليذكروهم في ذلك المكان على قرب
منهم على ما ظهر عندهم من اكرام الله اياهم او يتخذون مسجدا لعبادة انفسهم ليعبدوا الله على قرب منهم لينالوا
من بركتهم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قال بعضهم كان عددهم سبعة والثامن الكلب لانه لا ترد ذكر في الثلاث
والخمس رجما بالغيب اي قذفا بالغيب اي قذفا بالغيب وظنا وقيل رجمة بالغيب اي بلا علم ولم يذكر في قوله
سبعة وثامنهم كلبهم وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه وقال الا من القليل الذين استثنا هم الله وكانوا سبعة
والثامن الكلب لعل ابن عباس قال انا من القليل ظنا واستدلالا بالذي ذكرنا وكان سماعا من رسول الله ذلك وقال
الحسن وابو بكر وغيرهما ان الله تعالى قال قل ربي اعلم بعدتهم ثم استثنى قليلا من عباده فلا نعلم بان اولئك
القليل من الملائكة او من البشر او منهم فلا ندري من هم ولا كم عددهم وبه نقول نحن وهو ما قال فلا تمار
فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا نهى رسوله ان يستفتي منهم احدا لما يحتمل ان يكون ذلك
غير مبين في كتبهم فلا يطلع رسوله خوف التكذيب ثم اختلف في وقتهم قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد
وقال بعضهم ذلك كان قبل بعث موسى وهو قول الحسن وابي بكر وهؤلاء وهذا اشبه لانهم انما سالوا عنهم
اهل التوراة وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى وهم لا يؤمنوا بالانجيل وقول اهل التاويل كان
اسامهم وعددهم حاجة ولو كانت لتولى الله بيان ذلك في الكتب وقال القتبي رجما بالغيب او ظنا بالغيب
اي يقولون بالظن وقيل قذفا بالغيب على غير استيقان وهما واحد وقوله عز وجل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا
الى قوله الا ان يشاء الله يحتمل الخطاب بهذا كل الناس ليس احدا ولى به من غيره فيخرج التعليم لهم في ترك المراء
مع الكفرة الا مراء ظاهرا وكذلك في ترك الاستفتاء وكذلك عليهم والادب انه لا يعد ولا عدة الا والثنيا بها
ملحق ويحتمل ايضا ان يكون الخطاب به رسول الله لكن ليبين له انه قد كان منه ما ذكر من المراء والاستفتاء
والوعد بغير ثنيا ولكن خاطب به رسول الله ليتأدب غيره من الناس بذلك الادب وعوما خاطب
به بقوله ولا يكونن من المشركين ونحوه من الخطاب التي خاطب بها لا خاطبه بها الا ان كان منه ذلك او كان
فيه ما ذكر ولكن لما ذكرنا من الوجوه فيما تقدم ثم اختلف في قوله فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا قال بعضهم
ذلك في امر اصحاب الكهف اي لا تمار فيهم ولا تستفت فيهم منهم الا قدر ما كان في كتبهم فانك لو ماريتهم
بما ليس في كتابهم كذبوك ولكن قدر ما في كتبهم هذا كان على المسالة فان كان على غير المسالة في غير امر اصحاب
الكهف على ابتداء المحاجة والحجاج فهو يحتمل وجهين احدهما اي لا تمار فيهم الا بما هو ظاهر ويعرفون ذلك الظاهر
من نحو ما يعرفون ان الاصنام التي عبدوها لا تنفع ولا تضر ولا تبصر ولا تسمع ونحو ذلك مما يعرفون انها كذلك
والثاني لا تحاجهم بلطائف الحكمة ودقائقها ولكن بشيء محسوس ظاهر من الانباء لانهما يلطف ويدق على ما حاجهم
الانبياء بايات حسيات وفي قوله ولا تستفت فيهم منهم احدا دلالة انه لا يسع النظر في كتاب الغلاسفة
الا على جهة العرض لما فيها على كتاب الله فيؤخذ بما يوافقه ويترك الباقي وقوله عز وجل ولا تقولن لشيء
اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله لو كان فهم الخطاب على ظاهر ما خرج لكان في قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله نهي عن العدة بالثنيا فاذلم يفهم هذا ولكن فهموا لا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا
ان تقولوا ان شاء الله على اضمار القول دل ان الخطاب ليس يحمل على ظاهر المخرج ولكن على ما توجبه الحكمة والدليل
ثم نهى ان عدة ولا يستثني فيها وقاس بعض الناس الايمان على العدات فيقول اذا حلف فانه يلزمه ان يستثني

فيها وذلك فاسد لان الايمان يخرج على تعظيم الرب واجلاله فلا يجوز ان يؤمر بالثنا فيها لان الثنا نقض ذلك التعظيم وكذلك ما روي اذا حلفتم فاحلفوا بالله ولا تحلفوا بابائكم ولا بالطواغيت نهى عن الحلف بغير الله لما في الحلف به تعظيم لذلك الشي واما العدة فانما هي اضافة الفعل الى نفسه وهو لا يملك حقيقة لذلك امر بالحاق الثنا فيه لئلا يلحقه الخلف في الوعد اذا لم يفعل ما وعد وعلى ذلك ذكر عن الانبياء انهم اذا وعدوا استثنوا فيه كقول موسى ستجدني ان شاء الله صابرا الاية ثم اذا لم يصبر لم يعاتبه بترك الصبر ولو كان خلفا لعاقبه كما عاتب صاحب موسى حيث قال انك لن تستطيع معي صبرا وقد ظهر من الانبياء والرسل الايمان والقسم ثم لم يذكر عن احد منهم الثنا في ذلك دل ان الثنا في العدات لازم دون الايمان لا وفي قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله دلالة ان لا يكون شيء الا بمشية الله حيث ندب الى الثنا ثم اذا خرج على غير ما وعد لم يلحقه الخلف في الوعد دل انه قد شاء ذلك وانه اذا لم يشاء شيئا لم يكن لانه لو كان شا ما لم يشأ هو واشاء شيئا فلم يكن لم يكن لقوله الا ان يشاء الله معنى اذا كان ما لم يشأ هو ولم يكن ما هو شاء دل انه ان شاء هو كان وما لم يشأ لم يكن وفيه انه قد شاء كل طاعة وخير من العبد فلو لم يشأ ما ليس بطاعة لكان لا يستثني وقد علم انه قد شاء ذلك فدل ثنياه على انه قد شاء ما ليس بطاعة اذا علم انه يختار ذلك على المعتزلة فان قيل انما امر بالثنا في العدة لانه لعله يموت قبل ان يفعل ما وعد ويذهب عنه القدرة فيعجز عما وعد قيل ان الاوهام لا ترجع الى ذلك بل الامكان مشروط فيه وان لم يذكر نحو ما لا يؤمر الانسان بالطيران لعدم الامكان فيه موجوما فهو كالمشروط وان لم يذكر فعلى ذلك في العداة والايمان وغيرها وجائز ان يكون المراد بهذا الخطاب غير النبي وهو الاشبه لانه لا يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعد عدة ولا يذكر الثنا لما لا يعرف ان لا يكون شيء الا بمشية الله واراد به امته واما غير النبي فجائز ان لا يعرف ذلك لذلك كان غيره اولى ان يخرج منه على التعريف لهم والعلم وقوله عزوجل واذكر ربك اذا نسيت هذا يحتمل وجهين احدهما واذكر ربك اذا نسيت اي اذا ذكرته بعد ما نسيت فاذكره كقوله واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين فعلى ذلك هذا والثاني واذكر ربك اذا نسيت اي الثنا في اخر الكلام اذا نسيت وله اعني الثنا اذا المستحب ان يستثنى في اول كلامه على التبرك كقوله وانا ان شاء الله لمهتدون واستثنوا وانه اذا وعدوا فهو المستحب كما قال واذكر ربك الثنا في اخر كلامه اذا نسيت في اوله وهو الثنا وهذا يرد على اصحاب الظاهر لان ظاهر الكتاب ان يخاطبهم بذكره اذا نسوا ولا يجوزون ان يخاطب احدا فيما ليس بشيئا فان لم يفهم من هذا هذا دل انه لا يفهم على ما خرج ذلك امر ولكن على ما يفتح ويوجب الحكمة والله اعلم وقوله عزوجل وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا قال بعضهم ان قل عسى ان يهدين ربي لاقرب ما يدنيني وضح على دلالة رسالتي واخذ مانتا لو نبي من امر اصحاب الكهف لانهم قالوا لئنا لو نبي عن خبرهم فسند تون على رسالته وصدقه ويقول فقد هداني ربي على دلالة رسالتي ونبي مما سألتم لو نبي واخذ المغلوب الا ذكا نت له ايات حسنات على رسالته وقال الحسن قوله قل عسى وعسى من الله واجب اي قد هدى ربي لا رشد والصواب واما غيره من اهل التاويل يقولون انه وعد ولذلك ان يخبرهم عما سالوه وقال عسى ان يرشدني في اسرع من هذا الميعاد الذي وعدت والله اعلم وقوله عزوجل ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين قال بعضهم هو صلة قول اولئك الذين قالوا سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الاية مع قوله ثم لبثوا في كهفهم ما ذكر فامره ان يقول لهم الله اعلم بما لبثوا الاية وقال بعضهم هو قول الله اخبر انهم لبثوا ما ذكر من المدة وازدادوا تسعا قال بعضهم تسع سنين لكن ليس فيه بيان انه ازداد تسع سنين او تسعة اشهر وتسعة ايام فلو كان ذكر لا يدرك ذلك الا وقفا فالامر فيه الى الله على ما امر رسوله ان يقول لهم الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض فان قيل في قوله ثلثمائة سنين الا قال ثلثمائة سنة كما يقال ثلثمائة رجل وثلثمائة درهم ونحوه قال بعض اهل الادب انه لم يضف ثلثمائة الى سنين ولكنه اراد تمام الكلام لقوله ثلثمائة لذلك نون فيها ثم اخبر ما تلك الثلثمائة فقال سنين على القطع من اول القطع والله اعلم وقوله عزوجل قل الله اعلم بما لبثوا هو ما ذكرنا انه جعل علم مدة لبثهم في كهفهم الى الله تعالى وقوله عزوجل له غيب السموات والارض يحتمل هذا وجوها ثلاثة احدها له علم ما غاب عن اهل السموات واهل الارض كقوله عالم الغيب والشهادة والثاني له علم ما غيب واسر اهل السموات والارض بعضهم من بعض والثالث له علم غيب ما شاهد اهل السموات واهل الارض لانهم قد شاهدوا من الاشياء وعاينوها غيبا وسرية لم يعلموه من نحو الشمس شاهدوها وعرفوا انها شمس ولكن لم يعلموا ما فيها من المعنى الذي به صلاح الاشياء ومنافعها وكذلك القمر وانما شاهدوا هذه الاشياء ولكن لم يعرفوا المعنى الذي به صارت نافعة للاشياء ومصلحتها وكذلك السمع والبصر والعقل ونحوه من الحواس عرفوا هذه الحواس على ظواهرها ولكن لا يعرفون المعنى الذي به يسمعون ويبصرون ويفهمون فيقول له علم ما غاب عنكم من هذه الاشياء التي شاهدتموها والله اعلم وقوله عزوجل ابصر به واسمع هذا كلام يتكلم على النهاية والغاية والابلاغ من الوصف ويقال اكرم به من فلان اذا كان بلغ الكرم به غايته وكذلك يقال احسن به من فلان اذا بلغ في الحسن غايته ونحوه فعلى ذلك قوله ابصر به واسمع هو وصف له على النهاية كما يقال ما اعلمه وما ابصره وما اكرمه وما احسنه في العلم انه يعلم ما غاب عن الخلق وما شاهدوا ابصر به من الافعال التي يفعلونه واسمع به من الاقوال التي يتفوهون اي يعلم ما غاب عنهم مما لم يفعلوا ولم يقولوا فالذي قالوه وفعلوه احق ان يعلم يحذرهم عزوجل عن افعالهم واقوالهم والله

الموفق

الموفق وقوله عزوجل ولا يشرك في حكمه احدا يحتمل لا يشرك في الوهيته وربوبيته احدا ويحتمل ولا يشرك في حكم اي الحكم له ليس لاحد دونه حكم انما عليهم طلب حكم الله فيما يحكمون او لا يشرك في تقديره وتدبيره الذي يدبر في خلقه احدا ويحتمل ولا يشرك في قسمته التي يقسم بين الخلق احدا ولا يشرك في حكم اي فيما جاءت به الرسل ودعت الخلق اليه وقوله عزوجل واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك اللوح المحفوظ اي بلغ ما اوحي اليك من اللوح الذي عند الله من متلو كقوله بلغ ما انزل اليك من ربك وهو جميع ما انزل اليه من المتلو وغير المتلو ويحتمل من كتاب ربك الكتاب الذي انزل عليه وهو القران اي اتل عليهم ذلك الكتاب فان كان هذا ففيه ان القران مما يتقرب بتلاوته ثم في قوله بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله واتل ما اوحي اليك فريضة ضمناها وذلك انه امر رسوله بتبليغ رسالته وما انزل اليه ثم معلوم ان من كان في اقصى الدنيا وابعد اطرافها لم يقدر رسوله ان يتولى التبليغ بنفسه وكذلك بعد وفاته لا يجوز ان يتولى تبليغه فكان ذلك القيام يلزم المسلمين والمتمتهم بتبليغه فيتقوا ذلك ولهذا ما رخص والله اعلم بدخول المسلمين دار الحرب للتجارة ودخول اولئك دار الاسلام للتجارة ليتمكنا لينتهي اليهم خبر هذا الدين حيث علم انه يكون ائمة في اخر الزمان لا يهتمون لدينه ولا يتولون لما امروا بتبليغه ويضيعون امره فيلزمهم بحجة الله والقيام الخاصة في تلك التجارة والاموال التي يتجرون فيها ولكن ما ذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل لا مبدل لكلماته قال بعضهم لا مبدل لسنته اذ سنته في المكذبين الاهلاك وفي المصدقين النجاة هذا سنته وان امكن تعجيلها وتاخيرها فاما نفس سنته فهي لا تتبدل ولا تتحول كقوله ولا تجد لسنة الله تبديلا ونحو ذلك وقال الحسن في قوله لا مبدل لكلماته ما وعدوا وعدهم في الدنيا فذلك في الاخرة لا يتبدل ولا يتحول اذ وعد للمؤمنين الجنة وللكافرين العذاب فذلك لا يبدل وقال بعضهم لا مبدل لكلماته وهي القران لا يتبدل ولا يتغير ولا يزاد ولا ينقص كقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه وقال بعضهم لا مبدل لكلماته لحججه وبراهينه التي جعل لدينه واقام له ذلك يلزم الاسلام ودينه الا من قهر عليه في العبارة او كان المقام عليه الحجة معاندا مكابرا واما من لم يكن هذا المعنى ان يلزم لا محالة والله اعلم وقوله عزوجل ولن تجد من دونه ملتحدا هذا الخطاب وان كان في الظاهر لرسول الله فهو يخرج مخرج التنبيه على ما ذكرنا في غير اي من القران وقوله ملتحدا لا يدخل فيه وقال بعضهم ملجا والله اعلم وقوله عزوجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يحتمل واصبر نفسك بالغداة والعشي مع الذين يدعون ربهم فيكون فيه الامر بالجلوس لهم بالغدوات والعشيات للتذكير وتعليم العلم على ما تعارف الناس الجلوس للناس لذلك في هذين الوقتين لان ذلك الوقتان خاليان عن الاشغال عن ذلك الغداة والعشي لما لم يحل عليهم بعد صلاة الغداة صلاة وكذلك بعد العصر للذكر الذي ذكرنا وتعليم ما يحتاج في ليلهم ونهارهم او ان يكون ذلك كناية عن صلاة الفجر والعصر لما جاء من فضل وعظيم يخبر في غيرهما من الصلوات نحو ما ذكر وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا وما روي في العصر من الوعيد من فاته العصر فكانما وتر اهله وماله ونحو امر يصبر نفسه على حفظ هذين لما ذكرنا مع من ذكر او ان يكون لا على ارادة غداة او عشي ولكن بالكون مع اتباعه في كل وقت والصبر معهم وقال اهل التاويل ذكر هذا لان رؤساء الكفرة سالوه ان يطرد اتباعه عنه ويتخذ لهم مجلسا فنزل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية وقوله واصبر نفسك الاية وقالوا في قوله واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته نزل في اصحاب الكهف يقول واخبرهم ما يسالونك مما اوحينا اليك من اخبار اصحاب الكهف ولا يزيد ولا ينقص عليه فان كان في هذا نزل هذا وسول الله كان لا يخبرهم الا ما اوحي اليه وانزل عليه من امرهم والوجه فيه ما ذكر والله اعلم وقوله عزوجل ولا تعد عيناك عنهم قيل لا تتعداهم الى غيرهم وقيل لا تصرف ولا ترفع عينيك عنهم تجاوزهم تريد زينة الحيوة الدنيا هذا يحتمل وجهين احدهما ان كان على تاويل اهل التاويل انهم سالوه ان يتخذ لهم مجلسا دون اولئك فيكون تاويل قوله تريد زينة الحيوة الدنيا اي تريد اولئك الذين يطلبون منك مجلسا على حدة يريدون بذلك زينة الحيوة الدنيا لا يريدون بذلك وجه الله والثاني لو فعلت ما سالوك كان فعل ذلك من يريد زينة الحيوة الدنيا لان المجلس الذي يحضره الاشراف والرؤساء انما يراد به زينة الحيوة الدنيا والله اعلم وقوله عزوجل من اغفلنا قلبه عن ذكرنا تاويل الاية على قولنا ظاهر نحن نقول على ما نطق ظاهر الاية من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي من خلقنا ظلمة الكفر بكفرهم في قلوبهم او خذلناهم بكفرهم الذي فعلوا واما المعتزلة فانهم قد تحيروا فيه وتاهوا واكثروا التاويلات فيها حتى ان منهم من صرف القراءة عن وجهها فقال ولا تطع من اغفلنا بنصب اللام وقلبه برفع الباء معناه ان من اغفل قلبه عن ذكرنا على قول المعتزلة على صرف الفعل الى القلب وكذلك قالوا في قوله من شر ما خلق ليستقيم على مذهبهم وليستقيم ومنهم من قال ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي لا تطع من وجدنا قلبه غافلا وقال ذلك مستقيم في اللغة يقال قاتلناهم فما اجبناهم اي ما وجدناهم جبناء ويقال سالناهم فما اخلناهم اي ما وجدناهم بخلاء ونحوه من الكلام وهو تاويل الجبائي فيما اظن وقال بعضهم ولا تطع من اغفلنا قلبه اي من خلينا بينه وبين من يفعل وهو كما يقال لمن خلى عبده حتى افسد كثيرا من الناس يقال سلطت عبدك على الناس وهو لم يسلطه عليهم لكنه يقال له لما قدر على منعه عن ذلك والحيلولة بينه وبين ما فعل ضيعه ذلك اليه فعلى ذلك قوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم وهو قول

جعفر بن حرب وقال بعضهم اضاف ذلك الى نفسه للاسباب التي اعطاهم من النعمة والغناء والشرف في الدنيا فتلك
الاسباب التي اعطاهم هي التي حملتهم على ذلك فاضيف اليه ذلك وهو ما قال ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً وهو تأويل ابي بكر الاصم وقال الحسن اغفلنا قلبه اي وجدنا هم وطبعنا على قلوبهم وهو يقول
ان لكفر حداً اذا بلغ ذلك الحد يخذله ويطبع على قلبه فلا يؤمن ابداً فيقال خذله في اول حال الكفر او بعد ذلك بايام
وزمان فان قال في اول حال الكفر فهو قولنا وان قال لا في اول حاله ولكن بعد زمان فهو كافر موفق ومؤمن مخذول
على قوله فنعوذ بالله مما قالوا بخبر الجواب الاول ما ذكرنا من صرف التنزيل عن وجهه وظاهره فلو جاز لهم ذلك
لتيسر لهم صرف جميع الايات عن ظاهر التنزيل وذلك بعيد محال واما تأويل الجبائي اي وجدناهم كذا فما تأبى
له هذا انما كان جميع حروف افعل يخرج على ما يقوله في اللغة فاما ان يقال في بعض فان ذلك غير مستقيم وبعد فانه
لو كان كما ذكر لكان يقول ولا تطع من اغفلته عن ذكرنا اي وجدته غافلاً عن الذكر لانه نهى عن اطيع من وجده غافلاً فهو
لا يعلم من وجده الله غافلاً وانما يعلم من وجدهم بنفسه غافلاً فاما اذا كان ما ذكرنا لم يكن للنهي عما ذكر معنى فدل
ان تأويله فاسد وخيال وان اضافته اليه لمعنى يكون من الله واما جواب تأويل جعفر بن حرب انه على التخلية والتلبيد
فهو انما يقال لمن يقال سلطت عبدك على كذا على الذم لا على المدح فلا يجوز ان يقال ذلك في الله على الذم ونيضاف
اليه ايضاً ذلك وكذلك يقال لابي بكر حيث قال انما اضاف ذلك اليه للاسباب التي ذكر انه اعطاهم يقال له ذلك
يضاف على الذم انك اعطيت كذا حتى فعل كذا فاما ان يقال على المدح فلا فيبطل قوله وتأويله فدل اضافة ذلك
الى نفسه انه كان منه في ذلك معنى يستقيم اضافته اليه وهو ما ذكرنا من خلق الظلمة في قلوبهم بكونهم الذي
اختاروا او خذلانه اياهم لما اختاروا واثروا والله اعلم وقوله عز وجل وكان امره فرطاً قال بعضهم فرطاً اي ضياعاً وهلاكاً او
قال بعضهم فرطاً اي خسراناً وخساراً وقال ابو عوسجة هو من التفريط وقال غيره افرط في القول ليس قال انا رؤس
من مضر ان نسلم يسلم الناس بعدنا على ما ذكر في بعض القصة وقال ابو عبيد فرطاً اي ندماً وقوله عز وجل وقل الحق من ربكم
كانه على الاضمار اي قل قد جئتكم بالحق من ربكم او يقول قل لهم قد تعلمون اني قد جئتكم من الايات والحجج على ما ادعوكم
اليه ما لا يحتمل بلبس ويخرج عن وسعي وطاقتي وقوله عز وجل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم يحتمل هذا وجوهاً
احدها من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فانه انما يعمل لنفسه ليس يعمل لاحد سواه كقوله من عمل صالحاً فلنفسه
ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم الاية فعلى ذلك يقول والله اعلم والثاني يقول اني بلغت
الرسالة اليكم فلا اكرهكم انما على الاسلام ولا احد سواي فمن شاء منكم فليؤمن ومن شاء فليكفر فانه انما يؤمن باختياره
ومشيته ومن كفر فانما يكفر باختياره ومشيته لا يكره على ذلك والثالث ان الايمان والكفر قد بين الله لهما العواقب
ما عاقبة من اختار الايمان وما عاقبة من اختار الكفر وهو ما قال انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها
الى اخر ما ذكر وقال للمؤمنين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات
عدن الاية يقول قد بين لكل واحد منهما عاقبة فمن شاء كتب لنفسه في العاقبة الجنان وما فيها من النعيم ومن
شاء اكتسب ما ذكر في العاقبة من النار وانواع العذاب فذلك كله يخرج على الوعيد وقوله عز وجل انا اعتدنا
للظالمين وقت دخولهم النار ناراً وهو في الاخرة وقوله احاط بهم سرادقها يحتمل هذا وجهين احدهما على ارادة
حقيقة السرادق والثاني على التمثيل اي يحيط بهم النار فلا يقدرون على الخروج منها على ما يمنع السرادق من الخروج
في الدنيا ودفع الحر والبرد فان كان على حقيقة السرادق فهو والله اعلم على ما جعل الله لهم من انواع ما كانوا
يتفاخرون في الدنيا من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك يجعل لهم في الاخرة من ذلك النوع من النار وهو ما
ذكر سرابيلهم من قطران وما قال ليس لهم طعام الا من ضريع والشراب ما ذكر من الصديد والغسلين وغير ذلك
من النوع الذي كانوا يتفاخرون به في الدنيا ويمنعهم من الايمان جعل لهم في الاخرة من ذلك النوع من النار وبه
يعاقبهم فعلى ذلك السرادق انهم يكونوا يتفاخرون به في الدنيا بالسرادق اذا خرجوا الى السفر فيعاقبهم الله في النار بذلك
والله اعلم وقوله عز وجل وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يحتمل استغاثتهم هو ما ذكر في اية اخرى ان افيضوا علينا
من الماء فيغاثون بماء كالمهل ويحتمل ان يطلبوا في النار الماء بعد ما طعموا فيها منها فيغاثون بالمهل ثم المهل
قال عامتهم المهل هو دردي الزيت او العصير لكنهم اختلفوا في معنى التشبيه به قال بعضهم شبهه به لغلظه لان
الشيء الغليظ يكون الصق واخذ من غيره وقال بعضهم شبهه به لسواده وقال الحسن وابو بكر شبهه به
لكثرة تلونه من الحمرة والصفرة والسواد ونحوه لشدته وهو ما ذكر يوم تكون السماء كالمهل شبهه كالمهل
لتلونه لشدة ذلك اليوم وهوله وقوله عز وجل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت
مرتفقاً اي ساءت النار مرتفقاً اختلف فيه قال بعضهم المرتفق المتكأ وقال بعضهم المجمع اي بئس الاجتماع
وقال بعضهم مجلساً وقال بعضهم بئس المنزل النار رفقاؤهم فيها الكفار والشياطين وقوله عز وجل ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملاً قال بعضهم هو على التقديم والتأخير كانه قال انا لا نضيع اجر
من احسن عملاً منهم ثم قال الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن الى اخر ما ذكر وقال بعضهم
ليس على التقديم والتأخير ولكن على ما ذكر ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملاً منهم
تفسير ما لهم فقال اولئك لهم جنات عدن الى اخر ما ذكر قال ابو عوسجة السرادق البناء الذي يبنى من الكرابيس

شبه

شبه الدار والحجرة وساءت مرتفقاً اي متكأ ومنزلاً وقال القتبي السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط
قال وهو الدخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الظل ذو الثلاث الشعب المهل دردي الزيت ويقال
ما اذيب من النحاس والرصاص وساءت مرتفقاً اي مجلساً واصل الارتفاق الاتكاء على المرفق وقوله اولئك
لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من ذهب يذكر ثواب المؤمنين الذين تركوا شهواتهم في
الدنيا لها ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق قالوا الاستبرق الديباج الغليظ والسندس هو الرقيق
والغليظ منه لا يلبس لكنه كانه جمع بين ما يلبس وبين ما يبسط فذكر اللبس لما يلبس كما يقال اطعمت فلاناً طعاماً
وشراباً والشراب لا يطعم وقيل ان الاستبرق هو الرقيق من الديباج بلغة قوم فان كان ما ذكر فكانه انما ذكر ذلك
لاولئك والله اعلم وقوله عز وجل متكئين فيها على الارائك قال بعضهم الارائك السرر في الحجال والا ريكة السرير
في الحجلة وقال بعضهم الارائك السرر وعليها الحجال وقال ابو عوسجة الارائك الوسادة وحسنت مرتفقاً قيل
منزلاً واصل هذا انه وعد لهم في الاخرة ما كانت انفسهم ترغب فيه في الدنيا ليتركوا ذلك في الدنيا للموعود في
الاخرة وكذلك حذرهم في الاخرة باشياء تنفر انفسهم وطباعهم في الدنيا ليحذروا ما يستوجبون الموعود في
الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب الى اخر ما ذكر جائز ان
يكون هذا المثل كان في الامم المتقدمة وكتبهم سئل رسول الله عن ذلك ليعلم وليتبين لهم صدقه بانه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ما يدعي على ما سئل هو عن قصة ذي القرنين ونبا وبناء اصحاب الكهف واخبارهم
ليتبين لهم صدقه اذ علموا ان تلك الانباء والقصص لا يعلم ولا يعرفها الا من علم كتاب الله اذ كان ذلك
في كتب الله وهو لم يعرف تلك الكتب لانها كانت بغير لسانه ولم يروه اختلف الى من يعرفها ليتعلم منه ثم انباهم
على ما كان في كتبهم فدل ان ذلك انه انما عرف بالله وانه صادق فيما يدعي من الرسالة على هذا يجوز ان يقال والله اعلم
فيكون في ذلك اية لرسالته ونبوته او ان يكون قوله واضرب لهم مثلاً رجلين الى اخره اي اضرب لهم مثلك ومثلهم
ومثلهم مثل رجلين فيكون مثلك ومثلهم مثل ما ذكر من رجلين الى اخره او ان يكون قوله واضرب لهم
مثلاً رجلين اي اضرب للمعتبرين والمتوسمين مثل رجلين هذا سبيلهما يرغب احدهما في الدنيا وزينتها ويطلبها
لا يرى غيرها والاخر يرغب في الزهد فيها وترك الطلب لها والرغبة في الاخرة فان كان على هذا او ما ذكرنا من
ضرب مثله ومثل اولئك فهو على الابتداء فيخرج على الاعتبار والتفكر فيما ذكر تنبيهاً وايقاظاً وان كان على
السؤال عما كان فهو ليس على الاعتبار ولكن على الانباء انه رسول ففيه اية لرسالته ونبوته ثم قوله واضرب
لهم مثلاً رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً اي بين الجنتين كلتا
الجنتين اتت اكلها اي حملها ولم يقل اتتا اكلها خرج على اسم واحد وان كان في المعنى على التثنية وذلك جائز في اللغة
كقولك كلتا المرأتين صالحة وكلانا صالح وفيه قول الشاعر كلانا شاعر من حي صدق ولكن الرحى تعلو الثفالى
وقوله عز وجل ولم تظلم منه شيئاً اي لم تنقص من ثمرها شيئاً وقوله عز وجل وفجرنا خلالهما نهراً اي اجرينا بينهما
مياهاً جارية وقوله وكان له ثمر قال بعضهم من قرأ ثمر بالرفع فهو كل ما كان يملك من الجنان وغيرها ومن
قرأ بالنصب فهو على ثمر وقال بعضهم الثمر بالنصب فهو الثمر والثمر بالرفع فهو جميع الثمار والله اعلم وقوله
عز وجل فقال لصاحبه وهو يحاوره يكلمه او يجيبه او ينازعه ويناظره انا اكثر منك مالاً واعز نفراً لا يحتمل
ان يكون هذا الخطاب منه على الابتداء لانه لا يصح على الابتداء فيشبه ان يكون كان من صاحبه له وعيد وتخويف
فعند ذلك قال له ما ذكر او ان يكون قال يعطيني ربي في الاخرة مثل ذلك وخيراً منها فقال الله عند ذلك انا اكثر
منك مالاً واعز نفراً اي قد تفضل علي في الدنيا وفضلني عليك فيفضلني ايضاً في الاخرة عليك حيث قال
لاجدن خيراً منها منقلباً ان كان ما زعم صدقاً بالبعث والرد الى الله والا على الابتداء لا يصح وقوله عز وجل
ودخل جنته وهو ظالم لنفسه يحتمل اي ظالم نفسه ويحتمل ان يكون قوله نفسه بدنه وهو ظالم المعنى الذي يكون
في النفس به يستعمل والله اعلم وقوله عز وجل وما اظن ان تبيد هذه ابداً قال بعضهم ما اظن اي ما اوقن وما اعلم
وقال بعضهم هو الظن الذي لصاحبه كان يناظره فيه فاضطرب في فنائها وقيام الساعة فشك فيه والله اعلم وقوله
عز وجل ان تبيد هذه ابداً ما دامت نفسه او كانه لم يشاهد الهلاك ولم ينظر اليه فقال ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل ولئن رددت الى ربي لاجدن خيراً منها منقلباً اي لو رددت الى ربي على ما تزعم لاجدن خيراً منها منقلباً
ان كنت صادقاً وقوله قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة اي خلق اصلك
من تراب وخلقك من نطفة ثم سواك رجلاً اي صححك وقومك رجلاً جائز ان يكون محاجته اياه في هذه
لانكاره البعث اي كفرت وانكرت قدرة الله على البعث والاعادة وهو خلق اصلك من تراب وخلق نفسك
من نطفة وانت اذا مت وهلكت تصير تراباً او ماء فاذا قدر على خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من ماء
لقادر على اعادتك وبعثك بعد ما صرت تراباً وماء او يكون محاجته في انكاره حكمة الله فيقول خلق اصلك
من تراب وخلق نفسك من نطفة ثم سواك وصححك فاذ لم يبعث وبعدك وكان خلق اصلك وخلقك عما ذكر
عبثاً غير حكمة ان من بنى بناء ثم نقضه على غير قصد الانتفاع به كان في بنائه في الابتداء عابثاً تابها سفيهاً غير حكيم
فعلى ذلك خلقك وخلق اصلك من غير اعادة من بعد يكون سفيهاً على غير حكمة وهو ما قال افحسبتم انما خلقناكم

عبثا الوجه صير خلقهم على غير رجوع اليه عبثا ويكون محاجته في تسفيهه اياه في عبادته غير الله يقول الكفرت
نعمة الذي خلق اصلك من تراب وخلق نفسك من نطفة ثم سواك صحيحا فصرفت شكر نعمه الى غيره وعبدت
غيره على هذه الوجوه الثلاثة ويحتمل محاجته اياه انما في انكار قدرته في بعثه واعادته او انكاره الحكمة في البعث
او في انكاره نعمه وصرفه الشكر الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل لكنا هو الله ربي كانه قال لكن الذي خلق اصلك من
تراب وخلق اصلك من نطفة هو ربي ولا اشرك بربي احدا وقال الخليل لكنا انما هو على تأويل لكن انا اقول هو الله ربي
كقوله اني انا اخوك انهم حين القوا الالف من انا اثبتوها بعد المنون والله اعلم وقوله عز وجل ولولا اذ دخلت جنتك
اي هلا اذ دخلت جنتك نظرت الى ما انعم الله عليك وتفكره دون ان اشتغلت بازدرا ونظرت الى قلة ذات حالي
ويدي واشتغلت بالافتخار علي وكذلك قال ان ترني انا اقل منك مالا وولدا ثم ذكر طمعه ورجاه على ربه وخوف
بعث قال فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء قال اهل التأويل الحسبان العذاب
الا ان ابا بكر الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا وذلك جزاؤه في الكفرة وهو ما ذكر في الجنتين اللتين اهلكهما حيث
قال ذواتي اكل الى قوله ذلك جزيناهم الاية وقال ابو عوسجة حسبانا اي عذابا والحسبان عذابا اي عذابا والحسبان
الضفادع من النيل والحسبانة واحدة والحسبان جميع والاول عذاب وقوله عز وجل صعيدا زلقا قال ابو عوسجة
صعيدا زلقا الذي ليس عليه نبت وزلقا اي تسوية وقال القتبي الصعيد الاملس المستوي والزلق الذي تزل عنه
الاقدام وقوله عز وجل او يصبح ماؤها غورا هذا يخرج على وجهين احدهما يقول ويرسل عليها حسبانا من السماء
اي عذابا فتصير صعيدا زلقا املس لا نبات عليها او يذهب بمائها فتهلك بذهاب الماء اذ حلول البساتين يكون بذهاب
الماء مرة وبالعذاب النازل عليها ثانيا وقوله عز وجل فلن تستطيع له طلبا هذا يحتمل وجهين احدهما لن تستطيع
له طلبا اي تقصير بحال لا يستطيع له طلبا ولن تستطيع له وجودا وقال في قوله ان ترني انا اقل منك بالنصب
لان الكلام مبني على قوله ان ترني وجعل انا صلة واما قوله انا اكثر فوصف انا باكثر فارتفع وقوله عز وجل
فاحيط بثمره اي اهلك بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها هكذا عادة الناس انهم اذا اصابهم خسران او مصيبة
يقلبون كفيهم بعضهم على بعض على التندم والحسرة على ما فات وقوله وهي خاوية على عروشها قيل ساقطة على عروشها
ويحتمل خاوية ذاهبة البركة وقوله عز وجل لم اشرك بربي احدا ان كان هذا القول في الدنيا فذلك منه توبة
لان التوبة هي الندامة على ما كان منه وقال بعضهم هذا القول منه في الاخرة فان كان في الاخرة فانه
لا ينفعه ذلك والله اعلم وهكذا كل كافر يؤمن في الاخرة لكن لا ينفع وقوله عز وجل ولم تكن له فئة ينصرونه من دون
الله وما كان منتصرا هذا والله اعلم مقابل ما قال انا اكثر منك مالا وولدا واعز نفرا اي لم يغنه عن عذاب
الله ما ذكر من النصر ولا قدر ان يقوم بنفسه منتصرا بالمال الذي ذكر وقوله عز وجل هنالك قال بعضهم عند ذلك
وقال بعضهم هنالك اي هكذا والولاية لله ثم اختلف في تلاوته وتأويله قرأ بعضهم الولاية لله بالفتح وكذلك ذكر
في حرف ابن مسعود هنالك الولاية لله الغفور وهو الحق بالرفع وفي حرف حفصة وهنالك الملك والولاية لله
الغفور ذي الرحمة وقرأ بعضهم لله الحق اي الولاية الحق لله والولاية بالنصب من الموالاة قال ابن عباس رضي الله
عنه لا يبقى احد الا تولى الله وامن به وعلم انه حق والولاية بالكسر من الامارة والملك على ما ذكر في حرف حفصة
وفي حرف ابي هنالك الولاية لله الحق لله يقرأ الولاية لله وهو الحق ويقرأ هنالك الولاية لله الحق بالخفض ويقرأ
هنالك الولاية الحق لله وذكر هذا المثل لرسول الله والله اعلم لان فيه دلالة رسالته وحجة توحيد الله وقدرته
وسلطانه وقوله عز وجل هو خير ثوابا وخير عقبا اي ثواب هذا المؤمن منهما افضل ثوابا في الاخرة وافضل
عاقبة من عقبى ذلك الكافر قال ابن عباس قوله واضرب لهم يعني الى اهل مكة مثلا رجلين اخوين من بني مخزوم
احدهما مسلم والاخر كافر وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله في سورة الصافات الى كان لي قرين الى قوله فرآه في سواء
الجحيم تصدق المسلم منهما بماله وطلب الاخرة وطلب الاخر الدنيا وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كانا
اخوين ورثا عن ابيهما مالا فاقتسماه فاما احدهما التمس بماله الدنيا وزينتها واما الاخر تصدق به وطلب
الاخرة حتى لم يبق له شيء الى هذا يذهب هؤلاء والله اعلم وقوله عز وجل واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه من السماء لتختلف اهل التأويل في ضرب هذا المثل قيل ضرب هذا المثل لمشركي العرب لانهم ينكرون فناء الدنيا وهلاكها لانها لا تبيد ابدا
فيقول ان الذي يعاينون من فناء ما ذكر من النبات وغيره وهلاكه هو جزء منها فاذا احتمل جزء منها الفناء و
الهلاك فعلى ذلك الكل وقال بعضهم وجه ضرب هذا المثل وهو ان اهل الدنيا وطلابها اذا ظفروا بالدنيا وطمعوا
الانتفاع بها والاستمتاع بها كما طمع الزراع الظفر بذلك الزرع والوصول الى الانتفاع به ثم حيل بينهم وبين
الانتفاع بالزرع والوصول الى مقصودهم فعلى ذلك الدنيا بحال بين اهلها وطالبيها وبينها وقال بعضهم وجه
ضرب مثل الدنيا بما ذكر من النبات للتزيين والتحسين لاهلها والتحبيب لهم لانها تتزين وتحسن لاهلها كالنبات
الذي ذكر انه يعجب اهلها ويتزين لهم ثم يفسد ويصير موفا فعلى ذلك الدنيا وهو ما ذكر في اية اخرى كمثل غيث
اعجب الكفار نباته هكذا وما فيها كلها مشوب بالافات والفساد في هذا المثل وجوه من الحكمة والدلالة احدها
العظة والاعتبار للمتفكرين والمعتبرين والحجة على المعاندين والمكابرين في انكارهم حدث العالم ومحدثها وانكار
فناء العالم وانكارهم البعث انما حدث العالم لما عاينوا حدوث اشياء منه واحد فعلى ذلك الكل واراهم

بعضا فناء اشياء منها حتى لم يبق لها اثر ثم حدث مثلها فاذا ظهر هذا في بعض منها فكذلك الكل فاذا ظهر حدوثه
وفناؤه لا بد من قاصد يحدثها وفيه دلالة البعث بما اراهم تجدد وتجدث هذه الانزال والاشجار والنبات
وغيره والعود على ما كان بعد فنائها فعلى ذلك اعادة العالم الذي هو المقصود في انشاء تلك الاشياء وذلك اولى
بالاعادة من غيرهم من الاشياء اذ هم المقصودون في خلق غيرهم من الاشياء وبعد فانهم قد اتفقوا على ان
خلق الشيء وفنائه للبلاك خاصة من غير مقصود وعاقبة عبث ليس بحكمة فلو لم يكن في خلقه اياهم حكمة لا تم
يحصل خلقه للفناء والهلاك خاصة وفي قوله كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض دلالة علمه وتدبيره
وقدرته لانه اخبر انه ينزل من السماء ماء يختلط به نبات الارض والماء من طبعه الفساد والنبات اذا اختلط به
فاذا لم يفسد ولكن احياه بالاختلاط دل في ان في الماء معنى به يحيي النبات لا يعلم ذلك غيره دل انه عالم بذاته
والتدبير هو ما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما دل ان ذلك كان بواحد عليم مدبر
قادر بذاته ان من قدر على ما ذكر من الاحداث والافناء قادر على الاعادة والبعث والله الموفق وقوله عز وجل
فاصبح هشيما قيل كثيرا مكسورا تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا هو مفتعل من قدرت وقوله عز وجل
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات كان هذا ذكر على مقصود الناس ان من كان قصده في
الدنيا كثرة المال والبنين فهو زينة الحيوة الدنيا وهو الفاني والذاهب على ما ذكر ومن كان مقصوده في
هذه الدنيا الخيرات والاخرة فهو الباقيات ابدا ثم اختلف في الباقيات الصالحات قال بعضهم هو قوله
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعلى ذلك روي في بعض الاخبار عن
نبي الله صلى الله عليه وسلم قال الا وان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر هن الباقيات وفي بعض
الاخبار انه قال لاصحابه خذوا جنتكم قالوا من عدو حضرنا قال خذوا جنتكم من النار فقولوا سبحان الله والحمد لله و
لا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فانهن المقدمات المؤخرات الباقيات الصالحات وفي بعض الاخبار
لابي الدرداء خذهن قبل ان يحال بينك وبينهن فانهن الباقيات الصالحات وهن كنز من كنوز الجنة قال
وما هي يا رسول الله فذكر سبحان الله الى اخره فان ثبت هذه الاخبار ففي الاصل لا يجوز غيره وقال بعضهم الباقيات
الصالحات الصلوات الخمس وهو قول ابن عباس وغيره فانهما كان فيه معنى الاخر وان كل واحد منهما يجمع جميع
انواع الخيرات والعبادات في الحقيقة لان سبحان الله هو تنزيه الرب عن كل افة وعيب والحمد لله هو الثناء له
بكل نعمة وصلت منه الى الخلق وجعله مستحقا للحمد والثناء له دون من سواه وان لا اله الا هو لا معبود سواه
وان لا يستحق العبادة غيره والله اكبر هو الاجلال عن كل ما قيل فيه ونفي كل ما نسب الخلق عنه ولا حول ولا قوة
الا بالله هو التبري وقطع الطمع عن دونه وتفويض الامور بكليتها اليه والتسليم له فكل حرف من هذه الحروف
يجمع في الحقيقة كل انواع العبادات والخيرات لما ذكرنا وكذلك الصلوات ايضا تجمع كل انواع العبادات لانه
يستعمل كل جارحة من جوارحه فيها في كل حال منها فهو يجمع جميع العبادات والاصل في قوله والباقيات الصالحات
انها كل الخيرات والطاعات لان الله تبارك وتعالى ذكر ووصف الحق بالبقاء والثبات في غير اي من القران ووصف
الباطل بالبطلان والتلاشي والذهاب من ذلك قوله كذلك يضرب الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما
ما يمكث في الارض الاية وقال المتركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة الاية وامثاله فعلى ذلك قوله الباقيات
الصالحات هي باقية خير عند ربك ثوابا وخير املا اي خير ما يأملون قال ابو عوسجة فاصبح هشيما اي يابسا باليا
وقال القتبي ومنه سمي الرجل هاشما وقال ابو عوسجة تذروه الرياح اي تطيره وقال القتبي اي تنسفه كقوله فقل
ينسفها ربي نسفا وعن ابن عباس قال الخير عند ربك ثوابا اي خير ما يثاب الناس عليه وخير املا اي خير ملجأ اي
خير ما يأمل الناس عن اعمالهم يوم القيمة والله اعلم وقوله عز وجل ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة يذكرهم
جل وعلا عن شدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه حيث سار اثبت شيء رأوا في الدنيا واكبر واصلب شيء رأوا في
الدنيا وهو الجبال لشدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه وقال في اية اخرى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث
وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال في اية اخرى وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقال في اية اخرى وترى الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقال في اية اخرى هباء منثورا وامثاله يذكرهم عن شدة اهوال ذلك
اليوم وافزاعهم حيث صار اثبت شيء في الدنيا واشد على الوصف الذي ذكره وبدون هذه الاهوال والافزاع
التي ذكر لا تقوم انفس البشر في الدنيا فقيا منها لمثل هذه الاهوال التي ذكر اخرى ان لا تقوم الا ترى ان موسى صلوات
الله عليه كان اشد الناس واقوى البشر ثم لم تتم نفسه لاندكاك الجبل حتى صعق الا ان الله حكم ان لا هلاك
يومئذ بعد ما احياهم والا كانت انفسهم لا تقوم بدون ما ذكر من الاهوال ثم ما ذكر من احوال الجبال يكون
ذلك في اختلاف الاحوال والاوقات يكون في ابتداء ذلك اليوم ما ذكر انها تبرز انهم جامدة وهي ليست بجامدة
ثم تصير كثيبا مهيلا ثم تصير كالعهن المنفوش في وقت ثم تصير هباء منثورا يكون على الاحوال التي ذكر على
اختلاف الاحوال والاوقات على قدر الشدة والهول والله اعلم ثم يحتمل قوله وترى الجبال تحسبها جامدة
وهي تمر مر السحاب لشدة ذلك اليوم تتراءى كانها جارة وهي تمر مر السحاب وقد يتراءى في الشاهد مثله للهول
والفزع والثاني تتراءى لازدحام الجبال واجتماعها وقد تتراءى في الشاهد السائر كالجامد والساكن لكثرة والازدحام

نحو عسكر عظيم يسير براد الناظر اليه كانه ساكن لا يسير فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل ان يكون هذه الاحوال
التي ذكر لاهل الكفر والعصاة منهم فاما اهل الايمان والاحسان يكونون في امن وعاقبة من تلك الاحوال كقوله
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا الاية وقوله عز وجل وترى
الارض بارزة اي ظاهرة ليس عليها بناء ولا شجر ولا جبال ولا حجر ولا شيء تصير مستوية على ما ذكر قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا ويحتمل قوله وترى الارض بارزة اي يكون اهلها بارزين له كقوله وبرزوا لله جميعا
وقوله عز وجل وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا اي نجمعهم جميعا كقوله قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى
ميقات يوم معلوم وقوله عز وجل وعرضوا على ربك صفا قال بعضهم عرضوا على ربك جميعا ثم يحتمل قوله وعرضوا
على ربك للحساب وقال بعضهم يعرضون على مقامهم اي يعرض كل فريق على مقامه اي يبعث كقوله وازلفت الجنة
للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين ويحتمل معنى العرض عليه في ذلك اليوم وان كانوا في جميع الاحوال والاوقات
في الدنيا والاخرة معروضين عليه عالم باحوالهم لما يقرون له جميعا يومئذ منكرهم ومقرهم بالعرض والقيام
كقوله وبرزوا لله جميعا والامر يومئذ لله والامر في جميع الاوقات لله وكذلك هم بارزون له في جميع الاحوال
لكنه خص ذلك اليوم بالاضافة اليه بما يقرون له جميعا في ذلك اليوم بالالوهية له والملك ويعرفون حقيقته
فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة يحتمل هذا وجوها يحتمل لقد جئتمونا بالنجاة
والاقرار لنا كما اجاب خلقتكم في اول خلقنا اباها في الدنيا والثاني لقد جئتمونا كما قلنا في الدنيا انكم تبعثون وتحشرون وتقوم
لكم الساعة والثالث ما قاله اهل التاويل لقد جئتمونا فرادى بلا انصار ينصرونكم ولا اعوان يعينونكم على ما كنتم في الابتداء و
وقال بعضهم كما خرجتم من بطون امهاتكم عراة وحفاة ليس معكم مال ولا انصار ينصرونكم وهو ما قال ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وقوله عز وجل بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا هذا يدل ان تلك
الاهوال التي ذكرنا انما تكون للعصاة ومن انكر البعث حيث قال بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا يعني القيامة وهذا يدل
ان الاهوال والافزاع التي ذكر في الاية الاولى تكون للعصاة والفسقة من خلقه دون المؤمنين وقوله عز وجل ووضع
الكتاب قبل الحساب ويحتمل الكتاب الذي كتبته الملائكة وضع ذلك الكتاب في ايديهم وقوله عز وجل فترى المجرمين مشفقين
اي خائفين وجلين وقال بعضهم لما نظروا في الكتاب نرادا من اعمالهم الخبيثة فيه عند ذلك خافوا مما فيه وقوله
عز وجل ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من اعمال السيئة الا احصاها اي حفظها ولا يغادر
صغيرة ولا كبيرة من الحسنات والسيئات الا احصاها ويحتمل قوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة اي لا يترك شيئا مما
يجزى به الانسان وما لا يجزى به الا احصاها اي حفظها ووجدوا ما عملوا في الدنيا حاضرا في الاخرة محفوظا غير ثابت
عنه شيء ولا غائب منه وقال بعضهم انما هو قول الملك يقول لهم ذلك كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
حفيظ والله اعلم وقوله عز وجل ولا يظلم ربك احدا اي يجزي كلا على قدر عمله لا يزيد على قدر عمله ولا ينقص منه او لا ينقص
المؤمن من حسناته والكافر لا يترك له سيئة الظلم هو في الشاهد وضع الشيء غير موضعه يقول لا يظلم ربك احدا
اي لا يكون بما يجزي كلا على عمله ظالما واضعا شيئا غير موضعه وقوله عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم
ذكر الله عز وجل قصة ادم وابليس في غير موضع من القران على الزيادة والنقصان وانما ذكر كذلك وكرر لما كذلك
كان في الكتب المتقدمة مكررا معادا فذكر في القران على ما كان في تلك الكتب ليكون ذلك اية لرسالة محمد حيث علموا
انه كان لا يعرف الكتب المتقدمة او ان ما كرره لحاجات كانت لهم ولفوائد تكون لهم في التكرار ليكون
لهم عظة وتنبيها في كل وقت وكل حال وقد يكرر الشيء ويعاد على التذكير والتنبيه والله اعلم بذلك وقوله عز وجل
فسجدوا الا ابليس كان من الجن اختلف فيه قال بعضهم سمي من الجن لانه كان من الجان الذي يعملون في الجنان فنسب
اليه وقال بعضهم ان من الملائكة قبيلة يقال لها الجن فكان ابليس منها فنسب اليها وقال الحسن ما كان ابليس من الملائكة
قط طرفة عين ولكنه من الجن كما قال الله فهو اصل الجن وهو اول من عصى ربه من الجن ان ادم هو اصل الانس وهو ابوهم
فعلى ذلك ابليس اب الجن وقال بعضهم كان من الجن اي صار من الجن وكذلك قالوا وكان من الكافرين اي صار من الكافرين
وقال بعضهم كان من الجن اي كان في علم الله في الازل انه يكون من الجن وكان في علم الله في الازل انه يكون من الكافرين
وقت عصيانه ربه واباية السجود لادم وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم وقوله ففسق عن امر ربه قيل عتى وعصى واصل
الفسق الخروج اي خرج عن امر ربه وكذلك قال القتبي ففسق اي خرج عن طاعته يقال فسقت الرطبة اذا خرجت من
قشرها وقوله عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دوني هذا يحتمل وجهين احدهما انه اراد بقوله من دون
نفسه كما انه قال افتتخذونه وذريته اربابا والهة من دوني وهم لكم وليسوا بالهة ولا ارباب فكيف يجوز ان يتخذ
العدو ربا والها والثاني انه اراد بقوله اولياء من دوني اي من دون اوليائي فكانه قال افتتخذونه وذريته اولياء من
دون اوليائي وهم لكم عدو اي كيف تتخذون الاعداء اولياء وتتركون منهم لكم اولياء ولا تتخذونهم اولياء والله
اعلم وقوله عز وجل بئس للظالمين بدلا اي بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم ان عبدوا ابليس واطاعوه فبئس ذلك لهم
بدلا وان يكون قوله بئس للظالمين بدلا اي ما اتخذوا اعداءهم اولياء بدلا عن اوليائهم او بدلا عن الوهيته وربوبيته
وقوله عز وجل ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم قال بعضهم قال هذا لمشركي العرب حيث قالوا
الملائكة بنات الله والاصنام التي عبدوها انها الهة وانها شركاؤه فيقول ما اشهدتهم خلق الملائكة وخلق الارض

ولاخلق

ولا خلق انفسهم ولا كان لهم كتاب ولا امنوا برسول فكيف عرفوا ما قالوا الملائكة بنات الله والاصنام الهتهم الهة وشركاؤه
واسباب العلم والمعارف هذا اما المشاهدة واما الرسل فاذا لم يكن لهم واحد مما ذكرنا فكيف عرفوا ربهم وثم علموا ما
قالوا في الله من الولد والشركاء والى هذا يذهب الحسن ومنهم من قال لاتخاذهم ابليس وذريته اولياء وارباب وهو صلة
ما قال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو الاية وفيه وجوه من التاويل يقول ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم اي ما استحضرتهم خلق انفسهم لانهم لم يكونوا في ذلك الوقت ولا خلق السموات والارض لانه
خلقهما وهم لم يكونوا شيئا او اشهدتهم ما اعلمتهم تدبير خلق السموات والارض ولا تدبير خلق انفسهم فكيف
قالوا ما قالوا في الله من الدعاوى والثالث ما اشهدتهم اي ما استعنت بهم في خلق السموات والارض ولا في خلق انفسهم
فكيف اشركوا في الوهيتي وربوبيتي وما استعنت بهم في ذلك والله اعلم وقد استدل كثير من المتكلمين بهذه الاية
على ان خلق الشيء هو غير ذلك الشيء لانه قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقد شهدوا
السموات والارض وشهدوا انفسهم حتى قال لهم وفي انفسكم افلا تبصرون ثم اخبر انه لم يشهدهم خلق
السموات والارض وخلق انفسهم دل ان خلق السموات والارض وخلق انفسهم غير السموات والارض وغير
انفسهم وقوله عز وجل وما كنت متخذ المضلين عضدا قال بعضهم وما كنت متخذ المضلين عن الايمان والهدى
اعوانا لدينى والثاني وما كنت متخذ المضلين عبادي ينصرونني ويعينون اوليائي وقال بعضهم وما كنت متخذ المضلين
الذين اضلوا بني ادم من انا فيما خلقت من خلق السموات والارض وخلق انفسهم وهو ابليس وذريته او ما كنت متخذ
المضلين اولياء انما اتخذهم اعداء وما كنت لاولي المضلين عضدا على اوليائي كقوله لا ينال عهدي الظالمين ونحوه
وكله قريب بعضه من بعض وقوله ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم قال شركائي على زعمهم والا لم يكن لله شريك
فدعوهم يعني دعوا الاصنام التي عبدوها فلم يستجيبوا لهم قال ابو بكر الاصم لم يجيبوهم في وقت وقد اجابوهم
في وقت اخر وهو ما قالوا انا كنا عن عبادتكم لغافلين ولكن قوله فلم يستجيبوا لهم لما كانوا يعبدونها في الدنيا وانما
كانوا يعبدونها طمعا او يكونوا لهم شفعاء وانصارا كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى وكقوله واتخذوا من دونه الهة ليكونوا لهم عزا كلا فيكون قوله فلم يستجيبوا لهم ما طمعوا به
الاصنام من الشفاعة والنصرة ودفع ما حل بهم عنهم والمنع عن عذاب الله والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا
بينهم موبقا اي بين وليك وبين الاصنام موبقا قال بعضهم مهلكا وقال بعضهم الموبق الذي يفرق بينهم وبين الهتهم في
جهنم وقال بعضهم نهر فيها وقال بعضهم جعلنا وصلهم في الدنيا الذي كان بين المشركين وبين الاصنام موبقا اي مهلكا
وقوله عز وجل فظنوا انهم مواقعوها اي علموا وايقنوا انهم داخلوها ولم يجدوا عنها مصرفا اي لم يقدر الاصنام التي عبدوها
ان يصرف النار عنهم قال ابو عبيدة ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا وقوله عز وجل ولقد صرفنا في هذا القران للناس
من كل مثل ولقد صرفنا قد ذكرنا وبينا في غير موضع وقوله عز وجل من كل مثل يحتمل وجهين احدهما من كل مثل اي من
كل صفة كقوله ولله المثل الاعلى اي الصفات العليا والثاني المثل هو التشبيه كقوله ليس كمثله شيء فان كان التاويل
التشبيه فكانه يقول والله اعلم ولقد صرفنا اي بينا في هذا القران من كل ما بهم حاجة الى معرفة ما غاب عنهم جعل
لهم شبها مما شاهدوا وعرفوا ليعرفوا به ما غاب عنهم وان كان تاويل المثل الصفة فكانه يقول والله اعلم ولقد
بينا في هذا القران من كل ما يؤتى وما يتقى وصفة يعرفون بها ما لهم وما عليهم ما يأتون وما يتقون والله اعلم
وقوله عز وجل وكان الانسان اكثر شيء جدلا قال اهل التاويل وكان الانسان يعني الكافر اكثر شيء جدلا اي جدالا
كقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل ويشبه ان يكون قوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي وكان جوهر الانسان
اكثر جدلا من غيرهم من الجواهر لان الجن لما عرض عليهم القران والايات قبلوها على غير مجادلة ذكرت حيث قالوا انا
سمعنا قرانا عجبا الاية وكذلك الملائكة لم يذكر منهم الجدال ولا المحاجة في ذلك وقد ظهر جوهر الانسان المجادلات
والمحاجات في الايات والحجج من ذلك قوله ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم الاية وقولهم وجادلهم بالتي هي
احسن وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وامثال هذا ولذلك
احتيج الى انزال كثرة الايات والحجج لكثرة ما ظهرت منهم من المجادلة وفيه الاذن بالمجادلة والمحاجة في الدين
على الوصف الذي ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي لم يمنع الناس الايمان
الا التعنت والعناد لانه قد اكثر عليهم من الحجج والايات ما لم يعاندوا ولا كابروا لالتزمهم الايمان بها والتصديق
لكن الذي منعهم عن الايمان ما ذكرنا من عنادهم وتعنتهم الا ان تأتيهم سنة الاولين وسنة الاولين الاستيصال
والاهلاك فيقول لا يؤمنون الا في ذلك والايمان لا ينفعهم في ذلك الوقت كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا
وقوله عز وجل او يأتيهم العذاب قبلا اي عيانا جهارا قال ابو عبيدة او يأتيهم العذاب قبلا اي مقابلة وقبلا استيناف
وقال مجاهد قبلا فجاة وقال قبلا قبيلا قال ابو عوسجة قبلا اي مواجهة وكذلك قبلا وقال القتبي قبلا اي مقابلة
وعيانا والله اعلم وقوله عز وجل وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين اي لم نرسلهم الا بما يوجب لهم البشارة
والنذارة انما ارسلوا للامر والنهي ليأمروا الناس بالطاعة طاعة الله وينهوهم عن معاصيه لهذا ارسلوا فالبشارة
لمن اتبع امرهم وانتهى الذين كفروا بالباطل ما نسبوه الى السحر والكهانة والافك وغيره بما يجادلونه وهو باطل او ان
يكونوا عرفوا انها يجادلونهم به ويحاجونهم باطل وان ما يدعوهم الرسول الى الله حق وصدق ونور لكن يعاندونهم

ويجادلونه وعندهم انهم على باطل كقوله يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم الاية عرفوا انه نور لكنهم عاندوا في المجادلة والمحاجة بالباطل والله اعلم وقوله عز وجل ليدحضوا به الحق اى ليبطلوا به الحق وقوله عز وجل واتخذوا اياتى وما انذروا هزوًا قال بعضهم اياته الشمس والقمر وغيره وما انذروا به ما انذر به الرسل هو القرآن وقال بعضهم قوله واتخذوا اياتى هزوا القرآن والحجج التى اقامها وما امروا به غير القرآن هى المواعيد هزوًا وقال هذا التاويل لا ول باطل لا يصح لانه قال على اثره ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها يقول هذا يدل انه اراد بالايات ما ذكرنا من الحجج والبراهين لا ما ذكروجائز انهم اذا لم يعملوا بايا ته ولم يستعملوها نسبهم الى الهزوبها والسخرية والانهم يهزوا بها وهو ما سماهم عميا وبكما وصما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولم يستعملوها فيما جعلت له وان لم يكونوا فى الحقيقة كذلك فاذا كان فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل مجادلتهم اياهم ما قالوا هذا سحر وكهانة وانه افك وشعر ونحوه اوان يكون مجادلتهم قولهم ابعث الله بشرًا رسولا وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا واشباه ذلك من المجادلات التى كانت منهم والله اعلم وقوله عز وجل اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها يحتمل قوله ذكر بايات وبه اى وعظ بالايات التى نزلت بمكذبى الرسل من الامم الماضية فيكون تاويله اى لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ بايات ربه فاعرض عنها ما لو اتعظ بما وعظ كان به نجاته اوان يكون تذكيره بايات ربه وهو ما اقام من حججه وبراهينه على توحيده ورسالة الرسول فلم يقبلها ولم ينصت فيها اى لا احد اظلم على نفسه ممن لم يتعظ بما ذكر من الايات والحجج ولم يقبلها والله اعلم وقوله عز وجل فاعرض عنها يحتمل الاعراض عنها فى الابتداء اى لم يقبلها ولم يكترث اليها ولم ينظر فيها او اعرض عنها بعد ما عرفها انها ايات وانها حجج تعنتا وعنادا وقوله عز وجل ونسى ما قدمت يداه يحتمل اى نسى من الخيانة والشرك اوان يكون قوله ونسى ما قدمت يداه موصوله بالاول اى لا احد اظلم على نفسه ممن وعظ وجعل له سبيل التخلص والنجاة مما قدمت يداه فلم يتعظ به والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا ان الكفر مظلم اذا التى به انسان يستر على نور القلب وعلى نور كل جارحة منه والايمان منير ينير القلب وينير كل جارحة منه وعضو وهو ما ذكرنا فى غير موضع ان الانسان انما يبصر بنور بين ظاهر بن بنور نفسه وبنور ذلك الشىء فاذا ذهب احدهما ذهب الانتفاع بالاخر والايمان ما ذكرنا انه منير وفى القلب نور فاذا اجتمع النوران معًا فعند ذلك انتفع به فجعل ينفعه ويعقل الشىء بنور الايمان وكذلك كل جارحة منه من الاذن والبصر واللسان جعل يبصر الحق به ويعتبر به ويستمع الحق والصواب والكفر مظلم يمنع ويستر على نور الجوارح فجعل لا يبصر ولا يعتبر ولا يستمع ولا يتكلم بالحق وهو ما ذكرنا ان الانسان انما يبصر الشىء بنور العين وبنور الهوا فاذا ذهب احدهما صار لا يبصر شيئا فعلى ذلك ما ذكرنا وفى الاية دلالة نقض قول المعتزلة لانه لا يخلو الكفر من ان يكون مظلما قبيحا ذميما بنفسه او بالله تعالى فان قيل صار كذلك قيل لئن جاز ذا جاز حدوث الاشياء بنفسها اذ لا فرق بين ان يكون الشىء مظلما قبيحًا ذميمًا بنفسه وبين ان يكون الاشياء بانفسها على ما كانت فانه بطل بنفسه مظلما قبيحا ثبت ان الله هو الذى جعل مظلما قبيحا وهو ما يقول نحن ان الله خلق فعل الكفر من الكافر مظلما قبيحا وخلق فعل الايمان من المؤمن منيرًا حسنًا والله الموفق وقوله عز وجل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذًا ابدًا هذا فى قوم مخصوصين علم الله انهم لا يؤمنون ابدًا والا لا يحتمل فى جميع الكفار اذ من الكفار من قد آمن وقال الحسن هو فى قول الذين جعل على قلوبهم الغطاء الطبع اذ من قوله ان للكفر حدًا اذا بلغ الكافر ذلك الحد طبع على قلبه فلا يؤمن ابدًا وقال بعضهم هو فى قوم عادتهم العناد والمكابرة وتكذيب الايات والحجج فاخبر انهم لا يؤمنون ابدًا لعنادهم واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وربك الغفور ذو الرحمة يحتمل ان يكون على وجهين احدهما الغفور حيث ستر عليهم ولم يعاقبهم وقت عصيانهم وذو الرحمة يقبل توبتهم اذا تابوا والثانى الغفور اذا استغفروا وتابوا وذو الرحمة يرحمهم ويتجاوز عنهم ما سبق لهم من الذنوب وقوله عز وجل لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب فى الدنيا بل لهم موعد قال الحسن جعل الله لكل امة يهلكون لهلاكهم موعدًا واجلا كقوله ان موعدهم الصبح وقال فى اية اخرى تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وجعل موعد هذه الامة الساعة وهو قوله بل الساعة موعدهم قال بعض اهل العلم اهلك الله كل امة كذبت رسولها لتستقظ الامة التى تاتى بعدها وجعل هلاك امة محمد بالساعة لانه ليس بعدها امة تتعظ به وقوله عز وجل لن يجدوا من دونه موئلًا قيل ملجأ وقال القتبى يقال لا والت نفسك اى لا نجت ويقال وال فلان الى كذا اى لجا وقوله عز وجل وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدًا فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يجعلون المهلك هالكا قبل اجله وقد اخبر عز وجل ان لمهلكهم موعدًا لا يتقدم ولا يتاخر طرفة عين وفى قوله قدمت يداه اذكر تقديم اليد وان لم يكن للعبد صنع فى ذلك لما فى العرف الظاهر انه انما يقدم ويؤخر باليد وكذلك ما ذكر من الكسب فيما كسبت ايديكم لانه فى الشاهد انما يكتسب باليد ونحوه فهو يرد على اصحاب ان الخطاب على مخرج الظاهر حيث لم يفهم من ذكر اليد ههنا اليد نفسها ولكن فهم غير اليد وقوله عز وجل واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين قال اهل التأويل لا ابرح اى لا ازال حتى ابلغ كذا فان كان على هذا فهو ظاهر والاحرف البراح يعرف البراح عن المكان اى لا ابرح المكان حتى ابلغ مجمع البحرين وهو كانه على الاضمار اى لا ابرح اسير معك حتى ابلغ كذا كانه سبق من فتاه انه يسير الى ذلك المكان دونه على ما يقول الخادم لمولاه اذا اراد ان يسير لحاجة انا اسير وانا اذهب فعند ذلك قال له موسى لا ابرح اى لا افارقك واسير معك حتى ابلغ ما ذكر اى امرت بذلك وقال بعضهم سماه فتى لانه كان خادمه يخدمه وقال بعضهم سماه فتى لانه

كان يتبعه ويصحبه ليتعلم منه العلم وقوله مجمع البحرين اى ملتقى البحرين وقوله عز وجل او امضى حقبا قيل زمانًا ودهرًا وقيل الحقب ثمانون سنة وقال بعضهم هو بلغة قوم سنة وقال بعضهم هو على التمثيل على ما يبعد وقيل سبعون سنة ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما اضاف النسيان اليهما وان كان الذى نسيه هو فتاه وقال بعضهم اضاف النسيان اليهما على الترك لانهما فارقا ذلك المكان وتركا الحوت فيه وانما اضاف النسيان اليهما لما تركاه جميعا فيه وفارقاه وان كان الفتى هو الذى نسيه دون موسى حيث قال وما انسانيه الا الشيطان وكل منسى متروك وقال بعضهم اضاف اليهما لما كان منهما جميعا النسيان نسى الفتى ان يذكره ويخبره ان سرب فى البحر ونسى موسى ان يستخبره عنه فقد كان منهما جميعًا النسيان من الفتى الاخبار والتذكير وعن موسى الاستخبار عن حاله وقال بعضهم اضاف ذلك اليهما لما نسيا مكان الرجل الذى امر موسى ان ياتيه ويقتبس منه العلم فهو على الجهل يخرج علما هذا التأويل اى جهلا مكانه والله اعلم وقوله عز وجل فاتخذ سبيله فى البحر سربًا قال ابو عوسجة سربًا اى دخل فى البحر كما يدخل فى السرب والسرب هو داخل الارض يقال بالفارسية سمج وقال القتبى سربًا اى مذهبا ومسلكا وقول اهل التأويل ان الحوت كان مشويًا فاحياه الله وقال بعضهم كان طريًا ولكن ليس لنا الى معرفة الحوت ام كان مشويا او طريا حاجة وهو قادر على ان يحييه مشويا وطريا فى اى حال كان والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاوزا يعنى مكانه قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا ايضا فيه دلالة ان لا باس للرجل اذا اصابته مشقة وجهد ان يذكر اصابنى كذا وللمريض يقول بى من المرض كذا ولا يخرج ذلك مخرج الشكوى والجزع من الله حيث قال موسى عليه السلام لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا تعبا وجهدا وقوله عز وجل قال ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وفى حرف ابن مسعود ان اذكر له قال الحسن لم ينسه ولكن تركه متعمدا مضيعا وانما اضاف الى الشيطان يقول ان الشيطان هو الذى حملنى حتى تركت ذكره لك وكذلك يقول فى قوله فى قصة آدم فنسى اى ضيع امره وتركه ونحوه من المحال ولكن لا يحتمل الا يتركه ان يذكر له عمدًا والشيطان مما يبتلى بالحيلولة فى مثل هذا فى امر الدين وفى النعم اذا اكثرت واتسعت على الانسان فيبتلى بالانساء فى مثله وقوله عز وجل واتخذ سبيله فى البحر عجبًا قال بعضهم عجب موسى من الفتى انه كيف نسى ان يذكره وقد احتاج الى ان يحمل مؤنة عظيمة فى حمله وقال بعضهم عجب موسى منه حين يبس له الماء واثره فيه والله اعلم ثم ذكر موسى بخبر الحوت وما صنع فقال ذلك ما كنا نبغ اى نطلب من حاجتنا من الظفر بذلك الرجل يقول ذلك لفتاه ثم فى الاية وجوه من الفوائد احدها ان يلزم الانسان طلب العلم واقتباسه اذا كان به وبالناس حاجة اليه وان بعدت الشقة ونأى الموضع حيث قال موسى لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى حقبا وفيه ان لا باس لاثنين ان يسافروا لا كل واحد واثنين يكونان شيطانين على ما ذكر فى بعض الاخبار ان الواحد شيطان والاثنين شيطانان ولكن واحد دون واحد واثنين دون اثنين وفيه انه لا يسافر الا بالزاد حيث تزود موسى والفتى والحوت الذى ذكر حين خرجا الى حيث امر موسى ان يخرج فى مجمع البحرين فاما اهل التأويل فانهم قالوا جميعًا انه امر موسى ان ياتى الخضر ليتعلم منه العلم ولكن ليس فى القرآن ذكر الخضر انما فيه ذكر عبد من عباده حيث قال فوجدا عبدا من عبادنا وفيه ان الثنيا انما تلزم فى كل فعل مستقبل مما يشك فيه ويرتاب فاما ما كان سبيل معرفته الوحى واليقين فانه لا يستثنى فيه حيث قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضى حقبا قال ذلك من غير ثنيا لانه عز وجل اذا ياتيه ولا يحتمل ان يؤمر بالاتيان فى مكان ثم هو يشك انه لعله لا ياتيه لذلك قطع القول فيه وكذلك قول ذلك العبد الصالح لموسى انك لن تستطيع معى صبرًا قطع القول فيه من غير ثنيا لانه علم بالوحى انه لا يصبر على ما يرى منه واما موسى فانه قد استثنى لما لا يصبر لانه اضاف الى حادث من الا وقات على الشك منه انه يصبر اولا يصبر وعلى الارتياب ليس على اليقين فقال ستجدنى ان شاء الله صابرًا ولا اعصى لك امرًا ما ذكرنا وفيه ان الرجل اذا اختلف الى عالم يقتبس منه العلم ويتعلم منه فراى منه مناكير ومظالم يلزمه ان يفارقه ولا يتعلم منه العلم لصنيع موسى بصاحبه لما راى من خرق السفينة وقتل الغلام وغيره مما كان منكرا وظلما فى الظاهر وان كان ما فعله هو فعلى الامر كره موسى صحبته وندم على ذلك اشد الندامة حتى جعله على علم من ذلك كله فهكذا الواجب على الرجل اذا راى مناكير من الذى ياخذ منه العلم ومظالم ان يفارقه ولا ياخذ من علمه والله اعلم وفى قوله ستجدنى ان شاء الله صابرًا دلالة ان الاختيار والمستحب فى الثنيا ان يكون فى ابتداء الكلام لان موسى ابتدأ به وكذلك قوله وانا ان شاء الله لمهتدون فاذا تركه فى اول كلامه او نسى يستثنى فى آخره فيعمل عمله فى دفع الحلف فى الوعد والكذب وعلى هذا تأول بعض الناس قوله واذكر ربك اذا نسيت اى استثن فى آخره اذا نسيت فى اول كلامك والله اعلم ثم هذه القصص والانباء التى ذكرت لرسول الله على اثر سؤال كان منهم على ما ذكرنا فى قصة اصحاب الكهف وغيرها من القصص وعلى غير سؤال ولكن كانت فى كتبهم فذكر له ليعلم انه انما عرف ذلك بالله تعالى ثم اختلف اهل التأويل فى السبب الذى امر موسى على طلب العلم من عند ذلك الرجل وبعثه عليه قال بعضهم وذلك ان موسى قام خطيبا فى قومه فخطب خطبة لم يخطب قط مثلها فاعجبه ذلك فوقع عنده ان ليس احد اعلم منه فاخبر ان فى مجمع البحرين رجلا اعلم منك فامر بالمصير اليه والتعلم منه وقال بعضهم لا ولكن موسى قد اعطى التوراة وفيها علوم كثيرة فظن انه ليس احد اعلم منه فاخبر ان فى مجمع البحرين عبدًا

من عبادنا اعلم منك فامر بالمصير اليه والتعلم منه فان كان على ذكر اهل التأويل من السبب فيجوز لامره بالمصير اليه
والتعلم منه مخرج العقوبة له والعتاب لما خطر باله ووقع في وجه ما وقع وجائز ان يكون الامر له بالمصير اليه والتعلم
منه ابتداء محنة من الله تعالى اياه بتعلم العلم من غير سبب كان من موسى على ما يؤمر المرء بتعلم العلم ابتداء من غير سبب محنة
من الله يمتحنه بها نحو ما امر موسى بالمصير الى طور سيناء واعطى هنالك التورية في الالواح على غير سبب كان منه
ولكن ابتداء محنة يمتحنه به فعلى ذلك يحتمل امره له بالمصير الى ما امر والتعلم منه ابتداء محنة امتحنه بها وقول
اهل التأويل ان صاحب موسى الذي امر موسى بالمصير اليه والتعلم منه الخضر وفتاه الذي كان يصحبه ويتبعه يوشع بن
نون فذلك لا يعلم الا بالسمع والخبر عمن يوحى اليه فيعلمه بالوحي واما من اخبر ذلك وقاله لا عن وحي فلا يعلم ذلك
وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة الى معرفة ما اودع فيه من انواع الحكمة والعلوم واما ما ذكروا انه فلان
وانه كان في موضع كذا في البحر وان موسى قال له كذا وهو قال لموسى كذا فان سبيل معرفة ذلك السمع فان ثبت السمع
فيه والا لم يجب ان يذكر فيه اكثر مما ذكر في الكتاب لان هذه الانباء والقصص التي ذكرت في القرآن انما ذكرت
لتكون اية لرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلو قيل فيها ما لم يذكر في كتبهم من الزيادة والنقصان لكان ذلك سببا
لا كذابهم لا تصديقه على ما بينّا من الرسالة وقوله عز وجل ما كنا ذلك اي فقد الحوت هو ما كنا نبغي اذ كان ذلك علما
لوجود مكان ذلك الرجل وقوله عز وجل فارتدا على آثارهما قصصا قال بعضهم اي رجعا يقصان طريقهما وآثارهما
الذي مشيا فيه يطلبان المكان الذي فقد الحوت فيه اذ ذلك المكان علم وجود ذلك الرجل الذي امر موسى بالمصير اليه
وقال بعضهم اقتصا اثر الحوت في الماء لكن الاول اشبه لان في الاية ذكر آثارهما لا ذكر اثر الحوت وقوله فوجدا عبدا
من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا يحتمل قوله رحمة من عندنا النبوة حيث قال لموسى انك لن تستطيع معي صبرا لا يحتمل
ان يقول له هذا الا على علم ووحي وحيث قال وما فعلته عن امري اخبر انه لم يفعله ما فعل عن امر نفسه ولكن امر الله والله
اعلم ويحتمل قوله رحمة من عندنا كل خير وكل بركة اعطاها الله اياه او ان يكون رحمة القلب وشفقته التي كانت
منه على اهل السفينة بخرقها وقتل ذلك الغلام الذي قتله اشفاقا منه على والديه او على الناس واقامة الجدار
التي كادت ان ينقض فاقامه وامثاله وقوله عز وجل وعلمناه من لدنا علما هو ظاهر وقوله عز وجل قال له موسى هل اتبعك على ان
تعلمني في قوله هل اتبعك دلالة انه كان على سفر ولم يكن مقيما في ذلك المكان ومن يتعلم من آخر علما فانه يتبعه حيث
يذهب هو في حوائجه لا يؤمر بالمقام حيث يقيم المتعلم لانه قال هل اتبعك على ان تعلمني وقوله عز وجل مما علمت
رشدا يحتمل اي ترشدني الى ما علمت او تعلمني مما علمت من الرشد والصواب وقوله عز وجل انك لن تستطيع معي صبرا
بما ترى مني من الامور ما يخرج في الظاهر مخرج المناكير او يقول انك نبي ورسول والرسول اذا رأى منكرا في الظاهر
لا يسع له ترك الانكار عليه والتغيير وانت لا تصبر على ما ترى مني لما لم تعرف سببه الا ترى انه وسع له الانكار عليه
والتغيير حيث قال له وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي ما لم تعلم علما والله اعلم وقوله عز وجل قال ستجدني ان شاء الله
صابرا ولا اعصي لك امرا يحتمل ان الثنيا منه على الامرين جميعا على الصبر الذي وعد وعلى قوله ولا اعصي لك امرا
ويشبه ان يكون على وعد الصبر خاصة دون قوله ولا اعصي لك امرا لان قوله ولا اعصي لك امرا عهد منه والثنيا
يستعمل في العهود واما قوله ستجدني ان شاء الله صابرا انما هو فعل مضاف الى نفسه فلا بد من ان يستثني فيه
وقوله عز وجل شأنه فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء مما تنكره نفسك وتكرهه حتى احدث لك منه ذكرا اي لماذا فعلت
ما فعلت وقوله عز وجل فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها هذا الكلام يخرج
على وجهين يخرج على الانكار عليه اي اخرقتها لتغرق اهلها او لتعيبها او لماذا ويخرج هذا الحرف استفهاما لولا
قوله لقد جئت شيئا امرا فان كان على الاول على الانكار عليه والرد فقوله جئت لقد شيئا امرا ظاهرا اي جئت
شيئا عظيما شديدا وان كان على الاستفهام فهو على الاضمار كانه قال اخرقتها لتغرق اهلها فلئن خرقتها لتغرق
اهلها لقد جئت شيئا امرا اي عظيما شديدا وان كان التأويل على الانكار فهو كما يقال لمن يبني بناء ثم يترك
الانفاق عليه في عمارته بنيت لتخرب او لتهدم وكما يقال لمن زرع زرعا ثم ترك سقيه زرعت لتفسده
ونحوه وان كان لم يبن لذلك ولم يزرع لما ذكر ولكن لما كان ذلك يصير في العاقبة اذا ترك سقيه او عمارة
ما بني فان قيل كيف قال له موسى اخرقتها لتغرق اهلها وبعد لم يعلم ان ذلك الخرق مغرق اهلها وقد يجوز
ان يكون غير مغرق قيل انما اخبر عما يؤول الامر في العاقبة والظاهر من الخرق ان يغرق في الاخرة وهو كما ذكرنا
من امر البناء والزرع بنيت لتخرب وزرعت لتفسد وان لم يكن بناؤه وزراعته لذلك فعلى ذلك قول موسى لهما
والله اعلم وقوله عز وجل الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا هذه الاية على المعتزلة لانه قال له انك لن تستطيع
معي صبرا دل انه كان يحتاج الى استطاعة تقارن الفعل لا يتقدم الفعل فيكون بها الفعل والا فقد كانت له اسباب
لو لم يوثر غيره لا استطاع الصبر معه دل ان استطاعة الفعل ولكن تقارنه وقال الحسن انما يقال هذا الاستثقال
كما يقول الرجل لاخر لا استطيع ان انظر اليك بغضا وهو ناظر اليه لكن يقال ذلك على الاستثقال والبغض ليس
على حقيقة نفي الاستطاعة فعلى ذلك الاول فيقال له هو كما يقال لا استطيع ان انظر اليك نظر الرحمة فهو
وان كان ناظرا اليه لما ذكر فهو غير ناظر اليه نظر رحمة وشفقة فهما سواء وهو ما يقوله والله اعلم وقوله عز وجل
لا تؤاخذني بما نسيت يحتمل هذا الكلام وجوها احدها على التعريض من الكلام اي لا تؤاخذني بما لو نسيت

كقول ابراهيم حيث قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اي ساسقم والثاني على حقيقة النسيان نسي قوله فلا
تسألني عن شيء بعدها لما رأى من المناكير في الظاهر وهكذا كانت عادة الانبياء انهم اذا رأوا منكرا لا يملكون
انفسهم حزنا وغضبا عليها اذا رأوا فلا ينكران يكون نسي ما قال له وقال له وقال بعضهم على التضييع والترك
فهو يخرج على الاول والله اعلم وقوله عز وجل ولا ترهقني من امري عسرا قال بعضهم لا تكلفني من امري ما يعسر علي
وقال بعضهم لا تحمل علي وقال بعضهم الارهاق هو الشدة والتعب وقال بعضهم ولا ترهقني اي لا تغشني عسرا
وقوله عز وجل فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس يحتمل هذا الكلام ايضا وجهين
على الانكار والرد عليه والثاني على الاستفهام والسؤال على ما ذكرنا في الاول اقتلت نفسا زاكية بغير نفس
او بحق او لا ذا او على الانكار والرد على ما رأى في الظاهر قتل نفس ولم يعرف الوجه الذي به يجب القتل وقوله
عز وجل جئت شيئا نكرا هو على ما ذكرنا على الانكار ظاهر او على الاستفهام والسؤال على الاضمار اقتلت نفسا
زكية بغير نفس فلئن فعلت لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا ثم اختلف في قوله نكرا قال بعضهم نكرا اكبر من قوله
امرا لان فيه مباشرة القتل واهلاك النفس بغير نفس فهو اكبر وليس في نفس الخرق اهلاك وانما هو سبب الاهلاك
وقد يجوز ان لا يهلك وقال بعضهم قوله امرا اكبر من قوله نكرا لان فيه اهلاك جماعة وههنا اهلاك واحدة فهو
دون الاول والله اعلم وقوله عز وجل الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا ما ذكرنا في الاول وقوله عز وجل قال
ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا في ترك المصاحبة عذرا لما قلت لي انك لن تستطيع
معي صبرا ولم اصبر وقوله عز وجل فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية وهي كانت مدينة الا ترى انه قال في آخره واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة دل انها كانت مدينة والعرب قد تسمي المدينة قرية وقوله عز وجل استطعما اهلها
فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال الحسن كان ذلك الجدار كهيئته عند الناظر انه
يسقط وقال ابو بكر الاصم يريد ان ينقض الارادة صفة كل فاعل له حقيقة الفعل وليس له حقيقة الفعل
بعد ان يضاف اليه الفعل الا ترى انه يقال للجدار يسقط وان كان في الحقيقة يسقط وعندنا انه انما يقال
ذلك لقرب الحال وعند الاشراف على الهلاك والسقوط الا ترى ان الرجل يقول اني اردت ان امرت
واردت ان اهلك فاردت ان اسقط وهو لا يريد الموت ولا السقوط ولكنه يذكر ذلك لاشرافه على الهلاك
وقرب الحال اليه ليس على حقيقة الارادة فعلى ذلك قوله يريد ان ينقض اي يشرف ويقرب على حال السقوط
والله اعلم وقوله عز وجل قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا هذا القول من موسى يحتمل وجهين احدهما
قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا لشدة حاجته الى الطعام لئلا يقع لهما حاجة الى اهل تلك البلدة اذ قد
وقع لهما اليهم حاجة حيث قال استطعما من اهلها مرة فلم يطعموهما فاراد ان تأخذ على ذلك اجرا لئلا يقع لهما
حاجة اليهم ثانيا والثاني قال له ذلك لما لم ير اهل تلك البلدة اهلا لصنيع اليهم المعروف لما رأى فيهم من
البخل والضنة في الطعام حيث استطعماهم فلم يطعموهما بخلا منهم وضنة والله اعلم وذكر في بعض القصة ان
الجدار الذي اقامه صاحب موسى كان طوله خمسمائة ذراع وقامته مائتي ذراع وعرضه اربعين ذراعا ونحو
تحته طريق القوم لكن لا حاجة لنا الى معرفة ذلك انما الحاجة الى ما فيه من انواع الحكمة والفوائد وقوله عز وجل
قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اي سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه
صبرا اي سأنبئك بيان ما قلت لك انك لن تستطيع معي صبرا ثم بيّن وفسره له فقال اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اي اجعلها معيبة قوله وكان وراءهم ملك ذكر في بعض الحروف
وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فعلى ذلك التأويل فيه فاردت ان اعيبها اي اجعلها معيبة لئلا يأخذ
ذلك الملك غصبا اذ كان لا يأخذ الا سفينة صالحة صحيحة والله اعلم وقوله عز وجل واما الغلام فكان ابواه
مؤمنين اختلف في سن ذلك الغلام قال بعضهم كان ذلك الغلام كبيرا بالغا والعرب قد تسمي الرجل البالغ الذي
لم يلتح بعد او لم يستوِ لحيته غلاما لقربه بوقت البلوغ وكذلك قال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس و
الصغير مما لا يقتل اذا قتل نفسا بغير حق فلو كان صغيرا لم يكن لقول موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس وجه
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ان بما نكم تحقن دماءكم اي ايمانكم تحقن دماءكم اذا اظهرتم
الدم وكقوله لولا الايمان لكان لي ولها شأن اذا اظهر منها الزنا فعلى ذلك قوله اقتلت نفسا زكية بغير نفس
لو كانت محلة القتل بالنفس والله اعلم ثم اختلف في سبب قتل ذلك الغلام قال بعضهم قتله لكفره كان كافرا
وكذلك ذكر في حرف ابي بن كعب واما الغلام فكان كافرا الا ترى انه قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا دل هذا
انه كان بالغا كافرا اذ لو لم يكن كافرا لم يلحق والديه منه الطغيان والكفر وقال بعضهم انما قتله لانه كان لصا قاطع
الطريق يقطع الطريق على الناس ويأخذ اموالهم وعلى قول من يقول انه كان صغيرا قتله لانه علم انه لو بلغ كافرا
والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك السبب الذي قتله حاجة ولا انه كان صغيرا او كبيرا لانه اخبر انه انما قتله بامر
الله لا من تلقاء نفسه حيث قال وما فعلته عن امري ولكن انما فعلته بامر الله ولله ان يأمر عبدا من عباده بقتل
الصغير على ما له ان يميته وعلى ما يأمر ملك الموت بقبض ارواح الخلق فعلى ذلك له ان يميته على يدي آخر وان يقبض
روحه اذ له الخلق والامر وقوله عز وجل فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا الخشية هو الخوف ولكن العلم اي علمنا

ان يرهقهما طغيانا وكفرا وكذلك ذكر في حرف ابي فان قيل كيف احتج على قتله واهلاكه بما علم انه يلحق ابويه منه الطغيان والكفر وقد ترك ابليس وجنوده يعيشون الى اخر الدهر على علم منه انهم يحملون الناس على الطغيان والكفر ويرهقونهم انواع المعاصي والفواحش وكذلك هؤلاء الظلمة الذين لا يكون منهم الا كل شر وجور على الناس من تركهم على علم منه بما يكون منهم فما معنى الاحتجاج في قتله واهلاكه بما ذكر من ارهاق الطغيان والكفر بالوالدين قيل لهذا جوابان احدهما ان الله عز وجل قد يمتحن البشر بعبادات وعلل واشياء يحملهم تلك المعاني والاشياء على الرغبة والحنث فيما امتحنهم وان كان له الامتحان لا على تلك المعاني والعلل نحو ما امتحنهم بانواع العبادات والطاعات بثواب وجزاء ذكر فيها لو فعلوا وان كان له الامتحان بذلك على غير ثواب ولا جزاء وكذلك العقوبات وغير ذلك من المحن فعلى ذلك الاول والثاني ذكر هذا ليطيب به انفسهم احسانا منه اليهم وانعاما عليهم اذ له ان يميتهم صغارا وكبارا وعلى ذلك يخرج قوله ولو بسط الله الرزق لعباده الاية وقد وسع على كثير من الخلق وكذلك قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة الاية وقد جعل الكثير من الخلق ذلك لكن هذا لما له الا يفعل ذلك للكل فمن لم يفعل ذلك له انما لم يفعل لمنا منه وافضالا فعلى ذلك الاول انما ذكر ما ذكر احسانا منه وافضالا والله اعلم وقوله عز وجل فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما قال بعضهم خيرا منه زكوة اي صلاحا واقرب رحما اي اوصل رحما وابر لوالديه وقال بعضهم خيرا منه زكوة اي عملا واقرب رحما اي احسن منه برا بالوالدين قال ابو عوسجة رحما من الرحم والقرابة وقال القتبي رحما اي رحمة وعطفا وذكر انهما قد اعطيا خيرا منه اي خيرا من القتيل والله اعلم قوله عز وجل واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما اختلف في ذلك الكنز قال بعضهم كان ذلك الكنز مما لا كنزه ابوهما قال ابن عباس حفظ لصلاح ابيهما وما ذكر منهما صلاحا وقال بعضهم كان ذلك الكنز مصحفا فيها علم قال ابو بكر الاصم لا يحتمل على ان يكون علما لان العلم مما يعلمه العلماء ويشترك الناس فيه فلا يحتمل ان يحفظ ذلك لهما دون الناس فان ثبت وحفظ ما روي في الخبر فهو مال وعلم وروي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تحت الجدار الذي قال الله في كتابه وكان تحته كنز لهما لوح من ذهب فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها محمد رسول الله فان حفظ هذا عن رسول الله ففيه مال وعلم لان اللوح من الذهب مما يكثر ويعظم قدره وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة والله اعلم وقوله عز وجل فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك اي نعمة من ربك واحسانا عليهما اذ كان له ان لا يحفظ ذلك لهما ولا يوصله اليهما على ما لم يحفظ لكثير من اليتامى والمساكين شيئا من ذلك لكن ذلك منه اليهما فضل وانعام ورحمة عليهما والله اعلم وقوله عز وجل وما فعلته عن امري هو ما ذكرنا انه اخبر عن امر الله فعل ما فعل لا عن امر نفسه وقوله عز وجل ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اي تأويل ما قلت لك في بدء الامر انك لن تستطيع معي صبرا ثم لا يحتمل ان يكون موسى حيث امر بالذهاب الى ذلك الرجل والاتباع له والصحبة معه ليتعلم منه العلم فلم يستفد منه الا علم ما انكر عليه وسبب حل ذلك له اذ كان ذلك بانكار ما انكر عليه من الافعال التي هي في الظاهر منكرة لكن جائز ان يكون استفاد منه علوما كثيرة سوى ذلك لكنه لم يذكر لنا ذلك والله اعلم وقول اهل التأويل اسم الغلام الذي قتله صاحب موسى خشنود او لا ادري ما ذا والداه اسمهما كذا لا فعلم ذلك وليس بنا الى معرفة اساميهم حاجة وكذا اسم الغلامين اليتيمين صاحبا الجدار اصرم وصريم ولا ادري ما ذا لا حاجة بنا الى ذلك وقولهم كان صاحب موسى خضرا وانما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت فذلك ايضا مما لا يعلم الا بالخبر عن الوحي وحي السماء فلا تقول فيه الا قدر ما ذكر في الكتاب فانه يخرج ذكر مخرج الشهادة على الله من غير حصول النفع لنا في ذلك عملا وغيره وليس في الكتاب الا ذكر عبد من عبادنا وذكر الغلامين وذكر الغتي وذكر غلامين يتيمين في المدينة وانما له يقال ما فيه ولا يزاد على ذلك مخافة الشهادة على الله بالكذب والله اعلم وقوله عز وجل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا في الاية دلالة ان الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يسألوه عن خبر ذي القرنين لانه قال يسألونك ولم يقل سألوك والخبر الذي روى عقبة بن عامر الجهني يدل على ذلك ايضا لانه روي ان نفرا من اهل الكتاب جاؤوا بالصحف او الكتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله لندخل عليه فانصرفت اليه فاخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي ولهم يسألون عما لا اعلم انما انا عبد لا علم لي الا ما علمني ربي ثم قال ابلغني وضوءا فتوضأ ثم قام الى مسجد في بيته فركع منه ركعتين فلما انصرف حتى بدا السرور في وجهه ثم قال اذهب فادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي قال فادخلهم فلما رآهم النبي قال لهم ان شئتم اخبرتكم كما تجدونه في كتابكم فهذا ان ثبت يدل انه نزل عليه نبأ ذي القرنين وخبره قبل ان يسألوا واما اهل التأويل فقالوا جميعا انه سئل قبل ان نزل عليه خبره ثم نزل من بعد السؤال والله اعلم ثم اختلف فيه قال الحسن كان نبيا دليله ما قال قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال هذا تحكيم من الله اياه فيما ذكر ولا يتولى الحكم الا من كان نبيا واما علي بن ابي طالب رضي الله عنه فانه سئل عن ذلك كان نبيا او ملكا فقال لا واحد منهما وقال غيره لا انه كان ملكا يدل على ذلك الخبر الذي روى عقبة بن عامر الجهني ان رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم سئل عن خبره ونبائه قال فقال رسول الله كان غلاما من الروم اعطي ملكا فسار حتى بلغ كذا على ما ذكر في الخبر والاشبه ان يكون انه كان ملكا الا ترى انه قال انا مكنا له في الارض اي ملكنا له الارض له جملة ذكر تمكين الارض له جملة يصنع فيها ما يشاء لم يخص له ناحية منها دون ناحية وليس كقوله اولم نمكن لهم حرما امنا الاية وكقوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه هاهنا خص مكانا لهم دون مكان واما في ذي القرنين ذكر التمكين له في الارض لم يخص ناحية منها دون ناحية فهو ان ملكه ومكن الارض كلها وقول الحسن انه حكمه وولى له الحكم فهذا لا يدل انه كان نبيا لان الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو في ذلك الزمان الا ترى الى قوله ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ان الملوك هم الذين كانوا يتولون الجهاد والغزو والقتال في ذلك مع العدو فعلى ذلك هذا وقوله اما من ظلم فسوف نعذبه واما من امن كذا يحتمل هذا منه الهام من الله تعالى او تعليم الملك الذي كان فيه او كان معه نبي فاخبر له بذلك والله اعلم وقوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا اختلف في ذلك قال بعضهم علم المنازل ان منازل الارض ومحالها واثارها وقال العلم والقوة وقال بعضهم اعطاه السبب الذي به صلاح ما مكن له وملك له مما يقع له الحاجة اليه وقال بعضهم ذلك السبب كان انعاما كان عليها يحمل الخشب فيتخذ منه سفينة ان استقبله بحر فيعبر بها ثم ينقضها ويحمل الخشب على الانعام ويعبر البر على الدواب فذلك السبب الذي ذكروا اصله انه ذكر انه اتاه السبب الذي به صلاح ما مكن له وملك عليه ولم يتبين ما ذلك السبب فلا ندري ما اراد بذلك والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة كان اراد وطلب ان يعرف انها اين تغرب حيث قال وجدها تغرب في عين حامية وفيه لغتان حامئة وحمئة قالوا من قرأها حامية اراد في عين حارة ومن قرأ حمئة مهموزة بغير الف اراد الحمأة وهي الطينة السوداء والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ووجد عندها قوما قال بعضهم كانوا كفارا ومؤمنين الفريقان جميعا فقال في الكفار اما ان تعذب وهو القتل قال في المؤمنين واما ان تتخذ فيهم حسنا ليس على التخيير ولكن على الحكم في كل فريق على حدة وقال بعضهم كانوا كلهم كفارا فيكون تأويل قوله اما ان تعذب اذا لم يجيبوك واما ان تتخذ فيهم حسنا اذا اجابوك وامنوا بالله وقوله عز وجل اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هذا انه حكم بذلك بتعليم نبي او ملك كان معه او حكم بذلك لما كان عرف ان سنة الله في الكفار القتل والاهلاك وفي المؤمنين الترك والاحسان او الهم الهاما بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وسنقول له من امرنا يسرا قال الحسن يسرا اي عارفا وقال بعضهم يسرا معروفا وقال بعضهم اليسر هو اسم كل خير وبركة والله اعلم بذلك وقوله عز وجل ثم اتبع سببا اي بلوغا لحاجته وقال غيره ما ذكرنا من السبب الذي به ملك طريق المغرب والمشرق وبه بلغ ما بلغ والله اعلم ثم اختلفوا فيما سمي ذو القرنين قال بعضهم سمي ذو القرنين لانه دعا قومه الى توحيد الله والايمان به فضربوه على قرنه الايمن ثم غاب ما شاء الله وفي بعض الاخبار ومات ثم حضر فدعاهم ثانيا فضربوه على قرنه الايسر فبقي عليه لذلك اثر فسمي لذلك ذا القرنين لا ان كان له قرن كقرن الثور وقال بعضهم سمي ذو القرنين لانه كان له ذوابتان اي ضفيرتان وقال بعضهم سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مغربها ومطلعها وقال بعضهم سمي ذا القرنين لانه عاش حقبة قرنين والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل حتى اذا بلغ مطلع الشمس بالسبب الذي ذكر انه اعطاه كما بلغ مغرب الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال الحسن ان تلك الارض تميد وتميع لا تقر ولا مسكن لا يحتمل البناء والحجر فاذا طلعت الشمس طلعت عليهم لما لم يكن لهم بناء ولا ستر تهوروا في البحار فاذا ارتفعت عنهم خرجوا وقال ابن عباس ان الشمس اذا طلعت كانت حرارتها اشد عند طلوعها من غروبها فتحرق كل شيء حتى لا تبقي لهم ثوب ولا خشب ولا غيره الا احرقته وقوله عز وجل كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا اختلف في قوله كذلك قال بعضهم قوله كذلك اخبرنا رسول الله من بناء ذي القرنين وخبره على ما كان بعضهم لذلك اعطيناه من السبب حتى بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها بالسبب الذي ذكر وقال بعضهم كذلك قيل له في المطلع من قوله اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا كما قيل له في المغرب والله اعلم وقوله عز وجل وقد احطنا بما لديه خبرا قال بعضهم صلة قوله قل سأتلوا عليكم منه ذكرا وقد احطنا بما لديه خبرا اي عن علم سأتلوا عليكم وقال بعضهم هو على الابتداء ليس على الربط والصلة على الاول اي قد احطنا علما بما لديه ثم اتبع سببا لما ذكرنا في بلوغ مغربها ومطلعها اي اعطيناه من السبب حتى بلغ بين السدين في بعض القراءات السدين بالنصب فان كان بين اللغتين فرق فيشبه ان يكون السد ان بالرفع الجبلين اللذين كانا هنالك والسدين بالنصب هو بناء ذي القرنين وان لم يحتمل الفرق فهو ما بناهما وكانا في الخلقة ثم اختلف في ذلك السد قال بعضهم هو المنفذ الذي كان بين طرفي الجبل الذي كان محيطا بالارض يدخل فيه يأجوج ومأجوج الى هذه الارض فسد ذو القرنين ذلك المنفذ وقال بعضهم لا ولكن كانا جبلين احدهما ستر بين يأجوج والثاني بين مأجوج فسد ذلك والله اعلم كيف كان وقوله عز وجل وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قال الحسن كانوا يفقهون ما به صلاح معاشهم وما به بقاؤهم ولكن كانوا لا يفقهون الهدى من الضلال والخير من الشر ونحوه

وقال بعضهم لا يفقهون قوله من غير كلامهم ولسانهم ولكن يفقهون بلسانهم وكلامهم وذو القرنين كان يعرف
الالسن كلها فيفهم اياهم ويفقه هو منهم حيث قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل
نجعل لك خرجا اي جعلا اجرا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقال فيه ربي خير فاعينوني بقوة فهم ذو القرنين
منهم وفهموا ايضا منه ما ذكرنا فدل ذلك انهم كانوا يفقهون بلسان غيرهم وفي الاية دلالة انهم كانوا لا يفقهون
شيئا قليلا من القول وان كانوا لا يفقهون كثيرا لانه يقول لا يكادون يفقهون فهو يتكلم على العرب لا
على النفي راسا والله اعلم وقوله عز وجل قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل
لك خرجا جعلا واجرا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير علينا وبالحسن يكون قوله ما مكني
ربي من النبوة خير لانه يقول انه كان نبيا حيث قال له انا مكنا له في الارض الاية وعلى قول غيره يكون ما مكني
فيه ربي من الملك والسبب الذي اعطاني وابلغ به مغرب الشمس ومطلعها خير مما تذكرون وقوله عز وجل فاعينوني
بقوة اي بما تقوى به اجعل بينكم وبينهم ردما اي سدا وقوله عز وجل اتوني زبر الحديد اي قطع الحديد وقال
بعضهم سالهم الحديد لان المكان كان مكان الحديد وقال بعضهم ان الحديد كان الين لهم واطوع من اللبن والطين
ولكن لا يعلم ذلك الا بالسمع وقوله عز وجل حتى اذا ساوى بين الصدفين اي بلغ ذلك السد راس الصدفين وهما
جبلان وسوى بينهما والله اعلم وقوله عز وجل قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا اي اصب عليه
قطرا قيل نحاسا وقيل رصاصا ذكر انه كان يبسط الحديد صدرا ثم يبسط الحطب فوقه صدرا ثم حديدا
فوق الحطب حتى بلغ راس الجبلين وسوى بينهما على هذا السبيل ثم اذيب القطر فصب فيه فجعل القطر يحرق
الحطب ويذيب الحديد حتى دخل القطر مكان الحطب وصار مكانه فالتزق القطر بالحديد على هذا ذكر انه
بنى ذلك السد وقال الحسن كان القطر له كالملاط لنا والله اعلم وقوله عز وجل فما اسطاعوا ان يظهروه اي
يعلوه يعني على ذلك السد وما استطاعوا له نقبا في اسفله ولا نزاد على المذكور في الكتاب في هذه الانباء والقصص
خوفا الشهادة على الله والكذب عليه ولكن نذكر مقدار ما ذكر في الكتاب لا نزيد على ذلك وفي الكتاب القدر
الذي ذكرنا والله اعلم قال القتبي يقال للجبل المسد زبر قطع والقطر النحاس وقوله ان يظهروه اي يعلوه يقال ظهر فلان
السطح اذا علاه وكذلك قال ابو عوسجة وقال السد بين ناحيتي الجبل والردم السد الصدفين هو مثل السد بين فرغ
عليه قطرا اي اصب عليه نحاسا وقوله عز وجل قال هذا رحمة من ربي يحتمل ان السد الذي بنى وحال بينهم وبين ياجوج
وماجوج فذلك منه رحمة اي برحمته كانت تلك الحيلولة او كان ذلك منه نعمة من الله والرحمة هي النعمة اي هذا
السد بينكم وبينهم نعمة من ربي عليكم ثم فيه وجهان احدهما ذكر ان ذلك كان برحمة من الله اذا فرغ منه
وقد كان في الابتداء حين سالوه ان يجعل لهم السد اضاف الفعل الى نفسه حيث قال فاعينوني بقوة اجعل
بينكم وبينهم ردما فدل ذلك ان ما فعل برحمة منه وفضل وان له في ذلك صنعا والثاني فيه ان له ان يفعل بالخلق
ما ليس هو باصلح لهم في الدين لانه لا يخلق اما ان كان الاول لهم اصلح في الدين ثم فعل الثاني فلو يكون الثاني اصلح
لهم في الدين وان كان الاصلح لهم في الدين الثاني فالاول لم يكن ثم ذكر ان ذلك رحمة منه وقوله عز وجل
فاذا جاء وعد ربي اي فاذا جاء الذي به كان وعد ربي وهو الموعود ولان الوعد لا يجيء فكانه قال موعود ربي وهو
خروج ياجوج وماجوج او فتح ذلك السد جعله دكا اي كسرا وهدما على ما ذكرنا وجعله دكا اي هدمه وسواه
بالارض وقال القتبي جعله دكا اي الصقها الارض يموج في بعض اي يجول بعضهم في بعض وقوله عز وجل وكان وعد
ربي حقا هذا وعد والاول موعود وقوله عز وجل وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض اي يجول بعضهم في بعض ثم
يحتمل قوله يموج في بعض عند السد الذي بناه ذو القرنين يموجون عنده في فتح ذلك السد او يذكر هذا لكثرتهم و
ازدحامهم والله اعلم وقوله عز وجل ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ظاهره على الماضي والمراد منه المستقبل
اي ينفخ في الصور فيجمعهم جمعا ومثل هذا كثير في القرآن يذكر الماضي بحرف المستقبل والمستقبل بحرف الماضي وقوله
عز وجل وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا يحتمل ان يكون عرضها عليهم قبل ان يدخلوا فيها كقوله وبرزت الجحيم
للغاوين ويشبه ان يكون العرض كناية عن التعذيب بها بعدما ادخلوا فيها كقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
وقوله عز وجل الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان ظلمة الكفر تستر وتحجب نور القلب
ونور كل حاسة من حواسه من السمع والبصر والفؤاد وغيره اذ لكل حاسة من هذه الحواس نور وضياء في سريتها لما
تبصر ولا تسمع الحق والحجة الا بنورين جميعا نور الظاهر ونور السريرة والباطن فالكفر يستر ويغطي ذلك النور
فيجعل لا يبصر الحق ولا ينظر العبر ولا يتفكر ولا يتجلى له الحق بنور الظاهر والايمان نور وضياء يبصر به ويسمع و
يرفع له غطاء كل شيء حتى يتجلى له الحق ويعرف به حسن وقبح كل قبيح فهو كما يرى الانسان الشيء بنور بصره وبنور
الهواء فاذا ذهب احدهما صار بحيث لا يبصر ولا يرى شيئا فعلى ذلك انما يعرف الشيء ويظهر له حقيقته بنور القلب
وبنور الحواس فاذا اعطى ظلمة الكفر نور القلب صار لا يبصر شيئا ولا يعتبر ولا يسمع ولا ينطق بالحق والايمان بنور ذلك
ويضيء فيجعل يبصر كل شيء ويتجلى له الحق من الباطل ويعرف الايات من التمويهات والله اعلم وقوله عز وجل وكانوا لا يستطيعون
سمعا فيه وجهان من الدلالة احدهما انه نفى عنهم استطاعة السمع وقد كان لهم السمع فدل ان الاستطاعة
التي هي استطاعة الفعل تقترن الفعل لا تتقدم ولا تتاخر حيث قال وكانوا لا يستطيعون سمعا وكذلك قول صاحب

موسى حيث

موسى حيث قال له انك لن تستطيع معي صبرا في مواضع فدل ما نفى عنه الفعل انما يقارن الفعل لا يحتمل
التقدم والتاخر والثاني فيه دلالة ان هنالك استطاعة هي يستعبدون بها وعد الله ويستوجبون
به فضيعوها باشتغالهم بغيرها حيث عوتبوا واستوجبوا ذلك العتاب والتوبيخ بالتضييع الذي
كان منهم فلولم يكن للعتاب والتوبيخ الذي عوتبوا ووبخوا معنى قال قوم انما نفى عنهم ذلك للاستثقال
الذي كان منهم وقد يقال مثله على المجاز للاستثقال دون الحقيقة يقول الرجل لاخر ما استطيع ان انظر
اليك لكذا وهو ناظر اليه لكن قد ذكرنا انه على الوجه الذي قال لا استطيع ان انظر اليك وهو ناظر اليه
غير مستطيع النظر اليه وهو نظر رحمة وشفقة وقال بعضهم هو على الطبع وهو قول الحسن وقال بعضهم
انما نفى ذلك عنهم لما لم ينتفعوا به كما نفى عنهم السمع والبصر والنطق لما لم ينتفعوا به ليس على انهم لم يكن لهم
تلك الحواس فعلى ذلك ما نفى عنهم من الاستطاعة لما لم ينتفعوا بها ليس على انها ليست قبل هكذا نفى عنهم ذلك
لما عموا وصموا عن ذلك والله اعلم وقوله عز وجل افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء قال
بعضهم قوله افحسب الذين عبدوا في الدنيا الملائكة والرسل واتخذوهم من دوني اولياء ان يكونوا لهم
اولياء في الاخرة ويقولون شفاعتهم يشفعون لهم وينصرون كلا ان يصيروا لهم اولياء كقولهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والثاني افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادي المخلصين دوني اولياء ويتولونهم اي لا يقدرون على ان يتخذوا اولياء من دوني وقد كانوا يدعون
المؤمنين الى دينهم والتولي لهم وهو ما قال انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما
سلطانه على الذين يتولونه والثالث افحسب الذين كفروا ان ما عبدوا واتخذوا من دوني اولياء اني امرتهم
بذلك او اذنت لهم حيث قالوا والله امرنا بها ونحوه كلا انه امرهم بذلك او اذن لهم في ذلك ومن
قرا افحسب على الجزم فهو على اسقاط الف الاستفهام يعني فحسب الذين كفروا فهو يخرج على وجوه
ثلاثة احدها فحسب الذين كفروا واتخذوا عبادي من دوني اولياء ما عندنا لهم من جهنم كقولهم
حسبهم جهنم يصلونها الاية والثاني حسب الذين كفروا ما اتخذوا من دوني اولياء اي ما كفاهم ذلك
وما حان لهم ان يرجعوا الى عبادتي والوهيتي وقد اقمت لهم الايات والحجج على ذلك والثالث حسب لهم من
الذي لما اتخذوا من دوني اولياء وقوله عز وجل انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قال بعضهم نزلا هو النزول
وهو من النزل وقال بعضهم هو المنزل والانزال اي ياكلون فيها النار فيكون ماكلهم ومشربهم من النار
قال القتبي النزل ما يقدم للضيف ولاهل العسكر وقوله عز وجل قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا يشبه ان يكون هذا خرج على مقابلة قول كان من رؤساء الكفرة وجواب
لهم وهو ان الرؤساء منهم كانوا يوسعون الدنيا على بعض اتباعهم ويحسنون اليهم ثم صار اولئك
الاتباع اتباعا لرسول الله ودخلوا في دينه فضاقت عليهم الدنيا وذهبت المنافع التي كانت لهم منهم
فعيرهم بذلك اولئك الكفرة ونحوه على ما اختاروا من الدين انه لو كان حقا لا تسع عليهم الدنيا كما اتسع
عليها وعليهم ما داموا على ديننا وكلام نحو هذا فاجابهم الله بذلك فقال قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا
الاية ويحتمل ان يكون على الابتداء في اهل الصوامع منهم والرهبان الذين اعتزلوا النساء وحبسوا
انفسهم لعبادة الاصنام والاوثان وجهدوا فيها وحملوا على انفسهم الشدائد والمشقة فاخبر عز وجل
ان هؤلاء اخسر اعمالا واضلهم سعيا من الذين طلبوا الدنيا والرياسة فيها ولم يفعلوا مثل هؤلاء
وان كانوا في الكفر سواء والاخسر هو الوصف بالخسران والنهاية والغاية وجائز ان يستعمل افعل في موضع
فعل هذا في اللغة غير ممتنع فيكون تاويله قل هل ننبئكم بالخاسرين اعمالا كقوله الله اكبر اي كبير وقوله
عز وجل الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا يحتمل وجهين احدهما ضل اي ذلوا العبادتهم التي عبدوا الاوثان
والاصنام وخذلوا انفسهم بذلك وعلى ذلك يخرج قوله اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اوبقوا
انفسهم في الدنيا بعبادتهم الاصنام والثاني ضل سعيهم الذي سعوا في الدنيا بعبادتهم الاصنام في الاخرة
لانهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا ونحوه فضل ما املوا في الاخرة بعبادتهم
في الدنيا والاخرة والله اعلم وقوله عز وجل وهم يحسبون بعبادتهم الاصنام التي عبدوها انهم يحسنون
بما انفقوا على اولئك وسعوا انهم يحسنون صنعا اي خيرا ومعروفا اي ليس لهم ذلك بصنع لا خير فيه
دلالة انهم يؤاخذون بفعلهم الذي فعلوا وان جهلوا الحق وهكذا قولنا ان من فعل فعلا وهو جاهل فانه
يؤاخذ به بعد ان يكون له سبيل الوصول الى الحق بالطلب والتعلم حيث قال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
ثم اخبر من هم فقال اولئك الذين كفروا بايات ربهم بحججه وبراهينه وقال الحسن دينه وقد ذكرنا ذلك
في غير موضع وقوله ولقائه البعث او المصير اليه وهو مذكور ايضا وقوله عز وجل فحبطت اعمالهم فلا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا اي لا نقيم لهم وزنا وهو ما قال عز وجل فما ربحت تجارتهم فاذا لم تربح لهم خسرت
عليهم وقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم هذا يدل ان قوله لا نقيم
لهم يوم القيامة وزنا قد يقام عليهم الوزن ثم اخبر عز وجل عن جزائهم فقال ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا

واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ثم ذكر للمؤمنين من الثواب والجزاء باعمالهم التي عملوها في الدنيا واختاروا فيها مقابل ما ذكر للكفرة فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا وكان الجنان التي وعد للمؤمنين اربعة جنات النعيم وجنات المأوى وجنات عدن وجنات الفردوس ثم كان في كل واحدة منها اعني الجنان فيها معنى الاخرى لانه قال جنات المأوى وهو ما يؤوى اليه وجنات النعيم ظاهر وجنات عدن من المقام او غيره والفردوس سميت فردوسا لانها تكون ملتفة محفوفة بالاشجار ففي كل واحدة منها ذلك كله وقوله نزلا قيل منزلا من النزول وقيل من النزل وهو من الانزال وقوله عز وجل خالدين فيها لا يبغون عنها حولا اي تحولا اخبر انهم لا يملون ولا يسامون عن نعيمها كما يمل اهل الدنيا نعيمها ويسامون لذة السرور بها يمل عن نعمة ويرغب في اخرى فاخبر ان اهل الجنة لا يملون فيها ولا يسامون ولهم فيها ما يشتهون وهم فيها ما يتخيرون وروي ان ابن عباس سال كعبا عن الفردوس فقال هي جنات الاعناب بالسريانية وقال بعضهم ما ذكرنا انها سميت لكثرة اشجارها والتفافها وروي عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض الفردوس اعلاها درجة من فوقها يكون الفردوس منها يتفجر انهار الجنة الاربعة فاذا سالتم الله الجنة فاسالوه الفردوس وقال القتبي لا يبغون عنها حولا اي تحولا وكذلك قال ابو عوسجة هو من التحول وقال نزلا قال هذا من الطعام والشراب وجميع النزل انزال وجمع الفردوس فراديس وقال القتبي النزل ما يقدم للضيف والله اعلم وقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي يشبه ان يكون هذا اخرج مقابل قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقوله وتفصيل كل شيء وجوابا لما ذكر فيه تبيانا لكل شيء وتفصيل كل شيء فقالوا كيف يحتمل هذا المقدار ان يكون فيه تبيان كل شيء وتفصيل كل شيء فقال عز وجل عند ذلك جوابا لقولهم انه لو بسط ما اودع فيه من نحو المعاني والحكمة وشرح ذلك فكتب بما ذكر لبلغ القدر الذي ذكروا وازداد وقال الحسن قوله لو كان البحر مدادا لكلمات ربي اي لخلق ربي اي لو قال ما خلق واملى اني خلقت كذا وخلقت كذا فيكتب جميع ما خلق لبلغ القدر الذي ذكر فهو جميع تاويله الى ما خلق من اصناف الخلق واجناس الاشخاص وقال ابو بكر الاصم قوله لكلمات ربي لبيان ما خلق ربي فهو يرجع الى الاول وقال فائدة ما ذكر هو ان يعرفوا ان خلائقه وما انشا لما خرج عن الوقوع في الاوهام فالذي انشاء ذلك وخلقه احرى ان يكون خارجا عن الوقوع في الاوهام والتصور فيها والثاني ان يعرفوا قدرته وسلطانه واحاطة علمه بالخلائق وما انشا فيعلموا ان من قدر على هذا فهو على البعث الذي انكروا اقدر ومن احاط علمه بما ذكر فهو على الاحاطة بافعالهم واقوالهم اعلم واعرف ليكونوا على الحذر ابدا في كل وقت ثم يحتمل قوله كلمات ربي حججه واياته التي اقامها على وحدانيته وربوبيته اي لو كتب ذلك لبلغ ذلك الذي ذكروا وان كان المراد من الكلمات القران فالتاويل ما ذكرنا بدءا انه خرج كان على الجواب والمقابلة لقول كان منهم ما قاله الحسن وابو بكر ان كلماته خلقه او البيان عن خلقه وقوله عز وجل ولو جئنا بمثله مددا هذا ليس على التحديد ولكن على التعظيم والابلاغ وهو ما قال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله دل هذا على ان قوله ولو جئنا بمثله مددا ان ليس لذلك المدد حد ولا نهاية ولكن ذكر على التعظيم له والابلاغ وفيه دلالة ان ليس لما خلق الله من العلوم نهاية ولا غاية يريد به الخلائق ولكن يؤخذ من كل جنس شيء فيعمل به وفيه ان ليس الامر بتعلم العلم والمقصود منه العلم نفسه ولكن المقصود منه العمل بما يعلم اذ ليس للعلوم نهاية ولا حد يبلغ ذلك البشر فدل انه لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد امره ان يخبرهم انه بشر مثلهم ثم يكون لذلك الامر واخباره اياهم انه بشر مثلهم وجوه من المعنى احدها انهم كانوا يسالونه ايات خارجة عن وسع البشر وطوقهم فامره ان يخبرهم انه بشر مثلهم لا يقدر على ما يسالونه من الايات التي تخرج عن وسع البشر وطوقهم وليس له هذا الحكم على الله والتحكم عليه في شيء انما ذلك الى الله ان شاء انزل وان شاء لم ينزل ولا املك شيئا من ذلك والثاني كرهوا ليعرفوا انه اداها مع الايات التي لا يحتمل وسع البشر ان تأتوا بمثلها انه انما يأتي بذلك من عند الله لا من ذات نفسه اذ علموا ان وسع البشر لا يحتمل ذلك فلما انا هو بذلك اتمها انه انما هي من عند الله وانه رسول على ما يقول والثالث امره ان يقول لهم هذا انه بشر مثلهم كيلا يجعلهم فيطرحهم على ان يتخذوه الها ربا على ما اتخذ قوم عيسى الها ربا لفرط حبهم اياه وقوله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فان كانت الاية في مشركي العرب فهم ينكرون البعث ولا يرجون لكنه يكون ذكر لقاء ربه لهم لانهم عرفوا انفسهم قديم احسان الله اليهم نعمه عليهم فلما مروا ان يعملوا العمل الصالح ليسد بهم لذلك الاحسان الذي كان منه الله اليهم فيطلبهم العمل على التوحيد بالله والاقرار بالبعث وان كانت الاية في المؤمنين فيكون تاويله فمن كان يرجو لقاء ربه اي ثواب ربه فليعمل عملا صالحا لثاب عليه لان الثواب انما يكون للعمل الصالح دون غيره وفيه ما ذكرنا ان المقصود من العلم العمل الصالح والعلم مما ليس له نهاية فالامر بطلب ما لا نهاية له ليس لنفسه ولكن للعمل به والله اعلم وقوله عز وجل ولا يشرك بعبادة ربه احدا يحتمل حقيقة الاشراك في العبادة والالوهية على ما اشرك اولئك الاصنام والاوثان التي عبدوها في عبادتهم والوهيتهم ويحتمل المراءاة في العمل الصالح على ما يرى بعض اهل التوحيد في بعض ما يعملون من الطاعة والخيرات والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بسم الله الرحمن الرحيم قيل كهيعص اسم من اسماء القران وقيل اسم من اسماء الله وعلى ذلك روي عن علي رضي الله عنه انه قال يا كهيعص اغفر لي قال ابو بكر الاصم لا يصح هذا من علي لان هذا لم يذكر في اسماء الله المعروفة التي يدعى بها وقال بعضهم حروف من اسماء الله افتتح بها السورة نحو ما ذكرنا وهو الاول وقال بعضهم الكاف مفتاح اسمه كافي والهاء مفتاح اسمه هادي والعين مفتاح اسمه عالم والصاد مفتاح اسمه صادق وقال ابن عباس الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وقال الربيع بن انس الياء من قوله وهو يجير ولا يجار عليه وقال الكلبي هو ثناء اثنى الله على نفسه فقال كاف هاد عالم صادق يقول كاف لخلقه هاد لعباده عالم ببريته وبامره صادق في قوله وقال بعضهم لم ينزل الله كتابا الا وله فيه سر لا يعلمه الا الله وسر القران فواتحه وقال بعضهم تفسيره ما ذكر على اثره وهو قول الحسن وامثال هذا قد اكثروا فيه وقد ذكرنا الوجه في الحروف المقطعة فيما تقدم في غير موضع وقوله عز وجل ذكر رحمت ربك عبده زكريا هذا يحتمل وجهين احدهما على الامر اي اذكر لهم برحمت ربك عبده زكريا بالاجابة له عند سؤاله الولد في الوقت الذي آيس من الولد في ذلك الوقت فيكون فيه دلالة رسالته حيث ذكر لهم رحمة ربه على زكريا واخبرهم على ما في كتبهم والثاني ذكر رحمت ربك اي هذا ذكر رحمت ربك لعبده زكريا في دعائه وعلى هذا التاويل يكون الذكر هو القران وقد سمى الله القران ذكرا في غير اي من القران والله اعلم وقوله عز وجل اذ نادى ربه نداء خفيا قال بعضهم نداء خفيا في قلبه على الاخلاص من غير ان ينطق به وقال بعضهم نداء خفيا عن قومه ومن حضره ثم يحتمل وجهين احدهما اخفاه واسره منهم اخلاصا لله واصفاء له والثاني اخفاه واسره منهم حياء ان يعيبوه انه سال ربه الولد في وقت كبره واياسه والله اعلم وقوله عز وجل قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف ورق واشتعل الراس شيبا اعتذار اليه وقدم زكريا ما حل به من الكبر وبلوغه الوقت الذي لا يطمع في ذلك الوقت الولد اي بلغت المبلغ الذي ضعف بدني ورق عظمي ثم سال ربه الولد ليس على انه كان لا يعرف قدرة الله انه قادر على هبة الولد وانشائه في كل وقت في وقت الكبر والضعف وبالشباب وبغير الشباب لكنه لا يعرف انه يبدع ويصلح سؤال الولد وهبته في الوقت الذي كان بلغ هو وهو الوقت الذي لا يطمع فيه الولد في الاغلب وهو ما ذكر في سورة آل عمران كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله فعند ذلك عرف زكريا انه يبدع دعاء هبة الولد والسؤال في وقت الاياس حيث راى عند مريم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء غير متغيرة عن حالها فسال عند ذلك ربه الولد وهو قوله هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة الاية والله اعلم وقوله عز وجل ولم اكن بدعائك رب شقيا قال بعضهم اي كنت تعودني الاجابة في دعائي اياك فيما مضى وقال بعضهم اي لم يكن دعائي مما يخيب عنك وهما واحد ذكر منته وفضله الذي كان منه اليه وقوله عز وجل واني خفت الموالي من وراءي قال الحسن خاف مواليه ان يرثوا ماله فاما علمه ونبوته فانهما لا يورث قال ابو بكر الاصم هذا لا يصح لا يحتمل ان يخاف زكريا وراثة ماله مواليه فيسال ربه لذلك الولد ليرث ماله ولكن كان يخاف ان يضيع مواليه دينه وسنته من بعده فسال ربه ان يهب له الولد ليقوم مقامه في حفظ دينه وسنته وقال لا يحتمل وراثة المال لما روي في الخبر انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة فلو يخلو هذا من احد وجهين اما ان كان هذا في المال له خاصة دون سائر الانبياء واما اذا لم يكن زكريا نبيا فدل هذا انه على العلم ان يضيع الموالي على من وراءي ويحتمل قوله واني خفت الموالي من وراءي وسؤاله الولد وجها اخر وهو انه سال ربه الولد الرضي الطيب ليذكر هو به بعد وفاته بالاجمال والصنيع الذي كان منه في حياته ويدعى له لئلا ينقطع ذكره ودعاء الخلق له وهذا هو المعروف في الخلق انهم يذكرون ويدعون لهم بالخيرات التي كانت لهم حال حياتهم اذا كان له ولد صالح فعلى ذلك سؤال زكريا الولد والله اعلم وقوله عز وجل وكانت امراتي عاقرا اي لا تلد وقوله عز وجل فهب لي من لدنك وليا يرثني اي يلي امري وقوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال بعض اهل التاويل ما ذكرنا يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وقال فهب لي من لدنك وليا وارثا يرثني مكاني وحبوري ويرث من آل يعقوب الملك لانهم كانوا ملوكا وكانوا اخواله وهو كان حبرا والله اعلم بذلك ولكن قوله يرثني ما كان له من العلم والحكمة والدين وغيره ويرث من آل يعقوب ما كان لهم من العلوم وغيرها فان ثبت ان آل يعقوب كانوا اخواله ففيه دلالة ان ذوي الارحام يرثون بعضهم من بعض والله اعلم وقوله عز وجل يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اي لم نجعل له مثل يحيى من قبل في الفضل والمنزلة لانه روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لم يكن من ولد آدم الا وقد عمل بخطيئة او هم بها غير يحيى بن زكريا فانه لم يهم بخطيئة ولا عمل بها وقال بعضهم لم نجعل له من قبل سميا اي لم يسم احد قبله يحيى وجائز ان يكون قوله لم نجعل له من قبل سميا اي تولى الله تسميته يحيى لم يوكل تسميته غيره كسائر الخلائق تولى اهلوهم تسميتهم

وقوله قال رب انى يكون لى غلام وكانت امراتى عاقرا وقال الحسن عباد الله ان ذكريا استوهب ربه الولد فاجابه
وبشره فقال انى يكون لى غلام وطلب منه الاية لذلك فقال اجعل لى اية فما عابه على ذلك ولا وبخه ولكن رحمه
او كلام نحو هذا وقال غيره انما امسك لسانه واعتقله عقوبة لما سال من الاية هؤلاء كلهم يجعلون ذلك
منه زلة منه الا ان الحسن قال لم يعبه على ذلك ولا عاقبه عليه ولكن ذكر ذلك رحمة منه اليه وغيره
يجعل ذلك عقوبة لما كان منه وجائز ان يخرج ذلك على غير ما قالوا وهو ان قوله انى يكون لى غلام اى على اى حال
يكون منى الولد على الحال التى انا عليها او اردّ الى شبابى ففى تلك الحال يكون منى الولد فذلك منه استخبار واستعلام
عن الحال الذى يكون منه الولد ليس على انه لم يعرف انه قادر على انشاء الولد فى حال الكبر وبسبب وبلا سبب
وعلى ذلك يخرج قوله حيث قال كذلك قال ربك هو على هين ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا اى قبل ان
نخلقك لم تك شيئا وطلب الاية والعلامة بعدما بشر يخرج على وجهين احدهما انه لما بشر بالولد لعله اشكل عليه
بان تلك بشارة ملك او غيره فطلب منه العلامة ليعرف ان تلك بشارة ملك وانها من الله او غيره لانه ذكر
فى الاية فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى فطلب الاية يخرج منه على استعلام
بشارة الملك وان ذلك من الله لا انه لم يعرف قدرة الله انه قادر على خلقه فى كل حال هذا لا يظن باضعف
مؤمن فى الدنيا فكيف يظن بنبى من الانبياء او ان يكون طلب الاية منه ليعرف وقت حملها الولد ووقت
وقوعه فى الرحم ليسبق له السرور بجله عن وقت الولادة وعن وقت وقوع بصره عليه والله اعلم وقوله
عز وجل على هين لانى اخلق بسبب وبغير سبب وقوله عز وجل قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وقال
بعضهم آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال وانت سوى صحيح وقال بعضهم ثلاث ليال سويا اى تلوتنا تاما بايامها
على ما قاله فى آية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا ذكر ههنا ثلاث ليال وفى تلك الاية ثلاثة ايام والقصة واحدة وقوله
عز وجل فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا قوله فاوحى اليهم قيل اومى اليهم وقيل كتب
لهم على الارض وجائز ان يكون اوحى اليهم بالشفتين على ما ذكر فى آية اخرى ثلاثة ايام الا رمزا والرمز هو تحريك
الشفة والايماء بها قال ابو عوسجة عاقر وعقيم المراة التى لا تلد وقوله عتيا قال هو انتهاء الكبر شيئا اى كثر الشيب
والمحراب قال ان شئت قصرا وان شئت دارا وقال القتبى عتيا اى يبسا ويقال عتيا وعسيا بمعنى واحد ويقال ملك عات
اذا كان قاسى القلب غير لين وسويا اى سليما وقوله فاوحى اليهم قد ذكرنا انه اومى اليهم وقال بعضهم كتب
لهم على الارض وقوله ان سبحوا بكرة وعشيا يحتمل قوله ان سبحوا اى صلوا لله بكرة وعشيا فان كان
التسبيح هو الصلاة ففيه ان الصلاة كانت فى الامم الماضية فى ضم الليل ويحتمل التسبيح نفسه والثناء على
الله والدعاء له بالغدوات والعشيات وقوله عز وجل يا يحيى خذ الكتاب بقوة قال بعضهم خذ الكتاب
بما قوى الله واعانك وقال بعضهم خذ الكتاب واصبر على العمل بما فيه وقال بعضهم خذ الكتاب بقوة اى
بجد قال ابو بكر الاصم الجد هو الا تكاسل فى العمل والقوة هى احتمال ما حمل عليه وفيه دلالة نقض قول المعتزلة
لانهم يقولون بان القوة تتقدم الفعل ثم لا تبقى وقتين فيكون على قولهم اخذا بغير قوة وقد امره ان ياخذه بقوة
فقوله على خلاف ما نطق به ظاهر الكتاب وقوله عز وجل واتيناه الحكم صبيا قال بعضهم اتيناه الحكم اى النبوة
فى حال صباه وقال بعضهم اتاه الله الفهم واللب وقال بعضهم الحكمة والعلم فكيف ما كان ففيه فساد مذهب
المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى لا يخص احدا بنبوة ولا شىء من الخيرات الا بعد ان يسبق من المختص له ما يستوجب
ذلك الاختصاص ويستحقه فما الذى كان من يحيى فى حال صباه وطفوليته ما يستوجب به النبوة وما ذكر من الحكم
انه اتاه فدل ذلك الاختصاص منه يكون لمن كان افضالا منه وانعاما ورحمة لا باستحقاق من المختص له واستيجابه
وفى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة دلالة انه كان نبيا حيث كان اخبر انه اتاه الكتاب وقوله وحنانا من لدنا هو على
قوله واتيناه الحكم صبيا واتيناه حنانا وزكوة ايضا ثم اختلف فى قوله وحنانا من لدنا قال ابن عباس تعطفا من لدنا
وقال بعضهم اى رحمة من لدنا وهو قول الحسن وقال بعضهم الحنان المحبة وقال ابو عوسجة حنانك وحنانيك
كلاهما يعنى رحمتك وقال اصله من التحنن وهو الترحم وقال القتبى اصله من حنين الناقة على ولدها وقوله
وزكوة وكان تقيا قال بعضهم زكوة اى صدقة تصدق بها على زكريا وزوجته فى الوقت لا يرجى من مثلهما الولد
وقال بعضهم زكوة اى صلاحا وما ينموا به من الخيرات وجائز ان يكون الزكوة اسم كل خير وبركة وهو كالبر من
التقوى كانه قال اعطيناه كل بر وخير وقوله عز وجل وكان تقيا عن جميع الشرور كقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
تعاونوا ايضا على دفع الشرور وقوله عز وجل وبرا بوالديه هو على قوله واتيناه الحكم واتيناه البر بوالديه وقوله
عز وجل ولم يكن جبارا عصيا بل كان خاضعا لله ذليلا مطيعا وقال الحسن لم يكن جبارا عصيا اى لم يكن ممن يجبر
الناس على معصية الله وقال اهل التاويل ولم يكن جبارا اى قتالا اى لم يكن ممن يقتل على الغضب على الغضب
واصله ما ذكرنا انه كان على ضد ما ذكر خاضعا لله مطيعا له على ما ذكر انه لم يرتكب ذنبا ولا هم به وقوله عز وجل
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا يحتمل السلام عليه الوجوه الثلاثة احدها هو اسم كل
بر وخير اى عليه كل بر وخير فى هذه الاحوال التى ذكروا والثانى السلام هو الثناء اثنى الله عليه فى اولاه
الى اخره وبعد الموت فى الاخرة او ان يكون قوله وسلام عليه اى السلامة عليه فى هذه الاحوال التى يكون

للشيطان

للشيطان فى تلك الاحوال الاعتراض والنزغ فيها لانه وقت الولادة يعترض ويفسد الولد ان وجد السبيل اليه
وكذلك عند الموت يعترض ويبغى فى فساد امره فاخبر ان يحيى كان سليما سالما من نزغات الشيطان محفوظا عنه
حتى لم يرتكب خطيئة ولا هم بها والله اعلم وفى قوله يوم يموت دلالة ان الموت والقتل سواء وان كان فى
الحقيقة مختلفا لانه ذكر فى القصة ان يحيى قتل ثم ذكر الموت فدل انهما واحد فهذا يرد على المعتزلة حيث قالوا
ان المقتول ميت قبل اجله وفيه ان قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات انما نهانا ان نسميهم اموات
فى جهة لبس فى الجهات كلها حيث سمى يحيى ميتا وهو كان شهيدا على ما ذكر انه قتل فى قوله واتيناه الحكم صبيا استدل
لابى حنيفة رحمه الله حيث وقف فى اولاد المسلمين والمشركين فقال لا علم لى بهم ولم يقطع فيهم القول لما يجوز
ان يجعل الله لهم من المعرفة والتمييز والفهم فى حال صغرهم حتى يعرفوا خالقهم ومنشئهم على ما اعطى يحيى
وعيسى فى حال صباهما وصغرهما الحكم والفهم والمعرفة وقوله عز وجل واذكر فى الكتاب مريم قال الحسن هو
صلة قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اى اذكر رحمة ربك مريم وقال بعضهم واذكر نبا مريم وقصتها
فى الكتاب وقوله عز وجل اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا اى نحو المشرق ثم يحتمل قوله انتبذت من اهلها
اذا بلغت مبلغ النساء فارقت اهلها واعتزلت منهم لئلا يقع بصر غير ذى الرحم المحرم عليها وان لا يراها احد ولا
يبلغ النظر اليها وقال بعضهم مكانا شرقيا اى جلست فى المشرقة لانه كان فى الشتاء وقوله عز وجل فاتخذت
من دونهم حجابا قال بعضهم احتجبت من دونهم بالغيبة عنهم وقال بعضهم اتخذت من دونهم حجابا اى سترا وقال
مقاتل اتخذت من دونهم الجبل حجابا وسترا اى جعلت الجبل بينها وبين اهلها فلم يرها احد منهم وقوله عز وجل
فارسلنا اليها روحنا قال ابى بن كعب هو روح عيسى ارسله الله الى مريم فى صورة بشر فتمثل لها بشرا سويا
وقال غيره من اهل التاويل فارسلنا اليها روحنا جبريل وقد سمى الله جبريل روحا فى غير اى من القرآن روح
القدس وغيره فتمثل لها بشرا سويا اى لم يكن به اثر غير البشر وقال بعضهم بشرا سويا لا عيب فيه ولا نقصان بل
كان سويا صحيحا كاملا والله اعلم وقوله عز وجل قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فان قيل كيف تعوذت
بالرحمن ان كان تقيا وانما يتعوذ بالرحمن من الفاجر والفاسق قال الحسن قوله ان كنت تقيا مفصول من قوله
انى اعوذ بالرحمن منك فيكون على الابتداء كانها قالت ان كنت تقيا لا ينالنى منك سوء ولا يمسنى شر ويحتمل
قوله ان كنت تقيا اى ما كنت تقيا اى حيث دخلت على من غير استيذان منك ولا استيمار ما كنت تقيا ويحتمل
قوله ان كنت تقيا اى وقد كنت تقيا فعلى هذا التاويل كانه دخل عليها على صورة بشر عرفته بالتقى والصلاح
لكانها قالت قد كنت عرفتك بالتقى والصلاح فكيف دخلت على بلا اذن ولا امر وقد يجوز ان يستعمل ان
مكان ما ومكان قد وفى القرآن كثير والله اعلم وقوله عز وجل قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا
هو على الاضمار كانه قال انما انا رسول ربك بالقول بان اهب لك غلاما زكيا اى ارسلنى اليك بهذا القول وهو
قوله لاهب لك غلاما زكيا وفى حرف ابن مسعود انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا وقوله زكيا او
ساخا طاهرا من جميع الشرور وقوله عز وجل قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا اذ قالت
لم يمسسنى بشر يعلم انه لم يمسها بشر لا تقيا ولا غيره لكن كانها قالت لم يمسسنى بشر نكاحا ولم اك بغيا ولا بغيا
ثم انى يكون لى ولد كانها لم تعرف الولد الا بسبب لذلك قالت انى يكون لى غلام وقوله عز وجل قال كذلك
قال ربك اى اخلق بسبب وبلا سبب وقوله عز وجل هو على هين اى خلق الشىء بسبب وبغير سبب هين على
وقال بعضهم قوله كذلك قال ربك للانبياء الذين كانوا من قبل انه يخلق ولدا بلا اب ولا ام وقوله عز وجل
ولنجعله اية للناس اى نجعل ولده بلا اب علما اخبر الانبياء من قبل اية للناس لرسالتهم لانهم اخبروا انه يولد
لا بلا اب ولا ام فكان ما اخبروا فدل ذلك انهم انما عرفوا ذلك بالله فيكون ذلك اية لصدقهم ويكون
قوله وكان امرا مقضيا اى ذلك الخبر الذى اخبر الانبياء من قبل والوعد الذى وعدهم امرا مقضيا كائنا
وقال اهل التاويل فى قوله ولنجعله اية للناس اى نجعل عيسى اية للناس حيث ولد بلا اب وكلم الناس فى المهد وغير
ذلك من الايات التى كانت فيه وجائز ان يكون اية للناس للبعث لانه انشا بلا ابوين سبب وهما انما انكروا
البعث لما لم يعاينوا الولد بغير اب ايضا ثم كان فعل ذلك البعث اذ لا فرق بينهما لان من قدر على انشاء الولد
بلا اب ولا ام قدر على الاحياء بعد الموت بل هو اولى وقوله عز وجل ورحمة منا اى رحمة منا للخلق لان
من اهتدى واتبعه كان له به نجاة وهو ما قال الله عز وجل لرسوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وعلى ذلك
جميع الانبياء والرسل الذين بعثهم الله الى خلقه كانه ذلك رحمة منه الى خلقه وقوله عز وجل وكان امرا مقضيا
اى كان امرا كائنا وعلى التاويل الذى ذكره ابو بكر الاصم فى قوله قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله اية
للناس يكون قوله وكان امرا مقضيا اى كان وعدا وخبرا معلوما على ما اخبر الانبياء عن نبا عيسى وامه وقوله
عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا دل هذا على ان الولادة لم يكن على اثر الحمل ولكن كان بين الولادة وبين الحمل
وقت لكن لا يعلم كم ذلك الوقت الا بخبر عن الله وقوله عز وجل فانتبذت به مكانا قصيا قال بعضهم تباعدت به
حياء من اهلها وقال بعضهم انفردت به مكانا قصيا متباعدا وقوله عز وجل فاجاءها المخاض قال القتبى
فاجاءها المخاض اى جاء بها من المجىء والجاها اليها يقول جاءت بى الحاجة اليك واجاءتنى الحاجة والمخاض هو

هو الجمل وقيل قوله فانتبذت به مكانا قصيا ان النخلة التي الجاها المخاض اليها كانت يابسة على ما قاله اهل التأويل
لانه انما انتبذت مكانا قصيا وتباعدت حياء من اهلها فلو كانت تلك النخلة رطبة ذات ثمار لكان الناس يأوون
اليها ويقيمون عندها فلا يحتمل ان تأوي اليها مريم وعندها تأوي الناس ثم الجاءها الى النخلة لتستند اليها
وتستعين بها على ما يقع الحاجة للنساء وقت الولادة الى شيء تستعين به مما ينزل بهن من الشدة والله اعلم وقوله عز وجل
قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يحتمل ان يكون يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا اي وكنت غير معروفة
ويحتمل ان يكون على ما ذكر يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لا اذكر بعد الموت بذلك لانه ذكر انها كانت من
اهل بيت النبوة فتمنت ان تكون غير معروفة لئلا تذكر بسوء بعدها ولا تقذف وقال اهل التأويل وكنت نسيا
منسيا اي حيضة ملقاة وكذلك قال ابو عوسجة النسي الحيض قال ابو بكر الاصم لا يحتمل هذا لانها قد عرفت قدرها
عند الله فلا يحتمل ان تتمنى ما ذكر لكن الانسان ربما يتمنى الامر العظيم اذا اشتد به الامر نحو ما يتمنى الموت في بعض الوقت
لعظم ما يحل به فعلى ذلك غير منكر هذا من مريم ان تتمنى ما ذكر اهل التأويل والله اعلم وقوله عز وجل فناداها
من تحتها ومن تحتها اختلف فيه قال بعضهم ناداها ملك وقال بعضهم لا بل ناداها ابنها عيسى قال ابو بكر الاصم لا يحتمل
ان يكون الذي ناداها ملكا لانه قال من تحتها ولو كان ملكا لناداها من فوقها لكن هذا ليس بشيء لان الملك
انما ينادي من حيث يؤمر من تحت ومن فوق وقال بعض اهل التأويل ناداها جبريل من تحت الوادي الا تحزني قد
جعل ربك تحتك سريا والاشبه ان يكون ابنها عيسى لانها كانت تحزن ان تتهم وتقذف به فعيسى اذا تكلم وصار
بذلك المحل تسرى بذلك لما تعلم انه ينفي عنها بعض ما تهمت به وقرفت ويحتمل حزنها من وجه اخر وهو انها كانت خرجت
خوفا على نفسها وعلى ولدها لانها اقامت في مكان لا ماء فيه ولا طعام تخاف على نفسها وولدها الهلاك فحزنت
لذلك فبشرت حيث قال لها الا تحزني فجعل ربك تحتك سريا امنها عن الخوف الذي كان ثم السري قال بعضهم
من اهل التأويل هو الجدول وهو النهر الصغير وقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا
فيه دلالة لزوم الكسب لانه امر مريم ان تهز النخلة لتسقط عليها الرطب ولو شاء لسقط من غير فعل
يكون منها لتجتني هي وذلك عليها اهون وايسر على ما كان رزقها عندما كانت مؤنتها على زكريا وفيه دلالة
ان لا يبيح لمثلها المسألة ما دام يراد في قوة يقدر على قوته وفيه دليل ان زكريا كان افضل منها واكبر منزلة عند
الله حيث رزقها عندما كانت في عيال زكريا من غير تكلف كان من زكريا ولا مؤنة فلما فارقت زكريا امرها
بالكسب وفيه دلالة ان الايات التي تكون للانبياء يجوز ان يجريها على غير ايدي الانبياء حيث جعل لمريم نخلة
يابسة رطبة تثمر رطبا وحيث جعل من تحتها سريا اي نهرا جاريا وحيث رزقها عندما كانت في عيال زكريا من
غير تكلف احد فذلك يشبه ايات الانبياء والرسل ويقاربها وهذه المحن التي امتحن بها مريم في الظاهر عظيمة
عند الناس وفي الباطن من اعظم كرامة ثم اليها لانه اخبر انه اصطفاها على نساء العالمين بقوله ان الله
اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين وسماها صديقة بقوله وامه صديقة وذلك لا يسمى الا من
بلغ من البشر في الصدق والصبر له غايته والله اعلم وقال بعضهم في قوله فناداها من تحتها اي من تحت النخلة
وقوله فكلي واشربي وقري عينا اي كلي الرطب الذي يتساقط عليك واشربي من السري الذي جعل تحتك وقري
عينا اي وارضي مكان ما حزنت عليه وخفت على نفسك وعلى ولدك او طيبي نفسا وقوله عز وجل فاما ترين من البشر احدا
فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وسكوتا وكذلك روي في بعض الحروف وهو في حرف ابي وقال ثم قوله
فقولي ليس على القول نفسه ولكنه اشارة اشارت اليهم اني نذرت للرحمن صوما فان كان على هذا ففيه دلالة
ان الاشارة اذا كانت معلومة مفهومة المراد تعمل عمل القول نفسه والكلام ولذلك وقع الطلاق بالاشارة و
التلويح وكل عقد من الاخرس وغيره اذا كانت الاشارة مفهومة معقولة وقال بعضهم قوله فقولي هو على حقيقة
القول اي امرت ان تقول اني نذرت للرحمن صوما فكان نذرها الصوم للرحمن بعد هذا القول والى هذا يذهب
الحسن وقوله عز وجل فاتت به قومها تحمله اي بعيسى قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا قال
ابو بكر الاصم لقد فريت عظيما من الامر لكنه يخرج تأويله فريت من التقدير يقال فرى اي قدر وقال بعضهم لقد
افتريت عظيما وهو قذف تصريح بالزنا كقوله يفترينه بين ايديهن وارجلهن وقال بعضهم شيئا فريا كل فائق
عجب او من عمل فهو فري وهو ههنا عجيب فري وهذا اقرب اذ لا يجوز ان يحمل كلامهم على تصريح القذف وشبه
لتعريض القذف سائغ وجه والله اعلم وقوله يا اخت هرون قال بعضهم كانت اخت هرون بن عمران اخي
موسى وعلى ذلك روي خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ثبت فهو هو وقال بعضهم لا ولكن كان لها اخ
من ابيها يقال له هرون بن ماثان لذلك نسبوها اليه فقالوا يا اخت هارون وقال بعضهم ان هرون كان رجلا
صالحا ناسكا فيهم فشبهوها به ونسبوها اليه لصلاحها ونسكها وقال بعضهم ان بني اسرائيل يسمي كل صالح هرون
حبا لهرون لذلك سموها ونسبوها الى هرون لنسكها وصلاحها وقوله عز وجل ما كان ابوك امرا سوء وما كانت
امك بغيا اي ما كان ابوك ما ذكر ولا امك ولا انت فمن اين كان لك هذا هذا تعريض من الكلام ليس بتصريح فهو مما
ذكرنا انهم قالوا ذلك على التعجب ليس على تصريح الفرية والقذف لها وقوله عز وجل قال اني عبد الله اتاني الكتاب
اي اتاني علم الكتاب ولا نفسر اي كتاب هو الانجيل والتوراة او غيره لانه قال في اية اخرى ويعلمه الكتاب والحكمة

والتوراة

والتوراة والانجيل فذكر الكتاب وذكر معه التوراة والانجيل فهذا يدل ان الكتاب غير التوراة والانجيل وقوله
عز وجل وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت هذا يدل انه قد تكلم بعد هذه الكلمات وليس كما قال اهل التأويل
انه تكلم بهؤلاء الكلمات ثم لم يتكلم بعد ذلك الى ان بلغ المبلغ الذي يتكلم الصبيان لانه اخبر انه جعله نبيا
وجعله مباركا فلا يحتمل ان يكون نبيا ولا يتكلم ولا يدعو الناس الى دين الله واتى بركة تكون فيه اذ لم
يتكلم بكلام خير فدل ذلك منه ان ليس على ما قالوا هم والبركة هي اسم كل خير وصلاح والله اعلم وقوله
عز وجل واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت حيا يحتمل الصلاة المعروفة والزكوة المعهودة ويحتمل
الصلاة الثناء له والدعاء في كل وقت وفي كل مكان والزكاة كل ما تزكو به النفس وتصلح وتنمو من كل خير
فان كان الاول الصلاة المفروضة والزكاة المعروفة فهو على تعليم الناس كانه قال اوصاني ان اعلم الناس وامرهم
من الزكوة اذ لم يكن يملك عيسى ما تجب فيه الزكوة فهو يخرج على اعلام الناس من حكم الزكاة او ان يكون على
المواساة فذلك مما قل وكثر سواء وان كان الثاني فهو وغيره من الناس في تلك الزكاة سواء والله اعلم
وقوله عز وجل وبرا بوالدتي اي جعلني برا بوالدتي صلة بقوله وجعلني نبيا وجعلني مباركا وجعلني برا بوالدتي
ولم يجعلني جبارا شقيا قد ذكرناه في قصة يحيى وقوله عز وجل والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا هذا ايضا قد ذكرناه في قصة يحيى غير ان الله تعالى هو سلم على يحيى في تلك الاحوال وههنا
ذكر ان عيسى سلم على نفسه وذكر في بعض القصة ان عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام التقيا فقال يحيى لعيسى
انت خير مني فقال عيسى بل انت خير مني سلم الله عليك وسلمت انا على نفسي والله اعلم وقوله عز وجل ذلك
عيسى بن مريم اي ذلك عيسى بن مريم ليس على ما قالت النصارى وغيرهم انه ابن الله وانه ثالث ثلاثة على
ما قالوا ولكن عيسى ابن مريم عبد الله كما اقر هو بالعبودية حيث قال اني عبد الله ويحتمل قوله ذلك عيسى بن
مريم اي ذلك الذي انبأتهم من نبأ عيسى قول الحق الذي فيه يمترون اي هؤلاء الكفرة حيث انكروا انه ليس
على ما انبأتهم من نبائه اي الذي يشكون فيه هو قول الحق والله اعلم وقوله عز وجل ما كان لله ان
يتخذ من ولد سبحانه نزه نفسه عن ان يتخذ ولدا لانه لا تقع الاسباب التي لها يتخذ الولد ويطلب منه اولا
ان اتخاذ الولد يسقط الالوهية لان الولد في الشاهد يكون شكل الاب وشبيها له فلا يحتمل ان يكون الالوهية
لمن يشبه الخلق لان الولد في الشاهد انما يتخذ ويطلب لاحد وجوه ثلاثة اما لوحشة تأخذه فيستأنس به
واما لحاجة تمسه فيستغني به او يدفعه او لخوف يخاف من اعدائه فيستنصر به فاذ كان الله سبحانه متعاليا
عن ذلك وله من سرعة نفاذ امره ما ذكر في قوله اذا قضى امرا فانما يقول كن فيكون فما له من سرعة نفاذ الامر
ما ذكر لا تقع له الحاجة الى الولد في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
ثم قول اهل التأويل انه نفخ في جيب مريم او في انفها او في غيره وغير ذلك من القصص التي ذكروها مما ليس
في الكتاب ذكرها فلا يجوز ان يقال ذلك الا بخبر عن الله تعالى او ممن اوحي اليه فانه لم يعلم صدقه ولا ثبوته
فنذكر مقدار ما في الكتاب لا يزاد على ذلك ولا ينقص لان هذه الانباء لما ذكرت لرسول الله لتكون اية لرسالته
ونبوته لانها كانت مذكورة في الكتب المتقدمة وكان هنالك من يعرفها فذكرت له هذه الانباء على ما كان
في كتبهم ليعلموا انه انما اعرف ذلك بالله فلو زيد فيه او نقص لكانت غير دالة لهم على ذلك قال القتبي الصوم
الامساك صوما اي صمتا فريا اي عظيما عجيبا والبغي يقال امرأة بغي ونسوة بغايا اي فاجرات وكذلك قال ابو عوسجة
وقوله عز وجل ان الله ربي وربكم فاعبدوه انهم كانوا يعرفون ان الله هو ربهم حيث قالوا ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى ونحوه فكان عيسى قال لهم ارجعوا الى عبادة الذي تعرفون انه ربي وربكم واتركوا
العبادة الذي تعرفون انه ربي وربكم واتركوا العبادة لمن تعرفون انه ليس بربكم وقوله عز وجل فاختلف
الاحزاب من بينهم اختلف فيه قال بعضهم اختلف الذين تحزبوا في عيسى في حياته منهم من قال هو ساحر وقال
بعضهم هو كاهن وقال بعضهم كذا من هذا النحو وقال بعضهم اختلف الذين تحزبوا في عيسى بعد ما رفع بينهم فمنهم
من قال هو الله وقال بعضهم هو ابن الله وقال بعضهم هو ثالث ثلاثة وامثال ما قالوا على علم منهم انه لم يكن على ما
وصفوه وقالوا فيه لكنهم عاندوا وكابروا وقال بعضهم قوله فاختلف الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا واختلفوا
في رسول الله لما بعث فمنهم من قال انه ساحر وانه كاهن ومجنون وانه مفتر وانه كذاب ونحو ما قالوا فيه
على علم منهم ان ما يقول هو ابوا في كتبهم وان كتابه مصدق لكتبهم وانه يؤمن بالرسل الذين يؤمنون هم
بهم لكنهم قالوا ذلك على المعاندة والمكابرة فقال اصحاب هذا التأويل الويل والوعيد واختلفوا فيه والله
اعلم والويل لكل كافر فيما من كافر ولهم ذلك الوعيد وقوله عز وجل من مشهد يوم عظيم وصف ذلك اليوم
بالعظم لما فيه يجمع الاولين والاخرين ويشهده الجن والانس والملائكة فهو مشهد عظيم ويحتمل انه وصفه
بالعظم لانه هو المقصود في خلق العالم في الدنيا فهو انما خلقهم لامر عظيم وهو ذلك اليوم وقوله عز وجل اسمع
بهم وابصر يوم يأتوننا قال الحسن يكونون سمعاء وبصراء في الاخرة ليس على ما كانوا في الدنيا عميا بكما صما وقال
بعضهم ما اسمعهم وما ابصرهم يوم يأتوننا وقال بعضهم لا يحتمل هذا لانه ليس على وجه النهر
والتعجب ولكن تأويله اي يسمعون ما قالوا ويبصرون ما عملوا وقال بعضهم اسمع بهم وابصر اي اسمع بحديثهم اليوم

واعلمهم وابصر كيف تصنع بهم يوم يأتوننا والله اعلم وقوله عز وجل لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اي في حسرة
بيّنة او في هلاك بيّن وقد ذكرنا ذلك في غير موضع وقوله عز وجل وانذرهم يوم الحسرة قال عامة اهل التاويل
الحسرة هي ان يصور الموت بصورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار فينظر اليه اهل النار واهل الجنة فيهدم اهل
النار ويكون لهم الحسرة لما كانوا يطمعون الموت ييأسون منه فذلك الحسرة التي ذكر لكن هذا لا يعلم الا بخبر عن
رسول الله فان ثبت شيء عنه فهو ذاك والا فالحسرة لهم نوا عما لهم التي عملوا في الدنيا وهو ما قال كذلك
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وقوله يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وقوله يا حسرتنا على ما فرطنا فيها
ونحوه كل عمل عملوا في الدنيا يكون لهم ذلك حسرة في الاخرة وندامة وقوله عز وجل اذ قضي الامر اي ادخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار وهم في غفلة اي هم كانوا في غفلة من هذا وهم لا يؤمنون بالله وقوله عز وجل انا نحن نرث
الارض ومن عليها هذا والله اعلم كناية من فناء الخلق جميعا وبقاء الخالق فذلك معنى الوراثة والله اعلم وعلى ذلك
سمي الوارث في الشاهد وارثا لانه باق بعد فناء مورثه والله اعلم وقوله عز وجل واذكر في الكتاب ابراهيم قال
الحسن هو صلة كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا يقول اذكر رحمت ربك ابراهيم قال الحسن هو صلته و
كذلك يجعل جميع ما ذكر في هذه السورة من نحو هذا صلة ذلك كانه ذكر كهيعص في كل ذلك لانه يجعل تفسير كهيعص
في كل ذلك على ما ذكر على اثره وكذلك يقول في جميع الحروف المقطعة ان تفسيرها ما ذكر على اثرها واما غيره من اهل
التاويل فانه يقول واذكر لهم نبأ ابراهيم وقصته في الكتاب لهم واذكر في الكتاب نبأ موسى وخبره وذكره و
الله اعلم وقوله عز وجل انه كان صديقا نبيا الصديق انما يقال لمن كثر منه ما يستحق ذلك الاسم وكذلك الشديد
انما يشد اذا كثر الفعل منهم وصار كالعادة له والطبع فكانه سمي بهذا لما لم يكن يجعل بين ما ظهر له من الحقوق
والفعل وبين وفائها وادائها نظرة ولا مهلة بل كان يفيها ويؤديها كما ظهر له ولذلك سماه والله اعلم وفيا
بقوله وابراهيم الذي وفى وقال في اية اخرى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن سماه وفيا لما كانت عادته القيام بوفاء
ما ظهر له واتمام ما ابتلاه به والله اعلم وقوله عز وجل اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع اذا دعوته ولا يبصر
لو عبدته ولا يغني عنك شيئا اذا احتجت اليه وسالته ويحتمل ان يكون قوله ما لا يسمع اي لا يجيب لو دعوته
واحتجت اليه ولا يبصر حاجتك اذا احتجت اليه ولا يغني عنك شيئا اي لا ينصرك وقال بعضهم ولا يغني عنك شيئا
من عذاب الله في الاخرة يقول كيف لا تعبد من اذا دعوته سمع واذا عبدته ابصر ونصرك اذا احتجت اليه وسالته والله
الموفق وقوله عز وجل يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك اي من انباء ما يحل بك بعد الموت اذا مت على ما انت
عليه ما لم يأتك ذلك فاتبعني الى ما ادعوك اليه من دين الله اهدك صراطا سويا اي دينا عدلا سويا قيما لا عوج
فيه فهذا يدل منه انه قد اوحي في ذلك الوقت ويشبه ان يكون عرف ذلك استدلالا منه واجتهادا لا على غير
وحي كقوله هذا اكبر حتى انتهى الى قوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وكل ذلك كان له من الله
الا ترى انه قال في اخره وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وقوله عز وجل يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا هم لم يكونوا يعبدون الشيطان عند انفسهم ولكن يحتمل اضافة عبادتهم الى الشيطان
وجوها احدها ان الاصنام التي عبدوها كانت لا تامرهم بالعبادة ولا تدعوهم اليها ثم عبدوها فانما
عبدوها فانما عبدوها بامر الشيطان وبدعائه اياهم فاضاف ذلك اليه للامر الذي كان منه بذلك
والثاني ذكر ان الشيطان كان ينطق من جوف الصنم فعبدوها لكلامه فكانهم عبدوا الشيطان والله
اعلم وقوله تعالى يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن قال بعضهم قوله اني اخاف اي اعلم ان
يمسك عذاب من الرحمن لو دمت على الكفر وختمت به فان كان تاويل العلم فهو على هذا الشرط يخرج
ويحتمل ان يكون للخوف في موضع الخوف اي اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن ان لم تنزجر عدلك
فتكون للشيطان وليا اي قرينا في العذاب وقوله عز وجل قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم ولا شك
انه كان راغبا عن عبادة الهتهم قوله عز وجل لئن لم تنته لارجمنك يحتمل وجوها احدها لئن لم تنته عن دينك
الذي انت عليه لارجمنك اي لاقتلنك والثاني لئن لم تنته عن قذف الهتنا وسبها وذكرها بسوء لا
رجمنك اي لاشتمنك مكان شتمك وقذفك الهتنا فالرجم يشتمل على هذه الوجوه الثلاثة القتل والطرد
والشتم فان كان على القتل فهو مقابل الدين اي لئن لم تنته عن دينك لاقتلنك وان كان على الطرد فهو مقابل
الدعاء اي لئن لم تنته عن دعائك اياي الى ما تدعو لاطردنك وان كان على الشتم فهو مقابل الشتم اي لئن لم تنته
عن شتمك الهتنا لاشتمنك والله اعلم وقوله عز وجل واهجرني مليا قال بعضهم طويلا وقال بعضهم دهرا فان
كان مليا اي بعيدا فهو على بعده منه اي ابعد مني وتباعد مني داره ومقامه وان كان على الدهر والطول فهو
يخرج اي لا تكلمني ابدا والله اعلم وقوله عز وجل قال سلام عليك يحتمل انه ليس على ان سلم عليه ولكن كلام
السداد كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما هو ان يقولوا لهم كلام السداد ليس على ان يسلموا عليهم
ويحتمل سلام عليك على حقيقة السلام المعروف لكنه يخرج على الاضمار اي سلام عليك
اذا اسلمت وقوله عز وجل سأستغفر لك ربي اي اذا اسلمت على نحو ما قلنا ويحتمل قوله سأستغفر لك ربي اي
اسأل ربي ليوفقك على السبب الذي تستوجب به الاستغفار وتكون اهلا للاستغفار وقوله عز وجل انه

كان

كان بي حفيا قال بعضهم اي بي لطيفا وقال بعضهم حفيا عالما وقال بعضهم انه كان عودني الاجابة اذا دعوته
قال ابو عوسجة الحفي العالم بالامر ويقال حفي الرجل يحفى اذا سار بلا نعل ولا خف وجمعه حفاة واحتفى يحتفي
اذا اجتنى حشيشا وقوله عز وجل واعتزلكم وما تدعون من دون الله الاعتزال ههنا اعتزال الهجرة الى ارض
الشام ومفارقته اياهم بمفارقة المكان والدار كقوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين فقوله
ونجيناه النجاة بالعراق منهم وقوله عز وجل وما تدعون من دون الله اي واعتزلكم ما تعبدون من دون الله
ايضا ففيه اخبار عن اعتزاله عنهم بالدار والمكان وعن فعلهم ايضا اعتزلهم عن الامرين جميعا وقوله
عز وجل وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا هذا يحتمل وجهين احدهما اي ادعوا ربي عسى ان لا اكون
بعبادة غير الله شقيا كما كان قومه بعبادة غير الله اشقياء والثاني ان لا اكون بدعاء ربي اذا دعوته شقيا
اي خائبا مردود الدعاء والله اعلم وقوله عز وجل فلما اعتزلهم اعتزال الدار والمكان بالهجرة الى الارض
المباركة التي ذكرنا ثم نجاه واعتزل ايضا صنيعهم الذي كانوا يصنعون من عبادتهم غير الله وقوله عز وجل ووهبنا له
اسحاق ويعقوب وقال في اية اخرى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة ذكر الهبة لان الولد هبة من الله
تعالى لخلقه على الافضال منه والانعام عليه لانه يعطي لا عن حق كان لهم عليه فذلك فائدة ذكر الولد هبة
وقوله عز وجل وكلا جعلنا نبيا ظاهر هذا ان يكون وهب له ما ذكر ثم اخبر عز وجل انه جعلهم انبياء وقوله ووهبنا لهم
من رحمتنا اختلف فيه قال بعضهم الرحمة ههنا هي النبوة اي وهبنا لهم النبوة اي وهبنا لهم النبوة وقال
بعضهم الرحمة النعمة اي من نعمته وهب لهم ما وهب من النبوة وغيرها والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا
لهم لسان صدق عليا اختلف فيه قال بعضهم قوله لسان صدق هي الكتب التي انزلها الله فيها انباء صدقهم
وفضائلهم ومنزلتهم هي لسان صدق عليا لهم ولاولادهم الذين جعلهم انبياء رسلا يذكرون ويعظمون
من بعدهم لان جميع الانبياء والرسل عليهم السلام كانوا من نسل ابراهيم من الدنيا الى لدن محمد صلى الله عليه وسلم
فهم كانوا لسان صدق عليا حيث يذكرون بكل خير وبكل خير وبكل بركة ويمن وقال بعضهم لسان
صدق عليا هو ما امن من جميع اهل الاديان بابراهيم ودانوا جميعا به وعلى ذلك يخرج تخصيص ابراهيم
واله بالصلاة وبالبركة عليهم والثناء على قول قوم حيث قالوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابرهيم
وعلى ال ابراهيم وقوله عز وجل واذكر في الكتاب موسى هو ما ذكرنا في قوله واذكر في الكتاب ابراهيم وقوله واذكر
في الكتاب مريم على قول الحسن صلة قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اي ذكر رحمة ربك موسى وعلى قول غيره
من اهل التاويل اي اذكر لهم نبأ موسى وقصته في الكتاب وهو ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل انه
كان مخلصا ومخلصا قد قرئ بالنصب والخفض جميعا قال بعضهم مخلصا اخلصه الله واصطفاه واختاره
لرسالته ونبوته وقوله مخلصا بالخفض اي اخلص عبادته وتوحيده لله وقوله عز وجل وكان رسولا نبيا
قال بعضهم الرسول هو الذي ينبئ ويخبر عن التاويل وقال بعضهم الرسول هو الذي ينزل عليه الوحي
والكتاب والنبي هو الذي ينبئ لا عن لسان واصل النبي هو الذي ينبئ عن كل خير وبركة وسمي نبيا لاحتمال
فيه كالصديق لا يسمى به الا بعد اجتماع كل خصال الخير والبركة فيه لو انفرد بكل خصلة من تلك الخصال
سمي صادقا فاذا اجتمع ذلك سمي صديقا فعلى ذلك النبي سمي نبيا لاجتماع خصال وهو ما روي في الخبر الرؤيا
الرؤيا الصالحة جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والسمت الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءا من
النبوة فهذا يدل ان النبي انما سمي نبيا لاجتماع خصال الخير والبركة فيه كما ذكرنا في الصديق والله اعلم
وقوله عز وجل وناديناه من جانب الطور الايمن فان كان الايمن من اليمن والبركة فيكون تاويله وناديناه
من جانب الطور المبارك واليمن وكذلك روي في الخبر ان موسى عليه السلام قال اتاني ربي من جبل طور سيناء
واطلع من جبل ساعورا وظهر من جبل فاران ومعناه اتاني وحي ربي من جبل طور سيناء واطلع من جبل
ساعورا اي اتى وحي عيسى من جبل ساعورا واتى وحي محمد في جبل فاران فهو على اليمن يمين الجبل وبركته وقال
بعضهم هو يمين الجبل وقال بعضهم يمين موسى قال ابو بكر الاصم هذا لا يعلم الا بالخبر ولا نفسره انه
ماذا اراد به مخافة التغيير لانه ذكر في موضع الاحتجاج عليهم فان زادوا او نقصوا على ما في كتبهم يبطل الاحتجاج
به عليهم وقوله عز وجل وقربناه نجيا قال اهل التاويل هو تقريب بالمكان ولكن عندنا هو تقريب المنزلة
والقدر والفضل هذا معروف وهو اسم نجيا من المناجاة اي ناجاه من حيث لم يطلع على ذلك غيرهما وسمي
موسى فهذا لانه اخلص نفسه لله وسلمه له ولذلك سمي المصلي ايضا مناجيا ربه على ما روي في الخبر انظروا من
تناجي حيث فرغ نفسه عن جميع الاشغال وسلمها اليه فسمي لذلك مناجيا والله اعلم وقوله عز وجل ووهبنا له
من رحمتنا اخاه هارون نبيا هو ما ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل واذكر في الكتاب اسمعيل على قول الحسن
هو صلة قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا اي اذكر لهم رحمة ربك اسمعيل وعلى قول غيره من اهل التاويل على
الابتداء اي اذكر لهم نبأ اسمعيل وقصته في الكتاب على الاحتجاج له عليهم لان هذه الانباء والقصص
كانت في كتبهم فاخبر رسوله عن تلك الانباء والقصص على ما كانت ليخبرهم فيعلموا انه انما عرفها بالله ليدلهم
ذلك على النبوة ورسالته ثم اختلف في اسمعيل قال عامة اهل التاويل هو اسمعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما

وقال بعضهم هو الذي قال الوالي ابعث الله لنا ملكا نقاتل في سبيل الله ولكن لا نعلم ذلك الا بالخبر عن الله وليس لنا اليوم [illegible]
ذلك حاجة وقوله عزوجل انه كان صادق الوعد قال عامة اهل التاويل سماه صادق الوعد لانه وعد رجلا ان ينتظر
حتى يرجع اليه فاقام مكانه [illegible] ينتظره حتى رجع اليه لكن لا يحتمل ان يكون مثل اسمعيل بعد هذا ولا ينتقي
وعد الله ورسوله ان يقول انه [illegible] ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله ويكون قوله صادق الوعد اي يصدق هو القائم بوفاء كل حق ظهر له لانه كل مؤمن يعتقد في اصل
ايمانه طاعة ربه في كل امر يامر به والانتهاء عن كل نهي نهاه ووفاء كل حق عليه فسماه صادق الوعد لقيامه بوفاء
كل حق ظهر له وتجلى والله اعلم وقوله عزوجل وكان رسولا نبيا قد ذكرناه وقوله عزوجل وكان يامر اهله بالصلوة
والزكوة اي قومه بالصلوة والزكوة لان كانت الصلوة هي الصلوة المعروفة والزكوة المعروفة ففيه انهما كانتا
في الامم الماضية وان كانت الدعاء والثناء وما به تزكو الانفس وتصلح فهو في جميع الملل باقي والله اعلم وقوله
عزوجل وكان عند ربه مرضيا ظاهر وقوله عزوجل واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا قد ذكرنا وقوله عزوجل انه كان
صديقا نبيا قد ذكرنا ايضا وقوله عزوجل ورفعناه مكانا عليا قال الحسن رفعنا [illegible] وقال
اهل التاويل رفعه الى السماء الرابعة فهو ميت [illegible] ولكن عندنا يشبه ان يكون [illegible]
المنزلة والقدر والرفعة عند الله وعند الناس جميعا على ما ذكرنا في قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا وقوله
عزوجل اولئك الذين انعم الله عليهم [illegible] والرحمة التي ذكر فيها [illegible] هي النعمة فهذا يرد قول اهل الاعتزال
لانهم يقولون لم يخص الله احدا [illegible] فاخبر الله عزوجل
ان ذلك منه انعام وافضال عليهم من النبيين من ذرية ادم [illegible] ومن ذرية من حملنا مع نوح
ومن ذرية ابراهيم واسرائيل [illegible] ومن ذريتهم من هداه التوحيد واجتبيا للرسالة والنبوة
والله اعلم وقوله عزوجل اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا قال بعض اهل التاويل [illegible]
عبد الله بن سلام واصحابه اذا تتلى عليهم ايات القرآن [illegible]
الذين ذكرنا انعم عليهم كانت لهم ايات [illegible] تليت عليهم خروا لله سجدا وبكيا ولان يكون لا
على حقيقة السجود ولكن على الخضوع له والقبول لحججه وبراهينه التي تتلى عليهم [illegible]
اذا راوا ايات الله وسلطانا [illegible] فرعون عند معاينتهم الايات حيث قالت
فالقى السحرة سجدا [illegible]
ابو عوسجة [illegible]
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا ان يكون كناية عن الصلاة وصفهم عزوجل انهم كانوا يبكون في الصلاة
خاشعين باكين ثم قال فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات اي خلف من بعد اولئك الذين
وصفهم عزوجل بالصلاة لله والخشوع لله فيها والبكاء خلف اضاعوا الصلاة اي جعلوها لغير الله وهي
الاصنام التي كانوا يعبدونها فاذا جعلوها وصرفوها الى غير الذي يصلي اولئك فقد اضاعوها لانهم كانوا يصلون
للاصنام الصلاة التي كان يصلي اولئك لله ويحتمل ان يكون قوله اضاعوا الصلاة لان الصلاة هي اخر ما يترك
ويضيع لا ترى في الخبر انه قال سينقض عرى الاسلام عروة فعروة اولها الامانة واخرها الصلاة وقال بعض
اهل التاويل اضاعوا الصلاة اضاعتها تاخيرها عن مواقيتها لا ان تركوها اصلا فهذا في اهل الاسلام ان ثبت
والله اعلم وقوله عزوجل واتبعوا الشهوات اي اثروا الشهوات على العبادات وجعلوا الشهوات هي المعتمدة دون
العبادات وقوله عزوجل فسوف يلقون غيا قال بعضهم الغي واد في جهنم لكن هذا لا يجوز ان يقال الا بالخبر عن
رسول الله انه قال واد في جهنم وقال بعضهم الغي العذاب وقال بعضهم الغي الشر وجائز ان يكون سمى جزاء
اعمالهم التي عملوها في الدنيا بالغواية باسم اعمالهم غيا ويجوز تسمية الجزاء باسم سببه كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها ونحوه ثم استثنى فقال الا من تاب عن الشرك وامن بالله وعمل صالحا وقوله عزوجل فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون شيئا يشبه ان يكون قوله لا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من حسناتهم التي عملوها في حال
ايمانهم لمكان ما عملوا من الاعمال في حال كفرهم بل يبدل سيئاتهم حسنات على ما اخبر فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وقال في اية ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اخبر انهم اذا امنوا وانتهوا عن الشرك
لا يؤاخذهم بما كان منهم في حال كفرهم والله اعلم ثم بين اي جنة فقال جنات عدن التي وعد الرحمن عباده
الذين امنوا بالغيب ثم يحتمل بما انهم بالغيب اي بالله امنوا به بالخبر وان لم يروه ويحتمل الغيب الجنة اي صدقوا
وان لم يروها والنار والبعث بالغيب وقوله عزوجل انه كان وعده ماتيا اي كان موعوده اتيا ولكن ذكر ماتيا
لان كل من اتاك فقد اتيته فسمى لذلك ماتيا وقوله عزوجل لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقال في موضع اخر
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما اي لا يسمعون باطلا ولا ما يكره بعضهم من بعض ولا ما ياثم
بعضهم بعضا الا سلاما والسلام كانه اسم كل خير وبركة وقوله عزوجل ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
قال الحسن ان اطيب العيش واحبه الى العرب الغداء والعشاء فاخبرهم الله عزوجل ان لهم في الجنة الغداء
والعشاء واطيب العيش الى العجم لباس الحرير واللؤلؤ فاعلمهم ان لهم في الجنة ذلك بقوله يحلون فيها من اساور

من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ويقول اهل التاويل ليس في الجنة بكرة ولا عشي ولا ليل ولا نهار ولكن
يؤتون على ما يحبون من البكرة والعشي وعن ابن عباس قال على مقادير الليل والنهار ويشبه ان يكون
قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ليس على تخصيص وقت دون وقت ولكن الاوقات كلها في
كل وقت يحبون ويشتهون كقوله وفيها ما تشتهي الانفس وفاكهة مما يتخيرون ويخرج ذكر البكرة
والعشي ان زمان الجنة يكون شبه البكرة من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس الوقت الذي يكون بعد غروب
الشمس الى ان يظلم لا ترى اخبر ان ظلها ممدودة بقوله وظل ممدود ثم اخبر ان تلك الجنة التي ذكر ان فيها كذا
هي التي نورث من عبادنا من كان تقيا يحتمل ان يكون وعد الجنة للبشر كلهم بشرائط شرط عليهم ان وفوا بها
ملكهم الجنة جميعا وان لم يفوا بها فلا ثمن وفي بشرائطه التي شرط يجعل الذي كان وعد للذي لم يف
اذا وفى للذي وفى بذلك فهو الميراث الذي ذكر وعلى ذلك يخرج قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس لا ترى والوارث هو الباقي من المورث والخلف عن الميت وقوله فخلف من بعدهم خلف
قال بعضهم الخلف بالجزم يستعمل في موضع الذم والخلف بالتحريك والنصب في موضع الحمد وقال بعضهم هما سواء
ويستعملان جميعا في موضع واحد وقوله عزوجل وما نتنزل الا بامر ربك هذا الكلام منه لا يكون الا عن
سؤال كان منه فكانه قد كان استبطأ نزول جبريل عليه فعند ذلك قال له انا لا نتنزل الا بامر ربك ثم
فيه انه لم يقل ذلك له الا بامر الله لان الله اخبر انهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فلا يحتمل ان
يقول له ذلك من تلقاء نفسه فيجعل ذلك اية في كتاب الله تتلى وقوله عزوجل له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك كان هذا الكلام موصول بقوله وما نتنزل الا بامر ربك لانهما جميعا كانا يعلمان ان له ما بين
ايديهم وما خلفهم وما بين ذلك فدل ذلك انه موصول بالاول وجهة تعلقه بالاول هو ان يقال
ما نتنزل الا بامر ربك لا نتقدم لا بامره ولا بامر ولا نتاخر ولا نعمل شيئا الا بامره وهو كقوله لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله واما غيره من اهل التاويل اختلفوا فيه قال بعضهم قوله له ما بين ايدينا هو الاخرة
هو وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك الحال التي نحن فيها وقال بعضهم قوله ما بين ايدينا الدنيا وما خلفنا
الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وامثال هذا لكن الذي ذكرنا بديا اولى واشبه لانه هو على الصلة بالاول
انه لا نتقدم ولا نتاخر ولا نعمل شيئا الا بامره والله اعلم وقوله عزوجل وما كان ربك نسيا هذا يخرج على
وجوه ثلاثة احدها ما قاله بعض اهل التاويل ان جبريل قد كان احتبس عنه زمانا فقال اهل مكة قد ودعه ربه
وقلاه فنزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى على ما قال المشركون فيخرج على هذا قوله وما كان
ربك نسيا على الترك اي ما كان ربك تركك لما قال اولئك من التوديع والقلى ويحتمل ما كان ربك نسيا كملوك الارض
يطلب خدمهم وخولهم وقت سهولهم وحالة غفلتهم فيقضون حوائجهم وحوائج من يطلب منهم القيام
بها اي ما كان ربك بالذي يسهو ويغفل كملوك الارض والثالث وما كان ربك نسيا بتاخير نزول عن وقت النزول
بل نزل عليك في الوقت الذي هو وقت النزول فهذان الوجهان يخرجان على السهو والغفلة والاول على الترك
وقوله عزوجل رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته اي اصبر نفسك عليها وعلى طاعته
وقوله عزوجل هل تعلم له سميا اي ما تعلم له شريكا تشتغل بعبادته عن عبادة الله انما هو اله واحد لا راحة
لك عن عبادته ولا ما يشغلك عنه وقال بعض اهل التاويل هل تعلم احدا اسمه الله سواه وقال بعضهم هل
تعلم له مثلا وشبيها وقوله عزوجل ويقول الانسان اءذا ما مت لسوف اخرج حيا هذا الكلام يخرج على وجهين
احدهما على انكار البعث لسوف اخرج حيا اي ما اخرج حيا والثاني على التهزؤ والهزؤ جواب ما قال لهم اهل الاسلام
انكم تبعثون وتحيون فقالوا عند ذلك على التهزؤ بهم والسخرية ثم ذكرهم بدء حالهم حيث لم يكونوا شيئا
فخلقهم فقال اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فان قدر على خلقه في الابتداء ولم يك شيئا كان
على احيائهم وبعثه بعد ما كان شيئا اقدر ثم اقسم انهم يبعثون فقال فوربك لنحشرنهم والشياطين اي لنجعلهم
والشياطين الذين اضلوهم كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الاية
وقوله عزوجل ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قال بعضهم جثيا جماعات كقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
وقال بعضهم جثيا على الركب لان اقدامهم لا تحمل لشدة هول ذلك اليوم وقوله عزوجل ثم لننزعن من
كل شيعة قال بعضهم الشيعة الصنف اي من كل صنف والشيعة الاتباع كقوله هذا من شيعته وهذا من
عدوه اي من اتباعه وقوله عزوجل ايهم اشد على الرحمن عتيا اي تمردا وعنادا والعاتي هو القاسي المتمرد
في عتوه وقوله عزوجل ثم لننزعن اي لنخرجن اي نبدا بهم من كان منهم اشد على الرحمن تمردا وعنادا وهم
القادة والرؤساء منهم فيقذفون في النار اولا ثم الامثل على المراتب التي كانوا في الدنيا وقوله عزوجل لنحن
اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي اعلم بمن اولى بها صليا اي يصلى بالنار وهم القادة والكفرة وقوله بالقول
عتيا قال ابو عوسجة العتي الشر جثيا قال جماعات والجاثي هو المبارك على ركبتيه والشيعة الصنف من الناس
وقال القتبي جثيا جمع جاث وفي التفسير جماعات وقال قتادة في قوله هل تعلم له سميا قال لا سمي لله و
لا عدل له ولا مثل كل خلقه يقر له ويعرفه ويعلم انه خالقه وقال بعضهم لا يسمى احد باسمه يعني بالله وقال

بعضهم بالرحمن وقوله عز وجل وان منكم الا واردها اختلف فيه قال بعضهم الاية في الكفرة خاصة واستدل باول الاية بقوله فوربك لنحشرنهم والشياطين الى اخر ما ذكر والمؤمنون لا يحشرون مع الشياطين ولكن انما يحشر الكفار مع الشياطين ولكن انما يحشر الكفار مع الشياطين كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله ويكون قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا على ابتداء منع الورود عليها والنجاة منها وقال بعضهم الاية في المؤمنين والكافرين جميعا لكن اختلف في الورود وقال بعضهم الورود المضمون دون الدخول لان الله عز وجل اخبر ان من ادخل النار فقد اخزاه بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وقال بعضهم الورود الدخول فيها واستدل بقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وبقوله يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار الاية يقول يدخل الفريقان جميعا فيها لكنها تصير جامدة وبردا على المؤمنين على ما صارت بردا وسلاما على ابراهيم ثم تصير حارة محرقة للكفار والظلمة قال الحسن لا يحتمل ان يدخل اهل الايمان النار لان الله عز وجل امن المؤمنين ان يكون عليهم خوف او حزن بقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلو كانوا يدخلون النار لكان لهم خوف وحزن وقد اخبر ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون دل انهم لا يدخلونها وجائز ان يكونوا واردين جميعا وداخلين فيها لا دخول تعذيب فيها وعقاب لانه ذكر انه مرهم جميعا على الصراط لجهنم كما تسخ للتلاوس من حلف ان لا يدخل دارا فتسور بسورها او صعد سطحا من سطوحها حنث ويصير داخلا فيها فعلى ذلك جائز انهم اذا مروا على الصراط نجا اهل الايمان فمروا بروزكا فدام الكفار فيها فبقوا فيها فكان الفريقان جميعا يوصفون بالدخول على الوجه الذي وصفنا وقال بعضهم ورود المسلمين المرور بهم على الجسر بين اظهرها وورود المشركين ان يدخلوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم الزالون والزالات وما ذكر الحسن انه امن المؤمنين ان لا يكون عليهم خوف ولا حزن فجائز ان يكون الله يدخلهم فيها على غير جهة العقوبة فلا يكون لهم خوف ولا حزن الا ترى انه اخبر انه جعل الملائكة اصحاب النار بقوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ثم لا يكون لهم خوف ولا حزن وهم فيها او عدوا بها اذا خالفوا امر الله وعصوه بقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية الا ترى انه اخبر ان اهل الجنة يطلعون على اهل النار في النار ثم لا يخافون ولا يحزنون بقوله فاطلع فرآه في سواء الجحيم وهم في الدنيا اذا اطلعوا عليها لا شك انهم يخافون ويحزنون ويسوءهم ذلك اشد الخوف ثم في الاخرة لا يفعل ذلك فجائز ان يكونوا يردونها ويدخلونها ولا يخيفهم ذلك ولا يحزنهم ولا يسوءهم والله اعلم بذلك وقوله عز وجل كان على ربك حتما مقضيا اي قضاء واجبا ثم ننجي الذين اتقوا الشرك والفواحش ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قد ذكرنا وقوله قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا كان هذا القول من الكفرة خرج جواب ما احتج عليهم اهل الايمان بالايات التي ذكر وحجاجا عليهم فيقولون انكم تقولون ان الدنيا والاخرة لله فقد وسع علينا الدنيا وضيق عليكم فعلى ذلك يوسع الاخرة علينا ويضيق عليكم كما فعل في الدنيا اذ لا يجوز ان يوالينا في الدنيا ويعادينا في الاخرة وعلى هذا قولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فظنوا انه لما وسع عليهم واحسن بهم الندي والمجلس كذلك يكون في الاخرة فاكذبهم الله ورد عليهم ذلك فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اخبرهم بما عرفوا هم انهم كانوا اهل النعمة والزينة ثم اهلكوا بتكذيبهم الرسل وعصيانهم ربهم فلو كان ما ذكر هؤلاء الكفرة لكانوا لا يهلكون فيلزمهم بما ذكر ان من وسع عليه الدنيا وضيق على الاخرة انما يكون يحق المحنة لا يحق للمنزلة والقدر واما الثواب والجزاء فهو يحق القدر والمنزلة والخذلان وقوله عز وجل اثاثا قيل المتاع والمال ورئيا اي منظرا وقوله عز وجل قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اي خير وسعة في الدنيا حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب هو العذاب والهلاك الذي وعدهم رسول الله في الدنيا واما الساعة القيامة وقوله عز وجل فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا هذا بدل ان قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا اراد والخدم والحواشي حيث قال واضعف جندا قال ابو عوسجة حتما مقضيا اي واجبا نديا اي مجلسا والاثاث جمع والاثاث المتاع ورئيا منظرا وعدله اي نطيل عذابه وقال القتبي نديا اي مجلسا يقال للمجلس ندي وناد ومنه قيل دار الندوة التي كان المشركون يجلسون ويتشاورون في رسول الله والاثاث المتاع والرئي المنظر والبشارة والهيئة وقوله فليمدد له الرحمن مدا اي يمد له في ضلالته ونرثه ما يقول اي نرثه المال والولد الذي قال لاوتين وقوله ويأتينا فردا لا شيء معه وقوله عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى جميع ما ذكر الله عز وجل من زيادة الهداية وابتداء الهداية ونوانما يزيد له الهداية ابتداء اذا كان من العبد رغبته في ذلك وبغية وطلب اذا كان مهتديا يزيد له الثبات على ما كان عليه في وقت رغبته وطلبه منه او ان لم يكن مهتديا يهديه ابتداء هداية في وقت رغبة وقبوله على هذا يخرج عندنا ما ذكر يحق الزيادة او يحق الابتداء ويحتمل قوله ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي يوفقهم اذا اهتدوا وعرفوا وهدايته الله لانواع الخيرات والطاعات وقالت المعتزلة البيان وهي هداية عامة والهداية الثانية هي شرح الصدر لها والتوفيق وهي هداية خاصة تكون في وقت ثان يحق الثواب فعلى زعمهم يجيء ان لا يكفر احد بعد ما هداه الله مرة ابدا لانهم يقولون اذا اهتدوا وقبلوا هدايته مرة يوفقه ويشرح صدره في الوقت الثاني فهو ابدا يكون على الهداية والايمان فاذا وجد عن كثير ممن اهتدوا ارتد الكفر من بعد دل ان تأويلهم فاسد وان

التاويل ما ذكرنا نحن انه يزيد لهم الهداية وقت رغبتهم وطلبهم الهداية ان كان يحق الابتداء والله اعلم وقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا يحتمل الباقيات الامور الباقيات التي لها البقاء اي ما يبقى لكم عند الله خير مما يبطل لان الله عز وجل وصف الحق والخير بالبقاء والمكث ووصف الباطل بالذهاب والتلاشي بقوله فاما الزبد الاية وقال في اية ومثل كلمة طيبة الاية وقال ومثل كلمة خبيثة الاية وقال في اية وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا اي ذاهبا فيشبه ان يكون قوله والباقيات الصالحات خيرا اي الاعمال التي لها البقاء خير لكم عند الله ثوابا من الذي ليس لها البقاء ويحتمل الباقيات اي ما ابقى الله لكم في الاخرة من الثواب خير لكم مما اعطى لكم في الدنيا لان هذا فان وذلك باق والله اعلم وقوله عز وجل افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا قال بعضهم هذا القول قاله العاص بن وائل السهمي لما حاجه اهل الايمان في امر الاخرة انها لهم دون الكفرة فقال لهم عند ذلك لاوتين مالا في الاخرة ان كان ما تقولون انتم حقا انما نبعث ونحيى كما اوتيت في هذه الدنيا وقال الحسن قال هذا القول الوليد بن المغيرة وهو ما قال تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا وكان يطمع ان ازيد له في الدنيا ابدا فقال كلا ردا على ذلك وقال ههنا اطلع الغيب ان يكون له في الاخرة ذلك على التاويل الاول او في الدنيا في وقت اخر ذلك على تاويل الحسن ام اتخذ عند الرحمن عهدا اي له بذلك عند الله عهد كلا ردا على ما ادعوا سنكتب ما يقول اي سنحفظ ونمد له من العذاب مدا قال بعضهم قوله ونمد له اي نزيد له من العذاب في كل يوم كقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا وقال بعضهم نمد له من العذاب مدا اي يعذب مدا اي يعذب بالانقطاع له والله اعلم وقوله عز وجل ونرثه ما يقول قال بعضهم اي نرثه المال والولد الذي قال لاوتين اي لله ما يقول بانه له من المال وغيره لا له وقال بعضهم قوله نرثه انه يعطى في الجنة ما يعطى المؤمنون فنرثه عنه ونعطيه غيره وجائز اضافة الوراثة اليه على ارادة اوليائه اي نرثه ذلك اولياءه وقوله عز وجل ويأتينا فردا في الاخرة لا شيء معه ولا اهل كقوله ولقد جئتمونا فرادى ويحتمل قوله ويأتينا فردا في الدنيا في وقت لا شيء معه ولا ولد على تاويل من يقول في قوله لاوتين مالا وولدا في الدنيا والله اعلم ثم اختلف اهل التاويل في العهد الذي ذكر ان له عند الله قال بعضهم شهادة ان لا اله الا الله في الدنيا وقال بعضهم قدم عملا صالحا وقال بعضهم الصلاة وهو قول مقاتل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال اتخذوا عند الرحمن عهدا فان الله يقول يوم القيامة من كان له عندي عهد فليقم فقيل كيف هو قال قولوا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحيوة الدنيا انك لا تكلني الى عمل يقربني من الشر ويباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعله لي عندك عهدا تؤديه الي يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ويرفع ابن مسعود هذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاول كانه اشبه ان ثبت الخبر وقوله عز وجل واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا فان كان على حقيقة العز فهو في القادة منهم والمتبوعين الذين عبدوا الملائكة والاصنام والاوثان ليتعززوا بذلك ولا يذلون ويدوم لهم الرياسة التي كانت لهم في الدنيا فظنوا انهم ان امنوا تذهب تلك الرياسة والماكلة عنهم ويحتمل قوله ليكونوا لهم عزا اي نصرا ومنعة فان كان هذا فهو في الرؤساء منهم والاتباع في الدنيا والاخرة انما طمعوا بعبادتهم الاصنام النصر في الاخرة وهو كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله طمعوا بعبادتهم النصر والشفاعة في الاخرة واما في الدنيا ظنوا ان الهتهم التي اتخذوها وعبدوها ينصرونهم في الدنيا حيث قالوا ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فكيف ما كان فقد رد الله عليهم ما طمعوا منها عزا كان او نصرا بقوله كلا لانهم اذلوا انفسهم لخشب وحجر والظهور حملها فكفى بذلك ذلا وصغارا وقوله عز وجل سيكفرون بعبادتهم قال الحسن سيكفر عباد الاصنام في الدنيا ومن عبدوه في الاخرة انهم ما كفروا وما عبدوها كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ينكرون في الاخرة ان يكونوا اشركوا فيه وعبدوا دونه وقال غيره من اهل التاويل سيكفر المعبودون بالعابدين لهم ويتبرؤون منهم وهو كقوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون ونحوه وقوله عز وجل ويكونون عليهم ضدا قال بعضهم ضدا اي عونا وتاويل العون هو ان تلقى تلك الاصنام معهم في النار فيحرقون فيها معهم فيزداد لهم عذابا فكانت على احراقهم وعلى هذا يخرج قول من يقول الضد البلاء اي يكونوا بلاء عليهم على ما ذكرنا وهو ما قال انكم وما تعبدون الاية فاذا صاروا حصبا كانوا بلاء وعونا على احراقهم وقال بعضهم يكونون عليهم ضدا اي قرناء في النار يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض ويخاصم بعضهم بعضا ويكذب بعضهم بعضا فذلك كله ضد عليهم ضد ما طمعوا منها لانهم عبدوها في الدنيا رجاء ان يكون لهم شفعاء في الاخرة ونصراء فكانوا لهم على ضد ذلك اعداء وقال ابن عباس يكونون عليهم ضدا اي حسرة وكله واحد وقوله عز وجل الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا قال بعضهم ارسلنا اي سلطنا عليهم كقوله انما سلطانه على الذين يتولونه وقال بعضهم ارسلنا الشياطين اي قيضناهم لهم كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهما في الحقيقة واحد لا تراد ارسلهم اتصلوا بهم فاذا اتصلوا بهم قيضوا وقرنوا بعضهم ببعض وقال الحسن وابو بكر الاصم وغيرهما ارسلنا الشياطين

على الكافرين اى خلينا بينهم وبينهم منهم ما ذكر لكن لو كان تأويل الارسال التخلية وتأويل القيض كذلك لم يكن لتخصيص
الكفار بذلك المعنى اذ قد كان ذلك القدر من التخلية بينهم وبين المسلمين اذ كان تأويل التخلية انه لم يمنعهم منهم ولم
يحل بينهم فدل تخصيص الكفار بهذا وامثاله ليس هو التخلية لا غير وان تخصيص هؤلاء بهذا وامثاله من قوله
طبع الله على قلوبهم اكنة ونحوه وان كان هنالك من الله معنى فى الكفار ليس ذلك فى المؤمنين وفى المؤمنين معنى ليس
ذلك فى الكافرين وهو والله اعلم اذا علم فى المؤمنين الرغبة والاجابة وفقهم على ذلك وهداهم واذا علم من الكفار
خلاف ذلك وضده خذلهم واضلهم فذلك تخصيصه اياهم بما ذكر والله اعلم **وقوله** عز وجل وتؤزهم ازا
قال بعضهم تزعجهم ازعاجا وقال بعضهم تشليهم اشلاء وتغريهم اغراء وقال الحسن تحركهم تحريكا وقال بعضهم تقدمهم
اقداما الى الشر وقال بعضهم تأمرهم امرا وقال بعضهم توقعهم ايقاعا ونحوه وكله واحد **وقوله** عز وجل فلا تعجل عليهم
اى لا تكافهم على اذاهم اياك ولا تعاقبهم انما نعد لهم عدا اى انفاسهم تتنفسون فى الدنيا فهى معدودة
تنقضى اجالهم عن قريب فلا تكافهم على ذلك وما يستقبلونك بالمكروه والسوء ثم وجه ما ذكر من ارسال الشياطين
عليهم والتمكين لهم من الوسوسة فى الصدور واعنى صدور المؤمنين والنزع فى ردهم من غير ان يملكوا القهر و
القسر على ذلك وما جعلهم بحيل لا يرونهم نحن وهم يوسوسنا على ما اخبرانه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فهو والله
اعلم وذلك ان من علم بحضرته وقربه عدوا له يراقبه ويطلب الفرصة عليه يكون احذر واهيب له ممن لا يعلم ذلك
ولا كان بقربه وحضرته عدو على ذلك ما جعل الله عز وجل من الحفظة والكرام الكاتبين صلوات الله عليهم على بنى آدم
رقباء فى قليل ما يفعلون ويتفوهون وكثيرهم وان كان قادرا على حفظ ذلك عليهم والتذكير لهم واحدا بعد واحد
واحد شيئا على اثر شيء وذلك لما ذكرنا ان من علم ان عليه رقيبا يراقبه ويكتب عليه كل قليل وكثير كان احذر واهيب
ممن لم يعلم ذلك على نفسه رقيبا والله اعلم **وقوله** عز وجل يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى الذين اتقوا مخالفة امر الله
فى كل ما لا يغلب عليهم لان المؤمن لا يرتكب المعصية الا لغلبة شهوة او لغلبة رجاء الى مغفرة ربه ونحوه او توبة يتقدر
بقدرا رتكابها على هذا يكون ارتكاب المؤمن مخالفة ربه **وقوله** عز وجل الى الرحمن اى الى ما وعد لهم الرحمن من
الثواب **وقوله** عز وجل وفدا الوفد فى الشاهد هم اهل الكرامة والمنزلة يبعثون لا مور فكانه ذكر ان المتقين يحشرون
وهم مكرمون معظمون ولهم منزلة عند الله وقدر والله اعلم **وقوله** عز وجل ونسوق المجرمين الى جهنم وردا الورد
هو طالب الماء والورد للجمع مكانه قال ونسوق المجرمين الى جهنم عطاشا طلاب الماء على ما قاله اهل التأويل والمجرم قال
ابو بكر الاصم هو الوثاب فى المعصية واصل الاجرام الاكتساب ولها قال بعض الناس فى قوله لا يجرمنكم شنآن قوم اى
يكسبنكم واصله هو كسب الاثم **وقوله** عز وجل ونسوق المجرمين فيه انهم انما يسوقون على كره منهم اذ ذكر فى الكافرين
السوق وذكر فى المؤمنين الجمع والحشر **وقوله** عز وجل لا يملكون الشفاعة الشفاعة انما يكون فيمن استوجب العذاب
والعقوبة فاما من لا عقوبة عليه مغفور الذنب فانه لا معنى لها ولا فائدة فهو يرد على المعتزلة مذهبهم ان صاحب
الكبيرة لا يغفر له وصاحب الصغيرة مغفور له فالشفاعة التى ذكر لا تخلوا اما ان تكون لاهل الكبائر فيغفر لهم بالشفاعة
فيبطل قولهم او لاهل الصغائر فلا تعذيبهم فكيف ما كان فهو يرد قولهم اذ لا معنى لذكر الشفاعة فى المغفورين
وقالوا ان الشفاعة فى الشاهد ان يذكر محاسن الانسان عند اخر ليعرف محاسنه ومناقبه ليكون له منزلة وقدر
عنده لكن مثل هذا يجوز من يجهل ذلك ولا يعرف محاسنه فاما الله سبحانه هو عالم بذاته يعلم حال كل احد فلا يحتمل
ذلك **وقوله** عز وجل الا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال بعضهم شهادة ان لا اله الا الله وقال بعضهم العمل الصالح وقال
بعضهم الصلوة على ما ذكرنا واصل العهد هو ان تشترط عليه شرط الوفاء حتى بما شرط عليه وهو الوفاء بما امر
ونهى عنه والله اعلم **وقوله** عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال بعضهم الاية فى مشركى العرب لانهم هم الذين
قالوا الملائكة بنات الله لكن اهل التأويل قالوا ايضا قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فهو
فى كل من قال ذلك ثم قوله لقد جئتم شيئا ادا يخرج على الاضمار كانه خبر عنهم انهم قالوا اتخذ الله ولدا ان قل لهم
يا محمد لقد جئتم شيئا ادا اى عظيما منكرا او ان يكون لما قالوا ذلك اقبل عليهم فقال لهم لقد جئتم شيئا ادا عظيما
منكرا والله اعلم **وقوله** عز وجل تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال
بعضهم مثل هذا انما يقال على المبالغة فى العظيم من الامور والنهاية من الضيق والشدة على التمثيل يقول الرجل لاخر
اظلمت الدنيا عليه وضاقت عليه الارض بما رحبت ونحوه على الابلاغ فى الضيق والشدة فعلى ذلك هذا ذكر على
الابلاغ والنهاية فى العظيم من القول الذى قالوا لله سبحانه ثم جعل مثل ما قالوا فى العظيم لله بما يعظم من المحسوسات
فى العقول وهو ما ذكر من انفطار السموات وانشقاق الارض وهد الجبال وهن اصلب الاشياء واشدها ليعرفوا
عظم ما قالوا فيه وهكذا يعرف الامور الغائبة التى سبيل معرفتها الاستدلال بالمحسوسات من الاشياء والمشاهد
منها وجائز ان يكون ما ذكر من انشقاق الارض وهد الجبال وانفطار السماء على حقيقة ما ذكر ان يكون وان لم يشاهد
ذلك منها ولم يحس كقوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وقال فابلون ذكر هذا فى اهل السموات والارض انهم يكونون كما
ذكر بما قالوا تعظيما لذلك وانكارا والله اعلم **وقوله** عز وجل وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا اى ما ينبغى له ان كل ما فى
السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا وفى الشاهد لا احد يتخذ الولد من عبيده فكيف ينبغى من له ملك السموات
والارض وكلهم عبيده ان يتخذ ولدا من عبيده او ما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا واسباب

الاولاد التى

الاولاد التى بها يتخذ الولد ليست فيه لان فى الشاهد انما يتخذ الولد لثلاث وقد ذكرنا فى غير موضع فان كان
الله سبحانه يتعالى عن ذلك كله لم ينبغ له ان يتخذ الولد وقال بعضهم فى قوله الا اتى الرحمن عبدا فى الاخرة اى
كلهم يقرون بالعبودة له يومئذ **وقوله** عز وجل لقد احصاهم وعدهم عدا يحتمل قوله احصاهم وعدهم
عدا من عد انفسهم واحصاها اى لا يخفى عليه شيء او ان يكون على الوعيد ان يحصى اقوالهم وافعالهم بما
سلط عليهم من الملائكة ما يراقبون ذلك منهم كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله كراما كاتبين
قال ابو عوسجة الضد الحجم والاداء الشوق الشديد وقوله شيئا ادا اى شديدا والورد اى يوردهم
اياها اى يدخلهم وقال الورد النصيب من الماء وقوله هدا اى صوتا وهدا اى يهدم **وقوله** عز وجل ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يحتمل هذا وجوها ثلاثة احدها خاطب اهل مكة انكم اذا امنتم
وعملتم الاعمال الصالحات يرفع الله ما بينكم من التباغض والتعادى فيبدل مكانه المحبة والمودة كقوله واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اخبر انهم صاروا بالايمان اخوانا مؤلفة
قلوبهم بنعمة من الله وفضله والثانى يجعل لهم الرحمن ودا فى الجنة اى ينزع عنهم ما فى قلوبهم من غل وغش كقوله
ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين والثالث سيجعل لهم الرحمن ودا فى قلوب الانبياء والاخيار
واصحاب الدين لانهم انما ينظرون الى الانسان لدينه وخلوص عمله لله وصفا ترله لا الى الدنيا وما يحوبه يده
وجائز ان يكون على ما روينا الاخبار ان ثبتت روى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا
نادى قد احببت فلانا فاحبوه وكذلك هذا فى البغض وقال كعب وجدت فى التورية انه لم تكن محبة لاحد من اهل
الارض حتى يكون بدؤها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وكذلك قال وكذلك وجدت فى
القرآن فقرأ هذه الاية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا يحبهم ويحببهم الى المؤمنين فى
صدورهم فعلى هذا ان ثبت يجب ان يخاف المرء على نفسه اذا رأى الناس ان يكون ذلك من سوء عمله والله اعلم
وقوله عز وجل فانما يسرناه بلسانك قال بعضهم يسرناه تبليغ الرسالة على لسانه حتى بلغها الى الفراعنة منهم
والاكابر الذين كانوا يقتلون من يخالفهم ويستقبلهم بغير الذى هم عليه قولا وفعلا ويعاقبون على ذلك
عليه حتى بلغها الى امثال هؤلاء وقدر على ذلك من غير ان قدروا على اهلاكه حيث اخبر انه عصمه منهم بقوله والله
يعصمك من الناس وقال بعضهم يسره على لسانه حتى قدر على التكلم به والنطق لانه كلام رب العالمين قال ابو بكر
الاصم هذا لا يحتمل لانه انزله بلسانه ولسان العرب فلا يحتمل ان لا يقدروا على التكلم بلسانهم وقال قائلون
يسره على لسانه حيث جعله بحسب يحفظونه ويقرؤن عن ظهر قلوبهم ليس كسائر الكتب المتقدمة انهم كانوا
لا يقدرون على حفظها والقراءة عن ظهر القلب والله اعلم **وقوله** لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وقال
فى اية اخرى انما تنذر من اتبع الذكر وقال فى اية اخرى لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين مرة ذكر النذارة للناس
جميعا ومرة للذين ظلموا خاصة ومرة للذين اتبعوا الذكر والاصل فى النذارة والبشارة ان البشارة اذا كانت
خاصة لاحد فهى له على شرط الدوام على ذلك ابدا وفيها النذارة له ان لم يدم وكذلك النذارة الخاصة لا
لا دوام بذلك ملتزما فان تاب ورجع عن ذلك فله فيها البشارة على هذا يكون البشارة الخاصة والنذارة
الخاصة يكون فى كل واحدة منهما اخرى واما البشارة المطلقة فهى بشارة لا يكون فيها النذارة وكذلك النذارة
المطلقة لا يكون فيها البشارة على هذه الاقسام يخرج البشارة والنذارة والله اعلم **وقوله** عز وجل وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا يخوف به اهل مكة باهلاك القرون الماضية فى الدنيا بتكذيبهم الرسل
لئلا يكذبوا محمدا كما كذب اولئك الذين من قبلهم فينزل بهم العذاب والهلاك كما نزل باولئك يقول لنبيه هل
هل ترى وتبصر منهم احدا اى لا ترى ولا تبصر منهم احدا او تسمع لهم ركزا قيل صوتا وقيل ذكرا اى لا يذكرون
بعد هلاكهم الا بسوء يحذر اهل مكة لئلا يكذبوا رسولهم كما كذب الذين من قبلهم الرسل فيكونون كما كان
اولئك وصاروا امثالهم قال القتبى اللد جمع الالد وهو الخصم الجدل والركز الصوت الذى لا يفهم وقال ابو عوسجة
الالد هو شديد الخصومة هل تحس هل تراه ركزا اى ذكرا والركز ايضا الصوت وقال هدا صوتا اذا انهدمت
وقال ابو معاذ وللعرب فى البشرى ثلاث لغات بشر به بالتخفيف فانا ابشره وبشرته بالتشديد فانا مبشره
وابشرته فانا مبشره والرجل مبشور ومبشر ومبشر وقوله وكلهم اتيه يوم القيامة فردا اى وحده ليس معه
من تباعه شيء وقال الحسن قوما لدا قال صما صم اذان القلوب وقال بعضهم فجارا وقيل عوجا عن الحق واصله ما تقدم ذكره

بسم الله الرحمن الرحيم **وقوله** عز وجل طه قال بعضهم من اهل التأويل قوله طه يا رجل بالنبطية
وقال بعضهم بالسريانية وقيل يا فلان وقيل هو اسم من اسماء الله وقيل حروف من اسمائه ونحو ذلك قد ذكرنا القول
فى الحروف المقطعة فيما تقدم فى غير موضع **وقوله** عز وجل ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لا يحتمل ان يكون هذا انزل
الابتداء من غير سبب ولا امر لكنه لم يبين السبب به نزل هذا فيحتمل ان يكون بسببه وجوها احدها ما حمل نفسه
من الشدائد والمؤن العظام واجهد نفسه فى ذلك فنزل ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب به نفسك كقوله فلا يحزنكا

حسبي الله وحده
من الكتب التى وقفها الف[...]
الى الله ربه ذى المواهب
محمد المدعو بين الصدور [...]
وكفى عبده ١٢٧٥

من الجنة فتشقى اى تتعب الا ترى انه قال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى والثانى انه شاكف نفسه عن الشهوات ومنعها عن جميع ما تهواه من اللذات فقال اولئك الكفرة انه شقى حيث راموا لم يعط نفسه شيئا من شهواتها والثالث انهم قالوا ذلك لما راوا انه دعا الفراعنة والجبابرة الى دينه واتباعه واظهر لهم الخلاف واستقبلهم بما يكرهون وكانت عادتهم القتل والهلاك من يظهر لهم الخلاف فخاطر بذلك فعند ذلك قالوا انه شقى حيث يخاطر بنفسه فقال ما انزلنا عليك القرآن لتشقى على ما يقولوا وليك بل انزله عليك لتسعد حيث اخبر انه عصمه بقوله والله يعصمك من الناس وان لا يغيرو ولا يذكر ذلك الامر والسبب الذى به نزل لانه لم يبين ولا حاجة بنا الى معرفة ما ذكر وهو قوله الا تذكرة لمن يخشى اى ما انزلناه عليك لتشقى بل انزلناه لتسعد وانزلناه ليتذكر به من يخشى كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب **وقوله** عز وجل الا تذكرة لمن يخشى اى عظة لمن يتقى ما به يخشى ويحتمل قوله لمن يخشى كل مؤمن لان كل مؤمن يعتقد فى اصل ايمانه الخشية منه والاتقاء من نقمته وعذابه **وقوله** عز وجل تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى كان هذا نزل على اثر قول قاله اولئك الكفرة وهو ما قالوا انه ساحر وانه مفترو انه شاعر وانه انما يعلمه بشر ونحوه فقال جوابا لقولهم تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى ليس كما يقول اولئك انه سحر وانه مفترو انما يعلمه بشر بل تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى والله اعلم **وقوله** عز وجل الرحمن على العرش استوى قال الشيخ رحمه الله القول بالكون على العرش وهو موضع بمعنى كونه بذاته او فى كل الامكنة لا يعدو امن احاطة ذلك به او الاستواء او مجاوزته عنه او احاطته فان كان الاول فهو اذا محدود محاط به منقوص عن الخلق اذ هو دونه ولو جاز الوصف له بذاته بما يحيط به الامكنة بجاز يحيط به الاوقات فيصير متناهيا بذاته مقصرا عن خلقه وان كان على الوجه الثانى فلو زيد فى الخلق لا ينقص ايضا وفيه ما فى الاول ولو كان على الوجه الثالث فهو الامر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من ان يلتمس ما لا يفضل عنه مما يذم ذا من فعل الملوك او يفضل عنهم من المقاعد شيئا وبعد فان فى ذلك تجزيته بما كان بعضه فى ذى بعاض وبعضه يفضل عن ذلك وذلك كله وصف الخلائق والله يتعالى عن ذلك وبعد فانه ليس فى الارتفاع الى ما يعلوا من المكان للجلوس شرف ولا علو ولا وصف بالعظمة والكبريا كمن يعلو السطوح او الجبال انه لا يستحق الرفعة على من دونه عند استواء الجوهر فلا يجوز صرف تاويل الاية اليه بل فيها ذكر العظمة والجلال اذ ذكر فى قوله له ما فى السموات والارض وما بينهما وصفه بالعظمة والسلطان والقدرة فكذلك على تعظيم العرش اى شىء كان من نور او جوهر لا يبلغه علم الخلق واضافة الاستواء اليه لوجهين احدهما على تعظيمه بما ذكر سلطانه فى ربوبيته وقدرته وخلقه ما ذكروا الثانى على تخصيصه بالذكر بما هو اعظم الخلق واجله على المعروف من اضافة الامور العظيمة الى اعظم الاشياء كما يقال تم لفلان ملك بلد كذا او استوى على موضع كذا لا على خصوص ذلك فى الحق ولكن معلوم ان من له ملك ذلك فما دونه احق به وعلى ذلك قوله واكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى الاية بما صارت ام القرى وابر الذين كفروا من دينهم وكذا ما ذكر من ارسال الرسل الى الفراعنة والى ام القرى لا بتخصيص ذلك ولكن يذكر عظم الامر فيه مثله امر العرش وهو كقوله وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها وقوله امرنا مترفيها على الحق غيرهم ويحتمل ان يكون على المنع بوصف المكان اذ هو اعلى الامكنة عند الخلق ولا يقدر العقول شيئا فاشار اليه ليعلم علوه عن الامكنة وتعاليه عن الحاجة وعلى ذلك قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الاية والنجوى ليس من نوع ما يضاف الى الاسرار فاخبر بعلوه عن الامكنة وتعاليه عن ان يخفى عليه شىء ثم بعد رته وقوته بقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى بالسلطان والقوة وبالوحشية فى البقاع كلها لانها الامكنة العادة بقوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ويملك كل شىء بقوله له ملك السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى وبقوله له ملك السموات والارض ثم بعلوه وجلاله بقوله فوق كل شىء وهو بكل شىء عليم وهو على كل شىء قد ير فجمع فى هذه الاحرف ما فوق فى تلك ليعلم انه بكل ما سمى به ووصف كان ذلك له بذاته لا بشىء من خلقه وكذلك عزه وشرفه ومجده جل ثناؤه عن الاشباه ولا اله غيره وقال بعضهم يريد بالعرش الملك اذ هو اسم ما ارتفع من الاشياء وعلا حتى سمى به السطوح ورؤس الاشجار والاستواء قيل فيه باوجه ثلاثة احدها الاستيلاء كما يقال استوى فلان على كورة كذا بمعنى استولى والثانى العلو والارتفاع كقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك وقوله اذا استويت انت ومن معك على الفلك وقوله اذا استويتم عليه اى علوتم والثالث التمام كقوله حتى اذا بلغ اشده واستوى اى تم واستقر وقد قيل بالقصد والى ذلك وجه بعض اهل الادب قوله ثم استوى الى السماء بمعنى خلق على التمثيل بفعل الخلق فيما يتولون فعلا ان يكون بالقصد وان كان لا يقال له القصد ولا قوة الا بالله ثم الوجه فى ذلك لو كان على الاستيلاء والعزيز الملك انه مستولى على جميع خلقه وعلى هذا التاويل المحمول غير هذا يدل على الامرين قوله وهو رب العرش العظيم بمعنى الملك العظيم وفيه اثبات عروش غيره فذلك يحتمل ما يحمل ويحف به الملائكة والله الموفق واما على تاويل التمام والعلو فهو ان الله تعالى قال قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الاية فاخبر بخلق ما ذكر فى ستة ايام على التفاريق ثم اجملها فى موضع فقال ان ربكم الله الذى خلق السموات الى قوله ثم استوى بمعنى خلق الممتحن من خلق الارض والسموات فيهم ظهر تمام الملك وعلا وارتفع اذ هم المقصودون من خلق ما بينا فبذلك تم معنى الملك وعلا اذ وصل الى الذين لهم خلق وقد قيل ذا فى خلق البشر خاصة بقوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا الاية وقوله لكم ما فى السموات ونحوه وذكر عن ابن عباس رضى الله عنه ان البشر خلق اليوم السابع فيه التمام والعلو اذ خلق لهم كل شىء وهم لعبادة

الله ولحق بهم الجن بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الاية لكن المقصود البشر اذ تسخير ما ذكرت كله انما يرجع الينا فهم والله الموفق والاصل عندنا فى ذلك ان الله عز وجل قال ليس كمثله شىء فنفى عن نفسه شبه خلقه وقد بينا انه فى فعله وصفته متعال عن الاشباه فيجب القول بالرحمن على العرش استوى على ما جاء به التنزيل وينفى عنه شبه الخلق لما اضاف اليه واذ لزم القول فى الله بالتعالى عن الاشباه ذاتا وفعلا لم يجز ان يفهم من الاضافة اليه المفهوم من غيره فى الوجود والله الموفق وقد ذكرنا هذا فى غير موضع من القرآن وفى قوله له ما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى الوصف له بالسلطان والقدرة والملك على ما ذكرنا وفى قوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الوصف له بالعلم فى الغيب والسر والعلانية جميعا ليكونوا ابدا على حذر وخوف ويقظة فى جميع افعالهم واقوالهم وفى الاول ليصرفوا طمعهم ورجاءهم من الخلق الى خالقهم وان لا يطمع ولا يرجى غيره ثم اختلف فى قوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى قال بعضهم السر ما اسررت به الى غيرك واخفى ما ضمرته واكننته فى نفسك لم تسره الى احد قال قائلون السر ما اسررت به وحدثت به نفسك واخفى ما علم الله انه كائن يكون ولم يكن بعد ولم تعلم به وقال قائلون السر ما اسره فى نفسه واخفى ما خطر فى قلبه وهو لا يضبطه ونحو ذلك واصله فى قوله وان تجهر بالقول كانه يقول وان تجهر بالقول وان تجهر بالقول وان تسر فانه يعلم السر واخفى والله اعلم **وقوله** عز وجل الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قال ابو بكر الاصم اى من وحد الله باسمائه فله الحسنى وهى الجنة وقد ذكرنا فيما تقدم **وقوله** عز وجل وهل اتاك حديث موسى اذ راى نارا ظاهر هذا سؤال واستفهام لكن المراد منه الايجاب ثم اختلف فى معنى الايجاب قال الحسن وابو بكر قوله وهل اتاك اى لم ياتك حديث موسى ونباه ثم اخبره واعلمه بحديثه ونباه وقال بعضهم هل اتاك اى قد اتاك حديث موسى ليخبرهم عما كان فى كتبهم ليكون ذلك آية لنبوتك ورسالتك **وقوله** عز وجل فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا قيل رايت نارا وقيل علمت نارا لعلى آتيكم منها بقبس ليس فى هذه الاية بيان ان موسى فى اى حال كان وفى اى وقت لكن فى موضع آخر بيان ذلك وهو ما قال فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا هذا يدل انه كان فى حال السير والسفر راى ذلك وقال فى آية اخرى لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فهذا يدل انه كان فى ايام الشتاء والبرد وحيث قال لعلكم تصطلون فهذا يدل انه كان فى ايام الشتاء والبرد حيث قال لعلكم تصطلون قال ابو عوسجة لعلى آتيكم منها بقبس القبس النار والاقباس النيران ويقال قبس يقبس قبسا اى جاء بالنار ويقال اقبسنى نارا واقتبست ايضا تعلمت وهذا من ذلك لان العلم ضوء ويقال اقتبستك اى علمتك واقتبست اى النار او العلم وقال القتبى آنست نارا ابصرت ويكون فى موضع آخر علمت كقوله فان آنستم منهم رشدا اى علمتم منهم رشدا **وقوله** عز وجل او اجد على النار هدى هذا يشبه ان يكون قد استقبلته الطرق فلم يعلم الطريق الذى له من غيره فقال او اجد على النار هدى اى من يدلنى ويرشدنى على الطريق وان كان قد ضل الطريق وعدل عنه فقال عند ذلك لما قال والله اعلم **وقوله** عز وجل فلما اتاها نودى اى نداوحى يا موسى انى انا ربك فاخلع نعليك قال بعضهم انما امره ان يخلع نعليه لانهما كانا من جلد ميتة وقال قائلون امره بنزع نعليه ليمس قدماه بركة ذلك الوادى ويصيبه من يمنه وقال بعضهم امر بذلك للتواضع والخضوع له لان لبس النعل مخرج المباهات فامر بذلك ليكون اخضع له واكثر تواضعا والله اعلم بذلك وليس لنا ان نفسر ذلك انه لماذا امره بذلك اى لماذا امر بخلع نعليه لا لمعنى وليس لنا ان نقول امر لهذا ولعله امره بذلك لمعنى آخر او لا لمعنى فيخرج ذلك مخرج الشهادة على الله تعالى **وقوله** عز وجل انك بالواد المقدس طوى المقدس المطهر ولعله سماه مطهرا لما لم يعبد عليه سواه ودونه وسماه مطهرا لمعنى خص به لفضل عبادة او غيرها على ما خص بقاعا بفضل عبادة تقام فيها من نحو المساجد والحرم وغيره **وقوله** عز وجل طوى قال بعضهم هو من وطئ الارض اى طأ الوادى المبارك حافيا وقال بعضهم طوى قد قدس مرتين وهو قول الحسن وقال بعضهم طوى يقول بطوى مسرعة نحو هذا قد قالوا لكن الاصوب ان لا يفسر الا بعد حقيقة به لانه انباء كانت فى كتبهم ذكرت لرسول الله ليكون له حجة ودلالة على رسالته عليهم ففى التفسير خوف دخول الغلط فيه وتغيير فاذا تغير لم يصر له عليهم حجة ودلالة على رسالته كذلك كان السكوت عنه اولى والله اعلم **وقوله** عز وجل وانا اخترتك اما بالرسالة والنبوة او باشياء اخر كقوله واصطنعتك لنفسى الاية وقال فى آية اخرى انه كان مخلصا اخلصه الله لنفسه باشياء **وقوله** عز وجل فاستمع لما يوحى هذا يدل ان النداء الذى نودى كان نداء وحى وهو قوله فلما اتاها نودى **وقوله** عز وجل اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى وهو ظاهر كذلك امر رسله اول ما امروا بذلك **وقوله** عز وجل واقم الصلاة لذكرى قال بعضهم اقم الصلاة لذكرى لتكون ذاكرا لى لان اكثر ما يذكر المرء ربه انما يذكر فى الصلاة لان الصلاة من اولها الى آخرها ذكر الله ولذلك سمى الصلاة منا جاة الرب او ان يكون قوله اقم الصلاة لذكرى اى لتذكرنى بها يا موسى وقال قائلون اقم الصلاة اذا انت نسيت اذا ذكرتها وعلى هذا رويت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك وقرا هذه الاية اذ ثبت وجاز ان يكون قوله اقم الصلاة لذكرى اى اقم الصلاة للتستوجب بها ذكرى وقال القتبى اقم الصلاة لذكرى اى لتذكرنى فيها **وقوله** عز وجل ان الساعة آتية اكاد اخفيها قال الحسن اكاد صلة كانه قال ان الساعة آتية اخفيها وفى حرف ابى بن كعب ان الساعة آتية اكاد اخفيها من نفسى ثم يحتمل قوله

من نفسي وجهين احدهما اخفيها من خلقي ولا يجب ان يفهم من نفسه ذاته بالاضافة اليه كما لم يفهم من قوله روحي
وروحنا وهو اخفى من الناس ذاته ولكن فهم منه خلقه فعلى ذلك لا يفهم من قوله من نفسي ذاته هذا محتمل والله اعلم
والثاني ان يكون قوله اكاد اخفيها من نفسي اي من اخبار عبادي اخفيها من اخبار عبادي مع عظيم قدرهم ومنزلتهم
عندي من نحو الملائكة والانبياء والرسل اذ عادة ملوك الارض انهم لا يكتمون سرا برهم من خواصهم بل يطلعونهم
على ذلك فاخبر عز وجل والله اعلم انه اخفاها من خواص عباده واخيارهم فكيف من دونهم فيكون اضافته اياهم
الى نفسه لعظم قدر اولئك وفضل منزلتهم كقوله ان تنصروا الله ينصركم والله لا ينصر ولكن ان تنصروا دين
الله ينصركم او ان تنصروا اولياء الله ينصركم وكذلك قوله يخادعون الله والله لا يخادع ولكن يخادعون اولياء
الله ونحوه فعلى ذلك قوله اخفيها من نفسي اي من خواصي واخيار خلقي والله اعلم هذا على اسقاط قوله اكاد وجعله
صلة واما على اثبات اكاد فهو على وجهين احدهما يقال كاد اراد اي اريد اخفيها وهو معروف باللغة والثاني كاد يقال
قارب وهو سائغ في اللغة جار كاد على ارادة مقاربة كادت الشمس ان تطلع او تغرب اي قاربت كدت ان اسقط اي
قاربت والا لا يريد السقوط فاذا كان على هذا فهو قال ذلك والله اعلم على التعظيم لها اي قارب ان يخفيها من نفسه
فكيف من غيره وقال ابن عباس قريبا من هذا اي اكاد اخفيها من نفسي فكيف اعلمكم اي لا اظهر عليها ابدا غيري فكان
استعمال الاخفاء في موضع الاظهار باللغة نحو ما قالوا في قوله واسروا الندامة لما راوا العذاب اي اظهروا فعلى ما كان
الاسرار في موضع الاظهار والكتمان فعلى ذلك راوا الاخفاء مستعملا في الامرين جميعا وكذلك قال ابو عوسجة اخفيها
اي اظهرها والله اعلم **وقوله** عز وجل لتجزى كل نفس بما تسعى اي لهذا ما اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى لانها لو كانت ظاهرة بيّنا
كل احد وبعلمها لما كان ذلك جزاء ولكن كان دفعا لانه يعاين كل انسان بما نزل بهذه النفس بما سعت من العذاب فيمتنع هو عن
واذا راى كل احد ثواب هذا بسعيه يرغب في مثله فيكون ذلك كله بحق الدفع لا بحق الجزاء فاخبر انه اخفاها للجزاء والمحنة
لا للدفع والله اعلم **وقوله** عز وجل فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها اي عن الايمان بها من لا يؤمن بعني الساعة والله اعلم
لا يصدنك عنها باسباب القاها اليك وقد يمتنع الانسان عن الشيء باسباب تعترض وشبه تستقبل وان لم يقصد على منعه
بالتصريح والافصاح والله اعلم اي لا يصدنك عن الايمان بها يعني الساعة من لا يؤمن بها واتبع هواه في التكذيب بها
بالشبه والاسباب التي ذكرنا فتردى اي فتهلك لو صدك عنها فالخطاب وان كان لرسول الله فهو لكل احد من المؤمنين
على ما ذكرنا في غيره من القرآن فيما خاطب رسوله به **وقوله** عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ عليها
الاية كان موسى صلوات الله عليه لم يفهم مراده بسؤاله اياه انه ما اراد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى انه يسأله
عن اسمها او يسأله عما له فيها فاجاب له الامرين جميعا عن اسمها وعما له فيها حيث قال هي عصاي اتوكأ عليها واهش
على غنمي ولي فيها مآرب اخرى ثم قال الحسن انه والله كان يعلم ان في يده عصا لكنه اراد ان يقرر عنده انه عصا لا حية
ليرى له منها آية فيعلم ذلك او ان يريد بذلك تنبيهه وانما قاله ليعلم انه وقت ما اخذها عصى فيعلم انها اذا صارت
كذا بالاية التي جعلها له لانها كانت يومئذ كذلك حية والله اعلم قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى
ثم يحتمل جعلها حية تسعى ثم جعلها حية واراد الاية له منها لما ان قوم فرعون كانوا اهل بصر وحذق في ذلك
النوع من السحر فاحب ان يريهم الاية والعلامة من النوع الذي كان لهم فيه بصر وحذاقة ليعلموا بعجزهم عن
سحرهم وطوقهم انها آية وعلامة سماوية وربوبية لا بشرية اذ الاعلام التي جعلها الله آيات واعلاما
لرسله على رسالتهم انما جعلها ما كانت خارجة عن وسع البشر وطوقهم ليعلموا بذلك انها سماوية ربوبية لا بشرية
سحرا ولا كهانة والله اعلم ثم قوله خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى على ما كانت في الحالة الاولى عصا كان
موسى خاف حين صارت حية وهو ما قال في آية اخرى فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا فعند ذلك قال له خذها ولا
تخف واخبره انه يعيدها عصا على ما كانت والله اعلم وفي قوله وما تلك بيمينك يا موسى دلالة ان العصا انما تمسك
باليد اليمنى قال ابو عوسجة فتردى اي تهلك يقال ارداه اهلكه ويقال تردى الرجل اذا وقع في البئر او من فوق حائط
ويقال ردبته اي البسته الردا والرديت اي لبست الرداء وترديت مثله وقوله اتوكأ عليها اي استعين بها على المشي وقوله
واهش بها على غنمي اي اضرب الشجرة حتى يتناثر ورقها فتأكله غنمي والهش الكريم والبشر من البشاشة قال والمآرب الحوائج
والارب ايضا الحاجة والارب جميع ويقال اربت الشيء قسمته وجعلته اربا قسما اي جزيته اجزاء
وفي قوله وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي دلالة ان الانسان اذا استخبر عن شيء فان عليه ان
يخبر المستخبر عما يستخبر على الاجابة له وان كان يعلم ان المستخبر له عن ذلك عالم بذلك لان موسى كان
يعلم ان ربه كان اعلم بما في يده منه ولم يقل له حين استخبر عما في يده رب انت اعلم به مني ولكنه قال
هي عصاي اجابة له وتعظيما لامره والله اعلم **وقوله** عز وجل واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء
آية اخرى وقال في آية اخرى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وكان في هذا تفسير الاول
وقوله من غير سوء قال عامة اهل التأويل من غير سوء اي من غير برص كانهم ذهبوا الى ان البياض في الانسان
اذا اشتد حتى يخالف سائر بدنه لا يكون الا بالبرص لذلك قال من غير سوء اي من غير برص بك آية اخرى
سوى آية العصا وجائز ان يكون قوله من غير سوء اي من غير آفة وعيب بك واذى لان التغير اذا وقع في
بعض بدن الانسان لا يكون الا بعيب وآفة تحل به واخبر ان ذلك البياض ليس لآفة بك ولا عيب

شيء بذلك ولا فيه اذى ولكن آية لنريها منها والله اعلم **وقوله** عز وجل لنريك من آياتنا الكبرى قال قائلون الاية
الاية في اليد اكبر من الاية في العصا لانه سحرا ولئك كان في العصي آية العصا اكبر من آية اليد لان اولئك كانوا
اهل بصر وعلم في السحر في العصي فخروج عصي موسى عما احتمل وسعهم وما هم فيه بصر وعلم يدل على ان ما اتى
موسى ليس هو بسحر ولكن آية من الله لان فضل بصر الرجل وعلمه في شيء انما يظهر بما وراءه في ذلك عن اهل
بصر في ذلك النوع وعلم لا يظهر ذلك على اهل الجهل في ذلك فعلى ذلك امر عصا موسى وجائز ان يكون
قوله لنريك من آياتنا الكبرى التي ذكر في آية اخرى وهو قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات في الاية
الكبرى هي التسع التي ذكر في هذه الاية اذ كان لموسى آيات سوى التسع لكن هي اكبر او ان يكون ذلك لا على
تخصيص آية دون آية بالكبر والعظم ولكن وصف الكل بذلك كقوله وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها
هو على وصف آياته كلها بالكبر والعظم وهو كقوله لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا هو على اثبات النفع
في كل واحد منهما على ما في الآخر فعلى ذلك الاول والله اعلم **وقوله** عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى الطغيان
هو المجاوزة عن الحدود التي جعلت وكذلك كان فرعون قد تعدى وجاوز الحد في كل شيء حتى ادعى لنفسه
الربوبية حيث قال انا ربكم الاعلى **وقوله** عز وجل قال رب اشرح لي صدري ان موسى سأل ربه ان يشرح
له صدره وذكر محمدا انه شرح له صدره بقوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك ثم جائز ان
يكون شرح صدرهم لتوسع ما حمل عليهم من ثقل النبوة والرسالة ليتسع صدورهم لذلك ويقدروا على القيام
بذلك والوفاء به او ان يكون سأله شرح صدره لما كان الرسل يغضبون لله عند تكذيبهم قومهم من
دعوهم الى دينه ويحزنون على ذلك فيمنعهم غضبهم وحزنهم عن القيام بتبليغ الرسالة كقوله قال رب
اني اخاف ان يكذبون الاية اخبر انهم انه يخاف عند تكذيب قومه ضيق صدره وثقل لسانه فسأله لذلك
ان يشرح له صدره ويطلق له لسانه ويحتمل ما قاله بعض اهل التأويل اشرح لي صدري اي لين لي قلبي لان
الرسل قد امتحنوا في حال واحدة بشيئين متضادين بالغضب لله عند تكذيب قومهم اياهم والرأفة لهم
والرحمة بما حل بهم بالتكذيب من العذاب فذلك امران متضادان خص الرسل بهما فجائز ان يكون سأل
ربه ان يشرح له صدره ليتسع له الامرين جميعا الغضب له والرحمة عليهم **وقوله** عز وجل ويسر لي امري يحتمل
بتبليغ الرسالة اليهم والقيام بها او سأله التيسير بجميع ما امره به ونهاه عنه **وقوله** عز وجل واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي يحتمل ما ذكرنا انه اذا اشتد به الغضب يحل لسانه ويثقل حتى يمنعه عن النطق به
فيطلق ذلك التعبير انه لخوف صار وكذلك او ان يكون سأل ذلك لآفة كانت بلسانه مما كان يمنعه عن التكلم
به فسأله ان يحل تلك الآفة والربوبية التي كانت به واما قول اهل التأويل انه اخذ لحية فرعون فلطمه
فاراد ان يعاقبه فقالت له امرأته انه فعل ذلك فانه لا يعقل فاتي بطست من جمر وطست من حلي فهم ان
يتناول من الحلي فاهوى جبريل بيده الى الجمر فاخذه وجعله في فيه فتلك الربوبية التي سأله ان يحلها لذلك
لكن ذلك لا يعلم الا بالوحي عن الله انه كذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي سأل
ربه ان يجعل اخاه معه وزيرا له ويشاوره ليتحمل عنه بعض ما حمل عليه من الاثقال اذ قيل الوزير هو
الذي يحمل عن الملك بعض ثقل ما حمل **وقوله** عز وجل اشدد به ازري قال بعضهم قوّ به ظهري وقال بعضهم اشدد به
ازري اي عوني وكذلك ذكر في حرف حفصة وقرأ بعضهم اشدد به ازري على الخبر من موسى وكذلك في قوله
واشركه في امري وانما قراءة عامة القراء فهو على الدعاء والسؤال وقال ابو عوسجة اشدد به ازري اي
ظهري ويقال آزرته اي اعنته ويقال تآزروا اي تعاونوا واستوزرته اي استعنت به من هذا اخذ الوزير
ويقال آزرت فلانا على الامر اي قويته عليه فاما وازرته فصرت له وزيرا واصل الوزارة من الوزر وهو
الحمل كان الوزير يحمل عن السلطان بعض الثقل ويرفع عنه موسى سأل ربه ان يعينه باخيه وتقوية به
فيما حمله وان يشركه فيما قلده من الرسالة والقيام بها فاجابه الله لذلك حيث قال سنشد عضدك باخيك
وقوله عز وجل كي نسبحك كثيرا يحتمل كي نسبحك كثيرا بالجماعة لان الصلاة بالجماعة تضاعف على الصلاة وحده
او ان يعين بعضنا على التسبيح لك والذكر ونحوه **وقوله** عز وجل انك كنت بنا بصيرا اي انك بضعفنا وعجزنا
فيما حملتنا بصيرا عالما والله اعلم **وقوله** عز وجل قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطيت ما سألت وكان مسألته
اشياء فاد في قوله وسؤلك ومسألتك لغات ثلاث كلها واحد **وقوله** عز وجل ولقد مننا عليك مرة اخرى
اذ اوحينا الى امك ما يوحى الاية يشبه ان يكون المنة حين انجاه فيما ابتلي بالبرد واشتباه الطريق حتى قال
اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فتلك المنة الاخرى او ان يكون المنة
التي ذكر هو ما انجاه الله حيث قتل القبطي فاشتد له ذلك الخوف حتى بلغ الاياس فتلك المنة التي ذكر وما ذكر
من الوحي الى امه ان اقذفيه في التابوت وقال بعضهم مننا عليك مع النبوة مرة اخرى ثم بين النعمة ثم
قال اذ اوحينا الى امك ما يوحى الى آخر ما ذكر وقال عامة اهل التأويل والاوحى فكان منه اليه من المن ما لا
يحصى والله اعلم ثم الكلام فيما الهم امه والقي في روعها ان تقذفه في البحر انه يبعد لهذا انه يفعل ذلك ويحل
او لا فيجوز ان يكون من الشيطان مثل هذا نحو ما قال لا غالب لكم اليوم من الناس الاية فلم يعرفوا وقت

ما كلمهم بهذا هو شيطان او غيره فعلى ذلك يجوز ان يلقي الشيطان اليها فكيف وسع لها ان تعمل بما علمت من الاخطار
لكن يجوز ان يكون في ذلك الالهام وما القي اليها اثر ومعنى عرفت بذلك ان ذلك من الله لا من احد سواه او ان يكون
الله رفع الحجاب والموانع من قبلها وصار لها ذلك كالعيان او صارت كالمضطرة الى ذلك فوسع لها ذلك لما ذكرنا
والله اعلم وقوله عز وجل والقيت عليك محبة مني قال عامة اهل التأويل القي عليه محبة في قلب امرأة فرعون
حيث قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه الآية لكن القى محبته في قلب امرأته وقلب فرعون ايضا حتى كان اشفق الناس
عليه واحبهم بعدما كان يقتل الولدان بسببه ليجده ويظفر به ذكره عز وجل رحمته عليه ومنته له وهو المنة التي
ذكر حيث قال ولقد مننا عليك مرة اخرى وقوله عز وجل ولتصنع على عيني والصنع هو فعل الخير والمعروف
والاحسان وقوله على عيني وقال بعضهم لتغذى على حفظي يقال عين الله عليك اي كن في حفظ الله وهو قول الحسن
وقال بعضهم لتربى على عيني اي علمي والاول اشبه وقوله عز وجل اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله اي
من يضمه ليمي كافل اليتيم الذي يضمه ويحفظه وهو كقوله ايهم يكفل مريم اي يضمها ويحفظها فهذا يدل انه
كان عندهم من احب اليه الناس واشفقهم عليه حيث قال هل ادلكم على من يكفله والله اعلم وقوله عز وجل
فرجعناك الى امك كي تقر عينها حيث قال لها انا رادوه اليك وعدها ان يرده اليها فرده وقوله عز وجل كي تقر عينها
ولا تحزن اي تذهب حزنها الذي كان لانها قد كانت حزينة بطرحها اياه في اليم الا ترى انه قال ان كادت لتبدي
به الآية هذا يدل ان قوله ولا تحزن اي يذهب حزنها الذي كان لها وقوله عز وجل وقتلت نفسا فنجيناك من
الغم يحتمل ان يكون الغم الذي اخبر انه نجاه منه هو الخوف الذي كان به بقتل ذلك القبطي حيث قال اني اخاف
ان يقتلون وقوله فخرج منها خائفا يترقب ونحوه او نجاه من انواع الغموم اذ كان له غموم وفي الآية دلالة
ان لا قصاص يجب في شبه العمد وان كان الضرب بشيء لا نجاة فيه لان موسى صلوات الله عليه كانت له قوة
اربعين نفرا على ما ذكر فلما لطمه فقضى عليه ثم قال هذا من عمل الشيطان هذا يدل انه كان لا يحل له قتله
ثم قال فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين سماهم ظلمة فلو كان يحل القتل ويجب القصاص
لكان لا يسميهم ظلمة والله اعلم وقوله عز وجل وفتناك فتونا قال بعضهم فتونا هو جمع فتنة اي فتناك فتونا
هو مصدر الفتنة اي ابتليناك ابتلاء اي بلاء والفتنة في البلايا والشدائد والغموم التي ذكر انه نجاه منها و
يحتمل النعم والخيرات اذ لم يكن الانبياء في جميع الاوقات في البلاء ولكن كانوا في وقت في بلاء وشدة وفي
وقت اخر في نعمة وخير او فتنة بهما جميعا على ما اخبر ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقوله عز وجل
فلبثت سنين في اهل مدين هذا والله اعلم من المنة التي ذكر حيث قال ولقد مننا عليك مرة اخرى ثم جئت
على قدر يا موسى قال بعضهم بالنبوة والرسالة وقال بعضهم على موعد وعلى قدر وقت المجيء فكيف ما كان
ففيه ان مجيء العبد ونجاته وجميع سعيه يكون بقدر من الله وتقديره ومنته وفيه انه يجعل الامور باسباب وان
كان ان يجعل بغير اسباب وقوله عز وجل واصطنعتك لنفسي اي اخترتك واصطفيتك لرسالتي ونبوتي فذكر نفسه لانه
بامره يقوم باداء ذلك وقوله عز وجل اذهب انت واخوك باياتي هو ما ذكرنا وقوله عز وجل ولا تنيا في ذكري اي
لا تضعفا في الدعاء الى ديني وتوحيدي في حرف عبد الله بن مسعود ولا تهنا في ذكري في البلاغ الى فرعون انه
نهى امرهما ان لا تقصرا ولا تعجزا في تبليغ الرسالة اليه والدعاء الى دينه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له
قولا لينا قال ابو عوسجة ولتصنع على عيني اي تربى بعيني وسئل عن العين فقال العين العلم هاهنا والعين في غير هذا المال
والعين الاديم المتخرق والعين المصدر من عان يعين فهو عائن والمعيون به معيون اذا اصابته بعين والعين الحقيقة كقولك
هذا بعينه اي بحقيقة قال والعينة السلف ومثله وقوله واصنع الفلك باعيننا على من يكفله اي يضمه ويضمنه وقال
ابو عوسجة ثم جئت على قدر يا موسى اي وقت المجيء واصطفيتك اي اخلصتك لنفسي ولا تنيا في ذكري اي لا
تقصرا ولا تعجزا والله اعلم وقوله عز وجل فقولا له قولا لينا لان القول اللين يكون اقرب واثبت في القلوب
وانجع واقرب الى الاجابة والقبول من القول الخشن البارد وخاصة في الملوك والرؤساء اذ طباعهم لا تحتمل
ذلك ولا تنجع فيهم بل اكثر صولتهم على من دونهم انما يكون عند استقبالهم بالخلاف وبما يكرهون فامر عز وجل
رسوله موسى وهرون ان يقولا له قولا لينا ويلطفا معاملته ليكون اقرب واثبت في قلبه وانجع ولذلك
قال لعله يتذكر او يخشى قال الحسن كل لعل هو من الله فهو على الايجاب لانه قد تذكر وخشي حيث قال لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك الآية وحيث قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل لكن لم ينفعه ايمانه في ذلك
الوقت لانه ايمان دفع واضطرار وقال بعضهم لعله يتذكر او يخشى في علمكم فان كان على هذا فهو يحتمل الشك
وان كان على الاول فهو على الايجاب لا يحتمل الشك ثم اختلف في القول اللين قال ابن عباس قال هو قول الله هل لك
الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى بتوحيد قال هذا القول اللين وعن الحسن قولا لينا اي قولا حقا قوله ان لك
معادا ان لك مرجعا وقال بعضهم قولا لينا قول لا اله الا الله وقال بعضهم اي لينا ونحوه واصله ما ذكرنا وقوله
عز وجل حكاية ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال اهل التاويل قوله ان يفرط علينا اي يعجل بالعقوبة
من قبل ان يسمع حجتنا او ان يطغى بقتلنا بعد ما سمع الحجة منا وجائز ان يكون احدهما في الفعل والاخر في القول
ان يفرط علينا او ان يطغى بهما كان لا ثم قال في الجواب لهما قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى اي اسمع ما يقول

لكما وارى ما يفعل بكما فهذا يدل والله اعلم ان قوله ان يفرط علينا او ان يطغى يرجع احدهما الى القول والاخر الى
الفعل لانه قال في وقت ذروني اقتل موسى وليدع ربه ونحوه والله اعلم وقوله لا تخافا فا يحتمل على نفي الخوف والامن
منه كقوله ولا تحزن عليهم ليس على النهي عن الحزن فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل انني معكما في النصر والمعونة لكما
والذب عنكم والدفع اسمع ما يقول وارى ما يفعل وقد كان كل منه اليهما النصر والمعونة لهما والدفع عنهما وقوله
عز وجل فاتياه فقولا انا رسولا ربك يشبه ان يكون قوله ولا تنيا في ذكري هذا اي لا تضعفا في تبليغ الرسالة
ولكن قولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل لا يحتمل ان يكون اول ما اتياه قالا ان ارسل معنا بني اسرائيل بل
قد سبق منهما الدعاء الى توحيد الله والاقرار له بالالوهية والربوبية فاذا ترك الاجابة فعند ذلك
قالا له فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم هذا يحتمل وجهين احدهما كانه كان يمنع بني اسرائيل عن الاسلام
وهم ارادوا الاسلام فقال ارسل معنا بني اسرائيل ولا تمنعهم عن الاسلام او كان يستعبدهم فامره
ان يستنقذهم من يده كقوله ان عبدت بني اسرائيل الا ترى انه قال ولا تعذبهم وقوله عز وجل قد جئناك
باية من ربك وهو ما قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقوله عز وجل والسلام
على من اتبع الهدى هذا يدل انه لا يبدأ بالسلام على اهل الكفر ولكن يبدأ باهل الاسلام وهو قول الناس اطال الله بقاءك
ونحوه وقوله عز وجل قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى كانه قال والسلام على من اتبع الهدى والعذاب
على من كذب وتولى والسلام هو اسم كل خير وبر وقال القتبي ان يفرط علينا اي يعجل ويتقدم قالوا الفرط التقدم
والسبق وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وهو من السبق وكذلك قال
ابو عوسجة ان يفرط علينا اي يعجل يقال فرط يفرط فرطا اي عجل وقال ولا تنيا في ذكري اي لا تفترا ولا تعجزا في
البلاغ واصطفيتك اي استخلصتك لنفسي فاذا لم يفهم من قوله لنفسي ذاته كيف يفهم ولتصنع على عيني ما لم
يفهم من الخلق ولا يتصور هذا وامثاله في وهم الا من اعتقد التشبيه ولم يعرف ربه والا لو عرف ربه
حق معرفته لكان لا يتصور في وهمه تشبيه الخلق به ولا تشبيهه بخلقه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا
كبيرا وقوله تعالى فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقال في اية اخرى وما رب
العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما الآية ورب المشرق والمغرب وما بينهما ساله عن ماهية فاجاب
موسى عن اثار صنعه في خلقه وانه رب كل شيء ورب ما ذكر لم يجبه عما سأله ماهيته وكيفيته حيث قال
فمن ربكما يا موسى فجوابه عن الماهية ربنا فلان وانه كذا ففيه دلالة ان الله لا يعرف من جهة الماهية
والكيفية اذ لا ماهية له ولا كيفية انهما اوصاف الخلق فالله سبحانه تعالى عن ان يوصف بشيء من
صفات الخلق ثم يحتمل قوله اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وجوها احدها اعطى كل شيء يكون صورة
ما قد كان معاشه وقوامه ليعلم انه قادر على بعثهم على الصورة التي كانت وقوله عز وجل ثم هدى فهو
على قوله اعطى كل شيء ثم هدى فان كان التاويل اعطى كل شيء صورته وهيأته فقوله ثم هدى للحياة و
وان كان اعطى جنسه وشكله ثم هداه للنسل وان كان قوله اعطى كل شيء ما به معاشهم وقوامهم ثم
هداه لما يتعيشون به ويقومون به وهداه لما يصلح لهم وما لا يصلح لهم والله اعلم وقوله عز وجل قال
فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب قال بعضهم انما سأل فرعون موسى عن القرون الاولى
لانه سمع من ذلك الرجل المؤمن حين قال اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب ولم يكن لموسى بهم علم فوكل
علمهم الى الله ثم انزل الله عليه التوراة فبين له فيها امرهم وقال بعضهم سأل فرعون عن ذلك
لان موسى اخبر انه يبعث وخوفه على ذلك فعند ذلك قال فما بال القرون الاولى لم يبعثوا منذ اهلكوا
فقال له ما قال وقال بعضهم قوله فما بال القرون الاولى انما سأله عن حال القرون الاولى هم في
الجنة او في النار فقال علمها عند ربي وقال بعضهم انما سأله عن اعمالهم فما اعمال القرون الاولى
فقال علمها عند ربي اي اعمالهم عند ربي في كتاب مرقوم وقوله سابق وشهيد وقوله في كتاب
قال بعضهم الكتاب الذي كتب فيه اعمالهم وقال بعضهم في اللوح المحفوظ لا يضل ربي ولا ينسى قال هما واحد
لا يضل ولا ينسى ذلك الكتاب وقرئ لا يضل ولا يضل من ختم بالهدى ولا يضل اي لا يضل ذلك الكتاب الذي
ذكر ليبين انه يرجع الى قوله لا يضل ربي وقوله عز وجل الذي جعل لكم مهادا هو على قوله ربنا الذي اعطى كل شيء
خلقه ثم هدى الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا الذي سلك لكم فيها سبلا والذي انزل من السماء ماء
يذكر نعمه التي انعمها عليهم يقول جعل لكم الارض بحيث تفترشون وتتعيشون فيها وتقرون عليها بعدما كانت
تميد بكم وسلك لكم فيها سبلا اي طرقا تسلكون فيها وتختلفون الى البلدان النائية في حوائجكم وما به معاشكم
وقوامكم ما لولا ذلك ما قام معاشكم ولا تقضى حوائجكم وانزل من السماء ماء فاخرجنا به اي بالماء ازواجا من
نبات شتى ما به معاشكم وقوام انعامكم على اختلاف ما جعل لكل دابة من ذلك قوتا وغذاء
لم يجعل ذلك لغيرها لان من الدواب ما ياكل النبات ومنها ما ياكل الحب ومنها ما ياكل اللحم ونحوه كلوا وارعوا
انعامكم اي كلوا انتم ما به قوامكم وارعوا انعامكم فيما به قوامها ان في ذلك لآيات لاولي النهى قال بعضهم لاولي النهى
اي لاولي العقول وقال الحسن ان في ذلك لآيات للذين يتناهون عما نهوا عنه وقال بعضهم لآيات لاولي الورع و

والى النهى هم اهل العقول لا ترى العقل ينهى ويزجر عن مريغوفذلك ايا لهم وكذلك قال القتبي لاولى النهى اولى العقول وقال النهية العقل وقال بعضهم فما بال القرون الاولى اي ما حالها يقال اصلح الله بالك اى حالك وقوله عزوجل منها خلقناكم وفيها نعيدكم يحتمل قوله منها خلقناكم وجوها منها خلقنا اصلكم وهو خلق آدم لكنه اضاف خلقنا اليه وان لم يخلق منها كما اضاف الانسان الى النطفة وان لم يكن الانسان منها لكنه اضاف اليها لانها اصل الانسان فعلى ذلك اضافة خلق انفسنا الى الارض والثاني نسبنا اليها لانا من اول ما ننشا الى ما ننتهي اليه يكون قوامنا ومعاشنا من الخارج من الارض فنسب خلقنا اليه وهو ما قال قد انزلنا عليكم لباسا واللباس على هيئة ما هو لم ينزل من السماء لكنه اضاف اليه لانه كان باسباب من السماء واصل منه وقال بعضهم ذكر ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب ذلك المكان الذي يدفن فيه الانسان فيذره على النطفة التي قضى الله منها الولد فيخلق من التراب والنطفة فذلك معنى الاضافة اليها لكن هذا سمعي لا يعرف الا بالخبر فان ثبت فهو هو والا لا يجوز ان يقال ذلك رايا وقوله عزوجل وفيها نعيدكم يحتمل قوله فيها نعيدكم اذا متم اي تقبرون فيها فيخرج مخرج الامتنان علينا وذلك لنا خاصة دون غيرنا من الحيوان لئلا يتاذى بهم كقوله ثم اماته فاقبره او ان يكون قوله وفيها نعيدكم اى تصيرون ترابا اذا متم فيخبر عن قدرته وسلطانه اى من قدر على ان صير الانسان ترابا بعد ان لم يكن ترابا لقادر على ان يصير انسانا على ما كان بعد ما صار ترابا وهو ما قال ومنها نخرجكم تارة اخرى اى منها نخرجكم وننشئكم مرة اخرى والله اعلم وقوله عزوجل ولقد اريناه اياتنا كلها ولم يره جميع اياته انما اراه بعض اياته لكن ان كان المراد منها الاعلام له فقد اعلم الايات كلها لانه اذا اراه اية واحدة او بعض الايات فرؤية اية واحدة او بعضها تدل على اعلام غيرها من الايات فهو على الاعلام قد اعلمه كلها وهو ما قال له موسى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض علم اللعين انها الايات وليس بسحر او ان يكون يريد بالايات كلها الايات التي ارسلها الى موسى فقد اراه ذلك كلها فكذب تلك الايات وابى ان يصدقها ويقبلها قبلهم وقوله عزوجل قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى قد علم اللعين انه لم يجئهم ليخرجهم من ارضهم ولكنه يريد منهم الاسلام لكنه اراد ان يغري قومه عليه كقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فهذا اغراء منه قومه عليه وقوله عزوجل فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال بعضهم سوى المكان الذي نحن فيه الان وغير هذا المجلس وقال بعضهم مكانا عدلا لا نخلف نحن وانت ذلك المكان وقال بعضهم مكانا سوى اى منصفا وقال القتبي مكانا سوى اى وسطا بين فريقين وقال الكسائي سوى وسوى يريد به سواء وهما لغتان الا انه يقرأ سوى وقال ابو عبيدة هو مثل طوى وهو النصف وقوله عزوجل قال موعدكم يوم الزينة قال بعضهم يوم عاشوراء وقال بعضهم يوم العيد وقال بعضهم يوم سوقهم لكنا لا نعلم ذلك وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة وهم قوم قد عرفوا ذلك حيث رضوا بذلك ولم يبينوا ذعوا فيه وقوله عزوجل وان يحشر الناس ضحى بينوا اليوم وبينوا الوقت وهو وقت الضحى وان يحشر الناس ضحى قال بعضهم اى نهارا جهارا كقوله ان اتيتهم باسنا ضحى نهارا يعني جهارا وقوله عزوجل فتولى فرعون اى اقبل على امره وجميع كيده ليس على الاعراض عما دعوا اليه ثم اتى بهم وهو كقوله واذا تولى سعى في الارض اى اقبل على السعي في الارض بالفساد وقوله عزوجل قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب هذا يحتمل وجهين احدهما لا تفتروا على الله كذبا فيما بان لكم من الحق وظهر لكم الحجة بانه تتخذون فرعون الها لكم او تتخذونه دونه سواه الها وكالهم عبره فقد افتريتم عليه والثاني لا تفتروا على الله كذبا فيما بان لكم الحق وظهر لكم الحجة فلا تفتروا على الله كذبا بقولكم انه سحر وانه كذاب وقوله عزوجل فيسحتكم بعذاب اى يستاصلكم جميعا فيسحتكم قال ابو معاذ يقال سحته واسحته وفجره وقال اهل التاويل اي يهلككم ويستاصلكم بعذاب ثم يحتمل ذلك العذاب في الدنيا او عذاب ياتيهم اذا افتروا على الله كذبا بعدما بان الحق وظهر لهم البرهان والحجة وقوله وقد خاب من افترى في الدنيا والاخرة وقوله عزوجل فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى قال بعضهم قوله فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى اى التحدث فيما بينهم سرا من فرعون فذلك قوله واسروا النجوى من فرعون فقال لهم ان هذان لساحران يعنون موسى وهارون وقال بعضهم فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى من موسى وهارون فيحتمل ما اضمروا قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما والا شبه هذا اى انهم تنازعوا قومهم واسروا النجوى تحتم فيما بينهم ان هذا لسحر قوله ان هذان قال ابو عبيدة هذه لغة قوم من العرب يقال مررت بهذان ورايت رجلان فهو على تلك اللغة وقال بعضهم ان هذا لا تسقط في الوجدان بحال يقال مررت بهذا ورايت هذا ونحوه فهو كالاصل لا يحتمل السقوط في الاحوال كلها في الوجدان والتثنية وقال بعضهم ان هذان لساحران اى نعم هذان وذلك لغة قوم ايضا يقولون ان مكان نعم كقول القايل في خرتيه فقلت انه اى نعم وقال بعضهم لا ولكن هذا خطأ من الكاتب وكذلك روي عن عثمان انه لما نظر في الكتاب فقال ان ارى فيه خطأ ليقيمنه العرب بالسنتها وعن عائشة وقوله عزوجل يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما هذا القول انما اخذ من فرعون حيث قال يريد ان يخرجكم من ارضكم وقوله ايضا حيث قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى علم فرعون ان ذلك ليس بسحر لكنه اراد ان يغري قومه عليه ليلا يتبعوه

وقوله

وقوله عزوجل ويذهبا بطريقتكم المثلى اختلف فيه قال الحسن قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى اى بعيشكم امثل العيش لانهم كانوا جبابرة وفراعنة وكانوا بنوا اسرائيل لهم خدما وخولا يستخدمونهم ويستعملونهم في حوايجهم فكان نعيشهم بهم فقال ويذهبا بطريقتكم المثلى اى يذهبا بامثل عيشكم حيث قال له موسى فارسل معنا بني اسرائيل وقال بعضهم بطريقتكم المثلى اى يذهبا بدينكم ومذهبكم الامثل لانه يقول ان الذي لا ترتقول ان الذي يدعوهم هو اليه هو الرشاد وان الذي يدعوهم موسى اليه هو باطل وانه سحر وفساد كقوله ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد وحيث قال وما اهديكم الا سبيل الرشاد وحيث قالوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك ونحوه يدعي ان ما يدعوهم اليه هو الرشاد وان الذي يدعوهم موسى اليه السحر والفساد وقال بعضهم قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى اى خياركم واشرافكم والامثل منكم قال القتبي فيسحتكم اى يهلككم ويستاصلكم يقال سحته الله واسحته وقال ويذهبا بطريقتكم المثلى اى الاشراف ويقال هؤلاء طريقة قومهم اى اشرافهم اشتقاق الطريقة من الشريف ويقال اراد سنتكم ودينكم والمثلى مؤنث امثل مثل كبرى واكبر فاجمعوا كيدكم اى حيلتكم وقال ابو عوسجة بطريقتكم المثلى اى بدينكم الافضل وهو من الامثل وقال ابو عبيدة ثم ائتوا صفا اى مصلى والصف المصلى وقال حكي عن بعضهم انه قال ما استطعت ان اتي الصف اليوم اى المصلى وقال القتبي صفا اى جميعا وكذلك غيره من اهل التاويل وقوله من استعلى اى غلب وقوله عزوجل فاجمعوا كيدكم حرف الاجماع يستعمل في العزم مرة والاجتماع ثانيا اما في العزم فما ذكر في الخبر لا صوم لمن لم يجمع الصيام من الليل اى لمن لم يعزم على رواية الخبر لا صوم لمن لم يعزم على رواية الخبر لا صوم لمن لم يعزم من الليل واما الاجتماع فظاهر فان كان على الاجتماع فكانه قال فاجتمعوا على عمل واحد لا تختلفون فيه وعلى العزم اى اعزموا شيئا واحدا واقصدوا امرا واحدا لكي تغلبوا ثم ائتوا صفا قال بعضهم جميعا غير متفرقين وقال بعضهم ثم ائتوا صفا اى المصلى الذي كان موعد الاجتماع وهو يوم الزينة وقوله عزوجل وقد افلح اليوم من استعلى قيل من غلب كقوله ان فرعون علا في الارض اى غلب وجائز ان يكون قوله استعلى اى من طلب العلو واراد ان يتعدى وعد فرعون السحرة من الاجر اذا كانوا هم الغالبين كقوله ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين فذلك هو ما طلبوا منه فاخبرانهم يظفرون بذلك هذا اذا كان القول من فرعون والله اعلم وقوله عزوجل قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا انما القوا بامر الله واذن منه وقوله عزوجل فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه الى موسى من سحرهم انها تسعى واوجس في نفسه خيفة موسى اى وقع في قلبه الخوف وخاف اذ صنع القوم ما صنعوا من السحر ثم يحتمل ذلك الخوف منه وجهين احدهما خاف على ما طبع البشر عليه من خوف الطبع لا خوف غلبة لانه قال لهم ما جئتم به السحر ان الله سيبطله كان يعلم صلوات الله عليه ان تموبهات السحر لا تبطل حجج الله واياته فذلك ذلك انه خاف خوف الطبع والجبلة لا خوف القهر والغلبة او ان يكون خوفه لما اخذ سحر اولئك اعين الناس خاف موسى ان يمنعهم ذلك عن ان يبصروا ما جاء هو من الاية والبرهان وقال بعضهم خاف ان يشكوا فيه فلا يتابعوا ويشك فيه من تابعه وهو ما ذكرنا في باسه والله اعلم وقوله عزوجل قلنا لا تخف انك انت الاعلى اى الغالب فان كان الخوف الذي ذكر خوف طبع وما جبل عليه المرء فيكون قوله لا تخف على تسكين القلب وتثبيته وان كان الثاني فهو على البشارة له والاخبار على ان يمنع سحر اولئك عن ان يبصروا ما اتى بهم انه من الاية والله اعلم وقوله عزوجل والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا هذا يدل ان سحر اولئك انما صار بعد ما القوا ما في ايديهم لم يكن سحرا وقت كونه في ايديهم وكذلك عصا موسى انما صارت اية وحجة بعد ما القاها من يده لم تكن وقت كونها في يده كذلك حيث قال والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا اى تلقم وتاكل ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اى لا يفلح الساحر حيث اتى بسحره والا قد افلح سحرة فرعون وفي حرف ابن مسعود ابن ابي وقال بعضهم حيث كان وحيث وحوث لغتان وهو قول الكسائي وقوله عزوجل فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هرون وموسى لانهم عرفوا حقيقة ما اتى بهم موسى فعلموا انه سماوي وانه ايته ليس بسحر فامنوا بما لم يرتابوا فيه قط وهذا يدل ان كل ذي بصر وعلم في شيء يكون ابصروا علم في ذلك الشيء من غيره حيث لم ينظروا المارا واما اتي به موسى وعاينوا وقتا ينظروا فيه بل بسرعة معرفتهم ذلك الشيء من غيره حيث لم ينظروا المارا واما اتي به موسى وعاينوا وتمنا ينظروا فيه بل بسرعة معرفتهم ذلك لم يملكوا انفسهم بل القوا على وجوههم على ما اخبر حيث قال فالقي السحرة ساجدين وسجدا وقال القتبي فاوجس في خيفة موسى اى اضمر خوفا وقال غيره وقع في قلبه حيث اتى كان وقال ابو عوسجة يخيل اليه اى يظن يقول يخيل الى اى يرتفى لمى وعلى ان هذا الشيء كذا وكذا فاوجس اى احس تلقف وتلقم واحد وقوله عزوجل امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر قال بعضهم يعني موسى وقال بعضهم كبير السحرة الذي علم غيره السحر وقال في اية اخرى ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها الاية قد علم فرعون ان ذلك ليس بسحر ولا مكر مكروا به لكنه اراد ان يموه على قومه ويلبس عليهم امر موسى وما جاء من الايات والحجج لانه

هو الذى رباه ونشا بين ظهرانيهم واهله فعلم انه لم يتعلم السحر من احد لما فارقه وخرج من عندهم الى مدين
لم يكن هناك يتعلم منه السحر لكنه اراد التمويه والتلبيس على قومه وكذلك اهل مكة حيث نسبوا رسول الله الى
السحر والكهانة والافتراء والجنون وغيره علموا انه ليس بساحر ولا كاهن ولا مجنون ولا مفتر لانه نشا بين ظهرهم
صغيرا لم يؤخذ عليه كذب قط على احد من الخلائق فكيف على الله تعالى ولا راوه اختلف الى احد من السحرة والكهنة
فى تعلم ذلك لكنهم ارادوا بذلك التمويه والتلبيس على الناس لئلا يتبعوه ولا يجيبوه الى ما دعاهم اليه من دين الله
وتوحيده ثم الرسل صلوات الله عليهم لو لم يكن معهم الايات والمعجزة ولا الحجج النيرة كانت انفسهم وما
عليه طبعوا من السيرة الحسنة والاخلاق الكريمة الجميلة وما اختاروا من الامور العظيمة الرفيعة دالة على
رسالتهم ونبوتهم فكيف وقد جاؤا بالايات المعجزة والبراهين المنيرة وما طبع السحرة من السيرة المذمومة والا
والاخلاق الدنية والامور الخسيسة يدل على كذبهم وافتعالهم فكيف اشكل عليهم معرفة السحر من الرسالة والتمويه
من الحجة لكنهم ارادوا بذلك ما ذكرنا من التمويه على قومهم والله اعلم وقوله عز وجل فلا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
ولاصلبنكم فى جذوع النخل يشبه ان يكون هذا الوعيد منه فى قتلهن او عدهم اولا بقطع اليد والرجل من خلاف
على الابقاء رجاء ان ينتهوا عما اختاروا فاذا لم ينتهوا عنه فعند ذلك اوعدهم بالقتل والصلب اذ فى القتل
والصلب اتلاف ما دونه من الجوارح فان على هذا ففيه ان كل حد يراد به الابقاء فانه لا يؤتى على الجوارح كلها
والقطع فى السرقة قد يراد به الابقاء لذلك لا يؤتى على الجوارح كلها وكذلك قطاع الطريق اذ يراد به الابقاء لم يرد
على قطع اليد والرجل من خلاف وقوله عز وجل اينا اشد عذابا وابقى لو ذاق اللعين شيئا من عذاب ربه لم يقل
مثل هذه المقالة ولولا ما عرف من حلم ربه والا لم يتجاسر ان يتكلم بمثل هذا ويوعدهم ان عذابه اشد من عذاب
الله وقوله عز وجل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات اى لن نؤثرك بالربوبية والعبادة لك والطاعة على
ما جاءنا من البينات على ربوبية الله والوهيته وعبادته وقوله عز وجل والذى فطرنا قال بعضهم لن نؤثرك
ايضا على الذى خلقنا لكن غيره كانه اشبه وهو ان قوله والذى فطرنا على القسم اى بالذى فطرنا كانهم ايسوا
عن العود الى عبادته وخدمته وقوله عز وجل فاقض ما انت قاض ليس على الامر لكن على الاياس عن ذلك اى
انك وان فعلت بنا ما اوعدت فانا لا نؤثرك وقوله عز وجل انما تقضى هذه الحيوة الدنيا اى انما تقضى فى هذه
الحيوة الدنيا وقوله عز وجل انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى يحتمل
قوله والله خير معبود وثوابه ابقى من ثواب غيره او ان يكون هذا الجواب قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى
فيقول عذاب الله ابقى والله اعلم قال ابو عوسجة جذوع النخل سوق النخل واصله وقوله عز وجل انه من يات
ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات
العلى اصل هذا والله اعلم ان من قبل من الله حيوته بالشكر وطيبها بالاعمال الصالحات طيب الله حياته وعيشه
فى الاخرة ومن لم يقبل حيوته من الله بالشكر فى الدنيا بل كفرها وخبثها وقبحها بالاعمال القبيحة الخبيثة الدنية
خبث حيوته فى الاخرة وعيشه وقوله عز وجل فاولئك لهم الدرجات العلى هى ما يرتفع ويعلو والدركات
ما يتسفل وينحدر فى الارض والدرجات للمؤمنين فى الاخرة لاختيارهم فى الدنيا الاعمال الصالحة الرفيعة
العالية فعلى ما اختاروا فى الدنيا من الاعمال الرفيعة العلوة فلهم فى الاخرة مقابل ذلك الدرجات العلى
واما الدركات فهى لاهل الكفر مقابل ما اختاروه فى الدنيا من الاعمال الدنية الخبيثة واجزاهم كمثل من زرع
بذر الشوك لم يحصد برا قط وقوله عز وذلك جزاء من تزكى اى ذلك الذى ذكر جزاء من اصلح عمله وانماه الزكوة
هى النماء واللغة وقوله عز وجل ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى وهو السير بالليل وقوله عز وجل فاضرب
لهم طريقا فى البحر يبسا اى اضرب بعصاك البحر اجعل لهم طريقا فى البحر يبسا كقوله فاوحينا الى موسى
ان اضرب بعصاك البحر فانفلق الاية وقوله عز وجل لا تخف دركا ولا تخشى اى لا تخاف لحوق فرعون
وجنوده ولا تخشى غرق البحر ليس على النهى ولكن على رفع الخوف عنه والامن عن ان يدركهم ويلحقهم الا ترى
انه قال كلا انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وقوله عز وجل فاتبعهم فرعون بجنوده دل قوله
بجنوده على ان كان معه جنود لا جند واحد واما العدد فانهم كانوا كذا وكذا الفا وقوم موسى كذا كذا
الفا فذلك لا يعلم الا بالخبر وليس بنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم اى من
الغرق والهلاك وقوله عز وجل واضل فرعون قومه وما هدى قال بعضهم واضل فرعون قومه وما هداه
الله وقال بعضهم واضل فرعون قومه وما هداهم حيث قال وما اهديكم الا سبيل الرشاد وقيل اضل قومه
وما هدى نفسه وقال بعضهم وذلك جزاء من تزكى اى آمن وذلك انه بالايمان تزكوا الاعمال وتنموا وله
ثواب عليها ويجوز وقال القتبى لا تخاف دركا ولا تخشى اى لا تخاف ان يلحقك فرعون بجنوده وقوله
عز وجل يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم هذا خبر يخبر ما انعم عليهم ومن على اوائلهم وآبائهم من حضر رسول
الله ذكر هؤلاء بما انعم ومن على اوائلهم والامم يكن هؤلاء يؤمنون وفيه تذكير النعم والمنن على التحيات والاخرا
سورة هذا انه انما هم انعام هؤلاء فى زمانهم وفيه تذكير لنا فيما انعم علينا
ومن فى اوائل سورنا واخرها ليس لا تذكير لبنى اسرائيل خاصة ولكن لنا ولكل من انعم عليه وقوله عز وجل وواعدنا

جانب الطور الايمن لسنا كدى ان الايمن هو اسم ذلك الجبل او سماه الايمن ليمنه وبركته وقال عز وجل فى اية اخرى
فلما اتاها نودى من شاطئ الواد الايمن او سماه الايمن بموسى عليه السلام فان كان هو من اليمن والبركة فهو كذلك
كان لانه ثم كان بدو وحى موسى عليه السلام وقوله عز وجل ونزلنا عليكم المن والسلوى يذكر هؤلاء ما منع
على اوائلهم من الرزق واحضهم بسبا وى بذلك الشكر على ما انعم عليهم وذلك تذكير لنا ولمن وسع عليه ذلك
الا ان يبذل عليها بوسع الرزق من اول عمرنا الى الاخرة وقوله عز وجل كلوا من طيبات ما رزقناكم اى قلنا لهم
كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم يحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله طيبات ما رزقناكم اى من حلالات
ما رزقناكم فان كان على هذا ففيه دلالة انه يرزق فى ملبس بحلول والثانى من طيبات ما رزقناكم اى
ما تطيب به انفسكم ففيه دلالة انه يجوز لنا ان نختار من الاطعمة ما هو اطيب اذا كان علينا تستطيب به
الانفس وقوله عز وجل ولا تطغوا فيه الطغيان هو المجاوزة عن الحد والتى جعلت اى لا تطغوا فيما رزقكم
من الطيبات وتجعلوه فى غير ما جعل وتجاوزون عن الذى جعل وقوله عز وجل فيحل عليكم غضبى برفع
الحاء والخفض جميعا يحل اى تنزل عليكم غضبى ويحل بالرفع يجب وقوله ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى قيل
قيل هوى اى هلك وقيل هوى من يجب عليه عذابى فقد هلك وكذلك قال بعضهم هوى اى هلك بما لك هوت
امه اى هلكت وقيل فقد هوى اى سقط فى النار وقيل هوى فى موضع كذا وقوله عز وجل وانى لغفار لمن تاب وامن
وعمل صالحا ثم اهتدى قيل قوله لغفار لمن تاب عن الشرك ورجع عنه وامن بالوحدانية وعمل صالحا فيما بين
ذلك ثم اهتدى فى حفظ امره وانتهى عما نهى والثانى لمن تاب عن جميع المناهى وامن بجميع ما امر وقوله
ثم اهتدى اى دام على ذلك وثبت كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقوله عز وجل وما اعجلك
عن قومك يا موسى قال بعضهم ان موسى صلوات الله عليه خرج بنفر من قومه الى الجبل ليأخذ التورية فعجل حتى
خلفهم وتركهم وراءه فعند ذلك قال له ربه وما اعجلك عن قومك يا موسى وقال بعضهم لم يخرج بنفر ولكن
خرج وحده وترك قومه فاصابهم ما اصاب من الافتتان بالعجل الذى اتخذه السامرى وقوله عز وجل قال هم اولاء
على اثرى هذا على التاويل الاول اى هم يجيئون على اثرى وعلى التاويل الثانى اى تركتهم على دينى وسبيلى وهو
قول الحسن والقتادة وقوله عز وجل وعجلت اليك رب لترضى اى عجلت اليك ربى فيما دعوتنى اجابة وطاعة فيما
امرتنى لترضى هذا على التاويل الذى قال انه خرج وحده وعلى التاويل الذى يقول انه خرج بنفر يقول والله
اعلم وعجلت اليك رب لترضى اذ لم يكن لى سبب ولا معنى يمنعنى عن الاسراع الى ما دعوتنى وامرتنى وهكذا عندنا
ان من لزمه امر الله وفرضه لزمه الاسراع والعجلة الى القيام به اذا لم يكن هناك سبب يمنعه عن التعجيل
له والقيام به والله اعلم وقوله عز وجل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك الفتنة هى المحنة التى فيها شدائد وبلايا ومعنى
الافتتان ههنا هو ما فتنهم بالعجل الذى اتخذه السامرى جعله جسدا بدم ولحم على ما ذكر ونفخ فيه الروح وجعل له
خوار فذلك معنى الافتتان منه اياهم والله اعلم وقوله عز وجل واضلهم السامرى اضاف الاضلال الى السامرى
لانه كان سبب اضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى فاضاف الاضلال
اليه لما ذكرنا من دعائه اليه والسبب الذى كان منه والا لم يكن احد اضلال احد واضاف الافتتان الى نفسه لما
ذكرنا من جعل العجل جسدا من لحم ودم وروحانى فان قيل ما معنى اجراء ما اجرى على يدى السامرى مع ضلالة من الآيات
قيل هو والله اعلم انه لو ادعى لنفسه الرسالة لكان لا يتهيأ له ذلك لكنه انما ادعى انه اله واثار العبودية فيه
ظاهرة قائمة يعرفه كل احد انه ليس باله واما الرسالة فانه يجوز ان يشتبه على الناس ويلتبس عليهم فيمنع
الله عز وجل من يلبس برسول اذا ادعى الرسالة اقامة دلالة الرسالة لا يشتبه على الناس واما الالوهية
فلا يمنع عن اجرائه ذلك لان اثار العبودة واعلام العجز فيها ظاهرة يعرفه كل احد وهكذا من ادعى فرعون لم يبلغهم
هذا القرآن فقرأ هذا القرآن وقال انى رسول الله اليكم يقدره الله على قراءته ولو ادعى الربوبية لم يمنع لان
اثار العجز عن اتيان مثله ظاهرة وفى الرسالة لا لذلك افترقا والله اعلم وقوله عز وجل فرجع موسى الى
قومه غضبان اسفا الاسف هو التناهى فى الغضب والتناهى فى الحزن وهكذا جبل الله رسله وانشاهم على نهاية
الغضب لله والاسف له عند معاينتهم الخلاف لله والتكذيب له كقوله لعلك باخع نفسك الاية وقوله
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا على تاويل الحسن
وعدا حسنا هو الثواب الذى وعدهم بالدين والسبيل قال هم اولاء على اثرى اى على دينى وسبيلى وقال
بعضهم وعدا حسنا اى عدلا وصدقا حيث وعد لهم انه يرجع اليهم عند تمام اربعين او ثلثين ليلة على
ما ذكر عز وجل افطال عليكم العهد على تاويل الحسن افطال عليكم عهد ما وعدكم من دون الثواب والجزاء
على دينه وسبيله حتى نسيتم ذلك وعلى تاويل من قال ان الوعد هو ما وعد انه يرجع اليهم على راس كذا يقول
افطال ذلك عليكم ومضى وعدى حتى فعلتم ما فعلتم وقوله عز وجل ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم اى
لم تعهدتم الخلاف فيحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى يحتمل الموعد الوجهين الذين ذكرناهما فيما مضى
وقوله عز وجل قالوا ما اخلفنا موعدكم بملكنا برفع الميم وكسره فمن قرأ بملكنا برفع الميم اى بسلطاننا وطاقتنا اى
لم نفعل بسلطاننا وطاقتنا ومن قرأ بملكنا بكسر الميم بما ملكت ايدينا وقال الكيسانى من قرأ بملكنا معناه بسلطاننا

ومن قرأ بملكنا بكسر الميم ونصبه بملكنا معناها وهو ما ملكت ايدينا وقوله عز وجل ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم
اي من حلي القبط وقوله عز وجل فقذفناها اي قذفنا ما حملنا من حليهم وقوله عز وجل فكذلك القى السامري اي كذلك قذف
ما حمل السامري من حليهم وجايز ان يكون قوله فكذلك القى السامري ما اخذ من قبضته من اثر الرسول كقوله فقبضت
قبضة من اثر الرسول كقوله فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وقوله عز وجل فاخرج لهم عجلا جسدا له
خوار اي عجلا جسده جسد عجل وليس هو بعجل في الحقيقة وقال بعضهم عجلا جسدا لا يعيش كما يعيش العجل
المولود من البقر والا ولا اشبه وقوله عز وجل فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي هذا القول انما قاله السامري
وقوله عز وجل فنسي قال بعضهم نسي السامري حيث قال لهم هذا الهكم واله فنسي هذا القول انما قاله السامري
وقوله عز وجل فنسي قال بعضهم نسي السامري حيث قال لهم هذا الهكم واله موسى فيكون النسيان على هذا التاويل
التضييع والترك كانه قال ضيع السامري بعد ما علم وعرف رب العالمين ونسب الالوهية الى العجل وقال بعضهم
ان السامري لما قال هذا الهكم واله موسى لكن موسى نسي هذا حيث خرج في طلب غيره ولا يحتمل ان يقبلوا هذا
القول منه ويجعلوا العجل الذي اتخذه السامري الها وقد علموا انه انما اتخذه من حلي حملوه من القبط لكنه كان
في عقدهم انه يجوز اتخاذ اله دون اله رب العالمين والعبادة له رجاء ان يقرب عبادتهم تلك الالهة الى الله
وعلى هذا كانوا يعبدون الاصنام دون الله كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله وكذلك قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وكذلك ما اتخذ لهم فرعون من الهة عبدوها
دونه والحكم يحتمل ان يقع عندهم ان رب العالمين عوذ لك العجل لكنه ما ذكرنا انهم كانوا يتحيرون في اعتقاد
عبادة من دونه فقال عند ذلك ورد عليهم اعتقادهم فقال افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا
ولا نفعا اي لا يرون ان لا اذن في عبادة من يرجع اليه القول ويملك النفع والضر وهو البشر فكيف اذن
في عبادة من لا يملك شيئا من ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان
ربكم الرحمن يذكر والله اعلم بهذا رسوله ان الذين كذبوك وجحدوا رسالتك لم يكذبوك لجهلهم بالرسالة
ولكنهم لتعنتهم وعنادهم على ما ذكرنا بما من قول هرون لقومه لما عبدوا العجل حيث قال يا قوم انما فتنتم
به وان ربكم الرحمن فكانه يؤيسه عن ايمان اولئك لعنادهم وهو ما قال افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان
فريق منهم يسمعون كلام الله وقوله عز وجل انما فتنتم به يحتمل وجهين احدهما فتنتم اي صرتم مفتونين بالعجل بصوته
وخواره او بغيره والثاني فتنتم اي ضللتم به اي بالعجل وان ربكم الرحمن وقوله عز وجل فاتبعوني اي اجيبوا الى ما
ادعوكم اليه واطيعوا امري اي ما امركم به عز وجل قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال
بعضهم لن نبرح اي لن نزال على عبادة العجل مقيمين حتى يرجع الينا موسى وقال بعضهم لن نبرح اي لن نفارق عبادته
ثم قال موسى يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا هذا يدل ان قوله هرون لهم انما فتنتم به اراد به الضلال
حيث قال له موسى اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري يحتمل الا تتبعني اي ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا ترجع
الي ما كنت عرفت انا وقد علمت اني ابن عمرت انا اوان يكون قوله الا تتبعني اي الا تتبع ديني وسنتي وكانت سنته
ومذهبه القتال والحرب معهم اذا ضلوا وتركوا دين الله فاعتذر اليه هرون فقال اني خشيت ان تقول
فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما اني خشيت ان اتبعتك وصرت
انت تقول لي فرقت بين بني اسرائيل لانك لو نهيتهم عما اختاروا من عبادة العجل وبينت لهم السبيل لعلهم
يتبعونك فحيث لم تفعل فانت الذي فرقت بينهم والثاني على تاويل القتال والحرب في قوله الا تتبعني اني خشيت
لو قاتلهم ونصبت الحرب بينهم صاروا فريقين فاذا تفرقوا اقتتلوا وسفكوا الدماء وتفانوا فتركت القتال
لما اطمعوه الايمان اذا رجع اليهم موسى ونهاهم عن ذلك فلعل سنته في القتال مع من لم يطمع منه الايمان
هذا على تاويل من يقول بان هرون اعتزلهم لما عبدوا العجل مع عشرة الاف نفر واكثر واقل على ما ذكرو
واما الحسن فانه يقول كلهم قد عبدوا العجل الا هرون فعلى قوله لا يحتمل الحرب والقتال معهم وقوله عز وجل
ولم ترقب قولي قبل هوما قال واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ودل قوله لا تاخذ بلحيتي ولا براسي بان كان له
الشعر يكنى بالراس عن الشعر وقوله عز وجل فما خطبك يا سامري قال الحسن ما حجتك يا سامري على ما فعلت ولا
حجة كانت له قط وقال غيره ما خطبك ما شانك وما امرك والخطب هو الشان والامر في اللغة وتاويله والله اعلم
ما شانك اي ما الذي حملك على صنعك الذي صنعت ثم قوله بصرت بما لم تبصروا به بالياء والتاء جميعا ثم
بين ما الذي بصر هو ما لم يبصروا هم فقال قبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها اما عامة اهل التاويل
فانهم يقولون انه قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل فنبذها وليس في الاية ذكر التراب ولا ذكر الفرس
ولا ان ذلك الرسول جبريل او غيره ويشبه ان يكون الذي قبضه هو تراب من اثر الفرس على ما قاله اهل
التاويل وقد ذكر في حرف ابي فقبضت قبضة من اثر فرس الرسول فان ثبت ما قالوا والا فلم نرد على ما ذكر في
الكتاب لان هذه الانباء والقصص كانت في كتبهم فذكرت في القران ليحتج بها رسول الله على اولئك ليعرفوا
انه انما عرف ذلك بالله لانهم يقولون بدلا وتغيرها في كتبهم لذهب موضع الاحتجاج عليهم بل يوجب ذلك شبه
الكذب عليهم لذلك وجب حفظ ما حكى في الكتاب من الانباء والاخبار من غير زيادة ولا نقصان مخافة
الكذب

الكذب الا ان ثبت شيء يذكر عن رسول الله انه كان فعند ذلك يقال والا الكف اولى لما ذكرناه في قراءة الحسن
وقتادة فقبصت قبصة بالصاد والقبصة هو الاخذ باطراف الاصابع والقبضة هو بالكف فلا يحتمل
ان يصح الحرفان جميعا لان الاخذ باطراف الاصابع دون الكف فهو خبر يخبر عما في كتبهم فاما ان يكون
ذا او ذا فاما ان يكونا جميعا فلا يحتمل الا ان يقال انه اخذه باطراف الاصابع ثم رده الى الكف فحينئذ يكون
او ان يكون مرتين والله اعلم وقوله عز وجل وكذلك سولت لي نفسي هذا يحتمل وجهين احدهما اي كذلك سولت
لي نفسي انك متى ما اخذ قبضة من اثر الرسول فنبذتها في الحلي يحيى او ان يكون سولت له نفسه على ما كان عادتهم
وطبيعتهم انهم لا يعبدون لا يرونه ولا يقع بصرهم عليه حيث قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة وكقولهم
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقالت سولت لي نفسي ان اتخذ لهم عجلا يرونه فيعبدونه او سولت لي نفسي
ان في اخذ قبضة اثر الرسول نبا عظيما او قال ذلك اعتذارا لجميع ما كان منه من اول الامر الى اخره
والله اعلم وقوله عز وجل قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس قال بعضهم اي ما تزال تقول لا مساس
لا تقول غيره عقوبة له وجزاء لصنيعه وقال بعضهم ان تقول لا مساس لم تمسني ولا امسك اي لا تمسني ابدا
اخرجه موسى من بين اظهرهم لما علم موسى منه وقوله عز وجل وان لك موعدا لن تخلفه يحتمل وان لك موعدا
لعذابك لن تخلفه يحتمل ذلك في الدنيا والاخرة وقوله عز وجل وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا قوله
وانظر الى الهك الذي تزعم انه اله لا ان موسى سمى ذلك وهو كما قال فراغ الى الهتهم التي في زعمهم الهة وقوله
عز وجل ظلت عليه عاكفا فقوله ظلت يقال بالنهار وفي الليل يقال بات وقوله عز وجل لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا
وفي هذا اثبات الاية لموسى حيث قال لنحرقنه والعجل الذي هو من لحم ودم ليس من طبع النار احراقه وكذلك الحلي والذهب
والفضة ليس من طبع النار احراقهما حتى تصيرا رمادا ولكن من طبعهما الاذابة ثم اخبر انه محرقه
فدل انه اية وفي قوله لنحرقنه لغتان لنحرقنه بالتشديد وبرفع النون وهو التحريق بالنار ولنحرقنه بنصب
النون وهو القطع بالمبرد وقال ابو معاذ من قرا لنحرقنه بنصب النون فقد كان العجل من الحلي فلم يقدر
على تحريقه بالنار فحرق بالمبرد ومن قرا لنحرقنه برفع النون والتشديد يقول كان لحما ودما فاحرق
بالنار فصار رمادا ثم نسف في اليم قال ابو معاذ يا سبحان الله ان كنت لحرقته بالنار فما حاجتك الى المبرد
ولكنه اراد مقاتل ان يجمع القراءتين والتاويلين في قراءة واحد لكنه عندنا لا يجوز ان يكون العجل من
لحم ودم في احدى القراءتين وفي الاخرى من الحلي لا لحم فيه ولا دم ونكون القراءتان جميعا منزلتين وما قال
مقاتل انه حرق بالنار ثم حرق بالمبرد حسن لان النار لا تحرق العجل اذا كان لحما ودما ولكنها تذيب
فما يبرد بالمبرد فعند ذلك نسف في اليم قال ابو معاذ تقول العرب نسفت البرد انسفه نسفا اذا اخرجت
المنسفة فطيرت غباره ويقال في المشي ما زلنا ننسف يومنا كله نسفا اي نمشي وقال ابو عوسجة
لننسفنه اي لنرمين به نسفا اي رميا والنسف القلع من الاصل وصرفه نسف ينسف نسفا وقال
لن نبرح اي لن نزال بصرت بما لم يبصروا به يقال بصرت وابصرت بصر يبصر بصرا وقبصت قبصة
والقبصة باطراف الاصابع وقال لا مساس اي لا يمسك احد ولا يؤذيك وقال ظلت عليه لغة سوء وانما
هو ظللت وظللت وروي في حرف ابن مسعود بصرت بما لم يبصروا به اذ جاء الرسول فقبضت قبضة
فالقيتها وفي حرف حفصة اذ خر الرسول وفي حرف ابي بن كعب ان لك في الحيوة ان لا مساس لك فيه
ان تقول وفي حرف حفصة ان لك في الحيوة الدنيا ان تقول لا مساس وقال بعضهم تا ويله لا تخالط الناس
ولا يخالطونك قال ابو معاذ المساس مصدر ماسه مماسا ومماسة كما يقال ضاره ضرارا ومضارة
وساره سرارا ومسارة ومن قرا لا مساس كان كقولك نزال ودراك وفي حرف ابن مسعود وابي وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا وانظر كيف نفعل بالهك الذي ظلت وقوله سولت لي نفسي قال بعضهم
شجعت وظاهره زينت لي نفسي وقيل سمي السامري سامريا لانه كان من قبيلة يقال لها السامرة وقول
هرون لموسى يا ابن ام وكان اخاه لابيه وامه قيل اراد بذلك ان يرققه عليه فيتركه وقوله عز وجل انما الهكم
الله الذي لا اله الا هو جايز ان يكون موسى لما احرق العجل ونسفه في البحر قال عند ذلك انما الهكم الله
الذي تعرفونه لا اله الا هو وسع كل شيء علما لا يعزب عنه شيء ولا يخفى عليه شيء فيشبه ان يكون
موسى ذكر هذا لهم لما اضمروا واهدوا واسروا حب العجل في قلوبهم على ما اخبر الله عنهم بقوله واشربوا في
قلوبهم العجل بكفرهم فقال لهم وسع كل شيء علما يعلم ما تسرون وما تظهرون وان يكونوا لا يعلمون انه ما يسرون
وما يضمرون وما يغيب من الخلق ويكون عندهم كملوك الارض يعلمون الظاهر من الامور الحاضرة منها
والغايب فاخبر انه عز وجل يعلم الظاهر والباطن والسر والعلانية والحاضرة والغايبة والله اعلم وقوله
عز وجل كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق اي هكذا نقص عليك من انباء ما قد سبق ليكون اية
لرسالتك ونبوتك او ان يقول كما قصصنا عليك هذا النبا كذلك نقص عليك ساير الانباء والله اعلم وقوله
عز وجل وقد اتيناك من لدنا ذكرا قال اهل التاويل الذكر هاهنا القران وهو الظاهر لا نرى انه على اثره
من اعرض عنه فانه كذا وجايز ان يكون قوله اتيناك من لدنا ذكرا اي شرفا وذكرا يذكر هو بعده ابدا ومن

اتبعه واجابه الى ما دعاه بصيرا مذكورا به وقوله عز وجل من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا والوزر الحمل
وسميت الاثام حملا لان الاثام تنقض ظهور اصحابها فى النار وتكسرها كالحمل فى الدنيا ينقض ظهر صاحبه ويكسره وهو
ما ذكر ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك وقوله عز وجل خالدين فيه اى فى ذلك الوزر اى لن يغار قهم
اوزارهم ابدا لابدين وقوله عز وجل وساء لهم يوم القيمة حملا حمل السوء حمل يورد صاحبه النار ويشبر
الحمل حمل يورد صاحبه النار ويقال بئس ما حملوا على انفسهم من الاعمال وقوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة
وزرا يحتمل الاعراض عنه وجهين احدهما اعرض عنه اى كفر به وكذبه ولم يلتفت اليه والثانى اعرض عنه اى
لم يعمل بما فيه ومن لم يعمل من المسلمين بما فيه يخاف ان يكون فى وعيد هذه الاية وقوله عز وجل يوم ينفخ فى الصور
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا قيل يتسارون بينهم ويتكلمون فيما بينهم كلاما
خفيا ان لبثتم الا عشرا مثل هذا الكلام انما يقولون تلهفا وتحزنا على ما كان منهم فى وقت قليل لا ستقلالهم
واستصغارهم الدنيا يقولون كيف كان منا كل هذا العمل فى ذلك الوقت القليل ثم اختلفوا فى ذلك اللبث
الذى قالوا ذلك قال بعضهم فى الدنيا استقلوا مقام الدنيا لما عاينوا الاخرة وقال بعضهم ذلك فى القبور و
يستدل من ينكر عذاب القبر بهذه الاية يقول لانهم استقلوا مقامهم فى القبور ولولا كان لهم عذاب فى ذلك
لاستعظموا ذلك واستكثروا لان قليل اللبث فى العذاب يستعظم ويستكثر لا يستقل ولا يستحقر فلما استقلوا
ذلك دل انهم لا يعذبون فى القبور واستدلوا ايضا بنفى العذاب فيه بقوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ومن
يقول بعذاب القبر يزعم ان ذلك انما قالوا فى القبر يقول ذلك بين النفختين يقول هم يعذبون ويكونون فى العذاب
الى النفخة الاولى ثم يرفع عنهم العذاب الى النفخة الثانية عند ذلك يرقدون فيستصغرون مقامهم
للنوم وقد يستصغر الوقت الطويل ويستقل فى حال النوم على ما ذكر فى قصة اصحاب الكهف حين قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم وهم قد اقاموا ثلثمائة سنة وزيادة وجائز ان يكون عذاب القبر عذابا بعرض وعذاب
الاخرة عذاب عين كقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فاستصغروا عذاب العرض واستقلوه عند
عذاب العين ومن يقول ذلك فى الدنيا يقول لما قرت الدنيا فى اعينهم ومقامهم فيها حين عاينوا الاخرة واهوالها
وقوله نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما قوله امثلهم قيل اعقلهم وقيل افضلهم
ان لبثتم الا يوما من كان ابصر واعلم باموال الاخرة واهوالها كان اكثر استخفافا بالدنيا واستحقارا لها وفى حرف
ابن مسعود نحن اعلم بما يقولون اذ عيل عليهم اذ يقول امثلهم طريقة قال ابو معاذ قوله عيل عليهم اى اشتبه
وخفى وفاتهم علمه وقال ومنه يقال عالت الفريضة يقول عولا اذا جاوزت السهام فاشكل على الفارض
واشتبه ومنه قيل عيل صبرى وقوله عز وجل ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا يشبه ان يكون
سؤالهم عن احوال الجبال فى ذلك اليوم لما بين احوال الناس فى الساعة بقوله ان زلزلة الساعة شىء عظيم
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية وكقوله وترى الناس سكارى الاية وصف لهم احوال
الخلق فى ذلك اليوم ولم يصف احوال الجبال والارض فعند ذلك سألوه عن احوال الجبال فامر رسوله
ان يخبرهم بما ذكر انه ينسفها ربى نسفا وما ذكر ايضا فى اية اخرى هباء منثورا كالعهن المنفوش كالفراش
المبثوث ونحوه فجائز ان يكون ذلك على اختلاف الاحوال وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل فيذرها قاعا
صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا قال بعضهم قاعا صفصفا اى مستوية والقاع والصفصف واحد وقال
بعضهم هى الارض الملساء التى لا نبات فيها ولا زرع وقوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا قيل لا واديا ولا امتا و
لا رابية وقال بعضهم العوج الارتفاع والامت الهبوط وقال بعضهم العوج انحناء الاودية والامت التلال
وقيل لا انخفاضا ولا ارتفاعا والقاع الصفصف هو تفسير لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى فيها عوجا ولا
امتا تفسير كقوله قاعا صفصفا وقوله عز وجل يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له لا خلاف له ليس كالداعى فى
الدنيا منهم من يطيعه ويجيبه ومنهم من لا يطيعه ولا يجيبه فاخبر انهم فى الاخرة يجيبون الداعى فى اى حال
كانوا لا يخالفونه وقوله عز وجل وخشعت الاصوات لا تخشع لكن تخفض وتلين عند خوف اهلها وترتفع عند
الامن وان يكون خشوع الاصوات كناية عنهم اى يخشعون ويذلون لشدة فزعهم لاهوال ذلك اليوم
وقوله عز وجل فلا تسمع الا همسا قيل الهمس الكلام الخفى الذى لا يكاد يسمعه وقيل وقع الاقدام ونقلها وهو
تحركها قال ابو عوسجة يتخافتون بينهم اى اخفى صوته وقوله امثلهم طريقة اى افضلهم قاعا صفصفا قال
القاع الارض الصلبة التى لا شىء فيها والصفصف المستوية والصفاصف جميع والقيعان جميع القاع عوج
وعوج ولا امتا والامت هو العوج وهو التل وقوله عز وجل وخشعت الاصوات اى سكنت والهمس الخفى وقوله
عز وجل لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تنفع الشفاعة ليس
ان يكون لهم الشفعاء فلا تنفع ولكن لا شافع لهم الا من اذن له الرحمن بالشفاعة انه لا احد يتكلم يومئذ
الا باذنه فضلا ان يؤذن لاحد بالشفاعة كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يقول الشفاعة انه لا احد
يتكلم يومئذ الا باذنه فضلا وقال صوابا والثانى لا تنفع الشفاعة الا من وقوله بما يستوجب الشفاعة له ورضى
له قولا وسأله ذلك وهو قول الشهادة والتوحيد فيرجع احد التأويلين الى الشفعاء انه لا احد يشفع لاحد

الا باذنه

الا باذنه ورضاه بالقول قول الشفاعة والثانى يرجع الى المشفوع له انه لا احد يستوجب شفاعة الا من
وفق له الرحمن فى الدنيا بالتوحيد وشهادة الاخلاص والله اعلم وقوله عز وجل يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
يحتمل قوله ما بين ايديهم قبل ان يخلقوا وما خلفهم بعد ما خلقوا وكانوا وان يكون قوله ما بين ايديهم
ما قدموا من الاعمال وما خلفهم من بعدهم او ان يكون قوله ما بين ايديهم كناية من الخيرات اى
يعلم ما يعملون من الخيرات وما خلفهم من الشرور وما نبذوا وراء ظهورهم وجائز ان يكون المراد
من البين والخلف الاحوال كلها اى عالم بجميع احوالهم وبكل شىء يكون منهم وهو كقوله لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد اى لا يأتيه الباطل البتة لا انه ليس للقرآن بين ولا
خلف ولكن المراد ما ذكرنا فعلى ذلك الاول وجائز ان يكون المراد منه ليس البين ولا الخلف ولكن اخبار
عن احاطة علمه بهم والله اعلم وقوله عز وجل ولا يحيطون به علما هذا يحتمل وجهين لا يحيطون بالله علما و
لكن انما يعرفونه على قدر ما يشهد لهم الشواهد من خلقه لان الخلق انما يعرفون ربهم من جهة ما يشهد ويدل
لهم من الدلالات من خلقه والاحاطة بالشىء انما تكون ما كان سبيل معرفته الحس والمشاهدات
فاما ما كان سبيل معرفته الاستدلال فانه لا يحاط به العلم والثانى لا يحيطون به علما اى بعلمه كقوله
ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وكقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول
الاية وقوله عز وجل وعنت الوجوه للحى القيوم قيل عنت ذلت وخضعت الوجوه وجائز ان يكون ذكر الوجوه
كناية عن انفسهم لما بالوجوه يظهر الذلة والخضوع فكنى بها عنهم فان كان ما اخبر من خضوعهم وذلهم
فى الاخرة فهو على اخبر من خضوع الخلائق له فى الاخرة وان كان بعضهم يتكبر فى الدنيا وان كان فى الدنيا
فهو على خضوع الخلقة له خضعت خلقة الخلائق كلهم له وقوله للحى القيوم قد ذكرنا تاويل الحى القيوم
فيما تقدم وقوله عز وجل وقد خاب من حمل ظلما اى قد خاب من حمل الشرك والظلم ههنا الشرك وقد خاب
من حمل ما ذكر من الحمل والوزر وهو ما ذكر فى قوله من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه
وساء لهم يوم القيامة حملا اى خاب من حمل ذلك الحمل والله اعلم وقال بعضهم فى قوله يعلم ما بين ايديهم
من امر الاخرة وما خلفهم من امر الدنيا ولا يحيطون به يعنى الملائكة به علما يقول هم لا يعلمون من كلامه
الا ما علمهم اياه فان كان هذا فى الملائكة خاصة فانه لا يحتمل ما ذكرنا من التأويل فى قوله وما خلفهم
من الشرور وما نبذوه وراء ظهورهم لانهم مطيعون الله لا يعصونه طرفة عين ويحتمل غيره من التأويلات
التى ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم فى قوله يومئذ لا تنفع الشفاعة عنده الا من اذن له الرحمن فى الشفاعة
ورضى له قولا قول لا اله الا الله مسلما فى الدنيا مؤمنا حقا فذلك الذى رضى والشفاعة تحل لهم فاما غيرهم
فلا يشفع لهم وهو ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم فى قوله وعنت الوجوه للحى القيوم اى عملت الوجوه
للحى القيوم قالوا وتأويل عنت العمل اى خضعت له بالعمل الصالح فى الدنيا على ما ذكر بعضهم من الركوع
والسجود وغيره وهو فى المؤمنين خاصة ليس ان يكون تأويل قوله وعنت اى عملت حقيقة ولكن من
الوجه الذى ذكرنا وان كان التأويل فى الاخرة فهو فى الفريقين جميعا يذلون له جميعا ويخضعون
فى الاخرة وان كان من بعضهم التكبر فى الدنيا وقوله عز وجل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فيه دلالة
انه لا يستحق اسم الايمان بدون الاعمال الصالحات حيث قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وفيه
ان الايمان شرط فى قبول الصالحات وجعلها طاعة لله حيث شرط الايمان فيه وقوله عز وجل
فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ههنا على مذهبنا النقصان لا ظلم الجور لان الثواب على الاعمال بحق
الافضال لا بحق العدل فاذا كان على هذا فيخرج قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف
ان ينقص من حسناته شيئا او يزيد فى سيئاته شيئا ويجوز فى اللغة ذكر الظلم على ارادة النقصان كقوله
فى ذكر الجنتين كلتا الجنتين اتت اكلها ولم تظلم منه شيئا والجنة لا توصف بالظلم الذى هو ظلم جور فدل
انه اراد بالظلم ههنا النقصان اى لم تنقص بل اتت بثمارها وافية وافرة وان كان على الظلم الذى هو ظلم
الجور فهو على النهى اى لا تخف منه الظلم والجور وقوله عز وجل وكذلك انزلناه قرآنا عربيا اى كما ذكرنا ان من
يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما كذلك انزلناه فى القرآن العربى وصرفنا فيه من الوعيد
لعلهم يتقون حرف لعل فى جميع ما ذكر فى القرآن يحتمل وجهين احدهما على الوعد انهم يتقون فهو على
الايجاب والثانى لعلهم يتقون اى الزمهم ان يتقوا بما صرف فيه من الوعيد وان كان على الوعد و
الايجاب منه فهو لمن علم انهم يتقون وان كان على الالزام اى الزمهم فهو فى الكل ثم ان كان على الوعد
فيخرج قوله او يحدث لهم ذكرا فيكون كقوله لعله يتذكر او يخشى اذا تذكر خشى واذا خشى تذكر فعلى ذلك
لذلك اذا اتقى فقد احدث له الذكر واذا احدث له الذكر اتقى وان كان الزمهم ان يتقوا فهو على او شرح
قال بعضهم ذكرا اى عذابا وقوله عز وجل فتعالى الله الملك الحق مثل هذا انما يذكر على نوازل كانت اما قولا
او فعلا يقال فتعالى الله عن ذلك لكن لم يذكر النوازل والله اعلم وقوله عز وجل ولا تعجل بالقرآن من قبل ان
يقضى اليك وحيه يحتمل ما قاله اهل التأويل ان جبريل كان اذا اتاه بالسورة وبالاية فيتلوها عليها فلا يفرغ

جبريل من التلاوة حتى يحكم رسول الله باولها مخافة ان ينساها فانزل الله ولا تعجل بالقرآن فتقرأه من قبل
ان يفرغ من تلاوته عليك وقد امنه عن النسيان بقوله سنقرئك فلا تنسى الاية وكذلك ولا تحرك به لسانك
لتعجل به الاية ثم امره عز وجل ان يسأله ان يزيد له علماً ويحتمل ان يكون قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان
يقضى اليك وحيه اى لا تعجل بما ذكر من الوعيد لهم فى القرآن من قبل ان يأتى وقته كقوله فلا تعجل عليهم انما نعدّ لهم
عداً وقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه جائز ما قال اهل التأويل انه كان يتلو مع تلاوة
جبريل فقال له لا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ان ثبت عنه انه كان يتلو مع تلاوة جبريل وجائز
انه من غير ان كان منه ما ذكر والله اعلم على ما نهى هو عن اشياء من غير ان كان منه ذلك **وقوله** عز وجل ولقد
عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال الحسن وعامة اهل التأويل ان قوله نسى اى ضيع وترك
ليس نسيان السهو لانه عوتب عليه وعوتب به ولا يعاتب المرء على ما هو حقيقة السهو والنسيان فدل
انه على التضييع والترك ليس على النسيان والسهو الى هذا يذهب هؤلاء لكن يقبح هذا ان يقال فى ادم او فى
نبى من انبيائه او فى رسول من رسله صلوات الله عليهم انه ضيع والنسيان عندنا على قسمين نسيان يكون
عن غفلة منه وشغل ما لولا ذلك الشغل منه والغفلة لحفظه وذكره ولا ينساه وجائز المعاتبة على هذا
النسيان اذ لو كان تكلف لكان لا ينساه ولا يقع فيه ونسيان اخر يقع فيه من غير سبب كان منه لا يملك
دفعه وذلك نسيان ما لا يعاتب عليه ولا يعاقب به وهكذا الكلفة من الله تعالى والمحنة انه جائز ان يكلف و
يمتحن من لا يعلم ولا يعقل الكلفة وقت تكليفه اياه بعد ان يحتمل عقله ادراك ذلك لو استعمله فاما من كان
عقله لا يحتمل ادراك ما كلفه وان استعمله واجهد نفسه فيه فانه لا يكلف البتة فعلى ذلك النسيان الذى
ذكر من ادم جائز انه لو تكلف حفظه وذكره فانما عوتب لذلك والله اعلم **وقوله** عز وجل ولم نجد له عزما قال
الحسن اى منعا من الشيطان وقال بعضهم حفظا لم يحفظ امره وقال بعضهم صبراً ونحوه والعزم حقيقة القصد
والقطع على الشىء وهو ضد النسيان الذى ذكر وقال بعضهم العزم هو المحافظة على امر الله والتمسك به **وقوله**
عز وجل واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اى قال لو لا قول اهل التأويل فى سجود الملائكة لادم
الى حقيقة السجود والا جائز ان يصرف الامر بالسجود الى الخضوع له والسجود هو الخضوع حيث قال يا ادم
انبئهم وقد يؤمر الانسان بالخضوع لمن يتعلم منه العلم **وقوله** عز وجل فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى قال اهل التأويل
ليس شقاء الدين ولكن تعب النفس والنصب فى العمل **وقوله** عز وجل ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك
لا تظمأ فيها ولا تضحى اى لا يصيبك الشمس **وقوله** عز وجل فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى اى لا يفنى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
قد ذكرنا هذا فيما تقدم قال ابو عوسجة قوله وعنت الوجوه اى ذلت يقال عنا يعنو عنوا وقال ولا هضما
اى ظلما يقال هضمته اى ظلمته واهضمته مثله وقال ابو عبيدة الهضم النقصان وقال قاعا صفصفا القاع
الارض التى يعلوها الماء وهو قريب مما ذكرنا والله اعلم **وقوله** عز وجل وعصى ادم ربه فغوى كل من عصى ربه
فقد غوى العصيان والغواية واحد **وقوله** عز وجل ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قوله ثم اجتباه يحتمل
وجوها احدها اجتباه للتوبة وهداه لها او اجتباه ربه للرسالة وهداه لها او اجتباه ربه للدين وهداه
للتوحيد وهذا جائز عندنا للتوحيد والايمان حكم التجدد والحدوث فى كل وقت وكل ساعة لانه مأمور بترك
الكفر ونفيه فى كل وقت فاذا كان مأموراً بترك الكفر فى كل وقت منهيا عنه كان مأموراً بالايمان والتوحيد
فاذا كان ما ذكرنا دل ان للايمان والتوحيد حكم التجدد والحدوث وفى كل وقت والاظاهر قوله ثم اجتباه
ربه انه لم يكن يجتبى قبل ذلك فاجتباه من بعد لكن الوجه ما ذكرنا من اجتبائه اياه للرسالة واجتباه للتوحيد
والطاعات والخيرات ونحوه والله اعلم **وقوله** عز وجل قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو قال الحسن قوله
اهبطا اى والشيطان بعضكم لبعض عدو يعنى ذرية ادم وذرية ابليس بعضهم لبعض عدو وقال فيما قال اهبطوا يعنى
ادم وحوا وابليس والهبوط ليس هو الانحدار والتسفل من المكان العالى المرتفع انما هو النزول فى المكان فجائز
ان يكون قوله اهبطوا بعضكم لبعض عدو اراد ذريتهما ذريتا ادم وذرية ابليس وعلى ذلك يخرج قوله فاما يأتينكم
منى هدى يعنى الذرية فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى وقت اتباعه الهدى او لا يضل ولا يشقى اذا ختم بالهدى
او لا يضل طريق الجنة ولا يشقى فى النار والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا الضنك
هو الشدة والضيق ثم اختلفوا فيه قال بعضهم فان له معيشة ضنكا فى الدنيا وان كانت فى الظاهر واسعة
عليه لانهم ينفقون ولا يرون لنفقتهم خلفا ولا عاقبة ويريدون الدنيا انما تدوم فذلك يمنعهم عن التوسيع
فى الانفاق خوفا النفاد ذلك المال وبقاء انفسهم لما ذكرنا انهم لا يرون لنفقتهم خلفا ولا عوضا ولا عاقبة
لها فذلك الضنك وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا لانهم يعيشون بما اعطوا من المال وانموا فيه لان توسعهم
يكون فى معصية فنفى عنهم الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان باستماعهم هذه الجوارح فى المعصية
على قيامها لما ذهبت منافعها فى الطاعة وقال بعضهم فان له معيشة ضنكا فى عذاب القبر لكن لا يقال لمن
فى القبر ان له معيشة ضنكا حتى يوصف بالضيق وعذاب القبر سبيل معرفته السمع فان ثبت السمع والا فالترك

اولى

اولى وقال قائلون ذلك فى الاخرة والله اعلم كقوله مكانا ضيقا مقرنين **وقوله** عز وجل ونحشره يوم القيامة اعمى
قال بعضهم نحشره اعمى عن حجته فى دينه لكن متى كانت له الحجج فى الدنيا حتى يعمى عنها فى الاخرة وقال بعضهم نحشره
القيامة اعمى على الحقيقة كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فهو على حقيقة عمى
البصر وهو اشبه والله اعلم قال مجاهد قوله رب لم حشرتنى اعمى قال بلا حجة لى وقد كنت بصيرا فى الدنيا لكن
الاشبه هو ما ذكرنا من حقيقة ذهاب البصر اذ لم يكن للكافر حجة فى الدنيا حتى يقول وقد كنت بصيرا ثم
اختلف فيه قال بعضهم ذلك بعد ما حوسبوا وسيقوا الى النار نعوذ بالله من النار فعند ذلك يعمى عليه
البصر وقال بعضهم لا ولكن يبعثون من قبورهم ويحشرون عميانا والله اعلم **وقوله** عز وجل قال كذلك
اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اى كما اتتك اياتنا فصيرتها كالشىء المنسى لم تكترث اليها ولم تنظر
فيها ولم ترغب فيها كذلك تصير فى النار كالشىء المنسى عن رحمته لا يكترث اليك ولا ينظر اليك او ان يقول
كما ضيعت اياتنا التى اتتك لنجاتك كذلك تضيع انت وتترك فى النار لا نجاة لك **وقوله** عز وجل وكذلك نجزى
من اسرف ولم يؤمن بايات ربه اى كذلك نجزى كل من اسرف فى الدنيا ولم يؤمن بايات ربه ليس احد المخصوص
بذلك دون غيره ولكن كل من هذا صنيعه فى الدنيا عز وجل ولعذاب الاخرة اشد وابقى كانه قد سبق
منه الوعيد لهم فى عذاب ثم قال ولعذاب الاخرة اشد وابقى من العذاب الذى اوعدتم والا فعلى الابتداء
لا يقال هذا **وقوله** عز وجل افلم يهد لهم جميع ما ذكر فى القرآن مثل هذا افلم يهد لهم افلم يسيروا اولم
يروا وامثاله كله انه قد بين لهم وراء ذلك اى قد بين هؤلاء انهم قد وقفوا اولئك الذين اهلكهم من
القرون الماضية وما نزل بهم بتكذيبهم الرسل والايات التى اتوا بها وهم امنون يمشون فى مساكنهم
فكيف امن هؤلاء من عذاب الله مع وقفتهم اولئك فى جميع صنيعهم او يقول افلم نبين لهم سنتى فيمن
كان قبلهم من القرون الماضية بتكذيبهم الرسل وردهم الايات وهم كانوا امنين فى مساكنهم فكيف امن
هؤلاء من عذابه وقد ساووا اولئك فى جميع صنيعهم وفعلهم وهما واحد **وقوله** عز وجل ان فى ذلك
لايات لاولى النهى قال بعضهم لاولى النهى هم الذين انتهوا عما نهاهم الله عنه وهم ذوو العقول وقد ذكر
هذا فى موضع قال ابو عوسجة وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى اى لا تظهر للشمس والظماء العطش والضحى الحر
قال ابو عبيدة وقال ابو عوسجة وطفقا وعلقا واحد يقال علق يعلق علقا فهو عالق وطافق وقال
يقال من الخصف خصفت لخفاذ انعلته ونعلت الخف ويسمى بذلك النعلة والنعال جمع وقال قوله معيشة
ضنكا اى ضيقة قال ابو عبيدة وكل ضيق منزلا وغيره فهو ضنك **وقوله** عز وجل ولولا كلمة سبقت
من ربك لكان لزاما واجل مسمى هو على التقديم والتاخير اى لولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان
العذاب لازما لهم يقول والله اعلم يلزم كل انسان بما عمل قال والاجل المسمى الساعة التى قال بل الساعة
موعدهم والساعة ادهى وامر وجائز ان يكون قوله على غير التقديم والتاخير لكنه على الاضمار اى لولا
كلمة سبقت من ربك لكان لزاما ولكن سيلزمهم الى اجل مسمى وهو ما ذكر فى اية اخرى ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك بما يكون يحق الافضال وتوجبه الحكمة لكان العذاب
لازما لهم وحق الافضال ما سبق منه من الوعيد انه يؤخر ولا يقال فيما كان طريقه الافضال لم
تفضلت واصل هذا لولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما لولا ما سبق من وعده انه لا يعذب هذه
الامة تعذيب اهلاك وقت تكذيبهم الرسل وردهم الايات ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو ما ذكر
وهو قوله بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر **وقوله** عز وجل فاصبر على ما يقولون يصبر رسوله
على اذاهم بلسانهم من السب والنسبة الى السحر والجنون والافتراء على الله تعالى ونحوه وان كان وعدا
انه يعصمه منهم حتى لا يقدروا على اتلافه واهلاكه لان فى حفظ نفسه من الاتلاف والاهلاك انه
من اياته ورسالته اذ بعثه الى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم وعادتهم قتل من يخالفهم فى شىء واهلاك
من يستقبلهم بما يكرهون فدل عجزهم عن اتلافه واهلاكه وحفظ نفسه منهم انه كان ذلك لاية فى نفسه
واما اذاهم اياه باللسان ليس فى حفظه عنه اية لان ذلك لو كان اية فيهم وذلك مما لا يؤثر نقصا فى
نفسه او شيئا الا تراهم قالوا فى الله ما لا يليق به من الولد وغيره فدل انه ليس فى حفظ نفسه
عن اذاهم بلسانهم اية انما الاية فيما ذكرنا من حفظ نفسه من الاتلاف والله اعلم **وقوله عز وجل** وسبح
بحمد ربك وقال اهل التأويل صل بامر ربك وتأويل قولهم هذا صل بامر ربك لانه امره ان يصلى لله بقوله
بقوله اقم الصلاة وقوله اقيموا الصلاة فيكون قوله سبح اى صل بامر ربك الذى امرك بقوله اقم
الصلاة ولولا صرف اهل التأويل التسبيح فى هذه الاية الى الصلاة والا يجوز ان يصرف الى غيرها من
الاذكار فى كل وقت لكن صرفوا الى الصلاة لان الصلاة تشتمل على معان قولا وفعلا وسائر الاذكار
لا يشتمل الا على معنى الذكر قولا فهى اجمع واشمل لذكره والله اعلم ثم قوله قبل طلوع الشمس قبل صلاة
الفجر وقبل غروبها صلاة العصر وقال بعضهم قبل غروبها الظهر والعصر **وقوله** عز وجل ومن اناء الليل
قبل صلاة المغرب والعشاء **وقوله** واطراف النهار قبل صلاة الفجر والعصر فهو على التكرار والاعادة

فاكيدًا كقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ذكر الصلوات بجملتها ثم خص الصلاة بالذكر لمعنى فعلى
ذلك جائز ان يكون قوله واطراف النهار تكرارًا منه لصلاة الفجر والعصر لمعنى وجائز ان يكون قوله واطراف النهار
انه ليس على ارادة وقت ولكن يريد به الاوقات كلها وعلى ذلك يخرج قول من قال في قوله وقبل غروبها صلاة
الظهر والعصر والله اعلم وقوله عز وجل لعلك ترضى بالنصب والرفع جميعا اي يرضيك ربك بما عملت او يرضى بذلك
وقوله عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم هذه الاية تحتمل وجهين احدهما لا تمدن عينيك
اي لا ترغبن في هذه الدنيا ولا تركن الى ما متع به هؤلاء من الوانها وزهرتها وهو كقوله تعالى ولا تعجبك اموالهم و
ولا اولادهم الاية والثاني قوله ولا تمدن عينيك على حقيقة مد البصر اي لا تمدن بصرك الى اعين الدنيا والى ظاهرها هذا
عليه من الغرور والتزيين ولكن انظر الى الدنيا الى ما جعلت الدنيا واليها فيها من سمومها وتنغيصها على اهلها فان من
نظر اليها الى ما فيها من سمومها وتنغيصها لزهد فيها ورغب عنها ومن نظر اليها والى عينها وظاهرها على ما عليها من الغرور و
التزيين لاغتر بها ورغب فيها وركن اليها ومن نظر الى حقيقة ما هي عليه وجعلت على ما ذكرنا الزهد فيها ورغب عنها ثم
معلوم ان رسول الله لم يكن يمد بصره الى الدنيا او يركن اليها ويرغب فيها لها وانما هو ابتداء نهي رسوله ومعلوم ايضا انه
لو رغب في شيء منها لم يكن يرغب ليمتنع هو به انما يرغب ويتمنى وله ليوسع به على اهل الحاجة والفقر ثم نهاه عن ذلك
فدل ان الزهد فيها والرغبة عنها خير من الاخذ منها والوضع في حق حيث نهاه عن ذلك على علم منه انه لا يتناولها
ولها ليتمتع هو به ليوسع به على نفسه ولكن يأخذها ليضع في المحتاجين لهم ثم اختلف اهل التأويل في التقديم والتأخير
قال الحسن هو على تقديم قوله منهم على قوله ازواجا يقول تأويله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به منهم ازواجا زهرة الحيوة
الدنيا فعلى تأويله ازواجا زهرة الحيوة الدنيا اي الوانا واصنافا من النبات فذلك زهرة الدنيا وقال بعضهم على غير تقديم
ولكن على سياق ما ذكر في الاية فعلى هذا يكون تأويل الازواج اي وجاهة منهم والله اعلم وقوله عز وجل لنفتنهم فيه
قال اهل التأويل لنبتليهم ولنختبرهم وكان الفتنة هي المحنة التي فيها شدة وبلاء كانه اخبر انه انما متعهم بما متع من زهرة
الحيوة الدنيا ليمتحنهم فيها بالشدائد كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الاية وقال في اية اخرى ونبلوكم بالشر و
الخير فتنة وقال وبلوناهم بالحسنات والسيئات ففي هذه الايات دلالة ان السعة والضيق فيها ليس لفضل اهله
ولا لهوانهم ولكن انما هو محنة يمتحنهم بعضهم بالسعة والرخاء وبعضهم بالشدة والضيق فالمتكلم بان هذا خير من هذا
كلام لا معنى له لما ذكرنا من البيان في قوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ان الزهد في الدنيا وترك التناول منها حلالا
خير من التناول منها حلالا ووضعها مواضعها وقوله عز وجل ورزق ربك خير وابقى اي ما رزقك ربك من النبوة
والرسالة والتوحيد له والايمان به خير وابقى مما متع هؤلاء من الوان زهرة الحيوة الدنيا واصنافها وقال بعضهم
ورزق ربك خير وابقى اي خلفك من ربك خير في الخير في البقاء مما متع به هؤلاء من زهرة الدنيا وهو قول اهل التأويل
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم نزل به ضيف فاستسلف من يهودي طعاما فابى ان يعطيه الا برهن درعه
عنده فنزل قوله لا تمدن عينيك الاية تعزية عن الدنيا لكن لسنا نعرف نزول الاية على ما ذكر انه ان يثبت والله
اعلم وقوله عز وجل وأمر اهلك بالصلاة قال بعضهم اراد باهله قومه وقد يسمى قوم الرسل اهلهم وجائز
ان يكون المراد بالاهل الذين ناهلهم في كانوا في عياله وقوله عز وجل واصطبر عليها اي داوم عليها والزمها
فيه ان الصلوة فرضت على الدوام عليها واللزوم وقوله عز وجل لا نسألك رزقا قال بعضهم لا نسألك جعلا
واجرا على نبوتك ورسالتك وقوله عز وجل نحن نرزقك قال بعضهم لا نسألك الخلق رزقا بل نحن نرزقهم
وقوله عز وجل والعاقبة للتقوى اي لاهل التقوى كقوله والعاقبة للمتقين وقوله عز وجل وقالوا لولا
يأتينا باية من ربه سألوه ان يأتيهم باية من عند ربه على رسالته ونبوته فقال عز وجل اولم تأتهم بينة ما
في الصحف الاولى اي قد اتاهم بينة على رسالته ونبوته ما في الصحف الاولى لان الكتب المتقدمة كانت
بغير لسان رسول الله ولم يكن يعرف الكتابة فضلا من ان يعرف غيرها من الكتب التي كانت على غير لسانه ثم
اخبر عن الانباء التي كانت في الكتب المتقدمة على ما كانت فيها دل انه انما عرف تلك الانباء والقصص التي كانت
في كتبهم بالله تعالى فهذا والله اعلم تأويل قوله اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى اي قد اتاهم على ما ذكرنا وقوله
عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل رسوله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
من الناس من يقول ليس لله ان يعذبهم تعذيب اهلاك قبل ان يبعث رسولا ويحتج بظاهر هذه الاية ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت رسولا وعندنا ان له ان يهلكهم بعذاب قبل بعث الرسول اليهم
لانه تعالى قد اقام عليهم حجة العقل ما لو تأملوا ونظروا فيه لعرفوا وادركوا حق الله عليهم فاذا كان كذلك فكان
اهلاكه اياهم اهلاكا عن بينة وحجة لكنه بفضله ورحمته لا يهلكهم باول اية يرسل عليهم حتى يرسل الايات
افضالا منه ومنة والا كان له اهلاكهم باية واحدة فيكون قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا
كذا انما ذلك لقطع ذلك القول منهم لا ان كان لهم ذلك القول والاحتجاج بذلك ولان قوله ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا كذا يخرج مخرج الامتنان به انه لم يهلكهم قبل بعث الرسل ودل ان له اهلاكهم قبل
بعث الرسول لما ذكرنا من اقامة حجة العقل عليهم والله اعلم وقوله عز وجل قل كل متربص فتربصوا كانوا يتربصون
هلاك رسول الله وانقلاب امره ورسول الله يتربص بهم عذاب الله ومواعيده عليهم قال الحسن قل كل متربص

فتربصوا اي تربصوا انتم مواعيد الشيطان ونحن نتربص مواعيد الله وقوله عز وجل فستعلمون من اصحاب الصراط
السوي ومن اهتدى قوله فستعلمون في الاخرة علم عيان من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى نحن او انتم وفي
الدنيا لو تأملوا ونظروا لعلموا علم استدلال وادراك من اصحاب الصراط السوي قال بعضهم العدل
وقال السوي القيم وفي حرف ابن مسعود وابي ومن اهتدى ومن على الهدى والله اعلم والحمد لله رب العالمين

سورة الانبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله اقترب للناس حسابهم قال الحسن اي محاسبتهم وقوله عز وجل وهم في غفلة معرضون ظاهر هذا
انه نزل في المشركين لانها نزلت بمكة وكان اكثر اهلها اهل شرك لكن لاهل الاسلام في ذلك حظ وشرك
فيما وصفهم بالغفلة عن ذلك والاعراض عنه واهل الاسلام قد يغفلون عن الحساب الا ان غفلة الكفرة غفلة
تكذيب واعراضهم اعراض تكذيب بالحساب والايات التي انزلها عليهم وغفلة اهل الاسلام ليس كذا فقد امنوا
بالحساب وصدقوا باياته وعرفوها لكنهم غفلوا عن الحساب لشهوات مكنت فيهم وغلبت شهواتهم واغفلتهم عنه
من هذه الجهة كاولئك فاما من جهة الايمان به والتصديق بالايات فليسوا كاولئك ثم وصف الحساب
والساعة بالقرب والدنو والاتيان كقوله اقتربت الساعة وقوله اتى امر الله واقترب للناس حسابهم
وامثاله هي قريبة كالاتية عند الله لان الله تعالى عرف جملة الاوقات فهي في جملة ما عرف قريبة كالاتية واما
الخلق فانهم قد يستبعدونها لانهم انما يقدرون ذلك باجالهم واعمارهم وما خلوا اعمارهم فهو عندهم
بعيد ليس بقريب وهذا انما يكون بعد ذهاب اعمارهم وقال قتادة ذكر انه لما نزلت هذه الاية اقترب للناس حسابهم
واتى امر الله فلا تستعجلوه قال ناس من اهل الضلال يزعم هذا الرجل ان القيامة قد اقتربت فتناهوا قليلا ثم
عادوا الى اعمالهم وكذلك قالوا في قوله اتى امر الله تناهوا عنها شهرا فلما تأخر ذلك عنهم عادوا الى ما كانوا من قبل
هذا لانهم فهموا من قرب الساعة واتيان امره وقتا بقرب ومدة توافقا فلما مضى ذلك وقع عندهم ان الخبر كذب
فكذبوه لانهم انما قدروه باجالهم وما عرفوا هم من القرب والدنو وقوله وهم في غفلة معرضون ما ذكرنا
من غفلة تكذيب واعراض تكذيب بعد ما عرفوا انها ايات الله والله اعلم وقوله عز وجل ما يأتيهم من ذكر
من ربهم محدث قوله من ذكر ما يذكرهم ما يأتون وما يتقون او ما يذكر ما وعدوا وخوفوا
او من ذكر يذكرهم ما لهم وما عليهم وقوله محدث قال بعضهم محدث محكم احكمه من ان يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه واحكمه لما اعجز الخلق عن ان يأتوا بمثله وقال بعضهم محدث لان الله انزل هذا القرآن
بالتفاريق واحدث انزاله في كل وقت على قدر الحاجة فعلى ما نزل بالتفاريق احدثوا هم الكفرة تكذيبه
ورده على ما ذكر فزادتهم رجسا الى رجسهم ونحوه فهو محدث من الوجوه التي ذكرنا لان كل موصوف
بالاتيان فهو محدث وقوله عز وجل الا استمعوه وهم يلعبون دل قوله الا استمعوه وهم يلعبون
ان استماعهم اياه استماع استهزاء به وقوله عز وجل لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا
بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الذي اسروا فيما بينهم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر هذا
كان نجواهم وقوله لاهية قلوبهم قيل غافلة قلوبهم عن الذكر واسروا النجوى الذين ظلموا الذي اسروه هو ما ذكر
قولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون السحر وفي حرف ابن مسعود وابي واسروا النجوى الذين
كفروا منهم وقال الكسائي وفي بعض الحروف واسروا النجوى الذين ظلموا قال وفي حرفنا واسروا النجوى ثم اخبر
عز وجل عنهم خبرا مستأنفا فقال الذين ظلموا كقول الله تعالى ثم عموا وصموا ثم قال كثير منهم وهذا على كلامين
والله اعلم وقوله عز وجل قل ربي يعلم القول في السماء والارض يشبه ان يكون قوله يعلم القول في السماء والارض
القول الذي اسروا فيما بينهم هل هذا الا بشر مثلكم وقوله افتأتون السحر وانتم تبصرون وقوله اضغاث
احلام بل افتراه بل هو شاعر وامثال ما قالوا فيه ونسبوه اليه اي قل لهم ربي يعلم ذلك القول منكم في السماء والارض
لينتهوا عن ذلك لانه من يعلم في الشاهد ان احدا يطلع على جميع ما يختاره من القول والفعل ترك ذلك وامتنع عن التفوه
به والاقدام على ما يختاره او ان يكون قال ذلك على الابتداء والاتيان فانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء
وهو السميع العليم السميع لقولهم العليم بافعالهم ثم اخبر عن سفههم وقلة نظرهم في قولهم وكلامهم وحفظهم
عن التناقض فقال بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فيما نسبوه الى الشعر والسحر والافتراء وانه اضغاث
احلام تناقض في قولهم لان السحر هو غير الافتراء والسحر غير اضغاث احلام كل حرف من هذه الحروف التي نسبوا
اليه يناقض الاخر ويبطله فدل انهم انما قالوا ذلك ونسبوه اليه ما نسبوا متعنتين مكابرين لا عن معرفة وعلم قالوا
ذلك اذ تناقض قولهم وكلامهم اذ السحر لا يدوم ولا يبقى في وقت اخر فاذا عرفوا وعلموا انه دام وبقي
الى اخر الدهر وكذلك ما قالوا من اضغاث احلام والافتراء اعني ما اتى رسول الله به وبعد فانه لو كان ما
اتاهم به سحرا كان ذلك اية وعلامة على صدقه ونبوته لان السحر لا يعرفه احد الا بالتعلم فاذا لم ينشأ بين
اظهرهم ولم يكن في قومه ساحر حتى يتعلم منه ولا اختلف الى احد من السحرة يتعلم منهم السحر ثم اتى به لكان

ذلك يدل على انه انما عرف ذلك بالله تعالى فكيف وقد اتاهم بالحجج المنيرة الواضحة والايات المعجزة الخارجة عن
وسع البشر وطوقهم لكنهم كابروا وعاندوا في ردها وتكذيبها والله الموفق وقوله فليأتنا باية كما ارسل الاولون
قد علموا علم حقيقة انه قد اتاهم بايات وحجج ما لو تاملوا فيها ولم يكابروا لدلهم على صدقه ورسالته وقد عرفوا
انه صادق لكنهم سالوا في قولهم فليأتنا باية الاية التي تنزل عند المكابرة والعناد وهي الاية التي نزلت في الامم الخالية
عند مكابرتهم الايات والحجج وهو اهلاكهم واستيصالهم اذ من سنته وحكمه في الاولين الاهلاك والاستيصال
عند مكابرتهم الايات والحجج وسننه وحكمه في هذه الامة ختم النبوة بهم وابقاء شريعة محمد صلوات الله عليه الى الساعة
وسننه في الامم الماضية نسخ شرايعهم واستيصال احكامهم فاذا كان ما ذكرنا جعل وقت اهلاكهم الساعة
موعدهم الاية وقوله عز وجل ما امنت قبلهم من قرية اهلكناها اي ما امنت قبلهم من قرية سالوا الاية سؤال
مكابرة وعناد وقوله عز وجل افهم يؤمنون اي لا يؤمن هؤلاء واذا اتاهم باية فانهم لا يؤمنون كما لم يؤمن
اولئك المتقدمون لانهم يسالون سؤال عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد واستهداء وقوله عز وجل وما ارسلنا
قبلك الا رجالا نوحي اليهم كان هذا خرج جوابا لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون وجواب
قولهم ابعث الله بشرا رسولا وجواب قولهم لولا انزل عليه ملك فقال وما ارسلنا قبلك الا رجالا اي بشرا نوحي
اليهم الى عامة الخلق اي الرسالة في الامم الذين من قبله الى عامة الخلق كانت في البشر لم تكن في الملئكة والا كانت
الرسالة الى الخواص في الملئكة وهم الرسل فعلى ذلك لا تجعل الرسالة في هذه الامة الى عامة الخلق في الملئكة ولكن
تجعل في البشر على ما جعل في الامم الاولى في البشر وجائز ان يكون قوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم اي جعلها
في الذكور منهم لم يجعلها في النساء والاناث لما لم يستكملن شرائط الرسالة والنبوة فكان الاول في بيان الجنس اي لم
يجعل الرسالة الى عامة الخلق الى الملئكة ولكن جعلها في البشر والثاني في بيان استكمال شرائط الرسالة واستحقاقها
وفي حرف ابن مسعود وابي وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فعلى حرفهما كان خاطب به اولئك الكفرة اي ما ارسلنا
قبل محمد الا رجالا نوحي اليهم وفي القراءة الظاهرة المشهورة يكون الخطاب لرسول الله اي قل لهم انه ما ارسل الله
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وقوله فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال بعضهم انما خاطب به مشركي العرب
وامرهم ان يسالوا اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالرسل المتقدمة ليخبروكم انه لم يجعل الرسالة فيهم الى
عامة الخلق الا في البشر وقال بعضهم انما خاطب به من كفر من اهل الكتاب من لا يعرف الكتاب وغيره يقول ان
سالوا اهل الذكر اي من امن منهم ليخبروكم ان محمدا رسول الله اليكم ان كنتم لا تعلمون انه رسول الله خاصة
والتاويل الاول في جميع الرسل وقوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام قال بعضهم ما جعلناهم اجسادا
لا ارواح فيها لا ياكلون ولا يشربون ولكن جعلناهم اجسادا فيها ارواح ياكلون ويشربون ويمشون في الاسواق
وجائز ان يكون قوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون من نحو الملئكة والجن ولكن جعلناهم بشرا وحاصله انهم
كانوا يطعنون الرسل باشياء مرة قالوا ابعث الله بشرا رسولا وقالوا هل هذا الا بشر مثلكم ونحوه كانوا لا يرون
الرسالة في البشر ولا يرون الرسول يكون من نوع المبعوث اليه فالزمهم ان الرسل الذين كانوا من قبل الذين صدقهم
اباؤهم وامنوا بهم كانوا من البشر بقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم ومرة طعنوا الرسل انهم ياكلون
الطعام ويشربون وينكحون ويمشون في الاسواق كغيرهم من الناس كقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي
في الاسواق ونحوه فالزمهم عز وجل واخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا ياكلون ويشربون ويمشون
ويقضون حوائجهم حيث قال وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا وما قال في اية اخرى
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم هو كسائر الرسل
الذين كانوا من قبل هو ممن ياكل ويشرب وينكح وهو رسول وانه بشر كسائر الرسل وهو رسول الله على هذا يخرج
تاويل الاية وهذه الاية ترد على الباطنية قولهم ومذهبهم لانهم يقولون ان الرسالة لا تكون في الجوهر
الكثيف الجسداني الذي ياكل ويشرب ويبيد انما يكون في الجوهر البسيط الذي لا ياكل ولا يشرب ولا يبيد ولا يفنى
فاخبر عز وجل انه لم يجعلهم جسدا لا ياكلون الطعام ولا يبيدون بل جعلهم اجسادا ياكلون ويموتون
بقوله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين وقوله عز وجل ثم صدقناهم الوعد اخبر
انه وعد الرسل وعدا لكنه لم يبين ما كان ذلك الوعد الذي وعد رسله لكن في اخره بيان ان الوعد الذي
وعدهم كان وعد اهلاك وتعذيب لانه قال فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين دل قوله فانجيناهم
ومن نشاء واهلكنا المسرفين ان الوعد كان وعد اهلاك فيقول كان وعد عز وجل لرسل الذين من قبل من
اهلاك من كذبهم فكان كما وعد وان تاخر ذلك الموعود من وقت الوعد فعلى ذلك ما وعدكم محمد من العذاب
فانه نازل بكم وان تاخر نزوله والله اعلم وقوله عز وجل لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم يحتمل قوله ذكركم
ما يذكركم ما تاتون وتتقون او يذكركم ما لكم وما عليكم وقال بعضهم فيه ذكركم اي شرفكم ونبلكم لو اتبعتم
وقال الحسن في قوله فيه ذكركم اي فيه دينكم الذي امسك عليكم به وقال غيره فيه شرفكم ونبلكم لو اتبعتموه
كقوله وانه لذكر لك ولقومك اي شرف لك وقوله عز وجل وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة قصمنا اهلكنا
واصل القصم الكسر يخوف مكة بتكذيبهم محمدا ما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل وقوله عز وجل وانشانا

من بعدها قوما اخرين وقوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون قوله احسوا قال بعضهم علموا بالعذاب
اذا هم يركضون اي يفرون ويهربون وقال بعضهم يعدون وهو واحد وقوله عز وجل لا تركضوا وارجعوا
الى ما اترفتم فيه اي نعمتم فيه ومساكنكم مثل هذا يخرج مخرج الاستهزاء بهم وقوله عز وجل لعلكم تسالون
قال بعضهم تعذبون وقال بعضهم تحاسبون وقال بعضهم لعلكم تسالون الايمان كما كنتم تسالونه قبل نزول
العذاب وقيل لعلكم تسالون عن قتل نبيكم لانهم قتلوا نبيهم تسالون فيما قتلتموه وقال بعضهم كان
هذا في نازلة والله اعلم تلقتهم الملئكة وهم هاربون فارون فقالوا لهم لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم
فيه ومساكنكم لعلكم تسالون استهزاء بهم وقال بعضهم لعلكم تسالون تفقهون قال ابو عوسجة هم
اضغاث احلام قال الضغث ما لا تاويل له ويقال حلم واحلام ويقال حلم يحلم حلما فهو حالم اذا راى
حلما اي شيئا في النوم واحتلم يحتلم لا يكون مثل حلم يحلم ويقال من الحلم حلم حلما فهو حليم ويقال حلمته اي
جعلته حليما والافتراء الكذب والشاعر انما سمي شاعرا لانه يشعر من الكلام ما لا يشعر به غيره والقصم
الكسر والمراد منه الهلاك قصم غيره وانقصم بنفسه اي انكسر وقال احسوا اي استيقنوا بعذابنا
ويقال احسست اي وجدت واحسست علمت واستيقنت ويقال احسست قطعت وتحسست اي تخبرت
والمحسة الفرجون وقال يركضون يهربون الى ما اترفتم فيه اي نعمتم ووسعتم ولا تراف الاكرام
وقال ابو عبيدة يركضون يعدون وقوله لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسالون ليس
على الامر ولكن اي لو رجعتم الى ما اترفتم فيه وكذلك قل سيروا في الارض فانظروا وكذا ليس على الامر ولكن
لو سرتم فانظروا وكذا فعلى ذلك قوله ارجعوا الى ما اترفتم فيه اي لو رجعتم لعلكم تسالون من قبل فيخرج ذلك
مخرج الاستهزاء جزاء لصنيعهم والله اعلم وقوله عز وجل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين يقرون يومئذ بالظلم
لكن لا ينفعهم ذلك ويندمون على سوء صنيعهم فيطلبون العود الى الدنيا هم كقوله يا ليتني قدمت لحياتي
وقوله عز وجل فما زالت تلك دعويهم اي ما زالت تلك اي قولهم يا ويلنا انا كنا ظالمين دعويهم حتى جعلناهم
حصيدا خامدين فان كان هذا القول منهم في الدنيا فيكون قوله حتى جعلناهم حصيدا خامدين بالقتل بالسيف
والاهلاك وان كان ذلك في الاخرة فيكون قوله حصيدا خامدين في النار في الاخرة والله اعلم وحصيدا
اي هالكا وهو محصود وخامدين كما يقال خمدت النار اذا طفئت وقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما لاعبين اخبر انه لم يخلق السماء والارض وما بينهما لتكون سماء وارضا على ما هما عليه ثم تفنيان وتبيدان
ولكن خلقهما لعاقبة قصدها وهو ان يمتحن اهلها لان من عمل في الشاهد عملا لا يقصد به عاقبة يامل ويرجو
ما فهو في عمله عابث لاغ ولو كان على ما عند اولئك الكفرة بان لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا ثواب
لكان انشاؤها وما بينهما باطلا لعبا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير عدم الرجوع
اليه خلقهم عبثا باطلا وقال الحسن لم يخلقهما عبثا ولكن خلقهما لحكمة من نظر اليهما دالا على وحدانية
منشئهما وسلطانه وقدرته وحكمته وعلى علمه وتدبيره وقوله عز وجل لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من
لدنا قال بعضهم لهوا اي زوجة لكن هذا بعيد لانه احتج عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة بقوله انى يكون
له ولد ولم تكن له صاحبة فلولا انهم اقروا وعرفوا ان لا صاحبة له والا لم يكن للاحتجاج عليهم على نفي الولد بنفي الصاحبة
معنى ويكون قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا اي ولدا لان الناس يتلهون بالولد فسماه لهوا لذلك قال لاتخذناه
من لدنا ان كنا فاعلين هذا يخرج على وجهين احدهما لاتخذناه من لدنا بحيث لا يبلغ افهامكم ولا يدرك علمكم
لان الولد يكون من جنس الوالدين ومن شكلهما وسبيل معرفته وعلمه الاستدلال الحسي فاذا لم يعرفوا هو
بالحسي فكيف يعرفون من هو يكون منه لو كان والثاني ان الغائب انما يعرف بالاستدلال بالشاهد فلو كان
له الولد على ما تزعمون لكان لا يعرف لانه لا صنع للولد في الشاهد اذ هو الواحد المتفرد بانشاء العالم فيذهب
معرفة الولد ادراككم لو كان على ما تزعمون وقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ليس على انه يحتمل ان يكون
له الولد او ان يحتمل ان يتخذ ولدا ولكن لو احتمل ان يكون لم يحتمل ان يدرك ويعلم وكذلك يخرج قوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ليس انه يحتمل ان يكون فيهما الهة ولكن لو احتمل ان يكون فيهما الهة لفسدتا
وقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل يشبه ان يكون الحق الذي اخبر انه يقذف على الباطل القران الذي انزله على
رسوله والرسول نفسه او الايات التي جعلها لوحدانيته والوهيته فيدمغه اي يبطل ذلك الذي قالوا في الله
ما قالوا من الولد والصاحبة وغيره مما لا يليق به فاذا هو زاهق اي هو ذاهب متلاش وقوله ولكم الويل مما
تصفون من الولد والصاحبة وجميع ما وصفوه مما لا يليق به وقوله وله من في السموات والارض كانه
ذكر هذا جوابا لقولهم وردا على وصفهم اياه بالذي وصفوه فقال وله من في السموات والارض
اي له من في السموات والارض كلهم عبيده واماؤه ولا احد في الشاهد يتخذ لنفسه ولدا من عبيده
واماءه فاذا لم تروا هذا في الخلق انفاس ذلك واستنكافا فكيف قلتم ذلك في الله سبحانه واضفتم اليه او ان
يخبر غناه عن الخلق بان له من في السموات والارض والولد في الشاهد انما يطلب لحاجة تمس فاذا كان الله
سبحانه تعالى غنيا بذاته بما ذكر ان له كذا لا حاجة تقع له الى الولد تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله

ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يشبه ان يكون ذكر هذا لقولهم الملائكة بنات الله فاخبر
انهم ليسوا كما وصفتم ولكنهم عبيد لي فمن لا يستكبرون عن عبادتي ولا يفترون او ان يكون ذكر هذا لمكان من عبد
الملائكة واتخذهم آلهة دونه فاخبر انهم لا يستكبرون عن عبادتي ولا يفترون ولم يدعوهم الى الوهية لانفسهم
فكيف نسبتم الالوهية اليهم وعبدتموهم دوني او ان يكون قال ذلك انكم ان استكبرتم عن عبادتي فلم يستكبر عنها
من هو ارفع منزلة واعظم قدرا منكم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ينزهون الله ويبرؤنه عما وصفه الملحدة من الولد
وجميع ما قالوا فيه مما لا يليق به وهذه الآية تنقض قول المعتزلة ومذهبهم حيث قالوا ان الاعمال لا نفسها متعبة
منصبة ولو كانت الافعال لا نفسها متعبة على ما ذكروا لكان البشر والملائكة فيها شرعا سواء فلما اخبر عنهم انهم
لا يعيون ولا يفترون ولا يتعبهم العبادة دل انها صارت متعبة لصنع غيرها لا لانفسها وهذه المسألة في خلق
افعال العباد هم ينكرون خلقها ونحن نقول هو خلق الله عز وجل كسب للعباد وقد ذكرنا هذا في غير موضع كلاما
كافيا قال ابو عوسجة فيدمغه اي يبطله وقال غيره يهلكه وهو من قولك ضربت الرجل فدمغته اذا وصلت الضربة
الى الدماغ واذا كان كذلك مات فكذلك يدمغ الحق الباطل اي يهلكه وقوله فاذا هو زاهق اي ذاهب وميت زهق
اذا مات وهلك والزاهق في غير هذا السمين ولا يستحسرون اي لا يعيون ومنه حسير ومحسور ايضا لا يفترون
والفتور الاعياء ايضا **وقوله** ام اتخذوا آلهة من الارض قوله ام اتخذوا استفهام في الظاهر من الخلق لكن ذلك
من الله على الايجاب كانه قال قد اتخذوا آلهة وهكذا كل ما خرج في الظاهر من الله على الاستفهام فانه على الايجاب
لانه عالم بما كان ويكون لا يخفى عليه شيء واما الخلق فانه يجوز ان يستفهم بعض من بعض لما يخفى على بعض امور بعض
فيطلب بعضهم من بعض العلم والفهم بذلك والله الموفق **وقوله** هم ينشرون وجهين احدهما هم ينشرون اي يخلقون
اي اتخذوا آلهة لا يخلقون كقوله خلقوا كخلقه وكيف اتخذوا آلهة لا يخلقون وانما يعرف الاله بالخلق وبآثار
تكون في الخلق فاذا لم تكن من هؤلاء خلق كيف اتخذوها آلهة والثاني هم ينشرون اي يبعثون ويحيون فان كان
على البعث والاحياء فكانه يقول كيف اتخذوا من لا يملك البعث والاحياء آلهة وخلق البعث والاحياء بعد الموت
يخرج على غير الحكمة في الظاهر لان من بناء في الشاهد بناء للنقض خاصة لا لعاقبة يقصده به كان غير حكيم في فعله
عابثا في بنائه وكذلك قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل خلق الخلق لا للرجوع اليه عبثا فيخرج
هذا على وجهين ام اتخذوا آلهة اي قد اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون اولم يتخذوا آلهة من الارض هم
يملكون النشر والنشور والله اعلم وقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة
لو كان فيهن آلهة غير الله لفسدن ثم يحتمل قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وجوها احدها لفسدتا
اولم يكونا من الاصل لان العرف في الملوك ان ما بنى هذا واثبته يريد الآخر نقضه وافناءه فلم يثبتا ولم يكونا
من الاصل لو كان لعدد والثاني لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لم يكن منافع احدهما متصلة بمنافع الاخرى
للخلق اذ منع كل واحد منهم منافع ما خلق هو من ان تتصل الى الاخرى فاذا اتصلت منافع احدهما بالاخرى دل
انه صنع واحد وتدبير واحد لا عدد والثالث لو كان عددا لكان لا يخرج تدبيرهما على حد واحد في كل
عام فاذا اتسق التدبير وجرى الامر في كل عام على سنن واحد دل انه تدبير واحد لا عدد اذ لو كان لعدد لكان
يختلف الامر في كل عام ولم يتسق على سنن واحد ولا جرى على امر واحد وقال بعضهم لفسدتا هو قوله ما اتخذ
الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض على ما هو من عادة ملوك
الارض **وقوله** فسبحان الله رب العرش عما يصفون من الولد والشريك **وقوله** لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
هذا يحتمل وجوها انه لا يسأل لان ما يفعل يفعل في ملكه وسلطانه وانما يسأل من فعل في سلطان غيره وملك غيره
ففي ذلك دلالة انه لا يجوز التناول في شيء الا بالامر والاباحة من مالكه فيبطل قول من يقول هو على الاطلاق
والاباحة في الاصل والثاني لا يسأل عما يفعل لانه حكيم بذاته لا يخرج فعله عن الحكمة فانما يسأل من يحتمل فعله
السفه فاما من لا يحتمل فعله الا الحكمة فانه لا يحتمل السؤال لم فعلت ولماذا فعلت ولماذا فعلت
والثالث لو احتمل السؤال عما يفعل لاحتمل الامر والنهي ان افعل كذا ولا تفعل كذا وذلك محال ولو ثبت الامر فيه
لكان يخرج سؤاله سؤال حاجة لان من يأمر من فوقه بامر فانما يكون امره سؤال حاجة ومن يأمر من دونه
فيكون امره امرا **وقوله** ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم فيه دلالة لزوم الدليل على المثبت لانه
لما قال هاتوا برهانكم كان لهم ان يقولوا هات انت البرهان على ما ادعيت من الالوهية ونحن ننكر ذلك فلما
لم يكونوا يقولون ذلك دل ان الدلالة تلزم المثبت **وقوله** هذا ذكر من معي وذكر من قبلي قال بعضهم هذا القرآن
فيه ذكر من معي من الحلال والحرام امرهم وذكر من قبلي اي فيه ذكر اعمال الامم السالفة واخبارهم وما صنع
الله بهم الى ما صاروا اليه او ان يكون قوله هذا ذكر من معي اي خبر من معي وخبر من قبلي فيكون فيه دليل رسالته
لانه اخبر عن انباء الامم السالفة واخبارهم على ما ذكرت في كتبهم من غير ان علم ما في كتبهم تعلم منهم
او نظر كان منه فيها ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله ويشبه ان يكون تأويل قوله هذا ذكر من معي وذكر من
قبلي ما ذكر وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اي هذا ذكر من معي و
ذكر الرسل من قبلي ومن معهم اي هذا الذكر ارسلني الى من معي وارسل الذين من قبلي الى قومهم والله اعلم

وقوله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كذلك كانوا لا يعلمون الحق باعراضهم عنه **وقوله** وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون اخبر انه لم يرسل رسولا من قبل الا بما ذكر من قوله
انه لا اله الا انا فاعبدون ثم يحتمل قوله فاعبدون اي وحدوني في الالوهية لا تصرفوا الالوهية الى غيري
ولا تشركوا من دوني في الوهيتي او ان يكون قوله فاعبدوني اي الي فاصرفوا العبادة التي ولا تصرفوا العبادة
الى من دوني والله اعلم **وقوله** وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون دل قوله بل عباد مكرمون
انهم لم ينسبوا الولد اليه ولا قالوا ذلك انه اتخذ ولدا على حقيقة الولاد ولكن قالوا ذلك على الصفوة والاصطفاء
بما اصطفوا ونسبوا اليه لانه اخبر ان الذين قالوا انه ولد من نحو عيسى وعزير والملائكة ليسوا كما وصفوا ولكنهم
عباد مكرمون ثم اخبر بما اكرمهم فقال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون اخبر انهم لا يتقدمونه
في قوله ولا فعل الا باذن منه وامر او ان يكون قوله لا يسبقونه بالقول اي لا يأمرون بشيء ولا ينهون
عن شيء الا باذن من الله وامره والله اعلم **وقوله** يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم هذا قد ذكرناه في سورة طه
وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال في آية اخرى اي لا يؤذن لاحد بالشفاعة الا من كان مرضيا مرتضى دينا
وعملا ويتوجه قوله الا لمن ارتضى الى المشفوع له الا لمن ارتضى عنه الرب مذهبا وعملا حتى لم يدخل في عمله
تقصير ثم الشفاعة انما جعلت في الاصل للتجاوز فيما دخل في العمل من التقصير ثم لا يخلو الذي يشفع له اما ان يكون
صاحب الصغيرة فيجوز ان يعذب عليها فان يكون صاحب كبيرة ففيه دلالة التجاوز والعفو عن صاحب الكبيرة
لانا قد قلنا ان الشفاعة انما جعلت لما منه التقصير في العمل ففيه دلالة نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان صاحب
الصغيرة معفو عنه الصغيرة حتى لا يجوز ان يعذب عليها وصاحب الكبيرة لا يجوز العفو عنه التجاوز بل هو معذب
ابدا **وقوله** وهم من خشيته مشفقون هذا والله اعلم كانه صلة قوله لا يسبقونه بالقول الآية اي من خشية عذابه
وهيبته لا يتقدمون بقول ولا فعل ولا امر ولا نهي خوفا منه وهيبة والله اعلم **وقوله** ومن يقل منهم اني اله
من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين هذا كانه منقطع عما سبق وتقدم ذكره غير موصول به لان ما سبق
هو القول منهم انه اتخذ الرحمن ولدا فلو كان على اتصاله بالاول لكان يقول ومن يقل منهم اني ولد له لانهم قالوا اتخذ الرحمن
ولدا ولم يقولوا انه اتخذ الرحمن الها فلو كان على الصلة بالاول والجواب له فهو يخرج على الجواب لهم ومن يقل منهم
اني ولد له لكن كانهم كانوا فرقا منهم من قال اتخذ ولدا ومنهم من عبد دونه الملائكة واتخذهم آلهة فخرج هذا
جوابا لذلك فقال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الآية فان قيل لنا في قوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون وقد عبد عيسى دونه وعبد الملائكة دونه فيكون حصب جهنم
على ظاهرها ذكر قلنا انا وقيل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم اي انكم وما تعبدون من دون
الله بامر الذين عبدوا او قالوا لهم اعبدونا حصب جهنم دليله ما ذكر في الآية ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي المشركين الظالمين ههنا المشركين الكافرين نعمه قال الحسن في قوله ومن يقل منهم اني اله
من دونه لا يحتمل ان يكونوا يقولون ذلك لما وصفهم بالطاعة له وترك الخلاف لامره لكنه ذكر هذا ليعلم الخلق ان من
قال ذلك وان عظم قدره عنده وجلت منزلته انه يجزيه بما ذكر انه يستوجب لذلك ولكن عندنا المعصية من
الملائكة ممكن محتمل دليله قوله ومن يقل منهم اني اله من دونه ولانه قد مدحهم بقوله لا يعصون الله ما امرهم
الآية وقوله لا يستكبرون عن عبادته الآية فدل ذلك كله على انهم مختارون في ذلك غير مجبولين عليه وقال
بعضهم من اهل التأويل ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم هو ابليس هو كان منهم وهو الذي قال ذلك
اني اله من دونه فاعبدوني والله اعلم **وقوله** اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قوله
اولم ير يخرج على وجوه احدها ان اعلموا وقدروا ان السموات والارض كانتا كذا والثاني لو تفكروا وتأملوا لعلموا
انهما كذا والثالث على التنبيه ان قدروا وعلموا انهما كانتا كذا وكذلك هذا في كل ما ذكر من قوله او لم تروا
الى كذا والم تر الى كذا فهو كله يخرج على هذه الوجوه ثم يكون قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وجعلنا في
الارض رواسي وجعلنا فيها فجاجا سبلا وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهو الذي خلق الليل والنهار
والشمس والقمر كل هذا كان في قوله اولم ير الذين كفروا كانه يقول ولم يروا كذا ما جعلنا لهم من انواع ما
ذكر ثم ذكر هذا لهم يكون لوجوه احدها ان يذكر نعمه عليهم حيث اخبر ان السماء والارض كانتا رتقا ففتق
منهما ليصلوا الى حوائجهم وشهواتهم ومنافعهم التي جعلت لهم في البلاد والثانية وذكر
نعمه ايضا في حفظ السماء عن ان تسقط عليهم على ما اخبر انه يمسكها هو بقوله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا وذكرهم ايضا نعمه فيما جعل لهم من الليل والنهار وفي الشمس والقمر من المنافع يتأدى بذلك كله الشكر
على ما انعم عليهم او ان يذكرهم بهذا قدرته وسلطانه ان من قدر على فتق السماء من الارض وجعل حياة كل شيء
في الماء وامساك السماء وحفظها عن ان تسقط بلا عمد وما ذكر من خلق الليل والنهار وقطع الشمس والقمر بيوم
واحد مسيرة خمسمائة عام ان من قدر على كل ما ذكر لقادر على بعثهم واحيائهم بعد الموت وبعد ما صاروا
ترابا او ان يذكرهم غناه بذاته وملكه ان من كان هذا سبيله فاني يقع له الحاجة الى اتخاذ الولد والشريك
والصاحبة ردا على ما قالوا اتخذ الله ولدا وما اتخذوا من دونه آلهة ونحوه ويبين فساد ذلك كله وبطلانه

حيث قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقوله ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ونحوه يبين بهذا كله
فساد ما ادعوا على الله انه اتخذ كذا ثم اختلف فى قوله كانتا رتقا قال بعضهم فتق السماء بالمطر والارض بالنبات
فتق السماء وهى اشد الاشياء واصلبها بالين شيء وهو الماء وكذلك الارض فتقها بالين شيء وهو النبات مع شدتها
وصلابتها وهو ما ذكرنا من لطفه وقدرته وقال بعضهم كانتا رتقا ملتزقين ففتقهما وجعل بينهما هواء مكانا للخلق
وقال بعضهم كانت السماء واحدة والارض كذلك فجعل من السماء سبعا فكذلك فتقه اياهما والله اعلم وقوله وجعلنا
من الماء كل شيء حى قال بعضهم الماء نطفة نطفة الرجال منه يخلق الخلائق وقال بعضهم وجعلنا من الماء الذى يخلق فى الارض
او انزل من السماء حيوة كل شيء يعلم حيوة خلائق الارض بهذا الماء ولكن لا يعلم حيوة اهل السماء بما ذا والله اعلم
وقوله وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم هذا يدل ان الارض لم يكن من طبعها فى الاصل التسفل والتسرب فى الماء
على ما قاله بعض الناس لانه لو كان طبعها التسفل والتسرب لكان الجبال تدبر التسفل فى الماء والتسرب فاذا لم يكن دل
ان طبعها كان الاضطراب والزوال والتحرك والميد باصلها فى التسفل والتسرب ولكن على ما ذكرنا فاثبتها بالجبال
وان كنا نشاهد بعض اجزائها انها تسفل وتسرب وهذا كما نقول ان بعض العالم متعلق ببعض وانه لا يخلو عن مكان
وكل العالم لا تعلق له به ولا له مكان اخذ له فعلى ذلك الارض وان كان طبعها التسفل والتسرب جعلها بحيث
تقر وتسكن بشيء طبعها التسفل ايضا باللطف وقوله وجعلنا فيها فجاجا سبلا قال بعضهم الفجاج والسبل واحد وهى
الطرق التى جعلنا فى الجبال وقال بعضهم الفجاج السعة والفسحة والسبل الطرق وقال بعضهم الفجاج هى الطرق التى
فى الجبال والسبل هى التى فى المفاوز وقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا قال بعضهم محفوظا اى محبوسا عن
ان تسقط عليهم وقال بعضهم محفوظا من الشياطين او صار محفوظا منهم حتى لا يستمعوا كلام الملائكة بعد ما
كانوا يستمعون من قبل والله اعلم وقوله وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون قال
بعضهم استدارة السماء وقيل الفلك المجرى والسرعة وقيل الفلك فلك كفلكة المغزل وهو دوران وكذلك فلكة الطاحونة
هو ما يدور به الطاحونة وهى الحديدة التى يدور بها الطاحونة وقالوا ان الفلك هو استدارة وكل شيء دار فهو
فلك وهو ما ذكرنا وقوله يسبحون قال بعضهم يجرون وقال بعضهم يسبحون يعلمون وكذلك روى فى حرف عبد الله
كل فى فلك يعلمون وظاهر الاية ان يكون هنالك بحر او نهر فيه تجرى الشمس والقمر وفيه تغربان ومنه تطلعان
لانه قال فى فلك يسبحون والسباحة هى المعروفة عند الناس وهو ما يسبح فى بحر او نهر هذا ظاهر الاية
وعلى ذلك جاءت الاخبار وروى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خلق الله بحرا دون سماء
الدنيا مقدار ثلاث فراسخ فهو موج مكفوف قائم فى الهواء بامر الله تعالى لا يقطر منه قطرة والبحور كلها
ساكنة وذلك البحر جار فى سرعة السهم ثم انطباقه فى الهواء مستويا كانه حبل ممدود ما بين المشرق
والمغرب فتجرى الشمس والقمر والخنس فى ذلك البحر فذلك قوله كل فى فلك يسبحون والخنس هى التى تخنس
بالنهار وتجرى بالليل والفلك دوران العجلة فى لجة غمرة ذلك البحر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى
نفسى بيده لو بدت الشمس من ذلك البحر لحرقت كل شيء فى الارض حتى الصخور ولو بدا القمر من ذلك البحر لافتتن به
اهل الارض كلهم يعبد ونه من دون الله الا من عصمه الله وفى بعض الاخبار الفلك ما مكفوف تجرى فيه الشمس
والقمر والنجوم والليل والنهار ويقال الشمس والقمر والليل والنهار كله دون السماء عليه ويدير الفلك ومثل
هذا قد قيل فيه والله اعلم بذلك وظاهر الاية فى الخبر ما ذكرنا ان الشمس والقمر هما اللذان يجريان ويسبحان فى ذلك
الماء وعلى تاويل بعضهم انهما على حالهما لا يجريان لكن الفلك هو يجرى فيظهران ويبدوان فى وقت ويختفيان
فى وقت ويختفيان فى وقت اخر ولو كانا هما اللذان يجريان لكانا على حالة واحدة ويظهران فى الاحوال كلها
لكنا لا نعلم ذلك الا بالخبر عن الله انه كذلك والله اعلم وقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون
افان مت فهم الخالدون كان هذا خرج جوابا لقول اولئك الكفرة فى رسول الله صلوات الله عليه والاشبه
ان يكون ما اصابهم من الشدائد والفتن والهلاك كانوا يتشأمون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون
به ان ذلك انما يصيبهم به وقالوا لولاه هو ما يصيبنا من ذلك شيء فقال جوابا لهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد بل
حكمه ان يموت الكل على ما اخبر كل نفس ذائقة الموت فاذا لم يكن لاحد من قبلك الخلد بل كلهم قد ماتوا كيف
يتشأمون بك ان ذلك انما يصيبهم بسببك وبشومك افان مت فهم الخالدون اى وان مت انت وتخرج من بينهم
لا يخلدون هم فيها لان من حكمه ان كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون قد ذكرنا تاويله
فيما تقدم فى غير موضع وقوله واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذى يذكر الهتكم كان رسول
الله صلى الله كان يذكر الهتهم بسوء ويعيبها فيهزؤن به مكان ما يعيب هو الهتهم ويقولون اهذا الذى يذكر
الهتكم ثم يحتمل ان يكون هذا من القادة منهم والرؤساء اغراء لاتباعهم عليه انه يذكر الهتكم بسوء او ان
يقول بعضهم لبعض اذا ضلوا عنه كقوله واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم الاية وقوله وهم بذكر الرحمن
هم كافرون قال بعضهم كانوا يقولون لا نعرف ما الرحمن فيكفرون باسم الرحمن ويحتمل ان يكون قوله بذكر الرحمن
بنعمة الرحمن وهو محمد عليه السلام اى يكفرون بنعمته او ان يذكر هذا ليصبر رسوله ويعزيه على تكذيبهم للبس
اياديك اليهم باكثر من ايادى الرحمن فهم يكفرون به ويكذبونه ويقولون فيه ما يقولون فاصبر انت على اذاهم

وما قالوا فيك والله اعلم وقوله خلق الانسان من عجل وقال فى اية اخرى وكان الانسان عجولا قال الحسن
عجولا اى ضعيفا وضعفه هو ان يضيق صدره ويحرج عند اصابة اذى فى شيء حتى يحمله ضيق صدره على ان
يدعو على نفسه وعلى محبيه بالهلاك لضيق صدره وذلك لضعفه فيه وعندنا انه خلقه عجولا حتى لا يصبر
على حالة واحدة وان كانت الحالة حالة نعمة ورخاء حتى يمل عنها ويسأم ويريد التحول الى حالة هى دون تلك
الحالة ويرضى بشيء دون لكنه وان خلقه على ما اخبر جعل فى وسعه رياضة نفسه حتى يصير صبورا حليما
وهو ما اخبر ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين اخبر انه خلقه
هلوعا ثم استثنى المصلين دل انه بالرياضة يتحول عن الحالة التى خلقه الى حالة اخرى وهى حالة الحلم
والصبر وكذلك ما اخبر وكان الانسان قتورا كان كذلك فى الابتداء لكنه بالرياضة والعادة يصير
سخيا جوادا وكذلك ما قال واحضرت الانفس الشح ثم قال ومن يوق شح نفسه اخبر ان الانفس احضرت
الشح ثم اخبر ان من يوق شح نفسه فله كذا دل بهذا كله انه بالرياضة والعادة يحتمل التحول الى حالة السخاء
والجواد بعد ما كان شحيحا قتورا بخيلا فعلى ذلك ما ذكر من العجلة والهلع والجزع فيه يحتمل بالرياضة والعادة
الى ان يصير حليما صبورا فى الامور غير ملول فيها وليست المحنة الا الرياضة والعادة فامر ان يروض نفسه
ويعود ها العمل بجميع ما امره الله ويكفها عن جميع ما نهى عنه فيعتاد اتباع امره والانتهاء عن نهيه والله
الموفق وقوله ساريكم اياتى فلا تستعجلون يشبه ان يكونوا سألوا رسول الله الايات على رسالته انه رسول
او سألوه ايات على وحدانية الله وربوبيته فقال ساريكم اياتى من الوجه الذى يريد ربى ويبين لكم ذلك لا
من الوجه الذى تريدون انتم وتسألونه وقال بعض اهل التاويل ساريكم اياتى فيما نزل من العذاب فيهم وفى منازلهم
فلا تستعجلون انتم العذاب على من كان قبلكم من الامم بتكذيبهم الرسل فان سافرتم وضربتم فى الارض رايتم
اثار العذاب فيهم وفى منازلهم فلا تستعجلون انتم العذاب الذى يعدلكم الرسول كانه يخوفهم العذاب
ويعدهم اياه ممكذبوه فى ذلك فقال عند ذلك ما قال ويقولون ايضا متى هذا الوعد الذى تعدنا ان كنتم
صادقين بانا نعذب وجائز ان يكون الاية فيهم بتكذيبهم الساعة والقيامة وانكارهم اياها فقال ساريكم
اياتى التى تكون قبل وقوعها فلا تستعجلون وقوعها ووجوبها دليله ما ذكر لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون وقوله بل تاتيهم بغتة الاية وقوله لو يعلم الذين
كفروا اما نزل بهم بوقوع القيامة حتى لا يملكون كفها عن وجوههم ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون
انما يحيط بهم حتى لا يملكون هم دفعها عن انفسهم ولا يملك ما اتخذوا انصارا واعوانا فى الدنيا دفع ذلك ايضا
وهو كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار الاية وقوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله
بل تاتيهم بغتة اخبر انها تاتيهم بغتة اى فجاة لا يعلم اهلها وقت وقوعها فتبهتهم قال اهل التاويل فتبهتهم
فتحيرهم البهتة كانها حيرة يقول تاتيهم بغتة فجاة فتحيرهم وهو ما اخبر وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى وذلك لحيرتهم فى انفسهم وهو ما ذكر انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الاية بصير وتحيرا
لشدة اهوالها وقوله فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون اخبر انهم لا يملكون دفعها اذا وقعت بهم ولا هم
ينظرون فى وقوعها ان من ابتلى بالبلايا فى الشاهد فانما يملك دفعها عن نفسه اما بقوة نفسه واما بانصاره
واعوان ينصرونه ويعينونه فى دفعه عنه واما بالتضرع والابتهال والاستسلام كقوله فلولا اذ جاءهم
باسنا تضرعوا الاية فاخبر عز وجل لا يملكون دفعها بقوى انفسهم ولا بانصارهم الذين استنصروا
حيث قال ولا هم ينصرون ولا هم ينظرون بالتضرع والاستسلام وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك
فيه تصبير رسول الله على ما يستهزئ قومه به لانه قال ولقد استهزئ برسل من قبلك اى لست انت
باول رسول الله استهزاء به قومه فيه تخويف اولئك باستهزائهم به بما نزل باوائلهم باستهزائهم برسلهم
وقوله فحاق قال اهل التاويل حاق نزل ووجب ووقع وامثاله وقال بعض اهل المعانى الحيوة هو ما اشتمل
على الانسان من مكروه اى بفعله كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقال بعضهم حاق اى رجع عليهم وانما
بهم وقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اى من يحفظكم ويحرسكم من عذاب الرحمن وقيل من يدفع
عنكم عذاب الرحمن ثم هذا يخرج على وجهين احدهما قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن اى
لو سألتم من يكلؤكم من عذاب الرحمن لاقروا لك ان الرحمن هو الذى يكلؤهم ويحفظهم من عذاب الرحمن
لا الالهة التى يعبدونها وهو كقوله قل من رب السموات والارض وقل من بيده ملكوت كل شيء سيقولون
الله لا الالهة التى يعبدونها فقل ان كيف عدلتم عن عبادته وعبدتم دونه من لا يكلؤكم ولا يدفع عنكم
العذاب وقد عرفتم ان الرحمن هو الذى يكلؤكم بالليل والنهار وهو اله السموات والارض فكيف عبدتم
من ليس هو باله فيخرج عن الاحتجاج عليهم ولزوم الحجة لهم لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين والثانى
يخرج على التذكير والتنبيه لهم لانهم كانوا ينكرون الرحمن ويقولون ما الرحمن وقوله وهم يكفرون
بالرحمن فيخرج قوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار اى كيف تنكرون الرحمن وتكفرون به وهو يكلؤكم
بالليل والنهار عن عذابه وعلى هذا يخرج بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى بل هم عن ذكر نعم الرحمن معرضون

اى منكرون له والله اعلم وقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا اى ليس لهم الهة من دوننا تمنعهم من عذابنا هو على
النفى اى ليس لهم الالهة من دونه وان كان ظاهره استفهاما ثم بين موضع الاحتجاج عليهم وهو ما اخبر عن عجزهم
حيث قال لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون اى لا يستطيع الالهة نصرا انفسها اذا ارادوا بها سوء
ولا هم منا يصحبون اى ينصرون نا وبله ان كيف عبدتم من دونه واتخذتموهم الهة رجاء شفاعتهم ووسيلتهم
حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه وفى قولهم هولاء شفعاؤنا عند الله فاذا كانوا لا يملكون
نصرا انفسهم ان اصابها سوء ولا يصحبها من يدفع عنها السوء فكيف اتخذتم الهة دونه فمن كان عن دفع السوء عن
نفسه ونصرها عاجزا فهو عن دفعه عن الاخر ونصره اعجز ثم بين الذى حملهم على ذلك وهو ما قال بل متعنا
هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر لم ياخذهم بالعقوبة باعمالهم التى عملوها ان الله راض عنهم وانهم على الحق ولهذا
قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ادعوا رضاء الله بما هم عليه واباؤهم ثم بين انه وان تركهم وقتا طويلا
ومتعهم عليه انه قد نقص مما كانوا يملكون هم حيث غلب عليهم رسول الله على بعض املاكهم وجعله ملكا للمسلمين
وهو قوله افلا يرون انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها وجعلناها ملكا للمسلمين ثم اختلف فى تاويل هذا قال
الحسن قوله افلا يرون ننقصها من اطرافها اى اعلموا انا ناتى الارض ننقصها من اطرافها اى نحشرهم يوم القيمة
من اطراف الارض الى المحشر فذلك نقصها وقال غيره افلا يرون ان رسول الله كلما بعث الى ارض ظهر عليها فذلك
نقصها بالظهور عليها ارضا فارضا افهم الغالبون اى ليسوا هم الغالبين ولكن رسول الله هو الغالب عليهم وقال
ابن عباس ننقصها ذهاب فقهائها وخيار اهلها وقال قتادة ننقصها بالموت وكذلك قال عكرمة ننقصها من اطرافها
بالموت وقال لو كانت الارض تنقص لم يوجد للرجل مجلس يجلس فيه ونحو هذا قد قالوا فيه وقوله قل انما انذركم
بالوحى هذا والله اعلم يخرج على وجهين احدهما خرج جوابا لقولهم ما انت الا بشر مثلنا انهم كانوا ينكرون رسالته
ويقولون انت بشر كيف خصصت به فيقول انى لست انذركم لانى بشر ولكن انما انذركم بالوحى من الله وانتم
ممن لا تقبلون بشارة ربى ونذارته والثانى قال ذلك لما تقدم منه فى الايات النذارة المرسلة غير مضافة
الى الله فامره ان يقول لهم انى فيما انذرتكم من النذارات لم انذركم من ذات نفسى ولكن انما انذركم بالوحى
من ربى فمعناه والله اعلم اى فيما انذرتكم مما نزل بالامة المتقدمة والانباء التى اخبرتكم عنها مما لم اشهدها
ولا اشتغل انما انذركم بالوحى فذلك موضع الاحتجاج عليهم فى اثبات رسالته وقوله ولا يسمع الصم الدعاء
اذا ما ينذرون هذا والله اعلم يقول ان الصم اذا اريد ان يدفع عن المهالك لا سبيل ان يدفع عنها ويكف بالدعاء
والنداء ولكن انما يكف ويدفع عن المهالك بالايدى والراحات كانه قال ذلك لما اكثر دعاءهم الى ما به نجاتهم
فابوا ذلك ولم يجيبوه فقال حينئذ ذلك انكم لا تسمعون الدعاء والنداء الى ما به نجاتكم ولكن تعرفون ذلك
بالقتل والسيف او ان يقول ذلك انكم صم عن الحق حتى لا تسمعونه كالصم السمع والصم بالسمع لا يدعى ولا ينبه
لانه لا يسمع ولكن يدعى باليد والاشارة فعلى ذلك انتم صم عن الحق لا تدعون بالنداء ولكن بالذى يعرف الدعاء
وهو اليد والله اعلم وقوله ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك قال الحسن نفحة اى طائفة من عذاب ربك وقال
بعضهم عقوبة ربك واصل النفحة الرمية ولذلك سمى نفحة الدابة اى رمتها وهو ما ذكر من رمى الشرر كقوله
انها ترمى بشرر كالقصر وقوله عز وجل ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين وقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيمة
فى ظاهر الاية ان الموازين هى القسط والقسط هو العدل لانه قال ونضع الموازين التى توضع فى الدنيا ويعرف بها
حقوق الناس فى الاخرة العدل الذى به يعرف حدود الاشياء واقدارها فيكون الموازين العدل ما ذكر بقوله
فلا تظلم نفس شيئا اى لا تنقص من حسناته او تزاد على جزاء سيئاته ولكن يوفى كل جزاء عمله ويحتمل ان يكون قوله ونضع
الموازين القسط على الاضمار اى نضع الموازين التى تكون فى الدنيا يوم القيمة بالعدل لا تطفف ولا تنقص ولا تخسر
كما تفعلون فى الدنيا ولكن العدل لا تطفف ولا تنقص ذلك تسوى وتستوى فى مستويا من غير زيادة ولا نقصان
لان الزيادة والنقصان انما تكون فى الشاهد لوجوه الجهالة او الحاجة او الجور فيحمله كله على الزيادة والنقصان
والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك كله لانه عالم بذاته غنى بذاته عادل فلا وجه للخسران منه والزيادة فيه وقوله
وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها اى اتينا بجزائها او اتينا بها اى بعينها لا يفوت شىء ولا يغيب عنه وليس
المراد من ذكر مثقال حبة ومثقال ذرة الذرة والحبة ولكن ذكر على التمثيل اى لا يفوت عنه شىء ولا يغيب ذلك
المقدار من الخير والشر غير فائت عنه ولا ملتبس ولكن محفوظ محاسب وقوله وكفى بنا حاسبين لا يشغله كثرة الحساب
وازدحامه ليس كمن يحاسب اخر فى الشاهد انه اذا كثر الحساب عليه وازدحم شغله ذلك عن حفظ الحساب والله
اعلم وقوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان فهو ما يفرق بين الحق والباطل وبين الشبه والواضح وبين ما يؤتى
ويتقى وبين ما عليهم ولهم والنور ما يتجلى به حقائق الاشياء والضياء هو ما يظهر به حسن ما يتجلى واستنار وروح
هو ما به حيوة كل شىء القران سماه روحا لانه به حيوة الدين وسمى الماء حيوة لانه به حيوة الابدان والمبارك
هو ما ينال به ويصل اليه من كل خير والذكر هو ما يذكر ما لهم وعليهم وذكرا قيل عن الموعظة قيل هى التى تلين القلوب
وتوقظ القلوب وتخشع بها الفواد وعلى هذا الوصف جميع كتب الله الذى وصف هذا القران بها ثم بين
انها على الوصف الذى ذكر لمن فقال للمتقين وان كانت هى فى انفسها على الوصف الذى ذكر فانما تتجلى بها الشبه من

الحقايق

الحقايق والحق من الباطل لمن قبلها واقبل نحوها ونظر اليها بعين التعظيم والاجلال فاما من اعرض عنها فليست لهم
على ما ذكر لكن على ما اخبر بقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم ثم بين من المتقون فقال الذين يخشون ربهم
بالغيب يحتمل قوله يخشون ربهم اى يخشون العذاب الموعود فى الغيب وهو عذاب الموعود فى الاخرة
فيحذرون ما به يحل ذلك وانما الكفار فانهم لم يخافوا العذاب الموعود فى الاخرة ولم يصدقوه انما يخافون
العذاب المعاين المشاهد فاما العذاب الموعود فى الغيب فلا يخافون ربهم اى يهابون ربهم ويخافونه
وان لم يروه لما راوا من اثار سلطانه وملكه وقوله وهم من الساعة مشفقون يحتمل هم من اهوال الساعة
وافزاعها خائفون او ان يكون قوله وهم من محاسبة اعمالهم مشفقون خائفون فحاسبوا انفسهم
فى الدنيا اشفاقا على محاسبة نفسهم فى الاخرة وقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه الذكر المبارك ما ذكرنا
وقوله افانتم له منكرون ظاهره وان كان استفهاما فهو فى الحقيقة ايجاب كانه قال وهذا ذكر مبارك
انزلناه وتعرفونه انه كذلك فانتم مع هذا له منكرون يذكر سفههم ويخبر عن عنادهم وقوله ولقد اتينا
ابرهيم رشده وقال الحسن رشده دينه وهداه وقال غيره رشده النبوة ويشبه ان يكون قوله اتينا
ابرهيم رشده حججه وبراهينه التى حاج بها قومه على غير تعليم من احد وفيه دلالة ان ليس كل رشد
وهدى بيانا لانه لو كان كله بيانا لم يكن لتخصيص ابرهيم بالرشد كثير معنى اذ هو فى ذلك البيان وغيره
من الكفرة والفراعنة سواء فدل قوله اتينا ابراهيم رشده انه يكون من الله للمهتدين فضل صنع
ليس ذلك فى الكافرين وهو التوفيق والعصمة وقوله من قبل قال بعضهم من قبل الاوقات التى يعطى
البشر الرشد وهو حال الصغر ويحتمل قوله من قبل اى من قبل محمد وقال بعضهم من قبل موسى وهرون
ويحتمل اتينا ابراهيم رشده من قبل ايمان اهل الاديان من قبل يدعون انهم على دين ابراهيم فلو يحتمل ان
يكون دينه ورشده الذى اتيه الله هو كل ذلك بل انما كان ذلك واحدا فوجب النظر فيه والتأمل
فى ذلك ليظهر الذى كان عليه ابراهيم وقوله وكنا به عالمين يحتمل قوله وكنا به عالمين اى بالدين والرشد
الذى عليه ابراهيم عالمين من قبل او ان يكون قوله وكنا به عالمين اى كنا بجميع ما يكون من ابراهيم عالمين وقوله
اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون كانه قال ما هذه التماثيل التى اتخذتموها انتم لها
عاكفون اى انما يعبد من يتعبد لفضل يكون من المعبود الى من يعبده فاما ان يعبد بما يفعل بالمعبود
فلا يحتمل وهو ما قال ابراهيم اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون يسفههم ويعيب عليهم
لعبادتهم ما ينحتون هم بايديهم ويتركون عبادة من خلقهم وخلق اعمالهم وقوله قالوا وجدنا اباءنا
لها عابدين قد انقطع حجاجهم لما قال لهم ابراهيم ما قال واظهر سفههم ففزعوا الى تقليد اباءهم
فقالوا وجدنا اباءنا لها عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم فى ضلال مبين لم ينكر عليهم فعل اباءهم وعبادة
الاصنام ولكن اقر لهم بصنيع ابائهم ثم جمعهم واباءهم واخبر انتم واباؤكم فى ضلال مبين بعبادة
الاصنام وقوله قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين لما علموا ان مثل هذا القول لا يقول الا من
كان عنده حجة وبرهان فقالوا اجئتنا بما تقول بحجة ام انت من اللاعبين تلعب بنا وتهزء واخبر انه
جاءهم بالحق وبين لهم ذلك الحق فقال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن لا الاصنام
التى تعبدونها اى ربكم رب السموات والارض الذى يعرف بالدلائل والبراهين واثار الصنعة فى غيره
لا الذى احدثتم انتم واتخذتموه والله اعلم وقوله وانا على ذلكم من الشاهدين يحتمل وانا على جميع ما قال
وكان منه من الحجاج واقامة الحجج على الوهية الله تعالى وتسفيه اولئك فى عبادة الاصنام من الشاهدين
ان هذين على خلقتها ويجوز ان يقال الشاهد المبين وانا على ذلكم من المبينين والله اعلم وقوله وتالله
لاكيدن اصنامكم ان الاصنام لا يقصد اليها بالكيد لكن تاويله والله اعلم لاكيدن لكم فى اصنامكم وقوله
بعد ان تولوا مدبرين قال عامة اهل التاويل ان ابراهيم انما قال ذلك لاكيدن اصنامكم وقوله من الاصنام
الى عيدهم لانهم كانوا يخرجون الى عيدهم من الغد فقال لاكيدن اصنامكم اى لاكيدن لكم فى اصنامكم
بعد ان تولوا مدبرين منها الى عيدكم وجائز ان يكون قوله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين عنى
وكانوا فى ذلك الوقت بحضرة الاصنام الا يرى انه قال لهم ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون عاكفون
ومثل هذا الكلام لا يقال الا بحضرة الاصنام لانه اشار الى الاصنام فقال ما هذه التماثيل التى انتم
لها عاكفون فقال عند ذلك تالله لاكيدن اصنامكم اى لاكيدن لكم فى اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين عنى
على التاويل يكون قولهم الادبار عن الاصنام الى عيدهم وعلى التاويل الثانى يكون توليهم الادبار عن
عن ابراهيم والله اعلم وقوله فجعلهم جذاذا او جذاذا قال بعضهم قطعا وقال القتبى جذاذا فتاتا وكل
شىء كسرته فقد جذذته ومنه قيل للسويق جذيذ والجذ هو القطع والمجذوذ المقطوع وذلك قوله غير
مجذوذ اى غير مقطوع وقوله الا كبيرا لهم لم يكسره لعلهم اليه يرجعون يقول الى الصنم الاكبر الذى
لم يكسره ابراهيم يرجعون من عيدهم وقال بعضهم لعلهم الى الحجة يرجعون وقيل هو الحجج المولى ان اى
من الحجة وقال بعضهم لعلهم اليه يرجعون اى يذكرون وجائز ان يكون قوله لعلهم اليه يرجعون

اى يرجعون الى ما يريد ان يكيد لهم فى اصنامهم لانه انما يريد ان يكيد لهم اذا رجعوا الى الاصنام فرآوها جذاذا والكيد هو الاخذ على الامن وكذلك المكر وقوله قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين لو تأملوا كانوا هم الظلمة فى الحقيقة لانهم كانوا يعبدون تلك الاصنام رجاء منفعة تكون لهم حيث قال وانما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فاذا راوهم لا يقدرون على دفع الكسر والقطع عن انفسهم ودفع من فعل بهم ذلك كيف طمعوا منها نفعا او دفع الضرعن انفسهم لان من عجز عن دفع الضر عن نفسه فهو عن دفعه عن غيره اعجز فهم الظلمة فى الحقيقة حيث طمعوا النفع ودفع الضر ممن لا يملك ذلك لنفسه لكن قالوا سفها ذلك منهم وقوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالكيد لهم حين قال لاكيدن اصنامكم سمع ذلك القول منه ناس فاخبروا قومهم لما قالوا من فعل هذا بالهتنا فعند ذلك قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالكيد لهم يقال له ابراهيم وجائز ان يكون قوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم بالعداوة وهو حين قال فانهم عدو لى الا رب العالمين اخبر ان اولئك الذين عبد والاصنام اعداء له فالمعبود الذى عبدوه يكون عدوا له ايضا فاستدلوا بذلك القول منه انه هو فعل بهم ما فعل والله اعلم وقوله قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون قال بعضهم على رؤس الناس وقيل بحيث ينظر الناس اليه اوبحيث يراه الناس وهو واحد وقوله لعلهم يشهدون اختلف فيه قال بعضهم يشهدون عقوبته بما فعل باصنامهم فيكون نكالا له وزجرا لغيره عن ان يفعل بها مثل ما فعل هو وذلك قالوا حرقوه نكالا له وزجرا لغيره عن ان يفعل بها مثل ما فعل هو ولذلك قالوا حرقوه نكالا وزجرا لغيره كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها اى زجرا وكقوله فشرد بهم من خلفهم وقال بعضهم لعلهم يشهدون بفعله الذى فعل بالاصنام لم يريدوا ان يعاقبوه بلا بينة ولا حجة وقال بعضهم لعلهم يشهدون انه قال لاكيدنهم ما قال والله اعلم وقوله قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اختلف فى هذا قال بعضهم هذا القول من ابراهيم كذب فى الظاهر فيما اراد ان يكيد لهم وان لم يكن فى الحقيقة عنده كذبا وكذلك ما قال انى سقيم وكان صحيحا وقوله هذا ربى ومثل هذا قالوا هذا فى الظاهر كذب وان لم يرد هو به فى الحقيقة كذبا وقال بعضهم انه انما قال ذلك على ان يريهم من نفسه الموافقة لهم فى الظاهر ليكونوا الحجج اسمع وللبراهين اقبل فيكون تأويله والله اعلم لعل كبيرهم فعل بهم هذا او ان يقول اكبرهم فعل هذا بهم وكذلك قالوا فى قوله هذا ربى قال بعضهم ليس هذا ولا فيه كذب فى الظاهر ولكن قال ذلك على الشرط حيث قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون اى بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون علق فعله بشرط النطق فاذا كانوا لا ينطقون لم يفعله وقوله انى سقيم اى بى سقم وكل حى بسقم يوما وقوله هذا ربى اى ليس هذا ربى ومثل هذا قد قالوا والله اعلم وقوله فرجعوا الى انفسهم اى رجعوا الى انفسهم باللائمة فقالوا فيما بينهم انكم انتم الظالمون هذا يحتمل وجوها انكم انتم الظالمون حيث نسبتم الفعل بهذه الاصنام والكسر الى ابراهيم وتعلمتم انه فعل ذلك بهم وانما فعل بهم هذا كبيرهم لما وقع عنده ان كبيرهم هو الذى فعل بهم والثانى انكم انتم الظالمون حيث اتخذتم مع كبيرهم اخرين شركاء فى العبادة حتى غضب عليهم فكسرهم او ان يكون قوله انكم انتم الظالمون يعنون الاصنام المكسورة يا هؤلاء انكم انتم الظالمون حيث حملتم الكبير على كسركم والله اعلم بما ارادوا بذلك ولا يجوز لنا ان نزيد او ننقص فى هذه الانباء المذكورة فى الكتاب او نقطع على جهة دون جهة لانها ذكرت ليحتج عليهم بما فى كتبهم فلو زيد او نقص قطع على جهة دون جهة يذهب الاحتجاج بها عليهم والله اعلم وقوله ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قوله نكسوا على رؤسهم للتفكر والنظر فى قول ابراهيم حيث قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون انما علق فعل الكبير بهم ان نطقوا فقالوا لقد علمت يا ابراهيم ما هؤلاء ينطقون فكيف قلت بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم فاذا كانوا لا ينطقون لم يفعل كبيرهم ثم قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم فان قيل ان ابراهيم لم يحتج عليهم ان كيف تعبدون من دون الله ما لا ينطق ولكن قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم قيل قد كان احتج عليهم من ذلك النوع حيث قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وبعد فانه قد احتج عليهم بعجزهم عن النطق حيث قال فاسألوهم ان كانوا ينطقون ثم قال ههنا افتعبدون من دون الله شيئا ان عبدتموهم ولا يضركم ان تركتم عبادتهم اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف هو كلام كل مستخف بآخر ومستحقر له فى فعله يقول اف لكم فابراهيم حيث قال ذلك لهم انما قال استخفافا بهم وبما عبدوه افلا تعقلون ان عبادة من لا ينفع ولا يضر لا تصلح ولا تحل وفى انباء ابراهيم خصال ليست تلك فى غيرها من الانباء احديهما انه لم يترك مما كان يعبدون الله الا وقد نقض ذلك والثانية انه حاج قومه اولا فى فساد مذاهبهم وفساد ما اعتقدوه ثم بعد ذلك اقام عليهم حججه وبراهينه لانه قال هذا ربى فلما افل قال لا احب الافلين وقال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فلما اراهم فساد مذهبهم فعند ذلك ذكر حججه وبراهينه حيث قال انى وجهت وجهى للذى

فطر السموات

فطر السموات والارض حنيفا وقال الذى خلقنى فهو يهدين الاية وهكذا الواجب على كل متناظر ان يبدأ اولا بابطالها رفسا دمذهب خصمه فاذا اراه فساد مذهبه فحينئذ يذكر حجج مذهبه وبراهين ما يعتقد ليكون لها اسمع وعند اقامتها قبل والثالث انه لم يبتل نبى قط بفرعون مثل فرعونه ولا قوم مثل قومه فى السفه والبغض والهم بقتله بالنار وجائز ان يكون خصوصية بالخلة لهذه الخصال التى ذكرناها والله اعلم وقوله قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين هذا ظاهر وقوله قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم جائز ان يكون قوله كونى بردا وسلاما اى جعلها فى الخلقة بردا وسلاما على ابراهيم خاصة واما على غيره فهى على ما هى فى طبعها من الاحراق والحر فيكون ذلك من اعظم ايات رسالة ابراهيم ونبوته وان يكون على الوحى والالهام على ما قاله اهل التأويل انه اوحى اليها ان كونى بردا وسلاما على ابراهيم لكنه ان كان على هذا فجائز ان يجعل فى سريتها ما تفهم امره ويمكن فيها ما تفطن ذلك فلم تحرقه وقول اهل التأويل انها بردت حتى لم ينتفع بها اهل المشرق واهل المغرب ثلثة ايام فذلك لا يعلم الا بالسمع وقوله وارادوا به كيدا الكيد هو الاخذ من حيث الامن فجائز ان يكونوا كادوه ان حبسوه فى موضع فجمعوا عليه الحطب من غير ان علم هو ذلك ثم اوقدوا عليه النار او ان يكونوا اخذوه مغافصة فجعلوه فى المنجنيق ثم رموه فى النار على ما قاله بعض اهل التأويل او ان يكونوا كادوه كيدا اخر سوى ذلك لم يذكر فنحن لا نعلم ذلك وقوله فجعلناهم الاخسرين لا شك انهم فى الاخرة من الاخسرين واما خسرانهم فى الدنيا فلا نعلم ما ذلك الخسران والله اعلم به وقال بعضهم فى قوله وارادوا به كيدا وذلك انه لما جعل فى النار انجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما على ابراهيم وامره الله تعالى بالخروج الى الارض المقدسة فخرج اليها فطلبوه وبعث ملكهم الى اصحاب المناظر فقال لا يمر بكم انسان يتكلم بالسريانية الا جلبتموه قال فحول الله لسانه بالعبرانية فيهم فغير عليهم فانطلق ابراهيم متوجها نحو اهله فذلك قوله وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اى الاسفلين والاعلاهم ابراهيم صلوات الله عليه وقوله ونجيناه ولوطا دل هذا على ان ابراهيم كان المشرف على الهلاك لان لفظة لا يقال الا فيما كان هنالك اشراف على الهلاك وفيه ان لوطا كان معه وان كان ابراهيم هو الممتحن فى ذلك وهم كانوا يقصدون قصد هلاك الرسل والاتباع جميعا وقوله الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قال الحسن بركتها ما ذكر فى اية اخرى وهو قوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين كثيرة المياه والنبات ونحوه وقال بعضهم بركته سعته على اهلها وقال بعضهم بركته لانها كانت مكان الانبياء والرسل صارت مباركة بهم وجائز ان يكون صارت مباركة بابراهيم ولوط لما بهم ظهر الاسلام هنالك والله اعلم وقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة قال بعضهم النافلة العطية وقال بعضهم النافلة الفضل واصل النافلة الغنيمة كقوله يسألونك عن الانفال اى الغنائم والولد وولد الولد فضل منه وعطية وغنيمة لانه سمى الولد هبة بقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وسمى الولد موهبا وخاصة ابراهيم لم يكن يطمع ان يولد له الولد فى ذلك الوقت فكيف يطمع ولد الولد وقوله وكلا جعلنا صالحين يحتمل قوله صالحين رسلا وصالحين فى كل امر وكل شىء وقوله وجعلناهم ائمة قادة فى امر الدين يهدون بامرنا اى يهدون الناس الى ما بامر الله والى دينه وقوله واوحينا اليهم فعل الخيرات دل قوله واوحينا اليهم انهم كانوا رسلا ثم يحتمل قوله فعل الخيرات وقوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فيه ان الصلوة والزكوة كانتا فى شرائع المتقدمين وقوله وكانوا لنا عابدين موحدين او عابدين له فى كل وقت وقوله ولوطا اتيناه حكما وعلما قال بعضهم حكما يعنى النبوة وقال بعضهم حكما اى الفهم والعقل وعلما وجائز ان يكون قوله حكما اى الحكم الذى يحكم بين الناس وعلما اى العلم الذى كان به يحكم بين الناس ومن قال الحكم هو النبوة قال لان الانبياء انما يحكمون بين الناس بالنبوة فكنوا بالحكم عن النبوة ومن قال بالفهم فهو لانه انما يحكم بين الناس بعد ما فهم من الخصوم والحاصل الحكم هو الحكم بين الناس وعلما اى العلم الذى به يحكم او علما فيما بينه وبين ربه والله اعلم وقوله ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث اضاف عمل الخبائث الى القرية ومعلوم ان القرية لا تعمل شيئا لكن معناه نجيناه من القرية التى كان اهلها يعملون الخبائث وكذلك ذكر فى حرف حفصة وقوله الخبائث كل انواع الخبث من الكفر والتكذيب بالايات واللواط وغيرها وقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين اى كانوا قوم سوء فى افعالهم واعمالهم التى كانوا يعملونها فاسقين اى خارجين عن امر الله تاركين له والفسق هو الخروج عن الامر لانه برحمته يدخل فيها وتدرك وقال غيره فى رحمتنا اى نعمتنا ونعمته النبوة كقوله العليم انهو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجائز ان يكون قوله فى رحمتنا اى اعطيناه كل انواع الخير برحمتنا اذ كل من اصاب خيرا فى الدنيا والاخرة انما يدرك برحمته وقوله انه من الصالحين من النبيين او من الصالحين اى كان يعمل بكل انواع الصلاح وقوله ونوحا اذ نادى من قبل قال بعضهم من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب. لا نذكر هؤلاء على اثره ثم اختلف فى ندائه قال بعضهم نداؤه هو قوله فدعا ربه انى مغلوب فانتصر وقال بعضهم نداؤه هو قوله رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا او ان يكون ذلك قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقوله رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا الاية

وامثاله وقوله فاستجبنا له فنجيناه واهله اهله اتباعه من اهله ومن غيرهم وقوله من الكرب العظيم قال
بعض اهل التاويل من الكرب العظيم هو الغرق والهول الشديد الذي كان به وجائز ان يكون الكرب العظيم
هو ما قاسى من قومه ولقي منهم بدعائه اياهم الى دين الله في تسعمائة وخمسين عاما وما كانوا يسخرون به
ويؤذونه من انواع الاذى كقوله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم ونحو ذلك من الاذى الذي قاساه منهم فنجاه
من ذلك الكرب والله اعلم وقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا وفي حرف ابي بن كعب ونصرناه على
على القوم الذين كذبوا باياتنا والنصر هو اسم له ضربين اسم للمنع واسم للظفر فمن قرأ نصرناه من القوم
الذين كذبوا باياتنا اي منعناه من ان يقتله قومه ويهلكوه والنصر المنع كقوله فلا ناصر لهم اي لا مانع
لهم ومن قرأ على القوم الذين كذبوا باياتنا اي اظفرناه على قومه كقوله وما النصر الا من عند الله وقد كان
له الامران جميعا المنع والظفر وقوله انهم كانوا قوم سوء ما ذكرنا من افعالهم واعمالهم وقوله فاغرقناهم
اجمعين حتى لم ينج منهم احد قال ابو عوسجة الكرب واحد وجمعه كروب وهو الهموم والشدائد والكربة واحدة
والكرب جميع وهو مثل الكروب قال والاكراب تكون للدلاء وهي جماعة الكرب وهو حبل يشد في عراقي
الدلو وعراقي الدلو خشبات الدلو الواحدة عرقوة قال والكرب الحرث وقوله وداود وسليمان اذ يحكمان
في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم الاية قال بعض الناس ذكر تخصيص سليمان بالتفهيم على انه لم يفهم داود ذلك
ويدل على ذلك وجوه احدها اشراكه عز وجل اياهما جميعا في الحكم والعلم وغيره حيث قال اذ يحكمان في الحرث
وقال وكلا اتيناه حكما وعلما ذكر ما كانا مشتركين فيه وخص سليمان بالتفهيم فدل التخصيص بالشيء احدهما
والاشراك في الاخر على انه كان مخصوصا به دون الاخر والثاني ان هذه الانباء انما ذكرت لنا لنستفيد بها
علما لم يكن فلو لم يكن سليمان مخصوصا بالفهم دون داود لكان لا يفيدنا سوى الحكم والعلم وكنا نعلم انهما قد اوتيا
حكما وعلما وكانا يحكمان بالعلم فاذا كان كذلك فدل التخصيص بالتفهيم لاحدهما على ان الاخر لم يكن مفهما
ذلك والله اعلم والثالث فيه دلالة ان المجتهد اذا حكم واصاب الحكم انه انما اصاب بتفهيم الله اياه وبتوفيقه
حيث اخبر انه قد اتاهما جميعا العلم ثم خص سليمان بالتفهيم والتفهيم هو فعل الله حيث اضاف ذلك الى نفسه
ثم ان كان ما ذكرنا كان في ذلك دلالة لاصحابنا في من قتل مسلما في دار الحرب اسلم هنالك ان عليه الكفارة
وليست عليه الدية حيث قال ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان
يصدقوا وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فان كان
من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ذكر في الاولين الدية والكفارة جميعا ثم خص
الثالثة بذكر الكفارة دون الدية فدل التخصيص له باحدهما على ان ليس عليه الاخر اذ لو لم يكن كذلك
لكان يذكر في الاول الدية والكفارة ولا يذكر في الاخرين فيكون ما ذكر في الاول كالمذكور في الاخرين او لا
يذكر ذلك كله في الكل فاذا لم يفعل هكذا ولكنه ذكر كل الواجب في الاثنين على الابلاغ وترك في الواحد احدهما
وذكر الاخر فدل التخصيص الثالث باحد الحكمين على ان ليس عليه الاخر ثم استدلوا بهذه الاية على جواز العمل
والقضاء باجتهاد الراي فمنهم من استدل باصابة المجتهد فيما يجتهد وان لم يصب هو الحكم الذي هو حكم
عند الله فيه حقيقة وهو القول من يقول كل مجتهد مصيب فيما عليه من الاجتهاد في تلك الحادثة و
هو قول ابي يوسف ومحمد رحمهما الله ومنهم من يستدل به بخطاء احد المجتهدين وعذره في خطائه فيذهب
الى ان المقصود مما كلف من الحكم في ذلك واحد لا حكمين مختلفين فاذا كان المقصود مما كلف من الحكم فيه
واحد فلا يجوز ان يحكم اثنان في شيء واحد بحكمين مختلفين والمقصود فيه احد فيكونان جميعا مصيبان
حيث خص احدهما بالتفهيم بقوله ففهمناها سليمان فلو كانا جميعا مصيبين كانا جميعا مفهمين فاذا اخبر انه
فهم سليمان ولم يفهم الاخر دل ان المصيب هو المفهم منهما وهو قول ابي حنيفة وبشر وغيرهما ومن استدل
باصابته يستدل بقوله وكلا اتينا حكما وعلما اخبر انه اتاهما حكما وعلما فدل ذلك على انه لم يكن عليهما غير ما فعلا
وحكما فيه وان لم يصيبا الحكم الذي هو حكم حقيقة عند الله ثم ذكر في الاية انهما يحكمان في الحرث ولم يذكر
انهما حكما بالضمان او البراءة من الضمان او كيف كان حكمهما فدل ترك بيان ما حكما فيه على ان ليس علينا ذلك الحكم
اذ بين لنا ما علينا العمل فيه وهو العمل بالاجتهاد حيث قال ففهمناها سليمان ولم يبين لنا الحكم الذي حكما فيه فدل
بيان احدهما وترك بيان الاخر على ان ليس علينا الذي ترك ذكره وبيانه الا ان اهل التاويل حملوا حكمهما على
على الضمان والبراءة وعلى ذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي ان ناقة لرجل عادية دخلت حائط
رجل فافسدت ما فيه فتكلم رسول الله فيها فقضى ان حفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان ما افسدت المواشي بالليل
على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شيء لكن الخبر انما جاء في المدينة وفي
المدينة انما ترعى الماشية في السكك اذ ليس لها مراعي ونحن نقول ان من ارسل ماشيته في مكان لا مرعى لها الا كرم
انسان او ما لغيره فافسده فانا نوجب عليه الضمان ما افسدت وهو كمن يرسل الماء في ملكه في مكان لا يقر فيه
فتعدى الى ملك جاره فافسده فعليه ضمان ما افسده منه ومن الناس من يجعل الخبر منسوخا بما جاء جرح العجما

جبار ولكن الوجه فيه ما ذكرنا وانما يكون جرحها جبارا اذا انفلتت هي من غير ارسال صاحبها فاما اذا كان
بصنع صاحبها فعليه الضمان والله اعلم وقال القتبي نفشت اي رعت ليلا يقال نفشت الغنم بالليل
وهي ابل نفش وانفاش ونفاس واحدها نافش وسرحت وسربت بالنهار وقال ابو عوسجة نفشت
فيه غنم القوم يقال انفشنا الغنم اذا تركناها في الليل فرعت وهو النفش ونفشت اي انتشرت بغير
علم اهلها نفشت تنفش نفشا فهي نافشة قال ابو عبيدة النفش بالليل ان تدخل في زرع فتاكله او
تاكل وقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن ذكر التسبيح هنا في الجبال ولم يذكر في الطير ولكن ذكر في
اية اخرى حيث قال والطير محشورة كل له اواب اي مسبح له ثم يحتمل ان يكون تسبيح الجبال ههنا و
الطير تسبيح خلقة لكنه لو كان تسبيح خلقة لكان تسبيحها مع داود وغيره سواء وقد ذكر يسبحن مع داود
ليعلم ان الله جعل لهذه الاشياء تسبيحا يسبحن الله ويذكرونه كذلك ما روي في الاخبار ان الطعام سبح في كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي انه اخذ حجرا فسبح في يده وانه اخذ كذا فسلم عليه وامثال هذا اكثر ودل
كله انه لرسل الله على رسالتهم وقوله وكنا فاعلين اي كنا فاعلين ما نريد ان اردنا ان يسبحن سبحن وان اردنا
ان لا يسبحن لا يسبحن اي كنا فاعلين جميع ما نريد ليس كالخلائق لانهم يريدون اشياء لا تتهيأ لهم وقوله
وعلمناه صنعة لبوس لكم وقال في اية اخرى والنا له الحديد ان اعمل سابغات الاية ثم يحتمل قوله
والنا له الحديد اي علمناه السبب الذي به تلين الحديد فيصنع به ما شاء كما علم غيره من الخلق السبب الذي به
تلين الحديد ويحتمل ان جعل له الحديد لينا بلا سبب تسخيرا له كما سخر له غيره من الاشياء الشديدة الصلبة كما
اعطى ولده عين القطر حيث قال واسلنا له عين القطر وذلك لم يكن لاحد سواه وكذلك الحديد الان لوالده
حتى يعمل به ما شاء ما لم يكن ذلك في حديد سواه وقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم قيل دروع الحديد لتحصنكم من
باسكم اي تقيكم من باسكم اي من عدوكم ومن اهر بكم وفيه قراءات لتحصنكم بالتاء وليحصنكم بالياء ولنحصنكم بالنون
قال الكسائي من قرأ بالتاء لتحصنكم اي الصنعة تحصنكم من باسكم ومن قرأ بالياء ليحصنكم اي اللبوس يحصنكم
فانه يقول الله نحصنكم نحن من باسكم وقوله تعالى فهل انتم شاكرون ما اعطاكم من النعم التي ذكر من تسخير الجبال
له والطير والحديد والرياح وغيره فهل انتم شاكرون ذلك اي اشكروا الله في نعمه لان الاستفهام من الله على
الايجاب والالزام وقوله ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره ذكر ههنا عاصفة وقال في اية اخرى فسخرنا
له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب اي لينة فهو يحتمل وجوها قال بعضهم كانت تشتد اذا اراد سليمان
وتلين اذا اراد وقال بعضهم كانت تشتد وقت حمل السرير وتلين وقت سيره ويحتمل ان يكون عاصفة شديدة
في الخلقة لكنها كانت تلين له وتسخر فكانه يقول سخرنا لسليمان الريح العاصفة الشديدة حتى كانت تلين له وقوله
تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها لا يقصد غيرها وقوله وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون
له ويعملون عملا دون ذلك ذكر نعمه التي كانت عليهم حيث اخبر انه سخر لها اشد الاشياء واصلبها من نحو الجبال
والرياح والبحار والحديد والشياطين ايضا وهم اعداء النبي ادم سخر له الاعداء الشياطين والرياح وقوله
وكنا لهم حافظين يحتمل وجوها احدها وكنا لهم حافظين حتى لا يضلوا الناس وقال بعضهم وكنا لهم حافظين
على سليمان لئلا يتفرقوا عنه لان سليمان لا يملك امساكهم واستعمالهم لكن الله سخرهم له حتى عملوا له ولا تولوا
وخضعوا والثالث وكنا لهم حافظين عن الخلاف له والله اعلم وقوله وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وقال
في اية اخرى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب ذكر في سليمان انه سلطه على الشيطان وجعلهم مسخرين
له يستعملهم في كل امر وعمل شاء وذكر في ايوب على اثر قصة سليمان انه سلط الشياطين عليه وصار هو
كالمسخر لهم حيث قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب حتى يعلم ان تسخير الشياطين لسليمان لا فضل له وانما
لم يكن سبق منه ما يستوجب به ذلك وليخفه ولا كان من ايوب اليه من العصيان ما يستحق ذلك بما اصابه
من البلاء منه عدل وكان ما يعطي من السلامة والصحة رحمة منه ونعمة وله ان يعطي من شاء ما شاء ويحرم
من شاء ما شاء الا ترى انه قال في اخره لما رد عليه ما اخذ منه وكشف عنه البلاء رحمة منا ولو كان
ذلك حقا له على الله لم يكن لذكر الرحمة معنى فهذا يرد على المعتزلة مذهبهم ان على الله الاصلح لهم في دينهم لان
ما اصاب ايوب من البلاء باضافة ذلك الى الشياطين حيث قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب ولو كان
ذلك اصلح له في دينه لكان لا يضيف فعل الاصلح له في الدين الى الشياطين فدل انه ليس على ما يذهبون
اليه ثم قوله وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر يشبه ان يكون فيه اضمار دعاء كانه قال اني مسني الضر
فارحمني وعافني وانت ارحم الراحمين الا ترى انه قال فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر دل انه على الدعاء خرج
والثاني في قوله اني مسني الضر وصرت بحال يرحمني من راني من الخلق وانت ارحم لي من كل الراحمين والله اعلم وقوله
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر ظاهر انه كشف عنه ما اصابه من البلاء في بدنه واهله حتى عاد الى الحال
التي كان قبل ذلك وقال بعضهم اوتي اهله في الدنيا ومثل اجورهم في الاخرة وقال بعضهم واتيناه اهله هم
فاحياهم الله ومثلهم معهم وكانت امراة ايوب ولدت قبل البلاء اولادا ابنين وبنات فاحياهم
الله وقال بعضهم واتيناه اهله اي ما ثبات به من الاهل والانصار على ما كان له من قبل والله اعلم وقوله

رحمة من عندنا وذكرى للعابدين يحتمل وجوها احدها ان من ابتلى ببلاء فصبر على ما صبر ايوب على بلاء ففرجه
الله عن ذلك البلاء فيفرجه عنه كما فرج لايوب والثانى يعلم ان ما اصابه ليس لامر سبق منه ولكن ابتداء محنة من
الله امتحنه بها وله ان يمتحن من شاء بما شاء من المحن وقوله واسمعيل وادريس وذا الكفل يشبه ان يكون ذا
الكفل اسما من اسمائه وجائز انه سمى ذا الكفل لامر كان منه ذكر انه كان رجلا صالحا فكفل لنبى بامر قومه
فوفى بما تكفل به فسمى لذلك والكفل ثم اختلف فيه قال بعضهم هو رجل صالح على ما ذكرنا وقال بعضهم كان
نبيا لسنا نعلم ذلك سوى انه ذكر انه من الصابرين سماهم صابرين على الابتلاء وكذلك والله اعلم لانهم
جمعوا جميع انواع الصبر وجميع انواع الصلاح والله اعلم وقوله وادخلناهم فى رحمتنا قال الحسن ادخلناهم
فى رحمتنا وهى الجنة وجائز ان يكون جميع ما قالوا من الصبر والصلاح كان ذلك كله رحمة الله وفضله وهكذا
ان من نال شيئا من الخيرات والطاعات انما ينال ذلك كله برحمته والله اعلم وقوله وذا النون قال بعضهم ذو النون
هو اسم من اسمائه سمى به وقال بعضهم سماه ذا النون لكونه فى بطن النون وهو الحوت اى صاحب النون
سمى باسمين مختلفين احدهما اسم موضوع والاخر مشتق من فعله ومما كان به وهو ما سمى عيسى مرة وسماه مسيحا
اخرى احدهما اسم له موضوع والاخر مشتق من فعله وهو مما كان يمسح به المرضى والموتى فيبرؤن وكذلك ذا الكفل
يخرج على هذين الاسمين احدهما موضوع له والاخر مشتق من فعله على ما ذكرنا والله اعلم وقوله اذ ذهب مغاضبا اختلف
فيه قال بعضهم مغاضبا لربه اى حزينا له لانه كان اراد ان يهلك الله قومه لما ايس من ايمان قومه وقد كثر عنادهم
ومكابرتهم فخرج حزينا لذلك وقال بعضهم مغاضبا للملك وذلك ان قومه قد اسر منهم عدد وهم وقد كان الله اوحى اليهم
فقال اذا اسر منكم عدد وكانوا اصابتكم مصيبة فادعونى فاذا دعوتمونى استجب لكم فلما اسروا انسوا ان يدعوه زمانا حتى اذا
ذهبت ايام عقوبتهم ونزلت ايام ما فيهم اوحى الله الى نبى بنى اسرائيل ان ابعثوا رجلا قويا امينا فانى ملق فى
قلوب الذين اسروا قومهم ان يرسلوهم وفى القصة طول غيرانا نختصر فبعث ملكهم يونس اليه اولئك الاسارى ٧ من انبياء ٣
ليستنقذهم من ايديهم فخرج وائتمر بامره لكنه غضب عليه لما اشتد عليه فذلك قوله ذهب مغاضبا للملك حيث امره
بالخروج الى اولئك الاسراء وقال بعضهم ذهب مغاضبا لقومه وذلك يخرج على وجوه احدها خرج من بينهم
لما ايس من ايمان قومه خرج مكيدة لقومه لان السنة فيهم انه اذا خرج رسوله من بين اظهرهم نزل بهم العذاب
فخرج من عندهم ليخافوا العذاب فيؤمنوا والثانى خرج اشفاقا على نفسه لئلا يقتل لما ان قومه هموا بقتله
فخرج لئلا يقتل اشفاقا على نفسه كما خرج رسول الله من بين ظهر قومه لما هموا قتله لكن رسول الله خرج باذن
ويونس بغير اذن والثالث خرج من عندهم لما اكثروا العناد والمكابرة وايس من ايمانهم خرج ليفرغ نفسه
لعبادته اذ كان مامورا بعبادة ربه ودعا قومه الى ذلك فلما ايس من ايمانهم خرج لما ذكرنا بغير اذن من ربه
وان كان فى خروجه منفعة له ولقومه فعوتب لذلك والله اعلم وقوله فظن ان لن نقدر عليه قال بعضهم فظن
ان لن نقدر عليه قال بعضهم فظن ان لن نقدر عليه اى لن نضيق عليه ولا نبتليه بالضيق والشدة بعدما خرج من عندهم
فقال فلان مقدر عليه ومقتر اى مضيق عليه الامر وهو كقوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق وقوله فقدر عليه
رزقه اى ضيق عليه رزقه وقوله فنادى فى الظلمات قالوا فى ظلمات ثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وقال بعضهم
التقم الحوت حوت اخر فكان فى بطن حوت وحوت اخر وظلمة البحر فقال لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وحد ربه
ونزهه عن جميع ما قيل فيه ثم اعترف بذلته وذنبه فقال انى كنت من الظالمين فسمع الله دعاءه وقبل توبته واخبر
انه كشف عنه الغم الذى كان له حيث قال فاستجبنا له ونجيناه من الغم واخبر انه كذلك ننجى المؤمنين فيرجى ان من ابتلاه الله
بالبلاء والشدة فدعا بما دعا به يونس ان يفرجه الله عنه حيث قال وكذلك ننجى المؤمنين وعلى ذلك روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لمن دعا بدعوة ذى النون استجيب له ثم قال بعضهم التقمه ذلك من الارض لما بلغ
الى قرار الارض فقال ذلك وقال بعضهم كان رجلا صالحا عابدا وكان عود نفسه ذلك قبل ان يدخل بطن الحوت فلما دخل
فيه مكان يقول فيه على ما كان يقول من قبل وهو كقوله فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الاية قال بعضهم هذا
انه كان من المسبحين قبل هذا والاول يثبت فيه الى ما ذكر وقال بعضهم لولا انه قال هذا القول لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين للبث فيه فيكون على هذا التاويل كان من المسبحين اى صار من المسبحين والاول اشبه ثم اختلف
فى قوله ونجيناه من الغم قال بعضهم ذلك الغم هو ما ابتلاه الله بالضيق فى بطن الحوت والبحر فنجاه من ذلك الغم ولكن
جائز ان يكون نجاه من الغم الذى كان به بسبب خروجه من بين اظهرهم وقول اهل التاويل ان يونس مكث فى بطن
الحوت اربعين يوما او ثلاثة ايام ونحو هذا فذلك لا يعلم الا بالوحى فان ثبت بالوحى فهو هو والا فليس بنا الى معرفة
ذلك حاجة وقال القتبى وذا النون يعنى ذا الحوت والنون الحوت وقال ابو عوسجة انما سمى ذا النون لان الحوت التقمه
والنون الحوت والنينان الجميع وقال القتبى قوله فظن ان لن نقدر عليه اى لن نضيق عليه يقال فلان مقدر عليه
ومقتر ومنه فقدر عليه رزقه اى نضيق عليه ومنه قوله ايضا يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى ضيق والله
اعلم وقوله وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا قوله لا تذرنى فردا فى الظاهر نهى وكذلك قوله ربنا لا تزغ قلوبنا
وامثاله يخرج فى الظاهر مخرج النهى وقوله ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ونحوه يخرج مخرج الامر والنهى اذا كان
من العبد للسيد فهو تعوذ ودعاء واذا كان من السيد للعبد فهى امر ونهى ليس بتعوذ ولا دعاء ولكن حقيقة

الامر والنهى وكذلك سؤال الادنى من الاعلى رغبة امر ونهى وسؤال الرغبة لا يكون الا تضرع وتعوذ ودعاء ثم قوله رب
لا تذرنى فردا فى الطاعة والعبادة والذكر والتسبيح والتحميد ما دمت حيا ولكن اشرك لى فى العبادة و
الذكر من يعيننى على ذلك وهو كقول موسى واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى
كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا قوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب اذا مت او ان يكون
قوله لا تذرنى فردا بعد مماتى فى قبرى ولكن هب لى من يذكرنى ويدعو لى بعد وفاتى ويحيى امرى وقوله
وانت خير الوارثين اى وانت خير من يرث العباد على هذا التاويل وعلى التاويل الاول وانت خير من يعين
على العبادة والطاعة والله اعلم وقوله فاستجبنا له اى دعاءه ووهبنا له يحيى قال الحسن انه كان يحيى على
ما سماه الله فى الطاعة والعبادة وفى الاخرة يحيى فى الكرامات والثواب الجزيل وقد ذكرنا هذا فيما تقدم
وقوله واصلحنا له زوجه يخرج على وجهين احدهما ان جعلناها بحيث يرغب فيها زوجها ذات
هيئة ومنظر لانه ذكر فى القصة انها بلغت فى السن ما تم عمرها والعرف فى النساء انهن اذا بلغن المبلغ
الذى ذكرنا بلغت زوجة زكريا يكن من القواعد اللاتى لا يرغب فيها احد فاخبر انه اصلحها وصيرها
بحيث يرغب فيها ذات هيئة ومنظر والثانى اصلحنا له زوجه اى ولودا بحيث تلد لانه لما بشر بيحيى
قال انى يكون لى غلام وكانت امراتى عاقرا والعاقر هى التى لا تلد فيكون قوله واصلحنا له زوجه ولودا
بحيث تلد والله اعلم هذان الوجهان محتملان واما قول من يقول بان فى لسانها بذاء وطول وفى خلقها سوء
فذلك لا يحل ان يقال الا بثبت وهو على خلاف ما ذكرهم ووصفهم حيث قال انهم كانوا يسارعون فى الخيرات
ثم المسارعة فى الخيرات انه كان لا يمنعهم شىء عن الخيرات وهكذا المؤمن هو يرغب فى الخيرات كلها
الا ان يمنعه شىء من شهوة او سهو وقوله ويدعوننا رغبا ورهبا اى يدعوننا رغبة فيما عندنا من جزيل
الثواب ورهبا من اليم عقابنا والثانى رغبا فيما عندنا من اللطايف من التوفيق على الخيرات والعصمة
عن المعاصى ورهبا مما عندنا من النقمات والخذلان والزيغ وقوله وكانوا لنا خاشعين قال بعضهم الخشوع
هو الخوف الدايم الملازم للقلب لا يفارقه وقال بعضهم متواضعين ذليلين لامر الله تفسير الخشوع ما
ذكر بقوله ويدعوننا رغبا ورهبا وقوله والتى احصنت فرجها اى عفت فرجها وقوله فنفخنا فيها من
روحنا قال اهل التاويل ان جبريل اتاها فنفخ فى جيبها او فى فرجها وهذا ليس فى الاية فلا يجوز القول
الا بثبت ولكن قوله فنفخنا فيها من روحنا كقوله فى ادم ونفخت فيه من روحى اى انشأت فيه من روحى
اذ لم يقل احد فيه بالنفخ اى جبريل نفخ فيه فعلى ذلك قوله فنفخنا فيها من روحنا اى انشأنا فيها من روحنا
والله اعلم وقوله وجعلناها وابنها اية للعالمين ذكر فيها اية واحدة لانها ولدت بغير زوج وولد هو بلا اب
فهو واحد اذا كانت هى ولدته بغير زوج فيكون بغير اب فهو اية واحدة والاية فيها ما ذكر يا مريم
ان الله اصطفيك على نساء العالمين وابنه عيسى حين فى المهد فقال انى عبد الله اتانى الكتاب الاية وقال
ابو عوسجة احصنت اى عفت ويقال امراة حصان اى عفيفة ومحصنة اى قد احصنها زوجها ومحصنة اى
عفيفة وامراة حصان ونسوة حاصنات وحواصن قال والحصان ذكر الخيل وحصن جميع وقوله ان هذه
امتكم امة واحدة قال بعضهم ان هذه ملتكم وشريعتكم ومذاهبكم ملة واحدة وشريعة واحدة يعنى شريعة
الاسلام وملة واحدة ليست بمفترقة وقال بعضهم ان هذه دينكم دين واحد ليس كدين الامم الخالية اديان
مختلفة او ان يكون الامة ما يؤم اليها ويقصد لان الامة هى الجماعة وهى المقصودة وجائز ان يكون اخبار
عن هذه الامة على دين واحد وملة واحدة ليسوا بمختلفين فيه ولا بمفترقين كما ان الامم الخالية كقوله
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الاية وقوله ولا تتفرقوا فيه الاية اخبر عنهم انهم غير متفرقين ونهاهم
عن ان يتفرقوا كما تفرق الاولون الا ترى انه قال على اثره وتقطعوا امرهم بينهم هذا يدل على انه اخبار
عن اهل الاسلام فى سدد الامر انهم على شىء واحد وقال الزجاج ان هذه امتكم امة واحدة ما لزموا الحق
واتبعوه واما اذا تركوا لزومه وتركوا اتباعه فهى ليست بامة واحدة والله اعلم وقوله وانا ربكم فاعبدون
قال فى اية اخرى وانا ربكم فاتقون ليعلم ان العبادة والتقوى واحد فى الحقيقة لان الاتقاء هو ما يجتنب
من الافعال والعبادة ما يؤتى من الافعال والعبادة فاذا اجتنب ما يجب اجتنابه فقد اتى بما يجب اتيانه
واذا اتى بما يجب اتيانه فقد اجتنب ما يجب اجتنابه وهو كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر الاية
وجائز ان يكون قوله وانا ربكم فاعبدون اى توحدون على ما قال اهل التاويل لانه انما خاطب به اهل
مكة وقوله وتقطعوا امرهم بينهم اخبر عن الاولين انهم اختلفوا فى دينهم وتفرقوا كل الينا راجعون
من تفرق ولم يتفرق كقوله واليه المصير وقوله فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فيه دلالة ان
لا يقبل من الاعمال الصالحات الا بالايمان لانه شرط فى قبولها الايمان كقوله وهو مؤمن فلا كفران لسعيه
اى لا نكفر سعيه ونقبل ولا نجحد ولا نكفر كقوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه يا لفا والياء فلن يكفروه و
اصل الكفران الستر والشكر هو الاظهار يخبر عز وجل انه لا يستر ما عملوا من الحسنات والخيرات بل يشكر و
يظهر وقوله وانا له كاتبون اى يكتب لهم تلك الحسنات والخيرات كقوله واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة

وفي الابنوة وقوله وحرام على قرية اهلكناها وحرام بالالف ايضا ثم قوله وحرم وحرام على قول اهل اللسان واللغة واحد يقول حرم
عليك كذا وحرام كما يقال حل وحلال واما على قول اهل التاويل فانهم يفرقون بينهما فيقولون حرم حتم وواجب على قرية
اهلكناها انهم لا يرجعون او حتم وواجب على قرية اهلاكهم بعدما علم انهم لا يرجعون اي لا يتوبون بل لانه انما
يهلكهم لما علم منهم انهم لا يتوبون او ان يكون قوله وحرم على قرية اراد الله اهلاكها انهم لا يرجعون وظاهر
قوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجون ان يكون لهم الرجوع لانه يقول حرام انهم لا يرجعون الا ترى
الى قوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وظاهره انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج واقترب
الوعد الحق فعند ذلك يرجعون لقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا او ان ذكر هذا انهم لا يرجعون
لقول قوم لان قوما يقولون ان الخلق كالنبات ينبت ثم ييبس ثم ينبت فعلى ذلك الخلق يموتون ثم
يعودون ويرجعون وبعض من الروافض يقولون يرجع علي وفلان فاخبر انهم لا يرجعون ردا عليهم
وتكذيبا لخبرهم لان القران قد صار حجة عليهم وان انكروه لما عجزوا عن ان ياتوا بمثله والله اعلم بذلك
كله وقوله حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج كانه والله اعلم اضاف فتح ذلك السد الى انفسهم
وهم جماعة والا لست اعرف لنا نبث فتح السد وجها والله اعلم وقوله وهم من كل حدب ينسلون قيل الحدب الشي المشرف وقيل
الحدب كل ما ارتفع من الارض وقيل الحدب الاكمة وقيل من كل حدب من كل جهة ومن كل مكان ينسلون
قيل يخرجون اخيرا انهم من كل حدب اي من كل ناحية ومن كل جهة يسرعون كانهم لما سد عليهم ذلك السد
وحيل بينهم وبين ما يتعيشون ويترزقون من هذا العالم تفرقوا في تلك الامكنة لطلب ما يتعيشون به
فاذا بلغهم خبر فتح السد اتوا من كل جهة وناحية التي كانوا متفرقين فيها ينسلون يسعون لانهم مذ سد
عليهم السد في جهته من فتح ذلك السد فلما فتح خرجوا مسرعين وهو ما ذكر وتركنا بعضهم يومئذ يموج في
بعض وقوله واقترب الوعد الحق قوله اقترب اي وقع ووجب الوعد الحق لانه قد اخبر من قبل هذا
الوقت انه قد اقترب بقوله اقترب بقوله اقتربت الساعة واقترب للناس حسابهم وهو كقوله ان رحمة
الله قريب من المحسنين ليس على القرب ولكن على الوجوب فعلى ذلك الاول يحتمل ان يكون اخبارا عن الوقوع و
الوجوب وجائز ان يكون على القرب ايضا ويكون وجوبها ووقوعها في قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا كقوله انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الذي الاية
كقوله مهطعين الى الداع الاية وقوله ياويلنا اي يقولون ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا كانهم تذاكروا فيما
بينهم انا كنا في غفلة عن هذا ثم تذاكروا انهم لم يكونوا في غفلة ولكن قالوا انا كنا ظالمين في ذلك ضالين
في ذلك ضالين اعترفوا بالظلم والضلال وقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يقال ان خرف
من يتكلم عن الشر ونحوه انما يتكلم بما سواهم من العالم فاذا كان على هذا الذي ذكروا انما ينبغي ان لا ثلاث
ان يفهموا من قوله وما تعبدون عيسى وعزيرا والملائكة هؤلاء ويقولون هؤلاء عبدوا دون الله
فهو حصب جهنم على زعمكم الى هذا يذهب اهل التاويل ويقولون ثم نزل قوله ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى اولئك عنها مبعدون قالوا استثنى من عمله من عبد دون الله من سبقت له منه الحسنى وهو
عزير وعيسى وهؤلاء لكن قد ذكرنا انه لا يجوز ان يفهم من هذا هؤلاء ولكن الاصنام والاحجار
التي عبدوها كقوله وقودها الناس والحجارة التي عبدوها او ان يكون قوله انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم الشياطين الذين امروهم ودعوهم الى عبادة غير الله فيكون العبادة لمن دون الله
للشيطان حقيقة لانه هو الامر لهم بذلك والداعي الى ذلك دون من ذكروا لان هؤلاء اعني عيسى وعزيرا
والملائكة لم يامرهم بذلك فيكون على هذا كانه قال انكم والشياطين الذين تعبدون من دون الله حصب جهنم
وهو ما ذكر في اية اخرى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله الى قوله فاقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين دل هذا ان القرين هو الشيطان كقوله نقيض
له شيطانا فهو له قرين وقوله حصب جهنم بالصاد وقرئ بالطاء حطب جهنم قال ابن عباس الحصب بلسان
الزنجية هو الحطب وقال بعضهم هو حطب بلسان الحبشة ويقال ايضا بالضاد وحضب جهنم قال بعضهم الحصب
هي من الرمي يحصب جهنم بهم اي يرمي بهم والحطب هو معروف والحضب هو التهييج اي يهيج النار عليهم وقال
الكسائي حصبت النار اي القيت فيها الحطب وعن عائشة حضب جهنم بالضاد وقوله انتم لها واردون اي
داخلون فيها وقوله لو كان هؤلاء الهة ما وردوها اي لو كان الذين عبدوا دون الله الهة على ما زعموا
ما وردوا النار اي انهم لم يقروا انها ترد النار بل انكروا ذلك فكيف احتج عليهم بهذا لو كان هؤلاء الهة
ما وردوها قيل انهم وان لم يقروا بذلك الزمهم عز وجل الحجة من جهة الكتاب انها ترد النار لما عجزوا عن
اتيان مثله فقد لزمهم الحجة فكانهم اقروا انهم واردوها وهو كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم الاية هم لم يقروا انهم يحيون بعدما ماتوا ولكن لما عرفوا انهم كانوا امواتا فاحياهم
فقد لزمهم الاقرار والحجة بالاحياء بعد الموت فعلى ذلك الاول كانهم اقروا بانها واردون بما لزمتهم
الحجة وقوله وكل فيها خالدون ظاهر وقوله لهم فيها زفير قيل الزفير هو الصوت الخفيض الذي فيه انين

والشهيق

والشهيق هو الصوت الرفيع الذي لا انين فيه وقيل الشهيق اول نهيق الحمار والزفير هو اخر نهيقه وقوله
وهم فيها لا يسمعون قيل لا يسمعون الخير ويسمعون غيره وقال بعضهم لا يسمعون لانهم يكونون
صما بكما عميا في النار كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما وقال القتبي وحرام
على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي حرام عليهم ان يرجعوا ويقال واجب وقال هو حرم وحرام واحد
كما قال حل وحلال وقال وهم من كل حدب ينسلون اي من كل نشز من الارض واكمة ينسلون من النسلان
وهو مقاربة الخطو مع الاسراع كمشي الذئب اذا بادر قال ابو عوسجة الحدب ما ارتفع من الارض الواحد
حدب ينسلون اي يجيئون وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال عامة اهل التاويل انه لما نزل قوله
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قالت الكفرة ان عيسى وعزيرا والملائكة قد عبدوا من دون
الله فهم حصب جهنم فنزل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى استثنى من سبق له الحسنى منه وهو
عيسى وهؤلاء وكذلك في حرف ابن مسعود الا الذين سبقت لهم منا الحسنى على الاستثناء عن علي رضي
الله عنه قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية ذلك عثمان وطلحة والزبير وانا من شيعة عثمان
وطلحة والزبير ثم قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الاية ولكن قد ذكرنا الوجه فيه فان ثبت انه نزل
بشان هؤلاء والا فهو لكل من سبق له من الله الحسنى ثم الحسنى يحتمل الجنة كقوله فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى اي بالجنة فعلى ذلك قوله سبقت لهم منا الحسنى ويحتمل الحسنى السعادة والبشارة بالجنة وثوابها
وقوله اولئك عنها مبعدون اي لا يعودون اليها ابدا ليس على بعد المكان كقوله اولئك في ضلال بعيد اي
لا يعودون الى الهدى ابدا او ان يكون قوله مبعدون عنها مكانا لكن قد ذكر في اية فاليوم الذين امنوا من الكفار
يضحكون على الارائك ينظرون وقال في اية فاطلع فراه في سواء الجحيم ولا نعلم هذا انه يجعل في قوى اهل
الجنة انهم متى ما ارادوا ان ينظروا الى اولئك ويروهم يقدرون على ذلك او تقرب النار اليهم فينظرون
اليهم والله اعلم والاول اشبه انهم لا يعودون اليها ابدا وقوله لا يسمعون حسيسها اي صوتها وهو ما ذكر
من الابعاد واذا بعدوا منها لم يسمعوا حسيسها وقوله وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون وهو ما قال
في اخرى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وانتم فيها خالدون وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر اي لا يحزنهم
اهوال يوم القيمة وافزاعها وتتلقيهم الملائكة اي تتلقاهم الملائكة بالبشارة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا الاية او لا يحزنهم الفزع الاكبر اي لا يحزنهم ما يحل بالكفرة من الفزع والعذاب ليس كمن
راى في الدنيا انسانا في بلاء وشدة او يعذب بعذاب فانه يحزن ويهتم بما حل به فاخبر انهم لا يحزنون
بما حل بالكفرة من العذاب والشدائد قال ابو عوسجة حصب جهنم قال الحصب والحطب واحد قال وما اكثر
من العرب من يتكلم بهذه اللفظة قال ولا اعرف حضب جهنم بالضاد وقال غيره ما ذكرنا من القاء الحطب
فيه والتهييج وقوله انتم لها واردون اي داخلون وقوله لهم فيها زفير الزفير هو شدة النفس في الصدر
يقال زفر يزفر زفيرا وقال بعضهم الزفير هو لكل محزون ومكروب وهو قريب مما ذكرنا وقوله لا يسمعون
حسيسها او صوتها وهو من الحس وهو الصوت وقال القتبي حصب جهنم ما القي فيها واصله من الحصباء وهي
الحصى ويقال حصبت فلانا اي رميته حصبا بتسكين الصاد وما رميت به حصب بفتح الصاد وكما تقول
نفضت الشجرة نفضا وما وقع نفض واسم حصا الجمار حصب وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب
هذا خرج على اثر سؤال سألوه على علم غير ابتداء لان الابتداء بمثله على غير تقدم امر لا يحتمل فكانه والله
اعلم لما ذكر اهل النار في قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الى قوله انتم لها واردون وذكر اهل
الجنة ووصفهم بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى اخر ما ذكر من قوله هذا يومكم الذي كنتم توعدون
فكانهم قالوا متى يكون ذلك فقال عند ذلك يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب اخبر ان السماء تطوى كما يطوى
السجل للكتب ثم ذكر في السماء الطي مرة والتبديل في اية بقوله يوم تبدل الارض غير الارض الاية وذكر
الانشقاق في اية كقوله اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت ونحوه كما ذكر في الجبال احوالا حركة
قال وتكون كالعهن المنفوش وقال في اية ينسفها ربي نسفا وقال في اية اخرى هباء منثورا وقال اية اخرى
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ونحوه فجائز ان يكون كذلك على اختلاف الاحوال
على ما ذكرنا فيما تقدم ثم تتلاشى وتفنى حتى لا يبقى منها شيء كما ذكر هباء منثورا فعلى ذلك السموات
والارضون يختلف عليها الاحوال على ما ذكر ثم اخرها التبديل كما ذكر يوم تبدل غير الارض والسموات
فيما ذكر في هؤلاء الايات من تغيير الجبال والسموات والارضين دليل فناء هذا العالم بجملته واسره لان
فناء السموات والجبال والارض بعد عزلها هام الخلق واما غيرها من الخلائق فانهم يشاهدون فناءه
فذكر فناء ما يبعد في اوهامهم ليعلموا ان هذا العالم يفنى باسره ويستبدل عالما اخر يحتمل البقاء للجزاء والله
اعلم وقوله كما بدانا اول خلق نعيده هذا ايضا لا يحتمل الا على تقدم ذكر فهو محتمل ما ذكرنا مما سبق من ذكر
اهل الجنة واهل النار فقالوا كيف يحيون فقال عند ذلك كما بدانا اول خلق نعيده ثم اختلف فيه
فقال بعضهم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم لحما ثم ينفخ فيهم الروح وقال بعضهم كما بدانا

لا اول خلق نعيده يعني السموات السبع يطويها الله فيجعلها سماء واحدة كما كانت اول لا قبل ان يخلق فيها ست سموات
والارضين كذلك وجائز ان يكون ذكر هذا اخبارا والتزاما دعلى ان يعيدهم كما قدر على ابتداء خلقهم وقوله وعدا
علينا انا كنا فاعلين لهن بعثهم وعدا علينا لا يتخلف ذلك على ما قال انه لا يخلف ذلك على ما قال انه لا يخلف الميعاد
ثم اختلف في السجل وفي قراءة قال بعضهم السجل اسم رجل وهو كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
بعضهم هو اسم الملك الذى يكتب وقال بعضهم السجل الصحيفة ثم قال بعضهم من قرأ السجل بالتشديد فهو الصحف
ومن قراء السجل بالتخفيف هو ملك هو كل ما ضمه باسمه السجل وبقرالكتاب قال ابو عوسجة كطي السجل
للكتب قال يقال اسجل وسجلت اى كتبت اسجالا والتسجيل وسجلت ايضا ملئت وسجل طلق يقال منه سجل يسجل
سجلا والمساجلة المفاخرة ويقال ساجلته فاخرته ويقال اسجلت الكلام فهو مسجل اى اطلقته وارسلته والله
اعلم وقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال بعضهم ان كل كتب الله
التي انزلها هي زبور من بعد الذكر اى الكتاب الذى عند الله وهو اللوح المحفوظ معناه والله اعلم على هذا التاويل
كتبنا في الكتب التي انزلناها بعدما كان مكتوبا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها كذا وقال بعضهم كتب الله في
الزبور المعروف وهو زبور داود من بعد ما كتب من بعد الذكر اى التورية ان الارض يرثها يعني الجنة يرثها عبادي
الصالحون وكتب ذلك في هذا القرآن فقال ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وقال بعضهم ولقد كتبنا في الزبور اى
زبور داود بعد ما كتب في الذكر الذى عنده وجائز ان يكون قوله كتبنا في الزبور في بعض كتاب اى في بعض
السور من بعد الذكر اى من بعد السورة ان الارض يرثها كذا وجائز ايضا كتبنا في كتاب من بعد الذكر اى من بعد
ما ذكرهم وعظهم ان الارض يرثها كذا ثم اختلفوا في قوله ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال
عامة اهل التاويل هي الجنة اخبر ان الجنة انما يرثها عبادي الصالحون وهو ما ذكر في اية اخرى
اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فيكون هذا تفسيرا لذلك وقال بعضهم ان
الارض يعني ارض بيت المقدس يرثها عبادي الصالحون وهو كذلك كان لم يزل بها عباد الله الصالحون الى يوم القيمة
وجائز ان يكون قوله ان الارض يرثها امة محمد كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها فذلك وراثتها وهم عباده الصالحون كقوله كنتم خير امة
اخرجت للناس اخبر انها خير الامم والله اعلم وقوله ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين يحتمل قوله في هذا اى فيما ذكر من قوله
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون في ذلك بلاغا لقوم همتهم العبادة
اولقوم مطيعين موحدين وجائز ان يكون قوله ان في هذا فيما تقدم من الايات وهو قوله واقترب الوعد
الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الى قوله انتم لها واردون وما ذكر من قوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الى اخر ما ذكر ان فيما ذكر كله لبلاغا لقوم عابدين وجائز ان يكون بلاغا للناس جميعا كقوله
هذا بلاغ للناس فيكون قوله لقوم عابدين اى لقوم يلزمهم العبادة وقال بعضهم ان في هذا اى في هذا القرآن
لبلاغا لبلغهم عن الله لقوم عابدين وفي حرف ابن مسعود ان في هذا اى في هذا الذكر لقوم عابدين وقوله
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين جائز ان يكون كل رسل الله رحمة من الله للعالمين وكذلك كل كتب الله رحمة للعالمين
على ما ذكر في عيسى ورحمة منا وكان امرا مقضيا وجائز ان يكون لرسول الله صلوات الله عليه خاصة فيكون في وجهين
احدهما وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وما ارسلناك الا جعلناك رحمة للعالمين او ان يقال وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين والعالمين هو الجن والانس لا تربت اليهم قرا رحمة فيه يحتمل وجوها احدها ما خبر العذاب عنهم والثاني
اتم رحمة حتى اذا اتبعوه يكون سببا لهم ربه عزهم في الدنيا والاخرة والثالث شفاعته لاهل الكبائر في الاخرة و
نحو ذلك وقوله قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد كانه نزل على الدعاء خرج الامر كانه قال امرني ربي اخبركم ان الهكم
اله واحد فاصرفوا العبادة اليه ولا تشركوا فيها غيره او ان يقول اوحي الي ان ادعوكم الى الحكم الذى هو اله واحد
والا كان رسول الله يعلم انه اله واحد لكنه خرج على الدعاء والاخبار انه اله واحد او ان يخبرهم اني الى ما ادعوكم
اليه وامركم به انما ادعوكم وامركم بالوحي بما اوحي الي لا من تلقاء نفسي قل انما انذركم بالوحي والله اعلم وقوله
فهل انتم مسلمون ظاهره وان كان استفهاما فهو على الامر والايجاب كانه قال قد اوحي الي ان الهكم اله واحد فاسلموا له واخلصوا
العبادة له لا تشركوا فيها غيره والاسلام هو ان يجعل كلية الاشياء والاعمال كلها لله عز وجل ثم هو يكون على وجهين احدهما
على الاعتقاد ان يعتقد كلية الاشياء لله لا على تحقيق ذلك الفعل والثاني على تحقيق جعل الاشياء كلها لله اعتقادا وعملا
وقوله منه نجاق ومنه يرجو لا يخاف غيره ولا يرجو من دونه فهو حقيقة الاسلام وقوله فان تولوا فقل اذنتكم
على ان الاول خرج على الامر والدعاء حيث قال فان تولوا فقل اذنتكم على سواء اى اعلمتكم
على عدل وحق كقوله قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم اى عدل بيننا وبينكم فعلى ذلك هذا
قوله على سواء اى على عدل وحق ويحتمل ايضا اذنتكم على سواء اعلمتكم حتى صرت انا وانتم في العلم على سواء وعلى
الاستواء في العداوة والمحاربة وهو كقوله فانبذ اليهم على سواء على الاستواء في العداوة
اى انبذ اليهم حتى تكون انت وهم في العلم سواء والمحاربة وقوله وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
اى ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون ويحتمل قوله ما توعدون الساعة والقيامة التي كانوا يوعدون بها وهم

كانوا

كانوا يستعجلون بها كقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فيقول ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
ويحتمل قوله ما توعدون من العذاب الذى كان بعد هذا انه نازل بهم في الدنيا وهم كانوا يستعجلون به كقوله و
يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فيقول ما ادري اقريب ام بعيد ما توعدون من العذاب والله اعلم
وقوله انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون يخرج ذلك على الوعيد والتنبيه والزجر عن المكر برسول الله
والقول فيه بما لا يليق به يخبر انه يعلم ما تظهرون من القول وما تكتمون اى ما تسرون من المكر به وفيه
دلالة اثبات رسالة محمد حيث اخبرهم عما اسروا فيما بينهم من المكر به وقوله وان ادري لعله فتنة
لكم ومتاع الى حين ذكر انه ما ادري لعله فتنة لكم ولا يتبين ما الذى يكون فتنة لهم لكن بعض اهل التاويل
قال ما ادري لعل ما قلت لكم من العذاب والساعة ان يؤخر عنكم لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فيصير ما قربت
لكم من العذاب والساعة فتنة لكم فيقولون لو كان ما خوفنا به محمد حقا لكان نزل بعد فيصير قوله
ذلك فتنة لكم هذا محتمل ويحتمل وجها اخر وهو ان قال وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
انه كان خوفهم نزول العذاب بهم ولكن لم يبين لهم الوقت انه متى ينزل بهم فيقول ما ادري لعل
تأخير ما يأتيكم العذاب على بيان وقت فتنة لكم لانه اذا تأخر عنهم العذاب متاعا لهم يأمنون منه
فيحملهم ذلك على التكذيب فيما خوفهم من العذاب ويكون ما يؤمنون من العذاب متاعا لهم الى
لو كان وقت نزول العذاب مبينا لكان ابدا على خوف فينغص ذلك الخوف ويمنعهم عن المتاع وان
لم يبين لهم الوقت فاذا تأخر عنهم يأمنون ويتمتعون فيقول ما ادري لعل تخويفي اياكم فتنة لكم ان
لا يجب ان تفسر قوله فتنة لكم انه اى شئ ارادوهم قد عرفوا انه اراد به ولسنا نعلم ذلك انه
اراد كذا الا ان تبينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله قل رب احكم بالحق تعلق اكثر المعتزلة بظاهر
هذه الاية في مسائل لهم يقولون لا يجوز ان يدعى بدعوات يعلم الداعي انه قد اعطي ذلك له من نحو سؤال
المغفرة رب اغفر لي وهو مغفور ورب اعطني كذا وهو معطى له ذلك ويقول رب اغفر لي وهو يعلم انه
لا يغفر له ونحو هذا من المسائل لهم فيحتجون بظاهر قوله رب احكم بالحق امر رسول الله ان يدعو به
على علم انه لا يحكم الا بالحق ونحن نقول انه يجوز ان يدعى بمثل هذا الدعاء على الاطلاق لا على اعتقاد معنى
الخبر انه كان الله فعل ذلك فيكون ذلك منه عدلا وحقا وجائز ان يكون قوله قل رب احكم بالحق اى بالنصر
والظفر على اعدائه اى انه ان نصره يكون ذلك عدلا منه وحقا او ان يكون المراد بالحكم بالحق اى العذاب
الذى هو حكمك على مكذبي الرسل فاما ان يعتقد من قوله رب احكم بالحق ما اعتقد المعتزلة فيحصل الدعاء
اللهم لا تجر ورب اعدل ومن عرف ربه هكذا فهو ليس يعرف حقيقة وقال ابو عبيد قوله رب احكم بالحق
اى رب احكم بحكمك وهو الحق وهو محتمل مستقيم وقد ذكرنا هذه المسئلة وامثالها فيما تقدم وقوله وربنا
الرحمن المستعان على ما تصفون امر رسوله ان يستعين بالله على ما يقولون من تكذيبهم اياه فيما يدعو
بعد قال القتبي اذنتكم على سواء اى اعلمتكم فصرت انا وانتم على سواء وانما يريد بانى اذنتكم واعلمتكم
ذلك فاستوينا في العلم وقال ابو عوسجة قوله اذنتكم على سواء اى كلكم والله اعلم بالصواب واليه المرجع
والمآب وصلى الله تعالى على سيدنا ونبينا محمد واله وصحبه اجمعين

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم قد ذكرنا تاويله في غير موضع وقوله
ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال الحسن ان بين يدي الساعة ايات تحجب التوبة وقبول الايمان منها الزلزلة
التي ذكر ومنها طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال والدابة وخروج ياجوج وماجوج وامثاله وهو كقوله
او ياتي بعض ايات ربك يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
خيرا وجائز عندنا ان تكون هذه الايات غاية لقبول التوبة والايمان يقبل الى ذلك الوقت ولا يقبل بعد
ذلك وان تابوا وامنوا او ان يكون قوله لا ينفع نفسا ايمانها لانهم لا يؤمنون لما يشغلهم تلك الايات عن
ذلك فلا يؤمنون لان تلك الايات ثم الخلائق كلهم المؤمن والكافر جميعا فلا يعرف المبطل والضال انه
على الضلال والباطل فيرجع الى الهدى والحق ليس كعذاب ينزل على قوم خاص لان ذلك يعرف اولئك انه
انما ينزل بهم خاصة لما فيهم من التكذيب والعناد واذا كانت الايات عامة لم يعرف اهل الضلال انهم على
باطل وانه انما ينزل بسببهم لما يرون انه قد عم الخلائق كلها فقوله لا ينفع لانهم لا يؤمنون كقوله فما تنفعهم
شفاعة الشافعين اى لا يكون لهم من يشفع ليس ان يكون لهم من يشفع ليس ان يكون لهم شفعاء فيشفعون
فلا تقبل شفاعتهم فعلى ذلك جائز ان يكون قوله لا ينفع لانهم يشغلون عن الايمان فلا يؤمنون فلا ينفع
لهم على ما ذكرنا ثم اختلف فيه قال بعضهم زلزلة الساعة قبل الساعة وقبل القيامة وقال بعضهم ان زلزلة
الساعة هي الساعة وصفها بالشدة والفزع فقال يوم ترونها تذهل اى تشغل كل مرضعة لشدة اهوالها وافزاعها
وتضع كل ذات حمل حملها هذا على قول من يقول ان زلزلة الساعة قبل الساعة يكون على التحقيق اى تذهل عما

ارضعت وتضع حملها لانها تكون في ذلك الوقت مرضعا وحاملا فتذهل لاهوال ذلك وافزاعها عن ولدها
وتضع ما في بطنها كقوله يوم يفر المرء من اخيه الاية فذكر هولاء لان من اصاب شيئا من البلاء في هذه الدنيا
يفزع الى هولاء فيخبر ان في ذلك اليوم يفر بعض من بعض لشدة ذلك اليوم وهوله لشغله بنفسه وعلى قول من
يقول ان زلزلة الساعة هي الساعة فيخرج قوله تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية على التمثيل اي تذهل عما ارضعت
ان لو كان مرضعة وتضع حملها ان لو كانت حاملا لشدة وهوله والله اعلم وقوله وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى اي من يمكن له رؤية يرى الناس كانهم سكارى وما هم بسكارى والا لم يجز ان يريهم سكارى وليسوا هم
سكارى في الحقيقة وانما قلنا انه يرى من يمكن له رؤية والا لو كان يراهم كلهم سكارى لكان لا يريهم سكارى
لان السكاران لا يرى من كان في مثل حاله سكران او ان يكون خاطب به رسوله ولا يكون فيه ذلك الهول الذي
يكون في غيره او ان يكون ملك على التمثيل ليس على التحقيق وقول اهل التاويل يقول لادم في ذلك قم فابعث
بعث النار فيقول يا رب كم فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين في النار وواحد في الجنة ويروون الخبر
في ذلك عن رسول الله فان ثبت ما روي عنه في ذلك والا الكف عن مثله اولى لانه يجزن حيث يؤمر ان يبعث بعث
ولده الى النار من غير ان كان ما يستوجب هذه العقوبة قال القتبي تذهل اي تسلو عن ولدها وتتركه وقال
ابو عوسجة تذهل اي تنسى يقال ذهل يذهل ذهولا واذهلته اي انسيته وقال غيره اي تشغل والحمل بالنصب
ما في البطن والحمل بالخفض ما على الظهر والزلزلة الرجفة يقال زلزلت اي حركت وتزلزلت وقوله ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ذكر المجادلة في الله ولم يبين فيما جادلوا وقد كانت مجادلتهم من وجوه منهم من جادل
في مشيئة الله تبارك وتعالى ومنهم من جادل ان هذا العالم منشأ ام لا ومنهم من جادل في وحدانية الله تعالى
واحدا وعددا ومنهم من جادل في بعث الانبياء وارسال الرسل ومنهم من جادل في انزال الكتب ومنهم من جادل
في دين الله تعالى المدعو اليه وبمثل هذا قد كثرت مجادلاتهم فيما ذكرنا وكل ذلك كان مجادلة بغير علم لانهم لو تفكروا
في هذا العالم ونظروا فيه حق النظر لعرفوا ان لهذا العالم منشئا وانه واحد لا عدد وانه عالم قادر وبذا انه بعث
الرسل والكتب وعرفوا ايضا انه يبعث هذا العالم ويحييهم وانه قادر على ذلك لكنهم لم يتفكروا فيه ولم ينظروا
حق النظر فجادلوا فيه بغير علم وقوله ويتبع كل شيطان مريد يحتمل ان يكون قوله ويتبع كل شيطان مريد الشيطان
المعروف نفسه يتابعه في كل ما يدعوه وجائز ان يكون اراد انه يتبع كل من يعمل عمل الشيطان وهم القادة الذين
كانوا يدعون الى اتباع ما يدعو الشيطان ويوحي اليهم وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اخبر
ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم من الانس ليجادلوكم فذلك معنى قوله ويتبع كل شيطان مريد قيل فعيل بمعنى
فاعل على ما ذكر في اية اخرى من كل شيطان مارد قال بعضهم كل متمرد في العناد والمكابرة فهو مارد وقال
بعضهم المارد هو المجاوز عن جنسه في عتوه وتمرده ولذلك سمي الذي لا لحية له امرد لخروجه ومجاوزة
اجناسه ورجاله والمارد بالفارسية ستنبه وقوله كتب عليه انه من تولاه فانه يضله قال بعضهم كتب على
الشياطين امر من تولاه واتبعه ان يضله ويهديه اي يدعوه الى عذاب السعير وهو ما قال في اية اخرى اولو
كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وقال بعضهم كتب على من تولى الشيطان واتبعه انه يضله اي يدعوه
الى ما يضله ويهلكه وقوله كتب قيل حكم وقيل قضي وكتب يحتمل الاثبات اي ثبت في ام الكتاب ان من
تولى الشيطان واتبعه انه يضله وقد ذكرنا ضلال الشيطان في غير موضع وقوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة اي خلقنا اصلكم من تراب وخلقنا اولاده من نطفة ثم من علقة
الاية تاويله والله اعلم ان كيف تشكون في البعث وتنكرونه وليس سبب انكاركم البعث الا ان تصيروا ترابا وبلاء
او ماء في العاقبة وقد كنتم في مبادي احوالكم ترابا وماء فكيف انكرتم بعثكم اذا صرتم ترابا او ان يكون معناه ان
كيف انكرتم البعث وقد رايتم انه يقلبكم من حال النطفة الى حال العلقة ومن العلقة الى المضغة ولا يقلب من
حال الى حال عاقبة القصد فلو لم يكن بعث كما تزعمون لكان خلقكم وتقليبكم من حال عبثا على ما اخبر ان خلق الخلق
لا للرجوع اليه عبث لقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلق الخلق لا للرجوع اليه
عبثا فعلى ذلك الاول او ان يكون تاويله والله اعلم فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الى اخر الاية ولو اجتمع
حكماء البشر وعلماؤهم ليعرفوا السبب الذي خلق البشر من ذلك التراب او من النطفة ما قدروا عليه وما وجد
والبشر فيه اثر ولا معنى البشرية فيه فمن قدر على ابتداء انشاء هذا العالم من التراب او من النطفة من غير
سبب يوجد فيه ولا اثر لقادر على اعادتهم واعادة الشيء في معقولكم اهون وايسر من الابتداء فمن قدر على
الابتداء فهو على الاعادة اقدر وقوله مخلقة وغير مخلقة قال بعضهم مخلقة اي مخلوقة خلقا وغير مخلقة
اي غير مخلوقة خلقا نطفة على حالها وقال بعضهم مخلقة اي تامة وغير مخلقة اي غير تامة خلقا وسواء الشبه
لان التشديد انما يذكر لتكثير خلقتها الفعل والتخفيف لتقليله فكانه قال مخلقة اي قد اتم خلقتها من الجوارح
والاعضاء وغير مخلقة اي غير تامة خلقا بل ناقصة وقوله لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى
كان قوله ونقر في الارحام ما نشاء موصولا بقوله ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير
مخلقة ثم نقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى من ستة اشهر الى سنتين او ما شاء الله ثم نخرجكم من

الارحام بعد الاقراء فيها طفلا قال بعضهم ثم نخرج كلا منكم طفلا وقال بعضهم واسم الطفل يجمع ويفرد ثم
لتبلغوا اشدكم قال بعضهم الاشد هو ثلاث وثلثون سنة وقال بعضهم هو من ثماني عشرة سنة الى ثلاثين
سنة واصل الاشد هو من اشتداد كل شيء وتقوى كل شيء منه من الجوارح والاعضاء وكل ما ركب
فيه من العقل وغيره ثم عند ذلك يتبين لهم ويكون قوله لنبين لكم بعد هذا كله اذا بلغوا المبلغ الذي
يعرفون تقليبه اياهم من حال الى حال على ما ذكر ثم يحتمل قوله لنبين لكم وجوها احدها يبين قدرته وسلطانه
ان من قدر على تحويلهم من حال التراب الى حال الانسانية والبشرية ومن حال النطفة الى حال العلقة ثم
الى اخر ما ذكر قادر على البعث والاحياء بعد ما صاروا ترابا او يبين علمه في الظلمات الثلاث الذي كان
الولد فيها انه كيف قلبه من حال الى حال في تلك الظلمات ليعلموا انه لا يخفى عليه شيء او يبين حكمته وتدبيره في خلق
الانسان من التراب ومن النطفة ما لو اجتمع جميع الحكماء من البشر والعلماء ليعرفوا المعنى الذي به خلق الانسان
منه وصار به بشرا ما قدروا عليه ولا عرفوا السبب الذي به صار كذلك ليعلموا انه حكيم بذاته وعالم قادر
بذاته لا بتعليم غيره ولا باقدار غيره فمن كان هذا سبيله لا يعجزه شيء من الاشياء من الاشياء ولا من
الاشياء على ما شاء وكيف شاء وقوله ومنكم من يتوفى اي من يتوفى قبل ان يبلغ اشده دليله قوله ومنكم من
يتوفى اي من قبل ان يبلغ ذلك المبلغ وهو الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي الخرف ليستقذر منه ويستخبث
ليس كالصغير لان الصغير والطفل مما يؤمل منه في العاقبة المنافع والزيادات وهذا لا يرجى منه العاقبة
كلما مر عليه وقت كان اضعف في عقله ونفسه ولا كذلك الصغير وهو ما قال خلقكم من ضعف ثم جعل من
بعد قوة ضعفا وشيبة قال القتبي ارذل العمر اي الخرف والهرم وقوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا اي لكيلا يعلم
من بعد ما كان يعلمه شيئا ثم ذكر قدرته وسلطانه فقال وترى الارض هامدة قال بعضهم ميتة وقيل
خاشعة وقيل يابسة وقيل بالية وقوله فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت قال الزجاج وربت من الزيادة
والنماء وكذلك قال ابو عوسجة يقال ربا يربو اي زاد وهو من الربو والربا من الارتفاع ربا يربو ربوة
كقوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ثم اضاف الاهتزاز والزيادة الى الارض وهي لا تهتز ولا تربو انما
تربو وتهتز ما يخرج منها من النبات لكن اضاف ذلك اليها لما بها كان اهتزاز ذلك النبات وبها كان النماء
فاضيف اليها او ان كان من الارتفاع والربوة فهي ترتفع وتنتفخ وتهتز بالمطر وقوله وانبتت من كل زوج
بهيج قيل البهيج الحسن يخبر في هذا كل قدرته وسلطانه ان من قدر على احياء الارض بعد ما كانت يابسة ميتة
لقادر على احياء الموتى بعد الموت وبعد ما صاروا ترابا وقوله من كل زوج بهيج اي من كل جنس حسن بهيج اي
يسر وهو فعيل بمعنى فاعل فقال امراة ذات خلق باهج وقال ابو عوسجة الهامدة البالي يقال همد الثوب
اذا بلي والهامد ايضا الخامد خمدت النار وخمدت خمودا وقال بعضهم قوله وربت اي اضعفت النبات وقوله
ذلك بان الله هو الحق اي ذلك الذي تقدم ذكره من الساعة وزلزالها واهوالها وما ذكر من خلق الانسان
وتقليبه من حال الى حال وما ذكر من البعث والاحياء واحياء الارض بعد ما كانت هامدة هو الحق ذلك
بان امره هو الحق اي كائن لا محالة الا ترى انه قال وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتية لا ريب
فيها وان الله يبعث من في القبور هذا كله يدل ان قوله ذلك بان الله هو الحق في تحقيق البعث والاحياء بعد الموت
وانه لا يعجزه شيء وانه قادر بذاته عالم وقال بعضهم ذلك يقول هذا الذي فعل وظهر من صنعه يدل على ان
الله هو الحق وغيره من الالهة التي يعبدونها باطل وانه يحيي الموتى في الاخرة لا الالهة التي يعبدونها وانه
على كل شيء قدير على ما يشاء وهو ما اخبرنا وقال الحسن هو اسم من اسماء الله تعالى سمي به لانه يحكم بالحق وقوله
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم يحتمل قوله بغير علم حسيا ولا هدى اي لا بيان دليل من جهة العقل و
لا كتاب منير اي ولا وحي منير ما يجادل فيه ويخاصم ويحتمل ان يكون قوله بغير علم اي بغير اذعان متمثل عند
العلم ولا هدى والاستسلام لمن عنده الدليل ولا خضوع لمن عنده كتاب منير وقوله ثاني عطفه قال
بعضهم لاوي عنقه اي معصية الله وقال بعضهم ناظرا في عطفه اي في جانبه ومثل هذا لكن حقيقة تخرج
على وجهين احدهما على التمثيل والكناية عن اعراضه عن دين الله الحق والصدق وضم كقوله انقلب على وجهه
وقوله انقلبتم على اعقابكم ونحوه كله على التمثيل والكناية عن الاعراض عن الحق والصدق ولا على حقيقة الانقلاب
على الاعقاب فعلى ذلك جائز قوله ثاني عطفه يخرج على التمثيل والكناية عن الاعراض عن الحق وجائز ان يكون
على حقيقة عطف العنق والميل عنهم تكبرا وتجبرا منه عليهم ثم بين انه لم يفعل فقال ليضل عن سبيل الله
ثم اخبر ماله في الدنيا بصنعه فقال له في الدنيا خزي قال بعضهم الخزي هو العذاب الذي يفضحه واصل
الخزي الهوان والذل وهم لما اعرضوا عن عبادة الله ودينه بلوا بعبادة الاصنام واتباع الشيطان
فذلك الخزي لهم في الدنيا ثم اخبر ما له في الاخرة من الجزاء فقال ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق وعامة
اهل التاويل يصرفون الاية الى واحد منهم وهو النضر بن الحارث ويقولون له في الدنيا خزي لانه اسر يوم
بدر فضرب عنقه وقتل صبرا فذلك الخزي له والحسن يقول هذا الخزي لجميع الكفرة لانه لم يزل هذا صنيعهم
منذ كانوا فاخزاهم الخزي في الدنيا الخسف والحصب على ما كان في الامم الخالية وقوله ذلك بما قدمت يداك

ليس على تحقيق تقديم الايدي ولكن على التمثيل لما بالايدي تقدم فذكر اليد لذلك على ما ذكرنا من انقلاب الاعقاب وقوله وان الله ليس بظلام للعبيد لانه لا ياخذ احدا بغير ذنب ولا ياخذه بذنب غيره وقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف اختلف في قوله على حرف قال بعضهم يعبد الله على حرف اي على شك يمتحن ربه على اثر اعطاه طمعه واملة في هذه الدنيا حقق له الالوهية والعبادة وان لم يجد طمعه واملة لا يحقق له ذلك ويقول ليس هو باله اذ لو كان الها لاعطاه ما يطلب منه على هذا الشك يعبد بالامتحان وقال بعضهم على حرف اي على شرط يعبده على شرط الاعطاء يقول ان اعطاني املي عبدته وان لم يعطني ذلك لم اعبده يكون عبادته على هذا الشرط وقال بعضهم يعبد الله على حرف اي على حال واحدة على جهة واحدة ليس يعبده على الحالين كالمؤمن يعبده في الحالين جميعا حالة الظاهر وحالة الباطن وحالة الضراء والسراء وحالة السعة والشدة على ما تعبده لله كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات ونحوه عبده المؤمن على الحالين جميعا على ما تعبده الله والمنافق انما تعبده على حالة السعة والخصب لانه ليس يعرف ربه حق المعرفة فانما يعبد السعة والرخاء واما المؤمن فاذا عرف ربه عبده في الاحوال كلها لما عرف نفسه عبدا لسيده ولم ير للعبد سعة ترك العبادة لمولاه في كل حال وراى للمعبود حق استعباده واستخدامه في كل حال الضيق وحال السعة او لان يكون اي بما يصيبه من الشدائد والبلايا بتقصير كان منه وتفريط وعبدوه في الاحوال كلها ولما راى وعرف نعمة ربه عليه كثيرة ورام شكر تلك النعم عليه لازما فعبده في الاحوال كلها شكرا لتلك النعم واما اولئك لم يروا لله على انفسهم نعما فانما عبدوه على الجهة التي ذكرنا كانوا فرقا من الكفرة من يعبد الله في حال الشدة والضيق ولا يعبده في حال السعة والرخاء كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا ونحوه ومنهم من كان يعبده في حال السعة والرخاء وهو ما ذكرنا من امر المنافق واما المؤمن فهو يعبده في الاحوال كلها لما راه معبودا حقيقة على ما ذكرنا وقوله وان اصابته فتنة قد ذكرنا ان الفتنة هي المحنة التي فيها بلاء وشدة وقوله انقلب على وجهه وقال بعضهم هو على التمثيل على ما ذكرنا في قوله نكص على عقبيه وقوله انقلبتم على اعقابكم وقال بعضهم على تحقيق انقلاب وجهه لانه كان عبادته ظاهرا لم تكن يعبده في الباطن في حال السعة فلما اصابته الشدة ترك عبادته ظاهرا على ما كان باطنه فهو انقلاب وجهه والله اعلم وقوله خسر الدنيا والاخرة اما خسران الدنيا لانه فات عنه ما كان يامله يرجوها وخسران الاخرة ظاهر العذاب والشدائد وجائز ان يكون خسران الدنيا هو خضوعه لمن لا يضر ولا ينفع للعبادة للاصنام ذلك هو الخسران المبين لانه خسر في الدارين جميعا امله وطمعه والله اعلم وقوله يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه قيل ان الاية في المنافقين وهم كانوا لا يعبدون على حرف ليست بعبادة الله انما هي عبادة للشيطان فاخبر انه يعبد ما لا يضره ان ترك العبادة له ولا ينفعه ان عبده يدل على ذلك هو الضلال البعيد لانه عبد من لا يضره ان لم يعبده ولا ينفعه ان عبده فذلك هو الضلال البعيد وقوله يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه قال بعضهم يدعوا وثنا ويله من يضره اقرب من نفعه وقال بعضهم قوله يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه هذا ان عبده ضره عبادته اياه في الاخرة والاولى حيث قال ما لا يضره ان ترك عبادته في الدنيا ولا ينفعه ان عبده والله اعلم وقوله لبئس المولى ولبئس العشير قال بعضهم لبئس المولى اي الولي وهو الشيطان ولبئس العشير يعني الصاحب كقوله وعاشروهن بالمعروف اي صاحبوهن بالمعروف وقال بعضهم لبئس المولى اي الولي وهو الشيطان ولبئس العشير اي القرين الذين لا يفارق وقال القتبي اي الصاحب والخليل وهو ما ذكرنا كله واحد وقال ابو عوسجة العشير الرفيق الذي تعاشره وتصاحبه وتخالطه والعشير الزوج ايضا وقال القتبي ثاني عطفه يتكبر معرضا وكذلك قال ابو عوسجة ثاني عطفه اي متكبرا متجبرا والعطف في الاصل الجانب والاعطاف جميع وقوله من يعبد الله على حرف قال لا يدري احق هو ام باطل وهو الشك يقال اني من هذا الامر على حرف اي على شك لست بمستيقن وقال القتبي على حرف واحد وعلى وجه واحد وعلى مذهب واحد وقال قتادة على شك على ما ذكرنا وقال ابو عبيدة على حرف اي لا يدوم ويقول انما انا حرف اي لا اثق بك ونحو هذا واصله ما ذكرنا فيما تقدم وقال بعضهم قوله يدعوا لمن ضره في الاخرة اقرب من نفعه انقلب على وجهه اي يرجع الى دينه وقوله ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد المعتزلة كذبت هذه الاية والاية التي تلي هذه الاية وهو قوله وان الله يهدي من يريد لانهم يقولون اراد ايمان جميع الخلائق شاء ان يفعل ذلك واراد جميع الخيرات والكف عن الشرور ثم لم يقدر على وفاء ما اراد ويقولون لا صنع له في افعال العباد فلو تدبير فعلي قولهم لم يفعل الله اراد واحدا من الموف ويقولون ان الله اراد هدى جميع الخلائق لكنهم لم يهتدوا وهو اخبر انه يهدي من يريد وهم يقولون يريد هدى الخلق كلهم فلم يهتدوا ونحن نقول من اراد الله هداه اهتدى وما اراد ان يفعل فعل وهو ما اخبر فقال لما يريد اخبر انه يفعل ما يريد فيخرج على قولهم على احد الوجهين اما على الخلاف في الوعد واما على الكذب في القول والخبر فنعوذ

بالله

بالله من الشرك في القول وقوله من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تاويل الاية يخرج على وجهين احدهما من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا صلوات الله عليه ثم نصره فغاظ نصره اياه فيدوم غيظه فليمدد بسبب اي بحبل من السماء فيختنق ويقتل نفسه ليذهب غيظه الذي غاظه نصره ليستريح مما غاظه والثاني يخرج على الوعد بالنصر والخبر انه ينصره يقول من كان يظن ان ما وعد له من النصرة لا يفعل ذلك له ولا ينصره ولا ينجز ما وعد فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع اي ليحبس ما وعد له من النصر ان غاظه ما وعد ليذهب غيظه الذي غاظه فعلى هذا التاويل يكون السماء سماء الاصل اي يحبس السبب الذي ينزل من السماء قال بعضهم قوله من كان يظن ان لن ينصره الا لن يرزقه الله وجعل صلة قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف لانه جعل الاية في اهل النفاق يقول من كان يظن من اهل النفاق ان الله لا يرزقه اذا كان في ذلك الدين الذي كان فيه ودام فليمدد بما ذكر وقال مجاهد كيده ما يغيظ قال ذلك خيفة ان لا يرزق واهل التاويل صرفوا السماء الى سقف البيت ويقولون القطع الخنق وقال القتبي من كان يظن ان لن ينصره الله اي لن يرزقه الله وهو قول ابي عبيدة يقال مطرنا صروا ارض منصورة اي ممطورة وقال المفسرون من كان يظن ان لن ينصره الله محمدا فليمدد بسبب اي بحبل الى سقف البيت ثم ليقطع اي ليختنق فلينظر هل يذهبن كيده اي حيلته غيظه اي يجهد جهده وقال ابو عوسجة فليمدد بسبب قال هذا شيء لا يكون ولا يقدر عليه وهذا ذم لمتقول فيه لانه جعل السماء الاصل وقوله فليمدد اي يمديده وقوله والسبب في الاصل الحبل اي يعلق سببا فيرتقي في السماء والسبب الحبل وسبوب جميع اي حبل والسبب الحبل بلغة هذيل وقوله ما يغيظ هو شدة الغضب وقوله وكذلك انزلناه ايات بينات اي مثل هذا وهكذا انزلناه ايات بينات يبين ما لهم وما عليهم وقوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا اما الصابئون فان الناس اختلفوا فيهم قال اهل التاويل هم عباد الملائكة وقد ذكرنا اقاويلهم فيه في سورة المائدة فتركنا ذكره هاهنا لذلك والذين اشركوا قبل هم مشركو العرب وهم عبدة الاوثان والاصنام وقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة يحتمل قوله يفصل بينهم اي يحكم بين هؤلاء يوم القيمة لا خلاف فيهم في الدنيا كقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ثم قال فالله يحكم بينهم اي يحكم بين هؤلاء يوم القيمة فالفصل بينهم يوم القيمة هو الحكم الذي ذكر في هذه الاية ويحتمل قوله يفصل بينهم يوم القيمة في المقام يبعث هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى النار فذلك الفصل بينهم وجائز ان يكون قوله يفصل اي يبين لهم الحق من الباطل حتى يعرفون جميعا بالحق ويؤمنون به لا ينفعهم ذلك يومئذ وقوله ان الله على كل شيء شهيد من اعمالهم وافعالهم واقرارهم وجميع ما كان منهم وقوله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض حرف من في ظاهر اللغة واللسان انما يعبر به عن الممتحن من البشر والجن والملائكة واما الموات فانه لا يعبر به عنه بحرف ما لكن ذكر في اخره وهو قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والاية ما يدل انه اراد الكل الممتحن والموات جميعا حيث وقال كثير من الناس وكثير حق عليه العذاب والا ظاهره ما ذكرنا انه انما يعبر به عن عن الممتحن وبحرف ما عن الكل جائز ان يكون عند الاجتماع يذكر باسم الممتحن على ما يذكر عند اجتماع الذكر والانثى باسم الذكور ثم ما ذكر من سجود وهذه الاشياء يخرج على وجوه احدها سجود خلقة يسجد كل شيء ذكر بخلقته لله على ما ذكرنا في التسبيح والثاني سجود عبادة وهو سجود كل ممكن منه وتركه وهو سجود الممتحن والثالث سجوده بذل ما جعل في هذه الاشياء من المنافع لا تاتي بذلها لاحد من الماء والشمس والشجر والدواب وكل شيء والرابع ما الهم هذه الاشياء من الطاعة لله والخضوع له الا يرى انه قال ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين الا يرى انه الهم الدواب معرفة اتيان التصالح لهم واتقاء المهالك فجائز ان يعرفن طاعته والخضوع له والله اعلم وقوله وكثير من الناس في الجنة وكثير حق عليه هم العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم هذا يحتمل وجهين احدهما من خذله الله وطرده عن عبادته وبابه فما له من مكرم كقوله ومن يضلل الله فما له من هاد وان يقول ومن اهانه الله في النار بالعذاب فما له من منجي ينجيه عن ذلك ان الله يفعل ما يشاء هذا على المعتزلة لانهم يقولون شاء اشياء فلم يفعل فهو يقول يفعل ما يشاء وقوله هذان خصمان اختصموا في ربهم اختلفوا في تاويله قال بعضهم نزل هذا في ستة نفر بارزوا ثلاثة من المسلمين حمزة ابن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب وعبيدة بن الحارث وثلاثة من المشركين عتبة بن ربيعة والوليد عتبة فذلك اختصامهم وقال بعضهم اهل الاسلام واهل الكتاب في الدين قالت اليهود والنصارى نحن اولى بالله منكم يا معشر المسلمين لان نبينا قبل نبيكم وديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم فقال المسلمون بل نحن اولى بالله امنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وبكل كتاب انزله الله ثم كفرتم انتم بنبينا وكتابنا وبكل نبي كان قبل نبيكم فانزل الله تعالى ما فصل بين المؤمنين واهل الكتاب فقال هذان

خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا بمحمد وبالقران وهم اليهود والنصارى قطعت لهم ثياب من نار الى اخر
ما ذكر وقال في المؤمنين ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار الاية وقال
بعضهم هذان خصمان اختصموا في ربهم النار والجنة قال النار جعلني الله للعقوبة للعصاة والفسقة وقالت
الجنة جعلني الله للرحمة للانبياء والاولياء ونحوه لكن متى يكون للنار مخاصمة وكذلك الجنة وهو بعيد و
قال بعضهم اختصم المسلم والكافر في البعث وجائز ان يكون اختصامهم ما ذكر من اول السورة الى هذا الموضع من
ذلك قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم وقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف وقوله ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا يكون اختصامهم بين هؤلاء
الذين ذكرهم في هذه السورة وهم اهل الاسلام واهل الكفرة في الاية بيان ذلك حيث قال فالذين كفروا
قطعت لهم ثياب من نار وقال في المؤمنين ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار ثم جائز ان يكون هذا الذي ذكر في الاية الاولى حيث قال ان الله يفصل بينهم يوم القيمة ينزل اهل
الاسلام في الجنة واهل الكفرة في النار والله اعلم **وقوله** قطعت لهم ثياب من نار كقوله سرابيلهم من قطران
الاية **وقوله** يصب من فوق رؤسهم الحميم قيل الحميم الماء الحار الذي انتهى حره غايته **وقوله** يصهر به ما في بطونهم
قال القتبي يصهر يذاب يقال صهرت النار الشحمة والصهارة ما اذيب من الالية وكذلك قال الصهارة ما
يبقى من الشحم والالية اذا اذيبا يقال صهرت الشحم اي اذبته اصهره صهرا ولهم مقامع من حديد قال بعضهم
المقامع الاعمدة من الحديد وهو قول ابي معاذ وقال بعضهم المقامع شبه العصي الواحدة مقمعة قال ابو معاذ
يعني قوله يصهر به ما في بطونهم اي يذاب ما في بطونهم خاصة واما الجلود فانها تحرق لان الجلد لا يصهر ولا ينصهر
وقال هذا مثل قول العرب اتيته فاطعمني والله ثريدا والله ولبنا قارصا اي حامضا والله واذا ورداء اي
والله وحملوا نارها تضطرم لكل شيء فعلوا بنا كله وفي القران مثله كثير وكذلك في اللسان **وقوله** كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من غم اعيدوا فيها قال بعضهم ان جهنم اذا جاشت القتهم منها الى اعلاها فيريدون الخروج منها فيعيدهم
الخزان فيها بالمقامع ويقول لهم الخزنة ذوقوا عذاب الحريق وقال بعضهم ان في جهنم دركات فاذا اشتد الغم
يتقلبون من دركة السفلى الى دركة العليا ويصعدون ثم يريدون الخروج منها فيعادون فيها كقوله سارهقهم
صعودا وقال بعضهم ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بمقامع من حديد فاذا انتهوا
الى اسفلها ضربهم زفرلهيها والله اعلم بذلك **وقوله** ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار اي من تحت اهلها وهو كما ذكر في اية اخرى تجري من تحتهم الانهار **وقوله** يحلون فيها من اساور
من ذهب ولؤلؤ ذكر هذا والله اعلم لقوم رغبوا في هذه الدنيا بالتحلي بما ذكر وتفاخروا بها فيها وهو ما ذكر
فلولا القي عليه اسورة من ذهب والا قل ما يرغب الناس في الدنيا في التحلي بما ذكر الا النساء خاصة فاما ان
ذكر للنساء او لقوم تفاخروا به في الدنيا فوعدهم في الاخرة ذلك وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وقوله
ولؤلؤ قال الكسائي من قرا ولؤلؤ بالخفض فهو يخرج احدها يحلون فيها من اساور من ذهب ويحلون فيها من
لؤلؤ وطلبة سوى الاساور ومن قرا بالنصب ولؤلؤا اي يحلون فيها لؤلؤا **وقوله** ولباسهم فيها حرير وكذلك
ذكر في الخبر هو لهم في الاخرة ولنا في الدنيا **وقوله** وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد جائز
ان يكون هذا في الدنيا والاخرة اما في الدنيا هو قول التوحيد وشهادة الاخلاص واما في الاخرة كقوله دعواهم
فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين فهو القول الطيب الذي هدوا
اليه وقال بعضهم قوله وهدوا الى الطيب من القول هو القران وهدوا الى صراط الحميد الاسلام وشرايعه و
قال قتادة الهموا التسبيح والتحميد كما الهموا النفس وقال الطيب من القول هو كل قول حسن وقوله الحميد يحتمل
صراط الحميد اي صراط الله كقوله صراط الله ويحتمل ان يكون نعت ذلك الصراط اي صراط حميد والله اعلم **وقوله**
ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام قوله كفروا هو خبر ماض وقوله ويصدون خبر مستقبل
فنسق المستقبل على الماضي قال الزجاج ان الكافرين والصادين عن سبيل الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب وعندنا تاويله ان الذين كفروا قبل ان يبعث محمد ويصدون الناس عن سبيل الله اذا بعث محمد ثم
يحتمل قوله والمسجد الحرام اي كانوا يمنعون المسلمين عن دخول المسجد الحرام للاسلام والسؤال عنه
والثاني اخراجهم منه كقوله واخراج اهله منه عند الله **وقوله** الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد
ظاهر هذا ان يكون الذي جعل فيه العاكف والبادي سواء هو المسجد الحرام لانه قال جعلناه للناس سواء لكن
اهل التاويل صرفوا ذلك الى مكة وقالوا سواء العاكف فيه والبادي في النزول في المنازل وظاهر ما ذكرنا ثم
يحتمل ان يكون المسجد الحرام مخصوصا بهذا ليس كسائر المساجد التي لها اهل ان اهلها احق بها من غيرهم
المسجد الحرام فان الناس شرعا سواء العاكف فيه والبادي ويحتمل ان يكون المسجد الحرام اي الناس فيه ليعلم
الحكم في سائر المساجد كذلك ان الناس فيها سواء اهلها وغير اهلها والله اعلم **وقوله** ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال
بعضهم الالحاد فيه هو الشرك والكفر وقال الالحاد هو كل المعاصي واصل الالحاد هو العدول والميل عن الطريق
وتاويله وعن الملحد في الحاد ظلم نذقه كذا قال بعضهم من هم فيه بالحاد بظلم نذقه كذا ثم يحتمل تخصيص ذلك

المكان

المكان بما ذكر وجوها احدها ليعلموا ان كثرة الخيرات وتضاعفها مما لا يعمل في اسقاط المساوى فيه وهذا مما
لما روي ان صلواة واحدة بمكة تعدل كذا كذا صلوة في غيرها من الاماكن وكذلك حسنة فيها والثاني خصت
بالذكر فيه على التغليظ والتشديد على ما خصت تلك البقعة بتضاعف الحسنات والثالث انا ولئك
ادعوا انهم اولى بالله من غيرهم لنزولهم ذلك المكان فاخبر ان من يرد فيه بكذا نذقه ليس تخصيص ذلك
المكان بما ذكر والعفو في غيره ولكن بما ذكرنا وقال بعضهم معناه من يرد فيه الحادا بظلم والباء زائدة
ومثله قوله تنبت بالدهن معناه تنبت الدهن روي بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
احتكار الطعام بمكة الحاد وكذلك روي عن عمر وابن عمر وجائز ان يكون ما ذكرنا من التغليظ والتشديد
وتضاعف العقوبة ولذلك كره قوم الجوار بمكة لما يتضاعف عليهم العقوبة اذا ارتكب فيه ماثما و
الحد فيه وجائز ما ذكرنا وقد كره قوم البيع رباع مكة واجارتها بقوله سواء العاكف فيه والباد
وعلى ذلك رويت الاخبار بالنهي عن ذلك روي عن رسول الله عليه السلام قال مكة مناخ لا يباع رباعها
ولا يواجر بيوتها عن عمر رضي الله عنه يا اهل مكة لا تتخذوا لدوركم ابوابا لينزل البادي حيث شاء ونهاهم
ان يغلقوا ابواب دورهم وليس في ظاهر الاية ذكر مكة انما في الاية ذكر المسجد حيث قال والمسجد الحرام
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد وانما ذكر ذلك في المسجد الحرام خاصة وقال ابو حنيفة
رحمه الله اكره اجارة بيوت مكة في الموسم من الحاج والمعتمر فاما المقيم والمجاور فلا نرى باخذ ذلك
منهم باسا وهو قول محمد **وقوله** واذ بوانا لابراهيم مكان البيت قال بعضهم بوانا اي هيانا له مكان
البيت لينزل فيه والتبوية الانزال كانه قال بوانا لابراهيم مكان البيت اي انزلنا مكان البيت ليتخذ فيه
بيتا وقلنا له لا تشرك بي شيئا وهكذا بعث الانبياء جميعا بعثوا الا يشركوا بالله وامروا ان يدعوا الناس
الى ترك الاشراك بالله تعالى **وقوله** وطهر بيتي للطائفين وادعوا الناس ايضا الى ان لا يشركوا بالله شيئا ثم
يحتمل قوله وطهر بيتي للطائفين ومن ذكر اي طهره من الاصنام والاوثان التي فيه غيره لكان بعيد وجائز
ان يكون قوله طهر بيتي عن جميع الخبائث وعن كل انواع الاذى من الخصومات والبياعات وغيرها و
غيرها وذلك المسجد الحرام وغيره من المساجد يطهر ويجتنب جميع انواع الاذى والخبث والفحش **وقوله**
للطائفين والقائمين والركع السجود قال اهل التاويل للطائفين هم القادمون من البلدان والقائمين
المقيمين هنالك والركع السجود المصلين ويحتمل قوله للطائفين لكل طائف به والقائمين والعاكفين لكل
عاكف نحوه والعكوف هو المقام للعبادة والقائمين لكل قائم عاكف نحوه والركع السجود وساجد نحو اي
لكل مصلي وهذا اشبه والله اعلم **وقوله** واذن في الناس بالحج يحتمل وجهين احدهما على الاعلام ان اعلم
الناس ان الله عليهم الحج بالبيت كقوله ولله على الناس حج البيت الاية والثاني واذن في الناس بالحج اي ادع
الناس وناديهم ان يحجوا البيت قال اهل التاويل لما امر الله ابراهيم ان ينادي في الناس بالحج فنادى
فاسمع الله صوته ما بين المشرق والمغرب حتى اسمع صوته ونداءه من في اصلاب الرجال وارحام النساء فقالوا
لبيك ومن حج بلبيك فهو الذي اجاب ابراهيم لما ناداهم بالحج لكن لا يعلم ذلك الا بالخبر عن رسول الله انه
كان ما ذكروا والا فالسكوت عنه وعن مثله اولى وقالوا ان قوله واذن في الناس بالحج موصولا بقوله
واذ بوانا لابراهيم الاية وجائز ان يكون قوله واذن في الناس بالحج لرسول الله او لكل رسول بعث
الامر بذلك في كل زمان والله اعلم بذلك **وقوله** ياتوك رجالا اي على الارجل مشاة اي على كل ضامر اي
نضمر ويذهب سمنه لبعد المضرب وهو ما ذكرنا ياتين من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد ثم قوله
واذن في الناس بالحج على الدعاء والامر فيكون في قوله ياتوك رجالا دلالة لزوم الحج على المشاة كانه
قال مرهم يحجوا مشاة على الارجل وركبانا وان كان على الاعلام فهو على الوعد والجزاء انهم ياتوك
على الارجل مشاة وعلى الدواب **وقوله** ياتين من كل فج عميق اضاف الاتيان الى الدواب لانه لولا الدواب
لا يؤتون فاضاف اليها لذلك والله اعلم وقال ابو عوسجة يحلون فيها من الحلي من الذهب والفضة تقول
حليت المراة اي اتخذت حليا ويقال حلي الشيء حلي اذا حسن ويقال الحلي بعيني اذا حسن في عيني ويقال حلا الشيء
يحلو حلاوة فهو حلو ويقال تحليت ان شئت جعلته اكلت حلوا وان شئت جعلته من الحلي ويقال
حلات الابل عن الماء اي منعت ويقال حليت الشيء واحليته اي جعلته حلوا وقال القتبي سواء العاكف
فيه والبادي اي المقيم والبادي وهو الطاري من البدو وسواء فيه ليس المقيم فيه باولى من النازع
اليه قوله ومن يرد فيه بالحاد اي من يرد فيه الحادا وهو الظلم والميل عن الحق وزيدت الباء كما يقال
تنبت بالدهن وهو ما ذكرنا وقوله وعلى كل ضامر اي ركبانا على ضمر من طول السفر من كل فج عميق اي
بعيد غامض وقال ابو عوسجة العاكف المقيم والبادي من كان في البادية والالحاد الميل عن الحق ومنه
اشتق اللحد لحد القبر وعلى كل بعير ضامر اي خميص البطن ياتوك رجالا تقول رجل الرجل يرجل رجلة فهو
راجل والفج الطريق العميق البعيد يقال عمق اي بعد يعمق عمقا فهو عميق **وقوله** ليشهدوا منافع لهم قال
الحسن ليشهدون مشاهدا فيه فيذكرون الله فيها ويكتسبون اشياء تنفعهم في الاخرة فذلك منافع

التي كانوا يكتسبونها اذا خرجوا للحج وقال بعضهم التجارة في الدنيا والاجر في الاخرة وهو مثل الاول وجائز
ان يكون قوله ليشهدوا منافع لهم الارزاق التي جعلت لهم في البلدان النائية البعيدة مالو لم يشهدوها
لم يسق الله ذلك اليهم لان من الارزاق التي جعلت لهم في البلدان ما يساق الى اهلها وهم في مقامهم واماكنهم
من الارزاق ما يساق اهلها اليها ما لو لم ياتوها لم يسق ذلك اليهم فجائز ما ذكر من المنافع وهو ما غاب عنهم
من المنافع والارزاق التي جعلت لهم في البلدان النائية البعيدة اذا خرجوا للحج نالوها واذا لم يخرجوا اليه
لم ينالوا وقال بعضهم ليشهدوا منافع لهم اي متاجرهم وقضاء مناسكهم وقوله ويذكرون اسم الله في ايام
معلومات اختلف فيه قال الحسن هو يوم النحر خاصة وجائز اضافة الواحدة الى الجماعة كقوله وجعل القمر فيهن
نورا وانما جعل في سماء الدنيا وكما يقال توارى فلان في دور بني تميم وانما توارى في دار من دورهم ومثل
هذا كثير وذلك جائز في اللسان وقال بعضهم الايام المعلومات هو يوم النحر ويومان بعده وقال بعضهم المعلومات
والمعدودات هي ايام التشريق جميعا وقال بعضهم الايام المعلومات هي ايام العشر لانها هي ايام الذكر فيها وجائز
ان يكون قوله ويذكروا اسم الله في ايام معلومات كناية عن الذبح وايام الذبح ثلاثة يوم النحر ويومان بعده
الا ترى انه قال على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها ذكر الاكل ولم يذكر الذبح فذلك يدل على ان قوله
ويذكروا اسم الله كناية عن الذبح وانما كان كناية عنه لانه بالذكر يقدم الذابح ولا يخلونه دونه والله اعلم
وقوله فكلوا منها قال بعضهم من الاضاحي لان التناول من الاضاحي كان لا يحل فخرج ذلك مخرج ذلك مخرج
رخصة التناول منها والاكل لكن الاضاحي لا يحتمل لان الوقت ليس هو وقت الاضاحي ولا اماكنها انما هو
وقت دم المتعة والقران ودم التطوع وفيه اباحة التناول من دم المتعة والقران وقوله واطعموا البائس
الفقير قال بعضهم البائس من البؤس وهو ما اشتد به من الحاجة والشدة وقال بعضهم البائس الذي
سائلك والفقير المتعفف الذي لا شيء له وقال بعضهم البائس هو الذي به زمانة والفقير الصحيح الذي لا شيء
له وهو مثل الاول وقوله ثم ليقضوا تفثهم قال بعض اهل الادب التفث لا يعرف ما يراد به وقال الحسن
التفث هو التقشف وهو ترك الزينة يدل على ذلك ما روي انه سئل عن الحاج فقال كل اشعث تفل وقال
ابو عوسجة التفث في الاصل الوسخ يقال امراة تفثة اذا كانت خبيثة الريح وهو قريب مما قال الحسن انه
ترك الزينة واهل التاويل يقولون التفث هو حلق الراس وقص الاظفار والشارب والرمي والذبح ونحوه وقال
بعضهم ثم ليقضوا تفثهم المناسك كلها وروي في الخبر من وقف من عرفة بليل وصلى معنا الجمع فقد تم حجه
وقضى تفثه ظاهر قضى تفثه اي نسكه وجائز ان يكون قوله قضى تفثه اي جاء وقت الزينة وهو وقت الحلق
واللباس والله اعلم وقوله وليوفوا نذورهم اي ليوفوا ما اوجبوا فذكرهما ساق من الهدي للمتعة
والجناية الاكل منه لقوله وكلوا منها ولم يذكر الاكل مما اوجب بالنذر فكذلك يقول اصحابنا انه يجوز له
التناول من هدي المتعة والقران ولا يجوز التناول مما كان وجوبه بالنذر والكفارة بل عليه ان يتصدق
بالكل وهو ما قال ففدية من صيام او صدقة او نسك والله اعلم وليطوفوا بالبيت العتيق هو طواف الزيارة
وهو طواف يوم النحر هو الفرض عندنا ولا يحتمل ما قال بعض الناس انه طواف الصدر لان الله تعالى قال
ولله على الناس حج البيت هو الطواف بالبيت لا غير وطواف الدخول وطواف الصدر ليس على اهل مكة ذلك
الطوافان وعليهم الحج كما كان على غيرهم من الناس فدل ما ذكرنا على ان قوله وليطوفوا بالبيت العتيق هو طواف
الزيارة وهو حج البيت الذي قال الله ولله على الناس حج البيت وقوله بالبيت العتيق قال بعضهم سماه عتيقا
لانه اعتقه الله عن الجبابرة عن ان يتجبروا عليه وكم من جبار قد صار اليه ليهدمه فمنعه الله من ذلك
وقال بعضهم سماه عتيقا لانه يرفع الى السماء الرابعة فذلك المرفوع هو البيت العتيق والبيت العتيق عندنا
هو الذي بناه ابراهيم صلوات الله عليه واسسه ويكون قوله وليطوفوا بالبيت العتيق الذي اسسه ابراهيم
لا بالبيت الحادث الذي احدث الناس الا ترى انه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعائشة لولا ان
قومك حديث عهد بالاسلام لاردت البيت على اساس ابراهيم وجعلت له بابين بابا يدخل فيه وبابا
يخرج منه وروي في بعض الاخبار برواية عبد الله ابن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي
البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار فان ثبت هذا فهو هو وقوله ذلك ومن يعظم حرمات الله قوله ذلك
جائز ان يكون الذي تقدم ذكره من قوله ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم الى اخر ما ذكر ذلك الذي ذكر
ومن يعظم حرمات الله وجائز ان يكون لا على ذلك ولكن حرف يذكر عند ختم قصة والفراغ منها مبتداء لا على
ربط شيء نحو قوله هذا ذكر وان للمتقين كذا وان للطاغين كذا قوله وان للمتقين وان للطاغين يصح دون
ذكر هذا لكنه ذكر على ختم كلام الاول وابتداء اخر فعلى ذلك جائز ان يكون قوله ذلك ومن يعظم حرمات الله كذلك
وقوله ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه كانه قال ومن يعظم حرمات الله وخرج للحج نفق المال
واتعب النفس ثم له عند ربه من الثواب فذلك خير له من حفظ ماله وحفظ نفسه والا لا شك ان من
عظم حرمات الله خير له ممن لم يعظمها وقوله واحلت لكم الانعام وفي حرف ابن مسعود واحلت لكم
بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم من المحرمات من الميتة والدم وما ذكر في سورة المائدة وقد ذكرنا هذا والله

اعلم

اعلم وقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان جائز ان يكون قوله فاجتنبوا الرجس وهو الاوثان وجائز ان يكون
قوله فاجتنبوا عبادة الاوثان فانه رجس وليس فيه ان غير الاوثان ليس برجس كقوله ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق ليس فيه انه يحل قتل الاولاد في غير خشية الاملاق فعلى ذلك هذا وقوله
واجتنبوا قول الزور ويحتمل كل قول زور ويحتمل الزور الذي قالوا في الله من الولد والشريك و
ما لا يليق به واجتنبوا قول الزور حنفاء لله تعالى وبالله والله اعلم واجتنبوا قول الزور وكونوا حنفاء
لله غير مشركين به وقوله حنفاء قد ذكرنا وجائز ان يكون قوله غير مشركين به تفسير قوله حنفاء
لله اي كونوا مخلصين لله في جميع اموركم غير مشركين به في ذلك والله اعلم وقوله ومن يشرك بالله
فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق يحتمل ضرب مثل من اشرك
بالله فيما من السماء واختطاف الطير وتهوية الريح في مكان سحيق وجوها احدها ما وصف وضرب
مثله بشيء لا قرار له ولا ثبات نحو ما قال ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض
ما لها من قرار ونحو ما قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الاية ضرب مثل الكفر
بشيء لا قرار له ولا ثبات فعلى ذلك مثله بالساقط من السماء تختطفه الطير او تهوي بالريح لا يدرى
اين هو لا اين يطلب ان اراد واطلبه ولا يظفر به فعلى ذلك الكافر والثاني ضرب مثله بالساقط
من السماء وهي ابعد البقاع في الارض وهام لا ينتفع ممن سقط منها ولا بشيء من نفسه ولا يبقى نفسه
فعلى ذلك الكافر لا ينتفع بشيء من محاسنه ولا يبقى نفسه ينتفع بها لبعده عن دين الله والثالث من
السماء اثر سقوطه منها في نفسه وفي جميع جوارحه وظهر ذلك كله فيه حتى لا يرجى برؤه وصحته
فعلى ذلك الكافر يظهر اثار الكفر في نفسه وجوارحه لبعده عن دين الله والله اعلم وقال بعضهم هذا
مثل ضربه الله لمن اشرك به في هلاكه وبعده من الهدى والسحيق البعيد وهو قريب مما ذكرنا
وقوله ذلك هو ما ذكرنا في قوله هذا وان للطاغين لشر ماب وان للمتقين لحسن ماب وقوله ومن يعظم
شعائر الله فانها من تقوى القلوب تعالى وبالله والله اعلم اي ومن يعظم شعائر الله بالجوارح فذلك
التعظيم من تقوى القلوب به هكذا الامر الظاهر في الناس انه اذا كان في القلب شيء من تقوى او
خير ظهر ذلك في الجوارح وكذلك الشر ايضا اذا كان في القلب ظهر في الجوارح وقوله حرمات
وشعائر الله قال بعضهم هما واحد وهي المناسك وقال بعضهم الحرمات هي جميع ما حرم الله ومعاصيه
يتقيها تعظيما لها وقد ذكرنا تاويل شعائر الله في سورة المائدة والسحيق هو المكان البعيد يقال
سحق المكان يسحق سحقا فهو سحيق اذا بعد والسحق ايضا الشيء الخلق يقال اسحق الثوب وسحق يسحق
سحقا واسحق سحيق والسحوق النخلة الطويلة وقوله او تهوي به الريح اي تذهب به يقال هوى يهوي
هواء اي ذهب بنفسه وقوله لكم فيها اي فيما ذكر من الشعائر منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت
العتيق قال بعضهم لكم فيها منافع من ظهورها والبانها واصوافها الى اجل مسمى اي الى ان تقلد وتهدى
ثم محلها اذا قلدت واهديت الى البيت العتيق وكذلك يقول اصحابنا ان من اوجب بدنة او اهدى
بدنة لا يحل له الانتفاع بها ولا بشيء منها الا في حال الاضطرار فاذا بلغت محلها وذبحت حل الانتفاع
بلحمها ومنهم من قال في قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى الى وقت محلها من الركوب بظهرها وحلب
اللبن وجز الصوف وغير ذلك مما كانوا ينتفعون بها من قبل ويروى في ذلك خبر روي ان نبي الله
عليه السلام راى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة يا رسول
الله قال اركبها قال انها بدنة يا رسول الله قال اركبها ويلك وبه يقول بعض الناس يجوزون الانتفاع
بالهدايا والقلائد قبل ان تنحر وتذبح لكن عندنا ذلك في وقت الحاجة الشديدة المضطر اليها
ففي مثل ذلك يجوز الانتفاع بملك غيره فعلى ذلك جاز الهدايا لا ينتفع بها بما ذكرنا ويضمن ما
نقصها ركوبه بها وجائز ان يكون قوله لكم فيها منافع الى اجل مسمى الى ان تهلك او يهلكون انتم
كقوله ومتاع الى حين اي الى وقت هلاكها فعلى ذلك الاول ثم يكون قوله ثم محلها الى البيت العتيق
والله اعلم ابتداء سؤال سئل عن محل الهدايا والقلائد فقال عند ذلك محلها الى البيت العتيق والله
اعلم والاول اشبه واقرب لما ذكرنا وقوله الى البيت العتيق ذكر البيت العتيق ومعلوم انه لم يرد به
نفس البيت ولكن انما اراد به البقعة التي فيها لان الدماء لا تراق في انما تراق في تلك البقعة التي
هو فيها الحرم كله منحر ومذبح واراد به بقوله وليطوفوا بالبيت الا ترى انه قال ههنا بالبيت
فانما يطاف به وقال هنالك الى البيت اضاف اليه دل انه لم يرد به نفس البيت ولكن البقعة التي فيها البيت
والله اعلم وقوله ولكل امة جعلنا منسكا قال بعضهم المنسك الموضع الذي يعتادون ويألفون فيه ويصيرون
اليه لعبادتهم ومن ثمه يقال للرجل العابد ناسك ولذلك قال من قال منسكا اي يصيرون ويخرجون
اليه للعبادة وقال المنسك الدين وقال الشريعة وقال بعضهم المنسك المنحر والمذبح وجائز ان يسمى
في اللغة الذبح نسكا كقوله ففدية من صيام او صدقة او نسك وهو الذبح وقوله ان صلاتي ونسكي ومحياي

وبما انى ولو كان النسك عبادة كذكر الصلوة وهي عبادة لكان لا يذكر النسك فدل انه اراد بالنسك الذبح وقوله ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام دل قوله ليذكروا اسم الله من شرطا للذبيحة حيث ذكر ذكر اسم الله ولم يذكروا الذبح ففهموا من ذكر اسم الله الذبح دل انه من شرط جوازه وحله في الشاهد فانه لم يفهم ما فهم الناس والائمة جميعا حيث لم يجعل ذكر اسم الله من شرطا للذبيحة وقوله فالهكم اله واحد كانه ذكر قوله ولكل امة جعلنا منسكا لقوم انكروا الذبايح فقال ولكل امة جعلنا منسكا اى ذبحا ذبحوه وذكروا اسم معبودهم عليه ثم اخبر ان معبودهم واحد فله اسلموا اى اخلصوا ذلك كله وبشر المخبتين قال المتواضعين وقال بعضهم المطمئنين وقال بعضهم كل مجتهد في العبادة هو المخبت ويقال المخلصين وتفسير المخبت ما ذكر على اثره حيث قال الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية ومن قال المخبت المطمئن قال والخبتة الطمانينة قوله منسكا ومنسكا فيه لغتان قال الكسائي من قرا منسكا بكسر السين فهو من نسك ينسك ومن قرا منسكا بالنصب فهو من نسك ينسك ثم لا خلاف بين اهل العلم فان البدن التي تساق والهدايا التي تقلد في الحج والعمرة لا يجوز ان تنحر غير الحرم انما اختلفوا في المحصر اذا اراد ان يحل اين ينحر ويذبح هديه الذي يحل به وقد ذكرنا اقاويلهم واختلافهم في سورة البقرة ولم يختلف في ان معنى قول الله ثم محلها الى البيت العتيق يدخل فيه الحرم كله على ما ذكرنا وعلى روت الاخبار روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفة كلها موقف ومنا كلها منحر وكل فجاج مكة طريق ومنحر وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عرفة موقف وكل منا منحر وفي بعض الاخبار في كل ايام التشريق ذبح وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى الجمرة فرمى بها ثم اتى المنحر فقال هذا المنحر ومنا كلها منحر وعن ابن عباس رضي الله عنه قال انما المنحر بمكة ولكنها نزهت عن الدماء ومنا مكة وقوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى خافت فرقت خوفا منه والصابرين على ما اصابهم من المصائب والنوايب والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون هذه الاية قد ذكرنا تاويلها في سورة الانفال وقوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله قال بعضهم من فرائض الله وقال الحسن من دين الله والاشبه ان يكون قوله من شعائر الله اى من معالم دين الله وعبادته ونسكه لان الشعائر هي المعالم في اللغة خصت بها المناسك دون غيرها من العبادات فجعلها معالما لها والبدنة سميت بدنة لما تعظم في انفسها وتبدن ويقال للرجل اذا عظم في نفسه بدن فلان وظاهر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال البدنة تجزى عن سبعة والبقرة تجزى عن سبعة ان البدنة هي الجزور الابل حيث قال البدنة تجزى عن سبعة فرق بين البدنة والبقرة بالذكر والله اعلم وقوله لكم فيها خير قال بعضهم المنافع الحاضرة من الركوب والحلب والحمل عليها بعد ما قلدت واوجبت هديا وقال بعضهم لكم فيها خير الى ان تقلد فاذا قلدت فلهم الاجر لا تحلوا شعائر الله وفي الانتفاع بها احلال شعائره لذلك قال اصحابنا لا ينتفع بالبدن وما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه راى رجلا يسوق بدنة فقال له اركبها فقال انها بدنة يا رسول الله فقال النبي اركبها فقال انها بدنة فقال اركبها ويحك وفي بعض الاخبار ويلك وهذا عندنا لما راى بالرجل الحاجة الشديدة الى ركوبها وهو ما ذكرنا ان الانتفاع بها يجوز في حال الاضطرار ولا يجوز في حال الاختيار والانتفاع بالمحرمات يجوز في حال الاضطرار فعلى ذلك ما البدن التي جعلت معالما للمناسك والله اعلم وقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف دل هذا ان ذكر اسم الله من شرط الذبيحة لانه لم يذكر الذبح نفسه ولكن انما ذكر ذكر اسمه فلولا انهم فهموا من ذكر اسم الله عليها ذبحها ونحرها والا لم يكتف بذكر اسمه دون ذكر الذبح فدل انهم انما عرفوا ذلك به وانه من شرط جوازها والله اعلم وقوله صواف فيه لغات ثلاث احدها صوافي بالياء وهو من الاخلاص لله والصفو له والثانية صوافن بالنون وهو من تعقل ثلاث قوايم منها وترك اخرى مطلقة والثالث صواف بالتنوين اى قياما مصطفة وكان يجمع ما ذكر يراد ان يجمع فيها من الاخلاص له وعقل القوايم والقيام وكذلك جاءت السنة والاثار وفي حرف ابن مسعود صوافن بالنون ولما ويليه ما ذكرنا وظاهر الاية يدل على القيام لانه قال فاذا وجبت جنوبها وقوله وجبت اى سقطت والسقوط انما يكون من القيام فدل انها تنحر قياما لا مضطجعة والله اعلم وقوله وكلوا منها قد ذكرنا هذا فيما تقدم في قوله فكلوا منها واطعموا البائس الفقير البائس الفقير من ثالث هذا قول بعض وقال بعضهم البائس المعروف بالبؤس والفقير المتعفف الذي لا يسال وقال بعضهم البائس المسكين والفقير فقير وقال بعضهم البائس الضرير والقانع المعتر وقال بعضهم القانع هو الراضي وهو من القناعة وقال بعضهم هو السائل وهو من القنوع والمعتر الذي يعتريك ولا يسال والقانع هو الجالس في بيته ونحوه وقال القتبي القانع السائل يقال قنع يقنع قنوعا ومن الرضا قنع يقنع قناعة والمعتر الذي يعتريك ولا يسال يقال اعتراني واعتراني وقال ابو عوسجة القانع السائل والقنوع السؤال والقناعة من الرضا يقال منه قنع يقنع قناعة ويقول قنعت اى رضيته وقنعته اى غطيت راسه بالقناع

ونحوه ويقال من المعتر عنزا اعترارا واعترى وعرا يعرو كلها واحدة ويقال صواف اى قياما مصطفة وقال ويكون صوافن وصوافن اى قائما على ثلاث قوايم يقال صفن الفرس يصفن صفونا اذا قام على ثلاث قوايم وقوله وجبت جنوبها اى سقطت الى الارض يقال وجب يجب وجوبا فهو واجب اذا سقط ووجبت الشمس اذا غابت قال وهذا كله من الصوت يقال سمعت وجبة اى صوتا وقال منسكا اى موضعا ينسكون اليه للعبادة وعن ابن عباس قال القانع الذي يقنع بما اعطيه والمعتر الذي يريك نفسه ولا يسال وقوله كذلك سخرناها لكم اى البدن التي ذكرنا ها ثم يحتمل ما ذكر من تسخيره اياها لنا وجهين احدها كذلك سخرناها اى كما سخرناها لكم لركوبها والحمل عليها والانتفاع بها في حال الحيوة كذلك سخرناها لكم اى مثل الذي وصفنا لكم كل ذلك من تسخيرنا اياها لكم والله اعلم وقوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم هذا يحتمل وجهين احدها لن يتقبل الله ذلك الا من كان من اهل الكفر لانهم قد كانوا ينحرون البدن في الجاهلية على ما ذكرنا فاخبر انه لا يتقبل ذلك الا من كان من اهل التقوى وهو كقوله انما يتقبل الله من المتقين والثاني ان يكون قوله لن ينال الله اى لن يرفع الى الله الا الاعمال الصالحة الزاكية وما كان بالتقوى واما ما كان غيرها فانه لا يرفع ولا يصعد بها وهو ما قال ولكن يناله التقوى منكم وقال بعض اهل التاويل ذكر هذا لان اهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن نضحوا بدمائها حول البيت ويقولون هذا قربة الى الله فاراد المسلمون ان يفعلوا مثل صنيعهم فنزل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرناها لكم قد ذكرنا ما ذكرنا وقوله لتكبروا الله على ما هديكم اى لتصفوا الله بالعظمة والكبرياء على ما هديكم من اسباب تسخير البدن التي بها يوصل الى الانتفاع بها من انواع الانتفاع اذ لولا ما هدانا الله وعلمنا من الاسباب التي بها نسخر ونذلل والا ما قدرنا على الانتفاع بها لقوتها وشدتها وصلابتها والثاني بان يكون قوله على ما هديكم من امر الدين والهدى وقوله وبشر المحسنين يخرج قوله المحسنين على وجوه احدها محسنين الى انفسهم او المحسنين الى اخوانهم او الذين حسن افعالهم وصلح عملهم فاما المحسنين الى الله فلا يحتمل والله اعلم وقوله ان الله يدافع عن الذين امنوا وفي بعض القراات ان الله يدفع عن الذين امنوا بغير الف وتاويل يدفع عن الذين امنوا جميع شرور الكفرة واذاهم وتاويل يدافع اى يدافع الكفار عنهم بنصر المؤمنين عليهم وكان قوله يدافع عن الذين امنوا انما نزل بمكة وعد للذين امنوا هنالك النصر والدفع عنهم في حال قلتهم وضعفهم وكثرة اولئك الكفرة وقوتهم وهنالك كانوا كذلك اعني بمكة قليلا ضعفاء ويكون نزول قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور بالمدينة لانه هنالك كان اهل الخيانة لانهم كانوا اهل كتاب وتمنوا على رسالة محمد واشباه نعته وكتموها ولم يكن يومئذ بمكة احد منهم انما كانوا جميعا اهل شرك فيشبه ان يكون ما ذكرنا ويكون قوله ان الله لا يحب كل خوان كفور بما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه فاخبر انه لا يحب كل خوان كفور على ما يقولون بل يبغضهم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد عليه السلام لانه اخبر انه ينصرهم ويدفع عنهم اذاهم وشرهم وانهم خونة فكان على ما اخبر فدل انه بالله عرف ذلك وقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال بعض اهل التاويل ان المشركين كانوا لا يزالون يؤذون اصحاب رسول الله ويقاتلونهم وهم لم يؤمروا بقتالهم بعد فلما هاجروا الى المدينة امروا بقتالهم بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا قال بعضهم انه لم يكن لهم الامر بقتالهم ولا الاذن حتى امروا بذلك واذنوا فقال اولئك لم تؤمروا بقتالنا فكيف تقاتلوننا فاخبر انهم اذنوا وامروا بالقتال معهم والله اعلم بذلك وظاهره انه كان هنالك منع عن القتال حتى اذنوا وامروا ولكن لا ندري لاية جهة كان ذلك والله اعلم وقوله وان الله على نصرهم لقدير ظاهر على ما اخبر وقوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله قال بعض اهل التاويل اخرج الكفار اصحاب رسول الله من مكة بغير حق بان قالوا ربنا واتبعوا ووحدوه هذا اما اخرجوهم وقال بعضهم على التقديم والتاخير يقول كانه قال اذن للذين ظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق ان يقاتلوهم الا ان يقولوا ربنا الله فاذا قالوا ذلك يرفع عنهم القتال لان اهل مكة كانوا لا يقرون بالله ولا يؤمنون به فاذا قالوا ذلك واقروا به رفع عنهم القتال واما من يقر به ويصدقه لكنه ينكر رسالة محمد ونبوته فما لم يقر بها ولا يصدق بها فان القتال لا يرفع عنه ومن يقر به ويصدقه بانه رسوله الا انه يترك الشرايع فانه يقاتل حتى يقر بها ويصدق بها فاذا اقر بها رفع عنهم القتال وذلك كله روي في الخبر انه قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وفي خبر اخر حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني كذا وفي خبر اخر حتى يقولوا لا اله الا الله واني رسول الله واقاموا الصلوة واتوا الزكوة الى اخر ما ذكر فالاول للذين لا يقرون بوحدانية الله فاذا اقروا به رفع عنهم القتال والثاني في الذين يقرون به ولا يؤمنون بالرسالة فاذا امنوا بها

دفع عنهم القتال والثالث في الذين يقرون بالله ويؤمنون برسوله لكنهم يتركون الشرائع فاذا اقروا بها دفع عنهم القتال كانوا انواعا ثلاثة على ما ذكرنا فجاء في كل فريق ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع الى آخر ما ذكر وقال في آية اخرى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض واخر لفسدت السموات والارض ونحوه قال بعضهم دفع بالنبيين عن المؤمنين ودفع بالمجاهدين عن القاعدين ما لو لم يدفع بالاخيار عن الاشرار وبالاخير عن الادون والا لهدمت وفسد ما ذكر وقال بعضهم لولا ان الله يدفع بمن يصلي عمن لا يصلي وعن يصوم عمن لا يصوم وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يزكي عمن لا يزكي وبمن يفعل الخيرات عمن لا يفعل والا لفسدت الارض ولهدمت الصوامع وما ذكر وعلى ذلك عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه صلى باهل دمشق صلاة الصبح فقال لو يعلم الناس ما في هذه الصلوة من الخير لحضروها ثم قال لولا ان الله يدفع بمن يحضر المساجد عمن لا يحضرها وبالغزاة عمن لا يغزو لجاءهم العذاب قبلا او كلاما نحو هذا وقال الحسن ان في الصوامع والبيع والكنائس من الرهبان والاحبار من يتمسك بالاسلام وشرائعه فيدفع بهم عمن لا يتمسك منهم وقال بعضهم لولا دفع الله باهل هذا الدين كلها لكان كذا وقال بعضهم دفع بالمسلمين عن مساجدهم وبالنصارى عن بيعهم وباليهود عن كنائسهم الى هذا ذهب اهل التاويل والمتقدمون ولو قيل غير هذا كان اشبه واقرب وهو ان الله خلق هذا الخلق وقال بعضهم عونا لبعض وردا في امر المعاش والدين جميعا وجعل بعضهم منافع متصلة ببعض ما لو كلف كل القيام بنفسه فيه لهلكوا ولم يكن في وسعهم القيام بذلك نحو ان لم يكلف احدا القيام بجميع ما يحتاج اليه من الحراثة والزراعة والحصاد والدياس والتذرية والطحن والخبز وغيره ما لو كلف بنفسه بذلك كله لهلك ولكن جعل بعضهم عونا لبعض ورزقهم الانتفاع بعضهم ببعض وكذلك الغزل والنسج والخياطة والقطع والغسل كله على هذا القيام لو كلف بنفسه القيام بذلك كله لهلكوا ولو هلكوا هلك ما لهم خلق من السموات والارض وما فيهما وقال بعضهم دفع عما يذكر اهل المساجد في المساجد من اسم الله عن اهل الصوامع والبيع والكنائس وهو قريب مما ذكرنا من قبل ثم اختلف فيما ذكر من الصوامع والبيع والصلوات ومساجدهم قال بعضهم الصوامع للرهبانيين والبيع للنصارى والصلوات الكنائس التي تكون لليهود والمساجد للمسلمين وقال بعضهم الصلوات للصابئين وقال القتبي الصوامع للصابئين والبيع للنصارى وصلوات بيوت صلوات اليهود والمساجد للمسلمين وقال ابو عوسجة الصوامع للرهبانية والبيع للنصارى مصلاهم والصلوات لليهود وهي شبه البيعة على ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولينصرن الله من ينصره او من نصر اولياء الله نصره وقال الحسن من حكمه ان من نصره الله نصره وقد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع وقوله ان الله لقوي عزيز يحتمل قوي لنصر اوليائه عزيز لانتقام اعدائه وان يكون قوله لقوي عزيز اي قوي يضعف كل قوي عن دونه عند قواه ويذل كل عزيز عند عزه او قوي لا قوي سواه يخزي لا عزيز سواه في ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات وما ذكر لانه ترك هدم الكنائس والبيع وما ذكروا النهي عن هدم لانه ذكر الصوامع والبيع وعلى ذلك تركت الكنائس والبيع في امصار المسلمين لم تهدم ولا خلاف بين اهل العلم في ذلك وانما يمنعون عن احداث البيع والكنائس في امصار المسلمين وقراهم واما العتيقة منها فانهم يتركون وذلك والله اعلم وقوله الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة الى آخره قال بعضهم هذا نعت من الله لاصحاب رسول الله ومن تبعه ومدح لهم بالدوام على دين الله الذين قبلوه واخذوا في حال الخوف بعد ما مكن لهم في الارض وامنهم من ذلك الخوف الذي كان في الابتداء واخبر انهم داموا على ذلك ولم يتركوا ما كانوا عليه بل زاد لهم حرصا على ذلك وجهدا وكذلك الاية الاخرى التي ذكر في سورة النور وهو قوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الى آخر الاية فان كان التاويل هذا فهو يرد على الروافض قولهم ومذهبهم لانهم يقولون انه لما ولي ابو بكر ارتدوا اجمعا وتركوا الدين الذي اختاروه فالاية تدل على نقض قولهم انهم ارتدوا لان الله عز وجل اخبر انه مكن لهم في الارض واستخلفهم ووعدهم الجنة وانما ارتد من كان اسلامه بالقهر والغلبة فاذا مكن لهم تركوا ذلك وقال بعضهم ان الاية وان كان ظاهرها خبرا ووعدا فهي في الحقيقة امر ان افعلوا كذا الى آخر ما ذكر وهو كقوله وقوله ولله عاقبة الامور يحتمل قوله عاقبة الامور اي ترجع اليه الامور في الاخرة كقوله والى الله ترجع الامور وجائز ان يكون قوله عاقبة الامور ان يكون عاقبة الامور لاوليائه من النصر والقهر على اعدائه فالمراد بالاضافة اليه اولياؤه كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي تنصروا اولياءه او تنصروا دينه ينصركم والله اعلم وقوله وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح الاية هذا يخرج على وجهين احدهما وان يكذبوك فيما اخبرت لهم وذكرت من التمكين والثبوت على الدين ووعد لهم الجنة فقد كذبت لهم الامم الذين من قبلك رسلهم اذا اخبروا لهم بشيء او وعدوا لهم نصرا ونحوه وجائز ان يكون قوله وان يكذبوك في الرسالة وفيما تخبر عن الله من الاخبار يصبر رسوله لست انت باول مكذب في الخلق ولكن قد كذب الاقوام الذين كانوا من قبلك رسلهم في الرسالة وهو ما

قال وكلا

ما قال وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك الاية وقوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير اي علم بما قبل الله قوما كذبوا رسلهم وقت تكذيبهم الرسل بل امهلهم حتى اغتروا بتاخير العذاب عنهم وزادهم تكذيبا وعنادا فعند ذلك اخذوا وعوقبوا بالتكذيب وهو ما اخبر عنهم وهو كقوله لولا يعذبنا الله بما نقول الحسن ان الله لم يهلك قوما باول التكذيب ولكن امهلهم قرنا فقرنا وقوما بعد قوم ورسولا بعد رسول فعند ذلك اذا علم منهم انهم لا يؤمنون اهلكهم وان كان يعلم في الازل من يؤمن منهم ومن لا يؤمن حتى يعلم علم ظهور على الابتداء انهم لا يؤمنون وهو كقوله حتى نعلم المجاهدين منكم على ظهور للخلق وان كان يعلم علم باطن وخفي وقوله وكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة لم يهلك الله عز وجل اهل قرية اهلاك استيصال وتعذيب الا بعد عتو اهلها وظلم منهم كقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون وكقوله وما كان ربك ليهلك القرى الا واهلها ظالمون وكقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وامثاله كثير على ما ذكرنا وقوله فهي خاوية على عروشها فاذا ذهبت السقف وبقيت الحيطان فهي خاوية على عروشها وقال بعضهم خاوية خربة ساقطة حيطانها على سقوفها وقال الحسن العروش كل ما ارتفع من الارض وعلا يقال عرش وعروش جميع وهكذا كان ما اهلك الله من القرى منها ما اهلها وترك القرى والبنيان على حالها ولياتها من ذلك فرعون وقومه وغيره من الاقوام ومنها ما اهلك القرى باهلها لم يترك منها شيئا من نحو قريات لوط وثمود وعاد وهؤلاء وقال بعضهم العروش هي احذام الشجر وكانها اسطوانة واصل الخاوية الخلاء وهو من الاهل وكذلك وقوله وبئر معطلة عطلها اهلها ليس بها احد لا بها اخبرت على ذكرنا من اهلاك اهلها وقوله وقصر مشيد قال بعضهم مشيد مجصص والشيد الجص وقال بعضهم مشيد اي مرتفع والمشيد بالتشديد المطول المرتفع قال القتبي المشيد المبني بالشيد وهو الجص والمشيد المطول وتأويلهما سواء وهو مطول وكذلك قال ابو عوسجة او قريبا وكانه ذكر هذا لاهل مكة لوجهين احدهما ان كانت لهم قرية فيها قصور مشيدة محصنة يتحصنون بها يخبر ان من كان قبلكم اشد قوة واكثر حصونا وقصورا فلما كذبوا رسلهم لم ينفعهم ذلك ولكن نزل بهم العذاب فعلى ذلك انتم يا اهل مكة اذا كذبتم رسولكم ينزل بكم مثل ما نزل باولئك وان يكونوا امنين فيها مطمئنين فقال ان اولئك قد كانوا امنين مطمئنين في قراهم كما منكم ثم نزل بهم ما نزل فانتم وان كنتم امنين فينزل بكم ما نزل باولئك وهو ما قال عز وجل وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة الاية والله اعلم وقوله افلم يسيروا في الارض هلا ساروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها فينظروا ليعرفوا ما حل باولئك بالتكذيب فيمتنعون عنه واذان يسمعون بها اي يسيروا فيستمعوا الى الاخبار التي فيها ذكر هلاكهم وما نزل بهم بالتكذيب والعناد لان ما حل بالاولين انما يعرف ذلك باحد امرين اما بالمعاينة بالنظر اليهم واما بالسماع من الاخبار او ان يكون قوله افلم يسيروا في الارض اي قد ساروا في الارض لكن لم تكن لهم قلوب عقول او افهام يعقلون بها ما نزل باولئك بالتكذيب فيعتبروا بذلك ولا كانت لهم اذان يستمعون ما حل بهم اي كانت لهم عقول يعقلون بها لو نظروا حق النظر واذان يسمعون بها لو سمعوا حق السماع لكنهم لما لم ينتفعوا بعقولهم واسماعهم نفى ذلك عنهم وهو ما قال فانها لا تعمى الابصار الظاهرة ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو ما نفى عنهم السمع والبصر لتركهم الانتفاع بها صم بكم عمي وقال بعضهم هذه الاية في شان عبد الله بن زائدة ابن ام مكتوم الاعمى معناه ان العمى عمى القلب ليس عمى البصر وهو كان عمى البصر لا عمى القلب هذا معناه ان ثبت والله اعلم وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده الذي وعد في نزول العذاب اي ينزل بهم لا يتقدم ولا يتاخر عن ميقاته وقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال عامة اهل التاويل نحو ابن عباس والضحاك ومجاهد وهو لا عراها هي الايام التي خلق الله فيها الدنيا وجعلها اجلا لها بعد كل يوم كالف سنة والى هذا صرف عامة اهل التاويل فلا نعلم ذلك وجها وقال بعضهم وان يوما عند ربك من عذابهم في الاخرة كالف سنة مما تعدون في الدنيا اليوم الواحد الف سنة ووجه هذا ان الوقت القليل يجوز ان يصير مديدا طويلا لشدة العذاب او البلاء نحو ما قيل لهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قصر مقامهم في الدنيا لشدة ما عاينوا من العذاب فعلى ذلك هذا والله اعلم وجائز ان يكون هذا لا للتوقيت والمدة اذا الاخرة مما لا غاية لانتهائها وكل شيء لا غاية لانتهائها ثم ذكر الوقت لم يخرج مخرج التمثيل لا التوقيت كقوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض وقال عرضها السموات والارض ليس على التحديد لها والتوقيت ولكن على ما خرج عن الاوهام ذكر ذلك ومثلها بر فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة او امليت لها لم اخذها وحبث ظلمهم ثم اخذتها من بعد والي المصير وقوله قل يا ايها

الناس انما انا لكم نذير مبين هو ظاهر قد ذكرنا في غير موضع وقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة لذنوبهم ومعاصيهم ورزق كريم قال بعضهم سماه رزقا كريما لان من رزق ذلك واعطى
يكرم ويعظم قدره وقال بعضهم سماه كريما لان الكريم هو الذي يقضي عنده الحوائج والحاجات
فعلى ذلك هذا الرزق من ناله واصاب قضي عنده الحوائج لذلك سمي كريما والله اعلم وقوله والذين
سعوا في اياتنا معاجزين في بعض القراءات معجزين قال بعضهم معاجزين مثبطين مبطئين يبطئون
عن اتباع النبي الاشبه عندنا ان يكون قوله معاجزين سابقين فائتين لكنه على الاضمار كانه
قال والذين سعوا في اياتنا معاجزين على ظن منهم انهم سابقون فائتون عن عذابه اولئك اصحاب
الجحيم وقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الا اذا تمنى اي تلا القى الشيطان في امنيته قيل في تلاوته
وقراءته الاية قال عامة اهل التاويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تمنى اي تلا في صلوته او حدث
نفسه التي الشيطان على لسانه عند تلاوته بالنجم اذا هوى حتى اذا انتهى الى قوله افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى وتذكروا انه اتاه على صورة جبريل فالقى عليه
ما ذكروا ثم اتاه جبريل فاخبره النبي بذلك فقال له انه لم ينزل عليه قط شيئا مثله وامثال ما قالوا
لكنه لو كان ما ذكر هؤلاء كيف عرفه في المرة الثانية انه جبريل وانه ليس بشيطان ولا يؤمن ان يلبس
عليه في وقت اخر في امثاله وقال قتادة انه صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان يذكر الله الهتهم بعيب
فلما قراء تلك الاية ومناة الثالثة قال انهن الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى عندهم يعني به
عند اولئك الكفرة وهم على ذلك كانوا يعبدونها وقال الحسن انه اراد بقوله تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن
ترتجى الملئكة لانهم كانوا يعبدون الملئكة رجاء ان يشفعوا لهم يوم القيمة فاخبر ان شفاعتهم
الملئكة ترتجى وهذا ان التاويل الاشبه من الاول والاشبه عندنا ان يكون على غير هذا الذي
قالوا وهو ان قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
اي عند تلاوته القران في قلوب الكفرة المجادلون برسول الله ومحاجتهم خصومهم بذلك على
الاتباع ليتبعوهم وهو نحو قولهم انه يحرم ما يحلله الله ويحل ما يحرم هو بنفسه ونحو قولهم عند
نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون فقالوا ان عيسى وعزيرا
والملئكة عبدوا دون الله حصب جهنم اذا ونحو قولهم في قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه انه حساب
الجمل وامثال هذا مما جادلوا رسول الله وجادلوا به فاخبر انه يبطل جدالهم ومحاجتهم رسوله ولئن
يحكم اياته حيث قال عند قولهم انه يحل ويبيح نفسه ويحرم ما يحرم الله انه يحرم هذا وهم حل الاجر
وهو قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق ولكن كلوا مما ذكر اسم الله عليه فبين انه انما
حل هذا بذكر اسم الله عليه وحرم لا بترك ذكر اسم الله عليه وبين في قولهم ان عيسى عبد ودون
الله والملئكة عبدوا دونه فهم ليسوا بحصب جهنم حيث استثنى اولئك فقال ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى الاية فابطل بجادلتهم ومحاجتهم فصرفهم الاية الى حساب الجمل بقوله هو الذي انزل عليك
الكتاب منه ايات محكمات الاية فهذا والله اعلم تاويل قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان في قلوب اولئك
الكفرة ما يجادلونه واحكم اياته بما ذكرنا ثم ان ثبت ما ذكر ابن عباس وعامة من ذكرنا حيث قالوا
جرى على لسانه ذلك فما تنغد ما جرى الخطا على لسان من عصم اذا عرف التابع منه مذهبه و
دينه الذي يدين به عرف ان ما جرى غلطا وخطا نحو من يعتقد مذهبا وينحل نحله فجرى على لسانه
خلاف ما يعرف منه الاعتقاد يعرف انه جرى على لسانه غلطا فعلى ذلك الذي ذكره اهل التاويل ان
ما ذكروا عنه انه قال ذلك والاشبه فيه ما ذكرنا من القاء الشيطان في قلوب الكفرة ما يجادلون
به رسول الله ويحاجونه كقوله ان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم الاية وقال القتبي الاية انا
تمنى اي تلا القران القى الشيطان في امنيته او في تلاوته وكذلك وقال ابو عوسجة وقال انما في متشددة
جميع وقال غيرهم انما تمنى اذا حدث وفي امنيته في حديثه قال بعضهم تمنوا امنيته هو من النفس كقوله ولا
تتمنوا الاية ونحوه وهو قول الحسن تمنى كبعض ما تمنى الناس من الدنيا وقال قتادة تمنى ما ذكرنا من تمنى النفس
ان يذكر الهتهم التي كانت تدعى وترتجى شفاعتهن على ما ذكرنا والله اعلم وقوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض هذا تاويل العموم يجعل ما يلقي الشيطان في قلوب اولئك الكفرة فتنة للذين ذكر لما ظنوا العلة
لا يقدر الاجابة لهما ولا يصنع ما يحيبهم فيكون ذلك فتنة لهم والله اعلم وقوله في قلوبهم مرض كانهم
هم المنافقون لانهم هم الموصوفون المسمون بهذا الاسم كقوله واذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله والقاسية قلوبهم كانهم هم الرؤساء الكابرون
المعاندون لرسول الله والكفرة كلهم موصوفون لعناوة قلوبهم كقوله ثم قست قلوبهم كقوله
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله وان الظالمين لفي شقاق بعيد يحتمل
الخلاف والعنادو المكابرة بعيد عن الاجابة له او بعيد لا سماع للحق وقبوله وقيل شقاق اي خلاف

وتفكر في شئ في نفسه نسخ

هذا قالوا لكن هذا غير صحيح

بعيداي

بعيد اي لا يرجعون الى الوفاق ابدا وقوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به وقوله
ولا يزال الذين كفروا في مرية منه هذه الاية كالايات التي ذكرنا ها فيما تقدم من ذلك قوله واذا ما
انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
واما الذين في قلوبهم مرض الاية ونحوها من الايات التي وصف اهل التوحيد بالقبول لها والخضوع
والاقبال اليها ووصف اهل الكفر بالرد والتكذيب فعلى ذلك قوله وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق
من ربك علم الذين اوتوا العلم ان القران وجعله الحق من ربك لانهم نظروا اليه بالتعظيم والتبجيل والخضوع
له فاقروا به فزادهم بذلك هدى ورحمة وشفاء واولئك نظروا اليه بالاستخفاف والهوان والتكذيب
فزادهم بذلك رجسا وضلالة وفسادة وقوله عذاب يوم عقيم قال بعضهم هو يوم بدر وقال بعضهم
هو عذاب يوم القيمة وهو شديد وجائز ان سماه عقيما لانه لا يرجى النجاة منه ولا الخير وكذلك سميت
المراة التي لا تلد عقيما لما لا يرجى منها الولد وقوله الملك يومئذ لله يحكم بينهم قال الحسن الملك في الاحوال
كلها لله في الدنيا والاخرة لكن تاويل قوله الملك يومئذ لله اي الحكم يومئذ لله هو يحكم بينهم دون
الخلائق لان في الدنيا من قد حكم غيره فاما يومئذ فالحكم له عندنا تخصيص الملك يومئذ له بالذكر
وان كان الملك في الايام كلها لله لانهم جميعا يقرون له بالملك يومئذ لا احد ينازع وفي الدنيا من
قد ادعى الملك لنفسه وهو ما ذكره في قوله وبرزوا لله جميعا والى الله المصير والى الله ترجع الامور
ونحوه فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا و
كذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ظاهر تاويله وقوله والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا
او ماتوا اما اهل التاويل فانهم صرفوا تاويل الاية الى الغزاة والمجاهدين في سبيل الله قتلوا او ماتوا
حتف انفهم فان لهم ما ذكر من الرزق الحسن والمدخل المرضي وظاهره ان يكون في الذين ما جروا الى
رسول الله فان كان فيهم قصة دلالة نقض قول الروافض حيث قالوا ارتد عامتهم حيث شهد الله
لهم بالجنة والرزق الحسن والمدخل المرضي قتلوا او ماتوا حتف انفهم فلا يحتمل ان يكون منهم ما قالوا
قال القتبي قوله فتخبت له قلوبهم اي تخضع وتذل وهو ما ذكرنا في قوله وبشر المخبتين وقال عذاب
يوم عقيم شديد وهو ما ذكرنا وقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا قيل هو الجنة لانه انما ذكر بعد الموت
والقتل فلا يكون رزق حسن الا في الجنة يستحسنها كل طبع وعقل وقوله وان الله هو خير الرازقين اخبر انه
خير الرازقين وان لم يكن رازق سواه لانهم كانوا يطمعون ويطلبون الرزق والسعة من عند
من سواه حيث كانوا يعبدون من دونه طمعا في السعة فاخبر انه هو الرزاق ومنه يطمع الرزق
والسعة لانه هو المالك لذلك وهو ما قال احسن الخالقين وان لم يكن خالق سواه وقوله ليدخلنهم
مدخلا يرضونه وهو الجنة ايضا يرضيها كل طبع وعقل وان الله لعليم حليم عليم بما صنع باوليائه واعدائه
وما صنع هؤلاء باوليائه حليم حيث اخر الانتقام من اعدائه لم ينتقم منهم وقت صنيعهم بما صنعوا باوليائه
والله اعلم وقوله ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به قد ذكرنا فيما تقدم انه جائز في اللغة ذكر حرف
ذلك وحرف هذا على الابتداء وان كان مما يخبر عن غائب نحو قوله هذا ذكر وان للمتقين لحسن ماب
هذا وان للطاغين يستقيم ذكره بدون ذكر هذا وهو ان يقول وان للمتقين كذا وان للطاغين
كذا فعلى ذلك هذا او ان يكون ذكر ذلك صلة ما سبق من ذكر الانباء والاخبار يقول ذلك الذي
ذكرت لك وانباءك من عاقب بمثل ما عوقب به ثم اختلف في سبب نزول هذه الاية قال
بعضهم هي في القصاص ان من قتل ولي اخر فاقتص منه ثم ان المقتص منه بغى على ولي المقتول فقتله
لينصرن على من بغى عليه وهو ما ذكر في اية اخرى وهو قوله فمن عفي له من اخيه شئ فاتباع بالمعروف
واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ثم قال فمن اعتدى بعد ذلك فله كذا لكن
ذكر ههنا الاعتداء بعدما اخذ المال وههنا في الاول ذكر البغي بعد القصاص وهو واحد في معنا
وقال بعضهم نزل في المؤمنين والمشركين وذلك ان المشركين عاقبوا المؤمنين بعقوبات واعتدوا
عليهم ثم ان المسلمين ظفروا بهم فعاقبوهم جزاء عقوبتهم ثم ان المشركين بغوا على المؤمنين فوعد
الله لهم النصر عليهم بعد البغي وقال بعضهم قريبا من هذا وهو ان المشركين كانوا يؤذون اصحاب
رسول الله ومن امن منهم وبما قبوتهم في اشهر الحج ولم يكن للمؤمنين اذن بغنا لهم في ذلك الوقت
فقاتلوهم مكافاة لهم فاخبر الله عز وجل ووعدهم النصر اذا بغى اولئك عليهم من بعد فعلى هذا
التاويل يكون وعد النصر لهم اذا بغى اولئك عليهم من بعد وعلى التاويل الاول يكون لهم الوعد
بالنصر بعدما بغى اولئك على هؤلاء والله اعلم بذلك وقوله ان الله لعفو غفور للمؤمنين تبعا لهم اولئك
في شهر الحج حيث كان لم ياذن لهم بالقتال او ان الله لعفو غفور اذا تابوا ورجعوا عما فعلوا والله
اعلم وقوله ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل قد ذكرنا ان حرف ذلك يستقيم ذكره
على الابتداء والانتهاء وعلى غير صلة وجائز ان يكون صلة قوله لينصرنه الله اي ذلك النصر لمن ذكر

لان من قدر على ايلاج الليل فى النهار وايلاج النهار فى الليل قادر على ما وعد لهم من النصر لهم **وقوله**
وان الله سميع بصير سميع لاقوالهم بصير بحوايجهم والسميع بعالى هو المجيب اى يجيب لدعائهم بصير بما يكون
من الاعداء او ان يكون على الابتداء فى كل امر وكذلك بان الله هو الحق ما ذكرنا وقال بعضهم ذلك بان الله
اى هو الذى يفعل هذا **وقوله** ذلك بان الله هو الحق قال الحسن الحق هو اسم من اسماء الله به يعطى وبه يحكم
بين الحق وبه يقضى ونحوه ويحتمل ان يكون قوله ذلك بان الله هو الحق اى عنده يتحقق ما يطمع فى
العبادة ويطلب اذ هو المالك الله الملك **وقوله** وان ما يدعون من دونه هو الباطل اى ما تطمعون
بعبادة من دونه باطل وهو الاصنام التى عبدوها رجاء الشفاعة او طمعا فى النعمة فاخبر انها لا تملك
ذلك وانما ذلك الله **وقوله** وان الله هو العلى الكبير اى من عنده يطلب العلو من عنده يطلب ويطمع
الرزق والسعة والشفاعة والنصر والظفر والاجابة لا من عند هولاء الاصنام التى يعبد وهنا يذكر سفههم
بعبادتهم الاصنام من دون الله **وقوله** الم تر اختلف فيه قال بعضهم الم تر انما هو حرف تعجب رسول الله
جميع ما يفعل من فعاله وقال بعضهم الم تر هو حرف ايضاح الحجج واثارة براهينه كقوله الم تر الى
ربك كيف مد الظل ونحوه واصله ان ظاهره وان كان استفهاما فهو فى الحقيقة تحقيق وايجاب الم
تراى قد رايت وقد اخبرت وهكذا جميع ما خرج الظاهر فى الكتاب مخرج الاستفهام فهو فى الحقيقة
ايجاب والزام ثم فى قوله ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة وجهان من الاستدلال على
منكرى البعث احدهما خبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر على انزال الماء من السماء وشق الارض
واخراج النبات منها مع لينه وضعفه وصلابة الارض وشدتها قادر على احياء الخلق بعد الموت
ولا يحتمل ان يعجزه شىء والثانى حيث قدر على احياء الارض بعد موتها وبيسها لقادر على البعث والاحياء
وقد عرفوا ان اعادة الشىء اهون من ابتدائه او يقدر على الاعادة من لا يملك على الابتداء اذا عرف
الابتداء **وقوله** ان الله لطيف خبير قال الحسن اللطيف فى الشاهد انما يقال على وجوه ثلثة احدها انه
يقال للشىء لطيف لرقته وذلك عن الله منفى والثانى يقال اللطيف لما يتاتى له الاشياء ولا يصعب عليه
والثالث اللطيف هو الرحيم الرؤف وعلى الوجهان يضاف الى الله والاول لا يجوز اصلا فالله اليه خبير
عليم **وقوله** له ما فى السموات وما فى الارض وان الله هو الغنى الحميد يخبر ان له ما فى السموات وما فى الارض
وانهم عبيده واماؤه وانه لم يخلقهم لحاجة نفسه ولكن انما خلقهم لحاجة انفسهم حيث اخبر انه
الغنى بذاته والثانى يخبر انه لم يأمرهم ولم ينههم ولا امتحنهم لمنافع تكون له ولكن لمنافع الممتحن الحميد هو
المحمود فى فعاله والحميد الحامد **وقوله** الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بامره يذكر
هو نعمه ليتأدبهم شكره لانه اخبر انه سخر لهم ما فى الارض من انواع المنافع ليعلموا انه لم يخلقهم عبثا ليتركهم
سدى لان من كان خلقهم لما ذكر لم يكن خلقهم ليكون خلقا متروكا سدى ويخبر انه اعطى لهم الاسباب
التى بها يصلون الى منافع الارض مع شدتها وصلابتها والاسباب التى بها يصلون الى منافع البحر وهى
الفلك التى خلقها لهم ليصلوا بها الى منافع البحر حيث خلق الخشب فاردة على وجه الماء غير مستتر وغير
من الاشياء من طبعها التسفل والتسرب فى الماء من الحديد والحجر ونحوهما من الاشياء ليعرفوا فضله ورحمته
ان كيف تثبت وتوجد على وجه الماء ولم يثبت الحديد والحجر ونحوه ثم تثبت الحديد على وجه الماء مع الخشب
اذا السفن لا تخلو عن الحديد وبه يقوم السفن ثم لا يتسرب والله اعلم **وقوله** ويمسك السماء ان تقع على
الارض الا باذنه اى يمسك السماء لا بالاسباب ولا بالاشياء التى يمسك الاشياء فى الشاهد وهو ما قال
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الاية **وقوله** ان الله لرؤف رحيم اى من رافته ورحمته ما خلق
لهم وسخر ما ذكره **وقوله** وهو الذى احياكم ثم يميتكم هذا قد ذكرناه **وقوله** ان الانسان لكفور يحتمل ان
يكون قوله ان الانسان اى الكافر لكفور للبعث اى جاحد له والكفور لربه فى نعمه التى انعمها عليهم
حيث ذكر انه سخرها لهم فى قوله سخر لكم كذا لانه ينظر فى النعم الى اسبابه والحيل التى يحتال لا الى فضل
ربه وافضاله فى تلك النعم لذلك صار كفورا لربه فى نعمه واما المؤمن فانه ليس ينظر الى الاسباب والحيل
فيها ولكن ينظر الى فضل الله وافضاله وانعامه عليه فيها فيكون شكورا لله فيها غير كفور والكافر ينظر الى
ما ذكرت لذلك كان ما ذكر وعلى المعتزلة فى قوله ان الانسان لكفور لانه يقول هذا الذى سخر الفلك وهم
يقولون لم يسخر الفلك ولكن انما سخر الخشب التى منها تتخذ الفلك لانهم لا يرون لله فى فعل العباد تدبير
اولا صنعا وهم يكفرون نعمة ربهم فيما ذكر من تسخير الفلك لنا وهم داخلون فى ظاهر هذه الاية على الوجه
الذى ذكرنا **قوله** ولكل امة جعلنا منسكا اختلف فى المنسك قال بعضهم منسكا اى جعلنا لكل امة دينا
يدعون اليه اى كل امة تدعى الى دين واحد وهو دين الاسلام وهو قول الحسن وقال بعضهم لكل امة
جعلنا منسكا اى شريعة فهذا على الاختلاف اى جعلنا لكل امة شريعة على حدة هم ناسكوه ذلك كقوله
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقال عامة اهل التاويل منسكا اى ذبائحا وعيدا قالوا ذكر هنا والله اعلم
لان من الناس من ينكر ان يكون الذبح شريعة الله فاخبر ان الذبح سنة الله وشريعته فى الامم كلها ليس

على ما قالت الثنوية **وقوله** فلا ينازعنك فى الامر على التاويل من يقول ان المنسك هو الدين اى
لا يخالجنك فى نفسك ان الذى انت عليه هو دين الله وادع الناس اليه وعلى التاويل من يقول هو
الذبح يقول فلا ينازعنك اى لا يصدنك عن الذبح من ينكر ذلك كقوله فلا يصدنك عن ايات الله
وقوله وادع الى ربك اى ادع الى توحيد ربك او ان يكون قوله ادع الى ربك الى عبادة ربك
وانههم عن عبادة من دونه **وقوله** انك لعلى هدى مستقيم هذا يدل ان التاويل الذى ذكرنا فى
المنسك وهو الدين اشبه واقرب لانه ذكر انك لعلى هدى مستقيم فلا يخالجن فى نفسك شك
فى ذلك والله اعلم **وقوله** وان جادلوك فى امر الذبيحة او فى الدين وقد جادلوه فى الدين كثيرا لكن
ذلك قال والله اعلم عند اياسه عن توحيدهم واسلامهم يقول والله اعلم وان جادلوك فى الدين
والتوحيد فقل الله اعلم بما تعملون وهو كقوله لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير فعلى ذلك
قوله الله اعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من الدين قال بعض اهل التاويل
هذه الاية منسوخة نسختها اية القتال لان فيها حظرا عن القتال والترك على ما هم عليه و
تسليم الامر الى الله يحكم بينهم يوم القيمة لكن جائز ما ذكرنا انه انما قال ذلك عند الاياس منهم عن توحيدهم
وقوله الم تعلم ان الله يعلم ما فى السموات والارض قد ذكرنا فى غير موضع ان حرف الم حرف يتوجه
الى وجوه الى التعجب مرة والى التنبيه والانتباه ثانيا والى ايضاح الحجج والبراهين ثالثا **وقوله** ان ذلك
فى كتاب ان ذلك على الله يسير **وقوله** ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حججا وبراهينا و
ما ليس لهم به علم يخبر عن سفههم انهم يعبدون غير الله ولا سلطان ولا حجة لهم ولا لهم بذلك
علم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول يخبرهم ولا كان لهم كتاب فيعلمون به فيقولون الله امرهم
بذلك ولا حجة لهم فى ذلك ولا علم وفيه انه انما بعث الرسل اليهم على علم له منهم انهم يكذبون
الرسل لان من الناس من ينكر بعث الرسل الى من يعلم انه يكذبهم ويترك اجابتهم لمن لا يبعث فى
الشاهد رسولا الى من يعلم انه يكذبه ولا يجيبه فعلى ذلك يقولون لا يجوز ان يكون الله يبعث الرسول
الى من يعلم انه يكذبه ولا يجيبه لكن الله اخبر انه على علم منهم بالتكذيب وترك الاجابة بعثهم حيث
قال الم تعلم ما فى السماء والارض والثانى فرقهم ان من علم فى الشاهد تكذيب المرسل اليه رسوله
انه لا يبعثه اليه لان المرسل انما يبعثه لحاجة نفسه ومنافعه فاذا علم منه تكذيبه وترك الاجابة
له لم يبعثه فاما الله سبحانه وتعالى انما يرسل الرسول لحاجة المرسل اليه ومنافعه لا لحاجة نفسه
ومنفعته فلا ضرر يلحقه فى تكذيبه وجحوده لهذا يرسله على علم منه بالتكذيب **وقوله** ان ذلك
فى كتاب قال بعضهم ان ذلك العلم فى الكتاب الذى عنده ان ذلك على الله يسير تقول حفظ يسير على
الله بغير كتاب لا يصعب عليه حفظ شىء لانه عالم بذاته لا بسبب ولا تعليم وانما يصعب ذلك على
من كان علمه بالشىء بسبب وتعليم **وقوله** الم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك على الله يسير فيه
دلالة رد قول القدرية حيث قالوا يكذب من كذب الرسل لا بارادة الله فذكر انه على علم منه
ذلك بعثهم وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون فى اخر الزمان ناس
من امتى يكذبون بالقدر سيكفيكم من الرد عليهم ان تقولوا الم تعلموا ان الله يعلم ما فى السماء والارض
وتاويل هذا والله اعلم ان يسألوا فيقال لهم اراد الله ان يصدق فى خبره الذى اخبر او يكذب فان
قالوا اراد ان يصدق فى خبره لزمهم ان يقولوا اراد جميع ما كان منهم وان قالوا اراد ان يكذب
خبره فيكون كفرا محضا **وقوله** ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا هو ما ذكرنا انه
يسفههم بعبادتهم دون الله بلا حجة ولا برهان ولا علم وتركهم عبادة الله مع الحجج والبراهين
والعلم انه اله وانه ربهم مستوجب للعبادة **وقوله** وما للظالمين من نصير ينصرهم ويمنعهم من عذاب
الله فيه دلالة اثبات رسالته لانه انما قال ذلك للرؤساء منهم والقادة فلم يتهيأ لهم نصرة
شىء ولا دفع ما قال بشىء ولا رد ما قال بشىء دل انه بالله كان ذلك والله اعلم **وقوله** واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات يحتمل الايات الحجج والبراهين ويحتمل القران المنزل عليه تعرف فى وجوه الذين كفروا
المنكر الانكار واثر العناد والرد لا بالغم والكراهية والبغض له يكادون يسطون بالذين يتلون
عليهم اياتنا يخبر عن سفههم وشدة تعنتهم وعتوهم عند تلاوة الايات عليهم واقامة الحجج عليهم
حيث قال يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم يسطون قيل يأخذون اخذا وقيل يبطشون بطشا
وقال القتبى يسطون اى يتناولونهم بالمكروه من الشتم والضرب وقال ابو عوسجة يكادون يسطون
اى يقعون بهم يقال سطا يسطو سطوة ورجل ذو سطوة وبطشة اى ذو قوة وقدرة قال
ويقال سطوت بفلان اى اخذته اخذا شديدا وبطشت به كذلك ثم قال قل افأنبئكم بشر من
ذلكم النار ظاهر الاية ليس بجواب لما تقدم ولا صلة وليس على الابتداء ولكن على بيان لا وامر كان
منهم لم يذكر لنا ذلك فاما ابن عباس وغيره من اهل التاويل قالوا انما انزلت جوابا لما قالوا لرسول

الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه حيث قالوا انا نعلم قوما اشقى منكم حيث راوهم قد خطروا الدنيا عليهم
لم يعطوا من الدنيا شيا فنزل جوابا لهم قل افانبئكم بشر من ذلكم النار الاية وقال بعضهم هو جواب
قوله يكادون يسطون بالذين يتلون قل افانبئكم بشر من ذلكم النار كقوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله الاية وقوله يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له قد ذكرنا معنى ضرب الامثال
والحاجة اليها وذلك ان العقول يجوز ان يعترض ما يستر عليها سبيل الحق ويحجب عنها ادراك
الحق فضرب الامثال ليرفع عنها ذلك الحجاب والستر لتدرك العقول سبيل الحق والا لم يحز ان
لا يدرك العقول لما جعلت العقول له من درك الحق لكن يمنع عن درك الحق وسبيله ما ذكرنا
من اعتراض الستر والحجب فينكشف ذلك بما ذكرنا من الامثال ثم في هذا المثل وجهان احدهما تخبر
عن سفهه لعلا مهم في عبادتهم من لا يقدر على خلق اضعف خلق وهو ما ذكر لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا
له وتركهم عبادة من هو خالقهم وخالق جميع الخلايق والثاني يخبر عن قطع ما يا ملون ويطمعون
من عبادتهم الاصنام حيث قالوا قال وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ويتركون عبادة
من يؤمل منه ويطمع كل خير والله اعلم وقوله فاستمعوا له قال بعضهم اجيبوا له وقال بعضهم استمعوا له
استماع من نظر وتاويل الحق ويقبله ومعناه اذا ظهر له لا استماع من لا ينظر الى الحق ولا يقبله والله اعلم وبقبله اذا ظهر له لا استماع من لا ينظر الى الحق
وقوله ان الذين تدعون من دون الله قال بعضهم تدعون اى تعبدون من دون الله وقال تدعون من دون الله
على الدعاء اى تسمونهم الهة من دون الله وقد كان منهم الامران جميعا العبادة للاصنام من دون الله و
تسميتهم اياها الهة من دون الله وقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فيه ما ذكرنا من الوجهين
من تسفيه احلامهم في عبادتهم من لا يملك خلق اضعف خلق الله وبحزهم عما يا ملون من النفع وعند فع من
يروم بهم الضرر والسلب ما ذكرنا ثم اختلف في قوله ضعف الطالب والمطلوب قال بعضهم الطالب
الصنم والمطلوب هو الذباب لكن على هذا التاويل يخرج فيه لواى ضعف الصنم لو كان طالبا وقال بعضهم
الطالب هو الذباب والمطلوب هو الصنم فان قيل وصفهما جميعا بالضعف الذباب والصنم جميعا على
على تاويلهم اعنى هؤلاء فالصنم ضعيف عاجز على ما وصف واما الذباب فهو ليس بضعيف لانه يغلب
ذلك الصنم ان كان طالبا او مطلوبا فكيف وصفه بالضعف فهو الغالب عليه في الحالين لكنه كانه رجع
قوله ضعف الطالب والمطلوب الى العابد والمعبود كانه قال ضعف العابد عما يامل ويطمع من عبادته
اياه وضعف المعبود عن ابقاء ما يؤمل ويطمع منه فهذا كانه اشبه واقرب الى التاويل من الاول
والله اعلم وقوله ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوا الله بالشريك والولد والصاحبة ومما قالوا فيه مما
لا يليق به لانهم لو عرفوه حق معرفته لم ينسبوا اليه ولا وصفوه بالذي وصفوه وعرفوا بذاته
وتعاليه من ذلك لكن حيث لم يعرفوه حق معرفته شبهوه بواحد من خلقه على ما ذكرنا وقال بعضهم ما قدروا
الله حق قدره اى ما عظموا الله حق عظمه حيث صرفوا العبادة والشكر الى غيره اذ لو عظموه حق تعظيمه
ما صرفوا عبادتهم وشكرهم الى غير الذى انعم عليهم وما اشركوا غيره في ذلك على علم منهم انه انما وصلت اليهم
تلك النعم من الله لا ممن عبدوه وبالله العصمة والصواب ثم يكون تعظيمه ومعرفته على الحقيقة بتعظيم
اموره وقبولها والقيام بها لا في قوله يا عظيم يا كبير ونحوه ولكن على ما ذكرت من تعظيم اموره وقبا منه
بها وكذلك المحبة الله انما تكون في القيام باموره وقبا له نحوها والانتهاء عن مناهيه لا فيما
في قوله انا حبيبك او تصوير شيء في قلبه ولكن على ما ذكرت والله اعلم وقوله ان الله لقوى عزيز يحتمل
قوله ان الله لقوى عزيز لنصرا وليائه وجعل العاقبة لهم عزيز اى منتقم من اعدائه او يقول القوى
لانه يضعف جميع القوى عند قوته عزيز يذل جميع العزيز عند عزته او يقول القوى لانه به يقوى
من قوى ومنه يستفيد ذلك عزيز لانه به يعز من عز ومنه كان ذلك والله اعلم وقوله الله يصطفى
من الملئكة رسلا ومن الناس يحتمل قوله يصطفى من الملئكة رسلا اى اختار رسلا من الملئكة في بعض
ما امتحنهم من انواع العبادات له والطاعات بعث منهم اليهم رسلا بتبليغ ذلك على ما اختار من
الناس رسلا اليهم فيما امتحنهم ويحتمل اصطفى رسلا من الملئكة الى الرسل من الانس ومن الناس اى
اختار منهم اعنى من الناس رسلا الى الانس والله اعلم كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وقوله ان الله
سميع بصير جائز ان يكون قوله بصير لمن يصلح للرسالة ومن لا يصلح وبصير لمن اختارها ومن لم يختر سميع
لما تلقى المرسل اليه الرسول من الاجابة والقبول والرد والتكذيب وانه على علم منه بالرد والتكذيب
ارسل وفيه دلالة انه انما اصطفاهم للرسالة لا بشيء يستوجبون منه ذلك ولكن افضالا منه قوله
ما بين ايديهم اى يعلم ما كان قبل ان يخلقهم وما خلفهم بعد ما خلقهم وقال الحسن يعلم ما اوائل امورهم
واواخرهم وقال بعضهم ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقال بعضهم ما بين ايديهم
من الاخرة وما خلفهم من الدنيا وجائز ان يكون قوله يعلم ما بين ايديهم ما عملوا بانفسهم في حياتهم
وما خلفهم ما سنوا الغير هم من بعدهم كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت ما عملوا هم

وما اخرت

وما اخرت ما سنوا الغير هم من بعدهم وجائز ان يكون لا على حقيقة بين الايدى ولا خلف ولكن لا يخفى عليه
شيء من افعالهم واقوالهم والى الله ترجع الامور قد ذكرنا معناه فيما تقدم وقوله يا ايها الذين امنوا
اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير في الاية دلالة ان الايمان هو شيء خاص وشيء
واحد لا اسم جميع الخيرات وهو التصديق لانه اثبت لهم اسم الايمان ثم امرهم بالركوع والسجود
وفعل الخيرات لان جميع المخاطبين بهذه الاية عرفوا من خوطب بها فلو كان اسما لجميع الخيرات لكان
لا يعرف المخاطب بها لانه لا يقدر واحد على جميع الخيرات فدل انه شيء معروف خاص مما يرجع
صاحبه الى حد المعرفة حيث عرف المخاطب به والله اعلم ثم يحتمل قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير وجوها احدها ان اجعلوا ركوعكم وسجودكم وعبادتكم عبادة لله لا تشركوا فيها
غيره على ما اشرك اهل مكة وغيره من الكفارة في عبادتهم غيره وهو الاصنام التي عبدوها والثاني
اعبدوا ربكم بالاسباب والاشياء التي عرفكم انها عبادة وكذلك افعلوا الخيرات التي عرفكم انها خيرات
والثالث ان اجعلوا احوالكم التي انتم عليها من قيام وقعود وحركة وسكون عبادة لله تعالى واجعلوا
تقلبكم ايضا للمعاش التي هي لكم واذن فيه عبادة فالاول هو عبادة بنفسه التي جعلها الله نفسا و
الثاني هو الذى يصير عبادة بالنية والقصد فيكون في جميع احواله مؤدى عبادة وهكذا الواجب
على المرء ان يكون في جميع ما يؤدى من النوافل من الصلوة والصيام وغيره مؤدى فرض وهو ان يؤدى
جميع ذلك بنية الشكر لنعمه وتكفير المعاصيه وكلاهما لازمان واجبان فان فعل ذلك كان مؤدى
لازم والله اعلم وقوله لعلكم تفلحون ظاهره خرج على الترجى وفي الحقيقة على الوجوب على ما ذكرنا
فيما تقدم وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده ليس لحق الله غاية يوصل اليها وكذلك قوله اتقوا الله
حق تقاته لانه لو كان لحقه غاية لكان الرسل والملئكة يقوسون به فادلك يتوهم منهم المجاوزة
عن ذلك اذ كل ذى حد وغاية يتوهم المجاوزة فيه فان لم يحتمل المجاوزة دل انه حقه ليس بذى
حد وغاية ويكون تاويل قوله وجاهدوا في الله حق جهاده وحق تقاته حقه الذى احتمل وسعكم
وبنيتكم وطاقتكم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم فيكون هذا تفسير القوله حق جهاده ثم
يحتمل قوله وجاهدوا في الله اى جاهدوا انفسكم في شهواتها واما نيها او جاهدوا اعداء الله في دفع
الوسواس والمحادثة معهم وقوله هو اجتبيكم يحتمل وجهين احدهما هو اجتبيكم للايمان والهدى
والتوحيد او هو اجتبيكم جنسا من افضل الاجناس واكرمهم من بين سائر الاجناس كقوله ولقد
كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر وقال عامة اهل التاويل في قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم
اى وحدوا ربكم جعلوا كل عبادة مذكورة في الكتاب توحيدا فيكون ذكر العبادة ههنا كقوله
يا ايها الذين امنوا امنوا بالله كانه قال يا ايها الذين امنوا وحدوا ربكم ثم اختلف في قوله
يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا قال بعضهم فيه وجوب سجدة التلاوة على ذلك وهي
في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضلت سورة الحج بسجدتين على غيرها من السور
فمن لم يسجدهما فلا يقراها وكذلك روى عن عمر رضي الله عنه انه قراها فسجد فيها مرتين ثم
قال ما ذكرناه وتاويله عندنا ان قوله فضلت بسجدتين السجدة التي هي من صلب الصلوة
وسجدة التلاوة في اول السورة فمن لم يسجدها فلا يقراها واصله في وجوب سجدة التلاوة
ان كل سجود ذكر في القران للخضوع لله فهو واجب للتلاوة لازم له وكل سجود كان الامر به
لحق سجود الصلوة فانه لا يلزمه السجدة للتلاوة فالامر بالسجود في قوله اركعوا واسجدوا الامر
بسجود الصلوة لا غير لم يلزم تاليه السجود بالتلاوة والله اعلم وقوله وما جعل عليكم في الدين
من حرج يحتمل تاويله وجوها ان عليهم معرفة وحدانية الله والوهيته وتعاليه عن الاشباه والشركاء
وعليهم معرفة نعمه والقيام بشكرها له والخضوع له في كل وقت وان يبعث الرسل لكنه بفضله ورحمته
بعث اليهم الرسل ليكون ايسر عليهم معرفة ذلك واهون والقيام باداء ذلك اخف لان معرفة
الاشياء بالسماع من لسان الصدوق والعدل ايسر والادراك اهون من معرفتها بالنظر و
التفكر وهو ما قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا اخبر انه لولا فضله
ورحمته في بعث الرسل لاتبعوا الشيطان الا قليلا والقليل الذين استثناهم الذين يتفكرون
وينظرون فيعرفون بالتفكر والنظر وذلك لا يعرف الا بجهد وتكلف فعلى ذلك قوله وما
جعل عليكم في الدين من حرج ولكن بعث اليكم الرسل ليكون اوضح لسبيل الحق ومعرفته وان كان له
ان لا يرسل ويكلف ذلك بالنظر والتفكر والثانى لم يجعل عليكم في الدين من حرج قطع ما يقع لهم الحوائج
وتحريم كل انواع المطاعم والمشارب والملابس عليكم لكنه اى حرم نوعا منها اباح نوعا اخر بازائه
مما يسد به حاجته ويدفع به علته ولو حرم كل انواعها كان حرجا في الدين وضيقا والثالث لم يجعل
عليهم من العبادات والفرائض التي كلفهم بها والقيام باداتها ما لا يحتمل وسعهم ولا بنيتهم ولا يحمل

عليهم امورا شاقة خلاف ما عليه طباعهم وامر معاشهم ولكن كلفهم بعبادات احتمل بها وسعهم
وبنيتهم ولم يحمل عليهم امورا غيرشاقة موافقة لما عليه امر معاشهم وطباعهم وان بعد وناى عليهم
والرابع انه لم يجعل توبتهم عما ارتكبوا من المعاصي والمآثم قتل بعضهم بعضا واهلاك بعضهم بعضا
على ما جعل ذلك لقوم حيث قالوا لهم فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ولو كلف ذلك كان حرجا في
في الدين وامثال ذلك والخامس جائز ان يكون قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي من شك وشبه
اي قد ازاح عنكم الشبه والشك بالحجج والبراهين التي اقامها لكم والله اعلم وقوله ملة ابيكم ابراهيم
هذا يحتمل وجهين احدهما على ان الامراد الزموا ملة ابراهيم والثاني ان هذا الذي ذكر هو ملة ابيكم ابراهيم
وقوله هو سميكم المسلمين من قبل وفي هذا اختلف فيه قال عامة اهل التأويل قوله هو سماكم اي
الله سماكم المسلمين وقال بعضهم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل حيث قال ووصى بها ابراهيم بنيه
ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ورسول الله محمد صلى الله عليه
وسلم كان من ولد اسمعيل وقد دعا له ولذريته بذلك وقوله من قبل وفي هذا قال بعضهم من قبل
في الكتب المتقدمة وفي هذا اي في القران وقال بعضهم من قبل في الامم الذين كانوا من قبل لانه
ما من قوم وامة الا وفيهم مسلمون متسمون بهذا الاسم وفي هذا في قومه اي كنتم متسمون بهذا
الاسم في الامم الخالية كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس اي كنتم خير امة في الامم التي كانت من قبل الا انه
تخرج في هذا الوقت والله اعلم وقوله ليكون الرسول شهيدا عليكم قال قائلون عليكم بمعنى لكم وذلك جائز في
اللغة كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب فعلى ذلك جائز في هذا عليكم اي لكم ويكون ناويه يكون الرسول
لكم شهيدا بالتصديق له وتكونوا انتم شهداء للناس بالتصديق لرسول الله اذا صدقتم اياه وقال وقال
بعضهم على سائر الناس اذا كذبوا رسولهم انهم كذبوه وخالفوه وفي هذه الاية دلالة اتفاق قرن حجة
على من بعدهم حيث جعلهم شهداء على من بعدهم حيث جعلهم شهداء على من بعدهم ومن قبلهم
وقد ذكرناه قبل الاية في سورة البقرة وقوله فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فاذا اداء الصلوة المعروفة
والزكوة المعروفة ففي الامر باقامة الصلوة امر باصلاح ما بينهم وما بين ربهم وفي الزكوة اصلاح ما
بينهم وبين الخلق كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي حرف عبد الله بن مسعود ان الصلوة تامر
بالعدل وتنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله واعتصموا بالله قال بعضهم بدين الله وهو ما ذكر فيما تقدم ذكره
من قوله اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير الى ما ذكر ثم يقول اعتصموا بالذي ذكر واصل الاعتصام
هو الالتجاء اليه فكانه قال اعتصموا بترك كل ما نهى عنه من الشرور وبكل ما امر به من الخير وقوله هو مولاكم
قال الحسن هو مولى كل من تولاه بالطاعة وقال بعضهم المولى النصير اي هو ناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم
النصير المانع والنصير المنتصر ينصرهم من اعدائهم ويمنع عنهم الاعداء وجائز ان يكون قوله هو مولاكم
اي ربكم وسيدكم كما يقال لمولى العبد هذا مولاه وسيده والله اعلم ويكون في قوله ليكون الرسول
شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسول قد بلغهم قال ابو عوسجة ما قدروا الله
حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته يقال في الكلام ما قدرته حق قدره اي ما عرفتك حق معرفتك
وقالوا الحرج الضيق في هذا وفي غير هذا الموضع قيل هو شك في قوله فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك
في الضيق لما يكون من الشك اذا شك في شيء ضاق صدره فيه قال ابو معاذ واصل الحرج في كلام العرب
شجر من شوك ملتف والواحدة حرجة حرجة سلم وقوله هو اجتباكم اي اختاركم اي اختاركم وفي حرف
ابن مسعود وابي هو اجتباكم وسماكم المسلمين من قبل وهذا يؤيد تأويل من يقول هو سماكم المسلمين
اي الله سماكم وقال بعضهم في قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج قال لم يفرض الله على هذه الامة
شيئا الا جعل فيه رخصة لهم عند الاضطرار مثل التيمم انه لم يجد ماء ويصلي قاعدا ومضطجعا في
في المرض وتفطر اذا كنت مريضا في نحو هذا اليسر فريضة الا فيها رخصة ولم يكن من قبل ذلك وهو
قول مقاتل ابن حيان وقال قتادة قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق فان اعطيت هذه الامة
ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي اذهب فليس عليك حرج وقال الله لهذه الامة وما جعل عليكم
في الدين من حرج وكان يقال للنبي انت شهيد على قومك وقال الله لهذه الامة وتكونوا شهداء على الناس
وكان يقول للنبي سل تعطه وقال الله لهذه الامة ادعوني استجب لكم وقال بعضهم في قوله اركعوا
واسجدوا اي صلوا لله كقوله واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون يقول صلوا لا يصلون وقال قتادة
اركعوا واسجدوا قال لا صلوة الا بركوع وان اقواما احدثوا بدعا يسجد احدهم مائة سجدة لا يركع
فيهن وكان يقال ثلاث مما احدث الناس رفع الايدي في الدعاء والاصوات عند المسألة والاختصار
في السجود وقال ابو هريرة لا يصلي بسجود الا بركوع والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
وصلى الله على محمد واله وصحبه اجمعين

اصوات عند المسألة

سورة المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قد افلح المؤمنون الفلاح قال قائلون الفلاح هو البقاء اي بقي المؤمنون
وقال قائلون الفلاح السعادة وقال الفلاح الفوز وامثاله في قوله قد افلح المؤمنون الى اخر ما ذكر
دلالة ان من المؤمنين من هؤلاء بهذا الوصف الذي وصف هؤلاء وان اسم الايمان يقع بدون
الذي ذكر في هذه الاية لانه لو لم يكن لذكر ما ذكر من الخشوع في صلوتهم والحفظ لفروجهم والاعراض
عن اللغو معنى دل انه يكون مؤمنا بغير الوصف الذي وصف هؤلاء وكذلك في قوله واشهدوا ذوي
عدل منكم وقوله ممن ترضون من الشهداء فدل ان فيهم من ليس بعدل وفيهم من لا يرضى في الشهداء حيث
خص العدل والمرضي في الشهادة وقوله الذين هم في صلوتهم خاشعون قال الحسن الخشوع هو الخوف الدائم
اللازم في القلب وقال غيره الخشوع في القلب واصل الخشوع كانه اثار ذل من الخوف تظهر في الوجه و
الجوارح كلها لا الخوف الذي ذكر هؤلاء الا ترى انه قال وجوه يومئذ خاشعة وقال خاشعة ابصارهم
دل هذا ان الخشوع هو اثار ذل من خوف يظهر في الوجه والجوارح كلها ولذلك قال بعضهم الخشوع في الصلوة
هو ان لا يعرف من عن يمينه وشماله لان ذلك يشغله عن العلم بمن يليه واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله والذين
هم عن اللغو معرضون اللغو كانه اسم كل باطل واسم كل ما يلغى ولا يعبا به اخبر انهم يعرضون عن كل باطل
وعن كل ما نهوا عنه ويقبلون على كل طاعة وبكل ما امروا به والذين هم للزكوة فاعلون يحتمل الزكوة التي
بها تزكوا انفسهم عند الله وجائز الزكوة المعروفة المعهودة اخبر انهم فاعلون ذلك مؤدون وجائز ان
يكون ذكر هذا من المؤمنين من الطاعة لله والاتيان بها رغبة والرضا به مقابل ما كان من المنافقين من التواني
في الانفاق والصلوة على الكسل والمراياة كقوله واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس الاية
وقوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وقولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله نعتهم بالكسل والخلاف
وترك الانفاق والمراآة في الطاعات ونعت المؤمنين بضد ذلك وبالرغبة في اوامره والانتهاء عن معاصيه
ونواهيه وقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم استثنى في هذا
لان هذا مما يحل في حال ويحرم في حال واما الخمر وما ذكر من اول الاية الى اخره لا يحل بحال واللغو حرام
في الاحوال كلها وكذلك ترك اداء الامانة والزكوة والصلوة مما لا يحل تركه بحال وقوله فانهم غير
ملومين ذكر انه لا يلحقهم لائمة في ذلك والله اعلم لوجهين احدهما لقول الشيعة لانهم لا يرون النكاح
خبرا ان لا لائمة في هذين وانما اللائمة في غير هذين والثاني ذكر لابطال المتعة لانه استثنى الازواج
وما ملكت ايمانهم والمتعة ليست في هذين الذين استثناهما ثم اخبر ان لا لائمة في هذين وفيما عدا هما اللائمة
والمتعة مما عدا هذين وهو ما قال ولا نكرهوا فتياتكم على البغاء الى هذا يعرف حفظ الفروج والا كان
عامة الناس يحفظون فروجهم عن الزنا ويعرفون حرمته لكنهم كانوا يستبيحون المتعة والاجارة فيها
فحرم ذلك ثم قال فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والعادي هو المجاوز عن الحد الذي
حد له وقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون يحتمل الامانات العبادات والفرائض التي فرضت
عليهم راعوها اي ادوها في اوقاتها والعهود التي فيما بينهم وبين ربهم او ان يكون الامانات التي وضعت
عندهم والعهود التي فيما بينهم وبين الخلق راعوها اي حفظوها وادوها الى اربابها ولم يضيعوها والله اعلم
وقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يكون محافظة الصلوة بوجوه احدها يحافظونها باركانها
باركانها وفرائضها ولوازمها واداءها والثاني يحافظونها باسبابها التي جعلت لها من الاوقات والطهارات
وستر العورات وغيرها من الاسباب التي لا تقوم الصلوة الا بها والثالث يحافظونها بالخشوع والوقار
واظهار الذل له والاخلاص له وغير ذلك من الاشياء مما ندب المصلي اليه وعلى ذلك جميع ما ذكر من
الامانات وغيرها والله اعلم وقوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس الوارث هو الباقي
من المورث وقال الله عز وجل انا نحن نرث الارض اي انا باقون عن الخلق اي بعد الخلائق وهو يبقى وان يكون
قوله الذين يرثون الفردوس هكذا هو ما وعد الله عباده الجنة ان اجابوه واليها دعاهم بقوله والله
يدعوا الى دار السلام لمن ترك اجابته يصير الموعود الذي وعد له ان اجاب لمن اجابه فذلك الوراثة
التي ذكر الله وقوله الفردوس قيل هو بلسان الروم بستان سمى الله تعالى الجنة باسماء مختلفة منها
عدن ونعيم ومأوى وفردوس وفي الحقيقة واحد لان العدن هو المقام والنعيم هو ما ينعم ومأوى
فهي كذلك ثم فردوس وعدن ومأوى ونعيم وروي في بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الفردوس ربوة الجنة العليا وسطها واحسنها فان ثبت هذا فهو ما ذكر ومن ابن عباس رضي
رضي الله عنه قال الذين هم في صلوتهم خاشعون قال الاقبال عليها والذلة عليها وعن علي رضي الله عنه قال
الخشوع في القلب وان تلين كنفك للمرء المسلم وان لا تلتفت في صلوتك وقيل التواضع واصله ما ذكرنا وقوله

الخشوع في القلب

ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين قال بعضهم انما ذكر سلالة لانه سل من كل تربة وقال ابو عوسجة السلالة
الخالص من كل شيء وقوله من سلالة من طين حر اى من اجود الطين ذكر مرة من سلالة من طين ومرة من صلصال
من حماء مسنون ومرة قال فانا خلقناكم من تراب ومرة كالفخار ونحوه وهو ادم عليه السلام وذلك على تغيير
الاحوال والله اعلم بالصواب وقوله ثم جعلناه نطفة اى ثم خلقنا ولده وذريته من نطفة اخبر اصل
ما خلق ادم منه واصل الخلق ولده منه في النطفة وقوله في قرار مكين قال بعضهم الرحم وجائز ان يكون القرار
هو صلب الرجل لان النطفة لا تخلق في الصلب اول ما خلق الانسان ولكن تجعل فيه من بعد فيكون الصلب قرارها
ومكانها الى وقت خروجها منه الى الرحم وعلى ذلك يقوله فمستقر ومستودع الرحم وقال بعضهم المستقر الرحم و
المستودع الصلب وجائز ان يكونا جميعا واحدا ايهما كان الرحم او الصلب لان كليهما قرار وما يستودع فيه
وقال ابن عباس وغيره السلالة صفوة الماء وقوله ثم خلقنا النطفة هي المعروفة والعلقة والدم والمضغة
القطعة من اللحم الى اخر ما ذكر يحتج عن تحويله اياهم وتقليبه من حال الى حال لوجوه احدها يخبر عن
قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره ليعلموا ان من قدر على انشاء العلقة من النطفة ما لو اجتمع الخلائق
جميعا على ان يعرفوا سبب خلق هذا مع احاطة علمهم ان ليس فيها من اثار العلقة شيء ما قدروا على
ذلك جميع ما ذكر من العلقة من النطفة والمضغة من العلقة والعظم من المضغة والانسان من ذلك
كله على انه قادر على هذا يقدر على هذا يقدر على انشائهم من لا اصل من لا شيء ويقدر على بعثهم بعد ما صار
ترابا والاعجوبة في خلق الانسان مما ذكر من النطفة والعلقة والمضغة ليس بدون خلقه اباهم من التراب
من الوجوه التي ذكرنا وفيه دلالة علمه الذاتي لان من قدر على تحويلهم من حال الى حال التي ذكر في الظلمات
الثلاث دل انه عالم بذاته لا بعلم مستفاد من احد ولا قوة مكتسبة ولكنه بالعلم الذاتي والقوة الذاتية لان
من علمه مستفاد ومن قوته مستفاد ومكتسبة لا يبلغ ذلك وفيه دلالة تدبيره لخروج الخلق جميعا و
وتوالدهم من اول امرهم الى اخر ما ينتهون على جرى واحد وسنن واحد على غير تغيير في التوالد والتناسل
الذي جعل فيهم وكذلك جميع ما يخرج من الارض من النبات ومن الاشجار والاوراق في كل عام وفي كل
سنة يخرج على جرية واحدة وسنن واحد لا يتغير ولا يتفاوت وقت خروجه بل على تقدير واحد و
ميزان واحد دل انه على تدبير ذات خرج لا على الجزاف وبالله الحول والقوة وفيما ذكر من تحويله اياهم
وتقلب من حال الى حال دلالة انه لم ينشئهم لانفسهم وان من انشأ من العالم سواهم انما انشأهم وانشأ
انفسهم لعاقبة لانه لو كان انشأه اياهم لانفسهم وللفناء الذي ذكر في قوله ثم انكم بعد ذلك
لميتون لكان يتركهم على حالة واحدة ولا يحولهم من حال الى حال فاذا حولهم وقلبهم من حال الى حال
دل انه لا للموت الذي ذكر خلقهم خاصة بقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ولكن لعاقبة تقصد وهو البقاء
الدائم لا فناء فيه وهو ما ذكر ثم انكم يوم القيمة تبعثون وقوله ثم انشأناه خلقا اخر ما اهل
التاويل فمنهم من قال نفخ الروح فيه وهو قول ابن عباس وغيره وقال بعضهم انبات الشعر ونحوه وهو قول
قتادة وغيره وعن الحسن وغيره ذكرا وانثى وجائز ان يكون قوله انشأناه خلقا اخر غيرما قال هؤلاء
وهو انشاء الجوارح والاعضاء وتركيبها ما فيه دلالة لانه اخبر انه يقلبه شيئا واحدا مصمتا ليس به
هذه الجوارح والاعضاء انما يكون فيه اثارها لا عينها فيركب فيه اعين الجوارح والاعضاء حتى يكون
انسانا فذلك هو انشاء خلق اخر ويكون نفخ الروح ونبت الشعر في تركيب ما ذكرنا والله
اعلم ومن ينكر خلق الشيء لا من شيء ويقول بقدم العالم انما ينكر ذلك لما لم ير في الشاهد صنع شيء لا من شيء
فيقال له وهل رايت انشاء شيء من شيء على اتلاف الاصل حتى لا يبقى له اثر فاذ لم تر هذا في الشاهد
وقد رايت في الغائب انشأ شيء من شيء على اتلاف الاول منه نحو النطفة تصير علقة على تلف النطفة
فيه والعلقة مضغة على اتلاف العلقة فيها الى اخر ما ذكر كل ذلك منشأ من اخر انما كان بعد تلف
الاصل فهلا كل ذلك ان عدم الانشاء في الشاهد لا من شيء لا يدل على عدمه في الغائب وانه حيث
قدر هذا يقدر على كله وقوله فتبارك الله احسن الخالقين من الناس من يستدل على انه اذا لم يكن سواه
خالق لم يكن لقوله احسن الخالقين معنى قوله ارحم الراحمين واحكم الحاكمين ونحوه انما قال هذا لما يكون
سواه رحيما حكيما كريما فاخبر انه احكم الحاكمين وارحم الراحمين فعلى ذلك ما قال احسن الخالقين ولكن
جائز القول بمثل هذا عند الناس على غير اثبات اخر سواه في ذلك حقيقة وهو يخرج على وجوه احدها
احسن الخالقين مما تسمون انتم اليه وتجعلونه خالقا عندكم كقوله فراغ الى الهتهم ابراهيم لم تسم تعبد
هم الذي عبدوه الها على جعل الالوهية له ولكن على ما سموه هم ونسبوه الالوهية اليه وكذلك
قول موسى حيث قال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا على ما عندهم ليس على تسمية الالوهية
له حقيقة دل ما ذكرنا على ان تسمية ما ذكر وذكره يجوز وان لم يكن هنالك سواه انها خالقا و
كذلك قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين ليس على ان لهم شفعاء يشفعون لهم ولكن لا شفعاء لهم فعلى
ذلك ما ذكرنا والثاني تاويل احسن الخالقين اى لو جاز ان يكون خالق اخر سواه لكن هو احسن الخالقين

ولكن لا يجوز وهو كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما ذكر لكن لا يجوز وكذلك قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا
لاتخذناه من لدنا اى لو جاز ان يكون كذا لكان كذا ليس على انه يجوز ان يكون وكذلك قوله ما اتخذ الله من
ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق الاية اى لو جاز ان يكون معه اله لذهب بما ذكر لكن لا يجوز
فعلى ذلك قوله فتبارك الله احسن الخالقين اى لو جاز ان يكون هنالك خالق غيره لكان هو احسن الخالقين ولكن لا
يجوز والله الموفق والثالث ذكر احسن الخالقين لما ان العرب تسمي كل صانع شيء خالقا فخرج الذكر لهم على ما يسمون
هم ليس على حقيقة الخلق لمن دونه كقوله عيسى حيث قال انى اخلق لكم من الطين وان يكون ذكر هذا القول لمن يقول
ان العالم اصله من اربع طبايع من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة والذي يكون لقول بعض الفلاسفة
ان العالم اصله من اربع او من خمس من الماء والارض والنار وغيره فاخبر انه ليس كذا ولكن هو خالقهم لا من الاشياء
التي توهموا هم وعلى قول انه يكون غيره خالقا لكان الخلق غير دال على الخالق وقد جعل الله الخلق سببا لمعرفة
الخالق فلو كان غيره خالقا لكان الخالق غير دال على معرفة الخالق انه قال خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم
اخبر انه لو كان سواه في ذلك تشابه الخلق عليهم فاذا تشابه لم يكن سبيل المعرفة على خبر في اثبات عدد الالهة
كقوله وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق فاذا بطل هذا ولم يجز عدد الالهة واثبات الالوهية
لغيره فعلى ذلك في الخلق على الوجوه الذي ذكرنا وقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة
تبعثون قد ذكرنا فيما تقدم ان المقصود من خلق هذا العالم لم يكن الاماتة والافناء ولكن عاقبة تتامل
وتقصد حيث قلبهم من حال الى حال ثم لم يتركهم على حالة واحدة فلو كان المقصود من خلقهم الفناء و
الهلاك لا غير لكان تركهم على حالة واحدة ولم يقلبهم من حال الى حال فدل التحويل والتقليب من حال الى حال
على ان المقصود من الخلق العاقبة على ما ذكرنا والله اعلم انه اخبر ان خلقهم لا لعاقبة يقصد بها عبث حيث
قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا صير خلقهم لا للرجوع اليه عبثا وقال في اية اخرى ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها الاية صير نقض الغزل بعد ابرامه وقوته سفها منها فلو جاز ان يسفه تلك المراة تنقض غزلها
بعد الاحكام والابرام بلا نفع يكون لها ثم هو يفعل ذلك اى خلق الخلق للفناء والهلاك خاصة عبث
ولعب وعلى ذلك بنا البناء في الشاهد لا لعاقبة ومنفعة ولكن للهدم والنقض سفه ولعب لذلك قلنا
ان خلق لا للموت خاصة ولكن لما ذكر من قوله ثم انكم تبعثون اى تحيون قال القتبي يقال للولد سلالة
ابيه وللخمر سلافة ويقال انما جعل ادم من سلالة لانه سل من كل تربة وقال ابو عوسجة السلالة الخالص
من كل قال ابو معاذ النسل الولد يسل من شعرة وقال القتبي المضغة اللحمة الصغيرة سميت بذلك لانها بقدر
ما يمضغ كما قيل غرفة بقدر ما يغرف وقوله في قرار مكين اى مكانا حريزا وهو الرحم او الصلب ايهما كان
فهو ما وصف وقوله ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال بعضهم سبع سموات وقال بعضهم سبعة افلاك
يذكر هذا والله اعلم ايهما كان السموات والافلاك التي جعل لامر الخلق وحوائجهم لوجهين احدهما يخبر عن قدرته
وسلطانه وغناه ان من قدر على خلق ما ذكر وانشائه بلا سبب لقادر على انشاء الخلق لا من شيء والثاني ان
من قدر على هذا يقدر على بعثهم واحيائهم بعد الموت قال القتبي سبع طرائق اى سبع سموات كل سماء طريقة
ويقال هي الافلاك كل واحد طريق وانما سمي طرائق لان بعضها فوق بعض يقال طارقت الشيء اذا جعلت
بعضه على بعض ويقال ريش طرائق وغيره قال الطرائق اهواء مختلفة وقوله وما كنا عن الخلق غافلين اى
لم نخلقهم على جهل منا باحوالهم ولكن على علم منا بذلك ولا يحتمل ان يكون خلقه اياهم على علم منه ثم خلقهم
للفناء لا للعاقبة تتامل لان من يفعل هذا في الشاهد انما يفعل لما يجهل به او لحاجة والله يتعالى عن ذلك
كله او ان يكون قوله وما كنا عن الخلق غافلين خلق ما ذكر اى اذا عرفتم ان خلق هذه الاشياء لا لانفسها
ولكن لانفسكم ولمنافعكم فلا يحتمل ان يكون خلقها لكم بلا محنة ولا ابتلاء فان ثبت المحنة فيكم ثبت الثواب
والعقاب فاذ ثبت هذا ثبت البعث والحيوة والله اعلم وقوله وانزلنا من السماء ماء بقدر قال بعضهم
بقدر بعلم منا وقال بعضهم ما يقع لهم الحاجة والكفاية وجائز ان يكون قوله بقدر اى معلوم مقدر لا
يتقدم ولا يتاخر ولا يزداد ولا ينتقص ولكن على ما قدر وكذلك جميع الاشياء وقوله فاسكناه في الارض
يذكر هذا ويخبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر على استنزال الماء من السماء يقدر على البعث وعلى الشيء لا من
شيء اذ لا احد من الخلائق يقدر على ذلك الا بالحبل التي عليه الله او ان يكون يقول انه حيث جعل منافع الارض
متصلة بمنافع السماء ومنافع السماء بمنافع الارض ليبعد ما بينهما دل اتصال منافع احدهما بالاخر مع بعد
ما بينهما على ان منشئهما واحد ومدبرهما واحد عالم بذاته وقوله وانا على ذهاب به لقادرون كقوله ان اصبح
ماؤكم غورا الاية وقوله فانشأنا لكم به اى بالماء جنات من نخيل واعناب اى الكروم يذكر نعمة الله عليهم
عليهم من الماء الذي به حيوة الابدان والاشياء جميعا ليتادى به شكره وعبادته وقوله فانشأنا لكم به
جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة وان كان قوله لكم فيها اى في الجنات حيث ذكر انه انشأها الله
فواكه ففيه حجة لابي حنيفة رحمه الله ان من حلف ان لا ياكل فاكهة فاكل عنبا لم يحنث حيث ذكر النخيل و
والاعناب وذكر فيها الفواكه على حدة وان كان يعني به النخيل والاعناب فليس فيه حجة له وقوله و

انما سمي الولد سلالة لان اصله
وهو الماء يسل عن
كل شيء

نقال لهذا حرز حريز
صحاح

وشجرة تخرج من طور سيناء اى انشاء مالكم ايضاً شجرة فى طور سيناء ثم الشجرة التى يكون فى الجبال لا صنع للخلق
فى انباتها وما يكون فى الجنان والبساتين انما يكون بانبات الخلق ثم اضاف كليهما ما يكون للخلق فيه صنع وما
لا يكون ذلك اضافة ذلك اليه كانه على ان الله فى فعل العباد صنع وان جميع ما يكون انما يكون بصنع منه
ولطف ويذكرهم نعمه التى انعمها عليهم من انشاء الجنان لهم والنخيل والاعناب والفواكه التى ذكرنا ذلك يذلك
شكره وفيه دلالة قدرته وسلطانه حيث انشاء الشجرة واخرجها من الجبل وهو اشد الاشياء واصلبها
فى تلك الشجرة الدهن وهو الين الاشياء والطفها فيخبر ان من قدر على اخراج الين الاشياء من اشدها واصلبها
لا يعجزه شئ وفيه ان لا بأس بقران شئ الى شئ فهو كان جميعا وضم بعضهم بعضه الى بعض وجمع فى الاكل حيث
قال تنبت بالدهن وصبغ للاكلين هو الادام ثم اختلف فى قوله طور سيناء قال بعضهم الطور الجبل بالسريانية
والسيناء الحسن بالحبشية وقال بعضهم الطور الجبل وما ذكر والسيناء الشجرة الحسناء وقال بعضهم الطور
هو الجبل الذى كلم الله موسى واوحى اليه والشجرة هى شجرة الزيتونة وقال السيناء الحجارة وقال بعضهم الطور
السيناء المبارك بالوحى على موسى وقال بعضهم الطور الجبل والسيناء شجر حوله وفى حرف ابن مسعود وحفصة
بعضهم وشجرة تخرج من طور سيناء تخرج الدهن وصبغ للاكلين قال بعضهم تخرج الثمر قال ابو معاذ انبت
النبات ونبت لغتان كقولك اسرى وسرى وقال زهير حتى اذا انبت البقل قال الكسائى تقول خرجت بزيد واخرجت
زيدا ولا تقول اخرجت بزيد الا ان تقول خرجت بزيد معه قال القتبى وصبغا للاكلين مثل الصباغ كما يقال
دبغ ودباغ ولبس ولباس وقال ابو عوسجة وصبغ للاكلين اى الصباغ وهو ما اصطبغت به من شئ اى غمرته فيه
وقوله وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها فى سورة النحل مما فى بطونه قال بعضهم انما ذكره على القوم
وفيما ذكره على التانيث على الجمع وقال بعضهم فيما ذكره بالتذكير ارادبه جنسا من الانعام نسقيكم مما فى بطونه وهذا
اشبه وقد ذكرنا هذا فيما تقدم ثم قوله وان لكم فى الانعام لعبرة ووجه العبرة فيها من وجوه احدها ما قال
ابن عباس وهو ما ذكر عز وجل من بين فرث ودم الاية ففى ذلك عبرة ودلالة على وحدانية وربوبية وعلمه
وقدرته وتدبيره ولطفه اذ ليس شئ منها الا وفيها دلالة وحدانيته وربوبيته ودلالة علمه وقدرته وتدبيره
وفيه انه لم ينشئ هذه الانعام لانفسها ولكن انشاءها للبشر حيث اخبر انه سخرها لنا لينتفع بها ثم
اختلف فى الانعام قال مقاتل الانعام كل شئ يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه فليس من الانعام وقال ابو معاذ ان من
الانعام ما لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه وقال بعضهم الانعام كل بهيمة حتى الوحش والاشبه ان يكون الانعام هو
الابل ولكنا لا نعلم حقيقة انما هو اللسان فهو على ما يسميه اهل اللسان وقوله ولكم فيها منافع كثيرة قيل من الحمولة
وغيرها وقد ذكرنا هذا فى سورة النحل وقوله وعليها وعلى الفلك تحملون يذكرهم نعمه فيما سخر لهم من الانعام والسفن
ليتاذى به شكره وقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يذكر عز وجل انباء
اولى العزم من الرسل واخبارهم ويكررها على رسول الله ليكون ابدا يقظانا منتبها ويعرف انه كيف عامل اولوا
العزم قومهم وكيف صبروا ولوا العزم من الرسل على اذى قومهم اياهم لنا مل هو قومه مثل ما لهم ويصبر
هو على ما صبروا ولئك على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم لهذا ما يردد ويكرر انباءهم عليه ويعرف قومه
ايضا انه لا يظفرون بما يأملون من تكذيبهم العاقبة بل العاقبة تصير له على ما صارت لاولى العزم من الرسل
لا لقومهم والله اعلم وقوله افلا تتقون يحتمل وجوها احدها افلا تتقون مخالفة الله ومخالفة رسوله
او افلا تتقون عذابه ونقمته او وعيده او افلا تتقون عبادة غير الله وقوله فقال الملأ الذين كفروا من قومه
ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم هذا الذى قالوا هو تناقض لانهم قالوا انه بشر مثلهم يريد ان
يتفضل عليكم بما ادعى من الرسالة والاجابة له الى ما دعاهم ثم ادعى الرؤساء منهم والقادة ادعوا لانفسهم
الفضل بما استتبعوا هم السفلة وطلبوا منهم الموافقة لهم والاجابة وهم بشر امثالهم فذلك
تناقض فى القول ثم اقروا بتفضيل بعض الخلق على بعض وعرفوا قدرة الله على ذلك حيث قالوا
او لو شاء الله لانزل ملائكة فاذ قدر على تفضيل الملائكة على البشر قدر على تفضيل بعض ثم اخبر عن نوح
انه لا يريد بما ادعى من الرسالة التفضل عليهم ولكن يريد النصح لهم والاشفاق عليهم حيث قال
ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم وقال انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وعذاب يوم الظلة ونحو
ما قال اخبر انه انما اراد النصح والشفقة لا التفضل الذى قالوا هم وقوله ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين
هذا قولهم وقد كذبوا فى قولهم وقوله ان هو الا رجل به جنة قد عرفوا انه ليس به جنون ولكن ارادوا
التلبيس والتمويه على قومهم حيث خالفهم فى جميع امورهم وعادى الرؤساء منهم والقادة
ويقولون ما يفعل هذا الا المجنون فيه وآفة اصابته فى عقله والا عرفوا هم فى انفسهم اعنى القادة
انه ليس بمجنون ولكن ارادوا التمويه على قومهم ثم قالوا فتربصوا به حتى حين لسنا ندرى ما ارادوا
بالحين ارادوا الموت او وقت ارتفاع ما قالوا فيه من الجنون او ارادوا وقتا آخر قال مقاتل يريد ان
يتفضل عليهم بالرسالة وليس عليكم فضل فى شئ فتتبعونه وقوله ما سمعنا بهذا قال بعضهم اى بالعذاب
فى آبائنا الاولين ويقال ما سمعنا التوحيد فى آبائنا الاولين كما يدعوا نوح وقوله قال رب انصرنى

بما كذبون

بما كذبون لم يدع عليهم باول ما كذبوه ولكن انما دعا عليهم بعد ما ايس من عودهم الى تصديقه وهو
بما قال انى مغلوب فانتصر وقال اهل التأويل انصرنى بتحقيق ما وعدت لهم من العذاب فانه نازل
بهم فى الدنيا وعذابهم بما كذبونى فى قولى بان العذاب نازل بهم فى الدنيا او ان يكون قوله انصرنى
بما كذبون اى اجعل لى الظفر عليهم بالتكذيب ونحوه وقوله فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا قال
بعضهم بمنظر منا وقال بعضهم بمرأى منا وجائز ان يكون صلوات الله عليه ظن لما امر باتخاذ الفلك
انهم لا يتركونه ان يتخذ الفلك فاخبره عز وجل انك تتخذ بحيث نراه وننصرك عليهم بحيث لا يملكون
منعك عن اتخاذها وقوله ووحينا اى بامرنا وقوله فاذا جاء امرنا وفار التنور اى اذا جاء الموعود
بامرنا وفار التنور او ان يقول اذا جاء وقت امرنا بالعذاب وفار ما ذكر اى خرج الماء من التنور و
ظهر وقوله فاسلك فيها قيل ادخل فيها يقال سلكت وهو الادخال كقوله اسلك يدك فى جيبك
اى ادخل وتفسيره اسلك ما ذكر فى آية اخرى فقلنا احمل فيها وقوله من كل زوجين اثنين يحتمل ان قوله
اثنين نعت لقوله من كل زوجين من الذكر والانثى وجائز ان يكون قوله من كل زوجين اى من كل زوجين
عدد بن لونين ابيض واسود وطيب وخبيث وقوله واهلك اى احمل اهلك ايضا فى السفينة وقوله الا
من سبق عليه القول بالعذاب والهلاك وقد ذكرنا هذا فى سورة هود وقوله ولا تخاطبنى فى الذين
ظلموا انهم مغرقون اختلف فيه قال قائلون انما نهاه عن مخاطبته فى الذين ظلموا حيث قال ان ابنى من اهلى
نهاه عن ان يسأله فان كان على هذا فقوله ولا تخاطبنى اى لا تراجعنى الكلام فى الذين ظلموا وقال قائلون
قوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا فى جميع ظلمة قومه انهم مغرقون وان كان على هذا فهو نهى عن ابتداء
السؤال فى نجاتهم والله اعلم وقوله فاذا استويت ومن معك من المؤمنين على الفلك فقل الحمد لله الذى
نجانا من القوم الظالمين هكذا الواجب على كل من انجاه الله من الظلمة ان يحمد ربه على ذلك وبالله النجاة
اذا ابتلى بهم كما علم نوحا ان يقول ما ذكر ويحمده على النجاة منهم وكما قال موسى حين خرج من عندهم خائفا
رب نجنى من القوم الظالمين وكما سألت امرأة فرعون النجاة من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين
ثم علمه ربه ان يسأله الانزال فى منزل مبارك حيث قال وقل رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين
ثم يحتمل سؤاله المنزل المبارك جميع الخيرات والحسنات وعمل الصالحات ويحتمل سؤاله المنزل المبارك
الموضع الذى فيه السعة والخصب على ما قاله بعض اهل التأويل المبارك بالماء والشجر وغيره فان كان
هذا ففيه دلالة اباحة سؤال السعة والخصب والله اعلم وقوله ان فى ذلك لآيات اى فى هلاك قوم نوح
واغراقهم لآيات لمن بعدهم وان كنا لمبتلين بآيات تقضى امتنا واحسانا سوى ذلك ويحتمل وجها آخر وهو ان
قوله وان كنا لمبتلين بسور الآيات التى كانت وجائز فى اللغة ان بمعنى ما ويحتمل وجها آخر وهو ان قوله
وان كنا لمبتلين اى وقد كنا لمبتلين اى قد ابتلاهم قبل اهلاكه اياهم ولسنا نعرف ما حقيقة هذا الكلام
وما مراده والله اعلم قال القتبى فاسلك فيها اى ادخل فيها فقال سلك الخيط فى الابرة واسلكته وقال
ابو عبيدة كذلك وقال ابو عوسجة وان كنا لمبتلين هذا من الابتلاء اى اختبار ومن البلاء مبلون وقوله
ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين قبل من بعد قوم نوح قرنا آخرين عادا وغيرهم فارسلنا فيهم رسولا
منهم قالوا هو دان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره جميع الانبياء والرسل انما بعثوا بالدعاء الى توحيد
الله وجعل عبادته له وقوله افلا تتقون مخالفته او عبادة من دونه وجميع معاصيه على ما ذكرنا من
قبل وقوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة اى بالبعث واترفناهم فى الحيوة الدنيا
قال بعضهم اترفناهم اى بسطنا لهم فى الدنيا حتى ركبوا المعاصى وقال بعضهم المترف الغنى الطاغى وقوله
ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم الآية فقد ذكرنا فيما تقدم
انهم تناقضوا فى قولهم ما هذا الا بشر مثلكم الى قوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون لما انهم نفوا
الاتباع عن ان يتبعوا الرسل ويطيعوه لانه بشر مثلهم ثم طلبوا منهم الطاعة لهم والاتباع فى موضع
وهم بشر امثالهم فذلك تناقض فى القول وفساد وقوله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم
مخرجون هيهات هيهات لما توعدون قال بعضهم قوله هيهات هيهات استبعاد لامر وانكاره اى
بعيدا بعيدا اى امر لا يكون وقوله ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا ان كان هذا القول من
الثنوية والدهرية فقوله نموت ونحيا هم بانفسهم لانهم يقولون بموت الانسان فيحيا غيره
من البقر والحمر وغيره من ترابه اذا اكل وان كان هذا القول من غير الثنوية فنقول قوله نموت
ونحيا اى نموت نحن ويحيى الابناء وذكر فى حرف ابن مسعود واى نحيا ونموت وما نحن بمبعوثين وقوله
قال رب انصرنى بما كذبون فقد ذكرناه قال عما قليل ليصبحن نادمين اى عن قريب يندمون بالتكذيب
عن هذا القول الذى قالوه والانكار الذى انكروه لا شك فى ذلك وقال القتبى واترفناهم اى و
سعنا عليهم حتى اترفوا والترفة منه ومثلها تحفة كان المترف هو الذى يتحف وقال غيره اترفناهم
اى انعمنا عليهم وبسطنا لهم فكله يرجع الى واحد قال ابو عوسجة قوله هيهات هيهات هذا تبعيد

للامر اى انه امر اى انه امر بعيد على ما ذكرنا انه لا يكون وقوله فاخذتهم الصيحة بالحق قد ذكرنا وقوله
فجعلناهم غثاء قال بعضهم الغثاء اليابس الهامد كنبات الارض اذا يبس وقال بعضهم الغثاء هو الذى يحمله
السيل بالموج قال ابو معاذ غثاء احوى اى سود وقال بعضهم غثاء اى موتى وجائز ان يكون تاويل قوله
غثاء اى كالشىء المنسى الذى لا يذكر البتة لان اولئك الفراعنة والاكابر اذا هلكوا لم يذكروا البتة
وافتخر احدهم من اولادهم بهم من بعد الهلاك كما افتخر اولاد الانبياء والرسل والصالحين بابائهم واحد
ادم من بعدهم وصاروا مذكورين الى الابد لا يذهبون فاما اولئك صاروا مالا ذكر كالشىء الخسيس المتروك
وقوله فجعلناهم غثاء الغثاء ما ذكرنا على قول بعضهم كالرميم الهامد الذى يحمله السيل على قول بعضهم كالشىء
البالى المتغير وعلى بعض الغثاء ما ارتفع على الماء مما لا ينتفع به وكله واحد وقال القتبى غثاء اى هلكى كالغثاء
وهو ما علا السيل من الزبد والقمش لانه يذهب ويتفرق قال ابو عوسجة الغثاء ما يحمل السيل من العيدان
والبقر والاغشية جميع و الغثا حميل السيل ثم ذكر انفس قوم عاد وثمود وشبهها بما ذكر من الغثاء و
كذلك يذكر انفس جميع اهل الشرور والفساد وذكر فى اهل الخير اعمالهم لا انفسهم لان لهم اعمال الخير
والصلاح فجعل انفسهم حية بالاعمال كقوله فجعلناهم احاديث جعل اعمالهم احاديث فيما بينهم
واما اهل الكفر والشر فانه لا اعمال لهم تذكر فتذكر انفسهم بعدا وسحقا وقوله ثم انشانا من بعدهم
قبل من بعد قوم عاد وهؤلاء قرونا اخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون كانه ذكر هذا لما كان
يستعجلون العذاب الموعود والهلاك الذى اوعدوا فاخبر ان لكل امة اجل لا تسبق اجلها بالاستعجال
من يستعجل ولا يستاخرون اجلها الذى جعل لهم وقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى قال بعضهم تترى تباع واحد
بعد واحد وبعض على اثر بعض كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا فى الهلاك الاول فالاول وجعلناهم
احاديث لمن بعدهم ولمن بقى منهم يعنى الذين هلكوا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى قد ذكرنا
فاستكبروا وكانوا قوما عالين كقوله ان فرعون علا فى الارض وقال بعضهم متكبرين ومتجبرين قال
ابو عوسجة هو من العلو ليس من التعالى لا يوصف به الخلق قال القتبى تترى اى تتابع بفترة بين كل رسولين
وهو من التواتر والاصل وترى فقلبت الواو تاء كما قلبوها فى التقوى والتخمة والتكلان وقال ابو عوسجة هو
تترى بعضهم على اثر بعضهم وهم من التابعة وفى قوله ثم ارسلنا تترى دلالة ان اهل الفترة ومن
كان فيما بين بعث الرسل لا عذر لهم فى شىء لابقاء الحجج والبراهين قبل ان يبعث اخر وحسن اثارهم و
اعلامهم اعنى اثار الرسل واعلامهم اخبر انه ارسل الرسل تباعا بعضا على بعض وان كان بين بعثهم
فترة لما ابقى الحجج والبراهين واثار الرسل واعمالهم والله اعلم وقوله فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون قال بعضهم تذهب ترفعهم بعد ما كانا غالبين عليهم يجعلهم غالبين علينا وكانوا لنا عابدين
اى ترفعهم فوقنا ونكون تحتهم ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا كيف نصنع ذلك وذلك والله
اعلم حين انوهم بالرسالة فكذبوهما فكانوا من المهلكين صاروا من المهلكين بالتكذيب وقوله ولقد اتينا موسى
الكتاب لعلهم يهتدون يشبه ان يكون حرف لعل لموسى اى اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون عنده
ولعل حرف رجاء وترج لكن يستعمل مرة على الايجاب والالزام ومرة على النهى كقوله لعلك باخع نفسك
اى لا تبخع نفسك وقوله لعلك تارك بعض ما يوحى اليك اى لا تترك بعض ما يوحى اليك وذلك جائز
فى اللغة يقول الرجل لاخر لعلك تفعل كذا اى لا تفعل ونحوه وحرف لعل من الله يحتمل الايجاب والالزام
والنهى ومن الخلق على النهى والترجى والله اعلم وقوله وجعلنا ابن مريم وامه اية خص عز وجل عيسى
وامه بان جعلهما اية وجميع البشر فى معنى الاية واحد اذ خلقوا جميعا من نطفة ثم حولت النطفة علقة
والعلقة مضغة الى اخر ما ينتهى اليه فيصير انسانا فالاية والاعجوبة فى خلق الانسان من النطفة ومما
ذكرنا ان لم تكن اكثر واعظم لم تكن بدون خلقه بلا اب ولا زوج وما ذكر لكنه خصهما بذكر الاية فيهما
لخروجهما عن الامر المعتاد فى الخلق والعادة الظاهرة فيهم ان يخلقوا من النطفة والاب والتزاوج جعلت
للتولد والتناسل الذى يجرى فيما بينهم والاسباب التى جعل التوالد فى الخلق لخروجهما عن الامر المعتاد
والعادة الظاهرة خصهما بذكر الاية ولا عجوبة فى خلق البشر من النطفة وما ذكر ان لم يكن اكثر واعظم
لم يكن دونه وهو ما خص بنى اسرائيل الخطاب بالشكر لما انعم عليهم من المن والسلوى ولما انجاهم من ال
فرعون لقوله اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون وقال يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم وانى فضلتكم على العالمين وقد كان عليهم من النعم ما هو اعظم واكثر مما ذكر من المن والسلوى ونجاتهم
من فرعون واله لكنه خصهم بذكر المن والسلوى واستاديهم الشكر بذلك من بين سائر النعم لانها خرجت
عن المعتاد من النعم المعروفة وهم كانوا مخصوصين بها من بين غيرهم فعلى ذلك عيسى وامه كانا خارجين
عن الامر المعتاد ومخصوصين بذلك لذلك خصهما بذكر الاية بما ذكر بعض اهل التاويل انه خلق من غير اب
وولدته امه من غير فحل وامثالها وقال بعضهم الاية فى عيسى بان كلم الناس فى المهد صبيا ونحوه من ابراء
الاكمه والابرص واحياء الموتى ومثله وقوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ذكر انه اواهما الى

ربوة كما يؤوى الاب والام الولد الى مكان يعيش به اذ الربوة هى مكان التعيش فيه الا ترى انه ذكر ذات قرار و
معين هو المكان الذى يستقر فيه ويتعيش وقوله ومعين المعين هو الماء الجارى الظاهر الذى تاخذه العيون وتقع
عليه الابصار وقوله يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا قال عامة اهل التاويل انما خاطب على ما خاطب
هو والمراد منه جميع امته فى ذلك ولكن جائز ان يقال خاطب به جميع الرسل لانهم جميعا مخاطبون بهذا كله
من اكل الطيبات والعمل الصالح هذا الخطاب فيه وفى غيرهم اذ عمهم جميعا بهذا ثم الطيبات يحتمل بان
يراد به الحلال لانه قال كلوا حلالا لا غير حلال الا ترى انه قال واعملوا صالحا اى اعملوا صالحا ولا تعملوا
سيئا فعلى ذلك قوله كلوا من الطيبات اى كلوا حلالا ولا تاكلوا حراما ما خبث وفيه انهم يمتحنون كما يمتحن
غيرهم بالامر والنهى ويحتمل ايضا قوله كلوا من الطيبات ما طابت به انفسكم وتلذذت فان كان على هذا
فهو يخرج على الاباحة والرخصة ليس على الامر معناه لكم ان تاكلوا ما تستطيب به انفسكم ولكم ان تؤثروا
غيركم به على انفسكم وان كان على الامر يخرج والنهى والله اعلم وقوله انى بما تعملون عليم ظاهر وهو وعيد وقوله
انى بما تعملون عليم ظاهر وهو وعيد وقوله وان هذه امتكم امة واحدة جائز ان يكون قوله وان هذه
امتكم امة واحدة فى الكتب المتقدمة وعلى لسان الرسل السالفة كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس اى كنتم خير
امة فى الكتب المتقدمة وفى الامم الماضية فعلى ذلك هذا وقال بعضهم قوله وان هذه امتكم امة واحدة اى
دينكم دين واحد وملتكم ملة واحدة وهى الاسلام وقال بعضهم شانكم شان واحد وجائز ان يكون قوله امتكم
امة واحدة لا يختلفون فى رسولكم الى يوم القيمة كما اختلف الامم الذين من قبلكم فى رسلهم بل تجعلوا
رسولكم رسولا على ما هو عليه واما سائر الامم فانهم قد فرطوا فيهم حتى كان فيهم جعل الرسول
ابنا له كقوله وقالت اليهود عزير ابن الله والنصارى واما هؤلاء فانهم لا يزالون على امر واحد والله
اعلم وقوله وانا ربكم فاتقون وقال فى اية اخرى فاعبدون جائز ان يكونا واحدا وجائز ان يكون
قوله فاتقون اى مخالفتى فاعبدون اى اعبدونى واطيعونى وقوله فتقطعوا امرهم بينهم زبرا
قال بعضهم فتقطعوا امرهم وتقطعوا واحد وهما لغتان تفرقوا زبرا برفع الباء وزبرا بنصب الباء
قال ابو معاذ من قراء بالنصب زبرا فمعناه قطعا كقوله اتونى زبر الحديد وزبرا بالرفع اى
كتبا كقوله تجعلونه قراطيس وقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ونحوه وقال فى حرف
ابن مسعود واتى وقطعوا الزبور بينهم قال ابو معاذ قطعوا وتقطعوا لغتان كقولك عاقبت الشىء
وتعلقته وحولت وتحولت وتبت ونحوه كثير كل حزب بما لديهم فرحون راضون او مسرورون
بما لديهم او ما ذكرنا فذرهم فى غمرتهم حتى حين وقال فى اية اخرى فذرهم فى طغيانهم يعمهون فذلك
يحتمل وجوها احدها قال ذلك عند الاياس عن اجابتهم لما علم انهم لا يؤمنون وذلك فى قوم مخصوصين
كانه قال ذرهؤلاء واقبل هؤلاء الذين يقبلون امرك ويجيبون دعاءك ويسمعونه والثانى فذرهم
فى غمرتهم ولا تكافهم حينا كقوله فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون
والثالث امر ان يذرهم ويعرض عنهم لئلا يخوضوا فى سب الله والطعن فى الاية كقوله واذا
رايت الذين يخوضون فى اياتنا الاية وقوله حتى حين يحتمل القيامة ويحتمل وقت اخر لم يبين والله
اعلم قال ابو عوسجة قوله الى ربوة المكان المرتفع واويناهما اى اويناه وقال القتبى الربوة الارتفاع وكل
شىء ارتفع او زاد فقد ربا ومنه الربوا فى البيع قال ابو معاذ للعرب فى الربوة اربع لغات ربوة
وربوة وربوة ورباوة وقوله ذات قرار ومعين قال ابو عوسجة المعين الماء الظاهر الجارى
والقرار الثبات وتقول منه يقر قرارا فهو قار واقررته اقرارا اثبته وكذلك قال القتبى وقال المعين
ماء ظاهر وهو مفعول من العين كان اصله معيون كما يقال ثوب مخيط وبر مكيل وقوله فى غمرتهم قيل
فى ضلالتهم غفلتهم وقال الغمر الماء الكثير وغمرات الحرب وسطها وغمرة الموت شدتها ورجل غمر اى سخى
ليس له جمع وجمعه غمار ويقال غمرة الماء اى صار فوقه قال والغمر عداوة والغمر الذى لم يجرب الامور
وقوم اغمار والغمر الوسم والغمرة الشدة والغمرات جميع والغمر القدح الصغير والمغامرة المخاطرة تقول
غامر بنفسه اى خاطر بها وقوله ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون
حسب اولئك الكفرة ان ما امدهم من الاموال والبنين ما اعطاهم خير لهم وبر لا شر فاخبر
عز وجل وكذبهم فى حسبانهم الذى حسبوا فقال بل لا يشعرون انه انما اعطاهم ذلك شرا وانما
فعلى ما حسب اولئك الكفرة فيما اعطوا من الاموال والبنين انما اعطوا خيرا حسب المعتزلة فى قولهم
ان الله تعالى لا يفعل باحد من الخلق الا ما هو اصلح له فى الدين فاخبر ان ذلك ليس بخير لهم فى الدين ولا اصلح
لهم وهو ما ذكر فى قوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما وهم يقولون انما نملى لهم ليزدادوا خيرا وبرا وكذلك
قالوا فى قوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها وهم يقولون انما نملى لهم
ليزدادوا خيرا وبرا وكذلك قالوا فى قوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بهم
وهم يقولون لا بل انما اراد ليرحمهم بها فيقال لهم انهم اعلم ام الله كما قال لاولئك الكفرة حيث

قالا تتم اعلم امر الله الا ان يكابروا فى قوله بل لا يشعرون لما انهم قالوا ذلك على الظن والحسبان لا على
العلم حيث قال ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين فقال بل لا يشعرون حيث قالوا ذلك ظناً وحسبانا
وانما الواجب عليهم ان يعلموا ذلك علم احاطة ويقين فجواب هذا ان يقال ان ذلك انما اعطاهم واملى
خيراً وبراًهم فكانوا على يقين من ذلك واحاطة عند انفسهم وانما ذلك الظن والحسبان لهم مما عند الله
ولا كانوا على حقيقة العلم عند انفسهم انه انما اعطاهم ذلك وامدهم خيرا فاكذبهم الله فى ذلك و
رد عليهم قولهم انه انما اعطاهم ذلك لما ذكروا بل اخبر انه انما اعطاهم لمضادة ذلك وقوله ان الذين
هم من خشية ربهم مشفقون جائز ان يكون هذا موصولا بقوله نسارع لهم فى الخيرات على التقديم و
التاخير فكانه قال انما نسارع فى الخيرات للذين هم من خشية ربهم مشفقون الى اخر ما ذكرها اولئك الكفرة
جائز ان يكون على الابتداء وصف الذين امنوا ونعتهم فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اى
من عذاب ربهم خائفون وقوله والذين بايات ربهم يؤمنون الايمان بالايات يكون ايمانا بالله حقيقة
لان الايات هن الاعلام التى تدل على وحدانيته الله وربوبيته والايمان هو التصديق فاذا صدق
اياته وهن اعلام واخبار تخبر عن وحدانيته الله فاذا صدقها صدق الله وامن به لذلك قلنا الايمان بالايات
يكون ايمانا بالله وقوله والذين هم بربهم لا يشركون اى لا يشركون غيره فى عبادتهم وقوله والذين
يؤتون ما اتوا وفى بعض القرأت والذين يأتون ما اتوا مقصورة وهى قراءة عائشة فمن قراء يأتون ما
ما اتوا وبله اى الذين يعملون من عمل وجلت له قلوبهم اى يتقبل منهم امرلا ومن قراء يؤتون ما اتوا
فهو من الاعطاء والانفاق يقول والذين يعطون وينفقون ما انفقوا وقلوبهم وجلة ان ذلك يقبل منهم
ام لا وفيه دلالة ان المطيع فيما يطيع ربه يكون على خوف منه كالمسئ فى اساءته وكذلك روى عن عائشة انها
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية قالت اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون ويزنون
فقال لا ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون الا يقبل منهم اولئك يسارعون
فى الخيرات وجائز ان يكون قوله وقلوبهم وجلة لا على ذلك ولكن على ما يذكر اى قلوبهم وجلة انهم
بهم يرجعون الى ربهم على السعادة ام على الشقاوة والله اعلم وقوله اولئك يسارعون فى الخيرات وهم
لها سابقون اخبران الذين نعتهم ووصفهم هم الذين يسارعون فى الخيرات لا اولئك الكفرة الذين تقدم
ذكرهم وقوله وهم لها سابقون يحتمل اى سبقوا اولئك الكفرة بها والله اعلم وقوله لا نكلف
نفسا الا وسعها جائز ان يكون ذكر هذا وقاله لما عملوا اولئك من اعمال التى لا تسع ولا تحل فقالوا الله امرهم
بذلك بقولهم والله امرنا بها فقال ولا نكلف نفسا الا وسعها اى لا ما يسعها ويحل كقوله تعالى ان الله
لا يامر بالفحشا رداً لقولهم وتكذيبا ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول لا نكلف نفسا من الاعمال لا وسعها
اى طاقتها وذلك يحتمل وجهين احدهما اى لا نكلف احد من العمل ما يتلف طاقته وسعه فيه لا يكلف
الغنى من الاعطاء ما يتلف به غناه وكذلك لا يكلف كل حى من العمل ما يتلف به طاقته وجبوته ولكنه انما
امره وكلفه بامور يحتمل طاقتهم ذلك العمل والا مرها ان كان كذلك فدل ذلك انه لم يرد به طاقة العمل و
وقت دته ولكن طاقة الاحوال التى يجوز تقدمها عن الاحوال والثانى ذلك هذا لئلا يقولوا انا لم نطق ما
كلفتنا لانهم تركوا الاعمال التى امروا بها وكلفوا باعمال مثلها التى تركوها وهى المعاصى التى عملوها مما امروا من
الاعمال ليس يفوق التى عملوها ولكن مثلها فلا يكون لهم فى ذلك احتجاج وقوله ولدينا كتاب ينطق بالحق قال
قائلون هو الكتاب الذى يكتب فيه اعمالهم وافعالهم من الخيرات والسيات وذلك كله محفوظ محصى
عليهم كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فان كان هذا فيكون قوله بالحق اى بالتصديق وقال
قائلون هو الكتاب الذى انزل الينا وهو هذا القران ينطق عليكم بالحق اى بالحق الذى لله علينا وبالحق
الذى يكون لبعض على بعض وهو كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وهو ما ذكرنا من الحق الذى لله علينا ومن
الحق الذى لبعضنا على بعض وجائز ان يكون هو اللوح المحفوظ فان كان هذا ففيه ان الله لم يزل عالما بما كان
ويكون فى الاوقات التى يكون ابد الابدين وهم لا يظلمون فان كان على الكتاب الذى يكتب فيه اعمالهم
فيكون قوله وهم لا يظلمون اى لا ينقص من اعمالهم التى عملوا من الخيرات ولا يزاد فيه على سياتهم بل يحفظ
ما عملوا وان يكون لا يظلمون اى لا يزاد على الجزاء على قدر اعمالهم ولا ينقص من قدرها بل يجزون على قدر
على قدر اعمالهم والله اعلم وقوله بل قلوبهم فى غمرة من هذا قيل وعماية وجهالة وغفلة من هذا من
الكتاب الذى كتب فيه اعمالهم واحصى عليهم وقال قائلون من قوله بل قلوبهم فى غمرة من هذا اى
من هذا القران الذى ينطق بالحق اى قلوبهم فى عماية وغفلة من هذا القران وجائز ان يكون قوله من
هذا من الاعمال التى ذكر للمؤمنين فيما تقدم من ذلك قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
والذين هم بايات ربهم يؤمنون الى اخر ما ذكر من اعمالهم فاخبر ان قلوب اولئك الكفرة فى غفلة وعماية
من الاعمال التى عملها المؤمنون والله اعلم وقوله ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون اختلف فيه قال
بعضهم ولهم اعمال من دون ذلك اى من دون ما عمل اولئك الكفرة من الاعمال التى تقدم ذكرها من قوله

فذرهم

فذرهم فى غمرتهم حتى حين ايحسبون انما نمدهم به من مال نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون على
على ما ذكرنا ثم اخبر ان لهم اعمالا من دون ما ذكر وقال قائلون ولهم اعمال يعنى المؤمنون الذين ذكر
اعمالهم اى لهم اعمال دون الذى ذكر لهم دون تلك الاعمال وقوله حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب
اذا هم يجارون قال اهل التاويل ذلك فى العذاب الذى اخذ اهل مكة فى الدنيا من الجوع سنين حتى اكلوا
الجيف والعظام المحرقة ونحوه لكن لا شبه ان يكون ذلك فى عذاب الاخرة الا ترى انه يقول اذا هم
يجارون اى يتضرعون ويقول ايضا قد كانت اياتى تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون فانما يخبران
كنتم تفعلون كذا فى الدنيا ويذكر اذا هم يجارون فلا يحتمل ان يتضرعوا اليه فى الدنيا ثم لا يقبل
منهم ذلك التضرع بقوله لا تجاروا اليوم فدل ذلك انه فى الاخرة وهو ما ذكر فلما داوا باسنا الاية
مثل هذا يكون فى الاخرة وفى الدنيا ما ذكر ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما
يتضرعون ذكر فى عذاب الدنيا انهم لم يتضرعوا فى الدنيا عند نزول العذاب بهم لا يقبل منهم التضرع
والاستكانة دل ذلك انه ما ذكرنا الا ترى انه قال لا تجاروا اليوم نهاهم عن التضرع ولا يحتمل النهى
عن ذلك وقوله انكم منا لا تنصرون اى لا تمنعون من عذابه وقوله قد كانت اياتى تتلى عليكم فكنتم على
اعقابكم تنكصون قوله على اعقابكم ترجعون على التمثيل ليس على التحقيق لانهم اذا رجعوا على الاعقاب
صاروا كان امامهم وراهم فكانهم نبذوا ذلك وراء ظهورهم وان يكون المتقلب على الاعقاب
كالمكب على الوجه والمكب على وجهه مذموم عند جميع من راه وعاينه لهذا اشبه وبه ضرب مثل
به والله اعلم وقوله مستكبرين به قال عامة اهل التاويل قوله به اى بالبيت ووجهه هذا انهم لما راوا انفسهم
امنين بمقامهم عند البيت وفى حرم الله واهل سائر البقاع فى خوف ظنوا ان ذلك لهم لفضل كرامتهم
ومنزلتهم عند الله فحملهم ذلك على الاستكبار عن رسول الله ومن تابعه وقال بعضهم مستكبرين به
اى بالقران وتاويله اى استكبروا على الله ورسوله لما نزل القران واضافت الاستكبار الى القران
لانهم بنزوله تكبروا على الله فاضاف استكبارهم اليه لانه كان سبب تكبرهم وهو كقوله واذا ما
انزلت سورة فزادتهم رجسا الى رجسهم الاية اضاف زيادة رجسهم الى السورة لما بها يزداد
رجسهم وكانت رجسهم وان كانت لا تزيد رجسا فى الحقيقة وقوله سامرا تهجرون قال الزجاج
السمر هو ظل القمر فيه كانوا يجرون والسمر هو حديث بالليل وقوله تهجرون وقال قائلون تهذون
وقال بعضهم تهجرون القران اى كانوا لا يعملون به ولا يعبأون فهو الهجر وفيه لغة اخرى تهجرون
وهو كلام الفحش والفساد وقوله افلم يدبروا القول قيل اى فى القران يحتمل قوله افلم يدبروا اى
فهلا دبروا ذلك القول الذى يقولون فى الاخرة فى الدنيا وهو قولهم او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل وما
ذكر من تضرعهم فى الاخرة وهو قوله اذا هم يجارون وجائز ان يكون قوله افلم يدبروا القول اى
قد دبروا القول لكنهم تعاندوا وكابروا واستكبروا ولم يخضعوا له انفا واستكبارا الا ترى انه
انا فرغ اسماعهم قوله فاتوا بسورة من مثله وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتون بمثله
الاية لا يحتمل ان لا يدبروا فيه دل انهم قد تدبروا فيه وعرفوه الا انهم تعاندوا وكابروا واستكبروا
انفا منهم واستنكافا عن اتباعه والخضوع له قال ابو عوسجة اذا هم يجارون اى يستغيثون قال
واصله من الصياح وقال بعضهم يجارون يصرخون وقيل يصيحون وقوله سامرا تهجرون
اى تهذون كما يهذى النائم والمريض الشديد المرض قال والهجر الجر من الهجر وهو الفحش وهجر
يهجر اذا سار فى الهاجرة وهى شدة الحر وقوله تنكصون قال بعضهم ترجعون وقال بعضهم ترجعون
وقال بعضهم يتأخرون كقوله نكص على عقبيه ترجعون ويتأخرون واحد وقوله افلم يدبروا القول
قد ذكرنا انه يخرج على وجهين احدهما على ترك التدبر فيه والتفكر والاعراض عنه اى لم يدبروا فيه
ولم يتفكروا والثانى على ايجاب حقيقة التدبر فيه والتفكر اى قد تدبروا فيه وعرفوا انه منزل
من الله لكنهم تركوا متابعته عنادا وتمردا انفا قا على ذهاب رياستهم وطمعا على بقائها ودوام
ما كلتهم فاى الوجهين كان ففيه لزوم حجج الله وبراهينه على من جهلها ولم يعرفها بالاعراض عنها وترك
التدبر فيها حيث استوجبوا عذاب الله ومقته لجهلهم بها بترك التدبر فيها بعدما اذا كان لهم سبيل
الوصول الى معرفتها وظاهر قوله افلم يدبروا استفهام الا انه فى الحقيقة ايجاب لما لا يجوز ان يستفهم
الله احدا فهو على الايجاب لانه علام الغيوب وقوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين اى قد
جاء هؤلاء الاولين من الرسول ثم يأت هؤلاء شىء الا ما اتى اباءهم لم يحتجوا هم بالرسول فكيف
انكروه الا ترى انهم قالوا لئن قالوا لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فقد اقروا ان فى الامم
المتقدمة رسولا حيث قالوا ليكونن اهدى من احدى الامم وعلى ذلك يخرج قوله ام لم يعرفوا رسولهم
اى قد عرفوا رسولهم لكنهم انكروه وتركوا اتباعه لما ذكرنا فى القران من احد الوجهين عنادا وتكبرا
انفا قا على رياستهم لكى تبقى الا ترى انه قال يعرفونه ابناءهم الاية وعلى هذا ام يقولون به جنة اى قد

انه ليس به جنة وجائز ان يكون قوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين جاء هؤلاء ما لم يأت اباءهم وخص هؤلاء
ما لم يخص اباءهم وكذلك قال ابن عباس الحمرى لعله جاءهم هم ما لم يأت اباءهم الاولين وجائز ان يكون قوله
افلم يدبروا القول الى ما ذكر من قوله ام يقولون به جنة انه يخرج على الامر بالتدبر فيه ومعرفة الرسول
انه ليس كما يصفونه من الجنون و غيره كقوله افلم يتفكروا او يتفكروا فيه فانه ليس به جنة على ما يصفونه او على
ما ذكرنا انهم تفكروا وعرفوا انه ليس به جنون ولا شئ مما وصفوا به لكنهم ارادوا ان يلبسوا امره على اتباعهم
وسفلتهم اشفاقا على ابقاء ما ذكرنا وقال بعضهم قوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين من البراءة
من العذاب وقوله بل جاءهم بالحق بالرسالة والقران من عند الله وجعل العبادة من دون الاصنام
التى عبدوها ولكن اكثرهم للحق كارهون كرهوا الحق لما طمعوا في اتباعهم ذهاب الرياسة والاسباب التى كانت
لهم على اتباعهم بعد معرفتهم انه حق او كرهوه لما لم يعرفوا في الحقيقة انه حق والا لا احد ممن يوصف بصحة
العقل وسلامته يكره الحق ويترك اتباعه الا للوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم وقوله ولو اتبع الحق اهواءهم
قال عامة اهل التاويل الحق ههنا هو الله اى لو تبع الله اهواءهم في كفرهم وشركهم لفسدت والارض
السموات والارض ومن فيهن ونا ويل هذا ان الكفر والشرك مما لا عاقبة له وكل شئ لا عاقبة له فهو في
الحكمة والعقل فاسد باطل غير مستحسن وقال بعضهم الحق ههنا كتاب الله وهو القران على ما هو وذهب لفسد
ما ذكر لانه يكون خارجا عن الحكمة وحا وان يوصل قوله ولو اتبع الحق اهواءهم الحق الذى سبق ذكره وهو
قوله بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون اى ذلك الحق اهواءهم وجاء على ما هوت به انفسهم
واشتهت واسم كل مستحسن وممدوح في العقل والحكمة لو اتبع ذلك الحق اهواءهم وجاء على ما هوت
به انفسهم واشتهت من عبادة غير الله وبتحسينهم اباحة الحجة وانكارهم البعث والتوحيد وغير ذلك
من الافعال التى كانوا اختاروها وعملوها لفسدت السموات والارض وما ذكر لانه يكون خلقهم وخلق
ما ذكر من السموات والارض وما فيهن لا لما توجبه الحكمة والعقل اذ خلقهم وخلق ما ذكر لافعالهم التى
يفعلون فاذ خرج افعالهم على غير ما توجبه الحكمة والعقل بل على السفه والجهل خرج الذى لها خلق من
اجلها الشئ كذلك اذ خلق الشئ وفعله لا لعاقبة تقصد خارج عن الحكمة والله اعلم بذلك وجائز ان يكون
الحق هو رسول الله اى رسول الله لو اتبع اهواءهم لفسد ما ذكر وقوله بل اتيناهم بذكرهم قال اهل التاويل
بشرفهم وذكرهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك فهم عن ذكرهم معرضون اى عن شرفهم معرضون
وجائز ان يكون الذكر هو الحق الذى تقدم ذكره اى لو قبلوا ذلك الحق الذى واتبعوا نحوه يكون في ذلك
ذكرهم من بعد هلاكهم كما يذكر اصحاب رسول الله من بعد ما ماتوا الا ترى ان اولادهم يذكرون اباءهم يتعيشون
يقولون انا من بنى فلان فيتركهم الناس بذلك ويكرمون بهم واما اولئك فانهم لا يذكرون بشئ من ذلك
فذلك يدل على ما ذكرنا ويحتمل قوله بل اتيناهم بذكرهم الثناء عليهم ان لو امنوا كقوله كنتم خير امة اخرجت
للناس الاية وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله والذين يقولون الا ولون الاية ونحو ذلك مما
اثنى الله على من امن منهم فهم لو امنوا استوجبوا بذلك الثناء وجائز ان يكون قوله بل اتيناهم بذكرهم
اى بدعائهم وهو ما دعى الملئكة والرسل للمؤمنين كقوله ويستغفرون للذين امنوا الاية وقوله
واستغفر لذنبك وقوله نوح رب اغفر لى ولوالدى الاية وقول ابراهيم ودعائهم لو امنوا استوجبوا
دعاء هؤلاء الملئكة والرسل جميعا او ان يكون ما ذكرنا من ابقاء ذكرهم الى يوم القيمة كما بقى ذكر اولئك
الذين امنوا به وصدقوه فيكون في ذلك كله شرفهم وقدرهم على ما قاله اهل التاويل والله اعلم وقوله
ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير جائز ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله ام جاءهم ما لم يأت اباءهم
الاولين ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ام يقولون به جنة اى ليس به جنة اى ليس به شئ يمنعهم
من الاجابة والايمان به مما يعذرونهم في ترك الايمان به فعلى ذلك قوله ام تسألهم خرجا اى لم تسألهم اجرا على
ما تدعوهم اليه حتى يمنعهم ثقل ذلك الاجر عن اجابتهم وتصديقهم كقوله ايضا ام تسألهم اجرا فهم
من مغرم مثقلون يقطع مما ذكر جميع اعذارهم وحجاجهم وان لم يكن عذر ولا حجة في ترك الاجابة
له وقال بعضهم الخراج والرزق اى لا تسألهم رزقا فانه اخبر ان رزق ربك خير وهو خير الرازقين وقوله وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم المستقيم القائم بالايات والحجج ليس كالسبل التى يسلكون هم بلا ايات ولا حجج ولا برهان
وقوله وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون هذا يحتمل وجهين احدهما ان انكارهم البعث
والاخرة هو الذى حملهم على العدول من الصراط المستقيم والثانى ان الصراط الذى في الدنيا هو المجعول للاخرة
فاذا تركوا سلوكه لشهوات منعتهم عن ذلك انكروا الاخرة او كلام نحو هذا وقوله لناكبون اى لعادلون
من العدول عنه والمجانبة والميل الى غيره وقوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون
ذكر الضر ولم يذكر اى شئ كان وقيل لنا ان نقول كان الجوع او كذا الاية ثبت وفيه وجهان من العبر احدهما ان
رفع المحن التى امتحنهم من البلايا والشدايد انما يكون برحمة منه وفضل لا على ما قاله بعض الناس بالاستحقاق
حيث ذكر رحمته بكشف ذلك عنهم والثانى فيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبرانه وان يكشف

ذلك

ذلك الضر عنهم للجوا في طغيانهم ويكشف عنهم ذلك فلجوا في طغيانهم على ما اخبر فدل انه بالله عرف ذلك والله
اعلم وقوله ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون يخبر عن سفههم وجهلهم بالله و
قسوة قلوبهم وتمردهم وعنادهم حيث اخبر انهم وان اخذوا بالعذاب لم يتضرعوا اليه وما استكانوا
له بجهلهم بعذاب الله حيث اخبر انهم وان اخذوا حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه
مبلسون اختلف في قوله مبلسون قال بعضهم المبلس الايس من كل خير وهو ما وصفهم انهم ليؤس كنود و
يؤس قنوط ونحوه وقال الزجاج المبلس الساكت المتحير لا يدرى ما يعمل به فعلى ذلك هم كانوا حيارى لما نزل
بهم العذاب لا يدرون ما يعملون به في دفع ذلك عنهم وقال الكسائى المبلس المنقطع الشئ الظن قال ومنه
سمى ابليس لانه ايس من رحمة الله وانقطع رجاؤه عنده وقال ابو عوسجة الباشر الحزين ويقال ابلس الرجل
اى يحزن وابلس غيره ايضا وانما سمى ابليس ابليس لانه يئس عن رحمة الله يحزن قال وقوله فما استكانوا
لربهم اى لم يذلوا لربهم بالطاعة له والخضوع لما ذكرنا وقوله وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون يذكرهم نعمه التى انعمها عليهم لينادى بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم
لم يذكر غيرها وهو السمع والبصر والفؤاد الذى ذكر انه بها يوصل الى معرفة كل نافع وضار وكل طيب
وخبيث وكل لين وخشن وكل سهل وشديد وكل حلو ومر وكان الانسان مطبوعا على حب النافع والطيب
واللين والسهل واختياره على اضداده الهرب من كل ضار ومؤذ والفرار عن اضداد ما ذكرنا من
المختارات عنده فاخبر انه اعطى لهم ما يعرفون به النافع من الضار والطيب والخبيث ونحوه شاهدا
وغيبا وما به يميزون ذا من ذا ويختارون ما هو المختار عندهم من غيره وما ينفعهم مما يضرهم
ليتأدى بذلك شكره يذكرهم في قوله وهو الذى ذرأكم في الارض اى جعلكم سكان الارض يعرفون
سلطانه واخبر انه لم يخلقكم عبثا ولكن للبعث بعد الموت والحشر اليه لما ذكرنا في غير موضع وان
خلق الخلق للفناء خاصة لا للبعث والاحياء بعد الموت عبث ولعب واخبر عن قدرته وسلطانه
حيث قال وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار ان من قدر وملك على احياء الموتى وامانة
الحى لقادر على البعث ومن من ملك على انشاء الليل بعد ما ذهب اثر النهار وانشاء النهار بعد ما ذهب
اثر الليل لقادر على الاحياء والبعث بعد الموت ثم قال افلا تعقلون انه كذلك فكيف تنكرون
قدرته على البعث والاحياء بعد ما صرتم رمادا وترابا وكيف تشكرون غيره في عبادتكم اياه وتصرفون
الشكر الى غيره فيما انعم عليكم ثم اهل التاويل صرفوا قوله وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار و
الافئدة الى اخره الى الكفار وهم يكفرون بنعمته التى ذكر وينكرونها وهم لا يشكرون رأسا بقوله
قليلا ما تشكرون الا ان يقال انهم في بعض الاحايين ربما يشكرون الله ويتضرعون اليه نحو قوله
فاذا ركبوا في الفلك الاية ونحوه من الايات التى ذكر فيها دعاءهم وتضرعهم الى الله عند ما اصاب
بهم الضر فذلك منهم شكر او ان يقال ان قوله قليلا ما تشكرون اى قليلا ما تشكرون رأسا كقول الرجل
لاخر قليلا ما تفعل كذا اى لا تفعل اصلا فعلى ذلك هذا ان كان المراد منها والخطاب بها اولئك الكفرة
والا الخطاب بها يجئ ان يكون راجعا الى المؤمنين اذ هم الذين يقومون ببعض الشكر لنعمه وقليله واما
الكفرة فهم يكفرونها وينكرون رأسا وقوله بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا الاية
جل وعلى رسوله سفه قومه وقولهم الذى قالوا له بعد ما تبين لهم وذكرهم نعمه التى انعم عليهم وذكر
قدرته وسلطانه فيما ذكر من قوله وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة وقوله وهو الذى
ذرأكم في الارض واليه تحشرون وقوله هو الذى يحيى ويميت ذكرهم ما ذكر في هؤلاء الايات من حكمته
في خلقهم وقدرته في انشائه ما انشأهم وعرفهم ذلك حتى عرفوا ذلك كله ثم بين سفههم في جوابهم
رسوله فقال بل قالوا مثل ما قال الاولون يخبر رسوله ان هؤلاء ليسوا باول مكذب بالرسل ولكن كان
لهم شركاء واصحاب في التكذيب قلد هؤلاء اولئك الاولين يصبر رسوله على سفه هؤلاء واذاهم
ليصبر على ذلك كما صبر اخوانه الذين كانوا من قبل اذ يذكر هذا السبيل بعض ما تداخل فيه بتركهم اجابته
وخوضهم فيما فيه هلاكهم لانه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد ان يهلك نفسه لذلك حتى قال
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ولعلك باخع نفسك فبين ما قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا
لمبعوثون لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين يقولون قد وعد اباؤنا مثل
ما وعدنا نحن فلم ينزل بهم ما اوعدوا من العذاب ولا ينزل ايضا بنا ما نعدنا وهو اساطير الاولين
اى احاديث الاولين ثم امر رسوله ان يسألهم ما يلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال
قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فقالوا لله لم يجدوا بدا من ان يقولوا الله ويقروا به لانهم لو انكروا
ذلك جهلهم و يظهر جهلهم عند كل الخلائق فقالوا الله فيقول فاذا عرفتم ان ذلك كله له وهو خالقهم
فكيف تركتم طاعته وانا است ادعوكم الا الى ذلك ان تجعلوا الارض وما فيها كلها لله افلا تتعظون
وتنفرون بما ادعوكم اليه وعلى ذلك قوله من رب السموات ورب العرش العظيم سيقولون لله لانهم من

من ان يقروا بذلك فاذ عرفتم بذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته وتتقون نقمته وكذلك ما قال قل من
بيده ملكوت كل شيء فاذا عرفتم ذلك واقررتم به فانى تسحرون قبل فانى تصرفون عن ذلك وقال بعضهم فانى
تخدعون وتغرون فى ذلك اذا عرفتم ذلك ان لا اله الا الله وجائز ان يكون قوله فانى تسحرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتقولون انه ساحر كذاب وعوكم الا الى ما اقررتم واعترفتم به وفانى تنسبونه الى السحر والله
وقوله ملكوت كل شيء قد ذكرنا فيما تقدم وقوله وهو يجير ولا يجار عليه اى هو يؤمن كل خائف ولا يقدر
احد ان يؤمن من اخافه هو وهو كقوله وان يمسسك الله بضر الاية قال ابو عوسجة قوله وهو
يجير ولا يجار عليه اى يمنع ولا يجار عليه اى لا يقدر احد ان يمنع منه احدا فانى تسحرون اى تغرون وتخد
عون تقول سحرت اى خدعت وغررت وقال تسحرون اى تخدعون وتصرفون عن هذا وسمى السحر من هذا وقوله
بل اتيناهم بالحق قد ذكرنا انه يحتمل وجوها بالحق اى بوحدانية الله والوهيته وتعاليه عن الشركاء والولد
وعما وصفوه او ان يكون قوله بالحق اى بالقران الذى عرفوه انه حق وانه من عند الله وان يريد بالحق محمدا
صلى الله عليه وسلم عرفوا انه حق وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم او ان يكون الحق ما ذكر من ذكرهم
وما فيه شرفهم ومنازلهم وبالحق الذى يكون لله عليهم وما لبعضهم على بعض من الحقوق والله اعلم وقوله و
انهم لكاذبون فى وصفهم ربهم مما وصفوه بما لا يليق وصفه به او كاذبون بالقران مفترى ومختلق
من عند الله او كاذبون فى قولهم بانه ساحر وانه مجنون وانه ليس رسول كذبوا فى جميع ما انكروا والله اعلم
وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق جائز ان يكون كل حرف من هذه
الحروف موصولا بعضه ببعض لما تقدم وجائز ان يكون كل حرف منفصلا من الاول مستقبلة ابتداء فان كان
على الاول فيكون قوله ما اتخذ الله من ولد ولو كان اتخذ ولدا لكان الها اذ الولد يكون من جنس الوالد
ومن جوهره لا يكون من خلاف جوهره ولا من غير جنسه فى المتعارف فاذا كان الها من الوجه الذى ذكرنا
لذهب اذا كل اله بما خلق وان كان منفصلا فهو على ما ذكر من فساد ذلك كله لانه قال ولو كان معه اله على ما
عموا اذا لذهب كل اله بما خلق من الخير والشر والدلالة على الوهية ولعلا بعضهم على بعض اى قهر وغلب بعضهم
بعضا على ما يكون من عادة ملوك الارض فاذا كان ما قالوا ذهب دلالة الالوهية والربوبية فاذا لم يكن
ذلك دل انه واحد لا شريك معه ولا ولد اذا اتساق التدبير وجرى الاشياء على حد واحد وسنن واحد دل على
الوحدانية واحد لا لعدد اذ لو كان لعدد لكان ما ذكر من غلبة بعض على بعض وقهر بعض لبعض نحو ما
ذكر لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا انهم معاندون مثل هذا الا محتجاج لا يكون مع الذين ينكرون الوهية
الله ويعبدون الاصنام وهم مشركوا العرب وكفار مكة ولكن انما يكون مع الذين يقرون بالوهية لله
لله لكن يجعلون معه شركاء لحاجة تقع له وهم الثنوية والدهرية والمجوس واولئك الذين يجعلون خالق
الشر غير خالق الخير وخالق هذا غير خالق هذا فيكون قوله سبحان الله عما يصفون على هذا اى يتعالى عما وصفوه
بالحاجة له فى خلق ما خلق والشفع له فى ذلك وكذلك قوله وتعالى عما يشركون وانما على ظاهرها تقدم ذكره من
اتخاذ الولد والشريك سبحان الله عما يصفونه من الولد والشريك وما قالوا فيه ونسبوا اليه من ما لا يليق
به او ان يكون قوله سبحان الله عما يصفون كما يوصف المخلوق المحدث لانهم وصفوه بالولد والولد فى متعارف
الخلق لا يكون الا من الوالد والام هذا التوالد المعروف فيما بين الخلق فاذ وصفوه باتخاذ الولد شبهوه
بالخلق المحدث من الوجه الذى ذكرنا فنزه نفسه عن ذلك وقوله قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى
فى القوم الظالمين وقوله اما ترينى ما يوعدون يحتمل على وجهين احدهما رب اما ترينى ما يوعدون فلا تجعلنى
فى القوم الظالمين لانه كان وعد له ان يريه بعض ما وعدهم بقوله فاما نرينك بعض الذى نعدهم
او نتوفينك فلا تريك شيئا فقال رب ان اريتنى ما يوعدون او لا ترينى فلا تجعلنى فى القوم الظالمين والثانى
ذلك وان اريتنى ما نعدهم على التحقيق فلا تجعلنى فى القوم الظالمين ثم يحتمل قوله فلا تجعلنى فى القوم الظالمين
وجهين احدهما لا تجعلنى فى القوم الظالمين فى العذاب الذى وعدت لهم ان نزل لانه من العدل ان يعذبنى
ويعامله معاملة اهل العدل كان يقول رب لا تعاملنى معاملتك اياهم وان كان ذلك من العدل ان تعاملنى
مثل ما تعامل اولئك لان رسول الله وان لم يكن زلات ظاهرة فلقد كان من الله اليه من النعم والاحسان
ما لو اخذ بشكر ذلك لم يقدر على اداء شكر واحدة منها فضلا عن ان يؤدى شكر الكل الا ترى انه روى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل احد الجنة الا برحمة الله فقيل ولا انت يا رسول الله فقال ولا انا الا ان
يتغمدنى الله برحمته ويحتمل قوله فلا تجعلنى فى القوم الظالمين فى الزيغ والغواية يسأل ربه ان يعصمه عن
الزيغ بالضلال والغواية الذى عليه القوم الظالمين وهو كدعاء ابراهيم ربه وسؤاله العصمة عن الزيغ بقوله
رب اجعل هذا البلد امنا واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وان كان وعد لهم العصمة عن ذلك والله اعلم
وقوله وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما يخبر رسوله انه ليس لعجز يؤخر
ما وعدهم من العذاب ولكن بحلم منه وعفو وهو كقوله عز وجل ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
انما يؤخرهم ليوم على التنبيه والايقاظ فعلى ذلك يحتمل هذا والثانى يعزى رسول الله ويصبره على اذاهم اياه

يقول انى مع قدرتى على انزال العذاب عليهم والانتقام منهم احلم منه واخرهم لانت مع ضعفك عن ذلك
اولى ان تصبر على اذاهم وعلى هذا يخرج قوله ادفع بالتى هى احسن السيئة اى لا تكافئهم لاذاهم
اياك ولا تشتغل بهم بمجازاة ذلك باحسن ذلك وكل مكافاتهم الى حتى انا اكافيهم ونحن اعلم بما يصفون
من الكذب والاذى الذى يؤذونك والثانى ادفع بالتى هى احسن السيئة اى ادفع سيئاتهم المتقدمة
باحسان يكون منك اليهم ليكونوا لك اولياء واخوانا فى حادث الاوقات وهو كقوله ادفع بالتى
هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وقوله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين
واعوذ بك ان يحضرون وقال فى اية اخرى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله علم رسوله وامره
ان يتعوذ به من الشيطان الرجيم اللعين اذا نزغه ونزغه وسوسته وامره ايضا ان يتعوذ من همزه ايضا
وهو همزه وقصده بذلك وامره ان يتعوذ بحضورهم مكان الوسوسة حتى يدفع عنهم ولا يحضروا
ذلك المكان وكان التعوذ من نزغهم ليدفع منه لئلا يؤثروا فى نفسه بعد ما حضروه ووسوسوه
والتعوذ من همزهم هو ان يدفع عنهم طعنهم ونخسهم لئلا يشغلوه بالذى قصدوه به والتعوذ
عن حضورهم بمكان الوسوسة قال الحسن همز الشيطان الموتة والموتة غشيان القلب روى فى الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يتعوذ من الشيطان الرجيم قال فى همزه ونفخه ونفثه وقال بعضهم
همزاته ونزغاته واحد وقال القتبى همزات الشياطين نخسها وطعنها ومنه قيل للعائب همزة كانه يطعن
ويعيب قال ابو عوسجة همزات الشياطين وساوسهم يقال همز يهمز همزا اى وسوس ومن وجه اخر
همز يهمز همزا اى عاب يعيب ومنه قوله ويل لكل همزة لمزة ثم فى قوله رب اعوذ بك من همزات الشياطين
الى اخر ما ذكر وجهان على المعتزلة احدهما انه امر رسوله ان يتعوذ به مما ذكر فدل ان عنده لطفا لم
يعطه ما لو اعطاه الله لا يدفع به ما ذكروا انه ما لك لذلك اذ لو كان غيره مالك لذلك يخرج السؤال به مخرج
الهزء اذ من طلب من اخر شيئا يعلم انه ليس عنده ذلك خرج ذلك الطلب مخرج الهزء به فعلى ذلك هذا والثانى
ان كل مامور بالتعوذ جعل الله له الا عادة مما يتعوذ عنه فالجهات جميعا ينقضان على المعتزلة
فى قولهم ان الله قد اعطى كل والاصلح فى الدين واعطى كل العصمة عن كل زيغ وضلال وقوله حتى اذا جاء
احدهم الموت قال رب ارجعون ظاهر هذا ان يكون قوله رب ارجعون ظاهر هذا ان يكون قوله
رب ارجعون بعد الموت وبعد ما عاين اهوال الاخرة وافزاعها لان الموت ليس هو شيء يأتى من
مكان الى مكان انما هو شيء يذهب بالحيوة التى فيهم الا ان اهل التاويل قالوا ان ذلك عند معاينتهم
ملك الموت وعند هجومه عليهم باهواله فعند ذلك يسألون الرجعة الى الدنيا والاول اشبه واقرب
ثم قوله حتى اذا جاء احدهم الموت ليس هو صلة قوله وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك
رب ان يحضرون ولا جوابه لانه ليس من نوعه ومن جنس ذلك ولكنه والله اعلم صلة قوله بل اتيناهم بالحق وانهم
لكاذبون وجواب قوله واكثرهم للحق كارهون ونحوه الذى تقدم ذكره تقول وانهم على ذلك
حتى اذا جاء احدهم الموت فعند ذلك يرجع الى الحق والتصديق لكن ذلك لا ينفعه فى ذلك الوقت
قال رب ارجعون ولم يقل رب ارجعنى وذلك يخرج على وجهين احدهما سأل على ما يسأل الملوك
ويخاطبون افعلوا كذا على الجماعة وان كان انما يخاطب واحدا على ما خرج جواب الله وقوله انا فعلنا
كذا والثانى ان يكون قوله رب ارجعون يسأل ربه ان يأمر الملائكة الذين يتولون قبض ارواحهم
ان يرجعوه الى ما ذكر والله اعلم وقوله لعلى اعمل صالحا فيما تركت قال قال بعضهم فيما تركت اى فيما كذبت
وقال بعضهم فيما تركت فى الدنيا من الاعمال الصالحة فاعمل بها وجائز ان يكون قوله فيما تركت من الاموال
فاؤدى منه حقه لان من الكفرة ما كان سبب كفرهم منع الزكوة وجحوده كقوله وويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون فيسأل ربه ان يرجع الى المال الذى تركه ليؤدى
الحق الذى كان فيه فمنعه كقوله فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين
وقوله فاصدق اى فاتصدق بالصدقة التى منعتها لان الخطاب فى الصدقة بقوله فانفقوا
مما رزقناكم الاية وهذا اشبه والله اعلم وقوله كلا هو رد لما سألوا من الرجعة وقوله انها كلمة
هو قائلها قال بعضهم قوله انها كلمة هو قول الله لن يؤخر الله نفسا الاية قائلها يعنى الكافر عند معاينة
العذاب وهو قوله ارجعون صالحا لعلى اعمل صالحا فيما تركت ثم قوله كلا على هذا يحتمل وجهين احدهما
انه لا حقيقة لسؤاله الذى يسأله من الرجعة ليعمل العمل صالحا اى انه وان رد ورجع لا يعمل كقوله تعالى
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه والثانى ان لا منفعة لهم فى سؤالهم الرجعة اذ لو رجعوا لا يعملون
الى ما يأملون لانهم انما يسألون ليؤمنوا ولا يمان سبيله الاستدلال فاذا لم يستدلوا به وقت
سعتهم وفسحتهم فكيف يقدرون على الاستدلال فى وقت خوفهم والله اعلم وقوله ومن ورائهم برزخ
الى يوم يبعثون قال بعضهم ورائهم اى امامهم قال ابو معاذ وسنقة من توارى عنك فكل ما توارى
عنك اماما كان او خلفك فهو ورائك وقال بعضهم من ورائهم على حقيقة الوراء برزخ الى يوم

يبعثون قال بعضهم البرزخ هو ما بين النفختين وقال بعضهم البرزخ هو الاجل بين الموت والبعث وهو قول الكلبي وقتادة وقال مجاهد البرزخ هو حاجز بين الموت والرجوع الى الدنيا وقال القتبي وابو عبيدة البرزخ ما بين الدنيا والاخرة وقالا كل شيء بين شيئين فهو برزخ وقال ابو عوسجة البرزخ ما بين الحد بين يعني الدنيا والاخرة الارض المستوية واصل البرزخ الحاجز بعينه قوله وجعل بينهما برزخا اي حاجزا ونا وبله اي صاروا الى الوقت الذي يحجزهم عما يتمنون ويشتهون وهو كقوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانما يشتهون ويتمنون الايمان والاعمال الصالحة وجائز ان يكون قوله ومن ورائهم برزخ اي من ورائهم اخوالهم الممكنة الايمان فيه احوال لا تمكن فيها الايمان وما تمنوا من العمل الصالح والله اعلم وفيه نقض قول الباطنية لانهم يقولون البعث هو ان يجعل للمؤمن من الاعمال الصالحة صورة روحانية تبقى ابدا يثاب تلك الصورة الروحانية من الاعمال القبيحة السيئة للكافر صورة قبيحة روحانية هي تعاقب وتعذب ابدا فذلك البعث عندهم فاخبر عز وجل ان بين موتهم وبين البعث البرزخ وهو الاجل الذي ذكرنا او الحاجز فدل ذلك على نقض قولهم ان ليس البعث الا خروج الصورة الروحانية وقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ان كان قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في الناس كلهم فذلك في اختلاف المواطن على ما قال ابن عباس وغيره من اهل التاويل واختلاف الاوقات لا يتساءلون في موطن او في وقت ويتساءلون في وقت اخر الا ترى انه قال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ونحوه وان كانت الاية في الكفرة خاصة فهو يخرج على وجهين احدهما لا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون لانه كان يتناصر بعضهم ببعض على غيرهم ويستعين بعضهم بعضا ويكونون رؤساءهم في هذه الدنيا وشفعاء واعوانا فاخبر ان ذلك ينقطع بينهم ويذهب ذلك التناصر عنهم في الاخرة والعرب خاصة كان يتفاخر بعضهم على بعض بالانساب ويتناصر فاخبر ان ذلك منقطع عنهم في الاخرة والثاني لا انساب بينهم وما ذكر يومئذ لشغلهم بانفسهم لفزع ذلك اليوم واهواله ينسى بعضهم بعضا ويهرب منه كقوله مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم الاية وقوله يوم يفر المرء من اخيه الاية وقال في اية اخرى وترى الناس سكارى الاية فذلك كله لشدة اهوال ذلك اليوم وافزاعه كان لكل في نفسه شغلا حتى لا يتفرغ الى احد وان قرب عنه لشغلهم بانفسهم وان كان في الناس جميعا فهو ما ذكرنا ان ذلك يكون في اختلاف المواطن والاوقات لا يتساءلون في وقت ويتساءلون في موطن ولا يتساءلون في موضع او يسألون عن شيء ولا يتساءلون عن اخر وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل نسب كان فهو منقطع الا نسبي وكلام نحو هذا ثم يحتمل قوله الا نسبي وجهين احدهما الشفاعة له في انسابه لا يكون ذلك لغيره في نسبه فاذا اراد هذا فهو على حقيقة نسبه والثاني اراد بقوله الا نسبي المعين له في دينه لان كل من اتبعه فقد انتسب اليه فكانه قال ان كل شفاعة دوني فهو منقطع لا شفاعة دوني فهو منقطع الا شفاعتي لمن اتبعني وانتسب الي بقوله ديني وقوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه جائز ان يكون قوله فمن ثقلت موازينه اي من عظم قدره ومنزلته عند الله بالاعمال التي عملوها من الصالحات والحسنات فهو من المفلحين ومن خفت منزلته وقدره عند الله باعماله الخبيثة السيئة فهو من الذين خسروا انفسهم والله اعلم وقد ذكرنا اقاويل اهل التاويل في الموازين فيما تقدم وقوله تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون قال بعضهم تلفحهم النار لفحة فلم تدع لحما على عظم الا القته وهم فيها كالحون قال بعضهم عابسون وقال بعضهم تلفح اي تنفخ وقال بعضهم تلفح تشوي وتحرق وذلك عادة النار انها تعمل كل هذا العمل وقال ابو عوسجة تلفح اي تضرب واللفح الضرب يقال لفحته النار اي ضربت فاعرقت وجهه تلفح لفحا فهي لافحة والكالح العابس وقوله الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون كذلك كانوا يكذبون وقد ذكرنا في غير موضع وقوله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا قال اما ما قال اهل التاويل غلبت علينا من الشقاوة فانه لا يحتمل لانهم يقولون ذلك القول اعتذارا لما كان منهم من التفريط في امره والتضييع فلا يحتمل ان يطلبوا لانفسهم عذرا فيما كان منهم اذ لو كان ما ذكروا ولئك لكان في ذلك طلب العذر لانفسهم وهم في ذلك الوقت لا يطلبون عذرا لانفسهم وهم في ذلك الوقت لا يطلبون عذرا لانفسهم ولكن يقرون بما كان منهم كقوله فاعترفوا بذنبهم لكن يحتمل وجهين احدهما يقولون ربنا شقينا باعمالنا التي عملنا انفسنا وكنا قوما ضالين والثاني عملنا اعمالا استوجبنا بذلك الاعمال الجزاء فنحن اولى بذلك الجزاء فغلب علينا جزاء تلك الاعمال وكلام نحو هذا واما ما قاله اولئك من اهل التاويل غلبت اي كتبت فهو بعيد لانه انما كتب ما يفعل العبد وما يعلم انه يختار لا يكتب غير الذي علم انه يفعل ويختاره والله اعلم وقوله ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قوله فانا ظالمون ظلم عيان وظلم ظاهر ولانهم قد كانوا اقروا بالظلم بقولهم فاعترفوا بذنبهم وقوله وكنا قوما ظالمين قد اقروا بالظلم لكنهم اقروا بظلم خبر وظلم سماع لا عيان فقالوا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ظلم عيان والله اعلم وقوله قال اخسئوا فيها قال بعضهم قوله اخسئوا اي اسكتوا وقال بعضهم اخسئوا اي ابعدوا فيها قال ابو عوسجة يقال خسأت فلانا واخسأته اي باعدته فخسأ اي تباعد وقوله ولا تكلمون

يحتمل

يحتمل الوجهين احدهما جائز ان يكون هذا السؤال منهم في اول ما ادخلوا فقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون انكم ماكثون او ان يكون هذا السؤال منهم بعد ما سألوا الملك الموت مرة بقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وسألوا مرة تخفيف العذاب بقوله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فلما ايسوا منه فعند ذلك يسألون ربهم اخراجهم منها والاعادة الى المحنة فقال اخسئوا فيها ولا تكلمون اي تصبرون بحال لا يقدرون على الكلام ولشدة العذاب فعند ذلك يكون منهم الشهيق والزفير وقوله انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون يخبر عز وجل اولئك الكفرة الذين يسألون الاخراج من النار انكم قد اتخذتم فريقا من عبادي امنوا الى سخريا وكنتم منهم تضحكون بذكر هذا لهم والله اعلم ليكون ذلك حسرة ونكاية وقوله اختلف في قراءته وبله قرا بعضهم سخريا بكسر السين وقرا بعضهم برفعه قال ابو معاذ من قرا برفع السين فهو من العبودة العبودة والخول له اي تخذتموهم خولا وعبيدا ومن قرا بكسر السين فهو من الاستهزاء والهزو وقال الكسائي بالرفع وقال الكسائي بالرفع والكسر جميعا من الاستهزاء ولا يقال في العبودة الا برفع السين وقال بعضهم هما سواء وقوله حتى انسوكم ذكري قال بعضهم حتى انساكم الهزء بهم عن العمل بطاعتي وقيل اضاف الانساء الى الذكر لانهم كانوا يذكرهم ودعائهم الى ذكر الله يهزؤن بهم فاضاف اليه ذلك فكان كاضافة الرجس الى السورة لان ذلك انما يزداد لهم عند تلاوة فاضيف ذلك الى السورة والاكانت السورة لا تزيد رجسا فعلى ذلك اضاف الانساء الى ذكره لما عند ذكره ودعائهم اليه يحملهم الى ذلك والله اعلم فاضيف اليه وقوله اني جزيتهم اليوم بما صبروا اي اني جزيتهم اليوم القول بما صبروا في الدنيا على اذى اولئك الكفرة او على دائما او مروا يزوهوا عنه او ان يكون ذلك كقوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ونصروا مما هم هوان صارت لهم عاقبة والله اعلم وقوله قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم اختلف فيه قال مقاتل ابن سليمان في القبور وقال ابو معاذ اخطا مقاتل وذلك قول من ينكر عذاب القبر وهو قول الجهمية لان من كان في عذاب وشدة لا يقتصر المقام فيه كل هذا الاقتصار حتى يقول لبثت يوما او بعض يوم بل يزداد له مقام يوم في العذاب على سنة واكثر فقال الا ان يكون عنى ما بين النفختين حتى يؤذن للارواح فترقد فاذا بعثوا استقلوا رقدة ذلك المقدار بما كانوا قاسوا قبل الرقدة من العذاب في القبور الى هذا يذهب بعض اهل التاويل وجائز عندنا ما قال مقاتل ومحمد ابن اسحق بان ذلك يكون في القبر وذلك لا يدل على نفي عذاب القبر لانهم لا يعذبون الذي يعذبون في الاخرة فجائز ان يستقلوا عذاب القبر بعذاب الاخرة ويستقصرون ذلك الوقت بعذاب الاخرة لشدته واهواله وذلك جائز في متعارف الخلق ان يكون الرجل في بلاء وشدة ثم يرد البلاء والشدة فيستقل ذلك البلاء الذي كان به لشدة ما حل به فعلى ذلك هم جائز ان يكونوا في عذاب في قبورهم لكنهم اذا عاينوا عذاب الاخرة استقلوا عذاب القبر واستقصروه لشدة عذاب الاخرة او ان يكون عذاب القبر على النفس الا وهالي الادراك الذي يخرج في حال النوم على روح الحيوة النائم يرى نفسه في بلاء وعذاب في نومه ويكون في فزاع وكانت نفسه ملقاة في مكان لا علم لها بذلك ولا خبر وبها اثار الاحياء فجائز ان يكون عذاب القبر على هذا السبيل على الروح الذي به يدرك الاشياء لا على روح الحيوة الذي به يحيى وقال قائلون ذلك في الدنيا استقلوا حيوة الاخرة وهو كقوله فما متاع الدنيا في الاخرة الا قليل الا ترى انه قال فاسئل العادين هذا يدل على ان ذلك في الحيوة الدنيا اشبه حيث امر ان يسأل الذين يعدون وذلك انما يكون في الدنيا لا في الاخرة ثم اختلف في العادين قال بعضهم هم الملئكة الذين يكتبون اعمالهم في الدنيا ويرقبونهم وقال بعضهم هم وقال بعضهم هم ملك الموت واعوانه وقوله قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون ولكن لا تعلمون قال القتبي سخريا بكسر السين اي يسخرون منهم وسخريا بضمها اي يسخرونهم من التسخير عنا قوله حتى انسوكم ذكري اي شغلكم امرهم عن ذكري والوجه فيه ما ذكرنا فيما تقدم وقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا قوله افحسبتم يحتمل وجهين احدهما افحسبتم انما خلقناكم عبثا والثاني افحسبتم اي لا تحسبوا انا انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلقه الخلق لا للرجوع والبعث عبثا لوجهين احدهما لان خلقه اياهم لا لعاقبة تتامل ولمنافع تقصد للهلاك خاصة والفناء عبث كبناء الباني لا لمنفعة تقصد به ولكن للنقض يكون عبثا في الشاهد وهو ما قال في اية اخرى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا سفهها في غزلها للنقض خاصة لا لمنفعة قصدت به ونهانا ان نفعل مثل فعلها فلو لم يكن المقصود من خلق الخلق الا الموت والفناء خاصة لا لعاقبة تقصد كان سفها وعبثا والثاني ما اخبر انه انما انشا هذا العالم في غير البشر وله سخر ذلك كله حيث قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اذ ليس لغير البشر منفعة بهذه النعم

التي انشأها لهم من نحو الجن والملائكة ونحوهم اذ لهم قوام بدون ذلك من الشمس والقمر ونحوه من النعم
انما ذلك للبشر خاصة فاذا كان كذلك لا يحتمل ان يجعل لهم كل هذه النعم التي ذكرها وانشاها لهم
ثم لا يمتحنهم بالشكر على ذلك ولا يامرهم بأوامر ولا ينهاهم عن مناهي مثل ما انشاء لهم من النعم وسخر لهم
من الاشياء انهم يبعثون ويرجعون اليه حتى يجزون جميعا المحسن جزاء الاساءة اذ في العقول التفريق
بين الولي والعدو وبين المحسن والمسيء وبين الشاكر والكافر ثم رأينا هم جميعا في هذه الدنيا عاشوا
على سواء في الضيق والسعة لم نرما يفصل بين الولي والعدو وبين المحسن والمسيء وبين الشاكر والكافر
فدل ما لم نرمن التفرقة ما ذكرنا في هذه الدنيا على ان هنالك دارا اخرى دار الجزاء هنالك يفصل
بين ما ذكرنا في الجزاء والله الموفق لا يرجعون قيل لا تبعثون وقيل لا ترجعون اليه بالاعمال
التي عليتموها كقوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقوله فاستقيموا اليه واستغفروه
وقوله فتعالى الله الملك الحق اي تعالى الله عن ان يكون خلق الخلق منه عبثا او تعالى ان يكون خلق الخلق
لا لحكمة الملك الحق قال الحسن الحق اسم من اسماء الله او الملك الذي خلق الخلق لحكمة لا اله الا هو
نزه به وتبرئة عن جميع ما قالوا فيه وقوله رب العرش الكريم يشبه ان يكون على الاول تعالى الملك
الحق ورب الملك الكريم عن ان يخلقهم لا لحكمة او للبعث وقالت الباطنية العرش القيامة ونحن
نشبه ان يكون العرش القيمة على ما قالوا هم الا انهم يقولون هو ثم لا يرى ثان وقلنا نحن هي القيامة
المعروفة وهي الساعة رب القيمة وهي الملك الذي ذكرنا كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
خص ذلك اليوم بالملك له وان كان الملك له في الدارين جميعا لما لا ينازع في ملكه يومئذ فقد نوزع
في الدنيا فخلص له ملك ذلك اليوم وصفا له يومئذ وقال بعض اهل التاويل العرش السرير اضاف
الى نفسه ومنزلته عند الله والكريم هو نعت ذلك السرير اي الحسن كقوله ومقام كريم اي حسن و
هكذا يوصف كل كريم بالحسن وقال بعضهم هو نعت الرب اي ذو عفو وصفح والله اعلم وقوله ومن يدع
مع الله الها اخر ظاهر هذا يوحي ان هنالك الها اخر لا نه قال ومن يدع مع الله الها اخر لكنه يخرج
على وجهين احدهما لا تجعل مع الله الها اخر لكنه يخرج على وجهين احدهما لا تجعل مع الله الها اخر كقوله
ولا تجعلوا مع الله الها اخر وقوله والثاني ومن يدع مع الله الها اخر اي من يسم مع الله الها اخر اذ كانوا
يسمون الاصنام التي كانوا يعبدونها الهة على هذين الوجهين يخرج تاويل الاية وقوله لا برهان
له به اي لا حجة لهم بذلك لان الحجة انما يكون بوجوه ثلاثة اما بالاخبار التي يجوز انتهاؤه على صدقها
وصحتها واما العقول تشهد على ذلك واما من جهة الحس يدل على ذلك فلم يكن لهم واحد من هذه الوجوه
ثم الحسي يكون بالدلالة من وجهين احدهما بوقوع الحس عليه بالبديهة او بآثار تدل على الالوهية
فلو كان في الظاهر وقوع الحس لا له ذلك ولا كان بها آثار تدل على ذلك بل فيها آثار العبودة والذل
فضلا ان يكون لها آثار الالوهية ولا عذر لهم في ذلك لان العبادة
لا غير انما يكون لوجوه اما للنعم والايادي يكون منه اليه فيعبد ودا وشكرا لما انعم عليه واحسن اليه
واما لحوائجهم يطمع قضاها له من عنده او لما يرى له في نفسه من الاثار العبودة له فاذ لم يكن واحد من
هذه الوجوه التي ذكرنا لا عذر لهم في عبادة تلك الاصنام فان قالوا لنا برهان وحجة في ذلك قبل قطع
حجاجكم بما ذكر من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره الاية وقوله فلا يملكون كشف الضر عنكم
ولا تحويلا ونحو ذلك من الايات فيها قطع حجاجهم وفي حرف حفصة لا برهان له اي لا سلطان له به وقوله
فانما حسابه عند ربه قال قائلون حسابه عند ربه هو قوله انه لا يفلح الكافرون وقال بعضهم حسابه
جزاؤه لصنيعه عند ربه كقوله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وقوله وقل رب اغفر وارحم
وانت خير الراحمين جائز ان يكون هذا تعظيما من الله لكل احد سؤال المغفرة والرحمة وقيل هو لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فهو يخرج على وجهين ان في حكمته وعدله ان لا يرحم ولا يغفر احدا وان كان
في فضله ورحمته ان يرحم ويغفر والثاني يجعل له العصمة والرحمة بهذا الدعاء او ان يكون العصمة و
الرحمة هذا الدعاء او ان يكون العصمة تزيد في الخوف كقوله ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا و
اجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وقوله وانت ارحم
الراحمين لان رحمته اذا ادركت احدا اغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته

سورة النور

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سورة انزلناها سماها سورة وجعل تلاوتها سورة
ولم يجعل غيرها من السور التلاوة سورة كاحمل هذا انجائز ذلك لكثرة ما فيها من الاحكام من الفرائض
والاداب بما بالناس الى ذلك حاجة والمعنى لم يذكره ولا لمعنى ولكنه ذكر هكذا اوله الخلق والامر قال ابو عوسجة
السورة القطعة من كل شيء يقول سورت الشيء اي قطعته وقال بعض العلماء انما سمي القران كما عة السور

وسميت

وسميت السورة مقطوعة من الاخرى فلما قرن بعضها الى بعض سمي قرانا كقوله ان علينا جمعه وقرانه
اي تاليف بعضها الى بعض فاذا قراناه فاتبع قرانه اي فاذا جمعناه والفناه فاتبع قرانه اي ما جمع فيه فاعمل
به من اوامر ونهي ويقال ليس لشعره قران اي نظم وتاليف ويقال للمراة ما قرات سلى قط اي لم تجمع في بطنها ولدا
وقال بعضهم سورة بلا همز اي المنزلة والرفعة وبالهمز سورة البقية ومنه سمي سؤر الكلب وسؤر
الهر وسؤر الطائر اي بقية والقطعة منه ثم قرئت بالنصب سورة انزلناها والرفع جميعا سورة
وهي القراءة الظاهرة فمن قراها بالنصب اوقع الفعل عليها اي انزلنا سورة والفعل اذا وقع على شيء
انتصب تقدم الفعل او تأخر كقولك زيدا ضربناه وضربنا زيدا او قال بعضهم انما انتصب لاضمار فيه
كانه قال اتبعوا سورة او اذكروا سورة انزلناها كقوله ناقة الله بالنصب اي احذروا ناقة الله
ومن قراه بالرفع على الابتداء اي احذروا وكل ما يبتداء به فهو رفع وقال بعضهم رفع على اضمار هذه
سورة انزلناها وذلك كله جائز في اللغة والله اعلم وقوله وفرضناها قرئ بالتخفيف فرضناها وبالتشديد
فرضناها قال الزجاج قوله فرضناها بالتشديد يخرج على وجهين احدهما اي كثرنا فيها الفرائض والاحكام
والثاني فرضناها اي فصلنا فيها بين ما يؤتى وبين ما يتقى وبين ما امر فيها وبين ما نهي وقال واما التخفيف
فرضناها اي الزموا ما فيها من الفرائض وادابها وقال القتبي فرضنا بالتخفيف اي بينا فيها الفرائض وقال
ابو عوسجة من قراها بالتخفيف فرضناها اي انزلنا فيها فرائض مختلفة ومن قرا فرضناها بالتشديد
يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم على التكثير والله اعلم وقوله وانزلنا فيها ايات بينات يحتمل قوله
ايات بينات اي حججا بينة بعضها ويعرفها كل احد بالبديهة والتامل او ان يريد بالايات الايات التي
جمع فيها اشياء وتلك لان الاية انما تستحق اسم الاية اذا جمع فيها كلمات وحروف فاما كلمة واحدة
وحرف واحد لا يسمى بهذا الاسم او ان يكون قوله ايات بينات ما ذكر فيها وبين مما يؤتى ويتقى وبين
ما يحل ويحرم فذلك كله مبين فيها والله اعلم وقوله لعلكم تذكرون اي تتعظون بما ذكر فيها من المواعظ
وبين فيها ما يحجب عن المعاودة وهي الحدود التي ذكرها لان سبب الاتعاظ احد شيئين المواعظ التي تلين
القلوب والحدود التي تزجر وقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لو كان الخطاب
يجب اعتقاده على ظاهر المخرج والعموم على ما قاله بعض الناس لكان لكل احد ان يقيم على غيره الحد بظاهر
قوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فيقول الله امرني بذلك بقوله فاجلدوا والواو يضربوا جميعا
واحدا من الزناة بظاهر قوله فاجلدوا فيزداد الضرب والحد على ما حد الله اضعافا مضاعفة فدل
ان اعتقاد العموم فاسد بظاهر المخرج او ان يقول قائل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
العينان تزنيان واليدان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه سمي الناظر الى ما لا يحل
نظره اليه زانيا والماس بها كذلك فيلزمه الحد بظاهر قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة فاذ لم يفهم من ظاهر قوله الزانية والزاني ما ذكرنا كله دل ان اعتقاد على عموم المخرجه
فاسد وان المراد بقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة راجع الى الخصوص
الى مقيم دون مقيم والى زان دون زان وهو الزاني الذي يجمع بدن العين واليد والرجل والفرج وجميع
بدنه ورجع الخطاب به الى البكرين الحرين والثيبين الحرين الذين لم يستجمعا جميعا احكام الاحصان
فاما من استجمع جميع اسباب الاحصان فان حده الرجم على اتفاق القول منهم جميعا الا ان طائفة
من اهل العلم اوجبوا عليه مع الرجم الجلد وفي البكر مع الجلد تغريب عام والدليل على ان المراد راجع الى
الحرين البكرين او الثيبين اللذين لم يستجمعا اسباب الاحصان ما ذكرنا من القول المتفق وقوله فاذا
احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب دل ايجاب نصف ما على المحصنات
على الاماء على انه اراد بالمحصنات الحرائر التي لم يستجمعن جميع اسباب الاحصان وان الخطاب بقوله الزانية
والزاني الى اخر ما ذكر راجع الى الحرين اللذين ذكرا راجع الى الحرين اللذين ذكرناهما ثم لم يضرب في الزنا
الذي يزني وهو الفرج وقطع في السرقة الذي به يسرق وهو اليد فهو والله اعلم لما جعل الحد والحدود زواجر
عن المعاودة لم يجعل واقعة مذهبة امكان ذلك الفعل من الاصل وفي ضرب الفرج ذهاب امكان
الفعل من الاصل ولا كذلك في قطع اليد في السرقة اذ يبقى اخرى بها يقبض لذلك افترقا او ان يقال
في ضرب الفرج خوف هلاك في الاغلب وليس ذلك في قطع اليد بل يبقى حيا في الغالب وقد ذكرنا
ان الحدود لم تجعل مهلكة متلفة ولكن جعلت زواجر عن المعاودة لذلك افترقا وفي قوله الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة دلالة على ان النفي ليس من عذاب الزانيين
ولا من عقوبتهما لانه قال وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين والنفي مما لا يحتمل ان يؤمر بشهوده
لانه لا يمكن فدل انه ليس من عذابهما ويدل ايضا قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف
ما على المحصنات من العذاب لانهم اجمعوا على ان لا نفي على الاماء اذا زنين وقد اوجب عليهن اذا زنين
نصف ما على المحصنات وان ثبت النفي فهو يحتمل وجهين احدهما انه اراد به قطع الشين الذي لحقهما

بفعل الزنا لانه ليس جرم من الاجرام اكثر شنيا واشد من فعل الزنا فاراد ان ينقطع ذلك من بين الناس
وان يكون اراد به قطع الشهوة التي حملتهم على الزنا ببذل الشعر وذلة الغربة او صار منسوخا لما شدد
في الضرب بقوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله وفيما ذكر النفي لم يذكر فيه الشدة انما ذكر فيه
الجلد حسب بقوله عليه السلام اما على ابنك جلد مائة وتغريب عام فجائز ان يكون الضرب ارتفع
النفي وقد جاء عن عمر رضي الله عنه انه نفى رجلا فارتد عن الاسلام ولحق بالروم فقال لا انفي احدا
وقال انفي بعد هذا ابدا وكذلك روي عن علي رضي الله عنه والله اعلم **وقوله** ولا تاخذكم بهما رافة في دين
الله قال بعضهم لا تاخذكم بهما رافة في تخفيفها فهو والله اعلم لا نرى اعظم الاجرام في الذين ثم للمعتزلة
بظاهر قوله ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله قالوا ان الله وصف نفسه بالرحمة بقوله رؤف رحيم ووصف
المؤمنين بالرحمة فيما بينهم والشدة على الكفار بقوله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ثم
نهاهم ان ياخذهم رافة على الزانيين وقت اقامة الحد عليهم دل ان الزاني قد خرج بفعله من دفع الرافة
والرحمة عنهما لكن عندنا في الاية دلالة انه ليس على ما ذهبوا اليه لان الزاني لو كان يخرج من الايمان
بفعل الزنا لكان لا يحتاج الى ان يقول ولا تاخذكم بهما رافة لانهم كانوا على ما وصفهم الله بالشدة
على غير المؤمنين بقوله اشداء على الكفار دل ان الزنا لم يخرجه عن الايمان فنهى ان لا تاخذ بهما رافة الايمان
والذين في تعطيل الحد او تخفيفه او ان يكون النهي عن اخذ الرافة يتحمل ذلك الحد والا لم ينتفع به في
الاخرة وهو ان لا يعذب به الا ترى انه كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وقد تقدم ما ذكرنا انه لا تاخذ
كم بهما رافة في اضاعة الحد لما فيه من النفع في الاخرة نحو من يسرين الادوية الكريهة ويقتصد ويحتجم
لما يطمع البراء والنفع فعلى ذلك جائز ان يكون النهي عن اخذ الرافة في حد الزاني ليقام ذلك عليه فينجو في
الاخرة عن عذابه والله اعلم **وقوله** وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وقال بعضهم الطائفة واحد
واثنان فصاعدا وكذلك قالوا في قوله وان طائفتان فصاعدا وكذلك قالوا في قوله وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا انهما رجلان اقتتلا دل على ذلك قوله فاصلحوا بين اخويكم وهما اثنان في الظاهر لكن ان
ينضم الى كل واحد منهما جماعة من عشيرته فيكون الطائفة جماعة لا واحدا وقال بعضهم الطائفة جماعة
من العشيرة فصاعدا ثم يحتمل ان ينظر لاي معنى امران يشهد عذابهما طائفة من بين سائر الاجرام
فهو والله اعلم يحتمل وجوها احدها المحنة اراد ان يمتحن من حضر ذلك الى المرء قد يتالم على ضرب اخيه وما
يحل لغيره ليزجر عن مثله والثاني لانتشار الخبر في الناس ليزجروا عن مثله والثالث لئلا يتعدى الضارب
والمقيم ذلك الحد ويجاوزه على الحد الذي جعل له فانه يتعدى منعه من حضره عن المجاوزة والتعدي
الرابع لدفع التهم عن الحاكم لئلا يتهمه الناس انه انما قام عليه الحد بلا سبب كان منه ولا جرم فان
كان الامر بشهود الطائفة عذابهما هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرنا من الثنا والخبر ودفع يحتاج ان
ان يكون جماعة كان الواحد غير كاف لذلك وان كان الاول وهو المحنة فالواحد وما فوقه يكون يمتحن
كل في نفسه بحضور ذلك الحد ليتالم به وقد ذكرنا ان بعض اهل العلم قالوا انه يجمع مع الرجم الجلد واحتجوا
بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة
وتغريب عام فاما الجلد فلا خلاف في انه حد البكر واما النفي فيها اختلفوا فمنهم من راه واجبا ومنهم من
راه عقوبة لهم يضم الى الحد ونحن قد ذكرنا المعنى في ذلك ان ثبت ما يمنعنا عن تكراره ونزيد ايضا نكتة وهي
ان الحدود حدود نهايات المقدار وغايات ولذلك سميت حدودا لان لها نهاية وغاية كما يقال هذا حد فلان
وحد الدار بين انه منتهاها واخرها فلما لم يكن للنفي مكان معلوم ينفى الزاني اليه دل انه ليس بحد ولكن لاحد
الوجوه التي ذكرنا اما حبسا كما يحبس الداعر حتى يحدث توبة او قطع الشين والذكر الذي يتحدث الناس
به ليتناسوا ذلك ويتركه او قطع الشهوات التي حملتهم على ذلك ببذله الشعر والغربة او ان كان ثم صار منسوخا
بما شدد فيه الضرب والله اعلم واما قول اصحابنا رحمهم الله في ان لا جلد عن الثيب اذا كان محصنا
لقول النبي صلى الله عليه وسلم قال يا انيس اغد على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ولم يذكر جلدا وذهبوا
ايضا الى ان حديث ماعز بن مالك رجمه النبي عليه السلام باعترافه ولم يذكر انه جلده وروي ان ابا بكر رضي
الله عنه قال له لما اعترف ثلثا اعترفت في المرة الرابعة لرجمك ولم ينقل جلده علم انه لا يجمع مع الرجم الجلد وقد
روي عن عمر رضي الله عنه انه امر برجم امراة زنت ولم يجلدها وروي عن ابن عمر عن عمر مثله الى هذه
الاخبار ذهب اصحابنا رحمهم الله ويقولون لا يجتمع على رجل في فعل واحد حدان الجلد والرجم جميعا
كما لا يجتمع في غيره من الاجرام في فعل واحد حدان او عقوبتان وقوله صلى الله عليه وسلم الثيب يجلد و
يرجم يحتمل الجلد ثيبا غير محصن ويرجم ثيبا اخر محصنا او يجلد ثيبا في حال ويرجم ثيبا في حال وقد ذكرنا
هذه المسالة الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك في ظاهر الاية
ان لا يحل للزاني ان ينكح الا الزانية من المؤمنات او مشركة وكذلك الزانية من المؤمنات لا ينكحها العفيف
من المؤمنين وانما ينكحها الزانيين منهم والمشرك وفي ظاهر الاية النهي للزاني عن نكاح الزانيات او المشركات

فان كان

فان كان ذلك قوله ولا تنكحوا المشركات الا الزناة منكم فانه يحل لهم ان ينكحوا المشركات وكذلك
قوله ولا تنكحوا المشركين الا الزانيات فانه يحل هذا ظاهره لكنهم اجمعوا على ان لا يحل للمؤمن وان كان
زانيا ان ينكح المشركة وكذلك لا يحل للمشركة ان تتزوج بالزاني من اهل الايمان ثم اختلف اهل التاويل
في تاويله قال مقاتل ومحمد بن اسحق وهؤلاء الزاني من اهل الكتاب لا ينكح اي لا يتزوج الا زانية
من اهل الكتاب اي لا ينكح او مشركة غير اهل الكتاب والزانية من اهل الكتاب لا ينكحها الا زان
من اهل الكتاب او مشرك من غير اهل الكتاب يزنين علانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت
الاية في نفر من اهل مكة هاجروا الى المدينة وكانوا ذوي عسرة وكان بالمدينة بغايا يفجرن بانفسهن
ظاهرات بالفجور ولكن محصنات او صاحب البيوت فهم اولئك المهاجرون ان يتزوجوا باولئك
البغايا ليصيبوا من حصبهن وسعتهن فذكروا ذلك لرسول الله واستاذنوه في ذلك فنزلت الاية
في شانهم الزاني من اهل القبلة المعلن به لا ينكح الا زانية من اليهود او مشركة الاية وحرم ذلك على
المؤمنين لكن هذا يصلح ان لو كان اولئك المهاجرون مثلهن زناة فاما ان كانوا هما حرقا اهل الايمان
وعفة فلا يصلح ان يقال فيهم الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة وهم لم يكونوا زناة الا ان يقال على
الابتداء انه لا يفعل ذلك وقال بعضهم قوله الزاني لا ينكح اي لا يجامع ولا يزني الا بزانية مثله وكذلك
الزانية لا تزني الا بزان مثلها او مشرك لا يحرم الزنا وهو قول الضحاك وهؤلاء وقال سعيد بن المسيب
نسخت هذه الاية وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماءكم قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
الاية وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن رجل يزني بالمراة ثم يتزوجها قال هما زانيان ما اصطحبا و
جائز ان النهي عن نكاح الزانية والزاني نهيا عن الزنا بنفسه لا عن نكاح كانه قال لا تزنوا فانكم اذا
زنيتم وصرتم معروفين به لا تجدون ان تنكحوا الا زانية او مشركة التي لا تحرم الزنا لان العفائف
منهن لا يرغبن في نكاح من صار معلنا الزنا فاذا لا يرغبن لم يجدوا الا من ذكر وهو ما قال لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى ليس النهي عن قربان الصلوة ولكن النهي عن السكر وشرب المسكر وكذلك ما روي انه
قال لا صلوة للمراة الناشزة ولا للعبد الابق انما النهي من نشوزها وعن اباقه ليس عن الصلوة فعلى
ذلك جائز ان يكون قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية الا زان او مشرك انما نهى عن
الزنا اي لا تزنوا لا يرغب العفائف فيكم ولا تزني النساء لا يرغب اهل العفاف من المؤمنين فانكم اذا زنيتم
وصرتم معروفين به معلنين لا تجدوا الا نكاح من ذكر من الزانية او المشركة او ان يكون ما ذكرنا
لا يرغب الزاني الا في نكاح زانية او مشركة وكذلك المراة الزانية لا ترغب الا في نكاح زان مثلها او مشرك
او لا يرغب الزاني في الزنا الا بزانية ومشركة التي لا تحرم الزنا وكذلك الزانية لا ترغب الا بزان
مثلها او مشرك الذي لا يحرم الزنا وحرم ذلك على المؤمنين وحرم الزنا على المؤمنين فان كان
على النكاح فيكون تاويل قوله وحرم اي منع عن ذلك المؤمنون اعني نكاح الزانيات والزناة قال
ابو عوسجة الزانية والزاني يقال منه زنا يزني زنا وامازنا ويزنونه زنوا اي لا يتقي ويقال الزناء الضيق
ويقال زنيته اذ نسبته الى الزنا اي ظننت به ظنا والقذف التهمة والرمي اشد من القذف ومن جعل الاية في
الزانيين المسلمين وجعل قوله لا تنكح على التزويج لزمه ان يجيز للزانية المسلمة ان تتزوج الزاني المسلم والمشرك
على ما ذكرنا بدءا وهذا لا يقوله احد وفي بطلان هذا القول بيان ان الاية ان كان المراد بها عقد النكاح فانها
نزلت في الزانية المشركة يريد المسلم ان يتزوجها كما ذكر في حديث مرثد وان كان المراد به بذكر النكاح
منها الوطي فهو كما قال ابن عباس في احدى الروايتين عنه انه الجماع ليس يحتمل الا بتغير هذين الحالين والله
اعلم اراد وقد زعم قوم ان المراة اذا زنت حرمت على زوجها فكانهم ذهبوا الى انه لما لم يحل له ان يطاها
لو انها اذا كانت زانية لم يحل المقام عليها اذا زنت وهي زوجة لكن التاويل في الاية على خلاف ما توهم هم
اولئك بما وصفنا فلا وجه لتحريمهم الزانية على زوجها ولو كان التاويل على ما توهموه فوجب ان
تحرم الزانية على زوجها من حيث انه كان ممنوعا من تزوجها الا ترى انه لا يجوز للرجل ان يتزوج امراة
في عدة من غيره ولو ان رجلا وطئ امراة رجل بشبهة فوجب عليها من عدة لم تحرم على زوجها فلا ترى
ان العدة اذا كانت ملك النكاح مخالفة للنكاح في العدة واحتجوا ايضا بان الرجل اذا قذف امراته لاعن
بينهما وفرق لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** والذين يرمون المحصنات ذكر الرمي ولم يذكر به
بذكره فيعرف ذلك بالثالثة ولقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء وذكر الاربعة الشهود والزنا
هو المخصوص بالشهود الاربعة دون غيره من الاجرام فدل ذكر ذلك على ان الرمي المذكور فيه هو
الزنا ثم قوله المحصنات هن الحرائر في هذا الموضع لا العفائف لان قاذف الامة يلزمه التعزير الا ترى
انه قال فان اتين بفاحشة الاية الا ترى انه اوجب عليها ما نصف ما على المحصنات عبارة وكناية عن العفائف
دون الحرائر لا يستقيم شهادة الشهود لان العفة تكذبها وكذلك يدل قوله ان الذين يرمون
المحصنات الغافلات المؤمنات الغافلات عبارة عن العفائف فدل ان المحصنات عبارة عن الحرائر

دخل المحصنين في حكم هذه الآية في الرمي والقذف وغيره وإن لم يذكروا في الآية ثم شدد الله تعالى في الزنا
وغلظ في أمره ما لم يشدد ولم يغلظ في غيره من الأجرام مثله منها ما بها من تعطيل الحد فيه وإضاعته وتخفيف
حيث قال ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ومنها ما أمر برجمه إذا كان محصنا مثل ما يرجم الكلب ويقتل بالحجارة
ومنها ما وجب على الرامي به من الحد إذا لم يأت بأربعة شهداء والزناة بهذا كله مخصوص من بين غيره من الأجرام
وذلك والله أعلم لقبحه في العقل والطبع جميعا وكذلك في الشرع والدليل على أنه قبيح في الطبع والعقل جميعا ما هو
ما ينفر عنه طبع كل مسلم وينفر عنه كل عقل سليم فإن قيل لو كان ينفر عنه لكان لا يرتكبه ولا يأتيه قيل ينفر عنه
إلا أن الشهوة التي مكنت فيه وركبت تغلبه عن النفار عنه ألا ترى أنه لو تفكر مثله في المتصلات به
من الأم والأخت وجميع المحارم لم يحتمل قلبه ذلك وبمثله روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا
فقال له ائذن لي في الزنا فقال أرأيت لو فعل بابنتك وأمك مثله أكنت تكره فقال نعم فقال له اكره لغيرك
ما تكره لنفسك دل ذلك أنه قبيح في الطبع والعقل جميعا إلا أن الشهوة تمنعه عن النفار عنه وفيه اشتباه
الأنساب والمعارف التي جعلت فيما بين الخلق حتى لا يهتدي أحد إلى معلم يعلم الحكمة والآداب ومعالم السنن ولا الأ
بالآباء وارتفع التواصل وحفظ الحقوق التي يقوم بعض لبعض والشفقة التي جعل لبعض على بعض من التربية
في الصغار وحقوق المحارم وغيرهم وبها امتحن البشر والعالم الصغير وبطل خلق ما ذكر من الإنشاء لهذا العالم
وتسخير ما ذكر مما في السموات والأرض لهم فهذا كله يدل على قبح الزنا ونهايته في الفحش والمنكر حتى لا يعرف هذا
العالم قبحه ونهاية فحشه وإنما يعرف العالم الروحاني الذي لم يكن فيهم هذه الشهوة ولم يمتحنوا بها وأما هذا
العالم الذي جعلت فيهم الشهوة لا يعرفون قدر قبحه وفحشه لا تغلبهم وتمنعهم عن النفار عنه والنظر
في معرفة قبحه لهذا والله أعلم ما شدد الله تعالى أمر الزنا وغلظ في أحكامه ما لم يغلظ بمثله في غيره من الأجرام
وعظم شأنه من بين سائر الآثام ثم الذكر فيما جرى في الجرائم ما ذكرنا فهو الرجال من الأحوال أن لم يكن أكثرها
يكون دون ترك النساء العذر فيهن أكثر وهي الشهوة التي تغلب وتمنع عن النفار عنه وفي الرجال أقل فالعذر فيهم
أقل ألا ترى أنه ترك ذكر الحد في الإماء بقوله فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ولم يذكر في العبيد
شيئا فيلزم العبيد ذلك الحد أدنى التكبير فعلى ذلك ما ذكر من الحد في النساء والقذف فهو في الرجال مثله ثم أجمعوا
على أن على قاذف الأمة التعزير ولا حد عليه وقد سمى الزوجة وإن كانت محصنة أمة وقال فإذا أحصن فإن
أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقال والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم سمى
ملك اليمين محصنة بقوله أحصن أي تزوجن وقوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب أي الحرائر فقد
بان بهذه الآية أن الإحصان قد يكون بالحرية ويكون بالزوج وإن كانت الزوجة أمة إذا كان لها زوج و
الطبقة من النساء محصنة قال تعالى محصنات غير مسافحات يعني العفائف فالإحصان على ثلاثة أوجه وإنما يجب
الحد على قاذف الحر المسلم والحرة المسلمة فإن كان حرا وحرة فعليهما الحد ثمانين وإن كان عبدا أو أمة فعليه
لكنا نعني سوطا على ما ذكرنا وقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين
جلدة لظاهر هذا أنه لا يقع عند حضرة القذف ولكن له أن يأتي في وقت إياسه وهو الموت كمن يحلف
بيمين ولم يوقت لها وقتا فإنما وقت إلى وقت إياسه تحنث منه ذلك فعلى ذلك يجيء على ظاهرها أن يقع
على الأبد لتبين عند حضرة القذف لكن لو وقع على الأبد لكان فيه سقوطه إذ لا يقام الحد بعد الموت
أو أن أراد بذكر الشهود الأربع زجره عن قذف المحصنات لما لا يجد الشهود على الحلول فالذي هو أحق
وأشبه والعالي أن الحد قد لزمه بالقذف فإن أراد إسقاطه لم يسقط إلا ببينة تقوم حضرة ذلك كمن
يقر بقصاص أو حق من الحقوق ثم ادعى العفو وذلك أو إسقاط ما أقر له والخروج منه لم يصدق
إلا ببينة تقوم على حضرة ذلك فعلى ذلك قوله ثم لم يأتوا بأربعة شهداء وقع ذلك على حضرة القذف
فإن أتى به والأحد والله أعلم ثم المسألة بأنه إذا أتى بأربعة فساق درئ عن نفسه الحد عندنا والقياس
أن لا يبطل بشهود عدول لأن العدول لا يشهدون ذلك المشهد ولا ينظرون إليه إنما يشهده الفساق
أحق أن يدرأ بهم الحد عنه من العدول وليس كالشهادة على إقامة حد الزنا لأن قصدهم بالنظر إلى ذلك المكان
قصدا إقامة الشهادة وإيجاب الحد على فاعل ذلك لذلك لم يصيروا فسقة ولأنهم لا يشهدون بذلك
إلا عن توبة تكون منهم إذ يملكون التوبة ولأن الفساق من أهل الشهادة ليس كالكفار والعبيد وهؤلاء
وإن كانت لا تقبل شهادة الفساق فهم من أهل الشهادة ألا ترى أن من قذف فاسقا وكانت امرأة
فقذفها زوجها وهو فاسق لاعن كقاذف الفاسق ويلاعن بين الزوج وبين امرأته وإن قذف قاذف
مسلم كافرا أو قذف حر عبدا لم يحد وإن قذف أحدهما زوجته لم يلاعن بينهما فمن خالفنا في هذا اللعان
فليس يخالفنا في أن الحر إذا قذف العبد والمسلم إذا قذف الكافر فلا حد على واحد منهما فهذا كله يدل
أن الفساق من أهل الشهادة والكافر والعبد والمحدود في القذف ليسوا من أهل الشهادة فإذا كانوا
من أهل الشهادة وإن لم تقبل شهادتهم لتهمة غيره فأوجب ذلك شبهة والحدود مما يدرأ بالشبهات لذلك درئ
عنه الحد وأما الكافر والعبد والمحدود في قذف فإذ لم يكونوا من أهل الشهادة لم يجب شبهة في درء الحد عنه

لذلك افترقا ثم المسألة إذا جاء الشهود متفرقين حدوا ولم تقبل شهادتهم والقياس عندنا أن لا
يحدون لأنهم إنما يقومون في الشهادة محتسبين لا يقصدون به قذفه ولا شتمه وأما الرامي فإنه
يقصد قصد شتمه وقذفه ولأن الشاهد يقول رأيته فعل كذا والرامي يقول أنت كذا فكان كمن
يقول لآخر يا أبتر كفر لم يضرب بهذا القول ولو قال يا كافر ضرب لأن هذا أخرج مخرج الشتم والأول
لا فعلى ذلك الأول ولكنهم أقاموا الحد على الشهود إذا جاؤوا متفرقين لأن الله أكد الشهادة بالزنا بأمرين
أحدهما أن لا يقبل فيها أقل من أربعة وأن لا يقبل حتى يقولوا زنى بها قيا تون هذه اللفظة ويصفوا
بأكثر مما يوصف غيره من النكاح وغيره فالشهادة بالزنا أخرج إلى اجتماع الشهود في موطن واحد من
اجتماع الشهود على النكاح ومن قولهم أن النكاح إذا عقد بشاهدين متفرقين لم يكن نكاحا فالزنا الذي
كان أمره أوكد والحاجة إليه أحوج وأكثر أحق أن لا يقبل والثاني ما جاء عن عمر أن ثلاثة شهدوا
على رجل بالزنا وفيهم أبو بكرة فجلدهم عمر جميعا لما لم يشهد الرابع كما شهدوا وهم وكان ذلك بحضرة
أصحاب النبي فلم ينكر عليه أحد فكان ذلك إجماعا ألا ترى أن أبا بكرة قال بعد ذلك أنا أشهد فهم عمر أن يجلده
فقال له علي رضي الله عنه إن جلدت هذا فارجم صاحبك فلم ينكر عليه على جلدة إذا لم يتم أربعة إنما أنكر إذا شهد
والله أعلم لذلك قلنا أنهم إذا جاؤوا فرادى متفرقين صاروا قذفة ولا ينتظر به حضور من بقي منهم كما لم
ينتظر عمر ثم مسألة أخرى أنه إذا جاء أربعة وأحدهم زوج قبل عندنا ودرئ عنه الحد لما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من التابعين ولأن الشهادة عليها وشهادة الزوج على امرأته تقبل وإنما
ترد إذا شهد لها ألا ترى إذ لو شهد عليها في الديون والقصاص والسرقة وغير ذلك من الحقوق قبل فعلى
ذلك في هذا فإن قيل إن الزوج إنما يشهد لنفسه وفيه منفعة له لأن حده اللعان إذا قذفها فهو يريد
أن يزيل اللعان عن نفسه قيل إنما يكون حد الزوج اللعان إذا قذفها قبل أن يرتفعا إلى الحاكم فإذا فعل ذلك
ثم شهد مع ثلاثة لم تجز شهادته وأما إذا كان أول ما بدأ به أن جاء مع ثلاثة فشهدوا عليها بالزنا فليس يبطل
بشهادته عن نفسه شيئا وجب عليه ألا ترى أنه لا يختلف أنه لو قذف امرأته ثم جاء ليشهد بذلك عليها مع
ثلاثة أن شهادته لا تجوز لأن الحد قد لزمه قبل شهادته فهو يدفع الحد الذي وجب عليه بشهادته فلا تقبل
وأنه لو جاء مع ثلاثة وكان أول أمرهم أن يشهدوا عليها بالزنا فشهادتهم جائزة ولا يقال أن أحدا منهم يدفع
عن نفسه شيئا وجب عليه فعلى ذلك الزوج وقوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون
تسمية الفسق لهم لا يخلو إما أن كان لما رموا وقذفوا بريئا من ذلك ولما هتكوا عليه الستر من غير أن هتك
هو على نفسه فإن كان الأول فذلك لا يعلمه إلا الله فعلى ذلك توبته لا تظهر عندنا فإنما ذلك فيما بينه وبين ربه
فكأنه قال وأولئك هم الفاسقون عند الله إلا الذين تابوا وإن كان الثاني فإنا نعلم أنه لم قال وأولئك
هم الفاسقون عندكم إلا الذين تابوا لا تظهر توبته عندنا لأن توبته هو أن يعزم أن لا يهتك على أخ ستره
ويعزم أن لا يقذف بريئا من الزنا أبدا فأي الوجهين كان تسميته فسقهم فإن التوبة من ذلك
لا تظهر عند الناس لذلك لم تقبل ولذلك قال ابن عباس وإنما توبته فيما بينه وبين الله إذا تاب يغفر الله
له ذنبه العزيز وكذلك روي عن غير واحد من السلف من نحو الحسن وإبراهيم وأمثالهم قالوا توبته فيما
بينه وبين ربه وقوله ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ليس ثمة شهادة رفعت إلى الحاكم فردها ولكن لا
تقبلوا لهم شهادة يرفعونها إلى الحكام فالخروج على كل شهادة يرفعون من بعد ثم إذا شهد وأبعد
ما قذف قبل أن يجلد قبلت شهادته وهو قاذف فدل أن شهادته إنما ترد بعدما جلد لما أتهمه الحاكم وكل
شهادة ردت لتهمة فهي لا تقبل أبدا والتهمة التي بها جلد القاذف هي لا تزول أبدا أو أن يكون توبته قوله
فقد كذبت فيما قذفت فكيف ترد شهادته لتهمة الكذب نفسه نقبلها لتحقق الكذب فهذا بعيد وأصله أن
أن كل توبة كانت بعد التمكين فهي لا ترفع الحكم الذي حصل له والحد وكل توبة كانت قبل التمكين فهي ترفع العقوبات
كقوله إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فلو لم يرفعوا عنهم تلك العقوبات لكانوا يتمادون في السعي في
الأرض بالفساد وأما فيما نحن فيه فليس في ذلك التمادي فيه وزعم الشافعي أن حاله قبل الحد وبعد ذلك
سواء هذا فارق فيما نص الله عليه قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة الآية وقال فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون فجعلهم كاذبين عند العجز عن
إقامة الشهداء وكان أمرهم قبل ذلك موقوفا فالواجب أن يجعلهم كاذبين عند العجز عن تصحيح ما
قالوا وهي الحال التي جعلهم الله فيها كاذبين فبان بما وصفنا أن من جعل حال الحد وبعد أن ضرب الحد كحال
قبل ذلك مخطئ ودل ما وصفنا على أنه لا يجب أن يستدل بجواز شهادته قبل أن يجلد على جواز شهادته
إذا تاب بعد الجلد على ما ذكرنا لأنا بالجلد علمنا أنه قاذف لا بما كان من رميه المرأة قبل أن يجلد ومما يدل
على اختلاف الحالين أن عمر لما جلد أبا بكرة قال له إن تبت قبلت شهادتك ولو أنه قبل أن يجلد لم يرد شهادته
لو كان شاهدا مجروحا بالقذف لم يسمع شهادتهم ولا أعلم بين أهل العلم خلافا أنه لا يقبل شهادته بعد الجلد
ما لم يتب وإنما يختلفون في شهادته بعد التوبة وأن شهادته قبل الجلد مقبولة فكيف يشتبه الحالتان

مع وصفنا وقال غيرهم هذا التوبة تزيل فسقه ولا يجوز شهادته فالوا الاستثناء على آخر الكلام على الذي عليه
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على بطلان شهادته وان تاب ما روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا محدودا في قذف وعن ابن عباس قال لما نزل
قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وذكر حديثا فيه طول وفيه
لم يلبثوا الا قليلا حتى جاء هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله عليهم قال يا رسول الله لقد رأيت فلانا مع
اهلي فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا هلال قال والله يا رسول الله لقد رأيته وسمعته بأذني
قال فشق على رسول الله جاء به ثم قال يجلد هلال ويبطل شهادته في المسلمين فاشتد ذلك على رسول الله وجعل
يقول الجلد هلال ويبطل شهادته في المسلمين وقول رسول الله يضرب هلال ويبطل شهادته في المسلمين وما ظهر
من غمه بذلك وجزعه يدل على ان المحدود لا يقبل شهادته بعد توبته لان توبته لو قبلت وكان كسائر
الاشياء التي اذا تيب منها جازت شهادته لقال النبي يبطل شهادته في المسلمين الا ان يتوب لانه لا يقال
في شيء من المعاصي فلان فعل كذا وكذا فبطلت شهادته في المسلمين حتى يقرن الى ذلك الا ان يتوب وقد ذكرنا
عن ابن عباس في قوله الا الذين تابوا قال فتاب الله عليهم من الفسق فاما الشهادة فلا يجوز وكذلك روي
عن كثير من السلف انهم قالوا توبته فيما بينه وبين ربه وفيه وجه اخر وهو ان القاذف اذا ضرب الحد فهو
يقول ما لم يرجع اني صادق في قذفي ولم يلزمني الحد فيما بيني وبين ربي وانما لزمني في ذلك الحكم فاذا تاب فهو
يقول كان الحد واجبا علي فيما بيني وبين ربي وفي الحكم فذلك اخرى ان لا يزول عنه من ابطال شهادته بذلك الحد
ووجه اخر وهو ان القاذف لم يبطل شهادته بقوله فلان زان لانه مدع بقوله هذا شيئا قد يجوز ان يكون
حقا وانما يصير قاذفا اذا عجز عن اقامة البينة وضربه الحاكم لم يزل ذلك الحكم الا بحكم حاكم فان حكم حاكم بجواز
شهادته في شيء اجازت شهادته فيه فان قيل يلزمكم على هذا ان تقولوا ان قال حاكم قد اجزت شهادته في كل شيء
ان يجوز لان الحاكم قد رفع ما لزم من بطلان شهادته بالحكم الاول قيل قول الحاكم قد اجزت شهادته
ليس بحكم انما هو فتوى والحكم انما يكون فيما تقام له البينة او يقع له الاقرار فان قيل فما تقولون في رجل قذف
محدود الحاكم هل يجوز شهادته ان تاب قبل بلى فان قال قد بطلت شهادته بحكم اخر وتوبته مقبولة
بغير حكم حاكم فما منع ان يكون القذف مثل ذلك وما الفرق قيل لان الزنا فعل ظاهر يعرف به فسق الزاني وان لم
يحد والقذف لا يعلم كذب القاذف فيه من صدقه لانه شيء يدعيه على غيره وانما يعلم انه كاذب في قذفه
بما ينفذ عليه من حكم الحاكم فلذلك افترقا ومن الدليل ايضا على ان شهادة القاذف اذا حد لا تقبل وان تاب
انه اذا قال تبت من قذفي فلانا وكنت في ذلك كاذبا فلسنا ندري هل هو صادق في قوله ذلك كاذب لان المقذوف
وان كان في الحقيقة زانيا فقول القاذف كنت في قذفي اياه كاذبا منه وهو في ذلك آثم فاذا كنا لا نقف بتكذيبه
نفسه على كذبه فيه من صدقه لم نجعله توبة لان التوبة انما تكون ان يظهر منه الحكم من الا قحال ما يعلم
بنفسها انها طاعة وانه فيها على خلاف ما ظهر من فسقه في الوقت الاول فلما لم يعرف كذب المكذب لنفسه
من صدقه لم يجعل ذلك منه توبة وقلنا توبته فيما بينه وبين ربه لان الله يعلم هل هو كاذب في تكذيبه
نفسه او صادق ونحن لا نعلم ولا دليل لنا من الظاهر عليه فلم نجعل توبته يتوبه في الحكم وقلنا ما تاب الان
كحاله قبل ذلك ودليل اخر انا قد علمنا كذبه بقول الله فاولئك عند الله هم الكاذبون فاذا قال كذبت في
قذفي قلنا له لم تفدنا بتكذيبك نفسك فانه لم نعرفه وانت في هذا الوقت كاذب فانك في الوقت
الاول علمنا انك كاذب فحالك الان في شهادتك كحالك قبل ذلك على ما ذكرنا على ان الملاعنة في قبول
لا ترجع الملاعنة الى زوجها وان تاب فاذا كانت توبته لا تبطل ما لزمها من الحكم في رجوعها اليه
فكذلك لا يبطل ما لزمه من الحكم في بطلان شهادته والله اعلم وقوله فاجلدوهم ثمانين جلدة اذ كان الجلد مأخوذ
من الجلود فجائز ان يستخرج منه حد الضرب وهو ان لا يجاوز الجلود ولكن يضرب مقدارا يتألم به ويتوجع
ولا يمزق به الجلود ولا يجرحها ويستخرج منه التفريق في الاعضاء كلها والجوارح لانه لو ضرب في مكان
واحد لحرقه ومتفرقه سوى الرأس والوجه والمذاكير لما فيه من التلف والمجاوزة فان كان كذلك ففيه حجة
لابي حنيفة رحمه الله في قوله ان الشهود اذا شهدوا على حد فضربه الامام فاصابته الجراحات ثم
رجعوا لا يضمنون ما اصابه من الجراحات لانهم لم يشهدوا على ضرب يجرح ويؤثر فيه ما اصابه لذلك
لم يضمنوا وقول عمر لابي بكرة تقبل شهادتك ان تبت فهو محتمل اي لتقبل روايتك عن رسول الله وحديثك
التي شهدتها وقد ذكر ان الحكم والحد في الاية انما جرى في قذف المحصنات دون المحصنين بقوله والذين
يرمون المحصنات الاية لكن قذف المحصن وشتمه ان لم يكن اكثر في الشين واعظم في الوزر لا يكون دونه
في الذكر وان جرى في المحصنات فامكن وجود المعنى الذي به جرى ذلك في المحصنات في المحصن وهو ما قال ان الذين
يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة وهو الايمان والاحصان والعفة لذلك
لزم الحكم في هذا كما لزم في المحصنات وقد ذكرنا ايضا فيما تقدم ان لا يجلد من قذف مملوكا او مملوكة او
كافرة اما المملوك فلقوله والذين يرمون المحصنات وقد ذكرنا الدليل على ان المراد بالمحصنات الحرائر دون

غير هن لذلك لم يجلد قاذف المملوك ولانا لو اوجبنا جلده ثمانين فهو لو اتى بفعل الزنا حد خمسين فلا يجوز
ان يوجب على قاذفه ما به قذف من الجلد اكثر مما يوجب في عين ذلك الفعل لو اتى به فسقط بما ذكرنا
الجلد على قاذف المملوك واما الكافر والكافرة سقط على قاذفهما الحد لما ذكرنا من قوله ان الذين يرمون
المحصنات الغافلات المؤمنات شرط فيه الايمان والاحصان والعفة فاذا عدم واحد مما ذكرنا لم يجب
ولانا لو اوجبنا الحد وجلدناه لقذف عدو الله ولا يجوز ان يجلد مسلم بقذف عدو من اعداء الله
مع ما فيما ذكرنا من المسائل اجماع بين اهل العلم في ذلك والله اعلم وقوله والذين يرمون ازواجهم ولم يكن
لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله روي عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية
قال عبد الله بن عدي الانصاري يدخل منا رجل بيته فوجد رجلا على بطن امرأته ان اراد ان يخرج فيجيء
باربعة رجال شهود ليشهدون على ذلك قد قضى الرجل حاجته وخرج وان هو عجل فقتل قتل به وان هو قال
وجدت فلانا مع فلانة ضرب بالحد ولا عن امرأته وان سكت سكت على غيظ فذكر انه ابتلي بذلك من بين الناس
فاتى رسول الله فاخبره بذلك وقال وجدت فلانا بطنها فارسل رسول الله الى امرأته والى فلان فجمع بينهما وبين
عاصم فقال للمرأة ويحك ما يقول زوجك قالت يا رسول الله انه لكاذب ما رأى شيئا من ذلك ولكنه رجل غيور
قد الك الذي حمله على ان يتكلم بالذي تكلم فكان فلان ضيفا عندنا يدخل ويخرج علي وهو يعلم ذلك فلم ينهنا في عن
ذلك ساعة من ليل ونهار وان يدخل علي فسأله عن ذلك فقال يا عاصم اتق الله في حليلتك ولا تقل الا حقا فقال يا رسول
الله اقسم بالله ما قلت الا حقا ولقد رأيته يغشى على بطنها وهي حبلى وما قربتها منذ كذا وكذا فأمرهما رسول
الله ان يتلاعنا عند ذلك وقال يا عاصم قم فاشهد اربع شهادات بالله انك لمن الصادقين
في قولك عليها ثم قال والخامسة ان لعنة الله عليك ان كنت من الكاذبين ففعل ما ذكر ثم قال للمرأة مثل ذلك
فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين عليها والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين
عليها في قوله فلما تلاعنا وفرغا من اللعان فرق بينهما ثم قال المرأة اذا ولدت فلا ترضعيه حتى تأتيني به فلما وضعت
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ولدته احيمر مثل الدلبس فهو الذي يشبه اباه الذي نفاه وان ولدته اسود ادعج جعدا
قططا فهو يشبه الذي رميت به فلما وضعت اتت به رسول الله فنظر اليه فاذا هو اسود ادعج جعد قطط على
ما نعته رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه الذي رميت به فقال يا رسول الله لولا اللعان والايمان التي سلفت
لكان لي فيها رأي وفي بعض الاخبار انه لما جمع بينهما قال لهما تعالى الله ان الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب
قال عذاب الاخرة اشد من عذاب الدنيا وفي بعض الاخبار ان الاية نزلت في شأن هلال بن امية فذكر فيه
ما ذكرنا والله اعلم ثم في هذا مسائل احدها انه ذكر قذف الازواج وذكر فيه اللعان ولم يبين فظاهر الاية
الزوج والزوجة كافران او حران مسلمان او مملوكان او كيف فعندنا انه اذا كان احدهما كافرا او مملوكا
او كانا جميعا لم يكن بينهما لعان لا ان يكونا جميعا من اهل الشهادة ويحتج في ذلك ان الله جعل على الاجنبي الحر
اذا قذف الاجنبية حرة الحد ثمانين وجعل حد الزوج اذا قذف زوجته وهما حران مسلمان اللعان ثم قد ذكرنا
اجماعهم على ان الحر اذا قذف امة او يهودية فلا حد عليه فلما لم يكن على الحر القاذف للامة من الحد ما على قاذف
الحرة اذا قذف امة لم يكن على زوج الامة من اللعان ما على زوج الحرة واصل هذا ان الله ذكر الشهادة في رمي
الاجنبية المحصنة وابراء القاذف من الحد اذا اتى بها ولم يرها قامة الحد اذا عجز عن اقامتها ثم استثنى من
الشهداء الذين ذكر في قذف الاجنبية شهادة الزوجين بقوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم
اربع شهادات بالله فان لم يدخلوا في تلك الشهادة اذا كانا مملوكين او كافرين او احدهما لم يدخلوا فيما استثنى لان
الثنيا استخرج من تلك الجملة المستثناة وتخصيص لها لذلك بطل اللعان ووجه اخر في الكافرة وهو ان المرأة
تقول في الخامسة عليها غضب الله ان كان من الصادقين وغضب الله يكون عليها بغير شرط فمحال ان يقول
القاضي لها عليك غضب الله بشرط ان كان الزوج صادقا وهم يعلم ان غضب عليها في كل حال لذلك بطل
والمخالف لنا اولى بابطال اللعان بين الحرة والامة والمسلم والذمية منا لانهم يزعمون ان العبد ليس بكفو
للحرة ولا الكافر بكفو للمسلم في القصاص في النفس وفيما دون النفس فكيف جعلوهما في ايمانهما اكفاء لا يما
الاحرار والمسلمين كان يجب ان يقولوا ليست يمين الكافر بمنزلة يمين المسلم فلا يوجبون بينهما اللعان للوجه
فيه ما ذكرنا بدءا ثم المسألة في اباء الايمان اي احد هما الايمان حد عند بعض اهل العلم وهو قول
الشافعي وعندنا انه لا يحد بالاباء فذهب من اوجب الحد بالاباء الى ظاهر قوله ثم لم يأتوا باربعة
شهداء فاجلدوهم واوجب الحد في قذف الاجنبي اذا عجز عن اقامة الشهود ودرأ عنه الحد اذا
اتى باربعة يشهدون فعلى ذلك درأ عن الزوجين الحد اذا شهد كل واحد منهما اربع شهادات بالله فوجب
اذا ابى احدهما الايمان ان يحد اذ بالايمان يدرأ الحد ويوجب اللعان والثاني ما قال ويدرأ عنها العذاب
ان تشهد اربع شهادات بالله جعل الايمان سبب درء الحد عنها فاذا ابت ذلك لزم الحد وعندنا
انه لا يحد بالاباء لانه لم يتبين فيه لانه بالاباء لم يظهر الكذب اذ ليس كل من ابى اليمين يظهر كذبه فيه وانما يحد لظهور
كذبه في القذف وهو لا يعلم لانه لم يظهر بالاباء وانما حد في الاجنبية اذا لم يأت باربعة شهداء لانه

في الظاهر عند الناس كاذب لانه ليس بينه وبين الاجنبية سبب ولا معنى يبعثه على اظهار ما ذكر واما فيما
بينه وبين زوجته سبب ومعنى يحمله على اظهار ذلك وهو الغيرة فاذا كان كذلك وهو في قذف الزوجة في
الظاهر صادق عند الناس للسبب الذي ذكرنا لانه طالب حق قبلها على ما ادعى لا يوطئ فراشه من يكره الا انه
فلو لم يزل صدقه باباء اليمين واما في قذف الاجنبية فهو كاذب في الظاهر لعدم السبب الحامل على اظهار ذلك
الكذب حتى يأتي بما يبين به الكذب وهو الشهود وفي الزوجة على الصدق حتى يظهر بالاباء لذلك افترقا ولان
الحد لا يقام بالاباء اثبته ولان الايمان لا تقابل بشهادة العدول الا ترى ان من شهد عليه شاهد
عدل بحق فحلف هو بايمان لم تكن الايمان تلك الشهادة في سقوط الحق واما قوله ويدرؤ عنها العذاب ان
تشهد اربع شهادات بالله فجائز ان يكون ذلك في تلك المرأة التي في امرها نزلت الاية علم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كذبها بالوحي الا ترى انه قال اذا جاءت به كذا فهو لكذا واذا جاءت به كذا فهو لكذا ثم جاءت
به شبيها بالذي رميت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن علم كذبها حيث قال لولا الا
علم كذبها حيث قال لولا الايمان لكان لي ولها شأن فدرأت تلك المرأة العذاب عنها بالايمان وان يكون العذاب
الذي درء عنها الحبس اذ من قولنا انها اذا ابت اليمين حبست حتى تشهد اربع شهادات بالله او تقر بالزنا ويكذب
نفسه قدر الحبس عنها بالايمان التي ذكروا انما لم نحد بالاباء لان الاباء لا يظهر الكذب كالاقرار ولان
الاباء في الحقيقة اباحة ولو ان انسانا اباح للحاكم ان يقيم عليه الحد لم يقم فعلى ذلك هذا ولما يجوز
ان تأبى عن الايمان صونا لنفسه عن اللعن والغضب الذي ذكر فلم يحد لما ذكرنا ثم مسئلتنا في هذا نذكرها
وان لم يكونا في ظاهر هذه الاية احدهما في الحاق الولد بامه والاخرى في تفريق الحاكم بينهما اذا لاعنا قال
بعض اهل العلم اذا فرغ الزوج من ايمانه وقعت بينهما الفرقة وان لم يفرق الحاكم وقلنا نحن لا يقع الفرقة
بينهما حتى يفرغا من تلاعنهما ويفرق الحاكم بينهما والاخرى في الحاق الولد قال اولئك ايضا اذا فرغ الزوج من
لعانه لحق الولد بامه وان لم تلتعن المرأة والقياس في لحوق الولد ما قال اولئك انه يلحق بفراغ الزوج من اللعان
والقياس في وقوع الفرقة ما قال اصحابنا انه لا يقع الا بعد فراغ الزوجين جميعا وتفريق الحاكم بينهما لان الزوج
اذا شهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فقد الزم امرأته الزنا في الظاهر فاذا ظهر ان الولد ليس منه يجب
لحوقه بالام بفراغه من اللعان واما الفرقة فانها لا تقع بظهور الزنا الا ترى ان امرأة الرجل اذا زنت لا يقع
بينهما الفرقة الا ترى ان دعوى المرأة باقية بعد فراغ الزوج من ايمانه لذلك افترقا والاخبار تدل لمذهب
اصحابنا في المسئلتين جميعا لانه روي عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا لاعن امرأته في زمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفى من ولدها ففرق رسول الله بينهما والحق الولد بالمرأة وعن ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بينهما فرق بينهما وروي في الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لهما الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب قال ذلك لهما ثلاثا فابيا ففرق بينهما وفي بعض الاخبار
قال حسابكما على الله احدكما كاذب لا سبيل لك عليها فان قيل انما فرق بينهما لان الفرقة قد وقعت
بينهما فاخبره النبي انه لا تحل له وقال لا سبيل لك عليها قيل قولكم ان الفرقة قد وقعت بينهما باللعان دعوى
منكم وظاهر الاخبار يشهد لنا وعليهم الخصم ثم يقال لهم الستم تقولون في المولى اذا مضت مدته فارتفعا الى
الحاكم هل تقع الفرقة بينهما اذا امتنع من قربانها ومن طلاقها ما لم يقل القاضي قد فرقت بينكما فان قيل فرقة الايلاء
طلاق وفرقة اللعان غير طلاق عندنا قيل هما عندنا طلاق فان قيل انكم تزعمون فرقة الايلاء تقع بمضي
الاجل فما منع ان يقع الفرقة باللعان بتمام اللعان قيل لم يكن للحاكم في الايلاء صنع فلا يحتاج الى حكمه
وفي الاخر لا يتم اللعان الا بالقاضي فلا تقع الفرقة الا بالقاضي ويقال لهم ما تقولون في رجل ادعى
حقا فاقام عليه شاهدين عند قاض هل يلزم الحكم قبل ان يقول القاضي قد حكمت بذلك فان قالوا
لا يلزم الحكم حتى يقول قد حكمت فيقال ما منع ان اللعان لمثله ويقال لهم ايضا ما تقولون في العنين اجله
الحاكم بينهما فان قالوا لا تقع حتى يفرق الحاكم بينهما قيل ما منع في فرقة اللعان ان تكون كذلك فان قالوا انما
صارت الفرقة لا تقع في العنين والمولى حتى يوقعها الحاكم يقول طلقها او فئ اليها ويقول لامرأة العنين
اختاري في الفرقة او المقام معه فلما كان الحكم ينتظر ما يقول المولى وامرأة العنين لم يقع الفرقة حتى يوقعها
وليس في اللعان شيء ينتظر الحاكم لذلك افترقا قيل بل ينتظر الحاكم تكذيب المرأة نفسها فيحدها
وتكون امرأته وكذلك ان اكذب الزوج نفسه حده وترك عنده امرأته واصله انه لا يقع الفرقة الا بعد
التعانهما جميعا وتفريق الحاكم بينهما لانهما اذا التعنا جميعا عند ذلك يكون احدهما ملعونا لانهما كذب والاستمتاع
بالملعون حرام الا ترى انه روي في الخبر انهما لما التعنا قال لهما انها موجبة اي اللعنة التي ذكرت فانما
يلحق اللعن احدهما اذا التعنا جميعا فاما بالتعان الزوج خاصة فلا يقع فاذا كان كذلك فيحتاج الى ان يفرق
الحاكم بينهما وبطل احدهما من صاحبه لان اللعن الطرد في اللغة وهو عندنا كالعقود التي تفسخ لا يكون
الا بالحاكم نحو ما ذكرنا من العنين والذي يأبى الاسلام وغيرها من العقود فانه لا يقع بينهما الفرقة
الا بالحاكم فعلى ذلك هذا ويروى عن عمر انه قال المتلاعنان يفرق بينهما ثم لا يجتمعان ابدا ثم مسئلة اخرى

انه اذا فرق بينهما باللعان فاكذب الملاعن نفسه يجوز له ان يتزوجها ام لا فعند بعض اهل العلم
ليس له ان يتزوجها احتجوا بما روي عن عمر وعلي رضي الله عنهما المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وعن
عبد الله كذلك وعند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله له ان يتزوجها اذا اكذب نفسه وليس في الخبر
لا يجتمعان ابدا وان لم يكذب نفسه فجائز ان يكون قوله لا يجتمعان ابدا ما داما في تلاعنهما وما قاما
على قوله ولم يكذب نفسه وان كان فيه حجة لمن قال انه قال لا يجتمعان قبل التوبة وبعدها يدل على ما ذكرنا
قوله انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا قوله ولن تفلحوا اذا
ابدا ما داموا في ملتهم لانهم اذا انتقلوا منها فقد افلحوا فعلى ذلك لا يجتمعان ابدا ما داما في تلاعنهما
وما قام الزوج على قوله فاما اذا رجع عن ذلك لهما الاجتماع واجمعوا انه اذا اكذب نفسه وادعى
الولد الحق به فعلى ذلك الشبهة والتلاعن لو اكذب الزوج نفسه بعد اللعان قبل الفرقة لوجب ان يحد ويكونان
على نكاحهما فيجب اذا اكذب نفسه بعد اللعان يحد فله ان يتزوجها ثم فرقة اللعان عندنا طلاق
وهي تطليقة بائنة لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما لاعن بين عويمر وامرأته قال كذبت عليها ان
امسكتها هي طالق ثلاثا فصارت سنة في المتلاعنين فاذا كانت منه الفرقة بين المتلاعنين الطلاق في التي
اوقعه عويمر فالواجب ان يكون كل فرقة تقع باللعان طلاقا ومن الدليل على ذلك ان قذف الزوج كان
سبب هذه الفرقة يكون من الزوج او ان يكون الزوج سببها وتقع بقوله فانها طلاق كالعنين والخلع
والايلاء ونحوه فعلى ذلك فرقة اللعان تطليقة بائنة لان الزوج سببها وتقع به وعلى ذلك جاءت
الاثار عن السلف ان كل فرقة وقعت من قبل الرجال بقول فهي طلاق من نحو ابراهيم والحسن و
سعيد وقتادة وهؤلاء وكذلك يقول اصحابنا ان كل فرقة جاءت من الرجال بقول فهي تطليقة
فان عورض بافعال يكون من الرجال فيقع به الفرقة والحرمة من نحو الجماع ونحو ذلك ليس مما
رضيه لما ذكرنا والله اعلم ثم قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته هذا الحرف مما يقتضي الجواب
ثم يحتمل ان يكون جوابه لولا فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الكاذب منهما ومن الصادق والمذنب
من غيره ويحتمل لولا فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الملعون منهما من غيره لكن لا ينتفع به اذا احدهما
لحقه اللعن الذي ذكر ولا يحل الانتفاع بالملعون الا ترى انه روي في الخبر ان امرأة ركبت ناقة فلعنت
فاستجيب فامرت ان ترفع ثيابها وتخلي سبيلها لكن بفضله ورحمته ستر على الملعون حتى يجوز لغيره
ان ينتفع به وان كان لا يجوز لواحد منهما ان ينتفع بصاحبه ما دامت اللعنة فيهما قائمة وجائز ان يكون
وجه اخر وهو ان يقال لولا فضل الله عليكم ورحمته لاظهر الملعون بينهما ولاحمل العقوبة بين
الزوجين كهي في الاجنبيين وهي الحد ولاظهر الزاني منهما لكن بفضله لم يجعل والله اعلم وقوله وان الله
تواب حكيم جائز ان يكون تواب يقبل التوبة اذا تاب واكذب نفسه فيرتفع اللعن منهما بالتوبة
فاذا رفع اللعن جاز لهما الانتفاع والاجتماع بينهما فيه حجة لقول ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله في
جواز نكاحهما اذا اكذب نفسه حكيم حيث حكم ما حكم بين المتلاعنين وحكيم وضع كل شيء موضعه وفيه
نقض قول المعتزلة في قولهم ان الله لا يفعل باحد الا ما هو اصلح له في الدين وخير اذ لو لم يكن له
ان يفعل غير الذي فعل لم يكن تسميته ما فعل فضلا ورحمة معنى فدل ان له ان يفعل غير الاصلح في الدين
وقوله ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم اي جماعة منكم ثم اختلف في قوله منكم قال
قائلون كانوا من اصحاب عائشة رموها بما ذكر في الاية وقال بعضهم كانوا منافقين من نحو عبد الله
بن ابي رأس المنافقين وحسان بن ثابت وهؤلاء وقال بعضهم كان ذلك من الفريقين جميعا من اصحاب
ابي بكر واقربائه والمنافقين ايضا فان كان ذلك من اصحاب عائشة رضي الله عنها وقرابتها فذلك
يخرج منهم على الغفلة والعثرة ليس على الانتقام والحقد لان القرابات والمتصلين بالرجل لا يقصد
بعضهم بعضا الانتقام والحقد بمثله فاذا كان كذلك فخرج ذلك منهم انه كان مخرج الغفلة والزلة
لا مخرج الانتقام وان كان ذلك من المنافقين فهو على الانتقام وطلب الشين منهم لها وكان
في ظاهر الاية دلالة ان ابتداء ذلك الافك من المنافقين ثم ترتب مع المؤمنين بعد ذلك ويتلقى
بعضهم من بعض حيث قالوا لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا فان كان
ذلك فهو على ما وصفنا ان ذلك من المؤمنين غفلة وزلة وعثرة ومن المنافقين انتقام وطلب
شين والله اعلم وقوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم وقال بعضهم لا تحسبوه شرا لكم لانكم تؤجرون
في الاخرة على ما قيل فيكم من الفحش والقذف بما قرفوا به بل هو خير لكم في الاخرة على ما ذكرنا من الاجر
ويحتمل قوله بل هو خير لكم في الدنيا لما براه الله مما قرفوا به ودفع عنهم مكن ما قرفوا به ووعد لهم
الجنة بقوله اولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم وكان قبل نزول هذه الاية يتوهمهم عند
الناس فيها ممكن احتمال ذلك الفعل الا ترى انه قال في اية اخرى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقال ومن يقنت منكن لله ورسوله الاية كان الامران جميعا

موهوم عنهن عند الناس بحمل ذلك فلما توفت رفع الله ما كان موهوما عند الناس قبل ذلك ووعد لهم
الثواب الكريم والرزق الحسن بقوله اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم فلا شك
ان ذلك خير لهم في الدنيا والاخرة وشر لاولئك الذين رموها حتى لم يتجاسروا بعد ذلك ولا اجترأ
ان يظن فيها ظن السوء فضلا عن ان يقول فيها شيئا وقصة عائشة رضي الله عنها طويلة لكنا نذكر ما كان بنا
الى ذلك حاجة اولا يقال بل هو خير لكم لما انزل الله تعالى لشانهم ايات فيها برآتهم مما قذفوا به تتلى تلك الايات
الى يوم القيمة ولذلك خير لهم والله اعلم وقوله لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم اي اثم ما قذفها به
والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم هو ذلك المنافق الذي تولى ذلك في الناس وله عذاب عظيم فيه دلالة
انه يموت على نفاقه وكذلك مات على نفاقه فلحقه ذلك الوعيد قيل هو عبد الله بن ابي بن سلول والله اعلم وقال
بعضهم والذي تولى كبره اي عظمه من العصبة يعني عبد الله بن ابي بن سلول له عذاب عظيم لانه كان
منافقا وقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا قال بعضهم هلا اذ سمعتوه
قذف عائشة رضي الله عنها تصغوا ان كذبتم به اولئك القذفة بقول الا ظن بعضهم ببعض خيرا وهلا
قالوا هذا افك مبين يقول الله هلا قالوا القذف كذب مبين وعلى هذا يخرج ايضا قوله لولا جاؤا عليه باربعة
شهداء اي هلا قالوا لهم جيئوا باربعة شهداء على قذفكم اياها فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله
هم الكاذبون ويحتمل ان يكون قوله لولا اذ سمعتموه ظننتم بهم ظنا ما يظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا
دون ان قالوا افك مبين او ان يكون التاويل لا يظن احدكم بنفسه اذا كان مع ازواج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكيف ظن بصفوان ذلك اذا كان هو مع ازواجه او ان يقال الم يكن يظن احد منكم بامهاته
ومحارمه ذلك فكيف ظن بازواج رسول الله صلى الله وهن امهاتكم وامهات جميع المؤمنين والله اعلم
وقوله لولا جاؤا عليه باربعة شهداء اي لم يكن لهم بما قذفوا شهداء ولا يجدون على ذلك شهداء
وجائز ان يكون قوله لولا اي لم يكن كقوله فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية اي لم يكن من القرون
من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا والا على تاويل هلا يعد لانه لم يكن لهم شهداء
على ذلك فكيف يأتون وقوله فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون اتوا بالشهداء على امر
عائشة كانوا كاذبين ايضا فدل ان تاويل قوله لولا جاؤا عليه باربعة شهداء اي لم يكن لهم شهداء
فكيف قذفوها والله اعلم وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم فيه
عذاب عظيم هذا يحتمل وجهين لولا فضل الله عليكم ورحمته حيث انزل في قذفكم عائشة بصفوان ايات
في براءتها حتى تبتم عن ذلك والا لمسكم العذاب في الاخرة بذلك والثاني لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم
العذاب ولعاقبكم بما قلتم في عائشة في الدنيا على هذا التاويل العذاب الموعود في الدنيا وعلى التاويل
الاول الوعيد في الاخرة لكن بفضله ورحمته دفع عنكم والله اعلم وقوله فيما افضتم فيه اي خضتم فيه وقال
بعضهم في قوله بانفسهم خيرا اي بامثالهم خيرا تاويله لولا ظن المؤمنون بامثالهم خيرا دون ان يظنوا بهم
شرا وفيما عظم الله عز وجل امر القذف وشدد فيه ما لم يشدد في غيره ولم يعظم وجوه احدها قطع طمع اهل
الفجور والريبة فيهن لئلا يطمع احد منهم في المحصنات والاولاد الكرام ذلك الفضل فقطع طمعهم بما شدد فيه
لئلا يفرقن بينهم ولا يطمع فيهن ذلك والثاني بترك الناس الرغبة في مناكحة المحصنات والاولاد الكرام ويرغبون
فيمن دونهن ويحدث ايضا الضغائن والعداوة بين القذفة وبين المقذوفين بالقذف وقوله ولولا فضل
الله عليكم ورحمته لكان كذا هذا من الله على الايجاب اي قد كان منه ذلك واذا كان مضافا الى الخلق فهو على
انه لم يكن ذلك ولذلك تاويله هلا وعن ابن عباس انه قال في قوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
يقول قال للمؤمنين لولا هلا اذ بلغكم عن عائشة وصفوان ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا يقول
يقول فظننتم بعائشة ظنكم بانفسكم وعلمتم ان الحكم لا تفعل ذلك وكذلك المؤمنة لا تفعل ذلك وقلتم هذا افك
مبين لولا جاؤا عليه باربعة شهداء على قولهم وتصدقوهم على مقالتهم فاذ لم ياتوا بالشهداء كذبتموه فاولئك
عند الله هم الكاذبون وهو قريب مما ذكرنا فيما تقدم وقوله اذ تلقونه بالتشديد اي تقبلونه وتلقونه
بالتخفيف اي تاخذونه من الولق وهو الكذب وكذلك قرات عائشة وقال ابو عوسجة اذ تلقونه اي تقولونه
قال تلقيت وتلقنت واحد ثم قوله اذ تلقونه بالسنتكم من غيركم وتقولون بافواهكم فيما بينكم وجائز
ان يكون جميعا واحدا اي تتكلموا بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي من غير ان تعلموا ان الذي
قلتم من القذف قد كان والله اعلم وقوله وتحسبونه هينا قال بعضهم تحسبون القذف ذنبا هينا وهو عند
الله عظيم في الوزر وجائز ان يكون قوله وتحسبونه هينا في الدين لان القذف يحدث نقصانا في الدين و
والنقصان في الدين عظيم عند الله ويحتمل تحسبونه هينا ثم وعظ الذين خاضوا في امر عائشة فقال ولولا تقول
هلا اذ سمعتموه اي القذف قلتم ما يكون لنا اي ما ينبغي لنا ان نتكلم بهذا الامر وهلا قلتم سبحانك هذا بهتان
عظيم لعظم ما قالوا فيها والبهتان الذي يبهت فيقول ما لم يكن من قذف او غيره وقال ابو عوسجة البهتان
الكذب يقال بهت اي كذب وقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي القذف ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله

لكم الايات في بيان ذلك وبرائتهم او يبين اوامره ونواهيه والله عليم حكيم اي عليم بكل شيء من قول او فعل حكيم
يضع كل شيء موضعه وقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا كان اصل النفاق هم الذين
احبوا ان تشيع الفاحشة والا اهل الاسلام لا يحبون ذلك في المؤمنين لهم عذاب اليم في الدنيا
لنفاقهم وقذف عائشة واما في المؤمنين فهو ما قال يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين
وروي عن عمرة عن عائشة قالت لما نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك
وتلا القران فلما نزل امر برجلين وامراة فضربوا حدهم وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عبد
الله بن ابي وحسان ومسطح بن اثاثة الحد وفي بعض الاخبار وامراة قابضا وهي حمنة لكل واحد ثمانين جلدة
ثم ما ذكر من قذف عائشة انه بهتان عظيم وقوله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ونحوه فجائز ان يكون
ذلك في قذف كل محصنة بريئة دون ان يكون ذلك خصوصا لعائشة وهو كما ذكر في قذف المحصنات والذين
يرمون المحصنات الاية وقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا هذا يحتمل وجهين احدهما
يشيعون الفاحشة ويذيعونها في الذين امنوا هم الذين تولوا اشاعتها واذاعتها فيهم لهم ما ذكر من
العذاب الاليم والثاني يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا ليكونوا ذلك ذريعة لهم في المؤمنين
فيقولون ان دينكم لم يمنعكم من الفواحش والمنكر لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة لانهم كانوا منافقين
منهم كان اول بدا القذاف ومنهم شاع لذلك كان لهم هذا الوعيد وقوله والله يعلم وانتم لا تعلمون اي
والله يعلم حقائق الاشياء وانتم لا تعلمون حقائقها وفيه دلالة تعليق الحكم بالظواهر دون تعليقه بالحقائق
وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم لم يذكر جواب قوله ولولا فضل الله عليكم
ورحمته فجوابه ما ذكر في قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا بفضله يزكو من زكا
ورحمته يصلح من صلح لا بفعله من نفسه وقوله يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان فانه يامر
بالفحشاء والمنكر نهى المؤمنين ان يتبعوا خطوات الشيطان ولم يبين خطوات الشيطان لكنه قال ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر فجوابه ان يقول فان خطواته كذا او لم يقل ايضا ومن
يتبع خطوات الشيطان فانه يفعل الفاحشة ولكنه قال فانه يامر بالفحشاء والمنكر لكن جوابه ما قال في
اية اخرى وما قال في اية اخرى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات
الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء الاية اخبر ان من اتبعه امره بالفحشاء والمنكر
خطوات من الخطوة والخطوة وهما من رفع القدم ووضعه واصله نهي عن اتباع اثاره وقوله ولولا فضل
الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء التزكية يحتمل التوفيق والعصمة يزكون
بما ارسل اليهم من الكتب والرسل والعصمة اشبه وفيه نقض قول المعتزلة لانه اخبر ان زكا انما يزكو
بفضله ورحمته وهم يقولون لو فعل بهم غير الذي فعل كان جائزا عندهم فعلى قولهم ليس بمتفضل
ولكن عادل لانه فعل ما عليه ان يفعل فعلى قولهم لا يكون متفضلا ولكن عادلا اذ لم يبق في الشاهد
من فعل ما عليه ان يفعل متفضلا وعلى قولهم انه قد اعطى كلا ما به يزكون ويصلحون لكنهم لم يزكوا هم فعلى
قولهم لم يزك من زكا به ولكنه انما زكى بما اعطاه له فقد اخبر ان من زكا انما زكا به وانه قد ابقى عنده
ما لو اعطاهم ذلك لزكوا وقد اعطى ذلك من زكا وصلح ولم يعط من لم يزك وقوله والله سميع عليم اي
سميع لاقوالهم وعليم لافعالهم واصله ما ذكر يعلم ما يسرون وما يعلنون وقوله ولا ياتل اولوا الفضل
منكم والسعة قال بعضهم قوله ولا ياتل اي ولا يحلف وهو يفتعل من الايلاء وقال ابو عوسجة لا ياتل اي
لا يعجز ولا يقصر يقال ائتلى ياتلي والا يالو الوا وهو التقصير وترك المبالغة ثم يحتمل قوله اولوا الفضل
منكم اي من له الفضل والسعة ويحتمل اولوا الفضل من له الافضال والمعروف وترا اولي القربى والمساكين
والمهاجرين في سبيل الله ذكر اهل التاويل ان ابا بكر كان حلف ان لا ينفع مسطحا بنافعة وكان قريبه بما تكلم
في عائشة فانزل الله النهي عن ذلك فقال ولا ياتل اولوا الفضل منكم لكن الاية وان نزلت في امر ومعنى
كان من ابي بكر فان غيره من الناس يشترك في معنى ذلك وفي ذلك النهي وكذلك ما قال في اية اخرى وهو قوله
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم لا يتذكران قوما كانوا يحلفون ان لا يبروا الناس ولا يصلحوا بذلك
ان يكون حلفهم في ذلك عذرا لهم في ترك الاتفاق عليهم والتعاون والاصلاح بين الناس فنهوا عن
ذلك وذلك اليمين ولمن كان في معناهم ليس لهم خاصة فعلى ذلك قوله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة
الاية وان كان في ابي بكر فهو فيه وفي الذين في معناه وان كان حلف هذا بترك الاتفاق لاساءة وكانت منهم اليهم
والاقول على ابتداء الاساءة كانت منهم اليهم وكذلك هذه الايات نزلت لنازلة كانت في عائشة وصفوان
فانما نزلت لتلك النازلة لمعنى لا نزلت لانها كانت عائشة او ابو بكر ولكن لمعنى يجل من وجد ذلك المعنى
فيه يشترك في ذلك ويجعل كان هذه الايات كلها نزلت فيه وهو ما قال ان الذين يرمون المحصنات الغافلات
المؤمنات فكل محصنة مؤمنة غافلة بريئة مما رميت به دخلت في الاية وكل رامي محصن مؤمن فلم يرتبما رمي
به في الاية لوجود المعنى الذي نزلت الاية وعلى ذلك القران اذا نزل بسبب بالمرنا زلة لمعنى يشترك

من وجد فيه ذلك المعتق فيه شرك في ذلك الحكم فعلى ذلك ما نزل في ابي بكر من النهي بترك الانفاق وما عوّده من اصطناع المعروف اليه لما كان منه اليه من الاساءة ثم امره بالعفو والصفح وهو قوله وليعفوا وليصفحوا اي اعفوا عن اساءته واصفحوا اي لا تذكروا عفوكم اياه عن اساءة ولا تذكروا زلته ايضا لان ذكر العفو يخرج مخرج الامتنان كقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اخبر ان المن يبطل الصدقة وذكر الزلة يخرج مخرج التعيير فامر بالعفو والصفح وهو ظاهر والصفح ما ذكرنا من ترك ذكر العفو والزلة والاساءة جميعا والله اعلم وقوله الا تحبون ان يغفر الله لكم اي قد تحبون ان يغفر الله لكم ما كان منكم اليه من الاساءة اليكم ذلك فاعفوا عمن اساء اليكم والله غفور رحيم وقوله ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات قد ذكرنا ان المحصنات ههنا من الحرائر والغافلات هن بريئات من الفاحشة المؤمنات ظاهر وقوله لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم كان الاية نزلت في المنافقين الذين كانت منهم ابتداء القذف واشاعة في الناس لذلك ذكر فيهم اللعن والعذاب العظيم فهو كما قال ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم في الدنيا والاخرة والمؤمن لا يحب شياع الفواحش في المؤمنين انما ذلك عادة المنافقين ثم اللعن في الدنيا هو الحد الذي ضرب وفي الاخرة العذاب الاليم في الدنيا والاخرة وعظم كانه ذكر اللعن والعذاب الاليم اذا لم يتوبوا وماتوا على النفاق فقد ذلك يكون لهم ما ذكر ويدل لما ذكرنا ان الاية في المنافقين قوله يوم تشهد عليهم الاية وانما تشهد هذه الجوارح على الكافر لا نكاره بالشك واما المؤمن فانه يقر بذلك كله لا يحتاج الى ان تشهد عليه الجوارح وهو ما قال اليوم نختم على افواههم الاية ونحوه كانهم ينكرون ذلك في الاخرة كما انكروا في الدنيا كقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم اخبر انهم يحلفون لله في الاخرة كما كانوا يحلفون لرسول الله في الدنيا فتجاوز السنتهم تشهد عليهم سائر الجوارح اذا انكروا وهو ما قال في اية اخرى شهد عليهم سمعهم الاية وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا الاية يكون شهادة الالسن بعد ما انكروا منهم ذلك وحلفوا فعند ذلك تشهد عليهم السنتهم والله اعلم وقوله يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يؤمنون به جميعا يومئذ ويقرون بالحق لكن لا ينفعهم ايمانهم يومئذ كقوله لا ينفع نفسا ايمانها ويعلمون ان الله هو الحق المبين اي يعلمون ان ما دعاهم الرسول اليه من توحيد الله والاقرار بالربوبية له والالوهية هو الحق المبين اي بين ذلك والحق المبين ما يبين ما يؤتى مما يتقى وما يحل مما يحرم وقوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات اختلف فيه قال بعضهم الخبيثات من الكلمات للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من الكلمات وقال مجاهد هو القول التي والقول الحسن فالحسن للمؤمنين والتي للكافرين وذلك ما قال الكافرون من كلمة طيبة فهي للمؤمنين وما قال المؤمنون من كل خبيثة فهي للكافرين كل بريء مما ليس له نحو من الكلام ثم قال اولئك يعني عائشة وصفوان مبرؤون مما يقول اولئك القذفة لهم مغفرة ورزق كريم اي حسن فابن عباس صرف الاية الى عائشة وصفوان والى قذفتهم وذلك محتمل وهو قريب من الاول وقال بعضهم الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال لكن هذا يتوجه الى التناكح شرعا ووجودا اما الشرع نهى المؤمنين عن نكاح المشركات بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة فالمشركات من الخبيثات فهن للخبيثين منهم وهم المشركون وكذلك الزانيات للزناة منهم والمؤمنات هن الطيبات فهن للمؤمنين وكذلك المحصنات الغافلات هن الطيبات فهن للمحصنين من اهل العفاف والصلاح هذا هو شرع واما الوجود فهو ما صار ازواج المنافقين والكفرة على كفر ازواجهن والسب لرسول الله والاذى له وذلك لخبثهن وكفرهن وموافقة ازواجهن فلو كن طيبات لكن لا يصبرن على ذلك كما لا تصبر المؤمنة بكفر زوجها والزوج بكفر امراته ومن صبر على ذلك انما صبر لخبثه فبعضهم لبعض اكفاء الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات وكذلك الطيبات والطيبون والله اعلم وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ان الكلمة الخبيثة لتكون في جوف الرجل الصالح فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الخبيث فيضمها الى ما عنده من الشر وان الكلمة الصالحة ليكون في جوف الرجل الخبيث فلا يكون لها في قلبه مستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الصالح فيضمها الى ما عنده من الخير ثم تلا عبد الله الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات وقال بعضهم قوله ان الذين يرمون المحصنات الى قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين انزلت في المنافقين الذين قذفوا عائشة بنت عبد الله ابي واصحابه وكان قذفها منافقون ومؤمنون وهو ما ذكرنا ان المؤمنين لم يقصدوا قذفها ولكن كان ذلك زلة منهم او غفلة واما المنافقون فقد قصدوا ابتداء القذف والفرية فاوجب للمنافقين الحد واللعن والعذاب العظيم على ما ذكر لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم ولهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة واما المؤمنون فقال لهم لولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لمسكم فيما افضتم به عذاب عظيم وقال بعضهم فضله الاسلام ورحمته القران اي لولا ذلك لعذبكم كما عذب اولئك ثم قال الخبيثات من القول للخبيثين من الناس نحو ما ذكرنا اولئك الا انه زاد فيه من القول والعمل وذلك كله قريب بعضه ببعض والله اعلم بذلك وقال ان الرجل الصالح يتكلم بالكلمة العوراء فيقول القائل قال فلان كذا وكذا فيقول الاخر ما هذا من كلام فلان وروي عن كعب بمثل قول عبد الله قال ان الكلمة الخبيثة تخرج من لسان العبد فتصعد الى السماء فلا تفتح لها ابواب السماء وترجع الى الارض فلا تجد لها مستقرا وتذهب الى البحور فلا تجد لها فيها مكانا فتقول ما اجلني موضعا اسكنه غير الموضع الذي جئت منه فترجع

للطيبين لا غير وجائز ان يكون الخبيثات هي الدركات التي تكون في النار للذين عملوا اعمالا خبيثة في الدنيا والطيبات هي الدرجات التي تكون في الجنة مقابل الذين عملوا في الدنيا اعمالا طيبة فالدرجات في الجنة للطيبين الذين عملوا الطيبات في الدنيا والدركات في النار للذين عملوا الفتن والمعاصي في الدنيا

الصاحبها

الى صاحبهم ثم تلا كعب هذه الاية الخبيثات للخبيثين الاية وقوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها روي عن عبد الله بن عباس انه كان يقرؤها حتى تستأذنوا وتسلموا على اهلها وقال تستأنسوا وهم من الكاتب وقال بعضهم الاستيناس الاستيذان وقال بعضهم الاستيناس الاستعلام وهو ان يطلب من اهل البيت الاذن بالدخول والاستيذان هو طلب الاذن منهم للدخول وروي عن ابي ايوب قال قلنا يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه فما الاستيذان قال الان يرفع صوته بالتحميد والتسبيح والتكبير ليؤذن للدخول فان ثبت هذا فهو الى الاستعلام اقرب وهو قوله فان انستم منهم رشدا اي علمتم ثم قال بعضهم قوله حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها على التقديم والتاخير اي حتى تسلموا وتستأنسوا وهو ان يبدأ فيقول السلام عليكم ورحمة الله أادخل ام لا ثم يستأذن وهو ما روي السلام قبل الكلام ولكن الاستيذان للدخول فاذا اذن بالدخول فدخل فعند ذلك يسلم عليهم كقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية فانما امر بالسلام بعد الدخول فعلى ذلك هذا يستأذن للدخول فاذا اذن له فدخل فبعد الدخول يسلم عليهم لانهم لو سلم اولا ثم استأذن احتاج الى ان يسلم ثانيا اذا دخل فهذا الذي ذكرنا اشبه بعمل الناس وظاهر الاية والله اعلم ثم قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم لم يرجع الى المساجد ونحوه بل يرجع ذلك الى بيوت مسكونة فذلك يدل لقولنا ان من حلف ان لا يدخل بيتا فدخل المسجد لم يحنث وقوله ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون اي ذلك الاستيذان والتسليم خير لكم من ترك الاستيذان لانه ترك التادب بما ادبه الله وعلمه لعلكم تذكرون اي تتعظون بادب الله وروي في بعض الاخبار ان من دخل بيتا بغير اذن قال له الملك الموكل به عصيت واذيت فيسمع صوته الخلق كلهم غير الثقلين ويصعد صوته الى السماء الدنيا فيقول ملائكة السماء اف لفلان عصى ربه واذى وقوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم هذا يدل على ان الاستيذان وطلب الاذن لا لحق انفسهم خاصة ولكن لانفسهم ولما لهم في البيوت من الاموال لانه قال فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها ما لم يأذن لهم بالدخول فيها وان لم يكن فيها احد حتى يأذنوا وباب الاموال والمنازل بالدخول فيها ليعلم ان النهي عن الدخول للانفس والاموال جميعا لان الناس يتخذون البيوت والمنازل صونا للانفس والاموال جميعا فكما يكرهون اطلاع غيرهم على انفسهم وعيالاتهم فلا يطيب انفسهم ايضا على اموالهم وامتعتهم فلا يدخل الا باذن من اهلها والله اعلم وقوله وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم ذكر في بعض الاخبار ان الاستيذان ثلاث من لم يأذن له فيهن فليرجع اما الاول فيستمع الحي واما الثانية فياخذون حذرهم واما الثالثة فان شاؤوا اذنوا وان شاؤوا ردوا وقيل لا تقعدن على باب قوم ردوك عن بابهم فان للناس حاجات ولهم اشغال والله اعذر العذر وفي بعضها وما تنقم من شيء يا ابن ادم هو ازكى لكم وقوله هو ازكى لكم لانه اذا لم يؤذن بالدخول فقعدوا على بابهم ولم يرجعوا اورث ذلك معاني تكره احدها تهمة على اهل الدار على ما يقعد على ابواب اهل التهم من الشرطي وغيره فذلك مكروه عند الناس والثاني يكون للناس اشغال وحاجات في منازلهم وخارج المنازل فان انتظروا وقعدوا على بابهم ضاق بذلك ذرعهم وشغل قلوبهم ذلك فلعل حاجاتهم لا تلتئم لشغلهم به لذلك كان الرجوع ازكى لهم وخيرا لهم من القعود على الباب والانتظار والله اعلم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاستيذان ثلاث فان اذن لك فيهن والا فارجع وقال بعضهم معناه وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يقول ان تسكت عنكم فلم يؤذن لكم فقد قيل لكم ارجعوا وان لم يقولوا بالسنتهم ارجعوا وقوله والله بما تعملون عليم وعيد كقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ثم الاستيذان على محارمه لازم وان كان يجوز له ان ينظر الى شعر ذات محرمه ووجهها فانه منهي عن النظر الى ما سوى ذلك من عورتها لما تخفي ان يبدو من عورة المراة ان دخل عليها بغير اذن روي ان رجلا سال نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اخدم امي وافرشها استأذن عليها قال نعم فسأله ثلاثا فقال له ايسرك ان تراها عريانة قال لا فاستأذن عليها وكذلك روي عن حذيفة ان رجلا سأله فقال استأذن على اختي فقال ان لم تستأذن عليها رأيت ما يسوءك وكذلك قال ابن مسعود وابن عباس عن احدهما في الام وعن الاخر في الاخت لكن امره في الاستيذان على هؤلاء اسهل وايسر من امر الاجنبية اذ كان مطلقا له ان ينظر الى شعر محرمه ووجهها والله اعلم وقوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة يحتمل قوله بيوتا غير مسكونة وجهين احدهما بيوتا غير محتملة للسكنى وهي الخربات والموضع التي تقضى فيها الحوائج وكذلك ذكر في حرف حفصة بيوتا غير معمورة لكم فيها منافع والثاني بيوتا مسكونة محتملة للسكنى الا ان اهلها لم يسكنوها لنزول الناس فيها وهي نحو الخانات والرباطات التي تكون للمارة وعلى ذلك روي في الخبر انه لما نزل اية الاستيذان قالوا ابو بكر يا رسول الله فكيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة وبين المدينة والشام ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وذكر في حرف ابن مسعود ليس عليكم جناح في بيت ليس فيه ساكن ان تدخلوه وقوله فيها متاع لكم ان كان ذلك البيوت الخانات والبيوت التي ينزل فيها اهل السفر فيكون قوله فيها متاع لكم اي فيها منفعة لكم من الدفء في الشتاء والظل في الصيف ودفع الحر في ايام الحر ودفع البرد في ايام البرد وان

كان البيوت هي الحوانيت والقباب والسمعات التي كانوا يضعون في الطهور للقضاء الحوايج فيكون قوله فيها متاع
لكم اي الخلاء والبول والله اعلم وقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قال ما تبدون من الاسلام وما تخفون
منه او في كل شيء كقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون يذكر هذا ليكونن ابدا على حذر وخوف والله اعلم
وقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم روي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا علي ان لك كنزا في الجنة وانك ذو قرنيها فلا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الاخرة
وعن النبي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن ادم لك اول نظرة فاياك الثانية وعن جرير
قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فامرني ان اصرف بصري وعن ابن عباس قال يغضوا ابصارهم
عن شهواتهم فيما يكره الله ثم يحتمل قوله يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وجوها ثلاثة احدها
غضوا ابصارهم لكي يحفظوا فروجهم فان حفظ الفرج انما يكون بغض البصر وحفظه والثاني ويغضوا ابصارهم
عن النظر الى من لا يحل من الاجنبيات لان النظر الى المحارم يحل ويحفظوا فروجهم عن الكل من المحارم والاجنبيات
الا الذين استثناهم في اية اخرى والثالث غضوا ابصارهم عما في ايدي الخلق ولا يفتحوا لها الى ما في ايديهم
كقوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية وقوله ذلك ازكى لكم اي اطهر لهم وادعى لهم الى
الصلاح من النظر وعلى هذا يخرج قوله وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وقوله
ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال الا ما ظهر الرداء والثياب وعن
ابن عباس قال الا ما ظهر منها الكحل والخاتم وفي رواية اخرى الكف والوجه وعن عايشة قالت الا ما ظهر منها القلب
والفتخة وهي خاتم اصبع الرجل وعن عبد الله الزينة زينتان زينة باطنة لا يراها الا الزوج فاما الزينة الظاهرة
فالثياب والباطنة فالاكليل والسواد والخاتم فان كان التاويل ما روي عن ابن مسعود حيث خص من الثياب
وغيره ففيه دلالة ان لا يحل النظر الى وجه امراة اجنبية وان كان ما قال ابن عباس ففيه دلالة حل النظر الى
وجه المراة لا بشهوة وان كان ما قالت عايشة من القلب والفتخة ففيه دلالة جواز النظر الى الكفين والقدمين
لانهما ظاهرتان باديتان الا يرى انهما من الظواهر في فرض غسل الوضوء وان كان ذلك ففيه دلالة جواز صلوتها
مع ظهور القدم وجايز ان يكون النظر الى وجه المراة حلالا اذا لم يكن بشهوة لكن غض البصر وترك النظر
اوفق وازكى كقوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان
يعرفن انهن حراير فلا يؤذين كما تؤذى الاماء والذي يدل ان للمراة ان لا تغطي وجهها ولا ينبغي
للرجل ان يتعمد النظر الى وجه المراة الا عند الحاجة اليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه
انما لك الاولى وليست لك الاخرة وفي بعضها الاولى لك والاخرة عليك لا تركا نة انما يتعمد النظر في الثانية
لشهوة تحدث في قلبه واذنه للذي يريد ان يتزوج امراة ان ينظر اليها يدل على ان نظر الرجل الى وجه المراة غير
حرام لانه لو كان حراما لم ياذن فيه النبي لاحد وترى والله اعلم ان النظر الى وجه المراة ليس بحرام اذا لم يقع في
قلب الرجل من ذلك شهوة فاما اذا وجد لذلك شهوة ولم يامن ان يؤديه ذلك الى ما يكره محظور عليه ان ينظر اليها
الا ان يريد به معرفتها والنكاح فانه قد رخص في ذلك روي ان المغيرة اراد ان يتزوج امراة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذهب فانظر اليها فانه احرى ان يودم بينكما وقال في بعض الاخبار اذا خطب احد
كم المراة فلا باس ان ينظر اليها اذا كان انما ينظر اليها للخطبة وان كانت لا تعلم واحسن المشايخ وافضل لها ان
تستر وجهها ويديها عن الرجال ليس ان ذلك حرام والنظر اليها للخطبة ولكن لما يخاف في ذلك من حدوث الشهوة
ووقوع الفتنة بهن فاذا لم يكن للناظر في ذلك شهوة بان كان شيخا كبيرا او كانت المراة دميمة او عجوزة
فانه لا يحظر النظر الى وجوه امثالهن ولا ينظر الى ما سوى ذلك واصله قول الله تعالى قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين ومما يدل على ان الوجه
والكفين جايز ان لا يكون بعورة بان المراة لا تصلي وعورتها مكشوفة ويجوز ان تصلي ووجهها ويداها و
رجلاها مكشوفة فاذا كان كذلك دل ذلك على ان النظر الى ذلك جايز اذا لم يكن ذلك لشهوة دخل في ذلك
معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان لان زناء العين لا يكون الا النظر لشهوة فاما كان
لشهوة دخل في ذلك معنى قول رسول الله وروي في الخبر عن رسول الله عليه وسلم ما يدل على ان الوجه و
الكفين ليسا بعورة ما روي عن عايشة قالت دخلت على اختي اسماء وعليها ثياب شامية رقاق وهي ليومئذ
عندكم صفاق فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذه ثياب لا تحبها سورة النور فامرها فاخرجت
فقلت يا رسول الله تراد تني فقلت لها ما قلت فقال يا عايش ان الحرة اذا حاضت لا ينبغي ان يرى الا وجهها
وكفاها فان ثبت هذا عنه فهو يبين ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وقل للمؤمنات يغضضن من ابصار
هن ويحفظن فروجهن قد ذكرنا ان المراة لها النظر الى الرجال من غير محرمها كما يكره للرجل الى المراة الاجنبية
الا ترى انه روي ان اعميين دخلا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعض ازواجه عنده عايشة
واخرى فقال لهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قوما فقالت انهما اعميان يا رسول الله فقال لهما
ما وان كانا اعميين فانتما لستما باعميين او كلام نحو هذا فدل انه ما ذكرنا وعلى ذلك اخبار روي عن خالد بن

الفتخة بالتحريك خاتم من فضة لا فص فيها فاذا كان بها فص فهو الخاتم والجمع فتخ وفتخات وربما جعلتها المراة في اصابع رجليها صحاح

معدان قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحل لامراة يؤمن بالله واليوم الاخر ان تبيت في مكان
تسمع فيه نفس رجل ليس بمحرم لها ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر ان يبيت في مكان يسمع نفس امراة ليست
له بمحرم وفي بعض الاخبار انه لم يرخص للمراة ان يرى غير ذي محرم منها الا الوجه والكف وما ظهر
وقبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كوع عايشة وقال هذا وعن الحسن انه قال في قوله الا ما ظهر
منها الوجه وما ظهر من الثياب فان ثبت ما ذكرنا من المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث رخص
النظر الى الوجه والكف لقوله الا الوجه والكف استثناء الوجه والكف من بين ساير الجوارح كان ذلك تفسيرا
لقوله الا ما ظهر منها كانه قال ولا يبدين زينتهن للاجنبيين الا ما ظهر منها وهو الكحل والخاتم ثم الكحل
يكون في الوجه والخاتم في اليد فذكر الزينة الحلي وما ذكره القوم فدل ان المراد بذكر الزينة مواضع الزينة
لا نفس الزينة والحلي ثم رخص للاجنبيين النظر الى بعض مواضع الزينة وهو ما ظهر منها من الوجه والكف ولم
يرخص ما خفي منها وما بطن ثم استثنى المحارم منها ورخصهم نظر الى ذلك بقوله ولا يبدين زينتهن الا
لبعولتهن او ابائهن الى اخر ما ذكر ثم مواضع الزينة الخفية منها الصدر ومنها الاذنان وهما في الراس
ومنها الساق ثم جميع بين الاب ومن سمى معه وبين الزوج في النظر الى زينة المراة ولا خلاف في ان الاب
لا يجوز له ان ينظر عورة من ابنته الا الى راسها وفي الراس الاذنان وقد يكون فيهما القرط ونحوه واذا
جاز له ان ينظر الى راسها ولا خمار عليها فله ان ينظر الى صدرها وهو موضع الزينة لانه مما يغطيه الخمار و
ينظر الى ذراعيها وموضع الخلخال من قدميها ورجليها وهو مواضع الزينة الباطنة التي لا يجوز للاجنبي النظر اليها
ثم النظر الى الوجه احق ان يحرم النظر اليه للاجنبي من الراس وغيره من مواضع الزينة لان الوجه يجمع فيه
المحاسن وغيره من مواضع الزينة ليس فيها محاسن لكن انما حرم النظر الى هذه المواضع لانها عورة في نفسها
فالنظر الى العورة حرام للاجنبي ولان النظر اليها اعني مواضع الزينة لا يكون الا للشهوة والنظر الى الشهوة
حرام اليها فاما المحارم منها فانهم لا ينظرون الى هذه المواضع منها لشهوة ولا يقصدون به ذلك البتة فا
فابيح لهم النظر اليها لحاجة وكل من يخشى من المحارم النظر اليها لشهوة لا ينظر اليها وكذلك الاجنبي حيث ابيح النظر
الزينة الظاهرة فان خشي به الشهوة لم ينظر اليها ثم غيرها من العجوزة لا يحل لاحد النظر اليها الاب وغيره
الا للزوج خاصة وللمولى الى مملوكته وهو ما قال والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم استثنى الازواج وضرورة والمولى من بين غيرهم لان النظر الى ذلك لا يكون الا للشهوة لا يقع فيه
حاجة فلا يباح ذلك الا لمن له قضاء الشهوة والوطي وهو الزوج والمولى فانقسم العورة الى جهتين جهة
يحل المحارم منها النظر اليها لحاجة تقع لهم وجهة لا تحل لهم الا للازواج لما لا يقع لهم حاجة ولا ضرورة
بالنظر الى ذلك الا ترى ان الامة ينظر الى شعرها وذراعيها وساقيها وصدرها اذا اراد شراءها فلا ينظر
الى ما سوى ذلك فاذ جاز للاجنبي ان ينظر اليه من الامة جاز لمحرمها النظر الى ذلك من المراة للحاجة التي
ذكر في الاية المحارم جميعا الا الاعمام والاخوال قال قال بعضهم انما لم يذكرا في هذه الاية لانهما تحل لابنيهما بالنكاح
فكره ان تصفها لابنيهما ولهذا كره من كره للمراة المسلمة ابداء الزينة الخفية للكافرة من اليهوديات والنصرانيات
لما لعلها تصف ذلك للمشركين فيرغبون فيها ويتكلفون ذلك وصرف قوله او نسائهن اي المسلمات
لكن جايز عندنا ان العم والخال انما لم يذكرهما للكثرة والتطويل لما يكثر ذلك او لما ذكر من اجناسهم
وامثالهم فذكر الرخصة في امثالهم كافية وقوله عز وجل او نسائهن يحتمل النساء يختلطن بهن او
نساء قراباتهن وارحامهن او النساء اللاتي يتوافقن في دينهن وهن المسلمات على ما قاله اولئك
وقوله عز وجل او ما ملكت ايمانهن قال قايلون او ما ملكت ايمانهن كقوله الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم ونحوه وقال قايلون الاماء والعبيد جميعا فان كان المراد به الاماء فهو ظاهر وان كان المراد به
الامة والعبد ففيه اباحة نظر العبد الى شعر مولاته على ما يقول له بعض الناس والاشبه ان يكون
المراد به والله اعلم الاماء دون العبيد ما ذكر في اخر الاية او التابعين غير اولي الاربة من الرجال والعبيد
من الرجال او ذكر التابع والتابع وان كان خصيا او معتوها على ما قالوا فانه لا يحل لهؤلاء النظر الى
تلك المواضع على حال فعلى ذلك العبد فيكون الدخول عليهن مضمر في الاية وكن النساء متاهبات وقت
دخول العبيد والتابعين عليهن لانه ذكر المتابعين وهم تابعوا الازواج ووقت دخول هؤلاء يكون
معلوما عندهن فيتاهبن لهم ويستترن والله اعلم بذلك الا ترى لا يحل للمراة ان تسافر بعبدها لانه
انه ليس بمحرم لها فكذلك لم يحل له النظر الى شعر مولاته فان قيل ما معنى ذكر لمائهن ونسائهن وكل النساء يجوز
لهن النظر الى المراة والى هذه المواضع التي ذكرنا قيل خص الله عز وجل بالذكر امائهن ونسائهن دون
نساء الاجنبيات ثابا وثيابا لا خطرا وذلك ان المراة قد يضيق عليها ان تستتر من امتها ونساء اهل بيتها لكثرة
رؤيتهن لها وقد تقدر ان تستتر من الاجنبية محاسنها وزينتها لقلة رؤيتها لها الا ترى انه قد نهى المراة
ان تضرب برجلها ليعلم ما تخفي من زينتها وفي ذلك صيانة للرجل والمراة وابعاد لهما ما يحذر عليهما ويخاف
فليس ببعيد ان يجعل نهيه المراة ان تظهر زينتها ومحاسنها للاجنبية لما يخاف على الاجنبية من فساد

الكوع طرف الزند الذي يلي الابهام شرح

قلبها وحدوث الشهوة لها صيانة للنساء والرجال جميعا وابعادا لهم من الريبة ولئلا تصفها لرجل فيفتتن بها و يتكلف الوصول اليها والله اعلم وقوله عز وجل وليضربن بخمرهن على جيوبهن روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لما نزلت هذه الاية اخذ النساء ازرهن فشققنها من قبل الحواشى فاختمرن بها و عن ابن عباس وليضربن بخمرهن على جيوبهن يقول وليشددن بخمرهن على جيوبهن يقول ليرخين بخمرهن على الصدر والنحر فلا يرين منها شيئا قال وكن النساء قبل هذه الاية انما يبدلن خمرهن سدلا من ورائهن كما يصنع النبط فلما نزلت هذه الاية شددن الخمر على النحر والصدر و فى الاية دلالة ان درع النساء كانت ذات جيب لان الجيب انما يكون للدروع وذلك كان لباس النساء وقد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه نهى الرجال عن لبسة النساء وانه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء وروى انه لعن الرجل يلبس لبسة المراة والمراة تلبس لبسة الرجل و عن ابن عباس لعن النبى المؤنثين من الرجال والمذكرات من النساء وكانه مكروه للرجل والله اعلم ان يلبس فرا عزوحدها لا قميص تحتها لان ذلك لباس النساء الا ان يكون لها شق ذيل فخرجت من لبس النساء ولم يكره للرجال والله اعلم وقوله عز وجل ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها جائز ان يكون قوله الا ما ظهر منها انما يباح النظر الى الوجه للحاجة واما على غير الحاجة فلا يباح لما ذكرنا من قوله يدنين من جلابيبهن الاية وقوله الا ما ظهر منها جائز ان يكون قوله الا ما ظهر منها انما يباح النظر الى الوجه للحاجة واما على غير الحاجة فلا يباح لما ذكرنا من قوله يدنين من جلابيبهن الاية وقوله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن فعلى ذلك ترك النظر الى وجه المراة اطهر للنساء والناس جميعا فلا يباح ذلك الا عند الحاجة اليه وهو معرفتها لتقيم الشهادة فان قيل الميل لنظر يسع الى مواضع الزينة الخفية للاجنبى للتداوى بها قيل يسع ذلك للضرورة واما للحاجة فلو وسألنا فى الحاجة ليست فى الضرورة ثم قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الى اخر ما ذكر جائز ان يكون المراد برخصة النظر الى الزينة هؤلاء المسمين فى الاية ورخصة النظر الى نفس الزينة فى موضع الزينة لا موضع الزينة فيدخل فى هذه الرخصة من ذكر من التابعين غير اولى الاربة من الرجال ونحوه لان الزينة فى الصدر وما ذكر انما تكون من وراء ثياب تكون على الصدر ثم رخص النظر للمحارم الى مواضع الزينة الخفية لغير هذه الاية او ان يكون رخصة النظر للمحارم الى مواضع الزينة ولغير المحارم من المماليك والتابعين غير اولى الاربة ومن ذكر رخصة الدخول عليهن فيكون فى الاية اضمار الدخول كانه قال ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ومن ذكر من المحارم ولا يدخل عليهن الا العبيد والتابعون ومن ذكر من غير اولى الاربة فيكن فى وقت دخول هؤلاء متاهبات لان وقت دخول هؤلاء يكون معلوما تعرفن فيتأهبن لهم لان العبيد انما يدخلون على قياداتهم ومواليهم عند حاجتهن اليهم والتابعين ومن ذكر انما يدخلون اذا دخل ازواجهن عليهن فيتأهبن لذلك ومثل هذه الاضمار جائز فى الكلام ويبين ذلك بالشيا كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم دل قوله غير محلى الصيد انه قد كان الصيد مذكورا فيه مرادا اذ لو لم يكن مذكورا لم يكن استثنى منه فعلى ذلك جائز ان يكون فى الاول اضمار الدخول فيه لهؤلاء الذين لا يحل لهم النظر الى مواضع الزينة منهن ورخصة الابتداء المحارم او ان يكون ما ذكرنا فيما تقدم والله اعلم وقوله او التابعين غير اولى الاربة من الرجال قال بعضهم الشيخ الكبير الذى لا حاجة له فى النساء وقال بعضهم المعتوه الاحمق الذى لا يشتهيه النساء ولا يغار عليه الازواج وقال بعضهم العنين والخصى وهؤلاء الذين لا يطيقون الجماع لكن عندنا لا يسع للعنين ولا للخصى ان يخلو بامراة اجنبية وقال الحسن غير اولى الاربة من الرجال هم المخنثون روى عن عائشة قالت كانت يدخل على ازواج النبى صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولى الاربة قالت فدخل النبى ذات يوم وهو ينعت امراة فقال لا ارى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فحجبوه وعن ام سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها مخنث فاقبل على اخى ام سلمة فقال يا عبد الله ان فتح الله لكم غدا الطائف دللتك على بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان فقال لا ارى يعرف ما ههنا لا يدخلن عليكم وقال بعضهم غير اولى الاربة الذين لا تهمهم الا بطونهم ولا يخافون على النساء وكله واحد وهم الذين ليست لهم الحاجة الى النساء قال ابو عوسجة الاربة الحاجة والارب جمع وكذلك قال القتبى وقال ابن عباس هو الذى لا يستحيى منه النساء وقوله او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء قال بعضهم هو الاطلاع اى لم يبلغوا ولم يعلموا ولم يدروا ما هو من الصغر وقال بعضهم لم يظهروا على عورات النساء اى لم يبلغوا الحلم والاول اشبه عندنا وذلك ان الطفل الذى لم يحتلم قد امر هو الطفل الذى لم يحتلم وقد يطلع على عورات النساء والذى لا يؤمر بالاستئذان فى بعض الاوقات لقوله ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم فالذى يؤمر بالاستئذان هو اصغر من ذلك وهو الذى لا يطلع على عورات النساء لصغره والله اعلم وقوله ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن اى لا يضربن احدى رجليها على الاخرى ليقرع الخلخال بالخلخال ليعلم ما يخفين من زينتهن اى ما يوارى الثياب من الزينة وهو الخلخال قد اخفاه الثياب نهيت المراة عن ضرب رجلها ليعلم الرجال ما تخفى من زينتها وذلك محظور عليها لم يخرج ذلك مخرج ترغيب الناس وحثهم عليها اذ الزينة فى الاصل ما جعلت الا للترغيب والتحريض على انفسهم وهى الداعية الى النظر والشهوة

وفى ترك ذلك وترك ابداء الزينة صيانتها وصيانة الرجال وابعادهم جميعا من الريبة والرغبة فكشف الشابة عن وجهها ونظر الرجل لشهوة اليها احرى ان يكون محظورا عليه منهيا عنه والله اعلم بالصواب وقوله وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون هذا قوله توبوا الى الله اى ارجعوا وجهين يحتمل عما قدمتم من المعاصى والمساوى واجعلوا مكان ذلك طاعة له ليعفوا عنكم ما قدمتم من المعاصى والله اعلم وقوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم الامر بالانكاح وان خرج مخرج امر واحد فى الظاهر فهو فى الحقيقة على افساد الامر فى تزويج الاماء والعبيد الى الله بالطاعة له والخضوع لتكونوا مطيعين او ان يكون قوله وتوبوا الى الله اى ارجعوا يخرج مخرج المعونة والتقوية لان من بلغ ولده النكاح ذكرا او انثى استشارا قرباءه واهل انسابه والمتصلين به فى ذلك واستعانهم على ذلك ولا كذلك السادات فى المماليك دل الامر فى احدهما يخرج على المعونة وفى الاخر على الترغيب ثم تزويج العبد يخرج كانه فعل المعروف اذ فى ذلك الزام مؤنة بلا عوض يحصل له الا ترى انه لا يملك الا من يملك المعروف من نحو الوصى والاب والمكاتب والعبد المأذون له فى التجارة ولا كذلك تزويج الاماء اذ يملك هؤلاء ذلك وكل مكتسب خيرا له لنفسه او لغيره ثم جرى العرف بينهم ان للمولى ان يزوج امته شاءت هى او ابت واختلفوا فى تزويج العبد امراة فقال بعضهم له ذلك الا برضاء العبد وقال بعضهم له ذلك شاء او ابى ثم الناس اختلفوا فى قوله وانكحوا الايامى منكم قال بعضهم الايامى منهن الاناث من الاحرار دون الذكور واستدلوا ببطلان النكاح وفساده اذا كان بغير اذن الولى بهذه الاية لان الله تعالى امر الاولياء وخاطبهم ان يزوجوهن كما امر المولى بتزويج امته فاوجب للمولى فى الامة كما اوجبها للمولى وان كانا يختلفان فى الولاية لكن عندنا لو كانت الاية خرجت على التفسير على ما يقول خصومنا انكحوا الايامى منكم الاناث لم يكن فيه دليل على ما قالوا ويخرج ذلك على وجوه احدها على الترغيب فى انكاحهن لما تولى هن النكاح بانفسهن حياء ويستحيين التكلم بذلك منهن بنفسها صارت مطعونة عنده هن او ان يخرج ذلك مخرج المعونة لهن على ما ذكرنا الا ترى الى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فاحدث فالاثم بينهما فهذا يدل والله اعلم على وجه المعونة فى تزويج الاب الابن البالغ لما اذا كان الاب مامورا من جهة التاديب على المعونة بتزويج ابنه ولا يوجب ذلك عليه ولا يزاد اذا كره ذلك فكذلك يكون مامورا بتزويج ابنته من طريق المعونة او وجهة الحياء او ان يخرج ذلك على ما قال خصومنا من ايجاب الولاية له عليها ثم رأينا انها اذا رغبت فى النكاح ورضيت بزوج كفؤ ولبها ذلك جبرا لولى على الانكاح وان هى كرهت النكاح وابت ورغب الولى ذلك وشاء لم يجبرهن على ذلك دل ذلك على ان الحق لها عليه دون ان يكون الحق فى ذلك له عليها فاذا كان الحق لها عليه جاز ذلك اذا تولت بنفسها لما ذكرنا ان الخطاب للاولياء يخرج على الوجوه الذى ذكرنا والله اعلم هذا اذا كان فى الاية ذكر الاناث دون الذكور فكيف وليس فى الاية ذكر تخصيص الاناث دون الذكور واسم الايم يقع على الاناث والذكور جميعا الا ترى انه روى عن عمر رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الاية ما رايت مثل ما يلتمس بعد هذه الاية انما التمسوا الغناء فى الباءة وما روى عن نجدة ان عمر دعانا الى ان ننكح من ايمانا وفى الشعر لله در بنى على ايم منهم وناكح وفى بعضها واتمه تابى من القوم ايما جمع فيها اسم الايم الرجال والنساء ومن الدليل ايضا على ذلك قوله والصالحين من عبادكم وامائكم فدل ذلك على انه حث على تزويج البالغين من الاحرار رجالهم ونسائهم فان قيل فما وجه امره بتزويج الرجال والاعراب لهم فجواب ذلك ما ذكرنا من المعونة والترغيب فيه ثم قوله والصالحين من عبادكم جائز ان يكون قوله والصالحين اى المؤمنين وجائز ان يكون الصالحين من طلب منكم الصلاح والعفة او ذكر الصالحين لما كانت العادة فى الملوك انهم يخاطبون اهل الصلاح منهم والاخيار لا على اخراج غيرهم من حكم ذلك الخطاب والله اعلم وقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله من الناس من استدل بهذه الاية ان العبد يملك لانه ذكر العبيد والاحرار جميعا ثم ذكر فى اخره الغناء دل انه يملك ويستدل بقوله فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن اضاف الاجور الى الاماء انهن دل انهن يملكن لكن عندنا ان المماليك يملكون ملك التوسيع وملك التصرف ويقع لهم غنا والتوسيع وغناء التصرف ولا يقع لهم التمليك ولا حقيقة الملك و الدلالة على ذلك قوله والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء لو كان ما ملكت ايمانهم يملكون ما يملك الموالى والسادات فدل ذكر تفضيل بعض على بعض انهم لا يملكون ما يملك الموالى والثانى قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الاية ولو كانوا يملكون على ما يملك السادات لكانوا لهم فيه شركاء دل انهم لا يملكون حقيقة الملك ولكن يملكون ملك التوسع والتصرف او ان يكون قوله يغنهم الله من فضله راجعا الى الاحرار منهم دون المماليك وذلك جائز فى اللسان كقوله ثم روى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة حق على الله تعالى ان يغنيهم المجاهد فى سبيل الله والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء وعن عمر قال ما رايت مثل

الرجل لا يلتمس الغناء في الباءة والله تعالى يقول ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وروي في الخبر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للفرج يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر و
احصن للفرج ومن لم يستطع فعليه الصوم فانه له وجاء وروي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن للفرج ح
الخطاب ما فعلت بنات لك قال هن عندي يا رسول الله قال وقد خضن قال نعم قال انك لم تحبس واحدة منهن
عن كفو الا نقص من اجرك كل يوم قيراط وفي بعض الاخبار من بلغ ولده النكاح وعنده ما ينكحه فاحدث فالاثم
بينهما وقوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله الاستعفاف هو طلب العفاف كانه
قال يطلب الاسباب التي تمنعه عن الزنا وتصيره عفيفا حتى يغنيه الله من فضله واسباب العصمة يكون اشياء
احدها ما روي عن نبي الله صلى الله يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فانه له وجاء ونحوه يكتسب اسباب العفة ان لم يكن عنده ما ينكح حتى لا يقع في الزنا الى ان اغناه
الله كقوله عليه السلام من استعف اعفه الله وجائز ان قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا لم يجعل
الله عز وجل للذي يعجز عن المنكاح اباحة الفروج والاستمتاع بها زنا اذا لم يكن عنده ما ينكح كما جعل في الميتة
وغيرها برخصة التناول في ملك غير عند الحاجة والضرورة ببدل لوجوه ان رخصة التناول في ملك
غير انما يكون عند الضرورة والضرورات لا تقع في الفروج وفي الاستمتاع بها بحال لذلك لم يبح والثاني
الاستمتاع بالنساء في الاصل كانه انما جعل وابيح لابتغاء النسل والتوالد لا لحاجة انفسهم وقضاء الشهوة
فاذا لم يكن عنده ما ينكح ارتفع عنه ابتغاء النسل والتوالد والثالث ان السعة والغناء وانواع النعم هي الداعية
الى الحاجة وقضاء الشهوة فاذا كان فقيرا لا يجد ما ينكح زال عنه الاسباب التي تدعو الى ذلك لذلك لم يبح واما الحاجات
والضرورات وما ذكرنا كلها تقع في الاموال وانما الحاجة في التناول منها لانفسهم ولا بقائها لذلك افترقا والله
اعلم ثم في قوله حتى يغنيهم الله من فضله وقوله ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وجهان من المعتبر على نقض
قول المعتزلة احدهما انه اضاف الاغناء الى نفسه وهو ليس يعطي احدا شيئا يطرحه ويلقيه في يده بلا سبب لكن
انما يغنيه ويعطيها سببا يجعل لهم فدل اضافة الاغناء الى نفسه على ان له في تلك الاسباب التي بها يصير غنيا صنعا
وفعلا ليس على ما يقوله المعتزلة ان لا صنع لله في افعال عباده والثاني فيه دلالة ان غناهم وسعتهم فضل منه
ورحمة لا شيء يستوجبون هم بانفسهم ذلك قبله لكن افضال منه لهم واحسان اذ لو كان عليه ذلك كان منه
عدلا لا فضلا فدل تسمية الفضل ذلك على انه من اعطاء فضل منه وانعام لا استيجابا واستحقاقا وذلك رد عليهم
في الاصلح في الدين ثم من الناس من استدل بهذه الاية بقوله يغنهم الله من فضله وحتى يغنيهم الله من فضله على
تفضيل الغناء على الفقر قالوا لانه سماه فضله بقوله من فضله وسماه في غيره من القرآن رحمة وحسنة وسماه
خيرا ايضا في غير موضع وسمى الفقر والضيق بلاء مرة وسيئة ثانيا وضرا وشدة ثالثا بقوله وبلوناهم بالحسنات
والسيئات وقال ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
وغير ذلك من الايات وكان ما سمي من البلاء والشدة والشر والضر والسيئة كله عبارة وكناية عن الضيق والفقر
وما ذكر من الخير والحسنة والرحمة ونحوه كله عبارة عن السعة والغناء فدل تسمية الغناء خيرا وحسنة
ورحمة على انه افضل اذ لا شك ان الخير والحسنة والرحمة خير من الشر والسيئة والبلاء لذلك كان الغناء افضل
من الفقر فيقال لهم هو كما قلتم انها خير مما ذكرتم الا ان هذه الاسباب التي ذكرتم هي الداعية الى القضاء الباعثة على
قضاء الحاجات والشهوات وانواع المعاصي والتعاطي في انواع المحرمات ولا كذلك الفقر والضيق والشدة بل هن
اسباب تمنع صاحبها عن التعاطي في انواع المعاصي والحرمات فضلا ان تدعوه وتبعثه الى ذلك فقولنا انه افضل للمعنى
الذي ذكرنا لا لمعنى فهمتموه انتم او ان يكون ما ذكر وسمي خيرا اعني السعة عند الناس وكذلك ما ذكر من الضيق شرا وسيئة
عندهم لانه كذلك عند الناس لا انهما في الحقيقة كذلك لما يحتمل ان يكون الغناء والسعة سبب الفساد والضيق والفقر
سبب منعه عن الفساد وان لا يتكلم في تفضيل احدهما على الاخر اذ هما محنتان يمتحن بهما العباد هؤلاء بالصبر
على الفقر والضيق وهؤلاء بالشكر على النعمة والسعة فالتكلم في فضل احدهما على الاخر فضل والله اعلم وقوله والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ظاهر هذا ليس على الكتابة ولكن على الكتاب المعروف وهو كتاب الله
تعالى لان الكتاب المطلق هو كتاب الله تعالى يسألون ساداتهم تعليم الكتاب لهم الا ان الناس لم يفهموا من هذا
هذا ولكن فهموا الكتابة العبيد والاماء حيث صرفوا الاية اليها ثم قوله فكاتبوهم ليس على الوجوب والالزام
ولكن على الترغيب فيها والحث دليله ترك الامة المماليك بعد موتهم موارث لورثتهم من لدن رسول الله
الى يومنا هذا ولو كان على الوجوب واللزوم لم يكونوا يتركون لازما واجبا عليهم فدل تركهم ذلك على انه
خرج مخرج الترغيب عليها والحث لا على الوجوب والله اعلم وقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا اختلف
فيه قال بعضهم اي كاتبوهم ان علمتم انهم يرغبون في انواع الخير واقامة الصلوة وانواع الصلاح
وفرغوا انفسهم لذلك وقال بعضهم ان علمتم فيهم خيرا اي وفاء وامانة وصلاحا وهو قول الحسن وتأويل
هذا اي كاتبوهم ان علمتم انهم يقدرون على وفاء ما كوتبوا واداء ذلك وقال قائلون خيرا اي حيلة وقال
قائلون مالا وقال قائلون خيرا اي حرفة وروي في ذلك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفسرا

عن يحيى

عن يحيى بن كثير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان علمتم فيهم خيرا اي حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس
ان ثبت هذا لا يحتاج الى غيره من التفسير ولو كان قال ان علمتم فيهم خيرا جاز ان يقال معنى ذلك مالا و
ولكنه قال ان علمتم فيهم خيرا والمال لا يكون فيهم وانما يكون لهم فاشبه ذلك والله اعلم ان يكون الخير حرفة
لما روي في الخبر او وفاء وامانة ثم في الاية دلالة ان العبيد لا يملكون لكان يرغبهم ويحثهم على العتاق
دون الكتابة فدل ترغيبه اياهم عليها انهم لا يملكون حتى تحصل الكتابة الكسب لهم والخدمة دون
المولى وفي الكتابة ايضا نظر للموالي لانهم ان قدروا على وفاء ما قبلوا واداية والا كان للموالي ردهم الى
منافع انفسهم ولو كان عتقا لم يملكوا ردهم الى منافع انفسهم ويبطل حقهم بلا شيء يصل اليهم والله اعلم
ثم في قوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا دلالة القول بعلم العمل على ظاهر الاسباب دون تحقيق العلم به حيث
قال ان علمتم فيهم خيرا وانما يوصل ما ذكر من الخير باسباب تكون لهم على نحو ما ذكروا فيه من الحرفة
والوفاء والاداء والامانة وامثاله وذلك اسباب توصل الى الخير على اكبر الظن والعلم لا على الحقيقة وفيه دلالة
العمل بالاجتهاد على ما يرى بهم من ظاهر الاسباب والله اعلم وقوله عز وجل وآتوهم من مال الله الذي آتاكم
اختلف في خطابه قال الحسن وغيره هو شيء حث الناس عليه سواه وغيره فيخرج ذلك على وجهين احدهما
ما جعل الله من الحق للمكاتبين في الصدقات لقوله انما الصدقات للفقراء الى قوله وفي الرقاب وهم المكاتبون
امر ارباب الاموال بدفع الصدقات الى المكاتبين وجعلهم اهلا لها ليستعينوا بها على اداء ما عليهم من
الكتابة فان كان ذلك فذلك حق لهم والثاني جائز ان يأمر الناس بمعونة هؤلاء المكاتبين على اداء ما عليهم
من الكتابة باموالهم سوى الصدقات ليفكوا رقابهم عن ذل الرق ولا الكسب وقال قائلون انما الخطاب
للموالي خاصة لما ان اول الخطاب بالكتابة راجع الى الموالي فعلى ذلك هذا ثم اختلفوا فيه روي عن علي بن
ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال يترك الموالي الثلث من مكاتبته له وروي عنه انه قال ربع المكاتبة وروي
عن عمر رضي الله عنه انه كاتب غلاما له فحط عنه اول نجمه وقال له حط عني آخره فقال عمر لعلي لا اصل
اليه او كلام نحو هذا ثم تلا هذه الاية قوله والذين يبتغون الكتاب الاية وروي عن غلام لعثمان بن عفان
رضي الله تعالى عنه قال كاتبني عثمان ولم يحط عني شيئا دل ما روي عن عثمان انه لم يحط عنه شيئا على ان الامر
بالايتاء المكاتبين من الاموال والحط عنهم انما هو على الاختيار والافضال ليس على الوجوب واللزوم لانه
لو كان على الوجوب لكان عثمان بن عفان لا يحتمل ان لا يحط عنه شيئا ومن جعل ذلك واجبا على المولى ان
يؤتيه من ماله ويعجله له كان ذلك خارجا مما روي من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين خلافا لهم
لانه روي عن بعضهم الحط عنهم والوضع دون الايتاء من ماله وروي عن بعضهم الاستيفاء على الكمال لا حط
فيه ولا ايتاء دل ان قول من يأمرهم بالايتاء من اموالهم دون الكتابة خارج من قولهم جملة ثم يبطل
ذلك من وجهين احدهما ان من قال لعبده اذا اديت الي كذا فانت حر فحط عنه بعض ذلك فادى البقية لم يعتق
حتى يؤدي الكل فدل ان قوله وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ليس على الوجوب ولكن على الاختيار والثاني
انه لا يسمى بعد الاداء مكاتبا وانما هو حر وانما ذكر الايتاء اياهم وهم مكاتبون حيث قال فكاتبوهم ثم
قال وآتوهم فلو كان على ما يقوله قوم لكان ذلك باطلا للوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ليس قوله ان اردن تحصنا بشرط فيه لانهن لا يكرهن
على البغاء وان لم يردن التحصن دل ان ذلك ليس بشرط فيه ولا يتمكن الاكراه فيه اذا كن اطعن فيه لكنه
خرج ذلك على ما ذكر في القصة انهم كانوا يكرهونهن على الزنا ابتغاء المال وهن كن يردن التحصن فخرج الخطاب
والنهي على فعلهم دون ان يكون ذلك شرطا فيه او ان يكون ذلك اكراها اذ كن مطاوعات في ذلك وفيه
دلالة بطلان المتعة وفسادها لانهم كانوا يكرهون اماءهم على ان يواجروا انفسهن للزنا ابتغاء الاجر
وليست المتعة الا كذلك وقال اهل التأويل ان الاية نزلت في نفر في المنافقين عبد الله بن ابي وفلان كانوا
يكرهون جواريهم على الزنا ابتغاء عرض الدنيا فان كان ما ذكروا ففيه دلالة ان الزنا حرام في الاديان كلها
وقوله عز وجل ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما يرجع الى الاماء
يقول فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم لهن وكذلك روي في بعض الحروف انه قرئ فان الله من بعد
اكراههن لهن غفور رحيم والثاني يرجع الى السادات فان الله لهم غفور رحيم اذا تابوا واصلحوا والله اعلم
وقوله عز وجل ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات بخفض الياء ونصبها ثم يحتمل ان يكون المراد بالايات آيات
القرآن جميعا وقوله مبينات بالخفض اي تبين للخلق ما لهم وما عليهم وما لله عليهم وما لبعضهم على بعض
ومبينات بالنصب اي مبينات انها من عند الله وجائز ان يكون المراد بالايات الحجج والبراهين فان كان
هذا فقوله مبينات بالخفض اي تبين وحدانية الله تعالى وعلم رسالة رسوله ومبينات بالنصب اي واضحات
بينات انها حجج وبراهين وقوله ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين اي انزلنا اليكم ايضا مثل
الذين خلوا من قبلكم ما حل بهم ونزل بالمكذبين من العذاب وموعظة ما يتعظ المتقون او جعل لكم فيما انزل
من الايات عليكم امثالا من الذين خلوا من قبلكم لتتعظوا به والله اعلم عز وجل الله نور السموات والارض

قال بعضهم الله هادي السموات والارض ثم انقطع الكلام فاخذ في نعت محمد صلى الله عليه وسلم وما قرب له من
الامثال فقال مثل نوره يقول نور محمد اذا كان في صلب ابيه كمشكوة اي كوة بلغة الحبش غير نافذة فيها مصباح
اي سراج المصباح يقول والله اعلم ذلك السراج المضيء ضوءه في زجاجة الزجاجة نعتها الصافية النامية الصفاء و
المشكاة صلب ابيه عبد الله والزجاجة وصفاؤها محمد رسول الله وطهره من الادناس والمعاصي والمصباح نوره
وصفاؤه قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه من الايمان والحكمة والنبوة كانها كوكب دري اي
محمد صلى الله عليه وسلم ذكره مع اسماء الانبياء والرسل في اللوح المحفوظ عند الله في الفضيلة على تلك الانبياء
والرسل عليهم السلام كفضل الكواكب الدري اي المضيء وهي الزهرة على سائر الكواكب وقوله عز وجل توقد من
شجرة مباركة يقول والله اعلم استنار نور محمد من نور ابراهيم لان محمدا على دين ابراهيم وعلى سنته ومنهاجه
فمثل ابراهيم مثل الشجرة المباركة واصل محمد من نسل ابراهيم صلوات الله عليهم وقوله عز وجل زيتونة لا شرقية
ولا غربية والزيتونة المخلص وطاعة ابراهيم لربه فنفعه الله بحسن طاعته يوم القيامة وفي غيره من المواطن
كما نفع الزيتونة اهلها في الدنيا فهي فاكهة وطعام وهي ادام وهو الصباغ والدهن والدباغة يعني زيتونة لا شرقية
ولا غربية يقول لان ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن نصرانيا لقول النصارى هو نصراني يصلي قبلة النصارى
من قبل المشرق ولا يهوديا لقول اليهود انه كان على ديننا يصلي قبل المغرب بيت المقدس يقول الله تعالى لم يكن
كما قال هؤلاء ولكن كان حنيفا مسلما مصليا الى الكعبة وهي قبلته والمناهج وقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار يقول والله اعلم لو ان ابراهيم لم يكن نبيا لاصاب بحسن طاعته الله في الدنيا الفضل مع الانبياء والرسل في
الدنيا والدرجات العلى في الاخرة وقوله نور على نور لان محمدا وما جاء به من الدين والكتاب اصل نوره
من قبل ابراهيم لانه على دينه وسنته وكتابه ومنهاجه ثم قال يهدي الله لنوره من يشاء الذي جاء محمد صلى
الله عليه وسلم وهو النور وهو القران من يشاء ممن سبق في علمه السعادة ويضل عنه من يشاء ممن سبق له في
علمه الشقاء ثم قال ويضرب الله الامثال للناس يعني ويصف الله الامثال للناس ليؤمنوا بالله ويوحدوه
ويعرفوا نبوته ونبيه من شبهه ويصدقوا ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام انهما رسولا الرب وهو
تاويل مقاتل وقال اهل الكلام قوله الله نور السموات والارض اي انار الله لاهل السموات والارض مثل نوره
الذي به انار وما ذكر مثل المشكاة التي ذكر الى اخره وجائز ان يكون قوله الله نور السموات والارض اي بالله
نور اهل السموات واهل الارض الا ترى انه قال مثل نوره كذا ولم يقل مثله ولو كان النور هو الله على ما قاله
قوم وفهموه لقال الله نور السموات والارض مثله كذا ولم يقل مثل نوره فدل قوله مثل نوره كذا انه لم يرد النور
نفسه ولكن ما ذكرنا انه به نور اهل السموات واهل الارض الا ترى انه قال في اخره يهدي الله لنوره من يشاء
انه لم يرد بالنور ما فهموا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور دل انه ليس على ما فهموه به انه نور كسائر الانوار
التي عاينوه وشاهدوه وهم المشبهة على هذا يخرج تاويل ابن عباس حيث قال الله تعالى هادي اهل السموات والارض
وقوله مثل نوره كمشكاة مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري جائز ان يكون قوله
مثل نوره اي مثل نور المؤمن الذي في قلبه مثل مشكاة فيها مصباح لان المشكاة هي الكوة التي لا منفذ لها يدخل
فيها الانوار فتكون مظلمة فاذا جعل فيها المصباح اضاء ذلك كله وانارة حتى لا يبقى فيها ناحية الا وقد اصاب
الضياء والنور فعلى ذلك القلب وهو مظلم اذ ليس له منفذ يدخل فيه النور من الخارج فاذا امن انار الله قلبه
بايمانه حتى ظهر ذلك النور واثره في جميع نواحيه وجوارحه وهو ما قال افمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه اخبر ان من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فهذا يدل ان قوله مثل نوره
انما هو مثل نور المؤمن وعلى ذلك روي في حرف ابي بن كعب انه قرا مثل نور المؤمن كمشكوة وفي حرف
ابن مسعود مثل نوره في قلب المؤمن وقال الحسن مثل نوره قال مثل القران في قلب المؤمن كمشكوة كوة
فيها مصباح او ان يكون قوله الله نور السموات والارض اي به تنجلي الظلمات وتنكشف الحجب والسواتر اذ
النور انما سمي نورا لما به تنجلي المظالم وتنكشف السواتر والحجب لا لنفس نور الا ترى انه سمي القران نورا والرسول
نورا لما به تنجلي الشبهة والظلمات وبه ترتفع السواتر والحجب وان كانا في انفسهما ليسا بنور سمي نورا لما
ذكرنا من تجلي الاشياء بهما وارتفاع السواتر فعلى ذلك جائز ان يسمى الله نورا لما به يكون تجلي الظلمات والشبه
وانكشاف السواتر وارتفاع الحجب لا انه نور وقوله مثل نوره قال بعضهم مثل نور المؤمن على ما ذكرنا فيما
تقدم وقال بعضهم مثل نوره في صدر المؤمن وقال بعضهم مثل نور محمد على ما ذكر مقاتل وغيره وقال
بعضهم مثل نور القران وقوله كمشكوة قال الكوة التي لا منفذ لها للنور على ما ذكرنا وقال بعضهم موضع
فتيلة القنديل وقال بعضهم الحدائد التي تعلق بها القنديل وقوله لا شرقية ولا غربية قال بعضهم هي شجرة
مضحاة تطلع عليها الشمس اذا طلعت وتغرب عليها اذا غربت وهو اجود الزيت وقال بعضهم هي شجرة في كن
لا تطلع عليها الشمس اذا طلعت ولا تغرب عليه الشمس اذا طلعت ولا تغرب عليه اذا غربت وقال بعضهم ليست
شرقية لا تغرب لها ولا غربية لا تشرق لها ولكنها شرقية غربية فكيف ما كان فانما ذكر الزيت لصفائه و
فيجب ان يسأل اهله فيقال اي الزيت اجود واصفى الذي تصيبه الشمس والذي لا تصيبه او الذي تصيبه في وقت

ولا تصيبه

ولا تصيبه في وقت وقال بعضهم الله نور السموات والارض هو الله سبحانه هادي اهل الارض كما هداه في
قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل ان تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوء كذلك
يكون قلب المؤمن يعمل الهدى قبل ان ياتيه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وعن ابي بن كعب
قال في قوله مثل نوره يقول مثل نور المؤمن وكذلك يقراها مثل نور المؤمن على ما ذكرنا من قبل قال
فهو عبد قد جعل القران والايمان في صدره قال كمشكوة قال المشكاة صدره فيها مصباح قال المصباح
القران والايمان الذي جعل في صدره قال المصباح في زجاجة قال الزجاجة قلبه قال الزجاجة كانها كوكب
دري يقول كوكب مضيء توقد من شجرة مباركة قال الشجرة المباركة اصله فالمباركة الاخلاص
لله وحده لا يشرك به قال لا شرقية ولا غربية قال فمثله كمثل شجرة التفت بها الشجرة فهي خضراء ناعمة
لا تصيبها الشمس على اي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت وكذلك هذا المؤمن قد اجير من
ان يصله شيء من الفتن وقد ابتلي بها فثبته الله فيها فهو بين اربع خلال ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان
قال صدق وان حكم عدل فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات قال نور على نور قال
فهو يتقلب في خمسة من النور كلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره الى النور
يوم القيامة الى الجنة قال ثم ضرب مثل الكافر فقال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وهو يحسب
ان له عند الله خيرا فلا يجده فيدخله الله النار وقال في اية اخرى له مثلا فقال او كظلمات في بحر لجي
يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض يتقلب في ظلمات وقال بعضهم في قوله الله نور
السموات والارض اي بنوره يهتدي من في السموات ومن في الارض على ما ذكرنا مثل نوره في قلب
المؤمن كمشكوة وهي الكوة غير النافذة على ما ذكرنا فيها مصباح اي سراج كوكب دري مضيء اي منسوب
الى الدر وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة كمشكوة الكوة التي تكون في الحائط ومثال جماعة وكوى جماعته
الكوة وكوكب دري شديد الضوء ودري هو ايضا من الضوء ماخذهما جميعا من الدر وكواكب دراري مضيئة
وعن كعب مثل نوره قال ضرب مثل محمد كمشكوة فيها مصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري
مثل لسانه وصدره وقلبه يكاد زيتها يضيء قال يكاد محمد يبين للناس وان لم يتكلم وعن الضحاك
بن مزاحم كانها كوكب دري قال خلقت الكواكب من نار يقال لها دري فمن ثمه قال كوكب دري
وقد ذكرنا قولهم في المشكوة قال بعضهم الكوة التي لا منفذ لها وقال بعضهم الفتيلة وقال بعضهم
الفتيلة التي في جوف القنديل نفسه وقال بعضهم القائم في وسط القنديل وهو موضع الفتيلة وقال
بعضهم هي الحدائد التي تعلق بها القنديل ثم ان كان قوله مثل نوره اي نور المؤمن فليس ذلك وصف
كل مؤمن ونفسه ولكن وصف المؤمن الذي يجتمع فيه جميع شرائط الايمان وجميع الاخلاق الحسنة
والاداب لانه وصفه بطهارة نفسه وجسده وقلبه وجميع اعماله وافعاله لانه قال كمشكوة وهي
قلبه فيها مصباح وهو صدره الذي في قلبه المصباح في زجاجة وهو الايمان الذي في صدره ثم
نعت الزجاجة فقال كانها كوكب دري اي مضيء وقال بعضهم من الدر فوصف الكل بالضياء والنور
وطهارة الداخل منه والخارج ونقاوته فهو المؤمن الذي يجتمع فيه جميع الشرائط والخصال
المحمودة واما كل مؤمن فلا يحتمل وهذا اشبه الا ترى انه ذكر نعت الكافر من بعد وخبثه حيث قال
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وان كان وصف محمد ففيه جميع ما ذكر ونفسره وان كان
القران فهو كذلك ايضا وقوله يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار التي ذكرنا يحتمل المؤمن ويحتمل محمدا
ويحتمل ابراهيم في كله نور على نور وقوله يهدي الله لنوره من يشاء يحتمل يهدي الله لنور محمد ويحتمل القران
ويحتمل الايمان والهدى وقال بعضهم نور على نور قال فالزيت نور وقال المؤمن نور وعمله نور وكلامه
نور ويحتمل قوله يهدي الله لنوره من يشاء اي بنوره وقال بعضهم الله نور السموات والارض يقول بنوره
اضاءت السموات والارض على ما ذكرنا مثل نوره يقول في قلب المؤمن وهو في حرف ابن مسعود رضي
الله عنه في قلب المؤمن وهذا مثل ضربه للايمان والقران والقلب حين يدخله الايمان والقران كمشكوة
يعني الكوة فيها مصباح يعني الايمان والقران في زجاجة يعني القلب والمشكوة الصدر فكما دخل هذا المصباح
في الزجاجة فاضاء فكذلك اضاء القلب ثم خرج من الزجاجة فاضاءت المشكوة فكذلك اضاء الصدر
ثم نزل الضوء من الكوة فاضاء البيت فكذلك نزل النور من الصدر فاضاء الجوف كله فلم يدخله
حرام والله اعلم بذلك وقوله ويضرب الله الامثال للناس يحتمل ضرب الامثال لهم وجهين احدهما ضرب
الافعالهم واقوالهم مثلا ليعرفوا منعتها وبرها في الحسن والجمال ليعلموا قدرها من الجزاء والثواب
او ضرب الامثال لهم للانفس المكرمين المعظمين المستوجبين كل خير ليرغبوا في مثل ذلك فيستوجبوا
ما استوجب اولئك وكان ضرب مثل الايمان او القران او محمد وما كان على اختلاف ما قالوا بالانوار
التي ضربها والله اعلم لما انه قد اقام الحجج والبراهين على الايمان ومحمد حتى صار كالانوار التي شبههم بها
من الحسن والجمال والضياء ليبين حتى يعرف حسن هذه الانوار وبهاؤها كل احد فعلى ذلك المضروب بها

المثل صار في الحسن والبهاء والضياء بالحجج والبراهين كالانوار التي لا يخفى حسنها وبهاؤها على احد ولا ينكرها الا معاند ومكابر وكان مثل الكفر والعناد من القبح والفساد والبطلان كالظلمات التي ذكر بعضها فوق بعض وكالسراب والزبد الذي ذكر حيث قال والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة وكالظلمات التي ذكر حيث قال او كظلمات في بحر لجي الاية ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال ابن عباس رضي الله عنهما كأنها كوكب دري قال الانجم الخمسة كأنهن دري زهرة وعطارد والمشتري وبهرام والزحل قال قتادة الدري النجم المنير قال الكسائي من همز دري فهو حسنه وظهوره وارتفاعه بقول درأ النجم وهو فاش ظاهر في كلام العرب ومن رفع الدال ومن لم يهمز فهو ينسبه الى الدر ومنهم من يرفع الدال ويهمزوا ظنها الغلط وقال ابو عمرو بن العلاء الدري النجم الذي تراه تلالؤ لا كالزبرجد ويذهب وقد روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل من اهل عليين ليشرف على اهل الجنة فتضيء بوجهه كانه كوكب دري وان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما منهم وانعما وانضا روي دري بالرفع خبر اخر عنه ان اول زمرة تدخل الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على اضوأ كوكب دري في السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان ناد منيان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم والذي نفس محمد بيده ما فيها عزب وقوله توقد من شجرة مباركة اختلف في قراءته قرأه بعضهم يوقد بالياء ورفعها ونصب القاف يقول المصباح يوقد ومن قرأها بالتاء ورفع الدال ونصب التاء رده على الزجاجة اراد تتوقد ثم طرح احدى التائين ومن قرأ توقد بالتاء ورفعها يعني الزجاجة التي توقد واهل مكة توقد بنصب تاء وشدد القاف يعني اصبح توقد فذلك انتصب ومن قرأ يوقد يعني الكوكب او المصباح وقوله لا شرقية ولا غربية قد ذكرنا بعض التأويل فيما تقدم لكنا نزيد فيها شيئا قال هي شجرة ضاحية من حين يطلع الشمس الى ان تغرب ليس لها ظل شرقي ولا غربي وزيتها اصفى الزيت واعذبه واطيبه وقال قائل ليست بشرقية تحوزها المشرق دون المغرب وليست بغربية تحوزها المغرب دون المشرق ولكنها بارزة في صحراء او في رأس جبل تصيبها الشمس النهار كله وهو مثل لا ول وقال الكسائي ليست بشرقية وحدها ولا بغربية وحدها ولكنها شرقية وغربية كما تقول لا اتيك ولا اتي فلانا الا معا فان شئت كان معناه لا تأتي واحدا منهما وان شئت كان معناه انك تأتيهما معا ومثله والله لا اكل ولا باكل ذبه لزبنتان وكان يقال رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ويحب الفتنة انه رجل صالح اما الفتنة فالمال والولد قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وهو يرجو الجنة ويخاف النار على ما فسرنا وقال بعضهم لا شرقية يقول لا تضحى للشمس من اول النهار الى اخره ولا غربية عليها ظل من اول النهار الى اخره ولكنها شرقية وغربية تصيبها الشمس والظل والعرب تقول لا خير في شجرة في مضحاة ولا خير في شجرة في مظلة وقائل يقول لا تطلع الشمس ولا تغرب وقائل يقول هي شجرة بالشام ليست بالمشرق وليست بالمغرب والحسن يقول والله لو كانت هذه الزيتونة في الارض لكانت شرقية او غربية والله ما هي في الارض ولكن هذا مثل ضربه الله تعالى لنوره وهو هذا القران واما قوله نور على نور قال بعضهم ايمان المؤمن نور وعلمه نور فهو نور على نور على نور قال بعضهم نور النار وعلى نور الزيت فذلك نور على نور وهو يجود تربيته الزيت وقال بعضهم نور النار ونور الزيت حين اجتمعا اضاءا ولا يضيء واحد بغير صاحبه كذلك نور القران ونور الايمان اذا اجتمعا لا يكون احدهما مضيئا الا بصاحبه وقال بعضهم ما ذكرنا من نور الايمان والعمل ثم معنى تشبيه ما ذكرنا الزيت لان الزيت اصفى شيء واطهرون اطيب شيء واضوء السراج كل المنافع من الادام والدواء وغيره والله اعلم وقوله في بيوت اذن الله ان ترفع اختلف فيه قال بعضهم قوله ان ترفع اي تعظم وترفع قدرها وهي المساجد على غيرها من البيوت المسكونة يذكر اسم الله فيها والتسبيح والتنزيه من الاقذار والانجاس ومن الامور الدنيوية وقال بعضهم قوله ان ترفع اي تبنى وتتخذ فان كان التأويل هذا ففيه الامر ببناء المسجد واتخاذها وان كان الاول ففيه الامر بتعظيم المساجد ورفع قدرها بما ذكر من ذكر الله والتسبيح فيها نحو الاذن في هذا الامر لوجهين احدهما يحتمل اقامة الجماعات فيها في هذه الصلوات المعروفة اذ الارض كلها في الاصل جعلت مسجدا حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا فهي من حق جواز الصلوة مسجد فيخرج الامر مخرج الامر ببنائها لاقامة الجماعات والثاني امرها خصوصا للمساجد عن غيرها من البيوت المسكونة انما اتخذت وبنيت بالاذن والاباحة فخص المساجد بالاذن ببنائها خصوصا لها اذ لو كان اذنا على ظاهر ما ذكر لكان المساجد وغيرها من من البيوت سواء والله اعلم وقوله ويذكر فيها اسمه فان كان تأويل قوله ان ترفع اي تعظم وترفع قدرها فيكون قوله ويذكر فيها اسمه يسبح له تفسيرا لذلك التعظيم والقدر الذي امر ان تعظم وترفع قدرها بذكر اسم الله فيها وما ذكر من التسبيح وان كان التأويل هو الامر بالبناء يكون قوله ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها كذا على الابتداء اي امر ان تبنى بيوتا مساجد وامر ان يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والاصال ثم اختلف في تلاوة قوله يسبح له قرأ بعضهم يسبح بنصب الباء وقرأ بعضهم يسبح بخفض الباء فمن قرأها بالنصب صيره على الاول يذكر فيها اسمه يسبح له بالغدو والاصال ثم ابتداء فقال رجال لا تلهيهم تجارة ومن قرأها بالخفض من خفض الباء صيره مقطوعا من الاول مبتدأ براءي يسبح له فيها رجال بالغدو والاصال ثم ابتدأ من قوله لا تلهيهم تجارة ثم قوله ويذكر فيها اسمه جائز يذكر اسمه الصلوة وكذلك بالتسبيح ويحتمل

ان يذكر اسمه جميع انواع الاذكار من الخير ويراد بالتسبيح بالغدو والاصال الصلوة المفروضة ثم قال بعضهم الغدو صلوة الغداة ان يراد والاصال صلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فيجعل الاصال عبارة عن هذه الصلوات في اوقاتها وقال بعضهم الاصال صلوة العصر خاصة واما غيرها من الصلوات وانما عرف لا بهذا ولكن بشيء اخر والغدو وهو صلوة الفجر والله اعلم وقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع اي لا تشغلهم تجارة ولا بيع ذكر التجارة والبيع تجارة ولكن كان اسم التجارة يجمع كل انواع التقلب والاسم يقع على خاص وكذلك يقال للذي يجمع انواع التقلب تاجر وللذي يبيع شيئا خاصا بايع اخبر انه لا يشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم جائز ان يكون قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله اي لا يشتغلون بالتجارة والبيع ولكن فرغوا انفسهم لذكر الله واقامة الصلوة وما ذكر وجائز ان يكون يتجرون ويتبايعون لكن تجارتهم وبيعهم لا تشغلهم ولا تمنعهم عن ذكر الله يكونون ابدا في ذكر الله ثم قوله عن ذكر الله يحتمل الصلوة وقوله واقام الصلوة اي تمام الصلوة بركوعها وسجودها وقراءتها وجميع اسبابها وشرائطها وجائز ان يكون قوله عن ذكر الله جميعا انواع الاذكار واقام الصلوة اقامة الصلوة نفسها وايتاء الزكوة وقال بعضهم جائز ان يكون قوله عن ذكر الله الخطبة واقام الصلوة صلوة الجمعة لا يتوقف وادارا والتجارة الاية وقال اذا نودي للصلوة وهو الخطبة غير مسموع من اهل التأويل ولكنه يحتمل والله اعلم وقوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار وهو يوم القيامة يخبر عن شدة هول ذلك اليوم وخوفه لا يثبت القلوب والابصار فزعا منه وخوفا كقوله مهطعين مقنعي رؤوسهم الاية وكقوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وجائز ان يكون قوله يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار يعرفون مرة ويجهلون تارة ويعتبرون يومئذ بما لم يعتبروا في الدنيا ويقرون بما لم يقروا وقال بعضهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب حين زالت عن اماكنها من الصدور فنشبت في حلوقهم عند الحناجر ثم قال والابصار ثم يكونون زرقا وهو قول مقاتل وقوله ليجزيهم الله احسن ما عملوا يحتمل قوله ليجزيهم الله احسن ما عملوا اي يجزيهم الله جزاء احسانهم ويكفر عن مساويهم ولا يجزيهم بها كقوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية وكقوله ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وقوله ويزيدهم من فضله على قدر حسناتهم والله يرزق من يشاء بغير حساب قال بعضهم ليس فوقه ملك يحاسبه فهو الملك يعطي من يشاء بغير حساب لا يخاف من احد يحاسبه كقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ويحتمل قوله بغير حساب اي يعطيهم بلا حساب يحاسبهم ويدخلهم الجنة بلا محاسبة وجائز ان يكون بغير حساب اي يعطيهم بلا حساب اضعافا اضعافا مما لا يحصى لا يحصى على قدر اعمالهم والله اعلم وقوله والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء جائز ان يكون ضرب مثل اعمال الكفرة بالسراب الذي ذكر من وجهين احدهما انهم قد عملوا في الظاهر اعمالا طمعوا ان يصلوا اليها في الاخرة وينتفعوا بها من نحو الصدقات والنفقات وصلة الارحام ونحوه مما هي في الظاهر اعمال الخير فاذا هم حرموا ذلك ولم يجدوا شيئا كالذي يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فسار اليه فاذا هو لا شيء فعلى ذلك الكفار عملوا تلك الاعمال على طمع منهم انهم ينتفعون بها فاذا هم على لا شيء كالعطشان الذي يرى السراب فيحسبه انه ماء فاذا هو سراب والثاني ضرب مثل اعمالهم بالسراب الذي ذكر وذلك انهم قد عبدوا الاصنام والاوثان رجاء ان ينتفعوا بشفاعتهم في الاخرة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانت عبادتهم الاصنام لما ذكروا من شفاعتهم فاذا هم لم ينتفعوا فصار كالعطشان الذي يرى السراب يحسب انه ماء فاذا جاءه فوجد سرابا لم يجده ما حسبه الى هذا تمام المثل ثم ابتداء فقال فوجد الله عنده فوفاه حسابه اي وجد الله يوفيه حساب عمله وجزاءه او يقول قدم على عمله يوم القيامة لم يجد عمله الذي عمل في الدنيا شيئا هذا الا كما وجد هذا السراب ووجد الله عنده فوفاه حسابه يقول قدم على الله فوفاه حسابه اي عمله وقال بعضهم هذا المثل ضرب الكفار وذلك انهم يبعثون يوم القيامة وقد تقطعت اعناقهم من العطش فيرفع لهم سراب بقيعة من الارض فاذا نظروا اليه حسبوه ماء فاتوه ليشربوا منه فلم يجدوا شيئا ويؤخذون ثم فيحاسبون وكذلك اعمالهم تضمحل يوم القيامة فلا يصيبون منها خيرا وقوله او كظلمات في بحر لجي يغشيه موج هذا مثل اخر ضرب الله لاحوال الكافر وكظلمات جسده شبهه بظلمات وذلك ان البحر اذا كان عميقا كان اشد لظلمته فقال وللبحر اللجي قلب الكافر يغشاه موج فوق الماء من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات فهو ظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة السحاب هذه ظلمات بعضها فوق بعض فكذا الكافر قلبه مظلم في صدر مظلم في جسد مظلم لا يبصرون الايمان كما ان صاحب البحر اذا اخرج يده في تلك الظلمة لم يكد يريها اي لم يرها البتة او ان يكون ضرب المثل بظلمات ثلاث ظلمات احوال لا يزال يزداد ظلمة كفره في كل وقت وفي كل حال بعمله الذي يعمله كالظلمات التي ذكر فكان كضرب المثل الذي سبق لانوار احوال المؤمن حيث قال مثل نوره كمشكوة والنور جسده وصدره وقلبه ثم قوله او كظلمات ليس هو حرف شك ولكنه كأنه قال ان ضربت مثل عمله بالسراب فمستقيم وان ضربت بالظلمات التي ذكر

فمستقيم بانهما ضربت فمستقيم صحيح لانه ذا او ذا ثم ذكر في اعمال الكفرة مثلين احدهما السراب الثاني والظلمات فجائز ان يكون في المؤمن ايضا مثلين الظلمة التي ذكر مقابل النور الذي ذكر في المؤمن والسراب الذي ذكر لاعمالهم مقابل ما ذكر من اعمال المؤمنين حيث قال في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الى قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب وقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال بعضهم من لم يجعل الله له ايمانا فما له من ايمان وقيل هدى فما له من هدى وهما واحد والاية على المعتزلة لانهم يقولون لم يجعل الله للمؤمن من النور الا وقد جعل مثله للكافر وفي الاية اخبار انه لم يجعل للكافر النور اذ لو كان جعل للكافر كما جعل للمؤمن لم يكن لقوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور معنى دل انه لم يجعل للكافر النور وقوله فوفيه حسابه يقوله فجازاه بعمله فلم يظلمه وقوله والله سريع الحساب قد ذكرناه في غير موضع قال القتبي السراب ما رأيته الشمس كالماء نصف النهار والآل ما رأيته في اول النهار واخره الذي يرفع كل شيء والقيعة القاع وقال ابو عوسجه السراب الذي يبصره المرء فتراه كانه ماء يجري وهو الذي يكون نصف النهار الى السماء والآل في اول النهار الى قريب من نصف النهار والقيعة القاع وهي الارض اليابسة الطيبة التي يستنقع فيها الماء وقاع واحد وقيعان جمع والظمآن العطشان وقوم ظماء وامرأة ظمآى ونسوة ظماء واظمأته اعطشته وظمأ منه ايضا بحر لجي الكثير الماء واللجة وسط البحر يغشيه موج اي يغشيه فوقهم قال الموج طرائق في الماء تكون اذا هبت الريح وقال الكسائي الظمآن والصديان والعطشان واحد والسراب قبل الزوال والآل قبل الزوال وهو ارفع من السراب والرقراق بعد العصر وقال بعضهم في قوله اذا اخرج يده لم يكد يراها يقول لم يقارب البصر كقوله الرجل لم يصب ولم يقارب وقوله الم تر ان الله يسبح له ما في السموات والارض قوله الم تعلم ونحوه في الظاهر حرف تعجب واستفهام يقول الرجل لاخر الم تر كذا والم تعلم كذا على التعجب او على الاستفهام لكنه يخرج من الله على وجهين احدهما اي قد رأيت وعلمت اذ الاستفهام لا يجوز عنه والثاني على الامر اي اعلم وارأ على ما ذكرنا في غير موضع وقوله يسبح له من في السموات والارض يحتمل يسبح من ذكر وجهين احدهما تسبيح خلقه وصنعه اذ في خلقة كل احد دلالة وحدانيته وتعاليه عن الاشباه والتنزيه والشهادة له بالربوبية والتفرد بالالوهية له والثاني يجعل الله تعالى في هذه الخلائق من الطيور والدواب وغيرها معنى يسبحون له بذلك يفهمون هم ذلك من انفسهم ويعرفون انه تسبيح وان لم يفهم غيرهم من الخلائق نحو ما ذكر من تسبيح الجبال والطير في قصة سليمان في قوله يا جبال اوبي معه والطير وقال في اية اخرى يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب ولو كان التسبيح ممن ذكر تسبيح خلقة لكان سليمان وغيره من الناس في ذلك شرعا سواء والعشي وغيره من الاوقات سواء فدل تخصيص الاوقات من بين غيرها على ان تسبيح هذه الاشياء ليس تسبيح خلقة ولكنه تسبيح عبادة بالمعنى الذي جعل له فيه وان لم يفهم غيره من الخلائق تسبيحهم الا ترى ان الله تعالى اخبر عن النملة حيث قال قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الاية ثم معلوم انه لم يكن حقيقة قوله كقول المميز والممتحن ولكنه معنى فهموه منها فذلك فعلى ذلك الاول الا ترى انه اخبر عن نطق الجوارح وشهادتها عليه يومئذ حيث قال يوم تشهد عليهم الاية وقال تشهد عليهم الاية ففهم هؤلاء من شهادة الجوارح عليهم ما لم يفهم غيرها حتى انكروا عليها ذلك ذلك انه ما ذكرنا وذلك جائز ان يكون لمعنى فيهم فهموا هم ولا يفهم غيرهم الا ترى ان الله جعل في سرية الماء معنى يحيى به كل شيء اذا اصابه ووصل اليه وذلك المعنى لا يعلمه الا الله او من اطلعه الله عليه وارتضاه لغيبه ورسوله فعلى ذلك تسبيح من في السموات والارض والطير وغيره جعل في سريتهم معنى يعرفون هم من انفسهم ذلك تسبيحا له وتنزيها وان لم يفهم غيرهم والله اعلم كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله يسبح له من في السموات حرف من انما يعبر به عن المميز وحرف ما يعبر به غير المميز وقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه قال بعضهم كل من فيها قد علم صلاته وتسبيحه من الملائكة وغيره بلغته ولسانه نحو الانس والجن وجائز ان يكون قوله كل قد علم صلاته وتسبيحه ما ذكرنا ان كلا منهم يعرف ويفهم انه يسبح له وان لم يفهم غيره كانه يذكر سلطانه وملكه وغناه عن عبادة هؤلاء والتسبيح ان من سبح له كل شيء في السموات والارض فوق عبادة هؤلاء له وعبادته يحمل واحد لا ينفع ولا يضر وانه يقول من له ملك السموات والارض لا ينفعه الحاجة الى عبادة احد ولا طاعته وانما الحاجة والمنفعة في الطاعة والعبادة لهم دون الله ولذلك قال ولله ملك السموات والارض على اثر ذلك وقوله والله عليم بما يفعلون جائز ان يكون هذا على الوعيد اي عليم بما يفعل من ذكر من التسبيح وغيره وان يكون على الابتداء وعند الخلق اي عليم بجميع ما يفعلون وقوله ولله ملك السموات والارض والى الله المصير قد ذكر في غير موضع وقوله والطير صافات اي قد صفت اجنحتها في الطيران ولذلك قال ابو عوسجه اي صفت اجنحتها في الهواء فلا تحركها وقوله الم تر ان الله يزجي سحابا قيل يسوق سحابا ثم يؤلف بينه اي بعضه الى بعض ثم يجعله ركاما قال فيها تقديم وتأخير ثم يجعله ركاما اي قطعا يحمل بعضه على اثر بعض ثم يؤلف بينه اي يضم السحاب بعضه الى بعض بعد الركام وقال بعضهم قوله يزجي اي يخرجه من الارض فيسيره بين السماء والارض ثم يجعله ركاما وقوله

فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله وقيل خلله اي من خلل السحاب وينزل من السماء من جبال فيها من برد قال بعضهم جبال من ثلج ينزل الله على السحاب منها الثلج والبرد وقال بعضهم جبال خلقها الله من برد في السماء منها ينزل وليس في الاية بيان ان الجبال التي ذكر انه من السماء انها من ثلج او برد سوى انه اخبر ان فيها بردا فالاشياء تشبه بالجبال وتنسب اليها اما للكثرة واما للشدة والصلابة والعظم ثانيا كقوله وترى الجبال تحسبها جامدة الاية فجائز ان يكون الجبال المذكور في هذه الاية هي الجبال التي اخبر انه ينزلها او لا يدرى اين هي في السماء او فيما بين السماء والارض وقوله فيصيب به من يشاء في نفسه او زرعه او نحوه فيضره ويصرفه عن من يشاء فلا يصيبه وان كان على هذا فهو يخرج على التعذيب وكذلك عمل البرد يفسد في مكان ويترك مكانا لا يعم ولكن يصيب مكانا ويخطي مكانا وجائز ان يكون قوله فيصيب به من يشاء من بركته ويصرفه عمن يشاء من بركته يكاد سنا برقه قيل ضوء برقه كاد ان يقارب ان يذهب ضوء البرق بالابصار من شدة نوره يقلب الليل والنهار تقليبه الليل والنهار اختلافهما يأتي بهذا ويذهب بالاخر يذكر هذا والله اعلم صلة قوله والله ملك السموات والارض الاية يخبر عن سلطانه وقدرته وتدبيره وعلمه وحكمته ووحدانيته اما سلطانه وقدرته ما ذكر من سوق السحاب بين السماء والارض وتسخيره وضم بعضه الى بعض دل ذلك انه قادر بذاته لا يعجزه شيء ودل نزول المطر وانه ينزل في مكان دون مكان وتخطيه موضعا دون موضع مع اتصال السحاب وانضمام بعضه على السواء انه على التدبير والعلم كان ذلك لا بطباع السحاب او على جزاف ودل جريان الامر وانشاء التدبير فيما ذكرنا وفي اختلاف الليل والنهار وتقلبهما من حال الى حال من النقصان الى الزيادة ومن الزيادة الى النقصان واتصال منافع السماء بمنافع الارض ببعد ما بينهما انه تدبير واحد لا عدد اذ لو كان تدبير عدد لمنع بعض بعضا عما يريد من التدبير والنفع دل ذلك كله على انه واحد عليم قادر بذاته لا يعجزه شيء ولذلك قال ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار لما ذكرنا فيه من وجوه الاستدلال والاعتبار قال القتبي وابو عوسجه يزجي اي يسوق وكاما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله وخلله سنا برقه ضوؤه قال ابو عوسجه والركام والكثير المتراكم الذي بعضه فوق بعض يقال ارتكم الشيء اي صار بعضه على بعض ويقال ركمت المتاع اركمه ركاما اذا جعلت بعضه فوق بعض والودق المطر يقال ودقت السماء تدق ودقا اي مطرت يخرج من خلاله اي من بينه والواحد الخلال يكاد سنا برقه السنا مقصور وهو الضوء يقال السنا النار وهو واحد وقوله والله خلق كل دابة من ماء هو والله اعلم صلة قوله والله ملك السموات والارض لانه ذكر السحاب وما فيه من التدبير والعلم والحكمة وذكر ايضا تقليبه الليل والنهار وما فيهما من التدبير والعلم والحكمة والقدرة فعلى ذلك قوله والله خلق كل دابة من ماء يذكر قدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره اخبر انه خلق الخلائق كلهم من هذا الماء على اختلاف اجناسهم وجواهرهم من شيء واحد انهم لم يكونوا بالطباع كذلك ولكن بتدبير واحد عالم بذاته لا بعلم وتدبير مستفاد ولكن علم ذاتي اذ لو كانوا بالطباع لخرجوا على تقدير واحد وصفة واحدة والثاني انه لا احد من حكماء البشر يدرك كيفية انشاء هذا العالم وخلق هذه الخلائق من هذه المياه فانه خلق ذلك وليس في تلك المياه معنى ولا شيء من جوهر الخلائق دل انشاؤه اياهم انه قادر بذاته لا يعجزه شيء يخلق بسبب وبغير سبب وانه خلق الخلائق بحكمة ذاتية اذ لم يدرك ذلك حكماء البشر ودل خلق هذه الخلائق على هذه المعاني والاسباب انه لم يخلقهم عبثا ليتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم فاذ ثبت الامر والنهي ثبت الاحياء من بعد الممات للجزاء ودل قدرته على خلق هذه الخلائق من الماء انه قادر على الاحياء وانه لا يعجزه شيء لان من قدر على هذا القادر على ما ذكرنا ثم قوله فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين يذكر هذا والله اعلم لاحد وجهين اما تذكيرا اياه نعمه ورضاه وفضله الذي اعطاهم واحسانه الذي احسن اليهم لانه اخبر انه خلق هذا الانعام ينعقد لا سويا من غير ان كان منهم اختيار لذلك او يستوجبون ذلك قبله وخلق غيرهم من الدواب منكبين على وجوههم وما يمشين على بطونهم دل ذلك بفضل منه ونعمة او ذكر مثالا لاعمال الكفرة في الاخرة كقوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الاية اخبر ان الكفرة يكونون منكبين على وجوههم واهل الاسلام يمشون منتصبين مستوين يخلق الله ما يشاء بسبب وبغير سبب ان الله على كل شيء قدير لانه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة من غيره وقوله لقد انزلنا ايات مبينات الاية قد ذكرنا وقوله ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم اختلف فيه قال بعض اهل التأويل ابن عباس وغيره انه وقعت بين علي بن ابي طالب وبين عثمان رضي الله عنهما خصومة في ارض اشتراها عثمان من علي فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فقضى لعلي على عثمان والزمه الارض فقال قوم عثمان انه ابن عمه واكرم عليه فقضى عليك له او نحو هذا من الكلام فنزل في قوم عثمان ذلك الى اخر ما ذكر لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يكون عثمان او قومه يخطئون النبي رسول الله ما ذكر وقال بعضهم نزل هذا في بشر المنافق وذلك ان رجلا من اليهود كان بينه وبين بشر خصومة وان اليهودي دعاه الى رسول الله ودعاه بشر الى كعب بن الاشرف فقال ان محمدا يحيف علينا ونحوه من الكلام فنزل هذا الكلام لا نعلم انه فيمن نزل سوى ان فيه بيانا انها نزلت في المنافقين

وفي ظاهر الآية دلالة انهم علموا ان رسول الله لا يقضي الا بالحق لانه تعالى ذكر في اخره وان لم يكن لهم الحق يأتوا اليه
مذعنين مسرعين مطيعين ولو كان عندهم انه يقضي بالجور لكانوا لا يأتونه للقضاء وان كان الحق لهم يخافون الجور
والظلم عليهم لكن ما ذكر في سياق هذا يمنع هذا التأويل وقوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله
عليهم ورسوله في هذا من الدلالة ان عندهم انه لا يقضي بالحق لهم وانه يجور حيث قال افي قلوبهم مرض ام ارتابوا
او يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله فمن كان على هذا الوصف فهو يخاف جوره وحيفه الا ان يجعل الآية في فرق
من المنافقين فرق منهم عرفوا انه لا يقضي الا بالحق وفرق منهم كان في قلوبهم مرض وفرق ارتابوا وفرقتهم خافوا
جوره وهم كانوا فرقا الا ترى انه قال ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله ومنهم من قال كذا ومنهم قال كذا ومنهم
قال كذا وان يكون تأويل قوله وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين اي وان يكن لهم القضاء بالحق انه
مذعنين اي اذا عرفوا انه يقضي لهم لا تخاله آيته ولاية بيان فان كان على هذا فما ذكر على بيان من المرض
والارتياب والخوف في الحيف فيستقيم على هذين الوجهين يحتمل ان يخرج تأويل الآية واما على غير ذلك فانا
لا نعلم والله اعلم **وقوله** وما اولئك بالمؤمنين لانّ من ارتاب او شك في رسالته او خاف جوره وحيفه فهو
لا يكون مؤمن وفي قوله افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون يخرج على وجهين وان كان ظاهره حرف
شك احدهما على الايجاب والتحقيق او في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا على ما ذكرنا في حرف الاستفهام
انه في الظاهر وان كان استفهاما فهو في التحقيق علم وايجاب اي قد علمت وارتابت ونحوه لما لا يجوز الاستفهام
منه فعلى ذلك هذا والثاني ما ذكرنا انه في فرقة عرفت انه لا يقضي الا بالحق وفرقة منهم ارتابت وفرقة
منهم خافت جوره وظلمه قال القتبي قوله مذعنين اي خاضعين وقال ابو عوسجة مسرعين مطيعين يقال
ناقة مذعان اي مريضة وناقة مذاعين والحيف الجور حاف يحيف حيفا فرق فهو حائف **وقوله** واذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم قوله دعوا الى الله يحتمل اضافة الدعاء الى الله وجهين احدهما دعوا الى كتاب الله والى رسوله
اذا فريق منهم معرضون كقوله واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا والثاني اضافة الى الله هي اضافة الى رسوله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله جعل طاعة
الرسول طاعة الله فعلى ذلك جائز ان يراد باضافة الدعاء الى الله دعاء الى رسول الله وعلى ذلك يخرج قوله افي
قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله لا يحتمل ان يكونوا يخافون حيف الله وجوره
لكن انما يخافون جور رسوله او كتابه والله اعلم **وقوله** انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله قد ذكرنا
اضافة الدعاء الى الله في قصة المنافقين ونعتهم فعلى ذلك في نعت المؤمنين **وقوله** ان يقولوا سمعنا واطعنا
يحتمل قوله اي سمعنا الدعاء واطعنا الامر ويحتمل سمعنا اجبنا واطعنا الامر وجائز ان يكون قوله سمعنا واطعنا
ليس على حقيقة القول منهم والنطق به ولكن اخبار من الله تعالى عما علم واعتقد وابدا كل مؤمن يعتقد في
اصل اعتقاده طاعة الله وطاعة رسوله فيكون كما ذكر في اية اخرى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
هذا اخبار عما اطعموا لهم لا انهم قالوا بالسنتهم انما نطعمكم لكذا ولكن اخبار عما في قلوبهم فعلى ذلك الاول **وقوله** واولئك
هم المفلحون المفلح هو الذي يظفر بحاجته دينا ودنيا والاخرة يقال فلان افلح اي ظفر بحاجته والله اعلم **وقوله** ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه يحتمل قوله ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بقي من عمره او يخشى الله على ما يكون
منه من التقصير والتفريط ويتقه ذلك وكل معصية الله ومخالفته فاولئك هم الفائزون وفي حرف ابن مسعود وابي
وحفصة فاولئك هم المؤمنون منهما واحد **وقوله** واقسموا بالله جهد ايمانهم قال بعضهم كل يمين بالله فهو جهد اليمين
لانهم من عاداتهم كانوا لا يحلفون بالله الا في العظيم من الامور الخطر فاما الا مرا دون فانما يحلفون بغيره فيكون
على هذا كل يمين بالله فهو جهد اليمين ويحتمل ان يكونوا احلفوا بيمين غليظة شديدة على ما يغلظ الناس في ايمانهم
ربما فسمي ذلك جهد اليمين او ان يكون جهد اليمين ما ذكر على اثره وهو قوله لئن امرتهم ليخرجن قوله لئن امرتهم
ليخرجن هو جهد ايمانهم والله اعلم **وقوله** لئن امرتهم ليخرجن قوله لئن يحتمل وجوها لئن امرتهم ليخرجن من اوطانهم التي
تفاسموا اليه فيها اي ليخرجن ويسلمونها الى خصمائهم ويحتمل لئن امرتهم ليخرجن من جميع املاكهم وما تحويها ايديهم
تعظيما لامرك امرتهم واجلالا فكيف لا يتبعون لقضائك ويتعادون لحكمك وجائز ان يكون قوله ليخرجن من المدينة
بعيالاتهم وجميع حواشيهم الى بلدة اخرى وقال بعضهم لئن امرتهم ليخرجن اي لئن امرتهم ان يخرجوا في الجهاد ليخرجن
لانهم كانوا يتخلفون ثم امر رسوله ان ينهاهم عن القسم الذي تسموا فقال قل لا تقسموا طاعة معروفة اختلف
فيه قال بعضهم لا تقسموا فان الله لا يبلغ منكم الجهد لم يبلغوه ثم قال طاعة معروفة تقولوا اطيعوه وقولوا المعروف
وقال بعضهم قوله لئن امرتهم ليخرجن قل لا تقسموا تم الكلام ثم قال طاعة معروفة وفي هذا الكلام خوف للايمان
يشدد بظاهره عليه كان القول كانوا يتقون ويحلفون في الظاهر على ما يضمرون خلافه فقيل لهم لا تقسموا هي
طاعة معروفة صحيحة لا نفاق فيها لا طاعة فيها نفاق وقال بعضهم لا تحلفوا ولكن هذه منكم للنبي طاعة معروفة
حسنة وقال بعضهم طاعة معروفة بقول طاعة يعرف انها طاعة بالقول والعمل لا تكونوا كاذبين فيها بالقول دون
العمل وبعضه قريب من بعض ان الله خبير بما تعملون فلا تقسموا وفيه دلالة اثبات رسالته لانهم كانوا يسرون
ويضمرون فيما بينهم التولي والاعراض عنه ثم اخبرهم بذلك فعلموا انه بالله عرف ذلك **وقوله** قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول

فان تولوا

فان تولوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم قال فانما على النبي ما امر بتبليغ الرسالة
وعليكم ما حملتم وامرتم من الطاعة لله ورسوله ويحتمل فانما عليه اداء ما حمل من الفرائض وعليكم اداء
ما حملتم وامرتم من الفرائض وجائز ان يكون قوله فانما عليه ما حمل اي لا يسأل هو ولا يؤاخذ بما
عليكم ولا تسألون انتم ولا تؤاخذون ايضا بما عليه انما يسأل كل عما عليه كقوله ما عليك من حسابهم
من شيء وما من حسابك عليهم من شيء والله اعلم **وقوله** وان تطيعوه تهتدوا لا شك انهم ان اطاعوه اهتدوا
وما على الرسول الا البلاغ المبين ظاهره **وقوله** وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم قال بعضهم مكث رسول الله بمكة سنين من بعد ما اوحي اليه خائفا هو واصحابه
يدعون الناس الى الله تعالى سرا وعلانية ثم امر بالهجرة الى المدينة فكانوا بها خائفين يصبحون في السلاح
فقال رجل من اصحابه يا رسول الله اما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح فقال رسول الله لن
تلبثوا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيهم حديدة فانزل الله هذه الآية
على اثر ما ذكر وقال بعضهم لما صد المشركون رسول الله واصحابه يوم الحديبية وعد الله المسلمين ان يظهرهم
وان يفتح لهم مكة وقال ونصديق ذلك ما ذكر في سورة الفتح وهو قوله هم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام الآية حتى قال في اخر ذلك هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
الآية ووعد رسوله في القرآن انه يستخلفهم في الارض ونزل فيها كما استخلف الذين من قبلهم فجعلهم
خلفا في الارض وقال قائلون كان وعد اياهم في التورية والانجيل والزبور انه يجعلهم خلفا في الارض
كما فعل بالذين من قبلهم ولكن كيف ما كان ذلك الوعد لهم في القرآن او في الكتب المتقدمة ففيه امران
اثنان احدهما البشارة للمسلمين والحجة على الكافرين لانه وعد لهم الامن في النصر في وقت لا يرجون
ولا يطمعون النجاة فضلا ان يطمعوا الاستخلاف والتمكن في الارض واظهار الدين الذي ارتضى لهم
وهو الاسلام على الاديان كلها فاذا كان مثل ذلك الوعد والبشارة لا يطمع ولا يرجى في مثل ذلك الوقت
والخوف علم انه انما بشرهم بذلك بوحي من الله ووعدهم فكان ما وعد دل انه بالله وعد ذلك وبشر فذلك
على حجة على اولئك وبشارة للمؤمنين والله اعلم **وقوله** ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون قوله ومن
كفر بعد ذلك ليس بشرط فيه لانه لو كفر قبل ذلك ايضا فهو فاسق ثم من الناس من قال ومن كفر بعد هذه
النعم التي انعمها عليهم ولم يشكره عليها فهو كذا وجائز ان يكون قوله ومن كفر بعد ذلك وليس له جواب
وقوله واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم ترحمون اي ترحمون
هو ظاهر قد ذكرنا هذا فيما تقدم في غير موضع ثم قال لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض قال بعضهم
معجزين اي فائتين في الارض هربا من عذاب فلا يدركهم وقال بعضهم سابقين في الارض هربا ايضا حتى
لا يجزون بكفرهم وهو واحد ومأويهم النار ولبئس المصير قد ذكرنا ايضا **وقوله** لا تحسبن كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعلم انهم ليسوا بفائتين ولا بسابقين عنه لكنه ذكر له هذا كما ذكر في قوله ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون وهما واحد وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة حسب الذين كفروا ان يعجزوا الله في السموات
والارض انه وان اختلف الحروف فالمعنى واحد والله اعلم **وقوله** يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم
والذين لم يبلغوا الحلم منكم قال بعضهم ذكران رجال وامرأة تسمى اسماء ابنة مرثد اتخذا طعاما للنبي فجعل
الناس يدخلون بغير اذن فقالت اسماء ما اقبح هذا يا رسول الله ان يدخل على الرجل والمرأة بغير اذن وهما
في ثوب واحد غلام منها المملوك فانزل الله ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم وقال بعضهم نزل هذا في شأن عمر بن الخطاب
وهو مما قال وافقت ربي في ثلاث ذكران رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر
بن الخطاب ظهيرة ليدعوه فانطلق الغلام اليه ليدعوه فوجده قائلا قد اغلق عليه الباب فسأل الغلام
عنه فاخبرانه في هذا البيت قال فدفع الغلام الباب الى عمر وسلم فلم يستيقظ عمر فرجع الغلام ورد الباب فقام
من خلف وحركه فلم يستيقظ فقال الغلام اللهم ايقظه لي قال ودفع الباب ثم ناداه ودخل فاستيقظ عمر
فجلس فانكشف منه شيء فرآه الغلام وعرف عمر وددت والله ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا ان يدخلوا
هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد نزل عليه هذه
الآية وامر بالاستئذان على دخولهم في هذه الساعات لكن لا حاجة لنا الى ان نعرف انها نزلت في شأن
فلان او في امر فلان وسببه سوى ان نعرف الودع فيها وما ذكر من انواع الآداب والاحكام ثم
خاطب بالاستئذان المستأذن عليه الا المستأذن والسادات والآباء ومن يقول بالصغار وحيث قال ليستأذنكم
الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم وذلك الخطاب والله اعلم يخرج مخرج الامر للآباء والسادات بتعليم
امور الدين والقيام بما يحتاجون اليه والتأديب على ذلك ان ابتدأ بنفسهم وكذلك ما روي عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيث قال مروا صبيانكم بالصلوة اذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا وفرقوا
بينهم في المضاجع خاطب به الآباء والاولياء ان يأمروهم بامور الدين من عادة والتعليم لهم والتأديب
ان امتنعوا عن ذلك ولم يخاطبهم في انفسهم لجهلهم وقلة معرفتهم بامرهم واذا بلغوا وعرفوا الامر فعند ذلك خاطبهم

بانفسهم بالاستيذان حيث قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا خاطبهم اذا بلغوا وامرهم بالاستيذان في انفسهم وما داموا صغارا خاطب بذلك الاباء والاولياء لما لا يجري عليهم القلم وليس الخطاب والامر والنهي لاجريه القلم عليهم وترك الامر والخطاب لدفع القلم عنهم واما امر الاباء لهم بذلك يخرج مخرج الشفقة لهم عليهم و القيام لبعض مصالحهم وذلك جائز ثم اختلف في ما ملكت ايمانكم قال جماعة هن النساء دون الرجال واما الرجال فانهم يستأذنون في جميع الاوقات وقال بعضهم هم النساء والرجال جميعا والنهي عن الدخول في هذه الاوقات غرة وساعات غفلة للذكور والاناث جميعا ومنهم من يقول هم الكبار منهم دون الصغار والصغار والاشبه ان يكون في الصغار منهم لان الكبار منهم والاحرار سواء في خطر النظر الى العورة والاختيار الا ترى انه قال والذين لم يبلغوا الحلم منكم وهم الاحرار والصغار فعلى ذلك قوله ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم الصغار منهم امر السادات بتعليم ما ذكرنا من الامور والله اعلم وقوله الذين لم يبلغوا الحلم منكم هذا يحتمل وجهين يحتمل قوله لم يبلغوا الحلم اي لم يحتلموا ويحتمل والذين لم يبلغوا الحلم او لم يبلغوا مبلغ الحلم بعدما جعلهم في مراتب ثلاث اعني الصغار في حال لا يؤمرون ولا ينهون وهي الحال التي لا يميزون بين العورة وبين غير العورة وهو ما قال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء اي لم يعرفوا العورة من غير العورة وحال يعرفون ذلك الا انه لا يقع لهم الحاجة اليها فيؤمرون بالستر عنهم وحال يقع الحاجة اليها وقضاء الوطر فيؤمرون بالحجاب والتفريق في المضاجع والله اعلم وقوله ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم يحتمل قوله ثلاث عورات لكم وجهين احدهما ثلاث اوقات عورات لكم وساعاتها ويحتمل ثلاث عورات اي ثلاث حالات يظهر فيها العورة كقوله ان بيوتنا عورة اي ليس مما يمنع السراق عن السرقة منها وفيه ان العمل بالاجتهاد في الاغلب والاكثر من الامور والامر ليس على الحقيقة جائز لانه قد سمى ثلاث عورات من الامر ونهي عن الدخول بلا استيذان وان كان يجوز ان يكون العورة مستورة واباح في غيرها من الاوقات الدخول بلا استيذان ويجوز ان يكون هنالك كشف العورة حيث قال ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي بعد ثلاث ساعات طوافون عليكم بعضكم على بعض لكنه اباح وحظر بالاغلب والاكثر لا على الحقيقة وهكذا العمل بالاجتهاد والله اعلم وقوله طوافون عليكم اي يخدمونكم بعد هذه الثلاث ساعات يدخلون عليكم بغير اذن بعضكم على بعض بالخدمة فلو اذن عليهم لما ذكرنا ان الاغلب ان يكون العورات مستورة في غير هذه الثلاث ساعات لا قال القتبي الذين ملكت ايمانكم العبيد والاماء ثلاث عورات لكم يريد هذه الاوقات لانها اوقات التجرد وظهور العورة اما قبل صلوة الفجر فللخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار واما عند الظهيرة فلوضع الثياب للقيلولة واما بعد صلوة العشاء فلوضع الثياب للنوم بعدهن اي بعد هذه الاوقات ثم قال طوافون عليكم يريد انهم خدمكم فلا بأس بان يدخلوا قال الله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون اي يطوف عليهم في الخدمة وقال ابو عوسجة الظهيرة نصف النهار وظهائر جميع واظهرت اي دخلت في الظهيرة وقوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا فقد ذكرنا انه خاطب به الاولياء في تعليم الاداب وامور الدين الصغار ولم يخاطبهم هو حيث قال ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم واذا بلغوا خاطبهم بانفسهم حيث قال واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا لم يحتمل قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم وجهين يحتمل اذا احتلموا ويحتمل اذا بلغوا وقت الحلم فالاول على حقيقة الاحتلام والثاني على قرب بلوغ الاحتلام فكان الاول اشبه لانه خاطبهم في انفسهم وامرهم بالاستيذان فلو لم يكونوا بالغين لم يخاطبهم ولكن خاطب به الاولياء كما خاطبهم في الاية الاولى وفيه دلالة ان الحكم في بلوغ الصغير الاحتلام وعلى ذلك اتفاق القول منهم الا ترى انه قال فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم يقول والله اعلم ما امرهم قبل هذه البالغين ان لا يدخلوا بيتا حتى تستأذنوا على اهله او ان يكون قوله كما استأذن الذين من قبلهم يعني الكبار ان يكون الاستيذان ان في الكبار معروفا ظاهرا في الصغار لا فامر اذا بلغوا ان يستأذنوا كما يستأذن الكبار منهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق ظاهر الاية وهو ما قال رفع القلم عن ثلاث احدهم الصبي حتى يحتلم واما اذا بلغ خمس عشرة سنة فما اختلف اصحابنا فيه راه ابو يوسف ومحمد بالغا لحديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اجازه في القتال وهو ابن خمس عشرة سنة ولم يجزه وهو ابن اربع عشرة سنة لكن ليس فيه انه اجازه لبلوغه ولم يجزه لانه لم يبلغ جاز ان اجازه في العام الثاني لقوته وطاقته على القتال ولم يجزه في العام الاول لضعفه ووهنه وعجزه عن القتال واحتج بعض اصحابنا رحمهم الله لقول ابي حنيفة في تحديده بثماني عشرة سنة لبلوغ الغلام اذا لم يحتلم قال لان الوسط من احلام الغلمان ان يبلغوا خمس عشرة سنة وربما احتلموا قبل ذلك وربما تأخر احتلامهم عنه ووجدنا المعروف فيمن نقصت سنة عن اثنتي عشرة ان لا يحتلم فاذا بلغها فربما احتلم فجعل هذا الزيادة على الخمس عشرة سنة التي هو وسط بين المختلفين ثلاث سنين كما كان مقدار النقصان عنها ثلاث سنين وهذا القول من قوله استحسانا والله اعلم وقوله كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم قوله كذلك يبين الله لكم الايات اعلامه اي يبين لكم الاعلام التي تحتاجون اليها وتعرفون ما يباح لكم مما لا يباح وما يؤتى مما يتقى وقال بعضهم الايات ههنا امره ونهيه والله اعلم وقوله والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا قال اهل التأويل قوله لا يرجون نكاحا لا يريدون نكاحا لكن الاشبه ان يكون قوله لا يرجون نكاحا اي لا يطمعن ان يرغب فيهن

الرجال لكبرهن والا لكن يردن النكاح وان كبرت وعجزت وقوله فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وقال بعضهم ثيابهن الرداء وكذلك روي في حرف ابن مسعود انه قال ان يضعن من ثيابهن وهو الرداء وقال بعضهم هو الجلباب يقال الجلباب هو القناع الذي يكون فوق الخمار فلا بأس ان تضع ذلك عند اجنبي وغيره بعد ان يكون عليها خمار صفيق غير متبرجات بزينة يقول والله اعلم من غير ان يكون وضعت الرداء او الجلباب تريد بذلك اظهار الزينة والتبرج وقوله وان يستعففن خير لهن اي وان لا يضعن ما ذكرنا من الثياب خير لهن من ان يضعن وقال بعضهم الخمار ولكنه لا يحتمل لانه معلوم ان المرأة وان كبرت وعجزت لا تكشف عورتها لاحد ثم الزينة ربما تكشف للمحارم ولا تكشف للغريب وهو الرأس والصدر ونحوه فاذا بلغت في السن مبلغا لا تطمع ان يرغب في نكاحها لا تتزين ومما لا تفعل لا يحل للاجنبي ان ينظر الى شعرها ولا الى صدرها ولا الى ساقيها وذراعيها وان صلت ورأسها مكشوف فاسدة واذا كان كذلك فليس يجوز ان يحمل تأويل وضع الثياب الخمار لما ذكرنا ولكن الرداء والجلباب الذي يلبسن اذا خرجن من منازلهن فان قيل انما اطلق لها بهذه الاية ان تضع خمارها عن رأسها اذا لم يرها احد قيل الشابة ايضا يجوز لها ان تضع الخمار عن رأسها اذا خلت في البيت فذلك يدل على ان العجوز اذن لها ان تضع ثوبها وهو الجلباب والملاءة الذي كانت تغطي بها وجهها اذا خرجت واذا كان المطلق لها هذا فالواجب على الشابة ان لا تظهر وجهها اذا كانت تشتهى ولا بدنها فاذا كان كذلك كان قوله الا ما ظهر منها وهو الزينة التي لا يمكن سترها بحال وهو الكحل والله اعلم وقوله غير متبرجات بزينة قال بعضهم اي غير مظهرات محاسنهن وقال بعضهم غير متبرجات اي غير متزينات بزينة والمتبرجة المتزينة لاظهار الزينة والزينة هي الداعية اليها وقضاء الشهوة فكانه اباح لها وضع الثياب اذا كانت غير متزينة واذا كانت متزينة فلا واباح لها ايضا اذا لم يكن بها محاسن يرغب فيها واذا كان بها ذلك لم يبح وقوله وان يستعففن خير لهن يحتمل وجهين يحتمل وان يستعففن ولا يبدين محاسنهن خير لهن من ان يبدين محاسنهن والثاني وان يستعففن ولا يضعن ثيابهن حتى يكون ذلك علما بين معرفة الحرة من الامة خير لهن من الوضع كقوله يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اي يعرفن انهن حرائر فلا يؤذين كما تؤذى الاماء والله اعلم وقوله والله سميع عليم كان قوله والله سميع عليم ههنا صلة قوله ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والا ليس في هذه الاية ما يوصل به او ان يكون جوابا له قال القتبي القواعد من النساء هن العجز واحدها قاعد ويقال انما قيل لها قاعد لقعودها عن الحيض والولد ومثلها لا ترجو النكاح اي لا تطمع فيه ولا اراها سميت قاعدا بالقعود عما ذكر الا انها اذا اسنت عجزت عن التصرف وكثرة الحركة واطالت القعود فقيل لها قاعد بلا هاء لتدل بحذف الهاء على انه قعود كبير كما قالوا امرأة حامل بلا هاء ليعرف على انه حمل حبل وقالوا في غير ذلك قاعدة في بيتها وحاملة في ظهرها وقال والعرب تقول امرأة واضع اذا كبرت فوضعت الثياب ولا يكون هذا الا في الحرمة وقال ابو عوسجة غير متبرجات اي غير مظهرات محاسنهن والمتبرجة المتزينة باظهار الزينة وحاصل قوله ليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة يخرج على وجهين والله اعلم احدهما يكون معنى قوله لا يرجون نكاحا غير متبرجات بزينة كل واحد من الحرفين يكون معناه معنى الاخر كقوله محصنات غير مسافحات اذا كن محصنات كن غير مسافحات واذا كن غير مسافحات كن محصنات فعلى ذلك قوله لا يرجون نكاحا اذا كن لا يرغبن النكاح كن غير متبرجات والله اعلم لان التزين انما يكون لمن طمعها في النكاح والثاني سمعها لا يرجون النكاح يتزين ويتبرجن فقال ليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير مظهرات الزينة على هذين الوجهين جائز ان يخرج تأويل الاية وقوله وان يستعففن عن ذلك كله خير لهن والله اعلم وقوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج الاية اختلف في تأويله قال بعضهم ان الرجل الصحيح كان يتحرج من اكل الاعمى والاعرج والمريض اشفاقا عليهم ورحمة يقول انه لا يبصر الطعام فلعله يأكل الخبيث وانا اكل الطيب ويقول ان الاعرج لا يستوي جالسا اذا قعد فلا يقدر ان يتناول فيما اتينا ولكن ما والمريض لا يأكل مثل ما يأكل الصحيح وكان الرجل لا يأكل من بيت ابيه ولا من بيت امه اذا لم يكونا فيه وكذلك ما ذكر الى اخره يكونوا فيه وكذلك الصديق وهؤلاء فانزل الله هذه الاية في رخصة ذلك كله وقال ان جن اهل الزمنى والعميان والعرج والمرضى اولى الحاجة منهم يستتبعهم رجال الى بيوتهم ويستضيفونهم فان لم يجدوا لهم طعاما وشيئا يأكلونه ذهبوا بهم الى بيوت ابائهم ومن عدد معهم فكره ذلك المستتبعون ان يتناولوا من غير بيوت اولئك بلا دعوة ولا اذن سبق منهم فانزل الله في ذلك اباحة لهم ورخصة وامضى لهم الطعام حيث وجدوه وقال ان الاعمى والاعرج والمريض وهؤلاء الذين كانت بهم زمانة كانوا يتحرجون مواكلة الاصحاء مخافة ان يتقذروا منهم ويستقذروا ويقول الاعرج لا اوكل الناس لاني اخذ من المجلس مكان رجلين واضيق عليهم وقال الاعمى اني افسد عليهم طعامهم وكذلك المريض منهم يقول مثل ذلك فانزل الله الرخصة في ذلك ورفع عنهم الجناح في مواكلتهم فيقول ان الحق عليهم ان يرحموكم لما بكم من الزمانة وان يدعوا لكم بالرفع عنكم لا التقذر والاستقذار عنكم وقال بعضهم ان الرجل الغني كان يدخل

على الرجل الفقير والزمن فيدعوه الى طعامه فيقول والله اني لاجنح واحرج ان اكل من طعامك وانا غني وانت
فقير فانزل الله في ذلك ولا على انفسكم الى اخره الى اخر الاية وقال بعضهم كان هذا في اهل الجهاد وان الرجل كان
يخرج الى الجهاد فيخلف الزمن في منزله في حفظ ماله واهله والقيام بكفايتهم فكان يتحرج ولا ياكل من ماله شيئا ولمن
طعامه لما لم يسبق منه الاذن في ذلك فانزل الله في ذلك رخصة واباحة التناول من ذلك الى هذا انتهت
اقاويل اهل التاويل وتاويلهم والاشبه عندنا ان يكون تاويل الاية في غير ما ذهبوا هم اليه
وهو ان يكون قوله ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي ليس على هؤلاء حرج ان ياكلوا من
بيوت ابائهم وامهاتهم وبيوت اخوانهم او بيوت اعمامهم الى قوله او بيوت خالاتكم لانهم انما ياكلون بالحق لانه
من كان زمانة كان له التناول من اموال من ذكر من الاباء والامهات والقرابات اذ تفرض لهم النفقة في اموالهم
فيكون في ذلك دلالة وجوب النفقة لهم في اموالهم ويكون ولا على انفسكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم او ما ملكت
مفاتحه او صديقكم اي لا باس ان تاكلوا من بيوتكم او ما ملكتم مفاتحه او من بيوت صديقكم اذ ليس يباح
الرجل التناول من مال نفسه ومن مال صديقه في حال عذر ولا يباح في حال الصحة والسلامة بل يباح في
الاحوال كلها دل ان التاويل الذي ذكرنا اشبه فيصرف تناول الزمنى في اموال القرابات بحق النفقة والحق
ومن ليس به زمانة في ماله ومال صديقه بحق الملك والصداقة ولا يزول صلتها ثم اختلف في قوله ولا على
انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم قال بعضهم من بيوت اولادكم وقال بعضهم من بيوت ازواجهم ونسائهم وقال
وقال بعضهم من بيوت انفسهم وهو ما يجد الرجل في بيته من طعام فانه لا باس ان ياكله وكذلك لا باس للرجل
ان ياكل من بيت زوجته لانه لم يذكر في الاية بيت الولد وبيت الزوجة على الاشارة والتفسير فيصرف
تاويل قوله ان تاكلوا من بيوتكم الى هؤلاء وقوله وما ملكتم مفاتحه اي خزائنه يحتمل العبيد لان السيد يملك مال
عبده ويحتمل الوكيل والخازن ان ياكل من طعام موادمه بغير اذن البيه ويحتمل قوله او ما ملكتم مفاتحه السيد
نفسه صاحب الخزانة ومالكها ثم ذكر الاكل من بيوت من ذكر على التاويل الذي ذكرنا واستدل للنا على ايجاب
النفقة لهؤلاء الزمنى في اموال من ذكرنا من القرابات يخرج على وجهين احدهما ذكر البيوت لانهم اذا كانوا زمنى
يستوجبون السكنى ايضا مع النفقة فذكر البيوت لكونهم فيها وسكناهم معهم والثاني ذكر الاكل من بيوتهم
لئلا يفهم من الاكل الاخذ منها لا نذكر في ايات الاكل والمراد المفهوم منه الاخذ كقوله يا ايها الذين امنوا
لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما وقوله لا تاكلوا الربوا مفهوم المراد
من الاكل المذكور في هذه الايات الاخذ لا الاكل نفسه نصرها هاهنا الاكل من بيوتهم لئلا يفهم منه الاخذ كما فهم
من ملك وعلى تاويل اهل التاويل مستقيم ظاهر ذكر البيوت اذ لا يحملون في ذلك الاكل والتناول منه اكلا وتناولا
بحق وقوله ليس عليكم ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قال بعضهم ذكر هذا لان قوما كانوا لا ياكلون وحده ولا
يرون وذلك خسيسا في الخلق ويتحرجون ذلك حتى يكون معهم غيره فرخص الله تعالى لهم ذلك ورفع عنهم الحرج فقال
ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا وعلى تاويل من يقول انهم استضافوا قوما فلم يجدوا في بيتهم شيئا ياكلون
ذهبوا بهم الى بيوت هؤلاء يتحرج اولئك الاضياف الاكل من بيوت من ذكر ولم يلبثوا فيها فرخص لهم في ذلك
وعلى تاويل من يقول انهم كانوا يتحرجون الاكل مع الاعمى ومن ذلك اشفاقا عليهم وترحما لانه لا يبصرون طيب الطعام
ولا ياكلون مثلما ياكل الصحيح فرفع عنهم ذلك الحرج ورخصهم في ذلك وعلى تاويل من يقول انهم كانوا يتحرجون الاكل
مع هؤلاء تقذرا واستقذارا ترغيبهم في الاكل معهم او لئلك وترك التقزز عن ذلك وبذل للطعام وعلى لاول ما روي
عن اصحاب رسول الله روي عن محمد بن علي قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى احدهم انه احق
بالدنانير والدراهم من اخيه المسلم التقزز قال وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليأتين على الناس زمان يكون الدينار
والدرهم احب الى الرجل من اخيه المسلم ومن ابن عمر قال لقد رايتنا وما الرجل المسلم باحق بديناره ودرهمه من
اخيه المسلم وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم يحتمل قوله فسلموا على انفسكم اي يسلم بعضكم على بعض فيصير
المسلمين اجمع بعضهم لبعض كانفسهم كقوله ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا وقوله لا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل ونحو ذلك من الايات يصير بعضهم لبعض لانفسهم لانهم كشيء واحد لما بعضهم يالم بعض ويحزن
بعضهم بحزن بعض ويسر بعضهم بسرور بعض ونحوه منهم جميعا كشيء واحد وانفسهم جميعا كنفس واحدة لذلك جعل
سلام بعضهم على بعض في حق السلام واحدا ويحتمل وجها اخر وهو ان بعضهم اذا سلم على بعض يرد عليه مثله فيصير
كانه هو سلم على نفسه وكذلك قوله ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل احد اخر فيقتل به فيكون قاتل نفسه لا انه لو
اياه لم يقتل به وكذلك قوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ان ابا الاكل مال غيره بغير رضا صاحبه فانما يضمن فكانه اكل مال
نفسه بالباطل ويحتمل ان اراد به السلام على انفسهم اي يسلم كل على نفسه وان لم يكن فيه احد وكذلك روي
عن ابن عباس قال اذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعلى ذلك [illegible] الاخبار
من دخل بيتا او مسجدا ليس فيه احد فليقل السلام علينا من ربنا والسلام على عباد الله الصالحين وعلى ذلك جاز
ان يكون قوله لا تقتلوا انفسكم بنفسه لا تقتلوا [illegible] ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وجاز
ان يراد به لا تفسدوا اهلكم اي سلموا على اهلكم [illegible] ثم اختلف في السلام قال بعضهم السلام هو اسم من

لان الزمانة ترفع الصداقة من بينهم وكذلك وجوب النفقة في مال الصديق يرفع الصداقة

انما الله فتاويله عليك اسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء ولا يلحقك برا[illegible] كقوله بسم الله الذي لا يضر مع
اسمه شيء في الارض ولا في السماء وقوله تحية من عند الله مباركة طيبة اي انها كرامة كما انه قال كرامة من عند الله
لكم وقوله مباركة هو الذي ينال به كل خير [illegible] وقوله طيبة
اي ما يستطيب به كل احد وقال بعضهم طيبة اي حسنة فتاويله ما يستحسن به كل احد وقال بعضهم قوله
تحية من عند الله يقول سلام من امر الله لكم مباركة بالمغفرة طيبة [illegible] والله اعلم وقوله وكذلك يبين
الله اي مثل الذين يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون اي كي تعقلون مالكم وما عليكم ومالله عليكم وما لبعضكم
على بعض وقوله بيوتكم ماذكرنا قال بعضهم المساجد وقال بعضهم البيوت المسكونة كقوله لا تدخلوا غير
بيوتكم وقوله انما المؤمنون الذين امنوا بالله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه قال
في اية اخرى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الاية وقال في اية اخرى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا هذا والله اعلم ليبين ان ما ذكر من الاسباب
وترك الارتياب وزيادة الايمان بالتلاوة ونحوه من شرط الايمان ولكن والله اعلم ان الاولى بالمؤمنين
هذا ان لا يذهبوا حتى يستاذنوا رسوله وان لا يرتابوا وان يجاهدوا وان يزداد لهم التلاوة ما ذكر
ليس على جعله شرطا للايمان ولكن ما ذكرنا من الاولى بهم والاختيار لهم ما ذكر والله اعلم ثم ذكر في
هذه الاية ان المؤمنين لا يذهبون عنه ولا يفارقون الا بالاستيذان منهم من رسول الله وذكر ان
المنافقين يذهبون ويفارقونه تسللا ولواذا حيث قال قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وقال
في اية اخرى لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر وذكر انهم لا يستاذنونك وانما يستاذنك الذين
بقوله انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فهذه الايات في ظاهر المخرج مختلفة وان كانت
في المعاني المدرجة فيها موافقة فهذا يبطل قول من يحتج بظاهر المخرج اذ للملحدة ان تقول هو مختلف في الظاهر
وانه من عند غير الله بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فدل ما ذكرنا ان
الاستحجاج بظاهر المخرج باطل والاعتقاد به فاسد خيال فرجا يجوز ان يكون ما ذكر من استيذان المؤمنين
وترك استيذانا ولئك للخروج منه لما لا يستاذنه المؤمنون للخروج من عنده الا لعذر واولئك
يستاذنونه للخروج لا للعذر كقوله تعالى ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ونحوه واما المؤمنون فلا يستاذنونه
الا بعذر وان يكون ذلك في نوازل مختلفة او في فرق وان يكون المؤمنون يظهرون له عذرهم و
يفوضون امورهم الى رسول الله على ان ينظر في ذلك فان راى الصواب ان ينصرفوا صرفهم وان راى
الصواب الكون والمقام معه اقاموا معه والمنافقون لا على ذلك كانوا يفعلون وعلى هذا والله اعلم جائز
ان يخرج تاويل الايات التي ذكرنا ثم قوله واذا كانوا معه اي مع رسول الله على امر جامع اختلف فيه قال
بعضهم يوم الجمعة ويوم العيد وقال بعضهم في الغزو والجهاد في سبيل الله يخبر ان المؤمنين يكونون معه
لا يذهبون عنه الا باذن والمنافقون يتسللون ويذهبون مستخفين منه ويقعدون ويخرجون
من عنده واصله واذا كانوا معه على امر جامع اي على امر طاعة لم يذهبوا حتى يستاذنوه قال بعض من
اهل التاويل هذه الاية نسخت الاية التي في سورة براءة حيث قال في ذلك عفا الله عنك لم اذنت
لهم الاية وقال في سورة النور فاذن لمن شئت منهم اذن له بالاذن لهم في هذه الاية وغيره
في ذلك بالاذن لهم لكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم
الامر بالاستغفار لهم يخرج مخرج الامر بالشفع لهم وقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا هذا يحتمل وجهين احدهما لا تجعلوا دعاء الرسول اياكم الى ما يدعوكم اليه كدعاء بعضكم
بعضا مرة تجيبونه ومرة لا تجيبونه كما يجيب بعضكم بعضا اذا دعا مرة ولا يجيبه تارة بل اجيبوا
رسول الله في جميع ما يدعوكم اليه في كل حال يكونون والثاني لا تجعلوا دعاءكم الرسول اذا دعوتموه
كما يدعو بعضكم بعضا يا فلان ويا فلان ولكن ادعوا باسم هو مخصوص به يا رسول الله ويا نبي الله على ما اوثر
انه مخصوص من بينكم ليس كمثلكم فعلى ذلك في الدعاء والاجابة اجعلوه مخصوصا تعظيما له واجلالا له
خصوصية له وفضيلة وهو ما ذكر في اية اخرى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض وقوله قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قال بعضهم ان المنافقين اذا كانوا
في امر جامع فيسمعون رسول الله يذكر مثالبهم ومساوئهم وعيوبهم فيتسللون كراهية لما سمعوا يلوذ
بعضهم ببعض وقال بعضهم نزل هذا في المنافقين الذين كانوا يذهبون عنه ويخرجون من عنده
بغير استيذان منهم اياه وقوله لواذا اي يستترون بالشيء ويلوذ بعضهم ببعض ويستر بعضهم بعضا
ويخرجون وقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره يحتمل قوله يخالفون عن امره اي يخالفون امره وجائز
ان يكون صلة فيه وجائز ان يكون على ظاهر ما ذكر يخالفون عن امره فان كان على هذا كانه قال يخالفون
عن امره ويعدلون من امره ويزيغون عنه كقوله ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وقوله
ان يصيبهم فتنة يحتمل الفتنة الكفر ويحتمل الفتنة القتال والتعذيب في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم

فى الاخرة والله اعلم وقوله الا ان لله ما فى السموات والارض ليس ههنا ما يستقيم ان يجعل قوله الا ان لله ما
فى السموات والارض صلة له التهم الا ان يجعل ذلك صلة قوله من يجعل له الولد والشريك اوابطل قوله
ما هذا الا بشر مثلكم فيقول من له ما فى السموات والارض لا يحتمل ان يقع الحاجة الى الولد او الشريك
او من له ملك ما فى السموات والارض يجتبى رسالته من يشاء بشرا او ملكا ليس لاحد القول فى ذلك
والله اعلم وقوله قد يعلم ما انتم عليه هذا وعيد منه واعلام انه مراقبهم مطلع عليهم فى جميع احوالهم
ليكونوا ابدا على حذر لان من علم ان عليه رقيبا وحافظا كان انبه وايقظ واحذر ممن لم يعلم ذلك او ان
يكون على علم باحوالكم وما انتم عليه من الخلاف لامره خلقكم او ارسل اليكم رسولا لا على جهل بذلك وغفلة
او يوخر عنكم العذاب على علم بما انتم عليه لليوم الموعود لا لسهو وغفلة كقوله ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون الاية فعلى ذلك قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا اى انما يؤخر
ذلك عنهم الى يوم الرجوع اليه فعند ذلك ينبئهم بما عملوا والله بكل شىء عليم قال ابو عوسجة يتسللون اى
يذهبون مستخفين ويقال انسل الرجل اى انسرق من الناس اى فارقهم ولا يعلمون به والتسلل من الجماعة
وقوله لواذا يقال لاذ بى اى اختبى منى واختفى ويقال لاذ بى اى استتر بى وقال القتبى قوله يتسللون منكم
لواذا اى من يستتر بصاحبه فى انسلاله ويخرج يقال لاذ فلان والتواذ مصدر

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك قال اهل التاويل تبارك من التفاعل وهو من تعالى ن البركة
هى اسم كل رفعة وفضيلة وشرف فكان تاويله تعالى من التعالى والارتفاع وقال اهل الادب تبارك هو
من البركة والبركة هى اسم كل فضل وبر وخير اى بر ينال كل فضل وشرف وبر قال ابو عوسجة هو تنزيه مثل
قولك تعالى وقال الكسائى والقتبى هو من البركة وهو ما ذكرنا وقوله نزل الفرقان على عبده سماه فرقانا
قال بعضهم لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام وبين ما يؤتى وما يتقى وعلى هذا جائز ان يسمى
كتب الله التى انزلها على رسله فرقانا لانها كانت تفرق بين الحق والباطل وبين ما يحل وما يحرم وبين ما يؤتى
وما يتقى ولذلك سمى التورية فرقانا بقوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان واما القران هو من قرن
بعضه الى بعض يقال قرنت الشىء الى الشىء اذا ضممته اليه قرن يقرن قرنا وقال بعضهم سمى القران فرقانا لانه
انزل بالتفاريق متفرقا وسائر الكتب انزل مجموعة لكن الواجب فيه ما ذكرنا بدءا وهو اقرب واشبه وقوله
ليكون للعالمين نذيرا جائز ان يكون قوله نذيرا للعالمين اى القران الذى انزل على عبده يكون نذيرا لمن ذكر
ويحتمل قوله ليكون للعالمين نذيرا اى ليكون محمد بالقران الذى انزل عليه نذيرا كقوله وان من امة الا خلا فيها
نذير وكقوله واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ لو امن بلغه القران من الخلق فرسول الله نذيره وقوله
للعالمين جائز ان يراد به الانس والجن ثم ذكر النذارة فيه ولم يذكر البشارة فان كان على هذا فهو حجة
لابى حنيفة رحمة الله ان ليس للجن ثواب اذا اطاعوا سوى النجاة من العقاب ولهم عقاب بالاجرام لان الله
تعالى لم يذكر لهم الثواب فى الكتاب وذكر لهم العقاب بالعصيان حيث قال يا قومنا اجيبوا داعى الله و
امنوا به يغفر لكم الاية جعل ثوابهم نجاتهم من عذاب اليم وجائز ان يكون فى النذارة بشارة ايضا ما كان
وما يكون الى يوم القيامة لانهم اذا اتقوا مخالفة الله ومعاصيه كانت لهم العاقبة فلهم بشارة فى ذلك
ونذارة كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقوله الذى له ملك السموات والارض
جائز ان يكون قوله له ملك السموات والارض صلة قوله تبارك الذى نزل الفرقان ووجهه والله اعلم
اى تعالى من ان يكون النذير الذى بعثه اليهم انما بعثه لحاجة نفسه بجر منفعة اليه او لدفع مضرة عنه على
ما يبعثه ملوك الارض من الرسل لحوايج انفسهم اما لجر منفعة اليهم او لدفع مضرة عنهم ولكن انما يبعث النذير
والبشير الى الخلق لمنافع انفسهم اذ لا يحتمل ان يكون من له ملك السموات والارض ان يبعث النذير و
البشير لمنافع نفسه ولحاجة لغناه واما ملوك الارض لا يملكون ذلك فيرسلون ويبعثون من الرسل
انما يبعثون ويرسلون لمنافع انفسهم وحوايجهم لدفع مضرة او جر منفعة وجائز ان يكون قوله تبارك
اى تعالى من ان يتخذ ولدا او شريكا فى الملك على ما نسبوا اليه من الولد والشريك فقال تعالى من ان يكون له
الولد والشريك اذ له ملك السموات والارض فالولد فى الشاهد انما يتخذ لاحدى خلال ثلاث وقد ذكرنا
وبعد فان الولد فى الشاهد انما يكون من جنس الوالد ومن جوهره ويكون من اشكاله وكل ذى شكل وجنس يكون
فيه منقصة وافة وكذلك الشريك انما يكون من جنس ومن شكله وانما يقع الحاجة الى اما لعجز او فقر فاذا كان
الله سبحانه له ملك السموات والارض وهو خالقها فانى يقع له الحاجة الى الولد والشريك وقوله وخلق كل شىء
فيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه اخبر انه خلق كل شىء وعلى قولهم اكثر الاشياء لم يخلقها من الحركات
والسكون والاجتماع والتفرق وجميع الاعراض لانهم يقولون انها ليست بمخلوقة لله ولا صنع له فيها وقوله
فقدره تقديرا جائز ان يكون قوله فقدره تقديرا للحكمة او قدره تقديرا لوحدانية الله والوهية او قد

تقديرا اى جعل لوحدانيته الوهيته الخلق ما عرفوا قدرته ولا حده من صلاح وغيره ما لو لم تقدر
ذلك لفسد وقوله واتخذوا من دونه الهة اى معبودا يسمونه ابا ها اعنى الاصنام التى عبدوها الهة
على ما عندهم وفى زعمهم انها الهة والاله عند العرب المعبود يسمون كل معبود الها وكذلك قوله
فراغ الى الهتهم عندهم وفى زعمهم وقول موسى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا فى زعمهم
وعندهم ان كل معبود اله والا فدعاهم بتسميتهم الاصنام الهة تزيين سفههم وقلة فهمهم فى عبادة
الاصنام وتسميتهم اياها الهة حيث قال لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اى يتركون عبادة من يعلمون
انه خالق كل شىء ويعبدون من يعلمون انهم لا يخلقون وهم يخلقون ويتركون عبادة من يعلمون انه يملك
النفع والضر ويعبدون من لا يملك النفع لهم ولا الضر ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا اى يعبدون
من يعلمون انه لا يملك النفع لهم ان عبدوه ولا الضر ان تركوا عبادته ولا يملكون النفع والضر لانفسهم
ايضا وهو قوله ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا لغيرهم فعلى
هذا الظاهر يجب ان يكونوا هم سموا انفسهم الهة لا الاصنام لانهم يملكون ضرر الاصنام ونفعها والاصنام
لا تملك ذلك لهم ولا لانفسها وقال بعضهم فى قوله لا يملكون موتا اى الموت الذى كان قبل ان يخلق الخلق
كقول الله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا واما قوله ولا حيوة يقول لا يملكون ان يزيدوا فى هذا
الاجل الموصل ولا نشورا اى بعثا بعد الموت وقال بعضهم لا يملكون ان يميتوا حيا قبل اجله ولا حيوة
ولا يحيون ميتا اذا جاء اجله ولا نشورا اى بعثا على ما ذكرنا وبالله العصمة وقوله وقال الذين كفروا
ان هذا الا افك افتراه يعنون هذا القران الذى انزل على رسول الله وكان يقرءه عليهم يقولون ما هذا
الا افك اى كذب افتراه من تلقاء نفسه ويزعم من نفسه ان اهل الشرك كانوا يكذبون الانباء
والاخبار من غير ان كانت لهم اسباب التى بها ما يوصل الى معرفة صدق الاخبار وكذبها وذلك كانت
عادتهم وهمتهم والاسباب التى يعرف بها صدق الاخبار وكذبها هى الكتب السماوية والرسل التى نطقوا عن
وحى السماء فكيف ولم يكن لهم واحد من هذين فكيف ادعوا على رسول الله اختلاق هذا القران واختراعه
من نفسه وانه مفترى على غير كون اسباب معرفة الكذب والصدق لهم فى الاخبار مع ما ظهرت لهم
ايات رسالته واعلام صدقه فى الاخبار حيث لم يؤخذ عليه كذب قط ولا رووه اختلف الى احد من
اهل الكتاب ولا كان يحسن ان يخط بيده كتابا وما قرع اسماعهم من اول الامر الى اخره لا بد قوله فاتوا
بسورة من مثله وقوله فاتوا بعشر سور مثله مفتريات فدل عجزهم وترك تكلفهم ذلك على انهم عرفوا
انه من عند الله وانهم كذبة فى قولهم انه افك مفترى وقوله واعانه عليه قوم اخرون وقالوا انه افك مفترى
واعانه على ذلك قوم اخرون فى افترائه واختراعه وهم قوم من اهل الكتاب اسلموا وقد كانوا يجدون
فى التورية والانجيل نعته وصفته وما كان انباءهم رسول الله ويخبرهم من الانباء المتقدمة والاخبار
الماضية فاخبروهم بذلك حين سالهم اولئك المشركون عما يخبرهم رسول الله وقالوا انه كما يقول
وانه صادق فى ذلك كله وانا نجد ذلك فى كتابنا فلما سمعوا ذلك من اهل الكتاب ما سمعوا من تصديقهم
اياه عند ذلك قالوا واعانه عليه قوم اخرون ثم اخبر انهم جاؤا ظلما وزورا اما قوله ظلما لانهم كذبوه وانه
مفترى من غير ان كان لهم اسباب الكذب والصدق فهو ظلم حيث وضعوا ذلك غير موضعه واما قوله
وزورا لانهم قالوا انه مختلق وانه سحر وانه انما يعلمه بشر وانه اعانه عليه قوم اخرون وانه اساطير الاولين
اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا تدل على كذبهم بهذا فيما بينهم لانهم ممن رووه اختلف الى واحد منهم يتعلم ذلك
او ممن رووه كتب شيئا قط او يحسن الكتابة قط وقولهم اساطير الاولين فاذا عرف تلك الانباء والاحاديث
التى كانت من قبل وقد ثبت انها لم تكن بلسانه وانما كانت بلسان اولئك دل اخباره عما فى كتبهم بلسانه انه
انما عرف ذلك بالله وقوله فهى تملى عليه بكرة واصيلا قال اهل التاويل غدوا وعشيا فلو كان على ذلك
لكان يحضرونه فى البكرة والعشى فيسمعونه ويشاهدونه املاء عليه اذ الوقت وقت الحضور ولكن عندنا
كانهم ارادوا بالبكرة والعشى اول الليل واخر النهار وقات التى هى ليست باوقات الحضور والجلوس يقولون
ياتونه سرا فيملى عليه ويعلمه فلو كان ذلك ايضا لكانوا يراقبونه ويحفظونه ستر الليل فيوالون ذلك ويشاهدونه
فاذا لم يفعلوا ذلك دل انهم كانوا يعرفون صدقه وانهم كذبة فى زعمهم لكنهم كابروه وعاندوه فى ذلك
ثم اخبر انه انما انزل عليه الذى يعلم السر فى السموات والارض حيث قال قل انزله الذى يعلم السر فى السموات
والارض ليس بمختلق منه ولا مفترى ثم قوله يعلم السر فى السموات والارض اى يعلم الا يمان الخفية والسر
من اهل السموات والارض اى يعلم الكوا من التى فى السموات والارض وخفياتها وقال بعضهم قوله
قل انزله الذى يعلم السر اى قل لهم يا محمد انزله اى هذا القران الذى يعلم السر وذلك انهم قالوا فيما بينهم سرا
ما هذا الا بشر مثلكم فانه بشر مثلكم بل هو ساحر افتاتون السحر وانتم تبصرون ففى ذلك دلالة اثبات
رسالته لانهم قالوا سرا فيما بينهم ثم اخبرهم بذلك دل انه بالله عرف ذلك وقوله انه كان غفورا رحيما
حين لم يعجل عليهم بالعقوبة اذا تابوا ورجعوا عن التكذيب الى التصديق على ما ذكرنا وقوله انه كان غفورا

تقدير

رحيما اذا تابوا عن ذلك والصواب ورجعوا الى الحق وغفور رحيم لا يعجل بالعقوبة اى برحمته وفضله لا يعجل بعقوبتهم لعلهم يتوبون وقال القتبى تبارك تفاعل من البركة وكذلك قال الكسائى وقد ذكرنا ذلك وقال ابو عوسجة تنزيل مثل قولك تعالى على ما ذكرنا وقال الفرقان هو الحق فرق بين الحق والباطل والقران هو من قرن بعض الى بعض والزبور هو اسم كتاب والزبر جميع وزبرت كتبت والزبر قطع الحديد كقوله اتونى زبر الحديد الواحد زبرة والتوراة اسم كتاب لا اظنه بالعربية قال ابو معاذ الاساطير الاحاديث واحدها اسطورة كالاحجوزة والاحاجيز واحدوثة والاحاديث واعجوبة واعاجيب وفى حرف حفصة وهى تملى عليه وهما لغتان وفى سورة البقرة ان يمل فليملل وليه بالعدل وقوله وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق كان الكفرة يطعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيئين احدهما انه من البشر بقوله ما هذا الا بشر مثلكم وان انتم الا بشر مثلنا كانوا لا يرون ان يكون من البشر رسول كقوله وقالوا لولا انزل عليه ملك الاية وقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ونحو ذلك والثانى كانوا يطعنون بالفقر والحاجة وصغاره اليه حيث قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وحيث قالوا ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق كانهم ينكرون الرسالة فى الفقراء وذوى الحاجة ويرونها فى ذوى الملك والاموال ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فعلى ذلك قولهم ياكل الفقراء ويمشى فى الاسواق فى حوائجه كما يمشى الفقراء ولو كان رسولا لكان ملكا غنيا ياكل طعام الملوك لا يقع له الحاجة الى ان يمشى والاسواق فى ابحه فاجاب لهم فى طعنهم قبه انه بشر مثلهم وانكارهم الرسالة فى البشر بوجوه احدها قوله لا انزل عليه ملك قال ولو انزلنا ملكا لقضى الامر لا يؤمنون معناه والله اعلم انه لا ينزل الملك الا بالعذاب فلو انزل بالعذاب فاهلكوا والثانى ما قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا تاويله والله اعلم انه لم يجعل فى وسع البشر رؤية الملك على صورته على ما هو عليه اذ جنسهم واولئك وجوهرهم اولئك ولو جعلناه هكذا لكنا لبسنا ما كان يلبس اولئك القادة على الاتباع كقوله انه ساحر وانه كذاب وانه مجنون فكان فى ذلك تلبيس عليهم والثالث ما قال قل لو كان فى الارض ملائكة لا ينزلوا كان اهل الارض ملائكة لكنا انزلنا عليهم بالرسول ملكا من جنسهم وجوهرهم لانهم اعرف به واظهر صدقا عندهم ممن هو من غير جوهرهم وجنسهم فاذا كان اهل الارض بشرا فالرسول اذا كان منهم فهم اعرف به واصدق واظهر عندهم وقلوبهم اليه اميل الى من هو من غير جنسهم واجاب لطعنهم فى اكله ومشيه فى الاسواق حيث قال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق فى حوائجهم اى غيره من الرسل الذين تؤمنون انتم بهم كانوا فقراء ياكلون الطعام ويمشون فى حوائج انفسهم ثم لم يمنع ذلك عن ان يكونوا موضعا لرسالته فعلى ذلك محمد والفقير وذو الحاجة احق ان يكون موضعا لرسالته من الغنى المثرى لان الناس يتبعون الغنى ومن له الملك والثروة فلو كان الرسول غنيا مثريا ملكا لكان لا يظهر متبع الحق من غيره واذا كان فقيرا محتاجا لظهر ذلك اللهم الا ان يكون ملكا هو ابتدا الرسالة نحو ملك سليمان وداود وذلك لنفسه ابتدا الرسالة على ما قال وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى والله اعلم وقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا كانهم قالوا ذلك لما نزل قوله تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قالوا عند ذلك لولا انزل اليه ملك الاية وقالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها عند سماع قوله الذى له ملك السموات والارض اى قالوا لو كان محمد رسولا من له ملك السموات والارض ونذيرا للعالمين على ما يقول لكان انزل معه ملك نذيرا ولكان اعطى هو كنزا اى مالا او تكون له جنة ياكل منها على ما يكون لرسل ملوك الارض لكن الجواب لهم ما ذكر تبارك الذى جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار الاية اى لو شاء اعطاك خيرا مما يقولون من البستان والقصور على ما اعطى غيرك لكن ليس فيما منع منقصة لك ولا فيما اعطاهم فضيلة وقوله وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا اى ما تتبعون الا رجلا مسحورا لانهم كانوا ينسبون الرسول الى السحر والجنون والكذب وقوله انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فتاويله والله اعلم اى انظر الى سفههم ان كيف ضربوا لك الامثال وشبهوك بها ونسبوك مرة الى السحر وقالوا انك ساحر ومرة الى الجنون وقالوا انك مجنون ومرة الى الشعر انك شاعر ومرة الى الكذب حيث قالوا بل هو كذاب اشر ونحو هذا مما كانوا ينسبونه اليه فيقول والله اعلم انظر الى سفههم ان كيف ضربوا لك الامثال ونسبوك الى ما ذكروا وهم على علم منهم انك ليت كذلك ولا على ذلك وانك على الحق وهم على باطل وكذبا وان يكون قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال ما قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وامثال ما سالوا فيقولون لو كان ما يقول انه رسول لكان ذلك له اعلاما للرسالة وامارات صدقه فيخبر ان الاعلام والايات ليست تاتى على شهوات سؤال المعاندين واهوائهم ولكن انما تجئ على ما توجبه الحكمة مما يدل على صدق ما ادعى ويظهر كذب من عاند وتولى وقد اتاهم بحمد الله بحجج وبراهين ما اظهر لهم صدق ما ادعى من الرسالة والنبوة لكنهم عاندوها وكابروا فلم يقروا بها خوفا ان تذهب عنهم رياستهم وقوله فضلوا الا شك انهم قد ضلوا اى ضلوا اى عدلوا بضربهم الامثال له ونسبتهم اياه الى ما نسبوه اليه فلا يستطيعون سبيلا الى وامثالهم من الاشياء وفى حرف حفصة فلا يهتدون

صفر اليد

سبيلا وقال بعضهم فلا يستطيعون مخرجا من الامثال التى ضربوها لك والله اعلم وقوله تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك قد ذكرنا انه خرج جواب ما سالوه من الاشياء من الملك والكنز والجنة وانواع الطعن الذى طعنوا اى لو شاء لاعطاك خيرا من ذلك ثم اخبر ان الذى حملهم على تلك السؤال وانواع الطعن فيه هو تكذيبهم بالساعة حيث قال بل كذبوا بالساعة حيث لم يروا لانفسهم عاقبة ينتهون اليها يثابون عليها ويعاقبون ثم اخبر ما اعد لهم بتكذيبهم الساعة فقال واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا ثم وصف ذلك السعير فقال اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله واذا راتهم من مكان بعيد يحتمل وجهين احدهما يجعل لها اسبابا تريهم كما يرونها واذا صاروا فى مكان بحيث يرونها كانها رآتهم وقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا قيل ان النار يرفع ويعلو لهبها وترد من كان من اعلاها الى اسفلها وترد من كان فى اسفلها الى اعلاها فيجمعهم جميعا فيضيق عليهم المكان ويشتد بهم العذاب كلما ضاق عليهم المكان كان العذاب لهم اشد وقوله مقرنين قال بعضهم يقيد بعضهم ببعض ثم قال بعضهم الشيطان يقرن ويقيد كل بشيطانه الذى دعاه الى ما دعا واتبعه كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الاية وقال بعضهم يقرن العابد والمعبود من دون الله وهو الاصنام التى عبدوها كقوله احشروا الذين ظلموا الاية وقوله دعوا هنالك ثبورا اى هلاكا والثبور الهلاك كقوله وانى لاظنك يا فرعون مثبورا اى هالكا والثبور والويل هما حرفان يدعو بهما كل من كان فى الركن والشدة فقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اى لا تدعوا هلاكا واحدا كما يكون فى الدنيا ان من هلك مرة لا يهلك ثانيا واما فى النار فان لاهلها هلكات لا تحصى كقوله ويأتيه الموت من كل مكان اى اسباب الموت تاتيهم من كل مكان وما هو بميت وكقوله كلما نضجت جلودهم الاية وانما يتمنون الموت ويدعون بالهلاك لما يرجون من الهلاك النجاة من ذلك العذاب وهكذا الكافر اذا ابتلى ببلاء شديد يتمنى الهلاك والموت وقوله قل اذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون يشبه ان يكون قال هذا لقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها فيقول اذلك الذى سالتموه انتم خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون او يكون قال ذلك لهم لما راوا ان لانفسهم الفضل والمنزلة فى الدنيا لما وسع عليهم الدنيا واعطوا من حظها فقال اذلك الذى اعطيتم فى الدنيا من السعة خير ام جنة الخلد التى اعطى المتقون والله اعلم وقوله لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسئولا يحتمل قوله وعدا مسئولا مما سالته لهم الملائكة كقوله ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم الاية او سؤال الرسل كقوله ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك الاية او وعدا يسئلونه مما سالوا ربهم فوعد لهم ذلك فهذا يدل انهم انما يدخلون الجنة بالسؤال والتشفع لهم والتضرع لانهم يستوجبون ذلك بانفسهم وقال بعضهم فى قوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين فى السلاسل وذلك انهم اذا القوا فيها تضايق عليهم كتضايق الزج فى الرمح فالاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يخفضهم فيزدحمون فى تلك الابواب الضيقة فضايق عليهم فعند ذلك يدعون بالثبور يقولون واثبوراه وويلاه وروى مثله عن عبد الله بن عمر وكان يقول ان جهنم لتضيق على الكافر كتضييق الزج فى الرمح وقوله دعوا هنالك ثبورا يقول ويلا وهلاكا قال الله تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ثم قيل اذلك خير يعنى الذى ذكر ام جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء لاعمالهم ومصيرا اى منزلا قال ابو عوسجة التغيظ من الغيظ والزفير الشهيق يكون فى الحلق ويشهق شهيقا وشهقا وهو نفس فى الحلق شديد له صوت وقال ثبورا اى هلاكا وصرفه ثبر يثبر ثبرا وثبورا فهو مثبور وقال القتبى تغيظا وزفيرا اى تغيظا عليهم كذلك قال المفسرون وقال بعضهم لا يسمعون فيها تغيظ المعذبين وزفيرهم واعتبروا ذلك بقول الله تعالى لهم فيها زفير وشهيق واعتبره الاولون بقوله تكاد تميز من الغيظ هذا اشبه التفسيرين ان شاء الله لانه قال سمعوا لها ولم يقل يسمعوا فيها ولا منها وقال ثبورا اى بالهلكة كما يقول القائل واهلاكاه والله اعلم وقوله ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل اختلف قال بعضهم يحشر اولئك الذين عبدوا من دون الله والمعبودين وهم الملائكة لان من العرب من قد عبد الملائكة كقوله فى اية اخرى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم الاية وقال بعضهم هو عيسى ابن مريم وبين من عبده لانه قد عبد من دون الله فيقول له ما ذكر كقوله واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس الاية وقال بعضهم يحشر الاصنام ومن عبدها ثم ياذن لها فى الكلام فيقول ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل كقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم الى قوله ان كنا عن عبادتكم لغافلين ولو كان عيسى عليه السلام او الملائكة لكانوا عالمين بعبادتهم اياهم غير غافلين دل ذلك انها الاصنام التى عبدوها دون الله وانها هى تسالون وكل ذلك محتمل انه قد كان منهم ذلك كله والله اعلم وقوله فيقول ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل والله عز وجل كان عالما لما كان منهم لكن السؤال اياهم والله اعلم يخرج مخرج توبيخ اولئك الكفرة وتعييرهم لانهم يعبدون من

ذكر من دون الله ويقولون هم اعرف بذلك وكانوا يقبلون القول عنهم بما يقصون فيما يخبرون ويقولون
فاراد ان يظهر كذبهم عند الخلائق لذلك سألهم والله اعلم بالكائن منهم انفسهم لكنه يخرج على ما ذكرنا ثم
نزهوه عن جميع ما لا يليق به وبرؤا انفسهم عن ان يكون منهم امر او شيء مما نسبوا اولئك اليهم وهو اعلم
بهم فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء قال اهل التأويل اولياء اي اربابا وهم لم
يتخذوا اربابا من دونه لكنه عندنا يخرج على وجهين احدهما ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونه اولياء هم
المؤمنون او ان يكون ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك ولا دينك ولا بسواك وفي بعض القراآت ان نتخذ من
دونك اولياء برفع النون لكن اهل الادب يقولون هو خطأ وقوله ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر هذا
يحتمل وجهين احدهما ان آباءهم قد امهلوا ومتعوا في هذه الدنيا حتى ماتوا على ذلك من غير ان اصابهم شيء
مما وعدوا في كتابهم وما اوعدهم الرسل من العذاب والهلاك على ما اختاروا من الدين وصنيعهم فظنوا
انهم على حق من ذلك حيث لم يصبهم من المواعيد المذكورة في كتابهم اوما اوعدهم رسلهم بشيء فعلى هذا
التأويل الذكر الذي انهم نسوه هو كتابهم اوما اوعدهم رسلهم والله اعلم فان على هذا فلا بد في اهل الكتاب
منهم ويحتمل ان يكون الا بد في الفراعنة والقادة من هؤلاء الكفرة متعوا في هذه الدنيا باموال ورياسة
ووسع عليهم المعيشة حتى دعوا الناس واتباعهم الى ما هم عليه من التكذيب برسوله وما انزل عليه فاجيبوا
بالاجيبوا لما لا موال عندهم فنسوا ما في القرآن من الوعيد وكانوا قوما بورا والبور قال بعضهم الهلاك
وقال بعضهم البور الفساد وقوله فقد كذبوكم اي فقد كذبكم اولئك المعبودون بما تقولون انهم امروكم
بذلك وكانوا عندهم صدقة وقوله فما تستطيعون صرفا ولا نصرا هذا يحتمل وجوها احدها اي ما يستطيع
اولئك الكفرة صرف قول من عبدوه وتكذيبهم حين كذبوهم قولهم ولا نصرا اي ولا استطاعوا الانتصار
منهم حين كذبوهم وعلى ذلك يخرج قراءة من قرأ بالتاء فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ويحتمل فما يستطيع
اولئك المعبودون صرف عذاب الله ونقمته عنكم ولا كانوا لهم نصرا لانهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند
الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والثالث فما يستطيعون صرفا اي فداء ولا نصرا اي لا يقبل منهم
الفداء ولا كان لهم ناصر ينصرهم في دفع العذاب عنهم كقوله لا يقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة
وقال القتبي وابو عوسجة قال بعضهم الصرف الحيلة من قولهم انه ليتصرف وقال بعضهم الصرف
النافلة سميت صرفا لانها زيادة على الواجب والعدل الفريضة وقد روي في الخبر من طلب صرف الحديث
ليبتغي به اقبال وجوه الناس لم يرح رائحة الجنة اي من طلب تحسينه بالزيادة فيه وقال بعضهم الصرف
الدية والعدل رجل مثله كانه يريد لا يقبل منه ان يفتدي برجل مثله وعدله ولا يصرف عن نفسه
بدية ومنه قيل صيارفي وصرف الدراهم بالدنانير لانك تصرف هذا الى هذا واصله ما ذكرنا قال القتبي
وابو عبيدة قوما بورا اي هلكى وهو من بار يبور اذا هلك وبطل يقال بار الطعام اذا كسد وبارت الايم
اذا لم يرغب فيها وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من بوار الايم قال ابو عبيدة يقال
رجل بور وقوم بور لا يثنى ولا يجمع وقال ابو عوسجة قوما بورا لا خير فيهم ورجل بائر وكذلك قال ابو زيد
بورا اي ليس فيهم من الخير شيء وقال قتادة بورا فاسدين بلغة اهل عمان وقال ما نسي قوم ذكر الله قط
الا باروا وفسدوا وقوله ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا اما على قول بعض الخوارج كل ظلم ارتكبه فهو في ذلك
في ذلك الوعيد على اصل مذهبهم وعلى قول المعتزلة كل صاحب كبيرة في ذلك الوعيد واما على قول المسلمين فذلك
الوعيد لم تكن الظلم ظلم كفر وشرك واما ما دون ذلك فهو في مشيئة الله ان شاء عذبه وان شاء عفى عنه وقوله
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق قد ذكرنا فيما تقدم ان هذا انما
اخرج جوابا لقول اولئك ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق فاخبر ان الرسل الذي كانوا من
قبل محمد كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق على ما يأكل هو ويمشي ثم من الناس من كره الركوب
في الاسواق بهذا وقال انه اخبر من الانبياء والرسل جملة انهم كانوا يمشون في الاسواق لم يذكر منهم الركوب
فدل ذلك منهم انه مكروه منهي فيشبه ان يكون ما قال هؤلاء وانه يكون مكروها لانه يخرج الركوب في
الاسواق مخرج التعزز والمباهات فالواجب على كل مسلم ان يكون تعززه بالاسلام وبدينه الذي اختاره الله
الله تعالى وخاصة على العلماء يجب ان يكون تعززهم ومباهتهم بالعلم الذي اعطاه الله لهم واكرمهم فانه
عز لا يعقبه ذل ولا يورث صغارا ولا قهرا فاما كل عز كان سوى ما ذكرنا فهو الى ذل ما يصير سريعا كانه
ليس بعز في الحقيقة ولو تأمل والله اعلم وقوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة الفتنة كانها هي المحنة التي فيها
شدة وبلاء ثم قال اهل التأويل انزلت لما اسلم عبد الله وابو ذر وعمار وبلال وصهيب وامثال هؤلاء
قال الفراعنة من قريش نحو ابي جهل والوليد وامثالهما انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا اتبعوه من
موالينا واعرابنا وذالة كل قوم فازدروهم وازدروهم واستهزؤا بهم فانزل الله هذه الاية لهؤلاء
الفقراء الذين اتبعوا رسول الله ليصبرهم على اذاهم فقال فتنة اتصبرون اي اصبروا على الاذى هذا المحتمل
وقال الحسن قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة جعل اهل البلوى فتنة لغيرهم وغيرها اهل البلوى يقول

الاعمى

الاعمى لو شاء الله لجعلني بصيرا مثل فلان ويقول الفقير لو شاء الله لجعلني غنيا مثل فلان وكذلك يقول
السقيم لو شاء الله لجعلني صحيحا مثل فلان لكنه اعطى لاهل البلوى البلوى وامرهم بالصبر عليه واعطى لاهل النعمة
النعمة وامرهم بالشكر عليها وجائز ان يكون غير هذا وهو قريب من هذا وذلك انه اعطى بعضا النعمة والسعة
وجعل بعضهم اهل ضيق وشدة ثم جعل كل فريق محتاجا الى الفريق الاخر جعل الغني والمثري محتاجا الى
الفقير في بعض امره والفقير محتاجا الى الغني لغناه وجعل لبعض على بعض مؤنة ما لولا فقر الفقير لم
يعرف الغني قدر غناه ولا الفقير قدر فقره ولا قام بعض بكفاية مؤنة بعض ثم امر كلا بالصبر على تحمل
مؤنة الاخر بقوله اتصبرون اي اصبروا على الامر بحرج وان كان ظاهره استفهاما وسؤالا والله اعلم
وقوله وكان ربك بصيرا اي على بصر وعلم جعل بعضا فتنة لبعض ليس على سهو وغفلة وقوله وقال الذين لا
يرجون لقاءنا قال اهل التأويل لا يرجون اي لا يخافون ولا يخشون لقاءنا اي البعث بعد الموت
وقال اهل الكلام الرجاء هو الرجاء لا الخوف لكن جائز ان يكون في الرجاء خوف وفي الخوف رجاء لان
الرجاء الذي لا خوف فيه هو امن والخوف الذي لا رجاء فيه اياس فكلاهما مذمومان الاياس والامن جميعا
وقوله لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا جائز ان يكون قولهم لولا انزل علينا الملائكة رسلا دون ان
انزل البشر رسلا الينا لانكارهم البشر رسولا كقولهم ما هذا الا بشر مثلكم ويحتمل قولهم لولا انزل علينا الملائكة
بالوحي والرسالة لنا دونك ونحن الرؤساء والملوك والقادة دونك يقولون لو كان ما تقول حقا وصدقا
انك رسول وانه ينزل عليك الوحي والملائكة فنحن اولى بالرسالة منك اذ نحن الملوك والرؤساء كقولهم لولا
انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال هذا لانكارهم الرسالة لمن هو دونهم في الدنيا ويحتمل
او ان يكون ذلك كقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ويكون لنا شاهدا انه رسول او نرى ربنا عيانا
ونكلمه ونسأله عن ذلك والله اعلم وقوله لقد استكبروا في انفسهم الاستكبار هو ان لا يرى غيره مثلا له
ولا عدلا ولا شكلا في نفسه وامره فان كان هذا فهو ما لم يروا رسول الله اهلا للرسالة وموضعا لها
لصغر يده وحاجته ورأوا انفسهم اهلا لها فاستكبارهم هو ما لم يروا غيره مثلا ولا اشكالا لانفسهم
فاستكبروا ولم يخضعوا لرسول الله ولم يطيعوه ولم يتبعوه انفا منه بعد علمهم انه محق لذلك وانه
رسول اليهم وقوله وعتوا عتوا كبيرا قال بعضهم العتو هو الجراءة وهو اشد من الاستكبار وقال بعضهم العتو
هو الغلو في القول غلوا شديدا وقال بعضهم هو من التكبر وقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين
ويقولون حجرا محجورا قال الحسن حجرا محجورا كله من كلام العرب اذا كره احدهم الشيء قال حجرا حراما هذا فاذا
رأوا الملائكة كرهتهم وقالوا حجرا محجورا فعلى هذا التأويل الكفرة هم يقولون حجرا محجورا اذا رأوا الملائكة وما
معهم من المواعيد قال بعضهم ان الملائكة يلقون المؤمنين بالبشرى على ابواب الجنة ويقولون للكفرة
لا بشرى لكم ويقولون حجرا محجورا اي تقول الملائكة حرام البشرى على المجرمين وحرام عليهم الجنة ان يدخلوها
والحجر على هذا القول هو الحرام وقال بعضهم الحجر ههنا هو المنع والحظر يقولون انهم يمنعون ويحظرون
عما طمعوا وقصدوا بعبادتهم الملائكة والاصنام التي عبدوها حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
وقال بعضهم الحجر ههنا هو المنع والحظر يقولون انهم يمنعون ويحظرون عما طمعوا ويكون المنع ثواب الخيرات
التي عملوها في هذه الدنيا من صلة الارحام والصدقات ونحوها مما هي في الظاهر خيرات منعوا ثوابها في
الاخرة كقوله ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
ونحو ذلك كله والله اعلم وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا هو ما ذكرنا من الاعمال
عملوها في هذه الدنيا رجاء ان يصلوا اليها في الاخرة فجعلناه هباء منثورا قال اهل التأويل قدمنا
اي عمدنا وقصدنا الى ما عملوا من عمل لكن عندنا جعلنا اعمالهم تلك في الاصل هباء منثورا قال بعضهم
مثارا هو رهج التراب وقال بعضهم الهباء المنثور وهو غبار الشاب وقال بعضهم هو الغبار والذي
يكون في شعاع الشمس هو الذي يشبه الذر وقال بعضهم قوله حجرا محجورا اي عوذا معاذا يقول المجرمون
يستعيذون من الملائكة قال ابو عوسجة وعتوا عتوا كبيرا هو من التكبر ويقال من العتو عتا عتيا
اذا خالف ويقال في الكلام لا تعت علي اي لا تخالفني وقال بعضهم هو من الشدة واليبس كقوله وقد بلغت
من الكبر عتيا اي يابسا وقال حجرا محجورا اي حراما محرما وحجرت عليه ماله اي منعته منه ما لم حجرا
ويقال حجرت عليه اي لطخت احقا بما يشبه من الدواء وقوله هباء منثورا اي لا شيء هو الهباء هباء
النار اي رماد يكون عليها على النار واذا خمدت ويقال هبت النار وتهبو هبوا اذا خمدت والجمرة على حالها
الا انه قد غطاه ذلك الهباء وكل شيء ليس لشيء فهو هباء وتقول هذا هباء اي لا شيء ومنثور قد نثر
وقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وصف عز وجل اعمال الكفرة مرة بالهباء المنثور
ومرة بالرماد ومرة بالسراب ومرة بالتراب الذي يكون على الصفوان وهو الحجر الاملس اذا اصابه
الوابل ووصف الاعمال المؤمنين بالثبات والقرار ونحوه وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا ينتصف
النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل النار في النار واهل الجنة في الجنة ثم قرأ اصحاب الجنة يومئذ خير

مستقرا واحسن مقيلا وكذلك ذكر في حرف في سورة الصافات ثم ان مرجعهم لالى الجحيم ثم اخبر ان مقيلهم
لالى الجحيم على الجحيم ويشبه ان يكون ذكر هذا لقولهم او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها اي
لنا اموال وجنان وليس له من ذلك شيء فقال جوابا لهم اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
وقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وصف السماء لهول ذلك اليوم باوصاف وذكر
لها احوالا فقال في اية اخرى واذا السماء كشطت واذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت وقال
يوم نطوي السماء ويوم تبدل الارض ونحو ذلك وذلك في اختلاف الاوقات يكون في كل وقت على الحال
التي وصف وكذلك ما وصف مرة بالهباء المنثورة ومرة كالعهن المنفوش ومرة كثيبا مهيلا ومرة قال
وترى الجبال تحسبها جامدة الاية ونحوه من الاوصاف التي وصفها وذلك في اوقات مختلفة تكون في كل
وقت على حال ووصف التي وصف فعلى ذلك السماء لشدة هول ذلك اليوم وفزعه وقوله تشقق السماء
بالغمام اي تنشق عن الغمام فتبقى بلا غمام كقوله واذا السماء كشطت وجائز ان يكون قوله بالغمام اي
تشق الغمام فوق رؤس الخلائق يظلهم وهذا يدل ان قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام
انما معناه بظلل من الغمام فان كان على هذا فلم تقع الاشتباه والله اعلم وقوله الملك يومئذ الحق للرحمن
يحتمل اضافة ملك ذلك اليوم اليه وان كان الملك له في جميع الايام في الدنيا والاخرة وجوها احدها
لما ان ملك الاخرة ملك دائم باق بلا فناء له وملك الدنيا جعل فانيا لا دوام ولا بقاء والثاني بقوله
جميع الخلائق بالملك له في ذلك اليوم وان لم يقر له البعض ملك الدنيا والثالث لما لا ينازعه احد في
ملك ذلك اليوم وان كان له منازع في الدنيا او ان يكون المقصود بخلق هذا العالم في ذلك اليوم
يظهر للخلق ويومئذ يتم يعلم كل ان خلقهم في الدنيا لذلك اليوم كان لا للدنيا خاصة وقوله للرحمن ذكر
هذا الرحمن وقال في اية اخرى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليعلم العرب ان الرحمن المذكور في
هذه الاية هو الله الذي لا اله الا هو ذكر في تلك الاية لان العرب تسمي وتعرف كل معبود الها ولا تعرف
الرحمن معبودا ولا تسمية الرحمن فعرفتهم ان الله والرحمن الذي ذكرها واحد وقوله وكان يوما على
الكافرين عسيرا ظاهر لا شك فيه فكذلك يكون وقوله ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا الاية قال بعض اهل التاويل نزلت الاية في عقبة بن ابي معيط كان يواخي رسول الله
ويوادّه وكان رسول الله يجيبه اذا دعاه الى طعامه فدعا يوما رسول الله الى طعامه فقال لا حتى تشهد
ان لا اله الا الله واني رسول الله فشهد بذلك فطعم من طعامه فبلغ ذلك ابي بن خلف فاتاه فقال صبوت
يا عقبة محمدا واجبته الى ما دعاك اليه فعيّره على ذلك حتى يرجع عقبة عن ذلك وارتد عن دينه وفي
الحديث طول فنزلت الاية في شانه وشبهه ولندامته وحسرته على ما فعل فقال ويوم يعض الظالم على يديه
يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الى اخر ما ذكر وذكر ان عقبة وابي بن خلف قتلا احدهما يوم بدر و
الاخر يوم احد ولكن الاية في كل ظالم وكل كافر يكون على ما ذكر ثم يحتمل قوله يعض الظالم على يديه على
التمثيل والكناية عن الندامة والحسرة لان من اشتد به الندامة والحسرة والغيظ على شيء كاد ان يعض
يديه غيظا منه على ذلك كما كنى بغل اليد عن ترك الانفاق وبالبسط عن كثرة الانفاق والمجاوزة فيه
وكما كنى بالنبذ وراء الظهر عن ترك الانتفاع وقلة النظر فيه والاكتراث اليه كقوله نكص على عقبيه
عن الرجوع ونحوه وقوله يردوكم على اعقابكم وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها وامثال هذا على التمثيل والكناية
عن الرجوع والثبات والاخذ والترك فعلى ذلك جائز ان يكون عض الايدي كناية عن شدة الندامة
والغيظ على ما حل به ويشبه ان يكون على التحقيق تحقيق عض اليد يجعل الله عقوبته بعض كما اليد كما جعل عقوبة
انفسهم حيث جعل انفسهم حطبا للنار وبها يعذبون وبها يقبون والله اعلم وقوله يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلا السبيل الذي دعاه الرسول اليه يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يحتمل الانسان ويحتمل الشيطان
اي لم اتخذ الشيطان خليلا ولم اطعه فيما دعا او الانسان الذي قلدته فيما قلده وقوله لقد اضلني عن
الذكر بعد اذ جاءني يحتمل قوله عن الذكر اي الشرف الذي يذكر به المرء اضلني من ذلك الشرف واضلني
عما يذكر في هذا او اضلني عن الذكر اي عن القران وما فيه من الذكر والله اعلم وقوله وكان الشيطان
للانسان خذولا اي تاركا وكان متبرئا منه يقول كما قال في اية اخرى حكاية عنه اني بريء منك ويقول
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الاية او ان يكون كما ذكر ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الاية
او ان يكون ذلك الخذلان منه له في الدنيا بتمنيه بالاماني وبزينته اشياء ثم لا يوصله اليها وقوله وقال
الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا قال بعضهم المهجور هو الذي لا ينتفع ولا يعمل
وقال ابو عوسجة والقتبي مهجورا اي متروكا ويقال مهجورا اي كالهذيان والهجر الاسم يقال فلان
يهجر في منامه اي يهذي وهو بالفارسية بلو بركفتي وقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
اي مثل الذي جعلنا لك من العدو ومن الكفرة جعلنا لكل نبي من قبلك عدوا ثم العداوة يكون في الدين
مرة ومرة في الانفس واحوالها فان كان العدو عدوا في الدين في جميع الكفرة لله اعداء فهم له في

الذين

ورتلناه ترتيلا ثم قوله لنثبت به فوادك يحتمل وجهين احدهما انزلناه صح

الدين ويكون حرف من صلة اي جعلنا لكل نبي المجرمين اعداء وان كان على تحقيق من اثباتها فالعداوة عداوة
في الدين والاحوال وذلك راجع الى الفراعنة واضداد الرسل ما من رسول الا وله فراعنة واضداد
ينازعونه ويقاتلونه ويهمون قتله ثم بشر رسوله بالحفظ له والنصر والظفر على اعدائه وهو قوله وكفى
بربك هاديا ونصيرا وقوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة ذكر ان اهل الكتاب وبل ان اهل
مكة كانوا ياتون رسول الله فيتعنتون ويتأذونه ويقولون يا محمد تزعم انك رسول من عند الله افلا
اتيتنا بالقران جملة واحدة كما انزلت التوراة جملة واحدة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود
فقال كذلك لنثبت فوادك اي بمثل الذي نثبت به فوادك ثم يحتمل قوله لنثبت فوادك وجهين احدهما
انزلناه متفرقا للتثبت في فوادك تحفظه وتذكره لان حفظ الشيء اذا كان سماعا بالتفاريق كان
حفظه اهون وايسر من حفظه اذا سمع جملة واحدة وخاصة اذا كان الكلام من اجناس وانواع
والثاني لنثبت به فوادك اي لنثبت ما في القران من الحكمة والمعاني في فوادك ثم يحتمل قوله فوادك انه
يريد به فواد من يستمع اليه ويسمعه فان كان هذا فهو كقوله وقرانا فرقناه لتقراه على الناس على مكث
الاية على ما ذكرنا انه يكون اسرع حفظا واهون ثباتا من سماعه جملة وجائز ان يكون اراد فواده كقوله لا
تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وقوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله كان يعجل بحفظه
اذا قرئ عليه خوفا ان يذهب فاخبره انه ثبت فواده وينزله بالتفاريق لكي يحفظه ويذكره ثم
ان كان المراد تثبيته في الفواد هو ما فيه من الحكمة والمعاني وقراته على الناس على مكث كذلك فهو والله
اعلم ينزله على قدر النوازل والحوائج ليكونوا احفظ لتلك المعاني واعرف بمواضعها وتقدير غيرها
من النوازل به من ان ينزل جملة في دفعة واحدة والله اعلم وقوله ولا ياتونك بمثل اي بصفة يشبهون
بها على الخلق الا جئناك بصفة هو احق مما يتوهمون فترفع تلك الشبه عنهم اعني عن الخلق او ان يقال
ولا ياتونك بصفة هي باطل الا جئناك بحق اي بصفة هي حق فتبطل تلك وتضمحل واحسن تفسيرا اي
بيانا يميل الاول على الثاني ويدل الاول وعلى الثاني ويدل الثاني ظاهر لا شك انه احسن واحق قال ابو عوسجة
ورتلناه ترتيلا اي انزلنا بعضه بعد بعض وعلى اثر بعض لم ننزله في مرة واحدة وكذلك قال في قوله
ورتل القران ترتيلا وقال بعضهم قوله ورتلناه ترتيلا اي بيناه تبيانا وقال بعضهم في قوله ولا ياتونك
بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا قال لا يخاصمونك بشيء ولا يجادلونك الا جئناك بالحق
يعني القران واحسن تفسيرا يقول جئناك بالقران باحسن مما جاؤا به تفسيرا وهو قريب مما ذكرنا
بدءا وفي حرف حفصة الا جئناك باحق منه واحسن تفسيرا وهو شبيه ببعض التاويلات
التي ذكرنا وقوله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم شر مكانا يشبه ان يكون ذكر هذا على مقابلة
سبقت والا على الابتداء لا تستقيم ذكره فجائز ان يكون ذكره على مقابلة قوله اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا الاية هذا ذكر مقام اهل الجنة فذكر سفال ذلك مكان اهل النار فقال الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا اي شر مكانا في الاخرة واضل سبيلا في
الدنيا او يكون مقابل قوله قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا فقال
الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا من الذين امنوا بل مقامهم
الجنة اعني المؤمنين ومقام الكفرة النار فهم شر مكانا منهم وفي بعض الاخبار ان رجلا قال يا نبي الله
كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال ان الذي امشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على
وجهه وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا ذكرها هاهنا انه كان
وزيرا له وذكر في اية اخرى انه نبي فقولا انا رسولا ربك وفي اية اخرى انه كان نبيا حيث قال
ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا فكان ما ذكر ذلك كله نبيا ورسولا وكان له وزيرا والوزير
هو العون والعضد كانه قال وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا اي عونا وعضدا كقوله واجعل لي وزيرا
من اهلي هرون اخي اشدد به ازري الاية المعونة له والاشراك في امره وقال فارسله معي ردءا يصدقني
وقال الزجاج الوزير هو الذي يلجأ اليه في النوائب ويعتصم بامره وهو واحد وقوله فقلنا اذهبا
الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم اهلاكا وقوله وقوم نوح لما كذبوا
الرسل اغرقناهم جائز ان يكون قوله لما كذبوا الرسل نوحا خاصة لانهم قوم نوح فان كان ذلك
ففيه دلالة جواز تسمية الواحد باسم الجماعة وجائز ان يكون نوح دعاهم الى الايمان وبجميع الرسل
فكذبوه وكذبوا الرسل جميعا والله اعلم وقوله اغرقناهم لم يغرقهم على اثر تكذيبهم اياه ولكن انما اغرقهم
بعدما دعاهم الف سنة الا خمسين عاما وقوله وجعلناهم للناس اية يحتمل قوله وجعلناهم للناس اية
اي اية للمكذبين والمصدقين لما بين حكمه في المكذبين منهم الاهلاك والاستيصال وفي المصدقين منهم
النجاة والخلاص منه فذلك اية لكل مكذب ومصدق لما اليه يؤول عاقبة امرهم عاقبة المكذبين
الاهلاك وعاقبة المصدقين النجاة فان قيل انهم جميعا قد هلكوا المصدقون منهم والمكذبون

قبل اهلك المكذبون منهم اهلاك عقوبة وتعذيب والمصدقون هلاك بانقضاء آجالهم لا هلاك
عقوبة ثم ذكر وجعلناهم للناس آية فيحتمل جعل نفسهم آية بما ذكرنا وقال في آية اخرى وجعلناها
آية للعالمين اي السفينة قال بعضهم جعل السفينة آية لانه من طبع السفن انها اذا امتد الاوقات
وطال الزمان انها تفسد وتتلاشى فهي بعد باقية كما هي اعني سفينة نوح لكن ذلك لا يعلم انه كما ذكر
او لا فلا نوجه فيه ما ذكرنا وقوله واعتدنا للظالمين عذابا اليما هكذا جزاء كل ظالم ظلم كفر وشرك ان نعذبه
العذاب الاليم وقوله وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا اخبر انه اهلك هؤلاء كلهم
بالتكذيب عادا وهم قوم هود وثمودا وهم قوم صالح واصحاب الرس قال بعضهم سموا اصحاب الرس
لانهم رسوا نبيهم في بئر اي دسوه فيها وقال بعضهم الرس هو اسم البئر كانوا نزولا عليها فبعث اليهم
شعيبا فكذبوه فسموا بذلك ونسبوا الى تلك البئر وعن ابن عباس انه سأل كعبا عن اصحاب الرس
فقال انكم معاشر العرب تدعون البئر رسا والقبر رسا وتدعون الخد رسا خدوا اخدودا في الارض
فاوقدوا فيها النيران للرسولين اللذين ذكر الله في يس اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث
والله اعلم وقوله وكلا ضربنا له الامثال اي ذكرنا لاهل مكة امثال من تقدم منهم من الامم من المكذبين والمصدقين
وما حل بهم وما اليه العاقبة امورهم بالتكذيب حيث قال وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا وقال بعضهم
تبرنا اي كسرنا بالنبطية يقول احدهم للشيء اذا اراد له بكسره اتبره وقوله ولقد اتوا يعني والله اعلم اهل
مكة على القرية التي امطرت مطر السوء وهي الحجارة يعني والله اعلم قريات لوط اي مر عليها اهل مكة في
تجاراتهم وبيانوتها وهو كما قال في الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين الآية اعلم يكونوا يرونها ما حل بهم من
بالتكذيب فيعتبروا بل كانوا لا يرجون نشورا اي بعثا بعد الموت واحياء اي انما كذبوا الرسل لانهم لا يؤمنون
بالبعث ولا يخافون نشورا وقوله واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا كانوا اذا
رأوه هزؤا به واذا خلا بعضهم الى بعض يقولون فيما بينهم ابعث الله بشرا رسولا هكذا كانت عادة الكفرة
يهزؤن به اذا حضروه واذا غابوا عنه قالوا ما ذكر وقوله ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها
وفي قوله كاد ليضلنا عن عبادة آلهتنا دلالة انه انما اراد ان يضلهم عن عبادتهم الاصنام بالحجج والآيات
اذ ليس في وسع النبي صرفهم ومنعهم عن ذلك الا من وجه لزوم الآيات والحجج الا انهم تلك الآيات
والحجج وكابروها وثبتوا على عبادة الاصنام والاوثان ولا علموا من جهة الآيات والحجج التي ادلتها عليهم
انه على الحق وانهم على باطل ثم قوله وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا اي يعلمون حين
لا يقدرون على الجحود والانكار اذا نزل بهم العذاب ووقع من اضل سبيلا هم المؤمنون لانهم وان
علموا بالآيات والحجج انه على الحق وانهم على باطل وعلموا الموعود من العذاب فاخبر انهم يعلمون عند وقوعه
بهم علما لا يقدرون على جحوده ولا انكاره كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية وقوله
او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل وقوله ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وامثال ذلك اذا عاينوا
الموعود في الدنيا يقرون به ولا يقدرون على الجحود فكذلك قوله وسوف يعلمون علما لا يقدرون على
الانكار والجحود حين يرون العذاب من اضل سبيلا وقوله ارأيت من اتخذ الهه هواه قال بعضهم انهم
كانوا يعبدون واشباه حجرا او غيره فاذا رأوا احسن منه في رأي العين والمنظر تركوا عبادة ذلك
وعبدوا ما هو احسن منه وقال بعضهم كلما هوت انفسهم شيئا عبدوه وكلما اشتهوا شيئا اتوه لا يحجزهم
عن ذلك ورع ولا تقوى الله ويحتمل وجهين آخرين سوى ذكر هؤلاء احدهما تركوا عبادة الاله الذي قامت
الحجج والآيات بالوهيته وربوبيته ولزموا عبادة من لم يقم له الآيات والحجج بذلك بهواهم والثاني انهم عبدوا
ما عبدوا من الاصنام بلا امر كان لهم بالعبادة لا بد من امر يأمرهم بها بل عبدوا بهواهم وكلام نحو هذا
وقوله افانت تكون عليه وكيلا اي لست بوكيل ولا مسلط عليهم ولا حافظ اي لا تسأل انت عن اعمالهم ولا
تحاسب عليها بل هم المسؤلون عنها وهم يحاسبون عليها كقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك
عليهم من شيء وكقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الآية والله اعلم وقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون
قوله ام تحسب وان كان في الظاهر استفهاما فهو في الحقيقة على الايجاب وهكذا كل استفهام من الله يخرج
على الايجاب او على النهي كانه قال قد حسب اكثرهم يسمعون او يعقلون اي لا ينتفعون بما يعقلون ان هم
الا كالانعام بل هم اضل قال بعضهم كالانعام لان همتهم ليست الا كهمة الانعام وهو الاكل والشرب ليست
لهم همة سواه ليس للانعام همة العاقبة فعلى ذلك الكفرة فهم كالانعام من هذه الجهة وقوله بل هم اضل قال
قائلون قوله اضل لان الانعام تعرف ربها وخالقها وتذكره وهم لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه او هم اضل
لانهم ينسبون الى الله ما لا يليق به من الولد والشريك ويشركون غيره في العبادة والانعام لا فهم اضل و
قال بعضهم هم اضل لان الانعام اذا اهتدت الطريق اهتدت وهم يهدون ويدعون الى الطريق فلا يهتدون
ولا يجيبونه فهم اضل او ان يقال لهم اضل لانهم يضلون ويضلون غيرهم ويمنعونهم من الهدى والانعام لا والله
اعلم وقوله الم تر قد ذكرنا في غير موضع ان حرف الم تر هو حرف تعجب واستفهام لكن في الحقيقة على الايجاب

اى قد رايت

اي قد رأيت وقوله الم تر الى ربك اي الى تدبير ربك ولطفه انه كيف مد الظل وهو لا يؤذي ولا يضر ولا يمس
ولا يشعر به احد يكون فيه ولا يثقل ولا يخف ولا يستر ولا يكشف عن وجوه الاشياء انما
بياض
النور هو الكاشف عن وجوه الاشياء والظلمة هي الساترة لذلك ونحو ذلك مما يكثر ذكره مما يختلط بالخلائق
كلها ليعلم ان المحسوسات التي يقع عليها الحواس مما لا يدرك حقيقة من نحو الظل الذي ذكرنا وهو ما لا يدرك
حقيقته ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق باللسان ونحو ذلك من المحسوسات وهو لا يدرك حقيقته
ومن نحو السمع والبصر والعقل والنطق ليعلم ان الذي سبيل معرفته الاستدلال وهو منشئ هذه الاشياء
احق ان لا يدرك ولا يحاط بتدبيره ولطفه ليعلم ان من بلغ تدبيره ولطفه هذا المبلغ لا يحتمل ان يعجزه
شيء او يخفى عليه شيء يخبر عن قدرته وتدبيره ولطفه ليعلم انه قادر ومدبر بذاته لطيف وقوله ولو شاء
ولو شاء لجعله ساكنا اي دائما لا يذهب ابدا ولا يصيبه الشمس ولا يزول وقال بعضهم ساكنا اي مستقرا
ابدا الا تنسخه الشمس كظل الجنة وقوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال بعضهم اي تتلوه وتتبعه
حتى تأتي على كله وقال بعضهم قوله جعلنا الشمس عليه دليلا يقول حيث ما يكون الشمس يكون الظل واصله
انه بالشمس يعرف الظل انه ظل ولولا الشمس ما عرف الظل فهو دليل معرفته وكونه انه ظل وقوله ثم
قبضناه الينا قبضا يسيرا قال بعضهم هينا خفيا واصله انه يقبض بالشمس الظل وينسخه شيئا فشيئا حتى تأتي
على كله وقوله وهو الذي جعل لكم الليل لباسا قيل سكنا يسكن فيه الخلائق وقيل لباسا اي سترا والنوم
سباتا قال بعضهم اي راحة يقال سبت الرجل يسبت سباتا فهو مسبوت وقال بعضهم اصل السبت
التمدد وقال بعضهم سبت الرجل اذا نعس وقيل رجل مسبوت لا يعقل كانه ميت وجعل النهار نشورا
فمن جعل السبات النوم جعل قوله والنهار نشورا اي حيوة يحيون فيه ومن يقول السبات راحة
يجعل النهار نشورا ينتشرون فيه للمعاش والكسب وابتغاء الرزق وقال بعضهم يذكر نعمه و
بياض
منته على عباده دلالة ذي شكره وقال ابو معاذ قال مقاتل مد الظل يعني الفيء من اول وقت صلوة
الفجر الى طلوع الشمس واخطأ لا يسمى ذلك الظل فيئا وقال الكسائي العرب تقول الظل من حين
يصبح الى انتصاف النهار فاذا زالت الشمس عن كبد السماء فما خرج من ظل فذلك الفيء ويقال للفيء الظل
ولا يقال للظل في قبل الزوال وقوله وهو الذي ارسل الرياح نشرا قال بعضهم نشرا اي حيوة وقال
بعضهم نشرا للسحاب تنشره اي تبسطه وعلى النار وبل الاول تنشر اي يحييها وقوله بين يدي رحمته
بين يدي المطر سمى المطر رحمة لما برحمته يكون وكذلك ما سمى الجنة رحمة لانها برحمته ما يدخل
من دخل فيها وقوله بين يدي رحمته هذا يدل انه لا يفهم باليد اليد المعروفة التي هي الجارحة
حيث ذكر للمطر ذلك ولا يعرف اعني اليد ليعلم انه لا يفهم من قوله بيد الله وبين يدي الله ذلك وبالله
العصمة وقرأ بعضهم بشرا بالباء وهو من البشارة كقوله ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات اي
تبشرهم بالرحمة والسعة والله اعلم وقوله وانزلنا من السماء ماء طهورا اي ما يطهر به الانجاس و
الاقذار الظاهرة منها والباطن وكذا الطهور انه يطهر حيث ما اصابه وقوله لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا
انعاما واناسي كثيرا فيه لغتان اسقى وسقى بالالف وبغير الالف يقال سقى به حرثه وماشيته وسقيته
اي ناولته ما يشرب وهو قول القتبي وابو عوسجة وقوله واناسي كثيرا قال بعضهم الاناسي جمع انسي
وقال بعضهم هي جمع انسان واصله بالنون اناسين لكن ابدلت النون ياء قال ابو عوسجة والقتبي اناسي
مشدد يعني الناس واناسي جماعة الانسان على ما ذكرنا ثم يحتمل قوله ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي
كثيرا اي نسقيه من الماء الطهور المنزل من السماء كثيرا من الانعام وكثيرا من الناس وكثيرا مستعدا
يبقى من المياه المنتزعة من الارض ولقد صرفناه بينهم ليذكروا اي صرفنا المطر والسحاب بينهم
يمطر في مكان ويسوق السحاب الى مكان ولا يسوق الى مكان آخر كقوله وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين
السماء والارض الآية وكقوله فسقناه الى بلد ميت الآية يذكرهم في هذه الآيات من قوله الم تر الى ربك
كيف مد الظل الى قوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا تدبيره وقدرته وحكمته ونعمه اما تدبيره حيث
ترى السحاب في موضع ولا تراه في موضع وتراه منبسطا في الآفاق ثم يمطر في موضع آخر ولا يرسل في
مكان ويرسل في مكان آخر ليعلم انه عن تدبير كان هكذا لا بالطبع لانه لو كان بالطبع كان ذلك لكان
لا جائز ان يمطر في مكان ويترك في مكان آخر دل انه بالتدبير كان ما كان وبالامر واما قدرته ما ذكر من
احياء الارض الميتة بعد موتها واماتتها بعد حياتها يعلم كل احد حيوتها وموتها ويقر بذلك فمن
قدر على هذا قادر على احياء الموتى بعد الموت ولا يعجزه شيء واما حكمته ان ما خلق مما ذكر وانشأ
لم ينشئه عبثا يبيحهم لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بشيء ولا يجعل لهم عاقبة يثابون ويعاقبون
ولا يعادي منهم شكر ما انعم عليهم من انواع النعم مما يحيي عقولهم عن الادراك ويقصروا فهمهم
عن تقدير مثله ليعلم انه قادر بذاته لا يعجزه شيء ثم قال فابى اكثر الناس الا كفورا قال الكسائي
الكفور برفع الكاف الكفر والكفور بفتح الكاف والشكور بضم الشين الشكر وبفتح الشين الشاكر

والشكور بمعنى الشاكر وهو المؤمن فيكون تأويله فأبى أكثر الناس إلا كفرا بالله وتكذيبا لنعمه بصرفهم العبادة إلى غيره ونسبتها إليهم وتطيرهم أن هذا من نوء كذا والله أعلم وقوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا هذا يحتمل وجهين أحدهما لو شئنا لرفعنا عنك بعض ما حملنا عليك من المؤن من مؤنة التبليغ والقيام بذلك وحملنا غيرك فيكون عليك أيسر وأهون من القيام بالكل والثاني لو شئنا لجعلنا غيرك أيضا أهلا للرسالة وموضعا لها في زمانك وحينك فبعثناه في بعض القرى والمدن لكنا لم نجعل غيرك أهلا لها وخصصناك لها من بين غيرهم من الناس فهو على الامتنان يخرج والاختصاص له ثم لا يخلو ذلك من أن يكون فيهم من يصلح للرسالة ويصلح أن يكون أهلا لها وموضعا فلم يرسل أو كان يكون فيهم من يصلح لذلك فيكون تأويله لو شئنا لجعلنا فيه من يصلح للرسالة ويصلح أن يكون أهلا لها وموضعا فأي الوجهين كان فهو ينقض على المعتزلة قولهم لأنه إن كان فيهم من يصلح لها وأرسل كان أصلح له فلم يرسل فقد ترك ما هو أصلح له وأخير وإن يكون لا يصلح فيهم أحد لذلك لكنه يملك أن يصلحه ويجعله أهلا لها فهو أصلح له وأخير ثم لم يفعل دل أن له أن يترك الأصلح والأخير في الدين وقوله فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا فيه وجهان أحدهما أنه لا يجوز للرسل التقية والامتناع عن التبليغ إليهم والقيام بمجاهدتهم وإن خافوا على أنفسهم الهلاك حيث قال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ولم يكن معهم يومئذ إلا قليل ممن اتبعه إذ كان ذلك بمكة لأن سورة الفرقان فيها نزلت والثاني فيه دلالة إثبات لرسالته لأنه أمر بالخلاف لهم والقيام بمجاهدتهم بالحجج والآيات وهم يعلمون أن لا يكون في وسع واحد القيام لذلك لأمثالهم وكانت همتهم القتل والإهلاك لمن خالفهم فعلموا أنه إنما قام لذلك بالله لا بنفسه إذ لا يملك واحد القيام لذلك والله أعلم وقوله وهو الذي مرج البحرين قال بعضهم مرج أي خلع ماء المالح على ماء العذب وقال بعضهم مرج أرسل البحرين أحدهما عذب والآخر أجاج وقال بعضهم مرج أي أفاض أحدهما على الآخر قال أبو معاذ العرب تقول مرجت الدابة إذا خليتها وتركتها تذهب حيث شاءت ومرج الوالي الناس من السجون إذا أرسلهم فإذا رعيت دابة في المروج قلت أمرجت دابتي أمرجها إمراجا وإنما سمي المرج مرجا لأنه متروك للسباع غير معمور والمرج الذي يرعى دابته في المرج والدابة الممرجة وقال أبو عوسجة مرج البحرين مرجهما أي خلطهما فهو مارج وقال فهم في أمر مريج أي مختلط ويقال مرجت عن كل شيء إذا خلطت والله أعلم ثم اختلف في البحرين قال بعضهم أحدهما بحر الأرض والآخر بحر السماء وجعل بينهما برزخا أي حاجزا عن أن يختلط أحدهما بالآخر وهو وقال بعضهم أحدهما بحر السماء والآخر بحر الأرض وجعل بينهما برزخا وهو الأرض وقال بعضهم بحران على وجه الأرض أحدهما بحر الروم والآخر بحر الهند وقال بعضهم بحران أحدهما بحر الشام والآخر بحر العراق أحدهما ملح أجاج والآخر عذب وكان الأجاج هو الذي يبلغ في الملوحة غايته والفرات هو الذي يبلغ في العذوبة غايته ذكر منته وفضله ولطفه حيث لم يخلط أحدهما بالآخر بل حفظ كلا على ما هو عليه إلى أن تقوم الساعة فصد ذلك بصير الكل واحدا كقوله وإذا البحار سجرت ثم إن كان أحدهما بحر السماء والأرض وإن كان يجريان في الهواء فالحاجز بينهما ليس إلا اللطف وكذلك إن كان الثالث ليعلم أن من قدر على حفظ هذا من هذا بلا حجاب ولا حاجز باللطف لقادر على إحياء الموتى وبعثهم ولا يعجزه شيء وله الحول والقوة وقال أبو عوسجة ماء أجاج شديد الملوحة ويقال أج الماء يؤج أجوجا فهو أجاج ويقال عاج أي ماء روي به وقوله وهو الذي خلق من الماء بشرا أي من النطفة يخبر عن فضله ومنته وقدرته ولطفه أما اللطف والقدرة حيث خلق البشر من النطفة ولو اجتمع جميع حكماء البشر على أن يعرفوا أو يدركوا البشر من النطفة أو يدركوا كيفيته لم يقدروا على ذلك دل أنه قادر بذاته لطيف لا يعجزه شيء وأما فضله ومنته ما أخبر أنه جعل لهم نسبا وصهرا أما النسب فبه يتعارفون ويتواصلون ما لولا ذلك ما تعارفوا ولا تواصلوا وأما الصهر فلما به يتزاوجون ويتوادون ويتوالدون كقوله والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة وقال وجعل بينكم مودة ورحمة يذكر فضله ومنته لتأدي به شكره ليعلم أن خلق مثل هذا لا يخرج عبثا باطلا بلا محنة ولا عاقبة وكان النسب مما لا يجري بينهم التناكح والتزاوج والصهر ما يحل ويجري بينهم التناكح والتزاوج وفي حرف حفصة وهو الذي خلق من الماء نسبا وصهرا قال أبو معاذ الصهر الختن والله والختن أبو المرأة ولخته أم المرأة والأختان آل المرأة وأهلها والأصهار آل الفتى وأهله وقال أبو عوسجة وصهرا من المصاهرة وكلهم أصهار من الجانبين جميعا والمعروف عندنا أنه يسمى قرابة الزوج أختانا وقرابة المرأة أصهارا وذلك لسان فهو على ما تعارفوه بينهم والله أعلم وقوله ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم أي يعبدون من دون الله ما يعلمون أنه لا ينفعهم في الآخرة إن عبدوه ولا يضرهم في الدنيا إن تركوا عبادته يذكر سفههم بعبادتهم من يعلمون أنه لا ينفع ولا يضر وتركهم العبادة لمن ينفعهم إن عبدوه ويضرهم إن تركوا عبادته وهو كما ذكر في غير آية من القرآن سفه أولئك بعبادتهم للأصنام وتركهم عبادة الله وقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا أي تأويله والله أعلم وكان الكافر للكافر وليه ظهيرا على من أطاع ربه يكون بعضهم لبعض عونا وظهيرا على أولياء الله والا لا يكون الكافر على الله ظهيرا ولكن على أوليائه ويكون ذكر الذي على إرادة وليه ومن أطاعه كقوله إن تنصروا الله ينصركم وكقوله يخادعون الله ونحو ذلك مما يراد بها أولياؤه

لا بنفسه

لا بنفسه وقوله وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا أي مبشرا لمن أطاعه ونذيرا لمن عصاه والبشارة هي الإعلام لما يلحق من السرور والفرح في العاقبة بالأعمال الصالحة والنذارة هي الإعلام لما يلحق من المكروه والحزن في العاقبة بالأعمال السيئة القبيحة وقوله قل ما أسألكم عليه من أجر أي ما أسألكم على ما أدعوكم إليه من أجر كقوله لعلهم يسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أي لو أنا سألكم أجرا على ذلك لمنعكم ثقل الغرم عن إجابتي مثل ذلك وقوله قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا كأن فيه إضمارا أي لا أسألكم عليه أجرا لأحد من شاء ولكن إنما أسألكم أن تتخذوا إلى ربه سبيلا أو أن يقول قوله إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا أي ولكن من أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا بطاعتي وإجابتي ويحتمل قوله قل ما أسألكم على تبليغ الرسالة إليكم وما أدعوكم إليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا غير أني أو أن يكون قوله إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا هو ما ذكر كقوله قل ما أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقوله وتوكل على الحي الذي لا يموت أي توكل على الله والتوكل هو الاعتماد عليه في كل أمر وقوله وسبح بحمده أي نزه ربك وبرئه عن الآفات كلها والعيوب بثناء تثني عليه وهو التسبيح بحمده وقال أهل التأويل أي صل بأمر ربك لكن التأويل ما ذكرنا وقوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا أي كفى به عالما بذنوب عباده أي لا أحد أعلم بها منه وقوله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما قد ذكرنا هذا وقوله فاسأل به خبيرا قال قائلون قوله فاسأل بالله خبيرا لما يسأل عنه محمد وذلك أن بعض كفرة مكة قالوا يا محمد إن كنت نعلم الشعر فنحن لك النبي الشعر هذا إن هذا كلام الرحمن فقالوا أجل لعمر الله إنه لكلام الرحمن الذي باليمامة هو يعلمك فقال النبي الرحمن هو الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما من عنده يأتيني ذلك فقالوا أتزعم أن الله واحد وهو يقول الله يعلمني الرحمن يعلمني ألستم تعلمون أن هذا إلهان أو كلام نحو هذا وجائز أن يكون قولهم وما الرحمن لأنهم يعرفون الرحمن ويعرفون الله فما تكون وإن لم يكونوا يسمعون ذلك فعرفهم بقوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية وإن لم يكونوا يعرفون كل معبود دونه وكذلك يسمون الأصنام التي عبدوها آلهة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى عبادة الرحمن فظنوا أنه غير فقالوا فليس جاز أن يعبد غير الله نحن نعبد الأصنام فلم تمنعنا عن ذلك فأخبر الرحمن والإله واحد ليس هو غير الله تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا إلى آخرها ذكر يقول الله تعالى أن يكون الرحمن غير الإله بل الرحمن هو الذي جعل في السماء بروجا وقد كانوا يعلمون أن الذي جعل في السماء البروج وهي النجوم وجعل فيها السراج وهي الشمس والقمر هو الله فأخبر أن الرحمن هو ذلك لا غير وفي قول بعضهم أن قوله الذي خلق السماوات والأرض الآية من المكتوم وفي الآية دلالة أنه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم ويفسر حيث قال فاسأل به خبيرا ولو كان مما لا يعلم لكان لا يأمر أن يسأل به خبيرا وإن أمره بالسؤال لكان لا يحتمل أن لا يخبره فدل ذلك أنه ليس من المكتوم ولكنه مما يعلم لكن لا يعلمه إلا الخبير والخبير هو العالم ثم يحتمل الله أو جبريل أو من يعلمه والله أعلم وقوله فاسأل به قال بعضهم بالله وقال بعضهم بالذي سبق ذكره من قوله ثم استوى على العرش وقوله وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قد ذكرنا أنسجد لما تأمرنا إلى آخره وقوله وزادهم نفورا أي زادهم دعاؤه إلى عبادة الرحمن نفورا عن رسول الله وقال بعضهم في قوله فاسأل به خبيرا يقول ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك لا شك فيه والله أعلم وقوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا قوله تبارك قد ذكرنا أن بعضهم يقولون هو من البركة وقال بعضهم من التعالي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا هو ما ذكرنا أنه خرج جوابا لقولهم وما الرحمن وكذلك قوله وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة أي جعل أحدهما خلفا للآخر إذا ذهب هذا جاء هذا لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي يذكر الليل والنهار ولمن أراد أن يتذكر أو أراد عظته أو يشكر نعمه لأنه يتذكر أن قدرته وسلطانه حيث يقهر الجبابرة والفراعنة ويغلب أئمتهم حيث يطلع عليهم ويأتيهم شاؤوا أو كرهوا لا يقدرون دفعهما عن أنفسهم وفيهما دلالة الإحياء والبعث بعد الفناء والهلاك حيث ذهب هذا الذي يأتي بعده إذا لم يبق منه أثر ما شيء فمن قدر على هذا فقدر على البعث والإحياء بعد الموت وما طلب أثره ويذكر أن ابتغاءه والأنه ولا ترجيح للدنيا ونستقل المعاشهم ومطلبا لرزقهم وما به قوام أنفسهم وجعل الليل مستراحا لأبدانهم وسكونها لا قوام لأبدانهم إلا بالأخرى لا ترى أنه كيف ذكر نعمه فيهما حيث قال قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة الآية وقال قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تتذكرون عظيم نعمه فيهما أعني في الليل والنهار لتتأدى به شكره فعلى ذلك هذا ما ذكرنا قوله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا النعمة التي جعل فيهما وقال بعضهم قوله خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي يكون كل واحد منهما خلفا للآخر فيما يفوت فيه من التذكر والتشكر أي ما فات في أحدهما من التذكر والتشكر يقضي في الآخر وقال الحسن قريبا مما ذكرنا وقال من فاته شيء بالليل أدركه بالنهار ومن فاته شيء بالنهار أدركه بالليل وعلى مثل ذلك روي عن عمر أن رجلا قال

انظر هذا ع

له يا امير المؤمنين اني لا تفتني الصلوة الليلة فقال عمر ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك وما فاتك في نهارك
من ليلتك ثم قرأ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال بعضهم خلفة من الاختلاف اي يخالف احدهما
الاخر ثم يحتمل الاختلاف وجهين احدهما يجي وهذا او ذهاب الاخر على ما ذكرنا كقوله واختلاف الليل
والنهار والثاني هو اختلاف اللون من السواد والبياض احدهما اسود والاخر ابيض والله اعلم وقوله جعل
في السماء بروجا قال بعضهم البروج هي النجوم العظام والكواكب وهو قول ابي عوسجة الاعرابي وقال
بعضهم البروج القصور في السماء فيها ينزل الشمس في كل ليلة وروي مثل قول غيره عن سلمان ان رجلا اتاه
فقال يا سلمان اني لا استطيع قيام الليل قال ان كنت لا تستطيع قيام الليل فلا تعجزه بالنهار وذكر ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول اصيبوا من هذا الليل ولو ركعتين ولو اربعا وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده ان في كل ليلة ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيرا الا اعطى له في هذا الليل
والنهار فانهما مطيتان تقحمان الناس الى اجالهم تقربان كل بعيد وتبليان كل جديد وتجيئان بكل موعود حتى
يؤدى ذلك الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ثم يصير الناس باعمالهم الى الجنة والى النار ليجزي الله كل نفس
ما كسبت وقوله وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وصف عز وجل اهل الصفوة والاخلاص من عباده
انهم يمشون على الارض هونا الى اخر ما ذكر لانه كانوا كلهم عباد الرحمن لكن وصف اهل الصفوة منهم والاخلاص
والتقى وقوله يمشون على الارض هونا قال بعضهم حلماء اتقياء بغير مرح ولا بطر وقال بعضهم هونا اي متواضعين
لا خيلاء ولا كبرياء ولا مرحا وعن الحسن قال هم المؤمنون قوم ذلل فلت والله الاسماع والابصار والجوارح حتى
يحسبهم الجاهل مرضى والله ما بالقوم من مرض وانهم لاصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم
وفي بعض الاخبار رفعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد
وان انيخ على صخرة استناخ واصله انهم يمشون هونا من غير ان يتأذى بهم احد او يلحق احدا منهم ضررا ومعنى والله
اعلم وقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال بعضهم اذا جاهلهم الجاهلون وشافههم السفهاء لم يجاهلون
اهل الجهل والسفه ولكن قالوا السلام عليكم وقال بعضهم واذا سمعوا الشتم والاذى قالوا سلاما اي سدادا وصوابا
من القول وردا معروفا فاعرضوا عن سفههم وجهلهم بهم ولم يكافؤهم كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم الاية يخبر عز وجل عن صحبتهم اهل السفه والجهل وحسن معاشرتهم اياهم ورفقهم فكيف باهل
اهل الخير والعقل منهم وبهذا يخبرون فهذه معاملتهم الخلايق على الوصف الذي وصفه ثم اخبر عن صنيعهم لله وذكره
اليه فقال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما عن الحسن قال لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله الذين يبيتون الليل وايديهم على ركبهم ثم قال من صلى ركعتين بعد العشاء فقد بات لله تعالى ساجدا وقائما وقال
الحسن كانوا يبيتون لله على اقدامهم ويفترشون وجوههم سجدا الرب تجري دموعهم على خدودهم فرقا من ربهم
وقال الامر ما سهر له ليلهم ولامر ما خشع له نهارهم وقوله والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم يحتمل ان
يكون هذا اخبارا من الله تعالى عما في ضمائرهم ليس على حقيقة القول والدعاء لان من بلغ في العبادة والورع المبلغ الذي
وصفهم لا يشتغلون انفسهم بالسؤال عن دفع المضار وجر النفع ويحتمل على الدعاء والقول على ما اخبر والله اعلم ثم
اخبر عن عذابها فقال ان عذابها كان غراما قال الحسن الغرام اللازم الذي لا يفارق صاحبه وكل غريم يفارق
غريمه غير عذاب جهنم وقال بعضهم الغرام الهلاك وقال انها ساءت مستقرا ومقاما اي جهنم بئس المستقر وبئس
المقام لاهلها هو مقابل ما ذكر لاهل طاعة الجنة حيث قال حسنت مستقرا ومقاما وقال بعضهم غراما عن
في الاخرة ما نعموا في الدنيا وفي حرف ابن مسعود كان غراما انا انها ساءت مستقرا ومقاما وقال ابو عوسجة هونا
هو من الرفق يقال هان يهون هونا فهو هاين وقوله اذا عزاك خوك فهن اي اذا اشتد فارفق به وا الغرام الهلاك
وكذلك قال القتبي غراما اي هلكة وقال مشيا هونا وبدا سلاما اي سدادا من القول لا رفث فيه ولا هجر
وقوله اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال بعضهم لم يسرفوا في غير حق كسبوا طيبا وانفقوا قصدا او اعطوا
فضلا والجود واستمتعوا ولم يقتروا اي ولم يمسكوا عن الحق وقوله وكان بين ذلك قواما اي بين الاسراف
والتقتير مقصدا وهو تاويل مقاتل وقال بعضهم الاسراف هو الانفاق في معصية الله ولم يقتروا اي لم يمنعوا
عن طاعة الله وكان بين ذلك قواما اي عدلا لا يمسك عن حق ولا ينفقون في باطل ولكن نفقة في طاعة الله و
قال بعضهم الاسراف في النفقة هو الانفاق فيما لا ينتفع من نحو البحيرة والسائبة والوصيلة التي كانوا يتركونها
ولا ينتفعون بها والاقتار هو الامساك عن الانفاق فيما ينتفع به وقال بعضهم الاسراف هو المجاوزة عن الحد الذي
جعل له في الانفاق في الاكثار والاقتار هو المنع عن الحد الذي جعل له وكان بين ذلك قواما اي وسطا كقوله
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولكن بين ذلك واصله لم يسرفوا اي لم ينفقوا ولم يضعوا
الا فيما امروا ان يضعوا فيه وكان بين ذلك قواما اي قائما في ذلك كثيرا ما يفعلون الا باموا خيرا ثم لا يدعون
مع الله الها اخر ثم يحتمل هذا وجهين لا يدعون اي لا يعبدون دون الله غيره ولا يسمون غير الله ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون اخبر في الاية الاولى في قوله يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما عن معاملتهم الخلق وصنيعهم بينهم وبين العباد حيث اخبر انهم يمشون هونا ولا يؤذون

احدا ولا يقترون واذا الذا هم اهل الجهل والسفه لم يكافؤهم لا ذام ولكن احملوا ذلك عنهم وتجاوزوا
وقالوا لهم قولا سديدا هذه معاملتهم فيما بينهم وبين الخلق بانها روا خبر عن معاملتهم ودعائهم ربهم بالليل
حيث قال والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم الاية ثم اخبر
عن صنيعهم في اموالهم التي في ايديهم انهم لا يضعونها الا فيما امروا بالوضع فيها واخبر عن صفتهم و
اخلاصهم لله في العبادة وكفهم عن محارم الله حيث قالوا اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقوله و
الذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون وقوله والذين
لا يشهدون الزور موصول بهذا ايضا ومقدم عن قوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما كانه قال ولا يزنون
ولا يشهدون الزور ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من قتل النفس المحرمة والزنا وشهادة الزور والشرك
يلق اثاما قال بعضهم اثاما اي وادا في جهنم وقال بعضهم اثاما عذابا في النار وقوله لا يشهدون الزور
قال بعضهم لا يشهدون مكان الزور وهو الغناء اي لا يشهدون المكان الذي يغني فيه وقال بعضهم لا يشهدون
بشهادة الزور وهو الكذب وقوله واذا مروا باللغو مروا كراما مرور الكرام اي ان قدروا على تغيير ما عاينوا
من اللغو والمنكر غيروه ومضوا على وجههم من غير ان دخل في ذلك فساد وان لم يقدروا مضوا ولم يعبأوا به ولا اشتغلوا
كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وفي قوله ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ولالة نقض قول
الخوارج باكفارهم اصحاب الكبائر لانه اخبر انها محرمة بعد ارتكابها الزنا والقتل كما هي قبل ارتكابها الا بالحق حيث
قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق دل انها محرمة بعد قبل كونه الا بالحق اما بحق القصاص واما بحق
الزنا واما بحق الارتداد وعلى ما ذكر في الخبر لا يحل قتل امرئ مسلم الا في احدى ثلث خصال زنا بعد احصان وكفر
بعد ايمان وقتل نفس بغير حق ولو كانت كافرة بارتكاب ما ذكر لكانت غير محرمة فدل انه ما ذكرنا وقال ابو عوسجة
الاسراف الفساد والتقتير التضييق ولم يقتروا اي لم يفقروا فيتبلوا لا يكون عيالهم قال والقوام الوسط ويقال
قوام لي في هذا الامر ولا طاقة لي فيه ولا اقاوم هذا الامر اي لا اطيقه والقوام القصد قال ابو معاذ في قوله ولم
يقتروا لغات اربع لم يقتروا برفع الياء وخفض التاء غير مثقل ويقتروا بنصب الياء وخفض التاء ويقتروا بضم
التاء والمعنى كله واحد وقوله والذين اذا ذكروا بايات لم يخروا عليها صما وعميانا قال بعضهم يقول اذا ذكروا
بايات ربهم لم يصموا عن الحق ولم يعموا قالهم والله قوم عقلوا عن الله وانتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وقال الحسن
من يقرأها بلسانه يخر عليها اصم واعمى كانه يخبر ان اولئك اعني اهل صفوة الله واخلاصه لم يخروا على الايات
متعامين عنها لكثرة الغفلة ولكن خروا عليها متذكرين ومتفقهين عاملين بما فيها عاملين كقوله انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية وقوله يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا فان قيل اخبر
ههنا انه يضاعف له العذاب وقال في اية اخرى من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها فما معنى الضعف ههنا قيل يحتمل
هذا وجهين احدهما انه يضاعف العذاب للذين تقدم ذكرهم اذا كفروا بالله بعد ما بلغوا المبلغ الذي وصفهم و
الرتبة التي ذكر وهو قوله وعباد الرحمن الاية انه واحد منهم اذا كفر يضاعف له العذاب يضاعف عذابهم على
قدر منزلته ومرتبته عند الله وعلى قدر نعم الله عليه اذا كان منه عصيان وكفران لذلك وهو كما قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
اي ضعف عذاب الحيوة وضعف عذاب الممات وما ذكر ايضا لازواجه حيث قال يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة
مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين كل من كان اعظم قدرا واكثر نعما عليه فعقوبته اذا عصى ربه اكثر واشد من
الذي لم يبلغ ذلك ولا تلك الرتبة فيكون ضعف غيره وجزاء مثله والثاني ان يكون ذلك للرؤساء اعني الكفرة
والرؤساء دون الاتباع لانهم عملوا ما بانفسهم ودعوا غيرهم الى ذلك كقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
او ان يكون ذلك لهم العناد الذي كان منهم والمكابرة ثم استثنى من تاب منهم فقال الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا الاية في الذين قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا فكان فيه دلالة قبول توبة المرتد
اذا تاب ورجع الى الاسلام حيث استثنى من تاب منهم وقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات هذا يحتمل
وجهين احدهما يوفقهم الله اذا تابوا وندموا على ما فعلوا من السيئات في الدنيا حتى يعملوا مكان سيئة عملوها فذلك
معنى تبديل الله حسنات اي يوفقهم على ذلك والثاني يبدل الله سيئاتهم حسنات في الاخرة لما كان منهم الندامة
والحسرة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا وعلى ذلك روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ليأتين اقوام
يوم القيامة ودوا انهم استكثروا من السيئات فقيل له يا ابا هريرة ومن هم قال هم الذين يبدل الله سيئاتهم
حسنات وكذا روي مثله عن عبد الله بن مسعود وقوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله
متابا لا يرجع عنها ابدا وعلى ذلك يخرج قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اي ان يكن منكم عشرون
فليثبتوا ما تين على الامر ليليه قوله حيث قال خفف الله عنكم الاية والثاني ان يكون ذلك لقوم خاص علم
الله انهم اذا تابوا توبة لا يرجعون عنها ابدا ولا ليس كل من تاب يكون على توبة ابدا وقوله والذين لا يشهدون
الزور قد ذكرناه واذا مروا باللغو مروا كراما قد ذكرناه ايضا وبعضهم اذا او ذوا صفحوا وقال بعضهم انهم
كانوا اذا اتوا على ذكر النكاح او غيره كنوا عنه وقال ابو عوسجة والقتبي يلق اثاما اي عقوبة الاثام العقوبة

وقوله مروا كراما اى لم يخوضوا فيه واكرموا انفسهم عنهم صما وعميانا اى لم يتغافلوا عنها وقال بعضهم انهم اذا وعظوا
بالقران لم يخروا عليها صما وعميانا عند تلاوة القران فلا يسمعون ولا يبصرون ولكن يخرون عليها سمعا بصرا وهو واحد
وقوله والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين قد نعتهم عز وجل في معاملتهم ان كيف عاملوا ربهم
بالليل والنهار ونعتهم ايضا في معاملتهم عباده ان كيف عاملوا عباده ثم نعتهم في معاملتهم اهليهم ودعائهم لهم فقال
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين فهو والله اعلم لما امرهم ان يتوبوا انفسهم واهليهم النار
بقوله قوا انفسكم واهليكم نارا الاية فعند ذلك دعوا ربهم وسألوه ان يهب لهم من ازواجهم وذرياتهم ما تقر به
اعينهم في الدنيا والاخرة وقال بعضهم اجعلهم صالحين مطيعين فان ذلك تقر اعيننا قال الحسن والله ما شيء
احب الى العبد المسلم من ان يرى ولده او حميمه يطيع الله وقال نراهم يعملون بطاعة الله فتقر بذلك اعيننا والله
اعلم وقوله واجعلنا للمتقين اماما قال بعضهم اى اجعلنا ائمة هدى وتقوى يقتدى بنا وقال بعضهم واجعلنا
بحال يقتدى بنا المتقون واصله والله اعلم فانهم سألوا ربهم ان يجعلهم بحال من اقتدى بهم صار تقيا لا
من اقتدى صار ضالا فاسقا هذا والله اعلم تأويله والا سؤالهم ان اجعلنا اماما للمتقين لا معنى له ان يطلبوا
لا نفسهم الامامة ولكن على الوجه الذي ذكرنا والله اعلم ثم اخبر عن جزائهم في الاخرة بصنيعهم في الدنيا
وصبرهم على ما امروا فقال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا والغرفة هي اعلى المنازل واشرفها اخبر انهم يجزون
ذلك ويكونون فيها وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه اولئك يجزون الجنة بما عملوا فجائز ان يكون الغرفة المذكورة
في الاية كناية عن الجنة يدل له حرف ابن مسعود وجائز ان يراد بها نفس الغرفة ولارتفاعها وعلوها على غيرها
على غيرها من المنازل وذلك مما يختار الكون فيها في بعض الاوقات في الدنيا والناس يرغبون فيها لاشرافها و
ارتفاعها على غيرها فرغبهم ذلك في الاخرة هو وقوله ويلقون فيها بالتخفيف والتشديد ويلقون تحية و
سلاما اى يلقيهم الملائكة بالتحية والسلام كقوله سلام عليكم بما صبرتم وقوله سلام عليكم طبتم او يلقى بعضهم
بعضا بالتحية والسلام ويحيي بعضهم بعضا ويسلم بعضهم على بعض وقوله خالدين فيها وقوله حسنت مستقرا ومقاما
تأويله والله اعلم اى حسنت لهم الجنة مستقرا ومقاما حتى لا يملوا فيها ولا يسأموا ولا تأخذهم الوحشة والكآبة
كما في الدنيا يمل ويسأم عند الكثرة وطول المقام فيها وقوله قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم قال بعضهم ما يعبأ بكم
ربي اى ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى التوحيد لتوحدوه وتطيعوه وقال بعضهم ما يعبأ اى ما يصنع بكم
ربي وتأويله والله اعلم ما يصنع ربي بعذابكم ان شكرتم وامنتم وقوله فقد كذبتم فسوف يكون لزاما اختلف
فيه قال بعضهم هو عذاب يوم بدر يعني لزم بعضهم بعضا وكذلك قال ابن مسعود قال مضت اية الدخان والبطشة
واللزام يوم بدر وقال لزاما اى عذابا ملازما غير مفارق وهو عذاب الاخرة وقال ابو عوسجة ما يعبأ بكم
ربي اى ما يصنع يقال ما عبأت به اى ما صنعت به ويقال ما اعبأ بهذا الامر اى ما اصنع به ويقال
عبأت بفلان اى احتجت اليه وكذلك قول القتبي والله اعلم بالصواب

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم قد ذكرنا تأويل الحروف المعجمة فيما
تقدم وكذلك تلك ايات الكتاب المبين قد ذكرنا تأويله ايضا وقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين كان
يشتد على رسول الله تركهم الايمان وتكذيبهم اياه اشفاقا وخوفا عليهم وتعظيما لله واجلالا لحقه حتى كادت
نفسه تهلك حزنا على ذلك كقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا والاسف هو
النهاية في الحزن كقول يعقوب يا اسفا على يوسف وقال بعضهم الاسف هو النهاية في الغضب كقوله فلما اسفونا
انتقمنا منهم قيل اغضبونا وقد ذكرنا في سورة يوسف على ما ذكر الله رسوله ووصفه كان مطبوعا يحزن و
يأسف لمكان كفرهم وتكذيبهم كقوله عزيز عليه ما عنتم الاية يحزن عليهم اشفاقا عليهم ويغضب عليهم لله تعظيما
واجلالا لامر لما ضيعوا امره ونهيه وهكذا الواجب على كل من راى اخر في فاحشة او كبيرة ان يحزن ويترحم
عليه ويغضب لله لما ارتكب من الفاحشة وقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين
قالت المعتزلة قوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية مشيئة قسر وقهر حتى يضطروا اليها فيؤمنوا لكن عندنا
مشيئة الايمان والاختيار اى ان نشأ ايمانهم ننزل عليهم اية فيؤمنوا الا ان الاية لا تضطر احدا ولا تقهر على الايمان
دليله قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى الاية اخبر انهم لا يؤمنون وان فعل ما ذكر ولا يضطرهم
ذلك على الايمان وكذلك ما اخبر عنهم في الاخرة قال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له الاية وقوله ثم لم
تكن فتنتهم الاية اخبر عن حلفهم وانكارهم في الاخرة انهم لم يكونوا على ما كانوا ولا تكون اية اعظم
مما عاينوا من انواع العذاب ثم لم يمنعهم ذلك عن التكذيب ولا اضطرهم على الاقرار والتصديق دل
ان الاية وان كانت عظيمة لا تضطر اهلها على الايمان والتصديق وقد ذكرنا هذه المسألة فيما تقدم ما يغنينا
عن ذكرها في هذا الموضع وقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين اى مالت وخضعت لها اعناقهم والاعناق
كانها كناية عن انفسهم وعن ابن عباس قال فظلت اعناقهم لها خاضعين قال سيكون لنا دولة على بني

امية فتذل لنا اعناقهم بعد عزة فقد كان ذلك وقال بعضهم الاعناق السادة والقادة والواحد عنق
اى اذا اسلم القادة اسلم الاتباع اتباعا لهم والله اعلم وقوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث قال بعضهم
يقول كلما نزل شيء بعد شيء من الموعظة والذكر فهو محدث من الاول وجائز ان يكون قوله وما يأتيهم
من ذكر بما به فيه ذكرهم في الاخرين وشرفهم في الخلق الا كانوا عنه معرضين لانهم لو امنوا لذكروا في
الناس وبقي لهم ذكر وشرف كذكر الانبياء والرسل فيهم الى اخر الدهر وقوله محدث هو محدث على هذين
الوجهين اللذين ذكرنا هما قال القتبي وابو عوسجة فظلت اعناقهم كما تقول ظللت اليوم فاعلا والاعناق
السادة والواحد منه عنق وقوله فقد كذبوا لو يأتيهم ظاهرة قد ذكرنا تأويله فيما تقدم وقوله اولم
يروا الى الارض هذا يحتمل وجهين احدهما قدرة واما انبتنا واخرجنا منها يراد به على الامراى واما انبتنا
في الارض اخرجنا منها من كل زوج كريم قال الحسن الكريم الحسن كالبهيج وقوله من كل زوج اى صنف حسن وقوله
ان في ذلك لاية يحتمل قوله لاية لوحدانية الله والوهية واية لسلطانه وقدرته واية لعلمه وتدبيره لان
من قدر على احياء النبات والارض بعد ما يبس وجف لقادر على احياء الموتى وبعثهم ودل اخراج النبات
من الارض في كل عام على حد واحد على قدر وميزان واحد على انه انما خرج ذلك عن تدبير وعلم ذاتي
وقدر ذاتية ليست بمستفادة فدل ذلك كله انه فعل واحد قادر مدبر عالم لا يعجزه شيء ولا يخفى
عليه شيء والله الموفق وقوله وما كان اكثرهم مؤمنين يحتمل قوله وما كان اكثر الذين بعث اليهم محمد مؤمنين
وهم الذين كانوا وقت مبعثه وجائز ان يكون وما اكثر ما يكونون مؤمنين وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم
جائز ان يقال العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه ويحتمل العزيز على الخلائق كلهم وهم اذلاء دونه
به تعرف من عز وقوله واذ نادى ربك موسى اى امر ربك موسى واوحى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون
الا يتقون فيه دلالة ان موسى صلوات الله كان مبعوثا مرسلا الى فرعون وقومه وان كان لم يذكر في بعض
الايات قومه حيث قال اذهب الى فرعون انه طغى وقال في بعضها الى فرعون وملائه فهذه الآية انهم كانوا الرؤساء
والقادة فاذا امنوا هم اتبعهم الاتباع في ذلك والا كان مبعوثا في الحقيقة رسولا اليه والى قومه جميعا الاتباع
والمتبوعين لما ذكر وقوله قوم فرعون الا يتقون كانه على الاضمار ان ائت القوم الظالمين وقل لهم الا تتقون
ثم قوله الا تتقون يحتمل وجهين احدهما الا تتقون مخالفة امر الله ونهيه او نقول الا تتقون نقمة الله
وعقوبته والله اعلم وقوله قال رب اني اخاف ان يكذبون لم يقطع موسى القول في التكذيب ولكنه
على الرجاء قال ذلك وذلك وذكر والله اعلم كقوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فكانه وجاء ذلك
منه لهذا والله اعلم وجائز ان يكون على القطع والعلم منه بالتكذيب كانه قال اني اعلم ان يكذبون وذلك
جائز في اللغة وقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني لان عليه ان يغضب لله اذا كذبوه فاذا اشتد بالمرء
الغضب ضاق صدره وكل لسانه وهو ما دعا ربه وسأله حيث قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
واحلل عقدة من لساني الاية وهو ما ذكرنا ان الغضب اذا اشتد بالمرء يضيق صدره حتى يمنعه عن الفهم ويكل
لسانه حتى يمنعه عن العبادة والبيان وجائز ان يكون ذلك لا لما كانت بلسانه ثم ضيق الصدر يكون لوجهين
احدهما لعظم امر الله وجلال قدره اذا كذبوه وردوا رسالته وامره ضاق لذلك صدره او يضيق لما ينزل
عليهم من عذاب الله ونقمته بالتكذيب اشفاقا عليهم منه والله اعلم وقوله فارسل الى هرون ولهم
علي ذنب فاخاف ان يقتلون قوله فارسل الى هرون كذا سأله اياه حيث قال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون
اخي اشدد به ازري واشركه في امري فعلى ذلك قوله فارسل الى هرون يكون معي في الرسالة وكقوله
هو افصح مني لسانا فارسله معي ردءا الاية وذنبه الذي ذكر انه عليه هو قتل ذلك القبطي وهو قوله فوكزه
موسى فقضى عليه ذلك ذنبه الذي لهم عليه ثم قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون وقوله كلا رد
على قول موسى فاخاف ان يقتلون كانه قال لا تخف وهو ما قال في اية اخرى حيث قالا اننا نخاف ان يفرط
علينا او ان يطغى فقال عند ذلك لا تخافا انني معكما اسمع وارى فعلى ذلك قوله كلا فاذهبا اى لا تخافا فاذهبا
بآياتنا انا معكم مستمعون وقال في تلك الاية انني معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقولون لكما وارى ما يفعلون
بكما فامنعهم منكما لانهما ذكرا الخوف منه من شيئين من الفعل والقول حيث قالا اننا نخاف ان يفرط علينا بالفعل
وان يطغى باللسان وقوله فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل وقوله ان ارسل
معنا بني اسرائيل ليس على حقيقة الارسال معه ولكن على ترك استعبادهم كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل ولا
تعذبهم اى خل بينهم وبين استخدامك اياهم واستعبادك والله اعلم ثم قال له فرعون الم نربك فينا وليدا
ولبثت فينا من عمرك سنين يذكر نعمته التي انعمها عليه بتربيته اياه صغيرا وكونه فيهم دهرا وكفران موسى
لما انعم عليه وهو ما قال وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين وهو قتل ذلك القبطي الذي وكزه
موسى فقضى عليه فاقر له موسى بذلك فاخبر انه فعل ذلك حيث قال فعلتها اذا وانا من الظالمين فعلتها انا
وانا من الظالمين وقوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى فعلت ذلك وانا كنت من الجاهلين لا يعلم ان وكزته
تلك تقتله وانه لو علم ما وكزه لانه لم يكن يحل له قتله حيث قال هذا من عمل الشيطان دل ذلك منه

الا كان لم يعل قتله الا انه جرى ذلك على يده خطأ وجهلا وفيه دلالة ان الرجل قد ينهى ويؤاخذ بما يجري على يده خطأه
وجهله ويخاطب بذلك حيث قال فعلتها اذا وانا من الضالين ثم قال ففررت منكم لما خفتكم وهو حين قال له ذلك
الرجل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب وذلك فراره منهم **وقوله** فوهب لي
ربي حكما وجعلني من المرسلين قال بعضهم قوله فوهب لي ربي حكما اي نبوة وقال بعضهم حكما اي علما بالحكم وجعلني
من المرسلين وقد كان ذلك له كله **وقوله** وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وهو استعبادك اباهم
اي اذا ذكرت هذا فاذكر ذاك هذا يحتمل وجوها احدها ان تذكر ما انعمت علي ونعمتها ولا تذكر مساويك
ببني اسرائيل وهو استعبادك اباهم اي اذا ذكرت هذا فاذكر ذاك والثاني ان تلك نعمة تمنها علي حيث لم تعبدني
وعبدت بني اسرائيل يخرج على قبول المنة منه والثالث وتلك نعمة لو خليت عن بني اسرائيل ولم تستعبدهم
لولوا ذلك عنك وتمام هذا بقول موسى لفرعون اتمن علي بان فرعون بان اتخذت بني اسرائيل عبيدا وكانوا
احرارا فقهرتهم وقال موسى فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين بذلك انه يتولد من وكزته الموت
وكذلك رود في بعض الحروف وانا من الجاهلين دل انه على الجهل ما فعل ذلك لا على القصد وقال بعضهم في قوله
وتلك نعمة تمنها علي يقول وهذه منة تمنها بقوله الم نربك فينا وليدا يقول تمن بها علي ان تستعبد بني اسرائيل وتمن
علي بذلك ثم قال فرعون لموسى وما رب العالمين فقال له موسى رب السموات والارض وما بينهما من خلق
ان كنتم موقنين ثم قال لمن حوله الا تستمعون انما قال اللعين هذا والله اعلم لما وقع عنده ان موسى حاد عن
جواب ما سأله لانه انما سأله عن ما هو وانما اجابه عن فعله وربوبيته فظن انه حاد عن جواب ما سأله وكذلك
قال لقومه الا تستمعون الى ما يقول موسى تعجبا منه اني اسأله عن شيء وهو يجيبني عن شيء آخر ثم قال موسى ربكم ورب
آبائكم الاولين فقال عند ذلك ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون نسبه الى الجنون لما ذكرنا انه ظن انه حاد عن
الجواب في كل ما ذكر انما كان السؤال منه عن الماهية وهو لم يجبه عنها فعند ذلك قال موسى رب المشرق والمغرب
وما بينهما ان كنتم تعقلون لم يجبه موسى في كل ما ذكر عن الماهية ولكن اجابه في الاول في بيان ربوبيته والوهيته
حيث قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ذلك فعرف اللعين انه ليس هو رب السموات والارض
لما يعلم انه لا صنع له في ذلك وانه لم ينشئهما ولكن انشأهما رب العالمين على ما ذكر موسى لكن كان لم يعرف حدثهما
ولا فنائهما بما ذكر له موسى لم يشاهد حدثهما وفنائهما فلم يتقرر ذلك عنده انما كذلك كانا ويكونون ابدا
فعند ذلك احتاج الى ان ذكر له ما يشاهد حدثهما وفنائهما وهو ما قال ربكم ورب آبائكم الاولين ذكر له ما يشاهد
حدثه وفنائه فاذا عرف حدث ما ذكر وفناءه يعرف انه اذا لم يكن بنفسه ولا يكون نفسه ولكن يحدث احدثه
ومدبر دبره ثم قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ذكر عنا قدرته وسلطانه وهو ما يأتي بالنهار من
المشرق وبالليل من المغرب ويطلع الشمس من المشرق ويغربها من المغرب وكذلك القمر والنجوم ففيه دلالة البعث
لان من قدر على ان يأتي بالنهار من كذا وبالليل من ناحية كذا والشمس والقمر من كذا قادر على البعث لا يعجزه شيء
ففي كل حرف من هذه الاحرف دلالة واستدلال على شيء ليس ذلك في الاخرى وفي قوله رب السموات والارض
دلالة ربوبية الله والوهيته وفي قوله ربكم ورب آبائكم الاولين دلالة حدث ما ذكر وفنائه ودلالة محدث
ما ذكر وفنائه ودلالة محدث ومدبر وفي قوله رب المشرق والمغرب دلالة قدرته وسلطانه على البعث
على الوجه الذي ذكرنا وفي ذلك دلالة ان الله تعالى لا يعرف بالماهية ولا بما يحس ولكنه انما يعرف من جهة الا
الاستدلال بخلقه وبالآيات التي تدل على وحدانيته حيث سأل فرعون موسى عن الماهية فاجاب على الاستدلال
بخلقه ثم قال اللعين لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال بعضهم انما اوعده السجن ولم يوعده
القتل لانه طلب منه الحجة على ما ادعى من الرسالة حيث قال فأت بها الآية ولو قتله لكان لا يقدر على اتيانها
وقال بعضهم لا ولكن كان سجنه اشد من القتل ومن كل عقوبة فقال له موسى ولو جئتك بشيء مبين اي ما بين
اي ما بين ربوبية الله والوهيته او ما بين اني رسول الله فقال له فرعون فأت به ان كنت من الصادقين
بالرسالة وما ادعيت فدل قول فرعون لموسى حيث قال له فأت بها ان كنت من الصادقين انه قد عرف انه
رسول وانه ليس باله على ما ادعى وان الاله غيره حيث طلب منه الآية وقوله ان كنتم موقنين بالآيات
التي يدل على وحدانية الله تعالى ومشيئته ذكر هذا مقابل انكارهم الصانع والايقان هو العلم الذي يستفاد
من جهة الاستدلال ولذلك لا يقال الله موقن وقوله ان كنتم تعقلون قوله ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون **وقوله** فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال بعضهم الثعبان هو الكبيرة العظيمة من الحيات
وقال في موضع آخر تهتز كأنها جان وقال في موضع آخر فاذا هي حية تسعى فيحتمل ان يكون كانت ثعبانا بعد ما طرحها
والقاها وحين ان يطرحها كالجان وهي الحية الصغيرة والله اعلم **وقوله** ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
بياضا خارجا عن خلقة البشر وخارجا عن الالوان على ما ذكر في آية اخرى من غير سوء **وقوله** قال للملأ حوله ان
ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره هذا منه اغراء وتحريض منه لقومه على موسى لئلا ينقادوا
اليه بعين التعظيم لعظم ما اتاهم من الآية واراد حيث قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وموسى كان
لم يرد اخراجهم من ارضهم ولكن ذلك اغراء منه لهم عليه لئلا يتبعوه كانه يقول يريد ان يخرجكم من ارضكم

فيفسد عليكم حالكم ويملك عليكم مقامكم ومتقلبكم **وقوله** فماذا تأمرون هذا يبتني على ان عرف انه ليس باله فيبتني
او بتاثير وقلة معرفته لانه لو كان يقول ملك من الملوك لقومه ماذا تأمرون وخاصة من يدعي لنفسه الالوهية
بقوله ما علمت لكم من اله غيري فذلك يدل على انه كان جنبيا لنفسه وفي الرأي والبال **وقوله** قالوا ارجه واخاه واحبسه
واخره وابعث في المدائن حاشرين الحاشر الجامع والحشر الجمع يأتوك بكل سحار عليم وكان يجب ان يعرف ان
السحر انما يعارض بالسحر مثله ولا يحتاج الى ان يسأل قومه ذلك لكنه كان اللعين ما ذكرنا من قلة البصر في امر
الالهية وقلة الرأي **وقوله** فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان
كانوا هم الغالبين قال اللعين نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ولم يقل نتبعهم ان كانت معهم الحجة ليعلم انه
قد علم وعرف ان لا حجة معهم وان الحجة مع موسى حيث وعد اتباع الغالبين دون من معهم الحجة وفي حرف
ابن مسعود قال للناس هل انتم مستمعون الى السحرة انهم يتغالبون لعلنا نتبع منهم الغالبين **وقوله** فلما جاء
السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين هذا ظاهر لكن اهل التأويل
قالوا كان السحرة كذا وكذا عددا وان موسى قال لاكبرهم ساحرا اتؤمن بي ان غلبتك وقال الساحر كذا وغير ذلك
من الكلام مما ليس ذلك في الكتاب ذكره وليس ينبغي لهم ان يشتغلوا بشيء من ذلك او ان يأولوه شيئا ليس
في القرآن لما يدخل في ذلك من الزيادة والنقصان فيكون للكفرة مقال في ذلك وطعن في رسالة رسول
الله لان هذه الانباء كانت في كتبهم فذكرت لرسول الله لتكون آية له في الرسالة فان زادوا او نقصوا
يقولون هذا كذب لم يذكر في كتابنا ذلك فلهذا الوجه ما ينبغي لهم ان يزيدوا على ما ذكر في الكتاب
او ينقصوا شيئا وجدا ولئلا يك مقالا في تكذيب رسول الله **وقوله** قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
فان قيل كيف قال موسى لاولئك السحرة القوا وهو يعلم ان ما يلقون هو سحر فكيف امرهم بالسحر قيل هذا
وان كان في الظاهر امرا فهو في الحقيقة ليس بامر انما هو تسفيه وتوعد اي القوا لترو ا عجزكم وضعفكم
وذلك في القرآن ظاهره امر وهو في الحقيقة توعد كقوله لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك
الآية يخرج على الامر ولكن على التوعد والتهدد اي وان فعلت ذلك فلا سلطان لك عليهم كقوله ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وقوله اعملوا ما شئتم والثاني امرهم بذلك ليظهر كذبهم ويتبين صدقه وحجته اذ بذلك
يظهر او قال لهم ذلك لما كان ذلك سبب ايمان اولئك السحرة والله اعلم **وقوله** فالقوا حبالهم وعصيهم
وقالوا بعزة فرعون هذا يدل ان السحرة كانوا يعبدون فرعون حيث قالوا بعزة فرعون وقد علموا عجز فرعون
وضعفه حيث فزع اليهم وقالوا لهم ماذا تأمرون **وقوله** فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون وقد
قرئ بالتخفيف قال ابو عوسجة تقول تلقف الشيء والتقفته اي اخذته وقال غيره تلقف اي تلقم وهو
وقوله يأفكون وهو الفاعل بمعنى المفعول اي ما افكوه وذلك جائز في اللغة وامثاله كثير كقوله في عيشة
راضية ونحوه **وقوله** فالقي السحرة ساجدين اخبر لسرعة ما سجدوا كانهم القوا لما بان لهم من الحق وظهر
فقالوا آمنا برب العالمين قال اهل التأويل ان فرعون قال عند ذلك انا رب العالمين فقالت السحرة رب موسى
وهرون لكن لا نتاع عن هذا وامثاله مما لم يذكر في الكتاب اولى لما ذكرنا انه انما يحتج عليهم بهذه الانباء على تصديق
من اهل الكتاب له في ذلك لما هي مذكورة في كتبهم فيخاف الزيادة والنقصان فيكذبونه في ذلك ثم ذكر القدر
الذي في الكتاب لئلا يدخل فيه الزيادة والنقصان فيعرف به ويكذب الا ما ظهر عن رسول الله القول به
فيقال والاولى الامتناع والكف اولى ثم قال فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر ان فرعون
قد علم ان ما جاء به موسى هو حجة لكنه كان يلبس على قومه واصحابه ويغريهم عليه فقال مرة ان هذا الساحر
عليم وقال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقال مرة انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون وقال ان
هذا المكر مكرتموه في المدينة الآية ثم اوعدهم بوعيد فقال فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
اجمعين فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون اي انا الى ثواب ربنا الذي وعد لنا لراجعون لا يضرنا ما توعدنا به
قال ابو عوسجة والعتبي لا ضير هو من ضاره يضوره ويضيره بمعنى ضره وقد قرئ وان تصبروا لا يضركم
كيدهم شيئا بالتخفيف بمعنى لا يضركم فقالوا انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين قال
بعضهم ان كنا اول المؤمنين وقال بعضهم ان كنا اي اذ كنا اول اهل مصر ايمانا وجائز ان كنا اول المؤمنين
للحال وقال بعض اهل التأويل ان فرعون قد فعل بهم ما اوعدهم قطع الايدي والارجل والصلب لكن
ليس في الآية بيان حلول ما اوعدهم فلا نقول به مخافة الكذب **وقوله** واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي
انكم متبعون السري سير الليل وهو قال في آية اخرى فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون اي يتبعكم فرعون
وقومه **وقوله** فارسل فرعون في المدائن حاشرين اي ارسل في المدائن من يحشر الجنود والعساكر وقالوا ان هؤلاء
يعنون اصحاب موسى لشرذمة قليلون قال بعضهم الشرذمة الجماعة العصابة اي عصابة قليلة وقال بعضهم
ان هؤلاء لشرذمة قليلون اي طائفة قليلة وانهم لنا لغائظون في الحلي الذي استعاروه منا اي ذهبوا به
مطالبة لنا وقال بعضهم وانهم لنا لغائظون بما فعلنا بهم من قتل اولادهم واستعبادنا اياهم ورجالهم
يفعلون بنا ما فعلنا بهم ان ظفروا **وقوله** وانا لجميع حاذرون وحذرون قال بعضهم من الحذر وقال

بعضهم وانا لجميع حاذرون اى مؤدون اى معدون اى معنا اداة اصحاب الحرب والقوى الذى دابته قوية وقال بعضهم حاذرون اى مستعدون للحرب وقال بعضهم حاذرون لما حدث لهم من الخوف والحذر الحال حذر المعاود اى حذروا ان يعودوا اليهم وحذرون اى كنا لم نزل منهم على حذر وقال ابو معاذ حاذرون مؤدون من الاداة من الاداة اى تام السلاح وفى خروج موسى ببنى اسرائيل مع كثرتهم على ما ذكر انهم كانوا ستمائة الف فصاعدا من غير ان علم القبط بذلك اية عظيمة اذ لا يقدر نفر الخروج من محلة او ناحية الا ويعلم اهلها بخروجهم ففى ذلك كان اية عظيمة حيث خرجوا من بينهم من غير ان علم احد منهم بذلك وقوله واخرجناهم يعنى فرعون وقومه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم اى حسن كذلك واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين اى تبع فرعون وقومه حين شرقت الشمس اى طلعت ومشرقين اى كانوا فى الشمس اى قوم موسى صاروا فى الشمس يقال اشرقنا اذا صاروا فيها وقوله فلما تراءا الجمعان جمع موسى وجمع فرعون اى اذا ترى بعضهم بعضا قال اصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معى ربى سيهدين كان قوم موسى لم يعلموا بالبشارة التى بشرها الله موسى انهم لا يدركون وهو ما قال لا تخاف دركا ولا تخشى اى لا تخاف دركهم ولا تخشى فرعون وقومه لذلك قالوا انا لمدركون وكانت البشارة لهم لا لموسى خاصة بدل ذلك قول موسى كلا ان معى ربى سيهدين على اثر قولهم انا لمدركون اى كلا انهم لا يدركونكم وقوله فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اى انشق وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود فانشق فكان كل فرق كالطود العظيم اى كالجبل العظيم والطود واحد والاطواد جماعة وقوله وازلفنا ثم الاخرين قال الحسن ازلفنا اى اهلكنا ثم الاخرين وقال بعضهم جمعنا ومنه قيل لليلة المزدلفة اى ليلة الازدلاف وهو الاجتماع وكذلك قيل للموضع جمع فان كان التاويل هذا ففيه دلالة ان الله فعل العباد صنعا وتدبيرا لانه اضاف الجمع اليه وهم انما كانوا خرجوا للمعصية فدل ذلك انه على ما ذكرنا وقال بعضهم وازلفنا ثم الاخرين اى ادنينا وقربناهم ومنه ازلفك الله اى قربك الله ويقال ازلفنى كذا عند فلان اى قربنى منه والزلف المنازل والمراقى لانها تدنو بالمسافر ومنه وازلفت الجنة للمتقين اى ادنيت وقربت وكذلك قال ابو عوسجة والقتبى وقوله وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين الاية ظاهرة وقوله ان فى ذلك لاية اى فى هلاك فرعون وقومه وانجاء موسى ومن معه متعظ ومزجر لمن بعدهم حيث رووا اثر اهلاك الاعداء وابقاء الاولياء وقوله وما كان اكثرهم مؤمنين هذا يحتمل وجوها قال بعضهم لم يكن اكثر اهل مصر يعتقدون توحيد الله اذ لو كان اكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا ولكن غير هذا كان اشبه اى لو لم يهلكهم الله تعالى ولكن ابقاهم لم يؤمن اكثرهم وقال بعضهم وما كان اكثرهم من بنى اسرائيل مؤمنين اى لم يدم اكثرهم على الايمان بل ارتد اكثرهم من بعد ما انجاهم حيث قالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة والله اعلم وقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم المنتقم من فرعون وقومه الرحيم بموسى ومن معه من المؤمنين هذا فى هذا الموضع يستقيم ان يصرف تاويل العزيز الى الاعداء والرحيم الى الاولياء كل حرف من ذلك الى الفريق الذى يستوجب ذلك الرحمة الى المؤمنين والنقمة الى الاعداء وقوله واتل عليهم نبا ابراهيم اى اتل على اهل مكة نبا ابراهيم وخبره لانهم كانوا من ولد ابراهيم ومن نسله وهم يقلدون اباءهم فى عبادتهم الاصنام وابراهيم وبعض اولاده اسمعيل واسحق وهؤلاء كانوا مسلمين عبادا لرب العالمين لا عبادا للاصنام فهلا اتبعوا ابراهيم ومن كان معه على دينه من اباءهم دون من اتبعوا من عبد الاصنام بسفه احلامهم فى عبادتهم الاصنام وتقدم اولئك الذين عبدوا من اباءهم الاصنام وتركهم تقليد من لم يعبدها وعبد الله ثم قول ابراهيم حيث قال لابيه وقومه ما تعبدون يحتمل قوله ما تعبدون على ما ذكر فى اية اخرى ماذا تعبدون ائفكا ويحتمل ما تعبدون اى من تعبدون فقالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اى نقيم لها عابدين اى ندوم على عبادتها والعكوف على الشئ هو الاقامة عليه والله اعلم وقال ابو معاذ النحوى ظل لا يقال الا بالنهار وبات الا ان يقال ظل ليلة يصنع كذا حتى يقول بات ليله ومنه الحديث ظل نهاره صائما وبات ليله قائما يبين سفههم هل يسمعونكم اذ تدعون يحتمل قوله هل يسمعونكم اى هل يجيبونكم اذ تدعونهم ويحتمل هل يسمعونكم على السماع نفسه اى هل يسمعون دعاءكم اذ تدعونهم كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الاية وقوله اذ تدعون يحتمل تعبدون ويحتمل الدعاء نفسه وان كان على العادة فلو يحتمل التاويل السماع وقوله او ينفعونكم او يضرون يحتمل يقدرون على نفعكم وضركم ان ارادوا ذلك بكم وشاؤوا ان يكون ما ذكر اهل التاويل هل ينفعونكم ان عبدتموها واطعتموها او يضرون ان عصيتموها وتركتم عبادتها فبهتوا ولم يقدروا على الجواب الرشيد ما ذكروا من تقليد اباءهم فى ذلك فقالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون لما عرفوا ان تلك التى عبدوها لا تملك ضرا ولا نفعا لكنهم عبدوها تقليدا لاباءهم لما وقع عندهم ان اباءهم ما عبدوها الا بامر الله لو لم يكن ذلك بامره ما تركوا لكن قد ذكر ان فى اباءهم من لم يعبدها قط ثم لم يقلدوهم فكيف قلدوا اولئك دل ان الاعتلال فاسد وقوله افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون ثم قال انهم واباءهم الذين عبدوا والاصنام من قبل عدو له الا رب العالمين استثنى رب العالمين يقول لهم عدو لى وانا برئ منهم الا ان يكون فيكم من يعبد رب العالمين فيكون على الاضمار اى فانهم جميعا عدو لى الا من عبد رب العالمين وقال بعضهم يقول ان العابد والمعبود كلهم عدو لى الا رب العالمين اى الا المعبود بالحقيقة الذى يحق العبادة فانه ولى

بعضهم ليس على الاستثناء ولكن على الابتداء كانه قال انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى ولكن رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين ذكر هذا لهم ان الاله المستحق للعبادة هو هذا الذى يصنع هذا وهو المالك النفع ودفع الضرر لا الاصنام التى عبدتم انتم واباؤكم وقوله رب هب لى حكما قال بعضهم فهما وعلما وجائز ان يكون ابراهيم سال ربه الابقاء على الحكم الذى كان قد اعطاه العلم والحكم كقوله اهدنا الصراط المستقيم او سال الزيادة على ما اعطاه كقوله وقل رب زدنى علما ويحتمل ان يكون سال ربه قبول حكمه فى الخلق ورفع الحرج له عن قلوبهم على ما ذكر فى حكم رسول الله حيث قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية وقوله والحقنى بالصالحين اى توفنى على ما توفيت الصالحين حتى الحق بهم هذا والله اعلم معنى هو الامر الاحق بالصالحين ان يتوفاه على الذى توفى اولئك وهو الاسلام ليلحق بهم والله اعلم وقوله واجعل لى لسان صدق فى الاخرين اى اجعل لى الثناء الحسن فى الناس وكذلك ابراهيم صلوات الله عليه جميع اهل الاديان على اختلاف فهم قد انتحلوا له وانتسبوا اليه وادعوا انهم على دينه وان دينهم هو الذى هم عليه ليس من اهل ملة الا وهم يتولونه وقوله واجعلنى من ورثة جنة النعيم اى اجعلنى باقيا من بعد موتى فى جنة النعيم اذ الوارث هو الباقى عن الموروث وكذلك ما قيل فى قوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اى نبقى بعد فناء اهلها اذ الوارث هو الباقى فعلى ذلك قول ابراهيم اجعلنى من الباقين فى جنة النعيم والله اعلم وقوله واغفر لابى انه كان من الضالين لا يحتمل ان يكون استغفار ابراهيم لابيه والله اعلم على ما ذكر فى ظاهر الاية واغفر لابى انه من الضالين لانه لا يجوز له ان يدعو له وهو كذلك لكن كان من ابراهيم الاستغفار له فاخبر الله له انه من الضالين فيكون هذا الثانى اخبارا من الله لابراهيم انه من الضالين والاول قول ابراهيم وكذلك قال بعض اهل التاويل فى قصة بلقيس حيث قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ثم قطع الله قولها فى مقالتها وقال وكذلك يفعلون قوله وكذلك يفعلون تصديقا من الله لها قول تلك المراة ومثال ذلك كثير فى القران يكون بعضه مفصولا من بعض ولو التقى معا نحو لا تحرك به لسانك قوله ولو القى معاذيره من قول لا تحرك به لسانك لا وصل بينهما فعلى ذلك دعاء ابراهيم يحتمل ان يكون قوله واغفر لابى مفصولا من قوله انه كان من الضالين هذا جائز ان يكون اخبارا من الله لابراهيم حين دعا له بالمغفرة انه من الضالين وجائز ان يكون قوله واغفر لابى اى اعطه ما به يغفر خطاياه وهو التوحيد فيكون سؤاله سؤال التوحيد له والتوفيق على ذلك وبه يغفر ما يغفر من الخطايا كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وعلى ذلك يخرج دعاء هود لقومه حيث امرهم ان يستغفروا ربهم وهو قوله ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه واسلموا له طلب منهم الاسلام اذ لا يحتمل ان يقول لهم قولوا استغفر الله ولكن امرهم ان ياتوا بما به يغفر لهم وهو التوحيد وكذلك قول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا وقول اهل التاويل ان ابراهيم كذب ثلاث كذبات لا معنى له لا يحتمل ان يكون الله يختاره ويجعله رسالته فى الذى يكذب بحال وقوله ولا تخزنى يوم يبعثون قال اهل التاويل لا تخزنى اى لا تعذبنى يوم يبعثون وكان الاخزاء هو العذاب الذى يهتك الستر على صاحبه فسال ان لا يهتك الستر عليه لما خاف ان كان منه ما يهتك الستر عليه فسال ربه ذلك اذ العصمة لا ترفع عن اصحابها الخوف بل كلما عظمت العصمة كان الخوف اشد لان الانبياء صلوات الله عليهم كان خوفهم اشد على دينهم وانفسهم من غيرهم لما لا مثل لهم كذلك اشتد خوفهم ممن سواهم الا ترى الى قول ابراهيم حيث قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وقال يوسف توفنى مسلما والحقنى بالصالحين ومثله كثير وقوله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لا ينفع ويشبه ان يكون فى نفى النفع دفع الضرر كقوله لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة وكقوله ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولذلك قوله لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقوله يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وقوله يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وقوله فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفى ظاهر ما استثنى من الاية دلالة انه ينفع المال والبنون اذا اتوا بقلب سليم حيث قال لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ويشبه ان يكون كذلك ينفعهم الاولاد اذا اتوا ربهم بقلوب سليمة لما استعملوا اموالهم فى الطاعات وانواع القرب وعلموا الاولاد الاداب الصالحة والاخلاق الحسنة فينفعهم ذلك يومئذ كقوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اخبر انهم اذا امنوا ونفعوا يقربهم اموالهم واولادهم عنده وجائز ان يكون على غير ذلك اى لا ينفع الا من اتى ربه بقلب سليم والقلب السليم هو السالم من الشرك او السليم عن الافات والذنوب والخالص لربه لا يجعل لغيره فيه حقا ولا نصيبا وشرط فيه اتيانه ربه ما ذكر ليعلم انه ما لم يقبض على السلامة والتوحيد لا ينفعه ما كان يعمله من قبل من الطاعات اذا لم يقبض على التوحيد وكذلك شرط فى الحسنات الاتيان فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل بالحسنة وهو ما ذكرنا ان يخرج من الدنيا على التوحيد ولا يفسد ونحل من الحسنات

والله اعلم وقوله وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وابقي ومنه وقربت الجحيم للضالين وفي هذه القراءة الظاهرة برزت اظهرت وقوله وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله في الدنيا اي تعيير لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله في الدنيا هل ينصرونكم ويمنعونكم من عذاب الله او ينتصرون من العذاب لانهم يطرحون جميعا العابد والمعبود في النار كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وانما قالوا ذلك لهم لانهم كانوا يقولون في الدنيا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وانما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فيقال لهم مقابل ذلك في الآخرة هل ينصرونكم او ينتصرون وقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون وقال الزجاج هو من كب اي كبوا لكن ذكر كبكبوا على التكرار والاعادة مرة بعد مرة اي يكبون لم يزل عليهم ذلك او كلام نحو هذا وقال القتبي فكبكبوا فيها القوا على رؤوسهم وقد قيل واصل الحرف كبتوا من ذلك كبت الا ان الباء فابدلت مكان الباء الكاف وهو الطرح والالقاء على الوجوه يقال كبكبهم اي طرحهم في النار او في البئر هو من قوله فكبت وجوههم في النار والغاوون قيل الضالون يقال غوي غيا وغواية فهو غاو اي ضل وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقال ابو معاذ فكبكبوا اصله كبتوا وقال بعضهم جمعوا فيها وجنود ابليس اجمعون قال بعضهم الغاوون هم الشيطان وجنود ابليس ذريته اي الشياطين الذين اضلوا بني ادم وهو قول قتادة وقال بعضهم الغاوون هم كفار الجن وجنود ابليس هم الشياطين وقال بعضهم الغاوون هم الائمة من الكفار وجنود ابليس سائر الكفار اتباعهم وذريتهم والله اعلم وقوله قالوا وهم فيها يختصمون ذكر انهم يختصمون في النار ولم يذكر فيم يكون خصومتهم فجائز ان يكون خصومتهم ما ذكر في اية اخرى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الى اخر ما ذكر وقوله قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار الاية وقوله ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا الاية وامثاله من المحادلات التي تجري فيما بين الاتباع والمتبوعين وقال بعضهم اختصاصهم ما ذكر على اثره قال تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين الاية هذه مخاصمتهم وقوله تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين فان كان قولهم هذا للاصنام التي عبدوها وذلك في تسميتهم الهة وجعلهم العبادة لها فسووها برب العالمين في التسمية والعبادة وان كان قولهم هذا الشياطين فهو في اتباعهم امرهم ودعاهم الذي دعوهم والا لا احد من الكفرة يقصد قصد عبادة الشيطان او تسميته الها ولكن على ما ذكرنا من متابعتهم امرهم وفي حرف ابن مسعود اذ نسويكم برب العالمين اذ كنا نتبعكم برب العالمين وقال بعضهم اذ كنا نطيعكم كما نطيع رب العالمين وقال بعضهم اذ نعدلكم برب العالمين وبعضه قريب من بعض وقوله وما اضلنا الا المجرمون اي ما اضلنا الا اولنا وكذلك في حرف ابن مسعود وما اضلنا الا الاولون وتاويل هذا انهم لما رأوا الاولين تركوا على ما كانوا عليه من الكفر والشرك ولم يعذبوا في الدنيا ولا اصابتهم نقمة ظنوا انهم امروا بذلك وهو ما ذكر في اية اخرى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وقوله فما لنا من شافعين لانهم قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يشفعوا لهم اي ليست لنا شفعاء يشفعون ولو كانت لهم شفعاء لا تنفعهم شفاعتهم على ما قال فما تنفعهم شفاعة الشافعين وهو ما قال لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به لئن اثر كان ينفعهم فعلى ذلك هذا وقوله ولا صديق حميم الحميم القريب اي ليس لهم حميم يهتم بامرهم وقوله فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين وقوله فلو ان لنا كرة اي لو ان لنا رجعة الى المحنة فنكون من المؤمنين فاخبر الله انهم لو ردوا لعادوا بقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد ذكرناه وقوله ان في ذلك لاية ما ذكرنا من الاخبار والانباء لاية وعبرة لمن اعتبر وما كان اكثرهم مؤمنين قال بعضهم لو كان اكثرهم مؤمنين ما عذبوا في الدنيا وجائز ان يكون لو ردوا الى المحنة التي سالوا الرجعة اليها ما كان اكثرهم مؤمنين وجائز ان يكون تفرسهم والله اعلم وان ربك لهو العزيز الرحيم قد ذكرناه وقوله كذبت قوم نوح المرسلين ذكر كذبت بالتانيث على اضمار جماعة كانه قال كذبت جماعة قوم نوح والا القوم يذكر ويؤنث وقوله المرسلين لان من كذب رسولا من الرسل فقد كذب الرسل جميعا لان كل رسول يدعو الخلق الى الايمان بجميع الرسل وبعد فان نوحا كان يدعو قومه الى الايمان بالرسل الذين يكونون بعده لذلك قال والله اعلم كذبت قوم نوح المرسلين وقوله اذ قال لهم اخوهم نوح قال اهل التاويل كان اخاهم النسب وليس باخيهم قال الشيخ ابو منصور رحمة الله عليه ان الله تعالى سمى الناس بني ادم على بعدهم من ادم فيجوز ايضا تسميتهم اخوة على بعد بعضهم من بعض وقوله الا تتقون نقمة الله وعذابه في مخالفتكم امره ونهيه او يقول الا تتقون عبادة غير الله وطاعة من دونه وقوله اني لكم رسول امين هذا يخرج على وجهين احدهما اي كنت امينا فيكم قبل هذا فقد قوني في جميع ما اخبرتكم وانباتكم فما بالكم لا تصدقوني الان اذا اخبرتكم اني رسول الله اليكم والثاني يقول اني لكم رسول امين بعثني الله وجعلني امينا على وحيه فابلغكم رسالته وادي الامانة شئتم او ابيتم قبلتم او لم تقبلوا الا واحا لكم ما توعدون من بعد ان جعلني الله امينا وائتمنني على امانته كقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقوله فاتقوا الله واطيعون اي اتقوا نقمة الله وعذابه ان تعوا مخالفة

الله في امره ونهيه واطيعون فيما ابلغكم عن الله وادعوكم اليه وما اسالكم عليه من اجر اي لا اسالكم على ما ادعوكم اليه وابلغكم اجرا وشيئا يمنعكم ثقل ذلك عن الاجابة ولا احملكم في اموالكم وانفسكم مؤنة فيما ادعوكم اليه بل ادعوكم اليه والى عبادة الواحد وعبادة الواحد اهون واخف على انفسكم من عبادة العدد ولا احملكم في اموالكم وانفسكم مؤنة فيما ادعوكم اليه من عبادة العدد ولا احملكم ايضا مؤنة تمنعكم تحمل ذلك من الاجابة ان اجري اي ما اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله ما ذكرنا اي اتقوا نقمة الله وعذابه واتقوا مخالفة الله في امره ونهيه واطيعوني فيما ادعوكم اليه وقوله قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون يقولون نصدقك وانما اتبعك الضعفاء منا والسفلة من لا رأي لهم ولا تدبير ولو كنت صادقا لاتبعك الاشراف والرؤساء فكان في اتباع الارذال له ومن ذكروا اعظم اية من الرسالة من اتباع الاشراف وذلك ان الارذال من الناس هم اتباع لغيرهم لما يأملون من فضل مال وينل منهم او رياسة ومنزلة تكون لهم او الفضل بصير وحظ ويحل في الدين فيصيرون اتباعا لمن كان عنده من هذه الخصال الشيء فالرسل صلوات الله عليهم حيث لم يكن عندهم اموال ولا طمع ورياسة ولا منزلة ثم اتبعهم الضعفاء والسفلة مع خوف لهم على انفسهم من اولئك الاشراف من القتل والصلب لمخالفتهم اياهم فما اتبعوهم الا لما تبين عندهم انهم على حق وان ما يدعون صدقا ففي اتباع من ذكرنا اعظم دلالة على صدق الرسل فيما ادعوا من الرسالة لو تاملوا التفكر في ذلك وقول نوح وما علمي بما كانوا يعملون يحتمل وجهين احدهما يقول لم اكن اعلم ان الله يهديهم للايمان والتوحيد من بينكم يعني الضعفاء ويدعكم لا يهديكم ثم قال ان حسابهم اي ما جزاء هؤلاء الذين اتبعوني من الارذال الا على ربي لو تشعرون والثاني وما علمي بما كانوا يعملون اي ما انا بعالم بما يعملون هم في السر وما ذلك على ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون اي حسابهم عليهم فيما يعملون في السر فهذا يدل ان التاويل الاخر اشبه واقرب من الاول وكان من اولئك طعن في الذين امنوا بانهم يعملون في السر على خلاف ما اظهروا حتى قال لهم ذلك وفي بعض القراءات لو يشعرون بالياء فهو راجع الى المؤمنين الذين اتبعوه يقول حسابهم على الله فيما يعملون في السر اي لو يشعرون ذلك ولا يعلمون في السر خلاف ما يعملون في العلانية والله اعلم وقوله وما انا بطارد المؤمنين قال اهل التاويل انهم سالوا نوحا ان يطرد اولئك الذين امنوا به من الضعفاء حتى يؤمنوا هم به فقال عند ذلك وما انا بطارد الذين امنوا الاية وما انا بطارد المؤمنين وجائز ان يكونوا طعنوا في الذين امنوا انهم قالوا ظاهرا واما في السر فلبسوا على ذلك فقال نوح عند ذلك وما انا بطارد الذين امنوا ويدل على ذلك قول نوح حيث قال ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا هذا القول منه يدل على ان كان منهم طعن في اولئك الذين امنوا به حيث وكل امرهم الى الله فقال الله اعلم بما في انفسهم والله اعلم وقوله ان انا الا نذير مبين قد ذكر فيما تقدم في غير موضع وقوله قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين المرجوم هو المقتول بالحجارة وهي اشد القتل وعدو وقال بعضهم لتكونن من المشتومين بالشتم لكن الاول اقرب لانه قد كان منهم الشتم فلا يحتمل الوعيد به ثم دعا نوح عند ذلك فقال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا اي اقض بيني وبينهم قضاء اي اقض عليهم بالعذاب والهلاك الا ترى انه قال ونجني ومن معي من المؤمنين فدل سؤاله نجاة نفسه ومن معه من المؤمنين على ان قوله فافتح بيني وبينهم فتحا سال ربه هلاك من كذبه وهو ما قال في قصة اخرى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الذي وعدت انه ينزل بهم وهو العذاب فعلى ذلك هذا ثم لا يحتمل ان يكون هذا منه في اول تكذيب كان منهم بل كان ذلك بعد ما ايس من ايمانهم لانه لبث فيهم ما قال الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما وفي كل ذلك دعاهم الى توحيد الله وانما دعا عليهم بالهلاك بعد ما اخبر الله تعالى عن امرهم وايسه عن ايمانهم فقال لن يؤمن من قومك الا من قد امن واذن له بالدعاء عليهم بما دعا اذ الانبياء صلوات الله عليهم لا يدعون على قومهم بالهلاك الا باذن من الله في ذلك الا ترى انه ذكر انه عاتب يونس بالخروج من بينهم بلا اذن كان من الله له بالخروج من بينهم فاذا عوتب هو بالخروج بلا اذن فلا يحتمل ان يدعو بالهلاك بلا اذن والله اعلم وقوله فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون قيل المملوء قال ابو معاذ والعرب تقول شحنت السفينة فلم يبق الا الدفع وهو السوق وتقول العرب شحنا عليهم بلادهم خيلا ورجالا اي ملاناها وقال بعضهم المشحون المجهز الذي قد فرغ منه فلم يبق الا دفعه وهو واحد وانما شحن باصناف من الخلق والا كان المؤمنون قليل العدد وهو ما قال فيها من كل زوجين اثنين اخبر انه نجى من كان معه في الفلك المشحون واهلك الباقين وقوله ان في ذلك لاية اي في انباء قوم الاية لمن كان بعدهم او ان في هلاك قوم نوح واغراقهم لعبرة لمن بعدهم وما كان مؤمنين الى اخر قصة قد ذكرنا وقوله وقوله كذبت عاد المرسلين هو والله اعلم ما ذكرنا اي ما كذبت جماعة عاد المرسلين وقوله المرسلين ما ذكرنا ان كل رسول كان دعا قومه الى الايمان به وبجميع الرسل فمن كذب واحدا منهم

فقد كذب الكل وقوله اذ قال اخوهم هود وهو كان اخاهم في النسب لانهم جميعا ولد ادم على بعد من ادم فعلى ذلك
هم اخوة فيما بينهم على بعد بعضهم من بعض وقوله الا تتقون يحتمل وجهين احدهما الا تتقون نقمة الله وعذابه او الا
تتقون مخالفة امر الله ومناصبه اني لكم رسول امين فيما ائتمنني الله وبعث على يدي اليكم هداياه وامانه
ولما نترا وان يكون ما ذكرنا من قبل والله اعلم وقوله فاتقوا الله واطيعون ماذكرنا وما اسئلكم عليه
من اجر اي سعي في نجاتكم وتخليصكم من عذاب الله وما اسئلكم على ذلك اجرا وفي الشاهد لا يعمل احد الا ويطمع
على ذلك منه اجرا وانا لا اسئلكم على ذلك اجرا فيمنعكم ذلك عن قبول ذلك مني ان اجري اي ما اجري الا على رب
العالمين وقوله اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع هذا يحتمل وجوها احدها كانهم كانوا تبنون
بناء لا حاجة لهم الى ذلك البناء ولا ينتفعون به فهو عبث لان كل من بنى بناء او عمل عملا لا ينتفع به
ولا يحتاج اليه فهو عابث لذلك سمى ما بنوا عبثا والثاني جائز ان يكون ذلك المكان لهم كان مكان العبث
والاجتماع للهو فبنوا على ذلك المكان فسماه عبثا لما لم يكن اجتماعهم في ذلك الا للعبث واللهو والثالث
ان يكون ذلك المكان مكانا يعرفه الناس فبنوا فيه اعلاما يضلون الناس بها لما يرون انه طريق ولم يكن ذلك
ذلك فكان قصدهم بذلك البناء باطلا وكل باطل عبث والله اعلم وقوله لعلكم تخلدون ولا تموتون اي تنفقون
نفقة من يطمع ان يخلد في هذه الدنيا نفقة من يموت ويرجوا ثوابه وعاقبته او ان يكون قوله لعلكم
تخلدون لما وسع عليهم الدنيا ورزق لهم الدعة يحسبون انهم يخلدون لان من وسع عليه الدنيا ويكون الدعة والسعة
في هذه الدنيا يطمئن فيها ويسكن وهو كما قال يحسب ان ماله اخلده فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله واذا
بطشتم بطشتم جبارين قيل والله اعلم بالجبار الظالم والمعتدي اي واذا بطشتم ظالمين والريع هو المكان المرتفع
وقال بعضهم هو الطريق ومصانع قال بعضهم البنيان وقيل الحياض وقال ابو عوسجة الريع ما ارتفع من الارض
وجمع الريعة ريع وجمع الريع ارياع وهما واحد والريع الريع ايضا تقول اراع اذا رجعت عليه وجمعه ارياع و
ومصانع في موضع مصنع وموضع حياض يجمع فيها الماء الواحد مصنعة من كلوها وقال البطش الاخذ يقال
بطشت بفلان ابطش بطشا اذا اخذته بعنف [illegible] وقال القتيبي ايضا الريع الارتفاع من الارض والمصانع
البناء واحدها مصنعة فكان المعنى انهم يبنون في البناء والحصون ويذهبون الى انهم يخصهم من اهداء الله
وقضائه وهذا يشبه ان يكون ماذكرنا ثم قال في اخره لعلكم تخلدون اي تبنون بناء كانكم تخلدون ولا تموتون
وقال واذا بطشتم بطشتم اي اذا ضربتم بالسياط ضرب الجبارين واذا عاقبتم قتلتم وقال بعضهم بطشتم [illegible]
بالظلم والاعتداء [illegible] وقال ابو معاذ [illegible]
وكل بناء مصنعة وفي حرف حفصة وتبنون مصانع كانكم خالدون [illegible] وقال بعضهم الريع ما استقبل الطريق
من الجبال والظراب وقال قتادة [illegible] في الارض وقال مجاهد [illegible]
فبنوا القصور الطوال عبثا [illegible] بكل طريق [illegible] وقال بعضهم مصانع [illegible] مساكن
لعلكم تخلدون [illegible] والجبار هو الذي يضرب ويقتل بلا حق [illegible] وقوله
فاتقوا الله واطيعون قد ذكرنا وقوله واتقوا الذي امدكم بما تعلمون [illegible] امدكم [illegible]
النعم تباعا واحدة بعد واحدة لا تنقطع ثم هو يحتمل وجهين احدهما اتقوا كفران الذي اعطاكم النعم لما وجهوا
شكرها الى من لم ينعم عليكم ولم يمدها لكم وانتم تعلمون وهو عبادتهم الاصنام التي لا يقدرون على اعطاء شيء
شيء من النعم والثاني اتقوا نقمة الذي اعطاكم هذه النعم فان الذي قدر على نقلها قدر على الانتقام منكم وعلى
النار [illegible] اتقوا كفرانها فان الذي قدر على اعطائها قدر على صرفها عنكم على هذين الوجهين والله اعلم
ثم ذكر الذي امده لهم من النعم فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون هذا وغيره مما لا يحصى اني
اخاف اي اعلم ان ينزل بكم عذاب يوم عظيم وقال بعضهم الخوف ههنا هو الخوف نفسه لانه كان يرجو الايمان
منهم بعد فقال اني اخاف عليكم العذاب اذا متم على هذا فقالوا له عند ذلك جوابا سواء علينا اوعظت ام لم
تكن من الواعظين الوعظ هو الاخبار عن عواقب الامور من ترغيب وترهيب اي سواء علينا تخوفنا
العذاب او لم تخوفنا لا نصدقك ولا نجيبك الى ما تدعونا اليه ثم قالوا ان هذا الا خلق الاولين قيل فيه
وجوه احدها اي ما هذا الذي نحن عليه الا دين الاولين وما انبئت وتدعونا اليه هو حادث بديع والخلق
يجوز ان يكنى به عن الدين كقوله لا تبديل لخلق الله اي لدين الله وقال بعضهم قوله ان هذا اي ما هذا الذي
تقوله الا كذب الاولين واختلاقهم اي تكذب وتخلق كما اختلق الذين كانوا من قبلك من الرسل كقوله
ما هذا الا اساطير الاولين فان كان على هذا فيكون قوله كذبت عاد المرسلين هذا لانهم كذبوا الرسل
جميعا وقال بعضهم قوله ان هذا الا خلق الاولين قالوا هكذا كان الناس قبلنا يعيشون ما عاشوا ثم يموتون
ولا بعث ولا حساب وقال بعضهم الوعظ هو النهي كقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي ينهيكم وقوله
وقوله نحن بمعذبين عليه على ما تزعم وتخبر كما لم يعذب الاباء وقوله فكذبوه فاهلكناهم قيل اهلكوا بالريح
صرصر عاتية الاية وقوله ان في ذلك لاية قد ذكرناه وقال ابو عوسجة والقتيبي خلق الاولين اي اختلاقهم
وكذبهم يقال خلقت الحديث واختلقته اذا افتعلته قال الفراء والعرب تقول للخرافات احاديث الخلق قال

ومن قرا خلق

ومن قرا خلق الاولين بضم الخاء اراد عادتهم وسنتهم وقوله كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا
تتقون قد ذكرناه وتأويله فيما تقدم اني لكم رسول امين اي كنت امينا قبل ذلك فكيف تتهموني اليوم ويقال
امين على الرسالة ناصح لكم وقد ذكرنا تأويله الا قوله ان اجري الا على رب العالمين وقوله اتتركون فيما ههنا
امنين يخرج على وجهين احدهما اتتركون هذا وان خرج على الاستفهام فكانه قال على الاخبار ولا تتركون
فيما ذكر امنين والثاني اتتركون اي تظنون ان تتركوا فيما ههنا امنين اي لا تظنوا ان تتركوا في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم قال بعضهم الهضيم المتهشم وقال بعضهم الذي ارطب بعضه وهو الذي
يسمى المذنب وعن ابن عباس قال هو الذي قد ارطب واسترخى وهو اللين وعن الحسن الذي ليس له
نوى وقال بعضهم هو من الرطب الهضيم وهو الذي ينقطع للينه ومن الباب الهشيم يتكسر ليبوسته وقال
القتبي والهضيم الطلع قبل ان ينشق عنه القشر وينفتح وقال ابو عوسجة الهضيم الذي لا شوك فيه ولا
وقال بعضهم الهضيم هو الذي يتراكم بعضه بعضا ويكون فوق بعض ولو قيل ان الهضيم هو النضيج المريء الذي
لا داء فيه ولا مشقة يهضم كل ما فيه داء ومرض ولذلك تسمى الهاضوما هضوما وهو الذي يهضم الطعام
ويهضمه لجاز والله اعلم وقوله وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بالالف وفرهين بغير الف فارهين
اي حاذقين بجيد يرى لهم حذاقة وبصر في نحت البيوت في الجبال يقال فلان فاره في امر كذا اي حاذق
وفرهين اشرين بطرين اي فرحين قال القتبي والفرح قد يكون السرور ويكون الاشر ومنه قول الله تعالى
ان الله لا يحب الفرحين اي الاشرين قال ومن قرأها فارهين بالالف فهي لغة اخرى يقال فره وفاره كما
يقال فرح وفارح ويقال فارهين حاذقين وقال ابو عوسجة فارهين ذو مرحين اي مسرورين ويقال فره
يفره فرها فهو فره وفاره وقوله فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين يقول والله اعلم اتقوا نقمة الله في
مخالفتكم امره واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين اي لا تطيعوا امر من ظهر لكم منه الاسراف والفساد
ولكن اطيعوا امر من لم يظهر لكم منه اسراف ولا تطيعوا الذين تعلمون انهم يفسدون في الارض ولا
يصلحون او ان يكون وقوله ولا تطيعوا امر المسرفين موخرا عن قوله ما انت الا بشر مثلنا يقول
لهم صالح تتركون طاعتي ولا حاجة لي لاني بشر مثلكم فلا تطيعوا اذا بشرا هو دون وهم الذين ظهر لكم
منهم الفساد والاسراف ولم يظهر لكم مني شيء يخبر عن سفههم وقلة تمييزهم حيث تركوا اتباع الرسل
وطاعتهم لانهم بشر ادونهم في كل شيء تراجا بواصالحا ولا طيعوا امر المسرفين فقالوا انما انت من المسحرين
اختلف فيه قال بعضهم يقولون انما انت بشر مثلنا لست بافضلنا وانما نتبع نحن الملوك وذي ثروة
من المال وانت لست بملك ولا لك ثروة فيهم والله اعلم طعنوا صالحا كما طعن كفار مكة رسول الله حيث
قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقال بعضهم يقولون انت بشر مثلنا في المنزلة
لا تفضلنا بشيء لست بملك ولا رسول فات باية ان كنت من الصادقين بانك رسول فنتبعك كما اطعنا
اولئك واولئك وقال القتبي انما انت من المسحرين اي من المعللين بالطعام والشراب وهو مثل الاول
وقال ابو عوسجة من المسحرين ممن له سحر والسحر الرئة واسحار جمع وقال بعضهم من المسحورين لكنه عند
الكثرة يشدد والله اعلم ثم قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ذكر اهل التأويل
ان الماء مقسم بينهم كان يوم لهم ويوم للناقة استدلوا بقوله ولكم شرب يوم معلوم فلما كان يوم
لها معلوم لكن ليس في الاية ان الامر كان كذا وصفوا ولكن في الاية ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر وفيه ان
ان الماء فيهم بالقسمة لا الشرب وقوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم جائز ان يكون الماء بينهم
بعضه للناقة وبعضه لهم ثم لهم يوم معلوم ليس للناقة في ذلك اليوم شيء والله اعلم وقد ذكرنا
ان هذه الانباء انما ذكرت في كتبهم حجة لرسول الله فلا يزاد على ما ذكر في الكتاب مخافة ان يذهب حجته عليهم
اي اهل الكتاب لئلا يكذبوا رسول الله فيما يخبر من الانباء التي في كتبهم وقوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم
عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين يحتمل قوله اصبحوا نادمين اذا اهلكوا والا لو ندموا على صنيعهم
وتابوا قبل ان يهلكوا لقبل ذلك منهم وقوله فاخذهم العذاب كل اية اتاهم الرسل على اثر السؤال فكذبوها
اخذهم العذاب فاهلكوا وقوله ان في ذلك لاية قد ذكرنا وقوله كذبت قوم لوط المرسلين قد ذكرنا ذلك
على اضمار جماعة كانه قال كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون الى قوله العالمين
قد ذكرنا فيما تقدم وقوله اتأتون الذكران من العالمين وقال في اية اخرى ائنكم لتأتون الفاحشة ما
سبقكم بها من احد من العالمين وقوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم اي تذرون ما جعل
الله ذلك سببا لابقاء هذا النسل لانه لم يجعل لنا لهم لقضاء الشهوة خاصة ولكن انما جعل لهم
الازواج لابقاء هذا النسل ودوامه فيعيرهم لوط بتركهم اتيان النساء لما في ذلك انقطاع
ما جعلن هن له وهو ابقاء النسل واشتغالهم بالرجال وليس في ذلك ابقاء النسل هذا والله اعلم
معنى قوله وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم وانما خلق لبقاء النسل لا لقضاء الشهوة خاصة
لكن جعل فيهم ومكن قضاء الشهوات لترغيبهم على ذلك ليبقى هذا النسل الى يوم القيامة والا لو لم يجعل

ذلك فيهم لعلهم لا يتكلفون ذلك ولا يتحملون هذه المؤن التي يتكلفون حملها لذلك وفي الاية دلالة ان المرأة هي المملوكة
عليها دون الزوج والزوج هو المالك عليها دون الزوج والزوج هو المالك عليها حيث وتذرون ما خلق ربكم من
ازواجكم وقال في اية اخرى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا الاية اخبر انه خلق النساء لنا لا انه خلقنا لهن
وفي ذلك حجة لاصحابنا في قولهم ان المسلم اذا تزوج نصرانية بشهادة نصرانيين جاز النكاح وهي المملوكة
والله اعلم وقوله بل انتم قوم عادون اي بل انتم قوم متجاوزون حد الله الذي حد لكم او عادون حقه الذي له عليكم
او عادون وقوله قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين ذكرا لانبياء ولم يتبين مما ذا نجا بان يكونوا
قالوا لئن لم تنته يا لوط من تعييرك الذي تعيرنا به لتكونن من المخرجين قال ما سبقكم الاية وقوله وتذرون ما خلق
لكم ربكم من ازواجكم ويحتمل لئن لم تنته من دعائك الذي تدعونا اليه لتكونن كذا وقوله لتكونن من المخرجين
يحتمل نفس الاخراج اي نخرجك من القرية ومن بيننا وجائز ان يكون اراد وابال الاخراج اخراجا بالقتل
كقولهم قوم نوح حيث قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين وهو اشبه ثم قال لوط اني لعملكم
من القالين اي من المبغضين اي كيف توعدونني بالاخراج واني لعملكم الذي تعملون من المبغضين اكره المقام فيكم و
ابغض ويبرأ اعمالكم التي تعملون فكيف توعدونني بالاخراج ثم دعا فقال رب نجني واهلي مما يعملون هذا يحتمل
واهلي من عمل ما يعملون من الخبائث كقوله ابراهيم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام او ان يقول رب نجني واهلي
عن وبال ما يعملون ومعاقبة ثم قال فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين قد ذكرنا هذا فيما تقدم
وقوله وامطرنا عليهم مطر المنذرين يحتمل ان يكون امطر عليهم الحجارة بعدما قلبهم ظهرا لبطن وبطنا لظهر
كقوله فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة وجائز ان يكون جعل عاليها سافلها بما امطر عليهم من الحجارة
وجائز ان يكون القريات ومن فيها عاليها سافلها وامطر على من كان غائبا منهم الحجارة قال ابو عوسجة والقلى
من القالين اي من المبغضين يقال قليت الرجل اذا ابغضته ومن ذلك قوله ما ودعك ربك وما قلى والغابر الباقي
وقوله كذب اصحاب الايكة المرسلين والايكة قال بعضهم هي شجرة نسبوا اليها وقال بعضهم
الايكة الغيضة اذ قال لهم الا تتقون قال بعض اهل التاويل وانما لم يقل ههنا في شعيب اخوهم لانه
شعيبا لم يكن من نسلهم اعني من نسل اصحاب الايكة كذلك لم يقل اذ قال لهم اخوهم شعيب وقال في سورة
هود حيث قال والى مدين اخاهم شعيبا لانه كان من نسل اهل مدين ويقولون ان شعيبا كان بعث الى اهل
مدين وهو كان منهم والى اصحاب الايكة وهو لم يكن منهم لذلك قال ثمة اخاهم ولم يقل ههنا لكن ليس فيما
قيل انه اخوهم ما يدل انه لم يكن من نسلهم ولا من نسبهم لان جميع اولاد ادم اخوة اذ يسمي جميع البشر بنوه فعلى
ذلك اولاده اخوة واخوات ثم لا ندري ان مدين غير الايكة والايكة غير المدين فبعث شعيب اليهم جميعا اوهما
واحد نسبوا الى مدين والى الايكة مرة والى مدين ثانيا والله اعلم بذلك وقال القتبي الايكة الغيضة وجمعها
ايك وقال ابو عوسجة الايكة شجرة والايك جمع الايكة وقال لا اعرف ليكة بلا الف وكذلك قال ابو عبيدة وقال
ابو زيد اصحاب الايكة والله اعلم وقوله اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وكذلك قال
لاهل مدين في سورة هود ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ذكر فيهما
جميعا ايفاء الكيل فلسنا ندري انه قد ظهر فيهما جميعا نقصان الكيل والوزن فامرهما بايفاء ذلك لو كانت
القصة واحدة فذكر فيهما ذلك ثم في قوله ولا تبخسوا الناس اشياءهم جواز لاستدلال من وجهين احدهما
وقوع المبيع ملك المشتري وان لم يقبضه المشتري والثاني جواز بيع الجزء من الكيلي والوزني شائعا من الكل لانه
قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم اضاف الاشياء الى الناس ونسبها اليهم فلولا ان ذلك ملك لهم والا لم يكن
اشياءهم ولكن كانت اشياء هؤلاء اذ لا يخلو ذلك اما ان ثمنا او كان مبيعا فكيف ما كان فهو موصوف بالملك
لهم دون الذين عليهم ايفاء ذلك وقوله اوفوا الكيل كانه قال اوفوا الكيل والوزن فيما عليكم ايفاؤه ولا
تستوفوا من الناس اكثر مما لكم عليهم وزنوا بالقسطاس المستقيم القسطاس قال بعضهم العدل اي وزنوا للناس
حقوقهم بالعدل ولا تنقصوها وقال بعضهم القسطاس هو القبان وهو الميزان وقوله المستقيم المستوي كانه
قال وزنوا بالميزان المستوي لا تجعلوا احدى الكفتين اثقل من الاخرى كانهم يجعلون الكفة التي يوفون بها حقوق
الناس اثقل والكفة التي يستوفون من الناس اخف فامرهم ان يستووا الكفتين جميعا وقوله ولا تعثوا في الارض
مفسدين فيها وقوله واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي اتقوا نقمة الذي خلقكم وخلق الجبلة الاولين اي
كيف عذبهم وانتقم منهم بظلمهم والجبلة هي الخليقة يقال جبل اي خلق قالوا انما انت من المسحرين قال بعضهم
من الذي سحر مرة بعد مرة فعلى هذا التاويل يكون انما انت من المسحرين لكن التشديد للتكثير قال بعضهم انما انت
مخلوق وبشر مثلنا وقد ذكرنا وقوله وان نظنك لمن الكاذبين هذا يدل انهم انما قالوا ذلك ظنا منهم لا يقينا
وحقا فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين سالوا شعيبا العذاب على التعنت كما سال غيرهم
امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فنزل بهم العذاب من حيث سالوا من السماء وعن الحسن قال
سلط الله الحر على قوم شعيب سبعة ايام ولياليهن حتى كانوا لا ينتفعون بظل بيت ولا ببرد ماء ثم بعث لهم
سحابة في البرية فوجدوا تحتها الروح فجعل بعضهم يدعو بعضا اذا اجتمعوا تحتها اشعلها الله نارا فاحرقهم فذلك

قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة الاية وقال بعضهم سقطت عليهم تلك السحابة فقتلتهم والظلة قالوا
ابو عوسجة حر شديد وقال القتبي كسفا اي قطعة من السماء والكسف القطع وقال بعضهم اصابهم
حر شديد وغم في بيوتهم فخرجوا يلتمسون الروح قبله فلما غشيتهم تلك السحابة اخذتهم الرجفة فاصبحوا
جاثمين وقال بعضهم ظلل العذاب اياهم وبعضه قريب من بعض وعن ابن عباس قريبا من هذا قال
بعث الله عليهم وهدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلما حسبوا بالموت بعث لهم سحابة فاظلتهم فنادوا
فلما اجتمعوا سقطت عليهم فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة والظلة السحابة وهو قريب من الاول
وقول شعيب ربي اعلم بما تعملون من نقصان الكيل وغيره من صنيعهم وقوله فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
كذبوه فيما اخبر من نزول العذاب بهم او كذبوه فيما ادعى من الرسالة وما سوى ذلك هو مذكور فيما تقدم
وقوله وانه لتنزيل رب العالمين وانه اي القران تنزيل رب العالمين اي نزله رب العالمين نزل به
الروح الامين لقولهم انما يعلمه بشر وقوله نزل به الروح الامين على قلبك يحتمل وجوها احدها ان جبريل
لما نزل من القران انما ينزل على قلبه لا يحجبه شيء عن قلبه والثاني على قلبك اي لا يذهب عنه بل الله
يجمعه في قلبك كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وان يكون قوله على قلبك اي
لنثبته على قلبك لقولهم لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك وان يكون
قال ذلك لما انتهى الى قلبه وحفظه غاية حفظه قال على قلبك كانه القي في قلبه وكذلك يقال وقوله
لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين كانه والله اعلم على التقديم والتاخير يخرج اي نزل به الروح
الامين على قلبك بلسان عربي مبين لتكون من المنذرين والباطنية يقولون انزله على رسوله كالخيال
غير موصوف بلسان ثم ان رسوله اداه بلسان العربي المبين اي بينه لكنه ليس كذا لانه قال في
اية اخرى انا انزلناه قرانا عربيا فيبطل قولهم انه اداه بلسان عربي من غير ان انزله كذلك ولو كان على ما
يقوله الباطنية انه لم ينزله بهذا اللسان اعني لسان العربي وان الرسول هو الذي صيره بهذا اللسان
واداه لكان لا يصير جوابا لقولهم انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي
مبين ولا حجة عليهم فاذكر هذا جوابا لقولهم وحجة عليهم دل انه انما انزل عليه عربيا وان تاويل الاول
ما ذكرنا على التقديم والتاخير وقوله وانه لفي زبر الاولين قال بعض اهل التاويل وانه اي بعث محمد
وصفته كان في كتب الاولين وجائز ان يكون قوله وانه اي هذا القران كان ذكره في كتب الاولين
انه ينزل على رسول الله صلى الله عليه محمد لا ان عينه كان فيها وان كان بعضه في زبر الاولين لا الكل والله
اعلم وقوله اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل قال بعض اهل التاويل ولم يكن لهم محمد اية ان
علماء بني اسرائيل كانوا يعلمون انهم يجدونه مكتوبا عندهم في الكتب لكن تاويله اولم يكفهم علم علماء بني اسرائيل
انه رسول ثم الاية تكون بوجهين احدهما ما ذكر ان اهل مكة ارسلوا الى اليهود بالمدينة يسالونهم
عن رسول الله فاخبروهم عنه انه يخرج في وقت كذا وان نعته كذا وقت خروجه والثاني يقولوا ولم يكفهم
اية اسلام علماء بني اسرائيل فقهائهم انه رسول نحو ابن سلام وغيره اذ كانوا لا يسلمون الا عن علم وثبت
انه رسول اذا كان في اسلامهم ذهاب مالكهم ورياستهم والله اعلم وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه
عليهم ما كانوا به مؤمنين قال بعضهم نزلناه على رجل منهم عربي فلم يؤمنوا به فكيف لو نزلنا على اعجمي وقال
بعضهم لو نزلنا هذا القران على بعض الاعجمين فقراه عليهم يقول اذا لكانوا اشر الناس فيه ما فهموه
وما دروا ما هو وهو قريب الاول وقال بعضهم لو نزلناه على بعض الاعجمين من الدواب فكلمهم
هذا ما صدقوه بذكر سفههم وتعنتهم ويحتمل قوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي لو نزلنا اعجميا
فلم يفهموه لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي ولكن نزلناه عربيا لئلا يقولوا ذلك والله اعلم وقوله
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به قال بعضهم هكذا سلكنا الكفر والتكذيب وادخلناه في قلوب
المجرمين وقال بعضهم كذلك سلكناه يعني البيان والحجج في قلوب المجرمين حتى عقلوه ولزمتهم الحجة لكنهم تركوا
الايمان تعنتا وعنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم حين لا ينفعهم ايمانهم لان ايمانهم عند معاينة
العذاب ايمان دفع واضطرار لا ايمان اختيار وهو كما قال فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده لانه
ايمان دفع العذاب عن انفسهم حين خرج انفسهم من بين ايديهم وايمان اضطرار ولا ايمان اختيار ولذلك
لم ينفعهم وقوله فياتيهم بغتة اي ياتيهم العذاب فجاة وهم لا يشعرون لانه عز وجل اذ علم منهم
انهم لا يؤمنون ابدا فانزل عليهم العذاب بغتة ولو علم منهم انهم لا يؤمنون حقيقة عند معاينة العذاب
لا نزل عليهم العذاب معاينة مجاهرة ليؤمنوا فيقبل منهم ذلك ويدفع العذاب عنهم كما قبل ايمان قوم
يونس حيث قال فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا قبل منهم الايمان عند معاينتهم العذاب لما علم منهم انهم يحققون الايمان في ذلك وامثاله
كان همهم الفساد والمكابرة فهم لا يحققون الايمان وقوله فيقولوا هل نحن منظرون لا يزالون
يطلبون الرجعة الى الدنيا وتاخير العذاب عن انفسهم اذا نزل بهم كقولهم ربنا اخرنا الى قريب

وكقوله بالنبا نرد فيتمنون الرجوع والنظرة لكن لا يجابون الى ذلك وقوله افبعذابنا يستعجلون قال اهل
التاويل هذا جواب لهم لما اوعدهم النبي العذاب ينزل بهم من اهل العذاب تكذيبا له واستهزاء بقول
الله عند ذلك افبعذابنا يستعجلون ولقولهم متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة ومثله والا ليس
هذا في الظاهر جوابا لقوله فيقولوا هل نحن منظرون وجواب هذا والله اعلم وقوله افرايت ان متعناهم
سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون يقول ما يغني تاخير العذاب عنهم وامهالهم
عن وقت يمتعون من عذاب الله من شيء لا ينفعهم ذلك او ان يكونوا سالوا العذاب في الظاهر واستهزاء
في الحقيقة فخرج قوله افرايت ان متعناهم سنين الاية جوابا بالا يسمها لهم او ان يكون بعضهم استعجل العذاب
واستمهل غيرهم فخرج هذا جواب من استمهل ثم خوفهم فقال وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى
يقول وما اهلكنا استيصال وانتقام الا بعد الانذار واقامة الحجة والبيان ذكرى اي موعظة وزجرا عما
فيه او ذكرى يذكر ما لهم وما عليهم وما لبعضهم على بعض وقوله وما كنا ظالمين في تعذيبهم اي لم نعذبهم بلا ذنب
ولا جرم ولكن بعنادهم ومكابرتهم لان العذاب في الدنيا لا يكون لنفس الكفر ولكن لعناد ومكابرة وانما عذاب
الكفر في الاخرة وعلى ذلك يخرج قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اي ما كنا معذبين في الدنيا تعذيب
انتقام حتى نبعث رسولا فيظهر منهم العناد والمكابرة فعند ذلك نعذبهم الله وقال بعضهم وما كنا ظالمين
اي ما كنا نعذبهم الا من بعد البيان والحجة وقطع العذر والله اعلم وفي مصحف ابي وما اهلكنا من قرية
الا بذنوب اهلها وقوله وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم قال بعضهم ما تنزلت بالقران الشياطين
فذلك جوابا لقول اهل مكة ان محمدا كاهن معه رأى هو يا تبه بما يقول يعنون بالرائى الشيطان من قبل انه
يقعدون من السماء مقاعد يسمعون فيها الوحي من الملائكة فينزلون به على الكهان ثم يبين مصيب ومخطئ فقالوا
محمد كذلك فاكذبهم الله تعالى في مقالتهم تلك فقال وما تنزلت به اي بالقران الشياطين وما ينبغي لهم ان ينزلوا
بالقران وما كانوا يستطيعون اي قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب واخبر انهم عن السمع المعزولون
وفي قوله وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون دلالة ان من اراد ان يجعل القران حجة لم يقدر على النطق
به ولا التلاوة بحرمن بانى الخفاش افاق الارض لم ينته اليهم هذا القران فادعى لنفسه النبوة وجعل يحتج بهذا
القران فانه لا يقدر على تلاوته ولا النطق لانه انما جعل حجة وبرهانا للمحق لا للمبطل حيث قال وما تنزلت الشياطين
وما ينبغي لهم ان ينزلون او ما يستطيعون ذلك وانهم معزولون عن ذلك وقد ذكرنا وجه النهي لرسول الله في قوله
فلا تدع مع الله الها اخر وامثاله والله اعلم وقوله وانذر عشيرتك الاقربين روي عن ابي هريرة قال لما نزلت
هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فخص وعم فقال يا معشر قريش
انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك من الله نفعا ولا ضرا يا معشر بني قصي انقذوا انفسكم من النار فاني لا املك
لكم من الله ضرا ولا نفعا وقال يا معشر بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار لا املك من الله ضرا ولا نفعا وكذلك
قال لبني عبد المطلب قال لفاطمة ابنته محمد انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكن من الله ضرا لا نفعا ولكن
لك رحم وسابلها ببلالها اي ساصلها وفي بعض الاخبار انه قال عند نزول هذه الاية اني ارسلت الى الناس
عامة وارسلت اليكم يا بني هاشم وبني عبد المطلب خاصة وهم الاقربون وهو اخوان ابناء عبد مناف
وعن الحسن قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع اهل بيته قبل موته فقال الا ان لي عملي ولكم
عملكم الا اني لا املك لكم من الله شيئا الا ان اوليائي منكم المتقون الا لا اعرفنكم يوم القيامة تاتوني بالدنيا تحملونها
على رقابكم ويأتيني الناس بالاخرة وعن قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات ليلة على الصفا
يفخذ عشيرته فخذا فخذا يدعوهم الى الله فقال في ذلك المشركون لبات هذا الرجل يهوت منذ الليلة يقول
يصبح فانزل الله في ذلك قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى الاية ومعنى التخصيص في انذار
العشيرة في هذه الاية يحتمل وجهين وان كان داخلين في جملة انذار الناس جميعا في قوله نذيرا للعالمين اذهم
من العالمين احدهما جائز ان يكونوا هم يطمعون شفاعة رسول الله يوم القيامة وان لم يطيعوه ولم يجيبوه
الى ما يدعوهم اليه على ما روي عنه انه قال كل نسب وسبب منقطع يومئذ الا نسبي وسببي فيشبه
ان يكونوا يطمعون شفاعته يومئذ وان خالفوه بحق القرابة والوصلة ما لا يطمع ذلك غيرهم من
الناس الا بالطاعة والاجابة فامره ان ينذرهم لئلا يتكلوا الى شفاعته ولكن احالوا حيلتهم بالطاعة
والعمل لما يأمرهم وهو ما ذكر في الاخبار التي ذكرنا اني لا املك لكم من الله نفعا ولا ضرا الا ان اوليائي منكم
المتقون اخبر ان لا ولاية لهم اذا لم يتقوا تحقا القرب والثاني وقوله واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين قيل الين جانبك لمن اتبعك من المؤمنين كان امر رسوله ان يتواضع لهم ويرحم وقال في الوالدين
واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال في المؤمنين بعضهم لبعض فيما بينهم رحماء بينهم اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين ذكر الذل فيما بينهم والرحمة ولم يذكر في رسول الله صلى الله عليه وسلم الذل والله اعلم
لان الذل كانه يرجع الى الخضوع واستخدام بعضهم بعضا ذلك في رسول الله بعيد لا يحتمل ان يأمره بالخدمة
لهم وجائز ان يحتمل بعضهم بخدمة بعض والله اعلم وقوله فان عصوك فقل اني برئ مما تعملون قالوا

انه راجع

انه راجع الى قوله وانذر عشيرتك الاقربين وموصول به كانه قال وانذر عشيرتك الاقربين فان عصوك
فقل اني برئ مما تعملون قد كان رسول الله بريئا مما كان يعمل ولكنه لما انذرهم رسول الله طلبوا منه
ان يطيعهم في بعض امورهم ويتاركهم في بعض اعمالهم حتى يطيعوا ولئك له في بعض ما يامرهم
يدعوهم اليه ويتاركونه في بعض اعماله فقال عند ذلك اني برئ مما يدعونه اليه وطلبوا منه مساعدة
اباهم والاغماض عما يعملون فقال وتوكل على العزيز الرحيم كانه امنه عن شرهم وكيدهم فقال توكل على
العزيز الرحيم ولا تخف مخالفتهم اياك فيما تدعوهم اليه او امره ان يكل نفسه اليه ويفوض جميع اموره
في كل وقت فقال وتوكل على العزيز الرحيم العزيز المنتقم باوليائه اولشديد باعدائه الرحيم باوليائه او ذكر
العزيز لانه به يعز من يعز وهو يرحم من يرحم من لم يعزه هو لا يكون عزيزا ومن لم يرحمه هو لا ينفع ترحم
غيره والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء وقوله الذي يريك حين تقوم في ظلمة الليل وحدك قائما ولنا وعلى
ما لا نك يراك في تقلبك ايضا في المساجدين في الصلوة مع الناس في الجماعة وبعضهم يقول في تقلبك في
الساجدين في المصلين يقول كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من امامه لكن هذا ليس تاويل الاية
الا كلوم قاله من ذات نفسه ولو كان ما ذكر لكان يقول يريك برفع الياء لا بالنصب ويروون في بعض
الاخبار انا امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام فاني اراكم خلفي كما اراكم امامي والذي
نفسي بيده لو رايتم ما رايت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا يا رسول الله وما رايت قال رايت الجنة والنار وقال
بعضهم يريك حين تقوم الى الصلوة فتصلي وحدك مع المصلين في جماعة وهو مثل الاول وفي حرف حفصة وتقلبك
في الساجدين انه هو السميع العليم السميع لمقالتهم مما يخفون ويسرون وما يعلنون او العليم بما في صدورهم وضمائرهم
والسميع المجيب لمن دعاه العليم بافعالهم واعمالهم وقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك
اثيم خرج هذا والله اعلم وما تقدم ذكره من الايات جوابا لقول كان من رؤساء الكفرة وقادتهم لا يزالون
يلبسون على اتباعهم والسفلة امر رسول الله وما ينزل فقالوا مرة اساطير الاولين ومرة ما هذا
الا افك مفترى وانه شاعر وانه ساحر ومرة قالوا انما يعلمه بشر وامثال هذا فجائز ان كان منهم ايضا قول
ان الشياطين هم الذين يتنزلون بهذا القران عليه على ما ذكر انهم قالوا انما يجيء به الرئي وهو الشيطان
فيلقيه على لسانه فقال عند ذلك جوابا لهم وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم الاية ولكن انما ينزل
به جبريل حيث قال قل نزله روح القدس الاية ثم اخبر عن الشياطين انهم على من ينزلون حيث قال
هل انبئكم على من تنزل الشياطين فقال تنزل على كل افاك اثيم ذكر هذا لما عرفوا هم ان الشياطين لا ينزلون
الا بكذب وباطل فيستحق لا ينزل الا بكذب وباطل لا ينزل الا على كذاب افاك وكان معلوم ما عندهم
ان محمدا لم يكذب قط ولا افك ابدا اذ لم ياخذوه يكذب فيما بينهم قط فيقول والله اعلم كيف يتنزل
عليه الشياطين وهو معروف عندكم انه ليس بكذاب ولا افاك وقد تعلمون ان الشياطين لا ينزلون
الا بكذب باطل على هذا يخرج تاويل هذه الايات والا على الابتداء لا يحتمل ان تكون نشد اخبر عن صنيع
الشياطين فقالوا يلقون السمع واكثرهم كاذبون وقال بعضهم يلقى الشياطين باذانهم الى السمع في
السماء الكلام الملائكة وذلك ان الله اذا اراد امرا في الارض علم به اهل السماء من الملائكة فيتكلمون
به فيسمع الشياطين ذلك فيخبرون به الكهنة فيخبر الكهنة اهل الارض بذلك فيقولون انه يكون في الارض
كذا في وقت كذا ثم قال واكثرهم كاذبون على هذا التاويل واكثر الشياطين كاذبون فيما يخبرون
الكهنة من اخبار السماء وقال بعضهم ان الجن كانوا يصعدون الى السماء فيسترقون اسماعهم
الى السماء فيسمعون من اخبارها ثم ينزلون به على الكهنة ايضا من اخبار الرسل ويخلطون
ما سمعوا من الرسل من الحق بما سمعوا من الشياطين من الباطل فيحدثون الناس بذلك فما كان من الرسل
حقا وما كان من الشياطين فيكون باطلا فذلك تاويل قوله واكثرهم كاذبون اي اكثر الكهنة كاذبون
فيما يخبرون الناس بما سمعوا من الشياطين وقال بعضهم كانوا يسمعون من الجن حقا لكنهم يخلطون
من عند انفسهم كذبا فيحدثون به الناس حتى اذا كان الناس يتركون ما يسمعون منهم من الكذب
حدثوهم بذلك الحق الذي نزل به من السماء ويراجعونهم ويصدقونهم فذلك قول الله واكثرهم
كاذبون اي اكثر قولهم كذب والله اعلم بذلك وقوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال بعضهم رجلان
شاعران كانا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما من الانصار والاخر من قوم اخرين فهجوا رسول
الله واصحابه ومع كل واحد منهما غواة من قومه فذلك قوله والشعراء يتبعهم الغاوون قال فاستاذن
شعراء المسلمين النبي ان يقتصوا من المشركين فاذن لهم النبي فهجوا المشركين ومدحوا النبي وذلك قوله
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اخبر في الاول والشعراء يتبعهم الغاوون فاستثنى شعراء المسلمين بقوله
الا الذين امنوا وقال بعضهم الشعراء عصاة الجن يتبعهم غواة الانس كقوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم
الى بعض وقال بعضهم هم الكفار يتبعون ضلال الجن والانس وهو مثل الاول وقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون
وقال بعضهم في كل فن ياخذون اي يمدحون قوما بباطل ويشتمون قوما بباطل وانهم يقولون ما لا يفعلون

وانهم يصفون مالا يعلمون وكذلك ذكر فى بعض الحروف انه كذلك وقال بعضهم انهم فى كل لغو وباطل يخوضون
وانهم يقولون مالا يفعلون يقول فى اكثر قولهم يكذبون وقال بعضهم وانهم يقولون مالا يفعلون اى يقولون
فعلنا كذا وهم كذبة لم يفعلوا ذلك وقال ابو عوسجة يهيمون اى يذهبون ويمضون ويركبون كل واد هام
يهيم هيما فهو هائم ويقال الهائم العطشان يقول هام يهيم هيما وهيمان عطشان وقوم هيم والهائم الوامق
المحب الذى هو عطشان الى لقاء من يحب والتهويم النوم يقال هوّم يهوّم تهويما وقوله فشاربون شرب
الهيم هم العطاش والواحد هيمان وقال القتبى فى كل واد يهيمون اى فى كل واد من القول فى كل مذهب يذهبون
كما يذهب الهائم على وجهه وقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا هذا الاستثناء يحتمل ان يكون
من قوله والشعراء يتبعهم الغاوون وهو ما ذكرنا كانهم قال اولئك الشعراء وهم القادة منهم عن نفوسهم ان
الى محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الشعر وانشدوه واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم ورووا
منهم حين يهجون النبى واصحابه فاستثنى شعر المسلمين الذين قالوا الشعر وانشدوه فى انتصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يتبعهم الغاوون اوان
يكون الاستثناء من قوله الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات فانهم لا يهيمون فى كل واد ويقولون ما يفعلون ولا يقولون مالا يفعلون ولا يقولون
ما يفعلون ولا يقولون مالا يفعلون بل يذكرون الله كثيرا وينصرون رسوله وانفسهم من بعد ما ظلموا
فيكون الاستثناء فى امثالنا ويلين من الاتباع فى الاخرة من الائمة والقادة فكان منهم قول
سبق فى ذلك حتى قال الشعراء يتبعهم الغاوون الى اخر ما ذكر اذ لا يحتمل على الابتداء دون قول كان
منهم على ما ذكرنا فى قوله وما تنزلت به الشياطين وقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين الاية
قد كان من اولئك الكفرة قول وطعن بان الشياطين هم الذين ينزلون به عليه حتى خرج جوابا لهم وما
تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وان لم يذكر ذلك نظهر ذلك فى الجواب ان كان منهم قول وطعن
وان لم يذكر نصا وعدهم وقال وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ويحتمل فى الاخرة فى منقلب الظلمة
وهى النار اى يعلمون علم عيان يومئذ وان لم يعلموا ذلك فى الدنيا علم استدلال لما تركوا النظر فيه او يعلمون
ذلك علم عيان فى الاخرة وان علموا فى الدنيا علم استدلال لكنهم تعاندوا وكابروا فلم يؤمنوا والله اعلم بالصواب

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم طس قد ذكرنا فيما تقدم تاويل الحروف المعجمة واقاويل الناس فيها وكذلك
الايات قد ذكرنا وقوله وكتاب مبين يحتمل قوله مبين اى بين واضح لان ابان قد يستعمل فى موضع بان
يقال بان وابان ويحتمل وكتاب مبين اى يتبين انه رسول من الله او يبين بالله عليهم او ما لبعضهم على بعض
او ما لهم وما عليهم وقوله هدى وبشرى للمؤمنين قوله هدى يحتمل وجهين احدهما دعاء كقوله هاد اى
داع يدعو الخلق الى توحيد الله تعالى فعلى ذلك يحتمل قوله هدى اى دعاء يدعوهم الى توحيد الله تعالى فان كان
هذا فهو للناس كافة والثانى جائز ان يريد بالهدى الهدى الذى هو نقيض الضلال وضده فهو للمؤمنين
خاصة وان كان اراد به البيان والدعاء فهو للكل وقوله وهدى وبشرى للمؤمنين اى يدعوهم الى الايمان بالله
وبرسوله فاذا امنوا به كان لهم بشرى ثم نعت المؤمنين ووصفهم فقال الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة يحتمل قوله يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اى يقرون بها ويؤمنون لان من الناس من كان يؤمن
بالله وبرسوله لكنهم ابوا الايمان بالصلوة والزكوة كقوله فان تابوا واقاموا الصلوة فخلوا سبيلهم لا
يحتمل ان يامرهم بحبسهم الى ان تمضى السنة فتجب الزكوة عليهم فيؤتون فحينئذ يخلون سبيلهم ولكن الامر
بحبسهم الى الا يقروا بها ويؤمنوا فيخلون عند ذلك سبيلهم وكذلك قوله بالذين لا يؤتون الزكوة لا
يقبلونها ولا يقرون بها ليس على فعل الايتاء فعلى ذلك الاول يحتمل هذا والثانى يحتمل الامر بهما القبول
والاقرار بها والايتاء جميعا اى اذا قبلوها واقروا بها واعطوها فحينئذ يستوجبون هذه البشارة التى ذكر
وقوله وهم بالاخرة هم يوقنون الايقان بالشىء هو العلم به من جهة الاستدلال والاجتهاد والاسباب
التى يستفاد بها العلم بالاشياء لا العلم الذاتى ولذلك لا يوصف الله على الايقان بالشىء ولا يقال يا موقن
لانه عالم بذاته لا بالاسباب وبالله التوفيق وقوله ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم الاعمال
التى هم فيها بما ركبت فيهم من الشهوات والامانى ويحتمل زينا لهم اعمالهم الايمان التى هى عليهم اى زين لهم
الخيرات والطاعات لكنهم ابوا ان يأتوا بها فالمعتزلة قالوا بهذا التاويل وابوا ان يقولوا بالاول ان يكون
من الله تزيين ما هم فيه من الشرك والكفر وانواع افعال الكفر اذا اضاف تزيين ذلك الى الشيطان حيث
قال وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وقال الشيطان سول لهم ونحو ذلك من الايات
فقالوا اضاف الى الشيطان ولا يجوز ان يضاف الى الله ذلك بعينه فدل ان الله انما زين لهم اعمالهم التى عليهم
من الايمان والخيرات لا الاعمال التى هم فيها لكن عندنا يجوز اضافة تزيين اعمالهم التى هم فيها الى الله من جهة

ما ركبت فيهم من الشهوات والامانى التى توافق طباعهم وانفسهم لان التزيين يقع بنفس الكفر وافعاله
اذ الكفر نفسه ليس بمزين ولا مستحسن انما هو شتم رب العالمين ولكن تزيينه واستحسانه هو موافقة ما عمل
من الاعمال طباعهم والجهة التى تضاف الى الله او الجهة التى تضاف الى الشيطان هو دعاؤه عليه الى ما
يوافق طباعهم فمن هذه الجهة يجوز اضافته الى الشيطان والجهة التى تضاف الى الله هو ما ركبت فيهم
من الشهوات والامانى وجعل الطباع موافقا لها والا الصدق وجميع الخيرات انما يكون مزينا مستحسنا
فى العقل للعاقبة والكفر وجميع المعاصى مستقبح فى العقل للعاقبة اذا حمد احدهما واثيب على فعله وذم الاخر
وعوقب بسوء اختياره او ان يكون اضافة ذلك الى الله لما خلق افعالهم واعمالهم التى عملوها واخرجها
من العدم الى الوجود وهى من هذه الجهة فعله وهو يرد قولهم فى اباءهم خلق افعال العباد وقوله فهم
يعمهون قيل يترددون بل اصل العمه الحيرة اى يتحيرون اولئك الذين لهم سوء العذاب اى لهم ما يسوءهم
من العذاب فى الاخرة لا غيرها وهم سوء الافعال فى الدنيا وهم فى الاخرة هم فى الاخرة هم الاخسرون والخسرون
والخاسرون واحد وجائز ان يقال هم الاخسرون للقادة منهم والرؤساء لانهم ضلوا بانفسهم واضلوا
غيرهم مما خسر من الاتباع كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة وقوله وانك لتلقى القران من لدن
حكيم عليم هذا يحتمل وجهين احدهما لتلقى القران من الله على يدى رسوله وهو جبريل وجائز ان يكون
حكيم عليم هو جبريل بعينه اى انك لتلقى القران من لدن جبريل وهو حكيم بضيع الوحى والقران حيث امر بوضعه
فيه اذ الحكيم هو المصيب فى فعله الواضع للشىء موضعه وعليم بما امر به وارسل وهو كذلك كان او يجوز ان
يقال للمخلوق حكيم عليم الا ترى الى قوله يوسف قال انى حفيظ عليم فعلى ذلك هذا جائز والاول اشبه اى انك
لتاخذ القران من لدن حكيم عليم على يدى رسوله جبريل كما يأخذ من رسوله كانه ياخذ من عند مرسله اذ الرسول
انما يؤدى كلام مرسله وقال ابو عوسجة وانك لتلقى القران اخذته وكذلك قال القتبى لتلقى اى لتأخذه وقال
محمد بن اسحق وانك لتلقى القران اى لتؤتى بالقران كقوله وما يلقاها الا الذين صبروا اى وما يؤتيها والله
اعلم وقوله اذ قال موسى لاهله انى انست نارا قيل رايت وابصرت سأتيكم منها بخبر او اتيكم بشهاب
قبس وقال فى اية اخرى اخرى لعلى اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى هذا يدل انه كان ضل الطريق
على ما ذكره اهل التاويل وقال فى اية اخرى انى انست نارا لعلى اتيكم منها بخبر او جذوة من النار لعلكم
تصطلون ذكر على التقديم والتاخير على اختلاف الالفاظ والحروف والقصة واحدة والمتكلم بذلك
موسى لا غير فهذا يدل ان ليس على الناس تكلف حفظ الالفاظ والحروف بلا تقديم ولا تاخير ولا تغير
بعد ان اصابوا المعنى المودع فيها اعنى فى الالفاظ وحفظوها من غير تغيير يدخل فى المعنى المودع اذ قصة
موسى هذه وغيرها من قصص الانبياء صلوات الله عليهم ذكرت فى الكتاب على التقديم والتاخير على
اختلاف الالفاظ والحروف فى كثير من الاحكام فى الشهادات والاخبار وغيرها انما عليهم اصابة المعنى
وقوله بشهاب قبس قال بعضهم الشهاب خشبة فى طرفها نار والقبس النار وشهاب جميع ولا يسمى النار
قبسا الا ما يحمل من موضع الى موضع يقال قبست النار قبسا واقتبست وهو قول ابى عوسجة والقتبى
وقال بعضهم القبس الجمر والشهاب النار الموقدة وهو قول ابى عبيدة وقال بعضهم الشهاب النور
والشهاب الكواكب سمى شهابا لضوئه ونوره وقال بعضهم بشهاب قبس اى شعلة من نار والجذوة
كانها خشبة فيها نار وهو مثل الاول ودل قوله لعلكم تصطلون على ان الوقت وقت البرد وما
الثناء عليه ذكر الاصطلاء وهو الاستدفاء والله اعلم وقوله فلما جاءها نودى ان بورك
من فى النار ومن حولها اضطربت اقاويل اهل التاويل فى هذا الحرف بعضهم تاويله الى ما لا يريد دلالة
سماجة وبعدا عن الحق والصواب وعمى لكن لا حاجة لنا الى ان يعتبر ويكتفى بحرف من عن غير مميز وغير ذى فهم
ويعقل لا يستقيم التاويل فيه ولم يقع فيه شبه فيحتمل كانه قال ان بورك ما فيه من النار وما
حولها ويكون عبارة عن المكان الذى فيه النار وما حولها من الاماكن اى بورك فى ذلك المكان
الذى فيه النار وما حولها لانه قال له فى اية اخرى انك بالواد المقدس طوى اى طوى فيه البركات
وحل فيه بركاته حوله عن بركة ذلك المكان فعلى ذلك لو جاز ان يعبر بحرف من عن غير المميز والفهم
ويكنى به جاز صرف التاويل الى ما ذكرنا من المكان او يقال بورك من فى النار ومن حولها اى بورك ما فى
النار من النور وما حول ذلك وما يشبه ويبصر منه وهو ما استفاد وبين النبوة والرسالة هذا كله اذا
جازت العبادة والكناية بحرف من عن غير ذى التمييز والفهم فان جاز هذا لا يستقيم ان يقال هذا والا يكون
التاويل منصرفا الى ما ذكره فى حرف ابن مسعود وابى على طرح حرف من حرف ابى ذكوان فى حرفهما نودى ان بورك
النار ومن حولها وذلك جائز فى اللغة ان يقال بورك فى فلان وبورك فلانا وبورك وبورك لفلان وكذلك
ذكر عن الكسائى انه قال ذلك فان كان ما ذكر عن ابن مسعود وابى ثابتا صحيحا لم يقع فيه شبهة ولا ريب
وان لم يجز العبادة بحرف من عن غير التمييز فجائز ان يصرف حرف من الى موسى فيكون كانه قال بورك
فى الذى فى النار وهو موسى او بورك فيمن جعله اقتباس النار فيصرف تاويل من الى موسى وقد جعل

له من البركة في تلك النار ما لا يحصى من استفادة النبوة والارشاد الى الطريق والاصطلاء وغير ذلك والله اعلم
وقوله وسبحان الله رب العالمين ذكر هذا والله اعلم تنزيها عن جميع ما قاله بعض الناس وقيل تبرئة منه عن ذلك
كله من نحو مقاتل ومن قال بمثل قوله مما يؤدي الى التشبيه والتنبيه وقوله يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم اي
الذي عطاك ذلك الله العزيز الحكيم او يقول اي الذي اراك هذا واكرمك به انا الله العزيز الحكيم او ان يقول
انه الذي رأيته اي الذي جعل لك ذلك العزيز الحكيم العزيز الذي لا يعجزه شيء والحكيم المصيب في فعله غير مخطئ
او ان يقال عزيز لا يذل ابدا فطالما ترى عزيزا يذل ثم الحكيم يضع كل شيء موضعه لا يخطئ قال ابو معاذ قال مقاتل
بن سليمان يا موسى انه يقول ان النور الذي رأيت انا الله وهذا محال لا وجه له لانك لا تقول ان
الذي رأيت انا الانسان وانه او لشيء اخر ولكن تقول انا الذي رأيت ويحال ايضا قوله لما ذكر في حرف
ابن مسعود نودي يا موسى لا تخف بكلمة الله ويخاطبه ثم يقولان النور الذي رأيت انا ويحال ايضا
تقول الله اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر قال الله فلما اتاها ولم يقل اتاه ويحال ايضا ان يكون
الله نعتا لانك لا تقول الذي رأيت انا الخوف فقال قول مقاتل يحال من اربعة اوجه بخلاف الظاهر
الاية واصله ما ذكرنا فيما تقدم وقوله والق عصاك فلما رآها تهتز اي لا يرى الامر بالقاء العصا ولم يذكر
اثر القاها ولكن فيه اضمار والق عصاك فالقاها فلما رآها تهتز اي تتحرك كأنها جان ذكر اهل التأويل
ان الجان هي الحية الصغيرة ليست بعظيمة لكنه اخبر ان موسى خافها وولى مدبرا وموسى لا يحتمل
ان يخاف من حية صغيرة على الوصف الذي ذكر فكأنها كانت عظيمة لكنها في تحركها والتوائها كأنها صغيرة
اذ الحية العظيمة الكبيرة لا تقدر على التحرك والالتواء كالصغيرة لذلك خافها موسى حتى نهاه الله عن
ذلك وقال لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون وقوله ولم يعقب قال بعضهم لم يرجع وقال بعضهم لم يلتفت
وهو ماخوذ من العقب والجان قال بعضهم من الجن والجان الحية ولا يكون الا من الجن وقول ابي عبيدة وقوله
لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون فان قيل كيف نهاه عن الخوف واخبر انه لا يخاف لدي المرسلون وقد مدح
الله الملائكة وغيرهم من الخلائق بالخوف من ربهم حيث قال يخافون ربهم من فوقهم وقال في اية اخرى
يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعونه تضرعا وخيفة وامثال ذلك من الايات مما فيها مدحهم بالخوف
من ربهم لكنه يخرج على وجوه احدها انه قد امن موسى حيث قال لا تخف انك من الامنين فكأنه قال
ها هنا لا تخف بعد ما امنتك اي لا يخاف لدي المرسلون اذا امنتهم والثاني لا تخف من غيري اني لا يخاف لدي
المرسلون من غيري فكأنه قال والله اعلم على هذا التأويل انما نهاه عن الخوف من غيره واخبر انه لا يخاف
لدي المرسلون والثالث اخبار وامن منه من خوف الاخرة واهوالها كانه قال لا تخف فاني ساو
من المرسلين من خوف يومئذ ثم استثنى فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء هذا ايضا يخرج على
وجوه احدها لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم اذا بدل حسنا بعد سوء والثاني لا يخاف لدي المرسلون
ولكن من ظلم ممن سواهم ثم بدل حسنا بعد سوء فانه غفور رحيم رجاء المغفرة وطمع العفو فيما كان منه
والثالث لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم منهم نحو موسى بقتله النفس واخوة يوسف ثم بدل حسنا
وتاب عن ذلك فانه يخاف ايضا والله اعلم وقوله وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فالله
تعالى قادر ان يجعل يده بيضاء من غير ادخاله اياها في جيبه لكنه امتحن موسى بالامر بادخالها في
جيبه وكذلك قادر ان يصير عصاه في يده حية لكنه امتحن بالامر بالقائها والله ان يمتحن عباده بكل
انواع المحن وقوله تخرج بيضاء من غير سوء قيل من غير افة من برص وغيره وقد ذكرنا معناه فيما تقدم
وقوله في تسع ايات الى فرعون وقومه قال بعضهم موسى في تسع ايات وقد يجوز استعمال حرف في مكان مع كما يقال
لفلان كذا وكذا يوما فيها يحاول اي منها يحاول وقال بعضهم في تسع ايات قال ابو معاذ قد يكون
معنى في مع واحدا فيما لا يحصى عدده تقول خرجت في اهل مرو الى اهل مكة ومع اهل مرو الى مكة
فاذا قلت خرجت في تسعة اختلفا لانك احصيت العدد في تسعة انت تاسعهم ومع تسعة انت عاشرهم
وقال بعضهم هو على الانقطاع من الاول كانه قال لرسوله محمد ولقد بعثنا موسى في تسع ايات الى
فرعون كما قال ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات وقوله الى فرعون وقومه دل هذا انه كان مبعوثا
الى فرعون وقومه جميعا اذا ذكر في اية الى فرعون خاصة وفي اية اخرى الى فرعون وملئه وذكر
ههنا الى فرعون وقومه لكان مبعوثا الى الكل وقوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اي يبصر بها ويعلم
كقوله ولا وبصيرة ليبصر بها [illegible] وكذلك
قال موسى لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر [illegible]
لم يكن عادة فرعون اللعين تلبيس امر موسى واياته على قومه لئلا يؤمنوا به ولا يطيعوه فيما يدعو
مرة قال هذا لساحر مبين وان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وامثال ذلك مما يلبس
على قومه امره ويغريهم عليه لئلا يطيعوه فيما يدعوهم اليه ولا يجيبوه وقوله وجحدوا بها واستيقنتها
وجائز في اللغة ان يقال جحدها وجحد بها كلاهما واحد ثم قال بعضهم ان الجحود لا يكون الا بعد

الله به والارشاد ولكن يجوز ان يقال جحد بعد المعرفة والعلم ويقال ان يعلم به ويعرف ان الجحود
لا يسبل الا على الكافر وقد يكون الانكار للشيء للجهل به وبعدم المعرفة وقال بعضهم هو على التقديم
والتاخير كانه قال فلما جاءتهم اياتنا مبصرة جحدوا بها ظلما وعلوا واستيقنتها انفسهم انما هي
اياتنا ليست بسحر [illegible]
[illegible] فوضعوا الايات موضع السحر لم يضعوها
موضعها وهو الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وقوله وعلوا اي تكبرا وعتوا فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين [illegible] ولكن على تنبيه اولئك والزجر لهم عما هم فيه
[illegible] والله اعلم وقوله ولقد
[illegible]
الناطق وورث النبوة والحكم والملك والوارث هو الباقي بعد هلاك [illegible] كقوله انا نحن نرث
الارض ومن عليها اي تبقى بعد هلاك اهلها وفنائهم وقوله وانا لنحن الوارثون اي الباقون بعد
فنائهم الا انه ورث شيئا لم يكن له من قبل وكذلك قوله واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
لا يراد بقاكم وترككم في ارضهم وديارهم وقوله وتلك الجنة التي اورثتموها اي تبقون فيها وامثال
ذلك كله راجع الى البقاء فعلى ذلك قوله وورث سليمان داود اي بقي في ملكه ونبوته وعلى ذلك ما سأل
زكريا ربه من الولد حيث قال فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب يحتمل ان يسأل
ربه ولدا يرث ماله من بعده [illegible] ولكن كانه سأل ولدا يبقى في نبوته ورسالته بعد وفاته
ليبقى النبوة في نسله والله اعلم وقوله وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء لا يحتمل
ان يذكر هذا صلوات الله عليه على الافتخار والمباهاة ولكن ذكر فضل الله ونعمه التي اعطاه ومن
عليه كقوله واما بنعمة ربك فحدث ثم قال ان هذا لهو الفضل المبين ثم قوله واوتينا من كل
شيء لا يحتمل كل شيء لانهم لم يؤتوا كل شيء حتى لم يبق شيء الا اوتوا شيئا دون شيء ولكن كانه قال
واوتينا من كل شيء مما يتاتى ان يؤتينا او ان يكون واوتينا من كل شيء مما يؤتى الانبياء والملوك وما
يحتاج اليه والله اعلم وقوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون قال بعضهم
قوله فهم يوزعون اي يحبس اولهم على اخرهم كانه لا يدعهم ان ينتشروا ويتفرقوا ولكن يتركهم
مجموعين على كل صنف منهم وزعة ترد اولهم على اخرهم وذلك من سيرة الملوك وامراء العساكر ان
يتركوا جنودهم مجموعة غير منتشرة ولا متفرقة وقال ابو عوسجة فهم يوزعون اي يساقون
ويقال اوزعني اي الهمني والتوزيع من الكف والسوق تقول وزع اي كف وورع اي ساق وقال مرة
يوزعون يجمعون يقال وزعت الابل اي جمعته ازع وزعا وقال القتبي يوزعون اي يدفعون واصل
الوزع الكف والمنع يقال وزعت الرجل اذا كففته ووازع الجيش هو الذي يكفهم عن التفرق والانتشار
وهو على ما ذكر وقوله حتى اذا اتوا على واد النمل هذا يدل ان النمل وقتئذ لا تخالط الناس حيث اضاف
الوادي اليها بقوله حتى اذا اتوا على واد النمل ولو كانت تخالط الناس كما الان لقال حتى اذا اتوا على
الوادي الذي فيه النمل دل انها كانت لا تخالط الناس وكان لهن مكان على حدة والله اعلم وقوله

قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون يخرج قوله قالت
نملة على وجهين على حقيقة القول من النملة كما يكون من البشر أطلع الله سليمان ذلك وألقاه في سامعه لطفا منه
وفضلا من بين سائر الخلائق على ما ذكرنا في قوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده الآية والثاني أن يجعل الله في سريّة
النمل معنى يفهم بعضها من بعض ما يريدون فيما بينهم من أنواع الحوائج على غير حقيقة القول أطلع الله سليمان
على ذلك حتى فهم منها ما كانت تفهم بعضها من بعض لطفا منه وفضلا وهو كقوله إنما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ليس أنه يقول لا جزاء نصدق عليه ذلك لكن الله اطلع على ما علم من
ضميرهم ومرادهم من الصدقة على غير حقيقة القول منهم فعلى ذلك قول النمل أخبر سليمان أنها كان
في سريتها فيما بينهم من معنى كان منها نطق أو كلام يفهم منه الخلق والله أعلم وقالت الباطنية
ليس المراد من ذكر النمل المعروفة وقولها وكذلك قالوا في الهدهد أنه لم يرد به الهدهد المعروف وقالوا لا يجوز
للهدهد من العلم أكثر مما يكون لسليمان ولغيره ولكن أراد به الرجل وهو الإمام الذي يدعو الناس إلى
الهدى ويدلهم على الرشد وليس كما قالوا لأنه إنما ذكر هذا أهل التعجب ولو كان ذلك إنسانا لا يحتمل
يكون له قول وكلام لم يكن لذكر ذلك منه كبير تعجب ولا فائدة دل أنه ليس كما قالوا وقوله لا يحطمنكم
أي لا يكسرنكم والحطم هو الكسر وفي حرف ابن مسعود لا يحطمنكم على طرح النون والتشديد وقوله
وهم لا يشعرون قال بعضهم هذا من النملة ثناء على سليمان ومدح عليه بالعدل في ملكه وسلطانه
لو شعر بكم لم يحطمكم وقال بعضهم وهم لا يشعرون أي لا يشعر جنوده بكلام النمل وهذا يدل أن النملة
كانت ... سائر النمل ... حيث قالت ذلك من بين غيرها من النمل وعلى كل رئيس وسيد القوم
أن يحفظ رعيته ... على الشيء ... كانت كالدواب
عظاما لا يحتمل ... لو كانت ... وهم لا يشعرون ... كالذباب ...
... كانت على ما هي اليوم والله أعلم وقوله فتبسم ضاحكا من قولها قال بعضهم تبسم ضاحكا
أي تبسم لما فهم من قول النمل ... وما جاز أن يكون التبسم ...
التبسم إنما يكون للسرور ويدخل في الإنسان ... فتبسم ضاحكا لما سر بما أعطاه الله من عظيم
النعمة له والملك ألا ترى أنه سأل ربه الإلهام لشكر نعمه التي آتاه الله حيث قال رب أوزعني أن أشكر
نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي سأل ربه الإلهام واللطف الذي يكون منه ليشكر نعمه ولو كان لا إلهام هو إلا
علوم على ما قاله بعض الناس لم يكن سليمان ليسأل له ... كان يعلم أن عليه شكر نعمه وكذلك يعلم كل أحد أن
عليه شكر نعمه فدل سؤاله الإلهام على شكر أنه إنما سأل اللطف الذي عنده به يشكر نعمه إذا أعطاه وهو
التوفيق لا ما دام الذي قالوه وقوله وعلى والدي فيه أن يجب على المرء شكر النعم التي أنعم الله على والديه
ويسأل ربه أيضا أن يوفقه على العمل الذي يرضاه منه حيث قال وأن أعمل صالحا ترضاه وقوله وأدخلني
برحمتك في عبادك الصالحين جائز أن يكون سؤاله هذا ما جاء له فيما ذكر من سؤال يوسف حيث قال
توفني مسلما وألحقني بالصالحين ما له رتبة التوفي على الإسلام والإلحاق بالصالحين فعلى ذلك سؤال
سليمان فيه أن يخرج على ذلك ... فيه دلالة أن النجاة ودخول الجنة إنما يكون برحمة الله لا بالعمل
حيث قال وأدخلني برحمتك ... بالعمل الصالح المرضي وقوله أوزعني أي ألهمني والإيزاع الإلهام والوزع
الكف والسوق وقال القتبي وأصل الإيزاع الإغراء بالشيء يقال أوزعته بكذا أي أغريته وهو موزع بكذا أو
مولع بكذا وقوله وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
تدرون كيف تفقد سليمان الهدهد ... قال لأنه إذا كان في فلاة من الأرض دعا الهدهد فيبصر له بعد الماء
في الأرض وغوره فهو يعلمه من بين غيره من الطيور فلذلك تفقده ليبصر له عن حاله وذكر ...
عن ذلك فأخبر بذلك لكن هذا بعيد لأن في سليمان صلوات الله عليه كانت له الريح مسخرة ذكروا أنها كانت
تحمله وتسير به كل غداة مسيرة شهر وكل عشية كذلك وهو قوله ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها
شهر ... وقعت له الحاجة إلى الماء أنه لا يبلغ إلى الماء حتى يحتاج إلى أن يحفر له ...
الماء وما كان له من الشياطين والجن مسخرين له ... عرش ... قبل
أن تقوم من مقامك وقال ... قبل أن يرتد إليك طرفك ... سلطان وقوة على القدر
الذي ذكر لا يحتمل أن يقع له الحاجة إلى الماء وإذا وقعت يحتاج إلى أن يتكلف وصوله إليه بالهدهد موضع
يتكلف الحفر في الأرض هذا يبعد ... والله أعلم إلا أن يخرج على الامتحان ويكون تفقده
الطير لما كان عليه حفظهم جميعا ... عن الانتشار في الأرض والتفرق ...
الله أعلم لما على كل ملك وأمير حفظ رعيته وحاشيته والتفقد عن أحوالهم وأسبابهم فعلى ذلك هذا ثم
يحتمل أن يكون من كل صنف من الطير واحد لا عدد حتى قال ما لي لا أرى الهدهد ولو كان عدد من الهداهد
لقال ما لي لا أرى هدهدا من الهداهد إلا أن يكون الذي فقده كان ... سيد هم
فجائز أن يقال ذلك ما لي لا أرى الهدهد من بين غيرهم يغيب عن بصري ولا أدري أم كان من الغائبين

منهم

منهم فلما لم يسألوا أحدا منهم عن ذلك فأخبر أنه من الغائبين فعند ذلك قال لأعذبنه عذابا شديدا الآية
فقالت الباطنية في ذلك إن سليمان لا يحتمل أن يكون يخاطب في شيء ولا يجري عليه القلم فدل وعيده
إياه من التعذيب والذبح أنه لم يكن هدهدا معروفا ولكن كان رجلا ممن يخاطب ويجري عليه القلم
وكذلك قالوا في النملة أنه كان رجلا ممن يكون منه الكلام والفهم وأما النملة المعروفة فلا يحتمل لكن
الجواب لهم في ذلك أن الله خلق هذه الدواب والطير وغيرها من الأشياء لمنافع البشر ولحاجاتهم
فجائز تعذيبها وذبحها للرجوع إلى منافعهم إذا امتنعت عن الانتفاع بها على ما تؤدب الدواب وتعذب
للرياضة والتعليم لردها إلى الانتفاع بها أو يعذب لما يشغله عن ذكر الله والقيام ببعض أموره على ما ذكر
في آية أخرى حيث قال إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى
توارت بالحجاب الآية لما شغله عن ذكر ربه فعلى ذلك جائز أن يكون تعذيب الهدهد على الوجوه التي
ذكرنا ومن الناس من استدل بهذا على مخاطبة الطير والدواب وغيرها وتكليفها بأمور كما يكلف غيرها
من الخلائق واحتج على هذا بقوله وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم
أخبر أن الطير وغيره أمم أمثالنا وقد أخبر في آية أخرى أنه لم تخل أمة عن أن يكون فيها نذير بقوله
وإن من أمة إلا خلا فيها نذير الأمة التي هي أمثالنا من الإنس والجن ولدليله قوله وما خلقت الجن و
الإنس إلا ليعبدون وقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس الآية ونحوه كثير وقوله إلا
أمم أمثالكم ليس في الخطاب والتكليف ولكن في أشياء كثيرة وقوله فمكث غير بعيد أي لم يمكث طويلا حتى
جاءه وفي حرف ابن مسعود فمكث غير بعيد ثم جاءه فقال أحطت بما لم تحط به فكأنه سأل أين كنت فقال
عند ذلك له أحطت بما لم تحط به وفي حرف أبي أحطت بما لم تحط به أنت ولا أحد من جنودك أي بلغت
بما لم تبلغ أنت أو علمت ما لم تعلم أنت ولا أحد من جنودك ثم قال وجئتك من سبإ بنبإ يقين ثم لعله
فكأنه سأله عن ذلك النبأ فقال عند ذلك والله أعلم إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل
شيء يؤتى الملوك على ما ذكرنا في قوله وأوتينا من كل شيء ثم العجب من أمر بلقيس أن كيف خفي خبرها
وأمرها على سليمان كل ذلك الخفاء وكانت بقرب منه وكانت ملكة جبارة ذات سلطان وملك وكان
يذهب في كل غدو مسيرة شهر وفي كل رواح كذلك كيف لم يطلع على أمرها وخبرها وكانت الجن والشياطين
مسخرين له ومذللين يعملون له الأعمال الصعبة الشديدة ويطوفون في الآفاق والأفق وكان هو بعث
إلى الدعاء إلى توحيد الله كيف خفي عليه أمرها وخبرها كل هذا الخفاء حتى أخبره بذلك الهدهد هذا والله
أمر عجيب ومن عادة الملوك أيضا أنهم يطلع بعضهم على أمر بعض ويعلم بأحواله لكن يحتمل خفاء خبرها عليه
لما لا يجاسر كل أحد أن يكلمه في ذلك وإن كان يعلم عن حالها وإن كان لا يعلم هو ذلك إلا بعد السؤال وطلب
الخبر تعظيما له وإجلالا وهكذا الملوك ليس يجاسر كل أحد عن أن يخبره عن كل أمر وخبر إلا بعد السؤال
إياه تعظيما لهم وتوقيرا فعلى ذلك أمر سليمان مع بلقيس أو أن يكون لأمر وسبب لم يبلغنا ذلك ولم نشعر به
وقال بعضهم هل أنا ... في قوله وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أنما طلب وتفقده لأن الطير
كانت تظله على رأسه من الشمس فلما نظر إلى الطير وجد موضع الهدهد خاليا يقع عليه الشمس فعند ذلك
قال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين وقالوا في قوله لأعذبنه عذابا شديدا أي لأنتفن ريشه
حتى يصيبه الشمس فذلك هو العذاب الشديد لكن لا نفسر ما ذلك العذاب الشديد الذي أوعده
سليمان مخافة الكذب والله أعلم وقوله فمكث غير بعيد قال بعضهم طويل وجائز أن يكون فمكث وقتا
يأتي مثله من كان يعيد ألا ترى أنما يعتذر عن المكان ... في الظاهر فقال أحطت بما لم تحط به
كأنه يريد المناصحة له والشفقة يقول أتيتك من العلم والخبر ما لم تأت أنت ولا أحد من جنودك
فكيف تعذبني وفي حرف عبد الله فتمكث غير بعيد ثم جاءه قال أبو معاذ مكث بنصب الكاف ور
فعها مكث لغتان وقوله وجئتك من سبإ بنبإ يقين قال بعضهم حق لا شك فيه أي عند هدهد وأما عند
سليمان فلا ألا ترى أن سليمان قال له سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين وقف في خبره لينظر أصدق
ما يقول أم كذب وقال بعضهم بنبإ يقين أي عجب ثم اختلف في قوله من سبإ بنبإ قال بعضهم سبأ بنبإ
قال بعضهم سبأ اسم رجل ينسب القرى إليه وقال بعضهم اسم بلدة وقال أبو عوسجة سبأ أبو
اليمن فمن جعلها اسم بلدة لم يجر ومن جعلها اسم رجل جرّه والله أعلم وقوله إني وجدت امرأة تملكهم
كأنهم على الإنكار رأى وجدت امرأة تملكهم أي تملك أهل سبأ ألا ترى أنه قال في آخره وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله ذكر القوم في آخر الآية دل أن الأهل كان مضمرا فيه وقوله وأوتيت من
كل شيء أي وتؤتى من كل شيء كما يؤتى الملوك من الذكر من الأسباب والهيبة والهيئة وغير ذلك وقال
بعضهم وأوتيت من كل شيء في بلدها ولها عرش عظيم قال أهل التأويل أي لها سرير حسن عظيم ضخم كذا
كذا ... وأما طوله وكذا كذا ذراعا عرضه وجائز أن يكون العرش كناية عن الملك كأنه قال ولها عرش
عظيم أي ملك عظيم وقوله وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قال هذا العظم ما وقع عند

الهدهد من السجود لغير الله ليعلم ان الطير وغيرها من البهائم يعرفون الله ولو هدونه وهو كقوله وان
من شيء الا يسبح بحمده ثم قوله يسجدون للشمس من دون الله يعبدون الشمس من دون الله اى يعبدون
الشمس من دون الله وجائز يطيعون للشمس ويخضعون لها من دون الله وقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة
السيئة حتى راوها حسنة فصدهم عن السبيل وهو سبيل الله لان السبيل المطلق هو سبيل الله وهو الاسلام
والكتاب المطلق كتاب الله وقوله فهم لا يهتدون فان كان هذا القول من هدهد وبلغ فصدهم عن السبيل
فهم غير مهتدين لانه لا يحتمل ان يعرف انهم لا يهتدون في حادث الوقت وان كان من الله فهو اخبار انهم
لا يهتدون ابدا لما علم انهم لا يهتدون والله اعلم وقوله الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء اختلف في تلاوته
بالتخفيف والتشديد فمن قرأ بالتشديد الا يسجدوا فهو يخرج على وجهين احدهما على طرح لا كانه يقول فهم
لا يهتدون ان يسجدوا اى لا يهتدون الا يسجدوا والثاني صلة قوله فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا ومن
من قرأ بالتخفيف فهو يخرج على الامر اى الا فاسجدوا لله وقال بعضهم الا بالتخفيف هلا يسجدوا لله وكذلك
ذكر في حرف ابن مسعود انه قرأ هلا يسجدوا لله وهو حجة من قرأ بالتخفيف وفي حرف ابي الا تسجدوا لله بالتاء
على المخاطبة الى قوله ويعلم ما تسرون وما تعلنون وذكر في حرف حفصة الا تسجدون بالنون قال الكسائي
ومن شدد الا فما وبله زين لهم الشيطان ان لا يسجدوا على ما ذكرنا واما التخفيف فهو على وجه الامر اى
اسجدوا والاصلة ايضا ثم قال بعضهم من قرأ بالتخفيف يلزمه السجود لانه امر واما من قراء بالتشديد
فلا يلزم لكن عندنا سواء يلزمه السجود بالتلاوتين جميعا لانه لا يحتمل ان يلزم السجود بما امر غيره
بالسجود ولا يلزم فيما يخبر عنهم انهم لا يسجدون بل لزوم السجود فيما يخبر انهم لا يسجدون اولى خلافا لصنيعهم
واظهارا للطاعة لله في ذلك والله اعلم وقوله يخرج الخبء في السموات والارض الخبء ما يخبأ من الشيء ما كان
قال بعضهم خبئا في السماء المطر فيخرج وفي الارض النبات فيخرج ذلك النبت ويحتمل الخبء ما يخبأ بعضهم من
بعض ويبين بعضهم بعضا يخبر انه يظهر ذلك ويعلمه الا ترى انه قال يعلم ما يخفون وما يعلنون على الوعيد ليكونوا
على حذر ابدا وفي حرف حفصة الا يسجدون لله الذي يعلم الغيب في السموات والارض وقوله الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم ذكر هذا والله اعلم جواب قوله ولها عرش عظيم يقول رب العرش العظيم هو الله الذي لا اله الا هو لا هي
اعني بلقيس وقوله سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين اى ننظر اصدقت فيما اخبرت واتيت من امر بلقيس ام
كنت من الكاذبين في ذلك وقف في خبره ولم يكذبه الى ان يظهر له الصدق او الكذب وهكذا الواجب على كل من
اخبر ان يقف فيه الى ان يظهر له الحق في ذلك اذ كان الخبر ممن يحتمل الغلط والكذب ثم قال له اذهب بكتابي
هذا فالقه اليهم لا يحتمل ان يكون سليمان امر الهدهد بذهاب الكتاب اليها ويوليه تبليغ ذلك اليها وهو اعظم
من خبره الذي اخبره بذلك بعدما وقف في خبره قبل ان يتبين ويظهر له صدقه في خبره فدل توليته اياه تبليغ
الكتاب اليها انه قد ظهر له صدقه فيما اخبره من امر تلك المرأة اما بوحي من الله تعالى اليه وانتهى اليه من الخبر
ما قد علم بذلك علم يقين واحاطة فعند ذلك ولاه تبليغ الكتاب اليه حيث قال له اذهب بكتابي هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون وقوله ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون يحتمل وجهين احدهما الق الكتاب
اليهم ثم تول اى استتر واختف عنهم فانظر ماذا يقولون وماذا يردون فيما بينهم من الكلام والجواب والثاني
على التقديم والتاخير كانه قال الق الكتاب اليهم فانظر ماذا يرجعون من الجواب ثم تول عنهم اى اعرض عنهم
ففعل ما قال له سليمان من القاء الكتاب اليها وان لم يذكر في الاية حيث قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب
كريم فكانهم قالوا ممن ذلك الكتاب فقالت عند ذلك انه من سليمان وقوله كتاب كريم قال بعضهم اى حسن لما رات
فيه من الكلام الحسن والقول اللطيف وقال بعضهم كتاب كريم اى مختوم وقد ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كرم الكتاب ختمه او كلام نحو هذا او شبهه وجائز ان يكون فيه انما راى انه القي الي كتاب
من انسان كان معروفا بالكرم يشبه ان يكون قد اتاها خبر كرمه والملأ قالوا هم الاشراف واهل السودد وقال
الزجاج سموا لما اجتمع عندهم من حاجات الناس وحسن الرأي والتدبير في كل شيء من الامور او كلام نحو هذا
وقوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم هو ما ذكرنا كانهم سالوها ممن ذلك الكتاب فقالت انه
انه من سليمان وسالوها ايضا ما في ذلك الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين
قوله الا تعلوا علي اى لا تستكبروا ولا تتعظموا علي واتوني مسلمين مخلصين لله بالتوحيد اى اجعلوا انفسكم سالمة
لله خالصة له لا تجعلوا لاحد سواه فيها شركاء ولا حقا لانه اخبر انهم كانوا يسجدون للشمس من دون الله
فيخبر في الكتاب حيث افتتح بسم الله الرحمن الرحيم ان الذي يستحق السجود والعبادة هو الله الرحمن الرحيم
لا ما تعبدون انتم ثم من ان عادة الانبياء والرسل الا يجاوز في الكلام والرسائل لا يشتغلون بفضول
الكلام وتطويله على ما ذكر من كتاب سليمان الى بلقيس بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين
ذكر ان هذا القدر كان الكتاب والله اعلم وقوله قالت يا ايها الملأ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون
استشارت اشراف قومها وطلبت منهم الرأي في ذلك وهكذا عمل الملوك وعادتهم انهم اذا ارادوا امرا واستقبلهم
امر يستشيرون اولي الرأي من قومهم واهل الحجى والتدبير منهم ثم يعملون تدبيرا يكون لهم وما يرون ذلك

صوابا وعلى ذلك امر الله رسوله ان يشاور اصحابه بقوله وشاورهم في الامر ثم امره اذا عزم
على الامر ان يتوكل على الله في ذلك وان يكل امره اليه وقوله حتى تشهدون يحتمل وجهين ما كنت قاطعة
امرا حتى تحضروني او ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون انه صواب عن فاجابوها فيما طلبت منهم الرأي
والتدبير في ذلك فقالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد اى نحن اولوا قوة في انفسنا واولوا باس
اى حرب وقتال شديد اى لنا معرفة في ذلك ومما قالوا وكلوا الامر اليها حيث قالوا والامر اليك فانظري
ماذا تامرين وهكذا الواجب على وزراء الملوك والرعية انهم اذا استشاروهم في امر ان يدلوهم على
الاصوب والاحسن لهم ثم يكلوا الامر اليهم وقصة سليمان صلوات الله عليه مما فيها من العجائب والاداب
ففيها معرفة سياسة الملوك وتعلم ادابهم من ذلك ما قال سليمان فهم يوزعون ومن ذلك قوله وتفقد
الطير الاية وقوله لاعذبنه عذابا شديدا ومن ذلك استشارة بلقيس اشراف قومها في ذلك وجوابات
قومها لها واخبارها اياهم من طبع الملوك وعاداتهم من الافساد والقتل والاذلال حيث قالت ان
الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون قال اهل التاويل هذه
شهادة من الله لها بما قالت والتصديق لها فيما اخبرت انهم كذلك يفعلون بكبرائهم ثم قالت
واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ذكر انها قالت اني في هذا وانا فان يك صاحب
دنيا فعسى ان نرضيه بالمال فيكف عنا ويكف شره وان يكن نبيا يقبل ذلك منا وسيعرف ثم بعثت ذلك
وارسلت اليه بهدايا فلم يقبلها سليمان فعرفت انه نبي وهذا كان منها تدبيرا وحسن الرأي في الامر احتيالا
ووفقت في ذلك لم تشتغل بالحرب والقتال على ما اشار لها قومها وقال ابن عباس قالت بلقيس لما اتاها كتاب
سليمان واستشارت قومها في ذلك وطلبت فتياهم فافتوا قالت ابعث اليه بهدية فان قبلها فهو ملك
فاحاربه وان لم يقبلها فهو نبي اتابعه قال ابو عوسجة فناظرة قال ناظرة اى ممهلة والنظرة في الدين خاصة
وهو الانظار وقوله فلما جاء سليمان الرسول الذي بعث بلقيس الهدية ويحتمل فلما جاء سليمان المال الذي
بعثت اليه يحتمل ذا او ذا وقوله قال اتمدونن بمال اى تعطونني بمال من المدد الزيادة كما يمد القوم ويكون
الاعطاء كقوله وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ويحتمل هاهنا الزيادة والله اعلم وقوله فما اتاني
الله خير مما اتاكم اى ما اتاني الله من النبوة والعلم والحكمة خير مما اتاكم من الاموال ويحتمل فما اتاني الله خير
كانه يكم اذا اتيتموني مسلمين خير مما اتاكم اذ لم تؤتوني الاسلام او كلام نحو هذا وقال بعض اهل
التاويل فما اتاني الله من الملك خير مما اتاكم من الملك لانه سخر له الجن والانس والشياطين والطيور والرياح
وجميع الاشياء فذلك خير له واعظم من ملكها والاول اشبه واقرب اذ لا يحتمل ان يفتخر سليمان بملكه على
غيره انما يكون افتخاره بالدين والنبوة والله اعلم وقوله بل انتم بهديتكم تفرحون قال بعضهم بل انتم بهديتكم
تفرحون اذا ردت اليكم لكن هذا بعيد لا تفرح برد الهدية اذا ردت عليه ولم يقتل بالحرب على ذلك
وتهتم او في بالفرح بالمال والهدايا بامثالنا اذ مرادكم المال والدين والدار الاخرة او كلام نحو هذا والله اعلم
بذلك وقوله ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها قال ذلك والله اعلم للرسول الذي اتاه بالهدية
ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اى لناتينهم بجنود لا طاقة لهم بها ان لم ياتوني مسلمين ولنخرجنهم
منها اذلة وهم صاغرون ان لم ياتوني مسلمين ثم قال سليمان عليه السلام يا ايها الملأ انما خاطب به
اشراف قومه وهكذا العادة في الملوك انهم اذا خاطبوا احدا بشيء انما يخاطبون اهل الشرف والمنزلة
منهم ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال بعض اهل التاويل انما قال هذا لانه علم نبي الله انهم متى اسلموا
يحرم اموالهم مع دمائهم فاحب ان يؤتى به قبل ان يكون ذلك عليه لكن هذا محال بعيد وحش من القول
لا يحتمل ان يكون رغبة سليمان في الاموال هذا الذي ذكر بعدما رد هداياها اليها واخبر انكم تفرحون
بها لانكم اهل دنيا اذ رغبة اهل الدنيا في الاموال ونحن اهل الدين رغبتنا في الدين به نفرح وبتعجيل الدنية
في مالها وعرشها لكنه والله اعلم يخرج على وجهين احدهما انه اراد ان يريهم قوته وسلطانه ان يرفع واحد
من جنوده عرشها مع عظمه بمعاينة منهم ومشاهدة وحمله من بيتها ليعلموا ان من قدر على هذا القدر
ان ياتيهم بجنود لا طاقة لهم تصديقا لما قال فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ويقدر على قهر
هم وغلبتهم والثاني اراد ان يريهم اية من ايات نبوته اذا اتوه قبل ان ياتوني مسلمين ليعلموا انه
نبي ليس بملك وهذا لنا وبل الذي ذكرنا انه لكنه قبل ان ياتوهم ليعلموا انه نبي ليس بملك وقوله
قبل ان ياتوني مسلمين اى طائعين وذلك جائز في اللغة وقوله انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
قال بعضهم مقامه مجلسه الذي كان يقضي فيه الى ان يفرغ من قضائه حتى يؤتى به واني عليه لقوي
امين لان الجن اقوى من الانس من وصف نفسه بالامانة لان الجن لا يرغبون في الاموال ما يرغب الانس
وقال بعضهم امين على فرج تلك المراة مقامه مجلس الرجل يكون فيه حتى يقوم ولكن لا ندري
ما اراد بمقامه الذي ذكر وقال بعضهم اراد سليمان ان اعجل من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب ذكر انه
كان رجلا يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ثم اختلف

في يديه او طرفه قال بعضهم هو ان يبعث رسوله الى منتهى طرفه فلا يرجع حتى يؤتى به وقال بعضهم هو الرجل ينظر الى الشيء البعيد قبل ان يرجع اليه طرفه فلما راه مستقرا عنده قال بعضهم دخل في نفق الارض فخرج بين يدي سليمان يعني العرش كان ترى والله اعلم اتاه اذا دعاه بذلك الاسم من غير ان تكلف هو حمله او اتيانه ثم فهذا يدل ان الايات قد تجري على غير ايدي الرسل لكن تكون الاية للرسول وان كانت تجري على يدي غيرهم ثم قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر قال بعضهم والله ما جعله فخرا ولا اشرا ولا بطرا ولكنه جعله شكرا وتواضعا قال بعضهم لما دعا ذلك الرجل بذلك الاسم فراه مستقرا عنده وقع في قلب سليمان شيء وخطر بباله انى يكون رجل عنده علم ما ليس عنده من العلم قال فعزم الله له على الخير وقيل له انه من خول الله فقال سليمان هذا من فضل ربي يقول ما اعطى ذلك الرجل ما لم يعطني ليبلوني أأشكر اذ كان مثله تحت يدي ام اكفر لكن لا يحتمل ان يكون الله علما اعطى غيره ثم يحتمل قوله هذا من فضل ربي اتيانه اولئك سليمن او النبوة والعلم الذي اتاه الله قال ذلك من فضل ربي او اراد تسخير ما سخر له ليبلوني أأشكر ام اكفر اي ليمتحنني أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ليعلم انه انما يمتحن بالشكر ويأمره به لا لمنفعة ولكن لمنفعة الممتحن المأمور به وقوله فان ربي غني كريم غني عن شكره كريم يقبل القليل منه واليسير وقوله قال نكروا لها عرشها قال اهل التأويل نكروا اي غيروا لها عرشها كانه امر ان يغيروا بعض ما عليه من الزينة والنقصان ليمتحنها وتعرفوا انها عرشها ام لا والمنكر هو الذي لا يعرف كقوله قوم منكرون وقوله نكرهم واوجس منهم خيفة اي لم يعرفهم وقوله نكروا لها عرشها كان يجيء ان يقال نكروا عرشها ويكون لها زائدة الا ان ان يقال نكروا لها اي نكروا لاجلها عرشها وهذا يشبه ان يكون وقوله ننظر أتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون وقال اهل التأويل أتهتدي انه عرشها او لا تهتدي اليه وجائز ان يكون قوله ننظر أتهتدي الى دين الله وتوحيده ام تكون من الذين لا يهتدون الى دين الله وقوله فلما جاءت قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو قال بعضهم شبهت عليهم ولبست امره كما فعلوا هم بها من تغيير عرشها عليها وتلبيسه عليها لكن قولها كانه هو لم يقطع في القول لما رأت فيه من التغيير والتنكير ورأت فيه سرورها وتحقق فيه ودل قوله فلما جاءت قيل اهكذا عرشك ان العرش لم يحتمل وهي نائمة على ما قاله بعض اهل التأويل انه حمل دونها من قبل ثم جاءت بعد ذلك والله اعلم الا ترى انه لو امرهم ان يغيروا عرشها وهي عليه لم تتغير به هذا بعيد والله اعلم بذلك وقوله واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ان كان هذا القول من قبلها وكنا مسلمين ان كان هذا القول من سليمان فكأنه يقول قد اوتينا العلم من قبل علمها انه عرشها ولنا غنية عن السؤال لها عنه لكن سألنا لها ممتحنين عن ذلك ممتحنين لها وقوله وكنا مسلمين اي صرنا مسلمين جميعا وان يكون هذا صلة قوله ولقد اتينا داود وسليمان علما فهذا العلم الذي قال اوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين والا في الظاهر ليس هذا صلة ما تقدم من قوله قالت كانه هو والله اعلم وقوله وصدها ما كانت تعبد من دون الله قال بعضهم صدها عبادة الشمس والاصنام التي عبدوها دون الله عن الاسلام وعبادة الله وقال بعضهم وصدها سليمان عن عبادة ما كانت تعبد من دون الله لا تتركها انها اسلمت وقوله قيل لها ادخلي الصرح قال بعضهم الصرح صحن الدار وهو قول الزجاج وقال القتبي وابو عوسجة واكثر اهل التأويل الصرح هو القصر ثم لا ندري ما سبب بناء ذلك الصرح وما سبب امره اياها بالدخول فيه وكشفها عن ساقيها اما اهل التأويل فانهم قد اختلفوا في ذلك قال بعضهم قالت الجن لما اقبلت بلقيس لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب فلو اجتمع سليمان وهذه المرأة وما عندها من العلم هلكنا وكانت ام هذه المرأة جنية فقالوا تعالوا ننقصها ونكرهها الى سليمان فقالوا لسليمان ان رجلها مثل حافر الدواب لان امها كانت جنية فامر سليمان عند ذلك فبني له بيت من قوارير فوق الماء وارسل فيه السمك لتحسب انه ماء فتكشف عن رجليها فينظر سليمان اصدقت الجن ام كذبت فلما رأته حسبته الماء وكشفت عن ساقيها فنظر اليها سليمان فاذا هي احسن الناس قدمين وساقين فلما رأت الجن ان سليمان رأى ساقيها قالت الجن لا تكتفي عن ساقيها انه صرح ممرد من قوارير وقال بعضهم لا ولكن ذكر لسليمان ان على ساقيها شعرا وانهما شعراوان فامر بذلك ليعرف ذلك وقال بعضهم لا ولكن خافت الجن عند ذلك ان يتزوجها سليمان فتفشي اليه اشياء كانوا اطلعوها عليه واطلعوا اليها فارادوا ان يكرهوها اليه فطعنوها بعيوب في عقلها ونفسها فقالوا يا نبي الله ان نريك عقلها فان في عقلها شيئا فاجروه فتركوه لجة ثم جاؤوا بالسمك والضفادع فارسلوها في الماء ثم جيء بها الى ذلك الماء فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها فقالوا لسليمان ان في عقلها آفة الا ترى انها لا تعرف الصرح من الماء ولا تميز بينهما او نحو هذا من الكلام لكن لا نعلم ما سبب ذلك ولا يحتمل ان يكون سليمان يحتال هذه لينظر الى ساقيها وهي اجنبية ثم جائز ان يكون لغير ذلك اراد ان يفعل ذلك اراد ان يريها آية من آيات نبوته حيث اتخذ صرحا ممردا من قوارير للطافته وذلك خارج عن تدبير البشر لتعلم هي ان ذلك تدبير السماء لا تدبير البشر او ان يكون اراد بذلك والله اعلم ان يريها عظم ملكه وسلطانه لتعلم انه يفعل ما يشاء قادر على ذلك لا ينفعها سوى الطاعة له

والاجابة

والاجابة والخضوع لله وله فعند ذلك قالت رب اني ظلمت نفسي فيما عبدت دون الله واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اي اخلصت واسلمت نفسي لله رب العالمين قال القتبي عفريت اي شديد وثيق واصله العفر زيدت التاء فيه يقال عفريت نفريت وعفريت ونفريت وعفاريت نفاريت وقال ابو عوسجة العفريت الخبيث المارد وعفاريت جميع وقال صدها اي ردها ومنعها وقال الصرح القصر والصروح جميع ولجة الماء المجتمع الكثير وقال الممرد وهو المملس بالطين او بالجص او بما كان وقال غيره الممرد الطويل وقال القتبي ومن ذلك يقال الامرد للذي لا شعر على وجهه ويقال للرملة التي لا تنبت مرعى اي يقال الممرد المطول ومنه قيل لبعض الحصون مارد وقال الكسائي الممرد الاملس ويقال منه سمي الامرد امرد وقوله ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله يحتمل هذا لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وامرناه ان يقول لهم اعبدوا الله وجائز ان يكون قوله ان اعبدوا الله بالرسالة اي ارسلنا ليدعوهم الى عبادة الله وقوله اعبدوا الله يحتمل وحدوا الله ويحتمل العبادة نفسها ان اعبدوا الله ولا تشركوا غيره فيها ولا تشركوا في تسمية الالوهية غيره ولكن وحدوه فكيف ما كان ففيه امر بالتوحيد له في العبادة له والالوهية له وقوله فاذا هم فريقان يختصمون فريقان وهو مؤمن بصالح ومكذب به ولم يبين فيم كانت خصومتهم وبين من كانت في هذه الاية لكنه بين في اية اخرى وفسر وهو قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن امن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون هذه الخصومة التي ذكر في قوله فاذا هم فريقان يختصمون بين الرؤساء من الكفرة والمؤمنين بصالح والله اعلم وقوله يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اي لم تستعجلون قبل الرحمة واستعجالهم العذاب والسيئة ذكر في اية اخرى وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فذلك استعجالهم السيئة قبل الحسنة وقوله لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون اي لولا توحدون الله ولا تشركوا غيره في العبادة والتسمية الالهية لكي يرحمكم وفيه اطماع لهم لو امنوا وتابوا عنه لرحمهم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله قالوا اطيرنا بك وبمن معك اي تشاءمنا منك وبمن معك لم تزل الكفرة لرسل الله صلوات الله عليهم ولمن امن منهم اطيرنا بكم اذا اصابتهم الشدة والبلاء يتطيرون بهم ويتشاءمون ويقولون انما اصابنا هذا بشؤمكم واذا اصابهم رخاء وسعة فقالوا هذا لنا بنا ومن انفسنا وهو ما قال قوم موسى حيث قالوا فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الا ترى وكذلك قال اهل مكة لرسول الله حيث قال وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كانوا يتطيرون برسول الله ويتشاءمون بما يصيبهم من الشدة وما ينزل بهم من البلاء فاخبر الله رسوله وامره ان يقول لهم كل من عند الله اي الرخاء والشدة من عند الله ينزل وهو باعث ذلك لا انا فعلى ذلك قوله طائركم عند الله اي ما ينزل بكم ويصيبكم من الشدة والرخاء انما ينزل من عند الله لا بنا ولا بكم او يقال ما ينزل بكم من العذاب في الاخرة انما يصيبكم بتكذيبكم اياي في الدنيا او ان يقال طائركم عند الله اي جزاء طيركم عند الله هو يجزيكم بها بعذاب الدنيا والاخرة بل انتم قوم تفتنون يحتمل قوله بل انتم قوم تفتنون ابتلاء مرة بالشدة ومرة بالرخاء لا بما تكسبون من الاعمال وجائز ان قوله تفتنون بالعذاب بما تكسبون من الاعمال في الدنيا اي تعذبون بها قال ابو عوسجة طائركم عند الله يقول الله اعلم بطائركم وما يطير به قال القتبي طائركم عند الله اي ليس ذلك بي وانما هو من الله وهو ما ذكرنا وقوله وكان في المدينة تسعة رهط قال بعضهم الرهط انما يقال من ثلاثة الى تسعة واذا نقص عن ذلك او زاد يقال رجال وقال ابو عوسجة الرهط النفر والارهط والرهوط جميع ثم يحتمل الرهط وجهين احدهما تسعة رهط اي تسعة نفر من الاتباع وغيره يفسدون في الارض ولا يصلحون والثاني تسعة رهط لا تسعة نفر بين الرؤساء ولكل احد منهم رهط من الاتباع يفسدون في الارض ولا يصلحون جائز ان هذا اخبار من الله انهم يفسدون ابدا في الارض ولا يؤمنون ابدا وجائز ان يكون اخبارا عن حالهم اي يعملون الفساد والمعاصي ولا يصلحون اي لا يعملون بالصالح وقال ابن عباس ان هؤلاء التسعة كانوا من ابناء اشرافهم وكانوا اصحاب الجرة وكانوا خبثاء فقال بعضهم لبعض لنقتلن صالحا واهله ثم لنقولن لوليه اي لقومه من ورثته ما قتلناه وقوله لنبيتنه واهله ثم لنقولن ما شهدنا مهلك اهله فتحالفوا على ذلك فاتوا صالحا ليلا فدخلوا عليه بأسيافهم ليقتلوه وعند صالح ملائكة جاؤوا من الله تعالى يرجمونهم فقتلوا الرهط دار صالح بالحجارة فذلك قوله ومكروا مكرا بصالح واهله ومكرنا مكرا اي اهلكناهم وهم لا يشعرون انهم يهلكون وقال بعضهم هؤلاء التسعة الرهط تقاسموا انهم يبيتون صالحا ويقتلونه واهله بعد ما عقروا الناقة وقالوا فيما بينهم فان خوصمنا في ذلك لنقولن ولنقسمن ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا في هلاكهم على هذا التأويل يكون على التقديم والتاخير وقال

بعضهم هؤلاء التسعة كانوا اشرار قومه خرجوا نحو الى بعض المغار للخبر يوما ثم ليبيتوا على صالح واهله فشربوا
هنالك فما تدبهم الصخرة وعذبوا فيه فذلك قوله ومكروا بقتل صالح واهلاكه مكرا ومكرنا هم حيث اهلكناهم
مكرا وهم لا يشعرون والمكر هو الاخذ بغتة وقوله ومكروا مكرنا ومكرا اى جزيناهم جزاء مكرهم ثم اختلف
فى قراءة لنبيتنه واهله ثم لنقولن بالنون فذلك قول بعضهم لبعض وقراء بعضهم بالتاء لتبيتنه ثم لتقولن فذلك
قول الرؤساء للاتباع ومن قرأ بالياء يجعل خبرا عن الله تعالى لهم وقوله فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا اى لم تسكن
فيها احدا ولكن تركناها خالية كذلك وقال بعضهم خاوية اى خربة بما ظلموا كقوله وهى خاوية على عروشها
اى ساقطة خوية وقد كان ذلك كله منها ما حصل لغيرهم مسكنا اذا اهلكناهم من نحو ما اورث بنى اسرائيل ديار
القبط واموالهم وانزلهم فيها ومنها ما تركها كذلك خالية بعدما اهلك اهلها ونحوها وتركها كذلك وقوله
ان فى ذلك لاية اى فى هلاك من ذكر لاية وعبرة يعتبرون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون مخالفة الله ومخالفة
امره ونهيه وقوله ولوطا اذ قال لقومه كان فيه اضمار كانه قال ارسلنا لوطا الى قومه اذ قال لقومه اتأتون
الفاحشة وانتم تبصرون اى اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون وتعلمون انها فاحشة ائنكم لتأتون الرجال شهوة
اى اشتهاء لكم من دون النساء تقول نأتون الذكور وتدعون النساء وهو ما قال فى اية اخرى اتأتون الذكران
من العالمين الاية وقوله بل انتم قوم تجهلون قال بعضهم ولكن انتم قوم تجهلون الحجر فتقصون وتشبه الت
هذا جواب قول كان من قومه نحوما قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين فقال عند ذلك بل انتم قوم
تجهلون ما تقولون اى فى جهل ما تقولون ذلك او كلام نحوه والله اعلم وقوله فما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم قوله فما كان جواب قومه فى وقت الا ان قالوا كذا لا فى الاحوال كلها
كلها لانه قد كان منهم قول وجوابات نحو ما قالوا ائتنا بعذاب الله الاية ونحوه وقولهم انهم اناس
يتطهرون دل هذا منهم انهم قد علموا انما يأتون ويعملون انه خبيث وفحش ومنكر حيث قالوا انهم اناس
يتطهرون ثم يحتمل قولهم هذا وجوها احدها انهم قالوا ذلك استهزاء منهم بهم والثانى قالوا اخرجوا
ال لوط فانهم يستقذرون اعمالنا وافعالنا والثالث على التحقيق انهم اناس يتطهرون وقوله فانجيناه و
اهله الا امراته قدرناها من الغابرين فيه دلالة ان غير الزوجة يجوز ان يسمى اهلا قال عامة اهل التاويل
اهله بناته وقوله قدرناها من الغابرين ولا له خلق افعال العباد حيث اخبر انه قدرناها من الغابرين
اى الباقين فى عذاب الله فى حرف ابن مسعود ولقد وقينا اليه اهله كلهم الا عجوزا فى الغابرين وقوله
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين اى ساء مطر المنذرين الذين لم يقبلوا الانذار ولم تنفعهم النذارة
وقوله وقل الحمد لله امر نبيه بالحمد له والثناء عليه على هلاك اعداء الرسل الخالية ثم قال وسلام
على عباده الذين اصطفى وهم الرسل والانبياء صلوات الله عليهم وجائز ان يكون امره اياه بالحمد له و
الثناء عليه من انواع النعم منها ما ذكر واسن هلاك اعداء الرسل وابقاء اوليائهم نحو بقاء الاعداء
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهلكوا كما اهلك اعداء الرسل الخالية او ان يكون امره اياه بالحمد له
والثناء عليه لما انعم عليه فى نفسه من انواع من النبوة والرسالة والهداية ونحوه والله اعلم وقوله
وسلام على عباده الذين اصطفى يحتمل الرسل كقوله وسلام على المرسلين ويحتمل الامر بالسلام على اصحابه
وجميع المؤمنين كقوله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم امر رسوله بالسلام على
المرسلين وعلى اصحابه وعلى المؤمنين ثم فى قوله اصطفى دلالة ان لا احد يستوجب الصفوة الا
بالله حيث قال اصطفى وقوله الله خير اما يشركون اى الذى فعل هذا بالامم الخالية من الهلاك
للاعداء وابقاء الرسل والاولياء ام الاصنام التى تشركون فى عبادته وهى لا تملك شيئا من ذلك تقول
والله اعلم انكم تعلمون ان الله يملك ما ذكر من اهلاك اعدائه وابقاء رسله والاصنام التى تعبدونها دونه
لا تملك شيئا فكيف تشركون فى الوهية والله لم يذكر جواب قوله الله خير اما تشركون جوابا لانه تقول
بل الله خير وكذلك روى فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأ هذه الاية قال
بل الله خير وابقى واجل واكرم وقوله امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق
ذات بهجة يذكرهم بهذا وجهين احدها قدرته وسلطانه فى خلق ما ذكر من السموات والارض وانزل
الماء من السماء وانبات النبات من الارض واخراجه على اقرارهم ان الله خالق ذلك لا غيره فيقول
فاذ علمتم ان الله هو خالق ذلك كله فكيف اشركتم غيره من لا يملك ذلك ولا يقدر وتسمية الالهية و
العبادة والثانى يخبر عن اتساق الامور والتدبير فيهما جميعا واتصال منافع احدهما بالاخر على تباعد ما
بينهما ليعلم ان منشئهما ومدبرهما واحد لا عدد فاذ عرفتم ذلك فكيف اشركتم غيره فيها وهو كقوله لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وهذا الحوق على الثنوية والدهرية وهؤلاء لقولهم بالعدد وانكارهم الواحد
والاول على المقرين بالواحد الا انهم اشركوا الاصنام فى التسمية والعبادة وقوله حدائق ذات بهجة
قال بعضهم الحدائق الحيطان والبساتين ما دون الحيطان وقال بعضهم الحدائق الحوائط التى حصنت بالاشجار
والبساتين هى الملتفة بها وقال ابو عوسجة الحدائق البساتين والرياض والحديقة الروضة قال القتبى

حدائق البساتين واحدها حديقة سميت بذلك لانها تحدق بها اى يحظر ذات بهجة حسن المنظر وجائز
انها سميت ذات بهجة لما يبتهج صاحبها اذا نظر اليها ويسر وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اى
ما تقدرون انتم ان تنبتوا شجرها فمن هو دونكم اشد وابعد كيف اشركتم فى العبادة وتسمية من هو
دونكم فى كل شىء وقوله االه مع الله اى لا اله مع الله بل هم قوم يعدلون يحتمل هذا وجهين يحتمل
يعدلون اى يجعلون من لا يملك ما ذكر عدلا لله والثانى يعدلون عن الله ويميلون الى غيره من
العدول والله اعلم امن جعل الارض قرارا يقرون عليها ويعيشون فيها ويبيتون وجعل خلالها
انهارا ينتفعون بها انواع المنافع ويشربون وجعل لها رواسى اى الجبال لئلا تميد بهم وجعل بين
البحرين حاجزا قال بعضهم جعل بين بحر الفارس وبحر الروم جزيرة العرب حاجزا وسمى جزيرة لما خرب
الماء فيها اى ذهب وقال بعضهم بحر الشام وبحر العراق وقال بعضهم قوله وجعل بين البحرين حاجزا
بين العذاب والملح حاجزا بلطفه لا يختلط هذا بهذا لطفا منه يذكرهم نعمه عليهم ولطفه ان كيف اشركتم
فى عبادته والوهية من لا يملك ذلك وصرفتم شكرها الى غير المنعم االه مع الله اى لا اله مع الله بل اكثرهم
لا يعلمون لان من لا ينتفع بما يعلم فكانه جاهل فنفى عنهم العلم لانهم لا الانتفاع به كما نفى عنهم السمع والبصر
واللسان والعقل لانهم لا ينتفعون بهذه الجوارح والحواس وان كانت لهم هذه الجوارح فعلى ذلك جائز
نفى العلم عنهم لانهم لا ينتفعون به والثانى بل اكثرهم لا يعلمون لما لا يتكلفون النظر فيما ذكر ولا يعلمون
ان بينهما حاجزا والله اعلم وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض
يخرج على الصلة بقوله الله خير اما يشركون كانه يقول من يملك اجابة المضطر وكشف السوء عنه وجعلكم
الخلفاء فى الارض خير امن لا يملك من ذلك شيئا فجواب ذلك ان يقولوا بل الذى يملك ذلك خير ممن
لا يملك ولا يقدر ذلك او يخرج على الوجهين اللذين ذكرنا احدهما انكم تعلمون ان الذى يجيب المضطر
ويكشف السوء هو الله تعالى لا الاصنام التى تعبدونها فكيف اشركتموها فى الالهية والعبادة والثانى
انه اذا اجاب دعوة المضطر وكشف السوء والاخر ومنع فدل بقاء ذلك كله واتساق الامر انه
انه واحد لا شريك له فهذا على الثنوية والاول على المشركين غيره فى العبادة له وتسميه الالهية وقوله
االه مع الله اى لا اله مع الله قليلا ما تذكرون وعلى ذلك يخرج قوله امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته على الوجوه التى ذكرناها وكذلك قوله امن يبدأ الخلق ثم
يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض امن يقدر على ما تقدم ذكره يملك البعث بعد الموت واحياءه
يلزمهم البعث بهذا اى من يقدر ما ذكر االه مع الله اى لا اله مع الله بل الله هو المتفرد بذلك دون
من يعبدون ويشركون وقوله قل هاتوا برهانكم اى من حجة فى هذا وانكر ذلك ادعى الشرك تبعه
لغيره قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فى مقالتكم وقوله بشرا من البشارة ونشرا من النون من التفرق
والرفع وقوله خلفاء الارض يخلفون من قبلهم من الامم قال ابو معاذ وواحد الخلفاء خليفة وواحد
الخلائف خليفة والخليفة من الخالف كالعليم من العالم وقوله االه مع الله يقول والله اعلم يفعل ذلك
بكم يرزقكم وينزل لكم من السماء ماء وينبت من الارض ما تأكلون وترعى انعامكم او مع الله اله يهديكم
فى ظلمات البر والبحر ويرسل لكم الرياح بشرا ويجيب المضطر ويكشف السوء عنه وكل ما ذكر اى ليس معه
اله سواه بل الله يفعل ذلك كله بكم فكيف اشركتم غيره فى الالهية وعبادته على علم منكم ان الذى تعبدون
من دونه لا يملك شيئا ان يفعل ذلك بكم يذكر سفههم وقلة بصرهم ومعرفتهم ثم قال قل هاتوا برهانكم
ان كنتم ان مع الله اله فعل ذلك بكم ان كنتم صادقين ثم قال قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله
كانه قال والله اعلم لرسوله قل لا يعلم ممن تعبدون من اهل السموات ومن فى الارض الغيب الا الله لان
بعضهم كان يعبد اهل السموات وهم الملائكة وبعضهم كانوا يعبدون من فى الارض يقول لا يعلم ممن تعبدون
من دون الله من فى السموات والارض الغيب انما يعلم الغيب الله ثم قوله الغيب يخرج على وجهين احدهما
ما يغيب بعضهم من بعض يقول ما يغيب بعضهم من بعض فهو يعلم ذلك والثانى لا يعلم الغيب الا الله
اى ما كان وما يكون الى الابد الابد بين لا يعلم ذلك الا الله وان اعلموا وعلموا ذلك ومنهم من صرف
الغيب الى البعث اى البعث والساعة يقول لا يعلم الساعة احد متى يكون الا الله وقوله وما يشعرون
ايان يبعثون قال اهل التاويل وما يشعر اهل مكة متى يبعثون لكن لو كان الجهل عن وقت البعث لاهل
مكة وغيرهم من اهل السموات واهل الارض فى جهلهم بوقت البعث شرعا سواء لا احد يعلم من اهل
السموات والارض انه متى تبعث الا ان يكون الاية فى منكر البعث فحينئذ جائز صرفه الى بعض دون بعض
فاما فى وقت البعث فالناس فى جهلهم بوقت البعث سواء وهو ما قال فى اية اخرى يسألونك عن الساعة
ايان مرساها الاية اخبر انه لم يطلع احد على علم ذلك عند الله وقوله بل ادارك علمهم فى الاخرة بل هم
فى شك منها بل هم منها عمون اختلف فى قراءته وتاويله اما القراءة فانه قرأ بعضهم اداراك بالتشديد و
الالف وقرأ بعضهم ادرك باسقاط الالف والتشديد وقرأ بعضهم بلى باثبات الياء فى بلى وعلى الوقف

عليها وادرك على الاستفهام بلى ادرك ومنهم من قرأ على الاستفهام الاول على غير اثبات الياء في حرف
بلى وعلى غير قطع منه فمن قرأ اادرك بالتشديد على غير الاستفهام يقول معناه تدارك واجتمع اى تدارك
علمهم في الآخرة يقول ابلغ علمهم بالآخرة اى لم يدرك ولم يبلغ علمهم بل هم في شك منها بل هم منها
عمون لتيقنهم ويجهلهم يقول ما بلغ علمهم بالآخرة وقال بعضهم بل ادرك علمهم في الآخرة اى ام ادرك
علمهم وقال بعضهم ادرك علمهم في الآخرة اى غاب علمهم عن الآخرة وادرك في الآخرة حين لم ينفعهم وعن
الحسن قال بل ادرك علمهم اى اضمحل علمهم وذهب وعن ابن عباس وغيره قالوا بل ادرك علمهم في الآخرة بل
اجمع علمهم بان الآخرة كائنة وهم مشركو العرب بل هم في شك منها قال يقولون مرة الآخرة كائنة ثم
يشكون فيها فيقولون ما ندري اكائنة ام لا بل هم منها عمون يعني جهلة بها وجائز ان يبتلى الشان في شيء
عميا وابو عوسجة والقتبي يقولان اداركه علمهم اى تدارك ظنهم في الآخرة وتتابع بالقول بل هم
منها عمون اى من علمها وقال بعضهم من اهل الادب لا يستقيم قراءة من قرأ باثبات الياء في بلى والصلة بالاول
لان بلى بالياء انما يقال في الايجاب والاثبات وما تقدم من الكلام هو على الانكار والنفي وذلك غير مستقيم
في اللغة والكلام وقوله وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون كانهم قالوا ذلك لاحد
وجهين اما استهزاء بما يخبرهم الرسل انكم تبعثون او قالوا ذلك احتجاجا احتجوا به على الرسل بقولهم الذي
قالوا لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين يحتجون فيقولون لقد وعدنا
اباؤنا بالبعث كما وعدنا نحن ثم لم نرهم بعثوا منذ ماتوا فعلى ذلك نحن وان وعدنا فلو نبعث كما لم نبعث
اباؤنا ثم قال قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين يقول والله اعلم لو سرتم في الارض فنظرتم
الى ما حل بمكذبي الرسل من العذاب والرسل انما كانوا يدعون الى توحيد الله والاقرار بالبعث بعد الموت
فحل ذلك بهم نزل بهم ما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل بالبعث وغيره فيكون قوله سيروا في الارض ليس
على حقيقة الامر بالسير ولكن على ما ذكرنا اى لو سرتم لعرفتم ما حل بهم بتكذيبهم او ان يكون الامر بالسير
في الارض امرا بالتفكر فيما نزل باولئك الامر بالنظر في عاقبة امرهم امر بالاعتبار فيهم وفي امر
اولئك امر بهذا ليزجرهم ذلك عن مثل صنيعهم وفعلهم وقوله ولا تحزن عليهم قال قائلون قوله لا تحزن
عليهم بما يحل بهم من العذاب ان لم يجيبوا على انفسهم ولم يرحموها وقال بعضهم قوله ولا تحزن عليهم
ان لم يسلموا كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وكقوله لعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وامثال ذلك كادت نفسه تهلك وتتلف
اشفاقا عليهم بما ينزل بهم بتركهم الاسلام فقال ولا تحزن عليهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات
ليس على النهي ولكن على تسكين نفسه وتقريرها على ما هي عليه لئلا تتلف وتهلك وهو ما قال انك لا تهدي
من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين وقوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون هذا يحتمل وجهين
احدهما لا تكن في ضيق مما يستهزئون بك ويسخرون بما توعدهم من العذاب والهلاك الا ترى انهم قالوا
على اثر ذلك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قالوا ذلك له استهزاء بما يوعدهم فكانه قال لرسوله لا تكن
في ضيق مما يستهزئون بما توعدهم فان الله يجزيهم جزاء استهزائهم بك والثاني لا تكن في ضيق مما يمكرون
ولا يمون قتلك فان الله يحفظك ويحوطك فلا يصلون اليك بما يريدون من قتلك واهلاكك وهو كما قال
والله يعصمك من الناس ومنه دلالة اثبات رسالته حيث امنه واخبره انه يحفظه ويعصمه من جميع
الاعداء وهو بين اظهرهم فذلك آية من آيات النبوة والرسالة والله اعلم وقوله ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قد ذكرنا انهم انما يقولون ذلك استهزاء وتكذيبا بما كان يوعدهم من العذاب بتكذيبهم
اياه لانه كان يوعدهم مرة بعذاب ينزل بهم في الدنيا كما نزل باوائلهم بتكذيبهم الرسل ومرة يوعدهم
بعذاب ينزل بهم في الآخرة فيكذبونه في ذلك كله ويستهزئون به ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
وكذلك قال اوائلهم لرسلهم فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ثم قال قل عسى ان يكون
ردف لكم بعض الذي تستعجلون هذا يحتمل وجهين احدهما قوله ردف لكم بعد هذه الحال وبعد هذا
القول الذي قالوا بعض الذي تستعجلون اى ينزل بكم بعد هذه الحال بعض الذي تستعجلون وهو العذاب
وقوله ردف لكم بدنو منكم ويقرب والثاني عسى ان يكون ردف لكم بعد الحزن والمكروه الذي يحل
بكم بالموت بعض الذي تستعجلون وهو عذاب القبر لانهم وقت الموت يحزنون ويكرهون لما شاهدوا
وعاينوا من حالهم ولذلك يسألون ربهم الرجوع والرد الى المحنة ثانيا نحو قوله رب ارجعون وقوله
او نرد فنعمل ونحوه وقوله وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون يحتمل قوله ذو
فضل على الناس وجوها احدها ذو فضل في تاخير العذاب عنهم ولكن اكثرهم لا يشكرون ذلك الفضل
ولكن يستعجلون والثاني ذو فضل على الناس في دينهم في بعثه وارساله اليهم من يرحمهم ويبصرهم عما
يستوجبون من عذاب الله ونقمته وهو الرسول لكنهم لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه بل يعاندونه
ويكابرونه او لذو فضل على الناس فيما انعم عليهم في اموالهم وانفسهم لكنهم لا يشكرون في ذلك

بل يعترفون

بل يصرفون شكره الى غير المنعم والله اعلم وقوله وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون قوله تكن
صدورهم يحتمل وجهين احدهما ما تكنون انتم في صدوركم وتسترون فيها وما تعلنون اى ما تبدون وتظهرون
فيها يعلم ذلك كله او ما تكن صدورهم اى ما تخفي بفعل الصدور وتستر فيها وما تعلنون وما يحمل الصدور
اصحابها على ابداء ما فيها واظهاره وهو ما ذكر في الخبر حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في
الانسان مضغة اذا صلحت صلح جميع بدنه وهو القلب والله اعلم وقوله وما من غائبة في السماء والارض
الا في كتاب مبين هذا يخرج على وجهين ايضا احدهما ما من غائبة في السماء والارض مما كان ويكون ابد
الابدين الا كان ذلك مثبتا في كتاب مبين يخبر انه كان لم يزل عالما بما كان منهم ابد الابدين وانه عالم
على بافعالهم وصنيعهم خلقهم وانشاهم لا عن جهل وغفلة والثاني وما من غائبة في السماء والارض
اى ما من ما يغيب عن الخلق ما يغيب بعضهم من بعض ويستر بعضهم بعضا الا كان ذلك في كتاب مبين
الا كان ذلك عند الله محفوظا مرقوما عليهم ليكونوا على حذر يقول ان ما يغيب بعضهم من بعض
فهو عند الله محفوظ رقيب لا يغيب عنه شيء كقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والله
الموفق قال بعضهم في قوله عسى ان يكون ردف لكم اى عجل لكم وقوله ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون مقطوع من قوله ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل كانه قال
يقص على بني اسرائيل اى يبين لهم ثم قال على الاستئناف اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال
بعضهم لا ولكن هو موصول بعضه ببعض ان هذا القرآن يقص اى يبين على بني اسرائيل اكثر ما اختلفوا فيه
فان كان على ما يقول هذا فهم بانفسهم يتبينون الاختلاف فالذي هم فيه يحتاج الى ان يبين القرآن
الذي هم فيه يختلفون لانهم يتبينون ما اختلفوا فيه ولكن تاويله والله اعلم ان هذا القرآن يبين لهم
الحكم في اكثر ما يختلفون او يبين لهم الحق في اكثر ما يختلفون فيه وفي ظاهر الآية انه يبين لهم اكثر
الذي هم فيه يختلفون انه قد بقي شيء مما اختلفوا فيه لم يبين لهم حيث قال اكثر الذي هم فيه يختلفون
لكن قوله اكثر الذي هم فيه يختلفون اى يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم يبين لهم ما فيه دليل
القرآن او يبين لهم ما فيه نص القرآن ولم يبين ما فيه سنة القرآن ونحوه والله اعلم وقوله وانه اى
القرآن الذي ذكر لهدى ورحمة اى هدى ورحمة اى هدى من الضلال لمن اتبعه في الدنيا وعمل به
ورحمة في دفع العذاب عنهم في الآخرة فيكون هو هدى ورحمة لمن آمن به وقوله ان ربك يقضي بينهم
بحكمه حكمه هو عدله كانه يقول ان ربك يقضي بينهم بعدله لا يجوز ولا يظلم في الحكم والقضاء وهو
العزيز الذي لا يعجزه شيء العليم الذي لا يخفى عليه شيء عن نبذ انه عالم بذاته وقوله فتوكل على الله
اى توكل على الله واعتمد عليه ولا تخف مكرهم وما يريدون ويقصدون ان يكيدوا بك كقوله والله
يعصمك من الناس وقوله انك على الحق المبين لان معك حججا وبراهين ليس مع اولئك حجج وبراهين وان
كان كل منهم يقول انا على الحق فانت على الحق المبين لانهم لان معك حجج وبراهين والذي انت عليه حق و
ان الذي هم عليه باطل ليس بحق وقوله انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
قال بعض اهل التاويل بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى يوم بدر يا فلان ويا فلان وهم
قتلى بعد ما امر ان يجمعوا في قليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا الم تكذبوا نبيكم وتكفروا بربكم وتقطعوا
ارحامكم فانزل الله تعالى هذه الآية انك لا تسمع الموتى لكن عندنا ان الله تعالى سمى الكافر ميتا في غير آي
من القرآن لما لم يجهدوا انفسهم في عبادة الله ولا استعملوها في طاعته فهم كالموتى وسماهم صما لما لم
يسمعوا الحق ولم يقبلوه وسماهم بكما لما لم ينطقوا بالحق ولا تكلموا به وسماهم عميا لما لم يبصروا الحق وسماهم
موتى لم يستعملوا ابدانهم في الحق فنفى عنهم هذه الحواس لما لم ينتفعوا بهذه الحواس ولا استعملوها فيما انشأ
وخلقت وان كانت لهم هذه الحواس فعلى ذلك سماهم صما وبكما وفي موضع آخر شبههم بالانعام
واخبر انهم اضل لما لم يستعملوا انفسهم فيما انشأت هي له ولم ينتفعوا بها فان قيل ما معنى قوله ولا تسمع
الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين اخبر انه لا يقدر على ان يسمع الصم اذا ولوا مدبرين ولا يقدر ان
يسمع الصم وان ماتوا مقبلين ولم يولوا قيل معناه والله اعلم انهم صاروا صما لا ينتفعون بما سمعوا لاعر
اضهم وترك امكان النظر فيه ولو اقبلوا اليه لا نتفعوا به فيصير سمعا لهم يخبر عن شدة تعنتهم ومكا
برتهم انهم كالصم المدبرين لا يمكن اسماعهم بحال ولا تفهيمهم وان جهدوا اما الصم المقبلون
فانهم قد يمكن اسماعهم وتفهيمهم بجهد بالاشارة والاكباد والله اعلم بذلك وقوله وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم وفي بعض القراءات وما انت تهدي العمي عن ضلالتهم هذا يدل ان ليس كل الهدى
البيان على ما قالت المعتزلة لانه لو كان الهدى كله بيانا في جميع المواضع على ما قالوهم لكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقدر ان يبين للكفار عن ضلالتهم وقد بين لهم ثم اخبر رسوله وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم فدل هذا ان عند الله هداية لطفا اذا سألوه وطلبوا منه ذلك لاعطاهم
لاهتدوا به وآمنوا فهذا ينقض على المعتزلة قولهم وقوله ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون

اى ما تسمع الا اهل الايمان بالايات واهل الاسلام منهم فاما اهل العناد والمكابرة فلا وقوله واذا
وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض قال بعضهم قوله واذا وقع القول عليهم اى اذا وقعت الحجة
عليهم ولزمت فكذبوها اخرجنا لهم دابة وقال بعضهم واذا وقعت السخطة والغضب عليهم اخرجنا لهم
دابة وقوله وقال قائلون اذا وقع القول عليهم اى اذا بلغوا فى الكفر حدا يعلم الله انهم لا يؤمنون
ابدا بعد ذلك اخرجنا لهم دابة لكن قد ذكرنا فى غير موضع ان هذا لا يصح ولا يجوز اذ الله عز وجل
لم يزل عالما بما كان ويكون منهم ابدا لا يحدث له علم بما يكون منهم اذا بلغوا ذلك الحد بل
لم يزل عالما بما يكون منهم وهذا الحرف الذى يقول هذا القائل يومى الى انه انما يعلم ذلك منهم اذا بلغوا
ذلك الحد وقبل ذلك لا فهو قبيح وقول من قال اذا وقعت الحجة عليهم فهو لا يحتمل ايضا لان الحجة قد كانت
قامت قبل ذلك الوقت وليست تقوم الحجة عليهم فى ذلك الوقت فيكون التاويل احد وجهين احدهما
ما ذكرنا من وقوع العذاب و وجوب العقوبة والسخطة عليهم كقوله اولئك الذين حق عليهم القول
اى العذاب وجب عليهم والثانى اى واذا اتى وقت خروج الدابة التى وعدنا لهم انها تخرج اخرجنا لهم
فى ذلك الوقت اى لا يتقدم خروجها عن الوقت الموعود ولا يتاخر كقوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون وهكذا كل شىء جعل الله لظهور ذلك وكونه وقتا لا يتقدم ولا يتاخر ذلك
الوقت هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية وقوله تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون
قراءة العامة بالتشديد تكلمهم من التكليم والتحديث وكذلك فى بعض الحروف تحدثهم وتنبئهم وقد قرئ
تكلمهم بالتخفيف وهو من الجراحة وهو ما ذكر فى الاخبار والقصص ان الدابة اذا خرجت تخرج الكافر و
تسمه بسمة وعلامة حتى يعرف الكافر من المؤمن فيقال يا مؤمن ويا كافر وسئل ابن عباس عن ذلك وقال
تكلم المؤمن وتحدثه وتجرح الكافر والله اعلم ثم اختلف فى قوله ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اختلف
فى تلاوته وتاويله ان الناس بنصب الالف وان الناس بكسرها فمن قرأ بالنصب ان الناس جعل ذلك القول
من الدابة ثم يخرج على وجهين احدهما يقول الدابة ان الناس كانوا بى وبخروجى للموعد لا يوقنون
انى اخرج فها انا ذا خرجت والثانى انها تخبر عن الله وتنبئ ان الناس كانوا بالدابة وبغيرها من الايات
لا يوقنون ومن قرأ بالخفض ان يجعل ذلك القول من الله ابتداء اخبار انهم كانوا لا يزالون لا يوقنون
وفى خروج الدابة اعظم ايات فى اثبات رسالة رسول الله وتوثر لانه اخبر انها تخرج فى وقت كذا فتخرج
على ما اخبر فى ذلك الوقت على الوصف الذى وصف فدل لهم على صدقه وقوله ويوم نحشر من كل امة
فوجا ممن يكذب باياتنا يجمع القادة منهم والاتباع والمتبوعون فيساقون الى النار جميعا كقوله احشروا
الذين ظلموا وازواجهم الاية وكقوله وسيق الذين كفروا الاية وكقوله ويوم يحشر اعداء الله الى
النار فهم يوزعون قال اهل التاويل يوزعون اى يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا وقد ذكرنا الوزع
فيما تقدم وما قيل فيه وقوله حتى اذا جاءوا اى حتى اذا جاءوا واجتمعوا يعنى الكفار قال لهم
اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما يحتمل ولم تحيطوا بها علما اى فقد احطتم بها ايات لكن كذبتم وانكرتم
انها ايات عنادا ومكابرة اذ يجوز ان يتكلم بالنفى على اثبات ضده كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات
ولا فى الارض اى نعلم بضد ذلك وبخلاف ما يقولون انتم وذلك جائز فى القران كثير وان يكون قوله ولم
تحيطوا بها علما لما لم يتفكروا ولم فيها ينظروا اليها نظر التعظيم والاجلال لكى تعرفوا واحطتم بها علما انها
ايات والا لو كان التاويل على ظاهر ما ذكر لكان لهم عذر فى تكذيبها اذا لم يحيطوا بها علما اذ من لم
يحط العلم بالشىء فله عذر الرد وترك القبول لكن يخرج على الوجهين اللذين ذكرتهما والله اعلم ثم
قال اماذا كنتم تعملون فى تكذيب الايات والاعمال التى عملوها بلا حجة ولا برهان ووقع القول عليهم
اى وجب القول بالعذاب ووقع ما وعدوا من العذاب بما ظلموا حيث قال لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين ونحوه وقوله فهم لا ينطقون اى لا ينطقون بالحجة مما يكون لهم به عذر وقوله
الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لايات اى فى الليل والنهار لايات تقوم
ثم الايات التى ذكر فيهما تكون من وجوه احدها دلالة وحدانيته ودلالة علمه وتدبيره وحكمته
ودلالة كرمه وجوده ودلالة قدرته وسلطانه ودلالة القدرة على البعث والاحياء بعد ما
صاروا رمادا ترابا اما دلالة كرمه وجوده وما جعل لهم فى الليل والنهار منافع تدوم ما دام امرهم
ثم تلك المنافع تكون من وجهين احدهما جعل النهار للتقلب فيه والتصرف لمعاشهم وما به قوام
دنياهم وجعل الليل راحة لهم وسكونا ولو جعلهما جميعا للتقلب ما قام به معاشهم وما به قوام
انفسهم وابدانهم ابدا لانه لا يلتام ذلك الا بالراحة ولو جعلهما جميعا للراحة لم يتم امر معاشهم
فمن رحمته وفضله جعل احدهما للراحة والاخر للتقلب وهو ما ذكر فى اية اخرى ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله والثانى من النعمة التى ذكر انه جعل الذى للتقلب
انما جعل ذلك للكل لا للبعض دون البعض وللذلك الذى هو مجعول للراحة والقران انما جعله

كذلك

كذلك للكل لا لقوم ولو جعل كذلك لكان لا تقوم امر معاشهم ولا ما به يقوم ابدانهم وانفسهم ولكن من
رحمته وفضله جعل المجعول وتمنا للراحة للكل لبعض دون بعض وكذلك المجعول للقلب ليظفر المشترى
بالبائع والبائع بالمشترى ليلتئم امر معاشهم ودنياهم واما دلالة وحدانيته ما جعل منافع احدهما
متصلة بالاخر لا يقوم احدهما الا بالاخر على اختلاف جوهرهما ليعلم ان مدبرهما ومنشئهما
واحد اذ لو كان عددا لكان ما اراد هذا ايصاله منع الاخر فاذ لم يكن ولكن جريا على سنن واحد و
اتساق واحد دل انه تدبير واحد لا عدد ودلالة علمه وحكمته انهما منذ كانا كانا على ميزان
واحد وعلى تقدير واحد من غير تغير وتبدل يقع فيهما دل ان لمنشئهما علما ذاتيا وحكمة ذاتية لا
علما مكتسبا مستفادا كعلم الخلق واما دلالة القدرة والسلطان لانهما يقهران الخلق كله من الجبابرة
والفراعنة شاؤا وابوا حتى اذا اراد واحد منهم فى منع احدهما او ينقص من الاخر لم يقدر عليه اولو
اجتمعوا جميعا على دفعهما او دفع احدهما دون الاخر لم يقدروا عليه دل ان لمنشئهما قدرة وسلطانا
اذ من قدر على انشاء هذا لا يعجزه شىء ودلالة القدرة على البعث لانه يتلف احدهما ويذهب
به حتى لا يبقى اثره ثم يأتى بالاخر على تقدير الاول فمن قدر على انشاء هذا بعد ذهاب الاخر بكليته
وذهاب اثره لقادر على انشاء الخلق بعد فنائهم وهلاكهم وانه لا يعجزه شىء ثم لما جعل هذا ما ذكرنا
وخلق ما خلق من المنافع التى ذكرنا لهذا العالم خلق هذا العالم للمحنة بامرهم ونهيهم وجعل لهم عاقبة
فيها يثاب من اطاعه ويعاقب من عصاه اذ لو لم يكن عاقبة لكان خلقهم عبثا لا حكمة فيه لان من بنى
بناء للفناء والنقض خاصة لا لعاقبة يأمل نفعه كان بناؤه عبثا غير حكمة فعلى ذلك خلق الخلق لا
لعاقبة تقصد عبث ليس بحكمة والايات لمن امن بها وصدق فاما من لم يؤمن وكذب بها فهى ايات
عليهم لا لهم وقوله ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض اختلف فى النفخ ما هو
وفى عدده واختلف فى الصور ايضا ما هو وكيف هو اما الاختلاف فى النفخ فمنهم من يقول ليس على حقيقة
النفخ ولكن اخبار عن خفة قيام القيامة على الله اخبر بالنفخ عنها لانه اخف شىء على الخلق واهونه
فاخبر به عنها وهو ما قال وما امر الساعة الا كلمح البصر شبه امرها بلمح البصر لما ليس شىء اخف على المرء
من لمح البصر فعلى ذلك ذكر النفخ عند قيامها لخفته على الخلق ومنهم من يقول ذكر النفخ لسرعة نفاذ
الساعة اذ ليس شىء اسرع نفاذا من النفخ وهو ما قال الا صيحة والا رجفة ذكر ذلك وشبهها بالصيحة
والرجفة لسرعة نفاذها اى ليس شىء اسرع نفاذا من الصيحة والرجفة فيقول ليس على حقيقة النفخ
ولكن اخبار عن خفتها على الله او سرعة نفاذها على ما ذكرنا وهو ما قال فنفخنا فيه من روحنا ليس انه
ينفخ فيه نفخا ولكن يجعل كانه قال وجعلنا فيه من روحنا ومنهم من يقول على حقيقة النفخ فان كان
على هذا فهو ان يمتحن الملك من غير ان يقع له الحاجة الى ذلك نحو ما امتحن الكرام الكاتبين بكتابة
اعمال الخلق وافعالهم من غير وقوع الحاجة اليه لكن امتحانا منه ملائكته بذلك او ان يكونوا احذر لانه
هو عالم بما كان وبما يكون كيف يكون ومتى يكون واى شىء يكون واما اختلافهم فى عدد النفخ قال
قائل انه واحد يحتج بقوله الا صيحة واحدة ومنهم من يقول بالنفختين يحتج بقوله يوم بيان
ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فترا خبر انه يردف الاولى غيرها ويحتج بقوله ايضا ونفخ فى الصور فصعق
من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى ومنهم من يقول بالنفخات الثلاث
يقول الاولى للفزع والثانية للصعق على ما ذكرنا فى الاية والثالثة للاحياء ومنهم من يقول بالثلاث
الا انه يجعل ذلك كله بعد الموت احدها للفزع فى القبور والثانية للاحياء فيها والثالثة للاخراج
منها والنشر ويقول هذا القائل بعذاب اهل القبر من النفخة الثانية الى النفخة الثالثة وعلى ذلك
رويت اخبار فى ذلك فان ثبت فهو ذاك والا نقف فيه واما اختلافهم فى الصور قال قائلون
ينفخ فى الخلق والصور جمع صورة قال الزجاج لا يحتمل هذا لان الصور على سكون الواو وليس هو من
المراد الصور ولا من جمعها لان الفرد هو صورة بالهاء وجمع الصورة صور بتحريك الواو وعلى ما ذكر
فى الاية فاحسن صوركم ومنهم من يقول هو قرن ينفخ فيه كقرن كذا او بوق كبوق كذا لكنا لا
نفسر شيئا مما ذكر من النفخ والصور انه كذا ولا نشير الى شىء انه ذا الا ان ثبت شىء من التفسير
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال به وليس هو بشىء يوجب العمل به فنتكلف صحته وتحقيقه
انما هو شىء يجب التصديق به فنقول بالنفخ والصور على ما جاء ولا نفسره والله اعلم وقوله ففزع
من فى السموات ومن فى الارض وقال فى اية اخرى فصعق من فى السموات ومن فى الارض انما هو اخبار
عن شدة هول ذلك اليوم كقوله وترى الناس سكارى الاية وكقوله تعالى يوم ترونها تذهل
كل مرضعة عما ارضعت ونحوه وقوله الا من شاء الله هم الشهداء فى الارض وعلى ذلك روى فى بعض
الحديث انه قال ما اعطى ادمى بعد النبوة افضل من الشهادة لا يسمع الشهيد الفزع يوم القيمة الاكبر
كرجل قال لصاحبه اتسمع قال اسمع كتاب الصلوة وقال بعضهم هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك

الموت وقال بعضهم هم الانبياء والرسل لكن لا نقول نحو ان اهل الشام كذا ولا نشير الى احد لانا لا نعلم
ذلك الا ان ثبت فى ذلك خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول به وجائز ان يكون الذين استثنا هم
عن الذين اخبر عنهم فى اخر الاية انهم يكونون امنين من فزع ذلك اليوم وهو ما قال من جاء بالحسنة
فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون وقوله وكل اتوه ترى بالمد اتوه ونظوبله مضمومة التاء فيه
على مثال فاعلوه وهو جمع ات الا ان الرحمن عبدا واتوه جمع اتا وهو من سبا نون وقرا بعضهم وقرأ
بعضهم بقصر الالف ونصب التاء على الاتيان فلا توه وقوله داخرين قيل صاغرين ذليلين دخر اى ذل
وقوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب قال بعضهم وهى تمر مركدا لكثرتها وازدحامها
يرى الناظر اليها ويحسبها كانها جامدة وكذلك العسكر العظيم يحسب الناظر اليه كانه ساكن جامد
لكثرتهم وازدحامهم فعلى ذلك الجبال وقال بعضهم لا ولكن لشدة ذلك اليوم وهوله وفزعه على الناس
يحسبونها كانها جامدة وهى تمر مر السحاب وهو ما ذكر وترى الناس سكارى وما هم بسكارى الاية لشدة ذلك
اليوم وفزعه وقال بعضهم لا ولكن الجبال لهول ذلك اليوم وفزعه تمر مر السحاب وسيره كقوله وتكون
الجبال كالعهن المنفوش واصله انما يذكر هذا وما تقدم من هول ذلك اليوم وشدته على الخلق ليتعظوا
او ينزجروا وقوله صنع الله الذى اتقن كل شيء قال بعضهم اتقن احكم وابرم وقال بعضهم اتقن اى
احسن كل شيء قال بعض المعتزلة كيف يكون الكفر حسنا وهو قبيح لانه شتم رب العالمين ولا يجوز
ان يقال الله خلق شتم نفسه واحسن شتم نفسه او احسن كفر الكافر وغير ذلك من الخرافات فيقال
لهم لا يقول احد انه خلق الكفر واحسنه او احسن شتم نفسه على هذا الاطلاق من قال ذلك فهو كافر
ولكن نقول فعل الكفر من الكافر قبيحا وخلق فعل المعصية من العاصى قبيحا لكنه من حيث خلقه ذلك وجعله حجة
عليه حسنا متقنا محكما وان كان ذلك الفعل منه قبيحا باطلا سفها جورا اعنى من الكافر الا يرى ان من
تكلف ان يعرف فعل الكفر منه سفها وجورا كان غير مذموم لانه تكلف ان يعرف ما هو سفه فى الحقيقة
سفها ويعرف ما هو حق حقا فهو من هذا الوجه عارف حق وحكمة لان الحكمة توجب ان يعرف كل شيء
على ما هو فى نفسه حقيقة فعلى ذلك خلق فعل الكفر من الكافر على الوجه الذى ذكرنا هو حسن متقن
محكم وان كان من حيث فعل الكافر قبيحا سفها باطلا وهذا كما يضاف على الاطلاق انه رب كل شيء وخالق
كل شيء ولا نقول يا خالق الانجاس ويا رب الاقذار ونحوه وان كان هذا داخلا فى الجملة انه خالقها
وربها لانه على الاطلاق يخرج المدح له والثناء على التخصيص يخرج الذم له فعلى ذلك الاول وقوله صنع الله
الذى اتقن كل شيء على اثر وصف الجبال بما وصف من انتقاضها وافسادها واخراجها عن الصفة التى
انشأها الى ما ذكر لم يخرج من الاتقان والاحكام والابرام ليعلم ان ليس فى افساد الشيء خروج عن
الاتقان اذا كان ذلك محكمه والله اعلم وقوله انه خبير بما تفعلون وعيد لهم وقوله من جاء بالحسنة
قالوا جميعا الحسنة ههنا التوحيد والايمان وقوله فله خير منها قيل فيه بوجوه احدها من جاء
بالتوحيد توحيد ربه البعث فله خير منها ومجيئه ربه بالتوحيد اذا ختم به فله ما ذكر شرط
المجيء به ولم يقل من عمل بالحسنة فله كذا لان الرجل قد يعمل بالحسنات ثم يفسدها ويبطلها فلا
فلا يثاب بها عليها ليعلم ان ما ينتفع بالحسنات فى الاخرة الحسنة التى ختم بها عليها وجاء بها ربه
وقال بعضهم قوله فله خير منها اى ما يعطى فى الاخرة له من الثواب والثواب والجزاء انما يكون
من الحسنة التى كانت منه فى الدنيا منها يكون له جميع الخيرات فى الاخرة وقال بعضهم فله خير منها
اى الذى اعطى له فى الاخرة من الخيرات خير مما ترك فى الدنيا من النعم وصبر عليها فذلك خير مما ترك
كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم كذا وقال بعضهم فله خير منها اى رؤية
الرب ولقاؤه خير مما اعطى غيرها من الخيرات على ما يكون فى الدنيا رؤية الملك ولقاؤه على الرعية
اعظم وافضل عندهم من غيره من الكرامات وان عظمت وجلت وقال بعضهم ذلك الثواب والجزاء
فى الاخرة خير مما عملوا به من الخيرات فى الدنيا لان الثواب وجوبه الفضل والرحمة لا لا ستيجاب
والا ستحقاق اذ فى الحكمة والعقل وجوب العمل وليس فيهما وجوب الثواب فما هو سبيله فضل
الله خير مما هو غيره لكنه عورض بان كل ما كان سبيل وجوبه الحكمة والعقل خير مما كان سبيل
وجوبه الافضال اذ ما كان سبيل وجوبه بالحكمة والعقل لا يسع تركه وما كان وجوبه الافضال له تركه
لكنه قال ان قوله فله خير منها اى فى طباعكم ووهمكم ذلك الثواب خير من ذلك لانه فى الحقيقة خير
وهو كقوله وهو اهون عليه اى فى طباعكم وعندكم ان اعادة الشيء اهون من ابتدائه اذ ليس شيء
اهون على الله من شيء ولكن عندكم ان اعادة الشيء اهون من ابتدائه فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله
وهم من فزع يومئذ امنون اخبر انهم اذا وافوا ربهم بالتوحيد يكونون امنين من فزع ذلك اليوم وهوله
وقوله ومن جاء بالسيئة اى بالشرك فكبت وجوههم فى النار المنكب على الوجه هو الملقى على الوجه كقوله
يوم تقلب وجوههم فى النار وقوله هل تجزون الا ما كنتم تعملون اى ما تجزون الا بما عملكم وقوله انما

امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وقوله حرمها يحتمل وجهين يحتمل حرمها اى منعها من الاستيلاء
والاحتطاف فيها كقوله وحرمنا عليه المراضع ليس على التحريم حتى لا يحل له ذلك ولكن على المنع والحظر
منعنا منه المراضع والثانى على التحريم نفسه وهو ما جعل فى كل حد من الكافر والمسلم فى الجاهلية والاسلام
حرمة ذلك المكان حتى لا يتناول احد من صيد تلك البقعة ومن شجرها وحشيشها والله اعلم وقوله
وامرت ان اكون من المسلمين وان اتلو القرآن ايضا عليكم كانهم اوعدوه بوعيد وخوفوه به وطلبوا منه
الموافقة لهم فقال عند ذلك لهم انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة وهو رب كل شيء اى امرت
ان اكون عبدا لله لا اجعل نفسى عبدا لغيره وامرت ايضا ان اجعل نفسى سالما لله لا اجعل لاحد فيها شركا
كما جعلتم انتم ايضا بذلك كله وامرت ايضا ان اتلو القرآن عليكم فانا اتلوه عليكم كذبتمونى او لم تكذبونى
فانى لا اخاف كيدكم ولا مكركم والله اعلم وفى قوله انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى
حرمها دلالة لزوم الرسالة لان اهل مكة وغيرهم قد اقروا جميعا بحرمة تلك البقعة من اوائلهم
واواخرهم لما عرفوا ذلك الا بالرسل دل ان اوائلهم يقرون بالرسالة والنبوة فعلى ذلك يلزم هؤلاء
الاقرار بها والله اعلم وقوله فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه يخبر ان من امن وقبل الهدى فانما يفعل
ذلك لمنفعة نفسه ومن ضل ايضا فانما يكون ضرورة عليه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
وقوله فقل انما انا من المنذرين اى ليس على الا الانذار فاما غير ذلك فذلك عليكم كقوله فان تولوا
فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله
وقل الحمد لله سيريكم اياته هذا يحتمل وجهين احدهما سيريهم ايات وحدانيته وربوبيته وايات رسالته
وقوله فتعرفونها اى بالايات ما ذكر كقوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم والثانى سيريهم
ما وعد لهم من النصر والمعونة ليعرفوه عيانا على ما عرفوه خبرا وقوله وما ربك بغافل عما تعملون
قال بعضهم هذا الحرف توبيخ للظالم وتعيير وزجر وتعزية للمظلوم وتسل له وقال بعضهم هذا
الحرف ترغيب وترهيب قال القتبى قوله ردف لكم اى تبعكم واللام زائدة كانه قال ردفكم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل طسم تلك ايات الكتاب المبين قد ذكرنا تاويل هذا فيما تقدم فى غير
موضع ما يغنى ذكره فى هذا الموضع وقوله نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق من نبإ موسى وفرعون
اى من خبرهما وقوله بالحق اى بالصدق ما يعلم انه صدق وحق وجائز ان يكون قوله بالحق اى بالحق
الذى لموسى على فرعون وقومه او بالحق الذى لله عليه والله اعلم وقوله لقوم يؤمنون يحتمل وجهين
احدهما نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون للمؤمنين لانهم هم المنتفعون بالانباء وما فيها واما
من لا يؤمن فلا ينتفع بها فلا يكون والثانى لقوم يؤمنون بالانباء والكتب المتقدمة هم يعرفون
انه حق لما فى كتبهم ذلك والله اعلم وقوله ان فرعون علا فى الارض قال بعضهم تجبروا واستكبروا بى
ان يخضع لموسى ولا مثاله وقال بعضهم علا فى الارض اى بغى وقهر فيكون تفسيره ما ذكر على اثره
ما ذكر على اثره يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم هذا والله اعلم يشبه
ان يكون علوه وبغيه فى الارض ويشبه ان يكون قوله علا فى الارض اى علا قدره وارتفع
منزلته فى الارض لما ادعى لنفسه الالوهية والربوبية بعد ما كان عبدا كسائر العباد او دونهم فعلا
قدره وارتفعت منزلته بدعواه بذلك وعلا فى الارض اى تغلب وقوله وجعل اهلها شيعا قيل
فرقا يستضعف طائفة ويذبح طائفة ويستحيى طائفة ويعذب طائفة وجائز ان يكون قوله وجعل
اهلها شيعا اى جعل لكل طائفة منهم عبادة صنم لم يجعل ذلك لطائفة اخرى وجعل طائفة
اخرى على عمل اولئك وحوائجهم ليتفرغوا لعبادة الاصنام التى استعبدهم لها لان الشيع فرق
يرجعون جميعا الى اصل واحد والى امر واحد وقوله انه كان من المفسدين كذلك كان لعنه الله وقوله
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض هذا فى الظاهر اخبار لرسوله انه سيفعل ذلك لانه
من عليهم وفعل ذلك لانه يقول نريد ان نمن على الذين كذا وقد من عليهم بذلك فهلا قال وقد
مننا على الذين استضعفوا فى الارض لكن معناه والله اعلم اى كنا نريد فى الازل ان نمن عليهم وان
نجعلهم ائمة وان نجعلهم الوارثين والامر الظاهر ما ذكرنا وقوله ونجعلهم ائمة يحتمل وجهين احدهما
نجعلهم جميعا ائمة لما بهم نقتدى ونقتاد لهم او ان يكون قوله ونجعلهم ائمة اى نجعل فيهم ائمة وقادة
لهم اى نجعل بعضهم ائمة لبعض كقوله لموسى اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء والائمة المذكورة
ههنا كانهم هم الانبياء الذين ذكروا فى هذه الاية ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض هذا
كما ذكر فى اية اخرى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها الاية اى
يرثون الارض ويملكهم بعد فرعون وقومه والوارث هو الباقى على ما ذكرنا كانه قال يبقون هم

في ارضهم وملكهم بعد هلاكهم كقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها اى نبقى نحن بعد هلاك الارض و
هلاك من عليها والله اعلم وقوله ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون اى يرون ما كانوا
يحذرون منه وهو الهلاك وذهاب الملك هذا كانوا يحذرون فاريهم ذلك لانه كان يذبح ابناءهم
اشفاقا على بقاء ملكه ويحذر ذهابه قال الزجاج ان من حماقة فرعون وقلة عقله ان كان يذبح ابناءهم
لقول الكهنة انه يذهب ملكه بغلام يولد في العام الذى قالوه فلا يخلوا اما ان صدقوا في قولهم
فيذهب ملكه وان قتل الابناء واما ان كذبوا في قولهم فلا معنى لقتل الابناء لانه لا يذهب لكنه
فعل ذلك بهم لحماقته وسفهه وجهله بنفسه وقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض بالنجاة
من فرعون واله واستنقاذه اياهم من يديه ومن قتل الولدان وغير ذلك من انواع التعذيب والله
اعلم وفي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى اخر ما ذكر وجوه على المعتزلة في قولهم
انه ليس لله ان يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم في الدين وانه لو لم يفعل ذلك كان ذلك جائرا فيقال
لهم لو كان عليه فعل الاصلح لهم في دينهم على كل حال لكان لا معنى لذكر المنة على الذين استضعفوا في
الارض في جعلهم ائمة وابقائهم في ارضهم وتمكينه اياهم في ملكهم وديارهم واموالهم لانه على
زعمهم فعل بهم ما عليه ان يفعل لان ذلك اصلح لهم في الدين وكل من فعل فعلا عليه ذلك الفعل لا يكون
له الامتنان على المفعول به ذلك فدل ذكر المنة فيما ذكر انه فعل بهم على انه فعل ما لم يكن عليه ذلك ولكنه فعل
ذلك متفضلا ممتنا وله ان لا يفعل ذلك ويقولون ايضا ان في اهلاك فرعون وقومه اصلح لهم من ابقائهم
وكذلك في اماتة كل كافر فلم يذكر فيه المنة دل ذلك انه ليس على ما يقولون هم وان ذلك منقوض مردود
عليهم ويقولون ايضا ان الارادة من الله لهم امرهم بامرهم به فلو كان امرا على ما يزعمون لكان
الامر منه قد شمل الكل ثم لم يصيروا جميعا ائمة وقادة ولكنهم صار بعض دون بعض دل ان الارادة
غير الامر وانه اذا اراد لاحد شيئا كان ما اراد ليس على ما يقولون انه اراد ايمان كل كافر لكنه لم يؤمن بعد
ما اعطاه جميع ما عنده من القوة والعون على ذلك حتى لم يبق عنده شيء من ذلك الا وقد اعطاه فدل
ما ذكر على فساد مذهبهم وقوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه قال عامة اهل التاويل ان الوحي ههنا
وحي الالهام والقذف في القلب لا وحي ارسال صارت رسوله وذلك لا يجوز لكن يقال جائز ان تلهم
هي ارضاعه والقاءه في اليم فاما ان تلهم ما ذكر لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
هذا مما لا سبيل الى معرفة ذلك وعلمه الا بتصريح قول ومشافهة اخبارهم الا ان يقال انه كان يوحى
ايات الرسالة واعلام بها لما عرفت هي بتلك الاعلام والايات التي كانت له انه يرده اليها وانه يبقى رسولا
الى وقت وقد كانت بالرسل اعلام وايات الرسالة في حال صغرهم وصباهم نحو يحيى حيث كلم قومه
في المهد اني عبد الله اتاني الكتاب الى اخر ما ذكر ان محمدا لما ولد بالليل استنارت تلك الناحية واستضاءت
بنوره حتى ظنوا ان الشمس قد طلعت ونحوه فعلى ذلك جائز ان يكون بموسى اعلام وايات عرفت امه بها
انه رسول وانه يرد اليها وانما تكلفنا بهذا التخريج قول اهل التاويل انه وحي الهام وقذف في القلب لا غير
وعندنا جائز ان يكون الوحي اليها وحي ارسال رسول واخبار من غير ان صارت هي بذلك رسوله نحو ما
ذكر في قصة مريم ان الملك لما دخل تعوذت بالله منه حيث قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال
انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا وذلك من البشارة التي بشروها بالولد فلم تصر مما ارسل
اليها من الرسل وشافهوها رسولة فعلى ذلك ام موسى ونحو بشارة الملائكة لامرأة ابرهيم بالولد وهو
قوله فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ونحوه مما يكثر ذكره لم يصيروا بذلك رسلا فعلى ذلك الوحي
الى ام موسى يحتمل ما ذكرنا وجائز ذلك من غير ان صارت بذلك رسولة وهو اشبه واقرب والله اعلم وقوله
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قال بعضهم في الاية اضمار لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا
وحزنا ولكن كان فيه اضمار اى التقطه ال فرعون ليتخذوه ولدا او ليتبنوه فكان لهم عدوا وحزنا او اذا كبر
نحو هذا وقال بعضهم ذلك اخبار عما في علم الله انه يكون ما ذكر معناه والله اعلم التقطه ال فرعون فكان
في علم الله تعالى انه يكون لهم عدوا وحزنا وذلك جائز في اللغة يقال لدوا للموت وابنوا للخراب لا يلدون
للموت ولا يبنون للخراب ولكن اخبار عما يؤول امرهم في الاخرة والله اعلم وقوله ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين ظاهر وفيه نقض قول المعتزلة من وجه وقوله وقالت امرأة فرعون قرة عين
لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا هذا لطف من الله ورحمة حيث القى محبته في قلوبهم وحلاوة
في اعينهم وهو ما ذكر منته عليه حيث قال والقيت عليك محبة مني لتأدى بذلك الشكر عليه قال ابو معاذ قال
مقاتل قوله قرة عين لي ولك لا يقول ليس لك بقرة عين قال ابو معاذ وهذا محال ولو كان كذلك لكان
في القراءة تقتلونه وهذا ايضا محال لقوله عسى ان ينفعنا ولو كانت القراءة قرة عين لي ولك لا تقتلوه لكان
مقاتل مصيبا وقوله وهم لا يشعرون يحتمل وجهين احدهما وهم لا يشعرون ان هلاكهم واستيصالهم على يديه
والثاني لا يشعرون انه هو المطلوب يقتله من بين الكل والله اعلم وقوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا قال

بعضهم فارغا من هم موسى وحزنها عليه وقال بعضهم فارغا من كل شيء الا على موسى وذكره وكان قوله
واصبح فؤاد ام موسى فارغا صلة قوله ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك لانه يخرج على وجوه
احدها ان الله رفع الحزن والخوف وطبعها من غير ان كان ثمة قول او كلام والثاني على القول لها
لا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فان كان على هذا فهو على البشارة لها بالرد
اليها وجعله رسولا او على النهي والزجر عن الحزن عليه والخوف عليه هو حزن مفارقته اياها والخوف
عليه خوف الهلاك كقول يعقوب حيث قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب
ذكر الحزن عند المفارقة والذهاب عنه والخوف عند الهلاك فرفع الله عنها حزن المفارقة وبشرها
بالرد اليها وجعله رسوله وامنها عن الهلاك فيكون قوله واصبح فؤاد ام موسى فارغا
مما خافت عليه وحزنت والله اعلم وقوله ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها كادت
لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها بما ذكر من قوله لا تخافي ولا تحزني الاية فلم تكد ان تبدي وهو
كما ذكر ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه اى كان يهم بها لو لم ير برهان ربه لا انه هم بها
وهو كقوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اى كان يركن اليهم شيئا قليلا لو لم
يثبته لكنه ثبته فلم يركن اليهم ونحوه فعلى ذلك الاول وقال اهل التاويل ربط قلبها بالايمان
وجائز ان يكون ربطه قلبها لما ذكر من قوله ولا تخافي ولا تحزني الاية وقال بعضهم فارغا من عهد الله
الذي كان عهد اليها انساها عهد الله عظم البلاء الذي حل بها فكادت تبدي به ثم تداركها الله
بالرحمة فربط على قلبها فذكرت وارعوت وقال بعضهم اتخذه فرعون ولدا فصار الناس يقولون
ابن فرعون ابن فرعون فادركت امه الرقة وحب الولد فكادت تقول بل هو ابني ولا ولد لاشبه
وفي حرف ابن مسعود وابي وحفصة ان كادت لتشعر به وقوله وقالت لاخته قصيه اى اتبعي اثره وقوله
فبصرت به عن جنب قيل عن بعد اى كانت تتبع اثره عن بعد منه وقال بعضهم الجنب ان يسمو بصر
الانسان الى موضع بعيد وهو الى جنبه يقرب منه وذلك عند الناس معروف ظاهر فيهم ذلك
وقال بعضهم في قوله فبصرت به عن جنب قال ينشف بجنبا ثم وهي معرضة عنه كالجنبة وقوله
وهم لا يشعرون اى هلاك تراقبه او تنظر اليه وتحفظ او لا يشعرون ان هلاكهم على يديه بصرت
وابصرت واحد وقوله عن جنب عن ناحية بعيدة وجوانب جماعة ويقال رجل جنب وقوم
اجناب وجانب واجناب واجنبي واجانب اى غريب وهذا كله من الاجتناب وهو قول ابو عوسجة
والقتبي وقوله وحرمنا عليه المراضع من قبل حرم تحريم منع وحظر الذي ضده الاطلاق والارسال
لا التحريم الذي ضده الحل وذلك لطف من الله تعالى وفضل ورحمة حيث منع موسى عن ان يرتضع من
النساء وهو طفل وهمة امثاله الارتضاع والرغبة في التناول من كل لبن ومن كل مرضع ترضعه
لا تمييز لهم في الارتضاع فدل امتناعه وكفه نفسه عن الارتضاع من النساء اجمع ان ذلك لطف من
الله اعطاه ليمتنع عنه فعلى ذلك جائز ان يكون عند الله لطف لو اعطي الكافر الذي همته الكفر والرغبة
فيه لامن واهتدى لكنه لما عرف رغبته وهمته فيه واختياره له منع ذلك عنه ولم يعطه وهذا
الحرف ينقض على المعتزلة مذهبهم في زعمهم ان الله قد اعطى كل كافر السبب الذي يبلغ من وما به
يصير مؤمنا حتى لم يبق شيء مما يكون به ايمانه الا وقد اعطاه لكنه لم يؤمن فينقض قولهم ما ذكرنا
من امر موسى ان عنده لطف لم يعطهم لو اعطاه لامن واهتدى لكنه لم يعطه لما ذكرنا وفيه لطف
اخر وهو ان فرعون والقبط كانوا يقتلون الولدان من الذكور ليصير الذي يخاف هلاككم وذهاب
ملككم على يديه مقتولا فجعل الله بلطفه ورحمته في قلب فرعون وقلوب اهله حتى صار احب الخلق اليهم
وصاروا اشفق الناس وارحمهم عليه حتى خافوا هلاكه وطلبوا له المواضع لئلا يهلك بعدما كانوا
يطلبون هلاكه وتلفه وذلك لطف منه له ورحمة وهو ما قال والقيت عليك محبة مني وبالله الاستعاذ
كل فضل ونعمة وقوله فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم قوله فقالت اى اخته التي كانت
تتبعه وتمشي على اثره وذلك منها العرض الدلالة لهم الى امه لئلا يشعروا انها امه حيث قالت
ادلكم على اهل بيت ولم يقل على امرأة لها لبن وهي ترضع ولعلها لو قالت لهم ذلك وقع عندهم
انها امه ولكن دلتهم الى بيت ليقع عندهم انهم اهل بيت قتل ولدهم ولهم ولد يكفلونه لكم اى يقبلونه
ويضمونه الى انفسهم وهم له ناصحون يحتمل قولهم وهم له ناصحون اى لفرعون لا يخونونه فيه
ويحتمل وهم له ناصحون لموسى وقوله فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن يحتمل قوله كي تقر عينها
بالمقام معه والكون عندها ولا تحزن على فراقه او ان يقال كي تقر عينها ولا تحزن اى تسر برده
اليها وذلك معروف في النساء ظاهر انهن يحزن بفراق اولادهن ويسررن اذا
حملوا اليهن واجتمعوا وقوله ولتعلم ان وعد الله حق كانت تعلم هي والله اعلم ان وعد الله حق
كائن لا محالة لكن كانت علم خبر له علم عيان ومشاهدة كانه قال لتعلم علم عيان ومشاهدة ما علمت

علم خبر لان علم العيان والمشاهدة اكبر وابلغ وادفع للشبهة من علم الاخبار الا ترى ان ابرهيم سأل ربه ان يريه احياء الموتى وان كانت يعلم حقيقة انه يحيي الموتى وانه قادر على ذلك لكنه كان يعلم علم خبر فاحب ان يعلمه علم عيان ومشاهدة لانه اكبر وابلغ وادفع للوساوس من علم الاخبار فعلى ذلك وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون والمعتزلة فيهم لانه اخبر انه يملأ جهنم من الجنة والناس اجمعين حيث قال لاملأن جهنم وهم يقولون اراد ان لا يملأ جهنم لانهم يقولون انه اراد ايمان كل الناس جميعا وشاء ذلك لهم فلم يؤمنوا فعلى قولهم اذا شاء ذلك لهم شاء ان لا يملأ جهنم منهم فذلك خلف في الوعد وكذب في القول على قولهم وقوله ولما بلغ اشده واستوى قال بعض اهل التاويل الاشد هو ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلثين سنة ثم هو ما بين الثلثين الى الاربعين استواء الشدة ثم يأخذ بعد الاربعين في النقصان ثم غبر بعمره الى الاربعين سنة وقال بعضهم بلغ اشده ثلث وثلثون سنة واستوى اربعون وعن ابن عباس مثله وقال بعضهم بلغ اشده قال الاشد الحلم والاستواء اربعون سنة واصل الاشد ان يشتد كل شيء منه وصار يحتمل ما حمل به ويحمل فيه ويدخل في ذلك العقل وكل شيء واستوى اي استوى اي استوى ذلك واستحكم وصار بحيث يحتمل ذلك وجائز ان يكون الاستواء هو الاشد الذي ذكر وقال ابو عوسجة والقتبي واستوى اي استحكم وانتهى شبابه واستقر فلم يكن فيه زيادة واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله اتيناه حكما وعلما اي اتيناه العلم الذي يحكم به بين الناس وعلما بمصالح نفسه ومصالح الخلق وقال بعض اهل التاويل الحكم الفقه والعقل والعلم قبل النبوة وقوله وكذلك نجزي المحسنين يحتمل قوله وكذلك نجزي المحسنين في الاخرة بالوعد الذي وعد لهم في الدنيا كما جزي موسى بالجزاء ما وعد لهم او ان يكون من موسى احسان وجهد في طلب العلم وغير ذلك بما اعطاه ذلك واخبر انه كذلك يجزي من ذكر كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ولنطرا وعد الله حق كان وعده اياها ان يرده اليها ويجعله من المرسلين ومعناه ما ذكرنا فيما تقدم قال الكسائي يقال امرأة مرضع ما دام ترضع فاذا فطمت سميت مرضعة ما دامت حبلى فهي مرضعة اي سترضع وقوله ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال عامة اهل التاويل على حين غفلة اهل المدينة وهو عند الظهيرة وذلك وقت القائلة وقال قائلون على حين غفلة اهل البلد عن دخول موسى اي دخلها من غير ان شعروا به وعرفوا انه موسى على هذا التاويل الغفلة تكون على دخول موسى عليهم وعلى الاول على غفلة اهل المدينة اي وقت غفلتهم فان كان على هذا فيحتمل ان يكون غفلة اهلها هو ان كان ذلك يوم عيد لهم خرجوا اليه فدخل هو المدينة ليطلع احوالها واسبابها الا ان يكون العادة فيهم انهم باجمعهم يقيلون فذلك محتمل والله اعلم وقوله فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه قال بعض اهل الادب ان قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه انما يقال للشاهد المشار اليه فاما الغائب فانه لا يقال لكن قالوا ان فيه اضمارا او لطفا كانه قال فوجد فيها رجلين يقتتلان من نظر اليهما يقول هذا من شيعته وهذا من عدوه ثم قال اهل التاويل احدهما كان اسرائيليا والاخر قبطيا فان قيل كيف سمي الاسرائيلي من شيعة موسى وذلك اول ما دخل موسى المدينة وبنو اسرائيل يومئذ كانوا عباد الاصنام وقد حدث ذلك اليهم حتى قالوا لموسى بعد ما اخرجهم من المدينة وبعد هلاك فرعون والقبط جميعا اجعل لنا الها كما لهم الهة وكذلك يقول مقاتل كانا كافرين جميعا الا ترى انه قال فلن اكون ظهيرا للمجرمين لكن يخرج هذا على الا بها كانه قال يكون هذا من شيعته وهذا من عدوه او يقول يكون هذا ممن قوم هم شيعته ويبقى هذا عدوا في قوم هم اعداؤه وعلى هذا يخرج قوله فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما اي يبقى عدوا لهما او يكون عدو لهما قال ابو معاذ النحوي يستدل على وجه مقاتل وهو وجه في تاويله انهما كانا كافرين جميعا لكن يخرج على ما ذكرنا والله اعلم وقوله فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه اي استغاثه الذي كان في علم الله انه يكون من شيعته على الذي في علم الله انه يبقى عدوا له والاستغاثة هي الاستعانة والانتصار اي سأله ان يكون من شيعته وقوله فوكزه موسى فقضى عليه قال ابو عوسجة الوكزة الطعن في الصدر وقال الزجاج والقتبي ونحوه الوكز الدفع فوكزه اي دفعه فقضى عليه قال بعضهم اي فرغ منه كقوله فلما قضى موسى الاجل وقوله قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي فرغ ونحوه وقال بعضهم فقضى عليه اي قتله وكلاهما سواء اذا قتله فقد فرغ منه وهو لم يتعمد قتله ولا قصده لكن الله قضى اجله وحمل نفسا معصوما كوكزة موسى وهو في الظاهر قاتل لانه قال اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون ولم يكن قتل الله موسى في قوله الملك لم تقتل وقال لا يقضا اني ظلمت نفسي فاغفر لي الاية وفيه دلالة جواز الاستدلال ويقول ابي حنيفة حيث قال من قتل غيره بحجر وغيره ثقيل عظيمة مما لا يحتمل مثله انه لا تقتل به ولا يجب القصاص فيه لان موسى لما وكزه قتله فمات وكزه لا يقوى على الاربعين قتله لم يجب القصاص وبحاجة قال له ذلك الرجل ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولو كان

القصاص واجبا لكان اولئك لم يكونوا ظلمة في قتله بل يكون هو الظالم فيه ولا يحتمل ان يكون القصاص واجبا ايضا وموسى يفر من ذلك ويهرب وفي ذلك ابطال حقهم دل انه لم يجب ولا شك ان وكزة من له قوة اربعين رجلا الى الهلاك اسرع والى قرب واعمل من الضرب بالحجر العظيم او الخشبة العظيمة فاذا لم يجب في هذا لم يجب في ذلك والله اعلم وقوله رب بما انعمت علي قال بعضهم بما انعمت علي بالمغفرة فلم تعاقبني بقتل النفس وعصمتني من ان اعاقب به في الدنيا وجائز ان يكون بما انعم عليه هو قوته التي اعطاها اخبر انه لا يكون بها ظهيرا للمجرمين والله اعلم وقوله فاصبح في المدينة خائفا يترقب اكثر ما ذكر في ما ذكر في القران اصبح اي صار كقوله او يصبح ماؤها غورا اي صار وقوله ان اصبح ماؤكم غورا ونحو واما ههنا قوله فاصبح في المدينة خائفا انما يريد الصباح نفسه وقوله يترقب قال عامة اهل التاويل يترقب اي ينتظر سوءا ينا له منهم وقال ابو عوسجة الترقب الخوف كانه قال خائفا يخاف هلاكه والقتل الترقب هو التنظر والرقوب ان يرقب من يطلبه ومن يأتيه في طلبه وهو من الرقب وقوله فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين كان الرجل الذي اخبر انه من شيعة موسى كان ضعيفا في نفسه حيث لا يقدر ان يقوم لواحد فيستنصر به من موسى ويستعينه به الا انه يخاطب وينازع ويقاتل لسوء فيه وبلاء يقاتل وينازع والا لم يكن بنفسه من القوة ما يقوم لواحد فمن حيث لا يقاتل مثله وكثيرا لما ذكرنا من سوئه ولذلك قال له موسى انك لغوي مبين لكثرة سوئه انما المعروف غوايته بالامس لا لما الذي ذكر لا بالمشاهدة وذلك اراد ان يبطش الذي هو عدو لهما لئلا يقتلها ولا يهلكه لما عرف غوايته بالامس لا لحقيقته وذكر ههنا البطش وهو الاخذ باليد وفي الاول ذكر الوكزة وهي الدفع والطعن على ما ذكرنا فهو والله اعلم لانه لما ذكر الاول فاتت الوكزة على نفسه فقتلته فاخذ هذا من هذا البطش على هلاكه والا فهو لا يأتي على نفس الاخر كما فعلت الوكزة ثم قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس اختلف في قائل هذا قال عامة اهل التاويل ان قائل هذا هو الذي استصرخه واستغاثه قال ذلك لانه ظن ان موسى انما اراد بطشه واخذه واليه قصد لذلك قال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس وقال قائلون هذا القول انما قال له ذلك القبطي فان كان هذا فهو يدل ان قتله ذلك الرجل بالامس كان ظاهرا حيث علم به القبطي وكان قوله على حين غفلة من اهلها اي من دخول موسى المدينة وان كان هو الاول كان قتله اياه خفيا غير ظاهر فعلى هذا يكون الغفلة على اهل المدينة ليس على دخول موسى والله اعلم وقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين لان الذي يصلح بينهما على التو الذي قال ما قال وقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قال بعضهم يقول هكذا فعل الجبابرة يقتل النفس بغير نفس وقال بعضهم الجبار هو الذي يحمل الناس على هواه وعلى ما يريده ويقهرهم على ذلك شاؤا او ابوا وقال بعضهم الجبار هو الذي يتكبر على الناس لا يرى احدا لنفسه نظيرا وكلام نحوه ويقال كل قاتل اخر على الغضب بغير حق فهو جبار وقوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يحتمل ان يكون اقصى المدينة هو مسكن فرعون ومقامه فمنه جاء ذلك الرجل او ان يكون اقصى المدينة من طن الملأ والا سواف الذين ذكر انهم ائتمروا على قتله وقوله يسعى والسعي هو العدو في اللغة كانه يسرع المشي اليه ليخبره بذلك وقوله ان الملأ يأتمرون قال بعضهم يتشاورون في قتلك وقال الزجاج يأتمرون بك اي يأمر بعضهم بعضا ان يقتلوك وقال القتبي يأتمرون اي يهمون في قتلك وذكر عنه انه قال يأتمرون يتشاورون بك وهو قول ابي عوسجة واصل الائتمار في اللغة هو الطاعة والاتباع لما يؤمر من الفعل كان فرعون امر الملأ ان يقتلوه فاطاعوه وائتمروا الامر والله اعلم وقوله فاخرج اني لك من الناصحين قال الزجاج قوله لك صلة والصلة لا تتقدم الموصول به ولكن معناه فاخرج اني من الناصحين الذين ينصحون لك وليس كما قال الصلة تتقدم وتتاخر وذلك ظاهر في الكلام وقوله فخرج منها خائفا يترقب قد ذكرنا هذا دل قوله خائفا يترقب ان الخوف قد يكون من دون الله وجائز ان يخاف من غيره وليس كما يقول بعض الناس ان لا يسع الخوف من دون الله وحقيقة الخوف تكون من الله يخاف ان ينتقم منه على يدي هذا والله اعلم وقوله رب نجني من القوم الظالمين يحتمل الظالم كل مشرك لان كل مشرك ظالم ويحتمل قوله رب نجني من القوم الظالمين حيث هموا قتله وقتل موسى ذلك القبطي لم يوجب عليه القتل والقصاص لانه لم يتعمد قتله او لم يقتله بما يجب به القتل فذكر انهم فيما هموا قتله ظلمة وقوله ولما توجه تلقاء مدين قال بعضهم اخذ طريقا اذا سلك ذلك الطريق ونفذ فيه خرج تلقاء مدين او وقع تلقاء المكان المقصود اليه وقوله قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي الطريق الذي كان يقصده ويطلبه وهو طريق مدين وذكر انه كان ضل الطريق وقوله لما ورد ماء مدين اي وارد البئر التي كان ماء مدين من تلك البئر وجد عليه امة من الناس يسقون ثمة اي جماعة وقيل اناس من الناس يسقون اغنامهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال بعضهم تذودان تحبسان حتى يفرغ الناس ويصدرون ويخلو لهما البئر وقال بعضهم تذودان اي تطردان اغنامهما لتسقيا ثم قوله ووجد من دونهم امرأتين تذودان تحمل وجهين احدهما غنمهما ولا تسقيانها حتى يصدر الرعاء

لما لا نراكما تسقيان غنمكما مع غنم اولئك الرعاء حتى يصدر رواهم والثانى لا تمنعان ذلك ولكنهما تستحيان
ان تزاحما الرجال وتخالطاهم فتنتظران فراغهم وصدور الرعاء عنها فان قيل فما بالهما لا تخلفان وقت
اجتماع القوم وتشهدان فى ذلك الوقت ولا تنتظران خلاء البئر عنهم قيل لما ذكران على رأس البئر حجرا يلقى
عليه لا يطيقه الا كذا وكذا نفرا وكذلك الدلو التى يستقى منها لا يطيقها الا كذا وكذا من عشرة الى اربعين
على ما ذكر فيهما تشهدان ذلك البئر ووقت شهود القوم وحضورهم ليتولوا نزح الدلو واستقاءها ولو
تخلفتا وانتظرتا خلاء البئر عنهم نخرتا تبان لم تقدرا على نزح الماء والدلو ورفع الحجر الذى ذكرا نه كان
على رأس البئر لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله ما خطبكما اى ما شأنكما وما امركما قالتا لا نسقى حتى يصدر
الرعاء لما ذكرنا وقرئ يصدر بنصب الياء وبالرفع جميعا فمن قرأ بالنصب فانه يقول حتى يصدر الرعاء
بانفسهم اى يرجع ومن قرأ بالرفع حتى يصرفوا ويرجعوا غنامهم والله اعلم وقوله وابونا شيخ كبير
تذكران والله اعلم عذر ابيهما فى التخلف عن سقى الغنم وارساله اياهما فى ذلك دون تولى ذلك بنفسه و
قالا ذلك لكبره وضعفه ما يتخلف عن ذلك ويرسلهما والا لا معنى لذكرا بيهما بلا سبب يحملهما على
ذلك سوى ما ذكرنا وجائز ان يكون لمعنى اخر لا نعلمه وقوله فسقى لهما ثم تولى الى الظل دل ان البئر التى كانت
تسقى المواشى منها كانت فى الشمس حيث اخبر انه سقى لهما تولى الى الظل وفيه ان لا بأس بان يجلس فى الظل وقوله
فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير قيل ان هذا منه شكاية عما اصابه من الجوع لانه ذكر انه خرج من المصر
الى مدين هاربا من فرعون وقومه غير متزود وهو مسيرة ثمانى ليال وفيه دلالة ان لا بأس للرجل ان يخبر
ويذكر عما هو من الشدة والبلاء حيث ذكر موسى حاله التى هو فيها من الجوع الذى اصابه وكذلك ما قال
فى اية اخرى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك يرد قول من يقول ان مثل هذا يخرج مخرج الشكاية
عن الله ولو كانت شكاية لكان موسى لا يقول ذلك ولا يذكره وقوله فجاءته احديهما تمشى على استحياء
قوله تمشى مشى من لم يعتد الخروج او تمشى على استحياء اى تمشى مشى من لم يخالط الناس على التستر والتخفير
قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت هذا يدل على ذلك يدلان ان موسى كان قد اشتد به الحال
لذلك كان ما ذكر واخذ لمعروفه ما ذكر يدلان والله اعلم وقوله فلما جاءه وقص عليه القصص اى لما جاء موسى
ابا المرأتين وقص عليه قصته قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين دل قوله هذا لموسى لا تخف نجوت
من القوم الظالمين ان لم يكن لفرعون على ذلك المكان سلطان ولا يد اذ لو كان له سلطان لكان له فيه
تخوف الذى كان من قبل ولم يكن نجا موسى منه دل انه لم يكن له عليهم سلطان وقوله الظالمين يحتمل
المشركين اذ كل مشرك ظالم ويحتمل نجوت من القوم الظالمين الذين يقتلون بغير حق حيث قال رب نجنى
من القوم الظالمين وقوله قالت احديهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال
اهل التأويل قال ابوهما لما قالت له استأجره فانه قوى امين ما قوته وما امانته فقالت اما قوته فانه
رفع الحجر من رأس البئر وحده وكان لا يطيقه الا كذا وكذا نفرا ونزح الدلو من البئر وحده وكان لا يطيقه
الا كذا وكذا فذلك قوته واما امانته فانه قال لى امشى خلفى وصفى لى الطريق فذلك امانته ولكن قد
كانت تعرف امانته قبل ذلك لما جرى بينه وبينهما من المعاملة حين قال لهما ما خطبكما وحين سقى لهما
فى مثل هذا تعرف امانته فى ترك النظر اليهما وترك الاعتراض لما يوجب التهمة والله اعلم وقولها يا ابت
استأجره كان اباها كان فى طلب اجير قوى امين لكنه لا يجد ولا يظفر به كذلك قالت له استأجره ان
خير من استأجرت القوى الامين اذ لا يحتمل ان يكون له ماشية وله غناء وبه حاجة الى رعى ذلك وسقيه
وقد بلغ فى نفسه من الكبر والضعف ما ذكر يرسل ابنته فى الرعى والسقى ولا يتخذ اجيرا ليتولى ذلك
دون ابنتيه هذا لا يحتمل ذلك وخاصة ما وصف ابنته من الحياء حيث قال فجاءته احديهما تمشى على
استحياء دل ذلك انه كان فى طلب الاجير وانما ارسل ابنته فى سقى الغنم وهو مضطر الى ذلك محتاج
اليه لذلك فالت له يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين ثم قال انى اريد ان
انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج طلبت هى الاستئجار وهو عرض عليه النكاح لما لم
ترغب هى فى النكاح وطلبت الاستئجار ولما لم تر من نفسها الرغبة فى النكاح وان كانت لها الرغبة
حيا والله اعلم ثم قوله على ان تأجرنى ثمانى حجج يحتمل وجهين احدهما انه جعل عمله ثمانى حجج بدلا للنكاح
ومهرا لبعضها ثم عدة بثمانى حجج نارا ى على ثمانى سنين مهر مثلها وقوله فان اتممت عشرا فمن عندك
اى فان اتممت عشرا وزدت على مهر المثل فمن عندك ذلك فضل منك واحسان والثانى قوله على ان
تأجرنى ثمانى حجج ليس على جعله بدلا للنكاح ولكن على الاجارة المعروفة على اجر معلوم على حدة من غير
ان كان ذلك مهرا لها ثم التحديد بثمانى سنين على هذا الوجه يخرج على احدى خلتين احديهما انه لما قص
عليه قصته علم انه لا يقدر على العود الى المصر واى انه لا يأمن تلك الناحية بدون ما ذكر من المدة
او لما رأى ان نفسه تنزع وتتوق بالعود الى ذلك فى ذلك الوقت فشرط ذلك عليه لئلا يحدث نفسه
بالرجوع اليه الى ذلك الوقت وقوله فان اتممت عشرا فمن عندك اى فان زدت سنتين على ذلك

من فضلك

من فضلك واحسانك وما اريد ان اشق عليك فى الزيادة على ذلك كله والله اعلم ثم قال ستجدنى ان
ان شاء الله من الصالحين فى جميع ما يجرى بينك وبينى من المعاملة والصحبة وقيل الثنا فيما بعد وان
كان ظاهرا فى الوهم الينا لغيره ثم اختلف فى ابى المرأتين قال بعضهم كان شعيبا وقال بعضهم ابن اخى شعيب
وقال الحسن لم يكن شعيب ولكنه كان سيد الماء يومئذ وليس لنا الى معرفة من كان حاجة انما الشعيب
فانه لم يكن فى زمن موسى والله اعلم وقوله قال ذلك يعنى الشرط والله اعلم بينى وبينك ايما الاجلين قضيت
اى وفيت وعملت اما الثانى واما العشر فلا عدوان على يقول لا سبيل لك على بعد ذلك ولا تبعة والعدوان
هو الظلم والمجاوزة عن الحد الذى جعل له يقول لا ظلم على ولا مجاوزة على انى لا اختيار لى قضيت اى
الاجلين اخترت وشئت انا اتمم قال والله على ما نقول وكيل قال بعضهم والله كفيل على مقالتى ومقالتك
والوكيل هو الشهيد او الحافظ كانه يقول والله على ما نقول شهيد ذكر ان جبريل جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان سألك اى الاجلين قضى موسى فقل ابرهما واوفاهما وان سئلت اى المرأتين
تزوج فقل اصغرهما فان ثبت هذا فعنه انه قضى الاجلين جميعا الثمانى والعشر وليس فى الاية الا قضاء
الاجل حيث قال فلما قضى موسى الاجل وقال الفتى على ان تأجرنى اى تجازينى من التزويج والاجر من الله انما
هو الجزاء على الفعل وقوله فلما قضى موسى الاجل قال اهل التأويل ما ذكرنا انه قضى اتمهما واكثرهما
لكن لا نعلم الا بالخبر الصحيح فعلى ما ذكروا وليس فى الاية الا قضاء الاجل فلا نزاد على ذلك الا بثبت ما روى
من الخبر فهو والله اعلم وقوله وسار باهله آنس من جانب الطور نارا اى ابصر قيل ابصر واحسن نارا وقالت
بعضهم ان موسى لم يكن رأى نارا ولكن انما رأى نورا وظن انه نار فلا يحتمل ذلك لانه اخبر انه انس نارا وان
لم يكن ذلك فى الحقيقة نارا ولكن نورا كان ذلك يوجب الكذب فى الخبر الا ان يقال على الاضمار انس من
جانب الطور نورا ظن انه نار او فى ظنه انه نار قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر او جذوة
من النار اى سكنوا لعلى آتيكم منها بخبر يدلنا ويخبرنا على الطريق فكانه قد ضل الطريق فيقول لعلى
آتيكم منها بخبر الطريق او جذوة من النار اى آتيكم بجذوة من النار لو نعتم فيه ولم آتكم بخبر الطريق لعلكم
تصطلون هذا يدل انه كان فى ايام الشتاء وفى وقت البرد فلما اتاها نودى من شاطئ الواد الايمن
فى البقعة المباركة قال بعضهم الايمن اى عن يمين الجبل وقال بعضهم عن يمين موسى وقال بعضهم يمين الشجرة
ولكن لا يمين المبارك وهو من اليمن الوادى اليمن والبقعة المباركة قال بعض اهل التأويل يمنى مباركا
لكثرة اشجارها وانزالها وكثرة نباتها وعشبها ولكن سماه مباركا وايمن والله اعلم لانه مكان
الانبياء والرسل وموضع الوحى وقوله نودى من الشجرة ان يا موسى انى انا الله رب العالمين والله ان
يسمع ويخبر من شاء بما شاء وكيف شاء كما اسمع مريم من تحتها حيث قال فناديها من تحتها الا تحزنى وقوله
وان الق عصاك ليس هذا بموصول بقوله انى انا الله رب العالمين وان الق عصاك ولكن ذلك لما ذكر فى
سورة طه انى انا ربك فاخلع نعليك الى اخر ما ذكر ثم قال فى اخره وان الق عصاك فلما راها تهتز اى
تتحرك كانها جان قال بعضهم الجان الحية الصغيرة وقال بعضهم الجان ما بين العظيمة والصغيرة والله
اعلم وقوله ولى مدبرا فارا هاربا ولم يعقب اى لم يلتفت ولم يرجع لشدة خوفه وفزعه وقوله يا موسى
اقبل ولا تخف انك من الامنين قوله لا تخف يحتمل وجوها احدها على رفع الخوف من قلبه اذ قال
الامن قبله والثانى على البشارة انه لا يؤذيه كانه يقول لا تخف وكن من الامنين فانه لا يؤذيك
والثالث على النهى لا تخف فانى احفظك وادفع اذاه عنك كقوله قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا
او ان يطغى قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما وادفع ذلك عنكما وقوله
او جذوة بكسر الجيم ورفعها قال بعضهم عود فيه احترق بعضه وقال قتادة اصل شجرة فيها نار وقال ابو عوسجة
الجذوة مثل الشهاب سواء والجذى جمع الجذوة وقال ابو عوسجة الجذوة القطعة وقال القتبى الجذوة
عود قد احترق اى قطعة منها وشاطئ اى شط الوادى انست ابصرت وكذلك قوله فان آنستم منهم رشدا
اى ابصرتم وعلمتم وقوله اسلك يدك فى جيبك على ما ذكر فى اية اخرى وادخل يدك فى جيبك هذا يدل
ان لا بأس بتغيير الالفاظ واختلافها بعد اصابة المعنى وما قصد بها وقوله تخرج بيضاء من غير سوء
قد ذكر قالا فيما تقدم وقوله واضمم اليك جناحك من الرهب بالضم والرهب بالفتح قد قرئ بها جميعا
ثم قال بعضهم هو على التقديم والتاخير قوله من الرهب موصول بقوله اقبل ولا تخف انك من الامنين
من الرهب اى الخوف والفرق وقال بعضهم امره ان يضم يديه الى نفسه لان ذلك اخوف واهيب واعظم من
ارسالهما وذلك يعرف ايضا فى الناس انهم اذا دخلوا على ملك من الملوك ضموا ايديهم وجناحيهم الى انفسهم
تعظيما لهم وتجليلا او خوفا منهم فعلى ذلك جائز ان يأمره بضم يديه الى نفسه ليكون بين يدى ربه واهيب
واخوف ما يكون واعظم ما يجب له وهو ما قال له فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وقوله فذانك
برهانان من ربك اى اليد والعصا اللتان ذكرهما برهانان من ربك اى حجتان الى فرعون وملائه انهم كانوا
قوما فاسقين وقوله قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخى هرون هو افصح منى لسانا

في سورة الشعراء وقال رب اني اخاف ان يكذبون الى قوله فاخاف ان يقتلون الخ وهذا لما كان تقدم ما في الذكر
في ذلك وذكر على اختلاف الالفاظ وتغيير الحروف ليعلم ان ليس عليها مع حفظ الالفاظ والحروف بعدها
اصابة المعنى وفهم ما قصد بها واودع فيها لان الله ذكر هذه الانباء والقصص التي كانت من قبل في القرآن
على اختلاف الالفاظ وتغيير الحروف على التقديم والتاخير والزيادة والنقصان ليعلم ان المقصود والمراد
بتكرارها ما فيها لا عين اللفظ والحروف فاذا عرف ما فيها وفهمها جاز الاداء باي لسان كان وباي
لفظ كان والله اعلم وقوله هو افصح مني لسانا يحتمل وجوها احدها ما اهل التأويل فانهم قالوا كانت
في لسانه رتة اي عقدة لما ادخل في فمه من النار فذلك لا نعلمه وقد قال في اية واحلل عقدة من لساني يفقهوا
قولي فيجوز ان يكون ذلك خلقة خلقه هكذا على ما خلق بعض الخلق افصح وابين من بعض او ان يكون لما ذكر له من خوف
والذنب ما لم يكن ذلك لاخرين ولا شك ان اشتداد الخوف يمنع صاحبه عن التكلم والبيان وذلك معنى الهم
معروف في الناس وهو ما قال اني اخاف ان يكذبون الاية او ان يكون ذلك لان نشوء هرون كان فيهم
وهم بلسانهم اعرف وينطق افهم وموسى فترات كان معتزلا عنهم وقوله فارسله معي ردءا اي عونا يصدقني
ثم يحتمل ان ابتداء اخري انه فيم طلب منه عونا وهو ما قال واجعل لي وزيرا من اهلي الاية وقطعة فيما اقول
اذا كذبوني وكي استأنس به اذا ضاق صدري بالتكذيب والرد فاجابه ربه فقال سنشد عضدك
باخيك العضد كناية وعبارة عن القوة والعون لان القوة فيه تكون وهو كقوله وثبت اقدامنا ذكر الاقدام
لان القدم بها تثبت وقوله نكص على عقبيه لان بالعقب ينكص ومثله كثير فعلى هذا ذلك
وقوله ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا قال قائلون هو على التقديم والتاخير اي نجعل لكما
سلطانا باياتنا فلا يصلون اليكما وقال بعضهم ونجعل لكما سلطانا اي لطفا ندفع عنكما اذاهم وشرهم كقوله
لا تخافا انني معكما اسمع وارى اي اسمع ما يقول لكما وارى ما يفعل بكما وادفع ذلك عنكما فلا يصلون
اليكما بالايات التي معكما وقوله انتما ومن اتبعكما الغالبون يحتمل وجهين الغالبون بالحجج والبراهين
اي تغلبان بحججكما حججهم وتمويهاتهم او ان يكون عاقبة الامر لكما او ان يكون ذلك في الاخرة قال ابو معاذ
العرب تقول اردات الرجل اي اعنته وقال ابو عوسجة سنشد عضدك باخيك اي نعينك به والقوة
والعضد كناية عن القوة لان فيه يكون القوة وبه تقوى من يوصف بالقوة على ما ذكرنا وقوله فلما جاءهم
موسى باياتنا بينات اي جاء موسى فرعون وقومه باياتنا اي علاماتنا انشاها موضحات مظهرات تظهرن
وتوضحن رسالة موسى ونبوته وقد اظهرن لهم ذلك وعرفوا انها ايات من الله نزلن فالا ترى ان موسى
قال له يا فرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لكنهم عاندوا وكابروا وقالوا ما
هذا الا سحر مفترى هذا منهم تمويه وتلبيس على الاتباع والسفلة ولم يزل عادتهم التمويه والتلبيس
على اتباعهم امر موسى وقوله وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يقولون والله اعلم ان اباءنا قد عبدوا الاصنام على
ما نعبد نحن وقد ماتوا على ذلك من غير ان نزل بهم ما توعدنا من الهلاك والعذاب فعلى ذلك نحن على دين ابائنا و
على ما هم عليه فلا ينزل بنا شيء مما تذكر وتوعدنا به من العذاب ثم قال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده ومن تكون له عاقبة الدار هذا والله اعلم كانه ليس بجواب لقولهم ما هذا الا سحر مفترى وما
سمعنا بهذا في ابائنا الاولين ويكون جواب هذا ان كان هو قوله انه لا يفلح الظالمون كنى بالظلم عن السحر
يقول والله اعلم ليس بسحر لاني قد غلبتكم وقهرتكم وقد افلحت الا ولو كان سحرا ما اتيتكم به لم افلح اذ الله
تعالى اخبر ان الساحر لا يفلح بقوله انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وقال ايضا ما جئتم به السحر
الاية وقد اصلح عملي فظهر انه ليس بفساد ولكنه صلاح ويكون جواب قوله ربي اعلم بمن جاء بالهدى من
عنده ومن تكون له عاقبة الدار ما ذكر في سورة الاعراف حيث قالوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا في
الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون فقال عند ذلك
ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انتم او نحن ويقول ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده جوابا لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد والله اعلم وقوله وقال فرعون يا ايها الملأ ما
علمت لكم من اله غيري كانه قال للملأ خصوصية لهم لانه كان اتخذ للاتباع اصناما يعبدونها وجعل للملأ
عبادة نفسه والخيرة لما لم ير الاتباع اهلا لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام ورأى الملأ اهلا
لذلك فخصهم ومنه اتخذت العرب عبادة الاصنام دون الله لما لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله وقالوا
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وقوله فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا قال اهل التأويل
اول من اتخذ الاجر هو ولا نعلم ذلك يحتمل ان يكون من قبل ذلك وقوله فاجعل لي صرحا اي قصرا لعلي اطلع الى
اله موسى كان يعرف انه ليس باله السماء والارض اذ لا يملك ذلك فكانه قال اي يقول ما علمت لكم من اله غيري
قومه واهله خاصته واني لاظنه من الكاذبين كان جميع ما كان بين موسى وفرعون من الكلام كان على الظن
كقوله اني لاظنك يا موسى مسحورا وكذلك قال له موسى واني لاظنك يا فرعون مثبورا وقوله واستكبر هو
وجنوده في الارض بغير الحق الاستكبار هو ان لا يرى لنفسه شكلا ولا نظيرا وهو كذلك كان لا يرى لنفسه

شكلا ولا نظيرا لانه يدعي لنفسه الربوبية والالوهية واستكبار قومه لما استعبدوا بني اسرائيل واستخدموهم
او استكبروا ان يخضعوا لموسى ويجيبوا له الى ما يدعوهم اليه وقوله وظنوا انهم الينا لا يرجعون فاخذناه
وجنوده اخذناه اخذ تعذيب واهلاك فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين بعذابهم
بظلمهم وقوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ذكر في هؤلاء انه جعلهم ائمة في الشر وذكر في الرسل و
اهل الخير انه جعلهم ائمة في الخير حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات
وما قال ولتكن منكم امة يدعون الى الخير فكان من الله تعالى في اهل الخير صنع ومعنى حتى صاروا بذلك
ائمة الخير ما لم يكن ذلك منه باهل الشر ائمة السوء فهذا على المعتزلة لانهم يقولون لم يكن من الله
الى الرسل وقادة الخير الا وقد كان ذلك منه الى كل كافر وفاسق فلو كان على ما قالوا لكان لا يحتمل ان
يصير هؤلاء ائمة الخير واولئك ائمة الشر بما لهم ايضا وان كان ما من الله اليهم على السواء لكن يضاف
ذلك الى الله باسباب تكون منه وكانت حقيقة ذلك منهم وبفعلهم نحو ما تنذر من اتبع الذكر اضاف
الانذار الى من اتبع الذكر وان كان رسول الله ينذر من لم يتبع وكذلك ما قال في الشياطين انما يدعوا
الحزبين جميعا لكنه اضاف دعاءه الى حزبه لما منهم يكون له الاجابة واضاف انذار رسول الله الى من اتبعه
وقبله لطاعتهم له فعلى ذلك الاول اضاف ذلك الى نفسه لفعلهم لكن عندنا لا يكون من الخلق في فعل
الخلق حقيقة الفعل انما يكون منهم الاسباب ويكون من الله تعالى في افعالهم الاسباب وحقيقة الفعل
فيكون اضافة ذلك الى الله على حقيقة الفعل والاسباب جميعا والى الخلق لاسباب تكون منهم اليهم
والثاني انما خص بالانذار من اتبع الذكر لانه انما يقصد بالانذار لمن اتبعه لا من لا يتبعه وكذلك
الشيطان انما يقصد بدعائه اياهم ضررهم وان كان الرسول ينذر الخلق جميعا الا انه
يتبعه والذي لا يتبعه ولذلك الشيطان يدعو الحزبين جميعا لان هذا يقصد ضررهم بما يدعوهم
اليه الا ترى انه قال انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير والرسول بما ينذر يقصد نفعهم
لذلك خص الانذار لمن اتبعه وخص في ذلك حزبه وقوله ائمة يدعون الى النار تصريحا لانهم لا يدعوهم
الى النار لانه لا يجيبونهم ولكن يدعونهم الى اعمال توجب لهم النار ولو اجابوهم وهو كقوله فما اصبرهم
على النار اي ما اصبرهم على عمل يستوجبون به النار وقوله ويوم القيامة لا ينصرون كان الشيطان
سببا هم النصر والشفاعة بعبادة الاصنام فيخبر انهم لا ينصرون لما سماهم وقوله واتبعناهم في هذه الدنيا
لعنة وهو ما عذبوا في الدنيا واستؤصلوا ويوم القيامة هم من المقبوحين قال بعضهم سودوا
وجوههم وجائز ان يكون ذلك جزاء ما افتخروا في هذه بالحلي والزينة وطعنوا في موسى حيث بالهم
حيث قالوا فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين يخبر انهم يكونون في الاخرة
على غير الحال التي كانوا في الدنيا وافتخروا بها وقال بعضهم المقبوح هو السواد مع الزرقة وقوله ولقد
اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى من نحو عاد وثمود وهؤلاء الذين كانوا من قبل
من الامم اي ارسلناه بعد هلاك من ذكر بصائر للناس يشبه ان يكون قوله بصائر للناس اي هلاك من
ذكر من القرون الاولى بصيرة وعبرة لمن يكون من بعدهم ليزجرهم ذلك عن تكذيب الرسل ويكون ذلك
اية لرسالة موسى والثاني ان يكون قوله بصائر للناس وهدى ورحمة اي الكتاب الذي اتاه الله موسى هو
بصائر وهدى ورحمة لهم اذا قبلوه واتبعوه وعملوا به وكذلك كان جميع كتب الله هدى ورحمة
وبصيرة لمن امن بها وعمل بها وجائز ان يكون هذا جوابا وصلة لقولهم ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين
يقول والله اعلم انكم لو تسمعون ذلك في ابائكم الذين اتبعوا رسلهم فاجابوهم فاما من كذبوهم فانا
اهلكناهم بتكذيبهم الرسل واستأصلناهم والله اعلم وقوله وما كنت بجانب الغربي قال بعضهم
جانب الغربي حيث تغرب الشمس والقمر والنجوم والشرقي حيث تشرق وتطلع وقال بعضهم بجانب
الغربي اي بجانب الوادي الغربي والله اعلم ما اراد به وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى
موسى الامر وما كنت ثاويا في اهل مدين اي مقيما وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يحتمل وجوها احدها
انك لم تكن شاهدا هذه المشاهد التي شهدها موسى حيث قضينا الى موسى الامر بجانب الغربي ولم تكن
شاهدا هنالك وما كنت في اهل مدين ثاويا حتى تعلم امر موسى وحينه وما كنت بجانب الطور حيث نادينا
موسى ونحوه اي لم تكن شاهدا هذه المشاهد التي كان موسى شاهدا فيها ثم اعلمناك بتلك الانباء والاخبار
على ما كانت لتتلو تلك الانباء والاخبار على اهل مكة فتكون اية لنبوتك وحجة لرسالتك اذ لم تشهدها ولا
اختلفت الى احد ممن يعرفها فعلمك ثم انبات على ما كانت ليعرفوا انك انما عرفت بالله تعالى والثاني يحتمل
الا يذكر هذا له امتنانا عليه لتأدية شكره لا تذكر انا اوحي الى موسى وذكر محمدا وامته في شرفه حتى
تمنى موسى ان يجعل من امته يقول والله اعلم لم تكن انت شاهدا في هذه المشاهد فذكرتك ثم روا امتك
او ان يذكر هذا له على الاختصاص له ليعرف ان امر الرسل والوحي اليهم على الاختصاص لهم من
الله لا بامر كان منهم على هذه الوجوه الثلثة يحتمل ان يخرج تأويل ما ذكر له وقال بعض اهل التأويل

في قوله وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يقول لمحمد لم تعاين هذا ولم تشهده وانما
هو شيء انزلناه عليك لتتلوه على اهل مكة وقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر هذا ليس بصلة
بالاول ولكن على الابتداء يقول والله تعالى اعلم لكنا انشأنا قرونا بعد انقراض الرسل ودروس اعلامهم
وآثارهم وتطاول العهد ولعزته بعثناك فيهم رسولا يحيي به آثارهم وتظهر فيهم سننهم واعلامهم
رحمة منا اليهم وهو ما قال في آخره ولكن رحمة من ربك اي ارسلناك رحمة منا لهم وهو ما قال
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او لا يكون قوله ولكن رحمة من ربك اي ما انبائك واعلمك من انباء موسى
واخباره حيث لم تشهدها من رحمة ربك حيث جعلها آية لنبوتك وحجة لرسالتك والله اعلم وقوله
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك هذا يحتمل وجهين احدهما لتنذر قوما ما انذر به الرسل الذين من
قبلك قومهم والثاني لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون اي على رجاء التذكر تنذرهم
او ان يكون ذلك خاصة لمن تذكر اذا كان على لا يجاب وقوله ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم
لا ينتظم الجواب وليس ما ذكر على اثره جواب له الا ان يقال ان قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة وذلك
جائز في اللغة كقوله ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي لم تقولوا ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم اي لم يمسهم وجميع ما ذكر في هذه السورة من لولا كله انه
لم يكن فعلى ذلك جائز ان يكون تأويل قوله ولولا ان تصيبهم مصيبة اي لم تصبهم مصيبة ولو اصابتهم مصيبة
وهو العذاب فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وهو كقوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا على هذا يخرج تأويل هذا ثم في هذه الآية في قوله ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله وجهان احدهما على من يقول بان ليس لله ان يعذبهم بما كان منهم قبل بعث الرسل اليهم وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا ونحو الآية بيان ان له ان يعذبهم وان لم يبعث الرسل لانه اوعدهم الهلاك
فلو لم يكن له التعذيب والاهلاك لم يكن للوعيد فدل ان له الاهلاك في الدنيا والاستيصال
لكنه اخره عنهم فضلا منه ورحمة والثاني على المعتزلة في قولهم الاصلح لانه لا يخلو اما ان يكون ما اوعدهم
اصلح لهم من الترك لهم اصلح فان كان ما اوعد لهم اصلح فقد تركتم فيكون في تركهم
اياهم جائرا على قولهم لانه لم يفعل ما هو اصلح لهم في الدين او ان يكون الترك لهم اصلح فيكون
بما اوعدهم جائرا اذا وعد بما كان غيره اصلح لهم مما اوعد فدل ما ذكرنا على ان ليس على الله حفظ الا
صلح لهم في الدين ثم قوله بما قدمت ايديهم ليس الكفر نفسه ولكن العناد والمكابرة مع الكفر لان عذاب
الكفر في الاخرة ليس في الدنيا لان الله قد ابقى كثيرا من الكفرة لم يهلكهم ولم يعذبهم في الدنيا ولكن انما اهلك
واستأصل في الدنيا من عاند وكابر الرسل في الآيات والحجج التي اتوها بهم واقاموها عليهم على اثر سؤال كان
منهم فعند ذلك اهلكهم واستأصلهم لا بنفس الكفر ثم مع ما كان له التعذيب قبل بعث الرسل لم يعذبهم
ولكن اخرهم الى ان بعث الرسل اليهم بالآيات والحجج ليقطع به احتجاجهم ومنازعتهم فضلا منه وان
لم يكن لهم الاحتجاج عليهم بقولهم لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين
يحتمل قوله فنتبع آياتك الآيات التي تبعث مع الرسل لانه تبعث مع الرسل الآيات
وجائز ان يكون قوله فنتبع آياتك يعنون بالآيات الرسل لانفسهم وحججهم والله اعلم وقوله فلما جاءهم
الحق من عندنا جائز ان يكون الحق الذي ذكر الرسول نفسه ويحتمل الحق الكتاب الذي انزل عليه او آيات
وقوله قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى هذا يحتمل وجوها احدها قالوا هلا اوتي محمد من انواع النعم
من المن والسلوى وغيره من غير تكلف ولا تعب مثل ما اوتي موسى لو كان رسولا على ما تقول
او اراد بقولوا لولا اوتي من الآيات الحسيات الظاهرات من نحو اليد والعصا والحجر الذي كان ينفجر منه
والغمام وما ذكر من الضفادع والقمل والدم والطوفان وغير ذلك مثل ما اوتي موسى او ان يقولوا لولا
اوتي محمد القران جملة عيانا جهارا كما اوتي موسى التورية جملة عيانا جهارا والله اعلم بذلك ما عنوا به ثم
بين الله سفههم واخبر انهم انما يسألون ما سألوه سؤال عناد ومكابرة لا سؤال استرشاد وطلب الحق
حيث قال اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل اي لم يكفر هؤلاء الذين سألوك الآيات بما اوتي موسى
يعني اهل مكة لانهم كانوا مشركين لم يؤمنوا برسول قط من قبل ويحتمل قوله اولم يكفروا اي اولم يكفر قوم
موسى بما اوتي موسى بعد سؤالهم الآيات اذا تاهم بها فعلى ذلك هؤلاء يكفرون بما اوتيت والاول
اشبه ثم قالوا سحران تظاهرا وقد قرئ ساحران بالالف قال بعضهم ساحران موسى وهرون وقال
بعضهم موسى ومحمد وقال بعضهم عيسى ومحمد وقوله سحران بغير الف كتابان لكنهم اختلفوا قال بعضهم القرآن
والانجيل وقال بعضهم الفرقان والتورية ونحوه وقال بعض اهل الادب ساحران اولى واقرب لان
ذكر التظاهر انما يكون بين الانفس لا يكون بين الكتب تظاهرا اي تعاونا وقال بعضهم من اهل الادب ايضا
سحران بغير الف اولى لانه يراد به الكتابين الا يرى انه طلب منهم بما قالوا اتيان الكتاب بحيث قالوا فأتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما رد على ما قالوا وطلبوا منه لكن نقول نحن لا نحب ان نختار احدى القرائتين

على الاخرى لانه انما هو خبر اخبر عنهم انهم قالوا ذلك مرة قالوا ساحران ومرة قالوا سحران فاخبر على ما قالوا و
كذلك قوله سيقولون الله بالالف وبغير الالف لا نختار احدهما على الاخر لانه خبر اخبر عنهم على
ما كان منهم فهو على ما اخبر والله اعلم وقال بعض اهل التأويل في قوله لولا اوتي مثل ما اوتي موسى قالت
اليهود لما مر قريشا ان تسأل ان يؤتى محمد مثل ما اوتي موسى يقول الله لرسوله قل لقريش يقولوا لهم اولم
يكفروا بما اوتي موسى يعني يهود وقالوا ساحران تظاهرا قال قول يهود لموسى وهرون وهو ما ذكرنا قريب
والله اعلم وقوله وقالوا انا بكل كافرون ما اوتي موسى على خلاف ما ذكرنا ثم قال قل يا محمد لقريش
اهل مكة فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما من التورية والفرقان او التورية والانجيل على خلاف
ما قالوا اتبعه ان كنتم صادقين في زعمكم انهما سحران تظاهران وانه مفترى ايتيا انتم من عند الله بكتاب
اتبعه الى هذا ذهب اهل التأويل ووجه اخر يشبه ان يكون اقرب منه وهو ان قوله فأتوا بكتاب من
عند الله هو اهدى منهما اي ايتوا بكتاب من عند الله انه امركم بعبادة الاصنام والاوثان لانهم كانوا
يعبدون الاصنام دون الله ويقولون الله امرهم بذلك ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وان عبادتهم
اياها تقربهم الى الله زلفى ونحوه من الكلام فيقول والله اعلم ايتوا بكتاب من عند الله انه امركم بذلك
هو اهدى منهما اي ابين منهما واوضح من هذين لان هذين انما جاءا بنهي عبادة غير الله ومنعها دون نقول
ايتوا بكتاب هو اهدى وابين مما جاء منه من هذين ان كنتم صادقين ان الله امركم بذلك ويكون عبادتكم
اياها على ما تزعمون هذا جائز ان يكون اقرب من الاول والله اعلم وقوله فان لم يستجيبوا لك اي اتيان
ما تطلب منهم وتسأل من الكتاب فاعلم انما يتبعون اهواءهم بغير علم وهم كانوا يعلمون انهم انما يتبعون في
في عبادة الاصنام وتحريم الحلال وتحليل الحرام اهواءهم ويجعلون هواهم اماما اذ لا يؤمنون برسول
حتى يكون لهم كتاب ثم قال ومن اضل اي لا احد اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي من غير بيان
من الله لا يهدي القوم الظالمين اي والله اعلم ان الله لا يهدي قوما يتبعون اهواءهم لا يتبعون الحجج والبراهين
لا يهديهم ما داموا في اتباع هواهم او لا يهدي القوم الذين ظلموا الحجج والبراهين والله اعلم وقوله ولقد و
صلنا لهم القول لعلهم يتذكرون اختلف فيه قال قائلون هو القرآن ثم يخرج على وجهين احدهما
وصل القرآن بعضه ببعض حتى خرج كله موافقا بعضه بعضا متسقا مجتمعا غير مختلف وان فرق في
الانزال على تباعد الاوقات وطول المدد لعلهم يتذكرون ان مثل هذا لا يكون الا ممن يعلم الغيب ولا
يعزب منه شيء ولا يغيب اذ لو كان هو ممن لا يعلم ذلك من كلام المخلوق لخرج مختلفا متناقضا على ما يكون
من كلام المخلوق في تباعد الوقت وطول المدة مختلفا متناقضا والثاني وصل مواعظ القرآن بعضها ببعض
ومواعظها بعضها ببعض وعداته بعضها ببعض وكذلك اوامره ومناهيه وان تفرق نزولها واختلف
مواضعها يدعوهم به مرة بعد مرة لعلهم يتذكرون به ومنهم من يقول في قوله وقلنا لهم القول اي الانباء
والاخبار الامم الخالية نبأ بعد نبأ وخبرا على اثر خبر ما نزل بمكذبي الرسل منهم من الهلاك والعذاب و
بمصدقي الرسل من النجاة والبقاء في النعم الدائمة على اقرار منهم بذلك وعلم انه كان بهم ذلك لعلهم يتذكرون
ذلك وينزجرون عن تكذيب رسولهم مخافة ان ينزل بهم بالتكذيب ما نزل باولئك وجائز ان يكون قوله
وصلنا لهم القول اي قول التوحيد ووجه هذا ان وصلنا التوحيد حتى جعلنا في كل امة وكل قوم اهل
توحيد لم نخل قوما ولا امة عنه كقوله ولكل قوم هاد وكقوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق ونحوه
من الآيات يدل على ان كل امة وقرن اهل توحيد لعلهم يتذكرون ان في اباءهم من قد امن بالرسل وصدق
بهم ولا يقولون ان اباءنا على ما هم عليه نتبعه ان اباءنا على ما هم عليه يشبه ان يكون هذا وصل القول
الذي ذكر ووصلنا القول قال ابو عوسجة والقتبي اي اتبعنا بعضه بعضا فاتصل عندهم وقال
بعضهم وصلنا اي بينا شيئا فشيئا حتى صار عندهم ظاهرا وقال ابو معاذ وصلنا في كلام العرب اتممنا كصلتك
الشيء بالشيء وقوله الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وقال في آية اخرى الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وقال في آية اخرى فالذين
آتيناهم الكتاب يؤمنون به وقال يحرفون الكلم عن مواضعه وامثاله يذكر في هذه الآيات ان من
اهل الكتاب من لم يؤمن ويذكر في الاولى على الاطلاق ان الذين اوتوا الكتاب من قبله هم به يؤمنون
جائز ان يكون قوله الذين آتيناهم الكتاب وانتفعوا به يؤمنون به او ان يكون الذين آتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته هم يؤمنون به على ما ذكر في آية اخرى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته
اولئك يؤمنون به واما من لم يتله حق تلاوته فلا يؤمن فاما اهل التأويل فانهم صرفوا الآية الى قوم خاص
من اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا به ويشبه ان يكون الآية في قوم منهم الا ترى انه قال
على اثره واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين يذكر اهل التأويل انهم كانوا
امنوا به قبل ان يبعث محمد فلما بعث ثبتوا على ذلك وامنوا على ما كانوا من قبل فيه دلالة ان الايمان والاسلام
واحد لانهم قالوا امنا به وقالوا انا كنا من قبله مسلمين دل انهما واحد وكذلك قوله فاخرجنا من كان فيها

من المؤمنين لما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهم واحد ذكر مرة الايمان ومرة الاسلام دل انهما واحد
وقوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا هذا يحتمل وجوها ثلثة احدها يؤتون اجرهم مرة بالاسلام
ومرة بما صبروا على زوال الرياسة منهم وذهابها لانهم كانوا اهل رياسة ومنزلة وقدر فذهب
ذلك كله عنهم بالاسلام فلهم الاجر مرتين لذلك والثاني يؤتون اجرهم مرتين مرة بالاسلام ومرة بما
صاروا قدوة وائمة لمن بعدهم يقتدون بهم احد الاجرين باسلام انفسهم والثاني بدعائهم غيرهم الى
علما بما قبل الرؤساء منهم والقادة ويضاعف العذاب عليهم مرتين مرة بضلال انفسهم ومرة باضلال
غيرهم كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم جائز ان يكون ايتاء الاجر مرتين
لما يصيرون ائمة وقدوة لغيرهم في الخير ويضاعف عليهم العذاب اذا صاروا ائمة وقدوة في الشر الا ترى
انه قال في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين وذلك والله اعلم لما يصرن هن ائمة لغيرهن يقتدون بهن فعلى ذلك الاول وجائز ان
يكون يؤتون اجرهم مرتين بالاسلام نفسه ويكون الصبر كناية عن الايمان كقوله الا الذين صبروا وعملوا
الصالحات اي امنوا واسلموا واما اهل التاويل فانهم يقولون يوتون اجرهم مرتين مرة بايمانهم بمحمد
قبل ان يبعث ومرة بايمانهم بعد ما بعث والاول اشبه وقال بعضهم يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا
مرة باسلامهم ومرة بما صبروا وحلموا على اذى اولئك الكفرة ولم يكافوهم بل خاطبوهم بخير حيث قال
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وروى في بعض الاخبار عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة يوتون
اجرهم مرتين رجل امن بنبيه ثم اذا بعث نبي اخر امن به ومملوك لرجل يخدمه ويحسن خدمته ويعبد ربه
ورجل له جارية ثم اعتقها فتزوجها وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة هذا يحتمل وجهين احدهما
يحسنون اليهم بعد اساءتهم اليهم وفي اذاهم اياهم على ما كانوا يفعلون ويصنعون اليهم قبل ذلك والثاني
يدرؤن بالحسنة اي يعفون عن اذاهم ولا يكافؤنهم فيكون كقوله خذ العفو وأمر بالعرف الاية والاول
كقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله ومما رزقناهم ينفقون
اي ينفقون في حق الله وسبيل الخير والاكل كافر ينفق كقوله مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح
فيها صر الاية وقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا هذا ايضا يحتمل وجهين اذا سمعوا منهم من الكلام ما يتاذى
من كلام اللغو والاذى والفرية اعرضوا عنه اي لم يكافوهم لاذاهم والثاني اذا سمعوا ما يلغون به من
الباطل اعرضوا اي لم يخالطوهم فيه فليس انهم لا ينهون ولا يمنعونهم عن ذلك اذا رأوا النهي ينجع فيهم
فعند ذلك اعرضوا عنه وهو كقوله واذا مروا باللغو مروا كراما وقوله وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
يقولون هذا لهم اذا لم ينجع النهي والموعظة ولم يقبلوا ذلك عند ذلك يقولون لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
اي لكم جزاء اعمالكم ولنا جزاء اعمالنا وكذلك قوله لكم دينكم ولي دين لم يقل هذا لهم في ابتداء الدعاء ولكن
بعد ما ايس عن ايمانهم واجابتهم فعلى ذلك الاول وقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين هذا يشبه ان يخرج على
وجهين احدهما على القول منهم بالسلام عليهم اي كانوا لا يخاطبون الجهال ولا يخاطبونهم الا بالسلام خاصة
بهذا القدر يخاطبونهم حسب والثاني ليس على حقيقة قول السلام عليهم ولكن على الصلح وترك المكافاة لهم
وتركهم اياهم ما هم عليه اذ السلام هو الصلح والله اعلم وقال بعضهم ردوا عليهم معروفا لا نبتغي الجاهلين
يعنون لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وقوله انك لا تهدي من احببت ذكر اهل التاويل انها
نزلت في ابي طالب عم النبي وذلك ان ابا طالب قال يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا
فقال له النبي عليه السلام تامرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما له ما تريد يا ابن اخي قال
اريد منك كلمة واحدة في اخر يوم من الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن
اخي قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك
واخيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك
ولكن سوف اموت على ملة الاشياخ فلان فانزل الله ذلك انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
فهو على المعتزلة لانهم يقولون ان الهدى البيان ولو كان بيانا على ما يقولون لكان رسول الله يقدر ان
يبين له وقد بين لكن الجبائي يحتج لهم فيناول ويقول ان رسول الله كان يحرص ان يدخله الجنة فيقول
انك لا تهدي طريق الجنة له حتى يدخلها او كلام يشبه هذا وذلك بعيد وقال جعفر بن حرب هذا ليس
في ابتداء الهداية ولكن في اللطائف التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء في البدء
والانف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى الاية فيخبر انك لا تملك الهداية اللطيفة التي تخرج مخرج الثواب
ان تهديهم فيقال له اخبرنا عن تلك الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم لما كان منهم من الاهتداء
في الابتداء ينفع لهم دون الابتداء فان قالوا نعم فيقال لهم فذلك عليه ان يفعل بهم اذ من قولهم
ان عليه ان يعطي كل كافر ما ينفعه ويصلح له في دينه فكيف منع ذلك ينفعهم والثاني يقال لهم ان تلك
الزيادة التي تخرج مخرج الثواب لهم واللطائف على ما كان منهم في الابتداء ليستوجبها او لا يستوجبها فان

كان يستوجبها فلا معنى للمنع على قولهم لانهم يقولون ان يعطي ذلك وان كان يستوجبها فلا معنى لقوله
ولكن الله يهدي من يشاء على قولهم فيبطل الاحتجاج به على قوله وعندنا زيادة الهداية وابتداؤها
سواء وهو على ما اخبر رسوله انه لا يهدي ولكن لو كان الهداية بيانا على ما قالوا لكان قد بين لهم
فدل ذلك منه ان ثم هداية سوى البيان عند الله اذا اعطى العبد يصير بها مؤمنا وهو التوفيق
والعصمة والسداد وذلك لا يملكه رسول الله انشاء ذلك وابتداءه بل الله هو المالك بذلك
وقوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا دل قولهم ان نتبع الهدى معك هو على انهم
انهم عرفوا ما جاء به رسول الله ويدعوهم الى الهدى حيث قالوا ان نتبع الهدى معك وقوله نتخطف
من ارضنا يخرج قولهم هذا على وجهين احدهما الاهلاك ونفني جوعا اذا خالفنا اهل الافاق في
الدين لانا اذا فهم وما به قوام ابداننا انما يحمل ويجلب من الافاق فيقولون انا اذا اتبعنا الهدى
معك وخالفناهم في الدين اهل الافاق فيمنعونا الميرة فنهلك ونموت جوعا فذلك تخطفهم من الارض
والثاني قالوه ذلك مخافة ان يغزوا او يؤسروا او يقتلوا اذا خالفوا اهل الافاق والاطراف
في الدين ولا يتبعوا الهدى مخافة الاسر والقتل فاجابهم الله ورد عليهم اعتلالهم في الوجهين
فقال اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا يقول والله اعلم انا جعلناهم
في الحرم امنين وما يمتار اليهم من انواع الثمرات باللطف لا بموافقتهم الذين الا يرى انهم مع موافقتهم
الذين كانوا يتخطفون الناس منهم حيث قال في اية اخرى اولم يروا انا جعلنا لهم حرما امنا و
يتخطف الناس من حولهم اخبر انهم مع موافقتهم في الدين يتخطفون دل انه انما جعل لهم الحرم
امنا والميرة اليهم باللطف لا بالموافقة في الدين حتى لا يتعرض لاهل الحرم في الحرم ولا خارجا
ولا يتعرض ايضا من دخل الحرم بشيء ليعلم انه انما كان كذلك باللطف من الله لا بالموافقة في
الدين والثاني انهم مع ما كانوا يعبدون الاصنام دون الله فيه لا يمنعهم الرزق ويؤمنهم فيه فلا ان
يفعل ذلك بهم عند عبادتهم الله وتركهم عبادة غيره احق ان يرزقوا ويأمنوا فيه وقوله
يجبى اليه ثمرات كل شيء قال اهل التاويل ثمرات كل شيء اي من كل جنس ونوع من الثمرات
يجبى اليه وظاهره اي يجبى اليه من شيء ارفعه وانفعه وذلك ثمرته لان ثمرة كل شيء ارفعه
يقال ثمرة الشيء كذا وثمرة هذا الكلام كذا اي ما ينتفع من هذا هذا والله اعلم وقوله ولكن اكثرهم
لا يعلمون اي ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يحمل اليهم من الافاق ويجبى اليه من الثمرات و
الاطعمة انما هو باللطف لا بموافقة الدين وكذلك لا يعلمون ان امنهم فيه باللطف لا بموافقة
الدين والله اعلم وقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها قال بعضهم كفرت معيشتها وقال
بعضهم لم ترض معيشتها وفيه اضمار في اي بطرت معيشتها فانتصب لانتزاع حرف في ونا ولهذا
والله اعلم اي كم اهلكنا قرية بطر اهلها في معيشتها حتى صرفوا شكر النعم عليهم وجعلوا عبادتها
لغير الذي جعل لهم السعة والرخاء فانتم يا اهل مكة اذا بطرتم واشرتم في سعتكم وحصبكم
تهلكون كما اهلك من كان قبلكم وهو كما قال فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء الاية
وقوله فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من القريات قريات اذا اهلك اهلها اسكن
غيرهم فيها نحو قريات فرعون وغيره جعل مساكنهم لبني اسرائيل حيث قال واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض الاية وقوله واورثنا بني اسرائيل الكتاب ومن القريات
ما جعلها خربة معطلة لم يسكن غيرهم فيها نحو قريات لوط وغيره وقوله وكنا نحن الوارثين
اي لنا حق في السعة على ما ذكرنا انفا في غير موضع وقوله وكنا نحن الوارثين يخرج على وجهين فهذا
احدهما اخبار عن هلاك اهل الارض وفنائهم وبقي هو كقوله انا نحن نرث الارض لله يورثها
من عباده ومن عليها والثاني اخبار عن هلاك اولئك وجعلها لغيرهم اي للمتقين كقوله ان
الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والله اعلم قال ابو عوسجة نتخطف من ارضنا
اي نوخذ وقوله يجبى اليه من الجباية اي يجمع يقال جبيت اجبي جباية وجبيا واجبي يجبي اي جاز
يجوز بطرت معيشتها اي لم ترض بمعيشتها وقال في امها رسولا اي في اكثرها واعظمها قدرا
وهي مكة والنبي منهم والكتاب انزل عليهم وقالا وامها كلها لا يتكلم بها احد يعنون بالكسر وقوله
وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا جائز ان يكون تلك القرى التي اخبرانه غير مهلكها
حتى يبعث في امها رسولا القريات التي هن حول مكة لا يهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا قبل
في اعظمها وهي مكة رسولا يتلو عليهم اياتنا فان كان هذا فيكون الاهلاك لها الانتزاع من ايديهم
وجعلها في ايدي اهل الاسلام على ما كان لوني الله كان يفتح على رسوله قرية فقرية وبلدة فبلدة
حتى جعل الكل في ايدي المسلمين وهو ما قال ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل
قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله وهو وعد فتح مكة وذلك اهلاكهم والثاني جائز ان

كان

ان يكون هذا كل القرى وجميع الرسل انه كان لا يهلكها بالكفر نفسه حتى يبعث في اكبرها واعظمها وهي
المصر رسولا يتلو عليهم اياتنا وذلك تفسيره كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر بعث الرسول
في امها لانه اذا بعث الرسول في اعظمها وهو المصر ينتشر وينتهي الى الافاق والقصبات بيومها والقرى
لما انهم يدخلون المصر لحوائجهم فيبلغ الرسول تلاوة الايات عليهم والدعاء لهم ولانه كان
بعض القرى لا يتهيأ لهم ذلك والله اعلم وقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي معاندون
مكابرون لا نهلكهم اهلاك تعذيب بنفس الكفر في الدنيا حتى يكون منهم العناد والمكابرة انما
يعذبون عذاب الكفر في الاخرة وهو عذاب الابد وقوله وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا
وزينتها وما عند الله خير وابقى انهم كانوا ينفقون ما اوتوا من النعم ومتاع الحيوة الدنيا واهل
الزهد والتقوى اثروا الباقي الموعود في الاخرة على متاع الحيوة الدنيا وزينتها ولذلك قال افمن
وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا يخوفهم هذا ان يقال بل الموعود
الحسن الملاقي بالذي له عاقبة خير من المتاع الفاني الذي ليست له عاقبة ثم لم تذكر لقوله جواب
فجوابه ما ذكرنا فيه كل استفهام كان من الله فهو على ايجاب والحقيقة لتبين على الاستفهام ثم قوله
ثم هو يوم القيامة من المحضرين اي يحضرون في النار وقيل من المحضرين في العذاب وكله واحد
وقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون قوله منهم
حيث اشركتموهم في العبادة وتسميتهم الالهة لوهيتهم وانتم لكن الله شريك فيقول اين شركائي الذين
زعمتم انهم شركائي ثم قوله اين شركائي انما يقال لهم لقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيقول اين شفعاؤكم من زعمتم انهم شفعاؤكم عند الله واين قربتكم
وزلفاكم بعبادتكم اياها حيث زعمتم ان عبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى اين ذلك كله منهم وقوله
قال الذين حق عليهم القول يحتمل قوله حق عليهم القول الذي قال لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين ويحتمل ان يكون قوله حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب كقوله واذا وقع القول
عليهم اي وجب العذاب عليهم وكقوله ووقع القول عليهم بما ظلموا اي وجب العذاب عليهم
بما ظلموا ونحوه ثم اختلف في الذين حق عليهم القول منهم من يقول هم رؤساء الكفرة وائمتهم
الذين اضلوا اتباعهم ودعوهم الى الضلال ومنهم من يقول هم شياطين الجن وللفريقين جميعا في الكتاب
ذكر قال في ائمتهم اذ تبرأ الذين اتبعوا وقال قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا والثاني
هذا اكثر وقال في شياطين الجن ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال احشروا
الذين ظلموا وازواجهم الاية ونحوه كثير ايضا وقوله ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا يقولون
اغويناهم كما غوينا يعتذرون انه لم يكن منا اليهم الا الدعاء والاشارة الى الغواية وهو كقول ابليس اللعين
وخطبته يومئذ حيث قال وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق الاية فعلى ذلك
هؤلاء يقولون لم يكن منا اليهم سوى الدعاء بلا برهان ولا حجة فاتبعونا فلا تلومونا ولوموا انفسكم
حيث تركتم اجابة الرسل ومعهم براهين وحجج واجبتمونا بلا حجة ولا برهان فاغويناكم ولو كنا على الهدى
لهديناكم كقولهم لو هدانا الله لهديناكم وقوله تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون انما يتبرؤن الاتباعهم
بالعبادة لنا والا كانوا عبدة وهم ثم ان المعتزلة لا يتعلق بهذه الاية لانهم يقولون انما اضافوا الغواية
الى انفسهم حيث قالوا اغويناهم كما غوينا دل ان الله لا يغوي احدا فيقال لهم انا لا نضيف ولا نخبر اضافة
الغواية الى الله فيما يخرج مخرج الذم له وانما نضيف فيما يخرج مخرج المدح له والثناء عليه ثم قد اضاف ابليس
الغواية اليه ولم ينكر عليه حيث قال رب بما اغويتني في غير موضع وقال يضل من يشاء ونحوه كثير في
القران فما خرج مخرج المدح له والثناء عليه نضاف اليه وما خرج مخرج الذم له فلا وقد ذكرنا هذا في غير
موضع والله اعلم وقوله حق عليهم القول يوم قال لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
ثم قالت الشياطين في الاخرة ربنا هؤلاء الذين اغوينا يعنون كفار بني ادم هؤلاء الذين اضللناهم
عن الهدى كما ضللنا تبرأنا اليك منهم يا رب ما كانوا ايانا يعبدون فتبرأت الشياطين ممن كان يعبدها
فقالوا لم نامرهم بعبادتنا وقيل لكفار بني ادم ادعوا شركاءكم يقول سلوا الالهة التي سميتموها الهة فدعوهم
اي سألوهم فلم يجيبوهم الالهة بانها الهة وقوله اين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شركاء على ما ذكرنا
من قبل والله اعلم وقوله وقيل ادعوا شركاءكم يحتمل شركاءكم في الخلقة او شركاءكم في العبادة ادعوهم
ليشفعوكم ويقربكم الى الله على ما زعمتم في الدنيا فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يشفعوا لهم ولم يستجيبوا لهم
بما لم يجعل في وسعهم الاجابة لهم واجابتهم في الاخرة ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون تاويله
لو رأوا العذاب في الدنيا لكانوا يهتدون ولكن لم يروه هذا الوجه ووجه اخر انهم لم يصدقوا بالعذاب
في الدنيا ولو صدقوه لاهتدوا لمخافة نزول العذاب بهم والثالث لو انهم كانوا مهتدين في الدنيا
ما رأوا العذاب في الاخرة والله اعلم وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء

اختلف فيه

اختلف فيه قال قائلون انما يسألون عن اجابتهم الرسل ماذا اجبتموهم على فعميت عليهم الانباء اي الاجابة
فلا يتهيأ لهم الاجابة لهول ذلك وفزعهم وقال بعضهم انما يسألون عن الحجة والعذر الذي به كانوا تركوا
اجابة الرسل فيقولون لهم لاي حجة وعذر تركتم اجابتهم فعميت عليهم الانباء اي الحجج والعذر لما لم يكن لهم الحجة
والعذر في تركهم اجابتهم فهم لا يتساءلون قال بعضهم بعضا بل يتبرأ بعضهم من بعض ويكفر بعضهم ببعض
ويلعن بعضهم بعضا على ما ذكر في الكتاب وقال بعضهم فهم لا يتساءلون بالحجة والبرهان لما لا حجة لهم ولا برهان
اي لا يسأل بعضهم بعضا من الحجج لان الله ادحض حججهم وكل السنتهم وقال بعضهم لا يتساءلون بالانساب
يومئذ كما كانوا يتساءلون في الدنيا كقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون والله
اعلم بذلك ثم ان بعض المعتزلة تكلموا فيه وقالوا لو كان الامر على ما قاله القدريون والجبريون في المشيئة
والارادة لكان السبيل لهم الاحتجاج ويكون لهم العذر فيقولون يا ربنا اجبنا ما نفذ من مشيئتك وارادتك
وما مضى من قضائك وكتابتك علينا اذ كنت انت قضيت وكتبت علينا وشئت واردت ما كان منا من التكذيب
لهم وترك الاجابة فلم يكن لنا تخلص مما شئت انت وقضيت علينا الى هذا الخيال يذهب جعفر بن حرب وهذا
منه تعليم اولئك الكفرة الحجاج بالباطل والكذب بين يدي رب العالمين للتكذيب الذي كان منهم ثم يقال
لو كان لهم ذلك الحجاج على زعمكم فلا يكون ذلك لهم بقولنا ولكن انما يكون بكتاب الله وسنة رسوله وقول
المسلمين اجمع حيث قالوا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وبكتاب الله ما ذكر في غير اي من القران يهدي من
يشاء وقوله انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم الاية وامثاله مما لا يحصى من الايات فلئن كان لهم ذلك انما يكون
بما ذكرنا لا بقولنا واصله انه لا يكون لهم هذا النوع من الاحتجاج لانهم وقت فعلهم لا يفعلون ما يفعلون
بان الله شاء ذلك لهم وقضى وكتب ذلك عليهم وهم يؤثرون ويختارون وقت فعلهم ان شاء الله ذلك
منهم ورضي فاذا كانوا وقت فعلهم لا يفعلون لذلك فكيف يكون لهم الحجاج على ما كانوا عليه يفعلون
لا لذلك لكن هذا منهم تعليم الكذب لهم ليكذبوا بين يدي رب العالمين على ما ذكر واصل قولنا في هذا انا نقول
انه شاء من كل ما علم انه يكون منه ويختار وكذلك قضى وكتب على كل ما علم انه يكون منه اذ لا يجوز ان يشاء منه
خلاف ما علم انه يكون لانه فيه احد وجهين اما الجهل بالعواقب واما العجز فيه وذلك عن الله سبحانه
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واصله ما روي عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال بيننا وبين القدرية حرفان
احدهما انا نقول لهم ان الله اعلم ما يكون انه يكون فان قالوا لا كفروا لانهم جهلوا الله وان قالوا بلى فيقال
لهم وشاء ان يكون ما علم انه يكون فانهم ان قالوا لا كفروا لانهم يقولون شاء ان يجهل ذلك كفروا وان قالوا بلى
شاء ذلك لزمهم قولنا في المشيئة والارادة لله في ذلك قال ابو عوسجة والقتبي فعميت بالتخفيف اي خفيت
فعميت بالتشديد اي اخفيت وقوله فاما من تاب وآمن وعمل صالحا اي فاما من تاب اي رجع عما كان فيه
من الشرك والكفر وآمن بالذي دعاهم الرسل واجابهم وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه فعسى ان يكون
من المفلحين يحتمل رجوع عسى الى ذلك الرجل الذي تعنيه يقول على رجاء القبول والفلاح يفعل ما يفعل
من التوبة والعمل الصالح او ان يقال لما قال اهل التأويل ان يقال ما قال اهل التأويل ان عسى من الله واجب
وهو ما ذكرنا ان كل استفهام كان من الله فهو على اللزوم والوجوب فعلى ذلك حرف عسى ولعل وان
حرف شك في الظاهر فهو من الله على الوجوب واليقين قال ابو معاذ الفلاح في كلام العرب البقاء ويقال
النجاة وقد ذكرنا في غير موضع وقوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ويقول والله اعلم
وربك يختار للرسالة من يشاء ويجعله لها فيجعلهم رسلا ما كان لهم الخيرة يقول لم يكن لهم ان
يختاروا هم ولكن الله يختار ويصطفي من يشاء ردا لقولهم لولا نزل هذا القران الاية الى هذا ذهب
بعضهم ويجوز ان يكون هذا في كل امر اي وربك يختار ما يشاء ويأمر وما كان لهم الخيرة من امره اي
التخلص والنجاة من امره كقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا اي امر الله ورسوله امرا
ان يكون لهم الخيرة من امرهم والقضاء ههنا امر لكنه يحتمل وجهين احدهما على الوقف قوله وربك
يخلق ما يشاء ويختار ثم الابتداء من قوله ما كان لهم الخيرة من امرهم فان كان على هذا فيكون ما ههنا
ما جحد اي لم يكن الخيرة من امره والثاني على الصلة ليس على الجحد فيكون تاويله وربك يخلق ما يشاء ويختار
الذي لهم الخيرة ان يكون الوقف على هذا على قوله وربك يخلق ما يشاء ثم يقول ويختار الذي لهم
الخيرة قال ابو معاذ قرئ الخيرة بجزم الياء وبتحريكها الخيرة ثم قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار على
المعتزلة من وجهين احدهما ما اجمعوا عليه ان الله قد شاء جميع ما يفعله العباد من الخيرات والطاعات
فاذا شاء ذلك دل انه خلقها اذ اخبر انه يخلق ما يشاء وقد شاء الخيرات فدل ذلك على خلق افعال العباد لكنهم
يقولون قوله يخلق ما يشاء اذا خلقه وكذلك يقولون في قوله والله على كل شيء قدير اذا خلقه وكلام نحو هذا
فلئن جاز لهم هذا من الزيادة جاز لغيرهم احد مثله فذلك بعيد وعلى قولهم اكثر الاشياء ليست بمخلوقة
الله وهو على اكثر الاشياء غير قدير لان افعال الخلق لا شك انها اكثر من انفسهم انما اخبر انه على كل شيء قدير

وانه يخلق ما يشاء وان هذا امثاله خرج مخرج الامتداح له والثناء له بما له من السلطان والقدرة على الخلق كلهم
فلو كان على ما يقوله المعتزلة لم يكن هذا مدحا له ولا ثناء بالسلطان والقدرة اذ هو على قولهم على اكثر الخلق
ليس بقادر على ما ذكرنا ثم نزه نفسه وبرأها عما قالوا فيه واشركوا غيره في الوهية وربوبيته وفي عبادته
فقال سبحان الله وتعالى عما يشركون وقال وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون هذا يخرج على الوعيد لهم
والتنبيه ليكونوا على حذر فيما يسرون وما يعلنون والله اعلم وقوله وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى
والاخرة وله الحكم كقوله ويختار ما كان لهم الخيرة وقد ذكرنا ان قوله ويختار ما كان لهم الخيرة من امرهم
انه يخرج على وجهين احدهما لله الاختيار في امرهم لا لهم الاختيار في امرهم ولا يملكون هم ما يختار لهم
ولغيرهم والثاني هو يختار لهم الخيرة في امرهم لانه هو العالم بمصالح امورهم وما يرجع الى الاوفق
والانفع لهم لا يعرفون ذلك فعلى ذلك قوله له الحكم في الدنيا والاخرة لان انفس الخلق تحق له دونهم فله
الحكم في امورهم وافعالهم كما له الحكم في احوالهم لانه لا يلحقه الخطاب في حكمه اذ هو عالم بذاته ولا
يلحقه التهمة ايضا في دفع مضرة او جر نفع لانه غني بذاته فله الحكم في الدارين جميعا والله الموفق وقوله له الحمد
في الاولى والاخرة هذا يخرج على وجوه احدها ما قاله اهل التاويل ان اولياءه يحمدونه في الدنيا والاخرة
في الجنة حيث قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية يقولون اذا دخلوا الجنة والثاني وقال بعضهم
في الاولى والاخرة يقول في السموات والارض وتصديقهم قول الله وله الحمد في السموات وقوله يسبح لله ما
في السموات والارض وقوله يسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن والثالث له الحمد في الاولى و
الاخرة وهو ان جعل الدنيا مشتركة بين الاعداء والاولياء في نعمها غير مفترقة ولا مختلفة واما الاخرة
فقد فرق فيها بين الاولياء والاعداء جعل للاولياء النعمة الدائمة وللاعداء العذاب الدائم فله الحمد
على ذلك والرابع له الحمد في الاولى والاخرة لما جعل الدنيا دار محنة والاخرة دار الجزاء يجعلها دار المحنة
او ان يكون قوله الحمد في الاولى والاخرة اي له الحمد من الخلق في كل حال وكل وقت كقوله واخر دعويهم ان
الحمد لله رب العالمين انهم يحمده ونزه في بدء كل امر وختمه او ان يكون الحمد وقوله قل ارايتم ان جعل الله عليكم
الليل سرمدا الى يوم القيامة او ان جعل النهار سرمدا اي دائما لا ليل فيه الى اخر ما ذكر من قوله افلا تسمعون
وافلا تبصرون يخرج ذكره لوجهين احدهما في سفههم في صرف العبادة والشكر الى الاصنام التي كانوا
يعبدونها على علم منهم انها لا تملك شيئا مما ذكر من جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا وتركهم عبادة من
يعرفون انه يملك ذلك كله وكذلك ما ذكر في اية اخرى حيث قال افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر
هل هن كاشفات ضره الاية يقول والله اعلم فاذا لا يملك ما تعبدون الله دفع ضر اراده الله به وجعله
رحمة ولا دفع رحمة اراده الله وجعله ضرا فكيف تعبدونها وتتركون عبادة من يملك جعل هذا هذا او
دفع هذا بهذا فعلى ذلك يقول والله اعلم كيف تعبدون من لا يملك جعل الزمان كله ليلا دائما لا نهار فيه
وجعل النهار نهارا كله دائما لا ليل فيه وتتركون عبادة من يملك ذلك كله بجعل وقت الراحة والقرار
والثاني يذكرهم عظيم نعمه ومنته حيث انشاء هذا العالم محتاجا الى ما به قوام انفسهم وابدانهم
في دنيهم ودنياهم جعل ذلك كل على التعاون والتظاهر بعضهم بعضا ما لو جعل ذلك على غيره لا يقوم انفسهم
وابدانهم بذلك حيث جعل الليل وقتا للراحة والسكون والنهار وقتا للتقلب والتعيش ولو كان ذلك كله و
قتا للراحة لا يقوم انفسهم ابدا للتعيش والكسب ولو كان كله وقتا للتقلب والكسب لا راحة فيه لا
تقوم ايضا انفسهم بذلك لكنه من رحمته وفضله جعل لهم وقتا للراحة انما جعله للكل لا لبعض دون
بعض وكذلك ما جعله وقتا للتقلب انما جعله لذلك للكل لا لبعض دون بعض ليقوم لهم اسباب التعيش
وما به قوام انفسهم وابدانهم ولو كان ذلك كله وقتا لاحدهما لم يقم انفسهم ولا بقي هذا العالم الى الوقت
الذي جعله له البقاء الى ذلك الوقت وهو ما ذكر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون وقوله افلا تسمعون وافلا تبصرون انما هو سمع عقل وقلب وبصر عقل وقلب
كانه يقول افلا تسمعون هذا بالعقل وافلا تبصرون بالعقل والله اعلم كقوله فانها لا تعمى الابصار الاية
وقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون قد ذكرناه وهذه الايات التي يكررها
ويعيد مرة بعد مرة من قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وقوله ويوم يناديهم
فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله وقيل ادعوا شركاءكم وامثال ذلك مما يكثر على علم
منه انهم لا يصدقونها ولا يقبلونها ولا يستمعون اليها وان كررت واعيدت غير مرة فهو والله
اعلم يخرج على وجهين احدهما لزوم الحجة لما مكنوا او الاستماع والسماع وان كانوا لا يستمعون اليها
والثاني يكون فيه عظة للمؤمنين من وجوه احدها ليشكروا على ما عصموا من عبادة غير الله ووفقوا
عبادة الله المستحق لها ليعرفوا عظيم نعمة الله عليهم والثاني ليحذروا عاقبتهم في الرجوع الى ما هو عليه
اولئك الكفرة على ما حذر الرسل والانبياء واولو العصمة عاقبتهم في الرجوع الى ذلك كقول ابراهيم واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام وامثاله كثير والثالث خوف المعاملة لئلا يعاملوا لهم في العمل كما عاملوا ولئك

في الاعتقاد لان المؤمنين وان خالفوهم اولئك الكفرة في الاعتقاد في اشراك غيره في العبادة فربما
يوافقونهم في العمل فكررت هذه الانباء والايات عليهم واعيدت مرة بعد مرة وان كان اولئك لا يستمعون
اليها للوجوه التي ذكرنا والرابع كررت غير مرة لما لعلهم لا يقبلون في وقت ويقبلون في وقت فيقولوا
لي فيقولون لو كررت واعيدت لقبلنا فكررت واعيدت لقبلناها والله اعلم وقوله ونزعنا من كل امة
شهيدا قيل شهيدها رسولها كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله ويوم نبعث من
كل امة شهيدا ونحوه سمي شهيدا على ما عملوا وحضر ما كان منهم والله اعلم من التكذيب والقبول
والرد فقلنا هاتوا برهانكم في تسميتكم الاصنام الهة او في استحقاق العبادة او في زعمكم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ونحو ذلك يقول هاتوا برهانكم وحجتكم على ما زعمتم وقوله فعلموا ان الحق لله هذا ايضا يحتمل
وجوها احدها علموا ان الالوهية والربوبية لله او علموا ان الشفاعة لله لا للاصنام التي عبدوها
ليكونوا شفعاء عند الله كقوله قل لله الشفاعة جميعا او ان يكون ان الحق الذي عليهم في هي العبادة
لله او ان يكون ما جاء به الرسل من الحق انما جاء من عند الله وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ضل عنهم
ما كانوا يأملون من عبادتهم تلك الاصنام من الشفاعة والزلفى وقوله ان قارون كان من قوم
موسى فبغى عليهم كانه قال والله اعلم يخوف اهل مكة ويوعدهم ببغيهم على الله وعلى رسوله بعذاب
ينزل بهم كما نزل بقارون ببغيه على موسى وقومه ولا صلته به لما ذكر انه كان ابن عمه وكان ختنه
زوج اخته مريم فعلى ذلك يقول والله اعلم لا تنفعكم القرابة التي بينكم وبين رسول الله ولا اتصالكم
به من عذاب الله ومقته في الدنيا اذا بغيتم عليه وتركتم اتباعه كما لم تنفع القرابة التي بين قارون
وبين موسى من عذاب الله ومقته في الدنيا اذ بغى عليه وكما لم تنفع ابوة ابي ابرهيم لابي ابرهيم اذ ابى
عليه وترك اتباعه حيث تبرأ ابرهيم منه وحيث قال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن
الاية وحيث لم تنفع لامرأة نوح ولوط الزوجية التي كانت بينها وبين نوح ولوط من نزول العذاب
ومقته بهم اذا تركوا اتباعهم وبغوا عليه فعلى ذلك يا اهل مكة لا ينفعكم من عذاب الله ومقته قرابتكم
برسول الله صلوات الله عليه ووصلتكم به والله اعلم وقوله فبغى عليهم اختلف اهل التاويل في بغيه
عليهم قال بعضهم هو ان موسى طلب منه زكوة ما اتاه الله من المال فمنعه وابى ان يعطيه وقال
بعضهم بغيه عليهم هو ان اعطى امرأة جعلا لتقذف نفسها فاراد ان يفضحه على رؤس الاخيار
والملأ وان يرجموه فدفع الله عنه وبرأه منه وقال بعضهم انما بغى عليه بكثرة ماله وولده هذا
يشبه ان يكون كانه افتخر بكثرة ماله في دفع عذاب الله ونقمته كقول اهل مكة نحن اكثر اموالا الاية
وقال بعضهم بغى عليه لان النبوة جعلت في موسى والحبورة في هرون ولم يجعل لقارون شيء فاعتزل
عن موسى واتبعه ناس كثير فاعتدى عليه ونحو هذا كثير مما قالوه ولا يشبه ان يكون بغيه الذي ذكر عليه
حيث قال ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب
وكقوله وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض الاية فكان
منه وفرعون وهامان من التكذيب والرد لرسالته وتسميتهم ساحرا كذابا فذلك هو البغي عليه اولا
يفسر البغي عليه لانه ذكر البغي ولم يبين ما ذلك البغي والله اعلم بذلك وقال قائلون بغيه عليهم هو ان
زاد في ثيابهم شبرا فذلك ايضا لا نعلم فهو مثل الاول وقوله واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء
بالعصبة اولي القوة قال بعضهم مفاتحه خزائنه وقال بعضهم مفاتح جمع مفتاح وهو في الاصل
مفاتيح وذكر ان كنوزه كانت كذا كذا الفا وان مفاتيحه كان يحمل كذا وكذا بغلا وانها من جلود كذا
او من كذا فذلك ايضا لا نعلمه ولا نفسره ولا نذكر الا قدر ما ذكر في الكتاب اذ ذكر في الكتاب
الكنوز والمفاتح وذكر ان العصبة تنوء بها وذلك للكثرة ما ذكر ولكن لا نعلم قدره وعدده
ما هو ولا كم هو وكذلك العصبة ايضا لا نعلم كم عدده الا ان اهل التاويل يقول بعضهم من عشرة
الى خمس وسبعين وبعضهم من عشرة الى خمس عشرة ونحن لا نفسره ولا نذكر عدده سوى جماعة
يتعصب بعضهم بعضا ويعين بعضهم بعضا يرجعون جميعا الى امر واحد وكذلك الشيعة هي جماعة
يتشيع بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا ولذلك قال اخوة يوسف لابيهم لئن اكله الذئب ونحن
عصبة اي يتعصب بعضنا لا ندعه يأكله ولئن لم نفعل ولم نحفظه انا اذا لخاسرون وقوله لتنوء
بالعصبة اختلف فيه قال بعضهم لتثقل بالعصبة تلك المفاتيح وقال القتبي لتنوء اي تميل بها العصبة
العصبة اذا حملتها من ثقلها وقال ابو عوسجة لتنوء بالعصبة اي لتعجز العصبة عن حملها وقال
بعضهم تنوء تثقل والعصبة جماعة وقوله اذ قال له قومه لا تفرح قال بعضهم لا تبطر ولا تأشر ان
الله لا يحب البطرين الاشرين وجائز ان يكون قوله لا تفرح اي لا تفتخر على الناس بما اتاك الله من المال
ولا تتكبر عليهم ولا تسكن اليها ولا تركن الى ذلك ان الله يحب من ذكر وقوله وابتغ فيما اتاك
الله الدار الاخرة كانت كثرة ما اتاه الله من المال انسته الاخرة وشغلته عنها وعن العمل لها حتى

حمله ذلك على الجحود والانكار فقال وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا اي لا تنس من مالك في الدنيا ولكن قدم لآخرتك قال الحسن في قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا الى آخره قال امرك ان تأخذ من ماله قدر عيشه وتقدم ما سوى ذلك لآخرته وكذلك قال في قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة اي قدم الفضل وامسك ما يبلغك واحسن كما احسن الله اليك قال يكفيك ما احل الله لك من الدنيا فان فيه غناء وكفاية واصله ما روي عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لك من الدنيا ما اكلت ولبست وافنيت وما قدمت جعل المقدم من الدنيا له واما ما خلفه فهو لغيره وهكذا ان الدنيا لم تخلق للدنيا لتبقى لاهلها او يبقى اهلها فيها ولكن انما خلقت لتفنى هي ويفنى اهلها وخلقت الآخرة للبقاء فنصيبه من الدنيا ما قدم وانفق في طاعة الله وفي سبيله ليس ما خلفه في هذه الدنيا وقوله واحسن كما احسن الله اليك يحتمل قوله احسن الى نفسك في العمل للآخرة كما احسن الله اليك ويحتمل الى الخلق كما احسن الله اليك وقوله ولا تبغ الفساد في الارض هذا يدل انه كان ينفق ما له الا انه كان ينفق ماله الا انه كان ينفق في الصد عن سبيل الله حيث قال ولا تبغ الفساد في الارض ولو كان في ترك الانفاق لم يكن في ذلك بغي الفساد في الارض ثم الواجب على الملوك ويشهد مجالسهم من اهل العلم ان يخوفوا الملوك ويواعدوهم بما اوعد قوم موسى قارون وخوفوه ويأمروهم بالصلاح في انفسهم وفي رعيتهم كما امر اولئك قارون وينهوهم كما نهاه اولئك فان اجابوهم والا امتنعوا عنهم وكفوا انفسهم عن الاختلاف اليهم فان لم يفعلوا فهم شركاؤهم في جميع ما يفعلون والله اعلم وقوله قال انما اوتيته على علم عندي اختلف فيه قال بعضهم ان قارون كان اقرأ الناس بالتوراة واعلمهم بها وسمي قارون لذلك وذكر انه سمي المنور لحسن صوته بالتوراة وقال بعضهم سمي منورا لذلك والله اعلم وقال بعضهم قوله انما اوتيته على علم عندي وهو الكيميا ذكر انه يعالج صنعة الذهب ويحسنها وقال بعضهم انما اوتيته على علم عندي اي على خير عندي قال ذلك على اثر قول اولئك ولا تنس نصيبك من الدنيا الى قوله تعالى ولا تبغ الفساد في الارض كانهم اوعدوه بذهاب ذلك عنه وهلاكه فقال والله اعلم انما اوتيته ذلك على علم عندي لم اوت جزافا بلا سبب وكانه والله اعلم نسي الآخرة بما اوتي من المال والكنوز ومنع الانفاق في الخير وكان ينفق في صد الناس عن سبيل الله ولذلك قال ولا تبغ الفساد في الارض لا انه كان عارفا بالله حيث قالوا له وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة وقالوا له ان الله لا يحب المفسدين دل هذا انه انه كان عارفا بالله تعالى وقوله ولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ذكر هذا والله اعلم لما انه كان يفتخر ويستكبر على الناس بما اوتي من الاموال والكنوز والاتباع ويحسب انه يدفع العذاب الموعود في هذه الدنيا بذلك عن نفسه او يظن انه لما اوتي ذلك لا يعذب كظن اولئك الكفرة حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين انه كان من قارون من الاعجاب بالكثرة و بجمع ما ذكرنا ولئك فقال عند ذلك اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ثم لم يغن لهم دفع ما نزل بهم من العذاب فعلى ذلك انت يا قارون والله اعلم وقوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون اختلف فيه قال بعضهم لا يسألون عن ذنوبهم كقوله يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام وقال بعضهم لا يسأل هذه الامة عن صنيع مجرمي الامم الخالية وجائز ان لا يسأل عن ذنوبهم لانهم لا يرون مما يعملون من الاعمال ذنوبا ولكن انما يسألون عن الدليل الذي به لا يرون تلك الاعمال ذنبا والله اعلم وقوله فخرج على قومه في زينته قال عامة اهل التأويل انه خرج على بغال شهب ومعه كذا وكذا من الجواري على كذا وكذا بغال شهب عليهن من الثياب كذا وقال بعضهم انه خرج على براذين كذا بيض مع كذا كذا غلمان وجواري ونحو ما ذكروا لكنا لا ندري على اي زينة خرج ولكنا نعلم انه خرج على الزينة التي يخرج امثاله من الملوك ولا نفسر انه كذا وكذلك لا نفسر العلم الذي ذكر انه اوتي له من المال والكنوز انه كان عنده كذا من العلم والله اعلم بذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة وقوله وقال الذين اوتوا العلم اي اوتوا منافع العلم ان قد يؤتى العلم ربما ولا يؤتى من الانتفاع له به ما اوتي هؤلاء حيث قالوا لاولئك ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا لم يكن من اولئك الا التمني ان يؤتوا مثل ما اوتي قارون ثم نهاهم الذين اوتوا منافع العلم والانتفاع به عن ذلك التمني فدل ذلك ان التمني لا ينبغي فيما لا ينبغي الاشتغال به والطلب حيث قالوا لهم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها الا الصابرون اختلف في قوله ولا يلقيها كيف ذكره بالتأنيث وانما تقدم له ذكر ثواب فالا قال وما يلقيه لكن اختلف فيه قال بعضهم ولا يلقيها كناية عن تلك المقالة التي كانت من اولئك الذين اوتوا العلم لاولئك الذين يريدون الحيوة الدنيا اي لا يلقى تلك المقالة التي قالوها لاولئك الا الصابرون وقال بعضهم لا ولكن ذلك كناية عن الاعمال اي ولا يلقى تلك الاعمال ولا يوفق الا الصابرون قال ابو عوسجة والقتبي ولا يلقيها اي لا يوفق ويقال لا يرزق الصابرون يحتمل المؤمنين نفسه كقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اي آمنوا ويحتمل الصابرون الذين صبروا انفسهم

وحبسوها على اداء ما افترض الله عليهم ولم يؤثروا انفسهم شهواتهم وهواها والله اعلم ثم كان في قوم موسى خصال ثلاث لم تكن تلك ولا مثلها في غيره من الامم احدها ما ذكر من صلابتهم وثبوا العلم ويقينهم وطمأنينتهم فيما وعدوا في الآخرة من الثواب وصبرهم على اداء ما افترض الله عليهم وحبسهم انفسهم عن مناهيهم وشهواتهم ولصلابتهم وقوتهم في الدين ما وعظوا قارون حيث قالوا له وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة الى قوله ان الله لا يحب المفسدين وهو كان ملكا يومئذ ولما قالوا لاولئك الذين يريدون الحيوة الدنيا ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا والثاني ما ذكر سحرة فرعون حين اوعدهم بالقطع والصلب و القتل بلبا ثم الذين آمنوا فقالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون وقالوا فاقض ما انت قاض وامثال ذلك مما لم يبالوا حلول ما اوعدهم وخوفهم من انواع العذاب والثالث ما ذكر من الذي كان يكتم ايمانه حيث قال وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وانما اظهر ذلك حين قال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه كانه هم ان يقتله الا ترى ان ذلك الرجل المؤمن الذي كان يكتم ايمانه قال لهم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله لم يبال هلاك نفسه بالاظهار الايمان بعدما ان ايمان نبي الله موسى ونفع له بما قال واستقبل فرعون وقومه بما استقبل فهذه خصال لم تذكر عن قوم قط من سوى قوم موسى مثلها ولذلك وصفهم ونعتهم بفضل الهداية والعدل وهو ما قال عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهكذا الواجب على كل مؤمن اذا اريد منه اخذ الايمان او خاف على دينه ان يذهب به او ان يدخل فيه النقصان ان لا يبدل ذلك وان خاف على نفسه تلفها وهلاكها وتعذيبها باشد ما يكون من العذاب الا ترى ان الله مدح اصحاب الاخدود بما احتملوا اشد العذاب واسوء القتل ولم يتركوا الايمان ولم يعطوا اولئك الكفرة ما ارادوا منهم فهكذا الاختيار على كل مسلم ان يختار ما اختار اولئك وهكذا الواجب على كل من ابتلي بالامراء والسلاطين ويحضر مجالسهم من العلماء ان يعظوهم ويأمروهم بكل ما يؤتى وينهوهم عن كل محظور حرام ويدلوهم على كل خير وكل ما هو طاعة لله كما فعل قوم قارون بقارون والا لم يحضروا مجالسهم ولا الزموا طائعين فان فعلوا فانهم يكونون شركاءهم وذكر عن بعض السلف انه قال في عيسى وقارون عبرة لمن اعتبر ان عيسى صلوات الله عليه زهد في الدنيا زهدا حتى لم يتخذ لنفسه مسكنا يسكن ولا مقرا يقر فيه ولا اتخذ لنفسه ما يتعلق به ولا اشتغل بشيء منها فرفعه الله الى السماء فجعل عيشه ومقره فيها في كرامة الله وجواره وقارون كان يرغب في هذه الدنيا رغبة وجهد في طلبها طاقته وسعه وركن اليها ركونا حتى خسف الله في الارض وادخله فيها مع كنوزه واتباعه فيكونون فيها الى يوم القيامة ففي ذلك عبرة وآية لكل راغب وزاهد فيرغب الزاهد في الزهد فيها ويتزجر الراغب الرغبة فيها والله اعلم وقوله فخسفنا به وبداره الارض بما بغى عليهم اعني على موسى واصحابه وقوله فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله كانه كان يفتخر بالمال والحواشي ويتقوى بذلك في دفع عذاب الله ونقمته لذلك قال فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله اي لم يغن في دفع عذاب الله عنه اتباعه وحواشيه وهو كظن اولئك نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وكان ظنهم ذلك وقولهم انما كان بوجهين انهم ظنوا ان اموالهم واتباعهم تدفع عنهم عذاب الله ونقمته كما تدفع نقمة بعضهم من بعض فيما بينهم كقول ذلك الرجل سآوي الى جبل يعصمني من الماء والثاني ظنوا انهم انما اعطوا هذه الاموال والاتباع في هذه الدنيا لكرامة لهم عند الله فلا يعذبون ابدا والله اعلم وقوله واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس كانوا تمنوا ان يعطوا مثل ما اعطي قارون يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ويكأنه لا يفلح الكافرون قال بعض اهل الادب وي صلة وانما هو كأن وكانه وقال مقاتل ويكأنه اي يكأن قال بعضهم قوله ويكأن الله اي اعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء واعلموا انه لا يفلح الكافرون لكن الله يبسط الرزق لمن يشاء ولكنه لا يفلح الكافرون وقال بعضهم الم تر ان الله يبسط الرزق والم تر انه لا يفلح كذا وقال الزجاج وي مقطوعة من كأن وهو حرف يفتتح به التندم ثم ابتدأ بقوله كانه لا يفلح الكافرون ثم في الآية دلالة نقض قول المعتزلة في وجوب الاصلح على الله لانهم ذكروا منة الله في منعه اياهم ما تمنوا بالامس ما اوتي قارون فلو كان ما اعطي قارون اصلح له في دينه لم يكن في منعه عن هؤلاء منة دل ان ما اعطي قارون لم يكن اصلح له وان ليس على الله حفظ الاصلح للعباد في الدين وقوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين في ظاهرها ان كل من لا يريد العلو في هذه الدنيا ولا الفساد فيها يكون من اهل تلك الدار وكذلك ما ذكر من دار الآخرة وجهنم هي من دار الآخرة ايضا لكن الآية تخرج على وجهين احدهما كانها نزلت في رؤساء الكفرة وقرائهم هم الذين كانوا يريدون العلو في هذه الدنيا بالتكبر والتجبر على الرسل والفساد فيها في صرف الناس عن دين الله واتباع الرسل فقال والله اعلم تلك الدار الآخرة اي الجنة ليست لهؤلاء ولكن لمن تواضع للرسل ودعا الناس الى دين الله واتباع الرسل والثاني يكون الآية في الذين كانوا يعملون بالخيرات والطاعات منهم في نحو صلة الارحام والصدقة

على الفقراء والا نفاق في ذلك فاخبرانهم وان كانوا يعملون بتلك الاعمال فانما يعملون للدنيا والعلو فيها لا
للاخرة فتلك الدار الاخرة ليست لهم انما هي للذين يعملون ويريدون بها الدار الاخرة وقوله تلك الدار الاخرة
كانه يقول تلك الدار التي دعوا اليها ليست لمن ذكر وهي الدار التي قال الله والله يدعوا الى دار السلام فالدار
الاخرة هي الدار التي دعوا اليها وهي الجنة الدار الاخرة على الاطلاق كالجنة كالكتاب المطلق كتاب الله و
الدين المطلق دين الله ونحوه وقوله والعاقبة للمتقين اي تلك الدار الاخرة للمتقين وقوله من جاء بالحسنة فله
خير منها يخرج على وجوه احدها ما قال اهل التأويل على التقديم والتاخير اي فله منها خير ومضاه ان ما يكون
له في الاخرة من الخير انما يكون بتلك الحسنة التي جاء بها في الدنيا وهي التوحيد والثاني قوله فله خير منها
اي ما اعطوا في الاخرة من الخير والثواب خير مما يعطون في الدنيا بصبرهم وحبسهم انفسهم عن شهواتها
واما نيها والثالث فله خير منها اي ثواب الله وما اكرموا به خير مما عملوا في الدنيا والرابع ان توفيقهم
اياهم وارشاده خير مما عملوا وان يكون ذكر الله وحمده خير مما ذكر كقوله ولذكر الله اكبر وقوله ومن
جاء بالسيئة فالواجب ان السيئة هي الشرك فلا يجزى الا مثلها لكن مثلها هو التخليد في النار ابدا وهم
لا يظلمون فيها يجزون بها بل ظلموا انفسهم وقوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اختلف في قوله
فرض عليك القران قال بعضهم فرض اي نزل عليك وقال بعضهم فرض عليك العمل بالقران وقال بعضهم فرض
تبليغ ما انزل عليك القران والرسالة الى الناس واختلف ايضا في قوله لرادك الى معاد قال بعضهم الى مكة وقال
بعضهم المعاد هو البعث والساعة وقال بعضهم المعاد الجنة وقيل الموت وكله البعث في الظاهر وجائز ان
يسمى مكة معادا لما يعود الناس اليها مرة كما تسمى مثابة لما يثوب الناس اليها مرة بعد مرة لكن من يقول
بان المعاد هو مكة يقول ان النبي صلوات الله عليه لما امر بالهجرة الى المدينة فهاجر اليها اشتاق الى
بلده ومولده وموالد ابائه فنزل جبريل عليه يهدد اليه بشارة في العود اليها ظاهرا عليهم قاهرا لاهل
مكة هذا تاويل من يقول بان المعاد هو مكة وجائز ان يكون على غير هذا وهو يخرج على وجهين احدهما كان خرج
على الغزاة منهم اشفاقا على هلاكهم لا خراجهم الرسول من بين اظهرهم لان الامم التي اخرجت من بينهم
الرسل نزل بهم العذاب فخاف انهم لما اخرجوه من بين اظهرهم وابوا اجابته ان يهلكوا ويعذبوا كقوله
لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فبشره بهذا ان ترد اليها
ويستعودا اليهم فيتبعونك ويؤمنون بك وهم لا يهلكون اهلاك استيصال وتعذيب كسائر الامم والثاني
يذكر على الامتنان عليه يقول ان الذي انزل عليك القران والقاه عليك بعد ما لم تكن ترجوا القاءه عليك
وانزاله ولكن برحمته ومنته القاه اليك وانزله عليك حيث قال وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة
من ربك فعلى ذلك يردك الى مكة بعد ما لم تكن ترجو ردك وعودك اليها وان كان المعاد هو البعث فهو يخرج
ايضا على وجهين احدهما على البشارة كانه يقول ان الذي فرض عليك القران يردك ويبعثك ممن كذبك
وممن صدقك فينتقم من مكذبيك جزاء التكذيب ويجزى من صدقك جزاء التصديق والثاني يذكره ويخاطبه
وانما يريد به قومه اي سيبعثون وسيعودون اليها فيكون كالايات التي يخاطب بها رسوله والمراد بها قومه
فهو يخرج على الوعيد لهم الا ترى قال ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين اي ربي اعلم
من جاء بالهدى فيجزيه جزاء الهدى ومن هو في ضلال مبين فيجزيه جزاء ضلاله ويخرج ذكر هذا دعاء
اولئك الكفرة انهم على الحق والهدى وان اباءهم كانوا على الحق والهدى وانتم على ضلال فيقول ربي اعلم
من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين نحن او انتم فهو على التحاكم الى الله ان يحكم بينهم فيجزي كلا بما جاء به
والله اعلم وقوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فهو يخرج على وجهين احدهما وما كنت
ترجوا وان كنت مطيعا اي خاضعا ان يلقى اليك الكتاب وينزل عليك وتصير رسولا اي لم تكن تطمع ذلك
ولكن الله بفضله ورحمته جعلك رسولا نبيا والثاني ما كنت ترجوا ان تكون في قومك وقبيلتك رسالة
فضلا ان ترجو وتطمع في نفسك لانهم ليسوا من بني اسرائيل ولا من اهل الكتاب والرسالة من قبل كان
لا تكون الا من في بني اسرائيل ولكن الله جعل الرسالة في العرب في نفسك برحمته وفضله والله اعلم وقوله
فلا تكونن ظهيرا للكافرين هذا يخرج على وجوه احدها على النهي اي لا تكن ظهيرا وان كان لا يكون العصمة
الله لان العصمة لا تمنع النهي والامر بل منفعة العصمة انما تكون عند النهي والامر والثاني على الا من له
والا باس ان يكون ظهيرا لهم كانه يخاف لعله ان يكون ظهيرا لهم في وقت من الاوقات فامنه الله عن
ذلك فقال لا تخف فانك لا تكون ظهيرا لهم وهو ما ذكرنا في قوله ولا تحزن عليهم وقوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات على دفع الحزن والحسرة بتركهم الايمان فعلى ذلك الاول والثالث ان الخطاب وان
كان له في الظاهر فالمراد منه غيره على ما ذكرنا في غير اي من القران انه خاطب به رسوله والمراد به غيره
وكذلك هذا في قوله ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين
في هذا ما في الاول من الوجوه التي ذكرنا وكذلك هذا في قوله ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو وقوله
كل شيء هالك الا وجهه قال بعضهم قوله كل شيء يرجى منفعته وشفاعته من دون الله باطل الا ما ابتغى منه

وعلله

وجه الله وقال بعضهم كل شيء هالك وزائل الا هو فانه حي لا يموت دائم لا يزول وقال بعضهم كل امر وجهة
يتوجه اليها ويعمل بها لغير الله الا الجهة والوجه الذي امر هو بالتوجه اليه والعمل به وهو قريب بالاول والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم قد ذكرنا في غير موضع وقوله احسب الناس قوله احسب
الناس هو وان كان في الظاهر استفهاما فهو على الايجاب لا على الاستخبار اذ حقيقة الاستفهام والاستخبار
انما تكون ممن يجهل الامور فليستخبر ويستفهم ليعرف ذلك فالله سبحانه تعالى عن ان يخفى عليه شيء فهو على
التقرير والايجاب منه وذلك ثم يخرج قوله احسب الناس على احد وجهين اي قد حسب الناس والثاني
اي لا يحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وقوله ان يقولوا امنا ذكر الايمان ولم يذكره بمن بالله او
بغيره وليس احد من الخلائق الا وهو يؤمن باحد ويكفر بغيره وليس في الاية بيان الايمان به او بمن
الا ان الله تعالى سخر الخلق على الفهم من الايمان المطلق المرسل الايمان بالله وبرسله وسخرهم حتى فهموا من
الكتاب المطلق كتاب الله والدار الاخرة الجنة وامثال ذلك مما فهموا من الكتاب المطلق كتاب الله وفهموا
مما ذكرنا من الايمان المطلق الايمان بالله وبرسله وفهموا ايضا من الدين المطلق دين الله فيكون قوله ان يقولوا
امنا بالله او برسله وهم لا يفتنون اي لا يبتلون والفتنة هي الابتلاء الذي فيه الشدة يمتحن الله
عباده باختلاف الاحوال مرة بالضيق والشدة ومرة بالسعة والرخاء وانواع العبادات ليكون ذلك
علما للخلق في صدق الايمان به والكذب فيه فيعرفوا صدق كل مخبر عن نفسه الايمان بالله تعالى وكذبه اذ قد يجوز
ان يكون فيما يخبر ويقول اسنت كاذبا يجعل الله تعالى العلم في صدقهم وكذبهم اعمالا يظهرها عندهم صدقهم
ما لو كان الابتلاء والامتحان بجهة لعله لا يظهر ذلك وهو ما اخبر عن المنافقين فقال ومن الناس
من يعبد الله على حرف الاية هذا يدل ان الفتنة هي المحنة التي فيها الشدة والبلاء وما قال ونبلوكم
بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فانما يظهر صدق الرجل في ايمانه بما يصيبه من الشدة فاما السعة
والرخاء فهو ما يوافق طبعه وهوى نفسه فلا يظهر صدقه بما يوافق طبعه وانما يظهر ذلك بما يخالف
طبعه ويثقل عليه تحمل ذلك ثم قال بعضهم نزلت الاية في قوم اظهروا الايمان باللسان واضمروا
الخلاف والكذب وقال بعضهم نزلت في قوم امنوا بالله وبرسوله حقيقة ثم عذبوا بانواع العذاب
فتركوا الايمان وكفروا به وفيهم نزل فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكيف ما كان
ففيه ان من اقر بالايمان وقبل يمتحن بانواع المحن بموافقة الطبع ومخالفته ليظهر صدقه عند الناس
فيما يلونه على ذلك والله اعلم ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا فيما تقدم ان
يعلم ظاهرا كائنا ما قد علمه غير كائن انه يكون وليعلمه موجودا ما قد علمه غير موجود انه يوجد والله
اعلم ام حسب الذين يعملون السيئات هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما قد حسب الذين ما ذكر
والثاني لا يحسب على النهي ان يسبقونا لا احد ان يظن ان يسبق الله في عذابه ونقمته لكنهم اذا راوا
الكافر والمسلم في هذه الدنيا على السواء في نعيمها وسعتها وراوا ايضا عند الموت ان ينزل على الكافر عذاب
كالمسلم ظنوا ان لا بعث وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا حملهم ذلك على انكار البعث كقوله
وما خلقنا السماء والارض حين خلقهما اذا لم يكن بعث باطلا وهم قد علموا ان خلقهما ليس بباطل ولكن
صير خلقهما اذا لم يكن بعث باطلا فاذا انكروا البعث ظنوا ان لا عذاب ولا جزاء والله اعلم من كان
يرجوا لقاء الله اضاف اللقاء الى نفسه وكذلك ما ذكر من المصير اليه وقوله واليه يرجع الامر كله وقوله وبرزوا
لله جميعا ونحوه هذا كله لان خلق الدنيا وخلق العالم فيها لا لها ولكن المقصود بخلقها وخلق العالم فيها
الاخرة فانما صار خلق هذه الاشياء فيها حكمة بالاخرة اذ لو لم يكن اخرة كان خلق ما ذكر في هذه الدنيا
لعبا باطلا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا ترجعون صير خلقهم لا للرجوع اليه لعبا باطلا وقوله
فان اجل الله لات وهو السميع العليم بما يقولون ويظهرون والعليم بما يضمرون ويسترون لان العصمة
المنافقين او السميع المجيب العليم بحوائجهم وامورهم والله اعلم وقوله ومن جاهد فانما يجاهد
لنفسه وكذلك قوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اسأتم فلها ففي هذا ان الله انما امتحن الخلائق لا لحاجة له فيما امتحنهم في دفع مضرة او جر نفع
لكن انما امتحنهم لحاجة انفسهم في دفع المضار وجعل البشر بحيث يقدر على استعمال جميع ذلك
لمنافع انفسهم وحاجتهم وهو ما ذكر في غير اي من القران حيث قال وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وقوله وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ونحو ذلك فعلى ذلك امتحن
هذا العالم لحاجة انفسهم في دفع مضار وجر نفع لذلك قال ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه
اي لحاجة نفسه ومنفعة نفسه لا لمنفعة او لحاجة لله تعالى ان الله لغني عن العالمين هذا تفسير
ما ذكر ثم المجاهدة تكون مرة مع الشيطان والجن ومرة مع اعدائه من الانس ومرة مع هوى

النفس ورة في امر الدنيا كل ذلك مجاهدة في الله قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والله
الله وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم كان ما عملوا من الحسنات والصالحات يكفر بها
سيئاتهم وقوله ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون هذا يحتمل وجوها احدها ان جزاءهم الذي
يجزون بتلك الاعمال احسن من اعمالهم التي عملوا لان قدر ذلك الجزاء عندهم اعظم واحسن من قدر
من اعمالهم اذ ليس لاعمالهم عندهم كثير قيمته وقدرا ذ منهم من يحيي ليلة بدرهم وبما يسد به
حاجته في يوم او ليلة والثاني ان الاعمال التي يعملها المرء تكون على وجوه سيئات تكفر بالتوبة
او بما كان بها قبون عليها وحسنات يجزون بها الثواب الجزيل واباحات يعملون لحوايج انفسهم مما
لا يعاقبون عليه ولا يثابون فيقول والله لنجزينهم احسن الذي عملوا وهو الحسنات والخيرات
عملوها لله وان يكون قوله ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ان يكفر سيئاتهم بنوع من الحسنات
ويثابون على احسنها وهو ما قال لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون والله اعلم بذلك
وقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرئ ايضا احسانا قال الزجاج قوله حسنا الجمع واقرب
لانه يرجع الى حسن الشيء في نفسه والى حسنه عند ذلك الانسان يقال حسن كذا اذا كان في نفسه حسنا
والاحسان هو ما يحسن عند ذلك المعمول له او كلام نحو هذا قال الشيخ رضي الله عنه لكن الاحسان هو اسم
ما حسن ايضا في نفسه يقال احسن فاذا احسن فقد حسن والله اعلم وقوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس
لك به علم ان كان هذا الخطاب لاهل الايمان فيكون تاويل الاية وان جاهداك لتشرك ما ليس لك به علم اي
بان له شريك اي تعلم بان ليس له شريك فلا تشرك بي وهو كقوله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في
الارض اي يعلم بخلاف ما يقولون فعلى ذلك قوله يحتمل ما ليس لك به علم بان له شريك اي لك العلم بخلافه بان
ليس له شريك وان كان الخطاب لاهل الكفر يقولون على الله ما ليس لهم به علم وقوله فلا تطعهما امر بالبر للوالدين
والاحسان اليهما والطاعة لهما ما لم يكن في طاعتهما معصية الرب ليعلم ان ليس يجب طاعتهما في كل شيء وفي كل
ما كان عندهما احسان ولكن فيما كان في ذلك طاعة الخلق وقوله الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون وعيد ليكونوا
ابدا على حذر في اعمالكم لا يعملون بما فيه معصية الرب وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في
الصالحين كانه قال والذين امنوا وعملوا الصالحات ولهم سيئات لنكفرن عنهم تلك السيئات باعمالهم الصالحات
ثم لندخلنهم في الصالحين الذين لا سيئة لهم وهم الانبياء اذ اكثر ما ذكر في الكتاب الصالحين انما اريد بهم
الانبياء صلوات الله عليهم وهو ما ذكرنا والله اعلم على تكفير السيئات عنهم على ما ذكر فيما تقدم وهو ما قال
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون او ان يكون قوله
لندخلنهم في الصالحين اي لنجعلنهم من الصالحين فان قيل ما معنى قوله لندخلنهم في الصالحين وهم قد عملوا
الصالحات قيل معناه ما ذكرنا بدءا انهم قد عملوا الصالحات الا انهم سيئات يكفرها بالصالحات ثم
يجعلهم في الصالحين الذين لا سيئة لهم والله اعلم وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي
في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله قال بعض اهل التاويل ناس مؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من
الناس او مصيبة في انفسهم واموالهم افتتنوا فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الاخرة ثم قال ولئن
جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم وذلك علم المنافق ومنهم من يقول نزلت الاية فيمن حقق الايمان
سرا وعلانية الا انه عذب لاجل ايمانه بالله وبرسوله فترك الايمان وكفر فعلى تاويل هذا يحتمل قوله ولئن
جاء نصر من ربك الى اخر ما ذكر على القطع من الاول والابتداء منه من صنيع المنافقين وخبرهم والله اعلم
ويحتمل قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله اي جعل فتنة الناس وتعذيبهم اياه في اعطاء ما سالوه وهو
الكفر كعذاب الله في اعطاء ما سال من اهل الكفر وهو الايمان لان اهل الكفر اذا نزل بهم عذاب الله
او اشتد بهم خوف نزوله عليهم اعطوا الله ما سالهم من الايمان والتوحيد وهو ما قال فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ويحتمل وجها اخر وهو ان جعل
فتنة الناس في ترك الايمان كعذاب الله في ذلك اي جعل العذاب الذي من الناس كانه من الله جاء
فترك الايمان وقوله اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين فان كانت الاية فيمن حقق الايمان بالله
سرا وعلانية فيخرج هذا على التعيير له في تركه الايمان بما عذب به لانه كان يقدر ان يظهر الكفر لهم
فيدفع العذاب عن نفسه ويكون في الحقيقة في الستر مؤمنا على ما ذكر الا من اكره وقلبه مطمئن
بالايمان وان كانت الاية في المنافقين فيقول كيف اسررتم الكفر والخلاف له في القلب وانتم تعلمون
ان الله عالم بما في صدور العالمين فيخبر رسوله بما اضمروا واسروا من الخلاف والله اعلم وقوله وليعلمن
المنافقين قد ذكرنا تاويل هذا ان يعلم كائنا ما قد علم انه سيكون ويعلم موجودا ظاهرا ما قد علم انه
يوجد ويظهر وقوله وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم كانهم قالوا ذلك لهم بعد ما عجزوا
عن الطعن في الحجج والايات ما يوجب شبهته فيها عند الناس وبعد ما انقطعوا عن الحجاج فيها والاحتجاج
عليها فلما عجزوا من ذلك كله فعند ذلك اشتغلوا بما ذكر وقالوا للمؤمنين ما ذكر اتبعوا سبيلنا اي ديننا و

لنحمل خطاياكم يقولون والله اعلم اتبعوا سبيلنا فانه صواب فان اصابكم خطأ واخطأتم في الاتباع
له فانا نحمل خطاياكم وقال بعضهم قالوا لمن امن منهم لا نبعث نحن ولا انتم فاتبعونا وان كان عليكم شيء
فهو علينا وهو قريب من الاول او ان يقولوا لهم اتبعوا سبيلنا فان الله امرنا به فان اخطأتم
في ذلك فانا نحمل خطاياكم او نحوه فهذا القول منهم مثل قوله لانهم ذكروا انهم كانوا يخطئون
في الاتباع لهم دينهم الا ان يريدوا بذلك ما ذكرنا والثاني انما كانوا يضمنون ويحملون خطاياهم
لا باذن من له الطلب في الخطايا ولكن باذن من عليه ذلك وذلك لا يصلح الضمان باذن من عليه
ثم اخبر انهم لا يحملون ذلك حيث قال وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون يحتمل
قوله انهم لكاذبون فيما يذكرون من حمل خطاياهم اي لا يقدرون على حملها او كاذبون في الدعاء
الى اتباع سبيلهم او كاذبون ان الله امرهم بذلك والله اعلم وقوله وليحملن اثقالهم يحملون
اوزارهم بضلال انفسهم واثقالا باضلال غيرهم ودعائهم اليه كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم
القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وذكر في خبر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع
دعا الى الهدى فاتبع عليه الا كان له مثل اجور من اتبعه ولا ينقص من اجورهم شيء وقوله وليسألن
يوم القيامة عما كانوا يفترون قال بعضهم افتراؤهم اتخاذهم الاصنام الهة اذ يكون الافتراء في الفعل
والقول جميعا وجائز ان يكون افتراؤهم ما ذكروا من حمل خطاياهم او ما قالوا ان الله امرهم بذلك
او تسميتهم الاصنام التي عبدوها الهة والله اعلم وقوله ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما يذكر هذا النبأ لوجهين احدهما يصبر رسوله على اذى قومه لانه ذكر ان نوحا لبث
في قومه الف عام غير خمسين عاما كان يدعوهم الى توحيد الله فلم يجبه الا نفر من اهله فلم يمنعه من
الدعاء الى دين الله ما اوعدوه من المواعيد حيث قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ونحو
ذلك من المواعيد فذلك لم يمنعه عن الدعاء فكذلك قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثاني
ينقض على المتقشفة مذهبهم لانهم يقولون ان الموعظة انما لا تنجع في الموعوظين لتفريط الواعظ وترك
استعماله نفسه ذلك فيقال ان نوحا قد دعا قومه الف سنة الا خمسين عاما فلم يجبه الا نفر فلا يحتمل
ان يكون منه تقصير او تفريط فدل انما لا تنجع ولما لشقاوة الموعوظ وقوله فاخذهم الطوفان قال
بعضهم هو المطر الشديد وجائز ان يكون الطوفان كل بلاء فيه الهلاك والطوفان هو ما ارسل عليهم
من الماء فاغرقهم والله اعلم وقوله فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة اي من دخل السفينة
وجعلناها اية للعالمين قال بعضهم جعلها اية هو ان هلكت كل سفينة كانت وهي باقية اليوم على
ما هي عليه وقال بعضهم وجعلناها اية لمن بعدهم فتمنعهم عن تكذيب الرسل والعناد معهم قال
الزجاج الاستثناء يخرج على تاكيد ما تقدم من الكلام كذا الكل على غير ما تقدم من الكلام او كلام نحوه و
قلنا نحن ان كان ما تقدم من الذكر كافيا تماما فيخرج الثنيا على اثره يخرج التاكيد لما تقدم نحو قوله انا
ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط قوله الى قوم مجرمين كاف مفهوم ان لا يدخل فيه ال لوط حيث ذكر
المجرم اذ ال لوط غير مجرمين فهو كاف مفهوم لا يحتاج الى ذكر ال لوط لكنه ذكر على التاكيد له وكذلك
قوله محصنين غير مسافحين ومحصنات غير مسافحات اذا قال محصنين بنفسهم انهن غير مسافحات
ولا متخذات اخدان لكنه ذكر على التاكيد واذا كان ما تقدم من الكلام مجملا مرسلا فيخرج تحصيل
المراد منه على اضمار حرف من فيه كقوله الف سنة الا خمسين عاما كانه قال فلبث فيهم من الف
سنة تسعمائة وخمسين وكذلك قول الناس لفلان على عشرة دراهم الا كذا كانه قال لفلان علي من
عشرة دراهم كذا فهو على التحصيل يخرج ذكره وقال بعضهم الطوفان كل ماء طاف فاش من سيل
او غيره وكذلك الموت الجارف يسمى الطوفان وماء الطوفان وهو ما ذكر في سورة الاعراف
وقال بعضهم هو الغرق والله اعلم وقوله وابراهيم اذ قال لقومه هو نسق على قوله ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه وارسلنا ابراهيم ايضا الى قومه او ان يكون نسقا على قوله فانجيناه واصحاب السفينة وانجينا
ابراهيم ايضا حين القي في النار او يقال اذكر ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله وقوله اذ قال
لقومه اعبدوا الله واتقوه يحتمل في حق الاعتقاد اي وحدوا الله وقوله واتقوه الشرك ويحتمل قوله
اعبدوا الله في حق المعاملة اي اليه اصرفوا العبادة واتقوه اي اتقوا عبادة من تعبدون من الاوثان
يكون قوله اتقوا في موضع النهي اي اعبدوا الله والله وحده ولا تعبدوا غيره يكون فيه يكون
فيه نهي عن مخالفة ما تقدم من الامر افعلوا كذا واتقوا ما يضاده ويخالفه والله اعلم وقوله ذلكم
خير لكم اي عبادة الله خير لكم وقوله ان كنتم تعلمون يحتمل قوله ان اذ كنتم تعلمون ان ذلك خير لكم
وجائز ذكران مكان اذ في اللغة ويكون قوله ان ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقوله انما تعبدون من دون
الله اوثانا وتخلقون افكا اي تخلقون كذبا في تسميتكم الاوثان الهة معبودين اي ليسوا بالهة ولا
معبودين او يقال وتخلقون افكا اي كذبا في صرف عبادتكم اليها واستحقاق العبادة اي لا يستحقون

العبادة انما المستحق للعبادة الله دون من تعبدون وقال بعضهم اي جعلتم كذبا من الالهية لا حقا وهو قريب
مما ذكرنا تسفيه سفههم في صرف العبادة الى الاصنام وعجزها عما يعبدها حيث قال ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا يقول والله اعلم ان في الشاهد لا يخدم احد احدا الا لما يامل من النفع له
بالخدمة اولما يقع احسانا كان منه اليه فالاصنام التي تعبد ونها لا يملكون ان يرزقوكم ولا كان منها
اليكم سابقة صنع فكيف تعبدونها وقوله فابتغوا عند الله الرزق اي اعبدوا الله الذي يرزقكم وينفعكم
ويملك ذلك لكم واتركوا عبادة من لا يملك ذلك واعبدوه يحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما فيما تقدم التوحيد
والعبادة وقوله واشكروا له اي اشكروا له فيما انعم عليكم واليه ترجعون وقوله وان تكذبوا فقد كذب
امم من قبلكم هذا يحتمل وجهين احدهما وان تكذبوك فيما تخبر من نبأ ابراهيم فقد كذب امم من قبلك ربهم
فيما اخبروا عن ابرهيم بعد انتساب كل فريق منهم اليه وادعائهم نحلته ومذهبه والثاني وان يكذبوك
فيما تبلغ اليهم من الرسالة فقد كذب امم من قبلك رسلهم في تبليغ الرسالة وما على الرسول الا البلاغ
المبين يبين لهم انها رسالة ربهم بالحجج والبراهين والايات والله اعلم وقوله اولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق ثم يعيده انهم قد راوا ان كيف انشأ الله الخلق في الابتداء وان عجزوا عن الاسباب
التي خلقهم ولا احتمل وسعهم ذلك فعلى ذلك يعيدهم على ما ابدأهم وان عجز وسعهم عن احتمال
ذلك وادراكه اذ الاعجوبة في الاعادة ليست باكثر من الاعجوبة في الابتداء بل الاعجوبة في ابتداء
الانشاء اكثر من الاعادة لما ان الاعادة عندكم ايسر واهون من الابتداء فمن قدر على الابتداء
فهو على الاعادة اقدر ان ذلك على الله يسير الابتداء والاعادة جميعا لا يعجزه شيء اذ هو قادر بذاته
وقوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق كان الامر بالسير في الارض والنظر ليس هو سيرا بالاقدام
فيها ولكن امر بارسال الفكر فيها من الخلايق والنظر في بدئهما فيها من الخلق متقنا محكما بالتدبير والعلم
والحكمة بلا اسباب ليعلموا ان المقتدر في ابتداء الانشاء والاعادة بالخارج عن احتمال وسعهم وقواهم
خطأ وان الذي قدر على انشاء الخلق وابتداء بلا سبب ولا شيء وان لم يحتمل وسعهم وبنيتهم وقواهم
ذلك فعلى ذلك الاعادة والنشأة الاخرى وان كانت خارجة عن احتمال وسعهم وقواهم قادر
عليها او ان يقال انظروا واعتبروا ان بدء الخلق والنشأة من الحكيم العالم الذاتي بلا اعادة ورجوع ليس
بحكمة في العقل والحكمة جميعا ان في الحكمة والعقل التفريق بين الولي والعدو وبين الشاكر والكافر وبين المطيع
والعاصي اذ قد سوى بينهم في الدنيا واشركهم فيها حتى جعل الكافر مثل الشاكر والولي والعدو والمطيع والعاصي
فلا بد من الاعادة في دار يفرق بينهم ليخرج ابتداء انشائهم وخلقه الخلق على الحكمة والتدبير والعلم لا
على السفه والعبث والله اعلم وقوله ان الله على كل شيء قدير في النشأة الاولى والاخرة جميعا لا يعجزه شيء
اذ هو قادر بذاته وقوله يعذب من يشاء ويرحم من يشاء يحتمل هذا في الدنيا يعذب من يشاء في الدنيا
اي يمتحنه ويبتليه بالشدة والضيق ويرحم من يشاء اي يمتحنه بالسعة والرخاء فيكون التعذيب كناية عن الشدة
والضيق والرحمة كناية عن السعة والرخاء وهو كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فعلى
ذلك قوله يعذب من يشاء واليه تقلبون اي ترجعون ويحتمل التعذيب في الاخرة والرحمة فيها اي يعذب
من يشاء في الاخرة من كان في الدنيا اهلا له مستوجبا ويرحم من يشاء من كان في الدنيا اهلا لها مطيعا لها وقوله
وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء اي ما انتم بمعجزين الله في السماء وعلى قول المعتزلة يكون معجزين الله
في الارض على ظاهر مذهبهم لانهم يقولون ان الله قد اراد ابقاء الاخيار واهل الصلاح ثم يجيء الكافر فيقتلهم
قبل اجلهم الذي اراد الله ابقاءهم الى وقت وكذلك يقولون اراد الله ان يرزقهم الحلال وارادات
يكون اولادهم من رشد ونكاح لكنهم يطلبون الرزق من حرام ويزنون فيخلق اولادهم من زنا شاء او ابى
لا يقدر التخلص عما يريدونه فاي اعجاز يكون اشد من هذا فنعوذ بالله من السرف في القول وقوله وما انتم
بمعجزين في الارض يعلمون اعني الكفرة انهم لا يعجزون الله ولا يقدرون على اعجازه لكنه يذكر لانهم كانوا
يعملون عمل من هو معجز فائت عن عذاب الله ولقمته وهو كقوله والذين يسعون في اياتنا معاجزين هم
يعلمون انهم لا يقدرون ان يسعوا في اياته معاجزين لكنهم يسعون في دفع اياته والانكار لها سعي معاجز
لها لا سعي خاضع قابل فعلى ذلك الاول وقوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير اي ما لكم من دون
الله مما طمعتم من النصر لكم والشفاعة وليس لكم ذلك لانهم عبدوا تلك الاصنام لما طمعوا شفاعتها عند الله
لهم والزلفى حيث قال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا كلا وقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونحوه فيقول ما لكم مما طمعتم بعبادتكم تلك الاصنام
من ولي ولا نصير وقوله والذين كفروا بايات الله ولقائه قوله كفروا بايات الله يحتمل ايات الله الايات
التي جاءت بها الرسل في اثبات الرسالة لهم ويحتمل الايات التي جعلها لوحدانيته والوهيته
ولقائه اي كفروا بالبعث وقد ذكرنا فيما تقدم وجه تسمية البعث لقاءه وقال الحسن ايات الله دين الله
وكل الله يقول كل اية في القران الدين وقوله اولئك يئسوا من رحمتي قال بعض اهل التأويل من رحمتي اي

من جنتي وتأويل هذا لانهم قد كفروا بالبعث فاذا كفروا به زعموا ان لا ثواب ولا جزاء وجائز
ان يكون قوله من رحمتي اي من رسلي وكتبي لان الله سمى رسله وكتبه رحمة في غير اي من القران
ايئسوا منهم حيث كذبوهم وكفروا بهم ايئسوا ان يرسل الرسل او ينزل الكتب ويحتمل قوله اولئك
عليهم الاياس من رحمتي لما كفروا باياته ورسله واولئك لهم عذاب اليم وقوله فما كان جواب قومه
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه قوله فما كان جواب قومه الا كذا ليس في جميع الاوقات وجميع المشاهد
ولكن جائز ان يكون هذا ما كان جواب قومه في مشهد الا كذا وان يكون فما كان جواب قومه الا
ان قالوا اقتلوه او حرقوه والا لم يحتمل ان لا يكون منهم الا ما ذكر من الجواب فقد كان جوابات
واجوبة سواه لكن يحتمل ما ذكرنا ان ما كان جواب قومه في مشهد الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه او
ما كان اخر جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وهو ما ذكرنا في قوله فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله لا يحتمل ان لم يكن منهم الا هذا ولكن ما ذكرنا والله اعلم وقوله فانجاه
الله من النار رحمة القوه فيها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ذكر الايات في ذلك فجائز ان يكون
ما ذكر في هذه السورة من اولها الى اخرها الايات لمن ذكر وجائز ان يكون فيما ذكر خاصة لكن ليس
من شيء الا وفيه ايات من وجوه اية الوحدانية واية الوهيته واية علمه وحكمته وتدبيره وبعثه
فهو ايات وقوله لقوم يؤمنون ذكر الايات للمؤمنين يحتمل وجهين احدهما ذكر الايات لهم لانهم
هم المنتفعون بها دون من كفر والثاني الايات لهم على المكذبين بها والكافرين اي حجة لهم عليهم
كقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه والله اعلم وقوله فما كان جواب قومه الا ان قالوا
كذا موصلة قصة ابراهيم واليه يرجع وهو ما تقدم من دعائه اياهم حيث قال وابراهيم اذ قال
لقومه اعبدوا الله اتقوه وقوله وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا يقول والله اعلم ما اتخذتم
من دون الله معبودا وسميتموها الهة فهي ليست بالهة ولا معبودا انما هي اوثان مودة بينكم في
في الحيوة الدنيا يقول والله اعلم اتخاذكم هذه الاصنام معبودا والحتم عكم عليها انما هي مودة حيوة
الدنيا لا مودة لها عاقبة او تدوم بل يصير في العاقبة عداوة وبغضا وهو ما ذكر ثم يوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا قال بعضهم يتبرأ بعضهم من بعض ويكفر بعضهم ببعض ويلعن
بعضهم بعضا كقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال بعضهم يتبرأ المتبوع
من الاتباع كقوله ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار وقوله سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا ونحوه ثم اخبر ان ماوى الكل النار وما لهم من ناصر ينصرهم من عذاب
الله او يدفع عنهم العذاب ثم اختلف في قوله وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة
بينكم قال بعضهم هذا قول ابراهيم لقومه كقوله اتعبدون ما تنحتون وكقوله هل يسمعونكم او ينفعون
وقال بعضهم هذا قول رسول الله لقومه الذين عبدوا الاصنام والله اعلم وقوله فامن له لوط قوله
فامن له لوط يحتمل وجهين احدهما قوله فامن له لوط اي اظهر له لوط الايمان من بين غيرهم وقد
كان لوط مؤمنا من قبل ليس انه احدث له الايمان في ذلك الوقت ولم يكن مؤمنا قبل ذلك ولكن ما ذكرنا
انه اظهر له الايمان من بين غيرهم والثاني فامن له لوط فيما دعاه اليه وهو الهجرة اي فيما اخبر انه
امر بالهجرة فاستصحبه فيها وقوله اني مهاجر الى ربي قال اهل التأويل هذا قول ابراهيم كقوله اني
ذاهب الى ربي وجائز ان يكون قوله اني مهاجر الى ربي قول لوط ثم لم يفهم من قوله اني مهاجر الى
ربي وقوله اني ذاهب الى ربي انتقاله او المكان او شيء مما يوجب التشبيه مما يفهم من الخلق
فكيف فهم من قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل وقوله وجاء ربك واستوى وامثاله
مما يفهم من مجيء الخلق واتيانهم واستوائهم اذ لا فرق بين مجيء اخر اليه وبين مجيئه الى اخر هذا في الشاهد
سواء فكيف فهم في الغائب في احدهما ما لم يفهم من الاخر وهما سيان في الشاهد فدل انه لا يجوز
ان يفهم منه في شيء من ذلك ما يفهم من الخلق اذا خبر انه ليس كمثله شيء وقوله ووهبنا له يعني
لابراهيم اسحق ويعقوب ذكر انه وهب له اسحق ويعقوب ليعلم ان الولد هبة الله وكذلك ولد الولد لان
يعقوب كان ولد ولده حيث قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكل هبة الله اياه
اياه قال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب لم تزل
النبوة في ذرية ابراهيم من لدنه الى هذا الوقت كان جميع انبياء بني اسرائيل من ولد اسحق ونبينا محمد
صلوات الله عليه كان من ولد اسمعيل عليه السلام وقوله واتيناه اجره في الدنيا اختلف في الاجر
الذي اخبر انه اتاه ابراهيم في الدنيا قال بعضهم هو ما وهب له من الولد في الكبر وقال بعضهم هو
ما سخر له الالسن باجمعها على الثناء الحسن عليه حيث ينسب جميع اهل الاديان على اختلاف
اديانهم ومذاهبهم انهم على دينه وسنته وسيرته ويتولونه كل يتبرأ وجائز ان يكون قوله واتيناه اجره
في الدنيا ما اخبر انه اتى جميع المؤمنين واعطاهم وهو ما قال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة

وما ذكر من ثواب الدنيا فما من مؤمن الا وقد اتاه الله في الدنيا اجرا وثوابا فذلك الذي اتى ابراهيم او لا نفسر
ما ذلك الاجر الذي ذكر انه اتاه الله والله اعلم وقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين هذا يخرج على وجهين احدهما
انه لو لم يكرمه الله بالنبوة والرسالة لكان هو ايضا في الاخرة من الصالحين والثاني ذكر الصلاح للمحقق
صلاحه اي يكون هو ممن حقق الصلاح وكذلك ما ذكر في موسى وهرون حيث قال انهما من عبادنا المؤمنين
اي من عبادنا الذين حققوا الايمان وغيرهم من المؤمنين لم يحققوا او لا يكون ما ذكرنا اي لو لم يكن لاكرام
الذي اكرمه وهو النبوة لكان من المؤمنين ايضا والا ليس في ذكر الايمان والصلاح لهم كبير منقبة و
فضيلة عند الناس اذ يستحق بهذين كل مؤمن ومصلح والله اعلم وعن ابن عباس في قوله واتيناه اجره
في الدنيا قال عمله ما جزي في الاخرة وقتادة يقول اتاه الله عافية وعملا صالحا وثناء حسنا وقال
فلست تلقى احدا من اهل الملل الا يرضى بابراهيم والله اعلم بذلك وقال بعضهم ما ذكرنا انه اعطى الولد الطيب
في كبر سنه وقوله ولوطا اذ قال لقومه كانه يقول والله اعلم اذكر لوطا اذ قال لقومه ثم ذكره
اياه يخرج على وجهين احدهما ان اذكر نبأ لوط وخبره ليكون لك اية على رسالتك ونبوتك اذ يعلمون
انك لم تشاهد ولا شهدت زمنه فاخبرت على ما في كتبهم ليعرفوا انك انما عرفت ذلك بالله والثاني
اذكره ان كيف صبر على اذى قومه وكيف صبر على اذى قومه وكيف عامل قومه مع سوء صنيعهم من
من ارتكاب الفواحش والمناكير وسوء معاملتهم اياه فاصبر انت على اذى قومك وسوء معاملتهم اياك
هذا والله اعلم يشبه ان يكون معنى ذكر لوط اياه وعلى هذا يخرج قوله وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا
الله اي اذكر ابراهيم ونبأه اذ كيف عامل قومه وما ذا قال لهم وكيف صبر على اذاهم فعامل انت قومك
مثله واصبر على اذاهم كما صبروا اولئك والله اعلم وقوله انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد
من العالمين قال لهم ما سبقكم بها من احد من العالمين ثم لم ينههم ان يعارضوا لقوله ما سبقكم بها من
احد من العالمين بل قد كان سبقنا بذلك احد فكان في ذلك وجهان احدهما ان يكون ذلك اية لرسالته
وانه انما علم بالله انه لم يسبقهم بها احد ما ذكروا والثاني انهم يعبدون الاصنام ويرتكبون فواحش ويقولون
انا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وان الله امرهم بذلك ليعلم انهم كذبة في قولهم ان اباءهم على ذلك
حيث اخبر انهم لم يسبقهم بها من احد ولو كان اباؤهم على ذلك لذكروه وعارضوه فاذ لم يفعلوا و
لم يشتغلوا بشيء من ذلك ليعلم انهم كذبة فيما يقولون والله اعلم وقوله ائنكم لتأتون الرجال وهو ما ذكر
تأتون الذكران من العالمين وقوله وتقطعون السبيل قال بعضهم اي تعترضون الطريق لمن مر بكم لعملكم
الخبيث لانه ذكر انهم انما كانوا يعملون ذلك بالغرباء وقال بعضهم وتقطعون السبيل اي تقطعون
السبيل على الناس من قطع الطريق وتأتون في ناديكم المنكر اي وتعملون في مجلسكم المنكر اختلف في هذا
قال بعضهم اي تعملون في مجلسكم اللواطة ايضا وقال بعضهم حذف بالحصى ورمي بالبندق وامثاله
لكنه يخبر عن سوء صنيعهم في كل حال وكل وقت يقول انكم تعملون بالفواحش والمناكير في كل حال في الطريق
وفي المجلس وفي المنزل ما سبقكم بذلك كله من احد من العالمين والله اعلم ثم قال فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله وقال في موضع اخر الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وقال في موضع اخر
لتكونن من المخرجين هذه الايات في الظاهر بعضها مخالف لبعض لانه يقول في بعضها فما كان جواب
قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله وفي بعضها وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم فهو يخرج على وجوه احدها ان يكون
قوله الا ان قالوا اخرجوهم واخرجوا ال لوط انما ذلك فيما بينهم يقول بعضهم لبعض اخرجوهم وقوله ائتنا بعذاب
الله انما قالوا ذلك للوط فاذا كان كذلك فليس في الظاهر فيه خلاف والثاني فما كان جواب قومه في مشهد
وقت الا كذا وقد كان منهم له اجوبة ما هو غير ذلك المشهد وفي ذلك الوقت وان يكون قوله
فما كان اخر جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين بنزول العذاب مليئا انا
قالوا ذلك له استهزاء وتكذيبا ثم دعا لوط ربه فقال رب انصرني على القوم المفسدين فاجيب وقوله
ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بشارة بالولد وكبر سنه وسن زوجته ما لم يطمع ان مثلهما الا
ان يلتقى ذلك الوقت وهو ما ذكر فبشرناها باسحق قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها
كانوا ظالمين وقال في اية اخرى انا ارسلنا الى قوم لوط ولم يذكروا فيه انهم ارسلوا ثم في هذا ثم قال
ابراهيم ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته في الاية دليل من وجهين احدهما
يخرج الخطاب على العموم والمراد منه الخصوص لانه قال انا مهلكوا اهل هذه القرية وانهم لم يكن
لهم مرادا هلاك كل اهل القرية ثم استثنوا لوطا واهله بعد ما قال ابراهيم ان فيها لوطا حيث قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله والثاني فيه جواز تأخير البيان حيث لم يبينوا له بعد سؤال ابراهيم ايا هم
وفيه وجه اخر وامتحان الملائكة بمختلفة الوحي لانه امرهم بالبشارة وامروا بالهلاك قوم لوط
ليعلم انهم يمتحنون بمختلفة الاشياء والله اعلم وقوله وتأتون في ناديكم المنكر وعن ام هانئ عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال في قوله وتأتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون منهم فان
ثبت هذا كان تفسيرا له لا يحتاج الى غيره والنادي المجلس والندي جماعة وكذلك قال
القتبي قال ابو معاذ الندي والنادي لغتان فجمع النادي الاندية وجمع الندي ندي وندي كقراءة بعض
الناس في سورة مريم واحسن نديا اي مجالس وقراءة العامة نديا مجلسا والله اعلم وقوله ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم ظاهر هذا انه سيء بهم بالواقع من الفعل بهم لكن ساء ظنه انهم يفعلون بهم لما يعلم
من قوم الخبث من الفعل وضاق بهم ذرعا هذه كلمة يتكلم بها العرب عند انقطاع جميع الحيل فلوط انما قال
ذلك لما لم ير لنفسه يدفع بها شرهم وما قصدوا بهم الا ترى انه قال في اية اخرى لو ان لي بكم قوة او اوي الى
ركن شديد وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك هذا يدل على انهم قد قصدوهم ولوطا بالهلاك
الا ترى انه قال في اية اخرى لن يصلوا اليك دل هذا انهم قد قصدوه بالهلاك حتى قالوا انا منجوك
واهلك ولانهم انما ارادوا بالاخراج بقولهم انك لمن المخرجين اخراج قتل اذ لو كان اخراجا من
القرية لا بقتل لكان لا يكون له النجاة منهم والامن والله اعلم وقوله الا امرأتك كانت من الغابرين
وفي بعض الايات الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين والغبور فعلها ثم اخبر انه قدر
ذلك دل ان افعال العباد مخلوقة لله مقدرة له والله اعلم وقوله انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا من السماء اي عذابا والرجز اسم كل عذاب فيه شدة الا ترى انه قال في اية اخرى هذا يوم
عصيب اي شديد ثم ذكر انه ينزل من السماء فان ثبت ما ذكر ان جبريل ادخل احدى جناحيه
تحت الارض فرفع بها قريات لوط الى السماء حتى سمع اهل السماء صياحهم ونبحهم ثم ارسلها
فهو نزول العذاب من السماء وان قوله حجارة من سجيل ان السجيل لو كان مكانا منه ينزل
فهو في السماء على ما يقول بعض الناس انه مكان وقال بعضهم هو اسم ذلك الحجر والله اعلم وقوله
ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون اية بينة لمن عقل وعرف السبب الذي هلك قريات لوط
كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون لماذا اهلكوا اي تعقلون هذه الانباء
والقصص ذكرها تعالى في القران الكريم وكررها واعادها مرة لان الانباء والقصص انما تذكر
للحجاج على الكفرة منكرة وتعاد ليحتج بها عليهم واما الاحكام فانما هي لاهل الاسلام خاصة فهم
يطلبون ما عليهم من الاحكام فلا تقع الحاجة الى التكرار والاعادة ثم الكفرة كانوا على اصناف
ثلاثة منها اهل العناد والمكابرة واهل شك وحيرة واهل استرشاد ومن كان همته الاسترشاد
يؤمن بها بالابتداء في اول ما وقع في سمعهم فلا يقع الحاجة الى التكرار والاعادة واما اهل
العناد والمكابرة فانما تكرر عليهم لعلها تنجع فيهم فيؤمنون بها وهذه الايات كانت ايات وحججا
للتوحيد والبعث والرسالة وعلى ذلك جاءت الرسل بالدعاء الى التوحيد والى الاقرار بالبعث والايمان
به والى الايمان بالرسل فشعيب عليه السلام جمع هذه الخصال الثلث في قوله يا قوم اعبدوا الله وارجوا
اليوم الاخر ولا تعثوا في الارض مفسدين دعاهم الى التوحيد بقوله اعبدوا الله وفيه نهي عن عبادة
من دونه ثم دعاهم الى الايمان بالبعث بقوله وارجوا اليوم الاخر اي خافوا عذاب ذلك اليوم ونهى
عن جميع المعاصي بقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
جاثمين فقد ذكرناه هذا وقوله والى مدين اخاهم شعيبا اي ارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا ومدين
قال بعضهم اسم رجل تنسب اليه وقال بعضهم اسم موضع وقد ذكرناه فيما تقدم وقوله وعادا وثمود
وقد تبين لكم من مساكنهم ان الرسل صلوات الله عليهم قد خوفوا الكفرة بعذاب ينزل بهم في الاخرة بتكذيبهم
اياهم وعنادهم فلم ينجع ذلك فيهم ولم يرتدعوا عما هم فيه حتى اوعدوهم بعذاب ينزل بهم في الدنيا
فلم ينجع ذلك ولم ينتهوا عن ذلك حتى اوعدوهم بنزول ما قد شاهدوه وعاينوا من اثار من قد اهلكهم
بتكذيبهم الرسل وردهم اياهم وهو ما قال وعادا وثمودا اي اهلكنا عادا وثمود وقد تبين لكم من
مساكنهم اي قد تبين لكم من مساكنهم ما تعرفون انهم انما اهلكوا بالذي انتم عليه وهو التكذيب والرد باخبار
شهدت قوما وباثار تشاهدونها وهو كما قال وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون والله
اعلم وقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اي زين لهم الشيطان اعمالهم كما زين لكم
وصدهم عن السبيل كما صدكم وكانوا مستبصرين اختلف فيه قال بعضهم اي كانوا يحسبون انهم على هدى
وحق وقال بعضهم كانوا مستبصرين اي كانوا عالمين بان العذاب ينزل بهم بما شاهدوا وعاينوا من
اثار من تقدمهم وعلمهم بانهم انما اهلكوا بالذي هم عليه لكنهم عاندوا وقال بعضهم وكانوا مستبصرين
اي حاذقين في الضلالة وقال بعضهم وكانوا مستبصرين اي كانوا عقلاء علماء في انفسهم يعرفون الحق من
الباطل لكن كغيرهم من الامم الا ترى انهم قد طلبوا من رسلهم الحجة والاية على ما يدعون اليه حيث قالوا
يا هود ما جئتنا ببينة وقال قوم صالح فأت باية ان كنت من الصادقين ونحوه وقال قتادة مستبصرين
اي معجبين بضلالتهم وقوله وقارون وفرعون وهامان اي اهلكنا قارون وفرعون وهامان بتكذيبهم

موسى تستهلكون انتم يا اهل مكة بتكذيبكم محمدا وقوله ولقد جاءهم موسى بالبينات اى كذبوه بعد ما
جاءهم موسى بالبينات على نبوته ورسالته كما جاءكم محمد وقوله فاستكبروا فى الارض جائز ان يكونوا
استكبروا وابوا ان يخضعوا لموسى او استكبروا فى الارض اى سعوا فى الارض بالفساد وتكبرا واستكبارا
وما كانوا سابقين اى فائتين عن عذاب الله وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اى
الحجارة وهم قوم لوط وقوم هود اهلكوا بالريح العاصف حيث قال وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح
العقيم ما تذر من شىء اتت عليه الا جعلته كالرميم قال ابو معاذ الحاصب عند العرب الريح التى فيها
الزبا بر وهو صغار من الحصى ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وقوم شعيب وهؤلاء ومنهم
من خسفنا به الارض قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا قوم نوح وفرعون بذكر اهلاك هذه الامم
والجبابرة لاهل مكة ولغيرهم من الكفرة وقد تواترت عليهم بذلك الاخبار وظهرت الاعلام والاثار
ليرتدعوا عما هم عليه ولئلا يعاملوا رسولهم كما عامل اولئك رسلهم فيعذبون كما عذب اولئك
وقوله وما كان الله ليظلمهم فى تعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث كذبوا الرسل وكابروا
ايات الله وحججه وبراهينه وعاندوها والله اعلم قال ابو عوسجة قوله سىء بهم اى اغتم من ذلك يقال
سئت بفلان اى اساء سوء فانا مسوء وقوله جاثمين اى لزقوا بالارض وكانوا مستبصرين اى قد علموا
والمستبصر العالم وقوله فاخذتهم الصيحة اى صيح بهم فماتوا والعنكبوت هذه التى تغزل وهى دويبة كثيرة
القوائم وعناكب جمع وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا يشبه ان
يكون ضرب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ببيت العنكبوت هم الرؤساء منهم والمتبوعون
يقول والله اعلم مثل اتخاذكم اولئك اولياء من دون الله وما تأملون منهم كمثل بيت العنكبوت لا ينفع
ولا يغنى ما يؤمل من البيت من دفع الحر والبرد وغيره فعلى ذلك اتخاذكم واتباعكم هؤلاء اولياء
من دون الله مثل ما ذكر لا ينفع ولا يغنى ولا يدفع عنكم ما ينزل بكم وهو ما قال انما اتخذتم من دون
الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض الاية ظاهر ما ذكر من الاولياء
ان يكون المتبوعين منهم وجائز ان يكون الاصنام التى اتخذوها الهة ضرب مثل عبادتهم الاصنام و
اتخاذهم اياها الهة ببيت العنكبوت وذلك ان العنكبوت اتخذت البيت رجاء ان تنتفع به كما ينتفع
بالبيوت فى دفع الحر والبرد والستر والحجاب فلما ان وقعت الحاجة اليه لم ينتفع ما كان يأمل منه
فى شىء مما كانت تأمل فعلى ذلك هؤلاء الذين اتخذوا الاصنام الهة ومعبودا رجاء ان ينفعهم
ذلك يوما فلما ان وقعت لهم الحاجة لم يجدوا ما كانوا يأملون من عبادتهم اياها واتخاذ هذه الالهة
بل فى بيت العنكبوت شىء من المنفعة وليس لاولئك العبدة بتلك الاصنام شىء مما كانوا يأملون
فهو دون بيت العنكبوت فى المنفعة لكنه والله اعلم ضرب مثلها ببيت العنكبوت لما لا شىء اوهن واضعف
عند الخلق من بيتها وهو ما شبه اعمال الكفرة برماد اشتدت به الريح وبسراب بقيعة لما ليس شىء اضيع
ولا ابعد فى الوجود والقدرة عليه فى الوهم مما ذكر فشبه اعمالهم به فعلى ذلك تشبيه اتخاذ اولئك
الاصنام الهة واولياء من دون الله ببيت العنكبوت والله اعلم وقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
اى اضعف وابعد من المنفعة بيت العنكبوت فعلى ذلك عبادتهم الاصنام واتخاذهم اياها معبودا اوهن
وابعد مما يأملون لو كانوا يعلمون اى ان كانوا يعلمون ضعفها وعجزها والله اعلم وقوله ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شىء والله اعلم ان الله لم يزل عالما بما يكون منهم من اتخاذ هم الاصنام معبودا وانه عن علم اتخذ
ذلك لا عن غفلة وسهو لكن ابتلاهم لمنافع انفسهم ولحاجة لهم لا لحاجة ومنفعة له فى اتخاذهم
اياها وهو ما قال ان الله لغنى عن العالمين وقال ههنا وهو العزيز الحكيم العزيز قيل انه المنيع وقيل انه الذى
يذل كل شىء دونه لكن العزيز عندنا هو الذى لا يعلوه سلطان شىء ولا يقهره ذلك شىء ويعلو سلطانه
واراد ته على جميع الاشياء ويقهرها والحكيم قيل الذى له الحكم وقيل هو المصيب وقيل هو الذى يضع كل
شىء من منعه والحكيم عندنا هو الذى لا يلحقه الخطاء فى التدبير والله اعلم وقوله وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون فان قيل ذكر انه لا يعقلها الا العالمون والعقل يسبق العلم بالشىء اذ با
العقل يعلم ما يعلم فكيف ذكر انه لا يعقل الا العالمون ولم يقل وما يعلمها الا العاقلون فهو والله اعلم
الوجوه احدها ان الامثال انما تضرب لتقريب ما يبعد عن الاوهام ولكشف ما استتر من الاشياء على الاذهان
وتجليتها عما خفيت فلا يعقل الامثال انها لماذا ضربت الا العالم والثانى ان العقول تعرف اسباب الاشياء
ودلائلها فاما ان تعرف حقائق الاشياء وانفسها فلا من نحو المسالك والطرق الى البلدان تعرف
مسالكها وطرقها التى بها يوصل اليها فاما اعينها فلا وكذا المراد التى بها يعلم ويرتفع فاما عين
العلم فلا واما العلم فانه يوصل الى معرفة حقائق الاشياء وانفسها وصورها فلذلك كان ما ذكر والثالث
ان يكون قوله وما يعقلها اى وما ينتفع ما ذكر الا العالمون وهو كما قال صم بكم عمى نفى عنهم هذه الحواس
وان كانت لهم لما لم ينتفعوا بها فنفى عنهم تلك

فعلى ذلك

فعلى ذلك جائز ان يكون قوله وما يعقلها الا العالمون اى ما ينتفع بما يعقل الا العالم فاما من لم ينتفع
فلا يعقل والله اعلم وقوله خلق السموات والارض بالحق يحتمل قوله بالحق اى لعاقبة وهو البعث
لانه لم يخلقهما لانفسهما وكذلك لم يخلق الدنيا للدنيا ولكن انما خلقها للاخرة اذ بالاخرة يصير
خلقها حكمة وحقا لانه لو لم يكن خلقها لعاقبة كان خلقها عبثا باطلا وهو ما قال وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ولا كافر يظن انه خلقهما باطلا ولكن
لما تركوا الايمان بالبعث وانكروا البعث كانهم ظنوا انه خلقهما باطلا اذ لولا البعث كان خلقهما
باطلا عبثا فانما صار خلقهما حقا وحكمة بالبعث فاذا انكروا ما به صار خلقه اياهما حكمة وحقا فقد
ظنوا الباطل بخلقهما فنسأل الله التوفيق والصواب ويحتمل قوله ان خلقهما لتدل الى الحق لانهما
تدلان على وحدانية الله وربوبيته وتعاليه عن الاشباه والشركاء وجميع الافات او ان يكون
بالحق الذى عليهم او بالحق الذى لبعضهم على بعض والله اعلم ان فى ذلك لاية للمؤمنين صبرا ية لمن اقر بها
وامن اذ هو المنتفع بها فاما من انكر وجحد وكذبها فهو اية عليه لا له والله اعلم وقوله اتل ما اوحى
اليك من الكتاب واقم الصلوة جائز ان يكون قوله اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلوة اى بالكتاب
الذى اوحى اليك ويحتمل اتل ما اوحى اليك من الكتاب عليهم واقم بهم الصلوة فالخطاب وان كان لرسول
الله فهو لكل احد على ما ذكرنا فى سائر المخاطبات والله اعلم وقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
هذا يخرج على وجهين احدهما على الامتنان والثانى على الالزام فاما وجه الامتنان هو ان جعل لكم
الصلوة فتمنعكم عن الفحشاء والمنكر ما لو يجعلها لكم لا شىء يمنعكم عن الفحشاء والمنكر فيمن عليهم
بجعل الصلوة لهم لما يمنعهم عما ذكروا اما وجه الالزام فانه يخرج على وجهين احدهما ان الصلوة لو كان
موهوما منها النطق والنهى لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر على ما اضاف التغرير والتزيين الى الحيوة
الدنيا اى لو كان هذا الذى كان من الدنيا كان من له التغرير كان ذلك تغريرا فعلى ذلك الصلوة لو كان
منها حقيقة الامر والنهى لكانت تنهى عن الفحشاء والمنكر والثانى اضيف النهى الى الصلوة لما بها يعرف
ذلك فقد يضاف الى الاسباب وان لم يكن منها حقيقة ما اضيف اليها نحو ما يضاف الامر والنهى
الى الكتاب والسنة ونحوه يقال امرنا الكتاب بكذا والسنة بكذا ونهانا عن كذا وان لم يكن منها امر حقيقة
ولا نهى لما بهما يعرف الامر والنهى وهما سببا ذلك فعلى ذلك جائز اضافة النهى الى الصلوة ان يكون
على هذا السبيل وقوله ولذكر الله اكبر اختلف فيه قال بعضهم ذكر الله اكبر فى العبادات من نفس تلك
العبادات ووجه هذا والله اعلم ان العبادات انما تكون بجوارح تغلب وتقهر ويستعمل فلا يعرف
تلك انها لله لا محالة بل واما ذكر الله انما يكون باللسان والقلب وهما لا يغلبان ولا يستعملان
ولا يقهران فهو يعرف ان ذلك لله حقيقة فهو اكبر وقال بعضهم ولذكر الله اكبر من سائر الاذكار
التى ليست لله فهذا لا يبين فيه كبير حكمة لان ذلك يعرفه كل احد وقال بعضهم ذكر الله اكبر فى النهى عن
الفحشاء والمنكر من الصلوة وقال بعضهم ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه لانه ذكره اياكم رحمة ومغفرة
وذلك مما لا يعدله ولا يوازيه شىء واما العبد فانه يذكره بادنى شىء وقال بعضهم ذكر الله اكبر اى
ما وفق الله العبد من ذكره اياه وطاعته له اكبر من نفس ذلك الذكر ونفس تلك العبادة وذكر فى خبر
ابن مسعود رض وابى وحفصة ان الصلوة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر وعن الحسن يحدث
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا ولم يزدد
عند الله الا مقتا وعن سلمان الفارسى قال ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وعن ابن عباس رضى الله
عنه قال لهذا وجهان احدهما يقول ذكر الله اكبر مما سواه من اعمال البر والاخر يقول ذكر الله اياكم
اكبر من ذكركم اياه والضحاك يقول العبد يذكر الله عند ما احل له وحرم عليه فيأخذ بما احل ويجتنب
ما حرم عليه وقتادة يقول لا شىء اكبر من ذكر الله واصله ما ذكرنا من الوجوه التى تقدم ذكرها وقوله
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال بعضهم تنهى وتمنع ما دام فيها لا يعمل بالفحشاء والمنكر والثانى ان
الصلوة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر اى لو كانت لها النطق والامر والنهى لكانت تنهى
عما ذكر والوجه فيه ما ذكرنا بديا والله اعلم وقوله والله يعلم ما تصنعون وعيد ليكونوا ابدا على
حذر ويقظة وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم الاية يخرج على وجهين
لا يخرج احدهما ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم فلا تجادلوهم الا بالتى
هى احسن ولا غيره وهم الذين لا يقبلون الحجة ولا يؤمنون اذا لزمتهم الحجة وهم اهل عناد ومكابرة
والاولون يقبلون الحجة ويؤمنون بها والثانى لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن فقوله لا
الذين ظلموا منهم ليس على الثنيا من الاول ولكن على الابتداء كانه قال لا الذين ظلموا منهم فقولوا امنا
بالذى انزل الينا الى اخر ما ذكر اى قولوا لهم هذا ولا تجادلوهم فانكم وان جادلتم اياهم فلا يؤمنون
وهو كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى قوله الا الذين

ظلموا منهم فلا تخشوهم ليس على الثنيا من الاول ولكن ابتداء نهى اى لا تخشوهم واخشونى فعلى ذلك يحتمل الاول
مثله والثالث جائز ان يكون قوله وقولوا امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم الى اخر ما ذكر هى المجادلة الحسنة
التى امروا بها لان ذلك مما يقبلها العقل والطبع وبها جاءت الكتب والرسل فلا سبيل الى رد ذلك وقال
بعضهم ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن اى جادلوا الذين يصدقون منهم ولا يكتمون نعت محمد
وما فى كتبهم من الحق فاما الذين تعلمون انهم يكتمون ولا يصدقون فلا تجادلوهم وهو كقوله فاسألوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون والاول كقوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية والمجادلة الحسنة
هى التى جاء بها الكتاب ويوجبها العقل شرقيه ولا دلالة جواز المناظرة والمجادلة مع الكفرة فى الدين وكذلك
فى قوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن ليس كما يقول بعض الناس ان لا يجوز المناظرة معهم وذلك لجهلهم
بحجج الاسلام وبلادهته ما ينهون عن المجادلة والمناظرة معهم وقال بعضهم من لا عهد معهم فجادلهم
بالسيوف ومن كان معه عهد وكتاب فجادلهم بالحجج وقال بعضهم هو منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله الاية ومنهم من يقول من اذى اليكم الجزية فلا تغلظوا له القول وقولوا لهم قولا حسنا ومن لم يؤد
فاغلظوا لهم وجادلهم بالسيف والله اعلم وقوله وكذلك انزلنا اليك الكتاب اى كما اخبرناك فى الكتاب
فقل لهم اوجادلهم وقوله فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به يخرج على وجهين احدهما الذين اتيناهم
الكتاب فيتلونه حق تلاوته فهو يؤمنون به على ما ذكر فى اية اخرى الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته
حق تلاوته وتر اولئك يؤمنون به فيكون هذه الاية تفسير للاولى واما من لم يتلوا حق تلاوته ويتر ولا يؤمنون به
والثانى فالذين اتيناهم الكتاب وانتفعوا به اى يؤمنون الذين اوتوا امنا فع الكتاب ومن هؤلاء من يؤمن به
يحتمل قوله ومن هؤلاء اى من اهل مكة من يؤمن به وفدا من كثير منهم وجائز ان يكون اشارة الى قوم
كانوا بحضرته فقال ومن هؤلاء اى من اهل مكة من يؤمن به وفدا من كثير منهم وجائز ان يكون اشارة
الى قوم كانوا بحضرته فقال ومن هؤلاء من يؤمن به والله اعلم وما يجحد باياتنا الا الكافرون وقال قتادة
لا يكون الجحود الا بعد معرفة ان اليهود والنصارى عرفوه كما عرفوا ابناءهم لكنهم جحدوه وكل من
انكر شيئا فقد جحده عرفه اولم يعرفه وقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية
والله اعلم اى ما كنت تتلو من قبله اى من قبل هذا الكتاب من كتاب ولو كنت تتلو لارتاب المبطلون فيقولوا
ما انبأتهم من الانباء المتقدمة او كلوم الحكمة انما تلقفت واخذت من تلك الكتب المتقدمة او كتب
الحكماء ولو كنت تخطه بيمينك يقولون ان ذلك من تاليفك ووصفك لان القران حجة عليهم من وجهين
احدهما ما ذكر فيه من الانباء المتقدمة المترجمة بغير لسان المتقدم ما علموا باجمعهم ان رسول الله
صلوات الله عليه كان لا يعرفها بمترجم ولا تشهد ها هو شهدا انبأهم على ما كان فعلموا انه بالله عرفها
والثانى هو انه معجزة نظما ووصفا ما يعلمون انه ليس من نظم البشر ولا وصفهم فيقول ما كنت تتلو من قبله
كتابا فيه تلك الانباء والحكمة ولا تخطه بيمينك فيقولون من تاليفك او من نظمك فلو كنت كذلك اذا
لارتاب المبطلون بما ذكرنا على عنادهم ومكابرة ولا يرتاب المحقون وان كان كما ذكرنا عرفوا صدقه
باشياء وبايات كانت فيه وقال بعضهم فى قوله وما كنت تتلو من كتاب يقول قبل القران ولا تخطه
بيمينك اى لا تكتبه بيدك ولو كنت تقرأ كتابا من قبله او كنت تكتب بيدك اذا لارتاب المبطلون يقول
لا تهموك هذا قد ذكرناه ولكن نقول فى قوله بل هو ايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم يقول
بل هو اليقين انك لا تقرأ ولا تكتب عند الذين اوتوا العلم وهم مؤمنوا اهل الكتاب من نحو عبد الله
بن سلام واصحابه وقوله بل هو ايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم يحتمل القران اذ فيه ايات وحدانية
الله وحججه وايات البعث وحججه او ايات ويحتمل قوله بل هو ايات بينات رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان من اول انشائه الى الخواتم اية لما ذكر من النور فى وجه ابيه ما دام فى صلبه ثم فى وجه امه
اذ وقع فى رحمها ثم من ضياء الليلة التى ولد فيها ثم من ظل السحاب الذى اظله وقت ما خرج من وطنه
وامثال ذلك كثير ما لا يقدر احصاؤه والله اعلم فذلك كله يدل على رسالته ونبوته لا يرتاب فيه الا المبطل
المعاند المكابر وقوله فى صدور الذين اوتوا العلم جائز ان يكون قوله فى صدور الذين اوتوا العلم اى اوتوا
منافع العلم اى هو ايات بينات فى صدور الذين اوتوا منافع العلم فاما من لم يؤت منافع العلم فلا وقوله
وما يجحد باياتنا الا الظالمون يحتمل الظالم ظالم الايات لما لم يضعوها فى موضعها ويحتمل الظالمون الكافرون
وقوله وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه وفى بعض القراءات اية من ربه على الوحدان فكانهم سألوه
مرة اية كقوله ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية وانما ننزل اذا شاء بعد السؤال ومرة سألوه ايات
كقولهم لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وكقولهم او تكون
لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا الاية ونحوها من الايات التى سألوها فمرة سألوه
ايات ومرة سألوه اية فنقول من قال اختيار قراءة ايات على قراءة اية محال اذا ثبت انه قراءة فاخبر عز وجل
على ما كان منهم والله اعلم وقوله قل انما الايات عند الله اى من عنده يجئ الايات فكانهم انما سألوه ايات

قاهرة تقهرهم وتضطرهم على القبول والاقبال اليه لا الايات يكون فى ذلك وجه الاختيار لكن سؤال
استرشاد واستهداء فقال ان الله قد عفا عن هذه الامة عن انزال ما به هلاكهم على اثر سؤال
العناد والمكابرة وان كان فى غيرها من الامم السالفة ينزل عليهم الهلاك والعذاب على اثر سؤال
العناد والله اعلم وقوله وانما انا نذير مبين هذا يحتمل وجهين احدهما وانما انا نذير من الله مبين
ان الله امرنى بذلك وارسلنى اليكم والثانى انما انا نذير مبين اى لبس على الا لا نذاوة فاما غير ذلك
فليس على كقوله ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ الاية ونحوه وقوله
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم هذا يدل انهم انما سألوه سؤال عناد واستهزاء
لا سؤال استرشاد حيث قال ان فيما انزل عليهم من الكتاب كفاية لمن كانت همته الاسترشاد والا
الانصاف فاما من كانت همته العناد والمكابرة فلا وان فى ذلك لرحمة اى فيما انزل من الكتاب عليك
لرحمة اى رشد وذكرى عظة لقوم يؤمنون وقوله قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا هذا يقال
لوجهين احدهما عند الاياس من قبول الحجج والايات يقول كفى بالله شهيدا اى حاكما بينى وبينكم انا على
الحق وانا على الضلال نحن اوانتم والثانى كفى بالله شهيدا عالما فى تبليغ ما امرت تبليغنا اليكم وايتاء
ما اتيتكم به من الايات والحجج يعلم ما فى السموات والارض والذين امنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك
هم الخاسرون وقوله ويستعجلونك بالعذاب كان استعجالهم وسؤالهم الايات على علم منهم
انه لا ينزل ولا يأتيهم يخرج الاستهزاء بالرسل والتمويه والتلبيس على الاتباع والضعفاء لانهم يعلمون
ان الله لا يعذب ولا يهلك هذه الامة اهلاك استيصال وانتقام كما اهلك الامم المتقدمة بالعناد
والاستهزاء بالرسل اذ قد امهلهم الى وقت فان علموا ذلك من الامهال والتاخير سألوا الرسول
العذاب الذى اوعدهم الايات القاهرة ووعدوا الايمان لو جاءهم واقسموا على ذلك بقوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية تمويها وتلبيسا على اتباعهم وضعفائهم يرونهم انهم على حق فى الايمان فيما دعوا
الرسول وانه لو اتى باية وحجة يؤمنون به ويتبعونه وهم فيما يسألون من الايات والعذاب عالمون
عالمون انهم معاندون كذبة متمردون ملتبسون مموهون على الاتباع والسفلة لما ذكرنا والله اعلم
وقوله ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة الاية فان قال لنا لملحد انه حيث اخر عنهم
العذاب وامهلهم علم منهم انهم يستعجلون اولم يعلم ذلك فان قلت على غير علم منهم فقد اثبت الجهل
له وان قلت على علم منه ذلك فكيف امهل ذلك وقد علم ما يكون منهم قبل امهاله العذاب عنهم وضرب
الاجل رحمة منه لهم وفضل كانه قال ولولا رحمتنا التى جعل لهم على نفسه لجاءهم العذاب كما جاء
الامم الخالية عند سؤالهم الرسل العذاب والايات بالعناد والاستهزاء وهو كقوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين حيث لم يستأصلهم كما استأصل اليك وقوله يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين يحتمل قوله وان جهنم اى عذاب جهنم محيط يومئذ بالكافرين او النار محيطة بالكافرين
وجائز ان يكون اى يستعجلونك بالعذاب وان اعمال اهل جهنم واسبابها التى توجب جهنم محيطة
بهم كقوله فما اصبرهم على النار اى اصبرهم على الاعمال والاسباب التى توجب لهم النار والا لا احد
يصبر على النار فعلى ذلك جائز ان يكون قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اى اسباب جهنم واعمالهم
التى توجب لهم جهنم والنار محيطة بهم والله اعلم وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن
تحت ارجلهم كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ظاهر وقوله يا عبادى الذين امنوا
ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون فى الاية بشارة ونذارة اما البشارة فقوله ان ارضى واسعة وعلى
السعة فى المكان المنتقل اليه والمتحول كما كان لهم فى مقامهم والنذارة والتحذير قوله ان ارضى
واسعة فلا تقيموا فى ارضكم ثم الامر بالخروج والهجرة عن ارضهم الى الاخرى يخرج على وجهين احدهما لما
لا يقدرون على اظهار دين الله خوفا على انفسهم من اولئك الكفرة فامروا بالخروج والهجرة عنها
الى ارض يقدرون على اظهاره والقيام به والثانى ان كانوا يقدرون على اظهار دينهم لكنهم لا يقدرون
القيام على تغيير المناكير عليهم والامر بالمعروف فامروا بالخروج منها الى ارض ليس بها مناكير وان كانت
بها فيقدرون على تغييرها والامر بالمعروف فيها فبمثل هذا جائز ان يؤمر الناس بالتحول من ارض
الى اخرى اذا لم يقدروا على تغيير المنكر ودفعه وليس كالرسل لان سائر الناس اذا كثر سماعهم المنكر
يخف ذلك على قلوبهم وتميل اليه القلوب وتسكن وتطمئن فيؤمرون بالخروج عنها والتحول الى اخرى
لئلا تميل ولا تسكن اليه قلوبهم واما الرسل وان كثر سماعهم المنكر فان قلوبهم لا تميل ولا تلين و
لا تسكن اليه ابدا بل تزداد لهم شدة وصلابة فى ذلك وبعدا من قلوبهم لذلك اختلف امر الرسل وغيرهم
اوان يكون لا يؤمرون بالخروج ولا يؤذن لهم لما هم انما بعثوا الى اهل الكفر والمنكر ليدعوهم
الى دين الله فلا يحتمل ان يؤذن لهم بالخروج والهجرة الى الاخرى وهم اليهم بعثوا ليدعوهم
الى دين الله فقوله ان ارضى واسعة هو ما ذكرنا امروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ولا يمنعهم عن ذلك

خوف ضيق العيش في غيره لما يعتزلون عن اموالهم وحرفهم واهل قرابتهم ومعونتهم لما وعد لهم حل وعلا التوسيع عليهم لو خرجوا وهربوا اشفاقا على دينهم وكذلك روى عن الحسن عن رسول الله عليه السلام انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض اخرى وان كانت شبرا وجبت له الجنة وبعث مع ابيه ابرهيم ونبيه محمد او نحوه من الكلام وعلى مثل ذلك جاءت الاثار من السلف في انا ويل الاية اذا دعيتم الى المعاصي فاهربوا في الارض فان ارض الله واسعة وقال بعضهم اذا عمل بالمعاصي في ارض فاهربوا الى اخرى فان ارضي واسعة وهو ما ذكروا امروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ووعد لهم السعة والحسنة في الدنيا وفي الاخرة اعظم منها وهو ما قال والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقال في هذه الاية ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي ان ارضي واسعة فان منعتم عن عبادتي في ارض فاخرجوا منها الى اخرى فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فان ارضي واسعة فلا عذر لكم بالمقام في ارض تمنعون عن عبادتي واظهار دين الا المستضعفين الذين استثناهم في اية اخرى حيث قال الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا عذرهم بما فيهم من الضعف لترك الخروج والمقام من اظهرهم ولكتمان الايمان والعبادة لا سرا وان لهم يقدروا على اظهاره فاما من كانت له حيلة الخروج فلم يعذر وقوله كل نفس ذائقة الموت ذكر هذا والله اعلم على اثر ما ذكر لئلا يمنعهم عن الخروج والهجرة خوف ضيق العيش يقول والله اعلم كل نفس تذوق الموت اذا استوفت رزقها لا محالة ولا تذوق قبل استيفائها رزقها فلا يمنعكم خوف ضيق العيش فانها تذوق ذلك لا محالة خرجت اولم تخرج اذا استوفت رزقها وهو ما قال قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لو كان المكتوب عليه القتل يبرز لا محالة حتى يقتل فعلى ذلك المكتوب عليه الموت يذوق لا محالة اواقام والله اعلم ثم الينا ترجعون وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم اي لننزلنهم من الجنة غرفا يقال بوأ ها انزل وهيأ ولنثوينهم من الثواء وهو الاقامة وقال القتبي هو من ثويت بالمقام اذا اقمت له وبالباء لنبوئنهم اي لننزلنهم وقال ابو عوسجة اي لننزلنهم منها منزلا يقيمون فيه والثواء الاقامة وقال ابو معاذ بوأ ها هيأ ها والمثوى المنزل والثاوي المقيم خالدين فيها نعم اجر العاملين اي ثوابهم وجزاؤهم وقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون يحتمل قوله الذين صبروا اي خرجوا وهاجروا وصبروا على الهجرة وعلى ربهم توكلوا في الخروج والرزق والذين صبروا على الطاعات واداء الفرائض وان يكون الصبر كناية وعبارة عن الايمان اي الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون به ويثقون به ويفوضون كقوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن ومحمد بن اسحق يعقوب انزلت الاية بمكة في ضعفاء مسلمي مكة يقول ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان بها فان ارض المدينة واسعة فاياي فاعبدون بها علانية ثم خوفهم بالموت ليهاجروا فقال كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون في الاخرة ثم نعتهم فقال الذين صبروا على الهجرة وبالله يثقون في هجرتهم وذلك ان احدهم كان يقول بمكة كيف اهاجر الى المدينة وليس لي بها مال ولا معيشة فوعظهم فاء ذكر وقوله وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم من الناس من يجعل الاية صلة قوله يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة انهم امروا بالهجرة من بلدتهم والخروج من سفاسهم ليسلم لهم دينهم فاشتد ذلك عليهم وضاق بذلك ذرعهم لضيق العيش هنالك لما لم يتهيأ لهم ولا يتأدى لهم حمل اموالهم والمكاسب التي بها يتعيشون في بلدهم ويتسعون بها فاخبر ان لا خلائق برزقهم حيث ما توجهوا وحيث ما كانوا لا يحملون مع شيئا من الرزق بل يرزقهم حيث ما كانوا فعلى ذلك هو يرزقكم حيث ما كنتم حملتم مع انفسكم شيئا من الاموال والمكاسب اولم تحملوا فلا يضيقن صدوركم بترككم الاموال والمكاسب في بلدكم وجائز ان يكون لا على الصلة بما تقدم ولكن على ابتداء تذكير وتنبيه للبشر لئلا يعلقوا قلوبهم باسباب الرزق لان للبشر فضل تعلق القلوب باسباب المعاش والرزق ما ليس ذلك لغيرهم فيخبر ان الرزق ليس يتعلق بالاسباب بل يرزق بسبب وبغير سبب اذ قد يرزق ويبسط من ليس له من الاسباب شيء نحو ما ذكر من رزق الطير والدواب وغير ذلك من البشر الذين يرزقون بلا اسباب ومكاسب ولذلك ذكر والله اعلم على اثر ذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يبسط لمن يشاء وان لم يكن له سبب ويقدر على من يشاء وان كان معه سبب لئلا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب والمكاسب وعلى قول المعتزلة ان الله لا يقدر ان يبسط الرزق لمن يشاء لانهم لا يجعلون لله في الاسباب والمكاسب صنعا وانما يجعلون منه خلق اصول الاشياء من الانبات والاخراج من الارض واما غير ذلك فهو كله للخلق على قولهم فذلك النبات والخارج منها للكل ليس بعضهم بذلك اولى من بعض فيذهب فائدة ما ذكر من البسط والتوسيع والتقتير على قولهم وقوله وهو السميع العليم على اثر ما ذكر يخرج على وجوه احدها المجيب لكل ما يدعون ويسالون العليم بحوائجهم حيث كانوا واين كانوا او السميع لقولهم انا لا نجد ما ننفق وتعيش العليم بما اضمروا ونحوه وقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون انهم اعطوا جميعا بالسنتهم ان الذي خلق السموات

والارض

والارض وما سخر لهم من الشمس والقمر وما نزل من السماء من الماء وما احيا به الارض هو الله لا غيره فيخرج قوله فانى يؤفكون على اثر ما اعطوا بالسنتهم ونطقوا به على وجهين احدهما انى يصرفون عما اعطوا بالسنتهم ونطقوا به الى صرف الشكر والعبادة الى الاصنام التي يعلمون انها لم تخلق شيئا مما اعطوا بالسنتهم والثاني فانى يؤفكون اي في تسميتهم الاصنام الهة على علم منهم انها ليست بالهة والله اعلم وقوله قل الحمد لله على اثر ما ذكر يخرج على وجوه احدها امره ان يحمد ربه فيما لم يبل بما بلي اولئك من التكذيب والعناد والكفر بربهم والثاني امره ان يحمد ربه لما في ذلك اظهار سفههم حيث اعطوا باللسان ان ذلك كله من الله وانه خالق ذلك كله ثم صرفوا ذلك الى غيره والثالث يقول بعضهم قل الحمد لله على اقرارهم بذلك انه خلق لله وان ذلك كله منه والله اعلم وقوله بل اكثرهم لا يعقلون يحتمل قوله لا يعقلون اي لا ينتفعون بعقولهم نفى عنهم العقول لما لم ينتفعوا بها كما نفى عنهم السمع والبصر واللسان لما لم ينتفعوا بتلك الحواس فعلى ذلك هذا والثاني لم يعقلوا لما تركوا النظر والتفكر في الاسباب بها يعقل الاشياء والله اعلم وقوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وقوله اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لو كان الامر على ظاهر ما نطق به الكتاب دون معان تودع فيه وحكمة تجعل فيه على ما يجعله بعض الناس لكان لاهل الالحاد في ذلك مطعن لانه يقول ما الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وهو خلقها فيقولون لم خلقها لهوا ولعبا وهو خالقها ولهم دعوى التناقض فيه حيث قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقال في اية اخرى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين فلو جمع بين هذا وبين الاول فهو في الظاهر تناقض اذ يذكر في بعضها انه لم يخلقهما الا ليعلم انهما باطلا لعبا ويذكر في بعضها ان الحيوة الدنيا لهو ولعب وهو خلقها لكن تاويل قوله وما هذه الحيوة الدنيا على ما تقدرون انتم وعلى ما عندكم الا لهو ولعب فاما ما عند اهل التوحيد وما في تقديرهم فهي حكمة وحق ثم هو ما ذكر من اللهو واللعب عندهم يخرج على وجهين احدهما انهم راوا انه خلق الانسان وجعل بدأه من نطفة ثم حولها الى علقة ثم الى مضغة ثم الى الانسان الذي صوره الى اخر ما حوله فلا يحتمل ان يخلقهم ويحوله من حال الى الاحوال التي ذكر ثم يفنيه بلا عاقبة يجعل لهم ولا منفعة فيكون كما ذكر ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا صير نقضها الغزل من بعد احكامها اياه بلا انتفاع به لهوا ولعبا فعلى ذلك خلق الحيوة الدنيا وخلق ما فيها من العالم بعد احكامه وتحويله حالا بعد حال وتحويله بعد تحويل وبين احكامه بعد احكام للفناء خاصة على ما يقدر اولئك الكفرة بلا عاقبة يجعل لهم ومنفعة لهو ولعب وسفه وباطل على ما ظن اولئك وقدروه فاما ما في تقدير اهل التوحيد واهل الايمان من العاقبة لهم فهو حكمة وحق والثاني معنى اللهو واللعب الذي ذكر على ما عندهم هو ان الجمع والتسوية بين العدو والولي وبين العاصي والمطيع وبين المخالف والموافق سفه باطل وقد سوى بينهم في هذه الدنيا واشركهم جميعا في نعيمها وسعتها وشدتها وخيرها وشرها يتمتع الولي فيها كما يتمتع العدو ويبتلى فيها المطيع كما يبتلى العاصي فلو لم يكن دار اخرى فيها يفرق بين الولي والعدو وبين المطيع والعاصي لكان خلقه اياهم في الحيوة الدنيا سفها وباطلا اذ سوى بينهم واشركهم جميعا في هذه او ان يكون الحيوة الدنيا على ما اتخذوها هم وعملوا فيها لهوا ولعبا وان يقال الحيوة الدنيا بحيوة الاخرة لهو ولعب لانها خلقت فانية منقطعة وخلقت حيوة الاخرة باقية دائمة فهو كما قال قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير اي متاع الدنيا قليل عند متاع الاخرة لان متاع الدنيا فان منقطع ومتاع الاخرة دائم باق وقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي هي دار الحيوة لا موت فيها ولا انقطاع ولا فناء لو كانوا يعلمون ان الدار الاخرة هي الدار التي لا موت فيها والله اعلم وقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية على المعتزلة في قولهم ان على الله الاصلح لهم في الدين لانه اخبر انهم اخلصوا الدين لله اذا ركبوا في الفلك ولا شك ان ذلك اصلح في الدين ثم لم يبقهم على تلك الحال ليكونوا على ذلك الاخلاص بل اخرجهم منها فعادوا الى ما كانوا فدل ذلك انه ليس عليه حفظ الاصلح لهم في الدين وقوله فلما نجاهم يشركون ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون قوله ليكفروا اي انجاهم ليكونوا على ما علم منهم انهم يكونون وقد علم انه يكون منهم الكفر فانجاهم الى البر ليكون منهم ما قد علم انه يكون ويختارون وكان اخلاصهم الدعاء في الفلك لم يكن اخلاص اختيار ولكن اخلاص دفع البلاء عن انفسهم اذ لو كان ذلك اخلاص اختيار لا دفع البلاء لكانوا الا يتركون ذلك في الاحوال كلها فهذه الاية وان كانت في اهل الكفر ففي ذلك ايضا توبيخ لاهل الاسلام لانهم لا يقومون بالشكر لله واخلاص العبادة له في حال النعمة والسعة كما يكونون في حال الضيق والشدة فينبههم ليكونوا في الاحوال كلها مخلصين العمل لله شاكرين له لئلا يكون عملهم على حرف وجهة كعمل اهل النفاق وكعمل اولئك الكفرة والله اعلم وقوله فانى يؤفكون قيل يكذبون وقيل يعدلون وقيل يؤفكون يؤفنون ويحمقون والمأفوك الاحمق والافن الحمق وقوله فسوف يعلمون اي سوف يعلمون صدق قول

ولورة والعاد والمانهوا عنهم كما عاد والى ماكانوا عليه اذا نجاهم من الاهوال التي ابتلوا بها اى سوف يعلمون
ما او عدهم الرسل وفي قولهم وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وجه اخر وهو ان يقال ما هذه المحاسن
والاعمال تعملون وتعدون محاسن وصلوحا في هذه الدنيا الا لهو ولعب لما لا تبقى ولا تبقى ولا ينتفعون
بها الا ما ابتغى بها وجه الله والدار الاخرة وهو ما قال وان الدار الاخرة لهى الحيوان اى هى الباقية
الدائمة لو كانوا يعلمون وقوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا قد ذكرنا في غير موضع ان الاستفهام
من الله يخرج مخرج الالزام والايجاب او يخرج مخرج الخبر لا على حقيقة الاستفهام لانه عالم بذاته يعلم
ما في باطنهم وظاهرهم وما يسرون وما يعلنون بما كان ويكون لا يستفهم عباده شيئا ولكنه يخرج
على ما ذكرنا على الخبر او على الالزام والايجاب فالخبر كانه يقول قد راوا وعلموا ان الله جعل الحرم
مأمنا لهم يأمنون فيه وكان الناس حولهم يتخطفون ويخافون والالزام والايجاب ان يقول
لهم اعلموا ان الله جعل الحرم لكم مأمنا تأمنون فيه والناس من حولكم على خوف يسلبون ويسبون
ويقتلون ثم يخرج تذكيره اياهم هذا على وجهين احدهما ان الله قد جعل لكم الحرم مأمنا تأمنون
فيه لتعظيمكم حرم الله والناس حولكم على خوف وانتم تشاركون من حولكم في الدين فكيف تخافون الاختطاف
والاستلاب اذا دنتم بدينه واتبعتم رسوله فاذا امنكم بكونكم في حرم الله وتعظيمكم بيته ودفع عنكم الاستلاب
والاختلاب فكيف تخافون ذلك اذا دنتم بدينه واتبعتم امره بل الامن والسعة اذا دنتم بدينه واتبعتم
امره اكثر واحوج فكانهم انما تركوا اتباع دينه خوفا من الاختلاف كقولهم ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا فقال لهم ولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء او يذكر هذا لهم انه قد امنكم وصرف
عنكم مع عبادتكم الاصنام وصرفكم الشكر اليها عند كل مكروه وسوء بكونكم في مجاورة بيته وحرمه
فاذا صرفتم العبادة اليه وشكرتم نعمه احق ان يؤمنكم ويدفع عنكم ما لم يدفع عمن حولكم وانتم شركاؤ
هم في عبادة الاصنام واتخاذهم اياها الهة على هذا يخرج والله اعلم وقوله افبالباطل يؤمنون يحتمل
قوله افبالباطل يؤمنون اى بما اوحى اليكم ابليس من الباطل يؤمنون وهو ما اوحى اليهم ان هؤلاء شفعاؤكم
عند الله وعبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى كقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم الاية وقوله
وبنعمة الله يكفرون اى بما اوحى اليكم محمد من الله يكفرون او ان يكون قوله افبالباطل يؤمنون اى
بالشرك يؤمنون وبنعمة الله يكفرون اى بتوحيد الله يكفرون او ان يكون النعمة ههنا هو القران
او ما ذكرنا وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قد ذكرنا ان حرف
الاستفهام من الله يخرج على وجهين على الخبر مرة وعلى الايجاب تارة فالالزام اعلموا ان ليس احد من
المفترين اظلم ممن افترى على الله وعلى الخبر اى قد علمتم ان ليس احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله
اذ قد عرفتم بعقولكم قبح الافتراء والكذب فيما بينكم فالكذب والافتراء اوحش واقبح من الافتراء على
الله فكيف افتريتم عليه وهو اوحش واقبح وقوله اوكذب بالحق يحتمل كذب بالحق برسول الله او بالقران
الذى عجزوا عن اتيان مثله او بالتوحيد او كذب بالحق الذى ظهر حقه وصدقه لما جاءه وقوله اليس
في جهنم مثوى للكافرين كانه يقول اعلموا اى جهنم مثوى للكافرين يذكره على التصبير على اذاهم والتسلي
لما كان يضيق صدره لكان تركهم الايمان والاياس منهم وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
يشبه ان يكون هذا صلة قوله وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اى لمن جهد نفسه في طلب
الدنيا والعمل لها الا لهو ولعب واما من جهد نفسه لله وطلب مرضاته فهو حق وله دار الحيوة التى
لا موت فيها ولا انقطاع ويشبه ان يكون على الابتداء لا على الصلة بالاول يقول والذين جاهدوا انفسهم
في هواها وشهواتها واما في الحقيقة ابتغاء مرضاة الله وطلب الهداية والدين وسبيله لنهدينهم سبلنا
ذكر السبل ههنا لما سبق ذكر الجماعة يقول جاهدوا فينا لنهدينهم كلا سبيلا فيكون سبيلا للكل واما
قوله ولا تتبعوا السبل ان السبل على الاطلاق على غير تقدم ذكر من الهدى او شيء من الاوصاف الى الله هى
سبل الشيطان والله اعلم وقوله وان الله لمع المحسنين يحتمل قوله ان الله لمع المحسنين في التوفيق لهم
في الوحدانية والاعمال الصالحة او مع المحسنين في النصر والمعونة لهم مع اعدائهم او مع المحسنين يحفظهم
ويتولاهم ثم لم يفهم احد من الخلق من قوله لمع المحسنين ومع المتقين ما يفهم من الخلق وذوى الجثة
والمثبات كيف فهم بعض الناس من قوله ثم استوى على العرش وجاء ربك ويأتيهم الله فكذا ما يفهم من
استواء الخلق ومجيئهم واتيانهم ليعلم ان فهم ذلك ما يفهم من الخلق بعيد محال وبالله العصمة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض
وفي بعض القراءة غلبت الروم بفتح الغين على المستقبل يذكر اهل التاويل انه انما يذكر هذا لما غلبت
فارس الروم فانزل الله تعالى هذه الاية الم غلبت الروم في ادنى الارض الاية لكن يذكر في اخره ويومئذ يفرح

المؤمنون

المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء فلا يحتمل فرح المؤمنين بغلبة الروم على فارس ويسمى ذلك نصر الله وهم
كفار وغلبتهم عليهم معصية اللهم الا ان يكون فرحهم بما يظهر الايمان بكتب الله وتصديقها والعمل بها لانهم
كانوا اهل كتب وبرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث مصدقا بكتب الله وبرسله اجمع ففرحوا بذلك فان
كان كذلك لجاز الفرح بذلك وتسميته نصر الله واما على الوجه الذى يقولون هم فلا وعندنا ان في ذلك
اية عظيمة في اثبات رسالة نبينا محمد صلوات الله عليه ونبوته وصدقه ما لم يجد الكفار فيه مطعنا ولا
النسبة الى الكذب والافتراء على ما قالوا وطعنوا في سائر الايات والانباء وقولهم انما يعلمه بشر
ونحو ذلك من المطاعن التى طعنوا في القران والانباء المتقدمة حيث قالوا ان هذا الا اساطير وما هذا
الا افك مفترى فمثلها لم يجدوا فيما اخبر من غلبة الروم على فارس لانه اخبر عن غلبة ستكون وتحدث
لا عن غلبة قد كانت ومثل هذا لا يدرك الا بالبشر ولا يستفاد منهم اذ لا يبلغه علم البشر ولا يدرك بالقياس
بالسابق من الامور فاذ كان على ما اخبر دل انه بالله علم ذلك ويوحى منه اليه عرف ذلك وهم جائزان
يستدلوا بما كان من قبل من غلبة فارس على الروم ان يقولوا تغلب فارس على الروم ما شاهدوه مرة
او بوجوه اخر يستدلون بذلك من نحو ان يقولوا انهم اهل كتاب وعبادة يكونون مشتغلين بالنظر فيها
والعمل ببعض ما فيها لا يتفرغون للقتال والحرب او ان يقولوا انهم نصارى اعنى اهل الروم وليس
في سنتهم ومذهبهم القتال والحرب فيستدلون بمثل هذه الوجوه على ان الغلبة تكون لهم ولا تظهر
ما اهل الاسلام ليس لهم شيء من تلك الوجوه ولا بغيرها وجه الاستدلال بغلبة اولئك فلما قالوا
ذلك الا وحيا من الله اليه واعلاما منه اياه فكان في ذلك اعظم اية صدق رسوله واكبرها فيكون
فرح المؤمنين وذكر نصر الله باظهار تلك الاية في تصديق رسوله اذ نصر رسوله حيث اظهر صدقه
ورسالته وقوله غلبت غلبت على الماضي لما كان من غلبة فارس على الروم وغلبت بالفتح على المستقبل
اى تغلب الروم على فارس وهو كقوله فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا على الامر في المستقبل وباعد
بين اسفارنا على الخبر فعلى ذلك الاول وقوله في ادنى الارض قيل اقرب الارض فارس وقال بعضهم
ادنى الارض اى ادنى ارض الشام وقيل الارض التى تلى فارس والله اعلم وفي قولهم وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وفي قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وجوه على المعتزلة احدها يقال
لهم وعد ان يغلب الروم على فارس وقد اراد ان يخرج ما وعد حقا صدقا ام لا فان قالوا لا فقد
اعظموا القول وافحشوه حيث زعموا انه اراد ان لا يفي ما وعد انه يكون فان قالوا نعم قيل دل
انه اراد ما فعلوا وان كان الفعل منهم فعل معصية وخلاف اذ محاربة كل فريق اصحابهم معصية
اذ لم يؤمروا بذلك وانما امروا بالاسلام فدل ان الله مريد لما يعلم انه يكون منهم وان كان
ما يكون منهم معصية والثانى ما اخبر بفرح المؤمنين بغلبة هؤلاء على اولئك على اى جهة كان
فرحهم لاثبات اية عظيمة على رسالة نبيهم ونبوته على ما ذكرنا اولانهم كانوا اهل كتب الله
ولا منها اجتوا غلبتهم عليهم وفرحوا بذلك ولا يحتمل ان يفرحوا بذلك ولم يأمرهم بذلك ولا اراد
منهم ذلك دل انهم انما فرحوا ذلك لما اراد ذلك والثالث في قوله بنصر الله ينصر من يشاء دلالة ان
الله في فعل العباد صنعا وتدبيرا حيث ذكر فعل بعضهم على بعض ثم سمى نصر الله دل ان له في ذلك
تدبيرا وقوله بضع سنين قيل البضع سبع وقيل ما دون العشر فهو بضع وكذلك ذكر في الخبر ان
ابا بكر رضى الله عنه لما خاطر المشركين وبايعهم في ذلك بخطه في سنين ذكرها فمضت تلك المدة ولم
تغلب الروم على فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر اما علمت ان ما دون العشر بضع
كله فزد في الاجل وزد في الخطر ففعل تلك فلم تمض تلك السنون حتى ظهرت الروم على فارس وفي
بعض الحديث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكونوا ان توجلوا الحلة دون العشر فان
البضع ما بين الثلاث الى العشر فزايدوهم وما دوهم في الاجل ففعلوا حتى ظهرت الروم على فارس
فذكر الحديث ثم المسئلة في المخاطرة التى كانت بين ابى بكر وبين اولئك الكفرة احدها ان مكة كانت
يومئذ دار حرب دليله قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وذلك كان قبل الهجرة ايضا الى
المدينة ونحوه كثير وذلك كان كله قبل غلبة الروم على فارس فاذا كانت مكة يومئذ دار حرب جازت
المخاطرة في العقود في دار الحرب فيما بينهم وبين اهل الحرب وان كان مثلها في دار الاسلام غير جائز
وهذا يدل لابى حنيفة رحمه الله في اجازته عقد الربا في دار الحرب فيما بينهم وبين اهل الاسلام وان
كان مثله في دار الاسلام غير جائز والثانى جاز ذلك يومئذ وان كانت فيه جهالة لترك الحيل
والجهالة في العقود انما تبطل العقود لخوف وقوع التنازع بينهم في الاخرة والتنازع في امثالهم
لا يتوهم وقوعه اذ كانوا اهل شرف وكرم واهل جود لا يتنازعون في امثالها فاذا كان التنازع في
مثلها مرتفعا من بينهم جاز ذلك ان يكون التنازع بينهم في الدين فاما في الاموال فعل ما يقع لما ذكرنا
ومنهم من يقول كان جائز ذلك في الجاهلية فاما اليوم فقد جاء النهى من القمار فنسخه وانما عرف النهى

في الارادة انه ... ليظهر والشرف وعد
ان يغلب الروم على فارس يفعل ليردهم من
بعد غلبهم سيغلبون ما ... لهم
انه ... اراد انه يخرج

عن المبيع هو الثمار نبكونا النهي عن الشيء نهيًا عما هو في معناه والله اعلم وقوله لله الامر من قبل ومن بعد قال
بعضهم لله الامر من قبل غلبة فارس الروم ومن بعد غلبته فارس الروم ويقال لله الامر من قبل حين ظهرت
الفارس على الروم ومن بعد ما ظهرت الروم على فارس وجائز ان يكون قوله لله الامر في خلقه اي التدبير
فيه وله الامر فيهم اي ليس لاحد في الخلق امر ولا تدبير انما ذلك له كقوله الا له الخلق والامر له التدبير فيهم
والامر وفي قراءة من قرأ غلبت الروم بالنصب يكون قوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون حين نظاهر
عليهم المسلمون في آخر الزمان حين يفتح قسطنطينية وفي حرف ابن مسعود وحفصة في بعض سنين قريبا وقوله
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء فرح المؤمنين بنصر الله حيث نصر رسوله باظهار الآية له
في اثبات الرسالة والنبوة وصدقه وذلك النصر له وما يقول بعض اهل التأويل نصر الروم على فارس بعيد
لان ما كان الفعل فعل معصية لا يقال نصر الله وانما يقال ذلك فيما كان الفعل فعل طاعة والوجه فيه
ما ذكرنا انه نصر رسوله بما ذكرنا وقوله وهو العزيز الرحيم ذكر العزيز على اثر ما سبق لانه عزيز بذاته فهلاك
من هلك من عبيده لا يوجب وهنا ولا نقصا في ملكه وسلطانه ليس كهلاك بعض عبيد ملوك الارض
واتباعهم وحشمهم لان ملوك الارض اعزاء بذلك فاذا هلك ذلك ذهب عزهم فاما الله سبحانه وتعالى
اذ هو عزيز بذاته لا بشيء فهلاك من هلك من عبيده لا يوجب نقصا ولا ذلا فيه وقوله وعد الله لا يخلف
الله وعده انما يكون خلف الوعد في الشاهد لاحد خصال ثلاث اما لندامة استقبلته فيما وعد فيمنعه تلك
الندامة من انجاز ما وعد وحفظ الوفاء له واما الحاجة وقعت له فيما وعد فتمنعه تلك الحاجة عن
وفاء ما وعد وانجاز ما طمع واما العجز يكون به لا يقدر على انجاز ما وعد فيحمله عجزه عن وفاء ما وعد
وانجازه فاذ كان الله سبحانه تعالى عن الوجوه التي ذكرنا كان ما وعد لم يحتمل الخلف منه ولا قوة الا بالله
وقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يحتمل قوله لا يعلمون لما لم ينظروا ولم يتفكروا في الاسباب التي هي اسباب
العلم بعد ما اعطاهم اسباب العلم لكنهم اذا تركوا النظر في الاسباب والتفكر فيها لم يعلموا فلم يعذروا
بذلك لتركهم النظر والتفكر فيها ويحتمل قوله لا يعلمون اي لا يعلمون اي لا ينتفعون بما علموا فنفى عنهم
العلم لما لم ينتفعوا بهذه الحواس وان كانت لهم هذه الحواس وقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم
عن الاخرة هم غافلون يحتمل قوله ظاهر الاشياء في المنافع ولا يعلمون باطن المنافع بهم وكيف نحو ما يعلمون
الماء به حيوة الاشياء ويعلمون ان بالطعام قوام الابدان ولكن لا يعلمون قدر منفعته وكيفيته وما
في سريته ذلك من المنافع وكذلك السمع والبصر واللسان لا يعلم حقيقة ذلك وكيفيته وان كان يعلم انه
بها يسمع ويبصر ويتكلم ويفهم وجائز ان يكون قوله يعلمون ظاهرا منافع الحيوة الدنيا وعن منافع
الاخرة هم غافلون وانما نسبت منافع الدنيا لا لتكون لهم ولكن ليعلموا بها منافع الاخرة وابن عباس و
الكلبي وهؤلاء يقولون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا قالوا يعلمون معايشهم وتجاراتهم وحرفهم
وجميع الاسباب والمكاسب والحيل التي بها تقوم امور دنياهم وهم عن الاخرة هم غافلون اي
لا يؤمنون بها والله اعلم وقوله اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا
بالحق قد ذكرنا في غير موضع ان كل استفهام من الله وسؤال يخرج على الايجاب والالزام ثم الايجاب
يخرج على وجوه احدها ان قد تفكروا واعتبروا ونظروا وعرفوا انه ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق لكنهم عاندوا وكابروا ولم ينقادوا للحق ولم يقروا والثاني يخرج على الامر اي
تفكروا وانظروا واعتبروا لتعلموا انه ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق والثالث على الخبر
انهم لم يتفكروا ولم ينظروا ولم يعتبروا ولو تفكروا واعتبروا لعلموا انه ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق لكنهم لم يتفكروا ولم ينظروا بعد ما اعطوا اسباب العلم فلم يعذروا بترك التفكر و
النظر والاعتبار وعلى هذه الوجوه الثلاثة يخرج قوله اولم يسيروا في الارض وينظروا وعلموا ما حل
بالمكذبين بالتكذيب وما صار عاقبة امرهم او سيروا في الارض على الامر لتعرفوا ما اصاب اولئك
بالتكذيب اولم يسيروا في الارض على ما ذكرنا لئلا يعلموا عاقبة اولئك ثم قوله الا بالحق قيل فيه وجوه
احدها انه ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذي عليهم من الشكر له فيما انعم عليهم والتعظيم
له والتبجيل والثاني الا بالحق الذي لله عليهم او ما يحمد بفعله عاقبته ما لولا تلك العاقبة لكان
لا يحمد لنفي الحكمة التفريق بين الولي والعدو وقد اشركهم جميعا في هذه الدنيا بين الولي والعدو ولو لم
يجعل دارا اخرى يفرق فيها بينهما لكان لا يحمد فيما اشركهم فيها والثالث الا بالحق اي بالبعث لانه لو لم يكن
البعث لكان خلقه السموات والارض وما بينهما عبثا باطلا لا حقا كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله
وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون سمى البعث لقاء الرب والمصير اليه والرجوع اليه والخروج
اليه والبروز اليه والخروج وان كانوا في الاوقات كلها بارزين له خارجين صائرين اليه راجعين
لان خلقه اياهم انما صار حكمة لذلك البعث والمقصود بخلقهم ذلك البعث لذلك سمي البعث بما ذكرنا وقوله
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هو يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله اولم

يتفكروا في انفسهم وقوله كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها يذكر اهل مكة
ويوبخهم في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوء معاملتهم اياه بما ذكر من القرون الماضية
انهم مع شدتهم وقوتهم وبطشهم وكثرة اتباعهم ومواشيهم واموالهم وطول اعمارهم وبنيانهم
ولم تهيأ لهم الانتصاب والامتناع عن عذاب الله اذا حل بهم بتكذيبهم الرسل فانتم يا اهل مكة دونهم
في القوة والبطش والحواشي والاتباع فكيف تهيأ لكم الانتصار والامتناع من عذاب الله اذا كذبتم الرسول
والله اعلم وقوله فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى
جائز ان يكون على التقديم والتأخير ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى مقدما على قوله فما كان
الله ليظلمهم يقول ما حل بهم من العذاب وعذبوا في هذه الدنيا بتكذيبهم لم يظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم
بما اساؤا او يحتمل ان يكون قوله فما كان الله ليظلمهم في تعذيبهم في الدنيا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ثم يكون قوله ثم كان عاقبة الذين اساؤا في الدنيا السوأى في النار فيكون في الدنيا ما عذبوا
في الدنيا عذاب عناد ومكابرة وما يعذبون في الاخرة تعذيب كفر وتكذيب وهو ما قال ثم كان
عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وقال بعضهم واثاروا الارض اي كربوا الارض وعمروها
اكثر مما عمرها قومك يا محمد اي بقوا فيها اكثر مما بقي فيها الذين ارسلت اليهم وقال بعضهم عاشوا يعمرون
الارض اكثر مما عمرها اهل مكة وقال بعضهم عمروها عملوا بها اكثر مما عمل هؤلاء وبعضه قريب
من بعض وقال ابو عوسجة واثاروا الارض اي حرثوها وقال القتبي اثاروا اي قلبوها للزراعة
ويقال للبقرة المثيرة وقال الله تعالى لا ذلول تثير الارض وقوله اساؤا السوأى اي جهنم و
كذلك قال الكسائي السوأى هي النار كقوله وعقبى الكافرين النار اي كان عاقبتهم النار بما كذبوا
بايات الله واستهزؤا بها وقوله ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى يحتمل قوله اساؤا الى الرسل
بالتكذيب وانواع الاذى ويحتمل اساؤا الى انفسهم حيث اهلكوها واوبقوها في النار والسوأى
اسم من اسماء النار كالعسرى والهاوية ونحوها والبشرى والحسنى اسم من اسماء الجنة وقوله
ان كذبوا بايات الله يذكر اهل مكة ويخوفهم ان ما حل باولئك القرون الماضية من الاهلاك
والاستئصال انما كان بتكذيب الايات والاستهزاء بها في هذه الدنيا فانتم يا اهل مكة اذا كذبتم
الايات والحجج واستهزأتم بها يصيبكم ما اصاب اولئك بالتكذيب والايات يحتمل حجج التوحيد وحجج
الرسل في اثبات الرسالة او ايات البعث وقوله وكانوا بها يستهزؤن يحتمل بالايات التي ذكرنا
او بما اوعدهم الرسل من العذاب والاهلاك فاستهزؤا بذلك وقوله الله يبدؤ الخلق ثم يعيده هذا
في الظاهر دعوى لكنه قد بين فيما تقدم من الايات ما يلزمهم الاعادة والاحياء من بعد الموت حيث
قال اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق الاية وفي قوله اولم
يسيروا في الارض وغيرها من الايات ما الزمهم من الايات انه لو لم يكن له اعادة وبعث كان خلقهم
عبثا باطلا خارجا عن الحكمة والقدرة في ابتداء الانشاء ان لم يكن اكثر لا تكون دون الاعادة فمن ملك
وقدر على الابتداء كان على الاعادة اقدر اذا اعادة الشيء عندكم اهون وايسر من ابتداء انشاء على ما ذكر
في قوله وهو اهون عليه وقوله ثم اليه ترجعون ذكر الاعادة والاحياء بعد الموت الرجوع اليه لما ذكر
ان المقصود في خلقهم في هذه الدنيا الاعادة والاحياء لذلك سمى الاعادة الرجوع اليه المصير والبروز له
وان كانوا في جميع الاحوال صائرين اليه راجعين بارزين له ظاهرين وقوله ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون قال بعضهم الابلاس هو الاياس ييأسون في الاخرة عما كانوا يطمعون بعبادتهم تلك
الاصنام والاوثان في هذه الدنيا حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء
شفعاؤنا عند الله ونحوه يقول ييأسون في الاخرة عما طمعوا بعبادتهم في الدنيا حين شهدوا عليهم و
كفروا بهم وجعلوا يلعنون عليهم ويتبرؤن منهم وقال بعضهم ييأسون من كل خير وقال بعضهم الابلاس
هو الفضيحة اي يفتضحون بما عملوا وقال بعضهم المبلس كل منقطع وحاجة ساكت كالمتحير في امره وقال
بعضهم المبلس كل آيس حزين وقوله ولم يكن لهم من شركائهم هو ما ذكرنا ان الاصنام التي عبدوها وسموها
الهة لا تشفع لهم وكانوا بشركائهم كافرين يحتمل هذا وجهين اي الاصنام بهم كافرون او هم يكفرون
الاصنام اذ لم يشفعوا لهم وصاروا شهداء عليهم او كل يكفر بصاحبه كقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم
ببعض ويلعن بعضكم بعضا والله اعلم وقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون سمى الله تعالى ذلك
اليوم يوم الجمع بقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وسمى يوم الافتراق فهو يوم الجمع في اول ما يبعثون
ويحشرون ثم يفرق بينهم تفرقا لا اجتماع بينهم ابدا كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير فهو يوم
الجمع في حال ووقت ويوم الافتراق في حال ووقت آخر وبعض اهل التأويل يقولون قوله يومئذ
يتفرقون العابد والمعبود والتابع والمتبوع بعد ما كانوا مجتمعين في الدنيا وهو ما ذكر في آية اخرى
ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض الآية فهذا تفرقهم على قولهم بعضهم والوجه فيه ما ذكرنا

بدءا والله اعلم وقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات امنوا بكل ما امروا ان يؤمنوا به وعملوا
بكل ما امروا ان يعملوا فهم في روضة يحبرون والروضة كانها اسم من اسماء الجنان وقوله يحبرون
قال بعضهم يكرمون وقال بعضهم يحبرون يسرون والحبرة السرور ومنه يقال كل حبرة يتبعها
عبرة والزجاج يقول يحبرون يتنعمون والحبرة النعمة الحسنة والله اعلم بذلك وقوله واما الذين
كفروا اى جحدوا توحيد الله وانكروه وكذبوا باياتنا ايات التوحيد وايات الرسالة وايات البعث
فاولئك في العذاب محضرون اى يحضروا الاتباع والمتبع جميعا في النار ويجمع بينهم كقوله احشروا الذين
ظلموا الاية وقوله فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون وقوله فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون قوله فسبحان الله فهمت الائمة من قوله سبحان الله الصلوة اى صلوا لله ولو كانت افهام
اهل زماننا هذا لكانوا لا يفهمون سوى التسبيح المذكور ثم يحتمل تسميتهم التسبيح صلوة وفهمهم
منه ذلك لوجهين احدهما لما في الصلوة تسبيح فسموها بذلك لما فيها ذلك او لما ان التسبيح تنزيه والصلوة
من اولها الى اخرها تنزيه الرب لان فيها اظهار الحاجات اليه والعجز والضعف وفيها تعظيم الرب واجلاله
ووصفه بالجلال والرفعة ففهموا من التسبيح الصلوة لما ذكرنا لما هو من تنزيه الرب من اولها الى اخرها
ثم منهم من قال ان الصلوات الخمس ذكرت في هذه الاية بقوله فسبحان الله حين تمسون صلوات المغرب
والعشاء الاخرة وحين تصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وحين تظهرون صلوة الظهر ومنهم
من يقول لا بل ذكرت فيها اربع صلوات حين تمسون المغرب وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون
الظهر واما العشاء الاخرة ففي قوله ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم والله اعلم وقوله وله
الحمد في السموات والارض يحتمل قوله وله الحمد على التقديم يقول سبحان الله وله الحمد فيكون الحمد كناية
عن الصلوة كالتسبيح او لما فيها من التحميد او يقول له يحمد اهل السموات والارض والله اعلم وقوله حين تمسون
وحين تصبحون وحين تظهرون اى اذا دخلوا في المساء والعشاء والصبح والظهر وقوله يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي يخبر عن قدرته في انشاء الاشياء مبتدئا لا من اصل لانه قال يخرج الحي من الميت
والميت ليس فيه الحيوة وكذلك الميت من الحي وليس في الحي موت ولكنه يخرج هذا من هذا على ابتداء الحيوة
فيه وابتداء الموت فيه من غير ان كان فيه ما ذكر ثم اختلف فيه اهل التاويل قال بعضهم يخرج الناس
والدواب والطير من النطف ويخرج الميت يعني النطف من الحي من الناس والدواب والطير وقال بعضهم يخرج
الحي من الميت اى المسلم من الكافر والميت من الحي اى الكافر من المسلم ولكن يجئ على هذا ان يقول يخرج من
المسلم ما لا يكون كافرا ومن الكافر ما لم يصير مسلما لان ما يخرج لا يوصف بالاسلام ولا بالكفر ولا ينسب
الى واحد منهما وقت الخروج حتى يبلغ فيكون منه فعل الكفر او فعل الاسلام وقد ذكرنا هذا فيما تقدم
وفي الايات التي تقدم ذكرها من نحو قوله اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما
بينهما الا بالحق الاية وقوله اولم يسيروا في الارض الاية وامثال ذلك مما يذكر ويخبر اولئك الكفرة عن
قدرته وسلطانه والزمهم ذلك وفي الاية نقض قول المعتزلة لانهم لا يجعلون القدرة على فعل بعوضة
فلا يكون لهم الاحتجاج على اولئك الكفرة في القدرة على الاعادة والانشاء بعد ما صاروا رمادا الا كلام
نحو هذا وقوله وكذلك تخرجون اى كذلك تبعثون وتحيون كما اخرج الحي من الحي من غير ان كانت الحيوة
في الميت والموت في الحي والله اعلم وقوله ومن اياته يحتمل ايات وحدانيته وربوبيته وحججه وايات بعثه
واحيائه وايات رسالة الرسل ونحوه وقوله ان خلقكم من تراب يخرج على وجوه احدها نسب خلقنا الى التراب
لانا انما خلقنا من اصل خلق ذلك الاصل من التراب وهو آدم وان لم تكن انفسنا مخلوقة من تراب حقيقة
كما نسب خلقنا الى النطفة وان لم تخلق انفسنا كما هي من النطفة لكنه اضاف ذلك ونسب الى النطفة لما هي
اصل ما خلقنا منها والثاني نسبنا الى التراب لما جعل اغذيتنا وما به قوام انفسنا وابداننا في الخارج من التراب
فانما هو اخبار عما به قوام انفسنا وابداننا وان لم نخلق من التراب من الاصل فيخبر والله اعلم انكم لا تتصورون
خلق الجسم ان لم تشاهدوا تلك الطينة التي منها تكون الاجسام بعد مشاهدة طينتها ومعاينتكم اياها ودلائل
القدرة له على خلقها قبل ان تشاهدوا طينتها والثالث نسب خلقنا الى التراب وهو آدم على ما ذكرنا الا ان قوله
خلقكم اى قدركم من ذلك الاصل والتخليق هو التقدير في اللغة وذلك جائز في اللغة وانما قدرنا على تقدير ذلك
الاصل وذلك جائز نسبتنا واضافتنا الى التراب ان صح ما ذكر في بعض الاخبار ان ملكا ياتي بكف من تراب
فيذره في تلك النطفة في رحم المراة فيخلق منه حينئذ الولد فان صح هذا فيكون خلق جميع الناس واصله من تراب
وقوله ثم اذا انتم بشر تنتشرون اى ثم اذا انتم ذريته من بعد بشر تنبسطون كقوله وينشر رحمته اى يبسط
وتنتشرون اى تتفرقون في حوائجكم وفي طلب اغذيتكم وما به قوام انفسكم والله اعلم وقوله ومن اياته ان
خلق لكم من انفسكم ازواجا اى من اجناسكم واشكالكم لتسكنوا اليها يقول انما جعل ما تسكنون اليه وتانسون
من جنسكم وشكلكم ما تعرفون لم يجعل في غير جنسكم وشكلكم ما تعرفون كقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم
اى من جنسكم وشكلكم من تعرفون صدقه وتعرفونه انه لو كان من غير جنسكم وشكلكم لا تعرفون فعلى ذلك

فاما انكم القدرة على خلق هذا الانسى
... [illegible]

جائز قوله خلق لكم من انفسكم ازواجا اى من جنسكم ما تسكنون اليها وتستأنسون بهم مالو كانوا من غير جنسهم
لا يكون ذلك اذ يستأنس كل ذي شكل بشكله وجنسه والثاني ما ذكرنا انه اراد آدم وحواء اى يخلق زوجته
حواء من نفسه فجعلها له سكنا يسكن اليها ويستأنس بها والله اعلم وقوله وجعل بينكم اى بينكم وبين الازواج
مودة ورحمة يحتمل قوله مودة وجهين احدهما يود كل ما جعل له موضعا لقضاء شهوته وحاجته وكذلك
هي توده لذلك ورحمة اى يرحم بعضهم بعضا ويحتاج اليه اذا نزل بواحد منهما ما يمنع قضاء الشهوة والحاجة
والثاني يود بعضهم بعضا ويرحم بالطبع والخلقة اذ كل ذي طبع يود شكله وجنسه اذا كان في حال السعة
والرخاء والسرور ويرحمه اذا نزل به البلاء والشدة هذا معروف عند الناس انه يتراحم بعضهم على بعض
في حال نزول البلاء والشدة ويتوادون في حال السعة والسرور وقال الحسن وجعل بينكم مودة اى
الجماع ورحمة اى الولد فكيف ما كان فهو يخبر عن لطفه ومنته حيث جعل بين الزوج والزوجة المودة والرحمة
على عدم القرابة والرحم وبعد ما بينهما فصار لما ذكرنا في المودة والرحمة كالقريبين وذي الرحمين واقرب
القريب وذلك على المعتزلة لانه اخبر انه جعل بينهم مودة ورحمة وذلك فعل الزوجين في الظاهر ثم
اضاف ذلك الى نفسه واخبر انه جعل دل ان له صنعا في ذلك فيبطل قولهم انه ليس لله صنع في فعل العباد وجعل
اللطف الذي ذكر انه جعل بينهم وقوله ان في ذلك لايات لما ذكرنا من ايات وحدانيته وربوبيته وايات
البعث والنشور وايات الرسالة والنبوة لقوم يتفكرون لقوم ينتفعون وهم المؤمنون او لقوم
يتفكرون ويتدبرون ويعتبرون فيعرفون فاما من لا يتفكر ولا يتدبر فلا ينتفع به فهو ليس بايات
له والله اعلم وقوله ومن ايات وحدانيته وربوبيته والوهيته وايات بعثه وقوله خلق السموات
والارض في خلق السموات ورفعها في الهواء وابقاء ها فيه اية له غير موهوم مثله من فعل الخلق وفي
قدرتهم وكذلك خلق الارض وبسطها واقرارها على الماء او على الريح خارج من فعل الخلق وعن قدرتهم
غير موهوم ذلك في اوهامهم وعقولهم من غير الواحد العالم القادر بذاته فاذا كان ما ذكر غير
موهوم في اوهامهم وعقولهم من غير الله فهم لما انكروا البعث لما لم يعاينوا ذلك ولا شاهدوا
في اوهامهم فكيف انكروا البعث وان كان غير موهوم ذلك في اوهامهم بعد ان كان ذلك موهوما
من الله شاهدوا معاينا لمثل هذا والله اعلم يذكر هذا وقوله واختلاف السنتكم والوانكم كانه يقول
وفي خلق اختلاف السنتكم اية ايضا لان الالسن بحيث خلقت الالسن غير مختلفة ولكن انما تختلف
بحيث النطق والتكلم بها حتى لا يقع في التكلم بها والنطق والصوت تشابه بحال وخروجه عما يقدرون
من الكلام وان كانت بحيث خلقتها واحدة غير مختلفة فهذا على المعتزلة لقولهم ان افوال العباد
غير مخلوقة لا صنع لله فيها فلو لم يكن له فيها تكلمون ونطقون على اختلاف ذلك صنع فلا اية
تكون له في ذلك فدل انه انما صار اية له لما له صنع في ذلك وكذلك فيما يختلف الالوان بفعل يكون
من الخلق ويتغير عند الغضب والسرور والفرح من غير ان ذلك اية تدل انه خالق لا فعالهم
واقوالهم حتى كان آية له والله اعلم واهل التاويل يقولون اختلاف السنتكم عربي وعجمي ونبطي وتركي
ونحوه والوانكم ابيض واحمر واسود ونحوه واشباه ما ذكرنا ان في ذلك لايات للعالمين جائز
ان يكون ايات لمن انتفع به من العالمين او لمن تفكر وتدبر من العالمين لا نه لا تفكروا وتدبروا عرفوا
وجه الاية في ذلك وقوله ومن اياته منامكم بالليل والنهار لان النوم ياخذهم من غير ان يعرفوا
انه من اين ياتيه ومأخذه ثم يأخذ منهم جميع منافع الاحياء من السمع والنطق والفهم والروية
وجميع ما ينتفع به قبل ذلك ثم يرد ذلك اليهم من غير ان عرفوا بذلك فيعودون الى ما كانوا من
المنافع والاكتساب ليعلم ان من قدر على مثل هذا يقدر على اخذ الروح ونفسه ورده اليه فهو اخو
الموت قال الله تعالى يتوفيكم بالليل سمى النوم الوفاة وهو مثله لما ذكرنا ان جميع منافع الاحياء
يرتفع ويزول بالنوم ثم يرد اليه من غير ان يشعر بذلك فمن قدر على هذا يقدر على الاحياء بعد
الموت وقوله وابتغاؤكم من فضله جهة الاية فيما يبتغون من فضله هو خلقه تلك المكاسب
والتجارات والحرف التي يبتغون بها الرزق اخبر انه خلق ذلك منهم فيخبر دلالة خلق افعال
العباد فهو على المعتزلة لانكارهم خلق افعالهم او ان يكون جهة الاية فيه ما عرفهم تلك المكاسب
والتجارات والحرف وعلمهم اياها واحوجهم اليها ليصلوا الى ما منعهم والله اعلم وقوله ان في ذلك
لايات لقوم يسمعون يحتمل قوله لقوم يسمعون اى ينتفعون بسمعهم او لقوم يجيبون والسمع يكون
ان يعبر به عن الاجابة كقوله سمع الله لمن حمده اجاب الله لمن دعاه او ان يكون قوله لقوم يسمعون
اى يعقلون ويجوز العبادة عنه كقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اى يعقلون ويقال لقوم
يسمعون المواعظ فيقبلونها فينتفعون بها وقوله ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا قيل فيه
بوجهين احدهما يريكم البرق للخوف والطمع تخافون سلطانه وقدرته ان يصيبكم ذلك البرق فيذهب
بابصاركم وطمعا ترجون رحمته بصرفكم عنكم والثاني خوفا وطمعا اى يريكم البرق تخافون وتطمعون

يخافه المسافر فى قطع مسيره ومنعه عنه ونطمعون اى يطمع المقيم رحمته بما يكثر به انزاله ومعاشه وكثيره يخافون الصواعق ويطمعون المطر وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها هو ظاهر قد ذكرناه ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون يحتمل ما ذكرنا لقوم يعقلون ينتفعون بعقولهم او لقوم يعقلون لو تدبروا او تفكروا والله اعلم وقوله ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره هو ما ذكرنا انه قاما على شىء غير موهوم ذلك فى اوهام الخلق قيام شىء من افعالهم على مثله وهو الهواء والماء والريح فكيف خفى عليهم خروج شىء من اوهامهم على انكاره وتكذيبه وهو البعث والاحياء بعد الموت لمن قدر على احدها قدر على الاخر وقوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم اى ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون من الارض والدعوة هى النفخة الاخرة وقال بعضهم هو ما ذكر الدعوة تكون من الارض من صخرة بيت المقدس من هنالك يسمعون الدعوة ثم اختلف فى الدعوة والصيحة والنفخة والصور ونحو ما ذكر فمنهم من يقول على حقيقة الدعوة والصيحة والنفخة والصور على ما ذكر وقال بعضهم لا ولكن ذلك اخبار عن سرعة نفاذ الامر وعبارة عن خفة ذلك وهوانه كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله انما امرنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ليس ان كان منه كاف او نون لكنه ذكر باخف حروف يفهم منه المعنى فعلى ذلك ذكر الصيحة والنفخة والدعوة والصور والله اعلم وفى قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون دلالة واخبار انه قادر على الانشاء والاحياء بلا سبب لانه اخبر انه دعاكم دعوة ثم تخرجون والدعوة ليست هى بسبب للاحياء والانشاء بل اخبر انه يخرجهم احياء ثابت انه ما ذكرنا فى اختلاف الالسن لو لم يكن ما يسمع منهم وما ينطقون يخلق فى الحقيقة فاذا انه ان عينا من الحروف تشهد خلقه ولا جسمه ولا سمعه وما احتج فيكون معنى من يقول لله ايات فى الكلام احتج بها على عباده الذين لم يطلعهم عليه ولا سبيل لهم الى التطلع عليها وذلك بعيد من العقول فثبت ان الله قد خلق كل نطق على ما عليه يقوم المتفكر بما يرى من حجج المنطوق به على المنطوق به على التقطيع الذى يفيد ذلك فى نفسه وعلى الحد الذى يجب ان يكون عليه دون ان يقع فى ذلك تفاوت واختلاف فيعلم ان ذلك كان لا بد على ما كان عليه بل بالله جل وعلا ولا قوة الا بالله وما ذكر من اختلاف فانا قد نجده يتغير بالعيا ونحو ما يظهر عند شدة السرور بالشىء غير الذى يظهر عند شدة الغضب متولدا عن فعلهم ومن قول المعتزلة وعامتهم ان المتولد هو فعل الخلق فعلى ذلك القول يكون اللون فعلا لهم بخليق الله واما النوم فموضع الاعتبار فيه ما فى اللون والالسن وانما هو الابتغاء من فضله اى ذلك بما ركب فيهم من الحاجة والشهوة لهم من التفاقر الى ما ذكر من الاغذية بان ابتغاء ما فعله للخلق وقد احتج الله سبحانه وتعالى على العباد فاخبرانه من اياته وتعالى ان يكون حجته ما يخلقه غيره دون الله الذى يخلقه بل يدل خلق كل على منشئه من طريق الخلقة والتدبير فثبت ان الابتغاء مخلوق خلقه الله وان كان فعلا للخلق والله الموفق وقوله وله من فى السموات والارض حرف من اغا يتكلم به ويعبر عمن له الملك والتدبير والتمييز وحرف ما عن ملك الاشياء نفسها فاذا كان من له الملك فى الشىء والتدبير والامر له فالذى ملك ذلك احق ان تكون له يختبر والله اعلم عن عباده وسلطانه وقدرته اى من له ما ذكر فى السموات والارض لا يحتمل ان يمتحنهم ويامرهم بانواع العبادة والطاعة لحاجة نفسه او لمصلحة نفسه اذ هو غنى عن ذلك ولكنه انما يمتحن ويامرهم بانواع العبادة وانواع المحن المنافع انفسهم وحاجاتهم ومصالحهم فاذا كان له ما ذكر من الملك لا يحتمل ان يعجزه شىء ايضا وقوله كل له قانتون قال بعضهم القنوت القيام والقانت القائم فان كان هذا فهو وله كل له قانتون اى قائم بتدبيره وامره فى الوجود والعدم والابداء والاعادة وفى كل حال ان اوجد وجد وان اعدم صار معدوما وان احيا حيى ونحوه فى كل حال يقوم بتدبيره وامره وقال بعضهم كل له قانتون اى مطيعون فان كان على هذا ونحوه فى كل حال يقوم بتدبيره وامره وقال بعضهم كل له قانتون اى مطيعون فان كان على هذا فهو على طاعة الخلقة له والشهادة لله بالوحدانية والربوبية والتدبير له والعلم فى ذلك لان الله جعل فى خلقة كل احد وكل شىء وفى صورته ما يشهد له بالوحدانية والربوبية ويدل على تدبيره وعلمه وحكمته فكل له قانت ومطيع بالخلقة والصنعة وقال بعضهم كل له قانتون اى خاضعون فهو يرجع الى حال دون حال وهو حال الخوف والضرورة يخضع له كل كافر ومشرك فى تلك الحال وهو ما اخبر عنهم من الخضوع له اذا ركبوا الفلك حيث قال فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ونحو ذلك من الاحوال التى كانوا يخضعون له ويطيعون والله اعلم وقوله وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده لا يحتمل ان يخلقهم ويبتليهم لحاجة نفسه او لمصلحة لانه غنى بذاته او يمتحنهم لمنفعة نفسه او يامرهم بذلك ولكن انما يبتدئ ويعيد لحاجة انفسهم او يخبر ان من قدر على ابداء الشىء يملك اعادته وهو اهون عليه اختلف فيه قال هو اهون عليه حتى ابداؤه واعادته كقوله وذلك على الله يسير وقوله هو على هين ويجوز العبادة

بالفعل عن فعل نحو ما يقال الله اكبر اى كبير واعظم بمعنى عظيم ونحوه كثير فعلى ذلك قوله وهو اهون عليه اى عليه هين اذ ليس شىء اصعب على الله من شىء او شىء اهون عليه من شىء بل الاشياء كلها بمحل واحد داخل تحت قوله كن وانما يقال اهون وايسر لمن كان فعله بسبب فيهون عليه اذا كثرت الاسباب ويصعب عليه ذلك اذا قلت وضعفت فاما الله سبحانه وتعالى هو الفاعل للاشياء وصانعها والقادر عليها بلا سبب فلا يجوز ان يقال الشىء اهون عليه من شىء وانما يجوز ذلك من كان فعله لا يكون الا بسبب وقال بعضهم قوله وهو اهون عليه فى عقولكم وتدبيركم اى اعادة الشىء فى عقولكم وتدبيركم اهون من ابدائه لان الخلق لا يملكون تصوير ما لم يسبق له المثال والتصور ابتداء وقد يملكون تصوير الاشياء وتمثيلها اذا سبق مثال رأوه وشاهدوه فثبت ان اعادة الشىء فى عقولكم وتدبيركم اهون من ابتدائه فاذا عاينتم واقررتم انه قادر على ابدائه فهو على اعادته املك واقدر ولا قوة الا بالله وقال بعضهم قوله وهو اهون عليه يعنى على ذلك الشىء اى اعادته ذلك الشىء اهون على ذلك الشىء من ابدائه لانه نرقى الابتداء بنقله ويحوله من حال النطفة الى حال العلقة ثم من حال العلقة الى حال المضغة ثم من حال المضغة الى حال التصوير والتسمية الى ما ينتهى اليه حتى يصير خلقا وصورة فيخبر ان اعادته ليس على هذا التقدير والتحويل من حال الى حال ولكن كما ذكر وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقوله الا صيحة واحدة ونفخة ودعوة وما ذكر ان لا عادة لذلك الشىء اهون على ذلك الشىء من الابتداء وقوله وله المثل الاعلى فى السموات والارض اى له الصفات العالية ثم هو يخرج على وجوه احدها بان كل من وصف بالعلو والرفعة من دونه فهو الموصوف به فى الحقيقة على ما ذكرنا ان كل من حمد دونه فذلك الحمد له فى الحقيقة راجع اليه ذلك كقوله ولله الحمد الاية والثانى له الصفة العالية مما يخالف صفات الخلق ويشبههم كقوله ليس كمثله شىء لا يشبه صفاته صفات المخلوقين ولا اشبهت صفات الخلق صفاته وهو ما قاله بعض اهل التاويل الذى لا مثل له ولا شبه لا اله الا هو واحد لا شريك له والثالث وله الصفات العالية مما لا يضاد بعضها بعضا عالم لا جهل فيه قادر لا عجز فيه عزيز لا ذل فيه وامثال ذلك مما لا يدخل فى ذلك نقصان او عيب بوجه من الوجوه ليس كالخلق انهم يوصفون بالعلم بجهته وشىء وبالجهل بجهة اخرى وبالقدرة بجهة اخرى وبشىء اخر وبالعجز بجهة اخرى وبشىء اخر وبالعز بجهة اخرى وبشىء اخر وبالذل بجهة اخرى وبشىء اخر فالله سبحانه وتعالى موصوف بصفات لا يضاد بعضها بعضا ولا يدخل فى ذلك نقصان بجهة من الجهات فى حال من الاحوال لانه بذاته موصوف بذلك لا بغيره ولا بسبب واما غيره فانما يوصفون بذلك باسباب وباعتبار تكون لهم لذلك ثم كان ما ذكر ولا قوة الا بالله وقوله وهو العزيز الحكيم الذى لا يلحقه الذل والضرر بمخالفة خلقه اياه وعصيانه له ليس كملوك الارض اذا خالفوا اتباعهم وحواشيهم ورعيتهم يذلون ويلحقهم الضرر باعراضهم عنهم لان عزهم كان بهم فباعراضهم عنهم ومخالفتهم اياهم يذلون فاما الله سبحانه عزيز بذاته لا يلحقه الضرر والذل بمخالفة الخلق اياه او ان يكون قوله العزيز المنتقم ممن يخالف امره ويعصيه او يشرك غيره فى الوهيته وربوبيته والحكيم هو الذى لا يلحقه الخطا فى التدبير يخبر والله اعلم انى وان خلقتهم وانشأتهم على علم منى انهم يخالفوننى ويعصوننى واعنتهم بكل انواع المعونة على علم منى بذلك منهم فان فعله ليس بخارج عن الحكمة كما يكون فى الشاهد ان من اعان عدوه بانواع المعونة وهو يعلم ان معونته اياه تزيد له قوة فى معاداته وعصيانه ومخالفته هو موصوف بالسفه غير موصوف بالحكمة لانه يعين فى هلاك نفسه ويعينه على ذلك بمعونته اياه ومن سعى فى هلاك نفسه فهو غير حكيم فاما الله سبحانه حيث خلقهم وانشاهم واعانهم بكل انواع المعونة على علم منه بما يكون من الخلاف له والعصيان والمعاداة غير خارج فعله عن الحكمة لما ذكرنا انه لا يلحقه الضرر ولا النقصان بما علم انه يكون منهم من الخلاف له والعصيان والعداوة ولا قوة الا بالله وقوله ضرب لكم مثلا من انفسكم قال بعضهم ضرب لكم مثلا من مثل خلقكم يقول والله اعلم يتبين لكم مثلا من انفسكم ما لو تفكرتم وتاملتم لظهر لكم سفههم بعبادتكم الاصنام دون الله او تسميتكم الاصنام بالله ثم يخرج ضرب المثل بما ذكر على وجوه احدها هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فى ما رزقناكم فانتم فيه سواء اى لم تستووا انتم انفسكم بالذى ملكت ايمانكم فيما رزقتم حتى يكونوا انتم وهم سواء فى ذلك فكيف زعمتم ان الله قد سوى بنفسه وما ملك من خلقه فى ملكه والوهيته والثانى يقول هل ترضون ان يكون ما ملكت ايمانكم شركاءكم فيما تملكون من الاموال فاذ لم ترضوا به فكيف زعمتم ان الله يرضى ان يشرك مماليكه فى ملكه وسلطانه او يقول فان لم ترضوا لانفسكم اشراك ما ملكت ايمانكم فى ملككم ولم تستووا مماليككم بانفسكم فى ذلك فكيف رضيتم ذلك لله وسويتم نفسه وبما ليكه وعدلتم به من دونه والله اعلم وقوله تخافونهم كخيفتكم انفسكم اى تخافون احراركم امثالكم وقال بعضهم تخافون لائمتهم كما يخاف الرجل لائمة ابيه واخيه واقاربه وبعضهم يقولون تخافون عيبكم ان يرثوكم بعد الموت كما تخافون ان يرثكم الاحرار من اوليائكم وهو قول

مقاتل لكن المبراث لبس من الوثير في شيء والا ولا شبه وفي قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت
ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء دلالة ان العبد لا يكون له حقيقة الملك في الاشياء كالا
احرار لانه اخبر انهم ليس اهم بسواء في الشرك فيما رزق السادات وملكوا على العلم انهم يشتركون جميعا
في المنافع دل انهم يملكون منافع الاشياء ويشتركون الاحرار فيها ولا يملكون حقيقة الاملاك وكذلك
يدل قوله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الاية لما نفى عنه القدرة على شيء والله اعلم يكون
تاويل قوله وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله اى
يغنهم الله من فضله بالمنافع لا بحقيقة ملك الاشياء والله اعلم وقوله كذلك نفصل الايات اى نبينها
لقوم يعقلون اى لقوم ينتفعون بعقولهم والثاني قوله نفصل الايات اى نفرق واحدة بعد واحدة
على ما ذكر من اول السورة الى هذا الموضع من قوله ومن اياته كذا ومن اياته كذا والتفصيل يخرج على وجهين
احدهما التبيين والثاني التفريق في الذكر فصلت اياته بينت وفصلت فرقت واحدة بعد واحدة فان قال
لنا قائل في هذه الايات التي ذكرت ما يدل على ايجاب البعث قيل في هذه التي ذكرت دفع الشبه التي لها انكروا
البعث لانهم راوا البعث ممتنعا بالشبهة التي اعترضت لهم ففي هذه الايات دفع تلك الشبهة التي لها
راوا البعث ممتنعا حيث اراهم بدأ خلقهم وقيام السماء والارض بالذي ذكرنا ايجاب البعث يكون
بالاخبار الصادقة وهي اخبار الرسل الذين ظهر صدقهم او بما ذكرنا ان خلق الخلق بلا عاقبة يجعل لهم
للفناء خاصة خارج عن الحكمة لوجوه احدها ما ذكرنا ان بناء البناء في الشاهد للنقض والافناء خاصة
بلا منفعة تأمل في العاقبة سفه خارج عن الحكمة فعلى ذلك خلق الخلق للفناء خاصة بلا عاقبة يكون
خارجا عن الحكمة والثاني انه لو لم يجعل البعث ودارا اخرى ليفرق بين العدو والولي فيها قد سوى بينهما
في هذه الدار وفي الحكمة ان يفرق ولا يسوي بينهما فلو لم يكن دار اخرى فيها يفرق لكان ذلك خارجا عن
الحكمة والثالث في الحكمة ان يجزي المحسن لاحسانه والمسيء في اساءته وقد يكونان في هذه الدنيا ويخرجان
منها لا يصيب المحسن جزاء احسانه ولا المسيء جزاء اساءته فلا بد من دار اخرى يجزى فيها كل بعمله وفيما
ذكرنا ايجاب البعث والله اعلم وقوله بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم يحتمل قوله الذين ظلموا اى ظلموا انفسهم
حيث لم يستعملوها فيما امروا بالاستعمال فيه بل صرفوها الى غير ما امروا بالاستعمال فيه او ظلموا حجج الله
واياته وبراهينه حيث لم يتبعوها ولم يضعوها موضعها حيث وضعت وقوله اهواءهم في عبادتهم
الاصنام وصرفها عن الله الى من لا يستحق العبادة والشكر وذلك لهواهم لا انه ليس معهم حجة ولا برهان
كقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اى حجة وبرهانا وقوله فمن يهدي من اضل الله اى
احد سوى الله يهدي من اضله الله اى احد سوى الله يهدي من اضله الله اى من يؤثر الضلال واختاره
اضله الله لا يهدي سواه وما لهم من ناصرين ينصرهم في دفع عذاب الله عن انفسهم او ما لهم من ناصرين
اى من ما نعين يمنعهم عن عذاب الله والله اعلم وقوله فاقم وجهك للدين حنيفا قال بعضهم هذا الخطاب
للرسول الله لانه ذكر الايات فيما تقدم حيث قال ومن اياته كذا وكذا ثم ذكر الذين اتبعوا اهواءهم
بغير علم ثم قال لرسول الله اقم وجهك انت للدين حنيفا قال الشيخ رحمه الله وعندنا ان الخطاب
به وبغيره لكل احد كقوله قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد كانه يخاطب كل من انتهى اليه هذا ان
قل هو الله احد ويا ايها الكافرون فعلى ذلك قوله فاقم وجهك للدين حنيفا هو لكل احد ثم الاقامة
يحتمل وجهين احدهما اقم اى دائم جهدك وقصدك والثاني اقم اتمم واقم ما ذكرنا للدين حنيفا قال
بعضهم الحنيف هو من حنف القوم وميله معناه كن مائلا الى الدين في كل حال وكل وقت وقال بعضهم هو
من الاخلاص والاسلام له وقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم فسر ذلك فقال فطرة الله التي
فطر الناس عليها هذا يحتمل وجوها فطرة الله اى معرفة الله التي جبل الناس عليها ان يكون الله يجعل
في كل صغير وطفل من المعرفة ما يعرف وحدانيته وربوبيته على ما جعل لهم من المعرفة ما فيه غذاؤهم
وقوامهم من اخذ ثدي امهاتهم في حال صغرهم وطفوليتهم والالتجاء فيه كلهم اوديو الله على الفطرة
فابواه يهودانه وينصرانه على ما جعل في الجبال من معرفة التسبيح لربها والتحميد لكن ابواه يشبهان ذلك
عليه ويصرفانه والثاني فطرهم وجبلهم ما لو تركوا وعقولهم لكانوا على ما جبلوا وفطروا اذ فطر
كل منهم وجعل في خلقة كل دلالة وحدانية الله وربوبيته وكذلك قوله كل مولود يولد على الفطرة
اى على الخلقة التي تدل وتشهد على وحدانية الله وربوبيته ما لو تركوا وخلي بينهم وبين عقولهم
لادركوا والثالث فطرهم على ما يحملون الامتحان وقوله لا تبديل لخلق الله قال عامة اهل التاويل
لا تبديل لدين الله سماه خلقا وعلى قول المعتزلة له تبديل لانهم يقولون بان فعل العبد ليس بمخلوق
ويتناولون في قوله لا تبديل لخلق الله اى لا تبديل لما به يقع الدعاء اليه او كلام نحو هذا فيقال
ان الدين المرء وهو فعله مأخوذ من دان يدين ثم اخبر انه خلق الله فدل انه مخلوق وجائز ان يكون قوله
لا تبديل لخلق الله اى لما فيه دلالة وحدانية الله وشهادة وربوبيته كقوله ما ترى في خلق الرحمن

من تفاوت او لا تفاوت فيما فيه دلالة الوحدانية والشهادة له والله اعلم وقوله ذلك الدين القيم خبر
ان ذلك الدين القيم بالحجج والبراهين ليس كدين اولئك الكفرة اتباع الهوى او ان يكون الدين القيم اى
المستقيم على ما وصفه الله انه الدين الحنيف وقوله منيبين اليه هو صلة قوله فاقم وجهك للدين حنيفا
منيبين اليه فهذا يدل على ان الخطاب بقوله فاقم وجهك للكل حيث قال منيبين اليه اى اقبلوا اليه
وانيبوا له ثم الانابة تقع فيما يقع به الامر كانه يقول والله اعلم انيبوا الى الله مما يأمركم به واتقوه
مما نهاكم عنه والتقوى من الانابة كهو من البر كقوله تعالى ان تبروا وتتقوه عما نهاكم عنه وقوله واقيموا
الصلوة هو يحتمل وجوها اقيموا اى الزموا وداوموا فعلها الى اخر ما تنتهون اليه ليس على ان يقع الا مرة
مرة واحدة والثاني اقيموا اى اتموها بركوعها وسجودها والقراءة ونحو ذلك والثالث اقيموا اى وفوا
اقامتها باسبابها التي جعلت لها وفي الصلوة احوال ثلث احدها الجواز والثاني التمام والكمال والثالث
التزيين والتحسين ثم الجواز يحق الاركان والتمام يحق الشعوب والتزيين يحق الحواشي ويجب على كل
مصل خصال صدق النية وحق الاخلاص لله وحق الخشوع وقوله ولا تكونوا من المشركين يحتمل اى لا تكونوا
من المشركين غير الله في الصلوة والعبادة اى لا تصلوا لغير الله ولا تعبدوا من دونه ولا تكونوا من
المشركين من دونه في تسمية الالوهية والالهية لانهم كانوا يسمون الاصنام التي يعبدونها الهة او ان
يكون صلة قوله منيبين اليه اى كونوا منيبين اليه موحدين مقبلين على طاعته مخلصين ولا تكونوا من
المشركين له غيره وقوله من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا قال بعضهم لا تكونوا من المشركين هو
ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم ثم قوله ولا تكونوا من الذين فارقوا دينهم وفرق فرقوا فهو
يحتمل وجهين احدهما فارقوا دينهم الذي جاءتهم الرسل او فارقوا دينهم الذي فطروا عليه وهو ما جعل
فيهم من شهادة التوحيد له والربوبية وقوله وكانوا شيعا يحتمل صاروا اشياعا اى فرقا واخوانا بعد
ما كانوا على ما فطروا او على ما جاءتهم الرسل او كانوا شيعا ما يتبع ويتبع بعضهم بعضا لان الشيعة
هم الذين يرجعون الى اصل واحد وامر واحد والله اعلم وقوله فرقوا دينهم اى قطعوا دينهم وجعلوه
قطعا وفرقوا دينا بين نحو اليهودية والمجوسية والنصرانية وغيرها كل حزب بما لديهم فرحون يقول
والله اعلم كل اهل دين وملة بما عندهم من الدين رضوا انه فرحون وجائز ان يكون قوله ولا تكونوا من
المشركين في الذي فطرتم عليه وهو ما جعل في خلقة كل واحد شهادة الوحدانية له والالوهية يقول
لا تكونوا من المشركين في ذلك والله اعلم وقوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه قال قائلون
منيبين مخلصين كقوله دعوا الله مخلصين له الدين وقال قائلون مطيعين وقال قائلون موحدين واصل
الانابة الرجوع اى راجعين اليه عما كانوا فيه من الشرك فالانابة هي التوحيد وان كان الانابة الى الصلاح
فهو رجوع عن الاشراك في العبادة وان كان عن العصيان فهو الطاعة واصله الرجوع عما كانوا فيه
ففيه وجوه منها الاحتجاج على اولئك وتنبيه وعظة للمؤمنين اما الاحتجاج عليهم انه معلوم انهم
كانوا لا يركبون السفن والبحار مع المؤمنين ولكن كانوا يركبون بانفسهم ثم اخبر عما اخلصوا له والد
والتضرع دل انه بالله عرف ذلك فذلك يدل على رسالته والثاني فيه دلالة انهم قد عرفوا وحدانية الله و
الوهيته حيث فزعوا عند الشدائد والبلايا الى الله واخلصوا له الدين ثبت انهم قد عرفوا سفه انفسهم
في عبادتهم الاصنام وتركهم عبادة الله تعالى والثالث تصديقا لقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه لانهم
كانوا يسألون الرد الى الدنيا ليؤمنوا كقولهم يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا فاخبر انهم
يعودون الى ما كانوا كما عادوا واذا كشف عنهم الضر واما العظة والتنبيه للمؤمنين فهو ان يكونوا في
الاحوال كلها على حد واحد في حال الرخاء والشدة ذاكرين له شاكرين لانهم في حال الشدة والبلايا
اكثر ذكرا لله وانابة من حال السعة والرخاء فينبههم ليكونوا في كل حال ذاكرين له منيبين اليه راجعين
وفيه دلالة شدة سفه اولئك الكفرة حيث انابوا اليه واخلصوا له الدين عند ما يصيبهم الشدة
والبلاء ويعرضون عنه ويشركون في الوحشة عند السعة وفي طباع الخلق في الشاهد خلاف ذلك
انه من ضيق على اخوانه وشدد فهو يعرض عنه ويبغضه ومن انعم عليه من ملوك الارض واحسن
اطاعه واحبه فهم لشدة سفههم عكس طباعهم وخالفوا طباع الناس جميعا والله اعلم وقوله ثم
اذا اذاقهم منه رحمة اى السعة والرخاء اذا فريق منهم بربهم يشركون فان قيل ما فائدة ذكر هذه الايات
وامثالها وهم كانوا لا يؤمنون بها ولا ينظرون فيها قيل قد يحتج عليهم بما لا يقرون ولا ينظرون فيه او ان
ينظرون فيه او ان ينظرون في ذلك فريق منهم ويعرفونه والله اعلم وقوله ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا
اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم والتاخير يقول اذا اذاقهم منه رحمة لئلا يكفروا وانما اذا
اذاقهم رحمة لئلا يكفروا لكنهم كفروا والى هذا ذهب مقاتل وعندنا ما ذكرنا اذا اذاقهم منه رحمة ليكون
منهم ما قد علم انهم يختارون ويكون منهم وهو الكفر ولا جائز ان يذيقهم الرحمة لئلا يكفروا ويعلم منهم
يختارون الكفر ويكون منهم ذلك فدل انه ما ذكرنا ثم في الاية دلالة نقض قول المعتزلة في قولهم ان على الله

الاصلح للنبا لهم في الدين وقولهم اذا علم ان احد منهم الايمان في وقت من الاوقات للبس له ان يخترمهم ولكن عليه
ان يبقيه الى ذلك الوقت لانه لو اخترمهم قبل ذلك الوقت لكان هو المانع ايمانه فيقال ان اولئك الكفرة
لما اخلصوا دينهم لله في حال الشدة وخوف الهلاك لم يبقهم الله على ذلك الاخلاص والحال التي كانوا مخلصين
الامر له والدين بل وسع عليهم وحولهم من تلك الحال حتى عادوا الى ما كانوا دل ان ليس على الله حفظ الاصلح
للخلق في الدين وقد امر نبيه بمقاتلة الكفرة مطلقا ولعلهم يسلمون في وقت لو تركوا او بعض منهم دل ان ليس
ذلك عليه **وقوله** فتمتعوا هو في الظاهر امر ولكنه يخرج على الوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقد ذكر في اية
اخرى وليتمتعوا فهو ما ذكرنا والله اعلم **وقوله** ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون قال
بعضهم ام انزلنا بل انزلنا عليهم سلطانا حجة فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اى يبين ويعلمهم ان الذى هم
عليه شرك ليس بتوحيد لانهم كانوا يقولون انا على التوحيد وانما نعبد هذه الاصنام ليقربونا
الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحوه فيقول بل انزلنا عليهم ما يبين ويعلم ان ذلك شرك وليس
بتوحيد ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله ام انزلنا عليهم سلطانا اى ما انزلنا عليهم سلطانا فيأمرهم بما كانوا
به يشركون او يأذن لهم بذلك كقوله ام للانسان ما تمنى فعلى ذلك قوله ام انزلنا عليهم سلطانا اى لم ينزل
عليهم سلطانا يأمرهم بما كانوا به يشركون او كانوا يدعون بذلك امر الله كقولهم والله امرنا بها فقيه و
جهان على اولئك الكفرة احدهما ما ذكرنا انهم كانوا يدعون بذلك الامر من الله فيخبر انهم كذبة في قولهم
بان الله امرهم بذلك بل لم يأمرهم بذلك ولا انزل عليهم الكتاب او السلطان في اباحة ذلك والثانى يذكر
سفههم في عبادتهم الاصنام لانهم كانوا يعبدون الاصنام ويسمونها الهة بلا سلطان ولا حجة كانوا يطلبون
على ذلك ثم كانوا يطلبون من الرسول ايات تقهرهم وتضطرهم على رسالته وما يوعدهم بعد ما اتاهم من الايات
ما علمهم وانبأهم انه رسول فانبأهم انه رسول فالعبادة اعظم واكبر للمعبود من الرسالة فاذ لم تطلبوا
لانفسكم الحجة والاية القاهرة في اباحة ما تعبدون من دون الله فكيف تطلبون من الرسول الاية القاهرة
في اثبات الرسالة وقال بعضهم ام انزلنا عليهم سلطانا كتابا فيه عذر لهم فهو يشهد بما كانوا به يشركون
وقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون اذا اريد
ان يسوى بين هذه الاية والاية التى قبلها وهو قوله واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الى اخره
ويجمع بينهما يكون قوله اذا هم يقنطون من الاصنام التى يعبدونها انه يقول في هذه الاية وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون نفى الاولى يقول واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين فوجه الجمع بينهما ما
ذكرنا ان يكون القنوط من الاصنام والله اعلم كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه او ان
يكون قوله اذا هم يقنطون عندما اشتد بهم الضر والشدة حينئذ ييأسون من رحمة الله والاول في ابتداء
ما اصابهم من الضر فزعوا اليه وانابوا له او ان يكون احدى الايتين في قوم والاخرى في قوم اخرين لانهم
كانوا فرقا واحزابا في الكفر والشرك منهم من كان يشرك في الاحوال كلها في حال الضيق والسعة ومنهم من كان
يشرك في حال الضيق ويؤس في حال السعة كقوله واذا اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه
ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى انه لفرح فخور وكقوله ومن الناس من يعبد
الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه ومنهم من كان يخلص الدين في حال
الضر والشدة ويعاند ويتمرد في حال السعة والرخاء كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون ونحوه فكانوا فرقا واحزابا على ما ذكرنا فجائز ان يكون احدى الايتين
في فريق وقوم والاية الاخرى في قوم اخرين او ما ذكرنا من اختلاف الاحوال يقنطون عندما اشتد بهم الضر
والشدة وينيبون اليه عندما لم يشتد بهم ذلك ولم يطل او ما ذكرنا من القنوط من الاصنام والانابة
الى الله كقوله ضل من تدعون الا اياه والاية الايتان في الظاهر متضادتان ولكن الوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم
وقوله اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يحتمل قوله ان في ذلك
لايات لقوم يؤمنون على الكافرين كقوله وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه ثم وجه الايات لهم
على كفار مكة من وجوه في اثبات الرسالة وفي البعث وفي اظهار سفههم في عبادة الاصنام واشراكهم
اياها في عبادة الله لان اهل مكة كانوا ينكرون الرسالة والبعث ويرون عبادة غير الله فالاحتجاج عليهم
بهذه الاية على الوجوه التى ذكرنا فاما الاحتجاج في اثبات الرسالة فهو من وجوه ثلثة احدها انهم كانوا
ينكرون الرسالة لانه بشر ولا يرون للبشر فضل بعضهم على بعض فضلا كقوله ما هذا الا بشر مثلكم فيريهم
الفضل لبعضهم على بعض في الرزق موسعا على بعض مضيقا مقترا على بعض فاذ ثبت عندهم وظهر الفضل
لبعض على بعض فيما ذكرنا يجوز الفضل على بعض في الرسالة والثانى ذكرهم بلا قولهم لولا انزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم يخبر ان الامر ليس اليهم انما ذلك الى الله يختار من يشاء لما يشاء من الرسالة والنبوة
وغيرهما كما يختار التوسيع على من يشاء والتضييق والتقتير على من يشاء وان كانوا جميعا يتمنون السعة ويحبونها
ويهربون من الضيق والتقتير ولكن الامر في ذلك الى الله كله والثالث وسع على بعض وضيق على بعض فالجهة

التي وسع

التي وسع على بعض غير الجهة التى ضيق على بعض فلا بد من رسول يخبر عن ذلك ويعلم ما على هذا وما جهة التوفيق
بينهم والتفضيل في الرزق والله اعلم واما الاحتجاج عليهم في البعث بها فمن وجوه ايضا احدها انه جمع في هذه
الدنيا بين العدو والولى وسوى بينهما في التوسيع والتضييق اذ وسع على العدو والولى جميعا وضيق على
الولى ووسع على العدو وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما لا الجمع والتسوية وقد سوى بينهما في هذه الدنيا
وجمع فلا بد من دار اخرى فيها يفرق بينهما فيلزمهم البعث والله الموفق والثانى انه وسع الرزق
على من هو بتقديرهم وعقولهم لا يوجب التوسيع عليه وهو السفيه الجاهل الذى في تقدير كل ذى عقل
ولب ان يكون محروما مضيقا وضيق على من هو في تقدير كل احد وعقله ان يكون موسعا عليه مرزوقا وهو
العالم العارف بجميع اسباب السعة والغنا وفي النظر على خلاف هذا فلا بد من مكان فيه يظهر التفضيل
للعقول والمعارف والرغبة فيها والرغبة عن اضدادها ومن هو اهل التوسع ومن هو اهل الحرمان اذ
لم يشتركوا في هذه والثالث ان يعتبروا وينظروا بان من قدر على توسيع الرزق وبسطه وتضييق الرزق
وعوما نيه بالاسباب الخارجة عن تقديرهم وتدبيرهم ويغير اسباب لقادر على احياء الاشياء الخارجة
عن تقديرهم وتدبيرهم والله اعلم واما وجه الاحتجاج عليهم بعبادتهم غير الله وفي ذلك تناقض
وذلك انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وكانت لا تشفع لهم
في الدنيا ولا تقربهم الزلفى فيها في التوسيع والبسط ودفع الضيق وفي الاخرة لا يحتمل لانهم كانوا لا
يؤمنون فهو منا قض وسفه وسرف في القول وهذه الاية وغيرها من الايات تنقض على المعتزلة
لانهم لا يجعلون لله في مكاسب الخلق وحرفهم وتجاراتهم وجميع اسبابهم التى بها يرتزقون يتعيشون
صنعا وانما يجعلون ذلك في الخارج من الارض وغيرها فالناس في ذلك وتضيق اذا لم يكن له في تلك الاسباب
والمكاسب صنع فدل ان له في ذلك صنعا حتى يقع منهم البسط والتوسيع والتضييق والتقتير والله اعلم **وقوله**
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا يكون للمؤمنين في ذلك ايات على الكفار
والثانى لقوم ينتفعون باياتهم والمنتفعون هم المنتفعون بها فاما من كفر بها فلا ينتفع وجائز ان يكون
في ذلك العبرة من وجه اخر لقوم يؤمنون وهو ان لا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب التى يكتسبون
بها ولكن يرون الرزق من الله انه يرزق باسباب وبغير اسباب او يذكر هذا لهم على ان من رفع الحاجة
الى الغير فلم يقضها ان يرى حرمانها من الله لا من ذلك الرجل **وقوله** فات ذا القربى حقه يحتمل قوله حقه
اى حاجته لا على حق كان له كقوله ما لنا في بناتك من حق اى من حاجة اذ معلوم انه لم يكن لهم في بناته
حق ولكن اراد والحق الحاجة فعلى ذلك الاول وكذلك قوله والمسكين وابن السبيل اى سد المسكين
حاجته ومسكنته وكذلك ابن السبيل ويحتمل قوله فات ذا القربى حقه الحق الذى كان لهم لكن لم يبين ذلك
الحق في هذه الاية وبين في اية اخرى كقوله كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين
والاقربين بالمعروف حقا على المتقين وما ذكر من المواريث قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ
الانثيين الاية ونحو ذلك من الحقوق وحق المسكين وابن السبيل ما ذكر من الصدقات والزكوة والله اعلم
وقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله يحتمل قوله ذلك خير اى الايتاء للاقربين والمساكين والفقراء
خير من الاتعدين والاغنياء وغيرهم او ان يكون قوله ذلك خير اى ذلك الايتاء اذا اريد به وجه الله
خير مما لا يراد به **وقوله** وابن السبيل اختلف فيه قال بعضهم هو المنقطع عن ماله يعان حتى يصل الى ماله
وقيل الضيف ينزل فيحسن اليه الى ان يرجع ويرتحل وجائز ان يكون قوله ذلك خير للذين يريدون وجه
الله اى آت من ليست له عندك نعمة فيكون ذلك مكافاة لتلك النعمة ولكن على ارادة وجه الله والله
اعلم واولئك هم المفلحون قد ذكرنا ان الفلاح هو البقاء وقيل النجاة قال ابو عوسجة القيم المستقيم
منيبين اليه اى تائبين يقنطون ييأسون **وقوله** وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند
الله قال عامة اهل التأويل هذا في العطايا التى يعطى بعضهم بعضا ويهدون ليصيبوا اكثر مما اعطوا
واهدوا مجازاة ومكافاة لذلك كانه يقول وما اتيتم من عطية وهو يريد ان يربو في اموال الناس لتزدادوا
من اموال الناس ولتلتمسوا الفضل من اموالهم يقولون هذا ربا حلال لا وزر فيه ولا اجر فهو مباح
للناس عامة لا بأس به واما قوله فلا تمنن تستكثر فهو للنبي خاصة يقول لا تعط لتعطى اكثر منه ابتغاء
الثواب في الدنيا ولكن اعط ابتغاء ثواب الاخرة ويستدلون باباحة ذلك بقوله فلا يربو
عند الله يقول لا يزداد ولا يتضاعف ذلك عند الله ولم يقل ما قال في الربوا الحرام المحظور حيث قال
يمحق الله الربوا ويربى الصدقات فانه ذكر المحق هنالك وههنا ذكر فلا يربو عند الله اى لا يزداد ولا يتضاعف
لكن لو قيل انها في الربوا المحظور كان جائزا محتملا ويكون قوله فلا يربو عند الله كقوله فما ربحت تجارتهم
انها اذا لم تربح خسرت الا ترى انه قال واولئك هم الخاسرون دل انها اذا لم تربح خسرت فعلى ذلك
قوله فلا يربو عند الله اذ لم يرب عنده محقه وخسروا والله اعلم لولا صرف اهل التأويل التأويل
الى الهدايا والعطايا التى يبتغى بها الثواب في الدنيا والمكافاة فيها اكثر مما اعطوا والا جاز صرفه

الى الربوا المعروف بين الناس في العقود وكذلك روي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال الهدية يبتغى بها وجه الرسول وقضاء الحاجة والصدقة يبتغى بها وجه الله والدار الاخرة
ثم بين ما الذي يربو عند الله وهو ما قال وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله ثم اختلف فيه قال
هو ما يزكون من زكوة المال يريدون به وجه الله فهو الذي يقبله الله ويضاعف عليه ومنهم من
قال كل صدقة اعطاها اراد وجه الله لم يرد بها الثواب الدنيا فهي التي تتضاعف وتزداد عند الله
فاولئك هم المضعفون وكان يجيء ان يقال فاولئك هم المضعفون بنصب العين لانه هو يضاعف
لهم لكن الزجاج يقول هو كما يقال الموسر هو الذي له يسار والمقوى هو الذي له القوة ونحوه فعلى
ذلك المضعف هو الذي له الضعف وعندنا هم المضعفون لانهم هم الذين جعلوا الاحاد عشرات
والاضعاف المضاعفة بتصدقهم ابتغاء وجه الله فهم المضعفون لانفسهم ذلك ثم يجوز ان
يستدل بهذه الاية على اباحة هذه المعاملات التي تجري فيما بين الناس لانه اجاز الهدية والعطية على
قصد الفضل والزيادة وان كان على شرط الزيادة لا يجوز فعلى ذلك المعاملة تجوز على قصد الزيادة
وان كان على شرط الزيادة لكن ابا حنيفة رحمه الله كره هذه المعاملات ولم يكره الهدية على
قصد طلب الفضل لوجهين احدهما ان ليس العرف في الناس في الهدايا اعطاء الفضل وان كان
على قصد اولئك طلب الفضل لا محالة بل يكافون مرة الاكثر ولا يكافون بعضا ويحرمون بعضا
فلا يكره واما المعاملة فلا يكون الا على قصد ذلك الفضل فلا يرضون منهم الا حفظ المقصود فيها
واهل العطايا والهدايا قد يرضون بالثناء الحسن والشكر لهم واهل المعاملة لا روي في بعض الاخبار
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسدي اليه فليجازه والا فليشكره وليثن عليه او كلام نحو هذا
والثاني ان اهل المعاملة يشترطون قبل المعاملة الزيادة وان كانوا لا يشترطون في عقد المعاملة ولا كذلك
اهل العطايا والهدايا بل يفوضون تفويضا لذلك افترق والله اعلم وقوله الله الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا
وانتم تعلمون ذلك ثم رزقكم وانتم تعلمون ذلك الارزاق لكم غيره ثم يميتكم وانتم تعلمون ان لا يملك
احد غيره ذلك فعلى ذلك يملك احياءكم ولا يملك احد ممن تعبدون من دونه من الاصنام ذلك فكيف تعبدون
وهو قوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء هذا يحتمل وجهين احدهما هؤلاء الذين تعبدون من شركائكم
فيما ذكر من الخلقة والرزق فكيف تعبدون وتتخذون الهة دونه والثاني هل من شركائكم الذين اشركتموها
في عبادة الله والوهيته تملك ما ذكر يقول لا يملك شيئا مما ذكر على علم منكم انها لا تملك ذلك فيقول
فكيف تشركونها في الوهيته ثم نزه نفسه وبرأه عن جميع العيوب التي وصفه الملحدون فقال سبحانه
وتعالى عما يشركون لان حرف سبحان حرف تنزيه عن جميع العيوب والتعالي هو وصف وتبرئة عن ان يغلبه شيء
او يقهره هو من العلو متعال عن ان يغلبه شيء او يقهره وقوله ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي
الناس هذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون قوله ظهر الفساد في البر والبحر هو الشرك والكفر بما كسبت
ايدي الناس من الامور التي كانوا يتعاطون من قطع الطريق والسرق والظلم وانواع اعمال السوء التي يتعاطونها
يتعاطونها اذ ذلك هو سبب شركهم وكفرهم بالله وبذلك كان شركهم وكفرهم ذلك كان يغطي قلوبهم حتى
لا تتجلى قلوبهم للايمان كقوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وكقوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم
الاية ونحوه فان كان هذا فهو على حقيقة تقديم الايدي والكسب والثاني ان يكون ظهر الفساد في البر
والبحر بما كسبت ايدي الناس هو القحط وقلة الامطار والانزال والضيق وقوله بما كسبت ايدي الناس
هو شركهم وكفرهم وتعاطيهم ما لا يحل اي ذلك القحط والضيق وقلة الانزال والشدائد لهم لشركهم
وكفرهم واعمالهم التي اختاروها ويكون ذكر كسب الايدي على المجاز لا على الحقيقة ولكن لما باليد يكتسب
وباليد تتقدم ذكرا باليد كقوله ذلك بما قدمت يداك ولعله لم يقدم شيئا لكثرة ذكر انه ظهر هو الشرك
والكفر بحقيقة كسب الايدي من اعمال السوء التي ذكرنا ذلك كان يمنعهم عن الايمان وكشف الغطاء عن قلوبهم
وفي التاويل الاخر الفساد الذي ظهر هو القحط وقلة الامطار والانزال والضيق بما كسبت ايدي الناس
هو الشرك والكفر وتعاطي ما لا يحل لا على حقيقة كسب الايدي ولكن لما ذكرنا ثم اختلف في قوله في البر
والبحر قال بعضهم البر هو المفازة التي لا ماء فيها والبحر القرى والامصار وقال بعضهم اما البر فاهل العمود
والبحر اهل القرى والريف وقال بعضهم البر قتل ابن ادم اخاه والبحر الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا
وجائز ان يكون لا على حقيقة ارادة البر والبحر ولكن على ارادة الاحوال نفسها على ما ذكرنا من القحط
والضيق وقلة الانزال بما كسبت ايدي الناس من الشرك والكفر ليذيقهم بعض الذي عملوا وهو الشرك
هذا اشبه وعن الربيع الخصب والسعر عن الحسن قال افسدهم الله في بر الارض وبحرها باعمالهم الخبيثة
لعلهم قال يرجع من كان بعدهم ويتعظون بهم وقتادة يقول لعل راجعا يرجع لعل تائبا يتوب لعل مستعتبا
يستعتب واصله لكي يلزمهم الرجوع والتوبة عما عملوا وينبههم عن ذلك كله وقال بعضهم ظهر الفساد في البر
والبحر اي اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوب الناس قال ابو عوسجة الربو من الربو مثل ما يصنع

اصحاب الربوا الربو يربو اي يزيد ويكثر يقال ربا ماله اي كثر والقتبي يقول اي يزيدكم من اموال الناس من
زكوة وصدقة وقوله قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل قد ذكرنا في غير موضع
انه ليس على حقيقة الامر بالسير في الارض ولكن كانه يقول لو سرتم في الارض ونظرتم لرأيتم عاقبة
من كان قبلكم من المشركين وهكذا في الرسل وما حل بهم فينبهكم ويمنعكم عن تكذيب الرسل والشرك
بالله او ان يكون هو على الامر بالفكر والنظر والاعتبار كانه يقول تفكروا واعتبروا فيما سرتم في الارض
وانظروا الى ماذا صار عاقبة مكذبي الرسل من قبل فينزل بكم بالتكذيب ما نزل باولئك والله اعلم وقوله
فاقم وجهك للدين القيم قد ذكرنا فيما تقدم في قوله فاقم وجهك للدين حنيفا وقوله من قبل ان ياتي يوم
لا مرد له من الله قال بعض اهل التاويل لا يقدر احد على رد ذلك اليوم من الله ثم هو يخرج
على وجهين احدهما لا مرد له من الله اي لا يردون من ذلك اليوم الى ابتداء المحنة كقولهم يا ليتنا
نرد الاية وقولهم فان جعلنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ثم اخبر عنهم فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه فعلى ذلك جائز ان يكون قوله لا مرد له من الله اي لا يردون الى ما يسألون الرد والثاني لا مرد له
من الله اي لا اقامة لهم من الله ولا عفو ولا توبة اذا اتاهم ذلك اليوم كقوله لا ينفع نفسا ايمانها
الاية وقوله يومئذ يصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون هو يوم
الافتراق ويوم الجمع ويوم الفصل على اختلاف الاحوال والاوقات والله اعلم وقوله من كفر فعليه
كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي من كفر فعليه جزاء كفره وعليه ضرر كفره ومن امن وعمل
صالحا فله ثواب ايمانه وله منفعة عمله لانه عز وجل انما امتحنهم بانواع ما امتحن لمنافع انفسهم ولحاجتهم
لا لحاجة او لمنفعة له وكذلك قوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وقوله ان احسنتم احسنتم
لانفسكم الاية وهو ما ذكرنا انه انما امرهم وابتلاهم وامتحنهم لمنافع انفسهم ولحاجتهم لا لحاجة او لمنفعة
لنفسه لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله يمهدون قال بعضهم يفترشون وقال ابو عوسجة والقتبي
فلانفسهم يعملون ويوطئون وهو من المهاد في الاصل الفراش وقوله ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات من فضله هذا يدل ان الثواب والجزاء سبيل وجوبه الفضل في الحكمة لما سبق من الله
اليهم نعم ما لم يتهيأ لهم القيام بشكر واحدة منها فضلا ان تقوموا للكل فاذا كان كذلك صار الثواب
والجزاء وجوبه الفضل لا لا استحقاق ولا استيجاب واما العقوبات فوجوبها الاستحقاق اذ في
الحكمة وجوبها لذلك افترقا وجائز ان يكون قوله ليجزي الذين امنوا اي يجزيهم في الاخرة بالخيرات
التي عملوها في الدنيا وذلك من فضله يتالوا ذلك وبفضله والله اعلم وقوله ومن اياته ان يرسل الرياح
ايات في نفسها وفيها شهادات اما الايات هي ايات سلطانه وتدبيره من وجوه انه انشأ هذه
الرياح في الهواء وفي الارض وفي الجبال وفي السماء تصيب الخلائق وتمسهم وتؤذيهم وتفزعهم وتضرهم
من غير ان يروها او يقع عليها البصر ومن غير ان يدركوها او يدركوا كيفيتها او ما يتهيأ ليعلم
ان من الاجسام ما هي غير مدركة ولا اخذ البصر عليها وترى منها طيبة لينة وخبيثة وشديدة كاسرة
عاصفة تعذب بها قوم وتنصر بها قوم على ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
نصرت بالصبا واهلك عاد بالدبور ومن بشاراتها ما تلقح الاشجار والنخل وتشق الارض وتنبت
النبات منها وتجمع السحاب وتاتي بالمطر وتجري بها السفن والفلك في البحار في الماء الراكد والفلك
لولا الريح فذلك كله من البشارة وانواع المنافع جعل فيها يعلم كله بالاعلام والاثار انها نافعة او
مهلكة بعد سماها مبشرات ليعلم ان البشارة قد يكون بدون النطق والكلام من نحو الكتاب والاشارة
او الرسالة اذ ليس للريح نطق ولا كلام ثم سماها مبشرة والله اعلم وقوله وليذيقكم من رحمته هذا يدل ان
هذه البشارات والمنافع التي جعل لهم كان من رحمته وفضله لا استيجابا ولا استحقاقا وسمى ذلك كله رحمة
لانه برحمته يكون والله اعلم وقوله ولتجري الفلك بامره قوله بامره يحتمل بتدبيره اي بتدبيره تجري السفن
في البحار على ما ذكرنا اي ان يريد بامره تكوينه كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وكقوله
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وقوله ولتبتغوا من فضله هذا يدل على ان ما يصل اليهم من
المنافع انما يصل من فضله ورحمته لا يصل اليهم بتلك الاسباب والمكاسب لكنه يروا ذلك من تلك الاسباب
ولكن يرون ذلك من فضل الله ورحمته وقوله ولعلكم تشكرون اي لكي يلزمهم الشكر لله في ذلك كله والله اعلم
وقوله ولعلكم تفكرون اي لكي يلزمهم الشكر لله في ذلك كله والله اعلم وقوله ولقد ارسلنا من قبلك
رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا في هذه الاية تصبير رسول الله على اذى الكفرة
حيث قال ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات وفيه ايضا بشارة للمؤمنين ونذارة
لاولئك الكفرة اما النذارة لهم بقوله فانتقمنا من الذين اجرموا اخبر ان اولئك لما كذبوا الرسل وعملوا
ما تعاملون انتم يا اهل مكة رسول الله فانتقمنا منهم جزاء معاملتهم فعلى ذلك ينتقم منكم كما انتقم من
اولئك واما البشارة للمؤمنين في قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين اخبر ان عاقبة الامور يكون

للمؤمنين وفيه ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا من البشر فكيف تنكرون رسالة محمد اذ كان من البشر
وفيه فذالي قومه بالبينات كان اي او لئك الرسل قومهم بالبينات وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين
هو يخرج وجهين احدهما اي كان حقا علينا جعل العاقبة للمؤمنين لا ان يكون عليه حقا نصر المؤمنين في الدنيا
ولكن جعل العاقبة للمؤمنين حقا كقوله والعاقبة للمتقين والثاني كان حقا علينا نصر المؤمنين بالحجج التي اعطاهم
اي كان حقا اعطاء الحجج اي اعطاء الحجج لهم وقال بعضهم نصره اياهم انه انجاهم مع الرسل واهلك اولئك
والله اعلم وقوله الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا كانه يخبر عن
قدرته وسلطانه حيث انشأ الرياح بحيث يجمع السحاب ويفرق ويبسطه ويجعله قطعا يمطر في مكان ولا يمطر
في مكان يقول والله اعلم ان من قدر ان يسلط الرياح في جمع السحاب وتفريقه ملك تسليط الرياح على تعذيبكم
او يقول ان المعبود المستحق للعبادة هو الذي يرسل الرياح لما ذكر والامطار لا الاصنام التي تعبدون
اذ تعلمون انها لا تملك شيئا مما ذكروا ويذكر نعمه التي عليهم لتأدي بها شكرها او يطمعهم ايمان بعض منهم بعدما
كانوا آيسين عن ايمانهم كما اطمعهم المطر والسعة بعدما قحطوا او كانوا آيسين عنه الا ترى انه قال فاذا
اصاب به من يشاء من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين
قال ابو عمر وسحبه فتثير سحابا اي ترفعه وقال ابو عبيدة تجمعه كما يستبشر الرجل العلم فيجمعه وقوله
ويجعله كسفا قال بعضهم قطعا قطعا وقال بعضهم بعضه الى بعض ويحمل بعضه على بعض وقوله فترى الودق
يخرج اي المطر يخرج من خلول السحاب اي من بين السحاب ويقرأ من خلاله ومعناه نقير وقوله لمبلسين آيسين
والابلاس الاياس ولذلك سمي ابليس لانه آيس عن رحمة الله وقوله فانظر الى آثار رحمة الله يحتمل ان يكون
قوله الى آثار رحمة الله اي المطر اراد بالرحمة المطر سمي المطر رحمة لانه يكون برحمته او ان يكون الآثار هو المطر
نفسه جعله من آثار رحمته واعلومه لتمام الامر بالنظر والاعتبار بآثار رحمته يحتمل وجوها احدها امرهم
بالنظر الى ذلك ليعلموا انه رحيم كي يرغبوا فيما رغبهم ويرجوا فيما اطمعهم ودعاهم اليه اذ قد ظهر آثار رحمته
فكل رحيم يرغب فيما رغب واطمع او ان يكون الامر بالنظر الى آثار رحمته اذ ذلك راجع الى منافع ابدانهم
وانفسهم وما به قوامهم ليتأدى بذلك شكره وفي ذلك يقع الحاجة الى من يعرفهم تلك النعم ويعرفهم شكرها
فيكون في ذلك الترغيب في قبول الرسالة واثباتها او ان يكون تسمى المطر رحمة لما يرجع ذلك الى منافع ابدانهم
وما به قوام انفسهم ليعرفوا الرحمة هي راجعة الى منافع دينهم وآخرتهم وهو رسول الله اذ سماه في غير
موضع رحمة بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ان يأمر بالنظر الى ذلك المطر وانه كيف يحيي هذه الارضين
الموات وينبت فيها من الوان النبات وهذه الاشجار اليابسة كيف تخضر بعد يبوستها بهذه الامطار ليعرفوا
ان من ملك هذا او قدر على ذلك وهو خارج عن وسعهم وتقديرهم لقادر على احياء الموتى وبعثهم بعد الممات
وان كان خارجا عن تقديرهم ووسعهم وهو على كل شيء قدير لا يعجزه شيء وقوله ولئن ارسلنا ريحا فرأوه
مصفرا يعني به الزرع والنبات الذي اخرج من الارض بالمطر قال بعضهم رأوه يابسا اذا اصابته الريح الباردة
لظلوا من بعده يكفرون اي لا قاموا على كفرهم اذا اصابهم ما ذكر وهو كقوله واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون فعلى ذلك قوله فظلوا من بعده يكفرون اي يقنطون
من رحمته والله اعلم وقوله فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين جائز ان يكون
لا تسمع الموتى يريد بالموتى انفسهم ولا تسمع الصم الدعاء الصم انفسهم ايضا وقوله ولا تسمع الكفار والضلال
اذا ولوا مدبرين او ان يكون قوله لا تسمع الموتى كناية عن الكفار وكذلك الصم والعمي وقد سمى الله الكفار
موتى وصما وعميا في غير موضع من القرآن ثم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين حكمة وهو ان
لا يقدر ان يسمع الصم الدعاء اذا ولى مدبرا ولكن يقدر ان يفهم الاصم الدعاء اذا قبل واما اذا ادبر فلا يقدر
ان يسمعه وكذلك الحكمة في قوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم اي لا تقدر ان تهدي العمي عن ضلالتهم وهو
الذي يعمى عن ضلالته ويظن انه على الهدى ويعتقد على الضلال فاما من كان مقرا بالضلال فانك تقدر ان تهديه
يخبر عن شدة سفههم وتعنتهم وعماهم في ضلالتهم والله اعلم وقوله ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا اي ما تسمع الا
من يؤمن بآياتنا هذا يدل على ان قوله فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء قوله وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم هي المواعظ لا نفس الهدى حيث قال ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ثم يحتمل قوله
ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر اي انما ينتفع بانذارك من اتبع الهدى او ان
الذي يقبل النذارة من اتبع الهدى فاما من لم يتبع الهدى فلا ينتفع فعلى ذلك يحتمل قوله ان تسمع الا
من يؤمن بآياتنا اي ما ينتفع او لا يسمع المواعظ الا من يؤمن بذلك والله اعلم وقوله الله الذي خلقكم من
ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة هذا يحتمل وجهين احدهما قوله
خلقكم من ضعف اي من النطفة وهو ما قال في آية اخرى الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف ثم قوله ثم جعل
من بعد ضعف قوة اي انشأ لا يقوى على امور وعلى اشياء ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبا اي شيخا فانيا
كقوله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا وجائز ان يكون قوله خلقكم من ضعف اي

اطفالا دلك

اطفالا لا كي على الخلقة التي انتم عليها اليوم ضعفاء لا تقوون على اشياء وامور ولا تقوى شيء ثم جعل من
بعد ذلك الضعف اقوياء تقوون على اشياء وامور ثم يجعل من بعد تلك القوة والقوة والقدرة ضعفا
شيوخا لا تقدرون على شيء على ما يكون يحتمل هذين الوجهين ثم فيه وجهان من الدلالة احدهما
على القدرة على انشاء الخلق والاشياء لا من اصول اما الدلالة على البعث لانهم كانوا ينكرون البعث
وانشاء الشيء لا من اصل لخروج ذلك عن قواهم وتقديرهم فيخبر ان النطفة تصير علقة وليس فيها من
النطفة ولا من آثارها شيء وكذلك العلقة تصير مضغة وليس فيها من آثار المضغة شيء وكذلك المضغة
تصير انسانا فيه عظم وجلد وشعر ولحم وليس شيء من ذلك فيها فمن قدر على ما ذكر لقادر على خلق
الشيء لا من اصل وقادر على البعث اذ كل ما ذكرا قروا به وهو خارج عن قواهم وعن تقديرهم فلزمهم
الاقرار بالبعث والانشاء لا عن اصل وان لا يقدر وا قدرتهم وقواهم بقدرة الله وقوته على
ما شاهدوا اشياء خارجة عن قولهم وعن تقديرهم يقوت وقدرته والثاني ان ما ذكر من تحويل
النطفة والعلقة الى المضغة والمضغة الى الصورة والانشاء لم يخلق لهم ولم ينقلهم ليكونوا
كما ذكر بلا عاقبة تكون لهم ولا بعث فلو لم يكن بعث لكان ما ذكر من تحويل حال الى حال عبثا باطلا على
ما ذكر وكذلك فيما احدث في الاطفال من القوة والقدرة بعدما كانوا ضعفاء لا يقوون ولا يقدرون
على شيء انه انما احدث ذلك فيهم ليمتحنوا ويجعل لهم يثابون ويعاقبون اذ لو لم يكن بعث ولا عاقبة
لكان فعل ذلك عبثا باطلا وفيه القدرة على انشاء الشيء واحداثه لا من شيء اذ كان التركيب موجودا
على التمام ولا قوة بهم ثم حدث القوة ولا اصل لها ولا اثر من آثارها دل ان تقدير قوى الخلق وقدرتهم
بقوى الله وقدرته محال والله الموفق وقوله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير باحوالهم والقدير على انشاء
الاشياء لا من شيء وعلى البعث بعد الموت والله اعلم وقوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
قال بعض اهل التأويل يقسم المجرمون انهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة وكذلك يقولون في قوله كم
لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم الآية لكن لا يشبه ان يكون قوله يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة الدنيا في المحنة لا في القبور استقصروا امقامهم في الدنيا تكذيبا لما ادعي عليهم من الزلل
والمعاصي وانواع الكفر يقولون انا لبثنا في الدنيا لا يكون منا في مثل ذلك الوقت وقدر تلك المدة الزلل
والمعاصي الا ترى انهم قد كذبوا في انكارهم طول المقام فيها حيث قال كذلك كانوا يؤفكون اي كذلك
كانوا يكذبون في الدنيا ان لا بعث ولا حياة بعد الموت ولا حساب ولولا هذا التكذيب لهم على اثر قولهم
ما لبثوا غير ساعة والا كان الظاهر انهم قد استقصروا المقام في الدنيا لطول المقام في الآخرة وشدة
العذاب في ذلك وهوله لكنه والله اعلم ما ذكرنا انهم يقسمون انهم ما لبثوا غير ساعة في الدنيا انكارا وجحودا
لما ادعي عليهم من الزلل والمعاصي فيقولون انا لم نلبث في الدنيا الا ساعة كيف عملنا فيها هذه الزلل وانواع
الشرك والكفر فاخبر انهم كذلك كانوا يؤفكون اي كذلك كانوا يكذبون في الدنيا ويقسمون حيث
قال واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فذلك القسم منهم انهم ما لبثوا غير ساعة
كذب وانكار للمقام كما كذبوا وانكروا الشرك حيث قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وقوله وقال الذين
اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اختلف فيه قال بعضهم هو على التقديم والتأخير
كانه قال الذين اوتوا العلم في كتاب الله اي اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث وقال
بعضهم قال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في علم الله في الدنيا الى يوم البعث فهذا يوم البعث وبعضهم
يقول وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فيما كتب الله لكم من الآجال الى انقضاء آجالكم وفنائها
وقوله فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه وتكذبون به ولكنكم كنتم لا تعلمون هذا يخرج على وجهين احدهما
على حقيقة نفي العلم عنهم لكنهم لا يعذرون لجهلهم بذلك لما اعطوا اسباب العلم لو تفكروا وتأملوا لعلموا
والثاني على نفي الانتفاع بعلمهم على ما نفى عنهم حواس كانت لهم لما لم ينتفعوا بها فعلى ذلك جائز نفي العلم
عنهم بذلك لما لم ينتفعوا بما علموا والله اعلم وقوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ليس على ان
يكون لهم عذر فلا ينفعهم ولكن لا عذر لهم البتة او ان يكون معذرتهم ما ذكروا ما لبثوا غير ساعة
فذلك ينفعهم ذلك لانهم كذبة في ذلك وقوله ولا هم يستعتبون الاستعتاب هو الاسترجاع عما كانوا
فيه فهم لا يطلب منهم الرجوع عما كانوا عليه في ذلك الوقت والعتاب في الشاهد ان يعاتب ليترك
ما هو عليه ويرجع عما كان منه فيما مضى وذلك لا ينفع للكفرة في ذلك اليوم والله اعلم وقوله ولئن ارسلنا
ريحا فرأوه مصفرا اي رأوا ذلك الزرع والنبات مصفرا اي يابسا لما اصابه من الريح والبرد لظلوا
من بعده قيل لا قاموا او قيل لصاروا او قيل لما لوا وكله يرجع الى معنى واحد وهو ما تقدم ذكره من
القنوط لا يقنطون وييأسون من رحمته ويكفرون رب هذه النعم وفي حرف ابن مسعود انك لا تسمع
الموتى انك لا تبعث الموتى وقوله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل جائز ان يكون ما ذكر
من ضرب المثل للكفار خاصة يقول لقد بينا لهم ما يعظهم ويزجرهم عما هم فيه ويدعوهم الى الايمان

والتوحيد لكنهم اعتقدوا العناد والمكابرة وقوله ولئن جئتهم باية اى لو جئتهم بالاية التى سألوا لو الا بغضاً فلا
يصدقوك ولا يقبلوا الهدى ويقولون ما ذكر ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون ويشبه ان يكون
ما ذكر من ضرب المثل للفريقين جميعا للمؤمن والكافر ويكون التاويل والله اعلم ولقد ضربنا وبينا للناس
ليعلموا ليميزوا احوالهم من القبيح والحسن مثلا وشبها ما يعرفون به قبح كل قبيح وحسن كل حسن وما يبين لهم
الحق من الباطل والعدل من الجور لكن اولئك الكفرة لم يعتبروا ولم يتأملوا ثم رجع الى وصف اولئك الكفرة فقال
ولئن جئتهم باية اى بزيادة فى البيان والوضوح ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون والله اعلم وقوله
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون قد ذكرنا فى غير موضع ان قوله لا يعلمون يخرج على وجهين احدهما لم
يعلموا لما لم يتأملوا ولم ينظروا فى اسباب العلم لكى يعلموا ولا عذر لهم فى جهلهم ذلك لما اعطوا اسباب العلم
لكنهم لم يستعملوها فمنهم جاء ذلك فلم يعذروا والثانى نفى عنهم العلم على وجود العلم لهم وكونه لما لم ينتفعوا
بما علموا على ما ذكرنا من نفى الحواس عنهم مع وجودها وكونها لهم تلك الحواس لما لم ينتفعوا بها ولم يستعملوها
فيما جعلت تلك وانشئت لها فعلى ذلك العلم والله اعلم وقوله فاصبر ان وعد الله حق قال بعضهم فاصبر على
تكذيبهم اياك بالعذاب الذى وعدت لهم ان وعد الله حق فى العذاب بانه نازل بهم وجائز ان يكون قوله
فاصبر اى اصبر على اذاهم الذى يؤذونك ان وعد الله حق فى النصر لك والمعونة وقوله ولا يستخفنك الذين
لا يوقنون كانه يقول لا يحملنك اذاهم اياك حتى تدعو عليهم بالعذاب والهلاك وقال بعضهم لا يستخفنك
اى لا يستفزنك ويقول لا يستجهلنك واصله ما ذكرنا ان لا يحملنك اولئك الكفرة على الخفة والعجلة و
الجهل حتى تدعو عليهم بانزال العذاب والهلاك لهم وهو والله اعلم كانه من الاستخفاف

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله
والاخرى قوله ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام الاية
عز وجل الم قد ذكرنا تأويله فى غير موضع فيما تقدم وما ذكر فيه وقوله تلك ايات قال بعضهم تلك اشارة الى
ما بشر به الرسل المتقدمة اقوامهم من بشارات يقول تلك البشارة هى ايات الكتاب اى هذا القران وقال بعضهم
تلك ايات التى فى السماء هذا الكتاب ومنهم من قال تلك الايات التى انزلت متفرقة فجمعت فصارت قرانا و
الله اعلم وقوله الكتاب الحكيم سمى الكتاب حكيما كريما مجيدا ونحوه فيحتمل تسميته حكيما وجوها احدها لاحكامه واتقانه
اى محكم متقن لا يبدل ولا يغير وهو كما وصفه عز وجل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الاية والثانى سماه
حكيما لان من تمسك به وعمل بما فيه يصير حكيما مجيدا كريما والثالث سماه حكيما لانه منزل من عند حكيم كقوله
تنزيل من حكيم حميد وقوله هدى ورحمة للمحسنين قوله هدى اى توفيقا وعصمة ومعونة للمحسنين وكذلك هو
رحمة لهم فى دفع العذاب عنهم وانما يقوله اهل التاويل هدى اى بيانا للمحسنين فهو بيان للكل ليس لبعض
دون بعض فلا يحتمل الهدى البيان فى هذا الموضع ولكن ما ذكرنا من المعونة والتوفيق والعصمة والمحسن
ههنا جائز ان يكون المؤمن كقوله ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور الصبار هو المؤمن والشكور هو المؤمن
سمى المؤمن صبارا مرة وشكورا مرة ومحسنا مرة لانه يعتقد بالايمان كل ما ذكر من الصبر والشكر والاحسان
وكل خير والله اعلم وقوله الذين يقيمون الصلوة الاية قد ذكرنا تاويله فيما تقدم فى غير موضع وقوله اولئك
على هدى من ربهم تأويل الهدى ما ذكرنا فى هذا الموضع من التوفيق والعصمة والمعونة واولئك هم المفلحون
قد ذكرناه ايضا وقوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم اختلف فى قوله من يشترى
لهو الحديث قال بعضهم ليس على حقيقة الاشتراء نفسه ولكن على الايثار والاختيار لان الاشتراء هو مبادلة
اخذ واعطاء ولكن اثروا واختاروا الضلال مع قبحه عندهم على الهدى مع حسنه فعلى ذلك اثروا لهو
الحديث واختاروه على الحق وحكمة الحديث واختاروا الفانى على الباقى فسماه شراء لذلك وقال بعضهم
هو على حقيقة الاشتراء لكنهم اختلفوا فمنهم من يقول انه على اشتراء المغنية والمغنى كانوا يشترون ليتلهوا
ومنهم من قال كان يشترى ويكتب عن لهو الحديث وباطله من حديث الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول
ان محمدا يحدثكم باحاديث عاد وثمود وانا احدثكم باحاديث فارس والروم فذلك اشتراؤه لهو الحديث
واضلاله الناس عن سبيل الله فاعرضوا عن القران والايمان بمحمد ويتخذها هزوا وكان اذا سمع شيئا من
القران اتخذها هزوا هكذا عادة الكفرة واهل النفاق كانوا يستهزؤن بالقران وبرسول الله واصحابه
ثم اوعدهم الوعيد الشديد حيث قال اولئك لهم عذاب مهين وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما يقولان
فى قوله ومن الناس من يشترى لهو الحديث هو شراء المغنية والغناء وقد روى مرفوعا روى عن ابى القاسم
عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير فى
التجارة فيهن وثمنهن حرام وفى مثله انزلت هذه الاية ومن الناس من يشترى لهو الحديث الاية فان ثبت
هذا فهو تفسير لهو الحديث الذى ذكر فى الاية وقوله واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اى اعرض متعظما
متجبرا كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا يحتمل قوله كان لم يسمعها وكان فى اذنيه وقرا على التقرير ويحتمل على

فى الحقيقة

فى الحقيقة فان كان على التقرير فهو على ترك الاستماع وان كان على حقيقة النفى فقد ذكر فى كثير من الاى ذلك قوله صم
بكم عمى وذلك يحتمل وجهين والله اعلم ثم اوعد العذاب الشديد حيث قال فبشره بعذاب اليم وقوله ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات قوله امنوا بجميع ما امروا بالايمان به وعملوا الصالحات بما يعبد وامن العمل بالطاعات والكف
لهم جنات النعيم كل الجنان التى وعد للمؤمنين نعيم يتنعمون فيها خالدين فيها وعد الله حقا اى ما وعد للمؤمنين
من الجنات النعيم هو حق كائن لا محالة وهو العزيز الحكيم وقوله خلق السموات بغير عمد ترونها قال بعضهم خلق السموات
بعمد لا ترونها وقيل لعل لها عمدا لكن لا ترونها وقال بعضهم خلقها بلا عمد لكن الاعجوبة فيما خلقها بعمد لا ترونها
ليست بدون الاعجوبة فى خلقها بلا عمد لان رفع مثلها بعمد لا ترى اعظم فى اللطف والقدرة من رفعها
بلا عمد اذ العمد لو كانت مقدار الريشة او الشعرة ترى فرفعها مع ثقلها وعظمها وغلظها على عمد لا ترى
هو الطف من ذلك واعظم فى الاعجوبة مما ذكرنا فايهما كان ففيه دلالة انه لا يجوز تقدير قوى الخلق
بقوى الله تعالى بقدرته ولا سلطان الخلق بسلطانه بل هو القادر على الاشياء كلها بما شاء وكيف شاء لا يعجزه
شئ وقوله والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وقال فى اية اخرى وجعل فيها رواسى والرواسى هى الثوابت
اى اثبت الارض بالجبال كقوله والجبال ارسيها اى اثبتها وقوله ان تميد بكم اى لا تميد بكم ذكر الميد وهو الميل
والاضطراب وليس من طبع الارض الميل والاضطراب وانما طبعها التسرب والتسفل والانحدار فلا يدرى
ان كيف حالها فى الابتداء وما فى سرتها ما يحملها على الاضطراب والميد حتى اثبتها وارساها بالجبال
والله اعلم بذلك وقوله وبث فيها من كل دابة قال بعضهم بث خلق وقيل بث فرق وفيه انه جعل الارض مكانا
ومعدنا لكل انواع الدواب المميز وغير المميز والمميز والسماء لم يجعل الا لنوع من الخلق اهل العبادة
وقوله وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم اى انبتنا فيها من كل لون تتلذذ به النفس ويطمع كريم
ينال منه كل ما اراده وتمناه اذ الكريم هو ما يطمع منه نيل كل ما عنده ويريد منه وقال بعضهم الكريم
الحسن اى انبتنا فيها من كل لون حسن ما يستحسنه الناظر وتتلذذ به على ما ذكر فى اية اخرى من زوج بهيج
ما يبهج ويستبشر كل ناظر اليه والله اعلم وقوله هذا خلق الله يقول ما ذكر من خلق السموات والارض وما بث
من الدواب وما انبت من كل زوج كريم فقوله فارونى ماذا خلق الذين من دونه يذكر سفههم يقول
انكم تعلمون ان ما ذكر من السموات والارض وجميع ما فيهما هو كله خلق الله وانه هو خالق ذلك كله وان
الاصنام التى تعبد ونها من دونه لم تخلق شيئا من ذلك ولا تملك خلق شئ فكيف تعبد ونها من دونه وتسمونها
الهة وصرفتم العبادة والالوهية عن الذى خالقكم وخالق السموات والارض وما فيهما وانما يستحق الالوهية
والربوبية لخلقه ما ذكر فالاصنام اذ لم يكن منها خلق فكيف سميتموها الهة وعبدتموها دون
الله هذا والله اعلم تاويل قوله فارونى ماذا خلق الذين من دونه اى لم يخلق يخبر عن سفههم وقلة معرفتهم
وسرفهم فى القول والفعل والله اعلم وقوله بل الظالمون فى ضلال مبين يحتمل الظالمون وجوها احدها
ظلموا انفسهم حيث وضعوها فى غير موضعها الذى امرهم الله ان يضعوها وهو وضعهم اياها فى عبادة الاوثان
او ظالمين حدود الله الذى حد لهم لم يحفظوها على تلك الحدود بل جاوزوها او سماهم ظلمة لما ظلموا نعم الله ولم
يشكروها والله اعلم وقوله فى ضلال مبين اى فى حيرة بينة او هلاك بين وقوله ولقد اتينا لقمان الحكمة قال بعضهم
الحكمة هى الاصابة فى القول والفعل من غير نبوة وقال بعضهم اعطى الفهم واللب وقيل الفهم والفقه فى الدين
وقيل العلم كانه يقول اعطيناه العلم والفهم بالكتب المتقدمة والفقه هو معرفة الشئ بنظيره الدال على غيره او معرفة
ما غاب بما شهد او معرفة الخفى الباطن بالظاهر ونحوه والفلاسفة يقولون الحكمة هى المعرفة مع العمل والحكيم
هو الذى له المعرفة والعلم والعمل جميعا فحينئذ يسمى حكيما وقوله ان اشكر لله كانه قال ولقد اتينا لقمان الحكمة يحتمل
الوجوه التى ذكرنا وقلنا له ان اشكر لله فيما اعطاك من النعمة وهذا يدل ان لله فيما يكتسب المرء من الحكمة والعلم
صنعا اذ لو لم يكن له لقوله اتينا معنى اذ هو العبد وكسبه الا ترى انه امره ان يشكر له على ذلك ولو لم يكن له
صنع فى ذلك لكان لا يأمره بالشكر له على ما لا صنع له فيه اذ يخرج ذلك مخرج طلب الحمد والشكر على ما لم يفعل و
قد ذم من احب ان يحمد بما لم يفعل فلا يحتمل ان يأمره بالحمد والشكر على ما لم يفعل ولا صنع له فى ذلك دل ان له فيه صنعا
وهو ينقض على المعتزلة فى قولهم ان ليس لله فى فعل العبد صنع والله اعلم وقوله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه هذا
يدل ان ما يؤمر بعبادة وينهاهم وفيما امتحنهم انما يمتحنهم ويأمرهم وينهاهم لمنافع انفسهم وحاجتهم لا لمنفعة
نفسه او لحاجة حيث قال ومن شكر فانما يشكر لنفسه حيث يتم تلك النعمة ويديمها له فهو بالشكر ينفع نفسه
ومن كفر فانما ضرر كفره يلحقه دون الله الا ترى انه قال ومن كفر فان الله غنى حميد اى غنى عن شكره وحمده حميد
وان لم يحمده احد من خلقه لانه غنى بذاته حميد بصنعه بعمه والائه وان لم يحمد هو ولم يشكر على ذلك لا ينفعه
شكر احد ولا حمده ولا يضره كفران احد ولا ترك الشكر له والحمد وبالله الحول والقوة وقوله واذ قال لقمان
لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم يحتمل قوله ان الشرك لظلم عظيم وجوها احدها ظلموا
انفسهم حيث وضعوها فى غير موضعها واوقعوها فى المهالك بعدما صورها احسن تصوير ومثلها احسن
تمثيل واعظم الظلم من عمل وسعى فى هلاك نفسه او ظلم عظيم ظلموا نعم الله حيث صرفوا شكرها الى غير منعمها

اوظلموا ظلما عظيما حيث لم يقبلوا شهادة وحدانية الله والوهيته فيما جعلها في خلقهم وبنيتهم اذ جعل في خلقة كل احد الشهادة على وحدانيته وربوبيته وذلك اعظم الظلم والفحش وقوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يذكرههنا بماذا وصاه فجائز الوصية بما ذكر في اية اخرى حيث قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا واحسانا والاحسان هو اسم ما حسن من فعله وقوله حسنا هو اسم ما حسن مما كان بفعله وهما واحد في الاصل وقوله حملته امه وهنا على وهن اي ضعفا على ضعف اي كلما مضى عليها وقت ازداد فيها ضعف ووجع على وجع امر بالاحسان اليهما جميعا ثم ذكر ما حملت الام من المشقة والشدة ولم يذكر من الاب شيئا وقد كان للاب وقت احتمال الام المشقة اللذة والسرور والفرح فجائز ان يقال ان كان من الاب بازاء تلك المشقة التي احتملت الام معنى ما يؤمر ان يشكر له ويحسن اليه وهو ما يتحمل من الانفاق عليها وعليه في حال الرضاع وهو ما ذكر وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن اوما لم يجعل مطعونا في الناس بحيث لم يعرف له نسب تنسب اليه بل جعله معروف النسب غير مطعون في الخلق ونحوه ثم ذكر الفصال ولم يذكر الرضاع والمشقة في الارضاع لا في الفصال لكنه ذكر تمام الرضاع وكماله اذ بالفصال يتم ذلك ويحل وفي ذكر التمام له والكمال ذكر الرضاع وليس في ذكر الرضاع نفسه ذكر تمامه لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله ان اشكر لي ولوالديك الي المصير امر بالشكر له ولوالديه وحاصل الشكر راجع اليه دون من يشكر له اذ كل من صنع الى اخر ما يستوجب به الشكر والثناء فبالله صنع ذلك اليه وبنعمه كان منه ذلك فكل من حمد او شكر فراجع اليه في الحقيقة ذلك ثم يخرج قوله ان اشكر لي ولوالديك على وجهين احدهما اشكر لي فيما تشكر والديك باحسانهما اليك فانهما ما احسنا اليك الا بفضلي ورحمتي كقوله فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي اذكروا الله فيما تذكرون اباءكم بصنعهم فانهم انما فعلوا ذلك بفضل الله او ان يكون قوله اشكر لي فيما انعمت عليك ولوالديك فيما احسنا اليك وربياك والله اعلم وقوله الي المصير قد ذكرنا انه خص ذلك المصير اليه وان كانوا في جميع الاوقات صائرين اليه راجعين بارزين له لما المقصود من انشائهم في هذا ذلك وصار انشاؤهم وخلقهم في الدنيا حكمة بذلك ما لولا ذلك لكان عبثا باطلا على ما ذكرنا والله اعلم وقوله وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما امر في الاية الاولى بالاحسان اليهما وبالبر لهما والطاعة ثم بين انه لا في كل امر يطاعان ولا في جميع ما يأمران وبين انه لا يجاب انما يطاعان ويجابان فيما يؤذن لهما ويباح لهما لا فيما لا يؤذن ولا يباح بحال بل يؤمر بالخلاف لهما واعتقاد المعاداة فضلا ان يطاعا ويجابا الى ما يدعوان او يأمران وكذلك ذكر في الخبر ان لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق وانما امر بحسن المصاحبة لهما والمعروف فيما لم يكن في ذلك معصية الخالق حيث قال وصاحبهما في الدنيا معروفا وقوله واتبع سبيل من اناب الي قال بعضهم اتبع دين من اقبل الي ورجع الي طاعتي وهو النبي او ان يكون قوله واتبع سبيل من اناب الي اي اتبع سبيلي وديني كقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فعلى ذلك الاول جائز ان يكون تأويله اتبع سبيلي وديني ولا تتبع غيري سبيل من اناب ورجع الي ولا يتبع سبيل من لم ينب ولم يرجع الي ثم اخبر برجوع الكل اليه من رجع واناب اليه ومن لم يرجع ولم ينب اليه على الوعيد حيث قال ثم الي مرجعكم الاية وهو كقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله الى قوله فسيحشرهم اليه جميعا اي من استنكف ومن لم يستنكف يحشر اليه جميعا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله لا يحتمل ان يكون هذا الكلام والقول من لقمان كان لابنه ابتداء من غير سؤال كان في ذلك منه عن سؤال لكن لا نعلم ما كان السؤال وعما كان فاما ان كان السؤال عن علمه فاخبره بما ذكر من حبة مسترة التي ذكر مكتونة في اخفى الاماكن مكتنة عن الخلق فيما لا يطلع احد منهم ولا يبلغ علم الخلائق يأت بها الله اي يعلمها الله فان كان على هذا ذكر فيلزمهم ان يكونوا ابدا مراقبين اعمالهم واحوالهم في جميع حالاتهم واوقاتهم وجميع امورهم لما لا يخفى عليه شيء او ان يكون السؤال عن قدرة الله وسلطانه فاخبر ان الله تعالى قادر على استخراج تلك الحبة التي استترت واحتجبت عن الخلق بالحجب التي ذكر ما يعجز الخلائق عن استخراج مثلها من مثل تلك الحجب والاماكن فيخافون قدرة الله ويهابون سلطانه في الانتقام منهم في مخالفة امره ونهيه او ان يكون السؤال عن الرزق فيخبر بهذا ان الشيء وان كان في مكان لا يبلغه وسع البشر وحيلهم في استخراج ذلك منه والوصول اليه بحال فان الله سبحانه بلطفه يرزق الخلق باشياء خارجة عن وسعهم وحيلهم ما لا يقع لهم الطمع في ذلك ليكونوا ابدا في كل حال مطمئنين في الرزق لا يوبسهم عجزهم ولا تعذر حيلهم عن ذلك وان لا يعلقوا قلوبهم في الرزق بالاسباب التي بها يكتسبون ولذلك قال ويرزقه من حيث لا يحتسب او ان يكون السؤال عن جزاء ما يعمل المرء من قليل او كثير وما عظم ولطف فيجزاه يجزى بقليل العمل وكثيره وكذلك يقول بعض اهل التأويل ذلك يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل من خير او شر فتكن في صخرة في جبل او في السماء او في الارض يأت بها الله اي يجازيها الله فيكون على هذا التأويل كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا فاي شيء كان ففي ذلك دلالة وحدانية الله ودلالة علمه وتدبيره ودلالة قدرته وسلطانه ودلالة الثقة به والتوكل عليه في الرزق والتفويض في الامر في كل ما خرج عن وسع الخلق والله اعلم وقوله ان الله لطيف خبير قال عامة اهل التأويل ان الله لطيف في استخراج تلك الحبة خبير بمكانها وتأويل هذا الكلام اي يستخرج تلك الحبة من الحجب التي ذكر والاستار التي يتراءى استخراجها لا يشعر بها احد ولا علم كيفية الاستخراج منها ولا ماهيته واللطيف هو البار ثم يخرج هو على وجهين احدهما بار فيما ارسل من الرسول وما انزل من الكتب ليدلهم الى ما يهتدون واليما به نجاتهم خبير بحوائجهم و

تأويل

تاويل اللطيف يحتمل وجهين احدهما البار على ما ذكرنا والثاني في استخراج امور لا يبلغها وسع الخلق ولا علمهم وحيلهم والله اعلم وقوله يا بني اقم الصلوة يحتمل الامر باقامة الصلوة وجهين احدهما الصلوة التي عرفتها العرب وهي المسئلة والدعاء والثناء على الله والتحميد له والتمجيد كقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية وهذه الصلوة المذكورة في هذه الاية هي الدعاء والاستغفار والرحمة له والمغفرة فعلى ذلك يشبه ان يكون الامر باقامة الصلوة هو الامر بمسئلة الرب حوائجه ومغفرته ورحمته ليكون ابدا في كل حال متضرعا الى الله مظهرا حاجته اليه ومثنيا عليه واصفا عظمته وجلاله وكبرياءه والثاني اراد به الصلوة المعروفة المعهودة على شرائطها التي جعلت وشرعت فان كان هذا ففيها ايضا ما في الاول من الدعاء والثناء على الله تعالى والوصف له بالعظمة والجلال لانها جعلت من اولها الى اخرها ذلك وان كان اراد بالصلوة الصلوة المعروفة ففيه ان الصلوة التي شرعت لنا كانت للامم المتقدمة وعلى ذلك يخرج قول ابراهيم حيث رب اجعلني مقيم الصلوة وقول عيسى حيث قال واوصاني بالصلوة والزكوة والله اعلم وقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر المعروف اسم كل بر وخير وكل مستحسن في العقل والطبع والمنكر اسم كل شر وسوء مستقبح في العقل والطبع ثم يخرج قوله وامر بالمعروف وانه عن المنكر على وجوه احدها المعروف الذي جاءت الرسل عن الله وشرعوا للخلق ودعوا الخلق والمنكر ايضا هو الذي انكرته الرسل ونهت الخلق عنه او ان يكون المعروف هو الذي يقبله كل عقل صحيح ويستحسنه كل طبع سليم والمنكر هو الذي ينكره كل عقل صحيح ولا يقبله ويستقبحه كل طبع سليم تعرف بالبداهة قبحه وحسنه او يعرف او ينكر عند التامل والتفكر فكله يرجع الى واحد الى ما ذكرنا بدأ لكنه يختلف فيما ذكرنا من السبب وقوله واصبر على ما اصابك من الاذى بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اهل السفه منهم والفسق فلا بد من ان يصيب الاذى من تولى ذلك وهذا يدل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اللوازم لا يسع تركه وان اصابه الاذى في ذلك وقوله ان ذلك من عزم الامور قال بعضهم ان ذلك من حزم الامور والحزم من الاحكام للشيء واتقانه كانه يقول ان ذلك من محكم الامور ومتقنها لان الشيء اذا احزم وشدد يؤمن عن سقوطه وذهابه فعلى ذلك ما ذكر وقال العزم هو القطع والثبات على شيء تقول عزمت على كذا وعلى امر كذا اذا قطع تدبيره ونايه واضطرابه وجعله بحيث لا يرجع ولا يتحول عنه للدنيا او لامر من امورها ولكن ثبت على ما عزم وقطع فهو العزم والله اعلم وقوله ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا قوله ولا تصاعر ولا تصعر بالالف كلاهما لغتان ثم اهل التأويل واكثرهم يقولون قوله لا تصاعر خدك للناس اي لا تعرض بوجهك عن الناس تعظما وتجبرا وتكبرا وكذلك في قوله ولا تمش في الارض مرحا بطرا فرحا بالمعصية في الخيلاء والعظمة مستكبرا جبارا عامتهم يفسرونه بالاعراض للتكبر والتجبر وكذلك يقول الحسن انه قال هو الاعراض عن الناس من الكبر استخفافا لهم واستخفافا بهم والزجاج يقول الصعر هو داء يأخذ البعير فيلوي عنقه فعلى تأويله يكون قوله لا تصعر اي لا تلو عنقك عن الناس وابو عوسجة يقول قريبا من ذلك يقول لا تصعر اي لا تتجبر وهو ان تلوي عنقك فلا تنظر اليهم كبرا ويقول الصعر هو اعوجاج في العنق يقال رجل اصعر وبعير اصعر وبه صعر ويقال في الكلام فلان صعر خده اذا لوى رأسه عن الناس فلم ينظر اليهم كبرا منه وقال كما قال الزجاج ان الصعر داء يأخذ البعير فيلوي عنقه واصله الاعراض على ما ذكره اهل التأويل واهل الادب ثم هو يخرج على وجهين احدهما ما ذكر اهل التأويل من حقيقة الاعراض تكبرا وتعظما لانفسهم استخفافا بالناس واستحقارا لهم لما لم يروا الناس امثالا لانفسهم وعلى ذلك يخرج قوله ولا تمش في الارض على حقيقة المشي على التكبر والتجبر على ما ذكرنا والثاني ليس على حقيقة الاعراض بالوجه عنهم ولا على حقيقة المشي بالاقدام ولكنه كناية عن الامتناع عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والترك لذلك لا على التكبر والتجبر عليهم والاستخفاف بهم ولكن على الحذر والخوف عنهم فان كان الاعراض عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم يعذروا في ترك ذلك لما يحذرون ويخافون منهم وكذلك يخرج قوله واقصد في مشيك واغضض من صوتك على الوجهين اللذين ذكرنا هما احدهما على الامر بقصد المشي وخفض الصوت حقيقة المشي وحقيقة الصوت والثاني على الكناية عن كيفية المعاملة وما بينهما فيما بين الناس فان كان على حقيقة المشي والصوت فكانه يقول اي اقصد في المشي في الناس ولا تمش تكبرا مستخفا بهم مستحقرا لتؤذيهم واغضض من صوتك اي لا ترفع صوتك فوق اصواتهم فتؤذيهم بالصوت ولكن لينهم بالقول وقال بعضهم امش هينا لينا ناكس الرأس ناظرا حيث تمشي غير ناظر الى ما لا يحل ولا يسع ولا دافع صوتك على الناس فتؤذيهم فيكون صوتك عندهم كصوت الحمير الذي ذكر فينكرون كما ينكر صوت الحمير وان كان على الكناية عن الاحوال والمعاملة فيما بين الناس في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اي مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تطلبوا لانفسكم في ذلك العلو والرفعة ونفاذ القول وقبوله ولكن كونوا في ذلك مادين قاصدين غير طالبين العلو والرفعة ونفاذ القول وقبوله وقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا اي لا ترفع صوتك على الناس فتؤذيهم كما يؤذي الحمار فيكون صوتك عليهم كصوت الحمار او يذكر هذا لان الحمار انما يصيح لحاجة لنفسه وشهوته وسائر الاشياء اذا صاحوا انما يصيحون لحاجة

اهلها فيذكر انكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر لا تفعلوا لمنفعة انفسكم ولحاجتكم ولكن قوموا لله في ذلك اولما
ذكرنا او خفض صوت الحمير لانه ليس من صوت الا وفيه لذة ومعونة غير صوت الحمير فانه ليس فيه لذة ولا منفعة
اوذكر لما قيل ان اوله زفير واخره شهيق فشبه زفير اهل النار وشهيقهم وقوله ان الله لا يحب كل مختال فخور قال
المختال المتكبر البطر وقال بعضهم المختال الخداع الغدار والفخور يحتمل الذي يفتخر بكثرة المال اولما لا يرى احدا شكلا
لنفسه وقوله الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض قوله الم تروا قد ذكرنا انه يخرج على وجهين
احدهما على الخبر ان قد راوا وعلموا انه سخر لهم ماذكروا الثاني على الامر اي انظروا وردوا انه سخر لكم ما في السموات
وما في الارض لينتفعوا بجميع ما يحتاجون اليه ويصلوا الى مرادهم وحاجتهم والى قضاء وطرهم كيف شاؤوا بما شاؤوا
او ان يذكر قدرته وسلطانه ان من ملك تسخير ما ذكرنا ومكننا واقدرنا عليه باستعمال ما سخر لنا والانتفاع به لقادر
على البعث والاحياء بعد الموت وانه لا يعجزه شيء او ان يذكر حكمته وعلمه ان مثل هذا التسخير لا يكون الا بحكمته
ولو لم يكن هنالك بعث وعاقبة لكان خلق وتسخير ما ذكر لعبا باطلا على ما ذكرنا في غير موضع وقوله ما في السموات
المسخر ما في السموات يحتمل المطر والسحاب والشمس والقمر ونحوه مما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض حتى لا تقوم
منافع الارض الا بمنافع السماء او الملائكة لانهم قد امتحنوا ببعض ما يقع بمنافع البشر والله اعلم وقوله واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة ذكر عن ابن عباس انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما هذه
النعمة الظاهرة والباطنة قال اما ما ظهر يا ابن عباس فالاسلام وما سوى من خلقك وما اسبغ عليكم من الرزق
واما ما بطن وستر مساوي عملك فلم يفضحك بها فان ثبت الخبر فلا يقع الحاجة الى غيره فهو تاويل الاية والى هذا
ذهب عامة اهل التاويل وجائز ان يكون النعمة الظاهرة هو ما ظهر من الحسن والطهارة واما النعمة الباطنة
ما ستر من الانجاس والاقذار ما لو ظهر ذلك لم يدن منه احد لخبثه ونجاسته وبعضهم يقولون الظاهرة باللسان
والباطنة بالقلب وقال مجاهد الظاهرة الاسلام والرزق والباطنة ما ستر من الذنوب والعيوب وهو قريب
مما ذكر في الخبر المرفوع والله اعلم وقوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم المجادلة في الله يحتمل في توحيد الله او في
الرسالة انه ارسل او لم يرسل او في البعث ايبعث او لا يبعث ونحوه او يجادل في كتابه وقوله بغير علم ولا هدى ولا
كتاب منير اسباب العلم ثلثة العقل والسنة والكتاب يتفكر وينظر بالعقل فيعرف وبيان السنة والكتاب يبين فلم
يكن مع الذين يجادلون رسول الله في الله شيء من ذلك وخاصة اهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل والكتب فكانه يقول
ومن الناس من يجادل في الله وهم يعلمون انه ليس معه معقول ولا بيان من السنة والكتاب والله اعلم وقوله واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وقال
في اية اخرى انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم كانه
يقول الله ان قل لهم تتبعون اباءكم وتقلدونهم وان ظهر لكم وتبين ان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير وانهم
من اصحاب السعير وتتبعون اثارهم مقتدون بهم وان ظهر لكم وتبين ان الذي ادعوكم انا عليه وجئتكم اهدى
مما عليه اباؤكم اذ تتبعون اباءكم وان ظهر لكم وتبين ان اباءكم كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون حتى ان قالوا انهم
نتبعهم وان كانوا كما ذكرت فانه يظهر ويتبين عنادهم ومكابرتهم عند اتباعهم حيث ظهر الحق لهم يتبعوا بل اتبعوا
اهواءهم ويظهر كذبهم في قولهم والله امرنا بها او في قولهم ان اباءهم على ما هم عليه بل في اباءهم من هو على خلاف
ما هم عليه ونحوه وان قالوا لا نتبعهم اذا كانوا على ما ذكرت فعند ذلك يفترقون ويثبت عندهم بالحجج والبرهان
وفيه دلالة ان اهل الفترة يعذبون ويؤاخذون بتركهم الدين والشرايع لان هؤلاء الذين اخبر انهم من اصحاب
السعير هم اهل الفترة ما بين عيسى وبين محمد واهل التاويل يقولون اوكان الشيطان يدعوهم اي بل كان الشيطان
يدعوهم الى عذاب السعير ومحمد بن اسحق يقول لا تصعر خدك للناس اي لا تعرض بوجهك تكبرا عن فقراء الناس
اي اذا كلموك ومرحا اي فخرا بالخيلاء والعظمة ان الله لا يحب كل مختال فخور اي بطر فخور في نعم الله لا ياخذ
بالشكر واقصد في مشيك رويدا لا تختل في مشيك ولا تنظر حيث لا يحل واغضض اي اخفض من صوتك اي من كلامك
امر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والمنطق ثم ضرب للصوت الرفيع مثلا فقال ان انكر الاصوات لصوت الحمير
لشدة صوتهم وقوله الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات يعني الشمس والقمر والنجوم والسحاب والرياح و
سخر لكم ما في الارض اي الجبال والانهار والبحار فيها السفن والاشجار والنبت عاما بعام واسبغ عليكم نعمه
ظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام وباطنة اي ما ستر من الذنوب من ابن ادم فلم يعلم بها احد ولم يعاقب
فيها فهذا كله من النعم فالحمد لله على ذلك حمدا كثيرا كما هو اهله وقال في قوله ومن الناس من يجادل في الله
بغير علم في زعمه ان لله البنات اي الملائكة ولا هدى اي لا بيان معه من الله بما يقول ولا كتاب له فيه حجة
واصله ما ذكرنا يجادل في الله من الوجوه التي ذكرنا بغير علم من جهة العقل ولا هدى اي ولا بيان من جهة السنة
ولا كتاب من الله فيه حجة له واسباب العلم هذه فلم يكن له شيء مما ذكر وبالله العصمة قال ابو عوسجة [illegible]
وهذا لا يكون الا من الكبر لانه يتبختر واقصد في مشيك اي امش مشيا رفيقا واغضض من صوتك اي ارفق لا
تصوت صوتا شديدا وهذا ايضا من التبختر واسبغ اوسع والسابغ الواسع التام الطويل العريض وقال
القتبي الاصعر معرض الوجه انكر الاصوات اقبحها عرفه قبيح رفع الصوت في المخاطبة وقوله ومن يسلم وجهه

الى الله يحتمل قوله وجهه اي نفسه كانه قال ومن يسلم نفسه لله وجعلها سالمة له لم يجعل لاحد فيها شركا و
هو محسن في عمله الى نفسه اي لا يستعملها الا في طاعة الله وفيما امر به فاذا فعل ذلك فقد استمسك بالعروة
الوثقى اي فقد استمسك باوثق العرى واثبتها على ما ذكر في اية اخرى لا انفصام لها فلا انقطاع ولا زوال
لانها ثبتت بالحجج والبراهين لا بالهوى فكل شيء ثبت بالحجة والبرهان فهو ثابت ابدا لا زوال له ولا انقطاع
وكل شيء ثبت بالهوى فهو يزول وينقطع عن قريب لزوال الهوى وجائز ان يكون قوله وجهه لله اي يسلم
وجه امره لله فالوجه عبارة وكناية عن امره اي يسلم امره الى الله ويفوض اليه او يكون كناية عن نفسه
فتاويله ما ذكرنا بدءا واهل التاويل يقولون يسلم وجهه اي دينه لله اي يخلص دينه لله كقوله ولكل وجهة
هو موليها اي لكل اهل دين ومذهب والله اعلم وقوله وهو محسن يحتمل وجوها احدها ما ذكرنا وهو محسن الى
نفسه في عمل لا يستعملها الا فيما امر به لا يستعمل فيه وهو طاعة الله لا يوقعها في المهالك او هو محسن الى الناس
بالمعروف والبر او محسن اي عالم كما يقال احسن اي علم وبعض اهل التاويل يقول ومن يسلم وجهه لله اي
اخلص عمله لله وهو محسن اي مؤمن كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وهو قول ابن عباس ومقاتل
يقول ومن يسلم وجهه لله اي يخلص دينه لله وهو محسن في عمله فقد استمسك وقوله فقد استمسك بالعروة
الوثقى هو ما ذكرنا انه استمسك باوثق العرى واثبتها لانه انما ثبت بالحجة والبرهان لا بالهوى والتمني
والله اعلم وقوله والى الله عاقبة الامور هذا يخرج على وجوه احدها والى الله تدبير عاقبة الامور وتقديرها
لا الى الخلق والثاني الى من له التدبير والتقدير يرجع عاقبة الامور وان يخص رجوع عاقبة الامور
والمصير والرجوع اليه والبروز له والخروج وان كانوا في جميع الاوقات كذلك لما ذكرنا ان المقصود
من خلق هذا العالم العالم الثاني والمقصود من خلق الدنيا الاخرة اذ به يصير حكمة وحقا فخص ذلك له واضاف
اليه لذلك او يذكر ذلك لما لا ينازع في ذلك اليوم وقد نوزع في هذه ولذلك قال لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار وقوله ومن كفر فلا يحزنك كفره حزنا تتلف وتهلك فيه كقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
يخرج قوله فلا يحزنك كفره على التخفيف عليه والتسلي على النبي وكذلك قوله فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات على التخفيف عليه والتسلي ليس على ترك الاشفاق والحزن عليهم لان رسول الله كادت نفسه
تهلك اشفاقا عليهم وحزنا على كفرهم فيخرج ذلك على التخفيف عليه والتسلي والثاني قوله فلا يحزنك
كفره لا يحزنك تكذيبهم اياك فذكر كفره لانه بتكذيبه ما يصير كافرا وهو سبب كفره كقوله لا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر لانه كان رسول الله يحزن وبهم بتكذيبهم اياه فيما يقول ويخبر عن الله فيقول
لا يحزنك تكذيبهم اياك فانهم الينا يرجعون فنجزيهم ونكافيهم جزاء التكذيب والثالث فلا يحزنك
كفره اي فان ضرر ذلك الكفر عليهم لا عليك كقوله ما عليك من حسابهم من شيء الاية ونحوه من الايات
يخبر رسوله اي لا تحزن على كفر من كفر فان ضرر ذلك يلحقهم دونك والله اعلم وقوله
عزوجل الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا هذا وعيد اي الينا مرجعهم فننبئهم عما غفلوا عنه واختاروه في الدنيا
فيحفظونه ويتذكرون ما عملوا وان يكون قوله فننبئهم بما عملوا اي نجزيهم ونكافيهم جزاء اعمالهم ومكافاتهم
ان الله عليم بذات الصدور اي عالم بما كان منهم وما جزاؤهم والله اعلم وقوله نمتعهم قليلا اي في الدنيا لان متاع
الدنيا قليل على ما وصفه قل متاع الدنيا قليل اي يتمتعون يعمرون بذلك القليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يذكر
هذا مقابل ما ذكر لاهل الجنة حيث قال خالدين فيها لا يبغون عنها حولا فيجزي اهل النار يضطرون
ويدفعون الى النار لا انهم يدخلونها اختيارا كقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقوله غليظ جائز ان
يكون كناية عن امتداده وطوله وجائز ان يكون كناية عن شدته والمه او جراحته كقوله تلفح وجوههم
النار الاية وقيل يغلظ عليهم العذاب لونا بعد لون والله اعلم وقوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله اخبر رسوله انك لو سالتهم من خلق السموات والارض يقولون ذلك ويجيبونك الله
خلقهم ثم يخرج قوله قل الحمد لله على اثر اقرارهم له بالتوحيد والتوحيد له والتفرد بالخلق على وجهين احدهما امر رسوله
بالحمد له لما لا يحتاج الى اقامة الحجة على وحدانية الله وربوبيته سوى اقرارهم اذ قد اقروا له بالوحدانية فيما ذكر
فعلى ذلك يلزمهم ذلك في كل شيء دق او جل فيقع الامر له بالحمد على ذلك او يامر رسوله بالالتجاء وخلصه وسلم
مما ابتلوا هم وفتنوا من التكذيب وعبادة الاصنام بعد اقرارهم بالوحدانية له والالوهية بحمد على افضاله عليه
ورحمته وعصمته له بين اولئك الكفرة على هذين الوجهين يخرج تاويل امر الحمد على اثر ما ذكروا والله اعلم ويكون
قوله بل اكثرهم لا يعلمون مقطوعا مفصولا من قوله قل الحمد لله اذ لو لم يجعل مفصولا منه لخرج الامر بالحمد له
في الظاهر على ما لا يعلم اولئك وذلك لا يصلح ثم قوله بل اكثرهم لا يعلمون يخرج على وجوه احدها ما ذكرنا
انه نفى عنهم العلم على حقيقة العلم لما لم ينتفعوا بما علموا على ما نفى عنهم حواس كانت لهم لما لم ينتفعوا بها من نحو
البصر والسمع واللسان ونحوه فعلى ذلك العلم والثاني لا يعلمون لما تركوا النظر والتفكر في اسباب العلم او ان
يكون قوله هذا بل اكثرهم لا يعلمون ان عبادتهم الاصنام لا تقربهم الى الله زلفى ولا تشفع لهم لانهم انما كانوا
يعبدون الاصنام رجاء ان تقربهم الى الله ورجاء ان يكونوا لهم شفعاء عند الله بقولهم هؤلاء شفعاؤنا

متعدد الله وليتقربون الى الله زلفى وان يكونوا لم يعلموا الجزاء انما لهم علموها في الدنيا في الاخرة والله اعلم وقوله لله ما في السموات
والارض ان الله هو الغني الحميد كانه يخبرهم ويذكر ان ما امرهم به ونهاهم عنه وما يمتحنهم من جميع انواع المحن لا لحاجة
نفسه ولكن لحاجة انفس الممتحنين ولمنفعتهم ولدفع المضرة عنهم اذ من بلغ ملكه وغناه وسلطانه المبلغ الذي ذكر حتى
كان له جميع ما في السموات والارض لا يحتمل ان يؤمر الخلق وينهى ويمتحن لحاجة نفسه ولكن لحاجة الخلق في جر المنفعة
ولدفع المضرة او يذكرهم نعمه عليهم ليتأدى به شكره حيث سخر لهم ما ذكر من السموات والارض وما فيهما وحقيقة
ملك ذلك كله له وقوله ان الله هو الغني الحميد الغني بذاته لا يعجزه شيء او غني عمن استغنى عنه حميد قبل اهل ان يحمد
ويشكر بذاته وقيل حميد في فعاله وصنايعه ويكون الحميد بمعنى الحامد ويكون بمعنى المحمود والله اعلم وقوله ولو ان
ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله لا يحتمل ان يكون ذكر هذا الكلام ابتداء
من غير امر وسؤال او خطاب سبق من القوم حتى ذكر هذا الكتاب ما نعلم ما سبب ذلك وما قصته وما امره حتى انزل هذا
لكن ابن عباس رضي الله عنه يقول ان اليهود اعداء الله سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وما هو فنزل
قل الروح من امر ربي اي من علم ربي لا علم لي به وتلا قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي يسير في علم الله فلما قرأ عليهم
هذه الاية قالوا كيف يزعم هذا وانت تزعم انه من اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فقال
فنزل ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر فيكون كلها مدادا ويكتب بها علم الله لانكسرت
الاقلام ولنفد المداد ولم ينفد علم الله فيما اعطاكم من العلم كثير فيما عندكم الى هذا يذهب اكثرهم ولكن غير هذا كانه
اشبه بسبب نزوله وذكره وهو يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا في قوله لله ما في السموات والارض انه بلغ ملكه وسلطانه
ما لو صار ما ذكر من الاشجار كلها اقلاما والبحار كلها مدادا فكتب بها اسماء خلقه وملكه وسلطانه لنفد ذلك كله
ولم ينفد خلقه ولم يبلغوا غايته ذلك او ذكر هذا لهذا القران لقول كان من الكفرة في قلته وبغضه وصغر ما كتب
هو فيه ان يقولوا كيف يبع في هذا المقدار علم الكتب السالفة المتقدمة وهي اوقار وهي جزء
فيخبر والله اعلم انه جمع في هذا من المعاني والعلم والحكمة ما لو فسره وبين ما اودع فيه وضمنه ما لو جعل ما في الارض
من الاشجار اقلاما والبحار مدادا فكتب ما اودع فيه وضمنه لنفد ذلك كله ولم ينفد ما جمع فيه وضمنه هذا والله اعلم
يشبه ان يكون تاويله وسبب نزوله والله اعلم بذلك ان الله عزيز حكيم وقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال
بعضهم ذكر هذا لان نفرا من قريش قالوا للنبي ان الله خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة عظاما لحما ثم تزعم انا نبعث
خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة فقال الله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم ايها الناس جميعا على الله في القدرة الا
كبعث نفس واحدة انه الله سميع لقولهم الذي قالوا انا لا نبعث بصير بامر الخلق والبعث وجائز ان يكون قال
هذا لما قد اقروا ببعث نفس واحدة لما انتهى اليهم الاخبار مما كان في الامم السالفة من الاحياء بعد الممات وتواترت
على ذلك من ذلك قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكقولهم
حيث قالوا ارنا الله جهرة الاية وكقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وقوله فاماته الله مائة عام ثم بعثه مكانهم فاقروا
ببعث هؤلاء لما تواترت عليهم الاخبار بذلك وانكروا بعث سائرهم فقال ما خلقكم ولا بعثكم جميعا الا كبعث نفس واحدة
الاثنين لواحد في الكل كذلك او ان يذكر هذا لان الاسباب انما تختلف في الامور على الخلق وتعسر لخصال ثلث
اما العجز والجهل والشغل فاذا كان الله سبحانه وتعالى يتعالى عن ان يعجزه شيء او يخفى عليه شيء او يشغله شيء عن شيء
فما رخلق الكل عليه وبعث الكل كخلق نفس واحدة وكبعث نفس واحدة او ان يذكر لان الواحد والكل والقليل و
الكثير ما كان وما يكون تحت قوله كن فيكون معتبر يكن مترجم به من غير ان كان منه كاف او نون لكنه ذكر كن لانه
اوجز حرف في كلام العرب وافصح كلام يترجم به من غير ان كان منه كاف او نون والله اعلم وقوله ان الله سميع بصير كافر
قد كان من اولئك من قول او كلام في ذلك حتى قال سميع لذلك بصير عالم لذلك او بصير باحوال الخلق وباموره
وقوله الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر يذكرهم قدرته وسلطانه وعلمه
وتدبيره وفيه دلالة البعث اما قدرته لما ادخل الليل في النهار والنهار في الليل ثم حفظهما على حد واحد
وعلى ميزان واحد على غير تفاوت يقع في ذلك ولا تغير فيه قدر على ذلك لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء وكذلك
ما ذكر من تسخير الشمس والقمر وما يقطعان في يوم واحد وليلة واحدة مسيرة خمسمائة عام ما لا يتصور ذلك
في اوهام الخلق ولا في تقديرهم قطع ذلك المقدار من المسير في مثل تلك المدة ودل انشاء احدهما واحدا بعد
ما ذهب الاخر برمته وكليته حتى لا يبقى له اثر على انه قادر على الاحياء بعد الموت وبعد ما ذهب اثره ففي ذلك
دلائل من وجوه احدها ولا له قدرته حيث ادخل احدهما في الاخر وحفظهما كذلك على حد واحد وتقدير
واحد على غير تغيير وتفاوت يقع في ذلك دل ذلك على قدرته وعلمه وتدبيره ودل انشاء كل واحد منهما بعد
ما ذهب الاخر على القدرة على البعث وقوله كل يجري الى اجل مسمى الى الوقت الذي جعل له لا يتقدم ولا يتأخر
وان الله بما تعملون خبير ظاهرا وباطنا هذا وعيد ليكونوا ابدا خائفين حذرين متيقظين والله اعلم وقوله ذلك
بان الله هو الحق اي ذلك الذي ذكر من خلق الخلق وانشاء ما ذكر وتسخيره لمن ذلك وصنعه في الليل والنهار والشمس
والقمر وجميع ما ذكر هو صنع الاله الحق المستحق لتسميته الالوهية والعبادة وان ما تدعون من دونه من الاصنام
مبطلون غير مستحقين تسمية الالوهية والعبادة او هو الحق لانه هو الذي يسوق اليكم هذه النعم والمنافع وان

ما تدعون من دونه الباطل لا ينفعكم عبادتكم اياها وان الله هو العلي الكبير وقوله الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله
وقال في موضع اخر وجرين بهم بريح طيبة وقوله بريح طيبة هي النعمة التي ذلك في هذه الاية وقوله تجري في البحر
بنعمة الله يحتمل وجهين احدهما لما جعل لهم الفلك بحيث تجري على وجه الماء مع احمال ثقيلة ومن طبعها التسرب في الماء
والانحدار فيه فجعلها بحيث تستمسك على وجه الماء وتجري ليصلوا الى حوائجهم ومنافعهم في امكنة متباعدة
ممتنعة ما لولا السفن لم يصلوا الى ذلك بحال والثاني ما ذكر فيه من ريح طيبة التي بها يجري السفن في البحار وماؤها
راكد ساكن فيجعل تلك الريح الطيبة تعمل جريان الماء وسكونه وذلك نعمة والله اعلم وقوله ليريكم من اياته يحتمل
ايات وحدانيته وايات قدرته وسلطانه وايات نعمته اما ايات نعمه ما ذكروا ايات قدرته وسلطانه ما ذكر
انه من قدرته وسلطانه ان جعل الفلك والسفن في البحار بحيث تستمسك وتحتبس ولا تنحدر مع احمال ثقيلة
ومن طبع ذلك كله التسرب والانحدار وما ذكر من اجرائها بالريح الطيبة ولو كان فعل عدد لا فعل واحد
لكان يمنع عن جريتها دل انه تدبير واحد لا عدد وقوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وجائز ان يكون الصبار
هو المؤمن والشكور كذلك الصبر كناية عن الايمان والشكر كناية عن الايمان كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
ذكر الصبر مكان قوله امنوا لانه ذكر في اية اخرى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات والشكر كناية عن الايمان كقوله ان
تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم وقوله تشكروا اي تؤمنوا ويحتمل صبار على بلاياه
وشكور على نعمائه وجعل الايات لمن ذكر لانه هو المنتفع بها دون غيرهم او صبار فيما اصابهم في البحر من الشدائد والاهوال
وشكور فيما دفع عنهم وانجاهم من تلك الاهوال والله اعلم وقوله واذا غشيهم موج كالظلل قال بعضهم كالظلل
هو سواد من كثرة الماء ومعظمه وقيل يصير الموج كالظلة فوق السفينة وجائز ان يكون الظلل التي ذكر على التمثيل لا
على التحقيق كناية عن حيرتهم في الدين كقوله او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها وهو على المثال لا على التحقيق يخبر عن حيرتهم في الدين وتيههم فيه فما ذلك الاول
ثم يذكر اهل التأويل ان الاية في اهل الكفر كانوا يخلصون الدعاء لله والدين له عند ما اشتد بهم الخوف على الهلاك
عند معاينتهم الاهوال والشدائد في البحار لان اهل الاسلام يخلصون له الدعاء والدين في الاحوال كلها فهي فيهم وقوله
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قال بعضهم مقتصد اي حسن القول يلين كافر بقلبه وقال بعضهم فمنهم مقتصد اي
عدل اي بقي على الايمان والاخلاص الذي كان منه في تلك الاهوال منهم عدل الكفر وقال بعضهم فمنهم مقتصد الوسط
العدل وهو ما ذكرنا والله اعلم وقوله وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور قيل الختار الغدار وقال بعضهم الختار هو
بلغ في الغدر غايته ونهايته وقوله وان الله هو العلي الكبير العلي يتوجه وجهين احدهما العلو القهر والغلبة كقوله
ان فرعون علا في الارض اي غلب وقهر وقوله تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض فعلى
ذلك يشبه ان يكون قوله العلي اي القاهر الغالب والثاني ان يكون العلو الارتفاع فان كان الارتفاع فهو يرتفع
ويتعالى عن ان يحتمل ما يحتمل الخلق من التغير والزوال وغير ذلك مما يحتمل الخلق ارتفع وتعالى عن احتمال ما يحتمل
الخلق والكبير اي تكبر من ان يلحقه شيء مما يلحق الخلق والله اعلم وقوله يا ايها الناس اتقوا ربكم في الجهة الذي له
عليكم واوفوا له ذلك او اتقوا مخالفة ربكم ومعصيته او اتقوا نقمة ربكم وعذابه لكنه يختلف الامر بالاتقاء في
المؤمن والكافر فيكون للكافر اتقوا الشرك وعبادة غير الله وفي المؤمن اتقوا مخالفة الله في جميع ما امركم
ونهاكم واتقوا عبادة غير الله او الشرك في حادث الوقت وقوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود
هو جاز عن والده شيئا يذكر هذا على الاياس وقطع طمع بعضهم عن بعض بالوصلة التي كانت بينهم في الدنيا والمنافع التي
كان ينفع بعضهم بعضا في الدنيا يخبر ان ذلك كله منقطع في الاخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل بنفسه حتى
لا ينفع احد صاحبه وخصه ما ذكر من الولد لوالده والوالد لولده مما لا يحتمل قلب واحد منهما ان يلحق المكروه بالاخر
ولا يصبر ان لا يدفع ذلك عنه بكل ما به وسعه وطاقته للشفقة والمحبة التي جعلت فيهم ثم اخبر ان لا ينفع احدهما
صاحبه لاشتغاله بنفسه وعلى ذلك روي عن رسول الله عليه السلام انه قال كل نسب وسبب فهو منقطع الا نسبي و
سببي ونسبه دينه الذي دعانا اليه وعلمناه وسببه شفاعته يوم القيامة فذلك كله منقطع الا هذين فانه من تمسك
بدينه فانه يشفع يوم القيامة فيما قصر وفرط فاما من لم يقبل دينه ولم يجبه الى ما دعاه فانه ليس له واحد من هذين
من الاسباب والانساب منقطع كقوله وتقطعت بهم الاسباب وقال بعضهم قوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن
ولده قال هذه الاية في الكفار فاما المؤمنون فينفع الوالد ولده والولد والده في الاخرة يدفع الى ابنه بفضل عمله
وكذلك الولد الى ابيه كقوله اباؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا والله اعلم وقوله ان وعد الله حق فيما ذكر من الاياس
وقطع طمع بعضهم من بعض وما ذكر من قيام الساعة وكونها تكون لا محالة او في الثواب والعقاب وقوله فلا
تغرنكم الحيوة الدنيا هذا يحتمل وجهين على التحقيق والتمثيل اما التحقيق ان لا تشغلنكم الحيوة الدنيا ولذاتها ولا
تلهينكم عن ذكر الله وعن الاخرة ولا تغتروا بها فانها لعب ولهو على ما ذكر انها لعب ولهو على ما هي عندكم لا بما انشئت
انها انما انشئت وخلقت لها لا للاخرة فالدنيا على ما هي عندهم لعب ولهو واما على ما هي عند الله هو حق ليس بباطل
لانها انشئت للاخرة وبلغة اليها واما التمثيل انما في التغرير اليها لان ما كان منها من التزيين والتحسين في
الظاهر واظهار بهجتها وسرورها ولذاتها لو كان ممن له التمييز والعقل والفهم وحقيقة التزيين والتحسين

كان تقريرا فعلى ذلك ما كان منها على الظاهر فهو تقرير على التمثيل او ان يكون ما ذكر ان لا تغتروا بالحيوة الدنيا وما
فيها من لذاتها والله اعلم وقوله ولا يغرنكم بالله الغرور قيل الغرور الشيطان لا يغرنكم و يقول ان الله كريم رحيم جواد ولا يعذبكم
او يقول الله غنى قادر لا يأمركم بامر ولا ينهاكم اذا انما يأمر وينهى في الشاهد من كان محتاجا فاما الغنى فلا يأمر او نحوه
والله اعلم وقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام ذكر في بعض الاخبار عن ابن عمر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله وعد هذه الخمسة التي ذكرت في هذه الاية وكذلك
روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس لا يعلمهن الا الله قوله ان الله عنده علم الساعة الى اخر الاية
فان ثبت هذا فهو ما ذكر ويرجع ذلك الى معرفة حقيقة ما ذكروا لا فجائز ان يقال انه يعلم بعض هذه الاشياء باعلام من
نحو المطر انه متى يمطر او ما في الارحام انه ولد وانه ذكر او انثى وان لم يعلم ماهية ما في الارحام نحو ما يعلم المنجمة ذلك
بالحساب وباعلام يخرج ذلك على الصدق بما اخبروا ربما الا ترى ان ابرهيم صلوات الله عليه قال اني سقيم لما نظر في
النجوم اى ساسقم وروى ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال اني القى الى ان ذا بطن خارجة جارية وكان كما ذكر فلا
يحتمل ابو بكر يعلم ذلك لما القى اليه ورسول الله لا يعلم الا الساعة فانه لا يطلع عليها احدا الا ان يقال بان رسول الله لم
يؤذن له بالتكلم والقول لشيء الا من جهة الوحي من السماء فاما الاشتغال بمثله فلولا ان الاشتغال بمثله تضييع لكثير
مما امتحن وترك لبعض ما يؤمر وينهى او لما يخرج ذلك مخرج التطير والتفال واكتساب الرزق على غير الجهة التي جعل ولهم
لهم فكان المنع لذلك والله اعلم ثم قوله ان الله عنده علم الساعة يحتمل قوله علم الساعة اى لوقت الساعة كقوله
يسألونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو وقوله يسألونك عن الساعة ايان
مرسيها فيم انت من ذكريها الى ربك منتهاها اخبر انه يجليها لوقتها وذكر لرسول الله انما انت منذر من يخشيها
فاما ما سوى ذلك فليس اليك او ان يكون قوله ان الله عنده علم الساعة اى عنده علم بماهية الساعة اذ ذكر
الساعة واهوالها ولم يذكر ماهيتها وحدها وقدرها فاخبر انه يعلم هو ذلك وقوله وينزل الغيث سمي المطر غيثا
فليشبه ان يكون سماه غيثا لما به يكون للناس غياث فيما به قوام انفسهم ودنياهم وسماه في موضع رحمة وفي موضع
مباركا فلتسميته رحمة لما به نجاة انفسهم وابدانهم وذلك صورة الرحمة وسماه مباركا لما به ينمو ويزداد كل شيء
اذ البركة هي اسم كل خير ينمو ويزداد بلا اكتساب وقوله ويعلم ما في الارحام من انتقال النطفة الى العلقة وانتقال
العلقة الى المضغة وتحوله من حال الى حال الخواء وقدر زيادة ما فيه في كل وقت وفي كل ساعة ونحو ذلك لا يعلم
الا الله واما العلم بان فيه ولدا وانه ذكر او انثى فجائز ان يعلم ذلك غيره ايضا وقوله وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا وما تدري نفس باي ارض تموت جائز ان يكون كتم ذلك واخفاه ليكونوا في كل حال على حذر وخوف
وعلى يقظة اذ لو كان اطلعهم على ذلك لكانوا امنين الى ذلك الوقت فيعملون بكل ما يريدون ويشاؤن فيكون
في ذلك ارتفاع المحنة فلبس ذلك عليهم ليكونوا ابدا في كل وقت وكل حال على حذر وخوف ويقظة والله اعلم
ان الله عليم خبير وذكر بعض اهل التاويل ان رجلا من اهل البادية يقال له الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ارضنا اجدبت فمتى الغيث وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد وقد علمت
اني ولدت ففي اي ارض اموت وقد علمت ما عملت اليوم فماذا اعمل غدا ومتى الساعة فانزل الله تبارك
وتعالى في مسئلة المحاربي ان الله عنده علم الساعة لا يعلمها غيره وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر
او انثى وما تدري نفسي برة او فاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وما تدري نفس باي ارض تموت في سهل وجبل
او بر او بحر ان الله عليم خبير بهذا الذي ذكر كله فقال النبي ابن السائل عن الساعة فقال المحاربي ههنا فقرا النبي
صلوات الله عليه هذه الاية قال ابو عوسجة قوله كالظلل اى ما استظللت به والظلة السحاب قال القتبي كالظلل
جمع ظلة يريد ان بعضه فوق بعض فلله سواء من كثرته والجزر وظلال لا يواجه والختار الغدار والختر اقبح الغدر
واشده وقال ابو عوسجة الختار الكذاب الغدار ويقال ختر يختر خترا فهو ختار وقوله واتقوا يوما لا تجزى
اى لا تغني تقول جزى يجزي جزاء فهو جاز اى اغنى واجزى يجزي مثله واجزاني من كذا اى كفاني وكذلك
قال القتبي وقال الغرور بنصب الغين الشيطان والغرور بضم الغين الباطل والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم قد ذكرنا تاويله في صدر الكتاب وقوله تنزيل الكتاب
الكتاب المطلق كتاب الله والدين المطلق دين الله والسبيل المطلق والطريق المطلق سبيل الله وطريقه وقوله لا ريب
فيه انه منزل من الله لا نزل على ايدي الا مناء البررة لم يغيروه ولا خرقوه او يقول لا ريب فيه انه ليس
بمخترق ولا مخترع ولا مفترى من عند الرسول بل منزل من عند رب العالمين او لا ريب فيه لا شك على ما يقول
الناس لكل محكم من الامر مرهبتين والله اعلم من رب العالمين العالم هو اسم جنس من الخلق وجوهر منه والعالمين جمع
فيدخل في ذلك الاولون والاخرون الذين يكونون الى اخر ما يكونون فيبين انه يوصف جل وعلا انه رب لكل ما كان
ويكون ومالك ما كان وما يكون كقوله مالك يوم الدين اجرانه ما ذكر وهو بعد ما لم يكن اعني ذلك اليوم وقوله
ام يقولون افتريه قوله ام يقولون هو استفهام وشك في الظاهر لكنه من الله يخرج على تحقيق لزام وايجاب

سورة الم تنزيل السجدة
نزلت

او تحقيق نفي اذ لا يحتمل الاستفهام والسؤال كقوله ام للانسان ما تمنى كانه قال ليس للانسان ما تمنى فعلى ذلك
كانه قال ههنا بل يقولون افتريه مثل ما قالوا انه افتريه فقال بل هو الحق من ربك يحتمل قوله هو الحق من
ربك ليس بمخترع ولا مخترق ولا مفترى من محمد بل منزل من عند الله على ما ذكرنا في قوله لا ريب فيه من رب
العالمين او هو الحق من ربك ليس بكلام البشر ولا في وسعهم اتيان مثله فهو المحق منه لا يأتيه الباطل من بين
يديه الاية وقوله لتنذر قوما اى لتنذر بالكتاب الذي انزل قوما ما اتيهم من نذير من قبلك هذا يحتمل وجهين
احدهما على التحديد اى لتنذر قوما لم يأتهم نذير وهم اهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
والثاني لتنذر قوما الذين قد اتاهم من نذير من قبلك وهم اباؤهم واجدادهم الذين كانوا من قبله الذين قد
اتاهم نذير من قبل والله اعلم وقوله لعلهم يهتدون هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما لتنذر قوما لكي تلزمهم
بحجة الاهتداء والثاني لتنذر قوما على رجاء وطمع ان يهتدوا والله اعلم وقوله الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام هذا ايضا قد ذكرناه فيما تقدم وقوله ثم استوى على العرش وفي هذا ايضا
قد ذكرنا فيما تقدم تاويلات كثيرة لكنا نذكر فيه حرفا لم نذكر فيما تقدم من الذكر وكانه اصوب واقرب
الى الحق وهو ان ذلك حرف وكلام لم يجعل الله تعالى في العقول والافهام سبيل الادراك له والمعرفة اعني قوله ثم
استوى على العرش لانه ذكر ذلك الحرف في موضع اخر وامر ان يسأل به خبيرا حيث قال ثم استوى على العرش
الرحمن فاسأل به خبيرا ولو كان ذلك الحرف مما العقول البشرية فهامهم سبيل الوصول الى معرفته ودركه لا دركه
رسول رب العالمين وفهمه من غير ان يسأل به الخبير من كان الله او جبريل فاذا امر بالسؤال عنه دل
انه بالعقل والفهم لا يدرك ولا يعرفه ولكن بالسمع عن الله ولم يذكر عن الرسول انه فسر ذلك او قال فيه
او سأله احد عنه والله اعلم وقوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع يقول اهل التاويل ما لم يكن من دونه من ولي
ينفعكم في الاخرة ولا شفيع يدفع عنكم عذابه او ان يكون قوله ما لكم من دونه من ولي او رب واله يلي امركم سواه ولا
شفيع ولا يجعل لكم الاصنام التي تعبدونها شفعاء وانتم تقولون ذلك فكيف تعبدونها دونه او يذكر على الوعيد لهم
اى ليس لاولئك ولي ولا ناصر ولا شفيع لا هو ولا غيره واما للمؤمنين فانه وليهم كقوله ذلك بان الله مولى الذين
امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقوله افلا تتذكرون فيما ذكر من صنعه فتوحدونه والله اعلم وقوله يدبر
الامر من السماء الى الارض قال اهل التاويل يدبر الامر اى هو يقضي القضاء وحكم من السماء والارض وعندنا
انه يخرج على وجهين احدهما يدبر الامر اى هو يكون الامر ويدبره او يجعل الخلق بحيث يقبلون الامر والنهي
ويحتملون المحنة او هو يخرج الامر كله على الحكمة والتدبير والثاني يدبر الامر اى يولي من يدبر الامر من السماء الى الارض
نحو ما ولى ملك الموت قبض ارواح الخلق ونحوها وولى بعض ملائكته امر الامطار والنبات وغير ذلك فجائز ان يكون
الاول يولي ملائكته امر ما بين السماء والارض فان كان الاول فليس ذكر السماء والارض حدا ولا تقديرا يدبر ذلك
ولا يدبر ما سوى ذلك لكن ذكر هذا الى ذلك ينتهي تدبيرا للبشر وعلمهم واما ما سوى ذلك فلا وان كان
الثاني فهو على التحديد والله اعلم وقوله ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره قال بعض اهل التاويل ثم يعرج اليه يقول
يصعد الملك اليه في يوم واحد من ايام الدنيا كان مقدار ذلك اليوم الف سنة مما تعدون انه لا بين السماء والارض
مسيرة خمسمائة عام فينزل مسيرة خمسمائة عام ويصعد مسيرة خمسمائة عام وذلك مقدار مسيرة الف سنة في
يوم واحد من ايام الدنيا وذكر في موضع اخر خمسين الف سنة فجائز ان يكون ذلك وصف يوم القيامة فيخرج ذلك
لا على التحديد والتقدير ولكن على التعظيم لذلك اليوم والوصف له بما يعظم في قلوب الخلق وهو ما وصف
بالعظمة كقوله اليوم عظيم او ان يكون التحديد والتقدير ان كان حقيقة لاختلاف الامور يكون الف سنة
ذكر حال ووقت لامر وخمسين الف سنة بحال اخرى لامور اخر على ما سمى ذلك اليوم مرة يوم الجمع ومرة
يوم التفريق ويوم الفصل ويوم الحساب ويوم البعث ونحوه ومعلوم ان ذلك اليوم من اوله الى اخره ليس يوم
الجمع ولا يوم الافتراق ولا يوم الحساب ولا يوم البعث ولكن بجميع ذلك كله لاختلاف الاحوال والاوقات
لامور مختلفة فعلى ذلك يشبه ان يكون الاول وكذلك والله اعلم ويكون قوله ثم يعرج اليه اى يصير اليه ذلك
كقوله واليه المصير واليه ترجعون واليه يرجع الامر كله ونحوه وقوله ذلك اى هذا الذي صنع ما ذكر من هذه الاشياء
عالم الغيب والشهادة يحتمل هذا وجوها عالم ما غاب عن الخلق والشهادة وعالم ما يشهدون ويعلمون او عالم
ما يكون ويحدث والشهادة ما قد كان ومضى وعالم ما يغيب بعض والشهادة ما يشهدون ويظهرون او عالم
ما يغيب عن الخلق كيفية المنافع من الاشياء الظاهرة وماهيتها نحو ما غاب منهم المعنى المضمر المودع في الطعام
والشراب والاغذية جميعا الذي به حيوة انفسهم وقوامهم وكذلك السمع والبصر والفهم والعقل لا يدرك
المعنى الذي به يسمع ويبصر ويفهم ويدرك وما به تحيى انفسهم به والله اعلم وقوله العزيز الرحيم العزيز في هذا الموضع
المنتقم من اعدائه الرحيم على اوليائه او العزيز الذي لا يعجزه شيء الرحيم الذي رحمته يسع الخلائق في رحمته والعزيز
الذي به يعز من عز والرحيم الذي برحمته يرحم ومنهم من يقول في قوله في يوم كان مقداره الف سنة مما
تعدون وقوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال من منتهى امره فوق السموات مقدار ذلك خمسون الف
سنة ويوم كان مقداره الف سنة ذلك نزول الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد

فذلك مقداره الف سنة لكن قوله من منتهى امره من اسفل الارضين الى امره فوق السموات كذا فاسد لانه لا يجوز ان
يكون لامره والملكم بها نهاية وحد والوجه فيه ما ذكرنا وقوله الذي احسن كل شيء خلقه بالجزم والتحريك جميعا كلاهما لغتان
ثم يحتمل قوله احسن كل شيء اي علم كل شيء خلقه ان كيف يخلق من غير ان يعلمه احد او اما تعلمه احد وفي الشاهد لا يقدر
احد ولا يكن له صنع الاشياء بعلم يعلمه ذلك او بمثال يعلم على ذلك يخبر عن جهلهم وسفههم بتقديرهم قدرة الله وقوته
بقوى انفسهم وقدرتهم في انكارهم البعث لخروجه عن تقديرهم الخلق واخبارهم عن وسعهم يقول لا تقدروا قدرة
الله بقدرة انفسكم وقواكم كما لم تقدروا علمه بعلمكم اذ يعلم هو بذاته بلا معلم وانتم لا تعلمون الا بمعلم فعلى ذلك هو قادر
بذاته لا يعجزه شيء وانتم لا تقدرون الا بغير او بسبب ويحتمل هذا الوجه وجها اخر وهو اي قوله احسن كل شيء
من خلقه ما به مصالحهم وفسادهم وما يؤتى وما يتقى والثاني احسن كل شيء خلقه اي احكم كل شيء خلقه واتقنه ثم يخرج
هذا على وجهين احدهما اتقن واحكم فيما به من المصالح والمعاني وفي كل شيء من التسوية والتفرقة وفي الجمع والتصوير
والثاني احسن اي اتقن واحكم كل شيء خلقه في الشهادة على وحدانية الله والوهيته اي جعل في كل اثر وجعله شاهدا
يشهد على وحدانيته وربوبيته وقال بعضهم احسن كل شيء خلقه لم يخلق الانسان في خلق البهائم وصورتها ولا
البهائم في خلق الانسان وقتادة يقول كل شيء ومن قرأ خلقه بالتحريك اي احسن كل شيء منه وخلقه ثم للمعتزلة في هذه الاية
ان في تعلق يقولون اخبر انه احسن كل شيء خلقه والكفر والشتم رب العالمين ونحوه كله قبيح وسفه دل انه لم يخلقه
والملحدين يجاء لذلك يقال لهم اخوانكم الزنادقة بما رضوا لكم يقولون ان الخنزير والنجاسات وجميع السباع الضارة
والموذية وجميع الخبائث كلها قبيحة فالله ليس بخالقها فلم تدعون قولهم وسؤالهم في ذلك فان زعمتم في
الاول في الكفر والشتم وجميع فعل الشر واثم ليس بخلق له لانه قبيح ضار موذ يلزمكم مذهب الزنادقة فيما يقولون
ويذكرون في اثبات خالق سواه لانه قبيح ضار موذ ويقال لهم ان الله جل وعلا سمى ابليس باطلا فهو الذي لم
يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ثم يقال لهم انا نقول انه خلق فعل الكفر من الكفرة قبيحا وخلق فعل
الكفر والشتم من الشرير والشاتم قبيحا خلق فعل الشر على ما عرفه فلا عيب بالحق في جعل ما هو قبيح قبيحا لكن يعلم الكفر لبعلمه
قبيحا على ما هو وكذلك جميع الشرور فعلى ذلك ليس في خلق ما هو قبيح في نفسه قبيحا عيب على ما لم يكن في تكلف مع
القبيح ليعرف قبيحا على ما هو حقيقة عيب هذا اذا كان التاويل على ما يذهبون هو اليه فاما اذا كان ما ذكرنا في
قوله احسن اي علم او احكم وليس يدخل في ذلك الشيء مما ذكروا والله اعلم وقوله وبدأ خلق الانسان من طين
قال ما تنتهم يعني ادم وقوله ثم جعل نسله اي نسل ادم ثم سواه ونفخ فيه من روحه اي ادم وقال بعضهم لا ولكن
ذلك نعت ولده وذريته لانه الا تصوير في خلق ولده في الارحام في ثلاث ظلمات من النطفة انه لم يكن اكثر من
خلق ادم من طين لا تكون اقل لان صنع الاشياء الظاهرة البادية وتسويتها في الشاهد ايسر واهون من تسويتها
وتسويتها اذا كانت غائبة مستكنة وظاهره ان يكون قوله وبدأ خلق الانسان من طين ادم ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين ذريته لان النسل هو الولد والذرية وقوله من سلالة قال بعضهم السلالة هو الصفوة
من الماء والخالص من كل شيء وقال بعضهم السلالة هي من السل سل السيف اي اخرجه ونزعه فعلى ذلك قوله من سلالة من
ماء اي استخرج من الظهر وسل منه ونزع والمهين هو الضعيف يقال منه فهو مهين مهانة فهو مهين وهو قول ابي
عوسجة والقتبي وقوله ثم سواه اي جمعه وقومه وركب بعضه ببعض ونفخ فيه من روحه وهو من الريح
وبالنفخ تتفرق في الجسد لذلك ذكر والله اعلم وقوله ثم سواه يحتمل ما ذكرنا من تركيب الجوارح والاعضاء او سواه
وجعله بحيث يحتمل المحنة والامر والنهي ونفخ فيه من روحه اي جعل فيه الروح وذكر النفخ لما ذكرنا على تحقيق النفخ
فيه والله اعلم وقوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ذكر جل وعلا جميع ما يوصل الى العلوم الغائبة والحاضرة
جميعا ويدرك ويوجد السبيل اليها وهو السمع والبصر والقلب في الانسان لانه بالسمع يوصل الى ما غاب عنهم من
يسمعون ما عند غيرهم وكذلك بالبصر يرى ويبصر ما عند غيره وبالقلب يفهم ويحفظ ويميز بين ما يؤتى ويتقى
يبين انه قد اعطاهم ما به يدركون يصلون الى ما غاب عنهم ويفهمون ويميزون وهو ما ذكر من الحواس ثم قال قليلا ما تشكرون
قال اهل التاويل قوله قليلا ما تشكرون اي لا تشكرون قط لانهم يقولون انما خاطب به اهل مكة او ان يقال انهم
يشكرون قليلا لكنهم يفسدون وينقضون ما يشكرون بكفرانهم من بعد واما اهل الاسلام وان كان شكرهم لما ذكر
من هذه الحواس قليلا فانهم قد اعتقدوا في اصل العقد الشكر له في جميع نعمه والكافر اعتقد الكفران له والا يجيء ان
يكون قوله قليلا ما تشكرون للمؤمنين ولهم يقال ذلك لا للكفرة والله اعلم وقوله وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا
لفي خلق جديد هذا القول منهم في الظاهر يخرج على الاستفهام والسؤال أئنا نبعث ونخلق خلقا جديدا وعلى الايجاب
والتحقيق انا نبعث لا محالة فلا يلحقهم بذلك لائمة ولا تعيير لو كان على ظاهر المخرج منهم لكنهم انما قالوا ذلك استهزاء
وانكارا للبعث ويدله ما قال على اثره بل هم بلقاء ربهم كافرون والا ظاهر ذلك القول منهم على هذا الوجهين اللذين
ذكرناهما استفهاما او ايجابا او هو ما اخبر عن المنافقين حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
هذا القول منهم حق وصدق لكنهم لما اضمروا خلافه في ذلك لم ينفع ذلك لهم حيث قال والله يشهد انهم لكاذبون
فعلى ذلك القول منهم في الظاهر ما ذكرنا لكنهم انما قالوا ذلك استهزاء وانكارا للبعث وجحودا وقوله قل يتوفاكم
ملك الموت الذي وكل بكم هذا الحرف في الظاهر ليس هو بصلة للاول لانه انما يقال عن سؤال سابق في

توفي خلق

توفي الخلق وقبض ارواحهم انه من فيقال عند ذلك يتوفيكم ملك الموت وجائز ان يكون على الصلة بالاول لانهم
انكروا البعث واحياءهم اياهم من التراب لما لا يرون لله القدرة على ذلك فيذكر انه مكن واقدر عبدا من عبيده على قبض
ارواح جميع الخلائق من المشرق الى المغرب من غير ان يعلمه احد انه كيف يقبض وكيف يمكن له ذلك فيخبر ان من قدر على
هذا لا يعجز عن احياء الخلق بعد ما صاروا ترابا ورمادا بل قادر على ما يشاء كيف شاء متى شاء لا يعجزه شيء ولا يخفى
عليه شيء ثم قوله يتوفيكم يحتمل من توفي العدد يجعلهم وفاء لعددها كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا وجائز
ان يكون التوفي من الاستيفاء ووفاء التمام اي يستوفي الروح كله حتى لا يبقى في الجسد منه شيء ثم في الاية دلالة
خلق افعال العباد لانه اخبر ان ملك الموت يتوفيهم ويميتهم وقد اخبر انه خلق الموت والحيوة فدل ان جميع ما يفعل
العباد هو خلق الله وقال القتبي ضللنا في الارض اي بطلنا وصرنا ترابا وقال غيره هلكنا وقال ابو عوسجة ضللنا
بالضاد اذا صرنا في القبور وبلينا فيها ويقال ضللنا بالكسر من الضلال ويقال ضللت شيئا كذا اذا لم تدر اين ذهب ويقال
صللنا بالصاد وهو من صل اللحم اي انتن وقوله يعرج اليه اي يصعد في قول القتبي وابي عوسجة ويعرج اي احبس نسله
اي ولده وقالوا السلالة الخالص من كل شيء وقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم يقول والله اعلم
لو ترى يا محمد ما نزل بالمجرمين يومئذ من العذاب وقيامهم فيه من الحال الشديدة والهوان بالتكذيب الذي كان منهم
واساءتهم البلاء لرحمتهم ولم تتكلف مكافاة اساءتهم وتكذيبهم لعظم ما نزل من العذاب والشدائد ناكسوا رؤوسهم عند
ربهم ندامة وحسرة وحزنا على ما كان منهم على مثل هذا يخرج التاويل والا فليس في ظاهر الاية جواب قوله ولو ترى
اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم لجواب ما ذكرنا او نحوه والله اعلم وقوله ربنا ابصرنا وسمعنا هذا يخرج على وجهين
احدهما قوله ابصرنا بالحجج والبراهين عيانا بعد ما كنا بصرناها في الاولى بالادلة وسمعنا اي قبلنا واجبنا فارجعنا
الى الاولى والمحنة نعمل صالحا انا موقنون والثاني ربنا ابصرنا صدق الرسل وايقنا بما وعدونا واوعدونا في الدنيا
وسمعنا سماع ايقان وعيان فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون والله اعلم وقوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها
اي لو شئنا لاتينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم الاختيار لذلك لاهتدوا ولكن لم نعطهم ذلك
اللطف لما لم يعلم منهم كون ذلك الاختيار وعلى قول المعتزلة شاء ان يعطي كل نفس ما به اهتدت وقد اعطاها
لكنها لم تهتد فقولهم مخالف للاية لانهم يقولون شاء ان يهتدي كل نفس واتى كل نفس ما به تهتدي لكنها لم تهتد ولكنهم
يقولون ان المشية ههنا مشية الجبر والقسر فيقال لهم زعمتم انه قد شاء ان يهتدوا واتاهم ما به يهتدون فلم يهتدوا ولم
تنفذ مشيته فاني يقدر ويملك ان يشاء مشية تقهرهم ويجبرهم حتى يهتدوا وكيف يؤمن على ذلك فذلك بعيد على قولكم
فيقال لهم ايضا ان الايمان والتوحيد في حال القهر والقسر لا يكون ايمانا لان القهر والجبر يرفع الفعل عن فاعله
ويحوله عنه فكيف يصح تاويلكم على هذا وقوله ولكن حق القول مني لاملأن جهنم اي لكن وجب القول مني بما علمت انه
يكون منهم ويحدث ما يستوجبون به جهنم وهو ما علم منهم انهم يختارون الرد والتكذيب وقوله لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين في هذه الاية دلالة انه قد عصم ملاء كثيرا عن عمل ما يستوجبون به جهنم بعد قوله
ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم حيث خص الجن والانس فيما يملا بهما جهنم فان قيل انه قال في اية اخرى
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة قيل هم اصحاب النار في تعذيب غيرهم وليسوا هم باصحابها فيما ينتهي اليهم العذاب
والله ان يجعل ويمتحن من شاء على تعذيب من شاء والله اعلم وقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا النسيان الذي ذكر
منهم ليس هو نسيان غفلة وسهو لانه لا كلفة تلزم في حال السهو والغفلة ثم هو يخرج على وجهين احدهما
تضييع وترك تصديق الرسل بما وعدوهم به وتكذيبهم ورد الحجج والايات لذلك والثاني نسيتم اي جعلتم ذلك كالمنسي
المتروك الذي لا يكترث اليه والثاني انا نسيناكم اي نجزيكم جزاء نسيانكم وتركتكم اي نجعلكم المنسي من رحمته وفضله
لا يكترث ولا يعبأ بكم كما جعلتم انتم اياته وحججه وما دعوكم اليه كالمنسي المتروك الذي لا يكترث اليه والثاني
ونضيعكم ويجوز تسمية الجزاء باسم اصله واوله وان لم يكن الثاني في الحقيقة سيئة ولا اعتداء فعلى ذلك الاول
والله اعلم وقوله وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اي ذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون وتعتقدون المذهب
للخلود والابد لان كل ذي مذهب ودين انما يعتقدون المذهب ويختاره للابد فعلى ذلك جعل تعذيبهم
في النار للابد واما من يرتكب المأثم والزلات من المؤمنين فانما يرتكب عند شدة الحاجة وغلبة الشهوة
في وقت ارتكاب لا للابد لذلك افترقا وقوله انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا لله حقيقة
ثم يحتمل خروا سجدا حقيقة السجود عند تلاوة الايات التي فيها ذكر السجود والثاني يكون ذكر خرور الوجه
والسجود كناية عن الخضوع لها والانقياد والاستسلام والقبول لها فاحدهما على حقيقة السجود عند تذكير الايات
لهم والتلاوة عليهم والثاني على الكناية عن القبول لها والاستسلام لانه ليس من ذي مذهب من اهل الكفر من عبدة
الاوثان وغيرهم الا وهو يدعي الايمان بالله وباياته ويزعم ان الذي هو عليه هو الايمان به والمؤتمر بامره الا ترى
انه كيف اخبر عنهم حيث قال واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها كانوا يدعون في جميع ما
يعملون ان الله تعالى امرهم بذلك وانهم مؤمنون به مؤتمرون بامره فاخبر انه انما يتحقق الايمان بالله وبالايات
الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا اولئك الذين يدعون ذلك وليسوا كذلك وقوله وسبحوا بحمد ربهم التسبيح
هو تنزيه الرب وتبريه عن جميع ما قالت الملاحدة فيه ونسبوه اليه مما لا يليق به يقول سبحوا بحمد ربهم اي

ذكروه بمحاسنه ومحامده ويبرؤوه وينزهوه عن جميع ما وصفه اولئك ونسبوه اليه هذا والله اعلم هو التسبيح بحمده وقوله وهو لا يتكبرون لا واحد يخطر بباله ان يتكبر على الله او على امره ولكن كانوا يستكبرون على رسله لما لا يرونهم اهلا لذلك وان يكونوا يستكبرون على ما يدعون اليه ولا يجيبون لذلك وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روي عن انس بن مالك رضي الله عنه انها نزلت في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن اختلفت فيه الروايات وفي بعضها انها نزلت في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعملون بالنهار فاذا جن عليهم الليل اضطجعوا بين المغرب والعشاء فناموا فلما نزل هذا اجتنبوا عن ذلك وذكر عنه انهم كانوا يصلون بين المغرب والعشاء فنزلت الاية فيهم فان كان هذا فنزول الاية لذلك يخرج مخرج المدح لهم والثناء الحسن وان كان الاول فهو على النهي والتوبيخ لذلك ثم اختلف اهل التاويل في تاويلها قال بعضهم هو التيقظ والصلوة فيما بين المغرب والعشاء الاخرة ومنهم من يقول هو التجافي عن المضاجع لصلوة العشاء والفجر يصليهما ومنهم من يقول يتجافى جنوبهم يذكر الله كلما استيقظوا ذكروا الله اما صلوة واما قياما واما قعودا لا يزالون يذكرون الله ومنهم من يقول يتجافى جنوبهم عن المضاجع قيام الليل والصلوة فيه وهذا اشبه التاويلات لانه قال عن المضاجع والتجافي عن المضاجع انما يكون في وقت الذي يضطجع فيه وفيه يقع المدح والثناء الحسن لانه وقت الغفلة والنوم فيه واما سائر الاوقات ليس كذلك والله اعلم وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا يحتمل قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا اي يعبدون ربهم ويحتمل حقيقة الدعاء ثم قوله خوفا وطمعا قال بعضهم خوفا من عذاب الله وطمعا في رحمته او ان يكون قوله خوفا اي يخافون التقصير في العبادة وطمعا اي يطمعون احسانه واحسانه لعفوه التجاوز وهكذا عمل المؤمن من بين الخوف والطمع يخاف التقصير فيه ويطمع احسانه ذكر عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع امنين فاذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة واذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة ثم قرا قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا الاية وقوله ومما رزقناهم ينفقون يحتمل الزكوة المفروضة ويحتمل ينفقون صدقة التطوع وجائز ان يكون قوله ومما رزقناهم من القوى والاسباب السليمة ينفقون اي يعملون والله اعلم وقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا اعلى النعيم انما الامثال لما احسنت وعاينت وشاهدت فاما العقل فانه جائز ان يعلم ويخطر ما لم ير ولم يحس ولم يرله مثال والله اعلم وعلى قول المعتزلة يدعون ربهم امنا وابدا لا على الخوف والطمع على ما ذكر لانهم لا يخلوا اما ان يكونوا اصحاب الصغائر واصحاب الكبائر فان كانوا اصحاب الصغائر فهم امنوا على قولهم لانه لا يسع له ان يعذب على الصغيرة على قولهم واصحاب الكبائر فهم ايسون من رحمته اذ لا يسع ان يغفر على قولهم فقولهم يخالف الظاهر الاية قال ابو عوسجة يتجافى جنوبهم اي لا يضعونها بالارض يقال تجافى جنبي اذا لم يضطجع ولم ينم وجافيت جنبي اي لم الزق بالارض وقال القتبي تتجافى اي ترتفع عن الارض وتزل من النزول والنزل ما يجعل للرجل باكله وينفقه وقوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ان اهل التاويل يقولون نزلت الاية في شان علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة ابن ابي معيط كان بينه وبين علي رضي الله عنه كلام وتنازع حتى قال له علي انك فاسق وانا مؤمن فنزلت الاية فيهم لكن الاية في جميع المؤمنين والفاسقين يخبر ان ليس بينهم استواء ثم جائز ان يكون في ذكر هذا ونزل لقول كان من اولئك الكفرة الفسقة المؤمنين ان منزلتنا ومنزلتكم وقدرنا في الاخرة عند الله سواء فنزلت الاية لذلك انهما ليسا سواء فبين منزلة المؤمن عند الله وقدره وما ذكر من الثواب له والكرامة ومنزلة الفاسق ما ذكر من الخلود في النار ابدا كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية او يذكر ذلك على الابتداء انكم تعرفون في عقولكم ان ليس المؤمن المصدق في الشاهد في المنزلة والقدر عنده كالخارج عن امره وكالمكذب له فكيف تطمعون الاستواء عند الله وانتم الفسقة الخارجون عن امر الله واولئك هم المصدقون له والله اعلم بذلك ثم الخوارج والمعتزلة يقولون لو كان الفاسق مؤمنا على ما تقولون لم يكن لما ذكر معنى فدل ان الفاسق لا يكون مؤمنا حيث ذكر انهما لا يستويان وبان زوال المؤمن ماواه في الجنة والخلود له فيها والفاسق مقامه في النار خالدين فيها على ما ذكر فلو كان على ما تقولون لكانا يستويان او كلام نحو هذا فيقال لهم انا وانتم نتفق ان هذا الفاسق المذكور في الاية ليس بمؤمن وانه لا يستوي المؤمن لانه ذكر الفسق مقابل الايمان دليله اخر الاية حيث قال ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ذكر التكذيب والتكذيب هو مقابل الايمان والتصديق وكل فسق كان مذكورا مقابل الايمان فهو كفر وتكذيب هو لا يكون مؤمنا ولكن ما تقول فسقا ذكر لا مقابل الايمان ولكن مقابل غيره من العصيان والمساوي ويكون هذا الوعيد الذي ذكر في هذا الا يرى انه السؤال الذكور مقابل الايمان كفر كقوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء فعلى ذلك الفسق المذكور مقابل الايمان كفر لا يقع فيه استواء بحال واما الفسق المذكور لا مقابل الايمان فجائز ان يقع فيهما استواء وهو ان يغفر له ذنبه ويكفر منه سيئة ويدخل الجنة حيث قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال في اية اخرى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وقال في اية اخرى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا الاية فهو في مشية الله ان شاء عذبه وان شاء تجاوز عنه واصحاب الحديث يقولون ان جميع الطاعات ايمان بهذه الاية لانه

قال

قال لمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ثم فسر ذلك المؤمن فقال اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى وعدهم الجنات بالايمان وعمل الصالحات فيقال ان الوعد المطلق هو لمن امن وعمل الصالحات فاما من امن ولم يعمل من الصالحات شيئا لانا نقول بان له ذلك الوعد المطلق ولكن له الوعد الذي ذكرنا في الاية دلالة ان قد يعمل المؤمن غير الصالحات وهو مؤمن لانه لو لم يكن منه غير عمل الصالحات لم يكن لشرط العمل الصالح له معنى دل ان يكون من المؤمن غير العمل الصالح وذلك على المعتزلة والخوارج ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اختلف في العذاب الادنى قال بعضهم هو القتل يوم بدر ومنهم من يقول هو الجوع في السنين التي كانت لهم فيها والضيق والشدة ومنهم من يقول هو المصائب التي تصيبهم وامثال ذلك كثيرة لكن ذلك العذاب ليس هو عذاب الكفر لان عذاب الكفر يكون في الاخرة ابدا دائما وزوال ولا انقطاع فاما عذاب الدنيا لهم عذاب عنادهم وما يكون منهم من الجنايات في حال كفرهم يعذبون في الدنيا ليذكرهم ذلك العذاب في الاخرة العذاب الدائم لينتهيهم عما به يعذبون في الدنيا عن عذاب الاخرة وكذلك ما اعطي لهم من اللذات والنعيم في الدنيا وان كان منقطعا ليذكرهم ذلك النعيم وتلك اللذات لذات الاخرة ونعيمها الدائمة ولذلك رغب الله خلقها الى طلب الاخرة واخبار لهم فيها من اللذات كثيرا في غير اي من القران حيث قال وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين الاية ونحوه كثير والعذاب الاكبر هو عذاب الاخرة وهو عذاب الكفر والتكذيب وقوله لعلهم يرجعون لكي يلزمهم حجة الرجوع عما هم فيه من التكذيب لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين والله اعلم وقوله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها قوله ومن اظلم اي احد اظلم ممن ذكر بايات ربه ووقع له المعرفة والعلم انها ايات ربه ثم اعرض عنها بعد ما عرفها وعلم بها ليس احد اظلم من ذلك الذي كذبها بعد ما ذكرنا انهم يذكرون ليقع لهم بانها اياته ثم يحتمل ايات وحدانيته وايات الرسالة او ايات البعث او ايات القران والله اعلم وقوله انا من المجرمين منتقمون جرمهم ههنا جرم كفر ينتقم منهم انتقام الكفر والتكذيب وقوله ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه اي من ان تلقاه يوم القيمة وقال بعضهم فلا تكن في مرية من لقاء موسى التورية فان الله لقى الكتاب عليه اي التورية حقا فلقيها عيانا وقال بعضهم فلا تكن في مرية من لقائه ليلة اسري به قد روي مثل هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اسري واعرج الى السماء فقال له موسى كذا وكذا اشياء ذكرت في امر الصلوات وغيره فلا ندري اثبت ذلك ام لا ان ثبت كيف كان ذلك انرا وحيله فقال ما ذكروا اي ذلك في المنام ورؤيا الانبياء حق او كيف كان لامر الله والله اعلم وقوله وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال بعضهم جعلنا موسى هدى لبني اسرائيل يجعل الهاء كناية عن موسى وقال بعضهم وجعلناه اي الكتاب الذي اوتي موسى هدى لبني اسرائيل ثم يحتمل قوله هدى لبني اسرائيل وجهين احدهما البيان اي جعلناه بيانا لهم يبين ما لهم وما عليهم وما لله عليهم والثاني هدى لبني اسرائيل وجهين احدهما البيان اي جعلناه بيانا لهم يبين ما لهم وما عليهم والثاني هدى لبني اسرائيل اي دعاء لبني اسرائيل يدعون الخلق به الى توحيد الله وانه هيبة الهدى المضاف الى الخلق يخرج على هذين الوجهين على البيان والدعاء والهدى المضاف الى الله يخرج على وجوه اربعة على البيان وعلى الدعاء الذي ذكرنا ايضا وعلى وجهين اخرين احدهما التوفيق والمعونة والثاني على خلق فعل الاهتداء منهم على هذه الوجوه الاربعة يخرج اضافة الهدى الى الله والى الخلق على الوجهين اللذين ذكرناهما فان قيل كيف خص موسى انه جعله هدى لمن ذكر وذلك قد يكون في غيره وهو ما جعل في خلقهم كل احد شهادة وحدانيته والوهيته قيل ذلك انما يدرك بالنظر والتفكر واما فيما ذكر يدرك بالبديهة والله اعلم وقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا اي قادة في الخير يحتمل قوله يهدون بامرنا اي يدعون الناس بما امرهم وهو التوحيد ويهدون اي يبينون لهم بالذي امرنا ما لهم وعليهم وقوله لما صبروا قال بعضهم اي بما صبروا على البلاء وتعذيب فرعون اياهم واذاهم اي امنوا ودعوا غيرهم الى ذلك على الخوف كقوله فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم الاية وقال بعضهم لما صبروا على الطاعات وقد قرى لما صبروا بالتشديد ومعناه والله اعلم اي انما يهدون لما كان منهم الصبر على ذلك اي بالصبر الذي كان منهم هدوا اولئك وقوله وكانوا باياتنا يوقنون انها من الله وانها اياته وقال بعضهم لما صبروا اي لم يركنوا الى الدنيا ولا اشتغلوا بها ولكن صبروا على امروا وكلفوا والله اعلم وقوله ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ان اهل الاديان جميعا والمذاهب على اختلاف اديانهم ومذاهبهم اتفقوا ان الدين الذي جاء من الله واحد وان الدين الذي امر الله ان يدينوا به واحد لكن كل منهم ادعى ان الذي هو عليه دين الله وانه الامر به من الله وقع علما بدينهم به وغيره على باطل على غير دين الله الذي امر بالدينونة به ولذلك قالوا واذا فعلوا فاحشة الاية فاخبر انه يفصل بينهم ويبين الدين الذي امر ان يدينوا به في الدنيا بيان الاحتجاج عليهم والاية فقد بان لهم واظهر الدين الذي امرهم ان يدينوا به بالحجج والايات وعرفوه ذلك لكنهم كابروا وعاندوا وكتموا ذلك ولبسوا على الناس والاتباع فيبين ما كتموا في الدنيا ولبسوا في الاخرة فيظهر عنادهم ومكابرتهم احتجاجا عليهم وان كان الحق قد بان لهم وظهر في الدنيا هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويلا الاية وقوله اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون

في مساكنهم يقول والله اعلم اولم يتبين لاهل مكة ولم يكفهم من الهداية والبيان ما اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم فيرون ما حل بهم ومن هلك ومن نجا منهم فيقع الاعتبار لهم بمن ذكر من وجهين احدهما زعموا ان اباءهم عليه وانهم يقلدونهم في ذلك وانهم امروا بذلك فيخبر انكم اولاد من نجا منهم لا اولاد من اهلكوا لانهم استوصلوا فلا يحتمل ان تكونوا اولاد من استوصلوا فدل انهم اولاد من نجا منهم المصدق لا المكذب فيخبر اذ كيف لا اتبعتم اباءكم الذين نجوا منهم وهم المصدقون دون الذين اهلكوا بالتكذيب والعناد والثاني يعتبرون فيعلمون ان اهلاكهم واستيصالهم كان للتكذيب والعناد مع الرسل والخلاف لهم فيمنعهم ما حل بهم بالتكذيب رسول الله وخلاف لهم اباه وقوله ان في ذلك لايات افلا يسمعون قال بعضهم افلا يبصرون ذلك حيث يمشون في مساكن اولئك ويمرون فيها قال بعضهم افلا يسمعون ما يحدث لهم عن اولئك وما حل بهم وبم نزل ذلك بهم وقال بعضهم افلا يسمعون افلا يعقلون لماذا اهلكوا واستوصلوا فيمتنعون عن ذلك كقوله وقال بعضهم افلا يسمعون الوعيد الذي اوعدهم وقيل افلا يسمعون التوحيد والله اعلم وقوله اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا الى اخر ما ذكر هذه الاية ذكرت في الاحتجاج عليهم لانكارهم نزول العذاب بالتكذيب والخلاف للرسل فيخبرهم ان من قدر على سوق الماء الى الارض الميتة اليابسة واحيائها لقادر على احيائكم بعد الموت اذ لا عجز والقدرة في احياء الارض الميتة اليابسة ان لم يكن اكثر فلا تكون دون ما انكروا فكيف انكرتم القدرة على احياء الموتى وقد عاينتم ما هو اكثر ومثله والارض الجرز قال ابو عوسجة هي التي لا تنبت فيها وارضون اجراز وارض اجراز وكذلك قال القتبي الارض الجرز اليابسة التي لا نبت فيها وجمعها اجراز ويقال سنون اجراز اذا كانت سني جدب وقال بعضهم الارض الجرز التي تاكل نباتها اي تخترق فيها يقال امراة جرزاء اذا كانت اكولة وكلام نحوه تاكل منها من الزرع الذي ذكر لم تخرج من الارض اليابسة بالماء انعامهم وانفسهم افلا تبصرون قدرته في اخراج ما ذكر مما فيه غذاؤكم وغذاء ما سخر لكم من الانعام او يذكر نعمه يقول افلا تبصرون نعمه فكيف تكفرونه وتعبدون غيره وتصرفون الشكر الى غيره وذكر عن عمر رضي الله عنه انه قال الارض الجرز التي لا نبات فيها وقوله ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قال بعضهم ان اصحاب رسول الله كانوا يقولون ويتحدثون ان لنا يوما اوشك ان نستريح فيه وننعم فيه يعنون يوم القيمة فقال كفار مكة متى هذا الفتح وهو القضاء ان كنتم صادقين بانه كائن فان كان البعث والقيامة حقا صدقنا يومئذ وامنا فانزل الله تعالى قل يا محمد لهم يوم الفتح يوم القضاء لا ينفع الذين كفروا ايمانهم بالبعث لقولهم لو كان البعث الذي يقولون حقا صدقناه يومئذ ولا هم ينظرون يقول لا يناظرهم بالعذاب حين يعذبون وقال بعضهم ان اصحاب رسول الله كانوا يتذاكرون وهم بمكة فتح مكة لهم فكان ناس من اهل مكة اذا سمعوا ذلك منهم هزؤا بهم وسخروا وقالوا لهم متى فتحكم الذي تزعمون فنزل ويقولون متى هذا الفتح يا اصحاب محمد ان كنتم صادقين انها تفتح عليكم لكن هذا بعيد لانه يقول على اثره قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ولا هم ينظرون ولو كان فتح مكة لكان ينفعهم ايمانهم ولهم نظرة وانظار دل انه يبعد صرفه الى فتح مكة والاول اشبه ان يكون لما ذكر من ترك قبول الايمان والانظار في الدنيا بعد ذلك كله فظهر ان الاول اشبه كان السؤال عن الساعة او عن المحاكمة لانه ان يثبت ما ذكر في الخبر انه لما فتح مكة اقام النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ذلك اليوم وانهزم المشركون فخرجوا من مكة واقام بها فامنه النبي صلى الله عليه وسلم فادلج خالد بن الوليد تلك الليلة دلجة في سبعمائة رجل ومعه ابو قتادة الانصاري فاسروا في اسفل مكة حتى سقطوا من وراء الحرم فوجدوا الذين كانوا يهزؤن باصحاب محمد ويقولون متى فتحكم هذا فوق جبل قد تحصنوا فيه فلما راوا خالد بن الوليد قالوا هذا خالد بن الوليد واخته وقد كان بينه وبينهم في الجاهلية اخته فقال لهم خالد بن الوليد ما لكم قالوا قد اسلمنا قال ان كنتم قد اسلمتم فانزلوا فنظر بعضهم الى بعض فقال رجل منهم اطيعوني ولا تنزلوا اليه فوالله لئن نزلتم اليه ليقتلنكم انه لخالد بن الوليد واخته قالوا والله ما علينا سبيل لقد اسلمنا ثم نزلوا ووضع عليهم خالد بن الوليد السلاح واعتزل ابو قتادة فقال معاذ الله ان اعين على شيء مما ههنا فبلغ ذلك النبي فبعث اليهم علي بن ابي طالب بالدية من غنائم خيبر فوداهم اليه بالدية حتى بعث اليهم بروعة الحبل حين داعوهم وما في الكلاب كانوا كسروها فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء لهم فذلك قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم يا محمد اي مدة لهم وانتظرهم العذاب اي القتل وهلاكهم انهم منتظرون هلاككم وقال بعضهم فاعرض عنهم الى ذلك اليوم وانتظرهم فتح مكة انهم منتظرون هلاككم او ان يكون قوله فاعرض عنهم اي لا تكافهم لاذاهم اياك وانتظر كما انتظروا اباهم انهم منتظرون

ذلك والله اعلم

سورة الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين جائز ان يكون ظاهر الخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو للناس عامة لان الاية اتى ذكر على اثره واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا خاطب به الجماعة وقد خاطب رسوله في غيرها من القران والمراد به غيره فعلى ذلك جائز ان يكون هذا كذلك ويشبه ان يكون المراد بالخطاب ايضا خاصة لكن ان كان ما خاطب به مما يشترك فيه غيره دخل في ذلك الخطاب وفي ذلك النهي وان كان مما ينفرد به من نحو تبليغ الرسالة اليهم وما تضمنته الرسل وان خاف على نفسه القتل والهلاك فان عليه ذلك لا محالة كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية واما اهل التاويل فقد اختلفوا فيه قال بعضهم نزلت الاية وذلك ان نفرا من اهل مكة ابو سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابو الاعور السلمي وهؤلاء قدموا المدينة فدخلوا على عبد الله بن ابي راس المنافقين بعد قتل احد وقد اعطاهم النبي الامان على ان يكلموه فقالوا للنبي وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومنات وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وفيهم نزل ودع اذاهم وتوكل على الله وفي بعض الروايات قالوا ذلك وعنده عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ائذن لي يا رسول الله في قتلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فان كان على هذا فالنهي عن نقض العهد والامان وان كان على الاول فالنهي عن اتباع ما طلبوا منه من رفض الهتهم والعبادة لها وبعضهم يقولون ان اهل مكة نحو شيبة بن ربيعة وهؤلاء قالوا له انا نعطيك يا محمد كذا وكذا من المال ونزوجك كذا وكذا امراة كثيرة المال فارفضنا والهتنا ولا تمكن المنافقين فلان وفلان عدوا نفرا فانزل الله تعالى الاية في ذلك بالنهي عن اتباع ما طلبوا منه ودعوه اليه وامره بالتوكل على الله في ترك الاتباع لهم واصله ما ذكرنا ان النهي وان كان له خاصة فيما ذكر فهو وان كان معصوما فالعصمة لا تمنع الامر والنهي بل العصمة انما تنفع اذا كان ثمة نهي وامر اذ لولا النهي والامر لكان لا معنى للعصمة ولا منفعة لها والله اعلم وقوله اتق الله في ترك تبليغ الرسالة اليهم ولا تطع الكافرين والمنافقين في اتباع ما دعوك اليه وطلبوا منك او في غيره ان الله كان عليما حكيما عليما بما كان ويكون منهم اي على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد عليك بعثك لا على جهل حكيما في ذلك اي بعثه اياك اليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرجه عن الحكمة ليس كملوك الارض اذا ارسل بعضهم رسالات وهدايا على علم من المرسل ان المبعوث اليه يرد الرسالة والهدية يكون سفها لانهم يبعثون ويرسلون لحاجة انفسهم اعني انفس المرسلين فاذا ارسلوا على علم منهم بالرد والتكذيب كان ذلك سفها خارجا عن الحكمة فاما الله سبحانه انما يرسل الرسل ويبعثهم لمنفعة انفسهم وحاجتهم فعلمه بالرد والتكذيب لا يخرجه عن الحكمة وقوله واتبع ما يوحى اليك من ربك هذا يحتمل الخصوص له به على ما ذكرنا ويحتمل العموم على ما ذكرنا في اية اخرى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يدل على ذلك قوله ان الله كان بما تعملون خبيرا خاطب به الكل والله اعلم وهو ما ذكرنا انه على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد وقوله وتوكل على الله اي اعتمد على الله في تبليغ الرسالة ولا تخف اذاهم وكفى بالله وكيلا اي حافظا يحفظك ويمنعهم عنك كقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يقول بعض اهل التاويل كذلك انها نزلت في رجل يقال ابو معمر وكان من احفظ الناس واوعاهم فقالوا ان له قلبين قلب يسمع وقلب يحفظ ويعي فنزل ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ويقول بعضهم كذلك انها نزلت في ابي معمر وكان يسمى ذا قلبين لحفظه الحديث حتى اذا كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر يلقاه ابو سفين بن حرب وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له يا ابا معمر ما فعل الناس قال انهزموا فقال له ما بال نعلك في يدك والاخرى في رجلك فقال ما شعرت الا انهما جميعا في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان ما نسي نعله في يده ونحوه فقد قيل ولكن لا ندري ما سبب نزول هذا وروي عن ابن عباس انه سئل عن هذه الاية فقال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يصلي يوما فخطر خطرة اي وقع في قلبه فقال المنافقون الذين يصلون معه الا ترى ان له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فانزلت هذه الاية وهذا يشبه ان يكون سبب نزول الاية او ان يكون نزول في المنافقين وذلك انهم كانوا يصلون مع النبي والمؤمنين ويرون الموافقة لهم من انفسهم ويقولون نشهد انك لرسول الله ثم يرجعون الى اولئك فيقولون انا معكم انما نحن مستهزؤن ونحوه فذكر هذا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي دينين في جوفه الايمان والنفاق او قلبين في جوفه قلبا لهذا وقلبا للاخر او نزلت في المشركين الذين يقرون بالتوحيد انه الله وانه هو الخالق كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ويعبدون الاصنام مع هذا فيقول والله اعلم لم يجعل لرجل قلبين في جوفه قلبا للشرك وقلبا للايمان والتوحيد ولكن جعل قلبا واحدا لاحد هذين اي قلبا لقبول الشرك وقلبا لقبول الايمان وبعضهم يقول هو على التمثيل اي كما لم يجعل للرجل الواحد قلبين فكذلك لا يكون المظاهر من امراته لا يكون امراته في الحرمة ولا يكون دعي الرجل ابنه يقول نزل في النبي وزيد بن حارثة كان النبي تبناه كانوا يسمونه زيد بن محمد فجاء النبي من ذلك فقال وما جعل ادعياءكم ابناءكم الى هذا مذهب عامة اهل التاويل وبعضهم يقول تاويل قوله وما جعل ادعياءكم اي لم يجعل لرجل نسبين ينسب اليهما واصله عندنا ان قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما ذكرنا ولم يجعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن بالتشبيه بالامهات اي لم يحل لكم ذلك ولم يبح ولم يشرع وما جعل ادعياءكم ابناءكم اي لم يجعل سبب ذلك ولم يشرع وان كان قد يكون في النسب الفاسد نحو الجارية بين اثنين اذا ولدت فادعياه جميعا ونحو النكاح الفاسد والملك الفاسد لم يجعل كذا اي لم يحل ولم يشرع كقوله وما جعل الله من بحيرة اي لم

حل ولم يشرع كقوله وما جعل الله من بحيرة اى لم يشرع ولم يحل ذلك فى الاسلام ما كان فى الجاهلية لانه لا يكون
ذلك فيما لم يشرع فى الفاسد من النسب على ما ذكرنا ان النسب ثبت فى النكاح الفاسد وان لم يشرع والحسن
يقول فى قوله وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه قال كان الرجل يقول ان نفسا تأمرنى بكذا ونفسا تأمرنى
بكذا فنزل ذلك والحكمة فيما لم يجعل لواحد قلبين وجعل له سمعين وبصرين لان الادراك بالسمع والبصر
انما يكون بالمشاهدة فيخرج ذلك مخرج معنا ويتبعضهم بعضها وما يدرك بالقلب انما يدرك بالاجتهاد وقد يختلف
القلبان فيما يجتهدان فى شئ فيناقض احدهما صاحبه اذ يجوز ان يرى احدهما خلاف ما يراه الاخر واما السمعان
والبصران لا يكون كذلك وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه جائز ان يكون سبب ذلك ما ذكر من ادعاء
مسيلمة الكذاب الرسالة لنفسه وتواطئ اصحابه على ذلك والله اعلم ما جعل الله ان يرسل رجلين رسولا الى
خلقه فيبلغ الاثنين متضادى الشرائع يدعو كل واحد الى دين غير الاخر والى شريعة تضاد بعضها بعضا محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيلمة الكذاب وقوله وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم
يحتمل هذا وجهين احدهما على النهى الذى ذكرنا اى لا تشبهوا ازواجكم بظهور الامهات ولا تحرموهن على انفسكم
كحرمة الامهات ولذلك قال انهم ليقولون منكرا من القول وزورا والثانى ان لم يجعل الله لكم ازواجكم حراما
ابدا كالامهات وان جعلتم انتم ولكن جعلهن لكم بحيث يصلون اليهن بالاستمتاع على ما تصلون اليهن وتستمتعون بهن
بعد هذا القول يذكر هذا على المنة والنعمة ليتأدى به شكره لما ابقى لهم الاستمتاع بهن بعد هذا ولم يجعلهن لهم كالامهات
على ما ذكروا والله اعلم وقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم اى ما جعل ادعياءكم ابناءكم فى الحقوق الى الاباء وهو ما ذكر
فى بعض القصة انه اذا اعجب ادعى الرجل منهم ورثه منهم مع اولاده فهو شئ كانوا يفعلون فى الجاهلية دعى اليه وينسبوه
والله اعلم ما جعل ما كنتم تدعون الابناء فى الجاهلية للعون والنصرة ابناءكم فى الاسلام فيما جعلوا والثانى ما جعل
ادعياءكم فى حق النسبة كما ذكرناهم كانوا يقولون لزيد بن حارثة زيد بن محمد ذلكم قولكم بافواهكم انما هو قوله تقولونه
بالسنتكم فيما بينكم والله يقول الحق انهم ليسوا بابنائكم وان قوله والله يقول الحق تأويله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند
الله اعدل عند الله اى انسبوهم اليهم ان علمتموهم فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم قال بعض اهل التأويل
فانسبوهم الى ابيهم من اسماء مواليكم واخوانكم او ابن عمكم مثل عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن واشباه ذلك
الاسماء واسماء مواليكم او ان يقول قوله فاخوانكم فى الدين اى سموهم اخوانا وذلك اعظم فى القلوب واخذ من
التسمية بالاباء والنسبة اليهم وذلك ان الحاجة الى معرفة الاباء والنسبة اليهم انما يكون عند الكتابة
والشهادة وعند الغيبة فاما عند الحضرة فلا وقوله ومواليكم قال بعضهم نزل هذا فى شان زيد بن حارثة
وهو كان مولى رسول الله وكانوا يسمونه زيد بن محمد فنهوا عن ذلك فيقول فان لم تعلموا اباءهم فانسبوهم
الى مواليهم وهو جائز ان يكون قوله ومواليكم من الولاية وكقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
وقال انما المؤمنون اخوة وقوله ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به يقول والله اعلم ليس عليكم جناح بالنسبة الى
غير الاباء اذا كنتم مخطئين غير عارفين للاباء انما الجناح والحرج عليكم اذا كنتم عامدين لذلك عارفين لهم
الا ما كان من اباح النبى والتواخى فيما بينهم ولم يبح النسبة الى غير الاباء وايجاب الحقوق فيما بينهم وكذلك روى
فى بعض الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يواخى بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الباقى منهما دون
عصبته واهله فكان الزبير اخا عبد الله بن مسعود فمكثوا بذلك ما شاء الله ان يمكثوا حتى نزلت الاية وقال
بعضهم ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به يقول اذا دعوت الرجل لغير ابيه وانت ترى انه كذلك ولكن ما تعمدت
قلوبكم يقول لا تدعوه لغير ابيه متعمدا فاما الخطاء فان الله يقول لا يؤاخذكم به ولكن ما اوذت به العمد وهو مثل
الاول وذكر ان عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول اللهم اغفر لى خطاياى فقال له عمر استغفر الله العمد فاما
الخطا فقد تجوز لك عنه وكان يقول ما اخاف عليكم الخطا ولكن اخاف عليكم العمد وما اخاف عليكم العاقبة ولكن
اخاف عليكم التكاثر وما اخاف عليكم ان تزدروا اعمالكم ولكن اخاف عليكم ان تستكثروها وذكر ان ثلاثا لا يملك عليها
ابن ادم الخطاء والنسيان والاستكراه وكذلك روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال ذلك وقال بعضهم
الخطاء هيهنا هو ما جرى على اللسان من غير قصد والعمد ما يجرى على قصد وهو ما ذكرنا والله اعلم وكان الله غفورا
رحيما لما فعلوا وقوله النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم قال بعضهم النبى اولى بهم من بعضهم ببعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم
اى لا تقتل بعضكم بعضا اذ لا احد يقتل نفسه فسلموا على انفسكم اى يسلم بعضكم على بعض ليس انه يسلم الرجل على نفسه
ولكن ما ذكرنا فعلى ذلك قوله النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم اى بعضهم من بعض ثم يحتمل هو اولى بهم من انفسهم من الطاعة
له والاحترام له والتعظيم اى هو اولى ان يعظم ويحترم ويطاع من غيره او ان يكون اولى بهم فى الرحمة والشفقة لهم
اى ارحم بهم واشفق من انفسهم وهو على ما وصفه من الرحمة والرأفة حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم
بالمؤمنين رؤف رحيم وليس احد من الناس يعز عليه ما يفعله من المأثم او ان يجوز اولى بهم اى احب اليهم من انفسهم
واولادهم عرفة الاختيار والايثار ليست محبة الميل ميل القلب لان ميل القلب يكون بالطبع وذكر فى الخبر ان نبى الله صلى
الله عليه وسلم قال ليس يؤمن حتى اكون انا احب اليه من نفسه وولده واهله او كلام نحو هذا او ان يكون اولى بهم
فى الاخرة بالشفاعة لهم يشفع لهم فيحيون من النار بذلك لا باعمالهم والله اعلم وذكر فى بعض الحروف النبى اولى بالمؤمنين

من انفسهم

من انفسهم وهو ابوهم وازواجه امهاتهم وهو حرف ابى وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم قوله وهو ابوهم فى الرحمة
والشفقة او فيما يلزم من الطاعة والتعظيم والاحترام ونحوه وقوله وازواجه امهاتهم قال اهل التأويل وازواجه امهاتهم
فى الحرمة اى لا يحل لهم ان يتزوجوهن ابدا كالامهات ولكن طلب ان يكون ذلك بعده فانه فاما فى حيوته اذا طلقهن
فيجب ان يحللن لغيره لانه قال يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا الاية ولو لم يحللن لغيره لم
يكن لما ذكر لهن من التمتيع والتسريح معنى وهذه الحرمة يجب ان يكون بعد الموت وهو ما قال ولا ان تنكحوا
ازواجه من بعده ابدا انما شرط هذا بعده ليكون ازواجه فى الاخرة او ان يكون قوله وازواجه امهاتكم اى
حرمة ازواجه من بعده ابدا انما شرط هذا بعده ليكن ازواجه فى الاخرة ومنزلتهن كمنزلة امهاتكم يستوجبن
ذلك لحرمة رسول الله ومنزلته قبلهم واما الباطنية فانهم يقولون فى قوله وازواجه امهاتهم ذلك لانه انث
ليس يريد به ازواج النبى الا يرى انه يحل للناس نكاح اولادهن ولو كن امهات لم يحل لانهم يصيرون اخوة واخوات
فاذا حل ذلك دل انه ما ذكرنا هذا قولهم لكن الجواب لذلك ما ذكرنا انه جائز ان سماهن امهات اى منزلتهن وحرمتهن
كمنزلة الامهات لحرمة رسول الله ومنزلته وذلك جائز لانه ذكر الشهداء احياء عنده وانهم كانوا فى الحقيقة
موتى لفضل الكرامة لهم والمنزلة عند الله فعلى ذلك ذكر الامهات لازواجه ما ذكرنا والله اعلم وقوله واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله قال بعضهم فى كتاب الله فى حكم الله كقوله كتاب الله عليكم اى حكم الله
عليكم وقال بعضهم فى كتاب الله فيما انزل من الكتاب وهو الذى ذلك وكذلك كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت الى اخر ما ذكر المكتوب عليهم الذى ذكر على اثره ثم اختلف فى تأويل قوله واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين قال بعضهم ان المواريث فى بدء الاسلام لم تكن تجرى الا فيما بين
المؤمنين المهاجرين من القرابات والارحام فان كان مؤمنا لم يهاجر لم يرث ابنه ولا اباه ولا اخاه المهاجر
ولا سائر قراباته اذا مات احدهما الا ان يكونوا مؤمنين مهاجرين فعند ذلك يتوارثون فعلى ذلك التأويل
تكون تأويل قوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم الذين لم يهاجروا من المؤمنين ان توصوا لهم شيئا فيقول
قائل هذا التأويل ان هذا نسخ بالاية التى ذكر فى سورة الانفال وهو قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
الاية ولم يذكر فيه الهجرة اذا كانوا مسلمين واما الكافر فانه لا يرث المسلم وعلى ذلك روى فى الخبر انه قال لا يرث
المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وقال لا يتوارث اهل ملتين وقال بعضهم تأويل قوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين من الاقربين منهم اى واولوا الارحام من المؤمنين والمهاجرين الاقرب
منهم بعضهم اولى ببعض من الابعدين فى المواريث اى الاقرب منهم بعضهم اولى ببعض من الابعدين الا ان تفعلوا الى
اوليائكم معروفا على هذا التأويل يكون قوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم الابعدين معروفا وصية او شئ فذلك
معروف فصارت المواريث للقرابات الادنى فالادنى من المؤمنين دون الابعدين فيكون الاية التى فى الانفال
وهذه سواء على هذا التأويل يكون الاقرب فالاقرب والادنى اولى بالمواريث من غيرهم وبعضهم يقول
ان الاية نزلت ناسخة لما كان منهم من التوارث بالمواخاة لان النبى كان يواخى بين رجلين فاذا مات احدهما ورثه
الباقى منهما دون عصبته حتى نسخ ذلك بالاية التى ذكر فعلى ذلك يكون قوله الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا
هو ان يصنعوا الى الذين اخى بينهم النبى معروفا ثم اختلف فى اولى الارحام المذكورين فى الاية قال بعضهم هم
الذين ذكرهم فى قوله يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى اخر ما ذكر وقال بعضهم ليس هم وانما
الذى ذكر فى ذلك هم الذين بين لهم حد مواريثهم فاما غيرهم فانما هم فى قوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
فانما يرث الاقرب فالاقرب منهم وكذلك يقول ابو حنيفة رحمه الله ان اولى الارحام انما يرث
الاقرب فالاقرب منهم ليس كالعصبات لان الاخت لا شك انها اقرب من ابن العم ثم يكون النصف للاخت والبقية
لابن العم وقوله كان ذلك فى الكتاب مسطورا قال بعضهم فى اللوح المحفوظ بان المؤمنين بعضهم اولى ببعض فى
المواريث من الذين كانوا يتوارثون وقال بعضهم فى الكتاب اى فى التورية مكتوبا ان يصنع بنو اسرائيل الى بنى لوى
بن يعقوب معروف ليعود الغنى على الفقير والله اعلم وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم
موسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا قال بعضهم خص هؤلاء لانهم اهل الشرع من الرسل هم هؤلاء
كقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية لكنه قد ذكر فى اية اخرى ما يدل ان غير هؤلاء كان لهم ايضا شرع كقوله
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده الاية وجائز ان يكون تخصيص هؤلاء باخذ الميثاق لانهم
اولوا العزم من الرسل حيث قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل او يكون لا على التخصيص لمن ذكر ولكن على ارادة
الكل والله اعلم ثم اختلف فى اخذ الميثاق قال بعضهم اخذ ميثاقهم على ان يبشر بعضهم ببعض يبشر نوح بابراهيم
وموسى بعيسى وعيسى بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقال بعضهم اخذ ميثاقهم ليصدق بعضهم بعضا و
ان يدعوا الى عبادة الله وان ينصحوا لقومهم وجائز ان يكون ما ذكر من اخذ الميثاق منهم لما ذكر على اثره ليسأل
الصادقين عن صدقهم اخذ منهم الميثاق فى تبليغ الرسالة الى قومهم ليسألهم عن صدقهم انهم قد بلغوا ولهذا
منهم ميثاقا غليظا لان تبليغ الرسالة الى الفراعنة منهم واعداء الله صعب شديد يخاطرون فيه هلاك النفس
وفوات الروح وهو ما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية وقوله وقوله ليسأل الصادقين

عن صدقهم الصدق فاكثرة انما يقع في الانباء والاخبار كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به وهو ما اخبرهم وانباهم
من القرآن وغيره وقال في اية اخرى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا صدقا في انبائه وعدلا في حكمه ثم صدقه في الانباء
وعدله في الحكم سمى القرآن مرة صدقا ومرة عدلا ومرة حقا فالحق يجمع الامرين الانباء والحكم جميعا والصدق يكون
في الانباء خاصة والحكم في العدل ثم يحتمل سؤال الصادقين وهم الرسل عن صدقهم وجهين احدهما يسألهم عن
تبليغ ما امرهم بالتبليغ الى قومهم وعن انباء ما اوحى اليهم ان يبينوا اولئك هل بلغتم وهل انبأتم اولئك والثاني
يسألهم عن اجابة اولئك لهم هل اجابوكم الى ما دعوتم لان منهم من اجابهم وصدقهم ومنهم من لم يجبهم فيصدقهم فيخرج
السؤال عمن اجاب على التقرير ومن لم يجب على التنبيه والتوبيخ وهو يسأل الفريقين جميعا الرسل عن التبليغ والمرسل
اليهم عن الاجابة كقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين والله اعلم واعد للكافرين منهم عذابا اليما بتركهم الاجابة
والتصديق والله اعلم وقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها كان
يقول والله اعلم اشكروا ما انعم الله عليكم واحسنوا صحبة نعمه في النصر لكم والدفع عنكم ثم الامر في تذكر ما انعم عليهم وجوه
من الحكمة والدلالة احدها انه كيف لنا في سفاسة اولئك السلف في صحابة في الدين وعظيم ما امتحنوا في امر الدين حتى
بلغوا الدين الينا لكي لا نضيعه نحن بل يلزمنا ان نحفظه ونتمسك به ونتحمل فيه كما تحمل اولئك والثاني فيه آية لهم وذلك
انهم كانوا جميعا هم واعداؤهم واعداؤهم نجاة منهم الريح والملائكة فاهلكتهم دون المؤمنين وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وذلك آية عظيمة والثالث يذكرهم ما انا هم من الغوث
عند اياسهم من انفسهم واشرافهم على الهلاك وخروج انفسهم من ايديهم لان العدو قد احاطوا بهم حيث قال
اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم وبلغ امرهم وحالهم ما ذكر حيث قال واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب
الحناجر الاية او ان يذكر لما كان منهم من العهد والميثاق ان لا يولوا الادبار ولا يهربوا كقوله ولقد كانوا عاهدوا
الله من قبل لا يولون الادبار الاية يذكرهم عظيم نعمه التي كانت عليهم في النصر لهم على عدوهم والدفع عنهم وحالهم
ما ذكر في الاية وذلك كان يوم الخندق تحزبوا المؤمنين في ثلاثة امكنة يقاتلونهم من كل وجه شهرا فبعث الله عليهم
بالليل ريحا باردة وبعث الملائكة فعلتهم والله اعلم وقوله وكان الله بما تعملون بصيرا يذكر انه لا عن غفلة وسهو
تركهم هنالك حتى احاط بكم العدو ولكن اراد ان يمتحنكم محنة عظيمة او يقول انه بصير عليم فيجزيكم جزاء عملكم
وصبركم على ذلك والله اعلم وقوله اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم قال بعضهم من فوق الوادي ومن اسفل منه
وقيل احاطوا بهم من النواحي جميعا وجائز ان يكون ذلك كناية عن الخوف اي احاط بهم حتى خافوا على انفسهم الهلاك
وعلى ذلك يخرج قوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذا وصف
المنافقين زاغت الابصار اي شخصت وبلغت القلوب الحناجر لشدة خوفهم كقوله اشحة عليكم فاذا جاء
الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت وامثال هذا فقد وصفهم في غير اي من
القرآن ما وصف ههنا وهذا يشبه ان يكون وقال بعضهم هذا وصف حال المؤمنين شخصت الابصار وبلغت القلوب
الحناجر لما اشتد بهم الخوف لما احاطوا بهم من فوق ومن اسفل ثم جائز ان يكون ذلك على التمثيل اي كادت ان يكون
على التحقيق وهي ان تزول عن امكنتها وبلغت ما ذكروا والله اعلم وقوله وتظنون بالله الظنونا قال بعضهم ظن ناس من
المنافقين ظنونا مختلفة يقولون هلك محمد واصحابه ونحوه من الظنون الفاسدة السوء وكقوله ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا ونحوه وجائز ان يكون ذلك الظن من المؤمنين ظنوا بالله ظنونا لتقصير او تفريط وكان
منهم نحو قوله ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين
وكقوله ان الذين تولوا منكم الاية ثم قال هنالك ابتلي المؤمنون بالقتال وانواع الشدائد وزلزلوا زلزالا شديدا
قيل جهدا شديدا وقيل حركوا تحريكا شديدا وقوله واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض هما واحد وهم
المنافقون وجائز ان يكون المنافقون هم الذين اضمروا الخلاف له واظهروا الوفاق على ايات الحق لهم وظهوره
والذين في قلوبهم مرض هم الذين كانوا مرتابين في ذلك لم يتبين لهم ذلك ولم يتجل فالوهم ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا قال عامة اهل التأويل الذي وعدهم فتوح البلدان فلما احاط بهم اعني بالمؤمنين الكفار قال
ذلك المنافقون وقوله واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب قيل يثرب المدينة ويقال يا اهل يثرب يا اهل المدينة
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثا هي طابة هي طابة ثم قال
بعضهم ان قوله واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا انما قاله اهل النفاق لبعضهم لا مقام
لكم فارجعوا ثم يحتمل قوله لا مقام لكم وجهين احدهما قالوا ما وعدنا الله ورسوله من الفتح والنصر الا غرورا
والثاني لا مقام لكم فارجعوا لما لم يقع عندهم انهم يصلون الى ما كانوا يطمعون ويأملون لانهم كانوا يخرجون
رغبة في الاموال وطمعا فيها وهو ما وصفهم ومن الناس من يعبد الله على حرف الاية وجائز ان يكون هذا القول
من المؤمنين لاهل النفاق فان كان من المؤمنين لاولئك فالوجه فيه انهم ارادوا ان يطردوهم لقتلهم ولجبنهم
لئلا يهزموا جنود المؤمنين بانهزامهم لانهم قوم همتهم الانهزام فاذا انهزموا هم انهزم غيرهم فالمعنى اذا كان
ذلك من المؤمنين لهم غير المعنى اذا كان من اهل النفاق بعضهم لبعض والله اعلم وقوله ويستأذن فريق منهم النبي بالرجوع
الى المدينة كقوله انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم وقوله يقولون ان بيوتنا

عورة

عورة قال بعض اهل التأويل بيوتنا عورة خالية من الناس ليس فيها احد فنخاف السرق عليها والاخذ والمكابرة
ويحتمل ان يكون ارادوا بالعورة دخول العدو عليها اذا كانوا هم في الجند العورة اي يدخل علينا مكروه
ما بجزئنا وبهمنا او كلام نحو هذا فاكذبهم الله في قولهم وقال وما هي بعورة بل الله يحفظها على ما وعد حتى لا يدخل
عليهم مكروه لما يخافون ولا يصيبهم وقوله ان يريدون اي ما يريدون الا فرارا من القتال وقوله ولو دخلت
عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها هذا يحتمل وجهين احدهما اي لو دخلوا عليهم من اطراف المدينة
ونواحيها ثم دعوا الى الشرك لاجابوهم وما تلبثوا بها الا يسيرا اي لم يمتنعوا عن اجابتهم بل لاجابوهم كما دعوا
وقال بعضهم انهم لو كانوا في بيوتهم فدخلوا عليهم من احيها ثم سئلوا الاموال وما نحو ابدانهم لانوها اي
لاعطوها وما تلبثوا بها الا يسيرا يخبر عن نفاقهم وخلافهم له في السرائر انهم يعطون لاولئك ما يريدون من الاموال
او الدين ويوا فقونهم ولا يوافقونكم البتة والله اعلم وقوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار
قال بعضهم كان اناس غابوا عن وقعة بدر وما اعطى الله اصحاب بدر من الفضيلة والكرامة فقالوا لئن شهدنا قتالا
لنقاتلن فساق الله ذلك اليهم حتى كان في ناحية المدينة وقال بعضهم قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا
يولون الادبار وذلك انهم كانوا عاهدوا الرسول على عهدهم بمكة على العقبة ثمانا واشترط عليهم ولربه ولنفسه
اما لربه ان يعبدوه وان لا يشركوا به شيئا واشترط لنفسه ان ينصروه ويعزروه ويمنعوه مما يمنعون منه انفسهم
ونساءهم واولادهم فقالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة قالوا
قد فعلنا فذلك قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل ليلة العقبة حين شرطوا النبي المنعة ان لا يولوا الادبار
منهزمين وكان عهد الله مسؤلا اي يسأل من نقض العهد في الآخرة ومن وفى وجائز ان يكون قوله وكان عهد الله
مسؤلا مجزيا نقضا ووفاء يجزون على وفاء العهد ونقضه وقوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل قال اهل التأويل ان قضي عليكم الموت او القتل فلن ينفعكم الفرار وقال بعضهم ان جعل القضاء اجالكم
الموت او القتل لن ينفعكم الفرار بل ينقضي واصله ان كان المكتوب عليكم الموت او القتل لن ينفعكم الفرار منه
بل يأتي لا محالة كقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الآية اي لا محالة المكتوب عليهم
القتل وان كانوا في بيوتهم لبرزوا فيها وان واذا لا تمتعون الا قليلا قال بعضهم انما الدنيا قليل الى آجالكم
وجائز ان يكون معناه ولئن نفعكم الفرار عنه لا تمتعون الا قليلا كقوله افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم
ما كانوا يوعدون الآية قال ابو عوسجة والقبيل الأدعياء من تبنيتموه واتخذتموه ولدا ما جعلتم بمنزلة الصلب وكانوا
يورثون من ادعوا ذلكم قولكم بافواهكم ان قولكم على التشبيه والمجاز ليس على التحقيق والله يقول الحق وقوله اقسط
اعدل واذ زاغت عدلت ومالت وبلغت القلوب الحناجر اي كادت تبلغ الحلقوم من الخوف والحناجر جماعة
الحنجرة وهي المذبح وقوله وقوله وزلزلوا اي شددوا عليهم وهولوا والزلزال الشدائد واصلها من التحريك و
اللائي تظاهرون واللاتي ما لها واحد والله وقوله قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم
رحمة ذكر هذا على اثر قوله قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل يقول والله اعلم انكم وان فررتم من
الموت او القتل فان الله اذا اراد بكم سوءا وهلاكا لا يملك احد دفعه عنكم او ان اراد بكم رحمة ونجاة وخيرا
لا يملك احد منعه عنكم وقد تعلمون انكم لا تجدون من دون الله وليا ينفعكم ولا نصيرا ينصركم ويمنعكم
عن حلول ذلك عليكم والله اعلم وقوله قد يعلم الله المعوقين هم المنافقون منكم والقائلين لاخوانهم قال بعضهم
هم اليهود ارسلوا الى المنافقين وقالوا من ذا الذي يحملكم على قتل انفسكم بايدي ابي سفيان ومن معه من اصحابه
فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة ما استبقوا منكم احدا فانا نشفق عليكم فانما انتم اخواننا ونحن جيرانكم هلموا
الينا وقال بعضهم هم المنافقون عوق بعضهم بعضا ومنع عن الخروج مع رسول الله الى قتال العدو وفيه امر
ان احدهما دلالة على اثبات الرسالة لانهم كانوا يسرون هذا ويخفون فيما بينهم ثم اخذهم بذلك ليعلموا
انه انما علم ذلك بالله تعالى والثاني ان يكونوا ابدا على حذر مما يضمرون من الخلاف له كقوله يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم سورة الآية وقوله ولا يأتون البأس الا قليلا اي لا يأتون القتال والحرب الا مراءاة وسمعة
هذا والله اعلم يشبه ان يريد بالقليل انهم لا يأتون اتيانا من يريد القتال والقيام معهم ولكن مراءاة وسمعة
واظهارا للوفاق لهم والله اعلم وقوله اشحة عليكم قال عامة اهل التأويل بخلاء على الانفاق عليكم اي لا ينفقون
عليكم ولا على سبيل الخير والله اعلم وقال بعضهم الشح ايضا هو الحرص يقول اشحة اي حراصا على قسمة الغنيمة
يخبر عن حرصهم في الدنيا وركونهم اليها وميلهم فيها ثم اخبر عن جبنهم وقتلهم وشدة خوفهم وهو ما قال فاذا جاء
الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت يخبر انهم لجبنهم وقتلهم يصيرون كالمغشي
عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد يخبر عن شدة حرصهم في قسمة الغنيمة ورغبتهم فيها انهم
نخ قوم واسواء هم مقاسمة يقولون اعطونا اعطونا انا قد شهدنا معكم كقوله الم نكن معكم ونحوه وقوله
اشحة على الخير قال بعضهم هذا قولهم اي انا اشح منكم على رسول الله وعلى دينه واضن منكم على الخير اي نحن
احرص عليه منكم وقال بعضهم اشحة على الخير اي حراصا على الغنيمة والنيل منها ثم اخبر عنهم وعن خلافهم له
حيث قال اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم التي عملوها في الظاهر وكان ذلك على الله يسيرا اي صنعهم الذي

صنعوا على الله يسيرا اى لا يضره وقال بعضهم حبط اعمالهم وتعذيبه اياهم مع كثرة اتباعهم واعوانهم على الله هو
يسير لا يشتد عليه ولا يصعب والله اعلم وقوله يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى يحسب هولاء المنافقون ان الاحزاب
لم يذهبوا من الفرق والجبن والفشل الذى فيهم يوم الخندق وان يات الاحزاب اى يقبل الاحزاب يودوا لو انهم بادون
فى الاعراب اى بالسنتهم كانوا بمنزلة البداء وانهم تركوا اوطانهم وديارهم يسالون عن انبائكم كانت همتهم والقلق
والفرار من القتال وطلب اخبار المؤمنين انهم ما فعل بهم نحو ما قال ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم
يفرقون لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون هكذا كانت عادتهم ثم ابتلاهم الله بما كانوا
يظهرون الموافقة للمؤمنين ويضمرون الخلاف لهم والعداوة بفضل فشل وجبن ما لم يكن ذلك فى غيرهم ففى ذلك تحذير
للمؤمنين وزجر عن مثل هذا الصنيع ومثل هذه المعاملة لئلا يبتلوا بمثل ما ابتلى اولئك وفيه انه يعامل بعضهم بعضا
على الظاهر الذى يظهرون دون حقيقة ما يكون وعلى ذلك يجرى الحكم على ما عامل رسول الله واصحابه اهل النفاق وحكم
على ما اظهروا دون ما اضمروا فى الانكحة والطهر وغير ذلك من الاحكام والله اعلم وقوله ولو كانوا فيكم ما قاتلوا
الا قليلا قال بعضهم ما قاتلوا الا قليلا اى الا فيما يدفعون عن انفسهم لو قصدوا فاما الدفع عن المؤمنين ودينهم
فلا وجائز ان يكون المراد بالقليل اى لا يتناولون البتة حقيقة القتال وهو ما ذكر عنهم حيث قال لو اخرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا اى فسادا فى امركم والله اعلم وقوله لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة قال بعضهم ذلك حيث كان يباشر
القتال بنفسه فباشروا معه فمن لم يشهد معه القتال اساء باسوة حسنة ومن لم يفعل فلم يواسه وابن عباس يقول اسوة
حسنة اى سنة صالحة او نحوه مثل هذا انما يذكر عن زلة تكون اما من المنافقين او من المؤمنين فيقول لكم فى الناس
برسول الله والاقتداء والقدوة به فهو يخرج على وجوه احدها اى لقد كان لكم فى رسول الله قبل ان يبعث رسولا وقبل
ان يوحى اليه فيما عرفتموه من حسن خلقه وكرمه وشرفه وامانته اسوة حسنة فكيف تركتم اتباعه اذا بعث رسولا
والثانى لقد كان لكم اى صار لكم فى رسول الله اذا بعث رسولا اسوة حسنة فيما نزل اليه واوحى اليه وفيما شاهدتموه
من حسن خلقه وكرمه فالواجب عليكم ان تتاسوا به والثالث لقد كان لكم بالمؤمنين اسوة استواءهم لو اتبعتم فيما
شرع لكم رسول الله وسن اوالاسوة هى الاستواء كقول الناس فلان اسوة عرمائه اى يكون المال بينهم على الاستواء
هذا والله اعلم يشبه ان يكون تاويل الاية وقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر قال بعضهم يكون فى رسول الله
اسوة لمن خاف الله وامن اليوم الاخر وبجزاء الاعمال فاما المنافق والذى لا يؤمن بالبعث فلا يكون فيه اسوة له
وجائز ان يكون قوله لمن كان يرجوا الله اى لقد كان لكم اسوة حسنة ولمن كان يرجوا الله واليوم الاخر ان يكون لكم
فى رسول الله اسوة حسنة وفيمن كان يرجوا الله واليوم الاخر والله اعلم وقوله وذكر الله كثيرا ذكر الله يحتمل
فى نعمته واحسانه يذكر بالشكر له وحسن الثناء او يذكر سلطانه وملكه او جلاله وعظمته وكبريائه والله اعلم
وقوله ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله حيث اخبرهم انكم ستلقون كذا فى قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء قالوا لما عاينوا ما وعدهم واخبرهم
هذا ما وعدنا الله وصدق الله ورسوله فيما اخبرنا من الوحى قبل ان يكون وقبل ان نلقاه وما زادهم الا ايمانا
اى ما زادهم الا ايمانا ما راوا وعاينوا فيما وعدوا واخبروا الا ايمانا وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى وعده
وخبره وقال فاتلون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعدهم واخبرانه يوم الخندق تكون من الاحزاب كذا والجنود
كذا وانكم ستلقون يومئذ كذا فلما راوا ذلك وعاينوه قالوا عند ذلك هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله
ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتصديقا لرسول الله لان ذلك ايه وحجة لرسالته فهو يزيدهم تصديقا له وقوله تسليما
اى تسليما لامر الله وتفويضا له وقيل وما زادهم بما اصابهم يوم الخندق الا ايمانا وتصديقا الى تصديقهم الاول
ويقينا الى يقينهم الاول وتسليما لامر الله لان ذلك الامر كان قضاه عليهم ان يصيبهم فسلموا لله امره فصبروا عليه
واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه قوله من المؤمنين يخرج على وجهين
احدهما من المؤمنين الذين هم عندكم مؤمنون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ورجال لم يصدقوا وهم المنافقون
لان ظاهر هذا الكلام يدل على ان من المؤمنين الذين هم فى الظاهر عندهم مؤمنون لم يصدقوا فاما من كان فى الحقيقة
مؤمنا فقد صدق عهده والثانى ذكر من المؤمنين خص بعض المؤمنين بصدق ما عهد وهم الذين خرجوا الذلك
لم يكن بهم عذر فوفوا ذلك العهد وتخلف بعض من المؤمنين للعذر فلم تتهيا لهم وفاء ذلك العهد لهم وصدقوه
كذلك يخرج قوله فمنهم من قضى نحبه اى وفى بعهده ومنهم من ينتظر بالوفاء ان يرتفع عنه العذر فبقى ذلك والله اعلم
ثم قوله فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وفاءه وقال بعضهم من قضى نحبه اى هلك عليه ومنهم من ينتظر ذلك
اى على شرف الهلاك وقوله وما بدلوا تبديلا هذا يقوى التاويل الذى ذكرنا اخبر فى قوله من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه ان الذين خلفهم العذر فلم يفوا عهده والذين لا عذر بهم خرجوا فوفوا كلهم لم يبدلوا عهد
الله تبديلا لانه انما خلفهم العذر فلم يكن فى ذلك تبديل وقوله ليجزى الله الصادقين بصدقهم على ما وفوا ويعذب
المنافقين ان شاء او يتوب عليهم هذا يدل ان من المنافقين من قد يتوب حيث قال ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب
عليهم ويعذب الذين ماتوا على نفاقهم ان الله كان غفورا رحيما اى لم يزل غفورا رحيما حيث رحمهم ولم يأخذهم
وقت ارتكابهم الجرم ولكن امهلهم والله اعلم وقوله ورد الذين كفروا بغيظهم اى رد كفار مكة يوم الخندق لم ينالوا

خيرا قال بعضهم اى غنيمة اى ردهم بغيظهم لم يصيبوا شيئا من الغنيمة فان كان المراد الى الخير الغنيمة فجائز ان العدل
على تملك اهل الحرب اموال المسلمين اذا احرزوها حيث قال لم ينالوا خيرا اى مالا وجائز ان يكون قوله لم ينالوا خيرا اى
سرورا بما كانوا يأملون ويطمعون هلاك المؤمنين على ايديهم لما احاطوا بهم وضيقوا عليهم الامر حتى احتاجوا الى
الخندق فكانوا فى ايديهم يقول انهم لم ينالوا ذلك السرور الذى كانوا يأملون ويرجون والله اعلم وقوله وكفى الله
المؤمنين القتال حيث بعث عليهم الريح وسلط عليهم الملائكة حتى هزموهم حتى كفوا القتال والحرب معهم وكان الله
قويا عزيزا اى كان الله لم يزل قويا عزيزا لا بقوة بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل وان الخلق اولياء الذل والضعف
بين كملوك الارض اذا ذهب اصحابهم او دخل فيهم ذل وضعف ذل ملكهم لا تعز بجنده وحشمه فاما الله
جل ثناؤه قوى بذاته عزيز بذاته لا يلحقه ذل ولا يضعف بذهاب اوليائه وقال بعضهم فى قوله رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه كان رجال فاتهم يوم بدر فقالوا لئن حضرنا قتالا لنفعلن فلما كان يوم الاحزاب قاتلوا فذلك
قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه اى مات على ما عاهد الله عليه ومنهم من ينتظر يوما
اخر يكون فيه قتال فيقاتل على ما عاهد الله عليه وما بدلوا تبديلا وفى حرف ابى ومنهم من بدل فيرجع ذلك الى المنافقين
الذين ذكرنا بدءا وقال القتبى قوله ان بيوتنا عورة اى خالية واصل العورة ما ذهب عنه الستر والحفظ فكان
الرجال ستر وحفظ للبيوت فاذا ذهبوا اعورت البيوت تقول العرب اعور المنزل اى ذهب ستره او سقط
جداره واعور الفارس اذا بدا فيه موضع خلل للضرب بالسيف يقول الله تعالى وما هى بعورة لان الله حافظها
ولكن يريدون الفرار وقوله ولو دخلت عليهم من اقطارها اى من جوانبها ثم سئلوا الفتنة اى الكفر لاتوها
اى اعطوها من اراده وما تلبثوا بها الا يسيرا اى بالمدينة ومن قرا لاتوها بغير مد اراد اصاروا اليها وقال
ابو عوسجة قولهم ان بيوتنا عورة من ناحية العدو والعورة الموضع الذى تخاف منه وقوله اقطارها اى
من نواحيها الواحد قطر ثم سئلوا الفتنة اى عرضت عليهم وهو الكفر وقال القتبى سلقوكم بالسنة حداد يقول
اذوكم بالكلام يقال خطيب مسلق وسلاق وفيه لغة اخرى صلقوكم بالصاد وهو الضرب ابو عوسجة يقول
قريبا منه سلقوكم اى كلموكم وضربوكم بالسنة حداد اى طوال والسلق الضرب والخاطب السلاق والسلاق
من هذا وهو طول اللسان والجراءة على الكلام وقوله لا مقام لكم بنصب الميم لا يكون الا من القيام ولا مقام لكم
برفع الميم يكون من الاقامة وهو قول ابو عوسجة وابو عبيد يقول لا مقام لكم اى ليس لكم مقام تقومون فيه
ولا مقام اى لا اقامة لكم وقال ابو عوسجة المقامة المجلس ومقامات جمع المقام موضع القدمين والمقام الموضع
الذى يقيم فيه الرجل وقال المعوقين قال التعوق المحلس والمعوق الذى يعوق غيره اى يحبس وقوله اشحة عليكم
اى حراصا على ما لكم من الشر الواحد شحيح يقال شح شحا فهو شحيح اى حرص يحرصون حرصا فهو حريص وقال
غيره اشحة عليكم اى بخلاء لا ينفقون عليكم او فى سبيل الله وقال بعضهم يحسبون الاحزاب لم يذهبوا من شدة
الفرق فيهم هولاء المعوقون اليهود والمنافقون وان يات الاعراب والاحزاب هم الفرقا عند رسول الله
واصحابه يودوا لو انهم بادون فى الاعراب يقول خارجون فى الاعراب من الرهبة يسالون عن انبائكم يسالون
عن خبر المؤمنين ساعة بعد ساعة جزعا ورهبة يقول الله للمؤمنين ولو كانوا فيكم اى معكم عند القتال هولاء
الذين تقدم ذكرهم ما قاتلوا الا قليلا رميا بالحجارة من ضعفهم وخوفهم او ما ذكرنا دفعا عن انفسهم واما
غيره فلا وقوله وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم ذكر فى القصة ان اليهود يهود بنى قريظة ظاهروا
ابا سفيان واصحابه على رسول الله وعلى المؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه فلما انهزم المشركون
تحصن بنو قريظة فى حصونهم ورجع النبى الى المدينة فجاءه جبريل فقال له يا محمد والله ما وضع اهل السماء سلاحهم
وقد وضعتم انتم اسلحتكم اخرج الى بنى قريظة فقال له النبى فكيف اصنع بهم وهم فى حصنهم قال اخرج اليهم فوالله
لادقنهم بالخيل والرجال كما يدق البيضة على الصفا ولاخرجنهم من حصنهم فنادى رسول الله فى الناس وامر بالخروج
الى بنى قريظة فخرجوا فحاصروهم كذا كذا ليلة حتى صالحهم على حكم سعد بن معاذ فنزلوا على حكمه فحكم سعد ان
يقتل مقاتلهم ويسبى ذراريهم ونساؤهم فقيل ان رسول الله قال يومئذ يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله هو
فاخرجت المقاتلة فقتلوا وسبوا ذراريهم فقسم ارضهم بين المهاجرين فقال قومه والانصار اثرت المهاجرين
بالعقار ودوننا فقال انكم ذوو عقار وان القوم لا عقار لهم او كلام نحو هذا فذلك قوله وانزل الذين ظاهروهم
من اهل الكتاب يعنى الذين ظاهروا ابا سفيان والمشركين جميعا على رسول الله واصحابه من صياصيهم اى من حصونهم
وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم المقاتلة وتاسرون فريقا وهم النساء والذرارى واورثكم
ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها اى لم تملكوها اختلف فى قوله وارضا لم تطؤها قال بعضهم
هى ارض الشام وقراها وقال بعضهم هى ارض خيبر اى سيورثكم الله اياها ايضا فاما ارض مكة فقد فتحها وتركها
فى ايدى اهلها وكذلك بلاد الشام وقراها وعن الحسن هى ارض الروم وفارس وما فتح الله عليهم واما خيبر فقد فتحها
وقسم بين ما ذكرنا وجعلها فيئا فهو اشبه من غيره فعنيه ان من يخلف من ملك غيره وصفا ملكا الا خر وانتقل اليه
يسمى وارثا بموت وبغيره حيث قال واورثكم ارضهم الاية وكذلك ما قال اورثنا الارض الى كذا وقوله يرثون
الفردوس اى يبقون فيه ونحوه وكقوله ولله ميراث السموات والارض اى يبقى ملك السموات والارض اى

لا ينازع فيه وكذلك يخرج قوله انا نحن نرث الارض اى نبقى فيها والخلايق يفنون ثم الفائدة فى ذكر هذا وامثاله
لنا ان هم تذنب اصدوها وعا نبوها يخرج على وجوه احدها نعرف للاخر جزا لا تنة انا وابلهم ما قاسوا وما تحملوا
من الشدايد والبلاء فى امر هذا الدين حتى بلغ هذا المبلغ فنجتهد نحن كما اجتهدوا ولنا فى حفظ هذا الدين وفى امره والثانى
امرهم بالتاهب مع العدو وحتى امروا بالخدق والتحصن بالاشياء ثم جاء هم الغوث من الله بغير الذى امروا والبكو نوا ابدا
متاهبين مستعدين لذلك ولا يرجون النصر والظفر من ذلك الوجه وذلك بفضل الله ونصره على ما اخبره منهم ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا الاية والثالث ان لا يوئسهم خروج انفسهم من ايديهم واحاطة لعدوهم
وكونهم فى ايديهم من روح الله ورحمته وغوثه اياهم لان الخوف قد يلغ بهم المبلغ الذى ذكر حيث قال وبلغت القلوب
الحناجر الى قوله وزلزلوا زلزالا شديدا وفيه دلالة اثبات الرسالة لرسول الله لانه وعدهم النصر فكان على ما وعد
ليعرفوا اصدقه فى كل ما يخبر بعد وكان الله على كل شىء اراد من فتح او نصر او غيره قديرا وقال القتبى وابو عبيدة قضى
نحبه اى قتل وقضى اجله واصل النحب النذر كان قوما نذروا ان لقوا العدو ان يقاتلوا او يفتح الله فقتلوا وقوله من
صياصيهم وحصونهم واصل الصياصى قرون البقر لانها تمتنع بها وتدفع عن نفسها فقيل للحصون صياصى لانها تمنع ولا
صيصية وصيصية الديك حتى صغير يكون بر الحائك ويجمع هذا كله صياصى والاحزاب الفرق واحدها حزب ويقال
حزبت القوم اى جمعتهم وحزبتهم اى فرقتهم وتحزبت القوم اذا اجتمعوا وصاروا احزابا وتقول هؤلاء حزبى اى
اوشيعتى وتقول حازنى محازبة اى صاحبنى مصاحبة وقوله بادون فى الاعراب اى ان يكونوا فى البادية مع الاعراب
وجل بادٍ قد نزل البادية ديد وا ان يكونوا فى البادية مع الاعراب وقال بعضهم فى قوله وارضا لم تطؤها هو ما يظهر
عليه المسلمون الى يوم القيمة وقوله يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها قال بعض اهل
التاويل انهن جلس فجعلن يخيرن الازواج فى حيوة رسول الله فنزلت الاية توبيخا لهن وتعبيرا على ذلك لكن هذا
بعيد محال لا يحتمل ان يكون ازواجه يخترن الازواج وهن تحته فى حيوته فذلك سوء الظن بهن وقال بعضهم انهن
طلبن النفقة منه فنزل ما ذكر وقيل انهن قد تحدثن بشىء من الدنيا وركن الى الدنيا فنزل ما ذكرنا بالنهى وتعبيرا ونحو
ذلك قد قالوا وجائز ان يكون الله يمتحن رسوله وازواجه بالتخيير واختيار الفراق منه ابتداء امتحانا من غير ان
يكون منهن شىء مما ذكروا ولا سبب وعلى ذلك روى فى الخبر عن عايشة رضى الله عنها قالت لما امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بتخيير ازواجه بدأ بى فقال يا عايشة انى ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلى حتى تستامرى ابويك قالت وقد
علم الله وقد علم ان ابواى لم يكونا ليأمرانى بفراقه قالت ثم قال ان الله يقول يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن
الحيوة الدنيا وزينتها الى قوله اجرا عظيما فقلت انى هذا استامر ابوى فانى اريد الله ورسوله والدار الاخرة
وفعل سائر ازواجه مثل ما فعلت وفى بعض الاخبار انها قالت بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة فدل
قولها لما امر رسول الله بتخيير ازواجه ان ذلك من الله ابتداء امتحان من غير ان كان منهن ما ذكروا من الركون
الى الدنيا والتحدث عما ذكروا وفيه وجوه من الدلالة احدها اباحة طلب الدنيا وزينتها من وجه يحل ويجمل حيث
قال فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا لانه لو لم يكن يحل ذلك لهن وكن منهيات عن ذلك لكان رسول الله
لا يقار فهن حتى لا يخترن المنهى من الامر وقد كان يملك حبسهن فى ملكه حتى لا يخترن ما ذكره من المنهى دل
ذلك والله اعلم ان ذلك كان على وجه يحل ويجمل وفيه ان رسول الله لم يكن عنده ما ذكر من الدنيا والزينة وما
يستمتع بها اذ لو كان عنده ذلك لم يحتمل ان يخيرهن بالفراق منه لما ذكر وعنده ذلك ولا هن يخترن الفراق منه وعنده
ذلك دل انه لم يكن عنده ما ذكر ويبطل قول من يقول انه كان عنده الدنيا ويفضل الغناء على الفقر بذلك وفيه دلالة
ان ازواجه كن يحللن لغيره فى حيوته اذا فارقن منه لانهن اذا لم يحللن لغيره لم يكن لقوله فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا
جميلا معنى لانهن اذا لم يحللن لغيره وعندهن ما ذكر من الدنيا يحملهن ذلك على الفجور فدل انهن كن يحللن لغيره فى حيوته
اذا فارقهن وانما لم يحللن لغيره اذا مات فيكون له حكم الحيوة كانه حى فى حق ازواجه ويخرج قوله خالصة لك
من دون المؤمنين فى الاخرة لا تحل لغيره فتكون زوجته فى الجنة ثم اختلف الصحابة رضى الله عنهم فيمن خير امرأته
فاختارت قال بعضهم اذا خيرها فهو تطليقة رجعية واذا اختارت فهى بائنة وهو قول على وقال بعضهم اذا اختارت
نفسها فهى ثلاث واذا اختارت زوجها فلا شىء وقال بعضهم اذا اختارت زوجها فهى تطليقة رجعية وان اختارت
نفسها فهى تطليقة بائنة وعندنا ان التخيير نفسه لا يكون طلاقا فان اختارت نفسها لا شىء واذا اختارت
نفسها فهى بائن اما قوله اذا اختارت زوجها لا شىء لما روى عن عايشة قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخترناه فلم يعد ذلك طلاقا واما قوله اذا اختارت نفسها فيكون بائنا لانه خيرها بين ان تختار نفسها
او زوجها فان اختارت نفسها فهى بائن لانا لو جعلناه رجعيا لم يكن اختيارها نفسها لنفسها ولكن لزوجها ان يراجعها
شاءت او ابت وكان التخيير بين النفسين على ما ذكرنا واما قول من يقول بان نفس التخيير طلاق فهو باطل لما ذكرنا من
تخيير رسول الله ازواجه فلم يكن ذلك طلاقا واما من قال بالثلاث اذا اختارت نفسها فهو كذلك عندنا اذا ذكر فى
التخيير الثلاث واما قول من قال بالرجعى فهى اذا صرح بالتطليق فهو كذلك والله اعلم وقوله ان كنتن تردن الحيوة الدنيا
وزينتها الارادة ههنا ارادة الاختيار والايثار حيوة الدنيا وزينتها لا ميل القلب والرضا به وكذلك قوله وان
كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة هو ارادة الاختيار والايثار وهو ما يراد ويختار فهذا لا ميل القلب والرضا

لانه كل ممكن فيه الشهوة مجعول فيه هذه الحاجة يميل قلبه ويركن الى ما يتمتع بحلاوة الدنيا ولذاتها ويرضاه ويحب
فدل انه اراد ارادة الفعل والاختيار لا ارادة القلب ورضاه ثم فيه ما ذكرنا من حلهن لغير رسول الله اذا اخترن
الفراق منه لما ذكر انه يمتعهن ومعلوم انهن لا يكتسبن بانفسهن حتى يتمتعن بذلك ولم يكن عندهن ما يتمتعن
فدل انه انما يمتعهن باموال ازواجهن فدل على حلهن لغيره فى حيوته اذا فارقن والله اعلم وقوله وان كنتن تردن
الله ورسوله والدار الاخرة معلوم انهن اذا اخترن الحيوة الدنيا وزينتها لا يحتمل ان لا يردن الله لكن اضافه
ذلك الى الله لاختيار رسوله المقام عند رسوله فيدل ذلك ان كل ما اضيف الى الله ورسوله كان المراد به رسوله
نحو ما قال فان لله خمسه وللرسول وقوله قل الانفال لله والرسول وامثال ذلك ثم الزهد فى الدنيا يكون
بوجهين احدهما ترك المكاسب التى يتوسع الدنيا ويكون بها السعة فى الدنيا ويؤثرها لغيرها على نفسه واختيار
حال الضيق من غير تحريم ما احل وطيب له والثانى بذل ما عنده لغيره وايثاره له على نفسه وجعله اولى به منه
لا فى تحريم المحللات والطيبات وقوله فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يحتمل قوله اعد للمحسنات منكن
اجرا عظيما اى اذا اخترن المقام عند رسول الله يصرن محسنات بذلك فاعد لهن ما ذكر فيكون ذلك الاختيار
منهن الاحسان فاستوجبن ما ذكر ويحتمل وان كنتن تردن الله ورسوله ودمتن على ذلك واكتسبتن الاعمال
الصالحات والاحسان حتى ختمتن على ذلك فاعد لكن لا بنفس اختيار مقامكن معه والله اعلم وقوله يا نساء النبى
من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين قال بعضهم الفاحشة المبينة هى النشوز البين وقال
بعضهم لا بل الفاحشة المبينة هى الزنا الظاهر ويقال مبينة يشهد عليها اربعة عدول ومبينة بالكسر اى مبينة
ظاهرة يضاعف لها العذاب ضعفين الجلد والرجم فى الدنيا ولكن كيف يعرف ضعف الرجم فى الدنيا من لا يعرف
حدوجم واحدا اذا كان ذلك فى عذاب الدنيا وان كان ذلك فى عذاب الاخرة فكيف ذكر الفاحشة مبينة وذلك
عند الله ظاهر بين وقال بعضهم يضاعف لها العذاب ضعفين فى الدنيا والاخرة اما فى الدنيا فمثلى حدود النساء
واما فى الاخرة فضعف ما يعذب به سائر النساء وجائز ان يكون هذا صلة قوله ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها
اذا اخترن الدنيا فمتى اتين بفاحشة ضوعف لهن من العذاب ما ذكروا واذا اخترن المقام عند رسول الله والدار
الاخرة اتاهن الاجر مرتين او ان يكون اذا اخترن المقام عند رسول الله والدار الاخرة ثم اتين بفاحشة ضوعف
لهن ما ذكر من العذاب لتلاوة يحسبن انهن اذا اخترن الله ورسوله والدار الاخرة ثم ارتكبن ما ذكر ضوعف لهن
ضعف ما عوقب به غيره واذا اطعن الله ورسوله ضوعف لكن الاجر مرتين والله اعلم والاشبه ان يكون
ما ذكر من ضعف العذاب فى الاخرة على ما يقول بعض اهل التاويل الا ترى انه ذكر لهن الاجر كفلين ومعلوم ان
ذلك فى الاخرة فعلى ذلك العذاب واما قوله مبينة عند الخلق وان كانت عند الله مبينة ظاهرة وذلك جائز فى اللغة
وقوله وكان ذلك على الله يسيرا هذا يحتمل وجهين احدهما اى عذابهن على الله يسير هينا لا يثقل عليه ولا يشتد كما
رسول الله بل على الله يسير هين والثانى ان اتيانكن الفاحشة ومعصيتكن على الله يسير اى لا يلحقه منه ضرر ولا تبعة لمن
لمعصية خواص الملك له فى الدنيا يلحقهم الضرر والذل اذا عصوه واعرضوا عنه فاما الله سبحانه عز يزيد انه غنى
لا يضره عصيان عبده بل ضروا انفسهم وقوله ومن يقنت منكن لله ورسوله اى من يطع منكن الله ورسوله وتعمل
صالحا نؤتها اجرها مرتين فى الاية دلالة فضيلة ازواج رسول الله لمكان رسول الله وعظيم قدره حيث خاطبهن
من بين غيرهن من النساء كما خاطب مريم بقوله يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ثم انا فى قوله
نؤتها اجرها مرتين لنا وله فى قوله الطلاق مرتان يقول الطلاق مرتان اى تطليقتان فى دفعة واحدة مرة
واحدة من غير احداث التطليق والفعل فيما بينهما ويستدل على ذلك بقوله نؤتها اجرها مرتين اى اجرين من غير احداث
فعل فيما بينهما ولكن بفعل واحد وقوله يؤتكم كفلين من رحمته اى اجرين لكن عندنا يجوز الاشياء بمعنى الايجاب اى
يوجب لها الاجر مرتين نحو قوله فاتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة اى اوجب لهم ثواب الدنيا وثواب
الاخرة فعلى ذلك ما ذكر ونحوه كثير والله اعلم وقوله يا نساء النبى لستن كاحد من النساء قال بعضهم اهل الادب احد
اجمع فى الكلام من واحد لانه يرجع الى واحد والى جماعة وقوله واحد انما يرجع الى الفرد خاصة وانما يخاطب به
الواحد وقوله ان اتقيتن يحتمل قوله ان اتقيتن اختيار الدنيا وزينتها واتقيتن ايضا نقض اختيار رسول الله والدار
الاخرة وجائز ان يكون على الابتداء اى اتقيتن مخالفة الله ومخالفة رسوله وقوله لستن كاحد من النساء ان اتقيتن
فانكن معشر ازواج النبى منتظرات الى الوحى وكصحبة رسول الله بالليل والنهار وتريدن افعاله وصنيعه فانكن احق
الناس بالتقوى وترك الميل الى الدنيا والركون اليها ممن لا ينظر اليه ولا يصحبه الا فى الاوقات مرة وان يكون
قوله لستن كاحد من النساء فى الفضيلة على غيرها من النساء لانهن يكن ازواج رسول الله فى الاخرة ويرتفعن الى درجات
رسول الله ويكن معه فانكن لستن كغيركن من النساء فى الفضيلة والدرجة ان اتقيتن ما ذكرنا من مخالفة رسول الله و
اختيار الحيوة الدنيا وزينتها والميل اليها والركون فيها والله اعلم وقوله فلا تخضعن بالقول قيل فلا تلين فى القول
فيطمع الذى فى قلبه مرض قال بعضهم اى فجور وزنا وقلن قولا معروفا اى خشنا شديدا وقال بعضهم فيطمع الذى
فى قلبه مرض اى نفاق وهذا اولى لان اصحاب رسول الله لا يحتمل ان يكون احد منهم يطمع فى ازواج رسول الله نكاحا
بحال او رغبة فيهن بعد علمنا منهم انهم اذا علموا من رسول الله رغبة فى ازواجهم طلقوهن ليتزوجهن رسول الله

فلا يحتمل بعد ما عرف منهم هذا ان يطمع احد منهم ويرغب في ازواجه نكاحا فضلا ان يرغب فجورا و لكن ان كان
ذلك فهو من اهل النفاق وجائز انهم رغبوا فيهن نكاحا لانهن اعظم الناس نسبا وحسبا واكرمهم جمالا وحسنا
فجائز وقوع الرغبة فيهن من اهل النفاق لما ذكرنا واما من اهل الايمان فلا يحتمل ذلك لما ذكرنا ويدل على ذلك قوله
واستوحكن سراحا جميلا دل هذا انهن يحث يرغب فيهن ويطمع وقال بعضهم فلا تخضعن بالقول يقول فلا ترمين
بقول يقارب الفاحشة فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا يعني قولا حسنا يعرف لا يقارب الفاحشة
لكن هذا بعيد واصله فلا تخضعن بالقول اي لا تلين قولا يعرف به الرغبة في الرجال والميل الى الدنيا والركون
فيها وقلن قولا معروفا ما يكون فيه تغيير المنكر والامر بالمعروف والله اعلم وقوله وقرن في بيوتكن قد قرئ
بكسر القاف وفتحها فمن قرا بالكسر فهو من الوقار ومن قرا بالفتح وقرن جعله من القرار والسكون فيها وقوله و
لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال بعضهم تبرج الجاهلية الاولى قبل ان يبعث رسول الله كان يخرج نساؤهم متبرجات بزينة مظهرات فامر الله ازواج رسوله بالستر والحجاب عليهن وادناء الجلباب عليهن وهو ما قال يدنين عليهن
من جلابيبهن وقال بعضهم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال الجاهلية التي ولد فيها ابراهيم اعطوا اموالا كثيرة وكن
يتبرجن في ذلك الزمان تبرجا شديدا وامر ازواجه بالعفة والترك لذلك فلسنا ندري ما اراد بالجاهلية ومن
اراد بذلك الذين كانوا يقرب خروج رسول الله وبعثه او الذين كانوا من قبل في الامم النساء لغة والتبرج كانه هو الخروج
بالزينة على اظهارها اعني اظهار الزينة قال القتبي فلا تخضعن بالقول اي لا تلين وقوله وقلن قولا معروفا اي صحيحا
وقوله وقرن في بيوتكن بالكسر من الوقار ويقال وقر في منزله يقر وقورا وقرن بفتح القاف من القرار وكانه من قررت
ارادا قررن في بيوتكن فحذف الراء الاولى وحول فتحها الى القاف كما يقال ظلن في موضع كذا من ظللن قال الله تعالى
فظلتم تفكهون ولم تسمع قر يقر الا في موضع قرة العين فاما في الاستقرار فانما هو قر يقر وقوله واقمن الصلوة واتين
الزكوة يحتمل ان يكون الامر لهن بايتاء الزكوة من حليهن لانهن كن لا يملكن شيئا سوى ذلك ما يجب في مثله الزكوة
الا يرى انه وعد لهن التمتيع والتسريح الجميل اذا اردن الحيوة الدنيا وزينتها فلو كان عنده من شيء من فضول
الاموال لكن ينفقن ويتمتعن وان لم يكن عند رسول الله ما يمتعن ولا يطلبن ذلك من غيره فدل ذلك انهن لا يملكن
شيئا من ذلك فيجوز ان يستدل بظاهر هذه الاية في ايجاب الزكوة في الحلي وكذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه
وقوله واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله امرهن باقامة الصلوة وايتاء الزكوة والطاعة
لله ورسوله لئلا يفترن بما اخترن المقام مع رسول الله وايثارهن اياه على ان ذلك كاف لهن في الاخرة ولا شيء
عليهن سوى ذلك العبادات بل اخبر انكن وان اخترن المقام معه واثرن اياه على الدنيا وزينتها لا يغنيكن ذلك
عما ذكر والله اعلم وقوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قال بعضهم ان هذه الاية
مقطوعة عن الاولى لان الاولى في ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه في اهل بيته وهو قول الروافض و
يستدلون بقطعها عن الاولى بوجوه احدها ما روي عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت عني بذلك
عليا وفاطمة والحسن والحسين وقالت لما نزلت هذه الاية اخذ النبي ثوبا فجعله على هؤلاء ثم تلا الاية انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقالت ام سلمة من جانب البيت يا رسول الله من اهل البيت فقال بلى ان شاء
الله وعن الحسن بن علي انه خطب الناس بالكوفة وهو يقول يا اهل الكوفة اتقوا الله فينا فانا امراؤكم وانا ضيفا
نكم ونحن اهل البيت الذي قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويقولون ايضا ان الاية
الاولى ذكرها بالتانيث حيث قال واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله وهذه ذكرها بالتذكير دل
انها مقطوعة عن الاولى ويقولون ايضا انه وعد ان يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا وعدا مطلقا غير مقيد
وذلك الرجس الذي ذكر مما يحتمل ازواجه ممكن ذلك فيهن غير ممكن في اهل بيته ومن ذكره ويقولون ايضا ما
روي عنه انه قال تركت فيكم بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بها لن تردا ان يكم الحوض وكلام
نحو هذا فقسر العترة باهل البيت ونحو ذلك من الوجوه واما عندنا فهي غير مقطوعة من الاولى اما ان يكون
على الاشتراك بينهن وبين من ذكروا من اولاده اذ اسم اهل البيت مما يجمع ذلك كله في العرف ويكون الاية لهن
على الانفراد فاما ان يخرج ازواجه عن اهل بيته والبيت يجمعهم فلا يحتمل ذلك واما قولهم انه ذكر هذه الاية
بالتذكير والاولى بالتانيث فعند الاختلاط كذلك يذكر باسم التذكير واما قولهم انه وعدهم منه خرج
مطلقا غير مقيد فكذلك كن ازواج رسول الله لم يات منهن ما يجوز ان ينسبن الى الرجس والقذر لانه فيما غوتبن
على ما تبين وتدبيرهن بالجميل فاخرجن فيما اخرجن واما قولهم في الثقلين اللذين تركهما فينا بعده الكتاب والعترة
وعترته سنته على ما قيل وقوله اهل بيتي كانه قال تركت الثقلين كتاب الله وسنتي باهل بيتي وذلك جائز في اللغة
واما ما روي عن ام سلمة فانه في الخبر بيان على ان ازواجه دخلن حيث قلت له ام سلمة الست من اهل البيت قال
بلى ان شاء الله وفي هذه الاية دلالة نقض قول المعتزلة من وجوه احدها ما يقولون ان الله قد اراد ان يطهر الخلق
كلهم الكافر والمسلم واراد ان يذهب الرجس عنهم جميعا لكن الكافر حيث اراد ان لا يطهر نفسه ولا يذهب
عنه الرجس لم يطهر فلو كان على ما يقولون لم يكن لتخصيص هؤلاء بالتطهير ودفع الرجس عنهم فائدة ولا منة دل
انما يطهر من علم منه اختيار الطهارة وترك الرجس واما من علم منه اختيار الرجس فلا يحتمل ان يذهب منه الرجس

او يريد منه

او يريد منه غير ما نعلم انه يختار وان التطهير لمن يكون انما يكون بالله لا بما تقوله المعتزلة حيث قال ويطهركم
تطهيرا اذ على قولهم لا يملك هو تطهير من اراد اذ لم يبق عنده ما يطهرهم فذلك كله ينقض عليهم اقوالهم
ومذهبهم وقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة هذا يحتمل وجهين احدهما قوله اذكرن اي
اتلون ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي والثاني اذكرن على حقيقة الذكر
اي اذكرن ما من الله عليكن وجعلكن من اهل بيت يتلى فيه ايات الله والحكمة وجعل بيوتكن موضعا لنزول الوحي
فيها وحصكن بذلك ما لم يجعل في بيت احد ذلك يذكرهن عظيم ما انعم ومن عليهن ليتادى به شكره ليعرفن منته
الله ونعمه عليهن وقوله من ايات الله تحتمل ايات القران وتحتمل الحجج وبراهينه والحكمة قالت الفلاسفة الحكيم هو
الذي يجمع العلم والعمل جميعا وقال بعضهم الحكيم المصيب والحكمة هي الاصابة وقيل هي وضع الشيء موضعه وهي
نقيض السفه واصل الحكمة في الحقيقة كانه هي الاصابة في كل شيء والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطاء في الحكم و
لا الغلط وقال بعضهم الحكمة ههنا هي السنة وقوله ان الله كان لطيفا خبيرا اللطيف هو البار يقال فلان لطيف
اذا كان بارا والثاني اللطيف هو الذي يستخرج الاشياء الخفية الكامنة مما لا يتوهمها العقول استخراجها من مثلها
وقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى اخر ما ذكر ان ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وامراة
يقال لها انيسة بنت كعب اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالتا يا رسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال في القران
بالخير ولا يذكر النساء في شيء فنزل ان المسلمين والمسلمات ثم قول ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
يدل ان الاسلام والايمان هما في الحقيقة واحد اعني في الحقيقة المعنى واحد وان كانا مختلفين بجهة لان الاسلام
هو ان يجعل كل شيء لله سالما خالصا لا يجعل لغيره فيه شركا ولا حقا والايمان هو التصديق لله بشهادة كل شيء
له بالوحدانية والربوبية والالوهية فمن جعل الاشياء كلها لله خالصة سالمة له والذي صدق الله
بشهادة كلية الاشياء له بالوحدانية والربوبية واحد لان المخلص هو الذي يرى كل شيء لله خالصا والموحد
هو الذي يرى الوحدانية له والربوبية في كل شيء فهما في حقيقة المعنى واحد والله اعلم وقوله والقانتين
والقانتات القنوت هو القيام في اللغة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل الصلوة فقال
طول القنوت وفي بعضه طول القيام فسر القنوت بالقيام قلت ان القنوت هو القيام فيكون تاويله
والله اعلم القائمين والقائمات بجميع اوامر الله ومناهيه وكذلك يخرج تاويل اهل التاويل القائمين المطيعين
والمطيعات لله لان كل قائم بامر اخر فهو مطيع له هذا كانه يقول يكون في الاعتقاد والله اعلم وقوله و
الصابرين والصابرات الصبر هو كف النفس وحبسها عن التعاطي في جميع المحرمات المحظورات وعلى ذلك
يخرج قول اهل التاويل الصابرين على امر الله وطاعاته وعلى الموازي والمصائب يكفون عن جميع ما لا يحل فيه
ويرون ذلك من تقديره وقوله والخاشعين والخاشعات قال بعضهم الخاشع المصلي وقال بعضهم الخاشع المتواضع
واصل الخشوع هو الخوف اللازم في القلب وهو قول الحسن يخافون الله في كل حال لا يخافون غيره ويرجون
الله ولا يرجون غيره هكذا عمل المؤمن يكون حقيقة خوفه ورجائه منه واما الكافر فانه لا يخاف ربه ولا
يرجون منه لانه لا يعرفه ولا يخضع له وعلى ذلك المعتزلة انما خوفهم من اعمالهم السيئة ورجاؤهم منها
اعني من اعمالهم الحسنة لا من الله حقيقة وكذلك على قولهم لا يكون لاحد رجاء في شفاعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما رجاؤه في اعماله لقولهم انه ليس لله في افعال العباد شيء من تدبيره ولا تقديره وقوله والمتصدقين و
المتصدقات اي المتفقين في طاعة الله والقائمين والقائمات قد ذكر ان هذا راجع الى حقيقة العقل في الصيا
والصدقة والصدق في القول والمعاملة والخشوع منه وجائز ان يكون في القبول والاعتقاد على ما ذكرنا والله
اعلم وقوله والحافظين فروجهم والحافظات فيما لا يحل كقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم
او ما ملكت ايمانهم وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات قال بعضهم اي المصلون لله الصلوات الخمس وقال
بعضهم الذاكرين الله كثيرا والذاكرات باللسان على كل حال لكن غيره كانه اولى بذلك اي الذاكرين حق الله الذي
عليهم كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم قال جعفر بن حرب المعتزلي دلت هذه الاية على ان الكفر مما لم يقضه الله لانه
لو كان مما قضاه الله لكان لا يكون لهم الخيرة والتخيير فاذ قال انه اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة
دل انه مما لم يقضه الله لكن يقول ان القضا ههنا ليس هو قضاء الخلق على ما فهم هو ولكن القضا ههنا الامر والحكم
كقوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اي امر ربك واوجب ان لا تعبدوا الا اياه اي امر ربك واوجب
ان لا تعبدوا الا اياه او ان يكون الحكم كقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت اي مما حكمت فاذا كان القضا يحتمل الامر والحكم على ما ذكرنا فيكون كانه
قال وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا امر الله ورسوله امرا واذا حكم الله
ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم وهكذا يكون فيما امر الله ورسوله بامر وحكم بحكم ان
لا يكون لاحد التخيير في ذلك ومما يدل ايضا على ان القضا ايضا ههنا ليس هو القضاء الذي فهم المعتزلة
حيث اضاف ذلك الى رسوله ايضا حيث قال اذا قضى الله ورسوله امرا ولا شك ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان لا يملك القضاء الذي هو قضاء خلق دل ان المعتزلة اخطأت وغلطت في فهم ذلك وقصرت
عقولهم عن درك ذلك وان التأويل ما ذكرنا نحن ثم اجمع اهل التأويل على ان قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم انما نزل في زينب بنت جحش يذكرون ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اعتق زيد بن حارثة وتبناه وكان مولى له فخطب له زينب بنت جحش فقالت زينب اني لا ارضاه لنفسي
وانا من اتم نساء قريش وكانت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت ميمونة بنت عبد المطلب فقال لها النبي صلى
الله عليه وسلم قد رضيته لك فزوجي نفسك منه فابت ذلك فنزل قوله فيها وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا
قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم لكن ان كان على ما يذكرون من الخطبة لها فلا يحتمل ان يجبرها
على النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس للولي مع الثيب امر وقال النبي صلى الله عليه وسلم البكر تستامر في نفسها
والثيب تشاور ثم يحتمل لا يريد جبرها على النكاح ممن لا ترضاه الا ان يكون على الامر من الله تعالى ومن رسوله فعند
ذلك لا يكون لها الخيار في ذلك لان لله ان يامر من شاء على النكاح ممن شاء وله الحكم بالنكاح لمن شاء على من شاء على
وليس لهم الخيرة في ذلك فاما بالخطبة نفسها دون الامر والحكم من الله لا جبر في ذلك الا ترى انه ذكر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما خطب ام سلمة فقالت ان اوليائي غيب فقال ليس احد من اوليائك لا يرضى بي وكلام نحوه
خطبها ولم يجبرها على ذلك فعلى ذلك زينب الا ان يكون على الامر والحكم على ما ذكرنا او ان يكون سبب نزول الاية
فيمن ذكر اهل التأويل في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ويكون لو عند الذي ذكر فيه غيره في
فيما فيه امر من الله او حكم نحو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى الفجر فاتى رجلين جالسين فقال لهما ما لكما
لم تصليا معنا فقالا انا قد صلينا في رحالنا فقال اذا صليتما ثم اتيتما المسجد فصليا معهم فتكون لكما سبحة وانما
قال فصليا معهم لا في صلوة الفجر ولكن في الصلوات التي يتطوع بعدها وقوله ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالا مبينا وان كان هذا في المؤمنين فيكون الضلال هو الخطا كانه قال فقد اخطأ خطاء بينا ويجوز هذا في اللغة
نحو قول اخوة يوسف لابيهم في تفضيله يوسف عليهم حيث قالوا ان ابانا لفي ضلال مبين اي في خطاء بين حيث
يفضل من لا منفعة له منه على من له منه منفعة فعلى ذلك هذا وان كان في المنافقين فهم في ضلال بين فالضلال
من المؤمن لا يفهم ما يفهم من الكافر والمنافق الا ترى ان الظلم من المؤمن لا يفهم منه ما يفهم من المنافق والكافر
الا ترى ان ادم وحوا لما ارتكبا وقربا تلك الشجرة قالا ربنا ظلمنا انفسنا لم يريدا ظلم كفر وعلى ذلك قوله فتكونا من
الظالمين فعلى ذلك المفهوم من ضلال المؤمن غير المفهوم من ضلال المنافق والكافر والله اعلم وقوله واذ تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه قال اهل التأويل انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالاعتاق حيث اعتقه
لانه ذكر ان زيدا كان عربيا من اهل الكتاب اصابه النبي صلى الله عليه وسلم من سبي اهل الجاهلية فاعتقه وتبناه
فانعم الله عليه حيث اعطاه الاسلام ووفقه الهدى وانعم عليه الرسول حيث اعتقه ويحتمل انعام الله عليه ايضا
في الاعتاق حيث وفق رسوله للعتق وفي خلق فعل الاعتاق من رسوله واجرائه اليه وعلى قول المعتزلة ليس لله
على زيد ولا على جميع المسلمين في الاسلام انعام ولا افضال لوجوه احدها انهم يقولون قد اعطى كلا سبب ما يلزمهم
الاسلام وهو القوة فهم انما يسلمون لا بصنع من الله في ذلك فعلى قولهم كان من الله سبب لزوم الاسلام فاما في
الاسلام نفسه فلا صنع له فيه فاذا كان كذلك فلا منة يكون منه عليهم ولا انعام منهم والثاني يقولون ان ليس
الله ان يفعل بالخلق الا ما هو اصلح لهم في الدين ولا شك ان الاسلام لهم اصلح فعليه ان يفعل ذلك بهم فعل ما عليه
ان يفعل ولا يجوز ان يفعل غيره ومن ادى حقا عليه لا يكون في فعله متفضلا ولا منعما انما هو مؤدي حق عليه والثالث
يقولون ان ليس من الله الى الانبياء والمؤمنين جميعا شيء الا وقد كان ذلك منه الى ابليس واتباعه والى جميع
الفراعنة فاذا كان قولهم ومذهبهم ما ذكرنا لم يكن لله على احد من اهل الاسلام في اسلامهم انعام ولا افضال
والله اخبر ان له عليهم في ذلك نعمة ومنة وكذلك فهم منه ذلك في قوله يمنون عليك ان اسلموا الى بل الله يمن عليكم ان
هداكم للايمان وقوله امسك عليك زوجك واتق الله ذكر بعض اهل التأويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد ابصر امراة زيد فاعجبته وودها ففهم زيد ذلك منه فقال يا رسول الله اني اريد ان اطلق فان فيها
كبرا انها تعظم علي وتوذيني بلسانها فعند ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في طلاقها
ولا تطلقها لكن لا نقول نحن شيئا من ذلك الا بخبر ثبت من رسول الله بخبر ان كان ذلك وجائز ان يكون زيد
استاذن رسول الله في طلاقها على ما يطلق الرجل امراته لما يمل منها بلا سبب يكون فقال له عند ذلك امسك
عليك زوجك واتق الله ولا تطلق زوجك بلا سبب يستوجب به الطلاق لانه لا ينبغي للرجل ان يطلق زوجته
بلا سبب يحمله على الطلاق من تضييع حدود الله وترك اقامتها او معنى نحوه فاما بلا سبب يكون في ذلك فلا ينبغي
او ان يكون قوله امسك عليك زوجك اي زوجها واتق الله في ترك تزوجها فيكون هو ماموراً بنكاحها
كما كانت هي مامورة بان يزوجها نفسها منه فيقول اتق الله في ترك الامر للنبي ذلك في ترك ما نديت اليه وامرت
به والله اعلم وقوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه قال عامة اهل التأويل يعني في نفسك حبها واعجابها ما الله
مبديه اي ما الله مظهره في القرآن اي حبها وتزوجها وقال قائلون وتخفي في نفسك يا محمد ليت انه طلقها
ما الله مبديه اي مظهره عليك حتى ينزل به قرانا لكن هذا بعيد محال لا يحتمل ان يكون النبي يقول لزيد امسك

عليك

عليك زوجك واتق الله ثم يخفي هو في نفسه ليت انه يطلقها حتى يتزوجها هو وجائز ان يكون قوله وتخفي في نفسك
هذا القول لنفسه هوا او بدا حيث جعله ابتلي بعد ما اخفى رسول الله شيئا في نفسه ما لولا ذكر الله اياه ذلك
لم يعلم الخلق انه اخفى شيئا ولا ندري ما الذي اخفاه كذا وكذا الا بخبر يجيء عنه فيقول اني اخفيت في نفسي
كذا فعند ذلك يتبع فاما على الوهم فلا تقول به وقوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قال بعضهم وتخشى الناس
اي تستحي قالة الناس ان تزوج امراة ابنه وتترك نكاحها والله احق ان تستحي منه في ترك العرواباك بالنكاح وقال
بعضهم وتخشى الناس اي تتقي قالة الناس تستحي منهم في امر زينب وما اعجبت هي اليك حسنها وحبها والله احق ان
تخشاه ذلك وجائز ان يكون قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه على الابتداء على غير الخارق بالاول في كل
امر وكل شيء كقوله فلا تخشوهم واخشوني والله اعلم وقوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها قال اهل
التأويل قضى زيد منها وطرا اي حاجة اي جماعا فان كان الجماع ففائدة ذكر الجماع فيه ليعلم ان حليلة ابن التبني تحل
للرجل وان الوطر هو عقد النكاح والجماع جميعا وان كان كل واحد منهما سبب الحظر والمنع في نكاح حليلة ابن الصلب
وجائز ان يكون قوله فلما قضى زيد منها وطرا اي قضى همة نفسه وبلغ غاية ما همت نفسه منها فعند ذلك زوجناكها
ذكر ان زينب بنت جحش كانت تفتخر على سائر ازواج النبي فتقول زوجكن اباؤكن رسول الله والله زوجني نبيه فوق
سبع سموات نفسه دلالة رسالته لانه اخفى في نفسه ما كان يخشى قالة الناس في ذلك واستحيى منهم وفي العرف
ان من اخفى شيئا يستحيي من الناس ان ظهر عندهم ان يكتم ذلك من الناس ولا يظهره فاذا كان رسول الله اظهر ما كان
يخشى قالة الناس فيه ولم يكتمه منهم دل انه رسول الله اذ لو كان غير رسوله لكتم واخفاه ولم يظهره لما
ذكرنا من العرف في الناس من كتمان ما يستحيون منهم اذا ظهر وكذلك روي عن عمر وعائشة انهما قالا لو كان رسول
الله كاتما شيئا من القرآن لكتم هذه الاية وقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
في الاية دلالة لزوم الاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما يخبر ويأمر به وفي كل فعل يفعله في نفسه الا فيما
ظهرت الخصوصية فاما فيما لم تظهر فعلى الناس اتباعه فيما يخبر ويفعل لانه قال تزوج امراة دعيه ثم قال
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ولو كان يخبرهم بذلك غير الحل لهم ذلك فعلى ذلك اذا فعل هو
ذلك اخبر ان ذلك لكيلا يكون على المؤمنين حرج في مثل فعله والله اعلم وفيه وجه اخر وقوله
اذا قضوا منهن وطرا ذكر قضاء الوطر منهن لان من النساء من لا يحرمن على بعض هؤلاء بالعقد ولكن انما يحرمن
بقضاء الوطر ومنهن من يحرمن بالعقد نفسه دون قضاء الوطر فاخبر ان ازواج الادعياء وان قضوا منهن
الوطر فانهن لا يحرمن عليهم والله اعلم وقوله وكان امر الله مفعولا اي ما كان بامر الله مفعولا وكذلك ما قيل
الصلوة امر الله اي بامر الله تكون والا فالصلوة هي فعل العباد فلا تكون امر الله ولكن بامر الله فعلى ذلك قوله
وكان امر الله مفعولا اي ما يكون بامر الله مفعولا وكذا قوله حتى جاء امر الله اي جاء ما يكون بامر الله وهو العذاب
الذي اوعد والا فان امر الله لا يجيء ثم يحتمل ذلك وجهين احدهما التكوين يكونه فيكون مكونا كقوله انما قولنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والثاني على الايجاب واللزوم اي ما يكون بامر الله يكون واجبا لازما اذا اراد به
الايجاب والالزام والله اعلم وقوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له هذا يحتمل وجهين احدهما فرض
الله اي بين الله كقوله سورة انزلناها وفرضناها اي بيناها ويحتمل فيما فرض الله له اي وجب الله عليه ويقال
فرض عليه اي حتم وفرض له اي احل له وكذلك قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم يحتمل هذا وجهين اي بين لكم
تحلة ايمانكم والثاني اوجب عليكم تحلة ايمانكم والله اعلم وقوله سنة الله في الذين خلوا من قبل قال بعضهم هكذا
كان سنة الله فيمن كان قبله من الرسل مثل داود وسليمان وهؤلاء كثرة النساء وليس ذلك ببديع في رسول
الله محمد وفي كثرة نساء الرسل لهم ايات عظيمة لانهم اثروا الفقر والضيق على السعة والغنى وكفوا انفسهم عن جميع لذاتها
وحملوا على انفسهم الشدائد في العبادات والامور الخطام الثقيلة وهذه الاشياء كلها اسباب يقطع قضاء
الشهوات في النساء والحاجة فيهن فاذا لم تقطع تلك الاسباب عنهم دل انهم بالله قووا عليها وقال بعضهم سنة الله
في الذين خلوا من قبل اي كذلك كان سنة الله في الذين قبل محمد يعني داود والنبي حين هوى المراة التي فتن بها فجمع الله
بينها وبين داود وتلك المراة فكذلك يجمع بين محمد وبين امراة زيد اذ هويها كما فعل بداود لكن هذا بعيد وقيل
سنة الله في الذين خلوا من قبل انه لا يحرج على احد فيما لم يحرم وجائز ان يكون سنة الله في الذين خلوا من قبل في
حل نكاح ازواج الادعياء كان يحل لهم ذلك فعلى ذلك لرسول الله والله اعلم وقوله وكان امر الله قدرا
مقدورا هو ما ذكرنا في قوله وكان امر الله مفعولا اي ما كان بامر الله وتقديره مقدورا قال ابو عوسجة
الدعي الذي يدعى بعد ما يكبروا الادعاء ان يكون الرجل يدعي ولده ولم يقبله ثم ادعاه من بعد ذلك هذا هو المعروف
عندي قال وفي موضع اخر ولهم ما يدعون اي ما يتمنون ويشتهون ويقال ظلنا اليوم فيما ادعينا اي وجدنا
كل ما اشتهينا يقال من هذا ادعيت ادعي ادعاء وقال الوطر الحاجة والاوطار جميع والخيرة اي صيرت اليهم
الخيرة وهو من قولك اي شيء تختار ما كان لهم الخيرة من امرهم اي لم يجعل اليكم الاختيار ان شئتم فعلتم
وان شئتم لم تفعلوا والقنوت في الاصل القيام على ما ذكرنا وقوله الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا
يخشون احدا الا الله يقول اهل التأويل هو محمد خاصة فمعناه والله اعلم ان كان هو المراد به انه فيما تزوج

جلية وعيه زيد مبلغ رسالات ربه حيث قال الكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وتبليغ الرسالة يكون
مرة بالخبر والقول ومرة بالفعل يلزم الناس في اتباعه في فعله كما يلزم في خبره وامره الا فيما ظهرت له الخصوصية في
فعل ما وجائز ان يكون قوله الذين يبلغون رسالات الله هم الانبياء الذين قال سنة الله في الذين خلوا من قبل نعتهم
وقال الذين يبلغون رسالات الله فتنة الله في محكمة اولئك الذين كانوا من قبل فيما ذكر ويخشونه ولا يخشون احدا
الا الله يقول والله اعلم يخشون الله في ترك تبليغ الرسالة ولا يخشون احدا سواه في التبليغ ويكون قوله الا الله بمعنى
سواه على المبالغة في الامر والا لو قال ولا يخشون احدا كافيا اي لا يخشون احدا فيما يبلغون لكن يحتمل ما ذكرنا انه
لا يخشون احدا فيما يبلغون سواه وجائز ان يكون قوله ولا يخشون احدا الا الله بما يصيبهم من الاذى والبلاء
بالتبليغ يقول لا يرون ذلك من اولئك ولكن يتعذبون من الله اياه والا كانوا يخافون من اولئك الا ترى انهم قالوا
اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وحيث قال موسى فاخاف ان يقتلون واخاف ان يكذبون ويجحدوا وان يكون
في الابتداء خافوا قوم تم امنهم الله فلم يخافوا حيث قال قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى والله اعلم وقوله وكفى بالله
حسيبا قيل شهيدا على تبليغ الرسالة وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم معناه والله اعلم ما كان محمد ابا احد ابوة
تحرم بها حلائل الابناء والا كان هو ابا لجميع المؤمنين حيث قال النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
اذا كانت ازواجه امهاتنا فهو ابونا على ذكرنا لكن التأويل فيه ما كان محمد ابا احد من رجالكم ابوة تحرم بها حلائل الابناء
ولكن ابوة التعظيم له والتبجيل وابوة الشفقة والرحمة وهو ما قال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض الاية وكذلك قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم يحتمل وجهين اولى ان يعظم ويكرم ويشرف
من كقوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه والثاني اولى بالمؤمنين اي اشفق عليهم وارحم بهم من انفسهم وهو ما وصفه
جل وعلا من رحمته ورأفته حيث قال عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله ما كان محمد
ابا احد من رجالكم يخرج على وجهين احدهما في حق الانتساب اليه اي ليس هو ابا احدكم ينسب اليه ويدعى به لانه
ذكر انهم يدعونه ويسمونه زيد بن محمد انه يجوز التبني ولا يجوز النسبة اليه ولا التسمية به كقوله ادعوهم لآبائهم
هو اقسط عند الله والثاني في حق الحرمة كانه قال ليس هو ابا احدكم في حرمة حلائل الابناء عليه الابناء النبي ولا في حق
النسبة وان كان هو ابا لكم في الشفقة والرحمة والرأفة على ما ذكرنا بديا ولكن رسول الله ما ذكرنا في التعظيم له و
التبجيل في المعاملة والمصاحبة وفي الدعوة به والتسمية وقوله ولكن رسول الله اخبر ليس بابي احد من رجالكم على
ما ذكرنا ولكن رسول الله لئلا يعاملوا رسوله معاملة ابائهم ولا يصاحبوه صحبة غيره ولكن يعاملوه معاملة الرسل
في التعظيم له والتبجيل والاكرام لان ابوتهم وشفقته الاباء شفقة دنيا وتبه ولان الرجل قد ينبسط مع والده
واشياء لا ينبغي مثله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قال ولكن رسول الله وخاتم النبيين اي ختم به الرسالة
لا نبي بعده وقوله وخاتم النبيين جائز ان يكون ذكره واخباره انه خاتم النبيين لما علم جل وعلا انه يبتني غيره
بعده نبيا على ما قالته الباطنية ان قائم الزمان هو نبي فاخبر بهذا ان من ادعى ذلك لا يطالب بالحجة والدلالة
ولكنه يكذب وكذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا نبي بعدي فيما خبر انه به ختم النبوة وقوله
وكان الله بكل شيء عليما اي لم يزل الله عالما بما كان ويكون وبما به صلاحهم عليما وقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله
ذكرا كثيرا اما اهل التأويل يقولون اذكروا الله في كل حال وفي كل وقت ذكرا كثيرا باللسان وجائز ان يكون تأويل
امره بالذكر له كثيرا اي اذكروا نعمه لتشكروا له واذكروا اوامره لتأتمروا ونواهيه ومناهيه لتنتهي ومواعيده
لتخاف وعداته لترغب واذكروا عظمته وجلاله وكبرياءه ليهاب ذكرا كثيرا اي دائما يذكرون ما ذكرنا ليكون
ما ذكرنا اذا انما يكون ذلك بالذكر والله اعلم وقوله وسبحوه بكرة واصيلا البكرة هي ختم الليل وابتداء النهار والاصيل
هو ختم النهار وابتداء الليل فكانه امر بالذكر له والخير في ابتداء كل ليل وختمه وابتداء كل نهار وانقضائه ليتجاوز عنهم
ويعفو ما يكون منهم من الزلات في خلال ذلك وعلى ذلك ما روي في الخبر ان من صلى العشاء الاخيرة والفجر بالجماعة فكانما احيا
ليلته وجائز ان يكون ذلك ليس على ارادة البكرة والاصيل ولكن على ارادة كل وقت وكل حال ليس من وقت
ولا من حال الا ولله على عباده شكر واصبر الشكر لنعمائه والصبر على مصائبه وقال بعضهم الامر بالذكر له بالبكرة
والاصيل هي الصلوات الخمس من الظهر الى اخر الليل اصيل فيدخل فيه صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وفي البكرة
صلوة الفجر وقوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته اما صلوة الله هي الرحمة والمغفرة وصلوة الملائكة الاستغفار وطلب
العصمة والنجاة كقوله ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما الاية وقوله ربنا وادخلهم جنات عدن
التي وعدتهم الاية وقوله ويستغفرون لمن في الارض جائز ان يكون للمؤمنين خاصة وجائز ان يكون للكل الكافر والمؤمن
فان كان هذا فيكون استغفارهم طلب الاسباب التي بها يستوجبون المغفرة وهو الهدى كقول هود يا قوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه وقول نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا لا يحتمل ان يستغفروهم وهم كفار ولكن يطلبون منه
التوبة عن الكفر ليستوجبوا المغفرة وكذلك استغفار ابرهيم لابيه لا يحتمل ان يستغفر له وهو كافر ولكن كان يطلب
له من الله ان يجعله بحيث يستوجب المغفرة والرحمة وهو الهدى والله اعلم وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور قال
بعضهم رحمهم حيث اخرجهم من اصلاب ابائهم قرنا فقرنا الى ان بلغوا ما بلغوا وجائز اخراجه اياهم من ظلمات الكفر
الى نور الهدى بدعاء الملائكة واستغفارهم لهم وكان بالمؤمنين رحيما لم يزل الله بالمؤمنين رحيما وقوله هو

تحيتهم يوم يلقونه سلام جائز ان يكون تحية الملائكة عليهم سلام كقوله عليكم بما صبرتم او تحية بعضهم على بعض
سلام لا غير ليس كتحيتهم في الدنيا اطال الله بقاءك وكيف حالك ونحوها يقولون في الدنيا ويسأل بعضهم بعضا عن احوالهم
يقول ليس تحية اهل الجنة ذلك ولكن سلام كقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما او ان يكون قوله
تحيتهم يوم يلقونه سلام اي صوابا وسدادا لا غير كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ليس ان يقولوا سلام
عليكم ولكن يقولون قولا صوابا سدادا لا يقابلونهم بمثل ما خاطبوهم فعلى ذلك جائز ان يكون قولهم تحيتهم يوم
يلقونه سلام اي صواب من الكلام وسداد واعد لهم اجرا كريما اي حسنا وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا يحتمل قوله شاهدا على تبليغ الرسالة يشهد لهم بالاجابة لهم اذا اجابوه ويشهد عليهم اذا ردوه
وخالفوه وقال بعضهم شاهدا على امتك بالتصديق لهم وقيل شاهدا عليهم بالبلاغ وقوله ومبشرا ونذيرا اي
يبلغ اليهم ما يكون لهم البشارة ان اطاعوه ويبلغ اليهم ايضا ما يستوجبون به النذارة هي اخبار عن الخيرات
التي تكون في عواقب الامور الصالحة والنذارة اخبار عن احزان يكون في عواقب الامور السيئة او نحوه
من الكلام وقوله وداعيا الى الله يحتمل قوله داعيا الى الله الى توحيد الله او الى طاعة الله او الى دار السلام كقوله
والله يدعوا الى دار السلام او الى ما يدعوا الله اليه وقوله باذنه قيل بامره وقوله وسراجا منيرا اختلف فيه قال بعضهم
هو صلة قوله انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وجعلناك سراجا منيرا فالسراج المنير هو الرسول على هذا التأويل
وقال بعضهم السراج المنير هو القران يقول ارسلناك داعيا الى الله والى السراج المنير وهو هذا وقوله وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا فيه دلالة ان البشارة انما تكون بفضل من الله لانهم يستوجبون باعمالهم شيئا من
ذلك والله اعلم وقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين هذا قد ذكرنا في اول السورة وقوله ودع اذاهم هذا يحتمل اعرض
عنهم ولا تكافئهم بما يؤذونك او ان يقول ودع اذاهم اي اصبر على اذاهم وقوله وتوكل على الله اي اعتمد بالله وكفى
بالله وكيلا اي كفى بالله معتمدا او ان يقال كفى بالله وكيلا اي حافظا او ما نعا والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم
المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن ذكر ان رجلا جاء الى ابن عباس فقال كان بيني وبين عمتي كلام فقلت
يوم تزوج ابنتك فهي طالق ثلاثا فقال تزوجها فهي لك حلال اما تقرأ هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات
الاية يجعل الطلاق بعد النكاح وعندنا انه اذا حلف ان يتزوجها فهي طالق يكون طلاقا بعد النكاح وليس في الاية
منع وقوع الطلاق اذا اضافه الى ما بعد النكاح وقوله ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن يحتمل المماسة الجماع اي من
قبل ان تجامعوهن ويحتمل من قبل ان تدخلوا بهن المكان الذي تماسوهن والا لو دخل بها المكان الذي يماسها ثم
طلقها يجب كمال الصداق واذا لم يجامعها ولم يدخل المكان الذي يماسها حتى طلقها وجب نصف الصداق ويدل
على ذلك قول الله حيث قال وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض والافضاء ليس هو الجماع نفسه ولكن الدنو منها
والمس باليد او شبهه والله اعلم وقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها هذا يدل على ان العدة من حق الزوج عليها حيث
قال فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ولا يجوز له ان يجمع بين اختين فما له من حق فعلى ذلك ليس له ان يجمع بين الاختين
في حق العدة التي له قبلها والله اعلم وقوله فمتعوهن قال بعضهم هذه المتعة منسوخة بالاية التي ذكر في سورة البقرة
حيث قال وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقال بعضهم هي التي وجبت لها
بغير صداق فان لم يجب الصداق وجبت المتعة وعندنا ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا نصف الصداق ولا يجب
عليه المتعة وجوب حكم لكن ان فعل ومتعها فهو افضل واحسن وان كان لم يفرض لها صداقا حتى طلقها قبل الدخول
بها فهي واجبة على قدر عسره ويسره والله اعلم وقوله وسرحوهن سراحا جميلا قال بعضهم السراح الجميل هو ان
يمتعها اذا سرحها وقال بعضهم السراح الجميل هو ان يبذل لها الصداق وقال بعضهم السراح الجميل هو ان يقول
لا يؤذوهن بالسنتكم اذا سرحتموهن والله اعلم وقوله يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
يحتمل هذا وجهين احدهما انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اي ضمنت اجورهن وقبلت ويكون الايتاء
عبارة عن القبول والضمان وذلك جائز نحو قوله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم هو على
القبول تأويله فان تابوا وقبلوا ايتاء الزكوة فخلوا سبيلهم هو على القبول والضمان ليس على فعل الايتاء
نفسه اذ لا يجب الا بعد حولان الحول وكذلك قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية ليس
على نفس الاعطاء ولكن حتى يقبلوا الجزية اذ الاعطاء انما يجب اذا حال الحول فعلى ذلك جائز ان يكون قوله اللاتي
اتيت اجورهن اي قبلت معناه انا احللنا لك ابضاعهن اذا اتيت اجورهن وفيه دلالة ان المهر قد يسمى اجرا
فيكون قوله فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن اي مهورهن فيكون الاستمتاع بهن استمتاعا في النكاح
فعلى ذلك يجوز ان يكون قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة
لك من دون المؤمنين فيكون الخلوص له بلا اجر له بلفظة الهبة لانه ذكر على اثر ذكر حل ازواجه بالاجر كانه
قال انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن واحللنا لك ايضا امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها بلا اجر
خالصة لك من دون المؤمنين بغير اجر لان خلوص الشيء انما يكون اذا خلص له بلا بدل ولا مؤنة فاما ان يكون
الخلوص بلفظة دون لفظة فلا وبعد فانه قد ذكر في اخر الاية ما يدل على ما ذكرنا وهو قوله قد علمنا ما فرضنا
عليهم في ازواجهم دل هذا ان خلوص تلك المرأة له بغير بدل فان ذكر هذا له خرج مخرج الامتنان عليه فلا منته

له عليه في لفظة الهبة ليست تلك في لفظة التزويج بقول مكان قوله وهبت زوجت دل ان المنة له عليه فيما صارت له
بلا مهر لا في لفظة الهبة او ان يكون قوله خالصة لك من دون المؤمنين في الاخرة اي لا تحل لاحد سواك اذا تزوجتها
وصارت من ازواجك فاما ان يفهم من قوله خالصة لك من دون المؤمنين بلفظة الهبة فلا اذ لا فرق بين ان يقول
وهبت وبين ان يقول زوجت وبعد فان كثيرا من الصحابة واهل التاويل من نحو عبد الله بن مسعود وابن عباس
وغيرهما رضي الله عنهم لم يفهموا من قوله خالصة لك بلفظة دون لفظة حتى روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه
قال في قوله اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من الموهوبات فما بال الشافعي في فهم ذلك ما ذكر وبعد فانه ليس
من عقد الا وهو يحتمل الانعقاد بلفظة الهبة من البياعات والاجارات وغيرها فعلى ذلك النكاح والله اعلم
وقوله وما ملكت يمينك اي فقد احللنا لك مما ملكت يمينك واحللنا لك ايضا بنات عمك وبنات خالك وبنات خالاتك
ثم جائز ان يكون حل بنات من ذكر من الاعمام والاخوال للناس بهذه الاية لانهن لم يذكرن في المحرمات في سورة النسا فيكون
ذكر حلهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرا للناس كافة كما كان ذكر حل نكاح حليلة زيد بن حارثة له حلا للناس
في ازواج حلائل المتبنى حيث قال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم فعلى ذلك الاول وان يكون معرفة
حل نكاح بنات الاعمام والعمات ومن ذكر بقوله واحل لكم ما وراء ذلكم اذ ذكر المحرمات في الاية على ابلاغ ما كان بنسب
وما كان بسبب ثم قال واحل لكم ما وراء ذلكم فيكون ما وراء المذكورات محللات بظاهر الاية الا ما كان في معنى المذ
المذكورات في الحرمة والله اعلم وقوله اللاتي هاجرن معك لم يفهم احد من قوله هاجرن معك الهجرة معه حتى لا يحل
من لا يتأخرن بل دخل في قوله معه من هاجر معهن من قبل وما بعد والله اعلم وقوله ما فرضنا عليهم في ازواجهم
قال بعضهم ما فرضنا على الناس في ازواجهم وهي اربع نسوة لا تحل الزيادة على الاربع وما ملكت ايمانهم
وهي الجواري والخدم يجوز الزيادة على ذلك وان كثرن وقال بعضهم كان مما فرض الله ان لا يتزوج الرجل امرأة
الا بولي ومهر وشهود الا النبي خاصة فانه يجوز له ان تهب المرأة نفسها بغير مهر وبغير ولي والله اعلم
وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم فرضنا اي بينا ما يجوز وما لا يجوز اي بين ذلك كله في الازواج او فرضنا
اوجبنا عليهم في ازواجهم من الاحكام والحقوق ونحوها والله اعلم وقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك
من تشاء اختلف فيه عن الحسن قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى
يدعها النبي او يتزوجها واذا ترك خطبتها كان لغيره ان يخطبها فاذا خطبها رسول الله لم يكن لاحد ان يخطبها
بعد ذلك الا ان يترك خطبها او كلام نحوه فيصرف تاويل الاية الى ما ذكرنا وكذلك يقول قتادة ان الاية
في الخطبة وقال بعضهم هذا في قسمة الايام بينهن كان يسوي بينهن فيمن فوسع الله عليه في ذلك فاحل له
فقال ترجي من تشاء منهن اي من نسائك اي تترك من تشاء منهن فلا تأتيها وتؤوي اليك من تشاء فتأتيها ومن
ابتغيت ممن عزلت يقول ممن اخترت من نسائك ان تأتيها فعلت فقال ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن على ترك
القسم اذا علمن ان الله قد جعل لك ذلك حلالا وانزل فيهن الاية ويرضين بما اتيتهن كلهن اذا علمن ان الرخص
جاءت من الله تعالى له كان اطيب لانفسهن واقل لحزنهن من ترك ذلك وقال بعضهم ان ازواج رسول الله صلى الله عليه الا
كن يخشين ان يطلقهن فقلن يا رسول الله اقسم لنا من نفسك ومالك ما شئت ولا تطلقنا فنزل ترجي من تشاء منهن
ان تعتزل من تشاء منهن ان تعتزلن بغير طلاق وتؤوي اليك اي ترد وتضم من تشاء منهن اليك فلا جناح عليك
وقال بعضهم الاية في ترك نكاح ما اباح له من القرابات من تشاء منهن الا فلا اقدام على نكاح من تشاء مما اباح له من القرابا
من تشاء منهن وفي الاقدام على نكاح من تشاء منهن لانه لما اتى ذلك ذكرت بقول ترجي من تشاء منهن يعني من بنات
العم والعمة والخال والخالة فلا تزوجها وتؤوي اليك اي تضم اليك من تشاء منهن فتزوجها فيقول خير الله رسوله
في نكاح القرابة فذلك قوله ومن ابتغيت منهن فتزوجها ممن عزلت منهن فلا جناح عليك اي لا حرج عليك في ذلك
ذلك ادنى يقول احدى واحرى واقرب ان تقر اعينهن اي النساء اللاتي عندك واخترنك ولا يحزن اذا علمن
انك لا تتزوج عليهن ويرضين بما اتيتهن كلهن من النفقة وكان في نفقتهن قلة وجائز ان يكون قوله ذلك ادنى
ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ذلك حين خيرهن رسول الله بين اختيار الدنيا وزينتها وبين
اختيار رسول الله والدار الاخرة فاخترن رسول الله يقول والله اعلم اذا اخترن المقام عند رسول الله
والدار الاخرة فاخترن رسول الله ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن عن قلة النفقة والجماع ويرضين بما اتيتهن
كلهن من النفقة وغيره والله يعلم ما في قلوبكم من الحب والرضاء وكان الله عليما حليما وقوله لا يحل لك النساء من
بعد اختلف في قوله من بعد قال قائلون من بعد اختيارهن رسول الله والدار الاخرة لان الله لما خيرهن بين
اختيار الدنيا وزينتها وبين اختيار رسول الله والدار الاخرة فصبرن اه الله عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد اي
من بعد اختيارهن المقام معك ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك فان على هذا يخرج
الحظر والمنع مخرج الجزاء لهن والمكافات لما اخترن على الدنيا وما قبلها لئلا يترك غيرهن في قسمين منه وروي
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اشترطنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخترناه والدار الاخرة ان لا يتزوج
علينا ولا يبدل بنا من ازواج ثم استثنى ما ملكت يمينه لانه لا حظ لهن في القسم وقال بعضهم قوله لا يحل لك النساء
من بعد المسلمات كتابيات لا يهوديات ولا نصرانيات ان لا يتزوج يهودية ولا نصرانية فتكون من امهات المؤمنين

الا ما ملكت

الا ما ملكت يمينك اي لا بأس ان تشتري اليهودية والنصرانية فان كان على هذا ففيه حظر الكتابيات لرسول الله لما ذكر
خاصة واما المؤمنون فانه اباح لهم نكاح الكتابيات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
فيكون حل الكتابيات للمؤمنين دون النبي بازاء الزيادة والفضل الذي كان يحل لرسول الله وقال بعضهم
قوله لا يحل لك النساء من بعد اي من بعد المذكورات المحللات له في الاية التي قبل هذه الاية من بنات العم
والعمات وبنات الخال والخالات يقول لا يحل لك من النساء سوى من ذكر ان تتزوجهن عليهن ولا تبدلهن
ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك والله اعلم وقوله لا يحل لك في الخلق ان تتزوج عليهن بعد اختيار
هن لك والدار الاخرة على الدنيا وما فيها من الزينة او ان يكون على التحريم نفسه في الحكم وليس لنا ان
نفسر انه تحريم اراد تحريم الحظر والمنع في الخلق او تحريم الحكم لان ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كان يعرف انه ما اراد بذلك والاشتغال به فضل والتبديل بهن يحتمل في التطليق يطلقهن فيتزوج
غيرهن ويحتمل بالموت اذا متن ايضا لم يحل له ان ينكح غيرهن والله اعلم قال ابو عوسجة ترجي من تشاء منهن اي
تحبس من تشاء منهن ولا تقربها وقال القتبي ترجي اي تؤخر يقال ارجئت الامر وارجيته اي اخرته وكذلك قالوا في
قوله ارجه واخاه وقال بعضهم احبسه وقال بعضهم اخره وقوله تؤوي اليك اي تضم وقوله وكان الله على كل
شيء رقيبا اي حفيظا وقيل شاهدا وقوله يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين
اناه يحتمل النهي عن دخول بيوت النبي وجهين احدهما لا تدخلوا بيوت النبي بغير اذن كما يدخل الرجل على امته
وان كن هن كالامهات لكم بغير اذن فيكون النهي عن الدخول في بيته نهيا عن الدخول بغير اذن كقوله
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا ويحتمل لا تدخلوا بيوت النبي فيما الا ان يؤذن لكم الى طعام
الا ان تدعوا الى طعام لان رسول الله كان اذا اهدي اليه شيء من الطعام ومما اصابه فياكلونه وكان لا يبيت
ولا يدخر فضل الطعام لوقت اخر فاذا نزل به ضيف ولم يكن عنده ما يقدم اليه استحيى وشق عليه ذلك فنهوا
عن الدخول والنزول به ضيفا لما ذكرنا وامروا بالانتظار الى ان يدعوا الى الطعام فعند ذلك يدخلون عليه
ويضيفونه فان كان الاول ففيه الامر بالحجاب والنهي عن الدخول بلا استيذان وان كان الثاني ففيه النهي عن
النزول به ضيفا قبل ان يدعوا لما ذكرنا ويكون الامر بالحجاب في قوله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء
حجاب وقال بعضهم ذكر هذا لان اناسا من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله وغداه فاذا حضر ذلك دخلوا
عليه بغير اذن فجلسوا في بيته ينتظرون نضج الطعام وادراكه فنهوا عن ذلك وكانوا اذا اكلوا وفرغوا منه جلسوا
في بيته ويتحدثون ويستأنسون فنهوا عن ذلك وامروا بالانتشار والخروج من عنده وعند نسائه ولم يكن يحتجب
قبل ذلك منهم فشق ذلك على النبي والله اعلم وجائز ان يكون الامر بالانتشار والخروج يخرج لما كان لرسول الله
امور وعبادات يحتاج الى القيام بها اما بنفسه وبين الله او بنفسه وبين غيرهم من الناس فكانوا يشغلونه عن ذلك
لذلك لا لذلك او لما ذكر بعض اهل التاويل من الحاجة له في ازواجه والخلوة بهن وقت القيلولة والله اعلم وقوله
ان ذلكم كان يؤذي النبي الدخول عليه بغير اذن او الانتظار لنضج الطعام وادراكه والجلوس بعد فراغهم من الطعام
والحديث او ما كان وقوله فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ورسول الله ايضا كان لا يستحيي من الحق لكنه يستحيي
ان يقول لهم اخرجوا من منزلي ولا تدخلوا علي ونحوه لما يعني ذلك في الخلق ان يقول الرجل لا تدخل منزلي واخرج
من منزلي لما يرجع ذلك الى دناءة الاخلاق والبخل فلما انزل الله تعالى الاية امر ان يقول لهم ما ذكر فاعلمهم
واخبرهم بذلك فلم يستحي عند ذلك لما صار ذلك من حق الدين فرضا عليه لازما ان يعلمهم الاداب ويخبرهم بما
يلزمهم من حق الدين وكان قبل ذلك في حق الملك وحق النفس فلما انزل الله الاية وامر بذلك صار من حق
الدين لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله والله لا يستحيي من الحق اي لا يدع ولا يترك ان يعلمهم الحق والادب
وقد ذكرناه في قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا الاية وقوله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء
حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن وجائز ان يكون المعنى الذي يكون اطهر لقلوب الرجال غير المعنى الذي
يكون اطهر لقلوبهن ذلك المعنى الذي يكون اطهر لقلوبهم من الفجور والهم لقضاء الشهوة وما تدعوه النفس
اليه واطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة لا الفجور وقضاء الشهوة وذلك انهن قد عرفن انهن لا يصلحن
لغيره بما لما اخترنه والدار الاخرة على الدنيا وزينتها وقد اوعدن بارتكاب الفاحشة العذاب مضعفين على
ما ذكر وذلك يمنعهن ويزجرهن عن ارتكاب ذلك فاذا كان كذلك فاذا عرفن من الداخلين عليهن والناظرين
اليهن طلب الشهوة وقع في قلوبهن لهم العداوة والضغينة فيقول السؤال من وراء الحجاب اطهر لقلوبكم من
الفجور والريبة واطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة والله اعلم بذلك وجائز ان يكون ذلك واحدا وهو الريبة
والفجور لما يمكن فيهن من الشهوات وركب فيهن من فضل الدواعي الى ذلك والله اعلم وقوله وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قال بعض اهل التاويل ان ازواج الرسول لما احتجبن بعد نزول
اية الحجاب ونهوا عن الدخول عليهن والنظر اليهن قال رجل اننهى ان ندخل على بنات عمنا وبنات خالنا وخالاتنا
اما والله لئن مات لاتزوجن فلانة او ذكر امرأة من نسائه فنزل وما كان لكم اي لا يحل لكم ان تؤذوا رسول الله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا لكن هذا قبيح لا يحتمل ان احدا من الصحابة يقول ذلك او واحد ممن سفا ايمانه

بروحسن سلامه ان يخطر بباله ذلك الا ان يكون منافقا ويحتمل وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله فيما تقدم ذكره ولا
ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ابتداء نهي وجائز ان يكون وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله في نكاح ازواجه فيكون
اذا هم رسول الله في نكاح ازواجه من بعده ولو كان لا يحل ازواجه الناس لما يذكر بعض اهل التاويل لانهن امهات
لم يحتج الى النهي من نكاحهن بعده اذ لا احد يقصد قصد نكاح الام ولكن كان يحل لهم ذلك وكان المعنى في ذلك ما ذكرنا
من التعظيم له والاحترام حتى نهاهم عن نكاح ازواجه من بعده وجعله في حرمة ازواجه على غيره بعد وفاته
كما في حيوته وكذلك جعل في حق ماله وملكه في منع الميراث لوارثه كما في حيوته لم يرث ماله وارثه بل جعل باقيا ابدا على ملكه
وكذلك ازواجه وكذلك جعل في حق الرسالة والنبوة كما في حيوته لم تنسخ شريعته بعده وقام بشريعة اخرى كما نسخت شريعة
الانبياء الذين كانوا قبله اذا ماتوا بشريعة اخرى بل جعله كما في حيوته في ابقاء شريعته الى يوم القيامة فعلى ذلك
جعل في ازواجه كما في حيوته في حرمة ازواجه في الاخرة وعلى ذلك يخرج لنا وبل قوله عندنا خالصة لك من دون المؤمنين
اي هي لك خالصة لا تحل لاحد بعدك فتكون زوجته في الجنة والله اعلم وقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما يحتمل اذى
رسول الله ونكاح ازواجه عند الله عظيما او عظيما في العقوبة عند الله وقوله ان تبدوا شيئا او تخفوه اي تبدوا شيئا
للعباد او تخفوه عنهم فان الله كان بكل شيء عليما اي ما ابديتم وما اخفيتم عليما لا يخفى عليه شيء يذكر هذا ليكونوا ابدا
على حذر وخوف والله اعلم وقوله ولا جناح عليهن في ابائهن اي لا حرج ولا ماثم على النساء في دخول من ذكر عليهن بلا اذن
ولا حجاب من ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن ولا نسائهن ذكر هؤلاء ولم يذكر
الاعمام ولا الاخوال فقال بعضهم انما لم يذكر هؤلاء ولم يبح لهم ذلك لانهن يحللن بالنكاح لا ولاد الاعمام والاخوال
فاذا دخلوا عليهن وهن متجردات متزينات فيصفوهن لاولادهم وقد يصف الرجل لولده حسن المراة وقبحها
فيزول وصفهم اياهن لاولادهم منزلة رؤيتهم بانفسهم فيزيد لهم رغبة فيهن او رهبة عنهن والله اعلم وقال
بعضهم انما لم يذكر الاعمام والاخوال لما في ذكر المذكور من بني الاخوة وبني الاخوات غنى عن ذكر الاعمام والاخوال لانهم جميعا
من جنس واحد ومن نوع واحد ومعنى واحد وقد يكتفى بذكر طرف من الجنس اذا كان في معنى المذكور من اجناس المحرمات
على الابلاغ وترك من كل جنس شيئا لم يذكره اذا الذي لم يذكره هو في معنى المذكور ففي ذكر من ذكر غنى عن الذي
لم يذكر فعلى ذلك في ذكر بني الاخوة وبني الاخوات غنى عن ذكر الاعمام والاخوال اذا هم والله اعلم وجائز ان يكون
لم يبح الدخول للاعمام والاخوال لانهم اذا دخلوا عليهن وهن متجردات فلعل بصرهم يقع على فروجهن فينظر اليها
بشهوة فيجر من علوا ولا دهم وهم اذا تزوجوهن لم يعلموا انهن محرمات عليهم فمنع دخول الاعمام والاخوال عليهن
لذلك والله اعلم وقوله ولا نسائهن قال بعضهم اي نساء المسلمات يقول خص نساء المسلمات واباح لهن الدخول عليهن
بلا اذن وان يرينهن متزينات ولم يبح ذلك لليهوديات والنصرانيات وامثالهن مخافة ان يصفن ذلك لاهل دينهن
فيكون ذلك سبب افتتانهم بهن والرغبة والله اعلم وقال بعضهم نساؤهن قراباتهن هؤلاء من بين غيرهن من الاجنبيات
وذلك يحتمل وجهين احدهما ما ذكرنا من خوف وصف الاجنبيات لازواجهن والمتصلين بهن من حسنهن وزينتهن واذا
متجردات ولا يخاف ذلك من قراباتهن والثاني خص القرابات لما بهن ابتلاء وليس بالاجنبيات ذلك وقد يخفف
الحكم ربما فيما فيه الابتلاء ويغلظ فيما هو اخف منه ورود وتراد لم يكن فيه ابتلاء وعلى ذلك جائز ان يقال
ان الاعمام والاخوال لم يذكر في الاية والرخصة لانه ليس بهم ابتلاء وعن ذكر الابتلاء والله اعلم وقوله ولا ما
ملكت ايمانهن يحتمل الاماء خاصة كقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم لم يفهم منه
سوى الاماء فعلى ذلك جائز ان يكون المفهوم في قوله ولا ما ملكت ايمانهن الاماء ويحتمل الاماء والعبيد جميعا فان
كان على الاماء والعبيد جميعا فذلك والله اعلم انما اباح الدخول للعبيد على مولياتهم بلا اذن لانهم انما يدخلون
عليهن عندما حاجتهن اليهم في اوقات معلومة وهن في تلك الاوقات يكن متأهبات لدخولهم عليهن محتجبات
عنهم وعلى ذلك يخرج ما روي انه كان للعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها كان يدخل عليها فلما ادى فعتق منعته عن
الدخول عليها وهو لما ذكرنا انه كان يدخل عليها في وقت حاجتها اليه وهي كانت متأهبة لدخوله عليها ولا لا يحتمل ان
يكون يدخل عليها ويراها متجردة او متزينة بعد ما امرن بالاحتجاب فعلى ذلك العبيد لا يحل لهم النظر الى مولياتهم
ولا يكونوا محرما لهن وان احتمل الاية العبيد فهم بالاذن يدخلون لا بغير اذن فيكون الاذن مضمرا فيه ثم قال واتقين
الله فيما ذكرنا باحد دخول من لم يبح دخول عليهن والنظر اليهن ان الله كان على كل شيء شهيدا هذا تحذير وتوعيد لهن
والله اعلم وقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ذكر في بعض الحديث انه لما
نزلت هذه الاية قيل له يا رسول الله هذا لك فما لنا فنزل قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور
الاية قد بين ما صلوته عليهم وصلوة الملائكة وهو ما ذكر من اخراجهم من الظلمات الى النور وهو دعاؤهم الى الهدى
والرشد وذكر عن كعب بن عجرة قال لما نزل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
قمت اليه فقلت يا رسول الله السلام قد عرفناه فكيف الصلوة عليك يا رسول الله قال قل اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم
ففي الاية الامر للمؤمنين ان يصلوا على النبي ثم سئل هو عن كيفية الصلوة عليه وما ثبته قال لهم ان تقولوا اللهم
صل على محمد وهو سؤال ان يتولى الرب الصلوة عليه وفي ظاهر الاية هم المامورون بتولي الصلوة بانفسهم عليه لكنه

صلوات

صلوات الله عليه لما امروا بالصلوة عليه وهي الغاية من الثناء لم يرى وسعهم وطاقتهم القيام بغاية ما امروا به من الثناء
عليه امرهم ان يكلوا ذلك الى الله ويفوضوا اليه وان يسالوه ليتولى ذلك هو دونهم لما ليس في وسعهم القيام بغاية
الثناء عليه والدليل في ظاهر الاية سؤال الرب ان يصلي هو عليه ولكن فيها الامر ان صلوا انتم عليه والله اعلم وقوله
كما صليت وباركت على ابراهيم واله تخصيص ابراهيم من بين غيرهم من الرسل يحتمل ما ذكره اهل التاويل انه ليس من
اهل دين ومذهب الا وهو يدعيه ويزعم انه على دينه ومذهبه واثر تاسيه لذلك خصه بالصلوة عليه من بين غيره
من الانبياء وجائز ان يكون لا لهذا ولكنه لمعنى كان فيه وفي ستر تنبيه لا نعرف نحن تخصيصه بذلك من بين غيرهم والله اعلم
وقوله وبارك على محمد البركة كانها اسم كل خير يكون ابدا على النماء والزيادة في كل وقت وقد ذكرنا فيما تقدم ما قيل
في صلوة الله عليهم وصلوة الملائكة وصلوة المؤمنين ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة اختلف
فيه قال بعضهم نزلت الاية في اليهود حين قالوا يد الله مغلولة وهو فقير ونحن اغنياء وفي النصارى حين قالوا المسيح
ابن الله وانه ثالث ثلاثة وفي مشركي العرب حين قالوا الملائكة بنات الله والاصنام الهة ونحو ذلك واذا هم رسول
الله حين شجوه وكسروا رباعيته وقالوا انه مجنون وانه ساحر وامثال ذلك فانزل الله ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله يقول عذبهم الله في الدنيا والاخرة فاما تعذيبه اياهم في الدنيا قتلهم بالسيف يوم بدر يعني مشركي العرب
واهل الكتاب بالجزية الى يوم القيمة وفي الاخرة النار وقال بعضهم قريبا من ذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله
هم اصحاب الصفا ويروا التماثيل قبلهم ما ذكر ان الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا اي يقعون
فيهم وقال بعضهم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة هم الذين قذفوا عائشة بصفوان
اذوا رسول الله في زوجته عائشة حين قذفوها وهي بريئة مما قذفوا وقوله المؤمنين والمؤمنات صفوان وعائشة
وقال بعضهم نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه فعلى هذا عذابهم في الدنيا الجلد وفي الاخرة النار وجائز
ان يكون هذا الوعيد في قاذف كل مؤمنة بغير ما اكتسبن والله اعلم وقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله
اضافة الاذى الى الله على ارادة رسوله خاصة لان الله لا يجوز ان يقال انه يتاذى بشيء او يؤذيه شيء
لان الاذى ضر يلحق والله يتعالى عن ان يلحقه ضر او نفع بل هو الغالب القادر الغني بذاته ويكون المراد
باضافة الاذى اليه رسوله خاصة على ما ذكرنا في قوله يحادون الله اي يحادون رسوله او يحادون
اولياءه لان الله تعالى لا يحادع وكقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ينصركم او ان تنصروا
رسوله واولياءه ينصركم وامثال ذلك كثير في القران نسب ذلك الى نفسه على ارادة اوليائه فعلى ذلك
هذا والله اعلم وبالله العصمة والتوفيق الا ان يريد بالاذى ما ذكر من اذى الله المعصية فهو جائز وكذلك
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اذاني فقد اذى الله اي من عصاني فقد عصى الله وفي الاية بيان وقوع المراد
على الاختلاف والتفاوت من لفظ واحد لانه ذكرها هنا اذى رسول الله وعقب الوعيد الشديد به من اللعن والنار
في الدنيا والاخرة وذكر في الاية التي قبلها حيث قال ان ذلكم كان يؤذي النبي وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
وما ذكر من الاذى ثم لا شك ان المفهوم من هذا الاذى المذكور في هذه الاية غير المفهوم من الاذى المذكور
في قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وان احدهما من المؤمنين والاخر من الكفار
وان كان ظاهر اللفظ في المخرج واحدا وكذلك المفهوم من الظلم الذي ذكر في قوله ومن يظلم منكم نذقه عذابا
كبيرا غير المفهوم من الظلم الذي قال ادم ربنا ظلمنا انفسنا والمفهوم من الضلال الذي قال موسى فعلتها اذا
وانا من الضالين غير المفهوم من ضلال فرعون وسائر الكفرة وكذلك الفسق ومثل هذا كثير لا يجب ان نفهم من امثال
هذا مثال هذا شيئا واحدا او معنى واحدا وان كان اللفظ لفظا واحدا ولكن على اختلاف الموقع وفي الاية دلالة
عصمة رسول الله واله لا يكون منه ما يستحق الاذى بحال وقد يكون من المؤمنين والمؤمنات ما يستوجبون
الاذى ويستحقونه حيث ذكر الاذى لرسول الله مطلقا مرسلا غير مقيد بشيء حيث قال ان الذين يؤذون الله
ورسوله لعنهم الله وذكر اذى المؤمنين مقيدا بشرط الكسب حيث قال والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا فدل شرط الكسب على انهم قد يكتسبون ما يستحقون الاذى ويكون منهم ما يستوجبون ذلك
واما الرسول فلا يكون منه ما يستحق ذلك او يوجب له ولا قوة الا بالله واللعن هو الطرد في اللغة طردهم
عن رحمته ويعدهم عنها والبهتان قيل هو ان يقال ما ليس فيه فيبهت قبل تحيروا انقطع حجاجه وقال بعضهم والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا نزل في قوم منهم الزناة بالاماء وكانت الحرائر يومئذ يخرجن بالليل على زي الاماء
فينالونهن ويطلبون من الاماء فكان ذلك يؤذيهم ويتاذين بذلك جدا فشكوه ذلك الى رسول الله في ذلك
فنزل والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ثم امرن عند ذلك بادناء الجلباب وارخائه عليهن ليعرفن
انهن حرائر ونهين ان يتشبهن بالاماء لئلا يؤذين وهو قوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وقال بعضهم نزل هذا بالمدينة في نساء المهاجرين
وذلك ان المهاجرين قدموا الى المدينة وهي مضيقة ومعهم نساؤهم فنزلوا مع الانصار في ديارهم فضاق
الدور عليهم فكانت النساء يخرجن بالليل الى البراز فيقضين حوائجهن هنالك فكان المريب يرصد النساء بالليل
فيأتيها فيعرض عليها وانما كانوا يطلبون الولائد والاماء فلم تعرف الامة من الحرة بالليل لان زيهن كان واحدا يومئذ

فذكر نساء المؤمنين ذلك الاذى واجهن بالبل من اهل الريبة والفجور فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزل فيهم يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الى آخره ذكرا و الجلابيب
الجلباب واسدله الله عليهن ليكون علامة بين الحراير والاماء وروى عن عمر رضي الله عنه انه كان اذا رأى امة متقنعة
قنعها بالدرة وقال اكشفي قناعك ولا تتشبهي بالحراير واما الاماء يكشفن ما ذكر والحراير يسترن ذلك و قد ذكر الحراير
في سورة النور ويضربن بخمرهن على جيوبهن لكيلا تظهر الزينة التي على الجيوب ونهين ان
يبدين الا للمحارم الا ما ظهر منها وامرن في هذه الاية الى ادناء الجلابيب واسداله عليهن ليعرفن انهن حراير فلا يؤذين
بما ذكرنا ثم اختلف في الجلباب قال بعضهم هو الرداء والجلابيب الاردية وهو القناع امر ان يلبس الاردية والملاء وقال
ابو عوسجة الجلابيب المقانع الواحد جلباب يقال تجلببت ثم تقنعت وعليه دلالة وخصلة خروج
للمرأة بحوائج لا بد لها من الخروج لم يؤمر بان ترخى الجلباب على ما ذكر من الخروج فدل انه يجوز لها الخروج
للحاجة والله اعلم وقوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض جائز ان يكون قوله لئن لم ينته المنافقون عما سبق
ذكره من التعرض لنساء بالزنا والفجور بهن وانهم هم الفاعلون لذلك بهن واما المسلمون فلا يحتمل ان يتعرضوا لشيء من
ذلك الوقت فقال لئن لم ينته المنافقون ومن ذكر من ذلك يفعل بهم ما ذكر وقال بعضهم ان اهل النفاق كانوا يرجفون
اخبار العدو ويذيعونها ويقولون قد اتاكم عدد وعدة من العدو وكقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم كانوا يخبرونهم ويضعفونهم لئلا يخرجوا الى العدو وكذلك الكفرة يشيرون النفاق والخلاف لهم وينظرون الوفاق
ويسرون فيما بينهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول فنهوا عن ذلك حيث قال فلا تتناجوا بالاثم
والعدوان ومعصيت الرسول فنهوا عن ذلك فقال ههنا لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض عن صنيعهم
ذلك لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا قال بعضهم لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم وقال بعضهم لنحملنك
عليهم وقال بعضهم لنولعنك بهم وكان الاغراء هو التخلية بينه وبينهم حتى يقاتلهم بالسيف ويقتلهم وكان
قبل ذلك يقاتلهم باللسان ثم امر بالمقاتلة بالسيف لهذا الوقت وانما لهم حيث ما ثقفوا ان يقتلوا ويطردوا
انما وجد والله اعلم هو الطرد والابعاد يقتلون تقتيلا والا يجاورونك فيها الا قليلا فيما يليها هلكهم وقوله
الذين في قلوبهم مرض قال بعضهم هم الزناة والمنافقون هم المنافقون والمرجفون ليسوا منافقين ولكنهم قوم
كانوا يحبون ان يفشوا الاخبار ويقال للذي جاء هو تتبع الخبر وجائز ان يكون المنافقون هم الذي كان مع الكفرة
في السر حقيقة والذي في قلبه مرض هو الذي في قلبه ريب واضطراب لم يتمكن مع الكفرة لا مزايلا ظاهرا والذي
يميل الكافر والمنافق وقوله سنة الله في الذين خلوا من قبل قال بعضهم سنة الله في الامم السالفة لاهلاك من الكفار وجائز
ان يكون قوله بسنة الله في اهل النفاق من الامم السالفة ما ذكر في هولاء وقال مقاتل في الذين خلوا من قبل اهل بدر يعني سنة
وقتلوا والله اعلم وقوله سنة الله في الذين خلوا من قبل يسالك الناس عن الساعة جائز ان يكون السؤال عنها ما ذكر في اية
اخرى حيث قال يسألونك عن الساعة ايان مرسيها وعن قيامها فقال قل انما علمها عند الله ففيه دلالة اثبات رسالة رسول
لا تزحزح سئل عنها فوض امرها وعلمها الى الله على ما امر به ولو كان غير رسول الله لكان يجيبهم علم او لم يعلم على ما يفعله
طلوب الرياسة في الدنيا اذا سئلوا عن شيء قالوا شيئا وان لم يعلموا لان ذلك يذهب الرياسة لهم فانه لم يفعل صلى الله عليه
كما يفعل اصحاب الرياسة بل قال علمها عند الله دل انه رسول الله مبلغ اليهم ما امر بالتبليغ اليهم وقوله وما يدريك لعل الساعة
تكون قريبا هذا يخرج على الوعيد والتحذير وهو يخرج على وجهين احدهما كانه يقول اعلم ان الساعة تكون قريبا على لا يجاب
موتي لعل من الله واجب فهو وكل ما هو آت فهو كالكاين والثاني على الترجي اي اعلموا على رجاء انه قريب والله اعلم
وقوله ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا العنهم اي نظروهم عن رحمته لما علم انهم يختارون الكفر على الايمان ويحيون
عليه واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا ينقض على الجهمية قولهم وعلى ابي الهذيل العلاف اما على الجهمية لانهم يزعمون
ان الجنة والنار تفنيان وتهلكان فهما التناهي وقالوا الله لو لم يجعل لهما النهاية والغاية لخرجا عن علم الله لان الشيء الغير
المتناهي خارج عن علمه لكن هذا بعيد جهل منهم بربهم لان علمه بالشيء الغير المتناهي انه غير متناهي وعلمه بالمتناهي
انه متناهي ولا يجوز ان يخرج شيء عن علمه متناهيا كان او غير متناهي وبالله العصمة واما العلاف فانه يقول ان اهل
الجنة واهل النار يصيرون بحال في وقت ما حتى اذا اراد الله ان يزيد لاحد منهم لذة او نعمة او عذابا لم يملك عليه او كلام
نحو هذا فنعوذ بالله من السرف في القول على الله وقوله لا يجدون وليا ولا نصيرا ما طمعوا في الدنيا ورجوا من كثرة
الاسباب والحواشي او عبادة الاصنام وغيرها ان ينفعهم ذلك وينصرهم في الاخرة بل ضل عنهم ذلك وحرموا على
ما اخبر وضل عنهم ما كانوا يفترون والله اعلم وقوله يوم تقلب وجوههم في النار وقال في اية اخرى الذين يحشرون
على وجوههم واصله ما ذكر في قوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم يفعل بهم في الاخرة
على ما كانوا في الدنيا وقوله يقولون يا ليتنا اطعنا الله والرسولا لا يزال الكفرة قائلين لهذا القول مترددين له
في الاخرة لما رأوا من العذاب حتى حل بهم يا ليتنا اطعنا الرسولا والرسول المطلق رسول الله والسبيل المطلق هو
دين الله هو المعروف في القرآن وقوله وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا قال بعضهم السادة
الملوك والكبراء العلماء وجائز ان يكون السادة القادة والكبراء دونهم والرسولا والسبيلا انما الالف
فيه عند الوقف واما عند الوصل فلا وذلك ان من عادة العرب ان لا تقف على الحركة ولكن تزيد لها الالف اذا

كانت فتحة واذا كانت كسرة ياء وقوله ربنا انهم ضعفين من العذاب ظنوا ان يكون لهم بعض التسلي والتفرج اذا راوا
اولئك الذين اضلوهم في زيادة من العذاب على ما يكون للرجل بعض التسلي اذا رأى عدوه في بلاء وشدة فلم
يكن لهم من ذلك تسلي بل كان لهم من ذلك زيادة عذاب وشدة فقالوا عند ذلك يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
فبئس القرين الاية وقوله والعنهم لعنا كبيرا جائز ان يكون هذا اي عذبهم عذابا كبيرا طويلا وقوله يا ايها
الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا فيقول عامة اهل التاويل ان موسى كان لا يغتسل
فيما يراه احد فقال بنوا اسرائيل ان موسى ادر ويروون على ذلك عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان بني اسرائيل
طعنوا نبي الله موسى بذلك فذهب ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على حجر فسعى الحجر بثوبه فجعل موسى يعدوا في اثره
ويقول حجرا يا حجر ثوبي حتى مر به على ملأ بني اسرائيل فعلموا انه ليس به شيء فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وكانوا
موسى تاذى مما كانوا يطعنون فعلى ذلك رسول الله كان يتاذى اذا قالوا زيد بن محمد فامروا ان يدعوه لابيه
يقول ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله زيد بن حارثة لكن هذا التاويل بعيد لان موسى كان يدعوهم الى
ستر العورة لا يحتمل ان يظهرها هو منه الاغتسال معهم وان يكشف عورته لهم او ينظر الى عورة احد هذا وحش
من القول او يباسط حجرا فيذهب بثيابه حتى يراه الناس متجردا والله اعلم وقال بعضهم اذوه لانه كان خرج
بهرون الى بعض الجبال فمات هرون هنالك فرجع موسى اليهم وحده فقال بنوا اسرائيل لموسى انت قتلته و
حسدته فقال موسى ويلكم اتقتل الرجل اخاه فاذوه فذلك قوله لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما
قالوا فجاءت به الملائكة فوضعته بينهم فقال لهم لم يقتلني احد انما جاء اجلي فمت فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا
هذا يشبه ان يكون وغيره كانه اقرب واشبه وهو ما كان قوم كل رسول نسبوا رسولهم الى الجنون مرة والى
السحر ثانيا وانه كذاب مفتر ونحوه على علم منهم انه رسول الله ولا شك انهم كانوا يتاذون بذلك جدا ولذلك
قال واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم لا يحتمل ان يكون هذا في الاول لانهم
لو كانوا علموا انه ليس به ما ذكروا لم يؤذوه فدل ان اذاهم اياه فيما ذكرنا و في امثال ذلك وكذلك ما نهى قوم رسول
الله من الاذى له لما نسبوه مرة الى الجنون والى السحر ثانيا والى الافتراء والكذب على الله ثالثا لا فيما ذكر اولئك
وكان عند الله وجيها اي مكينا في القدر والمنزلة والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
جائز ان يكون قوله اتقوا الله اي اتقوا الشرك في حادث الوقت وقولوا سديدا اي اثبتوا بالتوحيد في حادث
الوقت لانه انما خاطب به المؤمنين يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم الى اخر ما ذكر والله اعلم وقوله انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال قد تكلف اهل التاويل تفسير هذه الامانة المذكورة في الاية قال بعضهم هي
كلمة الشهادة والتوحيد ومنهم من قال هي جميع الفرايض التي افترض الله على عباده ومنهم من قال هي الصلوة
والصيام والحج وامثاله وجميع ما امروا به ونهوا عنه لكن التكلف والاشتغال بالتكلم في ماهية هذه الامانة المذكورة
المعروضة على من ذكر فضل لا يجب ان يتكلف تفسيرها انها كذا لانها مبهمة لا يعلم الا بالخبر الوارد عن الله تعالى
انها كذا وان يجعل ذلك من المكتوم لا يشتغل بالتفسير والله اعلم بذلك ثم اختلف فيما ذكر من عرض هذه الامانة
على السموات والارض والجبال وما ذكر من ابائها عن احتمالها والاشفاق فقال بعضهم قوله انا عرضنا الامانة
على السموات والارض ومن ذكر اي خلقنا خلقه ما ذكر من السموات والارض والجبال خلقة لا تحتمل حمل ما ذكر
من الامانة فابين ان يحملنها اباء خلقته اي لم يخلق خلقها بحيث تحتمل ذلك وحملها الانسان اي خلقنا خلقة
الانسان خلقة تحتمل ذلك الى هذا يذهب بعضهم وقال بعضهم قوله عرضنا حقيقة العرض لانه على التخيير بين
ان تقبل وتحمل وتفي بذلك فيكون لها الثواب او لا تفي فيكون لها العقاب في الاخرة وبين ان لا تحمل ولا تقبل
فيكون كسائر الموات تفنى بفناء الدنيا لا ثواب لها في الاخرة ولا عقاب والا لم يحتمل ان يعرض عليهن ما ذكر عرض
لزوم وايجاب لم يبين ما بين ذلك ويشفقن منها وقد وصفهن الله بالطاعة له والخضوع في غير اي من القرآن حيث
قال فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل الاية وقال
في اية يسبحن والطير وكذا ونحوه ولكن ان كان على حقيقة العرض فهو على التخيير الذي ذكرنا وحملها الانسان
فكان له الثواب ان قام بها وعليه العقاب ان لم يقم وقال بعضهم قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال اي عرض على اهل السموات واهل الارض واهل الجبال فلم يحملوها الا الانسان منهم فانه حملها انه كان ظلوما
جهولا قال الحسن ظلوما لنفسه جهولا لا قدر ربه وقال بعضهم انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها اي ابين ان يعصين الله واشفقن الله واشفقن منه اي لم يعصوا قط وحملها الانسان
اي عصى الانسان ربه فيجعل الحمل كناية عن العصيان والوزر يقول لانه ما ذكر في القرآن الحمل الا في الوزر والخطايا
كقوله ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ونحوه كثير وقوله انه كان
ظلوما جهولا اي تاويل من هذه التاويلات التي ذكرنا يعرف هذا ليه استقام والله اعلم عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال الامانة العبادة قال الله تعالى للسموات والارض والجبال تاخذن العبادة بما فيها قلن يا رب
وما فيها قال ان احسنتن جزيتن وان اسأتن عوقبتن فابين ان يحملنها واشفقن منها اي خفن وعرضت على

الانسان فعيلها وهو قول الله لبني ادم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون امانة
الله ورسوله معصيتها واما خيانتهم الامانة فتركهم ما افترض الله عليهم من العبادة وقتادة يقول اما والله ما هن معصيته
ولكن قبل لهن احملنها وتؤد بن حقها فلن لا نطيق ذلك فقيل للانسان وهو ادم احملها وتؤدي حقها قال نعم انه كان
ظلوما جهولا من حقها وفي حرف ابي وابن مسعود وحفصة فابين اي فلم يطقنها وقال ابو معاذ الاباء في كلام العرب
على وجهين احدهما هذا وهو النفي والاخر قوله الا ابليس ابى اي عصى وترك الامر والحسن يقول عرضت الامانة
على السموات وما ذكر فقيل لهن اتأخذن الامانة بما فيها فلن يا رب وما فيها قيل لهن ان احسنتن جزيتن وان اسأتن
عوقبتن فلن لا وحملها الانسان انه كان ظلوما لنفسه جهولا بربه وهو مثل الاول وقال بعضهم كان ظلوما لنفسه
في ركوب المعصية جهولا بما فيه ما حمل والوجه فيه ما ذكرنا بديا انه لا يفسر الامانة ما هي وكيف كان ذلك
العرض على من ذكر من السموات والارض والجبال واباؤهن واشفاقهن والله اعلم ما اراد بذلك وقوله ليعذب الله
المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله من ذكر اي ليعذب من علم انه لا يقوم بوفائها ويضيعها
اي الامانة التي احتملها وانما ضيعها من ذكر من المنافقين والمشركين ويثيب من لم يضيعها وقام بوفائها وهم المؤمنون
قال ابو عوسجة السداد والاستقامة تقول سددك الله وارشدك وقال ابو عبيدة التدبيد القصد وكذلك قال القتبي والقصد كانه

العدل والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله قال اهل التأويل حمد نفسه بان صنع الى خلقه ثم هو يخرج على
وجهين احدهما على التعليم لخلقه الحمد له والثناء عليه لانه لو احسانه الى خلقه ما لولا تعليمه اياهم الحمد له والثناء
عليه لم يعرفوا ذلك والثاني حمد نفسه لما لم يقدر في وسع الخلق والقيام بما يليق الحمد له والثناء عليه على الاثر واداء
فتولى ذلك بنفسه وهو ما ذكر في قوله صلوا عليه وسلموا تسليما فقالوا قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلوة عليك
فقالوا ان تقولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الى اخره فهذا تفويض الصلوة الى الله والدعاء له ان يصلي هو عليه دونهم
فهو والله اعلم كانه لم يقدروا وسع القيام بحقيقة الصلوة عليه ولا بما يليق الثناء فامرهم ان يفوضوا ذلك اليه ليكون
هو القاضي لذلك عنهم فعلى ذلك الحمد له هو الثناء عليه جميع محامده واحصاء باسماء الحسنى والشكر له على جميع نعمائه الاثم
وقوله الذي له ما في السموات وما في الارض كانه قال والله اعلم الحمد لله الذي له ملك السموات والارض وهو المستحق
الالهية لا الاصنام التي عبدتموها وسميتموها الهة وقوله وله الحمد في الاخرة وقال بعضهم له الحمد في الاخرة اي يحمده اهل
الجنة كقوله الحمد لله الذي هدانا لهذا وقوله الحمد لله الذي صدقنا وعده وقوله الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
ونحوه يحمده اولياؤه وفي الاخرة ويحمده اولياؤه وفي الاولى كقوله له الحمد في الاولى والاخرة وجائز ان يكون قوله له
الحمد في الاخرة اي له الحمد في انشاء الدنيا وما فيها انما كان حكمة بانشاء الاخرة ولو لم يكن انشاء الاخرة لكان خلق ذلك
كله عبثا باطلا فانشاء الاخرة حتى صار انشاء الدنيا وما فيها من الخلائق حكمة فاخبر ان له الحمد على انشاء ما صار له هو
انشاء الدنيا حكمة والله اعلم وقوله وهو الحكيم الخبير قد تقدم معنى الحكيم والخبير في غير موضع وهو الذي لا يلحقه الخطأ
في التدبير وهو الواضع كل شيء موضعه والفلاسفة يقولون الحكيم هو الذي يجمع العلم والعمل جميعا وهو ما ذكرنا والحكيم
لما احكم كل شيء واتقنه حتى يشهد كل شيء على وحدانيته ودل على الهيته وقوله يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل
من السماء وما يعرج فيها يخبر ان الارض مع كثافتها وغلظها لا تحجب عنه ما يدخل فيها وما يخرج منها وكذلك السماء مع
صلابتها وشدتها لا يحجب عنه شيء كما يحجب عن الخلائق او يخبر ان كثرة ما يدخل في الارض ويخرج منها وازدحامه
وكثرة ما ينزل من السماء ومن الامطار وما يعرج اليه من الدعوات والملائكة لا يشغله عن العلم بالاخر كما يشغل الخلائق لانه
عالم بذاته لا بسبب والخلق عالمون باسباب فعلمهم بسبب يشغلهم عن الاسباب الاخر فاما الله سبحانه وتعالى فلا
يشغله شيء ولا يحجب عنه شيء وهو الغفور وقوله وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم قال بعضهم
انهم اقسموا باللات والعزى ان لا بعث ولا حيوة بعد الموت فامر الله نبيه ان يقسم بالله الواحد بلى بعث وقيامة
بقوله قل بلى وربي لتأتينكم وجائز ان يكون على غير هذا وهو ما قال في اية اخرى حيث قال واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا فهم اقسموا بالله انه لا يبعث من يموت فامر رسوله في هذه الاية ان يقسم
بالله الذي اقسموا انه يبعث وهو قوله قل بلى وربي لتأتينكم وكان قسمه بما اقسم عندهم اصدق من قسمهم لانهم
لم يأخذوا عليه كذبا قط ولا اتهموه في شيء يدل على ذلك ما اخبر الله عنهم حيث قال قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اخبر انهم لا يكذبونك في مقالتك ولكن همتهم جحود الايات والانكار
لها فيكون قسمه مقابل قسم اولئك في انكارهم البعث ليعلموا كذب انفسهم في قسمهم بقسم رسول الله بما ذكرنا والله
اعلم وقوله عالم الغيب بالخفض وقد قرئ عالم الغيب بالرفع وعلام الغيوب فمن خفضه جعله صفة ونعتا لما تقدم
من قوله قل بلى وربي عالم الغيب ومن رفعه يجعله على الابتداء ويجعل الكلام تاما بقوله وربي لتأتينكم ثم استأنف
فقال عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة ثم قوله لا يعزب عنه قد قرئ برفع الزاي وخفضها لا يعزب وكلاهما لغتان
والعازب في كلام العرب الغائب وقال بعضهم لا يعزب اي لا يبعد وهما واحد وقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة

في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وقال في الاولى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء
وما يعرج فيها جائز ان يكون هذه الاية في جواهر الاشياء واجناسها المختلفة لانه اخبر عن علمه بما يلج في الارض
وما يخرج منها وما يصعد فيها وما ينزل وذلك علم جواهر الاشياء وقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة الى اخر
ما ذكر في الافعال والاعمال يخبر انه لا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه شيء من افعالهم واعمالهم ليكونوا ابدا على
حذر الا ترى انه ذكر على اثر ذلك الجزاء حيث قال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات او ان يكونا واحدا الا انه
ذكر في الاية الاولى الداخل في الارض الخارج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ولم يذكر في ذلك الساكن
فيهما والمقيم وما يكون فيهما فذكر ذلك في قوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض يخبر عن
احاطة علمه بالاشياء كلها من الساكنة والمقيمة والمتحركة والمتقلبة فيهما والله اعلم وقوله ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم المغفرة هي التغطية والستر ثم يكون الستر بوجهين احدهما الستر على
اعين الخلائق ما يفضحها ان لا تذكروا والثاني الستر بالجزاء الحسن اذا لم يجز الزلات هذا للمؤمنين الستر عليهم الزلات مرة
بترك ذكرها ومرة بترك الجزاء عليها واما الكافر فانه لا يجزي على سيئة فقد اظهر وفشى ولم يستر عليه او ان يكون
قوله اولئك لهم مغفرة اي ستر وهو انه اذا ادخلهم الجنة انساهم زلاتهم حتى لا يذكرون ابدا لان ذكر زلاتهم
لو ذكرتهم يتنغص عليهم لذاتهم وتنعمهم وقوله ورزق كريم قيل الكريم الحسن وجائز ان يكون سماه كريما لانه من ناله
كرم وشرف كقوله اولئك في جنات مكرمون والله اعلم وقوله والذين سعوا في اياتنا معاجزين يحتمل حقيقة
سعيهم في اياته بما ذكر كقوله وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ذكر مرورهم
عليها والاعراض عنها فهو سعي وجائز على التمثيل اي يعملون عمل من اعجز الايات المجحود لها والرد والعنا والمعجز هو
السابق وما انتم بمعجزين في الارض اي سابقين فائتين اي لا يعجز شيء ولا يفوته شيء اولئك لهم من رجز اليم الرجز
العذاب الاليم اي مولم وذلك جائز في اللغة وقال ابو عوسجة المعاجز الذي يهرب لكي يعجز وقوله ويرى الذين اوتوا
العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق قال بعضهم الذين اوتوا العلم هم المؤمنون مؤمنوا اهل الكتاب الذين اوتوا
العلم علم التورية والانجيل وغيرهما يقول والله اعلم يعلم الذين اوتوا منافع تلك الكتب ان ما انزل اليك من ربك
هو الحق باجمعهم جميعا الذي اوتوا العلم بتلك الكتب لما يجدون نعته وصفته فيها يعلمون انه هو الحق من ربك
لكن بعضهم ما تحدوا ولم يؤمنوا وبعضهم قد امنوا به وقال بعضهم قوله ويرى الذين اوتوا العلم هم اصحاب
محمد صلوات الله عليه اي الذين اوتوا منافع ما انزل اليك هم يعلمون انه هو الحق من ربك فاما من لم يؤت
منافع العلم فلا يعلم ذلك وفي حرف ابن مسعود ويعلم الذين اوتوا الحكمة من قبل الذي انزل اليك من ربك هو الحق يعني القران
وقوله ويهدي الى صراط العزيز الحميد قوله يهدي يحتمل يدعو ويحتمل اي يهدي اي يبين لهم صراط العزيز الحميد
وقوله وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم كان بعضهم يقول لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم
كل ممزق انكم لفي خلق جديد قوله اذا مزقتم يحتمل ان قالوا للنبي يقول اذا افترقت جوارحكم واعضاؤكم تكونوا خلقا
جديدا فان كان على هذا فهو والله اعلم كانه من اهل الدهر ذلك القول لانهم يقولون بقدم العالم ولا يقولون
بفنائه لان اهل مكة كانوا فرقتين فرقة تمذهب مذهب اهل الدهر وفرقة يقولون بحدث العالم ويقرون
بفنائه لكنهم ينكرون احياءه بعد الفناء فان كان ذلك من هؤلاء فيكون قوله ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اي
اذا ذهب احسادكم وفنيت اللحوم والعظام وكنتم رمادا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اي تكونون خلقا جديدا يخرج
ذلك منهم على احد وجهين اما على الاستبعاد في ذلك في افواههم ومقولهم اي لا يكون ذلك او على التعجب ان كيف
يكون ذلك فقال عند ذلك افترى على الله كذبا ام به جنة يقولون افترى محمد على الله كذبا ام به جنون اذ لم يسمع
ذلك من احد من قبل ولا رأينا ذلك انه كان ما ذكر فرد الله ذلك عليهم وقال بل الذين لا يؤمنون بالاخرة اي
بالبعث والاحياء بعد الموت هم المفترون على الله هم في العذاب والضلال البعيد جزاء قولهم ام به جنون يقول
بل هم في ضلال بعيد الضلال البعيد كانهم والذي لا يرجع الى الهدى ابدا فيكون الاية في قولهم علم الله انهم يختمون
على الضلال ولا يؤمنون ابدا فيكون في ذلك دلالة اثبات الرسالة وقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض قد ذكرنا قوله افلم يروا او لم تروا ونحوه انه يخرج على وجهين احدهما قد رأوا على الخبر والثاني
على الامر انظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ثم يقول بعضهم لبعض حيثما قدم الانسان
راى بين يديه من السماء مثل الذي يرى خلفه وكذلك الارض وقتادة يقول لينظروا كيف احاطت بهم السماء والارض
وهما واحد ان نشأ نخسف بهم الارض كما خسفنا بمن كان قبلهم او نسقط عليهم كسفا من السماء اي عذابا من السماء
كما انزل على من كان قبلهم بالتكذيب والعناد يذكر هذا على اثر قولهم افترى على الله كذبا ام به جنة اي لو نظروا الى
ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض لعرفوا انه رسول الله وانه صادق وان ما يقوله انه يبعث بعد الموت
وان العذاب ينزل بقوله لا عن جنون ولكن عن علم وعقل ومعرفة لان من قدر على انشاء السماء على ما انشا
من سعتها وغلظها وشدتها وكذلك الارض قدر على البعث وخسف من يشاء الخسف واسقاط السماء على من
يشاء ان يسقطه ويقول لو نظروا لعرفوا انه لم ينشئ ما ذكر من السماء والارض عبثا باطلا ولكن انشأهما على الحكمة
بالبعث والاحياء بعد الموت ومصيرهم اليه واما للفناء خاصة فلا يكون حكمة والله اعلم ما اراد بذلك وقوله

ان في ذلك بها فيكون الآية واما المكذب بها فلا ينتفع بها فلا يكون الآية له في الحقيقة وقوله ولقد آتينا داود منا فضلا
اي علما كقوله ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال بعضهم فضلا اي نبوة وقال بعضهم الفضل هو الملك الذي آتاه
الله وجائز ان يكون ما ذكر من الفضل الذي آتاه هو ما ذكر على اثره من تسخير الجبال والطير والتسبيح معه والانة
الحديد له بلا نار ولا شيء حتى اتخذ منه ما شاء ان يتخذ من الدروع والآلات للحروب وهذا في الله داود من الفضل
ما لو تكلفنا عدة واحصاءه ما قدرنا عليه وقوله يا جبال اوبي معه قيل سبحي معه وقوله والطير من نصب الطير
جعلها مسخرة له كانه قال سخرنا له الطير ومن رفعها جعله على النداء يا طير اوبي معه اي سبحي معه ثم اختلف في تسبيح
الجبال والطير قال بعضهم تسبيح خلقة لا تسبيح قول ونطق لما جعل في خلقة كل شيء الشهادة له بالوحدانية والالوهية
لكن ذكرها هنا ان سبحي معه ولو كان تسبيح خلقة لم يكن لذكر التسبيح مع داود فائدة لان تسبيح الخلقة يكون كان معه ام
داود او لم يكن ولكن جائز ان يجعل الله تعالى في تسبيح الجبال من التسبيح ما يفهم منها داود ولم يفهم ذلك غيره على
ما ذكرنا في قبل النملة لسائر النمل حيث قال قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الآية جعل الله تعالى في سيرة النمل معنى
التي ذلك في مسامع سليمان فهم منها ذلك ولم يبلغ ذلك في مسامع غيره من الجنود فعلى ذلك تسبيح الجبال والطير والله اعلم
وقوله والنا له الحديد جعل له آية لنبوته لما الان له الحديد بلا نار ولا سبب يلينه حتى كان يعمل منه ما شاء ولم يجعل
في وسع احد من الخلائق سواه استعمال الحديد الا بالنار واسباب اخر ليكون له في ذلك آية وقوله ان اعمل سابغات كانه
قال والنا له الحديد وقلنا له ان اعمل سابغات قال بعضهم السابغات هي الدروع وقال بعضهم هي لواسعات وقيل
هي الطوال مكانه امران يتخذ من الدروع ما يأخذ من الرأس الى القدم ما يصلح للحرب لعدو وقوله وقدر في السرد
قال بعضهم كانت الدروع قبل ذلك صفائح مضروبة فسرد بحا الله حلقها بعضها في بعض والسرد المسامير والحلق
يقول قدر المسامير في الحلق لا يدق المسامير وتوقع الحلق فتسلسل ولا تضيق الحلق وتعظم المسامير فتنقصم وتكسر
لكن سويا لتكون احكم قال ابو عوسجة والقتبي وقدر في السرد اي في النسج اي لا تجعل المسامير دقاقا فتقلقل ولا غلاظا
فتكسر الحلق ومنه قيل اصانع الدروع سراد وزراد كما يقال صراط وسراط وزراط والسرد الخرز ايضا وقال
غيره السرد الخرز في طبق الحلق وادخال الحلق بعضها في بعض وقوله واعملوا صالحا جائز ان يكون قوله اعملوا صالحا
فيما ذكر من عمل الدروع ويحتمل في غيره من الاعمال انه بما تعملون بصير هو على الوعيد والله اعلم وقوله ولسليمان الريح
غدوها شهر ورواحها شهر كانه يقول سخرنا لسليمان الريح كما ذكرنا في آية اخرى فسخرنا له الريح تجري بامره حيث
اصاب وقوله غدوها شهر ورواحها شهر اي تجري به الريح في غدوها مسيرة شهر وفي رواحها مسيرة شهر وذلك
آية له فمثلها من الآية كان لرسول الله حيث اسرى في ليلة واحدة مسيرة شهرين من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
وما كان لسليمان من الملك الاعوان من الجن والانس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حيث قال نصرت
بالرعب مسيرة شهرين اعظم مما كان لسليمان فلا يكون دونه وما كان لابيه داود من الانة الحديد له بلا سبب
وما ذكر كان لمحمد انشقاق القمر له وذلك اعظم في الآية مما ذكر وما كان لموسى من انفجار العيون من الحجر كان لمحمد من
اصابعه حتى ذكر انهم كانوا الغا وزيادة تفجر بوا جميعا منه وذلك ان لم يكن اعظم في الآية لا يكون دونه
وما كان لعيسى من احياء الله الموتى واجراء على يديه كان لمحمد مقابل ذلك كلام الشاة المصلية المسمومة التي اخبرته انها
مسمومة فلا تتناول منها فاذا كثير حتى لا تذكر لاحد من الانبياء والرسل صلوات الله عليهم آية الا ويمكن ان يذكر لمحمد جميعا
مقابل ذلك مثلها او اعظم منها ثم يحتمل ذكر ملك سليمان وابيه لئلا يجد واحد عليه الصلوة والسلام على ما اعطاه الله
له من الملك والشرف ليعرفوا انه ليس هو المخصوص بالملك والشرف ولكن له في ذلك شركاء واخوان اعطاهم الله مثل
ذلك والله اعلم واسلنا له عين القطر قيل النحاس وقيل الصفر قيل اسيلت له يعمل به ما احب كما الين له الحديد
فيعمل به ما احب من الدروع وغيرها بلا سبب والله اعلم وقوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه قيل بامر ربه
اي سخر الله الجن له وامرهم بطاعته في جميع ما يأمرهم فيما احب شاؤا او كرهوا فخرج قوله باذن ربه على
وجهين احدهما على التسخير له فيكون الاذن كناية عن التسخير والثاني باذن ربه اي بامر ربه اي امرهم ربهم
ان يطيعوه في جميع ما يأمرهم وينهى وقوله ومن يزغ منهم عن امرنا اي عصاه فيما امره به تدقه ما ذكر يحتمل اضاف امره
الى نفسه لما اثره ما يستعملهم فيما يستعملهم والله اعلم وقوله يعملون له ما يشاء من محاريب قال بعضهم المحاريب هي
المساجد وقال بعضهم هي القصور والمحاريب هي اشرف المواضع ذكر كناية عن غيرها والله اعلم وتماثيل قال بعضهم هي التماثيل
كهيئة تماثيل الرجال يصورون في المساجد تماثيل الرجال العباد الزهاد والملائكة والنبيين والرجال المتواضعين لكي
اذا رآهم الناس مصورا عبدوا اعبادتهم وتشبهوا بهم وان يكون تماثيل لا رأس لها نحو الاواني والكيزان ونحوها او ان
يكون التماثيل يومئذ غير منهي العمل بها فاما اليوم فقد نهوا عن العمل بها مخافة ان يدعو ذلك الى عبادة غير الله و
لذلك عن ابليس قوما حتى عبدوا الاصنام والا ليس من الاصنام ولا فيها ما يغتر المرء على عبادتها والله اعلم وقوله
وجفان كالجواب قال بعضهم اي قصاع كالجواب بهيئة حياض الابل حتى يجلس على القصعة الواحدة الف وزيادة
يأكلون منها وقال بعضهم وجفان كالجواب اي كالجوبة من الارض التي يجتمع الماء بصف عظم ذلك فيه انهم كانوا يجتمعون
في الاكل لا ينفرد دونهم وقوله وقدور راسيات اي كانوا يتخذون له قدورا عظاما في الجبال التي لا تحرك من مكان
راسيات اي ثابتات كما ذكر والجبال الرواسي اي الثوابت وقال بعضهم وقدور راسيات هي القدور العظام التي

فوعت اثرا فيها او كيفية لعظمها الكفاء وهما واحد والله اعلم وقوله اعملوا آل داود شكرا قال بعضهم اي اعملوا آل داود شكرا
لا تزال ذكر انه ليس من زمان في ليل ونهار الا ويكون من آل داود صائما بالنهار ومصليا بالليل او كلام نحوه فامروا بالشكر
لهم وقال بعضهم كانه قال اعملوا يا آل داود شكرا لما اعطيتكم من الملك والفضل وقليل من عبادي الشكور اي قليل
من عبادي المؤمنين والشكور كناية عن المؤمن على ما ذكرنا في قوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن
والله اعلم قال ابو عوسجة والقتبي واسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين النحاس والشكور هو المعقول والفعول والفا
هما اللذان يكثران الفعل فكان الشكور هو الذي يعتقد الشكر لربه ويكرمه لا عقاد فيكون مثلا لاعتقاد والمعاملة
جميعا وقوله فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض دل هذا على ان موته كان بحضرة اهله ومشهد منهم
حيث ذكر ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته ثم يذكر بعض اهل التأويل انه سأل ربه ان يعمي على الجن موته حتى
يعلم الانس انهم لو كانوا يعلمون الغيب اعني الجن ما لبثوا في العذاب المهين وبعضهم يقول سأل ربه ان يعمي على الجن
موته حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس فدابوا حوله يعملون فلما فرغوا من بنائه خر سليمان ميتا من عصاه وكان متكئا
عليها وبعضهم يقول لما حضره الموت وكان على فراشه في البيت لم يكن على عصا وقال لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من
بناء بيت المقدس وكان بقي عمل سنة ففعلوا فلما فرغوا من بنائه ثم خرج عتبة الباب والباب فعند ذلك علمت الجن بموته
والله اعلم وقوله فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين في حرف ابن مسعود فلما قضينا
عليه الموت وهم يدابون له حولا ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت للانس على ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لانهم كانوا يدعون علم الغيب فابتلوا بذلك ودل قوله ما دلهم على موته الا دابة
الارض على انهم كانوا لا يدنون منه لاحد وجهين اما لهيبته وسلطانه على الناس فان كان ذلك لما طاع له كل شيء و
خضعوا له من الجن والطير والوحش وغير ذلك او لما كان يكثر العبادة لله والخضوع له يتوحد بتفرد بنفسه لم يجتروا ان يدنوا
منه والا لو دنوا منه لراوا فيه آثار الموتى الهم الا ان يكون ما ذكر بعضهم انه قال لاهله لا تخبروا احدا بموتي وامرهم
ان يكتموا موته والله اعلم وقوله تأكل منسأته قيل المنساة العصى سميت منساة من النسأ لانه كان يزجر بها ويؤخر ما اراد تأخيره و
بها يدفع ما اراد دفعه ثم في امساكه العصا احد وجهين اما لضعفه في نفسه كان يتقوى بها في موردته او يمسكها لخضوع
ربه وطاعته له وفيه دلالة ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا لا يشغلهم الملك وفضل الدنيا ولا الحاجة و
لا الفقر عن القيام بامر الله وتبليغ الرسالة الى الناس وهما شاغلان لغيرهم وهم كانوا فريقين قد وسع عليهم الدنيا نحو
سليمان وابراهيم وغيرهما وفريق قد اشتدت بهم الحاجة والفقر وكلاهما ما كانا شاغلين عن القيام بامور الله و
تبليغ الرسالة ليعلم انهم لما يأخذوا من الدنيا ما اخذوا للدنيا ولكن اخذوا للخلق ولله فاستووا فيها فاستوى ذلك لم يشغلهم
ذلك عن القيام بما ذكرنا والله اعلم ودل قوله ما لبثوا في العذاب المهين انه كان يأمرهم ويستعملهم في امور شاقة
واعمال صعبة حيث ذكر لبثهم في ذلك لبثا في العذاب المهين والله اعلم وقوله لقد كان لسبأ في مساكنهم آية يحتمل الآية
التي ذكر لهم في مساكنهم الجنتين اللتين ذكرهما احدهما عن اليمين والاخرى عن الشمال ويكون لهم فيها عبرة فتحملهم
على الشكر لربهم عليهما والحمد له والثناء عليه في تلك النعم او يذكرهم قدرة خالقهم وسلطانه وهيبته فتحملهم ذلك
على الخوف في العواقب والعقاب على خلافه ورجاء الثواب على طاعته فلم يتذكروا وان يكون الآية التي ذكر
لهم في تبديل الجنتين اللتين كان لهم فيهما كل سعة وخصب وكل الوان الفواكه والجواهر على غير مؤنة تلحقهم
لانه قال في غير آي من القرآن قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين فاخبر ههنا لهم ان لهم
في تبديل جنتيهم جنتين آية لو اعتبروا واتعظوا فلا يقع لهم الحاجة الى النظر في آثار من تقدم منهم بل العبرة في ذلك
لهم اكثر لانهم عاينوا هذا على ما عاينوا من انواع النعم ثم غير ذلك وبدل عليهم وما تقدم منهم انما يعرفون ذلك
عن خبر يبلغهم لا ان اصلهم قد هلكوا وهذا على المشاهدة والمعاينة وقوله عن يمين وشمال قيل عن يمين
الوادي وشماله ويحتمل عن يمين الطريق وشماله فتكون عن يمينهم وشمالهم وقوله كلوا من رزق ربكم واشكروا له
كانه قالت لهم الرسل كلوا من رزق ربكم واشكروا له اذ ذكر انه بعث فيهم كذا كذا رسولا ثم وصف بلدة سبأ انها
طيبة حيث قال بلدة طيبة يحتمل ما ذكر من طيبها هو سعتها وكثرة ريعها ومياهها والوان ثمارها وفواكهها وقوله
ورب غفور اي ان ربكم ان شكرتم فيما رزقكم وانعم عليكم ورب غفور لذنوبكم او يقال رب غفور اي يستر ويستر
عليكم ذنوبكم ولا يفضحكم اذا صدقتموه واطعتموه وشكرتموه ذكر ان المرأة منهم كانت تحمل المكتل على رأسها
والمغزل بيدها فتدخل البستان فتمتلئ مكتلها من الوان الفواكه والثمار من غير ان تمس شيئا بيدها لكثرة ريعها و
نزلها والله اعلم ثم ذكر سبب تبديل الجنتين اللتين كانتا لهم وما كان التبديل وهو ما قال فاعرضوا فارسلنا عليهم
سيل العرم قال بعضهم كان اهل سبأ اذا مطروا يأتيهم السيل من مسيرة شهر وايام كثيرة فعمدوا فسدوا العرم وهو
الوادي ما بين الجنتين بالصخر والقير وجعلوا عليه الابواب فلما عصوا ربهم فاعرضوا عنه وكفروا انعمه فسلط
الله تعالى على ذلك السد الذي بنوا الفأرة فنقبت الردم فغشي الماء ارضهم فغرق شجرهم وابدانهم ودفن مجاريهم
وذهب بجناتهم ومنهم من يقول العرم هو المسنيات واحدها عرمة فذهب السيل الذي ارسل عليهم بالمسنيات
فيبست جناتهم وابدلهم مكان الثمار والاعناب ما ذكر من الخمط والاثل والسدر حيث قال ذواتي اكل خمط واثل
وشيء من سدر قليل الاكل قيل هو الثمر والخمط الاراك وقال بعضهم شجر الغضاة وهي شجرة ذات شوك والاثل

قيل هو شبيه بالطرفاء الا انه اعظم منه والسدر هو معروف عندهم وقال ابو عوسجة قريبا من ذلك قال الاكل الحمل والخمط
عندى السدر وحمله قال الخمط الريح الطيبة ونقول هذا شجرله خمطة اى ريح طيبة والخمطان تاخذ شيئا من هنا وثمه و
تخلطه والاثل شجر ايضا لا حمل فيه والزجاج يقول الاثل هو الثمرة التى فيها المرارة تذهب تلك المرارة بطعمها والكلام
نحوه وقوله ذلك جزيناهم بما كفروا اخبر انه جزاهم بما كفروا انعمه ولم يشكروا ربهم عليها وقوله وهل نجازى الا الكفور لنعمه
في نعمه وقوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قيل متواصلة بعضها ببعض ذكر بعض من رفعهم الى الشام
على كل ميل قرية وسوق وكل شىء فيها وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى واياما امنين من الجوع والعطش والسباع
وكل ما يخاف منه ثم جائز ان يكون ما ذكر من القرى الظاهرة كان لهم مع الجنان التى ذكرنا بدايا فيكون هذا موصولا بالاول
فلما لم يشكروا ربهم فى ذلك كله ابدلهم الكل بما ذكر وجائز ان يكون لا على الصلة بالاول ولكن على ما ذكر بعض اهل التاويل
انه لما غير عليهم ذلك وابدل ضاق بهم الامر فبعثوا الى رسلهم فقالوا ادعوا ربكم فليرد علينا ما ذهب عنا ونعطيكم ميثاقا
ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا فدعوه فرد الله عليهم وجعل لهم ما ذكر من قرى ظاهرة فذكرهم الرسل وعدوا ربهم
فابوا فغير ذلك فيما ذكر ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرنى عن سباء اجبل
هو ام ارض قال فقال له لم يكن جبلا ولا ارضا ولكن كان رجلا من العرب ولد عشر قبائل فاما ست فتيامنوا واما اربع
فتشاءموا وقال بعضهم كان سبا رجلا اسمه سبا وسبا هم الذين ذكرهم الله فى سورة النمل وقال بعضهم هو اسم
قرية وفى قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى واياما امنين
دلالة خلق الافعال لانه اخبر انه جعل بينهم وبين القرى المباركة قرى ظاهرة والقرى ما اتخذها اهلها ثم اخبر انه
جعل ذلك والجعل منه خلق دل انه خلق افعال العباد واخبر ايضا انه قدر السير فيها والسير هو فعل العباد والتقدير
هو الخلق ايضا دل انه خلق سيرهم وخلق اتخاذهم القرى وذلك على المعتزلة لانكارهم خلق افعال العباد وقوله قرى
ظاهرة قال عامة اهل التاويل قرى متواصلة بعضها ببعض يسيرون من قرية الى قرية وينزلون فيها من غير ان تقع لهم
الحاجة او يلحقهم مؤنة وجائز ان يكون قوله قرى ظاهرة نعمها بينة وقوله وقدرنا فيها السير يحتمل قوله وقدرنا فيها
السير اى قدرنا فيها السير ليسيروا فيها او على الامر اى قدرنا فيها السير ليسيروا فيها او على الامر اى قدرنا فيها السير وقلنا
لهم سيروا فيها انعم الله عليكم وتقلبوا فيها ليالى واياما امنين من الجوع والعدو وكل افة وقال بعضهم فى قوله وقدرنا
فيها السير اى جعلنا ما بين القرية والقرية مقدارا واحدا وقوله فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا فيه لغات من خمسة اوجه
احدها ربنا باعد ونعبد كلاهما على الدعاء والسؤال والثالث وبعد وبعد قال ابو معاذ ولولا تغيرا لكتاب يجوز بوعد
ومن قرا ربنا باعد على الخبر وكذلك بعد ومن قرا بعد بين اسفارنا يخرج على الشكاية عما بعد من اسفارهم فاما على
السؤال والدعاء فهو والله اعلم لانهم سأموا وملوا الكثرة ما انعم الله عليهم ورفع عنهم المؤن وطال مقامهم فيها
سألوا ربهم ان يحول ذلك عنهم سفها منهم وجهلا وكان كقوم موسى حين انزل عليهم المن والسلوى ورفع عنهم المؤن
سأموا وملوا فى ذلك وقالوا لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وما ذكروا فعل ذلك
هؤلاء ومن قرأ بعد بين اسفارنا على الشكاية شكوا الى ربهم لما ذهبت عنهم السعة والخصب واصابهم الجهد والمؤنة
واما قوله باعد على الخبر فكانه كانت فيهم وذلك كله منهم من سأل تحويله ومنهم من شكا اذا زال ذلك وتحول عنهم
من اخبر بزواله وعلى ذلك يخرج قول موسى لفرعون حيث قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
بصائر لانه كان احدهما فعلى ذلك الاول وما يشبه ذلك والله اعلم وقوله فجعلناهم احاديث اى اهلكناهم
كل اهلاك حتى صاروا عظة وعبرة لمن بعدهم وقال فجعلناهم احاديث للناس على حقيقة الحديث يتحدثون بامرهم
وشانهم ومزقناهم كل ممزق اى فرقناهم كل تفريق اى فى كل وجه التفريق حتى وقع بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينة
وبعضهم بالشام وبعضهم بالبحرين وعمان ونحوه والله اعلم قوله ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور يحتمل ان
يكون الصبار والشكور هو المؤمن كانه قال ان فى ذلك لعبرا وعظات لكل مؤمن او ايات لكل صبار على طاعة الله
وامره شكور لنعمه او ايات لكل صبار على البلايا والمحارم شكور لنعم الله ثم يخرج على وجهين احدهما فى الاعتقاد
والثانى فى المعاملة يعتقد الصبر لربه على جميع اوامره ونواهيه والشكر له على جميع نعمائه والمعاملة ان يصبر على ذلك
ويشكر له فى نعمه قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اختلف فى ظنه قال بعضهم ظن بهم ظنا فوافق ظنه فيهم حين قال لئن
اخرتنى الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا من عصمت منى وما قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم
ولامنينهم ولامرنهم الى اخر ما ذكر فقد صدق ما ظن فيهم وقال بعضهم صدق عليهم ابليس ظنه وذلك ان ابليس
خلق من نار السموم وخلق ادم من طين ثم قال ابليس ان النار تغلب الطين فمن ثمة صدق ظنه فقال لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين يقول الله فاتبعوه ثم استثنى عباده المخلصين فقال الا فريقا من المؤمنين يعنى عباده
المخلصين فانهم لم يتبعوه الذين قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقال قائلون من ههنا صلة كانه قال فاتبعوه
الا فريقا المؤمنين الذين هم فى الحقيقة فاما من كان عندكم من المؤمنين فى الظاهر فقد اتبعوه لانه لا كل مؤمن عندنا
هو فى الحقيقة مؤمنا وان يكون قوله فاتبعوه فيما دعاهم اليه والله اعلم قوله وما كان له عليهم من سلطان
قال الحسن والله ما ضربهم بالسيف ولا طعنهم بالرمح ولا اكرههم على شىء وما كان منه الا غرورا واما نزوة
ودعاهم اليها فاجابوه وقال بعضهم قوله وما كان له عليهم من سلطان اى حجة ليس له حجة عليهم اى لم يكن

من الحجة ولكن انما مكن لهم الوساوس والتمويهات ثم جعل الله المؤمنين مقابل ذلك حججا يدفعون بها شبهه وتمويهاته قوله
الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك هذا يخرج على وجوه احدها لنعلم كائنا ما قد علمه غائبا عنهم والثالث يكنى بالعلم
معلومه اى ليكون المعلوم وذلك جائز فى اللغة كقوله حتى ياتيك اليقين اى الموقن به وذلك كثير فى القران قوله وربك
على كل شىء حفيظ من الايمان والشرك وغيره من الاعمال حفيظ عالم به قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله انهم
الهة الملائكة والاصنام ومن عبد وهو مرة وله هل يملكون لكم شيئا من دفع ضر او جر نفع فيقول لا يملكون مثقال ذرة
فى السموات ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر فكيف تسمونهم الهة او ان يقول قل ادعوا الذين زعمتم من دون
الله انها الهة الملائكة فليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم من الجوع وغيره كقوله هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة
هل هن ممسكات رحمته فالجواب لذلك ان يقولوا لا يملكون مثقال ذرة ولا اصغر ولا اكبر فكيف يذكرون ما ذكروا الله
اعلم سفههم وفرطهم فى عبادتهم من يعلمون انه لا يضر ولا ينفع وتسميتهم اياها الهة وما لهم فيهما يعنى فى خلق السموات
والارض وحفظها من تعبدون من دونه من شرك وما له منهم من ظهير اى من عون فى ذلك فكيف تسمونها الهة وتشركونها
فى العبادة قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يقول والله اعلم لا يملك احد الشفاعة لاحد الا لمن اذن
الله له الشفاعة له فهو لم ياذن بالشفاعة لاحد من الكفرة فذكر هذا والله اعلم لقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ولقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى او يذكر ان من ترجون منهم الشفاعة بالمحل الذى ذكرهم
من الخوف والفزع فكيف ترجون شفاعتهم كقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم او لا يملكون مثقال ذرة ولا اصغر منه
ولا اكبر فكيف يملكون الشفاعة لكم او نحوه من الكلام والله اعلم قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال
ربكم قالوا الحق ليس لهذا الحرف فى ذا الموضع صلة يوصل بها ولا تقدم يعطف عليه وعلى الابتداء لا يستقيم فبعض
اهل التاويل يقول كان بين عيسى ومحمد فترة زمان طويل لا يجرى فيها الرسل فلما بعث الله محمدا وكلم جبرئيل بالرسالة
الى محمد سمع الملائكة ذلك فظنوا انها الساعة قامت فصعقوا مما سمعوا فلما انحدر جبرئيل جعل كلما مر بهم جلى عنهم
وكشف فقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق اى الوحى وقال بعضهم كان الوحى اذا نزل من السماء نزل كانه سلسلة على
صخرة قال فيفزع الملائكة لذلك فيخرون سجدا حتى اذا فزع عن قلوبهم قال اذا انجلى عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم
قالوا الحق وهو العلى الكبير وقوله حتى اذا فزع من قلوبهم قيل جلى وكشف الغطاء قال الكسائى حتى اذا فزع منقلة
من الفزع كما تقول هيبته عن قلبه ووقفه وفزع كل واحد ومن قرأ فرغ بالراء والخاء وترك فارغا من الخوف والشغل
وهى قراءة ابن مسعود قال بعضهم فى قوله قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق يقول يخبرون بالامر الذى جاؤا به ولا يقولون
الا الحق لا يزيدون ولا ينقصون قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى
الارض اى لا يملكون انشاء ذرة فى السموات والارض وما لهم فى انشائهما من شرك وما له منهم فى انشاء ذلك
من عون فكيف تعبدونهم وتسمونهم الهة وجائز ان يكون قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا
الحق ذلك الفزع منهم وذلك القول منهم فى القيامة فزعوا لقيامها وقد قرئ حتى اذا فزع بنصب الفاء اى
حتى اذا فزع الله اى كشف الله عن قلوبهم الفزع ويجلى ذلك عنهم والله اعلم قوله قل من يرزقكم من السموات
والارض هذا فى الظاهر وان كان استفهاما فهو على التقرير والايجاب لانا قد ذكرنا ان كل استفهام كان
من الله فهو على التقرير والايجاب ثم لو كان ذلك ممن يكون منه الاستفهام لكان الجواب قوله من يرزقكم من السموات
والارض يقولون الله يرزقنا كقوله قل من يرزقكم من السماء والارض ثم قال فى اخره فسيقولون الله فيقول لهم فاذا
علمتم ان الله هو رازقكم فكيف صرفتم عبادتكم عنه الى من تعلمون انه لا يملك شيئا من رزقكم كقوله ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق انه لا يملك شيئا من رزقكم ذكر فى حرف ابن مسعود وحفصة
قل من يرزقكم من السماء والارض قالوا الله قال انا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وقال بعضهم فى قوله قل يرزقكم
من السموات من المطر ومن الارض من النبات فان اجابوك فقالوا الله والا فقل الله يفعل ذلك بكم فكيف تعبدون
غيره وانا واياكم لعلى هدى يقول ذلك رسول الله لاهل مكة انا لعلى هدى وانكم لعلى هدى وانا واياكم لفى ضلال
مبين وقال بعضهم معناه وانا لعلى هدى واياكم لفى ضلال مبين ولكن ليس هذا فى ظاهر هذا الكلام وجائز ان
يكون هذا على تعريض الشتم لهم بالضلال والكناية لذلك كما يقول الرجل لاخر فى حديث او خبر يجرى بينهما ان احدنا
لكاذب فى ذلك اى انت كاذب فى ذلك لكنه تعريض منه ذلك ليس بتصريح وقال قتادة هذا قول محمد واصحابه لاهل
الشرك والله ما نحن وانتم على امر واحد والله ان احد الفريقين لمهتدى والفريق الاخر فى ضلال مبين فانتم تعلمون
انا على الهدى لما اتيناكم من الدلائل والحجج والبراهين على ذلك وانتم لا وقال بعضهم قال ذلك لان كفار مكة قالوا للنبى
واصحابه تعالوا انتظر فى معايشنا من افضل دنيا انحن ام انتم فعلى ذلك يكون فى الاخرة فرد الله ذلك عليهم فى
قوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات الاية قوله قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون قال بعضهم قال
ذلك لانهم كانوا يفترون على رسول الله ويقولون فى طعنهم الاصنام التى عبدوها واذكرهم اياها بالسوء وما
يطعنون عليه من الافتراء بانه رسول الله فيقول لهم لا تسألون انتم عما اجرمنا نحن ولا نسأل عما تعملون وهو
كقوله فى سورة هود قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برئ مما تجرمون او ان يكون قوله قل لا تسألون عما اجرمنا
اى عما دينا من الدين او عما عملنا من الاعمال ولا نسأل عما تعملون انتم اى عما تدينون من الدين كقوله لكم دينكم ولى دين

وكقوله لي عملي ولكم عملكم وقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وانما يقال هذا بعد ظهور العناد والمكابرة فاما عند الابتداء فلا والله
اعلم قوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم هذا والله اعلم صلة بما تقدم من قوله قل من يرزقكم من
السموات والارض قل الله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وصلة قوله قل لا تسألون عما اجرمنا كانهم قالوا الرسول
الله واصحابه انا لعلى هدى وانتم على ضلال مبين فقال عند ذلك جوابا لهم قل يجمع بيننا ربنا اي يجمع بيننا ثم يفتح اي يقضي بيننا
بالحق من منا على الهدى ومن منا على الضلال نحن او انتم وهو الفتاح العليم اي وهو الحاكم العليم بما ظهر وما بطن حقيقة و
المفاتحة هي المحاكمة يقال هلم حتى نفاتحك الى فلان اي نحاكمك وذلك جائز في اللغة ويحتمل قوله ثم يفتح بيننا بالحق اي يكشف كل
خفي منا وكل ستر وباطن فيجعله ظاهرا بيننا ليظهر الذي من هو على الحق من الباطل والهدى من الضلال وهو الفتاح العليم
اي الكاشف المظهر العليم بعلم الظاهر والباطن جميعا والاعلان والاسرار جميعا والله اعلم قوله قل اروني الذين الحقتم به
شركاء اي اروني الذين الحقتم بالله شركاء في تسميتكم الاصنام الهة او اروني الذين الحقتم به شركاء في العبادة وجائز ان يكون قال ذلك
للذين عبدوا الملائكة واشركوا فيها كان فيه اضمار يقول اروني الذين الحقتم به شركاء هل خلقوا شيئا ام هل رزقوا ام
هل احيوا ام هل اماتوا فاذ عرفتم انهم لم يخلقوا ولم يرزقوا ولا يقدرون ذلك وعلمتم ان الله هو خالق ذلك كله وهو الرازق
فكيف اشركتم من لا يملك ذلك في الوهية كلا بل هو العزيز الحكيم منهم من يقول كلا ردا على قولهم شركاء اي ليسوا بشركاء بل هو
المتفرد الواحد الحكيم ومنهم من يقول هو رد على قوله هل خلقوا شيئا ام هل رزقوا شيئا يقول كلا اي لم يخلقوا ولم يرزقوا
بل هو الله المتفرد بذلك والله الموفق قال ابو عوسجة فزع ذهب وقال القتبي فزع خفف قوله وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا بالجنة لمن اتبعه ونذيرا بالنار لمن خالفه وعصاه وقوله كافة للناس قال بعضهم اي ما ارسلناك الا جامعا للناس
الى الهدى داعيا اليه ومنهم يقول وما ارسلناك الا كافة للناس اي ما ارسلناك الا الى العرب والعجم والى الانس والجن ليس
كسائر الانبياء انما ارسلوا الى قوم دون قوم والى بلدة دون بلدة وكذلك روي عن نبي الله صلى الله عليه انه قال اعطيت خمسا
لم يعطهن نبي قبلي احدها ما ذكرنا بعثت الى الناس جميعا عامة الى الاحمر والاسود والعرب والعجم والثاني جعلت لي الارض مسجدا
وطهورا واذهب لنا عدونا مسيرة شهرين واحلت لي الغنائم قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال بعضهم لا يصدقون ويحتمل
لا يعلمون انهم لا ينتفعون بما يعلمون او لا يعلمون حقيقته لما لم ينظروا [illegible]
والله اعلم قوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين هذا القول منهم انما يقولون على الاستهزاء والسخرية ليس
[illegible]

اباءنا عن النظر والتفكر في امورهم والتامل في الحجج والايات لكنا مؤمنين هذا قول الاتباع للرؤساء ثم اجابهم الرؤساء فقالوا
نحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين يقولون والله اعلم ان صددناكم ومنعناكم عن اتباعهم ظاهرا وعلانية
فمتى منعناكم سرا من غير ان نطلع ونعلم نحن بذلك او بما ذكرنا من قوله ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون وقد
عرفتم انا بشر مثلكم فاطعتمونا وتركتم طاعة الرسل لانهم بشر فاجابهم الاتباع فقالوا بل مكر الليل و
النهار بل مكركم ابانا وقولكم في الليل والنهار انهم كذبة سحرة وخداعكم ابانا وانهم بشر مثلكم تركنا اتباعهم اذ تأمروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا او يقولون بل مكركم في الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله اي من تخويفكم ابانا
وهيبتكم لنا من الاخذ على البغتة والغفلة تركنا اتباعهم في السر اذا ظهر وبلغكم الخبر بهذه مناظرات اهل
الكفر فيما بينهم يومئذ ورد بعضهم على بعض ولعن بعضهم بعضا يذكرها في الدنيا ليلزمهم الحجة
وان لا يقولوا يومئذ انا كنا عن هذا غافلين فان قيل انهم كانوا لا يؤمنون بهذا القران ولا بالبعث فكيف يلزمهم
ذلك وهم لا يستمعون له قيل انهم قد مكنوا من الاستماع والنظر فيه فيلزمهم الحجة وان لم يستمعوا له والله اعلم
قوله واسروا الندامة لما راوا العذاب قال بعضهم اسر الرؤساء الندامة بصرف الاتباع وصرف انفسهم
عن دين الله واتباع الرسل لما راوا العذاب وقيل اسروا الندامة الاتباع والرؤساء جميعا وقوله واسروا
الندامة قال من الاسرار والاخفاء اخفى بعضهم من بعض وقال بعضهم اخفى الكفرة الندامة عن المؤمنين
وقال القتبي اسروا الندامة اي اظهروا وهو من الاضداد ويقال اسررت الشيء اخفيته واظهرته واما غيره
من اهل التاويل فانهم قالوا هو من الاخفاء قوله وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا والاغلال جامعة
الغل وهو ما يجعل في اليد ثم يشد اليد الى العنق هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يجزون الا جزاء عملهم في الدنيا
قوله وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون قال بعضهم المترف المتكبر وقال اخرون
المترف هو الذي يجمع اصناف المال مع العناد والتكبر وقال بعضهم المترفون هم الرؤساء منهم وهذا ينقض
على المعتزلة قولهم ان الله لا يفعل الا ما هو اصلح لهم في الدين ولا شك ان هؤلاء المترفين انما قالوا ما قالوا و
فعلوا لسعتهم وبسطهم في المال فلو لم يكن ذلك لهم ما فعلوا ذلك دل ان المنع لهم عن ذلك اصلح لهم من البسط
والله اعلم قوله وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها المترف ما ذكر قال بعضهم المتكبر المتجبر وقال
بعضهم المترف الذي يجمع مع الكبر والعناد والاموال وقال بعضهم مترفوها اغنياؤها وكله واحد وهم
رؤساؤها وفيه رد قول المعتزلة في الاصلح على ما ذكرنا قوله وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا يخرج قولهم
ذلك لوجهين احدهما قالوا ذلك افتخارا وتفاخرا في الدنيا بالاموال والاولاد فلا يعذبنا في الاخرة على ما تزعمون
او ان يقولوا ذلك انك لو كنت بعثت رسولا على ما تزعم فنحن اولى بالرسالة منك لانا اكثر اموالا واولادا
والله اعلم قوله قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهذا ايضا ينقض على المعتزلة ومن يقول بان الله
لا يبسط على احد الرزق اذا لم يكن في البسط اصلاح له وخير وكذلك لا يقتر على احد ذلك اذا لم يكن
التقتير خيرا له وعندنا يبسط الرزق لمن يشاء وان لم يكن خيرا له وكذلك يقتر على من يشاء وان كان شرا له على
ما نطق ظاهر الاية ليس عليه حفظ الاصلح لهم ولا الخير والله اعلم قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي
لا ينتفعون بعلمهم او لا يعلمون حقيقته لما تركوا النظر والتفكر في اسباب العلم ليعلموا فلا يعذرون لما مكن
لهم العلم به وقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين قالوا ذلك لما لم يروا في الحكمة ان يحسن احد الى
عدوه والسعة هي من الفضل والاحسان فرأوا ولا نفسهم ذلك ظنوا انهم اولياء الله وان الرسل حيث
ضيقت عليهم الدنيا انما ضيقت عليهم الدنيا لانهم ليسوا باولياء الله لذلك قالوا نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين وهذا القول منهم لانكارهم البعث فانهم لو كانوا مقرين به لكانوا لا يقولون ذلك ويعلمون
ان السعة في الدنيا والضيق فيها بحق الامتحان واما اذا كان بعث ودار اخرى للجزاء ففي الحكمة ان يجزي الولي
جزاء الولاية والمسيء جزاء العداوة وجزاء الاساءة والعداوة واما الدار التي هي دار امتحان وابتلاء فيجوز ذلك
بحق الامتحان في الحكمة ولذلك خرج الجواب لهم حيث قال قل ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي يبسط الرزق
لا لفضل وقدر له ونعمة عنده ويقتر على من يشاء لا لعداوة وجناية كانت منه اليه بحق الامتحان الا ترى
الله قد وسع على بعض المؤمنين وضيق على بعض اولئك فظهر ان التوسيع لاهل السعة ليس لفضلهم وقدر ونعمة
كانت لهم عنده والحق يكون ذلك منه مكافاة لذلك وكذلك التضييق لم يكن لجناية واساءة كانت منهم اليه لما ذكروا
ولكن لما ذكرنا الا ترى انهم اذا راوا انه وسع على بعض وقتر على بعض علموا انه ملك ان يوسع على من قتر عليه
فيكون في ذلك لهم ترغيب في التوحيد واختيار له وتحذير من الكفر وعما هم فيه اذ علموا التقتير على من وسع عليه
والتوسيع على من قتر عليه فيبطل هذا كله قولهم نحن اكثر اموالا واولادا الاية وتبين ان التقتير والتوسيع
ليس لفضل ولا نعمة ولا لجناية ولا لذنب ولكن للامتحان والله اعلم قوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم
عندنا زلفى ولكن ما ذكر حيث قال الا من امن وعمل صالحا اي ذلك الذي يقرب عندنا زلفى من اتى به سواء كان
له مال وولد او لم يكن فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا من الناس من احتج بتفضيل الغناء على الفقر بهذه الاية
يقول اخبر ان لهم جزاء الضعف اذا امنوا وعملوا الصالحات بالاموال التي اعطاهم واما الفقير فليس له

ذلك اذ ليس له عنده ما يبغنا عفى له او كلام يشبه هذا وامّا عندنا ان قوله فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا لهم
جزاء الضعف بالصالحات والحسنات التي عملوها لان الله وعد ان يجزي لكل من عمل بحسنة او صالحة عشر امثالها
وذلك جزاء الضعف له وذلك للغني والفقير جميعاً وذكرنا في غير موضع ان التكلم في فضل الغناء على الفقر على الغنا كلام
لا معنى له لانهما شيئان لا صنع لاحد في ذلك يمتحان في تلك الاحوال احدهما بالشكر والاخر بالصبر فمن وفى بما امتحن هو
في تلك الحال فهو افضل من لم يف بذلك وبه يستوجب الفضل لا ان يستوجب الفضل لما بنفس تلك الحال فلا لكن من يفضل الغناء
على الفقر يذهب الى ان الله تعالى سمى الضيق بلاء وشرا وشدة في غير موضع من القرآن وسمى السعة خيرا ونعمة وحسنة
في غير موضع ولا شك ان الخير والحسنة افضل واحمد من الشر والسيئة فلو لم يكن هذا شرا وسيئة في الحقيقة لم يسمه
بذلك وهذا خيرا لم يسمه ومن يقول بتفضيل الفقر يذهب الى ان الغنا اذا اعطي وبذل انما استوجب ذلك الفضل لما
يفقر نفسه ويحوج واصله ما ذكرنا قوله وهم في الغرفات آمنون من صاحبه النعمة ويحزنه والله اعلم قوله والذين
يسعون في اياتنا معاجزين اي يسعون في اياتنا سعي من يكون معاجزا لا سعي من لا يكون وهو ما قال ام حسب الذين
يعملون السيئات اي يعملون عمل من يحسب انه يسبق لا عمل من لا يسبق وهو كقوله يخادعون الله لا احد يقصد قصد مخادعة
الله لعلمه انه لا يخادع ولكن كانه قال يعملون عمل من يخادع الله لا عمل من يعلم انه لا يخادع فعلى ذلك هذا والله اعلم
وقوله في اياتنا معاجزين ثم كان سعيهم في الايات في ايات الوحدانية او ايات النعمة او ايات الرسالة ليبطلوا عن
انفسهم مؤنة ذلك وقبولها والعمل بها اولئك في العذاب محضرون قال القتبي فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا
لم يرد فيما يرى اهل النظر والله اعلم انهم يجازون على الواحد بواحد مثله ولا اثنين وكيف يكون هذا والله يقول
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وخير منها ولكنه اراد لهم جزاء الضعف انما هو مثله يفتح الى مثل الى ما بلغ وكان
الضعف الزيادة اي لهم جزاء الزيادة ويجوز ان يجعل الضعف في معنى جميع اي جزاء الاضعاف ونحوه فزده عذابا
ضعفا اي مثله ومنه مضاعف اي قد ضم اليه خيط اخر قد فتلا قال زلفى هي الدنو يقال تزلفت اليه ومنه
ازلفته ادنيته وقال القتبي اي قربة ومنزلة عندنا وهما واحد والله اعلم قوله وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى ذكر الاموال والاولاد ثم ذكر التي بالتأنيث قال بعضهم هذا من مقادير الكلام كانه قال وما اموالكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم ولولا ذلك لغلب فعل الاولاد على فعل الاموال قال ابو معاذ يجوز ان تجمع الاموال
والاولاد ثم تقول التي لانك تقول ذهبت الاموال وهلكت الاولاد كقوله قالت الاعراب امنا وقال رسلهم
ونحوه كثير من القرآن فعلى ذلك عند الجمع قوله قل ان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين قال ابن عباس رضي الله عنه فهو يخلفه في الدنيا والاخرة لانما انفق العبد
لو كان الله اخلفه له في الدنيا ما احصى احدكم ماله ولا يجد مكانا يجعله فيه او كلام هذا معناه وقال اخر كل نفقة
كانت في طاعة الله فان الله يخلفها في الدنيا او يدخرها لوليه في الاخرة ومجاهد يقول اذا اصاب احدكم مالا فليقتصد
في النفقة ولا يتأول قوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان الرزق مقسوم وقال بعضهم فهو يخلفه اذا كانت
في غير اسراف ولا تقتير وهذه التأويلات كلها ضعيفة لان الاية كانت والله اعلم في منع اولئك الانفاق مخافة
الفقر وخشية الاملاق لانها نزلت على اثر قوله قل ان ربكم يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يقول
والله اعلم يعلمون ان الله هو الباسط لكم والموسع عليكم وعلى الخلق كافة الرزق وهو المقتر ايضا على من شاء التقتير
عليه فاذا كنتم تعلمون انه هو القادر على ذلك فكيف تمتنعون عن الانفاق خشية الفقر فهو القادر على البسط و
الخلف لما انفقتم وهو القادر على التقتير من غير انفاق كان منكم وان يذكر هذا ليقطعوا اطماعهم عن الخلق من
الناس والبذل لهم فيما ينفقون على ما ينفق الرجل من النفقة فيطمع من الناس البر له والمعروف مكافاة لما انفق
فيقول اقطعوا الطمع من الناس فيما تنفقون فان الله هو المخلف لذلك لا الناس وما يحتمل ما قال ابن عباس انه يخلف
في الاخرة اذ لو اعطى لكل رجل انفق في الدنيا خلفا ما احصى احدكم ماله ولا اين يجعله هذا هكذا اذا كان الخلف
من نوع ما انفق واعطى فاما اذا جاز ان يكون الخلف من نوع ما انفق ومن غير نوعه من نحو ما يدفع عن المرء وعن
المتصلين له من انواع البلايا والشدائد ويعطيه من انواع النعم من السلامة له في نفسه ودينه والصحة وغير ذلك
مما لا يحصى فذلك كله بدل وخلف عما انفق وذلك انه اذا علم في ما يؤمله انه ينفق جعل ذلك في الاصل خلفا عما انفق
وعلى ذلك يخرج ما روي ان صلة الرحم تزيد في العمر اذ علم انه يصل رحمه زاد في عمره في الاصل ما لو يعلم انه لا يصل
رحمه لكان يجعل عمره دون ذلك فعلى ذلك الاول وروي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل معروف صدقة وما انفق المرء على نفسه واهله او وفى به عرضه فهو له صدقة وكل نفقة انفقها مؤمن
فعلى الله خلفها ضامنا الا نفقة في معصية او نفقة في بنيان اي لا يحتاج اليه قوله ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة
ومن عندهم ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم لانه قال لهم اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون الجن ليس قول الملائكة فيما خاطبهم ربهم لما خوطبوا بقوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
حيث قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم لانه قال لهم اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون فجوابهم ان يقولوا بلى او لا
ما ان يكون قولهم سبحانك انت ولينا من دونهم اعلم منا بل كانوا يعبدون الجن الاية جوابا لذلك فلا يحتمل الا ان
يقال ان اولئك الكفرة ادعوا على الملائكة الامر لهم بالعبادة اياهم دون الله فهنالك يحتمل ان يقول اهؤلاء

عن امركم عبدوكم فعند ذلك قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ونحن براء منهم ما امرناهم بعبادتنا وانت اعلم منا بل كانوا
يعبدون الجن بل كانوا اطاعوا امر الجن والشياطين في ذلك اذ لو كنا امرناهم بذلك لم نكن اولياءك ولا كنت انت
ولينا من دونهم وهذا كما يقول لعيسى حيث قال أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد كان
علم جل وعلا انه لم يقل ذلك ولكن كانوا اولئك ادعوا عليه الامر والقول لهم في ذلك فذكر ذلك لعيسى تعييرا
لهم وتوبيخا على صنيعهم واظهارا لكذبهم في دعواهم فعلى ذلك الاول يحتمل ان يخرج على ذلك والله اعلم قوله
بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون هم كانوا لا يقصدون عبادة الجن ولكن لما بامرهم كانوا يعبدون
نسب العبادة اليهم كقوله يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وهو كقول ابراهيم يا ابت لا تعبد الشيطان وهم
كانوا لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لكنهم لما عبدوا من دونه بامر الشيطان نسب العبادة اليه كانهم عبدوه
قوله فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اي لا يملك يوم القيمة ما املوا وطمعوا من عبادتهم لاولئك
من التقريب لهم الى الله زلفى والشفاعة لهم عنده لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى يقول لا يملك بعضكم لبعض ما املوا وطمعوا من عبادتهم لاولئك ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب
النار التي كنتم بها تكذبون اي كنتم تكذبون الرسل بما اوعدكم بها في الدنيا قوله واذا تتلى عليهم اياتنا بينات
قد ذكرنا الايات والبينات في غير موضع قوله بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون هم كانوا لا يقصدون
عبادة الجن ولكن لما بامرهم كانوا يعبدون ما يعبدون نسب العبادة اليهم كقوله يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان
وهو كقول ابراهيم يا ابت لا تعبد الشيطان لكنهم لما عبدوا من دونه بامر الشيطان نسب العبادة اليه كانهم
عبدوه قوله فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اي لا يملك يوم القيمة ما هذا الا رجل يريد كل رسول ان
يصد قومه عما كان يعبد اباؤهم من الاصنام والاوثان لكن هذا القول من اولئك الرؤساء اغراء الاتباع على
الرسل يقولون الا ترون انه واحد قد خالف الاباء في دينهم ويريد ان يصدكم عن دين ابائكم وما هذا
الا افك مفترى اي ما يدعو محمد اليه ليس الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين
قوله للحق لما جاءهم اي ما جاء بالحق وهو القرآن والتوحيد من البيان والايضاح له انه الحق وانه من عند الله جاء
وهو الايات والبراهين التي جاءت له انه حق وانه من عند الله جاء لا انه مفترى وافك وسحر ما تزعمون ولم تزعمون
ولم يزل الطعن اولئك الكفرة في الايات والحجج بانها سحر وانها افك وانها مفترى يلبسون بذلك على اولئك الاتباع والسفلة
ويموهون عليهم ويغرون لئلا يتبعوه ويستميلون لهم والله اعلم قوله وما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير وهو والله اعلم صلة وما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا ما هذا الا افك
مفترى وقولهم ان هذا الا سحر مبين يقول والله اعلم جوابا لقولهم وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيخبرهم ان
ما يقول محمد افك مفترى ولا ارسلنا اليهم ايضا من قبله رسولا يخبرهم انه كذب مفترى وظهور الكذب في القول
والخبر انما يكون باحد هذين الامرين اما بكتاب او نبي وهم لا يؤمنون بكتاب ولا نبي فكيف يدعون عليه الكذب
والافتراء يخبر عن سفههم وقلة عقولهم وعنادهم بعدما خصهم عز وجل وفضلهم على غيرهم من البشر حيث
بعث الرسول منهم ومن انفسهم والكتاب على لسانهم ولغتهم بعد قسمهم انه لو بعث اليهم نذيرا ورسولا
لاتبعوه حيث قالوا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم
نذير لم يؤمنوا به ولم يعرفوا منة الله عليهم وخصوصيتهم فيما خصهم والله اعلم قوله وكذب الذين من قبلهم
يذكر رسوله ويصبره على تكذيب اولئك له يقول قد كذب الذين كانوا من قبلهم رسلهم لست انت باول
مكذب بل كذب اخوانك من قبل والله اعلم قوله وما بلغوا معشار ما اتيناهم يقول والله اعلم لم يبلغ هؤلاء الذين
كذبوك عشر اولئك في القوة والغنا والفضل والعلم والاتباع والاعوان وغير ذلك مع ما كانوا كذلك لم يقوموا
في دفع العذاب الذي نزل بهم بالتكذيب عن انفسهم فقوم ملك الذين هم دون اولئك بما ذكر والحق
ان لا يقوموا لدفع العذاب عن انفسهم اذا نزل بهم بالتكذيب قوله فكذبوا رسلي فكيف كان نكير يقول
والله اعلم البس وجد وا عذابي حقا قال الزجاج هو نكيري بالياء لكن طرحت الياء لانه اخر الاية وختمها به
فابقيت الكسرة علامة لها وكلام يشبه هذا قال ابو عوسجة نكيري عقوبتي وقال القتبي اي انكاري قوله
قل انما اعظكم بواحدة قال بعضهم بواحدة اي بكلمة الاخلاص والتوحيد وقال بعضهم اي بطاعة
الله وقال بعضهم بواحدة اي بكلمة واحدة كقول الرجل لصاحبه كلمتك كلمة واحدة واسمع مني كلمة
لكن الواحدة التي وعظهم بها عندنا ما ذكر على اثره حيث قال ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا
وتنظروا فيما بينكم هل رأى احد منكم به جنونا قط وقال بعضهم يريد بالمثنى ان يتناظر الرجلان في امر النبي
وفرادى اي تفكروا فقط وقال بعضهم يريد بالمثنى ان يتناظر الرجلان في امر النبي فان ذلك مما دل على ان النبي
ليس بمجنون ولا كذاب على ما تزعمون ثم كان الذي حملهم على ان ينسبوه الى الجنون وجوها احدها انهم رأوه
قد خالف الفراعنة والجبابرة الذين كانوا يقتلون من خالفهم على الغضب في ادنى شيء بلا اعوان ولا اتباع
له فقالوا لا يخاطر بهذا الا من به جنون فنسبوه الى الجنون والثاني انهم رأوه قد خالف دينهم ودين ابائهم
جملة من بينهم فقالوا لا يحتمل ان يصيب دينا بعقله من بين الكل لا يصيب احد ذلك فاتهموه في العقل والثالث

الله كان في حال صغره وصباه لم يروه اشتغل بشيء من اللعب وخالط الصبيان في شيء من امورهم بل اعتزلهم من حال صباه
الى ان الوقت الذي بلغ فقالوا ان به جنونا والا لم يعتزل الناس كل هذا الاعتزال ثم اخبر انكم لو تفكرتم ونظرتم
ثم عرفتم ان ليس بصاحبكم جنون ان هو اي ما هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد في الاخرة ان عصيتم اي
رسول الله اليكم ونذير مبين يدي عذاب شديد في الاخرة ان عصيتم عوقبتم في الاخرة وقال بعضهم في قوله
ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة يقول والله اعلم الا يتفكر الرجل منكم وحده او مع صاحبه
فينظر ان في خلق السموات والارض وما بينهما الذي خلق هذه الاشياء وحده انه واحد لا شريك له وان محمداً
لصادق في قوله بان الله واحد لا شريك له وما به جنون ان هو الا نذير **قوله** قل ما سألتكم من اجر فهو لكم هذا يحتمل
وجهين احدهما الرسالة قال بعضهم انه صلى الله عليه وسلم سأل قومه ان يودوا قرابته وان لا يؤذوهم كقوله
قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى وما قال في اية اخرى قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا يقول ما سألتكم من اجر يعني المودة في القربى فهو لكم اي الذي سألتكم هو لكم وهو المودة في القربى واتخاذ
السبيل الى ربي والثاني قوله ما سألتكم من اجر فهو لكم اي لم اسألكم على تبليغ الرسالة اليكم اجراً منكم فيمنعكم ثقل ذلك
الاجر وغرمه عليكم عن الاجابة كقوله ام تسألهم اجراً فهم من مغرم مثقلون **قوله** ان اجري الا على الله اي ما اجري
الا على الله وهو على كل شيء شهيد باني نذير وما بي جنون او هو على كل شيء شهيد باني لم اسألكم عليه اجراً او على كل شيء
من صنيعكم شهيد عالم به والله اعلم **قوله** قل ان ربي يبسط الرزق هذا يحتمل وجوها يحتمل يقذف بالحق اي يقضي
بالحق او يقذف بالحق اي يتكلم بالوحي ويلقيه **قوله** علام الغيوب كل شيء غاب عن الخلق وقد ذكر ذلك في غير
موضع **قوله** قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد الاية اختلف فيه قال بعضهم ما يبدئ الاوثان والاصنام
التي عبدوها وما يعيد اي لا يخلق شيئاً ولا يميته كقوله ولا يملكون موتاً ولا حيوة ولا نشوراً وقال بعضهم
ما يبدئ الشيطان الخلق فيخلقهم وما يعيد خلقهم في الاخرة فيبعثهم بعد الموت جعل الله يفعل ذلك او ان يكون
قوله قل جاء الحق اي حجج الحق وما يبدئ الباطل وما ابدا الباطل اي لا يقذف بحجج الحق علام الغيوب قال بعضهم
هو ما ذكر في اية اخرى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه الى اخر الاية قال يزهق الباطل ويثبت الحق اي يقذف
بالحق على الباطل فيهلك الباطل ويثبت الحق وهو ايضاً ما ذكر فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث
في الارض **قوله** قل ان ضللت بكسر اللام ونصبها كلاهما لغتان قال الكسائي تقول العرب ضل يضل ضلالة وضل
يضل بالخفض والنصب جميعاً ثم قوله ان ضللت فانما اضل على نفسي يخرج على وجهين احدهما ان ضللت فما يكون
ضرر ضلالي على نفسي لا يكون على الله من ذلك شيء كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وقوله
من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها والثاني ان ضللت فانما يكون ذلك على نفسي ولا يكون على انفسكم من ضلالي
شيء كقوله قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون ونحوه **قوله** وان اهتديت فبما يوحي الى ربي هذا يخرج
ايضاً على وجهين احدهما وان اهتديت الى طاعة الله وشرايع الدين فبما يوحي الى ربي في ذلك اي فبوحيه اهتديت
الى ذلك والثاني وان اهتديت الى دينه وهدايته فبتوفيقه اياي وعصمته اهتديت اضاف الهداية الى الله والضلال
الى نفسه فهو لما ذكرنا ان كان من الله اليه لطف في ذلك ليس ذلك في الضلال وعلى قول المعتزلة يجيء ان يكون
المعنى فيهما واحداً لانهم يقولون انه لا يكون من الله سوى والنهي فلا يكون منه اليه في الهداية الا كما كان منه
اليه في الضلال والله اعلم **قوله** وانه سميع قريب قال بعضهم سميع اي يجيب للداعي كقوله واذا سألك عبادي
عني فاني قريب الاية وقال بعضهم سميع لمقالتكم لمحمد حيث قالوا له لقد ضللت حين تركت دين ابائك قريب
اي يجيب له وقيل سميع الدعاء قريب الاجابة والله اعلم **قوله** ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان
قريب اختلف فيه قال بعضهم وذلك انهم بعثوا بعثين قاصدين تخريب الكعبة فلما بلغوا البيداء خسف
باحدهما والاخر ينظر وينفلت منهم مخبر فيحول وجهه في قفاه فيخبرهم بما لقوا وذلك قوله ولو ترى
اذ فزعوا عن الخسف والعذاب فلا فوت عن عذاب الله واخذوا من مكان قريب او من تحت اقدامهم يخسف
بهم الارض وعلى ذلك يخرج قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون من تخريب الكعبة كما فعل باشياعهم من قبل
وهم اصحاب الفيل وعلى ذلك روي عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يغزو هذا البيت جيش حتى اذا كانوا
بالبيداء خسف بهم فلا ينفلت منهم الا واحد يخبر عنهم قال يا رسول الله وان كان فيهم المكره قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثون على نياتهم وقال بعضهم قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وهو عند
الموت يفزعون منه ولا فوت لهم عنه واخذوا من مكان قريب اي على المكان والحسن يقول فزعوا من القبور
فلا فوت يقول اخذوا عند ذلك وهو المكان القريب وقال بعضهم ذلك عند القيامة يفزعون عند معاينتهم
العذاب وافزعهم ذلك ولا يفوتون الله وقالوا امنا به وهو كقوله فلما راوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده
الاية وكقول فرعون حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل ونحوه **قوله** وانى لهم
التناوش من مكان بعيد وقال بعضهم من مكان بعيد انهم سألوا الرجعة والرد الى الدنيا لو من مكان بعيد قال
من الاخرة الى الدنيا وقال بعضهم اي لا سبيل لهم الى الايمان في ذلك الوقت وقد كفروا به من قبل في حال
الدعة والرخاء فلم يؤمنوا وقال بعضهم من مكان بعيد اي من حيث لا ينال ولا يكون فذلك البعيد كقوله

اولئك

اولئك ينادون من مكان بعيد اي من حيث لا يكون ابداً ليس على ارادة حقيقة المكان وقتادة يقول هو عند الموت وعند نزول
العذاب بهم ليس من احد يبلغ ذلك الوقت الا وهو يؤمن ويتمنى الايمان لكن لا ينفع كقوله يوم ياتي بعض ايات ربك
لا ينفع نفسا ايمانها الاية على ما ذكر **قوله** وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال بعضهم معناه
والله اعلم وذلك انهم كانوا في الدنيا يكونون في الاخرة ويكفرون بالغيب ويرجمون بالظن وقال بعضهم يقذفون
بالغيب اي يتكلمون بالايمان من مكان تباعد عنهم فلا يقبل منهم وقد غاب عنهم الايمان عند نزول العذاب
فلم يقدروا عليه وحيل بينهم وبين ما يشتهون من قبول التوبة والايمان عند نزول العذاب بهم او عند معاينتهم
اياه كما فعل باشياعهم من قبل يقول كما عذب اوائلهم من الامم الخالية من قبل هؤلاء انهم كانوا في شك من العذاب
والبعث والقيامة مريب وقال بعضهم وحيل بينهم وبين ما يشتهون من اهل ومال او زهرة وقال بعضهم في
قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد هو قولهم هو ساحر هو شاعر كاهن والتناوش عند عامة اهل التاويل
التناول وقال بعضهم الرجعة والرد الى الدنيا قال ابو عوسجة التناوش التناول من موضع بعيد لا يكون من قريب
والقتبي يقول واني لهم التناوش اي تناول ما ارادوا بلوغه وادراك ما طلبوا من التوبة من الموضع الذي لا يقبل
فيه التوبة قال ابو معاذ والزجاج التناوش في كلام العرب الطلب تقول تناوشت اليه اي طلبت منه لكن هذا ليس من
باب التناوش **قوله** وحيل بينهم وما بين يشتهون ما هو ما ذكرنا من اختلافهم منهم من قال بين الايمان والتوبة ومنهم
من قال بين شهواتهم التي كانت لهم في الدنيا لكن كان على الايمان والتوبة فانما حيل بينهم وبين القبول للايمان والتوبة
والانتفاع بالفعل لما انه وان كان على الشهوات فهو على حقيقة حيلولة الفعل وكذلك اذا كان على التخريب للبيت
على ما يقوله بعض اهل التاويل والله اعلم **قوله** كما فعل باشياعهم من قبل قال ابو عوسجة باشياعهم وامثالهم واشباههم
وامثالهم في التكذيب والجحود وقال بعضهم هو من شيعة الرجل **قوله** انهم كانوا في شك من العذاب بانه غير نازل بهم
وقال انهم كانوا في شك من البعث والاحياء بعد الممات وشكهم وريبهم لما استبعد والاحياء بعد الهلاك
وبعدما صاروا رماداً فمن هذه الجهة انكروا قدرته واخلق الشيء للفناء خاصة لا لعاقبة وحكمة فارتابوا في ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل** الحمد لله فاطر السموات والارض ما ذكر في القران الحمد لله الا وذكر على اثره التعظيم لله
والاجلال له وذكر على ما انعم به على الخلق ليلزمهم الشكر له والثناء عليه نحو ما ذكر الحمد لله فاطر السموات والارض
ونحو ما قال الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض الاية ونحو قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض الارض
الاية وقوله الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الاية وقوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً الاية جميع ما ذكر في القران
من الحمد له ما ذكر على اثره ما يوجب التعظيم له والتبجيل والثناء عليه والشكر له تعليما منه الخلق الثناء على ذلك والشكر
وبالله المعونة والقوة على ذلك **قوله** فاطر السموات والارض قال بعضهم الفاطر هو المبتدئ او الباري وهو قول
القتبي من اهل الادب وكذلك ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما ادري ما فاطر السموات والارض حتى جاء اعرابيان
فاختصما في بئر فقال احدهما انا فطرتها انا بدأتها فعند ذلك عرفت او كلام نحوه ويجيء ان يكون الفاطر هو الشاق
اي شق السموات كلها من واحدة وكذلك الارضين كقوله اذا السماء انفطرت اي انشقت كما قال ان الله فالق الحب
والنوى اي الشاق لكن جميع ما اضيف الى الله من الشق والفطر والجعل وغيره من نحو قوله جاعل الملائكة رسلا كله
على اختلاف الالفاظ عبارة عن الخلق اي خالق ذلك كله واصل الخلق في اللغة هو التقدير خلقت اي قدرت وكذلك
قال الكسائي ان الفطر في كلام العرب هو الشق معناه انه شق من السماء سبع سموات ومن الارض مثلهن ومنه الحديث
حتى تفطرت قدماه دما **قوله** جاعل الملائكة رسلا ففي ظاهر الاية انه جعل جميع الملائكة رسلا فان كان على ذلك فكانه
ولى كل واحد منهم امراً من امور الخلق والعباد وان كان على البعض فيكون تاويله جاعل من الملائكة رسلا او
في الملائكة رسلا ثم اخبر عن الملائكة انهم اولوا اجنحة مثنى وثلاث ورباع يطيرون بها ليس كالطيور التي يطير بجناحيه
لو زيلها جناحا او جناحان يمنعه عن الطيران كالاصبع الزائدة لبني ادم تمنعهم عن بعض العمل ولا تزيد لهم نفعاً بل ينقص
واما ذكر من عدد الاجنحة للملائكة فذلك لا يمنعهم عن الطيران بل زيد لهم قوة ومقدرة على ذلك ثم قال يزيد في الخلق
ما يشاء قال بعضهم يزيد في الملائكة على اربعة اجنحة ما يشاء ان الله على كل شيء من طول الاجنحة في الزيادة قد يروى ان
الاسرافيل ستة اجنحة ولجبريل ستمائة اجنحة اخ ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه يقول ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل وله ستمائة جناح وقال بعضهم يزيد في الخلق ما يشاء اي الصوت الحسن وقال بعضهم الشعر الحسن فهو فيما ذكر
من الزيادة في الاجنحة اشبه واقرب وهو على كل شيء قدير من الزيادة والابتداء لا يصعب عليه **قوله** ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها عن ابن عباس من عافية وقال قتادة اي من خير وقال مقاتل وغيره اي من رزق كقوله واما
تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك اي من رزق وكله واحد اذ الخير يشتمل على العافية والرزق وكذلك كل واحد
من ذلك وقال بعضهم الرحمة والغيث والمطر وهو ما ذكرنا كله يرجع الى واحد من ذلك ثم قوله ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده يخرج على وجهين احدهما على تسفيه احلام الكفرة في عبادتهم
الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله يقول والله اعلم تعلمون انتم انه ليس لكم مما تعبدون من دون الله خير

نفع او خير ولا كشف ضر عنكم او سوءً فكيف تعبدونها كقوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر الاية
اى تعلمون انهن لا يملكن ذلك والله هو المالك لذلك كله فكيف صرفتم العبادة اليها عنه او يقول انكم تعلمون ان ما تعبدون
من الاصنام من دون الله لا يرزقونكم ولا منها تبتغون الرزق ولا كانت منها اليكم سابقة نعمة فانما يعبد لاحدى
هذه الاوجه من بعيد اما السابقة نعمة او نيل خير او جر نفع او كشف ضر او دفع سوء او طمع فى العاقبة فاذ لم يكن شئ
من ذلك الاصنام ومن الله ذلك كله فكيف صرفتم عبادتكم عنه اليها كقوله ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون هذا اذا كان قوله ما يفتح الله للناس
من رحمة راجعا الى الكفرة واذا كان ذلك راجعا الى المؤمنين فهو يخرج على وجهين احدهما فيه قطع الطمع من الخلق و
الاياس عما فى ايديهم وان لا يرجوا من دونه ولا يخافوا غيره بل فيه الامر بان يروا غيره بل فيه الامر بان يروا ذلك
كله من الله وانه هو المالك ذلك دون الخلق والثانى فى قطع طمع الرزق من المكاسب والاسباب التى يكتسبونها والامر فيها
اعنى المكاسب اى يرونها تعبدا وان يروا ارزاقهم من فضل الله وعلى قول المعتزلة اذا فتح الله لاحد رحمة تعبد عبيد
فان عبيك ذلك وان امسك هو قدر ان يرسل لانهم يقولون ان الله اذا جعل لاحد اجلا وضمن له الحيوة ووفاء الرزق فى
المضى الاجل فيجئ عدو من اعدائه فيقتله قبل انقضاء اجله واستيفاء رزقه فذلك منع على قولهم عن وفاء ما ضمن
وما جعل له من المدة والاجل وفى حرف ابن مسعود ما يفتح الله على الناس من رحمة قوله وهو العزيز الحكيم قد ذكرنا فى غير
موضع قوله يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض كانه هو صلة ما تقدم
ثم هو على التقرير والايجاب وان خرج مخرج الاستفهام فى الظاهر كانه يقول والله اعلم انكم تعلمون انه هو رازقكم دون
من تعبدون لا اله الا هو فانى تؤفكون اى لا اله الا هو فما الذى حملكم على افككم وكذبكم انها شركاؤه وانها الهة
وانها شفعاؤكم عند الله وان عبادتكم اياها تقربكم الى الله زلفى اكتاب او رسول وانتم لا تؤمنون بكتاب ولا رسول
فمن اين تؤفكون وتكذبون والله اعلم قوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك معلوم انهم كانوا لا يكذبونه
فى قوله هل من خالق غير الله ولا فى قوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده لانهم
كانوا يعلمون انه ليس من خالق غير الله ولا فاتح رحمة سواه اذا كان هو ممسكها ولا ممسك لها اذا كان هو مرسلها ولكن
انما يكون تكذيبهم اياه فيما يخبر انه رسول الله اليهم كذبوه فى الرسالة او فيما يخبر انه اوحى اليه من الله كذا او فيما يخبر
عن البعث بعد الموت انه كائن وامثال ذلك فاما فيما ذكرنا فلا وهو تعزية منه لرسوله ليصبر على تكذيبهم اياه وليعلم
انه ليس باول مكذب بل قد كان اخوانه من قبل قد كذبوا من قبل فيما اخبروا قومهم عن الله فصبروا على ذلك فاصبر انت
ايضا كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية والله اعلم قوله والى الله ترجع الامور والى الله يرجع تدبير الامور
اى لا تدبير للخلق فى ذلك او يقال الى الله يرجع الحكم فى الامور وهو الحاكم فيها كقوله وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله
والله اعلم قوله يا ايها الناس ان وعد الله حق قال عامة اهل التأويل ان وعد الله حق اى البعث انه كائن لا محالة وجائز
ان يكون قوله وعد الله حق فيما وعد من الثواب على الطاعات ووعده حق فيما اوعد من العقاب على السيئات انه يكون
والله الموفق قوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا معنى قوله فلا تغرنكم الحيوة الدنيا والله اعلم اى لا تشغلنكم الحيوة
الدنيا عن ذكر الحيوة الاخرة ولا تنسينكم الحيوة الدنيا عن الحيوة الاخرة والا الدنيا لا تغر احدا فى الحقيقة وكذلك هى
بلعب ولهو والهى غارة ولكن يغتر اهلها بها لما غفلوا عما جعلت هى وانشئت وهو ما ذكرنا انها جعلت زادا للاخرة
وبلغة اليها فمن لم يجعلها زادا للاخرة ولا بلغة الى الوصول الى الاخرة ولكن جعلها فى غير ما جعلت هى وانشئت وهى
الحيوة فيها والمقام بها صارت لعبا ولهوا وصارت غرورا اذ صيروها كالمنشأة لنفسها لا للاخرة وهذا كما قال واذا
ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين فى قلوبهم
مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم اضاف السورة كانت تزيد لاهل الايمان ايمانا ولاهل الكفر والنفاق رجسا
وعمى والسورة لا تزيد رجسا ممن ولا عمى فى الحقيقة لانه وصف القران بانه نور وانه هدى ورحمة وبرهان
ولكن صار عمى ورجسا لمن اعرض عنه وكذب ورده واما من تلقاه بالقبول واقبل اليه ونظر اليه بالتعظيم والاجلال
له والخضوع فهو له نور وهدى ورحمة فعلى ذلك الدنيا وما فيها من النعم واللذات انما جعلها غير ما جعلت
هى وانشئت صار لعبا ولهوا وغرورا بل لو جعلت هى على ما انشئت مكان ما ذمت لكان حقا وصدقا لانها تسمى
نعمها حسنة وخيرا وصلاحا ونحوه فلا جائز ان يذم الحسنة والخير بل حق الذم على اهلها وحيث اغتروا بها
وصيروها فى غير ما صيرت وجعلت لغفلتهم عما جعلت هى وصرفهم اياها الى غير الذى صرفت وجعلهم بها وعلى
ذلك لا يجوز ذم الفناء والسعة والصحة والسلامة لان ذلك كله نعم من الله انعمها على الناس فيجب ان ينظروا
اليها عليهم لله من الشكر فى ذلك فيوقوه وكذلك العز والثناء الحسن ونحوه لا يجب ان يذم شئ من ذلك بل يذم
من لا يعرف ان العز فيهم انما العز فى طاعة الله والعبادة له لا فى معاصيه فهو لا يسموا معصية الله عزا لجهلهم
فى العز وكذلك الثناء الحسن يجب ان يحمد ربه ويشكر له فيما ينشر على الخلق فضائحه ومساويه حتى اثنوا عليه بالجميل
بدا ذلك منه واظهر لهم بوامنه فضلا ان يثنوا عليه ويحمدوه فيجب ان يشكروه ويثنى عليه بترك معاصيه وفضائحه
والله الموفق قوله ولا يغرنكم بالله الغرور الغرور بفتح الغين هو الشيطان يقول لا يغرنكم بالله الشيطان ثم
يحتمل قوله بالله الغرور وجوها لا يغرنكم الله اى بكرمه وجوده يقول انه كريم وجواد غفور يتجاوز عنكم

ويعفو عنكم

ويعفو عنكم معاصيكم ومساويكم والثانى لا يغرنكم بالله الغرور اى بغناه يقول انه غنى ما به حاجة الى عبادتكم اياه وفيما
امركم به ونهاكم عنه والثالث ان يكون قوله ولا يغرنكم بالله اى لا يغرنكم عن طاعة الله وعبادته فتعصوه وذلك
جائز فى اللغة الباء مكان عن كقوله عينا يشرب بها عباد الله اى عنها اذ لا يشرب بالعين وانما يشرب عنها والله
اعلم قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا يذكر هذا والله اعلم لان ما يدعو الشيطان الخلق اليه فى الظاهر
يخرج مخرج الشفقة لهم والنصيحة كما يدعو الاولياء لانه يدعوهم الى قضاء شهواتهم ولذاتهم وما تهوى به
انفسهم وان كان يضمر ويقصد به هلاكهم الا ترى انه كيف اظهر لادم وحواء من الشفقة لهم والنصيحة حيث
قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الى قوله انى لكما لمن الناصحين ونحوه وكان قصده بذلك ما ذكر يوسوس
لهما الشيطان الاية هذا كان يضمر ويقصد فى دعائه اياهما الى التناول من تلك الشجرة التى نهاهما ربهما فعلى ذلك
فيما يدعو الناس به الى قضاء شهواتهم وحاجاتهم فى الظاهر فهو يقصد بذلك هلاكهم لمخالفتهم المولى لا ما يظهر
ويبدى لهم لذلك قال انه عدو لكم ليس بولى فاتخذوه عدوا اى كونوا عن دعائه وامره على حذر كما يحذر المرء دعاء
عدوه انما يدعو حزبه قال بعضهم اهل طاعته وقال القتبى حزبه اضاعه والحزب الانصار وقال
بعضهم جنده وقال بعضهم حزبه ولا يرى الذين يتولاهم ويتولونه وكله واحد ثم قوله انما يدعو حزبه لكنه
خص حزبه بالدعاء لهم لما ان حزبه هم المجيبون له والمطيعون فاما غير حزبه فلا يجيبونه وهو كقوله انما تنذر
من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب وكان ينذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع الذكر لكن خص بالنذارة من اتبع الذكر
لما ان متبع الذكر هو المنتفع به دون من لم يتبع لذلك خص والله اعلم فعلى ذلك ما خص بدعائه حزبه هم المجيبون له
والمطيعون وقوله ليكونوا من اصحاب السعير قصد بدعائه حزبه الى ما يدعوهم ليكونوا من اصحاب السعير
والا لو كان اظهر لهم الدعاء الى اصحاب السعير ما اجابوه ولا اطاعوه ولكن دعاهم الى اعمال توجب لهم السعير
او ليكون لهم عذاب السعير كقوله وقوله الذين كفروا لهم عذاب شديد وهو ظاهر والذين
امنوا وعملوا الصالحات فلهم مغفرة واجر كبير قوله لهم مغفرة لما عملوا من الصالحات بعد ايمانهم
او مغفرة لذنوبهم فى الايمان واجر كبير لايمانهم واعمالهم الصالحات قوله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا
ليس لهذا الحرف فى هذا الموضع جواب فجائز ان يكون جوابه فى قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات على التقديم له
كانه يقول والله اعلم افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء
ويهدى من يشاء او ان يكون قوله افمن زين له سوء عمله فلزمه كمن قبح له فانتهى عنه ليأتيه كقوله اومن كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ذكر ان قوله اومن كان ميتا فاحييناه نزل فى
عمر بن الخطاب وقوله كمن مثله فى الظلمات فى ابى جهل فعلى ذلك الاول وان يكون ما ذكر بناء على التقديم والتأخير وقوله
فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء من الضلال لا الى الهدى يضل من علم منه انه يختار الضلال ويهدى من علم منه انه يختار
الهدى وقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات هذا يحتمل وجوها احدها قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات اى لا تهلك
ولا تذهب نفسك عليهم حسرات اشفاقا على ما ينزل بهم بتركهم الايمان لان رسول الله كان ان يهلك نفسه اشفاقا عليهم
فنهاه عن ذلك كقوله وقوله والثانى على تخفيف الحزن عليه ورفعه عنه وتسليته اياه لانه كان يشتد به الحزن لمكان
كفرهم وتكذيبهم اياه وتركهم الاجابات به ليس على النهى كقوله ولا تحزن عليهم وقد ذكرنا معناه فيما تقدم مقدار
ما حفظنا فيه والله اعلم وقوله ان الله عليم بما يصنعون هذا يخرج على وجهين احدهما ان الله تعالى على علم بصنيعهم انشاهم
لا عن جهل بما يكون منهم والثانى عليهم بما يصنعون فلا تشكوا فيهم ولا تشتغلن بشئ مما يكون منهم ولكن فوض ذلك
الى الله واشتغل اليه وقوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك
النشور اى كذلك يحيى الموتى وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وقوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا قال بعضهم من كان
يريد القوة والمنعة بعبادة الاصنام ومن عبده واو ونه فلله العزة جميعا اى فبعبادة الله وطاعته ذلك فى الدنيا و
الاخرة اى فمن عنده اطلبوا ذلك عند الله من كان يريد ثواب الدنيا والاخرة اى من عنده اطلبوا ذلك فى الدنيا
والاخرة وقال بعضهم من كان يريد العزة اى الغلبة والتعزيز فلله العزة جميعا اى فبالله يكون عز الدنيا والاخرة
بالاصنام التى عبدتموها وقد كان منهم بعبادتهم الاصنام طلب الامر بطلب العز كقوله واتخذوا من دون الله الهة
ليكونوا لهم عزا وطلبا للقوة والمنعة كقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون فاخبر ان ذلك انما يكون
بالله وبطاعته فمن عنده اطلبوا لا ممن عبد من تعبدون من دونه والله اعلم وقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه اختلف فيه قال قائلون اليه يصعد الكلم الطيب هو الوعد الحسن والعمل الصالح يرفعه هو انجاز ما وعد
اى انجاز ما وعد من الوعد الحسن وفى ذلك الانجاز الوعد الحسن وعد قال بعضهم اليه يصعد الكلم الطيب هو كلمة
التوحيد وشهادة الاخلاص والعمل الصالح يرفعه اى اخلاص التوحيد لله يرفع الكلم الطيب الذى تكلم به فعلى
هذا التأويل لا يصعد الكلم الطيب اليه ما لم يخلص ذلك وقال قائلون اليه يصعد الكلم الطيب هى كلمة التوحيد على
ما ذكرنا والعمل الصالح يرفعه اى يرفع الله العمل الصالح لصاحبه يعنى لصاحب الكلام الطيب فعلى هذا التأويل
يصعد الكلم الطيب اليه دون العمل الصالح وبعض اهل التأويل يرفع الكلام التوحيد الطيب العمل الصالح الى الله و
يتقبل الاعمال الصالحة وظاهر الاية ان يكون العمل الصالح هو الذى يرفع الكلم الطيب لكن الوجه فيه والله اعلم ما

ما ذكرنا من الوجوه وبعضهم يقول ان العمل الصالح يرفع الكلام الطيب والوجه فيه ما ذكرنا وقوله والذين يمكرون السيئات قال عامة اهل التاويل والذين يعملون السيئات وجائز ان يكون ما ذكر من مكرهم السيئات هو مكرهم برسول الله واذا هم اياه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية ومكر الله بهم في الدنيا بالهلاك والقتل وفي الاخرة بالعذاب الشديد الذي حيث قال لهم عذاب شديد في الاخرة ومكر اولئك هو يبور اي هو يهلك من البوار وهو الهلاك وهو قتلهم ببدر والله اعلم وقوله والله خلقكم من تراب خلقكم اي قدركم مع كثرتكم من اول امركم الى اخر ما تنتهون اليه من التراب الذي خلق ادم منه اذ الخلق في اللغة التقدير وقوله ثم من نطفة اي قدركم ايضا مع كثرتكم وعظمكم من تلك النطفة يخبر عن علمه وتدبيره ايانا مع كثرتنا في ذلك التراب وفي تلك النطفة وان لم نكن نحن على ما نحن عليه في ذلك التراب والنطفة لا يعزب شيء او ان يكون اضافته ايانا الى ذلك التراب والماء لا ثم كان ذلك اصلنا ومبادي امورنا وكان المقصود بخلق ذلك التراب والماء والاصل هذا الخلق وهو العاقبة وقد يذكر ويضاف العواقب الى المبادي وتنسب اليها اذا كان المقصود من المبادي العواقب وله نظاير جمة كثيرة وقد ذكرنا في غير موضع وقوله ثم جعلكم ازواجا اي خلقكم من ذلك ذكرا وانثى ليسكن بعض الى بعض وجعلكم ازواجا اصنافا وفي حرف ابن مسعود والله الذي خلقكم من نفس واحدة ثم جعلكم ازواجا والله اعلم وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه يخبر انه والله اعلم ما تحمل من انثى من اول ما تحمل الى اخر ما تنتهون اليه الا بعلمه السابق وكذلك لا تضع كل حامل من اول ما تضع الى اخر ما ينتهون اليه الا بعلمه السابق انها تحمل كذا في وقت كذا من كذا وانها تضع كذا في وقت كذا يخبر عن علمه السابق من اول انشائهم الى اخر ما يكونون وينتهون اليه انه كان كله بذلك التقدير الذي كان منه والله اعلم وقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب قال بعضهم قوله ما يعمر من معمر اي ما يطول من عمر وان طال وما ينقص من عمره اي ما نقص وقصر من ذلك ولم يطول الا في كتاب اي الا كان ذلك كله في الكتاب مبينا هكذا مطولا وقال بعضهم وما يعمر من معمر اي من كثرة عمره وطال او قل عمره فهو يعمر الى اجله الذي كتب له ثم قال ولا ينقص من عمره كل يوم وكل ساعة حتى ينتهي الى اخر اجله الا في كتاب في اللوح المحفوظ مكتوب قبل ان يخلقه ان ذلك على الله يسير قال صاحب هذا ان كتاب الاجال حين كتبه الله في اللوح المحفوظ على الله هين وقال الاخر قريبا من هذا في قوله ولا ينقص من عمره في جري الليل والنهار والساعات الا في كتاب وذلك ان الله تعالى كتب لكل نسمة عمرا انتهى اليه فاذا اجرى عليها الليل والنهار نقص ذلك عمرها حتى يبلغ ذلك اجلها فمن قضي له ان يعمر حتى يدركه الكبر او عمر دون ذلك فهو بالغ ذلك الاجل الذي قضي له وكان ذلك في كتاب ينتهون اليه ان ذلك على الله يسير يقول لو قال هذا ان حفظ ذلك على الله بغير كتاب يسير هين وجائز ان يكون قوله ان ذلك على الله يسير اي ان علم ما ذكر وتقديره من اول ما انشاهم وتغير احوالهم الى اخر ما يكونون وينتهون اليه يسير اي لا يخفى عليه وقوله وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج فيه وجوه من المعتبر احدها يذكر ان لا يستوي في الحكمة الخبيث من الرجال والطيب منهم كما لا يستوي المالح من الماء والاجاج العذب منه والسائغ وقد استوى الطيب من الرجال والخبيث في منافع الدنيا ومما كلاهما وفي الحكمة التفريق بينهما والتمييز دل ان هنالك دارا يميز بينهما ويفرق اذ قد يستوي في منافع وخطامها وفي الحكمة التفريق والتمييز لا الجمع والاستواء وذلك يدل على البعث والثاني فيه ان المنشاء من الاشياء في هذه الدنيا والمخلوق فيها لم ينشها لحاجة نفسه ولكن لحوايج الخلق ومنافعهم وما يكون لهم العبرة في ذلك اذ من انشا شيئا لحاجة نفسه انشا الذ الاشياء واحلاها وانفعها له لا مر ما لحا اجاجا ما لا ينتفع به يخبر عن غناه عما انشاء من الاشياء ليعلم انه لم ينشها لحوايج نفسه ولكن لما ذكرنا وهو على المعتزلة في قولهم انه لم يخلق شيئا لا ينتفع به وانه لا يفعل بهم الا ما هو اصلح لهم في الدين اذ قد انشاء ما اجاجا ملحا لا ينتفع به ليكون لهم العبرة في ذلك والثالث فيه ترغيب في ايمان الخبيث الكافر ودفع الاياس عن توحيدهم وقطع الرجاء عن عودهم اليه حيث اخبر انما ياكلون من الماء المالح والاجاج والعذب السائغ جميعا واللحم الطري مما حقق مثله اذا القي فيه او في مثله اللحم الطري ان يفسد من ساعته ويذكرهم ايضا عن قدرته ان من قدر على حفظ ما ذكر من اللحم الطري في الماء الذي لا يقدر على الدنو منه والقرب فضلا ان يكون فيه حفظ ما ذكر من الافساد فمن قدر على هذا لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء والرابع يذكر نعمة التي انعمها عليهم حيث قال ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها يذكر عظم نعمه وقدرته حيث جعل البحار مسخرة مذللة يقدرون على استخراج ما فيها من الحلي والجواهر والوصول الى المنافع التي هي وراء البحار وقطعها بسفن انشاها لهم واجراها في الماء الراكد الساكن برياح تعمل عملها جريا ان الماء بل الاعجوبة في اجراء السفن بالرياح في المياه الراكدة الساكنة اعظم واكثر من جريانها على جرية الماء لجريها في الماء الجاري لا تجري الا على الوجه الثاني يجري الماء وفي البحار يجري بريح واحدة من الاسفل الى الاعلى ومن الاعلى الى الاسفل حيث شاؤا دل ان الاعجوبة في هذا اكثر واعظم ومن ملك هذا لا يعجزه شيء او ان يكون المثل الذي ذكر في البحرين احدهما عذب ماؤه والاخر اجاج ماؤه يكون للعمل الصالح وهو التوحيد وللعمل السيء وهو الكفر يقوله كما لا يستوي في الفضل الماء العذب والماء المالح فعلى ذلك لا يستوي العمل الصالح والعمل السيء وقوله وترى الفلك فيه مواخر قال بعضهم مواخر تجري بان احد يهما مقبلة والاخرى مدبرة بريح واحدة وتستقبل احدهما الاخرى وقال بعضهم المواخر هي التي تشق الماء وتقطعه من مخر يمخر وقد ذكرناه فيما تقدم وقوله لتبتغوا من فضله هذا يدل ان ما يصاب بالاسباب والمكاسب انما هو فضل الله اذ قد يكتسب ولا يكون منه شيء والله اعلم

وقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يذكر هذا لاهل مكة لانكارهم الصانع وانكارهم البعث وانكارهم الرسل لانهم كانوا فرقا ثلثة منهم من ينكر الصانع والتوحيد ومنهم من ينكر البعث ومنهم من ينكر الرسل ففي الاية دلالة اثبات الصانع وتوحيده وفيها دلالة البعث والانشاء بعد الموت وفيها دلالة اثبات الرسالة اما دلالة اثبات الصانع والوحدانية له لانا نرى الليل والنهار والشمس والقمر ما ذكر وجريانها وجريان الامور كلها على سنن واحد وميزان واحد وقدر واحد من اول ما كان الى اخر ما يكون من غير زيادة او نقصان يدخل فيه او تقديم او تاخير يكون فيه يدل على ان لذلك كله صانعا مدبرا انشاه ودبر كل شيء على ما كان وحفظ كله على ميزان واحد اذ لو كان ذلك بنفسه لكان لا يجري على حد واحد بل يتفاوت ويتفاضل وكذلك لو كان فعل عدد لكان يتقدم ويتاخر ويتغير ويمتنع ويذهب براسا على ما يكون فعل العدد من الملوك ان ما اراد الاخر نقضه ومنعه وما اراد هذا نقضه وابطاله اراد الاخر اثباته وذلك معروف فيهم من غالبة بعض بعضا فدل انسا في ما ذكرنا وجريانه على تدبير واحد انه فعل واحد وتدبير واحد لا عدد وبالله القوة ودل ذهاب الليل وتلفه وبجملته حتى لا يبقى له اثر وكذلك ذهاب ضوء النهار ونوره وكذلك الشمس والقمر واتيان الاخر بعد تلفه انه بعث اذ لو لم يكن بعث كان تدبير ذلك كله وتقديره لعبا باطلا وان من قدر على هذا يقدر على الاحياء بعد الموت وانه لا يعجزه شيء فاذ ثبت ما ذكرنا لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهى ولا يمتحنهم بانواع المحن فلا بد من رسول يامر وينهى ويخبر عما لهم وعليهم وفيه ان مدبر ذلك كله عليم حكيم ثم يخبر ان الذي فعل ذلك كله هو ربكم الذي له الملك يقول الذي فعل هذا كله لا الاصنام التي عبدتم دونه وسميتموها الهة فكيف صرفتم العبادة اليها والالوهية وما يعبدون من دونه لا يملكون ما ذكر حيث قال والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يسفه احلامهم في عبادة من عبدوا دونه على علم منهم انهم يملكون ما ذكر وصرفهم العبادة عن الله على علم منهم ان ذلك كله من الله وهو المالك لذلك ثم يخبر عن عجز من عبدوه حيث قال ان تدعوهم على حقيقة الدعاء لا يسمعوا دعاءكم حقيقة ولو سمعوا ما استجابوا لكم اي لو سمعوا دعاءكم ما يملكون اجابتكم في دفع ضر وسوء عنكم ولا في جر نفع وان يكون قوله ان تدعوهم اي تعبدوهم لا يسمعوا دعاءكم اي لا يجيبوكم الى ما تقصدون بعبادتكم اياهم وان يقول ما قبلوا ذلك منكم ولا نفعكم فيه والله اعلم وقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم يكفرون يوم القيمة ان يكونوا شركاء لهم او امروهم بذلك كقوله سيكفرون بعبادتهم الاية وقوله ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ونحوه والله اعلم وقوله ولا ينبئك مثل خبير اي لا ينبئك احد مثل الذي انبائك الخبير في الصدق والحق وان يكون قوله ولا ينبئك مثل خبير اي لا يكون نبا الخبير فاعمل به واقبل اليه ولا تقبل على نباء غيره والله اعلم وفي قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وجهان من اللطف احدهما يتلف حتى يذهب اثره وياتي بالاخر ويزيد في هذا وينقص من الاخر ويدخل من ساعات هذا في ساعات الاخر وفيه نقض قول الثنوية في قولهم ان منشيء الخير غير منشيء الشر ويقولون ان النور من منشيء الخير والظلمة من منشيء الشر فلو كان ما ذكروا لكان اذا ذهب النور وجاءت الظلمة هي الغالبة والنور هو المغلوب في يدها وكذلك النور اذا جاء وذهبت الظلمة صارت هي مقهورة مغلوبة في يد النور والنور هو الغالب عليها فاذا صار مغلوبا مقهورا في يد صاحبه يجب ان لا يقدر على استنقاذ نفسه من يده ابدا على ما يكون من عادة الاعداء اذا غلب بعضهم بعضا وقهر بعضهم بعضا ان يهلك ولا يتخلص منه فاذ لم يكن جاء كل منهما في وقته بعد ذهاب اثره على التقدير الذي ذكرنا دل انه فعل واحد وتدبير واحد لا تدبير عدد وبالله الحول والقوة والقتبي يقول القطمير هو الفوقة التي يكون فيها النواة وابو عوسجة يقول هو القشرة الرقيقة التي يكون بين لحم التمرة وبين نواتها واحد وجمعه سواء وقوله يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فيه وجوه من الدلالة احدها انه انما امركم ونهاكم وامتحنكم بانواع المحن لحاجتكم وفقركم اليه لا لحاجة وفقر له في ذلك فان ائتمرتموه واطعتموه فالى انفسكم ترجع منفعة ذلك وان عصيتم فعلى انفسكم يرجع ضرر ذلك كقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها والثاني يقول تعلمون ان فقركم وحاجتكم الى الله لا الى الاصنام التي تعبدونها واتخذتموها الهة فكيف صرفتم العبادة والشكر الى من تعلمون انكم لا تحتاجون اليه ولا تفتقرون والثالث يامرهم بقطع اطماعهم من الخلق لانه خاطب الكل واخبر انكم جميعا فقراء الى الله الطامع والمطموع فيه فاقطعوا طمعكم ورجاءكم عن الخلق واطمعوا ذلك من الله فانه الغني الحميد والخلق جميعا فقراء اليه يؤيسهم عن الطمع والرجاء من الخلق والله والله اعلم وقوله ان يشا يذهبكم وياتي بخلق جديد يخبر عن غناه وقدرته لو شاء اذهبكم لتعلمون انه لم ينشئكم ولا امركم ولا نهاكم لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن لحاجة انفسكم وقوله وما ذلك على الله بعزيز يحتمل هذا الوجهين احدهما لا يثقل عليه ذهابكم وفناؤكم لانه لم ينشئكم لحاجة نفسه فذهابكم وفناؤكم وبقاؤكم عليه واحد والثاني لا يصعب عليه ولا تعز اذهابكم واحداثكم ولا يخرج شيء يخبر عن قدرته والله اعلم وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء كان هذا صلة قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الاية يؤيسهم ليقطعوا اطماعهم يومئذ عن تناصر بعضهم بعضا وتحمل بعضهم مؤن بعض وشفاعة بعضهم بعضا على ما كانوا يفعلون في الدنيا كان ينصر بعضهم بعضا في الدنيا اذا اصابهم شيء ويفدي بعضهم عن بعض وينفع بعضهم بعضا كانوا يحالون مثل هذه

لميل في الدنيا اليد فعفوا عن المتصلين بهم الضرر فاخبر انه ليس لهم ذلك في الاخرة كقوله ولا يقبل منها عدل ولا ينفعها شفاعة ولا هم ينصرون وقوله واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا مثله كثير يؤيسهم عن ان يكون لهم في الاخرة ذلك والله اعلم وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب هذا يخرج على وجهين احدهما انما ينتفع بالانذار الذين يخشون ربهم بالغيب فاما لا يخشى ربه فانه لا ينتفع به والا كان منذرا من اتبع الذكرى ومن لم يتبع ومن خشي ربه ومن لم يخش والثاني كانه يقول انك تنذر غير الذي تبع الذكر وغير الذي خشي ربه فانما يتبع انذارك ويقبله الذي خشي ربه واتبع ذكره والله اعلم وقوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه اومن جاء بالتوحيد والاعمال الصالحة فانما يصلح امره وعمله يثاب عليه والى الله المصير قد ذكرنا في غير موضع فائدة تخصيص ذكر المصير اليه في ذلك اليوم وان كانوا صائرين اليه في كل وقت وقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ضرب هذا المثل يخرج على وجوه احدها شبه الاصنام التي كانوا يعبدونها بالاعمى والظلمة والميتة والحرور وحقيقة لانها كذلك عميان موتى لا نور فيها يقول والله انكم تعلمون ان الذي تعبدون من دون الله عميان لا بصر لهم ولا نور ولا حيوة ولا شيء من ذلك وان الله هو البصير ومنه يكون كل خير ونفع فكيف اخترتم عبادة من هذا سبيله على عبادة الله تعالى وبالله الهداية والعصمة والثاني شبه اولئك الكفرة بالعميان والظلمة والموت وما ذكر والمؤمن بالبصير والنور والظل والحيوة ليس على ارادة حقيقة البصر والحيوة وما ذكر لان لهم بصرا يبصرون وهم احياء فيقولون نحن بصراء واحياء انتم العميان والاموات وما ذكر لكن شبههم بالعميان والموتى لانه لا حجة لهم ولا برهان على عبادتهم الاصنام وهم يعلمون انه لا حجة لهم ولا برهان على ذلك من كتاب او رسول او نحوه انما هو هوى يهوون ذلك والمؤمنين في عبادتهم الله حجة وبرهان فمن كان له حجة في عبادته فهو بصير حي نور ومن ليس له ذلك فهو اعمى ميت والثالث يذكر هذا دلالة على البعث لانهم يعلمون ان الخلق ليس كلهم على حد واحد وحالة واحدة بل فيهم العميان والبصراء وفيهم الاحياء والاموات وفيهم ما ذكر وقد استووا جميعا في منافع هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهم لا الجمع فلا بد من دار اخرى سوى هذه يفرق بينهم اذ في الحكمة والعقل التفريق لا الجمع والله اعلم وقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور دل قوله ان يسمع من يشاء على ان قوله وما انت بمسمع من في القبور انما اراد به الكافر ثم اخبر ان رسوله لا يسمع لما لا يقدر على ذلك وليس عنده ذلك اذ لو كان بيانا مبينا او دعاء على ما يقوله المعتزلة لكان يسمع ويبين ويقدر على ذلك فان لم يقدر رسول الله على ذلك دل ان عند الله لطف وشيء لم يعطهم فاذا اعطاهم ذلك اهتدوا وامنوا وكذلك هذا في قوله انك لا تهدي من احببت ولو كان بيانا على ما تقوله المعتزلة لهدى من احب وقد احب فلم يهتد دل ان عند الله شيء لو اعطى ذلك لاهتدى ولم يكن ذلك عند رسوله وهو التوفيق والعصمة وهذا ينقض على المعتزلة قولهم ان الله قد اعطى كل كافر ما به يهتدي لكنه لم يهتد ثم لا يحتمل قوله ان الله يسمع من يشاء على القسر والقهر دل انه لا يحتمل وقوله ان انت الا نذير هذا يحتمل وجهين احدهما ليس عليك الا الانذار باللسان كقوله ان عليك الا البلاغ وقوله ما على الرسول الا البلاغ وانت لا تؤخذ بتركهم قبول الانذار كقوله ما عليك من حسابهم من شيء الاية وقوله فان تولوا فانما عليه ما حمل الاية ويحتمل الانذار بالسيف بامره اياه بالقتال معهم حتى يؤمنوا وان كان على هذا فهو يحتمل النسخ يؤمر بالقتال في وقت ولا يؤمر في وقت واما النذارة باللسان فهو لا يحتمل النسخ ابدا والله اعلم وقوله انا ارسلناك بالحق بشيرا يحتمل قوله بالحق اي بالتوحيد اي ارسلناك لتدعو الناس الى توحيد الله او ارسلناك بالحق اي بالحق الذي لله عليهم وما لبعض على بعض او ارسلناك بالحق اي للحق وهو البعث الذي هو كائن لا محالة وقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالجنة لمن امن بالله واجابك ونذيرا بالنار لمن عصاه وخالف امره وترك اجابتك هذا يدل على انه لم يرد في قوله ان انت الا نذير خاصة بل نذيرا وبشيرا وقوله وان من امة الا خلا فيها نذير قال بعضهم ليس من صنف الخلق وجواهرهم على اختلاف جواهرهم واصنافهم الا وقد خلا لهم نذير يأمر وينهى ويمنع ويبيح كقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم الاية اخبر ان الخلق على اختلاف اصنافهم وجواهرهم امم امثالهم البشر فيحتملون ما يحتمل البشر من الامر والنهي والنذارة والبشارة وقال بعضهم ذلك راجع الى الجن والانس خاصة ليس الى الكل لانهما هما المخصوصان بالخطاب والنطق والعقل وغير ذلك وفيهما ظهر بعث الرسل والنذر ولم يظهر ذلك في غيرهما فكانه قال وان من امة من هذين من القرون الا خلا فيهما نذير والله اعلم وقوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات يعزي رسوله ويصبره على تكذيب قومه اياه يقول لست انت باول مكذب من الرسل بل قد كذب اخوانك الذين من قبل بعد ما جاؤا بالبينات والزبر اي بالكتب المنيرة اليهم مع ما جاءهم بذلك فكذبوهم فصبروا على تكذيبهم فاصبر انت ايضا على تكذيب قومك والله اعلم وقوله ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي ثم اخذت الذين كذبوا رسلهم بالتكذيب فاخذ قومك على تكذيبهم اياك ايضا يذكر هذا له ليصبره على ذلك ويخفف حزنه على تكذيبهم اياه او يذكر زجرا لقومه عن تكذيبهم اياه لئلا ينزل بهم من العذاب ما نزل باولئك بالتكذيب وقوله فكيف كان نكير قال بعضهم فكيف كان انكاري وقال بعضهم عذابي وذل قوله وبالكتاب المنير قوله الله نور السموات والارض اي منير السموات والارض ما سمي الكتاب في غير اي من القران نورا هو نور بما ينير القلوب والصدور وقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها الى اخر ما ذكر

فيه

فيه فوائد من الحكمة احدها انه جعل عز وجل طبع الماء ما يلائم ويوافق طباع هذه الثمرات على اختلاف جواهرها والوانها حتى يكون حيوة كل شيء منها وقوامه بهذا الماء وكذلك جعل طبع هذا الماء ملائما موافقا طباع جميع الخلائق من البشر والدواب والطير والوحش وجميع الحيوان على اختلاف جواهرهم واصنافهم وغذائهم حتى صار هو غذاء وحيوة لهم وقياما به ليعلم ان من ملك هذا وقدر توفيق هذا على اختلاف ما ذكرنا من الجواهر والاغذية بتدبيره لا يعجزه انشاء شيء لا من شيء ولا يخفى عليه شيء وفي ذلك دلالة البعث ان من بلغت قدرته وتدبيره وعلمه هذا المبلغ لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء والثاني انه انشاء ما ذكر من مختلف الاشياء والجواهر بهذا الماء وجعله سببا لحيوة ما ذكر من البشر والدواب وغيره من غير ان يكون في ذلك الماء الذي انشاء الذي انشاء ذلك منه وجعله سببا لحيوتهم من اثر ذلك فيه او من جنسه ليعلم انه لم يكن انشاء هذه الاشياء بهذا الماء ولا جعله سببا لها على الاستعانة به والتقوية بل علم الخلق اسباب مطالب الغذاء والفضل لهم اذ لو كانت على الاستعانة وجعله سببا له في انشاء ذلك لكان يكون تلك الاشياء المنشاة مشاكلة له او متشابهة له دل انه جعل ذلك سببا للخلق في الوصول الى ما ذكرنا من الاغذية لهم من غير ان يروا ارزاقهم من تلك الاسباب والمكاسب ولكن من فضل الله والثالث انشاء هذه الفواكه والثمرات مختلفة الوانها وطعمها مما علم من البشر من الملالة والسامة من نوع واحد ولون واحد ليتم نعمه عليهم لتادى بذلك الشكر عليها والله اعلم وقوله ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود قال بعضهم انشاء الجبال ايضا مختلفة من بيض وحمر وغرابيب كانشاء الثمرات والدواب والحيوان كلها مختلفة وقال بعضهم ذلك وصف وصفها بالسود للطرق التي انشاها في الجبال ومن الناس والدواب والانعام مختلفا الوانه كاختلاف الجبال والثمار وكذلك وغرابيب جمع غربيب وهو الشديد السواد يقال اسود غربيب وهو القتبي وابو عوسجة ورجل من بيب الشعر اي اسود الشعر ومأخذه من الغراب لانه اسود والجدد الخطوط والطرائق في الجبال وقال ابو عوسجة الجدة والخطة الجدد جميع الخطوط يقال جددت اي خططت يقال ثوب جديد وثياب جدد ومن الجبال جدد اي طرائق مختلفة الوانها بعضها بيض وبعضها غرابيب وهي سود يذكر قدرته وتدبيره ان الجبال مع غلظها وشدتها وارتفاعها جعلها بحيث يتطرق منها في صعودها وهبوطها فمن قدر على هذا لا يعجزه ولا يخفى عليه شيء او يذكر نعمه عليهم حيث سخرها لهم ليقضوا فيها حوائجهم فيما بعد عنهم وصعب عليهم والله اعلم وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء هذا يحتمل وجوها احدها ان الذي يحق على العالم بالله ان يكون هو يخشاه لما يعلم من سلطانه وهيبته وقدرته وجلاله والثاني ان العالم بالبعث والمؤمن به وهو يخشى مخالفة الله في اوامره ونواهيه لما يعلم من نقمته وعذابه من خالفه وعصى امره فاما من يعلم بالبعث ولم يؤمن به فلا يخافه كقوله والذين امنوا مشفقون منها وقوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ونحوه او ان يكون قوله انما يخشى الله من عباده من جملة المؤمنين يقول والله اعلم انما يخشى الله من عباده المؤمنون به المصدقون عذابه ونقمته فاما من لم يؤمن به فلا يخافه كما ذكرنا في قوله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وان في ذلك لايات لكل مؤمن ويكون الصبار والشكور كناية عن المؤمن فعلى ذلك هذا يحتمل وقال اهل اللغة وبل على التقديم والتاخير اي اشد الناس لله خشية اعلمهم بالله والخشية وقال الحسن هو الخوف الدائم اللازم في القلب غير مفارق له والله اعلم وقوله ان الله عزيز غفور قال بعضهم العزيز المنتقم من اعدائه والغفور لذنوب المؤمنين وقال بعضهم عزيز في ملكه ومن دونه ذليل غفور اي ستور على ذنوب المؤمنين وقوله الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة يحتمل ما ذكر من تلاوة الكتاب ههنا ما ذكر في اية اخرى حيث قال يتلونه حق تلاوته واقاموا ما فيها من الامر بالصلوة والامر بالزكوة او ان يكون قوله يتلون كتاب الله اي يتبعون كتاب الله فيما فيه مما لهم ومما عليهم يتبعون كله من الاقدام على الحلال والاجتناب على الحرام والمتشفقون بكتاب الله هم الذين اتبعوا ما فيه من اقامة الصلوة والانفاق فيما رزقوا فاما من تلاه ولم يتبع ما فيه فكانه لم يتل وهو كما نفى عنهم هذه الحواس من البصر والسمع واللسان وغيره لتركهم الانتفاع بها وان كانت لهم تلك الحواس حقيقة واثبتها للمؤمن لما انتفع بها وان لم تكن له تلك حقيقة فعلى ذلك يحتمل الاول والله اعلم وقوله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يحتمل قوله سرا وعلانية في كل حال وكل وقت لا يتركون الانفاق على كل حال كقوله اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء اي ينفقون في السراء والضراء اي ينفقون على كل حال ويحتمل اي انفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي تصدقوا الصدقة ظاهرا وباطنا اي ما ظهر للناس وعلموا به وما خفي عنهم واستتر لما قصدوا بها وجه الله لا مراءاة الخلق فمن كان قصده بالخيرات وجه الله لا مراءاة الخلق فعلمهم به وجهلهم سواء لا يمتنع عن ذلك ابدا والله اعلم وقوله يرجون تجارة لن تبور سمى ما يبذل العبد لله تجارة وان كان ذلك له في الحقيقة لطفا منه واحسانا وكذلك ما ذكر من ايفاء الاجر لهم على اعمالهم حيث قال ليوفيهم اجورهم وذلك ليس في الحقيقة اجرا لما يستوجبون الاجر قبله بتلك الاعمال لما عليهم من الشكر فيما انعم عليهم من انواع النعم ومتى يتفرغون عن شكر ما انعم عليهم حتى يكون ذلك اجرا لهم لكنه عز وعلا بفضله وانعامه وعد لهم الثواب والاجر على حسناتهم واعمالهم الصالحات افضالا منه وانعاما منه وسمى ذلك تجارة كان ليس ذلك له في الحقيقة ترغيبا منه الخلق على ذلك ونحو بضاعتهم

فى ذلك والله اعلم و نزيدهم من فضله على ذلك ايضًا وقوله انه غفور شكور يحتمل قوله غفور اى ستور لمسا ويهم شكور
اى مظهر لحسنا تهم بادخاله اياهم الجنة ليعلم احدا نه كان محسنا لا مسيئًا او غفور يتجاوز عن مسا ويهم شكور يقبل
اليسير من العمل القليل منهم يجزيهم على ذلك الجزيل من الثواب والله اعلم وقوله لن تبور قال ابو عوسجة والقتبى لن تبور
اى لن تغتى او لن تكسد يقال بارت التجارة تبور فهى بايرة اذا كسدت لبو فيهم اجورهم من الا يفاء يقال اوفيته
حقه اى اعطيته كله وقوله والذى اوحينا اليك يا محمد من الكتاب وهو القران هو الحق انه من عند الله مصدقا لما بين
يديه اى موافقا الكتب التى قبله ثم يكون موافقه اياها باحد شيئين اما فى الاخبار والانباء اذ ما فى الانباء والاخبار
التى فى القران انباء الكتب المتقدمة واخبارها و يصدق بعضها بعضا فكذلك كانت الكتب كلها داعية الى توحيد الله
والعبادة له والطاعة او يوافق الاحكام فان كانت الموافقة فى الاحكام ففيها الناسخ والمنسوخ مختلفة الا ترى
ان فى القران ناسخا ومنسوخا ثم اخبرانه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولو كان الناسخ والمنسوخ
خلافا فى الحقيقة لكان من عند غير الله على ما اخبر دل ان بينهما وفاقا ليس باختلاف وقال بعضهم ان محمد يصدق ما قبله
من الكتب والرسل وهو ما ذكرنا ان جميع الكتب والرسل انما دعوا الخلق الى توحيد الله وعبادته وقوله ان الله بعباده
لخبير بصير اى لخبير بصير بما به مصالحهم او لخبير بصير اى على علم و بصيرة منه بتكذيب القوم رسلهم بعث
الرسل اليهم لا عن جهل منه بذلك وذلك لا يخرجه عن الحكمة كما قال بعض الملاحدة ان ليس بحكيم من بعث الرسل الى من يعلم انه
يكذبه و يرد رسالته فهكذا لو كان بعث الرسل لحاجة المرسل ولمنفعة يكون ما رسا له وبعثه الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته
فاما الله سبحانه وتعالى يتعالى عن الرسال الرسل لحاجة له او لمنفعة بل لحاجة المبعوث اليه والمرسل لم يخرج عليه برده
وتكذيبه عن الحكمة والتوفيق بالله او ان يكون قوله لخبير بصير يخرج على الوعيد اى عالم باحوالهم وافعالهم ليكونوا
ابدا على حذر و مراقبة والله اعلم وقوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات اختلف فيه قال بعضهم فمنهم ظالم لنفسه هو ممن اخبرانه اصطفاه للهدى من
متبعى محمد وهم اصحاب الكبائر فى قول بعض وقال بعضهم هم اصحاب الصغاير وقال بعضهم هم اصحاب الكباير والصغاير جميعًا
ومنهم من يقول هو فى الناس جميعا المتبع له وغير المتبع ثم اختلف فى قوله ظالم لنفسه قال بعضهم هو المنافق الذى
اظهر الموافقة لرسوله واضمر الخلاف له وقال بعضهم هم اليهود والنصارى فقد امنوا به قبل ان يبعث فلما
بعث كفروا به وقال بعضهم هم المشركون وقد اقسموا انه لو جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فهؤلاء
كلهم فى النار وما ذكر من الاصطفاء والاختيار على قول هؤلاء يكون لرسول الله حيث بعث اليهم ليدعوهم الى توحيد
الله والاشبه ان يكون قوله فمنهم ظالم لنفسه من امته من متبعى الرسول ما روى فى الخبر عن ابى الدرداء رضى الله عنه
انه قال تلا رسول الله هذه الاية فقال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا
يسيرا ثم يدخل الجنة واما الظالم لنفسه فيحبس حتى يظن انه لن ينجو ثم تناله الرحمة فيدخل الجنة ثم قال رسول الله وهم
الذين قالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الاية وكذلك روى عن انس وعايشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه ثبت عنه فهو تاويل الاية وتفسير الظالم من اهل التوحيد والملة والمقتصد قال بعضهم هو الذى يخلط عملا
صالحا بعمل سيء كقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وقال بعضهم هو الذى يقوم باداء
الفرائض والاركان واما غيره فلا والسابق يخرج على وجهين احدهما سابق بالخيرات كلها لا تقصير فيه ولا
نقصان او سابق بالخيرات فيه تقصير ونقصان وقد ذكرنا هؤلاء الفرق الثلاثة فى غير موضع والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الاية ثم قال واخرون اعترفوا بذنوبهم واخرون مرجون لامر الله
فالذين اعترفوا بذنوبهم هم المقتصد والاخرون هم الظالم لنفسه وقال فى موضع اخر والسابقون السابقون اولئك
المقربون فى جنات النعيم وقال اصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود الى اخر ما ذكر وقال واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال ففى ظاهر هذا ان اصحاب الشمال المكذبون حيث ذكر فى اخر هذه السورة الفرق الثلاثة حيث فاما ان
كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان
من المكذبين الضالين ففى ظاهر هذا ان الظالم لنفسه هو المكذب والكافر فى قوله واصحاب الشمال فى ظاهر ما ذكر
فى سورة التوبة انه من اهل التوحيد حيث قال واخرون مرجون لامر الله الاية والله اعلم بذلك وقوله باذن الله
يحتمل بعلم الله ويحتمل بمشية الله وقيل بامره وقوله ذلك هو الفضل الكبير يقول والله اعلم هذا الذى اورثنا هم من
الكتاب هو الفضل الكبير كقوله وكان فضل الله عليك عظيما او يقول ادخالهم الجنة فضل منه كبير وروى عن عمر
رضى الله عنه قال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال الا ان سابقنا سابق وان مقتصدنا
ناج وان ظالمنا مغفور له وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه الا ان سابقنا اهل الجهاد منا وان مقتصدنا اهل حضرنا
وان ظالمنا اهل بدونا وابن عباس رضى الله عنه يقول الظالم لنفسه الكافر وعن الحسن قال الظالم لنفسه المنافق
وهو هالك واما السابق والمقتصد فقد نجا وقوله جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ
ولباسهم فيها حرير ذكر التحلى فيها بالذهب واللؤلؤ ولبس الحرير ولبس الرجال رغبة فى هذه الدنيا فى التحلى بذلك
ولا لبس الحرير اللهم الا ان يكون للعرب رغبة فيما ذكر فخرج الوعد لهم بذلك والترغيب فى ذلك وهو ما ذكر من
الخيام فيها والقباب والغرفات وذلك اشياء تستعمل فى حال الضرورة فى الاسفار وعند عدم غيره من المنازل

والغرف عند ضيق المكان فاما فى حال الاختيار و وجود غيره فلا لكنه خرج ذلك لهم لما لهم فى ذلك من فضل رغبة
الا ترى انهم قالوا لولا القى عليه اسورة من ذهب ذكروا ذلك لما لذلك عندهم فضل قدر ومنزلة ورغبة فى
ذلك او يذكر هذا لهم فى الجنة اعنى الذهب والفضة والحرير وما ذكر ليس على ان هذا اشيا به يحاله او يماثله فى الجوهر
على التحقيق سوى موافقة الاسم لما روى فى الخبران فيها يعنى فى الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
قلب بشر او بالاشياء على ما ذكر وما ذكر ايضا ان ما فى الجنة لا يشبه ما فى الدنيا ولا يوافقه الا فى الاسم او كلام
نحو هذا والله اعلم وقوله وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن قال بعضهم انما يقول هذا الظالم لنفسه الذى ذكر فى
قوله فمنهم ظالم لنفسه انهم يحبسون على الصراط حبسا طويلا او يحاسبون حسابا شديدا فيطول حزنهم
بذلك ثم يؤذن لهم بالدخول فى الجنة فعند ذلك يقولون ذلك ويحمدون ربهم على اذهاب ذلك الحزن منهم
وقال بعضهم لا ولكن يقول هذا كل مسلم اذا دخل الجنة لما يخاف كل مسلم فى الدنيا ويحزن على تبعاته ومساويه
لما لا يدرى الى ماذا يكون مصيره ومرجعه وما يستقبله فى الاخرة فلما دخل الجنة امن ما كان يخافه فى الدنيا و
يحزن عليه وسلم من تلك الاخطار حمد ربه عند ذلك وقال بعضهم ذلك الحمد انما يكون منهم لما ذهب عنهم
غم العيش والخبز الذى كان لهم فى الدنيا اذ كل احد يهتم لمعيشته فى الدنيا فلما دخل الجنة ذهب ذلك عنه فعند
ذلك يحمد ربه وقال بعضهم يحمدون ربهم لما يامنون الموت عند ذلك او ذكر فى الخبرانه يؤتى بالموت يوم
القيامة على صورة كبش فيذبح بين ايديهم فعند ذلك يامنون الموت والله اعلم وقوله ان ربنا لغفور شكور
لمساويهم من غيران كان منهم ما يستوجبون المغفرة شكور لحسناتهم حيث قبلها منهم واعطاهم الثواب
وقال اهل التاويل غفور لذنوبهم شكور يعطيهم الجزاء الجزيل بالعمل القليل وقوله الذى احلنا دار المقامة
من فضله دار المقامة لما لا يتمنى التحول منها ولا الانتقال لا يبغون حولا وقوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب ليس من صاحب نعمة فى هذه الدنيا وان عظمت الا وهو يمل منها ويسام ويتمنى التحول منها والانتقال
وكذلك ليس من لذة وان جلت فى هذه الدنيا الا وهى تعقب افة ونصبا فاخبران نعيم ولذاتها مما لا يتمنى ولا يبغى
التحول منها ولا الذاتها تعقب افة ولا تعبا ولا اعياء وجائز ان يكون قوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب وذلك ان من حل بقرابته وبالمتصلين شىء فى هذه الدنيا من افاتها يهتم لذلك ويتكلف دفع ذلك
منهم فاخبرانهم اذا حلوا فى دار المقامة لا يصيبهم شىء من ذلك والله اعلم وقال بعضهم فى قوله ان ربنا
الغفور شكور شكرلهم ما كان منه اليهم وغفرلهم ما كان منهم من ذنب وفى حديث رفع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى قوله ان ربنا لغفور شكور قال شكر الله للمؤمن اليسير من الحسنات وغفرلهم الذنوب العظام والنصب
الاذى ويقال اللغوب العياء والنصب التعب وقوله والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا فليستريحوا
من عذابها ولا يخفف عنهم من عذابها وفى قوله ولا يخفف عنهم من عذابها نقض قول الجهم وابى الهذيل المعتزلى
اما قول الجهم لانه يقول انقطاع العذاب عن اهل النار فاخبرانه لا يخفف عنهم العذاب فلو كان يحتمل الانقطاع
يحتمل التخفيف فاذا اخبرانه لا يخفف عنهم دل انه لا ينقطع وكذلك قول مالك لهم انكم ماكثون لما طلبوا منه
التخفيف ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب واما على قول ابى الهذيل فانه يقول ان العذاب قد يفتر عن
اهل النار ويصير بحال لو اراد الله ان يزيد فى عذابهم شيئا ما قدر عليه وكذلك يقول فى اللذات اهل الجنة انها تصير
بحالة وتبلغ مبلغا لو اراد الله ان يزيدهم شيئا منها ما قدر عليه فظاهر الاية يكذبهم ويرد قولهم حيث قال
ولا يخفف عنهم من عذابها وقوله وكذلك نجزى كل كفور لنعمه وجاحد وحدانيته وقوله وهم يصطرخون فيها
قال بعضهم يصيحون فيها قال بعضهم الاصطراخ الاستغاثة اى يستغيثون واصطراخهم قولهم ربنا اخرجنا نعمل
صالحا غير الذى كنا نعمل نعبد عونا او لا الى كبرائهم الذين تبعوا لهم فى الدنيا يطلبون منهم دفع بعض ما هم فيه
من العذاب والتخفيف عنهم حيث قالوا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء فاجابوهم
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال فى اية اخرى انا كل فيها الاية فلما ايسوا وانقطع رجاءهم
بالفرج من عندهم فزعوا عند ذلك الى خزنة جهنم حيث قالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم
تك تاتيكم رسلكم بالبينات فلما ايسوا منهم وانقطع رجاؤهم فزعوا الى مالك يطلبون منه ان يسأل ربه
ليقضى عليهم بالموت حيث قال ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك فلما ايسوا سألوا ربهم الاخراج منها ليعملوا
غير الذى عملوا حيث قالوا ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل فاحتج عليهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
اى ولم نعمركم فيها من العمر مثل العمر الذى يتعظ به من يتعظ فهلا اتعظتم فيه ما اتعظ من اتعظ فيه وقد
عمرناكم مثل الذى عمرنا اولئك او كلام نحو هذا وجاءكم النذير قال بعضهم جاءكم الرسول وانذركم
هذا فقد كذبتموه وقال بعضهم وجاءكم النذير اى الشيب ومعناه والله اعلم اى قد رايتم وعاينتم تغير
الاحوال فى انفسكم من حال الى حال من حال الصغر الى حال الكبر ومن الشاب الى الشيب ثم الرد الى ارذل العمر فهلا اتعظتم
به كما اتعظ اولئك فذوقوا ما انذركم به الرسل فما للظالمين من نصير وقوله ان الله عالم غيب السموات والارض
هذا يخرج على وجهين احدهما على الوعيد والتخويف اى هو عالم بالاشياء التى لم يمتحنها بمحن ولا امرها بما يود
ولا نهاها بما ناه فالذين امتحنهم بانواع المحن وامرهم باوامر ونهى بما ناه فالذين امتحنهم بانواع المحن وامرهم

با وامر ونهى عباده احق ان يكون عالما بهم والثانى انه على علم بما يكون من خلق السموات واهل الارض خلقهم وبعث اليهم الرسل من التكذيب لهم والرد عليهم لا عن سهو وجهل بما يكون منهم ليعلم انه انما بعث اليهم الرسل لحاجة انفس المبعوث اليهم والمنفعة لهم فى ذلك لا لحاجة المرسل والباعث والمنفعة له لذلك خرج البعث اليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد والرسالة على الحكمة وفى الشاهد على السفه لان فى الشاهد انما يبعث الرسل لمن يبعث لحاجة نفسه والمنفعة له فى ذلك فخرج البعث اليه على علم منه بالتكذيب والرد عليه سفها وباطلا ومن الله حكمة وحقا والله اعلم وقوله انه عليم بذات الصدور وكان ذات الصدور هم البشر خصهم بعلم ما يكون منهم لانهم اهل تمييز وبصر وامتحان فخرج الوعيد لهم والتحذير واما غيرهم من الدواب ونحوها فلا محنة عليهم ولا تمييز لهم لذلك خص هؤلاء بذلك وان كان عالما بالكل لذات الصدور وغير ذات الصدور والله اعلم وقوله هو الذى جعلكم خلائف فى الارض فان كان المخاطبون به اصحاب رسول الله وامته فيخبر انه جعلهم خلائف من تقدم منهم من القرون والامم الماضية بعدما اهلكوا واستؤصلوا وان كان المخاطبون به بنى ادم كلهم فيخبر انكم خلف من تقدمكم من الجن والملائكة لانه ذكر ان الجن كانوا سكان الارض قبل بنى ادم فجعلوا خلائف الجن ثم وجه الحكمة فى جعل بعض خلائف بعض وانشاء قرن بعد فناء اخر وافناء اخر بعد انشاء لوجوه احدها ان يعرفوا انه انما انشاهم لعاقبة تقصد وتأمل حيث انشاء قرنا ثم افناهم ثم انشاء غيرهم ولو لم يكن فى انشاء هؤلاء هذا كان انشاؤه اياهم للفناء خاصة اذ من بنى البناء هدم بناءه للنقض والفناء لا لعاقبة تقصد به كان فى بنائه عابثا سفيها فعلى ذلك انشاء هؤلاء فى هذه الدنيا لو لم يكن لعاقبة كان الانشاء للفناء وذلك عبث غير حكمة والثانى ان يعرفوا ان الدنيا ليست هى بدار القرار ومقام انما هى مجعولة زادا للاخرة وبلغة اليها ومسلكا لها ومنزلا ينزل فيها ثم يرحل كالمنازل المجعولة للنزول فيها فى الاسفار والتزود منها ثم الارتحال لا للمقام فيها فعلى ذلك الدنيا جعل لما ذكرنا لئلا يطمئنوا اليها ولا يركنوا ويعملون عمل من يريد الارتحال عنها لا عمل المقيم فيها والثالث ان يعرفوا ان الالام التى حلت فيها واللذات ليست بدائمة ابدا بل على شرف الزوال والتحول لان فى الحياة لذة وفى الموت الم فلا دامت اللذة والالم لانه احيا قوما ثم افناهم ثم احيا قوما اخرين ثم افناهم فلا دامت اللذة ولا الالم ولكن انقضيا ليعلموا انهما لا يدومان ابدا ولكن يزولان والرابع ان يعتبروا بمن تقدم منهم من القرون انه على ماذا يكون الثناء الحسن ويبقى الاثر والذكر الجميل وباى عمل ينقطع وينفى ذلك فمن كان من متبعى الرسل ومادة الخير والتوحيد والطاعة فبقى له اثر الخير والثناء الحسن والذكر الجميل ومن كان من اتباع اهل الكفر والشر لم يبق لهم شىء من ذلك ليعلموا بالذى يبقى لهم الثناء الحسن ويمقتهم الذكر لا الذى يقطع ذلك والله اعلم وقوله فمن كفر فعليه كفره اى عليه ضرر كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا الاية اى لا يزيد كفرهم بالله وبرسوله وعبادتهم الاصنام الا مقتا وخسارا لانهم كانوا يعبدونها رجاء ان تشفع لهم يوم القيامة ورجاء ان تقرب عبادتهم الى الله زلفى يقول والله اعلم لا يزيد ذلك لهم الا مقتا من ربهم وخسارا او يكون اعمالهم التى عملوا فى هذه الدنيا من صلة الارحام والقرب التى رجوا بها الربح والنفع فى الاخرة لا يزيد ذلك لهم الا مقتا وخسارا والله اعلم وقوله قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ظاهر قوله قل اروني امر لكنه يخرج على وجهين احدهما على الاعجاز اى لا يعجزه بقدر ما تعبدون من دونه خلق السموات والارض ولا اشراكه فى خلق السموات ولا انزال الكتاب من السماء ليأمرهم بذلك بل الله هو الخالق لذلك كله وهو القادر عليه فكيف صرفتم العبادة عنه والالوهية الى من هو عاجز عن ذلك كله والثانى على التنبيه والتعيير لهم والتسفيه لاحلامهم يقول والله اعلم انكم تعلمون ان الاصنام التى تعبدونها دون الله وتسمونها الهة لم يخلقوا شيئا مما ذكر ولا لهم شرك فى ذلك ولا لكم كتاب يبيح لكم ذلك ويأذن لكم وتعلمون ان الله هو الفاعل لذلك كله حيث قال ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولا لهم كتاب فى ذلك لان الكتاب حجة وصوله اليه الرسول وانتم لا تؤمنون بالرسول فكيف عبدتموها وتركتم عبادة من تعلمون انه الفاعل لذلك والقادر عليه وقوله ماذا خلقوا من الارض يحتمل جواهر الارض نفسها ويحتمل الخارج منها مما به معاشهم وقوامهم وكذلك قوله ام لهم شرك فى السموات يحتمل فى جواهرها ويحتمل ما ينزل منها مما به معاشهم وادرارا فيهم وقوله فهم على بينات منه اى على حجة وبيان منه وقوله بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا غير وعدهم الذى ذكر لبعضهم بعضا ما قالت القادة منهم والرؤساء للاتباع هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وما الذى سواهم على الاتباع من امر الكتاب والرسول هو ساحر كذاب وانه مفترى وامثال ذلك مما يكثر عدده فذلك كله منهم تغرير للاتباع وقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده يحتمل ان يكون هذا صلة ما تقدم من قوله اروني ماذا خلقوا من الارض فاذا كان على هذا فيقول تعلمون ان الله هو رافع السموات والارض والممسك لهما والمانع عن ان تزولا عن مكانهما لا يقدر احد على ازالتهما ولا امساكهما سواه فكيف تعبدون من لا يملك ذلك او ان يكون ذلك قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الاية كادتا ان يتفطرن وتنشق حين قالوا لله ولدا وله شريك فاذا قالوا اتخذ الله ولدا كادتا ان تزولا عن مكانهما وتسقطا عليهم لعظيم ما قالوا فى الله سبحانه وجائز ان يكون لا على الصلة بشىء مما ذكرنا ولكن على الابتداء فان كان على الابتداء فهو يخبر عن قدرته وسلطانه حيث رفع السماء وامسكها فى الهواء مع ثقلها وشدة

بلا عمد من تحت ولا شىء من فوق يمنعها عن الانحدار والزوال عن مكانها والاقرار على ذلك والتغرير وفى الشاهد ان ليس فى وسع احد من الخلائق امساك الشىء فى الهواء ولا قرارا منه الا باحد هذين السببين اما من تحت واما من فوق وكذلك الارض حيث وضعها وبسطها على الماء ومن طبعها التسرب والتسفل فى الماء لا القرار عليه حيث لا يحفر مكانا منها الا ويخرج منه الماء فدل تقرير الارض على الماء وامساك السماء فى الهواء بلا شىء يقرها ويمنعها من التسفل والانحدار انه الواحد القادر بذاته لا يعجزه شىء وقوله انه كان حليما غفورا حليما حين لم يرسل السموات عليهم لعظيم فريتهم على الله والقول فيه بما لا يليق به سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وحيث لم يعجل بعقوبتهم فى الدنيا غفورا رحيما حيث ستر عليهم ذلك ولم يفضحهم فى الدنيا والله اعلم وقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم هو قسمهم بالله ومعناه والله اعلم ان العرب كانت من عادتهم انهم كانوا يحلفون بالاباء والطواغيت لا يحلفون بالله الا فيما عظم امره وجل قدره تأكيدا لذلك الامر لذلك كان قسمهم بالله وسموا جهد ايمانهم وقد ذكرنا معنى جهد الايمان فيما تقدم وقوله ولئن جاءهم نذير قبل رسول ليكونن اهدى من احدى الامم فيه دلالة انهم قد وقعت لهم الحاجة ومستهم الضرورة الى رسول يبين لهم امر الدين وما مصالحهم وما لهم وما عليهم حيث اقسموا وعهدوا انه لو جاءهم نذير لاتبعوه واقتدوا به ثم تركهم لذلك العهد لما لم يروه اهلا لذلك لما كان هو دونهم فى امر الدنيا استكبارا منهم عليه ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وان تركوا اتباعهم ونقضوا عهدهم لما راوا مذاهب الناس مختلفة فظنوا ان الاختلاف يرفع من بينهم به فاذا لم يرتفع تركوا اتباعه او المعنى اخر لا نعلمه والله اعلم وقوله ليكونن اهدى من احدى الامم قال بعضهم يعنون اليهود والنصارى وجائز ان يكونوا ارادوا بذلك الامم جميعا لكنهم لم يروا الحق الا لواحدة منها فقالوا ليكونن اهدى الامم والله اعلم وقوله فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا فى الارض لما ذكرنا وقوله ومكر السيئ يحتمل مكرهم ما مكروا برسول الله من انواع المكر حين هموا بقتله واخراجه كقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ويحتمل ايضا ما ذكر انه لما خرج ودعا الناس الى توحيد الله قعدوا على الطرق والمراصد ناسا يقولون لمن قصد رسول الله انه ساحر وانه كذاب وانه مجنون يصدون الناس بذلك عنه فذلك كيدهم ومكرهم به وقد كان منهم برسول الله من انواع المكر سوى ذلك مما لا يحصى وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله هو فى الدنيا من انواع العذاب والقتل الذى نزل بهم ويحتمل ان يكون ذلك فى الاخرة والله اعلم وقوله فهل ينظرون الا سنة الاولين وقال بعضهم ما ينظرون الا سنة الا سنة فى الاولين وسنة فى الاولين الاستئصال والاهلاك عند العناد والمكابرة وقال بعضهم ما ينظرون الا ايمانهم الا سنة الاولين وسنة الاولين الايمان عند معاينتهم العذاب وان كان لا يقبل ولا ينفعهم ذلك كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده الاية وقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا هذا يحتمل وجوها احدها لن تجد لسنة الله وهى الاستئصال عند العناد والمكابرة تحويلا وان اختلفت جهة الهلاك والاستئصال كقوله يضاهئون قول الذين كفروا من قبل وقوله تشابهت قلوبهم لا شك ان نفس القول منهم مختلف فى الكفر وسببه متفرق لم اخبر ان قول هؤلاء ضاهاء قول اولئك وتشابهت قلوب بعض بعضا وان كان سبب ذلك وجهة الكفر مختلفا فعلى ذلك سنة لا تحول ولا تبدل وهى الاستئصال وان كان جهة ذلك وسببه مختلفا والثانى فلن تجد لسنة الله التى سن فيهم وحكم عليهم ولا مرادا اى لن يجدوا الى دفع ما سن فيهم وحكم من العذاب والهلاك ولا ردا كقوله ولا يجدون عنها محيصا والثالث فلن تجد لسنة الله وهى ايمانهم الذى يؤمنون عند معاينتهم العذاب وعند نزوله بهم تحويلا وتبديلا اى يؤمنون لا محالة ولكن لا ينفعهم ذلك فى ذلك الوقت والرابع ان كل سنة سن فى كل قوم وكل امة وان اختلفت لن تجد لذلك تحويلا ولا تبديلا والله اعلم وقوله اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم هذا يخرج على وجوه احدها قد ساروا فى الارض ونظروا الى ما حل باولئك بالتكذيب فى العناد لكن لم يتعظوا بهم ولم ينفعهم ذلك والثانى على الامر ان سيروا فى الارض وانظروا الى الذى نزل باولئك وبم نزل واتعظوا بهم وامتنعوا عن مثل صنيعهم والثالث انهم وان ساروا فى الارض ونظروا فى اثارهم لم ينفعهم ذلك والله اعلم وقوله وكانوا اشد منهم قوة اى انهم كانوا اكثر عددا واشد قوة وبطشا منكم ثم لم يمكن لهم دفع ما نزل بهم وحل فانتم يا اهل مكة مع قلة عددكم و ضعفكم لا تقدرون على دفع ذلك عن انفسكم وقوله وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الارض الاعجاز فى الشاهد يكون بوجهين احدهما الامتناع يقول لا يقدر احد ان يمتنع عنه ومن عذابه والثانى القهر والغلبة يقول لا يسبق منه بالقهر والغلبة بل هو القاهر والغالب على خلقه انه كان عليما قديرا وقوله ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصى والمساوى ما ترك على ظهرها من دابة اى على ظهر الارض ووجه الكناية بما سبق من ذكر الارض وهو قوله ان الله يمسك السموات والارض وعلم الناس وفهموا من ذكر الظهر الارض لما على ظهر الارض يكتسب ما يكتسب ثم قوله ما ترك على ظهرها من دابة قال بعضهم المراد بالدابة الممتحنون المميزون وهم بنو ادم خاصة لانهم اهل الكتاب واجتراح اذ قد ذكر الاهلاك بما يكتسبون وهم اهل الاكتساب دون غيرهم من الدواب وقال بعضهم كل دابة من البشر وغيره لان غيره من الدواب انما انشئ

للبشر ولحوايجهم لا لحاجة انفسها ولمنفعة لها حيث قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فاذا كان غيره من الاشياء منشأة لهم فاذا اهلكوهم اهلك ما كان منشأ لحوايجهم ولمنافعهم ولا يكون اهلاك ما ذكرنا من الدواب خروجا عن الحكمة ما يقول الثنوية انه ليس من فعل الحكيم الامر بذبح اسلم الدواب والانتفاع بلحمها قيل هكذا اذا كانت تلك منشأة لانفسها ولمنافعها فاما اذا كان ما ذكرنا انها منشأة لنا ولمنافعنا فان الانتفاع بها مرة بعينها ومرة بلحمها ولا يكون فعل ذلك ولا الامر به غير حكمة ثم الفرق بين اباحة الانتفاع بلحم اسلم الدواب وحظر لحم الضارة منها والمضرة لانه جعل حفظ ما ليس بضارة ولا مضرة البنا وعلينا وحمل مؤنتها والذب عنها ودفع المضر فاما الضارة منها والمضرة فهي ممتنعة بنفسها محتملة مؤنتها كذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي لم يؤاخذهم بما كسبوا على ظهرها لما جعل لهم من المدة احتال ان يقضي ذلك ويبقي ما جعل لهم من المدة وما ضرب لهم من الوقت فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا اي عن بصيرة وعلم بكسبهم وصنيعهم وما يكون منهم ضرب لهم المدة والوقت الذي ينتهون اليه ويبلغون اجالهم لا عن جهل بل لم يزل عالما بما يكون منهم لكن لما كان ضرر ذلك الذي علم انه يكون منهم راجعا اليهم اخرهم وجعل لهم المدة وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم قال القتبي ايضا وجمع سوار وهو الذي تحله المرأة في معصمها والنصب للشدة والتعب واللغوب الاعياء لغبت بنفسي الغب كغوبا فانا لاغب والغيث شيء اي كلفته حتى اعياه وهو قول ابي عوسجة والاصطراخ صياح الضجر والمقت البغض

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل يس والقران الحكيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا انسان

[illegible]

مستقيم وعلى قول من يحمل القسم بها الاعلى الاضمار وما ذكرنا وقوله الحكيم اي المحكم لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه على ما وصف وقال بعضهم الحكم بالحلال والحرام والوعد والوعيد من غير ان يكون فيه اختلاف وقال بعضهم الحكيم لان من تمسك به وعمل بما فيه بصير حكيما وقوله انك لمن المرسلين ولم يقل انك لرسول الله وكلاهما سواء غير ان قوله انك لمن المرسلين الذين امنوا بهم من قبل وصدقوا بهم زيادة تبين ذلك في قوله انك لرسول والله اعلم وقوله على صراط مستقيم قال بعضهم المستقيم القايم بالحجج والبراهين ليس بالهوى كما يراه الاديان والسبل وقال بعضهم المستقيم المستوي اي يستوي على ان من سلكه افضاه الى الله وبلغه الى دار السلام وقال بعضهم المستقيم اي استقام بالحق والعدل والصدق لا زيغ فيه ولا جور ولا عدول ولا اعوجاج ويحتمل ان يكون ذلك وصف النبوة والرسالة التي تقدم ذكرها ويحتمل وصف الدين وذلك عامة قول اهل التاويل والله اعلم وقوله تنزيل العزيز الرحيم اي ذلك القران الذي اقسم به تنزيل العزيز الرحيم اي من عنده نزل واحكم سمى نفسه عزيزا رحيما عظيما لطيفا ظاهرا باطنا اولا اخرا وفي ذلك اخذ من وصف بالعز لا يوصف بالرحمة ومن وصف بالعظم لا يوصف باللطف ومن وصف بالظاهر لا يوصف بانه باطن ومن وصف بالاول لا يوصف بالاخر ليعلم ان المعنى الذي يوصف به الخلق غير الذي وصف به الرب تبارك وتعالى لان من وصف من الخلق بواحد مما ذكرنا لم يستحق الوصف بالاخر ان ما وصف به الرب تبارك وتعالى غير ما يوصف به الخلق تعالى الله علوا كبيرا وقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اختلف فيه قال بعضهم لتنذر قوما مثل الذي انذر اباؤهم من الايات التي اقامها فلم يقبلوها فهم غافلون اميون وقال بعضهم لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اي لتنذر قوما اميين لم ينذر اباؤهم يقول قائل لم يكن النذارة للاميين من قبل كانه يقول لتنذر قوما اميين لم ينذر اباؤهم الاميون من قبل ولذلك قال لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وهو كقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وقوله وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير اي لم نرسل

اليهم قبلك نذيرا واصله انه لا ينجع في هؤلاء النذارة كما لم ينجع في ابائهم بل هم غافلون ثم الانذار يحتمل ان يكون بالنار في الاخرة والتعذيب بها ويحتمل بالايات التي اقامها في الدنيا والقتل فيها والله اعلم وقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون قيل هو قوله لابليس حيث قال لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ومن الجنة والناس اجمعين اي حق ذلك القول ووجب ثم يحتمل ذلك في الذين ذكره بعض اهل التاويل ان نفرا همّوا برسول الله قتله واذاه فاهلكهم الله يومئذ الا واحدا واثنين ويحتمل ان يكون ذلك في جميع مكذبيه ورادي رسالته وبتاسي اتباعه ولا شك ان اكثر من بعث هو اليهم كانوا كذلك لهم في الاخرة او في قوم خاص علم الله انهم لا يؤمنون ابدا الا ترى انه قال على اثر ذلك وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ثم في قوله لاملان جهنم وقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون نقض قول المعتزلة ورده عليهم لانه وعد عز وجل انه يملا جهنم من ذكر فيقال لهم اراد ان يفي بما وعد ام لا فان قالوا لم يرد فيقال اراد ان يخلف ما وعد وذلك وحش من القول سرف وان قالوا اراد ان يفي بما وعد لزمهم ان يقولوا اراد افعالهم التي فعلوا فيلزمهم قولنا وبالله العصمة وقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون يحتمل ان يخرج على التمثيل ويحتمل على التحقيق فان كان على التمثيل ويحتمل على التحقيق فان كان على التمثيل فهو وصفه اياهم بالبخل والكف من الانفاق على الفقراء والمساكين واهل الحاجة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك بهاه عن البخل والكف عن الانفاق كمغلول اليد لا يقدر على الانفاق فليس على ارادة غل اليد حقيقة ولكن على ترك الانفاق فعلى ذلك جائز ان يكون ذلك وصفا لهم بالبخل وترك الانفاق عليهم وان كان على حقيقة الغل والاعناق يحتمل ما قاله اهل التاويل ان ابا جهل لعنه الله حلف لئن راى محمدا ليدمغنه فاتاه ابو جهل وهو يصلي ومعه حجر فرفع الحجر ليدفع به النبي صلى الله عليه وسلم فيبست يده الى عنقه والتزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه قال رجل انا اقتله فاخذ الحجر فلما دنا منه طمس الله بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قراءته فرجع الى اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فذلك قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا ويحتمل ان يكون ذلك لهم في الاخرة ان كان على التحقيق وهو كقوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونحو ذلك مما ذكر فيكون قوله جعلنا اي سنجعل ذلك لهم وذلك جائز في الكلام كقوله لعيسى حيث قال واذ قال الله يا عيسى بن مريم وانت قلت للناس اي يقول له يوم القيامة فهو بعيد غير مستقبل فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا وجعلنا من بين ايديهم سدا الى اخر ما ذكر في الاخرة اي سنجعل لهم في الاخرة ذلك ويحتمل ان يكون فعل ذلك لهم في الاخرة من قصدهم برسول الله ما قصدوا حتى لم يجدوا السبيل اليه لا من بين يديه ولا من خلفه ولا من جهة من الجهات او ما يكون قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون على التمثيل اي جعلنا بينهم وبين الحق سدا من امامهم ومن خلفهم فاغشينا ابصارهم فلا يبصرون الحق ابدا ونحو ذلك في القران كثير والله اعلم وقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم ان الغل يكون طرفه في العنق وطرفه الاخر في اليد فيكون اليد اليمنى مغلولة الى العنق وعلى ذلك ذكر في حرف ابن مسعود انه قرأ انا جعلنا في ايمانهم اغلالا وفي بعض الحروف في ايديهم اغلالا وقوله فهم مقمحون قال بعضهم رافعوا رؤوسهم الى السماء لانه كذلك يكون اذا غل عنق المرء الى الذقن لا يستطيع ان ينظر في الارض ولذلك قيل للابل اذا شربت الماء قمحت اي رفعت رأسها وقال بعضهم الذي قامح هو غض البصر وقال ابو عوسجة والقتبي المقمح الذي يرفع رأسه ويغض بصره ويقال غاض طرفه بعد رفع رأسه جمعت ايديهم الى اعناقهم وقوله تنزيل العزيز الرحيم قد قرئ بالرفع والنصب والخفض جميعا فمن قرأها بالرفع فهو على الابتداء ومن قرأها بالخفض فهو على النعت كقوله والقران الحكيم تنزيل العزيز الرحيم ومن قرأ بالنصب فعلى القطع لان الكلام قد تم دونه وقوله فاغشيناهم بالغين والعين جميعا فمن قرأ بالغين فهو من الغشاوة ومن قرأ بالعين فهو من قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن وهو من الاعراض وفي قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الى الاسناد ادل على المعتزلة لقوله فاغشيناهم اضاف الى نفسه وان كان منهم صنع ويجوز ان يضاف بخلق افعالهم منهم وقوله انما تنذر من اتبع الذكر ومن لم يتبع ومن خشي الرحمن ومن لم يخش وانما ينتفع بالذكر من اتبع الذكر وخشي الرحمن فاما من لم يتبع الذكر ولم يخش الرحمن فلا ينتفع وان يكون فيه اخبار بالنذارة من اتبع الذكر لبشرته نفي عن انذار من لم يتبع الذكر ولا تخصيص منه بالانذار احد الفريقين دون الاخر والله اعلم والذكر يحتمل القران ويحتمل غيره من الذكرى كقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقوله وخشي الرحمن بالغيب فبشره بالغيب بالاثار والاخبار التي انتهت اليهم من غير مشاهدة وقعت لهم او بالغيب بما رأوه من اثار سلطانه وقدرته خافوه او خشوا عذابه ونقمته والله اعلم وقوله فبشره بمغفرة واجر كريم يحتمل البشارة بالمغفرة بما سلف من الذنوب والاجرام اذا رجعوا عنها او عن تقصير كان منهم في الفعل في حال ذلك وان اعتقد وفي الجملة ان لا يجاوزون في فعل ولا في قول اذ كل مؤمن يعتقد في اصل ايمانه ترك مخالفة الرب في كل الاحوال وان تخلل في بعض احواله تقصير ومخالفة الرب بغلبة شهوة او طمع في عفوه ورحمته واجر كريم

قبل حسن ويحتمل تسميته كريما لما يكرم كل من نال ذلك والله اعلم وقوله انا نحن نحيي الموتى كائنة والله اعلم بذكر هذا البعث في
موضع الاحتجاج عليهم ولكن على الاخبار اثر هو مجيئهم اذا ماتوا وقوله ونكتب ما قدموا واثارهم قال عامة اهل
التاويل نكتب ما قدموا واثارهم وشر في حيوتهم وعملوه ونكتب ايضا اثارهم وهو ما سنوا من سنة منبرا وشر فاقتدى
بهم بعد موتهم على ما ذكر في الخبر ان من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص
من اجورهم شيء ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اوزارهم
شيء وهو كقوله ايضا ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر وقال بعضهم واثارهم اي خطاهم التي خطوها في
الخير والشر وقال قتادة لو كان الله مغفلا شيئا من شانك يا ابن ادم اغفل ما تعفي الرياح من هذه الاثار وروي على
هذا عن ابن عباس وابي سعيد الخدري رضي الله عنهما قالا ان الانصار كانت منازلهم بعيدة من المسجد فارادوا
ان ينتقلوا قريبا من المسجد فنزل انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
اثاركم تكتب فلم ينتقلوا فان ثبت هذا فهو دليل لمن يقول بالاثار الخطاء وقوله وكل شيء احصيناه في امام مبين
اي كل شيء من اعمالهم من خير وشر محصي محفوظ في امام مبين يحتمل قوله في امام مبين اي في الكتاب الذي تكتب اعمالهم
في الدنيا كقوله يوم ندعو كل اناس بامامهم اي بكتابهم الذي كتبت اعمالهم فيه الا ترى انهم قالوا فمن اوتي
كتابه بيمينه الاية ويحتمل في امام مبين في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ والله اعلم وقوله واضرب لهم مثلا اصحاب
القرية اذ جاءها المرسلون يحتمل لا مر رسوله بضرب مثل اصحاب القرية لقومه وجهين احدهما ان الخبر قد كان
بلغ هؤلاء اعني خبر اصحاب القرية التي بعث اليهم الرسل وما نزل بهم بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم
الا انهم قد نسوا ذلك وغفلوا عنه فامرهم بالتذكر لهم والتبيين ليحذروا عن مثل صنيعهم وسوء معاملتهم
رسولهم والثاني يحتمل ان لم يكن بلغهم خبر اولئك وما نزل بهم بسوء معاملتهم الرسول فامره ان يعلم قومه
ذلك ويبين لهم فلئن لو كان من ذلك اهل الكتاب فيخبرونهم بما كان في كتبهم فيعرفون صدق رسول الله فيما
يخبرهم فيكونون على حذر عن مثل صنيعهم ومعاملتهم الرسل وعلى ذلك يخرج هذه الانباء والقصص المذكورة
في الكتاب على هذين الوجهين والله اعلم وقوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث اي قوينا بثالث
اختلف فيه قال بعضهم ان عيسى ابن مريم كان بعث اليهم اولا رسولا فاتاهم فدعاهم الى التوحيد واقام
على ذلك حججا وبراهين فكذبوه وقالوا ما نعرف ما تقول ثم بعث من بعده رسولين فقال لهما ذلك الرسول انهم
سيكذبونكما كما كذبوني قبلكما وسيقولون لكما الام تدعونا فقولا الى التوحيد ماذا عندكما فان قلتما نبرئ الاكمه و
الابرص قالوا فينا من يحسن ذلك فانا قلنا نشفي المريض قالوا فينا من يحسن ذلك ونحوه ولكن قولا انما نحيي الموتى
وانا قولهم اني لا احسن انا فهو قوله فعززنا بثالث اي قوينا وشددنا بثالث ففعلوا ذلك فقالوا عند ذلك
قد تواطيتم علينا بهذا الكلام او تواطاتم او كلام نحوه فاخذوا او عذبوا واهلكوا وهو قول ابن عباس رضي الله عنه
ومنهم من يقول بعث اولا رسولان فكذبوهما فبعث ثالث بعد ذلك فعززنا بثالث اي عززنا الرسولين بثالث
اي قويناهما وقرأ بعضهم عززنا بالتخفيف اي غلبنا لكن ذكر انهم قتلوا جميعا واهلكوا اعني الرسل فكيف
يكون الغالب مقتولا مهلكا ويجوز ان يكون المقتول مغلوبا دل ان قراءة من يقرأ بالتخفيف ضعيف والاول
اقوى واقرب والله اعلم وقوله فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء وكذلك
قول اهل مكة لرسول الله افترى ساحر وانه لمجنون وانه مفترى مختلق وقولهم وما انزل الرحمن من شيء وقوله ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون لما ايس من ايمانهم وتصديقهم اياهم فزعوا الى الله ونطق واليه او ان يقولوا الله
الله اعلم بما طلعكم بانا اليكم لمرسلون بالحجج والايات وقوله وما علينا الا البلاغ المبين اي ليس علينا من ترك
اجابتكم لنا ورد الرسالة شيء انما ذلك عليكم وقوله قالوا انا تطيرنا بكم دل هذا القول منهم على انه قد نزل
شيء من العذاب والشدة حتى تشاءموا بهم ذلك ولم يزل عادة الكفرة التطير بالرسل عند نزول البلاء بهم كقوله قالوا
اطيرنا بك وبمن معك وقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه الاية وقوله قالوا طائركم معكم يقول والله اعلم
شؤمكم معكم حيثما كنتم مادمتم على ما انتم عليه من العناد والتكذيب ويذكر اهل التاويل ان القرية كانت انطاكية
وان الذي بعث هؤلاء الرسل اليهم عيسى صلوات الله عليهم اجمعين ولكن لا نعلم ذلك وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة
وقوله قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون قال بعضهم شؤمكم معكم اين كنتم وحيثما كنتم ما دمتم
على ما انتم عليه وقال بعضهم طائركم معكم او ذكرتم فلم تقبلوا التذكير ونحوه ويحتمل وجها اخر ان الذي اصابكم
كان مكتوبا في اعناقكم اين وعظتم بالله تطيرتم بنا بل انتم قوم مسرفون وقوله وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال
يا قوم اتبعوا المرسلين قال عامة اهل التاويل ان هذا الرجل يسمى حبيب النجار وهو من بني اسرائيل كان في غار يعبد
الله فلما سمع بالرسل نزل وجاء فقال ذلك ما قال لكن لا ندري من كان وليس لنا الى معرفة اسمه حاجة ثم يحتمل قوله
من اقصى المدينة يسعى رغبة في الرسل وفي دينهم فدعاهم الى اتباع الرسل او ان يكون كان مؤمنا مسلما مختفيا فلما
بلغه خبر اهلاك الرسل جاء يسعى اشفاقا عليهم لئلا يهلكوا اعني الرسل فقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون اي اتبعوا الهدى والهدى مما يجب ان يتبع ولا يسألكم على اتباع الهدى اجرا فيمنعكم الاجر عن اتباع
الهدى او ان يقول اتبعوا المرسلين واعلموا انهم مهتدون حيث لا يسألونكم اجرا وهم مهتدون في الدنيا ولا لغرض

ان لا يكون له سؤال هذا فهو مهتد وكل مهتد متبع وهذا ابدا ان الملتفة الاجر ذلك ما يجعل صاحبه متبعا ورثا في ترك الاتباع وكذلك
قوله ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي ما نسالكم اجرا حتى يمنعكم ثقل الاجر عن اجابته واتباعه وهذا ينقض ويبطل
قول من يجيز اخذ الاجر على تعليم القرآن والعلم لانه اذا كان له ان ياخذ الاجر كان له ان لا يعلم بقبل الاجر فذلك
ابطال الحجج ولحمل لترحمه لهم في ترك ذلك وذلك سمج قبيح والله اعلم وقوله وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون
يخرج على وجهين احدهما على الاحتجاج عليهم بعد سؤال كان منهم وذلك انه قيل الرجوع الى عبادة من يعبد ونحو ذلك
وترك عبادة الله فقال انكم تعبدون هذه الاصنام رجاء ان تقربكم ذلك الى الله والتي وما لي لا اعبد الذي ترجعون
انتم الزلفى والقربة منه والثاني على التكبر والتشبه لهم انتم تعلمون ان الذي فطرنا وخلقنا هو المستحق للعبادة
لا من لم يفطر ولم يخلقهم تعلمون ان الله هو فطرنا وخلقنا لا هذه الاصنام التي تعبدونها وما لي لا اعبد الذي فطرني
وانزل الذي لم يفطر لنا والله اعلم وقوله ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا
ولا هم ينقذون يقول لا اتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا هم ينقذون
يقول لا اتخذ من دونه الله معبودا لو اراد الله بي ضرا لا يملك ذلك المعبود دفع ذلك عني ولو نزل بي شدة او بلاء
منه لم تقدر انقاذي منه ولو طلبت منه جر نفع لا يقدر على جلبه الى وترك عبادة من اعلم ان ذلك كله منه وهو
المالك لذلك كله من جر نفع ودفع ضر وبلاء في الحكمة العبادة لمن يملك ذلك كله لا لمن لا يملك وبالله التوفيق وقوله
اني اذا لفي ضلال مبين لو فعلت ذلك اي اني اذا لفي ضلال مبين قد كرت انا اهل ذلك امرا مثله ثم قال
اني امنت بربكم فاسمعون يحتمل قوله فاسمعون اي اجيبوني في قوله اتبعوا المرسلين الاية قال بعضهم فاسمعون
اي اشهدوا لي ويحتمل قوله فاسمعون حقيقة السماع اي اسمعوا قولي واما ان لا يصغي عنه ما هو نونه والله اعلم وقوله
قيل ادخل الجنة قال بعضهم اي وجبت له الجنة فادخل ادوا والثواب فقال عند ذلك يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي الاية ويحتمل دخول الجنة ما ذكر فشهد اليه احياء عند ربهم يرزقون فرحين الاية او ان يكون قوله
قيل ادخل الجنة ان يقال له في الاخرة كقوله لعيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي وانما هو ان يقال له يوم
فعلى ذلك يحتمل الاول والله اعلم وقوله يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين قيل انهم نصحهم حيا وميتا ولم
يترك نصيحتهم لمكان ما عاملوا وفعلوا به من السوء وانواع التعذيب ولكن تمنى ان يكون قومي اي يكونوا يعلمون ما اعطي
هو بالايمان بربه والتصديق برسله ليعطوا مثل ما اعطي هو وهكذا الواجب على كل مؤمن ان لا يترك نصيحته لجملة
المؤمنين فان لحقه منهم اذى وسوء وقال قتادة ولا يلقى المؤمن الا ناصحا ولا يلقى غاشا لما عاين من كرامة
الله قال ليت قومي يعلمون تمنى والله ان يعلم قومه ذلك اعلموا ان اهل الايمان ليسوا باهل غش ولا بغالة لعباده
وقال قيل لروحه ادخل الجنة فتمنى روحه ان يعلموا الى ما صار هو ليؤمنوا بالرسل ولا يكذبوهم وقوله وما انزلنا
على قومه من بعده من جند من السماء اي من بعد قتل ذلك الرجل من جند من السماء من الملائكة اي لم ننزل على قومه
في هلاكهم بعد صنيعهم بمكانه واهلاكهم اياه جندا من السماء ولكن اهلكوا بصيحة واحدة اي لم نفعل بهم كما يفعل
ملوك الارض اذا قتل رسلهم واحد او اهلك او لبلادهم يبعثون بجنود في استيصال من فعل ذلك بهم ولكن اهلكهم بصيحة واحدة
ثم يحتمل قوله ان كانت الا صيحة واحدة اي قدر صيحة واحدة اي اهلكوا بقدر صيحة واحدة في سرعتها ويحتمل الاهلاك
بالصيحة اي هلكوا بالصيحة والله اعلم وقوله فاذا هم خامدون قيل موتى مثل النار اذا خمدت وطفئت لا يسمع لها
صوت وقوله يا حسرة على العباد في تركهم الايمان بالله وتكذيبهم الرسل واستهزائهم بهم والحسرة وقال بعض اهل
الادب هي الغاية من الندامة اذا انتهت الندامة غايتها يقال حسرة وقال بعضهم الحسرة الحزن والتحزن والتندم
وهو واحد ثم قال بعضهم في قوله يا حسرة على العباد اي يا حسرة الرسل على ذلك المؤمن المقتول على الايمان بهم وقال
بعضهم يا حسرة اولئك الكفرة على انفسهم اذا عاينوا العذاب على ما كان منهم من الاستهزاء على الرسل كقوله يا حسرتنا
على ما فرطنا فيها وقوله يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله والله اعلم وقوله الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
انهم اليهم لا يرجعون فان قيل كيف احتج عليهم بالرجوع اليهم وهم كانوا ينكرون البعث والرجوع بعد الموت
فهو يخرج على وجوه احدها الم يروا اي قد راى اهل مكة هلاكهم في الدنيا وانهم اليهم لا يرجعون احياء فيخبرون
انهم بما اهلكوا في هذه الدنيا وبماذا عذبوا فهلا تعتبرون وتنظرون انهم انما اهلكوا بتكذيب الرسل فتنتهوا
عن ذلك وان كل يعني الامم كلها يقول والله اعلم وما كل الا جميع لدينا محضرون في الاخرة ويقول الم
يروا كم اهلكنا قبلهم بالتكذيب للرسل من القرون انهم اليهم لا يرجعون ابدا حتى يوم القيامة وهما واحد او
ان يكون ذلك يخرج على ابطال اهل التناسخ حيث قالوا ان الارواح اذا خرجت من ابدان قوم فحلت في اخرى
فيقول والله اعلم ردا عليهم الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان لم ترد وجها اخبر
انه خرج من حيث هذا ودخل في اخر وان يكون ذلك يخرج على نقض قول قوم وهو ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه سئل فقيل ان ناسا يقولون ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة ثم قال بئس القوم نحن اذا ان كنا نكحنا نساءهم
وقسمنا ميراثهم ثم تلا الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون وان يكون على ايجاب
البعث ان من كذب الرسل ومن صدقهم ومن عمل ما يحمد عليه وما يذم قد استووا جميعا في هذه الدنيا فلا بد
من دار اخرى يميز بينهما بين المصادق وبين المكذب وبين المحمود والمذموم تؤيد ذلك قوله وان كل لما جميع لدينا

يحضرون وقوله لدينا وعندنا ونحوه من الظروف خصها بذلك الاسم وان كانوا في جميع الاوقات كذلك لما ذكرنا ان المقصود من انشاء هذه تلك ومن هذا العالم الفاني ذلك العالم الباقي اذ لو لم يكن تلك ولا ذلك العالم الباقي لم يكن انشاء هذه حكمة لانه يحصل الانشاء والخلق على الافناء خاصة واحداث الشيء للافناء خاصة لا العاقبة قصد عبث باطل وقوله وآية لهم الارض الميتة احييناها جائز ان يكون قوله وآية لهم اي آية البعث لهم ما رأوا الارض ميتة في وقت يابسة لا نبات فيها ولا شيء ثم رأوها حية مخضرة متزينة بانواع النبات متلونة بالوان الخارج منها فيخبر ان من قدر على هذا القادر على احياء الموتى بعد ما بليت اجسادهم وصاروا رمادا وان من قدر على هذا لا يعجزه شيء ولا يصعب عليه شيء فهذه آية ظاهرة على البعث مشاهدة محسوسة وفيه انه يحتاج الى ان يستخرج منها بالحكمة وهو ما ذكر واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون انه لما اخرج من الارض حبا وجعل غذاءهم فيه من غير ان يستوجبوا ذلك منه دل انه انما جعل ذلك ليمتحنهم بانواع المحن على علم منه ان منهم من يشكر ومنهم من يكفر وقد سوى بينهم في هذه بين الكافر منهم وبين الشاكر فلا بد في دار اخرى فيها يقع التمييز بينهم الثواب للشاكر والعقاب للكافر اذ في الحكمة التفريق لا الجمع وعلى ذلك ما ذكر من جعل الجنات لهم والنخيل والاعناب وتفجير العيون وغيره وذكر في آخره افلا يشكرون رب هذه النعم كلها او ان يكون وجه الدلالة فيه من وجه آخر وهو انه لما انشأهم وعلم ما يصلح لهم من الغذاء وما لا يصلح لهم ما يكون لهم من غذاء وما لا يكون قبل ان ينشئهم دل انه عالم بذاته قادر لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ولن يكون لما انشأ هذه الاشياء التي ذكر لهم لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يمتحنهم بشيء ولا يأمرهم بشيء ولا ينهى عن شيء فاذ ثبتت المحنة البعث وظهر الثواب والعقاب وفي قوله وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا الى آخر ما ذكر من انواع الفواكه والثمار وغيرها انه الوحدانية له والالوهية ودلالة الجود والكرم له ليرغبوا فيه وليطمعوا منه ودلالة العدل له والسلطان لما بينوه ودلالة البعث لما ذكرنا ودلالة ان هذه النعم منه ليشكروه حيث قال في آخره افلا يشكرون والله اعلم وقوله سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون كلها من الناس من يقول ان الازواج هي التي لها مقابل من الاشكال والاضداد مما المخلوق فيه فعل ومما لا صنع لهم فيه حيث قال مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون ويستدل بذلك على خلق افعال العباد وهو ما قال خلق الازواج ما يكون فعلا لهم وقد اخبر انه خلق كلها دل انه خالق افعالهم والله اعلم وقوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون في ذلك آيات من وجوه احدها انه القدرة على البعث والاحياء بعد الموت والثاني انه الوحدانية له والالوهية والثالث انه العلم الذاتي له والتدبير الازلي اما دلالة البعث فهو ما ذكر من جعل ما هو ليل نهارا ومن جعل ما هو نهار ليلا بعد ذهاب اثره هذا بكليته حتى لا يبقى منه شيء ومجيء الآخر وانتزاع هذا من هذا وادخاله في الآخر دلالة انه قادر بذاته لا يعجزه شيء وله قدرة ذاتية لا مكتسبة مستفادة فمن قدر على هذا قادر على الاحياء بعد الموت اذ الاحياء بعد الموت ليس بابعد مما ذكرنا من جعل الليل نهارا وجعل والامر في هذا ان لم يكن اكثر اعني في جعل الليل نهارا وجعل النهار ليلا وادخال احدهما في الآخر ليس بدون الاحياء بعد الموت فاذا كان كذلك دل انه قادر بذاته لا بقدر من غيره فلا يعجزه شيء ولا قوة الا بالله واما دلالة الوحدانية فهو انشاء الدهر من اول انشائه الى آخر ما ينتهي اليه واجراؤه على مجرى واحد وسنن واحد من الليل والنهار وادخال هذا في هذا وهذا في هذا دلالة انه فعل واحد اذ لو كان فعل عدد لكان اذا اتى احدهما بالليل غلب على الآخر فلا يقدر المغلوب على اتيان النهار بعد ذلك وغلبه صاحبه وقهره وكذلك منشئ النهار اذا غلب على منشئ الليل لهم به على اتيانه بالآخر وغلبته عليه ويمنع كل واحد منهما صاحبه عن ادخال شيء مما انشأه هو فيما انشأه الآخر فاذ لم يكن ما ذكرنا دل انه واحد وهو رد على الثنوية واما دلالة العلم الذاتي له والتدبير الازلي هو اجراء الدهر من اول ما انشأه على تقدير حاجة اهله اعني حاجة اهل الدهر وعلى تقدير منافعهم وانشأ على امر واحد على تغير وتفاوت يقع في ذلك او تفاضل الى ما ينتهي اليه وتنتهي حاجتهم ومنافعهم دل انه كان لم يزل عالما بحوائجهم ومنافعهم حيث اجرى الدهر على تقدير حوائجهم وتدبير منافعهم وان له علما ذاتيا وتدبيرا ازليا لا علما ذاتيا وتدبيرا ازليا لا علما مكتسبا ومستفادا وان له القدرة والسلطان حيث لم يقدر احد ان يدفع ظلمة الليل عن نفسه اذا احتاج الى النهار ولا ملك دفع النهار اذا وقعت الحاجة في الليل ولا احد ان يأتي باحدهما مكان الآخر في وقت الآخر بل اظلم الليل الخلائق كلهم وستر عليهم كل شيء شاؤوا وابوا واضاء لهم النهار على كل مستور عليهم وابداهم على كل مختلف شاؤوا او ابوا دل انه بالقدرة الذاتية كان ذلك والسلطان الذاتي لا مكتسب مستفاد اذ هو عالم كل ذاتي لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء في حال من الاحوال وهذا يبطل قول الفلاسفة ان العقل دراك بنفسه كالنار حارة بطبعها محرقة بذاتها فلو كان يدرك بنفسه لكان لا يجوز ان يكون ولا يدرك هنالك او يشتبه عليه شيء بوجه من الوجوه فاذا حيل بينه وبين الدرك دل انه دراك بغيره فيدرك على قدر ما يجلى له وينكشف والله اعلم وقوله ونسلخ اي ننزع منه النهار وقوله فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلمة يقال اظلم فلان اذا دخل في الظلمة ثم سورة يس نزلت كلها بمكة محاجة اهل مكة في انكارهم التوحيد وانكارهم البعث والقدرة على الاحياء بعد ما صاروا رمادا وانكارهم الرسالة وهم كانوا طبقات على هذه لهذا هي مختلفة منهم من انكر التوحيد ومنهم من انكر البعث ومنهم من كان ينكر الرسالة ونحوها فبين الله تعالى

في هذه السورة وذكر فيها الحجج على منكري التوحيد وعلى منكري الرسالة وهو ما ذكر من الآيات من ذلك قوله وآية لهم الارض الميتة احييناها وفيه دلالة القدرة على البعث على ما بينا فيما تقدم وفي قوله واخرجنا منها حبا فمنه يأكلون دلالة الوحدانية له لانه اخرج ما ذكر من النبات والجنات والاعناب والنخيل الى آخر ما ذكر من الارض بمنافع من السماء متصل بالارض فدل اتصال منافع السماء بمنافع الارض على بعد ما بينهما على ان منشئهما ومدبرهما واحد اذ لو كان فعل عدد لكان فيه تدافع وتمانع على ما ذكرنا فيما تقدم من فعل ذوي العدد من التغالب والتدافع والتمانع في العرف والله اعلم وما ذكر ايضا من الليل والنهار على تضادهما واختلافهما في رأي العين وسلخ احدهما من الآخر وادخاله في الآخر دلالة الوحدانية ودلالة البعث ودلالة العلم الذاتي والتدبير الازلي اما دلالة الوحدانية فهو ما جمع في الليل والنهار على تضادهما واختلافهما في منافع الخلق وحوائجهم كانهما شكلان فدل ذلك على انهما فعل واحد اذ لو عدد لكان فيه تدافع وتمانع على ما ذكرنا من منع كل واحد منهما الآخر ودفعه عن انفاذ امره في ذلك وائتلاف تدبيره فدل الدوام على ذلك واتساق الامر على سنن واحد ويجري واحد انه فعل واحد فيه دلالة البعث لما ذكرنا اذ ذهاب احدهما واقرار الآخر بعد ذهاب اثار كل واحد منهما بكليته واجراؤهما مجرى واحدا من اول ما انشأهما الى آخر ما ينتهي ذلك وينتهي العالم على تقدير منافعهم وحوائجهم انه عالم بذاته مدبر بنفسه وان له علما ذاتيا وتدبيرا ازليا لا مكتسبا مستفادا وعلى ذلك ما ذكر من جريان الشمس والقمر وتسخيرهما لمنافع هذا العالم وحوائجهم وقطعهما في يوم وليلة واحدة مسيرة خمسمائة عام فدل ذلك كله على انه واحد لا شريك قادر لا يعجزه شيء وعالم مدبر لا يخفى عليه شيء وعلى ذلك ما ذكر في قوله وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون دلالة الوحدانية والقدرة والعلم والتدبير من حيث جعل اطراف الارض كلها على تباعد ما بينهما متصلة بمنافع الخلق وحوائجهم باسباب انشأها لهم وعلمهم ليصلوا الى تلك المنافع والحوائج فدل انه فعل واحد اذ لو كان فعل عدد لكان في ذلك تمانع على ما ذكرنا وانه عالم بذاته مدبر ولذلك قال تقدير العزيز العليم اي ذلك الذي ذكر كله تقدير الذي لا يعجزه شيء والعليم الذي لا يخفى عليه شيء وبالله القوة ثم قوله والشمس تجري لمستقر لها وفي بعض الحروف والشمس تجري لا مستقر لها فعلى هذا القول اي تجري ابدا لا مستقر لها ولا قرار ومن قرأ تجري لمستقر لها اي لنهايتها وغايتها ثم اختلف في تلك النهاية فمنهم من يقول نهايتها ونهاية هو ذهاب هذا العالم وانقضاؤه وتبديل عالم آخر كقوله اذا الشمس كورت وقوله الشمس والقمر بحسبان فتلك نهايتها ومنهم من يقول مستقرها هو نزوله في كل يوم في منزل لما ذكر ان لها منازل تنزل كل يوم في منزل ثم يطلع من مكان آخر ولذلك قال والقمر قدرناه منازل ومنهم من يقول نهايتها ما ذكر في الخبر انها اذا غربت ترتفع الى السماء السابعة فتخر لله ساجدة تحت العرش ثم يؤذن لها بالطلوع ذكر في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما اذن لها بالطلوع والارتفاع يأتيها جبريل بحلة من ضوء العرش على مقدار ساعات النهار في طوله في الصيف وقصره في الشتاء وما بين ذلك في الخريف والربيع فتلبس تلك الحلة كما يلبس احدكم ثوبه وذكر في القمر كذلك من الحبس والسجود لله الا انه ذكر فيه ان جبريل يأتيه بحلة من نور العرش وفي بعضه انها يكتف من ضوء العرش ويكتف من نوره فيلبس تلك الحلة او ذلك الضوء والنور كما يلبس احدكم ثوبه فذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ذكر للشمس ضياء وللقمر نورا كما ذكر في الخبر وقال بعضهم مستقرها جريانها في البحر الذي خلق الله دون السماء مكفوف ماؤه فيه تجري الشمس والقمر والجواري الكنس ويحتمل قوله تجري لمستقر لها اي تجري في مكان وتسير فيها والله اعلم وقوله ذلك تقدير العزيز العليم العزيز الذي لا يعجزه شيء او يعز من ان يغلبه شيء العليم الذي يعز من ان يخفى عليه شيء وقال بعضهم هو العزيز الذي اظهر اثر الذل في غيره لا ترى احدا الا واثر الذل والحاجة فيه ظاهرة واما دلالة الرسالة لان اهل مكة لم يكونوا يعرفون التوحيد وعرفهم واتاهم بحججه وبراهينه دل انه بالله عرف ذلك والله اعلم وقوله والقمر قدرناه منازل اي قدرناه منازل يزيد ويستوي وينتقص وكذلك جعل للشمس منازل ايضا تزداد وتنتقص وتستوي لكن جعل للشمس منازل ايضا تزيد وتنتقص منازل القمر في تغيره في نفسه يتغير ويزداد ويستوي وينتقص واما الشمس فانه جعل تغيرها في الزيادة والنقصان والاستواء في الازمنة والاوقات فاما في نفسها فليس فيها تغير ولا نقصان ولا زيادة والقمر والله اعلم لما ذكر انه جعل القمر سببا للوصول الى معرفة الاوقات والحساب والحج بقوله يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وعلى ذلك جعل طلوعه وغروبه مختلفا في الليل والنهار في كل وقت وكل ساعة واما الشمس فانها في نفسها على حالة واحدة لا زيادة فيها ولا نقصان ولا تغير الا في الوقت الذي تنكسف وكذلك طلوعها وغروبها في وقت واحد لا يختلف ولا يتغير الا في ازمنتها واوقاتها فانه يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا ويدخل في هذا هذا ومن هذا في هذا واما الايام فانه لم يجعل فيها تغيرا فهو والله اعلم لما لا يشتد على الناس حفظها ولا يجعل سببا لتعريف الاوقات والحساب وقوله حتى عاد كالعرجون القديم قيل انه عود الكباسة القديم الذي قد اتى عليه الحول فاستقوس ودق شبه القمر آخر ليلة يطلع بها واول ليلة قال بعضهم شبه القمر بالعرجون القديم وهو العذق اليابس المنحني العذق القديم الذي اتى عليه الحول وهما واحد وقوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك

القمر ولا الليل سابق النهار جائز ان يكون ذكر الشمس ههنا كناية عن النهار نفسه والقمر كناية عن الليل الا ترى
انه ذكر الليل والنهار على اثر ذلك حيث قال ولا الليل سابق النهار يخبر انه لا يدرك هذا هذا ولا يسابق هذا هذا وجاء
ان لا يكون ذكرهما كناية عن الليل والنهار ولكن على بيان حقيقتهما ان لا يدرك ضوء هذا هذا فيغلبه ولكن
يكون هذا في وقت وهذا في وقت آخر لا يجتمعان في وقت واحد ويذكر انه لا يغلبه هذا ما دام في سلطانه ولا هذا
على هذا ما دام سلطانه قائما يخبر عن قدرته وعلمه وتدبيره واما قدرته فهو ما ذكر من تقدير الشمس والقمر والليل
والنهار حفظهما حتى لا يغلب احدهما صاحبه فيذهب به دل حفظه اياها وما ذكر وتقديره اياها على
ما قدر انه انما كان بقدرة ذاتية ودل اجراؤه اياها على مجرى واحد وعلى سنن واحد منذ انشأها وقدر
ها الى آخر ما ينتهي اليه هذا العالم انه كان بعلم ذاتي وتدبير ازلي لا مستفاد مكتسب وهذا ينقض على الثنوية
مذهبهم ان منشئ الظلمة غير منشئ النور لانه لو كان اثنين على ما يقولون لكان اذا غلب هذا على هذا وما
سلطانه منعه من ان يأتي الآخر فاذ لم يكن دل انه فعل واحد لا عدد وقوله وكل في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر
قال بعضهم اي في دوران واستدارة يجرون على ما ذكرنا لا يمنع هذا هذا ولا هذا هذا وعلى هذا التأويل
هو الدوران الذي يدور عليه الشمس والقمر وقال بعضهم ان تحت السماء في الهواء بحر مكفوف فيه تطلع
الشمس وفيه تغرب وكذلك القمر فان كان على هذا فيكون قوله في فلك يسبحون على حقيقة السباحة والعومة
ويروى في ذلك خبر على ما ذكرنا وقال القتبي وابو عوسجة نسلخ اي نخرج والعرجون عرجون النخلة مثل العنقود
من العنب والعراجين جماعته يسبحون من السباحة ثم قوله وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اختلف
في ذلك الفلك قال بعضهم هي السفينة التي حمل فيها نوح واتباعه وقال بعضهم اراد به السفن كلها التي يحمل
عليها ويركب والفلك يقال هو واحد وجماعة فان كان المراد بالفلك السفينة المشار اليها وهي سفينة نوح كان قوله
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون غيرها من السفن التي اتخذت للركوب وان كان المراد به غيرها من السفن كان
قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون انما هي الانعام التي يركبون عليها في المفاوز والبراري كقوله وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون ونحوه ثم ان كان المراد بقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون السفن كان في ذلك
نقض قول المعتزلة في قولهم ان افعال العباد ليست بمخلوقة حيث اخبر انه خلق السفن والسفن انما تسمى سفنا بعدما
اتخذت ونحتت فاما قبل ذلك فهي تسمى خشبا والله اعلم ثم قوله وآية لهم انا حملنا ذريتهم يحتمل قوله حملنا ذريتهم
معنيين احدهما انا حملنا من انتم من ذريتهم في الفلك المشحون وهم الذين حملهم مع نوح في سفينته والثاني انا حملنا
ذرية قومك في اصلاب آبائهم وارحام امهاتهم في الفلك نسبهم اليهم لما انهم اصل هؤلاء كقوله خلقكم من تراب
وانما نسبنا الى آدم لانه اصلنا وهو المخلوق من التراب فعلى ذلك هذا لكن الفائدة في التأويل الاول على غير
الفائدة في التأويل الثاني ان كان المراد بقوله وآية لهم انا حملنا من انتم من ذريتهم هذا ففائدته انكم من ذرية
من نجا منهم من آبائكم وهم الذين آمنوا برسولهم وصدقوه لا من كذب به فكيف لا تتبعونهم لان العرب
من عادتهم انهم لا يزالون يحتجون انا وجدنا آباءنا على امة وعلى آثارهم مقتدون وان كان المراد المعنى الثاني
فيقول ان في آبائكم من قد صدق الرسل وآمن بهم ومنهم من كذبهم فكيف اتبعتم الذي كذبوهم دون الذين صدقوهم
ثم جهة الآية في الفلك ما ذكرنا فيما تقدم في غير موضع اما في تذكير ما انعم عليهم حيث سخر لهم ما في البحار و
البراري حتى يصلون الى قضاء حوائجهم ومنافعهم في الامكنة النائية البعيدة بالسفن التي انشأها لهم و
والانعام التي خلقها لهم او يخبر عن قدرته وسلطانه ان من قدر على تسخير هذا وايصال هذا بهذا لا يعجزه شيء
ولا يخفى عليه شيء او يخبر عن وحدانيته اذ لو كان ذلك فعل عدد لامتنع ولم يتصل ولم يصلوا الى قضاء حوائجهم
او يخبر عن سفههم بعبادتهم الاصنام التي عبدوها حيث قال وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم الآية يخبر انا
لو شئنا اغراقهم لا يملك الاصنام التي يعبدونها الاغاثة لهم والاستنقاذ من ذلك بل هو المالك لذلك كقوله
ضل من تدعون الا اياه وكقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر وقوله الا رحمة منا ومتاعا الى حين يحتمل
قوله الا رحمة من ربك اي لو شاء لاهلكم واستأصلهم بالعناد والتكذيب الرسول كما فعل بآبائهم
لكن برحمته اخر عن هؤلاء ذلك وجعل لهم متاعا الى حين وذلك منه رحمة والذين كانوا من قبل عند رؤيتهم
بأس الله كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده الآية ثم اخبر انه لم ينفعهم ذلك حيث قال فلم يك
ينفعهم ايمانهم ولكن رحم هؤلاء لمكان رسول الله فقبل ايمانهم عند رؤيتهم بأس الله وفي قوله وان نشأ نغرقهم
فلا صريخ لهم الآية دلالة نقض قول المعتزلة لقولهم في الاصلح لما لا يخلو اما ان يكون اغراقه اياهم اصلح
لهم في الدين او ابقاؤه اياهم فان كان اغراقه اياهم اصلح لهم في الدين والله اعلم وقوله واذا قيل لهم اتقوا ما
بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون اختلف في قوله ما بين ايديكم وما خلفكم قال قائلون ما بين ايديكم ما كان
من عقوبات الله ووقايعه فيمن كان قبلكم من عاد وثمود بما تروكذبتهم رسله يقول اتقوا ذلك واحذر
وا نزوله عليكم فسمى بين ايديهم لانه مضى بين ايديهم وما خلفكم من امر الساعة وعذابها سمى خلف لانه بعد
ورائهم غيبا في نفوذ احد وراء ذلك وقال قائلون ما بين ايديكم هو عقوبات الآخرة هي بين ايديهم ستأتيهم
وستنزل وما خلفكم ما مضى من العقوبات التي نزلت بمن كان قبلكم فصار ذلك وراء وخلفا تقول احذروا ذلك

وجائز ان يكون على غير هذا تقول والله اعلم احذروا ذنوبكم التي عملتم ومعاصيكم التي عصيتم في الدنيا واحذروا ايضا ما
تستنون ايضا لمن بعدكم كقوله علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت مما عمل هو وما اخرت ما سن لغيره من بعد
وقوله لعلكم ترحمون اي اذا فعلتم ذلك استوجبتم الرحمة بفضله والله اعلم وقوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين هذا والله اعلم في قوم خاص اعاندوا العناد والمكابرة في رد الآيات والاعراض منها لما كان
سؤالهم الآيات تعنتا لا سؤال استرشاد ولو كان سؤالهم سؤال استرشاد لكان قد انزل لهم من الآيات واتاهم
لما يامرهم قبولها والتمسك بها ثم الاعراض والعناد يكون بوجهين احدهما يعرض عنها لما يقع له لترك التأمل
والنظر فيها والثاني يعرض عنها اعراض عناد بعدما التحقيق والتيقن والعلم بها انها آيات والله اعلم وقوله واذا
قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله يحتمل قوله انفقوا اي صلة الارحام والقرابات على حقيقة الانفاق ويحتمل ان
اقبلوا الانفاق وهو الزكوة كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة اي لا يقبلون الاشياء والله اعلم وقوله
انطعم من لو يشاء الله اطعمه بهذا قالت المعتزلة في قولهم ان الله لا يفعل الا ما هو اصلح له في الدين يقولون لو كان
الانفاق والرزق اصلح لهم في الدين لرزقهم الله على ما رزقنا فيقال للمعتزلة امره اياهم بالانفاق على من
ذكر لا يخلو من ان يكون النفقة لهم والرزق اصلح في الدين ثم لم يرزقهم ولم يوسع عليهم واما ان يكون
المنع اصلح لهم وترك الانفاق فان كان الاول فقد ترك فعل ما هو اصلح في الدين او الثاني فقد امر هؤلاء
بفعل ما هو ليس باصلح فكيف ما كان ففيه بيان انه ليس على الله حفظ الاصلح للخلق في الدين انما عليه فعل ما يوجبه
الحكمة وحفظ ما يكون حكمة وهؤلاء لم ينظروا الى توجيه الحكمة وفي الحكمة الامتحان والابتلاء هذا بالسعة
وهذا بالشدة والضيق ثم اوجب على من وسع عليه في فضول ما له حقا لهذا الفقير والمضيق عليه ويبين ذلك
الحق ويبين قدره وحده لنادى بذلك تشكره وضيق على هذا ويطلب منه الصبر على ذلك ان منع هذا حقه والا لم يبق
ممن وسع عليه ما يستوجبه تلك النعمة والسعة ولا ممن ضيق عليه ما يستوجب ذلك ولكن محنة يمتحنهم بها هذا
بالشدة والضيق وهذا بالسعة والكثرة هذا مأمور بالشكر اداء ما اوجب عليه في ماله وهذا بالصبر على حاجته
ان منع حقه وعلى ذلك روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم
ولو شاء الله لجعلكم فقراء لا غني عنكم شيئا ولكنه ابتلى بعضهم ببعض لينظر كيف عطف وكيف صبر الفقير وقوله ان
انتم الا في ضلال مبين قال بعضهم هذا قول الكفرة للمؤمنين لم يكتفوا بذلك القول الذي قالوا ولكن نسبوهم
الى الضلال والجهل وقال بعضهم هذا القول من الله جوابهم لقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والله اعلم
وقوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ليس بصلة على ما تقدم من الكلام كانهم خوفوا بترك الانفاق
بالعذاب فقالوا عند ذلك متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ثم قال ما ينظرون الا صيحة واحدة اي ما ينظرون
لايمانهم الا ذلك الوقت يقول والله اعلم انهم اذا بلغوا ذلك الوقت وما بلغوا ذلك فعند ذلك يؤمنون لكن لا
ينفعهم الايمان في ذلك الوقت لقوله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وقوله
تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون يخبر عن سرعة قيام الساعة وغفلة
اهلها عنها كقوله فتأتيهم بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون وعلى ذلك روي في بعض الاخبار عن نبي الله صلى
الله عليه وسلم قال لتقوم الساعة والرجلان يتبايعان الثوب فلا يطويانه حتى تقوم الساعة وعن ابي هريرة
رضي الله عنه في قوله فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فقال تقوم الساعة والناس في اسواقهم
يحلبون اللقاح ويذرعون الثياب ويتبايعون وهم في حاجاتهم وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه ان الرجلين
ليتبايعان اذ نادى مناد قد قامت الساعة ونحوه وقوله فلا يستطيعون توصية اي وصية وكذلك ذكر في
حرف حفصة وابي فلا يستطيعون وصية وقوله تأخذهم وهم يخصمون يحتمل ما ذكرنا ان الساعة تقوم
وهم على ما كانوا عليه من قبل في الابتياعات والخصومات والمنازعة وعلى ذلك جاءت ويحتمل وهم يخصمون
اي يخصمون في الساعة والبعث انها لا تقوم ولا تكون لانهم كانوا ودل قوله فلا يستطيعون توصية و
لا الى اهلهم يرجعون ان الاستطاعة الفعل تكون مع الفعل لا تتقدم الفعل لانها لو كانت تتقدم لكانوا
يستطيعون التوصية والرجوع الى اهلهم اذا قامت بهم دل هذا على انها لا تتقدم الفعل لكنها تقارنها
وتجامعه والله اعلم وقوله ونفخ في الصور قد ذكرنا القول في الصور في غير موضع واختلافهم في ذلك قال
قائلون الصور هو شبه القرن ينفخ فيه وعلى ذلك روي عن عبد الله ابن عمرو قال سئل النبي صلى الله عليه
وسلم عن الصور فقال قرن ينفخ فيه فان ثبت فقد كفينا مؤنتنا لا نشتغل بغيره وقال قائلون هو على التمثيل
لا على التحقيق لكنه ذكر النفخ لسرعة امرها وقيامها اذ ليس شيء اسرع نفاذا ولا اخف من النفخ فهو عبارة
عن سرعتها ونفاذها كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وهو قوله ونفخ في الصور فاذا هم من
الاجداث الى ربهم ينسلون قال اهل التأويل ينفخ في الصور ثلاثا بين كل نفخة مهلة كذا كذا سنة يقولون
في النفخة الاولى تموت فيها كل شيء مما خلق الله كقوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من
شاء ثم ينفخ ثانيا فيحيون بها ويخرجون من قبورهم وهو قوله ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون
وينفخ ثالثا فيجتمعون عند ربهم وهو قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون والله اعلم

بذلك والنسل هو سرعة الخروج اى يسرعون قال ابو عوسجة النسل هو المشي ينسلون اى يمشون لكنه مشي مع سرعة وهما واحد
وقوله قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا من الناس من ينكر عذاب القبر بهذه الاية يقول المرقد موضع الراحة والراقد
هو الذي يكون في راحة فلو كان لهم عذاب او كانوا في عذاب لم يكونوا في رقدة ولا راحة دل انه لا يكون ومنهم من
يقول يكون في القبر عذاب الا انهم لما عاينوا عذاب الاخرة واهوالها صار عذاب الاخرة لهم كالرقاد عند عذاب
الاخرة ومنهم من يقول يناموا نومة قبل البعث ثم يبعثون ومثل هذا وجائز ان يكون النفس التي تخرج عند النوم تلك
النفس في حال الموت تجد تلك الم ذلك كما تجد النفس التي تخرج من النائم الم عذاب يصيبه وتجد لذة ايضا اذا كانت لذة
وترى في النوم اهوالا وافزاعا وذلك معروف فعلى ذلك هؤلاء الكفرة يعذبون بما ذكرنا فاذا بعثوا قالوا عند ذلك
يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا والمرقد هو الموضع الذي ينام فيه او ان يكونوا في عذاب اعني في القبور ولكنهم اذا عاينوا
عذاب الاخرة وشاهدوا اهوالها هان ذلك العذاب الذي كان لهم في القبر وسهل عند عذاب الاخرة فصار ذلك
كالرقاد لهم عند عذاب الاخرة فقالوا عند ذلك يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا والله اعلم بذلك وقوله هذا ما وعد الرحمن
وصدق المرسلون قال بعضهم هذا قول الملائكة لهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال بعضهم قول المؤمنين لهم
عند قولهم الذي قالوا وجائز ان يكون ذلك ايضا قول اولئك الكفرة يقرون بالبعث عند معاينتهم البعث يقولون
هذا الذي وعد لنا المرسلون وقد صدقوا في ذلك ونحن كذبنا هم فيه لكن لا ينفعهم تصديقهم اياهم بذلك في ذلك
الوقت وهو كايمانهم عند معاينتهم بأس الله وهو قوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده فعلى ذلك هؤلاء
لكن لا ينفعهم وقوله ان كانت الا صيحة واحدة يحتمل على حقيقة الصيحة يجعل الله تعالى الصيحة علما للاحياء والبعث
الا ان الصيحة سببا للاحياء والبعث ويحتمل لا على حقيقة الصيحة ولكن على قدر الصيحة كما تقول والله اعلم ما كانت
الا قدر صيحة واحدة اى البعث لكنه ذكر الصيحة لان الصيحة اسرع شيء وايسر على الخلق من غيره على ما ذكرنا في النفخ في
الصور كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ذكر هذا لانه اخف شيء على الخلق واهونه عليهم فيعتبر به ويكتفي بذكر
ليعلموا خفة ذلك على الله وسهولته وهو نه وانه لا يثقل عليه شيء وقوله فاذا هم جميع لدينا محضرون ذكر ان قوله
تعالى ان كانت الا صيحة واحدة في البعث فاذا كان ذلك في البعث فعند ذلك احضارهم عند الله واما الاول فالظاهر
في الاهلاك والموت وقوله فاليوم لا تظلم نفس شيئا الظلم في اللغة هو وضع الشيء في غير وضعه كانه يقول والله
اعلم اليوم لا توضع نفس في غير موضعها ولكن توضع على ما وضعها في الدنيا او يكون الظلم عبارة عن النقصان
كما تقول والله اعلم فاليوم لا تنقص نفس عما استوجب وبوفي كقوله ولم تظلم منه شيئا اى لم تنقص منه
او تقول فاليوم لا يحمل على نفس ذنب غيرها ولا يوضع وزر غيرها بل يجزى كل نفس جزاء عملها والله اعلم وقوله
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون يخبر والله اعلم عن شغل اهل الجنة انهم وان كانوا مشغولين في النعيم فان ذلك الشغل
يحجبهم عن غيرهم من الاشياء وكذلك جميع الخلائق انهم اذا شغلوا في شيء حجبوا عن غيره ومنعوا فاما الله سبحانه
تعالى عن ان يشغله شيء عن شيء ثم الاشتغال في الدنيا مما يتاذى اهلها ويؤذي فاخبر ان شغل اهل الجنة مما لا يتاذيهم
ولا يؤذي حيث قال في شغل فاكهون قيل ناعمون بما هم فيه وقيل معجبون في ذلك وقال القتبي فاكهون يتفكهون
ويقال للمزاح فكاهة وفاكهون اى ذوي فكاهة وقال ابو عوسجة فاكهون من الفكاهة وفكهون من السرور
والمفاكهة المازحة ثم قال بعضهم شغلهم في اقتضاض العذارى وقيل شغلهم في كل نعيم وفي كل كرامة على ما ذكر والله
اعلم وقوله هم وازواجهم في ظلال على يخبران اهل الجنة وان كانوا لا يحجبون عن شيء ولا يمنعون شيئا فانهم اذا كانوا
مع ازواجهم لا يقع عليهم بصر غيرهم فينغص ذلك وهو كما ذكر حور مقصورات في الخيام يخبر انهم اذا كانوا
مع ازواجهم لا يطلع عليهم غيرهم والله اعلم وظلال جمع ظلة وقوله على الارائك متكؤن الاتكاء على الارائك انما هو الا
فيخبر والله اعلم عن غاية راحتهم ونهاية كرامتهم والكلبس في الاتكاء على الارائك فضل كرامة ومنزلة ولكن يذكر
عن راحتهم ونعمتهم كقوله لا يبغون عنها حولا وقال القتبي الارائك السرر في الحجال واحدها اريكة وقال ابو عوسجة
الارائك الوسائد وعن الحسن قال الاريكة الحجلة وهي بلغة اهل اليمن يسمون الحجلة اريكة لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
قيل ما الفاكهة هي التي تؤكل على الشهوة لا على الحاجة يخبر والله اعلم ان اهل الجنة انما ياكلون ما ياكلون على الشهوة لا على
الحاجة وقوله ولهم ما يدعون قيل ما يتمنون وقيل ما يسألون وجائز ان يكون ما يدعون من الدعوى اى يعطون
جميع ما يدعون لانفسهم ليس كالدنيا وقال ابو معاذ ولهم ما يدعون اى ما يشتهون ويتمنون في الجنة والله اعلم وقوله
سلام قولا من رب رحيم هذا يحتمل وجهين احدهما يردون اليهم اعني الملائكة سلام الله يحق التبليغ اليهم سلام الله
نحو ما يبلغ بعضهم الى بعض سلام بعض فاقرأهما مني السلام فعلى ذلك يقولون ان الله يقرأ عليكم السلام والثاني
ان يسلم عليهم الملائكة بامره بدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم والثالث ان يكون القول من الله وعدا
بالسلامة لهم فيها من كل آفة وبلاء يكون في الدنيا كقوله ادخلوها بسلام آمنين ونحوه وفي حرف ابي وابن مسعود
سلاما قولا بالنصب فهو والله اعلم كانهما يجعلان تمام الكلام في قوله يدعون ثم يقطع سلاما قولا منه وانا قولا
هؤلاء برفع السلام فمعناها والله اعلم ولهم ما يدعون سلام ثم الكلام قطع قولا منه وقوله وامتازوا اليوم
ايها المجرمون كان اهل الجنة واهل النار يكونون مختلطين فيفرق هؤلاء لانهم يكونون في الابتداء مجموعين ولذلك
سمي يوم الجمع ويوم الحشر ثم يفرق بينهم كقوله فريق في الجنة وفريق في السعير وسمي يوم الفصل واصل قوله وامتازوا

اليوم ليس على الامر في الحقيقة ان افترقوا ولكن على حقيقة التفريق على ما ذكر في اية اخرى ليميز الله الخبيث
من الطيب واصل الامتياز الافتراق والاعتزال وبه يقول ابو عوسجة والقتبي ان الامتياز هو التفرق والتنحي
وقوله الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان يخرج على وجوه ثلاثة احدها عهد خلقة وبنية اذ قد جعل الله
تعالى في خلقة كل واحد وبنيته ما يشهد على وحدانيته وجعل العبادة له وتصرفها عمن دونه فنقضوا ذلك العهد
وصرفوا العبادة الى غيره والالوهية والثاني ما اخذ عليهم من العهد على السن الرسل والانبياء من الامر والنهي و
الثالث ما جعل فيهم من الحاجات والشهوات التي عليهم قضاؤها من عنده على صرف العبادة اليه والشكر له
على نعمائه وجعل الالوهية له وينفعهم صرفها الى غيره وجعلها لمن دونه فنقضوا ذلك كله وتركوه فان قيل
ذكر عبادة الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان ولا يعبده بل كل ينفر عن عبادته ويهرب منه
لكنه يخرج على وجهين احدهما يحتمل ان يريد بالشيطان المردة من الكفرة والائمة منهم الذين صرفوهم عن عبادة
الله سموا شيطانا لما بعدوا من رحمة الله شطن اى بعد كقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا والثاني نسب تلك العبادة الى الشيطان واضافها اليه وان كانوا
هم لا يقصدون بعبادتهم الشيطان لما بامره يعبدون ما يعبدون من الاصنام فنسب اليه بالامر ولما كان
منه بداية الامر والله اعلم وقوله انه لكم عدو مبين عداوته لنا ظاهرة بينة في كل شيء حتى في المأكل والمشرب
والملبس كقوله فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما الاية هو يريد ان يوقعنا في المهالك فهو عدو لنا وقوله وان
اعبدوني هذا صراط مستقيم اى اعبدوني فان عبادتي هو الصراط المستقيم وقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا يحتمل
قوله اضل منكم اى اهلك وهو ما اهلك من القرون المتقدمة نحو عاد وثمود وقرونا غير ذلك والاضلال يكون
الاهلاك في اللغة ويحتمل على حقيقة الاضلال عن الهدى ثم هو يخرج على وجهين احدهما ان قد رايتم وعلمتم انه
قد اهلك الله خلقا كثيرا بابليس بما ضلوا به واستاصلهم لذلك فكونوا انتم يا معشر اهل مكة على حذر منه لئلا ينزل
بكم كما نزل باولئك بضلالهم به والله اعلم افلم تكونوا تعقلون انه فعل ذلك بهم يخرج على التعيير والتوبيخ لهم
لتركهم هؤلاء النظر في امر اولئك والثاني وقوله جبلا كثيرا قال بعضهم جموعا كثيرة وقال بعضهم خلقا كثيرا وقال
بعضهم امما كثيرة وكله واحد واصله من قولك جبلهم على كذا اى طبعهم ويقرأ جبلا وجبلا برفع الجيم والتشديد
قال ابو عوسجة الجبلة والجبلة الخلق وقوله هذه جهنم التي كنتم توعدون يشبه ان يكونوا لما راوا جهنم
قالوا ما هذا الذي نراه فعند ذلك قيل لهم هذه جهنم التي كنتم توعدون بها اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون
اى ادخلوها اليوم بما كنتم تكذبون بها والله اعلم وقوله اليوم نختم على افواههم اى نطبع على افواههم فلا يتكلمون
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون كانهم والله اعلم لما انكروا كفرهم وشركهم وعملهم الذي عملوه في الدنيا
كتموهم والله ربنا ما كنا مشركين وانساه عند ذلك باذن الله سائر جوارحهم واركانهم بالنطق والشهادة عليهم بما عملوا
كقوله يوم تشهد عليهم السنتهم الاية وقوله شهد عليهم سمعهم الاية ثم انطق السنتهم حتى يبا تبوا الجوارح
في شهادتها عليهم بقوله لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وفيه ان النطق والكلام الذي
يكون من اللسان لا يكون لانه لسان ولنفس اللسان ولكن اللطف يجعل الله ذلك في اللسان فينطق فحيثما جعل ذلك
اللطف والمعنى في اي جارحة ما جعل نطقت وتكلمت ولو كان النطق والكلام لنفس اللسان لكان يجب ان ينطق
لسان كل ذي لسان لما له اللسان فاذ لم ينطق دل ان اللطف جعل فيه به ينطق ويتكلم فحيثما جعل ذلك المعنى واللطف
نطق وتكلم وكل جارحة منه من اليد والرجل وغيره جعل نطقا ومعنى به يسمع السمع وبه يبصر البصر وبه
ياخذ ويقبض اليد وبه يمشي وتذهب الرجل فاينما جعل ذلك اللطف وذلك المعنى كان منه ذلك ما كان من
السمع والبصر وغيره وكذلك الاطعمة والمياه ليس الغذاء في عينها ولكن في لطف جعل الله فيها اللطف ومعنى
يصير ذلك غذاء لهم الا ترى ان عين الطعام يبقى فيرمى به وينتفع بما فيه من الغذاء والله اعلم وقوله ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون قال بعض اهل التاويل لو نشاء لطمسنا اعين الضلالة فابصروا
الطريق فقأناها اعينهم وقال بعضهم لو نشاء لحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فلو طمست اى حولت الكفر
الا يستبقوا الصراط يقول لا يبصروا طريق الهدى ثم قال فانى يبصرون يقول فمن اين يبصرون الهدى ان لم
اعم عليهم طريق الكفرة ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اى لا قعدناهم على ارجلهم لا ينطلقون ولا يتأخرون
ويشبه ان يكون على خلاف هذا على التمثيل يقول والله اعلم لو طمسنا اعينهم واعميناهم فاستبقوا الطريق فانى
يبصرون اى لا يبصرون الطريق فعلى هذا اذا طمسنا اعين القلوب فاعميناها فانى يبصرون الهدى اى لا يبصرون
ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول والله اعلم على التمثيل اى لو حولنا ظاهر خلقهم
وصيرناها خنازير وقردة حتى ذهبنا بمنافع انفسهم الظاهرة فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فعلى ذلك اذا مسخنا
قلوبهم وحولناها عن مكانها ما انتفعوا بها كما ينتفعوا بظواهر جواهرهم على التمثيل لا على التحقيق وفي قوله ولو نشاء
لطمسنا على اعينهم ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم دلالة ان الله في ذلك صنعا اذ لو لم يكن فيما يختارون من الافعال
والاعمال صنع لم يكن ليتوعدهم على اذهاب ذلك وتحويله عن مكانه فدل ان له صنعا في ذلك وفعلا قال الحسن
وقتادة في قوله ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فتركناهم عميا يترددون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم اى لاقعدنا

هم على ارجلهم على ما ذكرنا استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول والله اعلم ما استطاعوا ان يتقدموا ويتأخروا وابن عباس رضي
الله عنه يقول ما تقدمتم ذكره اي لو نشاء تركناهم عن الضلال فلم يبصروا الطريق فانى يبصرون اي كيف يبصرون او نحوه من
الكلام ومقاتل يقول لو نشاء طمسنا عينهم ظاهرة فاستبقوا الصراط فانى يبصرون اي لا يبصرون وهو قريب مما ذكر
انفا وجائز ان يكون على التمثيل على ما ذكرنا بدءا ويحتمل على التحقيق ان من قدر على الطمس او المسخ وما ذكر من النكس لا يعجزه
شيء من البعث ونحوه اذ خلق الانسان للطمس او المسخ خاصة لا لعاقبة تقصد ليس بحكمة او يذكر انه لو نشاء لطمسهم
ولمسخهم لكنه تركهم فلم يطمسهم ولم يمسخهم ليبقوا في النعمة ليشكروا نعمه وقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق اي من نعمر حتى
يدركه الهرم والضعف يقول نرده في الخلق اي من نعمره حتى يدركه الهرم والضعف يقول نرده في الخلق الاول لا يعقل
فيه كعقل الاول كقوله ومنكم من يرد الى ارذل العمر افلا تعقلون اي من فعل هذا او قدر على هذا لا يعجزه شيء
ويتأدى(؟) به شكره قال القتبي المطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه شق فاستبقوا الصراط اي فتجوزوا قال ابو عوسجة
طمسنا اعينهم اي عميناهم والمسخ هو تغيير الصور والابدان وقوله ومن نعمره ننكسه في الخلق اي نصيره ضعيفا بعد
ان كان قويا وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له نزل هذا والله اعلم عند قولهم انه شاعر وانه كذاب
فاخبر انه لم يعلمه الشعر وما ينبغي له الشعر تكذيبا لهم وردا عليهم انه شاعر وان هذا القرآن شعر جعل الله عجزه
عن القيام بانشاد الشعر بعض اياته من ايات رسالته كما جعل عجزه عن تلاوة الكتاب من قبل وكتابته وخطه بيمينه اية من
ايات رسالته ليعلم اولئك الذين قد قذفوه بالشعر والافتراء من نفسه والكذب على الله وبالسحر انما اخبر عن وحي من الله لا ما
يقولون هم وهم على يقين وعلم انه ليس بشاعر ولا ساحر ولا كذاب لما لم يروا اختلف الى احد منهم في تعلم ذلك ولا كان عنده
من كتبهم منها اخذ ذلك ولا اخذ على كذب قط لكنهم نسبوه الى ما نسبوه من الشعر والسحر والكذب تعنتا منهم وعنادا
يلبسون امره بذلك على اتباعهم ويشغلهم لئلا يذهب رياستهم ومنفعتهم وفي قوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له دلالة
نقض قول المعتزلة حيث اخبر انه لم يعلمه الشعر وقد اعطى له جميع اسباب الشعر وقال في القرآن علم القرآن وعلمه البيان انه كان
من الله لطف سوى السبب فيما اخبر انه قد علمه دل ان التعليم له فيما كان منه تعليم له بلطف منه سوى الاسباب لا بنفس السبب
اذ نفس السبب قد كان له في الامرين جميعا والله اعلم وقوله وما ينبغي له ان يشتغل بشيء مما يتلهى به والشعر في الاصل
انما جعل للتلهي به والتلذذ لذلك حيل بينه وبين طبعه انشاد الشعر ليكون ابدا مشتغلا بما هو حكمة وعلم وفيما هو امر الله
لا بما فيه التلهي واللهو والله اعلم وقوله ان هو الا ذكر وقرآن مبين ان هو اي ما هذا القرآن الا ذكر للبشر
من امر الله ووعده ووعيده ومما لهم ومما عليهم يذكرهم ما نسوه وتركوه ومبين يبين لهم ما لهم وما عليهم او يبين
لهم ما يؤتى وما يتقى او يبين لهم انه من الله جاء ومن عنده نزل لا من عند المخلوقين او ذكر لاهل الكتاب يذكرهم فيما ثبت
مما كان في كتبهم من نعته وصفته وما عليهم القيام به وما لبس ومبين لمشركي العرب انه رسول وان هذا القرآن
من عنده جاء به وكل كتب الله ذكر وكتبين ورحمة ونور وشفاء على ما اخبر والله اعلم وقوله لينذر من كان حيا ويحق القول
قال بعضهم من كان عاقلا يقول لينذر بالقرآن من له عقل حي فيؤمن ويحق القول اي السخطة على الكافرين في علم الله انهم
لا يؤمنون وقال بعضهم لينذر من كان حيا اي مؤمنا لان الله تبارك وتعالى سمى المؤمن حيا في غير اية والكافر ميتا لينذر من كان
حيا اي لينفع النذارة وينفع من كان حيا اي مؤمنا على ما ذكرنا وان كان ينذر الفريقين جميعا كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي
الرحمن خاصة وكقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين هو يذكرهم جميعا لكن المنفعة للمؤمنين فعلى ذلك الاول ويحتمل
قوله من كان اي من يطلب بحيوته الفانية الحيوة الدائمة ويحق القول على الكافرين القول الذي قال لاملأن من الجنة والناس
اجمعين وقوله اولم يروا انا خلقنا لهم قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان قوله اولم يروا ولم تروا ونحوه انه في الظاهر حرف
استفهام لكنه من الله على الايجاب والالزام ثم هو يخرج على وجهين احدهما على الخبر ان قد راوا ما خلق لهم من الانعام
وما ذكروا والثاني على الامر على الرؤية والنظر فيما ذكر اي فليروا فان كان على الخبر انهم قد راوا ما خلق لهم من الانعام
فهلا تفكروا واعتبروا فيما خلق لهم من الانعام وغيرها انه لم يخلق لهم ذلك عبثا باطلا ولكن لحكمة ولو لم يكن بعث
على ما يقولون هم كان خلق ذلك عبثا باطلا ولكن بعث على ما يقولون هم كان خلق ذلك عبثا باطلا او ان يقول
ان من قدر على خلق ذلك من الانعام وتسخيرها لهم ما لو تركها كلها خلق منها لم يتعبها لامتلأت الارض لا يحتمل
ان يعجزه شيء ولا يقدر على البعث والاحياء بعد الموت او ان يقول ان من قدر على تصوير ما ذكر من الانعام وغيره
في الارحام وتركيب ما ركب فيها من الاعضاء والجوارح في الظلمات لا يحتمل ان يخفى عليه شيء ويعجزه او يفعل ذلك
على التدبير الذي فعل بلا حكمة او يذكر انه خلق لهم من الانعام وذللها لهم وجعل لهم فيها من منافع ما ذكر ثم لا ذكر
يلزمهم يتأدى على ذلك شكر ما انعم عليهم على هذا لو كان على الامر بالرؤية فيما خلق والنظر والله اعلم وقوله مما
عملت ايدينا انعاما يحتمل ما عملت ايدي الخلق من الزراعة والغرس ونحو ذلك مما يعمله الخلق نسب ذلك الى نفسه ويحتمل
مما عملت ايدينا اي قوتنا كقوله والسماء بنيناها بايد وقوله خلقت بيدي اي بقوة ونحوه والله اعلم وقوله فهم لها ما
لكون قال بعضهم قادرون على الانتفاع بها والاستعمال لها يقول الرجل فيما له فيه حقيقة الملك انا غير مالك عليه اذا كان
غير قادر على الانتفاع به ولا مالك على استعماله وقيل مالكون اي ضابطون قادرون على امساكها يقال فلان غير ضابط على
ابله ودابته وهما واحد والله اعلم وقوله وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب يخبر عن
انواع ما جعل لهم من الانعام وانعم عليهم لتأدى بذلك شكره والله اعلم وقوله واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون

لا يستطيعون

لا يستطيعون نصرهم يخبر عن سفههم وقلة بصرهم وفهمهم لاتخاذهم الاصنام الهة وعبادتهم اياها رجاء
النصر لهم وتركهم عبادة الله على وجود المعونة والنصر منه وجعله كل شيء لهم لم يكون رجاؤهم بذلك ما قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وذلك في الاخرة ويحتمل رجاء النصر لهم
بعبادتهم الاصنام في الدنيا في دفع ما ينزل بهم من البلايا والشدائد كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من
تدعون الا اياه ثم اخبر ان الاصنام التي يعبدونها وما رجوا منها لا يستطيعون نصرهم وما رجوا منه
شفاعتهم والنصر لهم واخبر ان ما عبدوا دونه يصير اعداء لهم قال وهم لهم جند محضرون في الاخرة
كقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا هذا على تأويل بعضهم من اهل التأويل يجعل الاصنام جندا
عليهم واعداء لهم على ما ذكرنا ويحتمل قوله وهم لهم جند محضرون اي المشركون جند للالهة التي يعبدونها
اي هم يغضبون لها ويقومون في دفع من قصدها بفساد واهلاك اعني اصنامهم التي كانوا يعبدونها كقوله قالوا
حرقوه وانصروا الهتكم ثم اختلف فيه قال بعضهم ذلك في الاخرة وقال بعضهم ذلك في الدنيا والله اعلم
وقوله فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون كان من اولئك الكفرة لرسول الله اقوال مختلفة مرة
كان منهم ما ذكر واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ومرة قالوا انه ساحر وانه كذاب وانه شاعر
ومرة قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ومرة قالوا لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ومرة طعنوا
فيه وفيما اتى من الحجج ولا ندري اي قول كان منهم له فيحزن عليه حتى قال الله فلا يحزنك قولهم انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون اي لا تحزن على قولهم فانا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيحفظ عليهم ذلك ويجازيهم
على ذلك او نعلم ما يسرون وما يعلنون فننصرك عليهم ونعينك او ان يكون حزنه عليهم اشفاقا عليهم لما كان
يعلم نزول العذاب بهم والهلاك لعنادهم ومكابرتهم والله اعلم وقوله اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
هذا يخرج على الوجهين وان كان على الامر بالرؤية والنظر اي فلير الانسان ولينظر ان من قدر على خلق
الانسان ابتداء من نطفة لقادر على اعادته اي اعادة الشيء في الشاهد اهون وايسر من ابتدائه اذ قد يجد
ويصور بعدما وقع البصر على الشيء ويرى ولا سبيل على احتذاء ما لم يروا ولا يتصوروا ما لم يعاينوا احتج الله عليهم
بالشيء الظاهر الذي يعلم كل اثر كذلك من غير تفكر ولا تأمل ولا الاحتجاج عليهم بالاشياء التي لم يدركوا بلغو
الكثر نحو خلق الانسان من هذه النطفة على الصورة التي صورها والبنية التي خلقها فيها ما لو اجتمع حكماء البشر
كلهم ان يعرفوا كيفية جعلهم اياها من تركيب العظم والشعر والعين والبصر والسمع والعقل وجميع الجوارح
ما قدروا على درك ذلك ولو اجتمعوا على ان يعرفوا كيفية غذائهم بالاطعمة والاشربة التي جعلها غذاء لهم
والقوة التي بها يتغذون على كل امر كيف قدر وقسم على السواء في الجوارح كلها والمواد التي يموتون ويحيون
على الاستواء ما لو زاد في بعضها من قوى ذلك الطعام والشراب دون بعض يزداد قوة على بعض ونحو ذلك
من العجائب ما لا سبيل الى معرفة ذلك البتة بعد بطول التفكر والتأمل لكنه احتج بالشيء الظاهر ليدركوا ما
بالبديهة ولا يدركون الاحوال بعد التأمل والتدبر والله اعلم وقوله فاذا هو خصيم مبين اي جدل بين
وقوله وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ما ذكر من ضرب المثل له قال من يحيي العظام وهي رميم وقوله ونسي خلقه
يحتمل وجوها اي غفل عن القدرة في خلق نفسه ما لو نظر وتفكر لعرف انه قادر على الاعادة الثاني غفل عن
الحكمة في الاعادة والثالث انه غفل عن الحكمة في ابتداء خلقه نفسه ثم يخرج هذا على وجوه احدها انه لو نظر
وتفكر في حق نفسه انه خلق من نطفة علقة وحول العلقة مضغة وحول المضغة خلقا وانشأه انشاء متقنا لم
يصيره بحيث يأخذ في النقصان بعدما كان تاما لم من فعل هذا في الشاهد ان يحكم الشيء ويتقنه ويهمله ثم يهدمه
بلا عاقبة تقصد به كان غير حكيم فعلى ذلك كان ما احكم الله من الخلق واتقنه وتممه ثم جعل ينقص منه
ويوهنه فلو لم يكن اعادته وخلقه ثانيا كان خارجا عن الحكمة فلو نظر في ابتداء خلق نفسه لعرف انه يعيده
وينشئه ثانيا والثاني لو نظر وتفكر في ابتداء خلق نفسه انه كيف دبره في تلك الظلمات الثلاث وقدره على
احسن تقدير في ذلك فلو نظر وتفكر ان من قدر على تدبيره وتقديره في الظلمات الثلاث على ما دبره وقدره
قادر على اعادته وهو كقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اي هو اهون في عقولكم وتقديركم
اهون من ابتدائه فاذا قدر على الابتداء فهو على الاعادة اقدر واملك اذ ذلك في عقولكم اهون وايسر والابتداء
وصف الله تعالى الله شيئا اهون عليه من شيء بل الاشياء كلها تحت قوله كن فيكون ليس غير ان كان منه كاف
ونون او شيء من ذلك لكنه عبر بلا انه احث حروف على الالسن واسرع واقصر كلاما واوجزه يؤدي به المعنى
ويفهم منه المراد والثالث انه خلق هذه الاشياء والجواهر كلها سوى للبلوى والمحنة فلو لم يكن بعث
ولا نشأة اخرى كان خلق هذه الاشياء لهم عبثا باطلا وان يكون قوله ونسي خلقه اي غفل عن بدء خلقه اذ بدء
خلقه انما كان من ماء او تراب فعلى ذلك اذا افناه يصير ماء وترابا فيعيده منه على ما انشأه منه بدءا ثم قوله
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة دلالة نقض قول
الباطنية وفساد مذاهبهم حيث قالوا ان اعادة الخلق وانشاء ليس على هذه البنية والصورة التي انشأها ابتداء
ولكن تنشئ نفسا روحانية على خلاف ما شاهدوها وعاينوها فالاية تكذبهم وتنقض قولهم حيث قال من يحيي العظام

وهو رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة اخبر انه يحيي العظام التي انكروهم احياها واستبعدوا ذلك وعلى ذلك
قال ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون احتج عليهم بعلمهم النشأة الاولى لانكارهم النشأة الاخرى فلو كان
على خلاف ذلك لم يكن للاحتجاج عليهم بذلك معنى فدل انه يلزمهم بعلمهم على الهيأة الاولى والثاني ينقض عليهم قولهم
ايضا حيث قالوا يوصل الى معرفة ذلك من الذي يأتيه الرسول ويخبره دون النظر والتفكر والتدبر فلو كان على ما يقولون
لم يكن لقوله ونسي خلقه ولا لقوله او لم يتفكروا في انفسهم وقوله افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله
وفي انفسكم افلا تبصرون معنى فدل انه قد يوصل الى معرفة ذلك بالتفكر والنظر كما يوصل بخبر الرسول الذي
قد ظهر صدقه للخلق فتلزمه الحجة في هذا كما تلزمه في ذلك وقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم
منه توقدون اختلف فيه قال بعضهم هو نوع من الشجر يقال المرخ كانوا يورون منه النار وقيل هو ان يتورى
الذي يخرج منه وتأويله ان الشجر الاخضر خضرته انما يكون من الماء والماء يطفئ النار والنار تأكل الحطب والشجر
فمن قدر على الجمع بين المتضادين وحفظ كل واحد منهما عن صاحبه مما السبيل منها التنافر والتدافع لقادر على
البعث وانه لا يعجزه شيء وقال بعضهم قوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون هو ما انشأ
لهم من الشجر يتنزهون بها ويتلذذون ما دام اخضر فاذا ادرك وبلغ ينتفعون بثمارها وفواكهها ثم يصير حطبا
يوقدون منها النار ويصطلون فمن قدر على ما ذكرنا لا يحتمل ان يعجزه شيء او من فعل ما ذكر لا يحتمل ان يفعله عبثا
باطلا فلو كان على ما قاله اولئك الكفرة ان لا بعث ولا نشور كان فعل ذلك عبثا باطلا والله اعلم وقوله او ليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى يذكر والله اعلم او ليس من قدر على انشاء السموات والارض
مبتداء لا من شيء ولا اصل لا يحتمل ان يعجزه اعادة الخلق وبعثهم او يقول ان من قدر على خلق السموات والارض وما
فيهما قادر على ان يخلق مثلهم وخلق المثل اعادة لانه انما يكون بعد هلاك الذين انشأهم وبعدما نشئ او يخلق
مثلهم مع بقائهم سواهم وفي ذلك ابتداء خلق واعادة فيلزمهم الاقرار بالبعث والقدرة على الاعادة ثم اخبر
عن قدرته فقال بلى وهو الخلاق العليم اي هو خلق كل شيء من حوائج الاشياء وافعالهم او هو الخلاق في الذين والتخ
العليم بجهل وحوائج يحتمل العليم ببعثهم او العليم بمصالحهم ومعاشهم وما لا يصلح او العليم باحوالهم وانفسهم
ما ظهر منهم وما بطن وما استروا وما اعلنوا وقوله انما امره اذا اراد شيئا يحتمل انما حاله اذا اراد شيئا ان
يقول كن فيكون قد ذكرنا معنى هذه الاية فيما تقدم ان كل ما كان ويكون ابدا لا بد من انما يكون بكن الذي كان من غير
ان كان منه كاف او نون او شيء من ذلك انما اخبار عن سرعة نفاذ امره ومشيئته او اخبار عن خفة ذلك عليه يقول
والله اعلم كما لا يثقل عليكم قول كن فكذلك لا يثقل على الله ابتداء خلق ولا اعادته ولا شيء من ذلك ثم نزه نفسه وبرأه
عما ذكروا فيه مما ظن اولئك من البعث في خلق شيء وبطلانه فقال فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون
اي نزه وتبرأ عن ان يكون خلقه على ما ظن اولئك حيث قال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين
كفروا فكان ظنهم ان لا بعث ولا نشور ثم اخبر انه لو لم يكن ذلك لكان خلق ما ذكر عبثا باطلا فقال تعالى عن ان يخلق
في خلق شيء عبث او فساد وكذلك قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا الاية يصير خلق الخلق لا للرجوع اليه عبثا باطلا وان
يقول تعالى ان يثقل عليه اعادة الخلق او ابتداؤهم او يتعالى عن ان يعجزه شيء والله اعلم قال القتبي وابو عوسجة رميم
اي بالية يقال رم العظم اذا بلي فهو رميم وربما قالوا رمم كما يقال رقات ورفات وقوله من الشجر الاخضر نارا قال اراد
الزنود التي تورى بها الاعراب من شجر المرخ والعفار والحمد لله على كل حال والصلوة والسلام على محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والصافات صفا فالزاجرات زجرا اختلف فيه قال بعضهم الصافات
هي الطير اذا صفت اجنحتها بين السماء والارض وذكر عن ابن مسعود قال الصافات والزاجرات والتاليات كلهم
الملائكة قال الصافات اصطفت الملائكة صفا لعبادة الله عز وجل وتسبيحه وكذلك ذكر عن ابن عباس وغيره الا ان
غيره نعت الزاجرات والتاليات اي ملائكة هم ولسنا نذكر عن ابن مسعود وابن عباس التفسير وقال بعضهم الزاجرات
هم الملائكة الذين يزجرون السحاب والامطار والتاليات ذكرا هم الملائكة يتلون القران والوحي على الرسل والانبياء
عليهم السلام وقال قتادة الصافات صفا اقسم الله عز وجل بخلق قال الصافات الملائكة صفوف في السماء فالزاجرات
زجرا ما ذكر الله في القران من زواجر عن المعاصي والمساوي فالتاليات ذكرا قال ما يتلى عليكم في القران من اخبار الرسل
عليهم السلام وانباء الامم التي كان قبلكم وجائز ان يكون الصافات هم الملائكة الذين يصلون لله عز وجل صفوفا
على ما ذكروا فالزاجرات زجرا هم الملائكة الموكلون بارزاق الخلق وسوقها اليهم يسوقون اليهم سوقا فالتاليات
ذكرا هم الملائكة الموكلون بالتسبيح والتحميد وجميع الاذكار ثم وجه القسم بالملائكة الذين ذكروا والله اعلم
انه عز وجل قد عظم شأن الملائكة وامرهم في قلوب اولئك الكفرة حتى قالوا لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
وقولهم لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر وقول فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين وقولهم
لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وما وصفهم الله عز وجل انهم لا يعصون الله ما امرهم الاية ولا يستكبرون
عن عبادته الاية وقوله عز وجل يسبحون الليل والنهار الخ عظم الله عز وجل امر الملائكة عليهم شأنهم وفي قلوب

اولئك الكفرة وصدقهم عندهم لذلك اقسم بهم على وحدانيته وتفرده حيث انشأ السموات وانشأ الارضين وما ذكر
وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ومنافع المشارق متصلة بمنافع المغارب على بعد ما بينهما
ولو كان فعل عدد لمنع بعض اتصال منافع بعض ببعض على ما يكون من فعل ذوي عدد وغلبة بعض على بعض
فاذ لم يمنع ذلك بل اتصل بعض ببعض دل انه فعل واحد لا شريك له ثم تخصيص ذكر السموات والارض ما ذكر
ما ذكروا من غيره من الخلائق لما عظم قدر السماء في قلوبهم لنزول ما ينزل منها من الامطار والبركات
وغيرها والارض بخروج ما يخرج منها من الانزال والارزاق ولذلك يخرج ذكرهما والله اعلم فيما ذكر حيث
قال فيهما ما راضا السموات والارض فعظم قدرهما في قلوبهم ودواتهما عندهم خرج ذكرهما وان كانت ابنية
ولا تدوما ان ابدا والله اعلم ثم قال عز وجل رب السموات والارض وما بينهما قال بعض المعتزلة وهو جعفر بن
حرب فان قال لنا قائل من قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما انه رب اعمالنا وافعالنا فنقول له
ان اردت انه رب اعمالنا وافعالنا فبلى ثم قال فيقال لهم اتقولون انه خالق الكفر وخالق الشر ونحوه وفي افعال الخلائق
الكفر والشر ونحوه قيل له لا يقال ذلك على الاطلاق انه خالق الكفر وخالق شر وان كان يقال في الجملة خالق
افعال الخلق ورب كل شيء وخالق كل شيء لان ذكره على الجملة يخرج على تعظيم ذلك الشيء نحو ما يقال رب محمد ورب
البيت انما هو تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم وتعظيم ذلك البيت خاصة فعلى ذلك وصفنا اياه بالجملة انه
خالق افعال العباد وخالق كل شيء يخرج على وصف البيت بالعظمة والجلال وعلى الاشارة التي نبني منها والتخصيص
على تعظيم ذلك الشيء خاصة لذلك جاز ان يوصف انه خالق افعال العباد جملة لما ذكرنا انه يخرج على المدح والتعظيم
وعلى الاشارة على المذمة له وتعظيم ذلك الشيء لذلك وافترقا والله الموفق ثم يقال لهم تقولكم انه مالك لها وليس
بخالق هل يقال لاحد انه مالك كذا الا لما يشبه ذلك او التمليك من يملكه فاذ ثبت انه مالك الاعمال والافعال ثبت انه خالقها
اذ لا يقال مالك كذا الا للقدرة على ذلك او لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ورب المشارق قال بعض اهل التأويل
ان للشمس ثلثمائة وستين مشرقا فتطلع كل يوم من كوة وكذلك يقولون في المغارب انها تغرب كل يوم من كوة لكن يشبه
ان يكون اراد بالمشارق والمغارب كل شيء يشرق وكل شيء يغرب من الشمس والقمر والنجوم والكواكب وغيرها يخرج قوله
عز وجل رب المشرقين ورب المغربين واما اهل التأويل فانهم يقولون مشرق الشتاء والصيف وكذلك مغربها
وقوله عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ليس ان هذه السماء التي نراها ونعاينها هي سماء الدنيا وغيرها
سماء الاخرة ولكن سماها سماء الدنيا لدنوها من اهل الارض وقربها منهم واهل الارض هم الجن والانس وما جرى
الخطاب في ذلك وفي غيره وعلى ذلك قول اهل التأويل انها انما سميت سماء الدنيا لدنوها من اهلها ولقربها
منهم والله اعلم وقوله عز وجل انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب اخبر انه عز وجل زينها بزينة الكواكب وزين
الكواكب نفسها اضاف فيها الى نفسها وهي الزينة لها لا غير فهو والله اعلم كما قال عز وجل انا زينا السماء الدنيا
بزينة وهي الكواكب او قال انا زيناها بزينة فسئل ما هي فقال الكواكب وقوله عز وجل وحفظا من كل شيطان
مارد قال عز وجل وحفظناها من كل شيطان مارد وحفظه اياها ما ذكر في قوله عز وجل لا يسمعون الى الملأ
الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا قال ابن عباس وغيره قوله لا يسمعون الى الملأ الاعلى كانوا يستمعون ولا
يسمعون وقال بعضهم كانوا لا يسمعون اخبار الملائكة وحديثهم فيما يتراجعون عنهم من امر الله وهم
الملأ الاعلى ومن يقول انهم كانوا لا يسمعون يذهب الى ما ذكر في سورة الجن حيث قالوا وانا لمسنا السماء
فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
اخبروا ان من يستمع الان يجد له ما ذكر دل انهم كانوا يستمعون فان قيل كيف يوفق بين هذه الاية وبين قوله
عز وجل ويقذفون من كل جانب دحورا الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب استثنى الخطفة وقال هاهنا فمن
يستمع الان يجد له كذا اخبر الخطفة الا ان يكون على التمثيل اي موضع يخطف او على حقيقة الخطفة وهي لا يستلب
والاخذ على السرعة والله اعلم لكن يشبه ان يكون الاية التي عز وجل وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا او
شهبا فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا في المؤمنين منهم الا يرى انهم قالوا انا سمعنا الهدى آمنا به واما ما ذكر في
سورة الصافات فهو في الكفار منهم والمردة الا من خطف الخطفة من الشياطين الذين يستمعون والله اعلم ثم قوله
عز وجل وانا لمسنا السماء ثم قوله عز وجل وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية دلالة اثبات رسالة محمد صلى
الله عليه وسلم لانه كان يخبرهم ان الجن يصعدون الى السماء الدنيا ويستمعون من اخبار الملائكة وحديثهم فيما يتراجعون
فيما بينهم من امر الله في الارض ثم يخبرون الكهنة بذلك فيخبر الكهنة اهل الارض عن ذلك انه يكون غدا كذا وفي
يوم كذا وكذا وانه انقطع ذلك بالوحي ويمنعون فقالت الجن ذلك واخبرت عن انفسهم انهم كذلك كانوا يفعلون
فصدقوه على ما اخبر من صنيعهم فان قيل كيف صار ذلك اية له وانما اخبر عن قول الجن هم وبه ظهر ذلك ومنه عرف
قيل هكذا لكن انقطاع الكهنة من بعد وحديثهم يدل على ان ذلك قد كان ثم انقطع ذلك بالرسالة والوحي والله اعلم
فان قيل لماذا ولوا الملائكة حفظ السماء وحرسها كيف غفلوا عما ولوا من حفظها وحرسها وامتحنوا حتى امكن اولئك
من الاستماع والاختطاف وما ذكر قيل جائز ان يشغلوا باعمال ويمتحنون بامور اخر سوى ذلك فيمكن ذلك لهم ما ذكروا والله
اعلم فان قيل كيف كانت صنعة الشياطين من الاستماع منهم والخطف وقد بدأت وما بينت ما اصاب من فعل ذلك

من القذف والرمي والاحتراق قبل ان الشياطين ما دامت لهم طلب الفعل في كل وقت فجائز ان يكونوا فعلوا ذلك لما كانوا له
يظنون ويقع عندهم انهم في غفلة وسهو من امورهم وان كانوا يعلمون ما يصيب من فعل ذلك والله اعلم ثم جائز ان
يستدل بقوله عز وجل وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية يقول علماؤنا فيمن حلف ان لا يكلم فلانا فناداه من حيث
لا يسمع لا يحنث واذا ناداه من حيث وان لم يسمع لما ذكرنا كنا نقعد مقاعد للسمع ومعلوم انهم كانوا يقعدون من الارض
الى الملاء الاعلى لكن لا يسمعون ثم لم يذكر ذلك منهم الا في المكان الذي يسمع دل انه على ما ذكرنا من الدلالة والله اعلم وقوله
عز وجل لا يسمعون الى الملاء الاعلى لا اشرافهم واهل المنزلة والكرامة ويحتمل الجماعة لان الملاء هو اسم للشيئين
للجماعة منهم واسم لاهل الشرف والمنزلة والكرامة ثم لا يدرى كيف سماع الجن من الملائكة وما سبب ذلك ان يكون تلك
الاخبار وما يريد الله عز وجل احداثه في الارض مكتوبا في كتاب ينظرون فيه فيعلمونه او يحدث الملائكة فيما بينهم
بذلك فيستمع هؤلاء منهم ذلك او كيف جهة سماعهم ذلك منهم وما يشبه ذلك والله اعلم وفيه ان الجن يفهم
كلام الملائكة وان اختلف جواهرهم والله اعلم وقوله عز وجل فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا قيل هي السموات
والارض والجبال وقيل الملائكة واكثرهم قالوا قوله عز وجل اهم اشد خلقا ام من خلقنا اي السموات والارض
اكبر من خلق الناس الاية يقول والله اعلم سلهم ان خلقهم واعادتهم اشد واكبر واعظم من خلق السموات والارض
واذا اقررتم انتم قدرته على خلق السموات والارض كيف انكرتم قدرته على اعادتكم بعدما متم وكنتم ترابا ورفاتا
والله اعلم وقوله فاستفتهم وسلهم ونحو ذلك مما امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم ان تسألهم وتستفتهم
يخرج من الله عز وجل على وجوه احدها على التقرير عندهم والتنبيه لهم او على التعيير لهم والتوبيخ او على التعليم بجهة
الحجاج والمناظرة فيما بينهم وبين خصومهم وهكذا كل سؤال او استفتاء كان من خبير عليم لمن دونه يخرج على هذه
الوجوه وكل سؤال واستفتاء كان من الجهال الخبير عليم يخرج على استرشاد وطلب الصواب وقوله فاستفتهم وسل
وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية وسل بني اسرائيل وقل لله احد وقل كذا هذا كله يخرج على التقرير والتنبيه وعلى تعليم
الكل بجهة الحجاج والمناظرة لا على الامر لانه لو كان لا يسعه كان لا يقول ذلك المامور بالتبليغ سل ولا قل ولا شيء من ذلك
ولكن يبلغ اليه رسالته ويامره ان يقول لكم افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا لان ذلك الامر مشكل في امر نفسهم ان قولوا لهم
وان فعلوا لهم كذا والله اعلم وقوله فاستفتهم اهم اشد خلقا الاية امرهم ان يستفتهم ولم يذكروا انهم جاءوا بنبوه
ولا اجابوه او لا وله قال انهم لو اجابوك وافتوك بكذا فقل لهم كذا واجبهم بكذا فجائز ان يكون الجواب وما ذكرنا انكم
لو لم تشاهدوا خلق ما ذكر من السموات والارض وغيرها سوى خلق انفسكم ثم شاهدتم خلقنا اي ما ذكرنا من السموات والارض
والجبال وغيرها هل تنكرون قدرته على خلق ما شهدتم وعاينتم انه لم يخلقها الا هو كيف انكرتم قدرته على خلق ما شهدتم
وعاينتم انه لم يخلقها الا هو كيف انكرتم قدرته على اعادتكم وبعثكم وقوله عز وجل انا خلقناهم من طين لازب فذكر والله
اعلم ضعفهم وشدة ما خلق من سواهم انكم تعلمون ضعف انفسكم وعجزها وشدة من سواكم وقوتها وصلابتها ثم انها مع
شدتها وصلابتها اخضع لله واطوع منكم نحو ما ذكر من طاعتها له وخضوعها حيث قال عز وجل ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طائعين وقوله عز وجل لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ونحو ذلك مما
يكثر والله اعلم او ان يذكر لقوله عز وجل انا خلقناهم من طين لازب بدء خلقهم واصله الذي خلقوا منه انكم انما عرفتم
ابتداء خلقكم واصلكم الذي منه خلقتم انه تراب او طين باخبار الرسل وبقولهم وانتم يا اهل مكة ممن لا يؤمنون بالرسل
فكيف صدقتم الرسل بما اخبروا من اصلكم وبدء خلقكم ولم تصدقوهم بما يخبرونكم من اعادتكم وبعثكم بعد موتكم فاذ
صدقتموهم في ذلك لزمكم التصديق لهم في كل ما يخبرون ويقولون والله اعلم او يقول انه انشأ من تلك النفس الواحدة
التي خلقها من تراب من الخلق ما لو تركهم جميعا لم يسعهم لامتلأت الدنيا منها فمن قدر على انشاء ما يملأ الدنيا منه من
نفس واحدة لا يحتمل ان يعجزه شيء من البعث والاعادة وغير ذلك والله اعلم وان يقول في قوله عز وجل انا خلقناهم
من طين لازب اي قد انشأ من تلك النفس ومن ذلك الاصل قرنا فقرنا بعد قرن بعد افناء كل قرن انشاء قوما آخر فلا
يحتمل ان يكون المقصود من انشائهم الانشاء للافناء والنقض خاصة لا عاقبة تقصد بالانشاء والافناء اذ في
الشاهد من كان مقصوده في الانشاء البناء والنقض خاصة كان غير حكيم فاذا عرفتم الله عز وجل انه حكيم فلا
يحتمل ان يكون مراده من انشائكم وافنائكم ذلك خاصة لا غير وذلك مزيل الحكمة ويوجب السفه تعالى الله
عن ذلك وعن جميع ما يصفه الملحدة علوا كبيرا او ان يقول انكم عرفتم انه انما انشأكم من تلك النفس التي انشأها
من تراب او طين على تغافل منكم فاذا علمتم انه انما انشأكم من تلك النفس التي انشأها من تراب او طين على تغافل منكم فاذا
متم وبليتم صرتم ترابا او طينا فكيف اعادتكم من تراب او طين وقد اقررتم ان اصلكم تراب او طين والله اعلم الوجوه
التي ذكرنا يجوز ان يخرج وقوله عز وجل بل عجبت ويسخرون بالنصب يحتمل وجوها احدها عجبت منهم انكارهم
ما انكروا واعد كثرة قيام الايات والحجج عليهم في ذلك وهم ينكرونها ويسخرون او يقول عجبت ويسخرون لما انك تزعمهم
لعظيم ما ينزل بهم من العذاب والشدائد وما يستقبلهم من الامور المهمة وهم يسخرون والله اعلم او يقول
بل عجبت لما تدعوهم انت الى ما به نجاتهم وفلاحهم وهم يسخرون ونحو ذلك يحتمل والله اعلم بما كان يعجبه وفي بعض
الحروف بل عجبت بالرفع وكذلك ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقرأ بالرفع بل عجبت فان ثبت ذلك وصح اضافة
العجب الى الله فهو في الشاهد ان كان لظهور عظيم ما قالوا خفيا عليهم سترا عنه ذلك يقع لهم العجب فهو في الله عز وجل

وان كان لا يحتمل ان يخفى عليه شيء فذلك لعظيم ما كان منهم من الانكار من قدرته على الانشاء والبعث وفي ذلك فيكون ما ذكر في
حرف العجب منه كناية عن الانكار والدفع لقولهم وذلك كما اضاف الامتحان الى نفسه وان كان في الشاهد لا يستعمل الا
في استظهار ما خفي عليهم واستتر منهم فهو من الله يخرج على الامر والنهي اعني الامتحان وان كان في الشاهد بين
الخلق لا يكون الا لما ذكرنا فعلى ذلك جائز اضافة العجب الى الله على ارادة الانكار منه عليهم والرفع بقولهم و
الله اعلم ومن الناس من انكر هذه القراءة وقال لا يجوز اضافة التعجب الى الله عز وجل لما هو لم يدرك ما لا يعلم ان
يكون وهو في الشاهد انما يكون لظهور عظيم من الامر قد جهلوه لكن هذا وان كان في الخلق ما ذكر فهو من
الله على غير ذلك على ما ذكرنا من اضافة الامتحان اليه والابتلاء وان كان بين الخلق لما ذكرنا وقد ظهرت
اضافته اليه بقوله وان تعجب فعجب قولهم وهو يخرج على الانكار عليهم والرد على تعظيم انكارهم ما قالوا والله
والله اعلم ومن التأويل من قال في قوله عز وجل بل عجبت فيما اضافه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عجبت
من هذا القرآن حين اعطاك اياه ويسخر منه اولئك الكفرة ويحتمل غير وهو ان يقال ان قوله عز وجل بل
عجبت اي عجبت مما انزلت عليك من القرآن او الوحي امرا عجبا او ان يقال كان انكارهم رسالتك وتكذيبهم
الايات امرا عجبا وهم يسخرون ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل واذا ذكروا لا يذكرون ابن عباس يقول
واذا وعظوا لا يتعظون والموعظة والتذكير واحد وقتادة يقول واذا ذكروا لا يذكرون اي لا ينتفعون
بالموعظة على ما ذكرنا في قوله صم بكم عمي اي لا ينتفعون بتلك الحواس وان كانت لهم تلك لكن لا حاسة له فعلى
ذلك قول قتادة وجائز ان يكون على حقيقة التذكير ما نسوا من الايات والحجج يقول انهم وان ذكروا ما نسوا
وتركوا واغفلوا عنه لا يذكرون والله اعلم وقوله عز وجل واذا رأوا اية يستسخرون هذه الاية تنطق
انما الحجج ذكرها والله اعلم القوم علم الله انهم لا يؤمنون ابدا بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون
واذا رأوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين الى اخر ما ذكر يخبر عن عنادهم ومكابرتهم الايات وبذكر
سفههم ثم في ذكر ما ذكر من عنادهم وسفههم وجعله ايات من القرآن تتلى ابدا وجهان من الحكمة احدهما صير
ذلك اية لرسالته صلى الله عليه وسلم لانه معلوم انهم كانوا على ما اخبر منهم من العناد والسفه وعلى ذلك
ختموا وقبضوا دل انه بالله عرف ذلك وبوحيه علم والله اعلم والثاني يخبر والله اعلم على ما اي سلفنا من سفه
اولئك وعنادهم وما قاسوا منهم وما لحق بهم من الاذى والضرر والسوء لئلا يضيق صدرنا في سفه من
سفه علينا من اهل الفساد والفسق وان لا نترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لسفه السفيه ولا لاذى
المؤذي ولا سوء يقال بل يجب علينا ان نتأسى بسلفنا ونقتدي بهم واذا اصابنا منهم ما اصاب اولئك من الاذى
والسفه وان عاندوا وكابروا وظهروا منهم كل فسق وسوء على ما فعل اولئك واحتملوا منهم ما كرهوا فنحتمل
عن سفهها بامثاله والله اعلم والا لو لم يكن في ذكر من سفههم وعنادهم ما ذكرنا من الحكمة كان لا معنى لذكر
سفه اولئك وعنادهم وجائز ان يكون الشيء سفها باطلا في نفسه ويكون حكمة ودليلا لغيره والله اعلم على
ما قال بعض الناس ان الكذب نفسه يجوز ان يكون دليل الصدق وكلام السفه والباطل دليل الصدق والحكمة والله
اعلم وقوله واذا رأوا اية يستسخرون اي واذا انزل عليهم اية على سؤال منهم يسخرون ويستهزؤون من سفههم انهم
وان سألوا الايات فانهم لا يسألون سؤال استرشاد ولكن سؤال عناد وهزء كقوله عز وجل ولو فتحنا عليهم
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا وكقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقالوا ان هذا الا سحر مبين كان هذا اللقب لاولئك الكفرة
الرؤساء من الشيطان اللعين حتى يموهون على اتباعهم عند ما ظهر وكثر من الايات لما كانوا يعلمون ان لا كل احد
يعرف السحر وشبهه اتباعا وفعله يلبسون بذلك على اتباعهم لتقع عندهم انها السحر لا الاية والله اعلم ولو كان
ذلك سحرا حقيقة لكان من ايات الرسالة فكيف اذا كان انه لما كانوا يعلمون انه لم يختلف الى احد ممن له معرفة
بالسحر قط فدل انه بالله عرف ذلك الا على ما ذكرنا ان ما انبأ واخبر عن انباء الامم الخالية واخبارهم يدل على
رسالته لما علموا انه لم يختلف الى احد ممن له المعرفة بتلك الانباء والاخبار ولا نظر في كتبهم ليعرف ذلك ثم اخبر
على ما كان في كتبهم دل انه بالله عرف ذلك وبوحي منه اليه علم فعلى ذلك لو كان سحرا فكيف اذا كانت اية عظيمة معجزة
وقال الزجاج حرف العجب انما يكون عند ظهور العجيب من الامر وغير عظيمة فاما ما اضيف الى الله فهو على الانكار
والرد على من انكر عظيما من الامر ظاهرا او كلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل ولهم عذاب واصب قيل دائم كقوله
عز وجل وله الدين واصبا اي دائما وقيل عذاب واصب اي شديد وقوله عز وجل من طين لازب قيل ملتزق وقيل ملتصق
الذي يلتصق باليد اذا مس وقوله دحورا قيل طردا وهو مطرود وقوله شهاب ثاقب قيل مضيء [illegible]
قوله واذا رأوا اية يستسخرون قال بعضهم يسخرون وقال بعضهم يستسخرون يطلبون من اتباعهم السخرية يعني
القادة على الاتباع والله اعلم وقوله عز وجل ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل نعم و
انتم داخرون قد ذكرنا انهم يقولون ذلك وما تقدم على العناد والتعنت وعلم منهم انهم لا يؤمنون ابدا وان بين
لهم جهة الاحياء والقدرة عليهم لذلك اكتفى بقوله قل نعم وانتم داخرون قد ذكرنا انهم كانوا يقولون ذلك
ولم يذكر شيئا من الحجاج سوى قوله نعم وقوله وانتم داخرون اي صاغرون ذليلون كقوله عز وجل ترهقهم ذلة

والله اعلم وقوله فانما هي زجرة واحدة يحتمل قدر زجرة واحدة بحيز من سرعة قيامها وبروزها ويحتمل على حقيقة الزجرة لكن نعرض منه ذلك وهو نم عليه كقوله كن فيكون من غير ان كان منه كاف ونون ويحتمل من ذلك كله انه خرج كلام على الدليل بوعيد به المبني ويفهم به المراد من ذلك فعلى ذلك جائز ان يكون قوله زجرة واحدة اخبار عن خفة ذلك عليه وهوين من كان جعل الزجرة سبب الاحيا وسببا من ذلك والله اعلم وقوله فاذا هم ينظرون يحتمل قوله ينظرون اي ماذا يؤمرون وعن ماذا ينهون لان الذي اصابهم في الاخرة انما كان لتركهم الامر في الدنيا فاذا عاينوا ما كانوا يوعدون في الدنيا بتركهم الامر نهيه ينظرون الى ماذا يؤمرون وينهون عنه والله اعلم او ينظرون كالمتحيرين لانهم كانوا ينكرون البعث ويكذبون فاذا عاينوا تحيروا او تاهوا وتحيروا وهكذا الامر المتعارف في الخلق ان من انكر شيئا وكذب به ثم اخبر به واحق بنظر به ويحقق عنده ما انكر تحير وزجر فعلى ذلك هؤلاء لما انكروا ذلك في الدنيا وكذبوه ثم عاينوا ذلك وشهدوه تحيروا وتحيروا او ينظرون نظر المتحير المتفجر والله اعلم وقوله وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا الكلام يقال عند الوقوع في الهلاك وقوله هذا يوم الدين يوم الدين يوم الحساب اي يوم الجزاء وكذلك قوله مالك يوم الدين ويحتمل هذا يوم الدين اي هذا يوم الدين ينفع كل من معه الدين لا الدين المطلق هو دين الله وكذلك السبيل المطلق هو سبيل الله اي هذا يوم الدين الذي ينفع من كان معه دين الله وكذا السبيل المطلق هو سبيل الله وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون قوله هذا يوم الفصل اي يوم القضاء والحكم كقوله عز وجل ان ذلك يفصل بينهم يوم القيامة اي يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون والله اعلم ويحتمل قوله هذا يوم الفصل اي يفصل ويميز بينهم اي بين الكفار واهل الايمان وبين الخبيث والطيب كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا كقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقوله فريق في الجنة وفريق في السعير والله اعلم وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم فالزوج هو اسم لشكله واسم لضده اسم لهما جميعا يحتمل قوله وازواجهم اي اشكالهم وقرناؤهم من الجن والانس والشياطين ثم من كان يجتمعون في هذه الدنيا ويحتمع الاجتماع معهم ان يجمعوا في عذاب الاخرة على ما كانوا يجتمعون في الاجتماع في الملاهي والطرب في هذه الدنيا ويحتمع على ذلك فعلى ذلك يحتمل بين اولئك وبين قرنائهم جهنم ويقرن بعضهم الى بعض في العذاب كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وكقوله والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ونحوه وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم كقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ونحوه والله اعلم وقال قتادة وغيره هذا يوم الذين اي بدان لبعض الناس من بعض في المظالم والحقوق وقوله عز وجل وقفوهم انهم مسؤلون يحتمل الوقف للحساب ويحتمل مسؤلون اي محاسبون وعن ابن عباس قال ادون الحساب يوم القيامة كذا كذا موقفا في كل موقف يوقفون مقدار كذا عاما ثم لا هذه الاية ويحتمل السؤال عما فعلوا ولكن يسألون لماذا فعلوا ويحتمل الوقوف لتسأل بعضهم بعضا والمخاصمة فيما بينهم والمراجعة كقوله وقالت اولاهم لاخراهم كذا وقال اخراهم لاولاهم كذا على ما اخبر انه يجري فيما بينهم من الخصومة ومراجعة القول والله اعلم وقوله مالكم لا تناصرون اي مالكم لا تنصرون اي مالكم لا ينصركم الاصنام التي عبدتموها في الدنيا ورجاء الشفعاء كقوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فيعجز عنا بانهم من نصرهم وحاء الشفاعة لهم كقوله بل هم اليوم مستسلمون اي خاضعون ذليلون لله لما علموا ان لا يكون النصر والعون الا منه فعند ذلك يستسلمون له وقال بعضهم يسئلون في عذابهم وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال بعضهم اقبلت الانس على الجن وقال بعضهم اقبلت الانس على الشياطين فقالوا لهم انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال بعضهم من قبل الخير والطاعة فلبستموها علينا وتطعنوا عنه وقال بعضهم من قبل الدين والتوحيد من حيث يحترس وهو الاول وقال بعضهم من قبل الحق ونحوه تود عليهم اولئك بل لم تكونوا مؤمنين يقولون ان تركتم الايمان باختياركم وما اختيارنا ما منعناه وقال وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اي ما كان لنا عليكم من حجة ولا برهان الا منكم بل طغيتم واخترتمونا فيما بيننا كنا ظهرة ابليس في موضع اخر حيث قال عز وجل وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم اي دعوتكم بلا حجة ولا برهان فاستجبتم لي فعلى ذلك يقول هؤلاء بل لم تكونوا مؤمنين باختياركم ترك الايمان بلا سلطان ولا حجة كان عليكم وكمناظرة القادة مع الاتباع حيث قال قالت اخريهم لاولاهم فما لكم علينا من فضل ونحوه والله اعلم ويحتمل قوله قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي من جهة القوة اي انكم على الحق وانكم مؤمنون ونحو ذلك ويحتمل لا على حقيقة اليمين ولكن تأتوننا من كل جهة كقوله ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم الاية اي من كل جهة لا على حقيقة ما ذكرنا والله اعلم وقد ذكرنا ان قوله عز وجل وما كان لي عليكم من سلطان ان قوله سلطان اي لم يكن لاتباعكم ايانا وطاعتكم لنا حجة وبرهان امتناه عليكم فيما دعوناكم اليه اتباعا من غير ان الزمناكم فلا تلومونا ولكن لوموا انفسكم بل كنتم قوما طاغين اي بطغيانكم تبعتمونا الا بما ذكرتم والله اعلم ثم قالوا فحق علينا قول ربنا انا لذائقون يشبه ان يكون هذا قول الاكابر منهم والمتبوعين للاصاغر والاتباع منهم ان حق علينا قول ربنا قال بعضهم اي وجب علينا وعليكم عذاب ربنا ويشبه ان يكون القول الذي اخبروا انه حق عليهم هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين والله اعلم وقوله فاغويناكم انا كنا

غاوين يحتمل ان يكون هذه المعاتبة التي ذكرت كانت بين الاتباع والمتبوعين من الانس كقوله عز وجل وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا كذا وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا كذا وكقوله ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم كذا ويشبه ان يكون بين الانس والشياطين ثم قوله فاغويناكم حين اخبرهم الغواية والضلال او عرفنا لسانا على الهدى ولو نقم عليكم الحجة فاتبعتمونا على علم منكم انا على الغواية فاغويناكم حينئذ والاغواء والاغلال والغواية الضلال وقوله فانهم يومئذ في العذاب مشتركون اخبر انهم جميعا الاتباع والمتبوعون يشتركون في العذاب ليس ان يشتركوا في نوع من العذاب ولكن يجمعون جميعا ثم لهم العذاب على قدر عصيانهم وجرمهم وقوله انا كذلك نفعل بالمجرمين قال ابو بكر الاصم المجرم هو الوثاب في المعصية القادح فيها والله اعلم وقوله عز وجل انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي كانوا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون ثم يحتمل قد استكبرون لا على هذه الكلمة ولكن يستكبرون على اتباع القائلين لهم لا اله الا الله كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكقولهم انزل عليه الذكر من بيننا كانوا يانفون ويستكبرون على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك قالوا ما قالوا وجائز ان يكون ما ذكر من استكبار على هذه الكلمة حقيقة فيخرج استكبارهم عليها انكارا لهذه الكلمة وجحودا لها بقولهم اجعل الالهة الها واحدا والله اعلم ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يشبه ان يكون على الانكار لما ذكر من قولهم على اثر ذلك وهو ما قال ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ثم جمعوا في هذا متضادين لان الشاعر هو الذي في العلم غايته والمجنون هو الذي يبلغ في الجهل غايته ثم جمعوا بينهما في رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك قولهم ساحر ومجنون الساحر هو الذي يبلغ في علم الاشياء غايته والمجنون في الجهل دل انهم انما يقولون عن عناد وتعنت وقوله عز وجل بل جاء بالحق وصدق المرسلين الحق قال بعضهم بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض واصل الحق ان كل ما يحمد على فعله هو الحق وكل ما يذم عليه فهو باطل وصدق المرسلين اخبر انه صدق اخوانه من المرسلين والله اعلم قال ابو عوسجة والقتبي الصافات هي الطيور التي صفت بين السماء والارض والزاجرات زجرا من الزجر يقال زجرت الابل زجرا ان صحت له الزجر انضباح والتاليات كما تقول تلوت القران اي قرات وتلوت تبعت والثاقب التابع والقذف الرمي يقذفون اي يرمون ودحورا اي طاردة دحرته اي باعدته وطردته واصب اي دائب خطف الخطفة اي استلاب الشيء والخطفة الاستلاب انتزعه فاتبعه اي اتبعه شهاب ثاقب الشهاب الكوكب والثاقب الشديد الضوء والحر يقال ثقبت النار اي التهب واشتد حرها واثقبتها اي وقدتها سجرت واسجرت كقولكهم وقروا استقروا حد وتجربة وسخرية بالتشديد وسخرت فلانا اي استعملته بغير اجر مستسلمون اي قد ذلوا واعطوا بايديهم يقال استسلم الرجل اذا اعطى بيده واسلمته تركته لم اعنه ولم انصره وازواجهم اشكالهم يقول العرب زوجت اي اذا قرنت واحدا باخر وهم قرناؤهم من الشياطين كنتم تاتوننا عن اليمين اي تخدعوننا وتمنعوننا عن طاعة الله والله اعلم وزوج الشيء شكله ويقال لضده ايضا اسم لهما جميعا وقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يحتمل ما ذكرنا انه على الاضمار اي اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون ويحتمل وجها اخر انهم اذا قيل لهم اتركوا عبادة الاصنام واصرفوا عبادتكم الى الاله الذي هو في الحقيقة اله وهو النافع والرافع الضر هو الله جل وعلا ويدل لهذا قولهم ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون اي نترك عبادة الهتنا لقول شاعر مجنون والله اعلم ذكر ان نفرا من رؤساء قريش اتوا ابا طالب فقالوا ما يريد منا ابن اخيك محمد فدعا به فقال ما تريد منهم يا ابن اخي فقال له يا عم انما اريد منهم كلمة يملكون بها العرب ويؤدي لكم بها العجم وفي بعض القصة انه قال لهم اريد منكم كلمة يدين لكم بها العرب وتؤدي اليكم بها العجم الجزية فقالوا وما هي فقال لا اله الا الله واني رسول الله فقالوا اجعل الالهة الها واحدا وذكر انهم قالوا ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ويحتمل ما ذكرنا فيما تقدم والله اعلم والاية فيمن يقر بالصانع للنبي فيمن ينكر الصانع راسا من نحو الدهرية ونحوها حيث نفى الالوهية لمن دونه واثبتها لله عز وجل بقوله لا اله الا الله ولو كان ذلك مع اهل الدهر لكان لا معنى لنفي الالوهية لغيره بل يحتاج الى تثبيتها فحسب فدل ان الاية فيمن يقر بالصانع لكنه يشرك غيره فيها وهم مشركو العرب وغيرهم والله اعلم ثم اخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه حيث قال عز وجل بل جاء بالحق وهو كل ما اتى من التوحيد والاسلام والرسالة وكل فعل يحمد فاعله عليه ولا يذم وقوله عز وجل وصدق المرسلين الذين كانوا قبله في جميع ما جاؤا به من الحق انكم لذائقوا العذاب الاليم بالتكذيب والرد لذلك كله وما تجزون الا ما كنتم تعملون ثم استثنى المؤمنين حيث قال عز وجل الا عباد الله المخلصين فانهم لا يذوقون العذاب الاليم والا لوكان تواستثنى من قوله وما تجزون الا ما كنتم تعملون اوله يكون لهذا الحق الاستثناء بين الاول ولكن الابتداء ذلك جائز في اللغة سائغ في اللسان والله اعلم ثم بين ما اعد للمخلصين فقال اولئك لهم رزق معلوم فان قيل كيف يجمع بين قوله يرزقون فيها بغير حساب وبين قوله لهم رزق معلوم قال بعضهم من اهل التاويل يعني المعلوم حين يشتهون يؤتون به ويحتمل ان يكون الكثير الذي لا يحسب ولا يعد لكثرته هو في نفسه معلوم محدود وان يريد بالمعلوم انه صار ما وعدوا في الدنيا لهم في الاخرة معلوما معروفا عندنا لوصولهم اليه كان ذلك لهم موعودا فاذا وصلوا اليه صار معلوما محدودا وقوله فواكه وهم مكرمون اي معظمون مشرفون وقوله في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين يخبر ان لهم في الجنة ما يشتهون ويختارون في الدنيا من الجلوس على

ذلك والكاس قيل كل اناء او قدح فيه شراب فهو كاس وقوله بكاس من معين المعين قال بعضهم هو الجاري وكانه
يخبران خمور اهل الجنة تجري في الانهار كقوله عز وجل وانهار من خمر لذة للشاربين وقال بعضهم المعين هو الظاهر الذي
يقع البصر عليه كقوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين اي ظاهر وقوله عز وجل بيضاء لذة للشاربين
ذكران خمورهم في الاخرة بيضاء لان البياض يظهر كل ما فيه من الاذى والافة ويرى فاما في غيره من الالوان
فانه فلا يظهر و فلما يرى الاذى يجهد او ذكرانها بيضاء لان البيضاء من الالوان المستحسن الطباع كلها وهو المختار عندنا
قال الزجاج ان الخمر لذة للنفس الروحانية لا للجسدانية الا يرى ان الخمر يشربها الناس و يظهر كراهة ذلك
في وجوههم من العبوسة وغيرها ثم مع هذا يعودون ويشربون دل انها لذة لا لهذه النفس الجسدانية ولكن
للنفس الروحانية او كلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون بنصب الياء وكسر الزاء
ورفعها و نصب الزاء وقوله عز وجل لا فيها غول اي لا افة فيها ولا صدع ولا اذى ولا هم عنها ينزفون من
قراها ينزفون برفع الياء و نصب الزاء يقول لا ينزف الخمر عقولهم اي لا يذهب بها اي لا يسكرون كما يسكر بشرب
خمور الدنيا ومن قراها ينزفون اي يفني شرابهم وقيل هذا الكلام ان اهل الدنيا اذا اخذوا في الشراب لا
يتركون شربهم الا لاحدى الخلتين اما لذهاب عقولهم وذلك عند شدة سكرهم واما لفناء الشراب لاحدى هاتين
الخلتين يتركون شربهم فيخبر ان اهل الجنة لا يذهب عقولهم الخمر ولا يفنون شرابهم ولا كان فيها افة ولا ضرر
والله اعلم قال ابو عوسجة ظاهر لا يحرك ويقال الجاري لا فيها غول اي سكر ولا ضرر ولا يكون الاغتيال الا من
الخديعة والقتل في الاولاد وهي ان يرضع المراة ولدها وفي بطنها اخر والمعلول المطعون وكذلك سميت الغول غولا
لانها تتلون والغيلان جميع ينزفون قال النزيف السكران وقال القتبي لا فيها غول اي لا يغتال عقولهم فيذهب
بها يقال الخمر غول للحلم والحرب غول النفوس والغول البعد ولا هم عنها ينزفون اي لا يذهب خمرهم وينقطع ويذهب
عقولهم والخمر التي جعلها الله لاهل الجنة في الاخرة هي التي لم يشربها في الدنيا ولم يتناول منها ولا تلذذ بها والله
اعلم وقيل فيها غول اي غائلة لها اي الصداع اي لا يتجع منها الراس ولا هم عنها ينزفون اي لا يسكرون
تنزف عقولهم فيذهب في قوله الا عباد الله المخلصين بنصب اللام دلالة انه قد كان من الله جل وعلا لطف
به استوجبوا الاخلاص والخصوصية وهو ينقض على المعتزلة قولهم والله اعلم وقوله عز وجل قاصرات
الطرف اي لا ينظرن الى غير ازواجهن جبل الله عز وجل النساء على الغيرة ولا يستحب الرجال ان ينظر ازواجهم
الى غيرهم ولا النساء ان ينظر ازواجهن الى غيرهن فاخبر عز وجل عن ازواجهم في الجنة انهن لا ينظرن
الى غير ازواجهن حبا لازواجهن وطلبا لمرضاتهم والله اعلم وقوله عين قال بعضهم واسعات العيون
في الجمال لان السعة في العين اذا جاوز الحد يحسن ولا يكون فيه قبح والله اعلم وقال بعضهم عين اي حسان
العيون والعين جماعة العيناء والله اعلم وقوله عز وجل كانهن بيض مكنون اي مستور لا يصيبه مطر ولا ريح
ولا غبار ولا شمس ولا شيء مما يصيب في الدنيا كقوله لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان والله اعلم وقال
بعضهم عين اي حسان العيون والعين جماعة العيناء والله اعلم وقوله كانهن بيض مكنون اي قد جبي وكن من الحر
القر والمطر فلم يتغير وهو مثل الاول وقال بعضهم بيض مكنون هو بيض النعام الذي يكنه الريش من الريح والغبار
فهو ابيض الى الصفرة فكانه يترف فذلك المكنون وقال بعضهم شبههن بالبياض الذي يكون بين القشر وبين المح
هو ابيض شيء يكون والله اعلم بذلك لكن فيه وصفهن بالجمال والحب لازواجهن وقال بعضهم البيض المكنون
هو المصون هو وصفهن بالصون والصيانة كقوله حور مقصورات في الخيام والله اعلم وقوله فاقبل بعضهم على
بعض يتساءلون قال قائل اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين الى اخر ما ذكر في بعض القصة ان رجلين شريكين
كان لهما ثمانية الف دينار وذكر انهما كانا اخوين ورثا ثمانية الف دينار فاقتسما وذكر اربعون الف درهم
فقسما احدهما الى ماله فاشترى به قصورا وبساتين وجواري وبنى دارا فانفقه في امر الدنيا وعمد الاخر
الى ماله فانفقه في طاعة الله وطلب به رضا ربه وطلب نعمته الدائمة في الاخرة وهذا مؤمن والاخر كافر فطاع
فاصاب الذي انفقه في طاعة الله وطلب به رضاء ربه شدة فقال لو اتيت صاحبي هذا لعله ان ينالني منه معروف
فاتاه فساله فقال له اي بعثته بشيء وقال له ما فعلت بمالك فقال له انك لمن المصدقين
اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون فرجع فقضى الله ان يموتا فنزلت فيهما فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون قال قائل منهم وهو المؤمن حين ادخله الله الجنة اني كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين بالبعث بعد
الموت اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي محاسبون قال هل انتم مطلعون كانه قال لاصحابه هل انتم مطلعون
و لننظر ما حاله ثم اخبر انه اطلع فراه في سواء الجحيم وذكر اطلاعه ولم يذكر اطلاع اصحابه فجائز ان يكون
اخبر عن اطلاع كل واحد منهم في نفسه انه اطلع فراه في وسط الجحيم او كانوا جميعا مطلعين لانه
فيها كقوله عز وجل يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وان كان خاطب انسانا فانما
خاطب به كل انسان في نفسه فعلى ذلك جائز ان يكون قوله عز وجل فاطلع فراه في سواء الجحيم انما اخبر عن اطلاع كل
منهم والله اعلم وكانوا جميعا مطلعين ثم لا يخلو اطلاع احدهما من ان كان من اطلاع اهل الجنة على اهل النار انها لكانت
قريبة من الجنة حتى ينظر بعضهم الى بعض فيرون ان يكون لبعيدة منها لان ابصار اهل الجنة يكون ابعد وابصر مما

يكون في الدنيا فجائز ان يجعل الله عز وجل ابصار اهل الاخرة ابصر وابعد حتى لا يمنعه ولا يمنعه بعد المسافة والمكان
من النظر والرؤية والله اعلم والثاني انه كيف يعرفه في النار والنار تحرقه وتغير وجهه ولو نرى جميع اعلامه
وسيماه لكن جائز ان يكون الله عز وجل يعرفه باعلام يجعل له فيعرفه بتلك الاعلام وذلك على الله عز وجل يسير هين
واهل التاويل يقولون يجعل الله عز وجل لاهل الجنة كوى منها اذا اراد واحد ان ينظر احدهم الى من في النار فتح الله له كوة
ينظر الى من شاء من معقده الى النار فيزداد بذلك شكرا وهو قوله في سواء الجحيم اي في وسط الجحيم كقوله عز وجل سواء
السبيل اي وسطه قال تالله ان كدت لتردين اي هممت لتغويني وكذلك في حرف ابن مسعود لتردين لتغويني وقال الكسائي
تالله وبالله ووالله واحد ويعبروا ولغات يحلف ان بالله يكون على الاسف مرجعها الى سفاهه يقول لولا ان الله انعم
على الهدى ولولا ان الله رحمني فهداني المعنى واحد يقول له امرك دينك واتبعني وقال لتردين اي لتهلكني يقال
ردي فلان اي هلك وارديته اي اهلكته والردى الموت والهلاك وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقوله لمدينون قال بعضهم
لمحاسبون وقال ابو عوسجة والقتبي لمجزيون والدين الجزاء وقال بعض مكنون اي مستور لا يصيبه غبار ولا وسخ
وقوله ان كدت لتردين اي هممت واردت ان تهلكني وتغويني لو اوحتك واتبعتك فيما دعوتني اليه وسالتني ثم اخبر انه
لولا نعمة ربي لكنت من المحضرين معه وهذا على المعتزلة لقولهم ان عليه هداية كل احد ما لو منعه عنه كان
جائرا في منع ذلك وهذا الرجل اخبر انه بنعمته ورحمته اهتدى ما اهتدى وانه لو لم يكن منه اليه نعمة لكان
من المحضرين فيها فهو عرف بوته من المعتزلة وكذلك الشيطان وجميع الكفرة اعرف بنعمة ربهم من المعتزلة
لانهم قالوا هل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ومثله
كثير في القران انهم جميعا روا الهداية لهم من الله نعمة ورحمة ولم يعط الكفرة ذلك والمعتزلة يقولون بل هدى
كل كافر ومشرك لكنه لم يهتد واهل الجنة قالوا ايضا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا ومثله كثير في القران والله اعلم وقوله افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى يحتمل ان يكون قوله افما نحن
بميتين على الايجاب والالزام ليس على الاستفهام وسؤال بعضهم بعضا الا نموت فيها ولا نعذب واذ لم
نمت ولم نعذب فيها فاذا كان ذلك فوزا عظيما ولذلك ذكر ابو معاذ عن الكسائي ان هذا استفهام تعيين
وفي القران كثير مثله وقال قد يكون الاستفهام على التعجب ويكون على التعيين ويكون من الجهالة ويكون
قوله الا موتتنا الاولى اي بعد موتتنا الاولى الا بعد موتتنا الاولى وقد مضت لا يذوقون ثانيا وقوله
لمثل هذا فليعمل العاملون اي لمثل هذه العاقبة التي اعطينا نحن وظفر بها يعمل العاملون لا لمثل ما فيه صاحب
الذي في النار ثم قال اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم يحتمل قوله عز وجل اذلك خير نزلا من النزل والمقام اي
انا المقام الذي نزلنا فيه نحن خير ام شجرة الزقوم ويحتمل قوله عز وجل اذلك خير نزلا ان يكون من الانزال
اي ما انا من الطعام والماكل والمشرب خير ام شجرة الزقوم قال بعضهم اعني بعض الكفار لما خوفوا بها اهل
يدرون ما الزقوم هو التمر والزبد فقالوا بهذا الذي يخوفنا به محمد وقال بعضهم ان محمدا يخوفنا بشجرة في النار
من طبعها ان يحرق الشجر وتاكله فكيف يكون في النار الشجرة تكذيبا منهم وانكارا لها فبين الله عز وجل تلك
الشجرة وعن حالها فقال انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين اخبر ان تلك الشجرة خرجت
من اصل الجحيم وانشئت منها والشجرة التي انشئت من النار لا تاكلها النار ولا تحرقها كما تاكل غيرها من الاشجار
التي لم تنشأ منها ومثل هذا جائز ان يكون الشيء الذي يكون نشوه وبدؤه من كل شيء لا يهلكه كونه في ذلك
السمك الذي يكون اصل نشوه في الماء لا يهلكه الماء وكذلك جميع دواب البحر وان كان غيرها من الدواب
في البرية يهلك فيها ويتلف فكذلك الشجرة المنشأة منها لا يهلكها النار ولا يحرقها وان كان غيرها من الاشجار
تاكلها وتحرقها والله اعلم والجحيم قيل هو معظم النار وغلظها يقال اجحمت النار اي عظمتها يقال نار جحيمة
اي عظيمة وقوله طلعها كانه رؤوس الشياطين اختلف فيه قال بعضهم ان نوعا من الحيات يسمين شياطين
لها رؤوس سود قباح لها عرف كعرف الفرس وطلع تلك الشجرة وثمرتها لقبحها وسوادها برؤوس تلك الحيات
والله اعلم وقال بعضهم هو نوع من النبات بالبادية يسميه الناس اشد الاستقباح فشبه طلع تلك الشجرة وثمرتها
بذلك النبات وقال بعضهم ان جبلا بمكة سود قباح يسميها اهل مكة سموها شياطين فشبه ثمارها تلك الشجرة و
طلعها برؤوس تلك الجبال والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن حقيقة رؤوس الشياطين لان الله عز وجل جعل الشياطين
في قلوب اولئك الكفرة فضل بغض وقبح والنفار منها وان لم يروها ولم يعاينوها فشبه طلع تلك الشجرة برؤوس
الشياطين لفضل المكاره وبغضهم اياها حقيقة وفي ذلك اية عظيمة لرسالته صلى الله عليه وسلم لانهم لم يروا الشياطين
بصورهم ولا عرفوهم معاينة وانما عرفوهم باخبار الرسل عليهم السلام ومما استنكروها واستقبحوها وهم قوم
لا يؤمنون بالرسل عليهم السلام فاذ قبلوا اخبار رسل الله فيهم لزمهم ان يقبلوا قوله في الرسالة وفي جميع
ما اخبر والله اعلم وقوله عز وجل انا جعلناها فتنة للظالمين يحتمل قوله فتنة يعني به الشجرة التي انشئت من اصل
الجحيم وهي شجرة الزقوم عذابا للظالمين يعني بالشجرة كقوله يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ذوقوا فتنتكم اي عذابكم هذا
الذي كنتم به تستعجلون ويحتمل قوله جعلناها اي تلك الشجرة الزقوم فتنة للظالمين في الدنيا وجهة الفتنة بها لهم
هو انكارهم اياها من الجهة التي ذكروا ان النار تحرق وتاكل الشجر فكيف يكون فيها شجر انكارا لهم وتكذيبا بها

والثاني ما ذكر بعضهم ان الزقوم هو الزبد والتمر صار تلك فتنة لهم لما ذكرنا وسبب العذاب لهم والله اعلم وقوله عزوجل فانهم لآكلون منها اي من شجرة الزقوم ذكر انها تخرج من اصل الجحيم وقوله فمالئون منها البطون جائز ان يسلط الله عليهم الجوع حتى يأكلوا منها فيملؤن بطونهم منها كقوله عزوجل فشاربون شرب الهيم وهي الابل التي تملؤ بطونها من الشراب لا يبقى ذلك الشرب وهو الحميم ولا يدفع عنهم العطش الذي يكون بهم فعلى ذلك ما جعل طعامهم من تلك الشجرة كقوله عزوجل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الاية انهم وان ملأوا بطونهم فان ذلك لا يدفع عنهم الجوع كقوله لا يسمن ولا يغني من جوع والله اعلم ثم ان لهم عليها وفي حرف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم ان منقلبهم لالى الجحيم وقوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان لهم على تلك الشجرة التي جعل طعامهم منها خلطا من حميم اي ثم ان لهم على تلك الشجرة وقوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي ثم ان مرجعهم اي ثم انهم يردون الى الجحيم لا انهم يرجعون بانفسهم ولكن يردون فيها كقوله ادخلوا ابواب جهنم هم لا يدخلون فيها ولكن يدفعون فيها كقوله عزوجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا والجحيم هو معظم النار على ما ذكرنا يقال نار جاحمة اي عظيمة وقوله انهم الفوا اباءهم ضالين اي وجدوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون فيه ان ما ذكر من العذاب للاتباع منهم لا للمتبوعين ولم يذكر عذاب المتبوعين في الاية حيث قال انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون قال بعضهم يسرعون وهو شبه الهرولة والاهراع هو الاسراع وهو قول القتبي وابي عوسجة وقال بعضهم يهرعون اي يسعون وهما واحد وقوله عزوجل ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين يقول والله اعلم ولقد ضل قبل قومك يا محمد من الاولين اكثرهم من الامم الخالية من لدن آدم فهلم جرا الى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آدم ومن بينهما من النبيين وقوله عزوجل ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي لقد ارسلنا في الذين ضلوا قبل قومك منذرين ينذرهم ما من قوم الا بعث اليهم نذير كما ارسلنا الى قومك وقوله عزوجل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يقول والله اعلم انظر كيف صنعنا بالمنذرين بالعاقبة فلم يؤمن ولم ينفعه النذارة الا عباد الله المخلصين استثنى المخلصين منهم وهم الذين نفعتهم النذارة وقبلوها فنجوا مما ذكر من عذابهم والله اعلم ويحتمل انهم سماهم المخلصين لما اصطفاهم الله واخلصهم لعبادته وقوله عزوجل ولقد نادانا نوح الاية قال بعضهم حين دعا ربه فقال انى مغلوب فانتصر فكانما دعا بالهلاك على قومه فاجاب الله دعاءه وهو ما قال عزوجل ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر الى اخر ما ذكر ثم اعلم ان الرسل عليهم السلام هم مخصوصون بها من بين غيرهم من الناس احدها انه لم يهم الدعاء على قومهم بالهلاك ويسئلوا انزال العذاب عليهم الا بعد مجيء الاذن لهم من الله عزوجل بالدعاء عليهم فنوح عليه السلام انما دعا ربه بانزال الهلاك عليهم بالاذن من ربه والثاني لم يكن لهم الخروج من بين اظهرهم عند نزول العذاب بهم الا باذن من الله عزوجل ولذلك جاء العتاب ليونس عليه السلام والتعيير لما خرج من بينهم عند نزول العذاب بلا اذن كان من ربه حيث قال عزوجل وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه الاية فصلنا لهم خاصة صلوات الله عليهم واما لغيرهم من اهل الدين فلهم ان يدعوا على الظلمة والفسقة منهم باللعن والهلاك فلهم ان يفروا منهم ولا يخرجوا من بين ظهورهم لتسفيههم وفجورهم وكان هذا بعد من ملح الاعمام وقوله عزوجل فلنعم المجيبون وهو ابر تبارك وتعالى ذكر المجيبين على الجماعة انا نفعل كذا وفعلنا كذا وهو كلام الملوك فيما بينهم ثم كل فعل يضاف الى تعالى فيه عبره او يتبر اذ فيه شيئا يكون فاصاد ودلائه ويبين فعلى عبره نحو ما قال عزوجل في موضع اخر وهو احكم الحاكمين ونحو قوله عالم الا كالعلماء ونحوه مما يكثر ذلك لا تقدر على وفاء ما وعد واخبر وانجاز ذلك لا يعجزه شيء وغيره من الخلائق لعلهم لا يقدرون على وفاء ذلك والقيام بانجاز ما وعدوا لذلك كان ما ذكر والله اعلم وقوله عزوجل ونجيناه واهله من الكرب العظيم يحتمل نجاته من الكرب العظيم هو دعاءه قومه الى توحيد الله عزوجل الفا الا خمسين سنة وما فاساء منهم من انواع الاذى من التكذيب وغيره فانجاه الله من كرب ذلك حين اهلكهم ويحتمل كرب العظيم هو الغرق الشديد وهو الغرق قومه وانجاه منه سماه عظيما لشدة ما اصابهم وقوله عزوجل وجعلنا ذريته هم الباقين اي جعلنا ذرية نوح عليه السلام من بين سائر ولد آدم وذريتهم واهلك غيرهم ولذلك كان بقي نسله الى يومنا هذا وهلك نسل غيره والله اعلم وقوله وتركنا عليه في الاخرين يشبه ان يكون ما ذكر انه ترك في الاخرين ما ذكر على اثره من السلام حيث قال عزوجل سلام على نوح في العالمين اي ابقينا عليه الثناء الحسن في الاخرين حتى يثنوا عليه جميعا وبعد قومه ويقولون فيه خيرا وحسنا والله اعلم ويحتمل ما قال بعضهم سلام الله على نوح في العالمين وسلم اليه جميع العالمين في جميع الاوقات كما سلم عيسى على نفسه حيث قال والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا وما سلم على يحيى عليه السلام حيث قال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ذكر السلام عليهم في اوقات ثلاثة وفي يوم في الاوقات كلها والله اعلم وقوله عزوجل انا كذلك نجزي المحسنين اي انا هكذا نجزي كل محسن نجزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين ورغب الناس في الاحسان اما الى الخلق واما الى انفسهم والله اعلم وقوله عزوجل انه من عبادنا المؤمنين وليس في ذكره انه من المؤمنين وجوه احدها من عبادنا المؤمنين قبل الرسالة وقبل ان يبعث رسولا اي لم يصر مؤمنا وقت الرسالة له ولكن كان لم يزل مؤمنا قبل الرسالة والثاني انه من عبادنا المؤمنين بك يا محمد بذكر هذا البشر صلى الله عليه وسلم ويفرح عليه والرسل عليهم السلام جميعا يؤمن بعضهم ببعض والثالث انهم كلهم من عبادنا المؤمنين المحققين الموقنين اي وفاء ما اعتقدوا بايمانهم وهكذا كان الرسل كلهم

موقنين ما اعتقدوا واعطوا ايمانهم وهكذا يعتقد كل مؤمن في اصل ايمانه واعتقاده ان لا يعصي ربه وان لا يخالفه في شيء من اموره ونواهيه لكنه لا يفي ما اعتقده فعلا بل يقع ربما في معاصيه وفي مخالفة امره ونهيه والله اعلم وقوله عزوجل وان من شيعته لابراهيم اي ابراهيم عليه الصلوة والسلام من شيعته نبينا محمد عليه السلام يقول على دينهم ومنهاجه وقال بعضهم من شيعته نوح اي ابراهيم من شيعته نوح عليه السلام على ما تقدم ذكر نوح عليه السلام حيث قال ولقد نادانا نوح الى اخره ذلك ان ابراهيم من شيعته على دينه ومنهاجه وقيل لا ذكرها لجاء ربه بقلب سليم عن جميع ما يمنعه عن الاجابة لربه فيما دعاه والصبر على ما امتحنه وابتلاه والله اعلم وعلى ذلك سماه الله عزوجل في كتابه الكريم وابراهيم الذي وفى في جميع ما امر به او امتحن به والله اعلم وجائز ان يكون ذلك في الاخرة يقول جاء ربه بقلب سليم كقوله عزوجل ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اخبر انه في الاخرة يكون من الصالحين وذلك سلامة قلبه والله اعلم وقوله عزوجل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا الهة دون الله فقد اختلف سؤال ابراهيم صلوات الله عليه بقوله مرة قال لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ومرة قال ماذا تعبدون ثم ذكر في غير هذا الموضع اجابتهم اياه حيث قالوا نعبد اصناما وما قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين ولم يذكرها هاهنا شيئا قالوه له ثم معلوم انه لا ينبئهم اللفظ اجابوه بما اجابوه ثم ذكره على اختلاف الالفاظ والحروف ليعلم ان تغيير الالفاظ وتبديل الحروف لا يغير المعنى وكذلك جميع القصص التي ذكرت في القران بذكرها مكروه معادة مختلفة الالفاظ والحروف والقصة واحدة ليدل ان المأخوذ والمقصود من الكلام معناه لا لفظه وحروفه والله اعلم ثم قوله عزوجل ائفكا الهة دون الله تريدون يقول والله اعلم افكا اي كذبا تسميتكم الاصنام التي تعبدونها من دون الله يقول كذبا ذلك ليست بالهة دون الله عبادتها ويقول افكا اي كذبا الالهة التي اتخذتموها الهة دون الله تريدون ان تتخذوا الهة وهو قريب الاول وقوله عزوجل فما ظنكم برب العالمين يقول والله اعلم فما ظنكم برب العالمين اي يفعل بكم اذا اتخذتم دونه الهة وصرفتم العبادة والشكر عنه الى من دونه وقد تعلمون انه هو المنعم عليكم هاهنا وهو المسدي اليكم هو الاحسان وهو تعالى اذ بها اليكم او يقول فما ظنكم برب العالمين انه يرحمكم ويفعل بكم خيرا في الاخرة بعد تسميتكم الاصنام الهة وعبادتكم اياها من دون الله بعد علمكم انه هو خالقكم وهو سخر لكم جميع ما في الدنيا وهو انشاه لكم فما تظنون به ان يفعل بكم ان يرحمكم ويسوق اليكم خيرا اي لا تظنون به ذلك ولكن ظنوا احسن صنيعكم وقوله عزوجل فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم اي سأسقم وذلك جائز في اللغة كقوله عزوجل انك ميت وانهم ميتون للحال فعلى ذلك قول ابراهيم عليه السلام اني سقيم اي سأسقم او يقول اني سقيم وهو صادق اذ ليس من الخلق احد الا وبه سقم ومرض وان قل فعلى ذلك قول ابراهيم عليه السلام وقول من قال ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاثا احدها هذا اني سقيم وذلك وحش من القول سمج لا جائز ان ينسب الكذب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من انبيائه لا يقع قط في وجه من الوجوه ويذكر اهل التاويل ان قومه ارادوا ان يخرجوا ابراهيم الى عيدهم فنظر ابراهيم نظرة في النجوم فقال اني سقيم ليخلفوه ويتركوه ليكسر اصنامهم التي يعبدونها على ما فعل من الكسر والنحت ويذكرون انه انما نظر في النجوم لان قومه كانوا يعملون بالنجوم ويستعملونها بعلم النجوم فان كان ذلك فهو والله اعلم اراد ان يرى من نفسه الموافقة لهم ليلزمهم الحجة عند ذلك وهو ما ذكر في قوله هذا ربي وهذا اكبر ونحوه قال ذلك على اظهار الموافقة لهم من نفسه ليكون عوالزام الحجة عليهم والوقوف على ما عليه اهون وايسر اذ هكذا الامر بالمعروف في الخلق ان من اراد ان يصرف اخر عن مذهب او دين له اذا اظهر من نفسه الموافقة له عليهم ضربا باليمين اي ضربهم ضربا باليمين وقوله عزوجل فراغ الى الهتهم اي فراغ الى ما اتخذتموهم وسميتموها الهة ذكرها على ما عندهم وعلى ما اتخذوها هم والا لم يكونوا الهة وكذلك قول موسى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي انظر الى الهك الذي هو عندك والا لم يكن هو اله وقوله عزوجل فراغ الى الهتهم فقال الا تاكلون كان طعاما موضوعا بين يديها لذلك قال الا تاكلون وقوله عزوجل ما لكم لا تنطقون بجوابكم اوشبه ان يكون قوله ما لكم لا تنطقون انه من فعل بها ما فعل كقوله من فعل هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون عن من فعل بهم هذا سفه قومه في عبادتهم الاصنام وهي لا تاكل ولا تنطق ولا تملك دفع من قصد بها ضرا فكيف تطمعون نفعا عنها لكم في الاخرة وهي لا تملك ما ذكر والله اعلم وهو كقوله هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وقوله فراغ عليهم ضربا باليمين اي مال ورجع عليهم وقوله ضربا باليمين اختلف فيه قال بعضهم ضربا ما لو فالبمينه التي كانت منه حيث قال تالله لاكيدن اصنامكم والله اعلم وقال بعضهم ضربا باليمين بالقوة وقد يعبر باليمين عن القوة كما يعبر باليد عن القوة وقال بعضهم ضربا باليمين اي بيده اليمنى نفسه على ما يعمل المرء اكثر اعماله باليمين وقوله عزوجل فاقبلوا اليه يزفون ظاهر هذا انهم اقبلوا اليه وقت ما كسرها وفعل بها ما فعل لكن في اية اخرى ما يدل انهم انما اقبلوا اليه كان بعد ما خرج من عندها وغاب وكان بعد ذلك بزمان الا يرى انهم قالوا من فعل هذا بالهتنا قالوا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الا يرى ولو كانوا اقبلوا اليه مزفين وهو عندها حاضر لم يحتجوا الى ان يقولوا من فعل هذا بالهتنا بل يقولون ابراهيم فعل ذلك بها ولا كان لقول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون معنى والله اعلم وقوله عزوجل يزفون قال بعضهم يمشون اليه وقال بعضهم يسرعون وهو قول ابي عوسجة واصل التزفيف كالمشي فيه سرعة على ما يسرع في المشي المرء اذا صابر شيء او فعل بر امر والله اعلم وقوله

عزوجل اتعبدون ما تنحتون بعقلهم بعبادتهم ما ينحتون بايديهم ويتخذونها بانفسهم على علم منهم انها لا تملك نفعا
ولا ضرا والذي نحتها اولى بالعبادة له اولى من ان يعبد ان كان يجوز العبادة لمن دونه من ذلك المنحوت اذ هو يملك شيئا من
النفع والضر والمنحوت لا فاذ لم يعبد والناحت لها والمتخذ وهو اقرب والنفع فكيف يعبدون ذلك المنحوت الذي لا يملك
شيئا وتركتم عبادة الذي خلقكم وخلق اعمالكم ثم من اصحابنا من احتج على المعتزلة بهذه الاية في خلق افعال العباد يقولون
اخبر عليه السلام عن خلق انفسهم وعن خلق اعمالهم حيث قال والله خلقكم وما تعملون لكنهم يقولون ليس فيه
دلالة خلق افعالهم الا يرى انه قال عليه السلام اتعبدون ما تنحتون وهم لا يعبدون النحت انما يعبدون ذلك المنحوت
فعلى ذلك لم يخلق افعالهم واعمالهم ولكن خلق ذلك المعمول نفسه والله اعلم لكن الاحتجاج عليهم من وجه اخر في ذلك
كانه اقرب واولى وهو ان صيرورته للعمل خلقا لله تعالى بقوله خلقكم وما تعملون لانهم انما يعبدون ذلك المعمول مخلوق
لله دل ان عملهم الذي عملوا به مخلوق لذلك قلنا ان فيه دلالة خلق اعمالهم والله اعلم وهو كقوله عزوجل ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين انما صار التواب والمتطهر محبوبا لجهة التوبة والتطهر وصار المعتدي غير محبوب لبعضه هم
الاعتداء فعلى ذلك المعمول صار مخلوقا بخلقه عمله والله اعلم وقوله عزوجل قالوا ابنوا له بنيانا كانه قال بعضهم
لبعض ابنوا له بنيانا فاجمعوا فيه الحطب ثم تعظم فيه النار فيصير جحيما ثم القوا ابراهيم في الجحيم والجحيم قد ذكرنا انه
معظم النار وقوله عزوجل فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين اي هالكين يقولون ما اظهرهم الله بعد ذلك حتى
اهلكهم ويشبه ان يكون ما ذكرنا والله اعلم فارادوا اهلاك ابراهيم عليه السلام فصاروا من الهالكين والله اعلم وقوله
عزوجل وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين قال بعضهم ذاهب الى ربي بقلبي وعملي ونيتي وذلك في الاخرة ويحتمل ذاهب
الى ما امرني ربي او لما اذن لي اي وقد امر بالهجرة الى الشام من مكة او ذاهب الى ما فيه رضاء ربي او طاعة ربي ونحو ذلك
والله اعلم وقوله عزوجل سيهدين قال بعضهم اي سينجيني مما رأيت من قومي وقال بعضهم سيهدين الطريق وذلك
جائز نحو قول موسى عليه السلام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل لما توجه الى مدين فعلى ذلك جائز قول ابراهيم
عليه السلام اني ذاهب الى ربي امر ربي اي متوجه الى ما امرني ربي ان اتوجه سيهدين ذلك الطريق والله اعلم وقال
بعضهم سيهدين لدينه وذلك اول ما هاجر من الخلق اي ليعلم دينه وقد ذكر في حرف حفصة اني مهاجر الى ربي سيهدين
والله اعلم وقوله عزوجل رب هب لي من الصالحين ثم قال رب هب لي غلاما واجعله من الصالحين دليل ذلك ما ذكر له من
البشارة بالغلام دلت البشارة له بالغلام على ان ذلك ان سؤاله كان سؤال الغلام ثم فيه دليل جواز سؤال
الولد الذكر ثم لكنه يسأله بشرط الصلاح والطيب كما سال الانبياء وسال له ابراهيم عليهم الصلوة والسلام رب
هب لي من الصالحين وقال زكريا عليه السلام هب لي من لدنك ذرية طيبة وما ذكر وحكى عنهم مدحا لهم وثناء عليهم
حيث قال عزوجل والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما يجب على ما يسال ربه
الولد ان يساله على هذه الشرائط التي سالته الانبياء عليهم السلام فيكون سؤالهم الولد على ذلك سؤال الله سؤاله
عزوجل وما يصلح لقيامه لامره وعبادته فاما ان يساله اياه لشهوته وسروره له في الدنيا فلا ثم يحتمل قوله ربنا هب لنا من
ازواجنا وذرياتنا قرة اعين الى اخر ما ذكر وجهين احدهما اي هب لنا من ازواجنا وذريتنا ما يقر به اعيننا او هب لنا
ان واجنا من الولد والذرية ما يقر به اعيننا على ما سال زكريا عليه السلام حيث قال ذرية طيبة ثم فيه دلالة
ان الولد هبة الله لهم وعطاء لهم ولذلك قال ذرية طيبة يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقد ذكرنا
هذا فيما تقدم والله اعلم يعني ما صار الولد هبة من الله وقوله عزوجل فبشرناه بغلام يصير حليما اذا بلغ مبلغ الاطفال
بالاعمال والامر والنهي اي بشرناه بغلام حليم يحلم فيما امتحن اذا بلغ مبلغا يمتحن فيه قال قتادة ان الله عزوجل لم يذكر
احدا ولا وصفه بالحلم سوى ابراهيم وولده الذي بشر به والله اعلم وقوله عزوجل فلما بلغ معه السعي اي بلغ بحيث
يقدر ان يسعى معه الى حيث امر وهو ان يمشي ويسعى معه وهي الهجرة وقال بعضهم فلما بلغ معه السعي اي بلغ بحيث يعمل ويتجر
عنده قال له يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى وترى بالنصب والرفع جميعا فيه دلالة ان رؤيا الانبياء
والرسل عليهم الصلوة والسلام على حق تخرج كالامر المصرح الا ترى انه لما قال له اني ارى في المنام اني اذبحك
وقد عرف حرمة ذبح بني ادم وقتلهم قال له ولده افعل ما تؤمر ولو لم يكن امرا لم يقل افعل ما تؤمر ولا قال له اني
ارى في المنام اني اذبحك وقد عرف حرمة ذبح بني وقتلهم الذي لا يبيح الاقدام عليه والعمل والله اعلم ثم قوله
لابيه افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين دلالة ان لا كل مامور بامر من الله شاء الله ان يفعل ما امر
حيث اخبر ستجدني من الصابرين ان شاء الله وقد ذكرنا ان ابراهيم عليه السلام كان مامورا بالذبح فاذا امره
بالذبح امره هذا ان يصبر على الذبح ولا يجزع ثم اخبر انه يصبر ان شاء الله دل ان لا كل مامور لله بامر شاء منه ان يفعل
ذلك ولكن شاء ان يفعل ذلك من علم منه ان يختار ذلك الفعل ويفعله ومن علم منه انه لا يفعل ذلك لا يجوز ان يشاء
ذلك منه الفعل وكذلك قول موسى عليه السلام ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا وهذا نقض المعتزلة
لقولهم ان الله تعالى اذا امر احدا بامر شاء ان يفعل ما امره به لكنه ترك لما لم يشأ هو والله اعلم وقد بينا فساد قولهم
في غير موضع والله اعلم وقوله عزوجل فلما اسلما وتله للجبين يحتمل قوله اسلما وتله للجبين يحتمل قوله اسلما اي سلما الامر لله
فيما امرهما هذا بالذبح وهذا بالبذل والطاعة في ذلك واسلم هذا ابنه وهذا نفسه لله عزوجل واصله اسلما
انفسهما لامر الله واطاعا في ذلك وقوله وتله للجبين اي صرعه وكبه على وجهه فيه انه لم يضجعه كما يضجع المريد ما يريد ان

يذبحه من الشاة وغيرها ولكنه اضجعه على وجهه فهو والله اعلم لما اراد ان ينفذ امر الله ويقدر على اداء ما امر به فلعله
لو اضجعه على ما يضجع غيره من الذبح نظر كل واحد منهما الى وجه الاخر فيرحم هذا فيترك ذبحه وهذا ينظر في وجهه
وجهه ويجزع ويترك ما منه او على ما قال اهل التأويل ان ولده قال لابراهيم عليهما السلام كذا فيفعل ما ذكر والله
اعلم وقوله عزوجل وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا يجوز ان يحتج بهذه الاية على المعتزلة لقولهم ان
الله عزوجل اذا امر احدا بامر يجوز ذلك الفعل منه واراد ان يفعل ما امر به ونحن نقول يجوز ان يريد غير الذي
امره به يريد ان يكون ما علم انه يكون منه ويختاره حيث قال عزوجل يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ولم يكن
منه حقيقة ذبح الولد وقد امره بذبحه فلو كان في الامر ارادة كون ما امره به لكان لا يصير في الوفاء بالرؤيا
ولم يكن ذلك منه حقيقة لكنهم يقولون ان الامر بالذبح لم يكن الا ما كان منه من ذبح الكبش من ذلك اراد وكان
ما اراد ومذهبهم الاحتيال لدفع ما ذكرنا لكن نقول ان الامر بالذبح انما كان بذبح الولد حقيقة لا بذبح الكبش
دليله وجوه احدها قول ابراهيم حيث قال اني ارى في المنام اني اذبحك وقول ولده عليهما السلام يا ابت افعل ما تؤمر
لو لم يحصل الامر من الله له بالذبح امرا بالذبح على ذبح الولد حقيقة كذا يجعلهما في قولهما وامر الله وفي تسميتهما
ما سميا فلا يجعلهما في ذلك فدل ان الامر كان على حقيقة ذبح الولد لا على ذبح الكبش على ما يقولون والله اعلم والثاني
ان ابراهيم وولده عليهما السلام قد مدحا واثني عليهما بالصنيع الذي صنعا هذا باضجاعه اياه للذبح وهذا البذل
له نفسه له والطاعة له في ذلك فلو كان الامر منه لهما الاخبار لا غير لا الاضجاع والبذل لذلك لم يكن لهما في ذلك
الصنيع فضل مدح ولا فضل ثناء ومنقبة اذ لكل احد اضجاع الولد لذلك وللاخر البذل له فاذا مدحا واثني عليهما
في صنعهما الذي صنعا وصار لهما منقبة عظيمة الى يوم القيامة حتى سمي هذا ذبيح الله وهذا خليل الله حيث قال الله عزوجل
وفديناه بذبح عظيم فلو كان الامر بالذبح ذبح الكبش لا ذبح الولد لم يكن الكبش فداء عنه اذ لا يسمى الفداء الا
بعد الا غير عنه واقامة غيره مقامه دل على ما ذكرنا والله اعلم لكنه لما اضجعه وتله للجبين على ذكرنا صارا ممنوعين عن ذلك
الفعل غير تاركين امر الله عزوجل على ما ذكر في القصة ان الشفرة قد انقلبت وجهها ثم لا يقطع فمن امر بامر ثم
منع عما امره به وحيل بينه وبين ما امر به لم يصر تاركا للامر ولا كان موصوفا بالترك له لذلك كان ما ذكر والله اعلم ثم
يجوز ان يستدل بهذه الاية لمسائل لاصحابنا احديها في المراة اذا سلمت ما يمنع الزوج عن الاستمتاع بها والجماع صارت
موفية مسلمة ما على نفسها الى زوجها فاستوجبت بذلك كمال الصداق ولزمتها العدة اذ لا تملك سوى ما فعلت وان
لم يجامعها زوجها وفيمن عنده امانة اذا سلمها الى صاحبها وصيرها بحال يقدر على اخذها وقبضها يصير مسلما اليه
مؤديا خارجا منها يوما وان لم يقبض الاخر ولم يقع في يده وفي البائع اذا سلم المبيع الى المشتري وخلى بينه وبين ذلك
يصير مسلما اليه خارجا من ضمان ذلك وعهدته وان لم يقبضه المشتري ونحوه من المسائل يكثر احصاؤها اذ ليس في
وسعهم الا ذلك المقدار من الفعل وقوله عزوجل وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا لو كان هذا القول بعد ذبح
الكبش ففيه حجة لقول اصحابنا حيث قال ابو حنيفة رحمه الله ان من اوجب على نفسه ذبح ولده يخرج منه بذبح الكبش
لما اخبر انه قد صدق الرؤيا بذبح الكبش فعلى ذلك يصير هذا موجبا على نفسه ذبح كبش لا غير والله اعلم وان كان قوله قد صدقت
الرؤيا قبل ذبح الكبش باضجاعه اياه واسلامه لذلك ففيه ما ذكرنا انه بذل تسليمها نفسه منزلة اتيان غيره لانه منع عن
ذلك لا انه ترك ذلك وقوله عزوجل ان هذا لهو البلاء المبين ان الامر بذبح الولد الذي امر به ابراهيم محنة عظيمة ويقول
بعض اهل التأويل ان هذا لهو البلاء المبين اي النعمة العظيمة اي في الفداء الذي فدى لابراهيم عليه السلام نعمة عظيمة
وقوله عزوجل وفديناه بذبح عظيم وهو الكبش قال بعض اهل التأويل سماه عظيما لانه كان يرعى في الجنة اربعين خريفا ويقول
بعضهم كان ذلك الكبش في نفسه عظيما والله اعلم وقوله عزوجل وتركنا عليه في الاخرين قال اهل التأويل اي تركنا عليه
في الاخرين الثناء الحسن ويجوز ان يكون قوله وتركنا عليه في الاخرين ذلك السلام الذي ذكر على اثره حيث قال عزوجل
سلام على ابراهيم ترك ذلك فينا التسليم عليه وعلى جميع المرسلين كقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على
المرسلين كقوله لهذا امرنا ان نثني ونسلم على جميع الانبياء والمرسلين وكقوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد ويكون
الانبياء عليهم السلام بعضهم الى بعض كما كان بعضهم من شيعة بعض وان يكون ذلك السلام من الله لهم امنا من كل
خوف وسلامة من كل خبث وقوله عزوجل كذلك نجزي المحسنين اي كذلك نجزي كل محسن ان يترك له السلام والثناء
الحسن في الاخرين والله اعلم وقوله عزوجل انه من عبادنا المؤمنين يحتمل هذا وجوها احدها انه كان من عبادنا المؤمنين
قبل ان يوحى اليه وقبل ان يبعث رسولا ويحتمل انه من عبادنا المؤمنين الذين حققوا الايمان في قول وفعل ووفاء ما عليه
او انه كان من عبادنا المؤمنين محمد صلى الله عليه وسلم والانبياء جميعا بعضهم لتصديق بعضا ويؤمن به والله اعلم وقوله
عزوجل وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين كان سال ربه الولد يقول هب لي من الصالحين فاستجاب الله دعاءه وبشره
بما ذكر ثم اخبر انه نبي من الصالحين يحتمل قوله تعالى ونبيا من الصالحين اي نبيا من السلف كقوله عزوجل والحقني بالصالحين
اي نبيا لصبره ونجعله من الانبياء كقوله عزوجل هذا نذير من النذر الاولى ويحتمل ان يكون البشارة بالولد الذي
سال ربه ويحتمل ان بشر له بنبوته او بشرهما بهما بالولادة والنبوة جميعا والله اعلم وقوله عزوجل وباركنا عليه
وعلى اسحق البركة هي اسم لكل خير لا يزال على الزيادة والنماء او يقول ان البركة شيء من اعطي كان لا تبعة عليه
والله اعلم وقوله عزوجل ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين اي مؤمن مصدق وظالم لنفسه اي كافر وهو ما

قال عز وجل إني جاعلك للناس إماما فقال إبراهيم عليه السلام ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين أخبر أن في ذريته من لا ينال عهده كما ذكرها هنا أن في ذريته محسن وهو مؤمن وظالم لنفسه مبين أي كافر ظاهر مبين وأن يكون قوله عز وجل محسن إلى نفسه ومحسن إلى الناس وهو إسحق وما روي أن رجلا سأله فقال يا رسول الله أي الناس أكرمهم حسبا قال يوسف صديق الله ابن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله فهو ذاك وإلا فلا حاجة لنا إلى معرفة ذلك أنه فلان أو فلان إذ لو كان لنا إلى بيان ذلك حاجة لبين وأزال الإشكال واختلاف الناس عن ذلك والتكلم فيه فضل وتكلم إذ لا يحتمل أن يكون بالناس حاجة إلى معرفة ذلك ويبا نز ثم لا يبين لهم ولا نعرف ذلك فدل ترك التنازع لذلك على أن لا حاجة لهم إلى ذلك والله أعلم وقال أبو عوسجة والقتبي الذبح الكبش واسم ما يذبح والذبح بنصب الذال مصدر ذبحت هذا قول القتبي وقال أبو عوسجة الذبح بالنصب هو الفعل وهما واحد وقال القتبي البلاء المبين الاختبار المبين العظيم وقوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهرون يحتمل ما ذكر من المنة عليهما الرسالة والنبوة التي أعطاهما والآيات والحجج التي أعطاهما وخصهما بها الذي أبقى لهما الذكر والثناء الحسن عليهم في الآخرين لقوله عز وجل وتركنا عليه في الآخرين سلام على موسى وهارون وإنما أوجب عليهم ذكر المنن والنعم التي خصهم بها وفضلهم من بين نظرائهم وإنما أن يوجب عليهم ذكر كل ما من عليهم وأنعم عليهم فذلك ليس في وسع أحد القيام بذكر جميع ما من عليهم ونعم والشكر لها وإنما يجب القيام بذكر ما اختصوا بها ظاهرا وإن كان في الجملة أحد عليهم أن يرد وأجمل النعم والمنن من الله جل وعز فضلا منه وإحسانا لا حقا عليه بقوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهرون ما اختصوا بها من الرسالة والنبوة والآيات والحجج التي وقعت لهم الخصوص فأما في كل ما من عليهم وأنعم فلا على ما ذكرنا أن ليس في وسع أحد القيام بشكر أحسن نعمه في عمره وإن طال والله أعلم وقوله عز وجل ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم قال عامة أهل التأويل قوله عز وجل ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم أي من الغرق ولكن جائز أن يكون من الكرب العظيم الذي نجاهم منه ما ذكر من قتل الرجال واستحياء النساء حيث قال يقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم الآية وما استعبدوهم واتخذوهم أنجاهم الله من ذلك الذل وأنواع البلايا والشدائد التي كانت عليهم كقوله عز وجل وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون أخبر أنهم كانوا مستضعفون فأنجاهم الله من ذلك كله وهو الكرب العظيم وقوله عز وجل ونصرناهم فكانوا هم الغالبين يحتمل قوله نصرناهم بالحجج والآيات التي أعطاهم أو نصرناهم حيث أنجاهم وأهلك فرعون والقبط والله أعلم وقوله عز وجل وآتيناهما الكتاب المستبين والتوراة ثم يحتمل قوله عز وجل الكتاب المستبين بوجهين أحدهما استبان لكل من العقل ونظر أنه من عند الله نزل لأن التوراة نزلت ظاهرا في الألواح ليس كالقرآن لا يعرف أنه من عند الله نزل إلا بعد التأمل والنظر لأنه نزل في الأوقات الخالية التي لا يطلع عليه أحد سيرا عن ظهر القلب والثاني أنه استبان لكل من نظر فيها ما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتقى وقوله عز وجل وهديناهما الصراط المستقيم يحتمل الصراط الذي من سلكه أفضاه إلى مقصوده وبلغه إلى القرار المستقيم لما بالحجج والبراهين قام لا بهوى الأنفس وقوله عز وجل وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون هو ما ذكرنا فيما تقدم أنه أبقى لهم الثناء الحسن في الآخرين وهو السلام الذي ذكر والله أعلم وقوله عز وجل إنا كذلك نجزي المحسنين أي إنا كذلك نبقي ونترك لكل محسن الثناء الحسن في الآخرين كما تركنا لهؤلاء وهو المعروف في الناس أن كل محسن صالح وإن مات فإنه يذكر بالخير بعده ويثنون عليه بالثناء الحسن والله أعلم وقوله عز وجل إنهما من عبادنا المؤمنين يحتمل الوجوه التي ذكرنا فيما تقدم من عبادنا المؤمنين قبل الرسالة أو من عبادنا المؤمنين محمد صلى الله عليه وسلم والعبادنا المؤمنين الذين حققوا الإيمان قولا وفعلا والقيام بوفاء ما وجب بعقد الإيمان وعهده والله أعلم وقوله عز وجل وإن إلياس لمن المرسلين هذا ينقض على الباطنية مذهبهم لأنهم يقولون إن الرسل عليهم السلام ستة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وما سواهم أئمة وفي الآية إخبار أن إلياس كان من المرسلين هذا كله ينقض قولهم ويرد مذهبهم وقوله عز وجل إذ قال لقومه ألا تتقون عبادة غير الله أو يقول ألا تتقون الله لا تحسنون الله ولا تخافونه في ترككم عبادته واشتغالكم بعبادة غيره أو لا تتقون نقمة الله في مخالفتكم أمره ونهيه والله أعلم وقوله عز وجل أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال بعض أهل التأويل البعل ههنا الرب بلسان قوم وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله عز وجل أتدعون بعلا قال فقال رجل من يعرف الآثار فقال أعرابي بعلها أي ربها فقال ابن عباس كفاني الأعرابي جوابها لكن لا يحتمل أن المراد من قوله أتدعون بعلا أي ربا إلا أن يكون ذكر أنه بلسان قوم فيقول أتدعون بعلا ربا يعلمون أنه لا يضر ولا ينفع وتذرون عبادة من يعلمون أنه يضر وينفع ويختارون عبادة من يعلمون أنه لا يملك ذلك وقال بعضهم البعل الرب ههنا وكذلك يقول في قوله هذا بعلي شيخا الأسدي وقال بعضهم البعل هو اسم الصنم ههنا يقول أتعبدون صنما وتذرون أحسن الخالقين وأصل الزوج كأنه يقول لهم أتدعون من له أزواج وأشكال وتذرون عبادة من لا أزواج له ولا أشكال والله الموفق وقال ابن عباس رضي الله عنه أوله هذه يماني وآخرها مصري وهو قوله وتذرون أحسن الخالقين يسمون كل صانع خالقا والخلق هو التقدير في اللغة يضاف إلى الخلق على المجاز وإن كان حقيقة التقدير لله عز وجل ذكر على ما عبدهم لا على حقيقة الخلق والله أعلم ثم يحتمل قوله عز وجل أحسن الخالقين أي أحكم وأتقن على ما ذكر وهو أحكم الحاكمين أي جعل في كل شيء أثر شهادة وحدانية الله وربوبيته أو أحسن الخالقين لما ذكر أنه خلقهم وخلق آباءهم الأولين وأنه ربهم ورب الخلائق فقالوا أمن أحسن الخالقين فعند ذلك ما ذكر وقوله الله ربكم ورب آبائكم الأولين ثم أخبر عنهم أنهم كذبوه مع ما ذكر لهم وهو ما قال عز وجل فكذبوه فإنهم لمحضرون ولم يذكر فيما ذلك فيه بيان أنهم إنما لمحضرون النار والعذاب لأن أهل اللذات هم المحضرون أنفسهم والعذاب يحضرون كرها لا بأنفسهم كقوله عز وجل يوم يدعون إلى نار جهنم دعا وقوله عز وجل يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله ويصلى سعيرا ونحوه ثم استثنى العباد المخلصين منهم أنهم

لا يحضرون النار وقوله عز وجل وتركنا عليه في الآخرين سلام على إلياسين هو ما ذكرنا أنه أبقى لهم الثناء الحسن إنما أهلك بتكذيب الرسل وعنادهم ومن نجا منهم إنما نجا بتصديقهم والإجابة لهم وإياكم وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فيحل بكم كما حل بأولئك وقال عز وجل وإنكم لتمرون عليهم أي على من هلك من مكذبي الرسل بالليل والنهار فيعلمون أنهم إنما أهلكوا بالتكذيب للرسل وقوله عز وجل أفلا تعقلون وتعتبرون وتمتنعون عن تكذيبه والله أعلم وقوله عز وجل وإن يونس لمن المرسلين هذا ينقض على الباطنية قولهم حتى قالوا إن الرسل ليس إلا ستة لا يعدون يونس ولوطا عليهم السلام منهم فيجعل قول ظاهر الآية وهو قوله عز وجل وإن يونس لمن المرسلين وهم يقولون ليس من المرسلين وبالله العصمة وقوله عز وجل إذ أبق إلى الفلك المشحون ذكرها هنا الإباق وفي سورة الأنبياء الذهاب وهو قوله وذا النون إذ ذهب مغاضبا ثم إن الناس من يجعل هذا غير الأول يعني إباقه غير الذي ذكر وذهابه لكن جائز أن يكون ذكر الإباق وذكر الذهاب وإن كان في ذا ي العين في ظاهر اللفظ مختلفا فهما في المعنى واحد فيكون قوله عز وجل إذ أبق من قومه بدينه ليسلم له أو أبق لخوف على نفسه من قومه أو أبق على ما أوعد قومه من نزول العذاب بهم إذا لم يؤمنوا به وكان الرسل صلوات الله عليهم يخرجون من بين ظهراني قومهم إذا خافوا نزول العذاب بهم إلا أن يونس خرج من بينهم قبل أن يأتيه الإذن من الله عز وجل بالخروج من بينهم لذلك صادف جاء العتاب له والتعيير لا لما يقوله عامة أهل التأويل من الخرافات التي يذكرون وينسبون إليه ما لا يجوز نسبة ذلك إلى أجهل الناس بربه وأخسهم فضلا أن يجوز نسبة ذلك إلى نبي من أنبيائه ورسول من رسله وقوله عز وجل فساهم فكان من المدحضين ذكر في القصة أنه عليه السلام لما أبق إلى سفينة فركبها أراد أن يعبر البحر فجعلت تكفؤا وتقف كادت أن تغرق فقال القوم بعضهم لبعض إن فيكم لرجلا مذنبا عظيما وكانوا يعرفون ذلك من عادتها من قبل كانت إذا ركبها مذنب تغرق وتضطرب في الماء فلم يعرفوا من هو ذلك فأسهموا مرارا فساهم يونس في كل مرة فلما رأى ذلك يونس عليه السلام قال لهم يا قوم ألقوني في البحر حتى لا تغرقوا جميعا فأبوا وقالوا لا نلقي نبيا من أنبياء الله في البحر فألقى هو نفسه فيه فالتقمه الحوت على ما أخبر الله عز وجل حيث قال فالتقمه الحوت وهو مليم ثم قوله فساهم فكان من المدحضين قال فكان من المغلوبين في القرعة والاستهام أي خرجت القرعة عليه والمدحضين هو الذي لا حجة له فيما يريد والله أعلم وقوله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم قال بعضهم هو مليم أي مذنب وقال بعضهم مليم ملازمة أي كان يلوم نفسه فيما صنع من الخروج من بينهم بلا إذن من الله والله أعلم وقوله عز وجل فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون يحتمل قوله فلولا أنه كان من المسبحين لربه قبل ذلك ومن المصلين له وإلا للبث في بطنه إلى ما ذكر ولذلك قيل من عمل الله تعالى في حال الرخاء نفعه الله بذلك في حال البلاء ويرفعه إذا عثر والله أعلم قيل في الحكمة أن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر وإذا صرع وجد متكأ والله أعلم ويحتمل كان من المسبحين أي صار من المسبحين في بطن الحوت وهو قوله عز وجل فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبناه ونجيناه من الغم والله أعلم وقوله عز وجل فنبذناه بالعراء وهو سقيم العراء قيل هي الأرض الصحراء التي لا شجر فيها ولا نبت ولا كرو وقال أبو عوسجة العراء الأرض التي لا ظل فيها والمدحض المغلوب ومليم أي أتى أمرا يلام عليه وقال القتبي العراء هي الأرض التي لا يواري فيها شجر ولا غيره كأنه من عري الشيء والله أعلم البعل الزوج وقوله عز وجل وهو سقيم ذكر أن الحوت لما نبذه بالعراء لم يكن به شعر ولا جلد ولا ظفر ولا شيء سقيم من السقم وهو المرض أي مريض لما مسه نظر الحوت والله أعلم وقوله عز وجل وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال بعضهم هي شجرة القرع أنبت عليه ليأكل منه ويستظل بها وقال بعضهم كل شجرة تنبسط على وجه الأرض مما ينبسط أطرافه إذا مد أصله وحد فهو يقطين من نحو البطيخ والقرعون وغيرها والأشبه أن يكون شجرة القرع لأنها أسرع الأشجار نبتا وامتدادا وارتفاعا في السماء في مدة لطيفة ووقت قريب والوصول إلى الانتفاع بها أكلا واستظلالا بها ما لا يكون مثل ذلك في مثل تلك المدة من الأشجار والله أعلم وعلى ذلك روي أنه قيل يا رسول الله إنك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وهو تمريد في العقل فهذا يدل أن ثبت أنها كانت شجرة القرع والله أعلم ثم فيه لطف من الله عز وجل حيث أنبت عليه شجرة في وقت لطيف لا ينبت مثلها إلا بعد مدة لطيفة ووقت مديد وأبقى عليه الضعف وقتا طويلا مما يرتفع ذلك ويزول في وقت يسير في العرف ليذكره ما أنعم عليه ويقوم بشكره وهو كما ذكر في قصة صاحب موسى الحمار حيث قال عز وجل انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك أبقى طعامه وشرابه وحفظه وقتا طويلا غير متغير مما طبعه التغير في وقت يسير وغير ما طبعه البقاء لطفا منه فعلى ذلك أنبت على يونس شجرة في وقت لطيف مما لا ينبت مثلها إلا في وقت طويل وأبقاء ذلك الضعف الذي كان به والسقم مما سبيله الزوال والارتفاع في وقت يسير لطفا منه ليتذكر ما ذكرنا والله أعلم وقوله عز وجل وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون هذا يحتمل وجوها أحدها ما ذكرنا أن حرف الاستفهام إذا أضيف إلى الله فهو على التقدير والإيجاب ليس على حقيقة الاستفهام فعلى ذلك حرف الشك إلى مائة ألف بل يزيدون أو يقول ويزيدون لما نفى الله من الشك والثاني قوله أو يزيدون حتى يزيدوا كقوله عز وجل تقاتلونهم أو يسلمون أي حتى يسلموا وكان وقت ما بعثه إليهم كانوا مائة ألف ثم ازدادوا بعد ذلك والله أعلم والثالث يزيدون مائة ألف أو يزيدون عند الناس معناه أن من نظر إليهم لا يظن دون مائة ألف ولكن يظن مائة ألف وزيادة والله أعلم فآمنوا فمتعناهم إلى حين قبل آمنوا به فلم يهلكوا ولكن أخرهم إلى

وحين موت حتفهم وقال عز وجل في آية اخرى فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي اخبر ها هنا انه لم ينفع قوما ايمانهم عند معاينتهم العذاب الا قوم يونس وكذلك ذكر عز وجل
في اية اخرى انه لم ينفع الايمان عند معاينة العذاب حيث قال عز وجل في اية اخرى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا
لا يدرى انه انما يقبل ايمان قوم يونس لانهم امنوا عند خروج يونس عليه السلام من بين اظهرهم قبل ان يقبل العذاب
عليهم لما كانوا يعلمون ان الرسول متى ما خرج من بينهم بعدما اوعدهم بالعذاب ان العذاب ينزل بهم لا محالة
فامنوا به فان لم يعاينوا او ان يكون العذاب قد اقبل عليهم فعاينوه عند معاينتهم فعند ذلك امنوا فان كان
الاول فهو بانهم انما امنوا به عند خروجه منهم فهو مستقيم قبل ايمانهم لانهم لم يؤمنوا عند معاينتهم العذاب
ولكن انما امنوا قبل ذلك وان كان الثاني فجائز ان يكون قبل ايمانهم ونفعهم ايمانهم وان عاينوا العذاب لما عرف
جل وعلا ان ايمانهم كان حقا وهم صادقون في ذلك محققون لم يكونوا رافعين العذاب عن انفسهم الا بايمان حقيقة
والله اعلم وقوله فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الاستفتاء والسؤال يخرج على اربعة اوجه ان كان الا
ستفتاء والسؤال من عليم خبير لاهل الجهل يكون تقريرا وتنبيها اذا لم يكونوا اهل عناد واذا كانوا اهل
عناد فهو تسفيه وتوبيخ لهم واذا كان الاستفتاء من جاهل مصدق وطالب رشد لعليم خبير يكون استرشادا وطلب
الصواب واذا كان من معاند مكابر فهو يخرج على الاستهزاء به والسخرية كقولهم امطر علينا حجارة من السماء
قال ذلك استهزاء به ثم ما ذكر من الاستفتاء لهؤلاء انما يكون تسفيها منه لهم في قولهم لله عز وجل ولد الملائكة
بنات الله سبحانه ونحوه من الفرية العظيمة التي لا فرية اعظم منها ولا كذب اكبر منه لا تدرك الاشياء ومعرفتها
انما يكون في الشاهد باحد وجوه ثلثة احدها المشاهدة والثاني الخبر والثالث الاستدلال بما شاهدوا وعاينوا على
ما غاب عنهم ثم معلوم عندهم انه يعتدوا لانهم لم يشاهدوا الله حتى عرفوا له الولد ولا كانوا يؤمنون
بالرسل حتى يكون عندهم الخبر بما قالوا ونسبوا اليه من الولد وغيره اذ الخبر انما يوصل اليه بالرسل وهم لا يؤمنون
بهم ولا كانوا شاهدوا واما يستدلون على ما قالوا فيه ونسبوا اليه حتى دلهم ذلك على ذلك فسفههم في قولهم الذي
قالوا فيه وما نسبوا اليه انهم كذبة في ذلك اذ اسباب العلم بالاشياء ما ذكرنا ولم يكن لهم شيء من ذلك ولذلك
قال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقال عز وجل اصطفى البنات على البنين يقول اختار نفسي
ما تانفون انتم عنه وتنسبون اليه ما تستنكفون انتم عنه سفههم في قولهم ونسبتهم الى الله ما قالوا فيه ونسبوا
اليه الى اخر ما ذكروا الله اعلم وفيه تصبير رسول الله على اذاهم وتركهم الايمان به والاتباع لانهم عاملهم انه
خالقهم ورازقهم وقديم الاحسان اليهم قالوا فيه ما قالوا وقوله عز وجل ما لكم كيف تحكمون يحتمل قوله ما لكم
كيف تحكمون اي ما لكم تحكمون بلا حجة ولا علم وقوله افلا تذكرون ان هذا الحكم جور وظلم عظيم كقوله عز وجل تلك
اذا قسمة ضيزى وقوله عز وجل ام لكم سلطان مبين اي لكم حجة وبيان على ما تزعمون وتقولون في الله سبحانه وقوله
فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين اي ايتوا بكتاب من عند الله فيه ما تذكرون من الولد وغيره وقوله وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا قال عامة اهل التاويل ان الجنة هم الملائكة لقول اولئك الكفرة ان الملائكة بنات الله وما قالوا
في قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي علمت الجنة الذين وصفوا له بنين انهم لمحضرون النار وعذاب الله ويجانسون
على قول مجاهد وغيره والذين اولئك اعني الاتباع انهم ملائكة الله والله اعلم وقوله عز وجل سبحان الله عما يصفون
الا عباد الله المخلصين قوله سبحان الله نزه نفسه عما وصفه الذين تقدم ذكرهم وتبرا عن جميع ما قالوا فيه
ثم استثنى عز وجل الا عباد الله المخلصين فلسنا ندري ما موضع الثنا ها هنا على اثر ما ذكر من التنزيه لنفسه يحتمل
الاستثناء وجهين احدهما سبحان الله عما يصفون اولئك الكفرة من الولد وغيره الا عباد الله المخلصين والثاني
سبحان الله عما يصفون اي من خلص منهم وامن فانه غير برئ مما يصفه لما يجوز ان يسلم منهم نفي فيصفونه بما يليق
به لان المؤمن والمخلص لا يصف ربه الا بما يليق والله اعلم وقال بعضهم الا عباد الله المخلصين استثنى من قوله ولقد
علمت الجنة انهم لمحضرون للناس سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانهم لا يحضرون النار والعذاب
على سبق استثناء هؤلاء الذين اخلصوا ممن يحضر فيما تقدم والله اعلم وهو على التقديم والله اعلم وهو على التقديم
والتاخير وقوله عز وجل فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول والله اعلم انكم وما
تعبدون لا تملكون تفتنوهم وان تضلوهم الا من هو في علم الله انه يختار الضلالة مما يصليه النار على حق العقوبة
لهم لا حقيقة الاضلال وهو ما ذكر عز وجل في اية اخرى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وما
اخبر انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والله اعلم وقال بعضهم
من قوله وجل الا من هو صال الجحيم الا من كتب عليه في اللوح انه يصلى الجحيم وقال بعضهم الا من رضي الله عليه
انه يصلى النار واصله ما ذكرنا والله اعلم وما يعبدون الجن الذين عبدوا الجن او الملائكة ويحتمل الاصنام التي عبدت
اذ قد نسب اليهن الاضلال لقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس والله اعلم وقوله عز وجل وما منا الا له مقام
معلوم يحتمل هذا منهم اعني الملائكة وجهين احدهما قالوا ذلك تبرية انفسهم عن ان يأمروا بالعبادة لهم اي لم
نتفرغ نحن بعبادة هؤلاء طرفة عين فكيف تأمر هؤلاء بعبادتنا كقولهم قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم
اي الجن في طلب ولا شك فكيف نتفرغ لذلك او ان يقولوا ان ولانبك التي والتي شغلتنا عن جميع ما ذكروا والله اعلم

وقوله عز وجل ما انتم بمضلين احدا من عبادي ما ظنكم هذا الذي يعبدون الا من نولاه كم يعمل اهل النار وذكر عن عمر بن
عبد العزيز عن الحسن ايضا انهما قالا في قوله عز وجل ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول ما انتم
بمضلين بالهتكم احدا الا من قدر انه يصلى الجحيم وهو قريب ما ذكرنا والله اعلم الا له مقام معلوم محدود لا
يبرح منه ولا يفارق ويحتمل مقام معلوم اي عبادة معلومة نحو ما ذكر حكيم بن حزام قال بينما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا بما نحن فيه ولكن امر اخر والله اعلم ثم قوله لكنا عباد الله المخلصين بنصب اللام على ظاهر
ما قالوا يجوز ان يكون من المخلصين بكسر اللام اي لو كان كذا فنحن نخلص له التوحيد والعبادة لكن المخلص
ان يخلصنا الله لو كان كذا والله اعلم ثم اخبر انهم كفروا ما اتاهم البيان وان اولئك المتقدمين انما اهلكوا لما ذكر
محمد عليه الصلوة والسلام لكنهم عاندوه وكابروه وكفروا به وقوله عز وجل فكفروا فسوف يعلمون علم عيان ومشاهدة
اذ عرفوا علم خبر بالحجة والايات والله اعلم وقوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
اختلف فيه قال بعضهم ان الرسل عليهم السلام كانوا منصورين لم يبلغ رسول قط فانما قتل الانبيه ورسل المرسلين
الذين يبلغون رسالة الرسل الى قومهم ويخبرون عنهم فاما الرسل انفسهم فهم لم يقتلوا ولا قتل احد منهم
عصمهم الله تعالى عن الناس وان هموا بهم وقال بعضهم انهم منصورون لما نصر العاقبة لهم اذ لم يكن رسول الا
وقد كانت العاقبة له وان غلب في الابتداء وقال بعضهم انهم لهم المنصورون بالحجج والايات والبراهين انهم
يغلبون بحججهم واياتهم ويرفعون بها الشبه والتمويهات والله اعلم ويستدل صاحب التاويل الاول بقوله
عز وجل وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير وفي بعض القراات قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل
الله وما ضعفوا وما استكانوا اخبر انهم وان قتلوا فانهم لم يهنوا ولم يضعفوا ثم قال عز وجل وما كان
قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ثم
اخبر انه اتاهم الله ذلك حيث قال فاتاهم كذا والله اعلم دل وان غلبوا وقتلوا فهم المنصورون ثم قوله انهم
لهم المنصورون ذكر انهم لهم بحرفين ومعناهما واحد على التاكيد كقوله عز وجل وانا لنحن الصافون وقوله
اني انا الله وان كان الواحد كما في قوله عز وجل وان جندنا لهم الغالبون اي رسلنا واتباعنا واولياؤنا هم الغالبون
على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فتول عنهم حتى حين يحتمل اي لا تكافيهم باذاهم اياك الى حين ولا تبالهم
فكيف ما كان فيه وجهان من الدليل احدهما دليل على رسالته حيث اخبر انهم يكونون على الكفر الى الحين الذي
ذكر ويهلكون على ذلك حيث قال فتول عنهم الى حين والثاني فيه دليل حفظه اياه وعصمته كما كانوا يهمون به
من القتل والاهلاك حيث قال منعه من مقاتلتهم ونهاه عن التعرض لهم الى وقت على المعلوم ما كان منهم من الهم
بقتله واهلاكه لو وجدوا السبيل اليه فدل ان الله عز وجل قد عصمه وحفظه عنهم حين قال لهم ما قال حيث
قال عز وجل وابصرهم فسوف يبصرون كقوله فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وقوله عز وجل وابصرهم
فسوف يبصرون عيانا ومشاهدة وقال بعضهم وابصرهم العذاب اذا نزل بهم خبر فسوف يبصرون وقوعه
ويحتمل قوله وابصرهم اي عرفهم ان العذاب ينزل بهم فسوف يعرفون اذا نزل بهم وقوله عز وجل افبعذابنا
يستعجلون دل هذا انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب بهم والله اعلم انما يستعجلون العذاب استهزاء منهم
بالرسول عليه السلام وتكذيبا له فيما يوعدهم ان العذاب ينزل بهم ثم قوله عز وجل افبعذابنا يستعجلون
هو حرف التعجب اي كيف يستعجلون غوايتهم الم يعرفوا قدرتي وسلطاني في انزال العذاب والاهلاك اذا اردت
تعذيب قوم واهلاكهم اي قدرت ذلك وملكته ثم اخبر انه اذا نزل العذاب بساحتهم ساء صباحهم
حيث قال عز وجل فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين ثم قوله عز وجل فاذا نزل بساحتهم يحتمل النزول
بالساحة اي بقربهم ويحتمل النزول بالساحة النزول بهم والوقوع عليهم كقوله عز وجل ولا يزال الذين
كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتي وعد الله في نزول بهم والله اعلم يحتمل
نزول بساحتهم ما ذكرنا من نزوله بقربهم ووقوعه عليهم ثم قوله عز وجل فساء صباح المنذرين ساء
صباحهم لان ذلك العذاب اذا حصل بهم صيرهم معذبين في النار ابدا الابدين والله اعلم وقوله عز وجل
وتول عنهم حتى حين هذا قد ذكرنا فيما تقدم وكذلك قوله عز وجل وابصر فسوف يبصرون ويقول بعضهم
اي نظرون لكن الوجه فيه ما ذكرنا وقوله عز وجل سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين في هذه الاحرف الثلثة جميع ما يبنيه من الحق على الخلق من التوحيد وجميع ما عليهم
من التفويض اليه في الامور كلها وجميع ما عليهم من الثناء الحسن والحمد له فيما انعم عليهم وما الزمهم من
الثناء الحسن على جميع المرسلين اما حرف التوحيد فهو قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون نزه نفسه
وبراه عن جميع ما قالت الملاحدة فيه مما لا يليق به من الولد والشريك والصاحبة وغير ذلك فيرجى ان يثاب
قايل هذا ثواب كل واصف لله عز وجل بالبراءة له والتنزيه عن ذلك كله وفي قوله عز وجل رب العزة وصف
بالعزة والقوة وتفويض الامر اليه فيرجى ان يثاب قايل هذا ثواب كل واصف لله بالعزة والقوة واما الثنا
الحسن على المرسلين فهو قوله عز وجل وسلام على المرسلين امر الله عز وجل عباده ان يثنوا على المرسلين جملة وعلى
ذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سلمتم علي فسلموا على اخواني المرسلين فانما انا رسول

من المرسلين انما الثناء الحسن على الله بكل ما انعم عليهم واحسن اليهم فهو قوله عزوجل والحمد لله رب العالمين فيرجى ان
ان يثاب قائل هذا وتاليه على المعرفة به بما فيه ثواب جميع القائلين به والتالين والله اعلم وذكر عن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما
يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والله اعلم ورب العزة قال بعضهم هو رب المنعة والقوة ويحتمل
رب العزة اي به يتعزز كل من تعزز واليه يرجع كل عز وكذلك كل من حمد واثنى على شيء فحقيقة ذلك الحمد والثناء راجع اليه والله

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عزوجل ص والقران ذي الذكر قال بعضهم ص لنا هو اسم تلك السورة التي ذكر وكذلك قوله
ق والقران وكذلك جميع حروف المقطعات ولله ان يسمي ما شاء بما شاء وباي اسم شاء وقال بعضهم لنا هو اسماء الرب تبارك
وتعالى وقال بعضهم لنا هو فواتح السورة وقد ذكرنا ان يفسره ما ذكر على اثره وقد ذكرنا في غير موضع ما قيل في حروف
المقطعة وقال بعضهم صاد اي عارض بالقران قال ابو عبيدة صاد من المصاداة وقال الزجاج صاد بالقران
اي قابل به وعارض بالقران وقال بعضهم صاد بالقران اي نادى بالقران وقيل اقبل بالقران ونحوه والله اعلم
وقال بعضهم هو قسم اقسم بقوله والقران وقوله عزوجل ذي الذكر يحتمل ذي الشرف سماه ذكرا لان كل من تبعه
يذكر في كل ملأ من الخلق او سماه ذكرا لما يذكرهم كل ما لهم وما عليهم ونوى وما يذر والله اعلم وقال بعضهم ذي البيان
وقوله عزوجل بل الذين كفروا في عزة وشقاق ذكر ان ابا طالب كان مريضا فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده و
عند رأسه مقعد رجل فقام ابو جهل فجلس فيه وعنده ملأ من قريش فشكوا النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي طالب
فقالوا انه يقع في الهتنا قال يا ابن اخي ما تريد منهم قال يا عم اني اريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب ويؤدي
اليهم بها العجم الجزية قال وما هي قال لا اله الا الله فقال ابو جهل اجعل الالهة الها واحدا بذلك اخبرهم
العزة الذي ذكر حيث قال بل الذين كفروا في عزة وشقاق وقوله عزوجل في عزة قال بعضهم منعة معاندين ممتنعين وقال
بعضهم في عزة في حمية واعتزاز والحمية هي التي تحمل على الخلاف والعصبية والله اعلم ثم اختلف في موضع القسم
ههنا قال بعضهم القسم في قوله كم اهلكنا قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص قيل في قوله كم اهلكنا قبلهم
من قرن بوجهين احدهما ان هذا في كل كافر ومشرك ينادي عند موته وهلاكه ويسأل ربه الرجوع والعود الى الدنيا
ليؤمن كقوله رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا وكقوله فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب الاية ونحوه
لكن لما ينفع ذلك النداء والغوث والسؤال التأخير على ما اخبر انه اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
ومنهم من يقول هذا في الجملة في الامم التي اهلكت من قبل واستؤصلت بالتكذيب والعناد كانوا ينادون عند نزول
ذلك بهم ووقوعه عليهم ويسألون الغوث ويظهرون الايمان كقوله عزوجل فلما رأوا قالوا امنا بالله وحده
لكن لا ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت على ما اخبر الله عزوجل لانه ايمان دفع العذاب واضطرار لا ايمان اختيار
يخوف فهنا اهل مكة ان نزل بهم على ما نزل باولئك ويندمون على صنيعهم كما ندم اولئك والله اعلم ثم قوله
عزوجل ولات حين مناص هو في الاصل ولا فاذا وصل بحين صارت وهو ولات كانه يعني اي والله وهو قول الكسائي
وقال بعضهم هو ولا وليس هنالك تاء وانما التاء في حين اي تحين وربما يزاد التاء في حين والان ونحوه وقال بعضهم
ولات بالياء وقد قرئ بالتاء والوقف عليهما قوله حين مناص وابن عباس رضي الله عنه يقول ليس بحين بروز ولا
فرار وقال بعضهم ليس بحين مغاث وقيل ليس بحين جزع والله اعلم وقوله عزوجل بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم
يحتمل هذا وجهين احدهما عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي من بشر مثلهم كقوله عزوجل هل هذا الا بشر مثلكم
وقوله عزوجل يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون وقولهم ابعث الله بشرا رسولا كانوا ينكرون الرسالة في
البشر ويقولون لولا انزل علينا الملائكة والثاني بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي من دونهم في امر الدنيا لما رأوا انفسهم
قد فضلوا في امر الدنيا دونه فقالوا انزل عليه الذكر من بيننا وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم لم يروا
من دونهم في امر الدنيا على ما ذكر والله اعلم وقوله عزوجل وقال الكافرون هذا ساحر كذاب دل هذا القول منهم
انه قد كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم اية معجزة اتى بها حتى قالوا ساحر كذاب علموا انه رسول الله لكنهم عاندوا
وارادوا بقولهم ساحر كذاب ان يغروا اتباعهم عليه كما اغرى فرعون قومه على موسى عليه السلام حيث قال
يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهو عليه السلام لم يرد ان يخرجهم من ارضهم انما يريد الاسلام منهم فعلى ذلك
هؤلاء الرؤساء عرفوا انه ليس بساحر ولكنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن ارادوا ان يغروا قومهم واتباعهم
عليه وليستوا امره عليهم لئلا يتبعوه وكذلك قوله عزوجل اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب هذا القول
من الرؤساء والمتبوعين منهم اغراء عليه لما عرفوا من حب عبادة الاصنام والاوثان في قلوبهم فقالوا اجعل الالهة الها
واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله عزوجل وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم اختلف في قوله ان امشوا
وقال بعضهم ان الملأ منهم والاتباع اتوا ابا طالب يشكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر الهتهم بسوء
فلما كلموه في ذلك لم يلتئم امرهم فما طمعوا منه ولم يجبهم الى ما دعوه اليه وسألوه فقال الملأ وهم اشرافهم
للاتباع امشوا من عنده واصبروا على عبادة الهتكم او ان يقال ان قال الملأ للاتباع ان امشوا الى الهتكم واصبروا على عباد

او ان يكون قولهم ان امشوا الى ابي طالب وقولوا له كذا واصبروا على كذا او يقولون امشوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اعلم وقوله عزوجل ان هذا لشيء يراد لسنا ندري ما ارادوا بقولهم ان هذا لشيء يراد فيجوز ان يكونوا ارادوا بذلك
ان محمدا صلى الله عليه وسلم وان دعاكم الى ترك عبادة الاصنام لا يترككم كذلك ولكن يدعوكم الى عبادة غيرها
او يطلب منكم اشياء اخر ويأتي باشياء اخرى ولسنا نعرف ذلك ما ارادوا بذلك والله اعلم وقوله عزوجل ما سمعنا بهذا
في الملة الاخرة قال بعضهم الملة الاخرة هي ملة عيسى عليه السلام قالوا ذلك لان النصارى اختلفوا في عيسى عليه
السلام منهم من اتخذه الها ومنهم من اتخذه ولدا لله عزوجل فيقولون عبادة الواحد الذي يدعوا اليه محمد
صلى الله عليه وسلم في الملة الاخرة هي النصرانية اذ من صيره الها عنده ومن قال انه ولده صيرهم بحيث يحتمل التشريك
فيقولون ظهرت عبادة العدد في الملة الاخرة فكيف يمنعنا محمد عليه السلام عن عبادة العدد ويدعونا الى
عبادة الواحد فقال بعضهم في قوله في الملة الاخرة هي الملة التي كانوا عليها يقولون ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة
التي نحن عليها وكان اباؤنا عليها لا على عبادة الواحدة يقولون ان هذا الا اختلاق من عند محمد صلى الله عليه وسلم
وقوله عزوجل اانزل عليه الذكر من بيننا يدل على انهم قد رأوا ان من انزل عليه الذكر من السماء انما ينزل الفضل وخصوصية
لكن انما رأوا الفضل والخصوصية لانفسهم لما لهم الفضل في الدنيا فلم يروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك
انكروا انزال الذكر عليه دونهم وكذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله اانزل عليه الذكر
من بيننا ثم اخبر عزوجل انهم شاكون في ذكره حيث قال بل هم في شك من ذكري وتأويل هذا والله اعلم ان الشك
هو الذي لا يوجب القطع على شيء بل يوجب الوقف فبطل القطع على شيء فكيف قطعتم على الرد والانكار دون ان
تقفوا فيه والله اعلم وقوله عزوجل بل لما يذوقوا عذاب ثم يحتمل ان يكون هذا على الاخبار عن الاياس من ايمانهم
انهم لا يؤمنون لما يذوقوا العذاب كقوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم
وقال مقاتل اللام زائدة كانه قال بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذابي يذكر سفههم في ردهم الذكر وتكذيبهم اياه
على الشك منهم والشك يوجب الوقف في الشيء لا القطع في الرد والتكذيب له ثم فيه الدلالة على ان الحجج والبراهين
قد يلزم من جهلها ولم يتحقق عنده اذا كانت تسهل التحقق لها والوقوف عليها بالتأمل والنظر فيها وان كانت لم
يتحقق عنده بالبديهة وعند قرعها سمعه فهو حجة لقول علمائنا ان من اسلم في دار الاسلام ولم يعلم ان عليه
الشرائع والاحكام كان مأخوذا بها غير معذور في جهله فيها لانها تسهل ما يوصل اليها بالسؤال والبحث عنها
والفحص منها والله اعلم وقوله عزوجل ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب قد ذكرنا فيما تقدم ان حرف
الاستفهام من الله عزوجل يخرج على الايجاب والالزام لما لو كان ذلك من سفههم حقيقة يتضمن الجواب
له فقوله عزوجل ام عندهم خزائن رحمة ربك جواب كقولهم اانزل عليه الذكر من بيننا فخوا به لهم اليس عندهم
رحمة ربك حتى يختاروا الرسالة والنبوة لانفسهم او لمن شاؤا هم كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم كانوا لا يرون وضع الرسالة الا فيمن كانت له اموال وله سعة في الدنيا وفضل ومال
فيذكر ان عندهم خزائن ربك حتى يجعلوا الرسالة والنبوة فيما سواهم واختاروا الذلك قال الله عزوجل
اهم يقسمون رحمة ربك اي لا يملكون قسمة رحمة ربك بل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا الاية
يخبر انهم على ما لا يملكون توسيع المعيشة على من ضيق عليه ورفع من وضع فعلى ذلك ليس اليهم اختيار النبوة و
الرسالة لمن شاؤا او اختاروا بل اختيار ذلك الى الله عزوجل فقالوا اذ كنا احق بهذا في الدنيا فنحن ايضا احق
بالرسالة والنبوة على ما كنا احق في الدنيا بالسعة والفضل فيها بل لو عرفوا ان ما نالوا من السعة في الدنيا وفضل
الاموال انما نالوا بذلك برحمة الله وفضله لا بحق كان لهم على الله فلو عرفوا كانوا لا ينكرون وضع الرسالة
فيمن اختار الله عزوجل وضعها فيمن شاء وعلى ذلك قول المعتزلة انهم لا يريدون لله ان يفعل باحد شيئا
الا ما هو اصلح له في الدين وانه لو فعل ما ليس باصلح له في الدين لكان جائرا لما قرروا ان حفظ الاصلح له حقا
كما راى اولئك الكفرة السعة والاموال حقا على الله حتى راوا انفسهم احق ايضا بالرسالة والنبوة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ان المعتزلة يقولون في الام الصغار ان ليس لله ان يولمهم الا بعوض يجعل لهم بازاء ذلك
الالم عوضا يرضونهم بذلك اذ جعلوا انفسهم له حقيقة حيث لم يجعلوا لله ايلامهم الا بالعوض ومن اخذ
حقا الغير لا يأخذه الا ببدل وعوض برضا ذلك الغير فهذا ابيا قض في قولهم ان على الله حفظ الاصلح للخلق في
دينهم حيث لم يجعلوا له ذلك الا بعوض يجعل لهم والله اعلم ودل اتفاق القول انه وهاب على ان ما ينال
من خير او سعة او فضل انما ينال برحمة وفضل لا بحق عليه لان من ادى حقا عليه لا يقال انه وهاب ولا يثنى
وهابا على ما اعطى من اعطى انما اعطاه تفضلا منه ورحمة لا حقا كان عليه وقوله عزوجل ام لهم ملك
السموات والارض وما بينهما هو مثل الاول اي لهم ملك السموات والارض ليملكوا ما شاؤا من الامور ويختاروا
وضع الرسالة فيمن شاؤا هم اي ليس لهم ملك السموات والارض فيملكوا ما يذكرون ويختارون فان قالوا بلى بل لنا ذلك
والينا فعند ذلك يقال فليرتقوا في الاسباب ثم اختلف في الاسباب التي ذكر قال بعضهم السبب ما بين السماء والارض
وكذلك ما بين كل سماءين سبب والاسباب جماعة وقال بعضهم الاسباب طرف السماء وقال بعضهم هي الابواب
التي في السماء يفتح للوحي ومعناه والله اعلم اي فليرتقوا في الاسباب ان كانوا صادقين بان محمدا صلى الله عليه وسلم

كذاب وانه ساحر وانه اختلقه من تلقاء نفسه اى يفتح له ابواب السماء فليستمعوا الى الوحى حتى يوحى الله عز وجل النبى صلى الله عليه
وسلم لقولهم ان هذا الا اختلاق او ان يكون معناه والله اعلم ان يرتقوا ملك فينزل فيخبر ان محمدا صلى الله عليه وسلم كاذب
فيما يدعى لقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا والله اعلم وقوله عز وجل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
قال بعضهم حرف ما هنا لك صلة كانه قال عز وجل جند هنالك مهزوم من الاحزاب وقال بعضهم جند بل هنالك
مهزوم من الاحزاب وجائز ان يكون على تحقيق ما فيه اى جند ما يهزم هنالك من الاحزاب لا كل الاجناد وهو الجند
الذى خرجوا عليه بالمباهلة وهم الذين قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين واوصل رحما وانفع مالا واخير الخلق فغلبوا هم وقهروا وقال
عامة اهل التاويل هو الجند الذى قتل ببدر والله اعلم ثم فى الاية وجوه ثلثة من الدلالة احدها الامن له عن ان
يصلوا الى قتله واهلاكه على الاحاد والافراد كقوله عز وجل فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون وفيه الامن له عن
ان يصلوا الى قتله واهلاكه على الجمع والاجتماع عليه كقوله عز وجل سيهزم الجمع ويولون الدبر اخبر
عز وجل انهم يهزمون جميعا وفيه بشارة له انهم يهزمون فى ضعفه وقلة اعوانه وانصاره مع كثرة اولئك
وعدتهم ففى الوجوه الثلاثة التى ذكرنا دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بما ذكر فكان على ما اخبر دل انه
بالله تعالى عرف ذلك صلى الله عليه وسلم والله اعلم وقوله عز وجل جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب حين تحزبوا
عليه قال بعضهم انه ساحر وقال بعضهم انه كذاب وانه مفترى وانه مجنون على ما تحزبون عليه وتفرقت قلوبهم
فيه وتلونت والله اعلم وقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد الى قوله اولئك الاحزاب اى
الفرق وقوله ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب يذكر هؤلاء الاحزاب الذين كانوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ويخبرهم عن صنيعهم ومعاملتهم الرسل لوجهين احدهما كيفية معاملة الرسل عليهم السلام اولئك الكفرة مع
تكذيبهم اياهم وسوء معاملتهم وصنيعهم مع الرسل وانواع البلاء التى كانت منهم اليهم ان كيف عاملوهم
وصبروا على اذاهم ليعامل هو قومه مثل معاملتهم قومهم ويصبر على اذاهم كما صبر اولئك على اذى قومهم مثل
معاملتهم قومهم وسوء صنيعهم كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثانى يذكر هذا لاهل مكة
ويحذرهم ما نزل بالامم المتقدمة بتكذيبهم الرسل وعنادهم وتمردهم معهم ليحذروا تكذيبهم محمدا صلى الله
عليه وسلم وان لا يعاملوه كما عامل اولئك رسلهم عليهم السلام فينزل بهم كما نزل باولئك من العذاب
والاهلاك والله اعلم فحق عقاب قال بعضهم اى وجب عليهم عقاب لكن قوله عز وجل فحق عقاب اى نزل
بهم العقاب ووقع عليهم والا كان العذاب واجبا على الكفار وقوله عز وجل وفرعون ذى الاوتاد قال
بعضهم ان فرعون كان اذا غضب على احد من قومه مده باوتاد فيعاقبه بها ويعذبه والله اعلم وقال
بعضهم وفرعون ذى الاوتاد اى ذى البناء المحكم وقال بعضهم كانت له اوتاد وارسان اى حبال وملاعب يلعبون
بها والله اعلم وقوله عز وجل وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق يخبر عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم
ويوليه (?) عن ايمانهم انهم لا يؤمنون الا عند وقوع العذاب بهم حتى لا ينفعهم الايمان كقوله عز وجل ان
الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم ثم قوله عز وجل الا صيحة
واحدة يحتمل ان يكون سمى نفس العذاب صيحة وجائز ان يكون ذكر صيحة لما ان العذاب اذا نزل بهم ووقع عليهم
يصيحون فسمى ذلك صيحة لصياحهم او ان يكون ذلك اذا نزل بهم كان فيه صياح وصوت الشئ الهائل العظيم
الشديد اذا هو وقع ومال الى الارض فيه صياح وصوت حتى يفزع الناس منه فعلى ذلك الصيحة التى ذكر يحتمل ما ذكر
والله اعلم وقوله عز وجل ما لها من فواق قال ابو عبيدة من فتحها اراد ما لها من راحة ولا افاقة كانه ذهب الى افاقة
المريض من علته ومن ضمها جعلها من فواق الناقة وهو ما بين الحلبتين ويريد ما لها من فواق انتظار ومكث
قال ابو عوسجة والقتبى ما لها من فواق اى من انقطاع او هى دائمة ابدا لا ينقطع به وقال الكسائى الفواق بالنصب والرفع
لغتان وهو من فواق الناقة بين الحلبتين والرضعتين وقال عامة اهل التاويل ما لها من فواق اى من مرد ومرجع وتراد
وقال بعضهم هو مثل البصر يقول هو اقرب من ذلك كقوله عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب والله اعلم
واصل الفواق كانه من العود والرجوع كقول اللبن الى الضرع بعد ما حلب مرة والله اعلم ذكر عن الحسن من قوله عز وجل
ص والقران ذى الذكر يقول حادث القران تعلمك وهو من قول العرب صادتم الدابة اذا كانت منعت فاطعتها حتى
ذلت ولانت وقال ابو عوسجة ص هو اشد كلام وهو شبه قسم قال والصاد فى غير هذا الموضع العطشان وقوم
صادون ثم اختلف فى موضع القسم على ما ذكرنا قال الكسائى القسم فى القران ما هو ظاهر لا يخفى ومنه غامض
فمن ظاهره قوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس وجوابه قوله انه لقول رسول كريم ومن غامضه
ص قال بعض الناس موضع قسمه قوله عز وجل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار والله اعلم لا ارى شيئا طال الكلام وتجانس
القصص ما لا يكون ذلك قسمة ولكن قسمة والله اعلم عندى ص والقران ذى الذكر ثم اعترض بل الذين كفروا فى عزة
وشقاق كم اهلكنا القسم ههنا كم اهلكنا ولكن لما اعترض بل الذين كفروا صار قوله ردا عليه وجوابا له وهو
غريب ظريف غامض وقوله عز وجل ذى الذكر قال بعضهم ذى الشرف اى من اوتيه شرف وقيل ذى الشان وقيل
ذى الذكر فيه ذكر ما تؤتى وما يتقى وذكر من كان قبله من الامم الخالية وقوله عز وجل فى عزة وشقاق قيل فى تكبر
وتكذيب وقيل فى حمية وخلاف وقيل فى غفلة ونحوه وقوله عز وجل فنادوا ولات حين مناص قال بعضهم

اى حين هم فى غير وقت الهرب ومناص مهرب وناص ينوص نوصا وهو المنجا والغوث وقال القتبى ولات حين
مناص اى لا حين هرب على ما قال ابو عوسجة وقال النوص التاخر فى الكلام والبوص المتقدم واصله ما ذكرنا
ان ذلك الوقت ليس هو وقت المهرب ولا وقت المنجا ولا وقت الغوث على ما تقدم غيره وقوله عز وجل
ان هذا لشئ عجاب قال بعضهم عجاب بلغة قوم عجيب وقال الكسائى العجاب والعجاب والعجيب والعجب كلها
لغات واحد وقال ابو عوسجة عجاب هو كثير العجب كما يقال كبار وقوله عز وجل وانطلق الملأ منهم اى الاشراف
منهم وقالوا للاتباع على ما ذكرنا ان امشوا واصبروا على الهتكم قال بعضهم قوله ان امشوا اى الى ابى طالب وابنوا على
عبادة الهتكم ان هذا قال بعضهم بقبول الاسلام وذلك كان حين اسلم عمر رضى الله عنه يشيع اى الامر يراد فمشوا
الى ابى طالب فقالوا له ما ذكرنا فيما تقدم والقصة طويل وقال بعضهم ان امشوا اى مضوا وادخلوا الى عبادة الهتكم
واصبروا عليها وقال بعضهم قوله ان امشوا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصبروا على عبادة الهتكم ان هذا الشئ
يراد باهل مكة والله اعلم وقوله ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة يعنون عبادة اله واحد وترك عبادة الهة فى الملة
الاخرة قال عامة اهل التاويل الملة الاخرة النصرانية واليهودية كلتيهما وقال بعضهم يعنون الملة الاخرة
الملة التى هم عليها واباؤهم يقولون ما سمعنا عبادة اله واحد وترك عبادة الالهة فى الدين نحن واباؤنا عليه
ان هذا اى ما هذا الا اختلاق من بغته (?) وقالوا اانزل الذكر من بيننا يعنون النبوة والكتاب والوحى ونحن اوفرنا
واصغرنا ونحن اكثر سنا واعظم شرفا يقول الله عز وجل بل هم فى شك من ذكرى بانه لم ينزل عليه لما يذوقوا عذاب
وهو قول مقاتل ثم قال ام عندهم خزائن رحمة ربك اى مختص نعمة ربك اى بايديهم مفاتيح الرحمة والنبوة و
الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا اى ليست تلك بايديهم ولكنها بيد الله العزيز فى ملكه الوهاب يهب النبوة والرسالة
لمن يشاء ويضعها فيمن يشاء ثم قال عز وجل ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اى ليس لهم ذلك ولكن
عز وجل فيوحى الرسالة الى من يشاء ويختار لها من يشاء ثم قال فليرتقوا فى الاسباب اى الابواب التى فى السماء
وان كانوا صادقين بان محمدا صلى الله عليه وسلم اختلقه من تلقاء نفسه اى فليستمعوا الى الوحى الى النبى محمد صلى الله
عليه وسلم يقول اولئك وقال بعضهم السبب ما بين السماء والارض صليب من الحديد ادق من الشعر يعرج به الملائكة
وهو المعراج يبصره الميت اذا خرجت روحه وقال بعضهم فليرتقوا اى فليصعدوا فى طرفها فيعلموا علم ذلك انزل
عليه الذكر او لم ينزل والله اعلم والارتقاء الصعود وان يقول ارتقوا انهم السبب الذى اتى محمد صلى الله عليه
وسلم واتوا بمثل الذى اتى به محمد انه ليس برسول او ان يقول ايتوا انتم بالذى اتى به محمد صلى الله عليه وسلم
من الدين والاسباب حتى تختصوا بالنبوة والرسالة كما اختص محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل جند ما هنا
لك مهزوم من الاحزاب قال وعد الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انه سيهزم جند المشركين فقال عامة
اهل التاويل جاء تاويلها يوم بدر وقد ذكرنا تاويله فيما تقدم والله اعلم والاحزاب هم الذين تحزبوا عليه
اى تفرقوا وقوله عز وجل وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اختلف فيه قال بعضهم عجل لنا قطنا اى كتابنا
وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوعدهم انهم يؤتون كتابهم بشمالهم فيه اعمالهم التى عملوها فى الدنيا
فى الاخرة فعند ذلك قالوا عجل لنا قطنا اى كتابنا الذى توعدنا انه يعطى بشمالنا قالوا ذلك استهزاء بهم و
تكذيبا له وقال بعضهم عجل لنا قطنا اى نصيبنا وحظنا من العذاب الذى توعدنا به وتحذرنا يوم الحساب
قبل يوم الحساب قالوا ذلك استهزاء به وتكذيبا له ولذلك قال الله عز وجل اثر ذلك اصبر على ما يقولون يصبره و
يعزيه على ما يقولون ليصبر على ذلك والله اعلم وجائز ان يكون قوله عز وجل عجل لنا قطنا ليس على سؤال العذاب
والكتاب الذى حمله عامة اهل التاويل عليه ولكنه سؤال السعة والنصيب فى الدنيا ويكون ذلك فى قوم لا يؤمنون
بالاخرة سالوا ما وعدوا من النعيم فى الاخرة والسعة فى الدنيا وذلك اشبه لانهم سالوا ربهم ان يعجل ذلك لهم
فلو كان على ما يحمله اهل التاويل من سؤال العذاب والكتاب على الاستهزاء بالرسول والتكذيب له لما سالوا ربهم
ذلك فدل ذلك على انه اشبه واقرب والله اعلم ويكون وقوله عز وجل اصبر على ما يقولون على ما تقدم من قولهم
انه ساحر كذاب وان اختلق هذا القران من ذات انفسهم ونحوه ويؤيد ذلك قول سعيد بن جبير قال ذكرت
لهم الجنة فاشتهوا ما فيها فقالوا ربنا عجل لنا قطنا اى نصيبنا من الجنة وقوله عز وجل واذكر عبدنا داود يحتمل
قوله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم اذكر عبادنا داود وجوها احدها ان اذكر نبا داود ونبا من ذكر فى
هذه السورة من قوله واذكر عبدنا ايوب وابرهيم واسحق ويعقوب ومن ذكرهم عليهم السلام وعلى محمد فى هذه
السورة اى اذكر نباهم الذى لم يكن لتعرف انت ولا قومك من قبل هذا لعلمهم بصدق قولك ويؤمنوا بك كقوله
عز وجل تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين والثانى
قوله عز وجل واذكر عبدنا داود اى اذكر صبر هؤلاء على اذى قومهم وتكذيبهم اياهم لتصبر على اذى قومك
وتكذيبهم اياك كما صبر اولئك كقوله عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثالث اذكرها ولا ومن ذكر
من الانبياء اى اذكر لهم المصدقين وما يكون لهم من الكرامات والثواب كما ذكرت لهم المكذبين وما نزل بهم من
العذاب لعلهم يرجعون وتصديقونك ليعلموا من نجا منهم ثم هلك او ليعلموا فى اولئك المصدقين له والمؤمنين
فكيف اتبعهم المكذبين منهم دون المصدقين والله اعلم ويحتمل قوله عز وجل واذكر عبدنا اى اذكر جهدهم ودوجهد

من ذكر من هؤلاء في العبادة والدين وامثال ذلك يحتمل والله اعلم وقوله عز وجل ذا الايد انه اواب قال عامة اهل التأويل
ذا الايد ان القوة على العبادة وجائز ان يكون قوله عز وجل ذا الايد في امر الله في امر الدين لانه الين له الحديد حتى كان
يتخذ منه الدروع وغيرها من الاسلحة وسخر له الطير والجبال حتى يسبح معهم بالعشي والاشراق وحتى كان يستعمل
ما اتخذ الحديد فيمن شاء من امر الدين من المحاربة مع الاعداء والدفع عن اهل الاسلام والدفع عنهم والله اعلم وقوله
عز وجل انه اواب قال بعضهم اواب مطيع لله مقبل على طاعته وقال بعضهم اواب اي مسبح لله ذكر انه كان كثير التسبيح
وكذلك قال عز وجل يا جبال اوبي معه اي سبحي معه هذا يحتمل وجائز ان يكون قوله عز وجل اواب اي رجاع الى الله يرجع
في كل امره اليه يفزع في كل نائبة وحادثة وقال بعضهم ذا الايد ذا الاحسان والعمل الصالح اواب اي
تواب وقتادة يقول ذا القوة في العبادة والفقه في الاسلام وذا البصر في الدين وقال ابو عوسجة قطنا اي كتابنا
يقال قططت اي كتبت قط قطا فانا قاط والكتاب مقطوط والقط ايضا القطع يقال قططنا ظفاري والقط الدهر ويقال
قطني اي حسبي وقطك اي قال القتبي القط الصحيفة المكتوبة وهي الصك وقوله عز وجل انا سخرنا الجبال معه يسبحن
بالعشي والاشراق هو على التقديم والتأخير كانه قال عز وجل انا سخرنا الجبال يسبحن اخبر انه سخر الجبال والطير وما ذكر
لداود وكي يطعنه ويسبحن معه وفيه لطف من الله عز وجل في هذه الاشياء والخصوصية لداود في ذلك حيث صير الجبال
والطير بحيث يفهمن وقت تسبيح داود معه على ما اخبر عز وجل وفيه ان الله عز وجل حيث صير الجبال مع شدتها وصلابتها بحيث تعرف
وقت تسبيح داود وتعرف تسبيحه وتسمعه ويلين له فجائز ان يجعل قلب الكافر بحيث يلين ويخضع لله بلطفه اذ قلبه ليس اشد
قسوة وصلابة من الجبال فاذا جعل لطفه فيها لانت وخضعت فعلى ذلك اللطف في قلب الكافر لا يحتمل ان لا يلين ولا يخضع
اذ هو ليس باصلب واشد من الجبال التي ذكرنا والله اعلم وانما الخصوصية له فان الله عز وجل جعل لكل من الرسل خصوصية في
شيء لم يجعل مثل تلك الخصوصية لاخرى في ذلك الشيء بعينه بلطفه وخصوصية داود ما ذكر من تسخير ما ذكر له من
الجبال والطير والتسبيح معه وما ذكر من الانة الحديد له وغير ذلك من الاشياء وخصوصية سليمان ما ذكر من تسخير الرياح
له وحملها اياه حيث شاء الى ما شاء مسيرة شهر بغدوه ومسيرة شهر بعشيه حيث قال عز وجل ولسليمان الريح غدوها شهر
ورواحها شهر وما ذكر من فهم نطق الطير والنطق معه وفهمه تسبيحها ونحو ذلك كثير ومثل هذا ما قد جعل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث ذكر انه اخذ احجارا فسبحن في يده حتى سمع ذلك من حضره وما ذكر ان اصابعه يسبحن ونحوه
كثير فلكل منهم خصوصية في شيء ليست تلك لغيره والله اعلم وقوله عز وجل والطير محشورة اي مجموعة مسخرة اي
سخرت له الطير ايضا وقوله عز وجل كل له اواب قال بعضهم كل له مطيع وقال بعضهم كل له مسبح فان كان قوله عز وجل
كل له اواب اي مطيع فهو يحتمل مطيع لداود وان كان الاواب هو المسبح فهو لا يحتمل لداود ولكن لله تبارك وتعالى
والله اعلم ثم قوله عز وجل يسبحن بالعشي والاشراق جائز ان يكون لا على ارادة حقيقة العشي والاشراق ولكن على ارادة
التسبيح معه في كل وقت فيكون العشي كناية عن الليل والاشراق كناية عن النهار يخبر انهن يسبحن في كل وقت من الليل والنهار
والله اعلم ويحتمل ان يكون يسبحن في العشيات والغدوات خاصة كقوله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والله اعلم ثم جائز ان يكون ما ذكر من تسبيح هذه الاشياء
صلوة يسبحن اي يصلين لله كقوله عز وجل الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات ثم قال عز وجل
كل قد علم صلوته وتسبيحه دل انها صلوة والله اعلم ومن تقول يسبح هذه الاشياء التي ذكر هو تسبيح هذه الاشياء
التي ذكر هو تسبيح خلقة لا تسبيح نطق وكلام لكن لو كان على هذا الكان لا معنى لذكر تسبيحهن مع داود عليه السلام
اذ ذا مع داود وغيره في كل وقت دل انه على تسبيح النطق وان كان على الصلوة فهو ان لا يجوز الصلوة لا حد حتى
تشرق الشمس وترتفع حيث ذكر اشراق الشمس والله اعلم ثم من الناس من حمل قوله عز وجل والاشراق على صلوة الضحى
وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ذكر عنه ذكر انه سال امهاني عن صلوة الضحى هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل في بيتها
فاخبرته انه فعل قال ابن عباس رضي الله عنهما وقلت اي صلوة الاشراق وهذه صلوة الاشراق يعني صلوة الضحى والله اعلم
وسميت صلوة الضحى صلوة الاوابين وقوله عز وجل وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة قال عامة اهل التأويل وقوله وشددنا
ملكه لانه كان يحرسه كل ليلة ثلثة وثلاثون الفا من بني اسرائيل لكن ليس فيما ذكروا اكثر شدة الملك وتقوية اسبابه هو وصف
ضعف الان يصفوا بما ذكروا كثرة اعوانه وانصاره وفضل اتباعه وخواشه فعند ذلك يحتمل ما ذكروا فاما في نفس
ما ذكروا من الحرس له والحفظ فليس فيه كثير شدة ولا فضل منقبة وجائز ان يكون غير هذا اشبه له واولى بما ذكر ملكه
وهو يخرج على وجهين احدهما شدة ملكه مما ذكر من الانة الحديد حتى كان يتخذ منه ما يلبس الدروع وغيرها من اسباب
الحرب والة هيبتها وما يصلح للقتال ما لم يعط مثله لاحد سواه فتنقطع بذلك طمع المنازعين له في ذلك والراغبين في ملكه
وبان من هو بذلك ذهاب فهو شدة ملكه والله اعلم والثاني شدة ملكه بما ذكر من تسخير الجبال له والطير والتسبيح معه وما ذكر
من طاعة هذه الاشياء له والخضوع لامره فمن بلغ امر ملكه هذا المبلغ الذي وصف من طاعة من ذكره والتسخير له وعبادته
لله تعالى وطاعته لربه في نفسه حيث قال عز وجل واذكر عبادنا داود ذا الايد انه اواب لم يقصد احد من ملوك الارض قصده
ولا طمع في زوال ملكه البتة بحال وهذا اشبه ان يجعل تأويل شدة ملكه الذي ذكر والله اعلم مما قاله اهل التأويل وقوله
عز وجل وآتيناه الحكمة قال بعض اهل التأويل وآتيناه الحكمة اي النبوة وفصل الخطاب اي البينة على المدعي واليمين على المدعى
عليه لكن ليس فيما ذكروا من جعل البينة على المدعي وجعل اليمين على المنكر كثير منقبة وخصوصية اذ قد اعطينا نحن مثله وقد ذكر

على الخصوصية له ثم جائز ان يكون ما ذكر من الحكمة انه اتاها له احد لم امره فيما بينه وبين ربه العبادة له اي لله تعالى والطاعة
له في كل وقت على ما وصفه حين قال ذا الايد انه اواب انه ذا القوة والجهد في العبادة لله والطاعة له فيهم وانزال كل منهم
منزلته وتأليف قلوب بعضهم من بعض وجمعهم على دين واحد ومذهب واحد حتى لم يقع تنازع ولا اختلاف في الدين
والله اعلم وعلى ذلك يخرج قوله عز وجل وفصل الخطاب اي قطع الخصومات فيما بينهم على التأليف والتلطف وايصال
كل الى حقه من غير ان يقع بينهم خشونة او فتنة والله اعلم وقوله عز وجل وفصل الخطاب قال بعضهم ما ذكرنا
من القضاء بين الخصوم بالبينة على المدعي واليمين على المنكر وليس في ذلك كثير منقبة ولا خصوصية وقال بعضهم هو اما
بعد ايضا ليس بشيء والاصل فيه ما ذكرنا والله اعلم والخطاب وهو الخصومة قال ابو معاذ الخطاب كالجدال والخصام
يقول خاطبه ومخاطبة وجادله ومجادلة فكل فاعله لها جمعان فعال ومفاعلة وقال ابو عوسجة الفصل هو
القضاء والخطاب الخصومة يقول خاطبت الرجل اي خاصمته والاشراق هو طلوع الشمس وقوعها في كل ناحية
بنورها كقوله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها والله اعلم وقوله عز وجل وهل اتاك نبؤ الخصم قد ذكرنا
في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله عز وجل يخرج على الايجاب او على التقرير والبينة ثم قوله عز وجل
اتاك نبؤ الخصم على وجهين احدهما اي قد اتاك نبؤ الخصم فتفكر فيه كيف ابتلاه الله عز وجل وفتنه ما ذكر والثاني
قوله عز وجل هل اتاك نبؤ الخصم واتاك وارسل اليك نبأه وخبره ان كيف ابتلاه وفتنه وعلى هذا يجوز
ان يكون قوله عز وجل واذكر عبادنا داود اي اذكر ما قربه هو واذكر منتقربه اياه او اذكر خصومة الخصمين
اليه واذكر ما اعطى هو من الحكمة والحكم وفصل الخطاب ثم قوله نبؤ الخصم هو حرف التوحيد والوحدان
وقوله عز وجل اذ تسوروا المحراب حرف الجماعة وكذلك قوله عز وجل اذ دخلوا على داود ذكره بالجماعة وكذلك
قوله عز وجل ففزع منهم ذكر بحرف الجماعة وقوله عز وجل قالوا لا تخف ثم ذكر بحرف التثنية حيث قال
عز وجل خصمان بغى بعضنا على بعض ذكر بعضه بحرف الواحدان والافراد وبعضه بحرف التثنية وهي قصة
واحدة وقال بعضهم اما قوله عز وجل الخصم فهو مصدر ومصدر الجمع ومصدر الجمع والفرد والتثنية و
واحد واما قوله تعالى تسوروا ودخلوا وقالوا ونحوه فقد يقال للاثنين ذلك لان الاثنين جماعة كقوله عز وجل ان
تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما والقلوب جماعة وانما هو قلبان وذلك كثير في القران وذلك جائز في اللغة
شايع فيها وعندنا جائز ان يكون قوله عز وجل تسوروا ودخلوا عليه وقالوا لا تخف ونحوه ان كان مع
الخصمين الملكين ملائكة سواهم شهود على دعواهما وخصومتهما تسوروا معهما ودخلوا معهما عليه
فلما فزع منهم قالوا لا تخف وان كان الذي يخاصم بين يديه اثنان لما لا يحتمل ان يقول داود لاحد الخصمين
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه بنسبه الى الظلم ونصفه بالبغي بلا شهود وشهود والا ان يكون من الاخر اقرار
على ما ادعى عليه فاذا كان كذلك فيشبه ان يكون لما ذكرنا انه كان مع الملكين ملائكة اخرون شهود يشهدون
على ذلك وان خاصل الخصومة لاثنين منهم وفيما اضيف الفعل الى الجماعة كانوا جماعة في التسور والدخول
عليه والقول منهم لا تخف وفيما اضيف الى الاثنين كان اثنان في الخصومة والله اعلم ثم فيه من الكلام
والقول حيث قال خصمان بغى بعضنا على بعض وان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة وقوله
اكفلنيها وعزني في الخطاب ونحوه من الكلام والقول الذي كان منهما كيف حقيقة ذلك وقطعا انهما خصمان
ولم يكونا في الحقيقة خصمين وان لهذا كذا وكذا نعجة ولهذا واحدة ولم يكن في الحقيقة ذلك وان هذا بغى على
هذا ونحو ذلك من الخصومات التي جرت بينهما ولم يكن ذلك في الحقيقة كيف قالا ذلك وحققاه وهم ملائكة
والملائكة لا يحتمل ان يكذبوا قط او يرسلهم الله ليكذبوا الكذبة والله اعلم على التقرير والتمثيل اي لو كان
لاحدهما كذا وكذا نعجة وللاخر واحدة فغلب صاحب النعاج الكثيرة على صاحب النعجة الواحدة فاخذها
اليس يكون ظالما او يكون باغيا اليس على التحقيق ولكن لما ذكرنا ليقرر انه عنده الزلة وعنده الخطيئة ان كانت
له على ما يقوله اهل التأويل بعد دونه وقد ذكر الله عز وجل اشياء كثيرة على التمثيل والتقرير على تقرير اشياء
غفلوا عنها وسهو التقرر ذلك عندهم وسهوا فيها فعلى ذلك يشبه ان يكون خصومة هؤلاء الملائكة عند
داود عليه السلام وما كان منهم من القول والخصومة ليقرر ما كان منه من الهفوة والزلة ليعرف ذلك و
يرجع عنها والله اعلم ثم قول اهل التأويل ان طايرا وقع بين يديه قريبا منه فنظر اليه وصار بحياله يرفعه
ان يأخذه وارتفع الى الكوة المحراب فصعد ليأخذه فوقع بصره على امرأة فاعجبته فان هذا يحتمل ان يكون
واما قولهم ادام النظر اليها حتى انه لا يحتمل ان يكون مثل داود ونبي من الانبياء عليهم السلام اتربيديم
النظر الى ما لا يحل النظر اليه واما الدواتان الذهاب بطلب ذلك الطائر والنظر اليه انه من ابن والى ما ذا فذلك
يحتمل ان يكون ثم هو يكون معذورا في الصعود الى الكوة والارتفاع للنظر الى الطائر لما كان الطير وقد سخرت
له وسخرت في التسبيح معه والطاعة له فجائز ان يكون له البحث والفحص عن حال ذلك الطائر على ما اخبر عن سليمان
حيث قال عز وجل وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد فاذا كان ما ذكرنا كان هو في الصعود الى الكوة والارتفاع
الى ذلك معذورا لكن وقع بصره عليها بلا قصد منه ولا علم بحالها وما لا تغلبه اليها لحسنها وجمالها وذلك ما يكون
بلا تكلف ولا صنع وذلك مما لا يملك مرفعه نحو ما كان مثل قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امرأة زيد

وعدلها نكاحها حيث قال عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وما ذكر من بعث زوجها الى القتال ليقتل
فهذا ايضا غير محتمل لكن يحتمل بعثه اياه ليجاهد اعداء الله وكان ذلك فرضا عليه فصار مقتولا فيه من
غير ان يتوهم منه اثر قصد قتله واهلاكه والله اعلم فان قيل كيف عوتب كل هذا العتاب حتى بعث الملائكة
اليه بالخصومة عنده والتمثيل لما ذكر ونفر بذلك شيئا ثم اخبر انه غفر له بعد طول المدة ان كان معذورا
في ذلك غير مواخذ به قيل ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يؤاخذون بادنى شيء كان منهم مالا
يؤاخذ غيرهم بذلك بل بعد ذلك منهم من ارفع الخصال واجلها نحو ما عوتب يونس عليه السلام في خروجه
من بين قومه ليسلم دينه او نفسه لكنه خرج بلا اذن كان له من الله فعوتب لذلك فعلى ذلك داود عليه السلام
وانما فعل بلا اذن من الله عز وجل والله اعلم ثم في بعث الملائكة اليه فيما ذكر وجوه من الحكمة وانواع من الفائدة
احدها جواز الحجاب والحرس له حيث دخلوا عليه من غير الباب والثاني رفع الحجاب عن الخصوم لا على وقت حاجة
نفسه حيث دخلوا من غير الباب بالخصومة بلا اذن منه والثالث قدرة الملائكة على التصور بصورة البشر مع كون
نفس الكشف ووجود معهم وذلك يرد على الفلاسفة مذهبهم النفس الروحانية خلقت منتشرة متحركة في كل حال
لكن الجسد الذي جعل فيه منعه عن ذلك فاذا نام ذلك الجسد او مات ذهبت تلك النفس حيث شاءت الى حاجتها
الا ترى ان الملائكة قد تسوروا عليه بصورة البشر واختصموا اليه خصومة البشر دل انه ليس على ما وصفهم ثم
قوله عز وجل اذ تسوروا المحراب قال بعضهم صعدوا واصل التسور هو الدخول من العلو والارتفاع وهو النزول
من السور وهو الحائط المشرف المرتفع وقوله عز وجل ففزع منهم لما خاف دخول الموهن في ملكه اذ دخلوا بلا اذن
من غير الباب او خاف لما ظن انهم لصوص محاربون او لما عرف انهم ملائكة جاؤوا بامر عظيم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل
ولا تشطط اي لا تجر وقوله اكفلنيها وقال بعضهم اعطنيها قال بعضهم يقال اكفلته اي اعطيته وهو قول
ابي عوسجة وقال بعضهم اي ضمها الي واجعلني كافلها وهو قول القتبي وقوله وعزني في الخطاب قال بعضهم غلبني
في الخصومة وقوله عز وجل وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض ثم استثنى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي الذين امنوا واعتقدوا في ايمانهم الاعمال الصالحات فانهم لا يبغون بعضهم على بعض ثم اخبر ان من امن
واعتقد في ايمانه العمل الصالح اي من اتقى من المؤمنين قليل وترك البغي قليل منهم وهذه الاية شديدة صعبة على
ما ذكرنا وفيه ان المؤمن الذي اعتقد في ايمانه العمل الصالح وترك البغي على غيره قليل في كل زمان ودهر والله اعلم
وقوله عز وجل وظن داود انما فتناه اي علم داود وايقن ان خصومة الملكين عنده فيما اختصما فيه محنة له هو
الممتحن بها لا انهما كانا ممتحنين بذلك فاستغفر ربه اذ ايقن بذلك اذ هو الممتحن بذلك لا غيره والله اعلم ثم
فسر اهل التاويل الظن هاهنا الايقان اي ايقن وكان الايقان هو علم يستفاد بالاسباب على ما استفاد داود عليه
السلام علما بخصومة الملكين عنده ولذلك لا يضاف الايقان الى الله انه ايقن كذا لانه علم يستفاد بالاسباب وهو
عالم بذاته لا بسبب واما العلم فانه قد يستفاد بسبب وبغير لذلك اضيف اليه حرف العلم ولم يضف حرف الايقان
والله اعلم فان قيل ما الحكمة في ذكر زلات الرسل صلوات الله عليهم والاصفياء في الكتاب وهو وصف نفسه انه
غفور وانه ستور وقد امرنا بالستر على من ارتكب شيئا من ذلك وبالغفران والعفو فكيف ذكر هو زلات انبيائه و
اصفيائه حتى تقرأ زلاتهم في المساجد والمكاتب وتتلى على صوتنا الى يوم التناد وما الحكمة في ذكر ذلك قال الشيخ ابو منصور
محمد بن محمد الفقيه رضي الله عنه نخرج ذكر زلات الانبياء صلوات الله عليهم في القران وترك الستر عليهم على وجوه
احدها ذكرها ليكون ذلك اية لرسالته محمد صلى الله عليه وسلم لان قلوب الخلق وانفسهم لا تحتمل ذكر مساوي
الاباء والاجداد وكذلك لا تحتمل قلوبهم ذكرها ورئ انفسهم فاذ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك دل
انه على امر من الله عز وجل يذكر ذلك ليعلم الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه عن امره ذكر ذلك والله اعلم
والثاني ذكر زلاتهم امتحانا منه عباده انه كيف يعاملون رسلهم بعد ما عرفوا منهم الزلات واظهر عنهم
العثرات وكيف ينظرون بعين الرحمة والرافة نحوهم بذلك على ما امتحنهم بانواع المحن والثالث ذكر منهم
ليعلموا اي الخلق كيف عاملوا ربهم عند ارتكابهم الزلات والعثرات فيما ملوا ربهم عند ارتكابهم ذلك على
ما عامله الرسل بالبكاء والتضرع اليه والتوبة على ذلك والله اعلم وان يكون ذكرها ليعلم ان ارتكاب الصغائر لا
يزيل الولاية ولا يخرجه من الايمان وذلك على الخوارج بقولهم ان من ارتكب صغيرة او كبيرة خرج من الايمان
او ان يكون ذلك ليعلم ان الصغيرة ليست بمغفورة ولكن له ان يعذب عليها وليس على ما قالت المعتزلة ان ليس لله
ان يعذب احدا على الصغيرة والله اعلم وزلات الانبياء عليهم السلام في قلوب الناس لما خافوا عليها فلولا انهم
عرفوا ان الله ان يعذبهم عليها والا لم يخافوا نواحها كلما ذكر منهم يذكر عن الحسن ان داود جزأ الدهر اجزاء يوما
لنسائه ويوما للعبادة ربه ويوما للقضاء بين بني اسرائيل ويوما لعباد بني اسرائيل يذكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان
يوم بني اسرائيل ذكروا فقالوا هل ياتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه انه سيطيق ذلك
قال فلما كان يوم عبادته غلق ابوابه وامر ان لا يدخل عليه احد فاكب على الزبور يقرؤها فابتلي بما ذكروا الحال
ولذلك سمي اوابا والله اعلم وابن عباس وهؤلاء قالوا انه كان له تسع وتسعون امراة فكان يكون عند كل امراة
يوما فاذا كان راس المائة تفرغ للعبادة ففي ذلك اليوم اصابه ما اصابه وقال بعضهم في قوله عز وجل وعزني

في الخطاب اي غلبني في الكلام اذا تكلم كان ابين مني واذا دعا ودعوت كان اكثر مني وما ملت ان يكون امرهن
على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فغفرنا له ذلك اي زلته التي كانت منه وعثرته وما يقول اهل التاويل انه
اوحى اليه اني قد غفرت لك لكن لا بد ان يتعلق بك اوريا في رؤوس الخلائق ثم استوهبك منه او عوض كذا
فذلك مما لا نقول به ولا نعلم ذلك ولا يصح ذلك ولا يستقيم على ما ذكرنا نحن انه لم يكن منه الى اوريا ما يحققه ما
يذكرون انما امره بجهاد اعداء الله وكان لا تام الامر عوتب لان الانبياء عليهم السلام كانوا
يعاتبون بادنى شيء كان منهم ويعيرون على ذلك لذلك كان ما ذكرنا وقد عرفنا انه كان منه شيء عوتب عليه
ثم علمنا ان ربه غفر له بقوله عز وجل فغفرنا له ذلك فاما ما سوى ذلك الذي ذكره اهل التاويل فلا نعرفه فان
صح شيء منه يقال له والا لترك الاولى به والله اعلم وقوله عز وجل وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يحتمل قوله
عز وجل له عندنا لزلفى اي في جميع اموره في غير حال الزلة في الدنيا ويقربه عندنا والله اعلم اي يكون له زلفى عندنا في الاخرة
اهله كرامة ومنزلة والله اعلم وقوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يحتمل قوله جعلناك خليفة في الارض
في خلافة اهل الارض من الرسل والانبياء والملوك وغيرهم على التعريف والتوضيع والله اعلم ويحتمل قوله عز وجل جعلناك
خليفة في الارض من الرسل خاصة وكلا التاويلين يرجعان الى واحد لان احدهما يرجع الى العامة منهم والله اعلم
وقوله عز وجل فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى نهاه عن اتباع الهوى لكن نهاه عن اتباع هواه لان
النفس قد تهوى في الحكم لغير حق حيث قال فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى لان النفس انشئت على الهوى والميل
الى اللذات والشهوات وعلى ذلك طبعت وتلك يكون هواها فيما تهوى مدعوة غير مالك ولا قادر على منعه
لذلك نهاه عن هواها ولكن نهاه عن اتباع هواها وتعلق عليه منعها بالعقل وردها الى اتباع الحق لذلك كان ما ذكر
والله اعلم وقوله عز وجل فيضلك عن سبيل الله ذكر انه لو اتبع هواها اضل عن سبيله ولا كل هوى اذا اتبعه المرء اضله
عن سبيله لكنه اذا اتبعه في شيء بعد شيء يحمله على الضلال عن سبيله اذ من ضل عن سبيله انما ضل لانه هوى
كقوله عز وجل افرايت من اتخذ الهه هواه اخبر ان من اتخذ الهه هواه انما اتخذ هواه لا بحجة والله اعلم وقوله عز وجل
ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي تركوا الاعمال التي تعمل ليوم الحساب
او بما نسوا اي بما تركوا ايمانه ولا قراروا والله اعلم وقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا الباطل
هو العمل الذي لا يذم عليه والحق هو الذي يحمد عليه فاعله وقوله عز وجل ذلك ظن الذين كفروا لم يظن احد من
الكفرة ان الله خلق شيئا باطلا لكن يكون خلقه ما ذكر من السموات والارض وما بينهما لا لاهل يخلو عنا باطلا
عبثا عند الا وذلك الكفرة في حسبانهم لان عندهم ان لا بعث ولا حيوة بعدها ما تولانهم خلق ذلك كله لو لم
يكن بعث ولا نشور خلقه باطلا لا يحصل احدهما لم يكن بعث يحصل انشأه للفناء خاصة وانشاء
الشيء وبناؤه للفناء خاصة لا لعاقبة يقصد عبث باطل سفه كقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا الى
اخر الاية اخبر خلقه اياهم اذا لم يكن رجوع اليه عبثا لذلك كان على ما ذكرنا والثاني انه لو لم يكن بعث لكان خلقهم
غير حكمة لانه قد جمعهم جميعا في نعيم هذه الدنيا ولذاتها الولي والعدو والحكمة التوفيق والتمييز بينهما فلو لم
يكن دار اخرى لتفرق بينهما لكان في خلقهم غير حكيم وعندهم جميعا انه حكيم فقوله فتامة في قوله عز وجل
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الى قوله بما نسوا يوم الحساب يقول لم يذكر الله عز وجل من شان داود عليه
السلام ما ذكر الا ان يكون داود قضى بغيره من الدنيا عليها على الله والعدل فلا ولا الله عز وجل ولكن
الله تعالى وعظ نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين موعظة بليغة شافية وليعلم من ولي هذا الحكم شيئا انه ليس بين
العباد وبينه سبب يعطيهم خيرا ولا يدفع عنهم به شرا الا بطاعة الله والعمل برضاه وقوله عز وجل انا جعلناك خليفة
في الارض اي جعلناك الخلافة فيمن ذكرنا وقوله عز وجل ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض
ام نجعل المتقين كالفجار هو صلة قوله عز وجل ذلك ظن الذين كفروا كان ظنهم ان لا بعث ولا نشور فيقول
والله اعلم انكم لو كان على ما ظن اولئك الكفرة ان لا بعث لكان في ذلك جعل الذين امنوا وعملوا الصالحات في هذه
الدنيا كالمفسدين في الارض وجعل المتقين كالفجار اذ قد سوى بينهم في هذه الدنيا وجمعهم في اللذات
هذه الدنيا وشهواتها وفي حسناتها وسيئاتها وفي الحكمة التفريق بينهما والتمييز وقد سوى بينهما في الدنيا
على ما ذكرنا من جمعهم في المحنة بالخير والشر فلو كان على ما ظن اولئك ان لا بعث ولا حيوة لكان ذلك جمع وتسوية
بين الولي والعدو وفي الشاهد من سوى بين من عاداه وبين من والاه وجمع بينهم في البر والجزاء كان سفيها
غير حكيم فعلى ذلك الله سبحانه لو لم يجعل دارا اخرى يفرق بينهما فيها كان غير حكيم اذ قد سوى بينهما وجمع
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم من الناس من يقول يجب ان يفرق بينهما في الدارين جميعا في الدنيا والاخرة
وقد فعل حيث سمى هؤلاء ضلالا وهؤلاء مؤمنين وخذل الكفار ووفق المؤمنين ونصرهم وهو قول
المعتزلة ومنهم من يقول لا يجب ذا في الدنيا لان الدنيا دار محنة وابتلاء يمتحن الفريقان جميعا بالخير
مرة والشر ثانيا وبالحسنة تارة وبالسيئة اخرى على ما اخبر حيث قال عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات
وما ذكر ونبلوكم بالشر والخير فتنة الاية اخبر عز وجل انه يمتحنهم ويبتليهم بالخير والشر وبالسيئة والحسنة
وذلك للفريقين جميعا على ما ذكرنا من جمعه اياهم جميعا في الحالين فاما هي مجعولة للجزاء خاصة فهنا لك

يقع التفريق والتمييز بينهما لو تراتماستماهم ضلالا كفرة بفعلهم الذي اختاروه وصنعوا وامر اثره على غيره فانما هو
بتسميه فعلهم لا جزاء يخرجون والله اعلم ثم في قوله عز وجل ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار دلالة لزوم الحجة والوعيد
على الظن والجهل وان لم يتحقق لهم العلم بذلك ان مكنوا من العلم وجعل لهم سبيل الوصول الى معرفة ذلك وانما لزمهم
ذلك الوعيد والحجة بما لهم صنعوا معرفة ذلك والعلم بها لانهم لو تاملوا فيه ونظروا الرفع لهم علم ذلك لكنهم تركوا
علم ذلك وضيعوه فلم يعذروا في ذلك وعلى ذلك يقول في القدرة او من منع عنه القدرة وحيل بينه وبينها كان غير مكلف
بها ولا مخاطبا معذورا ومن لم يمنع عنه ومكن ذلك الا انه ترك العمل به كان مكلفا به غير معذور لانه هو الذي
صنع ذلك وتركه بالاختيار والاول غير مضيع لها ولا تارك لذلك اخر وذلك على المعتزلة والله الموفق وقوله عز وجل
كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته سماه مباركا لان من اتبعه وتمسك به وعمل بما فيه صار شرفا مذكورا
عند الناس عظيما على اعينهم وقلوبهم وذلك عمل المبارك ان ينال كل بر وخير يكون ابدا على الزيادة والنماء والله اعلم
وقوله عز وجل ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب اخبر انه انزله ليتدبر في اياته ليعرفوا ما لهم وما عليهم وما
نوى وما يتقى انما يعرف ذلك بالتاسل والتدبر والتفكر وقوله عز وجل ليتذكرا ولوا الالباب اي ليتذكر وليتعظ
اولو الالباب بما فيه من المواعظ والاداب وغير ذلك وقوله ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب ان الله عز وجل
على داود وابنه سليمان عليهما الصلوة والسلام بالاوبة اليه والرجوع وهو ما قال عز وجل في داود عليه السلام واذكر
عبدنا داود ذا الايد انه اواب فسرنا الاواب وقال في سليمان عليه السلام اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد
الى اخر ما ذكر دل ذكر قوله عز وجل اذ عرض عليه على اثر قوله انه اواب انه انما كان اوابا بالذي ذكر منه لانه خرج
اذ لا يذكر الا عن شيء سبق ويحتمل عن وجل داود عليه السلام اوابا بما ذكر من تسبيحه بالعشي والاشراق والفزع اليه
عما هو به والله اعلم وقوله عز وجل اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد وقيل الصافنات هو الخيل وقال بعضهم الصافنات
هن القائمات على ثلث قوايم رافعات احدى الرجلين او احدى اليدين على طرف الحافر وقال بعضهم الصافنات هن
القائمات لا غير وعلى ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تمنى ان يقوم له الرجال صفوفا اي قياما فليتبوء
مقعده من النار او كلام نحوه والجياد قيل السراع والله اعلم وقوله عز وجل فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت
بالحجاب دل ما سبق من ذكر الصافنات الجياد بالعشي على ان قوله عز وجل حتى توارت بالحجاب انما اراد به توارى الشمس
بالحجاب اذ ليس شيء يتوارى بالحجاب في ذلك الوقت سوى الشمس ثم قوله عز وجل اني احببت حب الخير حتى شغلني عن ذكر ربي
اذ المحبة يجوز ان يكنى بها عن الايثار والله اعلم والثاني احببت حب الخير حبا حتى شغلني عن ذكر ربي حتى توارت
الشمس بالحجاب على التقديم والتأخير والله اعلم ثم قوله عز وجل حب الخير يجوز ان يكنى الخير عن الخيل نفسه على ما روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة سمى الخيل خيرا فعلى ذلك قوله
اني احببت حب الخير عن ذكر ربي والله اعلم وقال بعضهم صفونها قيامها وبسطها قوائمها وقوله عز وجل ردوها على فطفق
مسحا بالسوق والاعناق قال عامة اهل التاويل اي جعل يضرب سوق الخيل ويضرب اعناقها والسوق هو جماعة الساق
لما شغلته عن ذكر ربه وهي صلوة العصر حتى فعل منها ما فعل يقطع سوقها ويضرب اعناقها كفارة لما شغل عن ذكر ربه
ثم ان ثبت ما ذكروا من عقر السوق والاعناق فهو يخرج على وجهين احدهما انه كان ذلك في شريعته
جائزا وان كان في شرعنا لا يجوز نحوها كما ذكر عنه من تفقد الهدهد وطلبه حين تفقده ولم يجده حيث قال
عز وجل وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه الاية ثم لا
يجوز نحو ذلك بالطير في شرعنا فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكروا من عقر الخيل وضرب الاعناق له جائزا وان كان
ذلك لا يجوز عندنا والله اعلم او ان يكون ذلك منه قبل النهي عن القتل ثم جاء النهي عنه بعد ذلك فيخرج عليه
ذلك وعلينا جميعا وجائز ان يخرج تاويل الايات على غير حقيقة عقر السوق وضرب الاعناق ولكن في الاعناق
يكون كما ذكر من الذبح وقوله عز وجل فطفق مسحا بالسوق كما ذكر عن التسليم الى الناس وان يكون ما ذكر من المسح بالسوق
والاعناق كما ذكر من مسح وجوهها ورؤوسها بعد ما دعا بها وعليه والتسليم الى الناس من غير ان كان هناك عقر او ذبح وكذا
لما شغل عن ذكر ربه قال الحسن قال سليمان عليه السلام والله لا يشغلني عن عبادة ربي احد ما ملكت لكن كشف عراقيبها
وضرب اعناقها ثم اختلف في تلك الخيل التي عرضت عليه فشغلته عن ذكر الله ففعل ما ذكر قال بعضهم انها خيول اخرجها
الشياطين من مروج البحر لسليمان عليه السلام لها اجنحة تعدو وتطير وقال بعضهم لا ولكن كانت خيلا ورثها
من ابيه داود عليه السلام وكان داود عليه السلام اصابها من العمالقة وقال وما بقي اليوم في ايدي الناس من الخيل
فمن نسل بقية تلك الخيل والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن اهداها ونشأ من العرب واهل نصيبين جمعوا جموعا لسليمان
عليه السلام فاخذ منهم الف فرس فعرضت عليه الخيل حتى شغلته عن ذكر ربه ففعل ما ذكر من قطع العراقيب
وضرب الاعناق والله اعلم وعن الحسن في قوله عز وجل ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال كشف عراقيبها
وضرب اعناقها وقال لا تشغلني عن عبادة ربي مرة اخرى قال ابو معاذ قوله عز وجل فطفق مسحا بالسوق
والاعناق يقول العرب مسح علاوته بالسيف اي ضربها وقال القتبي قوله عز وجل فطفق مسحا اي اقبل يضرب
سوقها واعناقها قال ابو عوسجة فطفق اي اخذ وجعل يضرب يقال مسح عنقه اي قطعها وقال القتبي الصافنات
الجياد يقال هي القائمة على ثلاث قوائم وقد اقامت الاخرى على طرف الحافر من يد كان او من رجل والصافن في كلام

العرب الواقف من الخيل وغيرها على ما ذكر في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يقوم له الرجال
صفونا فليتبوأ مقعده من النار اي يديمون له القيام وقال ابو عوسجة الجياد من الخيل السراع والواحد جواد ورجل جواد
اي سخي وقوم اجواد اي احب اي اثرت الخيل والمال على ذكر ربي في حرف حفصة اي الهاني حب الخير عن ذكر ربي
اي اشغلني وقوله عز وجل ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اختلف اهل التاويل في سبب فتنة
سليمان عليه السلام الذي ذكر انه عز وجل فتنه وانه القى على كرسيه جسدا اختلافا كثيرا ابينا ما يقول الكتاب بذكر كل
ما ذكروا ولا ندري اكان ذلك سبب افتتانه ام لا مع علمنا ان ذلك كله لم يكن سبب فتنة ان كان فانما كان واحد
منها ولا ندري ما هو لذلك تركنا ذكر ما ذكروا ولكن انه كان سبب افتتانه ثم يخرج قوله عز وجل ولقد فتنا سليمان
على وجهين احدهما انه امتحن بامر فكان منه في ذلك زلة وغفلة فعوقب بما ذكر وعوتب بنزع ملكه والثاني
انه فتنه وامتحنه بنزع ملكه منه لا بزلة منه ولا عثرة وصرفه الى غيره لا بسبب كان منه وزلة ويجعله
لغيره ثم ان كان نزع الملك منه بادنى سبب كان منه وزلة فعوقب لان الانبياء صلوات الله عليهم
كانوا مخصوصين بالعتاب والتعيير بادنى شيء يكون منهم ما بعد ذلك الذي كان منهم من فضل الاعمال
على ما ذكرنا فيما تقدم ثم كان منهم من التوبة والتضرع الى الله عز وجل بالذي كان منهم لما عرفوا لانفسهم
من الخصوصية لهم من الكرامات والفضائل التي خصوهم بها فرأوا على انفسهم بما اكرموا من انواع الكرامات والفضائل
التي خصوهم بها من التوبة لله وفضل التضرع والابتهال الى الله لما راوا ما ارتكبوا كفرانا له فيما انعم عليهم و
واحسن اليهم فضل تضرع وابتهال لا يلزم ذلك غيرهم في مثل ما كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل
والقينا على كرسيه جسدا يحتمل ان يكون كرسيه ملكه فيكون ما ذكرنا بين من نزع ملكه وجائز ان يكون ما ذكر
من القاء الجسد على كرسيه حقيقة الكرسي التي عليه جسدا يشبه جسد سليمان في الجسمية لا في العلم والمعرفة
والبصر وما كان فيه من الكرامات كقوله عز وجل عجلا جسدا له خوار اي عجلا محتملا في الجسدية لا ان جسد
العجل الذي اتخذه هو جسد العجل المعروف فعلى ذلك قوله عز وجل على كرسيه جسدا يشبه جسد سليمان في الاكل
في الجسدية لا في ان جسده كجسد سليمان فيما فيه من اللحم والبصر وغير ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ثم
اناب يحتمل وجهين احدهما ثم اناب الى الله تعالى ورجع اليه بجميع امره ان كان فيه زلة وعثرة وتاب
ورجع واقبل وتاب والله اعلم وقوله عز وجل قال رب اغفر لي وهب لي ملكا يحتمل سؤاله المغفرة عند
سؤاله الملك امر فيما بينه وبين ربه لان الملك مما يتلذذ به وفيه هوى النفس وعلى ذلك خرج سؤال زكريا
عليه السلام لما سال ربه عز وجل الولد سال امر بينه وبين ربه في ذلك وهو ما قال رب هب لي من لدنك
ذرية طيبة ولذلك خرج سؤال الانبياء فيما سالوا مما فيه اللذة وهوى النفس من الولد وغيره قرنوا في ذلك
السؤال امرا بينهم وبين ربهم فعلى ذلك سؤال سليمان عليه السلام والملك قرن بالمغفرة في ذلك ثم يحتمل سؤال
المغفرة نفسها عما يكون منه من التقصير في ذلك او يكون سؤاله المغفرة سؤال الاسباب التي بها يكون
المغفرة لا نفس المغفرة نحو قول نوح عليه السلام لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا وقول هود عليه
السلام واستغفروا ربكم ثم تولوا لا يحتمل ان يامروا قومهم ان قولوا نستغفر الله ولكن امروهم ان ياتوا
بالاسباب التي بها يصيرون اهلا للمغفرة وبها يستوجبون النجاة فعلى ذلك يحتمل سؤال المغفرة ما ذكرنا
والله اعلم ثم يحتمل سؤاله الملك والله اعلم انه اراد ان يسلم له الخلق في الاجابة الى ما يدعو اليه من وحدانية
الله تعالى وجعل العبادة له لما راى ان اجابة الناس واقبالهم الى ما عند من السعة والغنى اسرع ولقوله
قبل ورغبتهم فيه اكثر واذا كان ما ذكرنا وهو متعارف فيما بينهم ان اجابتهم اعني اجابة الناس الملوك
ولمن عنده السعة والغنى اسرع لهم واطوع فكان في سؤاله الملك له نجاة الخلق كلهم بما يسلمون له
ويجيبون الى ما يدعوهم اليه فيخرجون نجاتهم لا هلاك بعده والله اعلم ثم قوله عز وجل هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي يحتمل وجوها احدها انه سأله ملكا لا ينزع عنه بعد ما نزع مرة على ما يقول اهل التأويل والثاني
سأل ربه ملكا لا يكون لاحد ما بقي هو وحيي فيكون له اية لنبوته على نبوته على ما ذكرنا لو كان مثله لاحد
منهم فلم يكن له في ذلك اية لنبوته والثالث سأله ملكا يبقى له الذكر والثناء الحسن كقول الناس اللهم صل على
محمد وعلى ال محمد كما صليت وباركت على ابراهيم ونحوه فعلى ذلك جائز ان يكون سليمان عليه السلام اراد ان يكون
مذكورا على السن الخلق بالثناء الحسن بالملك الذي ساله والله اعلم وقوله عز وجل فسخرنا له الريح تجري
بامره بين ما اعطاه من الملك بما ذكر من تسخير الريح له والجن والشياطين وغير ذلك ما لم يكن ذلك لاحد من
ملوك الارض سواه وهذا يدل على ان تسخير هذه الاشياء التي ذكر انه سخرها لسليمان عليه السلام كان بلطف
من الله عز وجل لا يكون ذلك بالحيل اذ لو ملك احد من الخلائق تسخيرها ما ذكر من الخلق لنفسه ولو كان
يملك ذلك بالحيل لكان يعني لذلك مع العلم ان كل ملك لا يترك لنفسه من الحيل ما يريد من ملكه ويبقيه الى
ما بقي هو وحيي فاذ لم يكن دل انه انما كان لسليمان ذلك بالله لطفا منه ليكون اية من ايات النبوة والله اعلم
ثم قوله عز وجل تجري بامره رخاء حيث اصاب وصف تلك الريح باللين والرخوة في هذا الموضع وقال
في اية اخرى الريح عاصفة تجري بامره وصفها بالشدة فجائز ان يكون هي في اصل الخلقة شديدة لكنها

صارت لسليمان عليه السلام لينة سهلة وقال قائلون هي وقت الحمل شديدة لكنها تصير بالتسخير لينة سهلة والله
اعلم وان يكون قوله عزوجل عاصفة على اعداء الله رخاء لينة على اوليائه والله اعلم ثم فيما ذكر من جري الريح
بامره حيث اراد وقصد او ان يكون قوله عزوجل لطف الله عزوجل لسليمان من جعله بحيث نفهم الريح مراده ويفهم
هو منها ما ارادت حتى كان يستعملها فيم شاء وكذلك ما فهم من نطق الطير وكلام وكلام النمل الذي ذكر ويفهم
هو منه فذلك كله بلطف منه له ورحمة وقوله عزوجل والشياطين كل بناء وغواص اي سخرنا له الشياطين حتى يستعملهم
فيم شاء بعضهم في البناء وبعضهم في الغوص في البحر ليستخرج ما فيه من الاموال لينتفع الناس بعبادة الله والخدمة
لا يكون لهم شغل في البنا ولا في مؤنة انفسهم والله اعلم وقوله عزوجل واخرين مقرنين في الاصفاد واخرين لم
يطيعوه فما امرهم من الاعمال في البناء والغوص وغير ذلك من الاعمال جعلهم في الاصفاد وهي الاغلال يجعل في
الاعناق لئلا يدفع شرهم وسوئهم عن الخلق حيث لم يطيعوه فيما امرهم بالعمل للخلق لينفرغوا للعبادة فيه ما ذكرنا من
محبة لسليمان عليه السلام واللطف له حيث مكن له من استعمال ما ذكر من الجن والشياطين والريح وتخوله ذلك ليعلم
ان غيرنا قدر على ذلك بلطف منه لا بالحيل والاسباب وقوله عزوجل هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب قال
عامة اهل التاويل هذا في الشياطين التي ذكر ان سخرها له في العمل والاخرين في جعله اياهم في الاصفاد وخيره بان يمن
على من شاء منهم فيخلي سبيله وبين ان يمسك من شاء منهم فلا يخلي سبيله وقال بعضهم ذلك التخيير والشياطين
وفي جميع ما اعطاه له من الملك يقول ان شئت تمن فيعطيه من شئت وان شئت امسكت فلا تعط احدا شيئا ولا
تبعة عليك في ذلك لا عطاء ولا في الامساك والله اعلم وجائز ان يكون لا على التخيير ولكن امتحن بالاعطاء
لقوم والمنع من قوم فيقول هذا عطاؤنا فامنن اي اعط والذي لمن امرت وامسك بغير حساب والمن عطاه من كان اهلا لذلك
وامسك عمن ليس هو باهل لذلك ومن لم يؤمر بدفعه اليه وهو كقوله عزوجل اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم
حسنا انه ليس على التخيير ولكن على تعذيب من هو اهل العذاب يستحق له واتخاذ الحسن فيمن كان اهلا على ما بين في
ذلك واظهر في الاية حيث قال عزوجل اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحا فله
جزاء الحسنى فعلى ذلك يحتمل الاول والله اعلم وقال الحسن قوله عزوجل هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب
يقول هذا ملكنا الذي اعطيناك يقول اعط منه ما شئت وامنع منه ما شئت لا تبعة عليك فيه من الاخرة وهو
قريب ما ذكرنا في احد التاويلين وقال قتادة احسن منهم من شئت في وثاقهم هذا وهذا وسرح منهم من
شئت لا حساب عليك في ذلك وهو قريب ما ذكرنا في احد التاويلين واحدهما الى الشياطين خاصة في الحبس
في العمل من شاء منهم والتسريح لمن شاء منهم والاخر الى كل ما اعطاه من الملك والله اعلم وقوله عزوجل بغير حساب
اي اعطاه له من الملك ما لا يحسب من الكثرة والعدد وقوله عزوجل وان له عندنا لزلفى اي القربة وحسن ماب اي مرجع
هذا يدل على ان ما اعطاه من الملك لم يحطه عن رتبة ولا نقص من قدره عند الله لانه انما سأل الملك والله اعلم
ما ذكرنا من رغبة في نجاة الخلق لسرعة اجابتهم اياه الى ما يدعوهم اليه لا رغبة منه في الدنيا ولذاتها
وطلب العز فيها ولكن لما ذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل وان له عندنا لزلفى اي الاسباب التي تزلفه الى الله وتقربه
من التوفيق والعصمة والمعونة على الطاعة وذلك يكون في الدنيا والاول يكون في الاخرة والله اعلم وهذا من اعظم
المنن واللطف حيث امنه عن جميع انواع التبعات بقوله بغير حساب وبشره بالزلفى وحسن المرجع والله اعلم ثم
اختلف في سبب فتنة سليمان عليه السلام وفي ذنبه قال بعضهم وذلك ان الله تعالى امره ان لا يتزوج امرأة الا
من بني اسرائيل فتزوج امرأة من غير بني اسرائيل وجعل لها صنما فعبد في بيته كذا كذا يوما فابتلاه الله بسلب ملكه عقوبة
له على قدر ما عبد من الصنم في بيته وقال بعضهم كانت فتنة سليمان عليه السلام التي ذكر في ناس من اهل الجرادة
وكانت الجرادة امرأته وكانت من احب نسائه اليه وكان اذا اراد ان يحدث او يدخل الخلاء اعطاها خاتمه وان انا
سا من اهلها جاؤا يخاصمون قوما الى سليمان قال وكان سليمان احب ان يكون الحق لاهل الجرادة فيقضي لهم فعوقب
حين لم يكن هواه فيهم واحدا وهو قول ابن عباس وقد ذكرنا نحن على انه يجوز ان يكون نزع الملك منه وما
ذكر فتنة اياه بلا زلة ولا سبب كان منه ابتداء محنة وابتلاء وذلك جائز والله ان يفعل ما يشاء بمن شاء وكيف
شاء وكيف شاء من نزع الملك وغيره والله اعلم وقال القتبي وابو عوسجة رخاء اي رخوة لينة وهو من اللين ويقال
رجل رخو اي ضعيف في عمله وقوم رخاء قال والرخاء الساكن ويقال استرخى اي سكن وقوله عزوجل فامنن او امسك
بغير حساب ومثله قوله ولا تمنن تستكثر اي لا تعط لتاخذ من المكافاة اكثر مما اعطيت وقال الفراء سمى العطا منا وقوله
عزوجل حيث اصاب اي اراد قال الاصمعي العرب يقول اصاب الصواب فاخطأ الجواب اي اراد الصواب والاصفاد الاغلال
التي يشتد بها الايدي الى العنق دل قول سليمان عليه السلام ودعائه باسنها ان الملك قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي انك انت الوهاب على ان الملك الذي اعطاه لم يكن حقا عليه اذ لو كان حقا له لكان لا يستوهبه ولا
يقول له انك انت الوهاب ولكن يقول له اعطني حقي اذ كل طالب حق له قبل اخر لا يوصف اذا اعطاه اياه انه وهاب
ولكن مؤدي حق عليه ويدل هذا ايضا على ان ليس على الله حفظ الاصلح في الدين اذ لو كان عليه حفظ الاصلح في الدين
واعطى الاخر لكان لا يستوهب الملك اذ كان الملك له اصلح في الدين ولكن يقول اعطني حقي فدل سؤاله منه الملك
على ان ليس عليه حفظ الاصلح في الدين ولا اعطى الاخير وان له ان لا يعطيه وان اعطاه الملك له فضل منه ورحمة

والله اعلم فان قيل فيه تفضيل الغنى والسعة على الفقر والضيق لما ان الله عزوجل جعل الغنى والسعة اية من ايات النبوة
والرسالة ولم يجعل الفقر والضيق جعلهما اية من ايات النبوة فهلا دل جعل الغنى اية من ايات النبوة على اثره فضل من
الفقر قيل لهم ان الغنى والملك انما جعله اية لرسالة نبي واحد واكثر الانبياء عليهم الصلوة والسلام كانوا
فقراء واهل الحاجة والضيق في امر الدنيا فهما كانوا ما ذكرنا من الضيق والفقر وقلة اعوانهم وانصارهم
بعد قولهم وظهر ما دعوا الناس اليه دون اهم وهو التوحيد والاسلام مع وجود رغبة الناس فيمن عنده السعة
والغنى وتفادم وقلة رغبتهم ممن عنده الفقر والضيق فدل اختيار اكثر الانبياء الحال التي تنفر طباع الناس
عنها على الحال التي يرغبون فيها مع حرصهم ورغبتهم في الدين على ان الحال التي اختاروهم افضل واخير من
الحال الاخرى والله اعلم وكذلك قوله عزوجل لرسول صلى الله عليه وسلم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم نهاه ان يمد عينيه الى ما متعوهم على العلم منه ان لو مد عينيه الى ذلك ويختاره انما يمد ويختار للسعة فيه
واصحابه في ابواب الشر والخير وانه لا يختار ولا ياخذ الا ما يحل ويطيب فدل النهي عما ذكر على العلم منه ما وصفنا
على ان ذلك افضل من الاخر والله اعلم وقوله عزوجل واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
ثم لا ندري ما الذي كان من الله من تمكين الشيطان عليه حتى اضاف ذلك الى الشيطان وليس لنا ان نقول انه مكن
عليه كذا وفعل كذا في كذا وفعل به كذا الا ان ثبت من الله ثم وجه الحكمة في تمكين الشيطان على اوليائه فيما مكن
في امر الدين ليعلم جهة الفضل من جهة العدل وجهة الحكم من جهة الرحمة وان له ان يمتحن عباده بما شاء وكيف شاء
من انواع الشدائد والبلايا على ايدي من شاء بلا اسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك وله ان يجيء اليهم من انواع
الخير والنعم ابتداء بلا اسباب كانت منهم يستوجبون بها ذلك فعلى ذلك بلاء ايوب عليه السلام والشدائد التي
اصابته جائز ان يكون بلا سبب كان منه يستوجب ذلك ولكن ابتداء امتحانا منه اياه بذلك ثم قوله مسني الشيطان
بنصب وعذاب انه وان اضاف اليه فهو في الحقيقة من الله لما اخبر انه على يديه كقوله عزوجل يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم اخبر ان حقيقة العذاب منه وان كان على ايديهم يجري ذلك وهو كقوله تعالى وان يمسسك الله بضر
اي ما يمس الانسان من ضر يكون على يدي اخر ويكون من الله وله في ذلك وهو كقوله تعالى وان يمسسك الله بضر اي
ما يمس الانسان من ضر يكون على يدي اخر ويكون من الله وله في ذلك صنع وفعل لا على ما يقوله المعتزلة ان لا صنع لله في فعل
العباد واخبر انه لو اراد ان ياخذ ضرا ومسه بذلك لا كاشف لذلك الضر ولا دافع وانه لو اراد خيرا باحد لا راد لذلك
الفضل غيره فهو على المعتزلة ايضا وقوله بنصب ونصب واحد وهو نصب وكذلك يقول القتبي النصب والنصب واحد
مثل حزن وحزن وهو العناء والتعب وقال ابو عبيدة النصب الشر والنصب الاعناء ومنهم من يقول ان احدهما
فيما يصيب ظاهر جسده والاخر فيما يصيب باطنه والله اعلم وقوله عزوجل اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
جائز ان يكون لما قال اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين دعا عند ذلك ان كشف عنه البلايا التي مسته كانه قال
اني مسني الضر فاكشف ذلك عني وانت ارحم الراحمين بذلك على ذلك قوله عزوجل فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر دل هذا
على ان قد كان منه دعاء وسؤال في كشفه الضر منه فاستجاب الله دعاءه فعند ذلك قال اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب جائز ان يكون لما ضرب برجله الارض وركضها نبع منها عينان احديهما للاغتسال فيها والاخرى
للشرب منها فكانت التي للشرب منها ماؤها بارد على ما يوافق للشرب ويختار ذلك والاخرى ماؤها ما يوافق
للاغتسال وهو دونه في التنزيل على ما قاله اهل التاويل عامة كقوله عزوجل جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ولتبتغوا من
فضله وانما السكون فيما يكون وهو الليل والابتغاء بالنهار وجائز ان يكون العين واحدا الا انه لما اغتسل منها كان
ما برأ في الشرب قال بعض اهل التاويل كان به البلاء بظاهر الجسد وباطنه فما كان بظاهره ذهب بالاغتسال
وما كان بباطنه ذهب بالشرب والله اعلم ثم قوله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وسلم واذكر عبدنا ايوب اي
اذكر صبره كيف صبر على البلاء من الله عزوجل بانواع الشدائد والبلايا فاصبر انت اذا ابتليت بشيء من البلايا
وعلى ذلك يخرج جميع ما ذكر في هذه السورة وامره ان يذكرهم بالذي ابتلاهم من الشدائد ان كيف صبروا له على ذلك
ومن امتحنهم بالسعة والملك يقول اذكرهم اذ كيف شكروا ربهم واطاعوه والله اعلم وقوله عزوجل ووهبنا
له اهله ومثلهم معهم اختلف اهل التاويل فيه قال بعضهم ووهب له اهله اي احياء من هلك من اهله وماله
وزاد له على ذلك ضعفهم في الدنيا رحمة منه وفضلا والحسن يقول بهذا انه احياهم له باعيانهم وزاده
مثلهم معهم وقال بعضهم قيل له يا ايوب ان اهلك في الجنة فان شئت اتيناك بهم وان شئت تركناهم لك
في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل اتركهم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا ولله ان يحيي من شاء
بعد ما اماتهم ان يوجر على ذلك ما شاء الاجر ثم قال على اثره رحمة منا وذكرى لاولي الالباب دل قوله رحمة
منا على ان كشف الضر عن ايوب واعطا ما اعطاه رحمة منه وفضلا ونعمة كان له ان لا يكشف الضر عنه وان لا يرد
عليه اهله ولا يزيد له وهو على المعتزلة لانهم لا يخلوا اما ان يكون ما اعطى ورد عليه اصلح له وقد ما اثر برحمته
كان ذلك له وفضل منه ولو كان عليه حفظ الاصلح له في الدين كان في تركه ومنعه جائرا عندهم ظالما وان
يكون منعه ذلك منه اصلح له فاعطاه وترك الاصلح له فدل ان ليس على الله حفظ الاصلح لاحد في الدين و
الله اعلم وقوله عزوجل وذكرى لاولي الالباب اي ذكرى وعظة لمن ينتفع باللب ليعلم ان ليس التضييق لمقت

منه ويسخطه لمن ضيق عليه ولا في التوسيع رضاء منه ولكن محنتنا ان يمتحن من شاء بالشدة والبلاء ومن شاء بالسعة والرخا
وقوله عزوجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث اختلف في السبب الذي كان من ايوب عليه السلام الحلف بضرب
امرأته ولكن لسنا ندري ما السبب الذي حمله على الحلف بضربها ولا حاجة لنا الى معرفة ذلك السبب غير انا نعلم انه
كان من المحلوف عليه معنى يستوجب بذلك الضرب بحيث حلف هو بالضرب وامره الله عزوجل بالضرب لشدة
معلوم ان غضبه وحلفه لا يحتمل ان يكون لمنفعة نفسه ولكن لله عزوجل لشدة الغضب لا يخرج الانبياء عليهم
السلام من ايدي انفسهم على من كان غضبه لنفسه ثم اختلف في قوله عزوجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به
قال بعضهم قضبانا واغصانا ونحو ذلك لا يتوب خاصة وقال بعضهم هو له وسائر الناس ان من حلف ان
يضرب كذا خشبة او سوطا فجمع قضبانا او اغصانا فضرب بها بر في يمينه وليس في الآية انه ضرب به مرة اولا
حتى يخرج بضربه المرأة عن يمينه ثم لا صل عندنا ان من هم بضرب آخر كان بالضارب هيئته واثره يعرف
انه يريد الضرب فيجوز بالمضروب هيئته واثر وهو التألم فجائز ان يكون المراد به تلك الهيئة والاثر لضرب نفسه
ليس في عينه وان الافضل فيها ترك الضرب والكفارة عن الحنث ثم اثنى الله على ايوب عليه السلام فقال
عزوجل انا وجدناه صابرا بما ابتلاه الله في نفسه واهله وماله نعم العبد انه اواب اي راجع اليه عزوجل في جميع
احواله في حال الشدة والبلاء وفي حال السعة والرخاء والله اعلم وقال ابو عوسجة اركض برجلك اي اضرب بها
الارض وكذلك ركض دابته اذا ضربها برجلك حتى تسرع وكذلك قال القتبي قال والضغث مثل الكف من الحشيش ونحو
ومن كل شيء واضغاث جميع وقال القتبي الضغث الحزمة من الكلاء او من العيدان وهو قريب من الاول وقال المغتسل
الماء وهو الغسول ايضا وقوله عزوجل ولا تحنث من الحنث والحنث في الاصل الاثم وبرت يمينه اذا صدق فيها
ووفى وقوله عزوجل واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب يحتمل قوله عزوجل واذكر من ذكر من الرسل عليهم
السلام واصل الصفوة اي اذكر هؤلاء وما لقوا من اعدائهم فتستعين انت بما يلقى من اعدائك او يقول اذكر
صبر هؤلاء على قومهم لتصبر انت على اذى قومك وهو قريب من الاول اذكر حينئذ هؤلاء في العبادة والذين
يحملك ذلك ويحرضك على الجهد فيها او يقول اذكر الاسباب التي بها صار هؤلاء اهل صفوة الله ويحل احسنا
تحملك ذلك على طلب تلك الاسباب لتصير من اهل صفوة الله ونحوه محتملا ويقول اذكر هؤلاء الصالحين لتسلي
بذكرهم عن بعض امورك وهمومك والله اعلم وقوله عزوجل اولي الايدي والابصار قيل اولي الايدي اي
اولي القوة في العبادة والبصر في الدين ثم معلوم ان هؤلاء لم يكونوا اهل قوة في انفسهم وانما كانوا اهل
قوة في العبادة في الدين ليعلم ان القوة في الدين غير القوة في النفس وقيل اولي القوة في طاعة الله والبصر
في الحق وقيل في الفقه وقيل اولي الفهم في كتاب الله وهو واحد ثم في قوله اولي الايدي والابصار دلالة
ان قد يفهم بذكر الايدي غير الجارحة وبذكر البصر غير العين لانه معلوم انه لم يرد بذكر الايدي
الجوارح ولا بذكر الابصار الاعين ولا فهم منه ذلك ولكن فهم باليد القوة وبذكر البصر انهم اوما فهم
فعلى ذلك لا يفهم من قوله عزوجل خلقت بيدي ونحوه الجارحة على ما يفهم من الخلق ولكن القوة او غيرها
لكن كنى باليد عن القوة لما باليد يقوى وكنى بالبصر عن درك الاشياء حقيقة لما بالبصر يدرك الاشياء وقوله
عزوجل انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار تلك الخالصة التي اخلصهم بها بعضهم انا جعلناهم اذكارا
لدار الآخرة وقال بعضهم اي اخلصناهم بخالصة النبوة والرسالة وذكر الدار وان لا يذكروا غير الآخرة
واصله ان الله عزوجل اخلصهم وصفاهم واختارهم ناسا وخصهم بها وجعل همهم الرغبة في الآخرة
والزهد في الدنيا واختيار ذكر الآخرة على ذكر الدنيا او ان يكون قوله عزوجل اخلصناهم بخالصة ذكرى
الدار اي شرف الدار وذكرهم صاروا مذكورين مشرقين في الدار وقوله عزوجل وانهم عندنا لمن المصطفين
الاخيار اي هم عندنا اهل صفوة صفوة صفاهم الله عزوجل واختارهم لنفسه ولرسالته وقال بعضهم
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اختارهم على علم الرسالة وقوله عزوجل واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل
وكل من الاخيار يحتمل قوله عزوجل واذكر وجوها على ما ذكرنا صبر هؤلاء على ما لقوا من قومهم فتستعين
انت على الصبر مما يلقى من قومك او يقول اذكر حسن معاملة هؤلاء ربهم وحسن سيرتهم فيما بينهم وبين
الخلق لتعامل انت ربك مثل معاملتهم ومثل سيرتهم او يقول اذكر هؤلاء ومن ذكر اي اثن عليهم بحسن
الثناء واذكرهم بخير ما اثني عليهم وامر الناس ان يثنوا عليهم على ما تقدم ذكره ليكونوا ابدا احياء بحسن الثناء
والذكر او ان يقول اذكر هؤلاء انه كيف عاملهم الله واختارهم لرسالته وما ذكر الله والله اعلم ثم قوله عزوجل
واليسع قال بعضهم هو الياس وقال بعضهم هو غيره وكان ابن عم الياس والله اعلم وذا الكفل اختلف فيه
ايضا قال بعضهم كان الياس نبيا بعث بعد عليه السلام في زمن ملك فقتل الملك الثمانين منهم فكفل رجل الباقي
في ما بين بني فكفاهم وخباهم عنده يطعمهم ويسقيهم حتى خرجوا من عنده وكان ذا الكفل بمنزلة من الملك
فلذلك سمي ذا الكفل لانه خباهم وكفلهم والله اعلم وقال بعضهم سمي ذا الكفل لانه كفل لله عزوجل خوفا
لله بر فسمي ذا الكفل وقال ابو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا فكفل بعمل رجل
صالح عند موته كان يصلي لله عزوجل كل يوم مائة صلوة فاحسن الله عليه الثنا في كفالته وقال بعضهم ان نبيا من

الانبياء قال لقومه ايكم يكفل بتبليغ ما بعثت الى الناس بعدي لاضمن له الجنة والدرجة العلى فقال شاب انا تكفل التبليغ
على ذلك ووفاء ما تكفل فسمي ذا الكفل لذلك والله اعلم وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انه لما ذا قال اليسع
كان فلان سوى انه يعرفهم انهم من الاخيار على ما ذكر الله عزوجل والله اعلم وبعد فان معرفة ذلك
اخبار الآحاد لا يوجب علم العمل ولا يوجب علم الشهادة وليس هاهنا سوى الشهادة على الله والترك
اولى وقوله عزوجل هذا ذكر يحتمل قوله هذا ذكر الذي تقدم ذكرهم من الاخيار لانهم يذكرون
ابدا بخير وحسن الثناء عليهم بما كان منهم من حسن السيرة والعمل فذلك شرفهم حيث صار وامذكورين
من على السن الناس وهم اخراب او ان يكون ذكر هؤلاء ذكر وعظة لمن بعدهم او ذكر ذلك وعظة ليرف
حسن معاملة الرب بهم او هذا القرآن ذكر وعظة لمن امره به والله اعلم وقوله عزوجل وان للمتقين
لحسن مآب جعله الاتقاء هو ان يتقي المهالك اي اتقوا جميع ما يهلكهم لحسن مآب اي مرجع ثم بين
ووصف حسن المرجع الذي يرجعون اليه حيث قال عزوجل جنات عدن قوله عزوجل جنات عدن
اي مقام يقال عدن في مكان كذا اي اقام كانه جنات مقام فيها لا يبغون عنها حولا ولا غيرا على ما
اخبر الله عزوجل لا يبغون عنها حولا وقال بعضهم عدن الذي هو وسط الشيء كانه ذكر ان جنة
عدن كانت وسط الجنان والله اعلم وقوله عزوجل مفتحة لهم الابواب يحتمل قوله مفتحة لهم
الابواب الجنة يقال له ادخل اي باب من ابوابها شئت على ما يقوله بعض الناس وجائز ان يكون
ابواب كل احد منهم في الجنة يكون مفتحة لان الاغلاق والابواب انما يكون في الدنيا اما لخوف
السرق او نظر الناس الى اهله وحرمته وخوف نظر اهله الى الناس لهذا المعنى يتخذ الابواب في الدنيا و
الغلق والاغلاق دونهم وليس ذلك المعنى في الجنة لما اخبر ان ازواجهم يكن قاصرات الطرف
لا ينظرن الى غير ازواجهن ولا يكون فيهما خوف السرق لذلك كان ما ذكروا الاشبه ان لا يكون فيها
ابواب لما ذكرنا ان الابواب انما تتخذ لخوف السرق والنظر في حرمهم والله اعلم وقوله عزوجل متكئين فيها
يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب هذا والله اعلم كانه وصف حال اجتماعهم لانه ذلك يدعا بالفواكه
والشراب في الدنيا واما في حال الانفراد وقلما يدعون بالشراب ثم فيه اخبار انهم يدعون في الجنة
بالفواكه والشراب جميعا وفي الدنيا العرف فيهما ان اهل الشراب قل يجمعون بين الفواكه والشراب وجهين
اما لخوف الضرر بهم اذا جمع او لما لا يوجدان وليس هذان المعنيان في الجنة والله اعلم وقوله عزوجل
بفاكهة كثيرة كان الكثيرة كناية من انواع الفواكه والوان مختلفة من كل نوع ليس بعبارة عن الكثير من نوع
واحد والله اعلم وقوله عزوجل وعندهم قاصرات الطرف اي طرفهن يقصرن على ازواجهن لا ينظرن
الى غير ازواجهن ولا يردن غيرهم والله اعلم وقوله عزوجل اتراب قالوا مستوبات الاسنان اراد ان
يكونوا جميعا الازواج والزوجات على سن واحد وان يجعلهم جميعا يكونون على حال واحدة لا يتغيرون
ولا يهرمون كما يكون في الدنيا بعضهم اكثر سنا من بعض واضعف حالا من الآخر ولكن لا يهرمون ولا يكبرون
ولا يضعفون والله اعلم وقوله عزوجل هذا ما توعدون ليوم الحساب كانه يقول هو لما ذكر هذا ما توعد
اهل الجنة في القرآن ثوابا لهم من الله بشارة يبقى لهم ذلك ابدا وهو ما قال عزوجل ان هذا لرزقنا ما له من
نفاد اي انقطاع وذهاب نفد الشيء اذا فني وذهب والله اعلم وقوله عزوجل هذا اي هذا الذي
ذكرنا ثواب المتقين وجزاء تقواهم ثم بين جزاء الطاغين وهو قوله عزوجل وان للطاغين لشر مآب
اي لبئس المرجع ثم بين ذلك المرجع ما هو فقال عزوجل جهنم يصلونها فبئس المهاد اي بئس ما مهدوا
لانفسهم وقوله عزوجل هذا اي هذا الذي ذكرنا جزاء الطاغين والطغيان يرجع الى وجود الآن اصله
هو الذي لا يجتنب المهالك ولا يتقي والمتقي هو الذي يتقي المهالك ويجتنبها حقيقة التقي والطغيان ما
ذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل فليذوقوه حميم وغساق كان الملائكة يقولون لهم اذا ادخلوا جهنم والقوا
فيها فليذوقوه حميم وغساق والحميم هو الشراب الذي قد انتهى حره غايته ونهايته والغساق اختلفوا
فيه قال بعضهم هو ما يسيل من الصديد والقيح والدم وجعل ذلك شرابهم في النار وقال بعضهم الغساق
هو الزمهرير والزمهرير هو البرد الذي بلغ غايته ونهايته يحرق بشدة برده كما يحرق الحميم
الذي بلغ نهايته شدة حره والله اعلم وقوله عزوجل وآخر من شكله ازواج اتفق اهل التأويل واكثرهم
على ان قوله عزوجل وآخر من شكله ازواج هو العذاب كانه يقول وآخر من شكل ما ذكر من العذاب لهم
ثم اختلفوا في ذلك العذاب الذي قالوا من شكله قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هو الزمهرير
وروي عن الحسن وآخر من شكله ازواج الوان من العذاب وقال بعضهم زوج من العذاب ويشبه ان يكون
قوله عزوجل وآخر من شكله ازواج اي قوم اي قوم من شكل اولئك الذين ذكرهم يقرنون الى اولئك
فيجمعون في العذاب كقوله عزوجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم او ان يكون فوج آخر يدخلون من
شكل الاولين وهو ما ذكر عزوجل هذا فوج مقتحم معكم يقول المتبوع للاتباع لما ادخلوا النار وردوا وهم
لا مرحبا بهم اي لا سعة بهم وهو من الرحب وهو السعة فاجابهم الاتباع لا بل انتم لا مرحبا بكم

انتم قدمتموه لنا فبئس القرار وقال بعضهم قالت الخزنة لمن في النار هذا فوج مقتحم فيردون على الخزنة لا مرحبا بهم انهم صالوا النار فيرد عليهم القوم الذين اقتحموا النار بعدهم بل انتم لا مرحبا بكم واصل هذا ان هذا منهم امن يامن بعضهم بعضا لقوله عز وجل ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ونحو ذلك من الايات وقوله عز وجل قالوا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار هذا كقوله قالت اخريهم لاوليهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار هذا قول الاتباع للقادة والرؤسا منهم ثم ردت القادة على الاتباع وهو قوله عز وجل وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل فعلى ذلك هذه المناظرة التي ذكرت ها هنا بين القادة والاتباع ثم قوله عز وجل انتم قدمتموه لنا وقوله من قدم لنا هذا اي انتم شرعتموه ولنا في الدنيا وسننتموه ولذلك قولهم من قدم لنا هذا اي من شرع لنا هذه وسنن الذي كنا عليه واعرنا اي انتم شرعتموه لنا في الدنيا وسننتموه ولذلك قولهم من قدم لنا هذا اي من شرع لنا وسنن الذي كنا عليه وامرنا منه فزده عذابا في النار وهو كما ذكر في سورة سبا حيث قالوا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والله اعلم قال القتبي الغساق ما يسيل من جلود اهل النار ولحومهم من الصديد يقال غسقت عينه اي سالت ويقال هو البارد المنتن وكذلك قال ابو عوسجة وقوله عز وجل واخر من شكله ازواج من مثله الشكل المثل والشكل بنصب الشين الغنج وشكلات المراة اذا تغنجت والتقحم الدخول واقتحمت كله واخذه وهو الدخول وقوله عز وجل لا مرحبا بهم اي لا سعة بهم والرحيب والرحب الواسع وقوله عز وجل وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار الى اخر ما ذكر هذا يقول في الاخرة في النار وهذا يلزمهم الحجة وان لا تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لان هذه السورة مكية نزلت بمحاجة اهل مكة في اثبات التوحيد واثبات الرسالة ومنهم من ينكر البعث ذكر الانباء المتقدمة لاثبات الرسالة فيما تقدم وذكر حجج البعث في هذه الايات وحجج التوحيد في اخره ذكر ذلك كله لهم ليلزمهم الحجة وان انكروا ذلك لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين ثم في هذه الاية دلالة ان عقوبة الله قد تلزم وان لم يتحقق عنده الحق ولم يعرفه حقيقة حيث اخبر انهم يقولون في النار ما ذكر عز وجل ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار لانه معلوم انهم لم يعلموا حقيقة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا وما تركوا اتباعه ولا سخروا منهم وعلى ذلك يخرج مباهلة ابي جهل يوم بدر حيث قال اللهم اينا اوصل رحما واتركنا على ما ذكروا فانصر عليه ومعلوم انه لو كان يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق لكان لا يجترى على المباهلة دل انه لم يعلم حقيقة انه على حق فعوقبوا وان لم يعلموا لما مكن لهم من العلم والمعرفة لو تاملوا واحسنوا النظر في ذلك والله اعلم ثم قوله عز وجل ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال اهل التاويل انهم ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم في دينهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يستهزؤن بهم في الدنيا ويسخرون منهم يقولون كنا نسخر منهم في الدنيا فاين هم وما لنا لا نريهم ام زاغت عنهم الابصار اي حارت وشغلت ابصارنا فلا نريهم لكن لا يحتمل ان يكونوا يقولون على هذا الذي يقوله اهل التاويل ولكن يقولون على التلهف والتندم على ما كان منهم في الدنيا من ترك اتباعهم والسخرية منهم قد ظهر عندهم ان اولئك كانوا على حق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وانهم على باطل فلا يحتمل ان يقولوا ذلك على غير التلهف والتندم وقد عرفوا بما اذ عذبوا وجعلوا في النار عرفوا انهم يكذبون في النار يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانوا على خلاف ما كان اولئك الكفرة والله اعلم او ان يقولوا ذلك على الاستغناء انهم يقولون اين اولئك الذين كانوا اتخذناهم سخريا في الدنيا لعلهم يشفعون لنا فيغيثوننا يطمعون النجاة اذا اتبعوهم في ذلك الوقت او نحو ذلك كقوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذا الذي ذكرنا هو اشبه مما يقوله اهل التاويل والله اعلم وقوله عز وجل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقال بعضهم القسم يقوله عز وجل ص والقران وقع على هذا على ما ذكرنا ويحال بعضهم هذا على التقديم والتاخير يقول ان ذلك الذي ذكره من امن بعض على بعض حيث قالوا بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا وقولهم ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وما ذكر في سورة الاعراف قالت اخريهم لاوليهم كذا اي ذلك التخاصم الذي ذكر الحق اي كائن فيما بينهم والله اعلم وقوله عز وجل قل انما انا منذر ليس علي ما حملتم شيء انما ذلك عليكم انما علي الانذار لكم فقط وقوله عز وجل وما من اله الا الله الواحد القهار يقول والله اعلم ما من اله معبود ونحو انه انما الاله هو الواحد القهار الذي تفرد وتوحد بربوبيته والوهيته قهر الخلائق كلهم بقدرته وقوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار ويخبر عن غناه وسلطانه يقول والله اعلم يعلمون انه رب السموات والارض ومنشئهما ومنشئ ما بينهما فلا يحتمل ان ما يامركم وينهاكم عنه انما يامركم لحاجة نفسه او لمنفعة له ولكن انما يامر وينهى لمنفعة لانفسكم ولحاجتكم او يقول يعلمون انه هو ربكم ورب ما ذكر من السموات والارض وما بينهما فكيف تعبدون من يعلمون انه ليس بربكم ولا اله وانما الاله ما ذكر فيتركون عبادته وطاعته وقوله عز وجل العزيز الغفار اي لا يلحقه الذل بذل اوليائه وخذلانه لا انه عزيز بذاته لا باحد ليس كالملوك الارض يذلون اذا ذل اولياؤهم واتباعهم لان عزهم باوليائهم واتباعهم فاذا ذلوا ذل من كان عزه بهم فاما الله سبحانه وتعالى هو عزيز بذاته لا يلحقه الذل بذل اوليائه ولا هلاكهم وقوله عز وجل قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون له تاويلان احدهما ان هذا القران الذي انزل على رسوله صلى الله

عليه وسلم نبا عظيم انتم عن التفكر فيه والنظر معرضون لان فيه ذكر ما نزل بالمكذبين بالتكذيب والعناد وفيه ذكر من نجا منهم ثم نجا وفي ذكر ما نوى وما يتقى وفيه ذكر البعث وذكر الجنة والنار ونحوه وذكر ما لهم وما عليهم فهو عن التفكر فيه والنظر معرضون ما لو تفكروا فيه وتاملوا لادركوا كله ووصلوا الى معرفة كل ما فيه مما ذكرنا والله اعلم والثاني قوله عز وجل قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون اي البعث والحشر هو نبا عظيم انتم عن التهي والعمل لذلك معرضون تاركون فمن جعل تاويله غير البعث والحشر يجعل الاعراض عن التهي له والعمل لذلك اليوم ومن جعل تاويله على القران يجعل الاعراض عن التفكر فيه والنظر والله اعلم وقوله عز وجل ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الاية اختلف في الملا الاعلى قال عامة اهل التاويل الملا الاعلى هم الملائكة الذين تكلموا في ادم عليه السلام حين قال لهم الرب عز وجل اني جاعل في الارض خليفة فقالوا عند ذلك اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الاية وقوله عز وجل اذ يختصمون ليس على حقيقة الخصومة ولكن على التكلم في ذلك كقوله عز وجل يتنازعون فيها كاسا ليس على التنازع المعروف عند الناس والخصومة ولكن على اختلاف الايدي فعلى ذلك ما ذكر من اختصامهم والله اعلم ومعناه ما كان من علم من اختصام الملا الاعلى وما كان منهم من التكلم الا ان اوحي الي فعلمت وانما انا نذير مبين وقال بعضهم ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون وما كان اختصامهم في الكفارات وفي الدرجات وفي المنجيات والموبقات حتى علمني الله ذلك بالوحي الي واعلمني ذلك ويذكرون ان الكفارات هو اسباغ الوضوء في المكروهات وبذل الطعام عند الضيق والشدائد ونحوها مما يطول ذكره والله اعلم وجائز ان يكون قوله عز وجل ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون اي بالجمع الاعلى وهو جمع يوم القيمة سماه الجمع الاعلى لانه يجمع الاولين والاخرين والفرق جميعا اي ما كان لي من علم بذلك الجمع حتى علمت بالوحي وقوله عز وجل اذ يختصمون في ذلك اليوم يقع الخصومات كقوله عز وجل ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون وهو على حقيقة الخصومة وجائز ان يكون الملا الاعلى هم الاشراف من اولئك الكفرة والقادة منهم الذين هلكوا بالتكذيب ومن نجا منهم بالتصديق يقول ما كان لي من علم بهم وما نزل بهم او حي الي فعلمت بالوحي كانهم سالوه عن ذلك فاخبر اي كنت كواحد منكم في ذلك حتى علمت ذلك بالوحي الا انما انا نذير مبين امرني ربي واوحي الي ان انذركم بذلك حتى علم بالوحي والله اعلم وقوله عز وجل اذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا من طين طاهر هذا ان يكون لا على القول منه لهم ولكن على الخبر انه كان ما ذكر والله اعلم ثم ذكر الذي خلق منه ادم على اوصاف مختلفة مرة ذكر انه خلق من طين ومرة من تراب ومرة من حما مسنون ومرة كالصلصال ومرة كالفخار ومرة لازب وغيره على اختلاف ما ذكر فجائز ان يكون كل وصف من ذلك قد كان وصفه عن حال كان ترابا ثم صار طينا ثم ما ذكر وصف والله اعلم وقوله عز وجل ونفخت فيه من روحي واضافة الروح الى نفسه كاضافة خلق من خلائقه اليه اذ الروح خلق من خلائقه كسائر الخلائق وقوله عز وجل فقعوا له ساجدين لولا صرف اهل التاويل سجود الملائكة لادم الى حقيقة السجود والا كنا نصرف الامر به الى الخضوع له والاستسلام كما احوج الملائكة الى معرفة هذه الاسماء الى ادم وبه عرفوها حيث قال عز وجل يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم لكن صرف اهل التاويل سجود الملائكة الى حقيقة السجود له جائز لانهم ممتحنون بالامر والنهي وقد بينا ذلك فيما تقدم ثم استثنى ابليس من الملائكة واخبر انه استكبر وابى ان يسجد له حيث قال عز وجل فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وكان من الكافرين على قول من يقول ان ابليس كان من الملائكة فلما ابى السجود خذله ووكله الى نفسه صار كافرا ليعلم ان كل احد وان عظم قدره وجلت منزلته يحتمل خلاف ما هو فيه وضده وانه متى امتحنه بامر فترك امره تكبرا او استخفافا وخذله ووكله الى امره ونفسه فصار كافرا ليحذر ولا يحقر ليكونوا ابدا على حذر وفزع الى الله عز وجل على ما اخبر من عظيم قدر الملائكة عند الله وجليل منزلتهم عنده اذا خذلهم ووكلهم الى انفسهم صاروا كما صار ابليس والله اعلم ثم قوله عز وجل وكان من الكافرين اي كان في علم الله انه يكفر وكان بمعنى صار من الكافرين اذا ابى السجود واستكبر كقوله عز وجل لادم فتكونا من الظالمين اي تصيرا من الظالمين والله اعلم وقوله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان تخصيص اضافة الشيء الواحد الى الله عز وجل يخرج مخرج تعظيم ذلك الواحد وذلك الفرد كقوله بيت الله ومساجد الله وان المساجد لله ورسول الله وولي الله واشباه ذلك وخص هذه الاشيا بالاضافة اليه وان كانت البقاع كلها والخلق كله له على التعظيم لذلك فعلى ذلك يخرج اضافة خلق ادم الى نفسه يخرج تعظيم ادم حيث قال خلقت بيدي وان كان جميع الخلائق هو خلقهم ويخرج اضافة كلية الاشيا الى الله وكلية الخلائق اليه يخرج تعظيم الرب والمدح له نحو قوله عز وجل خالق كل شيء ورازق كل شيء وربه يخلق منشا العالم ومبداها وهو على كل شيء قدير ومالك الملك وغير ذلك على ما ذكرنا فيما تقدم والله اعلم ثم قوله عز وجل بيدي قد تكلمت اهل الكلام والتاويل في تاويل اضافة اليد الى الله عز وجل منهم من قال القوة ومنهم من قال كذا لكن التكلف في ذلك فضل معا قد يضاف اليد الى من لا يد له ولا جارحة ولا عضو نحو قال عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لم يفهم احد بذكر اليد له ولا الخلف ما يفهم من الخلق ولا ذهابهم وكذلك ما ذكر من مجيء البرهان ومجيء الحق ولا من زهوق الباطل ما يفهم من مجيء الخلق ولا ذهابهم وكذلك ما ذكر من مجيء البرهان حيث قال عز وجل قد جاءكم موعظة من ربكم وقد جاءكم

برهان من ربكم وامثال ذلك مما يكثر عدده واحصاؤه لم يفهم احد من الخلايق من مجيء هذه الاشياء التي ذكرنا مجي الخلق ولا فهم من ذكر اليد لما ذكرنا من الاشيا جارحة ولا عضوا فكيف يفهم من ذكر اليد فيما فهم من الخلق اوله فساد اعتقادهم لربهم والجهل بتعاليه عن معنى الغير والا لم يخطر بباله بذكر ذلك لله او اضافته اليه ما يخطر بباله من الخلق او ان يكون ذلك ذكر لنفسه واضافته اليه من اليد وما ذكر لما باليد يكون في الشاهد لو احتمل كون ذلك من الخلق نحو ما قال ذلك بما قدمت ايديكم وما كسبت يداك ونحو ذلك مما يعلم في الحقيقة ان ذلك لم يكن ذلك يكسب به حقيقة ولا عمله من نحو الكفر وغير ذلك من الاشيا لكنه ذكر اليه لما باليد يكتسب في الشاهد وبها يعمل اكثر الاعمال والافعال او اضاف ذلك اليها لما ذكرنا وان لم يكن منها عمل حقيقة فعلى ذلك اضافة اليد الى الله فيما اضاف على ما كان ذلك من الخلق انما كان باليد وعلى ذلك يخرج ما ذكر من استوائه على العرش بعد ان ذكرنا فيه ما يليق به ونفينا عنه ما لا يليق واصل ذلك انا عرفنا الله عز وجل متعاليا عن جميع معاني الغير عن كل صفات يوصف بها الغير على ما ذكر في كتابه ليس كمثله شيء فاذا كان كذلك لا حاجة لنا الى تاويل اليد وما ذكروا انه ما اراد به والله اعلم **وقوله** عز وجل استكبرت ام كنت من العالين معناه والله استكبرت الحال عند ما ابيت السجود له ام كنت في اعتقادك من العالين اي المستكبرين ويحتمل قوله عز وجل ام كنت ام صرت من العالين اي استكبرت وصرت من العالين على ما في قوله عز وجل وكان من الكافرين اي صار من الكافرين ثم حرف الشك والاستفهام من الله قد ذكرنا انه على الايجاب والقطع كانه قال بل كنت في الله انك تكفر او يقول وصرت من العالين اي ممن يطلب العلو كقوله تعالى ان فرعون علا في الارض **وقوله** عز وجل قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ظن ابليس عليه لعنة الله ان النار لما كان من طبعها الارتفاع والعلو ومن طبع الطين التسفل والانحدار ان الذي طبعه الارتفاع والعلو خير من الذي طبعه التسفل والانحدار لذلك قال والله اعلم انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولما راى ان اصلاح الاشياء كلها ونضجها بالنار فقال عند ذلك لكن لو يظن الملعون وحقق النظر لعلم ان الطين خير من النار لانه من الارض والارض كالاصل والام لغيره لان لا اشيا يكون صلاحها ونضجها بالنار اول بدئها من الارض كالابن من الام الوالدة على غير ما ذكرنا والله الموفق ثم كفره باثباته السجود له لما لم ير امر الله له بسجود من هو خير او على لين دون حركة وخفاف كيف ولما راى انه وضع الارض في غير موضع الامر والله اعلم **وقوله** عز وجل فاخرج منها قال بعضهم اي اخرج من الجنة وقال بعضهم اي اخرج من السماء الى الارض وقال بعضهم اي اخرج من الارض الى جزاير البحر والله اعلم بذلك وليس لنا ان نتكلف القطع على القول فيه انه امر بالخروج من كذا وقد عرف اللعين انه تمارى امره بالخروج منها ثم ذكر مرة فاخرج منها ومرة قال فاهبط منها ونحو ذلك من الالفاظ المختلفة وكذلك ما ذكر مرة قال ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقال في موضع اخر ما منعك ان تسجد اذ امرتك وقال في موضع مالك ان لا تسجد ويكون مع الساجدين ونحو ذلك على الالفاظ المختلفة فذلك كله يدل على ان ليس على الناس حفظ الالفاظ والحروف وكذلك ما ذكر في القصص على اختلاف الالفاظ مكررة معادة **وقوله** عز وجل فانك رجيم اي لعين كانه قال فانك لعين على السن الناس ليس يذكره احد من اعدائه واتباعه واوليائه الا وقد لعنه **وقوله** عز وجل وان عليك لعنتي الى يوم الدين كانت اللعنة عليه الى يوم الدين هو خذلانه وطرده عن رحمته ودينه لما علم انه لا يعود الى اختيار توحيده وطاعته ابدا والا كان عليه لعنته في الدنيا والاخرة فاما في الدنيا ما ذكرنا من خذلانه وتركه في العمى واما في الاخرة مطرود عن جنته والله اعلم ثم سال ربه ان ينظره الى يوم يبعثون فاجاب حيث قال عز وجل فانك من المنظرين وانما انظره والله اعلم انه يختار الكفر والخلاف له ابدا ثم قوله عز وجل الى يوم الوقت المعلوم هو يوم اختلف فيه الوقت المعلوم هو يوم البعث الى ذلك انظره على ما سبق منه السؤال على النظرة الى يوم البعث حيث قال الى يوم يبعثون وقال بعضهم الوقت المعلوم هو النفخة الاولى وقال بعضهم لم يبين له ذلك الوقت واذ لك ذكر منه الخوف وهو ما قال عز وجل نكص على عقبيه وقال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين ولو كان بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف دون ذلك الوقت ولكنه بامن فقد الخوف انه لم يبين له ذلك وهو معلوم عند الله والله اعلم وقوله قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وقال عز وجل ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين كانه يقول والله اعلم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ان يغويهم الا من كان في علمه انه يختار الغواية ولو تراه اتباعه فيكون له عليهم سلطان الاغواء فاما من كان له في علم الله انه يختار الايمان والتوحيد فلا سبيل لك عليهم والله اعلم ثم قال بعضهم المخلصين للتوحيد فان كان ذلك فيكون قوله عز وجل لاغوينهم يكون كفرا وقال بعضهم المخلصين من الهلاك فان كان ذلك فيكون قوله لاغوينهم اي لاهلكنهم وقال بعضهم المخلصين من كل ذنب وكل معصية لكن الوجهين الاولين اشبه واقرب والله اعلم **وقوله** عز وجل فالحق والحق اقول قد قرئ بنصبهما جميعا فالحق والحق اقول وقد قرئ ايضا برفع الاول ونصب الثاني فالحق والحق فمن قرأ بالرفع فيكون معناه والله اعلم انا الحق والحق اقول او منى يكون الحق على هذا ومن قرأ على النصب فهو على التاكيد تاكيدا على ما ذكر على انه كانه يقول قول الحق الحق وهو يقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين ثم جائز ان يحتج بهذه الاية على المعتزلة فيقال لهم اراد الله عز وجل ان ينجز ما وعد وان يصدق في خبره الذي اخبر انه كان يكون او لم يرد ان ينجز ما وعد وان لا يخرج خبره على الصدق فان قالوا لم يرد اعظموا القول لانهم زعموا انه اراد ان يخلف ما وعد وان يكون في خبره فذلك عظيم القول حيث

وصفوا بهم

وصفوا بهم ما السفه اذ قالوا لو اراد ان يؤمنوا ولم يتبعوا ابليس فيقال اراد ان يجوز ويظلم على زعمكم لانه اراد ان لا يحتج ولم يرد ما يستوجبون ذلك فدل على ان الله تعالى علم انه يكون منهم والله اعلم **وقوله** قل ما اسالكم عليه من اجر هذا يحتمل وجوها احدها لا اسالكم على ما ادعوكم من الشرف والذكر في الدنيا والاخرة من اجر ولا اجد في الشاهد ممن يبذل لاحد من الشرف والذكر ولا يعطيه ذلك الا باجر فكيف تبركون اتباعي ولا يبذلون ذلك مني او يقول لا اسالكم على ما ادعوكم اليه من اجر فيمنعكم ثقل ذلك الاجر وذلك الغرم عن اجابتي كقوله عز وجل ام تسالهم اجرا فهم من مغرم مثقلون اي لست تسالهم اجرا حتى يمنعهم ثقل ذلك الغرم عن الاجابة **وقوله** عز وجل وما انا من المتكلفين قال عامة اهل التاويل وما انا ممن يتكلف ذلك من تلقاء نفسي ولا امرتكم بما امرتكم الا بالوحي والمتكلف عند الناس في الظاهر هو الذي يفعل ويقول بلا اذن وقال ابو عوسجة المتكلف هو الذي يتكلف ما لا يعنيه ويفعل ما لم يؤمر به وجائز ان يكون قوله عز وجل وما انا من المتكلفين اي ما انا من المتحملين فيما حملتم اذا انا لقيموني والله اعلم وقوله عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين اي ما هذا القران وهذا النبا الا عظم ذكر لمن اتبع **وقوله** عز وجل ولتعلمن نباه بعد حين يحتمل نبا القران ويحتمل البعث والحساب اي يعلمون ان ذلك حق بعد حين ثم ذكر عز وجل في جهنم انه يملاها ولم يذكر في الجنة انه يملاها فجائز ان يكون ما ذكر من الملا هو ان يضيقها عليهم وفي التضييق زيادة في الالم وان يكون في سعة الجنة حكمة ولا يكون ذلك في جهنم لان السعة بطلب النزهة والانتشار في البساتين وغير ذلك من اللذة والنعم

بسم الله الرحمن الرحيم **وقوله** عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم يقول والله اعلم ان الكتاب الذي يتلوه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوكم اليه هو تنزيل من عند الله كقوله نزل به الروح الامين على قلبك الاية وقوله عز وجل العزيز الحكيم على اثر قوله تنزيل الكتاب من الله يخرج والله اعلم انه يدعوكم محمد صلى الله عليه وسلم الى اتباع الكتاب والطاعة ليس لذل به يطلب بكم العز او ضعف في التدبير فيطلب بكم الاستعانة فيه لانه عزيز بذاته حكيم لا يلحقه الخطأ والضعف في التدبير ولكن انما امركم بما امركم ونهاكم عما نهى ليكتسبوا لانفسكم ولينتفعوا به فاما الله سبحانه عزيز بذاته غني حكيم بنفسه وقال بعضهم العزيز هو الذي لا يعجزه شيء والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير وقال بعضهم هو العزيز لان كل عزيز دونه اذا يصير ذليلا عنده وعز من دونه عند عزه ذلا والحكيم هو المصيب في فعله وتدبيره وقيل هو الذي وضع كل شيء موضعه وقال بعض اهل التاويل العزيز هو المنيع وتاويل المنيع الممتنع عن جميع مكايد الخلق وجميع حيلهم به بالضرر له وقد ذكرنا هذا في غير موضع والله اعلم **وقوله** عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق يحتمل قوله عز وجل بالحق يحتمل قوله عز وجل بالحق اي بالحق الذي لله عليكم وبالحق الذي لبعضكم على بعض ولما اهل التاويل بالحق اي للحق اي انزلناه للحق لم ننزله عبثا باطلا لغير شيء ولكن انزلناه للحق الخوف والاحكام ونحو ذلك والله اعلم **وقوله** فاعبد الله مخلصا له الدين جائز ان يكون ما ذكر من انزاله الكتاب بالحق ذلك هو ما امره من العبادة له امره بوفاء ذلك الحق له ثم يحتمل قوله فاعبد الله مخلصا له الدين وجهين احدهما اصل في الاعتقاد اي اعتقد جعل كل عبادة وطاعة لله خالصا لا يعتقد احد شركاء والثاني في المعاملة ان كل عبادة وطاعة اجعله لله خالصا لا تجعل لغيره فيه شركاء والله اعلم واما اهل التاويل قالوا فاعبد الله وحده مخلصا له الدين وتاويل هذا ان اجعل الوحدانية والالوهية لله في كل شيء **وقوله** عز وجل الا لله الدين الخالص اي ولله شهادة الوحدانية والالوهية في كل شيء ويحتمل ايضا قوله عز وجل الا لله الدين الخالص لانه دين قام بالحجج والبراهين واما غيره من الاديان فهو دين فهوى النفس واما ثبتها الا بالحجج والايات والله اعلم **وقوله** والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى كان فيه اضمار يقولون والذين اتخذوا من دونه اولياء عبدوها وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا في موضع اخر هؤلاء شفعاؤنا عند الله عرفوا ان ما كانوا يعبدون من الاوثان وغيرها ليسوا بالهة في الحقيقة ولا لهم الالوهية حقيقة وان حقيقة الالوهية لله لكنهم سموها الهة لانهم كانوا يعبدونها وكل معبود عند العرب اله لان الاله هو المعبود وقدروا تسمية كل معبود لها الالهة سموها الهة وان عرفوا انه ليس لهذه الاشياء الوهية حقيقة وان ذلك لله عز وجل ثم ان الذي حملهم على عبادة ما عبدوا من دون الله وجان احدهما انهم لم يروا انفسهم يصلح لعبادة الاله العظيم او يقدر على القيام بخدمته فعبدوا هذه الاشياء رجاء ان يقربهم عبادة هؤلاء الى الله زلفى وان هؤلاء شفعاؤهم وذلك انهم راوا في ملوك الدنيا ان كل احد يجد السبيل الى خدمة ملوكها او يقدر على القيام بين يديه والخدمة له فيخدم من اتصل بالملك ومن عظم قدره ومنزلته عند الملك ليقرب ذلك المخدوم له الى الملك اذا بدت له الحاجة او الشفاعة وعلى ذلك ما ذكر في قصة فرعون انه كان اتخذ لقومه اصناما يعبدونها من دونه لما لم ير كل احد منهم يصلح للخدمة وهو ما اغرى قومه على موسى حيث قالوا ويذرك والهتك ونحو هذا الوجه والثاني عبدوها لان اباءهم قد عبدوها وتركوا على ذلك حتى تابوا فاستدلوا بتركهم على ذلك على ان الله قد كان رضي بعبادتهم الاصنام وامرهم بذلك كقولهم اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها ولذلك قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وقولهم لو شاء الرحمن ما عبدنا من دونه من شيء استدلوا بتركه اباءهم على ما عبدوا من الاصنام على ذلك ولم يعاقبهم في الدنيا وكانوا لا يؤمنون بالاخرة حتى يزجرهم اليها على ان الله قد رضي بذلك وانهم عن امر منه

فعلوا ذلك فرد الله ذلك عليهم فقال ان الله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يحتمل قوله فيما هم فيه يختلفون
في محمد صلى الله عليه وسلم لانهم اختلفوا فيه فمنهم من قال انه ساحر ومنهم من قال انه شاعر وانه مجنون وانه مفترى ونحو
فخبر انه يحكم بينهم ليتبين لهم ان ما ذكروا اهواءهم او يحكم بينهم ان الاصنام التي عبدوها لا تشفع لهم وان عبادتهم اياها لا تقربهم
الى الله زلفى وقد بين لهم وقد تبين لهم في الدنيا ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ولا ساحر ولا كذاب على ما قالوا لما انباهم
واخبرهم باخبار عرفوا ان الساحر والشاعر لا يعرف مثلها نحو ما اخبرهم بنصر الله اياه وما لطف له عليهم عنى على الاعداء
فكان على ما انباهم وكذلك ما انباهم بانباء واخبار عرفوا انه صادق في ذلك ما لا يستفاد مثلها بالسحر وما بالكهانة
الا بالوحي من الله عز وجل لكنهم عاندوا وكابروا وكذلك بين لهم ايضا ما عرفوا ان الاصنام التي عبدوها في
الدنيا لا تملك لهم الشفاعة يوم القيامة حيث ابتلاهم باهوال وافزاع بركوب البحار والضيق عليهم حتى
فزعوا الى الله وكشف ذلك عنهم ودفعه منهم لم يفزعوا الى الاصنام التي عبدوها وهو ما قال عز وجل فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ونحو ذلك ما ابتلاهم
بالشدائد والبلايا عرفوا ان معبودهم الذي عبدوه لا يملك دفع ذلك عنهم ولا كشفه وانما المالك لذلك هو الله
المعبود الحق ثم يناقض قولهم لانهم كانوا ينكرون رسالة النبيين بقولهم ابعث الله بشرا رسولا فيرون
للخشب والاشجار الالوهية والعبادة فذلك تناقض ظاهر قال بعضهم في قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي مقربة فيشفعون لنا الى الله تعالى وقوله ان الله يحكم بينهم فيما هم
فيه يختلفون وقوله عز وجل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار قال ابو بكر لا يهدي احد بالضلال والكفر ولكن انما
يهدي بضد الضلال والكفر او كلام نحوه وقال الجبائي لا يهدي طريق الجنة في الاخرة اي لا يهدي من كان في الدنيا
كاذبا كفارا في الاخرة طريق الجنة وجاز ان يكون قوله عز وجل ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار من نعته قوله عز وجل ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله كفار لتسميتهم العبادة الى غير المنعم وقال جعفر بن
حرب ان الله لا يهدي الى الزيادات التي يهدي ويعطي من اختار الهدى لانه يقول ان من اختار الهدى واهتدى كان
عند الله لطفا ورحمة يعطي ذلك زيادات وفضل زيادة على ما كان اختار كقوله عز وجل والذين اهتدوا زادهم
هدى واتاهم تقواهم وهذه التاويلات كلها للمعتزلة واما عندنا فان قوله ان الله لا يهدي من هو في علمه انه يختار الكفر
وقت اختياره الكفر والضلال اي لا يوفقه الهدى ولا يعينه وقت اختياره الكفر ولكنه يخذله وكذلك يقول
في قوله عز وجل والله لا يهدي القوم الظالمين والكافرين ونحوه اي لا يهديهم وقت اختيارهم الكفر والظلم والله
الموفق والثاني لا يهدي اي لا يخلق فعل من هو فعل كفر فعل هدى ولكن يخلق فعل كفر وكذلك فعل من هو فعل هدى فعل
كفر ولكن يخلق كل فعل على ما يفعله الفاعل ويختاره يخلق فعل الكافر كفرا وفعل المهتدي فعل هدى يخلق كل فعل على
ما يختاره الفاعل ويفعله ان كان يخلقه هدى وان كان كفرا يخلقه كفرا وقال بعض اهل التاويل ان الله لا يهدي من كان
في علمه انه يختم بالكفر ويخرج به من الدنيا والله اعلم ثم قوله عز وجل من هو كاذب كفار يحتمل وجهين احدهما من هو كاذب
كفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني كفار لنعم الله وكاذب في القول كفار في الفعل والله اعلم وقوله عز وجل لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ظاهر هذا ان ايجاد الولد له من المحتمل والممكن ليس من الممتنع وكذلك ظاهر قوله
لو اردنا ان نتخذ لهوا ظاهر هذا الذي ذكر هو من المحتمل والممكن وكان الممتنع ايضا كقوله عز وجل تكاد السماوات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا دلت هذه الايات على ان ايجاد الولد من الممتنع والعظيم
في العقول والقلوب جميعا ثم قوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو جاز واحتمل ايجاد الولد على ما
تقولون انتم وتتوهمون لاصطفى واختار مما يشاء هو وشاء ليس على ما تختارون انتم له وتشاؤون ان الملائكة بنات الله
على ما تزعمون اذ العرف في الخلق ان من اتخذ لنفسه شيئا انما اتخذ من اعز الاشياء وارفعها واعظمها قدرا عندهم
لا من اخس الاشياء وادناها وهو كقوله عز وجل فراغ الى الهتهم اي الى الهتهم التي اتخذوا اولئك الهة
في الحقيقة ولكن سماها بالذي عندهم وكذلك قول موسى عليه السلام وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا
اي انظر الى الذي اتخذته الها سماه على ما هو عنده فعلى ذلك قوله عز وجل لو اراد الله على ما في ظنونكم وتوهمكم انه اتخذ
الولد لاختار مما ذكر لا مما تقولون انتم لو احتمل ذلك على ما في ظنكم وحسابكم لكان مما ذكر والثاني مبني الايجاد
راجع الى التاويل انكانت الكفرة ينسبون الملائكة الى انهم بنات لما عرفوا من كل امنهم على الله عز وجل وقربهم
عنده وينسبونه الى ان قد شاتروا الى ان عيسى ابنه انما يتخذ الاولاد ويتبنى ليستنصر وابهم فبرا الله عز وجل
نفسه عن احتمال الشكل وخوف الغلبة فقال سبحانه هو الله الواحد القهار في قوله عز وجل الواحد القهار دفع ما قالوا
فيه واحاله ذلك لما اخبر انه واحد في الذات ولو كان له ما ذكروا لاحتمل من الولد لم يكن واحدا في الذات اذ كل
محتمل الولد منه هو من شكل الولد فاذ عرفهم انه واحد في الذات لم يحتمل الولد وما ذكروا وفي قوله عز وجل
القهار دلالة احالة ذلك لانه اخبر انه قهار والولد في الشاهد انما يتخذ لاحد وجوه اما للوحشة اصابته
فيستانس واما للحاجة تمسه فيدفع بالولد ذلك واما الغلبة شهوة فيقضيها فيتولد من ذلك الولد واما للوراثة
ملكه بعد موته وهو دائم باق لا يزول ملكه ابدا واما للاستنصار والنصرة على اعدائه لا احد هذه الوجوه
وكونا يحتاج المرء الى اتخاذ الولد فاذ ربنا قاهر غني لا يحتمل ما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل خلق السماوات

والارض

والارض بالحق يحتمل قوله بالحق اي بالحق الذي لله عليهم ولبعضهم على بعض من الحق وان يكون قوله بالحق اي
بحق وهو البعث ما لو لم يكن البعث لكان خلقهما عبثا باطلا على ما ذكر في اية اخرى وما خلقنا السماوات والارض
وما بينهما باطلا وقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وجائز ان يكون قوله عز وجل
خلق السماوات والارض بالحق اي بالحكمة وهو ان جعل في خلقه كل شيء اثر وحدانيته والوهيته ما يعرف كل اثر
فعله وان لم يشاهد خلقه وقوله على ما يكون ذلك في فعل احد من الخلائق اثره معرفة فاعله والله اعلم وقوله
عز وجل يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل كما ذكر في اية اخرى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يذكر دلالة
وحدانيته حيث جعل منافع الليل متصلة بمنافع النهار ومنافع النهار متصلة بمنافع الليل على اختلافهما وتنافيهما
وتضادهما ليعلم انهما فعل واحد وكذلك ما جعل من منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ليعلم ان
منشاهما واحد اذ لو كان عددا لا منع ذلك اذ العدد المعروف من عادة الملوك انفراد كل بملكه وسلطانه
والاستيلاء على ما استولى وقبض يد الاخر ونفاذ امره في سلطانه فلما لم يمنع ذلك دل انه فعل واحد وكذلك
ما ذكر من تسخير الشمس والقمر وما فيهم وجريهما في يوم واحد مسيرة الف عام او ما ذكر من غير ان يعرف احد سيرهما
الا بعد قطعهما ذلك دل ان لهما منشئا وانه واحد ودل انهما وجريانهما على سير واحد منذ كانا الى اخر ما
يكونان ويدوران على ان منشاهما واحد عالم مدبر عرف حاجة البهائم الابدين ومنافعهم بذلك وقوله عز وجل
كل يجري الى اجل مسمى اي كل مما ذكر يجري الى الوقت الذي جعل له لا يتقدم ولا يتاخر ولا ينقطع ما كان بالخلق
حاجة والله اعلم او الى منازل معلومة لا يجاوزانها وقوله عز وجل الا هو العزيز الغفار هو العزيز بذاته لا يتعزز
بما ذكر واله من الاولاد ولا بطاعة من اطاعه الغفار لمن كان له اهلا للمغفرة ما لا يخرج مغفرته اياه عن الحكمة
والله اعلم وقوله عز وجل يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وقال بعضهم اي يدخل احدهما
على الاخر كقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل الاية وقال بعضهم يكور الليل على النهار اي يغشي احدهما
الاخر كقوله يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا وقال بعضهم يكور اي يلف هذا بهذا وهو من كور العمامة ومنه
قوله اذا الشمس كورت اي جمعت ولفت واصل التكوير اللف والجمع وهو قول ابي عوسجة والقتبي وقوله عز وجل
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ظاهر هذا انه خلقنا من تلك النفس قبل خلق زوجه منها لان حرف
ثم انما هو حرف اتباع وارداف وحرف ترتيب لا حرف جمع فاذا كان كذلك فظاهره يوجب ما ذكرنا لكن اهل
التاويل اختلفوا في معنى ذلك وتفسيره ذلك ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه في بعض الروايات انه تاويل في ذلك
وقال عز وجل خلقكم من نفس كانت واحدة ثم جعل منها زوجها او كلام نحو هذا وعندنا ان قوله عز وجل
خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يخرج على ظاهر ما ذكر لكن الخلق هو التقدير في اللغة كانه قال
عز وجل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وكلام اي قدركم جميعا على كثرتكم من اول ما انشاكم الى
اخر ما تنشاكم من تلك النفس الواحدة منها قدرنا وقوله عز وجل ثم جعل منها زوجها ثم اخرجنا منها من تلك
النفس وزوجها والا كان تقديره ايانا منها كان قبل زوجها منها وهو الظاهر على ظاهر ما خرج الكلام
والله اعلم ثم كان منه خلق ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج ظاهر الانزال
هو ان ينزل من علو مرتفع الى تسفل ومنحدر لكن اللغة لا تمتنع عن استعمال لفظ الانزال لا على حقيقة الانزال
من علو الى سفل يقال نزل فلان بارض او بمكان كذا وان لم يكن هناك منه نزول من علو الى منحدر وسفل فعلى
ذلك هذا واصله ان كل حرف من حروف الانزال وغيره مما اضيف الى الله عز وجل مما يستقيم صرفه
الى خلقه ان المراد منه خلقه نحو قوله عز وجل انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وانزلنا الحديد فيه باس
شديد وغير ذلك مما يكثر ذكره فهو خلقه اياه فعلى ذلك قوله عز وجل وانزل لكم من الانعام اي خلق لكم
من الانعام ما ذكر على ما ذكر وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اي خلق لكم ما ذكر فصل ذلك حرف الانزال
والله اعلم ثم ظاهر قوله من الانعام ثمانية ازواج يحتمل ان يكون على احد وجوه ثلاثة اما ان لا يسمى انعاما
ولا يكون الا الثمانية الازواج التي ذكر انه خلقها لنا فان كان على هذا فيكون حرف من ههنا صلة كانه
قال عز وجل وانزل لكم انعاما وهي ثمانية ازواج او ان يسمى كل ما خلق من الدواب انعاما الا انه لم يحل
لنا منها الا الثمانية الازواج التي ذكر فان كان هذا فيكون حرف من حروف تبعيض وتجزية او ان يسمى
كل الدواب انعاما الا انه لم يحل لنا كل شيء منها من جميع انواع الانتفاع بها من الازواج التي ذكر فانه
قد احل لنا كل شيء من هذه الاصناف الثمانية من لحومها والبانها واصوافها وكل شيء منها واما ما سوى ذلك
من الانعام فانه لم يحل لنا كل شيء منها من اللحوم وغيرها ولكن احل لنا الانتفاع بظهورها من نحو الحمير والبغال
وغير ذلك مما يشتهى والله اعلم ثم الثمانية الازواج التي ذكر انه خلقها لنا في هذه الاية هي التي ذكرها في
سورة الانعام وهو قوله ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين الى قوله ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين الى اخر ما ذكر فيشبه ان يكون ما ذكر من ثمانية الازواج انه انزل لنا في سورة الزمر التي احل لنا كل شيء
منها واما ما سوى ذلك فانه انما احل لنا الانتفاع بها لم يحل لنا كله الا ترى ذكر في سورة الانعام الاحل ثم ذكر على
اثر هذه الثمانية الازواج الابل والبقر والضان والمعز ثم قال عز وجل ثمانية ازواج من الضان اثنين الى

لما ذكر وهذا يدل على ان قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه انما هو مما ذكر اي لا اجد محرما من
هذه الاصناف الثمانية الا ما ذكر من الدم والميتة ولحم الخنزير ثم يخرج استثناء لحم الخنزير يخرج استثناء غير
جنس المذكور على كون ذلك الغير فيه وذلك غير جائز في الكلام كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى
عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم كانه قال احلت لكم بهيمة الانعام والاصطياد الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد
فعلى ذلك الاول كانه اضمر فيه استثناء لحم الخنزير منه والله اعلم وقوله عز وجل يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من
بعد خلق قال اهل التاويل تحويله من حال الى حال من نطفة الى علقة ثم الى مضغة حتى يتم خلقا مستويا في ظلمات
قيل الرحم والبطن والمشيمة وقيل الظهر يخبر عن قدرته وعلمه وتدبيره انه حيث قدر على خلق الانسان وكل خلق
في تلك الظلمات الثلث والتسوية بين كل شيء منه من اليدين والرجلين والعينين والاذنين والسمعين والبصرين
وقسمة الاعضاء على السواء حتى لم يزداد احدى اليدين على الاخرى وكذلك احدى الرجلين واحدى العينين واحد
الشفتين وكذلك كل شيء منه في تلك النطفة من العينين واليدين والرجلين والبصر وكل الجوارح ما لو اجتمع الحكماء
جميعا حكماء البشر لم يعرفوا كون شيء من الجوارح والنفس وتقديرها من تلك النطفة وتصويرها منها ليعلم انه قادر
على خلق الاشياء من شيء ومن لا شيء وبسبب وبغير سبب وما جعل من الاسباب البعض لاشياء لم يجعلها استعانة
منه بها على انشاء ذلك وان من قدر على تقدير ما ذكر وتصويره في الظلمات التي ذكر على السبيل التي ذكر فانه لا يخفى عليه
شيء ولا يعجزه شيء يحتج عليهم لانكارهم البعث وانكارهم بعث الرسل ويخبر ان من فعل ما ذكر من تغييرهم
من حال الى حال وتحويلهم من صورة الى صورة اخرى انه لا يفعل ذلك ليتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم
ثم اذا امتحنهم لا يحتمل ان لا يبعثهم ليجزي المسيء منهم والعاصي جزاء الاساءة والعصيان والمحسن منهم والمطيع جزاء
الاحسان والطاعة ان قد سوى بينهم في هذه الدار وفي الحكمة والعقل التفريق بينهما فلا بد من دار اخرى يفرق
بينهما والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم له الملك يحتمل ذلك لم لله ربكم اي ذلكم الله الذي ذكر من تقديركم وتصوير
كم في ظلمات تلك النطفة هو ربكم الذي فعل ذلك او ان يكون قوله عز وجل ذلكم الله ربكم له الملك اي جميع ما ذكر من
قوله عز وجل خلق السماوات والارض يكور الليل على النهار وما ذكر من تسخير الشمس والقمر وجريانهما على سنن واحد
وعلى قدر واحد وما ذكر من خلقنا جميعا من تلك النفس الواحدة الى اخر ما ذكر يقول ذلكم الله الذي فعل كله هو ربكم
لا اله الا هو فانى تصرفون اي فانى تصرفون عبادتكم الى غيره او فانى تصرفون الوهيته وربوبيته الى غيره وتجعلون
له شركاء واعدالا وقد تعلمون ان الذي فعل ذلك كله هو الله الواحد الذي لا شريك له ولا مثل او يذكر ان ما ذكر من
النعم التي اعطاكم واسدى اليكم هو ربكم الذي خلقكم فكيف تصرفون شكرها الى غيره والله اعلم وقوله عز وجل ان تكفروا
فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان تكفروا فان
الله غني عنكم اي تكفرون دين الله الاسلام ولم تسلموا فانه لا يقبل منكم وان تشكروا اي وان تسلموا يرضه
لكم اي يقبل منكم كقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقال غيره اي ان تكفروا دينه فان الله غني عن
عبادتكم وان تشكروا اي توحدوه يرضه لكم من الاول وجائز ان يكون قوله ان تكفروا النعم التي عدها عليكم فيما
تقدم ذكرها من قوله خلق السماوات والارض يكور الليل على النهار وقوله وانزل لكم من الانعام الى اخر ما ذكر
من النعم يقول ان تكفروا هذه النعم التي عدها عليكم فانه غني عنكم وان تشكروا ما عد عليكم من النعم يقبل ذلك
منكم والله اعلم واصله ان الله عز وجل بين سبيل الهدى ورغبهم اليه وبين سبيل الضلال وحذرهم عنه لم بين ان
من سلك سبيل الهدى فله كذا ومن سلك سبيل الضلال فله كذا افضاء الى كذا او ان يقول ان من سلك سبيل الهدى
يرضى لنفسه عاقبة السبيل الذي سلك فيه كقوله عز وجل وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية ومن سلك سبيل الضلالة
والكفر يمقت ذلك السبيل الى العاقبة كقوله عز وجل ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اخبر
انهم يمقتون انفسهم اذا يودوا وعرفوا انهم خطاوا الطريق وبالله العصمة وذكر في حرف عبد الله بن مسعود و
الله يكره لعباده الكفر وقوله وان تشكروا يرضه لكم وكذلك ذكر هذا في حرف ابي وحفصة خاصة واصل
قوله ان تكفروا فان الله غني عنكم اخبر انه لم يامركم بما امركم به ولا نهاكم عما نهاكم عنه لحاجة نفسه او لمنفعة
له في ذلك ولكن انما امتحنكم بما امتحنكم لحاجة انفسكم ولمنفعتكم ولدفع الضرر عنكم وكذلك ما انشا من الاشياء لم
ينشئها لحاجة نفسه ولا لمنفعة له ولكن انما انشاها لكم ولمنافعكم وكذلك تقول لم ينشئها لنفسها حتى اذا تلف شيئا
شيئا عوضها لها بما تقول المعتزلة انه ليس لله ان يتلفها الا ان يعوضها لها عوضا فاذا ذلك ولكن انشاها
للبشر ولهم تقرون من اتلف شيئا منها والله اعلم وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ذكر هذا والله اعلم جوابا لقوم
حيث قال عز وجل وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم الاية اخبر انهم لا يحملون وزر احد
ولكن يحمل وزر نفسه والثاني يحتمل ان امر الاخرة ليس كامر الدنيا لان في الدنيا قد يحمل بعض اثام بعض
واوزار بعض فاما في الاخرة فانه لا يحمل احد وزر احد ولا اثامه والله اعلم وقوله عز وجل ثم الى ربكم مرجعكم
الاية فيه نقض البعث بالرجوع اليه مرة وبالمصير ثانيا والبروز له ونحو ذلك وان كانوا في جميع الاحوال راجعين
اليه صائرين لان المقصود من انشائهم في هذه الدنيا ذلك البعث فخص له ذلك ورجوعا اليه والله اعلم وقوله انه عليم
بذات الصدور وقال اهل التاويل بما في الصدور وعندنا عليم بما يكون من الخير والشر

الشبه ولا اذ اصحاب الصدور هم بصدرون ويظنون في صدورهم وقوله واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا
ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل اخبر الله الخلق ما كان من عادة الكفرة من غير اعيون
القران انهم كانوا يخلصون الدين لله ويتضرعون اليه اذا مسهم بلاء وشدة اذا ركبوا البحر او كان لهم خوف
الهلاك في ذلك وفزع كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية وغير ذلك من الايات
وكذلك كل بلاء وشدة اصابهم فزعوا الى الله عز وجل وتضرعوا اليه وقوله ثم اذا كشف الضر عادوا الى ما كانوا
من قبل وقوله نسي ما كان يدعوا اليه من قبل يحتمل قوله نسي ان لا يملك الاصنام التي عبدوها دفع ذلك
عنهم ولا كشفه او نسي ان لا ينفع شفاعتهم اياهم ونحوه كقوله عز وجل واذا مسكم الضر في البحر ضل من
تدعون الا اياه اي نسوا ما علموا من عجز الاصنام ونحوه وقوله وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله كان الاية
في الرؤساء منهم جعلوا الانداد ليضلوا الناس عن سبيله يدل على ذلك قل تمتع بكفرك قليلا في الدنيا انك
من اصحاب النار لما علم انه يختم على الكفر والله اعلم ثم الحكمة في ذلك هذا وامثاله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يحتمل وجوها احدها ليصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سوء معاملتهم اياه كما حكم عن سوء معاملتهم لم
ليتاسى بهم على اثر ذلك وذلك اعظم في العقل ويخبر الاواخر عن سوء معاملتهم ربهم ليحذروا عن مثلها معاملتهم
ربهم او يخبر عن حلمه انه كيف منهم فاحلم انت والله اعلم وقرئ ليضل وليضل فيه ثلث لغات وقوله امن هو قانت
اناء الليل ساجدا او قائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قال بعضهم هذه الاية صلة ما تقدم من قوله واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله اندادا ليضل عن
سبيله يقول الذي تضرع الى الله واخلص دينه له ونسي ذلك وترك اذا خوله ذلك نعمة وجعل لله اندادا ليضل عن
سبيله كالذي هو قانت اي مطيع لله اناء الليل والنهار يحذر عذابه ويرجو رحمته ليسا بسواء عندكم الذي اطاع
الله في جميع اوقاته حاذر تقصيره في ذلك راجع رحمته لطاعته والذي عصى ربه ولم يعبده فاذا عرفتم انهما ليسا
بسواء شرفوا انهما قد استويا في نعم هذه الدار وسعتها وشدائدها وفي الحكمة التفريق بينهما فلا بد من دار اخرى
تفرق بينهما فيها يثاب المحسن المطيع جزاء احسانه وطاعته ويعاقب الكافر الظالم جزاء كفره وظلمه والله اعلم ومنهم
من يجعل لهذه الاية مقابلا لكنه يقول مقابلها ليس الاول ولكن لم يذكر لها مقابل ويقول على ما عرفتم انه لا يستوي
الذي يعلم والذي لا يعلم فعلى ذلك لا يستوي الذي اطاع ربه اناء الليل واجهد نفسه في عبادة الله والذي عصى
ربه وكفر نعمه وقد ظهر ولا استواء بينهما في هذه الدنيا لا بد من التفريق بينهما في دار اخرى ولو لم يكن دار اخرى
فيها تفرق وتميز لكان خلق هذا العالم على ما كان باطلا سفها غير حكمة والله اعلم وقوله يحذر الاخرة اي يحذر
عذاب الاخرة وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود انه قرا يحذر عذاب الاخرة وقوله ويرجو رحمة ربه ودلت
الاية على ان المؤمن يجب ان يكون بين الرجاء والحذر يرجو رحمته لا لعمله ويحذر عذابه لتقصيره في عمله ثم
الرجاء اذا جاوز حده يكون امنا وقد قال الله عز وجل فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون والخوف اذا جاوز
حده يكون ياسا وقد قال الله تعالى ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويجب ان يكون المؤمن كما ذكر
عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا ويدعوننا رغبا ورهبا لا يجاوز واحدهما وجائز ان يكون قوله عز وجل ويرجو
رحمة ربه اي جنته على ما سمى الجنة رحمة في غير موضع لما برحمته ينال هي والله اعلم وقوله عز وجل هل يستوي
الذين يعلمون في معرفة نعم الله والقيام بشكره والحذر عن عصيانه وعذابه وقوله والذين لا يعلمون في كل ذلك
جوابه ان يقال لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهو ما قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله
انما يتذكر اولوا الالباب انما يتذكر بمواعظ الله اولوا العقول والبصر وللمعرفة والله اعلم وقوله اناء الليل
وقانت اي مطيع واصل القنوت هو الطاعة وقيل القنوت القيام وهو القيام في الطاعة والله اعلم وفي قوله
يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه دلالة انه لا يجوز الارجاء لانه لم يقطع على احدهما دون الاخر وكذلك في قوله تعالى
يدعون ربهم خوفا وطمعا وفي قوله رغبا ورهبا وفي القطع على احدهما كفر على ما ذكرنا من قوله فلا يامن مكر
الله ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون اذ المجاوزة في الخوف اياس والمجاوزة في حد الرجاء امن
وقد ذكرنا انه كفر وقوله قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم يحتمل قوله اتقوا ربكم وجوها اتقوا سخط ربكم او اتقوا
نقمة ربكم او اتقوا مخالفة ربكم ونحوه واصل التقي ما به تهلكون اي اتقوا ما بها تهلكون والله اعلم وقوله للذين احسنوا في
هذه الدنيا حسنة قال عامة اهل التاويل للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة لهم في الاخرة وجائز ان يكون
لهم الحسنة في الدنيا والاخرة حسنة ولدار الاخرة خير الاية وكقوله عز وجل والذين هاجروا في سبيل الله
من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في هذه الدنيا حسنة ولاجر الاخرة اكبر ثم يحتمل الحسنة وجها اخر استغفار الملائكة
لهم والانبياء عليهم السلام لان الله عز وجل امتحن ملائكته على استغفار المؤمنين والمؤمنات كقوله
ويستغفرون لمن في الارض وكذلك امتحن رسله بالاستغفار للمؤمنين وكذلك المؤمنون يستغفر بعضهم
لبعض ونحوه وقوله وارض الله واسعة ذكر هذا والله اعلم لان من امن منهم بمكة كانوا يظهرون الموافقة
لاعدائهم ويقيمون فيما بينهم وكانت لهم اسباب التعيش في بلدهم ولم يكن لهم تلك في بلد غيرهم فخافوا الضياع
انهم خرجوا من بلدهم فيها جرموا منها الى غير بلدهم فيمتنعون عن ذلك فنزلت الاية على الترجي والاطماع

لهم مثل ذلك التعيش واسبابه في غير ذلك البلد وهو ما ذكر في اية اخرى وهو قوله الذين توفيهم الملائكة ظالمي
انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها لم يعذروا
في تركهم الهجرة واظهارهم الموافقة للاعداء ولهم طاقة وسع التحول من بلدهم الى بلد غيرهم الا من لم يكن
به طاقة الخروج من بينهم وهم الذين استثناهم وهو قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء الاية والله اعلم
وقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب يحتمل قوله بغير حساب وجوها بغير حساب اي بغير تبعية ولا تبوية كقوله
من نوقش الحساب او بغير حساب اي لا يحاسبون لما ليس وراء تلك الدار الاخرة دار اخرى يحاسبون فيها
ما اعطوا في الاخرة ليس كدار الدنيا يحاسب ما اوتوا فيها في الاخرة واما ما اعطوا في الاخرة فلا يحاسبون في غيرها
ويحتمل بغير حساب اي غير مقدر بغير بالحساب ولكن اضعافا مضاعفة ويحتمل بغير حساب اي بلا نهاية ولا غاية
والله اعلم ثم الصبر هو حبس النفس لما على ذا ما امر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه او حبسها وكفها في الجملة
ما حلت من الشدائد والمصائب والمؤن العظام احتملوا ذلك ولم يجزعوا وهو ما ذكر من غير اي من القران ولنبلونكم
بشيء من الخوف الاية وقوله ولنبلونكم بالشر والخير فتنة ونحوه وقوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت
لان اكون اول المسلمين يحتمل ان يكون هذا لما ان اهل مكة كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم ودين
ابائهم وكانوا يطمعون عوده اليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وامرت
لان اكون اول المسلمين ذكر ههنا الامر ان يعبد الله مخلصا له الدين وقال في اية اخرى قل اني نهيت ان اعبد الذين يدعون
من دون الله الاية وقال في اية اخرى قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا الاية اخبر انه لو اتبع اهواءهم فيه يضل وما
كان من المهتدين ذكر في هذه الايات النهي وترك اتباعه اهواءهم ولم يذكر الامر فيها الامر بعبادة الله تعالى مخلصا له
[illegible]
ما شئتم فانه يجزيكم جزاء عبادتكم كقوله تعالى اعملوا ما شئتم الاية وذلك معروف في كلام الناس يقول الرجل
اعمل ما شئت او قل ما شئت فان لك الجزاء كما تحمل على الوعيد فعلى ذلك قوله عز وجل فاعبدوا ما شئتم من دونه
والله اعلم ويحتمل وجها اخر لا على الوعيد ولكن يقول قد بينت لكم واوضحت السبيلين جميعا بالايات والحجج سبيل
النجاة الذي اذا سلكتموه نجوتم وهو سبيل الله وسبيل الهلاك الذي اذا سلكتموه هلكتم وهو سبيل الشيطان
فان اردتم النجاة فاسلكوا سبيل كذا وان اردتم سبيل الهلاك فاسلكوا سبيل كذا والله اعلم ثم قوله قل ان
الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة كانه لما امرهم ان يقوا انفسهم النار حيث قال عز وجل
قوا انفسكم واهليكم نارا ليكون لهم انفسهم واهليهم يوم القيامة ويتم لهم ذلك وقد مكن لهم ذلك
وهلكوا لو تركوا ذلك ولم يقوها ولا اخلصهم النار وقال عند ذلك خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة
الا ذلك هو الخسران المبين الا عند ذلك يتبين لهم خسروا انفسهم واهليهم او انهم قد امروا بالسعي للاخرة والعمل
لها ووعد واذا سعوا لها وعمل النجاة في الاخرة والحيوة الدائمة والاهل في الجنة واذا لم يسعوا لها ولم يعملوا خسروا
انفسهم والاهل الذين وعدوا فيها اذا لم يسعوا وهلكت انفسهم الا ذلك هو الخسران الا هنا لك يتبين لهم انهم
خسروا والخسران انا بيناه والله اعلم وقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ان يكون ما كان تحتهم من النار ان
يوصف بالمهاد لهم لا بالظلل كقوله عز وجل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك ذكر في حرف
ابن مسعود انه قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ذلك يخوف الله به عباده والله اعلم لكن جاز ان يكون
الظلل الذي تحتهم هي ظلل لمن تحتهم وهي اولئك الذين فوقهم مهاد والذين لمن تحتهم احدهما والنار والله اعلم لان
النار دركات والطباق ليكون كل طبقة لمن تحتها ظلل ولمن فوقها مهاد على ما ذكرنا وقوله ذلك يخوف الله به عباده
او ذلك الذي ذكر في القران من المواعيد يخوف الله عباده فما تقون اتقوا سخط الله ونقمته او اتقوا مخالفة الله او
اتقوا مخالفة الله واتقوا المهالك وقوله والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها اختلف في الطاغوت قال بعضهم
هو الشيطان اي اجتنبوا من ان يأمروه واطاعوه وقال بعضهم الطاغوت هم الكهنة كانوا يأتون الكهنة فيخبرونهم بامور فيعملون بقولهم ويصدقونهم يقول اي اجتنبوا من ان يطيعوا الكهنة في امورهم
ونهيهم وقال بعضهم كل معبود دون الله فهو طاغوت وهو من الطغيان وهو المجاوزة عن الحد والله اعلم
وقوله وانابوا الى الله اقبلوا ورجعوا الى ما امرهم الله به اي رجعوا الى طاعتهم وتركوا ما به مخالفته وانتهوا
عن مناهيه والانابة الى الله هي الرجوع الى ما به طاعته والله اعلم وقوله عز وجل لهم البشرى وهو ما ذكر في قوله
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فعلى ما ذكر لهؤلاء

من البشرى لهم في الدنيا وفي الاخرة لا لاولياء الله وقوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اختلف فيه قال بعضهم الذين يستمعون كلام الناس من الخير والشر والحسن والقبح فيتبعون احسنه اي
يروون ويحكمون منه ما هو خير وحسن ويتركون ما هو شر وقبح وقال بعضهم يستمعون القران وكلام الناس
واحاديثهم فياخذون بالقران ويتبعونه ويتركون كلام الناس واحاديثهم فهو اتباع الاحسن منه
وهو القران قال بعضهم يستمعون وفيه الناسخ والمنسوخ فيتبعون احسنه اي ناسخه ويعملون به ويتركون
منسوخه لا يعملون به وقال بعضهم يستمعون الى القران وفيه الامر والنهي فيتبعون امره وينتهون عما نهى
عنه والله اعلم وجائز ان يكون قوله فيتبعون احسنه اي يتبعون الحسن منه الاحسن بمعنى الحسن والله
اعلم وقال قائلون فيتبعون احسن ما في القران من الطاعة منه كقوله وامر قومك يأخذوا باحسنها الاية
وتاويله ما ذكرنا ان يأخذوا ما فيه من الامر وائتمروا به وانتهوا عما فيه من المناهي والله اعلم وقوله اولئك
هم اولوا الالباب اي اولئك هم المنتفعون بلبهم وعقولهم حيث اختاروا واثروا هداية الله ونظروا اليها
بالتعظيم والاجلال واهتدوا وقوله افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار ذكر الله تعالى في هذه
السورة اشياء لا يعرفونها اجوبة في الظاهر الا بالتامل ولا يستدل الا على غيره من ذلك ما ذكر افمن حق عليه
كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار كانه يقول والله اعلم افمن حق عليه العذاب كمن له البشرى في الاخرة الاية
ذكر فيما تقدم للمؤمنين البشرى حيث قال عز وجل والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانابوا الى الله لهم
البشرى الاية على هذا يخرج جوابه افمن وجب عليه العذاب كمن وجب له البشرى لا سواء او ان يقول افمن
حق ووجب عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام اي ليس الذي وجب عليه العذاب كالذي شرح صدره
للاسلام او ان يقول هذا النازلة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحرصه على اسلام قوم واحب ان يسلموا فقال
هذا له على الاياس من اسلامهم يقول افمن وجب عليه العذاب افانت تنقذه وتخلصه من النار من
قد وجب عليه العذاب وهو ما قال عز وجل انك لا تهدي من احببت وكقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين كان لا يقدر ان يكرههم على الاسلام لكنه كان يحب ويحرص على اسلامهم ويحزن لتركهم الاسلام
كقوله ولا تحزن عليهم وقوله لعلك باخع نفسك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ونحو ذلك كان يحزن
وكادت نفسه تتلف اشفاقا عليهم فيقول افمن وجب وحق عليه العذاب اتقدر ان تنقذه من النار اي
لا تقدر على ذلك والله اعلم ثم بين الذين نقذوا من النار وهم الذين اتقوا ربهم حيث قال عز وجل لكن
الذين اتقوا ربهم يحتمل اتقوا مخالفة ربهم او اتقوا سخط ربهم ونقمته ثم بين ما وعد لهم في الاخرة فقال
عز وجل لهم غرف من فوقها غرف مبنية ذكر ان لهم غرف في الجنة والغرف على الغرف في الشاهد انما يتخذ لضيق
المكان لكن ذلك في الجنة ليس لذلك ولكن لما كان غرف من رغبة الناس في الدنيا في الارتفاع والعلو والكرامة
والتفضيل والاتحاد ورق الادون رغبهم في الاخرة على ما رغبوا واحبوا في الدنيا ولكن لاهل الجنة الدرجات
ولاهل النار الدركات ثم قوله تجري من تحتها الانهار يخبر ان امر الجنة على خلاف اهل الدنيا اذ في الدنيا كلما
ارتفع وعلا من البنيان كان الماء منها ابعد والوصول اليه اصعب فاخبر انهم وان كانوا في الغرف والدرجات
لا يصار اليهم فيما يقع على الماء والماء لا يبعد عنهم ولا يصعب والله اعلم ثم ذكر في الغرف البنا ولا ذكر في السماء
انه بناها فلو تفهم من بنائه ما ذكر ما فهم من بناء الخلق فكيف فهم من مجيئه وغير ذلك ما فهم من مجيء الخلق
وانباتهم لو لا ما كان قربهم من فنا داعتقاد صدو والله اعلم وقوله الم تر ونحوه على وجهين احدهما على الخبر
المرئي قد رأيت والثاني على الامر انه رواه ثم الخطاب وان كان في الظاهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لكل
احد يحتمل النظر والتامل ثم حجة الحكمة الموادعة فيها ما ذكر من انزال الماء من السماء وجعله ينابيع في الارض
والابار التي جعلت فيها ليعلم ان المياه الخارجة من الارض والجارية فيها اصلها من السماء منزله منها وهي طهور
على ما اخبر انه انزله طهورا وان اختلفت طبيعته لاختلاف جواهر الارض ما لم يخالطه شيء من جواهر الارض من القذر
والنجاسة وغيرها من الالوان التي يخرج من ان يكون طهورا ويغير عن جوهره الذي انزل من السماء ثم جعل الله
عز وجل في شربه ذلك الماء معنى ولطفا ما يوافق جميع الاشجار والنبات وكل خارج من الارض وان اختلفت
جواهرها والوانها وطعمها ليعلم ان من قدر على جعل في الماء من اللطف والمعنى الذي يوافق كل نوع من النبات
والشجر وان اختلفت جواهرها والوانها واطعمها لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ولا يخفى قوة الا بالله او ان
يقول ان من تكلف ذرع الزراعة في الارض ويحمل المؤن العظام الى ان بلغ المبلغ الذي ينتفع به وينال منه
النفع فتركه لم ينتفع به الى يوصف بالسفه وبغير الحكمة فكذلك الله سبحانه لما انشأكم صغارا اطفالا وغذاكم
بالوان الاغذية والاطعمة حتى كبرتم وبلغتم مبلغ الانتفاع بكم ثم اهلككم بلا عاقبة تقصد في ذلك كان غير حكيم
وقد عرفتموه حكيما فدل ان المقصود في ذلك كله حتى يكون انشاؤه اياكم صغارا وتربية اياكم بالوان الاغذية
التي تجعل لكم حكمة وهو البعث ما ولا ذلك كان سفها غير حكمة على ما ذكر من اخراج الزرع من الارض بالماء الذي
اخرج ثم تركه فيها حتى صار يابسا لا ينتفع به كان سفها غير حكيم فعلى ذلك ما كان عبثا ولذلك الفوة ان لا بعث كان
ما ذكر والله اعلم وقوله تعالى ان في ذلك اي فيما يذكر من انزال الماء من السماء وادخاله في الارض واخراج ما ذكر منها

وماذكر موعظة لاولى الالباب اى لمن انتفع بلبه وعقله لما ذكرنا وما ذكر لاهل الجنة من الغرف وغير ذلك ثم قال عز وجل
وعد الله لا يخلف الله الميعاد لان من وعد في الشاهد وعدا ثم اخلفه انما يخلفه لحاجة او لما يبدو له من البدوات
فيرجع عما وعد والله سبحانه وتعالى عن ذلك كله لا يحتمل خلف الوعد منه وقوله فسلكه ينابيع في الارض اى ادخله
فيها وجعله ينابيع اى عيونا وقوله ثم يهيج اى ييبس وقوله ثم يجعله حطاما متكسرا مثل الرفات والفتات وهو قول
ابى عوسجة والقتبى ويقال هاجت الارض اذا ابتدأت في اليبس حطاما اى متكسرا وقوله عز وجل افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه قيل شرح الله وسع الله وقيل رحب الله وقيل لين الله ونحوه وكله واحد ثم يحتمل
قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اى يجعل الله في صدره النور اى يجعل ذا الاسلام حتى يبصر الحق
وحججه وبراهينه بصورة الحق انه حق والباطل انه باطل وانه تمويه يبصر كل شئ بذلك النور على ما هو حقيقته انه حق
وباطل فياخذ الحق ويعمل به ويترك الباطل ويجتنبه والله اعلم او ان يكون قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه يكون نوره هو اسلامه الذى هداه شرح صدره لنوره حتى اسلم وهو ما روى في الخبر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سئل انه هل ينشرح الصدر للاسلام وكيف ينشرح فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم اذا دخله النور انشرح
لذلك الصدر وانفسح له اخبر ان النور اذا دخل الصدر انشرح لذلك الصدر وانفسح له بذلك النور والله اعلم وجائز
ايضا ان يكون قوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام في الدنيا فهو على نور من ربه في الاخرة كقوله عز وجل
والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم الاية والذين كفروا طبع الله على قلوبهم فيظلم ويفسق لما بقى
في الظلمة ابدا والله اعلم ومنهم من قال شرح صدره للاسلام الاسلام نفسه اذا اسلم فهو على نور من ربه كتاب الله
الله قال هذا المؤمن به ياخذ واليه ينتهى وما سئل النبى صلى الله عليه وسلم هل لذلك اى لانشراح الصدر للاسلام
علامة فقال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الموت فهذا في التحقيق
ليس في المعاملة في العمل ولكن في الاعتقاد اى تجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود يتزود من الدنيا للاخرة
ثم قوله افمن شرح الله صدره للاسلام يحتمل ان يكون على الاستفهام على ما ذكر ويحتمل ان لا يكون على الاستفهام
ولكن على الايجاب فان كان على اسقاط الالف فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه الاية كقوله في اية
اخرى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا فعلى ذلك يحتمل
ان يكون هذه الاية على هذا والله اعلم وان كان على الاستفهام فلا بد ان يكون له مقابل يعرف ذلك بدليل
او جواب ثم قال بعضهم جوابه في قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله كانه يقول ليس المنشرح صدره
للاسلام كالقاسى قلبه بالكفر وهو قول الكسائى وجائز ان يكون جوابه ومقابله ما تقدم ذكره وهو قوله افمن
حق عليه كلمة العذاب الاية كانه يقول افمن حق عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام اى ليس من وجب
عليه العذاب كمن شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه والله اعلم وقوله الله نزل احسن الحديث يحتمل قوله
عز وجل نزل احسن الحديث اصدقه خبرا واعدله حكما وهو ما ذكر في اية اخرى ووصفه بالصدق والعدل حيث
قال عز وجل وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اى اصدقا في خبره وعدلا في حكمه فعلى ذلك يحتمل قوله احسن الحديث
خبرا واعدله حكما والله اعلم وجائز ان يكون قوله احسن الحديث اى اتقنه واحكمه وهو متقن ومحكم وهو على ما
وصفه بالصدق والعدل في اية اخرى قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد اخبر انه
لا ياتى القران باطل من بين يديه ولا من خلفه وذلك لاتقانه واحكامه والله اعلم وهو احسن الحديث لان من تامله
ونظر فيه وتفكر انار قلبه واضاء صدره وهداه سبيل الخير والحق ودفع عنه الوساوس والشبهات وكل شر وافضى
الى كل خير وبر فهو احسن الحديث اذ لا حديث يعمل هو لما ذكرنا وغير ذلك والله اعلم وقوله كتابا متشابها قوله متشابها
اى ليس يختلف ولا متناقض ليس كحديث الناس وكتبهم مما يختلف ويتناقض حديثهم وكتابهم وخاصة فيما
امتد من الاوقات وطال ولعله مدت وهو ما ذكر افلا يتدبرون القران ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا ذكره متفقا متشابها غير مختلف في طول نزوله وتفرق اوقاته وتباعد ايامه في الانزال انه من
عند الله نزل ومنه جاء اذ لو كان من عند غيره لخرج مختلفا متناقضا على ما يخرج حديث الناس وخبرهم مختلفا
ومتناقضا والله اعلم وقوله مثانى قال اهل التاويل سماه مثانى لما يثنى فيه انباؤه وقصصه مرة واصله انه
سماه مثانى لانه ذكر فيه المواعظ والذكرى وكررها في غير موضع لما لو لم يكررها اغفلوا عنها وسهوا عنها لان
الحكيم اذا وعظ احدا عظة وزجره وسهى عنه وكرر عز وجل عليهم المواعظ والزواجر ليكونوا ابدا متيقظين متذكرين
لذلك والله اعلم لكيلا يغفلوا عنها ولا يسهوا وقوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وقال اهل التاويل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم عند تلاوة اية الرهبة والخوف وتلين قلوبهم
عند تلاوة اية الرحمة وجائز ان يكون ذلك لهم بجميع القران بما فيه من الرحمة والرهبة جميعا يكون فيهما الموعظة
تلين قلوبهم وتقشعر جلودهم وتجافوا انفسهم لان اية الرحمة ليس باحق بتليين القلوب من اية الرهبة
بل اية الرهبة احق بذلك وقتادة يقول كانت جلودهم تقشعر وعيونهم تبكى وقلوبهم تطمئن اليه ولا يذهب
عقولهم ولا يغشى عليهم كما راينا اهل البدع يفعلون ترى انما ذلك من الشيطان وقوله عز وجل ذلك هدى الله
من يشا قد بين سبل الهدى والحق وحججه وبراهينه وبين سبيل الضلالة والباطل فمن سلك سبيل الهدى فبتوفيقه

سلك وبمعونته اهتدى ومن سلك طريق الكفر والباطل فبخذلانه ضل وزاغ وقوله ومن يضلل الله فما له من
هاد اخبر ان من اضله الله فلا هادى له وعلى ما قال في المعيشة والرزق قال عز وجل ما يفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال عز وجل في الضراء والخير حيث قال وان يمسسك
الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فلا راد لفضله ذكر في الضلال والهدى ما ذكر في الرزق و
الضر والخير ذلك ان الله في فعله هدم ونقضهم تدبير البسن على ما تقول المعتزلة ان لا تدبير لله في ذلك وان من
اهتدى انما يهتدى بنفسه ومن ضل وزاغ انما ذلك بنفسه لا تدبير لله في ذلك فالاية تنقض قولهم و
تدل عليهم وقتادة يقول في قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله وانما يذكر الله اهل الايمان فكانت تقشعر بذلك جلودهم وتبكى اعينهم وتطمئن قلوبهم ولا يذهب
عقولهم منه واما ان تصرع احدهم فلم يكن دائما كان هذا في اصحاب البدع وربما هو من الشيطان
ولعمرى ما كان في هذه الامة احد اعلم من نبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده اصحاب الذين انتخبهم الله
عز وجل انتخبه النبى صلى الله عليه وسلم واقامة دينه ولقد سالنا من لقينا من اصحاب رسول الله عليه وسلم
واصحاب اصحابه فخبر ان هذا انما كان في اهل البدع وقوله عز وجل افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة
كانه لم يذكر مقابل هذا في هذا الموضع فجائز ان يكون مقابله ما تقدم وهو قوله لمن جعل له الغرف على
الغرف تجرى من تحتها الانهار لكن يتقى بوجهه سوء العذاب ليس هذا كذلك ولا احد يتقى بوجهه سوء العذاب
لكن يخرج ذكر ذلك على وجوه احدها كناية عن الشفعاء واهل النصر كانه يقول لا يكون لهم من يشفع او يملك
دفع العذاب عنهم او يكون ايديهم مغلولة الى اعناقهم فلا يد له يتقى بها سوء العذاب عن وجهه لان
في الشاهد من اصاب شيئا من العذاب يتقى ذلك العذاب عن وجهه بيده فيخبر ان لا يد له في الاخرة يتقى العذاب
بها عن وجهه بل يصيب العذاب وجهه فكانه يتقى به او ان يكون ذكر الوجه كناية عن نفسه وهو ما ذكرنا ان لا يكون
له من لا يملك دفع العذاب عنه او ان يكون ذكر الوجه كناية عن قلبه ان يصل وجع ذلك العذاب الى قلبه
ولا يملك دفعه والله اعلم وقوله وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون يحتمل قوله اى ذوقوا جزاء ما كنتم
تكسبون او يقول ذوقوا ما اخترتم من الكسب وهذا بما اخترتم لانه قد بين لهم الكسبين جميعا وما يكون
لكل كسب في العاقبة فاختاروا هم الكسب الذى كان عاقبة الذى اصابهم فكانهم اختاروا ذلك الذى حل بهم
بهم باختيارهم ذلك الكسب والله اعلم وقوله كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
ليخوفهم ويحذرهم ما نزل بالمتقدمين بتكذيب الرسل عليهم السلام والعناد بعد ما حذرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالبعث وما حل بهم يوم القيمة بذلك فلم يصدقوه فيما يحذرهم يوم القيامة حذرهم بالذى
انتهى اليهم الخبر يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحذروا وقوله من حيث لا يشعرون اى من حيث لا يامنون
العذاب اى ينزل بهم وقوله فاذاقهم الله الخزى في الحيوة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون العذاب
الذى نزل بهم في الدنيا ليس هو عذاب الكفر انما هو عذاب العناد والتعنت وافعال فعلوها في حال الكفر فهو
في الاخرة لا ابدا لا يبقى فيه خالدين مخلدين فيه ولذلك قال ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقوله ولقد ضربنا
في هذا القران من كل مثل اى بينا للناس في هذا القران من كل ما يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم اخبر لهم
ما لهم وما عليهم او لبعضهم على بعض وامثاله والله اعلم وقوله لعلهم يتذكرون هذا يحتمل وجهين احدهما
لكى يلزمهم التذكر والاتعاظ والثانى لكى يلعنهم ما يتذكرون ويتعظون وقوله قرانا عربيا اى جعلناه قرانا عربيا
كقوله انا انزلناه قرانا عربيا لكى يفقهوه ويعرفوه كقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية
وقوله غير ذى عوج يحتمل وجهين احدهما انه لا يخالف الكتب المتقدمة بل يوافقها لان كتب الله جاءت كلها
على الدعا الى توحيد الله وربوبيته فكذلك القران فهو لا يخالف سائر الكتب بل يوافقها والثانى لا عوج فيه
لما لا يخالف بعضها بعضا ولا يناقض بل يخرج كله موافقا بعضه مستقيما على تباعد نزوله في الاوقات وبالله
التوفيق واصله غير ذى عوج اى ليس بمائل ولا زائغ عن الحق وقوله لعلهم يتقون اى يتقون المهالك
او سخط الله ونقمته وقوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان
مثلا اى لا يستويان يشبه ان يكون ما ذكر من المثل لرجلين من المشركين المسلمون والكافرون ثم يحتمل
الرجل الذى فيه شركاء متشاكسون اى يتشاكسون في نسبه يدعى كل نسبه او يتشاكسون في الملك
فيه يقول كل هو لى وفي الملك في قوم يدعى كل ان الملك له فيه او يدعى كل ان الملك فيهم ولا يثبت لواحد منهم
فيبقى متحيرا ابا بها ولذلك لا يثبت لواحد منهم الملك الذى يدعى ليطلب هذا منه النفقة وما يجب على
ذى الملك من حقوق الملك فيبقى ضائعا متحيرا وكان اذا الملك لرجل واحد والنسب او الملك سالم له يصل الى
كل حق له ويكون محفوظا في نفسه معروفا فيكون مثل الذى فيه شركاء متشاكسون هو الذى يعبد الشيطان
او الاصنام او هوى النفس يدعوه كل شيطان الى غير الذى دعى الاخر وكذلك الهوى يدعو صاحبه مرة
الى كذا ومرة الى غير ذلك فهو كالذى فيه شركاء متشاكسون يدعى هذا وهذا وهذا والذى يعبد الله الحق
الذى يثبت الوهيته بالحجج والايات كالرجل السالم الواحد يكون ابدا على حاله واحدا مطيعا لله خالصا له

وقوله هل يستويان مثلا اى هل يستوى الرجل الذى يدعى فيه شركاء متشاكسون والرجل الذى يكون لرجل واحد فيما
ذكرنا اى لا يستويان وقال اهل التأويل هل يستويان من يعبد آلهة شتى مختلفة والذى يعبد ربا واحدا وهو
المؤمن وقد رأوا انهم قد استووا هذه الدنيا وفى الحكمة التفريق بينهما وفيه دلالة البعث وكذلك فى قوله
مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان وقد استووا فى هذه الدنيا دل ان هنالك
دارا اخرى يفرق بينهما اذ فى الحكمة والعقل التفريق بينهما والله اعلم وقوله الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ذكر الحمد على
اثر ذلك يخرج على وجهين احدهما ان يحمد ربه على ما خصهم بالتوحيد من بين خلق اى حمدا كمدا وان يكون مقابله افمن
يتقى بوجهه سوء العذاب كمن انعم فى النعيم الدائم ليس هذا كذلك والله اعلم ثم قوله عز وجل افمن يتقى بوجهه سوء العذاب
كمن انعم فى النعيم الدائم الكفار بل اكثرهم لا يعلمون توحيد ربهم والثانى امر ان يحمد ربه على ما جعله سالما لرجل
خالصا لم يجعل فيه شركاء متشاكسون قال ابو عوسجة والقتبى الشركاء المتشاكسون اى مختلفون يتنازعون ويقال
ورجلا سالما اى خالصا ومن قرأ سلما لرجل اراد سلم اليه فهو سلم ثم قوله تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم يحتمل الانبياء منهم والخواص كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وجائز ان يكون اراد جميع المؤمنين
وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود تقشعر منه جلود الذين يؤمنون بربهم ثم تطمئن جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله وفى حرف حفصة ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال بعضهم فى قوله عز وجل يتقى بوجهه
سوء العذاب يقول والله اعلم ليس الضال الذى يتقى النار بوجهه كالمهتدى الذى لا يمس النار الى وجهه لينا
ليستوا على ما ذكرنا انك ميت وانهم ميتون وجه ذكر هذا على اثر ما تقدم من قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه
شركاء متشاكسون ورجلا سلما هل يستويان مثلا وقد استووا فى هذه الدنيا من اخلص نفسه ودينه لله والتوحيد
ومن جعل فيه شركاء ولم يسلم نفسه له وهو الكافر ثم تموت انت ويموتون هم فلو لم يكن دار اخرى يميز فيها ويفرق
بين الذى جعل نفسه سلما لله خالصا له وبين من لم يفعل ذلك لكان فى ذلك استواء بين من ذكر وفى الحكمة ان لا استواء
بينهما وقد يموتون السالم نفسه لله ويموت الآخر دل ان ثمه بعث ثواب هذا ويعاقب الآخر والله اعلم او ان يذكر
هذا لما كانوا يتشأمون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويتطيرون فيما يصيبهم من المصائب والشدائد حتى
قال عز وجل افان مت فهم الخالدون اى لا يخلدون فعلى ذلك يقول عز وجل انك ميت وانهم ميتون ايضا
اى لا يبقون هم بعد موتك ابدا ولكنهم يموتون ولو كان ما يصيبهم بل انت على ما يزعمون فيخبران لا يصيبهم
بعد موتك نحو هذا يحتمل والله اعلم او ان يقول انك ميت فيصل الى ما وعد ذلك من الكرامات والثواب ويموتون
هم فيصلون الى ما اوعدوا من المواعيد والعقوبات والله اعلم ثم قوله عز وجل ثم انكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون وروى عن ابن عمر رضى الله عنه قال كنا لا نعلم ما تفسير هذه الآية وكنا نقول من نخاصم
فلما وقعت الفتنة بين اصحاب رسول الله حتى ضرب بعضا وجوه بعض بالسيوف فعرفت انها نزلت فينا وذكر
عن الزبير لما نزلت هذه الآية فقال يا رسول الله اتكرر علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا فى الدنيا فقال نعم
فقال ان الامر اذا الشديد وروى عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين لما نزلت هذه الآية انهم قالوا
كيف نختصم ونحن اخوان فلما قتل عثمان ظلما وعدوا ما علموا انها لهم وفيهم والله اعلم ثم خصومتهم هذه
يوم القيامة يحتمل وجهين احدهما فى المظالم فى الحقوق التى كانت لبعض على بعض اذ فى الدين او فى امر الدين
او ان يكون قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون لما بلغت
المحاجة غايتها فى الدين والدنيا ولم ينجع فيهم ولا قبلوها اخبر انهم يختصمون فى ذلك يوم القيامة فى الوقت
الذى يعاينون العذاب ويظهر لهم الحق فيقضا دونها فى ذلك الوقت فلا ينفعهم ذلك والله اعلم وفى حرف
ابن مسعود انك مائت وانهم مائتون والعرب يقول لما ت يمات فهو مائت وقوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب
بالصدق اذ جاءه يقول لا ظلم اعظم ولا افحش ما يكذب على من يتقلب فى احسانه ويتصرف فى نعمائه وانتم تتقلبون
فى نعم الله وانواع احسانه فلا ظلم اعظم ولا افحش من الكذب عليه وكذب بالصدق اذ جاءه ولا ظلم اعظم ولا افحش
من تكذيب خبره ورده اذ لا خبر اصدق من خبره ولا حديث احق من حديثه وقوله عز وجل اليس فى جهنم مثوى
للكافرين كانه يقول اليس جهنم كاف للكافرين مثوى كقوله عز وجل حسبهم جهنم يصلونها اى حسبهم جهنم
عقوبة لهم بكفرهم وتكذيبهم والله اعلم وقوله والذى جاء بالصدق وصدق به اختلف اهل التأويل فيه قال
بعضهم والذى جاء بالصدق جبرئيل عليه السلام وصدق به محمد عم وقال بعضهم والذى جاء بالصدق محمد عم
وصدق به ابو بكر وقال بعضهم والذى جاء بالصدق محمد وصدق به اصحابه جميعا قلنا اهل التأويل على اختلافهم
اتفقوا ان الذى جاء به جبرئيل او محمد صلعم هو التوحيد فان كان التأويل ما ذكر اهل التأويل وعلى ذلك قوله
ذلك جزاء المحسنين اى الموحدين المؤمنين ففيه نقض قول الخوارج والمعتزلة ان صاحب الكبيرة ليس بمؤمن
وانه يخلد فى النار لانه قال والذى جاء بالصدق وصدق به وكل مرتكب الكبيرة مصدق بالذى جاء به جبرئيل
ومحمد ثم اخبر انهم هم المتقون اى اتقوا الشرك وقال اولئك ايضا ان يكفر عنهم ما ارتكبوا من المساوى
وهو قوله ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا دل ان لهم مساوى ثم ان شاء عذبهم على تلك المساوى وقتا ثم
اعطاهم ما وعد وان شاء عفا عنهم وتجاوز واعطاهم ما ذكر فكيف ما كان فلهم ما ذكر اذ هم على تصديق

بما جاء محمد عم والله اعلم وجائز ان يكون قوله عز وجل والذى جاء بالصدق وصدق به يحتمل وجهين احدهما صدق
بقلبه ما جاء بالقول وتصديق القلب والثانى صدق به فى المعاملة فى الاختيار وكل ما يصلح ولا يوافق الذى جاء به
وعلى ذكر عن الحسن قال يا ابن آدم قلت لا اله الا الله فصدقها فان كان التأويل هذا فهو اشد لكنه وان لم يعامل
الذى جاء به وهو التوحيد لم يجتنب ما ذكرنا فان له ما ذكر اما بعد التوحيد واما بعد العفو والله اعلم وقوله لهم
ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين دل هذا ان ذلك الوعد للجماعة ليس لواحد ولا اثنين وهو لجميع المؤمنين
وقوله ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون ذكر نوعين من العمل السئ والحسن
ثم اخبر انه يكفر عنهم اسوأ الذى عملوا ويجزيهم باحسن فيحتمل الاحسن الحسنات نفسها يجزيها ويكفر السيئات
ويحتمل انما يكفر السيئات واعظمها ويجزى على احسن الحسنات واعظمها فعلى هذا احسن واسوء من نوعها
احسن الحسنات واسوء السيئات وعلى الاول من غير نوعها اى يكفر السيئات ويجزى بالحسنات والله اعلم وقوله عز
وجل اليس الله بكاف عبده وعباده ايضا الآية يحتج بها على اثبات الرسالة وكذلك قوله فان تولوا فقل حسبى الله لا اله
الا هو وكذلك قوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ونحو ذلك وامثاله كثيرة
لانه بعثه وحده لا عون معه ولا نصر له من البشر رسولا الى الاعداء وكان يقرع اسماعهم هذه الآيات التى
ذكرنا وغير ذلك من قوله ثم كيدون فلا تنظرون ثم لم يقدروا على اهلاكه بل عصمه من كيدهم ومكرهم على ما قال
والله يعصمك من الناس فبلغ اليهم ما امر بتبليغه من غير ان قدروا على ما قصدوا به وفى ذلك لطف من الله عظيم
ودلالة على اثبات الرسالة ثم قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده وان خرج مخرج الاستفهام فى الظاهر فهو فى
الحقيقة على الايجاب والتقرير لانهم كانوا يعلمون ان الله عز وجل هو الكافى لخلقه من ذلك انهم اذا سألوا من
خلق السموات والارض قالوا الله تعالى واذا سألوا من يرزقكم قالوا الله ومن انزل من السماء ماء ومن اخرج
من الارض النبات ونحو ذلك قالوا الله فعلى ذلك قوله اليس الله بكاف عبده اى تعلمون ان الله هو الكافى
الدفع والدرع لهم والنصر لهم فاذ عرفتم ذلك فكيف تخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى تخوفونه
والله اعلم وقوله عز وجل ويخوفونك بالذين من دونه اختلف فيه قال بعضهم ان اهل الارض جميعا يقولون له ان
العرب يفعل بك كذا ويعملون بك كذا كانوا يخوفونه بهم وقال بعضهم كانوا يخوفونه بالاصنام التى كانوا
يعبدونها ان يصيبه سوء واذى من ناحيتها كقوله عز وجل ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وكان هذا
اشبه بالآية لانه ذكر على اثر ذلك وعقبه الاصنام حيث قال عز وجل قل ارأيتم ما تدعون من دون الله ان
ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته هذا يدل ان ما ذكر من تخويفهم
اياه انما كان بالاصنام التى كانوا يعبدونها وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهدى الله فما له
من مضل اخبر انه اذا اراد هداية احد لم يملك احد اضلاله واذا اراد اضلال احد لم يقدر احد على هدايته ذكر
فى الدين انه لا احد يملك دفع من اراد من هدى او ضلال ولا منعه على ذلك على ما ذكر فى الرزق واسباب
العيش وعلى ما ذكر فى الانفس وحفظها حيث قال ما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل
له وقال فى الانفس ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته
وقد جمعوا فى ذلك فى الرزق والعيش وضر الانفس وحفظها انه لا احد يملك دفع ما اراد هو فعلى ذلك
فى الدين لان الذكر خرج فى الكل على مخرج واحد وذلك على المعتزلة لقولهم ان الله تعالى قد اراد هداية
كل احد ونصر كل ولى لكن غيره منعه عن ذلك فهو وحش من القول سمج وبالله العصمة والنجاة وقوله
عز وجل اليس الله بعزيز ذى انتقام هو على الايجاب والتقرير اى يعلمون انه عزيز ذو انتقام اى عزيز لا يعجزه شئ
ذو انتقام لاوليائه من اعدائه وقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قد علموا ان
لا خالق سواه وعرفوا انه لا يملك احد سواه كشف ما اراد هو من الضر باحد ولا امساك ما اراد من الرحمة
باحد ولذلك فزعوا اليه عند نزول البلاء بهم ولم يفزعوا الى من عبدوهم من دونه من الاصنام ولا الى احد
من الخالقين دل ذلك على انهم قد عرفوا ان ذلك به ينال من خير او غيره ولذلك فزعوا اليه عند نزول البلاء بهم
ولم يفزعوا الى غيره لما احتج عليهم بما احتج ولو لم يكونوا علموا ذلك لم يكن يحتج عليهم بذلك منكرون والله اعلم وقوله
عز وجل قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون فى قوله حسبى الله ما ذكرنا من اللطف والدلالة على اثبات
الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون هذا يحتمل وجهين
احدهما على الاياس منهم انهم لا يؤمنون ولا يجيبون الى ما دعوا اليه بعد ما اقيم عليهم الحجج والبراهين
كانه يقول اثبتوا انتم على دينكم واعملوا له وتثبت نحن على ديننا ونعمل له فسوف تعلمون انا على الحق نحن او انتم
وهو كقوله لكم دينكم ولى دين اى لا دين لنا بدينكم ولا انتم تدينون بديننا ولكن يلزم كل ما دينه الذى
عليه فعلى ذلك الاول والثانى على التوبيخ لهم والتعيير يقول اعملوا على مكانتكم انتم مما تقدرون من الكيد لى
والمكر وانا عامل بذلك بمكانتكم كقوله عز وجل ثم كيدون فلا تنظرون وغير ذلك من الآيات التى فيها
ذكر توبيخهم وتعييرهم والله اعلم وفى هذه الآية وفيما تقدم من قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده
الى هذا الموضع تقرير وتوبيخ ومنابذة واياس فاما الاياس فهو فى قوله يا قوم اعملوا على مكانتكم والتقرير

في قوله ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ليقولن الله والمبالغة في قوله حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون
والتوبيخ في قوله أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ثم جائز ان يكون قوله ومن يضلل الله
فما له من هاد ومن يهدي الله فما له من مضل يخرج على الصلة بقوله أليس الله بكاف عبده ويخوفونك
بالذين من دونه كانه يقول من اضل الله حتى لا يعلم ان الله حتى لا يعلم ان الله هو كاف عبده وان ما يخوفون
به ولا يقع به خوف ولا يلحق به ضرر فلا حاجته ومن هداه فعرف ذلك فلا مضل له عن ذلك والله اعلم
بذلك وقوله عز وجل من يأتيه عذاب يخزيه جائز ان يكون ذلك العذاب الذي يأتيه هو عذاب في الدنيا من
نحو القتل والتعذيب بالذي اهلك الاولون المعاندون للرسول يخزيه اي يفضحه ويحل عليه عذاب مقيم في
الآخرة وهو عذاب الكفر والى ذلك ذهب بعض اهل التأويل وجائز ان يكون ذلك كله في الآخرة والله اعلم
وقوله عز وجل انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق هذا كانه والله اعلم انا انزلنا عليك لتحكم بين الناس
بالعدل على ما ذكر في آية اخرى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس فعلى ذلك هذا ويكون قوله فمن
اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها انشاء الله عز وجل البشر وركب فيهم التمييز بين الخبيث والطيب وبين
الحسن والقبيح وبين ما لهم وما عليهم وبين السبيلين جميعا غاية البيان واوضح كل سبيل نهاية الايضاح
من سلكه انه الى ماذا يفضيه ويبينه ثم امتحنهم بعد ذلك ومكن لهم من السلوك في كل واحد من السبيلين
بعد البيان منه انه من سلك سبيل كذا افضاه الى كذا ومن سلك سبيل كذا افضاه الى كذا انما امتحنهم بما اخبر انه
فيما امتحنهم لم يمتحنهم لمنفعة يرجع اليه او لمضرة يدفع عن نفسه ولكن انما امتحنهم لمنفعة يرجع اليهم اذا
اختاروا واتركوا سلوك سبيل الباطل وهو ما ذكر في غير آي من القرآن احدهما هذا حيث قال فمن اهتدى فلنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها والثاني بما قال عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها اي فعليها وغير ذلك
من الآيات التي يبين انه انما امتحنهم لمنفعة انفسهم واكتساب الخير الدائم لهم ولا قوة الا بالله ثم قوله
وما انت عليهم بوكيل يخبر انه ليس عليك الا تبليغ ما ارسلت واخرجه تبليغه اليهم كقوله ان عليك
الا البلاغ وقوله عز وجل فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء وما
من حسابك عليهم من شيء وقوله وما ارسلناك عليهم حفيظا والوكيل الحفيظ والله اعلم وقوله عز وجل الله يتوفى
الانفس حين موتها الى آخر ما ذكر قال ابن عباس كل نفس لها سبب يجري فيه فالتي قضى عليها الموت فيجري في
الجسد كله لكن لم يفهم مما ذكر ابن عباس تأويل الآية وعن سعيد بن جبير قال تجتمع بين الارواح الاحياء وبين
ارواح الاموات فيتعارف ما شاء الله ان يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجسادها وهذا
ايضا لم يفهم شيء من تأويل الآية وقال الكلبي النائم متوفى حين يرد الله اليه فاما التي يتوفاها حين موتها
فانه يقبض الروح والنفس جميعا ويرسل التي يتوفاها في منامها حتى يبلغ اجلها المسمى وهو الموت ويقال انما
يقبض الله من النائم النفس والروح في الجسد لم يفارقه فاذا اقبض الله الروح ذهبت النفس مع الروح
وهذا الذي ذكر الكلبي اقرب الى تأويل الآية من الذي ذكر اولئك واصله ان الله عز وجل جعل في الاجساد
اشياء وارواحا يحيي الاجساد في حال نومها على الهيئة التي كانت من قبل لعين بها اثر الموت لكنها لا يدرك
شيئا ولا يسمع ولا يبصر ولا يعقل شيئا وبها آثار الحيوة يدل لنا هذا على انها في حال النوم قد ذهب منها وخرج
ما به يدرك الاشياء وبقي منها ما به يحيي وهو الروح فاذا اخرج الروح منها وان كانت لا يدرك شيئا على الهيئة
التي كانت من قبل دل ذلك على ان الذي به يدرك الاشياء غير الذي به يحيي والله اعلم لا يرى انها في حال
النوم تلك الانفس الدراكة حيث كانت تتألم وتتلذذ وتقضي الشهوات وهي في قصص الدنيا هذا كله يدل
على ما ذكرنا والله اعلم ثم على هذا جائز ان يكون ما ذكر من عذاب القبر انه انما يكون على تلك الانفس الدراكة
لا على الروح على ما ذكرنا من تألمها وتلذذها بعد خروجها من الاجساد ومفارقتها عنها والله اعلم ثم اضاف
في هذه الآية التوفي الى الله وفي آية اخرى اضافه الى الرسل حيث قال الله عز وجل توفته رسلنا الآية واضاف
مرة الى ملك الموت حين قال عز وجل قل يتوفاكم ملك الموت الآية ثم يحتمل اضافة التوفي الى الرسل والى
ملك الموت وجهين احدهما وان كان حقيقة التوفي والموت بالله لما يخلق فعل قبضهم الروح منها ولشبه
ذلك منهم وهو كما ذكر من البشرى لهم طمأنينة القلوب عند بعثه اليهم الملائكة بالاعانة لهم والنصرة
قال عز وجل وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به قال عز وجل وما النصر الا من عند الله اخبر انه
جعل لهم بعث الملائكة بشارة النصر وان حقيقة النصر لم يكن الا من عند الله فعلى ذلك ما ذكر من اضافة
التوفي الى الرسل لما يخلق فعل قبضهم الروح وكان حقيقة ذلك لله عز وجل والله اعلم والثاني ان يكون من الله
لطف في ذلك ومعنى لا يكون ذلك منهم لكنه لم يبين ما ذلك المعنى يكون منه والله اعلم بذلك ثم قوله يتوفى
الانفس حين موتها اي حين خلق موتها بقبض الروح منها وقوله والتي لم تمت في منامها لم يقبض منها الروح يرسل
اليها النفس الدراكة الى الاجل الذي جعل لها والله اعلم وقوله يتوفى الانفس جائز ان يكون من القبض اي يقبض
الانفس وجائز ان يكون من العدد كقوله انما نعد لهم عدا وقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون يحتمل قوله
لآيات العبر او الاعلام او الحجج وقوله لقوم يتفكرون ويعقلون ان من قدر على استخراج تلك الانفس الدراكة

من الاجساد وابقائها على الهيئة التي كانت الى الوقت لا يدرك شيئا ثم ردها اليها واعادتها على ما كانت
قادر بذاته لا يعجزه شيء ومن قدر على انشاء النفس الدراكة في الاجساد حتى يدرك بها لا يحتمل ان يعجز عن اعادة
الاجساد بعد ما بليت وفنيت وذلك الطف من هذا واكبر لان الناس قد يتكلفون تصوير صورة الانفس
ظاهرة ولا احد يتكلف تصوير نفس دراكة من غيرها والله اعلم وقوله ام اتخذوا من دون الله شفعاء على
ما ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان حرف الاستفهام والشك اذا اضيف الى الله عز وجل فهو على الايجاب
والالزام ثم قال بعض اهل التأويل ان قوله عز وجل ام اتخذوا من دون الله شفعاء هم الملائكة الذين
عبدوها لكنه بعيد لانه قال عز وجل وذلك قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون والملائكة اهل العقل
والعلم وانهم يملكون ذلك اذا جعل لهم وملكوا لكن الآية في الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون
الله على رجاء ان يشفع لهم ويقرب عبادتهم اياها الى الله زلفى لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهو اشبه بالاصنام التي كانوا يعبدونها من الملائكة والله اعلم ثم قوله
ام اتخذوا من دون الله شفعاء يخرج على وجهين احدهما بل اتخذوا بعبادة من عبدوه من دون الله شفعاء
لانفسهم ولا يكونون شفعاء لهم ولا يملكون ذلك ولا يفعل والثاني بل اتخذوا لانفسهم من دون الله
شفعاء ولا يملك احد جعل الشفاعة لاحد دون الله الا من جعل الله له الشفاعة ولا يجعل الله لاحد الشفاعة
الا من كان له عند الله عهدا ومن ارتضى له الشفاعة كقوله عز وجل لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى يدل على هذا قوله حيث قال اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
قل لله الشفاعة جميعا هو ما ذكرنا هو المالك الشفاعة جميعا لا يملك احد سواه الا من جعل الله له الشفاعة وارتضى
له فاما ان يملك احد سواه اتخاذ الشفاعة لنفسه او جعل الشفاعة لنفسه فلا والله الموفق وقوله ثم اليه ترجعون
في البعث او ترجعون الى ما عند الله لهم والله اعلم وقوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قال بعض اهل التأويل اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم توحيد
الله في القرآن اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي نفرت كقوله عز وجل في بني اسرائيل واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الذين عبدوا من دونه الآلهة
كقوله في سورة النجم حيث قال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والقى الشيطان في قرائته تلك الغرانيق
العلى منها الشفاعة ترتجى ففرح الكفار حين سمعوا ان لها شفاعة الى هذا يذهب مقاتل وغيره لكنه ليس كذا وغير
هذا كانه اولى به واقرب وهو ان قوله عز وجل واذا ذكر الله وحده اشمأزت اي اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
توحيد الله والوهيته او ذكر هذا اهل التوحيد وهذا الالوهية ممن عبدوا دونه اشمأزت قلوب الذين
لا يؤمنون اي نفرت وانكرت كقولهم اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله عز وجل واذا ذكر
الذين من دونه واذا ذكر اهل الكفر الذين عبدوا من دونه عبادتهم اياها وخلوتهم بها اذا هم يفرحون ويستبشرون
والله اعلم وقوله اشمأزت قال بعضهم ابغضت ونفرت وقال القتبي وابو عوسجة اشمأزت انكرت وذعرت
ويقال في الكلام مالي اراك مشمئزا اي مذعورا ويقال اشمأز المكان اي بعد وقال بعضهم اشمأزت استكبرت
وكفرت والله اعلم وقوله عز وجل قل اللهم فاطر السموات والارض امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم
وهو كلام التوحيد وقوله فاطر السموات والارض يحتمل مبدئ ويحتمل مبدع او خالق السموات والارض
والله اعلم وقوله عالم الغيب والشهادة يحتمل قوله عالم الغيب والشهادة ما استشهد الخلق بعضهم على بعض هو عالم
ذلك كله او الغيب ما غاب عن الخلق كلهم والشهادة ما شهده الخلق او ان يكون قوله عالم الغيب والشهادة اي
عالم ما يكون انه يكون والشهادة ما قد كان يعلم ذلك كله يعلم عما يكون انه يكون وما كان بعلمه كائنا والله اعلم وقوله
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون يوم القيامة كقوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة الآية وان يكون قوله
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون في هذه الدنيا فهو يخرج على وجوه احدها ما جعل الله في خلقتهم اثبات
الصانع وشهادة الوحدانية لله عز وجل والوهيته والثاني بما انزل الله من الكتب والرسل وبين لهم فيها ما لهم
وما عليهم ثم ان كان في الآخرة فجائز ان لا يكون يحكم بيننا فيما وسع علينا الحكم في الامر في الدنيا ويرتفع
المحنة به في الآخرة من نحو الاحكام التي يسهل معرفتها بالاجتهاد ولا نحكم بذلك بيننا بشيء من ذلك واما ما كان
غير موسع علينا في الدنيا ترك ذلك وهو مما لا يرتفع المحنة به في الدارين جميعا من نحو التوحيد والدين فذلك يحكم
بيننا في الآخرة والله اعلم وقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم
القيامة كانه والله اعلم يذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم ليصبره على اذاهم اياه وان يشفق عليهم بما ينزل بهم في الآخرة
لانه اخبر عن عظيم ما ينزل بهم انهم مع بخلهم وضنهم بهذه الدنيا لو كان ما في الارض من الاموال وضعف ذلك
ايضا لهم لافتدوا ذلك كله من سوء ما ينزل بهم من العذاب وكذلك ما ذكر من قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون يخبر عن سوء معاملتهم ربهم على علم
منه انهم يؤذون رسوله صلى الله عليه وسلم وان ذلك يشتد عليه ويشق لينظر انهم كيف ما ملوا ربهم من سوء
المعاملة ليصبرهم عن سوء معاملتهم اياه ولا يترك الرحمة والشفقة عليهم بما ينزل بهم في الآخرة من سوء العذاب

والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال بعض اهل التاويل بدا لهم من الله من شهادة
الجوارح عليهم والنطق ما لم يكونوا يحتسبون ذلك ولكن غير هذا كانه اقرب بدا لهم من الهون والعذاب
لهم في الاخرة ما لم يكونوا يحتسبون ثم هو يخرج على وجهين احدهما انهم كانوا يقولون حيث فضلنا الله في
هذه الدنيا بفضول الاموال والكرامة فعل ذلك نكون في الاخرة مفضلين عليهم كما كنا في الدنيا ولذلك قالوا
ونتبعك الارذلون وقولهم الا الذين هم اراذلنا بادي الراي ونحوه فبدا لهم وظهر في الاخرة ما لم يكونوا
يحتسبون ما ذكرنا من الهوان لهم والعذاب والثاني كانوا ينكرون رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم ويقولون
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقالوا انزل عليه الذكر من بيننا الاية ونحو ذلك من الكلام
كقولهم ايضا لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا يرون الرسالة توضع الا في العظيم من امر الدنيا فاخبر انه بدا
لهم ما لم يكونوا يحتسبون لما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم سيئات ما كسبوا يحتمل قوله بدا اي ظهر لهم
جميع ما صنعوا في الدنيا في الاخرة حتى حفظوها وذكروا ذلك كله والثاني بدا لهم ما حسبوا حسنات سيئات
والله اعلم او ان يكون ذلك في الجزاء اي بدا لهم وظهر جزاء ما كسبوا يدل على ذلك قوله وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤون والله اعلم وقوله فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا لا يحتمل ان يكون اراد كل
انسان يكون على ما وصف وذكر ولكنه انسان دون انسان ولا يجب ان يشار الى واحد اثر فلان وكذلك
ما ذكر من مس الضر الضر بر لا يشار الى ضر دون ضر ولكن ما علم الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم انه
ماذا الا ان ذلك يخرج مخرج الشهادة على الله عز وجل والامتناع عن الاشارة اليه والتسمية له باسم ثم كانت عادة اولئك
الكفرة لعنهم الله عند نزول البلاء بهم والشدة الفزع الى الله عز وجل والاخلاص الدعاء له فبعد الكشف عنهم ذلك والرفع
العود الى ما كانوا من قبل على ما ذكرهم في اي من القران ثم قوله عز وجل ثم اذا خولناه نعمة منا اي اعطيناه نعمة
او ملكناه نعمة وقوله عز وجل قال انما اوتيته على علم اي على حيلة مني اعطيت ذلك وقال بعضهم انما اوتيته على شرف
ومنزلة علمه الله مني وقال قتادة على خير علمه الله عندي وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه انما اتانيه الله
على علم وقال بعضهم ما ذكرنا قال انما اوتيته على علم اي على علم وشرف اعطيت ذلك قال الله عز وجل ردا بقوله بل هي فتنة
والفتنة هي المحنة التي فيها شدة اي بل هي محنة فيها شدة وبلاء والمحنة من الله بامر ونهي اي فيها امر ونهي ولكن اكثرهم
لا يعلمون انها لم يعط لفضل وشرف له او حيلة منه ولكنه لامر ونهي والله اعلم وقوله قد قالها الذين من قبلهم
غير ما قال هذا الرجل حيث قال انما اوتيته على علم كان من قارون حين قال انما اوتيته على علم عندي ولم يزل العادة
من الكفرة والرؤساء منهم واهل الثروة قائلون بمثل هذا الكلام والقول وهو ما اخبر عن قوم فرعون حين قالوا
فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وما قال اهل مكة نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين وغير ذلك من امثال هذا لم يزالوا قائلون هذا ثم اخبر ان ذلك لم يغنهم حيث قال فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون هذا يحتمل وجهين احدهما ما قالوا انما اوتيناه لكرامة وفضل لنا عند الله والثاني
ما قال انما اوتيناه هذا بحيل من عندنا واكتساب اخبر ان ذلك لم يغنهم عن دفع عذاب الله عز وجل عنهم اذا
نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات
ما كسبوا اوعد اهل مكة ويخوفهم انه ينزل بهم ويصيبهم بكسبهم الذي يكتسبون كما نزل باولئك الاوائل
بمثل كسبهم وصنيعهم وقوله وما هم بمعجزين عما يريد بهم من الانتقام عنهم والتعذيب والله اعلم وقوله عز وجل
او لم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يذكر هذا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامة وفضل عند
الله ولا لحق قبله ويضيق على من يشاء لا لهوان له عنده ولا لجناية ولكن امتحانا لهم بمختلف الاحوال يمتحن هذا
بالسعة ليستادي به منه الشكر ويضيق على هذا يطلب منه الصبر على ذلك او يمتحن بعضهم بالسعة وبعضهم
بالشدة والضيق ليعلموا ان ذلك كله في يد غيرهم لا في ايديهم اذ يمتحنهم بمختلف الاحوال ليكونوا ابدا فزعين
الى الله في كل وقت وكل ساعة ولو كان السعة والنعمة لكرامة عند الله وفضل على ما ظن اولئك لكان لا يحتمل
ذلك مختلف المذهب الذي يناقض بعضه بعضا ويضاد بعضه بعضا نحو المسلم والكافر وقد وسع على المسلم و
وسع على الكافر وقد ضيق عليهما جميعا يدل ان التوسيع ليس للكرامة والمنزلة عند الله ولحق عليه ولا
التضييق والتقتير لهوان اذ لو كان لذلك لكان لا يجمع بين متضاد المذهب ومختلفهما فاذ جمع دل ان المعنى
الامتحان لا لما ظن اولئك والله اعلم وقوله ان في ذلك فيما ذكر من التوسيع والبسط والتضييق والتقتير لايات
اي لعبرة وعظة لقوم يتفكرون يؤمنون انه لم يوسع على ما وسع لكرامته عند الله ومنزلته وفضل ولا ضيق
على من ضيق لهوان له عنده ولا لجناية والله اعلم وقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله قال بعض اهل التاويل ان الاية نزلت في شان الوحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب في الجاهلية انه اراد ان
يسلم الوحشي فذكر ما كان منه من قتله رضي الله عنه فظن انه لا يقبل منه لعظم جنايته فنزلت الاية على رسول
الله صلى الله عليه وسلم لشانه واخبر انه لا يقبل منه بعد ذلك والله اعلم وقال بعضهم لا ولكن ناسا قد اصابوا
ذنوبا عظاما ما في الجاهلية من نحو القتل والزنا وكاثروا فاشفقوا ان لا يتاب عليهم فانزل الله هذه الاية يدعوهم
الى التوبة والاسلام واطمع لهم القبول منهم والتجاوز عما كان منهم وهو كانه اشبه واولى لان الوحشي من

كان حتى نزل الله الاية بشانه خاصة ثم قوله عز وجل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله يحتمل وجهين احدهما يقول والله اعلم يا عبادي الذين جنوا على انفسهم واوردوها المهالك بارتكاب ما
ارتكبوا من الاسراف والكبائر لا تقنطوا من رحمة الله فان قنوطكم من رحمة الله واياسكم منه لا يغفر ولا يتجاوز
وذلك اعظم واقطع اذ رجع احدهما الى انفسهم والاخر الى رحمة الله وفضله والثاني يقول انكم وان اسرفتم
فيما ارتكبتم من الكبائر والفواحش واعرضتم من امر الله فلا تقنطوا من رحمة الله بعد اذ تبتم عما كنتم فيه ورجعتم
عما كان منكم الى الوقت الذي خرجت انفسكم من ايديكم فلا يقبل ذلك منكم وهو وقت نزول العذاب بهم واغراقهم
عليهم لان التوبة في ذلك الوقت توبة اضطرار وتوبة دفع العذاب عن انفسكم كقوله عز وجل فلما راوا باسنا
قالوا امنا بالله وحده ثم اخبر انه لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت الذي خرجت انفسهم من ايديهم حيث
قال عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا والله اعلم وقوله عز وجل ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء
انه هو الغفور الرحيم وذكر عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه قال ارجى اية في القران هذه الاية وذكر ان
سورة الزمر كلها نزلت بمكة الا هذه الاية فانها نزلت بمدينة والله اعلم وقوله عز وجل وانيبوا الى ربكم واسلموا
له الاية كانها صلة ما تقدم من قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله بعد اذا قبلهم
الى قبول ما دعيتم اليه ورجعتم عما كان منكم ثم قال عز وجل وانيبوا الى ربكم واسلموا له قال بعضهم انيبوا
بقلوبكم الى طاعة ربكم واخلصوا له تلك الطاعة ولا تشركوا فيها غيره قيل وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا الى ما امركم
ربكم واسلموا له اي اخلصوا له التوحيد وان يقول اجعلوا كل شيء منكم له واصل الانابة هو الرجوع الى طاعة
الله والنزوع عما كان عليه الا انه يقول عز وجل منيبين اليه واتقوه الاية وقوله عز وجل من قبل ان ياتيكم
العذاب ثم لا تنصرون يقول والله اعلم على الصلة الاول ان انيبوا اليه واسلموا من قبل ان ياتيكم العذاب
فلا يقبل منكم الانابة والتوبة اذا قبل عليكم العذاب ثم لا تنصرون هذا يحتمل وجهين احدهما ثم لا تنصرون
بانابتكم الى الله عز وجل في ذلك الوقت الذي قبل عليكم العذاب على ما ذكرنا اي لا تجابون من ذلك الوقت
والثاني لا تنصرون بعبادة من عبدتموه من الاصنام والاوثان على رجاء ان تنفع لكم وترفع عنكم العذاب
اي انيبوا الى عبادة الله الحق قبل نزول العذاب بكم فانكم ان كنتم على عبادة من يعبدون من دونه لا تنصرون
والله اعلم وقوله عز وجل واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يحتمل وجوها احدها كانه يقول اتبعوا ما امركم
ربكم وانتهوا عما نهاكم ربكم عنه والثاني اتبعوا ما في القران واحلوا حلاله وحرموا حرامه واجتنبوه يقول
اعملوا بها وبادروا في العمل بر من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة والثالث ان الله عز وجل قد بين السبيلين جميعا
سبيل الخير والشر على الابلاغ فيقول اتبعوا سبيل الخير منه ولا تتبعوا سبيل الشر فيكون تاويل هذا كانه
يقول اتبعوا الحسن منه ولا تتبعوا غيره ونحو ذلك وقد ذكرناه فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل من قبل
ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون كانه موصول بالاول بالاول يقول لا يؤخرون الانابة
اليه والتوبة فان العذاب لعله سينزل بكم في وقت لا تشعرون انتم به ولا تقدرون ان ترجعوا اليه
وتتبعوا والله اعلم وقوله عز وجل ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله هذا وما بعده من الايات
كانه موصول بقوله عز وجل وانيبوا الى ربكم واسلموا له كانه يقول وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان تقول
نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله الاية وقيل ان تقول ان الله هداني لكنت من المتقين وقيل ان تقول
حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين كان كل ذلك صلة ما تقدم من قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من قبل ان تقول ما ذكر في وقت لا ينفعه ذلك القول ولا ينجيه من عذاب الله ولا يحميه
ثم قوله على ما فرطت في جنب الله قال بعضهم في ذات الله وقال بعضهم ما فرطت وضيعت من امر الله وامثال ذلك
وليس نحتاج الى تفسير قول ذلك الرجل الذي كان منه حتى قال ذلك وهو تضييع توحيد الله او تضييع حدا
الله او ما كان فيه من تكذيب البعث يتاسف على ما كان منه من تضييع ما ذكرنا من توحيد الله وحدوده او كفرانه
به او انكاره ما ذكرنا من البعث والله اعلم وقوله عز وجل وان كنت لمن الساخرين وقال بعضهم وان كنت لمن الساخرين
من القران وقال بعضهم من اهل توحيد الله قال قتادة لم يكتف ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر من اهل طاعته
وقال هذا قول ضعيف منهم وقوله عز وجل او تقول حين ترى العذاب الى اخره قول ضعف منهم جائز ما قال ان
كل قول من ذلك قول ضعيف على ما قال قتادة وجائز ان يكون كل ذلك من كل كافر والله اعلم وقوله عز وجل لو ان
الله هداني لكنت من المتقين ذلك الكافر والذي قال هذا القول اعرف بهداية الله من المعتزلة وكذلك ما قال
اولئك الكفرة لاتباعهم حيث قالوا لو هدانا الله لهديناكم يقولون لو وفقنا الله للهداية لاعطانا للهدى لدعوناكم
اليه ولكن حيث علم منا اختيار الضلال والغواية وترك الرغبة الى الهدى والاستحباب به اضلنا وخذلنا ولم يوفقنا
والمعتزلة يقولون بل هداهم اهدوا اعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا فان قيل هذا قول اهل الكفر فلا دلالة فيه
لما يذكرون قيل وان كان ذلك قول الكفرة فذلك القول منهم عند معاينة العذاب فلو كان على خلاف ما ذكروا لكان
الله يكذبهم في ذلك كما كذبهم في اشياء قالوا حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا فقال الله عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه ونحوه والله اعلم والاصل في الهداية ان عند الله لطفا من اعطي ذلك اهتدى وهو التوفيق والعصمة ومن

نحو ذلك ولم يعطه ضل وغوى ويكون استحقاق العذاب وما ذكر لتركه الرغبة في ذلك والاستخفاف به وتضييعه
واشتغاله بضده لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل لكنت من المتقين الشرك او المهالك والله اعلم وقوله
عز وجل وتقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي رجوعا فاكون من المحسنين قيل من الموحدين ويحتمل كل احسان
وطاعة والله اعلم وقد كذبهم الله عز وجل في قوله هذا حيث قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ثم كذبهم في قولهم
لو ان الله هداني لكنت من المتقين لو ان لي كرة فاكون من المحسنين حيث قال الله عز وجل بلى قد جاءتك اياتي فكذبت
بها واستكبرت وكنت من الكافرين يقول والله اعلم بلى قد جاءتك اياتي وبينت لك الهداية من الغواية وسبيل الحق
من الباطل والخير من الشر والكذب من الصدق ومكنت من اختيار الهداية على الغواية ومكنتهم اختيار الحق على
الباطل والصدق على الكذب لكن تركتم ذلك وضيعتم واستخففتم به واشتغلتم بضد ذلك فانما جاء ذلك
التضييع من قبلكم لا من قبل الله عز وجل قد اتى بالحجج والايات والبيان في ذلك غاية ما يجب ان ترى ما لم يكن لاحد عذر
في الجهل في ذلك والترك والله اعلم واكثر القراء على التذكير في قوله عز وجل بلى قد جاءتك اياتي لخروج على ارادة
المخاطبة وقد يقرأ بالتأنيث على ارادة النفس التي تقدم ذكرها والخبر عنها ويروى في ذلك خبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قرأ بالتأنيث بلى قد جاءتك والله اعلم وقوله عز وجل ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله
وجوههم مسودة كذبهم على الله يحتمل وجوها احدها في التوحيد حيث قالوا بالولد والشركاء ويحتمل ما قال
عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وكان الله عز وجل لم يأمرهم بذلك
فكذبوا على الله عز وجل انه امرهم بذلك او ما قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى او ان يكون كذبهم على الله هو انكارهم البعث وقولهم ان الله لا يقدر على البعث والاحياء بعد الموت
ونحو ذلك والله اعلم والمعتزلة يقولون في قوله عز وجل ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
هم المجبرة فيجيء ان يكونوا هم اقرب في كونهم في وعيد هذه الاية من المجبرة لانهم يقولون ان الله لا يأمر احدا
بشيء الا بعد ان اعطى جميع ما يعمل ويقتضي به حتى لا يبقى عنده شيء من ذلك ثم قال ذلك ثم يسأل رتبة العون
والعصمة فهو بالسؤال كاتم لما اعطاه وهو كفران النعمة لانه يسأل ما قد اعطاه ربه او ان يكون هازئا به لانه
يسأل وليس عنده ما يسأل على قولهم على ما ذكرنا من مذهبهم وكل من يسأل يعلم انه ليس عنده ذلك ولا يملك
ذلك فهو يهزئ به والله اعلم وقوله عز وجل اليس في جهنم مثوى للمتكبرين على توحيد الله او متكبرين على رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمتكبر هو الذي لا يرى لنفسه نظيرا ولا شكلا ولذلك يوصف الله عز وجل بالكبرياء
لانه لا نظير له ولا شكل ولا يجوز لغيره لان غيره ذا اشكال وامثال ولا قوة الا بالله وفي حرف ابن مسعود وحفصة
رضي الله عنهما على ما فرطت من ذكري وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ايضا في قوله بلى قد جاءته اياتنا من قبل
فكذب واستكبر وكان من الكافرين والله اعلم والمثوى المقام وما كنت ثاويا من ذلك اي مقيما وقوله عز وجل
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة كانه يقول عز وجل لو رايت يا محمد يوم القيامة
لرحمتهم واشفقت عليهم بها هزءا به وما نزل بهم والله اعلم وقوله عز وجل وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم
وبمفازاتهم يخرج على وجهين احدهما قوله بمفازتهم اي بالاعمال والاسباب التي فازوا بها على اشكالهم
وقوله عز وجل لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون قوله عز وجل لا يمسهم السوء بعد المفازة والنجاة و
لا قبل ذلك فذا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو على الجهمية وعلى ابي الهذيل العلاف امام المعتزلة اما
على الجهمية لقولهم ان الجنة تفنى وتنقطع اهلها ولذاتها فاذا كان ما ذكروا مسهم السوء والحزن وعلى
قول ابي الهذيل ايضا كذلك لانه يقول ان اهل الجاهلية يصيرون بحال حتى اذا اراد الله ان يريد لهم
شيئا او لذة لم يملك ذلك فان كان ما ذكر هو مسهم السوء والحزن ايضا فالبلاء على قوله ان السوء والحزن
انما مس رب العالمين فنعوذ بالله من مقال نعقب كفرا وقوله عز وجل لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
على ابطال قول اولئك والله اعلم وقوله عز وجل الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل هذه الاية تنقض على المعتزلة
قوله على وجوه احدها ان قولهم ان شيئية الاشياء لم تزل كانت اذ من قولهم ان المعدوم شيء فاذا كانت
المعدوم شيئا على قولهم كانت شيئية الاشياء لم تزل كائنة ويقولون انه لم يكن من الله الا ايجادها فاذا كان
ما ذكروا لم يكن هو خالق شيء به فضلا من ان يكون خالق كل شيء على ما ذكر ووصف نفسه بخلق كل شيء فيكون
قولهم في التحقيق والتحصيل قول الدهرية والثنوية لان الدهرية يقولون بقدم الطينة والهيولي ونحوه
وينكرون كون الشيء من لا شيء وكذلك الثنوية يقولون بقدم النور والظلمة ثم كون كل جنس من جنسه
وكون كل شيء من اصله فعلى ذلك قول المعتزلة ان المعدوم شيء يرجع في التحقيق الى ما ذكرنا من قاويلهما ثم
قوله خالق كل شيء يخرج على ذكر الربوبية والالوهية والوصف له بالمدح لما ذكرنا ان اضافة كلية الاشياء
الى الله عز وجل يخرج مخرج الوصف له بالتعظيم والاجلال له واضافة الاشياء المخصوصة اليه يخرج مخرج التعظيم
المضافة اليه واذا كان ما ذكرنا كان قوله عز وجل خالق كل شيء مخصوصا شيئا دون شيء على ما يقوله المعتزلة
لم يخرج مخرج الوصف له بالربوبية ولا خرج مخرج المدح له والتعظيم ثم انه لا شك انه لو لم يكن خالقا لافعال
الخلق لم يكن خالقا من عشرة الف شيء فدل انه خالق الاشياء كلها الافعال والاجسام والجواهر جميعا فان

قيل انكم لا تقولون خالق الانجاس والاقذار والخنازير ونحوه فانما يرجع قوله عز وجل خالق كل شيء الى الخصوص
قيل انه لا يقال ولا يوصف بخلق هذه الاشياء على التقييد والتخصيص بالخالق الانجاس والاقذار ومما ذكر
لانه يخرج الوصف له بذلك مخرج التهجي والذم وكان في الجملة يوصف بذلك ويدخل الاشياء كلها وذلك
لما ذكرنا ان قوله عز وجل خالق كل شيء يخرج مخرج الامتداح والتعظيم له والوصف بالربوبية له والالوهية
الا ترى انه لا يقال على التخصيص انه وكيل وان كان في الجملة يقال كما ذكرنا وهو على كل شيء وكيل لانه في الجملة
يخرج مخرج الربوبية له والالوهية والوصف له بالمدح وعلى التخصيص والافراد وعلى الهجو والذم لذلك
افترقا والله اعلم قوله عز وجل له مقاليد السموات والارض كانه يقول له مقاليد السموات والارض
قيل هي المفاتيح وهي فارسية عربت وجائز ان يكون قوله عز وجل له مفاتيح جميع البركات والخيرات
على اهل السموات والارض بخيرات ذلك كله بيده ليس بيد احد سواه منه يطلب ذلك ومنه يستفاد والله
اعلم ثم لم يفهم مما اضيف اليه من المقاليد ما يفهم من مقاليد الخلق لو اضيف اليهم فكيف فهم مما
اضيف اليه من مجيء او استواء وغير ذلك ما فهم مما اضيف الى الخلق والله الموفق وقوله عز وجل و
الذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون كان الله عز وجل جعل هذه الدنيا وما فيها لاهلها وبين
احوالهم يتجرون بها ويشترون بها الاخرة ويتزودون لها ولذلك قال عز وجل ومن الناس من يشري نفسه
ابتغاء مرضات الله وقوله عز وجل يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة فمن يتزود وجاهها بلغة الى الاخرة
سمي خاسرا مغبونا والله اعلم وقوله عز وجل قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون دلت هذه الاية
على ان سفه اولئك الكفرة قد بلغ غايته وجاوز حده حتى دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبادة
من دونه بعد ما عرفوا فضيلة الرسالة والرسول وخصوصيته حتى انكروا الرسالة في البشر وبعث البشر
رسولا فلولا ما وقع عندهم من الفضيلة للرسول والخصوصية له والا لم يحتمل ان ينكروا وضعها في البشر
وبعث البشر رسولا ثم قد اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيان والحجج ما قد قدر عندهم
انه الرسول اليهم لما تقرر عندهم ذلك دعواه الى ان يعبد غير الله دونه فيكون لهم فهذا منهم
تناقض في القول وسفه حين صيروا المفضل والمخصوص بالرسالة له في العبادة من دونه كغير المفضل والمخصوص
بها والله اعلم ليعلم انهم لسفههم وتعنتهم كانوا يدعونه الى عبادة من دون الله والله اعلم وقوله عز وجل
ايها الجاهلون بتمام جملة بما امروه ودعوه الى عبادة غير الله وكذلك قال موسى عليه السلام لقومه
حين سألوا موسى ان يجعل لهم الها كما لهم الهة فقال انكم قوم تجهلون ثم يحتمل قوله عز وجل ايها
الجاهلون وجوها احدها ايها الجاهلون في النبوة بين المفضل والمخصوص وبين من لم يخص بذلك في عبادة
غير الله او جاهلون عن هداية الله وخصوصيته او جاهلون عن جميع نعمه واحسانه حيث لم يذكروه فيها
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك يحتمل هذا وجهين احدهما
كانه يقول ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك وقيل لكل رسول لئن اشركت ليحبطن عملك يحتمل هذا وجهين
احدهما كانه يقول ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك وقيل لكل رسول لئن اشركت ليحبطن عملك
ذكر هذا ليعلم ان الشرك ليحبط العمل وان اتى به من قد جل قدره وعظمت منزلته عنده والثاني ولقد اوحي
اليك والى من كان قبلك لئن اشركت انت ليحبطن عملك وقوله عز وجل بل الله فاعبد وكن من الشاكرين يحتمل
وجوها يحتمل كن من الشاكرين لنعم الله جميعا او الشاكرين للخصوصية التي خصصت بها او الهداية التي هديت والله
اعلم وفي حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنهما له مقاليد السموات والارض اي له ملك السموات والارض
قال الكسائي مقاليد فارسية معربة وواحد المقاليد اقليد وقال بعضهم في قوله عز وجل اليس الله بكاف
عبده قال بلى والله ليكفينه الله ويعزه وينصره كاف عبده واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا ذكر اهل التاويل ان اليهود اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له ان ربك
كذا وكذا وان السموات على كذا منه والارض على كذا ذكروه له ووصفوه كما يوصف الخلق فنزل قوله عز وجل
وما قدروا الله حق قدره قيل ما عرفوا الله حق معرفته ولا عظموه حق عظمته ويذكر اهل الكلام ان
اليهود مشبهة ولذلك قالوا بالولد حيث قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فلو لم يكونوا عرفوه
ما يعرف به الخلق لم يكونوا يقولون له بالولد كما يقولون للخلق من الولد فدل ما وصفوا له وذكروا انهم عرفوه
بمعنى الخلق فتعالى الله عما تقول الملاحدة علوا كبيرا ثم قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا
الله حق معرفته او ما عظموه حق عظمته ما يحتمل وسع الخلق وكذلك لم يعرفوه حق معرفته التي يحتمله
وسع البشر وبنيتهم فاما معرفة الله حق معرفته او عظمة الله حق عظمته ما لا يحتمله وسع الخلق وهو لم يكلفهم
ان يعرفوه حق معرفته او يعظموه لانه لا يحتمله وسع الخلق ذلك وانما كلفهم ما احتمله وسعهم فالمشبهة
حيث وصفوه كما وصف الخلق ومن يعاينوه لم يعرفوه المعرفة التي يحتمل وسع الخلق وبنيتهم ولا عظموه
العظمة التي يحتمل وسع الخلق وبنيتهم ثم ان الله سبحانه جعل سبب معرفته الاستدلال باثار الافعال
لا بافعال المحسوسات فلا يفهم معرفته ولا يقدر بمعرفة الخلق وتقديرهم مما جعل الله سبحانه وتعالى

الخلق على قسمين قسما منها ما يحاط به ويدرك حقيقته وهو المحسوس منه والمدرك وقسما منها مما يعرف باثار الافعال
والاستدلال بها وهو غير محسوس من نحو العقل والبصر والسمع والروح وغير ذلك فاذا لم يدرك من خلقه ولم
يحط به مما سبيل الاستدلال باثار الافعال لا بالحس فالذي انشا ذلك وابدعه احق ان لا يدرك ولا يحاط
ويدرك المحسوس اذ الموصل الى معرفة الاستدلال باثار الافعال بالمحسوس والله اعلم وكذلك ما اضاف
الى نفسه من الاحرف لا يفهم منه ما لو اضيف ذلك الى الخلق من نحو الاستواء والمجيء والاتيان ونحو ذلك
ولا يقدر منه ما يقدر من الخلق على ما لم يفهم من مجيء الحق واتيانه ما فهم من مجيء الخلق ولا اتيانهم فعلى
ذلك لا يفهم قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ما يفهم من قبضة الخلق وطيهم ويمينهم بل
يفهم من ذلك كله من قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون كل ما ذكر من القبضة
والطي واليمين في ذلك كن كاف ونون او شيء من ذلك لكنه ذكر كن لانه اخف كلام على الالسن واوجز
حرف يفهم منه المعنى وتعديه فيما بين الخلق والله اعلم واصله ان الله عز وجل خاطبهم بما تعارفوا فيما بينهم
حقيقة وان كان ما تعارفوا فيما بينهم منفي عن الله تعالى نحو ما ذكر لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله عز وجل
ذلك بما قدمت ايديكم وقوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لما باليد تقدم ويؤخر في الشاهد
وان لم يكن ما ذكر عمل اليد وذكر بين يدي ما ذكر وان لم يكن بين يديه لما في الشاهد كذلك يتقدم فعلى ذلك
ما اضاف الى نفسه من احرف كانت تلك منفية عنه لما في الشاهد بذلك يكون والله اعلم واصل ذلك ان
قد ثبت بالتنزيل على ما ذكر من اضافة ذلك الاحرف الى الله وثبت بدليل السمع ان ليس كمثله شيء في العقل تعاليه
عن الاشباه والشركا لزم القول بوقوع تلك الايات على ما لا يتشابه به يقع بينه وبين الخلق في الفعل ولا جهة
من جهات الخلق اذ هو متعال عن جميع جهات الخلق في حد الاحداث والخلق فيلزم الايمان بها على ما نطق به
الكتاب به واستهى بر عن المتشابه وتفويض المراد الى من جاء عنه ذلك معا توحد الاضافة الى الله عز وجل من
نحو قوله عز وجل حدود الله ونحوه لا يحتمل فهم المضاف منه الى غيره فكذلك ما ذكرنا على امكان وجوه فيما
يبقى معنى التشابه من ذلك ما يضمن فيها معاني نحو قوله عز وجل ان تنصروا الله ينصركم الاية والى الله المصير والمرجع
ويرجولها الله وردوه الى الله والرسول في غير ذلك مما اضيف الى الله ولا معنى لتحقيقه في ذلك منه ووعده و
عيده وغير ذلك من الوجوه مما يطول ذكره ويكثر فمثله امر هذه الايات والثاني ان اضافة الامور
في الشاهد الى الملوك وذكر التولي لهم ليس يخرج مخرج تحقيق كما هو ما جرى به الذكر ولكن على الكناية والعبا
عن غيره نحو ما قال بلدة كذا في يد فلان وقبضته وامر كذا في فلان انما يراد بذلك قوته وقدرته فعلى ذلك
ما ذكر من قبضته ويده ويمينه انما هو الوصف له بالقوة والسلطان والقدرة على ذلك وقوله عز وجل سبحانه
وتعالى عما يشركون يحتمل تنزيه نفسه عما وصفه المشبهة وشبهوه بالخلق او عما اشرك عبدة الاصنام الله في العبادة
وتسميتهم اياها الهة وقوله عز وجل والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات هو على التقديم والتاخير
كانه يقول عز وجل الارض والسماوات جميعا في قبضته مطويات بيمينه والله اعلم وقوله عز وجل ونفخ في الصور
اختلف في قوله عز وجل ونفخ في الصور اهو على حقيقة النفخ ام لا قال بعضهم ليس هنالك نفخ ولا شيء وانما ذكر
النفخ عبارة عن خفة الامر على الله عز وجل وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وهو اهون عليه وقال
بعضهم ليس نفخ انما هو عبارة عن قدر النفخ انه يحيي ويميت على قدر النفخة لانها اسرع شيء في الدنيا هي النفخة لانها
اسرع وقال بعضهم هو على حقيقة النفخة من غير ان كانت النفخة سببا للاحياء والاماتة ولكن على جعل النفخة
علما واية للاحيا والاماتة امتحن بذلك الملك الذي كان موكلا به على ما امتحن ملك الموت بقبض الارواح في
اوقات جعل له فعلى ذلك ما ذكر من النفخ والله اعلم ثم اختلف في الصور ايضا قال بعضهم هو صور الخلق فيها
ينفخ والى ذلك جميع اهل الكلام وقال ليس هو صور الخلق ولكن انما هو قرن لانه قال الصور ولم يقل صور
بالتثقيل وانما ذكره بالتخفيف وهو القرن وذكر صور الخلق بالتثقيل صور حيث قال فاحسن صوركم
فلسنا ندري انهما يقال لجميعا ام لا الصور والصور والله اعلم وقوله عز وجل فصعق من في السموات ومن
في الارض قال عامة اهل التفسير والتاويل الصعق هو الموت وقال بعضهم الصعق هو الغشيان كقوله عز وجل
وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه الا يرى انه قال عز وجل فلما افاق وانما يفاق من الغشيان ولا يفارق من
الموت والله اعلم بذلك وقوله عز وجل الا من شاء الله اختلف فيه قال بعضهم انما استثنى الشهادة الذين
استشهدوا في الدنيا والله اعلم وقال بعضهم الا من شاء الله هو جبرئيل واسرافيل وملك الموت والله اعلم
وقوله عز وجل ثم نفخ فيه اخرى قال بعضهم يكون ثلث نفخات نفخة تحملهم على الفزع ويوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات ومن في الارض الاية ثم الاخرى يموتون بها والثالثة يحيون بها وعلى هذا يروى
حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينفخ ثلث ذكر كما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم نفختان على ما ذكر في
هذه الاية احديهما يموتون والثانية يحيون بها والله اعلم وقوله عز وجل واشرقت الارض بنور ربها يحتمل
بنور الذي انشاه الله عز وجل لها وجعله فيها ليس ان يكون لذاته نورا وشيء يضيء ويكون قوله عز وجل
بنور ربها كقوله عز وجل بنعمة ربك باحسان ربك والاء ربك لا يفهم منه سوى النعمة والمنشاة والالا

المجعولة

المجعولة فعلى ذلك قوله عز وجل بنور ربها لا يفهم منه نور الذات ولا شيء من ذلك ثم قوله عز وجل
واشرقت الارض اي اضاءت جائز ان يكون الله عز وجل ينشئ الارض الاخرة ارضا مضيئة مشرقة
لما اخبر انه يبدل ارضا غير هذه حيث قال عز وجل يوم تبدل الارض والسموات الاية كانت
هذه مظلمة وتلك مضيئة على ما ذكرنا والله اعلم او ان يكون اشراقها ارتفاع سواترها وظهور الحق
لهم وزوال الاشتباه والالتباس وكانت امورهم في الدنيا متبهمة ملتبسة ويبرزون يومئذ جميعا
بالتوحيد له والالوهية والربوبية وهو على ما ذكر من قوله عز وجل وبرزوا لله جميعا وقوله عز وجل
واليه المصير وقوله الملك يومئذ لله ونحو ذلك ذكر البروز له والرجوع اليه والمصير وان كانوا في الاحوال
كلها بارزون له راجعون اليه صابرون والملك له في الدارين جميعا خص البروز والرجوع اليه والملك
له لما يومئذ يظهر الحق لهم من المبطل ويومئذ اقروا جميعا بالتوحيد له والملك فعلى ذلك يحتمل اشراق
الارض واضاءتها لما يرتفع السواتر يومئذ بزوال الشبه ويظهر الحقايق والله اعلم او ان يكون اشراقها
باظهار كل ما عمل في الدنيا من خير او شر وعرفه يومئذ وان كان في الدنيا لم يظهر ولم يعرف مما عمل من خير
وشر كقوله عز وجل يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا
بعيدا الاية والله اعلم او ان يكون ارض الاخرة مضيئة مشرقة لما لا يقضى عليها الرب تعالى عز وجل وارض
الدنيا مظلمة بعصيان اهلها عليها الرب عز وجل وذلك كما روى في الخبر ان الحجر الاسود من الجنة كذا اسارا
سود لما مسته ايدي الخاطئين العاصين والله اعلم وقوله عز وجل بنور ربها قال بعضهم بعدل ربها
اي يضيء بعدل ربها وهو ما قال عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي بالعدل والله
اعلم وجائز ما ذكر بنورا نشاه وجعله فيها والله اعلم وقوله عز وجل ووضع الكتاب وقال عز وجل في
اية اخرى ووضع الميزان فجائز ان يكون الكتاب الذي ذكر انه وضعه هو ذلك الميزان فيكونان واحدا
وجائز ان يكون الكتاب غير الميزان وقال بعضهم الكتاب هو الحساب بما قد حفظ عليهم ولهم من خير او شر
محذور فيه وقال بعضهم هو الكتاب الذي يوضع في ايديهم يومئذ فيه ما عملوا يقرؤنه وهو مثل الاول والله اعلم
وقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء اختلف في الشهداء قال بعضهم الشهداء هم المرسلون يؤتى بالنبيين
والمرسلين يشهدون عليهم كقوله عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله
عز وجل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا وقوله عز وجل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم الاية وقال بعضهم
الشهداء ههنا هم الملائكة والحفظة الذين يشهدون عليهم باعمالهم التي عملوها وقال بعضهم الشهداء هم الذين
استشهدوا في هذه الدنيا والله اعلم وجائز ان يكون ما ذكر من الشهداء هم الجوارح التي تشهد عليهم يومئذ كقوله
عز وجل يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الاية وقوله عز وجل وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وقوله
عز وجل وهم لا يظلمون اي لا يحمل على احد ما لم يعمل ولكن يحمل عليه ما عمل والله اعلم وقوله عز وجل ووفيت كل
نفس ما عملت اي وفيت ما عملت من سوء فاما ما عملت من خير فلا توفى كل نفس مسلمة ما عملت من خير لا ينقص منها شيء
وما عملت من سوء جائز ان يتجاوز الله عنها ويبدل له حسنات كقوله عز وجل فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
والله اعلم وقوله عز وجل وهو اعلم بما يفعلون اي عالم بما يفعلون من خير او شر وقوله عز وجل وسيق الذين
كفروا الى جهنم زمرا قبل امة امة وجماعة جماعة كقوله عز وجل كلما دخلت امة لعنت اختها الاية وقوله عز وجل
يحشرون الى النار ونحوه وقوله عز وجل حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها جائز ان يكون لها ابواب يدخلون
فيها وجائز ان يكون الابواب المذكورة لا على حقيقة الابواب ولكن على الحجاب والسبل التي كانوا فيها اي
في الدنيا وعملوا بها يدخلون النار بتلك الجهات والسبل التي كانوا في الدنيا وعملوا بها كما يقال فتح على فلان
باب كذا ليس يراد حقيقة الباب ولكن سبل بابه والله اعلم وقوله عز وجل وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل
منكم يتلون عليكم ايات ربكم يحتمل قوله عز وجل ايات ربكم اي التوحيد وحججه ويحتمل ايات البعث
التي انكروه قال بعض اهل التاويل ايات القران وقوله عز وجل وينذرونكم بالايات لقاء يومكم هذا وقوله
عز وجل قالوا بلى قد فعلوا ذلك وقوله عز وجل ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قال اهل التاويل
ولكن حقت كلمة العذاب اي عدة العذاب وهو ما قال عز وجل وعد انه يملأ جهنم منهم وهو قوله عز وجل
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي حق وعد ذلك عليهم والله اعلم وجائز ان يكون ما ذكر من كلمة العذاب
هو كلمة الشرك والكفر اي حقت كلمة الكفر والشرك الذي عليها سموا كلمة الكفر كلمة العذاب لما عذبوا
وعوقبوا والله اعلم وقوله قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين تاويله ظاهر والمتكبرين
يحتمل المتكبرين على الله توحيده ويحتمل المتكبرين على رسله وانبيائه صلوات الله عليهم والله اعلم وقال القتبي
وابو عوسجة اشرقت اي اضاءت وانارت وزمرا اي جماعات والواحد زمرة ويقال ترمزت القوم اذا اجتمعوا
زمرهم اي جمعتهم واصله ان يساق كل فريق على ما احبوا وكانوا في الدنيا جماعة جماعة وامة امة وعلى ما يجتمعون
في هذه الدنيا اهل الخير على اهل الخير واهل الشر على اهل الشر وسرور بالاجتماع في ذلك لكن اهل الخير يساقون
الى الجنة على ما كانوا يجتمعون في هذه الدنيا مسرورين واهل الكفر يساقون الى النار على ما يجتمعون في هذه

الدنيا مسرورين واهل الكفر بيا قون الى النار على ما يجتمعون فهذه الدنيا على الشر حزنين مغتمين والله اعلم
وقوله عز وجل وسيق الذين اتقوا يحتمل اتقوا الشرك ربهم او اتقوا سخط ربهم ونقمته او اتقوا المهالك وقد ذكرنا
فيما تقدم والله اعلم وسيق وان كان في الظاهر خبرا عما مضى لكنه يخرج على وجهين احدهما على الاستقبال
وذلك جائز في اللغة استعمال حرف الماضي على ارادة الاستقبال كانه قال يسا قون والثاني كانه خبر امر قد كان
مضى فقال عز وجل وسيق ولذلك ذكره بحرف سيق والله اعلم وقوله عز وجل زمرا قد ذكرناه اي جماعة
جماعة وامة امة على ما كانوا في هذه الدنيا ويجتمعون على ذلك فعلى ذلك يسا قون في الاخرة والله اعلم وقوله
عز وجل حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها فتح الابواب لهم يحتمل حقيقة الابواب ويحتمل كناية عن الوجوه
والسبل التي يأتونها في الدنيا الا على حقيقة الابواب والله اعلم وقوله عز وجل وقال لهم خزنتها سلام عليكم
بدأ الخزنة بالسلام عليهم فجائز ان يكون الله عز وجل امتحن الخزنة بالسلام على المؤمنين كما امتحن رسوله بدء
السلام على من آمن وهو قوله عز وجل واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم الاية ثم يحتمل
سلام الخزنة عليهم السلامة والبراءة عن جميع العيوب والافات التي في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل طبتم فادخلوها
خالدين فقوله طبتم يحتمل اي صرتم طيبين لا تخبثون ابدا وقد برئتم من الافات والعيوب كلها والله اعلم ويقال
طاب العيش ابدا من حيث ما يأتيكم بلا عناء وقوله عز وجل وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ولا شك ان
الله عز وجل اذا وعد لصدق وعده لكن معنى قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده اي الحمد لله الذي جعلنا
مستحقين وعده اذ وعده لا شك انه يصدق ولا قوة الا بالله وقوله واورثنا الارض قيل انزلنا الارض
اي الجنة وقوله عز وجل نتبوء من الجنة حيث نشاء يحتمل قوله حيث نشاء يرغب فيها وهم لا يرغبون النزول
من منازل غيرهم او ان يكون قوله نتبوء من الجنة حيث نشاء اي جميع مكان الجنة مختار ليس مما يختار في الدنيا
مكانا دون مكان لان جميع امكنتها ليست بمختارة فيقع فيها الاختيار فاما الجنة فجميع امكنتها مختارة فلا
يقع هنالك اختيار مكان على مكان والله اعلم والاظاهر قوله تعالى نتبوء من الجنة حيث نشاء ما لهم وما
لغيرهم والوجه فيه ما ذكرناه والله اعلم وقوله عز وجل فنعم اجر العاملين ظاهر وقوله عز وجل وترى
الملائكة حافين من حول العرش قيل محدقين حول العرش وقوله عز وجل يسبحون بحمد ربهم قال بعض اهل
التأويل بامر ربهم لكن التسبيح بحمد ربهم هو ان يسبحوه بثناء ربهم وحمده ويبرؤنه وينزهونه عن جميع
معاني الخلق بحمد وثناء يحمدونه ويثنون عليه على ما ذكرنا في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل وقضي بينهم
بالحق قيل بين الامم والرسل وقيل بين الخلائق كلهم وجايز ان يكون قوله وقيل الحمد لله رب العالمين قال
الحسن فتح الله نعمه في الدنيا بالحمد له وهو قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السموات والارض الاية وقوله عز وجل
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الاية وغير ذلك في الايات وختم نعمه في الاخرة بالحمد له حيث قال
الحمد لله رب العالمين وقوله عز وجل واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام
على سيدنا محمد واله وصحبه الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله حم قال بعضهم هو هجاء اسماء الرب جل وعلا وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما
وقال بعضهم فواتح السور كلها وكذلك قال في سائر الحروف المقطعة وقال بعضهم اصله حم اي قضي كقول
الشاعر الست ترى ان الذي قضى كائن اي الذي حم كائن الا تر ذكرهم بالهجاء كمن ذكر زيدا بالهجاء وقد
قلنا نحن ان تفسير الحروف المقطعة ما ذكر على اثرها وقد ذكرنا اقاويل الناس واختلافهم فيها في غير موضع
ما اغنانا عن ذكرها في هذا الموضع والله اعلم وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم قد ذكرنا قوله تنزيل الكتاب
في سورة الزمر غير انه ذكر العزيز الحكيم وههنا ذكر العزيز العليم وهما واحد والله اعلم وقوله غافر الذنب
يخرج على وجهين احدهما غافر الذنب اي متجاوز الذنب وهو في حق المؤمنين خاصة والثاني غافر الذنب اي
ساتر الذنب وهو يحتمل للكافر والمؤمن جميعا فانه يستر كثيرا على المؤمن والكافر جميعا الذنب في الدنيا
ولم يفضحهما ويتجاوز عن المؤمن خاصة في الاخرة والله الموفق وقوله عز وجل وقابل التوب يخبر انه يقبل
التوبة وان عظمت المعصية وجلت الذنوب وكثرت والله اعلم قال ابو عوسجة التوب جماعة التوبة وقوله
شديد العقاب اي لمن لم يتب وقوله ذي الطول قال ابو عوسجة اي ذي القدرة وقال القتبي ذي التفضل
يقال طل علي برحمتك اي تفضل وقيل ذي السعة والغنا وقيل ذي النعم وكله قريب بعضه من بعض قوله
لا اله الا هو اليه المصير وحد نفسه واخبر ان مصير الخلق اليه في الاخرة فيجزيهم باعمالهم والله اعلم
وقوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا اي يجادل ليجادل في دفع ايات الله والطعن في ايات الله الذين
كفروا بايات الله وكانت مجادلتهم ما ذكر حيث قال ليدحضوا به الحق اي يبطلوا به الحق اهل الكفر هم
الذين كانوا يجادلون في دفع ايات الله والطعن فيها فاما اهل الايمان بها كانوا يفرحون بنزولها ويزداد
لهم بذلك ايمان كما قال تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه
وكقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ونحو ذلك من الايات كانوا يتسلمون لها ويقبلونها ويتعلمون

لها بالتعظيم والتبجيل وبالله التوفيق وقوله عز وجل فلا يغررك تقلبهم في البلاد معلوم ان رسول الله عليه السلام
كان لا يغتر بتقلبهم في البلاد لكنه ذكر الخطاب له واراد به غيره لما يحتمل ان يظن قوم ان اهل الكفر لما
كانوا في امن في التقلب في البلاد والسعة في عيشهم وان اهل الايمان في ضيق وشدة وخوف ان اولئك
على الحق وهؤلاء على الباطل فجائز ان يظن ظان ما ذكر فاخبر الله عز وعلا ان الامن والسعة ليس بدليل
على كون صاحبه على الحق ولا الضيق والشدة بدليل على كون صاحبه على الباطل ولكن محنة امتحنهم مرة
بالسعة والامن ومرة بالضيق والخوف دليل ذلك وجود الحالين جميعا في كل فريق مع اختلاف مذاهبهم
وتضاد اقاويلهم ويحتمل ان يكون المراد منه اهل مكة اي لا يغررهم تقلبهم في البلاد ودوامهم وسعتهم
بعد ما نزل باهل الافاق والنواحي انهم على الحق وان ذلك لما يدفع عنهم لمكانهم وانما يدفع ذلك عنهم
ويكونون على امن لمكان كونهم بقرب من البيت لحرمته وشرفه وقوله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح
والاحزاب من بعدهم ذكر هذا ليصبر رسوله على تكذيب قومه اياه بالباطل يقول لست انت باول من
كذبه قومه ولا باول من جادله قومه بباطل لم يزل الامم المتقدمة يكذبون رسلهم ويجادلونهم
بالباطل فصبروا على ذلك فاصبر انت على تكذيب قومك ومجادلتهم اياك بالباطل كما صبروا ولذلك كقوله
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وهي ما ذكر في قوله عز وجل وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا
بالباطل ليدحضوا به الحق همت كل امة برسولهم ما ذكر لكن الله تعالى بفضله عصم رسله عما هم اولئك
الكفرة بهم من القتل والمجادلة بالباطل وفي ذلك اية من ايات الرسالة لهم حيث حفظهم عما هموا بهم
وكادوا ابلاء اعوان وانصار كان الرسل مع كثرة اولئك الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل فاخذتهم فكيف
كان عقاب اي كيف وجدوا عقابي اليس وجدوه حقا على ما وعد الرسل عليهم السلام انه نازل بهم اويقول
اليس وجدوه اليما شديدا والله تعالى اعلم وقوله عز وجل وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب
النار يحتمل قوله حقت كلمة ربك على الذين كفروا ما ذكر في قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل الاية وقوله وقد
مضت سنة الاولين يحتمل ان يكون قوله حقت كلمة ربك على الذين كفروا ما قال لاملأن جهنم من الجنة
والناس اجمعين فذلك الذي حق عليهم من كلمة ربك والله اعلم وقوله عز وجل الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم قد ذكرنا في غير موضع ان التسبيح بحمد ربهم هو الثناء عليه والحمد له بالتبرئة والتنزيه عن
جميع اوصاف الخلق ومعانيهم عن جميع ما قال الملحدة فيه وقوله عز وجل ويستغفرون للذين امنوا هذه
الاستجابة للمؤمنين والايات التي فيها استغفار الرسل للمؤمنين من نحو قول نوح عليه السلام حيث قال
رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم صلوات الله عليه رب
اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب وما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لنفسه
وللمؤمنين والمؤمنات حيث قال له استغفر لذنبك وللمؤمنين لانه لا يحتمل ان يأمرهم بالاستغفار لهم
ثم لا يجيبه اذا فعل ثم قال بعض المعتزلة ان قوله عز وجل واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
انما هو في الذنوب التي ليس له ان يعذبهم عليها وهو الصغائر وليس له ان يغفر الكبائر ويستدل على ذلك
بقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك انما امره ان يستغفر للذين تاب فاما من لم يتب ولم يأمره بالاستغفار
فيجيب القول بما قلنا علانا لا يتبين لكن نقول نحن انه لو كان استغفاره لمن ذكر خاصة لاصحاب الصغائر
على ما قالوا يصير كانه امر النبي عليه السلام ان يقول استغفر لهم ولا يجر عليهم اذ هم مغفورة ذنوبهم فيحصل قولهم
على ما ذكرنا وذلك كفر وحش من القول والله اعلم ثم يجيء ان يكون المعتزلة والخوارج في الظاهر ابعد
الخلائق في المعاصي واقربهم الى الطاعات ونحن اقرب الخلائق الى المعاصي وابعدهم عن الطاعات لانهم لا يرون
النجاة الا باعمالهم ولا يرون برحمة الله ولا بشفاعة احد ولكن باعمالهم فيجب ان يكونوا ابدا متكلين
ملازمين على الطاعات في كل وقت وساعة لا يعصون الله طرفة عين ونحن لم نر النجاة بالاعمال ولكن
انما نرى ذلك برحمة الله تعالى وبشفاعة من ارتضى لشفاعة فيجب ان نكون معتمدين على رحمة الله وفضله
غير مشتغلين بشيء من الطاعات ثم في الحقيقة يجب ان يكونوا هم اقرب الخلائق الى المعاصي وابعدهم
من الطاعات ونحن الزم الخلائق بالطاعات وابعدهم من المعاصي لانا نرى عند الله لطائف وفواضل
باقية لم يعطنا ما لو اعطانا لم يصدر منا الا الخير والطاعات وسلمنا عن المعاصي وانواع الشرور وعصمنا
فيجب ان نكون متكلين على الطاعات لنصل الى تلك اللطائف وهم لا يرون بقي عنده شيء من اللطائف
بل يقولون قد اعطانا كل شيء حتى لم يبق عنده شيء من مصالح الدين فيجب ان يكونوا ما ذكرنا والله اعلم ثم قولنا
ان الله تعالى ينجينا برحمته وبشفاعة من جعل له الشفاعة لا باعمالنا وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لن يدخل احد الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته والمعتزلة يقولون لا بل ندخل باعمالنا وكذلك قول الخوارج واصل قولنا ان الله عز وجل لا يعذب
عباده على جميع المعاصي على الصغائر والكبائر جميعا وله ان يغفر جميع المعاصي سوى الشرك والكفر على ما ذكرنا
من دلائل الايات وغيرها وقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما قوله وسعت كل شيء رحمة في رحمة الدنيا

اللهم لا تقطعنا ولا تحرمنا من فضلك آمين

يدخل فيها الكافر والمؤمن جميعا فاما رحمة الاخرة فهي للمؤمنين خاصة وهو كما ذكر في قصة موسى عليه السلام حيث
قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة الى قوله ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون الاية
وكقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة
يوم القيامة كانه يقول قل هي للذين امنوا والذين لم يؤمنوا ثم هي خالصة للذين امنوا يوم القيامة فعلى ذلك
قوله وسعت كل شيء رحمة الدنيا جميع المؤمن والكافر جميعا في تلك فاما رحمة الاخرة ليست الا للذين
امنوا والله اعلم وقوله علما اي علم من فيها من الخلق وقوله عز وجل فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك يحتمل
وجوها احدها فاغفر للذين تابوا من الشرك واتبعوا سبيلك هو الاسلام والثاني اي فاغفر للذين تابوا عن
الكبائر والفواحش واتبعوا سبيلك اي طاعتك والثالث فاغفر للذين تابوا عن جميع المعاصي صغائرها وكبائرها
واتبعوا طاعتك والله اعلم وقوله وقهم عذاب الجحيم ظاهر ثم قوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما لا يمكن
العمل بها على قول المعتزلة لان رحمة الله عندهم لا تبلغ لذنب واحد فانه ليس له ان يعفو عنه فان عندهم
ان من ارتكب كبيرة ليس له ان يرحمه ولكن يعاقبه على زعمهم خالدا مخلدا واذا كان قولهم ومذهبهم فليست
رحمته بواسعة بزعمهم ثم يقولون ايضا ان الله تعالى قد هدى كل كافر واعطاه ما يهتدي به لكنه
لم يهتد به وانه لم يبق عنده ما يهتدي به فعلى هذا القول رحمته لا تسع لهداية كافر فاذا رحمة الله تعالى
بزعمهم على خلاف ما ذكر الله تعالى ووصفها بالسعة والله الموفق واما عندنا فهو ما ذكرنا من جميع الكل
في ذلك لما ذكرنا ان تلك الرحمة الدنيوية او ما ذكرنا من كون اللطائف عنده من اعطاها اهتدى والله
الموفق وقوله عز وجل ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم هذا يخرج على وجوه احدها ان الوعد
كان منه لجملة المؤمنين فسألوا ان يدخل قوما على الاشارة والتعيين في جملة ذلك الوعد لاحتمال خصوص
في الجملة والله اعلم والثاني سألوه ان يحييهم على الاسباب والاعمال التي يستوجبون ذلك والله اعلم والثالث
يجوز ان يكون الوعد لهم بشرط الذي سألوه والله تعالى عالم في الازل انه يوجد ذلك الشرط وهو سؤالهم
فيكون لهم ذلك الوعد ومثل ذلك جائز قال الله تعالى كان على ربك حتما مسئولا انما يعدهم بسؤال هؤلاء
على ذلك كان جزاء تقديره انه لا يعذبهم اذا سألوا وعلم انهم سألوا وعلى ذلك الحديث الوارد ان الصدقة تزيد في
العمر جرى تقديره في الازل انه يوجد منه الصدقة فيكون عمره زائدا على ما لو علم انه لا يتصدق وانما
لا يجوز التعليق بالشرط في حق الله تعالى على نحو ما يكون في حق العباد ان يوجد عنه وجود الشرط ولا يوجد
عند عدمه ولا علم لهم بعاقبة ذلك والله تعالى عالم بالعواقب فمتى علق بشرط كان ذلك منه في الازل حكما على
ان يوجد مع ذلك الشرط لا محالة لما علم وجود ذلك الشرط مع علمه انه لو لم يكن ذلك الشرط كيف كان
والله الموفق اما ظاهر الاية انه اذا وعدهم لادخلها لا محالة فيها فلا معنى للسؤال في ذلك لما يخرج
السؤال في مثله يخرج السؤال في تصديق الوعد والامتناع عن الخلف ولكن الاية يخرج على الوجوه التي ذكرنا
وقوله تعالى ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم الاية سألوه ايضا ادخال هؤلاء في ذلك الوعد
ايضا على ما ذكرنا وقوله وقهم السيئات هذا يحتمل انهم سألوا ان يقيهم في الاخرة امور السوء هم من الاهوال
والانواع وغير ذلك من العذاب ويحتمل في الدنيا امر الشرك وغيره يدل عليه قوله ومن تق السيئات يومئذ
فقد رحمته اي ومن تق السيئات في الدنيا فقد رحمته يومئذ وذلك الفوز العظيم وقوله تعالى ان الذين كفروا
ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الاية ذكر ان اهل النار اذا دخلوا النار وعاينوا ما انكروا من البعث
والعذاب يجعل كل انسان منهم يمقت نفسه ويلومها فينادون لمقت الله اياكم فيما اوجب عليكم من اللعن
والنقمة اكثر مما تمقتون به انفسكم والله هذا وجه اخر جائز ان يقال لهم ان الواجب عليكم ان تروا مقت الله
اياكم وقت ارتكابكم العصيان وعند تعاطيكم ما تعاطيتم اكبر واشد من مقتكم العذاب وتحولكم النار لانكم ان
رأيتم مقت الله اياكم عند ارتكابكم ما ارتكبتم انه ينزل بكم لزجركم ومنعكم عن ارتكاب ذلك وتعاطيه
وحملكم على ايثار ما دعيتم اليه من التوحيد لله تعالى والايمان به والله تعالى اعلم وعلى هذين التأويلين يرجع
تأويل قوله ولذكر الله اكبر احدهما ان ذكر الله تعالى اياكم بالرحمة والمغفرة اكبر واعظم من ذكركم اياه وصلواتكم
وعبادتكم له والثاني ان ذكر نفسي نهي الله تعالى اياكم عن المعاصي وقت ارتكابها اكبر في الزجر عنها والمنع من
الصلوة نفسها ان كانت الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر لما ان الصلوة فيها اعمال تشغل عن
ذكر النهي والله اعلم ثم قوله تعالى مقتكم انفسكم يحتمل وجهين احدهما ان مقت بعضكم بعضا كقوله ويوم
القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ويحتمل ذلك لقوله ان الصلوة تنهى اي يمقت كل انسان
نفسه لما كان من العصيان والكفر وانما احتمل هذين الوجهين لان المنع لهم من طاعة الله الله تعالى
واتباع امره ونهيه يكون بانفسهم ويكون من بعضهم بعضا فيكون محتملا لكلا الوجهين
وهو كقوله تعالى اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم تحية من عند الله وقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
ولا تهلكوا بعضكم لبعض اذ الظاهر ان المؤمن قيام عقله لا يهلك نفسه ولا يلقيها في التهلكة وكذا
لا يسلم على نفسه ويحتمل الظاهر ايضا ان يسلم على نفسه اذا دخل البيت ولم يكن معه غيره ولذلك نهي عن

مطلب يحفظ النية في الصدقة تزيد في العمر

اهلاك

اهلاك نفسه عند شدة الغضب ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
قال بعض اهل التأويل كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي
لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيمة فهما حياتان وموتتان وهو قول ابن عباس وابن مسعود فيما اري تقول
كقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية وقال بعضهم قوله ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
احدى الموتتين هي التي ينقضي بها اجالهم ثم يحييهم في القبر ثم يميتهم ثم يحييهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان
وحياتان والى هذا يذهب ابن الراوندي ويحتج بهذا على عذاب القبر وهو اشبه واقرب لانه يكونهم في اصلاب
ابائهم امواتا لا يقال اشباحهم كانوا امواتا وقوله عز وجل فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل يحتمل
اعترافهم بذنوبهم هو ما انكروا في الدنيا قدرة الله تعالى على البعث والاحياء بعد الموت والعذاب لهم لما عاينوا ذلك
وشاهدوا اقروا به فانكارهم ذلك هو ذنبهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ذنوبهم التي اعترفوا بها ما ذكر في سورة
تبارك حين قال لهم الخزنة لما القوا في النار الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
فيكون اعترافهم بذنوبهم هذا والله اعلم وقوله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم قوله ذلكم بانه اي ذلك
المقت الذي ذكر والعذاب الذي نزل بكم انما كان بانه اذا دعي الله وحده كفرتم به وحده وان يشرك به اي
توحيد الله تؤمنوا به اي تصدقوا هذه الاية كقوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون فهما بمعنى واحد والله اعلم وقوله عز وجل فالحكم
لله العلي الكبير قال قتادة لما خرج اهل حروراء قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من هؤلاء قيل المحكمون
قال قائل هم القراء فقال عليه السلام ليسوا بالقراء ولكنهم العيابون الخيابون قالوا انهم يقولون لا حكم
الا لله قال علي رضي الله عنه كلمة حق اريد بها باطل وذكر وعني بها باطل وقوله هو الذي يريكم اياته اختلف
في قوله يريكم هو ما اراهم من مكذبي رسله ومصدقيهم من اوائلهم حيث استأصل هؤلاء بتكذيبهم رسله
وانجى مصدقيهم بتصديقهم اياه ليحذر هؤلاء عن تكذيب رسوله وقال بعضهم اراهم ايات وحدانيته
وربوبيته وقدرته وسلطانه في السموات والارض ما لو تأملوا لعرفوا ذلك وهو كقوله تعالى وكأين من
اية في السموات والارض ايات وحدانيته وربوبيته وذكر انهم يمرون عليها اي يرونها لكنهم يعرضون عنها
والله اعلم وقال بعضهم في قوله هو الذي يريكم اياته يا اهل مكة اذا سافرتم رأيتم ايات المتقدمين ومنازلهم
وهلاكهم وهو الاول بعينه وقوله تعالى وقوله وينزل لكم من السماء رزقا يخبر عن ايات وحدانيته ايضا
انه ينزل رزقهم من السماء وحبل الخلق وينقطع عن استنزال الرزق من السماء ليعلموا ان منشئ الارض
والسماء واحد حيث اتصل منافع السماء بمنافع الارض على ما بعد ما بينهما ويحتمل ان يذكر نعمه عليهم حيث
يعلمون انه هو الذي انزل رزقهم من السماء ثم يعبدون من دون من الاصنام فكيف يصرفون عبادتكم
وشكركم الى غيره وقوله وما يتذكر الا من ينيب وما يتذكر بما ذكر من الايات ولا يتأملها الا من ينيب اليه بطاعته
او يقبل لا يتذكر ولا يتعظ باياته ومواعيده الا من ينيب اليه بالقبول لامره وطاعته وقوله فادعوا الله
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون كان هذا صلة ما تقدم من قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت
قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة الاية وصلة قوله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده وكفرتم يقول فادعوا الله
يا اصحاب محمد وايها المؤمنون مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ذلك وحده ولا تشركوا به شيئا على ما
تشرك به اهل مكة والله اعلم وقوله عز وجل رفيع الدرجات يحتمل وجهين احدهما رفع السموات درجة
على درجة وطبقا على طبق على ما رفعها واحدة على اخرى والثاني قوله رفيع الدرجات اهلها ومنازلهم التي جعلها
لهم في الاخرة على تفضيل بعض على بعض في الدرجات كقوله تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر
درجات واكبر تفضيلا اخبر انه فضل بعضا على بعض في الدرجات في الاخرة فجائز ان يكون ما ذكر من رفع الدرجات
هي رفع السموات درجة فدرجة فهو اخبار عن قدرته وسلطانه انه من قدر على رفع السموات في الهواء و
اقرارها فيه بلا سبب من اسباب امساكها من التعليق بشيء مع ثقلها وغلظها ولا شيء يقر في الهواء بحيث
لا يحط ولا يستفل ولا يرتفع عن اماكنها بلا سبب من الاسفل والاعلى لا يحتمل ان يعجزه شيء او يخفى عليه
شيء او يمنعه عما يريد والله اعلم وان كان المراد بالدرجات التي يجعل لاهلها في الاخرة انما يستوجبونها بالله تعالى
باعمال يكون لهم والله اعلم وقوله عز وجل ذو العرش يلقي الروح من امره اختلف فيه قال بعضهم هو جبريل
عليه السلام يلقي اي ينزل بالوحي والنبوة على من يشاء من عباده كقوله نزل به الروح الامين على قلبك لتكون
امين ليعلم ان الله ليس في انزاله غلط ولا شيء مما قاله بعض الروافض انه بعثه الى علي فانزله الى غيره وقال
بعضهم الروح ههنا هو الوحي والرسالة يقول يلقي هو الوحي على من يختار ويصطفي من عباده والله اعلم وقوله
لينذر يوم التلاق اختلف فيه قال بعضهم يوم تلتقي اهل الارض اهل السماء وقال بعضهم يوم يلتقي الاخرون والاولون
وجائز ان يكون قوله يوم يلتقي الانسان عمله واعماله التي عملها والله اعلم وقالت الباطنية اي يوم يلتقي الصور
المتولدة من الاجساد باعمال الخير والشر التي كانت لهم في الدنيا الصورية التي كانت لهم روحانية لان من قدمهم
الانس مات منهم يحدث ويتولد بالاعمال التي كانت لهم من الخير صور وروحانية تبقى هذه الصور الحادثة المتولدة

من الاحسا بعد الموت ويكون البعث عندهم للارواح فيتصل هذه الارواح النورانية بالنور الصرف ويتبينه الوقت بقوله يومهم بارزون اى يبرز تلك الصور الروحانية من الاجساد واذا الخلايق كلهم فى جميع الاحوال والاوقات بارزون ظاهرون لله تعالى لم يكونوا فى وقت مستورين عنه ولكن هذا فاسد لانه لو كان الامر على ما يقوله الباطنية لكانت الانفس اذا ماتت وخرجت منها الصور الروحانية فرأت رؤيا كانت يراها مختلطة غير متحققة وفى حالة اليقظة يراها متحققة غير مختلطة دل ان الادراك للاجساد بواسطة الصور الروحانية يجب ان يكون البعث للكل والله اعلم ولكن الوجه فى ذلك ما ذكرنا واصله انه سمى ذلك اليوم على ما سمى يوم الجمع ويوم التغابن ويوم الحشر وغير ذلك سمى ذلك اليوم على اسماء مختلفة كل اسم من ذلك لمعنى غير المعنى الاخر والله اعلم وقوله عز وجل يومهم بارزون قال بعضهم اى ظاهرون لا شئ هنالك يسترهم اى يرتفع يومئذ جميع السواتر وهو كقوله تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اى لا شئ يستر فيها بذكر هذا لان من الناس من يقول يستر الاشياء عن الله تعالى بالسواتر دون العوام ويحتمل ان يكون قوله يومهم بارزون اى يسمى ذلك اليوم يوم البروز مما يتفقون جميعا او يقرون بالكلمة التى اختلفوا فى الدنيا فيها فيبرزون جميعا متفقين مقرين على تلك الكلمة يومئذ وهى كلمة التوحيد والله اعلم ويحتمل ان يكون سماه يوم البروز والمصير والرجوع ولما ذكر ان المقصود من انشاء الدنيا وما فيها من الخلايق ذلك اليوم وتلك الدار وكذلك صار انشاء الدنيا وانشاء ما فيها حكمة لما عرف ان الانشاء للافناء خاصة ليس بحكمة فخص ذلك اليوم بما ذكرنا وان كانوا فى جميع الاحوال بارزين له ظاهرين له والله اعلم وقوله عز وجل لا يخفى على الله منهم شئ ظاهر وهو رد لقول من يقول ان شيئا يستر على الله عن ذلك علوا كبيرا وقوله عز وجل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قال عامة اهل التأويل اذا اهلك تعالى اهل الارض واهل السماء فلم يبق احد الا الله تعالى فعند ذلك يقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيقول هو فى نفسه ويجيب نفسه لله الواحد القهار لكن هذا بعيد لا يحتمل ان يقول لمن الملك اليوم ولا احد سواه ويجيب نفسه لله الواحد القهار لا حكمة فى ذلك ان يسأل نفسه ثم يجيبها لكن الوجه فيه والله اعلم انه انما يقول لهم ذلك اذا بعثهم واحياهم لمن الملك اليوم فيقول الخلايق له باجمعهم لله الواحد القهار ويقرون له جميعا يومئذ بالملك والربوبية وان كان بعض الخلايق فى الدنيا قد نازعوه فى الملك فيها وادعوا لانفسهم فيقرون يومئذ ان الملك فى الدنيا والاخرة لله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل اليوم تجزى كل نفس بما كسبت اى من خير او شر لا ظلم اليوم اى لا تجزى غير ما كسبت ويحتمل لا ظلم اى لا نقصان فى الحسنات التى عملوها ولا زيادة على السيئات التى اكتسبوها وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل ان الله سريع الحساب قد ذكرنا هذا ايضا والله اعلم وقوله وانذرهم يوم الازفة سمى ذلك اليوم يوم الازفة لقربه ودنوه منه وعلى ذلك سماه غدا وقريبا كقوله اقتربت الساعة وقوله اقترب للناس حسابهم الاية فعلى ذلك سماه ازفة لدنوه وقربه منهم يقال ازف فلان اى قرب ودنا منه ومعناه اى انذرهم عما اليه مرجع عاقبتهم ومصيرهم لان اهل العقل والتمييز انما يعملون ويسعون للعاقبة وما اليه يرجع امورهم وهو ذلك اليوم والله اعلم وقوله عز وجل اذ القلوب لدى الحناجر يخبر عن شدة حالهم وفزعهم فى ذلك اليوم ليس ان يزول قلوبهم عن امكنتها ويرتفع الى الحناجر حقيقة ولكنه وصف الشدة حالهم فى ذلك اليوم وكثرة همومهم خوفهم وفزعهم وضيق صدورهم وهو كقوله تعالى وضاقت عليهم الارض بما رحبت اى ضاقت صدورهم وقلوبهم بما حل بهم من الشدائد والاهوال ليس ان صارت الارض فى الحقيقة مضيقة لا يسعون فيها ولكن وصف لضيق صدورهم لعظم ما نزل بهم فكنى بضيق الارض عن ضيق صدورهم فعلى ذلك جائز ان يكون ما ذكر من كون القلوب لدى الحناجر كناية عن ضيق صدورهم لشدة حالهم وعظم ما حل بهم والله اعلم والحناجر هى مواضع الذبح من الشاة وغيرها من الدواب واحدها حنجرة وقوله كاظمين قال بعضهم الكاظم المغموم الذى ذو خزن فى جوفه غيظا لما كان منه فى الدنيا وقيل الكاظم لا يتكلم قد كظم من الخوف وقيل الذى لا ينفتح فمه وهو قريب بعضهم من بعض وقوله عز وجل ما للظالمين من حميم اى قريب وقيل الحميم هو الذى يهتم بامرهم ويسعى فى دفع ما نزل به من البلاء وقوله ولا شفيع يطاع اى يجاب يذكر ان لا يكون لهم فى الاخرة قريب يهتم لامرهم ولا شفيع يشفع لهم فيجاب كما يكون فى الدنيا ولذلك قوله لا ينفعهم شفاعة الشافعين اى لا يكون لهم شفعاء ينفعهم شفاعتهم وهو ما قال عز وجل فى اية اخرى لا خلة ولا شفاعة الاية وقوله عز وجل يعلم خائنة الاعين والخيانة واحدة وهو ما قال عز وجل ولا تزال تطلع على خائنة منهم اى خيانة منهم وقال بعضهم هى النظرة بعد النظرة اما الاولى فليس فيها شئ واما الثانية فعلية مأثمها وقوله وما تخفى الصدور اى ما لم يتكلم به ولم يعمل كل ذلك يعلم الله تعالى وقال بعضهم خائنة الاعين هى النظرة فيما لا يحل والمغمز بعين وهو مثل الاول وقال بعضهم خائنة الاعين هى التى ينتظرها غفلة الناس اذا غفلوا عنه نظر الى ما يهواه ويحبه ويخفى الصدور وهو ما ذكر عز وجل يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ذكر ذلك ليكونوا ابدا مراقبين انفسهم حافظين لها عما لا يحل من السمع والبصر والفؤاد على ما ذكر فى اية اخرى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ليكونوا ابدا على حذر من ذلك وخوف والله اعلم وقوله عز وجل والله يقضى بالحق قال اهل التأويل الحكم بالحق والقضاء المذكور فى الكتاب يخرج على وجوه احدها يقضى اى يأمر

كقوله تعالى وقضى ربك اى لا تعبدوا الا اياه وكقوله اذا قضى الله ورسوله امرا اى اذا امرا يقول والله يقضى بالحق اى يأمر بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ اى لا يملكون الامر بالحق فكيف تعبدون من دونه والثانى القضاء الوحى والخبر كقوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب اى اوحينا اليهم فكانه يقول والله يوحى بالحق ويخبر به والذين يدعون من دونه لا يملكون الوحى ولا الخبر فكيف اخترتم عبادتهم على عبادة من يوحى بالحق ويخبر به والله اعلم والثالث القضاء هو الخلق والانشاء كقوله تعالى فقضاهن سبع سماوات اى خلقهن فيكون قوله على هذا والله يقضى بالحق اى يخلق بالحق والذين يدعون من دونه لا يخلقون شيئا وقد يعلمون ان استحقاق العبادة انما يجوز بالخلق والانشاء وهو كقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وكقوله تعالى خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم يقول خلق من يعبدون دون خلق الله حتى تشابه ذلك عليهم فعبد وهم اذ يعلمون ان من خلق ليس كمن لم يخلق وقد يعلمون انها لم يخلق شيئا فكيف عبدتموها والله اعلم ثم اقول اصل التأويل يقضى بالحق اى يحكم بالحق فى الدنيا بالايات والحجج ما عرف كل احد انها حجج وايات وبراهين والحكم بما ذكرنا حكم بالحق والله اعلم والثانى اى يحكم بالحق فى الاخرة وهو الشفاعة اى لا يجعل الشفاعة لمن يعبدون على رجاء الشفاعة كقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولكن انما يجعل لمن ارتضى كقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى والله اعلم وقوله تعالى ان الله هو السميع البصير وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال السميع للمؤمن اى المجيب للمؤمن والبصير لعقاب اولئك وقيل السميع لاقوالهم البصير بافعالهم وجائز ان يكون قوله تعالى ان الله هو السميع البصير صلة ما تقدم من قوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويقول السميع بما يكون منهم ظاهرا من قول او فعل والبصير بما اخفوا فى قلوبهم وتكن صدورهم يخبر بهذا ليكونوا ابدا مراقبين حافظين انفسهم ما ظهر وما خفى والله اعلم وقوله عز وجل اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة هذا يخرج على وجهين احدهما ما قال الحسن انهم لو ساروا فنظروا فى اثار من كان قبلهم من مكذبى الرسل لكان لهم فى ذلك زجر ومنع عن مثل صنيع اولئك وقال بعضهم هو على الخبر اى قد ساروا فى الارض ونظروا فى اثار من تقدمهم لكنهم لم ينظروا نظر اعتبار انه لماذا اصابهم ما اصابهم والله اعلم وقال قائلون هو على الايجاب والالزام اى سيروا فى الارض وانظروا فى اثار اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كقوله قل سيروا فى الارض فانظروا ولكن نقول ليس على حقيقة السير فى الارض بالاقدام ولا نظر العين والبصر ولكنه امر منه لهم بالتفكر والاعتبار فى اثار من كان قبلهم والى ماذا صار عاقبة امر من صنع مكذبى الرسل ومصدقيهم ليزجروا عن مثل صنيع مكذبيهم ويرغبوا فى مثل صنيع مصدقيهم والله اعلم وقوله وكانوا هم اشد منهم قوة فى ابدانهم وانفسهم واثارا اى خبرا وذكرا فى الارض ويحتمل واثارا فى الارض اى اشداء الا فى الارض وليس كما يقول بعض المعتزلة اى انهم كانوا اشد منهم قوة فى الخيرات فان كان ما ذكر فذلك ليكون اصلح لهم وهذا بعيد سمج من القول والوجه فيه ما ذكرنا انهم كانوا اشد منهم قوة فى ابدانهم وانفسهم وقوله عز وجل فاخذهم الله بذنوبهم يخبر ان اولئك الذين كانوا من قبل هؤلاء كانوا اشد من هؤلاء قوة واشد اثارا فى الارض ثم لم يمنعهم شدة قوتهم فى ابدانهم وانفسهم وما ذكر من اثار الارض ولم يدفعوا عن انفسهم ما نزل بهم من عذاب الله فانتم يا اهل مكة دونهم فى البطش والقوة فكيف تمنعون عذاب الله اذا نزل بكم والله اعلم وقوله عز وجل وما كان لهم من الله من واق اى ان اولئك قد عبدوا الاصنام رجاء ان يشفع لهم فى الاخرة وتقربهم الى الله زلفى كما تعبدون انتم على رجاء الشفاعة لكم والتقريب اليه ولو كانت عبادتهم اياها طريق الشفاعة سبب التقريب لكان يعينهم من عذاب الله فى الدنيا وهو كما ادعت اليهود انهم ابناء الله واحباؤه فقال ردا عليهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى فى الدنيا لو كنتم على ما تزعمون اذ لا احد يهلك ويعذب ولده وحبيبه فى الدنيا فعلى ذلك الاول وقوله عز وجل ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقوله ذلك يقول ذلك العذاب والاهلاك الذى نزل بهم لما كانت اتتهم رسلهم بالبينات فكفروا وكذبوا الايات والادلة التى اتتهم رسلهم ما اتتهم رسل الله اليهم فاصابهم ما اصابهم كذلك فانتم يا اهل مكة اذا كذبتم الرسول بعدما اتاكم بالبينات والادلة على رسالته نزل بكم ما نزل باولئك بالتكذيب والعناد ورد الايات والادلة والله اعلم وقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا يحتمل باياتنا اى حججنا وذكرنا انه ان الايات والسلطان واحد ويحتمل انهما غيران وقوله الى فرعون وهامان وقارون ليعلم انه كان مبعوثا الى الكل لم يبعث الى بعض دون بعض وقوله فقالوا ساحر كذاب دل قولهم ساحر كذاب على ان موسى عليه السلام قد اتاهم من الايات والحجج ما عجزوا عن اتيان مثلها والمقابلة لها فخافوا ان يتبعه الناس لذلك فموهوا بقولهم ساحر كذاب على سفهاء الناس لئلا يتبعوه فيما ادعوا لما عرف الناس ان السحر ليس يعرف كل احد وان اكثر الناس يعجزون عن السحر وكانوا يعرفون ان السحر يكون كذبا فموهوا بذلك القول امر موسى عليه السلام على اتباعهم ونسبوه الى الكذب من غير ان ظهر من موسى كذب قط وقد كان لم يزل من فرعون تمويه وتلبيس على قومه امر موسى مخافة ان يتبعوه لما اتاهم من الحجج والادلة التى ظهرت عندهم انها حجج وادلة من ذلك قوله عز وجل يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وقوله انه لكبيركم الذى علمكم السحر قال هذا بعدما اتبعه السحرة وامنوا به لينوه

بذلك امرهم على من لم يتبع موسى من الاتباع وقوله ان هذا لمكر مكرتموه بذلك امرهم على من لم يتبع موسى من
الاتباع وقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها وغير ذلك من التمويهات التي كانت منه فعلى
ذلك هذا القول منهم حيث قالوا ساحر كذاب لانهم اعتادوا وجائز ان يكون قولهم انه كذاب لانهم اعتادوا
عبادة الاصنام دون الله تعالى فلما جاء موسى صلوات الله عليه بما يمنعهم عن عبادة ما اعتادوا وامن الهدى
ودعاهم الى عبادة الواحد قالوا انه كذاب وكذلك قال اثر وكذا اهل مكة لرسولنا وسيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم انه ساحر كذاب اجعل الالهة الها واحدا سموه كذابا لما دعاهم الى عبادة ما اعتادوا وامن العهد والله اعلم
وقوله عز وجل فلما جاءهم بالحق من عندنا قال بعضهم اي جاءهم بالتوحيد وقال بعضهم اي جاءهم بالرسالة وكان
غيرهما اقرب اي فلما جاءهم بما يظهر عندهم من الحجج انها ايات وانها من عندنا جاء والله اعلم وقوله عز وجل قالوا
اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم امر اتباعه ان يقتلوا ابناء من امن منهم لينزجروا بذلك عن
متابعة موسى لما راى ان ما كان من التمويهات والحيل لم يمنعهم عن اتباعه بل كانوا يتبعونه فاوعدهم بقتل
الابناء كما كان امر بقتل الابناء عندما قيل له ان ذهاب ملكك بولد كذا والله اعلم وقوله عز وجل وما كيد الكافرين
الا في ضلال الاشك ان كيدهم في الاخرة في ضلال ولكن اراد كان كيدهم في الدنيا ظهر انه ضلال حيث
لم يمنعهم كيده وحيله وتمويهاته عن اتباع موسى عليه السلام وقوله وقال فرعون ذروني اقتل موسى قال هذا
لما راى انه لم يمنعهم عن اتباع موسى عليه السلام ما ذكر من قتل الابناء قال عند ذلك ذروني اقتل موسى وجوها
احدها يحتمل انه هم فرعون ان يقتل موسى عليه السلام فمنعه قومه والملأ من قومه عن قتله فقال عند ذلك
ذروني اقتل موسى والثاني يحتمل انه قال هذا مبتدأ من غير ان كان منهم منع اياه عن قتله وهو كما قال ذرني ومن
وعد لرسوله صلى الله عليه وسلم ذرني ومن خلقت وحيدا من غير ان كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم
منع له عن ذلك وهذا في كلام العرب موجود سائغ التكلم به على الابتداء من غير ان كان من احد منع عما يريدون
ان يفعلوا والله اعلم والثالث يحتمل ذروني اقتل موسى اي ذروني لا ينبغي في قتل موسى اي لا تلوموني اذا انا قتلته
والله اعلم وقوله وليدع ربه يحتمل وجهين احدهما انه كان ذلك من فرعون يقول ذروني اقتل موسى وليدع ربه
ينتهي عن قتله ان كان صادقا فيما يدعي من الرسالة له لان من ارسله رسولا فهو يحميه من قتله او ينصره او ينتقم له منه المرسل
عن ذلك فعل ذلك يقول والله اعلم والثاني يكون ذلك منه امرا من الله عز وجل موسى بالدعاء على فرعون بالهلاك
لما هم بقتله وعلى ذلك الرسل عليهم السلام قد دعا على فراعنتهم ومعاندتهم ومكابرتهم اذا بلغوا
في العناد غايته والتمرد نهايته والله اعلم وقوله عز وجل اني اخاف ان يبدل دينكم قد كان هنالك
تبديل الدين فانه قد اظهر موسى عليه السلام دين الحق وامن من اتباعه لكن كانوا اذا والله اعلم بقوله
ان يبدل دينكم اي يذهب بدينكم من الدين واو ان يظهر في الارض الفساد ذكرا للعين
وسمى اظهار التوحيد في الارض ودين الاسلام فسادا ليعلموا ان كل متدين شيئا وان كان صلاحا في عنده
فعنده انه على حق وان خصمه باطل كلهم لا يقبل قول احد على احد الا ببرهان والله اعلم ويحتمل ان فرعون اللعين
اراد بقوله او ان يظهر في الارض الفساد قتل ابنائهم اي يقتل موسى ابناءكم مجازاة لما قتلتم انتم ابناءهم
والله اعلم وقوله عز وجل وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب يحتمل قوله من
كل متكبر اي متكبر على التوحيد ويحتمل متكبرا على الرسل لا يؤمن بما يدعوه الرسول الى الايمان بيوم الحساب
والله اعلم وقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون هذا يحتمل وجهين احدهما من آل فرعون في الظاهر
والا لم يكن في الحقيقة من آله وانما هو من آل موسى واتباعه حيث آمن به وترك اتباع فرعون والله اعلم
والثاني من آله اي من نسبه لانه ذكر انه كان ابن عمه والله اعلم وقوله يكتم ايمانه اشفاقا على نفسه ولا يظهر
الموافقة لهم على ما هم فيه اذ قدر على الكتمان دون اظهار الموافقة لهم على ذلك المكره على اظهار الكفر
اذا قدر على ان لا يظهر ما اريد منه من كلمة الكفر ولا يتصل بالامتناع لا يسع له اظهار ذلك لهم فان
لم يقدر فحينئذ يسع فعلى ذلك ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فيه
اخبار انه كان يكتم ايمانه اشفاقا على نفسه فلما خاف اهلاك رسول الله موسى عليه السلام فعند ذلك
اظهر ما كان يكتمه وان كان في اظهار ذلك اهلاك نفسه بعد ان يرجوا نجاة نبي من الانبياء عليهم الصلوة
والسلام وهكذا يجب ان لا يسع كتمان ما كان يكتمه وان كان نفسه يهلك ان اظهر اذا كان
في اظهار ذلك نجاة رسول من رسل الله تعالى عليهم الصلوة والسلام يجيء بدفع الهلاك بها عن نفس
ذلك الرسول ولذلك ذكر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان اهل مكة لما هموا قتل رسول الله صلى الله
عليه وسلم واهلاكه القى ابو بكر رضي الله عنه نفسه عليه وقال ما قال ذلك الرجل الذي كان يكتم ايمانه حيث
قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فعند ذلك نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
يكن نزل قبل ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقد جاءكم بالبينات من ربكم اي جاءكم من البينات ما بين
انها ايات من عند الله لا اختراعا من موسى عليه السلام وتبين انه صادق فيما يقول ويدعي وقوله وان يك
كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي وان كان كاذبا فيما يدعوكم اليه فعليه

فيه بذل النفس لنجاة رسول من رسله تعالى

كذبه وان كان صادقا فيما يقول ويدعي يصبكم بعض الذي يعدكم فهو يعلم انه صادق يقول حقيقة ولكن
لما كان عند القوم لم يحتمل الامر ذكر على ما في زعمهم دفعا للقتل عن موسى عليه السلام ثم الاشكال انه قال
يصبكم بعض الذي يعدكم وذكر انه يصيبهم بعض الذي يعد والرسل اذا وعدوا شيئا يكون لا يجوز ان يكون خلاف
ما اخبروا او دون ما ذكروا لكن يخرج على وجوه احدها انه كان وعد ان يصيبهم العذاب في الدنيا
والاخرة فيقول يصبكم بعض الذي يعدكم وهو ما وعد لهم ان يصيبهم في الدنيا واما ما وعد لهم في الاخرة
فهو يصيبهم في وقت الحر وهو في الاخرة فما اصابهم في الدنيا فهو بعض ما جرى الوعيد منه لهم لان الوعيد كان
منه في الدنيا والاخرة والله اعلم والثاني يحتمل انه كان عليه السلام وعدهم بانواع من العذاب وقد اصابهم
بعض ذلك من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونحو ذلك وفي بعض ما وعدهم هو هلاكهم فكانه
يقول لهم انهم قد اصابكم كثيرا من ذلك فيصيبكم بعض ما يعدكم الذي فيه هلاككم مبالغة في الزجر لما قد
اصابهم ما وعد لهم من انواع العذاب ولم يكن وعده كذبا فبعض ما يعدكم وهو الهلاك كيف يكون كذبا والله
الله اعلم والموفق والثالث يراد بالبعض الكل لانه اراد بهذا البعض الهلاك وهو البعض الاقصى فيدخل الادنى
فيه لانه اذا اوعده بانواع من العذاب منها الهلاك يكون الهلاك هو البعض الاقصى اذ لا عذاب في الدنيا بعد
الهلاك فيكون سائر انواع العذاب في الدنيا يكون قبل الهلاك فاذا اريد به هذا البعض يدخل فيه ما قبله
ويكون ذكره ذكر الكل اذ لا وجود له بدون سائرها لذلك قال يصبكم بعض الذي يعدكم والله اعلم وقوله
عز وجل ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب هذا يخرج على وجهين احدها انه لا يهدي من هو في علمه انه يؤثر
الاسراف والكذاب والثاني لا يهدي من هو يختار الاسراف والكذب وقت اختيارهم الاسراف والكذب وقوله
عز وجل يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا يخرج على وجهين احدهما
يحتمل ان يقول ذلك بعد ما سألوه ان يتبع دينهم وما هم فيه اي لو اتبعتكم ومعكم الملك والحشم والغلبة
وليس معي ذلك فاذا جاء بأس الله وعذابه فصرتم انتم ممتنعين عنه بما معكم فمن ينصرنا بامر عذاب
الله وليس معنا ذلك وان كان يعلم حقيقة ان ما معهم من الغلبة لا يمنع من عذاب الله لكن قال ذلك
بناء على اعتقادهم اظهارا للعذاب عندهم كيلا يقدموا على قتله لصيانة حيوته ومثل هذا لا بأس به والله
اعلم والثاني يقول على الرفق بهم واظهار الموافقة لهم في الظاهر يقول انه قد جاءنا من الله البينات
ما اوضح الحق وبين السبيل فاذا رددنا ذلك وكذبناهم جاءنا بأس الله جملة وعذابه فمن يمنعنا عنه
وينصرنا من عذابه اي احاطنا امره وتركنا اتباع دينه على هذين القولين يخرج القول منه والله اعلم
وقوله عز وجل قال فرعون ما اريكم الا ما ارى قال بعضهم اي ما امركم الا بما رأيته لنفسي وقال
بعضهم ما اختار لكم الا ما اختار لنفسي ذلك لكن للعين ان يختار لهم ما اختار لنفسه لان ما اختار لنفسه
باطل فاسد وكذب اللعين ايضا حيث قال ما اختار لكم الا ما اختار لنفسي لانه اختار لهم ان يعبدوه ولم
يختر لنفسه عبادة اولئك ان يعبدهم فهو كذب من القول وقوله عز وجل وما اهديكم الا سبيل الرشاد كذب
ايضا في قوله انهم لا يهديهم الا سبيل الرشاد بل كان يهديهم سبيل الغي وقوله عز وجل يا قوم اني اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كان فيه اضمار القول اني اخاف عليكم
يوما مثل يوم الاحزاب ويوما مثل يوم قوم نوح وعاد فهو والله اعلم صلة قوله فيما تقدم يا قوم لكم
الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا وعظهم مرة واحتج عليهم بما جاءهم موسى
بالبينات حيث قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وتتركون اتباعه وتتبعون
رجلا لم يأتكم بالبينات هذا منه احتجاج عليهم ان كيف تقتلون رجلا وتتركون اتباعه بعد ما جاءكم بالبينات
من ربكم وتتبعون من لا بينة معه ولا برهان يسفههم في صنيعهم الذي ارادوا ان يصيفوا به والله اعلم
ووعظهم ايضا وعظا لطيفا فيه رفق حيث قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا
من بأس الله ان جاءنا يقول والله اعلم انكم ان قتلتم ذلك الرجل بعد ما جاءكم بالبينات وتركتم اتباعه
فجاءكم عذاب الله وبأسه فمن ينصركم من ذلك العذاب ويمنعكم عنه اذا قتلتم نبيه بغير حق ثم
عظهم وعظا بما نزل بمكذبي من كان قبلهم من الرسل حيث قال اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل
دأب قوم نوح وعاد وثمود يقول اني اخاف عليكم ان ينزل بكم ويقع عليكم من عذاب الله بتكذيبكم الرسول
موسى عليه السلام وترككم اتباعه بعد ما جاءكم بالبينات انه رسول وانه صادق فيما يقول ويدعي كما نزل ووقع
من العذاب بالاحزاب الذين كانوا من قبلكم ممن ذكر بتكذيبهم الرسل واستقبالهم اياهم بما استقبلوا بعد
ظهور صدقهم عندهم بما يستقبلون انتم رسولكم موسى بعد ما ظهر صدقه عندكم بالبينات التي
جاءكم والله اعلم ثم ما ذكر من الاحزاب فيحتمل ان يكون تفسيره ما ذكر على اثره من قوم نوح وعاد وثمود
ويحتمل سؤالهم من الامم والله اعلم ثم قوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود قال بعضهم اي مثل صنيع قوم
نوح ومن ذكر وفعلهم وقال بعضهم اي مثل عذاب قوم نوح ومن ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وما الله يريد
ظلما للعباد في هذه الاية للمعتزلة نوع تعلق يقولون ان الله تعالى لم يرد من العباد ما يفعلون من افعال الظلم

مطلب لازم في الارادة

والجور وقد اخبر الله تعالى انه لا يريد ظلماً للعباد ولكن الاية في التحقيق عليهم لانه قال في اية الخوفي يريد الله ان
لا يجعل لهم حظاً في الاخرة اخبر انه اراد ان لا يجعل لهم حظاً في الاخرة ولو لم يرد منهم ما يستوجبون به العذاب
كان في تعذيبهم اياهم ظالماً على زعمهم دل انه اراد منهم ما يستوجبون به العذاب وهو فعل الظلم والله اعلم ثم
تاويل الاية يخرج على وجهين احدهما ان الارادة هي صفة كل فاعل يفعل عن اختيار فكانه قال والله لا يظلم عباده كقوله
تعالى وما ربك بظلام للعبيد والثاني فيه اخبار انه لا يعاقب احداً بذنب غيره ولا يؤاخذ بجريمة غيره ولا يزيد على قدر
ما يستحقون به العذاب او لا ينقصهم من ثواب حسناتهم شيئاً كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وغير ذلك من الايات
ما فيها اخبار انه لا يجزيهم باكثر مما يستوجبون ليس على ظن اولئك والله اعلم وقوله عز وجل يا قوم اني اخاف عليكم
يوم التناد يوم تولون مدبرين الاية وعظم ايضاً بعذاب الاخرة وما يكون منهم من الندامة بتركهم اتباع الرسول
بعدما وعظهم وبعذاب الدنيا وما نزل باوائلهم بصنيعهم مثل صنيعهم وهو ما قال اني اخاف عليكم يوم التناد
يوم تولون مدبرين لانه ثم قوله يوم التناد فيه لغات ثلاث احدها يوم التنادي بالثانية بالتخفيف على حذف
اليا والثالثة بالتشديد فمن قراها بالتشديد يقول هو من ند يند نداً اذا مضى وجهه هارباً فاراً من عذاب الله اذا عاينوا
العذاب وهو من ند الابل وغيره والله اعلم ومن قراء باليا فهو التفاعل من النداء فهو على نداء بعضهم بعضاً يوم
القيمة كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقاً وقوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وقوله ويوم يناديهم فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون وقوله يوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونحوه ومن قرا بغير اليا فقد
حذف اليا كقوله فاقض ما انت قاض واصله التنادي والله اعلم ثم قوله تعالى يوم تولون مدبرين قال بعضهم
يوم تولون هاربين من النار ومدبرين عنها كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وقوله عز وجل ما لكم من الله من عاصم اي ما لكم
من عذاب الله اذا نزل بكم من مانع يمنعكم من عذابه وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من هاد قد ذكرناه وقوله عز وجل
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات اي جاءكم يوسف من قبل موسى عليهما الصلاة والسلام بالبينات اي بالايات
والادلة على رسالته وصدقه جائز ان يكون هذا قوله ذلك الرجل لقومه يخبرهم عن سفه اوائلهم من تكذيبهم
يوسف بارض مصر قبل موسى وما كان من القول منهم بعدما ذهب من بينهم وردهم اياته وحججه التي
اتاهم بها وما اخبرتهم واوائلهم لم يزالوا في شك وريب مما جاءتهم الرسل من الايات والادلة وهو ما قال عز وجل
فما زلتم في شك مما جاءكم به يقول كم نزل عادتكم وعادة اوائلكم هذا وقوله حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولاً جائز ان يكون وان خاطبهم بقوله جاءكم يوسف بالبينات وقوله فما زلتم في شك مما جاءكم وقوله
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً انما اراد اباءهم واوائلهم لان يوسف عليه السلام لم يكن في زمن هؤلاء
مبعوثاً اليهم على ما عاتب الابناء بصنيع ابائهم في غير اي من القران كقوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل وقوله
ثم اتخذتم العجل من بعده وهؤلاء لم يقتلوا الانبياء ولا اتخذوا العجل وانما فعل ذلك اباؤهم واوائلهم ثم
جاء العتاب لهم بسوء صنيع ابائهم واوائلهم فعلى ذلك هذا وجائز ان يكون وان خاطبهم بما ذكر من سوء
الصنيع والتكذيب انما يخبر عن صنيع ابائهم واباهم فيحذرهم عن مثل صنيع اولئك من التكذيب لهم
والرد لادلتهم والقول بعدما هابوا من بينهم والكذب على الله انه لم يبعث رسولاً يقول اياكم ان تكذبوه
وتردوا اياته وحججه ثم تقولوا اذا مات موسى لن يبعث الله من بعده رسولاً كما قال اوائلكم اذا مات يوسف
لم يكن من بعده رسول بقولهم حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً يشبه ان يخرج الا بر على هذا
والله اعلم وقوله عز وجل كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب فقد ذكرنا تاويله من وجهين فيما تقدم ثم
قوله حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً يخرج على وجهين احدهما امنوا به وانكروا رسالة غيره
بعده بقولهم لن يبعث الله من بعده رسولاً والثاني انكروا رسالته في حال حيوته ولم يؤمنوا به فاذا
هلك انكروا ان يكون هو مبعوثاً اليهم رسولاً فيحذر هؤلاء صنيع اولئك ان لا يكونوا كاولئك امنوا به
وانكروا رسالة غيره من الرسل بعده او يقول لا تكونوا كاولئك يكذبونه ما دام حياً فاذا هلك يكذبون
رسالته يحذرهم سفه اوائلهم والله اعلم وقوله عز وجل الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم
اي يجادلون في دفع ايات الله وردها بغير حجة وسلطان اتاهم من الله او بغير حجة مكن لهم الاحتجاج بها و
الا كان اهل الايمان قد يجادلون فيها حتى اذا ظهروا انها ايات الله امنوا بها واقروا بها لكن الوجه فيه ما ذكرنا
اي جادلوا في دفع ايات الله وردها بغير حجة اتاهم كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق والله اعلم
وقوله كبر مقتاً عند الله وعند الذين امنوا هكذا الواجب على اهل الايمان ان يمقتوا من الايمان لما مقته
الله تعالى ويمقتوا من مقته الله من اعدائه وعلى ذلك ذكرنا ان خيرنا ما الكرحت ما احبه الله وبغض ما ابغضه
الله او كلام نحوه وشرنا ما الكرحت ما ابغضه وبغض ما احبه الله تعالى وقوله عز وجل كذلك يطبع الله على
كل قلب متكبر جبار اي هكذا يطبع الله على كل قلب من جادل في دفع ايات الله وردها بغير حجة اي يطبع على كل
من يعود التكبر والتجبر على الايات والرسل والله اعلم ثم قوله كذلك يطبع الله من هو كذا وكذلك يضل
ونحو كله حروف الامثال بين الله تعالى العلل التي لها لا يهديهم ويضلهم وكذلك في قوله لا يهدي من

مما يحفظ متابع بنا بضيع الذباء في غير ايمن القران

.مما يحفظ النية الواجب على كل مسلم ان يمقت الاعمال بما مقته الله ومن مقته

هو مسرف كذاب ومسرف مرتاب ونحوه اي لا يهدي من كان طبعه وعادته الاسراف والكذب وكفران النعم
ودفع الايات والحجج بلا حجة وبرهان فاما من كان طبعه وعادته غير هذا لكن لجهل ذلك اولما يتحقق عنده
لظنه وقلة التامل او لاشتغاله بامور الدنيا والمعنى من المعاني يجوز ان يهديه الله تعالى ويرشده على هذا
يخرج هذه الايات والله اعلم وعلى ذلك ما كان من فرعون اللعين من التمويهات والتلبيسات على اتباعه في امر موسى
عليه السلام بعد معرفته ان ذلك ليس بقدح في الايات والحجج التي اتاهم موسى عليه السلام واراد ان يموه
ويلبس على قومه لكل من كانت عادته وطبيعته ما ذكرنا من التمويه والتلبيس والمجادلة في دفع الايات بلا حجة
والتكبر عليها فلا يهديه الله تعالى ويطبع على قلبه والله اعلم وقوله عز وجل وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى المشبهة تعلق بظاهر هذه الاية يقولون لولا ان موسى
عليه السلام كان ذكر واخبر فرعون ان الاله في السماء والا لما امر فرعون هامان ان يبني له ما يصعد به الى السماء
ويطلع الى اله موسى على ما قال تعالى خبراً عن اللعين لكنا نقول لا حجة لهم فانه جائز ان يكون هذا من بعض التمويهات
التي كانت منه على قومه في امر موسى عليه السلام وموسى بعض ما تقدم التي كانت منه به من نحو قوله ساحر كذاب وقوله
انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ونحو ذلك من التمويهات التي كانت منه فعلى ذلك
قوله ابن لي صرحاً فاطلع الى اله موسى فيوهم منه على قومه بموسى يقول ان موسى انما يدعو الى اله في السماء فهو نحو له
يكون في الارض يموه بذلك على الناس امر موسى لا عن ان كان من موسى ذكر واخبر ان الله تعالى في السماء على ما كان منه
سائر التمويهات وان لم يكن من موسى ذكر ذلك التمويهات له والله اعلم ويحتمل ان فرعون قال ذلك لما راى ان البركات
والخيرات تنزل من السماء فظن انه في السماء ثم اختلف في الاسباب قال بعضهم اسباب السموات ابوابها ويحتمل اسباب
السموات هي الطرق التي يصعد الى السماء وحقيقة الاسباب هي ما يوصل بها الى الاشياء بقصد اليها وقد علم
اللعين انه لا يصل الى ذلك بما ذكر من بناء الصرح لكنه اراد بذلك ما ذكرنا من التمويهات والتلبيس على قومه والله اعلم
وقوله عز وجل واني لاظنه كاذباً قال ههنا لاظنه كاذباً بعدما قطع القول فيه انه كاذب وانه كذاب ليعلم انه
كان على حق وانه صادق لكن يموه بذلك على قومه وقوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله قال بعضهم اي
زين الشيطان عليه سوء عمله ويحتمل ان يقال زين له سوء عمله بالاتباع وكثرة الاموال والحشم الذي اعطي له
زين له سوء عمله بالاسباب التي اعطيت له فيكون الله تعالى مزيناً له سوء عمله باعطاء الاسباب ويحتمل زين له سوء
عمله اي خلق في طبعه اي يرى ذلك حسناً مزيناً وان كان قبيحاً في نفسه حقيقة على ما تقدم ذكره وقوله عز
وصد عن السبيل وقرى وصد بالفتح فمن قراء بالفتح فله معنيان احدهما صد هو بنفسه صدوداً والثاني
صد هو الناس عن سبيله صداً ومن قراء صد بالضم اي لم يوفق ولم يرشد لما علم منه اختيار صده وقوله وما
كيد فرعون الا في تباب اي في خسار والتباب الخسار يقال في قوله تبت يدا ابي لهب اي خسرت ويقال تباً له
اي هلاكاً له وقيل تبت يدا الرجل اي خابت ثم اخبر عما ذكر وعظ ذلك الرجل المؤمن من ال له وهو قوله
تعالى وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد اي ابين لكم سبيل الرشاد مرة خوفهم بما نزل
باوائلهم بتكذيب الرسل وترك اتباعهم ومرة بين سفههم في انفسهم بسوء صنيعهم ومرة وعظهم
ونصحهم ودعاهم الى اتباعه ليبين لهم سبيل الرشاد ويهديهم اليه وان خاف على نفسه الهلاك بعدما
اظهر الايمان ولم يبال هلاك نفسه وقال الكسائي الرشاد والرشد والرشد ثلاث لغات ولا يقرا ههنا
ههنا غير الرشاد ثم قال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي متاع ومنفعة يبلغ الى منتهى اجالكم يبلغ به العاصي
والمطيع الى اجله يخبر انها على الانقضاء والذهاب عن قريب ويخبر ان دار الاخرة هي دار القرار اي يقر باهلها
ان كان اهلها اهل خير قرت بهم خيراً ابداً لا يزول وان كان اهلها اهل شر يقر بهم الشر ابداً الابدين ثم اخبر عن
عدل الله تعالى في اعدائه وفضله في اوليائه حيث قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها اي لا يجزى ولا
يزيد لهم على مثل جنايتهم لان المثل هو العدل في جميع الاشيا يخبر ان لا يزيد على عقوبة عملهم ولكن
يجزيهم مثله واما جزاء الحسنة فانه يزيد لهم على قدر ما يثبت ويكون فضلاً منه واحساناً ثم فيه
دلالة نقض قول المعتزلة ان صاحب الكبيرة في النار ابداً لو كان على ما ذكروا كان في ذلك تسوية بين صاحب
الكبيرة وبين صاحب الشرك فاما ان يكون نقصاناً لصاحب الشرك عن مثل عقوبته او زيادة لصاحب
الكبيرة وقد اخبر الله لا يجزى الا مثلها فذلك خلاف ظاهر الاية وقوله عز وجل ومن عمل صالحاً من ذكر
وانثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة دل هذا على ان العمل الصالح لا ينفع ولا يجزى براً الا من كانت
منه الايمان به وقوله يرزقون فيها بغير حساب يحتمل بلا تبعة ويحتمل بغير تقدير وعدد قد ذكرناه فيما
تقدم وقوله عز وجل ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كانه قال يا قوم ما لي ولكم ادعوكم
سابه نجاتكم وتدعونني انتم الى ما به هلاكي حتى يكون بيننا موالاة واجتماع اي لا يكون انما يذكر هذا وامثالها
في المواعظ لتنتهي غايتها وتبلغت نهايتها فلما لم ينجع فيهم وهو كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين وقوله تعالى
لي عملي ولكم عملكم الاية ثم فسر ما يدعونه اليه وما يدعوهم اليه من النجاة حيث قال تدعونني لاكفر بالله
واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار هذا منه تفسير ما دعاهم الى النجاة وبيان ما يدعونه الى الهلاك

مما يحفظ النية خروف الاول عند الاول

ثم قوله واشرك به ما ليس لي به علم قد يستعمل قوله ما ليس لي به علم في نفي العلم اي ليس ذلك وذلك في اثبات العلم بخلافه وضده بقول واشرك به ما ليس لي به علم ولا كان من الشريك وغيره او يقول تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لكم به علم والله اعلم لشريك بحق ما يعبدون من الاصنام وغيرها وهو ما قال عز وجل لا جرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة لا جرم اي حقا يقول والله اعلم بحق ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة اي لم يدعوكم الى عبادة نفسه اي الاصنام التي عبدوها والاول اشبه لانهم كانوا يعبدون تلك الاصنام رجاء ان يشفع لهم فاخبر انها لا تشفع بقوله ليس له دعوة اي شفاعة والله اعلم وقوله عز وجل وان مردنا الى الله يقول والله اعلم ان مرجعنا الى ما اعد الله لنا اعد لكم النار واعد لي الجنة وان المسرفين هم اصحاب النار والمقتصدين من اصحاب الجنة والله اعلم وقوله عز وجل فستذكرون ما اقول لكم اي ستذكرون اذا عاينتم ما اعد لكم واعد لنا ان ما كنتم عليه ووعدتموني اليه دعاء الى الهلاك وما دعوتكم اليه هو دعاء الى الحياة او يقول ستذكرون ما نصحت بدعائي اياكم الى ما به نجاتكم وقوله عز وجل وافوض امري الى الله هذا يخرج على وجوه احدها انهم خوفوه واوعدوه بانواع الوعيد والتخويف فقال عند ذلك وافوض امري الى الله واتوكل عليه فيحفظني ويدفع عني شركم وما تقصدون بي والله اعلم والثاني وافوض امري الى الله اي عليه اتوكل واكل في جميع الامور من الخيرات والشرور وهو الكافي لذلك والثالث اظهار التفويض الى الله تعالى في كل وقت وكل ساعة والله اعلم والرابع وافوض امري الى الله اي لا اشتغل بشيء في امري استرح الى الله تعالى وعلى قول المعتزلة لا يصح تفويض الى الله تعالى لانهم يقولون ان عليه ان يعطيه جميع ما يحتاج اليه المكلف حتى لا يبقى عنده مزيد واذا لم يبق عنده شيء فليس لتفويض الامر اليه معنى والله الموفق وقوله عز وجل فوقاه الله سيئات ما مكروا دل هذا على انهم قد قصدوا واقصدوا المكر به حيث اخبر انه وقاه سيئات ما مكروا وجائز ان هموا به قتله ويحتمل غيره ثم يحتمل ما وقاه عن مكرهم بما وقى موسى عليه السلام لما اهلكهم وانجاه عن شرهم ويحتمل توجيه اخر لا نفسره لانا لا نحتاج اليه وانما حاجتنا الى ان نعلم ان كل بدن لنفسه لله تعالى وحفظه وقوله عز وجل وحاق بال فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا استدل بعض الناس على عذاب القبر بقوله النار يعرضون عليها وانما يعرض ارواحهم على النار فالمت اجسادهم في القبور لذلك وكذلك يعرض ارواح بعد ان احدث فيها الحيوة التي يتحقق الالم واللذة هذا في القبور ثم اذا ادخلوا النار يكون لهم ما ذكر من العذاب بحيث قال ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب والله اعلم وجائز ان يكون ما ذكر من العرض على النار قبل القيمة قبل ان يدخلوا النار كقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون يكون عرضهم على النار هو وقت وقفهم للسؤال وحبسهم لذلك ثم يدخلون النار فيكون لهم العذاب الذي ذكر وهو قول الحسن ثم قوله غدوا وعشيا يحتمل قدر غدو وقدر عشي فان كان التاويل في عذاب القبر يحتمل ما قال بعضهم ان يقال لهم هذا لكم ما دامت الدنيا ويحتمل انه ذكر على ارادة الغدو والعشي حقيقة ذلك كل وقت لكن يتجدد الالم والوجع بكل قدر عشي وغدو والله اعلم وذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه فهو تفسير لما ذكر من الغدو والعشي ثم ان ثبت هذا عنه فهو سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه باب لا يدرك بالتدبير سماعا روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات احدكم عرض على مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعث اليه يوم القيمة فان ثبت هذا وصح عنه فهو دليل لوجوب عذاب القبر والله اعلم وجائز ان يكون قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اي يعذبون في الاوقات كلها بعد ادخالهم فيها وذكر الغدو والعشي يخرج على سكون النار في اوقات ثم يلتهب كقوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا والله اعلم فان قيل ما الحكمة فيما ذكر من ادخال ال فرعون في اشد العذاب والخصوصية لهم في ذلك من بين غيرهم من الكفرة قيل لوجهين احدهما ان غير موسى من الرسل عليهم الصلوة والسلام قد نسبوا الى السحر كما نسب اليه موسى لكن لم يتبين ولا يتحقق لقومهم براءة رسلهم فيما قرفهم الرؤسا والقادة منهم بالسحر والكذب بما وجد منهم التمويه على السفلة والاتباع وقد تحقق لال فرعون براءة موسى مما قرفه فرعون بالسحر والكذب وتبين عندهم صدق ما ادعى من الرسالة وذلك مما اقر جميع سحرة فرعون ان ما جاء به موسى حق وما يقوله صدق واعلانهم بموسى عليه السلام نهارا جهارا واختاروا القطع والصلب ولم يمتنعوا عن متابعته وما راوا من انقلاب العصا حية تسعى وتلقف ما صنعوا فيكون عنادهم اشد وما ارتكبوا اكبر فلذلك استحقوا اشد العذاب والله اعلم والثاني ان ايات موسى عليه السلام اكثرها كانت حسية وايات غيره عقلية ومعرفة ما كان سبيله الحس مما لا يتمكن فيه شبهة وقد يتمكن الشبهة فيما كان سبيله العقل فيكون عنادهم اشد وابعد فانهم قد اتبعوا فرعون لما ادعى لنفسه من الالوهية بلا حجة وبرهان طلبوا منه وتركوا اتباع موسى عليه السلام بما ادعى من الرسالة بعدما اقام على ذلك من البينات والحجج والبراهين فلذلك قال جعلت ارواح ال فرعون في اجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال يا ال فرعون هذه داركم قال عبد الله فذلك عرضها فان ثبت هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه

كان

كان لهم اشد العذاب والله اعلم وقوله عز وجل واذ يتحاجون في النار يحتمل يتحاجون في النار بما ذكرهما وفي اي من القران وهو ما ذكر فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار فقد علم الضعفاء والاتباع انهم لا يملكون دفع ما هم فيه لانهم لو كانوا يملكون ذلك لدفعوا عن انفسهم فاذا لم يملكوا دفع ذلك عن انفسهم فلان لا يملكون دفع ذلك عنهم احق لكنهم قالوا ذلك لهم تعييرا لهم تحسرا وندامة وهو كقوله تعالى في اية اخرى فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء الى قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص ويحتمل انهم انما قالوا لهم ذلك لما قالوا لهم في الدنيا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فيقولون لهم لذلك في الاخرة فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء اي حاملون عنا بعض الذي علينا من العذاب انا كنا لكم تبعا في الدنيا قالوا انا كل فيها العذاب ان الله قد حكم بين العباد وقوله عز وجل قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد هذا من اولئك الذين استكبروا جوابا للضعفاء على احد التاويلين ولا يكون جوابا للاخر هو جواب لقولهم الذي قالوا في الدنيا ولنحمل خطاياكم فيقولون ان الله قد حكم بين العباد ان لا يزيد العذاب على مثل السيئة وقد حكم الله تعالى على كل منها بالمثل فلا يزيد على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب كان فزع الكفرة ابدا الى الخلق اذا نزل بهم البلاء في الدنيا الا ان يضطر واقعد ذلك يفزعون الى الله تعالى كما ما لم ييأسوا من امتهم فلا يفزعون اليه فعلى ذلك يكون فزعهم في الاخرة الى الخلق وهو ما سالوا اهل الجنة من الماء اخبر الله تعالى عنهم بقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فلما ايسوا من ذلك عند ذلك فزعوا الى مالك وهو ما اخبر الله تعالى عنهم بقوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون سألوه الموت فلما اخبرهم انهم ماكثون فعند ذلك فزعوا الى الخزنة وقالوا ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات فلما ايسوا منهم ومما سالوهم من تخفيف العذاب عنهم عند ذلك فزعوا الى الله تعالى وهو قولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل وقولهم ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل لم يفزعوا الى الله تعالى الا بعد ما انقطع رجاؤهم منهم وايسوا وبالله العصمة والنجاة وقد استدل بقوله تعالى اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى من لا يرى الحجة والحكم يلزمهم بمجرد العقل دون الرسل عليهم السلام حيث احتج عليهم الخزنة بتكذيبهم الرسل وردهم البينات التي اتتهم الرسل واستدلوا ايضا بقوله وما كنا معذبين حتى نبعث وبقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك وقوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا وغيرها من الايات التي فيها انه لا يعذبهم الا بعد ما قامت عليهم الحجة من جهة الرسل ولزمهم الحكم بهم فعند ذلك يعذبون لكننا نقول الاية يخرج عندنا على وجهين احدهما ان يكون ذلك في قوم خاص الذين لا يرون لزوم الحجة والحكم الا من جهة الرسالة فيحتج عليهم بما كانوا يرون به ليكون اقرب الى الالزام والحجة وان كان يجوز ان يحتج عليهم بما هو حجة وهم لا يرونها حجة والله اعلم والثاني انما ذكر ذلك على المبالغة والنهاية في الحجة وان كانت الحجة قد يلزمهم والحكم قد ثبت بدون ذلك وهو العقل لان ارسال الرسل واقامة المعجزات اقرب الى الوصول الى الحق وقد اقام كلا الحجتين فذكروا اظهر الحجتين فذكروا اظهر الحجتين ليكون اقرب الى اظهار عنادهم وهذا كما في تعذيب الكفرة في الدنيا انهم لم يعذبوا بنفس الكفر حتى كان منهم مع الكفر الاستهزاء بالرسل والعناد لهم وغير ذلك وانما كانوا يستوجبون العذاب بنفس الكفر لكن ترك تعذيبهم حتى يبلغوا النهاية والابلاغ في التكذيب والعناد وهو كقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ذكر هذا على النهاية والابلاغ في الجناية منهم وان كانوا يستوجبون العذاب بالجحود هم الزكوة دون جحود البعث وجحود البعث دون جحود الزكوة فعلى ذلك الايات التي ذكرها هي على الابلاغ والنهاية وان كان الحجة يلزمهم والحكم ثبت بدون الرسل والله الموفق وبعد فان قوله ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا ان الحجة والحكم قد لزمهم بدون الرسل لانه لو لم يلزم لكان في التعذيب ظالما لانه يعذب قبل ان يلزمهم الحكم فيصير تقدير الاية ولو انا ظلمناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك فلا نكون ظالما فيما عذبتنا والظلم فيما عذبتنا والظلم من الله تعالى محال فيستحيل تقدير الاية على هذا الوجه دل ان التعذيب قبل الرسل عدل وحكمة وليس بظلم والله الموفق وبعد فان في قوله اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات دلالة ان الحجة انما يلزم بالبينات بنفس الرسل والبينات قد وجدت وسبب المعرفة وطريقها وهو العقل قائم وقوله عز وجل قالوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال ليس على الامر بالدعاء ولكن معناه انكم وان دعوتم لا ينفعكم دعوتكم كقوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي هلاكا والله اعلم وقوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا يحتمل ما ذكر من النصر للرسل والمؤمنين وجوها احدها ان ينصرهم في الدنيا بالحجج والايات التي اعطاهم في الدين حتى يدفع بها تمويهات الشياطين وتمويهات السحرة وتغلبها وتعلوا على الكل هذا في الدنيا وفي الاخرة ايضا ينصرهم بما يشهد لهم عليهم بالهلاك

والجوارح بالتكذيب للرسل والمؤمنين وانهم دعوهم الى التوحيد والايمان لكنهم كذبوهم وكفروا ما دعوهم اليه فذلك نصرهم اياهم فى الدنيا والاخرة والله اعلم والثانى بنصره لما يجعل لهم العواقب واخر الامر وان كان فى الابتداء قد يكون غلبتهم وعلى ذلك لم يذكر على احد من الرسل الا وقد كانت عاقبة الامر له وهو كقوله تعالى والعاقبة للمتقين فهذا النصر هو النصر فى الابدان والاول هو نصر فى الدين ولكن ان كان هو نصر فى الابدان فهو نصر يرجع الى الدين لما يقوم الدين بسلامة الابدان ويتحقق به عن المسلمين والله الموفق والثالث ذكر نصرهم لما اعطاهم من النعمة فى الدنيا والسعة فيها وهو يذكر للرسل والمؤمنين نصرا ونعمة ومعونة اما هى للكفرة فيه ومحنة لا غير لانه كرباسهم النصر والنعمة اذ هى فى حق المسلمين وسيلة الى النعمة الابدية وفى حق الكفرة الى العذاب الابد فيكون نعمة فى حقهم حقيقة ولذلك قال تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون وقال بل هى فتنة وقوله نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون وقد اخبر ان ما اعطاهم من الاموال والسعة انما هى فتنة ومحنة لهم والله اعلم فان قيل ذكر انه ينصرهم وقد نرى مؤمنا قد تنقطع حجته و يعجز عن اقامتها ويراه مغلوبا والكافر هو الغالب قيل عن هذا جوابين احدهما من جعل العاقبة له والغلبة والنصر فى اخر الامر والثانى جائز ان يكون وعد النصر لهم والظفر بالحجة بالشرائط وهى القيام بوفاء ما لله عليهم من الحق فى ذلك فالنصر والظفر بالحجة فى المناظرة ان يكون يرجع فى معرفة الحجج والله لا بد ان يكون عارفا بطرق النظر ومتى كان هذا الشرط موجودا يكون النصر له لا محاله وشرط الظفر فى المحاربة ان يكونوا قاصدين اعزاز دين الله تعالى دون ابتغاء الدنيا والمغانم واحرازها ونحوها ومتى قاتل المحاربة بشرائطها يكون الظفر لا محالة للمسلمين وذلك كقوله تعالى واوفوا بعهدى اوف بعهدكم والله اعلم وقوله عز وجل ويوم يقوم الاشهاد قال بعضهم الاشهاد هم الملائكة يكتبون اعمال بنى ادم يشهدون عليهم بما عملوا من الاعمال وقال بعضهم الاشهاد هم الرسل يشهدون عند رب العالمين على الكفرة بالتكذيب والرد وقال بعضهم يشهد عليهم الجوارح يومئذ بما كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ذكر ههنا لا ينفع الظالمين معذرتهم وذكر فى موضع اخر ولا يؤذن لهم فيعتذرون وبينهما اختلاف من حيث الظاهر لان القول بانه لا ينفع معذرتهم بعد وجودها منهم وقد اخبر انه لا يؤذن لهم بالاعتذار لكنهم يعتذرون بلا اذن لهم فلا يقبل اعتذارهم ولا ينفعهم ذلك فيكون جمعا بينهما من هذا الوجه ويحتمل لا ينفع الظالمين معذرتهم لو كان منهم الاعتذار ولا يقبل اعتذارهم لكن لم يؤذنوا بالاعتذار حتى يعتذروا وهو كقوله تعالى لا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة اى لو كان منهم فذلك لا يقبل وكذا قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين اى لو كانت لهم شفعاء يشفعون لهم لكان لا ينفعهم شفاعتهم لا ان كان لهم شفعاء فعلى ذلك قوله تعالى لا ينفع الظالمين معذرتهم اى لو كانوا يعتذرون لا يقبل اعتذارهم ولا ينفعهم معذرتهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى الهدى يحتمل الهدى ههنا وجوها احدها اى اتينا التورية وفيها البيان والدعاء الى الرشد وجميع كتب الله تعالى فيه هدى ونور ورحمة والثانى اى اتاه التوحيد والاسلام ويحتمل اتاه النبوة والرسالة واتاه كل ما هو عليه من حق والله اعلم وقوله عز وجل واورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب يحتمل قوله الكتاب التورية خاصة ويحتمل التورية وسائر الكتب لان الكتب فى بنى اسرائيل كانت كثيرة كان فيها التوراة والزبور والانجيل وغير ذلك فجائز ان يريد بالكتاب جميع الكتب التى كانت فيهم اذ ذكر الكتاب بالالف واللام وانه يحتمل الجنس والعهد فيجوز الصرف الى التوراة لمكان العهد ويجوز الصرف الى الجميع لمكان الجنس والله اعلم وفى الاية دلالة ان لا جميع كتب الله التى نزلت فيهم غيرت وبدلت بل فيهم ما لم يغير ولم يبدل حيث قال وقوله واورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب ثم قوله تعالى هدى هو ما ذكرنا ان جميع كتب الله تعالى هدى من الضلال الى الرشد وبيانا لما لله عليهم وما لبعض على بعض وقوله وذكرى قال بعضهم موعظة وقال بعضهم تفكر لاهل اللب والعقل وجائز ذكر ما سبق اى يذكرهم ما نسوا وقوله لاولى الالباب لان اهل اللب هم الذين يتفكرون ويتاملون فيه او ان اهل اللب هم المنتفعون بالذكرى وما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق يحتمل قوله فاصبر وجوها احدها التكذيب كان يبادى بتكذيبهم اياه والثانى كان يبادى باستهزائهم به والثالث انواع ما يكيدون من همهم قتله وضربه وغير ذلك والثالث يحتمل قوله تعالى فاصبر اى اصبر على تبليغ الرسالة اليهم ولا يحجزك تكذيبهم اياك ولا يمنعك ذلك عن تبليغها والله اعلم والرابع اصبر ولا تستعجل لهم العذاب قبل ميقاته وذلك ان الرسل كانوا لا يستعجلون العذاب ما لم يؤذن لهم بذلك والله اعلم ثم قوله فاصبر ان وعد الله حق انه كان المراد من وعده نفس الوعد فيكون تأويله ان وعد الله صدق اى لا يخلف ولا يكون كذبا لان خلف الوعد فى الشاهد انما يكون لاحد معنيين اما العجز عن القيام بوفائه واما لضرر يلحقه لو قام بوفاء ما وعد والله تعالى برئ عن المعنيين جميعا متعال عن ذلك وان كان المراد من قوله تعالى ان وعد الله حق اى موعود الله فيكون تاويله ان موعود الله تعالى لكائن حقا فوعد الله تعالى على الوجهين اللذين ذكرناهما وعلى هذا يذكر امر الله تعالى قد يراد به نفس الامر كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ويذكر ويراد به

المفعول كقوله تعالى وكان امر الله مفعولا اى ما يكون بالامر مفعولا ويكون موعود الله مفعولا والله اعلم وما ذكر القتلوة امر الله ثم لسنا ندرى ايما كان من وعد لرسوله حتى اخبر انه كائن فجائز ان يكون ما قال بعض اهل التاويل انه وعد له ان يفتح له مكة يوم بدر بالقتل وغير ذلك فكذبوه وقالوا استهزاء به متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قال فاصبر ان وعد الله حق ويحتمل غيره وقوله واستغفر لذنبك فجائز ان يكون ما ذكر فى قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر استغفارا بما اتاه وجائز ان يكون قوله ليغفر لك الله ما يغفر له من امته بشفاعته كما ذكر فى الخبر يغفر للمؤذن مد صوته اى يحصل له الشفاعة الى حيث يبلغ صوته وقوله وسبح بحمد ربك قد ذكرنا التسبيح فى غير موضع فجائز ان يريد بالتسبيح نفس التسبيح فان كان كذلك فيكون ذكر العشى والابكار ليس هو لذكر التوقيت له وتكون الاوقات كلها الليل والنهار كقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ليس يريد نفس الغداة والعشى خاصة دون غيرهما من الاوقات بل هما عبارة عن جميع الاوقات كانه يقول اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم اناء الليل والنهار فعلى ذلك الاول يحتمل هذا والله اعلم وان كان المراد من التسبيح ههنا الصلوة فكانه يقول فصل بحمد ربك بالعشى والابكار كناية عن صلوة الغداة والى يكون الابكار كناية عن صلوة العشاء على ما ذكر بعض الناس والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يجادلون فى ايات الله بغير سلطان اتاهم قال عامة اهل التاويل ان اليهود جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدجال انه منهم وانه فى الطول كذا ونحوه وعلى ذلك نسقوا الايات التى تلوا هذه الاية ولكن لسنا ندرى بما ذا ... لهم فى ايات الله فى المجادلة فى الدجال ولا يسع ان يحمل ما ذكر من مجادلتهم فى ايات الله على مجادلة فى الدجال الا ان يثبت خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر ان المجادلة المذكورة فى الاية فى الدجال فحينئذ يصرف الى ذلك والله اعلم ثم قوله ان الذين يجادلون فى ايات الله اى يجادلون فى دفع ايات الله بغير حجة اتتهم من الله وكانت المجادلة فى دفع ايات الله من رؤساء الكفرة واكابرهم كانوا يموهون بمجادلتهم وقع فى ايات الله تعالى والطعن فيها على اتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم الرياسة والماكلة التى كانت لهم وهو ما ذكر وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن الاية وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وغير ذلك من الايات لم يزل الاكابر منهم والرؤساء يطعنون فى ايات الله تعالى ويدفعونها يريدون التمويه والتلبيس على اتباعهم وسفلتهم ليبقى لهم العز والشرف الذى كان لهم ويبطلوا به الحق ويطفئوا نوره كقوله عز وجل يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم هذا كان مرادهم من مجادلتهم فى ايات الله والطعن فيها ثم اخبر عز وجل انهم يجادلون ويفعلون ذلك تكبرا منهم على ايات الله والخضوع لرسله عليهم السلام حيث قال عز وجل ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه اى ما فى صدورهم الا كبر اى كبرهم هو الذى حملهم على المجادلة فى ايات الله ثم الذى حملهم على الكبر جاههم بسبب العز والشرف ظنوا ان العز والشرف انما يكون بالاتباع الذين يصدرون عن ارائهم ولو عرفوا انهم يكون العز والشرف لكانوا لا يفعلون ذلك انما العز والشرف فى طاعة الله عز وجل واتباع امره ليس فى اتباع من اتبعهم ولا فى ايتمار من ايتمرهم ولكن فيما ذكرنا والله اعلم ثم اخبر انهم ليسوا ببالغين لما قصدوا من اطفاء النور الذى اعطى المؤمنين ولا او طمس الحق وابطاله حيث قال عز وجل ما هم ببالغيه وقوله ويابى الله الا ان يتم نوره وقوله عز وجل فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال عامة اهل التاويل امره ان يستعيذ بالله من فتنة الدجال لكن عندنا امره ان يتعوذ بالله من مكايد اولئك الاكابر والفراعنة الذين هموا ان يمكروا به ويكيدوا وامره ان يتعوذ بالله من مكرهم وكيدهم كما امره ان يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم حيث قال قل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الاية وهذا اولى من الاول والله اعلم وقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس قال اهل التاويل اى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الدجال لكن قد ذكرنا بعد صرف الاية الى الدجال ثم يحتمل قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وجهين احدهما الاية نزلت فى مقرين بخلق السماء والارض منكرين بالبعث يقول ان خلق السموات والارض مبتدأ بلا احتذاء بغير اكبر واعظم من اعادة الناس فاذ عرفتم انه قدر على خلق السموات والارض مبتدأ بلا احتذاء بغير لكان قدرته على اعادة الخلق احق اذ اعادة الشئ فى عقولكم اهون من الابتداء كقوله وهو اهون عليه فكيف انكرتم قدرته على البعث وقد اقررتم بقدرته على خلق ما ذكر والثانى يكون الاية نزلت فى منكرين لخلق الناس منكرين لخلق السموات والارض يقول ان خلق السموات والارض وامساكها فى الهواء لا متعلق من الاعلى والاعماد من الاسفل مع غلظها وكثافتها اكبر واعظم فى الدلالة على حدثها وخلقها من خلق الناس لان خلق الناس انما يكون بالتغير والتولد من حال الى حالة الاخرى فيجوز ان يتوهم لكون ذلك واتفاقه بلا اجتماع من طبع وظهور ذلك منه واما السماء فى حالة واحدة فلا يمكن توهم ذلك لما ذكرنا ويحتمل ان يكون الاية نازلة كابنة وسبب لسنا نعرف ذلك والله اعلم وقوله عز وجل وما يستوى الاعمى والبصير قال بعضهم لا يستوى من عمى عن توحيد الله وشكر نعمه من البصير وحدانية الله وقام بشكر نعمه كما لا يستوى عندكم من جهل حوائجكم وكفايتها واحسانه من عرف حقه وقبل احسانه والمام بشكركم فاذا عرفتم انه لا يستوى بين هذين عندكم فاعرفوا انه لا يستوى من عمى عن وحدانية الله وشكر نعمه من ابصر وحدانيته

وقام بشكره وكذلك ما ذكر من قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء يقول لما عرفتم انه لا يستوي من امن بالله ووحده
اخر واحسن اليه من كذبه واساء اليه فعلى ذلك لا يستوي من امن بالله وصدقه وقابل الحسان بالشكر من كذبه وكفره
نعمه واحسانه وقال بعضهم اراد بقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير حقيقة الاعمى البصر والبصير نفسه يقول لما عرفتم
انه لا يستوي الاعمى البصر البصير بنفسه في الدنيا فعلى ذلك لا يستوي من عمي دينه من ابصر في الاخرة وقد عرفتم
انهم قد استووا في هذه الدنيا اعني المسيء والمحسن والصالح والمفسد والمطيع والعاصي وفي الحكمة التفريق بينهما دل ان
ان هناك دارا اخرى يفرق بينهما فيها والله اعلم وقوله عز وجل قليلا ما يتذكرون اي قليلا ما يتذكرون ان الاستواء
بين من ذكر من المحسن والمسيء والصالح والمفسد والمطيع والعاصي والله اعلم وقوله عز وجل ان الساعة لاتية لا ريب فيها
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اخبر انها اتية لا محالة وقد ذكرنا ان ما في خلق الدنيا وما فيها حكمة بالساعة ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون بها والله اعلم وقوله عز وجل وقال ربكم ادعوني استجب لكم قال الاية نزلت في اهل التوحيد
يقول ادعوني استجب لكم ثم يخرج على الاستغفار مرة لما كان منهم من التضييع في حقوق الله تعالى وما امرهم
به ونهاهم عنه والتفريط في ذلك استغفروا اغفر لكم ويحتمل ادعوني استجب لكم اطلبوا مني التوبة عن ذلك
اتوب عليكم والله اعلم وان كانت الاية في اهل الكفر فيكون قوله ادعوني استجب لكم اي وحدوني اغفر لكم ويحتمل
اعبدوني اغفر لكم وهو كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقد جاء في بعض الاخبار عن نبي الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الدعاء هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم وروي في بعض الاخبار الدعاء مخ العبادة واصل
هذا انه ينظر كل احد الى ما ارتكبه فان كان سببا يستوجب به العقوبة كان الاستغفار له القيام بقضاء ما ترك
وضيعه والعزم على ان لا يعود الى ذلك ابدا وان كان سببا غير معروف قد تركه يستغفر الله تعالى في ذلك ويطلب
منه التجاوز والمغفرة والله اعلم واصل ذلك ما قال الله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله عز وجل فاني قريب
اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي ذكر الاجابة بالشريطة وهو انهم اذا استجابوا واوفوا
بعهده يعرف لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
يستدل بعض الناس بهذه الاية على ان قوله ادعوني انما اراد به العبادة على ما ذكرنا كان قيل ان هذه السورة
نزلت بمكة كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي ظاهر ذلك انهم لا يستكبرون عن عبادته
لكنهم لم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله فعبدوا غيره دونه لكن يعظم ويخدم خادما من خدم ملكا من ملوك
الدنيا لا يكون مستكبرا عن خدمة الملك لكن تاويل الاية يخرج على وجهين احدهما ان الله تعالى امر بعبادته بطاعة
رسوله والاجابة له الى ما يدعوهم فاذا لم يجيبوه الى ما يدعوهم اليه ولم يطيعوه استكبارا منهم وتكبرا
عليه صار ذلك منهم كالاستكبار عن طاعة الله وعن عبادته والثاني انهم وان كانوا عبدوا الاصنام رجاء
ان يقربهم الى الله زلفى ولم يقصدوا قصد الاستكبار عن عبادته فهو تركوا عبادته مع انهم امروا بها
وبلغ اليهم امره على السن الرسل فكانهم استكبروا عن عبادة الله تعالى اذ في الشاهد يخدم المرء لبعض خواص
الملك ليقربه اليه لكن اذا امره الملك ان يخدمه ويقربه الى مجلسه فامتنع فيعد ذلك منه استكبارا ويبين ان خدمة
لذلك ما كان ليقربه الى الملك حيث قربه فلم يقرب بنفي الغائب كذلك لذلك كان استكبارا منهم والله اعلم وقوله
سيدخلون جهنم داخرين قال القتبي وابو عوسجة والاخرون صاغرين ذليلين وقوله عز وجل الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا يذكرهم نعمه التي انعم عليهم ليتادى بذلك شكره حيث قال جعل لكم الليل لتسكنوا فيه راحة
لانفسكم وابدانكم والنهار مبصرا تبصرون فيه معايشكم وما تحتاجون اليه ثم قوله والنهار مبصرا اي يبصر به
وفيه وقوله عز وجل ان الله لذو فضل على الناس اخبر ان ذلك كله منه لهم فضل ومنة ورحمة لا باستحقاق
يستحقون ذلك قبله ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقوله عز وجل ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون
يقول ذلك الذي صنع بكم هو ربكم لا الاصنام التي تعبدون من دونه خالق كل شيء هو خلقكم وخلق كل شيء واحد
لا شريك له فانى تؤفكون اي انى تصرفون وتعدلون عن عبادته والقيام بشكره والله اعلم وقوله عز وجل
كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون عن عبادته والقيام بشكره قبلكم واصل الافك الصرف
كقوله اجئتنا لتافكنا اي لتصرفنا والله اعلم وقوله عز وجل الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء يذكر
هم عظم نعمه عليهم حيث جعل لهم الارض بحيث يقرون عليها ويتعيشون والسماء بناء عليهم حيث لا يسقط
عليهم وجعل منافع بعضها متصلة بمنافع البعض على بعد ما بينهما ليعلم ان ذلك كله صنع واحد وقوله وصوركم
فاحسن صوركم يحتمل وجهين احدهما قوله فاحسن اي احكم واتقن في الدلالة على معرفة وحدانية الله تعالى
وربوبيته على ما اظهر في كل شيء من الدلالة على وحدانيته وربوبيته والثاني قوله فاحسن صوركم اي حسن
تركيبها منتصبا قامتها غير منكبة كسائر الصور التي خلقتها منكبة على وجوهها وقوله عز وجل ورزقكم من الطيبات
قال بعض اهل التاويل اي رزقكم من الحلال لكن الاشبه اي رزقكم من اطيب ما اخرج من الارض لان الله تعالى
اخرج من الارض بالوان مختلفة فجعل الطيبة والنفيسة رزقا للبشر وسائر ذلك رزقا للدواب ذلكم الله ربكم ذلك الذي
صنع بكم هذا هو ربكم لا الاصنام التي تعبدونها فتبارك الله رب العالمين وقوله عز وجل هو الحي لا اله الا هو
قال اهل التاويل الحي هو الذي لا يموت ابدا لكن هذا مما يعرفه كل احد واصل الحي هو الدراية والنباهة والثناء عليه

الدعاء مخ العبادة

اجابة الدعاء بالشريطة

في الحي

والمدح لان كل شيء يبلغ في الانتفاع به غايته يسمى حيا نحو الارض والاشجار وكل شيء يبلغ في الانتفاع به والله
اعلم وقوله لا اله الا هو هو المعبود في لسان العرب ويسمى العرب كل معبود الها كانه يستحق العبادة الا وقوله
عز وجل فادعوه مخلصين له الدين اي ادعوه باخلاص الدين له ثم يحتمل قوله فادعوه مخلصين وجهين احدهما
اي اعبدوه مخلصين له العبادة لا تشركوا فيها غيره من نحو ما كانوا يعبدون الاصنام دونه رجاء الشفاعة لهم
وتقربهم اليه اخلصوا العبادة والدين والاخلاص هو التصفية له والثاني ادعوه على حقيقة الدعاء والتسمية كانه
يقول والله اعلم ادعوه وسموه الها لا تدعوا ولا تسموا غيره الها لانهم كانوا يسمون ويدعون الاصنام التي
عبدوها الهة وقوله عز وجل الحمد لله رب العالمين اي المحمود على خلقه بما انعم عليهم وصنع اليهم والله اعلم
وقوله عز وجل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي كان الكفرة دعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى عبادة ما عبدوا هم من الاصنام فقال اني نهيت عن ذلك وهو كما ذكر في غيرها
من القران حيث قال قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وقوله عز وجل ولا تكونن من المشركين وغير ذلك
من الايات وقوله لما جاءني البينات من ربي يحتمل وجهين ان كان المراد من البينات القران والايات التي نزلت
معجزة له وعلى ما قاله اهل التاويل فهو على التاكيد والابلاغ فان كان النهي عن عبادة غير الله تعالى والشرك
بالله لازما قبل مجيء الرسل وما انزل من البينات على ما تقدم والله اعلم والثاني يحتمل قوله لما جاءني من ربي العقل
ولم يعرف به ذلك ويكون قوله جاءني اي ظهر لي كقوله تعالى جاء الحق اي ظهر الحق والله اعلم وقوله وامرت ان اسلم
لرب العالمين اي امرت ان اجعل الخلق وكل شيء لله سالما خالصا لا اشرك فيها غيره والله الموفق وقوله عز وجل
هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة يذكرهم الوجوه التي بها يوصل الى معرفة شكر ما انعم عليهم
قال هو الذي خلقكم من تراب اي خلق اصلكم من تراب ثم من نطفة اي خلقكم من نطفة يذكر هم هذا ليعلم
خلقه اياهم من تراب اعني خلق اصلهم ليس باستعانة منه بذلك التراب لانه لو كان على الاستعانة منه
لكان لا معنى لخلق انفسهم من الماء على الصورة التي خلق من تراب وعلى جنسه اذ ليس في الماء من اثار التراب
شيء ولا في الماء والنطفة من اثار العلقة شيء ولا في العلقة من اثار الطفولية شيء من اللحم والعظم والجلد والشعر
وغير ذلك ليس في التراب معنى الماء ولا في الماء معنى التراب ولو كان على الاستعانة بذلك لكان المخلوق من احدهما
لا يكون مثل المخلوق من الاخر في تركيبه وتصويره وهما يختلفان في انفسهما وكذلك ما ذكر من تقلبه من حال
الى حال وتبدله من نوع الى نوع وليس في كل حال تقلب اليها من الحال التي كانت شيء ولا من شبهها ليعلم ان كل ذلك
انما كان بقدرة ذاتية وعلم ذاتي وانه يبدا كذلك لا باستعانة شيء مما ذكر ولا سبب له في ذلك ولكن كان
بمعنى يجعل فيه كان ذلك كذلك بوجود ذلك المعنى والله اعلم وقوله عز وجل ثم لتبلغوا اشدكم اي تبلغوا حتى يشتد
كل شيء منه من البدن والعقل وغير ذلك وقوله ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل اي منكم من يتوفى من
قبل ان يبلغ شيخا وقوله ولتبلغوا اجلا مسمى اي لتبلغوا الاجل الذي جعل لكم وقوله ولعلكم تعقلون اي تعقلون
ما بين لكم وذكر لكم وقوله وهو الذي يحيي ويميت اي وهو الذي يخلق حياة كل شيء ويخلق موت كل شيء وعلى قول
المعتزلة يجوز ان يسمى كل عبد محييا مميتا لقولهم ان القتيل لم يمت باجله بل ميته القاتل وقولهم ان المتولدات
من الفعل هو فعل ذلك الفاعل فعلى قولهم هذا يجوز تسمية كل احد محييا مميتا وقوله عز وجل فاذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون ليس ان كان منه كاف ونون قبل التكوين والله الموفق وقد ذكرنا هذا فيما تقدم على الابلاغ
عز وجل الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله قوله الم تر هو على حقيقة الرؤية والنظر ويحتمل الم تر الم تعلم معناه الم تعلم
معناه الم تعلم سفه الذين يجادلون في ايات الله وجهل الذين يجادلون في ايات الله اي في دفع ايات الله والطعن
فيها بلا حجة على ما تقدم ذكره في قوله يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل انى
يصرفون اي ابن اي حجة تصرفهم وصرفتهم عن ايات الله او من اين تصرفون وتعرضون عن ايات الله بعد ما
تقرر عندهم انها ايات الله والله اعلم وقوله الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا جائز ان يكون قوله الذين
كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا تفسير مجادلتهم التي ذكر في دفع ايات الله وجائز ان يكون قوله الذين كذبوا بالكتاب
الذي اتاهم الرسل وكذبوا بما ارسلنا به رسلنا اي كذبوا ايضا بما امرهم الرسل بالوحي من غير كتاب اذ الوحي نوعان
متلو وغير متلو فلم يكن قوله وبما ارسلنا تفسير الكتاب على التاويل الاول قوله وبما ارسلنا به رسلنا اي الكتاب
فيكون تفسيرا له والله اعلم وقوله فسوف يعلمون وعيد لهم اي سوف يعلمون علم عيان بعد ما علموا علم خبر والله
اعلم وقوله عز وجل اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ذكر ان في السلاسل ثلاث لغات الرفع
والنصب والخفض فمن رفعها يقول معناه اذ جعل الاغلال والسلاسل في اعناقهم فهم يسحبون بها في الحميم
ومن قال بالخفض فتاويله اذ الاغلال في اعناقهم وفي السلاسل اي يجعل الاغلال في السلاسل فيسحبون بها
في الحميم ومن قال بالنصب كانه قرا اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم اي يسحبون السلاسل
في الحميم وقوله يسحبون اي يجرون والحميم قد مر تاويله وهو ما يشرب منه فقد انتهى حره غايته وقوله ثم
في النار يسجرون اي يوقدون ذكر ما يسقون فيها وهو الحميم وذكر ما يحرقون به قال ابو عوسجة يسحبون
اي يجرون وصرفه يسحب سحابا اي جر وقوله يسجرون اي يوقدون بهم يقال سجرت اي اوقدت فيه وصرفه

ببعض اسحابا ای جروقوله يسجرون ای يوقدون بهم يقال سجرت ای اوقدت فيه وصرفه سجر يسجر سجرا وقوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله ظاهر هذه الاية ان هذا القول لهم بعد ما دخلوا النار لانه ذكر على اثر قوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فظاهرها ان قوله ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله بعد دخولهم النار وظاهر قوله بعد هذا متصلا به ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين على ان ذلك القول انما يقال لهم قبل ان يدخلوا النار وقوله عز وجل قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا هذا القول منهم يخرج على وجهين احدهما على انكارهم وجحودهم عبادة الاصنام التي عبدوها في الدنيا واشركوها اياه في الوهيته وهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الاية يقوله يحلفون كما يحلفون لكم انكروا ما كان منهم واقسموا على ذلك وهذا يدل على الاول والثاني قوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا ليس على الانكار والجحود ولكن لما راوا ان عبادتهم الاصنام لم ينفعهم يومئذ ولم تغن عنهم ما نزل بهم فقالوا عند ذلك بل لم نكن ندعوا شيئا من قبل اي الذي كنا نعبده في الدنيا كان باطلا لم يك شيئا حيث ينفعنا ذلك في هذا اليوم فان كان تاويل الاية هذا فهذا يدل على ان قوله اين ما كنتم تشركون من دون الله بعد ما دخلوا النار وان كان تاويله الاول على الانكار والجحود فذلك يدل على ان ذلك القول قبل ان يدخلوا النار حين يشهد عليهم الجوارح وذلك يقرر قوله ادخلوا ابواب جهنم والله تعالى اعلم وقوله عز وجل كذلك يضل الله الكافرين اي هكذا يضل الله من علم منه اختيار الكفر والضلال يضله وهو كقوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اي اذ علم منهم اختيار الانصراف صرفهم وكذلك قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي اذ علم منهم انهم يختارون الزيغ ازاغهم والله اعلم وقوله ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون اي ذلك جزيتكم من النار بما كنتم تسرون في الدنيا بالباطل اذ هم كانوا كذلك في الدنيا يفرحون ويسرون على كونهم على الباطل وقيل يفرحون اي يبطرون لكن هو على الفرح والرضا بما اختاروا لانفسهم وقوله وبما كنتم تمرحون اي وبما كنتم تتكبرون كذلك كانوا يسرون ويرضون بكونهم على الباطل ويتكبرون بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمرح التكبر وهو كقوله ولا تمش في الارض مرحا تكبرا وقوله ادخلوا ابواب جهنم الاية وقد ذكرنا فيما تقدم وقوله فاصبر ان وعد الله حق قد ذكرنا هذا ايضا وقوله فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون كانه قال يتوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم نزول ما وعد لهم ويخطر ذلك بباله ويطمع ذلك فنهاه عن توقع نزول العذاب الذي وعد للكفرة في الوقت الذي يطمع فيه وعن الخطر بباله النصر له واهلاك اولئك في الوقت الذي يتوقع كانه يقول ان شئنا اريناك بعض الذي نعدهم وان شئنا توفيناك ولم نترك شيئا وهو كقوله وهو كقوله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم والا ظاهر قوله فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك حرف شك لا يحتمل ذلك من الله تعالى اذ هو يعلم انه يفعل او يكون ذا او لا يكون لكن الوجه فيه ما ذكرنا انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطمع نزول ما وعد ويحدث نفسه بذلك فيقول له ليس ذلك اليك انما ذلك الينا على ما ذكرنا والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال هذه الاية من المكتوم لان ظاهره تبكيت وفي الاية دلالة الرسالة لانها خرجت مخرج العتاب للنبي صلى الله عليه وسلم والتوبيخ له ثم اظهر ذلك على الناس والتبجيل في مثله في عرف الناس الاخفاء والاسرار عن الناس فدل انه انما اظهر عليهم لامره بالتبليغ وكذلك في قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم اذ المرء لا يظهر مثل ذلك من غير امر وتكليف ممن وجب عليه طاعته والله الموفق وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يقول لست انت باول رسول ارسلت اليهم فاستبعدوك وانكروك وكذبوك بل قد ارسل الى الامم السالفة رسل مثل ما ارسلت انت الى هؤلاء وقوله منهم من قصصنا ومنهم من لم نقصص عليك في الاية دلالة انا لم نؤخذ بمعرفة اعين الرسل واسمائهم على التعيين كانا لا نا خذ بالايمان بالله تعالى ايمان بالرسل جميعا لان الايمان بالله ايمان بامره ونهيه فيكون ايمانا بمن جاء بالامر والنهي على يده والله الموفق وقوله وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله كانهم سالوه ان ياتي باية بعد اية على اثر اية اخرى فقال عند سؤالهم ذلك وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي ليس لرسول ان ياتي باية على شهوتهم او على شهوة السائل وهذه الاية يدل على نقض قول الباطنية فانهم يقولون ان انفس الرسل جواهر روحانية ياتون بها الاية حيث شاؤا ولو كيف شاؤا فكان الرسل عندهم لسبب الجوهر الروحانية التي فيهم قدرة اتيان الايات كيف شاؤا ومن غير اذن من الله تعالى ومن غير سؤال منهم اياه في وقت الاتيان ولو كان الامر على ما قالوا لم يكن لقوله وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله معنى والاية مخالف للاية فان فيها الخبار انه لا ياتي الرسل بالايات الا باذن من الله تعالى والله الموفق وقوله عز وجل فاذا جاء امر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون اي اذا جاء الامر بعذاب الله او اذا جاء الامر بموعود الله يعبر بالامر عن الموعود الذي اوعدوا وقد ذكرنا معنى الخسران فيما تقدم وقوله الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ذكرهم بهذه الاية وبالاية التي تقدم ذكرها وجهين احدهما يذكرهم النعمة التي انعمها عليهم حيث قال جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ثم قال ههنا جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون في نقض قول الباطنية في الرسالة

ذكرهم

ذكرهم اولا بدو انشائهم حيث خلقكم من تراب ثم من نطفة الى اخر ما ذكر وفيه دلالة وحدانيته وعلمه وتدبيره وقدرته ثم ذكرهم من بعد نعمة الى آخر ليتادى بذلك شكره وحمده على ذلك هذا وجه والثاني يذكرهم انه انما انشأ هذه الاشياء التي ذكرها وعدها عليهم للبشر لم ينشأها لانفسها كانه يقول والله اعلم قد انشأت هذه الانشاء لكم تنتفعون بها وتستعملونها كيف شئتم فكيف اشتد انكارا وكفرا بالنعمة من غيركم من العالم وسائر العالم اشد خضوعا واستسلاما لنعمه والقيام بشكرها له ثم في الاية نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ليس لله تعالى ان يولم طفلا وبهيمة الا بعوض يعوضها ثم لا شك ان ما يسخر من الانعام والدواب للبشر ومكن لهم استعمالها والانتفاع بها بانواع المنافع انها يتاذى ويتالم بذلك فيجب على قولهم ان لا يكون لله تعالى ان يولم الا بعوض يرضى به هذه الاشياء اذ حكمنا حكم كل مجعول بعوض اذ يشترط رضا اربابها في العوض واذا لم يكن هذه الاشياء من اهل الرضا فيجب ان لا يجوز التعويض فدل ان ذلك بناء على ما قلنا من ان الاصلح ليس بواجب والله الموفق ثم جعل منافعها مختلفة منها الركوب ومنها الاكل وغير ذلك من الانتفاع بصوفها ووبرها وما اعطى لهم ايضا من السفن يركبون بها البحار ليصلوا الى حوائجهم مخرج بجميع ما جاء علينا على التفصيل والتعيين باساميهم لك على الجملة وعلى هذا قلنا ان الايمان برسول واحد ايمان بجميع الرسل اذا لم يوجد منه الانكار لغيره على الجملة او التعيين وكذلك الايمان بالله تعالى في الامصار التي يحدث منهم وثابت فضلا منه ومنة فذلك قوله ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون وقوله ويريكم اياته فاي ايات الله تنكرون يحتمل انه اراهم ايات وحدانيته والوهيته واراهم ايات نعمه واحسانه اليهم ونحوها يقول فاي ايات الله اراكم تنكرونها انها ليست من الله تعالى وقوله عز وجل اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم قد ذكرنا معناه في غير موضع وقوله وكانوا اكثر منهم واشد قوة اي كانوا اكثر عددا منكم واشد في القوة والبطش وقوله واثارا في الارض اي اكثر اعمالا منكم ثم كانت عاقبتهم الهلاك والاستيصال وقوله فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول لم يغن عنهم كثرة العدد والحشم والاموال ولا قوة الابدان في دفع العذاب عن انفسهم فانتم يا اهل مكة احق ان لا تقدروا على دفع العذاب عن انفسكم اذا نزل بكم مع ضعفكم وقلة عددكم والله اعلم وقوله عز وجل فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم يحتمل قوله فرحوا بما عندهم من العلم وجهين احدهما اي فرحوا بما عندهم انه علم وليس هو في الحقيقة علم لكن عندهم ان ذلك علم وهو كقوله وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي نظر الى الهك الذي هو عندك اله والا لم يكن ذلك عند موسى عليه السلام الها ولكن ذكر على ما عند ذلك الرجل للتعريف فعلى ذلك قوله فرحوا بما عندهم من العلم اي بما عندهم انه علم وان لم يكن في الحقيقة علما والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون على حقيقة العلم وذلك من اهل الكتاب قد كان من اهل الكتاب الايمان بما عندهم من الكتاب وهو على الحقيقة علم لا شك فيه لكنهم لما كذبوا غيره من الكتب والعلوم وكفروا بها لم ينفعهم ايمانهم بما عندهم من العلم كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق كان ايمانهم بما انزل اليهم حق لكنهم لما كفروا بغيره ابطل ذلك الكفر ايمانهم بالذي انزل اليهم فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي يحيق بهم العذاب بما كانوا يستهزءون الرسل وقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يحتمل هذا وجهين يحتمل ان يكون هذا القول منهم وما ذكر من الايمان منهم اذا راوا باس الله بعد وفاتهم في قبورهم اي عذاب الله فان كان التاويل هذا فهذا تدل على عذاب القبر لمن شاء الله تعالى في حقه العذاب والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون ذلك منهم في حيوتهم حين راوا باس الله في الدنيا امنوا بما ذكروا فان كان ذلك في الحيوة فلم ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما قال الله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقد تقدم ذكر هذا في سورة يونس على الاستقصاء والله اعلم وقوله سنة الله التي قد خلت في عباده ان لا يقبل الايمان عند رويتهم باس الله ومعاينة عذابه والثاني كذلك سنة الله التي قد خلت في عباده من التعذيب والانتقام من مكذبي الرسل في الدنيا واستيصالهم يخوف اهل مكة بما انزل اليك ليحذروا امثال صنيعهم وقوله وخسر هنالك اي خسر عند ذلك الكافرون والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم ظاهر هذا ان تفسير حم هو قوله تنزيل وحم خبر لمبتدأ محذوف مقدر تنزيل مبتدأ من الرحمن الرحيم وكذلك قوله حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم والاول في حواميم وسائر الحروف المقطعة انها تبعث سامعها على التفكر والتأمل لانه لا يفهمها وقت قرعها السمع حتى يتامل ويتفكر فيها لانها كلام لا يسمعوه قبل ذلك فيحملهم ذلك على الاستماع والتفكر فيها والنظر فيقع ما هو المقصود من انزاله فيما بينهم ويعرفوا وجه الاعجاز فيتوصلوا بذلك الى الحق وقد ذكرنا في الحروف المقطعة وجوها اخر فيما تقدم ثم ذكر ههنا رحمته ورافته ليرغبهم فيما يرحمهم ويرافه بهم وهو قوله حم تنزيل من الرحمن

نقض قول المعتزلة في ايلام الطفل والحيوان

الرحيم وذكر في السورة الاولى عزه وقدرته وسلطانه وعلمه ليحذروا مخالفته وعصيانه ظاهرا وباطنا حيث
قال حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ليطلبوا العز من عنده وقوله كتاب فصلت اياته قال اهل التاويل فصلت
اياته اى ثبت فيه من الحلال والحرام وما لهم وما عليهم وما يوتى وما يتقى ونحوه وعندنا يحتمل قوله فصلت
اياته وجهين احدهما فصلت اياته اى فرقت كل اية من الاخرى من نحو اية التوحيد فرقت من اية الرسالة وفرقت
اية البعث من غيرها فرق كل اية من الاخرى والثاني يحتمل التفريق في الانزال اى فرقت اياته في الانزال لم يجمع بينها
في الانزال ولكن فرق في اوقات متباعدة ويحتمل قوله فصلت بينت على غير ما قاله اهل التاويل وهو ان يثبت اياته
بالحجج والبراهين حتى يعلم انها ايات من الله تعالى وقوله قرانا عربيا لقوم يعلمون اى انزله بلسان يعلمون ويفهمون
لا بلسان لا يعلمونه ولا يفهمونه اى انزله بلسانهم ويحتمل لقوم يعلمون اى ينتفعون بعلمهم اى حصل انزاله لقوم
ينتفعون فاما من لم ينتفع به فلم يحصل الانزال له والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه قرانا عربيا لقوم يعقلون
وقوله بشيرا ونذيرا البشارة والنذارة هي بيان ما يكون في العاقبة من الخير والشر ويقال البشارة هي الدعاء الى ما يوجب
لهم من الحسنات والخيرات في العاقبة والنذارة هي الزجر عما يوجب لهم من السيئات والمكروهات في العاقبة
والنذارة هي الزجر فصار معنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل داعيا الى الحسنات وزاجرا عن السيئات
والله اعلم وقوله فاعرض اكثرهم يحتمل اعراضهم عنه وجهين احدهما اى اعرضوا عن التفكر فيه والتامل والثاني
اعرضوا عن اتباعه بعد ما تاملوا فيه وتفكروا وعرفوا انه حق وانه من الله تعالى لكنهم تركوا اتباعه عنادا
منهم ومكابرة حذرا عن ذهاب الرياسة والله اعلم وقوله فهم لا يسمعون اى لا يجيبون على ما ذكرناه وقوله
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر لا شك ان قلوبهم على ما ذكروا انها في اكنة وفي اذانهم وقر لانه
ذكر جل وعلا انه جعل على قلوبهم اكنة وفي اذانهم وقر حيث قال وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا على ما اخبروا ان قلوبهم في اكنة وعطاء وفي اذانهم وقر لا يفقهون ما يدعون اليه ولا يسمعون ذلك وان
كانوا يفقهون غيره ويسمعون لانهم كذلك قالوا ان قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقوله ومن بيننا وبينك حجاب
ان ثبت ما ذكر بعض اهل التاويل انهم رفعوا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كن انت يا محمد
في جانب ونكون نحن في جانب الجدار ونحوه من الكلام فهو ذاك والا احتمل ان يكون قوله ومن بيننا وبينك حجاب
هو ما حجبتهم ظلمة الكفر وغطتهم عن فهم ما دعوا اليه وعلم ما دعاهم اليه محمد صلى الله عليه وسلم وقوله واعمل
اننا عاملون هذا يحتمل وجهين احدهما اعمل انت بدينك فانا عاملون بديننا كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين والثاني
فاعمل انت في كيدنا فانا عاملون في كيدكم والمكر بكم والله اعلم ويحتمل ان يقولوا اعمل انت لالهك فانا عاملون
لالهنا والله اعلم عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد هذا الحرف يخرج على وجهين
احدهما كانه يقول لهم انما انا بشر مثلكم افهم واعقل يوحى الي واسمع ذلك فانتم في قولكم ان قلوبنا في اكنة
وفي اذاننا وقر لا عذر لكم في ذلك لانه انما يحجبكم عن ذلك وتغطي قلوبكم عن فهم ذلك الكفر الذي انتم عليه والهوى
الذي انتم فيه فاتركوا ذلك حتى تفهموا وتعقلوا ما تدعون اليه وتوقرون بركما فهمت انا واعقل اذ انا بشر والله
اعلم والثاني يقول انما انا بشر مثلكم يوحى الي اي انما بشر مثلكم امرت ان ابلغ اليكم ان الهكم اله واحد فاستقيموا
اليه والا لوم بتبليغ الرسالة اليكم انما الهكم اله واحد لكنت اتركم وما انتم عليه كقولكم ان قلوبنا في اكنة
وفي اذاننا وقر فاعمل اننا عاملون على هذين الوجهين تاويل الاية والله اعلم وقوله فاستقيموا اليه قال بعضهم
اي فاستقيموا اليه بالطاعة وقيل اي استقيموا الى ما دعاكم اليه من التوحيد وقوله واستغفروه اي انتهوا عما انتم
عليه من الكفر والضلال ليغفر لكم ما كان منكم في حال الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ويحتمل
اي كونوا على حال بحيث يقبل استغفاركم وطلب تجاوزكم وقوله وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة وهم
بالاخرة هم كافرون والاشكال انه لماذا خص المشرك الذي لم يوت الزكوة ومنكر الاخرة بالويل وقد يلحق
الويل المشرك اتى الزكوة او لم يوت امن بالاخرة او كفر بها فنقول قال بعض اهل التاويل معناه وويل للمشركين
الذين لا يؤمنون بايتاء الزكوة ولا يؤمنون بالاخرة وخصهم بذكر جحود الزكوة والاخرة لما كان سبب
كفرهم مختلفا منهم كان سبب كفره بخله في المال وشحه حمله ذلك على انكار الزكوة والامتناع عن الايتاء ومنهم
من كان كفره انكار جزاء الاعمال حمله ذلك على انكار الاخرة ومنهم من كان سبب كفره الخضوع لمن دونه او
في امر الدنيا حمله ذلك على انكار الرسالة والجحود لها وغير ذلك من الاسباب التي حملتهم على الكفر والضلالة وهي
مختلفة ويحتمل قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة لا على زكوة الاموال ولكن على زكوة الانفس
كانه يقول وويل للمشركين الذين لا يعملون ولا يسعون فيما به تزكوا انفسهم وتشرف ذكرها ويصلح اعمالهم
به ولا ما يجزون به في الاخرة اي ويل لمن لا يعمل ذلك والله اعلم وهذان الوجهان جواب عمن تعلق بظاهر هذه
الاية على ان الكفار يخاطبون بالشرايع حيث الحق الوعيد بهم بترك ايتاء الزكوة والزكوة من الشرايع والله اعلم
وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع وذلك في الاخرة وقال بعضهم
اي غير ممتن عليهم وذلك في الاخرة ايضا ومعناه والله اعلم انه يزاد لهم في الاخرة على قدر اعمالهم ولا يمن
عليهم في تلك الزيادة وقال بعضهم غير ممنون اي غير منقوص ولا ممنوع وذلك والله اعلم ان من كان يعمل في حال

اي لبسا الكفر ايضا بالله

شبابه وقوته الصالحات والطاعات ثم كبر وعجز عن اتيانها انه لا يمنع ولا ينقص منه الاجر الذي كان
يجري عليه ويكتب له في حال شبابه وقوته والله اعلم وقوله عز وجل قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين فاويل هذه الاية كما ذكرنا في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم الاية وهو يخرج على وجوه احدها كيف تنكرون وهو الذي احياكم الاصنام التي تعبدونها والثاني
تنكرون قدرة الله في البعث وقد رأيتم قدرته في ابتداء انشاءكم وتقليبكم من حال الى حال والثالث كيف تكفرون
رسوله وقد خلقكم الله تعالى وامتحنكم بانواع المحن وكلفكم وامركم بأوامر ونواهي ما لو لم يكن رسول الله لم
لا يمكنكم القيام باكثرها وكان خلقه اياكم عبثا فعلى هذه الوجوه يخرج قوله قل ائنكم لتكفرون خلق الارض
في يومين الاية اي ائنكم لتكفرون وحدانية الله تعالى وقد خلق الارض في يومين وما ذكر والثاني ائنكم لتكفرون
وتنكرون قدرته على البعث وقد خلق الارض في يومين على بعد اطرافها وسعتها فكيف تنكرون قدرته على البعث
قدرته على خلق ما ذكر والثالث ائنكم لتكفرون نعمة الله التي انعمها عليكم من خلق ما ذكر من الارض وغيرها وما انعم
عليكم من بعث الرسول اليكم فكيف تصرفون شكرها الى غير الذي لم يفعل ذلك بكم وتنكرون رسالة رسوله ولا بد من
رسول يرسل اليكم وذلك من اعظم النعم واجلها فيخرج تاويل الاية على هذه الوجوه التي ذكرنا احدها في انكار وحدانية
الله والوهيته والثاني في انكار قدرته على البعث والثالث في انكارهم رسالة الرسول وصرفهم شكر نعمه الى
غيره بعبادتهم غير الله ثم الحكمة في خلق الارض وجعله الحد الذي ذكر بيومين وان كان قادرا على خلق كل شيء
بلا تحديد ولا توقيت فقال بعضهم فيه تعريفه الخلق والتعليم لهم الاناة في الامور وترك الاستعجال فيها و
الاصل في ذلك عندنا ان الله جل وعلا جعل امر الدنيا وامر هذا العالم على التحديد والتقليب من حال الى حال نحو ما ذكر
من تقليبه وتغييره من حال النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة ومن حال المضغة الى حال
تركيب الجوارح ثم الى حال الانسان ثم من تلك الحال الى ان يكبر بتقليبه من حال الى حال اخرى وكذلك امر الدنيا
وما فيها من الفواكه والنبات وغير ذلك ينشئها ويجددها في كل عام وان كان لو شاء احدثها في عام واحد وفي ساعة
واحدة وابقاها الى اخر الابد لكن لم يفعل ذلك لما بنى امر هذا العالم على الفناء والفساد فيستدل بطريان هذه
الاحوال عليها على اصل الوضع ولذلك وكتب فيهم المرض والسقم والسلامة والصحة وبنى امر الاخرة على البقاء
والدوام فعلى ذلك من التحديد والتوقيت في خلق الارض ويحتمل ان يقال جعل ذلك على التحديد والتقدير لانها
دار محنة وابتلاء والابتلاء انما يقع على التوقيت والتقدير في اوقات متباينة واسباب مختلفة فاما الاخرة
فلا محنة فيها ولا بلية فهي على الدوام والبقاء لذلك كان ما ذكر وقوله عز وجل وجعل فيها رواسي من فوقها
اي جعل في الارض جبالا ارسى بها الارض واثبتها لانه ذكر ان الارض كانت على الماء وكانت تميد باهلها
لكنه ارساها بالجبال واقرها بها وفيه نوع وهو انه معلوم ان الجبال التي اثبت بها الارض واقرها كانت تزيد في
ثقل الارض فالسبيل فيه الترسب في الماء والانحدار فيه لا الاثبات بها والاقرار لكنه جعل الجبال سببا لاثبات
الارض واقرارها تعليما منه الخلق تعليق الاشياء بعضها ببعض وتعليقها بالاسباب من غير ان يكون الاشياء
معونة له على ذلك ولو شاء اثبتها وارساها بلا سبب ولا شيء علقه به لكنه علق الاشياء والاسباب لما
ذكرنا من تعليم الخلق بتعليم تعليق الاشياء بالاسباب وقوله وبارك فيها يحتمل وبارك فيها اي في الجبال فقد
جعل الله تعالى فيها البركات الكثيرة منها المياه التي خرجت منها والعيون ومنها الذهب والفضة وغيرها
ومنها الثمار والاشجار التي ينتفع بها وانواع النبات التي تصلح للادوية وغير ذلك من المنافع التي يكثر عدها و
احصاؤها ويحتمل قوله وبارك فيها اي في الارض فقد جعل الله تعالى في الارض البركات الكثيرة من المياه التي
تخرج منها وانواع النبات والثمار وغير ذلك مما بها قوام الخلق جميعا وغذاؤهم من البشر والدواب
والله اعلم والبركة هي اسم كل خير يكون ابدا على الزيادة والنماء وقوله وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء
للسائلين اي قدر في الارض اقوات اهلها وارزاقهم في اربعة ايام سواء للسائلين قال الزجاج في قوله سواء
للسائلين ثلث لغات بالنصب والرفع والخفض فمن خفضه سواء للسائلين صيره صفة ونعتا للايام كانه قال
اربعة ايام سواء اي مستويات ليس بعضها اطول من بعض ومن قرا بالنصب سواء صيره مصدرا اي سواء
وتسوية ومن قراه بالرفع صيره على الابتداء يقول والله اعلم اي ذلك الاقوات التي قدرها سواء للسائلين اي
كفاية لهم على قدر حاجتهم ثم اختلف في قوله سواء للسائلين عن ابن عباس رضي الله قال من سال عن ذلك
وحده كما قال الله تعالى ويقول ابن عباس رضي الله عنه وانا من السائلين فكان قول ابن عباس رضي الله عنهما ما ذكرنا
اي كفاية للسائلين للمحتاجين على السواء وقال بعضهم عدلا للسائلين والعدل يخرج على وجهين احدهما العدل
الذي يناقض الجور اي عدل للسائلين ليس بجور والثاني عدلا للسائلين اي سواء يقول لمن يشاء الرزق من
السائلين وقال الحسن في اربعة ايام سواء لمن يسال عن خلقه في اربعة للسائلين او كلام نحوه وقال بعضهم
هو من مقاديم الكلام يقول قدر فيها اقواتها سواء في اربعة ايام للسائلين تلك الاقوات والارزاق في
سواء والله اعلم ثم في هذا مسئلتان احدهما في تكوين الخلق واحداثه وما ذكر من تقدير الاقوات في الاول
فعندنا ان الله تعالى لم يزل مكونا محدثا وان ما كان ويكون الى اخر الابد انما يكون بتكوين كان منه

نوع حكمة خلق الارض في يومين

اخ الثاني

نوع الحفظ في الاشيا وتعليق الاشياء بالاسباب

في الاول لا يتكون يحدث منه في كل وقت يحدث المكون والخالق والاصل في ذلك ما ذكرنا فيما تقدم انه اذا اشتغل
الاوقات الى فعله فتكون للتوقيت للخلق اعني المفعول لا الفعل لما ذكرنا انه لا حاجة تقع له في المعونة بشيء مما
ذكر من التوقيت وانما ذكر ذلك لئلا يتوهم قدم المفعول والخلق وليعلم انه محدث ومسئلة اخرى في ذكر الخلق
والتوقيت في خلق ما ذكر لحكمة جعل في ذلك من غير ان يصعب عليه خلق ذلك في ساعة او طرفة عين اذ المعنى
في خلق ما ذكر في ايام واوقات ذلك عين موجود على السواء وهو ان الله تعالى عالم بذاته قادر بذاته له قدرة
ذاتية وعلم ذاتي لا مستفاد بالاوقات انما يحتاج الى الايام من كان يعمل بقدرة مستفادة وعلم مستفاد استعانة
له بذلك فاما الله سبحانه وتعالى فانما يكون منه انما يكون بقدرة ذاتية وعلم ذاتي لا حاجة تقع الى الاستعانة
بشيء من ذلك لذلك كان ما ذكرنا ثم قوله وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام الاربعة الايام التي ذكر هي مع خلق الارض
ويومين لتقدير الاقوات لاهلها والارزاق فيكون اربعة ثم ذكر الخلق السموات يومين فاذا جمع يكون ستة
ايام وهو ما ذكر في اية اخرى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فكان تمام ذلك في ستة ايام وقد ذكرنا
معنى ستة ايام في غير موضع وقوله ثم استوى الى السماء يخرج على وجهين اي ثم استوت المنافع والاقوات التي
قدرها في الارض وجعلها معايش لاهلها بالسماء لانه جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء بالولا السماء لم تستو منافع
الارض وما قدر لهم فيها فالسماء استوى ذلك لهم اي تم بذلك والله اعلم والثاني قوله ثم استوى الى السماء اي
ثم استوى الهواء والجو الذي بين الارض والسماء الى السماء ما لولا ذلك الهواء لم تستو لان السماء لو كانت
ملتزقة بالارض لا هواء بينهما لكانت لا تخرج ما جعل في الارض من الاقوات والمعايش فالهواء استوى ذلك
والله اعلم ومنهم من يصرف الاستواء الى الله عز وجل ومعنى ذلك استوى امره وملكه بخلق السماء او استوى القصود
بخلق الارض واهلها وما فيها بخلق السماء واما التاويلان اللذان ذكرناهما يتوجهان الى غيره لان احدهما رجع الى
استواء الهواء والثاني الى استواء ما جعل في الارض وعلى هذا يخرج ما سئل ابن عباس رضي الله عنه عندنا روي
ان رجلا سال ابن عباس رضي الله عنه فقال قرات ايتين احديهما تخالف الاخرى فقال له من قبل رايك اتيت ماهما
فقال ذلك السائل قوله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله ثم استوى الى السماء وقوله تعالى
والسماء بناها رفع سمكها فسواها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها لمراد السائل ان ظاهر الاية الاولى انه خلق الارض
في يومين قبل خلق السماء وظاهر الاية الثانية انه خلق السماء ثم خلق الارض فقال ابن عباس رضي الله عنه خلق الله تعالى
الارض قبل ان يخلق السماء فدحى الارض بعد ما خلق السماء والله اعلم اراد به بسط الارض بعد خلق السماء فاما خلق
اصل الارض قبل خلق السماء وعندنا انه ليس ظاهرهما بين الايتين مخالفة ولا فيه بيان انه خلق الارض قبل السماء
ولا هذا بعد هذا لانه ذكر ههنا انه خلق الارض في يومين ثم قال ثم استوى الى السماء ذكر الاستواء الى السماء
ليس منه انه خلقها بعد خلق الارض بل فيه انما استوى اليها بعد خلقها وليس فيه اثبات خلقها قبل ذلك والله
اعلم وقوله وهي دخان قال بعضهم دل قوله وهي دخان على انه كان هناك نار حتى خلق السماء بدخانها لكن لا نعلم ذلك الا بالسمع
ويحتمل ان يكون قوله وهي دخان اي شبه الدخان لا حقيقة الدخان ومنه خلق السماء والارض وقوله فقال لها وللارض
ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين قال بعضهم في قوله ائتيا اعطيا ما جعل فيكما من المنافع والاقوات طوعا او كرها ثم
اختلف فيه انه على التكوين والتسخير ما ذكر من الطوع والكره او على حقيقة القول والامر في ذلك قال بعضهم ذلك
على التكوين والتسخير خلقه اي انشاءهما وخلقهما على اخراج ما فيهما من المنافع والاقوات والارزاق التي جعل فيهما
وكذلك ما ذكر من الطوع والكره لا قول منه لهما وامر لكنه طبعهما وانشاهما كذلك على حقيقة القول والامر منه لهما
نحو ما ذكر لكل شيء من الجبال وغيرها انه يسبح لله تعالى على الوجهين لكن شرط خلق الحيوة التي لا بد منها للنطق والثناء
فعلى ذلك ههنا وقال بعضهم في قوله ائتيا طوعا او كرها اي ائتيا عبادتي ومعرفتي وذلك ان الله تعالى حين خلقهما عرض عليهما
الطاعة والشهوة واللذات على الثواب والعقاب فابين ان يحملنها الاية فهذا الاباء والاعطاء هو اعطاء الخلقة و
التكوين على ما ذكرنا وقوله فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن في يومين هو موصول بقوله قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وكذلك قوله تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين وقد ذكرنا الوجوه
في ذلك ثم الاعجوبة في خلق السموات ورفعهما اعظم واكبر من خلق الارض وقد ذكر في خلق السموات من الوقت
مثل الوقت الذي ذكر في الارض وهو يومان ليعلم ان الوقت الذي ذكر في ذلك ليس لما يتعذر عليه ذلك ويصعب
بدون ذلك الوقت ولكن لحكمة جعل في ذلك لم يطلع الخلق على ذلك او كانت الحكمة فيه ما ذكرنا وقوله
واوحى في كل سماء امرها وهم الملائكة الذين جعلهم اهلا لها وقال قائلون اي امر كل اهل سماء بما
امتحنهم محنة وقال بعضهم هو مما امر به واراده واحد وقوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح اي بالكواكب
وقوله وزينا السماء الدنيا التي دنت منكم هي مقابل القصوى من الدنو ليس ان هذه السماء التي تراها
وتشاهدها مزينة بالكواكب هي سماء الدنيا فانية وغيرها من السماء الاخرى لا يفنى بل كلها يفنى يعني فانية
وغيرها بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله والسموات مطويات بيمينه فهو كلهن
ذاهبات فانيات دل ان قوله وزينا السماء الدنيا اي التي دنت منكم وهي مقابل القصوى لا مقابل
الاخرة والله اعلم وقوله وحفظا يحتمل وجهين احدهما اي حفظناها محفوظة بما ذكر من ان يسترق الشياطين

والجن اسماعهم الى خبر السماء وما يتحدث به الملائكة فيما بينهم فيلقون ذلك على اسماع اهل الارض على ما كانوا
يفعلون من قبل اي حفظناها بالكواكب التي جعل فيها لترشقهم الكواكب وتقذفهم فلا يكون سماع ذلك من جهة
الوحي على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم دون القام من ذكر وهو كما ذكر في اية اخرى حيث قال انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى الاية ويحتمل وجها اخر وحفظا اي حفظناها
على ما هي حتى لا يسقط على الخلق كقوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقوله تعالى ويمسك السماء ان
تقع على الارض ونحوه وقوله ذلك تقدير العزيز العليم يقول ذلك الذي ذكر كله وصنع هو تقدير العزيز العليم اي
تقدير من لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ويحتمل قوله ذلك تقدير العزيز العليم اي من له العز الذاتي والعلم الازلي
لا انه قدر ذلك وصنع ليستفيد بذلك العز والعلم اذ هو عزيز بذاته وعليم بذاته والله اعلم وقوله سبحانه وتعالى
فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود كانت معروفة عندهم ظاهرة انها نزلت بهم دل
قوله تعالى انذرتكم صاعقة عاد وثمود انه كانت معروفة عندهم ظاهرة انها نزلت بهم لتكذيبهم الرسل وتركهم
اجابتهم الى ما دعوا اليه حيث خوف هؤلاء بذلك كانه يقول انذرتكم بتكذيبكم اياي وترككم اجابتي الى ما دعوتكم
اليه بالذي نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسول الذي ارسل اليهم وتركهم الاجابة الى ما دعوا اليه والله اعلم وقوله صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود لم يرد به عين عذاب اولئك ومثله في راي العين ولكن مثله في الهلاك والاستيصال الا ترى
ان عذاب عاد وثمود كان مختلفا في راي العين عذاب عاد بخلاف عذاب ثمود هما في المعنى واحد فعلى
ذلك ما اوعد هؤلاء بمثل عذاب عاد وثمود لم يرد مثله في راي العين ولكن في المعنى وهو كما ذكر في قوله تشابهت قلوبهم وقوله
يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل لم يرد به التشابه والمضاهاة على نفس القول منهم وعين الكلام كان واحدا بل
كان سبب كفرهم مختلفا وقول هؤلاء خلاف قول اولئك وما كان من هذا الفريق خلاف ما كان من الفريق الاخر
لكن لما كان التكذيب من هؤلاء له كالتكذيب من اولئك والرد له من هؤلاء كهو من اولئك فان كان كفروا معا
سواء من هذه الجهة وصف قلوبهم بالتشابه واقوالهم بالمضاهاة وهذا يدل على ان الاستواء من جهة واحدة
يوجب التشابه والتماثل وقوله اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم ان لا تعبدوا الا الله هذا يحتمل
وجوها احدها اذ جاءتهم الرسل نبا من كان ونبا من كان بعدهم انهم جميعا قالوا لقومهم ان لا تعبدوا الا
الله والثاني اذ جاءتهم الرسل بالوعيد والتخويف بعذاب ينزل بهم من بين ايديهم اي من حيث يرونه ويعلمونه
ومن خلفهم اي من حيث لا يرونه ولا يعلمون وهو كقوله عز وجل افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم
نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون ونحوه وقيل بعث الله الرسل قبلهم وبعدهم
بالذي ذكر وهو الدعاء الى توحيد الله وجعل العبادة له والله اعلم وقوله عز وجل قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة
فانا بما ارسلتم به كافرون هذا القول منهم يناقض قولهم وتكذيبهم الرسل وانكارهم رسالة البشر وطمعهم
رسالة الملائكة لانهم ما عرفوا الملائكة ولا عاينوا فانما عرفوا الملائكة وعلموا انها رسل البشر فكيف تكروا رسالة
الملائكة لم يعرفوا انهم ملائكة الا بقولهم لما لم يتقدم لهم المعرفة بالملائكة فهذا يناقض انكارهم الرسل
من البشر والثاني ما قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فقد اقروا برسالتهم حيث قالوا انا بما ارسلتم به كافرون
لانهم لم يقولوا انا بما جئتم به الينا كافرون ولكن قالوا انا بما ارسلتم فذلك مما يناقض قولهم ويرد تكذيبهم
وانما قالوا ذلك اعني قولهم لو شاء الله لانزل ملائكة تعنتا منهم وعنادا والا فقد علموا انهم رسل الله فيما قصوا
بما قالوا على التعنت منهم والله اعلم وقوله فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة جائز ان يكون
استكبارهم في الارض بغير الحق على اهل الارض بما ذكروا من فضل القوة لهم وشدتها من بين غيرهم كقوله
تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين فهم ذكر ذلك فجائز ان يكون استكبارهم على اهل الارض بغير الحق لشدة
بطشهم وقوتهم على غيرهم ويشبه ان يكون استكبارهم واتباع الرسل فلم يروا انفسهم ان يجعلوها تحت
تدبير الرسل وامرهم وان يخضعوا لهم ويتبعوا لما دعوهم اليه وقالوا من اشد منا قوة ثم قال الله تعالى
اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة هذا استفهام على طريق التقرير معناه قد راوا وعلموا ان الله
الذي خلقهم هو اشد قوة والرسل عليهم الصلوة والسلام لم يكونوا يوعدونهم ويخوفونهم بقوى انفسهم و
لا بعذاب يكون منهم حتى قالوا من اشد منا قوة ولكن انما كانوا يوعدونهم ويخوفونهم بعذاب ينزل
من عند الله وبقوته وسلطانه يوعدونهم وقد عرفوا قوته وسلطانه لذلك قال اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم وقوله وكانوا باياتنا يجحدون دل هذا على انهم قد كذبوا هودا وانكروا الايات وذلك قولهم يا هود
ما جئتنا ببينة وانه قد اتاهم بايات رسالته وقوله فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ذكر ما اهلكهم من العذاب وهو
الريح الصرصر الباردة كذا قال ابو عوسجة وقوله في ايام نحسات وهو ما ذكر في سورة الحاقة حيث قال فاما عاد
فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقال في موضع اخر في يوم نحس مستمر ثم اختلف
في تاويلها قال بعضهم نحسات مشئومات نكدات وهذا قول القتبي وقال بعضهم نحسات اي شداد وقيل نحسات
من النحس يقال نحس مؤمنا والنحس الغبار وفي الاصل وقوله لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اي عذابا يذلهم
ويفضحهم عند الخلق جميعا وقوله ولعذاب الاخرة اخزى اي اذل وافضح واشد من عذاب الدنيا وقوله وهم لا ينصرون

يحتمل لا يتبصرون بقوتهم التي كانت لهم واعتمدت عليهم لقوتهم من اشد منا قوة ويحتمل لا يتبصرون بالاصنام التي
عبدوها على رجاء النصر لهم والشفاعة **وقوله** واما ثمود فهديناهم يحتمل ما ذكر من الهداية لهم حقيقة الهدى
وهو التوفيق وحقيقة خلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين وهو ما سالوا من الاية وهو الناقة فلما اتاهم على سالوا
امنوا به وصدقوه ثم كفروا به بعد ذلك وكذبوه وعقروا الناقة على ما ذكر ويحتمل قوله فهديناهم اي بينا لهم
غاية ما يبين الحق من الباطل بما يعرفه كل ذي لب وعقل انها اية وانها من الله تعالى حيث جاءتهم الاية التي سالوها
على الاشارة والتعيين وهي الناقة **وقوله** فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الكفر على الهدى واختاروا ما به يموت
على ما يبين لهم ثم اخبر بما نزل بهم من العذاب باختيارهم العمى على الهدى وهو قال فاخذتهم صاعقة العذاب الهون
اي عذاب يهانون فيه وهو من الهوان والاذلال وكل عذاب الله صاعقة **وقوله** ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون اي
انجينا الذين اختاروا الهدى على العمى وكانوا يتقون اختيار العمى على الهدى **وقوله** ويوم يحشر اعداء الله الى النار اي
يجمع والحشر الجمع يجعلون في النار وهو كقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله **وقوله**
فهم يوزعون اي يساقون كقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وقال بعضهم يوزعون اي يدفعون
كقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا والوزع الدفع وقال بعضهم يوزعون اي يحبسون اي يحبس اولهم على
آخرهم حتى اذا اجتمعوا جميعا فعند ذلك يجعلون في النار كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب الاية وقوله حتى اذا
جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون كانهم يوقفون ويحبسون في مكان فيما بين النار فيسألون
عما كانوا يعملون وهو كقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون فينكرون ما كان منهم كقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين
وقوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا فعند ذلك ينطق الله جوارحهم فيشهد عليهم بما عملوا وما كان منهم وهو قوله
شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقال بعضهم جلودهم كناية عن الفروج وهو قول الحسن
وقوله وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء ينطق اذ لا كل شيء ينطق ذكرا كل شيء واراد
الخاص لا العام والله اعلم وكان غير هذا اقرب يقولون انطقنا الله الذي انطق كل شيء يعصون الله تعالى وهو ما
ينطق الله الاشياء التي بها عصوا ربهم وهي الاصنام التي عبدوها وغيرها ما عبدوا دون الله كقوله ويوم يحشرهم
وما يعبدون من دون الله الاية وقوله وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون وما ذكر من اخبار الارض وحديثها بما عملوا
عليها بقوله يومئذ تحدث اخبارها وغير ذلك من الايات التي فيها بيان انه ينطق الله تعالى الاشياء التي عبدوها و
وعصوا بها ربهم فعلى ذلك ينطق الله الجوارح التي بها عصوا ربهم فيشهد عليهم بجميع ما كان منهم **وقوله** وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اختلف فيه قال بعضهم اي ما كنتم تظنون وتستيقنون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون الظن ههنا على هذا التاويل حقيقة الظن والجهل
اي ولكن جهلتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلو كان تاويل الاية ما ذكر هؤلاء ففيه دلالة ان العذاب قد يلزم
ويجب والجهل ذلك ولم يتحقق عندهم العلم به اذا كان بحيث امكان الوصول الى علم ذلك ومعرفته بالنظر والتامل
والتفكر بنحو ذلك من الاسباب لكنه ترك التامل فيه فلم يعلم ذلك فلم يعذر بجهله وهكذا الحكم ان من يمكن له العلم
او سبب المعرفة فلم يتكلف معرفته لم يعذر في جهله ولهذا قال ابو حنيفة في الاطفال ان لا علم لي بهم لما لا يعلم انهم
قد بلغوا المبلغ الذي يدركون الاشياء بالتامل والتفكر ام لا وقال بعضهم وما كنتم تستترون اي كنتم لا تقدرون ان
تستتروا من سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم فاحد لا يستطيع ان يستتر من نفسه اذا عمل شيئا فذلك ظنكم ان ظننتم
ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون في السر **وقوله** وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم اي وذلكم جهلكم على ما صنعتم بان
الله تعالى لا يعلم ذلك وهو لا يخفى عليه خافية اهلككم ذلك ارداكم اي اغواكم واضلكم عن الهدى وقال قتادة يا
ابن ادم ان عليك لشهودا غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله في سر امرك وعلانيتك فانه لا يخفى عليه فالظلمة
عنده ضوء والسر عنده علانية ومن استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة الا بالله ثم قال
الظن ظنان ظن منجي وظن مردي فاما المنجي فقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم الاية وما قال اني ظننت اني ملاق
حسابيه واما الظن المردي فقوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقوله ان نظن الا ظنا ونحوه قال وذكر لنا
نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ويحدث ذلك عن ربه تعالى عبدي انا عند ظنك بي وانا معك اذا دعوتني وقال
الحسن انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فاما المؤمن فاحسن بربه الظن فاحسن العمل واما الكافر و
المنافق فاساء بربه الظن فاساء العمل ثم تلا قوله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا
جلودكم الاية وقال الجلود كناية عن الفروج وفي حرف حفصة وما كنتم تختشون وفي حرف ابي وابن مسعود ولكن
زعمتم ان الله لا يعلم كذا وكذلك في حرفهما فذلكم زعمكم الذي زعمتم والزعم في كلام العرب الكذب وفيه يستعمل وقوله
ارديكم قال بعضهم اهلككم والردى الهلاك وقيل اوردكم الهلاك ويحتمل ارداكم اي اغواكم واضلكم على ما ذكرنا **وقوله**
فان يصبروا فالنار مثوى لهم هذا يخرج على الوجهين احدهما اي فان يصبروا على ما هم عليه من الاعمال الى ان يخرجوا به
فالنار مثوى لهم في الاخرة والثاني اي فان يصبروا في الاخرة فالنار مثوى لهم اي لا ينفعهم الصبر على ذلك
ولا يكون الصبر سبب الفرج عن ذلك وهو كقوله سبحانه وتعالى خبرا عنهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من
محيص فيكون احد التاويلين في الدنيا والثاني في الاخرة **وقوله** وان يستعتبوا فما هم من المعتبين معناه والله اعلم

في عدم العذر
بالجهل

ظن منجي وظن مهلك

توقف الامام الاعظم
في الاطفال

الزعم في كلام العرب
الكذب

حديث عبدي انا
عند ظنك
بي

وان تستقبلوا ما كان منهم كما هو من المتقابلين اي ان قال ذلك منهم ولا يرضى عنهم وان استرضوا **وقوله** وقيضنا لهم
قرناء كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا الاية ثم اختلف في قوله وقيضنا قال بعضهم هيانا لهم في
الدنيا قوما من الشياطين وغيرهم وقال بعضهم اي مكنا الشياطين حتى تقذفوا في قلوبهم من الوساوس وغيرها
او كلام نحوه وقال بعضهم اي خلينا بينهم وبين الشياطين حتى عملوا بهم ما ذكر **وقوله** فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم
اختلف في قوله ما بين ايديهم وما خلفهم قال بعضهم فزينوا لهم ما بين ايديهم اي حسنوا لهم التكذيب بالاخرة والحساب
والثواب والعقاب اي لئن ذلك **وقوله** وما خلفهم اي حسنوا لهم امر الدنيا وانها دائمة باقية وقيل ما بين ايديهم
اي ما عملوا وما خلفهم اي وما يريدون ان يعملوا من بعد والثالث ما بين ايديهم ما عملوا بانفسهم وما خلفهم ما سنوا لغيرهم
من بعدهم كقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت والله اعلم **وقوله** وحق عليهم القول يحتمل وجب عليهم القول بالعذاب او السخط
وقوله في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس اي مع امم ذلك جائز وقوله قد خلت من قبلهم اي من قبل هؤلاء من الانس
والجن من الامم الخالية انهم كانوا خاسرين **وقوله** عز وجل وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه اي لا تسمعوا
انتم بانفسكم والغوا فيه لئلا يسمع منه قراءته ولا صوته دل هذا القول على انهم قد عرفوا انه حجة وانه من عند الله جاء وان
وانهم من يسمع ذلك اذعن له واطاع اذا لم يكابر عقله ولهذا قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لئلا يتبين ولا يطاع لعلكم
تغلبون وقال بعضهم قوله لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه بالمكاء والتصدية وكانوا يفعلون ذلك ليخلطوا عليه صلوته
وقراءته لعلكم بالمكاء والتصدية لقولهم وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية **وقوله** فلنذيقن الذين كفروا عذابا
شديدا ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون اي بذيقن الذين كفروا وداموا على الكفر حتى ماتوا على ذلك فاما من كفر في وقت
ثم ترك ذلك واسلم فليس له ذلك ثم من الناس من يقول ان قوله فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا اراد به
في الدنيا **وقوله** ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون في الاخرة يحتمل احد العذابين في الدنيا والاخرة وجائز ان يكون كله
في الاخرة لاخرة ثم دل قوله ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون اي لهم محاسن في الدنيا لكن تلك المحاسن تبطل ولا يجزون
بها شيئا وانما يجزون على المساوي التي عملوها في الدنيا لان المحاسن انما تثبت وتبقى وتستوجب بها الجزاء اذا توابالايمان
والتوحيد فاما اذا لم يأتوا به لم ينتفعوا بتلك المحاسن ولم يجزوا بها وقد ذكر للمؤمنين مقابل ذلك ان يكفر عنهم سيئاتهم ويجزوا
باحسن ما كانوا يعملون وهو قوله اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم **وقوله** ليكفر الله عنهم اسوا
الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون وعد للمؤمنين تكفير المساوي التي عملوا في الدنيا والجزاء
لهم بالمحاسن التي عملوها ووعد الكافرين اسقاط محاسنهم والجزاء على مساويهم لما لم يأتوا بالايمان والله
اعلم **وقوله** ذلك جزاء اعداء الله النار هذا يدل على ان ذلك في الاخرة **وقوله** لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا
يعملون قوله دار الخلد اي دار البقاء يبقون فيها ابدا فيكون اسما الجنة ويحتمل ان يكون في الجنة دارا وموضع
يسمى دار الخلد فيكون اسم موضع والله اعلم **وقوله** عز وجل وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن
والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين قال بعضهم الذي اضلهم من الجن هو ابليس لانه اول
من عصى الله تعالى وسن لهم ذلك ومن الانس ولد آدم الذي قتل اخاه لانه اول من سن القتل ولكن عندنا
انهم سالوا ان يريهم الذي اضلهم كل جني يوسوس ويقذف في قلوبهم الوساوس والمساوي وكل انسي يدعوهم
ظاهرا الى الضلال وهكذا كل ضال وكافر انما كان ذلك الضلال والكفر لوساوس جني وتلقين من انسي ثم
سالوا الله تعالى ان يجعلهم ظاهرين فيجعلوهم تحت اقدامهم لما يكون العذاب في كل ما كان اسفل اشد لذلك
وهو ما سالوا ربهم زيادة العذاب لهم في اية اخرى حيث قال قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم
عذابا ضعفا من النار وقوله فزده عذابا ضعفا في النار فعلى ذلك سؤالهم هؤلاء **وقوله** عز وجل ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه
الاية قال امتي امتي لان اليهود قالوا ربنا الله ثم قالوا عزير ابن الله وان النصارى قالوا ربنا الله ثم قالوا المسيح ابن
الله وان امتي قالوا ربنا الله ولم يشركوا به احدا وكذلك وروي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فالهم الذين لم يشركوا بالله شيئا فان ثبت
ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه فهو تفسير الاستقامة التي ذكروا والله
اعلم وقال بعضهم اي قالوا ربنا الله ثم استقاموا في اخلاص العمل لله والقيام بذلك وقال بعضهم ثم استقاموا
على اداء الفرائض والشرائع والحدود وقيل ثم استقاموا في الطاعات له والاستقامة وجوها ثلاثة احدها
في الاعتقاد اعتقدوا ان لا يعصوه ويجتنبوا جميع ما يخالف امره ونهيه والثاني استقاموا في اجتناب جميع ما
يخالف ما اعطوا بلسانهم انه ربنا الله واقاموا بوفاء ما اعطوا بلسانهم قولا وفعلا والثالث قاموا في جميع
الاعمال مخلصين لله تعالى لم يشركوا فيها احدا لاحد فيها نصيبا من المراياة غيرها بل خالصا لله تعالى سالما والله
اعلم بما اراد بذلك **وقوله** تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا اختلف فيه قال بعضهم ذلك عند قبضهم
الارواح في الدنيا يبشرونهم بما ذكر وقال بعضهم تقول لهم الملائكة يوم القيمة عند معاينتهم الاهوال
والافزاع ليسكن بذلك قلوبهم عند تلك الاهوال والشدائد والله اعلم ثم اختلف في قوله الا تخافوا ولا تحزنوا
اي لا تخافوا امامكم ولا تحزنوا على ما خلفتم من الاهل والاولاد وقيل لا تخافوا ما يقدمون عليه من الموت

وساوس انسي او جني الهادي

والقائع ... يغفلوا ... بما
... يفضك

استقامة

مطابقة بليغة

من احب لقاء الله احب الله
لقاءه
الحديث

واما الاخرة ولا تحزنوا على ما خلفتموا من اهل وذرية وقال بعضهم لا تخافوا من العذاب ولا تحزنوا على فوت ما وعدتم
من النعيم فانها دائمة لا يفوت ولا ينقطع ابدا وقوله عز وجل وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون على السن الانبياء والرسل
عليهم الصلوة والسلام فمن قال ان البشارة التي ذكر في الدنيا عند قبض الارواح فلما ذكر في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر لان المؤمن يرى له الجنة ويبشر بها في ذلك الوقت فيصير الدنيا له سجنا لما اعد
مما هو له وجعل له من الثواب والكافر لما ارى له مكانه في النار او بشر له صارت له الدنيا جنة وعلى ذلك يخرج قوله
عليه الصلوة والسلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه والله اعلم وقوله عز وجل
نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة هذا يخرج على وجهين احدهما يشبه ان يكون هذا القول من الذين بشروهم
بما بشروا يقولون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وجائز ان يكون ذلك من الله تعالى وان كان المذكور
على اثر البشارة الملائكة وذلك كقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة
الدنيا ثم ان كان ذلك من الله سبحانه وتعالى فيكون تاويله نحن اولياؤكم في عصمتكم في الدنيا واولى بكم في الاخرة
في المعونة او نقول نحن اولى بكم في النصر والتوفيق في الدنيا والجزاء والثواب في الاخرة والله اعلم وان كان ذلك من
اولئك الذين بشروهم يقولون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا بالصحبة فكذلك يكون في الاخرة وقوله ولكم فيها
ما تشتهي انفسكم هذا يحتمل وجهين احدهما ما تشتهي انفسكم اي لكم ما يرغب به انفسكم وتتوق اليه او لكم فيها ما
تتلذذ به انفسكم وتتنعم بها وقوله ولكم فيها ما تدعون قيل ما تتمنون وتسالون او نقول ما تدعون من الدعوى
وقوله نزلا من غفور رحيم قال بعضهم نزلا اي رزقا من غفور رحيم وهو من الانزال وقال بعضهم نزلا اي انزالا
في المنزل من غفور رحيم والله اعلم وقوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا كانه يقول ومن احسن مذهبا و
سيرة ممن دعا الى الله اي الى توحيد الله ودينه او دعا الى المعروف والنهي عن المنكر اي دعا غيره الى ذلك وعمل بنفسه
وهذا الحرف يجمع جميع الخيرات والطاعات فان كان قوله ومن احسن قولا على ما ذكرنا من المذاهب والسيرة فكانه
يقول ومن احكم واتقن مذهبا وسيرة ممن ذكر وان كان على حقيقة القول فيكون قوله ومن احسن قولا اي
ومن اصدق قولا ممن قال ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وقال انني من المسلمين اي اختار الانتساب الى الاسلام من
بين غيره من الاديان والمذاهب وقد ابى سائر الفرق الانتساب الى الاسلام سوى اهل الاسلام والثاني
انتسب الى ما خص الله سبحانه وتعالى تسميتهم به وهو الاسلام كقوله تعالى هو سماكم المسلمين وقوله امة مسلمة لك
وقال في حق ابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ويكون اسم المؤمن خاصا لاهل الحق فان اليهود
والنصارى يسموا انفسهم مؤمنين ولا يمتنعون عن اطلاق اسم المؤمن ويمتنعون عن اطلاق اسم المسلم ولهذا
يقال دار الاسلام ولا يقال دار الايمان وان كان الاسلام والايمان واحدا لاختصاص هذا الاسم بهؤلاء والله اعلم
او يقال انه اختار النسبة الى الاسلام وغيرهم من الناس انتسبوا الى ما لهم من الفخر في الدنيا والشرف فيها وغير ذلك
من الاسباب التي كانت لهم في الدنيا ثم اختلف فيه قال بعضهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم هم
المؤذنون وعلى ذلك روت الاخبار انها نزلت في المؤذنين وقال بعضهم ذلك في كل مؤمن دعا الى الخالق الى طاعة
الله تعالى وعمل بنفسه والله اعلم وعن الحسن انه تلا قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا قال هذا
صفوة الله هذا خيرة الله هذا احب اهل الارض الى الله تعالى اجاب في دعوته ودعا الناس الى ما اجاب الله فيه
من دعوته وعمل صالحا في اجابته قال انني من المسلمين ربه هذا خليفة الله تعالى وقوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا
السيئة قيل ولا الاخير ههنا زائد كانه قال ولا تستوي الحسنة والسيئة وقد يزاد حرف لا في الكلام وقد
ينقص فعلى ذلك هذا ثم جائز ان يكون قوله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة وقوله ادفع بالتي هي احسن كل
واحد منها موصولا بالاخر يقول لا تستوي الحسنة وجائز ان يكون كل واحد منهما مقطوعا من الاخر على الابتداء
فان كان احدهما موصولا بالاخر يقول لا تستوي الحسنة والسيئة في جلب حب القلوب واللين والعطف لها بل
الحسنة يجلب حب القلوب والميل اليها لا السيئة ادفع بالتي هي احسن اي ادفع بالحسنة دون السيئة وهو
كقوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الاية فعلى ذلك يقول ههنا ان
لا تستوي الحسنة والسيئة في الطاعة والميل وجلب حب القلوب بل هما مختلفان مفترقان فادفع سيئتهم بالحسنة
والله اعلم وجائز ان يكون جميعا على الابتداء لا اتصال لاحدهما بالاخر فان كان على الابتداء فمعناه والله اعلم انكم تعلمون
بعقولكم ان لا استواء بين الحسنة والسيئة ولا بين المحسن والمسيء وكذا لا استواء بينهما في الحكمة وقد رأيتم انهما قد
استويا في هذه الدنيا في جميع منافعها ولذاتها وجمع بينهما في هذه وفي الحكمة والعقول التفريق بينهما دل ان هنالك
دارا اخرى يفرق بينهما في الجزاء والثواب فيها والله اعلم وهو ما ذكر في اية اخرى افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون
وقوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار اي لا نجعل هذا كهذا
في هذه الحيوة الدنيا فدل ذلك على ان هنالك دارا اخرى فيها يقع ذلك التمييز والتفريق فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله
عز وجل ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم من في عامة اهل التاويل ان ذلك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والى ابي جهل لعنه الله انه امر رسول الله عليه الصلوة والسلام ان يدفع سيئة ابي جهل بالحسنة لكن
هذا لا يحتمل لانه لم يذكر ان ابا جهل صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر حيث قال فاذا الذي بينك وبينه عداوة

مطلب مما يحفظ حرف بجميع الخيرات

جامع جميع الخيرات

غلظة بلفظه في الداع الى الله تعالى

الحسنة تجلب القلوب والميل لها

دليل البعث

كانه ولي حميم بل دامت عداوته اياه الى ان خرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر واغرى الناس عليه فرجع ذلك
الاغراء اليه فقتل في ذلك اليوم فدل انه لا وجه لصرف الاية الى هذا ثم يخرج قوله ادفع بالتي هي احسن
على وجهين احدهما ادفع سيئتهم في حادث الوقت بحسنة يكون منك اليهم اي اذا احسنت اليهم كفوا هم عن الاساءة
اليك في حادث الوقت والله اعلم فيكون قوله ولكم في القصاص حيوة والثاني اي ادفع سيئتهم بالعفو والصفح عنهم
اي لا تكافيهم بمساويهم ولكن تجاوز عنهم واصفح فاذا فعلت ذلك يصير الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي
لا يبادئك والله اعلم وقوله عز وجل وما يلقاها الا الذين صبروا على امر الله تعالى والقيام بجميع اموره او يقول لا يعطى
ولا يوفق لمعاملة التي ذكر ولا يوفق لذلك الا من عزم على الصبر على ما امر الله تعالى والصبر على ذلك وقوله وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم يقول ولا يعطى هذه المعاملة التي ذكر من الدفع بالحسنة والصفح عن المجرم الا من كان له حظ ونصيب عظيم
عند الله تعالى والله تعالى اعلم وقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله هذا يخرج على وجهين احدهما جائز ان
يكون الاستعاذة التي ذكر هي مباشرة الاسباب التي بها يدفع نزغ الشيطان ووسوسته امره ان ياتي بالاسباب التي
تتهيأ له ان يدفع بها نزغاته وهمزاته وهذا كالاستغفار الذي امرهم ليس هو امر بان يقولوا نستغفر الله بالسنتهم و
لكن امر بمباشرة اسباب يقع ويجب لهم المغفرة بها فعلى ذلك الاستعاذة والثاني جائز ان يكون امره بالاستعاذة
اياه امرا له بسؤال اللطف من عند الله يدفع به نزغاته وهمزاته والله اعلم وعلى قول المعتزلة لا يصح الاستعانة منه لانهم
يقولون انه قد اعطى كل ما به يدفع نزغاته وهمزاته متى لم يبق عنده شيء يملك اعطاه اياهم من اللطف وغيره والله الهادي
وقوله عز وجل ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه
تعبدون كانه يقول والله اعلم ان الشمس والقمر ايتان من ايات الوهيته تعالى ووحدانيته كالليل والنهار
انهما ايتان من ايات الله فاذا لم تعبد والليل والنهار فكيف عبدتم الشمس والقمر والله اعلم او نقول ان الشمس
والقمر ايتان من ايات الله تعالى سخرها لمنافع الخلق كالليل والنهار مسخرات للخلق والمنافع التي جعل فيها
للخلق ان لم يكن اكثر لم يكن دون منافع الشمس والقمر فاذا لم تعبدوا الليل والنهار فكيف عبدتم هاتين
يذكر هذا لان منهم من كان يعبد الشمس ومنهم من كان يعبد القمر ونحوه يذكر سفههم بعبادة غير الله
وقوله واسجدوا لله الذي خلقهن اي اسجدوا لله الذي انشأ هذه الاشياء وسخرها لكم ان كنتم اياه تعبدون
اي ان كنتم بعبادتكم هذه الاشياء تقصدون القربة عند الله تعالى او ان كنتم بعبادتكم هذه الاشياء اياه
تريدون لانهم كانوا يعبدون هذه الاشياء دون الله تعالى رجاء القربة عنده والزلفى لقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى يقول ان كنتم اياه تقصدون بعبادة هذه الاشياء والله واعبدوا لما امركم بالسجود
له والعبادة والله الموفق وقوله فان استكبروا قد ذكرنا فيما تقدم ان لا احد يقصد قصد الاستكبار
على الله تعالى ثم يخرج هذا على وجهين احدهما انهم قد امروا بطاعة الرسل عليهم الصلوة فاستكبروا عن
الايتمار لهم لما دعوهم اليه فيصير استكبارهم عليه كالاستكبار على الله تعالى والثاني لما تركوا
عبادة الله تعالى وجعل في انفسهم دلالة العبادة لله تعالى فاذا تركوا العبادة لله تعالى فقد تركوا الايتمار
بامره لم يعتقدوا الايتمار لذلك الامر فيكون استكبارا عليه والله اعلم وقوله فالذين عند ربك يسبحون
له بالليل والنهار وهم لا يسأمون يقول والله اعلم فان استكبر هؤلاء على عبادة الله تعالى فلا وحشة
ذلك فان لك عبادة من عنده من الملائكة بالليل والنهار حتى تستأنس بذلك والله اعلم وهو كقوله ولقد استهزئ
برسل من قبلك كان مستوحشا باستهزائهم به فذكر له استهزاء اولئك باخوانه ليقل ذلك فيه لما علم انه ليس
اول من استهزئ به فهذا مثله والثاني فان استكبر هؤلاء على عبادة الله وقد عبدوا الملائكة والاصنام
وغيرهم فالذين هم عند ربك ممن عندهم هؤلاء لم يستكبروا بل هم يسبحون له بالليل والنهار وهم
لا يسأمون وهو كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة الاية وكقوله تعالى لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون يقول ان استنكف هؤلاء عن ان يكونوا عبيدا لله فالمسيح و
من ذكر لم يستنكفوا عن ذلك وقوله تعالى وهم لا يسأمون يخبر انهم لا يسأمون عن عبادة كما يسأم البشر ابدا
عن عبادته والله اعلم وقوله عز وجل ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت
وربت الاية وقال فيما تقدم ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر فيما ذكر من الايات ايات وحدانيته
وايات قدرته وعلمه وتدبيره وايات حكمته اما ايات وحدانيته في الليل والنهار والشمس والقمر هو انه
لو كان سلطان احدهما ليلا ونهارا او شمسا وقمرا يمنع عن كون الاخر ولو كان ذلك فعل عدد لكان منع
الاخر عن اتيان ما يذهب بسلطانه فاذا لم يكن دل انه فعل واحد ودل جريان ما ذكر من الليل والنهار والشمس
والقمر على سياق واحد وسنن واحد منذ كانا الى اخر ما يكونان على ان منشأهما عليم مدبر عليم ذاتي وتدبير ذاتي
ليس بمستفاد ولا مكتسب ودل سيرهما وجريانهما في يوم واحد وليلة واحدة مسيرة كذا وكذا عاما
على ان منشأهما قادر له قدرة ذاتية لا يعجزه شيء اذ القدرة المستفادة والمكتسبة لا يبلغ ذلك وكذلك
في احياء الارض بعد موتها واخراج النبات منها دلالة ذلك كله من دلالة الوحدانية ودلالة العلم الذاتي
والقدرة الذاتية والحكمة والتدبير لانه لما احياها بعد موتها واماتها بعد احيائها دل انه فعل واحد

لا عدد لو كان فعل عدد لكان اذا احيا هذا منع الاخر من الاماتة وكذا اذا امات هذا منع الاخر عن الاحياء على
يكون من فعل ذي عدد من ملوك الارض فاذ لم يمنع ذلك دل انه فعل واحد ودل جوابان ذلك كله في كل عام
على مجرى واحد وسنن واحد وعلى مقدار واحد من النبات وغيره على انه انما كان بعلم ذاتي وحكمة ذاتية ودلت
القدرة على احيائها بعد موتها واماتتها بعد حيوتها ان له قدرة ذاتية لا يعجزه شيء من البعث وغيره ثم
جعل وجل عده في الماء معنى يوافق ذلك المعنى جميع النبات الخارج من الارض على اختلاف في اجناسها وجواهرها
حتى يكون نجاة كل شيء من ذلك فيه ان ذلك كان كذلك بلطيف سنانه لا يبلغه فهم البشر ولا علمهم ثم ذلك
النبات مع لينه وضعفه ودقته يشق تلك الارض مع شدتها وصلابتها ويخرج منها ما لا يتوهم خروج اشد الاشياء
منها بفعل احد سواه ذلك على قدرته ولطفه والله اعلم ثم قوله وترى الارض خاشعة اى ميتة خشنة فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت اى تحركت نباتها وتزينت وصارت حية وقوله وربت اى تربو وتزيد ما عليها من
النبات قال القتبي اهتزت بالنبات ربت علت وانتفخت وقال ابو عوسجة اهتزت اى فرحت وربت من الزيادة
وقوله ان الذى احياها لمحيى الموتى هو ما ذكرنا ان الذى ملك وقدر على احيائها لقادر على احياء الموتى بعد موتهم انه
على كل شيء قدير اى لا يعجزه شيء وقوله عز وجل ان الذين يلحدون في اياتنا قراء بعضهم بنصبها عن قراءة بالرفع تأويله
ان الذين يميلون عن قبول اياتنا قال ابو عوسجة الالحاد الميل واخذ اللحد من هذا ومن قراءة بالنصب يقول يعملون
في اياتنا الذين يعملون في دفع اياتنا وابطالها لا يخفون علينا وعيد منه لهم يقول لا يخفون هم وما يفعلون
علينا فنجزيهم بذلك والله اعلم وقوله افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة يشبه ان يكون هذا صلة
الايتين تقدم ذكرهما احدهما قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الاية هذه
في المؤمنين وقال في الكافرين فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا الاية والاية الثانية قوله عز وجل ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة يقول افمن يلقى في النار باعماله السوء خير امن ياتي امنا من ذلك باعماله الحسنة اى يعلمون
ان من يلقى في الاخرة في النار ليس كالذى ياتي امنا عن ذلك كله والله اعلم وقوله اعملوا ما شئتم يحتمل هذا وجهين
احدهما على التخيير لانه جل وعلا بين السبيلين جميعا على المبالغة بيانا شافيا واضحا وبين عاقبة كل سبيل من سلكه
اليها ماذا يفضي ثم قال اعملوا ما شئتم اى سلكوا اى سبيل شئتم فان سلكتم طريق كذا فلكم كذا والله اعلم والثاني على الوعيد
وكذا قوله انه بما تعملون بصير على الوعيد وقوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم سمى القرآن ذكرا وهو يحتمل وجوها
احدها سماه ذكرا لان من اتبعه وعمل بما فيه صار مذكورا شريفا او سماه ذكرا لما يذكرهم ما نسوا من احكام الله
او يذكرهم ما لله عليهم من قوم ما لبعض على بعض وانه لكتاب عزيز يحتمل قوله كتاب عزيز لا يذله جحود الجاحدين
ولا تكذيب المكذبين او يقول عزيز عند الله تعالى اكرم محمدا صلى الله عليه وسلم وعز من تعزز من اتبعه وعمل به كما
ذكرنا انه لشرف من اتبعه وعمل بما فيه وقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال بعض اهل
التاويل اى لا ينزل كتاب من بعده يكذبه او يبطله ولا قبله كتاب يكذبه او يبطله بل يخرج موافقا لما قبله من الكتب
ويحتمل ان يكون قوله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى ابليس لا يستطيع ان يبطل منه حقا او يحق
منه باطلا او ينقص منه حقا او يزيد فيه باطلا بل هو على ما ذكرنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال
بعضهم ما ذكرنا لا يكذبه الكتب التي كانت قبله وقوله ولا من خلفه اى لا يجيء من بعده كتاب يكذبه ومعنى
هذا انهم كانوا يردون ذلك ويدفعونه وليست لهم حجة من الله في ردهم اياه ولا في دفعه بل يدفعونه بلا حجة
وعن الحسن قال في قوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ان الله سبحانه وتعالى حفظه من الشيطان
فلا يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا ثم قرا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ودل قوله لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه على ان كل ما اضيف اليه اليدين والخلف لا يفهم منه بذكر اليدين الجارحتين وبذكر
الخلف والبدان بقوله من بين يديه ولا من خلفه فعلى ذلك ما اضيف الى الله تعالى من اليدين ومن بين يديه لا
يفهم اليدان حقيقة الجارحتين والله الموفق وقوله تنزيل من حكيم حميد اى هذا القرآن هو تنزيل من حكيم حميد
الحكيم هو الذى لا يلحقه الخطأ في تدبيره او في حكمه والحميد هو الذى لا يلحقه الذم في فعله والله الموفق ثم قوله
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم لم يخرج له جواب في هذا الموضع ثم قال بعضهم جوابه ما ذكر في اية اخرى بعد هذا وهو قوله
اولئك ينادون من مكان بعيد وقال بعضهم بل جوابه ما ذكر في حم المؤمن حيث قال الله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك يعزي النبي ويصبره ليصبر على ما كانوا يقولون له انه كذاب وانه ساحر وانه مجنون وانه انما يعلمه
بشر وانه مفتري وغير ذلك من انواع الاذى كانوا يؤذونه وكان يشتد عليه ذلك ويثقل لانه كانوا يدعوهم الى
ما به نجاتهم وهم كانوا يستقبلونه بما ذكر فقال الله تعالى له عند ذلك ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك من
التكذيب والنسبة الى السحر والجنون وغير ذلك يصبره على ذلك وهو كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
الاية ويحتمل انه انما ذكر ذلك له ليسلي به عن بعض ما يلحقه من الضجر والوحشة بالذى قالوا فيه بما علم الله ليس باول
مكذب من الرسل ولا باول متأذي في ذات الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب
اليم يقول والله اعلم ان ذلك ان ربك لذو مغفرة لو تابوا ورجعوا عن ذلك وذو عقاب اليم لو ثبتوا وداموا على
ذلك او يقول والله اعلم على الصلة لقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم اى ثم انه لذو مغفرة يغفر لهم ما كان

منهم من التكذيب لك والتكذيب للقرآن لو تابوا ورجعوا وصدقوا وذو عقاب اليم ان لم يتوبوا وثبتوا على ذلك
والله اعلم او يذكر هذا اى ليس اليك مكافاتهم ومجازاتهم بما كان منهم انما ذلك الينا ان شئت غفرت لهما اذا
رجعوا عنه وان شئت غفرت لهما اذا رجعوا عنه وان شئت عاقبتهم وهو كقوله تعالى ليس لك من الامر شيء
او يتوب عليهم الاية وقوله ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي وقال في اية اخرى ولو نزلناه
على بعض الاعجمين فقراءه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقال في موضع اخر ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم
لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين يذكر في هذه الايات كلها سفه اهل مكة وشدة تعنتهم يقول لو انزلنا
عليك الكتاب جملة في قرطاس بحيث يرون نزوله من السماء ويعاينونه قالوا ما هذا الا سحر مبين ويقول ايضا
والله اعلم ولو نزلنا هذا القرآن على بعض الاعجمين بلسان فقراه عليهم اى على اهل مكة بلسان العرب بحيث
يفهمون ما كانوا به مؤمنين لان قراءة الاعجمي اياه بلسان العرب اكبر في الاية واعظم في الاعجوبة من قراءة
العربي بلسان العربي اى قراءة كل احد شيئا بغير اللسان الذى هو لسانه اكبر في الاية واعظم في الاعجوبة من القراءة
بلسان هو لسانه يقول لو نزلنا على من لسانه لسان العجم والقرآن عربي فقرا الاعجمي ذلك على اهل مكة بلسان العرب
فهو اكبر اعجوبة واعظم في الاية لكانوا لا يؤمنون به فعلى ذلك يقول والله اعلم ولو جعلناه قرآنا اعجميا
وعاينوا نزول ذلك على محمد صلى الله عليه وسلم وفهمه واداه وقراه عليهم بلسان العرب لقالوا لولا فصلت
اياته اعجمي يعنون القرآن وعربي اى محمد عليه الصلوة والسلام يقولون القرآن اعجمي ومحمد عربي كيف يكون
هذا ويكذبونه ولا يؤمنون به وذلك لما ذكرنا ان اداه بلسان ليس ذلك لسانه وقراءته بغير ذلك اللسان
اكثر في جعله اية واعظم في الاعجوبة اذ يمكن الاختلاق من نفسه باللسان الذى هو لسانه ويتوهم ذلك
اذا لم يكن ذلك يخبر عن سفههم وشدة عنادهم في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به والله
اعلم وقال بعض اهل التاويل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان احيانا يدخل على رجل اعجمي يقال له ابو فكيهة
فقالوا انما يعلمه بشر فانزل الله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا بلسان اعجمي يقال كفار مكة لولا فصلت اياته
بالعربية اى بينت حتى نفقهها ونعلمها ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ولقالوا اعجمي انزل عليه القرآن ومحمد
عربي فانزله عربيا ليفقهوه فلا يكون لهم الاعتلال والاحتجاج وقال بعضهم لولا فصلت اياته حتى
نفقهها اعجمي القرآن وعربي الرجل وقال ابو معاذ يكون معنى هذا ان الله تعالى يستفهم قرآنا اعجميا على رجل
عربي فلا يفهمون فيكون الحجة لهم بذلك وهو مثل الاول وقال بعضهم اعجمي وعربي استفهام من قريش
يكون معناه لو انزلناه قرآنا اعجميا على رجل عربي لقالوا اعجمي وعربي كيف يفهم هذا وكيف يعقله لكنا قد ذكرنا
ان هذا في الدلالة اكثر وفي الاعجوبة اعظم والوجه فيه ما ذكرنا بديا وقال القتبي لولا فصلت اياته انزلت
عربية مفصلة بالاي كان التفصيل للسان العرب لكن لسنا ندري ما يريد بهذا الكلام ان التفصيل للسان العرب
وقال بعضهم لولا فصلت اياته اى هلا فرقت اياته حتى تجعل من كل لسان من لسان العجم ولسان العرب
حتى يفهمها اهل كل لسان والله اعلم وفي هذه الاية دلالة على انه لو انزله بلسان العجم لكان قرآنا وان
اختلاف اللسان لا يغيره ولا يحوله عن ان يكون قرآنا والله اعلم فيكون دليلا لقول ابي حنيفة رحمه الله
انه اذا قرا بالفارسية في صلوته يجوز والله اعلم وقوله عز وجل قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين القراة بالفارسية
لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وصف الله تعالى هذا القرآن بالشفاء والرحمة والهدى وسماه
حقا عزيزا كريما مجيدا حكيما ونحوه فهو هدى من الضلالة والحيرة والشك وكل شبهة وشفاء لكل داء وسقم
يكون في الدين والانفس جميعا هو شفاء لذلك كله وهو هدى ثم يحتمل الهدى وجهين في هذا الموضع
احدهما هو هدى لكل ضلالة اى دعاء الى الذى ينفي الضلال والثاني هدى اى جعل بيانا لكل حيرة وشك
وشبهة من اتبعه وقبله ونظر اليه بعين التعظيم والتبجيل دعاه الى سبيله ودينه ويخرجه من الضلال
ويكون بيانا لكل من فيه الحيرة والشك والشبهة ويجلي له الطريق ويوضح له السبيل ويخرجه من الشبهات
فهو للمؤمنين من الهدى والشفاء لانهم قبلوه واتبعوه وتكلفوا العمل بما فيه واما الكفرة فهو عليهم عمى وحين
وشك لانهم لم يقبلوه ولم يتبعوه ونظروا اليه بالاستخفاف والهوان ونبذوه وراء ظهورهم فلم
يبصروا ما فيه فهو صار لهم عمى وما ذكر والله اعلم ولذلك قال تعالى اولئك ينادون من مكان بعيد سماهم
غيبة وان كانوا بانفسهم حضورا شهودا وسماهم موتى وان كانوا في الحقيقة احياء وسماهم صما وبكما
وعميا وان كانت لهم هذه الجوارح في الحقيقة لما لم ينتفعوا بهذه الجوارح بالذى جعلت هذه الجوارح له
واثبت فنفاها عنهم ليعلم ان المقصود ما يتاهر الجوارح والانفس هذه الجوارح والانفس ولكن
طلب ما غاب عنها وخفي اذ انفسهم في الحقيقة كانت شهودا وحضورا سماهم غيبة واحياء بصراء وسماهم
موتى وعميا وما ذكر ليعلم انها انما جعلت ليكتسبوا بها الحيوة الدائمة والبصر الدائم وما ذكر من كل شيء من
التسميع وغيره وكذلك هذه النعم التي جعلت في الدنيا جعلت ليكتسبوا بها النعم الدائمة فاذا لم يستعملوها
فيما جعلت صاروا كما ذكر والله اعلم وقال بعضهم وهو عليهم عمى عموا عنه وقال بعضهم وهو عليهم عمى اى في
الاخرة جزاء بما نسوه في الدنيا كقوله تعالى لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك

اليوم ننسى وقيل قوله ينادون من مكان بعيد عبارة عن قلة افهامهم يقال للرجل الذي لا يفهم انت بنادى
من مكان بعيد والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كان يقول والله اعلم انا
قد اتينا موسى الكتاب ما عرفوا انه انما نزل من عند الله تعالى حيث شاهدوا نزوله جملة ومع انهم عرفوا ذلك اختلفوا
فيه حتى كذب به بعضهم فعلى ذلك يقول والله اعلم لو انزلنا القران عليك اعجميا فادبته اليهم بلسانك العربي
لكذبوك ولا يصدقوا قولك وان كان ذلك في الدلالة اكثر في الاعجوبة اعظم على ما فعل قوم موسى بالكتاب الذي
انزل على موسى عليه السلام يذكر سفههم وتعنتهم وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم
وانهم لفي شك منه مريب ظاهر هذه الاية على ان ما ذكر من المنة والرحمة في تأخير العذاب انما هو لقوم
موسى وهو قوله ولقد اتينا موسى الكتاب لكن اهل التأويل قد اجمعوا على صرف هذه المنة والرحمة في
تأخير العذاب الى هذه الامة وكذا فيهم ظهرت المنة في العفو عن الاهلاك في الدنيا دون سائر الامم
والله اعلم ثم ظاهر قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم استدلال واحتجاج لاهل الالحاد لان
لان مثل هذا في الشاهد انما يقال لاحد معنيين اما الجهل بالعواقب او العجز عن وفاء ما وعد لكن الله يتعالى
عن الوصف بالجهل بعواقب الامور والوصف بالجهل بعواقب الامور والوصف بالعجز عن شيء بما اقام
من الايات والبراهين على العلم والقدرة ثم قوله ولولا كلمة سبقت من ربك يحتمل الكلمة الحجة كقوله تعالى
ويحق الحق بكلماته وقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي ويكون الكلمة منه الدين كقوله تعالى وكلمة الله
هي العليا ونحوه وقيل الكلمة هي الساعة التي هي اخر عذاب هذه الامة فقال بل الساعة موعدهم والساعة
ادهى وامر والله اعلم وجائز ان يكون الكلمة ههنا ما سبق من المنة لهذه الامة ان لا يعذبها وقت استحقا
قهم العذاب او سبق منه المنة والرحمة بتأخير الهلاك عن وقت اكتسابهم اسباب الهلاك وهذا على
المعتزلة والخوارج لقولهم ان ليس لله ان يعفوا ويؤخر العذاب عمن وجب عليه واستحقه او كلام نحوه
حيث من ورحم هذه الامة بتأخير العذاب عنهم الى وقت ولو لم يستحقوا العذاب لم يكن لذكر المنة والرحمة
في ذلك المعنى وهو كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والله اعلم وقوله عز وجل من عمل صالحا فلنفسه ومن
اساء فعليها يخبر عز وجل انه انما امتحنهم فيما امتحنهم لاجل منافع ترجع الى نفسه او لمضار يدفع عن نفسه
ولكنه انما امتحنهم وامرهم ونهاهم لمنافع يكتسبون لانفسهم ولمضار يدفعون بذلك عن انفسهم وليس
كملوك الارض انهم يمتحنون الخلق ويأمرون وينهون ويستعملونهم لمنافع انفسهم ولمضار يدفعونها بذلك
عن انفسهم فاما الله سبحانه وتعالى فانما يمتحن الخلائق لمنافع يجرون لمنافع يجرون الى انفسهم ولمضار يدفعون
به عن انفسهم فلهم حصول منافع ذلك الامتحان والامر والنهي وعليهم حصول منافع ذلك الامتحان
والامر والنهي وعليهم حصول ضرر ذلك فلانفسهم يعملون من الخير والطاعة وعليهم ما يعملون من
الشر ولذلك قال وما ربك بظلام للعبيد الاية قد بين السبيلين جميعا بيانا شافيا واقام لكل ذلك حججا وبراهين وبين
ان من سلك سبيل كذا افضاه الى كذا في العاقبة اما نعيم دائم وسرور دائم واما عذاب دائم وشر ورد دائم فمن سلك
السبيل الذي عاقبته النار والحزن فمن قبل نفسه الى ذلك وهو الذي اوقع نفسه في ذلك ومن سلك السبيل الذي
جعل عاقبته والنعم الدائمة فيه واختياره وصل ذلك فهو تفسير قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد والله اعلم وقوله
عز وجل اليه يرد علم الساعة اجمع من امن بالله تعالى وصدق رسله عليهم السلام من اهل السما واهل الارض
ان ليس عندهم علم بوقت الساعة فان ذلك خفي عليهم لا يعلمونه وان علم ذلك عند الله تعالى وهو ما قال عز وجل
يسئلونك عن الساعة ايان مرساها الاية غير الباطنية والروافض فان علم ذلك عندهم على مذهبهم وفي زعمهم
اما الروافض فانهم يعدون الائمة ويقولون ان الساعة على امام كذا وفي زمان كذا واما الباطنية يقولون
ان اسم الساعة والقيامة ونحو ذلك انما هو اسم قائم الزمان وانه فلان فعلى قولهم يظهر وقت قيامها
فهو خلاف ما ذكر في الكتاب وما اجمع عليه اهل السماء والارض والله اعلم وقوله عز وجل وما تخرج من ثمرة
من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه جائز ان يكون ما ذكر من اخراج الثمرة من الاكمام وما ذكر من
حمل الانثى ووضعها وهو موصول بقوله اليه يرد علم الساعة فان كان على ذلك فمعناه لا يعلم كله الا هو لا يعلم
وقت خروجها ولا احد ها وانما يخرج او لا وكذلك الولد لا يعلم كيفية علوقه ولا وقته ولا مقداره وانه يعلق
او لا علم ذلك الى الله تعالى كعلم الساعة والله اعلم وجائز ان يكون قوله وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل
من انثى ولا تضع الا بعلمه على الابتداء ليس على الصلة بالساعة ولكن موصولا بما تقدم من قوله ومن اياته الليل والنهار
والشمس والقمر ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الى ما ذكر فعلى ذلك يقول والله اعلم ومن ايات الوحدانية و
وايات قدرته وعلمه وتدبيره ان يخرج الثمرات من اكمامها ومن اياته ان تحمل الانثى وتضعه وهو ان الله تعالى
انشأ تلك الثمرة في الاكمام وكذا الولد في البطن في حجب وسواتر ورباه في تلك الحجب والسواتر وغذاه بما غذيه
ودفع عنه جميع الاذى من البرد والحر وجميع ما يؤذيه لضعفه ولطافته لطفا منه ورحمة وصوره في تلك
الحجب والسواتر باحسن صورة ليعلم ان ربوبيته ووحدانيته وان له علما ذاتيا وقدرة ذاتية ازلية لا مكتسبا مستفا
اذ العلم المستفاد والقدرة المستفادة لا يبلغ ذلك والله اعلم ثم قوله عز وجل من اكمامها اي المواضع التي كانت

باطنية ورافضة يجوزون علم الساعة

فيها مستترة وغلاف كل شيء كمه وانما قيل كم القميص وقال ابو عوسجة اكمامها غطاؤها التي يكون فيها قبل ان
يشقق عنها والتفتق التشقق يقال تفتقت الاكمام عن الثمرة اي تشققت وقوله عز وجل ويوم يناديهم اين شركائي
يذكرهم ويخبر عما يسئلون يوم القيمة وما يكون من جوابهم لذلك السوال لعلهم يمتنعون عن ذلك ويحذرون
يقول ويوم يناديهم اين شركائي يعني اين الذين يزعمون انهم شركائي في الدنيا واين الذين تعبدون في الدنيا وتزعمون
انها الهة وانها شفعاءكم عندي والاية لا يحتمل ان يقول لهم الرب جل وعلا اين شركائي ولا شريك له ولا الهة
غيره ولكن ما ذكرنا وقوله عز وجل قالوا اذناك ما منا من شهيد قال بعضهم اذناك اسمعناك وقيل اعلمناك والاشبه
ان يكون معنى اذناك اخبرناك اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم لا يتحقق اما الاخبار للعالم عن الشيء
يتحقق بما علم به والله اعلم ثم اختلف في ذلك انه قول من قال بعضهم هو قول اولئك الكفرة الذين نودوا وعند
يقولون اخبرناك ان لم يكن منا احد شهيدا بذلك او يقولون بالشريك او ماله سوالك يخرج على الانكار و
الجحود والكذب انهم لم يقولوا ذلك ولم يفعلوا وهو كما ذكر عنهم في اية اخرى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
للذين اشركوا الاية فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين انكروا ما كان منهم من الاشراك فعلى ذلك قوله اذناك
ما منا من شهيد اي لم نشرك فيك احدا ولم نتخذ ما ودك الها والله اعلم وقال بعضهم قوله قالوا اذناك
ما منا من شهيد هذا من قول الاصنام والذين عبدوهم من دون الله في الدنيا يقولون ما منا من شهيد على
عبادة اولئك ايانا ولا امرنا هم بذلك وهو كقوله وقال شركاؤكم ما كنتم ايانا تعبدون وقولهم بل لم
نكن ندعوا من قبل شيئا اخبروا انهم كانوا غافلين عن عبادتهم اياهم وانهم ما امروا هم بها فعلى ذلك
قوله تعالى اذناك ما منا من شهيد اي اخبرناك وقوله تعالى اذناك على هذا التأويل هو ما ذكروا ان كنا عن
عبادتكم لغافلين والله تعالى اعلم ثم ان الكفرة في يوم القيمة مرة انكروا عبادتهم غير الله واحيانا اقروا بها وتبرأ
وامنها ومرة سألوا الرجوع الى المحنة والرد الى الدنيا على اختلاف الاحوال والاوقات فيذلك اليوم اذ لا يكون
هذه الاسؤلة المختلفة في وقت واحد والله اعلم وقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل
هو ما ذكر في اية اخرى حيث قيل لهم اين شركاؤكم الذين كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وذلك انهم كانوا
يعبدون الاصنام في الدنيا رجاء ان تنفع لهم في الاخرة وتقربهم الى الله زلفى فلما ايسوا ما رجوا منها وطمعوا قالوا
ضلوا عنا فعلى ذلك قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا وقوله عز وجل ما لهم من محيص اي يقنوا وعلموا
ان لا محيص لهم ولا نجاة وقال ابو عوسجة ما لهم من محيص اي مهرب وقوله عز وجل لا يسأم الانسان
من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط وقال في اية اخرى واذا انعمنا على الانسان اعرض ونا بجانبه واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض هاتان الايتان في ظاهر المخرج احديهما مخالفة للاخرى لانه ذكر في احداهما الاياس والقنوط
اذا مسه الشر وفي الاخرى كثرة الدعاء اذا مسته الشدة والبلاء ومن طباع الخلق والعرف فيهم انهم ايسوا وقنطوا
لا يدعون ولا يسألون بل يتركون سوالهم واذا طمعوا ورجعوا عند ذلك سألوا ودعوا هو العرف فيهم
فدل ان بينهما مخالفة من حيث الظاهر لكن نقول ان الاية يخرج على وجوه يحتمل ان كل واحد من الاثنين في انسا
لعينه يشار اليه سوى الاخر كان عادة احدهما على الاياس والقنوط من الخير ترك الدعا والسوال وكان
عادة الاخر الدعاء والتضرع اليه والسوال عن كشف ذلك عنه فاخبر جل وعلا ورسوله عليه الصلوة والسلام
ما اضمر كل واحد منهما في نفسه احدهما الاياس والقنوط والاخر الدعاء والسوال والطمع في الخير ليكون ذلك
عليهم دلالة الرسالة واية النبوة اذا انبأ عن ضمير كل واحد منهما وما في نفسه ليعلم انه رسول وانما علم
ذلك بالله جل وعلا والله اعلم والثاني ان الكفرة كانوا فرقا وكانوا على مذاهب شتى مختلفة فرقة كانت
تطمئن في حال الرخاء والسعة وتيئس وتنقلب في حال البلاء والشدة كقوله ومن الناس من يعبد الله على
حرف فان اصابه خير اطمأن به الاية وفرقة كانت تفزع الى الله تعالى وتقبل اليه عند اصابة الشدة والبلاء
وتعرض عنه عند كشف ذلك عنهم وتوسيع النعم عليهم نحو قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك الاية ونحوه كثير
في القرآن وفرقة كانت في الحالين جميعا على الاعراض عنه وترك الاقبال اليه والطاعة له لا يفزعون
اليه ولا يقبلون لا في حال الرخاء والسعة ولا في حال البلاء والشدة كقوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا
ولكن قست قلوبهم وفرقة كانت ترى الحسنة والخير من انفسهم واذا اصابت سيئة وشدة تطيروا بالرسل
عليهم السلام كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه
وقوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك واذا كانت الكفرة على هذه المذاهب المختلفة وكانت اخبارا شتى
فيكون كل اية منها في جنس غير الجنس الاخر وفي اهل مذهب غير اهل مذهب اخر فاما المسلمون فيكونون
في الحالين جميعا على التوحيد والاقبال الى الله تعالى في حال الرخاء والسعة وفي حال البلاء والشدة وهو
على ما استثناهم الله تعالى عند ذكر الكفرة حيث قال انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وقوله
تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الاية وامثال ذلك من الايات وصفهم جل وعلا بالثبات والقرار على دينهم
في الاحوال كلها والله اعلم والثالث جائز ان يكون ما ذكر من الاثنين على ما ذكر اخبار عما طبع عليه البشر وانشئ
وانما انشئ البشر وطبع على الرغبة في الخير والسعة والنفار عن الشدة والبلاء والكراهة له فهذا اخبار عما

الاخبار للعالم يتحقق

طبعوا عليه وانشئوا ليس على حقيقة اظهار ذلك منهم قولا او فعلا على ما طبع كل انسان راغبا حراصا في السعة
والرخا وانه ماذكر لا يسأم من دعاء الخير كارها فارا عن البلاء والشدة والله اعلم وقوله عز وجل ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي اي اعطانيه من خير علمه مني وجائز ان يكون
ماذكرنا انهم كانوا يتطيرون بالرسل عند البلاء والشدة والسعة يرون من انفسهم حيث قالوا فاذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه الاية وقوله عز وجل وما اظن الساعة قائمة كانوا ينكرون البعث والجزاء لما عملوا في الدنيا ثم
يقولون فلئن كان ما يذكر محمد من البعث والجزاء للاعمال والجنة ان ذلك لنا دونهم وهو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان
لي عنده للحسنى اي ان رجعت الى ربي على ما يقوله محمد ان لي عنده للحسنى وهو على ما قالوا في الدنيا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه لما رأوا السعة لانفسهم في الدنيا دون المؤمنين فعلى ذلك في الاخرة قالوا لنا دونهم والله الهادي ثم اخبر تعالى
عما لهم في الاخرة وهو قوله تعالى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ اي ننبئهم بخبر ما عملوا لان
ذلك كان منهم تمنيا وتشهيا بزيد يذيقهم العذاب الغليظ وقوله عز وجل واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض هو ما ذكرنا من دعائهم وسؤالهم الخير وطمعهم في ذلك وقوله فذو دعاء عريض
قال ابو عوسجة ونأى بجانبه اي تباعد عما قربه وذو دعاء عريض اي كثير الدعاء لا يمل ولا يسأم وكذا قال القتبي وقوله
تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله يقول ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به وجائز ان يكون على الابتداء
ليس بجواب لقوله ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به ويكون كان لم يذكر جواب ارأيتم ان كان من عند الله ثم
كفرتم به للمعرفة ان من تدعونه ماكان من عند الله انه ما يفعل بهم وما يصنع وهو كقوله تعالى ائفكا آلهة دون الله تريدون
فما ظنكم برب العالمين لم يذكر له جواب لما عرفوا ان من تريدون عبدوا دون الله بعد معرفتهم انه افك وانه كذب
وليس باله اي الله ماذا يفعل بهم فلم يذكر لهذا جواب لمعرفتهم بما يفعل بهم فعلى ذلك قوله قل ارأيتم ان كان من عند الله
ثم كفرتم به يجوز ان لم يذكر له جواب لما عرفوا انه ما يفعل بهم وما يستوجبون منه بما عاندوه وعادوه بعد معرفتهم
انه من عند الله جاء ثم كفروا به والله اعلم وان كان موصولا فجوابه ما ذكر من قوله من اضل ممن هو في شقاق بعيد فيكون
كانه يقول والله اعلم ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به فاذا كفرتم به ضللتم فمن اضل ممن هو في شقاق بعيد اي في خلاف
وبعد فيكون جوابه كانه قال لا احد اضل ممن عرف انه من عند الله ثم خالفه وتنا علمته على ما ذكرنا في قوله ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اختلف فيه قال بعضهم سنريهم اياتنا اي نريهم عذابنا الذي
نزل بالامم المتقدمة في بلاد عاد وثمود وقوم لوط كانوا يمرون عليها ويعرفونها انما نزل بهم ذلك بتكذيبهم
الرسل وعنادهم ونريهم عذابنا ايضا في انفسهم ببدر حيث قتل فراعنتهم يومئذ حتى يتبين لهم انه الحق
يقول ان القران هو الحق من الله لان فيه الاخبار عن العذاب الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال
بعضهم سنريهم اياتنا في الافاق هو ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على البلاد والقرى النائية وفتحها
عليه وفي انفسهم اي فتح مكة وظهوره عليهم على ما وعد له ربه جل وعلا من النصر له وفتح البلاد والقرى
فيكون هذا التأويل آية لرسالته ونبوته والله اعلم ويحتمل قوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم
ايات وحدانيته والوهيته اما في الافاق وما جعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ليعلم
انه تدبير واحد وفعل فرد لا عدد وان يكون اياته في الافاق رفع السماء مع غلظها وكثافتها وسعتها
بلا سبب ولا تعليق من اعلاها ولا عماد من اسفلها وفي انفسهم ما حولهم وقلبهم في الارحام من حال
النطفة الى حال العلقة ومن حال العلقة الى حال المضغة ثم من حال المضغة الى حال الانسان والتصوير
والتركيب الى اخر ما ينتهي اليه امره ليعلم انه صنع واحد وتدبير فرد لا تدبير لاحد سواه في ذلك فهذان
اثنان وبلاءان في اية الالوهية والوحدانية والاولان في اثبات الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل اولم يكف
بربك انه على كل شيء شهيد كانه يقول اولم يكف ربك شاهدا انه من عنده على ما تقول اولم يكف ربك
ناصرا او معينا ويكون قوله اولم يكف اي اولم يكفهم ما جاء من عند الله من البينات والقرآن كقوله اولم
يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية فعلى ذلك يحتمل هذا ويحتمل اولم يكفهم اية
على رسالتك او اية على وحدانية الله تعالى ما جاء من عند الله والله اعلم وقوله عز وجل الا انهم في مرية من لقاء
ربهم اي الا شكهم ومريتهم في البعث هو الذي حملهم على تكذيبهم ما جاء من عند الله وانكاره والله

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم عسق قال بعضهم حم هو اسم من اسماء الله تعالى
وقيل هو اسم من اسماء القرآن وقال بعضهم حم اي قضي ما هو كائن وقد ضعف هذا القول ابن عباس رضي الله عنه
والصحيح من الاقوال ان حم خبر مبتدأ محذوف وتنزيل الكتاب خبره من الله صفته للكتاب والتقدير هذا حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الرحيم وقال بعضهم في عسق عين عبارة عن عذابه والسين من المسخ والقاف كناية

عن القذف يقول صاحب هذا القول يخرج عين من الارض فيها عذاب ويمسخ رجل من هذه الامة بالبادية
يقذفه الناس بالحجارة والله اعلم وقال بعضهم وهو قول ابن عباس حمعسق على اسقاط حرف العين ثم يقول
السين كل فرقة يكون والكاف كل جماعة يكون وذكر ان يعلم علي بن ابي طالب كرم الله وجهه حساب العين
وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود وابي رضي الله عنه احمسق على طرح العين وقال بعضهم العين عبارة عن العذاب
والسين عبارة عن سيكون والكاف عبارة عن الوقوع اي قضي ما سيكون ذلك والله وذكر عن جعفر بن
محمد بن علي رضي الله عنهم قال العين عبارة من العذاب والسين عبارة من سيكون ولم يفسر القاف وقال
عجيب او كلام نحوه والله اعلم وقال بعضهم العين عبارة عن علمه والسين السلام والقاف عبارة عن
القدرة وكذا يحتمل وجائز ان يكون كل حرف من هذه الحروف المعطفة عبارة عن صفة من صفاته
او اسم من اسمائه على عادة العرب بالاكتفاء عن حرف عبارة عن جميع الكلمة فالحاء عبارة عن حلمه
وحكمته وحكمه والميم عبارة عن ملكه ومجده والعين عبارة عن علمه والسين عبارة عن سنائه وسودده
والقاف عبارة عن قدرته وقوته يكون كل حرف من هذه الحروف عبارة عن اسم من اسمائه او صفة
من صفاته وعبارة عن حكم من احكامه وهذا الذي ذكرنا كله على الامكان والاحتمال لا يسع ان يحقق فيه
التفسير انه كذا واراد كذا لانه من المتشابه وانه من السر الذي لم يطلع الله تعالى عليه احدا الا رسله عليهم الصلاة
والسلام وقوله عز وجل كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك اي كما اوحي اليك فقد اوحي الى الذين من قبلك
مثله ثم اختلف في قوله كذلك قال بعضهم اي كما اوحينا اليك بسورة حم عسق اوحينا بها الى الذين من قبلك
وقال بعضهم اي كما اوحينا اليك بهذه الحروف يعني حم عسق بعينها فقد اوحينا بعين هذه الحروف الى الذين
من قبلك وهو حم عسق وقال بعضهم كما اوحينا اليك حم عسق اوحينا الى الذين من قبلك من الرسل بمعنى ذلك
وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ليس نبي الا وقد اوحي اليه بحم عسق كما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على
ما ذكرنا وقوله له ما في السموات وما في الارض يخرج ذكر هذا في هذا الموضع على وجوه اي له ما في السموات وما في الارض
شهود على الوهيته ووحدانيته والثاني ان ما في السموات والارض وما فيها له دلالات وحدانيته وربوبيته
والثالث له ما في السموات وما في الارض اي كلهم عبيده وملكه فلا يحتمل ان يتخذ من ملكه وعبيده ما ذكروا
من الولد والشريك والصاحبة وما قالوا اذ لا احد يتخذ من عبيده ومن ملكه ما ذكروا من الولد والشريك
والصاحبة فعلى ذلك يتعالى الله من ان يكون له في ملكه ما ذكروا والله اعلم وقوله وهو العلي العظيم العلو والعظمة
في الشاهد يكون من وجوه ثلاثة احدها العلو عبارة عن القهر والغلبة يقال فلان عال اي غالب وقاهر والعظمة
عبارة عن القدر والمنزلة ونفاذ الامر والثاني يكون العلو عبارة عن الكبرياء والسودد وكذلك العظمة والثالث
العلو يكون عبارة عن الارتفاع في المكان والعظمة في البدن والنفس وهذا مما لا يكون فيه كثير منقبة
وقدر ولا شيء من ذلك ولا يزيد ذلك في صاحبه رفعة ولا مرتبة والله يتعالى عن الوصف بهذا فانما يرجع الوصف
له بالعلو والعظمة الى الوجهين الاولين والسلطان والقدرة ونفاذ الامر والمشيئة والكبرياء والغلبة
فاما ما رجع الى الارتفاع في الامكنة والعظمة في البدن فهو صفة المخلوق وهم الموصوفون بذلك تعالى
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن يحتمل وجهين احدهما تكاد يتفطرن
لذنوب اهل الارض وفسادهم وعظيم ما قالت الملاحدة في الله من الولد والشريك والصاحبة كادت تنشق
لذلك وتنسا قط كقوله في اية اخرى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن
ولدا بين في هذه الاية انها كادت تنفطر وتنشق لما ادعوا للرحمن ولدا فلذلك يحتمل ههنا هذا المعنى
والله اعلم والثاني كادت تنشق لبكاء اهلها عليها واشفاقا ورحمة على اهل الارض ويحتمل تكاد تنشق لعظمة
الرب وجلاله وعظم سلطانه كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
اخبر انه لو جعل في الجبال والارض والسماء من المعنى والتمييز ما جعل في البشر لكانت هذه الاشياء بالوصف الذي
ذكر من الخضوع لربها وهو كما ذكر في اية اخرى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه
الماء وان منها لما يهبط من خشية الله يخبر عن شدة خضوع هذه الاشياء وخشوعها لربها ونددها بتهالك
وعناد الكفرة واستكبارهم وقلة خضوعهم وخشوعهم لربهم والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله تعالى تكاد
السموات يتفطرن من فوقهن لكثرة اهلها وازدحامهم فيها وعبادتهم لربهم على ما ذكر في الخبر عن النبي صلى الله
عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط ما من موضع قدم فيها الا ساجد او راكع او قائم يسبح الله تعالى ويصلي له والله
اعلم وقوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم هذا يدل على ان ما ذكر من تفطر السماء لعظم ما يقوله الملاحدة فيه من
الشريك والولد والصاحبة حيث قال على اثره والملائكة يسبحون بحمد ربهم اي الملائكة ينزهونه ويبرئونه عما يقولون
فيه ويثنون عليه بالثناء الذي يليق به ويصفونه بما هو اهله والله اعلم وقوله ويستغفرون لمن في الارض تحتمل
جل وعلا بالتسبيح له والثناء له والاستغفار لاهل الارض على ما ذكرتم قال بعضهم ان قوله ويستغفرون
لمن في الارض منسوخ بقوله تعالى فاغفر للذين تابوا لان الاول عام لجميع اهل الارض والثاني خاص لكن هذا
بعيد محال ان يستغفر الملائكة ويطلبون التجاوز من ربهم لمن يقول له بالشريك والولد والصاحبة وان كان

كذلك كان استغفارهم يرجع الى المؤمنين خاصة على ما ذكر في اية اخرى ويستغفرون للذين امنوا وبقوله فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك فكان المراد من العام هو الخاص لان المراد منه العموم ثم صار ما نسوخا بوروده
متراخيا والله اعلم ثم ان كان استغفارهم لجملة اهل الارض على ما يقولون فهو عبارة عن طلب السبب الذي
تقع لهم المغفرة وهو التوبة عن الشرك والتوحيد فيكون هذا سؤالا التوحيد والهداية لهم ليقع المغفرة
له وان يجعله اهلا لذلك وكذلك امر الرسل عليهم الصلوة والسلام قومهم بالاستغفار لهم وهو ما قال
هود عليه السلام ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوله نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا لا يحتمل
ان يقولوا لهم قول استغفر الله ولكن يقولون لهم طلبوا وسألوا ربكم السبب الذي به يقع المغفرة لكم
وهو التوبة عما هم فيه واختيار الهداية والرشد لا نفسهم ليكونوا لذلك اهلا فعلى ذلك يخرج استغفار
الملائكة ان كان لجملة اهل الارض على ما يقول بعض اهل التاويل وعلى هذا لا حاجة الى النسخ ولا يحتمله وقوله
والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل قوله اولياء الاصنام التي عبدوها دون الله كقوله تعالى لا يتخذ المؤمنين
الكافرين اولياء من دون المؤمنين وقوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله وقوله الله حفيظ عليهم يخبر انه لا عن غفلة وجهل منه يعملون ما يعملون ولكنه حفيظ عليهم وعلى
اعمالهم لكنه يؤخر ذلك عنهم لحكمة والله اعلم وقوله وما انت عليهم بوكيل يحتمل وجهين احدهما وما كنت عليهم بوكيل
اي لا تؤاخذ انت بما بهم كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم والثاني ما انت عليهم بوكيل اي مسلط عليهم
ولا حفيظ انما انت رسول فعليك البلاغ كقوله تعالى ان عليك الا البلاغ وقوله وما على الرسول الا البلاغ والله
اعلم وقوله وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ليكون اقرب الى الفهم وليكون حجة عليهم وابلغ في الحجاج لانه
ذكر فيه الانباء السالفة والاخبار المتقدمة باللسان العربي بغير لسان تلك الانباء ومن غير ان يختلف الى احد من
اهل ذلك اللسان او تعلم منهم بلسانهم والنقل بلسان نفسه فدل انه انما عرف بالله تعالى وقوله لتنذر ام
القرى ومن حولها اي لتنذر اهل ام القرى واهل من حولها من القرى ثم يحتمل تسمية مكة ام القرى وجوها
ثلثة احدها سماها ام القرى لما منها دحيت سائر الارضين والقرى والثاني سماها ام القرى لانها اول بيت وضع
للناس واول بناء بني في الارض فسماها لذلك ام القرى والله اعلم والثالث سماها ام القرى لما على الناس ان يؤموها
ويقصدوها بالزيارة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما بعث رسولا فيها فالناس يؤمون ويقصدونها بالنبوة اول
مبتما يؤم ويقصد ثم من بعد ذلك يؤم الى سائر القرى والبلدان ويقصد والام القصد ومنه اخذ التيمم ولذلك
سماها ام القرى والله اعلم وقوله وتنذر يوم الجمع اي وتنذر بيوم الجمع ويحتمل ان يكون قوله وتنذر يوم الجمع
اي تنذر بالقران يوم الجمع لا ريب فيه وقوله فريق في الجنة وفريق في السعير قد بين الله تعالى السبلين جميعا على
الابلاغ وبين عاقبة كل سبيل الى ما ذا يفضي من سلكها والله اعلم وقوله ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة يخبر
ان عنده من اللطايف والقدرة ما لو شاء لجعلهم جميعا امة واحدة وعلى دين واحد وهو ما قال ولولا ان
يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية فلو جعل ذلك لاهل التوحيد
والايمان لكانوا جميعا على دين الاسلام على ما اخبر انه لو كان ذلك مع اهل الكفر لكانوا جميعا اهل كفر ثم قوله
ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولا يحتمل مشية الجبر والقسر على ما يقوله المعتزلة لوجوه احدها انه لا يكون
الايمان في حال الجبر والقهر لانه لا صنع لهم في ذلك ولا اختيار لهم والثاني ان كل احد بشهادة الخلقة مؤمن
موحد لله تعالى ثم لم يصيروا بذلك مؤمنين فعلى ذلك بالجبر والقهر اذ في الحالين ليس فعل المؤمن انما هو فعل
غيره فدل انه اراد ان يشاء منهم ما يكون مختارين في الايمان لا مجبورين والثالث ان الايمان بالجبر والقهر
مما لا يعرفه الناس ولا يطلق اسم الايمان عليه في العرف وقد وعدهم الايمان وجعل الدين واحدا وهذا عند
التعارف ينصرف الى ما يوجد منهم عن طوع واختيار لا بالجبر والقهر فيكون الاية منصرفا الى المعهود عند الناس
على ما هو الاصل في الكلام والله الموفق وعندنا اراد به مشية الاختيار واخبر ان عنده من اللطايف ما لو اعطى
لهم لاهتدوا بذلك التجاوز ويصيروا اهلا لذلك وعلى ذلك يخرج استغفار ابراهيم عليه الصلوة والسلام لابيه انه سأل
وطلب السبب الذي به يقع المغفرة له
الكل لامنوا جميعا عن اختيار لكنه لم يعطهم ذلك ولم يشأ لما علم منهم انهم لا يرغبون فيه ولا يختارون ذلك
لكن انما يختارون ضد ذلك ونقيضه لذلك لم يشأ لهم وانما شاء لمن علم انه يختار ذلك فضلا وقوله ولكن
يدخل من يشاء في رحمته يخبر ان من اعطى ذلك انما يعطيه رحمة منه وفضلا لا انهم يستوجبون ذلك
منه ويستحقون عليه والله الموفق ثم ان الله تعالى سمى الايمان مرة رحمة بقوله ولكن يدخل من يشاء في رحمته
ومرة سماه منة بقوله ولكن الله يمن على من يشاء وبقوله بل الله يمن عليكم ان هداكم الاية فلو كان الايمان
يقوم بالذي يكون الكفر من القدرة ولم يكن من الله تعالى الى المؤمنين الا وقد كان مثله الى الكافر على ما يقوله
المعتزلة ان الايمان انما يكون بالذي يكون الكفر لم يكن لتسميته اياه نعمة ومنة ورحمة وتسمية الكفر خذلانا معنى
والله الموفق وبعد فانه لو كان على ما يقوله المعتزلة لكان ما ذكر من النعمة والمنة والرحمة انما يكون بالخلق منهم لا
بالله تعالى ومنه دل ان عنده لطائف من اعطى تلك اللطائف امن واهتدى ومن لم يعطه اياها لم يؤمن وقد اعطى

في استغفار ابراهيم عليه السلام لابيه

المؤمن ذلك ولم يعط الكافر لذلك كان ما ذكرنا والله الموفق ثم في تخصيص ام القرى ومن حولها بالنذارة وجوه
ان ذكر في اية اخرى انه نذير للعالمين جميعا بقوله ليكون للعالمين نذيرا فاذا كان مبعوثا الى جميع العالم لا الى بعض دون
بعض كما كان بعض الانبياء عليهم السلام فلو به اي يكون لتخصيص ام القرى ومن حولها معنى وحكمة احدها لما
يحتمل ان يكون لاهل مكة طمع في شفاعته وان لم يتبعوه اذ حق القرابة والاتصال وانما يحق الايادي ولمن
حولهم بحق الجوار فذكر تخصيصهم بالانذار بيوم الجمع حتى يزول طمعهم بدون الاتباع والنزوع عن الشرك
اذ ذلك لا يزول بمطلق الانذار لما عندهم في زعمهم ان المراد بذلك غيرهم لما لهم من زيادة سبب الوسيلة معه
والثاني ان ينذر هولاء ومن ذكر شفاها ولمن بعد منهم خبرا او خص هولاء بحق البداية ثم بالاقرب فالاقرب
وعلى ذلك يخرج قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين على الوجوه التي ذكرنا وقوله سبحانه وتعالى والظالمون ما لهم
من ولي ولا نصير اي ما لهم من ولي يشفع ولا من ينصرهم ويمنعهم من عذاب وقوله ام اتخذوا من دونه اولياء اي
اربابا والله هو الولي اي هو الرب وهو يحيي الموتى وقد عرفوا ان الاحياء انما يكون بالله تعالى لا بالاصنام التي عبدوها
وان كانوا ينكرون البعث والاحياء بعد الموت فلو عرفوا انه لو كان انما يكون بالله تعالى لا بالاصنام التي عبدوا دونه
وهو على كل شيء قدير ظاهر قد تقدم ذكره وقوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله يحتمل قوله وما اختلفتم فيه
وجوها احدها في القران والثاني في رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالث في الدين فان كان اختلافهم في القران
فقوله فحكمه الى الله فيما اقام من الحجج والبراهين انه من الله وانه من عنده جاء حيث عجزوا عن اتيان مثله ومقابلة
شيء بوازيه وان كان اختلافهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رسول فقد اقام رسول من الدلائل والبراهين
ما يدل على رسالته ونبوته سمعيات وعقليات ما لا يتعرض لردها الا من كابر عقله وعاند لبه وكذلك لو كان اختلافهم
في الدين فقد اقام ما يعلم كل ذي عقل ولب انه هو الصواب وان غيره من الاديان ليس بحق وقال بعض اهل
التاويل في قوله وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله اي الى كتاب الله كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول اي الى كتاب الله لكن هذا لا يصح لان قوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول انما هو في المؤمنين
انه لو وقع بينهم الاختلاف في شيء من الاحكام يرد ذلك الى كتاب الله والى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم واما قوله
تعالى وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله انما هو في محاجة الكفرة فهو في غير ذلك المعنى اذ هم لا يعتقدون كونه
حجة وانما يرجع الى دليل الحق عقلي وقوله ذلكم الله ربي اي ذلك الذي يفعل هذا هو ربي عليه توكلت وكل
امري واليه انيب بالطاعة ويحتمل ان يكون اختلافهم الذي ذكر هو اختلافهم في الله تعالى
كقوله والذين يحاجون في الله وقوله ذلكم الله ربي اي ذلكم الله الذي اختلفتم فيه هو ربي عليه توكلت
اي عليه اعتمدت واليه انيب اي اليه ارجع ثم نعته فقال فاطر السموات والارض وقال
هو في موضع اخر الحمد لله فاطر السموات والارض وفي موضع اخر خلق السموات والارض وقال
في موضع اخر بديع السموات والارض قال بعض الباطنية المبدع هو الذي ينشئ الاشياء لا من شيء
والخالق هو الذي ينشئ الشيء من شيء ومن لا شيء والفاطر هو الذي ينشئ من شيء ونحوه من الكلام
وعندنا ان هذه الاسماء وان اختلفت الفاظها وافترق اشتقاقها وما خذها هي في المعاني واحدة
الابداع هو الانشاء بلا احتذاء سبق والخلق هو الانشاء والتقدير لكن غيره لا يجوز ان يسمى
خالقا لانه لا يقدر على تقدير شيء الا على مشاهدة عاينه وراءه والفاطر كانه ماخوذ من الفطق يشق
الشيء ويخرج منه شيئا كله خلق وفاعله خالق على الحقيقة وهو الله تعالى وبالله القوة والتوفيق وقوله
جعل لكم من انفسكم ازواجا اي جعل من نفس ادم وحوا عليهما السلام ازواجا نسبنا جميعا اليهما
لانهما الاصل وانا جميعا انما كنا من ذلك الاصل وهو كنسبة ابانا الى التراب بقوله خلقكم من
تراب وانما خلق اصلنا من التراب لكنه نسبنا اليه لما منه كنا جميعا فعلى ذلك جائز ان يكون قوله
جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من نفس ادم وحوا ونسبنا اليهما لما منهما كنا جميعا والله اعلم والثاني
يقول جعل بعضكم من بعض ازواجا اي حلائل اي خلق الاناث من الرجال والرجال من الاناث وهو ما
ذكر في اية اخرى جعل لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها الاية والثالث اي جعل لكم من مثل خلقكم زوجا
اي اصنافا واشكالا لا جعل الخلائق كلها من الاشكال والامثال ومن الازواج وكذلك يخرج قوله ومن الانعام
ازواجا على وجهين احدهما يقول والله اعلم انه جعل الانعام ايضا في تلك الازواج والاشكال والثاني جعل
منها الذكور والاناث ايضا كما جعل من البشر وقوله يذرؤكم فيه اختلف في تاويل قوله يذرؤكم
والمراد بقوله فيه ان الهاء كناية عن ماذا قال بعضهم يذرؤكم اي يكثركم وقيل يبثكم فيه وقيل يذرؤكم
اي يعيشكم وقيل يخلقكم واما قوله فيه فقال بعضهم يحتمل قوله فيه الهاء فيها كناية عن الدنيا وكذلك
في حرف ابن مسعود رضي الله عنه يذرؤكم فيها اي في الدنيا لما جعل البشر فيها من انواع المنافع والملاذ
فلابد يذرؤكم فيه يعني الخلق فهو يجعله كناية عن العالم كانه يقول يذرؤكم فيه اي يخلقكم في العالم ويكثركم
فيه ويعيشكم ويعزكم وقال بعضهم يذرؤكم اي يكثركم في هذا التزويج الذي جعل بينكم اي يكثركم
في هذا التزويج الذي جعل بينكم اي يكثركم بسبب هذا التزويج بكثرة التناسل وجائز ان يكون قوله فيه كناية

عن الذي بير يقول يذرؤكم فيه نسلا بعد نسل كقوله تعالى ذرأكم في الارض وهو قول القتبي وابو عوسجة

وقوله عز وجل ليس كمثله شيء لا يشبه الاشياء لا تشبيه بان مثله يقول تعالى ليس كمثله شيء يقول الله

اولى يكن له مثل لا يذكر كما في التشبيه حيث قال ليس كمثله شيء لكن نفي شبه الاشياء عن مثله فيكون فيه

اثبات مثل له لا تشبهه سائر الاشياء سواها وكلام في هذا وعندنا قوله تعالى ليس كمثله شيء اي ليس

مثله شيء والكاف زائد وقال بعضهم اي ليس كهو شيء والعرب قد تقيم المثل مقام النفس واصله ان الخلق

ذوو عدد وكل ذي عدد له اشكال وامثال من حيث العدد والاصل في ذلك ان الخلق وان كان لهم اشكال

واشكال واشباه فليس يشبه بعضهم بعضا من جميع الوجوه وكل الجهات ولكن اشبه بعضهم بعضا

من جميع الوجوه او بوجه او بصفة او جهة او نفس صار بعضهم امثالا لبعض واشباها بتلك الجهة

وبذلك الوصف فدل ان الله تعالى ليس يشبه الخلق ولا له مثال منهم بوجه من الوجوه ولا له شبيه منهم

لا ما يرجع الى النفس وهو تعالى بريء من جميع معاني الخلق وصفاتهم وذلك قوله تعالى ليس كمثله شيء انه

شيء لا كالاشياء نفى عن نفسه المثلية ولم ينف الشيئية لكن قال ليس كمثله شيء لا كالاشياء فينفي عنه شبه الاشياء والشيء

اثبات وفي الاثبات توحيد ولو لم يكن شيئا لكان هو قول ليس هو شيء [illegible] ذكره قوله سبحانه

وهو السميع البصير قد ذكرناه في غير موضع والله الموفق وقوله عز وجل له مقاليد السموات والارض وقال

في اية اخرى وعنده مفاتح الغيب وقوله ولله خزائن السموات والارض وقوله بيده ملكوت كل شيء وغير

ذلك من الايات فيها ذكر المفاتح والمقاليد والخزائن التي اضافها الى نفسه ثم لم يفهم الخلق من المفاتيح

المضافة اليه والمقاليد والخزائن ما يفهمون لو اضيف الى الخلق بل فهموا من المفاتح المضافة الى الخلق والمقاليد

المنسوبة اليهم حتى لم يفهموا ذلك المعنى من المفاتح والمقاليد المضافة الى الله تعالى فما يفهم

من قوله بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان وقوله لما خلقت بيدي استكبرت ونحو ذلك

ما يفهمونه من اليد المضاف الى الخلق لكنه ذكر المفاتح والمقاليد واضافها الى نفسه لان كل محجوب مستور

عن الخلق فيما بينهم انما يوصلهم الى ذلك المحجوب والمستور عنهم بالمفاتيح والمقاليد الذي ذكر فعلى

ذلك ما اضاف الى نفسه من اليد وغيرها لما باليد يبسط وبها يقبض وبها يجمع وبها يمسك ويفعل ما

يفعل فاضاف الى نفسه ما به يكون في الشاهد من الفعل والبسط والمنع [illegible] هذه الافعال والله الموفق

وقوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ذكرنا فيه دلالة نقض قول المعتزلة لان الرزق المذكور يحتمل وجوها

احدها ما ذكر في قوله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وهو المطر والثاني الاملاك التي يكتسبون

والثالث [illegible] التي جعل لهم تلك الاملاك التي يكون لهم والمنافع التي ينتفعون

بها وجعلت لهم انما يكون باسباب واكتساب [illegible] اضاف ذلك الى نفسه في البسط والتقتير حيث

قال يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر دل ان لله تعالى في ذلك صنعا وتدبيرا وهو ان خلق اكسابهم واسبابهم

التي بها يوصل لهم الرزق وقوله انه بكل شيء عليم وقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

هؤلاء وغيرهم امر ان نقتدي بما هم عليه دل ان ذكر البعض في موضع ليس للتخصيص لما ذكر البعض

في موضع الغير والله اعلم ويحتمل تخصيص هؤلاء بالذكر لمعنى لم يطلعنا الله على ذلك المعنى كما خص ابراهيم

بالصلوة عليه على ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كما صليت على ابراهيم لمعنى لم يطلعنا على ذلك

والله اعلم وقوله ولا تتفرقوا فيه اي في عبادة الله تعالى اي اعبدوه جميعا يحتمل وجهين احدهما ولا تتفرقوا

فيه اي في عبادة الله تعالى اي اعبدوه جميعا والثاني لا تتفرقوا فيه اي في الدين الذي ذكر وهو التوحيد

والله اعلم وقوله عز وجل كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي عظم عليهم دعاؤك الى التوحيد وعبادة الله

وحده وقوله الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب هذا ينقض على المعتزلة لانه تعالى اخبر انه

كمثله شيء ليس

يبسط

استجابة دين

مما يحفظ كما صليت على ابراهيم لا تتعرف معناه

يجتبي اليه

يجتبي اليه من يشاء ولو كان على ما يقوله المعتزلة انه قد اعطى الكل جميع ما اعطى المؤمن حيث صار مجتبى

مصطفى مختارا انما كان منه بفعله لا من الله تعالى وقد اخبر انه هو يجتبي من يشاء وهو يهديه فيبطل قولهم

وقوله ويهدي اليه من ينيب اي هو يهدي من يطلب منه ما به يكون الهدى وهو التوفيق اي ما لم يطلب

منه ذلك ولم يسأله فانه لا يهدي له ولا يوفقه وقال بعضهم ويهدي اليه من ينيب تفسير قوله

تعالى الله يجتبي اليه من يشاء اي يجتبي للهداية من ينيب اليه فاما من لم ينب اليه فلا يجتبيه للهداية

لكن المراد من الهداية ههنا ليس هدى البيان لان هدى البيان قد كان عاما لمن اناب اليه ومن

لم ينب ولكن الهدى ههنا هدى الرحمة او هدى النعمة سمى التوحيد والايمان مرة رحمة كقوله تعالى

ولكن يدخل في رحمته ما يشاء وسماه نعمة كقوله صراط الذين انعمت عليهم وسماه منة كقوله تعالى

بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وسماه نورا كقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على

نور من ربه فلذلك قلنا ان الهدى المذكور ههنا ليس هو هدى البيان ولكن سواه والله اعلم وقوله

عز وجل وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم هذا يخرج على وجوه احدها اي انهم تفرقوا في رسول

الله محمد عليه افضل الصلوة بعد ما جاءهم العلم في كتبهم انه رسول كانوا يجدون نعته وصفته في

كتبهم لكنهم اختلفوا وتفرقوا فامن بعضهم به على ما وجده في كتبهم وكفر بعض وحرفوا ما في كتبهم من نعته

وصفته والله اعلم والثاني اي وما تفرقوا فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الا من بعد ما جاءهم

العلم ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي وصى به نوحا ومن ذكر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام

ويحتمل اي وما تفرقوا في الايمان بالرسل والكفر بهم الا من بعد ما جاءهم العلم انهم على الحق وانهم رسل

الله مبعوثون اليهم فتفرقوا فامنوا بالبعض وكفروا بالبعض بغيا بينهم ويحتمل اي وما تفرقوا الا من

بعد ما جاءهم العلم ان التفرق ضلالة وهلاك اي عن علم بالفرقة انها ضلال وهلاك تفرقوا والله

اعلم وقوله عز وجل بغيا بينهم يحتمل حسدا بينهم لما قيل انهم كانوا مؤمنين به قبل ان يبعث لما وجدوا نعته وصفته

في كتبهم ظنا منهم ان الله يبعث منهم فلما بعث من غيرهم حسدوه وكفروا به والله اعلم ويحتمل قوله بغيا بينهم اي

عدوانا او ظلما يكون فيما بينهم ذلك التفرق وقوله ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضي بينهم اي لولا كلمة

سبقت من ربك في تأخير العذاب عنهم الى وقت والا كانت الكلمة منه في تعجيل العذاب بهم والله اعلم وقوله

عز وجل وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اي ان الذين اعطوا الكتاب من بعد الرسل الذين ذكر لفي شك منه

مريب اخبر انهم كانوا في شك مما جاء به الرسل لكنهم لم يعذروا في شكهم لما تركوا النظر والتفكر في ذلك ولو نظروا

في ذلك وتفكروا فيه لوقع ذلك لهم وبان الحق فلم يعذروا في ذلك لانه منهم كان ذلك الشك والريب ولو تفكروا

ولو نظروا لتجلى لهم وقوله عز وجل فلذلك فادع واستقم كما امرت اختلف في قوله تعالى فلذلك فادع واستقم عن

ابن عباس رضي الله عنه اي فبهذا القران الذي انزل اليك فادع وكذا قال قتادة فبهذا القران فادع وقيل فلذلك

وعدا ان ينزل عليك فادع وقال بعضهم اي والى ذلك الكتاب فادع وقيل فالى التوحيد الذي بعث الرسل الى الدعاء

اليه فادع وقال بعضهم فبذلك اي فلاجل الذي بعث الرسل فادع اي ادع الى التوحيد الذي لاجله بعث الرسل والله

اعلم ثم ان قوله فاستقم كما امرت دليل على انه كان قد سبق له الامر بالاستقامة ثم يحتمل ما ذكر من الاستقامة

التي امر بها هو تبليغ الرسالة اليهم ويحتمل العبادة له والطاعة ويحتمل الاستقامة في التوحيد له وما التبليغ اليه والله

اعلم وقوله ومن تاب معك على هذين الوجهين الاخرين يخرج الامر بالاستقامة لمن تاب معه والله اعلم وقوله ولا تتبع

اهواءهم اي في ترك الدعاء الى التوحيد اذ هو هوى الكفرة ان يترك هو الدعاء الى التوحيد ويحتمل انه نهي عن اجابته

اياهم فيما دعوه اذ هوى الكفرة ان يجيبهم فيما دعوه اليه من الشرك والله اعلم وقوله وقل امنت بما انزل الله

من كتاب امره بان يخبر بانه مؤمن بجميع الكتب التي انزل الله ليوافقوه في الايمان بجميع الكتب اولئك الكفرة كانوا

يؤمنون ببعض الكتب ويكفرون ببعض وقوله عز وجل وامرت لاعدل بينكم يحتمل وجوها احدها اي امرت

لاعدل بينكم يحتمل في الحكم اي احكم فيما بينكم بالعدل كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا

اعدلوا ويحتمل قوله وامرت لاعدل بينكم في الدعاء الى توحيد الله ودينه والعدل في الدعاء دعاؤهم

الى دينه الذي امر ان يدعوهم اليه وجائز ان يكون قوله وامرت لاعدل بينكم اي امرت ان اكون عدلا

فيما بينكم اي يسوي بينهم ثم نعت الذي كان يدعوهم الى توحيده وهو قوله الله ربنا وربكم وقوله لنا اعمالنا ولكم

هذا يخرج على وجهين احدهما على المنابذة كقوله لكم دينكم ولي دين وانما يقال هذا بعد ما انتهت الحجج غايتها والحجاج

نهايته فلم ينجع ذلك فيهم وايسوا منهم والثاني يقول انا لا نؤاخذ باعمالكم ولا انتم تؤاخذون باعمالنا فانما عليه

ما حمل وعليكم ما حملتم ونحوه وقوله لا حجة بيننا وبينكم يحتمل قوله لا حجة بيننا وبينكم اي لا حجة بقيت فيما ندعو

وندعوكم اليه الا وقد اقمناها عليكم اي لم يبق حجة في ذلك الا وقد اقمناها ويحتمل ان يقول لا حجة بيننا اي لا حجة

ولا خصومة بيننا بعد ما بلغ الامر ما بلغ ثم قال الله يجمع بيننا في الاخرة واليه المصير وقوله والذين يحاجون

في الله من بعد ما استجيب له قال بعضهم ان اهل الكفر قالوا للمؤمنين ان دينكم الاسلام انما كان ما دام محمد بين

اظهركم وما دام حيا فاذا مات تصيرون انتم ومن تبع الاسلام الى ديننا او كلام نحوه فنزل لقولهم

مما يحفظ الية

مطلبا يحفظ هدى البيان وهدى الرحمة والنعمة والنور

وقوله والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وقال بعضهم ان اليهود قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للمؤمنين ان ديننا افضل من دينكم لانه دين الانبيا عليهم السلام فنزلت
الاية فهم يقولون هذا ان ديننا افضل لانه دين الانبيا فقال حجتهم داحضة اى هكذا اذا كانوا على دين الانبيا
وهو الاسلام فاما اذا تركوا دين الاسلام وتمسكوا باليهودية واختاروها فليس بافضل ولا شيء دونها
وقال بعضهم ان قريشا قالوا كيف نعبد من لم نره ولم نعاينه انما نعبد من نعرف كيف هو وكيفيا وكلام نحو هذا فنزلت
والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب لهم حجتهم داحضة عند ربهم لان التوحيد ومعرفة الله تعالى
انما يكون بالدلائل والايات في الدنيا عن غيب ليس بالمعاينة والمشاهدة فنزول الامتحان ان احتمل ان يكون
نزول الاية لقول كل من اولئك على ما ذكر اهل التاويل ويحتمل ان يكون على غير ذلك ومعناه والذين يحاجون
في الله في دفع ايات الله وردها ويحتمل يحاجون في دفع توحيد الله والوهيته من بعد ما استجيب له اى من بعد ما تجلى
بحق الخلقة انه واحد وانه رب كل شيء ويحتمل قوله من بعد ما استجيب بما في كتبهم من الايمان بها وبما فيها من
نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته ثم اخبر ان حجتهم داحضة عند ربهم هذا يخرج على وجهين
يحتمل اى حجتهم داحضة يوم القيمة اى باطلة غير مقبولة ويحتمل اى حجتهم داحضة في الدنيا بما اقام الله تعالى
من حجج التوحيد فابطل حججهم وقوله وعليهم غضب ولهم عذاب شديد بيان الجزاء لهم في الاخرة وقوله الله
الذي انزل الكتاب بالحق والميزان يحتمل قوله بالحق الذي لله عليهم وبالحق الذي لبعضهم على بعض والميزان
اى بالعدل فيما بينهم اى بالعدل فيما بينهم اعنى الخلق وجائز ان يكون قوله بالحق اى بالصدق بما فيه من الانباء
والاخبار والميزان اى بالعدل في الاحكام جعل الميزان كناية عن العدل اى هو طريق العدل وسببه وهو
كقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله وقوله تعالى ولا يجرمنكم
شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا وقوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا اى صدقا فيما فيه من النباء والخبر
وعدلا في الحكم فيما بينهم والله اعلم ثم قوله تعالى يحتمل ان يكون على الكتاب وهو الظاهر والمراد منه
العدل فيصير تقدير الاية والله اعلم الله الذي انزل الكتاب بالحق وانزل العدل فيما بين الخلق او انزل
العدل في الاحكام ويحتمل ان يكون عطفا على الحق فيصير تقديره انزل الكتاب بالحق وبالعدل في الاحكام
وفيما بينهم والله اعلم وقوله عز وجل وما يدريك لعل الساعة قريب لم يطلع الله جل وعلا احدا العلم بوقت
الساعة على ما ذكرنا في غير موضع وقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها كان استعجالهم بها استهزاء منهم
وتكذيبا لهم انها كائنة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوعدهم بها ويخبر انها كائنة فكانوا
يستعجلون استعجال تكذيب لها وقوله والذين امنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق لان لاهل
الايمان والتوحيد زلات ومساوى لم يتبين لهم التجاوز عنها والعفو منها فيكون ابدا خائفين مشفقين
لتلك الزلات والمساوى وما يكون فيها من الاهوال والافزاع فاما اهل الكفر فهم لا يؤمنون بها ولا
يصدقون انها كائنة فلا يخافونها وما فيها من الاهوال وقوله عز وجل الا ان الذين يمارون في الساعة لفى ضلال
بعيد قوله يمارون يحتمل يجادلون ويخاصمون فيها انها ليست بكائنة ويحتمل يمارون من المرية وهو الريب
والشك اى يشكون فيها ودل قوله لفى ضلال بعيد انهم لا يؤمنون ابدا وقوله عز وجل الله لطيف بعباده
يرزق من يشاء بغير حساب من الناس من قال ان الاية وان جاءت مخرجا عاما فهى خاصة للمؤمنين هو لطيف
اى بار للمؤمنين بها ومنهم من يقول ان الاية للفريقين جميعا للكافر والمؤمن بارهما بما يرزقهم جميعا
الكافر والمؤمن فاما في الاخرة فهو رحيم بار بالمؤمنين خاصة ويحتمل ان يكون رحيم بار بالفريقين اما في حق
المؤمنين لا شك انه بار رحيم بهم واما الكافر بار في حقهم حيث اخر عنهم العذاب في الدنيا ثم في حق
الجنة يجوز ان يوصف بالرحمة في الفريقين جميعا على ما ذكرنا فان قيل انه وصف بالحلم والرحمة وقد اخبر انه
يعذبهم في الاخرة قيل انه وان عذبهم فان ذلك لا يخرجه عن الحلم والرحمة لانه لو ترك تعذيبهم يكون
سفيها لانهم قد استحقوا بالكفر التعذيب ابدا وليس في التعذيب خروج عن الرحمة والحلم بل في ترك
التعذيب سفه وخروج عن الحكمة لذلك كان ما ذكرنا والله الموفق وقوله عز وجل يرزق من يشاء قد ذكرنا
في قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء تاويله ومعناه والله اعلم وقوله عز وجل وهو القوى العزيز هذا يخرج على وجهين
احدهما انه لا يقوى بشيء مما امرهم به وامتحنهم ولا يعوزه لانه قوى بذاته عزيز بنفسه والثانى القوى
في الانتقام والانتصار من اعدائه لاوليائه العزيز الذي لا يعجزه شيء ولا يلحقه الذل في ترك الطاعة له والايتمار
وقوله عز وجل من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها جعل
الله تعالى الدنيا مزارع لاهلها ما زرعوا فيها حصدوا ذلك في الاخرة ان زرعوا خيرا حسنا حصدوا
خيرا ونعيما في الاخرة وان زرعوا شرا وسوءا حصدوا في الاخرة شرا وعذابا دائما وكذلك صير متجرا يتجرون
فيها فان اتجروا خيرا وحسنا ربحوا في الاخرة وان اتجروا شرا وسوءا خسروا في الاخرة وكذلك صيرها مسلكا
الى الاخرة والاخرة غاية لها فان سلكوا سبيل الخير وما امروا به افضى بهم ذلك الى الخير والنعيم الدائم
والسرور وان سلكوا سبيل الشر وما نهوا عنه افضى بهم الى العذاب الدائم والحزن الدائم وما ذكر في

غير اى من القران من قوله ان الله اشترى من المؤمنين الاية وقوله عز وجل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء
مرضاة الله الاية وقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى الاية وقوله اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة وقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الاية ونحو ذلك كثير على هذا التجار
الدنيا والاخرة والله اعلم ثم قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه يخرج على وجهين احدهما
اى من كان يريد بمحاسنه في الدنيا وخيراته ثواب الاخرة وخيراته نزد له في الدنيا والاخرة اما في الدنيا
هو التوفيق على الطاعات والزيادة له والنماء واما في الاخرة فالنعيم الدائم والسرور الدائم والثانى اى من
كان عمل للاخرة وسعى لها نزد له ما ذكر من المحاسن ويكون الارادة ههنا صفة لكل فاعل كقوله ومن
اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وهى لا يكون بدون الفعل فكان ذكرها ذكرا للفعل ضرورة فكان
المراد منها الارادة مع الفعل فكذلك يخرج قوله ومن كان يريد ثواب الدنيا نؤته منها على وجهين احدهما
من كان يريد محاسن الدنيا وسعتها نؤته منها ونوسع عليه والثانى من كان يريد اى من عمل للدنيا وسعى لها نؤته
منها وما عملهما وما له في الاخرة من نصيب وقوله ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله
قال بعض اهل التاويل ام لهم الهة دون الله شرعوا لهم اى سنوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله يعنون بالشركاء
الاصنام التى عبدوها لكن علموا ان الاصنام لم يشرعوا لهم من الدين شيئا الا ان يقال باذن اضاف ذلك الى
الاصنام لما هم شرعوا لانفسهم عبادتها فاضيف اليها لذلك وهو كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس
وانهن لم يضللن احدا لكنه اضاف اليهن لما بهن ضلوا فاضاف اليهن الاضلال لما بهن ضلوا
فاضاف اليهن على التسبب فعلى ذلك الاول يحتمل ذلك ويشبه ان يكون غيره اولى بذلك وهو ان القادة
والرؤساء هم الذين سنوا للاتباع وشرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله اى ما لم يامر به الله وهم
كذلك كانوا يفعلون يشرعون للاتباع دينا من ذات انفسهم بلا حجة ولا برهان فيتبعون به والرسل عليهم
الصلوة والسلام قد اتوهم بالدين بالحجج والبراهين من الله تعالى فلم يتبعوهم فيقولون انهم بشر تتبعون
بشرا بلا حجة ولا برهان يذكر سفههم فيما ذكر فكان المراد من الشركاء هم الرؤساء والقادة والله
اعلم وقوله قال ابو عوسجة والقتبى من كان يريد حرث الاخرة اى عمل الاخرة يقال فلان يحرث للدنيا اى يعمل
لها ويجمع المال ومنه قول ابن عمر رضى الله عنه احرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك
تموت غدا ومنه سمى الرجل حارثا شرعوا لهم اى ابتدعوا وسنوا وكذلك في قوله شرع لكم اى ابتدع وسن
وقوله عز وجل ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب اليم يحتمل وجهين احدهما
الحكم كانه يقول لولا ان الله تعالى حكم في هذه الاية بتاخير العذاب الى يوم القيامة وهو ما ذكر انه
بعث رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة لهم بقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والثانى الفصل الذى
تاويله لولا ما وعد في الدنيا انه يفصل بينهم ويبين في الاخرة بما ذكر هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين
ونحوه وقيل ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق ان الجزاء يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا والله
اعلم وقوله عز وجل ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم ذكر اشفاق الكفرة والظلمة في
الاخرة واشفاق المؤمنين وخوفهم في الدنيا فمن خاف عقوبته في الدنيا امنه الله تعالى عن خوف
الاخرة ومن استهزاء بعذاب الله في الدنيا خوفه الله في الاخرة وعلى ذلك يخرج قوله عليه الصلوة والسلام
لا يجمع الله على احد خوفين خوف الدنيا وخوف الاخرة من خافه في الدنيا امن في الاخرة ومن لم يخف
في الدنيا خاف في الاخرة ثم اخبر ما للمؤمنين في الاخرة وهو قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذكر ما لكل فريق بما كسبوا في الدنيا والاخرة قال القتبى وابو عوسجه
الروضة البستان وقال الكسائى الروضة العشب حول الغدير وقوله عز وجل ذلك هو الفضل الكبير اخبر
ان ما يعطى لهم من الاخرة والفضل منه لانهم لا يستوجبون ذلك وسماه كبيرا لانه دائم لا ينقطع
ابدا وقوله ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات قوله ذلك الذى يبشر هذا اى
الذى ذكر من الفضل الكبير وقال الاخر يعطيهم يبشر الله تعالى به من ذكر من عباده الذين امنوا وعملوا
الصالحات والله اعلم وقوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال بعض اهل التاويل
قالت الانصار انا فعلنا وفعلنا كذا فكانهم افتخروا وقالوا لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك النبى صلى
الله عليه وسلم فاتاهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول
الله قال الم تكونوا فقراء فاغناكم الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبوننى قالوا ما نقول
يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فاويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك
فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب بين يديه وقالوا اموالنا وما في ايدينا لرسول الله والفضل
لرسول الله ولرسوله فنزلت قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى لكن
ذكر في الخبر ما لا يليق ذلك بالانصار ان يظنوا ذلك برسول الله وكذلك ما ذكر من فخرهم وقولهم لنا
الفضل عليكم هذا لا يحتمل منهم فدل ان الحديث غير صحيح او الزيادة التى لا يحتمل والله اعلم وفى بعض

مما يحفظ الارادة لا يكون بدون الفعل

احرث لدنياك كانك تعيش ابدا

الاخبار ان الانصار رضي الله عنهم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنوبه النوائب من القرابة وغيرهم فتعالوا
حتى نجمع له شيئا من اموالنا شيئا فيستعين به على من ينوبه من الحقوق ففعلوا ثم اتوه به فقالوا انك قد تنوبك
نوائب وحقوق وليست عندك لها سعة فاتيناك بشيء تستعين به على ما ينوبك من النفقة في اهلك والنازلين
بك فنزل قوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى على وجوه احدها يقول لا اسألكم على ما ابلغكم
من الرسالة وادعوكم الى الايمان بالله تعالى ربي اجرا الا صلة ارحامكم وقراباتكم اي لا اسألكم على تبليغ الرسالة
اليكم وادعوكم اليه اجرا الا ان تصلوا قراباتكم وارحامكم فيدل الاية على وجوب صلة الارحام ويحتمل ان يكون
ذكر هذا رد القول اولئك الكفرة حيث قالوا ان محمدا جاء بقطع الارحام وتفريق القرابات حتى فرق بين
اجابة الى ما دعاه اليه وبين من لم يجبه من الوالد والولد والزوج والزوجة ونحو ذلك فقال عند ذلك لا اسألكم
عليه اجرا ولا ادعوكم الى قطع الارحام والقرابات بل ما اطلب منكم الا صلة الارحام بما دعوتكم اليه ويحتمل
ان يقول لا اسألكم على ما ادعوكم اليه اجرا ولا اقبله منكم ان اعطيتموني الا ان تصلوني بحق القرابة والرحم
التي بيني وبينكم فاقبله منكم وقد كان بينه وبينهم قرابات ورحم ويحتمل ما قال الحسن فقال والله ما كان
نبي الله تعالى يسال على هذا القرآن اجرا ولكنه امر ان يتقربوا الى الله تعالى بطاعته وحب كتابه فكان معنى الاية
الا المودة في القربى اي التقرب الى الله تعالى والتودد بالعمل الصالح وقال بعضهم الا المودة في القربى الا ان
تودوني لاجل قرابتي كما تودون لقرابتكم وتواصلون بها ليس هذا الذي جئت به بقطع ذلك عني ولست ابتغي على
الذي جئت به اجرا اخذه منكم على ذلك وقال قتادة ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان لا يسأل
على هذا القرآن والتبليغ اجرا الا المودة في القربى الا ان يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة وكل بطون قريش
بينه وبينهم قرابة وقال بعضهم الا ان تودوا اقاربي وقال بعضهم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لم تتبعوني الى ما ادعوكم اليه وامركم به فاحفظوني في قرابتي واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله
ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا هو كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه والله اعلم قال ابو عوسجة
الاقتراف الاكتساب والمعارفة المعاشرة وقوف فلان فهو مقروف اي اتهم بشيء وقوله عز وجل ان
الله غفور شكور وقوله غفور اي يغفر لهم وان لم يحققوا التوبة والرجوع سترا وعلانية ولم يستوجبوا
الغفران والعفو وقوله شكور اي يشكر ويقبل منهم الشكر وان لم يحققوه له الشكور لم يستحقوا قبوله فضلا
ونعمة والله اعلم وقال اهل التاويل غفور للذنوب شكور للحسنات يضاعفها والله اعلم وقوله عز وجل
ام يقولون افترى على الله كذبا اي بل يقولون افترى محمد على الله كذبا وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك
اختلف فيه قال بعضهم فان يشأ الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا تجد مشقة استهزائهم بك ولا مشقة
تكذيبهم اياك وقال بعضهم فان يشأ الله ان ينسيك فلا تبلغه اليهم فلا يستهزؤا بك ولا يكذبوك
او كلام نحوه وعندنا انه يخرج على وجهين احدهما ما ذكرنا ان يشأ الله يختم على قلبك بالصبر حتى لا تجد
مشقة الاستهزاء ولا مشقة التكذيب والثاني يحتمل كان ثم ان يشأ الله يختم على قلبك كما ختم على قلوب اولئك
الكفرة حتى لا يفهموا ولا يعقلوا الحق اما اطلع فعل باولئك بذكره احسانا اليه وفضله بما اكرمه بانواع
الكرامات التي اكرمه بها بالشكر له على ذلك ويرحم على اولئك بما ختم على قلوبهم وما يؤول
بهم من انواع العذاب وعلى ذلك بلغ امره صلى الله عليه وسلم من الرحمة والشفقة عليهم ما ذكر فلعلك
باخع نفسك على آثارهم الآية وقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كادت نفسه تهلك
اشفاقا عليهم ورحمة والله اعلم وقوله عز وجل ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته هذا يخرج على
وجهين احدهما اي يظهر ويطلع اهل الحق على اهل الباطل وينصرهم حتى يصيروا اهل الحق ظاهرين قاهرين
على اهل الباطل فذلك محق الباطل واحقاق الحق والثاني يحق الحق بالحجج والبراهين حتى يعرف كل احد
الحق من الباطل بالحجج التي اقامها اذا تامل فيها حق التامل وهو كقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون والله اعلم وقوله بكلماته اي بحججه وبراهينه
وقوله عز وجل انه عليم بذات الصدور وقال اهل التاويل اي عليم بما في الصدور ولكن قوله بذات
الصدور وعاء عز له الصدور وعن الراي والتدبير وهو والله اعلم وقوله عز وجل وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات قد ذكرنا انه لا احد يحقق التوبة لان تحقق التوبة
هو ان يهرب وينفر مما استوجب به النار كهربه من النار لو كان فيها وفراره منها ولو وجد
يهرب من الذنب وينفر منه كهربه وفراره من النار لو كان فيها لكن الله بفضله وكرمه يقبل ذلك
منه وان لم يكن التوبة منه على الحد الذي ذكرنا ثم قوله تعالى يقبل التوبة عن عباده اي يقبل حسناتهم
وطاعاتهم ويعفو عن السيئات اي يكفر عن سيئاتهم كقوله تعالى نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن
سيئاتهم والله اعلم وقوله ويعلم ما تفعلون هذا وعيد يخبر رسوله عليه الصلوة والسلام انه
يعلم ما تفعلون سرا وعلانية وانه عن علم بما يكون منهم امتحنهم وامرهم ونهاهم والله اعلم وقوله
عز وجل ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يجيب الذين آمنوا اجابة عون وثيابا لون ويسرهم

وهو كقوله

وجوب صلة الارحام

في غفور ربه تعالى للمجد من المسلمين ممن دخل في غفرانك

وهو كقوله تعالى فاذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان اي يجيبهم على الذي ذكر
في الاية والله اعلم وقوله عز وجل ويزيدهم من فضله اي يزيدهم من فضله ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب امرئ مسلم وهي الجنة وذلك زيادة من فضله والله اعلم وقال في حق الكفرة
والكافرون لهم عذاب شديد وقوله عز وجل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض قال اهل التاويل
ان الاية نزلت في اهل الصفة تمنوا ان يكون لهما الدنيا فان كانت فيهم فكانوا يطيب عليهم الضيق والقتر
وقال بعضهم لبغوا في الارض من اللباس الى لباس ومن مركب الى مركب ولكن ليس في ذلك كثير بغي فلا يصرف
التاويل اليه ثم عندنا يخرج ولو بسط الله الرزق لبغوا في الارض يخرج الامتنان والافضال وله ان
يبسط عليهم وان علم منهم البغي الا ترى انه لو لم يوسع على فرعون لا يدعي الالوهية لكنه من على بعض المؤمنين ضيق
عليهم حتى لا يبغوا فيلزمهم بذلك القيام بشكر ما من عليهم وانعم بالتضييق حتى لا يبغوا وكذلك يخرج ما روي منع الله
عطاء وفيما ذكرنا جواب عمن تعلق بظاهر الاية على ان الاصلح واجب حيث قال ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في
الارض بين ان الاصلح لهم ان لا يبسط لانا نقول قد بسط كثيرا من الفراعنة والكفرة فبغوا لكن ذكر هذا لبيان
المنة والانعام بالتقتير والتضييق فحق البعض حتى لا يبغوا والله اعلم ثم البغي هو التعدي عن حد الله الذي
حد لهم والمجاوزة عنه ولكن لا نفسر ما الحد الذي يستحق التعدي عنه بغيا لما لا يعلم ما هو ويحتمل ان يكون
معنى قوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض انه لو بسط عليهم ووسع لزمهم الشكر والبسط
وكثرة المال يشغلهم ويمنعهم عن القيام بشكره وما وجب عليهم من الفرائض والاحكام ولكن ينزل
بقدر ما يشاء ما لا يشغلهم ولا يمنعهم عن القيام بالذي يلزمهم والله اعلم وقوله انه بعباده خبير بصير قد
تقدم تاويله ثم حاصل تاويلها يرجع الى وجوه ثلثة احدها الى اهل الكفر انه لو وسع عليهم وبسط
لبغوا في الارض اي صاروا كلهم اهل كفر وضلال كقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن الاية والثاني يتوجه الخاص من المؤمنين لما علم منهم انه لو بسط عليهم ووسع لبغوا في
الارض فضيق عليهم وقتر امتنانا منه وفضلا لئلا يبغوا وهو كما ذكرنا في احدنا ويليه قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون انه ان كان على حقيقة له خلقهم فهو في الذين منهم انه يعبدون لا محالة
يعبدوه على ذكر فاما الذين يعلم انهم لا يعبدونه لا يحتمل ان يخلقهم للعبادة ولكن يخلقهم لما علم انهم
يكون منهم والله اعلم فعلى ذلك قوله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض يرجع الى قوم خاص يعلم
الله تعالى منهما انه لو بسط عليهم ووسع لبغوا في الارض فضيق عليهم فضلا منه ومنة فيلزمهم القيام
بشكر ذلك له والله اعلم او ان يرجع ذلك الى جملة الخلق من مؤمن وكافر انه لو وسع وبسط على الكل لصاروا
جميعا ملوكا ومن عادة الملوك وطباعهم البغي والغلبة على من نازعهم في ملكهم ومملكتهم
وفي ذلك التفاني والفساد فوسع على بعضهم وبسط وضيق على بعض لئلا يبغي بعض على بعض اذ في ذلك تفاني
وتفاسد والله اعلم بذلك وقوله عز وجل وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته يحتمل قوله من
بعد ما قنطوا اي من رحمته او من بعد ما قنطوا من الاصنام التي عبدوها ورجاء الغوث والشفاعة
لهم والزلفى عند الله قنطوا ما رجوا منها كقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه ثم
سمى المطر رحمة وغيثا اي الغوث ليعلم ان له ان يمسك عنهم ويمسكهم على الحال الاولى في القحط
والضيق اذ لو كان عليه ارساله ولم يكن له امساكه لم يسمه رحمة ولا غوثا لان من عليه فعل شيء لم
يوصف بالفضل والرحمة فهو على المعتزلة في الاصلح في الله الموفق وقوله وهو الولي الحميد يحتمل الولي
اي هو الرب الحميد هو المستحق للحمد والولي هو الحافظ لهم وولي كل نعمة اعطاهم وقوله عز وجل ومن
اياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة قوله تعالى ومن اياته يحتمل من ايات ربوبيته
وتوحيده خلق السموات والارض وما ذكر وايات حكمته وعلمه وتدبيره خلق مما ذكرنا وايات قدرته
وسلطانه مما ذكرنا ومن ايات احسانه ونعمه وايا دبرما ذكر وقد بينا وجه كل ذلك ودلالته على قدرهما
منه فيما تقدم ثم اختلفوا في قوله وما بث فيهما من دابة قال بعضهم قوله تعالى وما بث فيهما اي في
الارض خاصة الا ترى انه قال من دابة وهي اسم لما يدب واهل السماء ملائكة ولهم الطيران دون الدبيب
وهو كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وقال بعضهم فيهما اي في السماء الملائكة
وفي الارض من الدواب وذلك جائز في اللغة ذكر شيئين باسم احدهما كقوله استعينوا بالصبر والصلوة
وانها لكبيرة والكناية ترجع الى الصلوة لفظا والمراد ما سبق من الصبر والصلوة وكذا قوله واذا رأوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها كنى عن التجارة واراد كليهما ونحو ذلك فعلى ذلك هذا ثم قوله وما بث فيهما قالوا
اي نشر وقوله عز وجل وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يحتمل ما ذكر من جمعهم بعثهم واحياءهم بعد موتهم
على ذلك كما هو قدير على ما ذكر من خلق السموات والارض وما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وما اصابكم من
مصيبة فيما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير يحتمل ما ذكر من المصيبة التي يصيبهم المصيبة التي يعم الخلق
جميعا ممن كان منهم الزلة وما ذكر ممن لم يكن منهم كسب اليد من الزلة والمعصية من

يزيدهم من فضله اللهم ارزقنا من فضلك العظيم

لزوم الشكر على الضيق لانه من الله تعالى لعبده لئلا يطغى كما بغى فرعون

اثبات قدرته وربوبيته

للملائكة الطيران والدبيب للانسان

ذكر الشيئين باسم احدهما جائز في اللغة

وجه اصابة النسوء للضعفاء والاولاد

نحو الجدب والقحط وغلبة الاعداء وغير ذلك من الاشياء التي تليق بمن كان منه الجناية وممن لم يكن من الصغار والدواب والابرار والاخيار ويكون ما اصاب ممن كان ذلك منه واستوجبه تنبيها لهم وموعظة او كفارة لما كان منهم من كسب اليد وما اصاب ذلك ممن لم يكن منهم ذلك من الصغار والاخيار فذلك في الحكمة وهو يخرج على وجهين احدهما يصيب ذلك لهم ابتلاء بشيء سبق منهم ليعلم ان ما يعطيهم من السلامة والصحة والحسنات والخيرات كان فضلا منه وهم عبيده واماؤه وملكه ان شاء اهلكهم وان شاء ابقاهم او ان يفعل بهم ما ذكر وان لم يسبق منهم ما ذكر من كسب اليد والزلة لعوض يعوض في الاخرة وكيف ما كان فهو غير خارج عن الحكمة والايلام للتعويض جائز ممكن لكن ليس بواجب لا محالة التعويض خلافا للمعتزلة فان عندهم واجب وبالله العصمة وجائز ان يكون ما ذكر من المصيبة التي تصيبهم بكسب اليد ان يريد كل واحد في نفسه يصيبه بما سبق منه من شيء ارتكبه واكتسبه فالسبيل فيه ان ينظر كل في نفسه ما الذي سبق منه حتى اصابه ما اصاب فيراجع نفسه عن ذلك ويتوب الى الله تعالى بعد فيخرج ذلك لهم اما تنبيها وزجرا عن المعاودة الى مثله واما تكفيرا وتمحيصا لما كان منهم ولزمهم الشكر على ذلك وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفوا الله اكثر وعلى قول المعتزلة ليس لله تعالى في اعطائهم الخيرات والحسنات والنعمة محسنا مفضلا منعما لان من اخذ شيئا بعوض لا يوصف بالافضال والانعام وقد سمى نفسه بذلك محسنا منعما فيكون ما قالوا خلاف ذلك والثاني ان كان بعوض على ما يقولون يجب ان يعوضهم عوضا يرضون بذلك العوض ويكون ذلك العوض مثل ما اخذ منهم وهم لا يشترطون ذلك دل ان له ان يفعل بهم ما ذكرنا واصله ما ذكرنا ان الخلق كلهم عبيده واماؤه ولكل ذي ملك ان يفعل في ملكه ما شاء لا لائمة عليه اذ كان له حقيقة الملك فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى اذ له حقيقة ملك الاشياء فله ان يفعل ما يشاء بلا عوض ولا بدل والله اعلم وقوله عز وجل ويعفو عن كثير ليس احد يصيبه شيء من الشدة والبلاء الا ويكون في ذلك عفو منه جل جلاله لانه ما من البلاء ويتوهم زيادة الا وفي ذلك فيكون منع تلك الزيادة عنه عفوا عنه وفضلا ولذلك هذا في هلاك كل شيء من حقوقه ما يقل ويكثر ويحتمل ان يكون قوله ويعفو عن كثير اي لا يجعل زلة منهم يكون يؤاخذ بها بل يؤاخذهم ببعض ويتجاوز عنهم في بعض والله اعلم وقوله وما انتم بمعجزين في الارض يقول لا يقدرون الهرب مما يريد ان يصيبكم بل لا نجاة لكم وما يريد ان يفعل بكم ولا لكم ملجاء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ينصركم ويمنعكم من عذاب الله وقوله عز وجل ومن اياته الجوار في البحر كالاعلام يحتمل اياته ما ذكرنا من ايات وحدانيته وايات قدرته وسلطانه وايات علمه وتدبيره وحكمته وايات نعمه واحسانه وهو ما جعل الله جل وعز في سريته الخشب في السفن معنى لو اجتمع حكماء البشر ليعرفوا ذلك المعنى واللطف الذي جعل في الخشب ما قدروا على ادراكه وذلك المعنى واللطف المجعول فيها وما جعل من طبعها السكون على وجه الماء والقرار عليه مع ثقلها وغلظها وان كان بدون ذلك الثقل والعظم كثير من غير جوهر الخشب مما يتسرب في الارض وينحدر وكذلك مما يحمل في السفن من الاحمال العظيمة الثقيلة مما طبع كل من ذلك الحمل ان يتسرب وينحدر في الماء لو لم يكن السفن وما ذكر من الخشب والله اعلم ثم قوله كالاعلام قال عامة اهل التاويل اي كالجبال في البحار وقال القتبي وابو عوسجة الاعلام الجبال واحدها علم ومعنى هذا الكلام هو ما ذكر من مبدا الارض باهلها والتسرب في الماء ثم ارساها واثبتها بالجبال التسرب والانحدار في الماء فيجيء ان يريد في التسرب والانحدار في الماء لا ان يثبتها ويقرها على وجه الماء لكن بلطفه ومنه اقربها الارض واثبتها ومنع بها عن التسرب والانحدار والميد باهلها فعلى ذلك السفن في البحار ليستقر على الماء ولا ينحدر كالجبال مع الارض في الارض القرار على الماء والله اعلم ويحتمل قوله كالاعلام معنى اخر وهو الاعلام انفسها وهو ان جعل السفن سببا وطريقا للوصول الى منافع بعد منهم وصعب عليهم فاذا احمل فيها الاحمال من بلد الى بلد اخر ومن مكان الى مكان تيسر اهل الحمول اليهم تلك الاحمال والسفن اذا ارادوا الجيء اليها جعلها ليهتدوا السعة يجدونها ومنافع تتصل بهم وكذلك تيسر اهل البلد المجهول اذا ارادوها واحبة اليهم ما لقلما يحصل لهم من الايمان واعراض لها فيكون السفن اعلاما ودلالة لهم على الوصول الى الاغراض والمنافع والله اعلم وقوله ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يذكر فضله ومنته بما اجرى هذه السفن في البحار التي ذكر فاخبر انه لو شاء لامسكها ومنعها على الجريان ثم صير الريح نوعين احدهما طيبة بها تجري السفن والاخرى عاصفة يشتد بها تهلك بها السفن وهو ما ذكر في اية اخرى وهو قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الاية ثم في ذلك خلال ثلث يدل على ان الريح ليست تجري السفن وتهب بطبعها وبنفسها ولكن بالله تعالى احدها انه اخبر انه جعل نوعا منها طيبة تجري السفن والاخرى على صفة تهلك السفن وتهيج الامواج والثاني ما ذكر في هذه الاية ان يشا يسكن الريح اخبر انه لو شاء لاسكن الريح فبقين رواكد على ظهر الماء فدل انه هو المجري لها حيث كان هو المسكن والثالث ان فعل الطبيعي على سنن واحد كالحرارة

في النار والبرودة في الثلج وامثال ذلك ولو كان جريان الريح وهبوبها بنفسها وطبعها لكانت لا تسكن في حال ولا يكون مرة طيبة سالمة ومرة شديدة عاصفة مهلكة دل ان ذلك كان بالله تعالى لا بالطبع والله الموفق وقوله عز وجل ان في ذلك لايات لكل صبار شكور هذا يحتمل وجهين احدهما سمى المؤمن صبورا شكورا والثاني سمى من صبر على ما اصاب من الشدائد والمصائب التي ذكر صبورا ومن شكر ما ذكر من النعم في السفن وغيرها شكورا والله اعلم وقوله رواكد على ظهره قال ابو عوسجة والقتبي اي وقوف وصرفه ركد يركد ركدا وركودا وقوله او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير جائز ان يكون هذا صلة ما ذكر من السفن الجواري في البحر حيث قال ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يقول ان شا اسكن الريح التي بها تجري السفن في البحار فيبقين رواكد في الماء وان شاء ارسل ريحا عاصفة شديدة فيهلكن يعني السفن واراد اهل السفن بما كان منهم يخبر ان له ان يفعل ما ذكر من الاهلاك في البحر والابقاء فيه لكنه بفضله ينجي من النجي واخرج سالما والله اعلم وكذا قال ابو عوسجة يوبقهن اي يهلك اهل السفن ويحتمل ان يكون ذلك صلة ما تقدم من قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فيكون ما يصيبهم من المصيبة ما بلغ النفس او مما لم يبلغ النفس فيكون كل ذلك لهم من كسب ايديهم على ما ذكر ثم اخبر انه يعفو عن كثير مما كسبت ايديهم مما يستوجبون الاهلاك وتجاوز عنهم والله اعلم وقوله ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص المجادلة في اياته يخرج على وجهين احدهما ان يجادلوه في تقدير احكام الله تعالى وفهم ما ضمن فيها وذلك ممدوح محمود وهو كقوله تعالى لا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وقوله عز وجل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فهذه المجادلة والمراء المذكور في هذا محمود والمجادلة الثانية هي المجادلة في دفع احكام ايات الله تعالى عن فهم ما ضمن وهي مذمومة وما ذكر هاهنا من قوله ويعلم الذين يجادلون في اياتنا هي المجادلة في دفع احكام اياته ثم اخبر انه لا محيص لهم ولا ملجاء من عذاب الله بمجادلتهم في دفع اياته والمنع عن فهم ما فيها وقوله فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى هذا يخرج على وجهين احدهما ان الله تعالى اعطى هذه النعم واللذات في هذه الدنيا ليكتسبوا بها نعمة دائمة ولذة باقية وكذلك ما اعطاهم من السمع والبصر وغير ذلك من الحواس ليكتسبوا بها ما يدوم ويبقى فمن استعمل ما اعطاه من الاموال واللذات مما ذكرنا في غير ما امر به وجعل سمى خاسرا غابنا وكذلك من استعمل ما اعطاه من الحواس في غير ما جعلت وامر باستعمالها سمى صم بكم عمي وكذلك النفس اذا لم يكتسب بها حيوة دائمة سمى ميتا والله اعلم او ان يقال انهم ما اعطوا في هذه الدنيا من اللذات والمتعة الا ترغيبا فيما ابقى عنده ووعدهم في الاخرة وكذلك ما امتحنوا من الشدائد والمصائب الا تحذيرا وترهيبا عما اوعدهم وخوفهم في الاخرة ثم قوله فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا اي يتمتعون به فيفنى ويزول عن سريع وما ابقى والموثكم هو الباقي الدائم ثم بين ان ما ابقى عنده لمن يقوله للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون امنوا بان له الدنيا والاخرة وان له الخلق والامر وانه بريء عن جميع معاني الخلق وعلى ربهم يتوكلون امورهم اليه وتبهم هو مفزعهم ومعتمدهم لا يفزعون الى احد سواه ولا يعتمدون غيره في جميع احوالهم ثم نعتهم ايضا بما ذكر من الاجتناب عن الكبائر والفواحش فقال والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش جائز ان يكون ما ذكر من كبائر الاثم هي الفواحش والفواحش هي كبائر الاثم كل واحد منهما في معنى الاخر والله اعلم وقال بعضهم كبائر الاثم انواع ما بها يصير المرء مشركا وهي كبائر الشرك والفواحش هي التي يوجب الحدود في الدنيا وقيل الكبيرة ما يكبر ويعظم من الذنب والفاحشة ما يفحش من الفعل وقد ذكرنا وجوهها في ذلك فيما تقدم في سورة النساء والله اعلم وقوله عز وجل واذا ما غضبوا هم يغفرون اي اذا ما غضبوا هم مما يرجع الى الاموال والانفس وامر الدنيا يغفرون ويتجاوزون عن ذلك فاما ما يرجع ذلك الغضب الى امر الدين فانه لا يسع المغفرة عن ذلك ولكن يجب الرجوع والتوبة الى الله والله تعالى اعلم وقوله عز وجل والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة اي اجابوا لربهم الى ما دعاهم ربهم وقد دعاهم الى دار السلام بقوله والله يدعوا الى دار السلام لكن جعل الاجابة شرائط واعلاما فمن وفى بها استوجب الموعود وهو كقوله تعالى اوفوا بعهدكم الاية وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الى اخر ما ذكر فعلى ذلك علم اجابتهم لربهم وشرطها ما ذكر من قوله تعالى واقاموا الصلوة الى اخر ما ذكروا الله اعلم وقوله عز وجل وامرهم شورى بينهم ذكر بعضهم ان الانصار كانوا يتشاورون فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم قبل ما فنزل هذا امدحا لهم على فعلهم وذكر عن الحسن انه تلا هذه الاية قوله وامرهم شورى بينهم قال والله ما شاور قوم قط الا هداهم الله تعالى لافضل ما يحضرهم واصله ان الله تعالى جل وعلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور صحابته حيث قال وشاورهم في الامر وقال الحسن ما تشاور قوم قط في امر قط الا هداهم الله تعالى لافضل بحضرتهم لان المشاورة

اجماع العقول والاذهان واذا اجتمعت كانت الى استدراك الحق والصواب اسرع وابلغ ما انفرد كل
عقل بنفسه والله اعلم وقال القتبي وامرهم شورى بينهم اى يتشاورون فيه وقوله ومما رزقناهم ينفقون
ظاهر وقوله عز وجل والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون من صبر المنتصر من الباغي والغافر المظلمة من ظلمه
جميعا في الذين استجابوا لربهم الى ما دعاهم اليه والمنتصر مستوفي حق جعل له والغافر تارك الحق لكن اذ جعل
له الاستيفاء دخل فيما ذكر من المستجيبين لله تعالى لكن تارك الحق افضل مستوفي الحق وعلى ذلك حث الله تعالى
رسوله بالعفو عن المظلمة وترك الانتصار والمكافاة واخبر انه من عزم الامور حيث قال ولمن صبر وغفر ان
ذلك لمن عزم الامور ويحتمل ان يكون قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون راجع الى الاذى باللسان من نحو الشتيمة
والسب والذى لا يؤثر في النفس اثرا حثهم على المغفرة والعفو ومدحهم على ذلك وقوله والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون راجع الى ما يؤثر في الانفس والابدان تاثيرا من الجراحات وغيرها حثهم على العفو فيما يرجع
الى الاذى باللسان والاذى فهو على ذلك وفيما رجع الى الانفس والابدان جعل لهم الاستيفاء والانتصار
وان كان ترك الاستيفاء والعفو عن الكل افضل على ما قال وان تعفوا اقرب للتقوى وقوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها سمي الثانية سيئة وان لم يكن في الحقيقة سيئة لانه جزاء السيئة فسماها باسم الاولى وسماها سيئة لانه
لو لم يكن الاولى كانت السيئة الثانية ايضا فسماها على ما هو في نفسها من باب الاضرار والضرر سيئة في نفسه
وان كان حسنا لغيره والله اعلم ويشبه ان يكون سماها بما ذكر لاختلاف الاحوال هي عند الذي يفيض منه
بها سيئة وتلك الحال عنده سيئة وهو كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات سمى حالة الضيق والشدة
سيئة لانها عندهم سيئة وحال السعة والرخاء حسنة لانها عندهم حسنة وان لم يكن تلك الحال في الحقيقة
سيئة لكنه سماها سيئة على ما عندهم فعلى ذلك جائز ان سمى الثانية سيئة لما هي عند المفعول به سيئة و
الله اعلم وقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله هو ما ذكرنا انه وان جعل لهم حق الاستيفاء والانتصار والعفو عن
ذلك افضل ثم قبله دلالة انه لا يجمع بين العفو واخذ البدل اذا لم يكن من الاخر الرضا بذلك لانه قال فمن عفى واصلح فاجره
على الله اخبر انه اذا عفى عنه يكون اجره على الله فليس له ان ياخذ من المعفو عنه شيئا والله اعلم فهو ينقض على من يقول
بانه باخذ البدل من الجاني شاء او ابى وان يعفو عنه ويأخذ البدل والله اعلم وقوله انه لا يحب الظالمين لانه
لا يحب الظلم والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه فمن اخذ ما ليس له اخذه فهو ظالم وقوله عز وجل ولمن انتصر
بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل اى اولئك ما عليهم من حجة او ما عليهم من تبعة وقوله انما السبيل على الذين
يظلمون الناس انما الحجة والتبعة على الذين يظلمون الناس ابتداء وقوله عز وجل ويبغون في الارض بغير الحق
ان ياخذون من الناس ما ليس لهم ان ياخذوا فالسعة والحجة عليهم فاما من ياخذ حقا وجب له واستوفاه
فلا تبعة عليه ولا حجة وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويفسدون
في الارض وقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اى من صبر على الاذى والمظلمة وعفى عنها وتجاوز
فان ذلك من عزم الامور اى ذلك من تحقيق الامور واحكامه وقوله عز وجل ومن يضلل الله فما له من ولي
من بعده اى من اضله الله لما اثر ولاية الشيطان لا ولي له سواه بعده يرشده او لا ولي ينفعه من بعده وهو كما قال
انما سلطانه على الذين يتولونه اخبر ان سلطان الشيطان على ما يتولاه وقوله عز وجل وترى الظالمين لما راوا العذاب يقولون
هل الى مرد من سبيل قال اهل التاويل رجوع الدنيا من سبيل يقولون يسالون ربهم الرجوع الى الدنيا والاشبه ان يكون
سؤالهم الرجوع الى المحنة التي امتحنوا في الدنيا قبل موتهم اى يسالوا ان يكلفهم ويمتحنهم في الاخرة ليظهروا الطاعة
لله تعالى في دار جزائه وثوابه والله اعلم وقوله وتراهم يعرضون عليها قال اهل التاويل يعرضون على النار قبل
ان يدخلوها كقوله تعالى حتى اذا راوهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وكقوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم يومئذ
يتذكر الانسان الاية وقوله عز وجل خاشعين من الذل لان الله تعالى اذلهم في الاخرة بما اختاروا في الدنيا من
سوء صنيعهم واعطوا انفسهم شهواتهم ومناهم وقوله عز وجل ينظرون من طرف خفي يحتمل ما ذكر من نظرهم
من طرف خفي ما ذكر في اية اخرى مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء لشدة هولهم
وفزعهم في ذلك اليوم لا يرفعون رؤسهم ولا ينظرون الى موضع ويحتمل ان يكون قوله ينظرون اليه
من طرف خفي اى لا ينظرون الى الناس ولا يقبلون بوجوههم اليهم الا نظر التلصص والتغفل حياء منهم لسوء
فعالهم وهكذا المعروف في الناس لان من صنع الى اخر سوءا لا يمكنه دفع الطرف اليه ونظره اليه متصلا الا
على التلصص منه والتغفل فعلى ذلك اولئك والله اعلم وقال بعض اهل التاويل انهم يحشرون عميا فلا يرون باعينهم
انما يرون بقلوبهم وهو الطرف الخفي وقال القتبي ينظرون من طرف خفي اى قد غضوا ابصارهم من الذل وقال
ابو عوسجة اى ينظرون نظرا مستخفيا والله اعلم وقوله وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيامة الاية يخرج ما ذكر من خسران انفسهم واهليهم على وجوه احدها ما ذكر بقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم
نارا امروا بان يقوا انفسهم واهليهم النار فهم حيث لم يقوا ما ذكر من النار خسروا والله اعلم والثاني
قوله خسروا انفسهم واهليهم اى خسروا بسبب انفسهم وبسبب اهليهم كقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة
لما يتعاملون اسوا بسبب الاموال والاولاد والازواج هي فتنة لهم وكقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم

عزم الامور

فيمن ما خذ حقه ومن باخذ حق غيره

سؤال رجوع دنيا

يعرضوان على النار قبل ان يدخلوها

تعالى يحسن البخل ويصيرون اخذ السبب هؤلاء والثالث يحتمل ان يكون خسروا انفسهم واهليهم ما قال
والئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وقوله والئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى حسب ما كان
رجاء وطمع انه له عنده وانه في الاخرة الحسنى على هذه الوجوه الثلاثة يخرج تاويل الاية وعن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال ليس من احد من كافر ومسلم الا وله اهل ومنزل في الجنة فان اطاع
الله تعالى في منزله واهله وان عصاه خسر نفسه واهله وان عصاه ومنزله في الجنة ورثه المؤمنين
عنه لكن لا يحتمل ان يكون الله عز وجل مع علمه انه يموت كافرا ان يجعل له الاهل والمنزل في الجنة اللهم
الا ان يفعل ذلك ليكون لهم حسرة على ذلك وغيظا وقوله وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من
دون الله يخرج على وجهين احدهما اى ما كان للاصنام التي عبدوها دون الله تعالى ولاية النصر لهم
وقدرة دفع العذاب عنهم لانهم كانوا يعبدونها في الدنيا رجاء ان يشفع لهم في الاخرة وان يزلفهم
فاخبر الله تعالى انه ليس لها ولاية النصر لهم على ما رجوا وطمعوا من عبادتها الشفاعة لهم والدفع
عنهم والله اعلم والثاني وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله اى ما كان للرؤساء الذين
اتخذوهم في الدنيا اربابا ولاية النصر لهم لانهم لا يملكون دفع ذلك من انفسهم فكيف يملكون
دفع ما نزل باتباعهم يخيلون ليس لهم ولاية دفع العذاب عنهم والله اعلم وقوله عز وجل ومن يضلل
الله فما له من سبيل يحتمل قوله فما له من سبيل اى من حجة اى من اضله الله ولا حجة له ان يقول انك اضللتني
انما يضله لما يختاره ويؤثره والاضل لاحد يفعل ما يفعل من المعاصي وقت فعله لان الله تعالى قضى
له ذلك او اراده او قدره وقضاه انما يفعله لغرض له وهواه لم يكن له الاحتجاج عليه بذلك و
بالله العصمة والثاني انه ليس له حجة عليه بذلك لانه يعلم انه لو خير بين ما يريد ان يختاره ويؤثره
بين ضد ذلك لا ان يختار ذلك على ضده ويختار تحصيله ويؤثره على ترك ذلك فكيف يكون له حجة
بذلك والله الموفق ويحتمل قوله فما له من سبيل اى من اضله الله تعالى فما له الى الهدى من سبيل اى
ليس له سبيل ولكن عليه السبيل اى لا يملك احد ارشاده ويحتمل من اضله الله فما له من سبيل
اى ليس له سبيل ولكن عليه السبيل وقوله عز وجل استجيبوا اى اجيبوا لله وقد ذكرناه وقوله
عز وجل من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله الاية هذا يخرج من وجهين احدهما اى اجيبوا له من قبل
ان ياتي يوم لا يملك احد رد ذلك اليوم اذا هم لانه هو اليوم الذي يجري فيه اهوال وانواع لا
لا احد يملك رد ذلك اليوم والله اعلم والثاني اى اجيبوا من قبل ان ياتي يوم لا مرد لما ينزل فيه بهم
من العذاب والعقاب والله اعلم وقوله عز وجل ما لكم من ملجا يومئذ هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما
انهم انما كانوا يعبدون الاصنام في الدنيا ليكون لهم شفعاء وملجا يلتجئون اليها يقول ما لكم
اولئك الاصنام ملجا يلتجئون اليها بل يكونون كما ذكر في اية اخرى وضل عنهم ما كانوا يفترون
وقوله تعالى بل ضلوا عنهم الاية والله اعلم والثاني ما لكم من ملجا يومئذ اى ما لهم من حيل يحتالون
بها دفع ما نزل بهم من العذاب على ما يكون في الدنيا من حيل يحتالون دفع ما نزل بهم من البلايا
والشدائد وبالله النجاة وقوله عز وجل وما لكم من نكير هذا ايضا يخرج على وجهين احدهما اوليملكوا
ان ينكروا على الله تعالى ما يفعل بهم لانه انما يفعل بهم ذلك بما كسبت ايديهم فلا يقدرون على انكار ذلك
على الله تعالى والثاني وما لكم من نكير اى ما لكم من تغيير اى ما يملكون دفع ذلك عن انفسهم ولا منعه
وتغييره وقيل لا يملكون ان يمنعوا الله تعالى عما يريد ان يفعل بهم وهو ما ذكرنا وقوله تعالى فان اعرضوا
اى ان تولوا عن اجابتك الى ما تدعوهم اليه فما ارسلناك عليهم حفيظا هذا يخرج على وجهين احدهما
يحتمل اى ما ارسلناك ان تحفظ عليهم افعالهم واعمالهم ان عليك الا البلاغ اى ما عليك الا التبليغ
انما حفظ اعمالهم وافعالهم على الملائكة الذين جعلوا حفاظا عليهم وهم الكرام الكاتبون والثاني
فما ارسلناك عليهم حفيظا يحتمل فما ارسلناك ان تمنعهم عما يفعلون حسبا انما عليك البلاغ تخبر
وتبلغ الحق والله عزيز مؤاخذ بما يفعلون وهو كقوله فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ونحو ذلك
وقوله واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها ان كان هذا في المسلم فيكون قوله فرح بها اى رضي بها
وسر بها وان كان في الكافر فيكون له فرح بها اى بطر بها واشر وقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم فان الانسان كفور وهذا ايضا ان كان في المسلم فانه اذا اصابته شدة او بلاء نسي ما كان
اليه من الله تعالى من النعم فجعل يشكو عما اصابه فهو كفور للنعم التي كانت له من قبل ذلك وان كان
في الكافر فهو ظاهر انه كفور لنعمه واحسانه اجمع والله اعلم وقوله لله ملك السموات والارض
يخبر انه بما يأمرهم وينهاهم وبما يمتحنهم بانواع المحن ليس بامر ولا نهي ولا يمتحن لحاجة نفسه في
جر منفعة والاستفادة خيرا ودفع مضرة وبلاء اذ له ملك السموات والارض ولكن انما يامرهم
وينهاهم ويمتحنهم لحاجة انفسهم في اصلاحها ونجاتها عن المهالك وهو كقوله ومن
شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد يخبر بما ذكر انه غني لا ينفعه ايمان مؤمن و

مما يحفظ النساء في انقطاع العذر والحجة بقضاء الله تعالى وقدره وتخفيفه

ولا يزيد في ملكه ولا نظيره كفركافر ولا ينقص من ملكه ويحتمل ان يكون قوله لله ملك السموات والارض اي له ملك ملكوت السموات والارض كقوله قل اللهم مالك الملك الاية ويحتمل ان يقول له ملك السموات والارض اي يعطي الملك في الدنيا وهو ينزع ممن يشاء على ما ذكر في اية اخرى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الاية وفيه نقض قول المعتزلة في خلق افعال العباد منهم وانكارهم ان يكون فعل الله تعالى مخلوقه وقوع الشرك في ذلك بينهم وبين الله تعالى فيكون ذلك فعل الله تعالى وفعل العبد اذ هو تفسير الشركة والشاهد فيما انكرهم ان الله تعالى له ملك السموات والارض وقال في اية اخرى ولم يكن له شريك في الملك اخبر ان ليس له شريك في الملك وقد ايتا الملوك في الدنيا ثم لم يوجب ذلك الشركة في ملكه لاختلاف المعنى والجهات اذ حقيقة الملك له ولغيره ليست حقيقة الملك انما له ملك الانتفاع لا على الاطلاق فعلى ذلك افعال العباد من الخيرات خلقها الله تعالى فيكون على قولهم غير خالق لاكثر الاشياء مما شاء وهذا لان قوله يخلق ما يشاء اما ان خرج على الوصف بالربوبية لله تعالى والالوهية او على وجه الوعد والخبر فيخرج الخبر كذبا على قولهم فنعوذ بالله تعالى من السرف في القول والله الموفق وقوله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ذكر تعالى ان الاولاد جميعا من الذكور والاناث مواهب الله تعالى وهداياه فيجب ان يقبلوها منه قبول الهدايا والهبات على الشكر له والمنة ثم بدا بذكر الاناث ثم الذكور لانه من الناس من ذا او لد له الاناث بعد مصيبة ويثقل ذلك عليه وعلى ذلك ما اخبر من الكفرة انهم اذا بشروا بالانثى ظلت وجوههم مسودة بقوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يخبر عن ثقل ذلك عليهم وغيظهم على ذلك فبدا بذكر ذلك لئلا يعتد اهل الاسلام اولاد الاناث مصيبة ولا يعتدوا على ما عد ها الكفرة والله اعلم وقوله عز وجل او يزوجهم ذكرانا واناثا التزويج هو الجمع بين الشكلين والمثلين في الحقيقة وقد يسمى التزويج بين المتضادين مجازا والله اعلم فيكون معنى قوله او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يقرن ويجمع بين الاناث والذكور فيهب له من النوعين جميعا حالة واحدة وقال القتبي او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يجعل بعضهم بنين وبنات تقول العرب زوجت ابلي اذا قرنت بعضها ببعض وزوجت الكبار بالصغار اذا قرنت كبيرا بصغير وقوله عز وجل ويجعل من يشاء عقيما والعقيم من النساء التي لا تلد وهي لا توصف بالبركة ويقال انها ليست مباركة لا ترغب فيها والله اعلم وقوله عز وجل انه عليم قدير عليم بما يشاء من الاولاد والاناث في الرحم قدير على ذلك او عليم بمصالح الخلق قدير لا يعجزه شيء وقوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب هو الخبر بانه يخلق ما يشاء فان كان على الوصف له بالربوبية فلم يكن ذلك وصف الربوبية اذ لا يكون خالقا لجزء من عشرة الاف من الاشياء التي شاء ان يخلقها وان كان على الوعد والخبر فيخرج [illegible]

او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء كان هذا انما ذكر واخبر عن نازلة او سؤال كان عن كيفية الرسالة وهل الرسل عليهم الصلوة والسلام يرون ربهم ويشاهدونه فهونه فاخبر انه ليس من البشر من يكلمه الا بالطرق الثلاثة التي ذكرها والسؤال وقع عن الرؤية في الدنيا فيكون الجواب بناء على السؤال والله اعلم ثم قوله الا وحيا قال بعضهم الا وحيا ما يرى في المنام من رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام حقيقة وقوله ومن وراء حجاب نحو ما كلم موسى عليه الصلوة والسلام الذي فيه اسمعه صوتا مخلوقا على ما شاء وكيف شاء من غير كان في شجرة ثمة ثالث وقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء اي يرسل ملكا فيخبره عن الله تعالى وطرق الرسول الى معرفة ذلك في الدنيا الوجوه التي ذكرنا الا لقاء في المسامع واما رسول يرسل فيخبر عن امره وكلامه فاما ان يحتمل وسع احد رؤيته او سماع كلامه فهو اوبعاينه في الدنيا فلا والله الموفق ثم اختلف في قوله او من وراء حجاب قال بعضهم الحجب نفسها هي حقيقة الحجب وقال بعضهم الحجاب هو عجزهم عن احتمال رؤيته لان الله تعالى انشاهم على بنية وخلقة لا يقوم انفسهم القيام لذلك على ما اخبر عز وجل حيث قال لموسى عليه السلام ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني اي فان احتمل ذلك فاحتمل ما سالت والله اعلم وفي الاية ان الله تعالى يكون مكلما البشر بالرسول وان لم يسمعوا من الرسول وكان ذلك تسمية بطريق المجاز اذ لم يكن في الحقيقة كلام الرسول كلام المرسل وكذلك في قوله وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله لا يكون ما يسمع من الرسول عليه السلام كلام الله حقيقة وكذا ما يقال سمعت من فلان قول فلان او حديث فلان كله على المجاز ليس على التحقيق والله اعلم ويحتمل ان يكون سبب نزول قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا الاية قول اولئك الكفرة حيث اخبر الله تعالى بقوله وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية الاية وقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا سالوا ان يروا ربهم جهارا فقد حجبوا عن رؤية الله تعالى في الدنيا والاخرة حيث قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وسالوا ان يكلمهم شفاها فاخبر انه لا يكلم احدا شفاها ولكن يكلم بما ذكر من الاوجه الثلاثة حيث قال وما كان لبشر ان يكلمه احدا شفاها ولكن يكلم بما ذكر من الاوجه الثلاثة حيث قال وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا ورد عليهم فاخبر الله تعالى ان طريق تكليمه الخلق في الدنيا هذه الوجوه التي ذكرنا وقد كلم البشر من هذه السبيل والطريق التي ذكر حيث قال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اخبر انه

انزل اليهم ما ذكر كما انزل على الرسول وحيث قال وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله الاية وغير ذلك من الايات مما يكون كانه قد كلمهم على ذكرنا الرسل من الوجوه التي ذكر وقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا كانه يقول هكذا اوحينا الى الرسل الذين من قبلك بالوجوه والطرق التي ذكرنا كما اوحينا الى الذين من قبلك وقوله روحا من امرنا قال بعضهم روحا جبريل بامرنا وقال بعضهم اي اوحينا اليك الرحمة من امرنا وقال بعضهم روحا من امرنا اي الكتاب الذي انزله عليه واوحيه اليه سماه روحا لانه يحيي به الدين ويكون به حياة الدين ويحيى به الابدان وهو حيوة الذكر والشرف وهو كقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم احيا الذكر والشرف والله اعلم وقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اما الكتاب فانه لا شك انه كان لا يدريه ولا يعلمه حتى ادراه واعلمه واما الايمان حيث اخبر انه لم يدريه فهو يحتمل وجوها احدها ما كنت تدري ما الايمان في حق اللسان او ما كنت تدري ما الايمان في الايمان او ما كنت تدري ما الايمان في حق قدره ومحله ومنزلته عند الله تعالى فان كان المراد في حق اللسان فهو ظاهر انه كان لا يدري في ابتداء الامر ان الايمان هو التصديق او التوحيد او ما هو وهو معروف انه كان لا يدريه في حق اللسان حتى ادراه واعلمه انه ما هو وكذلك جميع اهل اللسان لا علم لذلك حتى علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل وسال النبي صلى الله عليه وسلم ما الايمان وما الاسلام على صورة اعرابي حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا كان جبريل نزل ليعلمكم معالم دينكم والله اعلم وان كان في حق فعل الايمان ومباشرته وكونه فهو اذا كان غير قادر على فعله واثباته على هذه وكان لا يدري بمن كونه لا يدريه فانه لا يوصف بالجهل به الا ترى ان الصغار لا يدرون ولا يقال انهم جهلة وانما يوصف بالجهل من ملك والنظر وابتغاء العلم ثم ترك ذلك فعند ذلك يوصف بالجهل فاما من لم يملك ذلك ولم يبلغ هذا المبلغ فانه لا يوصف بالجهل الا ترى انه يقال للاعراب والانبياء انهم لا يدري ولا يوصف بالجهل فعلى ذلك يجوز ان يوصف ويقال انه كان لا يدري ولا يوصف ولا يقال انه كان جاهلا به والله اعلم الا ترى ان الولد في النظر لا يوصف بانه سميع وبصير ونحوه لانه ليس بمحل السماع والبصر فاذا اخرج منه عند ذلك يجعل له ما مكن من السماع والبصر وهو ما ذكر بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار عند ما مكن لهم ذلك وان كان المراد انه لا يدري في حق المحل والمنزلة والقدر فهو هكذا كان لا يدري ما محل الايمان وقدره عند الله تعالى حتى ادراه واعلم محله ومنزلته والله اعلم وقوله ولكن جعلناه نورا فان كان المراد هو الايمان فهو نور بالحجج والبرهان وهو كما ذكر افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان كان المراد هو الكتاب فهو نور لما يرفع جميع حجب القلوب وهواءها من اتبعه ونظر اليه بعين التعظيم وقوله نهدي به من نشاء من علم انه يختار ما شاء ان نهدي به ثم قوله نهدي به يحتمل القرآن ويحتمل الايمان نفسه اي نجعله بالايمان مهتديا والله اعلم وقوله عز وجل وانك لتهدي الى صراط مستقيم قوله لتهدي يحتمل لتدعوا ولتبين لهم الصراط المستقيم ثم فسر بقوله تعالى صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض لم يفهم من صراط الله ما يفهم من صراط الخلق او صراط فلان فكيف يفهم من مجيئه او اتيانه ما يفهم من مجيء الخلق واتيانه فهذا يدل ان لا كل ما اضيف الى الله تعالى يفهم منه ما يفهم مما يكون من الخلق والله اعلم وقوله الا الى الله تصير الامور يحتمل الا الى الله ترجع تدبير الامور ويحتمل الا الى الله تصير الامور في الاخرة وهو البعث

بسم الله الرحمن الرحيم قوله حم والكتاب المبين قال قتادة هو اسم السورة وقال غيره حم قضي ما هو كائن وقد ذكرنا وقوله والكتاب المبين قال قتادة مبين بركته وهداه ورشده وقال بعضهم مبين بين الحلال والحرام ما يؤتى وما يتقى وقال بعضهم مبين بين الحق والباطل وهو عندنا مبين بانه من الله تعالى ليس هو من تاليف البشر ولا من توليدهم ولكنه من الله تعالى حيث عجزوا عن اتيان مثله والله الموفق وقوله انا جعلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون كانه يقول جعلنا ذلك الكتاب عربيا لعلكم تعقلون وقيل جعلناه اي انزلناه قرانا عربيا وقيل جعلناه قرانا اي سميناه قرآنا ليس ان جعله قرانا ولكن معناه جعلناه عربيا اي نطقناه بالعربية لتعقلوا او سميناه قرانا ثم قوله تعالى لعلكم تعقلون يخرج على وجوه احدها انا انزلناه عربيا على رجاء ان يعقلوا والثاني انزلناه عربيا لتعقلوا وذلك يرجع الى قوم مخصوصين قد عقلوا وفهموه اذ لم يعقلوه جميعا ولا يتصور ان نزله لتعقلوه ولا تعقلوه فان ما اراد الله تعالى يكون لا محالة وما فعل يفعل قال الله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والثالث انزلناه عربيا لكي يلزمهم ان يعقلوه ويتبعوه ليزول عذرهم والاحتجاج على الله تعالى لو كان على غير لساننا والله اعلم وعلى هذا يخرج تاويل لعل في جميع القرآن انه للتحقيق اذا كان من الله تعالى فان قيل فعلى ما وبل لا تخير كيف يخرج قوله لعلكم تفلحون لا يستقيم ان يقال لكي يلزمكم ان تفلحوا قبل معناه لكي يلزمكم السبب الذي به

مطلب يجعل ويحقق ... يوصف بالجهل

كان الايمان نورا للقلوب نور الايمان والاتقان بالله

تاويل لعل في جميع القران

تفلحون وهو ما شرع الايمان والطاعة والله اعلم قوله عز وجل وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم قوله وانه في ام
الكتاب يخرج على وجهين احدهما اي القرآن في اصل الكتاب ومنه اقول وهو اللوح المحفوظ وام الشئ اصله
ويسمى ام القرى مكة لهذا والثاني اي القرآن في الكتب المتقدمة فان الامهات سميت امهات لتقدمها على
الولد وهو كقوله وانه لفي زبر الاولين وقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وقوله
عز وجل لعلي حكيم قال ابن عباس اي هو على الكتب واحكمها واعدلها وقال بعضهم وصف كتابه بالعظمة
والمنزلة والشرف عنده وقوله حكيم يحتمل وجهين احدهما حكيم بمعنى محكم كقوله تعالى احكمت اياته اي بالحجج
والبراهين والثاني سماه حكيما لما جعل فيه من الحكمة والله اعلم وقوله عز وجل افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما
مسرفين اختلف في الذكر قال بعضهم القرآن وقال بعضهم الرسول وقال بعضهم العذاب والعقوبة واختلف
في قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا قال بعضهم افنترك وندع الذكر سدى ان كنتم قوما مسرفين اي لا نترككم
ولا نخلي لكم كذا او قال بعضهم افنترك الوحي لا نامركم بشئ ولا ننهاكم عن شئ ولا نرسل اليكم رسولا وقال
بعضهم افنضرب اي افنذهب عنكم بهذا القرآن سدى لا تسألون ولا تعاقبون على تكذيبكم اياه وقال
بعضهم افنضرب عنكم اي فيمسك عنكم فلا يذكركم صفحا اي اعراضا وهو قول القتبي يقول صفحت عن فلان اي
اعرضت عنه واصل ذلك انك توليه صفحتك يقال ضربت واضربت عن فلان اي امسكته وقال ابو عوسجة افنضرب
اي نسكت ضربت واضربت اي سكت وقوله صفحا اي ردا يقال سألني فلان حاجة فصفحته صفحا اي رددته
والله اعلم وبعضه قريب من بعض ثم الاصل عندنا ان الذكر يحتمل ما قالوا فيه من المعاني الثلاثة القرآن
والرسول والعذاب لكن لا يحتمل قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا الخروج على الابتداء على غير تقدم النوازل
لانه لا يتبين تأويله ثم النوازل يحتمل ان كان منهم قول يقولون يا محمد لو كان ما تقوله انت من عند الله
وانك رسوله فكيف انزل الكتاب او ارسل الرسول الينا على علم منه انا نكذب ونرده ولا نقبله ومن علم من الملوك
في الشاهد انه يكذب رسوله ولا يقبل لا يبعث الرسول فكيف بعثك رسولا الينا وانزل عليك
او بعثك رسوله فكذبناه وكذبناك ورددناه ورددناك فلا يرفعه ويرفعك دون تركه فينا فيقول الله
تبارك وتعالى جوابا لهم وردا لقولهم افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين يقول انا لا نترككم سدى
وان علمنا منكم التكذيب والرد للرسول والوحي ولا يمنعنا ذلك عن انزاله اليكم وتركه فيكم ولا يحملنا ذلك
على رفعه من بينكم بل نامركم وننهاكم وان كنتم تكذبونه ولا تقبلونه وهذا لما ذكرنا في غير موضع ان حرف
الاستفهام من الله تعالى يخرج على الايجاب والتحقيق وقوله افنضرب اي لا نترك انزاله وارساله وان علمنا منكم
التكذيب وهو كقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقوله ايحسب الانسان ان يترك سدى اي لا يترك سدى
ولا تحسبوا انا انما خلقناكم عبثا فعلى ذلك قوله افنضرب عنكم الذكر صفحا فان كان الذكر هو القرآن او الرسول
فالتأويل انه وان علم منكم الرد والتكذيب فلا يمنعه ذلك عن انزاله عليكم وبعثه رسولا اليكم وان كذبتموه
وان كذبتموه ورددتموه فلا يحمله ذلك على رفعه من بينكم لشرككم وكفركم وهو كما ذكر في قوله وكم ارسلنا
موسى في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون اي انا وان علمنا منكم التكذيب للرسل والكتاب
ولا يمنعنا ذلك عن انزاله عليهم وبعثهم اليهم فعلى ذلك انتم وان علمنا منكم تكذيب الرسول وكتابه لا يمنعنا
ذلك عن ارساله وانزاله ليلزمكم الحجة ولعل فيكم من يصدق ويؤمن به او غيركم يؤمن به ويصدقه وان
كذبتم انتم هذا ان كان تأويل الذكر رسولا او كتابا وان كان تأويل الذكر العذاب فيصير كانه يقول افنترك
تعذيبكم ونمسك عنه ولا نعاقبكم وانتم قوم مسرفون اي مشركون على ما ذكر على اثره العذاب حيث قال
فاهلكنا اشد منهم بطشا اي قوة معناه عذبناهم بالتكذيب مع شدة بطشهم وقوتهم وانتم دونهم
لا تعذبون بل تعذبون والله اعلم وعن قتادة يقول لو ان هذا القرآن رفع حين رده اوائل هذه الامة
فهلكوا لكن الله تعالى بفضله ورحمته كرره عليهم ودعاهم اليه كذا كذا سنة وما شاء الله تعالى وعن
الحسن قال لم يبعث الله تعالى نبيا الا انزل عليه كتابا فان قبله قومه والا رفع فذلك قوله افنضرب عنكم
الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين لا تقبلونه فتلقته قلوب نقية فقالوا قبلنا ربنا قبلنا ولو لم يقبلوه لم يترك
على ظهر الارض منه شئ وفي القراءة العامة ان كنتم منصوبة الالف بمعنى اذ كنتم ويقرأ ايضا ان كنتم بكسر الالف
على معنى الشرط ومعناه لا نترك ولا نمسك عن انزاله وان كنتم قوما مسرفين وقوله وكم ارسلنا من
نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون فيه دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم الى الصبر
على ما يلقاه من قومه حيث ذكر له ان ما ارسل من الرسل لم يكونوا قبله على سلامتهم من الاستهزاء بهم
والاذى بل هم سل معاملة قومك اياك فصبروا على ذلك فاصبر انت على اذى قومك والله
اعلم وفيه ان يرسل الرسول وان علم منهم انهم يكذبونه وكذا نزول الكتاب والله علم منهم انهم يردونه ولا
يقبلونه لانه ليس يرسل الرسل ولا ينزل الكتب لمنفعة نفسه ولا لدفع المضرة عن نفسه ولكن انما يرسل وينزل
لمنفعتهم ولدفع المضرة عن انفسهم فسواء عليه ان قبلوه او ردوه وليس كملوك الارض فانهم لا يرسلون رسولا
وكتابا الا لما يعلمون انهم يقبلون رسالتهم ويردون كتبهم فيكونون سفيها لانهم انما يرسلون لحاجة انفسهم

افنضرب عنكم الذكر

وللدفع المضرة بحيث لم يحصل غرضهم بل يلحقهم بذلك ضرر وزيادة ضنى له واستخفاف لم يكن ذلك
حكمة بل يكون سفها فاما الله سبحانه وتعالى اذا لم يرسل وينزل لجر النفع ودفع الضرر بل لالزام الحجة وازالة
العذر ونحو ذلك كان حكمة والله الموفق وقوله عز وجل فاهلكنا اشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين فيه
تحذير لاولئك الكفرة ان ينزل بهم بتكذيبهم الرسول وسوء معاملتهم اياه كما نزل باولئك الكفرة المتقدمين
بتكذيبهم الرسل وسوء معاملتهم اياهم والله اعلم وقوله فاهلكنا اشد منهم بطشا يحتمل وجهين احدهما اي
اهلكنا من كان اشد قوة وبطشا من هؤلاء ثم لم يتهيأ لهم الامتناع لشدة قوتهم وبطشهم عما نزل بهم من
العذاب فعلى ذلك لو نزل بهؤلاء لم يتهيأ لهم الامتناع مع ضعفهم والثاني ان يكون قوله اشد منهم بطشا وصف
ذلك العذاب الذي نزل بهم اي ذلك العذاب اشد منهم بطشا فلا يمتنع عنه لبطشهم وقوتهم اما اذا كان
شدة العذاب وبطشه دون بطشهم وقوتهم فانما لا يعمل ولا يؤثر فيهم لذلك وصف العذاب بكونه اشد منهم
بطشا وهو كقوله تعالى ان عذابي لشديد والله اعلم وقوله ومضى مثل الاولين هذا يخرج على وجهين احدهما مضى مثل الاولين
اي صار عذاب الاولين عبرة وعظة ومثلا للمتأخرين كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها
وموعظة للمتقين والثاني مضى مثل الاولين اي مضى عذاب الاولين وهو عذاب الاستيصال
فلا يعذب هذه الامة بمثل عذابهم لفضيلة نبينا محمد عليه افضل الصلوة واكمل التحيات وبركته
ورحمته وهو ما قال الله عز وجل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين بفضله ورحمته ابقى هذه الامة
الى يوم القيامة والله اعلم وقوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم في قولهم وجوابهم ان الله خلق السموات والارض دلالة انهم قد عرفوا انه رسول
لكن كذبوه عنادا ومكابرة لان اهل مكة كانوا لا يؤمنون بالرسل حتى يزعمون انا عرفنا ان الله خلق
السموات والارض بقولهم وينكروا رسالته خاصة بل ينكرون الرسل اجمع ثم هم ما عرفوا ان
الله هو خلق السموات والارض الا بالرسل اذ هم ليسوا من الذين عادتهم الاستدلال والنظر في الادلة
ليعرفوا الله تعالى بالدلائل العقلية والظاهر في العوام حملة المعرفة بالدلائل السمعية فكان
الظاهر هذا ان الله خلق السموات والارض بقول الرسل عليهم السلام لكنهم كذبوه ولم يصدقوه عنادا
منهم ومكابرة وما به عرفوا سائر الرسل من المعجزات موجود مما بين لهم في حق رسولنا صلى الله عليه
وسلم لا بدان يعرفوه رسولا لكنهم كذبوه عنادا فدل ان قولهم هذا دليل على معرفتهم برسالته والله
اعلم ثم تمام الاحتجاج بهذا ان يقال لهم قد عرفتم ان الله هو خلق السموات والارض فهلا عرفتم
انه لم يجعلها عبثا باطلا اذ لو كان على ما يزعمون ان لا رسل ولا بعث ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب
يكون خلقه اياهما عبثا باطلا فكان اقرارهم بخلقه اياها اقرارا بخلقه على وجه الحكمة ولن يخرج خلقه
على الحكمة الا بالاقرار بالرسل والبعث والثواب والعقاب على ما عرف غير مرة او ان يقال قد عرفتم ان
الله تعالى هو خلق السموات والارض وما ذكر الى اخره فكيف انكرتم قدرته على البعث والاعادة
بعد الموت والاعجوبة في خلق السموات والارض اعظم واكثر من الاعجوبة في بعثكم واعادتكم فكيف
انكرتم ما هو اقل في القدرة والاعجوبة والله الموفق وقوله عز وجل الذي جعل لكم الارض مهدا
وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون جائز ان يكون ذكر هذا على سبيل النعت والوصف لله تعالى
عز وجل صلة لقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي وصفه
انه جعل الارض كذا وانزل كذا ويحتمل ان يكون اراد ولئن سألتهم عن الارض وما ذكر انه من جعلها
مهدا ومن جعل لهم فيها سبلا فقالوا الله جعل ذلك على ما قالوا في السموات والارض وفيه
وجوه من الدلالة احدها يذكرهم نعمة عليهم حيث جعل هذه الارض بحيث يمهدونها ويفترشونها
وينتفعون بها بانواع المنافع وبحيث يمكن لهم الوصول الى حوائجهم التي فرقتها في الامكنة
المتباعدة بما جعل لهم فيها سبلا وطرقا يسلكون فيها ليصلوا الى الحوائج التي جعل ما قدروا السلوك
فيها ولا عرفوا انهم من اي جهة يصلون الى حوائجهم التي فرقت فيلزمهم بما ذكر القيام بشكره على
تلك النعم وفيه دلالة حكمته لبيد لهم ما ذكر لحكمته لم يجعلها عبثا باطلا فيلزم حيث فرق حوائجهم
في امكنة متباعدة ثم مكن لهم الوصول اليها ليعلم ان الذي ملك انفسهم هو مالك اطراف الارض
اذ لو كان هذا غير مالك ذلك لمنعهم عن الوصول الى حوائجهم وفيه دلالة قدرته حيث جعل
لهم في الارض ما ذكر من الشجر لهم حتى ظهروها ويفترشونها ويسلكوا فيها السبل التي جعل لها
لهم الى حيث ارادوها وقصدوها ومكنهم ذلك ليعلم ان من قدر على ما ذكر لا يعجز وقوله عز وجل
والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون فيما ذكر من انزال الماء ونشره
في الارض وانبات النبات فيها بذلك الماء من السماء ونشره في الارض وانبات النبات فيها بذلك
دلالة من الوجوه التي ذكرنا في قوله جعل لكم الارض مهدا فانه انزل الماء من السماء ليكون في الارض
انواع النعم التي ذكر وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض على بعد ما بينهما ليعلموا اعظم نعمه عليهم

في ابقاء هذه الامة الى يوم القيمه لا يعذب هذه الامه عذاب الاستيصال لفضيله سيدنا محمد

الاعجوبة في خلق السموات والارض اعظم واكثر من الاعجوبة في البعث والاعادة

وليعلموا ان ما كلهما واحد وما جعل في الماء من المعنى واللطف ما يوافق جميع النبات والثمار على اختلاف
اجناسها وجواهرها ليعلم ان من قدر على احياء الارض بذلك المعنى الذي جعل في الماء موافقته جميع النبات
والثمار على اختلاف جواهرها واجناسها لا يحتمل ان يعجز شيء من بعث وقبره اذ الاعجوبة فيما ذكر من
احياء الارض بذلك الماء وموافقة المعنى المجعول في الماء جميع ما ذكر اعظم واكثر من البعث لانه اعادة
وذلك ابتداء فمن ملك وقدر على ما ذكر من الاشياء فهو على البعث اقدر واملك ولذلك قال الله تعالى وكذلك
تخرجون اي تبعثون والله الموفق وقوله والذي خلق الازواج كلها جائز ان يدخل فيما ذكر من خلق الازواج
كلها جميع ما يكون لها ازواج من مقابلات واشكال اذ للزاوج قد يقع ويستعمل في الاضداد والاشكال
من الافعال والجواهر من الكفر والايمان والطاعة والمعصية فيكون في ذلك دلالة خلق افعال العباد
لاخباره انه خلق الازواج كلها وبين هذه الافعال ازواج وان كانت متضادة متقابلة والله اعلم وقوله عز وجل
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون فيه ما ذكرنا من الوجوه انه فرق حوائج الخلق في امكنة بعيدة و
بينهم وبين امكنة حوائجهم مفاوز وفيافي وبحار تحمل المحن في الفياوز انعاما يركبونها ليصلوا الى حوائجهم
وفي البحار سفنا لتركبونها ليصلوا الى حوائجهم التي في البحار يذكرهم نعمه ليتأدى بذلك شكرها ويذكرهم
قدرته ان من ملك هذا وقدر لا يعجزه شيء وقوله عز وجل لتستووا على ظهوره جعل ظهوره بحيث يستوون
عليها ويقرون وكان له ان يجعل ظهورها بحيث لا يستوون عليها ولا يقرون وهذا من نعمة الله تعالى عليهم
وقوله عز وجل ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ثم نعمته يخرج على وجوه ما ذلل لهم من الانعام
وسخرها لهم بقوتها وشدتها وجعل لهم ان يستعملوا الدواب وهي تألم وتتلذذ كما تألمون وتتلذذون ثم
جعلها منعة لهم لا ان جعلوا لها او ان يكون نعمته التي امرهم ان يذكروها الاسلام من التوحيد قولوا
الحمد لله الذي هدانا للاسلام وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين او يأمرهم ان يذكروا ما اتاهم
من النعم العظيمة وقوله وما كنا له مقرنين قال بعضهم مطيقين يقال انك مقرن اي قوي عليه واصل هذا التأويل
ان الدواب والانعام في نفسها اشد واكثر قوة واعظم من البشر لكن الله تعالى بفضله ومنه علم
الانسان الحيل حتى قدر على استعمال الدواب والانعام مع قوتها وشدتها حيث شاؤوا وفيما شاؤوا وسخرها
لهم ويحتمل ان يكون قوله وما كنا له مقرنين اي لم يجعلنا من قرن الدواب ومن قرنها بحيث يستعمل لما يستعمل
الدواب ويركب على الظهور اي لم يجعلنا من قرن الدواب ومن اشكالها والله اعلم وقوله عز وجل وانا الى
ربنا لمنقلبون هذا يحتمل وجوها احدها يحتمل البعث على ما قال اهل التأويل ويحتمل وانا الى ما جعل
لنا ربنا من الوصول الى حوائجنا لمنقلبون بها وراجعون والله اعلم ويحتمل وانا الى اوطاننا ومنازلنا راجعون
ما لولا هي لم يتهيأ لنا الرجوع الى ذلك ولا الوصول الى ما جعل لنا من الحوائج التي فرقت في الامكنة النائية
والله اعلم وقوله عز وجل وجعلوا له من عباده جزءا قال عامة اهل التأويل اي الكفرة جعلوا لله تعالى من عباده
انثى اي بنتا وقال الزجاج جزءا اي بنتا وقال ان الجزء عند بعض العرب البنت لان الكفرة قد اختلف انواع
كفرهم وهم مختلفون في كفرهم يقول الثنوية بالاثنين يقولون ان الله تعالى هو خالق الشر وغيره على حسب
ما اختلفوا في ذلك الغير ما هو فهؤلاء الثنوية جعلوا لله تعالى من عباده جزءا وهو الخيرات ولم يجعل له الجزء
الاخر ومشركوا العرب جعلوا له فيما رزقهم جزءا لله تعالى وجزءا الشركائهم حيث قال وجعلوا لله مما
ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فهؤلاء جعلوا له جزءا مما رزقهم
وهو الظاهر وفريق اخر جعلوا له جزءا من عباده وهو الاناث ولم يجعلوا له البنين كقوله تعالى ويجعلون لله البنات
يحمل الجزء له على ما ذكر ما ظهر مما ذكره اهل التأويل وصوفوه اليه والله اعلم وقوله عز وجل ان الانسان
لكفور لنعمه مبين اي بين كفرانه وقوله عز وجل ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين هو على الاضمار كانه
يقولون اتخذ مما يخلق بنات لنفسه واصفاكم بالبنين وهو ما ذكر في اية اخرى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف
السنتهم الكذب ثم قوله ام اتخذ اي قالوا بل اتخذ مما يخلق بنات يذكر في هذه الايات سفه اهل مكة و
شدة تعنتهم لانهم قوم لا يؤمنون بالرسل وما ذكروا من اتخاذ الولد وما ادعوا ان الملائكة بنات الله وما
اقروا حين سألوا من خلق السموات والارض ان الله هو خالق ذلك كله مما لا سبيل الى معرفة ما قالوا وادعوا الا
بالرسل وهم ينكرون الرسل فكيف ادعوا ما ادعوا وهم ينكرون خبرهم لان من ادعى ولدا لغائب لا يعلم
الا بخبر صادق وكذلك معرفة الملائكة انما هو بخبر يأتيهم ثم هم ينكرون الاخبار والرسل فيتنا قض
دعواهم ويضمحل على ما ذكرنا ثم اخبر عنهم ما يظهرون من الحزن عند ما يولد لهم من الاناث وما يلحقهم
من الكراهة في ذلك بقوله تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم ثم
قوله بما ضرب للرحمن مثلا اي شبها بالخلق وانه يخرج على وجهين احدهما انما جعلوا له ولدا والولد هو شبه
الوالد فكان في اثبات الولد اثبات والثاني في اثبات الولد له اثبات المشابهة بينه وبين جميع الخلق
لان الخلق لا يخلوا اما ان يكون مولودا من اخر او يولد منه اخر واما ان يكون له شريك فيما ملكه او يكون
هو شريك غيره فيكون البعض شبيها بالبعض فمن اثبت لله شريكا وولدا فقد جعله شبها بالخلق ولهذا بين

الله تعالى من الولد والشريك بريا واحدا بقوله تعالى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك نفى الولد والشريك
عن نفسه نفيا واحدا وبراءة واحدة والله الموفق وقوله ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين يحتمل ان
يكون تفسيرا لقوله وجعلوا له من عباده جزءا وعلى ذلك قول اهل التأويل انهم جعلوا هذا تفسيرا
للاول وجائز ان يكون لا على التفسير للاول ولكن على الابتداء في قوم اخرين سواهم على ما ذكرنا من
التأويل والله اعلم وقوله عز وجل او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين اختلف فيه قال
بعضهم هي الاصنام التي عبدوها حلوها وزينوها بانواع الزينة والحلي يقول والله اعلم ولو حلي بالحلي
وزين بالزينة وهو لا يملك نفعا ولا ضرا ولا تكلما ولا خصومة ولا شيئا من ذلك ولا يلتفت اليه
ولا يكترث له لولا تلك الحلي والزينة التي بها فيجعل العبادة له لمن منه خلق ما ذكر من السموات والارض
وما فيها من المنافع اي ليس هذا بسواء لذلك يذكر سفههم في اختيارهم الاصنام التي هذا وصفها
في العبادة على عبادة الله تعالى الذي منه كل شيء يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتكذيبهم
اباه وسوء معاملتهم معه والله اعلم وقال بعضهم قوله او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين
هي الاناث يقول والله اعلم ان الانثى ضعيف قليل الحيلة وهي عند الخصومة والمحاورة غير مبين
لضعف عقلهن وضعفهن ونقصانهن يقول والله اعلم كيف نسبوا الى الله عز وجل ما هو اضعف
واعجز وانقص فيما ذكر وقد انفوا هم منها واختاروا لانفسهم ما هو اكمل واقوى وهي الذكور وهو
صلة قوله عز وجل ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين الى اخره ذكر وكل حرف مما تقدم ذكره
من قوله وجعلوا من عباده جزءا ونحو ذلك ثم قوله عز وجل او من ينشؤا في الحلية يحتمل ان يرجع الى معنى
اخر غير المعنى فيما ذكر من الايات وكل حرف من هذه الحروف يرجع الى فريق غير الفريق الاخر
لانهم كانوا في المذاهب مختلفين متفرقين وجائز ان يرجع الكل الى معنى واحد والله اعلم وفي هذه الايات
ما ذكرنا من الوجوه من تصبير رسول الله صلى الله عليه وسلم على اذى القوم ومن بيان سفههم ولذلك
ومن التحذير لما تأخر منهم والله اعلم وقال القتبي او من ينشأ في الحلية اي يربى في الحلي وهي البنات
يريد جعلهم بنات الله تعالى وهم اذا كان لاحدهم بنت ظل وجهه مسودا وهو كظيم اي حزين والخصام
جمع خصيم غير مبين اي غير مبين الحجة وقال ابو عوسجة او من ينشؤا في الحلية اي ينشأ كما يقال نشأ
الصبي ينشؤ اي يشب ويرتفع والخصام المخاصمة وقال ابو معاذ ينشأ في الحلية والله اعلم ينبت ويقرأ ينشأ
بالتشديد وينشأ بالتخفيف وهما لغتان وقراءة بعضهم ينشأ في الحلية والله اعلم وقوله عز وجل وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا الاية واخلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون فان قيل كيف سفههم في جعلهم
عباد الرحمن اناثا وقد جعل الله من عباده اناثا لماذا ما تم على ذلك قيل عن هذا وجهين احدهما انما سفههم
وعابهم لشهادتهم على الله سبحانه وتعالى انه جعل الملائكة اناثا وهم لم يشاهدوها ولا يؤمنون بالرسل
عليهم السلام حتى يقع لهم العلم والخبر بذلك بقول الرسل والله اعلم والثاني ان الله تعالى وصف
ملائكته بانهم لا يفترون من عبادته وانهم لا يستحسرون وانهم مطيعون لله تعالى على الدوام حيث
لا يرد منهم عصيانا طرفة عين على ما نطق بذلك الكتاب فهم اذا قالوا انهم اناث وصفوهم بالضعف
والعجز فلا يتهيأ لهن القيام بما ذكر والله اعلم ثم قوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا وقوله ويجعلون لله البنات وقوله ويجعلون لله ما يكرهون ليس على حقيقة الجعل ولكن على الوصف
له والقول اي قالوا ان الملائكة بنات الله ووصفوا لهم ما ذكروا والله اعلم وقوله عز وجل ولو شاء الرحمن
ما عبدناهم تعلق المعتزلة بظاهر هذه الاية ان الله تعالى لم يشأ الكفر من الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار
ادعوا ان الله تعالى شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
اي لو شاء منا ترك عبادة الاصنام لتركناها ولكن شاء منا عبادة الاصنام والله تعالى رد عليهم قولهم
واعتقادهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون وعندنا الاية تخرج
على وجوه احدها انهم في قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم صدقة فان معناه لو شاء منهم تركهم عبادة الاصنام
ما عبدوها ولكن شاء ان يعبدوها فيكون هذا منهم اخبارا عن المحرية على ما هو فيكون صدقا ثم
قوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يحتمل انما سماهم كذلك لما قالت المعتزلة انهم
ادعوا واخبروا ان الكفر بمشيئة الله تعالى وانه شاء منهم الكفر دون الايمان فالله تعالى شاء منهم الايمان
دون الكفر فقد اخبروا على خلاف الحقيقة فيكونون كاذبين ويحتمل انهم قالوا ذلك وفي قلوبهم خلاف
ما اخبروا وهو ان الكفر ليس مما شاء الله تعالى بل انما شاء الايمان كما تقوله المعتزلة ولكن يقولون ذلك
ردا على المسلمين الذين يدعونهم الى الايمان والرجوع عن الكفر انه اذا كان شاء منا الكفر دون الايمان
كيف نؤمن ونترك الكفر والاخبار عما هو به وان كان صدقا ولكن اذا كان في قلب المخبر واعتقاده خلاف
ذلك فيكون ذلك الاخبار في نفسه صدقا لكن من حيث انه اخبار عما في الضمير يكون كذبا واحدا كقول
الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين

لكاذبون ونحو في قولهم نشهد انك لرسول الله صدقة لكن في اخبارهم عما في ضميرهم كذبة لما لا يوافق ظاهر
كلامهم حقيقة ما في قلوبهم فيرجع تكذيب الله تعالى اياهم لكذب قلوبهم وان كانوا في نفس قولهم انك
لرسول الله صدقة واذا احتمل الوجهين فلا يكون الاية حجة لهم مع الاحتمال وعلى الوجهين جميعا لكونهم
كاذبين لذلك قال ان هم الا يخرصون والله اعلم والثاني انهم وان كانوا صادقين في ذلك فهم عما قالوا ذلك
على سبيل الاستهزاء والتعيير له على الجد فيكون قصده تلبيس الصدق على الناس ورده كقوله عز وجل ويقول
الانسان اذا ما مت لسوف اخرج حيا وهذا الانسان حق وصدق لكن انما قال ذلك استهزاء منه وانكار
البعث الا ترى ان الله تعالى وعظه على ذلك وذكره حيث قال اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك
شيئا فعلى ذلك قول اولئك وان كان في الظاهر صدقا فهم انما قالوا ذلك استهزاء وسخرية على سبيل الانكار
وتلبيس الحق فيكون اخبارهم من هذا الوجه ولهذا الغرض خرصا وكذبا والله اعلم والثالث عنى بهم بذلك
الاحتجاج على المسلمين في توعيدهم بالعذاب بسبب العناد والكفران كيف عذب وانا انما شئنا الكفر بمشيته
ولو شاء ان نترك العبادة للاصنام تركنا فاذا كان شاء منا الكفر حتى كفرنا لماذا عاقبنا فابطل احتجاجهم بقوله
تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون اي هم جاهلون في الاحتجاج بهذا كاذبون في انهم بالشرك والكفر
بسبب مشيئة الله تعالى اياهم الكفر ولكن لسوء اختيارهم واستحبابهم له على ذلك واصله ان لا احد من العصاة
والفسقة والكفرة يفعل وعنده ان الله تعالى شاء ذلك منهم فاذا كان وقت فعله لا يفعل ما يفعل لان الله
شاء ذلك منه لم يكن له هذا الاحتجاج والقول انما قالوا والله الموفق والرابع يحتمل انهم يقولون لو شاء الرحمن
ما عبدناهم وقولهم لو شاء الله ما اشركنا اي لو امرنا الله تعالى بترك عبادتنا اولئك الاصنام ما عبدناهم
لكن امرنا ان نعبدهم كانوا يدعون انما يعبدون الامر من الله تعالى كقوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها اولا واما المشيئة الرضا يقولون لولا ان الله تعالى قد رضي بذلك عنا وعن اباءنا والا ما تركنا
وهم على ذلك فاستدلوا بتركهم على ما اختاروا على ان الله تعالى قد رضي بذلك عنهم فرد الله سبحانه وتعالى بقوله

استدلوا الكفرة بتركهم على ما اختاروا على انه تعالى رضي عنهم

ان هم الا يخرصون وبقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء الاية وقد ذكرنا على الاستقصاء في قوله تعالى وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما اشركنا الاية والله اعلم وقوله عز وجل ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون

مما ينبغي ان يحفظ الزام الكفرة

اي لم نؤتهم كتابا ليكون لهم العلم بذلك بسفههم في قولهم لانهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب وذلك
اسباب العلم وليست لهم تلك الاسباب لا يؤمنون بها ولا يصدقون وقوله عز وجل بل قالوا انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على اثارهم مهتدون انهم قوم يشكرون ويكذبونهم بعلة انهم بشر ثم اقتدوا باباءهم
واتبعوهم لشيء ايضا فهذا تناقض في القول يذكر سفههم وتناقضهم في القول وقوله عز وجل وكذلك
ما ارسلنا من قبلك من قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
يصبر رسوله عليها قال هؤلاء انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون انه ليس ببديع من هؤلاء
قال واوائلهم لرسلهم على ما قال قومك يصبره صلى الله عليه وسلم ويعزيه ويذكر سفههم في اتباعهم اباءهم
واقتداءهم بهم وهم بشر فيقول فاذا كنتم لا محالة متبعون البشر فاتبعوا امرهم اهدى من اباءكم
وهم الرسل وهو ما قال عز وجل قل ولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم فقالوا عند ذلك انا بما ارسلتم
به كافرون عنادا وتعنتا منهم وقال بعضهم ان قل يا محمد اولو جئتكم اي ان جئتكم باهدى مما وجدتم عليه
اباءكم من الدين فتتبعوني فيما جئتكم فردوا عليه وقالوا انا بما ارسلتم به كافرون وقوله عز وجل فانتقمنا
منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين هذا وعيد ثم قال بعضهم فانتقمنا منهم يقول هو رجوع الى ذكر الامم

فائدة تجب حفظها في استثناء ما غير داخل في جنس المستثنى منه

الخالية فقال فانتقمنا منهم بالعذاب الذي نزل ويحتمل ان يكون قوله تعالى فانتقمنا منهم وذلك جائز وقوله
فانظر كيف كان عاقبة المكذبين يحتمل مكذبي الرسل ويحتمل مكذبي العذاب وقوله واذ قال ابراهيم لابيه و
قومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني والاشكال انه عليه السلام تبرأ من عبادة جميع ما تعبدون
واستثنى عبادة الذي فطره وهو الله تعالى وهم لا يعبدون الذي فطره فكيف يستثنى من جملة عبادة من
يعبدون والاستثناء من جنس المستثنى منه فيقول قال بعضهم انه تبرأ من عبادة من عبدوا واستثنى
عبادة من فطره لان فيهم من عبد الذي فطره الله تعالى فلو تبرأ من عبادة جميع ما يعبدون على الاطلاق
لصار متبرئا عن عبادة الله تعالى لذلك استثنى عبادة الله والله اعلم لكن الاشكال انه لم يظهر ان في قومه
من يعبد الله تعالى وهو الذي فطره وخلقه فما معنى الاستثناء فيقال ان لم يكن في قومه من يعبد الذي فطره
فكان في ابائهم واوائلهم من يعبد الذي فطرهم فيرجع استثناؤه الى ذلك والله اعلم ويحتمل انه انما استثنى
الذي فطره على طريق الاحتياط لاحتمال ان يكون فيهم من يعبد الله تعالى ولا وقوف له على ذلك فيصير متبرئا
من ذلك لو تبرأ ممن يعبدون جميعا والله اعلم ويحتمل ان يكون استثنى الذي فطره لانهم كانوا يعبدون
هذه الاصنام والاوثان دون الله تعالى رجاء ان تشفع لهم فيقربهم الى الله زلفى لقولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فما استثناؤه الى الحقيقة قصدوا بالعبادة
وهو الذي فطرهم والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا استثناء منقطعا وهو الاستثناء بخلاف الجنس يعني

مطلب مما يحفظ في استثناء منقطع بمعنى لكن

لكن معناه

لكن معناه انني براء مما تعبدون ولكن اعبد الذي فطرني وذلك جائز في اللغة كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا
الا سلاما وقوله عز وجل الا ان تكون تجارة عن تراض اي ولكن تجارة عن تراض لانه لا يجوز ان يستثنى
التجارة عن تراض عن الباطل ولا السلام من اللغو ونحو ذلك كثير والله اعلم وقوله عز وجل انني براء مما تعبدون
ذكر ان هذا الحرف بناؤه على ميزان واحد في الوحدان والتثنية والجمع وقوله عز وجل فانه سيهدين هذا يخرج
على وجهين احدهما اي سيثبتني على الهدى والثاني اي فانه سيهديني في حادث الوقت والهدى مما يتجدد فيبقى
الارادة لحقيقة الهدى فعلى هذين الوجهين يخرج على التوفيق على الهدى والعصمة عن ضده في المستقبل
ولا يحتمل ان يريد به الهدى البيان بان يقول فانه سيبين لي لانه قد بين له جميع ما يقع له الحاجة اليه
فلا يحتمل ان يبين البيان ولا يحتمل الامر ايضا فانه قد تقدم الامر به ويرجع الى حقيقة الهدى والى
التوفيق والعصمة ويكون في الاية دلالة على ان عند الله تعالى لطفا وهو ما ذكرنا لو اعطى ذلك يصير مهتديا
وانه لم يعط الكفرة ذلك ولو اعطاهم لامنوا وقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون هذا

عند الله لطف لو اعطاه الكفار لامنوا ولكن لم يعطهم

يحتمل وجهين احدهما الكلمة الباقية هي كلمة الهداية والتوحيد فانه سال ان يجعل ما وجد منه من التبري
من التبري من غير الله تعالى وتحقيق عبادة الله تعالى بقوله انني بريء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية
وانه كلمة التوحيد فان قوله لا اله نفي غير الله وقوله الا الله اثبات الوهية لله تعالى وذلك معنى قوله انني
بريء مما تعبدون الا الذي فطرني وهو كقوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية واجاب الله تعالى
سؤاله في دعائه فلم يزل في ذرية ابراهيم وعقبه من يقولها وذلك قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه

لم يزل في ذرية ابراهيم عليه من يقول التوحيد

ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون والثاني الكلمة الباقية هي كلمة الدعوة
الى الهدى والتوحيد وهي عبارة عن ابقاء النبوة والخلافة في ذريته الى يوم القيامة وهو ما قال اني جاعلك
للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين اخبر ان الظالم من ذريته لا ينال العهد فاما من لم
يكن ظالما فانه ينال عهده وقد استجاب الله دعاءه فلم يزل الدعوة في ذريته والنبوة وخلفائهم الى يوم القيامة
قال الله تعالى ولكل قوم هاد والله اعلم وقوله عز وجل بل متعت هؤلاء واباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين
اخبر انه متعهم واباءهم في مكان لا نبات فيه ولا زرع ولا ماء يسخر الناس وحملهم على ان يحملوا اليهم الطعام و
الاغذية وانواع الفواكه من الامكنة البعيدة ويجلبون اليهم ما ذكرنا فذلك ما ذكر من تمتيعهم اياهم
وقوله حتى جاءهم الحق اي القران ورسول مبين اي محمد صلى الله عليه وسلم بين انه من عند الله تعالى جاء وانه رسوله
صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون لم يزل كانت عادة رؤساء الكفرة و
الاشراف منهم التكلم بهذه الكلمة عند نزول الايات والمعجزات يريدون بذلك التمويه على اتباعهم والتلبيس
فعلى ذلك قول هؤلاء سحر وانا به كافرون وقوله عز وجل وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
ظن هؤلاء انه لما وسع عليهم الدنيا وانعم عليهم ويعطي لهم الاموال انما اعطوا ذلك ووسع عليهم لكرامة
لهم عند الله وفضل وقدر لديه ومن ضيق عليه الدنيا ولم يعط ذلك انما ضيق عليه ومنع لهوان عنده فقالوا
ادعاء محمد صلى الله عليه وسلم الرسالة ونزول القران عليه من الله تعالى لا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم ظنوا ان من عظم قدره ومنزلته عند الخلق بما وسع عليه واعطي من الاموال هو عند الله كذلك قال
لو كان ما يقول محمد حقا ان هذا القران انما انزل من عند الله لكان انزل على رجل من القريتين عظيم فاخبر عز وجل
ان الله لم يوسع لفضله ومنزلته وقدره عنده وعلى من ضيق انما ضيق لهوان له عنده لكن رب المضيق عليه
مكرم عظيم عند الله ورب موسع عليه يكون مهانا عنده وقوله عز وجل اهم يقسمون رحمة ربك نحن
قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهو يخرج على وجهين احدهما اي انهم لا يملكون قسمها على تدبيرها
انشؤا وعلى تقديرها خلقوا وهو ما ذكر من المعاش واسباب الرزق من التوسيع والتفضيل فالذي لم يجعل اليهم في ذلك
شيء من تدبير وتقدير احق واولى ان لا يملكون قسمها ذلك بينهم واختياره وهو النبوة والرسالة ووضعها
حيث شاء واهدا المعنى او يلين ثم قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم دلالة في خلق افعال الخلق لان
التفضل والتوسيع في الرزق والمعيشة انما يكون باكتساب يكون منهم واسباب جعلت لهم ثم اخبر انه
هو يقسم ذلك دل ذلك على انه هو منشئ اكسابهم وخالق افعالهم وان له في ذلك تدبيرا لانا نرى من هو اعلم
واقدر على اسباب الرزق كانت الدنيا عليه اضيق وممن يدونه في تلك الاسباب والاكتساب كانت عليه اوسع
ذلك على انه على تدبير هو خاصة لكانت تكون هي اوسع على من هو اجمع لاسبابها واكتسابا واقدر على ذلك
ويكون على من ليست له تلك الاسباب ثم قال جعفر بن حرب للخروج عن هذا الالزام فقال انما وسع على
من التوسيع له اصلح واخير وضيق على من ضيق لان التضييق له اصلح واخير في الدين فيقال لو كان التوسيع
والتضييق لاجل الاصلح لهم في الدين والاخير لم يكن ما ذكر من رفع بعض وتفضيل بعض على بعض على بعض
في الرزق معنى وقد اخبر انه رفع بعضهم درجات ولو كان الكل في ذلك سواء لا يكون لبعض على بعض في ذلك
فضل ولا درجة ولانه لو كانوا على ما يقولون هو انه يعطي كلا ما هو الاصلح في الدين واخير لهم في ذلك فهؤلاء
الفراعنة منهم والرؤساء لو لم يكن لهم تلك السعة وتلك الاموال لكان لا يتهيأ لهم فعل ما فعلوا ومنع الناس

عن اتباع رسل الله عليهم الصلوة والسلام وعلى ذلك فرعون الملعون ادعى لنفسه الالوهية بما اعطى له من الملك والسعة ما لو لم يكن له ذلك لم يدع ذلك وكان ذلك اصلح في الدين فدل ان الله تعالى قد يترك ما هو الاصلح لهم في الدين وانه ليس عليه حفظ الاصلح لهم في الدين وقوله عز وجل ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال بعضهم قوله سخريا بكسر السين الاستهزاء وتاويله انه علم الله من بعضهم انه يستهزئ ببعض ويهزؤ بعضهم ببعض فاعطى ذلك لهم ليكون منهم ما علم منهم من الهزء والسخرية لا ان يكون يرفع بعضهم على بعض ليامر بما علم انه يكون منهم والله اعلم وقوله عز وجل ورحمة ربك خير مما يجمعون يحتمل قوله رحمة ربك النبوة اي ما اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة والنبوة خير مما يجمع اولئك الكفرة ويحتمل ما يدعوهم محمد صلى الله عليه وسلم ويختار لهم من التوحيد والدين خير مما يجمعون هم من الاموال ويحتمل ما وعد لاهل الايمان من الثواب والكرامة بايمانهم وهو الجنة خير مما يجمعون والله اعلم وقوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون الاية اي لولا ان يصير الناس كلهم على ملة واحدة وهو دين الكفر والا لجعلنا للكفار ما ذكرنا في الاية دلالة التزهيد في الدنيا لانه ذكر انه اعطى الكفار ما ذكر لولا رعاية قلوب ضعفة حتى لا يتحولوا الى دين الكفر فما منع الكافر ما منع انما منع بسبب المومن فيجب ان يزهد فيها وفي الاية دلالة جوده وكرمه حيث لم يمنع من عاداه ولعاداه نعيم الدنيا وفي الشاهد ان من عادى اخر منعه ذلك ما عنده من الفضل والمال وفيها دلالة هوان الدنيا على الله تعالى على ما ذكره اهل التاويل انه لو كان لها عنده خطر وقدر لم يعط الكافر منها جناح بعوضة او جناح ذباب فدل ذلك على هوانها على الله تعالى وفيه دلالة نقض قول المعتزلة حيث قالوا ليس على الله ان يفعل بعباده الا ما هو اصلح في الدين لانه اخبر تعالى انه لولا ما يختار اهل الايمان الكفر والتحول فيه والا لجعل لاهل الكفر ما ذكر من جعل النعم فلو كان الاصلح واجبا في الدنيا لكان يجب ان يعطي لاهل الايمان مثل ذلك الذي ذكر انه لو اعطى لاهل الكفر فيكونون جميعا اهل كفر واذا اعطى ذلك لاهل الايمان لا يكونون جميعا اهل الايمان وهو الاصلح في الدين ومع ذلك لم يعط دل انه ليس على الله تعالى حفظ الاصلح لهم في الدين ولا حفظ الاخير والله الموفق والاصل في قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن الاية انهم خيروا في هذه الدنيا ان يختاروا النعم الدائمة واللذة الفانية والنعمة الزائلة المنقطعة فمن اختار واثر النعيم الدائمة واللذة الباقية على النعمة الزائلة واللذة ضيق عليهم النعيم الزائلة واللذة الفانية لما اثروا واختاروا الباقية على الفانية الزائلة على الباقية الدائمة وسع عليه الفانية لما اختار واثر وهو ما ذكر في قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن الاية بين لكل ما اختار واثر من النعيم الفانية والدائمة وذكر الفضة والذهب وان كانت اشياء اخر قد يكون ارفع واعظم فدل انها لان هذين هما اعز الاشياء عندهم وبهما يوصل الى كل رفيع وعظيم والله اعلم ثم ما ذكر من جعل السقف والمعارج من الفضة وما ذكر من الزخرف هو رد ما قال فرعون في حق موسى عليه السلام لولا القي عليه اسورة من ذهب وجاء معه الملائكة مقترنين اي لخساسة الدنيا وهوانها لم يعط لرسله ولا لاوليائه والاخيار من عباده ولولا ما يكون من ترك اهل الايمان والا لكان في حق كل كافر مثل ما فعل في حق فرعون وامثاله والله اعلم وقوله عز وجل وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين اي كل ما ذكر ليس الا متاع الحيوة الدنيا اعطي من اثره على نعيم الاخرة والعاقبة للمتقين لما انهم اختاروها على غيرها والله المستعان قال القتبي المعارج الدرج يقال عرج اي صعد ومنه المعراج لانه سبب الى السماء او طرف عليها يظهرون اي يعلون ظهرت على البيت اذا علوت سطحه والزخرف الذهب وكذا قول ابي عوسجة المعارج المصاعد والمعراج الصعود والزخرف كل شيء حسن والزخرفة التحسين والتزيين وهذا اشبه الا ترى انه قال في اية اخرى حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي زينتها وحسنها والسقف جمع السقف وهو سمك البيت وقوله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا قال بعضهم يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن وقال بعضهم يعش اي يعمى بصره ويضعف عن ذكر الرحمن اي يعمى عنه ولا يقبله وقال بعضهم عشي يعشى من الاعراض وقال ابو عبيدة ومن يعش عن ذكر الرحمن اي يظلم بصره وقال الفراء ومن يعش اي يعرض عنه ومن يعش بنصب الشين اي يعمى عنه وقال ابو عوسجة يعشى اي يجاوز وان شئت جعلته من العشى وهو ظلمة البصر وان شئت جعلته من التعاشي وهو التعامي والله اعلم وقوله عز وجل عن ذكر الرحمن القران ويحتمل التوحيد والايمان ويحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل نقيض له شيطانا فهو له قرين قال بعضهم نقيض نقدر والتقييض التقدير يقال قيض الله لك خيرا اي قدره وهو قول ابي عوسجة وقال بعضهم نقيض اي نهيئ له شيطانا ونضم اليه فهو له قرين والاصل في ذلك ان من اثر معصية الله واختارها على طاعته كانت لذته وشهوته في ذلك فالشيطان حيث اختار معصية الله على طاعته صارت لذته في ذلك وعلى ذلك من اتبعه فيما دعاه واجابه الى ما دعاه اليه صارت لذته في ذلك قارنه ولزمه في ذلك ليكونا جميعا في ذلك في الدنيا والاخرة على ما ذكر في اية اخرى

احشروا الذين ظلموا وازواجهم الاية وقوله عز وجل وانهم ليصدونهم عن السبيل السبيل المطلق هو سبيل الله والدين المطلق هو دين الله والكتاب المطلق هو كتاب الله وقوله عز وجل ويحسبون انهم مهتدون وان كانوا يحسبون انهم مهتدون لان الشياطين كانوا يزينون لهم ويقولون ان الذي انتم عليه هو دين ابائكم واجدادكم ولو كانوا على باطل لا على حق ما تركوا على ذلك ولكن اهلكوا واستوصلوا فاذ لم يهلكوا وتركوا على ذلك ظهر انهم كانوا على الحق والهدى كانوا يموهون لهم ويزينون كذلك وظنوا انهم على الحق كما يقول لهم الشيطان والله الهادي وقوله عز وجل حتى اذا جاءنا اي الكافر وقرينه في الاخرة قال الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين يحتمل ان يقول في الاخرة يا ليت كان بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين حتى لم اكن الالفك ولم اتبعك ويحتمل ان يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين في الاخرة ثم قوله عز وجل بعد المشرقين قال بعضهم ما بين مشرق الصيف الى مشرق الشتاء وقال بعضهم يحتمل اي بعد المشرق والمغرب لكن ذكر باسم احدهما كما يقال عمرين يسميهما باسم واحد منهما لان الاسودين منهما واحده وهي الحية دون العقرب والمراد من عمرين ابو بكر وعمر وعلى ذلك قوله بعد المشرقين وقوله فبئس القرين حيث الحياة والقادة في النار والاخلاء لما ذكرنا وقوله عز وجل ولن ينفعكم اليوم اي لا ينفعكم في الاخرة الاعتذار اذ ظلمتم انفسكم في الدنيا اي وضعتموها غير مواضعها والله اعلم وقوله عز وجل انكم في العذاب مشتركون ظاهر وقوله عز وجل افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ثم معلوم انه لم يرد بالهدى هداية البيان ولا اسماع الاذان لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملك ذلك كله وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه اراد الهدايات التي لا يملك الا هو والاسماع الذي لا يملك غيره وهو التوفيق والعصمة والرشد الذي اذا اعطى من اعطى هدى يذكر عجز رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهو على المعتزلة لانهم لا يرون عند الله لطائف واشياء لو اعطاها كل احد انما اعطى بعضها دون بعض فمن اعطاه تلك اللطائف واشياء لم يعطها كل احد انما اعطى بعضها دون بعض فمن اعطاه تلك اللطائف اهتدى وهو ما ذكرنا من التوفيق والعصمة وعلى قولهم ليس عند الله شيء يملك به هدايتهم لانهم يقولون قد اعطى كل كافر ما يهتدي يصير مهتديا بذلك ولم يبق عنده شيء يملك بذلك هدايتهم فعلى قولهم عجز تعالى عن ذلك كعجز رسول الله عن ذلك وهو انما ذكر ذلك اعلاما انه هو المالك لذلك دون عباده ومعلوم انه انما ذكر على الربوبية والالوهية له في ذلك والموفق الموفق وجائز ان يكون قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي انما ذكر لاياس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ايمان قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون والله اعلم وقوله عز وجل فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فيه دلالة منع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سؤال انزال العذاب الموعود لهم عليهم ثم المنع فيه من وجهين احدهما النهي عن سؤال بيان الوقت ان يسأله متى ينزل عليهم والثاني النهي عن استعجاله كقوله ولا تستعجل لهم كانه يقول ليس ذلك اليك انما ذلك الي ان شئت انزلت في حيوتك وان شئت ذلك وان شئت امهلت ولم اريك شيئا من ذلك وهو كما قال ليس لك من الامر شيء الاية وقال قتادة في ذلك ان الله تعالى اذهب نبيه صلى الله عليه وسلم وابقى النقمة بعده ولم يره في امته الا الذي يقر به عينه وليس نبي ورسول الا وقد راى في امته العقوبة غير نبيكم عافاه الله تعالى عن ذلك والا ما لا يقربه عينه قال وذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم اري الذي تلقى امته من بعده فما رأى مستبشرا ما استطاب ضاحكا حتى لحق بالله تعالى وقال وقال الحسن قريبا من قول قتادة في قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون قال اكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يريه في امته ما يكره ورفعه الله تعالى وبقيت النقمة وقوله عز وجل فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم الذي اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه ثلاثة احدها القران وهو الظاهر من الوحي اليه والثاني وحي بما يبين للناس ما احل الله لهم وما حرم عليهم وما نسخ بعضهم على بعض على لسان الملك جبريل او غيره على ما اراد الله تعالى والثالث وحي الهام موافقا كقوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله تعالى فما اراه الله تعالى وهو ما الهمه امره عز وجل بالتمسك على انواع ما اوحي اليه ما هو قران وما هو بيان وما هو الهام مراد له وامنه ان يزيغ او يزل او يعدل عن الصواب في ذلك كله وبشره في ذلك كله انك لو تمسكت بجميع ما اوحي اليك كنت على صراط مستقيم حيث قال فاستمسك بالذي اوحي اليك انك على صراط مستقيم وقوله عز وجل وانه لذكر لك ولقومك وجائز ان يكون المراد بالذكر جميع انواع ما اوحي اليه فان قوله وانه كناية عن قوله بالذي اوحي اليك اي جميع ما اوحي اليه شرف له ولقومه لما خصه واختاره بذلك من بين غيرهم والله اعلم ويحتمل ان يكون المراد من الذكر حقيقة الذكر اي ما اوحي اليه ذكر له ولقومه يذكرهم ما لله عليهم وما لبعضهم على البعض والله اعلم وقوله وسوف تسألون يحتمل وسوف تسألون شكر ما اوحي اليك وان يصير ما اوحي اليك ذكرا لك ولقومك وعزا لهما بشكر ذلك ويحتمل وسوف تسألون القيام بحق جميع القران وفيما اوحي اليه ويحتمل وسوف

انواع الوحي

يسألون من كتابه على ما يقول بعض اهل التأويل او سوف تسألون شكر نعمة تلك النعمة والله اعلم ويحتمل وسوف
تسألون يوم القيمة عن القرآن هل عملتم بما فيه والله اعلم وقوله عز وجل وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون والاشكال ان ما كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من ايات صدقه
اظهر من امره ان يسأل من اهل الكتاب اذ ايات صدقه معجزات تحيرت الكفرة عن اتيان مثلها وليس مع من
امره بالسؤال عنه ذلك آيات المعجزات فما معنى السؤال له عن اهل الكتاب عن ذلك فيقول الامر عز وجل
اياه بالسؤال عنهم يخرج على وجهين احدهما بالهم سؤال توبيخ وتعيير وسؤال تقرير وتنبيه هل اتى
رسول من الرسل عليهم الصلوة والسلام الذين ارسل من قبلك او كتاب بالامر بعبادة غير الله فيقرون
جميعا انه لم يأت رسول بالامر بعبادة ذلك ولا امر احد منهم بذلك والثاني هذا امر لغيره ان تسأل لهم وان كان
ظاهر الامر والخطاب له لما ذكرنا ان ادلة صدقه اظهر من دلالة صدق اولئك وهو كقوله يبلغن
عندك الكبر الى قوله فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وكقوله تعالى فلا تكونن من الممترين ولا المشركين لعلمه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يشك ولا يمتري في شيء من ذلك فرجع الخطاب الى غير ما ذكرنا ويحتمل
ان يكون قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية اي لو سألتهم عن ذلك لقالوا جميعا لم نرسل
بالامر بعبادة غير الله تعالى والله اعلم وحكاية على هذا وليس من نسخة الاصل بمهيت حسن البخاري يقول
نزلت هذه الاية ليلة المعراج ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل بيت المقدس راى الرسل والانبياء
عليهم الصلوة والسلام مجتمعين ثم تقدم وصلى بهم ركعتين فقام جبريل عليه السلام من الصف وقال
يا محمد وسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وقوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه ثم
قد ذكرنا ايات موسى عليه السلام التي اتى بها في غير موضع وفيه الامر بتبليغ الرسالة وقوله عز وجل
فقال اني رسول رب العالمين وفيه ان القتل لا يبيح للرسل عليهم السلام في ترك تبليغ الرسالة وان
خافوا على انفسهم الهلاك وقوله عز وجل فلما جاءهم موسى باياتنا اذا هم منها يضحكون هكذا عادة
الفراعنة والرؤساء من الكفرة انهم اذا تاهم الرسل بالايات ضحكوا منهم واستهزءوا بهم كقوله تعالى
ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الاية وقوله وما نريهم من اية الا وهي اكبر من اختها قال
بعضهم ان كل اية تأخرت عن الاية الاخرى فهي اعظم واكبر من التي تقدمت نحو ما كان منهم من الاستعانة
حيث قالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ثم هو مما اراهم من الايات قبل
ذلك اعظم وقال بعضهم الا هي اكبر من اختها كانت اليد اعظم واكبر من العصا لان العصا قد تهيأ للسحرة
تمويهها وتحويلها من جنس العصي وجوهرها الى غير من الجواهر ولم يتهيأ لهم تحويل اليد عن جوهر اليد وقد
ذلك لموسى عليه السلام دل ان اية اليد اكبر من اية العصي والله اعلم وقال بعضهم هذا ليس على تحقيق
جعل اية اكبر واعظم من اية العصي ولكن وصف الكل بالعظم والكبر كقوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا ليس على اثبات القرب في احدهما دون الاخر ولكن وصف قرب كل واحد منهما من الاخر
على السواء وكما يقال في العرف ان افراس فلان كل واحد عدى من الاخر او ان اصحاب فلان كل واحد افضل
من الاخر وانه لا يراد بذلك الترجيح ولكن اثبات الخبر عن السؤال فعلى ذلك قوله تعالى وما نريهم من اية
الا هي اكبر من اختها وصف لهما جميعا بالكبر والله اعلم ثم ذكر قوله تعالى فلما جاءهم موسى باياتنا اذا هم
منها يضحكون وغير ذلك من امثاله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبره على اذى قومه وانواع ما كانوا
يستقبلونه من الاستهزاء به وباتباعه والضحك بما اتاهم من الايات والحجج على رسالته وعلى ذلك ما قال
وكذلك نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك اخبر الله انما قص عليه انباء الرسل المتقدمة لتسلية
فؤاده والله اعلم وقوله عز وجل وقالوا يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك الاية والاشكال انه
كيف يسمونه ساحرا وكانوا يطلبون منه ان يدعو ربه ويسأله حتى يكشف عنهم العذاب فيقول روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما سموه ساحرا لان الساحر عندهم هو العالم العظيم الذي بلغ في العلم غايته لذلك قالوا
يا ساحر ادع لنا ربك والا لا يحتمل ان يكونوا يسألونه ويطلبون منه ان يدعو ربه ليكشف عنهم العذاب
ثم يسمونه ساحرا ويعنون به سحر الكذب والباطل والله اعلم وقال مقاتل انهم قالوا يا ايها الساحر ادع
لنا ربك قال لهم موسى عليه السلام كيف ادعو ربي ليكشف عنكم ما نزل بكم وقد تسموني ساحرا فرجعوا
عن ذلك فقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك على ما ذكر في سورة الاعراف والله اعلم ويحتمل ان يكون
قولهم يا ايها الساحر ادع لنا ربك سموه ساحرا على ما كان عندهم انه ساحر الا ان تدعو ربك فيكشف عنا
الرجز فعند ذلك نعلم انك لست بساحر وانك رسول من ربك ويحتمل ان يكون عندهم ان اليد البيضاء و
العصا وما اتى به موسى مما يبلغ السحر الى تغيير ذلك من جوهره ويستفاد بالسحر مثله لكن سألوا منه
ان يسأل ربه ما ذكروا لما علموا ان اجابة الدعاء فيما دعا لا يكون لساحر ولا يجاب الا الرسول والذي
على الحق فاذا اجابه الى ما سألت امنا بك والله اعلم ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك على حقيقة ارادة السحر على
التناقض والتمويه على الاتساع كقوله مهما تأتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن بمؤمنين لان الاية
هي التي لا حقيقة لها ولا دوام فاذا كان اية لم تسحرهم بها ولا يكون معجزا واذا كان سحرا لا يكون اية
فكانت عامة اقوالهم خرجت على التناقض على ما ذكرنا في غير اي من القران فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم وقوله
عز وجل بما عهد عندك قد كان الله عز وجل عاهد موسى عليه السلام لئن امنوا كشف عنهم العذاب فلما
دعى وكشف عنهم العذاب لم يؤمنوا والله اعلم ويشبه ان يكون عهد اليه ما جعله نبيا واختصه لرسالته
ويحتمل قوله تعالى بما عهد عندك على الاضمار كانهم قالوا ادع لنا ربك بما عهد كل واحد منا عندك لئن كشفت
عنا الرجز لنؤمنن لك الا ترى انه قال فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون اي ينقضوا ما عهدوا وعهدهم
ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ونادى فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي
افلا تبصرون يقول للعين هذا امقابل ما ادعى موسى عليه السلام من الرسالة يموه بذلك على قومه واتباعه اي
لئن كان الله ارسل رسولا فانا احق واولى بالرسالة من موسى ولذلك قال ام انا خير من هذا الذي هو مهين اي
ضعيف لا مال له ولا حشم ولا تبع ولا يكاد يبين حجته وكذلك قال فلولا القي عليه اساورة من ذهب كما القي
علي وكما اعطاني من المال والذهب او يقول ان من كان له رسول يكرمه بانواع الكرامات ويبذل له اموالا فاذ لم
يؤته شيئا من ذلك فليس برسول او يقول انه لو كان رسولا كما يقول لالقى الله عليه من الاساورة ما القيت
انا على اتباعي وحشمي ونحوه وكان فرعون لا يزال يموه امر موسى عليه السلام على قومه من ذلك قوله يريد ان
يخرجكم من ارضكم بسحره ومنه قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر ونحو ذلك كثير فعلى ذلك هذا منه تمويه
على قومه والله اعلم وقوله عز وجل ولا يكاد يبين قال بعضهم اي لا يكاد يبين حجته لما في لسانه عقدة وذلك يقول
على اللسان وقال بعضهم ان فرعون لا يعني ذلك لان الله تعالى قد اذهب تلك العقدة والرتة التي في لسانه حين دعا
وسأل ربه بقوله واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وقد اجاب الله دعاءه حيث قال قد اوتيت سؤلك
يا موسى ولكن اراد والله اعلم لا يكاد يبين حجته اي ليست تأتي بحجة يأخذ القلوب وقال القتبي في قوله ام انا
خير من هذا الذي هو مهين قال اما انا خير منه وقال اهل التأويل قوله انا خير منه وجائز ان يكون قوله
ام انا خير من هذا الذي هو مهين موصولا بقول فرعون حيث قال اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري
من تحتي افلا تبصرون انا خير منه بان لي ملك مصر وليس لموسى عليه السلام ذلك على ما ذكرنا وقوله عز وجل
فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين هذا القول منه يخرج على وجهين احدهما
يقول ان كان موسى يدعي الملك في الدنيا ويطلبه فهلا القي عليه اساور من ذهب كما يلقى للملوك من الاساور
والتاج وغير ذلك وان كان يدعي الرسالة لنفسه فهلا كان معه الملائكة مقترنين ولا يزال الكفرة يطلبون
من الرسل الايات على وجه يتمنون هم ويشتهون فاخبران الايات ليست تأتي على ما يتمنون ولكن على ما
اراد الله تعالى والثاني يجمع الامرين جميعا فيقول انه يدعي الرسالة والرسول معظم عند المرسل فيقول
ان كان ما يقول حقا هلا القي عليه الاساور تعظيما وهلا كان معه الملائكة مقترنين تعظيما له واجلالا والله اعلم
وقال بعضهم في قوله فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي هلا سور لان الرجل منهم اذا ارتفع فيهم سور وكان
معه الملائكة مصدقين له بالرسالة قال القتبي وابو عوسجة اساور واسورة جمع اسوار ورجل سوار اي
رامي وقوم اساورة وانما سمي الرامي اسوار لانه انما جاد الرمي جعل في يده سوار من ذهب وقوله عز وجل
فاستخف قومه فاطاعوه قال بعضهم اي فاستخف بقومه واستذلهم فاطاعوه وقال بعضهم فاستخف
قومه فاطاعوه اي استذلهم واستفزهم بالخروج على اتباع موسى وطلبه فاطاعوه وذلك انه
امرهم بالخروج معهم في طلب موسى لما خرج من عندهم نحو البحر فاطاعوه في ذلك وخرجوا معه في
طلبه حتى اصابهم وكان هذا اشبه واقرب والله اعلم وقوله عز وجل فلما اسفونا انتقمنا منهم هذا يخرج
على وجهين احدهما اي فلما عملوا الاعمال التي استوجبوا بها الغضب انتقمنا منهم على ذلك لان ظاهر قوله
تعالى اسفونا اي اغضبونا وصفة الغضب على الحقيقة لله تعالى لا يجوز فكان المراد منه ظهور اثر الغضب
استحقاب العذاب والله اعلم والثاني فلما اسفونا اي اغضبوا اولياءنا انتقمنا منهم اي سلطنا عليهم
بدعاء اولئك الاولياء او لينتقم منهم بسبب اغضابهم اولياءنا وهو كقوله تعالى يحادون الله يحادون
اولياء الله فعلى ذلك هذا وقوله فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين هو يخرج على وجهين احدهما جعلناهم
في العقوبة سلفا للمتأخرين ومثلا للمؤمنين اي عبرة لهم وهو كقوله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها
وموعظة للمتقين والثاني جعلناهم سلفا ومثلا للاخرين في العظة والاتزجار لهم ليمتنعوا عن مثل ما فعلوا
خوفا عن الوقوع فيما وقعوا والله اعلم وقال القتبي فجعلناهم سلفا بالرفع والنصب وهو من التقدم اي جعلناهم
قدما تقدموا مثل خشب وخشب وثمر وثمر وكذلك يقول ابو عوسجة وقال السلف الخيرات والجميع سلوف
وقوله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون اختلف فيما ذكر من ضرب المثل لعيسى
بن مريم عليهما الصلوة والسلام قال بعضهم لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها و
واردون فقال اولئك الكفرة الذين كانوا يعبدون الاصنام ان عيسى عبد دونه وعزير والملائكة يعبدون
دونه فهؤلاء جميعا في النار اذا لانهم عبدوا دونه فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون معهم

بعينا وهو ما ذكروا على اثره الهتنا خير ام هو يعنون بقولهم هو عيسى عليه السلام فذلك منهم يخرج على وجهين احدهما
لئن جاز ان يعذب عيسى عليه السلام ومن عبد من هولاء دون الله في النار رضينا ان يعذب الهتنا في النار اذ هم ليسوا
بخير من عيسى عليه السلام وهولاء الذي عبدوا دون الله من الملائكة وغيرهم والثاني يقولون ان كان عيسى يعذب
في النار لما عبد دونه فالهتنا التي نعبدها دونه خير منهم فلا يعذب لانها خير فاحد الثاويلين يرجع الى انهم يقولون
لو جاز وصلح ان يعذب كل معبود دونه جاز لان يعذب الاصنام التي نعبدها نحن والثاني يقولون ان كان يعذب
عيسى وغيره الذين عبدوا دونه فالاصنام التي نعبدها نحن لا يعذب لانها خير من اولئك والله اعلم فيقول
انما يكون لهم هذا الاحتجاج بالاية ان لو كانت الاصنام انما يحرق في النار تعذيبا لها اعني الاصنام فاما اذا
كانت الاصنام انما يحرق بالنار تعذيبا لمن عبدها وعقوبة لمن اتخذها اربابا دون الله فلا وانما يحرق الاصنام
التي اتخذوها من الحجارة والحديد والصفر لزيادة تعذيب العبدة كقوله تعالى وقودها الناس والحجارة مع انه
لا جناية من الاصنام ولا ضرر لها بالاحراق فكيف يحرق عيسى ومن عبدوه من الملائكة وفي احراقهم
تعذيبهم اذ هم يتضررون بها ولا جناية منهم فاما في ادخال الاصنام التي عبدوها واحراقها في النار نقمة
اولئك الذين عبدوها فلا معنى لذلك الخصومة والمجادلة التي كانت منهم والله اعلم وبعد فان في الاية بيانا على ان
الذي ذكر من جعل المعبود حصبا للنار راجع الى عباد الاصنام والاوثان خاصة دون غيرها لانه خاطب اهل
مكة بقوله انكم وما تعبدون من دون الله الاية واهل مكة كانوا لا يعبدون الا الاصنام والاوثان لا عيسى ولا
غيره من البشر والملائكة فذلك لهم ولكل عابد الاصنام دون غيرهم من المعبودين استدلالا بهم والله اعلم
علمان في الاية بيانا ايضا انه لم يرجع الى ما ذكروا من عيسى وغيره فانه قال وما تعبدون من دون الله وكلمة ما يستعمل
في غير العقلاء من الجماد وغيرها لا في ذوات العقلاء وعلى ان في الاية بيانا من وجه اخر ايضا على انهم غير مرادين
بها فانه استثنى وخص بقوله تعالى ان الذين سبقت منا لهم الحسنى اولئك عنها مبعدون اخبر ان من سبقت
منه الحسنى يكون مبعدا عنها ولا شك ان عيسى والملائكة عليهم السلام قد سبقت لهم منه الحسنى فلا يحتمل صرف
تلك الاية اليهم والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله انكم وما تعبدون من دون الله لا يرد الكل من منه الامر بالعبا
لهم والدعا الى ذلك وهم الشياطين لان من عبد دون الله احدا انما يعبده بامر الشياطين ودعائهم اليه فاما
من كان يتبرا من الامر لهم بذلك وعبادتهم له فلا يحتمل وذلك نحو قوله تعالى ويحشرهم وما يعبدون من دون
الله وقال ابراهيم لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكن من عبد شيئا دون
الله انما يعبده بامر الشيطان فاذا عبده بامره فكانه عبده هذا وما ذكرنا كله يبطل مجادلة الكفار فيما خاصموا
والله اعلم وقال بعضهم ضرب المثل لعيسى عليه السلام هو ان الله تعالى لما ذكر عيسى عليه السلام في القران قال
مشركوا العرب من قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ما اردت بذكر عيسى قال وقالوا انما يريد محمد ان نحبه كما احبت
النصارى عيسى وعبدته فقالوا الهتنا خير ام هو فلا يصنع محمد ذلك بالهتنا فوالله لهم خير من عيسى وما قالوا
فقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا اي لا ليجادلوك بالباطل وهو قول قتادة ويحتمل ان يكون ما ذكر
من ضرب المثل بابن مريم عليهما السلام من قومه اعني عيسى لا من قوم محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
ان قومه قد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه اله وانه رب ومنهم من قال انه وامه الهان ونحو ذلك من الاختلاف
الذي كان بينهم فيه فيكون قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا قال قومه على ما ذكروا فيه ثم قال اذا قومك منه
يصدون اي يعرضون من عيسى ويضجون على ما ذكروا والله اعلم وان يكف ويسكت عن بيان ذكر المثل الذي ذكر في
الاية لما لا حاجة الى ذلك وهو شيء ذكره اولئك الكفرة والله اعلم ثم قوله تعالى اذا قومك منه يصدون قرئ برفع
الصاد وكسرها قال القتبي وابو عوسجة يصدون بالكسر يضجون والتصدية منه وهو التصفيق ومن قرا بالرفع
يقول يعدلون ويعرضون وقوله عز وجل وقالوا االهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
هو يخرج على الوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم وقوله عز وجل ان هو الا عبد انعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني
اسرائيل اي ايتنا واية لبني اسرائيل لما كان هو مولودا من غير والد ولما كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وما كان
منه من التكليم للناس وهو في المهد وغير ذلك من الاشياء التي كان تخصص بها والله اعلم وقوله عز وجل ولو نشاء
لجعلنا منكم ملائكة على وجهين احدهما اي لو نشاء لجعلنا من جوهركم وجنسكم ملائكة ليعلم ان انشاء الملائكة
من النور على ما ذكروا ليس ذلك منه لاستعانة بتلك النور لانشاء الملائكة منه فاذ بداته لا يخرج شيء من شيء ما يشاء متى
شاء كيف شاء والثاني اي لو نشاء لجعلنا الملائكة بدلا منكم تهلككم وتبدلكم ملائكة لا يعصون ولا يخالفون
ولا يفترون عن العبادة ولا يستحسرون لكن لم يفعل ذلك لما ليس في عصيان من عصاه وطاعة من اطاعه نفع ولا بطاعة
من اطاعه واتبع امره ونهيه نفع ولا انشاء هذا العالم والخلق لحاجة نفسه ولا تفضيلهم بانواع المحن لمنفعة نفسه
ولا لمضرة يدفع بذلك عن نفسه ولكن انشاءهم وامتحنهم لحاجة انفسهم فاذا كان ما ذكرنا كان انشاء من يعلم
الله يعصيه ولا يطيعه حكمة وفعل من يعلم في الشاهد انه يضره ولا ينفعه سفه لانه انما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه
فصار فعله مع علمه ما ذكرنا يكون سفها فافترق الامران والله الموفق ثم قوله تعالى ملائكة في الارض يخلفون
يحتمل على وجهين احدهما اي يخلف الملائكة بعضهم بعضا قرنا على قرن بالتناسل والتوالد كالبشر يخلف بعضهم بعضا قرنا

عن قرن بالتناسل والتوالد اذ ليس في الملائكة توالد وتناسل والثاني يخلفون اي يكونون خلفا وبدلا عنكم بعد
هلاككم على ما ذكرنا والله اعلم قوله عز وجل وانه لعلم للساعة وعلم للساعة كلاهما قرئا ثم اختلف في ذلك
فمنهم من يقول هو عيسى يكون نزوله من السماء علما للساعة واية لها فيكون على هذا موصولا بما تقدم من قوله
وجعلناه مثلا لبني اسرائيل كانه قال وجعلناه مثلا اي اية وعبرة لهم على ما ذكرناه ايضا علما للساعة
وقال بعضهم قوله وانه لعلم للساعة اي محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه من القران علم للساعة
لانه به ختم النبوة والرسالة وقال انا والساعة كهاتين واشار الى اصبعين من يده وانما بعثه الله تعالى عند
قرب الساعة فهو علم للساعة ثم من قرا علم للساعة بالتثقيل فمعناه العلامة لها والدليل عليها ومن
قرا علم للساعة بالجزم فمعناه يعلم به قرب الساعة قوله فلا تمترن بها اي لا تشكن بالساعة فانها كائنة لا محالة
وعلى ذلك يقولون في بعض التاويلات في قوله تعالى فقد جاء اشراطها اي علاماتها اي محمد عليه افضل الصلاة
واكمل التحيات وقوله واتبعون هذا صراط مستقيم فان كان قوله وانه لعلم للساعة هو محمد صلى الله عليه
وسلم فكانه قال عليه السلام انا علم للساعة وقريب بها فاتبعوني وان كان عيسى على نبينا وعليه السلام
يقول انه علم للساعة واية لها فاتبعوني قبل ان تخرج وينزل وقوله لا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين
ويحتمل لا يصدنكم عن محمد وعن الصراط المستقيم الذي ذكر فانه عدو مبين بين عداوته اباكم والله اعلم
وقوله عز وجل ولما جاء عيسى بالبينات الاية وقال اهل التاويل بيناته هي ما كان ياتي به من نحو احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص وانبائهم بما ياكلون وما يدخرون ونحو ذلك والاصل في ايات الانبياء و
الرسل ثم انها كانت من وجوه ثلاثة يلزمهم التصديق بهم احدها ما ياتون في كل شيء سفرا وعظمه
دلالة ذلك ما يعلم كل ذي لب وعقل على ان ذلك حكمة وعقل عليهم اتباعهم في ذلك وهو توحيد الله تعالى
وتنزيهه عما لا يليق به والله اعلم والثاني كانت في انفسهم واحوالهم التي كانوا عليها بينات يلزمهم
تصديقهم وهو انهم لبثوا بين اظهرهم طول عمرهم فلم يؤخذ عليهم كذب قط ولا ظهر منهم ما يرجع
الى دناءة الاخلاق ولا شيء من ذلك والله اعلم والثالث ما كانوا ياتون من الافعال والمعجزة الخارجة عن
توهم العباد والمعتاد من فعلهم لا يلزم كل ضعف قبولها فعلى هذه الوجوه التي ذكرنا كانت ايات
الرسل عليهم الصلوة والسلام والله اعلم وقوله عز وجل قد جئتكم بالحكمة قال بعضهم الحكمة ههنا هو الانجيل
وقد ذكر في اية اخرى الكتاب والحكمة حيث قال واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ثم
جائز ان يكون الكل واحدا وجائز ان يكون الكتاب ما يكتب ويتلى والحكمة ما اودع في المتلو والمكتوب
من المعنى والله اعلم ويحتمل ان يكون الحكمة راجعة الى كل ما يوجب العقل القول به وقوله وقد ذكرنا
فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه قال بعضهم اي ابين لكم كل الذي
تختلفون فيه اذ لا يجوز ان يبين بعضا ويترك البيان لبعض وقد يذكر البعض ويراد به الكل نحو ما يقال
في كثير من المواضع الخطاب للرسول عليه السلام والمراد بذلك امته ويحتمل ان يكون المراد من البعض هو
البعض نفسه لا الكل ثم هو يخرج على وجوه ثلاثة احدها اي ابين لكم بعض ما تختلفون فيه ثم ياتيكم
رسول بعدي ويبين لكم باقي ذلك او كلام نحوه لانه لم يقل ابين لكم بعض ما اختلفتم فيه ولكن قال
بعض الذي تختلفون فيه فهو في الظاهر على الاستقبال والثاني يقول ابين لكم الاصول ما تقدر وتقف
على استخراج الفروع من تلك الاصول والله اعلم والثالث يقول ابين لكم الذي تختلفون فيه وهو يرجع
الى امر الدين دون الراجع الى امر المعاش والله اعلم وقوله عز وجل فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به
وادعوكم اليه وانهاكم عنه ويحتمل ان يكون يقول اتقوا مهالككم والزموا ما به نجاتكم واطيعون في ذلك
وقوله عز وجل ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه ذكر هذا ليعلموا انه وان عظم قدره عند الله وجلت منزلته
عنده فانه لم يخرج من العبودة وانه عبد الله ليس باله ولا ابن له على ما زعم اولئك الكفرة والله الهادي
وقوله عز وجل فاختلف الاحزاب من بينهم هذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون حرف من صلة زائدة
ومعناه فاختلف الاحزاب بينهم والاختلاف فيما بينهم في عيسى امر ظاهر بين والثاني فاختلف الاحزاب
من بينهم اي اختلفا لاحزاب من اختراع كان منهم فيما بينهم او كلام نحوه ولذلك كان الاختلاف الواقع بينهم
انما كان باختراع من ذات انفسهم لا ان كان ذلك سماعا من الرسل عليهم الصلوة والسلام ولذلك نهى
هذه الامة من الاختلاف والتفرق حيث قال ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما
جاءهم البينات وقد اختلف هذه الامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قاتلهم ابو بكر
الصديق رضي الله عنه على ذلك واتبعه سائر الصحابة على ذلك حتى قاتل الرجال وسبى النساء والذراري
وظهرت ايضا الخوارج في زمن علي بن ابي طالب رضي الله عنه على ذلك وحتى اجتمعوا على الوفاق ونحو ذلك
من الاختلاف والتفرق الذي كان ظهر ووقع فيما بينهم وكان في ذلك دلالة الرسالة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه ذكر عز وجل في كتابه انهم يختلفون بعده وانه وانهم ينقلبون على اعقابهم
حيث قال افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية وقال في ارتدادهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم

عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه هذا في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقال في علي كرم الله
وجهه انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الاية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل هذا على التاويل كما
تقاتل نحن على التنزيل يعني عليا رضي الله عنه وقد كان كل ما ذكر من الاختلاف والتفرق والتنازع في الدين
من الانقلاب على الاعقاب والارتداد والامتناع عن ايتاء الزكوة واتيان ما ذكر من قوم يحبهم ويحبونه
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وغلبة حزب الله واهل توحيده على اولئك ففي ذلك كله دلالة اثبات
رسالته اذ خرج على ما اخبر صلى الله عليه وسلم وذكر في المستقبل والله عز وجل بفضله وبرحمته رفع ذلك
الاختلاف والتفرق والتنازع من بينهم وجمعهم على الملة وحدها ولم يرفع من بين اولئك فقال فاختلف
الاحزاب من بينهم والاحزاب الفرق الذي تحزبوا اي تفرقوا وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل فويل
للذين ظلموا من عذاب يوم اليم هي ظاهرة وقوله عز وجل هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة اي فجأة
وهم لا يشعرون باتيانها وقيامها والله اعلم وقوله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا
المتقين يحتمل قوله الا المتقين الموحدين فيكون خلة اهل الكفر فيما بينهم في الدنيا عداوة في الاخرة
لقوله ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وما ذكر في غير اي من القران لعن بعضهم
عن بعض وتبري بعضهم عن بعض كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الاية واما خلة الموحدين
المؤمنين فيما بينهم فهي خلة في الدارين جميعا هذا يحتمل والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين استثنى خلة من اتقى النار بنفسه ووفى صاحبه ايضا بما امره بالطاعات
لله تعالى والقيام بالخيرات وزجره عن معاصيه ومخالفة امره كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا امرهم بوقاية انفسهم واهليكم نارا امرهم بوقاية انفسهم واهليهم وانما يقون
ذلك النار بالقيام بالاسباب التي امروا على القيام بها والانتهاء عما نهوا عنها وزجروا منها فكل
خلة فيما بين المؤمنين على هذا الوجه فهي خلة ومودة في الدارين جميعا لا يصير عداوة لانها لله تعالى
وطلب مرضاته فاما الخلة التي تكون فيما بينهم للدنيا فهي تصير عداوة ايضا على ما ذكرنا والله اعلم وقد
روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال الاخلاء اربعة مؤمنان وكافران فمات احد المؤمنين
فيسال عن خليله فقال اللهم ان خليلي امرني بمعروف ونهاني عن منكر منه اللهم اهده كما هداني وامته
على ما امتني فانه كان يامرني بالمعروف والخيرات والطاعة لك وينهاني عن المنكر والشر والمعصية لك
ومات احد الكافرين فيسال عن خليله فقال اللهم ان خليلي امرني بمنكر ولا نهاني عن معروف منه اللهم
اضله كما اضلني وامته كما امتني ثم يبعثون يوم القيامة فقال ليثن بعضكم على بعض فاما المؤمنان فيثني
كل واحد منهما على صاحبه ثناء حسنا واما الكافران فيثني كل واحد منهما على صاحبه ثناء قبيحا وعلى هذا
السبيل روي هذا الحديث عن علي رضي الله عنه وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال احب في الله
وابغض في الله ووال في الله وعاد في الله فانما تنال ولاية الله بذلك ولا تنال ما عند الله الا بذلك ولن
يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلوته وصيامه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مواخاة
الناس اليوم [illegible] ثم قرأ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقرأ
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الاية فيقول ابن عباس [illegible] ان كل خلة وموالاة فيما بين
المؤمنين للدنيا فهي تصير عداوة في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم
تحزنون اي لا خوف عليكم [illegible] ولا انتم تحزنون اي لا خوف الاهوال لا يحزن لهم
[illegible] ولا زوال عنهم لان خوف الزوال مما ينغص عليهم النعمة التي هم فيها يخبر
ان ذلك دائم باق لا يزول ولا يفنى والله اعلم وقوله عز وجل الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين ولا شك
[illegible] مؤمنين مسلمين بالايات والايمان والاسلام ويكون بالله تعالى [illegible]
في اللغة بالايات [illegible] معرفة الله تعالى وطريق العلم به [illegible]
بالايات والحجج التي [illegible]
بها تصديق بالله حقيقة وايمان به والله اعلم وقوله وكانوا مسلمين [illegible]
غيران لكن هذا من حيث [illegible] في الحقيقة [illegible] لان الاسلام هو جعل
كل شيء لله تعالى سالما لا يشرك فيه غيره كقوله تعالى ورجلا سلما لرجل [illegible] لا حق لاحد فيه
سواه والايمان هو الوصف له بالربوبية في كل شيء ومعناهما راجع الى معنى واحد
لانه اذا وصفه بالالوهية والربوبية في كل شيء فقد جعل كل شيء لله تعالى سالما واذا جعل كل شيء لله تعالى سالما فقد وصفه
بالالوهية والربوبية في كل شيء فدل ان حاصل الايمان والاسلام واحد وان كانا من حيث ظاهر العبارة
مختلفين والله الموفق وقوله عز وجل ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون يحتمل الازواج من [illegible]
الازواج المعروفة وهي الاهل [illegible] قوا انفسكم واهليكم نارا [illegible]
[illegible] ويحتمل الازواج [illegible] الاعمال الصالحة التي

اعلم انها تمعرفة الله انما هو بالايات والتصديق بها تصديق بالله حقيقة وايمان به

حاصل الايمان والاسلام واحد ٢

معنى الاعمال الصالحات في الجنة مع ماسها ٢٢

بها نالوا الجنة كقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم ههنا قرناؤهم وشركاؤهم الذين
اعانوهم على ذلك والله اعلم وقوله عز وجل تحبرون قال ابو عوسجة والقتبي اي تسرون والحبر السرور وقال
بعضهم تحبرون اي تكرمون وتنعمون وهو ما ذكرنا اي ليس عليهم خوف الزوال والفناء ولا حزن الحال والله اعلم
وقوله عز وجل بصحاف من ذهب واكواب يحتمل ذكر الصحاف من الذهب والاكواب وجوها ذكر ذلك لهم
في الاخرة ترغيبا لهم فيها وتحريضا لما يرغبون بمثل ذلك الى السعي للاخرة والله اعلم والثاني يحتمل انما ذكر
ذلك لان اهل الدنيا كانوا يتفاخرون بهذه الاشياء في الدنيا فيخبران لاوليائه ذلك في الاخرة وذلك دائم
وهذا فان ولا عبرة للفاني فلا معنى للافتخار به ويحتمل انه ذكر ذلك لانه حرم عليهم الانتفاع في الدنيا باستعمال
الذهب والفضة والحرير فاخبران لهم الانتفاع بذلك في الاخرة التي هي دار النعم فاما ما سوى ذلك من الفرش
والاواني فانه لا بأس بذلك وهو مباح في الدارين جميعا واما ذكر الاكواب يحتمل الترغيب على ما ذكرنا لانهم
يتمنون ويرغبون فيها في الدنيا والثاني يخبران لا مؤنة عليهم في حمل الاواني ورفعها عند الشرب والاكل ولا يتولون
ذلك بانفسهم لكن الخدام هم الذين يتولون سقيهم الصحاف جمع الصحفة وهي القصعة التي ليست بفخمة والاكواب
الاباريق التي لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب ويقال كيزان لا عرى لها قاله ابو عوسجة والقتبي وقوله
عز وجل وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فذلك في الجنة ليس كنعيم الدنيا لان في الدنيا قد يشتهي شيئا وربما
لا تلذ به العيون والله اعلم ويحتمل انه انما ذكر ذلك في الاخرة لما منعوا وحرموا في الدنيا ما اشتهت انفسهم
الانتفاع به واللذة عوضا وبدلا عما كفوا انفسهم في الدنيا عن الانتفاع بذلك واعطاء الانفس وحرموا وشغل
وحيل بينهم وبين ذلك وتلذ به الاعين لما غضوا ابصارهم في الدنيا عما لا يحل والله اعلم وقوله عز وجل وتلك
الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ان الله عز وجل بفضله عود عباده لما كان منه من الاحسان والانعام كانه
ذلك كله منهم اليه فضلا منه حيث نسب الجنة التي يعطيهم الى اعمالهم التي عملوها وان كانوا لا يستوجبون
الجنة وما فيها بالاعمال حقيقة ولذلك ما ذكر في الخبر عن نبي الله انه قال لا يدخل الجنة احد الا برحمة الله قيل ولا
انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته اخبر ان لا احد يدخل الجنة الا برحمته لكنه نسب الجنة
التي يعطيهم وما ذكر من الثواب الى اعمالهم فضلا منه وانعاما وكذلك ما ذكر من قوله تعالى ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ذكر انه اشترى انفسهم واموالهم بالجنة يعطيهم وانفسهم
واموالهم في الحقيقة له ولا احد يشتري ملكه ومال بمال نفسه وملكه لكنه ذكر ذلك شراء افضالا منه كان
لا ملك له في ذلك ولا حق وكذلك ما ذكر من الاقراض له بقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ولا احد يستقرض
ماله وملكه من غيره لكنه عاملهم معاملة من لا ملك له في اموالهم وانفسهم ما جعل لهم من الثواب والعوض
فعلى ذلك نسبة الجنة والثواب الذي ذكر لهم الى اعمالهم افضالا منه وانعاما وان لم يستوجبوا ما ذكر بالاعمال
وقوله لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون مثل هذا الوعد كانه انما جاء لاهل مكة فكان لا فواكه لهم فيها و
لا ثمار يخبران لكم في الجنة من الفواكه كثيرة ما لا يفنى ولا ينقطع منها تاكلون ما شئتم فلا يؤذيكم ولا يضركم
وان اكثرتم ويحتمل انما ذكر لما عرف من رغبة الناس الى الفواكه والثمار في الدنيا رغبهم بها في الاخرة وحثهم
على دفع ذلك لهم والله اعلم وقوله عز وجل ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون الاجرام هو الكسب في اللغة
والمجرم الكاسب يرجع ذلك الى كل كاسب متماحل ودق لان الناس عرفوا من العذاب المذكور للمجرم الكافر
وهو الكافر المشرك فلا يجوز صرفه الى كل كاسب والله اعلم وقوله عز وجل لا يفتر عنهم يذكر هذا
ليعلم ان النار وان انضجت جلودهم واحرقتهم لا يفتر الالم عنهم بنضج الجلود بل التوجع والالم
بعد نضج جلودهم واحتراقها على ما كان قبل النضج والله اعلم قال وهم فيه مبلسون قال بعضهم المبلس الايس
وقال بعضهم المبلس الذليل الخاضع وقال الزجاج المبلس هو الساكت عن الكلام لمن لا يرجو الفرج من نطقه لان
من يتكلم انما يتكلم لفرج يرجو من نطقه او كلام نحوه وقوله عز وجل وما ظلمناهم في التعذيب الذي يعذبون
ولكن كانوا هم الظالمين ولكن هم الذين ظلموا انفسهم حيث عبدوا من لا يملك دفع العذاب عنهم وتركوا
عبادة من يملك دفع ذلك عنهم والله اعلم ويحتمل وما ظلمناهم في ترك البيان عليهم اي لم نترك بيان ما عليهم و
ما لهم بل بينا لهم عاقبة السبيلين جميعا انه الى ذلك ذا يقضي عاقبة هذا السبيل ولكن هم ظلموا انفسهم حيث
اختاروا السبيل الذي افضاهم الى ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال
انكم ماكثون كانهم يقولون يا مالك سل ربك ليقض علينا بالموت يفزعون اولا الى المؤمنين وهو قولهم ان
افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين فلما ايسوا من ذلك يفزعون الى الله
تعالى يسألون الرجوع الى المحنة ليعملوا غير الذي عملوا بقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فلما
ايسوا عن ذلك يفزعون الى مالك ليسال ربه ليقضي عليهم بالموت فقال انكم ماكثون وهو ما قال عز وجل
لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم الاية قوله عز وجل لقد جئناكم بالحق هذا على اثر ما ذكر كقوله تعالى
انا لننصر رسلنا على اثر قوله اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات الاية يحتمل ان يكون القولان جميعا من الله
تعالى اعني قوله تعالى لقد جئناكم بالحق وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والله اعلم ويكون ان يكون العذاب

في فضل الله [illegible] من فضلك

جميعا من الملائكة اذ جائزا اضافة الرسل الى الملائكة اى هم رسل الناس رسولنا فعل كذا والله اعلم ثم
قوله لقد جئناكم بالحق الحق كل ما يحمد عليه ويحمد هو عاقبة ذلك الفعل والباطل كل ما يذم عليه فاعله ويذم
هو عاقبة والله اعلم ثم الحق المذكور يحتمل القران ويحتمل الحق ما تركوا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ما دعاهم اليه ويقولون الحق هو الذى عليه اباؤنا على اثارهم مقتدون ثم قال اولو جئتكم باهدى مما
وجدتم عليه اباءكم وقال ههنا لقد جئناكم بالحق اى جئناكم بما هو اهدى واحق مما عليه اباؤكم وقوله ولكن اكثر
هم للحق كارهون فان قيل كيف قال ولكن اكثرهم للحق كارهون وانما خاطب به اهل النار وكانوا جميعا كارهين
للحق يقول الله يخرج على وجهين احدهما ان اكثرهم قد عرفوا انه الحق لكنهم كرهوا اتباعه والانقياد له عنادا منهم
ومكابرة بعد ظهور الحق عندهم وتبينه لديهم مخافة ذهاب الرياسة عنهم وزوال ماكلتهم ولم يظهر لي
قلبهم ولم يعرفوا والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر اكثرهم للحق يجيء الطباع كان فى طباع اكثرهم كراهة
ذلك الحق والله اعلم وقوله عز وجل ام ابرموا امرا فانا مبرمون ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من ابرامهم امرا ما ذكر فى
اية اخرى وهو قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ابرامهم امرا هو مكرهم الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما ذكر والله اعلم ويحتمل ان يكون ابرامهم الذى ذكر غير ذلك وكيف ما كان ففيه وجهان من الدلالة
احدهما ليعلموا ان الله تعالى عالم سميع بما يبرمون فيما بينهم من امر سرا لانه فى ظنهم ان الله لا يعلم ولا يسمع ما يبرمون
من الامر سرا ولذلك قال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم والثانى فيه دلالة اثبات الرسالة لانهم
ابرموا ذلك الامر فيما بينهم سرا ثم اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ابرموا واحكموا من الامر ليعرفوا انه
انما علم ذلك بالله تعالى وقوله عز وجل فانا مبرمون يحتمل فانا جازون جزاء ابرامهم ويحتمل فانا مبرمون اى
الينا وجع تدبير ابرامهم الامر ومكرهم جميعا وعلى ذلك قوله فلله المكر جميعا على هذين الوجهين اللذين ذكرناهما
وقوله عز وجل ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اى بل يحسبون على ما ذكرنا ان حرف الاستفهام
منه يخرج على الايجاب كانه قال بل يحسبون الا ترى انه قال بلى ورسلنا وقوله بلى ورسلنا لديهم يكتبون
هذا وعيد وتنبيه منه لهم بخبران رسله يكتبون ما يسترون ويخفون من المنكر ليكونوا ابدا على حذر ويقظة
والله اعلم وقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين يخرج هذا على وجهين احدهما اى ما كان للرحمن ولد وليس
للرحمن ولد ثم يخرج قوله فانا اول العابدين على هذا التاويل على وجهين احدهما ما كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين له بالتعالى والتنزيه عن الولد اى وانا اول من يعبد الرحمن بالايمان والتصديق انه لم يلد ولم يولد على
هذا اعبد الله تعالى والثانى ما كان للرحمن ولد فانا اول الانفين وهو من عبد يعبد اى انف يانف فيكون
هذا تنزيه تصريح عن الولد والاول تنزيه له بالكناية هذا اذا كان معنى قوله قل ان كان للرحمن ولد ما كان
للرحمن ولد ثم وقوله عز وجل فانا اول العابدين يخرج على التاويل ايضا على وجهين احدهما اى لو كان للرحمن
ولد على زعمكم وعلى ما عندكم فانا اول من تبرأ عن ان يكون له ولد وادعوكم الى الرحمن الذى لا ولد له وهو كقوله
تعالى اين شركائى الذين كنتم تزعمون اى اين شركائى تزعمون انتم انهم شركاء وقوله تعالى وانظر الى الهك
الذى ظلت عليه عاكفا اى انظر الى الهك الذى هو فى زعمك اله والثانى يحتمل ان يقول له قل لو كان يجوز ويحتمل
ان يكون له ولد فانا اول من عابه على ذلك او اول من اقول انا بذلك فاذ لم اقل بذلك وانا رسول الله فظهر انه
لا يحتمل ولا يجوز ان يكون له ولد وهو كقوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى
لو كان يجوز ان يريد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى ممن عنده وممن شاء لا مما هو عندكم ومما تختارون انتم
لكن لا يحتمل ولا يجوز ان يتخذ ولدا وقال بعضهم تعالى قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين
يقول كما انى لست اول من عبد الله فكذلك ليس للرحمن ولد كقول الرجل لو كان ما يقول حقا فانا حمار معناه ليس
الذى تقوله بحق كما انى لست بحمار والله اعلم نزه نفسه عن الولد وانه لا يجوز ان يكون له ولد حيث قال سبحان
رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى رب السموات والارض ورب من فيهن ورب العرش
قال اهل التاويل اى رب السرير لكن لا يحتمل ان يكون تاويل العرش ههنا السرير فينسب الى السرير فيقال
رب السرير ويجوز لغيره ايضا ان يقال رب السرير فيثبت المشاركة فى النسبة بينه وبين الخلق الا ان يقال
ان ذلك السرير عند الخلائق موقعا وقدرا عظيما يليق القسم به وانه من اعظم المخلوقات واعجبها فكان نسبة
هذا الى الله سبحانه وتعالى من باب التعظيم والاجلال له بمنزلة نسبة كل العالم اليه فيكون جائز والله اعلم
ويحتمل ان يكون تاويل العرش ههنا هو الملك يقول سبحان رب السموات والارض ورب الملك عما يصفون
ثم قد بينا حكمة ذكر السموات والارض على اثر ذكر الولد فى غير موضع وقوله عز وجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا
هذا فى الظاهر امر بتركهم على ما هم عليه من الخوض واللعب وغيره ومثل هذا مما لا يليق بالحكمة اذ هو
حرام فى العقل لكن يخرج على الوعيد وان كان صيغة الامر كقوله اعملوا ما شئتم هو فى الظاهر وان كان امرا
فهو فى الحقيقة وعيد فعلى ذلك هذا يخرج على الوعيد ويحتمل ان يخرج على ترك المكافاة على ما يصنعون من الاستهزاء
بهم والانواع من الاذى الى اليوم الذى يلاقون ويعاينون العذاب حتى لا ينفعهم الندامة والرجوع فى ذلك
اليوم مواصل ذلك ان الله تعالى قد اوعدهم بمواعيد شديدة ووعظهم بمواعظ بليغة فلم ينجع تلك المواعيد

فيهم

فيهم ولا تنفعهم شيء من ذلك والثانى قد بين ما يزيل عنهم الشبه وما يوجب التعلق به واوضح لهم طريق الحق
والهدى فلم يسلكوا مسلك طريق الهدى عدلهم بما ذكر فى ذلك اليوم ما لا ينفعهم ندامتهم فى ذلك الوقت والله اعلم وقوله
عز وجل وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله الاله فى اللغة هو المعبود كانه يقول والله اعلم انكم تعلمون ان الله تعالى
هو المعبود فى السماء وهو المعبود فى الارض والاصنام التى تعبدونها انتم لا يعبدها الا انتم فكيف تركتم عبادة المعبود
الذى هو معبود فى السماء والارض وخترتم عبادة من ليس بمعبود الا بعبادتكم ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان
الله سبحانه وتعالى هو اله السماء والارض واله من فيهما وانه خالق ذلك كله كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله والاصنام التى تعبدونها انتم لا يعبدها الا انتم فكيف تركتم عبادة المعبود الذى هو معبود فى
السماء والارض واخترتم عبادة من ليس بمعبود الا بعبادتكم ويحتمل ان يقول تعلمون انتم ان الله تعالى هو اله السماء والارض واله
واله من فيهما وما فيهما وانه خالق ذلك كله لقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والاصنام التى تعبدونها
لم تفعلوا ذلك ولا يملكون شيئا من ذلك فكيف اتخذتموها الهة دونه والله اعلم وقوله عز وجل وهو الحكيم العليم ذكر الحكيم والعليم
على اثر ذلك يخرج على وجوه احدها ليزيل الشبه بين اية عز وجل لا يجوز ان يبسط الرزق ويوسع الدنيا على من يعلم انه يعادى
ويشتمه ويعادى اولياءه ويشتمهم لان فى الشاهد من يصنع الحسن بمن يعلم انه يعاديه معروفا فليس بحكيم فعلى ذلك يقولون
ان ذلك ليس من الله تعالى ولكنه من اله غير متهم لانه وصف نفسه بالحكمة والله بريء الحكمة وكقول البراهمة فى انكارهم
الرسالة اصلا يقولون ليس من الحكمة بعث الرسل الى من يعلم انه يكذب ويكذب رسله ولا يقبل رسالته بل يقتله ويعاديه
لذلك ينكرون رسالة الرسل فاخبر تعالى بقوله وهو الحكيم العليم ان اعطائى اياهم ما اعطيتهم وبعثى الرسل اليهم على علم منى بما يكون
منهم من التكذيب والعداوة لا يخرجنى من الحكمة ويخرج فاعل ذلك فى الشاهد عن الحكمة لان ملوك الارض انما يرسلون
الرسل ويبعثون الهدايا لمنافع انفسهم وحاجتهم فاذا علموا من المبعوث اليهم الرسل والمصنوع اليهم المعروف ما ذكرنا
خرج من الحكمة فاما الله تعالى لم يبعث الرسل لحاجة المبعوث اليهم ولمنافع انفسهم فكذلك ما يعطيهم من الدنيا لمنافع انفسهم
فلم يخرج ذلك من الحكمة لانه لا يضره معاداة من عاداه ولا ينفعه موالاة من والاه بل كل ذلك راجع اليهم بل صنع ما يصنع
من المعروف الى من يعلم انه يعاديه يكون وصفا له لغاية الكرم والجود لذلك ما ذكرنا ويبطل قول الثنوية والبراهمة والله الموفق
وقوله عز وجل وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما قوله تبارك قال اهل التاويل اى تعالى وتعاظم عما قالت
الملحدة فيه من الشريك والولد والصاحبة وغير ذلك مما لا يليق به ولا يجوز فيكون تنزيها عن جميع ما
قالوا فيه وهو كحرف سبحان الذى يكون تنزيها عما قالوا فيه والله اعلم قال بعض اهل الادب تبارك هو من
البركة لكن بعض العلماء قالوا ان هذا التاويل لا يصح لان قوله تبارك هو من وقوع البركة نفسه فهو اسم
ملازم ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بوقوع البركة لكن عندنا تبارك هو تفاعل والتفاعل هو فعل
اثنين فجاز نسبة البركة اليهما على حقيقة ووقوعهما باحدهما وهو الخلق لا يصال على ما هو الاصل فى مثل
هذا وله نظائر كثيرة واصل تاويل تبارك ما قاله اهل التاويل تعالى وتعاظم عن جميع ما قالت الملحدة فيه
مما لا يليق به من الولد والشريك وغير ذلك لكن هو على التاويل لا على تحقيق الاسم فنظيره ما فسروا فى
قوله وتعالى جدك اى عظمتك والجد هو فى الحقيقة ليس هو اسم العظمة ولكن هو خروج الامر على ما
يريد ويشاء وتسمية الناس فيما بينهم بالفارسية بختا فسر والجد بالعظمة لنفاذ مشية العظيم وخروج
الامور على ما يريده ويشاء فعلى ذلك تفسيرهم تبارك بما قالوا تعالى وتعاظم على التاويل لا على تحقيق الاسم
اذ هو من البركة لكن كل من بورك فيه صار متعاليا فاطلقوا عليه تبارك بمعنى تعالى لا بمعنى حقيقة الاسم والله
اعلم ثم قوله وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما بيان منه وتعليم الخلق ما يجوز النسبة فقال
له ملك السموات والارض وقال وله ما فى السموات والارض ونحو ذلك يبين لهم ان ينسبوا اليه هذا
ولا ينسبوا اليه من الولد والشريك والصاحبة ونحو ذلك لان نسبة الاشياء بكليتها يخرج مخرج
الوصف له بالعظمة والجلال نحو ما ذكرنا من قوله تعالى له ملك السموات والارض وقوله وهو على كل
شيء قدير وقوله خالق كل شيء ونسبة خاصية الاشياء اليه يخرج مخرج التعظيم والتبجيل لذلك الاشياء
ثم ينظر بعد هذا فان كانت تلك الاشياء الخاصية مما يجوز تعظيمها نسبت اليه واضيفت نحو قوله
بيت الله ومساجد الله ورسول الله وغير ذلك من الاشياء التى يعظمها الله تعالى ورفع قدرها ومنزلتها
عنده وان كانت الاشياء مما يستقذر ويستقبح ويسترذل فلا يجوز النسبة اليه والاضافة لما ذكرنا
ان نسبتها اليه واضافتها يخرج مخرج التعظيم لها وهى ليست بمعظمة ولكنها مسترذلة مستقذرة فيكون
وضع الشيء غير موضعه وانه خلاف الحكمة والله الموفق وقوله عز وجل وعنده علم الساعة يخرج على
وجوه احدها اى عنده علم ساعة الصعقة كقوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن
فى الارض الاية ويحتمل وعنده علم ساعة الزلزلة كقوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم ويحتمل وعنده
علم ساعة الفزع والهول كقوله ففزع من فى السموات الاية ويحتمل وعنده علم الساعة القيامة كقوله
تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحو ذلك والله اعلم اخبر انه لم يطلع الله عز وجل علم حقيقته ما ذكر
احدا من خلقه وقوله واليه ترجعون قد ذكرنا فى غير موضع ان تخصيص ذلك بالرجوع اليه يخرج على وجوه

وان كانوا في جميع الاحوال راجعين فيه الى الله تعالى صايرين اليه احدها الا ان المقصود من انشائهم ذلك اعني
البعث كي لا يكون خلقهم عبثا على ما ذكرنا غير مرة ويحتمل ان خص ذلك اليوم بالرجوع اليه والمصير والخروج
لانه يوم يتخلص خضوعهم وخوفهم ورجوعهم اليه وانقيادهم له وقد ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ولا يملك
الذين يدعون من دونه الشفاعة ان قوما كانوا يعبدون الملائكة رجاء ان يكونوا لهم شفعاء لما عرفوا
من خصوصيتهم وفضلهم عند الله تعالى وذلك معروف في الناس انهم يخدمون ويكرمون خواص ملوكهم رجاء
ان يشفع لهم اولئك الخواص عند الملك اذا نزل بهم بلاء او وقعت لهم حاجة فعلى ذلك
هؤلاء الكفرة كانوا يعبدون الملائكة لما عرفوا من خصوصيتهم وفضل منزلتهم عند الله ثم اخبر عز وجل
عن الملائكة انهم لا يملكون الشفاعة بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهو قوله الا من شهد بالحق وهم
يعلمون اي الا لمن شهد بوحدانية الله تعالى والوهيته لا يشفعون لاولئك انما يشفعون لمن ذكروا انه كانت
لهم خصوصية عند الله تعالى لان الله عز وجل نهى اولئك ان يعبدوا الملائكة او يعظموهم من جهة العبادة
فاذا لا يملكون الشفاعة لهم فيكون مثل هذا مثل ملك نهى قومه ان يخدموا او يعظموا احدا سواه من خواصه
فاذا فعلوا ذلك وخدموهم وتركوا خدمته لا يملك اولئك الخواص ولا يتجاسرون على طلب الشفاعة
عند الملك لاولئك الذين نهاهم الملك ان يخدموهم ويعظموهم دونه فعلى ذلك الملائكة لم يحصل لهم
شفاعة الا لاولئك الذين عبدوه ووحدوه ونزل الا لمن ذكروا هم الذين شهدوا بالحق وقاموا بعبادة الله تعالى فقد
اذن الله لهم بالشفاعة لاولئك والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة اي لو كانت لهم الشفاعة لكانت لا تنفعهم كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
اي لو كانت لهم شفعاء لكانت لا تنفعهم شفاعتهم لا ان يكون لهم شفاعة او شفعاء وهو كقوله
تعالى لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معهم الاية وكقوله عز وجل لا يقبل منها عدل الاية فعلى ذلك
يحتمل قوله عز وجل ولا يملك الذين من دونه الشفاعة اي لا ينفعهم والله اعلم وقوله عز وجل الا من شهد
بالحق وهم يعلمون يخرج قوله وهم يعلمون على وجهين احدهما يرجع الى الملائكة فيكون كانه يقول
ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة وهم يعلمون انهم لا يملكون الشفاعة والثاني يرجع الى
من شهد بالحق يكون كانه يقول ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون
انهم يشهدون بالحق والشهادة بالحق ما ذكرنا يعني يشهدون على وحدانية الله تعالى والوهيته وانه
هو المستحق بالعبادة دون من عبدوهم والله اعلم وقوله عز وجل ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن
الله وقال في اول السورة ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ثم نعته فقال
الذي جعل لكم الارض الى اخر ما ذكر فقد اقروا جميعا ان الذي خلق السموات والارض وخلقهم وما يحتاجون
اليه هو الله تعالى ثم علما وهم وعرفوا هم بذلك يحتمل وجوها يحتمل علم حقيقة على التسخير والاضطرار
بان انشا الله تعالى علما في قلوبهم فعلموا بذلك حقيقة ان الله عز وجل هو خالق ذلك كله ويحتمل علموا علم الاستدلال
بالتامل والنظر ان من عادة العرب التامل والنظر في الاشياء فنظروا وتاملوا فعرفوا بالاستدلال العقلي
انه كذلك والله اعلم وقوله عز وجل فانى يؤفكون يقول فاي شيء يصرفهم ويافكهم عن الذي ... ما
اعطوا بالسنتهم وتحقيق ما اقروا ونطقوا ان الله خالق ذلك كله وان ذلك كله منهم وجعل ذلك لمن يعلمون
انه بشيء من ذلك منهم وبعد معرفتهم بذلك اعني الاصنام التي يعبدونها والله الهادي وقال اهل
التاويل اي فانى يكذبون بعد علمهم ومعرفتهم ذلك في تسميتهم معبودهم الها او شركهم غير الذي صنع ذلك
لهم بالعبادة له دون الله تعالى وقوله عز وجل وقيله يا رب قرئ بنصب اللام وكسرها فمن قرا بالنصب جعله
معطوفا على قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ونسمع قيله اي قوله الذي يقولوا اي بل نسمع
ذلك كله ومن قرا بالكسر عطفه على قوله وعنده علم الساعة اي عنده علم الساعة وعلم قيله وقوله عز وجل
يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون كانه على الاضمار اي قيل لهم قل ان هؤلاء قوم لا يصدقون وفيه
دلالة اثبات رسالته لانه اخبر انهم لا يؤمنون وقد كان على ما اخبر لم يؤمنوا دل انه بالله عرف
ذلك وعلمه وقوله عز وجل فاصفح عنهم اي اعرض ودعهم وقل سلام اي قل الصواب والحق فسوف
يعلمون يوما فهو وعيد لهم ويحتمل ان يكون قوله وقل سلام اي سلام عليهم لكنه على المؤمنين ليس على اولئك
الكفرة فسوف تعلمون يا ... يكون لو صرف الى المؤمنين وهو كقوله تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون ب
باياتنا فقل سلام عليكم فيكون كانه عز وجل قال فسوف تعلمون ايها المؤمنون ما ينزل باولئك والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب المبين قد ذكرنا تاويله فيما تقدم وقوله عز وجل
انا انزلناه في ليلة مباركة قال اهل التاويل انا انزلنا الكتاب اي القران في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا

نزول القران في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم انزل على النبي بالتفاريق

ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالتفاريق ويحتمل ان يكون الهاء راجعة الى قوله حم اي قضي ما هو كائن عليها قال بعض
اهل التاويل انه ما قضي في كل سنة من الموت والحياة والرزق ونحو ذلك ينزل في ليلة القدر ونسخها الى الملائكة الذين
وكلوا على ذلك فهذا يحتمل ان يكون الهاء راجعة الى ما ضمن في قوله حم على ما ذكرنا والله بحقيقة ذلك عالم ويحتمل انه ان كان
انزال شيء وامر في ليلة القدر عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيعرفون انه انزل ذلك ولم يبينوا لنا
ذلك لما لا حاجة لنا الى معرفته وقالت الروافض في قوله تعالى انا انزلناه اي ان الله تعالى ينزل شيئا على رسوله يكون
ذلك الشيء على راسه وعلى روس الائمة الذين يكونون بعده بحيث يكون لهم ذلك حفظا عليهم حتى اذا استقبلهم امر او
بدا لهم شيء نظروا في ذلك الشيء عرفوا ما احتاجوا وما يكون لهم من الصلاح او كلاما نحو هذا واما عند اهل التاويل
هو ما ذكرنا راجع الى ذلك الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى ما ذكرنا من تضمين ما ضمن في قوله
حم وكذلك قالوا الصادق في قوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر وسماها مباركة

في المباركة والبركة

وقد سمي المطر والماء المنزل من السماء كقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء مباركا وكذلك الارزاق المنزلة
من السماء والمخرجة من الارض مباركة بقوله بركات من السماء والارض والمبارك هو الذي يعد
فيه لكل الخيرات والبركة هي اسم كل خير يكون ابدا على الزيادة والنماء فسمي تلك الليلة مباركة لما جعل
فيها من الخيرات والبركات وقوله عز وجل انا كنا منذرين يحتمل انا كنا منذرين للخلق اذا انشؤوا وبلغوا المبلغ
الذي يستوجبون الانذار ويحتمل انا كنا منذرين الخلق بالرسل هذا هو الظاهر ان هذا القول من الله تعالى
والله اعلم قال انا كنا منذرين بالقران بما انزل عليه وقوله عز وجل فيها يفرق كل امر حكيم يحتمل اي يفصل ويبين كل امر
هو كائن في ليلة القدر ويحتمل اي يبين في ليلة القدر كل ما يكون في تلك السنة ثم وقوله كل امر حكيم يحتمل
اي كل امر فيه حكمة ويحتمل كل امر محكم امر محكم متقن امرا من عندنا وقوله عز وجل انا كنا مرسلين لامر الذي
ذكر بقوله كل امر حكيم امرا من عندنا والله اعلم وقوله عز وجل رحمة من ربك يحتمل قوله رحمة اي ما انزل من
الكتاب هو رحمة من ربك ويحتمل ليلة القدر اي جعلها رحمة منه ويحتمل ما ذكر من امر حكيم هو رحمة
منه ويحتمل اي الرسول المبعوث اليهم رحمة منه لهم وهو كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقوله انه هو السميع يحتمل قوله السميع لاقوالهم التي اسروها العليم بافعالهم التي اخفوها و
واضمروها ويحتمل السميع المجيب لمن دعا العليم بما يرجع الى مصالحهم في دينهم ودنياهم وقوله رب
السموات وما في الارض وما بينهما قال بعضهم رب الشيء هو مصلحه معناه مصلح السموات والارض اي مالكها
ومالك ما فيهما ويحتمل رب السموات والارض اي خالقهما وخالق ما فيهما ومنشئ ذلك كله وقوله ان كنتم

عادة العرب في عبادة الاشياء ليشفع لهم عند الله تعالى

موقنين قال بعضهم هذا على انها الاية ومراعاة المقاطع على وجهها هذا وامثالها يخرج على هذا والله اعلم
ويحتمل ان يكون قوله ان كنتم موقنين على ان قوله رب السموات والارض اي هو رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم تعلمون انه رب ما ذكر فكيف تصرفون العبادة واسم الالوهية الى من ليس برب ما ذكر
الايقان هو العلم بالشيء حقيقة ثم نعت الرب فقال لا اله الا هو كانه يقول لا معبود يستحق العبادة
سواه لان الاله هو المعبود عند العرب يقول لا يستحق الاشياء التي يعبدونها من العبادة انما المستحق لها
هو الذي لا اله غيره ويحتمل ان يقول لا يستحق اسم الالوهية الا هو لا الاشياء التي سميتموها
الهة ثم نعته فقال يحيي ويميت وهو ربكم ورب اباءكم الاولين اي هو يحيي ويميت وهو ربكم ورب
اباءكم الاولين ان من عادة العرب انهم كانوا يعبدون ويخدمون الاشياء دون الله تعالى رجاء ان تنفع
لهم ويقربهم تلك العبادة الى الله تعالى فيقول ان الذين يعبدون من دونه لا ينفع لهم العلم بعبادتكم
اياها فاصرفوا العبادة الى الذي يعلم بعبادتكم على كل حال واخلصوا له ذلك ولا تشركوا غيره وقوله عز وجل
بل هم في شك يلعبون يحتمل قوله عز وجل بل هم في شك اي في امر القران ويحتمل بل هم في شك في امر
الرسول صلى الله عليه وسلم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين اختلف

رؤية الدخان في شدة الجوع

اهل التاويل فيه قال بعضهم ليس هو على حقيقة الدخان ولكن على التمثيل والمجاز ثم اختلف في كيفية
ذلك ثم انما قيل انه قد مضى ذلك وقد كان قال بعضهم بدخان اي بجدب وقحط فجعل الدخان كناية
عن الجدب لوجوه احدها ما يقال ان الجائع في القحط كان يرى بينه وبين السماء والناس دخانا من شدة
الجوع كالذي يشتد به العطش يرى السراب ماء وذلك انه لما اشتد الجوع ضعفت ابصارهم وغطاها
الجوع فيكون الجوع سبب تراءي الدخان فاستعير له ولان في سنة الجدب تيبس الارض وينقطع
النبات فيرتفع الغبار ويصعد الريح ليبسها فيشبه ذلك الغبار الذي يرتفع من يبس الارض بالدخان فسمي
بالدخان ولذلك قيل السنة غبراء وقيل يعني العرب ربما وضعت الدخان موضع الشر اذا علا
فيقولون لو كان بيننا امر ارتفع له دخان وقالوا ان هذا القحط الذي جعل الدخان كناية عنه قد كا
بيننا امر ارتفع له دخان وقالوا ان هذا القحط الذي جعل الدخان كناية عنه قد كان فانه اشتد بهم القحط
وقلت الامطار ويبست الارض وارتفع الغبار وصعد الريح كالدخان وضعفت الابصار لشدة الجوع
حتى كانوا يرون السماء كالدخان على ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كان اخذهم ...

السماء فيرى كهيئة الدخان من شدة الجوع وقال بعضهم انما مثل الارض يومئذ كمثل بيت اوقد ليس فيه خصاصة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قد مضى الدخان وهو سنون كسني يوسف فهذا التاويل والله اعلم ومنهم من يقول هو على حقيقة الدخان وانه لم يمض بعد وكذلك روى عن علي رضي الله عنه انه قال ان الدخان لم يمض بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وينفخ الكافر حتى ينقد وكذلك قول ابي سعيد الخدري رضي الله عنه والحسن وغيرهم لكن صرف الدخان المذكور في الاية على التمثيل اشبه لان الامر اذا اشتد وبلغ نهايته يشبه بالنار والدخان كقوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله وليس هنالك نار ولكن وصف شدة الحرب فعلى ذلك التشبيه ما اشتد بهم من الجوع والجدب والقحط بالدخان الذي ذكر وكذلك يصف الناس الامر اذا اشتد يقولون هاج الدخان وثار والله اعلم وقوله عز وجل يغشى الناس هذا عذاب اليم يحتمل قوله يغشى الناس اي يغشى الناس ما ذكر وهو عذاب اليم على تاويل من قال انه ماض كائن ويحتمل ان يكون قوله تعالى يغشى الناس هذا عذاب اليم اي يغشى فيقول الناس هذا عذاب اليم وهو على قول من يقول لم يمض بعد والله اعلم وقوله عز وجل ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون اي انا نؤمن بك فيما تدعونا اليه لو كشفت عنا العذاب في معنى الشرط والجزاء وهو كقول موسى عليه السلام حيث قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الاية ويحتمل ان يكون قوله انا مؤمنون على الحال كانهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون الحال ثم اخبر الله عز وجل انهم لا يؤمنون وانهم كذبة فيما قالوا حيث قال تعالى انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين يقولون انى يتوبون ومن اين ينفعهم توبتهم في ذلك بعد ما اخذ انفسهم من ايديهم وقد جاءهم رسول قبل ذلك الوقت مبين انه رسول والله اعلم وقوله عز وجل ثم تولوا عنه يحتمل اي اعرضوا عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من القران ويحتمل تولوا عما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرهم به ويحتمل تولوا عن رسول الله نفسه وقوله عز وجل قالوا معلم مجنون قولهم معلم لانهم يقولون انما يعلمه بشر وقوله مجنون ينسبونه الى الجنون لوجهين احدهما ما ذكر الله اذا انزل عليه الوحي تغيرت حاله ولونه لثقل ذلك عليه فيقولون به آفة وجنون والثاني لما رأوه قد خاطر بروحه ونفسه لانه خالف الفراعنة منهم والاكابر الذين كانت همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم ودعاهم الى غير الذي كانوا عليه اذا نسبوه الى الجنون والله اعلم وقوله عز وجل انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون قال بعضهم انكم عائدون في معاصيكم وكفركم الذي كنتم فيه وقال بعضهم اي انكم عائدون الى عذاب يوم القيمة والله اعلم وقوله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال بعضهم ذلك يوم بدر وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وقول عامة اهل التاويل وقالوا ذلك اخذ من الدخان وقال بعضهم هو عذاب يوم القيامة وهو قول ابن عباس والحسن والله اعلم وقوله عز وجل ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون يقول والله اعلم ولقد فتنا قوم فرعون موسى قبل قومك كما فتنا قومك بك ويحتمل ان يقول ولقد فتنا قوم مثل الذي فتنا قومك ثم افتتان قوم فرعون بمثل الذي كان في قومه وجوها احدها ان موسى عليه السلام قد اتاهم بالبينات المعجزات ما لم يقدر فرعون على مقابلة تلك الايات وعجزوا عن الاتيان بمثلها فهما اتاهم بذلك وعرفوا انها ايات الله تعالى كذبوها وردوها ونسبوا موسى الى السحر والكذب والافتراء على الله تعالى فعلى ذلك على اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاملوه بالذي عامل اولئك موسى من النسبة الى السحر والجنون والكذب والافتراء على الله تعالى والله اعلم وقال بعضهم ان فرعون وقومه ادعوا موسى وحقروه لانه ولد فيهم كما ادعى اهل مكة نبيهما صلى الله عليه وسلم فقالوا انت اصغرنا وافقرنا واقلنا حيلة كما قال فرعون لموسى الم نربك فينا وليدا الاية ويحتمل ان يكون اهل مكة سألوا اليهود من الانباء التي يجدونه في كتبهم ليحاجوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون بذلك ظهور الكذب من رسول الله فيما كان يخبرهم من الانباء المتقدمة والله اعلم وقوله عز وجل وجاءهم رسول كريم كان جميع رسل الله عليهم الصلوة والسلام كراما لان الله تعالى كان يبعثهم الى قوم جهال سفهاء كان همهما الركون الى الدنيا والميل اليها والرغبة فيها فيبعث اليهم كرام الخلق لينبذوا اولئك الاقوام ورثتها الهدى الى معاملتهم والتحمل منهم لسوء ما كانوا يعاملونهم والله اعلم ولذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم حيث قال وانك لعلى خلق عظيم وقوله عز وجل ان ادوا الى عباد الله يقول ان ارسلوا معي بني اسرائيل وخلوا عنهم ولا تحبسوهم ولا تستعبدوهم فانهم احرار ويحتمل ان يقول ارسلوا معي بني اسرائيل فانهم يرغبون في اجابتي الى ما ادعوهم اليه ويطمعون في اتباعي فيما امرهم به وقوله عز وجل اني لكم رسول امين اي اني لكم رسول امين على الوحي والرسالة ويحتمل ان يقول اني كنت امينا فيما بينكم لم يظهر لكم مني خيانة ولا اطلعتم على كذب قط فلما ذا تكذبونني وتنسبونني الى السحر والله اعلم وقوله عز وجل وان لا تعلوا على الله قال بعضهم اي وان لا تتكبروا ولا تستعظموا على الله لكن عندنا معناه وان لا تتكبروا وتتعظموا على رسول الله ولا تتعظموا على عبادة الله وعلى دينه اذ لا احد يقصد قصد التكبر على الله تعالى وان نسب اليه فهو على ارادة اوليائه او دينه كقوله ان تنصروا الله ينصركم ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل اني اتيكم بسلطان مبين اي اتيكم بحجة بينة انها من الله واني رسول الله وهو ما اتاهم من الايات المعجزات والحجج والبراهين

في الدخان هل كان او يكون

والله اعلم وقوله عز وجل واني عذت بربي وربكم ان ترجمون لا يحتمل ان يكون هذا الكلام من موسى عليه السلام على ابتداء بلا سبب كان من فرعون ولا امر سبق فكان سببه وتاويله والله اعلم هو ما ذكر في سورة اخرى حيث قال ذروني اقتل موسى وليدع ربه الاية لما قال فرعون ذلك وهم ان يقتل موسى قال له موسى عند ذلك اني عذت بربي وربكم ان ترجمون وفي ذلك دلالة اية من ايات الله الرسالة لانه قال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه ليمنعني عن قتله فقال اني عذت بربي وربكم الاية دل هذا القول على انه علم قول فرعون وقصده بقتله وتعبيره بالدعاء الى الله تعالى ليمنعه عن ذلك وعلم ان الله تعالى يعصمه عن شره وكيده حتى قال ذلك وقوله وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون يقول فان لم تصدقوني فيما ادعوكم اليه وامركم به فاتركوني فاصدق وامن به ولا [illegible] تصديقي وايماني وقال بعضهم اي دعوني كفافا لا علي ولا لي وقال بعضهم وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون ولا [illegible] ولا يقبلون وقوله فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون وهو كقوله حيث قال وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وكقول نوح عليه السلام اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا ونحو ذلك يقولون يا ربنا انا قد عاملناهم المعاملة التي امرتنا ان نعاملهم واحتلنا الحيل التي علمتنا ان يحتال معهم فلم ينجح ذلك فيهم ولا يتبعونا ولا اجابونا الى ذلك فهل من حيلة سوى ذلك او بمعاملة غير ذلك نعاملهم بها لعلهم يتبعونا يجيبونا هذا الدعاء وهذا القول منهم يكون بعد ما اجهدوا انفسهم في دعائهم الى الحق زمانا طويلا ليس يحتمل في ابتداء الامر وقوله فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون كان في اخراج موسى عليه السلام وبني اسرائيل من بين اظهر اعدائهم بذلك وهذا العدد الذي ذكر في القصة انهم زهاء ستمائة الف اية عظيمة عجيبة لموسى عليه السلام على رسالته اذ خروج مد وستين من بين اظهرهم عسير صعب فكيف خروج العدد الذي ذكر في القصة والله اعلم وقوله عز وجل انكم متبعون هذا يخرج على وجهين احدهما اي قوم فرعون يتبعونهم ليردوهم الى الامر الذي كانوا يستعملونهم من قبل من نحو الاستخدام والاستعباد والله اعلم والثاني ان يتبعونهم للعباد والحرب لانه ذكر في القصة انهم اخذوا اموالهم من الحلي واللباس فخرجوا بها فجائز ان يكون اتباعهم اياهم ليقاتلون كما يقاتل الاعداء وقوله واترك البحر رهوا يحتمل قوله واترك البحر كان موسى عليه السلام ان يضرب البحر بعصا ليصل الماء بعضه ببعض لئلا يعبر فرعون وقومه فقال له اتركه كما هو فانهم جند مغرقون ثم اختلف في قوله رهوا قال بعضهم هي فارسية عربت اي اترك البحر اراه وقال بعض اهل اللسان رهوا اي ساكنا وقال بعضهم رهوا اي متصلا وهو قول ابي عوسجه وقال اهل التاويل رهوا اي يابسا وهو كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقوله تعالى انهم جند مغرقون قد وعدهم جل وعلا ان يغرق فرعون وقومه ففعل وقوله كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين اي ناعمين وقيل معجبين من الناس من قال ان هذه الاية مخالفة للاية الاخرى في ظاهر المخرج وهو قوله عز وجل ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال الله تعالى قد اجيبت دعوتكما فاذا كانت قد اجيبت دعوتهما في طمس اموالهم فطمست لا محالة فكيف ذكر كم تركوا من جنات وعيون الاية وما معنى قوله كذلك واورثناها قوما اخرين لكن عندنا انه لا مخالفة بين الايتين اذ جائز ان يكون طمس اموالهم التي كانت لهم من الحلي وغير ذلك من الصامت ونحوه خاصة فاما الاموال التي كانت لهم بالشركة من نحو البستان وزروع وامثالها فذلك لم يطمسها ولكنه تركها على ما هي عليها لبني اسرائيل وهو قوله عز وجل كذلك واورثناها قوما اخرين اي مثل ذلك واورثناها قوما اخرين وهو كما ذكر في اية اخرى حيث قال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فيه ان بني اسرائيل قد عادوا الى مصر ونزلوا اوطانهم ومنازلهم و[illegible] وقوله فما بكت عليهم السماء والارض قال بعضهم اي فما بكى عليهم اهل السماء واهل الارض بل سروا بذلك واستبشروا بهلاكهم ثم فيكون ذكر نفي البكاء لاثبات ضده وهو السرور والفرح لا لعينه وذلك جائز في اللغة ان يذكر نفي الشيء ويراد به اثبات ضده لا عين النفي كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم ليس المراد اثبات نفي الربح اي لم يربح فحسب بل المراد اثبات الخسران والوضيعة اي خسرت ووضعت فعلى ذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اي ضحكت وسرت واستبشرت بهلاكهم لانهم جميعا ابغضوهم وعادوهم لادعائهم ما ادعوا من الالوهية لفرعون وقال بعضهم فما بكت عليهم السماء والارض يحتمل ان المراد به ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مؤمن الا وله باب في السماء يصعد اليه عمله الصالح وفي الارض مصلى يصلي فيه فاذا مات بكى ذلك عليه كذا كذا يوما وليس لهم ذلك فلا يبكي عليهم وجائز ان يكون ايضا قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض اي لم يبق لهم احد يبكي عليهم من الاولاد وغيرهم لانهم استؤصلوا جميعا من الاولاد وغيرهم فلم يبك عليهم احد فاما سائر الموتى قد يبقى لهم من يبكي عليهم لذلك كان ما ذكر والله اعلم ويحتمل ان يذكر بكاء السماء اذا عظم الامر على التمثيل من نحو موت الملوك والقادة ومن عظم قدره عندهم فيخبر الله عز وجل ان موت فرعون واتباعه لم يعظم على اهل السماء والارض لما قدر لهم عندهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب

المهين قال بعضهم نجينا بني اسرائيل من العذاب الذي نزل بفرعون وقومه وهو الغرق في البحر اغرقوا واهلكوا
ونجى هؤلاء ويحتمل ان يكون المراد انه نجاهم من العذاب الذي كانوا يعذبون من نحو القتل والاستخدام وا
والاستعباد وانواع العذاب الذي كانوا يعذبون بها ما داموا بين اظهرهم وفي ايديهم فنجاهم من ذلك
حيث اخرجهم من بين ايديهم والله اعلم وهو اشبه ما قال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون
وقوله عز وجل انه كان عاليا من المسرفين قوله عاليا اي غالبا عليهم قاهرا لهم بانواع القهر الذي كان يقهرهم
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اخترناهم على علم على العالمين اي اخترنا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون
وقوله عز وجل انه كان عاليا من المسرفين قوله عاليا اي غالبا عليهم قاهرا لهم بانواع القهر الذي كان
يقهرهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اخترناهم على علم على العالمين اي اخترنا بني اسرائيل وقوله عز وجل
على علم يخرج هذا على وجوه احدها اي اخترناهم على علم اي بسبب علم اتيناهم ذلك لم يؤت ذلك غيرهم لتظهر
فضيلة العلم على العالمين وشرفه والله اعلم والثاني يحتمل اخترناهم على علم منا باسباب فيهم واشياء لم يعلم
ذلك الاسباب والمعاني في غيرهم بها استوجبوا الاختيار على العالمين والثالث اي اخترناهم على علم اي
بسبب علم احوجنا غيرهم اليهم فصاروا مختارين مفضلين بسبب تعلمهم اياهم ما احتاجوا اليه فيكون
لهم فضل الاستاذ على التلميذ وهذا كما يقول ان العرب في معرفة لسانهم احتاجوا اليها فاستوجبوا
الفضيلة لحاجتهم اليهم ولذلك فضل قريش على سائر العرب لما احتاجت سائر العرب الى قريش في معرفة
اشياء لا يصلون الى ذلك الا انهم فضلوا على غيرهم لذلك فعلى ذلك يحتمل انه احوج الى بني اسرائيل
غيرهم في معرفة اشياء فاستوجبوا بذلك الاختيار والفضيلة على غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل وآتيناهم
من الآيات ما فيه بلاء مبين يحتمل وجهين احدهما اي محنة بينة وهي انواع ما امتحنهم من البلايا والشدائد
والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون قوله بلاء مبين اي نعم عظيمة وهو ما آتاهم من انواع النعم من المن
والسلوى وتظليل الغمام عليهم وخروج العيون من الحجر ونجاتهم من البحر واهلاك عدوهم
وغيرهم من النعم التي آتاهم مما لا يحصى وهو ما ذكر في سورة البقرة وهو قوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم
والله اعلم وقوله عز وجل ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين يقول الله تعالى وهو
اعلم ان الذي يحمل هؤلاء على الانكار والكفر بك وترك الايمان بك انكارهم البعث والاحياء
بعد الموت كقوله تعالى والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ممن آمن بالآخرة فاما من لم يؤمن بالآخرة
لا يؤمن به والله اعلم واصله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث لدعاء الخلق الى الزهد في هذه
الدنيا والرغبة في الآخرة والقطع عن جميع شهواتهم ومناهم في الدنيا وتاخير ذلك الى الآخرة فمن
آمن بالآخرة سهل عليه ترك ذلك كله وهان عليه قطع نفسه عن قضاء ذلك كله ومن انكر الآخرة وجحد
اشتد ذلك عليه وصعب حمله ذلك على انكارها والجحود لها والله اعلم وقوله عز وجل فاتوا بآبائنا ان كنتم
صادقين هذا منهم احتجاج عليه يقولون لو كنت صادقا فيما تقول انه بعث واحياء فاخرج من ذكروا رايته
لهم لكن هذا احتجاج باطل لان الآيات والحجج ليست تنزل وتاتي على ما تشتهي نفس اولئك ولكن تنزل على ما توجب
الحكمة وعلى ما فيه الحجة لا على ما يريد المقام عليهم الحجة كالشاهد ان الواجب على المدعي اقامة ما هو حجة في ذاتها لا اقامة
ما هو يريدها المدعى عليه والنبي صلى الله عليه وسلم قد اتاهم من البيان والحجة ما يوجب البعث والاحياء بعد الموت
لو تاملوا ولم يكابروا عقولهم وكون سؤالهم سنة اية اخرى مردود عليهم والله اعلم وبعد فان الله تعالى عز وجل
قد وعد البقاء لهذه الامة الى يوم القيامة ولو اعطاهم ما سالوا من الآيات ثم انكروها اهلكوا واستوصلوا
اذ من سنته ان كل اية اتت ونزلت على اثر سؤال كان منهم ثم انكروا كان في ذلك هلاك وعذاب لذلك لم يعطهم
ما سالوا والله اعلم وقوله عز وجل اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم ليس في هذا جواب لقولهم فاتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين ولم يات بجواب ذلك وانما كان لانهم لم يستحقوا الجواب لهذا السؤال لانهم سالوا ذلك
تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون في هذا جواب لقولهم وسؤالهم الآية المخترعة وفي الآية دلالة على البعث ابتداء
الاول انه اخبر عن قوم تبع ومن ذكر من الامم الخالية كانوا ينكرون رسالة رسلهم ويكذبونهم ويوعدونهم الرسل
بالعذاب والهلاك فيكذبونهم ايضا فيما يوعدون من البعث فجاءهم الهلاك فيقول اهم خير ام قوم تبع ومن
ذكر اي اولئك هم اشد قوة ام هؤلاء وهم علموا ان اولئك اشد قوة وبطشا ثم لم يتهيأ لهم الامتناع من عذاب
الله اذا نزل بهم بتكذيبهم الرسل وانكارهم البعث فانتم دون اولئك فكيف يتهيأ لكم الامتناع من العذاب
العذاب الذي نزل بكم وهو كقوله تعالى اكفاركم خير من اولئكم واذا لم يتهيأ لهم الدفع ومن سنته الاستيصال
بالتكذيب للآيات المخترعة وقد وعد البقاء لهذه الامة الى يوم القيامة وكونه رحمة للخلق لذلك لم يعطهم الآية
التي سالوا والله اعلم واما الثاني وهو انه لما اخبر ان تعذيب اولئك الكفرة لتكذيب الرسل وانكار البعث فدل ان البعث
حق حتى يستحق منكره العذاب والله اعلم وذكر ان تبعا كان رجلا صالحا وعائشة رضي الله عنها تقول لا تسبوا تبعا فانه
كان رجلا صالحا وذكر انه كان رسولا وقد ذكرنا نعته والله اعلم وقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين وقال في اية اخرى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ان الكفرة كانوا لا يطلقون

مما يحفظ عدم الجواب لعدم استحقاقهم

وجه كون الآية المخترعة

القول

القول فلا يقولون ان الله تعالى خلقهما وخلق ما بينهما باطلا ولعبا لكن خلق ذلك كله على فتياهم
وظنهم وعلى ما عندهم يصير عبثا باطلا لانهم كانوا ينكرون البعث ويقولون ان لا بعث ولا حياة
ولا ثواب ولا عقاب فاذا كان فتياهم وظنهم ان لا بعث ولا نشور يكون خلقهم وخلق السماء
والارض وما ذكر باطلا ولعبا لان المقصود بخلق ما ذكر على زعمهم لم يكن الا الافناء والاهلاك
ومن لم يقصد في بنائه الا النقض في الشاهد والافناء في العاقبة كان في بنائه وقصده سفيها غير حكيم
فعلى ذلك الله سبحانه وتعالى في خلقه اياهم وانشائه لهم وتحويله اياهم من حال الى حال اخرى من
حال النطفة الى حال العلقة الى حال المضغة الى حال تصوير الانسان ثم الى حال الكبر لو لم يكن ما ذكرنا من
المقصود سوى الافناء والاهلاك على ما زعموا كان سفها باطلا غير حكمة لما ذكرنا من قصد من قصد
في البناء الافناء خاصة لا غير كان في فعله وقصده لاعبا عابثا سفيها ولذلك سفه الله تعالى تلك المرأة
التي لم يكن قصدها في غزلها الا نقضه في العاقبة حيث قال ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة
انكاثا الآية فعلى ذلك خلق الخلق اذا لم يكن بعث ولا نشور على ما قال اولئك الكفرة وظنوا كان كذلك
سفها غير حكمة ولذلك قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون جعل خلقه اياهم للرجوع اليه
عبثا والله الموفق وقوله عز وجل ما خلقناهما الا بالحق قال بعضهم الا لاقامة الحق وقال بعضهم الا لامر
كائن مراد واصل الحق هو ان يحمد عليه فاعله في العاقبة والباطل هو ما يذم عليه فاعله وانما خلق جل وعلا
ما ذكر ليحمد على فعله لا ليذم ولو لم يكن القصد في خلقهم الا الافناء والاهلاك لكان لا يحمد عليه ولكن
يذم على ما ذكرنا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون انهما لم يخلقا باطلا وعبثا وهو ما ظنهم والله اعلم
وقوله عز وجل ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين سمي يوم القيامة مرة يوم الجمع ومرة يوم التفريق ومرة
يوم الفصل فهو يوم الجمع لما يجمع فيه الخلائق جميعا وكذلك يوم الحشر ويوم الفصل يحتمل وجهين
احدهما انه يفصل بين اوليائه واعدائه ينزل اولياءه في دار الكرامة والمنزلة وهي الجنة واعداءه في
دار الهوان والعقاب وهي ما قال فريق في الجنة وفريق في السعير ويحتمل ان يكون قوله يوم الفصل
اي يوم القضاء والحكم اي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكافرين فيما تنازعوا واختلفوا في الدنيا بقوله
ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ويحتمل ايضا ما ذكرنا من الفصل بين
الاولياء والاعداء ما لو لم يكن ذلك في الآخرة بينهم كان جامعا مسويا بين الاولياء والاعداء وهم
استووا واجتمعوا في الدنيا في ظاهر احوالهم ومن سوى بين وليه وعدوه كان سفيها غير حكيم دل
ان هنالك دارا اخرى يفصل بينهما ويميز والله اعلم وقوله عز وجل يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم
ينصرون هذا في الكفار خاصة يخبر انه لا ولي ينفعهم في الآخرة ولا يعين بعضهم بعضا على ما يعاين
في الدنيا اذا نزل ببعض منهم بلاء وشدة وهو ما ذكر في اية اخرى يوم يفر المرء من اخيه الآية
وقوله عز وجل واخشوا يوما الآية وقوله تعالى لا يقبل منها عدل ولا هم ينصرون والله الموفق
ثم قوله تعالى لا يغني مولى عن مولى شيئا يحتمل مولى الاعلى ومولى الاسفل على ما يعين بعضهم بعضا
في الدنيا ويحتمل كل ولي وقريب يخبر انه لا قريب يملك دفع ما نزل به ولا ولي ولا يملك نصرته ومعونته
لان ولايتهم يومئذ يصير عداوة بقوله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
الآية استثنى المتقين وعلى ذلك استثنى في هذه الآية ايضا حيث قال الا من رحم الله ومن عليه وهداه
الايمان ورزقه التوحيد فانه يكون بعضهم لبعض شفعاء واولياء ينصر بعضهم بعضا ويشفع
بعضهم لبعض والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الرحيم العزيز في نقمته من اعدائه لاوليائه الرحيم
للمؤمنين الذين استثنى في الآية حيث قال الا من رحم الله وقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ظاهر
الآية انها طعام كل اثيم لكنها ليست بطعام كل اثيم دون اثيم وهو الكافر لان الاثيم المطلق هو الاثيم
من كل وجه وهو الكافر فاما المؤمن المسلم لا يكون اثيما مطلقا مع قيام ايمانه وكثرة طاعته فلا يكون
صاحب الكبيرة داخلا تحت الآية قال بعض اهل التاويل انه يدل قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام
الاثيم اتى بعض الكفار بالعسل والزبد وقالوا لاصحابه تعالوا نتزقم فان محمدا اوعدنا بذلك لما
كان الزقوم هو الزبد والتمر والعسل بلغة قوم من العرب فنزل عند ذلك قوله تعالى انها شجرة تخرج
في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين الآية اخبر انها شجرة انشأت من النار كقوله تعالى انها
شجرة تخرج في اصل الجحيم الآية ليست كسائر الاشجار ثم شبهها بالمهل بقوله تعالى كالمهل يغلي في
البطون كغلي الحميم والمهل دردي الزيت ثم يحتمل تشبيهها بالمهل وجهين احدهما لالتصاقه بالبدن
لانه قيل انه الصق الاشياء بالبدن ويحتمل ان تشبيهها بذلك لكثرة تلونها وتغيرها من حال الى
حال ثم الاشكال انه ليس في اكل دردي الزيت فضل شدة وكثير مؤنة فما معنى التشبيه به لكن
نقول الله بين ان ذلك المهل والدردي من النار حيث قال كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ثم
الاشكال ان شجرة الزقوم كيف يكون للاثيم فيحتمل ذلك وجهين احدهما انه يخرج منها شيء ويبدل

في المهل

في العتل

في الجحيم

فيبقى ذلك الكافر ويحتمل انه يأكل كما هي فيذوب في بطنه فيغلي فيكون ما ذكر وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه راى فضة قد اذيبت فقال هذا المهل فجائز ان يكون على هذا كل شيء يذاب ويحرق فهو المهل والحميم هو الشيء الحار والذي قد انتهى حره غايته والله اعلم وقوله عز وجل خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ظاهر هذا ان يكون هذا ذاك بعد ما ادخلوا في النار لكن يحتمل ايضا ان يكون ذلك في اول ما يراد ان يدخلوا النار كقوله خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه فعلى ذلك خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم قوله تعالى فاعتلوه قال بعضهم اي ادفعوه الى سواء الجحيم اي الى وسط الجحيم وقال بعضهم فاعتلوه اي قودوه قودا الى سواء الجحيم يقال جيء بفلان يعتل الى السلطان اي يجر ويقاد وقال بعضهم هو السوق الذي فيه شدة وتعنيف اي سوقوه سوقا شديدا عنيفا وبعضه قريب من بعض والجحيم هو معظم النار والله اعلم وقوله عز وجل ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم اي من شراب الحميم جعل الله عز وجل لاهل النار من الوان الشراب الحميم والصديد ونحوهما مكان ما جعل لاهل الجنة من انواع الشراب حيث قال فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين الاية ثم في الاية ان الفريقين جميعا لا يتولون شربها بانفسهم لكنهم يسقون على ما ذكر في اهل الجنة في غير اي من القران حيث قال يسقون من رحيق وقوله تعالى ويسقون فيها كاسا ونحو ذلك كثير وقال في اهل النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم وقوله تعالى يسقى من عين انية وقال في اية اخرى من غسلين ونحو ذلك وقوله عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم قال اهل التاويل انما يقال هذا لابي جهل اللعين وله ذلك العذاب الذي ذكر في الاية وهو المراد بالاثيم كان في الدنيا يفتخر ويقول انا العزيز الكريم وليس ما بين كذا الى كذا اعز مني وانا المتعزز المتكبر فيقال له في الاخرة ذق هذا الذي ذكرت انك انت العزيز الكريم في الدنيا بصغره ونحوه ويحتمل ان يكون هذا في كل كافر يتعزز في الدنيا ويتكبر وكل رئيس منهم والله اعلم وقال بعضهم في قوله عز وجل ذق انك انت العزيز الكريم اي ذق فانك لست بعزيز ولا كريم انما يقال ذلك له على التهزي به اي لو كنت عزيزا كريما ما دخلت النار والله اعلم وقوله عز وجل ان المتقين في مقام امين فيه لغتان مقام بالرفع ومقام بالنصب فمن قراه بالنصب فهو موضع المقام وهو المنزل والمكن معناه في مسكن امين اي امنوا فيها من الافات والاوجاع والاسقام ومن قراه برفع الميم فهو المصدر يعني الاقامة اي يقيمون فيها امنون عن الخروج عنها والزوال والله اعلم وقوله عز وجل في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين قالوا السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه ثم يحتمل ان يكون ما ذكر من اللبس لما رق منه فاما ما غلظ منه فانه يبسط وان كان ذلك اللبس فيهما في الظاهر تبعا ولـ ما رق منه وما غلظ فالمراد من ذكر اللبس يرجع الى ما يلبس وهو الذي يرق وجائز في اللغة ان يذكر الشيئان باسم احدهما اذا كان بينهما ازدواج في الجملة عادة او حقيقة والله اعلم ويحتمل انه انما ذكرهما جميعا لما يكون من رغبة الناس اليهما جميعا في الدنيا فرغبهم في الاخرة ووعدهم ان يكون لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل متقابلين يخبران مجلسهم في الجنة نحو مجلسهم في الدنيا مقابل بعضهم بعضا حيث قال كذلك على اثر ذلك يكونون في الجنة كما كانوا في الدنيا من مقابلة بعض بعضا واجتماعهم في المجالس في الشراب وغيره والله اعلم وقوله عز وجل وزوجناهم بحور عين قال بعضهم بحور اي ببيض الوجوه وعين اي حسان الاعين وقال بعض اهل الادب الحور في العين هو شدة سواد سوادها وبياض بياضها ويقال امراة حوراء ونسوة حور ورجل احور وقوم حور والعيناء الحسنة العينين يقال رجل اعين ورجال عين وامراة عيناء ونسوة عين فاجتمع على هيئة واحدة في هذا الباب في المذكر والمؤنث وقوله عز وجل يدعون فيها بكل فاكهة امنين تاويله والله اعلم اي ثمار الجنة وفواكهها ليس لها فساد ولا انقطاع ولا نقصان ولا زوال يدعون يسالون ان احضروها لا يسالون في الدنيا هل تؤتى شيء او هل عنده كذا شيء من الفواكه ونحو ذلك لما ذكرنا ان الثمار الدنيا انقطاع وفناء وليس لثمار الجنة وفواكهها كذلك لذلك ما ذكرنا والله اعلم وقوله امنين يحتمل وجهين احدهما امنين عن انقطاع فواكهها وثمارها وما ذكر ويحتمل امنين فيها في الجنة ليس لهم خوف الخروج منها والزوال وامنون عن جميع الافات التي تكون في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى والاشكال انه نفى الموت في الجنة واستثنى الموتة الاولى وليس في الجنة موت اصلا كيف يستثني الموتة الاولى وان ظاهر الاستثناء ان يكون من جنس المستثنى منه فيوهم ان يكون في الجنة موت قال بعضهم ان الا بمعنى سوى وفيه اضمار كانه لا يذوقون فيها اي في الجنة الموت سوى الموتة الاولى ذاقوا في الدنيا لان الموتة التي ذاقوا وهي الموتة الاولى لا يتصور ذوقها ثانيا لو كان يكون مثلها ولان الجنة ليس محل الموت فكان المراد ما قلنا اي لا يذوقون في الجنة الموت سوى الموت الذي ذاقوا في الدنيا وهو كقوله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم الاية اي سوى ما قد سلف انه كان فاحشة في ذلك الوقت على ما بينا تاويله والله اعلم وعندنا يخرج تاويله على وجهين احدهما لا يذوقون فيها الموت الا ما ذاقوا من الموتة الاولى لانه ذلك في الخبر انه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش املح او كما قال فيذبح بين ايديهم فعند ذلك يامنون الموت هنالك والله اعلم والثاني لا يذوقون فيها الموت ولا يرون الا الموتة الاولى التي راوها في الدنيا تلك يعرفونها ويذكرونها فاما سواها فلا والذوق سبب المعرفة

في ابو جهل

حاشية قاعدة في اللغة ان يذكر الشيئان باسم احدهما اذا كان بينهما ازدواج في الجملة عادة او حقيقة

مطلب حور عين اللهم ارزقنا

سؤال

ذبح الموت

فاستعير المعرفة مجازا والله اعلم وقوله عز وجل ووقاهم عذاب الجحيم ليس هو تخصيص وقاية عذاب الجحيم فحسب بل المراد نفي عنهم العذاب كله لكن الجحيم معظم النار فذكره كناية عن الكل فضلا منه ليس باستحقاق منهم بالاعمال على ما تقدم ذكره في غير موضع وقوله عز وجل ذلك هو الفوز العظيم الفوز باحد شيئين اما الظفر بما تامل وترجو فاذا ظفر بذلك يقال فاز واما النجاة مما يحذر ويخاف اذا حذر امرا وخافه فيخلص من ذلك يقال فاز فايهما كان فهو فوز والله وقوله عز وجل العظيم جميع امور الاخرة وحالها سمي عظيما من العذاب والنعيم قال الله تعالى ليوم عظيم وعذاب عظيم ونور عظيم وقوله عز وجل فانما يسرناه بلسانك هذا يخرج على وجهين احدهما كانه يقول فانما انزلنا القران بلسانك ويسرناه للذكر لانه يسرنا القران ولكن معناه ما ذكرنا انه انزله بلسانه ويسره للذكر والله اعلم والثاني فانما يسرناه على لسانك اي ذكرناه وحفظته بلا كتابة ولا نظر في كتاب لانه ذكر انه كان عليه السلام يحفظ سورة طويلة اذا تلا عليه جبرئيل صلوات الله عليه وقد امنه الله سبحانه وتعالى عن النسيان بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى عز وجل لعلهم يتذكرون وهو يخرج على وجوه احدها لكي يلزمهم التذكر ويحتمل لكي يتذكروا وانما قد نسوا من حق الله الذي عليهم ويتعظ بمواعظ الله تعالى وقوله عز وجل فارتقب انهم مرتقبون على وجهين احدهما ارتقب ما وعد الله ان ينزل بهم من العذاب فانهم مرتقبون هلاكك وتقلبك ونحو ذلك ويقول ارتقب ولا تكافهم ولا تدع عليهم بالهلاك فانهم مرتقبون ما القى الشيطان في امنيتهم بان ملكك يزول وانه يعود اليهم والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فارتقبهم انهم مرتقبون والارتقاب انتظار والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب قد ذكرنا في غيره موضع وقوله العزيز الحكيم وقد ذكرنا ايضا تاويل العزيز الحكيم في غير موضع ايضا ثم انما ذكر قوله العزيز الحكيم على اثر ذلك ليعلم انه ما انزل الكتاب وما امرهم وما نهاهم وامتحنهم بانواع المحن ليتعزز هو بذلك او يبدله عزا وسلطانا وقوة اذا ائتمروه واطاعوه واذا خالفوه ولم يطيعوه فيما امرهم وارتكبوا ما نهاهم يلحقه ذل وانتقاص في ملكه وسلطانه بل انما فعل ذلك من الامر والنهي وانواع المحن لمنفعة انفس الممتحنين ليتعززوا اذا اتبعوا امره واطاعوه ويلحقهم ذل ونقصان اذا تركوا اتباعه بخلاف ملوك الارض فانه يزيد لهم اتباع من اتبعهم عزا وسلطانا وقوة في ملكهم وترك اتباعهم اياهم وارتكاب ما نهاهم عنه يوجب لهم ذلا ونقصانا في ملكهم لان المخلوق كان عزيزا بغيره فاذا زال ذلك زال عزه وصار ذليلا فاما الله سبحانه وتعالى عزيز بذاته فلا يلحقه النقصان بمخالفة من خالفه ولا يزداد عزه باتمار من ائتمر وقوله الحكيم والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطا في التدبير يذكر هذا ليعلم ان من انشا من الخلائق على علم منه انهم يكفرون به ويعصونه لم يزل عنه الحكمة ولا اخرجه بما ذكرنا انه لم ينشئهم لحاجة له فيهم او لمنفعة يرجع اليه ولكن لحاجة لهم ولمنفعة يرجع الى انفسهم ومثله في الشاهد يزيل الحكمة ويدخل في حد السفه لما ذكرنا انهم انما يفعلون لحوائجهم فكان الفعل مع العلم بانه لا منفعة له فيه بل مضرة لا يكون حكمة منهم لذلك افترق الشاهد والغائب والله اعلم وقوله عز وجل ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وايات لقوم يوقنون وايات لقوم يعقلون ونحو ذلك يخرج ذكر الايات لهؤلاء وجوه احدها اي يكون ما ذكر من الايات لهؤلاء ايات على اعدائهم يحتجون بها عليهم فيكون هي ايات لهم على اعدائهم والثاني ان منفعة هذه الايات يجعل لهؤلاء وهم المنتفعون بها على متبعها دون من ترك اتباعها والثالث هي ايات لمن اعتقد اتباع الايات والايقان بها وهم المؤمنون فاما من اعتقد ردها وترك الاتباع لها فليست هي ايات لهم والله اعلم وقد ذكرنا في غير موضع جهة الايات فيما ذكر من السموات والارض واختلاف الليل والنهار وانزال الماء من السماء واحياء الارض به واخراج منها في ذلك ايات هيبته وايات وحدانيته وايات قدرته وسلطانه وايات علمه وتدبيره وايات حكمته وغير ذلك مما يطول الكتاب بذكرها والله الموفق وقوله عز وجل تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق قوله عز وجل تلك اشارة الى الايات التي تقدم ذكرها عليك بالحق انها من الله تعالى لما عجزوا عن ادراك ذلك من الحكمة البشرية به فيعلموا انها من الله تعالى وقوله عز وجل فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم لو كانوا بالذين يقبلون حديثا قط فلا حديث اظهر صدقا من حديث الله تعالى ولا ابين حقا فيه من كلامه لان له ايات معجزات عجزوا عن اتيان مثله وان كانوا الذين لا يقبلون حديثا فيلحقهم السفه في ذلك فبكل يؤمنون والله الهادي وقوله عز وجل ويل لكل افاك اثيم الافاك هو المصرف وعن اتباع ما يوجب الحكمة اتباعه وقال بعضهم الافاك الكذاب والاثيم هو الذي عداد الاثم وهو اكثر من الاثم ثم نعت ذلك الافاك فقال يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها يحتمل قوله ايات الله تتلى عليه القران ويحتمل ايات الله تتلى عليه ايات وحدانية الله عز وجل او ايات رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخبر عن تعنته وعناده في ايات الله حيث قال ثم يصر مستكبرا

مطلب في نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظ في سورة طويلة اذا تلا عليه جبرئيل

مطلب الابتلاء لمنفعة المبتلين لا لعز المبتلي بخلاف في ملوك الدنيا

مطلب ايات هيبته ووحدانيته وقدرته

اي يمتن مستكبرا بعد تلاوة الايات عليه وبعد معرفته وفهمه انها ايات الله كما كان يمتن قبل ذلك لانها ايات خارجات عن وسعهم اذ عجزوا عن اتيان مثلها فاذا كانت خارجة عن احتمال وسعهم فكذلك هي خارجات عن وسع محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو واحد من البشر مثلهم فيعرفوا انه انما قدر على اتيان مثلها بالله تعالى بما اوحى اليه واعلمه بذلك كان لم يسمعها عنادا منه واستكبارا ثم اوعده العذاب الاليم وهو قوله فبشره بعذاب اليم اي مولم موجع وقوله عز وجل واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين اي عذاب يهينهم باستهزائهم بالايات ثم قال من ورائه جهنم اضاف جهنم الى ورائهم يحتمل ان يكون المراد من ذكر من ورائهم وراء الدنيا كانه قال من وراء هذه الدنيا لهم جهنم لكنه اضاف ذلك اليهم لانهم فيها وهم اهلها ويحتمل ان يكون قوله من ورائهم جهنم اي من وراء احوالهم التي هم عليها جهنم وقوله ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء يحتمل ولا يغني عنهم ما كسبوا اي ما عملوا من القرب التي عملوها رجاء ان ينفعهم ذلك في الاخرة او يقربهم ذلك الى الله زلفى يخبر ان ذلك مما لا يغنيهم ولا ينفعهم في الاخرة وقوله عز وجل ولهم عذاب عظيم وعد لهم في كل حال وكل من كان منهم عذابا غير العذاب في حال اخرى ذكر في الحال التي عبدوا الاصنام دونه واتخذوها اربابا العذاب العظيم وذكر لهم باستهزائهم بايات الله العذاب المهين عذابا يهينهم ويهانون في ذلك وذكر لهم باصرارهم بما هم عليه واستكبارهم على ايات الله وعلى رسوله العذاب الاليم حتى يكون مقابل كل كان منهم نوعا من العذاب غير النوع الاخر وبصفة غير الصفة الاخرى والله اعلم وقوله عز وجل هذا هدى اي بيان لهم وقوله عز وجل والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم اي عذاب من عذاب اليم اذ الرجز هو العذاب كانه فسر ذلك العذاب ووصفه بالالم والله اعلم وقوله عز وجل الذي سخر لكم البحر يذكرهم عظيم نعمه في تسخير البحر لهم مع اهوالها وكثرة امواجها وامتناعها عن منافع الخلق صيرها بلطفه وحكمته لهم كسائر البقاع في الوصول الى ما فيها من الجواهر واللآلي بالغوص فيه والخوض والاصطياد لما فيه من انواع الصيد وغير ذلك من الاشياء بحيل علمهم واسبابا جعل لهم حتى يصلوا الى ما فيها من انواع الجواهر والاموال النفيسة والله اعلم وبحرها لهم ايضا حتى عبروا البحر ومروا عليه بسفن اعطاهم وحيل علمهم حتى قدروا على عبوره والمرور عليه ليصلوا الى قضاء حوائجهم التي تكون في البلدان النائية وهو ما قال لتجري الفلك فيه بامره ثم قوله تعالى بامره يحتمل ان يكون عبارة عن تكوينه اي بما كونه وانشاؤه كذلك كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والثاني يحتمل بامره اي بالامر الذي له على العباد وسائر خلائقه ويحتمل بامره اي باذنه وقوله عز وجل ولعلكم تشكرون اي لكي يلزمكم الشكر بذلك او ما ذكر ما فيه من الوجوه والله اعلم وقوله عز وجل وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه اي سخر لهم ما في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم وغيرها وما في الارض من الاشجار والنبات والبهائم والدواب حتى استعملوها كلها في منافعهم وحوائجهم كما استعملوا الالة كهم التي يحوونها بايديهم بتسخير الله تعالى اياهم ذلك كله والله اعلم وقوله عز وجل جميعا اي جميع ذلك من الله تعالى خبر انه سخر جميع ما في هذين في السموات والارض ثم اخبر ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون وقد ذكرنا جهة الاية في ذلك في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله امر تعالى عز وجل المؤمنين بالعفو والصفح عمن اساء اليهم وظلمهم حتى امرهم بالعفو والمغفرة عمن ظلمهم واساء اليهم من الكفرة ليعلم عظيم موقع العفو والصفح عن المظلمة والاساءة عند الله وما يكون لذلك من الثواب الجزيل والله اعلم فان قيل ان هذه الايات انما نزلت بمكة ومن اسلم من اهل مكة بمكة كانوا مستخفين مقهورين في ايدي الكفرة ثم لا يتهيأ لهم الانتصار منهم والانتقام عن مساويهم وانما يؤمر المرء بالعفو عن مظلمة من ظلمه واساء اليه عند مقدرة الانتقام منه والانتصار فاما من لا يكون على مقدرة من ذلك فلا معنى للامر له بذلك اذ هو عاجز عن ذلك فيكون الامر بالعفو والصفح عنهم وان كان اهل الاسلام منهم مقهورين مغلوبين في ايدي اولئك الكفرة على ما ذكرتم لوجهين احدهما انه امرهم بذلك ليتقربوا بذلك الى الله تعالى ويجعلون ذلك وسيلة وقربة فيما بينهم وبين ربهم وان لم يكن لهم مقدرة الانتقام والانتصار منهم ليكون العفو منهم بحق القربة لا بحق التذلل والخشوع اذ يعفو كل عن اختيار وطوع ويصبر على ذلك ابتغاء لوجه الله تعالى وبترك الجزع في نفسه والمخاصمة لو قدر على الانتقام وهو ما امر رسول الله عليه الصلوة والسلام بالهجرة الى المدينة بعد ما خبر انهم يريدون ان يقتلوه او يخرجوه حيث قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية ليكون الهجرة له الى الله تعالى بحق القربة لا بحق التذلل باخراجهم اياه والله اعلم والثاني ان يرجع الامر بالعفو الى كل واحد منهم في خاصة نفسه وقد كان من المسلمين فيهم من يقدر على الانتقام والانتصار من الافراد والاحاد منهم وان لم يكن لهم المقدرة على الانتقام من جملتهم والله اعلم ثم قوله عز وجل لا يرجون ايام الله هذا يخرج على وجوه احدها ايام الله اي نعم الله الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع التي وعدها في الاخرة لاهل الايمان وهو ما قال في اية اخرى في قصة موسى على نبينا وعليه السلام حيث قال وذكرهم بايام الله اي بنعم الله تعالى الا ترى ان موسى عليه السلام فسر ايام الله بالنعمة حيث قال على اثره واذ

في تسخير البحر نعمة عظيمة

مطلب العفو والصفح

قال لموسى

واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون الاية والثاني لا يرجون ايام الله على حقيقة الايام لانهم كانوا يرون هذه النعم والسعة في الدنيا بحيلة انفسهم وكذبهم لا بما اجرى الله تعالى النعم اليهم في الايام والله اعلم والثالث لا يرجون ايام الله اي لا يخافون نعمة الله وعقوبته وقوله عز وجل ليجزي قوما بما كانوا يكسبون اي ليجزي كل قوم بما كسبوا من خير او شر يجزي من عفى عنهم جزاء العفو ويجزي المحسن جزاء الاحسان والمسيء جزاء الاساءة والله اعلم وقوله عز وجل من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها يخبر ان من عمل من خير فانما يعمل لنفسه ومن عمل من سوء فانما يعمل على نفسه يخبر ان من عمل خيرا وصالحا فلنفسه سعى في الاخرة ومن عمل من شر فعلى نفسه سعى في الاخرة لكن عمل في الدنيا من الاكل والشرب فلنفسه يعمل ومن حيث من جنايات فعلى نفسه جنى في الدنيا والاخرة حيث يهلك به نفسه ويرجع اليه وبال ذلك في الدنيا والاخرة فعلى ذلك ما قلنا والله اعلم وقوله عز وجل ثم الى ربكم ترجعون اي ثم الى ما وعدكم ربكم من الثواب والعقاب ترجعون وقوله عز وجل ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب قال اهل التاويل اي التوراة والاشكال انه اتى بني اسرائيل جملة كتبا كثيرة اما التورية والانجيل والزبور هي كتب معروفة ولا نعرفها وقد يجوز ان يكون لهم كتب غيرها فما معنى ذكر الكتاب وما معنى حملهم على التوراة الا ان نقول يجوز ان يريد بذكر الكتاب الكتب فانه ادخل الالف واللام فيكون لاستغراق الجنس ويحتمل انه اراد به التوراة كما قالوا اهل التاويل اذ يجوز ان يذكر اسم العام ويراد به الخاص وهو الواحد لانهم ويحتمل ان يكون التوراة هو الكتاب الذي فيه عامة الاحكام فانه قيل ان الزبور ليس فيه الحكم انما فيه التسبيح والتحميد وكذا الانجيل ليس فيه الاحكام قليل فيجوز ان يكون المراد به التورية لهذا والله اعلم وقوله عز وجل والحكم قال بعضهم والحكم اي فهم ما فيه وقال بعضهم الحكم فقه ما في الكتاب اذ الحكم الظاهر داخل تحت قوله الكتاب بين بقوله والحكم انه اعطى له الحكم الظاهر فيه والحكم المستخرج منه بالاستنباط والاجتهاد والله اعلم ويحتمل ان يراد بالكتاب هو ما يتلى فيما بينهم وبين ربهم والحكم هو ما امرهم فيه ان يحكموا فيما بين العباد والله اعلم وقوله عز وجل والنبوة انما ذكر النبوة لان النبوة كانت ظاهرة في بني اسرائيل فانه ذكر ان في بني اسرائيل كذا كذا رسولا ونبيا والله اعلم وقوله عز وجل ورزقناهم من الطيبات قد كان رزقهم الطيبات ما ذكر من المن والسلوى وغير ذلك من الطيبات فلا يحصى وقوله عز وجل وفضلناهم على العالمين قد ذكرنا تفضيلهم على العالمين في موضعه وقوله عز وجل واتيناهم بينات من الامر قال بعضهم بينات من الامر وقيل بينات من الامر اي ما بين لهم من الحلال والحرام والشبه وبناء ما كان قبلهم والله اعلم ويحتمل بينات من الامر اي بيان ما يقع الحاجة اليه من الامر وعندنا بينات من الامر يخرج على وجهين احدهما واتيناهم بينات من الامر اي بينات التكوين ودلالات لما جعل الله لهم في نفس كل احد من دلالات وحدانيته والوهيته او ما اقام من الايات في العالم على التكوين يدل على جعل الالوهية والربوبية لله وقوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم على ما ذكرنا من امر التكوين اي ما اختلفوا في صرف الالوهية والوحدانية عن الله تعالى الى غيره الا بعد ما جاءهم العلم اي الا من بعد ما بين لهم ان الالوهية والربوبية بالله لا لاله الواضحة والحجة النيرة وان لله الخلق والامر الا انه ذكر العلم واراد به اسباب العلم ودلائله والله اعلم والثاني يحتمل قوله تعالى واتيناهم بينات من الامر اي امر الوحي من الامر والنهي والتحليل والتحريم وبيان ما يؤتى وينفى وما لهم وما عليهم ثم قوله عز وجل فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم والاختلاف فيهم فيما اختلفوا يتوجه الى وجوه احدها ما اختلفوا فيما اختلفوا من الدين او فيما اختلفوا في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجابة له الى ما يدعوهم اليه الطاعة له ويحتمل اختلافهم الذي ذكر الاختلاف في القران او فيما اختلفوا من التحليل والتحريم ثم يخبر تعالى جلاله وعلا انهم ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بالحق في ذلك والبيان انه من الله وان ما هم عليه باطل مضمحل ثم اخبر ان اختلافهم انما هو لبغي بينهم وحسد حملهم ذلك على الاختلاف فيما بينهم ثم اخبر انه يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ثم قوله تعالى يقضي بينهم يوم القيمة يحتمل وجهين احدهما يخبر بينهم في الاخرة جزاء اختلافهم في الدنيا ويقضي اي يفصل ويبين لهم يوم القيامة الحق من الباطل والمحق والمبطل والله اعلم وقوله عز وجل ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها يحتمل ان يكون هذا صلة قوله تعالى واتيناهم بينات من الامر كانه يقول واتيناهم بينات من الامر وجعلنا ذلك شريعة لك فاتبعها انت وان لم يتبعوها هم والشريعة هي الملة والمذهب وهي ما شرع فيه ويذهب اليه كذلك قاله القتبي قال يقال شرع فلان في كذا اذا اخذ فيه ومنه مشارع الماء الموضع التي يشرع فيها الناس والواردة وقال ابو عوسجة الشريعة السنة والله اعلم بتحوالخبر ان الذي هم عليه الا هو هوى النفس فقال عز وجل ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يحتمل قوله تعالى لا يعلمون لما لم ينتفعوا بما علموا فيه ولم يتفكروا ما لو تأملوا وتفكروا فيه تعلموا الا انه قد ذكر في اول الاية انهم ما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم اي جاءهم من دلائل العلم ما لو تاملوا او تفكروا فيها لعلموا والثاني لا يعلم العلم لما لم ينتفعوا بما علموا وما جعل لهم من العلم والله اعلم وقوله عز وجل انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي لو اتبعت اهواءهم لن يغنوا عنك من الله اي لم يغنوا اولئك عن دفع ما ينزل بك من عذاب الله شيئا وهو ما قال في اية اخرى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية ثم اخبر ان الظالمين بعضهم

مطلب الشريعة هي الملة والمذهب

اولياء بعض بقوله وان الظالمين بعضهم اولياء بعض يحتمل ولاية الدين والمذهب اى بعضهم يوالى بعضا فى الدين ويحتمل فى غيره اى
يلى بعضهم امر بعض فى الاعانة والنصرة والله اعلم وقوله عز وجل والله ولى المتقين يحتمل اى يلى امور المتقين ويحتمل ولى المتقين
اى ناصرهم ومعينهم وقوله عز وجل هذا بصائر للناس سمى الله تعالى هذا القرآن مرة بصائر وهو ما يبصر به ومرة هدى
وبيانا ورحمة ونورا ونحوه وهو هكذا هو هدى وبيان ونور وبصيرة لمن اتبعه ونظر اليه بعين التعظيم والتبجيل وقبله
ويحتمل بصائر بيان يبين لهم انه من الله فيبين لهم الحق من الباطل ويبين لهم ما لهم وما عليهم لمن ذكر لقوم يوقنون وقوله
عز وجل ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون
وقال بعض اهل التاويل نزل من الكفرة قالوا والله ان كان يعطى بقوله من الثواب والنعيم فى الجنة حقا فنحن اولى بذلك منهم كما كنا فى
نعيم الدنيا ولذاتها اولى منهم او لنعطين افضل من ما يعطون ولنفضلن عليهم كما فضلنا فى الدنيا فى الدنيا فانزل الله سبحانه
وتعالى فى ذلك ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية لكن هذا التاويل ضعيف
لان هذا لا يصلح ان يكون جوابا للنازلة التى ذكرها اهل التاويل لان اولئك قالوا نحن اولى بما يكون فى الآخرة من النعيم واللذات
منهم كما كنا فى الدنيا اولى وكما فضلنا فى الدنيا نفضل فى الآخرة فلا يكون قوله تعالى ان نجعلهم سواء جوابا لما قالوا وهم انما قالوا
نحن اولى بذلك ونحن نفضل فيها كما فضلنا فى الدنيا فاذا كانوا حسبوا هم انهم مفضلون على المؤمنين فى الآخرة دون المساواة
كيف يخبر عنهم انهم حسبوا التساوى ولا خلف فى خبر الله عز وجل والله اعلم لكن الآية عندنا انما كانت فى منكرى البعث و
جاحديه بقوله والله اعلم ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء الآية اى لو كانت
الامر على ما ظن اولئك بان لا بعث ولا نشور كان فى ذلك جعل الذين اجترحوا السيئات اى الشرك كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
سواء محياهم ومماتهم لانهم جميعا قد استووا فى هذه الدنيا فى لذاتها ونعيمها وشدائدها ولادمها وفى الحكمة والعقل لكن
التفريق بينهما والتمييز وانزال كل واحد منهما منزلته وما يستحقه المسىء العقوبة وجزاء الاساءة والمحسن الاحسان والافضال
وجزاء احسانه فاذا اجمع بينهما فى هذه الدنيا على ما ذكرنا دل ان هنالك دارا اخرى فيها يفرق ويميز بينهما فى حق الثواب
والعقاب والله اعلم وهو كقوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ولو كان كما ظن اولئك
الكفرة ان لا بعث ولا نشور كان خلق ما ذكر من السموات والارض وما بينهما باطلا على ظنهم فلذلك قوله تعالى افحسبتم انما
خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون صير خلق السموات والارض اذا لم يكن هنالك رجوع اليه عبثا باطلا فهذا اولى واحق
ان يصرف اليه الآية وعلى ذلك ما ذكر فى قوله عز وجل قل هل يستوى الاعمى والبصير والسميع الآية وقوله عز وجل مثل الفريقين
كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا اى لا يستويان ولو كان الامر على ما ظن اولئك ان لا بعث ولا نشور ولا حياة
كان فى ذلك استواء بين من ذكر وقد سوى بينهم فى الدنيا وفى الحكمة والعقل التفريق بينهما والتمييز اذ لا يجوز التسوية بين الولى
والعدو وقد سوى بينهما فى الدنيا فعلم ان المراد به نفى الاستواء بينهما فى دار اخرى والله الموفق ثم اختلف اهل الكلام فيما
يعطى الولى والعدو فى هذه الدنيا من النعمة والسلامة على قول اكثر المعتزلة ان الله تعالى لا يعطى احدا فى الدنيا من كافر ومؤمن
شيئا الا وهو اصلح له فى الدين لكنهم على قولهم لا يظهر عفو الله تعالى لا يظهر عفوه تعالى فى الآخرة لانهم يقولون انما يستوجبون
الثواب والجنة بما لهم بخبر رحمة الله تعالى فاذا عفى عن المسىء فلا ادرى انه كان مستحقا كذلك او يعفوا منه
فضلا وعندنا ان ما اعطاهم انما يعطيهم افضالا منه ورحمة فيعرفون فضله واحسانه وعفوه و
اكثر اصحابنا يقولون ان جميع ما اعطى الكافر فى الدنيا فهو شر له كقوله تعالى ولا تحسبن الذين كفروا
انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقوله عز وجل
يحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ونحو ذلك ما يخبران ما يعطى
اياهم يكون خيرا لهم ولكن عندنا ليس هذا على الاطلاق والارسال ولكن ما كان توفيقا منه على
الخيرات فى نفسها فهو خير له ان ما يعطى اياهم يكون ذلك شرا لهم وما كان خذلانا فهو شر له
وليس على الله حفظ الاصلح لهم على ما يقوله المعتزلة ولكنه يفعل بهم ما هو حكمة عدل كما يفعل ما هو
احسان وفضل والله الموفق قال القتبى اجترحوا السيئات اى اكتسبوها ومنه قيل لكلاب الصيد جوارح وقوله
عز وجل خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون كانه يقول والله
اعلم خلق السموات والارض بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت اى انما خلق ما ذكر بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت
فلو لم يكن جزاء لما كسبوا فى الدنيا فى الآخرة على ما قال اولئك الكفرة ان لا جزاء من الثواب والعقاب ولا بعث
بعد البعث لم يكن خلقهما بالحق على ما ذكرنا فثبت انه لغا ما خلقهما اذا كان هنا الجزاء وهذا يدل
على ان الآية الاولى هى فى منكرى البعث ليست فيما ذكر اهل التأويل والله اعلم وقوله عز وجل افرايت من اتخذ
الهه هواه هذا يخرج على وجهين احدهما على التحقيق على ما قاله عامة اهل التاويل انهم عبدوا كل شىء استحسنوا
شيئا الخ استحسن منه تركوا عبادة الاول وعبدوا الثانى فذلك كانت عادتهم واذلك اتخذ الالهة هواهم
اذ الاله هو المعبود عندهم وهو التحقيق الذى ذكرنا والثانى على التمثيل وهو ما قال قتادة انهم ما هووا شيئا
الا ركبوه لا يمنعهم مخافة الله عما هووه ولا يرد عنهم خشية لما اشتهوا فصيروا اهواءهم متبعة فهو كالآلهة
فهم لا يتبعون امر الله كما يكونون لها وكلام نحوه والله اعلم وقوله عز وجل واضله الله على علم هذا يخرج على
وجوه احدها اى اضله الله على علم من ذلك الانسان بالطريق الهدى والحق لانه اضله على خفاء من ذلك

الانسان بالطريق الحق وسبيله اى قد بين له السبيل وطريق الحق لكنه باختياره الضلال اضله لما علم منه
انه يختار الضلال اضله لما علم منه انه يختار الضلال والكفر ليكون ما علم انه يكون ويختار والله اعلم والثالث
اضله الله تعالى على علم اى انشأ منه فعل الضلال على علم منه بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه
وجعل على بصره غشاوة هذا يخرج على وجهين احدهما اى غطى قلبه بما هواه وجعل فيه ظلمة فتلك الظلمة و
ذلك الغطاء او جعل غطاء السمع والبصر وحال بينه وبين سماع الحجج والبراهين وصار ظلمة البصر وغشاوته
مانعا لهم عن اكتساب التدبر والتفكر ويحتمل ان يكون ما هووه مانعا لهم من اكتساب الحيوة الدائمة لما لو
تبعوا امر الله تعالى وما دعاهم اليه كانت لهم تلك الحيوة كقوله عز وجل استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
لما يحييكم وكقوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه فما هووه واتبعوه منعهم عن اكتساب الحيوة الدائمة
المدعو اليها والله اعلم وقوله عز وجل فمن يهديه من بعد الله هذا ايضا يحتمل وجهين احدهما حقيقة الهداية وهو
التوفيق والعصمة فكانه يقول والله اعلم فمن يقدر دون الله هدايته وتوفيقه بعد اختياره الضلال والثانى
الهدى البيان فكانه يقول فمن يقدر ان ياتى ببيان اكثر وبين من بعد بيان الله تعالى الذى بين له اى لا احد يقدر
ذلك افلا تذكرون اى افلا تتعظون او افلا تذكرون بنبأ الله او ما بين لهم والله اعلم ثم الآية فى قوم علم الله
انهم لا يؤمنون ابدا لئلا يشتغل بهم ولا يهتم لهم ولكن يشتغل بغيرهم ويقطع طمعه عن ايمانهم والله
اعلم وقوله عز وجل وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا اى ما قالوا ما الحيوة الا حيوة الدنيا ويحتمل انهم يقولون
ما هى اى لا حيوة الا الحيوة التى دنت منا وقوله عز وجل نموت ونحيا يخرج على الوجهين احدهما اى نموت
نحن ويحيا ابناؤنا واولادنا والثانى نموت اى كنا ميتين فحيينا نموت بمعنى كنا امواتا ونحيى اى فصرنا احياء ثم
لا حيوة بعد تلك الحيوة والله اعلم وقوله عز وجل وما يهلكنا الا الدهر هذا يخرج على وجهين احدهما اى ما يهلكنا
الا مرور الازمنة والاوقات اى بسبب مرور الاوقات تنتهى آجالنا ونبلغ الى الهلاك وكذلك قال القتبى
وما يهلكنا الا الدهر اى الا مرور السنين والايام والثانى ان يكون الدهر عندهم عبارة عن الابد
فكانهم يقولون فى قوله وما يهلكنا الا الدهر وما يهلك انفسنا الا لان انفسنا لم يجعل للابد
ولا للبقاء للابد بل جعلت للانقضاء والفناء والله اعلم وقوله عز وجل وما لهم بذلك من علم ان هم
الا يظنون اى ما هم الا على ظن يظنون والثانى وما لهم بما قالوا وما يهلكنا الا الدهر من علم ان هم
الا يظنون اى ما هم الا على ظن يظنون اى على ظن يقولون ذلك لا عن علم والله اعلم وقوله واذا تتلى عليهم
آياتنا بينات اى واذا تتلى عليهم آياتنا فى البعث والحيوة بعد الموت بينات اى ما يوضح ويبين لهم البعث
والحيوة بعد الموت وقوله عز وجل ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين والاشكال
الله ذكر ما كان حجتهم اذ لم يعذروا فيقول والحجة هى التى اذا اقامها الانسان والى بها عذر فى ذلك وما قالوا
لم يكن حجة اذ لم يعذروا فيقول معنى قوله ما كان حجتهم اى ما كان الحجة احجهم الا ان قالوا كذا او يقول لما كانوا
يحتجون الا ان قالوا كذا ثم قوله ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين فيه دلالة ان لا يلزم المسئول ان ياتى
بحجة وآية يختارها السائل ويشتهيها لكن يلزمه ان ياتى بما هو حجة فى نفسه ويلزمه الاتباع بها فاما ان
يلزم على ما يختاره السائل او يتمناه فلا وقد اتاهم الله تعالى من الآيات والحجج ما الزمهم القول بالبعث
والاقرار به ثم اخبر ان الله تعالى هو يحييكم لا الدهر الذى قالوا وهو قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم
الى يوم القيامة يحتمل قوله قل الله يحييكم اى يحييكم فى قبوركم ثم يميتكم فيها ثم يجمعكم الى يوم القيامة
او يقول الله يحييكم فى ابتداء الامر ثم يميتكم فى الدنيا عند انقضاء آجالكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة وقوله
عز وجل ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى ولكن اكثر الناس لا ينتفعون بما يعلمون او يقول ولكن اكثر الناس
لا يعلمون لما تركوا النظر بالتأمل فى اسباب العلم وقوله ولله ملك السموات والارض هذا يخرج على وجوه
احدها اى ولله ملك كل ملك فى السموات والارض او لله ملك السموات والارض اى خزائن السموات والارض
وكذلك ذكر فى حرف ابن مسعود رضى الله عنه او يقول ولله حقيقة ملك السموات والارض فان كان
التاويل هو الاول فان له ملك كل ملك فى السموات والارض ففيه اخبار واعلام بليغ اتباع اولئك الملوك
والتعظيم لهم والاجلال والخدمة لهم بما فى ايديهم من الملك والسلطان وفضل الاموال بل فيه
الامر بصرف ذلك كله الى الله تعالى والقيام له بالشكر لا لاولئك لان الذى فى ايديهم لله تعالى وهو تعالى
فى ايديهم والواضع عندهم فاليه يلزم صرف الشكر والعبادة والله اعلم وان كان تاويل الملك الخزائن
ففيه قطع الاطماع عما فى ايدى الناس والامر بصرف ذلك الى الله تعالى والرجاء منه دون من سواه
والله اعلم وان كان الثالث وهو ان حقيقة الملك لله تعالى ففيه انه فيما امتحنهم فى الدنيا بانواع المحن
لم يمتحنهم لمنفعة ترجع اليه نفسه او لمضرة يدفع عنها وكذلك ما يثيبهم فى الآخرة ويعاقبهم ليس يفعل ذلك
لمنفعة كانت له فى الدنيا او دفع مضرة عنه ولكن حكمة اوجبت ذلك لهم وعليهم والله اعلم وقوله
عز وجل ويوم تقوم الساعة سمى القيامة ساعة لجائز ان يكون سماها لسرعة قيامها ونفاذها كقوله تعالى
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب او ان يكون سماها بذلك لما يكون حسابهم وامرهم يوم القيمة انما يكون

في ساعة والله اعلم وقوله عز وجل يومئذ يخسر المبطلون يحتمل اي يومئذ يتبين خسران المبطلين في الدنيا وعلى ذلك يتبين خسران كل مشركين في تجارة الدنيا اذ في عمل عند القيمة يتبين خسران عملهم وتجارتهم واصله ان الله تعالى جعل الدنيا وما انشاء فيها من الاموال لاهلها يتجرون ويكتسبون بها الربح في الاخرة وانه انما انشأ الدنيا للاخرة لا انه انشأها لنفسها ولذلك قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الاية وقال ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضات الله ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها يحتمل ان يكون ما ذكر من الجثو للركب في الاخرة تعريف لهم وانباء انهم يختصمون يوم القيمة جاثين للركب كما يختصم في الدنيا عند الحكام والامراء جاثين للركب والله اعلم ويحتمل ان يذكر جثوهم لما لا يقوم لهم الاقدام او لا يحملهم لهول ذلك اليوم والخوف فيها فيكون جاثين للركب ويقومون بها والله اعلم وقوله عز وجل كل امة تدعى الى كتابها يحتمل كتابها كتاب كل في نفسه وهو كقوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه وقوله تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه واوتى كتابه بشماله ونحوه ويحتمل ان يكون قوله كل امة تدعى الى كتابها الذي دعيت كل امة اليه في الدنيا من نحو القران ونحوه فيقال يا اهل الانجيل يا اهل التورية ونحو ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون كل امة يدعى الى كتابها اي الى حسابها الذي عملت في الدنيا تفسيره ذلك ما ذكر اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تعملون وقوله عز وجل هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق يحتمل الكتاب الذي اضاف الى نفسه هو القران الذي كان ينطق لهم بالحق اي بالحق الذي لله عليهم وما لبعضهم على بعض او بالحق اي بالصدق بانه من الله تعالى والله تعالى والله اعلم ويحتمل ان يكون ذلك الكتاب هو الكتاب الذي يكون لكل بالانفراد الذي كتبه له الملائكة مما عملوا من خير او شر وهو كقوله تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والله اعلم وقوله عز وجل انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اختلفوا في تاويله قال بعضهم ان الحفظة تكتب اعمال بني آدم ثم يعارضون ذلك بما في اللوح المحفوظ المكتوب فيه ان فلانا يعمل كذا وكذا فلا يزيد شيء وينقص وعن ابن عباس رضي الله عنه يقول قريبا من هذا ان في السماء كتابا عليه ملائكة والملائكة الذين مع بني آدم يستنسخون من ذلك الكتاب ما يعملون ثم قال وهل يكون النسخة الا من كتاب او شيء والله اعلم وقال بعضهم ملكان موكلان بالكتابة يكتب كل واحد منهما ما يعمله فاذا اراد ان يصعدا الى السماء فيعارض كل واحد منهما كتابه الذي كتبه مع كتاب الاخر فلا يخطي حرفا مما كتب هذا ما كتب الاخر والله وقال بعضهم عرض كتاب الناس الذي عملوا كل يوما وكل خميس فينسخ منه الخير والشر وما يثاب عليه وما يعاقب ويلقى ما سوى ذلك مما لا ثواب له ولا عقاب والله اعلم ويحتمل ان يراد من الانتساخ ابتداء الكتابة من غير اخذ من كتاب او نحوه فانه يجوز ان يستعمل الانتساخ في ابتداء الكتابة على غير اخذ من الكتاب او غيره نحو ان يقول الرجل تسنخه اي كتبته فيكون كانه قال انا كنا نستنسخ اي نكتب ما كنتم تعملون ونثبته عليكم من خير او شر فيخرج لهم كتبهم التي فيها اعمالهم فكانت عليهم حجة وهي التي كتبت عليهم الحفظة وقال ابو عوسجه الجاثية هي التي جثت واجتمعت ويقال تجاثينا اي بركنا على ركبنا للخصومة وقال القتبي جاثية على الركب يراد انها غير مطمئنة وقوله تعالى يدعى الى كتابها الى حسابها وقوله هذا كتابنا ينطق بالحق يريد انهم يقرؤنه فيدلهم ويذكرهم فكانه ينطق عليهم وقوله تعالى انا كنا نستنسخ اي نكتب على ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فاما الذين امنوا اي امنوا بجميع ما كان عليه الايمان به والتصديق وقوله عز وجل وعملوا الصالحات اي عملوا بما فيه صلاحهم وما يوجبه الحكمة من العمل فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته سمى الجنة رحمة لانها تنال برحمته ويدخل فيها او سماها رحمة لانها هي النهاية والغاية التي يطلب بالرحمة ويراد بها وقوله ذلك هو الفوز المبين الاية الفوز هو الظفر بما يؤمل ويرجى من العمل او يقال الفوز هو الفلاح الذي لا خوف بعده والله اعلم وقوله واما الذين كفروا فلم تكن اياتي تتلى عليكم كان فيه اضمار الا ان قوله تعالى واما الذين كفروا انما هو اخبار على المعاينة وقوله تعالى فلم تكن اياتي تتلى عليكم خطاب ومشافهة فليس هو من جواب الاول ولا من نوعه فكانه قال والله اعلم واما الذين كفروا في الدنيا فيقال لهم في الاخرة اذا طلبوا الرجوع والاقالة والتخفيف ونحو ذلك الم تكن اياتي تتلى عليكم في الدنيا ثم يحتمل اياته ايات وحدانيته والوهيته او ايات قدرته وسلطانه على التعذيب او ايات قدرته على البعث او ايات رسالته والله اعلم وقوله عز وجل فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين لا احد يقصد قصد الاستكبار على ايات الله لكنهم لما كذبوها وردوا اياته ولم يعملوا بها فكانهم استكبروا عليها وهو كما قال لا تعبدوا الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم لما عبدوا الاصنام بامر الشيطان فكانهم عبدوه ويحتمل ان يكونوا استكبروا على رسله فيكون استكبارهم على رسله كانهم استكبروا على اياته والله اعلم وقوله عز وجل وكنتم قوما مجرمين قيل المجرم هو الوثاب في المعصية والله اعلم وقوله عز وجل واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين كانت عند هم فيها ريب لكنهم لو تاملوا ونظروا فيما اقام من اياته ذال عنهم الريب الذي كان لهم فيها ويحتمل ان يقال هذا على الاتقان اذا كان القائل به موقنا وان كان الذي يقال له شاكا في ذلك والاول اقرب

وشبهتم الناس رجلان في الساعة موقن بها ومتحقق ولكن في العمل بها والاستعداد لها كالظان والثاني ظان بها شاك فيها حاجة لها ومكذب كالموقن ان لا يكون ثم الاتقان بالشيء هو العلم بالاسباب الظاهرة وقد يدخل في تلك الاسباب ادنى شبهة وشك كذلك ذكر فيه الظن والله اعلم واما العلم بالشيء قد يكون بالسبب وقد يكون بالتجلي له بلا سبب ولذلك وصف الله تعالى بالعلم ولم يوصف بالاتقان ولا يقال انه موقن لما ذكرنا ان احدهما يكون باسباب والاخر لا والله اعلم فيتمكن في الاتقان ادنى شبهة وشك وقد يعمل غالبا الاسباب على حقيقة الاعمال نحو المكره على الشرب يعلم بها وعدبه بغالب اسبابه ليس على الحقيقة والله اعلم وقوله عز وجل وبدا لهم سيئات ما عملوا هذا يخرج على وجهين احدهما بدا لهم ان الاعمال في الدنيا انها اسباب في الاخرة لانهم عملوها في الدنيا وعندهم انها حسنات فيظهر لهم في الاخرة انها سيئات والثاني بدا لهم سيئات ما عملوا اي ظهر لهم في الاخرة وتذكروا سيئات ما عملوها في الدنيا والاخرة والله اعلم وقوله عز وجل وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي نزل بهم ووجب ما كانوا يستعجلون من الرتيل وهو العذاب الذي كانوا يوعدونهم لانهم كانوا يستعجلون ذلك استهزاء منهم بهم بانه غير كائن ولا نازل بهم ما كانوا يوعدونهم والله اعلم وقوله عز وجل وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا والاشكال انهم كيف نسوا يومئذ لانهم لو كانوا ينسون لسلموا من العذاب لكن ما ذكر من النسيان يخرج على وجهين احدهما كنى بالنسيان عن الترك يقول اليوم نتركهم في النار وفي العذاب كما تركتم انتم العمل لذلك اليوم والنظر فيه والثاني على التمثيل اي اليوم نصيركم في النار كالشيء المنسي لا يكترث اليكم ولا يلتفت ولا يعبا بكم كما صيرتم انتم ذلك اليوم كالشيء المنسي لم يكترثوا اليه ولم يعملوا له والله اعلم وقوله عز وجل وماويكم النار وما لكم من ناصرين جعل الله تعالى النار لهم ماوى بازاء كل ما افتخروا في الدنيا على رسل الله عليهم السلام واتباعهم من المنازل والمراكب والملابس ونحو ذلك واخبر انه لا ناصر لهم يملك اخراجهم من تلك النار والماوى الذي جعل لهم ولا يقدر دفع ذلك عنهم والله اعلم ثم اخبر ان بعض ذلك الذي اصابهم ونزل بهم انما كان بما ذكر من اتخاذهم ايات الله هزوا في الدنيا هزؤا بها وبغيرها بالرسل عليهم السلام ثم ايات الله يحتمل ما ذكرنا من ايات وحدانيته والوهيته وايات قدرته وسلطانه على البعث او ايات رسالة الرسول عليه الصلوة والسلام وقوله عز وجل وغرتكم الحيوة الدنيا قد ذكرنا فيما تقدم معنى نسبة التغرير الى الحيوة الدنيا واضافته اليها وان لم يكن منها على التحقيق تغرير وخداع وهو انهم انما اغتروا بها فنسب فعل التغرير اليها كانها هي غرتهم وقد نسب الفعل الى السبب الذي به صار ذلك وان لم يكن منه حقيقة ذلك نحو قوله تعالى والنهار مبصرا اي يبصر به وذلك كثير في اللغة او يقال انما كان منها لو كان ذلك ممن يحتمل التغرير وبملك ذلك كان تغريرا والله اعلم وقوله فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون اختلف في قوله ولا هم يستعتبون قال بعضهم انهم يعاتبون الى ان يدخلوا النار انكم فعلتم كذا ولم فعلتم كذا فاذا دخلوا النار يترك العتاب ويجعل كالشيء المنسي فيها والله اعلم وقال بعضهم ولا هم يستعتبون اي لا يسترجعون الى ما يطلبون من العود والرجوع الى العمل الصالح لقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل الاية ثم في قوله ان نظن الا ظنا وقوله ورأى المجرمون النار فظنوا الاية وقوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم دلالة ان لا يجب ان يفهم على ظاهرها خرج الخطاب انه ذكر الظن في المؤمنين والمراد به الايقان لا ظاهر الظن وذكر في الكافرين الظن واريد به الحقيقة ولا يجوز ان يفهم من الظن في الفريقين معنى واحد بل يفهم من هذا غير الذي فيهم من الاخر والله اعلم وقوله عز وجل فلله الحمد رب السموات والارض رب العالمين ان جميع ما ذكر في القران من الحمد له فانما ذكر لاحد شيئين احدهما بما يستحق من الثنا بتعاليه عن جميع معاني الخلق واوصافهم والثاني بما يستحق من الثناء عليهم بالنعم والاحسان الذي منه اليهم وهو ما قال الحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي خلق السموات والارض ونحو ذلك والله اعلم واصل اخرانه اذا اضيف كلية الاشياء الى الله تعالى ففيه وصف له بالعظمة والجلال واذا اضيف جزئية الاشياء اليه وخاصيته فانما فيه تعظيم تلك الخاصية المضافة اليه وفي قوله تعالى فلله الحمد رب السموات والارض رب العالمين اضافة كلية الاشياء اليه والخاصية والجزئية ففيه الامران جميعا فان قوله عز وجل فلله الحمد رب السموات ورب الارض اضافة الاشياء اليه وخاصيته وقوله عز وجل رب العالمين اضافة كلية الاشياء اليه والله اعلم وقد تقدم ذكر الرب في غير موضع وقوله عز وجل وله الكبرياء في السموات والارض هذا يخرج على وجهين احدهما اي وله الوصف بالكبرياء والعظمة على اهل السموات واهل الارض ان يصفوه بالكبرياء والعظمة او من حقه على اهل السموات واهل الارض ان يصفوه بالكبرياء والعظمة والجلال والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الحكيم اي هو العزيز الذي لا يلحقه الذل بخلاف الخلق له ولا بعصيانهم وهو العزيز بما به يتعزز من اعز دونه ومن وصف بعز دونه فذلك راجع في الحقيقة اليه الحكيم الذي وضع كل شيء موضعه او الحكيم الذي لا يلحقه الخطاء في التدبير والله الموفق والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد واله وصحبه اجمعين تسليما كثيرا الى يوم الدين

الفرق في العلم والايقان

تعريف ايقان

في تغرير الدنيا

قد نسب الفعل الى سببه وان لم يكن منه حقيقة ذلك

ونزكتم كما

في الفوز

فان لا يقصد الشيطان

المجرم هو الوثاب في المعصية

الفرق العلم والايقان

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم قد ذكرنا تاويله فيما تقدم
وقوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق قوله عز وجل الا بالحق اى خلق السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الذى صار انشاء ذلك وخلقه حكمة لانه لو كان لا امر على ما ظن اولئك الكفرة وتوهموا
بان لا بعث ولا جزاء من ثواب وعقاب كان انشاءها ذكر من السموات والارض وخلق ذلك كله عبثا باطلا على ما
تقدم ذكره فى غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل والذين كفروا عما انذروا معرضون يحتمل عما انذروا معرضون
وجهين احدهما اى بما الزمهم من النظر والتفكر فيما ذكر من خلق السموات والارض وما انشأ فيهما من المنافع وجعل
ذلك لهم آية لم يفعل ذلك كله عبثا باطلا ولكن العاقبة يقصد ولامر يراد اذ عرفوا بعقولهم انه لا يجوز خلق
الخلق على ان يهملوا ويتركوا سدى لا يؤمرون ولا ينهون ولا يمتحنهم فاعرضوا عما الزمهم من النظر والتفكر فى ذلك
فهم معرضون اعراض ترك النظر والتفكر والله اعلم والثانى عما انذروا بما نزل بمن تقدمهم من مكذبى الرسل عليهم
الصلوة والسلام والثانى بما انذروا واوعد لهم من العذاب فى الآخرة فهم معرضون عن ذلك كله والله اعلم
وقوله عز وجل قل ارأيتم ما تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات ائتونى
بكتاب من قبل هذا او اثارة من علم ان كنتم صادقين يحتمل ان يكون ما ذكر كله موصولا بعضه ببعض ويحتمل ان يكون
بعضه مفصولا عن بعض فان كان على الوصل فكانه يقول ارأيتم ما تعبدون من دون الله من الاصنام وتدعونها
آلهة هل خلقوا مما لكم من المنافع ومما به حياتكم وقوامكم ومعاشكم مما يخرج الارض او هل ينزلون لكم من المنافع
الذى جعل لكم فى السماء من الامطار وغيرها او هل اتاكم كتاب من عند الله فيه انه امركم بعبادة من تعبدونه
واثره من علم هو يخرج على وجهين احدهما وجاءكم من الحكماء الاولين المتقدمين كتاب او قول فيه الامر بذلك
واستخرجتم من العلوم ذلك فعلمتم به يقول والله اعلم ان الاسباب التى يحمل الناس على العبادة والخدمة لهم هذه
الوجوه اما منافع تتصل بهم منهم مما به قوامهم ومعاشهم وحياتهم واما كتاب من الله تعالى فيه حجة لهم
وامر لهم فى ذلك او كتاب من الحكماء والرسل يأمرون لهم وهم قوم لا يؤمنون بالرسل ولا بالكتاب
وليست لهم علوم مستخرجة من العلوم يقول ليس لكم مما ذكر من الاسباب والعلوم بما عبدتموها فكيف
اخترتم عبادتها على عبادة من عرفتم ان ما به قوامكم وحياتكم منه والله اعلم وان كان مفصولا من بعض فيكون
كانه يقول ارونى ما ذا خلقوا من الارض من المنافع وغيرها ام لهم شرك فيما ذكر فان قالوا قد خلقوا ما ذكر
ولهم شرك فيما ذكر فقل لهم ائتونى بكتاب من قبل هذا من كتاب الحكماء او العلوم المستخرجة من العلوم ان كنتم
صادقين انهم خلقوا ما ذكر او لهم شرك فيما ذكر والله اعلم وقد علموا انهم لا يقدرون ان يروهم ما ذكر لما لم
يكن لهم من هذه الاسباب شئ اذ هى اسباب العلم وقد عجزوا عن ذلك كله ثم وقوله عز وجل او اثارة من
علم قال بعضهم او خاصة من علم وقال بعضهم او بقية من علم اوائلهم وهو قول القتبى اى بقية من علم يؤثر
عن الاولين ونقوا اثره واثاره واصله ما ذكرنا من الوجهين احدهما كتاب الحكماء والرسل عليهم السلام والثانى
العلوم المستخرجة من سائر العلوم وقال بعضهم او اثارة من علم هو الخط وهو قول ابن عباس رضى الله عنه
وذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان نبى من الانبياء عليهم الصلوة والسلام يخط فمن صادف مثل خطه
وقال ابو عوسجة او اثارة من علم اى قديم من علم قال ذا الاثارة النجم القديم وقيل اثارة من علم اى رواية عن الانبياء
عليهم الصلوة والسلام ثم ذكر سفههم وبين نهاية تعنتهم وهو قوله عز وجل ومن اضل ممن يدعوا من دون الله
من لا يستجيب له الى يوم القيامة لا يملك اجابته ولا يحتمل ذلك والثانى لا يستجيب له الى يوم القيامة ثم اذا
اجابه بالعن والتبرى كقوله تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وقوله عز وجل اذ تبرأ
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم وغير ذلك
من الآيات التى فيها ذكر تبرى بعضهم من بعض ولعن بعضهم بعضا والله اعلم وقوله عز وجل وهم عن دعائهم
غافلون لم يكن منهم لهم امر بذلك ولا دعاء ولا شئ من ذلك كقوله تعالى ان كنا عن عبادتكم لغافلين وقوله عز وجل
واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين هو ما ذكرنا انه يصير بعضهم لبعض اعداء يتبرؤن
منهم ويلعنونهم ويكفرون بعبادتهم وقوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اى بينات انها من الله
تعالى وبينات واضحات ما يبين لهم ما عليهم مما لهم وما لبعض على بعض وما لله عليهم وقوله عز وجل
قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين يحتمل ان يكون الحق الذى قالوا انه سحر هو تلك الآيات
البينات التى ذكر انها تتلى عليهم قالوا انها سحر ودل قولهم انها سحر على انها كانت معجزات خارجات
عن وسعهم حيث نسبوها الى السحر وقوله عز وجل ام يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون
لى من الله شيئا هذا حرف المنابذة يقول ان افتريته فلا تملكون انتم دفع عقوبة ذلك الافتراء عن
نفسى وهو كقوله تعالى ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى يقول على اثم ذلك وجرمه وانما

الكفار عرفوا بعقولهم انه لا يجوز خلق الخلق على ان يهملوا ويتركوا سدى

يقال هذا

يقال هذا عند انتهاء الحجج والبراهين غايتها حتى لا يطمع منهم القبول والنجع فيهم ويؤس منهم فعند
ذلك يقال ذلك وبنا بذ والله اعلم وقوله عز وجل هو اعلم بما تفيضون فيه اى بما تخوضون فيه يقول هذا
ويذكر لئلا يقولوا ولا تدعوا تغفلته عن ذلك بل يذكرهم انه كان عالما بما يسترون ويعلنون وقيل تفيضون
من قولهم افاضوا اذا علموا وتحدثوا وهو قول القتبى وقوله عز وجل كفى به شهيدا بينى وبينكم يخرج على
الوجهين احدهما اى يشهدون فى الآخرة انه قد بلغ رسالته والثانى اى كفى به شهيدا بينى وبينكم فى الدنيا
علم ما كان منهم من الشرك والتكذيب ومنى من التبليغ فهو شاهد بما كان منى ومنكم فى الدنيا من سر وعلانية
والله اعلم وقوله عز وجل وهو الغفور الرحيم ذكر هذا فى هذا الموضع على اثر ما ذكر من غاية سفههم و
تعنتهم والله اعلم كانه يقول انكم وان بلغتم فى السفه ما بلغتم فانكم اذا رجعتم عن ذلك وتبتم يغفر لكم
ما كان منكم والله اعلم ثم قوله عز وجل ومن اضل ممن يدعوا من دون الله ان كان على حقيقة العبادة فهو
صلة قوله قل ارأيتم ما تدعون من دون الله ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات
الآية يقول والله اعلم ومن اضل ممن يعبد من لا يملك ما ذكر من خلق الارض ولا له شرك فى السموات
وما ذكر وترك عبادة من خلق السموات وخلق الارض وشهد كل شئ له بذلك واتى بالحجج والبراهين على ذلك
اى لا احد اضل ممن ترك عبادة من هذا وصفه وصرف العبادة الى الذى لا يملك شيئا من ذلك والله اعلم وان
كان على الدعاء نفسه فهو صلة ما ذكر من قوله لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون
اى ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يملك اجابته ولا يسمع دعاءه وترك دعاء من يملك اجابته
ويسمع دعاءه ويقدر قضاء ما يدعون ويتبالون اى لا احد اضل من اختار دعاء من لا يملك شيئا من ذلك
على دعاء من يملك ذلك كله سفههم فى صنيعهما وختبا رهم على ما اختاروا والله اعلم وقوله عز وجل قل
ما كنت بدعا من الرسل كان هذا اثما ذكروا والله اعلم لانكار اهل مكة الرسل من البشر واستعظامهم وضع
الرسالة فيهم فقال عند ذلك ما كنت بدعا من الرسل اى لست انا باول رسول من البشر بل لم يزل الرسل من
قبل كانت من البشر فى افاق الارض واطرافها فما بالكم ينكرون رسالتى وان كنت من البشر وتستعظمونها
ورسالة الرسل الذين من قبلى كانوا من البشر والله اعلم قال ابو عوسجة ما كنت بدعا اى ما انا باولهم قد ارسل
قبلى وقال القتبى وما كنت بدءا منهم ولا وقوله عز وجل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم هذا يخرج على وجوه
احدها اى ما كنت ادرى قبل ذلك ما يفعل بى ولا بكم ارسل واختص للرسالة واختار لها وابعث اليكم وتلزمون
انتم اتباعى والاجابة الى ما ادعوكم اليه والله اعلم والثانى وما ادرى ما تفعل بى ولا بكم من اخراجى من بين
اظهركم واهلاككم كما فعل بالرسل الذين كانوا من قبل واقوامهم امروا بالخروج من بين اظهرهم ثم تعقب
ذلك استيصال قومهم اى ما ادرى يفعل بى وبكم ما ذكرنا كما فعل لمن تقدمنا من الرسل وقومهم والله
اعلم والثالث وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم مخافة التغير عليه وتبديل الحال ولم يزل الرسل عليهم الصلوة
والسلام يخافون تغير الاحوال عليهم وتبديل ما انعم عليهم وذهاب ما اختصوا به كقول ابراهيم عليه
الصلوة والسلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وقال شعيب عليه الصلوة والسلام الا ان يشاء الله ربنا
وسع ربنا كل شئ علما الآية وما ذكر فى سورة يوسف عليه السلام ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك الا
ان يشاء الله الآية وقول يوسف عليه الصلوة والسلام توفنى مسلما والحقنى بالصالحين وقول يعقوب عليه
الصلوة والسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب
ثبت قلوبنا على طاعتك لم يزل كانت الرسل عليهم الصلوة والسلام على خوف من تغير الاحوال التى كانوا عليها
فعلى ذلك جائز ان يكون قوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم ما تغير على وعليكم الاحوال التى نحن عليها اليوم
ام نترك على ذلك وحقيقة هذا الكلام على الاستقصاء قد مرت والله اعلم وذكر بعض اهل التأويلات
ان اهل مكة كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين بانواع الاذية
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يلقون منهم فقال انى لم او مر بشئ فيهم من القتال وغيره
فاصبروا على ذلك ولكنى رايت فى المنام انا هاجر الى ارض اخرى ذات كذا فاستبشروا بذلك فكثوا بعد ذلك
زمانا لا يرون شيئا مما ذكر فشكوا اليه ثانيا ما يلقون منهم وقالوا ما نرى ما قلت لنا من الخروج عنهم فقال
انما رايت ذلك فى المنام ولم يات بروح من السماء ايكون ذلك ام لا يكون اونحو هذا من الكلام وهذا لا يحتمل
ان يكون فانه لا نظن باصحابه رضى الله عنهم ان يقولوا له ما نرى الذى قلت لنا من الخروج عنهم وفى ذلك
اتهامهم بذلك وترك تعظيمه ولا نظن بالنبى صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم انا رايت ذلك فى المنام ولم يات
بروح من السماء جوابا لقولهم وروءيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالوحى من السماء دل ان هذا
لا يحتمل ان يصح ويثبت والله اعلم انما جائز بعض ما ذكر فى القصة من الشكاية منهم من الاذى والوعد لهم
بالخروج من بينهم والله اعلم والوجوه التى ذكرنا اشبه واقرب الى العقل والله اعلم وقوله عز وجل ان اتبع
الا ما يوحى الى وما انا الا نذير مبين ظاهر وقوله عز وجل قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد
من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم الآية قال بعضهم ان عبد الله بن سلام امن برسول الله صلى الله

عليه وسلم وشهد انه رسول الله ثم شهد بمثل ذلك ابن يامين وقال بعضهم شهد ابن يامين ولا انه رسول
وامن به وصدق ثم شهد بمثله ابن سلام والله اعلم والاشبه فى هذا ان يكون قوله تعالى وشهد شاهد من
بنى اسرائيل التورية او موسى عليه السلام على ذلك كقوله تعالى ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب
رسول الله ورسوله عليه السلام والله اعلم ولان عبد الله بن سلام انما اسلم بالمدينة وكذلك ابن يامين و
هذه السورة مكية لكنهم يقولون هذه السورة مكية الا هذه الايات الثلاث والله اعلم وقوله عز وجل
وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه يحتمل ان يكون هذا القول من الاجلة والرؤساء
منهم الذين كان منهم صلة الارحام وانواع الخيرات والاعمال الصالحة قالوا انا قد سبقنا هم فى الخيرات
سوى ذلك فلو كان ذلك الذى تدعونا اليه خيرا ما سبقونا كما لم يسبقونا الى سائر الخيرات وقوله عز وجل
وان لم يهتدوا فسيقولون هذا افك قديم اى واذ لم يهتدوا به هم من بيننا فيقولون هذا القران افك قديم
اى كذب قديم فكان قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه بحق الاحتجاج وقولهم فسيقولون هذا افك بحق تكذيب
منهم ورد لذلك ثم قوله افك قديم يقولون والله اعلم لم نزل من ادعى الرسالة يدعى على الله ما يدعى محمد صلى
الله عليه وسلم من انزال الكتاب عليهم وبعثه اياهم ابن سلام الى الناس بطلب الرسالة لهم عليهم وقوله عز وجل
ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة اى اماما يقتدى به ورحمة لمن اتبعه فى دفع العذاب عنه وقوله تعالى وهذا
كتاب مصدق ذكرها هنا مصدق ولم يذكر انه مصدق لماذا لكن قد ذكر فى غيرها من القران مصدقا لما بين يديه
ثم قوله مصدق لما بين يديه يحتمل اى موافقا لما لم يحرف ولم يغير من تلك الكتب لان تلك الكتب قد حرفوها وغيروها
ولم يغيروا ولم يحرف هذا الكتاب وقد حفظه الله تعالى عز وجل عن التبديل والتغيير فهو مصدق موافق لما لم
يغير ولم يحرف من تلك الكتب والله اعلم وقوله لسانا عربيا اى انزله بلسان عربى ليعلم انه لم يأخذ محمد صلى الله
عليه وسلم من تلك الكتب لان تلك الكتب كانت على غير لسان العرب ولسانه عربى ولكن جاءه من الله تعالى
بلسانه وقوله عز وجل لتنذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين فمن قرأ لتنذر بالتاء فتأويله لتنذر يا محمد الذين
ظلموا ومن قرأ بالياء لينذر اى لينذرهم القران وقد ذكرنا فيما تقدم تفسير النذارة والبشارة والله اعلم
وقوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاستقامة احتمل وجهين احدهما اى قالوا ربنا الله
ثم استقاموا على ذلك القول بالذى قالوا وثبتوا على ذلك ولم يتغيروا ولم يتبدل حالتهم تلك والله اعلم والثانى
قالوا ربنا الله ثم استقاموا بحق الوفاء بالعمل بما اعطوا بالسنتهم وقلوبهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها وقد ذكرناه فى غير موضع قوله عز وجل جزاء بما كانوا يعملون جعل ذلك
لهم جزاء اعمالهم بفضله ورحمته لا انهم يستوجبون ذلك بنفس عملهم ولكن بالتفضل والرحمة وذكر جزاء
الاعمال فضلا منه وقوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه احسانا وحسنا كانه امر الانسان ان يحسن
الى والديه فالحسن هو اسم ما يقع بهم من البر وهو المفعول والاحسان هو اسم فعله الذى يفعل بهم وقوله
عز وجل حملته امه كرها ووضعته كرها وقال فى اية اخرى حملته امه وهنا على وهن وقال فى اية اخرى حملت
حملا خفيفا اى انها فى اول ما حملت حملا خفيفا فلما كبر اثقلت وهو وصف الولد وقوله عز وجل وهنا على
وهن وذلك فى الام لانها لا تزال تضعف وتهن من اول ما حملت الى اخر ما وضعت وقوله تعالى حملته امه
كرها فى اول ما تحمل تجد كراهة فى نفسها الى وقت وضعها والثانى يشبه ان يكون على الجمع فى الام دون الولد
على اختلاف الاحوال وهو فى الابتداء يخف عليها الحمل ويثقل ذلك عليها اذا دنا وقت وضعها وما ذكر من
الوهن فهو ما ذكرنا انها لا تزال تزداد ضعفا فيها ووهنا من اول حملها الى وقت وضعها وما ذكر من
الكراهة فهو اذا اتم حملها شق ذلك عليها وكذلك الوضع لا شك ان ذلك يشق عليها والتأويل الاول على
التفريق فى حال يرجع الوصف الى الولد وفى حال الى الوالدة والثانى يرجع ذلك كل الى وصف الام وعلى
التأويلين حصل التوفيق بين الايات لرجوعها الى اختلاف الاحوال فامكن الجمع بين الكل فى احوال والاختلاف
انما يكون فى حال واحد والله اعلم وقوله عز وجل وحمله وفصاله ثلثون شهرا اختلف فيه قال بعضهم ان
الاية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه حملته امه كرها اى بمشقة ووضعته بمشقة ثم وضعته على
تمام ستة اشهر وقال بعضهم الاية نزلت فى الحسن والحسين رضى الله عنهما وضعته على ما ذكر فى المدة
ثم منهم من يقول الاية وان نزلت فى نازلة بعينها لكن ما ذكر من الحكم فذلك فى كل انسان وهو ان يكون الولد
ثابت النسب من الاب بهذه المدة فانه روى عن عمر رضى الله عنه انه اتى بامرأة وضعت فى ستة اشهر فاراد ان
يرجمها فقال ابن عباس رضى الله عنه يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد جعل لها فى كتابه مخرجا قال الله تعالى والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين وقال وحمله وفصاله ثلثون شهرا ستة اشهر لحملها ورضاعه سنتين فاخذ
بقول ابن عباس رضى الله عنهم ودرأ عنها الرجم وكذلك روى عن عثمان رضى الله عنه انه اتى بامرأة وضعت
لستة اشهر فهم ان يرجمها فقال له ابن عباس رضى الله عنه اما انها لو خاصمتكم بكتاب الله خصمتكم
ثم تلا هذه الاية وكذلك ذكر عن على رضى الله عنه ان عثمان رضى الله عنه لما امر برجم المرأة التى وضعت
لستة اشهر فسمع على رضى الله عنه فاتى عثمان رضى الله تعالى فقال له ما صنعت فقال له عثمان رضى الله عنه

وهل تلد المرأة الولد التام لستة اشهر قال نعم ثم تلا عليه هذه الاية فهؤلاء الصحابة رضى الله تعالى
عنهم قدروا الاية فى كل امرأة وضعت لتلك المدة فى حق ذلك الحكم الذى ذكروا والله اعلم ثم روى عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا وضعت المرأة لستة اشهر ارضعته حولين كاملين لان الله تعالى
عز وجل يقول وحمله وفصاله ثلثون شهرا واذا وضعت لتسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا واذا وضعته
لتسعة اشهر ارضعته احدا وعشرين شهرا فعلى قياس هذا جائز انها وضعته لسنتين ان يكفى رضاع
ستة اشهر ويزاد وينقص على ذلك المقدار الا ترى ان المرأة التى حملت سنتين ولدت وقد نبتت له ثنيتان
فمثل هذا الولد لا يحتاج من الرضاع ما يحتاج الذى ولد لستة اشهر لذلك كان ما ذكرنا ثم اذا احتمل له
النقصان عن الحولين لما ذكرنا جازت الزيادة على الحولين على ما قال ابو حنيفة رحمه الله لانه ما ذكر
من الحولين انما هو رضاع اقل الحمل وهو ستة اشهر لان الذى ولد لستة اشهر كان الى الاغتذاء بالطعام
ابعد من الذى ولد لتسعة اشهر لضعفه فى نفسه والذى ولد لتسعة اشهر فهو الى الاغتذاء بالطعام
اقرب منه والذى ولد لسنتين هو اقرب الى الاغتذاء بالطعام من المولود لتسعة اشهر لقوته
وقلة حاجته الى الغذاء باللبن فاذا كان قوله تعالى حولين كاملين هو اقل رضاع يكون لانه ذكر للمولود
لاقل الحمل حيث قال وحمله وفصاله ثلثون شهرا ثم قال وفصاله فى عامين فاذا كان اقل احتمل الزيادة
التى ذكرها ابو حنيفة رحمه الله وهو ستة اشهر على السنتين كما يصير رضاع اكثر الحمل ستة اشهر واعتبر الباء
الى قوة الولد واحتمال الغذاء بالطعام وعدم الاحتمال والله اعلم وقوله عز وجل حتى اذا بلغ اشده و
بلغ اربعين سنة الى اخره ذكر دلت هذه الاية على ان الاية التى ذكرنا نزلت فى نازلة حيث اخبر انه اذا بلغ
ذلك المبلغ قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على الاية ثم قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين
سنة ذكر اول ما يشتد عقله ويدخل فى القوة الى الوقت الذى يكون على الزيادة فاذا جاوز ذلك الوقت
يأخذ فى الانتقاص وهو اربعون سنة وقال اهل التأويل بلوغ الاشد هو ثمان عشرة سنة الى اربعين
وهو ما ذكرنا انه اول وقت دخوله فى الزيادة والقوة الى الوقت الذى اذا بلغ ذلك يأخذ فى النقصان
والله اعلم وقوله عز وجل قال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى دل قوله وعلى و
الدى على ان الرجل شكر ما انعم على والديه واحسن اليهما كما يلزمه شكر ما انعم عليه لما يكون به واسلام الا
ولاد الصغار والوالدين وما لهما من النعم يصل نفعها اليهم ايضا فيلزمهم شكر ما انعم عليهم بالايمان
والنعم فى وقته وقوله عز وجل وان اعمل صالحا ترضاه هذا على كل مسلم ان يدعو بمثل هذا الدعاء يسأل
ربه التوفيق على عمل صالح يرضاه وقوله عز وجل واصلح لى فى ذريتى هذا يحتمل وجهين احدهما اى اصلح لى فى
ذريتى على طرح حرف لى منه كقوله هب لى من لدنك ذرية طيبة وقوله عز وجل فهب لى من لدنك وليا يرثنى
والله اعلم ثم قوله تعالى اوزعنى الهمنى وفيه دلالة نقض قول المعتزلة لانه سأل ربه ان يوزعه شكر ما انعم عليه
ومن قولهم انه ليس على الله الشكر الا بعد اعطاء جميع ما به الشكر حتى لا يبقى عنده زيادة فيكون مثل هذا الدعاء
لعباده ردا على قولهم لانهم يسألون ما يعلمون انه ليس عنده ذلك وانه لا يملك وكذلك قوله وهب لنا
الله ومن قولهم انه ليس عنده ما يعطيه فيخرج دعاؤهم على ما ذكرنا على مذهبهم وبالله العصمة وقوله
عز وجل اولئك الذين يتقبل عنهم ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم كان لهم اعمال حسنات وسيئات فاخبر انه
يتقبل عنهم حسناتهم ويجزيهم جزاءها ويتجاوز من سيئاتهم ويكفرها ولا يجزيهم جزاءها فضلا منه
ورحمة والمراد من الاحسن الحسن ويجوز ذلك فى اللغة وقوله عز وجل وعد الصدق الذى كانوا
يوعدون اى ذلك الذى اخبر وذكر انه يفعل لهم هو وعد الصدق يفى ذلك لهم وهو قادر على وفاء ما
وعد ومن يكون منه الخلف فى الوعد فى الشاهد انما يكون لاحد وجوه ثلثة اما لعجز يمنعه عن وفاء
ما وعد او جهل وبدو يبدو له فيرجع من ذلك او حاجة والله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك كله للقدرة
الذاتية والغنى الذاتى والعلم الازلى والله الموفق وقوله عز وجل والذى قال لوالديه اف لكما اتعداننى
ان اخرج الى اخر ما ذكر خرج اهل التأويل هذه الاية فى عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق رضى الله عنهما والاية
فلانة والاية الاولى فى ابى بكر الصديق ووالديه وهى قوله ووصينا الانسان بوالديه فيقولون ان ابا بكر
الصديق رضى الله عنه اطاع والديه وامر بالاحسان اليهما والشكر لهما وسأل التوفيق فى الشكر لربه على ما انعم
عليه وانعم على والديه وعبد الرحمن ابنه قد عصى والديه وخالفهما فيما يدعوانه اليه وقال لهما قولا رديا حيث
قال اف لكما اتعداننى ان اخرج من القبر واحيى وقد خلت من قبلى من القرون فلان ابن فلان هم بعثوا ونحو ذلك
من الكلام الا ان هذا لا يصح لان عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق فى اجلة الصحابة رضى الله عنهم فالظاهر
انه لم يكن منه مثل هذه المجادلة ولان اهل التأويل قالوا انه كان قال لوالديه ان كان ما تقولون حقا فاخرجوا
فلانا وفلانا ذكر نفرا من اجداده فقال اولئك الذين حق عليهم القول الاية ولا يحتمل ان يكون هذا جواب
ما تقدم من القول لانه فى وجوب ما ذكر وهو استحقاق العذاب عليهم منع العود والاحياء فى الدنيا ولانهم
لو كانوا يعادون لا يسقط ذلك الذى حق عليهم اذ هم لا يؤمنون الا ترى ان الله تعالى قال ولو ردوا لعادوا

مطلب السنة على الرجل مما يحفظ شكر ما انعم علينا والديه ايضا صح

مطلب على كل مسلم وجوب دعاء التوفيق العمل رضى الله تعالى ربنا وفقنا العمل صالح ترضاه

رد المعتزلة

مطلب مما نظر فى ابن ابى بكر الصديق رضى الله عنهما

والمانهوا عنه لكن جائز ان يكون الاتيان في رجلين من ولد بني ادم عليه السلام مع والديه اطاع احدهما والديه
واجابهما الى ما دعواه اليه وابى الاخر اجابته والديه الى ما دعواه اليه وخالفهما في امرهما فاستغاثا والدا
من عصاهما وخالفهما في امرهما وقالا له ما ذكر في الاية وقال لمن اجابهما ما ذكر وهو كما ذكرنا في قوله تعالى حملت
حملا خفيفا صرف اهل التاويل باجمعهم هذه الاية الى ادم وزوجته حوا عليه السلام وقلنا نحن جائز
ان يكون هذا في كل والد وولد يقولان ما ذكر ويدعون الى ما ذكر فلما اتاهما ما ذكر من الصلاح كانا ما ذكر فعلى ذلك
جائز ان يكون الاثنان اللتان ذكرناهما يكونان في كل ولد مع والديه من اجاب والديه ومن عصاهما والله اعلم
فلا نصرف الاية الى من ذكروا الا ببيان من الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم انها في كذا وكذا وفي
فلان وفلان على طريق التواتر فعند ذلك يقال ما قالوا فاما اذا لم يثبت النصوص والاشارة الى قوم بالتواتر
فالكف عن ذلك اسلم والله اعلم ودل قوله تعالى وهما يستغيثان الله ويلك امن ان وعد الله حق لما لو اعطى ذلك
لامن ودهما يستغيثان الله تعالى ويلك امن فيقولان ويلك امن والله اعلم وقوله عز وجل ولكل درجات مما
عملوا من خير او شر وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون اي ليوفيهم اجزاء اعمالهم وجزاء اعمالهم من خير او شر وهم
لا يظلمون اي لا ينقصون من خيراتهم ولا يزاد لهم في سيئاتهم وقوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على
النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقال في اية اخرى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق وقال
في اية اخرى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ونحوها يذكرهم بهذه الايات وامثالها ليعرفوا ما كان منهم وما
استوجبوا من العقوبات انما استوجبوا بما كان منهم في الدنيا من التكذيب والاستهزاء بايات ليتزجروا عن ذلك
ثم قوله عز وجل اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها يخرج على وجهين احدهما اذهبتم طيباتكم التي
اعطيتموها في منافعكم وانلغتموها ولم تؤدوا شكرها ولم تقوموا بوفائها والله اعلم والثاني اذهبتم طيباتكم في
حياتكم الدنيا اي اتلفتموها ولم تكتسبوا بها الطيبات الموعودة في الاخرة والنعم الدائمة فكل ما اعطى في هذه الدنيا
من الاموال انما اعطي ليستعينوا بها على عمل الاخرة وليتزودوا بها ويجعلوها زاد الاخرة فاما اذا جعلوها في غير
ذلك فهو اتلاف وجعل في غير ما جعل وذلك وبال عليهم وحسرة وهو ما قال الله تعالى وما الحيوة الدنيا الا لعب
ولهو وكذا ذكر مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فكل نفقة كانت في غير ما ذكر من الاستعانة
على زاد الاخرة والتزود لها فهو لحيوة الدنيا وهو لعب ولهو وهو ما ذكر من الريح فيها صر والله اعلم وقوله عز وجل
فاليوم تجزون عذاب الهون اي عذاب تهانون فيه بهنيكم ذلك العذاب وقوله عز وجل بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق يحتمل استكبارهم الذي ذكر على الرسل استكبروا واتباعهم فاستكبروا على اياتنا وقوله عز وجل
وبما كنتم تفسقون والفسق هو الخروج عن امر الله تعالى وقوله عز وجل واذكر اخا عاد هذا يحتمل وجهين احدهما اي
اذكر نبأ اخا عاد وهو هود عليه السلام بما عامله قومه من سوء المعاملة وما قاسى هو منهم لتسلي بذلك بعض ما
عامل بك قومك معك والله اعلم والثاني واذكر نبأ عاد بما نزل بهم من العذاب والاستيصال بتكذيبهم الرسل
والاستكبار عليهم والاستهزاء بهم ليحذر قومك في تكذيبك والاستهزاء بك والله اعلم وقوله عز وجل
اذ انذر قومه بالاحقاف اي خوف قومه بالاحقاف وهو اسم ارض خوفهم بنزول العذاب هنالك وقال بعضهم هي
جبال من رمل مستطيلة مرتفعة وقال القتبي الاحقاف واحدها حقف وهو الرمل ما اشرف من كثبانه واستطال وانحنى وقال
ابو عوسجة عمان وهي منازل عاد فيها ذكروا ونحو ذلك وقيل الحقف تل معوج وقال بعضهم الاحقاف الجبل حين نضب
الماء زمان الغرق كان ينضب عن المكان من الجبل ويبقى اثره وينضب من مكان اسفل من ذلك ويبقى اثره دون ذلك
فذلك الاحقاف وقيل ايضا الاحقاف جبل بالشام وقيل هو المكان الذي كان منازل عاد ومفاهيم والله اعلم
وقوله عز وجل وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله اي خلت الرسل من قبل هود ومن
بعده عليه الصلاة والسلام وقوله عز وجل الا تعبدوا الا الله كان الخطاب بهذا وقع للكل يقول لهم
الرسل عليهم السلام ينذر قومهم بانواع العذاب عند تكذيبهم اياهم ولم يزل الرسل عليهم السلام
من قبل ومن بعد دعوا الناس الى عبادة الله ونهوهم عن عبادة غيره وقوله عز وجل اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم يحتمل قوله اخاف عليكم حقيقة الخوف لما لم يياس من ايمانهم واتباعهم اياه لذلك لم يقطع فيهم
القول بنزول العذاب بهم والله اعلم ويحتمل ان يكون الخوف هو العلم حقيقة اي اعلم ان ينزل بكم عذاب يوم
عظيم ان ختمتم على ما انتم عليه وقد يذكر الخوف في موضع العلم وقوله عز وجل قالوا اجئتنا لتأفكنا عن الهتنا
اي قالوا لهود عليه الصلوة والسلام اجئتنا لتصرفنا عن عبادة الهتنا وقال بعضهم لتردنا عن عبادة الهتنا
وقال بعضهم لتكذبنا في الهتنا والافك الكذب وكله واحد واصل الافك الصرف كانهم قالوا اجئتنا لتصرفنا
من عبادة الهتنا والله اعلم وقوله عز وجل فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين كانوا يقولون ذلك استهزاء به
منهم ولم يزل الكفرة يسألون ويستعجلون العذاب الذي كانوا يوعدون استهزاء لهم وتكذيبا بما يوعدون
والله اعلم وقوله عز وجل قال انما العلم عند الله الاية اجابهم هود عليه الصلوة والسلام ان العلم بنزول
العذاب ووقته عند الله وابلغكم ما ارسلت به من الدعاء الى توحيد الله تعالى والنهي عن عبادة غيره او يقول
ابلغكم ما امرت من التبليغ بنزول العذاب بكم ولست ابلغكم انه متى ينزل بكم لما لم او مر به وقوله عز وجل ولكني

مطلب مما يجب حفظه البتة كل ما اعطى الرجل مما [illegible] على الاخرة وتصرف في المعيشة وبال لخ

اراكم قوما تجهلون دين الله او تجهلون ايات الله وقبولها وتجهلون نعم الله واحسانه او تجهلون امر الله
تعالى وقوله عز وجل فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا قال بعضهم العارض السحاب فقالوا هذا
سحاب ممطرنا وكان حقيقة العارض والريح التي فيها عذاب اليم ظنوا انها سحاب ولم يكن كانت ريحا لكن
من ذلك الجانب كان يأتيهم السحاب للمطر قالوا هذا عارض ممطرنا وقوله عز وجل بل هو ما استعجلتم به كان
هود عليه السلام قال لهم ليس هو بعارض ممطر ولكن هو ما استعجلتم به من العذاب حيث قال قلتم فاتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين هو ريح فيها عذاب اليم ثم وصف ذلك الريح فقال كما اخبر الله تعالى بقوله
عز وجل تدمر كل شيء بامر ربها يخرج قوله تدمر كل شيء بامر ربها على وجهين احدهما تدمر كل شيء ارسلت
بتدميره لا انها تجاوز امر ربها ولا تدمر ما لم ترسل ولم تؤمر بتدميره كقوله تعالى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم
الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم هذه الاية تفسر قوله تدمر كل شيء اتت عليه وامرت
بتدميره فاما ما لم تؤمر بالتدمير فلا على ما ذكر في تلك الاية والله اعلم والثاني تدمر كل شيء اي عند من عاينها
وتاملها عند انها تدمر كل شيء لا يبقى شيئا على وجه الارض لشدتها وقوتها لكنها لا تجاوز امر ربها الا ترى
انها لا تدمر هودا واتباعه وهم فيهم ويقرب منهم وهو كقوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما
هو بميت اي يأتيه اسباب الموت وما به يموت لو كان فيه امر الموت فعلى ذلك قوله تعالى تدمر كل شيء اي
تدمر كل شيء عند من عاينها ونظر في احوالها واهوالها ان لو كان لها امر بذلك لكنها لم تجاوز امر ربها الا ترى
انه قال في اية اخرى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم في ظاهر هذه الاية انها قد ابقت مساكنهم ولم تدمرها
وكذلك قال في اية اخرى تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر قال بعضهم انهم لما التجأوا الى مساكنهم وهربوا منها
كانت تدخل الريح مساكنهم وتخرجهم منها فيلقيهم في صحاريهم وافنيتهم موتى وقال بعضهم تنزع مفاصلهم
وتقطعها ثم يلقيهم في افنيتهم على ما وصف وشبههم باعجاز نخل منقعر فالريح التي تعمل في اخراج اهلها من
مساكنهم والقائهم في الفيافي لان تعمل في هدم المساكن والمنازل اولى ومع ذلك وكذلك اذا عملت في نزع
المفاصل وقطعها فنقض البنيان والمساكن اولى ومع ذلك لم يعمل في هدم مساكنهم فدل ما ذكرنا انها لم
تجاوز امر ربها في الاهلاك والله اعلم وقوله عز وجل فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم الاية يحتمل لا ترى الا مساكنهم
وجهين احدهما اي لم تترك الريح من عاد وما لهم الا مساكنهم التي ذكر والثاني لا ترى الا مساكنهم الا اثار مساكنهم
فعلى احد التأويلين تركت لهم المساكن لم يهلكها وعلى التأويل الاخر تركت اثار مساكنهم فاما نفس مساكنهم فقد
اهلكتها وهذان التأويلان خرجا على ما ذكرنا من التأويلين في قوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها فالاول على التأويل
الاول في قوله تدمر كل شيء ارسلت وامرت بتدميره ولم تؤمر بتدمير مساكنهم فبقيت والتأويل الثاني في قوله
تدمر كل شيء عند من عاينها ونظر اليها لشدتها وقوتها فتدمر مساكنهم ايضا فلا ترى الا اثارها لكن سماها مساكن
باسم ما قد كان وانه امر مستعمل في عرف لسان اللغة والله اعلم وقوله عز وجل كذلك نجزي القوم المجرمين
كان المجرم هو الذي يديم اكتساب الجرم والاثم وقال بعضهم هو الموثب في الجرم والله اعلم وقوله عز وجل
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم الاية فيه قال بعضهم ان ها هنا في موضع لم كانه يقول
ولقد مكناهم فيما لم نمكن لكم من القوة والشدة والعقل والبصيرة وغير ذلك قوله تعالى وجعلنا لهم سمعا و
ابصارا وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اي قد مكنا عادا فيما ذكرنا ما لم
نمكن لكم يا اهل مكة في ذلك ثم اذا اتاهم عذاب الله بتكذيبهم الرسل لم يملكوا دفع عذابه فانتم حيث لم
تمكن لكم ذلك احرى ان لا تملكوا دفع عذابه اذا نزل بكم بتكذيبكم الرسول عليه الصلوة والسلام وقال
بعضهم ان حرف ان صلة زائدة فيكون تقدير الاية كانه يقول ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه مما ذكر
من السمع والبصر والفؤاد ثم لم يملكوا دفع العذاب عن انفسهم فانتم لا تملكون ايضا دفعه عن انفسكم
وكان لهم ما لكم مما ذكر من السمع والبصر والفؤاد وقوله عز وجل وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة
فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء على التأويل الاول حيث ذكرنا انهم مكنوا ما لم
تمكن هؤلاء يكون ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد لا يراد به اعيانها حقيقة لكن السمع يكون كناية عن
القوى والفؤاد يكنى به عن القوة يخبر تعالى انهم مكنوا من العقل والبصيرة والقوة ما لم تمكنوا انتم يا اهل مكة ثم
لم يقدروا على دفع عذاب الله اذا نزل بهم فانتم لا تملكون دفعه وليس لكم تلك الاسباب وعلى التأويل الثاني كان
المراد هو حقيقة ما ذكر من السمع والبصر والفؤاد فيكون معناه ما ذكرنا ان لكم هذه الاسباب مثل ما لهم
لم يقدروا على دفع ما حل بهم من العذاب فانتم لم تقدروا ايضا بها والله اعلم ثم بين الله سبحانه وتعالى الذي
بهم نزل ما نزل من العذاب حيث قال اذ كانوا يجحدون بايات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وكان
استهزاؤهم مرة بما يوعد لهم الرسل عليهم الصلوة والسلام بالعذاب ومرة كانوا يستهزءون بالرسل عليهم
السلام لما يدعوهم الى ما دعوا والله اعلم ثم عذاب عاد بالريح التي وصفها الله تعالى في سورة الحاقة وذكر
فيها حيث قال واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية اي شديدة عاد به سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما
الاية وقال في اية اخرى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد اهلكنا ما حولكم

تسمية الشيء باسم ما قد كان مستعمل في عرف لسان اللغة

من القرى خلق الله تعالى البشر على طبع وتبنيه وحال يحذرون ما نزل باشكالهم وامثالهم بذنوب ارتكبوها ويتعظون
بغيرهم فكانه يقول لاهل مكة انظروا الى الذين اهلكوا ما حولكم وتعزيكم لئلا ينزل بكم ما نزل باولئك الذين اهلكوا لعلكم
ترتدعوا عن ذلك وان لا تعاملوا رسوله كما عاملوا اولئك حتى لا ينزل بكم ما نزل باولئك بتكذيبهم الرسل وعناد وهزؤ
استهزائهم بهم ويحذرهم ما نزل باولئك الذين اهلكوا حولهم ليرتدعوا عن ذلك وان لا تعاملوا رسوله عليه
الصلوة والسلام كما عاملوا اولئك حتى لا ينزل بهم مثل ما نزل باولئك والله اعلم وقوله عز وجل وصرفنا
الايات لعلهم يرجعون قوله تعالى وصرفنا الايات يخرج على وجهين احدهما اي جعلنا للرسل عليهم الصلوة
والسلام ايات قاموا على قومهم بما بلغهم ذلك ويخبر بصدقهم فردوها وكذبوهم فعند ذلك
اهلكناهم فعلى ذلك جعلنا لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم من الايات ما تعلم بها اهل مكة ويخبرهم عن صدقه وتدلكم
على رسالته فلا تردوها حتى لا ينزل بكم ما نزل بهم والله اعلم والثاني وصرفنا الايات اي انشرنا في الافاق
والاطراف الثانية ما حل باولئك ونزل بهم بتكذيب الرسل وما كان منهم من العناد والرد ما يلزم من بلغ ذلك
ليخافوا مثل ما نزل باولئك ليرجعوا عن مثل صنيعهم ومثل معاملتهم فاحد الثاني وليس يرجع الى انتشار ما نزل
باولئك في الافاق ليرجعوا عن ذلك فيصير ذلك اية له بمجيئهم على الرجوع عن صنيع اولئك ليرجعوا عن ذلك والثاني
اخبار انه يجعل الرسول بخبر على صدقه ودلالة على رسالته اي لم يكن له علم الا بعد لزومهم التصديق له والله
اعلم وقوله عز وجل فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة هذا يخرج على وجهين احدهما هو يرجع الى الله
تعالى والاخر يرجع الى الاصنام التي عبدوها واتخذوها الهة فاما الذي يرجع الى الله تعالى يقول لولا نصرهم اي
هلا نصرهم الله تعالى عند نزول العذاب بهم ولم يهلكهم لو كان عبادتهم الاصنام لتقربهم الى الله زلفى ويكونون
شفعاء عنده يقول والله اعلم لو كان حقا ما تقولون ان ذلك مما يقربكم الى الله هلا نصركم الله عند نزول ذلك بكم فاذ لم
ينصركم الله تعالى ولا اولئك بل اهلكهم فاعلموا انه ليس الامر كما زعمتم والله اعلم والثاني يقول والله اعلم لو كانت
للاصنام التي يعبدونها شفاعة عند الله تعالى على ما زعم هؤلاء نصروا اولئك وقد دفع الهلاك عنهم شفعائهم ولما
لم يفعلوا ذلك ولم ينصروهم دل انه لا يملكون دفع ذلك عنكم اذا نزل بكم ما نزل باولئك
والله اعلم وتفسير لولا هاهنا هلا وهلا يستعمل في الماضي يكون معناه لم يفعل اي لم ينصرهم والله اعلم وقوله عز وجل
بل ضلوا عنهم اي ضل الاصنام عنهم فلم يكن لهم منهم ما طمعوا ورجوا بعبادتهم اياها والله
اعلم وقوله عز وجل وذلك افكهم وما كانوا يفترون يحتمل ان يكون ذلك افكهم وافتراؤهم هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ونحوه والله اعلم وقوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا
انصتوا فلما قضى اى فرغ من قرائته ولوا الى قومهم منذرين قال بعضهم ان النذر من الانس فان كان ما ذكر فجائز على هذا ان
يكون النفر الذى ذكروا انهم انصرفهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستمعوا القران منه هم النذر ويدل على ذلك
قوله ولوا الى قومهم منذرين وفى ظاهر قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون اياتى وينذرونكم لقاء
يومكم هذا ان قد يكونون من الجن الرسل كما يكون من البشر الا ان يقال بانه قد يذكر الاثنان والمراد به احدهما وذلك
جائز فى اللغة كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من احدهما وهو الملح فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم يحتمل
صرفنا اليك نفرا من الجن اى الهمناهم وقذفنا فى قلوبهم حتى صاروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا اليه
ليستمعوا القران منه ويحتمل انه امرهم فى الكتب التى اعطوا معرفتها بالتوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليستمعوا منه القران لانه قال عز وجل على اثره خبرا عنهم قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين
يديه هذا يدل على انهم قد عرفوا الكتب قبل هذا الكتاب حيث قالوا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين
يديه فجائز ان يكونوا امروا فى تلك الكتب استماع هذا الكتاب والعمل به ويحتمل ان يكونوا عرفوا بذلك لما كانوا يسترقون
السمع الى السماء فيستمعون اخبار السماء ثم ينزلون فيخبرون اهل الارض بذلك ليكون العلم لهم بذلك من الوجوه
الثلاثة التى ذكرناها والله اعلم وقوله عز وجل يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به فيه دلالة لزوم العمل بخبر الواحد
لان النفر الذى حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن سمعوا القران منه وصدقوه كانوا قليل العدد
لما رجعوا الى قومهم فانما يرجع كل الى قومه وقد يحتمل الاجتماع والتواصل على ذلك ودعا كل قومه الى اجابته
داعى الله تعالى وحذرهم مخالفته وانه يحتمل ما ذكرنا من الافراد والاحاد دل ان خبر الواحد حجة فى حق العمل وهو
ما قال عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين فكان العمل بخبر الاحاد والافراد ظاهرا مشهورا
فى الانس والجن حيث ذكر ما ذكرنا والزمهم الاجابة والحذر والله اعلم ثم قوله تعالى اجيبوا داعى الله يحتمل الاجابة
له فى الاعتقاد والايمان به ويحتمل فى المعاملة فى كل امر وفى كل شىء فكذلك قوله ومن لا يجب داعى الله فما دعاه فليس
بمعجز فى الارض اى ليس بسابق ولا هارب من عذابه يقول والله اعلم انه ليس يقدر احد التخلص من عذابه بهربه
منه والفرار عنه كما يقدر الفرار والهرب بعض من عذاب بعض فى الدنيا ربما ولذلك ما قال وليس لهم من دونه اولياء
اى ليس لهم من دونه اولياء ينفعونه ويدفعون العذاب عنهم كما يقوم بعض فى دفع ما يلحقهم من البلايا والشدائد
فى الدنيا اذ ليس قوله وليس لهم من دونه اولياء ان لا ولاية لهم اذ قال فى موضع اخر بعضهم اولياء بعض ولكن
لا ينفع ولا يتم يومئذ كما لا ينفع فى الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل اولئك فى ضلال مبين اى من لم يجب داعى الله فهى

فى ضلال مبين وقوله عز وجل اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض الاية والاشكال ما معنى قوله
اولم يروا وهم لم يشاهدوا خلقهما ولم يروا لكن قال بعضهم اى اولم يخبروا وقال بعضهم اولم يعلموا اى قد اخبروا
وعلموا ذكر هذا لانهم كانوا مقرين جميعا ان الله هو الذى خلق السموات والارض ثم قوله عز وجل ولم يعى بخلقهن
بقادر على ان يحيى الموتى يقول والله اعلم اى لما علموا ان الله سبحانه وتعالى هو خلق السموات والارض ولم يعيه
خلق ما ذكر ولم يعجزه ذلك عن تدبير ما يحتاج ذلك اليه من الامساك والقيام بما به قوام ما خلق فيهن من الخلائق
واصلاحهم فاذ لم يعجز عما ذكر لا يحتمل ان يكون عاجزا عن احياء الموتى وعن شئ البتة او يقول حيث
لم يعى ولم يظهر فيه الضعف فى خلق ما ذكر ثم لا احد يملك ان يعمل عملا الا ويظهر فيه الضعف فاذا لم يعجب ولم
يضعف فى خلق ما ذكر دل ذلك على انه انما لم يضعفه لان قدرته ذاتية ومن كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شئ
فاما غيره انما يعمل باسباب فيقدر على العمل على قدر الاسباب ويعجز بما عنه والله اعلم او يقول اذ قد عرفتم ان
الله تعالى هو خلق السموات والارض ثم لا يحتمل ان يخلقهما عبثا باطلا اذ لو لم يكن بعث كان خلقهما باطلا عبثا
واصله ما ذكرنا بدءا ان من قدر على انشاء ما ذكر من السموات والارض وما فيهما بلا احتذاء تقدم والاستعانة
بغيره ثم الامساك والقوام على التدبير الذى دبر الى اخر الدهر لا يحتمل ان يعجزه شئ وقوله عز وجل بلى انه على كل شئ قدير
لانه قادر بذاته لا بقدرة مستفادة قال ابو عوسجة والقتبى قوله ولم يعى بخلقهن يقال عييت بهذا اى لم احسنه
ولم اقم عليه وقوله عز وجل ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا مرة قيل لهم الم ياتكم
رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم قالوا بلى ومرة قيل لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا نقص هذا عليهم يومئذ ليعترفوا
بالذى كانوا ينكرون فى الدنيا لانهم كانوا ينكرون فى الدنيا الرسل والايات وكانوا ينكرون كون البعث وعذابه
فيعرضون على النار فيقال لهم هذا الذى وعد لكم فى الدنيا اليس هو حق حتى فيعترفون ويقولون بلى وربنا فيقال لهم
ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فى الدنيا والله اعلم وقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل يلزم الرسل الصبر من
وجوه ستة ثلثة مما خصوا هم بها لا يشركهم غيرهم فيها وثلاثة مما يشترك غيرهم فيها فاما الثلاثة
التى خصوا بها احداها هم بعثوا لتبليغ الرسالة الى الفراعنة والاكابرة والجبابرة الذى كانت عادتهم
وهمتهم القتل والاهلاك من خالفهم وعصى امرهم ومذهبهم فلم يعذر فى ترك تبليغ الرسالة اليهم
مع ما ذكرنا مع خوف الهلاك والقتل فاما غيرهم من الناس قد ابيح لهم كتمان الدين الحق منهم حتى
لا يهلكوا والثانى الزمهم الصبر بالمقام بين اظهر قومهم واحتمال ما كان يلحقهم منهم من الاستهزاء
عليهم والتكذيب لهم وانواع الاذى الذى كان منهم الى الرسل لم يؤذن لهم بمفارقتهم لذلك ولذلك
قال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت لم يكن منه سوى الخروج من بين قوم لسلامة دينه لو لم
يسلم ثم اصابه ما اصاب بذلك الخروج لما لم يؤذن له بالخروج والله اعلم والثالث لم يجعل لهم
الدعاء على قومهم بالهلاك والعذاب وان كان منهم من التمرد والتعنت ما كان فهذه الثلاثة
من المعاملة مما خص الرسل عليهم السلام بها من بين سائر الناس واما الثلاثة التى يشترك فيها غيرهم
احداها امروا بالصبر على ما تصيبهم وينزل من البلايا والشدائد والثانى امروا بالمحافظة على العبادات
جعلت عليهم ومحافظة حدودها والصبر على القيام بها والثالث امروا بالصبر على ترك قضاء الشهوة وترك
اعطاء النفس هواها ومناها فهذه الثلاثة لهم فيما بينهم وبين ربهم وهى مما يشترك فيها غيرهم والثلاثة
الاولى لهم فيما بينهم وبين الخلق وهم قد خصوا بتلك الثلاثة دون غيرهم والله اعلم وقوله عز وجل اولوا
العزم من الرسل قال بعضهم اولوا العزم من الرسل هو نوح وابراهيم ويعقوب ويوسف وموسى عليهم
الصلوة والسلام وهؤلاء عدوا نفرا منهم وقال بعضهم هم الرسل جميعا وجائز ان يكون اولوا العزم
من الرسل هم الذين كانوا منهم الصبر على ما ذكرنا من المعاملة مع قومهم وقيل اولوا العزم هم
الذين كانوا ابدا مستيقظين القائمين بامر الله الحافظين لحدوده وقالوا فى ادم عليه السلام ولم نجد له عزما
والله اعلم وقوله عز وجل ولا تستعجل لهم ان لا تستعجل عليهم بالهلاك والنقمة وقوله عز وجل كانهم
يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم كانك
لا توعدهم بالساعة الا ساعة من نهار هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم كانك لا توعدهم
بالعذاب الا ساعة من النهار وعذاب ساعة من النهار مما لا يحملهم على ترك قضاء شهواتهم ومنع ما
هم فيه من الاحوال والثانى كانهم اذا عاينوا عذاب الاخرة وشاهدوه استقصروا المقام فى الدنيا كانهم
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وهو كقوله عز وجل كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقوله عز وجل ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة استقصروا المقام فى الدنيا اذا عاينوا يوم القيامة واهوالها
والله اعلم وقوله عز وجل بلاغ قال بعضهم الابلاغ وقيل البلاغ من البلغة اى زاد يبلغ به السفر حيث
يريد والله اعلم وقوله عز وجل فهل يهلك الا القوم الفاسقون كانه يقول لا يهلك الهلاك الدائم المؤبد الا القوم
الفاسقون والاهلاك الذى ليس هو بالهلاك الدائم المؤبد مما يهلك الفاسق وغير الفاسق اذ الموت يحق على
الكل ويقول لا يهلك هلاك العذاب الا الفاسق فاما الهلاك الذى هو هلاك النجاة والفوز من شدائد الدنيا

فى الهلاك الدائم المؤبد نعيذنا بالله

فبما يهلك به الصالح والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم رب وفق والامل تحقق قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قال
عامة اهل التاويل هم اهل مكة والاشبه ان يكون الاية في كفار المدينة وهم اهل الكتاب لان السورة مدنية على
ما قال بعض اهل التاويل لكن جائز ان يكون كما قال اهل التاويل بانها نزلت في كفار مكة لان هذه السورة ذكرت
على اثر خبرهم وعقب شانهم في سورة الاحقاف ثم ان كانت الاية في كفار المدينة واهل الكتاب فيكون
قوله تعالى الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه اضل اعمالهم اى ابطل ايمانهم الذي كان لهم بالانبياء
ومحمد عليهم الصلوة والسلام لانهم كانوا مؤمنين به قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله اعلم قد ابطل ايمانهم
الذي كان منهم قبل ذلك بما كفروا به اذا بعث وان كانت الاية في كفار مكة على ما قال اكثرهم فيكون قوله الذين
كفروا بوحدانية الله تعالى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما انزل عليه الصلوة والسلام وكفروا بالبعث
ونحو ذلك اضل اعمالهم اى ابطل حسناتهم التي كانت لهم في حال كفرهم من نحو الصدقات وصلة الارحام وفك
الرقاب وغير ذلك من الاعمال التي كانوا يتقربون بها والله اعلم قد ابطل اعمالهم التي كانوا يتقربون بها ويرونها
قربة عند الله او يقول قد ابطل عباداتهم التي كانوا يعبدون من الاصنام وغيرها ليقربهم عبادتهم الى الله
زلفى لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يقول قد ابطل
ذلك ولم يكن على ما رجوا وطمعوا والله اعلم وقوله عز وجل وصدوا عن سبيل الله يحتمل ان صدوا بانفسهم
اى اعرضوا عن سبيل الله على ما ذكر عنهم ويحتمل وصدوا عن سبيل الله اى صدوا الناس عن سبيل الله وقد كان
منهم الامران جميعا اضل اعمالهم اى ابطل يقال ضل الماء في اللبن اذا غلب فلم يتبين والذين امنوا وعملوا الصالحات
وامنوا بما نزل على محمد يقول والذين امنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا بما نزل عليه وثبتوا على ذلك
لم يضل اعمالهم ولم يبطل ايمانهم الذين كان منهم بل يكفر سيئاتهم التي كانت منهم من الكفر وغيره من السيئات ويقول
والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم كفر عنهم سيئاتهم وهو الكفر والمساوي التي كانت
لهم من الكفر كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ان كانت الاية في مؤمني مشركي العرب واهل مكة فيكون
قوله كفر عنهم سيئاتهم الشرك والمساوي التي كانت لهم في حال الكفر وان كان في مؤمني اهل الكتاب فيكون قوله
كفر عنهم سيئاتهم في حال ايمانهم والله اعلم وقوله وهو الحق من ربهم هذا يخرج على وجهين احدهما امنوا بما نزل على
محمد عليه الصلوة والسلام وهو الحق من ربهم نزل وكل شيء من الله فهو الحق والثاني وهو الحق من ربهم اى
وهو الصدق من ربهم وقوله عز وجل واصلح بالهم اى حالهم وشانهم فيما كان من قبل بعد ثم اخبر ان الذي
ابطل اعمالهم لاولئك الكفرة وما ذكر وثبت الذين امنوا ولم يبطل ايمانهم وما ذكر من اصلاح حالهم هو ما قال
ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل يحتمل الباطل الشيطان او هوى النفس وكل باطل وهو الذي يذم عليه فاعله
ومتبعه وقوله عز وجل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم يقول لهؤلاء ما ذكر لاتباعهم الباطل ولهؤلاء ما ذكر
لاتباعهم الحق وقبوله وقوله عز وجل كذلك يضرب الله للناس امثالهم اى مثل الذي بين ما هؤلاء وما هؤلاء
بين ما لكل متبع الباطل ومتبع الباطل وضرب المثل هو ان يبين لهم ما خفي واشتبه عليهم بالذي ظهر عندهم و
تقرر ويجلي لهم ليبصر الذي خفي عليهم واشتبه ظاهرا منجليا وقوله عز وجل فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
وقال في اية اخرى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان جائز ان يكون قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب
الرقاب في القتال والحرب وكذلك قوله تعالى فاضربوا منهم كل بنان في الحرب والقتال ايضا يضربون ويقتلون
على ما يظفرون ويقدرون بهم من المفاصل ولكن ابانة من المفصل والله اعلم لما روي في الخبر اذا قتلتم فاحسنوا
القتل وحسن القتل هو ان يضرب ويبان من المفصل والله اعلم فعلى هذا جائز ان يخرج تاويل قوله تعالى فاضربوا
فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وتاويل قوله فضرب الرقاب وجائز ان يكون لا على التقديم والتاخير والاضمار
ولكن كل اية على نظم ما ذكروا الله اعلم ثم ان كان على ما ذكرنا من التقديم والتاخير والاضمار فيكون كانه قال
ثمة فاذا لقيتم الذين كفروا فاضربوا الرقاب حتى اثخنتموهم واسرتموهم فاضربوا فوق الاعناق لان الامام
بالخيار وعندنا اذا اخذهم وظفر بهم ان شاء قتلهم وان شاء من عليهم وتركهم بالجزية لقوله حتى يعطوا الجزية
عن يد ويكون قوله فشدوا الوثاق على هذا في الذين يسترقهم بالمواثيق وان شاء فاداهم لكنهم اختلفوا في
المفاداة قال بعضهم يفدون بالاموال واسراء المسلمين منهم وقال بعضهم يفادون بالاسراء منهم ولكن
لا يجوز ان يفادوا بالاموال وهو قولنا وقال بعضهم لا يفادون باسراء المسلمين ولا بالاموال وهو قول
ابي حنيفة رحمه الله واختلفوا في قتل الاسراء منهم قال بعضهم لا يقتلون ولكن يمن عليهم او يفادون
وقال بعضهم الامام بالخيار ان شاء قتلهم وان شاء فاداهم بالاسارى من المسلمين اما القتل فلما ذكرنا من
الاستدلال بقوله فاضربوا فوق الاعناق ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه استشار ابا بكر وعمر

كما للمدينة كانوا مؤمنين بمحمد عليه الصلوة والسلام قبل ان يبعث ثم كفروا

ثم ضرب للقتل

وسائر الصحابة رضي الله عنهم في اسارى بدر فاشاروا الى المن عليهم والترك واشار عمر الى القتل فيهم وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك لو جاءت من السماء نار ما نجا منكم الا عمر او كلام نحوه دل ان الحكم فيهم
القتل اعني في هؤلاء الذين حكم فيهم عمر رضي الله عنه بالقتل لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نجا
الا عمر فدل هذا الخبر ان الامام ان يقتل اسارى اهل الشرك وله ان يمن عليهم بالترك بالجزية في حق اهل الكتاب
والعجم فانه لما جاز لنا في الابتداء ان ناخذ منهم الجزية اذا ابوا الاسلام ونتركهم على ما هم عليه فعلى ذلك
بعد الظفر بهم والقدرة عليهم ثم قال بعضهم الاية وهو قوله اما منا بعد واما فداء يخالف من حيث الظاهر
لقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم ونحو ذلك ولكن امكن التوفيق بينهما لان تكون هذه في
قوم والاخرى في قوم اخرين وهذه في وقت والاخرى في وقت اخر والله اعلم وقوله عز وجل حتى تضع الحرب
اوزارها وقال بعضهم حتى يخرج عيسى بن مريم عليه السلام فعند ذلك تذهب الحروب والقتال اى فاقتلوهم
وافعلوا بهم ما ذكر الى وقت خروج عيسى عليه السلام وقال بعضهم حتى تضع الحرب اوزارها اى حتى تضعوا
اسلحتكم وتتركوا القتال وقال بعضهم حتى يذهب الكفر والشرك ولا يكون الدين الا دين الاسلام وهو كقوله
ثمة وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اى شرك وكفر والله اعلم قيل الاثخان هو الغلبة والقهر بالقتل والجراح وقال
ابو عوسجة اثخنتموهم اى اكثرتم فيهم القتل والجراحة ويقال في الكلام ضربه حتى اثخنته حتى لا يقدر ان يتحرك
والوثاق ما اوثقت به كل يدي الرجل او رجليه يقال اوثقته واستوثقت منه وقوله اوزارها اى اثقالها
واحدها وزر وهو الثقل وقال القتبي حتى تضع الحرب اوزارها اى تضع اهل الحرب السلاح واصل الوزر ما حملته
فسمي السلاح وزرا لانه يحمل والله اعلم وقوله عز وجل ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم قوله ذلك اى ذلك
الذي امرتم به من اول ما ذكر من قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب الى قوله حتى تضع الحرب اوزارها
والله اعلم وقوله عز وجل ولو يشاء الله لانتصر لاوليائه من اعدائه بلا قتال ولا نصب الحروب فيما بينهم ثم
انتصاره منهم يكون مرة بان يهلكهم اهلاكا ويقهرهم قهرا ومرة ينتصر منهم بان يسلط عليهم اضعف خلقه
واخسهم فيقهرهم باضعف خلقه وقوله عز وجل ولكن ليبلو بعضكم ببعض اى يمتحن بعضكم بقتال بعض وبانواع
المحن ان شاء الله عز وجل هذا البشر في ظاهر الاحوال بعضهم مشابها للبعض غير مخالف بعضهم بعضا فانما
يظهر الاختلاف بالامتحان بانواع المحن على اختلاف الاحوال فعند ذلك يظهر المصدق من المكذب والمحق
من المبطل والموافق من المخالف والمحقق من المضطرب والموقن من الشاك على ما ذكر تعالى وبلوناهم بالحسنات
والسيئات ونبلوكم بالشر والخير فتنة وخلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وغير ذلك من الايات
التي ذكر الاختلاف والامتحان فيها باختلاف الاحوال التي عند ذلك يظهر ما ذكر من التصديق والتكذيب والتحقيق
وغيره ثم لو كان جل وعلا ينتصر لاوليائه من اعدائه بما ذكرنا بان ينصرهم على اعدائهم نصرا بلا امتحان وكلفة
منه لاوليائه لكان التوحيد له والتصديق لرسله بحق الاضطرار لا بحق الاختيار لانهم اذا راوا انهم يستاصلون
ويهلكون اهلاكا بخلافهم اياهم لكانوا لا يخالفونه بل يوافقونه مخافة الهلاك والاستيصال
فيرتفع الابتلاء والامتحان عنهم فلا يظهر المختار من غيره لذلك كان ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل
والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم هذا يخرج على وجهين احدهما يقول والذين قاتلوا في سبيل
الله فهزموا او غلبوا وهربوا في وقت او في قتال فلن يضل اعمالهم التي كانت منهم من الجهاد مع الاعداء وغير
ذلك من الاعمال التي كانت لهم سيهديهم او يوفقهم ثانيا مرة اخرى للقتال والنصر لهم على اعدائهم في الدنيا
ويدخلهم في الاخرة الجنة والثاني اى والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم في الاخرة سيهديهم في
الاخرة الجنة وقوله عز وجل ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال بعضهم اى يدخلهم الجنة التي بينها لهم في الدنيا
ووصفها وقال بعضهم عرفها لهم في الاخرة حتى يعرف كل منزلة واهله من غير اعلام وادلة جعلت
لهم كما يعرف كل احد في الدنيا منزله واهله وخدمه والله اعلم بعضهم عرفها لهم اى طيبها لهم فلان
معرف اى طيب وطعام معروف اى مطيب وهو قول القتبي وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان
تنصروا الله ينصركم اى ان تنصروا دين الله ينصركم اى ان تنصروا اولياء الله ينصركم على اعدائكم
ثم نصرنا دين الله واولياءه يكون مرة بالانفس والاموال بذلها في سبيله لابتغاء وجهه و
الثاني يكون نصرا بالحجج والبراهين باقامتها عليهم بما امرنا من اقامة الحجج والايات ثم يكون نصر الله
ايانا من وجهين احدهما ينصرنا على اعدائنا بما يغلبهم ويقهرهم لكن ان كان هذا فيكون في حال دون
حال وفي وقت دون وقت لا في كل الاحوال والثاني يكون نصره ايانا بما يجعل العاقبة وان كانوا غلبنا
او قهرونا في بعض الحروب والقتال وكانوا هم الغالبين علينا قاهرين لنا والله اعلم وقوله عز وجل ويثبت
اقدامكم يحتمل في الحروب والقتال او يثبت اقدامهم في الاخرة كيلا تزول والله اعلم وقوله عز وجل والذين
كفروا فتعسا لهم اى هلاكا لهم وقيل اى محنة عند الهزيمة والقتل وجائز ان يكون اريد به الهلاك
واصل التعس هو العثور والسقوط وهو الهلاك فيرجع الى ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ذلك
بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم اى ذلك الذي ذكرهم من التعس والهلاك وابطال الاعمال

بانهم تركوا اتباع ما انزل الله على رسوله اذ كل من ترك اتباع شئ اعتقادا فقد كرهه والله اعلم ويحتمل ان يكون
قوله ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي كرهوا ما انزل الله على غير بني اسرائيل فان كان هذا فالاية في اهل الكتاب
لانهم لم يروا الرسل من غير بني اسرائيل ولا انزال الكتب على احد من غير بني اسرائيل والله اعلم وقوله فاحبط
اعمالهم اي بتركهم اتباع ما انزل الله وقبوله والله اعلم وقوله عز وجل افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم قد ذكرنا فيما تقدم انه يخرج على وجوه ثلاثة احدها اي لو ساروا في الارض لعرفوا ما نزل
باولئك بما ذا نزل بهم وهو تكذيبهم للرسل وكفرهم بهم ولعرفوا ان من نجا منهم بما ذا نجا وهو التصديق لهم
والايمان بهم والثاني على الامر اي سيروا في الارض فانظروا ما الذي نزل بمكذبي الرسل ومستهزيهم ليكون ذلك
من قوة لهم عن مثل معاملتهم الرسول عليه السلام والثالث اي قد ساروا في الارض لكن لم ينظروا ولم يعتبروا
فيما نزل باولئك انه بما ذا نزل بهم ولو تاملوا فيهم لكان ذلك زجرا لهم عن المعاودة الى مثل ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل دمر الله عليهم وللكافرين امثالها هذا يخرج على وجوه احدها اي دمر الله عليهم وللكافرين
من هؤلاء الكفار الذين دمر الله عليهم امثال ما لهم من الهلاك بتكذيبهم الرسل والثاني اي دمر الله
عليهم وللكافرين امثالها اي للكافرين من قومك امثالها وهذا وعيد لقومه والثالث ان يقول لقومه
ولكل كافر امثال ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم تاويله
اي ذلك الذي ذكر لهم لاجل ان الله ناصر الذين يتبعوه امره وامنوا به وصدقوه فدفع العذاب عنهم باتباعهم
امره وان الكافرين ذلك لما ليس هو بناصر لهم لتركهم اتباع امره وتصديقهم اياه فلم يدفع العذاب عنهم
او يقول ذلك اي دفع العذاب عن الذين امنوا لما ان الله يتولى امورهم وعصمهم وانه لم يتول امور الكفرة
اي لم يعصمهم وخذلهم وتركهم على ما اختاروا والعلة باختيارهم ما اختاروا من التكذيب وتولى المؤمنين
وعصمهم لعلمه بما يختارون من التصديق والاتباع له والله اعلم ثم ذكر عاقبة المؤمنين من الاتباع لامره
والتصديق لرسله عليهم السلام وهو قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار وبين ما لاولئك الذين اختاروا من الكفر والتكذيب لرسله في العاقبة حيث قال والذين
كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم اي ماوى لهم بما اختاروا والله اعلم وذلك ان
اهل الايمان والتوحيد نظروا في جميع احوالهم وامورهم الى ما فيه امر الله تعالى وما يعقب لهم نفعا في العاقبة
لم ينظروا الى ما فيه قضاء شهواتهم ومناهم بل اختاروا امر الله على جميع ما ذكرنا واولئك الكفرة لم ينظروا
الى ما فيه امر الله ولا يوجب لهم في العاقبة من النفع بل اختاروا الشهواتهم ومناهم وما فيه هواهم على ما فيه
امر الله ونهيه فجعل للمؤمنين في الاخرة قضاء شهواتهم التي تركوا قضاها في الدنيا وكفوا انفسهم عن مناها
مكان ذلك في الجنة والبساتين التي وعد لهم في الاخرة وجعل لاولئك الكفرة في الاخرة مكان ما قضوا في
الدنيا من شهواتهم واعطاء انفسهم مناها النار وما ينغصهم ما اعطوا انفسهم في الدنيا ثم قوله والذين
كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام يحتمل تشبيه اولئك الكفرة بالانعام في الاكل وجهين احدهما يخبر انهم
ياكلون وهمتهم في الاكل ليست الا الشبع وامتلاء البطن وقضاء الشهوة لا ينظرون الى ما امر الله به ونهاهم
منه كالانعام التي ذكرهما ليست في الاكل الا الشبع وامتلاء البطن واقتضاء الشهوة والله اعلم والثاني يخبر عنهم
انهم لا ينظرون في اكلهم وشربهم الى عاقبة ولا الى وقت ثان بل نظرهم الى الحال التي هم فيها كالانعام التي
ذكر انها تاكل ولا تنظر ولا تدخر شيئا لوقت ثان ولا تترك شيئا ما دامت تشتهي فعلى ذلك اولئك الكفرة والله اعلم
وقوله عز وجل وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم كان سنة الله تعالى
في الذين كانوا من قبل انه اذا اخرج الرسل عليهم السلام من بين اظهرهم اهلكهم فيخبر ان اهل مكة قد استوجبوا
العذاب اذا اخرجت من بين اظهرهم كما استوجب اولئك الكفرة لكن الله بفضله ورحمته اخر ذلك عنهم
لانه بعثك اليهم رحمة كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واخر ذلك عنهم لما وعد انه خاتم
الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتبقى شريعته ورسالته الى يوم القيامة ولو اهلكهم واستاصلهم على
ما فعل باولئك لانقطعت رسالته وشريعته وقد وعد انها تبقى وانه رحمة لهم وانه لا يخلف الميعاد
ثم اخبر ان اولئك الكفرة اكثر اهلا واشد قوة وبطشا من هؤلاء ثم لم ينجهم ما نزل بهم بقوة
انفسهم وبطشهم ولا كان لهم ناصر ينصرهم من عذاب الله ولا مانع يمنعهم عنه فانتم يا اهل مكة اولى
ان لا تدفعوا عن انفسكم العذاب اذا نزل بكم والله اعلم ثم قوله عز وجل اخرجتك اضاف الاخراج الى قومه
وهم لم يتولوا اخراجه بانفسهم بل اضطروه حتى خرج هو بنفسه لكنه اضاف الاخراج اليهم لان
سبب خروجه من بينهم كان منهم فكان قد اخرجوه وهو كما ذكر من اخراج الشيطان ادم وحوا عليهما السلام
من الجنة بقوله فاخرجهما مما كانا فيه والشيطان لم يتول اخراجهما حقيقة لكن لما كان منه من سبب حملهم
ذلك على الخروج فكانه تولى الاخراج منه واصله ان الاشياء والافعال ربما تنسب الى اسبابها وان
لم يكن لتلك الاسباب حقيقة الافعال والله اعلم وقوله عز وجل فلا ناصر لهم هو خبر من الله تعالى اي لا يكون
لهم ناصر وهو يحتمل وجهين احدهما لا يكون ناصر في الاخرة والثاني على الاضمار اي لم يكن لهم ناصر وقت

سنته الله تعالى اذ اخرج الرسل من قومه اهلكهم

قد وعد الله تعالى بقاء شريعته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة اللهم لا تصرفنا عن شريعته طرفة عين ابدا اعذنا بالله

ما عذبوا

ما مد بوافي الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم لم يخرج
لهذا الحرف جواب لما عم عرفوا بالبديهة ان ليس من كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله ويتبع هواه يعرف
ذلك بالبديهة كمن يقول ليس المحسن كالمسيء وليس من يحسن كمن يسيء ونحوه ذلك مما يعرفه كل احد لا يحتاج
الى بيان وجواب فعلى ذلك هذا ثم في ذلك وجهان احدهما يذكر سفههم باختيارهم اتباع هواهم وما زين
لهم من سوء عملهم على اتباع من كان على بينة منه وبيان على علم بذلك ويقين والله اعلم والثاني فيه ذكر دلالة
البعث يقول والله اعلم لما عرفتم ان من كان على بينة من ربه ليس كمن يتبع هوى نفسه وقد استويا في هذه الدنيا
انتفع هذا كما انتفع الاخر وفي العقول لا استواء بينهما فدل استواؤهما في هذه الدار على ان هناك دارا اخرى
ثم تفرق بينهما وتميز والله الموفق وقوله عز وجل مثل الجنة التي وعد المتقون هذا يخرج على وجوه احدها
ان قوله تعالى وعد المتقون على حقيقة المثل كانه يقول مثل الجنة التي وعد المتقون من جنانكم هذه لو كانت
جنانكم في الدنيا على المثل الذي وصف في الاية اليس كانت نفس كل احد يرغب فيها ويحرص في طلبها ليكون تلك
الجنة له فما بالكم لا ترغبون في تلك الجنة التي وعد المتقون في الاخرة لا ترغبون فيها ولا تحرصون في طلبها والله
اعلم ويخرج على هذا التاويل قوله تعالى كمن هو خالد في النار اي ليس من كان خالدا في جنة من جنانكم التي
ما ذكر وصفها كمن هو خالد في نار من نيرانكم والثاني يحتمل قوله تعالى الجنة التي وعد المتقون ما ذكر فيخرج على الصلة
لما تقدم من قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ثم وصف ونعت الجنة
التي اخبر انه يدخلهم فيها فقال مثل الجنة وعد المتقون اي صفتها فيها انهار من كذا وكذا الاية وعلى
هذا ما ذكر في اخره من قوله كمن هو خالد في النار يحتمل ان يكون صلة قوله فالنار مثوى لهم ثم وصف تلك
النار التي اخبر انها مثوى له وماوى لهم فقال وسقوا ماء حميما الاية والثالث يذكر على ان من وعد له ما وعد له
للمتقين من الجنة وما فيها من النعم ليس كمن وعد له النار الا ترى انه جل وعلا ذكر في اخر ما ذكر من وصف
الجنة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اي ليس هذا كهذا ولا سواء بينهما اي لا مناواة
وهو كقوله تعالى فيما تقدم من حيث قال افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا اهواءهم
اي ليس هذا كهذا فعلى هذا يحتمل ما ذكر من وصف الجنة ووصف النار اي ليس من وعد له الجنة التي وصفها
ونعتها كمن وعد له النار التي وصفها ما ذكر والله اعلم ثم قال انهار من ماء غير اسن الاية يخبر انما يكون
في الجنة من المياه والخمور والالبان وما ذكر ليس كالتي في الدنيا لان المياه في الدنيا يتغير باحد وجهين اما
لنجاسة واقعة يصيبها او طول الزمان والمكث فيخبر ان ليس في الجنة شيء يغيرها هاهنا وكذلك اللبن في الدنيا
يتغير ويفسد عن قريب اذا ترك لما ذكر فيخبر ان البان الجنة لا يفسد للترك ولا يصيبها شيء فيفسدها ويخرجها
عن طعم اللبن والله اعلم وقوله عز وجل وانهار من خمر لذة للشاربين يخبر ان الخمر في الجنة مما يتلذذ بها اهلها
عند الشرب ليس كخمور الدنيا يكره اهلها عند شربها ويعبسون وجوههم عند التناول منها والله اعلم وقوله
عز وجل وانهار من عسل مصفى اي انها من عسل خلق والتي مصفى لا كدورة فيه لانه كان كدرا فصفي وكان
خلق بعضه كدرا وبعضه مصفى ولكن خلق كله مصفى من الابتداء وهو كقوله تعالى رفع السموات اي خلقها
في الابتداء مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها والله اعلم وقوله عز وجل ولهم فيها من كل الثمرات
يحتمل اي من كل الثمرات التي عرفوها في الدنيا ووادها او يقول لهم فيها من كل الثمرات التي يريدون منها والله
اعلم وقوله عز وجل ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم اي ليس من وعد له
ما ذكر من الجنة وهو خالد فيها متنعم بما ذكر من الوان الثمار والنعم ما ذكر من المياه والخمور والالبان كمن
هو خالد في النار وما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين
اوتوا العلم ماذا قال انفا جعل الله عز وجل ايات رسالة رسوله عليه الصلوة والسلام وحججه على المنافقين
صنيعهم وما استروا في انفسهم من الخلاف له والعداوة فاطلع الله رسوله على ما اسروا في انفسهم واضمروا
ليكون ذلك اية لرسالته وحجة لنبوته اذ علموا ان لا احد يطلع على ما في القلوب الا الله تعالى فاذا اخبر رسول
الله لهم بما استروا واضمروا وعلموا انه انما عرف ذلك بالله تعالى كقوله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم
لواذا وقوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ونحو ذلك ثم الناس في الاستماع الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفرق الى فرق ثلاث فالمؤمنون كانوا يستمعون اليه الاسترشاد واسترناخ الهدى وهو كقوله تعالى فاما
الذين امنوا فزادتهم ايمانا الاية واما الذين في قلوبهم مرض الاية وقوله تعالى واتاهم تقواهم يحتمل قوله واتاهم
تقواهم اي اعطاهم ما اتقوا مخالفة امره ويحتمل اتاهم تقواهم اي يوفقهم ما يتقون مخالفة امره من بعد
في المستانف وقال بعضهم اي اعطاهم الله ثواب اعمالهم في الاخرة يقول كلما جاء من الله او اخذوا به فزادهم
الله تعالى واتاهم تقواهم اي اجرهم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه وانطاهم تقواهم اي اعطاهم وهي
لغة معروفة النطى اي اعطى وكذلك قرا انا انطيناك الكوثر وقوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة
كان هذه الاية نزلت في قوم علم الله انهم لا يؤمنون الا عند قيام الساعة كانه يقول ما ينظرون لا يؤمنون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة لكن لا ينفعهم الايمان في ذلك الوقت كقوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من

قاعدة اسناد الى الاشارة

انا خشنه اللهم ارزقنا بفضلك النعيم مع المؤمنين امين

قيل وقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا كانه والله اعلم يوبس رسوله صلى الله عليه وسلم عن الطمع في ايمانهم
قبل ذلك الوقت وقوله عز وجل فقد جاء اشراطها هذا يخرج على وجهين احدهما يحتمل ما ذكر من مجئ اشراطها هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وبه ختمت النبوة وروي عنه انه قال بعثت والساعة كهاتين واشار الى اصبعين
جمع بينهما فان كان التاويل هذا فهو على تحقيق مجئ اشراط الساعة اي قد جاء اشراط الساعة حقيقة وتحققت والثاني
يحتمل ان يكون ما ذكر من مجئ اشراطها هي الاعلام والشرايط التي جعلت علما لقيامها من نحو نزول عيسى وخروج
دابة الارض وخروج الدجال وغير ذلك فقد مضى بعض تلك الاعلام فيكون قوله فقد جا اشراطها اي كان
قد جاء اشراطها اذ كل ما هو ات جاء فكان قد جاء كقوله تعالى اتى امر الله وقوله عز وجل فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم
يحتمل وجهين احدهما انى ينتفعون بايمانهم في ذلك الوقت وكيف لهم منفعة الذكرى اذا جاءت والتوبة لا تقبل
حينئذ والثاني من اين لهم الايمان والتوبة اذا جاءتهم الذكرى كما يذكرهم في الدنيا قبل ذلك فلم يؤمنوا ولم يتذكروا
والله اعلم وقوله عز وجل فاعلم انه لا اله الا الله هذا يخرج على وجهين احدهما اعلم في حادث الوقت انه لا اله الا الله
كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ونحو ذلك والثاني يقول فاعلم ان لا اله المستحق
للعبادة والمعبود الحق هو الاله الذي لا اله غيره اذ الاله عند العرب هو المعبود يقول ان المعبود الذي يستحق
العبادة هو الله تعالى لا الاصنام التي يعبدونها دونه وتزعمون ان عبادتكم اياها تقربون اليه زلفى والثالث
امره ان يشغر قلبه في كل وقت حال بكلمة الاخلاص والتوحيد له والقول به والله اعلم وقوله عز وجل واستغفر
لذنبك جائز ان يكون قوله واستغفر لذنبك انما هو لافتتاح الكلام وابتدائه على ما يؤمر المرء ان يبتدي بالدعا
لنفسه عندما امر بالدعا لغيره وكان حقيقة الامر بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات دون نفسه ولكن امر بالدعا
لنفسه استحبابا والله اعلم وجائز ان يكون له ذنب فيأمره بالاستغفار له لكن نحن لا نعلم وليس علينا ان نتكلف
حفظ ذنوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام وذكرها وكل موهوم منه الذنب يجوز ان يؤمر بالاستغفار كقول
ابراهيم عليه السلام حيث قال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين لكن ليس ذنب الانبياء وخطاياهم
كذنب غيرهم فذنب غيرهم ارتكاب القبائح من الصغاير والكباير وذنبهم ترك الافضل دون مباشرة القبيح في
نفسه والله الموفق ثم ادعيات المؤمنين هذه الاية لانه عز وجل امر رسوله عليه السلام ان يستغفر لهم فلا
يحتمل ان لا يستغفر وقد امره الله بالاستغفار ثم لا يحتمل ايضا انه اذا استغفر لهم على ما امره به فلا يجيب له وكذلك
دعاء ساير الانبياء عليهم السلام نحو دعاء نوح عليه الصلوة والسلام رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم
الحساب ونحو ذلك وكذلك دعاء ساير الانبياء عليهم الصلوة والسلام نحو دعاء نوح عليه السلام رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات وقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب ونحو ذلك وكذا استغفار الملائكة لهم ايضا لقوله ويستغفرون لمن في الارض وقوله فاغفر للذين
تابوا واتبعوا سبيلك الاية هذه الايات ادعيات للمؤمنين ودعوات الانبياء عليهم السلام افضل وسايل يكون الى
الله تعالى واعظم قرب عنده والله الموفق ثم قوله عز وجل واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيه دلالة
نقض قول المعتزلة لانهم يقولون ان الصغاير مغفورة لا يجوز لله تعالى ان يعذب عباده عليها والكباير مما لا يحل له ان
يغفرها لهم الا بالاستغفار منهم والتوبة فهذه الاية تنقض قولهم ومذهبهم لانه امر رسوله ان يستغفر لهم
فلا يخلو اما ان يكون صغاير وهي مغفورة عندهم فكانه يقول اللهم لا تجر لانها مغفورة لا يسع له ان يعذب
عليها ولو كباير ولا يحل له المغفرة عنها فيكون قوله اللهم اغفر لهم كانه قال اللهم جر لان مغفرة اياهم عن الكباير
يكون جورا ووضع الشيء في غير موضعه فكيف ما كان ففيها نقض قولهم وحجة لقولنا ان له ان يعذبهم
عليها وان كانت صغاير وله ان يعفو عنها وان كانت كباير اذ المغفرة عن الذنب يكون والله الموفق للصواب وقوله
عز وجل والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال بعضهم والله يعلم متقلبكم في النهار ومثواكم من الليل وقيل يعلم ما
يتقلبون بالنهار ويسكنون بالليل وهما واحد وقال بعضهم والله يعلم متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الاخرة اي
مقامكم فيها وهو يخرج عندنا على وجوه احدها يحتمل هذا الظن قوم وتوهمهم ان الله تعالى يجهل عواقب
الامور حيث انشاء هذا العالم فجحدوه وجحدوا نعمه فلو يحتمل ان ينشيهم ويجعل لهم النعم وهو يعلم انهم
يجحدونه ويكفرون نعمه لان من فعل هذا في الشاهد فهو عابث غير حكيم فعلى ذلك هذا على زعمهم فقال تعالى
جوابا لهم والله اعلم يعلم متقلبكم ومثواكم اي على علم بما يكون منهم انشاهم وخلقهم لا عن جهل على ما ظنوا
هم لكن ما ينبغي لهم ان ينسبوا الجهل الى الله تعالى لجهلهم بحق الحكمة في فعله لان الله جل وعلا لم ينشئ هذا
العالم لحاجة له او لمنافع نفسه بل انما انشاء لمنافع انفسهم وكما جتهم فاليهم يرجع منفعة الوجان والظا
وعليهم يكون مضرة الجحود والرد فاما في الشاهد فمن يأمر احدا امرا او نهاه عن امر او يرسل اليه رسولا على
علم منه بالرد والجحود فهو سفيه غير حكيم لانه انما يفعل ما يفعل لحاجة نفسه ومنفعة له فاذا علم منه
الرد والانكار فهو غير حكيم فافترق الشاهد والغايب لافتراق وجه الحكمة والله الموفق والثاني قوله
تعالى والله يعلم متقلبكم ومثواكم اي يعلم جميع احوالكم من حركاتكم وسكونكم وجميع تقلبكم ليكونوا ابدا على حذر
ويقظة والله اعلم والثالث يعلم متقلبكم في الدنيا ويعلم الى ماذا يكون مرجعكم في الاخرة اي انشاكم على علم

ارجى الاية اللهم اجعلنا ممن لا ينقطع رجاؤه عنك وثبت علينا بما يحفظ النية

مما يحفظ النية في دعوات الانبياء واستغفار الملائكة في الرجاء والوسيلة

نقض قول المعتزلة في الصغاير والكباير

انه يكون منهم كقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم وقال في اية اخرى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي
انشا من علم انه يختار الكفر وعداوته لجهنم وانشا من علم انه يختار التوحيد وولايته للجنة والله الموفق وقوله
عز وجل ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ان الذين
امنوا كانوا يتمنون انزال السورة ويقولون هلا نزلت سورة لوجوه احدها ليكون السورة حجة لهم
واية على اعدائهم في الرسالة والبعث والتوحيد والثاني كانوا يستعدون بانزال السورة اشياء ويزداد لهم
يقينا وتحققا في الدين كقوله تعالى واذا ما انزلت سورة الى قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم
يستبشرون واما المنافقون فزادتهم رجسا الى رجسهم على ما ذكر والثالث يتمنون نزول السورة ليتبين لهم
المصدق من المكذب والمحقق من المرتاب هذه الوجوه التي ذكرنا يكون لاهل الايمان لذلك يتمنون والله اعلم وقوله
عز وجل فاذا انزلت سورة محكمة اي محدثة والمحدثة ليست بتفسير المحكمة الا ان يعنوا بالمحدث الناسخ
والناسخ هو المحدث والمتاخر نزوله وهو محكم لانه يلزم العمل به والله اعلم وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه
لولا نزلت سورة محدثة والوجه ما ذكرنا والمحكمة عندنا على وجهين احدهما اي محكمة بالحجج والبراهين والثاني
لما انزلت على يدي قوم وتداولت فيما بينهم فلم يغيروه ولم يبدلوه بل حفظوه ليعلم انه من عند الله حسا ومنه نزل
والله اعلم وقوله عز وجل وذكر فيها القتال جعل الله عز وجل في القتال خصالا لا احدها كثرة اهل الاسلام وكثرة
الاموال وان كان في ظاهر القتال افناء الانفس والاموال لانه قبل ان يفرض القتال كان يدخل في الاسلام واحد
فلما فرض القتال دخل فيه فوج فوج على ما اخبر يدخلون في دين الله افواجا والثاني ليتبين المصدق منهم من
المكذب لهم والمحقق من المرتاب لانه لم يكن ليظهر ويتبين لهم المنافق من غيره الى ذلك الوقت فلما فرض القتال
عند ذلك ظهر وتبين لهم اهل النفاق والارتياب من اهل الايمان والتصديق والثالث فيه اية
الرسالة والبعث واما اية الرسالة فلان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عددا قليلا لا عدة لهم
ولا قوة امروا بالقتال مع عدد لا يحصون ولهم عدة وقوة ليعلم انهم لا بانفسهم يقاتلون ولكن
بالله تعالى ولا يحتمل قيام امثالهم لامثال اولئك مع كثرتهم والله اعلم واما اية البعث فلانهم امروا
بالقتال اقاربهم وارحامهم والمتعلق بهم وفي ذلك قطع ارحامهم وقطع صلة قراباتهم ليعلم انهم
انما يفعلون هذا بالامر لعاقبة تؤمل وبقصد ولا يحتمل فعل ذلك بلا عاقبة بقصد وبلا شيء يعتقد
والله اعلم وقوله عز وجل رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت كان
اهل النفاق يكرهون نزول ما يبينهم عما في ضميرهم من النفاق والارتياب كقوله تعالى يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم واذا انزلت السورة يزداد لهم ما ذكر حيث قال واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقوله عز وجل فاولى لهم طاعة وقول معروف قال
اهل التاويل هذا وعيد لهم كقوله اولى لك فاولى الاية لكن ظاهره ليس بتوعد ولا عدة انما ظاهره
اي احرى لكم واولى ان تطيعوه وان يقولوا معروفا فاذا تركوا ذلك يكون وعيدا والله اعلم وقوله
عز وجل فاذا عزم الامر اختلف في تاويله قال بعضهم هو صلة قوله فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها
القتال وعزم الامر فعند ذلك كان بما ذكر من المنافقين حيث قال رايت الذين في قلوبهم مرض وليس
في نفس ذكر القتال ما ذكر من نظر المغشي عليه من الموت انما ذلك الوصف وتلك الحال عند وجوب القتال
ولزومه وتاكده عليهم وذلك في قوله تعالى فاذا عزم الامر اي وجب وفرض فعند ذلك يكون حالهم
ما ذكر فاما بذكر نفس القتال فلا والله اعلم وقال بعضهم فاذا عزم الامر هو في الاخرة اي فاذا تحقق
وظهر ما كان اوعدهم الرسول عليه الصلوة والسلام من نزول العذاب بهم في الاخرة فلو صدقوا
الله في الدنيا لكان خيرا لهم في الاخرة حيث كان لا يزال العذاب بهم في الاخرة اي لو صدقوا رسول
الله فيما يوعدهم من العذاب انه ينزل بهم في الاخرة وتركوا مخالفته في الدنيا لكان خيرا لهم في الاخرة
والله اعلم وقوله عز وجل فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اختلف في تاويل
هذه الاية قال بعضهم قوله تعالى فهل عسيتم اي فلعلكم ان توليتم اي وليتم امر هذه الامة ان تفسدوا في
الارض وتقطعوا ارحامكم قال ابن عباس رضي الله عنه قد كان هذا وهم بنو امية ولوا امر هذه الامة
فعلوا ما ذكر من الفساد في الارض وقطع الارحام وكان لهم اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم و
كان منهم ما ذكروا والله اعلم وقال بعضهم ان الاية في المنافقين كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويسمعون منه ما قال ثم اذا تولوا منه كانوا يسعون في الارض بالفساد وما ذكر كقوله تعالى ومن الناس
من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الى قوله واذا تولى سعى في الارض الى قوله والله لا يحب الفساد وقال بعضهم
ما اراه الا نزلت الاية في الحرورية وهم الخوارج وجائز ان يكون هذا ما ذكر في اية اخرى حيث قال افان
مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وقد انقلبوا على ما اخبر وهو في اهل الردة والله اعلم وقال قتادة فاذا عزم
الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم اي طاعة الله ورسوله وقول المعروف عند حقايق الامور خير لهم
فهل عسيتم ان توليتم يقول ان توليتم عن كتابي وطاعتي ان تفسدوا في الارض يقول كيف رايتم القوم حين تولوا

سورة محكمة

عن كتاب الله ليسفكوا الدماء الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن واكلوا المال الحرام ويحتمل ان يكون الاية في الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به والله اعلم وقوله عز وجل اولئك الذين لعنهم الله اللعن هو الطرد عن الرحمة وهو كقوله لابليس وان عليك لعنتي الى يوم الدين اي انت مطرود عن رحمتي وقوله تعالى لعنهم الله اي طردهم عن رحمته وقوله عز وجل فاصمهم واعمى ابصارهم اي اصمهم حتى لم يسمعوا اسماع الاعتبار والتفكر واعمى ابصارهم حتى لم ينظروا فيما عاينوا نظر اعتبار وتفكروا وتاملوا ونظروا نظر معتبر لادركوا والله اعلم وقوله عز وجل افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها الاية فيه انهم لو تدبروا وتاملوا فيه لادركوا ما فيه وفيه ايضا انهم لو تدبروا العذاب لفتح تلك الاقفال التي ذكرها عليها وذهب بها والله اعلم وقوله عز وجل ام على قلوب اقفالها اي على قلوب اقفالها ثم يحتمل اقفالها الظلمة التي فيها وهي ظلمة الكفر تلك الظلمة تغطي نور البصر ونور السمع وجائز ان يكون ما ذكر من الاقفال هي ما ذكر من الطبع والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم اي زين اضاف التزيين مرة الى الشيطان ومرة الى نفسه فما يفهم من تزيين الشيطان غير الذي يفهم من تزيين الله تعالى كالاضلال المضاف الى الله تعالى والمضاف الى الشيطان فالمفهوم من اضلال الله غير المفهوم من اضلال الشيطان فعلى ذلك التزيين وقوله عز وجل واملى لهم اي اخرهم وامهلهم الى اجل ووقت كقوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم الاية اي نؤخرهم ليكون ما ذكر والله اعلم ثم قوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الاية جائز ان يكون الاية في اليهود لما ذكرنا انهم كانوا امنوا به قبل ان يبعث كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به الاية ارتدوا على ادبارهم من بعد ما امنوا به واتبعوه وجائز ان يكون في المنافقين ارتدوا على ادبارهم واظهروا الخلاف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اظهروا الموافقة لهم في حيوته والله اعلم وقوله عز وجل ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر قوله ذلك بانهم ان كان راجعا الى قوله ان الذين ارتدوا على ادبارهم فان كان المراد بذلك اليهود فالمعنى فيه غير المعنى لو كان في المنافقين وان كان قوله ذلك بانهم راجع الى قوله الشيطان سول لهم فاذا احتمل ذلك الوجهين فلا نفسر انه الى ماذا يرجع ثم قال بعضهم الذين كرهوا ما نزل الله هم المنافقون قالوا لليهود سنطيعكم في تكذيب محمد والمظاهرة عليه وقال بعضهم هم اليهود ظاهروا سائر الكفرة على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ثم كراهة نزول ما انزل الله تعالى على رسوله عليه الصلوة والسلام كان من اليهود وجميع الكفرة لقوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله اعلم وقوله عز وجل والله تعالى اسرارهم هذا يدل على انه لا يفسر قوله ذلك بانهم قالوا ولا يشار على انه اراد كذا ورجع الى كذا لما اخبر الله تعالى انه هو العالم بما استروا ولم يبين ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه لا احد يقصد قصد اتباع سخط الله ولا كراهة رضوانه لكنهم لما اتبعوا الفعل الذي كان الله يسخط ذلك الفعل فكانهم اتبعوا سخطه وكذلك اي تركوا اتباع ما كان الله يرضاه وكرهوه فكانهم كرهوا رضوانه وهو كقوله تعالى لا تعبدوا الشيطان ولا احد يقصد قصد عبادة الشيطان لكنهم لما اتبعوه فيما يامرهم ويدعوهم اليه فكانهم عبدوه وهو تسمية الشيء باسم سببه واللغة غير ممتنعة عن تسمية الشيء باسم سببه والله اعلم وقوله عز وجل فاحبط اعمالهم التي كانت قبل ارتدادهم في حال اتباعهم اياه والله اعلم وقوله عز وجل ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اي حسب المنافقون اي لن يظهر الله عداوتهم وان لن يبدي الله ما في قلوبهم من العداوة جعل الله جل وعز في اظهار ما استر اهل النفاق وابداء ما اخفوه فيما بينهم اية عظيمة ودلالة ظاهرة على رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول كانه على التقديم والتاخير كانه قال ولو نشاء لاريناكهم بسيماهم بالنظر اليهم بالبديهة ولتعرفنهم ايضا في لحن القول اي لو نشاء لجعلنا لهم اعلاما في الوجه والقول لتعرفنهم ولكن لم نجعل لهم ولكن نجعل معرفتهم باعمال يعملون فيظهر نفاقهم بذلك والله اعلم كقوله ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا وقال في اية اخرى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم وقوله ارايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت الاية وقوله عز وجل ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وقوله انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم ونحو ذلك من الايات مما كان يظهر نفاقهم بالاعمال التي كانوا يعملون فدلت هذه الايات على انه كان لا يعرفهم بالسيماء والنطق والقول والاجسام وانما يعرفهم بافعال كانوا يفعلونها والله اعلم وقال بعضهم ولتعرفنهم في لحن القول اي نحو الكلام فكان يعرفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تكلموا فيخرج على هذا التاويل وقوله ولتعرفنهم في حادث الوعد والله اعلم قال ابو عوسجة يقال رجل لحن يلحن ويقال لحن يلحن اذا اخطا لنا فهو لاحن كانه من العدول والميل عن الحق وقال القتبي في لحن القول اي في فحوى كلامهم وقوله عز وجل والله يعلم اعمالكم يحتمل هذا وجهين احدهما والله اعلم ما تسترون من الاعمال وتخفونها والثاني على الجملة اي يعلم جميع اعمالهم ما استروا

واعلنوا

واعلنوا يخرج على الوعيد كقوله انه بما تعملون بصير والله اعلم وقوله عز وجل ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين هذا يخرج على وجوه احدها اي حتى يعلم اولياؤه المجاهدين منكم والصابرين فيكون المراد من اضافته العلم الى نفسه علم اوليائه كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم وقوله عز وجل يخادعون الله وهو خادعهم ونحوها المراد منه اولياء على حذف النائب والله اعلم والثاني يكون المراد بالعلم المعلوم وذلك جائز في اللسان واللغة كقول الناس الصلوة امر الله اي مامور الله وكقوله عز وجل حتى ياتيك اليقين اي الموقن به وقوله ومن يكفر بالايمان اي بالمؤمن به ونحو ذلك كثير والثالث اي يعلم كائنا ما قد علمه انه سيكون اذ لا يجوز ان يوصف هو يعلم ما سيكون يعلمه كائنا ويعلم ما قد كان يعلمه انه يكون كائنا ولكن يوصف بما قد علمه كائنا انه علمه كائنا او يعلم ما علم انه سيكون انه يكون لانه يوجب الجهل ويكون التغير في ذلك المعلوم لا في علمه والله الموفق وقوله عز وجل ونبلوا اخباركم اي ونبلوا في اخباركم التي اخبرتم عن انفسكم كقوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وقوله عز وجل من عاهد الله الى اخر ما ذكر ابتلوا في تلك الاخبار التي اخبروا عن انفسهم والله اعلم ويحتمل ان يكونوا ابتلوا في قولهم الذي قالوا لو اعطوا بلسانهم حيث قالوا امنا كقوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فتنوا فيما قالوا واخبروا اي ابتلوا فالفتنة والمحنة والابتلاء والبلاء واحد والله اعلم وقال بعضهم ونبلوا اخباركم اي نظهر نفاقكم للمسلمين اذ كان الله تعالى عالما قبل ان يبلوهم والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قوله كفروا اي كفروا انعم الله من الكفران او كفروا بتوحيد الله وقوله وصدوا عن سبيل الله يحتمل قوله صدوا اي اعرضوا بانفسهم عن دين الله ويحتمل صدوا اي صرفوا الناس عن دين الله والله اعلم وقوله عز وجل وشاقوا الرسول اي عادوه وعاندوه من بعد ما تبين لهم الهدى وقوله عز وجل لن يضروا الله شيئا يحتمل لن يضروا الله بكفرانهم نعمه وكفرهم بوحدانية الله تعالى ومعناه والله اعلم انه ليس يامر بما يامر وينهى عما ينهى لدفع مضرة عن نفسه او لجر منفعة الى نفسه ولكن يامر وينهى لحاجة انفس اولئك ولمنافعهم فهم بتركهم اتباع امره والانتهاء عن نهيه ضروا انفسهم والله اعلم وجائز ان يكون المراد من قوله لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بما كفروا وصدوهم عن سبيله بل ضروا انفسهم كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا اولياء الله ينصركم وقوله عز وجل وسيحبط اعمالهم يحتمل حبط الاعمال بالارتداد بعد الايمان واحداث الكفر بعد الاسلام ويحتمل اعمالهم التي كانت لهم بالايمان قبل بعثه صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم قال بعضهم اي اطيعوا الله في الجهاد ولا تبطلوا حسناتكم بالرياء والسمعة وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه يا ايها الذين امنوا اتقوا الله واطيعوا الرسول ويحتمل ولا تبطلوا اعمالكم بالارتداد والكفر بعد الايمان ويحتمل اي لا تبطلوا اعمالكم بالارتداد والكفر بعد الايمان ويحتمل اي لا تبطلوا اعمالكم بالمن على الله او على الرسول في الاسلام اي لا تجعلون تمنون على الله او على رسوله كقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي الاية وقال قتادة ولا تبطلوا اعمالكم بالرياء وقال من استطاع منكم ان لا تبطل عمله صالحا بعمل شيء فليفعل ان الشر يختم الخير وانما ملاك العمل خواتيمه فمن استطاع ان يختم بخير فليفعل ولا قوة الا بالله وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ما كنا معشر اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نرى شيئا يبطل اعمالنا حتى نزلت هذه الاية فعلمنا ما الذي يبطل اعمالنا الكبائر الموجبات والفواحش فكنا على ذلك حتى انزل الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الاية فلما نزلت هذه الاية كففنا عن هذا القول وجائز ان يكون قوله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم قال هذا ليكونوا ابدا على اليقظة والحذر لئلا يبطل اعمالهم من حيث لا يشعرون كقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون وفي حرف ابي رضي الله عنه ولا تبطلوا اعمالكم وقوله عز وجل ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم تاويلها ظاهر وقوله عز وجل فلا تهنوا وتدعوا الى السلم اي لا تضعفوا وتدعوا الى الصلح كذلك قال القتبي وقال ابو عوسجة السلم بكسر السين الصلح ولا اعرف بفتح السين ههنا له معنى وقوله عز وجل وانتم الاعلون اي وانتم الغالبون فيه النهي عن الدعاء الى الصلح اذا كانوا هم الاعلون اعني اهل الاسلام ثم قوله تعالى وانتم الاعلون يحتمل وجوها يحتمل الاعلون بالحجج والبراهين في كل وقت ويحتمل وانتم الاعلون بالقهر والغلبة في العاقبة اي اخر الامر لكم ويحتمل وانتم الاعلون في الدنيا والاخرة لانهم وان غلبوا في الدنيا وقتلوا كانت لهم الاخرة وان ظفروا بهم كانت لهم الدنيا والاموال وقال بعضهم وانتم الاعلون اي وانتم اولى بالله منهم ونحو ما ذكرنا في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل والله معكم ويحتمل معكم في النصر والغلبة ويحتمل معكم في الوعد الذي وعد اي ينجز ما وعد لكم في الدنيا ويفي بذلك وقوله عز وجل ولن يتركم اعمالكم اختلف فيه قال بعضهم اي لن يجعل الله للكافرين عليكم مظلمة ولا تبعة وهو يحتمل في الدنيا والاخرة كقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وقال بعضهم ان يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم اعمالكم وكذا قال ابو عوسجة يقال وترته اي نقصته وقال بعضهم لن يظلمكم اعمالكم يقال وترني حقي اي بخسنيه كذلك قال القتبي ولكن كلاهما واحد في المعنى اي لا ينقصهم اعمالهم شيئا ولا يظلمون فيها ولا يبخسون والله اعلم وقوله عز وجل انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اي حيوة الدنيا على ما عندهم وعلى ما يقدرون لعب ولهو لانهم كانوا يقولون ان لا بعث ولا حيوة

فعلى ما عندهم يكون حيوة الدنيا على ما ذكر من اللهو ويحتمل انه سماها لهوا ولعبا لانهم على ما يزعمون انشاها للا
انقطاع والفناء لا ليكتسب بها الحيوة الدائمة فى الاخرة وانشاء الشئ للانقطاع والفناء خاصة بلا عاقبة
يقصد يكون لعبا ولهوا ثم اللعب واللهو يجوز ان يكونا شيئا واحدا ويجوز ان يكون احدهما ما يستمتع بظاهر
الاشياء والاخر ما يستمتع بباطن الاشياء اللعب هو ما يستمتع بظواهر الاشياء واللهو هو ما يتلقى بها طرا او
الله اعلم وقوله تعالى وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اى وان تؤمنوا بما امرتم من الايمان وتتقوا عما نهيتم عن
مخالفة امره يؤتكم اجوركم جعل الله عز وجل بفضله ورحمته لاعمالهم التى يعملون لانفسهم اجرا اذ لا احد
يعمل لنفسه ويأخذ الاجر من غيره لانهم بالاعمال يستحطون من انفسهم التكليف بالشكر لنعم الله تعالى حيث اسدى
عليهم النعم ابتداء لكنه جعل لاعمالهم اجرا كانهم يعملون له ابتداء وان كانوا عاملين لانفسهم فى الحقيقة واليه
يرجع منافع اعمالهم ولان انفسهم واموالهم فى الحقيقة لله تعالى فكيف يستحقون الاجر على بولدهم باعمالهم
وهذا كما ذكرنا من الاقراض له والاستيدا منه كان لا ملك له فى ذلك وان ليس له ذلك وان كان حقيقة املاكهم
وانفسهم الله تعالى فضلا منه وكرما فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ولا يسألكم اموالكم هذا يخرج على و
جهين احدهما اى ليس يسألكم الانفاق من اموالكم وانما يسألكم من اموالكم ليستمتعوا بمال غيره لانفسكم ويجعلوه
ذخرا لانفسكم غير ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا اى لو كان يسألكم من اموالكم لبخلتم وتركتم الانفاق منها والثانى ولا
يسألكم اموالكم اى ولا يسألكم الانفاق من جميع اموالكم ولكن انما يسألكم نفاق من طائفة من اموالكم ان
يسألكموها فيحفكم اى لو يسألكم جميع اموالكم لحملكم ذلك على البخل وترك الانفاق فاذ يسألكم الانفاق من جزؤ
من اموالكم فلما ذا بخلتم وتركتم الانفاق وقوله فيحفكم تبخلوا يخرج من وجوه احدها اى يحملكم على البخل لو يسألكم جميع
الاموال ويحتمل فيحفكم اى يجعلكم حفاة لا شئ يبقى عندكم الاحفاء ان يأخذ كل شئ عنده وهو من الاستيصال
ومنه احفاء الشوارب وقال ابو عوسجة الاحفاء شدة المسالة اى ان يلح عليكم فيما يوجبه فى اموالكم تبخلوا يقال
احفى فى المسألة والحف والح واحد والله اعلم وقوله عز وجل ويخرج اضغانكم اى لو امر بالانفاق من جميع اموالكم ومن
اموالكم حقيقة يظهر ذلك من اضغانكم التى فى قلوبكم لان ذلك الامر انما يجرى على السن الرسل فوجب ذلك اظهار
ما فى قلوبهم من الضغائن للرسل عليهم السلام فان كان التأويل هذا فهو فى المنافقين فيكون الامر بالانفاق سبب
اظهار نفاقهم وضغائنهم وعداوتهم فكان كالامر بالقتال كان سببا لاظهار نفاقهم وان كان فى المسلمين
فيحتمل انه قال ذلك تحريضا لهم على الانفاق والتصدق اى انه سبب اخراج الضغائن والعداوة لما فيه من
التحبب والتودد بايصال ما هو محبوب اليه والله اعلم وقوله عز وجل ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله اى
ها انتم يا هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله اى فى اظهار دين الله او فى طاعة الله او فى الجهاد لان الانفاق فى ذلك
كله فى سبيل الله والله اعلم وقوله عز وجل فمنكم من يبخل عن نفسه جعل الله عز وجل الانفاق لهم حقيقة اذا
انفقوا فيما امرهم الله تعالى بالانفاق فى طاعته عند ذلك يصير تلك الاموال لهم لانهم اذا انفقوا فيما امر الله تعالى
انتفعوا بها فى الدنيا فى الدنيا واستمتعت انفسهم وتلذذت وانتفعوا بها ايضا فى الاخرة وقت حاجتهم وفقرهم
بذلك يتحقق ويحصل لهم تلك الاموال فاما عند تركهم الانفاق فيما امروا بالانفاق والبذل فلا يتحقق
لهم تلك الاموال المجعولة فى ايديهم لانه اما ان يجعل لوارثهم او يأخذها منهم بلا سبب من غير ان يجعل لهم
بذلك نفع يحصل لهم فيكون ما ذكرنا فذلك تأويل قوله تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله اعلم لما يهلك
نفسه بترك الانفاق منها ولم يتمتع وقت حاجته اليه فى الاخرة وقال بعضهم قوله فمنكم من يبخل عن الصدقة
والانفاق فى طاعة الله ومن يبخل بالصدقة فى طاعة الله فانما يبخل عن نفسه بالجزاء والله اعلم وقوله عز وجل
والله الغنى وانتم الفقراء اى والله الغنى عن انفاقكم وعما يأمركم بالانفاق وانتم الفقراء الى ما تنفقون اى انتم
المنتفعون بذلك الانفاق الذى يأمركم به لانه يرجع منفعة ذلك اليه او يأمر لحاجة نفسه ولكن انما يأمركم
بذلك لحاجتكم اليه يوما والله اعلم ويحتمل ان يكون يقول والله الغنى عنكم وعما فى ايديكم وانتم الفقراء اليه فى كل وقت
وكل ساعة فى جميع احوالكم واوقاتكم كقوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله هو الغنى الحميد ويحتمل والله الغنى
عن اموالكم وانتم الفقراء الى مغفرته ورزقه وجنته ورحمته وقوله عز وجل وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ثم لا يكونوا امثالكم قال بعضهم قد تولوا وهم اهل مكة واستبدل قوما غيرهم وهم اهل المدينة لكن
هذا بعيد لان السورة مدنية فلا يحتمل الخطاب به لاهل مكة بقوله وان تتولوا ومنهم من يقول الله عز وجل
اخبر ووعد اهل المدينة انهم ان يتولوا استبدل غيرهم اطوع منهم لله تعالى فلا تولوا هؤلاء ولا استبدل
غيرهم وقال بعضهم هو على وجهين احدهما قوله وان تتولوا يستبدل قوما اى لم يتولوا ولم يستبدل قوما
غيركم والوجه الاخر قد تولوا واستبدل بهم النخع واحمس وناس من كندة والذين تولوا حنظلة واسد
وغطفان وبنوا فلان وقوله عز وجل ثم لا يكونوا امثالكم اى لا يكونوا امثالكم فى الطاعة لله تعالى بل اطوع له
واخضع والله اعلم وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فضرب
بيده على فخذ سلمان الفارسى وقال والذى نفسى بيده لو كان الدين منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت غنما سودا ورد فيها غنم بيض فاختلطت بها فتعقب بهن جميعا قالوا

يا رسول الله

يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اولت قال العجم يشركونكم فى دينكم وانسابكم قالوا العجم يا رسول الله قال
نعم لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من العجم واسعدهم به اهل فارس فان ثبت هذا الخبر فجائز ان يستدل به
على جعل العجم اكفاء العرب لانه قال يشركونكم فى انسابكم فاذا اشركوهم فى انسابهم صاروا اكفاءهم ويحتمل ان
يكون قوله يشركونكم لانهم ينسبونهم قبله منهم او لاد فيشركوا لما ذكروا والله اعلم وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه
قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن
يستبدل قوما قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه هذا وقال فى حديث
اخر والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لناله رجال من فارس والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا قال بعضهم هو فتح مكة وقال بعضهم هو صلح الحديبية
الذى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اهل مكة حين صدوهم عن دخولهم مكة وحالوا بينه وبين
زيارة البيت وكان له فيها اعنى فى قصة الحديبية امران وايتان ظاهرتان عظيمتان احدهما انه اصابه
ومن معه من اصحابه عطش فاتى باناء ماء فنبع من ذلك الاناء من الماء مقدار ما شرب منه زهاء الف
وخمسمائة حتى رووا جميعا فذلك اية عظيمة حسية على رسالته والثانى خبر بغلبة الروم الفارس وذلك
علم غيب وكان كما ذكر واخبر فدل انه انما علم ذلك بالله تعالى وقصة الحديبية روى عن رجل يقال له
مجمع بن حارثة قال شهدت الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها ان الناس يوجفون
الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما للناس قال اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف
مع الناس حتى وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم اسم موضع فلما اجتمع اليه بعض
ما يريد من الناس قرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا قال قال رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او فتح
هو يا رسول الله قال اى والذى نفسى بيده انه لفتح قال ثم قسمت الحديبية على ثمانية عشر سهما وكان الجيش
الفا وخمسمائة وفى بعض الاخبار ان الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين ولم يزل الاول
نرى لقاتلنا قال فنزلت سورة الفتح فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر رضى الله عنه فاقرأها اياه
فقال يا رسول الله فتح هو قال نعم وعن عامر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بالحديبية فانزل الله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل انها فتح هو قال نعم وعن جابر انه قال ما كنا نعد الفتح الا يوم الحديبية
وكذلك روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال نزلت هذه الاية انا فتحنا لك فتحا مبينا بالحديبية
وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال لم يكن فى الاسلام فتح اعظم من صلح الحديبية وضعت الحرب اوزارها
وامن الناس كلهم ودخل فى الاسلام فى السنتين اكثر مما كان دخل قبل ذلك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى المدينة من الحديبية وفى الحديث طول تركنا ذكره والله اعلم وقوله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا يخرج
على وجوه ثلثة احدها انا قضينا ذلك قضاء بينا بالحجج والبراهين على رسالتك ونبوتك ليعلم انك محق على ما انت
صادق فى قولك ليغفر لك الله بما اكرمك وعظم امرك بالرسالة والنبوة اى اعطاك ذلك واكرمك به ليغفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر والثانى انا فتحنا لك فتحا مبينا ما لم يطمع احد من الخلائق انه يفتح عليك امثال
ذلك الفتوح ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والثالث انا فتحنا لك جميع ابواب الحكمة والعلوم وجميع
ابواب الخيرات والحسنات ليغفر لك الله بما اكرمك من ابواب الحكمة والخيرات يخرج على هذه الوجوه الثلاثة
والله اعلم ثم قوله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر يخرج على وجهين احدهما يرجع الى ذنبه اخبر انه
غفره له ثم لا يجوز لنا ان نبحث عن ذنبه ونتكلف انه ما كان ذنبه وايش كان زلته لان البحث عن زلته مما يوجب
التنقص فيه فمن تكلف البحث عن ذلك يخاف عليه الكفر لكن ذنبه وذنب سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام
ليس نظير ذنبنا اذ ذنبهم بمنزلة فعل مباح منا لكنهم نهوا عن ذلك والله اعلم وجائز ان يكون قوله عز وجل ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر اى يغفر ذنبه ابتداء غفرانا اى عصمة عن ذلك وذلك جائز فى اللغة والله اعلم والوجه
الثانى يرجع الى ذنوب امته اى ليغفر لك الله ذنوب امتك وهو ما يشفع لامته فيغفر له اى لشفاعته وهو كما روى
فى الخبر يغفر للمؤذن مد صوته اى يجعل له الشفاعة فعلى ذلك جائز ان يكون قوله ليغفر لك الله اى يغفر لامته
بشفاعته والله اعلم وقوله عز وجل ويتم نعمته عليك يحتمل تمام نعمته عليه هو ما ذكرنا من الرسالة والنبوة وفتح
ما ذكر من ابواب الخيرات والحكمة فى الدنيا والاخرة او الشفاعة له فى الاخرة او اظهار دينه على الاديان كلها وايأس
اولئك الكفرة عن عوده الى دينهم كقوله اليوم اكملت لكم دينكم الاية والله اعلم وقوله عز وجل وينصرك الله نصرا
عزيزا يحتمل اى ينصرك نصرا عزيزا بالغلبة عليهم والقهر والظفر لا صلحا ولا موادعة وعلى ذلك يخرج قول اهل التأويل
نصرا عزيزا لا يستذل ولا يسترذل وظاهر الاية ليس على ذلك لانه قال على اثره ليغفر لك الله ذات الخيرات والحسنات
يكون سببا للمغفرة فجائز ان يكون ما ذكر من الفتح له والمغفرة هذا الا ما ذكره الا ان يقال ان النبى صلى الله عليه

معجزه

قصة الحديبية

وسلم كان لبث من الفتح لما اقدم على اسباب الفتح وهو القتال مع الكفرة ونحو ذلك وذلك من الخيرات التي يكون
سبب المغفرة الا ان الله اضاف الفتح الى نفسه والقتال منهم والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من الفتح له هو ان
الله جعل رسوله بحيث لا يخط بيده خطا ولا يكتب كتابا ولا يفهم كتابة وهو ما وصفه الله جل وعلا بقوله وما
كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فيه على ما ذكر ثم مع ذلك جعله حكما الحج
ايضا جميع اهل الكتب التالية اليه في معرفة ما ضمن كتابه المنزل عليه وجعله رسولا اليهم فيكون كانه قال انا
انا فتحنا لك النبوة والحكمة وانواع العلوم والخيرات والحسنات ليغفر لك اي بما فتح لك ما ذكر ليغفر لك ويتم نعمته
عليك من النبوة والحكمة واظهار دينه على الاديان كلها ويهديك صراطا مستقيما وينصرك نصرا عزيزا اعطاه ما ذكرنا
وذلك كله النصر العزيز والله اعلم وجائز ان يكون قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك اي من ذنب امتك وما تأخر
من ذنوبهم على ما قال بعض اهل التأويل ويتم نعمته عليهم من انواع الخيرات والامر لهم والا باس لا ولئك الكفرة
عنهم ويهديهم صراطا مستقيما وينصرهم نصرا عزيزا اي فتحنا لك ما ذكر ليكون لامتك ما ذكرنا من المغفرة لهم
واتمام النعمة والهداية لهم الى الصراط المستقيم والنصر لهم النصر العزيز اي نصرا يعزون به في حياتهم وبعد وفاتهم
في الدنيا والاخرة والله اعلم ومن الناس من يقول ان الله جل وعلا امتحن رسوله عليه الصلوة والسلام في الابتداء
بالخوف حين قال وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وجد النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وجدا شديدا ونزل بعده انا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله الى اخره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك نزلت على اية احب الي مما على الارض
ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا نبي الله قد بين لكم ماذا يفعل بك ولم يبين ماذا يفعل
بنا فنزل قوله تعا ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الاية والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي انزل السكينة
في قلوب المؤمنين قال بعضهم السكينة هي كهيئة الريح لها جناحان ولها راس كراس الهر لكن هذا ليس بشيء فانه
عز وجل قال انزل السكينة هي كهيئة الريح لها جناحان ولها راس كراس الهر لكن هذا ليس بشيء فانه عز وجل قال
انزل السكينة في قلوب المؤمنين بحقيقة الدين وهو تفسير العلم وهذا يدل على ان خالق العلم الاسنة لا لي ومنزلة و
منشية هو الله تعالى تعا وهم يقولون ان خالقه هو المستبد لا فيكون حجة عليهم قال بعض المعتزلة اضافة انزال السكينة
الى نفسه على سبيل المجاز ليس على التحقيق كما يقال فلان انزل فلانا في منزله او مسكنه وان لم يكن منه حقيقة انزاله
اياه في المنزل لكن اضيف اليه ذلك لانه وجد منه وسبب به يصل ذلك الى نزوله في منزله ومسكنه فعلى ذلك اضاف
اضاف انزال السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا فلا يقال في مثله لا مر كان منه او بسبب جعل له ذلك وهو
كقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله وانما يقال ذلك لتحقيق انزال ذلك ليكون ما ذكر على ما اخبر انه
فتح ليغفر له ما ذكر والله اعلم ثم قوله عز وجل ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يخرج على وجوه احدها ما قال ابو حنيفة رحمه
الله ليزدادوا ايمانا بالتفسير على ايمانهم بالجملة والثاني ليزدادوا ايمانا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجيء مع ايمانهم
بسائر الرسل والكتب التي كانوا امنوا بها وصدقوها وهذا في اهل الكتاب خاصة والثالث ليزدادوا ايمانا في هذا
الوقت مع ايمانهم فيما مضى من الاوقات فاذا وصل هذا بالاول فيكون بحكم الزيادة وان شئت جعلته بحكم الابتداء
اذ للايمان حق التجدد والحدوث في كل وقت والله اعلم وقوله عز وجل ولله جنود السموات والارض فان كان
نزوله على اثر قول ذلك المنافق على ما ذكر بعض اهل التأويل حيث قال لاصحابه يزعم محمد ان الله قد غفر له وان له على
عدوه ظفر ويهديه صراطا مستقيما وينصره نصرا عزيزا هيهات هيهات لقد بقي له من العدو اكثر واكثر فاين اهل فارس
والروم هم اكثر عددا فعند ذلك نزل ولله جنود السموات والارض فمعناه اي لله تدبير جنود السموات والارض ينصر من
يشاء ويجعل الامر لمن يشاء ليس لهم التدبير والنفاذ الامر على من شاؤا ولكن ذلك الى الله تعالى وهو كقوله تعالى قل ان الامر كله
جميعا اي لله تدبير مكرهم لا ينفذ مكرهم الا بالله تعالى فعلى ذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله عليما حكيما
اي من علم بما يكون منهم من ايثارهم عداوة الله على ولايته واختيار الخلاف له انشاهم لا عن جهل بعلم انه لم يشتم
ولم يأمرهم وامتحنهم بما امتحن لحاجة نفسه او لمنافع يرجع اليه ولكن لحاجة اولئك ولمنافعهم ولذلك قال حكيما
لان الحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير فاذا كان انشاؤه اياهم وما امرهم به ونهاهم عنه لا لحاجة له
في نفسه ولا منفعة ولكن لحاجتهم ومنفعتهم كان حكيما في انشائه اياهم على علم منه بما يكون منهم من ايثار العداوة
له على ولايته واختيار الخلاف له والمعصية والله الموفق وقوله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها الاية كان هذا صلة قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم ليدخل المؤمنين والمؤمنات الاية انزل السكينة في قلوبهم اي انزل ما تسكن بها قلوبهم
ليزدادوا بذلك ايمانا وانزل السكينة ايضا ليدخلهم فيما ذكر كما ذكر في رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك
فتحا مبينا ليغفر لك الله فتح له ليغفر له فعلى ذلك انزل السكينة في قلوبهم ليزدادوا لهم الايمان وليدخلهم
جنات التي وصفتهم اخبر ان ذلك لهم عند الله فوزا عظيما لا هلاك بعده ولا تبعة والله اعلم وقوله عز وجل
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ذكر للمنافقين والمشركين من العذاب مقابل ما ذكر للمؤمنين
من انزال السكينة عليهم وادخالهم الجنة جزاء هؤلاء السكينة التي ذكر ان قلوب المؤمنين بها سكنت لما علموا انهم يجتنبان
عداوة ويؤثرون عداوة اولياء على ولايتهم وعلم من المؤمنين انهم يؤثرون ولايته على عداوته ولا يتراولياية

مما يحفظ النية للايمان حق التجدد والحدوث في كل وقت

سوء ظن بالله تعالى نعوذ بالله اللهم نحسن ظنوننا لمن يجب ان نحسنه

على عداوتهم فانزل السكينة في قلوبهم ولم ينزل على اولئك هذا ليعلم ان من بلغ في الايمان الحد الذي ذكرنا انما بلغ ذلك
بالله تعا وبفضله وبرحمته ولا قوة الا بالله وقوله الظانين بالله ظن السوء جائز ان يكون قوله عز وجل الظانين
ظن السوء هم المنافقون الذين ذكرهم في اية اخرى حيث قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء ظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجع الى اهله
وكذلك المؤمنون لا يرجعون الى اهليهم ابدا ثم اخبر ان ذلك السوء فيحتمل ما ذكر ها هنا الظانين بالله ظن
السوء هذا ما ذكرنا والله اعلم وجائز ان يكون قوله الظانين بالله ظن السوء هم المشركون ثم ان كانوا من
المنافقين فيكون ظنهم بالله ظن السوء الا يرجع هو واصحابه الى اهليهم ابدا وان كانوا من مكذبي الرسول
صلى الله عليه وسلم فيكون ظنهم بالله ظن السوء ان لا يكرم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة ولا يعطيه
بالنبوة لا يختاره ولا يؤثر على غيره من الناس الذي يختارون هم كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم فيكون ظنهم بالله ظن السوء على هذا ان لا يكرم الله تعا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا
يختاره لرسالته ونبوته والله اعلم وان كانوا ذلك من مكذبي البعث ومنكريه فيكون ظنهم بالله ظن
السوء وهو ان لا يقدر على البعث والاحياء بعد الموت ثم اخبر ان عليهم دائرة السوء الذي ظنوا ان
لا يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صار عليهم ما ظنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تفرقوا
من اوطانهم وهتك استارهم ونحو ذلك وان كانوا من مكذبي الرسول صلى الله عليه وسلم انه لا يرسل
فظنهم كان ما ظنوا الا نبعث هو رسولا ولم يبعث من اختاروا هم وان كانوا من منكري البعث فعليهم
كان عذاب اليوم وفيه هلاكهم والله اعلم وقوله عز وجل وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم
جهنم وساءت مصيرا اخبر عز وجل انهم استوجبوا غضب الله ولعنته بالذي كان منهم من سوء ظنهم بالله
ورسوله واعد لهم جهنم بذلك وساءت مصيرا لهم وقوله عز وجل ولله جنود السموات والارض
وكان الله عزيزا حكيما ذكر على اثر ما ذكر عزيزا حكيما ليعلم ان عزه ليس بما ذكر من الجنود الذين له في السموات و
الارض ولكنه عزيز بذاته له العز الذاتي الازلي والله اعلم وقوله عز وجل انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
قوله شاهدا الله ها الله تعالى على عباده ما لبعضهم على بعض فعلى هذا التأويل يكون قوله شاهدا اي مبينا اي ليتبين
ما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وهو قول ابي بكر الاصم وقال بعضهم اي شاهد الرسل عليهم السلام بالتبليغ بالاجابة
لمن اجابهم وشاهدا على من ابى الاجابة بالاباء والرد فعلى هذا التأويل يكون قوله شاهدا على حقيقة
الشهادة على ما ذكرنا والله اعلم وقال بعضهم اي ارسلناك شاهدا على امتك على الانبياء عليهم الصلوة والسلام
بالتبليغ ومن ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ومبشرا ونذيرا البشارة هي تذكر عواقب الخيرات والحسنات
والاخبار عن احوالها انها الى ماذا يفضي اربابها وعمالها ليرغبهم فيها والنذارة هي تذكر عواقب الشرور و
السيئات والاخبار عن احوالها انها الى ماذا تفضي اربابها ومرتكبيها ليزجرهم عنها والله اعلم وقوله عز وجل
لتؤمنوا بالله ورسوله خاطب بهذا البشر كلهم وفي الاول خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه يقول
على الجمع بينهما في الخطاب ارسلناك رسولا شاهدا لتؤمنوا انتم بالله ورسوله ويحتمل ان يكون على الاضمار اي
انا ارسلناك مبشرا ونذيرا وقل لهم انما ارسلت لتؤمنوا بالله ورسوله وهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء فطلقوهن لعدتهن معناه يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فعلى ذلك جائز ما
ذكرنا والله اعلم وقرئ بالياء وهي ظاهرة ثم الايمان بالله تعا هو ان يشهد له بالوحدانية والالوهية وان
له الخلق والامر في كل شيء وكل مر والايمان برسوله هو ان يشهد له بالصدق في كل امر بالعدالة له فيما
يحكم ويقضي ويصدقه في كل ما يقوله ويجيبه في كل ما يدعو اليه ويطيعه في كل امر يأمره به وينهى عنه والله اعلم
وقوله عز وجل ويعزروه اختلف فيه قال بعضهم اي ينصروه ويعينوه وقال بعضهم اي يطيعوه وقال بعضهم
اي يعظموه فمن يقول ان قوله ويعزروه ليس على النصر والاعانة ولكن على التعظيم او على الطاعة استدل بما قال
في اية اخرى وعزروه ونصروه ذكر التعزير وعطف النصر عليه والمعطوف غير المعطوف عليه فدل انه غير النصر
ولكن جائز ان يذكر الشيء الواحد بلفظين مختلفين ومعناهما واحد على التأكيد وكذلك من يقول بالتعظيم يقول
امرهم بتعظيمه في الحرفين اعني قوله ويعزروه ويوقروه وذلك جائز في الكلام ويحتمل ان يكون التعزير هو
الطاعة له والتوقير هو التعظيم وفي الطاعة له تعظيم والله اعلم ومن قال بالنصر والمعونة في التبليغ الرسالة
الى الخلق والدفع عنه والذب والتعظيم له في قلبه وجميع جوارحه والله اعلم وقوله عز وجل وتسبحوه بكرة
واصيلا والتسبيح اجمع اهل التأويل ان قوله تعا وتسبحوه بكرة راجع الى الله تعالى وكذلك ذكر في بعض القراءة
ويسبحون الله بكرة واصيلا والتسبيح هو التنزيه في الافعال والاقوال لا يليق صرف ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه كان يرى العيوب في افعاله واقواله لا يدخل في افعاله واقواله عيب وان كان هو تنزيها
عن الخديعة والفناء وافات كل في نفسه فذلك لا يجوز اضافته ونسبته الى الله عز وجل فاما غيره لا يجوز
اضافة ذلك اليه واصله ما ذكر اهل التأويل من صرفه الى الله تعالى وقوله عز وجل بكرة واصيلا صرف اهل
التأويل البكرة الى صلوة الفجر والاصيل الى صلوة المغرب والعشاء ولكن جائز ان يكون البكرة كناية عن

النها و والاصيل كناية وعبارة عن الليل فكانه يقول سبحوا بالليل والنهار جملة في كل وقت والله اعلم وقوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اجمع اهل التأويل او عامتهم على ان المبايعة المذكورة في هذه الاية هي البيعة التي كانت بالحديبية بايعوه على ان لا يفروا اذا القوا عدوا قال معقل بن يسار ولقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا من اغصانها عن رأسه ونحن اربع عشر مائة اى الف واربع مائة نفر قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وجائز ان يكون المبايعة على ان لا يفروا وذكر في اية اخرى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار والمبايعة هي المعاهدة الا ترى انه قال في اية اخرى ومن اوفى بما عاهد عليه الله ذكر في اول الاية المبايعة وفي اخرها المعاهدة ليعلم ان المبايعة والمعاهدة سواء والله اعلم ثم اضاف مبايعتهم رسوله الى نفسه يحتمل وجهين احدهما ما يأمر بيايعونه او ذكر ونسب الى نفسه لعظيم قدره وجليل منزلة عنده والله اعلم وقوله عز وجل يد الله فوق ايديهم قال بعضهم يد الله في جزاء المبايعة فوق ايديهم في المبايعة او كلام نحوه وجائز ان يكون قوله تعالى يد الله فوق ايديهم اى يد الله في الجزاء اذا وفوا بالعهد فوق ايديهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم عنده يد فيخبر ان جزاء الله الذي يجزيهم بوفاء ذلك المبايعة فوق ايديهم التي لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من يد الله واضافتها اليه يريد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه يقول يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عندكم فيما بايعكم فوق ايديكم عنده لما يحتمل ان يقع عندهم ان يكون لهم يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بايعوه كقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا الاية فيخبر ان يد رسول الله عليه الصلوة والسلام فوق ايديكم عنده بالمبايعة التي بايعتم والله اعلم ويحتمل اى يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمد والبسط بالمبايعة فوق ايديهم والله اعلم يحتمل قوله يد الله فوق ايديهم اى توفيق الله تعالى اياكم ومعونته على ما بايعتم رسوله فوق وخير من وفائكم ببيعته وعهده والله اعلم وجائز ان يكون قوله يد الله فوق ايديهم اى يد الله في النصر لرسوله فوق ايديهم كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم حقيقة النصر انما يكون بالله تعالى ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل فمن نكث فانما ينكث على نفسه هذا يخرج على وجهين احدهما كقوله تعالى جملة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فعلى ذلك من نكث فانما له جزاء نكثه وهي النار ومن اوفى فله ما ذكر من جزاء الوفاء والثاني ومن نكث فانما ينكث على نفسه اى من نكث فعليه ضرر نكثه واليه يرجع ذلك الضرر لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين لان الله جل وعلا وعد النصر له والظفر بالنبي فمن نكث فانما يرجع ضرر نكثه اليه اذ الله يفي لرسوله صلى الله عليه وسلم ما وعد الله من النصر له والله اعلم وقوله عز وجل سيقول لك المخلفون من الاعراب قوله تعالى المخلفون سماهم مخلفين ولم يخلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه ولكن الله تعالى جل وعلا خلفهم عن ذلك بان احدث فيهم فعل التخلف لما علم منهم ما كان من اختيارهم التخلف كقوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم اى منعهم فعلى ذلك ما ذكر من المخلفين ان الله سبحانه وتعالى خلفهم عن ذلك وهم اكتسبوا فعل التخلف في انفسهم دل ان خالق افعال العباد هو الله تعالى والله الموفق وقوله عز وجل خبرا عنهم شغلتنا اموالنا واهلونا هذا القول منهم قول اعتذار وطلب العذر من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولهم فاستغفر لنا طلبوا منه الاستغفار مع اظهار العذر في التخلف بقولهم شغلتنا اموالنا واهلونا يقولون وان حبستنا اموالنا واهلونا لم يكن لنا التخلف عنك فاستغفر لنا ولكن مع هذا لم يقبل عذرهم لانهم كانوا لا يحققون في طلبهم الاستغفار منه لانهم اهل نفاق لا يؤمنون برسالته ولا بالبعث كي ينفعهم المغفرة في الاخرة الا ترى انه قال في اية اخرى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الاية دل هذا الفعل منهم على انهم كانوا غير محققين طلب الاستغفار منه بقولهم فاستغفر لنا حيث قال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم اى يقولون بالسنتهم قولهم فاستغفر لنا ما ليس في قلوبهم حقيقة ذلك ولا جائز ان يصرف قولهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم الى قولهم شغلتنا اموالنا واهلونا اى كاذبين في العذر ولكن طلبوا الاستغفار حقيقة لا يقال هذا لانهم كانوا صادقين في ان اموالهم واهلوهم شغلتهم عن ذلك فلا يمكن صرف الاية الى ذلك والله الموفق وقوله عز وجل قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا قد ذكرنا ان حرف الاستفهام من الله تعالى يكون على الايجاب فينظر ان لو كان ذلك السؤال من مستفهم كيف يجاب له فيكون من الله تعالى على الايجاب ان لا احد يملك لكم نفعا ان كان الله اراد بكم ضرا ولا احد يملك لكم ضرا ان كان الله اراد بكم نفعا يخبر انكم وان تخلفتم لحفظ اموالكم واهليكم فان الله تعالى لو اراد بكم ضرا لا تملكون دفعه عن انفسكم وان لم تتخلفوا ولكن خرجتم معه فلا يملك احد الضر لكم فيخبر انه لا عذر له في التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اوعدهم فقال بل كان الله بما تعملون خبيرا جعل الله عز وجل نفس المنافقين وصنيعهم اية ودلالة على رسالة رسوله صلى الله عليه وسلم في حق المنافقين حين كان يطلع رسوله على جميع ما استروا في انفسهم واضمروا في قلوبهم ليعلموا انه انما عرف ذلك بالله جل وعلا وجعل الاية له في حق غيرهم من الكفرة من غير صنيعهم وانفسهم حتى علموا بذلك انه بالله قدر على ذلك والله اعلم وقال اهل التأويل ان اراد بكم ضرا اى الهزيمة واراد بكم نفعا ظهورا على عدوكم وغنيمة يحتمل ان يكون الخطاب بهذا لاهل الايمان والوعظ لهم بذلك لان اهل النفاق

كانوا لا يصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقبلون ما يقول من المواعظ وغيره وقوله عز وجل بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا فان قيل ما الذي حملهم على الظن الذي ظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لا يرجعون الى اهليهم ابدا اذا كان ذلك في خروجهم الى الحديبية على ما قال اهل التأويل ان ذلك كان في خروجهم الى الحديبية وكان خروجهم للحج وقضاء المناسك لا للقتال والحرب معهم حتى يقع عندهم انهم لا يرجعون بل يهلكون في ذلك واهل مكة لم يكونوا يمنعون احدا من اهل الايمان يدخل مكة للحج وقضاء المناسك قيل لان اهل النفاق كانوا قد كتبوا الى اهل مكة واعلموهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم خرجوا اليكم للحج وزيارة البيت فقالوا انا لا ندعهم يدخلون مكة بل نقاتلهم ونحاربهم ولا نتركهم يدخلونها فاذا كان منهم ما ذكرنا فجائز ان يكونوا ظنوا ما ذكرنا من ظنهم فاما على غير ذلك فلا يحتمل مع اجتماع اهل التأويل على ان ذلك كان في امر الحديبية والله اعلم وقوله عز وجل وظننتم ظن السوء اى ظننتم برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ظن السوء انهم لا يرجعون الى اهليهم ويحتمل ظننتم بالله ظن السوء انه لا ينصر رسوله ولا يعينه وقوله عز وجل وكنتم قوما بورا قال بعضهم بورا اى هلكى اى تبصرون قوما هلكى فيه دليل انهم يموتون على نفاقهم وقال الحسن كنتم قوما بورا اى فاسدون لا خير فيهم وكذلك يقول ابن عباس رضي الله عنهما ان البور هو الفاسد وقال بعضهم البور في كلام العرب لا شيء وقال القتبي البور الهلكى وقوله عز وجل ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا فهو ظاهر وقوله عز وجل ولله ملك السموات والارض قيل فيه بوجوه احدها ولله خزائن السموات والارض وكذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه انه كان يقرؤه ولله خزائن السموات والارض والثاني ولله ملك كل ملك في السموات والارض اى لله حقيقة ملك كل ملك في السموات والارض والثالث ولله ولاية اهل السموات والارض وسلطانه اى الولاية والسلطان له على اهل السموات والارض ثم يحتمل ذكره هذا وجهين احدهما يخبر انه فيما يامرهم وينهاهم ويمتحنهم بانواع المحن بما يامرهم وينهى ويمتحن لا لحاجة لنفسه ولا لمنفعة له اذ له ملك السموات والارض ولا يحتمل من له ملك ما ذكر ان يقع له الحاجة الى ما ذكر والمنفعة لانه غني بذاته ولكن يامرهم وينهاهم ويمتحنهم بما امتحن لحاجتهم ولمنفعتهم والله اعلم والثاني يذكر هذا ليقطعوا الرجاء عما في ايدي الخلق ويصرفوا الطمع والرجاء الى الله تعالى ومنه يرون كل نفع وخير يصل اليهم ومنه يخافون في كل امر فيه خوف لا يخافون سواه ولا يطمعون غيره وهو ما اخبر يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله الغني الحميد ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يقول والله اعلم هو يغفر لمن يشاء وهو المالك وهو يعذب من يشاء اى ليس يملك احد مغفرة ذنوب احد سواه ولا تعذيبه انما ذلك منه وله ملك ذلك وله الفعل دون خلقه ليصرفوا طمعهم ورجاءهم في كل امر الى الله تعالى ومنه يخافون في كل امر فيه خوف والله اعلم وقوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما اى وكان الله لم يزل رحيما لا انه حدث ذلك له بخلقه والله الموفق وقوله سيقول المخلفون من الحديبية خلفهم الله عز وجل لما علم منهم من اختيار التخلف وقوله اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم الاية ذكر اهل التأويل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح اهل مكة عام الحديبية ورجع اشتد ذلك على اصحابه رضي الله عنهم لما كانوا طمعوا دخول مكة والزيارة لبيته بشره ربه بفتح خيبر والغنيمة لهم فعند ذلك لما انتهى الى المنافقين المخلفين عن الحديبية تلك البشارة له بفتح خيبر عليهم قالوا ذرونا نتبعكم فنصيب معكم الغنائم وانما رغبوا في اتباعهم معهم لما علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق فيما يخبر من البشارة له والفتح والغنيمة له بلا مؤنة قتال ولا حرب يقع هنالك وقوله عز وجل يريدون ان يبدلوا كلام الله البشارة بفتح خيبر وجعله غنيمة لمن شهد الحديبية فاما من تخلف عنها فليس له في ذلك من نصيب فاخبر الله تعالى انهم يريدون ان يبدلوا ما وعد الله تعالى للمؤمنين الذين شهدوا الحديبية فتح خيبر خاصة بان يشركوهم فيها وفي ذلك تبديل ما وعد لمن شهد الحديبية والبشارة بالفتح لمن شهدها فاما من تخلف عنها فلا وقال بعضهم تبديل كلام الله ما قال في سورة براءة فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فلما سألوا الخروج الى خيبر والاتباع لهم وقد نهاهم عن الخروج معهم ابدا يريدون ان يبدلوا ذلك النهي الذي نهوا في سورة براءة فيحتمل الامرين جميعا كذا ذكر الشيخ رحمه الله وعامة اهل التأويل على ان قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا انزل في غزوة تبوك وانها بعد خيبر فلم يكن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر تبديل النهي الذي نهوا عن الخروج معه لكن كانه لم يثبت عنده نزول الاية في غزوة تبوك او وقع الخطأ من الذين تلقنوا منه وكتبوه والله اعلم وقوله عز وجل قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل يحتمل قوله كذلكم قال الله من قبل هي البشارة التي ذكرنا لمن شهد الحديبية قال ان مغانم خيبر لمن شهد الحديبية واما من لم يشهد فلا ويحتمل قوله من قبل ما ذكر في سورة براءة فقل لن تخرجوا معي ابدا والله اعلم وقوله عز وجل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا كانوا يقيسون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانفسهم لانهم اذا اصابوا شيئا من المنافقين كانوا يحسدون واصحاب

قاعدة مهمة

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تولى ذلك وقال في اية اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا الاية فلا يحتمل ان يدعوا الى قتال
هؤلاء وهو تولى قتالهم وقد قال الله تعالى خبرا عنه ولن تقاتلوا معي عدوا فاذا لم يحتمل هذا رجع لنا وبل الى ما قال
ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهما انهم انما دعوا الى قتال اهل اليمامة وهم بنو حنيفة دعاهم ابو بكر الصديق رضي الله
عنه لكن لو كان ما قال اهل التاويل ان قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا نزل في غزوة تبوك وتبوك وهي بعد يوم
حنين فيكون ما قاله قتادة محتملا والله اعلم او ان يكون قوله ولن تقاتلوا معي عدوا في قوم خاص وهو ما قال
استاذنك اولوا الطول منهم اي اهل الغناء والثروة انما قال ذلك لاولي الطول الذين استاذنوه القعود مع القاعدين
والله اعلم ويحتمل قوله تعالى ستدعون الى قوم اولي باس شديد في اهل فارس والروم على ما قال الحسن وذلك انما فتح
في زمن عمر رضي الله عنه وقوله عز وجل تقاتلونهم او يسلمون ومن قراها تقاتلونهم او يسلموا بلا الف فيكون تاويله
تقاتلونهم حتى يسلموا وقوله عز وجل فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا اي ان تطيعوا فيما دعيتم الى الجهاد يؤتكم
اجرا حسنا وكانه يؤتهم اجرا حسنا لان توبتهم تكون فيما كان كفرهم وكان نفاقهم انما ظهر بتخلفهم عن الجهاد
فعلى ذلك يكون توبتهم في تحقيق الجهاد وقوله وان تتولوا فيما دعيتم اليه كما توليتم عن الحديبية وغيره يعذبكم
عذابا اليما ثم عذر اهل العذر منهم بقوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كما عذر
اهل العذر من المؤمنين بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الاية وقوله
عز وجل ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما لانهم اذا تولوا عادوا الى
ما كانوا وقوله عز وجل لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة يحتمل قوله لقد رضي الله عن المؤمنين
لما عزموا من الوفاء على ما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديق لذلك والتحقيق لما عهدوا من الوفاء لذلك
اخبر الله ان قد رضي الله عنهم لذلك فنحن نستدل به على الصدق ذلك وتحقيقه وان لم يخبرنا الله تعالى انهم قد عزموا
على ذلك فيجوز لنا ان نشهد انهم قد عزموا على الوفاء لذلك والصدق له وقد يكون من الاستدلال ما يكون
الشهادة له بالحق والصدق اذا كان في الدلالة مثل ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فعلم ما في قلوبهم هذا يحتمل وجوها
احدها ما ذكرنا علم ما في قلوبهم من العزم على الوفاء والصدق لما اعطوا بايديهم من انفسهم والثاني علم ما في قلوبهم
من الخوف والخشية وذلك يتوجه وجهين احدهما انهم خشوا ان لا يتهيا لهم القيام باهل مكة لانهم كانوا مستعدين
للحرب والقتال وهم كانوا خرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت خشوا ان لا يقوموا لهم فلم يفوا ما عاهدوا
والثاني خشوا ان لا يقدروا على وفاء ما بايعوا واعطوه لان في ذلك منابذة جميع اهل الاديان والمذاهب
والله اعلم والثالث علم ما في قلوبهم من الكراهة التي يذكرها اهل التاويل لكن تلك الكراهة الطبع لا كراهة الاختيار
لانهم طمعوا الوصول الى البيت ورجوا دخولها فلما جرى الصلح بينهم على ان لا تدخلوا عامهم ذلك فانصرفوا
فاشتد ذلك عليهم فكرهوا ذلك لكن كراهة الطبع لا كراهة الاختيار وقد يكره طبع الانسان شيئا والخيار غيره
كقوله عز وجل وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وكقول
يوسف رب السجن احب الي مما تدعونني اليه محبة الاختيار لا محبة الطبع بل الطبع الى ما يدعونه
اميل من السجن وقوله عز وجل فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا اي انزل عليهم ما سكن به قلوبهم لما علم تحقيق
الوفاء لما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق ما اعطوا من انفسهم واثابهم مكان ما كانوا يرجون
ويطمعون من دخول مكة وما كرهت انفسهم من الرجوع فتحا قريبا وهو فتح مكة او فتح خيبر والله اعلم ثم
قوله واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها اختلف فيه منهم من صرف الفتح القريب المذكور في الاية الى
فتح خيبر والى مغانم خيبر حين بشروا بالحديبية بفتح خيبر وجعل المغانم لهم مكان ما منعوا من دخول مكة وحيل
بينهم وبين ما قصدوا او في الطريق بعد منصرفهم من الحديبية على ما ذكر في القصة والله اعلم ومنهم من صرف
الفتح الى مكة لانه ذكر في القصة انهم بشروا في الطريق بعد انصرافهم من الحديبية بفتح مكة ويكون قوله اثابهم
على هذا التاويل بمعنى يثيبهم وذلك جائز في اللغة فعل بمعنى يفعل كقوله عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اانت
قلت للناس كذا يعني يقول له وقوله تعالى ومغانم كثيرة ياخذونها على هذا ينصرف الى غيره من المغانم لانه لم يكن
بمكة غنائم والله اعلم ومنهم من قال واثابهم فتحا قريبا الفتوح كلها التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
ولامته وكذلك قوله ومغانم وجائز ان يكون الكفرة حمله اي لو قاتلوكم لولوا الادبار والله اعلم وقوله
عز وجل سنة الله في الذين خلوا من قبل ما سن في كل امة هلاك لم يجعل نحو ذلك الهلاك في غيرها من الامم نحو ما
جعل هلاك قوم نوح الغرق وكذلك قوم فرعون وكذلك جعل هلاك عاد بريح صرصر وثمود بالطاغية جعل
الله تعالى هلاك كل امة بنوع لم يجعل ذلك لغيرها يقول لم يكن لذلك تبديل الى غيره وكذلك ما جعل لكل امة
من هلاك لم يبدل ذلك ولم يجعل ذلك في غيره وجائز ان يكون قوله سنة الله في الذين خلوا من قبل ان جعل
عاقبة الامر للمؤمنين وقوله عز وجل ولن تجد لسنة الله تبديلا في تلك ولكن جعل عاقبة الامر لهم كما جعل
عاقبة الامر في سائر الامم للمؤمنين وقوله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم مع كثرة اولئك وقوتهم وتاهبهم
للقتال وضعف هؤلاء وقلة عددهم لانا اولئك كانوا خرجوا للقتال والحرب مستعدين لذلك متاهبين
وهؤلاء كانوا خرجوا لقضاء المناسك وزيارة البيت فكف ايدي اولئك مع عدتهم وقوتهم وكثرتهم عن هؤلاء مع

ضعفهم

ضعفهم وقلة عددهم حتى ظفرهم باولئك بما ذكر في القصة ان المسلمين كانوا اشتغلوا بالترامي بالنبل والحجارة حتى هزموهم
وادخلوهم بطن مكة على ما ذكر ثم اظفرهم بهم كف ايدي هؤلاء عنهم ويتم لهم الظفر بهم ليعلم هؤلاء ان
التدبير في الامر الى الله تعالى دونهم وله السلطان على الخلق جميعا لا سلطان لاحد في سلطانه ولا قوة الا بالله
واما ما ذكر من الامتنان هو ما ذكر من كف ايدي اولئك عن هؤلاء عند شدة خوفهم منهم وفزعهم بما ذكرنا
من قوة اولئك وكثرتهم وضعف هؤلاء وقلة عددهم حتى اظفرهم يذكر منته عليهم ليستاديهم شكره ويكف ايدي
هؤلاء عنهم فان قيل ما كف ايدي اولئك عن هؤلاء المنة ظاهرة ولكن اي منة تكون في كف ايدي المؤمنين عن
اولئك الكفرة قيل جائز ان يكون المنة في كف ايدي المؤمنين عن اولئك الكفرة ليستاديهم منهم شكره بذلك
وهو الاسلام ولله تعالى على جميع خلقه منة يستادي منهم شكرا على الكافرين والمسلمين جميعا ويحتمل ان يكون المنة
في كف ايدي المؤمنين عن اولئك على المؤمنين ايضا هو ما ذكر على اثره ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم ان تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم انه لولا يكف ايدي المؤمنين عنهم حتى يتم لهم الظفر بهم فدخلوا مكة
وهنالك مؤمنون لاصابهم ما ذكر من المعرة والغرم فكان في كف ايدي المؤمنين عن اولئك منة عظيمة عليهم لما
بينا من قبل من فيها من المؤمنين من غير علم منهم والله اعلم وقوله عز وجل ببطن مكة وهم لم يكونوا في بطن مكة انما كانوا
بالحديبية وبينها وبين مكة اميال لكن يخرج على وجهين احدهما اظفرهم بهم وقهرهم وهزمهم حتى ادخلهم
بطن مكة على ما ذكرنا انهم هزموهم حتى ادخلوهم في بيوتات مكة والثاني ببطن مكة اي بقرب مكة وجائز
ان يكنى ببطن مكة اي قربا وقال بعضهم ببطن مكة اي الحديبية والحديبية كله مكة والوجه فيه ما ذكرنا والله اعلم وقوله
عز وجل وكان الله بما تعملون بصيرا لم يزل الله تعالى عالما باعمالهم بصيرا وفيه دلالة خلق افعالهم لانه ذكر انه
كف ايدي هؤلاء عن اولئك وايدي اولئك عن هؤلاء ثم قال هو عالم بما تعملون بصيرا ليعلم ان
له في فعلهم صنعا والله اعلم وقوله عز وجل هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام اي صدوهم
عما قصدوا وهو الطواف بالبيت والزيارة له وذلك في المسجد الحرام ذكر صدهم عن المسجد الحرام
صدوهم عما فيه والله اعلم وقوله عز وجل والهدي معكوفا ان يبلغ محله وقوله معكوفا اي محبوسا
والعكوف هو الحبس ومنه سمي العاكف والمعتكف ثم قوله عز وجل والهدي معكوفا ان يبلغ محله محل دم
هدي المتعة هو مكة او منى فاما الحرم بنفسه فليس هو محله فكانه قال وصدوا الهدي عن ان يبلغ محل
الذي جعل لهدي المتعة وهو منى او مكة لانه ذكر في الخبر انه كان صلى الله عليه وسلم وسلم معتمرا وذكر انه
كان متمتعا وفيه ان دم المتعة ان منع عن محله سقط وخرج عن حكم المتعة ويعود الى ملكه وله ان يصرفه
الى ما شاء الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر تلك البدن التي ساقها عن الاحصار في الحرم دل ان هدي
المتعة اذا منع عن المحل سقط ويخرج عن حكم المتعة وفيه ان دم الاحصار لا يجوز اراقته الا في الحرم
اذ الحديبية يجمع الحرم والحل جميعا عندنا فانما كان نحرها في الحرم والله اعلم وقوله عز وجل ولولا رجال
مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم اي تقتلوهم وتهلكوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اي لولا
ما فيها اعني في مكة من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لاتم لكم الظفر بهم ودخلتم عليهم لكن منعكم عن
دخولكم مكة لما ذكر ثم اختلف في قوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم قال بعضهم لزمكم الدية بقتلهم
وكذا روي عن محمد بن اسحق وقال بعضهم الكفارة وقال بعضهم الاثم والذنب اي يصيبكم اياهم وهذا لا يحتمل
لانهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون لا يلحقهم الاثم والذنب لان الله تعالى وضع الاثم عنا فيما لا نعلمه
ولم يضع طريق العلم به قال الله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وعندنا
يخرج على وجهين احدهما اي فيصيبكم من الكفرة واهل النفاق ما يسوؤكم بقتلكم اياهم من اللائمة والتعيير وغير
ذلك من القيل والقال يقولون انهم قتلوا اصحابهم ومن كان على دينهم من اهل الاسلام فيجدون بذلك
سبيلا الى ما ذكرنا فيسوؤكم ذلك والله اعلم والثاني يصيبكم الاسف والحزن والندامة الدائمة بقتلهم اهل
الايمان واهل الاسلام اذا علمتم انكم قتلتم اصحابكم واهل دينكم والله اعلم ثم المخالف لنا تعلق بهذه الاية في
مسالتين احدهما فيمن اسلم ولم يهاجر الينا انه يجب الدية في قتله لقوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم وهي
غرم الدية والثانية هل يباح الرمي الى حصون المشركين اذا كان فيها اسارى المسلمين واطفال المسلمين واحراق
الحصون والرمي الى الكفار الذين تترسوا باطفال المسلمين قال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وزفر والثوري لا باس
برمي حصون المشركين وان كان فيهم اسارى المسلمين واطفالهم ولا باس بان يحرقوا الحصون ويقصدوا به المشركين
دون المسلمين وكذلك احراق سفينة الكفار واذا كان فيها اسارى المسلمين وقال مالك لا يحرق سفينة الكفار
اذا كان فيها اسارى المسلمين الاوزاعي اذا تترس الكفار باطفال المسلمين لم يرموا ولا يحرق الحصن ولكن لا باس
بان يرمي الحصن بالمنجنيق ونحو ذلك وقال الشافعي لا باس بان يرمي الحصن وفيه اسارى واطفال المسلمين
ولم يتترسوا بهم فله ذلك واحتج هؤلاء من عادتهم انهم كانوا يعبدون ما يهوون ومالت اليه انفسهم من
الاصنام والاوثان وغيرها وينصرون من عبدوها ويدفعون عنهم فيذبون عنها فجائز ان يكون الذي
حملهم على ذلك هو نصرهم اولئك الاصنام وعبادها والذب عنهم حمية الجاهلية والله اعلم وقوله عز وجل

فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين جائز ان يكون ما ذكر من السكينة التي اخبر انه انزلها على رسوله ومن ذكر
هو شيء انزله من السماء لطفا منه عليهم حتى سكنت لذلك قلوبهم وجائز ان يكون لا على حقيقة انزال شيء من مكان
الى مكان ولكن انشأ في قلوبهم ما سكن به قلوبهم كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اي انشأ لكم من الانعام
ما ذكر وخلقها لهم ليس ان انزلها عليهم من مكان الى مكان ولكن على الانشاء والخلق فعلى ذلك الاول والله
اعلم ثم السكينة يحتمل اسبابا الذي بها يسكن قلوبهم وانفسهم والاسباب يختلف ويحتمل شيئا اخر سوى ذلك
وهو اللطف الذي جعل لهم فسكن قلوبهم بذلك اللطف والله اعلم وقوله عز وجل والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها
واهلها يحتمل هذا وجهين احدهما الزمهم كلمة بها يتقون النار ثم يحتمل كلمة التقوى كلمة الاخلاص وغيرها ما يقيهم
النار والله اعلم ويحتمل قوله والزمهم اظهار كلمة التقوى حتى يصير ظاهرة في الخلق بها الى يوم القيامة والله اعلم وقال
بعضهم كلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم وذلك انه لما كتب كتاب الصلح فيما بين اهل مكة وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال ذلك اكتب كذا لا ندري ما الرحمن الرحيم وذلك كلمة التقوى والله اعلم والوجه فيه ما ذكرنا
وقوله وكانوا احق بها واهلها اي بتلك الكلمة وكانوا اهلا لها وكان الله بكل شيء عليما وقال بعض اهل التاويل كلمة التقوى
هي كلمة الاخلاص وكانوا احق بها واهلها من الامم السالفة واهلها والله اعلم او كانوا احق بها في الاظهار في الخلق
والقيام بذلك او كانوا احق بها في الزامها في انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
قال اهل التاويل قوله صدق الله رسوله اي حقق الله رسوله الرؤيا التي اراها اياه بالحق اي بالوفاء لذلك ويحتمل
اي صير النبي صلى الله عليه وسلم صادقا عندهم فيما اخبرهم انه رأى وجعله صادقا في ذلك والاول اشبه وقوله
عز وجل لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين هذا يخرج على وجهين احدهما على الامر ان ادخلوا المسجد الحرام وان كان
في الظاهر خبرا كرؤيا ابراهيم عليه السلام حيث قال اني ارى في المنام اني اذبحك ثم قال الله تعالى جل وعلا افعل
ما تؤمر دل على ان ما راى ابراهيم صلوات الله عليه من الذبح هو امر بذلك فان كان التاويل هذا فيخرج الثنيا
المذكور فيه على اثره كانه يقول ادخلوا المسجد الحرام محلقين ومقصرين ان شاء الله ان تامنوا في دخولكم واذا لم تامنوا
لم يشأ ان تدخلوه والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله لتدخلن المسجد الحرام على الوعد فيخرج الثنيا المذكور على وجهين
احدهما على التبرك واليمن كما يتبرك بذكر اسمه في فعل يفعل والله اعلم والثاني على الامر لكل في نفسه اذا اخبر غيره
انه يدخل ان يقول ان شاء الله كما يؤمر بالثنيا من اخبر اخر شيئا انه يفعله كقوله تعالى عز وجل ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ويحتمل ان يذكر الثنيا لان الوعد في الظاهر وان كان بالجملة كقوله لتدخلن فجائز
ان يكون المراد منه بعضهم ليس الجملة لاحتمال ان يموت بعض منهم ان لا يكون هو مرادا والجملة فذكر الثنيا لئلا
يكون خلف في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم ثم ما ذكر من رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واخبر انه حققهما
يحتمل ما ذكر من دخول المسجد الحرام على اثره فان كان ذلك فيكون قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام هو تفسير لذلك
الرؤيا وجائز ان يكون الرؤيا في غير ذلك وقوله لتدخلن المسجد الحرام ابتداء وعد وامر من الله تعالى وكذلك
ما ذكر من قوله حيث قال وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس يحتمل ما ذكر في هذه الاية لتدخلن المسجد
الحرام الى اخر ما ذكر ويحتمل غير هذا ايضا وقد اخبر انه حققها وصدقها والله اعلم ثم وقوله عز وجل محلقين
رؤسكم ومقصرين يخبر انهم يدخلون المسجد الحرام محلقين مقصرين ثم يخرج على وجهين احدهما في ابتداء
الاحرام يخرج على التزين على ما تزين المحرم في ابتداء احرام من نحو التطيب واللباس والحلق والقص ونحو ذلك
غير انهم يدخلون على التزين في المسجد الحرام امنين من الكفار فان كان على ذلك فهو على الثياب والطيب وغير
ذلك وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معتمرا فسميت تلك عمرة القضا حيث منع في عام الحديبية وكان
حاجا فيكون قوله لتدخلن المسجد الحرام بعد رجوعهم من منا الى طواف الزيارة في ذلك الوقت يكونون
محلقين مقصرين والله اعلم فان قيل ما الحكمة في امره رسوله صلى الله عليه وسلم بالخروج للحج عام الحديبية
على علم منه انه لا يصل الى مكة وانه يحال بينه وبين دخول مكة وقضاء النسك او لا يحتمل الى ذلك الا بامر من الله
تعالى ليس هو كغيره من الناس انهم يفعلون افعالا بلا امر ثم يمنعون او ينهون عن ذلك فاما رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا يفعل شيئا الا عن امر منه له بذلك قيل يحتمل انما امر بذلك مع علم بانهم يمنعون عن ذلك تعليما منه رسوله
وامته حكم الاحصار ان من حصر عن الحج ومنع عن دخول مكة لقضاء النسك ماذا يلزم وثم يخرج منه ولله تعالى
ان يعلم خلقه احكام شريعته مرة بامر يأمرهم بذلك او يخبرهم ومرة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم يمتحنهم بما شاء
له الحكم والامر في الخلق والله اعلم وقوله عز وجل لا تخافون اي تدخلون مكة امنين لا تخافون عدوكم ولا منعهم
اياكم وقوله عز وجل فعلم ما لم تعلموا هذا يخرج على وجوه احدها اي علم ما وعد لكم من فتح خيبر وغنايمه ما لم تعلموا
ويحتمل اي علم ما ارى رسوله صلى الله عليه وسلم من الرؤيا وتحقيقها ما لم تعلموا ويحتمل اي علم في رجوعكم من الحديبية
اشياء لم تعلموها انتم من اظهار ما ظهر من النفاق من اهل النفاق فيهم واهل الاضطراب من المحققين والمصدقين وغير
ذلك والله اعلم وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى فعلم ما لم تعلموا يقول ان ذلك الدخول الى سنته ولم تعلموا انتم
والله اعلم وقوله عز وجل فجعل من دون ذلك فتحا قريبا قال بعضهم جعل من قبل ان يدخلوا مكة فتحا قريبا اي عاجلا
فتح خيبر والله اعلم وقال اهل التاويل انه اشتد على الناس رجوعهم من الحديبية وصدهم المشركون عما قصدوا فبعد

اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم انه راى في المنام انهم يدخلون على ما وقع عندهم ان رؤيا الانبياء عليهم
الصلوة والسلام حق كالوحي لكن هذا لا يحتمل من المسلمين انما يحتمل من المنافقين على ما ذكر انهم قالوا حين يخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ان الرؤيا وكلام نحوه فدل هذا يحتمل من المنافقين فاما من المسلمين فلا يحتمل
ان يقع في قلوبهم شيء من ذلك لما لم يكن في الاية بيان ولا توقيت انهم متى يدخلون بل فيها الوعد بالدخول ليس فيها انه
متى الا ترى ان يوسف عليه السلام راى رؤيا وخرجت تلك بعد اربعين سنة او اقل او اكثر فعلى ذلك لا يحتمل
ان يخفى عليهم اذا لم يكن في الوعد توقيت انه يجوز ان يتاخر وان يتقدم والله اعلم ثم فيما ذكرنا من امر الحديبية وصد
المشركين اياهم عن دخول مكة والمحاولة بينهم وبين ما قصدوا انه لا يحتمل ان يخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقصد الحج وزيارة البيت مع اصحابه بلا امر منه بذلك لما ذكرنا ثم ان ثبت انه الامر بذلك على علم من الله
تعالى انه لا يصل الى تحصيل المامور به وما قصدوا من دخول مكة زائرين وما يكون من المشركين من المنع لهم
والصد عن ذلك وما ارادوا تحصيل ما امرهم بذلك فهنا دليل على ان الله تعالى قد يامرهم ويريد غير الذي
امر به وانه يريد ما علم انه يكون منهم الذي امر به وهو كامر ابراهيم عليه الصلوة والسلام بذبح ولده ثم
كان حقيقته المراد بالامر بذبح الولد ذبح الشاة والكبش دل ان الامر بالشيء لا يدل على انه اراد الذي امر
بل يريد ما علم انه يكون منهم من خلافه وصدقه والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي
بيانا من كل عمى وشبهة وهو هذا القران الذي سماه مرة هدى ورحمة ونورا ونحو ذلك وهو ما وصفه
جل وعلا ان من تمسك به يكون ما ذكر هدى من كل ضلالة وحجة ونورا من كل ظلمة وبيانا من كل عمى وشبهة و
ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ودين الحق جائز ان يكون الحق هو نعت الدين وهو الاسلام وهو الدين الحق
وسائر الاديان باطلة ويحتمل ان يكون قوله تعالى ودين الحق اي دين الاله الذي هو الاله الحق وهو الاله
المستحق الالوهية وغيره من الاديان دين الشيطان ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ليظهره على الدين كله
الاظهار هو الغلبة ثم يخرج غلبته على الدين كله على وجهين احدهما اي غلب هذا الدين على الاديان
كلها بالحجج والبراهين انه حق وانه من عند الله جاء وقد كان بحمد الله كما ذكر حتى عرف اهل الاديان كلها بالحجج والبراهين
انه حق الا من كابر عقله وعاند الحق او غفل عن دلايله ولا قوة الا بالله والثاني يغلب على الاديان كلها اي
يغلب على اهل الاديان كلهم حتى يصير اهل الاسلام ظاهرين غالبين من بين غيرهم ويتوارى جميع اهل
الاديان ويختفوا ولكن ذلك في وقت دون وقت وهو الوقت الذي ذكره بعض اهل التاويل وهو في وقت
خروج عيسى عليه السلام يصير اهل الاديان كلهم اهل دين واحد وهو الاسلام وجائز ان يكون قوله ليظهره
على الدين كله اي يظهر ما يحتاج اهل هذا الدين كله وما يحدث لهم من الحاجة على الاديان كلها بما ضمن في القران
معاني يقع الكفاية بها في الحوادث كلها والله اعلم وقوله عز وجل وكفى بالله شهيدا هذا يحتمل وجهين احدهما
وكفى بالله شهيدا بان ما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اي بما جاء به من عند الله فان كان التاويل هذا
فانما يكون هذه الشهادة في الاخرة والثاني يحتمل قوله تعالى وكفى بالله شهيدا بما انشا له من الايات والحجج
شهادة منه على رسالته ونبوته وذلك في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل محمد رسول الله من الناس من يحتج

في تفضيل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام

على تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء عليهم الصلوة والسلام بهذه الاية وبغيرها من الايات
يقول لم يذكر محمدا صلى الله عليه وسلم في القران الا وخاطبه باسم الرسالة والنبوة كقوله تعالى يا ايها النبي
ويا ايها الرسول وقوله محمد رسول الله ونحو ذلك وسائر الانبياء عليهم السلام انما خاطبهم باسمائهم التي جعلت
لهم خلقة دون ختم الرسالة والنبوة كقوله يا نوح اهبط بسلام منا ويا لوط ويا موسى ويا هرون ويا هود
ويا صالح جميع من ذكرهم سواه انما ذكرهم باسمائهم الموضوعة في اصل الخلقة ولم يحلوا ولم يسموا باسماء الرسالة
والنبوة ولذلك لفضل جعل له من بين غيرهم وكذلك يحتج التفضيل امته واصحابه على سائر الامم حيث

تفضيل امة محمد صلى الله عليه وسلم على الامم

خاطب هذه الامة باحسن الاسماء فقال يا ايها الذين امنوا وقوله ايها المؤمنون وقال في سائر الامم
يا بني ادم ونحو ذلك ومما يدل على فضيلتهم قوله تعالى كنتم خير امة الاية اي كنتم خير امة في الكتب المتقدمة
بما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الاية ما وصفهم ونعتهم يرجع
الى اصحابه على الاجتماع اي الكل موصوفون بهذه الصفات التي ذكر في الاية وانها كلها فيهم وهو كقوله
تعالى في صفتهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اي اشداء على الكفار رحماء على المؤمنين وصفهم بذلك
جملة فعلى ذلك هاهنا ويحتمل ان يكون ذلك وصف بعضهم دون بعض او وصف ما منهم فاما الكل فلا و

هل في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يريد الدنيا

ذلك نحو ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال لولا قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ما كنا نعرف
احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا فانما يكون ذلك وصفا مثال عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه ثم قد جعل الله تعالى الرحمة والرافة نعتا للمؤمنين يتراحم بعضهم بعضا وكذلك روي في الخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا قالوا كلنا نتراحم ولده فقال ليس ذلك به رحمة انما الرحمة
ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه ولولده او كلام نحوه وروي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المؤمنون كلهم كرجل واحد ان اشتكى عينه تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى وليس فيما وصفهم

بالشدة على الكفار على ان ليس لهم شفقة عليهم فان النبي صلى الله عليه وسلم له شفقة عظيمة عليهم حتى كادت يهلك نفسه لذلك قال الله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال ولعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين فعلى ذلك اصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم القتال الموضوع فيما بينهم رحمة في الحقيقة وان كان في الظاهر ليس برحمة لانه وضع ليضطرهم ذلك الى قبول الاسلام والتوحيد وفي قتولهم ذلك نجاتهم وما وصفهم بالرحمة على المؤمنين ليس فيه انهم ليسوا باشداء عليهم اذا عاينوا منهم المناكير والفوا حش حتى يتركوا التغيير عليهم بل من الشفقة لهم عليهم ما يغيرون عليهم المنكر اذ في ذلك نجاتهم وذلك لا يزيل عنهم الرحمة التي وصفهم بها بل ذلك من الشفقة لهم والرحمة والله اعلم ترنيتهم وقال تريهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود وقوله عز وجل تريهم ركعا سجدا يحتمل وجهين احدهما وصفهم بالمداومة في اقامة الصلوات بالجماعات واراد بالركوع والسجود هو الصلوة على طريق الكناية والثاني عبارة عن الخضوع لربهم والتواضع للمؤمنين والله اعلم وقوله عز وجل يبتغون فضلا من الله ورضوانا يحتمل قوله يبتغون فضلا من الله اي الجنة اي يبتغون بكل ما وصفهم من الرحمة والشدة والركوع والسجود الجنة والفضل يذكر عبارة عن الجنة في القران في غير مواضع وجائز ان يكون ما ذكر من ابتغائهم الفضل من الله تعالى ما يتعيشون به وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله اي يبتغون ما يتعيشون وقال بعضهم يبتغون فضلا من الله اي يبتغون معيشة يتقوون بها على طاعة الله وقوله عز وجل ورضوانا اي رضاء بهم وهو بمعنى الفضل ايضا على التكرار للتاكيد كقوله تعالى وابتغوا من فضل الله لكنه اخبر انهم يبتغون ذلك الفضل والرضوان من الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل سيماهم في وجوههم من اثر السجود اختلف فيه قال الحسن وغيره اي اثر الخشوع والصلاح في وجوههم وقال بعضهم ان الرجل اذا قام من الليل فاطال القيام والتهجد يبين سهر الليل في وجهه اذا اصبح من الصفرة وتغير اللون وذلك كله في الدنيا وكذلك روي عن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قوما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن اجهدتهم العبادة وقال قتادة اثر الصلاح في وجوههم وهو اثر التراب لكن ذلك بعيد وقال سيماهم في وجوههم من اثر السجود يوم القيامة وهو بياض وجوههم من اثر السجود والوضوء وكذلك روي في الخبر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني اعرف امتي من بين غيرها من الامم قيل وكيف تعرف يا رسول الله امتك من بين الامم فقال لانهم غر محجلون يوم القيامة من اثر السجود ولا يكون ذلك لاحد من الامم غيرهم والله اعلم وجائز ان يكون على غير ذلك يجعل الله تعالى في وجوههم من اثار العبادة له والجهد فيها من النور والحلاوة والحسن ما يعرفون انهم اهل عبادة الله تعالى وطاعته والله اعلم وقوله عز وجل ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل يحتمل وجوها احدها اي شبههم في التوراة والانجيل الاحاد والافراد منهم المختارون من بين غيرهم الذين يعظمون هم الاتباع والملوك ويجلونهم فما بالكم لا تعظمون انتم هؤلاء ولا يتبعونهم كاولئك والله اعلم والثاني يحتمل ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل اي ذلك نعتهم ووصفهم في التوراة والانجيل اي على ذلك نعتوا ووصفوا في التوراة والانجيل وقد عرفتم ذلك فهلا اتبعتموهم اذ نعتوا ووصفوا في القران وقال بعضهم قوله ذلك مثلهم في التوراة مقطوع مقصود وهو ما تقدم من قوله والذين معه اشداء على الكفار الى قوله من اثر السجود ثم ابتدا فقال ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه الاية وهذا يحتمل وهو وجه حسن وعلى التاويلين الاولين ما ذكرنا ومن صفتهم كان في التوراة والانجيل جميعا ثم ايضا بقوله تعالى كزرع اخرج شطأه والله اعلم ثم ذكر نعت اصحابه رضي الله عنهم في هذه الاية ولم يذكر نعت رسوله صلى الله عليه وسلم وانما ذكر نعته في اية اخرى وهو قوله تعالى النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة الاية ذكر نعته وصفته في الاية صلى الله عليه وسلم ونعت اصحابه رضي الله عنهم في هذه السورة والله اعلم ثم قوله عز وجل ذلك مثلهم في الانجيل الاية دلالة الرسالة لانه اخبر ان نعتهم في الكتب المتقدمة كما ذكر في القران ثم لم ينكر احد من اهل الكتب المتقدمة اي ليس ذلك نعتهم او شبههم في تلك الكتب ثبت انه بالله عرف ولا قوة الا بالله ثم قوله عز وجل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه الاية شبههم بالزرع الذي ذكر والله اعلم لانهم احيوا سنن الدين وشرائعه التي كانت من قبل بعدما درست وانقطع اثرها لانه لم يكن فيما بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام رسول فقد انقرض ذلك واندرس ثم جاء محمد عليه افضل الصلوة بعد دروس ذلك وانقراضه كالزرع الذي يخرج وحده وهو النبت الواحد في اول ما يخرج فاعانه اصحابه وازروه كانوا النبت الذي ينبت حول الساق بوازره لحلقه والنبت فاما شطاه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم خرج وحده كما خرج اول النبت وحده واما الوالية التي ينبت حول الشطاه فاجتمعت فهم المؤمنون كانوا في قلة كما كان اول الزرع دقيقا ثم زاد نبت الزرع فغلظ فآزره فاستغلظ كما ازر المؤمنون بعضهم حتى استغلظوا واستووا على امرهم كما استغلظ هذا الزرع واستوى على سوقه ثم اختلفوا في الشطاة قال ابو عوسجة هو قصب الزرع اي صار له ورق فآزره اي قواه سوقه جمع ساق وقال ابو عبيدة شطا الزرع فراخه وصغاره يقال قد اشطى الزرع فهو مشطي اذا فرخ وقال الفراء شطاه اي سنبله ينبت الحبة عشرا وتسعا وثمانيا فآزره اي عاونه وقواه

ان القتال رحمة في الحقيقة

الفضل ذكر عبارة عن الجنة

قوله فاستغلظ اي غلظ فاستوى على سوقه جمع ساق ومنه يقال قام كذا على سوقه انما زاد به تناهى وبلغ التمام يقول والله اعلم كان الزرع اذا قام على السوق فقد استحكم فهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اي خرج وحده فايده باصحابه فقوي واشتد كما قوي الطاقة من الزرع بما نبت منها حتى غلظ وعظمت واستحكمت والله اعلم وقوله عز وجل يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار قال بعضهم الزراع هو محمد صلى الله عليه وسلم يعجب محمدا ما راى من اصحابه والمؤمنين ويغيظ الكفار ذلك من الغيظ وهو كقوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة الى قوله تعالى هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال بعضهم الزراع هو صاحب الزرع اذا كثر جوانبه والنابتة وينبت ليغيظ بهم الكفار اي يغيظ ذلك سائر الزراعين وقال بعضهم كما يعجب الزراع حسن زرعه حين استوى قائما على ساقه فكذلك يغيظ الكفار كثرة المؤمنين واجتماعهم وقال بعضهم هم الزراع سموا كفارا لانهم يكفرون اي يسترون البذر في الارض والله اعلم وقوله عز وجل وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات من بين غيرهم من الناس مغفرة واجرا عظيما والله اعلم وفيه نقض قول الباطنية والروافض لعنهم الله لقولهم انهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا وارتدوا عن الاسلام جميعا وكلام نحوه في الاية رد لقولهم المغفرة وما ذكر من الاجر العظيم فلا يحتمل ان يكونوا على ما ذكروا اولئك ثم يكون لهم المغفرة وما ذكر من الاجر العظيم فدل ما ذكر من الوعد لهم بالمغفرة والاجر العظيم انهم ثبتوا على ما كانوا من قبل في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حيوته والله اعلم والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد واله وصحبه الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال بعضهم ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما اختلفا في شيء بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الى اخر ما ذكر من قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وذكر عن الحسن في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تذبحوا قبل ذبح النبي يوم النحر وذلك ان ناسا من المسلمين ذبحوا قبل صلوة النبي صلوة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وقال قتادة ذكر لنا ان رجالا كانوا يقولون لو انزل كذا وكذا ووضع كذا وكذا فنزلت هذه الاية وامرهم ان لا يسبقوا نبيه صلى الله عليه وسلم بقول ولا عمل حتى يبين الله تعالى بامثال ذلك قد قالوا والله اعلم واصل ذلك عندنا من قوله يا ايها الذين امنوا الاية اي يا ايها الذين امنوا اعلموا ان لله الخلق والامر لا تقدموا امرا ولا قولا ولا فعلا ولا حكما ولا نهيا سوى ما امر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم وغيره ما نهى عنه بل اتبعوا امره ونهيه ووافقوه على ما امر به وافوروا بان له الخلق والامر فاحفظوا امره ونهيه ولا تخالفوه ولا رسوله في شيء من الامر والنهي فهذا يدخل فيه كل شيء وكل امر من القول والفعل والقضاء والحكم والذبح وغير ذلك على ما ذكرنا من بيانهم بان لله الخلق والامر في الخلق اذ مثل هذا الخطاب لو كان لواحد خاص لكان حكمه يلزم الكل وكذلك لو كان في امر واحد وفعل واحد كان يدخل في ذلك جميع الامور فكيف والخطاب بذلك عام مطلق فهو للكل وفي كل الامور والله الموفق وعلى ذلك ما روي عن مسروق انه دخل على عائشة رضي الله عنها فامرت الجارية ان تسقيه فقال اني صائم وهو اليوم الذي يشك فيه فقالت له قد نهي عن هذا وتلت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله في صيام ولا غيره اعتبرت عائشة رضي الله عنها عموم الاية في النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم في قول او فعل وكذلك روي عن ابي عبيدة معمر بن المثنى قال في قوله لا تقدموا بين يدي الله ورسوله اي لا تعجلوا بالامر والنهي دونه وقوله عز وجل واتقوا الله ان الله سميع عليم اي اتقوا مخالفة امر الله ونهيه قولا وفعلا واتقوا مخالفة رسوله فيما يامركم بامر الله ونهيه وفي كل ما دعاكم اليه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم واعمالكم ولا قوة الا بالله ثم لم يفهموا مما ذكر في قوله بين يدي الله ورسوله الجوارح ولا العدد في اليد كما فهموا من ذلك في الخلق فما بالهم يفهمون ذلك من قوله خلقت بيدي اي خلقته على علم مني بما يكون منه خلافا وعصيانا لم اخلقه عن جهل بما يكون منه وهو ما ذكر في قوله تعالى والله بما تعملون بصير وخبير اي من علم باحوالهم وما يكون منهم انشاهم لا عن جهل بذلك فعلى ذلك هذا كما فهموا من قوله لا تقدموا بين يدي الله امر الله ونهيه دون الجوارح والعدد والله الموفق وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الى قوله لبعض قال بعضهم ان الاية نزلت في ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما اختلفا في شيء بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت اصواتهما وقال بعضهم انها نزلت في قوم كانوا اذا سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قالوا فيه قبل قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعندنا لا يحتمل ان يكون ما ذكر من رفع الصوت فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهر بالقول له وما ذكر من التقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامر والنهي ان يكون الخطاب لاولئك الذين صحبوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واتبعوا امره ونهيه اذ لا يحتمل منهم ان يرفعوا اصواتهم فوق صوته ويجهروا له بالقول او تقدموا بين يديه في امر ولا نهي الا عن سهو

وغفلة او اذن منه بالمناظرة والمجاورة في العلم فحمد ذلك يرتفع اصواتهم لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان اجل في قلوبهم واعظم قدرا من ان يتجاسروا التقدم بين يديه بامر او قول او رفع صوت او جهر القول له
فيكون الاية في اهل الشرك في اهل النفاق والله اعلم ثم ان كان الخطاب بذلك للذين امنوا فهو على وجهين
احدهما ان ذلك منه ابتداء محنة امتحنهم بذلك وامرهم به من غير ان كان منهم شيء من ذلك من التقدم بين
يديه ورفع الصوت والجهر له بالقول ولله تعالى ان يمتحن ويامر وينهى من شاء بما شاء ابتداء امتحان منه
لهم وحمل ما ذكرنا من نهي الرسل عليهم الصلوة والسلام عن الشرك والمعاصي وان كانوا معصومين
عن ذلك لان العصمة لا يمنع النهي لان العصمة انما يكون عصمة اذا كان هناك امر ونهي فعلى ذلك جائز ان يكون
ما ذكر من النهي عن التقدم والرفع بالصوت والجهر بالقول وان لم يكن منهم شيء مما ذكر ابتداء محنة منه
لهم والله اعلم ويحتمل انه خاطب هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم بذلك ليتعظ بذلك من يشهد مجلسه من
المنافقين وغيرهم من الكافرين اذ كان يشهد مجلسه اهل النفاق وسائر الكفرة لئلا يعاملوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمثل معاملة بعضهم بعضا والله اعلم وقوله عز وجل ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ذكر هذا
ليكونوا ابدا متيقظين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرين معظمين له في كل وقت لئلا يكون منهم في
وقت من الاوقات ما يخرج مخرج الاستخفاف به والتهاون على السهو والغفلة فتحبط ذلك اعمالهم ان هذا
الصنيع برسول الله صلى الله عليه يكفر صاحبه ولا يكون معذورا وان فعله على السهو والغفلة لان له قدرة الاحتراز
والسكن التحذر وان كانوا معذورين فيما بينهم على غير التعمد والقصد ولا مؤاخذة لهم برفع الله تعالى المؤاخذة
عنهم فيما بينهم ولم يرفع في حق النبي عليه افضل الصلوات مع ان الكل في حد جواز المؤاخذة والله اعلم وذكر
الكرابيسي فقال ومن حكمة الاية عند قوم حبوط الاعمال بالكبائر على ما روي عن الحسن قال اما يشعر هؤلاء
الناس ان عملا يحبط اعمالا والله يقول يا ايها الذين امنوا الاية وقيل المراد من الاية ان ينادي يتشوم تلك به
المعصية الى ان يهون عليه ارتكاب الكبيرة بتحقرها حتى يخف عليه الكفر فيكفر فيصير المعصية الاولى
وان قلت سببا الحبوط ثواب اعماله فان اساس كل خطير حقير ونحن نقول ان المعصية لا تحبط الطاعة
ولكن هو استخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك وقوله عز وجل ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول
الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى دلت هذه الايتان الاتيين اللتين تقدم ذكرهما من قوله
تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقوله عز وجل ولا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وقوله تعالى ولا تجهروا
له بالقول كجهر بعضكم لبعض في اهل النفاق فاما اصحاب الذين صحبوه وامنوا به عرفوا انه رب العالمين
فلا يحتمل ان يكون منهم ما ذكر من رفع الصوت عنده وجهر القول به والنداء له باسمه من بعد انما ذلك
به فعل من ذكرنا من اهل النفاق والشرك فاما الذين امنوا به وصدقوه وعرفوا انه رسول فلا يحتمل منهم في
التعظيم له والتوقير والتشريف لما عرفوا ان نجاتهم وشرفهم وعزهم في الدنيا والاخرة بتعظيمه و
توقيره فكيف يحتمل عنهم ذلك بل كانوا لا يتجاسرون التكلم بين يديه فضلا من ان يرفعوا اصواتهم ويناد
بين يديه او النداء من بعد والله الموفق وقوله عز وجل اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى هذا وصف
المؤمنين امتحن قلوبهم للتقوى فوجدها صافية خالصة لذلك والامتحان ها هنا هو التصفية والاخلاص
يقال امتحن الذهب اذا اخلص وصفى الصافي منه والخالص من غيره وقوله عز وجل لهم مغفرة واجر عظيم
ظاهر وقوله عز وجل ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون هذا وصف من ذكرنا من
اهل الشرك والنفاق وقال بعضهم ان نفرا من الاعراب جاؤا وقالوا ينطلق الى هذا الرجل يعنون محمدا صلى
الله عليه وسلم فان يكن رسولا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعيش في جناحه فاتوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه من وراء الحجرات يا محمد فنزلت هذه الاية وقال بعضهم كان النبي
صلى الله عليه وسلم سبا ذراري بني تميم ونساءهم فاتوا يطلبون منه تخلية سبيل اولئك واعتاقهم
وردهم اليهم فنادوه من وراء الحجرات فاعتق بعضهم وفدى بعضا فنزلت الاية وقوله اكثرهم
لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم لان ذلك اعظم لقدره واجل لمنزلته واعرف
لحقه واحفظ لحرمته ثم قوله اكثرهم لا يعقلون يحتمل وجوها اكثرهم لا يعرفون قدره ومنزلته وان
كان قليل منهم يعرفون ذلك وهم المؤمنون والثاني اكثرهم لا ينتفعون بما يعقلون والثالث اكثرهم
لا يعقلون انه رسوله وهم الاتباع والسفلة من الكفرة وانما يعرف القليل منهم وهم الرؤساء المعاندة
وفي هذه الاية وفي قوله تعالى ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون دلالة ان قد يلحق المرء حكم الكفر وتحبط العمل
اذا خرج مخرج الاستخفاف وان لم يعلم بقصد والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق
بنبإ فتبينوا اجمع اهل التاويل وعامتهم على ان الاية نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق والى قوم سواهم لجباية الصدقات وكان بينه وبين اولئك
القوم عداوة في الجاهلية فخرجوا يتلقونه تحافهم فرجع فقال ان القوم قد منعوا الصدقات فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم بعد ذلك خالد ابن الوليد لجباية الصدقات فوجدهم يصلون

وعدوا

مؤاخذة السهو والغفلة لم ترفع في حق النبي صلى الله عليه وسلم لو شاهدوا به العياذ بالله تعالى

ارادت الفقهاء رضوان الله تعالى عليهم اجمعين الالتقاء دينا بادابهم

ويصلون الطاعات واجتمعوا وجمعوا له الصدقات وجبوها وسلموها اليه فرجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بها فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا لكن ان كان ما ذكروا فلم يكن في
ذلك النبإ التثبت لان الاية الامر بالتثبت في نبإ الفاسق فيما يحدث من الامور من بعد فدل ان الاية
نزلت لبيان الحكم في نبإ الفاسق ابتداء والله اعلم ولانه يحتمل ان يكون ذلك الرجل منافقا ولم يأمر الله تعالى
بالتثبت في خبر المنافق ولم يشرع ذلك لان النفاق يكون في الضمير فلا يظهر ذلك فاما الفسق فانه يظهر كما امرنا
بالتثبت فيه فدل ان الاية لم تنزل في ذلك الرجل اذ لا يحتمل عن المنافق ان يرد على المسلمين مثل ما ذكر منه
دل ان ما قاله اهل التاويل فيه وهم في لا يرد لالة قبول خبر الواحد اذا كان عدلا لانه لو لم يقبل خبره
اذا كان عدلا لم يكن لذكر الفسق فائدة سوى الشتم سفه فلا يجوز ان يوصف الله تعالى فدل ذكر الفسق على
ان هذا الحكم وهو رد الشهادة يختص باسم الفسق وان العدل لا تشاركه فيه حتى ذكر الفسق سفها لما تعلق
به بيان حكم شرعي يختص بالفاسق ولا يعرف ذلك دون ذكره فاما متى كان الحكم عاما في الفاسق والعدل
عند الانفراد فكان ذكر الفاسق مع شتمه وانه لا يليق بالحكمة فدل ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل ان
تصيبوا قوما بجهالة اي تصيبوا قوما بجهالة في الظاهر بسبب تهمة الفسق فاما في الحقيقة فانه يجوز ان تصيب
ذلك بخبر الواحد لكن الاحكام وقبول الاخبار فيما بين الخلق لم يوضع على الحقائق وانما وضعت على الظواهر
وكذلك قبول الشهادات والحكم بها وجميع الشرائع التي جعلت في الناس انما هو على الظواهر من الاحوال
والامور فاما على اصابة حقيقة ذلك فلا اذ قد يجوز ان يحكم الحاكم ويقضي بقتل انسان ويقطع يده انه
عنده لما ظهرت عنده عدالته ولم يكن في الحقيقة كذلك وعلى ذلك قول يعقوب عليه السلام لبنيه قال
هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل لم يأمن عليهم بما ظهر له منهم زلة وجناية حين طلبوا منه ارساله
ولم يأمن يوسف عليه السلام في الاوي بل قال حتى الى ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب انما اتهل
عليهم واحتج باكل الذئب ولم يتهمهم فيه بما لم يكن ظهر له منهم زلة وجناية فلما ظهر ذلك منهم اتهمهم
واخبر انه لا يأمن عليهم بما ظهر له من زلتهم فدل ان التهمة سبب الرد وانه يجب التثبت بدفع الجهالة من
حيث الظاهر لا الحقيقة والله اعلم وقوله عز وجل فتصبحوا على ما فعلتم نادمين اي نادمين بما فعلوا على خلاف
ما كان في الظاهر ويندمون لما تركوا التثبت في الخبر وقوله عز وجل واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من
الامر لعنتم اي لاثمتم من الناس من احتج بهذه الاية على ان الاجماع ليس بحجة وقالوا لو كان الاجماع لكان لا يأثمون
لو اطاعهم في كثير من الامر لان الحق والصواب مما لا يوجب الاثم لصاحبه فيمن تبعه في ذلك الصواب
ولكن ان كان لا يوجب الثواب دل انه ليس بحجة يجب اتباعه ولكن هذا فاسد لان الحجج والبراهين لم يكن
انتهت يومئذ فاثبتها ولا استقر على نهايتها فالاجماع الذي هو اجماع حجة عندنا ويجب اتباعه والانقياد له
هو اجماع من استوعب الحجج والبراهين واتى على منتهاها وعلى الجميع وكان الوقت وقت نزول الوحي
وانما يستقر الاحكام بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ينقطع الوحي فيستدل على استيعاب
الحجج ونزول جميع ما يحتاج الناس اليه من حيث الابداع في النصوص فبني اجتمعوا على ذلك يكون
حجة ولانه لا اجماع يتحقق دون راي رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا وجد رايه استغنى عن راي
الغير لما كان ينطق عن الوحي فاذا لم يكن وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم زمان انعقاد الاجماع
حجة فبطل استدلالهم بالاية ثم قوله عز وجل واعلموا ان فيكم رسول الله ارسل اليكم ليزيل عنكم اشكالكم
وشبهاتكم فلا عذر لكم في الكفر واعتراض الشبه لكم بما تقدرون ان تسالوه ما اشكل عليكم واشتبه
فيخبركم بذلك فيزيل الشبه عنكم والثاني يحتمل واعلموا ان فيكم رسول الله تعالى يطلع الله تعالى اياه على
ما تضمرون في انفسكم وما تولدون من الاخبار التي لا اصل لها ولا اثر ما لولا ظهر ذلك لافتضحتم وهو صلة
ما ذكر من قوله ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا والله اعلم ويحتمل اي فيكم رسول الله تسالونه ما اشكل عليكم به
فيخبركم بالحق والامر على حقيقته كي لا يقبلوا قوما بجهالة والله اعلم ويحتمل ان يكون قوله واعلموا ان فيكم
رسول الله فاليه الراي والتدبير في الامور ومن رايه وتدبيره يجب ان تصدروا لا عن راي انفسكم وتدبيركم
وعلى ذلك يخرج قوله وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله على الوجوه التي ذكرنا والله
اعلم ثم وقوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم اي لو يطيعكم فيما تدعوا اليه انفسكم من التمويهات
والشبهات وهواها او يقول لو يطيعكم في الصدور عن ارائكم وتدبيركم في الامور لعنتم ثم قال ولكن الله
حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان هذا في الظاهر كانه غير
موصول بقوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لانه لا يليق ذلك الا على الاضمار كانه يقول لو يطيعكم
في كثير من الامر لعنتم وان الله قد ارسله اليكم رسولا وحبب اليكم الايمان به وزينه في قلوبكم احبب
من انفسكم ومن كل شيء فالواجب عليكم ان تصرفوا الامر الى رايه وتدبيره وان تصدروا عن رايه
ولا تعتمدوا على راي انفسكم وتدبيركم والله اعلم ويحتمل اي لا تدعوه الى ان يطيعكم فيما تهوى به
انفسكم لما شهدت بعده ما حبب الايمان به اليكم وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر وما ذكر والله اعلم

خبر الواحد

في الباب

مما يجب حفظه التنبه ان الاحكام لم يوضع على الحقائق بل على الظواهر

في تاويل قول يعقوب عليه السلام

تحقيق ان التهمة سبب الرد

بحقيقة جهته وجل هذا بالاول ثم يحتمل وجهين ايضا احدهما لو يطيعكم الرسول في كثير من الامر لعنتم والله تعالى الزمكم طاعته في كل امر فاطيعوه ولا تطلبوا منه طاعته اياكم في الامور ولكن اطيعوه انتم في الامور كلها وقد حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والخروج عن امره والعصيان والثاني يشبه ان يكون موصولا بقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ثم قال الله عز وجل اولئك هم الراشدون كانه يقول اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وحبب اليهم وزينه في قلوبكم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون اخبر وشهد لهم بالرشاد واخبر ان ذلك فضل منه اليهم ونعمة لا بشيء كان منهم استوجبوا بذلك فذلك قوله فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ثم قالت المعتزلة في قوله تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر وما ذكر يقولون لم يحبب الايمان الى هؤلاء الا وقد حبب مثله الى جميع الكفار وكذلك لم يكره الكفر على هؤلاء الا وقد كرهه الى جميع الناس لكن المراد تخصيص هؤلاء بما ذكر من التحبيب اليهم الايمان وتكريه الكفر هو اختصاصهم بما وعد من الثواب والجزاء الجزيل على الايمان والمواعيد الشديدة نحبته وزينه في قلوبهم بما وعد لهم من الثواب وكره الكفر والعصيان اليهم بما اوعد على ذلك من العذاب العظيم لكن هذا فاسد لانه ليس مؤمن من صار حب الايمان في قلبه لما ذكر من الثواب والجزاء ولا كافر اسلم حين اسلم يخطر ثواب الايمان في قلبه حتى يكون اسلامه لذلك بل كان في قلبه بغض الايمان قبل الاسلام فاذا اسلم وجد حبه في قلبه وكراهة الكفر ليعلم ان ذلك يكون بلطف من الله تعالى كان عنده فاذا اعطاه صار ما ذكر والله اعلم وقوله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما قال بعضهم كان بين رجلين مدارة اي منازعة في شيء فغضب قوم كل رجل حتى كان بينهم خفق بالنعال والايدي فنزلت الاية وقال بعضهم كان بين الاوس والخزرج قتال بالعصي فنزلت عنده الاية بالامر بالصلح بينهم وقال بعضهم قتالهم بالعصي والنواصي ونحوها وقال الحسن ان قوما من المسلمين كان بينهم تنازع حتى اضطربوا بالنعال والايدي فانزل الله تعالى هذه الاية في ذلك وقال قتادة كان بين رجلين حق فتدارئا فقال احدهما لاخذنه عنوة لكثرة عشيرته وقال الاخر بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعا حتى كان بينهما ضرب بالنعال والايدي وجائز ان يكون الاية فيما كان بين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وبين الحرورية واهل نهروان ذكر ان عليا رضي الله عنه لما قتلهم فقال الناس هم مشركون فقال عليه السلام من الشرك فحمد وافقالوا انما فقون هم قال علي رضي الله عنه ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قالوا فما هم قال هم ناس بغوا علينا فقاتلونا فقاتلناهم ويحتمل انه كان فيما كان بين علي رضي الله عنه ومعاوية يوم الجمل ويوم صفين ذكر عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عليا رضي الله عنه سمع رجلا يقول يوم الجمل هم كفروا فقال لا تقل ذلك ولكن هؤلاء قوم بغوا علينا وزعموا انا بغينا عليهم فقاتلناهم على ذلك لكن في الاية الامر بالصلح اذا كان بينهم عني المؤمنين اقتتال باي شيء كان بقوله تعالى فاصلحوا بينهما وكذلك امر في غيرها بالصلح والاصلاح قال يقال واصلحوا ذات بينكم كل اي بين المؤمنين وهذه الاية حجة على المعتزلة والخوارج فانه ابقى اسم الايمان بعد ما كان منهم الاقتتال والبغي والقتال والبغي مع اهل الاسلام من الكبائر دل ان الكبيرة لا يخرج عن الايمان ولا يوجب الكفر والله الموفق وقوله عز وجل فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله اي فان ظلمت احدى الطائفتين وطلبت غير الحق فقاتلوا التي تبغي اي تظلم وتجور حتى تفيء الى امر الله حتى ترجع الى امر الله والى الحق امر بعون الطائفة التي لم تبغ والانتصار لها من الباغية وهو ما ذكر في اية اخرى ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله وعد عز وجل النصر لهم فيحتمل ان يكون ذلك النصر الموعود في الدنيا ويحتمل في الاخرة وفي الاية الامر بقتال اهل البغي من غير فيد بين السيف وغيره بقوله فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي لكن متى امكن دفع البغي وكسر منعتهم بغير السلاح فهو الحق وهو الواجب لكن اذا لم يتقلعوا عن البغي الا بالقتال مع السيف فلا باس به فان عليا رضي الله عنه قاتل الفئة الباغية بالسيف ومعه كبراء الصحابة رضي الله عنهم واهل البدر وكان هو محقا في قتاله اياهم دل انه لا باس بقتالهم بالسيف وبعضهم قالوا ان قتال البغاة لا يجوز بالسيف وقالوا ان سبب نزول الاية في القتال بالعصي والنعال ولكن لا حجة لهم فيها لان القتال بين الفئتين وان كان بالنعال والعصي ولكن لم يصيروا بغاة في تلك الحال وهو القتال الذي امر الله تعالى فيه ان نصلح بينهم وانما يصيروا بغاة بان لم يجيبوا الى الصلح ولم يقبل احد من الطائفتين الصلح وحينئذ امر بالقتال معهم مطلقا من غير قيد والله اعلم وقوله عز وجل فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ذكر انها وان فاءت ورجعت الى امر الله تعالى به لا يتركوهما كذلك بغير صلح ولكن اصلحوا بينهما والغوا حتى يتالفوا لان اهل الاسلام مندوبوا الى التالف بينهم والجمع وشرط فيه الصلح بالعدل فهو والله اعلم يقول انكم وان رايتم صلاحهم في الصلح فلا يحملنكم ذلك على الصلح الذي ليس فيه عدل ولكن اصلحوا بينهم بالعدل ولا تجاوزوا الحد الذي وكذلك قوله واقسطوا اي اعدلوا في الصلح ان الله يحب المقسطين اي العادلين وقوله عز وجل انما المؤمنون

اخوة

اخوة فاصلحوا بين اخويكم امر الله عز وجل باصلاح ذات البين بين المؤمنين بقوله فاصلحوا ذات بينكم وامر بالاصلاح بين الطائفتين من المؤمنين اذا اقتتلوا وتنازعوا بقوله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وامر بالاصلاح بين الاحاد والافراد بقوله واصلحوا بين اخويكم لان الايمان يوجب التالف وبالتالف ندبوا واليه دعوا وبه من الله تعالى علينا حيث قال ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال في اية اخرى ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا امر بالتاليف والاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف وامر المؤمنين جملة ان يصلحوا ذات بينهم اذا وقع بينهم تنازع واختلاف واقتتال على ما ذكر والله اعلم ثم من الناس من استدل بقوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم على ان اسم الطائفة يقع على الواحد فصاعدا فقال انه ذكر في اول الاية وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما قال في اخره فاصلحوا بين اخويكم فدل ان اسم الطائفة يقع على الواحد فصاعدا فقال فيستدل بهذا على ان في قوله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين يراد بها الواحد فيدل على لزوم خبر الواحد العدل لكن عندنا ما ذكر انه امر باصلاح ذات البين بين جملتهم وامر بالصلاح بين فريقين وامر بذلك بين الاحاد والافراد وليس في قوله فاصلحوا بين اخويكم دلالة انه اراد به الاخوين او ذكر بين اخويكم واراد به الاثنين اللذين كان الاقتتال بينهما وفيهما هاج القتال بينهم فاما ان يكون اسم الطائفة يقع على الواحد فلا بل هو في اللغة وعرف اللسان على الجماعة والله اعلم وقوله واتقوا الله لعلكم ترحمون اي اتقوا مخالفة امر الله لكي يقع بكم الرحمة او لكي يلزمكم الرحمة وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم ظاهر الاية نهي للجماعة عن سخرية جماعة لان السخرية انما يقع ويكون في الاغلب بين قوم وقوم وقلما يقع بين الافراد والاحاد فعلى ذلك جرى النهي ولكن يكون ذلك النهي للجماعة والافراد والاحاد جميعا والله اعلم ثم يحتمل السخرية المذكورة في الاية على وجهين احدهما في الافعال يقول لا يسخر قوم من قوم في الافعال عسى ان يكونوا خيرا منهم في النية في تلك الافعال اوخيرا منهم اي افعالهم اخلص عند الله من افعال اولئك واقرب الى القبول والثاني سخرية في الخلقة وذلك راجع الى منشئها لا اليهم وهم قد رضوا بالخلقة التي انشئوا عليها وعسى ان يكونوا هم على تلك الخلقة عندهم خيرا منهم ثم قوله عز وجل عسى ان يكونوا خيرا منهم يحتمل وجهين احدهما عسى ان يصيروا من بعد منهم خيرا في تلك الاحوال والافعال التي هم عليها اليوم والثاني عسى ان يكونوا هم عند الله خيرا منهم في الحال كقوله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم اخبر ان الاكرم منهم عند الله تعالى هو اتقاهم لا ما افتخروا بما هو اسباب الفخر عندهم والله اعلم وقوله عز وجل ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ذكر سخرية نساء من نساء لان النساء ليس لهن اختلاط مع الرجال حتى يجري السخرية بينهم وانما الاختلاط في الغالب بين الجنس يكون فعلى ذلك جرى النهي بالسخرية والله اعلم ويحتمل انه خص هؤلاء بهؤلاء كما خص القصاص في قوله كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد الاية ثم جمع بين الاحرار والعبيد والذكور والاناث بالمعنى الذي جمعهم فيه وهو ما ذكر ولكم في القصاص حيوة ابان عن المعنى الذي به وجب القصاص فيما بينهم فاشتركوا جميعا في ذلك الاحرار والعبيد والذكور والاناث فعلى ذلك ذكر المعنى الذي به نهاهم عن السخرية وهو ما ذكر عسى ان يكونوا خيرا منهم فذلك المعنى يجمع سخرية الرجال من النساء وسخرية النساء من الرجال والله اعلم وقوله عز وجل ولا تلمزوا انفسكم واللمز هو الطعن ثم منهم من يقول هو الطعن باللسان ومنهم من يقول بالشدق والشفة ومنهم من يقول بالعين وحاصل هو الطعن فيه وقال القتبي اللمز هو العيب اي لا تعيبوا وقال ابو عوسجة هو شبه العيب قوله عز وجل انفسكم يحتمل وجهين احدهما لا تلمزوا انفسكم اي يذكروا مساوي نفسكم عند الناس وفيه الامر بالستر على نفسه وان لا يهتكوا استرهم والله اعلم وقوله عز وجل ولا تنابزوا بالالقاب اي لا تدعوا بالالقاب والنبز اللقب يقال نبزت فلانا اي لقبته وفي الحديث قوم نبزهم الرافضة اي لقبهم ولو قال لا تنابزوا الكان ذكا فيا لكا كا عرفال ولا تطيروا الفا بهم فيسوءهم ما ظهر ثم من اللقب والله اعلم ثم قال بعض اهل التاويل انما نهوا عن ذلك لانهم ليسمونهم بعد اسلامهم بالافعال التي كانوا يفعلون في حال جاهليتهم من الكفر والفسوق ويلقبونهم بذلك ويقولون ياكافر يا فاسق ونحو ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وجائز ان يلقبوا بذلك وبغيره من الالقاب فنهوا عن ان يسموهم بغير اسمائهم التي كانت لهم وان يعرفوا باسمائهم التي لهم ونهوا عن التعريف بالالقاب وبغير الاسباب والاسماء التي لهم اذا كان التعريف بذلك يسوءهم ويغيظهم والله اعلم ثم قال الله تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون اي واضعون الشيء في غير موضعه والله اعلم ثم قوله عز وجل بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يحتمل وجهين احدها ما ذكرنا اي بئس النسبة الى الفسق التي كانت والتسمية بها بعد الايمان الى الاسم والفعل الذي كان له ومنه قبل الايمان كانه قال لا تسموهم بذلك بعد الايمان والله اعلم والثاني بئس الاسم الفسق بعد الايمان اي تبين ما اختاروا من اسم الفسق بعدما كان اختار اسم الايمان وفعله فهذا يرجع الى اختيار الفسق بعد الايمان والله اعلم وقوله

عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ها هنا اسماء ثلثة يجب ان يتعرف معانيها
وما قدرها وكيف اسبابها احدها الظن والثاني الشك والثالث العلم واليقين اما الظن فكانه هو الذي له ظاهر
الاسباب التي لها خوف الزوال والانتقال والشك هو الذي فقد ظاهر اسبابه او له استواء الاسباب ومقابلة
بعضها بعضا فهو المتردد بين الحالين لا يقر قلبه على شيء واليقين هو الذي له الاسباب الظاهرة التي ليس
لها خوف الزوال والانتقال والله اعلم ثم قوله عز وجل اجتنبوا كثيرا من الظن كانه نهى ان يحقق والعمل شيء
صاحبه يثبت على ظاهر الاسباب التي هي على شرف الزوال وطرف الانتقال يجوز ان يكون غير متحققة في
الاصل او زائلة والله اعلم ثم في الاية دليل على انه ليس كل ظن يجتنب عنه ولا كل الظن يكون اثما لانه استثنى
منه بعضه بقوله بعض الظن اثم فجائز ان يكون ما استثنى من الظن ولا يؤمن بالاجتناب عنه هو ما يغلب
عليه الاشباه وغالب الاشباه وتما يعمل عمل العلم واليقين نحو المكره على شيء يرخص له او يباح العمل
اذا راى من ظاهر حال المكره انه فاعل به ما اوعده وان كان يجوز ان لا يفعل به او لا يقدر على ما اوعد
وعلى ذلك موضوع عامة الاحكام والشرايع بين الخلق انها على غالب الظن ووضعت ليس على التحقيق والله
اعلم ويحتمل ان يرجع ما استثنى من الظن القليل الذي لا اثم فيه الى الظن الحسن اذ يجوز ان يظن بالاخ
الظن الحسن ولا اثم فيه انما الامر بالاجتناب الى الظن بالسوء على غير تحقيق اسباب او غير تحقيق من ذلك
والله اعلم وقوله عز وجل ولا تجسسوا التجسس هو تكلف طلب المساوي في الناس من غير ان يظهر منهم من اسباب
شيء فنهى عن تكلف طلب ذلك او من الاظهار وامر بالستر ومثل ذلك روي في الاخبار عن النبي صلى الله عليه
وسلم وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قيل له هل لك في فلان يقطر لحيته خمرا فقال عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه ان يظهر لنا شيء ناخذه والا فان الله تعالى قد نهانا عن التجسس والله اعلم وفرق بعضهم
بين التجسس والتحسس فقال بالجيم في الشرور والمساوي وبالحاء في الخير وفيما يباح طلبه والله اعلم وقوله
عز وجل ولا يغتب بعضكم بعضا الغيبة يرجع الى وجهين احدهما ان يذكر ما فيه من مساوي الافعال التي
سترها عن اعين الناس مما يكره اظهار ذلك عنه والثاني يذكر ما فيه من قبح الاحوال والاخلاق التي
لا يكاد يذكر ذلك منه او يظهر وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يذكر الرجل
اخاه بما فيه مما يكره فقيل انما كنا نذكره بالشيء الذي فيه لا بما ليس فيه قال ذلك البهتان وقوله عز وجل
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه اي لا يحب احدكم ان ياكل لحم اخيه بعد موته فكيف يفعل فاذا لم يحب
هذا وكرهه بل يستقذره كما يستقذر فالغيبة هي تناول من اخيك وهو حي فهو في القبح يبلغ التناول
منه بعد موته فان كان لا احد يتناول من لحم اخيه بعد موته لا في حال اختياره ولا في حال اضطراره فلا
تغتابوا ولا تذكروا منه ما فيه فانه في القبح ذلك وقوله عز وجل واتقوا الله ان الله تواب رحيم اي تقوا الله
مما نهاكم عنه ان الله تواب لمن تاب اي قابل توبته رحيم اي يرحم عليه ويعفوا عنه اذا تاب والله الموفق
وقوله عز وجل يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يخرج تاويل الاية على وجهين احدهما انا خلقناكم جميعا
من اصل واحد وهو ادم وحوا عليهما الصلوة والسلام فيكونون جميعا اخوة واخوات وليس لبعض الاخوة
والاخوات الافتخار والفضيلة على بعض بالاباء والقبائل التي جعلت لهم اسماء القبائل وما ذكر للتعارف
والفضيلة والكرامة فيما ذكر ان اكرمكم عند الله اتقاكم معا لو كان في ذلك فضيلة وافتخار فالكل في النسبة
اليهم على السواء فلا معنى لانفراد البعض بالافتخار والثاني يحتمل انا خلقنا كل واحد منكم من الملوك والاتباع
والحر والعبد والذكر والانثى من ما الذكر والانثى فليس لاحد على احد من تلك الجهة التي يفتخرون بها الافتخار
والفضيلة اذ كانوا جميعا من نطفة مذرة منتنة يستقذرها الطباع ذكر هذا لئلا يتكبروا ولا يتفاخروا ولا يتطاولوا
بالانساب والقبائل والله اعلم وقوله عز وجل وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ثم اختلفوا في تاويل قوله
شعوبا وقبائل قال بعضهم الشعوب اكبر من القبائل فالشعوب هم الاصول والقبائل هي الافخاذ منهم فالشعوب
للعرب والامم والقرون العجم وقال بعضهم الشعوب للعجم والقبائل للعرب وقال ابو عوسجة الشعوب الضروب
وهي القبائل والواحد شعب والشعب الاجتماع يقال شعبت الاناء اذا انكسر فجمعته واصلحته ويسمى لمن يصلح الاناء
شعابا والشعب التفرق ايضا والشعوب المنية ونحو ذلك ثم وقوله عز وجل لتعارفوا اي جعل فيكم هذه القبائل
للتعارف بعضكم بعضا بالنسبة الى القبائل والافخاذ فيقال فلان التيمي والهاشمي اذ كل احد لا يعرف باسمه وحده
ثم قال عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم بين الله تعالى بما يكون الفضيلة والكرامة والتقوى لا فيما يرون
ويفتخرون بذلك وهو النسبة الى الاباء والقبائل بين ذلك لما ذكر من التعارف وهذا لان التقوى فعله وهو اتيان
الطاعات والاجتناب عن المعاصي وذلك مما ياتيه اختيارا لمرضاة الله تعالى ونهيه فجائز ان ينال به الفضيلة والكرامة
بفضل الله وكرمه ثناء على فعله فاما ما لا فعل له في التولد من اباء كرام فاني يستحق الفضل بذلك لو كان افتخارا انما يكون
للاباء فيما بينهم اكتساب حصول الولد لا للولد ليوحد والله تعالى ويتمسكوا بطاعته والله اعلم وقوله عز وجل ان الله
عليم خبير على الوعيد وقوله عز وجل قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا هذه الاية وان خرجت
على مخرج العموم ولكن اراد بها الخاص وهو بعض الاعراب اذ في اجراء على العموم يؤدي الى الكذب في خبر الله

عز ذلك اذ لا كل الاعراب قالوا ذلك ولا كل الاعراب يجب ان يقال لهم لم تؤمنوا ولكن يقال لهم قولوا اسلمنا فهو يرجع
الى خاص من الاعراب فكانه يرجع الى اهل النفاق منهم فانهم اخبروا انهم امنوا وما امنوا فلما اطلع الله عز وجل رسوله
صلى الله عليه وسلم انهم لم يؤمنوا ولكنهم استسلموا وخضعوا للمؤمنين ظاهرا خوفا عن معرة السيف وطمعا فيما عند
المسلمين من الخير فنهاهم ان يقولوا امنا اذا لم يكن في قلوبهم ذلك وامرهم ان يقولوا اسلمنا ومعناه ما ذكرنا اي
خضعنا واستسلمنا لنرتفع عن السيف ولا يصح الاستدلال بالاية على ان الاسلام والايمان غيران
لانه غاير بينهما حيث نهاهم ان يقولوا امنا وامرهم ان يقولوا اسلمنا ولو كان واحدا لم يصح هذا لانا
نقول لم يرد بهذا الاسلام هو الاسلام الذي هو الايمان ولكن اراد به الاستسلام الذي هو الايمان ولكن اراد به
الاستسلام والانقياد الظاهر وهو كما يسمى مسلما ما يسمى مؤمنا ايضا من حيث الظاهر فاما حقيقة الايمان والاسلام
يرجع الى واحد لان الايمان هو ان يصدق كل شيء في شهادته على الربوبية والوحدانية لله تعالى والاسلام هو ان
يجعل كل شيء لله سالما لا شركة لاحد فيه فمتى اعتقد ان كل شيء في العالم لله تعالى وهو الخالق له وكل مصنوع شاهد
دليل على صانعه فقد صدق في شهادته على صانعه والله الموفق وقوله عز وجل ولما يدخل الايمان في قلوبكم
الايمان ليس هو محسوس مركب يدخل في القلب او لا ولكن معناه بين فعل القلب وهو التصديق كانه قال
ولم يؤمن قلوبهم على ما ذكر في اية اخرى قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ثم ها هنا ان الايمان ينقضان
على الكرامية مذهبهم في ان الايمان لا يكون بالقلب ولكن باللسان والقول فان اهل النفاق قد قالوا ذلك
بلسانهم ثم اخبر انهم لم يؤمنوا وهم يقولون بل قد امنوا فيقال لهم انتم اعلم ام الله قل الله اذن لكم ام على الله
تفترون وفي هذه الاية اية عظيمة على رسالته حيث قال له قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقد قال لهم
عليه الصلوة والسلام ذلك ولم تهيا لهم الانكار وذلك القول فعرفوا انه بالله عرف ذلك اولم يظهروا ما في ضميرهم
خوفا من السيف ليعرف النبي صلى الله عليه وسلم والله الموفق وقوله عز وجل وان تطيعوا الله ورسوله
لا يلتكم من اعمالكم شيئا جائز ان يكون الاية صلة ما ذكر في سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن امر الحديبية
مع المؤمنين حيث قال ستدعون الى قوم اولي باس شديد وما ذكر من امرهم في غيرها من القران يقول ان تطيعوا
الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا جائز ان يكون الاية صلة ما ذكر في سورة الفتح للمنافقين بعد تخلفهم عن
امر الحديبية مع المؤمنين حيث قال ستدعون الى قوم اولي باس شديد وما ذكر من امرهم في غيرها من القران
يقول ان تطيعوا الله ورسوله فيما يدعوكم الرسول عليه الصلوة والسلام الى الخروج الى الجهاد والقتال
بعد تخلفكم عن الحديبية لا ينقصكم من اعمالكم التي كانت لكم شيئا والله اعلم ويحتمل وان تطيعوا الله ورسوله
بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يلتكم من اعمالكم شيئا اي لم ينقصكم من اعمالكم التي عملتموه من قبل
ولم يصلوا اعمالكم التي عملتم من بعد وان عصيتموه وتخلفتم عنه في حياته لانه قال فان رجعك الله الى طائفة
منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فقد كان نهاهم عن الخروج معه للغزو ابدا
فيقول ان تطيعوا بعد وفاته وتجاهدوا في سبيل الله لم يلتكم من اعمالكم شيئا بل يقبل ذلك منكم والله اعلم ويحتمل
ان يكون في المنافقين فيكون فيها وعد المغفرة للمنافقين فيكون فيها وعد المغفرة للمنافقين اذا تابوا واطاعوا الله
ورسوله كما وعد المغفرة بجميع الكفرة اذا تابوا عن الكفر بقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فعلى ذلك هذا
وهو كقوله تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم والله اعلم قال
قال بعضهم هذا في جميع المؤمنين ان من اطاع الله ورسوله لا ينقصكم من اعمالكم شيئا اي لا يضيع اعمالكم بل
يثيبكم كقوله تعالى يرجون تجارة لن تبور اي من عمل لله لا يضيع ومن عمل لغيره قد يضيع فلا يظفر على ثوابه
بشيء ويحتمل ان يكون الاية في المؤمنين الذين سلموا يقول اذا اسلمتم فلم ينقصكم من ثواب اعمالكم ما سبق منكم من
الكفر وهو كقوله تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والله اعلم وقوله عز وجل ان الله غفور رحيم ظاهر
وقوله عز وجل انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله اولئك هم الصادقون كان هذا ذكر مقابل ما تقدم من قول المنافقين حيث قال قالت الاعراب امنا فقال
لهم قل لم تؤمنوا انما المؤمنون هؤلاء ثم نعتهم فقال الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون اخبر ان هؤلاء هم الصادقون في ايمانهم وانتم يا اهل
النفاق حيث اضمرتم الخلاف له ولم تجاهدوا معه فلستم بصادقين في ايمانكم فيحتمل الجهاد دليل ظهور الصدق
في الايمان لانه من شرائط الايمان الذي لا يجوز الايمان الذي دونه ويحتمل انما المؤمنون الذين امنوا بالله
ورسوله اي صدقوا الله ورسوله سرا وعلانية على الحقيقة الذين ظهروا ولم يكن قلوبهم مصدقة لذلك
كالمنافقين الا ترى انه قال ثم لم يرتابوا وجاهدوا اي لم يشكوا في حادث الوقت بل جاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اظهارا لتحقيق الايمان وصدقهم وليسوا كالمنافقين الذين ارتابوا وشكوا في ايمانهم وتخلفوا عن
الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم ثم قال الله عز وجل قل اتعلمون الله بدينكم كانه صلة قوله
تعالى قالت الاعراب امنا حيث قالوا ذلك بالسنتهم وليس ذلك في قلوبهم فاخبر انه يعلم ما في قلوبهم من الايمان
والشك والخلاف كانهم حين قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم لم تؤمنوا فلجوا في ذلك وقالوا بل امنا ظنوا انه

وبيان الاكرم عند الله هو التقي

انما قال ذلك من داب نفسه فقال عند ذلك قل اتعلمون الله بدينكم يخبران الذى انبأنى واخبرنى بذلك هو
الذى يعلم غيب ما فى السموات وما فى الارض وهو بكل شئ مما فى القلوب من الصدق وغيره عليم فكيف تعلمون
الله بانكم مؤمنون وهو يعلم انكم لكاذبون وقوله عز وجل يمنون عليك ان اسلموا الذى حملهم وبعثهم على
الامتنان عليه بالايمان الذى تواتر لانه قوم لا يؤمنون بالاخرة فيظنون انهم اذا اظهروا الموافقة لم يلحقهم
بسببه مؤنة الخروج الى القتال او متى اظهروا الايمان يصير المسلمون اعوانا لهم ونحو ذلك هذا الذى ذكرنا
ونحوه بعثهم وحملهم على الامتنان عليه ولو كانوا يؤمنون بالاخرة ليعرفوا ان ايمانهم لا نفسهما ذب
نجاتهم واليهم يقع نفعه ليس فى الايمان لله تعالى نفع ولا فى تركه ضرر تعالى عن الضرر والنفع فيكون الامتنان
لله تعالى عليهم كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ثم قوله عز وجل بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان نقض قول المعتزلة انه يجب على الله تعالى ان يهديهم لقولهم بالاصلح فانه قال بل الله
يمن عليكم ولو كان هدايتهم واجبة عليه لا يكون له عليهم منة لانه مؤدى ما عليه لهم من الحق ومن ادى ما عليه
ونحوه لا يكون له الامتنان على صاحب الحق وكذلك فى قوله تعالى فضلا من الله ونعمة لو كان الهداية عليه لا يكون
فى فعله متفضلا ولا منعما بل يكون له عليهم الامتنان ومنهم الافضال والانعام لما عظموه ويجلوه بشئ
كان عليه فعل ذلك حقا واجبا لهم فدل على فساد مذهبهم وفيه دلالة ان الهداية ليست هى البيان
تحسب لوجهين احدهما لان هداية البيان مما قد كان فى حق الكافر والمسلم جميعا فلا معنى لتخصيص المسلمين
بهذه المنة ومثلها موجود فى حق غيرهم والثانى ان البيان قد عم الكافر والمؤمن وقد اخبر الله تعالى
بان له المنة عليهم ان كانوا صادقين فى ايمانهم فلو كانت الهداية هى البيان لا غير لكان لا يشترط فيه شرط
صدقهم لان منة البيان يعم الصادقين وغير الصادقين دل ان المراد من الهداية الاسلام حتى يتحقق
له المنة على الخصوص فى حق المسلمين والله الموفق ثم الهداية المذكورة ههنا يحتمل وجهين احدهما خلق
فعل الاهتداء منهم والثانى التوفيق والعصمة كانه يقول بل الله يمن عليكم ان خلق منكم الاهتداء او وفقكم
للايمان وعصمكم عن ضده وكذلك يخرج قوله تعالى ولكن حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم على هذين
الوجهين وفقكم له وعصمكم عن ضده او خلق حبه فى قلوبكم وزينته والله اعلم وقوله عز وجل والله بصير
بما تعملون هذا يخرج على الوعيد اى هو بصير بما اسروا واعلنوا ليكونوا ابدا على يقظة وحذر ولا قوة الا بالله

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ق والقران المجيد يحتمل ان يكون قوله ق اسم هذه السورة ولله سبحانه
وتعالى ان يسمى السور بما ذكر كناية كما سمى كتابه قرانا وزبورا وتورية وانجيلا فيقسم بهذه السورة والقران
جملة ويحتمل ان يذكر كناية عن جميع الحروف المقطعة والقران هو اسم الحروف المجموعة المؤلفة اقسم بالحروف
المقطعة والمجموع جميعا ومن الناس من يقول ان ق اسم الجبل المحيط بالارض وهى من ياقوتة خضراء او ياقوتة
حمراء لخضرة السماء من ذلك اقسم الله تعالى به وبالقران والاول اشبه واقرب لان العرب لم تعرف جبل
قاف ولم تعرف عظمته والقسم فى الاصل لتاكيد الخبر فانما يتحقق بما يعرف من اريد القسم فى حقه فاما اذا لم
يعرف ولم يعظم ذلك فى عينه يخرج القسم مخرج العبث تعالى الله عن ذلك الا ان يقال ان يكون هذا القسم
فى حق اهل الكتاب فانه قد كان لهم كتاب يعرفون ذلك وكانت لهم رسل قد بلغهم ذلك وكذا الظاهر
ان القسم فى حق العرب فدل ان الاول اشبه ثم هذه الحروف المقطعة لم يظهر فى الاخبار تفسيرها
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر لاشتهارها ولم يثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين انهم
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسبيله الوقف فيها لانه معلوم ان لا يقف احد على
المراد بالحروف المقطعة الا من جهة السمع فلما لم يظهر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دل
انهم تركوا ذلك وانما تركوا لوجوه اما لان هذه الحروف المقطعة كانت بيان احكام فى نوازل عرفوها
وتركوا سؤالها لما عرفوا تلك الاحكام والنوازل واما ان تركوا ذلك لما كان ذلك من المتشابه التى لم يطلع
الله تعالى الخلق على ذلك وهو المتشابه الذى يجب الايمان به ولا يطلب له تفسيره وكان ذلك مما اختص الرسول
صلى الله عليه وسلم بمعرفته لقوله تعالى الا من ارتضى من رسول فلم يسالوا منه بيان ذلك واما ان كان
ذلك عندهم اسماء السور لتعريف السور واسماء الاعلام لا يطلب فيها المعانى لذلك لم يسالوا معانيها ولم
يرد التعليم من النبى عليه الصلوة والسلام كما ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تركوا سؤال التفسير
للايات اما لان فى وسعهم الوصول الى معرفة ما تضمنتها الايات وعرفوا المراد منها باللسان وعرفوا مواقع
النوازل ففهموا المراد فلم يحتاجوا الى السؤال واما ان تركوا لما انها تضمنت احكاما عرفوها وتركوا السؤال فعلى
ذلك هذا والله اعلم ثم ذكر القسم ولم يبين موضع القسم واختلف فيه قال بعضهم موضع القسم فى اخر السورة
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الاية وقال بعضهم قوله ولقد خلقنا السموات والارض

الاية وقال بعضهم موضع القسم قوله تعالى فهم فى امر مريج اقسم بقوله ق والقران المجيد بان الكفرة فى امر مريج ويحتمل
ان يكون موضع القسم هو ما عجبوا كما قال بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ذلك رجع بعيد ذكر ههنا عجبهم من شيئين احدهما ما ذكر ان جاءهم منذر منهم اى من البشر
فقال الكافرون هذا شئ عجيب وهو كقولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم ما انت الا بشر مثلنا لا ينزلون
يكون الرسالة فى البشر والثانى من الاحياء بعد الموت لقولهم ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد وقد ذكرنا
فى غير اى من القران عجبهم وانكارهم البعث بعد الموت فجائز ان يكون موضع القسم ما عجبوا وانكروا من
ان يكون البشر رسولا او يحيون بعد الموت اقسم بما ذكر من قوله عز وجل والقران المجيد انه يكون ذلك ردا
لانكارهم وتعجبهم والله اعلم ثم انكار الكفرة وعجبهم ان كيف بعث من البشر رسولا او كيف لا اختار بعث
الرسل ممن عنده وهم الملائكة وابدا انما يبعث الرسل ممن كان عند المرسل لا من كان هذا مبعوث اليهم فى
الشاهد لا معنى ولا ينبغى لهم ان ينكروا بعث الرسول ممن هو عند المبعوث اليهم وان تعجبوا عن ذلك لان
بعث الرسول من جنس المرسل اليهم والمبعوث اليهم فى معرفة صدقه وحقيقة دعواه اقرب من
ان يكون من خلاف جنسهم لانهم انما يعرفون رسالته بايات ودلالات يقيمها على رسالته بحيث يخرج
عن وسعهم اقامتها ولا يعرفون صدق تلك الايات وحقيقتها اذا كانت تلك من غير جنسهم بما لعل ان
انما اتاهم به وزعم انها ايات ليست بايات لما فى وسعه اتيان مثلها وليس فى وسعهم ذلك لما ان القوى
تختلف عند اختلاف الجنس فدل ان بعث الرسول من جنس المرسل اليهم حق واقرب الى معرفة صدق الايات
والمعجزات والله الموفق ولان كل ذى نوع من نوعه وكل ذى شكل من شكله اميل وبه انس من خلاف جنسه
ونوعه فكان الغرض وهو التاليف والاجتماع فى هذا اقرب الى الحصول والله اعلم ثم قولهم هلا بعث الينا الرسل ممن
هو عنده فاسد لان الخلائق جميعا من حيث العبد لله تعالى واحد لا يوصف احد من الخلائق انه عنده الا من حيث
القرب به بالطاعة له والائتمار بامره وترك الخلاف له فاما على ما يوصف المخلوق عند مخلوق فلا اذ ذلك وصف
المتمكن فى المكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فاذا كان المراد من عنده من حيث القرب به بالطاعة والقيام بامره مما
اهلية الرسالة وصلاحها فذلك مما لا يوجب الفضل بين البشر والملائكة بل من جهة البشر احق لما هم يفعلون
عن غيب الدلائل اجمع دون العيان والله اعلم بحجتهم انه لو اراد احيانا كيف اماتنا ولا احد فى الشاهد يبنى بناء
فيهدمه ويبنى مثله فليس بشئ لانه لو لم يكن اماتتهم احيا لكان الجزاء بالاعمال يكون حضرة الافعال وذلك يوجب
ان يكون ايمانهم ايمان اضطرار لا ايمان اختيار واثبات ولان من عاين انه يدخل النار ويعذب فيها ابدا الابدين
لا يعمل ذلك العمل الذى اوعد به بل يتركه وكذا ان من عاين ان من امن بالله تعالى وعمل طاعته وعبادته يدخل
الجنة ويكرم ابدا الابد لا يعمل غير ذلك العمل فيرتفع المحنة ويكون الايمان بحق الاضطرار فاخر ذلك ليكون الايمان
بحق الاختيار حتى يكون له قيمة ثم قوله والقران المجيد وصف القران مرة بانه كريم ومرة بانه حكيم ومرة
بانه مجيد يحتمل تماسماه بهذه الاسماء على معنى ان من تمسك به يصير مجيدا كريما حكيما اى بمنزلة مجيد كريم حكيم ويحتمل
ان يكون هذه صفات القران راجعة الى عينه كما يقال كلام محكم وكلام مفسر وانما يراد به عينه فعلى هذا يحتمل والله
اعلم قال ابو عوسجة المجيد الماجد والتمجيد التعظيم والمجيد الدابة من العلف اذا كثرت ذلك والمجد القوم اذا
اكثروا من الطعام والشراب عز وجل بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب قد ذكرنا
تاويله عز وجل ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد اى لا يكون كقولنا البعيد مما لا يكون عندهم كذلك قال
القتبى وقال ابو عوسجة رجع بعيد اى رد يقال رجع رجعا اذا رد ورجع رجوعا اذا انصرف عز وجل قد
علمنا ما تنقص الارض منهم ظاهر هذا ان يكون هذا القول ولكن هم الكفرة قالوا ذلك على سبيل الاحتجاج لما انكروا
من البعث اى قد علمنا ما تنقص الارض من لحومنا وتاكل من انفسنا فانى يحيى بعد ذلك وهو كقولهم من يحيى العظام
وهى رميم ونحوه لكن اهل التاويل ما جمعهم صرفوا هذا القول الى الله تعالى انه قال ذلك جوابا لقولهم ائذا متنا
وكنا ترابا ذلك رجع بعيد فقال قد علمنا ما تنقص الارض منهم اى عن علم منا بما ياكل منكم وينقص قلنا انكم تبعثون
وتحيون وعلى علم منا بذلك اخبركم الرسل بالاحياء والبعث بعد الموت والله اعلم عز وجل وعندنا كتاب حفيظ احصى
وافعالهم واقوالهم وجميع ما يكون منهم وقال بعضهم الجميع علمه فيهم هو عندنا فى كتاب حفيظ وقال قتادة ما اكلت
الارض منهم وكانوا ترابا ونحن بالموت وهو مع علمنا فى كتاب حفيظ وهو مثل الاول عز وجل بل كذبوا بالحق لما جاءهم
اى بالقران ويحتمل اى بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد كذبوا بهما جميعا عز وجل مريج قال القتبى وابو عوسجة
فى امر مريج اى مختلط يقال مرج امر الناس ومرج الدين واصل المرج ان يقلق الشئ فلا يستقر يقال مرج الخاتم فى يدى
مرجا اى قلق للهزال اى تحرك وقيل مضطرب مختلف وهكذا كان قولهم مختلفا مضطربا مختلطا فى القران والرسول
صلى الله عليه وسلم اقوالهم مضطربة مختلفة مرة نسبوه الى السحر ومرة الى الشعر ومرة الى الجنون ومرة على الافتراء
على الله تعالى وانه يعلمه من فلان ونحو ذلك من الاقوال المختلفة مضطربة يدفع كل واحد من ذلك الاخر وكذلك
قالوا فى القران مرة انه سحر ومرة انه شعر وانه من اساطير الاولين وانه مفترى وانه اختلاق وكل ذلك ما يدفع بعضه
بعضا وهذا هو الاضطراب والاختلاف والاختلاط والله اعلم عز وجل فى امر مريج اى فى ضلال عز وجل

افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج الاية يحتمل ان يكون هذه الايات صلة ماذكر
من تعجبهم من بعث الرسل من البشر والبعث بعد الموت بقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم كانه يقول افلم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها مرتفعة ملتصقة بعضها ببعض متصدة بلا فروج ولا عماد مع صلابتها وكثافتها
وغلظها والم ينظروا الى الارض كيف بسطناها والقينا فيها الجبال الرواسي وتاداً لئلا تميد باهلها حتى عرفوا
ان من قدر على رفع السماء بلا عمد مع ارتفاعها وغلظها وصلابتها حتى لا ينتهى احد الى طرف من اطرافها ولا علم
نهايتها وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما لقادر على الاحياء بعد الموت وانه لا يعجزه
شئ وان من فعل هذا لا يفعل عبثا باطلا ولكن يفعله عن حكمة وتدبير ولو كان على ما قالوا ان لا بعث ولا جزاء
كان خلق ذلك كله عبثا باطلا ويكون فعل ذلك فعل سفه لا فعل حكمة فلما كان فعل ذلك كله على التدبير الذى ذكر
وعلى الاتساق الذى جرى حكمة ان شاء ذلك من غير تفاوت دل انه لم ينشئ الخلق من المكلفين ليتركهم سدى لا بامر
ولا نهى ولا يمتحن فيكون عبثا بل يمتحنهم بالامر والنهى ليكون فعله فى العقلاء على نهج الحكمة كما فى غيرهم من الخلائق
واذا كان كذلك فلا بد من رسول يخبرهم ويعلمهم ما لا يقف عليه العقل من كيفية شكر المنعم ومقداره ووقته
ونحو ذلك ومؤكد ذلك الامر والنهى بالوعيد ثم كان له وضع الرسالة فيمن شاء وفى اى جنس شاء لانه حكيم عليم
لا يكون منه الخطاء فى التدبير والجهل بالاصلح والاوفق بالحكمة فدل ذلك على اثبات الرسالة والبعث بعد الموت
والله اعلم ثم وقوله عزوجل ولم ينظروا يخرج على وجهين احدهما اى نظروا الى ما ذكر والثانى قد نظروا بابصارهم
لكن ما لم ينظروا النظر المعتبر نظر القلب والله اعلم وقوله عزوجل وما لها من فروج قيل من صدوع وشقوق و
الواحد فرج وهو الموضع بين الموضعين والفرجة من الفرج ومنه يقال فرجت عنه الغم اى كشفت وهو كقوله
تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور اخبر انكم لم تروا فى السماء شقوقا وفطورا وفى انشاء هذا البناء وان عظم
واحكم لا يخلو من نقصان او شقوق يرد عليه فاذا لم يروا ذلك فهلا دلكم ذلك على ان خالقه قادر على الكمال لا يعجزه
شئ وقوله عزوجل والارض مددناها والقينا فيها رواسى قد ذكرنا فيما تقدم وقوله عزوجل وانبتنا فيها من كل
زوج بهيج اسم الزوج يقع على الشكل والضد وكل ذى شكل هو زوج وضد والبهيج ما يبهج به نعمناه انبتنا من كل زوج
ما يبهج به اهله وما يتزينون به من الوان النبات وجواهرها وقال القتبى من كل زوج بهيج ما يبهج به اهله
اى من كل جنس يقال بهج بهيجا فهو بهيج اى حسن واما من السرور فيقال بهج يبهج بهجا فهو بهج اى مسرور وقوله
عزوجل تبصرة وذكرى لكل عبد منيب اى تبصرة لكل عبد منيب اى منفعة ذلك يكون لمن ذكر وهو العبد المنيب
الى الله تعالى والمقبل على طاعته فاما من اعتقد الخلاف له فلا وقوله عزوجل وانزلنا من السماء ماء مباركا الاية
يستعمل فى امر الدين والدنيا ويظهره كل شئ ويزين به حيوة كل شئ ونماؤه والمبارك كل خير يكون على النماء و
الزيادة فى كل وقت والله اعلم وقوله عزوجل فانبتنا به جنات وحب الحصيد يقول انبتنا بذلك الماء المبارك
المنزل من السماء جنات اى بساتين والبستان الذى يجمع فيه كل انواع الشجر يسمى بستانا وجنة وقوله وحب
الحصيد اى انبتنا بذلك الماء كل حب حصيد فقد دخل تحت قوله وحب الحصيد انواع الشجر والغرس والنبات
ثم قوله تعالى وحب الحصيد الحب والحصيد وهو الحب نفسه لكن اضاف الحب الى الحصيد ويجوز مثل
هذا كما يقال صلوة الاولى ومسجد الجامع وقال بعضهم ههنا غير الحب ما يخرج منه والحصيد من القصب
الذى يصير تبنا لان الحب لا يحصد انما يحصد التبن ومنه لذلك اضاف الحب الى الحصيد وهو تبنه وقوله به
لذلك اضافه اليه كما يقال نجم الشجر ونحو ذلك وقوله عزوجل والنخل باسقات لها طلع نضيد قوله والنخل
باسقات اى طوال يقال بسق الشئ يبسق بسوقا اذا طال وقال ابو عوسجة باسقات اى طوال يخبر الله عزوجل عن
بركة الماء انه بلطفه وجعل الماء بحيث يظهر بركته ونماؤه واثره على راس النخل وان طال سفلى لا اصل لما جعل
فيه بتربته من البركة والمعنى ما يظهر ذلك ولا يعلم حقيقة ذلك المعنى وقوله تعالى لها طلع نضيد اى منضود
والطلع اول ما يخرج من النخل فيحمل والتنضيد هو التأليف والتركيب اى يؤلف بعضه الى بعض ويركب ويسمى
ذلك كفرى واذا تضج استوجب الطلع ويعرف وصار رطبا وقال ابو عوسجة نضيد اى متراكم بعضه على بعض
والنيل المتراكم يقال له منضود والتنضيد هو جعل بعضه فوق بعض ونضد الشئ بنفسه فهو نضيد وقيل
نضيد اى كثير وقوله عزوجل رزقا للعباد اخبر ان ذلك كله انما انبته واخرجه رزقا للعباد وقوله عزوجل واحيينا
به بلدة ميتا اى احيى بالماء بلدة ميتا اى احيى بالماء كل بلدة ميت وكل بقعة ميتة وكل غرس فصار به حيوة كل حى ونماء
كل شئ ثم قال كذلك الخروج اى كما قدر على احياء ما ذكر من الارض بعد موتها واحياء النبات والغرس وكل
شئ بعد موته بذلك الماء فعلى ذلك قادر على احيائكم بعد موتكم وبعد ما صرتم ترابا والتعجب فى احياء ما ذكر
كله من الارض والنبات والغرس ان لم يكن اكثر لم يكن دون ما فى احياء الناس من بعد موتهم فاذ قد عرفوا
قدرته فى احياء ما ذكروا قروا به كذلك لزمهم ان يقروا به فى احياء كل شئ والله الموفق وقوله عزوجل كذبت
قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب
الرسل فحق وعيد ذكر هذه الانباء لوجهين احدهما يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على اذى قومه وتكذيبهم
اياه كما صبر اولئك يقول انك لست باول رسول كذبه قومه بل كان قبلك رسل كذبهم قومهم فصبروا على ذلك
فاصبرانت

فاصبرانت ايضا وهو كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والثانى يحذر قومه ان ينزل بتكذيبهم اياه ويوء
تعاملهم به كما نزل بمن ذكر من الاقوام بتكذيبهم وسوء معاملتهم وعلى هذين المعنيين جميع ما ذكر فى القران من الانباء
والله اعلم ثم اصحاب الرس اختلف فى الرس هو يردون اليمامة وكان عندها اقوام كذبوا رسلهم فاهلكهم
الله تعالى وقيل الرس هو الوادى وقال بعض الرس هو خدخدوه وجعلوا فيه النار واحرقوا فيها نبيهم عليه السلام
وقال بعضهم سموا بذلك لانهم رسوا نبيهم عليه السلام فى البئر وقال بعضهم هم قوم الرسل الذى ذكرهم فى سورة
يس بقوله تعالى فارسلنا اليهما اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون وعن الاصمعى انه قال
الرس كل موضع خدفيه ولذلك سمى الخد خد الجوى الدمع عليه والله اعلم وقوله واخوان لوط اى قوم لوط
وقوله وقوم تبع قيل انه كان رجلا مسلما صالحا مدحه الله تعالى وذم قومه سمى تبعا لكثرة اتباعه ولا حاجة
بنا الى تفسيره بانه من كان وما اسمه كما ذكر بعض اهل التاويل لما لم يذكر فى القران ولم يثبت بالتواتر فلا نزيد على الله
القدر احترازا عن الكذب والله اعلم وقوله عزوجل كل كذب الرسل فحق وعيد تخويف اهل مكة اى اولئك الذين
ذكرهم جميعا قد اهلكوا بتكذيبهم الرسل عليهم السلام فحق عليهم الوعيد بذلك فعلى ذلك يحق عليكم ذلك الوعيد
بتكذيب الرسول والله اعلم وقوله عزوجل افعيينا بالخلق الاول هو يخرج على وجهين احدهما افعيينا اى اعجزنا عن
خلق اى حيث لم نعجز عن الخلق الاول فكيف تنسبونا الى العجز عن الاعادة عندكم عن الخلق الثانى والثانى افعيينا
اى اجهلنا وخفى علينا تدبير الخلق الثانى وابتداؤه تدبير الخلق الاول وانشاؤه اشد عندكم واهون فاذا لم يعجز عن
ابتداء انشائه ولم يجهل ولم يخف علينا الابتداء كان لا يعجز عن الاعادة ثم قال بعضهم الخلق الاول هو آدم
عليه السلام وقال عامتهم هو ابتداء خلقهم والله اعلم وقوله عزوجل بل هم فى لبس من خلق جديد اى هم
فى شك واختلاط من خلق جديد لما تركوا النظر فى سبب المعرفة ليقع لهم العلم بذلك وقوله عزوجل ولقد
خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه هو يخرج على وجهين احدهما يقول على علم منا يحدث به نفسه
وتوسوس من انواع الحديث والوسوسة لا عن جهل وخفاء عن ذلك فان هو كفها وحبسها عما يدعوا به
اليه نفسه وهواه وصرفها الى ما يدعوه عقله وذهنه نجا وفاز لقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربى وقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى الماوى وان تركها حتى تمادى فى هواها
هلك قال الله تعالى واما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى الماوى وقال فى اية اخرى افرايت من اتخذ الهه
هواه ونحوه كثير فى القران والثانى يذكر ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اى نحن مطلعون على ذلك
ليس علم ذلك الى الحفظة وهم يتولون كتابته لم يجعل ذلك الى احد انما ذلك الى الله تعالى هو العالم بذلك وهو
المطلع عليه دون الملائكة وانما الى الملائكة ما يلفظه ويفعل بالجوارح لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد وقال فى اية اخرى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اخبر ان الحفظة انما يعلمون ما
تفعلون ظاهرا اما ما يسرون فى قلوبهم فالله هو المطلع على ذلك العالم ليكونوا ابدا على اليقظة والحذر والله
اعلم وقوله عزوجل ونحن اقرب اليه من حبل الوريد يفهم من قرب الرب تعالى الى العبد ما يفهم من قرب
العبد الى الله تعالى وانما يكون قرب العبد الى الله تعالى بالطاعة له والقيام بامره والانقياد والخضوع له فهذا
هو المفهوم من قرب العبد الى الله تعالى لا قرب شئ آخر فعلى ذلك يفهم من قرب الله تعالى الى العبد الاجابة له والنصر
والمعونة والتوفيق على الطاعات وعلى ذلك ما يقال فلان قريب الى فلان لا يعنون قرب نفسه من نفسه فى
المكان ولكن يعنون نصره له ومعونته اياه واجابته ويحتمل ان يذكر القرب منه كناية عن العلم بما حواليه ظاهرا
وباطنا والله اعلم واصله ان يعتبر الاحوال فيما ذكر من القرب فان كان فى السؤال فالمراد انه قريب منه بالاجابة
له اى يجيبه كقوله تعالى فاذا سالك عبادى عنى فانى قريب وان كان فيما يسرون ويضمرون فيفهم من القرب
فى تلك الحالة العلم به كقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم الاية فعلى ذلك قوله ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وقوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون يفهم منه النصر والمعونة والعلم فيكون قوله
ونحن اقرب اليه اى اعلم واولى به واحق من غيره فى النصر والمعونة واولى به فى الاجابة والله اعلم وعلى
ذلك يخرج ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من تقرب الى شبرا تقربت منه شبرين على ما ذكرنا من قرب الطاعة
وقرب الرب اليه بالنصر والمعونة لا قرب المكان ولا قوة الا بالله وقوله عزوجل حبل الوريد قال
بعضهم عرق العنق والوريد العنق وقال بعضهم هو عرق بين القلب والحلقوم وقال بعضهم هو عرق
القلب معلق به فاذا قطع ذلك العرق يموت الانسان والله اعلم وقوله عزوجل اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين
وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اى ذكر تلقى المتلقيين واحفظ تلقى المتلقيين ولفظ
تلقى المتلقيين وهما الملكان المسلطان على اعمالك واقوالك اذ يتلقيان منك اعمالك واقوالك ويحفظان
عليك ويكتبان يذكر هذا ويخبرهم ان عليهم حافظا ورقيبا وان كان هو تعالى حافظا لجميع افعالهم
واقوالهم عالما به يحفظ الملائكة وكتابتهم وعدم ذلك بمنزلة فى حق الله تعالى لكن يخرج الامر بالملائكة يحفظ
اعمالهم وكتابته ذلك على وجوه من الحكمة احدها ليكونوا على حذر ابدا مما يقولون ويفعلون على ما يكون
فى الشاهد من علم ان عليه حافظا ورقيبا فامر يكون ابدا على حذر وخوف من ذلك الامر وذلك اذ ذكره وادعى

مما فى القلب يطلعه الله لا الحفظة

مما يحفظ المسئلة فى قرب العبد لله وعليه

الى الانتهاء عن ذلك فعلى ذلك اذا علم العبد ان عليه حفيظا ويكتب ذلك عليه وانه يكلف تلاوة ذلك المكتوب بين يدي الله تعالى فيستحيي من ذلك اشد الاستحياء يكون ذلك ازجر له وابلغ في المنع والا فكان احصاه ذلك على الله تعالى مع الكتاب وغير الكتاب سواء اذ هو عالم بذاته لا بالاسباب وهو تاويل لا يضل ربي ولا ينسى والله اعلم والثاني من الحكمة امتحان الملائكة بحفظ اعمال بني ادم واقوالهم وكتابة ذلك فيمتحنهم لذلك وامرهم بروايات بعض الملائكة من شاء منهم بالتسبيح والتعظيم ومن شاء منهم بالركوع ومن شاء بالسجود ومن شاء بحمل العرش والكرسي ومن شاء بحفظ بني ادم ومن شاء منهم بسوق السحاب وانزال المطر بما في ذلك منافع بني ادم ويكون ذلك كله حق العبادة ليعلم ان من امتحن منهم بالركوع والسجود والتسبيح والتكبير والتهليل لم يمتحنهم بذلك لمنافع يرجع اليه في ذلك ولكن يمتحنهم بما شاء وفيما شاء ويكون ذلك كله عبادة وان اختلف انواعه فعلى ذلك امره اياهم بحفظ اعمالهم واقوالهم وكتابتها والله اعلم والمحنة بحفظ تلك الاعمال والاصوات وكتابتها اشد من محنة غيرهم من الملائكة بالركوع او السجود او القيام او التكبير او التهليل ونحو ذلك ومن محنة بني ادم من اقامة العبادات والامتناع من المحرمات ونحوها اذ لو اجتمع الخلائق على معرفة كيفيته عمل واحد ما قدروا عليه فدل ان هذا التاويل محتمل والثالث وهو ان الله تعالى اخبرهم بكتابة الملكين اعمالهم وبقعودهم عن اليمين والشمال من غير ان راى احد من البشر اياهم ولا راى كتابتهم ولا سمع صوت كتابتهم وقد اقدرهم على العلم بما في ضمايرهم وكتابة ذلك كله واقدرهم على رؤيتنا ولم يقدرنا على رؤيتهم وهم اجسام مرئية ليعلموا بذلك قدرة الله تعالى على ما شاء من الفعل وان لا يقدروا قوة كل خلق الله تعالى بقوة انفسهم ولا قوة غيرهم برؤية انفسهم وان قوة الرؤية تختلف باختلاف الاوقات والاشخاص فان الملائكة يروننا ولا نراهم في الدنيا وان كانوا اجساما مرئية حيث يرى بعضهم لبعض ثم اخبره وقال ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اخبر انه يرى ذلك الكتاب في الاخرة وان كان لا يراه في الدنيا وكذا يرى الملائكة في الاخرة وهذا لان هذه البنية لا يحتمل اشياء لضعف فيها ويجاب يكون في ذلك في الدنيا ثم يحتمل ان يكون في الاخرة اقوى في احتمال ذلك فيصير في الاخرة وفي هذا رد قول المعتزلة في انكارهم رؤية الله تعالى انه لو كان يرى ليرى في كل مكان على ما يرى الملائكة في الاخرة دون الدنيا ونحو ذلك فعلى ذلك رؤية الله تعالى ثم قراءة العامة اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقرا ابن مسعود رضي الله عنه اذ يتلقى المتلقيان عنه عن اليمين وعن الشمال فعلى قراءته يخرج تاويل الاية على وجه واحد اي ياخذ الملكان عن ادم ما فعلوا وقالوا وعلى قراءة العامة يخرج على وجهين احدهما ان ياخذ الملكان عنه ما ادى اليهما من قول او فعل والثاني ان يتلقى احد الملكين عن الاخر ما القى عليه ذلك الملك على ما روي عن ابي امامة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب اليمين على صاحب الشمال واذا عمل العبد سيئة قال له صاحب اليمين امسك عنه سبع ساعات فان استغفر الله لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها سيئة واحدة ويجوز ان يكون احدهما كاتبا دون الاخر وان كانا يتلقيان وياخذان منه ذلك لما ذكر في اية اخرى حيث قال وقال قرينه هذا ما لدي عتيد ولم يقل قال قريناه ويجوز ان يكون المتلقيان جميعا يكتبان على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كاتبان كاتب عن يمينه وكاتب عن يساره فيكتبان الحسنات والسيئات ثم يرفعان الحسن فوقهما كل اثنين وخميس فيثبتون من ذلك من ثواب او عقاب ويلقون ما سوى ذلك وروي ايضا عنه وعن غيره من اهل التاويل انهما يكتبان ما كان من خير وشر وما سوى ذلك فلا ولكن ظاهر الكتاب يدل على انه يكتب كل شيء وهو قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان يقال المراد هو قول هو سبب الثواب والماثم كما قال في اية اخرى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي لا يغادر صغيرة من الماثم ولا كبيرة منها لا مطلق صغار الاشياء وكبارها فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم جعل المتلقيين اثنين يحتمل على ما جعل في الشهادة اثنين فيما بينهم في الاحكام والحقوق لتشهدا عليه في الاخرة وقوله عز وجل ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد في ظاهر الاية ان الملائكة انما يكتبون ظاهر الاقوال والافعال لا ما في الضماير لكنه غير مستنكر في العقول ان يكون الله تعالى اقدرهم على العلم بما في ضمايرهم فيعرفون ذلك ويكتبون ولكن ظاهر الاية يشير الى ما قلنا والله اعلم ثم وقوله عز وجل عن اليمين وعن الشمال قعيد قال القتبي اراد قعيد من كل جانب منهما الا انه اكتفى بذكر الواحد اذ كان دليلا على الاخر وقعيد بمعنى قاعد كما يقال قدير وقادر ويكون بمنزلة اكيل وشريب اي مواكل ومشارب فقعيد اي مقاعد وبه قال ابو عوسجة قعيد من المقاعدة كما يقال قعيدي وجليسي والله اعلم وقوله عز وجل رقيب عتيد الرقيب الحفيظ والعتيد الحاضر اي ليس يغيب حتى يغيب عنه شيء والله اعلم وقوله عز وجل وجاءت سكرة الموت بالحق قال ابو عوسجة سكرة الموت اي شدته ثم يخبر انه لا بد ان ينزل بالنفس عند الموت وشدته ومشقته ثم الاية تخرج على وجهين احدهما ان لو يجري على ظاهرها في الماضي على لفظه جاءت سكرة الموت على الذين كانوا من قبلكم فوجدتم غير متاهبين ولا مستعدين له والله اعلم والثاني ان يكون قوله وجاءت بمعنى تجيء وكذلك وجاءت كل نفس معها سائق وذلك جائز في اللغة وقوله عز وجل بالحق اي من اهل الشقاوة او من اهل السعادة يظهر عند ذلك ويبين له ويظهر انه من اهل السعادة او من اهل الشقاوة او من اهل الجنة او من اهل النار واصله عندنا ان الحق هو ما وعد كل نفس من خير وما اوعد كل نفس من الشر

ان كان كافرا وقد وعده النار فيتحقق له ذلك ويحتمل ما ذكر من الحق هاهنا هو الموت نفسه اخبر انه لا بد من الموت والله كائن لا محالة وهو كقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يقول لم يخلق الخلق للخلود في الدنيا ولكن للاخرة فلا بد من الموت والله اعلم وقوله عز وجل ذلك ما كنت منه تحيد يحتمل وجهين اي اتاك ما كنت تكره مجيئه وتنكر ولم تؤمن به وهو البعث ويوم القيامة الذي يكرهونه وينكرونه والثاني يحتمل الموت نفسه اي اتاك ما كنت تكره وتفر منه اذ هم كانوا يكرهون الموت ويفرون منه فانه ملاقيكم اي ياتيكم من حيث لا مفر كقوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي ياتيكم من حيث لا مفر لكم عنه ثم الحيد هو الميل والكراهة وقال ابو عوسجة الحيد الفرار يقال حاد يحيد حيدا فهو حائد وقوله عز وجل ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد يحتمل ان يكون اراد النفخة الاولى وهي النفخة التي يفزع عندها اهل السموات والارض فيموتون ويحتمل ان يريد النفخة الثانية التي عندها البعث وادخال الارواح في الاجساد ويحتمل ان يريد عندما يوضع كل واحد في القبر وهو ان يسال على ما جاءت الاخبار من سؤال منكر ونكير وذلك ايضا هو يوم الوعيد في حق ذلك الرجل وهذا للكافر خاصة وقوله عز وجل ذلك يوم الوعيد اي ذلك يوم وقوع الوعيد اذ يوم الوعيد الدنيا فاما القيمة فهو يوم وقوع الوعيد وتحققه والله اعلم وقوله عز وجل وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال بعضهم السائق الذي يقبض روحه والشهيد الذي يحفظ عمله وقال بعضهم السائق هو الملك الذي يكتب عليه سيئاته والشهيد هو الذي يكتب حسناته وقيل السائق هو النار التي تاتي تسوق الكفرة الى المحشر والشهيد هو عمله الذي عمل في الدنيا وقيل السائق الكاتب والشهيد جوارحه بقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم الاية واصله ما ذكر في قوله وسيق الذين كفروا وسيق الذين اتقوا ذكر السوق في الفريقين وذكر في الكفرة احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقال عز وجل ويوم يحشر اعداء الله الى النار فالسائق هو ملك يسوق الى ما امر من الجنة او النار والشهيد هم الملائكة الذين يكتبون علينا الاعمال فيشهدون في الاخرة ان كان شرا فشر وان كان خيرا فخير والله اعلم بحقيقة ما اراد وان كان ما قالوا محتمل والله اعلم وقوله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد يقول لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا تعاين وتشاهد او في غفلة مما اوعدت من المواعيد والشدايد التي عاينتها فكشفنا عنك غطاءك اي كشفنا عنك الشبه التي تمنع وقوع العلم به والتخلي له فبصرك اليوم حديد اي ثاقب نافذ يبصر الحق كقوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وقيل حديد من الحدة اي نافذ لا يخفى عليه شيء فكانه اراد والله اعلم انك كنت في الدنيا جاهلا عن هذا اليوم وعن هذه الحال والان قد عاينت ما كنت عنه في غفلة وايقنت به وهو كقوله عز وجل لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين وقوله عز وجل قال قرينه هذا ما لدي عتيد اي يقول الملك الذي كان عليه رقيب اي كل ما عمل فهو عندي حاضر من تكذيب وعمل السوء فالاشبه ان يكون شهادة الحفظة عليه هذا القول ويحتمل ان يكون ذلك على السؤال للملائكة عما كتبوا وحفظوا يقول كل ملك هذا ما لدي عتيد اي هذا الذي عمل هذا عندي حاضر محفوظ اذ الكتاب الذي كتبت فيه اعماله حاضر ثم جائز ان الذي يكتب الاعمال لكل واحد على هذا حيث قال وقال قرينه ولم يقل قريناه وان كان قال اذ يتلقى المتلقيان على ما ذكرنا انهما ملكان فيجوز ان يتولى الكتابة واحد والاخر شاهد وجائز ان يكونا يكتبان جميعا بقوله كراما كاتبين لكنه ذكر هنا بحرف التوحيد فقال وقال قرينه لما يقول كل واحد منهما ذلك على حدة وهو كما ذكرنا وفي قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد اي كل واحد منهما قعيد والله اعلم وقوله عز وجل القيا في جهنم كل كفار عنيد يحتمل ان يكون الخطاب بقوله تعالى القيا لاثنين على ما هو ظاهر الصيغة الذي يسوقه والذي يشهد عليه حيث قال وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد كان الامر بذلك لهما ويحتمل ان يكون المراد بالخطاب هو القرين الذي سبق ذكره وقال قرينه هذا ما لدي عتيد لكن قال القياه لوجهين احدهما ما قيل ان العرب قد يذكر حرف التثنية على ارادة الواحد والجماعة والثاني ما قال بعضهم ان المراد من قوله القيا اي الق الق على التاكيد كقوله تعالى هيهات هيهات على الوعيد في الذم ويقال في المدح بخ بخ ونحو ذلك على التاكيد والله اعلم وقوله عز وجل كل كفار عنيد يحتمل كل كفار لنعم الله تعالى حيث صرف شكرها الى غيره او كل كفار لتوحيد الله وتسميته غيره الها والعنيد قال بعضهم هو الذي بلغ في الخلاف غايته والمخالف اشد الخلاف من عند يعند عنودا فهو عاند وعنيد بمعنى عاند وقيل هو الذي لا ينصف من نفسه وقيل هو الذي يكابر ويعاند بعد ظهور الحق له والله اعلم وقوله عز وجل مناع للخير يحتمل وجهين احدهما مناع عن الخير وهو منع غيره عن التوحيد وقبول الحق والثاني مناع للخير اي منع ما عنده من الحقوق التي وجبت في امواله ونفسه وقال بعض اهل التاويل اراد به الوليد بن المغيرة المخزومي لكن هذا عام في كل كافر كقوله عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فلا معنى لتخصيص واحد به وقوله عز وجل معتد مريب المعتدي من الاعتداء وهو المجاوز عن حدود الله تعالى والمريب من الريبة وهو الشك والفساد وكان المريب هو الذي فيه الشك والفساد جميعا ثم نعت ذلك الانسان فقال الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد اي وصف وذكر مع الله الها اخر وهو كقوله تعالى ويجعلون لله البنات وقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي قالوا ووصفوا انهم اناث والا لا يكون جعل ذلك حقيقة وقوله عز وجل فالقياه في العذاب الشديد وصف اياهم بالشدة لما انه لا انقطاع لها وكل عذاب

يرجى انقطاعه في بعض الازمان ففيه بعض الراحة والله اعلم وقوله عز وجل قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن
كان في ضلال بعيد اي قال شيطانه الذي اضله ودعاه الى ما دعا فصار قرينه في الاخرة لقوله تعالى ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين ويحتمل قرينه اي رفيقه الذي كان معه تبعه ونصدر عن رأيه شد
هذا القول من قرينه انما كان بعد ان كان منه انكار لما كان منه من الكفر والشرك عن اختيار وقال هذا الذي
اضلني واطغاني وهو الذي حملني عليه كقولهم هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا في النار فيقول رفيقه ربنا ما
اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد وكانت الكفرة لخبرتهم وقلة حيلتهم احيانا ينكرون الشرك كقوله والله ربنا
ما كنا مشركين وقوله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم قال الا انهم هم الكاذبون
واحيانا يقولون هؤلاء اضلونا واحيانا يلعن بعضهم بعضا وقوله عز وجل ربنا ما اطغيته اي ما قهرته
على الضلال ولا لي قوة ذلك ولكن اتبعني على ما كنت الا فيه واطاعني من غير ان يكون مني اكراه واجبار على ذلك
وهو ما ذكر ولكن في ضلال لا يرجى الرجوع ولا الانقطاع وقال بعض اهل التاويل ان ذلك الكافر يكذب الحفظة
بانهم كتبوا ما لم اعمل وهم كانوا يكذبون في ذلك اليوم لخبرتهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين فقال قرينه
وهو الذي يكتب اعماله ربنا ما اطغيته ولكن كان في ضلال بعيد لكن هذا فاسد وهذا القول من الشيطان
لا من الملائكة الاطغاء والاغواء اذ هم لا يدعون على الملائكة الاطغاء والاغواء الا ترى انه قال لا تختصموا
الذي وقد قدمت اليكم بالوعيد واختصامهم مع الشيطان كما اخبر عز وجل في غير اي من القران قال الله تعالى
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وقوله عز وجل وقال
الشيطان لما قضي الامر الى قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الاية فهذه الخصومة
بينهم وبين قرنائهم وهم الشياطين ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا والله اعلم وقوله عز وجل لا تختصموا
الذي خصومتهم ما ذكرنا قالت الاتباع ربنا هؤلاء اضلونا وما ذكر من لعن بعضهم على بعض وعن تبري بعضهم عن
بعض فقال تعالى عز وجل لا تختصموا الذي وقد قدمت اليكم بالوعيد اي قدمت اليكم من الوعيد في الدنيا فانقطع
خصومتكم هذه اي بينت في الدنيا ما يلحق بمن ضل بنفسه ومن ضل بغيره كان هؤلاء الكفرة يطلبون وجه
الاعتذار بما لا عذر لهم فلذلك يقال لهم لا تختصموا وقد قدمت اليكم بالوعيد اي ارسلت اليكم الرسل
معهم الكتب وفيها الوعيد فلم تقبلوا ذلك كله فان قيل قال هاهنا لا تختصموا الذي وقال في موضع اخرى
ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وبين الايتين مخالفة من حيث الظاهر فما وجه التوفيق بينهما قيل
من وجوه ثلاثة احدها قال بعضهم قوله لا تختصموا الذي في اهل الكفر خاصة وقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم
تختصمون في اهل القبلة وهو في المظالم التي كانت بينهم في الدنيا والثاني ما قال بعضهم بان احدى الايتين في موضع
والاخرى في موضع فيؤذن لهم بالكلام فيه حتى يكون جميعا بين الايتين وهو كقوله تعالى فيومئذ لا يسال
عن ذنبه انس ولا جان وقال في اية اخرى ولا يتساءلون وقال في اية اخرى يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في
سقر فعلى ذلك هذا والثالث جائز ان يكون قوله تعالى لا تختصموا الذي في الذين فيما بينهم وبين ربهم في دفع عذاب
الله من انفسهم وذلك لا يملكون ولا ينتفعون به واما قوله تعالى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيما
بين انفسهم في المظالم والغرامات والله اعلم وقوله عز وجل ما يبدل القول لدي هذا يحتمل وجوها احدها ما يبدل
ما استحق كل واحد منكم من العذاب والثواب ما سبق مني من الوعد والوعيد في الدنيا بان اجعل جزاء الكافر
الجنة وجزاء المومن النار اذ قد سبق في وعدي ووعيدي بان اجعل الجنة مثوى المؤمنين والنار مثوى
الكافرين فلا يبدل ذلك الوعد والوعيد والثاني ما يبدل القول لدي يحتمل ان اراد به قوله لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين والثالث اي لا يبدل اليوم ما يستوجب به الجنة والخلود فيها وهو الايمان عن غيب كما اخبر تعالى
عز وجل من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب الاية فاما الايمان بعد العيان لا ينفع كما اخبر عز وجل
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا الاية وقوله عز وجل وما انا بظلام للعبيد اي في العقل والحكمة تعذيب
من اتى بالكفر والشرك فيكون تركه تعذيبه سفها وقوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلات وتقول هل من
مزيد هذا يخرج على وجهين احدها على تحقيق القول من الله تعالى لجهنم هل امتلات وعلى تحقيق القول من جهنم و
الاجابة له هل من مزيد وذلك جائز ان ينطق الله تعالى جهنم حتى تجيب له بما ذكر هل من مزيد على ما ذكرنا من شهادة
الجوارح عليهم والنطق منها الكل حتى اجابت الجوارح لهم لما قالوا لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل
شيء وعلى ذلك ما ذكرنا في قوله جل وعلا يا جبال اوبي معه والطير ونحو ذلك ومثل هذا غير مستنكر في العقول على
تقدير احداث الحيوة فيها التي هي شرط النطق عن علم والله اعلم والثاني على التمثيل لا على تحقيق القول لها هل
امتلات وعلى تحقيق الاجابة منها هل من مزيد ولكن على التمثيل لوجهين احدهما اي ان جهنم لو كانت بحيث ينطق
ويسمع ويعلم لو قلت لها هل امتلات فتقول هل من مزيد يخبر عن انقياد المخلوقات له والطاعة والاجابة وهو
ما ذكرنا في قوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا لا يكون من الدنيا حقيقة التغرير قولا ولا فعلا ولكن معناه انها
بحال من التزين وما فيها من الشهوات لو كان لها تمييز وعقل لغرتهم والله اعلم والثاني وصفها بالعظم والسعة واخبار
عن انها تحتمل المزيد والجمع من الكفرة ما لا يحصى على التمثيل وهو كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا

مما يحفظ التبة ترك تعذيب الكافر سفه

بغرور الدنيا

متصدعا

متصدعا من خشية الله وكذلك قوله جل وعلا وغرتهم الحيوة الدنيا وصفها بالتزين والحسن الظاهر لمن لم
يتامل الناظر فيها العاقبة لا غرتها من حسنها وزينتها فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم وقوله هل من مزيد يخرج
على وجهين احدهما بقي من احد يزاد في فاني قد امتلات ولبس في سعة تحمل غيرها والثاني هل من مزيد
اي في سعة عظيمة فهل من زيادة خلق امتلا بها لان الله تعالى وعد ان يملا جهنم كما قال لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين فتسال المزيد من ربها التملي والله اعلم بذلك وقال بعض اهل التاويل
بانها تسال الزيادة حتى يضع الرحمن قدمه فيها فيضيق باهلها حتى لا يبقى فيها مدخل رجل واحد وروى
خبرا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فاسد وقول بالتشبيه وقد قام
الدلائل العقلية على ابطال التشبيه فكل خبر ورد مخالفا للدلائل العقلية يجب رده ويخالف النص التنزيل
وهو قوله عز وجل ليس كمثله شيء ثم هذا القول على قول المشبهة على ما توهموا مخالف للكتاب لان الله
عز وجل قال لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وعندهم لا يمتلي بهم ما لم يضع الرحمن قدمه
فيها ثم ذكر البلخي ان مدار ما ذكروا من الحديث على حماد بن سلمة وكان خرفا مفندا في ذلك الوقت
لم يجز ان يوخذ منه مما روى في خبر انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
ياتي الله تعالى ببشر فيضع في النار حتى يمتلي فهذا يحتمل لا ما رووا والله الموفق وقوله عز وجل وازلفت
الجنة للمتقين اي قربت وذكر في اية اخرى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ذكر هاهنا تقريب الجنة
الى اهلها وذكر ثم سوق اهل الجنة اليها فبين الايتين مخالفة من حيث الظاهر ولكن يحتمل وجهين احدهما
ان اهل الجنة اذا قربوا منها بالسوق اليها قربت هي اليهم لان احد الشيئين اذا قرب الى الاخر قرب الاخر منه
ويزول البعد بزوال المسافة وذلك معروف ويحتمل ان يكون اخبارا عن وصف الجنة انها بحال يقرب
الى اهلها وتزلف ذكر في الجنة التقريب وفي النار البروز والظهور بقوله تعالى وبرزت الجحيم للغاوين
فهو والله اعلم ان اهل النار كانوا يجحدون النار ويكونونها وبرزت الجحيم ليروها ويطلعون عليها
وهو كقوله عز وجل لترون الجحيم فاما اهل التوحيد فانهم كانوا يقرون بالجنة ولكن لا يرون انفسهم
من اهلها لما بدوت منهم من الخطايا والزلات ويرونها بعيدة من انفسهم فذكر الله تعالى التقريب
لهم ووعدهم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل غير بعيد منهم بل بحيث يرونها وقت وقوفهم في
القيامة والله اعلم والثاني اي غير بعيد منهم في الدنيا اي ياتونها ويكونون من اهلها عن قريب لا دخلات
فكان قدانى والله اعلم ويحتمل اي غير بعيد منهم في الجنة اذا دخلوها من الثمار والفواكه بل قريب منهم
يتناولون كيف شاؤا والله اعلم وقوله عز وجل هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ الاواب الرجاع من الاثم
وهي الرجوع معناه لكل رجاع الى الله تعالى في كل وقت او رجاع الى امره وطاعته وقوله عز وجل حفيظ
اي يحفظ نفسه عن المعاصي والزلات سرا وعلانية والحافظ لحدوده في اوامره ونواهيه وهو كقوله
تعالى للمتقين والمحسنين اذ التقوى هو الاتمار بما امر والامتناع عما نهى وخطوا الاحسان هو العمل بجميع
ما يحسن في العقول وقوله عز وجل من خشي الرحمن بالغيب اي خاف وحذره بما اوعد ثم يخرج على وجهين
احدهما اي من خشي الرحمن بالغيب اي قبل ان يرد عليه ما هو ما ذكر والثاني اي من خشي الرحمن في الدنيا التي هي
حال غيب الدلائل بالمواعيد التي وعدها وحذر عنها قبل ان يعاينها اذ هو لم ير ذلك العذاب فيصدق
فيما اوعد وخاف وهو كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه اي عقوبته ونقمته والله اعلم وقوله عز وجل
وجاء بقلب منيب والمنيب هو المقبل على الله تعالى بجميع اوامره ونواهيه المطيع له في ذلك كله وقوله عز وجل
ادخلوها بسلام كانه على الاضمار اي يقال لهم ادخلوها بسلام الملائكة اي يسلم الملائكة عليهم وقت دخولهم
الجنة كقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين والثاني السلام هو اسم من اسماء الله تعالى فيقال لهم ادخلوها
باسم الله على ما هو الاصل وفي كل خير انه يبتدأ باسم الله تعالى امتثالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل امر ذي بال لم يبدأ باسم الله فهو ابتر وقال بعضهم ادخلوها بسلام اي سالمين عن الخوف والحزن لا افزع
لصيبكم فيها وهو كقوله ادخلوها بسلام امنين عن الخوف والحزن ويحتمل اي ادخلوها ولا كلفة عليكم ولا
ولا محنة سوى الثناء على الله تعالى والحمد لله وتسليم بعضكم على بعض بل يسقط عنكم جميع المحن والاوامر التي
عليكم في الدنيا وذلك قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وكانه لا شيء الذي في الدنيا على اهل
الايمان من الثناء على الله تعالى وتسليم بعضكم على بعض فلذلك ابقى ذلك في الجنة واسقط ما وراء ذلك والله اعلم
وقوله عز وجل ذلك يوم الخلود يحتمل اي ذلك يوم الخلود ولاهل الجنة بالسرور والراحة ولاهل النار بالفرقة
والعذاب ويحتمل اي يوم لا انقطاع لذلك الذي وعدوا وهي الجنة والله اعلم وقوله عز وجل لهم ما يشاؤن
فيها اي لهم ما يختارون فيها لا يجبرون ولا يكرهون فيها على شيء اذ المشية هي صفة كل فاعل مختار وان
كانت المشية مشية التمني والتشهي فكانه قال لهم ما يتمنون ويتخيرون لقوله لكم فيها ما تشتهي انفسكم
وقوله عز وجل ولهم ما يشتهون والله اعلم وقوله عز وجل ولدينا مزيد قال بعض اهل التاويل بانه ياتيهم
سحابة فتمطرهم كل ما يشاؤن وذلك هو المزيد لهم في الجنة وقال بعضهم بانه تبين لهم شجرة فيعطيهم

كل خبر ورد مخالفا للدلائل العقلية يجب رده

كل ما يشاؤون فذلك هو المزيد لكن يحتمل وجهين احدهما النظر الى رؤية الرب جل وعلا وهو كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة قيل الزيادة هو رؤية الله تعالى في الجنة ويشبه ولدينا مزيد من نعيمها ما لا يبلغ تمنيهم وشهواتهم كقوله عليه السلام في صفة نعيم الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان الاماني والشهوات انما يكون لما سبق لجنسه من الذي يقع عليه الرؤية والنظر والخبر فاما ما لا معرفة له فلا يتمنى ولا يشتهى والله اعلم وقوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص هذا يخرج على وجهين احدهما يقول كم اهلكنا قبلهم من قرن لم يملكوا دفع ذلك عن انفسهم ولا الانتصار عن ذلك فكيف يملك قومك دفع ما نزل بهم لو اصروا على التكذيب والثاني يقول قد اهلك الذين كانوا قبل قومك الذين كذبوا رسلهم اهلكوا اهلاك عقوبة وتعذيب والذين صدقوا اهلكوا باجالهم لا اهلاك عقوبة وقد كانوا جميعا المصدقين والمكذبين سواء في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما والله اعلم وقوله عز وجل فنقبوا في البلاد وقال ابو عوسجة فنقبوا في البلاد هل من محيص اي صاروا في البلاد هل من مفر وقال القتبي فنقبوا في البلاد اي طافوا وتباعدوا واصل من محيص اي هل يجدون من الموت محيصا اي مفرا ويحتمل اي تقلبوا في البلاد في تجاراتهم فلا يجدون ملجأ يرد بها هلاكهم يوعد بما ذكر اهل مكة انهم لم يجدوا محيصا فكيف تجدون انتم وقوله عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يحتمل وجوها احدها ان في ذلك لذكرى اي عظة ممن كان له قلب والثاني فيما ذكر من اهلاك الامم الخالية وذهاب اثارهم بتكذيبهم الرسل لذكرى لمن ذكر والثالث اي فيما ذكر من استواء المحسن والمفسد في هذه الدنيا والصالح لذكرى لمن كان له قلب ان هنالك دارا يميز فيها بينهما وقوله لمن كان له قلب اي عقل وفهم او لمن كان له قلب ينتفع به في التأمل والنظر وانما كني بالقلب عن العقل لان الناس اختلفوا بعضهم قالوا ان القلب محل العقل وقال بعضهم محله الرأس لكن نوره يصل الى القلب فيبصر القلب الاشياء الغائبة بواسطة العقل فلذلك كني بالقلب عن العقل لمجاورة بينهما وهو سائغ في اللغة وقوله عز وجل او القى السمع وهو شهيد اي يستمع وهو شهيد اي وهو شاهد سمعه وقلبه واصله ان القلب محل الوعي والحفظ بعد الادراك والاصابة اصل ما يقع به العلم والفهم شيئان التأمل والنظر في المحسوس والثاني ان يلقى اليه الخبر وهو يستمع له فكانه يقول والله اعلم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يطلب الرشد والصواب وينظر ويعي ويحفظ او القى اليه وهو شاهد السمع والقلب فيكون الذكرى لمن اختص بهذين وينتفع به هذان الصنفان بالتأمل فيرى بالعقل محاسن الاشياء ومساويها ويستمع حقيقة ذلك بالسمع فيتذكروا والله اعلم وقوله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ثم ذكرنا فيما تقدم تأويل خلق السموات والارض في ستة ايام وقوله وما مسنا من لغوب اي من اعياء وتعب ونصب وفيه نقض قول اليهود لعنهم الله صراحا ونفي ايهام المشبهة في قولهم ثم استوى على العرش ويبين المراد من قوله عز وجل ثم استوى على العرش اما نقض قول اليهود لعنهم الله فانهم يقولون خلق الله السموات والارض في ستة ايام ثم استراح في يوم السبت وهم يتركون العمل يوم السبت لهذا فالله عز وجل اخبر انه لم يمسه بخلق ما ذكر اعياء ولا لغوب على ما زعمت اليهود لعنهم الله فيكون العمل يوم السبت لهذا فالله عز وجل اخبر انه لم يمسه بخلق ما ذكر اعياء ولا لغوب على ما زعمت اليهود لعنهم الله فيكون ردا لقولهم صريحا واما نفي ايهام المشبهة فانهم توهموا ان قوله ثم استوى على العرش على اثر خلق السموات والارض وما بينهما في اية اخرى ان ذلك للراحة فشبهوا الله تعالى بالخلق انهم اذا فرغوا من اعمال علوها ثم استووا على شيء انما يستوون للراحة فقالوا بالاستواء على العرش حقيقة فالله تعالى نفى التعب عن نفسه في خلق السموات والارض على ان استواءه ليس للراحة حتى يراد به الاستقرار كما في الشاهد بين الخلق وبين تعاليه وبراءته عما توهمت المشبهة وشبهوه بالخلق وتبيين بذكر الاستواء على العرش بعد ذكر خلق السموات والارض على ان المراد منه التمام اي تم ملكه بعد خلق السموات والارض وما بينهما بخلق العرش ويذكر الاستواء ويراد به التمام والله اعلم قال ابو عوسجة اللغوب الاعياء يقال لغب يلغب لغوبا فهو لاغب واصله ما ذكرنا ان خلق الله تعالى الاشياء لا لمنفعة له او حاجة يقع له ولا بالالات والاسباب التي بها يقع التعب والاعياء في الشاهد اذ الاعياء انما يلحق من فعله الحركة والانتقال والسكون فاما الله تعالى انما يخلق الاشياء بقوله كن ولا يلحقه شيء من ذلك وهو قادر بذاته فاعل لا بالة وسبب فانى يقع له الاعياء والتعب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا عز وجل فاصبر على ما يقولون اي فاصبر على ما يقولون فيك انك ساحر وشاعر ومجنون ونحوه فامره بالصبر على ذلك وان لا يدعو عليهم بالهلاك ويحتمل فاصبر على ما يقولون في الله من معاني الخلق فلا تغايرهم ولا تقاطعهم ولا تدعو عليهم بالهلاك ولكن اصبر فان الله تعالى ينتقم منهم لك وانما امره بالصبر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سريع الغضب لله تعالى فيما عاين من المناكير وسمع وكذلك جميع الانبياء والرسل عليهم الصلوة والسلام لذلك امره بالصبر فيما يقولون في الله او فيه وقوله عز وجل وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قيل بحمد ربك اي بالثناء على ربك اي اثن عليه بما هو اهله وما يليق به واهل التأويل يفسرون التسبيح في هذا الموضع وفي غيره من المواضع بالصلوة لمعنى قوله تعالى فسبح بحمد ربك اي صل

بامر ربك

بامر ربك وانما صرفوا التسبيح الى الصلوة لان الصلوة من اولها الى اخرها وصف الرب تعالى بالتعظيم والتنزيه والبراءة عن كل عيب قولا وفعلا ولانه لما قام الى الصلوة فقد فارق جميع الخلائق بما هم فيه وكذلك اذا انحنى للركوع والسجود فارق جميع الخلائق فيما هم فيه من الامور واعتزلهم واشتغل بمناجاة ربه جل وعلا فجائز ان يكون تسميتهم التسبيح صلوة لهذا ويحتمل ان يسموه صلوة لما ان في الصلوة تسبيحا وقوله عز وجل قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قال بعضهم قبل صلوة الفجر وقبل غروبها وقال بعضهم صلوة العصر وقال بعضهم صلوة العصر والظهر لانهما جميعا قبل غروب الشمس وقوله وادبار السجود وقال عامة اهل التأويل هما ركعتان بعد المغرب وجائز محتمل ان يكون ادبار السجود ما ذكر في اية اخرى حيث قال اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله ويتفيؤا الظلال انما يكون بالنهار وهو تسبيح الظلال فمعناه وسبحه وقت ادبار سجود ذلك الظلال الذي اخبر انه يتفيؤا ان تفيئه هو تسبيحه وهو ما ذكر في قوله تعالى فسبحه وادبار النجوم ادبار النجوم هو ذهاب النجوم فعلى ذلك قوله تعالى وادبار السجود اي سبحه بعد ذهاب سجود الظلال فذلك انما يكون بعد ذهاب الشمس وغيبوبتها والله اعلم وقوله عز وجل واستمع يوم يناد المناد من مكان كان هذا صلة قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون وانتظر يوم يناد المناد ولا تكافهم ولا تنتقم منهم ولكن اصبر وانتظر ذلك اليوم ثم وقوله يناد المناد يخرج على وجهين احدهما كقوله تعالى يوم يدع الداع الى شيء نكر يوم ينادي المنادي يوم يدعوهم الداعي الى شيء انكروا والثاني ما ذكر من نداء بعض لبعض كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار الاية وقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة يقول عز وجل انتظر يوم ينادون ويدعون الى ما انكروا ويوم ينادي بعضهم بعضا وقوله عز وجل من مكان قريب اي من كان يسمعون ما ينادون ويدعون ويعرفون ما يراد بالدعاء ومن يراد به ينتهي ذلك الدعاء والنداء الى كل في نفسه حتى يعرفه وذكر اهل التأويل ان المنادي هو جبرئيل عليه السلام ينادي عند بيت المقدس نداء يسمعه كل احد وبيت المقدس ارفع مكان الى الارض يقرب من السماء بكذا وكذا ذراعا فهو المكان القريب ولكن هذا لا معنى له فانه يسمع صوته جميع الخلائق وان لم يتم في ذلك المكان وليس المراد من القرب ما ذكروه ولكن على الاسماع في اي موضع كانوا ومن يسمع شيئا فذلك منه قريب والله اعلم وقوله عز وجل يوم يسمعون الصيحة بالحق الصيحة النفخة او النداء الذي ذكر ثم قوله تعالى بالحق يحتمل وجهين احدهما اي يستمعون البعث بما اوعدهم الرسل من المواعيد فيتحقق لهم ذلك في ذلك اليوم ويحتمل بالحق اي تحقق ذلك اليوم لان الرسل عليهم الصلوة والسلام قد اخبروهم بذلك اليوم وهم انكروه او بالحق الذي لبعضهم على بعض اي يستوفي بعض من بعض ما لهم من الحق في ذلك اليوم وامروا باداء الحقوق في ذلك اليوم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك يوم الخروج قيل يوم الخروج من قبورهم وقيل يوم الخروج والبروز الى الله تعالى وقوله عز وجل انا نحن نحيي ونميت اي نحيي الموتى ونميت الاحياء اي نحن نملك ذلك لا يملك احد ذلك غيرنا وقوله عز وجل والينا المصير خص ذلك اليوم بالمصير اليه وان كانوا في الاحوال والاوقات كلها صائرين اليه لما ذكرنا من الوجوه في غير موضع والله اعلم وقوله عز وجل تشقق الارض عنهم سراعا يحتمل ان يكون ما ذكر من السراع هو صفة تشقق الارض كانه يقول يوم تشقق الارض سراعا كما لا ينظر طرفة عين ولكن تشقق سريع كلمحة البصر ويحتمل ان يكون وصف سرعة خروجهم من الارض يقول يوم يسرعون الخروج من الارض وقوله عز وجل ذلك حشر علينا يسير وغير الحشر يسير على الله تعالى ايضا ليس شيء ايسر عليه من شيء او اصعب من شيء لكن خص ذلك بالذكر لان اولئك الكفرة استبعدوا ذلك اليوم واستعظموا كونه فخص ذلك اليوم باليسر لهذا اذ وجود الاشياء كلها بالتكوين الازلي وعبر عن ذلك بحرف كن لمعرفة العباد لا ان التكوين الذي به وجود المكونات مما يوصف بالحرف وفي ذلك يستوي ابتداء الخلق واعادته والحشر وكل شيء ولا قوة الا بالله وهو كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والله الموفق وقوله عز وجل نحن اعلم بما يقولون وما انت عليهم بجبار يقول والله اعلم اصبر على ما يقولون فنحن اعلم بما يقولون فنكافيهم او يقول عن علم بذلك نتركهم على ذلك ونمهلهم يصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليسلي به بعض ما يحزن عليه وقوله عز وجل وما انت عليهم بجبار قال بعضهم من الجبر والقهر اي ما انت بقاهر عليهم وجابر يجبرهم على التوحيد وقال بعضهم من التجبر والتكبر والجبار هو الذي يقتل بلا ذنب ولا حق وقيل اي وما انت بمسلط عليهم وهو كقوله عز وجل وما جعلناك عليهم حفيظا اي مسلطا وقوله عز وجل فذكر بالقران من يخاف وعيد اي بلغ ما انزل اليك فعليك التبليغ وانا المجازي بهم والمكافي بما يفعلون ثم ليس يخص بالتذكير من يخاف الوعيد لكن امر بتذكير الكل لان منفعة الذكرى يكون لمن يخاف الوعيد فلذلك خصه بالذكر لكن التخصيص بالذكر لا يكون تخصيصا بالحكم ونفيا عن غيره فيبطل بهذا مذهب من ادعى ذلك والله اعلم بحقيقة ما اراد

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والذاريات ذروا سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن هذه

الاية فقال والذاريات هي الرياح فالحاملات وقرا هي السحاب فالجاريات يسرا هن السفن فالمقسمات امرا هي الملائكة
وعلى هذا خرج تأويل عامة اهل التأويل الا ابن مسعود رضي الله عنه فانه قال والذاريات ذروا هي الملائكة ثم
يحتمل ان يصرف هذه الحروف كلها من الذاريات وغيرها الى الرياح خاصة فالذاريات هن تذرين الاشياء ذروا فالحاملات
وقرا هو يحملن السحاب وغيرها في الافاق وجائز ان يصرف كل حرف من ذلك الى نوع وجنس على ما حمله اهل التأويل
وصرفه اليه قال القتبي ذرت الريح تذرو ذروا ومنه قوله تعالى فاصبح هشيما تذروه الرياح ومنه ذرت
البر الا ان التذرية لا يكون الا بالريح وتذريت اي اشرفت من الذروة وذرى الرجل يذرا ذرى فهو اذرى
اي شمط وشاه ذرا اذا كان في ذنبها بياض فالجاريات يسرا اي سهلا اي يجري السفن في الماء جريا سهلا وقال
ابو عوسجة اي هينا ثم المقسمات امرا هم الملائكة واختلفوا في التقسيم قال بعضهم اربعة املاك
يقسمون الامور فجبريل عليه السلام ينزل في انزال العذاب والشدائد وميكائيل ينزل في انزال النعمة
والرخاء والرحمة واسرافيل في نفخ الصور وملك الموت في قبض الارواح فكل واحد من هؤلاء موكل في
امر على حدة وقال بعضهم هم الملائكة الذين ينزلون بالوحي يأخذ هذا من هذا اذ الله تعالى انزل
الوحي على يدي من يشاء من ملائكته والله اعلم ثم اختلف في ذكر هذه الاشياء من الرياح والسفن والسحاب
والملائكة لماذا قال عامة اهل التأويل انما ذكرها على القسم بها وقال بعضهم انما ذكرها على سبيل تعداد
النعم والمنافع التي جعلها الله تعالى لهم واحتج هؤلاء وقالوا ان الله تعالى نهانا عن القسم بغيره فكيف يقسم
بغيره فيكون ذكر هذه الاشياء على الامتنان لا على القسم والقائلون بالقسم اختلفوا فمنهم من يقول القسم
باعيان هذه الاشياء العظم منافع الاشياء عند الخلق ومنهم من يقول ان القسم بالله تعالى لا بعين هذه الاشياء
على الاضمار كانه قال والذي ذرا الذاريات ذروا والذي خلق الحاملات وقرا فالجاريات يسرا والمقسمات
امرا وهو كقوله تعالى فورب السماء والارض فيكون القسم بخالق هذه الاشياء لا بانفسها وكل واحد من
الوجهين لان القسم خرج لرفع شبهة الكفرة في البعث وارتيابهم فيه بعد ما اقام عليهم حجج البعث وبراهينه
على انه كائن لا محالة ونظروا فيها لزوال ذلك الارتياب والشبهة عنهم والقسم انما يؤكد ما وقع عليه
بما يكون عندهم له حرمة وقدر وعظمة فيدلهم ذلك على تأكيد الخبر المقرون بالقسم فالقسم من الله
تعالى بانه خالق هذه الاشياء المذكورة مما يحق ويعظم عند الكفرة لما كانوا يقسمون بالله تعالى عند عظم
الامور كما اخبر تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم فيصلح لتأكيد ما وقع عليه القسم وكذلك القسم بهذه الاشياء
يصلح مؤكدا لعظم خطر هذه الاشياء والعرف في الناس انهم انما يقسمون بالذي عظم خطره وجل قدره
عنده فاقسم الله تعالى بهذه الاشياء لما عرف عظم خطرها وجليل قدرها عندهم لما في الرياح مما يكثر
عددها قد اهلك بها اقواما وبها استأصلهم وبها تلقح الاشجار المثمرة وغيرها وبها يساق السحاب في الافاق
للامطار وبها يجري السفن في البحار وغيرها من المنافع وبها يستحيون الحيوانات بالتنفس ودخول الريح
فيهم ونحوها في تذرية الطعام بحيث لولاها ليحرج الناس في التذرية وفيها ايات فان الريح جسم لطيف
يرى ولا تدرك ليعلم ان الرؤية لا يوجب الاحاطة والادراك وغير ذلك من جهة الايات على ما تقدم وكذلك امر
بالحاملات وقرا وهي السحاب الذي فيه منافع الخلق من حمل الامطار والظليل في الحر ونحو ذلك مما فيه من الايات
اذ هو يمسكها في الهواء حيث لا يقع بسوق الرياح مع ما فيه من الحمل والوقر ثم يرسل المطر حيث امر اذ قد يوجد
السحاب ولا مطر ولا انه لم يرسل بنفسه بل بالامر يرفع ويمسك ويرسل وهو في نفسه مسخر لابد له من مسخر
لو كان عمله بالطبع لم يختلف باختلاف الاحوال وفيه ايات البعث اذ خلق مثله لا يكون الا لعاقبة وكذلك
اقسم بالجاريات يسرا وهي السفن لما فيها من منافع الخلق اذ لولاها لانقطع بعض المنافع عن الخلق اذ ما
يحتاج اليه من المنافع لا يوجد في مكان واحد بل خلقها متفرقة في اماكن فطريق تحصيل هذه المنافع والحوائج
شان الحمل على ظهور الدواب في البر وفي البحار معا فيما من الاية العظيمة بما جعلها بحيث لا يسفل في الماء مع
ثقل الاحمال بل يجري بها الريح وحيث ما شاؤا بامر الله تعالى والملائكة منا فعهم عظيمة ظاهرة وعظم قدرهم
وجلاله خطرهم واضح واذا كان كذلك فكان القسم بهذه الاشياء لتأكيد الخبر المقسم عليه مما يعقل وهو
متعارف ولا معنى لقول اولئك انه نهى عباده عن القسم بغيره فكيف يقسم بنفسه اذ يجوز ان يقسم هو بشيء نهانا
عن القسم به اذ القسم بالشيء بتجليل تلك الاشياء وتعظيمها وانها لا يستحق التعظيم بانفسها بل بالله تعالى
فامرنا بالقسم بالله تعالى اذ هو المستحق للتعظيم بانفسها في الحقيقة اذ هو خالق الاشياء كلها فاما القسم من
الله تعالى بشيء ليس لتعظيم ذلك في نفسه بل بيان منه قدر منافعه التي للخلق فيه التي عظمت وجلت عندهم
فيكون الذكر لها خطر عندهم والله اعلم ثم ذكر افعال هذه الاشياء التي قسم بها ولم يذكر انفسها والقسم
انما يكون بالانفس لا بالافعال فاما ان عرف اولئك الكفرة انفس هذه الاشياء بذكر افعالها وتقرع ذكر ما
الافعال سمعهم او اذا لم يعرفوا يسألون عنها وما اريد بها والله اعلم وقوله عز وجل انما توعدون لصادق
وان الدين لواقع هذا موضع القسم والصدق انما يستعمل في الخبر فكانه قال ان ما اخبركم الرسول بالبعث او وعد
به لصادق في خبره ووعده اذ الوعد في الجملة مما قد يكون صدقا وكذبا فاكد هذا الوعد من الرسول بالقسم انه

لصادق

لصادق فيما وعد من البعث وغيره وكذلك قوله تعالى وان الدين لواقع موضع القسم اي الجزاء لواقع كائن وقيل
ان المراد من الدين الحساب اي ان الحساب لكائن لا محالة والله اعلم وقوله عز وجل والسماء ذات الحبك انكم لفي
قول مختلف قسم ايضا بالسماء ذات الحبك وموضع القسم انكم لفي قول مختلف ثم اختلف في تأويل قوله تعالى
والسماء ذات الحبك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ذات الحبك قال حسنها واستواؤها وقال بعضهم ذات
حبك اي ذات بنيان متقنة محكم وكلا التأويلين يرجعان الى واحد فان حسن خلق السماء بالاتقان والاحكام
يقال للحائك اذا احسن النسيج واحكمه حبك الثوب وقال الحسن حبك بالنجوم وحبكت بحسن الخلق وقال بعضهم ذات
الشدة والاستواء يقال حبكت الحبل اذا شددت فتله كذلك قاله ابو عبيدة وقال القتبي ذات الحبك ذات الطرائق
وكذلك قال ابو عوسجة ثم هو على ما ذكرنا من الوجهين ان القسم بعين السماء او رب السماء والله اعلم ثم قوله عز و
جل انكم لفي قول مختلف يخرج على وجوه احدها انكم لفي قول مختلف في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القران
ما لو كان ذلك القول منكم عن علم ومعرفة لم يخرج مختلفا متناقضا لانهم قالوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
مجنون وانه ساحر وانه شاعر وانه مفتري وهذا مختلف متناقض لان الساحر هو الذي يبلغ في معرفة الاشياء غايتها
وكذا الشاعر ولا يحتمل ان يبلغ المجنون ذلك المبلغ بحال فيكون نسبتهم اياه الى هذه الجملة في حال واحدة يخرج على التناقض
وكذلك قولهم في القران انه احاديث الاولين وانه مفترى والافتراء خلاف الاساطير مع انهم عجزوا عن اتيان مثله
فيكون هذا متناقضا من القول فدل اختلافهم في القول فيهما على انهم قالوا ذلك عن جهل لا عن علم اذ لو كان
عن علم ذلك لكان لا يختلف ولا يتناقض وهذا الخطاب على هذا التأويل يكون للكفرة والثاني انما قال ذلك في
الدلالة على البعث انكم لفي قول مختلف اي في عقولكم الاختلاف والافتراق بين المصلح والمفسد والمحسن والمسيء
وقد عرفتم الاستواء بينهما في هذه الدنيا دل ان هنالك دارا اخرى فيما يفرق بينهما ويخرج هذا التأويل
لا يختص به الكافر بل يعم الكل والله اعلم والثالث انكم لفي قول مختلف اي قول متفرق ومذهب متناقض فانهم كانوا
يعبدون اشياء على هواهم فان اهووا اشياء اخر تركوا ذلك وعبدوا غيره وكذلك يقولون قولا بلجاجة ثم
يرجعون الى قول اخر تركوا ذلك وعبدوا غيره لا ثبات لهم على شيء وهو كقوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم والرابع انكم لفي قول مختلف اي في امر الاخرة لان منهم من يدعي ان الاخرة لهم
لو كانت ومنهم من يدعي الشركة مع المسلمين فرد الله تعالى عليهم بقوله يؤفك عنه من افك وهو كقوله تعالى افنجعل
المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا
الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون والخامس يحتمل اي مواعيدهم ومنازلهم مختلفة في الاخرة والله
اعلم وذكر بعض اهل التأويل ان الناس يأتون مكة من البلدان المختلفة ليتفحصوا عن اخبار رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ويسمعوا الكلام منه فكان كفار مكة نصبوا وانموا عنه ويقول بعضهم انه مجنون وبعضهم انه كذاب وبعضهم
شاعر وذلك قوله تعالى انكم لفي قول مختلف وقوله عز وجل يؤفك عنه من افك يحتمل وجوها احدها
اي يصرف عن الحق من صرف عن النظر والتفكر في العاقبة والثاني صرفوا عما رجوا في الاخرة لما صرفوا عن الحق
في الدنيا لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان تقربهم عبادتها الى الله تعالى وانها شفعاؤهم عند الله تعالى
يقول تعالى يصرف من رجاء في الاخرة لما صرف عن الحق في الدنيا والله اعلم والثالث يصرف من طمع في الاخرة
الشركة مع المسلمين او ادعى الخلوص بما صرف في الدنيا عن الايمان الذي به ينال الاخرة والرابع يؤفك
عنه اي عن الحق من افك اي يصرف عن الحق من صرف كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم الاية
وقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وقوله تعالى قتل الخراصون قال ابو بكر الاصم الخراص الذي يكذب على
العمد ولكن عندنا الخراص الذي يكذب ويقطع على الظن ومنه يقال للذي يقدم الشيء ويقدره بالظن
خراص فعلى ذلك يحتمل قوله الخراصون ثم قوله قتل الخراصون يحتمل حقيقة القتل وذلك يرجع الى
قوم خاص قتلوا والثاني قتل اي لعن واللعن هو الطرد اي طردوا عن رحمة الله وانما سمي اللعن قتلا لان
القتل سبب التبعيد عن منافع الحيوة وبالقتل خرج من ان يكون منتفعا به واللعن هو الطرد عن رحمة
الله التي بها يقع ويتحقق المنافع في الاخرة والله اعلم وقال اهل التأويل الخراصون الكاذبون وكذا قال
اهل الادب وقوله عز وجل الذين في غمرة ساهون اختلف فيه وبله قال بعضهم اي في غفلة وقال بعضهم اي في
غطاء وغشاء كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة وقوله عز وجل بل قلوبهم في غمرة من هذا اي في غطاء وغلف
وقال بعضهم اي في عماية عن امر الاخرة ولكن الكل يرجع الى معنى واحد وقوله ساهون اي ساهون
عن الحق وعما دعوا اليه وقيل ساهون اي غافلون وقيل اي لاهون عن التوحيد والايمان وقيل ساهون
اي تاركون الايمان واصل السهو هو الترك وهو كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم اي تركوا والله اعلم وقوله عز وجل
يسألون ايان يوم الدين لانهم كانوا يسألون عن يوم القيمة سؤال الاستهزاء والعناد لا سؤال استرشاد
لذلك قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون ولو كان سؤالهم سؤال استرشاد لكان لا يأتيهم ذلك الوعيد
الا ترى ان جبريل عليه الصلوة والسلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن الايمان والاسلام
في حديث طويل وسأله عن الساعة فلم يأته الوعيد فلا ذم في سؤاله ذلك لان سؤاله سؤال استرشاد

وقوم موسى عليه السلام لما سالوا رؤية الرب تعالى بقولهم ارنا الله جهرة فاهلكوا لانهم سالوا سؤال استهزاء
وتعنت لا سؤال استرشاد واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوا الرؤية ايضا فلبشروا ووعدوا
في الاخرة لما انهم سالوا سؤال استرشاد لا سؤال استهزاء فعلى ذلك اولئك الكفرة سالوا عن القيامة
سؤال استهزاء متى يكون الساعة التي تعدنا بها وابن وقت العذاب الذي تعدنا به لذلك قال جوابا لهم
يوم هم على النار يفتنون والله اعلم وفي الاية دلالة على ان الحكم لا يبنى على ظاهر المخرج فانه لا فرق بين سؤال
الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة وبين سؤال جبرئيل عليه الصلوة والسلام اياه عن
الساعة ثم اجاب لجبرئيل عليهما الصلوة والسلام ما المسؤل بها باعلم من السائل ثم الجواب للكفرة
يوم هم على النار يفتنون ثم من شهد النوازل علم المراد من السؤال تبين ان احد السؤالين خرج على الاستهزاء
والاخر على الاسترشاد فحملوا احدى الجوابين على احدى الحالتين والاخر على الحال الاخرى دل ان الحكم لا ينبغي
على ظاهر المخرج ولكن يجب النظر ليعرف المراد اما بالسؤال من شهد النازلة او من حيث المعنى المودع فيه
والله اعلم ثم قوله يوم هم على النار يفتنون يخبرهم عن اليوم الذي يفتنون فيه وقيل فيه بوجهين احدهما
يفتنون اي يبتلون ويمتحنون بالشدة والعذاب والفتنة هي المحنة التي فيها الشدة والبلاء فسمى العذاب
فتنة لما فيه من الشدة وقال بعضهم يفتنون اي يحرقون وقوله عز وجل ذوقوا فتنتكم اي ذوقوا العذاب
فيه الشدة وقوله عز وجل هذا الذي كنتم به تستعجلون اي تستعجلون في الدنيا وتزعمون انه لا يكون في الاخرة
وقوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون والاشكال كيف ذكر ان المتقين في جنات وعيون وهم يكونون
في جنات ويكونون في العيون يحتبرونها وتقع عليها ابصارهم وينتفعون بها وهو كقوله تعالى يلبسون
من سندس واستبرق وانما هم يلبسون السندس فاما الاستبرق فهو البسط وغير ذلك من الانتفاع به
فعلى ذلك ما ذكر من كون المتقين في جنات وعيون يكونون في الجنة وينتفعون بالعيون والله اعلم ثم قوله
عز وجل ان المتقين اي الذين اتقوا الشرك والكفر ويحتمل الذين اتقوا مخالفة الله على الاطلاق فعلا وقولا و
اعتقادا ويحتمل اي الذين اتقوا المهالك وقوله عز وجل اخذين ما اتاهم ربهم يحتمل وجهين احدهما اي قابلين
ما اتاهم ربهم في الدنيا من القدرة والقوة والمال لحق الله تعالى والقيام بشكره والعبادة له والاستعمال
في طاعته لذلك قال انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبلوا ذلك بحق الاحسان فاستعملوها في حق الله تعالى
والقيام بطاعته وعلى هذا التاويل كانه على التقديم والتاخير ان المتقين في جنات وعيون انهم كانوا قبل
ذلك محسنين اخذين ما اتاهم ربهم اي انما نالوا الجنة لما انهم كانوا في الدنيا كذلك والثاني ما قال له اهل التاويل
اخذين ما اتاهم ربهم في الاخرة اي راضين بما اعطاهم الله من النعيم في الجنة وهو كقوله تعالى رضي الله عنهم
ورضوا عنه وعلى هذا يخرج تاويلهم وقوله عز وجل انهم كانوا قبل ذلك محسنين في الدنيا ثم نعت احسانهم
فقال عز وجل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون قال اهل التاويل جميعا اي يصلون
وانما حملوا عليها لان الاستغفار طلب المغفرة وذلك مرة بالصلوة ومرة باللسان ومرة بدفع المال
ويحتمل حقيقة الاستغفار ايضا وانما مدحهم بذلك لانه ارجى وقت الاستغفار وقت السحر لما روي عن ابن
عمر رضي الله عنهما انه قال لنافع اذا كان وقت السحر فاعلمني به فكان هو يصلي الى وقت السحر ثم يدعو ويستغفر
الى الوقت وقوله عز وجل وفي اموالهم حق للسائل والمحروم قال بعضهم انه الاية في الزكوة لكن هذا لا يحتمل
لان السورة مكية ولم يكن بمكة الصدقة المفروضة الا ان يقال ان السورة مكية الا هذه الاية ان
ان ثبت وجائز ان يكون ذلك الحق ليس هو المفروض ولكن حق سوى الفرض وقيل ان الاية نزلت في قوم
كانوا جعلوا على انفسهم ان لا يردوا سائلا ولا محروما ولا يمنعوا اموالهم من احد فمدحهم بذلك الا ترى انه
ذكر الحق للسائل والمحروم وفرق بين مصارف الزكوة الاصناف الثمانية بقوله تعالى انما الصدقات
للفقراء الى قوله تعالى فريضة من الله ثم اختلف في تاويل المحروم والسائل قال عامة اهل التاويل المحروم هو
الذي لا سهم له في الغنيمة والذي لا يحضر وقت قسمة الغنيمة فلا ينال شيئا منها ويحرم عن ذلك وقال
بعضهم المحروم الذي هلك زرعه وكرمه ببلاء اصابه فحرم عن ذلك كما وصفهم في سورة الواقعة انا لمغرمون
بل نحن محرومون فلما حرموا زرعهم وصفوا بذلك وقيل المحروم الذي لا يعلم حرفة وهو كسبا وهو محارف
ايضا وقيل المحروم المتعفف الذي يفتقر لكنه لا يسال الناس شيئا والسائل الطواف وعندنا الفقراء ثلاثة
السائل الذي يطوف ويسال الناس والمعتر الذي يعتري الناس ويظهر حاجته للناس ويتعرض للسؤال ولا يسال
صريحا والمحروم هو الذي يستر فقره وحاجته عن الناس لا يسالهم ولا يعتر كذلك ثم جائز ان يكون سماه محروما
اي حرم المكاسب واسباب العيش من التجارة والحرفة وغيرهما وجائز ان يكون له المكاسب والاسباب لكنه
محروم عن انزال المكاسب والارباح في التجارة يكتسب ويعمل بتلك الاسباب لكنه محارف لا يرزق فيها شيء
والله اعلم وقوله عز وجل وفي الارض ايات للموقنين هذا يخرج على وجهين احدهما اي في الارض ايات ينتفع بها
الموقنون وهم المؤمنون الذين عملوا الايات بطريق الايقان ويحتمل في الارض ايات يعلم الموقنون حقيقة
انها ايات فاما غيرهم فلا والله اعلم ثم يحتمل ايات الارض ايات التوحيد وايات البعث وايات القدرة

ارجى وقت استغفار
سحر عطاة
بلغهم

الفقراء ثلاثة
عندنا

وغير ذلك

وغير ذلك على ما ذكرنا الله خلق على وجه الارض من الدواب والاشجار من النبات وانواع الثمار من غير ان عرف الخلق كيفية
وجودها وما بثانها وانه لم يخلق مثلها للفناء خاصة فيكون ايات لما ذكرنا وقيل اي في خلق الارض ايات وهو انه خلقها
وكانت تميد باهلها ثم ارساها بالجبال حتى استقرت والله اعلم وقوله عز وجل وفي انفسكم افلا تبصرون صلة قوله
وفي الارض ايات للموقنين اي وفي انفسكم ايضا ايات افلا تبصرون اي ايات الوحدانية والربوبية وايات البعث
وايات وجوب الشكر والعبادة والامتحان اما ايات الربوبية وهو ان الله تعالى انشا هذا البشر من نطفة علقة ثم العلقة
مضغة ثم المضغة عظاما ولحما وركب فيها الجوارح في ظلمات ثلاث مادام المصالح له في الاستواء والصحة سليم
عن الافات غير متغير وثم فيه لم فعل واحد لا عدد وان له القدرة الذاتية والعلم الذاتي لا المستفاد وان ما قلبهم
من حال الى حال وما ركب فيهم الجوارح التي بها يقبضون وبها يأخذون وبها يدفعون ويسلمون وبها يبصرون ويسمعون
وبها يمشون لم يفعل بهم ليتركهم سدى ويمهلهم ولا يمتحنهم ولا يامرهم ولا ينهاهم وانه سخر جميع الخلائق
من السماء والارض وما بينهما ما سخر الا ليمتحنهم وليستادي منهم شكر ذلك كله وفيه اية البعث لانه لا يحتمل
ان يكون منه ما ذكرنا ثم لا يبعثهم ليثاب المحسن منهم ويعاقب المسيء ويجازي كلا بقدر عمله اذ لو لم يكن لكان
خلقه اياهم عبثا باطلا على ما ذكرنا في غير موضع وقيل في انفسكم اي في خلق انفسكم افلا تبصرون انه كيف سوى
انفسكم على احسن الصور واحسن التقويم بعد ان كان اصلها وجوهرها من ماء وكذلك اصل جواهر الانعام
والبهائم من نطفة ايضا ثم ركبتم على صور صالحة لمنافعكم وركبكم على احسن الصور ثم جعل فيكم من العقل
والسمع والبصر ما يدرك بها حقائق الاشياء المحسوسة والمعاني الحكمية لتتاملوا في ذلك كله فيكون اية الوحدانية
واية لزوم الشكر والعبادة له والله الموفق وقوله عز وجل وفي السماء رزقكم وما توعدون قال ابو بكر الاصم
وفي السماء رزقكم وما توعدون اي في السماء رزقكم وما توعدون من الخير والشر وقال الحسن وغيره وفي السماء
رزقكم اي المطر الذي ينزل منها في الارض فثبت فيها بذلك المطر من انواع الارزاق من الحبوب والثمار والفواكه
وغيرها كل ذلك سببه من السماء لذلك اضاف اليها والله اعلم وجائز ان يكون ما ذكر من ارزاقنا انها في السماء المطر
وجميع ما سخر لنا فيها من الشمس والقمر والملائكة حيث جعل صلاح ما في الارض جميعا من الارزاق والاغذية
بتلك الاشياء التي في السماء من الانضاج بالشمس والقمر وحفظ الارزاق والامطار بالملائكة فانهم جعلوا
موكلين متصرفين لذلك حيث قال تعالى فالمقسمات امرا هي الملائكة والله اعلم وقوله عز وجل وما توعدون
كل موعود من ثواب او مرهوب من السماء والله اعلم وقوله عز وجل فورب السماء والارض انه لحق يحتمل
قوله انه لحق اي الساعة والقيامة ويحتمل انه لحق اي جميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل
مثل ما انكم تنطقون يحتمل ان يقول والله اعلم كما انكم لا تشكون فيما تنطقون فعلى ذلك لا تشكون في امر الساعة
وقيامها وكونها كما يقال هذا ظاهر بين كالنهار وقال الزجاج انه لحق اي لحق مثل حضوركم ونطقكم ومثل النهار والكلام
ونحوه ويحتمل ان يقول ان من قدر على انطاق هذه الالسن وتكلمها حتى يفهم منها حاجتهم وهي قطعة وليس فيها شيء
من اثار النطق والكلام اذ يكون مثله للبهائم ثم لا يفهم منه ذلك ولا يكون منه النطق قادر على البعث والاحياء
اذ هذا في الاعجوبة اكثر واعظم من ذلك والله الموفق وقوله عز وجل هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
قد ذكرنا فيما تقدم في غير موضع ان حرف الاستفهام من الله تعالى على الايجاب والالزام وقوله عز وجل هل اتيك
يخرج على وجهين احدهما اي قد اتاك حديث ضيف ابراهيم فحاج به اولئك وخاصم والثاني لم ياتك بعد ولكن سياتيك
حديث ضيف ابراهيم فاذا اتاك به فحاج على اولئك الكفرة به والله اعلم ثم قوله حديث ضيف ابراهيم
دل ان اسم الضيف يقع على من يطعم ويتناول وعلى من لا يطعم ولا يتناول لانه سمى الملائكة ضيف ابراهيم
وان لم يطعموا ولم يكن غذاهم الطعام وفيه ان الضيف اسم يقع على العدد والجماعة وقوله عز وجل
المكرمين سماهم مكرمين لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام كان يخدمهم ويقوم بين ايديهم وذلك
هو الاكرام الذي صاروا به مكرمين ويحتمل ان سماهم مكرمين لانهم كانوا اهل كرم وشرف عند الله تعالى
والله اعلم وقوله عز وجل اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون وقال في اية اخرى اذ دخلوا عليه
فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون وقال في اية اخرى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون ذكرها
هنا سلام الملائكة عليهم السلام ولم يذكر سلام ابراهيم صلوات الله عليه انما ذكر وجله منهم وذكر في الاول
سلام الملائكة عليهم الصلوة والسلام وسلام ابراهيم عليه السلام عليهم وذكر انهم قوم منكرون
وقال في اية اخرى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قال بعضهم انما اوجس منهم الخيفة
لما خشي ان يكونوا لصوصا قال لانه كان بين ابراهيم عليه السلام وبين الذي ياتيه براء منه بصرف بعيد ما يحتاج
المسافر الى طعام فاذا امتنعوا عنه خاف ان يكونوا اذ لا يمتنع عن التناول الا السراق لكن هذا ليس بشيء لانه
قد كان منهم السلام والسلام امن عادة اهل الاسلام لكن يكون خوفه بعد ما عرف انهم ملائكة لما علم ان الملائكة
عليهم السلام لا ينزلون الا لامر عظيم لاهلاك قوم او لتعذيب امة كقوله تعالى وما ننزل الملائكة الا بالحق
وقوله عز وجل ولو انزلنا ملكا لقضي الامر هذا يحتمل والله اعلم ثم قوله قوم منكرون جائز ان يكون هذا اخبار
من الله تعالى انهم قوم منكرون اي غير معروف عنده لم يعرفهم وقد ذكرنا هذا فيما تقدم وقوله عز وجل

فراغ الى اهله قيل راغ اى مال لكن قوله فراغ اى مال الى اهله على خفاء من اضيافه وستر منهم ولذلك سمى الطريق
المختلق وايغاو هو من روغان الثعلب وقيل ذايغا بالزاى وقيل راغ اى رجع وذكر محمد فى بعض كتبه فى زاوية مستطيلة
وقيل رايغة والله اعلم وقوله عز وجل فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال الا تاكلون وقال فى موضع اخر فجاء
بعجل حنيذ والحنيذ هو المشوى وقيل هو الذى يشوى فى الارض بغير تنور والله اعلم وقال بعضهم الحنيذ
الذى تصح بالحجارة وقيل الحنيذ هو الصغير الذى كان غذاؤه اللبن لا غير والله اعلم وما ذكر اهل التاويل
فى قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام انه لما قرب اليهم العجل قالوا لا ناكله الا بثمن قال فالوه واديتم
قالوا وما ثمنه قال تسمون الله تعالى جل وعلا اذا اكلتم وتحمد واذا تركتم قال فنظر بعضهم الى بعض وقالوا اتخذك
الله خليلا وغير ذلك من الكلام فنحن لا نذكر الا قدر ما ذكره فى الكتاب مخافة انه يدخل الزيادة والنقصان
عما فى كتبهم ويجد اهل الالحاد فى ذلك مقالا وهذه الانباء انما ذكرت حجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى
اثبات الرسالة فاذا قيل فى ذلك ما يخاف ان يكون فى ذلك زيادة او نقصان عما فى كتبهم كان الامساك والكف عنه
اولى وقوله عز وجل فاوجس منهم خيفة لما ذكرنا وقوله عز وجل قالوا لا تخف لذلك ارسلنا والله اعلم وقوله
عز وجل وبشروه بغلام عليم يحتمل قوله عليم وجهين احدهما اى بشروه بغلام يصير عليما اذا كبر والثانى
بشروه بغلام يولد عليما يؤتيه الله تعالى علما فى بطن امه واذا ولد فى صغره ولله ان يؤتى العلم من يشاء فى حال الصغر
والكبر الا ترى انه قال عز وجل فى عيسى عليه السلام واتيناه الحكم صبيا فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم ثم ذلك الغلام
هو اسحق عليه السلام لا ترى فى اية اخرى فيمن كانت البشارة حيث قال فبشرناها باسحق دل ان البشارة انما كانت
باسحق ثم ذكر فى سورة هود عليه السلام البشارة لامرأته حيث قال فبشرناها باسحق وذكر فى هذه السورة
البشارة لابراهيم عليه السلام بقوله وبشروه بغلام عليم لكن جائز انه لما بشروها بالولد بشروها بالولد منه و
اذا بشر ابراهيم عليه السلام بالولد منها فاذا بشر احدهما بالولد من الاخر فيكون البشارة لهما جميعا والله اعلم
قال ابو بكر الاصم دل قوله تعالى فبشرناها باسحق الى ان قال وهذا بعلى شيخا ان اسحق كان اكبر من اسمعيل لانها
لما بشرت بالولد اخبرت انها عجوز وانها عقيم وان بعلها شيخ ولو كان اسمعيل هو الاول وكان الاخر على قرب
منه ليس بينهما زمان مديد لم يكن يبلغ ابراهيم عليه السلام فى ذلك المقدار من الوقت ما يخبر عن اياس
الولد منه دل ان اسحق هو المقدم وانه كان اكبر من اسمعيل عليه السلام الا ان هذا خلاف ما عليه اهل
التاويل ان اسمعيل عليه السلام كان اكبر من اسحق عليه السلام وقوله عز وجل فاقبلت امرأته فى صرة
فصكت وجهها ذكرها هنا الاقبال وقال فى اية اخرى فى سورة هود وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق
فجائز ان لا يكون على حقيقة الاقبال ولكن لما ذكر فعلها وهى الصرة وصك الوجه ذكر الاقبال وان كان
منها الاقبال من المكان اى اقبلت فصكت وجهها فى صرة كما قال عز وجل الم تر الى ربك كيف مد الظل امر بالرؤية
والنظر الى الفعل الذى ذكروا هو مد الظل واذا ذكر النفس دون الفعل فالمراد منه النظر الى نفسه لا غير والله
اعلم فعلى ذلك هذا ثم قوله تعالى فى صرة اى فى صيحة قوله عز وجل فصكت وجهها اى ضربت وجهها بيدها
تعجبا منها تلك البشارة التى بشرت بالولادة وقوله عز وجل وقالت عجوز عقيم وكانت كما اخبرت عجوزا عقيما
وقوله عز وجل كذلك قال ربك اى على علم بالحال التى انت بشرتك بذلك لا عن جهل وقوله عز وجل انه هو الحكيم
العليم اى حكيم وضع الولد فى موضعه العليم بمصالح الامور وعواقبها والله اعلم وقوله قال فما خطبكم ايها المرسلون
اى ما شانكم ولاى امر ارسلتم بالبشارة خاصة او لامر اخر او لهما جميعا فاجابوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وقال
فى اية اخرى انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين كان الاستثناء ههنا لم يكن مذكورا فى خبر
الملائكة وانما ذكر فى الخبر الذى قال ابراهيم عليه السلام حيث قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله فدل ذكر الثناء منهم بعد سوال ابراهيم عليه السلام واخبارهما باهم ان فيها لوطا ان تاخير البيان
عن الكلام جائز والله اعلم وقوله عز وجل لنرسل عليهم حجارة من طين دل قوله تعالى حجارة من طين على ان ما ذكر فى اية
اخرى حجارة من طين على ان ما ذكر فى اية اخرى حجارة من سجيل ان السجيل ليس هو اسم المكان على ما دل بعض اهل
التاويل ولكن السجيل اسم الطين على ما ذكره ههنا وهو طين مطبوخ كالاجر الا ان يقال هو طين حمل من مكان
يسمى سجيلا والله اعلم وقوله عز وجل مسومة اى معلمة عند ربك للمسرفين ثم الاعلام يحتمل وجهين احدهما
معلمة مسومة باسم من يقع عليه ويهلك بها اى مكتوب عليها اسمه والثانى معلمة فى نفسها حتى يعلم كل احد انها للهلاك
جاءت وانها ارسلت لذلك مخالفة سائر الاحجار والله اعلم وقوله عز وجل فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قوله فيها كناية عن قرية لوط وقوله غير بيت من المسلمين هو منزل لوط عليه السلام
دل تسمية الملائكة عليهم السلام اياهم مؤمنين ومسلمين على ان الاسلام والايمان واحد وقد بينا جملة
الاتحاد بينهما فى غير موضع وقوله عز وجل وتركنا فيها اية اى تركنا فى قريات لوط عليه السلام التى اهلكها اية
وعبرة لمن بعدهم وهو ما ذكر فى اية اخرى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون اى انكم لتمرون
على اولئك الذين اهلكوا وعذبوا بالليل والنهار تعلمون انهم انما اهلكوا وثم عذبوا بالتكذيب والعناد والذين نجوا
بالتصديق والاسلام وذلك انهم لمن بعدهم ثم قال الذين يخافون العذاب الاليم اى يكون ذلك اية للذين يخافون

العذاب

العذاب الاليم وهم المؤمنون اى هم المنتفعون بها والله اعلم وقوله عز وجل وفى موسى اذ ارسلناه الى فرعون
بسلطان مبين فيما ذكر من قصة موسى ولوط وقصة ابراهيم وقصة هود وثمود وهذه الاشياء تفسير لقوله
تعالى وفى الارض ايات للموقنين ثم الايات فى الارض من وجهين احدهما فيما خلق فى الارض من الخلائق والثانى
فيما فى الارض من انباء السلف واخبارهم من مكذبى الرسل ومصدقيهم اى فى هلاك من هلك من مكذبيهم ونجاة
من نجا من مصدقيهم ايات لمن ذكر فهذه الانباء والقصص التى ذكرت ههنا تفسير لقوله تعالى وفى الارض
ايات للموقنين وقوله عز وجل فتولى بركنه هذا يخرج على وجهين احدهما اى فتولى هو وركنه وهم جنوده
وقومه عن اتباع موسى عليه السلام وما يدعوهم اليه والثانى اى فتولى هو بقوة ركنه وهم قومه
اى تولى عن الحق وعن اتباع موسى عليه السلام بقوة قومه ومعونتهم والله اعلم وقوله عز وجل وقال
ساحر او مجنون سماه ساحرا بما اتى من الايات المعجزة وقومه انما يعرف وصف السحر على هذا الوجه
فسماه بذلك وان تيقن هو ان مثل ذلك الفعل لا يكون سحرا تمويها على قومه وسماه مجنونا لما خاطر
بنفسه بمخالفته مع علمه ان همته القتل لمن خالفه فى دينه وملكه وقوله عز وجل فاخذناه وجنوده
هذا يدل على ان تاويل قوله تعالى فتولى بركنه اى تولى هو وتولى قومه وجنوده وقوله عز وجل
فنبذناهم فى اليم وهو مليم الاية قال بعضهم مليم اى يلام عليه وقال بعضهم مليم اى هو مذموم وقال
القتبى هو مذنب لم يذكر فى قوله تعالى فى افعال العباد صنعا حتى اضاف ذلك الى نفسه وهم الذين دخلوا فى
اليم وقوله عز وجل وفى عاد اذ ارسلنا اى فى امرها دبية واية وعبرة للمؤمنين كقوله تعالى وفى الارض ايات
للموقنين وقوله عز وجل اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم اى اهلكوا بالريح وقد بلغ من عتوهم ان
قالوا من اشد منا قوة فاذلهم الله تعالى حتى خضعوا لاضعف شئ واخافهم منه وهى الاصنام التى
عبدوها حتى خوفوا وقالوا ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء وذلك غاية الذل والهوان ان
خافوا من اضعف شئ واعجزه بعد ما بلغ من عتوهم وتمردهم ان قالوا من اشد منا قوة ثم قوله
عز وجل الريح العقيم قال ابو عوسجة تفسيرها ما ذكر فى الاية ما تذر من شئ اتت عليه الا جعلته
كالرميم وقال غيره العقيم هو الذى لا خير فيه ولا بركة اى عقمت عن الخيرات ولذلك يقال للمرأة التى
لا تلد وللرجل الذى لا يولد له العقيم لما انه ليس منهما منفعة الولد ولا بركته فعلى ذلك الريح العقيم اى
لا منفعة فيها ولا بركة فاما للمؤمنين فهى نافعة ايضا حيث اهلكت اعداءهم ولم يهلكهم وفى ذلك
تطهير الارض عن نجاسة الكفر وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور وقيل الريح العقيم هى الدبور وهى التى لا تلقح الاشجار والسحاب والنبات وقوله عز
وجل ما تذر من شئ اتت عليه الا جعلته كالرميم اى ما تذر من شئ اتت عليه وامرت هى باهلاكه
واذن لها بذلك الا جعلته كالرميم الا ترى انها اتت على اشياء لم تهلكها وقد سلم عليه السلام وقوم
من المؤمنين والله انهم لما راوها من بعيد قالوا هذا عارض ممطرنا فقال هود عليه السلام بل هو ما
استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم وما ذكر فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اخبر انها قد ابقت مساكنهم وهو ما
ذكر فى اية اخرى تدمر كل شئ بامر ربها اى تدمر كل شئ امرت واذن لها بالتدمير ليعلم انها كانت تعمل بالامر والله
اعلم وقوله عز وجل وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين اى وفى امر هود عليه السلام واهلاكهم ايضا اية
وحجة للمؤمنين ثم ذكر عتوهم وتمردهم اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو ثلاثة ايام التى ذكرت فى اية اخرى فقال
تمتعوا فى داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب يخبران كان قد بلغ عتوهم ان قد اجلوا ثلاثة ايام
لنزول العذاب بهم فلم يمنعهم ذلك عن عتوهم ولم يخبع فيهم وقومك يا محمد حيث لم يذكر لعذابهم وقتا
ولا اجلا احق ان لا ينجع فيهم ما توعدهم به ولا ينفعهم والله اعلم وقوله عز وجل فعتوا عن امر ربهم اى
تمردوا بطاعة ربهم والعتو هو البلوغ فى اليبس والقساوة غايته كقوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا
اى يابسا وقوله عز وجل فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون اى الى الصاعقة وقوله عز وجل فما استطاعوا
من قيام وما كانوا منتصرين هذا يخرج على وجهين احدهما اى ما استطاعوا فى الانتصاب لعذاب الله
والقيام له والثانى اى ما استطاعوا من دفع العذاب عن انفسهم لا بانفسهم ولا بغيرهم وما كانوا
منتصرين بالانصار والاعوان والله اعلم وقوله عز وجل وقوم نوح من قبل اى فى امر نوح عليه السلام
من قبل هؤلاء واهلاكهم اية بينة وحجة للمؤمنين على ما ذكرنا وقوله عز وجل انهم كانوا قوما فاسقين ثم
وقوله عز وجل والسماء بنيناها بايد اى خلقناها بقوة وانا لموسعون اى لقادرون وجائز ان يكون
الموسع الواجد كقوله تعالى وعلى الموسع قدره اى على الواجد الموسر قدره وقال بعضهم وانا لموسعون
فى التدبير تدبير جميع الخلق عليهما ادرا فهم وقوله عز وجل والارض فرشناها فنعم الماهدون اى
بسطناها ومهدناها فنعم الماهدون لكم الارض حيث مهدها لكم مبسوطة مفترشة تجدونها كذلك
ما كانوا واينما كانوا من غير تكلف ويستعملونها كيف شاؤا واى منفعة شاؤا والله اعلم وقوله عز وجل
ومن كل شئ خلقنا زوجين قال بعضهم صنفين غير الحيوانات فانه خلقهم ذكرا وانثى وقال بعضهم زوجين

اى لونين نحو ابيض واسود واحمر واصفر والاول قول الزجاج والثانى قول القتبى واصله انه يخرج على وجهين
احدهما زوجين اى شكلين فيعلمون بعضه بعضا او صنفين فينا قض بعضه بعضا والله سبحانه وتعالى ليس بذى
شكل ولا ذى ضد فيدل ما انشاء من الاضداد والاشكال على واحدانيته والوهيته والثانى خلق الاشياء
مختلفين متضادين ليدل على ايجاب المحن عليهم من نحو عسر ويسر وغنا وحاجة وخير وشر ليمتحنهم على اختلاف
الاحوال وتضادها فرغبهم فى كل مرغوب ويحذرهم عن كل مرهوب والله اعلم وقوله عز وجل لعلكم تذكرون
اى تذكرون ايات وحدانيته والوهيته او تذكرون باختلافها لامتحان البعث والثواب والعقاب والله اعلم
وقوله عز وجل ففروا الى الله يحتمل وجوها قال بعضهم ففروا الى توحيد الله من الشرك به دليله قوله على اثره ولا
تجعلوا مع الله الها اخر وهو ابى بكر الاصم ويحتمل ففروا الى الله اى ففروا الى ما دعاكم الله تعالى اليه مما نهاكم عنه كقوله
سبحانه والله يدعو الى دار السلام اى ففروا الى الاعمال الصالحة من الاعمال القبيحة ويحتمل ففروا الى ما وعد لكم
من الثواب مما اوعد لكم من العقاب اى فروا الى ثواب الله عن نقمته وعقابه ويحتمل ففروا اليه فى جميع حوائجكم و
لا تطلبوا شيئا من ذلك من غيره فانه هو القادر عليها حقيقة فيكون فى الاية ترغيب فى الحوائج وقطع الطمع عن
غيره والله اعلم وقوله عز وجل انى لكم رسول نذير مبين بما نزل جرها يحتمل اى نذير لمن عبد دونه وسمى دونه الها
مبين ايات الوهيته وواحدانيته ويحتمل انى لكم منه نذير مبين لما يقع لكم به الشهادة والشهادة وقال ابو بكر الاصم
انى لكم منه نذير مبين بما نزل بمكذبى الرسل بتكذيبهم وقوله عز وجل ولا تجعلوا مع الله الها اخر اى لا تسموا مع الوهية
الله تعالى لاحد دون الله الوهية ولا تسموا دون الله الها ويقول لا تعبدون دون الله الها اخر اى معبودا اخر
فانه لا يستحق دون الله احد للعبادة والله اعلم وقوله عز وجل انى لكم منه نذير مبين قد ذكرنا وقوله عز وجل
انى لكم منه نذير مبين قد ذكرنا وقوله عز وجل كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون لم
يذكر فى هذا الموضع القول منهم انهم قالوا للرسول عليه الصلوة والسلام انك ساحر او مجنون ولكن ان لم يكن مذكورا
فى ظاهره لكن ما ذكران اوائلهم كانوا يقولون لرسلهم ذلك دلالة انهم قد قالوا انه ساحر وانه مجنون بحيث قال
كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون بصبر رسوله صلى الله عليه وسلم على اذاهم بنسبتهم
اياه الى السحر والجنون كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وغير ذلك من الايات التى فيها الامر بالصبر على
اذاهم والله اعلم ثم قوله عز وجل ساحر او مجنون قال ابو بكر الاصم انما قالوا ساحر او مجنون لان السحر والجنون عندهم
واحد كقول فرعون لموسى عليه السلام لما اتى به من الايات انى لاظنك يا موسى مسحورا فلذلك قالوا مرة ساحر
ومجنون مرة ولكن هذا فاسد فانه لا يحتمل ان يكون الجنون والسحر عندهم واحدا لان الساحر هو الذى بلغ فى
العلم فى كل شئ غايته والمجنون هو الذى بلغ فى الجهل غايته ونسبوهم الى السحر لما اتاهم من الايات ما عجز الناس
عن اتيان مثلها وقد عرفوا انها ايات اعنى رؤساءهم وهموا انهم لكن قالوا انها سحر على ارادة التلبيس على الاتباع و
العامة لما عند الناس ان لا كل احد يقدر على اتيان السحر فقالوا انهم سحرة للرسل لهذا وانما نسبوهم الى الجنون
لما انهم خالفوا الفراعنة والاكابر الذين كانت همتهم القتل واهلاك من خالفهم فى المذهب والامر والله اعلم وقوله
عز وجل اتواصوا به بل هم قوم طاغون اى اوصى اليهم اواخر فى تسميتهم الرسل عليهم السلام سحرة ومجانين وان
يوافق بعضهم بعضا فى نسبتهم الرسل عليهم السلام الى السحر والجنون اى لم يزل الكفرة يقولون لرسلهم السلام ذلك
ويحتمل ان يكون ذلك على التمثيل لا على حقيقة القول منهم لما كان اجتماعهم لاجل هذا القول فى كل وقت فصار ذلك
الاجتماع منهم كالتواصى من بعضهم لبعض والله اعلم وقوله عز وجل بل هم قوم طاغون يخبر انهم لا عن جهل وشبهة
قالوا انه سحر ولكن عن طغيان وتعدى حد الله عز وجل والمجاوزة له لان الطاغى هو المجاوز له عن الحد الذى جعل
له والمتعدى عنه وقوله تعالى فتول عنهم فما انت بملوم قال بعض اهل التاويل لما نزل هذا خاف رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه رضى الله عنهم انه ينزل بهم العذاب حتى نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين لكن عندنا يخرج
قوله فتول عنهم فما انت بملوم على وجهين احدهما اى تول عنهم فاعرض ولا تكافهم واساءتهم اليك بقولهم وانه
ساحر وانه مجنون فان الله تعالى سيكفيهم عنك ويجازيهم بمجازاة اساءتهم والثانى يا مره بالاعراض والتولى عنهم عن
قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون يوبخه عن ايمانهم ويقول لا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون لك ولا يصدقونك
ولكن اشتغل بمن ترجو منه الايمان والله اعلم جائز ان يكون لا على حقيقة الامر ولكن على التخيير اى لك ان تتولى
عنهم وتعرض فانك قد بلغت واعذرت فى التبليغ والدعاء غايته والله اعلم وقوله عز وجل وما انت بملوم
جائز ان يكون المراد من نفى الشئ اثبات مقابل ذلك الشئ وضده كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم المراد اثبات
الخسران كانه قال فما ربحت تجارتهم بل خسرت فعلى ذلك جائز قوله فما انت بملوم بل محمود والله اعلم وقال
ابو بكر الاصم فما انت بملوم لانه قد بلغ الرسالة وما امر بتبليغه الى الخلق وقال بامره ونصح خلقه وخفض جناحه
لهم فكيف تلام اى ما انت بالذى تلام على صنيعك وعلى فعالك وان كان بعض الناس يلومك وهم الكفار وفيه
دلالة الحفظ والعصمة له عن الزيغ والزلات اذ لو كان بالذى يحتمل الزيغ والزلة لكان يحتمل الملامة قد لا نه لا يحتمل
الزيغ والعدول عن الحق وقوله عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين جائز ان يكون الامر بالتذكر للكل ثم اخبر
ان الذكرى تنفع المؤمنين لا الكل وجائز فذكر المؤمنين فان منفعة الذكرى لهم ولمن انصف دون المكابرين المعاندين

فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

والله اعلم وقوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان كان المراد من ذكر العبادة حقيقة العبادة
فيخرج تاويله على وجهين احدهما جوابا لمن لا يرى الجن والانس يومرون بالعبادة ويمتحنون لها فقال وما خلقت
الجن والانس ليعبدون اى ما خلقتهم على معرفة المحاسن والمساوى والتمييز بين ما يوتى وما يتقى بما ركب فيهم من اسباب
التمييز والمعرفة لا تركهم سدى مهملين بل لامتحنهم بالعبادة والقيام بشكر ما انعمت عليهم من انواع النعم اذا
الحكمة يوجب ذلك ويدفع تركهم سدى هملا والله اعلم والثانى خرج جوابا لمن يترك العبادة دونه جائز القولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدونى لم اخلقهم لعبادة غيرى ولا امرهم
بعبادتى لا لامرهم بعبادة غيرى كما قاله بعض الكفرة بقولهم والله امرنا بها ردا ونقضا لاعتقادهم والله
اعلم ثم قوله عز وجل الا ليعبدون على حقيقة العبادة وجهين احدهما على حقيقة فعل العبادة وعلى هذا الوجه لم
يكن الاية معمولا بها على العموم بل على الخصوص وهم المؤمنون من الجن والانس دون الكفرة منهم فانه لا يجوز
ان يخلق الكفرة الذى علم منهم انهم لا يؤمنون للعبادة اذ خلقه عن اختيار وارادة فاذا خلقهم واراد منهم
العبادة لا بد ان يوجد منهم وقد علم منهم انه لا يوجد فيصير كانه اراد تجهيل نفسه وعدمه محال فدل ان المراد منه
الخصوص وقد خص منه البعض بلا خلاف فان الصغار والمجانين قد خصوا فانه لا يتحقق منهم العبادة فجائز
ان يخص منه الكفرة الذين علم منهم انهم لا يؤمنون والله اعلم ويحتمل ان المراد منه الامر بالعبادة اى ما خلقتهم
الا لامرهم بالعبادة والتوحيد وهذا التاويل اقرب الى العمل بالعموم فانه يدخل فيه العقلاء من الجن والانس
دون الصغار والمجانين ويجوز ان يؤمر بشئ ولا يريد تحصيل المامور وبر وصيرورة المامور مطيعا له بل يريد ان
يصير عاصيا فيدخل النار بخلاف ما اذا خلقه للعبادة واراد منه لا يجوز ان لا يوجد وحقيقة هذا يعرف
فى كتاب التوحيد انه خلق للايمان والعبادة من علم منه انه يعبد ويختار العبادة له فاما من علم منه اختيار
الضلال والغواية وصرف العبادة الى غيره فانه خلقه على ما علم منه انه يختار ويفعل لقوله تعالى ولقد ذرانا
لجهنم كثيرا من الجن والانس الاية وقال قائلون لم يرد بقوله تعالى ليعبدون حقيقة العبادة التى هى فعل
العبد على وجه الاختيار ولكن معناه وما خلقت الجن والانس الا وقد جعلت فى كل احد منهم دلالة وحاجتى
ودلالة صرف العبادة الى والقيام بالشكر لى فيما انعمت عليهم من انواع النعم ما لو تاملوا فيها ونظروا لدلهم
على ما ذكرنا من العلم بالواحدانية لى والقيام بالعبادة والشكر والله اعلم وعلى هذا التاويل يكون الاية عاما
لا خصوص فيها لان خلقة كل احد منهم على اى وصف كان دلالة ما ذكرنا والله الموفق ويحتمل ايضا وما خلقت
الجن والانس الا على خلقة يصلح للمحنة بالامر والنهى والوعد والوعيد ولتحقيق فعل ذلك بما ركب فيهم العقل
وجعل مفاصلهم لينة قابلة الافعال يصلح للخدمة من الركوع والسجود والقيام والقعود نحوها على خلاف
غير هؤلاء من المخلوقات فانها خلقت على خلقة يصلح لمنافع الممتحنين لا على وجه يصلح للمحنة والله اعلم ثم فى
العبادة خصوصية معنى ليس ذلك فى الطاعة والخدمة وغير ذلك من الافعال كقوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله حيث لم يجز العبادة لغيره واجاز الطاعة والخدمة والتعظيم وغير ذلك من الافعال كقوله ومن
يطع الرسول فقد اطاع الله دل ان فى العبادة معنى ليس ذلك المعنى فى غيره لذلك وقعت الخصوصية
له ولذلك خص نفسه بتسمية الاله لم يجز التسمية به لغيره اذ الاله عندهم معبود فكل معبود عندهم
يسمونه الها وذلك كما خص نفسه بتسمية الرحمن لم يجعل لذلك لغيره وجاز تسمية غيره رحيما لما ان
فى اسم الرحمن زيادة معنى ليس فى الرحيم وكذا خص نفسه بتسمية خالقا ولم يجز هذا الاسم لغيره لما ان
فى الخالق معنى ليس ذلك المعنى فى الفاعل وغيره فكذلك هذا والله اعلم وقوله عز وجل ما اريد منهم من رزق
وما اريد ان يطعمون قال عامة اهل التاويل ما اريد منهم ان يرزقوا انفسهم ولا ان يطعموا احدا من خلقى
انما على رزقهم واطعامهم كقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويحتمل ما اريد منهم
ان يرزقوا من لا يقوم باسباب الرزق وان يطعموهم اذ ذلك على وانما اريد منهم العبادة والامر بالعبادة
على الوجه التى ذكرنا لانهم لم ينشؤا الا ولئك الذين لم يجعل لهم المكاسب واسباب الرزق من الدواب بل هن
انشئت لا جلهم رزقا ومتعة والله اعلم ويحتمل ان يكون على الاضمار على ما قال بعضهم اى قل يا محمد ما اريد
منكم فيما ادعوكم اليه من اجر وما اريد ان يطعمون فيثقل عليكم الايمان ويحتمل ما اريد منهم من الرزق وما اريد ان
يطعمون اخبار انه لم يخلقهم لحاجة له فى خلقهم من الرزق والاطعام منهم لما اقام من دلالات تنزيه عن
الحوائج وعن الرزق والطعام وانما خلقهم للامر والنهى والامتحان ورجع منافع ذلك اليهم والله اعلم وقوله
عز وجل ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين هذا يخرج على وجهين احدهما ان الاسباب والمكاسب التى
بها يرزقون ويصلون الى الانتفاع بها هى فعل الله تعالى وله فيها صنع صار بذلك رازقا لولا ذلك لم يصلوا
ذلك وان كان الخلق هم الذين يكتسبون ويعملون تلك الاسباب والمكاسب فلما اضيف اليه الرزق
لما انشاء فعل تلك الاسباب والمكاسب منهم والله اعلم فيكون فى هذا دليلا على ان الله تعالى صنعا فى
افعال العبد وهو الخلق والانشاء حيث سمى نفسه رازقا وهم يرزقون بتلك المكاسب والاسباب
واكثرها او عامتها بافعالهم دل ان له فيها صنعا حتى يجوز اضافة ذلك اليه وتسميته رازقا ولا يجوز

هذا الاسم لغيره والله اعلم والثاني يحتمل اضافة الرزق اليه لا ترزقهم بما جعل في تلك الاسباب والمكاسب
من اللطف كان بانفس الاسباب لانهم يزرعون ويطرحون البذر فيها فهلك ذلك فيما وكذلك يسقون
الارض ويهلك ذلك الما فيها ثم ان الله تعالى جعل بلطفه ورحمته في ذلك من اللطف ما يصير ذلك رزقا لهم
بعد ذهاب عينه والقوة التي جعل فيه وكذلك ما جعل ذلك من الصلاح والتصبح والطبخ وما يرجع الى
الاصلاح لذلك والاكل والمضغ والابتلاع ونحو ذلك ليس في ذلك الا امتلاء البطن وفي ذلك شيئا يجعل
فيه من القوة ما ينشو في البدن والاطراف قوة فيبقوا بتلك القوة فيها الحيوة والبقا لا بنفس الرزق
وهو ما وصف الله عز وجل ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين بتلك القوة يحيون وبها يبقون ثم **قوله** عز وجل المتين
بتلك القوة يحيون وبها يبقون ثم **قوله** عز وجل المتين قيل المتين هو وصف ونعت لتلك القوة فيجوز وصف تلك
القوة بمتانة فاما الله سبحانه وتعالى لا يوصف بها ولا يوصف انه متين وهو كقوله عز وجل ذو العرش المجيد وصف
العرش بالمجد والعرش غيره فعلى ذلك القوة التي جعل فيها ما ذكرنا غيره يجوز ان يوصف بما ذكرنا من
المتانة وهي القوة التي لا يملكها الخلق ولا يدركون ذلك اللطف التي جعل في ذلك والله اعلم قال بعضهم
ذو القوة المتين اي ذو البطش الشديد فيما اهلك الامم الخالية والله اعلم **وقوله** عز وجل فان للذين
ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون فكانهم استعجلوا العذاب فنزلت هذه الاية
على اثر سؤال العذاب كقوله تعالى سال سائل بعذاب واقع وقوله تعالى فامطر علينا حجارة من السماء فقال
عند ذلك وان الذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اي لهم نصيبا من ذلك العذاب مثل نصيب اوائلهم
من العذاب فيكون على التمثيل كما يقال حذو النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة ويقال صاع بصاع
وكيل بكيل اي يكال لعليه مثل ما كيل لغيره ونحو ذلك ومن الامثال التي تضرب فعلى ذلك ما ذكرنا من
الذنوب والله اعلم وكذلك ذكر عن الاصمعي قال ذكر الذنوب وهو الدلو العظيم الذي كانوا يقتسمون به
المياه وكان من عادة العرب انهم يجمعون فيرسلون دلاءهم في البئر فكان كل واحد منهم ياخذ حظه
ونصيبه من الماء فيقول لاهل مكة لا تستعجلون فان لكم نصيبا من ذلك العذاب كما لكان لاولئك كالدلاء
التي يكون في البئر فياخذ كل واحد منهم نصيبه وكذلك قال القتبي وابو عبيدة الذنوب الحظ والنصيب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما سمي ذلك العذاب ذنوبا لما يتبع بعضهم بعضا والله اعلم فيقول يتبع العذاب
هؤلاء كما يتبع لاولئك كالدلاء يتبع بعضها بعضا والله اعلم **وقوله** عز وجل فلا تستعجلون اي اجله تبلغون
وفيه فلا تستعجلون العذاب وهو الوقت الذي يسالون الرجوع كما اخبر عز وجل رب ارجعون **وقوله**
عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يوم القيامة ولكن لم يبين ذلك اليوم ما هو فيحتمل
ما قالوا ويحتمل غيره والويل قد ذكرنا تاويله فيما تقدم فان قيل كيف خوف الله جل وعلا هذه الامة بما
انزل على الامم الخالية من الاستيصال والاهلاك وقد عفى هذه الامة عن هذا وامنهم منه قيل انما
خوفهم بما ذكر لان المعنى الذي استوجب اولئك الاستيصال والاهلاك به يحتمل ان يتحقق ذلك
في هؤلاء وقد يحتمل ان لا يكون فالتخويف صحيح لهؤلاء بهم وانما يكون مثل هذا التخويف في اول الامر ثم
ان الله بفضله ورحمته عفى عنهم بفضل النبي صلى الله عليه وسلم ورحمته كقوله وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين ويحتمل ان يكون العفو لهم عن ذلك بالتاخير عنهم الى وقت وهو وقت قبض ارواحهم وخروجهم
من الدنيا وفي ذلك الوقت يعاقبون بانواع العذاب وينزل بهم ما نزل باولئك لا انهم عفوا عن ذلك
اصلا ويحتمل ان يكون ينزل بهم ذلك في الاخرة وذلك كله فضل منه ورحمته والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** عز وجل والطور وكتاب مسطور في رق منشور الاية ثم اختلف بالقسم
بالطور وما ذكر قال قائلون القسم انما هو بمنشئ هذه الاشياء التي ذكر لا بهذه الاشياء انفسها اذ الله
تعالى نهى الخلق بان يقسموا بغيره فكيف يقسم بنفسه وقال قائلون يجوز ان يقسم جل وعلا بما شاء وبمن
شاء بالذي عظم قدره عندهم وقد ذكرنا ان الاقسام انما يكون بالاشيا التي عظمت اقدارها ومحلها
عند الخلق يقسم بها الدفع الشبه التي يمنع وقوع العلم لهم بذلك والمعرفة بالذي اشتبه عليهم واللبس ليعرفوا
ان ذلك كائن لا محالة وانه بالذي اشتبه عليهم واللبس وانه حق بالو تفكروا في ذلك الاشياء وامعنوا النظر
فيها على غير قسم لوقع لهم العلم بذلك وتحقق والله اعلم ثم ان الله سبحانه وتعالى اقسم باشياء سواه وليس للخلق
ذلك لان قسم الخلق يخرج مخرج الفزع اليه والتضرع ولا يجوز الفزع الى من سواه والاستعانة به فاما القسم
من الله تعالى حقيقة فهو على التذكير والتنبيه للخلق وتاكيد ما وعدهم من الجزاء فيجوز له القسم بكل ما يكون
لهم التذكير والتنبيه والتاكيد وان كان لغيره وسواه مما لذلك خطر ومحل عند الناس وعند الله تعالى
والله اعلم ولان القسم المذكور في القران لاثبات صدق اخبار الرسل اليهم وانه رسله وانهم اذا فعلوا

كذا ينزل عليهم من العذاب كذا لان اولئك الكفرة لم يكذبوا الله تعالى في خبر حتى يكون قسم لاثبات صدق
خبره وانما يتحقق صدق خبرهم بما قاموا من المعجزات والبراهين لكن يتاكد بالقسم فيحصل ذلك بذكر ما له
خطر ومحل عندهم فاما قسم الخلق لاثبات اصل الصدق فيجب ان يقسموا بذكر ما هو النهاية في العظمة و
القدر في القلوب وهو اسماء الله تعالى وصفاته والله اعلم ويحتمل ان يكون القسم لهذه الاشياء من
الرسل عليهم الصلوة والسلام فان كان كذلك فهو على الاضمار كانهم قالوا ومنشئ الطور وكتاب مسطور
وما ذكر الى اخره اذ القسم من البشر يكون بالله سبحانه وتعالى وصفاته والله اعلم ثم **قوله** عز وجل والطور
جائز ان يكون القسم واقعا بالجبال كلها لما ان الله عز وجل انشا الارض خلقا تميد باهلها وارسى فيها هذه
الجبال وتدها حتى استقرت وسكنت حتى وصل الخلائق الى الانتفاع بهذه الارض والقرار عليها وصارت
مهادا لهم وفراشا لهم على ما ذكر يتقلبون فيها ويتصرفون كيف شاؤا وان ارادوا وحيث احبوا ثم
اذا عرفوا ذلك لزمهم ان يعرفوا ان عليهم شكر ما انعم عليهم فاذا تركوا ذلك لزمهم عقوبة الكفران وجزاؤه
واوعدهم ذلك فيؤكد ما ذكر من القسم وقوع ما ذكر من العذاب بهم حيث قال ان عذاب ربك لواقع ما له
من دافع ويحتمل ان يكون المراد بالطور هو جبل خاص وهو الجبل الذي كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام
وانزل عليه التوراة وهو طور سينا وذلك الجبل مما عظم قدره عند بني اسرائيل حتى عرفوا قدره وفضله بما قسم
بذلك الجبل ان عذاب ربك الواقع ويحتمل ان يكون المراد بالطور هو جبال خاص وهي الجبال التي اوحي عليها الى الرسل
عليهم الصلوة والسلام على ما روي في الخبر اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام والى عيسى عليه السلام في جبل ساعير
والى محمد عليه الصلوة والسلام في جبل فاران فاقسم بها ان ما وعد من العذاب واقع بهم والله اعلم وفي الاية
دلالة اثبات الرسالة فانه اخبر عليه الصلوة والسلام عن امكنة الوحي وفضل تلك الجبال ومعرفة ذلك
انما هو من الكتب المتقدمة وهم قد احاطوا العلم بانه لم يكن اختلف الى احد ممن له معرفة بذلك الكتب حتى
يعلم منه فدل انه بالله عز وجل عرف امكنة الوحي وفضل تلك الجبال والله اعلم **وقوله** عز وجل وكتاب
مسطور الاية يحتمل القسم بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام اذ بها يوصل الى معرفة
ايات الرسل عليهم السلام والى معرفة ما يؤتى ويتقى والى اخبار السماء ومعرفة الاحكام والحدود وغير ذلك
من الاحكام من وجوه الحكمة اقسم بها ان العذاب واقع بهم والله اعلم ويحتمل ان القسم يرجع الى عدد من الكتب
التوراة والانجيل والزبور والمعروفة التي عرف اهل الايمان بها حقها ونزولها من السماء ويحتمل انه راجع الى
خاص من الكتب وهو القران بما عظم قدره عندهم لما عجز البشر عن اتيان مثله على ما ذكرنا في الطور والله اعلم
ويحتمل ما ذكره اهل التاويل انها الكتب التي يكتب فيها اعمال بني ادم ولم يذكر واجهة القسم بها ولنا اعرف
له وجها **وقوله** عز وجل في رق منشور اي غير مطوي به قال ابو عبيدة الرق الورق وقال ابو عوسجة الرق الكتاب
وقوله عز وجل والبيت المعمور يحتمل البيوت كلها جملة وهي البيوت التي جعل الله تعالى للخلق يسكنون فيها ويتقون
بها من الحر والبرد ويامنون فيها وهو ما قال الله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا الاية ما عرف كل منافعها وعظم نعمة الله تعالى عليهم في ذلك ليتادى بذلك شكرها فاقسم بما ذكر
ان لم يقم بوفاء الشكر استوجب العذاب والعقوبة والله اعلم ويحتمل ان يكون القسم بالبيت المعمور وهو الكعبة
وهو معمور قد عظم الله تعالى شانه وامره في قلوب الناس كافة في قلوب الكفار والمؤمنين جميعا حتى كان
قريش وسائر العرب يحجونه ويزورونه ويعظمونه فاقسم به على ما ذكر والله اعلم وقال ابو عبيدة البيت المعمور
الكثير الاهل التاويل يقولون البيت المعمور هو في السماء يزوره اهل السماء ويطوفونه لكن القسم به يبعد لما لم
يسبق لهم المعرفة والمشاهدة به فكيف اقسم بشيء لم يعرفوه ولا وقع لهم العلم بالمشاهدة الا ان يقال
ان القسم به لاهل الكتاب وذلك في كتبهم يعرفونه فاما من لم يسبق له الخبر والمعرفة بذلك مشاهدة فيبعد والله
اعلم **وقوله** عز وجل والسقف المرفوع هو السماء التي رفعها بلا عمد ترونها من سفل ولا تعليق من الاعلى على بعدها
من الارض وسعتها وعرضها وشدتها وغلظها ليعلم ان من فعل هذا لا يفعله لغير شيء بل يمتحن ويامر وينهى وليبتلي
شكره فمن خالف امره ونهيه وكفر نعمه وانتهك محارمه استوجب ما ذكر والله اعلم وليعلم ان من قدر
على ما ذكرنا قادر على كل شيء لا يعجزه شيء يذكر سلطانه وقدرته وعظمته والله اعلم **وقوله** عز وجل والبحر المسجور
قال اهل الادب هو البحر المملوء الخازن لانه جل وعلا منذ انشاه انشاه حارا مملئا عميقا لم يتغير في وقت
من الاوقات ولا في حال من الاحوال بل كان على حالة واحدة حارا مالحا مملئا عميقا عريضا ليس كسائر الانهار
التي ربما يتغير عن جمعها من قلة الماء وسكونه وغورها في الارض وامتلائها من الطين وحاجتها الى الحفر
وغير ذلك من التغير التي يكون بها فاما البحر على حالة واحدة في الاحوال كلها فاقسم به انه عذاب ربك
لواقع والله اعلم **وقوله** عز وجل يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا بين الوقت الذي ينزل بهم العذاب
الموعود حين قال ان عذاب ربك لواقع وذلك ان وقت تعذيب هذه الامة يوم القيامة وهو ما قال
عز وجل والساعة ادهى وامر والله اعلم وقيل وصف ذلك اليوم بالاهوال والشدة لانه تعالى ذكر ان السماء
تمور مورا اي تستدير استدارة وتتحرك تحركا وذكر سير الجبال وما ذكر وهذه الاشياء من اشد الخلائق

واصلها فهو لذلك اليوم يومئذ تزعل فيها ماذكر من التحرك والسير والتحول والتغير وغير ذلك وفيه ان هذا العالم
كله انشاء بحيث يفنيه وينشئ عالما آخر لا نذكر فيه التغير من حال الى حال لا نذكر مرة سيرها وتحركها حيث
قال ويوم نسير الجبال وذكر السماء وتحركها ومورها وذكر الارض انشقاقها حيث قال وتنشق الارض
وقال في آية اخرى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقال ينسفها ربي نسفا وقال لعلها هنها وتسير الجبال سيرا
وكذلك قال في السماء والارض اختلاف الاحوال فقال يوم نطوي السماء والارض اختلاف الاحوال
فقال يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب فدل اثبات التغير في هذه الاشياء على هلاكها كما دل انواع الاحوال
والتغير من حال الى حال في اهاها على هلاكها والله اعلم وقوله عز وجل فويل يومئذ للمكذبين لا يرى المكذبين
لرسلهم عليهم السلام ويحتمل لتوحيده او لحجة او للبعث وقوله عز وجل الذين هم في خوض يلعبون نعتهم و
وصف امرهم حيث قال الذين هم في خوض يلعبون والخوض هو البحث عن الشيء الا ان الخوض المطلق ذكروا
واستعملوا في الباطل خاصة وقوله عز وجل يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون في النار على وجوههم
وقال ابو عبيدة يدفعون دفعا في القفا خاصة وقوله عز وجل هذه النار التي كنتم بها تكذبون هو على الاضمار
كأنه يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل افسحر هذا ام انتم لا تبصرون
يقال لهم في الآخرة لما القوا في النار افسحر هذا مقابل بما قالوا لهم للحجج والبراهين في الدنيا انها سحر ام انتم لا تبصرون
هذا يخرج على وجهين احدهما يقال لهم لما ادخلوا النار لعل ما انتم فيه ليس بعذاب وانها ليست بنار وانتم لا تبصرون
لذلك كما اخبر عنهم في الدنيا انهم يقولون للحجة حيث قال ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
لقالوا انما سكرت ابصارنا الآية فقال مقابل ذلك افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اي لعلكم لا تبصرون والثاني
يقول افسحر هذا ام انتم لا تبصرون في الدنيا ان هذا ينزل بكم في الآخرة والله اعلم وقوله عز وجل اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا سواء عليكم هذا كما قال ابليس سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فقال ذلك قوله عز وجل
اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم اي سواء عليكم اصبرتم او جزعتم فلا ينفعكم ذلك وقوله عز وجل انما
تجزون ما كنتم تعملون اي ذلك استوجبتم باعمالكم لا ان وجب عليكم شيئا لم تستوجبوه وقوله عز وجل ان المتقين
في جنات ونعيم الآية يحتمل في جنات وفي نعيم ويحتمل في جنات فيها نعيم فيكون الواو بمعنى مع اي في جنات
مع نعيم وقوله عز وجل فاكهين بما آتاهم ربهم قال بعضهم اي ناعمين متنعمين وقال بعضهم معجبين وهما واحد المعجب
به والناعم سواء لانه اذا كان ناعما متنعما كان معجبا مسرورا وقال بعضهم فاكهين ناعمين وفكهين معجبين بذلك الشيء
وهو قول القتبي ثم ذكرنا هنا فاكهين بما آتاهم ربهم وذكر في سورة والذاريات آخذين بما آتاهم ربهم فالتأويل
ما ذكرنا وقوله عز وجل آخذين بما آتاهم ربهم اي آخذين ما آتاهم ربهم بالشكر منه و
الحمد والله اعلم وقوله عز وجل ووقاهم ربهم عذاب الجحيم هذا يخرج على وجهين احدهما وقاهم اي عصمهم في
الدنيا عن الاعمال التي توبقهم وتهلكهم لو اتوا بها وعملوها فاذا عصمهم عن ذلك وقاهم عن عذاب الجحيم
والله اعلم والثاني وقاهم اي عفا عنهم في الآخرة وصفح عما عملوا من الاعمال الموبقات في الدنيا ما لولا عفوه اياهم
لكانت توبقهم وستوجبون ذلك والله اعلم وقوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون كأنه
على الاضمار اي يقال لهم لما ادخلوا الجنة ونزلوا منازلهم كلوا واشربوا وقوله هنيئا اي ليس عليهم في ذلك
خوف التبعة ولا خوف حدوث مكروه في انفسهم ولا آفة لا ان ذلك ينقص عليهم اذ ذلك ليس كما يؤكل
في الدنيا فيه خوف التبعة وخوف حدوث المكروه والآفات في انفسهم والضرر فاخبر انه لا يكون
لهم في الجنة ذلك لئلا ينقص عليهم نعمها والله اعلم وقوله عز وجل متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم
بحور عين ذكر لهم في الجنة جميع ما يرغب اليه انفسهم في الدنيا ويتمنون بها كقوله تعالى ويطوف عليهم
غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وقوله كواعب اترابا وكاسا دهاقا وقوله عز وجل فيها سرر مرفوعة ونمارق
مصفوفة وزرابي مبثوثة واشباه ذلك مما يكثر عدة مما تحدث به انفسهم في الدنيا ورغبهم فيه ليرغبوا في
طلبها ويتركوا ما في الدنيا من ذلك ليصفو لهم ذلك في الآخرة وهذه الاحوال التي ذكر واخبر انه يكون
لهم في الآخرة من الاتكاء على السرر والمقابلة في المجلس وغير ذلك من الاشياء التي ذكرها في الكتاب بشكر
وقوله عز وجل وزوجناهم بحور العين كما يقال تزوجت بفلانة وفلانة فعلى ذلك هذا وقوله عز وجل
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم قيل فيه بوجوه احدها ما قال ابو بكر الكيساني انه
يلحق الاولاد بايمانهم واعمالهم درجات الآباء والامهات ولئن قصرت اعمال الذرية عن اعمال الآباء
والامهات لان الدرجات انما يكون بالاعمال فيهم وان لم يبلغوا في الاعمال مبلغ آبائهم فانهم يلحقون
بهم في الدرجات والله اعلم وقال بعضهم ان الذرية اتقوا الايمان من آبائهم وامهاتهم واخذوه منهم
ولم يبحثوا عن حجته وبرهانه حتى يكون اخذهم وقبولهم عن البحث عن الحجة والبرهان فهم وان كانوا
مقلدين آباءهم في الايمان مستقين منهم فانهم يلحقون بآبائهم وان كان الايمان عن الحجة افضل من الايمان
بالتقليد والاتقان وقال بعضهم ان الذرية وان لم يبلغوا مبلغا يكون منهم الايمان فانهم يلحقون بآبائهم
وامهاتهم في ايمانهم وان لم يكن منهم الايمان ولم يأتوا به والله اعلم وقوله عز وجل وما التناهم من عملهم

من شيء على تأويل ابي بكر اي وما النا من اعمال الذرية من شيء اي ما نقصنا اعمال آبائهم في الثواب وان قصرت
اعمالهم عن اعمالهم بل يبلغون درجات آبائهم ويوفون كما يوفى على آبائهم وتأويله ابعد هذه التأويلات
التي ذكرنا وعلى تأويل غيره اي ما نقصنا من اعمال آبائهم شيئا اي انهم وان بلغوا مبلغ الآباء فان الآباء
لا ينقصون من اعمالهم شيئا ذكر هذا حتى لا يظن انه ينقص من ثواب آبائهم ويعطى ذلك لهم والله اعلم
وقوله عز وجل كل امرئ بما كسب رهين قال بعضهم هذا صلة قوله عز وجل اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون كل نفس بما كسب رهين وهو يرد قول من يقول بان الرهن لصاحبه
لا انجلائه وان يركبه وان ينتفع به لانه يرد الى المرتهن ولو كان له هذا لكان لا يكون رهنا اذ اخبر انه
رهين اي محبوس فالرهن هو الذي يحبس في كل وقت والله اعلم وقوله عز وجل وامددناهم بفاكهة
اي وامددناهم فاكهة والباء في الفاكهة زائدة كما ذكرنا في قوله تعالى يجود عين ثم يحتمل ان يكون
قوله وامددناهم اخبارا عن دوامها وكثرتها اي لا ينقطع ولا يقل وليست كفواكه الدنيا انها لا
توجد في كل وقت وقوله عز وجل ولحم طير مما يشتهون اخبر انهم يأكلون جميع ما يشتهون ويجدون
ما يتمنون ليس كالدنيا بما يشتهي شيئا لا يجده او يجده ما لا يشتهيه وهو كقوله تعالى ولكم فيها ما
تشتهي انفسكم وقوله عز وجل يتنازعون فيها كأسا اي يتعاطون فيها كأسا ويأخذ بعضهم من بعض كما
في الدنيا لا يكون لكل احد كاس على حدة وهو كما روي في الخبر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل
مع بعض ازواجه وربما ينازع ايديهما وقال ابو بكر الكيساني الكأس هو الخمر وقال غيره هو الاناء المملوء
من الخمر واما الذي لا شراب فيها فهو الاناء وقوله عز وجل لا لغو فيها ولا تأثيم قرئ لا لغو فيها ولا تأثيم
بالرفع والتنوين قال ابو عبيدة انه خبر بانه ليس فيها لغو ولا تأثيم كما قال لا غول فيها ولا هم عنها ينزفون
وقرئ بالنصب فيهما على التبرية وهو وجه غير مدفوع وتأويل الآية اي لا يكون منهم من اللغو وما يأثم
من القول كما يكون في شراب الدنيا من اللغو وقول الاثم وقيل لا لغو فيها ولا تأثيم لانها احلت لهم
والله اعلم وقوله عز وجل ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون يرغبهم فيها رغب اليهم انفسهم
في الدنيا من الخدم والفواكه والبسط ليطلبوها والله اعلم وقوله عز وجل واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال ابو بكر الكيساني يتساءلون عن المعاصي التي كانت عنهم في الدنيا واستدل بقوله على اثر هذه الآية
انا كنا قبل في اهلنا مشفقين يحتمل قوله في اهلنا مشفقين وجهين احدهما انا كنا قبل واهلنا مشفقين
وجهين احدهما انا كنا قبل واهلنا مشفقين كقوله قوا انفسكم واهليكم نارا والثاني اي انا كنا قبل على انفسنا
واهلنا مشفقين اي خائفين على ما كان منا من الجنايات والمعاصي وقوله عز وجل انا كنا من قبل ندعوه انه
هو البر الرحيم اي والله اعلم انا كنا قبل في اهلنا مشفقين على انفسنا الجنايات وراجين برحمته بقوله تعالى
انا كنا قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وصف الله تعالى في غير آي من القرآن بالاشفاق والخشية
والطمع والرجاء كقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقوله يدعوننا رغبا ورهبا وهو ذلك ثم قوله
انه هو البر الرحيم قرئ انه هو البر بنصب الالف وخفضه فمن كسره حمله على الابتداء اي ربنا كذلك
على كل حال ومن نصب اراد بدعواه ثانيا ولانه هو البر الرحيم اي يدعوه لاجل انه كذلك والله اعلم وقوله
عز وجل فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم دل قوله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ان الله ان
يعذبهم بعذاب السموم لكنه بمنه وفضله وقاهم ولو كان عليه ذلك كما قالت المعتزلة لم يكن لذكر
المنة معنى وقوله فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون اي بما انعم عليك من النبوة والقرآن
لست بكاهن ولا مجنون ثم هذا يخرج على وجهين احدهما اي انك لم تقابل نعمة ربك عوفيت وعصمت
عما ذكروا من الجنون والسحر وغير ذلك والله اعلم دل هذا الآية على انهم قالوا له انه كاهن ومجنون وكذا
كانت عادة اولئك انهم ينسبون الحجج عند عجزهم عن مقابلتها الى السحر والانباء المتقدمة الى الكهانة
وخلاف الرسل عليهم الصلاة والسلام لعاداتهم وفراغتهم الى الجنون والكلام المنظم والمستلذ الى الشعر
تلبيسا للامر على اتباعهم هذه كانت عادتهم مع العلم منهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك
لما لم يختلف الى احد من الكهانة ولا السحرة ولا كان القرآن على نظم الشعر وعجزوا عن اتيان مثله وهم
الشعراء غير عاجزين ثم لما عجزوا عن مقابلة ما اتاهم من الحجج قالوا نتربص به ريب المنون اي عن قريب
يرجعون الى ديننا والى ما نحن فيه وكانوا يقولون الضعفاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان محمدا يموت ويبيد الامر لنا فترجعون الينا فقال تعالى قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اي تربصوا
ذلك فاني متربص ذلك بكم فكانوا جميعا او عامتهم اعني الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه
شاعر نتربص به ريب المنون اهلكوا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحل بهم ما ظنوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال القتبي ريب المنون حوادث الدهر واوجاعه ومصائبه والمنون
الدهر وقال ابو عوسجة ريب المنون اي المنية وريبها ما يأتي به وقوله عز وجل ام تأمرهم احلامهم
بهذا قد ذكرنا في غير موضع ان حرف ام اي ليست لهم عقول يأمرهم بذلك اي عن امر بهذا فليس بالعقل

والثانی علی سفهه احلامهم ای تقبل بامرهم بعبادة الاصنام وینهی عن عبادة الله تعالی ای لا عقل یأمر به
وقوله بل هم قوم طاغون ای طاغون فی ذلك والطغیان هو المجاوزة عن الحد فی العداوة وقوله ام یقولون
تقوله بل لا یؤمنون ای یعلمون انك لست متقولا ولکن ینسبونك الی التقول لتکذیبهم بآیات الله تعالی
وهو ما ذکر فی آیة اخری فانهم لا یکذبونك بالتخفیف والتشدید ولکن الظالمین بآیات الله یجحدون یقول
انهم لا یقولون انك کاذب فیما تقول ولا ینسبونك الی الکذب ولکن انما یکذبون الآیات ویعتقدون
کذبها فعلی ذلك تقوله علی علم منهم انك لم تتقول ولکن اعتقدوا تکذیب الآیات والجحود لها فیقولون انك
تتقول من قال فلیأتوا بحدیث مثله ان کانوا صادقین بان محمدا تقول علی الله فلیأتوا بمثل ما اتی به محمد وقوله
عز وجل فلیأتوا بحدیث مثله وان خرج مخرج الامر فی الظاهر فهو فی الحقیقة لیس بامر لانه لا یحتمل ان یأمرهم
ان یأتوا بالکذب والافتراء ثم هذا یخرج علی وجهین احدهما علی الاعجاز ای لا یأتوا بمثله والثانی علی التوبیخ
والتوعید علی ما قالوا علی رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم من الافتراء والتقول والله اعلم وقوله عز وجل
ام خلقوا من غیر شیء ام هم الخالقون قال عامة اهل التأویل ای ام خلقوا من غیر اب ولکن لیس فیما ذکر واکثر
فائدة لو خلقوا من غیر اب الا ان یرید وا بذلك حتی لم یعرفوا من خلقهم ومن خلقوا بل کانت لهم آباء
عرفوهم واعلموهم بان لهم خالقا وانهم مخلوقون ولیسوا بخالقین وکلام نحوه فکیف یجحدون بامر
سفه وکیف یصرون علیه وعندنا یخرج علی وجهین احدهما ام خلقوا من غیر شیء ای یعلمون انهم لم
یخلقوا لغیر شیء او خلقوا من تراب ولغیر معنی وحکمة لکان خلقهم عبثا باطلا وهم یعلمون انهم لم یخلقوا
لعبا باطلا والثانی یقال لا یخلوا اما ان یکونوا خلقوا من غیر شیء او خلقوا من تراب وماء فکیفما کان فذلك
ان قدرته ذاتیة لا مستفادة فلا یحتمل ان یعجزه شیء وقوله عز وجل ام هم الخالقون ای لیسوا هم الخالقین
وقوله عز وجل ام خلقوا السموات والارض ای یعلمون انهم لم یخلقوهما وقوله بل لا یوقنون یخرج علی وجهین
احدهما ان ما یقولون انما یقولون علی الظن لا علی الیقین والثانی بل لا یوقنون ای لا یصدقون وذلك
فی قوة علم الله تعالی بانهم لا یؤمنون فان کان التأویل هذا ففیه دلالة اثبات الرسالة حیث اخبر عن
الغیب وان کان التأویل هو الاول ففیه ان جمیع ما یقولون انما یقولون علی الظن والجهل لا علی الیقین
والله اعلم وقوله عز وجل ام عندهم خزائن ربك الآیة ای لیس عندهم خزائن ربك علی ما ذکرنا فی قوله تعالی
ام خلقوا السموات والارض ای لم یخلقوا فعلی ذلك هذا لیس عندهم خزائن ربك ولا هم المسیطرون
ثم الآیة تحتمل وجوها ایضا یحتمل ام عندهم خزائن ربك ای الذی منعهم عن اتباع رسول الله
صلی الله علیه وسلم هو المنعة التی عندهم لیست ذلك عند رسول الله صلی الله علیه وسلم فیکونوا هم
لذلك احق بالرسالة ای لیسوا باحق ویحتمل قوله تعالی ام عندهم خزائن ربك ای علم الغیب اطلعوا علی ذلك
فعلموا ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قد تقول علی الله تعالی ای لیس لهم علم الغیب لیس ذلك عند رسول
الله صلی الله علیه وسلم بل هو عند رسوله ما یخبره ربه جل وعلا ولیس عندهم شیء من ذلك وقوله عز وجل
ام هم المسیطرون ای لیس هم المسلطون علی ارزاقهم ولا ارزاق غیرهم وقال بعضهم المسیطر
الرب تعالی یقال سیطر فلان ای صار ربا وهو قول القتبی وقال الزجاج المسیطر المسلط یقال سیطر ای
تسلط وقال ابو بکر المسیطر الغالب القاهر لکن الغلبة والقهر بالحجة علیهم وهذا یخرج علی المقابلة
برسول الله صلی الله علیه وسلم علی ما ذکر ویحتمل علی غیر المقابلة والله اعلم وقوله ام لهم سلم یستمعون فیه هذا
یخرج علی وجهین احدهما ام لهم سبب وقوة فیصعدون الی السماء فیستمعون من اخبارها فعلموا بذلك
ان محمدا علیه السلام تقول علی الله تعالی والثانی ام لهم سلم ای لهم حجة وبرهان یستمعون فیه ان رسول
الله صلی الله علیه وسلم علی ما ذکروا فان قالوا نعم لنا ذلك یقال لهم عند ذلك فلیأت مستمعهم بسلطان
مبین ای بحجة بینة ای لیس لهم ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ام له البنات ولکم البنون الآیة هذا لیس
من نوع ما سبق ذکره لان ما تقدم من الآیات بینهم وبین رسول الله صلی الله علیه وسلم علی المقابلة وهذا
راجع الی الله تعالی فی الظاهر علی ما سبق منهم القول ان الملائکة بنات الله وهو ما قال واذا بشر احدهم بالانثی
ظل وجهه مسودا وهو کظیم یذکر سفههم فی نسبتهم البنات الی الله عز وجل وهم یأنفون من نسبتهن
الیهم فلیسکن بذلك صدر رسول الله صلی الله علیه وسلم ویصبر علی اذاهم ای انهم یقولون فیما قالوا فاصبر علی
ما یقولون فیك والله اعلم ویحتمل ان یخرج ما ذکرنا من المقابلة برسول الله صلی الله علیه وسلم معناه ام
لرسول الله البنات ولکم البنون فتترکون اتباعه لذلك والله اعلم وقوله عز وجل ام تسألهم اجرا فهم من
مغرم مثقلون ای لست تسألهم اجرا علی انباعك فیمنعهم ذلك عن اتباعك یذکر ان لیس لهم اسباب
المنع وانما امتنعوا عن الاتباع تعنتا ومکابرة وقوله عز وجل ام عندهم الغیب فهم یکتبون ای عندهم
علم الغیب فیعلمون ان رسول الله صلی الله علیه وسلم تقوله بل لیس عندهم ذلك وقوله عز وجل ام یریدون
کیدا فالذین کفروا هم المکیدون ای یریدون کیدا برسول الله صلی الله علیه وسلم لکن هم المکیدون ای الیهم
یرجع ذلك الکید والذی اذاد وا برسول الله صلی الله علیه وسلم ثم یحتمل ذلك الکید الذی اخبر عز وجل

اثر علیهم

اثر علیهم فی الدنیا علی ما قاله اهل التأویل انهم قتلوا یوم بدر ویحتمل ذلك فی الآخرة وقوله عز وجل ام لهم
اله غیر الله ای ام لهم اله یأمرهم بالذی یدعون علی رسول الله صلی الله علیه وسلم ای ام لهم اله غیر الله
یمنعهم من عذاب الله تعالی ای لیس لهم ویحتمل ام لهم اله غیر الله یأمرهم بأمرهم بالذی یدعون
علی رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم من التقول علی الله تعالی ویطلعهم علی ذلك ای لیس لهم اله یطلعهم
علی ذلك ویدفع عنهم ما ینزل من السماء من العذاب وهو ما قال ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع ثم
نزه نفسه عما اشرکوا منه من الاوثان فی تسمیة الالوهیة واستحقاق العبادة فقال سبحان الله عما
یشرکون وقوله عز وجل وان یروا کسفا من السماء ساقطا یقولوا سحاب مرکوم یخبر عن عنادهم اولئك الرؤساء
ومکابرتهم وانما قالوا ما قالوا علی التعنت لا علی الاسترشاد وان هذه الآیات من قوله ام تأمرهم
احلامهم بهذا الی قوله عز وجل ام لهم اله غیر الله کلها محاجة مع اولئك الرؤساء المعاندین یبین ذلك
قوله تعالی وان یروا کسفا من السماء ساقطا یقولوا سحاب مرکوم یقول انهم وان یروا ما یوعدهم من عذاب
ینزل بهم یقولوا لانفسهم ومکابرتهم انه سحاب لیس بعذاب وهو کما قال ولو اننا نزلنا الیهم الملائکة
وکلمهم الموتی وحشرنا علیهم کل شیء قبلا ما کانوا لیؤمنوا یخبر عن عنادهم وکقوله عز وجل ولم یروا
الی ما بین ایدیهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط علیهم کسفا من
السماء لا یؤمنون ویقولون ما ذکر انه سحاب مرکوم تعنتا ومکابرة ثم امر رسوله علیه الصلاة و
السلام بان یعرض علیهم وان لا یشتغل بهم لما علم الله تعالی انهم لا یؤمنون وهو ما قال عز وجل فذرهم
یخوضوا ویلعبوا حتی یلاقوا یومهم الذی فیه یصعقون یؤیس رسوله صلی الله علیه وسلم عن ایمانهم
ویأمره بالصبر علی اذاهم وترك المکافأة ویخبر انهم لا یؤمنون الا فی الیوم الذی فیه یصعقون
ای یموتون ثم قرئ قوله یصعقون بفتح الیاء وضمه فمن قال بالنصب احتج بقوله فصعق من فی السموات
ومن فی الارض ولم یقل فصعق ثم یحتمل الصعقة التی ذکر ما ذکرنا ای یموتون ویحتمل ای ینزل بهم الشدائد
والاوجاع ولکن لا ینفعهم الایمان فی ذلك الوقت لا نه ایمان دفع العذاب عن انفسهم وقوله عز وجل
یوم لا یغنی عنهم کیدهم برسول الله صلی الله علیه وسلم مما ینزل بهم یومئذ جزاء علی کیدهم برسول الله
صلی الله علیه وسلم عما ینزل بهم یومئذ جزاء علی کیدهم برسول الله صلی الله علیه وسلم ویحتمل ان لا یغنیهم
من عذاب الله تعالی الاصنام التی عبدوها ورجوا ان یشفع لهم او یقربهم الی الله زلفی کما اخبر عز وجل والله
الموفق وقوله عز وجل وان للذین ظلموا عذابا دون ذلك قال اهل التأویل ای لمشرکی اهل مکة عذابا دون
عذاب النار وهو القتل بالسیف یوم بدر ویحتمل ان یکون قوله وان للذین ظلموا ای الکفرة عذاب فی
الدنیا دون الذی ذکر فی یوم القیامة حیث قال حتی یلاقوا یومهم الذی فیه یصعقون ثم قال لهم عذاب
دون ذلك وهو ما داموا کفارا فهم فی عذاب یکونون فی خوف وذل وخزی فذلك کله عذاب الله و
الله اعلم وقوله عز وجل ولکن اکثرهم لا یعلمون ای لا ینتفعون بعلمهم او لا یعلمون حقیقة لما لم ینظروا
فی اسباب العلم ولم یتفکروا فیها حتی یمنعهم ویزجرهم عن صنیعهم وقوله عز وجل فاصبر لحکم ربك
دل هذا الحرف ان النبی صلی الله علیه وسلم قد کلف امرا شدیدا شاقا علیه حتی قال له فاصبر اذ الامر
بالصبر لا یکون الا فی امور شاقة شدیدة ولذلك قال له فاصبر کما صبر اولو العزم من الرسل امره بالصبر
علی ما کلفه کما صبر اخوانه علی ما لحقهم من الامور الشاقة وما قال واصبر وما صبرك الا بالله اخبر انه لو صبر
انما یصبر بتوفیق الله تعالی ایاه وفیه انه اذا صبر یکون صبره لله تعالی حتی یسهل علیه احتمال ذلك والله
اعلم ثم قوله لحکم ربك یحتمل وجوها ما امره من تبلیغ الرسالة الی الفراعنة الذین کانت همتهم القتل لمن
خالفهم فذلك امر شدید فامره بالصبر علی ذلك والتبلیغ الی اولئك والثانی امره بالصبر علی ذلك والتبلیغ
الی اولئك والثانی امره بالصبر علی اذاهم واستهزائهم به وترك المکافأة لهم ویحتمل ان یکون الامر بالصبر
علی الامور التی کانت علیه فی خالص بینه من احتمال غصة التکذیب والحزن علی ترکهم التوحید والایمان
وانما ذلك کله حکم الله تعالی وقوله عز وجل اولئك باعیننا ای بمنظر وعلم منا فان کان الامر بالصبر علی
القیام بتبلیغ الرسالة الی من ذکرنا فیخرج قوله فانك باعیننا مخرج وعد النصر والمعونة کقوله تعالی
والله یعصمك من الناس وان کان الامر بالصبر علی ترك مکافأتهم او علی القیام بالامور التی فیما بینه وبین
ربه تعالی فیصبر کانه قال علی علم منا بما یکون منهم من التکذیب والاستهزاء والاذی کلفناك لا عن
جهل منا بذلك والله اعلم وقوله عز وجل وسبح بحمد ربك ای نزهه عن معانی الخلق وعما لا یلیق واذکر الثناء
علیه بما هو اهله وقوله عز وجل حین تقوم یحتمل حین تقوم من مجلسك او من منامك او حین تقوم للتعیش
والانتشار فان کان المراد حین تقوم من مجلسك فیکون التسبیح ما ذکر فی الخبر عن رسول الله صلی الله علیه
وسلم انه قال من جلس مجلسا کثر فیه لغطه فقال قبل ان تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان
لا اله الا انت استغفرك واتوب الیك غفر له ما کان فی مجلسه ذلك ولم یذکر الآیة وان کان المراد حین
تقوم من منامك فجائز ان یکون المراد منه الصلوة وان کان حین تقوم للانتشار والتعیش فیصبر کانه

امر بالتسبيح بالنهار في وقت الانتشار وعلى هذا قوله ومن الليل اي سبح بالليل في وقت الراحة فيصير كانه قال وسبح بحمد ربك في الاوقات كلها بالليل والنهار في وقت الراحة وفي وقت الانتشار وروى الضحاك عن عمر رضي الله عنه انه قال فسبح بحمد ربك حين تقوم في الصلوة المفروضة قبل ان تكبر سبحانك اللهم وبحمدك الى اخره وروى الضحاك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل في الصلوة قال ذلك وذلك قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم وروى ابو سعيد وعائشة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اذا افتتح الصلوة قال ذلك وعن مجاهد انه قال حين تقوم من كل مجلس والله اعلم وقوله عز وجل فسبحه وادبار النجوم قال اهل التاويل هو ركعتا الفجر روي عن جماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا انه ادبار النجوم الركعتين قبل الفجر وادبار السجود الركعتين بعد المغرب فان ثبت فهو التاويل فان كان على هذا فهذا يدل على تاخير صلوة الفجر لان ادبار النجوم انما يكون ذهابها وانقضاؤها وذلك لا يكون باول وقت طلوع الفجر وانما يكون وقت الاسفار فيكون حجة لنا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنجم اذا هوى قيل المراد هو النجوم انفسها فاقسم بها على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى على ما قاله الكفرة وبه يقول الاصم وقيل اراد بقوله والنجم نزول القران نجما فنجما على التفاريق اقسم بالقران انه لم يضل ولم يغو وقال مجاهد اقسم بالثريا اذا غاب والعرب تسمي الثريا وهي ستة انجم ظاهرة نجما وقال ابو عبيد اقسم بالنجم اذا سقط في الغور فكانه لم يخص الثريا دون غيرها فان كان التاويل هو الاول فهو لما جعل الله تعالى للنجوم محلا في قلوب الخلق واعلاما يستخرجون بها جميع ما ينزل بالخلق وما يكون لهم من المنافع والمضار من كثرة الامطار والسعة والضيق وما ينزل بهم من المصائب والشدائد وما يكون من انقلاب الامور وما جعل فيها من المنافع من معرفة القبلة وطرق الامكنة النائية ومعرفة الاوقات وغيرها مما يكثر عدها فاقسم بنفسها او بالذي انشا النجوم وما جعل فيها من المنافع ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل وما غوى وان كان النجم هو النجوم التي انزل القران فيها نجوما على التفاريق فالقسم بالذي انزل القران على التفاريق وقوله عز وجل اذا هوى اي سقطت كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم اي بمساقطها والاشبه ان يكون قوله اذا هوى اي سقطت كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم والاشبه ان يكون قوله اذا هوى اي اذا صارت سيارا تماما في سيرها لانها ابدا يكون في السير وفي سيرها منافع للخلق من الاهتداء للطرق وغيرها واما ليس في سقوط النجوم وغيبوبتها كثير حكمة حتى يقسم بذلك والله اعلم وقوله عز وجل ما ضل صاحبكم وما غوى يخرج على وجهين احدهما اي ما ضل عما نزل به القران وعما امر به لانهم كانوا ينسبون عليه الضلال انه خالف دينهم ودين ابائهم فقال انما ضل هو عما امر به وما غوى والثاني ما ضل صاحبكم وما غوى اي ليس بساحر ولا شاعر لانهم كانوا يقولون انه شاعر وانه ساحر فقال ليس هو كذلك ما ضل بالسحر وما غوى بالشعر على ما قال والشعراء يتبعهم الغاوون بل رشد واهتدى وهو ما قال تعالى وما ينطق عن الهوى اي ما ينطق عما يهوى به نفسه بل انما ينطق عن الوحي بقوله ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى ولا جائز ان تصرف قوله تعالى علمه شديد القوى الى الله تعالى لان الله تعالى قد اضاف تعليمه الى نفسه بقوله عز وجل الرحمن علم القران لكن اثبات بقوله ذو مرة فاستوى ان المراد غيره اذ هو لا يوصف بالقوة ذو مرة فاستوى وهو جبرئيل عليه الصلوة والسلام على ما قال اهل التاويل ثم اضاف التعليم مرة الى جبرئيل عليه السلام ومرة الى نفسه فالاضافة الى جبرئيل صلوات الله عليه لما منه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وتلقف والاضافة الى الله تعالى يخرج على وجهين احدهما اضاف الى نفسه لانه هو الباعث لجبرئيل اليه والامر له بالتعليم والخالق لفعل التعليم من جبرئيل عليه الصلوة والسلام والثاني لما يكون من الله سبحانه وتعالى من اللطف الذي يحصل به العلم عند التعليم ولهذا يختلف المتعلمون في حصول العلم مع التساوي في التعليم لاختلاف فهمهم في اثار اللطف والله الموفق وقوله عز وجل ذو مرة فاستوى الاية قال اهل التاويل ذو مرة اي ذو قوة وقيل ذو مرة اي ذو احكام واصله من قوى الحبل وهي طاقته والواحد قوة واصل المرة الفتل وقوله فاستوى يحتمل استوى اي محمد صلى الله عليه وسلم لنزول الوحي اليه وقيل استوى اي جبريل عليه الصلوة والسلام على صورته لما ذكر انه صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل ان يريه جبريل عليه الصلوة والسلام على صورته فاستوى جبرئيل على صورته فرآه كذلك وقوله عز وجل وهو بالافق الاعلى جبريل بالافق الاعلى ثم يحتمل الافق الاعلى اي افق السماء ويحتمل ان يكون الافق الاعلى مكان الملائكة ومسكنهم فاخبر انه عليه الصلوة والسلام راه على صورته في مكانه وجائز ان يكون الافق ما ذكر في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يرى جبريل عليه الصلوة والسلام في صورته فسأله ان يريه فقال ان الارض لا يسعني ولكن انظر الى الافق الاعلى فنظر فراه وفي بعض الاخبار انك لا تقدر ان تراني

في صورتي ولكن انظر الى الافق الاعلى ثم جائز ان يكون ما ذكر من النظر الى الافق الاعلى لما ان بصره كان لا يحتمل النظر اليه من قرب ويحتمل ذلك من البعد وذلك معروف فيما بين الخلق ان الشيء اذا كان له شعاع او نور او بأس شديد ان البصر لا يحتمل النظر اليه من القرب في اول ملاقاته ويحتمل اذا كان يبعد منه وعلى هذا قوله عز وجل ثم دنى فتدلى يحتمل دنوه جبرئيل عليه الصلوة والسلام شيئا بعد شيء وقرب منه كذلك ليحتمله اذ جبل الانسان على طبيعة يحتمل الاشياء اذا انتهى اليه على التفاريق ما لو اتيته بدفعة واحدة في وقت واحد لما احتملها الانفس كالحر في الخلق بعد شدة البرد شيئا فشيئا وكذلك البرد بعد شدة الحر شيئا فشيئا حتى يحتمله ما لو اتيا بدفعة واحدة اذا كان قريبا منه ويحتمل من البعد ثم يقرب ويدنو قليلا قليلا حتى يحتمل من القرب والله اعلم ثم من الناس من يقول ان قوله تعالى ثم دنى فتدلى على التقديم والتاخير اي تدلى قربا لانه يكون التدلي الا بعد الدنو منه ومنهم من قال بل هو على ما قال وهما سواء اعني التدلي والدنو بمنزلة القرب والدنو والله اعلم وقوله عز وجل فكان قاب قوسين او ادنى اختلف فيه قال بعضهم القاب هو صدر القوس اي فكان قدر صدر القوس من الوتر مرتين وقال بعضهم اي قدر قوسين حقيقة وقال القتبي قاب قدر قوسين عربيين وقال ابو عوسجة القاب قدر الطول وقيل القوس الذراع ههنا اي كان قدر ما بينهما ذراعين قال والاول اعجب الي لما روي عن النبي عليه وسلم قال لقاب قوس احدكم اي موضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط فنقول اي الوجوه كان ففيه دليل انه لم يكن جبرئيل عليه الصلوة والسلام بعيدا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث لا يحيط به لان الشيء اذا بعد عن البصر لعرفه بالاجتهاد ولا يدرك حقيقته وكذلك اذا قرب منه حتى ما سه والتصق به قصر البصر عن ادراكه واذا كان بين البعد والقرب احاط به وادركه فيخبر الله تعالى انه احاط به علما وادرك حقيقته لا ان كان معرفته اياه بطريق الاجتهاد والله اعلم وقوله عز وجل او ادنى قال اهل اللغة وبل حرف او حرف شك وذلك غير محتمل من الله تعالى ولكن معناه على الايجاب اي بل ادنى وقال بعضهم او ادنى في اجتهادكم ووهمكم لو نظرتم اليها لظننتم انهما بالقرب وكذا الدنو قدر قوسين او ادنى وقوله عز وجل فاوحى الى عبده ما اوحى هذا يخرج على وجهين احدهما على التقديم والتاخير اي فاوحى جبرئيل ما اوحى اليه الى محمد عبده ورسوله عليهما الصلوة والسلام والثاني فاوحى الله جل وعلا الى عبده جبرئيل ما اوحى هو الى محمد عليهما الصلوة والسلام وقوله عز وجل ما كذب الفؤاد ما رأى قرئ كذب بتخفيف الذال وتشديده فمن قرئ بالتخفيف اي ما كذب عبده فيما رأى حق وقال ابو عبيد ما كذب في رؤيته اي رؤيته قد صدقت ومن قراء بالتشديد اي لم يجعل الفؤاد رؤية العين كذبا وعندنا اي ما رد الفؤاد ما راى البصر واصله ان الفؤاد مما يوعي به يقول قد وعى ما رأى ثم يتركه ولم يضيعه وقيل ما كذب الفؤاد ما راى اي ما علم والرؤية كناية عن العلم لكن لو كان المراد منه العلم فلا يحتمل ما ذكر ولقد رآه نزلة اخرى ولا يتصور ان يعلم مرتين وكذا ذكر انه راى ربه مرتين ولا يحتمل العلم مرتين فدل ان الحمل على العلم لا يصح واصله عندنا ما كذب الفؤاد ما رأى من الايات دليله ما ذكر في اخره لقد راى من ايات ربه الكبرى وقال ولقد رآه نزلة اخرى وعن الحسن اي رآى عظمة من عظمة الله وامرا من امره وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال راى جبرئيل عليه السلام على صورته مرتين اي ما كذب الفؤاد ما رأى البصر جبريل عليه الصلوة والسلام ولقد رآه ايضا مرة اخرى عند سدرة المنتهى ومنهم من قال انه رأى ربه على العيان بعينه فهو خلاف ما ثبت من وعد الرؤية في الاخرة بالكتاب والسنة المتواترة ولانه لو رأى ربه عيانا على ما قالوا لكان لا يحتاج الى ان يرى ايات الكبرى لان رؤية الايات انما يحتاج اليها عند ما يعرف الشيء بالاجتهاد فاما عند المشاهدة وارتفاع الموانع لا حاجة تقع اليها الا ان يقال رؤية القلب على ما ذكر في الخبر انه سئل عن ذلك فقيل هل رأيت ربك فقال رأيته مرتين بقلبي وفي بعض الاخبار قال اما بعيني فلا واما بفؤادي فقد رأيته مرتين ويفسرون رؤية القلب بالعلم ولكن الاشكال عليه ما ذكرنا فان ثبت الحديث فهو على ما كان واراد لا يفسر ذلك وكذلك قول من يقول في قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى انه دنى من ربه قول وحش فيه اثبات المكان والتشبيه تعالى الله عن ذلك ولكن المراد ما ذكرنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دنى من جبرئيل عليه الصلوة والسلام على ما ذكرنا ثم في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله تعالى عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى الى اخره ما ذكر خصوصية رسولنا صلى الله عليه وسلم من بين غيره من الخلائق منها رؤية جبرئيل عليه الصلوة والسلام على صورته ورؤية الرب تعالى بقلبه ان ثبت الحديث عنه وبلوغه الى سدرة المنتهى اذ لم يذكر لاحد من رسول الله تعالى انه بلغ هذا المبلغ سواه وقوله عز وجل افتمارونه على ما يرى عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما انهما قرآ مفتوحة التاء بغير الف ومعناه افتجحدونه وعن الحسن بالالف مضمومة التاء وقال معناه افتجادلونه وعن شريح مثله قال ابو عبيد بالاولى ان يقرا بمعنى الجحود وذلك ان المشركين انما كان شانهم الجحود فيما يأتيهم من خبر السماء وهو اكبر من المماراة والمجادلة وقيل

افتمرونه اى تشككونه على ما يرى وقال ابو بكر الاصم لا يصح القراة بغير الف ولا تاويله انما القراة بالالف
وتاويله افتجادلونه ونحن نقول بان تاويل ما ذكر من الجحود والقراة صحيح وتاويل من قال افتجادلونه على ما يرى
لا يحتمل لان مجادلتهم لا يكون فيما يرى لكن يجادلونه على ما يخبرانه حوى انى فى الخبر يقع الكذب ويرهم
والله اعلم وقوله عز وجل ولقد راه نزلة اخرى فهو على ما ذكرنا من اختلاف الناس ان ما الذى هو والله اعلم وقوله
عز وجل عند سدرة المنتهى قيل سمى ذلك الموضع سدرة لما انتهى اليه علم الخلق فلا يجاوزه وقيل لما انتهى
اليه كرامات الخلق لا يجاوزكرامتهم عنها وقيل السدرة الشجرة ويروون فى ذلك خبرا مرفوعا عن ابن
مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جبرئيل عليه الصلوة والسلام عند
سدرة المنتهى عليه كذاكذا من جناح وقيل سميت سدرة المنتهى لما ينتهى اليها ارواح الشهداء ثم جائز ان
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم راى جبرئيل عليه الصلوة والسلام اولا عند سدرة المنتهى من
الارض اما برفع الحجب عنه واما بزيادة قوة وضعت فى بصره ثم راه مرة اخرى هنالك ايضا بعد ما رفع
صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى والله اعلم وقوله عز وجل عندها جنة الماوى قرئت بنصب الجيم و
خفضه روى انه قيل لسعد ابن ابى وقاص رضى الله عنه ان فلانا يقرأ بالخفض عندها جنة الماوى
فقال سعد ما كذا جنة الماوى فقال سعد ما كذا جنة الله وقرأ بالفتح وعن الاعمش قال قالت من قرأ جنة
الماوى فاجنه الله وعن ابى العالية قال سئل عنها ابن عباس رضى الله عنه فقال لى كيف يقرأها ابو العالية
فقلت جنة الماوى بفتح الجيم فقال صدقت وهو مثل الاخرى فلهم جنة الماوى وعن الحسن انه قرأ جنة
الماوى وقال انها من الجنان وتصديقها حديث الاسرا الماوى الجنة وادخلها قال ودلت الاية ان الجنة
التى ياوى اليها المؤمنون فى السماء وقوله عز وجل اذ يغشى السدرة ما يغشى قال عامة اهل التاويل يغشيها فراش
من ذهب وكذا ذكر فى خبر مرفوع غشاها فراشا من ذهب ولكن لا نفسرها الذى يغشى السدرة بل
نبهم كما ابهم الله تعالى الا بحديث ثبت عن تواتر والله اعلم وقال بعضهم فى قوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى اى ما يغشى من امر الله تعالى ويروون خبرا عن انس بن مالك رضى الله عنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما انتهيت الى السدرة رايت ورقها امثال اذان الفيلة ورايت نبقها امثال القلال
فلما غشيها من امر الله ما غشيها تحولت فذكر الياقوت ان ثبت هذا الخبر ففيه دليل ان السدرة شجرة اذ
ذكر ورقها وفيه ان الذى يغشاها امر الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذ يغشى السدرة ما
يغشى الملائكة والله اعلم وقوله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى قال ابو بكر اى ما قطع البصر عن الذى
امر وجعل له وما طغى وما جاوزه وكلام نحوه ويحتمل ما زاغ اى ما مال وما عدل يمينا وشمالا وما
طغى وما جاوز وقال ابو عوسجة ما زاغ البصر اى ما مال وما طغى من الارتفاع طغى الماء اذا ارتفع يطغى
طغيانا وقوله عز وجل لقد راى من ايات ربه الكبرى جائز ان يكون ايات ربه التى ذكر انه راى هو جبرئيل
عليه الصلوة والسلام حيث راه بصورته وكذلك روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه
راه بصورته مرتين وتاويل الاية ويحتمل غيره من الايات ولكن لا تفسرها والله اعلم
وقوله عز وجل افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى الاية يخرج تاويل هذه الاية
على وجوه والا لبس فى هذا الموضع لظاهر قوله عز وجل ومنات الثالثة الاخرى جواب
والاقوله الكم الذكر وله الانثى احدها ان يقول هؤلاء الذين يعبدونهم من اللات والعزى
ومناة اخبروكم وقالوا لكم ان اصطفى لنفسه البنات ولكم البنين وان الملائكة بنات الله ونحو
اخذتم ذلك منها او ممن اخذتم ذلك وانتم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب وقد تعرفوا انها لم يخبرهم
بذلك فيذكر بذلك سفههم او يقول افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى التى سميتموها
الهة وعبدتموها دون الله ونسبتم البنات اليه والبنين الى انفسكم ثم لم يذكر جوابها انه من امرهم
بذلك ومن اخبرهم ذلك او ممن اخذوا ذلك ثم قال ان هى الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان الاية كانه يقول والله اعلم انكم انما سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
الاية كانه يقول والله اعلم انكم انما سميتموها الهة واخترتم لانفسكم البنين وله البنات بلا سلطان
ولا حجة لكم انما هى اسماء سميتموها انتم واباؤكم بلا حجة ولا سلطان انما هو هوى النفس والظن
ويحتمل ان يقول افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى امركم بصرف شكر ما انعم الله تعالى عليكم
وقبول ما وهب لكم من البنات على ما اخبر انها من مواهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ورد مواهبه
ودفنها حيات ودسها فى التراب وبصرف العبادة الى غير المنعم وقسمة البنين لانفسكم والبنات له ثم
اخبر وقال تلك اذا قسمة ضيزى اى تلك قسمة جور وظلم اى صرف شكر المنعم الى غير المنعم وتوجيه العبادة
من لا يستحقه ورد مواهبه على هذه الوجوه يشبه ان تخرج الاية والا فلا يدرى ظاهر ما تاويلها
وما جواب هذا الحرف والله اعلم ثم قوله اللات قرأ مجاهد وغيره مشددا التا فقالوا هو رجل كان يقوم على
الهتهم ويلت لها السويق بالزيت فيطعمه الناس وروى ابن الجوزا عن ابن عباس رضى الله عنه قال كان

بلت السويق

يلت السويق للحاج ومن قرأ بخففه التاء جعلوه اسم الصنم مثل العزى ومنات وهى الهة كانوا يعبدونها
ذكر قتادة فى تفسيره كان بالطائف والعزى ببطن نخلة ومنات بقديد وقوله عز وجل تلك اذا قسمة ضيزى
قال القتبى هى فى الاصل ضيزى على وزن فعلى فكسرت الضاد للياء ليس فى النعوت فعلى اى قسمة جائرة
وقال ابو عوسجة ضيزى اى غير منصفة والضيز فى الاصل الجور وقال ابو عبيدة ناقصة وقال بعض
الناس ان النبى صلى الله عليه وسلم لما تلا قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى القى به
الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى شفاعتهن ترتجى وشاكلهن لا تنسى ثم قال بعضهم الغرانيق العلى الملائكة
وقال بعضهم الاصنام التى يعبدونها على رجاء الشفاعة لهم بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله لكن لا يحتمل
ان يقول النبى صلى الله عليه وسلم او يجرى على لسانه ما ذكروا الله تعالى قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ولو جاز ان يجرى على لسانه لتوهم منه التقول وذلك بعيد وقال
فى اية اخرى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ولو جاز
ذلك لجاز ان يجرى الله الكذب على لسانه فلا يكون فيمن وجد من الحرج فى قضائه ما ذكر وهو الكفر دل
ان ما ذكروه فاسد فان ثبت ما ذكر انه جرى على لسانه تلك الكلمات او القى الشيطان فى فمه يريد بذلك الغرانيق
العلى شفاعتهن ترتجى عندهم وفى زعمهم وهو كقول موسى عليه السلام انظر الى الهك الذى ظلت عليه
عاكفا اى الى الهك الذى هو عندك اله والا لا يحتمل ان يكون موسى عليه السلام يسمى العجل الها وكقوله
تعالى فراغ الى الهتهم اى الى الهة عندهم وقوله عز وجل اين شركائى الذين كنتم تزعمون انها شركائى فقد ذكرنا
هذا على التمام فى سورة الحج وقوله عز وجل وما ارسلنا من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته
الاية والله اعلم وقوله عز وجل ما انزل الله بها من سلطان اى ما انزل الله على تسميتكم الاصنام الهة وعبادتكم
اياها ونسبتكم البنين الى انفسكم والبنات الى الله تعالى الله تعالى من حجة وبرهان انما هو من هوى النفس والظن
وذلك قوله تعالى ان يتبعون الا الظن فى قولهم الملائكة بنات الله او قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وتسميتهم
الاصنام الهة وظنوا ان اباءهم كانوا على الحق واستدلوا على حقيقة ما كانوا عليه بسن الذين حيث تركهم
وما اختاروا ولم يهلكهم وقالوا لو كانوا على باطل ما تركهم على ذلك واستدلوا بذلك ايضا على رضاه منهم
بذلك وامره اياهم كما اخبر عنهم بقوله والذين اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها هذا
ظنهم بالله تعالى وقوله وما تهوى الانفس ان يتبعون هوى النفس فالنفس ما تعرف المنافع الحاضرة والمضار
الحاضرة فاما ما غاب عنها فلا تعرف وانما تعرف ذلك بالتفكر والنظر والتذكر ولا يرغب فى الشدائد ولا فيما
يثقل عليها والله اعلم وقوله عز وجل ولقد جاءهم من ربهم الهدى اى جاءهم من ربهم ما لو تفكروا وتنظروا لا
ولو اتبعوا الحق والهدى لعرفوه وقوله عز وجل ام للانسان ما تمنى اى للانسان ما تمنى ثم يحتمل تمنيهم شفاعتهم
او ما اختاروا من البنين لانفسهم والبنات لله تعالى او ما سموا واتخذوا الاصنام الهة او ما ظنوا على الله
وادعوا امره ورضاه فى فعلهم وغير ذلك مما كانوا يتمنون يقول ليس للانسان ما تمنى ان يكون له انما يكون
ذلك له يجعل الله الذى له الدنيا والاخرة وذلك قوله تعالى ولله الاخرة والاولى وقوله عز وجل وكم من ملك
فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى يخرج هذا على وجهين احدهما
اى كم ملك له شفاعة لا ينفع شفاعته وان ينفع الا لمن ذكر والثانى اى كم من ملك فى السموات لا شفاعة
له ولا يشفع الا لمن يشاء الله ويرضى ان يشفع وهو كقوله تعالى فما تنفعهم وهو كقوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين اى ليست لهم شفاعة ينفع لهم شفاعة ينفع لهم وقال ابو بكر الاصم انما يشفعوا فى الدنيا
واستغفروا لهم كقوله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض وقوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت
كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا الاية وقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وقد ذكرنا
فيما تقدم الوجه فى ذلك وقوله عز وجل ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى و
انما يقع ذلك فيوم وقد اضاف ذلك الى الكل فى الظاهر لان الذين يسمون الملائكة تسمية الانثى والله
اعلم ويجوز ان يذكر الكل ويراد به البعض فى اللغة ومثله فى القران كثير والله اعلم وقوله وما لهم به من علم اى
ما لهم بما يسمون الملائكة تسمية الانثى من علم لان العلم يعرف الانثى من الذكر بطريقين احدهما المشاهد
يشاهد ويعاين فيعرف الانثى من الذكر وهم لم يشاهدوا الملائكة فكيف يعرفون ذلك والثانى خبر الرسول
المؤيد بالمعجزة وهؤلاء قوم لا يؤمنون بالرسل ولا يعرف بالاستدلال وطرق العلم الثلاثة التى
ذكرنا فاذا كان حصل قولهم بلا علم ولكن على الظن وذلك قوله تعالى ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون
فى قولهم الذى قالوا الا الظن ووجه ظنهم ما ذكرنا ثم اخبر ان ظنهم لا يغنيهم من الحق شيئا فهو يخرج على
وجهين احدهما ان الظن الذى ظنوا لا يدفع عنهم ما عليهم من اتباع الحق ولزومه والثانى ان ظنهم الذى
ظنوا فى الدنيا لا يدفع عنهم ما لزمهم من العذاب فى الاخرة وقوله عز وجل فاعرض عمن تولى عن ذكرنا
هذا يخرج على وجهين احدهما على ترك مكافاتهم اى لا تكافهم لصنيعهم واذاهم والثانى يخرج على الا
يأس له من ايمانهم اى لا تشتغل بهم لا يؤمنون ابدا فهو فى قوم خلص علم الله عز وجل انهم لا يؤمنون

وقوله عز وجل ولم يرد الا الحيوة الدنيا يحتمل انهم كانوا لا يؤمنون بالاخرة فلم يريد ويحسنا نهم التي
فعلوا الا الحيوة الدنيا لانهم كانوا يتصدقون ويصلون الارحام لكن لم يريدوا الا بذلك الا ما ذكر
في الحيوة الدنيا اي لم يعمل للاخرة رأسا يخبر عنهم انهم يعملون الدنيا لا للاخرة وهو كقوله تعالى من كان
يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقوله عز وجل ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
الاية ونحو ذلك وقوله عز وجل ذلك مبلغهم من العلم بان لا يؤمنوا بالاخرة ولا يعملوا لها وقال
بعضهم ذلك مبلغهم من العلم اي ذلك مبلغ رأيهم من العلم ان الملائكة بنات الله وانها تشفع لهم وقوله
عز وجل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى مثل هذا الكلام انما يخرج على تخاصم
كانت من اولئك الكفرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كان اولئك الكفرة قالوا نحن على الهدى
وانتم على الضلال فقال عند ذلك فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ثم قال ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بمن ضل عن سبيله فيجزيه جزاء ضلالته في الاخرة وهو اعلم بمن اهتدى فيجزيه جزاء الهدى والله اعلم وقوله
عز وجل ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى هذا
يخرج على وجهين احدهما يقول لله ما في السموات وما في الارض وهو غني عن عبادتكم وانما يأمركم وينهاكم
ليجزيكم باعمالكم لا لمنافع يرجع اليه والثاني لله ما في السموات وما في الارض اي انما انشأ اهل السموات والارض
ليمتحنهم بالامر والنهي ثم ليجزي الذين اساؤا جزاء الاساءة والذين احسنوا جزاء الاحسان ولو كان على
ما قال اولئك الكفرة ان لا بعث ولا جزاء لكان خلقهم وخلق ما ذكر عبثا باطلا وفي الحكمة التفريق بين
المسيء والمحسن وفي الدنيا تحققت التسوية بينهما فدل ذلك على دار اخرى يفرق بينهما فيها ثم يحتمل جزاء
اساءة اولئك في الدنيا والاخرة في الدنيا القهر والدبرة والهزيمة وفي الاخرة النار وجزاء المحسن
في الدنيا النصر والظفر وفي الاخرة الجنة ثم نعت الذين احسنوا الحسنى وهو التوحيد فقال الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش ثم يحتمل ان يكون الكبائر ما يعرفها كل احد انها كبيرة والفاحشة ما يعرفها كل احد انها
فاحشة واللمم على هذا يجيء ان يكون تلك الكبائر الفواحش لكن استثناها فيجب ان يكون من جنسها لكنه
استثناها وعفى عنها لما يفعلون فيها عن غفلة وسهو او عن غلبة شهوة ونحوها وهو الاشبه بتأويل الاية وقال
اهل التأويل الكبائر والفواحش هي التي ذكر فيها الحد في الدنيا والعقوبة في الاخرة واللمم الذي لم يذكر لها حد في
الدنيا ولا عقوبة في الاخرة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال زنا العين النظر وزنا الشفتين التقبيل
وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك ويكذبه الفرج فان تقدم فهو زنا والا فهو لمم وفي دونه
ان تقدم كان زنا وان تأخر كان لمما وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما رأيت اشبه باللمم مما قال ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا
اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله او يكذبه وعن ابي هريرة انه النظرة والغمزة
والقبلة والمباشرة وعنه ان اللمم النكاح وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اللمم لمم الجاهلية كقوله تعالى
وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وعن ابن عباس رضي الله عنه هو ان يلم بالمرأة وقيل اللمم الهم بالخطيئة
من جهة حديث النفس شيئا من غير عزم وقيل ان اللمم مقاربة الشيء من غير دخول فيه وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاهم ان تغفر جما واي عبد لك لا الما وقيل اللمم الصغير من الذنوب
لقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الاية وقال القتبي اللمم الصغار من الذنوب وهو من الم بالشيء اذا لم يتعمق فيه
ولم يلزمه وقال بعضهم اللمم ما بين الحدين حد الدنيا حد الاخرة وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وذلك
يحتمل والاول اقرب وقال ابو بكر الاصم اللمم التي يتوب عنها فانهم اذا تابوا عنها تجاوز عنهم فهو يجعل اللمم من
تلك الكبائر والفواحش لكنه يقول انما استثنى لما يتوب عنها لما يفعلون فيها على السهو والغفلة والغلبة شهوة
على حسن الظن بربه فيغفر له او يتوب عليه فيعفو عنها وعلى تأويل اهل الزنا وبل اللمم ما دون الكبائر والفواحش
وجائز ان الكبائر والفواحش التي ذكر كبائر الشرك وفواحشه كقوله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة الاية
وقوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا فيكون
اللمم على هذا ما دون الشرك فهو في مشية الله تعالى ان شاء عفى عنها وان شاء عذب عليها كقوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله عز وجل ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم
من الارض اي هو اعلم بكم وباحوالكم ووقوعكم فيها على السهو والغفلة عفى عنكم اي عن اللمم وعلى قول ابي بكر ان
ربك واسع المغفرة لمن تاب عنها وهو اعلم بكم انكم تتوبون عنها وعندنا ما ذكر هو واسع المغفرة لمن شاء
تاب عنها او لم يتب ثم ان كانت المغفرة هي الستر فهي تعم المؤمن والكافر في الدنيا وان كانت التجاوز فهي
للمؤمنين خاصة والله الموفق وقوله عز وجل هو اعلم بكم عندنا هو اعلم بكم بانكم تعملون وتتقون فيها على
السهو والغفلة او هو اعلم باحوالكم وافعالكم وما يكون منكم وهو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم في
بطون امهاتكم ما لو اجتمع حكماء البشر ما ادركوا معنى الانسان في ذلك ولا ادركوا معنى نضو اليدين
والعينين وغيرها من الجوارح وقت ما كنتم اجنة في بطون امهاتكم ثم انشأنا الى الارض بقوله تعالى من الارض

يحتمل

يحتمل وجهين انما خلق اصلنا من الارض كقوله تعالى خلقكم من تراب ونحوه او لجعل قواتنا منها لقوله تعالى وقوله
فيها اقواتها اذ لا قوام لنا الا بذلك الغذاء والقوت الذي يخرج من الارض والله اعلم وقوله عز وجل فلا تزكوا
انفسكم في ظاهر الاية نهي عن التزكية وامر في اية اخرى بالتزكية ورغب فيها حيث قال ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
لكن فيما امر بالتزكية امر باصلاح انفسهم في انفسهم وتزكيتها فعلا وفيما نهى عن التزكية نهى عن ان يصفوا انفسهم
بالتزكية والصلاح والتقى والبراءة لعل ذلك ليس بتزكية في الحقيقة او يكون فيهم من الفساد ما لا يستحق التزكية
والوصف بالبراءة والله اعلم فان قيل ان الله تعالى نهانا عن التزكية فكيف جاز لنا ان نقول لانفسنا انا مؤمنون
ومسلمون اذ ذلك مدح وتزكية قيل انا امرنا بقول الايمان والاسلام ابتداء حيث قال قولوا امنا بالله الاية
وقوله واسلموا ونحو ذلك ولم يؤمر بمثله ابتداء في الصلاح ونحوه بان يقول نحن صلحاء انقياء فجاز ان لا يمان ويمنع
في غيره من الطاعات والثاني ان ليس في نفس الايمان تزكية لان كل اهل الاديان مؤمنون بشيء يقوله ومن
يكفر بالطاعات ويؤمن بالله وقولا اولئك نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقولهم يؤمنون بالجبت والطاغوت
وفي نفس التقى والصلاح تزكية وقيل ولا تزكوا انفسكم اي لا تزكوا اهل دينكم ومذهبكم وذلك متعارف في الناس
انهم يزكون اهل مذهبهم وان كانوا لا يعرفون صلاحهم وتقواهم ويذمون اهل خلافهم في مذهبهم وان
لم يعرفوا منهم الشر وما به يجب المذمة وذلك محتمل ويحتمل ما ذكرنا انه نهى كلا في نفسه ان يزكي والله اعلم
وقوله عز وجل هو اعلم بمن اتقى اي اتقى محارم الله ومناهيه ويحتمل اي اتقى الكفر بالله والشرك به وقوله عز وجل
افرأيت الذي تولى واعطى قليلا واكدى هذا يخرج على وجهين احدهما افرأيت الذي تولى واعطى قليلا من كبر الكفرة
وعظمائهم واعطى قليلا من المال الضعفة اهل الايمان ليرجعوا من الايمان بمحمد والتصديق له ويكذبوا عليه
وقوله واكدى اي قطع عنهم في وقت ايضا وكذا قال القتبي واكدى اي قطع وهو من كدية الركية وهي الصلابة
فيها اذا بلغها الحافر يئس من حفرها فقطع الحفر وقيل لكل من طلب شيئا فلم يبلغ او اعطى فلم يتم اكدى وقال
ابو عوسجة اكدى بخل ورجل مكدي بخيل وقوله اعنده علم الغيب فهو يرى فهو والله اعلم اعنده علم الغيب
فيأمر بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويأذن له بالتولي عنه واعطاء المال على التكذيب له اي ليس عنده علم
الغيب لانهم قوم لا يؤمنون بالرسل والكتب واسباب العلم هذا وقوله عز وجل ام لم ينبأ بما في صحف موسى
وابراهيم الذي وفى كان هذا مقطوع من الاول كان اولئك الكفرة يقولون لاتباعهم انا نحمل منكم الظلم والوزر
فلا تأتوا محمدا ولا تصدقوه كقوله تعالى حكاية عنهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فقال عند ذلك ام لم ينبأ
بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى اي قد بينا في صحفهما الا تزر وازرة وزر اخرى
اي قد بينا في صحفهما الا تزر وازرة وزر اخرى وقيل تماما بين وفى الا تربلغ ما امر بتبليغه وقيل لانه كان يصلي
اربع ركعات عند الضحى وعلى ذلك يروون خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما وفى قالوا
الله ورسوله اعلم وفى اربع ركعات فان ثبت هذا اكتفي عن تأويل اخر واصله انه تمامه وفى لما قام بوفاء ما
امر به وقوله عز وجل الا تزر وازرة وزر اخرى فيه ان هذا في الكتب كلها في صحف ابراهيم وموسى وغيرها
من الكتب ان لا يحمل احد وزر اخر انما يحمل وزر نفسه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يؤخذ الرجل
بذنب غيره وعن عمرو بن اوس قال كان الرجل يؤخذ في الجاهلية بذنب غيره حتى نزلت الاية وقوله عز وجل
وان ليس للانسان الا ما سعى لا يرتشبه ان يكون قوله وان ليس للانسان الا ما سعى اي ليس على الانسان
الا تحمل وعلا يثبت ويعطي الزيادة على ما سعى بفضله وكرمه كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ونحو الصغار التي لا سعي لهم فقد يعطيهم الثواب بفضله واما جزاء الشر فانه لا يكون الا بالمثل كقوله تعالى
فلا يجزى الا مثلها وجائز ان يكون له بمعنى عليه في اللغة كقوله عز وجل ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اسأتم فلها اي فعليها ويحتمل ان يكون الاية في اولئك الكافرين الذي نزل فيهم قوله تعالى الا تزر وازرة
وزر اخرى يقول ليس لذلك الانسان الا ما سعى وقوله عز وجل وان سعيه سوف يرى وحرف سوف من الله
سبحانه وتعالى على التحقيق والايجاب كحرف لعل وعسى فيكون قوله تعالى سوف يرى اي يرى جزاء عمله لا محالة
ثم وقوله عز وجل ثم يجزاه الجزاء الاوفى في جزاء الاخرة على الوفاء لا نقصان فيه خيرا كان او شرا ويحتمل ان
يكون ذلك للكافر يجزي جزاء الشرك وجميع ما يعمل من السوء فاما المؤمن فانه يكفر سيئاته ويجزي جزاء الخيرات
كقوله تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وقوله عز وجل وان الى ربك المنتهى يسمى المنتهى
منتهى ومصيرا ورجوعا ويحتمل الى جزاء ربك ينتهي وقوله عز وجل وانه هو اضحك وابكى بين الله جل وعلا قدرته
وسلطانه في انشاء انفسهم واحوالهم وافعالهم اما بيان قدرته في انفسهم حيث قال هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض
واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم واما بيان قدرته في احوالهم ما ذكر من قوله تعالى وانه هو اغنى واقنى وانه هو امات
واحيى واما في افعالهم فقوله وانه هو اضحك وابكى يذكر قدرته وسلطانه بما ذكر ليعلموا انه لا يعجزه شيء ثم قوله
عز وجل وانه اضحك وابكى يخرج على وجهين احدهما على الكناية والاستعادة جعل الضحك كناية عن السرور
والبكاء كناية عن الحزن وكذا العرف في الناس انه اذا اشتد بهم السرور ضحكوا واذا اشتد بهم الحزن بكوا والثاني
على حقيقة الضحك والبكاء فهو على وجهين احدهما اي انشأهم بحيث يضحكون ويبكون والثاني يخلق منهم فعل

عجي

الضحك والبكا فهوانشبه التاويلين عندنا وقوله عزوجل وانه هو امات واحيى قوله امات يحتمل وجهين احدهما
اى جعلهم بحيث يموتون وبحيث يحيون والثانى امات باخراج روحهم واحيا بادخال الروح فيهم وهو كقوله
تعالى خلق الموت والحيوة وقوله عزوجل خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فيحتمل اماتتهم فى الدنيا واحياهم فى الاخرة
واصل ذلك انه يفعل بهم كل ما ذكرنا وقوله عزوجل وانه خلق الزوجين الذكر والانثى اسم الزوج يحتمل الشكل ويحتمل
المقابل اى يجعل احدهما شكلا للاخر وان كان ضدين يقول جعلهم بحيث يتزاوجون ويتشاكلون او يتقابلون
ويتضادون والله اعلم وقوله عزوجل من نطفة اذا تمنى اى تقذف قال الاصم دل قوله من نطفة اذا تمنى انها
اذا لم تقذف تصير مذيا وانما تقذف التى تخرج على شهوة فاما التى تخرج لا على شهوة فانه يكون مذيا ولا
يوجب الاغتسال والله اعلم وقوله عزوجل وان عليه النشأة الاخرى اى فى الحكمة عليه النشأة الاخرى
لانه لو لم يكن النشأة الاخرى كانت النشأة الاولى باطلا عبثا غير حكمة او تقول ان عليه النشاة الاخرى ليعلم ان
له قدرة عليها كما له القدرة على الاولى لان اولئك الكفرة كانوا مقرين بالاولى والقدرة عليها وينكرون الاخرى
فيخبر ان له القدرة عليهما وبالله التوفيق وقوله عزوجل وانه هو اغنى واقنى الاية يحتمل قوله اغنى واقنى اى وسع
عليهم واقنى اى صبرهم ما يقتنون من الخدم وغيرها فيكون الاغنا هو التوسيع بانواع الاموال والاقنا
هو اعطاء القنية من الخادم وما يحتاج اليه للمهنة فيكون فى جعل الخدم له فضل حاجة لا غنا وذلك
دليل على صحة مذهبنا فى استجازتهم دفع الزكوة الى من له الخدم وقيل اغنى اى اعطى ما يغنيه ويستغنى به واقنى
اى اقنعه وارضاه وقيل على العكس اغنى اى ارضى واقنى اى اخدم وعن ابن عباس رضى الله عنه اغنى واقنى اى اكرم
وقال اعطا يا ابن ادم هو اغناك واقناك اى اعطاك الخدم على ما ذكرنا وقال القتبى هو من القنية والنشب يقال
اقتنيته كذا وقال ابو عوسجة هو من القنو قنى اعطاه ما لا يفنى قنوا وقوله عزوجل وانه هو رب الشعرى قيل
ان الشعرى اسم كوكب كان يعبده بعض العرب فكانهم ظنوا ان ما فى ذلك الكوكب من الحسن والجمال لقدر له
عند الله ومنزلة وان تدبيرهم يرجع اليه فعبدوه لذلك ويحتمل انهم عبدوه لما لم يروا لانفسهم اهلية
لعبادة الرب تعالى فعبدوا من دونه رجاء التقرب اليه على ما يخدم المرء المتصلين بملوك الارض ولكن
هذا فاسد لان من خدم المتصلين بملوك الارض انما يخدم لما لم يسبق لهم اليهم من خدمة بتحصيله ولا
الاذن بعبادة انفسهم وخدمتهم فاما الله تعالى قد امرهم بعبادة نفسه ونهاهم عن عبادة غيره
فلم يبق لهم بعد الامر بعبادته والنهى عن عبادة غيره عبادة من دونه ذكر سفههم فى عبادتهم الشعرى واشباهها
اى عبد وارب الشعرى فانما فيه من الحسن والجمال هو الذى فعل فاليه اصرفوا العبادة وقوله عزوجل وانه
اهلك عادا الاولى قرئ عاد الاولى باظهار التنوين والهمزة ولا اظهار التنوين حتى يصير كانها لام شقلة
ثم هذا الى نوع ما ذكر من قبل انما ذكر هذا لهم ليزجروا عن صنيعهم اى ادا وهم اشد منكم قوة واكثر عددا
واموالا فلما لم يزجروا بمواعظ الرب تعالى اهلكهم فعلى ذلك نفعل بكم يا اهل مكة ان لم تتعظوا وانه اهلك
عادا فلم يتهيا لهم القيام بدفع عذاب الله عزوجل مع قوتهم فكيف انتم يا اهل مكة ثم اختلف فى قوله
تعالى عادا الاولى منهم من قال كانوا عادين احدهما قوم هود وهو اول فاهلكوا بالريح وكانت اخرى فى زمن
فادوس الاول ومنهم من قال عادا الاولى الذين اهلكوا من قبل من الامم واهل مكة وهؤلاء عاد اخرى وقوله
عزوجل وثمود فما ابقى اى اهلك ثمودا ايضا وقوله فما ابقى قال بعضهم اى استأصلهم لم يبق منهم احدا اى
ما ابقى لهم نسلا يذكرون بذلك بعد هلاكهم كما ابقى الانبيا والرسل عليهم الصلوة والسلام من النسل
او ما لهم من اثار الخير شيئا كما ابقى للرسل واتباعهم عليهم السلام الى اخر الابد والله اعلم وقوله عزوجل وقوم
نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى اى كانوا اكثر ظلما واكثر طغيانا لان نوحا عليه الصلوة والسلام دعاهم
الى توحيد الله الف سنة الا خمسين عاما فما زادهم الا نفورا واستكبارا على ما اخبر فلم يزد هم دعائى
الا فرارا وقوله عزوجل والموتفكة اهوى قيل قريات لوط عليه السلام اى اهلكها ايضا وقوله اهوى قيل اى
اهوى الى النار وقيل اى اهوى من السماء الى الارض على ما ذكر ان جبرئيل عليه الصلوة والسلام رفعها الى
السماء وارسلها الى الارض وقوله عزوجل فغشاها ما غشى قيل غشاها الحجارة بعد ذلك فسواها بالارض
وقيل غشى الحجارة مسافريهم ومن غاب عنهم وقيل المؤتفكة المكذبة من الاول وهو الكذب وقيل المنقلبة ائتفكت
اى انقلبت فغشاها اى غشى قريات لوط عليه السلام من العذاب ما غشى اولئك الذين ذكر من قبل من عاد
ومن قوم نوح وهو قول القتبى فقال ابو عبيدة المؤتفكة المخسوفة وقوله عزوجل فباى الاء ربك تتمارى
فظاهر هذا وظاهر قوله تعالى فباى الاء ربكما تكذبان مشكل لانه ذكر الاء ولو عرف انه الاء لكان لا يكذب
لكن يخرج على وجوه على التقديم والتأخير والاضمار كانه يقول فباى الاء من الاء ربكم شاهدتموه وعلمتم
تتمارون وكذلك فباى الاء ربكما الذى اقررتم به تكذبون او يقول فباى الايه واحسانه تتمارى فكيف انكرتم احسانه
بمحمد صلى الله عليه وسلم او كيف صرفتم شكر نعمه الى غيره او يكون الالاء هاهنا هى الحجج يقول فباى حجة من حجج
ربك تنكر رسالة محمد عليه افضل الصلوات او تتمارى فيها اى لا حجة لك فى تكذيبك اياه او انكارك رسالته
وقوله عزوجل هذا نذير من النذر الاولى اى الذى يدعوكم ويبين لكم محمد صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى

التى اتباها الرسل الاولون واوعدوا قومهم فيكون صلة قوله عزوجل وانه اهلك عادا الاولى الى اخره وقيل
هذا نذير من النذر الاولى اى الرسل الاولى وتمام هذا التاويل اى هذا نذير من البشر كالذين كانوا من قبل وقيل
هذا الذى ينذر محمد صلى الله عليه وسلم هو من النذر التى فى اللوح المحفوظ اى مما ينذر به والله اعلم وقوله عزوجل
ازفت الازفة اى قربت القيامة سمى الله سبحانه وتعالى القيامة باسماء مختلفة مرة الازفة ومرة الساعة ومرة القيامة
فسماها ازفة لقربها الى الخلق ووقوعها عليهم وكذلك الساعة وقوله عزوجل ليس لها من دون الله كاشفة ذلت
الاية على ان الله تعالى لم يؤت علم قيام الساعة ووقوعها احدا وهو كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو
والباطنية ادنى تعلق فيها تعين الا تبين لانهم قالوا ان الاخرة للحال كائنة لكنها مختفية مستترة يظهر ويكشف
عند فناء هذه الاجسام وذهاب هذه الابدان ويستدلون بقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو وبقوله تعالى
لا يجليها لوقتها الا هو وبقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة ويقولون ان لفظ التجلى والكشف انما يستعملان
فيما هو كائن ثابت يظهر عند ارتفاع التواتر وما يحجبها الدفى لا نشاء ابتداء ولكن عندنا ان حرف الكشف
والتجلى يستعمل فى ابتداء الاحداث والانشاء وفى اظهار ما كان كامنا حفيا فاذا كان كذلك بطل استدلالهم
بذلك وهو كقوله تعالى عالم الغيب والشهادة هو عالم بما كان مخفيا عن الخلق وما هو شاهد ظاهر وعالم بما
يكون وبما هو كائن للحال والله الموفق وقوله عزوجل افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون كانوا يتعجبون من
امرين احدهما من بعث الرسل كقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم ومن البعث بعد ما يفنون ويبلون
كقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا الاية وقوله عزوجل وتضحكون الضحك هاهنا كناية عن الاستهزاء
ليس على حقيقة الضحك ويكون الضحك كناية عن السرور اى تسرون على ما انتم عليه وقوله عزوجل
ولا تبكون ايضا ليس على حقيقة البكاء ولكن كناية عن الحزن اى ولا تحزنون على ما فرط منكم من الاعمال
وسوء الصنيع والمعاملة وقوله عزوجل وانتم سامدون لاهون معرضون وعن الحسن وسعيد بن
جبير سامدون غافلون وقيل سامدون حزنون على رسالة محمد صلوات الله عليه وغافلون عما
انزل عليه وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وانتم سامدون قال هو الغناء بلغة
اليمن يقول اليمانى اسمد لنا اى غن لنا قال كانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا وقوله عزوجل فاسجدوا لله
واعبدوا الاية اى اخضعوا لله واسلموا له اذ الامر بالسجود الصلوة امر بالخشوع له والاستسلام والامر
بالسجود هاهنا للتلاوة للاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين
روى الاسود عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرا سورة النجم فسجد فيها ولم
يبق معه احد الا سجد الا شيخ من قريش فانه اخذ كفا من حصى فرفعه الى جبهته وروى ابو هريرة والمطلب
بن ابى وداعة ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فيها وروى عن عمر وعثمان رضى الله عنهما انهما سجدا فيها وعن
على رضى الله عنه انه قال عزايم السجود اربع تنزيل السجدة وحم والنجم واقرا باسم ربك وما روى عن
زيد بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قراها فلم يسجد يحتمل ان يكون التلاوة واقعة فى وقت
يكره السجود والسجود والحديث حكاية فعل لا عموم له والله اعلم بحقيقة ما اراد والحمد لله رب العالمين والصلوة
والسلام على محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عزوجل اقتربت الساعة وانشق القمر قال بعضهم اى قربت
الساعة واقترب انشقاق القمر وقيل على التقديم والتاخير اقتربت الساعة وان يروا اية يعرضوا وان كان
انشقاق القمر فعلى هذا التاويل لم يكن انشقاق القمر بعد ولكن يكون فى المستقبل وعند قيام الساعة
وهو قول ابى بكر الاصم ويقول معنى قوله انشق القمر اى ينشق القمر عند الساعة اذ لو كان قد انشق فى زمن
النبى صلى الله عليه وسلم لما خفى على اهل الافاق ولو كان ظاهرا عندهم لنقلوا الينا النقل به اذ هو امر عجيب
والطباع جبلت على نشر العجايب وعامة اهل التاويل على ان القمر قد انشق فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه
وسلم وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمنى فانشق القمر فذهبت
فرقة منه وراء الجبل فقال عليه السلام اشهدوا اشهدوا وروى عن غيره ايضا عن عبد الله بن عمر بن عبد الله
بن عباس رضى الله عنهم وانس بن مالك وحذيفة وجبير بن مطعم فى جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين انهم راوا انشقاق القمر وقول ابى بكر لو كان لم يخف وظهر فيقال له قد ظهر فانه روى عن غير واحد
من الصحابة رضى الله عنهم وتواتر الحديث عن الخاص والعام وفشى الامر بينهم حتى قل من يخفى عليه سماع هذا
الحديث على انه قد ينطق ظاهر الكتاب وانما يكلف حفظ ما لم ينطق به الكتاب والعمل بحقيقة اللفظ واجب
وقال بعضهم يجوز ان يستره الله تعالى عن اهل الافاق بغيم ويشغلهم عن رؤيته ببعض الامور لضرب
تدبير ولطف منه لئلا يدعيه بعض المتنبئين فى الافاق لنفسه وادعى الرسالة كاذبا بناء على دعواه انه
فعل ذلك فيحتمل انه اخفى عن اهل الافاق فى حق من يظهر المعجزة عليهم من الحاضرين والكفرة بكمونه

الطباع جلبت على
لنشر العجايب

والصحابة الذين رأوا قد نقلوه والله أعلم وقوله عزوجل اقتربت الساعة كانه يقول اقتربت الساعة التي تجزون
فيها او الساعة التي تحشرون فيها او الساعة التي تحاسبون فيها فان قيل اليس روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال انا والساعة كهاتين واشار الى السبابة والوسطى وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تقم الساعة
بعد قيل يحتمل ان مراده صلى الله عليه وسلم انه ختم النبوة والرسالة وبقي احكامه وشريعته الى وقت قيام الساعة
وبقاء شريعته كبقاء نفسه فصار كانه قال بشريعتي والساعة كهاتين ويحتمل انه لما كان به ختم النبوة والشريعة صار
بعثه ومجيئه عليه السلام علامة واية لها وهو كقوله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها على تاويل من جعل
بعث الرسول عليه السلام معلما واية للساعة والله اعلم وقوله عزوجل وان يروا اية يعرضوا ذكر تعنتهم وعنادهم
انهم وان يروا اية سالوها يعرضوا فلم يرهم تلك او من سنته ان كل ابة جاءت على اثر السؤال فلم يقبلوها اهلكوا
فاني كان من سنته هذا او قد وعد تاخير عذاب هذه الامة الى الساعة وعفى عنهم التعجيل لم يرهم تلك الايات
المقترحة والله اعلم ويحتمل وان يروا اية حسية يعرضوا لان ايات رسول الله صلى الله عليه وسلم عامتها واكثرها
كانت عقلية وسمعية فيخبر عن سفههم وتعنتهم انهم وان يروا اية حسية يعرضوا عنها وهو كقوله عزوجل
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم وحشرنا عليهم كل قبلا ما كانوا ليؤمنوا وكقوله تعالى ولو فتحنا عليهم
بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا الاية وقوله تعالى عزوجل ويقولوا سحر مستمر اختلف
فيه منهم من قال سحر مستمر اي ما من لم يزل الرسل عليهم السلام كانوا ياتون بمثله من السحر ومنهم من قال مستمر اي
قوي ماخوذ من المرة وهي القوة واصل المرة الفتل ومنهم من قال مستمر اي ذاهب يذهب ويبطل لا شيء ولا يبقى وقوله
عزوجل وكذبوا واتبعوا اهواءهم يحتمل كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما اتاهم من الايات على الرسالة
ويحتمل وكذبوا بالتوحيد واتبعوا اهواءهم يخبر انهم انما كذبوا ما ذكر باتباع اهوائهم لا بحجة وبرهان وقوله
عزوجل وكل امر مستقر اي كل امر مستقر باهله ان كان خيرا فخير وان شرا فشر ويحتمل كل امر كائن فله بقاء باهله
وقال بعضهم لكل امر وفعل حقيقة ما كان فيما كان منه في الدنيا فيظهر وما كان منه في الاخرة فيتعرف
وقوله عزوجل ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة وهي ما ذكر في هذه السورة من انباء عاد وثمود
وقوم لوط وقوم نوح وموسى فقد جاء هؤلاء انباء هؤلاء وعرفوا ما نزل بهم من العذاب والاهلاك وبأي
شيء نزل بهم وهو تكذيب الرسل عليهم السلام ليرتدعوا عن مثل صنيعهم فلا يلحقهم مثل ما لحق اولئك
وفي ذلك حكمة بالغة والبالغة هي النهاية في الامر يقال فلان بالغ في العلم اذا انتهى في ذلك نهايته وقال القتبي
مزدجر اي متعظ وقال ابو عوسجة مزدجر اي مزدجر وقوله عزوجل فما تغني النذر يقول والله اعلم قد جاءهم
ما ذكر من الانباء التي فيها مزدجر وانذار فلم يزجرهم ذلك ولم ينفعهم فاي تغني النذر لهم ومن لا ينفعهم
النذر اي لا تغنيهم ثم النذر يحتمل وجهين احدهما النذر عليهم الصلوة والسلام جمع نذير والثاني ما يقع به
النذارة وهو الانباء التي انذر الرسل بها وحذروا بذلك يقول فما تغنيهم قول الرسول ولا خوف ما بلغهم
من القصص التي فيها تعذيب الكفرة بتكذيب الرسل عليهم السلام وترك اتباعهم والله اعلم وقوله عزوجل
فتول عنهم يحتمل وجوها احدها قوله فتول عنهم اي اعرض عنهم ولا تكافئهم باساءتهم والثاني فتول عنهم اي لا تقابلهم
ولا تجاهدهم فان كان الثاني وبه هذا فهو يحتمل النسخ على ما قاله اهل التاويل وان كان للاول فهو لا يحتمل النسخ
والثالث يحتمل فتول عنهم اي لا تشتغل بهم فانهم لا يؤمنون وذلك في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون يؤيس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع في ايمانهم وقوله عزوجل يوم يدع الداع الى شيء نكر اي الى شيء منكر
فظيع هائل ويحتمل الى شيء انكروه في الدنيا وهو الساعة فيقرون في الاخرة وقوله عزوجل خشعا ابصارهم
وقرئ خاشعا بالالف روي عن ابن عباس ويشدد بنفها وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خاشعة ابصارهم
وصفهم بالخشوع في الاخرة مكان استكبارهم في الدنيا وبالاقرار والتصديق بالساعة مكان انكارهم
في الدنيا وبالاجابة للداعي مكان ردهم له في الدنيا حيث قال مهطعين الى الداع وقوله عزوجل يخرجون من الاجداث
كانهم جراد منتشر هذا يخرج على وجهين احدهما تشبيههم بالجراد لحيرتهم لا يدرون من اين يصيرون الى الله
لا يدري من اين والى اين وهو كقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والثاني تشبيههم بالجراد لكثرتهم
وازدحامهم لانحشار الكل بدفعة واحدة والله اعلم وقوله عزوجل مهطعين الى الداع قال عامة اهل
التاويل مهطعين اي مسرعين وقال قتادة اي عامدين وقال مجاهد الاهطاع النسلان وهو الخبب يهدف
وقال بعضهم مهطعين ناظرين الى في رؤسهم وهو قول الكلبي وقال ابو عوسجة اي مسرعين مادين اعناقهم
وقيل الاهطاع ادامة النظر الى الداعي وقوله عزوجل يقول الكافرون هذا يوم عسر وهو ما قال في اية اخرى
يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير وقوله عزوجل كذبت قبلهم قوم نوح يقول والله اعلم كذبت قبلهم
قوم نوح نوحا عليه السلام وازدجر فصبر على التكذيب وانواع الاذى ولم يدع عليهم بالهلاك ما لم يرد الاذن
بالدعاء عليهم بالهلاك من الله تعالى فاصبر انت على تكذيب القوم وانواع الاذى وهو كقوله تعالى فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل فان قيل ما الحكمة في تكرار هذه الانباء في القران ولم يكرر ما فيه من الاحكام قيل
هذه الانباء والقصص انما جاءت لمحاجة اهل مكة وامثالهم من الكفرة في اثبات الرسالة والتوحيد والبعث

تكرار الموعظة

انهم المنكرون لهذه الاشياء وهم كانوا اهل عناد ومكابرة وفيهم ايضا مسترشدون ومن حق المحاجة مع
ذكرنا وامثالهم انباء الحجة مرة بعد مرة لعلهم يقبلونها في وقت ويقع في قلوبهم في وقت وان لم يقع في
وقت ومن حق الموعظة المسترشد ايضا ان يكرر ليتعظ اذ يختلف ذلك باختلاف الاحوال وقد ذكرنا فوايد
تكرارها واقتصار الاحكام فيما تقدم والله اعلم فان قيل ان نوحا عليه السلام قد دعا على قومه بالهلاك
قيل انما دعا على قومه بالهلاك بعدما ايس بما انبأه حيث قيل لن يؤمن من قومك الا من قد امن وما رسول الله
لم يؤيسه عن ايمان قومه جملة انما يؤيسه عن بعض بطريق التعيين وهو عموم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون
لا عن الكل فلذلك لم يؤذن بالدعاء عليهم والله اعلم وقوله عزوجل فكذبوا عبدنا يحتمل كذبوه فيما ادعى
لنفسه الرسالة او كذبوه فيما دعاهم اليه بالتوحيد وتوجيه الشكر الى الواحد القهار وقوله عزوجل وقالوا
مجنون اي قالوا لاتباعهم انه مجنون وقوله عزوجل وازدجر نوح عليه السلام حيث قالوا لئن لم تنته
ونحوه وهو عنه بقولهم انه مجنون فهذا انتهى وحيل تباعهم عن اتباعه فصار بذلك نوح عليه السلام
مزدجرا عن القوم وصار القوم من زجره عنه وقال بعضهم زجروا نوحا عليه السلام اي منعوه عن
اظهار ما ايجيهم من الايات على رسالته والله اعلم وقوله عزوجل فدعا ربه اني مغلوب فانتصر اي مغلوب السفه
والمكابرة وانواع الاذى لا يحتمل ان يكون مغلوبا بالحجج فانتصر عندك عليهم وقوله عزوجل ففتحنا ابواب السماء
بماء منهمر يحتمل قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء اي من فوق كان ما كان فوقك فهو سماء فيحتمل ان يكون ذلك
من البحر المكفوف الذي ذكر انه بين السماء والارض وفجرنا الارض عيونا اي انبعنا الماء من الارض حتى قال
انزلت الماء من فوق وانبعنا من اسفل ويحتمل ان يكون قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء هو حقيقة فتح السماء وانزال
الماء منها والله تعالى قادر ان يرسل الماء ممن يشاء وكيف والله اعلم وقوله عزوجل بماء منهمر قيل منصب وقال
ابو عبيد منهمر اي كثير سريع الانصباب يقال همر الرجل اذا اكثر في الكلام فاسرع وقال ابو عوسجة انهمرت السماء وهمرت
اي مطرت فاكثرت وقوله عزوجل فالتقى الماء على امر قد قدر يذكر ان الماءين جميعا ما ارسل من الفوق وما اخرج من
التحت على تقدير وتدبير لا جزافا وهو كقوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى اي على تقدير وتدبير من الله تعالى لك
في ذلك لا على غير تقدير منه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه فالتقى الماءان على امر قد قدر وقال بعضهم على امر
قد قدر اي قد قدر لهم ان يغرقوا بالماء اذ كفروا وقال بعضهم قد قدر اي استوى الماء نصفه من عيون الارض
ونصفه من السماء واصله ما ذكرنا والله اعلم وقوله عزوجل وحملناه على ذات الواح ودسر وذكر في حرف
حفصة رضي الله عنها وحملناه وذريته على ذات الواح ودسر ذكرها هنا ذات الواح وذكر في اية اخرى السفينة
بقوله تعالى انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ونحوه فيكون ذات الواح تفسير السفينة ولو لم يفهم من
ذات الواح السفينة اذ ذات الالواح قد يرجع الى الابواب وغيرها لكن كان تفسير السفينة بما ذكرنا و
الله اعلم ثم اختلف في قوله تعالى ودسر قال اهل التاويل الدسر المسامير التي يشد بها السفينة وقيل الدسر
ضلاع السفينة وقيل صدرها وقال الحسن هي السفينة لانها تدسر الماء بجوجؤها قال ابو معاذ واحد الدسر
دسار وجماع الجؤجؤ الكاجي وهي الصدر وذكر في قوله وحملناه وتسمية هذا المصنوعة سفينة دليل على ان
افعال العباد مخلوقة لله تعالى لانهم هم الذين ركبوا السفينة ثم اخبر انه هو الذي حملهم وكذا الخشب المجتمعة
لا يسمى سفينة انما سمي بهذا الاسم لخاص بعد الايجاد والصنعة الموجودة من العباد دل ان الله في فعل
العباد صنعا والله الموفق وقوله عزوجل تجري باعيننا اي بتقديرنا ويحفظنا وقوله جزاء لمن كان كفر اي
حمل نوح عليه السلام واتباعه في السفينة ونجاهم من الغرق جزاء ما كفر به قومه كذا قال عامة اهل
التاويل انه جزاء لنوح عليه السلام حين كفر به قومه فلم يؤمن به قومه وقال مجاهد جزاء لمن كان كفر
بالله تعالى اي الغرق جزاء لهم لما كفروا بالله تعالى وقال ابو معاذ وقرئ جزاء لمن كان كفر بنصب الكاف
وتاويل هذه القراءة اي اهلاكه من اهلك من قومه جزاء لما كفروا بالله تعالى وبنوح عليه السلام وقوله عزوجل
ولقد تركناها اية يحتمل وجهين احدهما تركنا سفينة نوح عليه السلام بعينه مدة طويلة حتى صارت اية
لاواخرهم ولمن بعدهم ويقول قتادة قال ابقى الله تعالى سفينة نوح عليه السلام بعينه للمسافرين
من ارض الجزيرة حتى نظرت اليها اوائل هذه الامة وكم من سفينة كانت بعدها فصارت رمادا
والثاني تركناها اية اثار تلك السفينة وانباءها اية لمن بعدهم لان انباءها قد بقيت في المتاخرين حتى
عرفوا ان من نجا لمن نجا ومن هلك لمن هلك والله اعلم وقوله عزوجل فهل من مدكر عن الاسود قال قلت
لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وفهل من مدكرا ومذكر فقال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم مدكرا بالدال
قال ابو عبيد واصله في العربية مذتكر فانه من باب الافتعال على وزن مفتعل لاجتماع التاء والدال فادغمت
الحرف الاول وهو الدال في التاء فانقلب دالا وهو كقوله ادكر واصله اذتكر من الدخلنا قلنا والله اعلم ثم
قوله عزوجل مدكر اي هل متذكر متعظ يتعظ بما نزل باولئك فينزجر عن مثل صنيعهم قال قتادة فهل
من طالب خير فيعان عليه وقوله عزوجل فكيف كان عذابي ونذر يخرج على وجهين احدهما اليس
ما وعد لهم رسلي من العذاب بالتكذيب صدقا حقا وارسلهم فقوله ونذرا ورسلي والثاني اليس وجدوا

عذابي شديد او تندري بما وقعت به النذارة وهو العذاب الذي انذروا به والنذر على هذا التاويل المنذر به كقوله
تعالى وكان وعد الله مفعولا اي موعودا والا وعده لا يكون مفعولا اذ هو صفة ازلية وقوله عز وجل
ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر هذا يحتمل وجوها احدها يسرنا القران للذكر اي للحفظ اي صيرناه
بحيث يحفظه كل احد من صغير وكبير وكافر ومؤمن وكل احد تكلف حفظه والثاني ولقد يسرنا القران
للذكر اي لذكر ما انعم من نعم الله تعالى عليهم ولذكر ما انباهم فيه من اخبار الاوايل من صدقهم مذكر
والثالث جائز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة اي يسرناه عليه حتى حفظه كله عن
ظهر قلبه حتى اذا اراد ان يذكر شيئا منه يذكر في كل وقت وكل ساعة اراد كقوله تعالى لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وقوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقوله تعالى سنقرئك فلا
تنسى الا ما شاء الله امنه عن ان ينساه ومن عليه بالتيسير وقوله فهل من مدكر فعلى التاويل الاول والله
اعلم اتروا ان يسرنا القران للحفظ ولكن لم ننزله للحفظ ولكن انما انزل ليذكر ما فيه وللاتعاظ به اي فهل
من متعظ به وعلى التاويل الاخر فهل من مدكر خرج مخرج الامر اي اذكروا واتعظوا بما فيه من الانباء والله
اعلم وقوله عز وجل كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ذكر انباء الاوايل وما نزل بهم بالتكذيب والعناد وسوء معاملتهم
الرسول عليه السلام وهو صلة قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر تاويل الاية يخرج على الوجهين
اللذين ذكرناهما وقوله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا قيل باردة وقيل شديدة وقوله عز وجل في يوم
نحس مستمر اي استمر بهم العذاب كما قال الله عز وجل سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقيل مستمر اي ذاهب
على الصغير والكبير فلم يبق منهم احد الا اهلكته وقوله عز وجل تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر من الناس
من قال لما اشتد بهم الريح تنادوا فيما بينهم البيوت فدخلوها فدخلت الريح عليهم فاخرجتهم من بيوتهم و
القتهم في فنائهم فذلك النزع ومنهم من قال نزع مفاصلهم فيلقيهم كاعجاز نخل منقعر لانهم كانوا اطول الخلق
فذكر ان كل رجل منهم كان طوله ستين ذراعا والنخل لا يبلغ ذلك المقدار الا بعد قطع المفاصل فجائز التشبيه
باعجاز كل منقعر بعد انتزاع مفاصلهم والانقعار هو الانقلاع قال ابو عوسجة منقعر اي منقطع ساقط
ومنهم من قال شبههم باعجاز النخل العظام اعجازهم وقال بعضهم شبههم باعجاز النخل لطولهم ولكن
ذلك بعد نزع المفاصل لما ذكرنا وفي حرف حفصة رضي الله عنها تنزع على اعقابهم وقوله فكيف كان عذابي
ونذر فهو يخرج على ما ذكرنا من الوجهين وكذا قوله ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر وقوله عز وجل كذبت
ثمود بالنذر ويحتمل الوجهين اللذين ذكرناهما احدهما بالنذر اي بالرسل التي دعتهم الى الايمان بالله تعالى
والثاني كذبت بما وقعت به النذارة التي اخبرتهم الرسل انها نازلة واقعة بهم الله اعلم وقوله عز وجل فقالوا
ابشرا منا واحدا نتبعه لم يزل الاكابر من الكفرة والرؤساء منهم يلبسون على اتباعهم بهذا الحرف ابشرا منا واحدا
نتبعه وقالوا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه وقوله تعالى ولئن اطعتم بشرا مثلكم ونحو ذلك وذلك
تناقض القول لانهم كانوا ينهون اتباعهم عن اتباع بشر مثلهم ويدعونهم الى اتباع ابائهم والاقتداء
بهم وهم ايضا بشر وليس مع ابائهم حجج وبراهين ومع الرسل حجج وايات فيكون تناقضا في القول ومعاندة
فاسدة والله الموفق وقوله عز وجل انا اذا لفي ضلال وسعر قال بعضهم السعر الجنون اي لو اتبعنا بشرا منا لكنا في
ضلال وجنون وهو ماخوذ من سعر النار اذا التهبت يقال ناقة مسعورة اي كانها مجنونة من النشاط وقيل
الضلال والسعر واحد ويحتمل اي انا اذا لفي ضلال في الدنيا وسعر في الاخرة والسعر من السعير وهو النار والله
اعلم وقوله عز وجل القي الذكر عليه من بيننا فجائز ان يكون هذا القول من اهل مكة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم كقوله تعالى خبرا منهم انزل عليه الذكر من بيننا والذكر هو القران على هذا التاويل وجائز ان يكون ذلك
من ثمود لصالح عليه السلام والقصة قصة صالح فهو الاشبه بالتاويل ولم يزل الكفرة ينكرون تفضل
الرسل عليهم الصلوة والسلام على غيرهم من البشر بالرسالة وانزال الذكر عليهم من بينهم يقدرون
لا نفسهم الفضل على اولئك الرسل عليه السلام اما بفضل مال او بفضل نسب او رياسة ونفاذ قول له
بلا سابقة كانت منهم ولا تقدمه صنع وما ينبغي لهم ان ينكروا تفضيل الرسل بالرسالة والنبوة بلا سابقة
كانت منهم ولا تقدم صنع اذ هي فضل الله يؤتيه من يشاء والله اعلم وقوله عز وجل بل هو كذاب اشر عن مجاهد انه
قرأ بفتح الشين وقراءة العامة الاشر بكسر الشين قال بعضهم الاشر بفتح الشين نشيط في الشر قال ابو عوسجة وقيل
الاشر والاشر هو البطر كما يقال حذر وحذر وهو المرح المتكبر وقوله عز وجل سيعلمون غدا من الكذاب
الاشر قرأ بالياء والتاء جميعا فمن قرأ بالياء احتج بقوله فتنة لهم ولم يقل لكم ومن قرأ بالتاء جعل الخطاب
من رسول الله صلى الله عليه وسلم للكفرة اي ستعلمون غدا عند نزول العذاب بكم من الكذاب انا وانتم
وهذا وعيد منه لهم وقوله عز وجل انا مرسلوا الناقة فتنة لهم يفتنهم بها ويمتحنهم لم يعطهم مجانا
جزافا كقوله عز وجل وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقوله
عز وجل وجل فارتقبهم واصطبر اي فارتقبهم بما يكون منهم من التكذيب للناقة والعقر لها ويحتمل
ان يكون قوله عز وجل فارتقبهم هو خطاب لرسوله عليه الصلوة والسلام في حق اهل مكة كقوله

فارتق

لا ترتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين وقوله عز وجل واصطبر اي اصطبر على اذاهم ولا تكافئهم واصبر على
تبليغ الرسالة وقوله عز وجل ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر وقال في اية اخرى لها شرب
ولكم شرب يوم معلوم وفيه من الفوائد والدلائل احدها ان تلك الناقة كانت عظيمة على خلاف سائر النوق
حتى احتاجت هي الى الماء مثل الذي احتاج اليه سائر النوق وفيه انه لا باس بقسمة الشرب حيث ذكر في
الاية قسمة الماء وذكر في اية الاخرى شرب يوم وهو قسمة بالايام وقوله عز وجل كل شرب محتضر اي كل شرب
يحضره من له شرب ذلك لا يحضره غيره وفيه ان تلك الناقة وان كانت اية ومعجزة له فكانت تعتلف
وتشرب كسائر النوق التي ليست هي بايات وان كانت تخالف سائر النوق في عظمها وقدر علفها وشربها
ثم جعل الماء بينها وبين اولئك القوم بالقسمة ولم يجعل العلف بينها وبينهم بالقسمة لاشتراكهم
جميعا في الماء اعني البهائم والبشر وحاجة كل منهم الى الماء فكذا لم يجعل النبات مشتركا بينها وبين سائر
البهائم لان في ذلك كثرة فلا حاجة الى القسمة واما في الماء في ذلك الموضع غيره لما يلحقون من الاضرار
فلذلك جعلوا الماء بالقسمة والله اعلم وفيه ان المياه اذا اضاقت قسمتها بالايام من حيث جعل
لها شرب يوم معلوم ولهم شرب يوم معلوم وفيه ان الماء وان كان عينا فهو كالمنفعة في جواز
قسمتها بالايام رشد وقوله ونبئهم جائز ان يكون الخطاب لصالح عليه الصلوة والسلام امره ان ينبئ
قومه ان الماء قسمة بينهم وبين الناقة وجائز ان يكون الخطاب به لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره
ان يخبر قومه ان الماء كان قسمة بينهم وبين الناقة والله اعلم وقوله عز وجل فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر
اضاف العقر هاهنا الى واحد وفي اية اخرى اضاف الى الجماعة وهو قوله فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم
وقال في موضع اخر فعقروها فاصبحوا نادمين فيكون ظاهر هذه الايات على التناقض من حيث ذكر الفرد
والجماعة وفيه تناقض من وجه اخر فانه ذكر في اية وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا و
قال في موضع فاصبحوا نادمين ذكر الندامة وهي خلاف العتو لكنا نقول لا تناقض ولا اختلاف
عند اختلاف الاحوال والاوقات فقد لزوا عتوا عن امر ربهم قبل ان ينزل بهم العذاب وقوله
فاصبحوا نادمين اذا نزل بهم العذاب والتناقض في وقت واحد في حال واحد وكذلك العقر من واحد
على الحقيقة ولكن انما اضاف الى الجماعة لانهم جميعا رضوا به او الواحد هو الذي طعنها ثم اجتمعوا فعقروا
جميعا ونحو ذلك فثبت انه لا تناقض وقال بعضهم فتعاطى تناول فعقر اي ضرب عرقوبها اي ساقها وقيل
العقر قد يكون جرحا وقد يكون قتلا وقوله انا ارسلنا عليهم العذاب فقد صيحة واحدة تخبر عن سرعة
نزول العذاب وقوعه عليهم ويحتمل ان يكون ارسل عليهم الصيحة واهلكتهم وصاروا كما ذكر من هشيم
المحتظر وهو كقوله فكانوا كهشيم المحتظر العظام البالية وقيل كالشيء المتناثر من الحائط واصل الهشم
الانكسار اي صاروا كالشيء المتكسر المجتمع في موضع وقوله تعالى المحتظر بكسر الظاء ونصبه يروى لنصب
عن الحسن قال ابو عبيدة بالكسر نقرأ على تاويل الانسان المحتظر وقال ابو عوسجة الهشيم اليابس من الشجر
والمحتظر الذي يتخذ حظيرة وقال القتبي الهشيم اليابس النبت الذي يتهشم اي يتكسر والمحتظر
بكسر الظاء صاحب الحظيرة لغنمه وبفتح الظاء اراد الحيطان وهو الحظيرة وقوله عز وجل ولقد يسرنا
القران للذكر اي يسرنا القران لذكر ما انسوا من نعم الله لعلهم عقلوا عنها او يسرنا القران لذكر ما اغفلوا من
الحجج والايات ونسوها او يسرنا القران لذكر ما نسوا من الانباء وما نزل بمكذبي الرسل عليهم السلام
بالتكذيب والعناد وقوله عز وجل فهل من مدكر قد تقدم ذكره وقوله عز وجل فكيف كان عذابي ونذر قال
اهل التاويل البين الذي انذروا به وجدوه حقا وقال بعضهم البين وجد واعدابي ورسلي حقا و
قد ذكرناه وقوله عز وجل كذبت قوم لوط بالنذر اي بالرسل عليهم السلام او بما يقع به النذارة
وقوله عز وجل انا ارسلنا عليهم حاصبا الا ال لوط على تاويل من يقول بان تلك القريات قلبت بمن فيها ظهرا
لبطن على ما ذكر في اية اخرى فجعلنا عاليها سافلها ارسل الحاصب على من غاب عنها في البلدان فاهلكهم
بها يخرج على الاضمار وكانه قال قلبناها بمن فيها وارسلنا على من غاب عنها حاصبا الا ال لوط حتى يستقيم
الثنيا الذي استثنى ويكون كقوله احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد كانه قال
احلت لكم بهيمة الانعام والصيد الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد والله اعلم على تاويل من يقول بانها
قلبت ثم ارسل عليها الحاصبة فالثنيا مستقيم فيكون هلاكهم بالغرق واستثنى ال لوط عليهم السلام
بالنجاة منها جميعا والله اعلم وقوله عز وجل نجيناهم بسحر نعمة من عندنا اي منعنا عنهم العذاب
عند السحر فيكون فيه دلالة انه يكون بمنع العذاب عنهم منجيا لهم والا لم يكن نجاتهم عند السحر
وقوله عز وجل كذلك نجزي من شكر هذا يخرج على وجهين احدهما يكون هلاك اولئك ونجاة لوط و
اله نعمة من الله تعالى عليهم فيكون عليه شكره فهو جزاء شكرهم وهو كقوله تعالى جزاء لمن كان
كفر ويحتمل ان يكون هلاك اولئك واغراقهم جزاء ما كفروا بنوح وذلك نعمة منه على نوح عليه السلام
والثاني ان يكون نجاة نوح ومن كان معه نعمة منه عليهم اذ له ان يهلك الكل من كفر ومن لم يكفر

قبل الحشيم

الا يترى انه يهلك الدواب والصغار وان لم يكن لهم ما اثم فاذ كان كذلك كان ابقاء من بقي منهم فضلا
منه ونعمة عليهم والا لا كل كفر استوجب النجاة والله اعلم وقوله عز وجل ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا
بالنذر يخرج على وجهين اللذين ذكرناهما احدهما تماروا بالواقع من النذارة والثاني بالنذر اي الرسل والله
اعلم وقوله عز وجل ولقد راودوه عن ضيفه اي طلبوا منه التخلية بينهم وبين ضيفه وقوله عز وجل فطمسنا
على اعينهم ذكر ان جبريل عليه الصلوة والسلام مسح جناحيه على اعينهم فعموا ثم قيل لهم فذوقوا
عذابي ونذر وقوله عز وجل ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر اي نزل بهم صباحا بالبكرة عذاب مستقر
العذاب المستقر هو العذاب الذي نزل بهم ودام عليهم واهلكهم وما طمس لا يبقى فقط انقضى
عذابي ونذر النذر وها هنا ما وقع به النذارة وقوله عز وجل ولقد جاء ال فرعون النذر يحتمل ما قال
من النذر والرجال الى فرعون موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام سماهما باسم الجمع وهو النذر
ويحتمل ان يكون النذر من النذر التي جاءتهم هي ما نزل من انواع العذاب فيكون المراد بالنذر ما وقع
به النذارة وقوله عز وجل كذبوا باياتنا كلها يحتمل انهم كذبوا جميع الايات التي جاءهم بها موسى
عليه السلام من ايات الالوهية والوحدانية وايات الرسالة وجائز ان يكون هي جميع ما يدل
على وحدانية الرب والوهية من الخلايق لان ذلك اللعين قد ادعى الالوهية لنفسه وجميع ما في العالم
يدل على الوهية الله تعالى فهو حيث ادعاها لنفسه وصدقه قومه كذبوا بذلك جميع الايات التي
تشهد على الوهية الله تعالى ووحدانيته وقوله عز وجل فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر اي اخذ عزيز ذليلا
واخذ غالب مغلوبا واخذ قادر عاجزا واخذ قاهر مقهورا والله اعلم وقوله عز وجل اكفاركم خير من اولئكم
يقول الله تعالى واعلم اكفاركم يا اهل مكة اقوى في دفع العذاب عن انفسهم والانتصار منه اذا نزل
بهم العذاب من اولئك الذين كانوا من قبلكم اي ليس كفاركم اقوى منهم بل اولئك اكثر ثم لم يقدروا
القيام بدفع العذاب عن انفسهم ولا الانتصار منه نزل بكم او يقول ليس لكم براءة في الكتب ان العذاب
لن يصيبكم اذا نزل وقوله عز وجل ام يقولون نحن جميع منتصر اي بل يقولون نحن جميع منتصر اي لا ينصر ونكم
لجمعهم هذه الايات الثلاث على النفي والدفع اي ليس لهم ما يدفعون العذاب عن انفسهم وليس
لهم ما ينصرون به ولا كفاركم خير من كفار اولئك في دفع العذاب والقدرة على الانتصار والله اعلم
ثم قال على الابتداء سيهزم الجمع ويولون الدبر فيه دليلان احدهما اخبر ان لهم جميعا يهزم ويولون
الدبر ما ذكر وقد كان اهل بدر قيل سيهزم الجمع ويولون الدبر هو جمع بدر اخبر انهم يهزمون ويولون الدبر
وقد كان ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم دل انه علم بالله تعالى والثاني اخبر ان الساعة موعد هلا
كهم واستيصالهم لا الدنيا بقوله تعالى بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وكان كما اخبر وفيه
ايضا دلالة اثبات الرسالة والله اعلم وقوله ادهى وامر اي اعظم واشد وقوله عز وجل ان المجرمين في ضلال
وسعر جائز ان يكون قوله في ضلال في الدنيا وفي السعر في الاخرة وهو السعير ويحتمل في ضلال في هلاك
وسعر في حيرة وجنون وتحير كقوله تعالى انا اذا لفي ضلال وسعر وقوله عز وجل يوم يسحبون في النار على
وجوههم كانه يقول لهم يوم يسحبون في النار على وجوههم ان ختموا على ما هم عليه ذوقوا
مس سقر اي يقال لهم ذوقوا مس سقر اي ذوقوا عذاب سقر والسقر هو اسم النار وقيل كانه على الضمار
اي يقال لهم ذوقوا عذاب النار والله اعلم وقوله انا كل شيء خلقناه بقدر يحتمل وجهين احدهما على التقديم
والتاخير اي انا خلقنا كل شيء فان كان على هذا فيكون كقوله خالق كل شيء وفيه اثبات كل كلية الاشياء
والثاني على ظاهر ما جرى اية الخطاب انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا كل شيء بقدر فان كان على هذا فليس
فيه اثبات خلق كلية الاشيا ولكن فيه اثبات انما خلقه بقدر والى هذا التاويل يذهب المعتزلة
والتاويل عندنا هو الاول انا خلقنا كل شيء بقدر كقوله خالق كل شيء ويحتمل اي انا كل شيء خلقناه
بقدر وحد ينتهي اليه ذلك ويبلغ حد ليس كالمخلوق لا يعرف احد قدر فعله ولا حده الذي ينتهي اليه
ولا يخرج فعل احد من المخلوق على ما يقدره فاخبر ان فعله يخرج على ما يقدره خلاف العقل غيره وقدر
على امر هو الخالق والله اعلم وقوله عز وجل وما امرنا الا واحدة الامر ههنا بين الخلق على وجهين احدهما امر شان
بالفعل والاخر امر تكليف لغيره ثم قوله عز وجل وما امرنا الا واحدة اي انما هو فعل لا يعجز عن سهولة ذلك عليه
اي شانه وفعله يسير عليه لا يعجزه شيء ولا يشغله فعلى ذلك امر الله وجائز عليه والواحد ليس هو اسم
العدد وان كان الخطاب به بيندا انما هو اسم التوحد والتفرد كما يقال فلان واحد زمانه لا يوهم تعلق
من جرمه العدد لان له اعداء وامثالا من جهة العدد ولكن انما يراد بانه المتوحد في شانه وفعله ولا نظير له
فعلى ذلك تسمية اياه واحدا لتفرده وتوحده في الوهية وربوبية وتسمية امره واحدا ان فعله وشانه
لا يخبر افعال غيره وانه لا نظير له في ذلك وانه يسير عليه لا حاجة له الى الوقت والالة وغير ذلك
الا ترى انه قال كلمح البصر يخبر عن خفة ذلك عليه وسهولته من حيث لا يثقل على احد رد البصر ولا لمحه
هذا وجه والثاني فيه اخبار انه لا يشغله شيء لان الناس يشغلهم تعداد امورهم عن بعض واهل التاويل

يعرفون

يعرفون الاية الى الساعة كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ويحتمل فيخبران الاخرة ليس على تقدير
امر الدنيا على اتباع بعض بعضا وعلى ارداف شيء وعلى الانتقال والتغير من حال الى حال ولكن امر الاخرة
على التكون بمرة واحدة وقوله عز وجل ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر يحتمل قوله اشياعكم على وجهين
احدهما اخوانكم واهل دينكم بتكذيبهم الرسل عليهم السلام واذكروا انتم يا اهل مكة لان لا تهلكوا بتكذيبكم
محمدا صلى الله عليه وسلم والثاني اي ولقد اهلكنا اشياعكم وعرفتم ذلك فهل من مدكر يتذكر ويتعظ ويعتبر به
وجائز ان يكون معناه ولقد اهلكنا جنسكم والحكيم لا يخلق الخلق للفناء والهلاك فاعلموا انه انشاكم
للعاقبة وفيه اثبات البعث لكنه لا يدركه افهام الكفرة وعقولهم والله اعلم وقوله عز وجل وكل شيء فعلوه
في الزبر يخرج هذا ايضا على وجهين احدهما كل شيء فعلوه من التكذيب والعناد كان في الكتب المتقدمة
اي عن علم بصنيعهم وفعلهم انشاهم وبعث اليهم الرسل وهو رد على من يقول انه لا يعلم ما يكون منهم حتى
يكون منهم ذلك لانه لو كان يعلم ذلك لا يحتمل ان يبعث الرسل عليهم الصلوة والسلام اليهم ويامرهم وينهاهم
وهو يعلم انهم يكونون رسله ويخالفون امره فرد عليهم وبين انه لم يزل عالما بما كان ويكون وقد بينا
قبل هذا انه تعالى بعث الرسل عليه السلام اليهم وان علم منهم التكذيب والخلاف وذلك لان المنافع والمضار
راجعة اليهم دونه والله اعلم وجائز ان يكون معناه وكل شيء فعلوه في الزبر اي في الكتب التي يكتب عليهم به
الملائكة ويؤمرون بالقراءة في القيامة كقوله اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقوله عز وجل
وكل صغير وكبير مستطر هذا ايضا يخرج على هذين الوجهين احدهما مستطر في الكتب التي قبلهم او في الذين
يملون على الحفظة كقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله عز وجل ان المجرمين في ضلال
وسعر يوم يسحبون في النار وقال في موضع اخر ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون ثم اختلف في
تاويل قوله قوله نهر قيل نهر من النار اي هم في ضياء ونور وسرور وهو قول الاصم وقال الفراء النهر
السعة يقال انهرت الطعنة اي وسعتها وقال اهل التاويل اي الانهار وقوله عز وجل في مقعد صدق
اي موعود صدق كانه كنى عن راحة وسرور لهم كقوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا اخبر انهم
يستريحون فيها ويسكنون ويقرون لا يريدون التحول منها وهو مقابل ما ذكر للكفار يوم يسحبون
في النار على وجوههم اي يجرون وقوله عز وجل سارهقه صعودا وقوله تعالى ربنا اخرجنا منها يطلبون
الخروج منها واخبر انهم يكونون ابدا في عناء وشدة وبلاء حتى لا يقرون في مكان وعلى هذا يخرج قوله
ان لهم قدم صدق عند ربهم اي لهم موعود صدق عند ربهم اي يقرا قدامهم في ذلك فيكون هو كناية
عن الثبات وقوله عز وجل عند مليك مقتدر ان الرجل اذا كان في فضل وخير يضاف بكونه فيه الى
الله تعالى نحو ما يقال في سبيل الله ووفود الله وغير ذلك من الامكنة التي هي امكنة الفضل والخير يضاف
الى الله نحو بيت الله ومساجد الله لانها امكنة القرب والفضل فعلى ذلك قوله في مقعد صدق عند مليك
مقتدر اضاف بكونهم في امكنة الفضل والخير والمنزلة عند الله تعالى لانه يوصف بمكان او مقام
بل هو ممسك الامكنة كلها ومنشئ الازمنة باسرها والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الرحمن علم القران قد عرفت العرب وعلمت ان الرحمن على بناء
فعلان مشتق من الرحمة لكن احد من الخلايق لا يبلغ في الرحمن مبلغا يستحق تسميته به رحمانا لذلك حصر الله
تعالى نفسه تسميته رحمانا وان كان مشتقا من الرحمة كالرحيم وجاز تسمية غيره رحيما والله اعلم وقوله
عز وجل علم القران ذكر ان الرحمان علم القران ولم يذكر لمن علمه فجاز ان يكون المراد منه انه تبارك وتعالى
علم القران رسولنا صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ذلك على وجوه احدها انه جبريل عليه السلام حتى علمه
شديد القوى ذو مرة لكن خرجت الاضافة الى الله تعالى لما انه علمه بامره والثاني اضاف التعليم الى نفسه لما انه
هو الذي اثبته في قلبه حتى لا ينساه كقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى وقوله عز وجل لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه وقوله كذلك لنثبت به فؤادك والثالث اضاف الى نفسه وان علمه جبريل
عليه الصلوة والسلام لانه هو الخالق لفعل التعليم من جبريل عليه السلام وقوله عز وجل خلق الانسان
علمه البيان قال بعضهم خلق الانسان اي آدم عليه السلام وعلمه البيان اي الاسماء التي ذكر في اية اخرى
وعلم ادم الاسماء كلها اذ لا سبيل الى المعرفة الاسماء الا بالتلقين ليس كالاشياء التي يعرف ويدرك
بالاستدلال ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى خلق الانسان اي خلق كل انسان وعلمه البيان اي علمه
بيان ما يمتحنهم به من الامر والنهي ليعلم انه لم يخلق الانسان ليترك سدى ويحتمل علم كل انسان ما غاب
عنهم حتى عرفوا بما شاهدوا من اللون والطعم واللذة طعم ما غاب عنهم من جنسه ولونه ولذته استدلالا
بما شاهد ويحتمل الاستدلال بالشاهد على معرفة الله تعالى وهو انهم لما شاهدوا الاشياء محتاجا عاجزا

محاطا بالحوايج لحوادث عرفوا ان له خالقا عالما قادرا انشأه كذلك ويحتمل ما ذكر من تعليم البيان بيان القرآن
وذلك راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه علم القرآن وعلمه البيان هو بيان القرآن حتى يبين للناس
كل ما يحتاجون اليه وما عليهم وجائز ان ينصرف بعضه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله الرحمان
علم القرآن وبعضه الى آدم عليه السلام وهو قوله خلق الانسان علمه البيان وتفسيره ما ذكرنا وقال بعضهم
خلق الانسان آدم وعلمه البيان الدنيا وبيان الآخرة وجائز ان يكون خلق الانسان كل انسان علم القرآن وعلمه
البيان اي علم شيئا من بيان القرآن من الاحكام والشرايع ونحو ذلك وقال القتبي علمه البيان اي الكلام والله
اعلم وقوله عز وجل الشمس والقمر بحسبان قال اهل التأويل يحتمل وجهين احدهما اي يحسب بهما عدد الاوقات
والازمنة ويعرف بهما حساب ذلك والثاني يحسب بهما حساب منازلهما التي يطلعان منها ويغيبان فيها و
مجاريهما يجريان فيها لا يجاوزانها في شتاء ولا صيف وقال ابو عوسجه قوله بحسبان جمع الحساب وقال
القتبي بحسبان ومنازل لا يعدوانها وفيه زيادة معنى ان الله تعالى جعلهما بحيث يعرف بهما حقيقة اعين الاشيا
لما جعل فيهما من النور والضيا الذي بها يتجلى للخلق الاشياء المستورة فيقال لمنكري الرسالة وتفضيل بعض
البشر على بعض لما شاهدتم اشياء خصت بفضل ضياء وتجلي لم يكن ذلك لغيرها فلم انكرتم فضل بعض البشر بفضل
بيان وعلم رسالة والله اعلم وقوله عز وجل والنجم والشجر يسجدان النجم يحتمل وجهين احدهما الكواكب فان كان
هو المراد فكانه يقول يسجد له ما به زينة السماء وما به زينة الارض وهي الكواكب وهي الاشجار ويحتمل النجم
كل نبت ينبت في الارض لا ساق له والشجر هو الذي له ساق كأنه يقول يسجد له كل ما يظهر من الارض ويخرج ما
ارتفع وعلا وما لم يرتفع ثم سجودهما يحتمل وجوها احدها سجود خلقه فقد جعل الله تعالى في خلقه كل شيء دلالة
السجود له والشهادة له بالوحدانية والثاني سجود هذه الاشيا الموات طاعتها له عن اضطرار دون تسخير نحو قوله
تعالى ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين والثالث سجود حقيقة يجعل الله تعالى في سريته هذه الاشيا
معنى يسجدون به الله تعالى يعلمه وهو ولا يعلمه غيره كقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وقال بعض الناس سجودها هو تميل ظلالها كقوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمايل سجدا
لله ثم لا يلزم السجود بتلاوة هذه الآية وامثالها مما ذكر سجود الموات وطاعتها لانها موات
ليست باهل السجود وانما سجودها عن اضطرار كل مخلوق في معناه في الدلالة على السجود وانما يلزم
السجود بتلاوة آيات ذكر فيها سجود من هو من اهل السجود والله اعلم وقوله عز وجل والسماء
رفعها هذا يخرج على وجهين احدهما اراد حقيقة الرفع رفعها بلا عماد من الاسفل ولا تعلق من الاعلى
اي انشأها كذلك مرفوعة لا ان كانت موضوعة فرفعها وامسكها كذلك ليعلم ان قدرته خارج
قدرة الخلق وقوتهم والثاني رفعها اي رفع قدرها ومنزلتها في قلوب الخلق حتى يرفعوا ايديهم
وابصارهم اليها عند الحاجة لما جعل فيها لهم من الارزاق والبركات التي تنزل من السماء والله
اعلم وقوله عز وجل ووضع الميزان يحتمل حقيقة الميزان الذي يدين الناس به الاشياء ويه يتحقق
الايفاء والاستيفاء امتحنهم بذلك ليعرفوا بذلك قبح التقصير فيما امروا به والمجاوزة عما نهوا عنه
وذلك يحتمل في الاحكام والشرايع والتوحيد وصرف الالوهية والعبادة الى غير الذي يستحقه ليعلموا
التقصير في ذلك والله اعلم ويحتمل المراد بالميزان ان الاحكام التي وضعت بين الخلق والشرايع التي جعلت
عليهم ليقوموا بوفائها وينتهوا عن التقصير فيها والتعدي عن حدودها وقيل الميزان العدل وهو ما ذكرنا
والله اعلم وذكر ان الموازين ثلثة احدها العقول وهي التي يعرف بها محاسن الاشياء ومساويها وقبح الاشيا
وحسنها والثاني الميزان الذي جعل بين الخلق لايفاء الحقوق والاستيفاء والثالث الذي جعل في الآخرة
ليوفا به ثواب الاعمال وجزاؤها والله اعلم وقوله عز وجل ان لا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط
ولا تخسروا الميزان قوله لا تطغوا في الميزان ولا تخسروا اي لا تنقصوا في الميزان وقوله واقيموا الوزن
امر باقامة الوزن والاتمام في الوزن امر بالاتمام ونهي عن النقصان والامر بالشيء نهي عن ضده
وها هنا جمع بينهما صريحا تاكيدا لباب الوزن والميزان ويحتمل الوجوه الثلاثة التي ذكرنا وعن قتادة
كان ابن عباس رضي الله عنه يقول يا معشر الموالي انكم قد وليتم امرين هلك الناس قبلكم هو المكيال والميزان
وقال مجاهد في قوله تعالى واقيموا الوزن بالقسط في الميزان باللسان اي لسان الميزان وقيل لابن عمر رضي الله
عنهما ان اهل المدينة لا يوفون الكيل قال وما يمنعهم وقد قال الله تعالى ويل للمطففين وقوله عز وجل
والارض وضعها للانام قال بعضهم الانام هو كل ذي روح وقال بعضهم الانام هو جميع الخلق ولكن
عندنا الانام كانه البشر الاثر لانه اخبر ان الارض انشأها للبشر وصفها لهم وهو ما ذكر في مواضع
خلق لكم ما في السموات والارض وسخر لكم ما في السموات والارض وقوله عز وجل فيها فاكهة والنخل ذات
الاكمام يذكرهم نعمه التي انشأها لهم في الارض من الفواكه وانواع الثمار والحبوب التي جعلها ادامًا
لهم وقوتا وقوله عز وجل ذات الاكمام اي ذات الغلف والاغطية وقوله والحب ذو العصف والريحان
برفع النون وكسرها فمن كسرها ذهب الى ان الريحان هو الورق الذي يرتزقون من الحبوب والثمار والعصف

الورق فيكون المعنى والحب ذو الورق والرزق ومن رفعها فعلى الابتداء عطفا على الحب واختلفوا في تفسير
العصف والريحان منهم من قال العصف ورق الزرع من الحنطة والشعير وغيرهما وقيل هو التبن وقيل هو اول
ما ينبت من الزرع وقيل العصف هو الزرع بنفسه ولكن اضاف العصف الى الحب لما منه ينشأ الحب ومنه
يخرج واما الريحان قال هو خضرة الزرع وقيل هو الذي يشم وقيل هو الدرر الذي يرتزقون من الحبوب
في الثمار كذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الريحان هو الحب وقال القتبي الريحان الرزق يقال اطلب
ريحان الله اي رزق الله والله اعلم وقوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان هذا الخطاب للجن والانس وفيه دلالة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الانس والجن جميعا الا ترى انه قال في آية اخرى يا معشر الجن والانس
وقيل ليس انه خاطبهما جملة لكن يخاطب كل انسي وجني في نفسه كقوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا وليس ان قال الفريقان جميعا كونوا هودا تهتدوا ولكن قال اليهود كونوا هودا تهتدوا وقال النصارى
كونوا نصارى تهتدوا فعلى ذلك هذا ثم قوله عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان وعن جابر بن عبد الله قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقراء عليهم سورة الرحمن من اولها فسكتوا فقال لقد قراتها
على الجن ليلة الجن فكانوا احسن مردودا منكم كلما قرات عليهم فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا شيء من الائك
ربنا نكذب فلك الحمد ثم فيما ذكر من قوله والارض وضعها للانام فيها فاكهة الى آخره بذكر نعمه وقدرته وتدبيره
وعلمه ووحدانيته اما نعمه فانه بسط الارض لهم بما فيها انواع الحبوب والفواكه التي بها قوامهم والعصف
وانواع النبات التي بها قوام دوابهم واما بيان قدرته وسلطانه انشاء هذه الفواكه والحبوب واكمامها بعضها على
عن احداث شيء فعله في الغلف ليعلم ان صنعه وفعله خارج عن المعالجات والماسات التي لا يتحقق مع الاغطية
وان قدرته وفعله غير مقيسين بافعال الخلق وقدرتهم كذلك الاولاد في البطون والفراخ في البيض
وامثالها في الظلمات ليعلم انه لا يخفى عليه شيء ثم انشاء هذه الثمار والحبوب في الوقت الذي لا يحتمل
البرد والحر في الاكمام من وراء الحجب وامسكها فيها في حال ضعفها فاذا اشتد وقوي اخرجها في الغلف
في ذلك لطف منه ونعمة عظيمة على خلقه وفيه اثبات البعث من وجهين احدهما ان من قدر على
انشاء هذه الاشياء لقادر على اعادة الخلق والثاني انه لما انشأ لهم ما ذكر ثم منهم من كفر ثم استوى
في هذه الدنيا وفي الحكمة التفريق بينهما فلا بد من دار اخرى فيها يفرق بينهما وفيه لزوم الامتحان اذ لا
يحتمل ان ينشئ لهم هذه النعم ثم يتركهم سدى لا يتأدى شكر ما انعم عليهم ثم معرفة الشاكر منهم
والكافر لا يعرف الا بمعرف يعرفهم لان مقدار الشكر وكيفيته لا يعرف بمجرد العقل فيظهر
الى رسول يخبرهم عن الله تعالى ذلك فيكون فيه اثبات الرسالة ثم في اخراج هذه الحبوب والفواكه
كلها في وقت واحد من المشرق والمغرب على سنن واحد في زمان واحد من غير تفاوت دليل ان علمه
وتدبيره ازلي ان ذاتيان اذ لم يمنعه شيء عن شيء ثم اتساق ذلك واتصال ما ذكر من منافع الارض بمنافع
السماء من غير مدخل من احد دليل على وحدانيته اذ لو كان ذلك فعل عدد ما جرى ذلك على سنن واحد دليل وحدانية الله تعالى
على ما هو التدافع والتمانع في الامر الغالب بين اثنين عند الاختلاف والله الموفق وقوله عز وجل خلق
الانسان من صلصال كالفخار ذكر في خلق الانسان احوالا مختلفة مرة قال خلقه من تراب والتراب هو الذي لم
يصبه الماء ومرة قال خلقه من طين والطين هو الذي اصابه الماء واعجن ومرة قال من طين لازب واللازب
هو الذي يلتصق باليد ويلزقه وهو الخالص ومرة قال من حما مسنون وهو الذي اسود وتغير لطول المكث ومرة
قال من صلصال كالفخار والصلصال هو الذي له صوت اذا حرك وهو من صلصلة الحديد ويحتمل صلصال
اي منتن يقال صل اللحم اذا انتن والفخار هو الذي تكسر اذا يبس وقال ابو عوسجه الفخار الذي صنع فجائز ان يكون
هذه الاحوال التي ذكرت على اختلافها في ذلك الانسان كان في الابتداء ترابا ثم صار لازبا لانه كان من مادة الانسان
جيد الطين وحره ثم صار مسنونا منتنا اسود لطول مكثه وصلصالا لاكثرة تربيته والجودة يكون له صوت
والتشبيه بالفخار يحتمل وجهين احدهما التكسر ويبسه او لانه كان ذا جوف كالفخار او لطول المكث وكثرة التربية
اذ طين الفخار له هذه الصفات والله اعلم وقوله عز وجل خلق الجان من مارج من نار الا انه ذكر الانس والجن و...
لفظ الوحدان والجن جماعة وكذا قال ابو عوسجه الجان الجن وقوله من مارج من نار قال بعضهم المارج هو لهب
النار صافي لا دخان فيه يقال مرجت النار اذا التهبت فالمارج على هذا هي النار التي فارقت الحطب والتهبت
وارتفعت منه وكذا قال ابو عوسجه المارج ها هنا اللهب من قولك مرج الشيء اذا اضطرب ولم يستقر على
ما قال بعضهم في قوله مرج البحرين اي خلط وجميع بينهما يجيء ان يكون خلق الجان من نار غير منقطعة من
الحطب ولا خالية من الدخان وكذا قال ابو عبيدة من مارج اي من خلط من النار وعلى تأويل من قال في قوله مرج
البحرين اي ارسل احدهما في الآخر فهو يكون من نار منقطعة من الحطب وليس لنا الى معرفة ذلك حاجة انما الحاجة
الى معرفة ما اودع من الحكمة فيما ذكر من خلق آدم من التراب وخلق الجان من النار فالفائدة في ذلك
والله اعلم يخبر عن قدرته ان من قدر على خلق الانسان من ذلك التراب واخراج جميع ما في الدنيا من الناس من نفس
واحدة لا يحتمل ان يعجزه شيء وكذلك ما ذكر من خلق الجان من النار واخراج ما اخرج منه من النسل حتى اخذ الله

باسرها لا يعجزه شئ ولا ما لو اجتمع حكماء البشر والجن ادركوا المعنى الذي به انشاء الانسان منه واخرج هذا الخلق منه
وفى ذلك وجهان من الحكمة احدهما ما ذكرنا من القدرة على البعث والثانى ان كل ما ذكر من النقل والتغير من حال الى حال
واخراج ما اخرج منه لا يحتمل ان يفعل ذلك عبثا باطلا ولولم ولو لم يكن بعث لكان انشاء هذا الخلق عبثا
باطلا ولا قوة الا بالله **وقوله** عزوجل فباى الاء ربكما تكذبان يقول والله اعلم اذا لم تنكروا شيئا من الايات انه
ليس منه فما لكم تنكرون قدرته في البعث وغيره **وقوله** عزوجل رب المشرقين ورب المغربين وقال في موضع اخر رب
المشارق والمغارب وقد ذكرنا فيما تقدم ثم ذكر قوله رب المشرقين ورب المغربين ورب المشارق ورب
المغارب وذكر الحد لهما اعنى الشمس والقمر في الشروق والغروب على انهما طلعا بامره وغربا حيث غربا بامره لو كان
ذلك الا بامر لكن بانفسهما لكان ابطلعان ويغربان في جميع الاوقات والاطراف ولا يرجعان اذا بلغا مكانا
ولا يزدادان ولا ينتقصان في وقت من الاوقات ثم هذا كله منشأ للبشر مسخر لهم فيقول والله اعلم ما بال
المجعول لكم اطوع لله تعالى منكم حيث لا يجاوز الحد الذى جعل لهم ولا يتعدون امره الحقهما وانتم تجاوزون
امره ونهيه وتتعدون حدوده وفى الاية دليل على ان تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على نفى ما عداه الا ترى انه
خص رب المشرقين ورب المغربين ولم يدل على انه ليس رب ما بينهما او ليس برب ما سوى المشارق والمغارب
والله اعلم **وقوله** عزوجل مرج البحرين قيل جمع بينهما وخلط وقيل احدهما العذب والاخر الملح وقيل يلتقيان
اى يلتقيان **وقوله** عزوجل بينهما برزخ لا يبغيان اى بين البحرين حجاب وحاجز لا يبغيان قيل لا يختلطان ولا يمتزجان
ولا يتغير طعم كل واحد منهما بحاجز من لطفه في منعهما عن الامتزاج ومن طبع الماء الامتزاج والاختلاط فمن
قدر على هذا لا يعجزه شئ وقيل لا يبغيان اى لا يجاوزان حد الله تعالى الذى حد لهما ثم اختلف في البحرين
قال بعضهم احدهما بحر روم والاخر بحر هند وبينهما برزخ او سكان لا يبغيان اى لا يختلطان وهو قول
الاصم ومنهم من قال احدهما بحر روم والاخر بحر فارس بينهما برزخ اى جزيرة العرب وقيل احدهما بحر السماء
والاخر بحر الارض كقوله ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر
وبينهما برزخ وهو الهواء والارض وسكان الارض وهذا ايضا لطف منه تعالى **وقوله** عزوجل يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان منهم من قال يخرج من العذب والملح جميعا كما هو ظاهر الاية ومنهم من قال يخرجان
من الملح خاصة دون العذب وان كانت الاضافة اليهما وذلك جائز في اللغة كقوله يا معشر الجن والانس الم يأتكم
رسل منكم ولم يأت من الجن رسل وذلك كثير في القران ثم قرئ يخرج بنصب الياء ورفع الباء وبنصب الراء فالاولى
على جعل الفعل لغيرها كقوله تعالى تستخرجون منه حلية تلبسونها ولم يقل يخرج منه حلية ثم اختلف في اللؤلؤ والمرجان
منهم من قال اللؤلؤ ما عظم منه والمرجان ما صغر من اللؤلؤ ومنهم من قال على العكس واكثرهم على الاول كذلك روى
عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وكذا قال ابو عوسجة المرجان صغار اللؤلؤ والواحد مرجانة وقيل ان المرجان
المختلط من الجواهر من قولهم مرجت اى خلطت وقيل انه ضرب خاص من الجوهر يخرج من البحر وعن ابن عباس رضى
الله عنهما انه قال اذا جاء القطر من السماء انفتحت الاصداف فكان من ذلك اللؤلؤ وقيل انما قال تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج اللؤلؤ من العذب دون الملح لان العذب والملح يلتقيان فيكون العذب لقاحا
للملح كما يقال يخرج الولد من الذكر والانثى وانما تلده الانثى والله اعلم **وقوله** عزوجل وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام
عن ابراهيم رحمة الله انه قرأ المنشئات بكسر الشين وفسر بعض الناس المنشئات اى ظاهرات السير وعن الحسن انه
قرأها بفتح الشين قال ابو عبيدة وبها نقرأ الان تفسيرها انها التى قد رفع قلعها في البحر فهى الان مقلوع بها
فقيل المنشآت وهى المرتفعات والتى لم يرتفع قلعها فليست بمنشأة وقيل المخلوقات والجوارى هى السفن المنشآت
وقوله عزوجل كالاعلام اى هى في البحار كالجبال في البرارى وقيل وهى الاعلام انفسهما ثم في هذه الايات التى ذكر
وجوه من الحكمة واثبات القدرة لله تعالى وسلطانه احدها ان من قدر على تسخير البحار وانشاء ما فيها وعلم اخرج
ما فيها للادمى واتخاذ السفن واجراءها في البحار للوصول الى المنافع التى في البلدات النائية لقادر على البعث وغيره
والثانى ان لا سبيل الى معرفة ما في البحار من الاموال واتخاذ السفن واجراءها في البحار ومعرفة ما وراء البحار من البلدان
النائية وما فيها الا بخبر الرسل فيقول والله اعلم ما بالكم صدقتم الرسل اولا والاوائل فيما يرجع الى منافعكم الدنيوية
ولم تصدقوهم فيما يرجع الى الدين والاخرة من الوعد والوعيد ويقول ما بالكم لا تنكرون شيئا من هذه النعم
التى جعلها لكم انها من الله تعالى فكيف تنكرون ما اتاكم به الرسل عليهم السلام ثم في قوله وله الجوار المنشآت دلالة
نقض قول المعتزلة في انكارهم خلق افعال العباد فانه اضاف السفن الى نفسه بقوله وله الجوار المنشآت وقد اتخذها
بنو ادم بافعالهم فلو لم يكن له في افعالهم صنعا لكانت السفن لهم لا له والله اعلم **وقوله** عزوجل فباى الاء ربكما
تكذبان اذا لم يكذبا بشئ من الاء ربكما انه من الله تعالى ولم يكذبا ما اتاكم من الاخبار في منافع الدنيا فكيف تكذبان
اخبار الرسل بعد ما جاؤا بالايات والحجج **وقوله** عزوجل كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
يحتمل وجوها احدها اى ملك كل من في الارض فان ويبقى ملك ربك ابدا دائما والثانى يحتمل سلطان كل من عليها
او قوة كل من عليها وقدرته فانية ويبقى سلطان ربك وقدرته وربوبيته ليعلم ان ملكه وسلطانه ابدا دائم لا يحتمل
حتى يكون فناؤهم وذهابهم يدخل نقصا او وهنا في ملكه خلاف ملك ملوك الارض وسلطانهم وحاجاتهم

في طين الانسان

يكون قال هذا على الاياس للكفرة وقطع الرجاء عن عبادة من عبد دونه من الاصنام والملوك والرؤساء وما يخذ
ونهم كانهم يقول كل من عبد دونه او خدم او عمل لا لوجه الله فهلك فان ذاهب الا ما عمل لوجه
الله فانه باق والله اعلم والباطنية يقولون كل من عليها فان اى النفس الحيوانية ويبقى النفس الروحانية
ابدا لانهم يقولون اذا فنيت هذه الاجساد يبقى الله تعالى من اعمالهم الصالحات انفسا روحانية يبقى ابدا
ويحتمل وجه ربك اى كل ما يطلب من العمل وغيره رضاء الله تعالى فكنى بالوجه عن الرضاء وقوله عزوجل
يخرج على وجهين احدهما على خلق اجلال حق الله وامره وتعظيم ذلك والثانى ويجل الله تعالى من شاء
من خلقه اى منه اجلال من جل في الدنيا واكرام من اكرم في الاخرة والله اعلم **وقوله** عزوجل يسأله من
في السموات والارض يخبر الله عزوجل عن فزع اهل السماء واهل الارض اليه عند الاياس عن الخلق و
انقطاع الرجاء عنهم وهو يذكر انه المفزع في الاحوال كلها والخلائق كلهم ومنه يسألون الرزق والنجاة
وهو ما ذكر قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الاية وقوله عزوجل قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب وقوله واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه وقوله تعالى واذا مسكم الضر هذا صلة قوله كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك يقول والله اعلم شأنه وامره باق دائم ابدا وذهاب الخلق لا يدخل نقصا في شأنه وامره ولا
وهنا في سلطانه وملكه بل هو في شأنه وامره عند فنائهم كهو في حال قيامهم وجائز ان يكون ما قال
بعض اهل التأويل ان اليهود قالت ان الله تعالى استراح يوم السبت لا يقضى بشئ ولا يحكم ولا يأمر ولا يفعل
فعلا فنزلت الاية عند ذلك كل يوم هو في شأن من احداث وافناء واحياء واما قولوا اصله ان الله تعالى اذا
وصف بشئ يوصف بالازل يقال عالم لم يزل قادر لم يزل رازق بل انه لم يزل واذا ذكر بامر وتدبير مضاف
الى الخلق يوصف على ذكر الوقت فيكون الوقت للخلق لا له تعالى نحو ان يقال ان الله تعالى لم يزل عالما بجلوسك
ههنا او في هذا الوقت اذ لم يزل عالما بجلوسك الان او بمجئ الان او في هذا الوقت واذا وصفته بالماضى بانك
لم يزل عالما بما كان وبالمستقبل لم يزل عالما بما يكون انه يكون في وقت كذا وبالحال لم يزل عالما بكونه كائنا الحال
ونحو ذلك نفيا لوهم الخلق ان الخالق كيف يكون في الازل فعلى ذلك قوله عزوجل كل يوم هو في شأن ذكر اليوم
والوقت لئلا يتوهم يكون الخلق قديما والله اعلم **وقوله** عزوجل سنفرغ لكم ايها الثقلان الاية قرئ سنفرغ
بالنون والياء برفع الراء في الحالين قال ابو عبيد بالياء نقرأها كقوله تعالى يسأله من في السموات والارض
ذكر على المغايبة فكذلك هذا الذى يلى عليه قال الزجاج قوله تعالى سنفرغ لكم ليس هو الفراغ عن الشغل لكن
كما يقول الرجل لمن يريد تهديده سأفرغ لك اى ساجعل لك او كلام نحوه ومنهم من يقول هذا على الوعيد في كلام العرب
يقول الرجل سأفرغ لك والى الفارغ على الوعيد وقال ابو بكر الكيسانى ان الفراغ ليس يستعمل عن الفراغ
عن الشغل خاصة لكن يستعمل له ولغيره من نحو انجاز ما وعد واوعد كانه قال سنجيز لكم ما او
وعدنا لكم ايها الثقلان وعندنا ان الفراغ هو اسم لانقضاء الفعل وتمامه لا للفراغ عن الشغل
يقال فلان فرغ من شغله اذا فرغ من بناء داره اذا اتمه وانقضى ذلك لا تركه وان فرغ من شغل
تلك الدار وذلك العمل فهو مشغول بغيره دل انه ليس باسم للفراغ من الشغل اذ لو كان اسما للفراغ
من الشغل لا يوصف به وهو مشغول بغيره دل انه اسم للتمام والانقضاء لكن فهم الخلق
بعضهم من بعض الفراغ من الشغل لما ان فعلهم للشئ لا يتأتم الا بالشغل في ذلك ففهم ذلك
من فعلهم فاما الله سبحانه حيث لا يشغله فعل عن فعل ولا شئ عن شئ لم يجز ان يفهم من فراغه
من الشغل فراغه وبالله العصمة والتوفيق **وقوله** عزوجل يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان له تأويلان احدهما كانه
يقول لو مكن لكم النفاذ من اقطار السموات والارض ونواحيها فتنفذون فتجدون هنالك وتروا فيه
ايات من كذبت به الرسل عليهم السلام وما حل بهم بالتكذيب ثم قال لا تنفذون الا بسلطان اى لا
تنفذون لو مكن لكم من النفاذ الا وتجدون وتجيئون اهلك منهم ظاهر انه اهلكهم هو كقوله
تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين امرهم بالسير في الارض والتدبر في اثار
من اهلك بما اهلك من اهلك منهم وبما نجا من نجا والله اعلم والثانى على الانجاز اى لا تستطيعون
ان تخرجوا وتنفذوا من اقطار السموات والارض ولو مكن لكم من النفاذ والخروج منها لوجدتم ثم
السلطان وحكمى وملكى هنالك قال اى لا تقدرون الخروج من سلطانى وملكى حيث ما كنتم بل حيث
ما كنتم بل حيث ما سرتم وكنتم في سلطانى وملكى فلا تتخلصون من الموت والهلاك وهو كقوله تعالى فان
استطعت ان تبتغى نفقا في الارض او سلما في السماء الاية وقال الضحاك في حرف ابن مسعود رضى الله
يا معشر الجن والانس ان استطعتم فانفذوا ومن اقطارها لا تنفذوا الا بسلطان يعنى انه لا يجيركم
احد من الموت وانتم ميتون اى لا تأتون قطرا من اقطار السموات والارض الا وجدتم هنالك سلطان
الله وما هو تكثر يقول لا تستطيعون فرارا من الموت ولا تجيئا وان نفذتم من اقطار السموات والارض
فلن تخرجوا من سلطان وانا اخذكم بالموت حيث كنتم وهو كقوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة

الفلين دوماني

هو المفزع في كل حال

كل يوم هو في شان

اصل اصلحه وصف نفسه بشئ

سنفرغ اسم لانقضاء الفعل

في عدم الفرار من الموت

يكون

وقال بعضهم يبعث الله تعالى ملائكة عند الحشر فيحيطون بالدنيا يكون في اقطارها فلا تستطيع شيطان والانس
ولا جان ان يخرج من الاقطار ولو خرجوا كانوا في سلطان الله وقيل الا بسلطان اي الحجة وقال قتادة الا بملك
وقال الا بقدرة الله تعالى والله اعلم ثم اوعدهم فقال يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران قرئ شواظ
بضم الشين وكسرها روي عن الحسن بالكسر وكذا عن مجاهد وقرئ نحاس بكسر السين وضمه فمن رفع نحاس
عطفه على قوله شواظ ومن كسره عطفه على قوله من نار ثم اختلف في تاويل الشواظ والنحاس عن ابن عباس
رضي الله عنه النحاس الدخان وقيل الشواظ هو لهب النار الذي لا دخان فيه والنحاس هو الدخان وعن الكلبي
الشواظ لهب النار والنحاس الصفر الذي يذاب فيعذبون به وقيل الشواظ هو الذي فيه الدخان والنحاس
هو النحاس المعروف يذاب ويصب على رؤسهم وقال الضحاك الشواظ الدخان التي يخرج من اللهب ليس
بدخان الحطب والنحاس الصفر فمن قرأ بالخفض يقول لهب من نار ومن دخان ومن قرأ بالرفع اراد به الصفر
يقول يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس ذايب في النار وقيل النحاس في القراءتين يحتمل الدخان ويحتمل الصفر
والله اعلم وقوله عز وجل فلا تنتصران قيل لا تمتنعان من ذلك ويحتمل اي لا ناصر لكما كما يكون في الدنيا فان
قيل انه قد ذكر في اول الايات الالاء والنعم فيقرن باحدها فباي الاء ربكما تكذبان وقد انقطع ذكر الالاء ثم
وذكر المواعيد في هذه الايات فما فائدة قران قوله فباي الاء ربكما تكذبان باخرها قيل ان في الوعد ترغيبا و
في الوعيد ترهيبا فيرغب في الوعد ويخاف ويرهب من الوعيد فيرتدع ويمتنع عما يوعد فيكون في ذلك نعمة
عظيمة اذ بالوعيد يتم المحنة والمحنة يتم النعمة لذلك ذكر على اثر الوعيد فباي الاء ربكما تكذبان وقوله عز وجل
فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان يذكر تغير هذا العالم يومئذ لهول ذلك اليوم وهو كما ذكر من
تبديل السماء والارض حيث قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل
للكتب في غير ذلك من الايات وكذلك ما ذكر من تغير الجبال من قوله هباء منثورا وقوله كثيبا مهيلا وقوله كالعهن
المنفوش ونحو ذلك ثم قوله تعالى فكانت وردة كالدهان منهم من قال شبه السماء لكثرة تلونها بفرس الورد يكون
في الربيع بلون ثم يصير الى لون اخر ثم الى اخر فعلى ذلك ما ذكر من تغير السماء وتلونها ومنهم من قال شبهها بالدهان
وهو الدهن للينها وضعفها وهو كما ذكر في اية اخرى يوم يكون السماء كالمهل هو دردي الزيت لكن التشبيه بالمهل
انما يكون لكثرة التلون لا للين فيكون في هذا التاويل نوع وهاء والله اعلم وقيل انما تحمر وتذوب كالدهن وروي
ان سماء الدنيا من حديد فاذا كان يوم القيامة صارت من الخضرة الى الاحمرار من حر جهنم كالحديد اذا حمي
بالنار ثم قال بعضهم الدهان جمع الدهن ويقال الدهان الاديم الاحمر والله اعلم وقوله عز وجل فيومئذ
لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان اختلف في تاويله قال بعضهم اي لا يسأل انسي ولا جني عن ذنب غيره انما يسأل
عن ذنب نفسه نحو ان لا يسأل من اضل غيره عن ضلال ذلك الغير انما يسأل الذي اضله عن اضلاله ويسأل
الضال عن ضلاله كقوله ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا الاية ومنهم
من قال لا يسأل جني عن ذنب انسي ولا انسي عن ذنب جني ومنهم من قال لا يسألون سؤال استخبار واستفهام
اي ماذا فعلتم ما فعلتم ولكن يسألون لم فعلتم يطلبون عن الحجة لا عن نفس الفعل لان كل الكفار كقوله
تعالى وجوه يومئذ عليها غبرة وقوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم الاية وما ذكر من اعلام
المؤمنين من قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله تعالى ابيضت وجوههم وقال بعضهم لا يسأل
الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم وقوله عز وجل يعرف المجرمون بسيماهم ذكر الله تعالى في
كتابه للمجرمين علامة يعرفون في الاخرة بها على ما ذكرنا من اسوداد الوجوه وقال يومئذ واجفة ابصارها
خاشعة وقوله نطمس وجوها فنردها على ادبارها اي على اعقابها فهو والله اعلم يكون وجوههم
في اول الاحوال خاشعة ثم غبرة ثم مسودة ثم يطمس من نظر ذلك فنعوذ بالله من ذلك الاحوال
التي ذكر وقوله عز وجل فيؤخذ بالنواصي والاقدام قيل يكسر اصلابهم وظهورهم فيجمع اقدامهم و
نواصيهم فيرمى بهم في النار وقال بعضهم يغل ايديهم الى اعناقهم ثم يجمع بنواصيهم واقدامهم ثم
يدفعون الى النار وقوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي اذا وقفوا على الوصف ذكر عند ذلك
يقال لهم هذه جهنم التي كنتم تكذبون بها في الدنيا وقوله عز وجل يطوفون بينها وبين حميم ان اي يطوفون بين
جهنم وبين حميم فيجوز ان يكون كني بجهنم عما ياكلون وهي النار وبالحميم عما يشربون كانه يقول والله اعلم يطوفون
بين ما ياكلون وبين ما يشربون لا يشبعون عما ياكلون ولا يروون عما يشربون بل كلما اكلوا زادهم جوعا وكلما
يشربون زادهم عطشا والحميم هو الشراب الذي جعل لهم والان هو الذي قد انتهى حره غايته ونهايته
وقوله فباي الاء ربكما تكذبان الاية ومن الناس من قال في قوله فباي الاء ربكما تكذبان على اثر الوعيد انما
يقال لهم في الاخرة اي باي الاء ربكما تكذبان في الدنيا كقوله عز وجل وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
الى قوله وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الاية وقوله عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان ذكر الخوف
عن المقام بين يديه ربه ولم يبين خوفه ما ذا ولا اثره اذا خافه تركه او لا فجائز ان يكون ما ذكر من الخوف عن
المقام بين يدي ربه ما بين في اية اخرى وهو قوله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى يحتمل

وجهين احدهما نهى النفس عما يهواه والثاني منع النفس عن ان يهوى ما نهيت عنه والله اعلم وجائز ان يكون
في هذه الاية بيان ما ذكر في تلك الاية من الخوف من المقام بين يدي ربه اي خاف مقام ربه وترك ما هم
من المعصية او ما هوت نفسه ثم لسنا نعرف ما فائدة ذكر الجنتين له ليس لك في ثلاث واربع قال اهل
التاويل انما ذكر جنتين لان الجنان اربعة جنة عدن وفردوس وجنة النعيم فجنة العدن وجنة
النعيم للمقربين والشهداء والصديقين فالجنان الاخريان لمن دونهم من المؤمنين الذين هم الاصحاب
اليمين وجائز ان يخرج على وجهين احدهما ان يكون بصره اذا نظر يمينا وشمالا لا يقع الا على جنته لا يقع
على جنة غيره وكذلك اذا نظر من الاعلى ومن الاسفل يقع بصره على ملكه لا يقع على ملك غيره فليس ذلك
على تحقيق اخبار عن عدد الجنتين ولكن اخبار ان بصره حيث نظر لا يقع الا على ملكه وجنته والله اعلم
والثاني يكون له جنتان احدى الجنتين لترك المساوي والاخرى لاتيان المحاسن وذكر القتبي عن الفراء
في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان قال قد يسمي العرب الشيء الواحد باسم الاثنين اذا كان رؤس الاي
ومقاطعها لتحقيق الموافقة في المقاطع فعلى ذلك جائز ان يكون ذكر جنتان لموافقة مقاطع الاي والمراد
منه جنة واحدة لكن القتبي انكر عليه ذلك انما يقال ذلك اذا انقطع الكلام فاما اذا كان الكلام غير
منقطع فانه لا يقال ذلك والله اعلم ثم سمى البعث مقاما بين يدي ربه وسماه رجوعا اليه ومصيرا
وبروزا فهو على وجهين احدهما انه سماه بما ذكر لان البعث هو نهاية هذا العالم والثاني سماه بذلك لان
الكل احد يظهر في ذلك اليوم ان الامر لله تعالى وان التدبير له في الدنيا والاخرة وان لا تدبير لاحد سواه كقوله
عز وجل لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم جائز ان يكون ما ذكر من الجنتين للسابقين والشهداء على ما ذكره
بعض اهل التاويل وما ذكر من قوله ومن دونهما جنتان لاصحاب اليمين ثم نعت ووصف ما جعل لكل فريق
فاما نعت ما جعل للسابقين والصديقين والشهداء ما ذكر حيث قال ذواتا افنان قال عامة اهل التاويل
ذواتا اغصان ولكن ليس في هذا كثير حكمة لكن يحتمل ان قوله ذواتا افنان من العيون اي فيهما من كل فن
وكل نوع وقال مقاتل ذلك في الجنتين التين جعلهما لاصحاب اليمين مدهامتان والمدهم هو الذي يضرب
خضرته لشدته الى السواد وهو دون الاول في الوصف ان لم يصفهما الا بصفة واحدة ووصف تينك
الجنتين بالفنون وقال في تينك فيهما عينان تجريان وقال في اصحاب اليمين فيهما عينان نضاختان
والناضخ هو الذي لا يتبين جريانه ووصف تينك بالجريان او النضيخ دون الجريان وقال القتبي نضاختان
الفتان تفوران بالماء والنضخ دون النضح وهو الرأس وقال في جنتي السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان
اي صنفان ولونان اي شيء كان وقال في اصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان ذكر اشياء معدودة ونعم الاشياء
في تينك حيث قال من كل فاكهة زوجان التفضيل اولئك على هؤلاء وجائز ان يذكر في كل واحدة منهما حكمة على
حدة قوله ذواتا افنان ما ذكرنا ان فيهما من كل فن وكل نوع واحدى الفتنين هي العين المعروفة الموعودة والاخرى
التي لا يعرفون ولا يوعدون وقوله عز وجل فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان ولونان على غير تغير الطعم والفساد
يدخل في ذلك لان تغير اللون في الدنيا لا يكون للفواكه الا بعد دخول فساد فيها فيخبران تغير لونها لا لفساد يدخل
في ذلك والله اعلم وقال بعضهم انما ذكر الزوجين من الفواكه لما ان قلوب البشر قد خطرت باحد الزوجين ونشتهم تفتهم
والزوج الاخر هو لطف الله تعالى على عباده فضلا منه اليهم من غير ان يخطر على بالهم ولا وقعت عليه ابصارهم
ولا انتهت اليه امالهم اكراما لهم بها وامتنانا وقال بعضهم ليس المراد في هذه الايات تبيين ما لاهل الجنة ولكن
فيه تبيان فضل السابقين على اصحاب اليمين ان اولئك يعطون من الفضل ضعفي ما اعطي هؤلاء والله اعلم وقوله
عز وجل متكئين على فرش بطائنها من استبرق قال الفراء يجوز ان يكون البطانة والظهارة جميعا من شيء واحد من
جهة واحدة لكن سمي الجهة التي تلي اجسادهم بطانة والاخرى ظهارة كالسماء ان الجهة التي تلي الملائكة
هي بطانتهم وظهارتنا وما يلينا ظهارتهم وبطانتنا وكذلك كل شيء تلي انسانا فهو بطانة والجانب
الذي لا يليه ظهارته يقال هذا ظهر السماء للجانب الذي تراه والاخر بطن السماء والله اعلم وقال
القتبي لا ولكن ذكر البطانة من استبرق ولم يذكر الظهارة والعرف في الناس ان ظهارة فرشهم انفس
من البطانة والبطانة دون الظهارة فعلى ذلك في ذكره القتبي هو من صنيع الناس في الدنيا من اتخاذهم
الظهارة فوق البطانة لما لا يحتمل املاكهم التسوية بين ما بطن وما ظهر في النفاسة والرفعة فاما
الله سبحانه وتعالى فلا نفاد لخزائنه يفعل ما يشاء كيف شاء وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال
قد اخبرتم بالبطائن فكيف بالظهارة ثم الاستبرق اختلف فيه قيل هو ما غلظ منه بلسان قوم وقال
بعضهم هو ما رق ودق والله اعلم ولا تفسره نحن انه ما هو ولكن نعلم انه شيء وعد لهم بهم وهو شيء
يرغب فيه انفسهم والله اعلم وقوله عز وجل وجنا الجنتين دان جائز ان يكون ذكر هذا في حق السابقين الذين
سارعوا في الخيرات واستبطوا ما وعد لهم بما لم بروا الطاعاتهم قيمة ويغلبه خوفهم في التقصير في العمل
لله تعالى الواجب عليه وفي اوامره ونواهيه فقال وجنا الجنتين الذي وعد لكم وان قال اهل التاويل
اي الشجر وان منهم قربت حين يتنا ولها الرجل كيف شاء لكن يذكر هذا والله اعلم ان للجنتين وان بعد نافان

في تسمية الواحد باسم الاثنين

الصفة في وصف الجنة اللهم لا تحرمنا من فضلك العظيم

وجهين

الثمار منهم دانية قال ابو عوسجة الجنا الحمل واجتنيت الشجرة تجنى اذا حملت وادرك حملها وقوله عز وجل فيهن
قاصرات الطرف اى قصرن طرفهن على ازواجهن ولا ينظرن الى غيرهم لا تشتهيهم وقال فى اية اخرى حور مقصورات
فى الخيام ذكر هذا لان اهل الدين يكونون من اهل غيرة لا يريدون ان ينظر ازواجهم الى غيرهم ولا غيرهم ينظرون
اليهن فاخبر بالايتين انهن لا ينظرن الى غير ازواجهن ولا غيرهم اليهن حيث وصفهن بانهن قاصرات مقصورات
فى الخيام وقوله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قرئ لم يطمثهن بضم الميم وكسره قال الفراء لم
يطمثهن اى لم يفتضهن والطمث النكاح بالدمية وقال اهل التاويل لم يجامعهن انس قبلهم ولا جان
وقال ابو عوسجة اى لم يمسسهن انس فى التربية كما يربى الاولاد ولا جان على ما تمس الجن الاولاد فيفسدهم
ولكنهم كما وصف انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين وقوله عز وجل كانهن
الياقوت والمرجان قال اهل التاويل شبههن بالياقوت لصفائهن وبالمرجان لبياضهن وهو كما قالوا والله
اعلم وقوله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل هل جزاء الاحسان فى الدنيا الا الاحسان لهم
فى الاخرة اى هل جزاء فعل الحسن فى الدنيا الا اعطاء الحسن فى الاخرة وهى الجنة ولكن غيره كان
اقرب اى هل جزاء احسان الله تعالى بما انعم عليهم فى الدنيا الا الاحسان له بالشكر والقبول اى لا اتيان
فعل الحسن وهو الشكر له وحسن القبول لانه ليس يستوجب احد قبل الله تعالى باحسانه فى الدنيا
جزاء فى الاخرة انما الجزاء لهم بحق الفضل والانعام لا بحق الاستحقاق فيحتمل ان يكون قوله تعالى هل
جزاء الاحسان فى الدنيا الا الاحسان له فى الاخرة والله اعلم واستدل ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى
بهذه الاية على ان للجن ثوابا كما للانس فانه جرى الخطاب من اول السورة الى اخرها للجن والانس من قوله
يا معشر الجن والانس وقوله عز وجل لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فعلى ذلك يشتركون فى الوعد
والوعيد لكن ابو حنيفة رحمة الله يقول لا ثواب للجن فى ذلك من نحو الفواكه والسرر والجوارى فعلى
ذلك ما ذكر من الثواب لهم يجوز الثواب للجن يجوز الغير والله اعلم وقد ذكرناه فى غير هذه المواضع وقوله
عز وجل ومن دونهما جنتان فان كانت الجنتان اللتان سبق ذكرهما للسابقين والصديقين فهاتان اللتان
ذكرهما هاهنا لاصحاب اليمين على ما ذكره بعض اهل التاويل فجائز ان يكون قوله ومن دونهما اى
فى الفضل والقدر والمنزلة لفضل اولئك على اصحاب اليمين وان كان الجنتان جميعا لكل فريق منهم فجائز
ان يكون قوله ومن دونهما جنتان فى المكان والموضع لا فى الفضل والقدر فكانه قال من اى جهة وقع
بصرهم يقع فى جنانهم من فوق ومن تحت وعن يمين وشمال اى يكونون وسط الجنان لا يحتاجون الى
التحويل من مكان الى مكان كقوله تعالى لا يبغون عنها حولا وعلى هذا يخرج قوله تعالى مدهامتان على ما ذكر
هو شديد الخضرة الذى يضرب الى السواد فوصف هاتين دون وصف تينك الجنتين بقوله تعالى ذواتا
افنان على التاويل الاول وكذلك قوله تعالى عينان نضاختان على ما ذكرنا انها دون الجاريتين ولذلك
روى من الفراء قال العينان تجريان افضل من النضاختين بقوله نضاختان لانهما ينضخان بالخير والبركة
لاهل الجنة وقيل ينضخان بالماء وانواع الفواكه وروى عن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال ينضخان
بالمسك والعنبر كما ينضح طير الماء على بيوت اهل الدنيا وقوله عز وجل فيهما فاكهة ونخل ورمان من الناس
من احتج لابى حنيفة رحمة الله فيمن حلف لا ياكل فاكهة فاكل رمانا لا يحنث فى يمينه لانه احتج بهذه الاية
فى ان الرمان والرطب ليسا من الفاكهة لانه عطفهما على الفاكهة والشىء لا يعطف على نفسه انما يعطف
على غيره هذا هو ظاهر الكلام الا ان تقوم الدلالة على ان مراده بالذكر وان كان من جنسه لضرب من التعظيم
او غيره كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكائل والله اعلم وقوله عز وجل فيهن خيرات
حسان قيل الحسان الخلق وحسان الوجوه يقال امراة خيرة وخيرة ونسوة خيرات يقرا بالتثقيل و
التخفيف جميعا وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال لكل مؤمن خيرة ولكل خيرة خيمة وقوله عز وجل حور
مقصورات فى الخيام قيل اى محبوسات فى الخيام لا يخرجن عن الخيام واصله ما ذكرنا انهن يكن فى الخيام
لا يبرحن عن ازواجهن وقاصرات الطرف اى لا يرفعن بصرهن الى غير ازواجهن ولا يبغين غيرهم والله
اعلم وقوله عز وجل متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان هو قراءة العامة بغير الالف وعن عاصم الجحدرى
رفارف وعباقرى قيل الرفرف المجلس وقيل المجالس وقيل الرياض الخضر وقيل الخيام وقيل هو فضول
الفرش والبسط واما العبقرى قيل هو الزرابى وهو بالفارسية النخ وقال ابو عبيدة العبقرى الطنافس
الثخان وقيل لكل شىء من البسط عبقرى وقال القتبى وابو عوسجة العبقرى فى غير القران ثياب تتخذ بعبقر
وهى بلدة فينسب اليها وقوله عز وجل تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام قال ابو بكر الاصم اسم ربك من
ان يستحق غيره اسمه وقوله ذو الجلال اى يستحق على الخلق ان يجلوه ويعظموه من ان يسموا غيره باسمه
والاكرام هو ان يحقوا به ما لا يليق به من الولد والشريك وغيره ثم قيل فى فائدة تكرار قوله عز وجل فباى
الاء ربكما تكذبان فبا فى السموات والارض تكذبان فى الدلالة على وحدانية الله تعالى والشهادة له بانه
خالقهم ومرسل رسله وما ثبات بر عنه وذلك ان جميع ما فيهما من المال والطعام والشراب على ما ذكرنا

وذلك

وذلك كما يقول الرجل لاخر يليه ويعا فا ملمتك افتنكر هذا الم نكن ظمآنا فسقيناك افتنكر هذا ونحو ذلك وجائز
ان يكون فائدة التكرار غير هذا وهو انه خرج مخرج العظة والتذكير ومن شان الموعظة والذكرى التكرار و
الاعادة ليكون انجع واخذ للقلوب واقرب الى القبول والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا وقعت الواقعة هذا مما لا يبتدا به الخطاب وانما هو جواب سؤال
وخطاب لم يذكر فيحتمل ان يكون المؤمنون ذكروا كرامتهم التى وعدوا فى الاخرة فقال لهم اولئك الكفرة
متى يكون ذلك لكم فقالوا اذا وقعت الواقعة كما يسال الرجل متى يكون امر كذا فيقول اذا كان كذا فهو حرف
جواب لسؤاله وعلى هذا يخرج جميع ما ذكر فى القران من هذا النوع من نحو قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها
ونحو ذلك وقوله الواقعة كنا بها عنها جائز ان يكون تاويله اذا وقعت المثوبة العقوبة فيكون الواقعة كناية
عنهما وجائز ان يكون الواقعة اسما من اسماء البعث كالقيامة والساعة وغير ذلك والله اعلم وقوله عز وجل
ليس لوقعتها كاذبة قال بعضهم اى ليس لوقعتها مثنوية ولا ترداد ويقال حمل عليه فما كذب اى فما رجع وقال
بعضهم اى هى حق ليست بكذب وقال بعضهم اى لا يكذب بها احد اذا وقعت ليست كالايات التى عاينوها
فى الدنيا فما عرفوا انها ايات كذبوها كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما
سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون وغير ذلك يكذبونها مع العلم بانها ايات يقول تعالى اذا عاينوا القيامة
يقرون بها ويصدقونها ولا يكذبون بها كقوله فارجعنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ونحوه ويحتمل ان يكون قوله
ليس لوقعتها كاذبة اى ليست الانباء والاخبار التى جاءت على وقوعها وقيامها كاذبة بل هى صادقة وقوله
عز وجل خافضة رافعة قال بعضهم خافضة ليسمع القريب رافعة ليسمع البعيد وقال صاحب هذا التاويل
ان يقرا الواقعة هو الصيحة وتلك خافضة رافعة وقال بعضهم خافضة اناسا فى النار ورافعة اناسا فى
الجنة ويحتمل خافضة لمن تكبر وتعظم على الخلق وورده ورافعة لمن تواضع للخلق وانقاد له وقبله وقيل خافضة
لاهل الغار فى النار كقوله تعالى يوم يسحبون فى النار ورافعة لاهل الجنة كقوله فى مقعد صدق وقوله لهم قدم
صدق عند ربهم وقوله عز وجل اذا رجت الارض رجا يخرج على السؤال كانهم لما سمعوا وصف القيامة والواقعة
من المؤمنين فقالوا عند ذلك متى يكون الواقعة فعند ذلك قال اذا رجت الارض رجا وهو كقوله عز وجل
اذا زلزلت الارض زلزالها فزلزلت حتى يلقى ما فى بطنها وقوله عز وجل وبست الجبال بسا قيل
فتت حتى يصير كالدقيق ومنه يقال للسويق المبسوس والبسيسة سويق يلت بالزيت والخلط
وقال الحسن بست الجبال اى سيرت تسييرا وقوله عز وجل فكانت هباء منبثا قيل الهباء الذى
يكون فوق النار اذا خمدت لا يكون غيره منبثا اى متفرقا وقيل هباء منبثا اى ترابا منتشرا وقيل
الهباء المبثوث هو ما يطلع من سنابك الخيل وقيل الهباء الغبار الذى يراه فى الشمس اذا دخلت
من الكوة فيه اخبار عن شدة ذلك اليوم وهوله انه يفعل بالجبال كذا مع صلابتها وطاعتها
لله تعالى فكيف يفعل بكم يا بنى ادم مع ضعفكم وكفركم ومعصيتكم والله اعلم وقوله عز وجل ازواجا
ثلاثة اى صنفا فالثلاثة ما فسر عقيبه حيث قال فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشامة ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون الاية وقيل الاصناف الثلاثة المكذبون
والمحسنون والسابقون وقوله عز وجل فاصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة
يحتمل وجهين احدهما اصحاب الميمنة من اليمن واصحاب المشامة من الشوم والثانى سموا اصحاب
الميمنة لانهم اصحاب الطيبات واليمين وهى التى يستعمل فى الطيبات والكفرة اصحاب الشمال لانهم
اصحاب الخبائث والشمال يستعمل فى الخبائث وعلى ذلك قوله فاما من اوتى كتابه بيمينه لان فى كتبهم
طيبات وخيرات وفى الكتب الكفرة خبائث فمن اوتى كتابه بيمينه فهو اصحاب اليمين ومن اوتى كتابه
بشماله فهو اصحاب المشامة وكذا وقوله ثم والسابقون يحتمل وجهين ايضا احدهما السابقون
فى الخيرات يسبقون الناس فى كل خير والثانى السابقون فى الاجابة لله ورسوله الى ما دعاهم
اليه ثم جائز ان يكون الخطاب به للناس كافة الاولين والاخرين فيكون الناس كلهم اصنافا
ثلاثة السابقون واصحاب اليمين واصحاب الشمال وجائز ان يكون الخطاب بهذه الاية لهذه
الامة عامة ففيهم السابقون وفيهم اصحاب اليمين وهم اصحاب النظر فى الحجج والايات والتامل
فيهما اصحاب الشمال وهم الكفرة ثم قوله اصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة على التعجب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بما يكرمهم وعلى التعظيم لاولئك لعظم ما يعطيهم وكذلك قوله واصحاب
المشامة ما اصحاب المشامة يخرج على هذين وجهين على التعجب والتعظيم ما يحل بهم وكذلك قوله و
السابقون السابقون يخرج على هذا ايضا فلان ما امر فلان فيقال فلان فلان على تعظيم امره

وشانه فعلى ذلك هذا اشد في قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة يقول اصحابنا رحمهم الله فجعلهم الكفر كله ملة واحدة لانه جعل الله تعالى اهل الكفر على اختلاف مذاهبهم واديانهم زوجا واهل الاسلام زوجين حيث جعل الكل ازواجا ثلاثة والله اعلم وقوله عز وجل اولئك المقربون يحتمل ان يكون وصف القرب لهم لسبقهم في الخيرات في الدنيا ويحتمل انهم مقربون في الاخرة بالكرامات والمنزلة لسبقهم في الخيرات او في الاجابة والسبق فعلهم والتقريب بلطف من الله تعالى وفضل منه والله اعلم وقوله عز وجل في جنات النعيم جميع الجنات نعيم لان فيها نعيما وله ان يسمي واحدة منها نعيما والاخرى عدنا والفردوس والماوى لما له ان يسمي ما شاء ثم ما شاء وكيف شاء وقوله عز وجل ثلة من الاولين وقليل من الاخرين اختلف في ذلك قال بعضهم اي ثلة من الاولين ممن شهد رسول الله عليه السلام وقربوا منه وقليل من الاخرين ممن بعد من هذه الامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته وادراك زمانه وقليل من المقربين من الاخرين وهو ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وعلى ذلك قوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل على ما ذكر بذكر والله اعلم ومنهم من قال ثلة من الاولين اي جماعة من المؤمنين الذين كانوا في الامم الماضية وقليل من الاخرين اي من هذه الامة وهكذا يكون لو اجتمع اهل الايمان من هذه الامة مع الامم الماضية يكون هؤلاء اقل منهم ويحتمل ايضا ان السابقين المقربين من الامم الماضية اكثر من السابقين المقربين من هذه الامة لان الانبياء عليهم السلام كلهم من الامم السالفة وقال اهل التاويل لما نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الاخرين وجد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا وقالوا لا يدخل الجنة مثل الاولين وثلة من الاخرين لكن هذا لا يحتمل لانه خبر ولا يرد في الاخبار نسخ وما قالوه فهو نسخ والوجه فيه ما ذكرنا ويحتمل قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين هم اصحاب اليمين من الاولين والاخرين جميعا اي جماعة كثيرة من الاولين وجماعة كثيرة من الاخرين ثم يحتمل ان يكون الاولون والاخرون من هذه الامة ويحتمل ان يكون الاولون من الامم الماضية والاخرون من هذه الامة وهم المؤمنون وقوله ثلة من الاولين وقليل من الاخرين في المقربين خاصة والله اعلم وقوله عز وجل على سرر موضونة وقال في اية اخرى على سرر مصفوفة والسرر قد يكون في الدنيا مصفوفة ولكن لا يكون موضونة اي منسوجة والوضن هو النسج بحيث لا يكون بين السرر في الاخرة انفصال ولا فروج كما يكون في الدنيا لكن موصولة بعضها ببعض وقوله عز وجل متكئين عليها اي على السرر التي ذكر انها مصفوفة موضونة وقوله متقابلين اي يقابل بعضهم بعضا ولا يعرضون ولا ينظر بعضهم الى بعض بالقفا كما يفعل اهل المجالس في الدنيا يعرض بعضهم عن بعض ويجفو بعضهم بعضا بحرانهم يكون في الاخرة خلاف ما في الدنيا بحيث لا يتاذى بعض من بعض بوجه ما وقوله عز وجل يطوف عليهم ولدان مخلدون فيه انهم يعطون في الجنة على ما يستحبون في الدنيا من الشرف وطواف الولدان وكذلك ما ذكر من السرر والفرش وغير ذلك من انواع ما يرغب انفسهم في الدنيا ثم ذكر انهم ولدان وان لم يكن في الجنة ولاد فهو يخرج على وجهين احدهما ان يكون على هيئة الولدان وان لم يولدوا او سموا ولدانا لولادتهم في الدنيا وان لم يولدوا في الجنة لان التوالد في الدنيا لحاجة البقاء واهل الجنة باقون وقوله عز وجل مخلدون قال بعضهم اي المقرطون والخلد القرط وجمعه الخلدة وقال بعضهم هو من الخلود كقوله تعالى خالدين فيها اي باقون ويقال مسور من السوار وقوله باكواب واباريق هي الكيزان المدورة الروس التي لا عرى لها والاباريق التي لها عرى وخراطيم وجائز ان يكون الاكواب القداح التي يشربون بها لان في الدنيا يكون لاهل الشراب الاباريق والاقداح يصبون من الاباريق في القدح ويشربون منه لا يشربون من الاباريق فعلى ذلك وعدوا في الجنة وقوله عز وجل وكاس من معين الكاس هو القدح المملوء من الشراب واما المعين قال بعضهم هو الظاهر من الماء الذي يقع عليه البصر فوعد لاهل الجنة ذلك والله اعلم وقوله عز وجل لا يصدعون عنها ولا ينزفون قرئ بكسر الزاي وبنصبه اي لا يصدع خمورهم في الجنة رؤسهم كما يصدع خمور الدنيا اهلها وقوله ولا ينزفون قيل بكسر الزاي لا ينفد شرابهم وبالفتح لا يكون فيه انزليس فخمورهم لا افة التي تكون في خمور الدنيا من ذهاب العقل والصداع والنفاد وقوله عز وجل وفاكهة مما يتخيرون جميع فواكه الجنة مختارة لكن يخرج على وجهين احدهما ان جميع فواكهها مما يتخيرون والثاني ان العرف في الفواكه ان يقدم من اجناس مختلفة والوان لا من لون واحد ونوع واحد فيتخيرون من اي نوع اشتهوا وشاؤوا وقوله عز وجل ولحم طير مما يشتهون ان اهل الجنة انما يتناولون على التشهي لا على الحاجة وسد الجوع وهو كما ذكر وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقوله عز وجل وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون يحتمل تشبيه الحور العين باللؤلؤ وجهين احدهما لما لا شيء اصفى من اللؤلؤ والياقوت فضرب مثلهن لذلك لصفائه وبياضه والا ما خطر اللؤلؤ حتى تشبه الموعود في الجنة من الجواري به والثاني ان للؤلؤ فضل ومنزلة عند العرب وليس الخطر بغيره من الاشياء فيشبه ضرب مثلهن به لفضل خطر ذلك عندهم ليس ذلك بغيره وهو كقوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء ضرب مثل من يشرك بالله بالذي خر من السماء والشرك بالله اعظم مما ذكر لكن ليس شيء اعظم وابعد من الخر من فوق السماء السابع فعلى

ذلك الاول والله اعلم وقوله جزاء بما كانوا يعملون الله تعالى ذكر الاعمال جزاء كانهم عملوا له فضلا منه وكرما في حق عباده وان كانوا في الحقيقة عاملين لانفسهم كقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وكذلك ما ذكر من شرائه انفسهم واموالهم منهم وما ذكر من الاقراض بقوله تعالى واقرضوا الله قرضا وان كانت انفسهم واموالهم له وان كان عاملا على عباده في انفسهم واموالهم كانها ليست افضالا وكرما فعلى ذلك ذكر لاعمالهم جزاء كان منهم الى الله تعالى صنع واحسان وان كانوا عاملين لانفسهم ومنافع اعمالهم يرجع اليهم بفضله وكرمه والله اعلم وقوله عز وجل لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما هذا يرجع الى وصف خمور اهل الجنة اي ليس فيها الافات التي يكون في خمر الدنيا من ذهاب العقل وقول اللغو والهذيان مثل ما يجري على السنتهم في الدنيا حين شربوا الخمور ما ياثمون به وذكر لهم هذه الخمور في الجنة لان قوما يرغبون فيها في الدنيا فوعد لهم ليرغبوا فيها ويطلبوها بالامتناع عن شربها في الدنيا من الخمور المحرمة والله اعلم وقوله عز وجل الا قيلا سلاما سلاما يخرج هذا على وجهين احدهما اي الا كلاما فيه سلامة عن جميع الافات التي ذكر والثاني الا قيلا سلاما سلاما اي يحيي بعضهم بعضا بالسلام كقوله تعالى تحيتهم فيها سلام وقوله عز وجل واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود الاية اصحاب اليمين هم المؤمنون على ما ذكرنا ثم اختلف في ذكر شجر السدر لهم وما ذكر من الطلح وغير ذلك منهم من قال انما ذكر هذا لهم لتفضيل المقربين على اصحاب اليمين لانه قال في المقربين السابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم الى اخر ما ذكر من عظيم المكرمات التي ذكرهم ثم ذكر لاصحاب اليمين دون ذلك ليعلم تفضيل المقربين على اصحاب اليمين ومنهم من قال ان قوما من العرب ينتفعون بذلك لان لها ثمرة لكن ليست بمرغبة ولها شوك فاخبر الله تعالى ان لهم في الجنة ذلك بلا شوك ولا اذى بل رغب فيه وهو كما وعد لهم من الخمور ثم نفى عن خمورها الافات فعلى ذلك جائز ان يكون شجر السدر فيها بغير افات والله اعلم وقوله عز وجل وطلح منضود ومنهم من قال هو طلح منضود متراكم كما ذكر في اية اخرى وطلع نضيد ذكر في احدى الايتين فعيل وفي الاخرى مفعول وذلك جائز في اللغة وقيل طلح بالحاء هو الموز وذكر ان عليا رضي الله عنه سمع قارئا يقرأ وطلح منضود فقال علي رضي الله عنه ما شأن الطلح انما هو طلع فقيل له ان في المصحف وطلح افلا نغيره فقال ان المصحف لا يغير اليوم وهذا يؤيد التاويل الاول قال ابو معاذ الطلع في كلام العرب شجر عظام كثير الاغصان واحدها طلحة وقال مخضود اي مقطوع الشوك خلقت هنالك هكذا بلا شوك ومنه قوله عليه السلام في شجر الحرم لا يخضد شوكها ولا يعضد شجرها وقوله عز وجل وظل ممدود يصف انه ليس فيها شمس يؤذي حرها ولا برد يؤذي بل ظل لان الظل شيء لطيف لا اذى فيه ولا شيء اثقل على الابدان بل هو شيء يوافق البدن ويخف عليه وقيل ممدود لانه لا شمس فيها فينسخه وبالشمس يعرف الظل ها هنا وظل الاخرة ممدود ابدا وقوله عز وجل وماء مسكوب قيل جار غير منقطع وهو قول القتبي وقال ابو عوسجة اي مصبوب والاولى كانه اقرب اي جار ابدا ليس كمياه الدنيا الا ان يراد بالانصباب صبه من الاعلى الى الاسفل وذلك مما رغب اليه في الدنيا ثم وقوله وماء مسكوب جائز ان يكون ذكر هذا لاصحاب اليمين وما ذكر من قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله وقوله ومزاجه من تسنيم فيكون للمقربين قوله عينا يشرب ولاصحاب اليمين ومزاجه من تسنيم وكذلك ما ذكر من جنات تجري من تحتها الانهار للمقربين يكونون في العليين ويكون الانهار تحتهم وما ينسكب وينصب من الاعلى لاصحاب اليمين لانهم يكونون دونهم في الدرجة والله اعلم عز وجل وفاكهة كثيرة لا مقطوعة كانقطاع فواكه الدنيا يخبر انها لا ينقطع في الجنة في وقت من الاوقات وانها كلما قطعت مرة جئت اخرى مكانها بهيئة الاكل من غير ان يحتاج فيه الى وقت النضج كما في الدنيا ينقطع من وقت خروجها الى وقت نضجها وبعد النضج والادراك ينقطع الى وقت وجود حمل اخر وقوله عز وجل ولا ممنوعة اي لا فوتها تصير ممنوعة كفواكه الدنيا اذ هي ربما يمتنع بافة تصيبها وقال القتبي وابو عوسجة لا مقطوعة اي لا يحبس كما يمنع في الدنيا بعضهم من بعض وقوله عز وجل وفرش مرفوعة اي مرفوعة القدر والمنزلة او مرفوعة بنفسها في القامة وهو ما ذكرنا في قوله تعالى والسماء رفعها وقيل وفرش مرفوعة النساء يقال امرأة فرش ونساء فرش وقوله عز وجل انا انشاناهن قال الامام وغيره ان هذا صلة قوله وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون كانه قال على اثره وقال القتبي انه لما ذكر على اثر قوله وفرش مرفوعة انا انشاناهن دل ان الفرش كناية عن الازواج اذ هن اللؤلؤ بفرش وواحدة الفرش فرشه وقيل قد استفرشت الناقة اذا اشتهت الحمل والاشبه ان يكون هذا على صلة وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون اذ ذكر في قوله وحور عين على ذكر اثر المجالس والزوجات لا معنى لذكرهن في هو الموضع وقوله انا انشاناهن انشاء اي انشاناهن في الابتداء على هيئة الاستمتاع ليس كنساء الدنيا وهو كما ذكرنا في قوله في صفة الفواكه انها غير مقطوعة ولا ممنوعة اي انها تخرج اول ما تخرج على هيئة الاكل لا كثمار الدنيا وقوله عز وجل فجعلناهن ابكارا عربا اترابا قيل اي خلقناهن كذلك ويكن ابدا كذلك كلما ذهبت عذرتهن عادت فيكن ابدا على تلك اللذة لانهن انشئن هكذا والله اعلم وقال عامة اهل التاويل في قوله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا اي خلقت نساء الدنيا من الشبات والابكار خلقا

خلقا جديدا سوى الخلق الذى كان فى الدنيا فجعلنا هن ابكارا وكن فى الدنيا عجائز وثيبات وروى على ذلك خبر عن
النبى صلى الله عليه وسلم ان شيت انه قال فى قوله انا انشأناهن انشاء الشيب والبكر وفى بعض الاخبار قال ان العجوز
لا تدخل الجنة ثم قوله انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا ومن قال هو صلة قوله وحور عين هو ليس من
نساء الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل عربا اترابا بجزم الراء مخففة ومضمومة وقال ابو عبيد يقرأها بالضم
لوجهين احدهما التفخيم والثانى انها اقيس فى العربية لان واحدها عروب وهو مثل صبور وصبر وشكور و
شكر واما الوجه الاخر التخفيف وقيل فى تاويله عربا عاشقات لازواجهن وقال ابو عوسجة العروب
المراحة وقال القتبى هى المتحببة الى زوجها وقيل الغنجات لازواجهن وقيل ان اهل مكة يسمونها العربة واهل
مدينة غنجة واهل العراق الشكلة وقال سعيد بن جبير عربا ضبعات والضبعات هى التى تعرض الزوج من
الشهوة ويقال للناقة اذا اشتهت الضراب ضبعة وقوله عز وجل اترابا اى مستويات الاسنان وقال القتبى الترب
واللدة واحدة وهو بالفارسية همزاد واصله انهن انشئن بلا ولاد يتقدم ويتأخر كما يكون فى الدنيا يتفاضلن
فى الاسنان فقصرن فى الاخرة اترابا ثم قال وثلة من الاخرين فقد ذكرنا تاويله انه يخرج على الوجهين وروى عن
ابن عباس رضى الله عنه صلى الله عليه وسلم انه قال هما جميعا من امتى وكذلك تاويل قوله تعالى ثلة من الاولين
وقليل من الاخرين وقوله عز وجل واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال وذكر فى اصحاب اليمين مثله من التعجب
والخبر عما يكرمهم ويعطيهم من انواع النعم وذكر اصحاب الشمال وذكر على اثره ما اوعد لهم من العذاب
والهوان بقوله فى سموم وحميم الاية ثم ذكر فى اول السورة اصحاب الميمنة والمشأمة ولم يذكر لهم الثواب
ولا العذاب وذلك والله اعلم لان فى ذكر الميمنة والمشأمة دلالة ما لهم لان الميمنة من اليمن والمشأمة
من الشوم ففى ذكر ذلك بيان لهم من الكرامات وما لاولئك من العقوبات وليس فى ذكر اليمين والشمال
بيان العقاب فذكر على اثر ذلك ليعرف ما لكل فريق من الجزاء والله اعلم وقوله عز وجل فى سموم وحميم قيل
السموم هو فيح جهنم والحميم هو الذى قد انتهى حره غايته وقيل السموم هو حر النار وقيل هو ريح باردة
وقيل ريح حارة واصله انه لما اصابهم السموم اشتد بهم العطش فعند ذلك يشربون الحميم رجاء ان يسكن
بهم عطشهم ويذهب ذلك عنهم فلا يزداد لهم بذلك الا شدة عطش على ما كان والله اعلم وقوله وظل من
يحموم وقيل هو دخان اسود وقال بعضهم اليحموم هو من الحميم وقال ابو بكر اى ظل من بخار يحمل اليحموم نحاراتر
الظل الذى ذكرها هنا يحتمل ان يكون هو الظل الذى ذكر فى قوله انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب وقوله لهم
ظلل من النار وقيل هو السواد ومن النار وقوله عز وجل لا بارد ولا كريم لا بارد لانه من النار ولا كريم لانه
لهوانهم ليس لكرامة وقال الحسن وقتادة لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وقوله عز وجل انهم كانوا قبل ذلك
مترفين اى هذا الجزاء لهم لانهم كانوا يقولون فى الدنيا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين وانما قال
ذلك مترفوهم دون السفلة والاتباع لقوله تعالى الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون
وقوله عز وجل وكانوا يصرون على الحنث العظيم اختلف فيه قال بعضهم كانوا يصرون على الحنث اى على الاثم
العظيم وهو الشرك وقيل الحنث العظيم الكبائر والاصرار هو الادامة عليها وقال بعضهم يصرون
على انفسهم يقيمون ويحنثون فيه كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت اقسموا
انهم لا يبعثون فحنثوا فى ذلك لانه تعالى اخبر انهم يبعثون حيث قال بلى وعدا عليه حقا ويحتمل ان
يكون قسمهم ما ذكروا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن بها وقوله لئن جاءهم نذير ليكونن
اهدى من احدى الامم وقد جاءهم النذير فلم يكونوا اهدى وجاءتهم الايات فلم يؤمنوا بها فحنثوا فيها فان
قسمهم بانهم لا يبعثون حنثوا حين فراغهم من اليمين لانهم ابوا عن ذلك وفيه دلالة لصحة مذهب
اصحابنا ان من حلف لمس السماء انه يحنث عند فراغه من اليمين وقوله عز وجل وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون اواباؤنا قالوا هذا على الاستهزاء والاستبعاد للبعث الا ترى انه اجابهم فقال
قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم قوله ان الاولين والاخرين يخرج على وجهين
احدهما اى يجمع الاولين والاخرين فى التخليق اى جمع بين الاولين والاخرين فى التخليق حيث خلق الاخرين على
اثر الاولين والاولين يكونوا وقتما فالمجموعون اذا الاخرون لم يكونوا مخلوقين بعد والثانى مجموعون
فى الارض اى فى القبور الى ميقات يوم معلوم وقوله عز وجل ثم انكم ايها الضالون المكذبون بايات
الله الدالة على توحيده ورسله والبعث وقوله لاكلون من شجر من زقوم اخبر ان المكذبين يكونون اكلين
من الشجر الزقوم فيكون كما اخبر ثم شجرة الزقوم هى التى ذكر انها تخرج فى اصل الجحيم طلعها كانه رءوس
الشياطين وقد ذكرنا تاويله فى موضعه وقوله فمالئون منها البطون يخبر ان ليس لهم مما ياكلون ويشربون
الا امتلاء البطون لا يدفع عنهم ما ياكلون من الزقوم وغيره الجوع ولا ما يشربون من الحميم العطش عنهم
يزداد لهم بذلك جوعا وعطشا على ما كان والله اعلم وقوله فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم قيل
الهيم هو ابل ياخذه الداء فيشرب حتى يملا البطن فلا يروى بذلك الداء الذى فيه فعلى ذلك اهل النار يشربون
وياكلون حتى يمتلى بطونهم فلا يروون ولا يشبعون والله اعلم وقيل الهيم الابل الذى بهم فى الارض ولا برد

الماء ابانما

الماء ابانما هم اذا ورد الماء فيشرب فيمتلئ بطنه حتى يهلك لامتلاء البطن وهو قول الاصم وقوله عز وجل هذا نزلهم
يوم الدين اى الذى ذكر غذاؤهم ورزقهم يوم الدين وقوله عز وجل نحن خلقناكم فلولا تصدقون هذا يخرج
على وجهين احدهما يقول والله اعلم لما صدقتمونى ورسلى بانا خلقناكم فى الابتداء فهلا صدقتمونا ورسلنا
بانا نعيدكم تارة اخرى اذ لا تجوبر فى ابتداء الاشياء اكثر منها فى الاعادة وهو ما قال وهو اهون
عليه والثانى انكم صدقتموه ورسله انه انشأكم فى بطون امهاتكم فى الظلمات الثلاث ونقلكم من
حال الى حال لا يحتمل ان يترككم سدى بلا عاقبة فيكون فيه اثبات البعث اذ لولا ذلك لكان خلقهم
وتحويلهم من حال الى حال عبثا كما قال الله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا والله اعلم وقوله عز وجل افرايتم
ما تمنون انتم تخلقونه ام نحن الخالقون قد علموا انهم لم يخلقوا ما تمنون ولا خلقوا انفسهم فيقول والله
اعلم قد اقررتم انكم لم تخلقوا ما منيتم ولا انفسكم ولا يملكون ذلك فقد عرفتم ان الله هو خالقكم وخالق
ذلك كله وهو المالك لذلك كله فاذا عرفتم ذلك وانتم اهل تمييز واكمل عقلا من غيركم فاذا لم تملكوا خلق انفسكم
فالذين هم دونكم احق ان لا يملكوا خلق انفسكم وخلق ما ذكرتم ان الله تعالى هو خالق ذلك كله فكيف عبدتم
غيره وصرفتم الالوهية الى غيره وقوله عز وجل نحن قدرنا بينكم الموت يحتمل وجوها احدها انه لما كان
هو الذى خلقكم وما ذكرتم قدر بينكم الموت وفيكم الولى له والعدو وقد سوى فى الدنيا بين الولى والعدو
وفى الحكمة التفريق بينهما دل ان هنالك دارا اخرى يفرق بينهما والثانى قدرنا بينكم الموت اى
المعجل والمؤجل بان لم يجعل موت جميعكم فى وقت واحد بل جعل معجلا ومؤجلا فى الاصل وقدر ان يكون
مدة اجل هذا اكثر من مدة اجل الاخر وقيل نحن قدرنا بينكم الموت اى سوينا بينكم فى الموت بين عزيزكم
وذليلكم ورفيعكم ووضيعكم لا يسلم احد عنه ويحتمل وجها اخر هو اولى وهو انه لما قدر بينكم الموت
وكل واحد منكم يكره الموت ثم لم تملكون دفع الموت عن انفسكم دل ان هاهنا قاهرا قادرا يجب القول
بوجوده والانقياد لاوامره ونواهيه وقوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اى وما نحن
بمغلوبين فى تبديل امثالكم ويقول وما نحن بعاجزين على ان نبدل امثالكم وقوله وننشئكم فيما لا تعلمون
قال ابو بكر الاصم فيما لا تعلمون من تبديلكم الى صورة ذميمة قبيحة كصورة القردة والخنازير ونحوها وقيل
ننشئكم فيما لا تعلمون اى خلق شاء وهو اقرب من الاول وجائز ان يكون معناه وننشئكم فيما لا تعلمون
فى ظلمات ثلاث الذى لا يبلغه علم البشر ولا تدبير الحكماء الى ان بلغوا ما بلغوا فمن تلك ذلك لا يحتمل ان
يعجز عن بعث او غيره والله اعلم وقوله عز وجل ولقد علمتم النشأة الاولى فهو على ما ذكرنا انكم لما عرفتم
انه هو الذى انشأكم الاولى لا عن اصل سبق لا يحتمل ان يعجز عن النشأة الاخرى لانها مثل الاولى بل فى
وهمكم اسهل واهون وقوله عز وجل فلولا تذكرون وحدانيته او هلا تذكرون انه قادر على البعث
اولا تذكرون انه هو المستوجب لشكر ما انعم عليكم او هلا تذكرون نعمه والحسانه ومن الناس من قال
النشأة الاولى هاهنا نشأة ادم عليه السلام وخلقه اى علمتم نشأته لا من اصل ولا احتذاء الغير فمن قدر
على ذلك فهو على النشأة الاخرى لقادر وعلى تقدير وهكم اقدر والله الموفق وقوله عز وجل افرايتم ما تحرثون
انتم تزرعونه ام نحن الزارعون جائز ان يكون هذه صلة ما تقدم من قوله افرايتم ما تمنون كانه يقول
افرايتم تخلقون الزرع ام نحن الخالقون له فيكون فيه الذى ذكرنا فى ذلك والله اعلم والثانى افرايتم
ما تحرثون انتم جعلتم الحراثة بحيث ينبت ام نحن الجاعلون بحيث ثم قال لو نشاء لجعلناه حطاما اى
يابسا وقال ابو عوسجة اى متكسرا ليذكر نعمته التى انعمها عليهم يقول هو الذى جعله بحيث ينتفع و
يبقى ولو شاء لجعله بحيث لا ينتفع به او يخبر عن قدرته انه قادر على الانبات وعلى الاهلاك فعلى ذلك
قادر على الانشاء والاعادة واهل التاويل يقولون افرايتم ما تحرثون انتم تنبتونه ام نحن المنبتون
واصله ما ذكرنا وقوله عز وجل فظلتم تفكهون قيل تعجبون وقيل تندمون وهى لغة عكل وقال
ابو بكر الاصم اى صرتم تتنعمون كما يقول الرجل لاخر لو اخذت مالك او سلبته صرت غنيا او استغنيت
ولكن لا ندرى ايقال ما ذكر ام لا فان كان يقال ذلك يعتبر تقديره كانه يتلذذ لكثرة ما يذكره فى كل وقت
لان الرجل اذا ذهب ماله لا يزال ذكره كالمتلذذ به والمتنعم وعن ابن عباس رضى الله عنه فظلتم تفكهون
اى تلاومون وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه فصرتم تفكهون وقوله فظلتم يستعمل فى زمان النهار
دون الليل وقوله عز وجل انا لمغرمون بل نحن محرومون اى فظلتم يقولون انا لمغرمون ثم اختلف فيه قيل
انا لمعذبون بقوله ان عذابها كان غراما وقيل انا لمذمومون الملقون للشر ونحو ذلك لكنه من الغرم
الظاهر لانه يرجع خسران فى ماله او هلاك يلحقه الغرامة لما يحتاج الى غيره واصله كانه يقول
والله اعلم لو جعله حطاما يابسا لا ينتفعون به ظلتم تقولون انا لمغرمون وقوله بل نحن محرومون قيل
المحروم هو الذى ينتفى عنه المال او ما ينتفع به وقال بعضهم محدودون وقيل محارفون لكن الحرف
ظاهر لا يحتاج الى التفسير والله اعلم وقوله عز وجل افرايتم الماء الذى تشربون ءانتم انزلتموه من المزن
ام نحن المنزلون يذكر نعمه عليهم بما انزل لهم من الماء العذب فيشربون واخبر انه لو شاء لجعله هم

لما جاء ما كان ما يهلك الا نفس ولا يقوم له وكذلك قوله لو نشاء لجعلناه حطاما حتى يخرج من ان يكون غذا فيه
ولكن بفضله ورحمته ابقى لهم ذلك اغذية واشربة ولذلك اغذية واشربة ولذلك قال في اخره فلولا
تشكرون اي هلا تشكرون انعم عليكم ثم في هذه الايات دلالة نقض قول المعتزلة في افعال العباد حيث
قال افرايتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن الخالقون والامناء هو فعل العبد اذ هو دفق المني ثم اخبر انه هو خالق
ذلك حيث قال انتم تخلقونه وكذلك الحراثة والزراعة فعل العباد واخبر انه خالق ذلك في قوله تعالى
لو نشاء لجعلناه حطاما واجاجا نقض قولهم في الاصلح فانه يقال لهم ان قوله لو نشاء لجعلناه ثم لم
يفعل ذلك فقد ترك الاصلح لهم او يكون الاصلح لهم في ابقاء ذلك فيصير كانه قال لو نشاء لجعل ما هو حق
وعدل جورا ولا يجوز ان يقال ان الله تعالى لو شاء ان يجور لجاز فعل اي الوجهين حمل كان في ذلك نقض مذهبهم
وفي قوله تعالى قدرنا بينكم الموت نقض قولهم من ان المقتول لم يمت باجله لانه تعالى اخبر انه قدر الموت
بينهم وعندهم ان من قتل لم يمت بما قدر الله تعالى ولم يمت باجله وقد اخبر انه هو قدر ذلك وانه لا يسبق في
ذلك بقوله وما نحن بمسبوقين ولو كان على ما تقوله المعتزلة يموت قبل اجله فقد قالوا انه لم يقدر له الموت
وان القاتل قد سبقه ومنعه عن وفاء ما جعل له من الاجل والبلوغ الى ذلك الاجل الذي جعل له وكذبه
في خبره انه يبلغ الى ذلك الاجل والله الموفق ثم قوله أانتم انزلتموه من المزن اختلف في تاويل المزن قال عامة
اهل التاويل والادب المزن هو السحاب وقال ابو بكر الاصم المزن هو الماء العذب فعلى قوله يكون
حرف من صلة كانه قال أانتم المزن والظاهر ما ذهب اليه اولئك انه ينزل من السحاب والله اعلم
وقوله عز وجل افرايتم النار التي تورون قال بعضهم تقرحون فيقال قرحت النار واوريتها اي اخرجتها
يقال ورت النار تري وريا فهو وار اي ضاءت وقوله عز وجل أانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشئون
قيل هي الشجرة التي تجعل حطبا ويوقد بها النار ويحرق وقيل هي الشجرة التي فيها النار وهي التي يتخذ
منها الزنود والاول اقرب والله اعلم وقوله عز وجل نحن جعلناها تذكرة قال بعض اهل التاويل اي جعلنا
هذه النار تذكرة للنار الكبرى وهي نار الاخرة ويحتمل ان يكون نحن جعلناها اي هذه النعم الحاضرة
تذكرة للنعم الموعودة او جعلنا هذه الشدائد والبلايا في الدنيا تذكرة لما اوعدها في الاخرة والله اعلم
وقوله عز وجل ومتاعا للمقوين قال بعض اهل التاويل اي متاعا للمسافرين خص المسافرين لنزولهم القوا
وهو القفر هو قول القتبي وقيل المقوين المستمتعين وقال ابو عوسجة المقوي الذي لا زاد له وقيل الذي
يقع في ارض قوا والقوا الخالية من الناس وقال ابو عبيد اي الذي لا زاد له معه ولا مال له بالنار و
لا احوج اليها من الذي معه الزاد بل صاحب الزاد اليها احوج ويقال رجل مقوي اذا كانت معه مطية
قوية وقوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم عن ابن مسعود وابراهيم انهما قرا
بموقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم عن ابن مسعود وابراهيم انهما قرا بموقع النجوم على الوحدان
وعن الحسن انه قراها بمواقع على الجمع وبه اخذ ابو عبيد وقال ان بعض اهل التاويل تاولها على منازل
القران وبعضهم على مغايب الكوكب ومساقطها واي الوجهين كان فالجمع فيه اولى من الوحدان ثم اختلف
في قوله فلا اقسم من قال ان حرف لا ههنا صلة كانه قال اقسم بمواقع النجوم وذلك جائز في اللغة لعوم
ما منعك ان لا تسجد ونحوه يكون على الصلة والزيادة على التوكيد ومنهم من قال على اثبات حرف لا
لكنه جعل ذكره لرد قول كان من اولئك الكفرة ولدفع منازعة كانت منهم لكن لم يذكر ذلك لما كانت معروف
بينهم فرد ذلك بقوله فلا ثم ابتدا القسم بقوله اقسم كانه قال قسما بمواقع النجوم ثم اختلف
في تاويل قوله بمواقع النجوم على الوجهين اللذين ذكرناهما وقال بعضهم بمواقع النجوم اي بمواقع نزول
القران نجوما دليله ما ذكر على اثره انه لقران كريم في كتاب مكنون والثاني بمواقع النجوم النجوم المعروفة
على ما قال بعضهم ثم ان كان المراد منه الكوكب فالقسم بها يكون على وجوه احدها لعظم موقع النجوم
ومحلها في القلوب وجليل قدرها عند الناس حتى يجعلها بعض الملحدة مدبرة العالم او لكثرة منافع
الخلق بها من معرفة الطرق بها والسبل ومعرفة كثرة الانداد والمياه ومعرفة الاوقات والازمنة
وغيرها مما يكثر ذكرها او بمواقع النجوم اي مساقطها وفي ذلك اخبار وانباء عن شدة طاعة النجوم
وتسخيره اياها للخلق بحيث تملك قطع مسيرة خمسماية بيوم وليلة واحدة ما لا يتوهم قطع ذلك
من سواها من ذوي الارواح ما لاجنحة التي هي اسرع لقطع المسافات والوصول الى مقاصدها والله
اعلم ثم قال اهل التاويل باجمعهم بان القسم بها من الله تعالى وجائز ان يكون القسم من الرسول
صلى الله عليه وسلم لكن اضاف الى نفسه تعليما منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسم برب
هذه الاشياء وكذلك تعليم بقية من الرسل القسم برب هذه الاشياء اذا المتنازع بينهم وبين
الله لتقسم وانما وضع القسم لتاكيد الخبر عند الانكار والتنازع ولكن التنازع فيما بينهم وبين
الرسل عليهم السلام وكذلك ما ذكر فلا اقسم برب المشارق والمشارق ليس من الله تعالى ولكن من
الرسول اذ لا يحتمل ان يكون الرب عز وجل هو المقسم فيقول برب المشارق بظاهره ان يكون

[Right margin, uncertain reading:] في المقتول ميت باجله

[Right margin, uncertain reading:] ما في الدنيا نعمة وبلية تذكرة الاخرة

الرسول هو المقسم بها فعلى ذلك الاول والله اعلم ومن الناس من قال ان الاقسام التي جرى ذكرها في القران
بالاشياء التي ذكرها لو لم يكن القسم بها لكانت تلك الاشياء يؤكد ويوجب القسم ويؤكد ان لو وقع
بها القسم لان الاقسام فيه انما جرى اكثرها في ايجاب البعث والتوحيد واثبات الرسالة ونحوها
وما جرى ذكره لو لم يكن القسم بها لكان يوجب ما يوجب القسم لان في هذه الاشياء دلالات على البعث
والتوحيد والرسالة والله الموفق وقوله عز وجل انه لقران كريم على قول من يجعل القسم بالقران فهو ظاهر انه
لم يقول انه القران كريم اي الذي اقسم به وانزله نحو ما هو كريم وعلى التاويل الذي يجعل القسم بالنجوم
المعروفة يجعل قوله انه لقران كريم ابتداء ذكر منه له ثم تسميته القران كريما يخرج على وجوه احدها وصف
بالكرم لما هو محل لقضاء الحوائج الدنيوية والاخروية وفي العرف الكريم من نصب نفسه واعدها لقضاء
حوائج الخلق والقيام لانجاحها او وصفه بالكرم لان من اتبعه كرم وشرف او كريم عند الله عظيم لذلك
وصفه بالكرم والله اعلم وقوله عز وجل في كتاب مكنون قال اهل التاويل في اللوح المحفوظ سماه مكنونا
لانه مستور عن خلقه عند الله وقال عز وجل لا يمسه الا المطهرون يقول لا يمس ذلك الا المطهرون وقال
بعضهم هم الملائكة الذين يجري ذلك على ايديهم كقوله تعالى بايدي سفرة كرام بررة طهروا من الذنوب و
الاثام وكان ذكر هذا لينا منوا عن تحريف هذا الكتاب وتبديله وهو ما قال على اثره تنزيل من رب العالمين
اي انه مكنون ممن يحرفه ويبدله وانه لا يمسه الا المطهرون من الذنوب والتحريف اثر وذنب من رب العالمين
وهو كما ذكر في اية اخرى نزل به الروح الامين على قلبك وقال علمه شديد القوى اخبر ان الذي اخبر نزل به
من السماء امين لا يكون منه التحريف ولا التبديل وانه قوي لا يقدر واحد من حق وانتزاع اخذه من
يده ولا تحريفه ثم تمام الامن لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكل حفظه الى نفسه
لا الى احد من خلقه فصار محفوظا عن التبديل والتحريف والله اعلم وقوله فبهذا الحديث انتم مدهنون
قال بعضهم فبهذا القران انتم كافرون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون الله تعالى جعل هذا القران حيوة
الدين وقواما والرزق حيوة الابدان وما به قوامها فكذبوا الامرين جميعا ما به حيوة الدين والابدان
جميعا ثم يخرج ما ذكر من تكذيب الرزق على وجوه احدها ما ذكر بعض الناس اهل التاويل انهم كانوا
يقولون رزقنا بنوء كذا كانوا ينسبون الرزق ذلك النوء فهذا يخرج على قول المنجمة ان النجوم هي مدبرة العالم
وان ذا فهم لا يجعلون لله في ذلك تدبيرا فاما من ينسب الرزق الى الله تعالى ويقول رزقنا الله بنوء كذا فليس في
ذلك تكذيبه انما يخرج ذكر النوء ذكر سبب من الاسباب التي يرزق الله تعالى بها وكذلك من راى الرزق
من الاسباب خاصة واما من يقول رزقنا تعالى بسبب كذا فذلك جائز القول به وقال بعضهم وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون اي يجعلون شكر الرزق التكذيب وبه قال ابو عبيدة وجائز ان يكون تكذيبهم الرزق
صرف تسميته الالوهية الى غير الذي رزقهم والعبادة لغيره لمستحق لها والله اعلم وقال الحسن
وتجعلون رزقكم انكم تكذبون بئسما اخذ القوم لانفسهم حتى لم يرزقوا من كتاب الله تعالى الا التكذيب
يقول نصيبكم وحظكم من القران التكذيب ويحتمل هذه الاية مع الاولى فبهذا الحديث انتم مدهنون
وقال ابو بكر الاصم في هذه الاية وتجعلون رزقكم وهو هذا القران الذي خصكم به دون اباكم
ورزقتم به ما لم يرزق اباؤكم منه ثم جعلتم تكذبون ذلك الرزق الذي خصصتم به ورزقتم او كلام
من نحوه وهو كقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم وقال في قوله تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون
هو الذي يري الموافقة ويحتال في دفع حجة ما يلزمه ويرد عليه او كلام يشبه معناه هذا والله اعلم
قال ابو معاذ مدهن ومدهن لغتان ثم اصل المداهنة من المخادعة يقال داهنته وادهنته ثم
الفرق بين المداهنة والمداراة كان المداهنة لطمع له فيه يخادعه حتى يصل الى ما يطمع والمداراة
الشفقة بدا به اشفاقا عليه ليتحقق عنده الحق ليسلم له دينه والا هما في الظاهر واحد وهما المداينة
وخفض الجناح لكن الفرق بينهما ما ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ
تنظرون ليس هذا الكلام صلة ما تقدم من الكلام ثم يشبه ان يكون صلة ما قال اولئك الكفرة لو كانوا
عندكم لم يموتوا ولم يقتلوا على ما زعمتم فهلا اذا كانوا عندكم فبلغت الارواح الحلقوم ان يرجعوها
ويردها الى الاجساد التي كانت لو كنتم صادقين في قولكم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا الاية على
هذا جائز ان يخرج تاويل الاية والله اعلم وقوله تعالى وانتم حينئذ تنظرون يخرج على وجهين احدهما ينظرون
خروج الروح انها متى تخرج لا يملكون ردها الى حيث كانت ولكن ينظرون خروجها متى تخرج والثاني
وانتم حينئذ تنظرون على حقيقة النظر اي ينظرون الى سلطان وقدرتي وقيل هو من الانتظار
اي تنتظرون ان يحل بكم الموت هو ما ذكرنا وجائز ان يكون قوله وانتم حينئذ تنظرون لانهم كانوا
يعبدون الاصنام رجاء ان تشفع لهم في ضيق الحال وانما يضيق الحال عليهم الامر عند حلول
الموت اذ لا بعث عندهم فيقول فلولا اذا بلغت الارواح الحلقوم فينفع لهم الاصنام التي
يعبدونها وترد الارواح الى المكان الذي كانت فاذا لم يملك ذلك فكيف عبدتموها والله اعلم

[Left margin, uncertain reading:] الكريم في المعرفة ومن نصب نفسه لقضاء حوائج الخلق

[Left margin, uncertain reading:] في قول المنجمة

[Left margin, uncertain reading:] في ذكر النسب

[Left margin, uncertain reading:] الفرق بين المداهنة والمداراة

وقوله عزوجل ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون قال بعض اهل التاويل ونحن اقرب اليه منكم
اى ملائكتي ورسلي في ذلك الوقت اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون الملائكة لكن اضاف الى نفسه
لما ان الملائكة بامره وتسليطه يعملون وقيل نحن اقرب اليه منكم اى اولى به فى ذلك الوقت لما يعلم هو خطاه
وتبين له الحق فى ذلك الوقت من الباطل ولكن لا تبصرون انتم اى لا تعلمون ذلك والله اعلم وقوله عزو
جل فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين قال بعضهم غير مدينين اى لو كنتم غير مملوكين
لله تعالى على ما زعمتم ترجعون الارواح وتردونها الى الاجساد التى كانت فيها ان كنتم صادقين انكم
غير مملوكين فاذ كنتم عند كم غير مملوكين تكونون مالكين اذ ليس الا المملوك والمالك فاذا لم يكونوا مملوكين
تكونون مالكين فيملكون ردها الى ما فيها فاذا لم يملكوا كنتم مملوكين والله اعلم وقال بعضهم غير مدينين اى
غير محاسبين ولا مجزيين فردوا النشاة الاولى واجعلوها بانفسكم حتى يكون النشاة الاولى حكمة اذ لم تملك
رد هذه الارواح الى الانفس او اجعلوا النشاة الاولى حكمة والله اعلم وقوله عزوجل فاما ان كان من
المقربين فروح وريحان وجنة نعيم الى اخره واختلف فى وقت ما ذكر لمن ذكر ذلك قال بعضهم ان ذلك يقال
لهم عند الموت بشارة لهم بما يكون لهم فى الجنة ومنهم من يقول انما يقال ذلك اذا دخل هؤلاء الجنة
واولئك النار اعلى الكافرين وهو ما ذكروا اما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم
وجائز ان يكون يقال ذلك لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة وصف لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عنده فى الجنة ومكانهم لديه على ما كانوا عنده فى الدنيا السابقون كانوا فى الدنيا المقربون
عنده ومكانهم لديه اقرب من مكان غيرهم من المؤمنين فعلى ذلك يجزى السابقين فى الاجابة يكونون
فى الاخرة عنده اقرب ويكون قوله فروح وريحان اى يستانسون بهم ويستانسون به لا بقارفونه
ولا يفارقهم على ما كانوا فى الدنيا وسائر المؤمنين يسلمون عليه فى اوقات وهو ما ذكر فسلام لك
لك من اصحاب اليمين على ما كانوا يفعلون فى الدنيا وهو اقرب من الوجهين اللذين ذكرناهما ويحتمل ما ذكروا
من البشارة عند الموت اعنى المؤمنين والكافرين فى حق المؤمنين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
واما ان كان من اصحاب اليمين كذا وفى حق الكفرة واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم الاية و
يحتمل ذكر بعضهم ان ذلك يقال لهم بعدما دخل اهل الجنة الجنة واصحاب النار النار والله اعلم وقوله عزوجل
فروح وريحان وجنة نعيم اختلف فى تلاوته اما تلاوته روى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا هذا الحرف فروح وريحان يعنى بضم الراء وعن الحسن انه قرأها بالضم ايضا وعن
الضحاك بفتح الراء عليه جميع القراء وقال ابو عبيد لولا كراهة خلاف الامة والائمة قرأتها الا بالضم
ولكن لا احد عليها احدا عليها فاستوحش من مفارقة الناس ولا يجمع الله تعالى امة محمد على الضلا
واما تاويله فعلى قراءة الرفع عن الحسن قال الروح الرحمة والريحان ريحاننا وعن ابى عبيد قال
بالرفع هو الحيوة والبقاء وعن الضحاك بالفتح الروح الاستراحة والريحان الرزق وقال
بعضهم الروح كناية عن دوام النعمة والسعة يقال فلان فى روح اذا كان فى سعة ونعمة والريحان
كناية عن الشرف والمنزلة يقال فلان ريحانى وذلك لشرفه ومنزلته عنده ومنهم من قال الروح
الراحة والريحان الرزق فى الجنة وقال بعضهم الروح وبالرفع من الرحمة وبالنصب الراحة ونحن
نقول جائز ان يكونا جميعا بالنصب والرفع من الرحمة لقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
اى من رحمته وقال فى موضع اخر وايدهم بروح منه اى برحمة منه يخبر ان الله تعالى ان المقربين
يكونون فى الجنة فى رحمة الله ونعمته والله اعلم وقوله عزوجل واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام
لك من اصحاب اليمين يحتمل ما وصفنا ان اصحاب اليمين يسلمون على النبى صلى الله عليه وسلم ويحيى بعضهم
بعضا بالسلام ويحتمل فسلام لك اى السلامة لك منهم من جميع الافات والاذى وذكر فى حرف
ابن مسعود رضى الله عنه فسلام انك من اصحاب اليمين فهذا ان ثبت فهو يخرج على البشارة له عند
الموت والله اعلم وقيل يسلم عليهم الملائكة والله اعلم وقوله عزوجل ان هذا لهو حق اليقين يقول هذا
الذى ذكرنا للمقربين ولاصحاب اليمين وللمكذبين هو الحق اليقين اى كائن لا محالة لا شك فيه
مثل هذا يقال على التاكيد وتحقيق ما سبق ذكره ووصفه وقوله عزوجل فسبح باسم ربك العظيم يقول
والله اعلم فسبح ربك باسم لا يسمى به غيره اى نزهه عن جميع ما قالت الملحدة فيه من الولد والشريك
وتسمية من دونه الها وغير ذلك والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله عزوجل سبح لله ما فى السموات والارض يجوز ان يقرأ سبح لله وسبح
الله كما يقال فى الكلام شكر الله وشكرالله ونصح لله ونصح الله ويجوز ان يكون معناهما فى الظاهر مختلفا

ويتفق فى الحقيقة والباطن لان التسبيح هو التخليص والتنزيه والتبرئة فمتى اضيف الفعل الى الله تعالى وو
قع عليه فيقال سبح الله فمعناه انه نزهه وبرأه عن جميع معانى الخلق وخلصه عن شبه المخلوقين واذا
قيل سبح لله فقد وقع الفعل على الاشياء المخلوقة اى خلص الاشياء كلها له وبرأها عن غيره واذا اضيف
بان كل الاشياء له وهو المالك لها وهم عبيده ومماليكه خاضعون اذلاء فقد وصف بالغناء ونفى الحاجة
عنه وانه متبرئ عن الشبه بمماليكه ومخلوقاته فهما جميعا من هذا الوجه ينتظمان معنى واحدا وان كان
مختلفان و فى الباطن مؤتلفان وان الاسلام هو ان يجعل كل شئ من الخلق لله تعالى خالصا سالما له والايمان
هو التصديق بالربوبية له فى كل شئ فمتى صدق الله تعالى بالربوبية فى الخلق والامر فقد جعل خلق سالما له
فمتى جعل سالما له فقد صدقه فى الربوبية فقد اتفقا من حيث المعنى وان اختلفا من حيث الظاهر فعلى ذلك
هذا والله الموفق ثم يحتمل ما ذكر من التسبيح هو تسبيح الخلقة يشهد له خلقه كل شئ بالوحدانية والالوهية
فهذا على خلقة الكافر والمؤمن جميعا وغيرهما من المخلوقات ويحتمل ان يكون اراد الممتحنين الذين
فى السموات والارض ويرجع الى تسبيح خاص وهو تسبيح النطق واللسان عن اختيار وجائز ان
يرجع الى كل ذى روح يجعل الله فى سريرة هذه الاشياء من التسبيح له ما يعلمه هو لا يعلمه غيره
الا باعلام الله تعالى اياه ذلك والله اعلم وقوله عزوجل وهو العزيز الحكيم يخرج على وجوه احدها العزيز
هو الذى افقر الخلق واحوجهم اليه والحكيم هو المحكم للاشياء المتقن لها والعزيز القاهر الغالب الحكيم
هو العالم بالاشياء على حقيقتها او العزيز هو المالك هو كل ملك كقوله مالك الملك الحكيم الواضع كل شئ موضعه
وقوله عزوجل له ملك السموات والارض جائز ان يكون له ملك السموات والارض تفسيرا لقوله
العزيز الحكيم وقوله عزوجل يحيى ويميت اى يملك ان يحيى هذا ويميت غيره او يحيى من شاء ويميت من شاء
ويملك احياء من شاء واماتة من شاء وهو على كل شئ من الاحياء والاماتة وغيرها قدير وقوله عزوجل
هو الاول والاخر والظاهر والباطن قالت الباطنية الاول معناه المبدع الاول والاخر هو المبدع
الثانى والظاهر هو الناطق وهو الرسول صلى الله عليه وسلم والباطن هو صاحب التاويل يقولون
ان المبدع الاول ثم المبدع الثانى لمعونة يستعين بها المبدع الثانى على خلق هذا العالم وانشائهم
لانهم يقولون ان المبدع الثانى هو الذى دبر هذا العالم وانشاهم باعانة المبدع الاول والناطق هو
الذى دبر الشرايع والباطن وهو صاحب التاويل هو الذى يبين الشرايع دبرها الناطق وهو
الرسول عليه السلام ولا يصفون ان الله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن ويقولون
لا يجوز ان يوصف بهذه الاشياء لان الاولية ينفى الاخرية والظاهر ينفى الباطن كل حرف
من هذه الحروف يبطل الاخر فى الشاهد وجوابنا ان ما قلتم من المبدع الاول والثانى والناطق
والباطن ليس بشئ له معنى على ما ذكرنا فى موضعه واما عندنا فان قوله هو الاول والاخر
والظاهر والباطن هو حرف التوحيد هو الاول بذاته والاخر بذاته والظاهر بذاته
والباطن بذاته قال هذا لئلا يعلم ولا يفهم من اوليته اولية غيره ولا يفهم من اخريته اخرية
غيره فكذلك لا يفهم من ظاهريته ظاهرية غيره ولا من باطنيته باطنية غيره لان فى الشاهد
من كان له اولية لا يكون له اخرية ومن كان له اخرية لا يكون له اولية وكذلك من كان له ظاهرية
لا يكون له باطنية ومن كان له باطنية لا يكون له ظاهرية فكل حرف من هذه الحروف مما ينقض
الحرف الاخر وينفيه فى الشاهد فانما ذكر هذه الاحرف لنفسه ليعلم ان لا يفهم من اوليته اولية
الاشياء ولا يفهم من اخريته ما يفهم من اخرية الاشياء وكذلك ما ذكر من ظاهريته وباطنيته
وهذا كما ذكر انه عظيم ولطيف وكل واحد منهما فى الشاهد مما يناقض الاخر وينفيه ما عظم منه
لم يلطف وما لطف لم يعظم لئلا يفهم من عظمته ما يفهم من عظمة غيره ولا من لطافته من لطافة
غيره والله الموفق وقال بعضهم هو الاول الذى لا ابتداء له والاخر الذى لا انتهاء له والظاهر هو
الغالب القاهر الذى لا يغلبه شئ والباطن الذى لا يدركه الاوهام وقال بعضهم هو الاول
الذى له اولية الاشياء والاخر الذى له اخرية الاشياء والظاهر بالحجج والايات والباطن
الذى لا يدركه الاوهام والله الموفق وقوله عزوجل هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام
ثم استوى على العرش فان كان خلق ما ذكر من السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام الستة الايام
التى يدور عليها ايام الدنيا وهى ايام الجمعة فانما خلق فى هذه الايام كيان الاشياء واصولها لانه
خلق كلية الاشياء فيها وما يكون ابدا لا بدين فعلى هذا التاويل يكون قوله ثم استوى على العرش اى
استوى امره بخلق الممتحن وهم البشر اذا المقصود بخلق هذه الاشياء كلها هم البشر ولهم انشاء هذه
الاشياء وان كان المراد من قوله خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ايام الدنيا الذى كل
يوم مقداره الف سنة على ما ذكره فى اية اخرى فيكون ما ذكر من خلق السموات والارض وما بينهما
خلق اصول الاشياء وكيانها وما يتولد منها بل يقع ذلك على الكل فيكون على هذا التاويل قوله ثم استوى

ويتفق

على العرش البعث اى استوى خلق ما خلق وانشاء من العالم بالبعث ما لولا ذلك البعث لم يكن انشاء هذا العالم الاول
حكمة فالمقصود من انشاء هذا العالم البعث وبه يصير انشاؤه حكمة فيكون به استواء الامر ثم تاويل
العرش يحتمل الملك استوى ملكه بخلق الممتحن او بالبعث الذى ذكرنا ولا نفسر انه ما اراد بقوله استوى
على العرش لانه لا يعلم ما اراد به اذ قال فى ذلك فسئل به خبيرا امران يسال به خبيرا ولم يرد فى ذلك
انه سئل به الخبير عنه فلا يسع تفسيره والله اعلم وقوله يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من
السماء وما يعرج فيها اى كثرة ذلك وازدحامه لا يلتبس عليه ولا يستر عنه شئ والثانى يخبر ان السماء و
الارض مع ثقلهما وكثافتهما لا يستران ولا يحجبان عليه الوالج فيهما والخارج منها والنازل منهما ولا
الاحاطة بذلك ليعلم ان لا شئ يحجب عنه وان لا يخفى عليه شئ ولا يعجزه شئ والله اعلم وقوله عزوجل وهو
معكم اينما كنتم هذا الحرف يخرج على وجهين احدهما هو معكم اى عالم بكم وبافعالكم ومحيط بكم وحافظ
عليكم والثانى وهو معكم يتوجه المعنى ضد لاختلاف الاحوال نقول ان كنتم محبين له خاضعين فهو معكم
بالنصر لكم والمعونة على اعدائكم وان كنتم معرضين عنه معاندين فهو معكم بالسلطان عليكم والانتقام منكم
والله اعلم وقوله والله بما تعملون بصير وقال بعض اهل التاويل اى علمه وسلطانه وقدرته معكم اينما كنتم
واصله ما ذكرنا فيما تقدم انه اذا ذكر جل وعلا بلا ذكر الخلق معه ولا ضم احدا اليه سواه يوصف بالازل
فيقال لم يزل عالما قادرا خالقا بلا ذكر وقت ولا احد ولا شئ من المكان وغيره واذا ذكر معه شئ من
الخلق يذكر على ما عليه احوال الخلق من الوقت والمكان والاحوال للخلق دون الله تعالى فيقال لم يزل
عالما بالخلق وقت كونهم لم يزل خالقا للعالم وقت كونه حتى لا توهم قدم المخلوق وعلى ذلك قوله تعالى حتى
نعلم المجاهدين منكم والصابرين الاية وقوله تعالى ليعلم الله من يخافه بالغيب وقوله وليعلم الله من
ينصره ورسله بالغيب وقوله ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع الاية وقوله تعالى وليعلم
الله الذين امنوا وليعلموا انما فتنا ونحوه مما كثر ذكره كذلك على ما عليه احوال الخلق فعلى هذا قوله
وهو معكم اينما كنتم ولا قوة الا بالله وقوله عزوجل له ملك السموات والارض الملك انما ينسب بجهة

في دليل ان صانع العالم تعالى واحد ليس بمتعدد

نفاذ المشية والامر والولاية فجائز ان يكون قوله له ملك السموات والارض اى له نفاذ المشية وله
الولاية فى السموات والارض وعلى اهلهما وله السلطان عليهم والله اعلم وجائز ان يكون قوله له ملك
السموات والارض اى له خزائن السموات والارض يعطى من يشاء ويحرم من يشاء والله اعلم وقوله عزوجل
والى الله ترجع الامور اى الى الله ترجع تدبير الامور من احداث وتكوين واعطاء وبذل ومنع وحرمان
ليس تدبير ذلك الى الخلق والله اعلم وجائز ان يكون قوله والى الله ترجع الامور اى الى الله ترجع تدبير الامور
من احداث وتكوين واعطاء وبذل ومنع وحرمان ليس تدبير ذلك الى الخلق والله اعلم وجائز ان يكون قوله
والى الله ترجع الامور اى الى الله ترجع الامور المتحسين فى الاخرة من الحساب والسؤال والثواب والعقاب
وغير ذلك والله اعلم وقوله عزوجل يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل بالايلاج الشئ انما هو ادخاله فيه على
ابتاء المدخل فيه هذا هو المعروف لكن ما ذكر ههنا من ايلاج هذا فى هذا وهذا ان جعل ما كان فى حال
الاستواء فى هذا الليل نهارا وجعل ما كان فى حال الاستواء فى هذا النهار ليلا على اتلاف كل واحد منهما
بالاخر لا على الابقاء وفى ذلك دلالة وجوه من الدلالة احداها يدل ذلك على انه فعل واحد عليم له تدبير
لا فعل عدد ولا تدبير له لانه لو كان فعل عدد لكان لا يجرى على سنن واحد وتدبير واحد منذ كان
الى الابد لان بل يقع فى ذلك تمانع وتغالب يمنع كل واحد ما له مما للغير ويغلبه عليه ولا يوافقه فى
تدبيره على ما يكون من عادة الملوك على ما قال لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض والله الموفق وفيه دلالة البعث هو اتيان الليل بعد ذهاب اثر النهار
واتيان النهار بعد ذهاب اثر الليل ونحو ذلك على ما تقدم ذكره وقوله وهو عليم بذات الصدور وقال
اهل التاويل اى عليم بما فى الصدور وجائز ان يكون تاويله وهو عليم بما فى الصدور واراد باب الصدور وهم
البشر الذين لهم الصدور والتدبير لان الصدور انما يقال للذين لهم تدبير وتمييز وهم البشر والله اعلم

في ان الايمان بالله وبرسوله

وقوله عزوجل فامنوا بالله ورسوله الايمان بالله هو ان يجعله رب كل شئ وان له الخلق والامر والايمان
برسوله هو ان تصدقه فى كل ما يخبر عن الله تعالى وفى كل قول وفعل وانه صادق وانه محق ونعلم انه بامر
الله تعالى ونهيه يامر وينهى ويفعل لا من ذات نفسه هذا هو الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وقوله عزوجل وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يقول والله اعلم وانفقوا من المال الذى جعلكم فيه خلفا
من تقدمكم لان الناس يخلف بعضهم بعضا فى هذه الاموال كانه يقول انفقوا من المال الذى جعلكم خلفاء
تقدمكم قبل ان يخلفكم من بعدكم كما ترك الانفاق من تقدمكم اذ هى انما انشئت للانفاق والانتفاع بها
لا للترك كما هى والله اعلم ثم اخبر تعالى بقوله فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ان من كان
امر به وانفق فله اجر كبير ما اوعد لهم من الاجر على جهة الانعام منه والافضال دون الاستحقاق
اذ المال ماله وهم عبيده ولا يلزم للعبد اجر على سيده والله الموفق وقوله عزوجل ومالكم لا تؤمنون

بالله

بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم فى ظاهر متناقض لانه يقول مالكم لا تؤمنوا بالله والرسول يدعوكم
ولو كانوا لا يؤمنون بالله كيف يقرون بالله وبالرسول ويصدقونه انه رسول الله اذا التصديق
بالرسول تصديق بالمرسل وهم لا يؤمنون بالله فكيف يصدقون الرسول لكنه يخرج على وجهين
احدهما اى ما لكم لا تؤمنون بالله اى بقدرة الله على بعثكم واحيائكم بعد موتها فدعاكم ودعاكم
واباكم بما تبين لكم من قدرته وسلطانه على البعث فما لكم لا تؤمنون بقدرته على هذا جائز ان
انه يخرج لان اهل ملة كانوا اصنافا فمنهم من يذهب مذهب الدهر ومنهم يذهب مذهب الشرك
ومنهم من يقر بالتوحيد وينكر البعث والله اعلم والثانى يقول اى عذر لكم فى ترك الايمان الايمان
بالله تعالى والرسول دعاكم وقد اتاكم من الايات والحجج ما يدفع عنكم العذر ويزيح عنكم الشبه فاى

شرط للتاكيد مما يحفظ

عذر لكم من ترك الايمان به فما لكم لا تؤمنون عزوجل وقد اخذ ميثاقكم قد ذكرنا فيما تقدم
ان اخذ الميثاق من الله تعالى يخرج على وجوه احدها على لسن الرسل عليهم السلام كقوله تعالى وقال الله
انى معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلى الى اخر ما ذكر وغير ذلك من امثاله والثانى اخذ الميثاق
ما جعل فى خلقة كل احد من شهادة الوحدانية له والثالث عهد اليهم حيث ركب فيهم العقول والافهام
وجعلهم بحيث يميزون ما لهم فما عليهم فيما لا يحتمل اهمال مثلهم وتركهم سدى ويحتمل ما ذكر
بعض اهل التاويل من اخراجهم من صلب ادم عليه السلام والوجوه الاول اقرب وجائز ان يكون
قوله وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم من اهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين
بالله ورسوله محمد عليه الصلوة والسلام قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به يقول والله اعلم ما لكم
لا تؤمنون بالله والرسول الذى كنتم مؤمنين به ويحتمل ان يكون الاية فى اهل النفاق الذين كانوا
يظهرون الايمان به ولا يحققونه يقول ما لكم لا تحققون الايمان بالله والرسول يدعوكم لتحققوا
الايمان بربكم وهو كقوله تعالى وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله اى لا عذر لكم
فى الكفر بالله ورسوله وترك الايمان بهما فعلى ذلك الاول والله اعلم وقوله عزوجل ان كنتم مؤمنين بالايات
والحجج او يذكر هذا لا على الشرط بل على التاكيد كقوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن
ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر لا تريد اذا كن اذعن الايمان لم يحل لهن ايضا كتمان ما فى ارحامهن وقوله
عزوجل هو الذى ينزل على عبده ايات بينات الايات فى الحقيقة هى الاعلام لكن فسرت الايات بالحجج
لان الايات حجج من عند الله تعالى جاءت لانها معتقلات من الخلق وقوله بينات واضحات انها من عند الله
جاءت لا من عند الخلق او بينات امره ونهيه وما لهم وما عليهم وما يؤتى وما يتقى وقوله عزوجل ليخرجكم

في اضافة فعل الهداية الى الله تعالى

من الظلمات الى النور ما اضيف الى الله تعالى من الاخراج فهو على وجهين احدهما على حقيقة الاخراج و
هو ان يوفق لهم على الايمان ويعطيهم المعونة والعصمة فيخرجون مما ذكر من الكفر الى الايمان والثانى
يخرج على الامر به والدعاء الى الايمان ليس على حقيقة الاخراج وهو كقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور
فى هذه الاية ونظير حقيقة الاخراج قوله الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وعلى هذا
يخرج اضافة الهداية الى الله تعالى على التوفيق وانشاء فعل الهداية منهم والثانى على الدعاء والبيان
والله اعلم وقوله عزوجل وان الله بكم لرؤف رحيم جائز ان يكون معناه وان الله بمن خرج من الظلمات
الى النور لرؤف رحيم وهو يرجع الى المؤمنين خاصة وجائز ايضا يوصف بالرحمة والرافة على الكل
اى بكم لرؤف رحيم بما ارسل اليكم الرسول وانزل عليكم الكتاب وان كان فى انفسكم وعقولكم كفاية

الفضل كان فى معرفة الله تعالى بل انزال الرسل والكتب لطفا

على معرفة وحدانية الله تعالى وربوبيته بدون انزال الكتاب وارسال الرسول لكن بفضله ورحمته
ارسل الرسل وانزل الكتب ليكون ذلك ادعى لهم واوصل الى ادراك ما دعوا اليه واقرب فى دفع الشبه
والعذر والله اعلم وقوله عزوجل وما لكم ان لا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض هذا
يخرج على وجهين احدهما ما قال اهل التاويل ان الخلق يفنون كلهم ويبقى الله تعالى كقوله تعالى انا نحن نرث
الارض ومن عليها فعلى هذا قوله وما لكم الا تنفقوا فى سبيل الله اى ما لكم لا تنفقوا فى سبيل الله قبل
ان يزول ملككم وصار ميراثا لله تعالى وجائز ان يكون قوله ولله ميراث السموات والارض اضافة وراثة
بعضهم من بعض اليه لما انهم عبيده واماؤه ومال العبد يكون لسيده فيصير كانه يقول ما لكم لا تنفقوا
لانفسكم وما يرجع اليها نفعكم قبل ان يصير ذلك ميراث الغير والله اعلم وقوله عزوجل لا يستوى
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة الاية قال بعضهم لا يستوى منكم من انفق اى يستوى
منكم من امن قبل الفتح لان قبل الفتح كان على من امن خوف الهلاك وانواع العقوبات لان الغلبة
فى ذلك الوقت كانت لاهل الكفر لذلك لم يستو من امن منهم قبل الفتح ومن امن منهم بعد الفتح وعلى ذلك
يخرج ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو وزن ايمان ابى بكر بايمانهم لرجح لان ايمانه
رضى الله عنه فى وقت الخوف على سوء الاسلام او لما يكون بايمانه ايمان نفر كثير لانه كان رئيسهم وكذلك
الانفاق فى ذلك الوقت افضل واعظم لما فى الانفاق فى ذلك الوقت معونة لرسول الله صلى الله وعليه

وسلم ولمن تابعه اولما ان الانفاق من بعد الفتح يقع به طمع الوصول الى المنافع والابدال من الصدقات
والمغانم وقبل الفتح لم يكن ذلك المعنى فهو كله خالص بلا بدل ولا طمع كان معه والله اعلم وقيل لا يستوي
من هاجر ولم يهاجر ولا هجرة بعد فتح مكة فلذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد اليوم ولكن
جهاد ونية وقوله عز وجل وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله لكلا الفريقين من انفق قبل الفتح وبعده الجنة
والثواب الحسن وقال بعض اهل التاويل هذه الاية نزلت في فتح الحديبية فقيل يا رسول الله فتح هو قال
نعم فتح عظيم وعن قتادة هو فتح مكة والله اعلم وقوله عز وجل والله بما تعملون خبير فيه ترغيب وترهيب
عنه وقوله عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم فقد ذكرنا فيما تقدم ان جل
وعلا عامل عباده بكرمه وجوده معاملة من لا حق له ولا ملك في انفسهم واموالهم لا معاملة من
حقيقة املاكهم واموالهم وانفسهم له من نحو ما ذكر من الاقراض له وما ذكر من شرائه انفسهم واموالهم
منهم بان لهم الجنة وما ذكر لاعمالهم من الاجر وهم عبيده واعمالهم التي يعملون لانفسهم كانهم
عاملون له وما يمسكون لانفسهم ويدخرونها في وقت الحاجة لهم سماه قرضا وما يكتسبون به الحيوة
الدائمة والنعم الباقية فهم المنتفعون بها ولا احد في الشاهد يستقرض مال نفسه من اخر يبذل ثم يعطي
له الاجر على ذلك هذا كله خارج عن عادة الخلق وطبعهم وصنيعهم بعضهم مع بعض لكن عاملهم بما يليق
بكرمه وجوده وعدلهم بما امسكوا لانفسهم اصنعا فاضعافا مضاعفة ثم جائز تسميته ما يمسكون لوقت
حاجتهم قرضا لما يتواعلى الفقراء واهل الحاجة بما اعطوهم منه لما عرف جل وعلا من طبعهم الامتنان
عليهم او لما يدفع عنهم مؤنة حفظ ذلك الى وقت حاجتهم من السرقة والغصب وغير ذلك من انواع ما
يخاف التلف منها والله اعلم وقوله عز وجل وله اجر كريم قال اهل التاويل اي اجر حسن والله اعلم وجائز
تسميته كريما لما ان من ناله يصير كريما اولما يؤمل ويرجى ان يكون لهم ذلك والكريم في الشاهد هو الذي
يرجى منه كل خير ويؤمل والله اعلم وقوله عز وجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم جائز ان يكون قوله يسعى نورهم اي كتبهم التي يعطون في الاخرة فانه يعطى كتاب
المقربين والسابقين من امامهم وقدامهم وكتاب سائر المؤمنين من ايمانهم وكتاب اهل المشركين
من وراء ظهورهم يؤيده حرف حفصة رضي الله عنها نورهم يسعى بين ايديهم وفي ايمانهم كقوله واما من
اوتي كتابه بيمينه الاية وجائز ان يكون نور ايمانهم ودينهم الذي كانوا عليه في الدنيا وجائز ان يكون
نورهم الذي ذكرنا كناية عن الطريق الذي يسلكون فيه السابقون يرون ما امامهم وسائر المؤمنين
عن ايمانهم على ما سلكوا في الدنيا واهل الشرك بشمالهم واهل النفاق من ورائهم وجائز ان يكون قوله
بايمانهم كناية عن اليمين والبركة فان بالايمان ينال اليمن والبركات فسماها بذلك ويحتمل ما ذكر اهل التاويل
انه يرفع لهم نور فيمشون بذلك وقوله عز وجل بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
انما يقال ذلك دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار وهذا يدل ان النور المذكور لهم يكون قبل دخول
اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقوله ذلك الفوز العظيم لانه لا هلاك بعده ولا تبعه ولا انقطاع ذلك
لذلك ثم قوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ليس ان يراه هو خاصة لا يرى غيره ذلك ولكن يرى ذلك
جميع المؤمنين فيبطل به قول من جعل التنصيص على الشيء دالا على التخصيص وتفي غيره وعن قتادة انه قال
ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى صنعاء فدون
ذلك حتى ان من المؤمن من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وللمؤمنين منازل لاعمالهم وروي في
بعض الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نورهم يسعى بين ايديهم ما افرطوا من اولادهم
وقوله عز وجل يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم منهم من
قرا مقطوعة من انظرت قال ابو عبيدة فلا اتصال احب الينا لان تاويلها والله اعلم انتظرونا يقال
منه نظرت فلانا انظره واما القراة الاخرى فانها من التاخير يقال منه انظرت فلانا انظره
اذا اخرته ولا اعرف للتاخير ها هنا موضعا وقال ابو عوسجة انظرته اي انتظرته يقال منه نظر نظرة
ثم الاية دلت على ان اهل النفاق يكونون بعدا من المؤمنين وانهم لا ينتفعون بنور المؤمنين ولكن
يرون ذلك اليوم من بعد حيث قالوا انظرونا نقتبس من نوركم ولو كانوا يقرب منهم اوينتفعون
بنورهم لكانوا لا يطلبون منهم الانتظار لهم والاقتباس من نورهم والله اعلم وقوله عز وجل قيل ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا من الناس من يقول ان هذا هو الاستهزاء الذي ذكر في اية اخرى انه يستهزئ
بهم حيث قال الله يستهزئ بهم بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا هو ذلك الاستهزاء وقلنا نحن
في قوله الله يستهزئ بهم اي يجزيهم جزاء استهزائهم الذين استهزؤوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبالمؤمنين وجائز ان يكون قوله ارجعوا وراءكم ليس على الامر بالرجوع من وراء والتماس النور
ولكن على التوبيخ والتعيير اي النور انما يطلب من وراء هذا اليوم اي من قبل هذا اليوم لا يطلب
فيه والله اعلم وقوله عز وجل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب

الآية

الاية جائز ان يكون السور الذي ذكر الذي ضرب بينهم ما ذكر في سورة الاعراف حيث قال وبينهما حجاب
وعلى الاعراف وجائز السور هو الاعراف التي ذكر انها تكون حجابا بين اهل النار واهل الجنة يرفع
ذلك السور بينهم لئلا ينتفعوا بنور المؤمنين وقوله له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله
العذاب جائز ان يكون قوله باب ليس على حقيقة الباب ولكن الباب كناية عن الطريق والسبيل
يقول هو طريق وسبيل من يأخذ ذلك السبيل افضاه الى الرحمة ومن سلك ظاهره افضاه الى العذاب
وجائز ان يفتح من النار الى الجنة باب فيرون ما حل بهم من العذاب ويرون اهل النار اهل الجنة
على ما هو عليه من النعيم ليزداد لهم حسرة وندامة او يكون اطلاعا لا من باب ولكن من السور والاعراف
الذي ذكر وهو ما قال فاطلع فراه في سواء الجحيم والاطلاع في الظاهر انما يكون من مكان على مرتفع
الى موضع منخفض والله اعلم وقوله عز وجل ينادونهم الم نكن معكم اي ينادي اهل النفاق المؤمنين الم نكن
معكم قالوا بلى جائز ان يكون هذا القول منهم الم نكن معكم تغريرا منهم للمسلمين يومئذ كما كانوا يغرونهم
في الدنيا وهو ما اخبر عنهم يكذبون في الاخرة كما كانوا في الدنيا حيث قال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم ثم اخبر انهم هم الكاذبون في حلفهم فعلى ذلك جائز ان يكون قولهم الم نكن
معكم يخرج على تغريرهم اياهم ثم الاشكال والكلام قول المؤمنين بلى وقد علموا انهم لم يكونوا معهم
فكيف قالوا بلى فنقول جائز ان يكون جوابهم خرج لاولئك على ما عرفوا من خطابهم ومرادهم فاجابوهم
على ذلك او ان يكون قولهم بلى ان كنتم تقولون بانا معكم ولكن لم يكونوا معنا او يخرج جوابهم على ظاهر
ما يرون من انفسهم الموافقة دون الحقيقة وقوله عز وجل ولكنكم فتنتم انفسكم يخرج على وجوه احدها
امتحنتم انفسكم في الرجوع الى من جعل لكم كانت المنافع والعاقبة كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله
على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه اي شدة وقال القتبي فتنتم انفسكم
اي اثمتموها وقوله تربصتم يخرج على وجهين يحتمل تربصتم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيموت
عن قريب اوانه يرجع عن الاسلام الى دين اولئك الكفرة وقوله وارتبتم اي شككتم وان قام لكم
ما يدفع الارتياب والشك عنكم والشبه وقوله عز وجل وغرتكم الاماني يحتمل الاماني وجهين احدهما
ما ذكرنا من اتباعهم المنافع التي كانوا يتوقعونها فكيف ما كان يتمنون غرتهم في ذلك والثاني ما تمنت
انفسهم من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهلاكه او عوده الى دينهم وقوله حتى جاء امر الله اي
الامر بالهلاك او يوم القيمة وقوله وغركم بالله الغرور اي غركم عن دين الله الشيطان وقوله عز وجل فاليوم
لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا اقوى بالباء والتاء واكثرهم على الياء معناهما واحد اي لا يكون
لهم فدية يومئذ ليس انه يكون لهم فدية ولا يؤخذ او ان يقول على التمثيل اي لو كان لهم فدية
لكان لا تقبل منهم يخبران امر الاخرة على خلاف ما يكون في الدنيا اذ في الدنيا ربما يحتال
للدفع البدل بالفداء مرة وبالشفعاء ثانيا وقوله عز وجل ماواكم النار اي تاوون اليها وقوله هي موليكم اي
اولى بكم واحق وقوله وبئس المصير اي بئس ما يصيرون اليها ثم في الاية دلالة نقض قول المعتزلة
وتخليد اصحاب الكبائر في النار لانه تعالى جعل الناس على ثلاث فرق وانزلهم منازل ثلاثة المنافقين
والكافرين كفر تصريح والمؤمنين وجعل النار لاهل الكفر واهل النفاق ولم يجعلها لغيرهما وصاحب الكبيرة
ليس هو منافق ولا كافر عنده ثم وكذلك ما قسم الله تعالى الناس اقساما ثلاثة السابقين واصحاب اليمين
واصحاب الشمال هم المكذبون واصحاب الكبائر ليسوا بمكذبين عندهم وهو ما جعل النار الا للمكذبين
الا ترى انه قال في اخره واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم جعل الجنة للمقربين
واصحاب اليمين والنار للمكذبين خاصة لم يجعلها لغيرهم فمن جعلها لغيرهم فمن جعلها لغيرهم
فهو مخالف لظاهر هذه الايات التي ذكرنا والله اعلم وقوله عز وجل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق وما نزل قرئ مخففا ومثقلا فمن شدد لما سبق من ذكر الله تعالى ومن خفف
جعل الفصل للحق ثم الاية تحتمل وجوها احدها ما قال بعض اهل التاويل انها نزلت في المنافقين الذين
اظهروا الايمان واضمروا الكفر لم يان اي فدان للذين امنوا ظاهرا واظهروا الموافقة للمؤمنين ان
تخشع قلوبهم لذكر الله اي اذا ذكر الله وما نزل من الحق اي القران اذا تلي عليهم اي يرق قلوبهم ويؤمن
به لانهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم والدوائر ويطمعون هلاكه امن الله تعالى المؤمنين
من ذلك والخوف واليسر اولئك عما تربصوا فيه من نزول الدوائر فقال الم يان للذين امنوا ظاهرا ان
تخشع قلوبهم لذكر الله والقران وترق لذلك وتؤمن به والله اعلم ثم قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم هذا التاويل اي لا تكونوا كاولئك الذين تماروا
في الضلال وقساوة القلوب لما طال عليهم الوقت وتركوا النظر في الكتب ويحتمل ان يكون الاية
في اهل الكتاب الذين كانوا مؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث فيقول الم يان
للذين امنوا به من قبل ان يبعث ان تخشع قلوبهم اي كتابهم وما نزل من الحق وهو القران ان يؤمنوا به

كما كانوا آمنوا به لما وجدوا نعته في كتابهم ثم قوله عز وجل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل لا يزال اي
لا تكونوا كالذين كانوا من قبلكم من اهل الكتاب فطال عليهم الامد ان ينظروا في كتبهم فقست
قلوبهم بطول ترك نظرهم فيها والله اعلم ويحتمل ان يكون الآية في المؤمنين الذين حققوا الايمان بالله ورسوله الاشعار بقلبيته في كل وقت وساعة ربوبية الله و نبتر
وهو يخرج على وجهين احدهما الم يأن اي قد آن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم عند ذكر الله بالنظر والتأويل
في ذلك فيحملهم ذلك على خشوع قلوبهم كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا جعل وصف المؤمنين ان يوجل قلوبهم عند ذكر الله ويزداد لهم الايمان واليقين للنظر
فيه والتفكر وفهم ما فيه والله اعلم والثاني الم يأن اي قد آن للذين آمنوا ان يقطع شهواتهم واماتيهم في
الدنيا وتخشع قلوبهم لذكر الله ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب اي لا تغفلوا عن كتاب الله وذكره ولا تتركوا
النظر فيه والتفكر فغفلوا عما فيه فقست قلوبهم فلا تكونوا انتم كهم فتقسو قلوبكم كما قست قلوبهم
وقوله عز وجل وكثير منهم فاسقون اي كثير من اولئك الذين اوتوا الكتاب فاسقون لتركهم النظر في الكتاب
وجائز وكثير منهم فاسقون اي المعاندون والقليل منهم المقلدون وهو كقوله واكثرهم كارهون اي
معاندون وهم الرؤساء والقادة الذين كابروا رسل الله وعاندوهم الا قليل منهم اتبعوهم وقلدوهم
وقوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها ذكر هذا ليس على انهم لم يكونوا علموا ان الله هو يحيي الارض
بعد موتها بل كانوا عالمين بذلك لكنه ذكر كما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال فاعلم انه لا اله
الا الله اي اشعر قلبك في كل وقت وساعة الربوبية لله تعالى والوحدانية له فعلى هذا يحتمل قوله اعلموا ان
الله يحيي الارض بعد موتها اي اشعروا قلوبكم في كل وقت جعل الالوهية والربوبية لله تعالى وصرف
العبادة اليه والتنزيه والتبرئة له عما لا يليق به مما يوصف به الخلق اذ علمتم انه يحيي الارض بعد موتها فاعلموا
انه يمتحنكم بانواع المحن اذ لا يحتمل احياءها ما ذكر بغير فائدة وتركهم سدى او يقول قد علمتم ان الله تعالى
هو يحيي الارض بعد موتها وانتم ترغبون فيما احياه وتطلبون منه وتجتهدون في نيل ذلك واصابته فاجتهدوا
في اصابة البركات الدائمة في الحيوة الباقية او يقول لما علمتم انه قادر على احياء الارض بعد موتها فاعلموا انه
قادر على البعث والله اعلم وقوله عز وجل قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون قد ذكرنا فيما تقدم ان حرف في الصديقين هم المؤمنين
لعل من الله تعالى يخرج على الايجاب لكن يخرج ها هنا على الترجي واطماع العقل للآيات والفهم لها اذا نظروا
فيها وتأملوا انها آيات من الله تعالى او ان يرجع ذلك الى خاص من الناس لو خرج حرف لعل للايجاب
دون الترجي وهم الذين علم الله تعالى انهم يعقلون انها آيات ويؤمنون بها والله اعلم وقوله عز وجل ان
المصدقين والمصدقات قرئ مشددة الصاد والدال ومخففة الصاد فمن شدد جعله من الصدقة اي المتصدقين
والمتصدقات فادغم التاء في الصاد فيصير المصدقين مثل المزمل والمدثر يؤيد ذلك ما ذكر في حرف ابي بن كعب
رضي الله عنه انه قرأ بالتاء ان المتصدقين والمتصدقات ومن خففه جعلها من التصديق والايمان وقوله واقر
ضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم اجر كريم قد ذكرنا تأويله فيما تقدم وقوله عز وجل والذين آمنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون سمى المؤمنين صديقين والصديق لا يقال الا لمن يكثر منه التصديق وقد يكثر
من كل مؤمن التصديق وان كان ما يأتي به انما هو شيء واحد لكنه اذا صدق الله صدق رسوله فيما اخبروا عن
عن الله تعالى وفيما دعوهم اليه ما دعوا وبلغوا عن الله الى الناس وصدق الخلائق جميعا فيما شهدوا على
وحدانية الله تعالى والوهيته من حيث شهادة الخلقة وشهادة الاخبار في حق المؤمنين فتصديقه يكثر وان كان
الكلام في نفسه يقل وهو كما قلنا لابي حنيفة رحمه الله في جواز الخطبة بتسبيحه او تهليله انها كلمة وجيزة
لو فسرت وبسطت صارت خطبة طويلة والله اعلم فان قيل ان ابا بكر رضي الله عنه فضل باسم الصديق
على غيره من الامة فاذا استحق غيره من المؤمنين هذا الاسم لم يختص هو بتلك الفضيلة قيل ان ابا بكر رضي الله
عنه سمي صديقا وخص به من بين سائر الصحابة والمؤمنين لمعنى اختص به من غيرهم وغيره من المؤمنين سموا
صديقين من بين سائر اهل الارض جميعا الا في مقابلته كهو اختص بهذا الاسم من بين سائرهم الا في مقابلة النبي
وسائر الانبياء عليه الصلوة والسلام هذا هو معنى تفضيله والفضل عند المقابلة يكون ويحتمل ان يكون
ذلك الاختصاص له للاعتقاد والمعاملة جميعا وسائر المؤمنين سموا صديقين للاعتقاد خاصة ومن وفى
الامرين جميعا كان افضل ممن وفى امرا واحدا وقوله والشهداء عند ربهم من الناس من جعل قوله والشهداء
عند ربهم على الابتداء مقطوعا من قوله اولئك هم الصديقون ومنهم من وصله به فمن قطع عنه فانه يقول
الشهداء هم الرسل لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اخبر
ان لهم اجرهم ومن قال انه موصول له ذهب الى ان المؤمنين شهداء على الناس كقوله لتكونوا على الناس
شهداء الآية سماهم شهداء على غيرهم من الامم والله اعلم ولاهل الاعتزال ادنى تعلق بظاهر هذه
الآية وذلك انهم يقولون ان الله تعالى اذا ذكر المؤمنين على الاطلاق ذكر على اثر ذلك ما وعد لهم
من الكرامات والثواب الجزيل واذا ذكرهم مع جريمتهم ذكر الوعيد لهم يستدلون بذكر الوعيد على اثر
ذلك على انه قد خرج من الايمان لكن ليس لهم بذلك دليل لانه ذكر مقابلا لما ذكر للمؤمنين من الكرامات

909 للكفار المجمع والله اعلم وقوله اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
فتعلقوا بظاهر ما ذكر من هذه الآية ونحوها من الآيات لاهل الالحاد طعن عظيم فانهم يقولون ان كانت الحيوة
الدنيا لعبا ولهوا فلم انشأه والله انشأ لهوا ولا منشئ سواه فلهم موضع الطعن على هذا الوجه ولهم في
النشأ طعن ايضا فيه لما ذكر في بعض الآيات فقال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
وقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقال في هذه الآية وغيرها انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
فنقول ان الآية يخرج على وجوه احدها على التقديم والتأخير مع الاضمار كانه قال اعلموا ان مثل الحيوة
الدنيا وزينتها وتفاخرها وتكاثرها ولعبها ولهوها اي يتزينون بها ويتفاخرون بالاولاد والاموال
ويلهون بها ويلعبون كمثل الغيث اعجب الكفار نباته ثم يصير ما ذكر حتى لا ينتفع به فعلى ذلك حيوة
الدنيا والله اعلم والثاني انما الحيوة على ما هي عندكم وعلى ما اتخذتموها وعلى ما ظننتم انه لا بعث ولا حيوة
بعده كان انشاؤها عبثا ولهوا اذ لو كان على ما ظنوا لم يكن انشاؤها الا للافناء والاهلاك خاصة
وبناء البناء المحكم للافناء خاصة عبث وسفه ليس بحكمة وهو ما ذكروا ما خلقنا السموات والارض و
ما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وكان ظنهم انه لا بعث ولا حيوة بعده فعلى ما كان ظنهم كان انشاؤ
لعبا ولهوا فاما الحيوة الدنيا على ما هي عند اهل التوحيد حكمة وحق وصواب فعلى ما كان عند اهل
الالحاد هو سفه وباطل وقد رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا
لا ترجعون وجائز ان يكون معنى قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اي لو قوبلت بحيوة الآخرة
لكان عبثا ولهوا لان الدنيا تبنى على الفناء والانقطاع والزوال عن قريب والآخرة على الدوام
والبقاء وهو ما ذكر قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى لانها باقية والدنيا
909 فانية او يقول انما الحيوة الدنيا للدنيا خاصة لعب ولهو اي من جعل الحيوة الدنيا للدنيا خاصة
يكون لعبا ولهوا ومن جعل الحيوة الدنيا زادا للآخرة وبلغة اليها فهي ليست بلعب وهو ما قال
تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم اخبر ان
الانفاق للدنيا كمثل ريح فيها صر والنفقة التي تكون في الدنيا لحيوة الآخرة مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل الآية والله اعلم وقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته
والاشكال انه كيف خص الكفار بتعجبهم ظاهر ذلك النبات وقد يعجب النبات لاهل الايمان فنقول
لان الكفار تعجبهم ظاهر ذلك النبات وما يرون من النزهة لا يرون الى ما ضمن في ذلك النبات
وجعل فيه من المنفعة في العاقبة لكن ينظرون الى ظاهره واما المؤمنون انما تعجبهم ما في ذلك النبات
من المنفعة في العاقبة والى ذلك يكون نظرهم لا الى ظاهره وهو كما شبه انفاق الكفرة بالريح التي
فيها صر يصيب حرث قوم لما لا يقصدون بانفاقهم سوى نفس الانفاق وشبه نفقة اهل الايمان
بالحبة التي تنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة لما كان مقصدهم في الانفاق عاقبة لا عين
الانفاق ويحتمل ان يكون المراد من الكفار الزراع وبه فسر بعض اهل الادب وهو كقوله يعجب
الزراع فعلى هذا التأويل يرجع الى الكل والله اعلم وقوله عز وجل وفي الآخرة عذاب شديد اي لهؤلاء
الذين اتخذوا الدنيا لعبا ولهوا وصيروها تفاخرا وتكاثرا دون ان يتخذوها زادا وبلغة الى
الآخرة وقوله عز وجل ومغفرة من الله ورضوان فهو للمؤمنين الذين اتخذوا الحيوة الدنيا للآخرة
وعقلوا الآيات التي بينها لهم للنظر فيها والتفكر والتأمل فتأملوا ووضعوها مواضعها والله اعلم
وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وهو يخرج على الوجوه التي ذكرنا في قوله تعالى اعلموا انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو قال امام الهدى رضي الله عنه في قوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ان
الحيوة الدنيا وحبها لنفسه وعلى ما انشئت وجعلت له حكمة وحق وسرور ليس بغرور واما اختيارها
وحبها لغيره واستعمالها لغير الذي انشئت وجعلت غرور ولعب ولهو لان من احب شيئا استكثر منه
وحبسه لنفسه وحفظه عن تلفه وضياعه واستبقاه لوقت حاجته ويوم فقره فعلى ذلك من جمع الدنيا
لنفسه واحبها ولم يجعلها فيما اذن له وامر وهو ان يجعلها زادا للآخرة وبلغة اليها فاذا علم ذلك
استكثر مما عند الله ليوم فاقته فمن احبها واختارها لهذا فهو ليس بغرور ولا لعب بل سرور
وبهجة ومن طلبها لغيره واستعملها في غير ما انشئت كان غرورا ولعبا على ما ذكر فخرج قوله و
الحيوة الدنيا الا متاع الغرور على ما يختارونها ويحبونها وذلك ان الله تعالى انشاء لنا هذه النعم
حيث قال خلق لكم ما في الارض جميعا وقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يجب
ان ينظر الى ذلك بالتعظيم لها والاجلال لا بعين الاستخفاف والهوان الا ترى ان ملكا من ملوك
الارض لو اكرم احدا بكرامة واهدى بهدية ثم علم منه الاستخفاف بهديته يسلب منه هديته و
يستحقره فعلى ذلك يجب ان يتلقى نعمة الله تعالى بالتعظيم والتبجيل والقبول الحسن لا على الاستخفاف
بها والاهانة ثم الناس بعد هذا رجلان رجل يرغب في نعمة الدنيا وجمعها وجعلها عند الله ذخرا

وزادا ليوم فقره وحاجته ورحل زهد فيها خوفا للتقصير في عبادة الله تعالى في حقوقه ان لا
يشتغل بها ويمنعه ذلك عن اداء ما عليه والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امره وله
اسوة حسنة بنبيه صلى الله عليه وسلم واما من ترك الدنيا وما انشأ الله تعالى فيها من النعم استخفافا
وهوانا فهو الجاهل المستخف بنعم الله تعالى الغافل عما انشئت له الدنيا وما فيها فهذا والذي طلب الدنيا
للدنيا مذمومان والذي طلبها لنفسه زادا للآخرة والذي زهد فيها محمودان والله اعلم وعلى ذلك يخرج
ان حب الدنيا رأس كل خطيئة ان من حبها لغيره ولغير الذي جعلت له يكون رأس كل خطيئة ومن احبها
لنفسه ويتخذها زادا للآخرة فهي رأس كل حسنة وطاعة والله اعلم وقوله عز وجل وسابقوا الى مغفرة
من ربكم يقول اجعلوا المسابقة فيما بينكم في مغفرة ربكم الى الجنة لا الى جمع الاموال والاولاد وكان
اهل الكفرة جعلوا المسابقة في الدنيا في جمع الاموال والتفاخر والتكاثر بها فيقول لاهل الايمان
اجعلوا انتم المسابقة في طلب مغفرة الله وجنته والله اعلم ويحتمل سابقوا اجالكم باعمالكم التي توجب لكم المغفرة و
الله اعلم وقوله عز وجل وجنة عرضها كعرض السماء والارض الاية ذكر سعة الجنة لان العرض انما يذكر لسعة
يكون للشيء وقد ذكر سعة فيها حيث قال وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال ايضا وفيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين ونحو ذلك ذكر ما فيها من السعة وسعتها والله اعلم ثم ذكر عرضها كعرض السماء والارض
ليس يخرج على التحديد والتقدير ان عرضها مثل عرض السموات والارض لكن لما لا شيء اوسع في اوهام
الخلق مما ذكر وهو كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض ذكر دوامها لا لشيء ابقى وادوم منها
في الاذهان والاكان لتنبيان ويحتمل ان يقول عرضها كعرض السموات والارض اي يصير السماء والارض
جميعا جنة لهم ثم وصف الجنة بالسعة ووصف النار بالضيق حيث قال اذا القوا فيها مكانا ضيقا مقرنين
دعوا هنالك ثبورا وذلك انه ليس في فضل النار على قدر المجعول عذابا لم يصل الى المعذب بها فاتسع فضيقت
ولفضل الجنة على قدر الحاجة لذة وسرور ومنفعة فوسعت لذلك والله اعلم ثم اخبر انها اعدت للذين
امنوا بالله ورسوله والايمان بالله تعالى هو ان يصدق كل شيء يشهد على وحدانيته والوهيته والايمان
برسله هو ان يصدقهم فيما اخبروا عن الله تعالى وكل صاحب كبيرة مصدق بالذي ذكرنا فهو مؤمن وذلك
على المعتزلة وقوله عز وجل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء دلت الاية ان ما يعطي من الثواب لعبده فضل منه
وان سماه جزاء واجرا لما سبق منه اليهم من الاحسان والنعم ما يصير تلك الافعال والطاعات شكرا لاداء نعمه
وان طال عمره فاني يستوجب الجزاء والثواب على تلك الاعمال ثوابا وجزاء والله الموفق وقوله عز وجل
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها اي ذكرها في كتاب كان ذلك الكتاب
قبل ان نبرأ تلك المصائب اي نخلقها اذ لا يحتمل كون انفس تلك المصائب في الكتاب قبل خلقها فدل انه
على كون ذكر المصائب فيه وهو كقوله والشجرة الملعونة في القران ولكن ذكرها فيه وعلى ذلك ما روي في الخبر
نهى ان يسافر بالقران الى ارض العدو اي نهى ان يسافر بالذي كتب فيه القران والا لم يكن عين القران في ذلك
المصحف فعلى ذلك ما ذكر من المصائب وهو للتخريج على المجاز دون الحقيقة والله اعلم ثم اختلف في قوله من
قبل ان نبرأها منهم من قال من قبل ان نخلق تلك المصائب ومنهم من قال من قبل ان نبرأ تلك الانفس والارض
والاول اظهر وقوله عز وجل ان ذلك على الله يسير اي ان فواتهم بحشمهم وخدمهم ولهم منافع فيخبر الله
تعالى بهذا ان ليس له في بقاء الخلق منفعة ولا في ذهابهم وفواتهم ضرر فلذلك يكون عليه يسير والثاني
ان كتابة ما لم يكن احد ولم يخلق وعلمه قبل كونه على الله يسير انه عالم في الازل بكون الاشياء في اوقاتها لا يصعب
عليه ولا يشتد العلم بها قبل كونها وقبل ظهورها كما يشتد على الخلق ويصعب عليهم والله اعلم وفي الاية دلالة
خلق افعال العباد لان اسم المصائب يقع على ما للخلق فيه صنع كما يقع على ما لا صنع لهم فيها ثم اضاف
الله تعالى خلقها الى نفسه مطلقا بقوله من قبل ان نبرأها دل ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى سمى ما يصيب
بايدي الخلق مصيبة فقال هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله تعالى بعذاب من عنده
او بايدينا وقال في اية اخرى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية قالت المعتزلة يقال اصابنا كذا لا صنع للخلق
فقد اصابه وذلك جائز في اللغة والله اعلم وقوله عز وجل لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم جعل الله
تعالى في ابتلاء الخلق الحزن والاسى على ما فاتهم من النعمة والفرح [illegible] والشدة والسعة والفرح والسرور
بما نالوا من النعمة [illegible]
النعمة وعن الفرح والسرور [illegible]
عليها فانكم [illegible] الفرح والسرور [illegible]
على الطغيان والعدوان [illegible]
لكيلا يشغلكم الاسى والحزن عليها فاتكم من النعمة حتى يفوتكم اضعاف ذلك وهو ما وعد لهم من الثواب اذا
صبروا كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع [illegible] وبشر الصابرين ثم قال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة

وقول المعتزلة [illegible] اصابنا واصبنا

اولئك

اولئك هم المهتدون يقول لا يشغلكم الجزع وترك الصبر على ما وعد لكم من الصلوة والرحمة والاهتداء ولذلك قيل
الجزع في المصيبة اعظم المصيبتين ويقول ايضا ولا يشغلكم شدة الفرح والسرور بما اتاكم عن الشكر حتى يفوتكم الزيادة
على ذلك لان الله تعالى وعد الزيادة على النعمة اذا شكر بقوله ان شكرتم لازيدنكم والله اعلم والثالث يقول
لا تأسوا على ما فاتكم ولكن انظروا الى ما كان منكم من الجريمة حتى فاتكم ذلك حيث قال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم يقول لا تأسوا على ما فاتكم ولكن انظروا الى تفريطكم في جنب الله وارجعوا عن ذلك ولذلك يقول لا تأسوا على
ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم ولكن انظروا الى ما امتحنكم به وابتلاكم اذ هو امتحن بعضا بالشدة والبلاء وامرهم
بالصبر على ذلك وبعضا بالسعة والرخاء وامرهم بالشكر على ذلك فاصبروا ولا تجزعوا ان فاتكم النعم واصابتكم الشدة
واشكروا الله ولا تفرحوا عند النعم فرحا يكون بطرا واشرا ويقول لا تأسوا على ما فاتكم فان الذي اخذ منكم لم يكن
في الحقيقة لكم انما هو لغيركم ومن كان عنده مال لآخر فاخذ لا يجب ان يحزن على ذلك ولا تفرحوا بما اتاكم
فان الذي اتاكم يجوز ان يكون لغيركم لا لكم والله اعلم وقوله ولا تفرحوا بما اتاكم في مدودا ومقصورا لمن مده
رد الفعل الى الله تعالى ومن قصره جعل الفعل لذلك الشيء لموافقة قوله على ما فاتكم ولم يقل فاتكم وقوله عز وجل
والله لا يحب كل مختال فخور ولكن يحب ضد ذلك وهو في المختال المتكبر فيحب المتواضع الخاضع والفخور هو الذي
يفتخر بما انعم الله تعالى عليه وعلى الخاشع فيحب الشكر الذي يشكر على نعمه بالتوسيع على عباده وجائز ان يكون هذا
كله وصف الكفار كانه يقول لا يحب كل كفار كقوله يحب كل صبار شكور اي يحب المؤمن لان المؤمن يكون
صبارا على المصائب شكورا النعمائه والله اعلم وقوله عز وجل الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل جائز ان يكون
هذا صلة قوله لا يحب كل مختال فخور تفسير اله وجائز ان يكون على الابتداء وهو كقوله كذلك حقت كلمة ربك
على الذين كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله كان قوله تعالى الذين يحملون العرش مفصولا
عن الاول وكذلك هذا ثم قوله يبخلون ويأمرون الناس بالبخل يحتمل ما ذكر من بخلهم في اية اخرى فقال
واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه بخلوا بالانفاق على
المؤمنين او بخلوا بالدنيا في اتباعهم لتبقى الكرم والرياسة عليهم وجائز ان يكون ما ذكر بعض اهل التأويل
ان ذلك نزل في الرؤساء من اهل الكتاب بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانوا في كتبهم وامروا
اتباعهم واشياعهم بكتمان ذلك والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتول فان الله هو الغني الحميد اي ومن
يعرض عن ذلك فان الله هو الغني الحميد الغني عن عبادتكم وعما دعاكم اليه اذ لم يدعكم الى ما دعاكم لحاجة نفسه
اذ هو الغني بذاته الحميد بفعاله اي بما علم منكم من التولي له لا يخرج فعله من ان يكون محمودا ولا يصير لفعله
الى عداكم بما صنع غير حميد والله اعلم ثم في قوله كيلا تأسوا على ما فاتكم وجوه ايضا احدها ان المصائب مما يجري
على ايدي الناس ويصيبهم منهم فقال كيلا تأسوا على ما فاتكم ما جرى ذلك على ايدي الناس لانه لا يزول
منهم فيحملهم ذلك على العداوة والبغضاء ولكن يروا ذلك مكتوبا عليهم من الله تعالى وكذلك ما ذكر فيما يزينهم
من النعم على ايدي الخلق فلا يرى ذلك منهم فيشغلهم عن القيام بشكر الرب جل وعلا ولكن يروه من فضل
الله تعالى ومنه فيشكرونه والثاني يحتمل ان يكون النهي عن الحزن امرا بالفرح اي لا تأسوا على ما فاتكم ولكن
افرحوا بما العمل الذي فاتهم لو لم يفتهم لكان يشغلهم عن القيام بحقوق الله تعالى واداء ما عليهم من الفرائض
والله اعلم وفي قوله تعالى ولا تفرحوا امر بالحزن وقد يذكر الشيء ويراد به اثبات ضده كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم
اي خسرت تجارتهم وينبغي ان يتلقى نعم الله على وجهين احدهما بحسن القبول لها والتعظيم والشكر للمنعم اذا عناه
الله عن النظر بما في ايدي الناس ودفع الحاجة وذلك من اعظم والثاني يخاف لما لعله فعله ذلك به استدراجا و
امتحانا اذ الاموال ربما يكون فتنة وبلاء او يشغله عن اداء ما عليه ان كان ذلك سبب استدراجه وبلائه فاقد
ولما يصل بذهابه الى اداء الفرائض من العبادات وكان ذلك يمنعه ويحزن من وجهين ايضا احدهما لما لعل فوته
يحوجه الى ما في ايدي الناس وكان غنيا عنهم او لما لعل ذلك عقوبة لتفريط كان منه كقوله ما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم والله اعلم ثم اضاف ما نالوا من النعم الى نفسه حيث قال ولا تفرحوا بما اتاكم ولم يضفه ما
فاتهم الى نفسه وهو كما قال في اية اخرى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وهو ما ذكرنا
انه جائز ان يكون ما يفوتهم من النعم بالكتاب وبسبب كان منهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلنا
بالبينات يحتمل وجهين احدهما اي رسلنا بما يبين ويوضح انهم رسل الله وان تلك الايات التي اتوا بها من عند الله
لا باختراع من عندهم لما هي خارجة عن وسع البشر والثاني ما يتبين صدق الرسل في خبرهم وعدلهم في حكمهم
او يبين ما لهم وما عليهم وقوله عز وجل وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وقال
في اية اخرى الله الذي نزل الكتاب بالحق والميزان ثم يحتمل والميزان الموازين المعروفة التي بها يستوفى الحقوق
فيما بين الناس وبها يوفى وبها يحفظ حقوق الاموال التي بينهم وحدودها فان كان المراد هذا فكانه قال
وانزلنا معهم الكتاب الذي به يحفظ الدين وحدوده والميزان الذي به يحفظ حد وحد الاموال لا يزاد
على الحق ولا ينتقص منه والله اعلم وجائز ان يكون المراد بالميزان الحكمة اذ ذكره على اثر الكتاب كقوله
ويعلمه الكتاب والحكمة كانه يقول والله اعلم وانزلنا معهم الكتاب والحكمة فيكون الكتاب بها يحفظ حدود

ماجرى الانسان من ايدي الناس ينبغي ان لا يجري العداوة لانه مكتوب عليه من الله تعالى

في تلقي نعم الله تعالى بالتعظيم والشكر وخوف الاستدراج

غفلة بلبغتهم مما يحفظ جدا في الفرح بما يفوتهم من النعم ووجهه

الكتاب من ان الميزان والدين المعروف للمال والحقوق

الافعال والاقوال ويكون الحكمة ما يقوم الناس بها بالقسط وان يكون الحكمة ما اودع في الكتاب من المعاني وقال الحسن في قوله ويعلمه الكتاب والحكمة انهما واحد ثم قوله عز وجل ليقوم الناس بالقسط يخرج على وجهين احدهما انزل ما ذكر من الكتاب والميزان ليلزم الناس القيام بالعدل وقد الزمهم ذلك بما انزل عليهم من الكتاب والميزان وبين الحدود والثاني انزل ما ذكر ليقوم الناس بالقسط على وجود القيام بالعدل فان كان المراد منه الوجود فهو راجع الى خاص من الناس وان كان على الالزام فهو راجع الى الكل وهو كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فان كان على وجود العبادة فهو يرجع الى خاص من الناس وان كان المراد بقوله الا ليعبدون اي لامرهم والزامهم فهو للكل فانه قد خلقهم لنامرهم ونلزمهم وقد امرهم والزمهم والله اعلم وقوله عز وجل وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس خص الله تعالى ذكر الحديد بما جعل فيه من الباس من بين غيره من الاشياء وان كان لنا ذكر غيره في احتمال الاذى والضرر به ما يطعن به فينفذ ويضرب به ويستعمل في الحروب والقتال احدهما انه هو الكامل في الظفر والنفاذ والجرح وان كان قد يتحقق من غيره ولذلك اعتاده الناس الى القتال والحرب فيكون الباس فيه اشد والثاني لما يتحصن به باتخاذ الدرع لقوله وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم لهذا خص الحديد به والله اعلم قوله ومنافع للناس جعل الله تعالى في الحديد منافع ليست تلك في غيره وهو ما يتخذ منه ما يجز به ويخاط من الخفاف وغيره مما لا يحتمل هذا الشيء لغيره وكذلك حوائج الخلق لا يقوم في سائر انواع الحرف والاعمال من التجارة والزراعة والبناء وغيرها وفي خصوصيته في حق المحن وهو ما يظهر عند فرض القتال صدق ايمان المحقق ونفاق في المرتاب بقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية ونحو ذلك فظهر الصادق من الكاذب في الحروب وانما ذلك بالحديد فصار مخصوصا في حق المحنة وغيرها من المنافع حق لا يلتئم امر من امور المعاش الا به فلذلك خص والله اعلم وقال اهل التاويل نزل من السماء المطرقة والعلاة والكلبتين وعندنا ليس على حقيقة الانزال من السماء كذلك ومعنا قوله تعالى وانزلنا الحديد اي خلقنا كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اي خلقها وقوله تعالى وانزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ومعلوم انه لم ينزل اللباس على ما هو عليه ولكن معناه لباسا لهم لذلك هذا وقوله عز وجل وليعلم الله من ينصره ورسله يحتمل من ينصره اي دينه او اراد بالنصر النصر الى نفسه نصر رسوله محمد وسائر رسله عليهم الصلوة والسلام ثم نصر الرسل من يكون بتبليغ ما امروا القوم بنصرهم ويعينونهم على ذلك ونصر دينه اظهاره في الخلق والذب عن اصله والمعونة لهم هذا يحتمل وعلى هذا يخرج قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والله اعلم وجائز ان يكون المراد من اضاف النصر اليه نصر انفسهم ودينهم اذ هم المنتفعون بذلك ولهم يحصل ذلك النفع وتلك المعونة لكنه بفضله وكرمه سمي ذلك نصرا واضافه الى نفسه على ما جعل لاعمالهم التي يعملونها لانفسهم ثوابا وذكر لهم على ذلك اجرا كما عاملون له وهم المنتفعون بها المحتاجون اليها فعلى ذلك جائز ان يكون ما عملوا لانفسهم سماه نصرا له وان كان ذلك النصر لهم والله ناصر الكل بحيث قال ان ينصركم الله فلا غالب لكم اخبر انه اذا نصرهم لا غالب لهم سواه واذا اخذلهم لا ناصر لهم دونه والله اعلم ثم قوله عز وجل وليعلم الله من ينصره ورسله يخرج على وجهين احدهما العلم من قد علم انه ينصر ناصرا وليعلم من قد علم بالغيب انه يكون كائنا شاهدا والتفسير على المعلوم لا على العلم والثاني يريد بالعلم المعلوم وذلك جائز في اللغة ذكر الحلم والفعل على ارادة المعلوم والمفعول نحو ما يقال الصلوة امر الله اي بامر الله لا ان الصلوة لا يكون امره وقوله عز وجل ان الله قوي عزيز اي قوي عزيز كوعد بالعلم انه لم يرسلهم من القتال والنصر لحاجة نفسه ولا لاستعجالهم فيما استعمل المؤمنين لنفسه ولا دان يكتب بذلك العز لنفسه حيث اخبر انه قوي بنفسه عزيز بذاته ولكن امرهم بما امروا استعملهم فيما استعمل النصر لانفسهم ولقوتهم والله اعلم وقوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب واذا كر نوحا وابراهيم والله اعلم لما اخبر انه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب والا فقد ذكر الرسل بجملتهم في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات فدخل نوح وابراهيم عليهما الصلوة والسلام في قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ثم ذكر ان منهم من اهتدى اي فمن قومهم وكثير منهم فاسقون وتجيبر رسوله صلى الله عليه وسلم انه قد كان في قومهم من اتبعهم فسار واهتدى ومنهم من ترك اتباعهم وخرج من امر الله فصار فاسقا يصبر ويسكن قلبه على ما كان في قومه من المخالفين لرسله والمعاندين له مع الاجابة كقومك اولست انت باول من كذب وان قومه تعنتا وعنادا والله الهادي وقوله عز وجل ثم قفينا على اثارهم برسلنا اخبر انه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب وبعث منهم رسلا ذكر في الاية الاولى انه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب ولم يذكر الرسالة وذكر في هذه الاية الرسالة فيهم وفي ذريتهما ارسلنا رسولا على اثر رسول واتبعنا بعضهم بعضا من قفا يقفوا ثم ذكر انه قفى بعيسى ابن مريم لان عيسى عليه السلام من اولاد اسحق عليهما السلام فبعث محمدا صلى الله عليه وسلم من بعد وهو من ولد اسمعيل عليه السلام وقال بعض اهل التاويل وقفينا اي اتبعنا ويقال قفيت فلانا اي عقبته وسميته وقفوته اقفوه قفوا وقفنا واقتفيت به اي ازمته وقوله عز وجل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وصفه الله

تعالى الذين اتبعوا الرسل وامنوا بهم بالرحمة والرحمة الرافة فيما بينهم وهو كما ذكر في اية اخرى اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقال في اية اخرى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ونحو ذلك وذلك لان السبب الذي جمعهم واحد وهو التوحيد والاسلام فان قيل كيف وقع بينهم من العداوة والبغضاء ما وقع وسبب الجمع قائم حتى استحل بعضهم قتال بعض من نحو الخوارج والمعتزلة قيل انما وقع ذلك فيما بينهم وان كان سبب الجمع قائما لما كانت تلك الالفة والرافة بلطف من الله تعالى وقد زال ذلك اللطف وارتفع وحدث بينهم ما حدث او نقول ان الخوارج قد احدثوا من انفسهم اشياء حتى سموا المسلمين كفرة بما ارتكبوا من الكبائر حتى نصبوا القتال والحرب معهم وكذلك المعتزلة سموا اصحاب الكبائر فسقة وفجرة وانزلوهم بين الكفر والايمان ومن سمى اخاه كافرا او فاسقا فلا شك ان يحدث بينهما عداوة وتباغض فما حدث بيننا وبينهم من العداوة بتسميتهم ايانا فسقة وفجرة وكفرة بارتكاب الكبائر وان كان السبب الذي جمعهم قائما عندنا والله الموفق وقوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الاية ذكر في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام كان على بني اسرائيل ملوك غيروا التورية والانجيل وبقي منهم اناس مؤمنون بعيسى عليه الصلوة والسلام ويعملون بما في الكتب فهم اولئك الملوك ان يقتلوهم لاباتهم اتباعهم والعود الى مذهبهم فخرجوا من بينهم فترهبوا رجاء ان يتخلصوا منهم فذلك قوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا فرضنا عليهم تلك الرهبانية ولم نامرهم بها ولكن فرض عليهم وكتب في الجملة ابتغاء رضوان الله تعالى فابتدعوا تلك الرهبانية رجاء ان يكون فيها رضوان الله تعالى والله اعلم قال فما رعوها حق رعايتها اخبر انهم ابتدعوا شيئا لم يكتب عليهم ثم ذكر انهم لم يرعوا حق رعايته ثم لتركهم الرعاية لما ابتدعوه فيه دلالة ان من افتتح قربة لم يفرض عليه من صلوة او صوم او نحو ذلك ثم لم يقم بوفائه واتمامه لحقه ذم كما لحق هؤلاء وقوله عز وجل فاتينا الذين امنوا اجرهم وكثير منهم فاسقون اخبر ان الذين امنوا وثبتوا على الايمان ان يؤتيهم اجرهم اي يوجب لهم اجرهم وكثير منهم فاسقون اي كافرون كذلك ذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه وكثير منهم كافرون وذكر ان بعضا منهم بعدما ترهبوا اشتد عليهم الترهب فعادوا ورجعوا ودخلوا في دين اولئك الملوك والله اعلم قال القتبي ورهبانية اي العبادة بعين الخوف وابتدعوها الابتداع ان يفعل شيئا لم يفعل قبلك يقال منه ابدعت وابتدعت وبدعت ايضا وقيل الرهبانية اسم مبني من الرهبة لما افرط فيه وهو ما نهى الله عنه بقوله لا تغلوا في دينكم ويقال دين الله بين المقصر والغالي وقوله ما كتبناها عليهم اي ما امرناهم بها والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يقول بعض اهل التاويل يا ايها الذين امنوا بعيسى بن مريم امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن هذا ضعيف ان الايمان برسول من الرسل ايمان بجميع الرسل عليهم السلام وتاويل الاية يا ايها الذين امنوا بالرسل جملة على غير الاشارة والتفسير امنوا برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على الاشارة به لان الايمان بالرسل على غير الاشارة امر سهل وانما يصعب الايمان به ويشتد بالاشارة الى واحد لانه لما امن بالمشار اليه لزمه اتباع امره ونهيه ويلزمه موالاة من والاه واتبعه ويلزمه معاداة من عاداه وخالفه في امره ونهيه وترك اتباعه وان كان له ابنا وابا وجدا وكان يجب ان يكون احب الناس اليه واقرب وابر فهذه معاملة الرسول الذي امن به على الاشارة اليه وانها يشتد ويصعب واما عند الاجمال والارسال فامر سهل انما فيه تصديق كل صادق وتكذيب كل كاذب وكل الناس قد اعتقدوا في الاصل تصديق الصادق وتكذيب الكاذب وليس في الاجمال والارسال الا ذلك واما عند التعيين يوجب الامتحان وبه يظهر نفاق المنافقين وتحقيق المؤمنين المحققين وذلك قوله ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ولو نشاء لاريناكهم ظهر نفاقهم بما امروا بالجهاد والخروج معه على الاشارة اليه وكقوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون وقد وعدوا في الجملة انه لو اعطاهم كذا من فضله لتصدقن فلما اتاهم ذلك وامروا باخراجه ابوا اخراج ذلك عند الاشارة اليه فعلى ذلك جائز ان يكون قوله يا ايها الذين امنوا بالرسل جملة امنوا بهذا الرسول المشار اليه لما يصعب الامر ولما يلزم في ذلك معاداة من خالفه وترك اتباعه وان كان اقرب الخلائق اليه وكذلك عامل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اقاربهم وارحامهم لما امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وصار عندهم رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اليهم من انفسهم وابائهم واولادهم وعادوا جميع اقاربهم الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوا اتباعه وفي ذلك اية عظيمة ولذلك فضل ايمان من امن في اول خروجه على ايمان من تاخر منهم عن ذلك الوقت ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل يؤتكم كفلين من رحمته قوله يؤتكم اي اجرين اجر الايمان بالرسل كلهم على الاجمال واجر الايمان بالرسل بالاشارة والتفصيل ذكرها

دين الله بين المقصر والغالي

هنا كفلين من رحمته وقال في اية اخرى يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويحتمل قوله كفلين مرتين وقوله مرتين كفلين يكون احدهما تفسيرا للاخر ثم ذكرها هنا الاجر لهم من رحمته وذكرها هنالك الاجر مطلقا ليعلم ان ما ذكر لا عما لهم من الاجر انما هو فضل منه ورحمة لا استحقاقا على ما ذكرنا والله الموفق ثم يحتمل ما ذكر من الاجر مرتين يكون مرة في الدنيا والاخرى في الاخرة كقوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير الاية وقوله لهم في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة والله اعلم ويحتمل ان يكون ما ذكر من الاجر مرتين يكون وعدا في الاخرة ويكون قوله مرتين اي كفلين اي ضعفين كقوله بما لهم ولهم اجر كريم ثم قوله كفلين قال اكثر اهل التاويل اي اجرين وقال بعضهم حظين ونصيبين وجائز ان يكون سماه كفلا لانه كفله الا ترى ان ذا الكفل ذكرا انما سمي به لانه كان يكفل لفلان فعلى ذلك جائز تسمية هذا كفلا لانه يكفل به والله اعلم وقوله عز وجل ويجعل لكم نورا تمشون به هذا يخرج على وجهين احدهما النور كناية عما يبصر به ويتضح والمشي كناية عن الامور يقول والله اعلم يجعل ما يبصرون به السبيل ويتضح لكم الامور ويزول عنكم الشبه فيكون المشي كناية عن الامور والنور كناية عن البصر والله اعلم وهو كقوله تعالى ومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات اي لا سواء وهو كناية عما ذكرنا ليس بتصريح والثاني على حقيقة ارادة المشي وحقيقة النور وذلك يكون في الاخرة كقوله يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا الاية وقال اهل التاويل النور ها هنا القران اي اعطاكم قرانا تفضيكم الى سبيل الخير والله اعلم وقوله عز وجل ويغفر لكم الغفران من الستر كانه يقول يستر عليكم مساويكم وبينكم لان ذكر المساوي يبغضهم النعم ويحملهم على الحيا من ربهم وقوله والله غفور رحيم اي يرحمهم ويخلدهم في جنته وقوله لئلا يعلم اهل الكتاب اجمع اهل التاويل واللغة ان حرف لا زيادة ها هنا وصلة اي ليعلم اهل الكتاب وقد يزاد في الكلام حرف لا ويسقط بحق الصلة يعرف ذلك اهله الحكمة والفقه كقوله تعالى يبين الله ان تضلوا ليس يبين لنا ان نضل ولكن يبين لنا لنعلم ونهتدي فعرف الحكماء والفقهاء ان كلمة لا اسقطت ها هنا فعلى ذلك عرفوا ان حرف لا ها هنا في قوله لئلا يعلم زيادة معناه ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ثم لا يحتمل ان يكون ذكر قوله لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله على غير تقدم قول كان منهم حتى خرج هذا جوابا لهم عن ذلك ولكن يذكر شيئا يشبه ان يكون الذي ذكر هو جواب ذلك الذي كان منهم وهو انهم كانوا اهل كتاب واهل علم بالكتاب يرون لانفسهم فضلا على غيرهم وخصوصية ليست لغيرهم عندهم فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا اليهم والى الناس كافة وانزل عليه كتابا وهو امين عندهم وذكر في كتابا وهو امين عندهم وذكر في كتابه ما كان في كتبهم وامرهم باتباعه والانقياد له والطاعة واحوجهم جميعا اليه والى ما في كتابه انكروا فضل الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك قال ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء اي يفضل من يشاء على من يشاء ليس ذلك اليهم ثم قوله تعالى ليعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله دلالة نقض قول المعتزلة في ان الله تعالى قد اعطى كل شيء ما يقدر على الوصول الى جميع فضائله واحسانه وقد اخبر ليعلموا انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله والمعتزلة يقولون بل يقدرون فهذا خلاف ظاهر الاية والله اعلم وفي قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ايضا دلالة نقض قول المعتزلة من جهة اخرى وهو انه ذكر المشية فيما هو حقه عدل حيث قال وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ولم يذكر المشية فيما هو حقه عدل وما هو ظلم وجور بل اطلق القول في ذلك فقال وما ربك بظلام للعبيد وقال وما الله يريد ظلما للعباد وقال لا يظلم مثقال ذرة وقال لا يظلم الناس شيئا وغير ذلك من الايات نفى ان يلحق احدا منه الظلم والجور ليعلم ان فعل الهدى منه فضل الى من هداه وارشده والاضلال منه عدل وكذلك قال يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اي من نال الهدى والرشد انما ناله بفضله ورحمته ومن ضل فذلك عدل عنده ولذلك قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وانه الهادي والله اعلم بالصواب

في زيادة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله قال جماعة من اهل التفسير انها نزلت في اوس بن الصامت اخي عبادة بن الصامت وامرأته غير انهم اختلفوا في اسم امرأته وقال ابن عباس رضي الله عنه كان اسمها خولة وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت جميلة وقال بعضهم بانها كانت تسمى خويلة على تصغير خولة وروي في بعض الروايات بانه كان سبب هذا القول من اوس لزوجته لما دعاها ليلة الى فراشه وكانت امرأته بجبت لا تحل له التمتع بها فابت عليه وارادت ان تخرج من البيت فقال لها ان خرجت من البيت فانت علي كظهر امي فخرجت فلما اصبحت قال لها زوجها

ما اراك الا قد حرمت علي قالت والله ما ذكرت لي طلاقا قال فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأليه فاني استحي ان اساله عن هذا فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرته فنزلت فيهما هذه الاية وروي في بعض الاخبار ان اول من ظاهر امرأته اوس قال وكان لم فقال في بعض ضجراته ذلك القول وهذا يرويه محمد بن كعب القرظي لكنه لا يحتمل ان يكون اراد باللمم الجنون لان المجنون لو طلق امرأته لا يقع الطلاق به فضلا ان يكون ظهاره ظهارا وتاويل قوله كان به لمم اي فضل غضب وشدة فكانه لم يكن به حلم ثم اختلفت الروايات في شانها وشان زوجها منهم من روى وهو محمد بن كعب انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان اوسا ابا ولدي وابن عمي واحب الناس الي وقال كلمة والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا قال انت علي كظهر امي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه قالت يا رسول الله لا تقل ذلك ما ذكر طلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه وكررت المراة ذلك ويرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت اللهم اني اشكو اليك شدة نبيك لما انزل الله تعالى قد سمع الله الى قوله تعالى فاطعام ستين مسكينا وفي بعض الاخبار رواها الكلبي انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني يوم تزوجني وانا شابة ذات اهل كثير ومال كثير فاكل شبابي حتى اذا كبرت عنده سني وذهب اهلي وتفرق مالي وضعفت جعلني عليه كظهر امه ثم تركني لا غير شيء وقد ندم وندمت فهل من شيء يجمعني واياه يا رسول الله فقال عليه السلام لها اطلقك قالت لا قال ما امرت في شانك من شيء فان نزل علي في شانك شيء انبئك ثم رفعت يديها الى السماء تدعوه وتتضرع اليه ان ينزل اليه بيانا امرها ثم خرجت من عنده واتت زوجها فنزلت جبريل عليه الصلوة والسلام بهذه الاية وروي في بعض الاخبار انها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني اني شابة ذات مال واهل حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وكبرت سني ورق عظمي وباد اهلي جعلني عليه كظهر امه ولي منه صبيان ان انا وكلتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي نفسي جاعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعزبي فلعلك الظالمة لزوجك فقالت يا امين الله في ارضه انظر لي فقال اذهبي فان قبلك الضعف والعجز قال فجعلت تجادله فلما رأت انه لا يرفع بها رأسا ولا يجد عنده مخرجا خرجت فرفعت طرفها الى السماء تشكو الى الله صنع زوجها بها وقالت اللهم اني اتيت امينك في ارضك فلم يرفع لي رأسا فنول اليوم حاجتي وارحم ضعفي وقلة حيلتي فلم تصل الى منزلها حتى هبط جبريل صلوات الله عليه بالوحي قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله فدعاها ودعا زوجها فقال ما الذي حملك على ما صنعت بخولة وقد انزل الله فيها ما ما انزل وبعث اليها وجئ بها فقال يا رسول الله عمل الشيطان فهل من امر يجمعني الله واياها قال نعم ثم تلا عليهم اية الكفارة الى اخرها ثم بين هذه الروايات اختلاف ذكر في رواية القرظي انه قال عليه السلام ما اراك الا وقد حرمت عليه وفي رواية قال لها ما امرت في شانك من شيء لكنه يمكن التوفيق بين الخبرين وهو انه قوله ما اراك الا وقد حرمت عليه على ما كان اهل الجاهلية يرونه تحريما وقال ما اراك الا وقد حرمت عليه من ذا الوجه لكنه لم ينزل علي شيء في بيان هذا فان ينزل شيء في بيان هذا انبئك والثاني انه ليس في قوله ما اراك اثبات حرمة بل هو قول على الظن بما قد كان الناس يعرفون بينهم ان ذلك حرمة فيجوز ان يراد التقرير على ذلك ثم او يرد لهذه الحادثة الحرمة بالوحي فتوقف في الجواب مع الاشارة لها ما لامتناع من الزوج اجتنابا لباب الحرمة والله اعلم ثم ان بعض الفقهاء ذكر الاختلاف بين السلف في حكم الظهار قبل نزول الاية عن عكرمة انه قال كانت النساء تحرم بالظهار حتى انزل الله تعالى هذه الاية وكان طلاقا قبل نزول الاية فجعله الله تعالى بهذه الاية ظهارا وعن ابي قلابة وغيره كان طلاقا فيهم في الجاهلية الايلاء والظهار وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال انما كان طلاقا في اهل الجاهلية الظهار ثم جعل لهذه الامة حرمة ترتفع ويزول بالكفارة التي اوجب وعن الحسن انه قال كان الظهار اشد الطلاق واخوم الحرام اذا ظاهر من امرأته لم يرجع اليه ابدا والاشبه انه لا يكون طلاقا في الاسلام لو كان يكون في الجاهلية وانه يكون موجبا حرمة لا ترتفع ابدا كما قال الحسن فانه ذكر في حديث خولة ان زوجها لما قال لها ما اراك الا وقد حرمت علي قالت والله ما ذكرت لي طلاقا ولو كان الظهار طلاقا لعرفته وكذلك لما اخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لي انت علي كظهر امي فقال عليه السلام ما اراك الا وقد حرمت عليه قالت يا رسول الله لا تقل ذلك ما ذكر طلاقا ولم يرد عليها اعتقادها في ان الظهار طلاق وكذلك ما روي في رواية اخرى في حديث طويل جعلني عليه كظهر امه ثم تركني الى غير شيء فهل من شيء يجمعني واياه يا رسول الله فقال عليه السلام اطلقك قالت لا قال ما امرت في شانك من شيء ولو كان الظهار طلاقا بعد الاسلام قبل نزول هذه الاية

لما قال لها اطلقك بعد ما قالت جعلني عليه كظهر امه ولما قال ما اراك في شانك من شيء وحكم شريعته انه طلاق في مزيل الملك دل ان الاشبه هذا بقدر ما قاله انه ذكر في حديث خولة واوس انه اول من ظاهر في الاسلام فكيف يكون طلاقا فان قيل اليس النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اراك الا وقد حرمت عليه والحرمة التي لا ترفع النكاح بالظهار انما يثبت بعد نزول الاية والاية نزلت بعد هذا القول في اوس بن الصامت فدل ان مراده تحريم الطلاق فهذا يدل على ان هذا الحكم كان ثابتا في شريعته قبل نزول اية الظهار بوحي غير متلو وان كان قبل ذلك فحكم بما عليه فكذلك ذلك الزوج قال الراوي ايضا ما اراك الا وقد حرمت عليه دل على انه كان طلاقا قبل نزول الاية هذا حجة عليكم فانه لو كان المراد بقوله عليه السلام ما اراك الا وحرمت عليه اثبات الحرمة فيها بالظهار لكونه طلاقا فكيف يحكم عليها بالحرمة بالظهار بعد حكمه بالطلاق بذلك القول بعينه في شخص بعينه وقد صح في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا اوسا وامراته بالكفارة وابقى النكاح بينهما ولو كان ذلك طلاقا واثبت حكمه انما ينسخ بالاية حكمه الى حكم اخر فظهر ذلك في المستقبل لا في الماضي فدل ان هذا حجة عليه ولكن انما قال ما اراك الا وقد حرمت عليه للوجهين اللذين ذكرناهما والله اعلم فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحكم بالطلاق في حقها مع ان الظهار كان طلاقا بطريق القطع بل قال ما اراك الا وقد حرمت عليه على طريق الظن لانه جائز ان يكون الله تعالى قد اعلمه انه ينسخ حكم هذا القول وينقله من الطلاق الى تحريم المتعة فلم يقطع القول فيه حتى نزلت الاية قيل لو كان ذلك حكما ثابتا مقررا في شريعته لم يمتنع النبي عليه السلام من العمل به ونحكمه بذلك ما لم ينزل عليه الناسخ وان اعلم انه سينسخ لانه يجب عليه العمل بما انزل عليه لقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وقوله بلغ ما انزل اليك واذا ورد الناسخ بخلافه فيكون عمل في المستقبل لا فيما مضى وانما يستقيم هذا على ما قلنا ان الظهار قبل نزول الاية لا حكم له في الاسلام وكان تحريما في الجاهلية فمتى وجد هذا السبب ووقعت هذه الحادثة امرها بالاجتناب عن الزوج احتياطا حتى نزل الاية فيظهر ان حكمه ما هو من حين وجوده اذ يجوز ان يريد الله تعالى هذا الحكم وان كان لا علم للمباشر به اذا كان بحيث يمكنه الوصول الى العلم به عند الحاجة الى العمل به والحكم كالنص الذي ورد مجملا في ايجاب حكم ثم ورد البيان متاخرا والنص العام الذي يتاخر بيانه على خلاف ظاهره فعلى ذلك هذا والله اعلم ثم قوله عز وجل لقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها اي سمع قولها ومجادلتها في زوجها ومجادلتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سؤالها اياه عما الذي يقول زوجها لها انت علي كظهر امي المجادلة هي المحاورة وكان مجادلتها في زوجها ان قالت والله ما ذكرت طلاقا حين قال لها بعد ما قال لها ان خرجت من الدار فانت علي كظهر امي وخرجت ما اراك الا وقد حرمت علي واما مجادلتها مع النبي عليه السلام ومحاورتها هي قولها لا تقل ذلك وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه فهذه محاورتهما ومن الناس من يقول المحاورة هي المراجعة في الكلام وهما يردان الكلام ويراجعانه ويكررانه وهو ما ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر قوله ما اراك الا وقد حرمت عليه وهي تردد وتكرر قولها لا تقل ذلك يا رسول الله فانه ما ذكر طلاقا ولكن هذا قريب من الاول بعض اهل اللغة تحاوركما اي كلامكما والتحاور والكلام بين اثنين قوله عز وجل وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما قيل فيه بوجهين احدهما ان تشتكي الى رسول الله عليه السلام لكن الله تعالى اضاف الى نفسه لان مرادها ان ينزل اية من الله تعالى على رسوله عليه السلام بالفرج عنها والثاني ان تشكوها الى الله تعالى وتضرعها قد كان حيث لم تجد الفرج والمخرج فيما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا وقد حرمت عليه فاشتكت الى الله تعالى ودعت وتضرعت حتى انزل الله تعالى على رسوله الاية فيها وجعل الرخصة لها بالاجتماع بعد التكفير على ما ذكر في الخبر والله اعلم ثم قوله عز وجل والله يسمع تحاوركما اي سمع لها بما اجاب واثاب بالفرج عما اشتكت اليه وسمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما ابان مما ظهر له من الحكم في الحادثة التي اشتبهت عليه واشكل وجه الحكم في ذلك ثم اختلفت الاخبار في امرها بعدما جاءت دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بالاية التي نزلت في امرها ذكر في حديث القرطبي لما نزلت الاية دعا زوجها اوسا فقال له اعتق رقبة قال ما عندي رقبة اعتقها قال فصم شهرين متتابعين قال ما استطيع يا رسول الله اني لا اصوم يوما واحدا فيشق علي فكيف صوم شهرين متتابعين قال فاطعم ستين مسكينا قال اما هذا فنعم قال فاطعم ستين مسكينا فامسكها وفي رواية اخرى ذكرها الكلبي لما نزلت رخصتهما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها اوس بن الصامت فاتاه فقال ويحك ما حملك على ما صنعت وقلت قال الشيطان يا رسول الله فهل من رخصة تجمعني واياها قال نعم وقرا عليه هذه الايات الاربع وقال له هل تستطيع ان تعتق رقبة قال لا والله يا رسول الله ان المال لقليل وان العيال لكثير وان الرقاب لغالية قال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا والله يا رسول الله الا ان تعينني بصدقة فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا واخرج اوس من عنده خمسة عشر صاعا فتصدق به على ستين مسكينا فجمع الله بينه وبين اهله وذكر في

خبر اخر ان رجلا كان ظاهر من امراته وكان هو يصوم عن مواقع امراته في وقت الصوم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك فعابه رسول الله صلى الله عليه وسلم على فعله ثم امره بان يكفر بما وصفنا من الكفارات فقال كل واحدة منهما لا استطيع قال فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتي موضع كذا الى بني زريق ويأخذ منه وسقا من التمر فيعطي ستين مسكينا كل مسكين صاعا والباقي ينفقه على عياله ذكر في الاطعام في خبر لا استطيع وفي خبر انه قال اما هذا فنعم وفي حديث الزهري الا ان تعينني بصدقة فيشبه ان يكون هذا القول منه اما هذا فنعم بعد ما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاعانة او باعطاء او باعطاء الكل فيخرج الاخبار على الوفاق والله اعلم وفي هذه الاخبار دليل على ان الكفارة اذا لزم فيها طعام ثمن الحنطة نصف صاع وفيه دليل ان نصف صاع من الحنطة طعام مسكين وانه يجوز من صدقة الفطر والله اعلم وقوله عز وجل الذين يظاهرون منكم من نسائهم قرئ يظهرون مشددة الظاء بغير الف وهو في الاصل يتظهرون فادغمت التاء في الظاء وشددت وقرئ يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء بالف وهو في الاصل يتظاهرون فادغمت التاء في الظاء وشددت وقرئ ايضا يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء بالف من ظاهر يظاهر مظاهرة والمعنى واحد فيما اختلف من قراءتهم يقال ظاهر الرجل من امراته وظاهر منها وتظاهر وتظهر منها بمعنى واحد وهو ان يقول لها انت علي كظهر امي وقال القتبي يظاهرون اي يحرمون تحريم ظهور الامهات وقال ابو عوسجة يظاهرون هذه يمين ان الرجل لامراته انت علي كظهر امي واما يظاهرون من التظاهر وهو التعاون يقال تظاهر القوم اي تعاونوا ولكن هو خلاف ما تضمنته الاية والله اعلم ثم الظهار كان عند ذلك القوم ظاهرا وهو ما روينا في الاخبار ان امراة اوس لما همت ان تخرج من الدار قال لها ان خرجت من الدار فانت علي كظهر امي وكذلك هذه الدلالة في قوله والذين يظاهرون والظهار اخذ اسمه من الظهر وكذلك فيما عرف المسلمون فيما بينهم هذا اللفظ وهو قوله انت علي كظهر امي ثم ظاهر الاية يوجب ان يكون الظهار فيما يقول انت علي كامي وهو قوله ما هن امهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم ذكر الامهات ولم يذكر ظهر الامهات فظاهر الاية يوجب هذا وبهذا احتج محمد بن الحسن لمذهبه فيمن قال لامراته انت علي كامي قال يكون ظهارا من غير نية واما ابو حنيفة رحمه الله عليه فانه قال لا يكون مظاهرا الا ان ينوي بذلك الحرمة فان نوى به كان وذهب في ذلك الى ما روي في الاخبار وذلك بحرف اعني قوله انت علي كظهر امي وانما نزلت الاية فيمن قال ذلك القول فلا يحل لنا ان نصرف الى غيره الا بدليل ثم قوله تعالى والذين يظاهرون نسائهم ما هن امهاتهم اي ما هن لهم كامهاتهم لانه تعالى قال ما هن امهاتهم على سبيل الرد لما اخبر عنهم بقوله والذين يظاهرون من نسائهم اي قالوا لنسائهم انتن علينا كظهور امهاتنا قوله عز وجل ما هن امهاتهم في الظاهر يكون رد القول من قالوا لنسائهم انتن امهاتنا لانهم قالوا انهن كامهاتنا وكظهور امهاتنا فيحتمل بذلك القول ان مراد الله تعالى بقوله ما هن امهاتهم اي كامهاتهم ولكن الاشكال انه اذا صار تقدير الاية ما هن كامهاتهم فما معنى قوله ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم لانهم كانوا يدعون التشبيه بالامهات والله تعالى نفى ما ادعوا من التشبيه فما معنى البيان حقيقة الامهات وهي اللائي ولدنهم وهم يعرفون ذلك ولا ينكرونه ولا يدعون في نسائهم انهن امهاتهم حقيقة حتى يرد عليه دعواهم بقوله ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم واشكال اخر انه قال وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وظاهر هذا القول منهم ليس بقول الزور ولا المنكر اذ ليس في قولهم ظهرك كظهر امي وانت علي كظهر امي الا التشبيه وهي لعلها فان ظهرها كظهر امهات في الهيئة والخلقة والتشبيه لا يقتضي العموم فما معنى تسميتهم تشبيه المراة بالام منكرا وزورا واشكال اخر انه قد سمى الله تعالى غير الامهات اللائي ولدنهم امهات لهم فانه قال في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن وازواجه امهاتهم وقال في النساء التي يرضعن اولاد الغير وامهاتكم اللائي ارضعنكم وان لم يلدنهم فنقول وبالله التوفيق انهم كانوا يريدون ان يوجبوا في نسائهم حقوقا واحكاما ما كانت في امهاتهم لم يكن لهم ايجاب ذلك فانهم كانوا يشبهون النساء بالامهات ولم يريدوا بذلك التشبيه من حيث الصورة والخلقة ولكن يريدون بذلك التشبيه في الحرمة وحرمة النساء في الاصل غير حرمة الامهات وان الام حرام الاستمتاع بها على التابيد لكن يباح للرجل ان يدخل على امه ويخدمها ويسامرها ويباح النظر والمس والاركاب والانزال والخلوة بها والمقام معها والمراة متى حرمت بالطلاق الثلاث او بالبينونة لا يثبت شيء من هذه الحقوق والمشابهة بين الشيئين ان كان لا يقتضي التساوي بينهما من كل وجه ولكن يقتضي التساوي بينهما في وجه من الوجوه على الكمال فان الذات في الشاهد اذا قام به العلم يسمى عالما والله تعالى يسمى عالما ولا يوجب التشبيه لانعدام التماثل بين العلمين والتساوي من كل وجه فلم يعد تشابها تعالى الله عن ذلك فدل ان هؤلاء بتشبيههم النساء بامهاتهم ارادوا ان يجعلوا حرمة نسائهم كحرمة امهاتهم ويوجبون فيهن حقوقا واحكاما كحقوقهن واحكامهن حتى يباح لهم المعاملة مع نسائهم ما يباح

مع امهاتهم ويحرم ما يحرم معهن ويكون احترامهن كاحترامهن والله تعالى لم يجعل ذلك ونهاهم عن ذلك
فقال ما هن امهاتهم اى كامهاتهم فى هذه الحرمة التى يريدون اثباتها وانه لم يجعل لنسائهم حرمة امهاتهم ثم
قال ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم اى ان هذه الحرمة التى تريدون اثباتها فيهن انما جعلنا لامهاتهم اللائى و
لدنهم فما بالهم يخترعون من انفسهم شيئا لم اجعله ولم اشرعه فى شرعهم بهذا وعلى هذا يخرج تأويل قوله تعالى
وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا انما كذبهم بما قالوا من ايجاب ذلك الحقوق والاحكام على انفسهم فى نسائهم
من المحيرات نحل الله تعالى ذلك اى وانهم ليقولون منكرا فى ايجاب الحقوق فيهن كما فى الامهات وتشبيههم اياهن
بالامهات فى الاحكام والحقوق والحرمة وان كان كلامهم وقولهم من حيث ظاهر التشبيه ليس بمنكر ولا بزور
وهذا كقوله تعالى فى وصف المنافقين اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهؤلاء المنافقون فيما قالوا فى الظاهر كانوا صادقين ولكن لما كانت
قصدهم غير ذلك وكان فى قلوبهم ايجاب شئ غير ما ظهروا اسماهم كذبة فكذلك هؤلاء المظاهرين لما ارادوا
ايجاب حكم لم يجعل لهم ذلك سمى قولهم منكرا وزورا والمنكر هو الذى لا يعرف فى الشريعة والزور هو الكذب فنهاهم
الله تعالى عن ذلك واما قولهم ان الله تعالى قد سمى غير التى يلدنهم امهات من نسائها النبى عليه الصلوة والسلام
والمرضعات منهم من قال يجوز ان يكون هذه الاية متقدمة على قوله وامهاتكم اللاتى ارضعنكم ومن قوله وازواجه
امهاتهم فلم يكن فى ذلك الوقت امهات من رضاع ثم كانت من بعد فيكون الاخبار بهذا متقيدا بذلك الوقت وهو
كقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه لم يجد فى ذلك الوقت ثم وجد من بعد ذلك غيره محرما فعلى
ذلك هذا وقيل يحتمل ان يكون قال ذلك فى قوم خاص وقبله خاصة لم يكن لهم امهات من رضاع فيكون الاخبار
بان امهاتهم ليست الا اللاتى ولدنهم صدقا ولكن هذا تكلف لان قوله ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم اى ان هذه
الحقوق والاحكام التى يوجبون ليس يثبت الا فى الامهات التى تلدنهم او من كانت فى معناهن وممن امثالهن
شرعا بجعل الله تعالى كازواج النبى صلى الله عليه وسلم والامهات بسبب الرضاع والله تعالى لم يجعل لنسائهم تلك
الحقوق ولا الحقهن بالامهات فيكون تشبيههن بهن فى هذه الحقوق منكرا من القول وزورا والله اعلم وقوله عز وجل
وان الله لعفو غفور وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان
يتماسا اختلف فى حكم الظهار وما هو وفى تأويل العود عن طاوس قولان فى قول قال ثم يعودون لما قالوا الوطئ فاذا
حنث فعليه الكفارة وهذا تأويل بعيد مخالف للنص لان الله تعالى يقول من قبل ان يتماسا وانما الذى ذهب
اليه حكم الايلاء انه اذا وطئ يجب الكفارة فاما فى الظهار يجب الكفارة قبل الوطئ وفى قوله انه اذا تكلم بالظهار
يجب عليه الكفارة ولم يشترط معه شئ اخر وعن مالك انه اذا ظاهر من امرأته ثم اجمع وعزم على امساكها واصابتها
وجبت عليه الكفارة حتى اذا طلقها او ماتت المرأة بعد العزم على الامساك والاصابة او بعد الاصابة بقى
وجوب الكفارة عليه وان لم يجمع على امساكها حتى ماتت يسقط الكفارة وكذلك اذا طلقها لكنه اذا تزوجها
بعد ذلك لم يمسها حتى يكفر فيكون العود هما امساكها لبطأها وعن الحسن ان العود هو العزم على الجماع حتى
حتى اذا عزم على جماعها تجب الكفارة وان اراد تركها بعد ذلك وقال عثمان البتى فيمن ظاهر من امرأته ثم طلقها
قبل ان يطأها قال ارى عليه الكفارة راجعها او لم يراجعها وان ماتت لم يدفع الظهار والكفارة ولا يرث
حتى يكفر وقال الشافعى العود هو الامساك والكفارة يجب به وحكم الظهار هو تحريم المتعة حتى اذا امكنه ان
يطلقها بعد الظهار ولم يطلق وامسكها ساعة لبطأها فقد وجبت عليه الكفارة عاشت او ماتت واذا عاشت
طلقها او لم يطلقها راجعها او لا واذا طلقها عقيب الظهار بلا فصل يبطل الظهار ولا يجب الكفارة
بعزم امساك المرأة وقال بعض المتأخرين فى تأويل قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا اى يعودون الى
القول الاول فيكرره وان ذلك القول وعندهم لا يكون الرجل مظاهرا حتى يقول انت على كظهر امى مرتين
واما عندنا فحكم الظهار هو تحريم موقت بالكفارة ولا يرفعها الا الكفارة هكذا روى عن ابن عباس
رضى الله عنه انه قال اذا قال انت على كظهر امى لم يحل له حتى يكفر وعندنا لا يجب الكفارة بنفس الظهار وانما الظهار
يوجب حرمة لا غير وانما يجب بالعود حتى انها اذا ماتت لا يجب عليه الكفارة اذا ارتفع المعنى الذى يجب وهو
استباحة الوطئ وكذلك اذا طلقها بائنا او ثلاثا لا يجب الكفارة لهذا حتى اذا عادت اليه بالتزوج واقدم
على استباحة الوطئ تجب الكفارة وهو عند اصحابنا ان يجعل المرأة على الحالة الاولى ويحلها على نفسه
على ما كان عليه ويستبيح وطأها فاذا اراد ان يحلها على نفسه ويستبيحها ويقدم عليه يجب عليه ان يكفر ولا يرتفع
تلك الحرمة عنه الا بالكفارة فالتكفير سبب الحل كذا ذكر القمى فى تأويل ثم يعودون لما قالوا اى يعودون
بفسخ ما قالوا ونقض ذلك واستدل بما ذكر عن الاصمعى ان اعرابيا تكلم بين يديه بانه كان شئ بانه ثم يعود اليه
قال له الاصمعى ما اردت به فقال اى انقضه وافسخه فهذا يدل على ان المراد من قوله ثم يعودون اى يعودون
الى استحلال ما حرموا وينقضون ذلك ويردون الحل الى الحالة الاولى الا ان ظاهره العود الى القول بقوله
ثم يعودون لما قالوا ولكن اراد به المقول به والثابت به وهو الحرمة كانه قال ثم يعودون لما حرموا بالقول
فيستبيحونه ويجوز ان يذكر الفعل ويراد به المفعول كقوله عليه الصلوة والسلام العائد فى هبته كالكلب يعود فى

فى قيئه وانما هو عائد فى الموهوب وقال الله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموقن به والله اعلم
فان قيل العود الذى يجب الكفارة هو العزم على استباحة الوطئ والقصد على تحليلها على نفسه واعادة
تحليلة الاولى او الاقدام على الوطئ او مباشرة نفس الوطئ فان كان المراد هو الاول يجب انه يجب
ان يقولوا يوجب الكفارة بنفس العزم على الاستباحة والتحليل كما قال مالك رحمة الله عليه والحسن رحمة
الله عليه وان كان المراد ايقاع الوطئ يجب ان يقولوا انه لا يجب الكفارة الا بعد الوطئ كما قال قوم وهو
خلاف الاية وخلاف قولكم قيل يعنى بذلك هو الاقدام على استباحة الوطئ والاشتغال باقامة
فيقدم التكفير بفعله انما لا يجب بمجرد العزم ولا بعد تحقق الفعل وهذا لانه اذا ظاهر حرمت
المرأة عليه بسبب فعله يجب عليه توفير حقها فى الجماع ان كانت بكرا فى الحكم حتى يجبر عليه وهذا وان كا
ثيبا وقد وطئها مرة يجب عليه فيما بينه وبين الله تعالى ايصال ذلك اليها وعند بعض اصحابنا يجبر فى الحكم
ايضا على ذلك فاذا اقدم على ذلك يجب عليه تحصيل الكفارة ليتوسل الى اقامة ذلك الواجب عليه من
الجماع اذ لا يحل ذلك بدون الكفارة وهذا كالوضوء فى باب الصلوة ليس بفرض مقصود بنفسه
لكن يجب لاقامة الصلوة اذ لا يجوز الصلوة بدون الطهارة فاذا اقدم على الصلوة يجب عليه
تحصيل الوضوء ليتمكن من اداء ما عليه ولا يجب بنفس الارادة ولا يجب بنفس الحدث حتى لا يجب
الوضوء ما لم يدخل وقت الصلوة ويقوم اليها وكذلك المرأة اذا حاضت بعد الوقت حتى يسقط
عنها الصلوة يسقط الوضوء فعلى ذلك هذا يجب عند الاقدام على اقامة هذا الواجب وهو الوطئ و
الظهار شرط ولهذا اذا ماتت المرأة يسقط الكفارة لانعدام ما هو المقصود بالاقدام وهو الوطئ
وكذلك اذا طلقها ثلاثا او بائنا لكن اذا عادت اليه يلزمه الكفارة فاذا اقدم على الوطئ ولم
يبطل الظهار لاحتمال حصول الغرض والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو قوله تعالى والذين يظاهرون
من نسائهم الاية هذا خبر عن ظهار القوم الذين كانوا يظاهرون فى جاهليتهم اى ظاهروا فى ذلك الوقت
ثم يعودون لما قالوا اى لو قالوا ذلك القول بعد اسلامهم فعليهم ما ذكر اذ الظهار كان ظاهرا فى الجاهلية
من عادتهم الى ذلك القول ورجع اليه وقت اسلامه فعليه ما ذكر وهو كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله
منه فهذا يرجع الى فعل ذلك مرة والى استحلال ما حرم الله ثانيا وان عاد الى الفعل لا على من
وجه الاستحلال فينتقم الله منه بالغرامة عليه وان عادوا الى استحلال فينتقم الله منه بالعذاب وكذلك
مثل هذا فى اية الربوا حيث قال فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد اى
عاد الى ما كان يفعله قبل الاسلام فكذلك هذا العود الى الظهار وعلى هذا التقرير يخرج تأويل الاية
عنه وهو كقوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه اى كانوا يتناجون فى الجاهلية
فنهاهم الله تعالى عن العود الى ما كانوا عليه فعلى ذلك يحتمل هذا والله اعلم لكن على هذا التأويل لا اقدام على
الوطئ سببا لوجوب الكفارة لم يثبت بهذا النص انما فيه ان الظهار يوجب تحريما موقتا بالكفارة وكذلك
الاحاديث التى ذكرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم امر اوسا بالكفارة حين ظاهر من زوجها بالكفارة حين
ظاهر من زوجها وانما يعرف من حيث الدلالة فانه لما كان التحريم موقتا بالكفارة ويكون ولعفو له
فانما يجب الرافع بالاقدام عليه لا بسبب سابق موجب للتحريم لان رافع الحرمة لا يجب بما يوجب حرمة
كما ذكرنا فى الوضوء انه لا يجب بما يحدث الذى هو رافع للطهارة ولكن لما وجب على المكلف الصلوة بالطهارة
ويجب عليه الوضوء بالاقدام على الصلوة التى لا يجوز بدونه فكذلك هذا والله اعلم وقول من جعل العود
هو العزم على امساك النكاح والبقاء عليه فاسد فان النبى عليه الصلوة والسلام اوجب الكفارة على
اوس بن الصامت حين ظاهر من زوجها ولم يسأله الامساك والبقاء على النكاح ولان تفسير العود بالامساك
لا يستقيم لانه لم يعرف فى الاصل امساك المرأة عودا عليها ولا امساك شئ من الاشياء يتكلم بالعود اليه
فيكون هذا خلاف اللغة ولما ذكرنا ان الشئ هو الرجوع الى ما كان عليه فيقتضى انعدامه وزواله حتى يتحقق
العود اذ العود هو وجود ثان وهذا انما يتحقق فيما قلنا من الجواز لانه قد يبدل بالحرمة فاما العقد فانه لم
يزل بالظهار فكيف يعود الى العقد فلا يكون البقاء على العقد وامساك المرأة بالنكاح عودا ولان الله تعالى
قال ثم يعودون وثم يقتضى التراخى ومن جعل العود هو الامساك والبقاء على النكاح فقد جعله عائدا
عقيب القول بلا تراخى وذلك خلاف ظاهر الاية وقول من جعل العود هو العزيمة على الوطئ لا معنى
له لان موجب الظهار هو تحريم الوطئ لا تحريم العزم على الوطئ وان كان العزيمة على المحظور محظورة
لكونه وسيلة الى المحظور فيكون العود هو الرجوع الى ما يقوى به مقصوده لا وسيلة الى حسب الاول
ولانه لا خطر للعزيمة فى حق تعلق الاحكام فى سائر الا ترى ان سائر العقود والتحريم لا يتعلق بالعزيمة
فلا اعتبار بها وقد قال النبى عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى عفا عن امتى ما حدثت به نفسها ما لم
يتكلموا به او يعملوا وقول من جعل العود تكرار القول الاول فاسد ايضا وان كان ظاهر اللفظ يحتمل وهو
العود الى القول الاول لانه خلاف الاجماع وخلاف اصول الشرع اما خلاف الاجماع فان السلف

والمخالف اجمعوا ان هذا اللبس بمراد عن الائمة فيكون قائله خارجا عن الاجماع واما مخالفة الاصول فلان بحل
وبحرمة انما تعلق وجوبهما بابتداء القول بتكراره في جميع الاصول من البيان عاد النكاح والطلاق والعتاق
والاجارات فلما كان الاصل هذا في سائر الاسباب والظاهر موجب الحرمة بقوله دل ان الموجب هو القول الاول
دون الثاني فيكون تعليق بحرمة بتكرار الموجب مخالفة لسائر الاصول وبهذا يبطل قول الشافعي في انه تعلق
بحرمته بتكرار ما وضعت لا وضعه واحدة والله اعلم ولان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالكفارة في حق وسلم
نسأله عن تكرار القول ولما لم يسأل دل ان يحكم غير متعلق بالتكرار وما له الشافعي انه اذا طلقها وبلا فصل فلا كفارة
عليه وان لبث ساعة ثم طلقها كفر راجعها او لم يراجعها او ماتت قول تفرد به لان ظاهر وجب عليه الكفارة طلقها
او امسكها وسائر التابعين قالوا ان ماتت او طلقها ولم يراجعها فلا كفارة عليه ولم يفصلوا بين ان
يطلقها على اثر الطلاق بلا فصل او بعد ذلك بساعة فيكون الشافعي بهذا القول مخالفا للسلف فلا يعتبر والله
اعلم **قوله** عز وجل فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ظاهره يقتضي ان يكون الوطء محظورا عليه قبل الكفارة لانه
جعل الحرمة موقتة بالكفارة واذا وطئ يسقط الظهار والكفارة لان كلما تعلق بشرط او توقت بوقت
متى فات الوقت او عدم الشرط لم يجب لذلك النص واحتيج الى دلالة اخرى في ايجاب مثل في الوقت الثاني
الا انه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا ظاهر من امرأته فوطئها ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له استغفر الله ولا تعد حتى تكفر فصار التحريم الذي بعد الوطء عرفناه بالسنة والله اعلم **قوله** فتحرير
رقبة يرجع الى وجهين مرة الى اسم الرقبة ومرة بما يستحق حكم الرقبة فان كان المراد من ذكر الرقبة اسم
الرقبة نفسها فيجيء ان يجوز كل ما يقع عليه اسم الرقبة صغيرا كان او كبيرا كافرا او مسلما مقطوع الرجلين
او اعمى وكيف ما كان وبشر المريسي يذهب الى هذا ويجزيك ما كانت الرقبة وان كان المراد من ذكر الرقبة ما
ما يستحق حكم الرقبة فيجيء ان لا يجوز اعتاق رقبة فيها او في نقصان اذ الاصل في العبيد والاماء فيما دون
النفس يوجب نقصانا في كل النفس فيجيء ان لا يجوز اذ يصير معتقا بعض الرقبة لا كلها ثم الدليل على
ان النقصان يحل فيما دون النفس في الرقاب جعل كالنقصان يحل في النفس ان العبد اذا قطعت يده او فقئت
عينه يشترى بنصف ما كان يشترى وقت القيمة فصار النقصان فيما دون النفس كتلف نصف القيمة على العبد
وان لم يكن ذلك من نفسه النصف فيجيء على هذا ان لا يجوز اذا كان فيه ادنى النقصان اذ حكم فيما دون النفس
في العبد حكم الانفس وحكم الجناية عليهم محمول على حكم كمال النفس لكن هذا ان التأويلان في الاية لا يصحان
واما الجواب عن الفصل الثاني ان النقصان يحل في بعض الرقبة كالحال في كلها ان ذلك النقصان يرتفع بالعتق
وان كان وقت قيام الرق بحكم النقصان لما يصير رقبة له بحكم الكمال بالعتق اذ صار هو منتفعا بالعتق انه
بالعتق جبر النقصان الذي كان به فيله له الرقبة كاملة من حيث المعنى فيجوز كما اذا اعتق الرقبة السليمة والدليل
عليه انه لو جنى عليه بعد ما عتق لم ينقص من ديته شيء وان كان ذلك النقصان في نفسه وقت العبودة والرق
وثبت بهذا انه في حق نفسه كامل النفس وانما كان ذلك النقص فيه لحق المولى في قيمته وقت العبودة اذ
هو لو كان منقوصا في حق نفسه لا يرتفع عنه ذلك النقصان ابدا فلما ارتفع النقصان في حكم الرقبة دل
ان اعتاقه جائز والاصل فيما اوجب الله تعالى من هذه الكفارة انما اوجب لتكفير بها ما ارتكب من المأثم
والمارتكب الشهوات التي تخطر عليه ارتكابها ليتألم بهذه الكفارة ليكون زجرا عن العود اليها فينا ان
ننظر في هذه الكفارة فان كفر بشيء لا يتألم به نفسه ولا يتجع عندها فلا يجوز ذلك عن الكفارة وان كان
بالذي يجهد وبولم يجوز ثم ما يصل اليه من الالم في اعتاقه وجهان احدهما ان اذا تأمل ذهاب منافع
ذلك المملوك عنه بما كان هو يصلح يجد منه نيا لم بذلك ويتجع والثاني بما تأمل منه النفع في العاقبة وان لم يكن
الحال ينفع به فيتألم ايضا بذهاب تلك المنفعة المؤملة فكل من كان بسال من هذين الوجهين جاز عتقه عن
الكفارة والا فلا والله اعلم ثم لا يجوز اعتاق الاعمى والمقعد ومقطوع اليدين ونحو ذلك عن الكفارة
ويخرج على الكلامين اما على الاول انه وان ارتفع النقص الحاصل في نفسه بسبب العبودة عند وجوده
الاعتاق قائما لا يجوز لا للنقصان ولكن لانه يصير معتقا ببدل والاعتاق ببدل لا يجوز عن الكفارة
وان كانت الرقبة تصير الكمال ومعنى قولنا انه يصير معتقا ببدل انه ما دام في ملكه على تلك الحال فانه مؤنته يلحقه
وبالاعتاق يسقط مؤنته عن نفسه وتلحق تلك المؤنة المسلمين فلم يجز عن الكفارة لهذا واما على الثاني
فلا يلزم على الوجهين جميعا اما على الاول فلانه لا يتجع ولا يتألم نفسه باعتاق مثل لما ليس له منفعة لحد
ليتألم بفوتها وعلى الثاني لما ليس له منفعة يؤمل في المال فيتألم بذلك ايضا ولا يلزم الصغير على هذا العذر انه
ليس له منفعة الخدمة وتعقبه عليه ايضا ومع ذلك يجوز اعتاقه عن التكفير لانا نقول انه انما ينفق على الصغير
لما تأمل منفعته في العاقبة والناس انما يربون الصغار والصغائر وينفقون عليهم لينتفعوا بابدانها واعتاقها
في العواقب فلم يصر عتقه عن هذا الوجه ببدل والتألم في عتقه موجود وحسب ما كان في الكبير اولا الكثر و
الاعور ومقطوع احدى اليدين واحدى الرجلين يجوز عن الكفارة فانه يمكنه الاكتساب فيتألم مولاه باعتاقه
لما فيه ذهاب منفعة فيصلح ان يكون كفارة لما ارتكب من الشهوة ولما وصفنا من جبر ذلك النقصان

وارتفاعه

وارتفاعه بالعتق والله اعلم وذكر عن الشافعي انه لا يجزي عتق الرقبة الكافرة عن الكفارة واحتج بما ذكر الله تعالى
في كفارة القتل الرقبة المؤمنة فكذلك في كفارة الظهار اذ هما كفارتان ولكن نحن نقول هذا على اصل مذهبه
خطأ لان مذهبه العموم يعم كل رقبة في دار الدنيا والاصل في ذلك عندنا ان الله تعالى لم يذكر في كفارة الظهار
الرقبة المؤمنة فلا يجوز ان نوجب ما ذكره في كفارة القتل ها هنا والدليل عليه انه ذكر في تلك الاية
الاشياء وهو قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله فذكر الدية ثم
ذكر الدية في اية القتل لم يوجب على الظاهر اذ ترك ذكرها في اية الظهار ومثله في القران كثير وايضا ان احق ما
يجوز في الكفارة اعتاق الرقبة الكافرة وذلك لما ان المسلم قد يتألم باعتاق الرقبة الكافرة بالايتام لم باعتاق
المسلمة لما يأبى طبعه الاحسان الى الكافر ولا يتأبى بمثله الى المسلم وقد وصفنا ان الكفارة المتألم باخراج ما لم
باخراجه عن ملكه معا في القران دليل على جواز اصطناع المعروف اليهم وهو قوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هديهم ثم
قال ايضا بعد ذلك وما تنفقوا من خير يوف اليكم وذكر في القصة ان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانوا قد امتنعوا عن الانفاق على قرابتهم لما ابوا الاسلام فنزلت هذه الاية فبهذا تبين ذلك ان شيء
الاصطناع اليهم واعتاقهم يكون تكفيرا ثم **قوله** عز وجل من ان يتماسا فتأويله عند ابي حنيفة رحمة الله
اي عتقا لا مسيس فيه لانه عنده الاعتاق يحتمل التجزي انه يعتق نصفه ثم النصف الاخر فليشترط ان
يعتق النصفين جميعا قبل المسيس حتى لو مسها فيما بين ذلك يلزمه استيناف العتق وعلى هذا التأويل قوله
فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا اي صوم شهرين لا مسيس فيه حتى لو واقعها في وقت
لم يتم صوم شهرين بعد يلزمه الاستيناف وكان معناه لا مسيس في خلال الكفارة فمتى وجد المسيس في وقت
لم يتم الكفارة بعد يلزمه الاستيناف وتأويل قوله من قبل ان يتماسا عند ابي يوسف رحمة الله اي يعتق قبل
وقت المسيس ويصوم كذلك ويقول بان الاية خرجت لبيان وقت التكفير فيه حتى اذا جامع امرأته في صوم
الظهار انه لا يستأنف الصوم بل يصوم الباقي اذ قد فات عن وقته فصار قاضيا عما عليه وليس بعد الجماع
وقت لذلك الصوم بل يكون ذلك على القضاء فيجوز متفرقا ومتتابعا كصوم شهر رمضان لما تعين له و
قت الاداء ثم فات الوقت لا يجب متتابعا بل يجوز متفرقا كذا هذا ولا تتصور المسألة في الاعتاق
لانه لا يتجزى عنده ولا خلاف انه اذا جامع بعد ما اطعم ثلثين مسكينا انه لا يلزمه استئناف الطعام
ولا خلاف انه اذا جامع قبل الكفارة لا يلزمه شيء سوى التوبة والاستغفار لقول عامة الفقهاء
وعند بعضهم يلزمه كفارتان لابي يوسف رحمة الله عليه ما ذكرنا ولانه قد رأى بعضها في الوقت
وبعضها في غير الوقت اولى من اداء الكل بعد الوقت ولهذا المعنى في الطعام كذلك ولابي حنيفة رحمة
الله عليه ان الظهار ليس يوجب الكفارة ولكن يوجب حرمة لا يرتفع الا بالكفارة ولا يؤمر هو بالكفارة
مقصودا ولكن اذا اراد الاستمتاع بها يقال له ليس لك ذلك الا بالكفارة فاذا كان كذلك فاذا ادى
بعضها ثم ادى البقية لم يصر ما ادى بعد المماسة فضاعف الوقت الذي قبل المماسة فاذا لم يصر قضاء عن
ذلك جعل كالنص انما جاء في هذه مكالة ان حرروا رقبة قبل ان تماسوا ثانيا وصوموا شهرين متتابعين اذا
اردتم العود اليها ولذلك قال عليه السلام للمظاهر الذي جامع امرأته استغفر الله ولا تعد حتى تكفر لكن يدخل
على هذا امر الظهار انه اذا اطعم بعض الطعام ثم ماسها لم يلزمه الاستقبال والعبارة التي ذكرناها يوجب الاستيناف
لكن يستحسن في الطعام لان الطعام وقع في الاصل متفرقا اذ لو اطعم بعضه للحال وبعضه بعد سنة يجوز ايضا
ومع ذلك اذا وجد المسيس فيما بين ذلك يلزمه الاستيناف وما ذهب اليه ابو يوسف رحمة الله عليه حمل
الاية على بيان الوقت لا يصح لانا لو حملنا تأويل الاية على الوقت نفسها لا فائدة يقع في الاية لان معرفة
وقت ذلك ثابتة بدلالة العقل وذلك انا قد علمنا ايجاب الحرمة بالظهار وعلمنا ان تلك الحرمة لا ترتفع
بالكفارة فصار وقت الحل بذكر الحرمة معلوما ولذلك هذا في جميع محرمات من الطلاق وغيره انه لا يرتفع
الا بسبب رفعه فلو حمل تأويل الاية على بيان الوقت لم يفد شيئا ولو حمل على بيان اخلاء الكفارة عن المسيس
وعلى نفي المسيس في خلال الكفارة يفيد فائدة جديدة فيكون هذا التأويل احق واولى ثم في الاية دلالة
بان ليس ذلك على بيان الوقت وهو قوله تعالى فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ثم ذكر في العتق والصوم
ترك المماسة ولم يذكر ذلك في الاطعام ولو كان ذلك على جعل الوقت له لكان يذكر فيه المماسة اذا الكفارات
اذا كانت عن شيء واحد لا يختلف فيه اوقاتها بل يكون وقتها واحدا ولا يقال انما لم يذكر الوقت في الاطعام
لان ذكره في العتق والصوم ذكره في الاطعام لانه من انواع هذه الكفارة فذكر الوقت في بعض يكون
ذكرا في الباقي فاذا ادى بعضه في الوقت وبعضه في غير الوقت كان اولى من ان يؤدي الكل في غير الوقت لانا
نقول ذكره في العتق والصوم لا يصلح ان يكون بيانا في الاطعام لان البيان على وجوه ثلاثة بيان نهاية وبيان
كفاية وبيان تفصيل فاما بيان الكفاية وهو ان يكتفي ببيان الواحد والقليل عن الحد ليعرف ذلك بالاجتهاد و
القياس على نظائره فيدل ذلك على معنى مودع فيه وانه محل الاجتهاد والتعليل واما بيان النهاية هو ان

بين الكل على المبالغة حتى لا يبقى للاجتهاد فيه موضع واما بيان التفصيل هو الذى يبين فى الكثير ولا يبلغ به نهايتهم فهو فيما يبين لا يتعدى الى غيره اذ لو كان فيه معنى موجودا بجميع الكل لم يكن لذكر الزايد عليه وترك بعضه معنى وههنا بيان تفصيل دون كفاية اذ لو يكتف بذكره فى واحد وبيان نهاية اذ لم يكن فيه البيان التفصيل الذى ذكرنا انه يقرر المذكور ولا يتعدى الى غيره ولو كان ذكره لسان الوقت لاكتفى بذكره فى الواحد عن الكل اذ ذكر فى الكل على المبالغة فلما ذكر على بيان التفصيل دل انه ليس لبيان التفصيل بل انه ليس لبيان الوقت ولكن لنفى المسيس عن خلال الصوم والعتق المذكورين دون الطعام الذى لم يذكر فيه وتبين ان اخلاء الصوم والعتق عن المسيس بحكم عرفناه بالنص غير معقول المعنى فلا يتعدى به الى غيره ويكون مثاله ما ذكر فى قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ الاية على ما عرف فى موضعه والحاصل فى المسألة طريقان احدهما عن القياس والاخر بحق الاحتياط اما القياس ما ذكرنا ان قوله تعالى من قبل ان يتماسا لاخلاء الصوم عن المسيس عن خلال الكفارة لكنا اذا ذكرنا الاعتاق والصوم دون الاطعام قد كنا ذلك على انه ليس تفصيل فيكون دلالة على قصر الحكم على المنصوص ومنع التعدية الى غيره لما هو علمنا ان العقول تقصر عن ادراك ذلك المعنى فجعلنا نفى المسيس عن خلال الصوم والعتق واجبا بالنص حتى لا يكون كفارة به وندرك ولم يجعل فى باب الاطعام شرطا واما طريق الاحتياط وهو انا احتملنا ان يكون لبيان الوقت ولنفى المسيس عن خلال الصوم فاخذ فيه بالاحتياط وفى الاطعام اخذنا بالقياس لما انه لم يذكر فيه المسيس وذكره فى الصوم والعتق لم يكن بيان كفاية حتى يكون ذكره ذكرا فى الاطعام بل هو بيان تفصيل وان حكم القصر على المنصوص دون التعدى والله اعلم وفى الاية دلالة لصحة مذهب ابى حنيفة رحمة الله عليه فى ان العتق يحتمل التجزية وهو ان يعتق بعضه ويبقى البعض بحاله ثم يعتقه باوقات بعده اذ قال فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فجعل التحرير رقبة لاتماسة فى التكفير لو كان بعض العتق يوجب عتق الكل لكان لا تصبه قوله من قبل ان يتماسا اذ لا تقع العتق الا قبل التماس فلما قال دل انه اراد والله اعلم بان لا تتوهم عنده ما اعتقه بعضه ولم تعتقه الكل حتى جعل وبقى فيه الاعتاق ولهذا قال بانه لم ما الاستيناف فى العتق كما فى الصوم فدل ان الاعتاق يتجزى والله اعلم ثم جعل الكفارة فيه ما ذكرنا ولم يجعل الكفارة فيه التوبة والاستغفار فقط لوجهين احدهما انه لو جعل توبة بدلا كان لا يظهر ذلك وانه امر بينه وبين المرأة فلا يدرى انه تاب ام لم يتب وربما يظهر التوبة بالقول وان لم يتب حقيقة بقلبه فتتهمه المرأة فجعل التوبة فيه امرا ظاهرا يعرف به توبته ما النهمة عنه وتسكن قلب المرأة والله اعلم والثانى ان الله جعل الاستمتاع فى النكاح نعمة عظيمة فلتشبيهها بالمحرم الذى يتأبد حرمته امر فظيع فلم يجعل له بخروج منه شىء لا يثقل عليه فيقدمنا نيا وفالتخفيف امره عليه بل جعل ما يتألم عليه ويشتد عليه زجرا له عن مثله فى المستقبل ولغيره كما فى الزنى وغيره من الاجرام ثم لم يجعل تلك اليمين للاستمتاع خاصة وان ابيح لهم ذلك ولا جعل لهن قبل انا دات حق الاستمتاع فلم يصير تشبيههن بمن ذكر كفران نعمة عظيمة ولا ابطال حق لهن قبل موالبهن لذلك افترقا والله اعلم وقيل ان الظهار كان طلاق قوم فابدل الى تحريم المتعة ولم يكن للاماء حظ من الطلاق وهو الطلاق ولم يكن لهن من الذى صار وانتقل اليه ولكن ان ثبت هذا كان طلاقا يوجب حرمة لا طلاقا يوجب حرمة يرتفع بالنكاح على ما تقدم ذكره والامة لم يكن لهن حظ من هذا التحريم لعدم تصور تلك النكاح مع تلك اليمين فاما لهن حظ من حرمة المؤبدة بالمحرمية فان كان تلك محرمة هى لا صل وهن اصل لها مع قيام ملك اليمين يكن اهلا لما ينتقل اليه من حرمة الموقتة دل ان الطريق ما قلنا والله اعلم وفى الاية دلالة جواز تأخير البيان لان ذلك الرجل لما ظاهر من امرأته استدبهم حاجة الى معرفة ما يجب فيه من الاحكام ثم تأخر نزول بيان ما يجب بعد طلبهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بان قد يجوز ان يتأخر عن وقت قرع الخطاب السمع وهو اولى لان فى الاول قد ظهرت الحاجة واشتدت لوقوع النازلة وفى نزول العام الذى اريد به الخصوص لا وكذلك على هذا ما نزل من احكام الايلاء والقاذف زوجته بعد وقوع النازلة باوقات دليل على ما ذكرنا والله اعلم ثم جعل صيام شهرين بدلا عن العتق فى كفارة الظهار والقتل وكفارة الافطار فى شهر رمضان وجعل فى كفارة اليمين صوم ثلاثة ايام بدلا عن العتق وقد ذكرنا الوجه فى ذلك فيما تقدم والله اعلم وقوله عز وجل ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ذكر صاحب الواضح بان قوله ذلك اى ذلك امرتم ونهيتم لتؤمنوا ولكن عندنا تاويل قوله ذلك لتؤمنوا بالله موصلة قوله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الاية يقول اخبركم بما كان ذلك منكم فى السر واطلعكم على ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اى لتصدقوا وتعلموا انه لا يخفى على الله من اعمالكم شىء ومنهم من قال ذلك راجع الى قوله والله يسمع تحاوركما اى الفرج والمخرج عما امتحنتم به من منكر وما اشتد عليكم لتؤمنوا بالله ورسوله لما فرج عنكم بالخروج بما ذكر والله اعلم ومنهم من قال ذلك القول المنكر الزور والذى قلتم واعلمكم انه منكر وزور لتؤمنوا بالله ورسوله فيخرج ذلك على الامر بالشكر له ما انعم عليهم وجعل لهم من الفرج والمخرج عما امتحنوا بادائها وهكذا العبادات التى امروا بها امروا لاحدى ثلاث خلال اما بحق الشكر بما انعم عليهم او لتسليم الامر له والخضوع او لحق الاستغفار والتكفير بما سبق من التفريط والتقصير والله اعلم وجائز

ان يكون قوله تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله على غير هذا اى ذلك الذى انزل لتؤمنوا اى لتجددوا الايمان بالله تعالى ورسوله فى كل ساعة اذ يلزم الناس احداث الايمان وتجديده لاحداث الرخص والفرايض التى تجددت والله اعلم وقوله عز وجل وتلك حدود الله قيل اى الذى افترضه الله عليكم من الاحكام وقال الزجاج حدود الله اى موانع الله وحججه ولذلك سمى الحاجب حدادا لانه يمنع الناس منه وعندنا قوله تلك حدود الله اى زواجر الله وموانعه على معنى انه يمنع هذا عن الدخول فى حد الاخر ويمنع الباطل عن الدخول فى حد الحق والاختلاط به وفى الاية دلالة خلق افعال العباد لانه اضاف الحدود وهى الطاعات الى نفسه بقوله وتلك حدود الله وانها افعال العباد فكلها مخلوقة لله تعالى وانما خص الطاعات بالاضافة الى نفسها مع ان جميع الافعال بخلقه اياها تبجيلا وتعظيما لها كما قال الله تعالى وان المساجد لله اضافها الى نفسه تبجيلا وتعظيما لها وعلى هذا يخرج تأويل من قال فى قوله وان الساعة لآتية اكاد اخفيها من نفسى فكيف اظهرها لكم انه اراد بهذه الاضافة تبجيلا وتعظيما لامرها فكانه يقول انما لم اظهر امر الساعة لذلك تخلق الذى هو بهذه المنزلة فكيف عنها لكم اى لا افعل ذلك وقوله عز وجل وللكافرين عذاب اليم اى للكافرين بالله وبحدوده عذاب اليم فى الاخرة لان عذاب الكفر انما يكون فى الاخرة عذابا دائما لا انقضاء له ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله قال بعض اهل الادب المحاد هو الذى يجعل نفسه فى حد غير الحد الذى امره الله ورسوله وكذلك قوله يشاقون الله اى يكونون فى شق الذى عليه رسول الله او كلام نحوه ومنهم من قال حاد ترك طريقه اى عدل عنه وبعضه قريب من بعض واصله ما ذكر يحادون الله ورسوله اى يمانعون الناس ويزجرونهم عن الطريق لئلا يتابعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ويتبعوه وقوله عز وجل كبتوا كما كبت الذين من قبلهم قيل غلبوا وردوا خائبين كما غلب ورد الذين كانوا من قبلهم وقيل اهلكوا كما اهلك الذين من قبلهم وقيل اخزوا كما اخزى الذين كانوا من قبلهم وكله قريب بعضه من بعض ثم يخرج تأويله على وجهين احدهما اى كبت هؤلاء الذين منعوا الناس عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كما كبت من قبلهم او كبت هؤلاء الذين مانعوا الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة كما كبت الذين مانعوهم منه بمكة لان هذه السورة مدنية والله اعلم وقوله عز وجل وقد انزلنا ايات بينات اى ايات تبين حدود الله من غير حدوده او ما يتبين يحق من الباطل والرسول من غيره او المحاد من غير المحاد وقوله عز وجل وللكافرين عذاب مهين اى الكافرين كله عذاب يهينهم كما اهانوا المؤمنين وقوله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا اى الاولين والاخرين والمحادين والموافقين وقوله عز وجل فينبئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه اى يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا من خير او شر احصى الله ما عملوا وان طال ذلك او كثر ونسوهم تلك الاعمال يخرج هذا على الوعيد وفيه دلالة رسالته اذ اخبر ان الله تعالى يحصى ذلك عليهم وانهم نسوا فلم ينسيا لهم ان ينكروا عليه انهم لم ينسوا دل انه بالله علم ذلك وقوله عز وجل والله على كل شىء شهيد اى على كل شىء من الاحصاء والحفظ وغير ذلك شهيد وقوله عز وجل الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم فان كان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فيه دلالة رسالته ان اطلعه على ما اسروا فيما بينهم من المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وتناجوه بينهم من الكيد والخداع اطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك ليعلم انه بالله علم ذلك والثانى بشارة له بالنصر والمعونة وهو كقوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا اننى معكما اسمع وارى اى اسمع ما يقول لكما وما يقولان لكما وما يجيب اواري اذا قصده بكما واوقع عنكما ما قصد بكما فعلى ذلك ما ذكر له الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم فيطلعك على ما هموا بك واسروا فيك فينصرك ويدفع عنك كيدهم وجائز ان يكون الخطاب ليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ولكن لكل فى نفسه فيصير كانه قال الم تر العجايب ما انشأ من السموات والارض قبل انشاء اهلهما فيهما فاذا رايت عجايب ما انشأ من السموات والارض واهلهما وعلمت ذلك فاعلم انه بما يكون من نجويهم فيما ذكر عالم فيخرج على التنبيه والزجر عن الاسرار والنجوى ثم قوله رابعهم او سادسهم ومعهم ونحوه يجب ان ينظر الى المتقدم من الكلام فيصرف قوله هو معهم الى ذلك نحو قوله ان الله مع الذين اتقوا وان الله لمع المحسنين ونحوه يكون معهم فى التوفيق والمعونة لهم والنصر فعلى ذلك ما ذكر من قوله هو معهم فى النجوى وما اسروا فيما بينهم اى شاهدهم حافظ عليهم يدفع عنكم كيدهم ومكرهم وينصركم والله اعلم وقوله عز وجل ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شىء عليم اى ينبئهم بما تناجوا واسروا من الكيد يوم القيمة وقوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعلم ان الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه الاية وفيه دلالة اثبات الرسالة لانه اخبر انهم عادوا الى ما نهوا عنه وهو النجوى ومعلوما انهم لا يعودون الى ما نهوا عنه بحضرة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موادعة فاذا رجل من المسلمين وحده تناجون بقتله بينهم يظن المسلم انهم تناجون بقتله او بما يكره فيترك الطريق من المخافة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا الى النجوى فنزل ما ذكر ومنهم من قال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قام اناس من اليهود واناس من

المنافقين يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون نحو واحد منهم فاذا رأيهم ينظرون نحوه قال ما اظن
هؤلاء الا قد بلغهم خبرا قربائي الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرايا من قتل وموت فيقع
في قلبه من ذلك ما يحزنه فلا يزال كذلك حتى يقدم حميمه من تلك السرايا لكن الاولى عندنا السكوت عن ذكر هذا
وامثاله لانه خرج مخرج الاحتجاج وحمله اثر عليهم فيجوز ان يكون على خلاف ما ذكر فيوجب الكذب
في الخبر فالامساك عنه احق وقوله عز وجل واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ذكر انهم كانوا اذا اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقولون السام عليك يا محمد فيجيبهم النبي صلى الله عليه وسلم ويرد عليهم ويقول
عليكم ففيه دلالة رسالته لانهم حيوه سرا منه فاطلعه الله تعالى على ما اسروا وكذلك ما قال ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول في السر فيه دلالة الرسالة لانه معلوم انهم قالوا ذلك
سرا في انفسهم فاطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ما في انفسهم ففيه اثر بالله تعالى عرفتم قوله
عز وجل خبرا عنهم لولا يعذبنا الله بما نقول جائز ان يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وعيد بالتعذيب
لاجل التناجي الذي منهم فلما تأخر ذلك عنهم قالوا عند ذلك انه لو كان رسولا على ما يقوله لعذبنا على ما قال ووعد
لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان وعد لهم العذاب لم يبين متى يعذبون فعذابهم ما ذكر حيث قال
حسبهم جهنم يصلونها وبئس المصير والله اعلم ويحتمل ان يكون قولهم لولا يعذبنا الله بما نقول انما قالوا ذلك
عند رد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بما حيوه حين قال وعليكم يقولون انه دعا علينا بقوله وعليكم
فان كانوا رسولا لاجيب وعاقبه الذي دعا علينا لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدع عليهم انما رد قولهم
عليهم ردا والله اعلم وقوله يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول
وتناجوا بالبر والتقوى ان اهل التأويل صرفوا الاية الى المنافقين وعندنا يحتمل صرف النهي الى المؤمنين عن
التناجي بمثل ما تناجوا اولئك اي لا تتناجوا انتم باهل الايمان فيهم بالاثم والعدوان كما تناجوا فيكم يقول
لا تجازوهم بالذي فعلوا هم بكم ولكن تناجوا فيهم بالبر والتقوى وهو كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنأن
قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا نهى المؤمنين ان يجازوهم جزاء الاعتداء الذي كان منهم من
صدهم عن المسجد الحرام بل امرهم على البر والتقوى قال وتعاونوا على البر والتقوى فعلى ذلك يحتمل هذا
والله اعلم وجائز ان يكون في المؤمنين حقيقة على الابتداء نهى منه لهم يقول اذا تناجيتم فلا تتناجوا
فيما يؤثمكم ويحملكم على العدوان على المجاوزة عن حد ومعصية الرسول فيما يأمركم وينهاكم وتناجوا
بالبر والتقوى يحتمل كل انواع الخير واما التقوى فهو كل ما يقول به انفسهم عن النار وقد تقدم ذكره وقوله عز وجل
واتقوا الله الذي اليه تحشرون جائز ان يكون هذا الخطاب لهما اعني المؤمنين والكافرين يقرون بالحشر
لان اهل الكتاب وبعض المشركين يقرون بالبعث وبعض المشركين ينكرون مع الدهرية وقوله عز وجل انما النجوى
من الشيطان اي النجوى الذين كانوا يتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ليس كل نجوى على ظاهر
ما يخرج الخطاب عاما ولكن يرجع الى النجوى الذي ذكرنا وهو الذي نهوا عنه ثم انما النجوى من الشيطان
جائز ان يكون معناه ابتداء النجوى في الشر من الشيطان وهو ما ذكر في بعض القصة ان الله تعالى لما خلق ادم عليه
السلام قال ابليس للملائكة ارايتم ان فضل هو عليكم ما تصنعون فاجابوه بما اجابوا فقال هو ان فضلت عليه
عليه لاهلكنه وان فضل هو علي لاعاوننه فقد ناجاهم في امر ادم عليه السلام بالشر فكان اول النجوى في الشر
من الشيطان وقوله عز وجل ليحزن الذين امنوا ان الشيطان في ما يحزن يكون ملك على فسادهم واخراجهم من
امر الله تعالى وادخالهم في نهيه والا لم يكن لقوله انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا معنى فدل انه
لعنه الله في حال الحزن والغضب املك واقدر من حال السرور والسعة لكنه بما يدعوه الى اللذات ويمنيه اشياء كان
قصده من ذلك ان يوقعه في الضيق والشدة لما هو عليه قدر في تلك الحال ولذلك قال لادم وحوا عليهما
السلام هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى تلقاهم بالغرور بالذي ذكر ومناهم ما ذكر وكان قصده من ذلك
ابداء عورتهما وايقاعهما في الضيق والبلاء حيث قال فاكلا منها فبدت لهما سوأتهما الاية مكن الله تعالى
ابليس من الشر بالذي ذكرنا ولم يكن له منا فساد الطعام واللباس والاشربة ونحو ذلك وهو دون الاول
وذاك اكثر لكن هذا في الضرر الدنيا وي اكثر فلم يمكنه من فساد هذه الاشياء تفضلا منه واحسانا عليهم
والله اعلم وقوله عز وجل وليس بضارهم شيئا الا باذن الله اي ليس بضارين لهم فيما يتناجون من الكيد بهم
والمكر والله اعلم ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي في دفع من قصد بهم من الكيد بهم والمكر والهلاك
وعليه يتوكلون في النصر لهم والمعونة على اعدائهم والتوفيق لهم في كل خير وكل هذا وصف المؤمنين واما
المعتزلة فهم بمعزل عن هذه الاية وكذلك المؤمنون على قولهم غير متوكلين على الله لانهم يقولون ان
الله تعالى قد اعطى كلا من النصر والمعونة ما ينتصر على اعدائه وينتقم منهم حتى لا يبقى عنده مزيد ما ينصرهم
ويعينهم على شيء فعلى قولهم لا يقع للمؤمنين في التوكل على الله تعالى في شيء لانه ليس عنده ما ينصرهم ولا ما
يعينهم فعلى ماذا يتوكلون عليه على قولهم اذا لم يملك ما ذكرنا ومن قولهم ان على الله تعالى ان يعطي من المعونة
والتوفيق حتى لا يبقى عنده مزيد حتى لو منع شيئا من ذلك لم يعطهم يكون جائرا ثم اذا اعطاهم ما ذكر

ولا يهتدون

ولا يهتدون ولا ينتصرون والله تعالى قال ان ينصركم الله فلا غالب لكم وقال ومن يهد الله فهو المهتدي فدل ان
ما قالوا مخالف للكتاب ثم اختلف في اشتقاق النجوى منهم من قال هو من النجوة وهو المكان العالي المرتفع وذلك انهم كانوا
يقومون في مكان مرتفع فيتحدثون فيه ليروا من قصد بهم فيفترقوا وكلام هذا معناه ومنهم من قال التناجي التخالي
بما ذكروا فيكون معنى قوله اذا تناجيتم اذا تخاليتم فلا تخالوا بما ذكر وقال القتبي التناجي من التشاور والله اعلم
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم الاية يخرج على وجهين احدهما
واذا قيل لكم تفسحوا اي واذا قيل لكم تأخروا في المجلس فتأخروا واذا قيل لكم انشزوا فانشزوا اي ارتفعوا وتقدموا
فيكون قوله تفسحوا اذا كان الحضور ولادهم الذين همتهم السماع والعمل به دون اخذه والتفقه فيه فقيل
لهم تأخروا حتى يقرب من يصير اماما للناس وفقيها لهم واذا كان الحضور هم الذين همتهم التفقه وهم
الائمة ثم جاء بعد ذلك من كان همتهم السماع والعمل به قيل للذين تقدموا ولاد ارتفعوا وتقدموا حتى يسمع
من حضر بعدكم قول النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم والثاني انه اذا كان في المجلس او في سعة وفسحة ما يمكن تمكين
غيره بالتحريك والتفسيح دون القيام يقال لهم تفسحوا وان لم يمكن ذلك الا بالقيام قيل لهم قوموا وارتفعوا
وتقدموا وقوله يفسح الله لكم يحتمل وجوها احدها يفسح الله لكم في القبر وفي الاخرة في الجنة او يفسح الله لكم
في المجلس وهو فسحة القلب وتوسعة للعلم والحكمة والله اعلم وقال الحسن اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس اي في القتال
والحرب واذا قيل انشزوا اي اذا قيل انهضوا الى العدو فانهضوا وقال قتادة اي اذا دعيتم الى الخير والصلوة فاجيبوا
وقال غيره الى كل خير من قتال عدو او امر بمعروف او نهي عن منكر او حق كائنا ما كان والله اعلم قوله عز وجل يرفع
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات اجرا بيرفع الله الذين امنوا واجرا بيرفع الله الذين اوتوا العلم
من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات لفضل العلم على سائر العبادات من الجهات وغيره الا ترى انه
قال في باب الجهاد فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة جعل للمجاهدين على القاعدين فضل درجة وللذين اوتوا
العلم على الذين لم يؤتوا درجات ليعلم فضيلة العلم على غيره وكذلك قوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم قال بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس قوما
عند نفسه ليتفقهوا في الدين ويبعث قوما سرايا حتى اذا رجع السرايا انذرهم الذين تفقهوا في الدين وتعلموا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان التأويل هذا ففيه دلالة فضيلة العلم على الجهاد حتى احوج
اولئك اليهم وقال بعضهم كان ينفر من كل قوم طائفة ليتفقهوا في الدين فاذا رجعوا الى قومهم انذروا قومهم
وقال قتادة ان بالعلم لاهله فضيلة وان له على اهله حقا ولعمري لحق عليك ايها العالم افضل والله يعطي كل ذي
فضل فضله وقتادة في قوله تعالى واذا قيل لكم تفسحوا انهم كانوا اذا رأوا احدا منهم مقبلا يضنون بمجالسهم عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض وقال مقاتل قبل نفر من الانصار ممن شهد بدرا
فسلموا على نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن حوله فردوا السلام وضنوا بمجلسهم من رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم فلم يوسعوا لهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا فلان ويا فلان لنفر منهم عن الذين لم
يشهدوا بدرا قبلكم في ذلك المنافقون فنزلت هذه الاية والله اعلم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة يشبه ان يكون ما ذكر من مناجات الرسول عليه السلام على وجوه والناس
في مناجاته طبقات احدهم يناجيه مسترشدا في امر الدين وما نزل به من النوازل والاخر يناجيه افتخارا به على غيره
من الناس ومباهات منه ليعلم ان له خصوصية عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفضلا له عنده وهو صنيع
المنافقين والفريق الثالث يناجونه ليسمعوا الناس الكذب ويسمعونهم غير الذي سمعوا كقوله تعالى سماعون للكذب
لقوم اخرين وهم اليهود وصنيعهم ما ذكر فجائز ان يخرج المناجات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي
ذكرنا ثم ما ذكر من تقديم الصدقة على المناجات يخرج على وجوه احدها امر بتقديم الصدقة لعظم قدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم والخصوصية له يطهر بتلك الصدقة ويصير اهلا للمناجات بها وهو كالطهارة التي جعلها سببا
للوصول الى مناجات الرب سبحانه وتعالى والثاني لما خصهم بمناجات الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلهم
اهلا لها امرهم بتقديم الصدقة شكرا له منه بذلك والثالث جائز ان يكون امرهم بتقديم الصدقة امتحانا
اياهم ليظهر حقيقة امرهم وهو ما جعل الامر بالجهاد سببا لظهور نفاقهم وارتيابهم في الامر فكذلك الاول
والله اعلم وجائز ان يكون الامر بالصدقة لاهل المناجات على الذين كانت لهم حوائج عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فمنعوه عن قضاء حاجاتهم بالاشتغال بالمناجات امرهم بالصلة لاولئك تطيبا لقلوبهم والله
اعلم قوله عز وجل ذلك خير لكم واطهر اي ان تقديم الصدقة اطهر لقلوبكم من ترك الصدقة وقوله فان لم تجدوا
فان الله غفور رحيم جائز ان يكون هذا الامر لاهل الغناء دون الفقر حتى قال فان لم يجدوا ما تصدقون به فان
الله غفور رحيم وقوله عز وجل ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات قال عامة اهل التأويل اي
ابخلتم بها اهل الميسرة ان تقدموا بين نجويكم صدقات وقوله عز وجل فان لم تفعلوا وتاب الله عليكم اي تجاوز
منكم اذ لم تفعلوا فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اي اذا لم تصدقوا تلك الصدقة فاتوا زكوة اموالكم قال اهل التأويل
نسخ ما امروا به من الصدقة عند المناجات بما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وقوله عز وجل واطيعوا

الله ورسوله والله خبير بما تعملون هذا وعيد ثم في قوله اذا ناجيتم الرسول دلالة قبول خبر الواحد لانه يناجيه ولا يعلم
به غيره دل انه يقبل اذا اخبر به غيره وفيه ان لا كل مناجاة يكون من الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم ناجى من
ذكر فدل ان قوله انما النجوى من الشيطان مصروف الى ما سبق ذكره وفيه ان لا يفهم من ذكر اليد الجارحة لا محالة
فانه قال بين يدي نجويكم وليس للنجوى يد ولا يدين وكذلك قوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولم يشكل على احد انه
لم يرد باليد الجارحة ههنا فكيف فهم فيما اضيف الى الله تعالى في قوله بل يداه مبسوطتان وقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصدقة تقع في يد الرحمن الجارحة لولا فساد اعتقادهم في الله تعالى وتشبيههم اياه بالخلق وقال
قتادة اكثروا النجوى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعهم الله تعالى عنه فقال اذا ناجيتم فقدموا بين يدي
نجويكم صدقة الاية وعن علي رضي الله عنه انه قال انا اول من عمل بها تصدقت بكذا ثم نزلت الرخصة قوله عز وجل
الم تر الى الذين تولوا قوما غضب عليهم ما هم منكم ولا منهم يذكر سفه المنافقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتوليهم
قوما غضب عليهم على ما علم منهم ان الله تعالى قد غضب عليهم لكنهم تولوهم طمعا منهم في اموالهم وفيما كان
عندهم من النعمة وفضل الدنيا ثم اخبر انهم ليسوا منكم اي ليسوا على دينكم ولا انتم منهم اي على دينهم اي اولئك
اليهود لكنهم يتولونه طمعا فيما عندهم من فضل الدنيا ويحلفون على الكذب وهم يعلمون كانه قيل لهم لم توليتم قوما
غضب الله عليهم فحلفوا انه لم يتولوهم فاخبر انهم كاذبون في حلفهم وفيه دلالة اثبات رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم لانهم تولوا اليهود سرا من المؤمنين وحلفوا كذبا فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوليهم
وكذبهم في الحلف دل انه عليه الصلوة والسلام عرف ذلك بالوحي ثم اخبر ما اعد لهم في الاخرة بتوليهم اولئك وحلفهم
بالكذب فقال اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اي قد ساؤا الى انفسهم بعملهم الذي عملوا في الدنيا وقوله
عز وجل اتخذوا ايمانهم جنة اي حلفهم الذي حلفوا انهم لم يتولوا اولئك اليهود جنة فصدوا عن سبيل الله يحتمل
صدوا انفسهم عن سبيل الله او صدوا الناس عن سبيله بما ذكر فلهم عذاب مهين اي يهانون في ذلك العذاب
وقوله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اخبر ان اموالهم التي لاجلها تولوا اليهود وعاندوا
المؤمنين لا تغنيهم تلك الاموال من عذاب الله شيئا اذا نزل بهم ثم اخبر عن شدة سفههم انهم يحلفون في الاخرة
كما يحلفون لكم في الدنيا بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم فيه ان الاية لا تضطر احدا
الى الايمان به والتوحيد لانه لا اية اعظم من قيام الساعة ثم لم يمنعهم ذلك عن الكذب والكفر به ولا اضطرهم
الى الايمان به وكذلك قوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين في الدنيا فاذا كان تأويل قوله
ان نشأ ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين وقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة و
كلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله انهم يؤمنون اذا شاء الله ولا
يؤمنون وان نزلنا عليهم الايات التي ذكر ولا اية اعظم مما ذكر من انزال الملائكة واحياء الموتى وتكليمهم انهم
على الباطل وان نحو هو الذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه دل هذا كله ان الاية لا تضطر اهلها على
الايمان والله اعلم قوله استحوذ عليهم الشيطان وقال مقاتل اي احاط بهم وقال الزجاج والقتبي اي استولى عليهم
وذلك كله يرجع الى معنى واحد وفيه ان الشيطان قد سلط عليهم حتى غلب عليهم باجابتهم بما دعاهم اليه من
معاداة الله ورسوله والمؤمنين ولكن سلطانه على ما ذكر وهو قوله انما سلطانه على الذين يتولونه فعليهم اذا عملوا
بما اراد واجابوه الى ما دعا قوله عز وجل فانسيهم ذكر الله يحتمل اي انسيهم عظمة الله او نعم الله واحسانه او شكر نعمه
قوله عز وجل اولئك حزب الشيطان حزب هو جمع الفرق تحزبوا اي تفرقوا فحزبه هو جنده كما قال اهل اللغة وقيل
لانهم يصيرون فرقا ثم يجتمعوا فيكون جندا له وجند الرجل هم الذين يستعملهم فيما شاء من القتال وغيره ويصلح
لرأيه فعلى ذلك اولئك الكفرة هم جنده قوله عز وجل الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانه مناهم في الدنيا امورا
واملهم امالا فيما اتبعوه فلم يصلوا الى شيء من ذلك وفي الاخرة بقوله ان لا بعث ولا جنة ولا نار ودلهم
فيها عذاب فخسروا الدارين جميعا قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين قيل في الاسفلين
وقيل في المهزومين وقيل في الاخرين وقيل هو في الاخرة كقوله تعالى والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة واما في الدنيا
فربما يكونون هم الغالبين ومنهم من يقول ذلك في الدارين جميعا هم الاذلاء والله اعلم قوله عز وجل كتب الله
لاغلبن انا ورسلي اي قضاء الله لاغلبن ثم قال بعضهم ليغلبن محمد صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين وفعل ذلك وجائز ان يكون المراد منه جملة رسله كقوله تعالى ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين
امنوا ثم الغلبة قد يكون من وجهين احدهما بالحجج والبراهين وما من رسول الا وقد غلب على خصمائه بالحجة
والثاني بالقتال والحروب وكانت العاقبة للرسل عليهم السلام وان لم يذكر انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم و
الله اعلم واضافة الغلبة الى نفسه على ارادة الرسل ولما به على ما ذكرنا في غير موضع وقوله عز وجل ان الله قوي عزيز
قوي بذاته لانه يكون قوته من دونه وكذلك كل من دونه يكون به او يكون فيه بشارة لاوليائه انه قوي عزيز يلزمه
انه ينصرهم على اعدائهم ويقهرهم وقوله عز وجل لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله
الاية قال عامة اهل التأويل نزلت في حاطب ابن ابي بلتعة انه كان كتب الى اهل مكة ان رسول الله يقصد اليكم فخذوا

حذركم

حذركم وكان له عندهم يد فشعر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ذكرنا فنزلت الاية فان كان
نزولها فيه على ما ذكروا فهي تخرج من وجهين احدهما انه لم يرجع عن الايمان والتصديق لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وانه لا يعود الى مثله بعد ذلك ابدا والثاني انه لم يقصد بصنيعه موادتهم ولكن قصد
القاء المودة اليهم لينجع عندهم اثر وادهم وهو في حقيقته بلغ المودة وقد يكون ذلك كقوله تعالى تلقون
اليهم بالمودة والله اعلم وان كانت الاية في غير حاطب فهي بالمؤمنين الذين حققوا الايمان بالله تعالى
وثبتوا عليه لان اهل الايمان كانوا اصنافا ثلاثة صنف محققون الايمان مظهرون القتال مع اعدائهم
وصنف منهم لا يقدرون على اظهار ذلك والمناصبة معهم ولكن يتبعون الا قويا منهم والصنف
الثالث مترددون يوادون الكفرة في السر ويظهرون الموافقة للمؤمنين فجائز ان يكون قوله تعالى لا
تجد قوما يؤمنون بالله اي الذين يحققون الايمان بالله تعالى واليوم الاخر يوادون من حاد الله ولكن
انما يوادهم من لم يحقق الايمان فيكون فاخبار عن اثبات الايمان في قلوبهم كقوله تعالى اولئك
كتب في قلوبهم الايمان اي اثبت في قلوبهم الايمان فلا يرجعون عنه وفيه ان الايمان موضعه هو
القلب وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه ما كان لقوم يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يوادوا من
حاد الله وقوله عز وجل وايدهم بروح منه قيل ايدهم بنور الايمان الذي اثبت في قلوبهم واخبر عز وجل
انه اثبت المؤمنين على الايمان فقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وقال كلمة طيبة كشجرة طيبة
وقيل وايدهم بروح منه اي برحمة منه ثم وصف حالهم وثوابهم في الاخرة فقال ويدخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله اي جند الله
على ما ذكرنا انهم يأتمرون بأمره ويقاتلون اعداءه ويوالون اولياءه فهم جند الله وقوله عز وجل
الا ان حزب الله هم المفلحون قيل هم الناجون وقيل الباقون في نعم الله تعالى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز قد سبق
تأويل التسبيح وبيان وجوهه وقوله وهو العزيز الحكيم العزيز هو الغالب القاهر وقيل هو العزيز
حيث جعل في كل شيء من خلقه اثر الذل والحاجة وقوله الحكيم له معنيان معنى الاحكام فهو انه احكم الاشياء
على اختلافها وتضادها حيث تشهد له بالوحدانية وحكيم حيث وضع الاشياء مواضعها وخلق الاشياء
مواضع ثم الاصول التي يتولد منها هذه الاشياء والافعال ثلاثة والكيانات والطبايع والعقول
اما الكيانات فنحو النطفة انها بحيث يصلح ان يكون منها البشر اذا اتصلت بها موادها ونحوها
انه جعله بحيث يجيء به كل شيء وبحيث يصلح به كل شيء والطبايع حيث خلق في البشر وهي ما يميلون
بها الى المحاسن والمنافع ويحذرون من المساوي والمضار والعقول ليدركوا بها العواقب انه اي علمهم
الوجوه التي يتولد من هذه الاشياء فهو حكيم حيث خلق الاصول التي وصفنا وعلم عباده الاسباب
التي بها يولدون والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول
الحشر هم بنو قريظة وقال غيره من المفسرين هم بنو النضير وهو اقرب ثم المعنى في اضافة الاخراج
يخرج على وجهين احدهما انه اضطرهم الى الخروج فنسب الاخراج اليه كما قال الله عز وجل اذ اخرجه
الذين كفروا الاية والثاني انه خلق الخروج من ديارهم منهم فاضيف اليه بحكم الخلق ثم الاصل
في اضافة الفعل الى الله تعالى انه يجوز ان يضاف اليه على التحقيق وعلى التسبيب واما الخلق فلما يضاف
الفعل اليهم على جهة التسبيب لا على التمكين والله اعلم وقوله عز وجل لاول الحشر اختلفوا فيه قال
بعضهم اول الحشر الجلاء الى الشام والحشر الثاني حشر القيامة وقال بعضهم اول الحشر هو حشر اهل
الكتاب وجلاؤهم من جزيرة العرب والحشر الثاني حين اجلاهم عمر رضي الله عنه الى الشام وقوله عز وجل
ما ظننتم ان يخرجوا اي ما ظننتم ايها المؤمنون ان تنتصروا منهم فضلا من ان يخرجوا من ديارهم
ولكن ذلك من لطف الله ومنه عليكم وقوله عز وجل وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله ولا يحتمل
ان يتوهم احد هذا والمعنى في ذلك عندنا وجهان والله اعلم احدهما انهم ظنوا ان الله تعالى حيث اتاهم
القوة والحصون لا يبلغ بهم حكمه المبلغ الذي يخرجون من ديارهم لانهم كانوا اهل كتاب وكانوا
يزعمون انهم اولى بالله من غيرهم كقوله نحن ابناء الله واحباؤه ويكون قوله من الله اي بالله وبامره
كقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اي بامر الله فعلى ذلك يحفظونه من
امر الله اي بامر الله فعلى ذلك الاول والثاني اي ظنوا ان حصونهم وقوتهم يمنعهم من اولياء الله ان يظهروا
عليهم او من دين الله ان يظهر فيهم والله اعلم وقوله عز وجل واتاهم الله من حيث لم يحتسبوا يعني انه قذف
في قلوبهم الرعب من حيث لم يحتسب المؤمنون ولا الكافرون لان المسلمين لم يظنوا ان يقهروهم ويغلبوهم

مع قلة عددهم وكثرة عددا ولئك وكذا لم يحتسب الكفرة انهم مع قوتهم حصونهم يقهرون ويغلبون
حتى من الله تعالى على المؤمنين بان قذف الرعب في قلوب الكفرة ذلك لطف عظيم من الله تعالى الى المؤمنين
والله اعلم ثم الاصل فيما خرج هذا المخرج من نحو قوله عزوجل فاتى الله بنيانهم من القواعد ومن نحو قوله تعالى
وجاء ربك والملك صفا صفا ومن نحو قوله عزوجل الا ان ياتيهم في ظلل من الغمام وما شاكله ان نحمله على
احدى معاني ثلاث احدها ان يقول المراد اتيان اثار فعل الله تعالى ويجوز ان يضاف اليه سبيل اضافة
حقيقة العمل كما يقال الصلوة امر الله ونحن نعلم انها ليست بعين امر الله لكنها اثر امر الله تعالى وكذلك
يقال المطر رحمة الله تعالى يعني اثر رحمته فكذلك اذا نزل بهم اثار حكم الله تعالى وتدبيره وفعله وهو العذاب
جاز ان يضاف اليه اضافة حقيقة الفعل والله اعلم والثاني ان يقال بان ما كان من هذه الافعال الموصولة
بصلة فانه يجوز ان يراد منه تلك الصلة وانما نتكلم باضافة هذا الفعل اليه مجازا على ما اعتاد الناس
من افعالهم اذا ارادوها ان ياتوها بانفسهم وشرح ذلك وبيانه انه قال فاتى الله بنيانهم من القواعد
فخر عليهم السقف من فوقهم فكان المقصود من هذا الكلام الصلة وهو قوله عزوجل فخر عليهم السقف
من فوقهم وكذلك قوله تعالى فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك ما اشبهه من نحو قوله عزوجل
وجاء ربك والملك صفا صفا ومن قوله تعالى ثم استوى الى السماء اي استوى تدبيره من حيث وصل منافع الارض بمنافع
السماء وكذلك ما اشبهه هذا والله اعلم والثالث نقول بان هذه اسماء مشتركة المعنى وما كان سبيله هذا السبيل جاز ان
يضاف الى الله تعالى على معنى ليس يقع فيه الاشتراك بالمخلوقين الا ترى انه يقال جاء الليل وذهب النهار ونحو ذلك
على معنى الظهور ونحوه وقوله عزوجل يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين هذا يدل على ان الملك للسلمين في اموال
اهل الحرب ليس يقع بمجرد الغلبة ما لم يكن ثمة اسر لانه اخبر ان المؤمنين كانوا يخربون بيوتهم اضاف
الملك الى الكفرة مع ان الغلبة للسلمين فانكم اذا اعتبرتم علمتم ان الله تعالى من عليكم حيث اخرج الكفار
من ديارهم فانه لم يكن ذلك بقوتكم ويحتمل ان يكون المعنى فيه فاعتبروا يا اولي الابصار من اهل الكفار
فان ذلك بعد ولكن ان انفاقكم على الضرة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يغنيكم كما لم يغن هؤلاء الذين
خرجوا الى مكة وانفقوا مع المشركين ثم لم يغنهم والله اعلم وقوله عزوجل ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء
لعذبهم في الدنيا يعني لولا ان كتب الله عليهم الجلاء في اللوح المحفوظ لعذبهم في الدنيا بالقتل
وقوله ولهم في الاخرة عذاب النار قال هذا في قوم علم انهم يموتون على الكفر وما روي ان احدا منهم
مات على الاسلام فيكون فيه دلالة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبر ذلك بالوحي والتنزيل
من تلقاء نفسه والله اعلم وقوله عزوجل ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله يحتمل اوجها ثلاثة احدها ان
يقول ذلك يعني ذلك العذاب في الاخرة بسبب انهم شاقوا الله ورسوله ثم المشاقة والمعاداة والمحادة
والمضادة بمنزلة واحدة وذلك كله بمعنى المعاداة وقوله ومن يشاق الله شديد العقاب يحتمل ان يكون
على التقديم والتاخير ووجهه ان يقول ان الله شديد العقاب لمن يشاق الله ورسوله ان يكون فيه
اضمار كانه يقول ان عقوبته لمن يشاق الله ورسوله شديدة وقوله عزوجل ما قطعتم من لينة او تركتموها
قائمة على اصولها فباذن الله وما ذكر ان اليهود نادوا المسلمين انكم تزعمون ان الله لا يحب الفساد وانتم
تفسدون بقطع النخل لا يحتمل هذا قال تعالى قبل يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاذا كانت
انفسهم تسخو بتخريب البيوت فما بالها لا تسخو بقطع الاشجار ومعلوم انه لا يؤمل في البيوت منفعة
بعد تخريبها وقد يؤمل في النخل منافع بعد قطعها ولكن ان كان يصح ذلك بخبر فتاويله عندنا انهم يجوز
ان يكون المسلمين خوفوهم بالقتل فقالوا على اثر ذلك انكم اذا قتلتمونا صارت هذه النخل لكم فكيف
تفسدون املاككم ثم في اذن الله بقطع النخل وجهان التاويل احدها ان يكون فيه بيان ان مقاتلة
المسلمين اياهم لم يكن لرغبة في اموالهم بل ليسلموا لله ورسوله ويخضعوا له والوجه الثاني ان حرمة
هذه الاموال انما هي لحرمة اربابها واذا ابيح قتلهم واتلافهم فما ظنك باموالهم والوجه الثالث
ان الله عزوجل كتب عليهم الجلاء ومعلوم ان انفسهم بالجلاء اذا خربت بيوتهم وقطعت اشجارهم
اسخى منه اذا بقيت لقطع طمع من المقام فاذن الله تعالى في قطع النخل تماما لما كتب عليهم من الجلاء والله
اعلم والرابع ان هؤلاء كانوا يمترا بهود والتحريف والتبديل للتوراة انما وقع منهم رغبة في الدنيا و
سعتها فاذن الله تعالى في قطع النخل عقوبة لهم وخزيا من الوجه الذي وقع له التبديل منهم والله اعلم
وقوله عزوجل فباذن الله ان كان المراد منه العلم فوجهه ان الله تعالى علم منهم ذلك ولو كان فسادا فيه لنهاهم
عن ذلك وان كان المراد منه الامر فهو ان الله تعالى امر بالقطع والترك جميعا واذا كان المراد منه المشيئة فهو
ان الله تعالى قد شاء الامرين جميعا والله اعلم واللينة اللون من النخيل كما يقول قوت وقينة وقوله عزوجل
ليخزي الفاسقين اي ليكون كبتا وغيظا للفاسقين والله اعلم وقوله عزوجل وما افاء الله على رسوله منهم
فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب قال حق هذه الاية ان يكون مؤخرة وان يكون قوله عزوجل
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى متقدمة عليه لوجهين احدهما انه ذكر فيه الواو والواو لا يبتدأ بها الا

في القسم

في القسم والثاني ان قوله وما افاء الله على رسوله منهم حرف كنايتي والكناية لا بد لها من معرفة يعطف عليها
فيرجع اليها فلذلك قلنا ان حق الاولى التاخير وحق الثانية التقديم وعلى ذلك قراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله
عنه واذا كان كذلك فوجهه ان الذي وجب صرفه الى الاصناف التي ذكرنا انما هو الخمس واوجبها هنا من
كل الغنيمة فابان بقوله وما افاء الله على رسوله منهم انه انما يصرف هذه الاربعة الاخماس الى النبي صلى الله
عليه وسلم دونهم لهذا المعنى انهم لم يوجفوا عليه من خيل ولا ركاب اشار الى ان استحقاقهم الاربعة
الاخماس بسبب ايجاف الخيل والركاب والله اعلم وان كانت القراءة على ما يلي الحال ليس على التقديم والتاخير
فانه يحتمل ان يكون قوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم صلة قوله يخربون بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب وان كان بناء على ذلك عطفا
ان يذكر بحرف الواو وحرف الكناية قال رضي الله عنه ان الناقبين واهل الضعف من المؤمنين
الذين منوا بالتقليد يطلبون في هذا الموضع ان كيف خص هذه الغنيمة قرابته والمهاجرين الذين هاجروا
اليه وكيف اثر بها نفسه والجواب عن هذا ان هؤلاء الاصناف قوم عامة المسلمين يحتمل مؤنتهم
لولا هذه الغنيمة ومعلوم ان انفس المسلمين ببذل ما عليهم من تلك الاما نة اسخى منه لو صرف
الى كل واحد منهم على الاستشادة اليه من ملكه الخاص وعلى هذه العبادة يجري مسائل لنا احدها ما
روي عن عمر رضي الله عنه انه جعل العقل على اهل الديوان لان ذلك يخرج مخرج المعونة ومعلوم ان
المعونة على ما منهم فبذل ما رج من هذا الحق الى تلك العامة اسهل عليهم لو صرفا الى خاصتهم وكذلك
قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
ومعلوم ان منع تلك الزوجة عن ان يذهب الى دار الحرب بشيء من مال زوجها كان واجبا على العامة
وكذلك المسلمون اذا اصابوا غنيمة وفيها مال مسلم قد غلب عليها المشركين انه ما دام الملك العامة
ولم يقسم يرد عليه من غير بدل واذا قسموا واختص كل واحد بملكه لم يأخذه الا ببدل فكذلك
الاول والله اعلم قال الفقير رحمة الله عليه والذي يجب من جهة العرف والشريعة ان يكون تحمل مؤنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم على امته اما من جهة العرف فهو ان من عمل لغيره كان مؤنته عليه ذلك الاول وكذلك
من جهة الشريعة ومعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم بامور امته في امور دنياهم واخراهم
واذا كان الامر على ما ذكرنا كان اولى ما يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو مال العامة وذلك هو
الفيء هذا لو اختصه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه فكيف وقد قسمه بين الفقراء واهل الحاجة ولم
يوثر به لنفسه ووجه اخر في هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احلت لي الغنائم ولم
تحل لاحد قبلي وقال نصرت بالرعب مسيرة شهرين فلو اختص ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه لجاز له
بما قال ولكن الله جعل الفيء له بين من كان تحمل مؤنتهم على المسلمين لولا هذا الفيء كي يكون المنة له على امته ولا
يكون لاحد من امته عنده عليه الصلوة والسلام يد ولا صنيعة والله اعلم ووجه اخر انه لو يؤذن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في كسب شيء من الدنيا وفضولها حتى يصطنع من فضولها بالمعروف فجعل الله له الفيء ليكتسب
به الفضائل والمعروف والله اعلم وفي قوله نصرت بالرعب مسيرة شهرين دلالة ان ما افاء الله على رسوله واعطاه
فهو له خاصة يصنع به ما شاء ويفرق فيمن شاء والقول عند اصحابنا في الامام اذا اعطاه اهل الحرب ان يشترك
فيه قومه لان هبة الائمة انما هي لقوتهم وكانت هبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نصر بالرعب جاز ان يختص
لنفسه والله اعلم ثم قوله وما افاء الله على رسوله من اهل القرى يعني رد الله على رسوله من ملك الكفرة او ما اعطى
الله ورسوله من ملك الكفرة وقوله من اهل القرى يجوز ان يكون قرى قد اعطوه او يكون هذه بشارة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في فتح القرى وقوله عزوجل ولذي القربى يجوز ان يقال ان الظاهر من هذه الاية ان يكون المراد
منها قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي
قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يدخل في هذه الاية بالتاويل وذلك ان المفهوم من ذكر القرابة
انما هو قرابة المخاطبين في الاية ومعلوم ان الخطاب في القسمة انما هو للمغتنمين وفي قوله عزوجل ما افاء الله
على رسوله انما هو يفهم منه قرابة الرسول عليه السلام وكلهم ذوي القربى فان اصحابنا يسلكون
في ذلك مذهبين منهم من يقول ان هذا الحق في الاصل للمحتاجين من القرابة لوجهين احدهما قوله واليتامى
والمساكين وابن السبيل وكان المراد منه منصرفا الى المحتاجين فكذلك في القرابة ومنهم من قال ان
الخمس كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصل به الى قرابته فلما قبض عليه الصلوة والسلام انقطع ذلك
الحق لوجهين احدهما قوله عليه الصلوة والسلام انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة والثاني
انهم انما كانوا يستوجبونه برسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قبض انقطع ذلك الحق على سبيل انقطاع الحقوق
عن اصحابنا عندنا فانهم شدد الغاية في منع ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوراثة وجهان
احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يستعمل نفسه في شيء من لذات الدنيا وشهواتها وكان
قائما لله تعالى خالصا فاذا كان كذلك جاز ان يكون حقيقة الملك فيه لمولاه وان كان في الظاهر له والله

اعلم فان قيل ليست الاملاك كلها لله تعالى قيل لهم نعم غير ان الاضافة قد يكون خصوصية حال
كقوله تعالى ناقة الله وبيت الله ووجه آخر ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم محبوس عليه الى يوم
القيمة الا ترى ان زوجاته محبوسات عليه لا يحللن لاحد بعده ونحو ذلك عليه لم يتحول بعده الى غيره
جاز ايضا ان يوقف عليه ملكه عليه الصلوة والسلام ومعلوم ان ما كان موقوفا فسبيل التصدق
والله اعلم وقوله عز وجل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم له معنيان احدهما انه لو لم يبين هذه المواضع
لكان ذلك الخمس الذي كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يخلفه فيه الخلفاء من بعده فيداول به
الاغنياء بينهم ومعنى آخر لو خرق هذا بين الفقير والغني لكان حين يقع هذا في يده كان يكتب به فضول
الدنيا واما الفقير فاذا وقع في يده يتمتع به في منافع نفسه فلذلك فرق في الفقراء والله اعلم وقال
بعضهم الدولة هي اسم للذي يدول بين الناس والدولة واحدة وهي فعله وقوله عز وجل وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا يعني ما اعطاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الغنيمة فخذوه ولا
تظنوا به ظنا مكروها وما نهاكم عنه فانتهوا النهي نهي زجر وشريعة ولكن نهي منع وما منع منكم من هذا الفيء
فانتهوا عنه وعلى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما آتاكم الرسول فخذوه ويحمل بمعنى الاعطاء اي
ما اتاكم من الدنيا فخذوه وما نهاكم من الدنيا عنه يعني زجركم عنه فانتهوا عنه قال رحمه الله ويرى عامة
الفقهاء يحتجون بهذه الاية في موضع الامر لعلة الايتاء وليس يوجب ظاهره هذا اذ الايتاء هو
الاعطاء والتمليك كقوله واتوا الزكوة ولكن وجه الاحتجاج به ان الله تعالى لما امرنا باخذ ما يعرف عليه الصلوة
والسلام وان كان في اخذ المعروف من غيره صلى الله عليه وسلم خيار فان يلزمنا الاخذ بامره والاتباع له
اخرى واولى والله اعلم وقوله عز وجل واتقوا الله ان الله شديد العقاب هذا يؤكد ما ذكر من اتباع امره والله
اعلم وقوله عز وجل للفقراء المهاجرين الاية وما نسق عليه من قوله والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم
وقوله والذين جاؤا من بعدهم الايات ظاهر هذا يقتضي ايجاب حق لهم لانه اذا قيل لفلان لم يكن بد
من ان يقال كذا وكذا واذا كان كذلك لم يكن به من حق يذكر لهم ولا يحتمل ايضا ان يخفي الله تعالى علم ذلك
الحق الذي وجب لهذه الاصناف عن خلقه فالسبيل في ذلك من جهة التأويل عندنا والله اعلم ثم يحتمل
ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن جوابه لمن قال للفقراء المهاجرين ويحتمل ان يكون
الرسول صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل وعلا عن جوابه لمن فاخبر للفقراء المهاجرين ثم انه يجوز ان يكون
ذلك الحق ما وظف من الخراج على اهل القرية اذا فتحت وهو ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
قال لعلي وابو مسعود رضي الله عنهما حين فتح سواد الكوفة اني بكم في امر قد اغناني الله تعالى عن مشورتكم
حين تلوت هذه الاية ثم تلا قوله للفقراء المهاجرين ثم قال لهؤلاء خاصة وتلا قوله والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم ثم قال ليس لهؤلاء خاصة وتلا قوله والذين جاؤ من بعدهم وروي انه
لما قال له اقسم بيننا كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بين اهل العسكر قال اللهم اكفني
بلالا واهله ثم قال عمر رضي الله عنه لو قسمتها بينكم لتركت آخر عصابة في الاسلام لم يصيبوا من
هذه واخبر الله بقوله والذين جاؤا من بعدهم انهم شركاء هؤلاء فجائز ان يكون عمر رضي الله عنه
حين تلا هذه الايات تذكر خبرا اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلم ان الحق الذي وجب الله
تعالى لهؤلاء ذلك او يجوز ان يكون الله تعالى يلطفه الهمهم وعليا وابن مسعود رضي الله عنهم لانه
روي انهما اشارا عليه بذلك قال اصحابنا ان الامام اذا افتتح قرية من قرى اهل الحرب فهو فيها
بالخيار ان شاء قسمها بين اهلها ووظف عليهم الخراج وان شاء قسمها بين اهل العسكر وانما كان
كذلك لان المقصود من المقاتلة احد معنيين اما توسيع اماكن الاسلام ان تضيق المكان بهم ليتسلموا
لدين الله وينقادوا للامر وينظروا في حججه وليست مقابلتهم عقوبة كفرهم بل لما وصفنا هذا المعنى وهذا
المعنى قد يستفاد اذا وظف عليهم الخراج فلذلك كان للامام الخيار والله اعلم ولو فهم بلال رضي الله
عنه المعنى الذي لاجل قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر بينهم لم يقس امر سواد الكوفة عليه والمعنى
من قسمته عليه الصلوة والسلام خيبر بينهم عندنا والله اعلم هو ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية
بشرهم الله تعالى بفتح قريب عوضا عما نالهم فيما اصابهم واما سواد الكوفة فلم يكن فيها شيء من هذا
المعنى فلم يجز ان يكون امره مقيسا عليه والله اعلم وقوله للفقراء المهاجرين يحتمل ان يكون المراد منه المجاهدين
المقاطعين لاسباب عيشهم من الاموال والديار اي لهم هذا الحق الذي سبق وصفه وقوله عز وجل
الذين اخرجوا من ديارهم لم يخرجوهم من ديارهم لم يخرجوهم من ديارهم في الحقيقة ولكنهم ضيقوا
عليهم حتى خرجوا فاذا اضيف الاخراج اذا كانوا اسبابا لخروجهم وهذا كقوله تعالى فاخرجهما مما كانا
فيه وابليس عليه اللعنة لم يتول اخراجهما من الجنة ولكنه حرضهما على سبب اتيانه فلم يستقرا بعد
في ذلك المكان فاضيف الفعل اليه وقد وصفنا ان هذه الافعال اذا اضيفت الى العباد فانما المعنى ذلك
اسباب يكون منهم لا حقيقة تلك الافعال وما اضيف الى الله تعالى من ذلك فهو يحتمل الامرين جميعا الحقيقة

والتثبت

والتثبت في ذلك لاجل ان العبد لا يمكنه ان يقدر اخر على فعل في وقت فعله الا على التسبب فاما رب العالمين فانه
قادر على اقدار العبد على فعل وقت فعله فلذلك قلنا انه يجوز ان يراد حقيقة الفعل فيما يضاف الى الله
تعالى وهو الموفق وقوله عز وجل من ديارهم واموالهم يدل على انها كانت لهم بمكة ديار واموال
ثم مع هذا لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شيء من ديارهم عليهم بعد فتح مكة ولا تضمين
اولئك شيئا من اموالهم ليعلم ان اهل الحرب اذا غلبوا على اموال المسلمين ملكوها والله اعلم وقوله عز وجل
يبتغون فضلا من الله يعني انهم هاجروا الذين يهم وانقطعوا عن اسباب عيشهم من الاموال يبتغون الرزق من
الله تعالى وقوله عز وجل وينصرون الله ورسوله دل ان هذا الحق للمجاهدين منهم ثم وقوله وينصرون الله
يحتمل وجهين احدهما ينصرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله صلة والثاني ينصرون دين
الله ويطيعون رسوله عليه السلام وقوله اولئك هم الصادقون يعني الذين اظهروا وصدقوا الايمان
من قلوبهم لهجرتهم لدينهم ودينهم الحاملة لهم الى الله تعالى ويتقرب اليه وقوله عز وجل والذين تبوؤا الدار
يعني الذين اتخذوا دارا واسعة يسعهم والمهاجرين وهم الانصار وقوله والايمان اي انهم امنوا قبل
هجرة هؤلاء لكي يأمن هؤلاء المهاجرين من احنهم ولا يخافوا شرهم وقوله من قبلهم يعني من قبل الهجرة وقوله
عز وجل يحبون من هاجر اليهم يعني ان الله تعالى القى محبته حتى انزلوا المهاجرين ديارهم وانفقوا عليهم
اموالهم وقوله عز وجل ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قسم خيبر بين المهاجرين وترك الانصار له يقسم بينهم لم يجد الانصار في قلوبهم حاجة مما اعطى المهاجرين
يعني ان الله تعالى اغنى قلوبهم حتى لا تعكروا عن حاجة ولا فقد البتة ويحتمل ان يكون المعنى من الحاجة ها هنا
الغل والحسد يعني ان الله تعالى طهر قلوبهم حتى لم يجدوا في صدورهم حاجة وقوله عز وجل ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة اي يؤثرون على انفسهم في املاكهم انهم لا يجدون بما يبذلون من حاجة مما
يملكون ويؤثرون المهاجرين على انفسهم ولو كان بهم حاجة وقوله عز وجل ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون ان الله تعالى خلق في طبع البشر محبة المحاسن والمنافع والطلب لها وبغض المساوي والنفار
والهرب منها ثم انا بتحنهم بالانفاق مما يحبون وحمل النفس على ما يكرهون طلبا لنجاتهم وتوصلا الى
ثوابهم ثم يكون وقاية النفس من الشح يكون بوجهين احدهما ان يمن الله على عبده ليبصر ما هو غائب
عنه من الثواب الآجل كالشاهد فيخفف عليه الانفاق مما يحب ويصير ذلك كالطبع له والثاني يوفق
الله تعالى ويعصمه ويلهمه بعظم امره ونهيه حتى يقهر نفسه ويحملها على الائتمار بما امر الله تعالى والانتهاء
عما نهى عنه وان كان طبعها على خلاف ذلك فرضا فان الوقاية الى نفسه يدل على انه قد بقي في
خزائنه شيء لم يؤته عبده حتى يصف نفسه بانه بقي عنده شح نفسه ولولا ذلك لم يكن لوعده
بوقاية نفسه عن شحها معنى والله اعلم وقوله عز وجل فاولئك هم المفلحون يعني الباقون
في النعيم الدائم والفلاح في الحقيقة هو البقاء في النعيم وقوله عز وجل والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا الاية قد علم الله تعالى انه قد يكون في امة محمد صلى الله عليه وسلم من يلعن سلفه حتى
امرهم بالاستغفار لهم وفيه دلالة على فساد قول الروافض والخوارج والمعتزلة
لان الروافض من قولهم ان القوم لما ولوا الخلافة ابا بكر الصديق رضي الله عنه كفروا ومن
قول الخوارج ان عليا رضي الله عنه كفر بقتاله معاوية واصحابه وقالت المعتزلة بان من عدل
عن الحق في القتال خرج عن الايمان ولو كان ما ارتكبوا من الزلات يكفرهم ويخرجهم عن الايمان
لم يكن لذلك الاستغفار لهم معنى لان الله تعالى نهى عن الاستغفار للمشركين فاذا اذن ها هنا
بالاستغفار لهم بين بهذا ان ما ارتكبوا من الذنوب لم يخرجهم من الايمان ولا نزاع في الاخوة
فيما بينهم مع علمنا انه لم يكن بين الاخرين والاولين اخوة الا في الدين فلولا انهم كانوا مؤمنين
لم يكن لابقاء الاخوة معنى والله اعلم ولانه قال تعالى ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ولو كان
ذلك يخرجهم من الايمان لم يكن لهذا الدعاء معنى لان الواجب ان يكون في قلوب المؤمنين
عداوة الكفرة ومقتهم فلما ندب جل ثناؤه في هذه الاية الى نفي الغل والحسد عن قلوبهم بتلك
الدعوة ثبت انهم كانوا مؤمنين والله اعلم ثم في الامر بالاستغفار لهم دلالة انه قد كانت
منهم ذنوب يستوجبون بها العقوبة لولا فضل الله ومغفرته وان كانوا فيما تعاطوه مجتهدين
ليعلم انه ليس كل مجتهد مصيب ثم وقوله عز وجل ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا يعني علاوة
يحتمل ان يكون المراد منه المؤمنين الذين سبقوهم ويحتمل ان يكون هذا في كل المؤمنين وقوله
عز وجل ربنا انك رؤف رحيم الرحمة من الله تعالى فضل منه على عباده واحسان اليهم الا ترى الى قوله
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب فاخبر ان رحمته
منه واحسان الى عبده والله اعلم ثم الاستغفار في حال الحيوة له معنيان احدهما طلب السبب
الذي اذا جاءه استوجب المغفرة والثاني حقيقة المغفرة وفي حال الوفاة ليس الا طلب عينه

المغفرة فلما ندب جل وعلا الى الاستغفار لهم بعد وفاتهم وحال الاستغفار بعد الوفات على ما وصفنا
لا يتوجه الا على حقيقة المغفرة ثبت ان ذنوبهم لم يخرجهم لانه لو كان من حكمه جل ثناؤه ان لا يجعل
مغفرتهم اذا ارتكبوا الكبيرة لم يكن في الامر بالاستغفار لهم حكمة والله اعلم وقال جعفر بن
حرب انه ليس في قوله ولا تجعل في قلوبنا غلا ما يدل على انه يجعل في قلوبهم لانه اذا قيل لا تفعل
فلانا شيئا لم يفهم به انه يفعله اذا احب ولكن يجاب عن هذا انه ذكر الله تعالى نصا في اية اخرى ما يدل
على جعل العداوة الا ترى انه قال واغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فان قال تاويله
انه خلى بينهم وبينها لا انه جعلها قلنا غير محتمل ان يخلق الله تعالى العداوة في قلوبهم من غير فعل يكون
منهم بها وان كان كذلك ثبت انه يخلق هذه الاشيا وقت فعل العبد لها والله اعلم وقوله عز وجل الم
تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب هذه الاية يدل على ان الله تعالى جعل
حجة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم على المنافقين في انفسهم لانهم قالوا هذا القول سرا منهم الى اهل
الكتاب لانه لا يحتمل ان يظهروا مثل هذا القول بين يدي المؤمنين ولا كان الكفار يخبرون بهذا احدا
من المؤمنين فلما اخبره ما قال المنافقون ثبت انه ما علمه الا عن الوحي والتنزيل وذلك علم نبوته
عليهم والله اعلم وقوله عز وجل لئن اخرجتم لنخرجن معكم يحتمل وجهين احدهما انه يجوز ان يكونوا قالوا
لهم هذا على ان اتباعهم في القتال والثاني انهم قالوا ذلك لاهل الكتاب على حسبانا منهم ان الرسول صلى الله
عليه وسلم اذا علم بحال هؤلاء لم يخرجهم من المدينة خوفا ان يقال اخرج اصحابه واذا لم يخرج اولئك لم يخرج
اهل الكتاب ولم يقاتلوا وقوله ولا نطيع فيكم احدا ابدا يعني لا ننظر احدا فيكم ابدا وقوله عز وجل وان قوتلتم
لننصرنكم يجوز ان يكونوا وعدوا نصرهم هذا في قرى محصنة ثم اخبر انهم وان نصروهم ثم انهزموا هربوا و
نصروا او تولوا ولم ينصروهم بعد ذلك ابدا وقوله عز وجل والله يشهد انهم لكاذبون ولقائل ان يقول كيف يشهد
عليهم بالكذب انما يدخل في الاخبار وقولهم الذي قالوا انما هو وعد منهم فحقه ان يقال انهم يخلفوا الوعد
بمثل هذه الاية يحتج الخوارج في تكفير من اذنب ذنبا وذلك انهم يقولون ان من امن بالله تعالى فقد اعتقد ان لا يعصيه
فاذا عصاه تبين بعصيانه كذب في اعتقاده فكفر لهذا المعنى ومن جوابنا عن هذا ان قول المنافقين لاهل
الكتاب اخبار منهم عن موالاتهم اياهم فاخبر الله تعالى انهم كاذبون فيما اخبروا عن الموالاة والله اعلم وقوله
عز وجل لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون في هذه
الاية حجة رسالته عن الفريقين جميعا وذلك ان هذا خبر عن الغائب وذلك لا يوصل الى علمه الا بالتعليم ولم
يكن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف الى احد يخبره ولا يلقونه شيا من احد من البشر فاذا اخبر عما يحدث
وعما هو غائب ثبت انه ما قال الا عن الرسالة والوحي والله اعلم قال ويجوز ان يكون الله تعالى ذكر
المؤمنين بهذه الايات على ما لقي الرسول عليه السلام ممن كان الواجب عليه ما عليه كانت عادتهم الاحسان
اليه وذلك انه كان من عادة العرب المعونة والنصرة لمن قاربهم في النسب او القبيلة وان كان
ظالما ثم ان الله سبحانه وتعالى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم من بين ما ظهرهم من قريش فاظهروا معه
من العداوة ما اظهروا حتى هموا بقتله وجعل محمدا صلى الله عليه وسلم حين ارسله حجة يظهر لليهود
والنصارى وجميع اهل ما ذكر في كتابهم من نعته وصفته فقابلوه بذلك ما قابلوا من سوء الصنيع واظهار
العداوة وكان عند كل والله اعلم حجة وعلامة يعلم بها ان رسالته عليه السلام لم يظهر بمعاونة
احد بل بنصر الله وفضله وتاييده والله المستعان وقوله عز وجل لانتم اشد رهبة في قلوبهم من
الله يحتمل ان يكون رهبة هؤلاء في صدورهم على التحقيق ويجوز ان يكون على التمثيل فاما وجه
التمثيل فهو ما قال يحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون فاخبر انهم يعتذرون اليهم
بالحلف فيجوز ان يكون معاملتهم عند التمثيل معاملة من يرهبهم فسمى ذلك رهبة في قلوبهم
وهذا نحو قوله تعالى جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخلده يعني جمع ماله جمع من يحسب ان ماله
اخلده فكذلك الاول ويجوز ان يكون على التحقيق ولذلك وجهان من التاويل احدهما انهم كانوا
يظهرون الموالاة لكل فريق وكان عندهم ان الله تعالى ولي احد الفريقين لا محالة واذا يخلا احد الفريقين
يخواهما ايضا فكانهم على هذا التاويل كانوا يرهبون الخلق جميعا لا ان يختص به المؤمنون وكانوا
لا يرهبون الله لانهم امنوا جانبه من الوجه الذي وصفنا ويجوز ان يكون رهبتهم من المؤمنين
خاصة وذلك ان اهل النفاق انما كانوا من احد الصنفين اما ان كانوا دهرية فنافقوا او كانوا اهل
كتاب وان كانوا اهل كتاب فنافقوا فان كانوا دهرية فكانوا لا يرهبون الله تعالى لما كانوا غير مقرين
بالصانع وان كانوا اهل كتاب فانهم قد امنوا ايضا لما كانوا يصفون من قولهم نحن ابناء الله واحباؤه
واذا سقطت الرهبة من كلا الجانبين من الله تعالى حصلت الرهبة من المؤمنين خاصة والله اعلم ويجوز
ان يكون تفسير قوله تعالى لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله في قوله ذلك بانهم قوم لا يفقهون
وذلك يحتمل وجهين احدهما انهم لا يفقهون ان البلاء بالتي في الدنيا ونعيمها تذكير للبلاء بالاخرة

ونعيمها

ونعيمها وكانوا يرون انما جعلت لانفسها واذا كان هذا وهمهم وحسبانهم لم يرهبوا من الله تعالى و
الثاني انهم قوم لا يفقهون من الوعد والوعيد بل كانت رهبتهم ممن كانوا يأملون منهم المنافع ويحذرون
مضارهم فلا يرهبون من الله تعالى ولقائل ان يقول انه لا احد من اهل الاسلام الا ورهبته من الناس
اشد من رهبته من الله تعالى لانك ترى الرجل يمتنع عن الزلة عند اطلاع الناس عليه ما لا يمتنع عن
كثير من الزلات فيما بينه وبين الله تعالى والجواب عن هذا وجهان احدهما انه ليس بازاء الخوف من
الانسان رجاء يرجوه وبازاء رهبته من الله تعالى رجاء يرجوه من رحمته وفضله واحسانه فيجوز
ان يكون الرجاء من رحمة الله ورحمته وفضله يغلب عليه فيقترف الذنوب ويرتكبه والوجه الثاني
انه اذا كان فيما يرتكبه من الذنب شركا فليس يهابهم وانما خوفه من قوم فيهم سمة الصلاح وامارة النسك
لدين الله تعالى لا من نفس المخلوقين والله اعلم وقوله عز وجل لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة قوله
جميعا اي لا يقاتلكم اهل النفاق واهل الكتاب جميعا معا وانهم لينوا بقتالهم ما وعدوا لاهل الكتاب
من النصر والقتال واحتمل ان يكون استثناء عن الوعد الذي وعدوا لاهل الكتاب فان كان عن
القتال فهو يحتمل وجهين احدهما انهم لا يقاتلون الا ان يكونوا في قرى وحصون ومن وراء
جدر لا يعلم بهم اهل الاسلام والله اعلم وان كان من الوجه الثاني فهو يحتمل وجهين ايضا احدهما
انهم لا يوفون ما وعدوا من النصر في القتال لاهل الكتاب ولكنهم يلجئون الى قرى محصنة الا ترى
الى ما اخبر الله تعالى عنهم في ناحية المسلمين وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب
يسئلون عن انبائكم فاخبر انهم قد اظهروا الموالاة للمسلمين كما اظهروا لاهل الكتاب الى ان جاء
القتال التجؤوا الى مكان يستمعون من اخبارهم فعلى ذلك النحو يجوز ان يكون في اهل الكتاب والوجه
الثاني انهم لا يقاتلون ولكنهم يدخلون في قرى محصنة يتربصون لمن يكون الظفر والعاقبة كما اخبر
عنهم في اية اخرى وهو قوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان
كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم فاخبر تعالى انهم يتربصون العاقبة فالتجؤوا وهموا الى
قرى محصنة يجوز ان يكون بهذا التاويل والله اعلم وقوله عز وجل باسهم بينهم شديد يحتمل وجهين
احدهما ان يقول باسهم يعني قوتهم بينهم شديد ما لم يروا اعداء ظاهرة او يقول باسهم شديد ما
دام القتال بينهم لانه ليس فيهم من اكرم بالرعب مسيرة شهرين فاذا اكرم بالرعب هذا المقدار من
المسير فلا يجد ذلك في اهل مرتبته واذا كان كذلك ثبت ان التاويل ما وصفنا والله اعلم وقوله عز وجل
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى لان همة المنافقين سلامة الانفس وراحة الابدان وهمة اهل
الكتاب الذب عن المذهب والسعي في اقامته فاذا اختلف هممهم ومقاصدهم تشتت قلوبهم وذلك
معنى قوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء يعني في الهمم والقلوب وقوله عز وجل ذلك
بانهم قوم لا يعقلون يحتمل ثلاثة اوجه احدها انهم لا يعقلون حق الوعد والوعيد والثاني
انهم لا ينتفعون بما يعقلون والثالث انهم لا يعقلون لمن يكون له العاقبة وقد وصفنا ان عادتهم
التربص لمن يكون الظفر والعاقبة فاذا اشتبهت عليهم العاقبة ولم يفعلوها لم يوالوا واحدا
من الفريقين في الظاهر والباطن جميعا والله اعلم وقوله عز وجل كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا
وبال امرهم الاية يجوز ان يكون في هذا اضمار مثل اخر كانه يقول مثل هؤلاء الكفار كمثل الذين
كانوا من قبلهم وكذلك في قوله مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء يعني
مثل محمد صلى الله عليه وسلم مثل هؤلاء الكفار وعلى اضمار مثل اخر ثم التمثيل وكيفيته يحتمل وجوها
ثلاثة احدها ان يقول مثل هؤلاء الكفار والذين اساءوا الرسل من قبله كان قريبا ان ذاقوا وبال
امرهم والوجه الثاني ان يقول مثل اهل المدينة من الكفار حين هموا باخراج الرسول من المدينة
كمثل اهل مكة حين اخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة وكان قريبا حتى ذاقوا وبال امرهم
من الاسر والقتل والدليل على ان كفار المدينة هموا باخراج الرسول صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل
وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الاية ويحتمل ان يكون تخصيصا لقريش او قبيلة و
ذلك ان يقول مثل بني قريظة كمثل الذين من قبلهم وهم بنو النضير وان كانوا قريبا ان ذاقوا وبال امرهم
والله اعلم وقوله ولهم عذاب اليم هذا اخبار انهم يموتون على الكفر وفيه دلالة رسالته صلى الله
عليه وسلم حيث اخبر عن الغيب وقوله عز وجل كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال
اني بري منك فكذلك المنافقون يظهرون الموالاة والنصر فاذا جاء القتال امتنعوا وتبرؤا عنهم
ثم قوله اني بري منك يجوز ان يكون في الاخرة حيث يقول ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي اني
كفرت بما اشركتمون من قبل ويجوز ان يكون في الدنيا وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بري
منكم اني ارى ما لا ترون الاية وقوله عز وجل فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء

الظالمين ظاهر وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله الاية الى اخرها
اذا ذكرت حال بين العبد وبين سيده لم يكن بد من اضمار ويدخل في ذلك مثاله قوله ان الله مع الذين اتقوا يعني
انه معهم في النصر والمعونة وقوله مع المحسنين في التوفيق والولاية وكذلك قوله عز وجل اتقوا الله
لانه لا يحتمل ان يتقى الله حتى يكونوا معهم في التقوى اذ ظاهر اللفظ يقتضي هذا كقوله كونوا مع الصادقين
اي في الصدق واذا ثبت فيه الاضمار كان الوجه في ذلك احد معاني اما ان يقول اتقوا حق الله تعالى ان
تضيعوه او اتقوا حده ان تعدوه وتتعاطوه او اتقوا سخطه واتقوا مخالفته او اتقوا الاسباب التي
تستوجبون بها مقت الله تعالى ويحتمل ان يراد من التقوى في هذه الاية اوامره ونواهيه على ما في
ان التقوى اذا اطلق جاز ان يراد به الاوامر والنواهي واذا ذكر مقابلة امر كان المعنى منه محارمه ونواهيه
والله اعلم وقوله عز وجل ولتنظر نفس ما قدمت لغد قال من عمل بما امر فهذه الاية سلم من تبعات الاخرة
لانه اذا اشعر قلبه وقت فعله ان الذي يفعله تقدم لغدا متنع من ارتكاب ما يجب ان يستحي عنه او يخزي
عليه في ذلك الوقت واتى بما يسر عليه والله اعلم ويحتمل ان يكون معنى الاية على النظر لما قدمت نفسه
للغد وذلك انه اذا تذكر فنظر فيما قدمت نفسه للغد وذلك انه دعاه الى احد امرين اما الى التوبة عن
السيئة التي قدمها او الى الشكر على حسنة التي تعاطاها وكل ذلك منه زيادة في الخير فكان الواجب ان لا
يغفل المرء عن ذلك والله اعلم ويحتمل ان يكون هذا على المستانف من الافعال انه ينظر فيما يريد ان يقدمه
لغد فان كانت عاقبة الهلاك انتهى عنه واذا كانت عاقبة النجاة مضى عليه واتى به والله اعلم ويحتمل قوله اتقوا
الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ان يكون المراد منه الاتقاء عن ترك النظر لما تقدمه نفس لغد والله اعلم وقوله
عز وجل واتقوا الله ذكر قوله واتقوا الله مرة اخرى والاية واحدة يحتمل وجهين احدهما ان يكون المراد من
الاول ان اتقوا مخالفة الله في اوامره ونواهيه وفي الثاني اتقوا سخطه وعقوبته والثاني انه خرج على التكرار
على ما جرت العادة في الحلف والتكرير عند الوعيد على التاكيد كقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون وكقوله اولى
لك فاولى والله اعلم وقوله عز وجل والله خبير بما تعملون فيه تحريض على المراقبة والتيقظ وقت فعله لان
من علم وقت فعله ان الله تعالى مطلع على ما يرتكبه من الذنوب ويقربه من الشر وامتنع عنها وازدجر وقالوا في
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعيد
من اربعة اوجه احدها في قوله اتقوا الله والثاني في قوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد والثالث في قوله واتقوا
الله والرابع في قوله ان الله خبير بما تعملون ثم ذكر هذه الوعيد خرج بعد ما خاطب المؤمنين كقوله تعالى يا ايها
الذين فكان الوعيد في المؤمنين اكثر من الوعيد في الكفرة لكن المؤمنين يوعدهم عن ما هي معدة للكافرين
لئلا يعملوا عملا يستوجبوا بذلك ما اعد للكافرين وهو كقوله تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين ثم
ان الله عز وجل سمى الاخرة باسم الغد لسرعة مجيئه وسمى الدنيا باسم الامس لسرعة فنائها وهو كقوله
فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فذكرهم ويعظهم بهذه الاية ليتفكر كل احد في نفسه ما به خلق
للعبث ام خلق لامر عظيم على ما ذكره الله تعالى وقوله عز وجل ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم
قال بعض المفسرين نسوا الله اي نسوا العمل لله والنسيان هو الترك اي تركوا العمل الواجب لله تعالى فانساهم انفسهم
اي خذلهم الله تعالى بما نسوا ثم الوجه عندنا في الايمان ليس احد من البشر يعمل عملا الا وهو يامل بذلك نفعا
لنفسه اذ من لا يعمل للنفع فهو عابث في الشاهد في ذلك العمل فهؤلاء الكفرة لما لم يأتمروا باوامر الله تعالى ولم
يطيعوا وتركوا العمل له صار تركهم العمل لله والعمل له عمل لانفسهم فصاروا تاركين العمل لانفسهم
فكانه قال نسوا انفسهم فصاروا ناسين وقوله عز وجل فانساهم انفسهم اي خلق فعل النسيان والترك
فيهم اضاف اختيار النسيان اليهم ثم اضاف الانساء الى نفسه واثبت فعله فيه وليس هذا على ان تقدم
منهم فعل النسيان ثم هو انساهم بعد ذلك لكن على خلق ذلك فيهم وقت ما اختاروا ذلك الفعل وهو
كقولهم هداه الله تعالى فاهتدى واهتدى فهداه الله فذلك كله في وقت واحد فكذلك هذا في الخذلان
والنسيان لما اختار هو فعل النسيان خلق الله تعالى ذلك النسيان فيه كما خلق الهداية والكفر عند اختيار
ولا يجوز ان يحمل ذلك على تقدم بعض على بعض وقوله عز وجل وانساهم انفسهم كقوله نسوا الله اذ قوله تعالى
الله اذ قوله تعالى انفسهم في قوله نسوا الله اذ العمل لله هو العمل لانفسهم هو العمل للذي اريد به وجه الله فلذلك
قلنا بان كل واحد منهما ما في الاخرة ويحتمل وجها اخر وهو انهم لما تركوا طاعة الله خذلهم الله تعالى بتركهم
امر الله تركهم انفسهم لهم ولم يوفقهم للخيرات والطاعات وهذا من اشد العقوبات ويحتمل ان يكون
معناه اي يجازيهم في الاخرة جزاء ما عملوا بان تركهم في الاخرة في العذاب الدائم فيكون ذلك جزاء لهم
بما عملوا في الدنيا وبما تركوا من الايمان بالله تعالى وهذان التاويلان يرجعان الى ما ذكر من خذلان فيما فعلوا
والله اعلم وقوله عز وجل اولئك هم الفاسقون فالفسق هو الخروج عن امر الله تعالى وقوله عز وجل لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون اي الناجون والفوز هو الظفر بالحاجة ثم قوله عز وجل لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة يحتمل وجهين احدهما ان لا يستووا في الدنيا ولا يستووا في الاخرة فان كان

على الاول فمعناه لا يستوي عمل اهل الجنة في الدنيا في العقول عمل اهل النار وعمل اهل النار بالذي يستقبحه العقول
واما اعمال اهل الجنة الداعية اليها بالتي يستحسنها العقول لان عمل هؤلاء بالذي ظهر بالبراهين والحجج وليس
لعمل اولئك براهين وما قام بالبراهين والحجج فهو في العقول احسن من الذي لا برهان عليه وكذلك كل عمل يستحق
صاحبه عليه الثواب فهو في العقول مستحسن وما يستحق صاحبه عليه العقاب فهو في العقول مستقبح فلم يستويا
واما الوجه الثاني لا يستوي جزاء اهل النار وجزاء اهل الجنة اذ في الجنة النعيم الدائم وفي النار الشدة والنقمة
الدائمة فلم يستويا يذكرهم الله تعالى هذا لينتهوا عن غفلتهم ويعملوا لله تعالى حتى يستوجبوا بها الثواب في
الاخرة وقوله عز وجل لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله الاية اختلف
الناس في تاويل هذه الاية على التمثيل وهي على التشبيه والتذكير وذهبوا في ذلك الى ان العرب اذا استعظم
امرا وارادوا ان يصفوه بالعظم والشدة كانوا يضربون الامثال بما يعظم ذلك عندهم وصفه لم يكن
يريدون به الحقيقة في ذلك وهو كقولهم عند شدة الامر اظلم على ما بين السماء والارض وكقولهم ضاقت
على الارض برحبها وكما وصف الله تعالى امر لوط عليه السلام وضاق بهم ذرعا فهذا القول من العرب
انما كان على التمثيل فيما يريدون ان يصفوا الشيء بغاية لا على الحقيقة لانه معلوم ان الدنيا على ما كانت
لم تتغير وكذلك لم يظلم عليه ذلك لكنهم تكلموا على التمثيل من شدة ما نزل بهم من الامر وكذلك قوله تعالى لو
نزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله يقول لو كانت هذه الحجارة انزلت على جبل
مع صلابته وشدته لخضع لله تعالى وانصدع من خشيته على وجه التمثيل لكن قلوب هؤلاء اقسى
منه حيث لم تخضع ولم تخشع وهو كقوله كالحجارة او اشد قسوة اذ الحجارة قد يكون فيها منافع من خروج
الماء وغيره فاما قلوب هؤلاء الكفرة فليس فيها شيء من المنافع بل هي قاسية لا تخشع ولا تتصدع وعلى
ذلك حملوا تاويل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه على التمثيل ليس على حقيقة ذلك وقال قائلون
لو انزلنا هذا القرآن على جبل انه حقيقة ذلك الفعل منه وهو الانصداع والخشوع وكذلك تاويل قوله
تكاد السموات يتفطرن منه فمعناه لو كان نزول هذا القرآن وما فيه من الاحكام والامانات التي اوجب
على البشر على الجبل وكان هو بحيث يملك قبول ذلك باختياره لقيام شرائطه لكان هو يقع ويخضع ويتصدع
من خشية الله تعالى وكان لا يقبل مخافة ان لا يمكنه اداء ما لزمه بنزوله وهو كقوله تعالى انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال الاية فيقول معناه لو انزلناه هذه الامانات التي في هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا اذ الامانات التي في هذا القرآن مما قد يلزم المرء لا يمكن اداؤها كلها لان الامانات مما يكثر
عددها فضلا من ان يمكن اداؤها فعلى هذا التاويل يخرج على حقيقة التصدع ان لو انزل عليه مع عظمه و
صلابته لانصدع فعلى هذا تنبيه للخلق وتذكير لهم وقال بعضهم ان في هذه الاية تذكار الرسول صلى الله عليه
وسلم منة عليهم وعلى جميع الرسل لولا فضل الله ومنة على الرسل لكان لا يطيق احد من الرسل حمل ما في الكتب
ولا اداء ما فرض من الكتب عليهم وتقلد العمل بما فيه فيقولون كذلك وقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله لثقل ما فيها الكتب عليك ويسر ذكره عليك وقواك تبليغ ما فيه
الى اهله وقال قائلون ان الله تعالى لما اراد ان ينزل التورية على موسى عليه السلام وكانت في لوح من
زبرجد امر الملائكة ان يحملوها فلم يطيقوا حملها ثم امرهم ان يحملوا كل حرف منها فلم يطيقوا ذلك
فخففه الله تعالى على موسى عليه السلام حتى حمل ذلك فكذلك ذكر ذلك في عيسى وداود عليهم السلام ثم
خفف ذلك على الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكانه يقول لرسوله عليه الصلوة والسلام لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته كذا لكنه خفف ذلك عليك كما خفف على الانبياء من قبلك واليه يذهب
الكلبي لكن ان صح هذا الخبر فان ذلك الثقل لم يكن في ذلك الكتابة التي في الالواح لكن ذلك فيما يلزمهم
من العمل بذلك من اداء الامانات وغيرها لانه تعالى اخبر انه لو كان انزال هذا القرآن على جبل لرأيته
خاشعا متصدعا من خشية الله وقال في موضع اخر انا عرضنا الامانة الاية ثم كانت تلك الالواح
قد احتملها الارض وامكن لموسى عليه السلام حملها فكذلك هذا القرآن كل والتورية والانجيل و
الزبور مما قد يحتمل حقيقة ويمكن كتابته في تلك الالواح ثبت ان المراد من ذكره ليس هو بحروف
ان كان على ما فيه من الامر والنهي واداء الامانة واتقاء الله حق تقاته لا على نفس تلك الالواح وهذا
الذي ذكرناه هو تاويل القوم في نزول هذه الاية فاما اني لا علم لي بحقيقة تاويل هذه الاية ولولا ان
في الاية تذكيرا وتنبيها لكنا نقول هي من المتشابه المكتوم الذي لا يفسر لكنه لما خرج مخرج التذكر وانتباه
شكر ما سهل علينا فاثرنا احتجنا الى تاويله وقوله عز وجل وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
هو ظاهر وقوله عز وجل هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم فمن الناس من يقول
ان قوله هو من ارفع اسماء الله تعالى وذكر عن بعض اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يدعو
بقوله يا هو يا من لا هو الا هو تاويل هذا الكلام ان كل شيء بهويته كان وقوله عز وجل عالم الغيب والشهادة
قيل فيه بوجوه ثلاثة احدها انه عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوا والثاني بما قد كان وبما يكون والثالث

الله عليهم بما قد كان ويكتفيه ان كيف يكون اذا كان وقوله عز وجل هو الرحمن الرحيم فهما اسمان مشتقان من الرحمة وفي هذه الاية بيان وجوه اربعة احدها فيه بيان التوحيد وهو قوله هو الله الذي لا اله الا هو اسم المعبود ان كل معبود دونه باطل والثاني ان فيه تنبيها وتحذيرا بان يتذكر الانسان في جميع احواله اطلاع الله تعالى عليه وعلمه فيه وذلك من قوله عالم الغيب والشهادة والثالث فيه ترغيب في رحمته واخبار لهم ان كل نعمة لهم في الدنيا والاخرة من الله تعالى ان في قوله عز وجل الرحمن الرحيم والرابع ما ذكرنا في قوله هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس الاية الملك اي يملك كل شيء له ليس لاحد سواه حقيقة الملك القدوس قيل فيه بوجهين قال بعضهم القدوس هو المبارك والبركة اسم كل خير اي منه جميع الخيرات لكن لا يجوز ان يقال الله تعالى يا مبارك وان كان المعنى منه يؤدي الى ان يأتي منه كل خير لانه لا يعرف في اسمائه هذا بالنقل وعلينا ان نسكت عن تسميته بما لم يسم نفسه بذلك لذلك قلنا بانه لا يجوز التسمي بالمبارك والله الموفق والثاني القدوس هو الطاهر يعني هو مقدس عما قالت الملاحدة والكفرة فيه من الولد والشريك وقوله عز وجل السلام اختلف في تأويله منهم من قال سمى نفسه سلاما لما هو سالم عن الافات وغيره من المخلوقين لا يسلمون من حلول الافات بهم وقال اخرون سمى نفسه سلاما لما سلم المؤمنون من عذابه والتأويل الاول اقرب عز وجل المؤمن اختلف الناس في تأويله قال قائلون هو الامان ان يؤمن المؤمنين من العذاب ولا يمكن لاحد ان يؤمن احدا من عذابه وقال قائلون اصله من الايمان وهو التصديق ثم ذلك يتوجه الى وجهين احدهما اي مصدق في القول بما وعد المؤمنين الجنة والثاني المؤمن هو المصدق لما قال المؤمنون المصدقون من تصديقهم فيصدقهم بما قالوا ومن الناس من قال سمى نفسه بما اخبر ان هذا القران لما بين يديه مصدق عز وجل المهيمن اختلف فيه ايضا قال قائلون المهيمن هو الامين وقال قائلون المهيمن هو المسلط وقال قائلون المهيمن هو الشاهد فمن قال بالاول فانه يذهب الى ان اصل ذلك من المؤمنين وهو من الامانة والى هذا التأويل يذهب القتبي اي امينا في كل ما يقول وفي كل ما يفعل ان لا يجوز ومن قال بانه هو المسلط اصله من هيمن يهيمن اي سلط يسلط يسئل عن تأويل المسلط فقال هو كالقاهر اذ قهر العباد كلهم وهم ملك له ومن فسره بالشاهد فانه يحتمل تأويلين احدهما اي شاهد على الافعال العباد من حيث لا يغيب عنه شيء والثاني اي شاهد بما انزل على رسوله بالتصديق وهو كقوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه اي شاهدا عليه العزيز اي منيع من عزه ودونه لا وهو ذليل وقوله عز وجل الجبار قيل فيه بوجهين احدهما سمى نفسه الجبار لانه هو المجبر لكل كسير فقال قائلون سمى نفسه جبرا وتروعظمته ولا يجوز لاحد ان سمي بذلك الاسم الا هو اي والله تعالى ويخبر عن ان يكون له امثال واشكال وقوله عز وجل المتكبر من الكبرياء والعظمة هذا الاسم لا يليق بغيره لان الخلق بعضهم لبعض اكفاء في الخلقة فلا فضل لاحد على اخر فلما استووا لم يجز لاحد على اخر التكبر فصار المحق في ذلك الله تعالى والتكبر على الاخر هو الارتفاع والاصل فيه واحد وهو ان لا يرى لنفسه شكلا والله اعلم انما سمى نفسه متكبرا اذ هو المتكبر لذاته لم يكن تكبره بغيره فلذلك قلنا انه لا يستحق احد من خلقه التكبر الا الله تعالى انه لم يكن احد شكلا ولا ضدا ولا ندا واما غيره من الخلائق فكل واحد منهم بالذي له شكل وقوله سبحان الله عما يشركون فيه تنزيه الله تعالى عما قالت فيه الملحدة فهذا اسم سمى به نفسه وامر الملائكة والانبياء والمؤمنين ان يقولوا ذلك ومعنى قوله سبحان الله اي معاذ الله ان يكون ذلك على ما قالت الكفرة وسمى نفسه جبارا لانه يجبر الاشياء فيجعلها على ما يشاء وهو كقوله يصوركم في الارحام كيف يشاء على ما يريده الاشياء لا على ما يريده غيره قال رحمه الله ان الله تعالى يتعالى بمعاني اربعة احدها تعاليه عن الظلم والجور وجميع ما لا يليق والثاني تعاليه على الاشياء كلها بقهره لها وتصريفه اياها على ما يشاء اي ليس احد يقهره بل هو يقهر الخلائق والثالث تعاليه عن مسته الحاجة والافة وكل من هو دونه لا يخلو عن ذلك والرابع تعاليه عما قال الظالمون فيه من الولد والاضداد والاشكال والانداد وتعاليه عن جميع السوء الذي يصيب الخلق والله المستعان وقوله عز وجل هو الله الخالق البارئ المصور فالخالق والبارئ واحد ويقال براء اي خلق والبرية هو الخلق ويقال سميت البرية برية لانه خلق من التراب اذ البرى هو التراب وقوله المصور والمصور هو الذي يعطي كل شيء صورته فيصوره على ما هو فالتصوير هو بيان الحدود وهو قول الناس سورت الامر عند فلان اي بينته له الاسماء الحسنى اي الخصال العلى وهو الصفات العلى والصفة يرجع الى وجهين الى الصفة مرة والى التشبيه ثانيا فاذا رجع الى الصفة فانه يرجع الى حقيقة ذلك وان رجع الى التشبيه فانه لا يرجع الى حقيقة ذلك ثم قوله له الاسماء الحسنى اي الصفات العلى اي لا يسمى بذلك الا هو ولا يقال لغيره الرب ولا الرحمن ولا المالك الا ان يضاف ذلك الى شيء فاما التصريح فلا يطلق ذلك الا لله جل وعلا ويحتمل وجها اخر اي لا شبيه له في اسمائه وان يشرك احد في تلك الاسماء بل هي خاصة والله المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون

اليهم

اليهم بالمودة هذه الاية وما اشبهها من قوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم وفي كل ما ذكر يا ايها الذين امنوا دلالة واضحة ان الايمان ذو حد في نفسه وانه ليس كما قالت الحشوية والمعتزلة واصحاب الحديث ان الطاعات كلها ايمان ووجه ذلك ان كلا في نفسه قد فهم من هذه الاية يحتمل لهذا الخطاب وانه لازم له فثبت انه ذو حد في نفسه وهو التصديق بالقلب وغيره من الطاعات شرايعه والله اعلم وفيما ذكر من قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم وما اشبهها من الاية دلالة على ان الانسان ما يشاهد وليس كما قال النظام ان الانسان انما هو جسم اخر لطيف في هذا الانسان ولا كما قال الناشي ان الانسان انما هو جوهر بسيط في هذا الانسان ووجه ذلك انه ليس كل احد يعلم ان في نفسه جوهرا بسيطا وجسما اخر فيه لطيف وقد فهم الكل من هذه الايات انه محتمل للخطاب بها فثبت بما وصفنا ان الانسان هو ما يشاهده والله اعلم وفيه دلالة ان ما يفهم من هذه الايات من عموم او خصوص ليس يفهم بظاهر الخطاب ولكن بما يوجبه الحكمة فان اوجبت عمومها اجروها على عمومها وان اوجبت تخصيصها اجروها على ذلك والذي يدل على ما وصفنا انه قال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وهذا مخرجه في الظاهر على العموم ولكنه لما قال تلقون اليهم بالمودة ومعلوم ان الذي كان يلقي بالمودة خاصا لا كل المؤمنين فكان يجب ان يكون مجراها على الخصوص لما بين في سياق هذه الاية ولكن الحكمة يوجب تعميم هذه الاية لانه لو قال لواحد لا تتخذ عدوي وعدوكم اولياء كان هذا الخطاب لازما للكل بما يوجبه الحكمة من انه اذا علم من احد عداوته ان لا يتخذه وليا وكذلك قوله وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم خرج مخرج العموم في الظاهر ولكن الذين اخرجوه انما كان اهل مكة خاصة دون سائر الكفرة فهنا تبين ان ما اجرى مجرى العموم الجز بظاهر اللفظ ولكن لما يوجب الحكمة والدليل وكذلك قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله الاية ليس ان السعي انما فرض يوم الجمعة لتخصيصه بالذكر ولكن لما ان النداء في يوم الجمعة الى الذكرين وفي غيره من الايام الذكر واحد ولاجل ان النداء المتعلق في يوم الجمعة هو النداء الاول وفي غيره من الايام هو النداء الثاني فاذا جاز ان يكون فرض السعي في يوم الجمعة انما هو لهذين المعنيين ثبت ان التخصيص ليس لظاهر اللفظ والله اعلم وفي هذه الاية دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم وذلك ان قوله تسرون اليهم بالمودة ان ذلك الرجل لم يطلع على سره احدا وقد اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بالكتاب فثبت انه علمه بالوحي والله اعلم ثم اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقال الحسن انها نزلت في اهل النفاق وقال غيره من عامة المفسرين انها نزلت في حاطب بن بلتعة وهذا اشبه التأويل بالصواب واقرب الى الحق وذلك ان الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم فقد اخبر ان الكفرة عدو لهم ولو كانت الاية في اهل النفاق لم يكن الكفرة عدوا لهم بل كانوا اولياء فثبت ان المراد منه المؤمنون والله اعلم وفي هذه الاية دلالة ان ذلك الذنب الذي ارتكبه ذلك الرجل لم يخرجه من الولاية لانه قال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ولو كان ذلك الذنب يكفره ويخرجه عن الايمان لم يكن ذلك الكافر عدوا له يكون بل يكون وليا له بقوله وان الظالمين اولياء بعض ولاجل انه قال يا ايها الذين امنوا سماه مؤمنا والدليل على ان ذلك الذنب كان كبيرة انه اخبرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم جهتهم للقتال وفيما اخبر امر بان يستعدوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم وحربه ولا يشكل ان من امر بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مرتكب كبيرة واذا كان كذلك وقد ادخله الله تعالى في جملة المؤمنين بقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وبما وصفناه من الدليل ثبت ان الكبيرة لا يكفر ولا يغير باسم الايمان عنه والله الموفق ثم فيما نهانا ان نتخذ عدونا وعدوه اولياء دلالة ان ليس في الحكمة اتخاذ الولاية مع الاعداء ثم من قول المعتزلة ان الله تعالى اراد من جميع عباده ان يؤمنوا واذا اراد ان يؤمنوا واذا اراد ان يؤمنوا فقد اراد ان يواليهم مع علمه انهم يختارون عداوته فكانهم وصفوا الله تعالى بما يخرجه من الحكمة ويدخل في السفه والجهل بالعواقب وذلك كله منفي من الله سبحانه وتعالى والمعتزلة فيما وصفوا يخرج فسقة ويخشى ان يكونوا كفرة والله المستعان وقوله عز وجل تلقون اليهم بالمودة اي بما كتب في الكتاب وقوله عز وجل وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم وقوله ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي يحتمل ان يكون ذلك فيمن هاجر من مكة الى المدينة وهو اقرب التأويلين لان حاطبا انما كان هاجر من مكة الى المدينة وفيه نزلت الاية ويحتمل ان يكون ذلك حين اراد والجهاد الى مكة والله اعلم اي ذلك كان وقوله تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي هو اعلم بما اخفيتم من كتبه الكتاب الى اهل مكة وما اعلنتم بما اظهرتم من العذر وقوله عز وجل ومن يفعله منكم اي من اتخاذ الولاية مع اعدائه فقد ضل سواء السبيل في الاعتقاد ان من اعتقد ذلك وفي الفعل ان لم يعتقده والله اعلم ثم وقوله عز وجل تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم الزام مراقبة الله تعالى في السر والعلانية وتحذير له ليجمعوا بين السر والعلانية وتخويف لهم من ان يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على سرائرهم كما اطلعه على امر الكتاب الى اهل مكة ثم في هذه الاية اعظم شيء في زجرهم ونهيهم عن المعاصي وذلك انه

انه لما اطلعه على جميع ما يتعاطونه من الذنب سرًا وعلانية فاذا علموا ان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم من
سترهم ما يعلم من علانيتهم بما يطلعه الله عليه يحملهم ذلك على الانتهاء عن المعاصي في السر والعلانية وعلى الاجابة
الى ما يدعوهم اليه والله اعلم وقوله عز وجل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم فوجه ذلك
وتأويله عندنا والله اعلم انه لما راهم رغبوا في موالتهم ومودتهم رغبة منهم في الكفرة ان يحفظوا اولادهم
واموالهم اخبرهم انكيف يرغبون في حفظهم ذلك وهم لو قدروا عليكم وظفروا بكم قتلوكم واذوكم بالشتم
فكانه يقول كيف توالوهم من حيث ترون اليهم بالمودة وهم لو ظفروا بكم قتلوكم وكانوا لكم اعداء وقوله عز وجل
وودوا لو تكفرون يعني انهم يودون ان يكفروا ومما يودون ان يكفروا لو قدروا عليكم قتلوكم فمن كانت حالهم
معكم مثل هذا فكيف تطمعون ان يحفظوا اولادكم واموالكم وقوله عز وجل لن ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم
يوم القيمة يفصل بينكم له وجهان احدهما انكيف توالون الكفرة لمكان اولادكم وارحامكم وهم لا ينفعونكم يوم
القيمة والثاني ان ارحامكم لا ينفعكم ولا يشفع لكم يوم القيمة وقوله يفصل بينكم اى بينكم وبين ارحامكم لقوله
تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه والثاني اى يفصل بينكم وبين ارحامكم لاختلاف اعمالكم فينزل كل واحد
منكم منزل عمله وقوله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآؤ منكم
ومما تعبدون من دون الله الاية الاصل في انباء المتقدمين انما عبر لهذه الامة بما ذكرنا في المؤمنين
منهم فهو تذكير للمؤمنين من هذه الامة وتعليم لهم معاملة الكفرة ومنابذتهم على مثل ما فعل المؤمنين
منهم يكفرهم من سائر الامم وقد ذكرنا في الكفرة من الامم الماضية فهو تخويف لكفرة هذه الامة
لئلا يصنعوا مثل صنيعهم فيستوجبوا من النقمة مثل ما استوجب اولئك وما كان منها في حق الرسل عليهم السلام
فهو في حق التسلي لرسولنا وسيدنا صلى الله عليه وسلم عن بعض ما منه واصل اخر ان الخطاب قد يلزم المخاطب
مرة بما يخاطب في نفسه ومرة بما يؤمر بالاقتداء بغيره اذا كان ذلك الغير لم يفعل ما فعله الا عن امر ثم
ان الله تعالى امر المؤمنين من هذه الامة الاقتداء بابراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين واخبرهم عن
معاملتهم اياهم وترك موالاتهم فكانه قال اتركوا موالاة الكفرة والاسرار اليهم بالمودة ما داموا على كفرهم
كما فعله ابراهيم عليه السلام والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآؤ منكم فنابذوهم ولم يوالوهم فافعلوا كه
كفعلهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فكانه قالوا اقتدوا بهم الا بما قال ابراهيم لابيه لاستغفرن
لك يعني لا تستغفروا للمشركين مثل ما استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه المشرك لانكم لا تعلمون المعنى
الذي له استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه ثم ثم اختلفوا في المعنى الذي له استغفر ابراهيم لابيه
فقال ابو بكر انه كان صلوات الله عليه وعد ان يستغفر لابيه وراى ان ايجاب الوعد لازم عليه فاستغفر
لهذا المعنى وقال الحسن انه انما استغفر له لوقت توبته لا في حال الشرك لانه لا يتوهم انه لم يعلم انه لا يحل
له ان يستغفر للمشرك ومن علم انه يحل له لم يكن مسلما مؤمنا فثبت انما استغفر لوقت اسلامه وعندنا
الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة من الله تعالى على وجهين احدهما مغفرة رحمة وفضل وكرم والثاني
ان يوفقه للسبب الذي اذا جاء به غفر له الا ترى الى قوله استغفروا ربكم انه كان غفارًا اى السبب
الذي اذا جئتم به غفر لكم واذا كان كذلك جاز ان يكون استغفار ابراهيم لابيه على هذا الوجه ان طلب
من الله تعالى التوفيق له بالسبب الذي اذا جاء به غفر له وذلك مستقيم ولكنه لما تبين انه لا يوفقه لذلك
تبرأ منه السبب والله اعلم وقوله وما املك لك من الله من شيء اى لا املك ان ادفع منك عذاب الله من
شيء او لا املك ان اهديك دون ان يهديك الله فكانه قال سوى ان ادعوك بالتوفيق الهداية لا املك
لك من عذاب الله من شيء وقوله عز وجل ربنا عليك توكلنا واليك انيب يجوز ان يكون هذا عند المنابذة
واظهار العداوة مع الكفرة يعني عليك معتمدنا في النصر على اعدائنا عند قلة عددنا وكثرة عددهم
واليك مرجعنا ومفزعنا واليك المصير اذا قبضنا وقوله عز وجل ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا ذكر اهل
التفسير ان تاويل هذه الاية يخرج على ثلاثة اوجه احدها اى لا تسلط علينا اعدائنا فيظنوا انهم على حق
ونحن على باطل ولا تنزل علينا العذاب دونهم فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل ولا توسع عليهم الدنيا
وتضيق علينا فيظنوا انهم على حق ونحن على باطل ولو كان التاويل هو الثاني لكان يجيء على هذا ان يكون
الواجب على العدو ولمن هذه الامة ان يسلوا الله تعالى العاقبة لئلا يتوهموا فيهم انهم على الحق ولكن
الجواب عن هذا ان الفساق من هذه الامة قد علموا ان الذي هم فيه من الفسق محظور واما الكفرة فان
عدوهم ان ما يدينون به من الكفرة حتى فاذا اسلطوا على المؤمنين توهموا ان الذي حسبوه حقا حق واما
الفسقة من هذه الامة او اعلموا ان الفسق منهي عنه محظور ولا يقع لهم هذا الحساب والله اعلم ويحتمل
ان يكون المعنى من قوله لا تجعلنا فتنة يعني عذابا اى سببًا يعذب به الكفرة كما قال ربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك وكان تاويله ان اتنا السبب الذي نستوجب به ما وعدتنا على رسلك فكذلك الاول والله اعلم وقوله
عز وجل انك انت العزيز الحكيم يعني المنتقم من اعدائه وقوله عز وجل لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن
كان يرجوا الله واليوم الاخر يعني لقد كانت لكم في ابراهيم والذين معه قدوة حسنة يحبون بها اذا اقتديتم

واطعموهم

واطعموهم وقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر يحتمل معنيين احدها اى لمن كان يرجوا ثواب الله تعالى
والثاني ان يؤمن بالبعث وذلك ان الله تعالى وصف امر البعث في كتاب بصفات مختلفة مرة اضافه
الى نفسه بقوله من كان يرجوا لقاء ربه وكان المعنى منه البعث ومرة وصفة اخرى وان كان المراد الثواب
ففيه اخبار ان الراجي في حقيقة هو الطالب لما يرجوه بالاسباب التي يرجوا الوصول بها الى ما دعي وارتجي
والخائف في الحقيقة هو الهارب عما حذر والمنتهي عما نهي عنه وحظر فان من اعتمد على مجرد الرجاء والخوف
دون التمسك لسببها فهو متمني على الله تعالى والدليل على ما يؤيد ما نقول قوله عز وجل الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله افلا تراه كيف حقق معنى الرجاء بالمجاهدة في سبيل الله والعمل بطاعته والله
اعلم وان كان على البعث فكذلك ايضا لانه اذا هرب عما نهي عنه وطلب لما امر به فقد تبين انه يوالي من يفضي موالاته
الى ثواب الله ورحمته وانه يعادي من يفضي عاقبة موالاته الى نقمة الله وعذابه ومعلوم انه لا يفعل ذلك الا من يؤمن
بالبعث فانما يوالي من رجا منه منفعة الدنيا ويهرب عمن يضره في هذه الدنيا والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتول
يعني من يتول عن طاعة الله فيما امره من الاقتداء بهم فان الله غني حميد يعني عن طاعة الخلق ليعلم ان ما امرهم
به لم يامرهم لحاجة له في طاعتهم او لمنفعة يرجع اليه بل هو غني عن كل ذلك وانما امرهم لحاجتهم الى ذلك وليعلم
ان منافع طاعتهم يرجع اليهم خاصة وقوله عز وجل حميد له معنيان معنى المحمود فان كان المراد منه المحمود ففيه
ان الله تعالى يستحق الحمد من خلقه بما انعم عليهم وان كان المراد الحامد فمعناه ان الله يحمد الخلق ويشكرهم حتى يجزيهم بالكثير
من الثواب عن القليل من الاعمال او اثنى عليهم باعمالهم فهو حميد من هذين الوجهين وقوله عز وجل عسى الله ان
يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ان الله امر المؤمنين بمعاداة الكفرة
ومنابذتهم وترك موالاتهم ما داموا كفارا ثم وعد ان يجعل بيننا وبينهم مودة اذا امنوا فكان في هذا من اعظم
الدليل على ان الخلق عند الله تعالى في كل حال على ما هم عليه في احوالهم وليس كما قال بعض الجهال انه يؤمن في وقت
من الاوقات فهو عنده مؤمن في حال الكفرة وهذا خلاف ما وصف الله تعالى في هذه الاية والله اعلم ثم المعتزلة
قد خالفوا هذه الايات وعاندوها على قولهم وذلك ان الله تعالى قال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ومن قولهم
ان كان على خلاف مذهبهم فهو عدو لهم ولا شك انهم يوالونه وبها فوته وقد نهى الله تعالى عن هذا فهذا احدى
الخلافين والثاني ان الله تعالى وعد ان يجعل بيننا وبينهم مودة ومن قولهم انه لا يقدر على شيء من
افعال الخلق فكان الله تعالى في قولهم وعد ما لا يقدر عليه وهذا لا يليق باسفه خلق الله فكيف برب
العالمين فثبت انهم عاندوا هذه الايات والله اعلم وخلاف ثالث ان الله سبحانه وتعالى وصف نفسه
بالقدرة والله قدير ومن قولهم انه ليس يقدر على شيء من افعال الخلق فاي خلاف اشهر من هذا واظهر
والله الموفق وقوله عز وجل لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم لا يحتمل ان يكون النهي في الاقساط لان الاقساط هو العدل وليس ينهى عن العدل
الى ما كان وليا او عدوا الا ترى الى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا فقد اخبر انه
لا يحل له ترك العدل لمكان العداوة واذا كان كذلك ثبت المراد من هذا النهي وغيره وهو قوله ان تبروهم
ثم الذي لم ينه عنه خلاف ما نهى في الظاهر لانه قال لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم
من دياركم ان تبروهم وقال فيما نهى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم ان تبروهم ومعلوم انه قد يجوز ان تبرأ من لا يجوز ان لا يتولاه الا ترى الى قوله وصاحبهما
في الدنيا معروفا ثم نهى عن تولي الكفار بقوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ولكنه لما جاز ان يجتمع في نفس
واحدة التبر وترك التولي فكذلك ان يؤمر بالبر من ينهى عن التولي معه والله اعلم ثم قوله تعالى لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم في الدين يحتمل ان يكون المراد منه لا ينهاكم بل يامركم ويحتمل ان يكون معناه يرخص لكم
كقوله فما ربحت تجارتهم ومعناه بل خسرت وان كان قد يجوز ان يكون التجارة اذا لم يربح لا يخسر
فكذلك قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين بل يامركم ان تبروهم ويحتمل ان يكون
المراد بل يرخص لكم ان تبروهم والله اعلم ثم اختلفوا فيمن امر ببرهم ونهى توليهم فقال بعضهم هم
المستضعفون من اهل مكة الذين امنوا في السر وخشوا اظهاره من المشركين فامر الله تعالى المؤمنين
والمدينة ان تبروهم بالكتب اليهم ليحتالوا في انقياد انفسهم لان المشركين من اهل مكة اذا علموا ان رسول
الله عليه وسلم ظهر لقتالهم كان يجوز ان يخشى على اولئك المؤمنين المستضعفين فامر هؤلاء ان تبروهم
بالكتاب اليهم ليتاهبوا في انفسهم ويحتالوا لما يخشى عليهم من المشركين والله اعلم وقال بعضهم هذا
في الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذمة فامر المؤمنين ان تبروا اولئك في بقاء عهدهم
الى مدتهم ونهاهم عن ان يتولوا من قاتلهم ونقضوا عهودهم وقال بعضهم في النساء والولدان من المشركين
امر المؤمنين ان تبروهم بترك القتال وان لا يتولوا من قاتلهم من جملة الرجال بل يقاتلوهم ثم قال ومن
لهم فاولئك هم الظالمون اى ومن يتولهم في الاعتقاد فاولئك هم الظالمون في حق الاعتقاد
او من يتولهم في الافعال فاولئك هم الظالمون في حق الافعال كما وصفنا في قوله فقد ضل سواء

السبيل وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات المعنى منه والله اعلم اذا جاءكم
المؤمنون يعني بمالات انهن مؤمنات فامتحنوهن لانه لو كان على حقيقة الايمان لم يكن لقوله فامتحنوهن
معنى فلما امرنا بالامتحان ثبت ان تاويل قوله اذا جاءكم المؤمنات ما وصفنا بديا ومثل هذا ما قال من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وكان المعنى منه من تكلم بالكفر وقلبه مطمئن بالايمان
فكذلك يجوز ان يكون المعنى من الاول ما سبق ذكره والله اعلم ان المفسرين ذكروا وصف امتحانهن
انهن يحلفن بالله ما اخرجهن من دارهن بغض ازواجهن ويحلفن انهن ما اردن بخروجهن رغبة عن
وانما اردن بذلك الاسلام وهذا تاويل فاسد وذلك انها اذا اسلمت كان الحق عليها في دينها ان يبغض زوجها
الكافر وكفرته وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فكيف يجوز ان يكون صفة
امتحانهن ما ذكروا وحكم الشريعة والدين يوجب ما كن يعملن فكذلك قلنا ان هذا التاويل الذي ذكره
بعض المفسرين في وصف الامتحان غير مستقيم ويجوز ان يكون تاويل امتحانهن على وجهين احدهما
ان يستوصفن عن الايمان ما هو فاذا اخبرن عن حقيقة الايمان علم انهن مؤمنات والثاني يعرض عليهن
كما قال تعالى لا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن فاذا قبلن ذلك امتحنهن والله اعلم وقوله عز وجل
الله اعلم بايمانهن هذا يدل على ان الذي كلف به المؤمنون من امتحانهن انما هو ما يعلمون من ايمانهن في الظاهر وان
لحقيقته انما يعلمها رب العالمين وهذا يبين ان العلم علمان علم العمل وعلم الشهادة فعلم العمل ما يعلم بخلق
في الظاهر فيلزم به وعلم الشهادة ما يجوز ان نشهد على الله به وذلك انما يوصل اليه وذلك بما يطلعهم الله
عليه نصا اما بكتاب او سنة متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم العمل هو الذي يسوغ فيه
الاجتهاد بخبر الاحاد وبجري القياس وغير ذلك وقوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن
الى الكفار ذكر في القصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية صالح مشركي اهل مكة على ان من
اتاه من اهل مكة فهو عليهم رد ومن اتى مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو لهم وغير
ذلك وكتب بذلك كتابا وهو بالحديبية فلما فرغ من الكتاب اذا اتت سبيعة مسلمة جاء زوجها في رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رد علي امراتي فانك قد شرطت لنا ذلك وهذه طينة لم تجف بعد
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان
علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار يقول لا تردوهن الى ازواجهن الكفار لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن يقول لا يحل نكاح مؤمنة لكافر ولا نكاح كافر لمؤمنة وقوله عز وجل واتوهم ما انفقوا
يقول اعطوا ازواجها الكفار ما انفق عليها على ما كان جرى من الصلح بينهم وبين المسلمين ان ما خرج من نساء
اهل مكة الى المدينة مؤمنات لم ترجعوهن الى الكفار واعطوا ازواجهن ما انفقوا من المهور وما خرج
من نساء المسلمين مرتدات لم يردوا الى المدينة واعطوا ازواجهن ما انفقوا ثم معلوم انه كان يؤخذ باعطا
الصداق وايتاء ما انفق غير الذي اخذ الصداق ولكن كان يؤخذ به من كان من جنسه على ما ذكرنا نظائره
فيما تقدم ولذلك قال اصحابنا ان اهل الاسلام يأخذون من تجار اهل الحرب مجازاة لما يأخذه اهل الحرب
من تجار المسلمين وانما يؤخذ ذلك ممن كان من جنسه وان كان ذلك غير الذي اخذ منه وعلى ذلك يقول ان
المحنة قد يجوز ان يستوي على البر والفاجر وان ما ينزل بالادميين من المحن يجوز ان لا يكون جزاء لما تعاطي من
الذنوب والسيئات لان الله تعالى ان يمتحن عبده في هذه الدنيا مبتدأ واما في الاخرة فلا يؤاخذ فيها احد
بذنب اخر بل يجزى كل بعمله ان شرا فشر وان خيرا فخير والله اعلم وقوله عز وجل ولا جناح عليكم ان تنكحوهن
اذا اتيتموهن اجورهن يقول لا اثم عليكم يعني المسلمين ان تزوجوهن اذا اتيتموهن مهورهن وقوله عز وجل
ولا تمسكوا بعصم الكوافر عن ابن عباس رضي الله عنه ان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت قبل
زوجها ثم اسلم بعد ذلك زوجها فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنكاح الاول قبل ان نزل
ولا تمسكوا بعصم الكوافر فلما نزلت كان اذا اسلم الزوج وخرج الى دار الاسلام انقطعت العصمة بينه
وبين امراته وكذلك المراة اذا خرجت وبقي الزوج وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر قال بعضهم اي بعقد الكوافر
فمن كانت له امراة بمكة كافرة فلا تعتدن بالمراة الكافرة فانها ليست بامراة له وقد انقطعت العصمة
بينهما وقال بعضهم ولا تمسكوا بعصم الكوافر حظر علينا الامتناع والكف والامساك من نكاح المهاجرة لان
لها زوجا حربي وعصمت والعصمة المنع والكوافر يجوز ان تكون للرجال وظاهره في هذا الموضع للرجال
لانه في ذكر المهاجرات والله اعلم وقوله عز وجل واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا يقول اذا لحقت امراة
المسلم بكفار مكة فاسئلوا مهرها من اهل مكة وردوا الى زوجها وليسئلوا ما انفقوا يقول ان جاءت امراة
من اهل مكة مهاجرة اليكم فردوا على زوجها المشرك ما اعطاها من المهر وذلك من اجل العهد الذي كان
بين اهل مكة وبين النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ذلكم حكم الله يحكم بينكم يقول هذا هو حكم الله يحكم بينكم
يقول هذا هو حكم الله بين المسلمين والكفار من اهل العهد من اهل مكة فان يرد بعضهم على بعض النفقة
اي المهر وقوله والله عليم حكيم اي فيما حكم بين المسلمين واهل العهد ما ذكرنا من الحكم وقوله وان فاتكم شيء

منازوج

من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم يقول ان لحقت امراة مؤمنة بكفار مكة من اهل الحرب ممن ليس بينكم وبينهم
عهد ولها زوج عندكم مسلم فعاقبتم اي اعقبكم ما لا من الغنيمة فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
من المهر مما اصبتم من الغنيمة قبل القسمة واتقوا الله فيما فرض عليكم عن هذا الذي انتم به مؤمنون
اي مصدقون فلا تنقضوه والله اعلم وهكذا روي عن مسروق رحمة الله عليه وعن الزهري انه قال من حكم
الله تعالى ان يسأل المسلمون من الكفار مهر المراة المسلمة اذا صارت اليهم ويسأل الكفار من المسلمين
مهر من صارت الينا من نسائهم مسلمة فاقر المؤمنون بحكم الله تعالى وابى المشركون ان يقروا بذلك فانزل الله
تعالى قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا فامر
الله تعالى المسلمين اذا ذهبت امراة مسلمة ولها زوج الى الكفار ان يردوا الى زوجها ما اعطاها من المهر من
صداق كان مما بايديهم مما يردون الا يردوا الى المشركين بها جاءت امراة مسلمة الينا وان لم يكن في ايديهم صداق
وجب رده على اهل الحرب فعوضوهم من غنيمة اصبتموها واصل هذا والله اعلم وان فاتكم شيء مما انفقتم على
ازواجكم ثم ظفرتم على عدوكم وغنمتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم ما فات عنهم مما انفقوا فكانه
يقول واسئلوا اولئك الذين ذهبت لنا ازواجكم اليهم ما انفقتم فان سألتم ولم يعطوكم شيئا وفاتكم ذلك من
ذلك الوجه ثم قاتلتموهم وغنمتم فاعطوا الذين فات عن ازواجهم ما انفقوا الحال رحمة الله اعلم
بان هذه الاية ينتظم ان هذه الاية ينتظم احكاما احدها جواز الاجتهاد والعمل بالعلم الظاهر فانه
تعالى قال فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات اي بالاجتهاد والامتحان فلا ترجعوهن
هن الى الكفار وهذا حكم مبني على العلم الظاهر دل ان العمل به جائز والثاني ان احد الزوجين اذا اسلم
في دار واحدة اما دار الاسلام او دار الحرب هل تقع الفرقة بنفس الاسلام او بانضمام شيء اخر اليه قال
بشر المريسي بان الفرقة تقع للحال من غير انضمام شيء اخر اليه وقال الشافعي ان كانت المراة مدخولا بها لم
تقع الفرقة حتى تحيض ثلاث حيض واذا كانت غير مدخول بها وقعت الفرقة للحال وقال اصحابنا
اذا كان في دار الحرب فاسلم احدهما لم يقع الفرقة حتى تحيض ثلاث واذا كانا في دار الاسلام ذميين فاسلم
احدهما لم يقع الفرقة حتى يعرض السلطان الاسلام على الاخر فاذا عرض عليه الاسلام وابى فرق بينهما
فاما بشر احتج بظاهر قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن
حل لهم ولا هم يحلون لهن فقد اخبر انه لا يحل واحد منهما لصاحبه ولم يذكر شيئا اخر فلا يفرق به
بشيء اخر واما اصحابنا رحمهم الله فانهم احتجوا وقالوا ان الفرقة لا تقع بنفس الاسلام بقوله اذا جاءكم
المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فلو كانت الفرقة واقعة بمجرد الايمان لم يكن للامتحان معنى فلما
لم يذكر الحرمة الا بالامتحان ثبت ان الفرقة لا تقع بمجرد الايمان ويجوز ان مثال هذا قوله تعالى الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة وحرم ذلك على المؤمنين ثم قال والذين يرمون ازواجهم فلو كان
الزنا يوجب حرمة لم يكن هو رامياً للزوجة بل اذا قال لها زنيت فكأنه قال لم يكن بيني وبينك
نكاح فلما ثبت رمي الزوجات بقوله والذين يرمون ثبت ان الزنا لا يوجب حرمتها عليه فكذلك
الايمان بمجرده لو كان يحرمها على الازواج لم يكن الامر بالامتحان معنى فلما امر بالامتحان على ايمانها
بعد ان اظهرت في نفسها الايمان ثبت ان الحرمة لا تقع بنفس الايمان حتى ينضم اليه شيء اخر وتبين ان
العمل بظاهر الاية غير ممكن اذ لا يجري على اطلاقها والله اعلم ودليل ثان ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث اسلموا اثر اسلام نسائهم من بعدهم لم يؤمر احد منهم بتجديد النكاح ولو كانت
الفرقة تقع بنفس الاسلام من احد الزوجين لكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بتجديد النكاح
ثبت ان الفرقة لا تقع بمجرد الاسلام والله اعلم والوجه الثالث ما روي عن الصحابة رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين على اختلاف الاسباب باختلاف الدارين ونحوه روي عن ابن عباس رضي الله عنه انهما
على النكاح حتى تحيض المراة ثلاث حيض اذا كان في دار الحرب وعن علي رضي الله عنه انهما على النكاح
ما داما في الهجرة وعن عمر رضي الله عنه انهما اذا كانا في دار الاسلام فاسلم احدهما فهما على النكاح حتى
يعرض السلطان الاسلام على الاخر فهؤلاء قد ثبت عنهم ان الفرقة لا تقع بنفس الاسلام الى ان
ينضم اليه شيء اخر ولم يثبت عن غيرهم خلاف ذلك فيكون اجماعا فلذلك اخذ اصحابنا رحمهم الله
تعالى بقولهم والله اعلم والثالث ان احد الزوجين اذا خرج الى دار الاسلام مهاجرا وبقي الاخر في دار
الحرب تقع الفرقة بينهما عندنا وعند الشافعي لا تقع الفرقة بتباين الدارين قال لان المسلم اذا دخل
بامان لم يبطل نكاح امراته وكذلك لو دخل حربي الينا بامان لم يقع الفرقة بينه وبين زوجته وكذلك
لو اسلم الزوجان في دار الحرب ثم خرج احدهما الى دار الاسلام لم يقع الفرقة فعلم انه لا يعتبر باختلاف الدارين
في ايجاب الفرقة ولكن عندنا ليس معنى اختلاف الدارين ما ذكر انما معناه ان يكون احدهما من اهل دار الاسلام
اما بالاسلام او بالذمة والاخر من اهل دار الحرب فيكون حربيا كافرا فاما اذا كانا مسلمين فهما من اهل
دار واحدة وان كان احدهما مقيما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام وفي هذه الاية دلالة على ما قلنا من وجو

احدها انه قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولو كانت الزوجية باقية بعد التباين لكان
الزوج اولى بها وبان يكون معه فلا معنى للنهي عن الرجع الى الزوج الكافر وكذا قال عز وجل لا هن حل
لهم ولا هم يحلون لهن اثبت التحريم بين المهاجرات وازواجهن ولا يتصور بقاء النكاح في غير محل الحل وكان
معناه تحريم الاستمتاع ولكن النكاح لما لم يكن المقصود به الا الاستمتاع وما هذا من اثاره فكان في تحريم
الاستمتاع تحريم النكاح وكذا قوله تعالى واتوهم ما انفقوا دليل عليه ايضا لانه امر برد مهورهن الى الزوج
ولو كانت الزوجية باقية لما استحق الزوج استرداد المهر لانه لا يجوز ان يستحق البضع وبدله وكذا قوله
وكذا قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن ولو كان نكاح الاول باقيا لما جاز للمسلم
في دار الاسلام ان يتزوجها وكذا قال الله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر نهانا عن الامساك والامتناع من
تزويجها لاجل عصمة الزوج الكافر وحرمته دل ان تقع بالتباين ودليل اخر من جهة المعقول على ما ذكرنا وهو انهم
اجمعوا انها اذا سبيت وقعت الفرقة حتى يحل للسابي وطء المسبية بعد الاستبراء فاما ان تقع الفرقة باسلامها
وقد اتفق الجمهور من الفقهاء رحمهم الله على انه لا تقع الفرقة بنفس الاسلام اذا كان بعد الدخول ما لم ينضم اليه
شيء اخر وبحدوث الملك للسابي ومعلوم ان الملك لا يمنع النكاح الا ترى انه يجوز ابتداء العقد على المملوك ولهذا
اذا بيعت الجارية لم تقع الفرقة وان حدث الملك فيها للمشتري وكذلك اذا مات رجل وخلف امة منكوحة ثبت
الملك فيها للوارث ولا يبطل النكاح واذا لم تثبت الفرقة بهذين الوجهين لم يبق الا تباين الدارين فدل ان سبب الفرقة
هو تباين الدارين في المسبية والتباين وجود في المهاجرة والله اعلم فان احتجوا بما روي عن عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنه قال رد النبي صلى الله عليه وسلم ابنته زينب على ابي العاص بن الربيع بالنكاح الاول
بعد سنين وقد كانت زينب هاجرت الى المدينة وبقي زوجها مشركا بمكة ثم ردها عليه بالنكاح
الاول فدل ان اختلاف الدارين لا يوجب الفرقة فنقول له لا يصح الاحتجاج به من وجوه احدها
انه ردها بعد ست سنين بالنكاح الاول ولا خلاف بين الفقهاء انه لا ترد الى الزوج بالعقد الاول
بعد انقضاء ثلاث حيض ومعلوم انه ليس في العادة ان لا يكون ثلاث حيض في ست سنين فسقط
الاحتجاج به والثاني انه روي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال في اليهودية تسلم قبل
زوجها انها املك بنفسها فكان من مذهبه ان الفرقة وقعت باسلامها والراوي متى عمل بخلاف
ما روى دل على انتساخ ذلك اذ لا يظن به انه خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والثالث ان
عمرو بن شعيب روى عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم رد ابنته زينب رضي الله عنها على
ابي العاص بنكاح ثاني فوقع التعارض بين الحديثين فبطل احتجاجه بالحديث لما روينا لان فيما رواه
اخبار عن كونها زوجته لم تعد ما اسلم الزوج ولم تعلم حدوث عقد ثان وفي حديث عمرو بن شعيب
اخبار عن حدوث عقد ثان بعد اسلامه والثاني اخبار عن معنى حادث علمه وعندنا كما رجحنا حديث
ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم على حديث يزيد بن الاصم انه
تزوجها وهو حلال لان في حديث ابن عباس رضي الله عنه اخبارا عن حالة حادثة والخبر الاخر عن
ظاهر الامر الاول والحديث بريدة انه كان زوجها حرا حتى عتقت ورواية من روى انه كان عبدا يجوز
الاول والا خبار عن حال حادثة وفي اخبار عن ظاهر الحال فكان الاول اولى فكذلك هنا والرابع
ان المهاجرة لا عدة عليها عند ابي حنيفة رحمه الله وعلى قولهما عليها العدة وهذه الاية دليل لابي حنيفة
رحمه الله من وجوه فانه عز وجل قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار نهى عن الرد الى
الزوج الاول ولو كانت عليها العدة لكان للزوج ان يردها اليه لمكان العدة الا ترى الى قوله تعالى اسكنوهن
من حيث سكنتم كيف امر الازواج باسكانهن في بيوتهم ما دمن في عدتهن فلما قال هاهنا فلا ترجعوهن
الى الكفار دل على لا عدة عليها وكذا قال ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فاباح نكاحها مطلقا من غير ذكر
العدة وكذا قال ولا تمسكوا بعصم الكوافر ولو كانت العدة عليها واجبة لكانت باقية بقوله فما لكم
عليهن من عدة تعتدونها الا ترى كيف جعل العدة في حقه واذا كان للزوج عليها حق كانت هي في عصمته
وقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر يوجب قطع العصمة فلما كان في ايجاب العدة ابقاء العصمة بينهما ونهى
الله تعالى عن ذلك فقطعناها واسقطنا العدة عنها والله اعلم ولانهم اجمعوا انها اذا سبيت وقعت
الفرقة وسقطت العدة والملك ليس بسبب لاسقاط العدة ولكنه سبب لنقض العدة فلما
سقطت العدة عند السبي والمهاجرة والسبي لا يوجب الاسقاط دل سقوط العدة لاختلاف
الدارين والله اعلم والخامس فيه دليل على ان الكتاب يجوز ان ينسخ حكمه بترك الناس العمل فان في قوله
واتوهم ما انفقوا وقوله واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا الحكم متروك من غير ان يكون في تركه
كتاب وسنة ولكن الناس لما اجمعوا على تركه وهذا وامثاله في حكم عرفنا ثبوته على الخصوص لمعنى ثم
نعدم المعنى لانا ما لا يعقل معناه يجب العمل بالكتاب ولا يترك بترك الناس ولا يجوز لهم الاجماع
على تركه ولا يتحقق الاجماع على ذلك وبعض اصحابنا قالوا انه صار منسوخا بقوله لا تاكلوا اموالكم

بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وبقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل مال امرئ مسلم الا من
طيبة من نفسه والله اعلم والسادس في قوله تعالى واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا دلالة
على التسوية في الحكم بين اموالنا واموالهم ثم الاجماع جرى على انا اذا غلبنا على اموال اهل الحرب
ملكناها فكذلك اذا غلبوا على اموالنا يجب ان يملكوها وقيل اوجب من الحرمة اذا جاءت النسوة النبي
مؤمنات مهاجرات دلالة على ان الاحكام في الانفس مختلفة وعلى هذا ما خلف كل واحد منهما من
المال في الدار التي هاجر منها الى اخرى انه يصير فيئا لنا لم يرو عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
لما فتح مكة ان يكون تفحص عن شيء من ملك الاموال التي كانت مخلفة حين هاجروا الى المدينة فلا بد
ان يكون ذلك التوارث او لما ذكرنا انها تكون فيئا لهم ومعلوم ان التوارث بين اهل الاسلام واهل
الكفر منقطع واذا بطل وجه التوارث ثبت الوجه الاخر والله اعلم والسابع في قوله ذلكم حكم الله يحكم
بينكم دلالة على وجوب العدل بين الاعداء وهو كقوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا
اعدلوا وقال ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وقال هاهنا واسئلوا
ما انفقتم واسئلوا ما انفقوا سوى بين اموالنا واموالهم وهو العدل فكانه يقول ذلك امر في العدل
بينكم وبين اعدائكم حكم الله يحكم بينكم لكي اذا علموا ان العداوة لا يحملكم على ترك العدل لحملهم ذلك
على التالف والتعطف وعلموا انكم اذا تركتم شهواتكم وانفقتم العدل والتسوية فليس ذلك من عندكم
ولكن من عند الله تعالى فرغبهم ذلك في الاسلام فكانه قال ذلك الذي امرنا العدل وجعله سببا رغب
اعداءكم في الاسلام ويحملهم على التالف حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم يعني بما امر من العدل والتسوية
حكيم لا يلحقه الخطاء في التدبير فدل ان العدل واجب بينهم والموفق والثامن في الاية دلالة على ان
النساء اذا ارتددن لم يقتلن فانه قال فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار فيثبت
انهم اذا لم تعلموهن مؤمنات رجعوهن الى الكفار لما كان جرى بينهم من الصلح ومعلوم انه اذا رجعن
الى الكفار بعد ما اظهرن الايمان كن مرتدات ولو كانت المرتدة تقتل لكان اذا ظهر ذلك عنده هو
قتلوها ولم يرجعوها الى الكفار فلما ثبت بما وصفنا انهم كانوا يصرفون النساء اليهم مع علمهم انهن
مرتدات ثبت ان المرتدة لا تقتل والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات
يبايعنك الاية المبايعة والهجرة كانتا واجبتين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومعناهما اليوم واجب
ايضا وذلك ان الهجرة انما كانت من مكة الى المدينة لما كان احدهم اذا اسلم يخاف على نفسه من فساد
الدين بالكفران لو اقام بين اظهرهم وكان ايضا يحتاج الى علم الشرائع والاحكام وانما انقطعت الهجرة
اليوم من مكة الى المدينة فاما واحد من اهل الحرب اذا اسلم وخشي على نفسه فساد الدين بالكفرة ان
لو اقام بين اظهرهم فالواجب عليه ان يهاجر منها الى دار الاسلام ليامن فساد دينه ويحصل على علم الشرائع
واما المبايعة فان معناها في النساء ترغيب الكفرة في الاسلام وفي الرجال حمل الكفرة الى الاسلام
وذلك ان الذي امر به النساء من المبايعة من مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال والكفرة اذا علموا ان
هذا يؤمر فيه بمحاسن الامور رغبهم ذلك في الاسلام والذي امر به الرجال انما هو من جهة النصر والمجاهدة
مع النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يظهر الاسلام ويتبين وهذان المعنيان على كل في نفسه في زماننا هذا
والله اعلم وقوله عز وجل يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا يتوجه الى الاعتقاد والمعاملة جميعا
وقوله ولا يسرقن يتضمن النهي عن الخيانة في الاموال كافة والنقصان عن العبادة جملة الا ترى انه سمي
السارق من سرق من صلوته وقوله عز وجل ولا يزنين يحتمل ان يكون على حقيقة الزنا ويحتمل
ان يكون على حقيقة الزنا وعلى دواعيه على ما روي من قوله عليه الصلوة والسلام اليدان
تزنيان والعينان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يصدق ذلك او يكذبه وقوله عز وجل ولا ياتين
ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يحتمل ان يكون نهيا عن النميمة عن الحاق الولد بازواجهن وهن
يعلمن انه من الزنا وهكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقوله عز وجل ولا يعصينك في معروف فكانه
امرهن ان ينتهين عن هذه المناهي وان يتبعن امره الا ترى الى قوله يامرون بالمعروف يجوز ان يكون
هذا كناية عن الامر لانه بين النواهي والمناكير ثم قال تعالى ولا يعصينك في معروف فكانه امرهن ان
ينتهين عن هذه المناهي وان يتبعن امره الا ترى الى قوله تعالى يامرون بالمعروف ينهون عن المنكر
وقوله عز وجل فبايعهن واستغفر لهن الله ولم يقل هاهنا فامتحنوهن كما قال في المهاجرات ومعنى ذلك
عندنا وجهان احدهما انه قد تبين هاهنا وجه الامتحان بقوله ولا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين فاستغنى عن ذكر الامتحان والوجه الثاني ان المهاجرات انما كن ياتين من دار الحرب ولم يكن
على الشرائع فاحتجن الى الامتحان واما هؤلاء كن في دار الاسلام وقد علمن شرائعه فلم يذكر الامتحان
لذلك والله اعلم وقوله عز وجل فاستغفر لهن الله هذا يدل على ان الكبائر لا يخرجن عن الايمان لانه يعلم ان
الاستغفار لما يجيء منهن من تضييع هذه الحدود ولو خرجن بتضييعها من الايمان لم يامر النبي صلى الله ع

عليه وسلم بالاستغفار لهم لان الاستغفار طلب المغفرة ويستحيل ان يطلب منه مغفرة من ليس له
غفرانه فدل على ما وصفنا ان ارتكاب الكبائر لا يخرج صاحبه من الايمان والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم فكان الله عز وجل امرنا ان نغضب على من غضب هو عليه وان نعادي
من عاداه ونوالي من والاه وقوله عز وجل قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور الاية له تاويلان
احدهما ان اليهود غيروا نعت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحرفوه من التوراة فكان في التوراة ان الله تعالى ايسهم
من ثوابه في الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا ويجوز ان يكون معناه يئس هؤلاء من رحمة الله كما يئس
الكفار الذين هم في القبور من رحمة الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض قال ها هنا سبح وقال في موضع اخر يسبح
ليعلم ان يسبح غير منقطع وانه قد سبح حين كان ويسبح الى ان يكون وفيه تسفيه اولئك الكفرة المتمردة وذلك
ان التسبيح والثناء في الشاهد انما يرجعان الى المسبح والمثني لانه لا يثني الا على من يستحق الثناء ولا يسبح
الا من يخضع فانما تسبيح المسبح وثناؤه خضوع له وتقرب اليه وذلك يزيد شرفا ونبلا فكان الله عز وجل
اخبر انه قد خضع لله تعالى واستسلم له واتى بما فيه شرف له وزين وتقرب الى ربه الا الكفرة فانهم تركوا التسبيح
لله تعالى مع ما فيه من نيلهم وشرفهم وزينهم والله الموفق ويجوز ان يكون ذكر تسبيحهم ايضا من وجه
اخر وهو انه لو كان لله تعالى بتسبيح شيء من الخلائق حاجة لكان في تسبيح من ذكر كفاية وغنا عن تسبيح الكفرة
ولكنهم تركوا التسبيح والله تعالى غني عنهم وعن تسبيحهم فما تركوه الا لسفههم والله اعلم وقوله تعالى وهو العزيز
يدل على انه عزيز في ذاته وان ترك التسبيح من الكفرة اياه لا يذله بل هو عزيز منيع وقوله الحكيم يعني حكيم حيث
جعل في الاشياء المتضادة علم ربوبيته واية وحدانيته وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
قال بعضهم هذه الاية في اهل النفاق في القتال لانهم تمنوا القتال فلما امرهم الله تعالى به قالوا لم كتبت
علينا القتال فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تعدون ما لا تفون به ومنهم من
قال انها في بعض المؤمنين في القتال ايضا وانها على التقديم والتاخير وجد ذلك انهم احبوا ان يعلموا باحب
الاعمال الى الله تعالى فانزل الله يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم الاية قوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا فلم يفوا بما وعدوا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون ويجوز ان يكون
هذه الاية في كل مؤمن لانه قد اعتقد كل من امن بايمانه الوفاء بما وعده من الطاعة لله تعالى والاستسلام له
والخضوع فاذا لم يف بما وعد خيف عليه في كل زلة ان يدخل في هذه الاية وليس احد من المؤمنين قد وفا
بما وعد كله والواجب عليه ان يتوب من ذلك توبة بليغة قوله عز وجل كبر مقتا عند الله المقت البغض ومن
استوجب مقت الله لزمه العقاب لا محالة ولكنه يحتمل ان يكون هذا فيمن اعتقد ترك الوفاء بما وعد واستحل
ما نهاه الله تعالى فليستوجب مقت الله تعالى ونقمة لا محالة وان كان فيمن ثبت على اعتقاده وزل في افعاله فالوا
ان يقسم الذنوب فيلزمه يخوف على مراتبها ودرجاتها والله اعلم قوله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص ليس فيه ان الله تعالى لا يحب المبارز لان الجهاد والقتال على المبارزة اشد
وذلك انه اذا كان في الصف اعانه على القتال غيره فكان امنه على نفسه في الصف اكثر واما المبارز فانه
وحده ليس له معين فان ظفر على صاحبه والا هلك والخوف عليه في ذلك اشد فيجب ان يكون المحنة فيه
اكثر واكثر ولكنه يجوز ان يكون الله تعالى يعلمهم بهذه الاية كيفية القتال ليستعين بعضهم ببعض وليكون
كلمتهم واحدة لانهم اذا تفرقوا اختلف اراؤهم فيخشى عليهم الهزيمة والادبار واذا كانت اراؤهم متفقة
وكلمتهم واحدة وشوكتهم واحدة وذلك قوة في القتال وزيادة نصرة والله اعلم ثم قوله كانهم بنيان مرصوص
قال بعضهم ضرب هذا المثل للثبات يعني اذا اصطفوا ثبتوا كالبنيان المرصوص التي يكون ثابتة مستقرة لا
ينتقض بادنى شيء ومنهم من ضرب هذا المثل لان يكون كلمتهم واحدة ويعين بعضهم بعضا ويشبه ان يكون
للامرين جميعا لانهم اذا ثبتوا اعان بعضهم بعضا وكانت كلمتهم واحدة واذا كانت كلمتهم واحدة كان ذلك
ادعى الى الثبات واقرب اليه فلذلك قلنا انه يجوز ان يكون للامرين جميعا والله اعلم ثم المحبة يحتمل وجهين
احدهما عن الخلق والثاني الثناء عليهم بما يفعلون وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون
اني رسول الله اليكم يحتمل وجهين احدهما تنبيه لهم واعلام عن معاملة اعتادوها فيما بينهم من غير ان
يعلموا فيما اذى لموسى عليه السلام نحو ان قال في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فيجوز ان يكونوا لا يعدون ذلك المعاملة اذى لموسى
عليه السلام ولا يعلمونها فاخبرهم انها تؤذيه لينتهوا عن ذلك والثاني انه يجوز ان يكونوا علموا ان ذلك
يؤذيه ولكنهم عاندوه وكابروه فيخبرهم ان كيف تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم وقد علموا ان

حق رسل الملوك التعظيم والتبجيل فكيف رسول رب العالمين فاخبرهم انهم يؤذونه شكاية منهم اليهم
لتزجروا فالاذى فقال بعضهم ان موسى عليه السلام كان لا يكشف عن نفسه فاذوه بان قالوا ان في بدنه
افة ومكروه وقال بعضهم ان موسى عليه السلام ذهب مع هارون عليه السلام الى الجبل فقبض
هرون في ذلك الجبل فاذوه بان قالوا قتل موسى اخاه ومنهم من قال كانوا يؤذونه بالسنتهم حيث قالوا ارنا الله
جهرة وبقولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة ويقولهم لن نصبر على طعام واحد ولكن الوجه ان لا يشار الى
شيء بعينه فان كان الثاني بل هو الوجه الاول انهم اذوه من غير ان يعلموا ان ذلك يؤذيه ان لا يصرف
اليه شيء من هذه الاوجه الثلاثة وان كان على الوجه الثاني فكذلك وان كان على الوجه الثالث جازت
يصرف اليه اي الوجوه منها والله اعلم ثم حق هذه في رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج على وجهين
احدهما انه يجوز ان يكون بنو اسرائيل اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره الله امر موسى عليه السلام
وايذائهم اياه ليكون فيه تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكينا لقلبه ويجوز ان يكون هذا تحذيرا
لاصحابه عن ان يرتكبوا ما يخاف ان يكون فيه اذاه عليه السلام والله اعلم وقوله عز وجل فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم له معنيان احدهما ان يقول ازاغ الله قلوبهم يعني خلق فعل الزيغ في قلوبهم يعني خذلهم
الله ووكلهم الى انفسهم قالت المعتزلة محتجين علينا ان الله تعالى قال وما يضل به الا الفاسقين ذكر انه
انما يضله بعد ما فسق وانتم تقولون انه يضل وهو يهدي قلنا ان هذا تمويه علينا وذلك انا نقول
ان الله تعالى يضله لوقت اختياره الضلال ويزيغه لوقت اختياره الزيغ واذا كان كذلك لم يلزم ما قالت
المعتزلة مع انهم يقولون ان الله تعالى يضله بعد ضلالته بنفسه عقوبة له ويزيده هدى بعد اهتدائه
ثوابا له ولا يستقيم كذلك لانا قد نراه في الشاهد يكفر بعد ايمانه ويؤمن بعد كفره واذا كفر بعد ما كان
مؤمنا وذلك وقت يزيده الله تعالى هدى ثوابا لايمانه المتقدم فاذا كفر فكان هداية الله تعالى
سببا لكفره واذا امن بعد ما كان كافرا وقت عقوبته بالكفر فكان عقوبة الله تعالى بالكفر على الكفر
المتقدم كان سببا للايمان وهذا كلام مستقبح وقوله عز وجل والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني
الذين علم الله منهم انهم يختارون الظلم والكفر فلا يتوبون منه ولا ينقلعون فلا يهديهم اولئك و
اما من علم منهم انه يتوب ويسلم فانه يهديه والله اعلم وقوله عز وجل واذ قال عيسى ابن مريم
يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة قوله مصدقا يحتمل وجهين
احدهما ان يقول جئت اليكم بالنعت التي وصفت في التوراة او مصدقا بالتوراة وبكتب الله
تعالى ليعلم ان الرسل كان يلزمهم بالكتب المتقدمة والرسل جميعا كما يلزم ذلك اممهم او يقول
مصدقا يعني امركم بعبادة الله عز وجل وتوحيده كما امرتم به في التوراة ليعلم ان الرسل كان دينهم
واحدا وانهم كلهم يدعون الى التوحيد وعبادة الرحمن واما الشرائع فقد يجوز اختلافها ولا يدل
ذلك على اختلاف في الدين لان الشرائع قد يختلف في رسول واحد ولا يختلف دينه فكذلك الرسل
والله الموفق وقوله عز وجل ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يعني مبشرا برسول يبعده بالتوراة
على مثل تصديقي فكان قبله اسمه فقال اسمه احمد وقوله عز وجل فلما جاءهم بالبينات قال بعضهم الذي
جاءهم عيسى عليه السلام وقال بعضهم محمد عليه السلام وقد جاءا جميعا وقوله بالبينات اي بالبينات
التي تبين ان الذي جاء به انما جاء من عند الله وقوله هذا سحر مبين او ساحر مبين واختلفوا فيمن قيل له
هذا قال بعضهم هو عيسى السلام وقال بعضهم هو محمد عليه السلام وقد قالوا لهما جميعا ويحتمل ان يكون
هذا قول اكابر الكفرة للضعفاء منهم وذلك انهم لم يجدوا سبيلا للتمويه سوى ان ينسبوه الى السحر وهذا
يدل انه جاءهم بالايات المعجزة حيث نسبوه الى السحر وقالوا اهل السحر والله لا نعلم السحر ولو كان
الذي جاءهم به سحرا كانت حجة عليهم لانهم قد علموا ان الرسل لم يختلفوا الى السحرة ولم يتعلموا منهم
وكان لا يتهيأ لهما اختراعه من تلقاء انفسهم فلو كان سحرا كانت حجة عليهم لانهم قد علموا ما ذكرنا ولكن
الله تعالى براه ونزهه من السحر والله الموفق وقوله عز وجل يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم
نوره نور الله يعني دين الله وكتاب الله او رسل الله وقوله بافواههم اي ليست عندهم حجة ولا معنى يطفئ
به هذا النور سوى ان يقولوا بالسنتهم هذا سحر وقوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن
اوحش ظلما وافحش من بلغ افتراؤه المبلغ يفتري على الله تعالى الكذب لانهم قد علموا ان ما نالوا من نعمه وكرمه
فانما نالوه بالله ثم كفروا به وكذبوا على الله وعلى رسوله او يقول لا احد اظلم ممن يفتري على
الله الكذب وذلك ان قوله ومن اظلم كلام استفهام ومعلوم ان الله تعالى لا يستفهم احدا واذا كان كذلك
كان حق كل ما خرج مخرج الاستفهام ان ينظر الجواب لو كان مستفهما فيفهم منه معنى قول رب العالمين
وانما المفهوم من جواب من يستفهم عن مثل هذا ان يقول لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب والله
يدعو الى الاسلام وهو ان يجعل الاشياء كلها سالمة له فهو اذ علم ان ما ناله من نعمة فانما ناله بالله تعالى
وعلم الاشياء كلها لله تعالى فكيف افترى على الله الكذب وهو يعلم فاذ علم هذا فلا احد اظلم منه حتى

افترى على الله الكذب والله الموفق وقوله عز وجل والله متم نوره له اوجه احدها بالحجج والبراهين والثاني لينصر اهله وغلبة والثالث باظهاره في الاماكن كلها فان كان على النصر والغلبة فقد كان حتى كان المشركين في خوف والمسلمون في امن الا ترى الى قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله والى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهرين وان كان بالحجج فقد كان ايضا لانهم عجزوا عن ان يأتوا بما يشبه ان يكون مثالا له فضلا من ان يأتوا بمثله فدل انه قد اتم نوره بالنصر والغلبة والبراهين والحجج وان كان المراد منه اظهاره فانه يرجى ان يظهره على ما روي انه اذا انزل عيسى صلوات الله لم يبق على وجه الارض دين الا الاسلام ثم قوله تعالى والله متم نوره ليس فيه انه كان به شيء من الكدر فصفاه ولكن على ما ذكرنا من التاويل فكذلك لا يجب ان يفهم من قوله اليوم اكملت لكم دينكم انه كان ناقصا فاكمله بالشرائع ولكنه على هذه الوجوه يعني اظهار الدين بالشرائع التي وصفناها في قوله والله متم نوره والله اعلم وقوله عز وجل ولو كره الكافرون وقال حين ذكر الاظهار ولو كره المشركون لان هؤلاء كفروا بالرسول والكتاب وذلك نعم الله تعالى فقال ولو كره الكافرون واولئك اشركوا به في التوحيد فقال ولو كره الكافرون واولئك اشركوا به في التوحيد فقال ولو كره المشركون والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى يعني بما لو اتبعوه اهتدوا به وقوله ودين الحق له اوجه ثلاثة احدها ان يجعل الحق كناية عن الله والثاني ان يجعل الحق نعتا للدين فكانه قال والدين الذي هو الحق من بين سائر الاديان والثالث ان يقول الدين الذي يحق على كل احد قبوله والانقياد له والله اعلم وقوله ليظهره على الدين كله له وجهان احدهما ان يراد ليظهر رسوله عليه السلام على كل ما يحتاج في هذا الدين من النوازل فيكون فيه بيان ان ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في هذه النوازل انما هو بالوحي وبما اظهره الله تعالى عليه ويحتمل اظهار هذا الدين في الاماكن قال والدين هو الخضوع والاستسلام لله تعالى فحقيقة ان يجعل الاشياء كلها سالمة له وقوله ولو كره الكافرون قال الشيخ رحمه الله وبقتضي هذا ولو كره المعتزلة لان اتمام نوره ان كان بالحجج وبالنصر والغلبة او باظهاره في الاماكن كلها فانما يكون ذلك بافعال العباد ثم اضاف الله تعالى الى نفسه فثبت ان الله تعالى في افعال العباد صنعا وتدبيرا وان كان افعالهم كلها مخلوقة لله لا تخرج عن تدبيره ومشيئته والله المستعان وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله الايمان بالله ان تؤمن بانه الواحد الصمد الفرد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وتؤمن بان له الخلق والامر وانه قادر لا يعجزه شيء وعليم لا يخفى عليه شيء وحكيم لا يخرج خلقه الاشياء المختلفة من السراء والضراء والظلمة والنور والمرض والصحة عن حكمة وانه ليس كما قالت الثنوية ان خالق الظلمة والشر والقبيح غير خالق النور بل يعلمه انه خالق كل شيء سواء من ظلمة ونور وشر وضر او سقم وصحة ولا على شبه ما قالت المجوس ان الله تعالى غفل غفلة فتولد منه الشيطان بل هو لا يغفل عن شيء ولا يخفى عليه شيء ولا يخفى عليه شيء ولا على ما قالت النصارى حيث شبهوه بالخلق حتى اجازوا ان يكون له ولد ولا على ما قالت القدرية انه لا يقدر شيئا من الشر ولا النقم ولا الرجع ولا على ما قالت المعتزلة انه ليس له في افعال العباد صنع وتدبير بل يعلمه عليما بكل شيء قديرا على كل شيء متعاليا عن كل شيء من معاني الخلق متنزها عن كل افة وحاجة وعيب فهذا هو الايمان بالله تعالى عندنا والله تعالى اعلم والايمان بالرسول ان يؤمن بان ما جاء به صلى الله عليه وسلم فهو حق وصدق وقوله وتجاهدون في سبيل الله هذا على وجهين احدهما ان يقاتلوا اعداءه تعالى والثاني ان يجاهدوا في طاعة الله وفيما دعا اليه من عاد تيرو الجهاد ينصرف الى انواع اربعة جهاد في سبيل الله بمقاتلة اعدائه والاستقصاء في طاعته وجهاد فيما بين يديه وبين نفسه ان يجاهد في قهرها ومنعها عن لذاتها وعما يعلم انه يهلكها ويرديها وجهاد فيما بينه وبين الخلق وهو ان يدع الطمع فيهم وان يشفق عليهم ويرحمهم وان لا يرجوهم ولا يخافهم وجهاد فيما بينه وبين الدنيا وهو ان يتخذها زادا لمعاده او مرمة لمعاشه ولا يؤخذ منها ما يضره في عقباه وكل هذه الانواع فيستقيم ان يسميها جهادا في سبيل الله ثم ان هذه الاية ينتظم بها ثلاثا احدها ان كيف امرهم بالايمان بعد قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والثاني ان كيف يرجى له النجاة اذا امن بالله ورسوله ولم يجاهد في سبيل الله وقد علق بالكل والثالث ان كيف يخاف عليه العذاب اذا امن بالله ورسوله وجاهد في سبيل الله واتى بالكبيرة مع قوله ينجيكم من عذاب اليم اما الجواب عن المسئلة الاولى انه يحتمل ان يكون المراد من هذه الاية اهل النفاق فيكون المعنى من قوله يا ايها الذين امنوا في الظاهر هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله اي تصدقون بقلوبكم ويجوز ان يكون في اهل الكتاب ايضا فكانه قال عز وجل يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة امنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا الكتاب هذا اذا كان في الكفار فاما اذا كان في المؤمنين يجوز ان يكون امرا بالايمان من بعد ما امنوا بمعنى الثبات عليه او الزيادة وبحق التجدد وان الايمان في حادثات الاوقات له اسماء ثلاثة الزيادة والثبات والتجدد وذلك ان الله تعالى ذكر هذا النوع في كتابه مرة باسم الزيادة حيث قال فزادتهم ايمانا مع ايمانهم

ومرة باسم الثبات بقوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا ومرة بالايمان بقوله يا ايها الذين امنوا امنوا بالله فان كان على الزيادة والثبات فذلك لطف من الله تعالى وذلك ان الزيادة والثبات هما اسمان ينطلقان على فعل دائم وفعل الايمان منقضي ولكن يجوز ان يكون الله تعالى بلطفه جعل المنقضي كالدائم فيخرج الزيادة والثبات والله اعلم وان كان على التجدد في الاوقات الحادثة فذلك مستقيم وذلك لان المرء منهي عن الكفر في كل وقت يأتي عليه اذا اتى بالايمان في ذلك الوقت انتهى عن الكفر فصار لايمانه حكم التجدد والله اعلم وجائز ان يكون المراد بقوله يؤمنون بالله ورسوله ويجاهدون في سبيل الله الاعتقاد واذا كان المراد منه فلك واتى بما امر من الاعتقاد بهذه الامور ولكنه لم يف بالفعل فهو في رجاء من النجاة والله اعلم وقوله عز وجل ذلكم خير لكم يعني ذلك الذي امركم به من الايمان بالله تعالى ورسوله والجهاد في سبيله خير لكم من ان يتبعوا اهواءكم ان كنتم تعلمون يعني ان كنتم تعلمون عيانا يعلمهم ان ذلك خير لكم ذنوبكم يعني يغفر الله لكم بتلك التجارة وقوله عز وجل ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة يجوز ان يكون رغبهم في هذه الاية بما امرهم بتركها وذلك انهم امرهم بمفارقة مساكنهم وانفاق اموالهم بالجهاد وبانفسهم ثم اخبر انهم اذا فعلوا ذلك اتاهم مكان كل ما فات عنهم خيرا منها مكان ما فارقوا من المساكن نؤتيهم مساكن نؤتيهم مساكن طيبة ومكان ما انفقوا من اموالهم نؤتيهم النعيم الدائم ومكان ما افنوا من حيوتهم وانفسهم نؤتيهم حيوة دائمة باقية والله اعلم وقوله عز وجل ذلك الفوز العظيم يعني ذلك الثواب الدائم هو الفوز العظيم وقوله عز وجل واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب فكانه يقول يعطيكم الله بتلك التجارة التي دلكم عليها ما ذكر من الثواب في الاجل واخرى تحبونها نصر من الله تعالى على اعدائكم في الدنيا وفتح البلاد وبشر المؤمنين بها وقد فعل الله تعالى ذلك بهم وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله هذا كلام يورث شبهة في القلب ان كيف قال كونوا انصار الله والله تعالى لا يخاف حتى يستنصر عليه عدو ولكن السبيل في كشف هذه التهمة عن القلوب جواز المعنى في قوله اقرضوا الله قرضا حسنا وقد وصفنا في ذلك ان الله تعالى جعل ما يصلون به ارحامهم ويتصدقون على فقرائهم كانهم اقرضوه الله كرامة وفضلا ولطفا فكذلك يحتمل ان يكون جعل ما ينصرون به دينه او رسوله نصرا له تعالى وكذلك قوله ان تنصروا الله ينصركم والمعنى في هذا ان تنصروا دين الله ينصركم او ان تنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنصروا الحق والله اعلم اي ذلك كان ويحتمل ان يكون المراد من ذلك كله اي اجعلوا ما تنصرون به دينكم لله تعالى ولوجهه وكذلك قوله واقرضوا الله تعالى اجعلوا ذلك لله ولوجهه الكريم ولا بد من ان يكون في هذه الاية اضمار اما في الابتداء او في الانتهاء حتى تستقيم عليه وقوله عز وجل كما قال عيسى بن مريم للحواريين فكانه يقول قل للذين امنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله او يكون معناه واضماره في حق الاجابة اي اجيبوا الله ورسوله وكونوا انصارا له كما اجاب قوم عيسى بقولهم نحن انصار الله والحواريين المصفوين المنقرين دينهم عن الشبهة وهم قوم كانوا خرج عيسى عليه السلام وخاصته حيث دعاهم الى دينه فاجابوه وامنوا به ونقوا دينهم عن كل شبهة وافة وعيب وقوله عز وجل فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة هذا يحتمل ان يكون في حيوة عيسى عليه السلام حين اتبعه الحواريين ثم دعا بعد ذلك قومه الى دينه فامنت طائفة وكفرت طائفة فايدنا الذين امنوا بالبراهين والحجج على الطائفة للذين كفروا فاصبحوا ظاهرين على اعدائهم بالحجج والبراهين ويجوز ان يكون بعد وفات عيسى عليه السلام حين اختلفوا في ماهيته فمنهم من قال هو الله ومنهم من قال هو ابن الله فكفرت به هذه الطائفة وامنت به طائفة اخرى فايدنا الذين امنوا على عدوهم حين وقع لهم قتال فنصروا عليهم وظفروا والله اعلم تمت السورة بحمد الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض قال يسبح لله ولم يقل يسبح الله وقد جرت العادة في الناس التسبيح بالالف كقولهم سبحان الله وسبحان ربي العظيم فكان حق هذا القول على ما جرت به العادة في اللسان ان يقول يسبح الله ما في السموات وما في الارض ولكنه يجوز ان يكون هذا من نوع ما يجري فيه اللفظان جميعا كما يقال شكره وشكر له ونصحه ونصح له والتسبيح يحتمل وجوها ثلاثة احدها تسبيح الخلقة انك ان نظرت الى كل شيء على الاشارة اليه والتعيين ذلك جوهره وخلقته على وحدانية الله تعالى وعلى تعاليه عن الاشباه وتنزهه عن جميع العيوب والافات فذلك من كل شيء تسبيحه والثاني تسبيح المعرفة ووجه ذلك ان يجعل الله تعالى بلطفه في كل شيء حقيقة

المعرفة ليعرف الله تعالى وينزهه وان كان لا يبلغه عقولنا الا ترى الى قوله وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم ولكن عندنا بواسطة احداث نوع حيوة فيه اذ المعرفة بدون الحيوة لا يتحقق والوجه
الثالث هو ان التسبيح تسبيح ضرورة وتلقين ووجهه ان الله تعالى يجري التسبيح على ذلك الجوهر من غير ان يكون
له حقيقة المعرفة كما اظهر من اياته واعلامه على عصى موسى وكما اجرى السفينة على وجه الماء وان لم يكن
لها حقيقة المعرفة وذلك تسبيح كل شيء والله اعلم وقوله الملك يعني الملك الذي له ملك الملوك او الذي
له الملك في الحقيقة وقوله عز وجل القدوس له تاويلان احدهما الطاهر من كل عيب وافة وحاجة او الطاهر
مما يحتمله غيره والثاني المبارك يعني به ينال كل بركة وخير ويجوز ان يجمع في المبارك معنى التنزيه من العيوب
ومعنى البركة لانك اذا وصفته بالبركة فقد وصفته بالبراءة من كل عيب واضفت اليه كل بركة ويمن
كما روي في الخبر ان قوله سبحان الله نصف الميزان والحمد لله يملاء الميزان وكان معناهما عندنا ان قوله
سبحان الله يختص تبرئة من العيوب والحمد لله ينتظم معنى التنزيه من العيوب ومعنى اضافة النعم
كلها اليه فاذا كان فيه هذان المعنيان جميعا جاز ان يمتلي به الميزان ولما اختص سبحان الله بتطهيره من
العيوب ولم يتعده الى غيره اخذ نصف الميزان والله اعلم وكذلك هذا الاختلاف في تاويل قوله في الارض
المقدسة وقوله عز وجل العزيز الحكيم العزيز يعني الغالب القاهر لا يعجزه شيء ويجوز ان يكون العزيز مقابل
الذليل والذليل ينتظم كل فقر وحاجة وضعف فالواجب ان ينتظم العزيز اذا كان ضد له وضد الذل كل
شرف ومكرمة وغناء وقوة والله الموفق والحكيم قالوا هو الذي يصنع الاشياء مواضعها فالله تعالى
حكيم حيث وضع الاشياء مواضعها التي جعلها الله تعالى مواضع لها والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير وهو
معنى المصيب ايضا والله اعلم وقوله عز وجل هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم احتج اهل الكتاب علينا
ان الله تعالى انما بعث محمدا رسولا الى الاميين خاصة بهذه الاية وفهموا منها تخصيص الاميين بارسال
الرسول اليهم فيقتضي نفيه عن غيرهم ولكن يقول لا يجب ان يفهم من الاية نفي ما ذكر في طاهرها بل **دليل عموم الرسالة حضرت صلى الله عليه وسلم**
يفهم منها ظاهرها دون النفي والتخصيص بالذكر لا يحمل على النفي لانه اذا حمل التخصيص بالذكر على نفي غيره
ادى الى ما لا يستقيم ولا يحل الا ترى الى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك حيث لم يفهم
انه لم يخط بيمينه ان كان نخطه بشماله ولا من قوله وما كنت تتلوانه كان تملى عليه ولكن المعنى من ذلك
كله والله اعلم ان الله بعث رسوله اميا في قوم اميين لا يعلمون الحكمة وما ثبتها وجعل ذلك اية لرسالته
وحجة لنبوته لانه اذا كان اميا لا يكتب ولا يقرء الكتب ثم اتاهم الكتاب مؤلف منظوم بوافق كتب
اهل الكتاب دل انه انما علم ذلك بالوحي وانه لم يختلقه من عند نفسه والله اعلم ثم الدليل على انه
كان رسولا اليهم جميعا قوله كافة للناس بشيرا ونذيرا وما روي عنه عليه السلام انه قال بعثت الى
الاحمر والاسود يعني الى الانس والجن وجل انه لما بعث الى طائفة ليدعوهم الى طاعة الله تعالى وعبادة
علم انه رسول الى غيرهم اذ لم يكن لهم رسول اخر لان الطائفة الاخرى اذا لم يكن لهم رسول
اخر واحتاجوا الى معرفة الامر والنهي والطاعة الرحمن حاجة الطائفة التي بعث اليهم دل انه رسول
اليهم جميعا والله اعلم وقوله بعث في الاميين رسولا منهم معناه انه بعث صلى الله عليه وسلم في قوم اميين
لا يعرفون عبادة الله ولا يقرؤن الكتاب بل كانت عادتهم عبادة الاصنام وقيل في تاويل الاميين
هم الذين لم يؤمنوا بالكتب ولا يكتبون على الاعم الاغلب وان كان فيهم القليل ممن يقرأ ويكتب ومن
هذا سمي النبي صلى الله عليه وسلم اميا لانه كان لا يكتب ولا يقراء عن كتاب ولم يعلم ذلك قال الله تعالى
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وعلى ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الشهر
هكذا واشار باصبعه وقال انما نحن امة امية لا نحسب ولا نكتب وقال الزجاج الامي هو الذي
لا يحسن القراءة والكتابة ولم يتعلم ويكون على ما سقط من امه فنسب الى الحال ولادته التي سقط من
امه لان ذلك انما يكون بالتعليم دون الحال التي يجري عليها المولود ثم وجه الحكمة في جعل النبوة في الامي
ان يكون ذلك سبب معرفة نبوته وعلامة رسالته بحيث يعلم انه ما اخترع من ذات نفسه اذ لم يعرف
الكتابة والقراءة ولا اختلف الى احد ليتعلم منه ثم اخرج جميع الحكماء الى حكمته وجميع اهل الكتاب الى
معرفة كتابه بحسن نظمه وتاليفه يعلم انه انما ناله بالوحي والرسالة والله اعلم وقوله يتلوا عليهم اياته الايات
الاعلام فكانه يقول تتلو عليهم في كتابه اعلام ما تبين رسالته ويظهر نبوته او يجوز ان يكون
الايات الحلال والحرام وما اشبهه او الايات الحجج التي يستظهر بها الحق والله اعلم وقوله ويزكيهم قال
بعضهم يصلحهم يعني يدعوهم الى اتباع ما يصيرون اذكياء اتقياء ويجوز معنى قوله ويزكيهم اي يطهرهم
من خبث الشرك وخبث الاخلاق وخبث الاقوال والاقوال والله اعلم وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة
اختلفوا فيه قال الحسن هذا كلام مثنى الكتاب والحكمة واحد وقال ابو بكر الكتاب ما يتلى من الايات
والحكمة هي الفرائض وقال بعضهم الحكمة هي السنة لانه كان يتلوا عليهم اياته ويعلمهم سنة اما بلطف
من الله تعالى والهامه اياه او بالوحي ومنهم من قال الكتاب ما يتلى من الايات نصا والحكمة ما اودع فيها

من المعاني

من المعاني التي ذلك كان وقوله عز وجل وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اي انهم كانوا عن الكتاب والحكمة لفي ضلال
بين ظاهر لانهم كانوا مشركي عبدة الاصنام ليس عندهم كتاب ولا يعرفون الحكمة ويحتمل ان يكون
معنى قوله وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اي في الشرك وعبادة الاصنام فدعاهم الرسول عليه السلام
الى التوحيد وترك ما هم فيه من عبادة الاصنام قال الفقيه رحمة الله عليه وفي قوله ويعلمهم
الكتاب والحكمة ان الله تعالى اذ جعلهم اتقياء اذكياء علماء بعد ما كانوا امين جهالا سفهاء انه
ودلالة على حقية دينه عليه السلام على بلاغ الاديان حيث لم يكن اهلها كذلك ويكون فيه ترغيبا
للاخرين ليصيروا علماء حكماء وقوله يعلمهم يجوز ان يكون هذا تعليما من الله تعالى انه جعلهم علماء
بعد ما كانوا جهلاء وحكماء بعد ما كانوا سفهاء واذكياء بعد ما كانوا انجاسا واقذارا عبدة الاوثان
و... من لطف الله تعالى ثم الاصل ان ما اضيف من هذه الافعال الى الله تعالى فهو على حقيقة الوجود **بقاء الرسالة الى اخر الدهر**
وما اضيف الى الرسول عليه السلام فهو على الاسباب وذلك انه لا يجوز ان يعلم الله تعالى احدا فلا يصير عالما لان
تعليمه خلق العلم في المحل الذي اراد وما اراد وخلق يكون لا محالة فاما يجوز ان يعلمه البشر فلا يتعلم
لان تعليمه بسبب لانه ليس له قدرة الخلق والايجاد فثبت انه على جهة السبب والله الموفق وقوله عز وجل
واخرين لما يلحقوا بهم فان كان معناه الخفض فهو منسوق على قوله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
وفي الاخرين لما يلحقوا بهم فيكون فيه اخبار ان الرسالة تبقى الى اخر الدهر وان كان معناه النصب فهو
منسوق على قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم فيكون فيه بشارة انه يكون في الاخرين علماء اتقياء
حكماء كما كان في هؤلاء وقال بعضهم يحتمل ان يكون هذا في اهل النفاق فيكون معناه فهو الذي بعث في
الاميين رسولا فيصيرون علماء حكماء مؤمنين على الحقيقة في الظاهر والباطن واخرين من هؤلاء الاميين
في الظاهر لما يلحقوا بهم في الباطن والتاويل الاول اصح واقرب وقوله وهو العزيز حيث جعل في كل واحد
من البشر اثر الذلة والفقر اليه وقوله الحكيم في امره حيث امرهم بالحكمة او الحكيم في تدبيره حيث جعل
في كل مخلوقات ما يشهد بوحدانيته وتد... فيه او هو الحكيم في تقديره حيث خلق الاشياء المتضادة
من نحو النور والظلمة والليل والنهار لانه وضع كل شيء موضعه لم يخلط ظلمة بنور ولا نورا بظلمة ولا ليلا
بنهار ولا نهارا بليل وقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني ذلك الفضل النبوة والرسالة يؤتيه
من يشاء يعني يخلق من البشر من يصلح للنبوة والرسالة او ذلك الفضل من تعليم الكتاب والحكمة فضل
الله يؤتيه من يشاء وفيه دلالة على كذب قول المعتزلة لان من قولهم ان الله لا يؤتي احدا شيئا **كذب المعتزلة**
بفضله بل حق عليه ان يفعل ذلك فاذا كان هذا على الله فعله كان ذلك حقا يقضيه ومن قضى حقا
فليس يوصف بالفضل وقد وصف الله تعالى نفسه بالفضل فثبت بهذا كذب قولهم والله الموفق
وقوله عز وجل والله ذو الفضل العظيم اي ذو الفضل العظيم في الدنيا حيث تفضل عليهم بالكتاب والحكمة
بعد ما كانوا جهالا او يجوز ان يكون هذا في الاخرة ان الله يجزيهم عن اعمالهم الجنة فضلا منه لهم
العظيم هو الدائم الباقي والله اعلم وقوله عز وجل مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها الاية وجهه من التاويل
احدهما يحتمل ان يكون هذا كناية عن العمل يعني حملوا العمل بما في التورية فلم يعملوا بها والثاني ان يقول
لم يحملوها يعني لم يحملوها الى من امروا بحملها اليهم على ما امروا لانهم حرفوا وبدلوا ويجوز ان يكون
تاويله والله اعلم انهم كذبوا بالتورية وتلقوها بالعناد والتكذيب فلم ينتفعوا بها فمثلهم كمثل الحمار يحمل
كتب الا يعلم قدرها وخطرها كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا لانهم وان عرفوا التورية لكن لم يعظموها
حق تعظيمها وكذبوا بما فيها كانوا كانهم لا يعرفون قدرها وخطرها فصار مثلهم كمثل الحمار يحمل الكتب
لا يعلم ما قدرها وخطرها وهذا التاويل اقرب لانه قال في سياق هذه الاية بئس مثل القوم الذين
كذبوا بايات الله فثبت ان المعنى من الاول التكذيب والله اعلم قال ثم معلوم ان هذا التكذيب والتحريف
انما كان من عمل كبرائهم ورؤسائهم فاخبرانهم كذبوا ولم يعرفوا قدرها حين كذبوا ليزجر منفعتهم عن
اتباعهم ويبين ان رؤسائهم ليسوا ممن يستحقون الاتباع وفيه ايضا زجر للمسلمين ان يستخفوا كتاب
الله والعمل بما فيه والله اعلم ثم قوله بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله يحتمل وجهين احدهما ان يقول
بئس النعت والصفة الذين بلغ كذبهم مبلغا كذبوا على الله لان الكاذب في الميعان موصوف بالشر فاذا
بلغ كذبهم مبلغا يكذب على الله تعالى علم انه في النهاية في الشر فكانه يقول صفة الذين كذبوا على الله في الغاية من
الشر والقبح او يقول بئس مثل الذين كذبوا بايات الله لان الله تعالى ضرب امثال المشركين بكل ما يستخبث
ويستقبح وضرب امثال المؤمنين بكل حسن وطيب فقال المثل يعني السنة الذي سنة الله تعالى في
المكذبين باياته سنة قبيح ثم في هذه الاية دلالة ان الله تعالى يخلق القبيح والحسن والخبيث والطيب جميعا
لان قوله بئس مثل القوم وذلك المثل الذي يشبههم به مما خلقه وقد سماه بئس فثبت ان الله تعالى قد خلق
الخبيث والطيب والقبيح والحسن وعند المعتزلة لم يخلق الا الحسن فيكون الاية حجة عليهم وقوله والله لا
يهدي القوم الظالمين له تاويلان احدهما انه لا يهدي القوم الظالمين لوقت اختيارهم الظلم والفسق

ثم استرشد فانه يهديه ويرشده والله اعلم وقوله عز وجل قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وقال في موضع اخر قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فكان في هذا بيان ان من كان من اوليائه فله الدار الاخرة عند الله خالصة ومن كانت له الدار الاخرة فهو من اوليائه ويجوز ان يكون بالهما جميعا والله اعلم ثم المباهلة في المتعارف انما هي المحاجة في بلوغ العناد والتمرد غايته فكانه لما قررت عندهم جميع الحجج فلم يقبلوها امر بالمباهلة فلم يباهله اليهود والنصارى لانهم كانوا يخافون ان قد كان في كتابهم هذا ان المباهلة من غاية المحاجة وان من باهل نزل عليه العذاب واللعنة ان لم يكن محقا فلذلك امتنعوا من المباهلة واما العرب من المشركين فلم يكن لهم كتاب يعرفون به حكم المباهلة فباهلوا وذلك انه روي ان ابا جهل كان يقول اللهم انصر احبنا اليك واقرانا للضيف واوصلنا للرحم فنصر الله تعالى نبيه عليه السلام فابو جهل باهل لانه لم يكن له كتاب ولم يباهله اليهود والنصارى لما كانت لهم كتب عرفوا فيها حكم المباهلة والله اعلم وقوله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم هذه الاية تدل على رسالة رسولنا صلى الله عليه وسلم لانه لو كان يقوله من نفسه لكانوا يبادرون فيتمنون الموت للحال ليظهر كذبه فيه فلما اخبر انهم لا يتمنونه ابدا ولم يتمنوا تبين انه قال من الوحي وانهم علموا ذلك حتى امتنعوا عن التمني خوفا للهلاك على انفسهم لعلمهم انهم لو تمنوا لماتوا والله اعلم وقوله بما قدمت ايديهم اي من تحريف التورية والانجيل لان قول النصارى نحن ابناء الله واحباؤه لم يكن في الانجيل وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا لم يكن في التورية ولكنهم غيروا وبدلوا فلا يتمنون الموت بما قدمت ايديهم من تحريف هذه الايات وتبديلها وتغيير نعت محمد عليه الصلوات وقوله عز وجل والله عليم بالظالمين يعني بظلمهم الايات وشاهد هم لها ومكابرتهم اياها وقوله قل ان الموت الذي تفرون منه اي الموت الذي تفرون منه بما قدمت ايديكم من تحريف التورية والانجيل ملاقيكم لا محالة وان فررتم منه فيكون فيه تذكيرهم ان يرجعوا عما يهربون منه يعني الموت وقوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة يعني الى عالم ما اشهدتم الخلق من التورية والانجيل وعالم ما غيبتم عن الخلق من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك اوالى عالم ما غيبتم في انفسكم واسررتم من تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم وما اشهدتم عليه شفقتكم واتباعكم من نهيكم اياهم عن اتباعه وقوله عز وجل فينبئكم بما كنتم تعملون اما عيانا تقرؤونه في كتابكم يوم القيمة او ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر والله المستعان وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله هذا السعي يحتمل لوجهين احدهما ان اقبلوا على العمل الذي امرتم به وامضوا فيه والثاني واسعوا في المشي واسرعوا لان السعي في المشي هو السرعة فيه والسعي في الاعمال هو الاقبال عليها والمبادرة اليها فان كان المراد من هذا السعي في المشي فخرج الاية مخرج الترهيب والتضييق الا ترى الى قوله وذروا البيع كيف امرك بترك البيع وقد يمكن البيع في حال المشي والى قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض كيف امر بالانتشار في الارض بعد الفراغ من الفريضة دون ان يذكر هنا لك شيئا في ادائها ولو كان المراد منه الترغيب لكان يامره بالعدل اليها فدلت هذه المعاني ان يخرج الاية على الترهيب والتضييق وان كان السعي في سائر الصلوة المفروضة غير مندوب اليه على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اتيتم الصلوة فأتوها وانتم تمشون ولا تأتوها وانتم تسعون عليكم بالسكينة والوقار ما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاقضوا فاختص الجمعة به لما ذكرنا من التضييق ها هنا والتوسيع في سائر الصلوة ولكن الاشبه ان المراد من السعي هو الاقبال على ادائها والتأهب لها والمبادرة اليها والسعي مستعمل في هذا قال الله تعالى ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وانما اراد العمل وكذلك روي عن عمر وابن مسعود وابي وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرؤوا فامضوا الى ذكر الله حتى قال عبد الله لو كانت القراءة فاسعوا السعيت ولو سقط ردائي لم التفت اليه خوفا من تضييع حقها فذلك يدل على ان تاويل الاول عندهم على الاقبال والمبادرة اليها دون السرعة والمشي ولان هذا موافق لسائر الصلوات في ان العدو غير مستحب والحديث الوارد في السكينة والوقار مطلق ليس فيه فصل بين الجمعة وغيرها وعليه اجماع الفقهاء انه يمشي الى الجمعة على هينته والله اعلم وقوله عز وجل وذروا البيع قال بعض الناس بانه اذا باع في وقت الجمعة لم يجز بيعه لهذه الاية وعندنا ان البيع جائز لكنه مكروه والذي يدل على جوازه ان النهي عن البيع في هذه الاية ليس لمكان البيع ولكن لمكان الجمعة فالفساد اذا ورد فانما يرد في الجمعة لا في البيع لانه اذا باع في الصلوة فالبيع يفسد الصلوة لان الصلوة يفسد البيع ولان الاصل عندنا ان كل عقد نهي لاجل غيره فالنهي اذا ورد من النهي فانما يرد في ذلك الغير لا في العقد وعلى هذا ما روي عنه عليه السلام انه قال المحرم لا ينكح ولا ينكح ان النهي عن النكاح انما هو لمكان الاحرام ليس لمكان النكاح ولذلك نقول بجواز النكاح للمحرم وبفساد الحج اذا جامع بذلك النكاح لان النهي اذا لم يكن لنفس العقد لم يتحتم فساد العقد والنهي ليس من اجله والله اعلم ثم لما قال فاسعوا الى ذكر الله ولم يقل الى الجمعة والى الصلوة دل انه قبل الجمعة ذكر يجب

الاستماع

الاستماع اليه والسعي اليه فدل هذا على فرضية الخطبة ولما ثبت ان المعنى من قوله الى ذكر الله ان المراد من الذكر الخطبة ثم امر بترك البيع للسعي الى هذا الذكر والاستماع له ثبت ان الكلام في وقت الخطبة مكروه وفي وقت خروج الامام للخطبة مكروه ايضا لان البيع في ذلك الوقت مكروه والبيع كلام فيدل على كراهية كل كلام فيدل على صحة مذهب ابي حنيفة رحمة الله في ان يلزم السكوت اذا خرج الامام حتى يفرغ من الصلوة وعلى ذلك ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتى الجمعة ثم صلى ما شاء ان يصلي ثم اذا خرج الامام سكت الى ان يفرغ من صلوته كان ذلك كفارة له من الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلثة ايام بعده فلما الزمه السكوت من حين يخرج الامام الى ان يفرغ من الصلوة ثبت ان الكلام في ذلك الوقت مكروه والله اعلم قال وفي هذه الاية دلالة على كذب من قال ان الصلوة انما يفرض في اخر الوقت وان من ادى فرضا في اول الوقت فانما يؤدي نطوعا لانه امره بالسعي وفرض عليه اذا نودي ومعلوم انه اذا نهينا للامام تاخير الصلوة في ذلك الوقت وقد فرض عليه مع ذلك فدل هذا على كذب مقالتهم والله اعلم واقبح من هذا انهم قالوا ان الصلوات مفروضات على الكفرة في حال كفرهم وعلى المسلمين تطوع مع التحجي على قولهم انه ليس احد من الامة ادى فرضا البتة لانه لم يذكر عن احد منهم انه فرط في اداء الصلوة حتى خرج وقتها فهذا قول قبيح يجب ان يستتاب عنه صاحبه وعن امثاله والله اعلم وفي هذه الاية دلالة على ان الجمعة لا يجب على من بعد من الامام بفرسخين لانه امره بالسعي بعد النداء ومن بعد فرسخين وقد يخرج وقت الجمعة ولا يدركها فثبت انه على ما دونه وهو ان يكون في حد الامصار والله اعلم ثم الوقت الذي نهى عن البيع فيه يوم الجمعة عن مسروق وجماعة هو وقت الزوال الى ان يفرغ الامام من الجمعة وعن مجاهد والزهري انه نهى عن البيع بعد النداء عملا بظاهر الاية اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة والاول اشبه لانه انما يجب الحضور الى الجمعة عند دخول الوقت وهو زوال الشمس وان تاخر النداء ولان النداء قبل الزوال غير معتبر فكان وجوده وعدمه سواء وقوله عز وجل فاذا قضيت الصلوة فانتشروا وابتغوا من فضل الله قال رحمه الله خرج هذا في الظاهر مخرج الامر ولكنه في حكم الاباحة عندنا لان هذا امر خرج على اثر الحظر فهو في حكم الاباحة وما خرج مخرج الاباحة فان الحكم فيه ينصرف على تصرف الاحوال فان كانت الحالة توجب فرضيته كان فرضا وان كانت توجب واجبا فواجب وان ادبا فادب والدليل على ان كل امر خرج على اثر حظر فهو في حق الاباحة قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا وقوله فاذا تطهرن فأتوهن من حيث امركم الله ولم يكن ذلك محمولا على الامر الحتم الذي لا يجوز تركه ولكن على اباحة الاصطياد اصطادوا ان شئتم واتوهن ان اردتم فكذلك يجوز ان يكون المعنى من قوله فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض على ذلك الوجه واذا كان الامر على هذا السبيل صار كانه قال فاذا قضيت الصلوة التي نودي لها فانتشروا في الارض ان اردتما وان شئتم والله المستعان وقوله عز وجل وابتغوا من فضل الله يعني التجارة والكسب قال البيع كانه ينتظم ابتغاء فضل الله لكن قال فيما خرج الاذن والاطلاق وابتغوا من فضل الله وقال فيما نهى عن ذلك وذروا البيع وان كان المراد منهما جميعا البيع لانه كان يقبح ان يقول وذروا ابتغاء فضل الله ولان ابتغاء الفضل يتضمن البيع وغيره فلا يستقيم ان يقال وذروا ابتغاء فضل الله فقال ها هنا وذروا البيع ليلحق النهي خاصة واما الاطلاق والاذن فانه يستقيم في البيع وغيره فقال وابتغوا من فضل الله والله المستعان وقوله واذكروا الله كثيرا يحتمل وجهين احدهما اذكروا الله كثيرا بالسنتكم وقلوبكم والثاني اذكروا الله حتى بالاقبال على الطاعات التي فيها تحقق ذكر الله وقوله لعلكم تفلحون له اوجه احدها على رجاء الفلاح والثاني اي لكي تفلحوا والثالث على قطع وجوب الفلاح اذا فعل ذلك بما قالوا ان لعل وعسى من الله تعالى واجب وقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما التجارة واللهو لا يريان في الحقيقة وانما يرى اللاهي والتاجر ولكنه ذكر فيه الروية لقرب اللهو من اللاهي والتجارة من التاجر كما قال تعالى حتى يسمع كلام الله وكما يقال سمعت كلام فلان والكلام ليس بمسموع في الحقيقة وانما المسموع في ذلك الصوت الذي به يفهم كلامه ولكن اطلق لفظ السماع في ذلك لتقاربهما والله اعلم وبعد فان المعنى من هذا والله اعلم ليس نفس الروية وانما المعنى منه عندنا فكانه قال واذا علموا وذلك انهم كانوا لا يرون التجارة ولكن ينهي اليهم خبرها فيعلمون بها والله اعلم وقوله عز وجل انفضوا اليها ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين ولم يلحق ما بعدهما من الكناية بهما بل باحدهما ويجوز مثل ذلك كقوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها ولم يقل ولا ينفقونهما لرجع الكناية الى جميع ما سبق ذكره وكما قال واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقد رجعت الكناية الى احد المذكورين لا اليهما وكذلك هذا لان المقصود من خروجهم انما كان هو التجارة دون اللهو ولكنهم

انما يعلمون ما يجلب اليهم بذلك اللهو فجاز ان يكون ذكر اللهو لهذا المعنى وانما المقصود من ذلك التجارة وكذلك
قوله لا ينفقونها فذكر حق لا نفاق فيما كان الانفاق منه ايسر واسهل في المتعارف وكذلك
الفضة وان كان الحق واجبا فيهما جميعا لما ان المقصود وهو الصرف الى الفقراء فعلى ذلك ههنا
واما المعنى منه عندنا انما خص الصلوة برجوع الكناية اليها لانها ثقلت على اليهود لان القبلة كانت
اولا الى بيت المقدس فلما حولت الى الكعبة ثقلت الصلوة الى الكعبة على الكفار فقال وانها لكبيرة يعنى
الصلوة الى الكعبة والله اعلم فان قيل كيف جاز ان ينفروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الخطبة
الى اللهو والتجارة مع جلال قدرهم وتعظيمهم للنبى عليه السلام وكذلك السؤال عن ضحكهم حين دخل
الاعمى المسجد فوقع في بئر والجواب عن هذا ان القوم كانوا حديث عهد بالاسلام وكانوا من سوقة القوم
ومن سفلتها ولم يكونوا عرفوا حق الخطاب وحق الخطبة عليهم وكانت تلك تجارة يأملون منها منافع
ولو لم يبادروا اليها ذهبت عنهم فانما خرجوا من المسجد جهلا منهم بحق الخطبة والمخاطب وبعد فانهم لم يكونوا
من اجلة القوم ولا صحبوا اجلتهم ليعرفوا حق الخطبة والخاطب فانفلتت منهم الزلة ومن شأنهم هذه
فاما الذين هذه فاما الذين كانوا من اجلة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ومن علمائهم فلم ينفروا
واحدمنهم وكذلك امر الضحك ايضا يجوز ان يكون من ضحك من اتباع القوم وسفلتهم ولم يكونوا من الاجلة
والنجباء ولا يستنكر من مثل اولئك هذا الصنيع والله اعلم قال والمعنى من ترك النبى عم نهيهم عن الخروج و
جهان احدهما ان الكلام كان محرما وقت الخطبة فلم ينههم للنهى عن الكلام في ذلك الوقت والثانى يجوز ان
ان يكونوا اسرعوا الخروج فلم يبلغهم نهيه او لم ينههم لما علم انهم لم يسمعوا والله اعلم وفي الخبر انه عد الذين
لبثوا معه بعد ما فرغ من الصلوة فوجدهم اثنى عشر رجلا فقال لو لحق اخركم باولكم لاضطرم الوادى
نارا الى المدينة ففى هذا دلالة على ان الجمعة يقام بدون الاربعين لانه عليه الصلوة والسلام جمع باثنى
عشر رجلا والله اعلم وقوله وتركوك قائما هذا يدل على الخطبة انما يكون قائما وقوله قل ما عند الله خير
من اللهو ومن التجارة قال امام الهدى ولولا هذا فقد كان يعلم ان ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ولكن
المعنى من ذلك والله اعلم ان الدنيا كلها متجر وان اهلها فيها تجار انما تجارة الدنيا وتجارة الاخرة لان
الطاعة والعبادة في الاعتبار كانها تجارة لانه يكتسب بها منافع الاخرة وتجارة الدنيا يكتسب بها منافع
الدنيا فقال التجارة التى عند الله في طاعته واكتساب منافع الاخرة خير من اللهو ومن التجارة التى
يكتسب بها منافع الدنيا والله اعلم وجائز ان يكون معناه كاشر قال اتقوا الله فانكم اذا اتقيتموه اكتسبتم المنافع
في الرزق وغيره والتجارة الدنيوية لا يكتسب بها الا منافع الدنيا الا ترى الى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال في موضع اخر يكفر عنه سيئاته فاذا كان التقوى يستفاد بها الرزق
واليسر في الامور وكفارة الذنوب والتجارة لا يكتسب بها الا منافع الدنيا فرغبهم فيما فيه جملة المنافع
وهو التقوى ليمكثوا عند النبى صلى الله عليه وسلم فيقول رغبتكم فيما يكسبكم جملة المنافع ان اتقيتم
ومكثتم عند النبى صلى الله عليه وسلم خير من اللهو ومن التجارة التى يكسبكم منفعة واحدة والله اعلم
وقوله عز وجل والله خير الرازقين ليس يقتضى ذكر هذا ان هنالك رازقا اخر ليكون هو خيرهم
ولكن المعنى من هذا في قوله واحسن الخالقين واحكم الحاكمين لانه كان هو خير الرازقين واحسن
الخالقين واحكم الحاكمين لانه لا يحكم الا عدلا ولا يخلق الا ما فيه حكمة فكذلك قوله والله خير الرازقين
وجائز ان يضاف الرزق والخلق والحكم الى العبيد مجازا فقال والله خير الرازقين ممن يرزقكم لان غيره
من الخلق انما يرزق غيره من رزقه ويعدل بحكمه ويفعل بتوفيقه وتسديده فقال والله خير الرازقين الذين يرزقون

من رزقه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله اختلفوا في تأويل
قوله تعالى نشهد قال بعضهم نشهد بمعنى نقسم ونحلف وقال بعضهم نشهد على ابتداء الشهادة فمن حمله
على القسم قرأ اتخذوا ايمانهم جنة يعنى حلفهم ومن حمله على الشهادة ابتدأ قرأ اتخذوا ايمانهم يعنى
تصديقهم ليس انها قراءة واحدة فقرئت بلفظين ولكنهما كانا جميعا فقرئت بالمعنيين جميعا والله
اعلم وقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون والاشكال ان كيف قال الله تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون وهم انما قالوا نشهد انك لرسول الله ومعلوم ان هذا القول منهم صدق ولكن المعنى
من هذا والله اعلم انهم لعنوا فيما اظهروا من الخلاف والتكذيب عند غير رسول الله فحسبوا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اطلع على صنيعهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه ويقولون
نشهد انك لرسول الله وان ما بلغك منا من القول كذب وما قلناه فاخبر الله تعالى انهم لكاذبون
فيما اخبروا انهم ما قالوا الا ترى الى قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر ويحتمل ان يكون

معناه

معناه انا نشهد ان في قلوبنا انك لرسول الله كما نطقهم بالسنتنا فاخبر تعالى ان المنافقين لكاذبون فيما شهدوا
بالايمان في قلوبهم ويحتمل ان يكون المعنى من قوله نشهد اى نعلم برسالتك في قلوبنا والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون فيما اخبروا انهم يعلمون رسالته في قلوبهم وقد كان لزمهم العلم برسالته من جهة الايات
والحجج ولكن تعاموا عن ذلك العلم استخفافا منهم وتعنتا فصار ذلك العلم كالجهل الحقيقى ثم اخبرهم عن تعنتهم
وظنهم انهم يعلمون واخبر الله انهم لكاذبون انهم يعلمون برسالته والله اعلم ثم الواجب ان يعلم ما
الذى احوجهم الى ان قالوا نشهد انك لرسول الله وقد كان كثير من المؤمنين يلقون رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يقولون ذلك فكيف قال المنافقون ذلك ثم عندنا والله اعلم انهم حيث اعتادوا المخادعة
الله ورسوله امتحنهم الله تعالى بهذه المقالة ويحتمل ان يكونوا جروا على عادتهم انهم اذا لقوا المسلمين قالوا امنا بمثل
ما امنتم واذا لقوا المشركين قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن فاذا لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا انا نشهد انك لرسول الله على عادتهم في كل جنس بما يليق به وبمذهبه والله اعلم ويجوز ان يكونوا يخافون
ان قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافهم وتكذيبهم فكانوا اذا لقوه قالوا نشهد انك لرسوله اعتذارا
من ذلك الخلاف لو بلغه الا ترى الى قوله يحسبون كل صيحة عليهم كانوا يحسبون من سوء ما يضمرون في قلوبهم
من النفاق ان كل من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما كلمهم بسببهم فكذلك الاول والله اعلم
ثم قال ههنا نشهد ولم يقل نشهد بالله لان المعنى من هذا الحلف والحلف من المؤمنين في المتعارف انما يكون
بالله تعالى فلذلك اخرج بقوله نشهد عن قوله بالله فيكون هذا دليلا لقول اصحابنا ان قوله نشهد يكون
يمينا حيث ذكرها ههنا بطريق القسم والمعنى ما اشير اليه والله اعلم وقوله فصدوا عن سبيل الله له تاويلان
احدهما صدوا اى اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله والايمان برسوله والثانى ان صدوا الضعفة من اتباع
رسول الله صلوا الله عليه وسلم وعن الايمان وقوله انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس ما كانوا يعملون
من الاعراض الايات والحجج وحيث اثروا الكفر على الايمان ويحتمل بئس ما كانوا يصنعون من صد الضعفة
والاتباع من الايمان برسول الله عم وقوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا له تاويلان احدهما ذلك بانهم امنوا بلسانهم
ثم كفروا له تاويلان احدهما ذلك بانهم امنوا بلسانهم ثم كفروا بقلوبهم والثانى على حقيقة الايمان والكفر و
ذلك انهم لما راوا قلة المسلمين وضعفهم في انفسهم يوم بدر ثم راوهم مع هذه القلة والضعف غلبوا
على الكفار مع كثرتهم امنوا برسول الله عم وراوا انهم لا يغلبون ابدا ثم ان المسلمين لما غلبوا يوم احد واصابهم
اضطربوا في ايمانهم وشكوا وكفروا وذلك بمعنى قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان
به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه فكذلك تاويل قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا وقوله ذلك اشارة الى
ان السبب الذى تولد منه نفاقهم وحلفهم وقولهم نشهد انك لرسول الله بانهم امنوا ثم كفروا
وجائز انه لم يكن منهم حقيقة ايمان ولا كفر ولكنهم كانوا قوما همتهم الدنيا وسعتها وكانوا يكونون
مع من يكون معه الدنيا ان راوا مع المؤمنين اظهروا من انفسهم انهم مؤمنون وان راوا مع الكفار
اظهروا انهم كفار لا ان يكون منهم حقيقة ايمان او كفر والله المستعان وقوله وطبع على قلوبهم الطبع
يجوز ان يكون كناية عن ستر وظلمة على قلوبهم فلا يرون بها الحق وحججه قال ويجوز ان يجعل الله تعالى
الكفر ظلمة في القلب لا يبصرون به الحجج والايات او يجوز ان يجعل الكفر كنا في قلبه ليضيق فلا يرى
من بعد ذلك منافعه ومضاره الا من ذلك الوجه فيكفروا انما كان فذلك معنى الطبع يعنى ان اشتغالهم
بالكفر وكسبهم اياه غطى قلوبهم وسترها عن ان يبصروا الحق وحججه والله اعلم قال الفقيه رضى الله عنه
في قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ان المنافقين لم يجيئوا باجمعهم رسول
الله عم وانما جاءه بعضهم وكذلك في قوله نشهد ان المعنى من قوله نشهد في بعض التاويلات يقسم والقسم
ليس من فعل الاتباع والسفلة وانما ذلك من فعل الاجلة والرؤساء فدل انه انما تعاطى هذا الفعل بعض
المنافقين ثم ذكر الله تعالى ذلك البعض بلفظ الكل فعلم انه ليس كل ما خرج في الظاهر مخرج العموم يتناول
كل من دخل تحت ذلك الاسم ولكنه ينظر في معنى اللفظ وحقيقته فان كان الدليل يوجب تعميمه اجرى
على عمومه وان كان يوجب تخصيصه اجرى على خصوصه والله اعلم وقوله عز وجل فهم لا يفقهون يحتمل ان
يكون معناه اى لا يفقهون لانه طبع على قلوبهم والا لم يعرضوا عن الحق والايات وذلك انهم يظنون
انهم على الحق فاخبر انهم لا يفقهون انه طبع على قلوبهم حتى ظنوا انهم على الحق وجعلوا جميع همتهم في
المنافع والمضار الدنيوية ولو فقهوا ان الله تعالى دارا اخرى يجازون فيها باعمالهم لعلموا انه
انه لا بد من دين يدينون به ولم ينظروا الى منافعهم ومضارهم والله المستعان ويحتمل اى لا يفقهون
عن الله تعالى وانه تعبدهم وامرهم بطاعته رسوله واتباعه ويحتمل اى لا يفقهون انهم يتعبدون وان
لله دارا اخرى يسألهم عما فعلوا ويجازيهم على جميع ذلك ثم قال ههنا لا يفقهون ولم يقل لا يعلمون
لان الفقه انما هو الذى يعرف به الشىء بالشىء فاخبر انهم لا يعرفون الاخرة بالدنيا وقال ابن شريح له
الفقه هو معرفة الشىء بمعناه الدال على نظيره وعندنا ان الفقه هو معرفة الشىء بمعناه الدال على غيره

ذلك نظيرا له او لم يكن لانه من عرف الخلق بمعناهم دله ذلك على معرفة الصانع ومن عرف الدنيا دله ذلك
على معرفة الاخرة ولسائل ان يسأل ما الفرق بين الفقه والعلم فصل من وجه وان كانا جميعا في الحقيقة يرجعان الى
معنى واحد لان العلم انما يجلي الشيء له وظهوره بنفسه والفقه يعرف بغيره استدلالا وكذلك
جاز ان يقال الله تعالى عالم التجلي الاشياء له ولم يجز ان يقال ان الله فقيه لانه لا يعرف الاشياء بالاستدلال
والله الموفق والحكمة وضع الاشياء مواضعها والايقان انما هو يتولد عن ظهور الاسباب وان لك
جاز ان يقال ان الله تعالى حكيم ولم يجز ان يقال انه موقن والله المستعان وقوله عز وجل واذا رأيتهم تعجبك
اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم في هذا بيان ان الله تعالى قد كان اتاهم حسن الصورة وحسن
البيان وانه قد اتاهم العلم لان حسن البيان لا يكاد يكون الا عن علم فكان الله تعالى ذكرهم النعم التي اتاهم
فانهم لم يشكروا نعمه واساؤا صحبتها فكانه يقول كيف يرجوا منهم حسن الصحبة لك وانهم لم يحسنوا
صحبة نعمة رب العالمين فيكون بعض التسلي لما اهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سوء صنيعهم به
واعراضهم عن اتباعه وطاعته وقوله عز وجل وان يقولوا تسمع لقولهم يعني وان يقولوا تحسب قولهم
حقا فتسمع لقولهم لتقبله ويحتمل او تسمع لقولهم لما يعجبك قولهم او تسمع لقولهم على ما كانت
عادته عليه السلام في كل من كلمه انه لا يغير عليه ولا يقطع عليه كلامه حتى يفرغ منه ثم يقبله ان كان
مما يجب قبوله ويغير على صاحبه ويرده ان كان مستحقا للتغيير عليه والله اعلم وقوله عز وجل كانهم
خشب مسندة يقول انهم فيما يكون من جانبهم وناحيتهم من حسن الصورة والبيان بحيث يعجبك وفيما
يلقى اليهم من الحق والدين والحكمة كانهم خشب مسندة لا ينجع فيهم الحق ولا يقبلونه كالخشب المسندة
ويحتمل هذا التشبيه بالخشب من حيث ان الخشب المسندة في الظاهر هي الخشب اليابسة التي لا اجواف لها فيوضع
فيها شيء فكذلك المنافقون كانهم لا اجواف لها يوضع فيهم الحكمة والدين والحق والله اعلم ويجوز
ان يكون معناه كانهم خشب مسندة من حيث ان الخشب المسندة ليس لها اسماع ولا ابصار
ولا قلوب فكذلك المنافقون كانهم صم بكم عمي في ناحية الحق وقبوله والله المستعان وقوله
عز وجل يحسبون كل صيحة عليهم يحتمل وجهين احدهما يحسبون كل صيحة سمعوها كلمة تهتك
عليهم ستر عمهم تفضحهم الا ترى الى قوله يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في
قلوبهم فاخبر انهم كانوا يحسبون فضيحتهم وهتك استارهم والاطلاع على ما في قلوبهم فكذلك
يحسبون ان من كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما تكلم بما يهتك عليهم استارهم ويفضحهم
والله المستعان والثاني يحتمل ان يكون ذلك في الحرب انهم كلما سمعوا صيحة في الحرب خافوا ان
يكون فيه هلاكهم وذلك انهم كانوا يظهرون الموافقة لكل فريق على حدة واذا وافقوا هذا الفريق
صاروا حربا للفريق الاخر واذا وافقوا الاخر صاروا حربا لهؤلاء فاخبر الله تعالى انهم يحسبون
من كل صيحة سمعوها ان يكون ذلك سببا لهلاكهم ويحتمل ان يكون الله تعالى هذا الفريق صاروا حربا
للفريق الاخر واذا وافقوا الاخر صاروا حربا لهؤلاء فاخبر الله تعالى انهم يحسبون من كل صيحة
سمعوها ان يكون ذلك سببا لهلاكهم ويحتمل ان يكون الله تعالى عاقبهم بالخوف الدائم لتاركهم
الامن من وجه لم يؤذن لهم فيه وذلك لما وصفنا انهم كانوا يظهرون الموافقة لكل رجاء املهم وكان
جميع مقاصدهم في ذلك تحصيل منافع الدنيا دون الديانة بدين من الاديان وذلك غير ماذون فيه فلما
اثروا ذلك واختاروه من غير ان يؤذن لهم عاقبهم بالخوف الدائم اما عن الافتضاح والاطلاع على
ما في قلوبهم او عن الهلاك والله اعلم وقوله هم العدو فاحذرهم له اوجه من التأويل احدها ان يقول
هم العدو يعني انهم ادنى عدوكم فاحذرهم في جميع احوالهم في المطعم والمشرب وغيره لان الحذر
عمن قرب من الاعداء ودنا اوجب ممن بعد ونأى او احذرهم ان تطلعهم على سرك فيما تريده وتضمره
من الجهاد والحرب فيحتالون به على هلاكك او يطلعون الكفرة على سرك او احذرهم ان تقبل منهم قولا
يقولونه عن اصحابك لانهم يغرون اصحابك عليك فاحذرهم ان تقبل قولهم على اصحابك وقوله عز وجل
قاتلهم الله يعني لعنهم وقوله انى يؤفكون له تأويلان احدهما ان يقول اي سبب يمنعهم عن الايمان احدهما
ان يقول اي سبب يمنعهم عن الايمان بك وطاعتك وقد اتيتهم بالايات والحجج في اطلاعك على سرائرهم
وذلك لا يكون الا عن الوحي او يقول انى تؤفكون يعني انى تكذبون تقليدا باولئك الكفرة من غير ان يظهر
لهم في ذلك اية وحجة ولا يقاوون البرهان والحجة فيتبعونك والله اعلم وقوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر
لكم رسول الله لووا رؤوسهم ظاهر هذه الاية ان هذا القول منه انما كان لجملة المنافقين وكذلك قوله تعالى
ليخرجن الاعز منها الاذل وروي في الخبر ان هذه الاية نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لانه روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كلما قام يوم الجمعة قام عبد الله بن ابي بن سلول في ناحية المسجد وقال
هذا رسول الله فوقروه وعظموه حتى نزلت هذه السورة فقال مثل مقالته فقال له عمر رضي الله عنه
اجلس يا كافر فان الله تعالى قد فضحك قال فخرج من المسجد قبل ان يصلي الجمعة فاستقبله بعض القوم

فسألوه

فسألوه عن خروجه من المسجد قبل اداء الجمعة فاخبرهم من القصة فقالوا ارجع الى رسول الله وسله ان
يستغفر لك فلوى رأسه وقال ما لي الى استغفاره حاجة وروي انه لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل ثم اراد دخول المدينة من بعد هذه المقالة قعد له ابنه وقال لا ادعك تدخلها ما لم تقر انك الاذل
وان رسول الله هو الاعز فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فامره ان يخلي عن ابيه ثم قال له
النبي اولى ان تسمى عبد الله من بعد ذلك عبد الله وكان يسمى حبابا فهذان الخبران يدلان على ان هذه الاية
انما نزلت في واحد منهم وظاهرها تدل على ذلك كان في جملة المنافقين ولكن الوجه في ذلك عندنا والله اعلم
انه يجوز ان يكون اعتقاد جماعتهم على ذلك فذكرهم الله تعالى لاعتقادهم عليه وذلك انهم كانوا اقروا بالاولى منكرين
بالاخرة والاستغفار انما هو طلب المغفرة وذلك انما يتحقق في الاخرة فاذا كان على هذا اصل اعتقادهم
جملة ذكرهم الله تعالى على ذلك وكذلك قوله ليخرجن الاعز منها الاذل كان عندهم ان الله تعالى انما اتاهم
العز والغناء والشرف لفضيلة لهم على محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا ينكرون عليه من ذلك الوجه ثم ان
الله بما ذكر في هذه الاية بين انه قد كان اتاهم جميع ما به العز والشرف في الدنيا ليمتحنهم بحقوق هذه النعم
وتعظيمها وشكرها وانهم بلغوا في كل ذلك غاية ما عليه عمل الكفرة في سوء الصحبة بالنعم وذلك انه قال
واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم دل انه كان اتاهم حسن الصورة
وحسن البيان ولما قال هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا دل انه
قد كان اتاهم الغنا ولما قال ليخرجن الاعز منها الاذل دل انه قد كان اتاهم العز والشرف
ومعلوم ان هذه الاسباب التي وصفنا هي اسباب العز والشرف في الظاهر ثم اخبر انهم تركوا
شكر ما انعم عليهم في تعظيم الحق واداء شكره وانهم بلغوا في الباطن في كل شيء من ذلك غايته في سوء
الصنيع الا ترى دل بقوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على غاية البخل حيث امتنع عن الانفاق بنفسه
وامر غيره ان لا ينفق ايضا وذلك في غاية البخل ولما قال كانهم خشب مسندة دل انهم كانوا في الغفلة
عن ذكر الله وقبول الموعظة غايته ولما قال واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم
دل انهم كانوا في الاستخفاف به حيث تركوا الانصاف واخذوا سبيل الاعتساف والاستكبار عليه
غايته ولما قال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم دل انهم كانوا في سوء
السريرة غايته قال ويجوز ان يقع كل ذلك منهم لوجهين احدهما انهم رأوا الحق لهم على
الله تعالى اتاهم او رأوا ان الله تعالى اتاهم ذلك تفضيلا لهم على غيرهم فكانوا يتكبرون ويستعظمون
على غيرهم ويستخفون برسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك الوجه ولم يتأملوا ولم يتفكروا ليتبين لهم
ان الله تعالى اتاهم جميع تلك النعم محنة عليهم تعبدهم باداء شكرها وتعظيم حقها وذلك معنى لا يفقهون
اي لا يتأملون النظر في هذه النعم وذلك انه لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلزمهم
ان يتأملوا فيها او في امر النعم وينظروا فلو تفكروا في ذلك ولم يجدوا لهم عند الله صنعا استوجبوا به
عنده مكافأة لذلك ولا لهم فضل يفضلهم الله بها على غيرهم فكان يتبين لهم ان الله تعالى
انما اعطاهم هذه النعم محنة ليتعبدهم باداء شكرها ولذلك وقع الفصل فيما بين العلم والفقه لان
ما كان حقه التأمل والنظر يحق اللفظ فيه ان يقال يفقهون ولا يفقهون وما كان حق العلم به
السماع والخبر اطلق فيه لفظ العلم ولذلك قال عند العزة والغلبة والنصر لا يعلمون لانهم لم يكونوا يعلمون
النصر والغلبة لو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل ورأيتهم يصدون وهم
مستكبرون له وجهان احدهما رأيتهم يصدون عن طاعتك واتباعك والثاني يصدون ضعفتهم عن
اتباعك وقوله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لانهم لم يعدوا ذلك زلة وذنبا لانه
كان عندهم انهم على الحق والثاني ما قلنا انهم كانوا لا يؤمنون بالاخرة والمغفرة انما يطلب من الله ويتحقق
ذلك في الاخرة وقوله عز وجل لن يغفر الله لهم على ذلك ايضا انه لا يغفر استغفرت ام لم تستغفر قال
رحمه الله ورسول الله عليه السلام كان لا يستغفر للمنافقين بعد ما ظهر عنده نفاقهم ولكنه يجوز ان
يكون هذا قبل ظهور نفاقهم والله اعلم ثم قوله تعالى لن يغفر الله لهم يحتمل وجهين احدهما يقول
لن يغفر الله لهم ما داموا على النفاق ولم يتوبوا منه والثاني ان يقول لن يغفر لهم في قوم علم الله
منهم انهم لا يؤمنون ابدا فقال في اولئك لن يغفر الله لهم وكذلك هذا في قوله سواء عليهم أأنذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون وقوله عز وجل ان الله لا يهدي القوم الفاسقين فيه ان الله تعالى يملك هداية
وراء هداية البيان لان من لم يملك شيئا لم يستقم ان يوصف بالتعظيم انه لا يفعل لانه يعلم انه لا يملك
لا يفعل وانما يوصف بهذا من يملك ذلك ولكن لا يفعل فلو لم يقدر خلق فعل الاهتداء فيمن اراد لم
يوصف بانه لا يهدي الفاسقين فدل انه يملك هداية وراء هداية البيان وهو خلق الاهتداء فيمن
علم منه ذلك والله الموفق وقال ابو بكر معنى قوله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم لفسقهم
وقالت المعتزلة اي لا يسميهم مهتدين اذا فسقوا وضلوا وايهما كان فهو محال لان من هدى فما لا

لضلاله فهو سفيه فكانه يقول لا سفيه ومن سمى الضال مهتديا فهو كاذب فكانه قال لا يكذب وهما جميعا
غير مستقيم لانا نعلم انه لا سفيه ولا يكذب فثبت ان في ملكه هداية يهدي من يشاء من عباده منها هداية
البيان واذا ثبت ما وصفنا ان في ملكه هداية البيان ثبت ان له فيها مشيئة لان من ملك شيئا لم يجز ان
يقطع عنه مشيئة فلذلك قلنا ان الله تعالى يضل من يشاء من عباده لمن علم انه يؤثر الكفر ويختاره على
الهدى ويهدي من يشاء لمن علم انه يؤثر الهدى على الضلالة فيهديه لذلك ويوفقه ويسدده والله
المستعان وقوله عز وجل هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا قد وصفنا
ان هذا من غاية بخلهم وقوله حتى ينفضوا لا لله انهم ارادوا اطفاء هذا النور واخفاءه
فابى الله تعالى الا اظهاره وقوله عز وجل ولله خزائن السموات والارض يبسطها على المنافقين ليمتحنهم
بالانفاق على المؤمنين او ولله خزائن السموات والارض يضيقها على المؤمنين ليمتحنهم بالصبر في حال الضيق
او يجوز ان يكون هذا بشارة للمؤمنين بان الله تعالى يوسع عليهم الدنيا بعد ما ضاقت وقد حصل حيث
فتح لهم الفتوح واتاهم النصر الغلبة على اعدائهم والله اعلم وقوله عز وجل يقولون لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل الاعز قد يحتمل معاني احدها الاغلب والاقهر على مثال قوله وعزني في الخطاب
اي غلبني في الخصومة والثاني الاقوى والاشد على مثال قوله عز وجل اعزة على الكافرين يعني اقوياء واغلاظ
والثالث الاعلى والاجل وكذلك قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فان كان على الاعلى والاجل فذلك
ان المؤمنين اعلى واجل لانهم اتبعوا الحكمة بالحجج والكفار اتبعوا اهواءهم وان كان على الاغلب والاقهر فذلك
للمؤمنين بالغلبة والنصرة على اعدائهم وان كان على القوة والشدة فقد كان ذلك للمؤمنين لانه لو لم يوجد
ذلك للمؤمنين لم يكن اهل النفاق يظهرون الوفاق للمؤمنين ولكنهم لما راوا القوة والشدة للمؤمنين مرة
وللكفار اخرى اظهروا الموافقة للفريقين جميعا ولذلك قال ذلك المنافق ليخرجن الاعز منها الاذل لانه
لما راى العزة والشدة للكافرين يوم احد توهم انهم يغلبونهم ابدا فاظهر النفاق وقال عند ذلك ليخرجن
الاعز منها الاذل والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله واختلف
فيه فمنهم من قال هذه الاية في المنافقين ومنهم من قال في المؤمنين فان كانت في المنافقين فكانه يقول
يا ايها الذين اظهرتم بلسانكم الايمان لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله وان كان في المؤمنين فكانه
قال يا ايها الذين حققوا الايمان لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ثم اختلفوا في معنى الذكر
فمنهم من قال معناه القران على مثال قوله انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعني قرانا ورسولا ومنهم من قال
معنى الذكر التوحيد فان كان تاويله القران فهو يتوجه الى المنافقين والمؤمنين جميعا فان كان في المنافقين
والمؤمنين جميعا فان كان في المنافقين فكانه قال لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن النظر والتامل في
القران لان الله تعالى بين امورا يظهر سرائرهم ما يظهر به عندهم ان الرسول لا يختلقه من تلقاء نفسه وانه
انما يقوله بالوحي فكانه يقول اذا تاملتم النظر في القران حملكم ذلك على التحقيق في الايمان فلا يحملكم حب
المال والولد على ترك التامل في القران لانكم اذا نظرتم فيه وتاملتم حصلتم منه على تحقيق الايمان والله اعلم
وان كان في المؤمنين فمعناه ان لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن النظر في القران فانكم اذا نظرتم فيه صرتم
من اهله وجل قدركم وان كان المراد من الذكر التوحيد فهو راجع الى المنافقين كافة فاما المؤمنون فكانه حذرهم
عن حب المال والولد ان يحملهم غاية حبهما على ان ينفوا وحدانية الله والايمان بالرسل والبعث فكانه يقول
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم كما الهى الكفرة فيحذرهم عن ان يقعوا في الهلاك من حبه كما قال اتقوا النار
التي اعدت للكافرين يعني اتقوا الذي يفضي بكم الى النار المعدة للكافرين فكذلك الاول وان كان في المنافقين
فكانه يقول لا يحملكم حب المال والولد ان يتركوا حقيقة الايمان والتوحيد له والطاعة لرسوله صلى الله
عليه وسلم وقوله عز وجل ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون فعلى ما ذكرنا من التاويلين في انكار
البعث والتوحيد ظاهر وان كان في المؤمنين فمعنى الخسار الخوف من ان يقع به الوعيد وقوله وانفقوا
مما رزقناكم يجوز ان يكون صلة قوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله فيمنعكم ذلك عن الانفاق
فانكم اذا منعتم عن الانفاق ازداد حبكم فيثبتون وحدانية الله تعالى وطاعة رسوله السلام وقوله عز وجل
لولا اخرتني الى اجل قريب قال بعضهم تمنى الرجعة لما راى من الهلاك والعذاب حيث تركوا الحقوق وروي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لو كان ثم خير لم يتمن الكفرة ولكن المعنى في ذلك عندنا والله اعلم انه
يتمنى الرجوع ليتصدق ليس للانفاق خاصة ولكن ليتصدق وليكون من الصالحين اي الموحدين وذلك
مستقيم ان يقال اذا ترك التوحيد فنزل به الموت انه يتمنى الرجوع لما يرى من الهلاك والعقوبة ويجوز ان
يكون المعنى في هذه ان كانت الاية في المؤمنين الموحدين انهم يتمنون الرجوع حيا من ربهم لما ارتكبوا من
الزلات وتركوا ما يستوجبوا به الحسنات وقصروا فيما فرض الله تعالى عليهم من العبادات وحق على
كل مؤمن ان يستحيي من ربه اذا لقيه بما ترك من حقوقه التي لزمها عليه والاسباب الواجبة وقوله ولن
يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها الاية ليس يحتمل تاخير الله تعالى اجله اذا جاء ولا تاخيره لانه دل انه ابدا له

في اجله ومن بدا له في امر فذلك دليل الجهل بالعواقب ولا يوصف رب العالمين بذلك وقوله والله
خبير بما تعملون اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم سركم وعلانيتكم والله اعلم بحقيقة ما اراد

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات الاية والتسبيح يحتمل وجها ثلاثة وقد
سبق ذكره وقوله له الملك وله الحمد يحتمل وجهين يحتمل الملك الولاية والسلطان والثاني يقول له الملك
يعني ملك كل الملوك كما قال في اية اخرى قل اللهم مالك الملك الاية فاخبر ان ملك الملوك كلها له وان من استفاد
الملك انما يستفيده بالله تعالى وباشانه عليه والله اعلم وقوله وله الحمد يحتمل وجها ثلاثة من التاويل احدها
ان يقول له الحمد يعني له الثناء الحسن بصفاته العلى وسماته الحسنى والوجه الثاني ان يقول له الحمد يعني حمد
كل من يحمد فحقيقة ذلك الحمد له بما احسن الى عباده وانعم عليهم وذلك معنى قوله الحمد لله اي الحمد والثناء الحسن
لله تعالى على احسانه الينا وانعامه علينا والثالث ان يجعل معنى الشكر لان الحمد قد يستعمل في موضع الشكر وقوله
عز وجل وهو على كل شيء قدير يحتمل ان يكون معناه وهو على كل شيء قدير وهو حجة على المعتزلة لان الله تعالى لا يزال
يمدح نفسه بانه بصير عليم وانه على كل شيء قدير واقرت المعتزلة بانه بصير عليم وابت عن الاقرار بانه قدير
على فعل العباد وعلى اصلاح احد من العباد وهذا خلاف ما مدح الله تعالى نفسه به والله الموفق وقوله عز وجل
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يحتمل ان يكون تاويله فمنكم من يدين بدين الكفر ومنكم من يدين بدين الايمان
ودل هذا على ان المعصية والطاعة يجتمعان في دين واحد وان المعصية لا يخرجه من دينه لان المعصية لم يرتكبها
تدينا بها ولكن لغلبة شهوة او غضب عليه واما الكفر والايمان فانه ياتي بهما المرء اختيارا ويدين بالكفر والايمان
لما عنده انه حق وفي هذه الاية دلالة ان ليس بين الكفر والايمان منزلة ثالثة وليس كما قالت المعتزلة ان صاحب
الكبيرة بين منزلتين بين الكفر والايمان والله تعالى قسم الناس صنفين فمنهم من خلقه كافرا ومنهم من خلقه مؤمنا
ولم يجعل فيما بينهما منزلة ثالثة فلا يجب ان يجعل والله الموفق وفيه ايضا وجه لطيف سوى ما ذكرنا وهو
ان كل احد في الدنيا مؤمن وكافر في الحقيقة لان من كان مؤمنا بالله فهو كافر بالطاغوت ومن كان كافرا بالله
فهو مؤمن بالطاغوت فاذا كان كذلك وجب ان يبحث عن معنى قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن وسمعنا عندنا
ان الحقيقة وان كانت كذلك فالايمان اذا ذكر مطلقا لم يفهم منه الايمان بالله تعالى والكفر اذا اطلق ايضا لم يفهم
منه الا الكفر بالله تعالى واذا كان كذلك جاز ان يكون لفظ الكتاب خارجا على ما عليه المعهود من المتعارف المعتاد
والله اعلم وقوله والله بما تعملون بصير في الازل بما يعمله العباد وانه ليس كما قال بعض الناس ان لا يعلم فعل العبد
الا وقت فعله واحتجوا في ذلك انا لو قلنا ان الله تعالى بصير في الازل بما يفعله لكان قولا بما لا يستقيم في
المعقول الا ترى انا لا نرى في الشاهد من يبني بناء يعلم انه ينقضه او يشتري عبدا يعلم انه يعاديه فكذا لا يستقيم ان
يقال ان الله تعالى خلق عبدا كان يعلم من قبل انه اذا خلقه عاداه والجواب عن هذا الذي وصفه غير مستقيم
في الشاهد لان منافع ما يفعله العباد ومضارهم يرجع الى انفسهم وليس من العقل ان يفعل المرء فعلا
يعلم انه يضره واما رب العالمين فانه لا يرجع شيء من المنافع والمضار اليه فجاز ان يخلق خلقا يعلم انه
يختار عداوته ليظهر عند الخلق انه لا يرجع شيء من المنافع والمضار اليه بعد ان يكون في الحكمة ذلك والله
اعلم ثم في قوله والله بما تعملون بصير عليم وكيل وحفيظ الزام المراقبة والتحفظ والتيقظ وبيان
الترغيب والترهيب لانه اذا علم المرء ان عليه في كل ما يفعله رقيب متيقظ ولم يفعل الا ما يرضى به ربه
والله المستعان وقوله عز وجل خلق السموات والارض بالحق قد وصفنا ان الحق قد وصفنا ان الحق اذا جرى
ذكره تصرف في كل شيء الى ما هو اليوبة فاذا ذكر في الاخبار اريد الصدق واذا ذكر في الاحكام اريد به
العدل واذا ذكر في الاقوال اريد به الاصابة فلما قال بالحق ههنا فكانه اراد به الحكمة كانه يقول خلق
السموات والارض بالحكمة وقال بعضهم بالحق يعني الحق وهو البعث فكانهم عنوا به ان الله تعالى لم يخلقها
عبثا بل خلق للعباد وقوله عز وجل وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير يحتمل هذا وجهين احدهما احسن
اي اتقن واحكم ومعنى ذلك ان الله تعالى خص صور بني ادم في الاستدلال بوحدانيته وربوبيته
ان جعل في انفسهم حقيقة المعرفة والاستدلال بانفسهم على وحدانية تعالى واما غيرهم
من الصور فانما يقع الاستدلال لغيرها بها ليس لنفس تلك الصور حقيقة المعرفة والاستدلال
بوحدانية الله تعالى ولذلك كان خلق صور بني ادم اتقن واحكم والله اعلم والثاني ان يصرف الحسن
الى حسن المنظر ومعنى ذلك ان الله تعالى خلق بني ادم على صورة لا يود وان يكون صورتهم مثل صورة غيرهم
من الخلائق فثبت ان صورتهم في المنظر احسن صورة فذلك معنى قوله تعالى وصوركم واحسن صوركم
الله اعلم وقوله واليه المصير يعني البعث واضاف ذلك الى نفسه لانه هو الهداية والمقصود وفي خلقهم
ولما لم يفهم احد من قوله واليه المصير معنى الانتقال والتحول من مكان الى مكان من حيث الله بشانه

في معنى الحمد

في عدم اقرار المعتزلة بان الله تعالى قدير على افعال العباد وعلى اصلاح احد

الله تعالى لان هذا فعل يكون باثنين فان من صار الى شيء صار ذلك اليه مثل الملاقات والاتيان ونحو ذلك
فلما لم يفهم منه الانتقال لم ينبغي ان يفهم من قوله وجاء ربك والملك صفا صفا معنى الانتقال والله اعلم
وقوله عزوجل يعلم ما في السموات وما في الارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون في اخباره عن علمه بذلك
كله ايجاب المراقبة والتيقظ والتبصر والمحافظة على ما امره الله تعالى ونهاه وفي هذا اخبار ان الله تعالى
مطلع على ما يضمرون مخفي عليكم جميع ما يظهرون فاحذروا ان يرتكبوا ما فيه سخطه في الحالين جميعا والله
المستعان وقوله عزوجل بذات الصدور قال اهل التفسير اي بما في الصدور ويحتمل ان يكون المراد منه
بالانفس التي لها الصدور وكل من كان ذا فكرة وتدبير فانه يسمى ذات الصدور ومعناه ان التدبير انما
يصدر عن ذلك الموضع ويرجع اليه وكل بنوا ادم مختصوا بهذا المعنى فكذلك ذكر هذا فيهم والله اعلم وقوله
عزوجل الم ياتكم نبؤا الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم اي قد اتاكم نبا الذين كفروا من قبل
وماذا نزل بهم حين كفروا وعاندوا ومعنى ذلك ان الله تعالى قد حذرهم مما يكون في الاخرة من الوان
العذاب فلم يتعظوا لما لم يكونوا يؤمنون بالبعث فلما لم ينجع فيهم ذلك حذرهم بعقوبات تنزل بمن
لم ينتهوا عما هم فيه من الطغيان وقوله عزوجل فذاقوا وبال امرهم اي شدة امرهم ويحتمل ان يكون
عاقبة امرهم وقوله ولهم عذاب اليم فيه اخبار ان ما نزل بهم من العذاب في الدنيا لم يكفر عنهم ذنب
الكفر وان عذاب الدنيا انما كان جزاء شرهم في الكفر وانه لعذابهم في الاخرة عذاب الكفر والشرك
والله اعلم وقوله ذلك بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكانه يريد بقوله ذلك اي تلك
العقوبات التي نزلت بالامم الماضية انما كان سببها ان رسلهم كانت تاتيهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا
وكان قولهم ابشر يهدوننا تلقين ابليس حيث لقنهم مخالفة الرسول وتكذيبه وانكم لو احتجتم الى طاعته
ففيكم من هو اعظم منه درجة واكثر منزلة فاذا لم تطيعوه فكيف تطيعون بشرا مثلكم وهذا كله عنا
دوخطاء وذلك انهم قد كانوا يعبدون الاصنام تقليدا منهم البشر الا ترى الى قوله انا وجدنا اباءنا
على امة وانا على اثارهم مقتدون ومعلوم ان حمل الاصنام معبودا يعبد ويتبع بقول البشر تقليدا له اكثره
واعظم من تصديق البشر انه رسول من عند الله عند قيام الدليل المعجز فاذا استجازوا تقليد البشر في
ذلك فكيف لا استجازوا تصديق الرسول فيما يدعوهم الى توحيد الله وطاعته فيما يرجع اليهم من المنافع
والمضار ولكنهم كانوا قوما سفهاء فاتبعوا سفههم وعنادهم والله اعلم وكذلك قولهم ان هذا الا سحر مبين
وكيف يكون سحرا وقد اتاهم بايات اعجزتهم واعجزت السحرة ان ياتوا بمثلها ولكنهم عاندوا ولم يجدوا
حيلة سوى ان قالوا ان هذا الا سحر مبين وقوله فكفروا وتولوا واستغنى الله اي كفروا بالرسل وتولوا اعرضوا
عن طاعته رسوله وقوله واستغنى الله لم يسمع من احد من المتكلمين يقول استغنى الله على الابتداء الا ما ذكر
في ظاهر هذه الاية والقول في استغناء فيما يريد به الاخبار جائز نحو قولك الله مستغني فاما ان يبتدئ
فيقول استغنى الله فيما فيه شك وريب انه لا يجوز الابتداء به وقد غلط بعض المفسرين حيث قالوا استغنى
بطاعة من طاعه عن معصية من عصاه لان الله تعالى لم يمتحن عباده بالطاعة والمعصية لمنافع نالها او مضرة
يخشاها ويخافها بل هو مستغني بذاته عن ذلك في الازل والله اعلم ويجوز ان يكون في هذا اضمار يعني و
استغنى الرسول عن طاعتهم بالله تعالى او يصرف الاستغناء الى الاخبار عن ذاته انه مستغني بذاته في الازل
لا يمسه حاجة وانه لا ينصره كفر من كفر ولا ينفعه ايمان من امن بل انما يحصل ذلك كله للممتحن بهما والله اعلم
وقوله عزوجل والله غني حميد قد وصفنا معنى الغني واما الحميد يحتمل وجهين احدهما بمعنى المحمود اي المستحق
كل احد الحمد على ما يحسن اليه او يحتمل معنى الحميد على معنى الحامد ووجه ذلك ان الله تعالى يحمد محاسن الخلق واثار
فعالهم وان حقيقة تلك الافعال من جهة التوفيق والتسديد انما كانت به وذلك غاية وقوله عزوجل
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن قوله قل بلى وربي يحتمل وجهين احدهما انه يجوز ان يكون
هذا تعليما لرسول الله عليه السلام ان يعلمه القسم تاكيدا لما كان يخبر عن البعث وكذلك جميع ما ذكر من القسم
في القران يجوز ان يكون على هذا المعنى لان القسم انما هو لنفي تهمة تمكنت والله تعالى لا يتهم في خبره والرسول
هو الذي كانوا يتهمونه فيما يخبر لما لم يثبت عندهم رسالته لعدم تاملهم في دلائله فعلمه القسم تاكيدا لما يخبر و
نفيا للتهمة عما يقوله والله اعلم ويجوز ان يكون هذا قسما مقابلا لما اقسم به الكفرة في من البعث الا ترى
الى قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا وقوله عزوجل وذلك
على الله يسير يحتمل وجهين احدهما ان امر البعث على الله يسير هين لانهم انكروا البعث بعد ما صاروا ترابا واخبر ان
بعثهم واعادتهم بعد ان صاروا ترابا فاخبر جل وعلا ان ذلك على الله يسير والوجه الثاني من التاويل ان يذكر
ما عملوا من خير او شر واحصاه عليهم كل سر وعلانية وكل صغير وكبير ليعاينوا ذلك في كتبهم ويعلموا تحقيقها
على الله يسير وقوله عزوجل فامنوا بالله ورسوله يجوز ان يكون هذا صلة ما تقدم وذلك ان الله تعالى ذكر
ما نزل من العقوبة بالامم الماضية واخبر ان ذلك انما نزل بهم لكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم الرسل فامنوا انتم بالله
ورسوله لكن لا ينزل بكم ما نزل بهم من الباس والعقوبة والله اعلم وقوله عزوجل والنور الذي

هل يطلق لفظ استغنى بالله ابتداء لا يجوز

غلط بعض المفسرين في لفظ استغنى

انزلنا النور

انزلنا النور وهو القران ويجوز ان يكون سماه نورا لانه يبصر به حقيقة المذاهب في الطاعة والمعصية
والاحسان والاساءة والايمان والكفر كما يبصر بنور النهار حقيقة الاشياء من جيدها ورديها كذلك
يبصر بهذا منافع الطاعة ومضار المعصية فسمي نورا من هذا الوجه والله اعلم وقوله والله بما تعملون
خبير اي ان الله خبير بما تسرون وما تعلنون فراقبوه وحافظوه في الحالين جميعا وفي هذا بيان ان الله تعالى
عالم بما يعمله العباد في الازل بما يكون منهم وانه ليس كما وصفه بعض الجهال والله المستعان وقوله يوم
يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن في الحقيقة يوم جمع والفريق وهو ايضا في الحقيقة يوم تغابن
وتراجع وانه ذكر احدهما ذلك ما ذكر في غير من الايات الا ترى الى قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير والى
ما ذكر في عقب قوله ذلك يوم التغابن من قوله ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجري من تحتها الانهار وهذا هو معنى التراجع ولكنه جل ثناؤه يجوز ان يكون اكتفى بذكر احدهما
عن الاخر ثم الغبن يذكر في التجارات والاصل في ذلك عندنا ان كل سليم طبعه لا يخلوا من عمل وعمله لا يخلوا
من احدى ثلاثة اوجه اما ان يكون في مباح او امر او نهي ومعلوم ان من استعمل المباح فهو يستعين به
في اقامة الامر اذ لا بد من البقاء لاقامة الامر وذلك باستعمال المباح والاشتغال باسبابه فكانه
في اقامة ذلك الامر فحقيقة يرجع الى ان الاعمال في الحقيقة تنصرف الى نوعين الى امر ونهي ومعلوم ان
ان من كان في امر ونهي فهو تارك لما نهي عنه ومن كان في نهي فهو تارك لما امر به والتجارة في الحقيقة هو ان
ياخذ شيئا بترك شيء اخر واذا تحقق معنى التجارة في اعمال بني ادم اطلق لها لفظ التجارة قالوا الدنيا لها
ثلاثة اسماء المتجر والمزدع والمسلك وقد وصفنا معنى التجارة واما معنى المزرع ولاجل ان كل من يعمل في
الدنيا فانما يعمل لعاقبة ولا بد ان يكون عاقبته خيرا وشرا فكل من كانت عاقبته الخير فهو زارع للخير
ومن كانت عاقبته الشر فهو زارع للشر والله اعلم واما معنى المسلك والطريق فلاجل ان الخلق لم يخلقوا
في هذه الدنيا ليقروا فيها وانما خلقوا لاحد امرين اما للثواب او للعقاب فكل من عمل عملا يفضي به الى الثواب
والجنة فكانه يسلك طريق الجنة وكل من عمل عملا يفضي به الى النار فانما يسلك طريق النار فلذلك سمي مسلكا و
طريقا والله اعلم ثم التغابن عندنا يجوز ان يكون معناه ان اهل الكفر يغبنون في اهلهم واموالهم
في الاخرة لانهم كانوا يتعاونون بهم في الدنيا فحسبوا انهم يكونون كذلك في الاخرة فاذا لم يجدوا وصاروا
بعضهم يلعن بعضا غبنوا اما كانوا يأملون منهم وقال بعضهم ان لكل كافر في الجنة قصرا وبيتا واهلا فاذا
صاروا الى النار ورث المؤمن اهله وقصره الذي كان له في الجنة فهذا هو التغابن ولكن هذا غير صحيح عندنا
لانه لا يحتمل ان يبني الله تعالى للكافر في الجنة بيتا مع علمه انه لا ياتيه لان هذا فعل من لا يعلم العواقب
ومن هو عابث في فعله جل الله تعالى عن مثل هذا الوصف الا ان يحمل على الوعد ان ثبت الخبر اي ان اسلم
الكافر كان له ذلك المنزل في الجنة وان ارتد المسلم عن الاسلام كان له ذلك المنزل في النار وهو عالم
ان عاقبة امره ماذا الكفر او الاسلام وان ماواه النار والجنة وحكمه على ما علم واراد ولكن الله تعالى
عالم بما كان وما يكون وبما لا يكون ان لو كان كيف يكون فاخبر على ذلك والا لم يصح لما ذكرنا من المعنى والله
الموفق ويحتمل انه انما سماه يوم التغابن لان الدنيا جعلت اسواقها والاحوال التي يكون لهم رؤس
الاموال والاعمال التي يعملون فيها ويكتسبون تجارة قال الله تعالى هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب
اليم ثم قال تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله الاية وقال في اية اخرى ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم الاية وقال اشتروا الضلالة بالهدى وقال اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فاذا كانت الدنيا متجرة هي التي يقسم فيها الارباح وفي ذلك يقع الربح والخسران ويظهر الغبن
والفضل والنقصان والزيادة والله اعلم او سماه يوم التغابن لما يظهر لهم في ذلك انهم خسروا او ربحوا
ولا يظهر لهم ذلك في الدنيا ثم يتبين العمل الذي ربح عليه والعمل الذي يخسر به والتجارة التي يوصل بها
الى الارباح والتي يلحق بها الخسران وهو ما قال ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله
جنات تجري من تحتها الانهار الاية وقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا الاية ثم قوله عزوجل ومن يؤمن
يؤمن بالله ويعمل صالحا يعني ومن يؤمن بالله على ما جاءت به الرسل جملة وان له الخلق والامر ويؤمن
بالرسل والبعث فذلك هو الايمان بالله تعالى وقوله ويعمل صالحا يعني ومن يؤمن بالله ويعمل في ايمانه صالحا
الى ان يموت وقوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني كفروا بوحدانية الله تعالى وبقدرته وكذبوا باياته
اي بحججه او كذبوا بالبعث اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير وقوله عزوجل ما اصاب من مصيبة
الا باذن الله قال بعضهم باذن الله يعني بامر الله وهو قول الحسن وقال بعضهم باذن الله يعني بعلم الله و
قال بعضهم باذن الله يعني بمشية الله ولكل من ذلك وجه فاما من قال بامر الله فمعناه وجهه ان هذه
المصائب كلها عقوبات الا ترى الى قوله وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم ومعلوم ان اجزاء
ما كسبت يدهم عقوبة له والتعذيب والعقوبة انما يكون بامر الله فلذلك قال معنى له قوله باذن الله اي بامر
الله ولكن عندنا هذا يرجع الى ما يصيبهم من ايدي الخلق كقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقوله

هل تربصون الى قوله ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا ونحو ذلك وهذه المصايب لا يحتمل الا من امر الله تعالى ومن قال بعلم الله فوجه ذلك ان هذه المصائب فيها اهلاك العبد وفي الشاهد انه لا يحب احد ان يعلم بما فيه هلاك عبيده وخدمه فاخبر عز وجل ان هذه المصائب وان كان فيه هلاك عبيده فانما يكون ذلك بعلمه وان هلاكهم لا يضره ولا ينقص ملكه لان الله سبحانه وتعالى ان شاء ما انشاء من الخلايق لحاجة لهم ولمنفعة ترجع اليهم ومضرة يلحقهم بحلول ما يحل بهم من المصائب لا يضره ولا ينفعه لذلك كان على ما ذكر وقال بمشية الله وارادته فوجه ذلك ان الله تعالى وعد واوعد ولا محالة يريد من عبيده ما يكون بوعيده عادلا وان يضع وعده موضعه واذا من انه يريد من كل احد ما يعلم انه يكون منه لانه اذا خلق النار واوعد عليها فلو اراد من كل منهم الطاعة لكان اذا احرق بالنار واحرق من اراد منه الطاعة فقد خل في حد الجور ولو كان يريد من كل منهم المعصية لكان اذا انجز وعده وادخله الجنة كان يضع ثوابه غير موضعه ويخرج عن حد الحكمة واذا كان كذلك ثبت انه اراد من كل ما علم انه يختاره ويكون منه ليخرج فعله عن الحكمة والله الموفق ونحن نقول قد ذكر الله تعالى الاذن في مواضع مختلفة ولكل من ذلك وجه غير وجه صاحبه فالواجب ان يصرف في كل موضع الى ما يليق به والله اعلم **وقوله** عز وجل ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال ابو بكر اي من امن بما شاهد من التدبير يهديه الله تعالى ليعلم انه من دبر هذا التدبير هو الذي ابتلاه بهذه المصيبة ويجوز ان يكون تاويله على وجه اخر وهو ان يقول من يؤمن بالله ان له الخلق والامر يهد قلبه ليسكن ويعلم ان الله اولى به فيسترجع عند ذلك وذلك تاويل من قرأ يهدأ قلبه اي يسكن من الهدء وهو السكون والله اعلم والثاني يحتمل ان يكون هذه الهداية وان خرجت على لفظ الاحداث فليس على الاحداث ولكن معناه ان ايمانه بالله تعالى انما كان لهدايته منه لانه لا يجوز ان يكون الايمان متقدما والهداية متاخرة ولكن حين هداه امن بما هداه وهذا على ما قال الله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فهذا خرج في الظاهر على لفظ الاحداث ولكنه في الحقيقة ليس عليه ولكن على معنى انهم لما امنوا اخرجهم بالايمان من الظلمات الى النور بعد الايمان فكذلك الاول والله اعلم ويجوز ان يكون تاويله ان الله يهد قلبه اي يتوب على قلبه عن الزلات عند الموت على ما قال تعالى ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وقيل منه لغات اربع بنصب الياء والباء جميعا يهدي قلبه برفع الياء والباء ويهد قلبه بفتح الياء وضم الباء اي يهتدي ويهداى قلبه من السكون **وقوله** عز وجل والله بكل شيء عليم الاصل في الاسماء المشتركة اذا اضيف الى شيء منها الى الله تعالى لحق التخصص في الاضافة اليه ان يضاف بحق الكليات ليكون فرقا بينه وبين العباد فيقال والله بكل شيء عليم ويقال في الخلق فلان عليم بكذا على الخصوص وليعلم ان العبيد انما يعلمون ما يعلمون بعلمه وكذلك هذا في قوله والله على كل شيء قدير وهذا على المعتزلة لانهم يقولون ان الله عز وجل ليس يقدر على كثير من الاشياء فكانهم اشركوا في اسم القدرة غيره لانه لا احد من الخلق الا وله جزء من القدرة فلو قلنا ان الله تعالى يقدر على بعض ولا يقدر على بعض لسوينا وبين خلقه وشبهناه بهم وجل الله سبحانه وتعالى عن مثل هذا الوصف والله المستعان **وقوله** عز وجل واطيعوا الله واطيعوا الرسول يعني اطيعوا الله فيما تعبدكم واطيعوا الرسول فيما اخبر عنه او اطيعوا الله فيما امركم واطيعوا الرسول فيما دعاكم اليه وهذا كله واحد لان العبيد فانه لا يجوز ان يضاف الى الرسول وما سواه من الالفاظ من الامر والدعاء والاخبار فهو جائز ان يضاف اليه سبحانه وتعالى والى الرسول عليه السلام **وقوله** عز وجل فان توليتم يعني توليتم عن اجابة الرسول الى ما دعاكم اليه وعن طاعته **وقوله** فانما على رسولنا البلاغ المبين فيه بيان ان توليهم عن اجابته وكفرهم به لا يوجب تقصيرا في التبليغ **وقوله** عز وجل الله لا اله الا هو يجوز ان يكون هذا صلة ما تقدم من الايات من قوله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وعليم ويعلم ما يسرون وما يعلنون ثم قال الله الذي له الاوصاف التي تقدمت هو الذي لا اله الا هو اي لا معبود الا هو وان معبودهم ليس يجوز ان يكون معبودا لتعريه عن هذه الاوصاف التي تقدمت ذكرها والله **وقوله** عز وجل وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيه بيان ان معتمد المؤمنين على الله تعالى وان قلت اعوانهم وانهم ليسوا كالمنافقين والكفرة حيث تركوا اتباع المؤمنين لما راوا من قلة الاتباع والاعوان لهم واخبر ان المؤمنين بخلاف تلك الصفة وان ثقتهم واعتمادهم على الله تعالى ليس على كثرة الانصار والله اعلم **وقوله** عز وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم يحتمل ان يكون على تحقيق العداوة فهو يحتمل وجهين احدهما عداوة ظاهرة وهي عداوة الكفر والشرك وذلك انه كان في ذلك الزمان يسلم الرجل ويبقى ولده وزوجته على الكفر فعلمهم الله تعالى صحبة الاولاد والزوجات انه اذا دعوكم الى الكفر والشرك فاحذروهم ان يطيعوهم وان تعفوا عن عقوبتهم على ما دعوكم اليه وتغفروا فان الله غفور رحيم ثم ذكر الله عز وجل في صحبة الاولاد والزوجات اذا كانوا كفارا العفو والصفح ولم يذكر ذلك في الوالدين المشركين ولكنه امر ان يصاحبهما في الدنيا معروفا بقوله وصاحبهما في الدنيا معروفا فوجه ذلك عندنا والله اعلم انه يجري سلطانه وغلبته وقهره على زوجته وولده فامرها هاهنا بالعفو والصفح واما في الوالدين فليس يجري له عليهما السلطان والقهر والغلبة فلا معنى للامر بالعفو

والصفح

والصفح عنهما لكنه امران يصاحبهما في الدنيا معروفا وان لا يطيعهما فيما امراه من المنكر والله اعلم ويحتمل ان يكون هذه العداوة عداوة مستورة وهو عداوة النفاق فكانه قال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وانتم لا تشعرون وان تعفوا عن جناياتهم ولم تؤاخذوهم عليها وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم الا ترى الى ما حذر الله المؤمنين من اهل النفاق مع انهم من الضعف والفشل كما اخبر عز وجل عنهم بقوله يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم فكذلك الازواج والاولاد وان كانوا تحت قهره وغلبته امره بالحذر عنهم والله اعلم ويحتمل ان يكون على فعل العداوة ليس انهم اعداء في الحقيقة وذلك انهم في المتعارف والمعتاد يدعون الاباء الى البخل والمنع عن الانفاق على غيرهم ويشتد عليهم صنع ابيهم من الاحسان والبر في الناس ويكرهون ذلك في الظاهر فعل العدو فيجوز ان يكون الله تعالى علم صحبته هؤلاء ان من ازواجكم واولادكم من يظهر فعل العداوة فاحذروهم ان يمنعوا عن وجوه الاحسان والتبرع بقولهم وان تعفوا عن صنيعهم بكم وتغفروا فان الله غفور رحيم **وقوله** انما اموالكم واولادكم فتنة المفتون هو المولع بالشيء العاشق له فكانه قال انما اموالكم معشوقكم فلا يحملكم حبهم على ان يتركوا ابتغاء الاجر العظيم عند الله تعالى ويحتمل ان يكون معناه ان الله تعالى لم يخلق الازواج والاولاد لكم محابا بل انما خلقهم ليبتليكم ويمتحنكم ان كيف تعاملون الله تعالى فيما امركم به ونهاكم عن حبهم ثم اخبر ان الله عنده اجر عظيم ليتحملوا المؤنة العظيمة في اوامره ونواهيه عند حبهم الاولاد والاموال وهذا معنى ما قال بعضهم ان الازواج والاولاد كانوا يتعلقون بهم ويقولون ننشدك بالله ان يذرنا وتضيعنا اذا اراد الرجل ان يهاجر الى المدينة والاشبه ان لا يكون هذا لان هذه الاية نزلت بالمدينة وافعالهم هذه انما كانت بمكة الا ان يكونوا كتبوا اليهم بها والله اعلم **وقوله** عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم تخفيفا عليهم وتيسيرا والله اعلم ولكن الكلام في ان كيف قال فاتقوا الله ما استطعتم ولم يكن يتقي لولا هذه الاية الا ما استطعنا ولكن معناه والله اعلم على جهة البشارة انكم اذا قصدتم التقوى اتاكم الله الاستطاعة في تقواه وهو كقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا **وقوله** عز وجل فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وهذه الاية على المعتزلة لانهم يقولون ان الاستطاعة تتقدم الفعل وهي تزول عن الفاعل وتتقدم عند الفعل ولو كان كذلك كان يجعل قوله فاتقوا الله ما استطعتم استطاعة زالت عنهم وكذلك قوله فخذه بقوة وكذلك قوله خذوا ما اتيناكم بقوة زالت عنهم هذا مستحيل والذي يؤيد قولنا قوله جل ثناؤه فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا والحاجة الى هذه الاستطاعة تقع عند اداء البدل عن الاصل فاما قبل ذلك ان كان مستطيعا او غير مستطيع فهو سواء قوله تعالى واطيعوا اي اسمعوا الى ما امركم الله تعالى به ورسوله او يكون قوله اسمعوا بمعنى اجيبوا لما امركم الله به والى ما دعاكم الله ورسوله كقوله سمع الله لمن حمده اي اجابه **وقوله** وانفقوا خيرا لانفسكم اي وانفقوا مما رزقتم خير لكم من ان تدعوا الاجابة لما امركم والانفاق مما رزقكم **وقوله** عز وجل ومن يوق شح نفسه قال سفيان بن عيينة اي ومن يوق ظلم نفسه والشح الظلم اضاف الوقاية الى نفسه ليعلم ان الاتقاء بما وقاه الله تعالى بلطفه وكرمه الا ترى الى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا كيف علمهم ذلك التقوى بقوله وقنا عذاب النار ليعلم ان جميع افعال العباد انما يقوم ويصح بتدبير الله تعالى وتوفيقه وتسديده وتقديره والله والله اعلم ثم قوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فيه اوجه من الدلالة احدها ان قوله ومن يوق شح نفسه لم يبين فاعله ففيه بيان ان في سلطان الله وملكه ما يقي به شح عبده وانه اذا وقي شح نفسه افلح وكذلك في قوله ان ينصركم الله فلا غالب لكم اخبار ان من ينصره الله فلا يغلب وقد يرى في الشاهد من لا يوقى شح نفسه البتة ومن قد يوق شح نفسه ولا يفلح وقد نرى من يجاهد اعداءه فيغلب مع ما وعده واخبرانه هو الغالب وانه لا يغلب فلا بد ذلك من احد وجهين اما ان لم يكن الله تعالى النصرة في ملكه وسلطانه كما ادعا فهو كاذب فيما ادعى واما ان اتاه من القوة ما يقي به شح نفسه فلم يفلح فصار كاذبا في خبره واما ان كانت المعتزلة فيما زعموا ان الله تعالى قد اتى عبده جميع ما يقي به شح نفسه حتى لم يبق في خزائنه شيء يؤتيه ليقي به شح نفسه كذبته واذا لم يكن بد من نسبة الكذب الى الله تعالى والى المعتزلة كانت المعتزلة اولى ان ينسبوا الى الكذب من رب العالمين فيما اخبروا ان الله تعالى فيما اخبر صادق وان في ملكه وسلطانه ما لم يؤت عبده ليقي به شح نفسه والله المستعان وفيه دلالة على ابطال قول من قال ان على الكفرة اداء هذه العبادات والحقوق واجبة وذلك ان الله تعالى اوعد في هذه الاية ان من وقي شح نفسه وادى ما وجب عليه من هذه الحقوق فقد افلح وقد ترى الكافر في الشاهد يوق شح نفسه ويؤدي حقوق امواله ويمحو ما له على الناس ولا يفلح ولو كان عليه هذه الحقوق واجبة لكان يحصل له الفلاح ثبت انه ليس عليه اداؤها وانما عليه قبولها والله اعلم وفيه ان صاحب الكبيرة قد يرجى له الفلاح وان لم يتب على الكبيرة حتى مات لانا قد نرى صاحب الكبيرة قد يوق شح نفسه وقد وعد الله عز وجل ان من وقي شح نفسه فهو من المفلحين

على المعتزلة لان اهلاك الناس ليس بحقيقة لله تعالى في ذلك ملك ولا تدبير

فاذا كان صاحب الكبيرة قد بقي في شيء نفسه فقد ثبت انه يرجى الفلاح والله اعلم وقوله عز وجل ان تقرضوا الله
قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم تولد من هذه الايات ظنون فاسدة احدها ظن اليهود حيث قالوا ان الله
فقير ونحن اغنيا وذلك انهم لما سمعوا ان الله تعالى يقول اقرضوا الله قرضا حسنا والاستقراض في الشاهد
يدل على الحاجة الى ما يستقرض وكذلك قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم والشراء
يدل على حاجة في المشترا وحيث استعمل عبيده في الاعمال ثم قال لكم اجر عظيم ورأوا ان من يستعمل اخر
فانما يستعمله في عمل يرجع منفعته عليه ويحتاج الى عمله ظنوا بذلك ان الله فقير وانه محتاج وظنت
المعتزلة ان انفس العبيد واملاكهم ملك لهم حقيقة ليس لله في شيء من ذلك ملك ولا تدبير قالوا وذلك
ان الله تعالى يستقرض من عبيده والمرء في الشاهد لا يستقرض ملك نفسه فلما استقرض واستباع دل ان هذه
الايات كانت ملكا لهم حقيقة والذي يدل على ان قول المعتزلة على ما وصفنا ان من قولهم ان ليس لله تعالى
ان يمرض احدا ولا يولم دابة الا بعوض ومن لم يملك فعل شيء الا بعوض وبدل بعوض ثبت انه لا يملكه فثبت
على ان عندهم انه لا يملك حقيقة وان حقيقة الملك فيه للعبيد ويشبه ان يكون ظن اليهود والمعتزلة جميعا
انما تولد من قولهم ان ليس لله تعالى ان يفعل بعبيده الا ما هو اصلح لهم فدينهم فذهبت اليهود الى ان هذا
لما كان حقا على الله تعالى ان يفعله لا محالة حتى اذا لم يفعله يكون جائرا ومن كان ما جورا بحق وشيء يفعله
فقيه بيان ان حقيقة ذلك الفعل لغيره حتى اخذ به لا محالة لذلك قلنا ان ظنونهم تولدت عن القول بالاصلح
والله المستعان واما الحكماء واهل العقل ومن انتفع بعقله حمل هذه الايات من الله تعالى على نهاية الكرم وغاية
الغناء لان الله تعالى اعطى عبيده ثم استقرض منه ذلك الذي اعطاه ليصير ذلك العطا دائما بيذله الدايم
وهو النعيم في الاخرة ومعلوم ان من اراد دوام اعطا من اعطاه فهو في غاية الكرم وكذا اشترى منه حيوة
فانية ليعطي له حيوة دايمة وهذا من غاية الجود ومن استعمل عبيده في عمل يوصف بانه جواد سخي ويشرف به
ويكرم ثم وعد له على ما فيه شرف اجرا دائما دل على غناه فثبت انه اراد بهذه الايات ان يعلمنا غاية كرمه وغاية
جوده وبهاية غناه وان جوده وكرمه مما لا يدركه عقولنا والله المستعان والذي يدل على غاية كرمه
وغاية جوده ان جعل ما نتصدق به على فقرائنا وما نصل به ارحامنا قرضا حسنا على نفسه ووعد الاجر
يعمل العبيد لنفسه وعلى عمل العبد فعله لا محالة ولا شك ان ذلك من غاية الجود والكرم والله المستعان
وقوله ان يقرضوا الله قرضا حسنا قال بعضهم القرض هو القطع كانه قال اقطعوا شيئا من اموالكم لله تعالى
قطعا حسنا وقال بعضهم اقرضوا الله اي اجعلوا ما تتصدقون به مما فضل عن حاجتكم على فقرائكم قرضا
حسنا على الله تعالى يؤتكم اجره عند حاجتكم اليه وقوله يضاعفه لكم يعني يضاعف ما يعطيكم في الاخرة من
الثواب الذي يكرمون به بما شرفتم به وتزينتم في الدنيا بالتصدق وقوله والله شكور حليم حيث شكر لكم

يعني شكور

على ما اعطيتموه شيئا هو اعطاكم وقوله حليم وصف نفسه بالحلم وعلى قول المعتزلة لا يتحقق هذا الوصف
لانهم يقولون انه اذا اوجبت العقوبة فليس لله تعالى ان يؤخرها تفضلا منه وانه فيما اخرها كان ذلك
حقا عليه حيث راى الاصلح في تاخيرها ومعلوم ان من ادى حقا عليه لم يوصف بالحلم ولكنه يقال انه
يقضي الجور والحليم من يحلم عن عقوبة لزمت فيؤخرها ويتركها ويعفو صاحبها عنها فيوصف بالحلم عند ذلك
واما ان يكون عليه تاخيرها فلا يوصف بالحلم في هذا الموضع وقوله عز وجل عالم الغيب والشهادة يعني عالم
ما غاب من افعال الخلق عن الملائكة وعالم بما شهده وامن افعالهم وعالم بما غاب عن العباد وبما شهده العباد
وقوله عز وجل العزيز الذي لا يعجزه شيء والحكيم الذي لا يلحقه الخطاء في تدبيره ثم المعتاد في القران انه يذكر
العزيز الحكيم بعد ذكره خلق الكفرة ليعلم ان فسادهم لا يوجب وهذا في حكمته وتدبيره ولا يبطل عزه وسلطانه
لان من صنع الى اخر شيئا يعلم انه يفسد دل ذلك على جهله بالتدبير واذا استعمل عبده بما يهلكه دل على
ذله فاخبر بعد خلق الكفرة انه عزيز ليعلم ان كفرهم لا يوجب نقصا في عزة ولا يدخل ذلا عليه
وان فسادهم لا يخرجه عن الحكمة والله المستعان

قالت المعتزلة لا يولم الله تعالى احدا الا بعوض وبدل

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن فانه يخرج على
الاضمار والله اعلم كانه يقول يا ايها النبي قل لامتك اذا اردتم ان تطلقوا نساءكم فطلقوهن
لعدتهن والدليل على انه هكذا فانه يخرج الخطاب بعده للجماعة حيث قال اذا طلقتم النساء فطلقوهن
لعدتهن او خاطب به النبي والمراد امته وذلك كثير في القران ثم قوله فطلقوهن لعدتهن امر بالطلاق
للعدة ولم يبين ان الطلاق للعدة كيف يكون وذكر في بعض القراات فطلقوهن لقبل عدتهن ثم ترك بيان
ذلك لا يخلو اما ان يكون الرسول عليه السلام قد بين ذلك فلم يبين ذلك في الاية او جعل بيان معرفة
ذلك اليهم ليعرفوا بالاجتهاد ثم قوله لقبل عدتهن يحتمل اول عدتهن ويحتمل ما يقابل عدتهن وهو
الحيض من المقابلة فمن يقول الاعتداد بالاطهار يجعل القبل كناية عن اول الطهر ومن يقولها

بالحيض يجعل القبل ما يقابل العدة وهو الحيض ثم لنا ان ننظر اي القولين اقرب وقد اجمعوا
ان له ان يطلقها في اخر الطهر اذا اراد مجامعتها فيه دل ان تاويل القبل بما يقابل العدة احق وهو
الحيض والاعتداد بها اولى والله اعلم وقوله عز وجل واحصوا العدة يخرج على هذين الوجهين احدهما
احفظوا الحقوق والاحكام التي تجب في العدة فادوها والثاني احفظوا نفس ما تعتدون به وهو
عدد الحيض الذي بها تعتدون لان لا يزاد ولا ينقص ثم جعل الاحصا الى الازواج يحتمل وجهين
احدهما انهم هم الذين يلزمهم الحقوق والمؤن والثاني لهم نفع يحصين الاولاد في العدة والله اعلم
وقوله عز وجل واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة دل قوله
من بيوتهن على صحة مسئلة لاصحابنا رحمهم الله فيمن حلف لا يدخل بيت فلان فدخل بيتا هو فيه باعارة
او اجارة انه يحنث ووجه ذلك ان الله تعالى اضاف البيوت اليهن وان كان حقيقة الملك للازواج
الا ترى الى قوله اسكنوهن من حيث سكنتم ثم قال لا تخرجوهن من بيوتهن فدل قوله من بيوتهن
هذه الاضافة دل على صحة المذهب وقال الشافعي فيمن حلف لا يدخل مسكن فلان فدخل مسكنا فيه هو
باعارة انه يحنث وقال فيمن حلف لا يدخل بيت فلان انه لا يحنث واحتج في المسكن انه انما حنث
لانه وجد حقيقة السكنى من المحلوف عليه فان كان هذا هو الدليل على الحنث فالواجب عليه ان
يحنثه في البيت لوجود البيوتة على ما احنثه في المسكن لوجود السكنى وبعد فان في الحنث اقرب في البيت
لان الله تعالى اضاف البيوت اليهن في كتابه والكن ياتين فيها باعارة ولم يوجد في السكنى ذلك والله اعلم

ومبينة

وقوله عز وجل الا ان ياتين بفاحشة مبينة قرئ جميعا فمنهم من حمل الاستثناء وهو قوله لا تخرجوهن
من بيوتهن وصرفه اليه ومنهم من صرفه الى قوله فلا يخرجن ولكل من ذلك وجهان فاما من حمله
على قوله لا تخرجوهن فانه جعله استثناء وللاستثناء وجهان احدهما لا تخرجوهن الا ان ياتين بفاحشة
مبينة اي يزنا يزنين فيخرجوهن لاقامة الحد عليهن او لا يخرجوهن الا ان يظهر منهن بذاذة اللسان
على اهل ازواجهن فيخرجوهن لمكان البذاذة التي في لسانهن ومن حمله على قوله لا يخرجن فانه يجعل معنى
قوله الا على معنى لكن كما قيل في قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اي لا يسمعون فيها لغوا ولكن
سلاما اذ لا يحتمل استثناء السلام من اللغو لما ليس في جملة اللغو سلام فيستثنى منه فكذلك قوله
عز وجل لا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة فكانه قال لا يخرجن ولكن اذا خرجن فخروجهن فاحشة ويدل
هذا على ان النهي لنفس الخروج لا للانتقال ووجه اخر في ذلك وهو ان لا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة
كانهن اذا خرجن يخشى عليهن وان ياتين بفاحشة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما عبد تزوج
بغير اذن مولاه فهو عاهر وكان المعنى من ذلك انه اذا تزوج فوطئ فهو عاهر ولكن نهى عن النكاح لانه
يخشى عليه في النكاح ان يطاها فيصير عاهرا لا ان يكون نفس التزوج منه زنا فكذلك لا يخرجن
الا ان ياتين بفاحشة فيكون النهي لا عن نفس الخروج ولكن لكونه سببا للفاحشة في الجملة وطريقا اليه
ثم قال عز وجل مبينة فمن قرا مبينة بالخفض فمعناه ان نفس الفاحشة اذا تفكر فيها المرء ونظر تبين له
انها فاحشة ومن قرا مبينة بالفتح عنى به انها مبينة بالبراهين والحجج وقوله عز وجل وتلك حدود الله الحدود
الموانع والنواهي لا يحل تجاوزها ومن ذلك سمي الحداد حدادا لانه يمنع بحديده كل انواع امتنعه ان
يجاوز حدها الذي جعل لها والحد في الحقيقة هو النهاية التي ينتهي اليها فلا يجاوز واذا كان كذلك
كان الخيار الى صاحب التاويل فان شاء حمله على الحد بين الطاعة والمعصية او ما بين الحلال والحرام
حيث ذكر في هذه الاية انواعا من النهي فسمى ذلك كله حدودا وقوله عز وجل ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه اي ضر نفسه ويجوز ان يكون المعنى منه اي من جاوز هذا الحد الذي جعله الله تعالى فقد
وضع نفسه مكانا لم يضعه فيه ربه والظلم في الحقيقة وضع الشيء في غير موضعه والتاويل لا يخلو
من جاوز موانع الله ونواهيه فقد ظلم نفسه دل بهذا على ان منافع هذه النواهي ومضارها لا ترجع
الى الله بل ترجع نفس الممتحنين وقوله عز وجل لعل الله يحدث بعد ذلك امرا اي لا يطلق فانه اذا طلق
فانه اذا طلق لا يدري لعل الله يحدث بعد ذلك ندامة على ما سبق من فعله او رغبة فيها فيكون
فيه دلالة النهي عن نفس الطلاق وقد بين كراهة نفس الطلاق في الحكمة في انه ليس من نوع ما يتقرب
به فيكون فيه زيادة في القربة ولا مما يستمتع به فيكون فيه زيادة في الاستمتاع بل المقصود منه
التاديب والخلاص وفي الواحدة كفاية عما زاد عليها فكان في هذه الاية دلالة النهي عن نفس الطلاق
وعن الزيادة على الواحدة والله اعلم قال فان كان تاويل قوله عز وجل لا يدري لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا هو الرغبة فيها او الندامة على ما سبق فانه دلالة على ابطال قول المعتزلة لان الرغبة
والندامة جميعا من فعل العباد والله تعالى قد اضاف ذلك الى نفسه بقوله لا يدري لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا واذا كان كذلك ثبت ان الله تعالى في احداث افعال العباد صنعا وتدبيرا والله اعلم وقال
اصحاب الشافعي ان قوله فطلقوهن يدل على تعليم الوقت في الطلاق دون العدد فله ان يطلقها في

حكمة في الطلاق

الوقت اى عدد كان ولا يستقيم ذلك لان التاويل انما يستقيم على احد وجهين اما على ما جرى به التفاهم
في العادات بين العباد واما ما جرى به التفاهم في حق الحكمة وليس يفهم من قوله فطلقوهن بالعدد
الثلاث على واحد من الوجهين اللذين وصفنا هما الا ترى ان من قال لاخر طلق امراتي لم يجز له ان يطلقها
ثلثا الا ان يكون نوى ثلاثا فثبت انه لا يفهم به في عبارة اللفظ الثلث واما وجه الحكمة فلما ذكرنا ان
الطلاق ليس مما يتقرب به فرغب في الاستكثار زيادة في القربة ولا مما ينتفع فيستكثر منه زيادة في
الانتفاع وانما المراد منه التاديب والتخلص وما كان مخرجه هذا المخرج كان في حد الرخصة وما خرج
مخرج الرخص لم يعبد به عما وقعت به الرخصة واذا ثبت ما وصفنا ثبت انه لا يجوز الفهم من قوله
تعالى فطلقوهن لعدتهن الثلاث في التعليم في العدد الليق به من الوقت لانه لا ضرر يلحقه في تقديره عن الوقت
المجعول له فيه الطلاق لا شك انه يلحقه الضرر في تقديره في العدد والزيادة منه والله اعلم ومما يدل
على ان المراد من قوله فطلقوهن ليس عدد الثلاث فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ولا شك انه
اذا وقع عليها ثلثا لم يملك امساكها ومعلوم ان قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف الطلاق المتقدم
من قوله فطلقوهن ولو كان المراد عدد الثلاث لم يكن لقوله فامسكوهن بمعروف معنى والله اعلم وقوله
عز وجل فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف فيه فوائد شتى وادلة متفرقة
من الفقه والاحكام احدها ان الله تعالى قال فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف البها في الشمار
من نوع الفعل اظهر من نوع القول لانه انما يحسن اليها استمتاعا وانفاقا ونحو ذلك نوعه نوع الفعل
فثبت ان حقيقة الامساك بالمعروف في الافعال فلذلك قلنا انه اذا راجعها بالفعل يكون مراجعا فان
قيل اليس قال الله تعالى فاشهدوا ذوى عدل منكم والاشهاد على الفعل غير صحيح فجوابه ان يقال ان الله تعالى
قال واشهدوا ومعلوم ان هذا لو كان بحضرة الشهود لم يكن للاشهاد معنى بل اذا سمعوا ذلك صاروا شهودا
اشهدوا او لم يشهدوا واذا كان كذلك ثبت ان المعنى من هذا الاشهاد على الامساك المتقدم وذلك
في الافعال مستقيم والله اعلم ووجه اخر وهو ان كل عقد استقام بغير شهود جرى فيه الامر بالاشهاد
نحو قوله واشهدوا اذا تبايعتم وكلما جعل الشهود فيه شرطا لقوام العقد جرى الذكر فيه لا بالاشهاد
نحو قوله لا نكاح الا بشهود فلما جرى الذكر في هذه الاية بالامر بالاشهاد وبقوله تعالى واشهدوا ذوى
عدل منكم ثبت انه يستقيم من غير شهود والله اعلم ثم في قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف
دليل على ان المراد من الاقراء في الحيض فانه ذكر نوع هذا في كتاب الله في مواضع قال الله تعالى في موضع
فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وقال في اية اخرى فاذا بلغن اجلهن
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن وقال في هذا الموضع فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف ومعلوم
ان معاني هذه الالفاظ مختلفة وان اتفقت مخارجها واختلافها ان يكون المراد ببلوغ الاجل في احد النوعين
على التمام وانقضاء الاجل والثاني على الاشراف عليه واحق ما يكون في حق الاشراف على البلوغ هو ما يرجع الى
الازواج لانه قد كان لهم حق الامساك قبل انقضاء الاجل وهم احق بهم ما لم يتم بلوغ الاجل لا بعده
واذا ثبت ان المعنى من قوله فاذا بلغن اجلهن في هذا الموضع هو الاشراف على البلوغ والقرب من انقضاء
الاجل دون التمام ثبت ان الاقراء هي الحيض لانه لو كان المراد منه الاطهار لم يعرف الاجل على البلوغ
لانه لا نهاية لاكثر الطهر واما الحيض فانه له غاية معلومة لان ايامها لا تخلو اما ان يكون عشرا
او دون العشر فان كان عشرا فيعرف بالعدد وان كان دون العشر فان دمها اذا انقطع راجعها
قبل ان يغتسل وذلك وقت اشراف اجلها على البلوغ والاطهار ليس يتحقق فيها المعنى الذي
وصفنا والله اعلم ثم قال ها هنا فامسكوهن بمعروف فدل الامر بالامساك في الظاهر انها ما
دامت في العدة فهي على ملكه وقال في موضع اخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك فدل على انه
قد وقع شيء من الزوال حتى امر بردها فيكون حجة للشافعي في ان الطلاق الرجعي يحرم الوطي ولكن
المعنى عندنا في هذا والله اعلم انا قد عرفنا بقوله او فارقوهن بعد وجود الطلاق المتقدم انه
لم يرد به الفرقة للحال ولكن معناه اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيفارقوهن فثبت انه قد وقع
شيء من شبهة الفراق بالطلاق وهو ان صار الفراق مستحقا لازما حال انقضاء العدة فيكون
له عرض الوجود للحال فقال امسكوهن على ابقائهن على اصل الملك وقال وبعولتهن احق بردهن في
ذلك لرفع تلك الشبهة الواقعة بالطلاق وهذا على سبيل ما قال تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص
اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم وكان الفيء هو الرجوع
ومعلوم انه لم يقع شيء بالايلاء شيء من الفرقة ولكن لما كان الايلاء موجبا للبينونة في العقبى اوجب
في الحال شبهة الفرقة وهو استحقاق الزوال فذكر الفيء لرفع تلك الشبهة فكان تركها منه لا يفي اليها
عزم منه على الطلاق فكذلك الاول والمعروف اذا اصنع اليك انسان صنعة فعرفتها واستحسنتها
فهو معروف وما دفعته وانكرته فليس بمعروف او هو الذي عرفنا الله تعالى من المراجعة والمفارقة

ثم المعروف

ثم المعروف في الحقيقة ما تطمئن اليه القلوب ويشكر عنده الانفس وقوله عز وجل واشهدوا ذوى
عدل منكم دل قوله تعالى ذوى عدل منكم ان قد يكون منا فساق وان الفسق لا يخرجه من الايمان وكذلك
قوله ممن ترضون من الشهداء فثبت ان قد يكون منا من لا يرضى لا يخرجه من الايمان وقوله عز وجل
واقيموا الشهادة لله حيث اضافها الى نفسه هو انه لا بد في الشهادة من نفع يقع لاحد الخصمين وضرر
يرجع الى الاخر فكانه قال لا ينظر بعضهم الى رضاء من ينفعه الشهادة والى سخط من يضره ولكن
اجعلوها لله تعالى وقوله عز وجل ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر الموعظة وان كانت
لمن يؤمن ولمن لا يؤمن فالمعنى في هذا ذلكم يتعظ بما يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر كما كان
المعنى من قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر اي انما ينتفع بالانذار من يتبع الذكر وكما كان في قوله يتلونه
حق تلاوته اولئك يؤمنون به اي ينتفعون بتلاوته فكذلك الاول والله اعلم وقوله يوعظ به اي بما امر
فيما تقدم من الايات للعدة والنهي عن اخراجهن من البيوت والانفاق ونحو انما يوعظ به اي ياخذ بما
امر به وينهى عنه في هذه الايات من كان يؤمن بالله واليوم الاخر والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق
الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قد بينا ان التقوى اذا ذكر مفردا انتظم الاوامر والنواهي
واذا ذكر معه البر والاحسان صرف التقوى الى معنى وذكر في هذا الموضع مفردا فجاز ان ينتظم الاوامر والنواهي
ثم جاز ان يكون المعنى من قوله ومن يتق الله فيما بين له من الحدود فلم يضيعه يجعل له مخرجا فيما لم يتبين
له وفيما اشتبه من الحدود ويجوز ان يكون المعنى من قوله ومن يتق الله اي اجاهد فيما امره ونهاه يجعل له
مخرجا في ان يهديه ويتبين له السبيل الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال ويجوز
ان ينال من يلزم التقوى خير الدنيا والاخرة لان الله تعالى ذكر التقوى وما يليه بالفاظ مختلفة فقال
في موضع ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال في موضع اخر يجعل له من امره يسرا وفي موضع اخر يكفر عنه — وفي نسخة من الخير في الدنيا
سيئاته وفي موضع ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون اي ان الله مع الذين اتقوا في النصرة والمعونة
والتوفيق والعصمة ومن نصره الله فلا يغلبه احد ومن يعصمه الله تعالى فلا يضله احد واذا نال هاتين
الخصلتين فقال نال خير الدنيا والاخرة ويجوز ان يكون قوله ومن يتق الله يعني يتقي عقابه يجعل
له مخرجا من الشدة في الدنيا وعن سكرات الموت وغمراته وعن شدائد الاخرة واهوالها ويجوز
ان يكون قوله ومن يتق الله في مكانه يجعل له مخرجا من الشبه والحرمات فيسلم منها ويجوز ان يكون
قوله ومن يتق الله فيما بين له من الحدود في هذه الايات المتقدمة فحفظها من صحبة النساء على ما امر به
يجعل له مخرجا مما اهمه من نائبتهن ويرزقه من حيث لا يحتسب يجوز ان يكون هذا فيما بين له من الحدود
اذا حفظها ان يرزقه ما وصفنا من المراة والمال ويجوز ان يكون هذا في جميع الامور من المكاتب و
التجارات لان التجار يظنون انهم انما يرزقون الفضل والربح لما يدخلون فيها من الشبه والحرمات وانها
اذا انغبنت من تجاراتهم تلك الشبه والحرمات رزقهم من حيث لم يحتسبوا ويجوز ان يكونوا هذا خطابا
للكفرة وذلك انهم كانوا يخافون انهم اذا امنوا بالرسول الله صلى الله عليه وسلم حرموا من الرزق وابتلوا
بالضيق الا ترى الى قوله وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا الاية فكان الله تعالى امنهم
مما يخافون بسبب الاسلام واخبرهم انهم اذا وحدوا الله تعالى وامنوا برسوله رزقهم من حيث
لم يحتسبوا ووسع عليهم الرزق والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه يجوز ان يكون
معناه اي من يعتمده في كل نائبة ويفوض اليه كل نازلة والوكيل هو الموكول اليه الامور وقيل الوكيل
هو الحافظ فكانه قال ومن يعتمد على الله فيما نابه كفى به وكيلا موكولا اليه امره وكفى به حافظا وناصرا
ومعينا وقوله عز وجل ان الله بالغ امره اي فيما اخبر من حكمه ووعده ووعيده ان ينزلهم ويجوز ان
يكون بالغ امره اي مبلغ ما امر رسوله بتبليغه الى اخر عصاته يكون امره في تنجيزهم لبصيرة كان
الرسول بلغهم وقوله عز وجل قد جعل الله لكل شيء قدرا قال الحسن لكل شيء من اعمال العباد قدرا
وثوابا في الاخرة والوجه عندنا قد جعل الله لكل شيء مما كان ويكون الى يوم القيامة من حسن وقبيح
في الحكمة قدرا الا ترى الى افعال العباد انها كيف يخرج عن تدبيرهم من زمان ومكان ونحو ذلك ليعلم
ان الله تعالى هو الذي قدر ذلك المكان والزمان والفعل حتى خرج فعل هذا العبد عن تقديره الذي
قدره والله اعلم وفي قوله تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب وجه اخر وهو انه لو جعل جميع الرزق من حيث
لا يحتسب جاز لان الرزق في الحقيقة هو الذي يتقوى به الانسان ويتغذى به وليس ذلك في عين الاكل
والشرب ولكن فيما يتفرق من قوة الطعام والشراب في الاعضاء وذلك باللطف من الله تعالى فثبت
ان قوة الاكل والشرب انما يصل الى الاعضاء من حيث لا يحتسبه الانسان والله اعلم ثم ليس في قوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا له تخصيص ان من لا يتقيد لا يرزقه من حيث لا يحتسب لانا قد نرى في
الشاهد من يرزق من حيث لا يحتسب اتقاه او لم يتقه فثبت ان فائدة التخصيص ليس نفي غير المخصوص ولكن
فائدة تخصيص المتقي بالذكر هو انه يرزقه من حيث يطيب له ولا يلام عليه وليس ذلك في غير المتقي والله

والله المستعان ثم تلبس في قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ما يدل على ترك الاسباب ولكن لما راى الناس يفزع بعضهم الى بعض ويستغيث بعضهم امرهم ان يجعلوا المقصد والمفزع الى الله تعالى وان يصبروا هذه الاسباب كلها محنة عليهم لان يروا وزا فيهم مقصودة متعلقة بها الا ترى الى قوله تعالى وابتغوا من فضل الله كيف امر بادراك فضله من تلك التجارة فثبت ان هذه المكاسب كلها اسباب للخلق بها يتوصلون الى فضل الله تعالى وان المقصد والمفزع فيها الى الله تعالى والله اعلم ثم اختلفوا في العدة فمنهم من قال هي استبراء الرحم ومنهم من قال هي عبادة يتبع النكاح الذي استوفى فيه المقصود بالنكاح وهذا القول عندنا اصوب لاوجه احدها ان الاستبراء واجب في حق السنة والادب قبل الطلاق فان من اراد ان يطلق امراته فالواجب عليه ان يستبرئها بحيضة ثم يطلقها واما العدة فانها لا تجب الا بعد الطلاق فثبت انها على ما ذكرنا من العبادة التي يتبع النكاح الذي استوفى فيه المقصود ان الاستبراء واجب والله اعلم ومعنى اخر ان العدة لو كانت استبراء لكانت يكتفى بالحيضة الواحدة فلما قرنت بالعدد وفي الواحدة منه وحتم ما سواها في حق الاستبراء ثبت انها على الوجه الاول والله اعلم وقوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم هذا يدل على ان المراد من الاقراء الحيض وذلك لان الاصل عندنا في الاصول ان الشيء متى ذكر باسم مشترك ثم جرى البيان له عند ذكر البدل باسم خاص دل على ان المراد من الاسم المشترك هذا الاسم الخاص المذكور عند البدل الا ترى الى قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وكان اسم الغسل مشتركا يتناول الماء وكل مايع فلما قال عند ذكر البدل فلم تجدوا ماء يبين ان المراد من ذلك الاسم المشترك هو هذا الاسم الخاص المذكور عند البدل فكذلك الاول والله اعلم وقوله عز وجل ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر اختلفوا في قوله ان ارتبتم انه اريد به ان ارتبتم في حيضهن او في عدتهن وعندنا الارتياب في عدتهن لانه لو كان المراد منه الارتياب في حيضهن لكان من حق الكلام ان يقول ان ارتبن او يقول واللائي ارتبن ليكون منسوقا على قوله واللائي يئسن فلما قال ارتبتم ثبت ان المراد ان ارتبتم في هذه الايسات والصغائر فهي ثلاثة اشهر والله اعلم ولان المرتابة اذا ذات الحيض ارتفع ريبها وصار عدتها بالحيض وخرجت من العدة بالشهور واما الايسة والصغيرة فانه لا يتوهم عليها ارتفاع الاياس والصغر فانه لا يتوهم عليها فيكون عدتها بالاشهر فلذلك قلنا ان هذا الارتياب في عدة الايسات والصغائر ثم من قول اصحابنا ان الرجل اذا طلق امراته الايسة والصغيرة او الحامل للسنة مطلقها متى شاء وليس له وقت معين في طلاقها السنة وانما كان كذلك لانا قد وصفنا في قوله وطلقوهن لعدتهن ان المراد منه لقبل عدتهن ومعلوم ان عدة التي ترى الحيض احد شيئين اما دم ولم يعتبر ما يقابلها وهو الطهر من العدة وكذلك من جعل عدتها بالاطهار لم يعتبر ما يقابلها وهو الحيض من العدة واذا كان كذلك لم يكن بد من ان يكون ها هنا شيء يقابل عدتها فثبت فيه معنى قبل عدتها فيجعل ذلك الطهر واما الايسة والصغيرة والحامل فجميع ايامها من عدتها وهو ثلاثة اشهر وليس في ايامها شيء يقابل عدتها فلذلك قلنا ان له يطلقها في اي وقت شاء وكذا له ان يطلق الحامل التي من ذوات الاقراء وذلك لانه انما نهي عندنا عن الطلاق على اثر الجماع في التي تحيض لتوهم ان يكون الجماع احبلها فاذا طلقها ثم اراد نفي الحبل في العدة لم يتهيا له ذلك واما الايسة والصغيرة والحامل فليس فيهن هذا التوهم والله اعلم ثم هذه العدة وان ذكره في هذه السورة على اثر الطلاق الواحد فكانها في التطليقات الثلاث لان هذه العدة التي ذكر الله تعالى في سورة البقرة من قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء لانه ذكرها هنا واحصوا العدة على الاجمال وذكرها ثم على التفسير واذا الحق التفسير بالمجمل يصير في المعنى والحكم كانه واحدة ومعلوم ان تلك في الواحد والثلاث الا ترى الى قوله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقوله او تسريح باحسان هي التطليقة الثالثة واذا كان الامر على ما وصفنا ثبت ان للمرء ان يطلق امراته الحامل للسنة ثلاثا والله اعلم قال رحمه الله ثم في قوله ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن اوجه من الفقه احدها انه لما قال في بيوتهن دل ان الزمهن السكون في بيوتهن التي كن فيها في حال قيام النكاح فيكون دليلا في قول اصحابنا انه ليس للزوج ان يسكنها معه في بيته الذي هو فيه بل يتركها في ذلك المسكن وينتقل هو بنفسه ان كان يريد الانتقال يصح هذا قوله اسكنوهن من حيث سكنتم فلما ادخل حرف من هذه الاية دل ان الواجب على الزوج ان يسكنها في بيت من بيوته ولا يدخل عليها في ذلك البيت الى ان ينقضي العدة والله اعلم ثم المعنى عندنا في قوله لا تخرجوهن من بيوتهن ليحصن ماءكم ولا يخرجن خوفا من وطء غير الازواج واشباه النسب لو حبلن واذا كان النهي عن اخراجها وخروجها من البيت لهذا المعنى لم يكن بد من ايجاب النفقة عليه لانها انما تكتسب نفقتها بالخروج فاذا نهيت عن الخروج لتحصن ماءه لم يحتمل ان يكون النفقة على غيره والله اعلم ثم قوله واولات الاحمال اجلهن روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال من شاء باهلته ان قوله واولات الاحمال اجلهن نزل بعد قوله في سورة البقرة والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وجعل عدة الحامل بوضع الحمل ولا يعتبر ابعد الاجلين لكن ان كان ابن مسعود رضي الله عنه يباهل فعلي رضي الله عنه لا يباهل ويقول بان قوله والذين يتوفون منكم لا يجوز ان يدخل في قوله واولات الاحمال

اجلهن

اجلهن وذلك لان قوله واولات الاحمال انما ذكر في عدة الطلاق وعدة الطلاق لا يتضمن عدة الوفاة اذا كانت بالحيض لم يدخل عدة الطلاق في عدة الوفاة الا ترى ان من طلق امراته وهي حامل ممن تحيض ثم مات عنها زوجها قبل انقضاء عدتها لم يدخل عدة الوفاة في الحيض الثلاث بل الحيض التي يدخل في عدة الوفاة وتؤمر بان تعتد بابعد الاجلين فكذلك امر الحامل واذا اشتبه الحال امرت فيه بالاحتياط ان تعتد بابعد الاجلين ولان عدة الوفاة لم يلزم لوطء متقدم الا ترى انها قد يلزم من لم يكن زوجها من اهل الوطء واما عدة الحبل والحيض انما لزمت لوطء متقدم واذا لم يكن عدة الوفاة من جنس العدة بالحبل لم يدخل عدة الحبل فلا يوجب فيه الاحتياط وذلك في الاعتداد بابعد الاجلين ثم التخصيص بذكر الانفاق على الحوامل يحتمل ان يكون بمعنى انها في الحقيقة لا يدخل في قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها انما نهيت لتحصن ماء الزوج واذا مضت تسعة اشهر فقد خرجت عن التحصين فكان الوجه ان يسقط النفقة بعد التسعة لكن الله تعالى حث عن الانفاق في جميع المدة لانها لا محالة انما بقيت في هذه المدة لوطء المتقدم فلذلك حث الله في الانفاق على الحوامل فيما يقع عندنا والله اعلم واما ابن مسعود رضي الله عنه فانه يجوز ان يكون قوله واولات الحمل اجلهن عنده مبتدأ خطاب ليس بمعطوف على قوله يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم لانا نعلم انه لا يجوز ان يقع الارتياب فيمن يحتمل القرء وذلك لان الاشهر في الايسات انما اقيمت مقام الاقراء في ذوات الحيض واذا كانت الحامل ممن يحتمل القرء لم يجز ان يقع لهم شك في عدتها ليسالوا عن عدتها واذا كان كذلك ثبت انه خطاب مبتدا واذا كان خطابا مبتدأ تناول العدد كلها ومما يدل على انه مبتدا خطاب ما روي في خبر سبيعة بنت الحارث الاسلمية انها وضعت بعد وفاة زوجها بخمسة عشر ليلة فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تتزوج فدل اباحته النكاح قبل مضي اربعة اشهر وعشرة على ان عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل في جميع الاحوال وقال الحسن ان الحامل اذا وضعت احد الولدين انقضت عدتها واحتج بقوله ان يضعن حملهن ولم يقل احمالهن ولكن لا يستقيم ما قاله لوجهين احدهما انه قرئ في بعض القراآت ان يضعن احمالهن والثاني انه قال اجلهن ان يضعن حملهن ولم يقل بدن بل علق بوضع حملهن والحمل اسم لجميع ما في بطنهن ولو كان كما قاله لكان عدتهن بوضع بعض حملهن والله تعالى جعل اجلهن ان يضعن حملهن والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا فقد وصفنا ان التقوى اذا ذكر مطلقا مفردا تناول الاوامر والنواهي فكانه قال ومن يتق الله في اوامره ان يضيعها وفي نواهيه ان يرتكبها يجعل له في امره يسرا ثم قوله يجعل له من امره يسرا له وجهان احدهما يجعل له من امره يسرا في نفس التقوى ان تيسيره عليه كما قال في قوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى يعني نيسره عليه فعل التقوى والطاعة فكذلك الاول ويحتمل ان يكون في جميع الامور في المكاسب والتجارات وغيرها ان من اتقى الله من الحرام يسر الله عليه الحلال ومن اتقى الله في الشبه يسر عليه في المباح ومن يتق الله في تجارته رزقه ما يرجوا من الربح وتامله وكذلك جميع الامور على هذا السبيل والله اعلم وقوله عز وجل ذلك امر الله انزله اليكم يحتمل وجهين احدهما ان يكون معنى قوله ذلك امر الله اي ذلك التقوى امر الله انزله اليكم ويحتمل ان يكون اراد بقوله ذلك ما تقدم من الايات في المراجعة والاشهاد والطلاق والعدة وغير ذلك انها وان خرجت في الظاهر مخرج الخبر فانها كلها امر الله تعالى انزله اليكم فاتبعوها وخذوا بامره فيها والله اعلم وقوله عز وجل ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا هذا يدل على ما وصفنا ان التقوى اذا ذكر مفردا انتظم الامر والنهي جميعا الا يرى الى قوله ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ها هنا ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته فجعل التقوى مكفر السيئات فلولا ان في التقوى اعظم الحسنات لم يكن لقوله يكفر عنه سيئاته معنى والله اعلم وقوله عز وجل اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم في قراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم ويجوز ان يكون قراءة عمر رضي الله عنه هذه ايضا الا ترى انه قال لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امراة لا ندري اصدقت ام كذبت فالكتاب هذا والسنة يجوز ان يكون سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك او يجوز ان يكون عند عمر رضي الله عنه في هذا تلاوة قد رفع عنها وبقي حكمها لذلك قال لا ندع كتاب ربنا الا ترى الى ما قال عمر رضي الله عنه في امر الزنا سياتي على الناس زمان يقولون لا نجد الرجم في كتاب الله وانا كنا نتلوا من قبل في سورة الاحزاب ان الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما نكالا من الله والله عزيز حكيم فقد رفعت التلاوة وبقي حكمها فكذلك في امر النفقة يجوز ان يكون التلاوة رفعت وحكمها باقيا والله اعلم ثم قوله لا ندع كتاب ربنا الخبر دلالة ان الكتاب قد ينسخ السنة لان عمر رضي الله عنه انما احتج في امتناعه من ترك كتاب ربه بقول امراة لم ندر اصدقت ام كذبت ولولا ان الكتاب قد ينسخ بالسنة والا لم يكن احتجاجه بقوله لا ندع كتاب ربنا بقول امراة معنى بل كان يقول

لا ندع كتاب ربنا بالسنة فلما قال لا ندع كتاب ربنا بقول امرأة لا ندري اصدقت ام كذبت دل ان السنة قد
ينسخ بالكتاب والله اعلم وروي ابو بكر الاصم ان فاطمة بنت قيس لما انكر عليها عمر رضي الله عنه حديثها
تركت روايتها الى زمن مروان فلما استخلف مروان جعلت تروي حديثها فاخبر بذلك مروان فدعاها
فروت هذا الحديث فقال لها مروان على ما كان يقول لها عمر رضي الله عنه فقالت له ابن كتاب ربنا فتلا
عليها قوله اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم فقالت كيف يحتمل ان يكون هذا في
المطلقة ثلاثا والله يقول في هذه امسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف ومعنى الامساك في
المطلقة ثلاثا معدوم فافحم مروان ولو فهم مروان ما فهمه غيره لم يفحم وذلك ان هذه العدة
المذكورة في هذه الايات انما هي مكان قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا فرق
هناك بين المطلقة الواحدة والثلاث واذا كان المذكور في هذه العدة مكان تلك فالمذكور في
النفقة في هذه كالمذكورة في تلك وليس في تلك الاية فرق بين الثلاث والواحدة فلذلك قلنا في
كتاب الله تعالى دلالة ايجاب النفقة المبتوتة والمطلقة ثلاثا والله اعلم فيكون حجة على الشافعي ومتابعه
عليه وهو انه لما استدل بذكر الانفاق في قوله وانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن على وجوب الاسكان
والنهي عن الاخراج مع توهما الانفاق دون الاسكان فلان يستدل بذكر الاسكان على الانفاق
ولا يكون الاسكان الا بالانفاق لاتصاله به احرى فصار قوله واسكنوهن دليلا على وجوب الانفاق
وانما قلنا ان الانفاق متصل بالاسكان لانه نهى عن اخراجها عن بيته وامر باسكانها فلا يحتمل ان لا
يؤمر بالانفاق لان في ذلك تضييق عليها وتفسيره الا ترى انها انما يكتسب النفقة بالخروج فاذا نهى
الزوج عن اخراجها ونهيت هي عن الخروج لم يصل الى نفقتها الا بالزوج ضرورة والله اعلم ولاجل انا نظرنا
ان النفقة في الحامل للحمل او العدة فوجدنا انها لو كانت واجبة للحمل لم يجب اذا كان حملها بحيث لو وضعته
لم يلزم نفقة عليه وقد وجدنا هذا الحكم نحو حر تزوج امة رجل باذن سيدها فولدت ولدا ان
نفقة الولد على السيد وكان يجب مثله مادام في بطن امه فلما استقام وجوب النفقة على الزوج ما
دامت حاملا وان كان بحيث لو وضعته لم يلزمه نفقته ثبت ان النفقة في الحامل لمكان العدة
لا للحمل والعدة في الحامل واحدة فكذلك كان حكمها واحدا والله اعلم ثم الاصل عندنا ما وصفنا ان
النفقة انما وجبت لاستمتاع المتقدم فاذا كانت محبوسة لاستمتاع السابق اوجبت النفقة عليه
واذا كانت محبوسة لا بهذا الحق لم يكن عليه النفقة والله اعلم ولان في قوله اسكنوهن من حيث
سكنتم من وجدكم اضمار النفقة كانه يقول اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم
لانه لولا هذا الاضمار لم يكن لقوله من وجدكم على الظاهر معنى لانه لما قال اسكنوهن علم انه جعله
الاسكان عليهم ومن كان عليه الاسكان فانما يكون من وجده فلم يكن في قوله من وجدكم الا اعلام
ما قد علمناه واذا كان لذلك ثبت ان في قوله من وجدكم اضمار يستقيم عليه قوله من وجدكم وليس بين
القراءتين اختلاف ولكن احدهما خرجت على الاجمال والثانية على التفسير عليهما قرئ في قوله والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما فايمانهما ولم يحمل ذلك على الاختلاف بل حملت احديهما على الاجمال
والثانية على التفسير فكذلك الاول والله اعلم مع ان لم يثبت اللفظ في قراءة عبد الله بن مسعود رضي
الله عنه فاقله ان يكون من خبر الاحاد ومعلوم ان خبر ابن مسعود رضي الله عنه وان كان من خبر
الاحاد فيما يسنده الى الرسول صلى الله عليه وسلم مقبولا ولما وجب قبول خبر ابي هريرة رضي الله
عنه مما قيل فيه من الضعف فلان يقبل خبر ابن مسعود رضي الله عنه مع فضله وورعه وكثرة صحبته
مع النبي صلى الله عليه وسلم وتبحره في الفقه اولى ومن هجر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه خيف عليه
الزلة الا ترى الى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه سال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما تعدون اخر القراءة قالوا قراءة زيد بن ثابت رضي الله عنه فقال كلا كان يعرض القران على رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل عام مرة وعرض عليه في العام الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مرتين وقد شهدهما جميعا ابن مسعود رضي الله عنه واذا كان ابن مسعود قراءته اخر القراءات
وهو الذي شهد قراءة القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر مرة لم ينبغ ان نعرض عن قراءته
ونهجر والله اعلم وفي قوله اسكنوهن من حيث سكنتم دلالة انه انما يسكنها في جزء من اجزاء مسكنه
لا في الموضع الذي يسكنه هو لانه نحو من التجزئة والتبعيض **وقوله** ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن يحتمل
وجهين من التاويل احدهما اي لا تضاروهن في الانفاق عليهن فتضيقوا عليهن النفقة فيخرجن
او لا تضاروهن في المسكن فتدخلوا عليهن من غير استيذان فيضيق عليهن المسكن فيخرجن والله اعلم
وقوله عز وجل وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن دل الامر بالانفاق على النهي عن
الاخراج كما دل النهي عن الاخراج على وجوب الانفاق ثم التخصيص بذكر الانفاق على الحامل يحتمل
ان يكون لمعنى انها في الحقيقة لم يدخل في قوله لا تخرجوهن لانا قد وصفنا انها انما نهيت لتحصن ماء

نسخ الكتاب بالسنة

الزوج واذا مضت تسعة اشهر فقد خرجت عن التحصن فكان الواجب ان تسقط النفقة بعد التسعة وقد
ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم ويحتمل ان يكون الفائدة في تخصيص الحوامل بالانفاق عندنا والله اعلم انه
لولا هذه الاية لكانت الحوامل يخرجن عن قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن ومن قوله ولا يخرجن لان
الازواج لهم ان يحتجوا عليهن ان حرمة النكاح في ذوات الاحمال ليس لحق الازواج ولكن لحق ما في
بطنها من الولد الا ترى انه يحرم عليها النكاح وان كان الولد من غيره وقد قلنا ان النفقة انما وجبت
في غير الحوامل لانهن تحبسن عن نكاح الاجانب بحق الازواج فاذا كانت الحبس في الحوامل لا لحق الازواج
جاز ان يكون حجة لهم في اسقاط النفقة عنهم واذا كانت كذلك حيث الله لهم في الانفاق على الحوامل
ما لم يضعن حملهن لان ذلك الحمل من اثر استمتاعهم المتقدم ففائدة تخصيص ذكر الحوامل هذا والله اعلم
وقوله عز وجل فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن هذا يتضمن وجوها من دلالة الفقه احدها انه قال فاتوهن
اجورهن ثبت ان الارضاع كان باجارة وانه اذا استاجرها لترضع ولده منها بعد المفارقة جازت
الاجارة وحل لها اخذ الاجر وانه اذا استاجر امرأته في حال النكاح على الرضاع ولده منها لم يجز ولم يكن
لها اخذ الاجر لان الله تعالى ذكر بدل الرضاع في صلب النكاح بلفظ الرزق بقوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن بالمعروف فاذا سمي ما ذكره الله تعالى رزقا اجرا وكان بحق الرزق والكسوة فلذلك لم يجز الاجارة
في صلب النكاح والله اعلم ثم قوله فاتوهن اجورهن دليل على ان اللبن وان خلق لمكان الولد فهو ملك
لها ولولا ذلك لم يكن لها ان تاخذ الاجر على لبن ليس لها فيه ملك وفيه دليل على ان حق الارضاع و
النفقة على الازواج في حق الاولاد وحق الامساك والحضانة والكفالة على الزوجات ولولا ذلك
لكان لها بعض الاجر وقت الكل فلما باتيانه كل الاجر ثبت ان حق الارضاع على الازواج وعلى الزوجات
الكفالة والامساك والله اعلم ولاجل انا لو جعلنا اللبن ملكا للولد لمخلوقا له وجعلنا النفقة على الام من
مال نفسها لكانت نفقتها لا تغني ولا تهيئ لها كسب النفقة لاشتغالها بالارضاع فتجوع وتهلك ويذهب
لبنها فيبطل الارضاع واذا كانت ايجاب الارضاع عليها يسقط من حيث يراد جعل النفقة فاسقطنا عنها
وجعلنا ملك اللبن لتاخذ الاجر عليه والله اعلم وفي هذه الاية دلالة على ان الاجر انما يجب بعد استيفاء
المنافع فانه قال فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن انما اوجب الايتاء بعد الارضاع وفي قوله اجورهن
دلالة على ان الارضاع انما هو باجارة قد سبقت لذلك قال اصحابنا ان الاجرة انما يجب عند استيفاء
العمل **وقوله** عز وجل واتمروا بينكم بمعروف له وجهان احدهما ان يقول واتمروا يعني تشاوروا وفي رواية
اذا تعاسرت هي والثاني واتمروا اي اعلموا بامر من جعل الله تعالى اليه الامر بالمعروف **وقوله** وان تعاسرتم
فسترضع له اخرى يعني اذا تنازعتم في الرضاع وابت الام ان ترضعه فاطلبوا اخرى ترضعه عندها **وقوله**
لينفق ذو سعة من سعته اي من وسع عليه في الرزق فلينفق نفقة واسعة ومن قدر عليه يعني ضيق عليه
وقدرها هنا بمعنى ضيق عليه وهو كما قال فظن ان لن نقدر عليه اي فظن ان لن نضيق عليه وكذلك
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يعني ويضيق عليه اي من ضيق عليه فلينفق نفقة ضيقة فذلك
قوله فلينفق مما اتاه الله والله اعلم **وقوله** عز وجل لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها فهو يدل على ان العباد
اكتسبوا من الاموال فهي كلها مما اتاهم الله تعالى وان الله تعالى في افعال العباد وفيما يكتسبونه من الاموال
صنعا وتدبيرا لانه لولا ذلك لكان يجوز ان يكلفه الله تعالى وان لم يؤتها لهم اذا كان في قدرته
ان يكتسب ما لم يؤته الله تعالى **وقوله** عز وجل سيجعل الله بعد عسر يسرا هذا دليل على انه اذا عجز عن نفقة
امرأته لم يفرق بينها وبينه لانه اذا فرق بينهما لم يصل الزوج ينفق عليها بحال بل يحتاج فيه الى انقضاء
العدة وقد يتوهم في خلال ذلك ان يوسر الزوج لان انجاز وعد الله تعالى في اليسار بعد العسر اقرب
من قدرتها على زوج ينفق عليها وليس هذه كالامة لانه اذا باع الامة دخلت في ملك اخر ينفق عليها
والله اعلم ثم يجوز ان يكون قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا وعد الجميع الامة ان من ابتلي بالعسر يتبعه
اليسر ويجوز ان يكون خطابا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانوا في عسر وضيق عيش فوعدهم الله
بعد ذلك العسر الذي كانوا فيه يسرا وقد انجز الوعد حيث فتح لهم الفتوح ونصرهم على عدائهم فغنموا
اموالهم والله اعلم **وقوله** عز وجل وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله وصف الله تعالى القرية بالعتو
معلوم انه لا تعتو ولكن المراد منه اي عتى اهلها عن امر ربهم وقد يجوز ان يكنى بالمكان عن الاهل كما قال
في اية اخرى واسئل القرية التي كنا فيها يعني واسأل اهل القرية وفي هذا دلالة ان ما خرج مخرج الكناية في
الحقيقة لم يكن كذبا وان كان في ظاهره تراءا انه كذب الا ترى قوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة و
معلوم انه لم يكن هناك نعجة ولكن كناية من النساء تخرج على الصدق في الحقيقة كناية قال ان هذا اخي
لو كان له تسع وتسعون امرأة فكذلك الاول والله اعلم والعتو النهاية في الاستكبار الا ترى الى قوله تعالى
لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا **وقوله** عز وجل فحاسبناها حسابا شديدا له اوجه من التاويل
احدها يقول حاسبناها اي بلغوا في الكفر والعتو والاستكبار مبلغا صاروا من اهل الحساب الشديد والعذاب

المنكر او يحمل ما ذكر الله تعالى من نزول النقمة بالامم الماضية لعتوهم واستكبارهم حسابا شديدا لهذه الامة ليتذكروا ويتعظوا ويكون معنا فحاسبناها اي يحاسبها حسابا شديدا في الاخرة كما كان معنى قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس بمعنى واذ يقول الله فكذلك الاول والله اعلم ووجه نزول هذه الايات ان يكون له معنيان احدهما تخويف امة محمد صلى الله عليه وسلم والكفرة من اهل مكة بما نزل بالامم الخالية حين تركوا اتباع رسلهم والايمان بهم واستكبروا في انفسهم وعتوا لكي ينتهي اهل قرية عليه السلام عما هم فيه من الكفر والعتو ويحذروا الوقوع فيه في حادث الاوقات ويحتمل ان يكون تسكينا لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهوينا عليه فيما يلقى من امر قومه وعصيانهم وعتوهم وليعلم ما لقيت الرسل المتقدمة من اممهم حتى بلغ كفرهم واستكبارهم المبلغ الذي وقع الياس عن ايمانهم حتى انزل الله تعالى بهم ما نزل من النقم والعقوبة ويجوز ان يكون هذه محنة امتحن بها رسوله ليعلم شفقته على امته في ترك الدعاء عليهم بالاهلاك والله اعلم وقوله فذاقت وبال امرها اي شدة امرها او نقمة امرها وعقوبة كفرها وقوله وكان عاقبة امرها خسرا في الاخرة وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوا الله يا من يدعون ان لهم لبا فاتقوه عن ان يكفروا به وبرسوله وفيه دلالة ان خطاب الله انما يتناول العقلاء منهم وان من لا عقل له فلا خطاب عليه وقوله قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا له وجهان احدهما ان يجعل الذكر والرسول كله واحدا فيقول انزل الله اليكم ذكرا وهو الرسول وانما سماه ذكرا لوجهين احدهما ان من اتبعه شرف وصار مذكورا او سماه ذكرا لانه يذكرهم الصالح والمضار وما يرجع الى دينهم وعقباهم ويجوز ان يكون فيه اضمار وهو ان يقول انزل الله اليكم رسوله وقوله عز وجل يتلو عليكم ايات الله مبينات بالخفض فمعناه انها بين الحلال والحرام والامر والنهي والنصب الايات الاعلام والحجج فمن قرأ مبينات بالخفض فمعناه انها تبين الحلال والحرام والامر والنهي ومن قرأ بالنصب فكانه يريد به ان الله تعالى اوضح اياته وبينها حتى ان من تفكر فيها وفي جوهرها علم انها من عند الله وقوله عز وجل ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور واذا كان هذا هكذا الحق هذا الكلام انه يقول ليخرج الذين كفروا من الظلمات الى النور ولكن يحتمل ان يكون معناه ليخرج الذين يؤمنون على ما جاز ان يراد من الماضي المستقبل وقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم اي واذ يقول الله يا عيسى بن مريم جاز ان يراد من المستقبل الماضي وهذا سائغ في اللغة ويحتمل ان يقول ليخرج الذين امنوا من ظلمات تحدث لهم بعد ايمانهم الى النور والله اعلم وقيل قوله الذين امنوا يعني الذين وحدوا الله تعالى وعظموه ويجلوه من معاني الشبه ووصفوه بالتعالي عن العيوب والافات وعملوا في ايمانهم صالحا اذا خافوه ورجوه بايمانهم وذلك عملهم الصالح في الايمان وذلك معنى قوله او كسبت في ايمانها خيرا ومعنى ذلك الكسب ما وصفنا من التعظيم والتبجيل والرجاء والخوف في نفس الايمان والله اعلم ويجوز ان يكون معنى قوله وعملوا الصالحات في اداء الفرائض التي افترض الله عليهم وقوله عز وجل قد احسن الله له رزقا اي طاعة في الدنيا وثوابا في الاخرة وذلك معنى قوله عز وجل ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وفي هذه الاية دلالة ان من نال الايمان فانما ناله بفضل الله وبرحمته لانه لو لا هكذا لم يكن ليمتن الله تعالى عليه بذلك وقوله عز وجل الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اختلفوا في قوله ومن الارض منهم من قال مثلهن اي طباقا مثل السموات بعضها طبقا فوق بعض ومنهم من قال مثلهن يعني سبع جزائر على مثل ما قال سبعة ابحر فكذلك خلق سبع جزائر ومنهم من قال الحق هذه الارض التي نشاهدها على حد السماء ومقدارها والست من وراء هذا السماء والله اعلم وليس بنا الى ان نعرف ماهيتها وكيفيتها وعددها حاجة لانه ليس في معرفتها حكم يتعلق به والله اعلم وقوله يتنزل الامر بينهن له تاويلان احدهما يتنزل الوحي بينهن وما ينزل الله تعالى من الكتب والرسل بينهن ومعناه ان الله تعالى لكرامة محمد عليه السلام انهم لم يخصوا بمحنة الرسل والكتب والوحي بل كل من في السموات والارض ممتحن بذلك والثاني يتنزل الامر بينهن يعني التكوين ووجه ذلك انه لا يخلو مكان في السموات والارض في كل وقت من مكون يكونه الله تعالى ويحدث بحدثه وذلك قوله انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فيجوز ان يكون المراد في قوله يتنزل الامر امر تكوين ومعناه ما وصفنا والله اعلم وقوله عز وجل لتعلموا ان الله على كل شيء قدير اي لكي تعلموا اذا تفكرتم في خلق السموات والارض وما جرى من التدبير فيهما ان من بلغت قدرته هذا المبلغ كانت قدرته ذاتية لا يعجزه شيء مما اراده او يدل هذا التدبير انه خرج عن عالم لا يخفى عليه شيء والله اعلم ثم قوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير يحتمل وجها احدها ان الله تعالى على خلق فعل كل فاعل من خلائقه قدير ووجه ذلك ان الله تعالى قد كان اعلمهم بخلق السموات والارضين بقوله الله الذي خلق سبع سموات فلما قال لتعلموا ان الله على كل شيء قدير لم يكن بد من ان يكون هذا في غير خلق السموات والارضين فثبت ان فيه دلالة قدرته على خلق فعل كل مخلوق ولانه لما بلغ قدرته وتدبيره في السموات والارضين مع عظم امرهما وشانهما ومع عجز البشر عن تدبير مثلهما فلان يبلغ قدرته وتدبيره فيما يقع فيه تدبير البشر وهو افعالهم احق والله المستعان ووجه اخر ان يقول ليعلموا ان الله على ان الله على كل شيء بما وعد واوعد

قديرا وعلى كل شيء من منافع العباد ومضارهم قدير وعلى قول ان الله تعالى لا يقدر على فعل بعوضة فوقها وولا يقدر على صلاح احد من خلقه وان نفد جميع خزائنه وان من صلح فانما يصلح بنفسه ومن فسد فانما يفسد بنفسه وهذا خلاف ما وصف الله تعالى به نفسه من انه على كل شيء قدير وقوله عز وجل وان الله قد احاط بكل شيء علما يعني ان علمه لا ينفذ عن شيء ولا يخفى عليه شيء من الفعل والامر وغيره والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك هذا في الظاهر فقطع بان يحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله له ومن قال بانه حرم ما احل الله فقد قال امرا منكرا ولو اعتقد ذلك كان كفرا منه اذ من حرم ما احل الله تعالى كان كافرا ومن كان اعتقاده في رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فهو كافر وقال ابو بكر الاصم دلت هذه الاية على ان ليس لاحد ان يحرم ما احل الله تعالى لان الله تعالى منع رسوله عن ذلك لكن الامر عندنا ليس على ما ظنه ابو بكر ولعلي سبق اليه وهم بعض الجهال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم شيئا احله الله تعالى ومن هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر وتاويله عندنا والله اعلم على وجهين احدهما ان تحريم ما احل الله تعالى هو ان يعتقد تحريم المحلل وتحليل المحرم فيما حرم الله تعالى مطلقا فمن اعتقد تحريمه حكم عليه بالكفر ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعتقد تحريم ما احل الله اذ لم يرجما عليه محرما بل امتنع عن الانتفاع بها باليمين والحرمة التي تثبت بسبب اليمين لم تكن من فعل الادمي وان ثبت بما شرع السبب منه كالتحريم به بالطلاق وبغيره من الاسباب فانما يثبت من الله تعالى عقيب ما شرع الاسباب من العباد وكيف اثر الاحكام كيف وانه باليمين لا تثبت حرمة نفس الفعل وانما المحرم من ترك تعظيم الله تعالى الواجب بسبب اليمين وهذا لا يعد تحريم الحلال وتحليل الحرام او اريد بالتحريم منع النفس عن ذلك مع اعتقاده بكونه حلالا لا ان يكون قصد قصد تحريم منه وقد يمتنع المرء عن تناول الحلال لغرض له في ذلك وهو كقوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل ولم يرد تحريم عينه ولا التحريم الشرعي اذ الصبي ليس من اهله وانما اريد به امتناعه من الارتضاع الا من ثدي امه فعلى ذلك ههنا والله اعلم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب الى حسن العشرة مع ازواجه الى الشفقة عليهم والرحمة بهن فبلغ في حسن العشرة والصحبة معهن مبلغا امتنع عن الانتفاع بما احل له واباح له التلذذ به ينبغي به حسن عشرتهن ويطلب به مرضاتهن فقال يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي لا يبلغن بك الشفقة عليهن وحسن العشرة معهن مبلغا يمتنع عن الانتفاع بما احل الله لك فيخرج تخفيف المؤنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حسن العشرة معهن لا مخرج النهي والعتاب عن الزلة وهو كقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلغ من شفقته على اولئك الذين تخلفوا عن الايمان مبلغا كادت نفسه تهلك فيها فكان في قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات تخفيف الامر عليه وكذلك قال ولا تبسطها كل البسط ليس في الحقيقة نهي عن السخاء على النهاية فكن تخفيف الامر عليه ان ليس عليك الاسراف في السخاء والنهاية في ذلك بحيث لم يبق لنفسك وعيالك شيئا وتؤثر غيرك فعلى ذلك قوله لم تحرم ما احل الله لك خارج مخرج تخفيف المؤنة عليه في حسن العشرة لا مخرج النهي والله اعلم ثم اختلف في سبب التحريم من ذكر ان حفصة رضي الله عنها زارت اهلها والنبي عليه السلام في بيت حفصة فجاءت ام ابراهيم مارية القبطية حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فواقعها فجاءت حفصة وهما نائمان فرجعت الى بيت اهلها فكثت عامة الليل العصة وقالت حفصة في اخر هذا الخبر ما ذاك لحرمة وما عرفت لي حقا فقال لها عليه السلام اكتمي علي وهي علي حرام فنزلت هذه الاية ومنهم من يذكر كان يوم عائشة رضي فاطلعت حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته مارية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكتم عليه فاخبرت حفصة بما رات عائشة رضي الله عنها فغضبت عليه فلم تزل بنبي الله حتى حرمها فنزلت هذه الاية وقال عكرمة نزلت الاية في امراة يقال لها ام شريك وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبا مرضات ازواجه فنزلت الاية والله اعلم ومنهم من قال ان الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم كان عسلا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرابه عند بعض النسا فقالت امراة من نسائه لصاحبتها اذا جاءك النبي صلى الله عليه وسلم فقولي له ما ريح اجد منك فقالت للنبي فحرمه النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وليس لنا الى تعرف السبب الذي وقع التحريم ولا الى تعيين الشيء الذي حرمه النبي صلى الله عليه وسلم حاجة ولكنا نعلم ان الامر الذي كان فهو جرى بينه وبين زوجته وقوله عز وجل والله غفور رحيم اي غفور لما تقدم من ذنبك وما تاخر لو كان او يكون رحيم حيث لم يعاقبك بما اجترأت من الاقدام على اليمين لا بان سبق من الله لك فيه او غفور رحيم عليك وعلى زوجتك ان تابا ولم يعودا الى صنيعهما اي غفور رحيم بما خفف عليك من مؤنة العشرة ولم يحمل عليك ما حملت على نفسك وقوله

قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فمنهم من يحمل هذا على ابتداء الخطاب وينصرف المراد الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يكن يحتاج الى التكفير لازالة المأثم
ولكن نحن نقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان هذا محله فهو وامته في احكام الشرائع مؤاخذون ويكون
على هذا مغفرة زلاته ما تقدم وما تأخر بمباشرة اسبابها من التوبة والكفارة ونحو ذلك فيكون قوله
قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم منصرفا الى النبي صلى الله عليه وسلم وامته ثم يجوز ان يكون رسول
الى التحريم اعني منع نفسه عن الانتفاع بهذا مع اعتقاد الحل لا الى اليمين فجعل الله تعالى ذلك منه يمينا
فيكون فيه دلالة على ان التحريم يمين ولهذا قال اصحابنا رحمهم الله ان من قال لامرأته انت علي حرام
ولا نية له فهو يمين وجائز ان يكون اقسم بالحلف فكنى عنه باليمين ثم قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
على قراءة العامة وفي بعض القراءات قد فرض الله كفارة ايمانكم ووجه الفرض فيه ان الامم من قبل لم
تؤذن لهم بالحنث في اليمين ولا ان يحلوا منها بالكفارة الا ترى الى قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب
به ولا تحنث فلم يأذن له بالحنث واباح له الضرب ثم اباح لهذه الامة حل اليمين بالحنث والكفارة قبل
الحل الى الكفارة وفرج الى تحلالها نفسها من جهة الحنث ثم قوله قد فرض الله لكم اي وسع عليكم
واحل لكم تحلة اليمين ففي هذا ان كل ما ذكر فيه كتب لكم اي فرض لكم فهو في موضع الاباحة والتوسع وما ذكر
فيه عليكم فهو على الايجاب والالزام قال الله تعالى كتب عليكم الصيام وقال كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
وذلك كله في موضع الوجوب وقال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم معناه اباح لكم
الدخول فيها وقوله تعالى والله مولاكم اي اولى بكم فيما امتحنكم من الكفارة وغيرها او اولى بكم في نصركم
والدفع عنكم وقوله عز وجل وهو العليم الحكيم اي العليم بمصالحكم ومقاصدكم او بما تسرون وما تعلنون
او بما كان ويكون والحكيم هو الذي لا يلحقه الخطأ في التدبير او حكيم بما حكم عليكم من تحلة الايمان والله اعلم
ثم في قوله العليم الزام المراقبة والمحافظة ودعا الى التبصر والتيقظ في كل ما يتعاطاه المؤمن من الافعال
ويأتي به من الاقوال وفي قوله الحكيم دعا الى التسليم لحكم الله تعالى الحكيم لا يحكم على احد الا بما فيه حكمة وفائدة
فلزمه تسليم النفس لحكمه على وجه الحكمة فيه واجهله ثم الاصل بعد هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابيح له نكاح التسع وامر بان يحسن صحبتهن ويبتغي مرضاتهن والمرء يعسر عليه صحبة الاربع بحسن العشرة
ويتعذر عليه القيام بمرضاتهن جميعا فكيف اذا امتحن بصحبة التسع فكانت المحنة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امرائنا اعسر منه على غيره وامره هذا ايضا معاملة الخلق مع اختلاف هممهم واطوارهم بحسن
المعاملة ولكن الله تعالى امتحنه بما ذكرناه من الاخلاق والشمائل المرضية ما خف بها عليه هذه المحنة
وسهل عليه المعاملة مع الجملة واتاه من القوة ما ملك بها حفظ حقوقهن وارضاء جملتهن حتى بلغ في
حسن العشرة وابتغاء المرضاة ما عوتب عليه وبلغ من جهده في الاسلام الى ان قيل عبس وتولى وبلغ في
الشفقة والرحمة على الامة الى ان قيل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال وانك لعلى خلق عظيم
وكان من عظيم خلقه بناجا وز خلقه فوق نفسه فكادت نفسه تهلك فيه ثم في قيامه عليه السلام بوفاء
حقوق التسع وارضائهن دلالة نبوته ورسالته لان الناس انما يقوون على الجماع بما يصيبوا من الاطعمة والاغذية
ثم هم مع اصابتهم فضول الاطعمة والاشياء اللذيذة يفترون عن ايفاء حقوقهن وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اثر الزهد في الدنيا وقلت رغبته في مطاعمها ومشاربها وكان مع ذلك يفي بحقوقهن فعلم
بهذا انه انما وصل الى ما ذكرنا بما قواه الله تعالى عليه واقدره لا بالحيل والاسباب ثم ازواج رسول الله
صلى الله عليه وسلم امتحن بالقيام بوفاء حق رسول الله عم وان ينظرن اليه بعين التبجيل والتعظيم فكانت
المحنة عليهن اشد من المحنة على غيرهن من النساء مع ازواجهن لان المرأة قلما تسلم عن رفع اصواتها على صوت
زوجها اذا لم يكن له امرأة سواها فكيف اذا كانت معها اخرى ثم هن لو رفعن اصواتهن على صوت رسول الله
اوجب ذلك احباط عملهن على ما قال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم
لا تشعرون فلا يجوز ان يمتحن بهذه الكلفة الشديدة والمحنة العظيمة الا بما شرح الله تعالى صدورهن وفتح
قلوبهن لاحتمال ذلك ثم المحنة علينا بعد هذا اشد من المحنتين اللتين ذكرناهما لانا امتحنا بمعرفة ما ضمنت
هذه الاية والاعتقاد لذلك وهي قوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك فالذي علينا من المحنة ان نصرف
الامر الى وجه لا يحقر برسول الله صلى الله عليه وسلم تنقيص فنسلم من المؤاخذة فجائز ان يصرف الى
ما ذكرنا من تخفيف الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الاية في موضع تخفيف الامر عليه
وليس في موضع النهي وان خرجت مخرج النهي في الظاهر وجائز ان يكون العتاب لمكان مارية ان كانت قصة
التحريم من اجلها لان رسول الله عم لما اذن له بامساك مارية ولم يندب الى تزويجها لتصل الى قضاء شهوتها
من قبل الازواج فانما تتوصل الى تسكين شهوتها برسول الله عم ثم بتحريمها على نفسه لم يبتغ عنها الحق
اذ الامة لا حظ لها في القسم فيلحقه العتاب من هذه الجهة ولكن لما كان لها فيه مطمع وهو بالتحريم
قطع طمعها فقيل لها لم تحرم ما احل الله لك اي لم يمنع نفسك عن قضاء شهوة اباح الله لها قضاء تلك

الشهوة فيكون في العتاب وعاء له الى ان يعمل باخير الوجهين واخبرهما ان يوصلها الى ما طمعت منه لا ان
يقطع طمعها عنه وان لم يكن لها فيما طمعت حق والله اعلم والمحنة الثانية علينا ان لا ننسب الى ازواج رسول
صلى الله عليه وسلم ما نكره انفسنا نسبة مثله الى الامهات لان لازواجه علينا حق الامهات فان امكننا ان
نخرج من امرهن وجها نسلم عن تنقصهن فعلنا والا امسكنا عن ذكره خشية التنقص وترك التبجيل والتعظيم
الا ترى الى قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وهكذا الواجب على كل مؤمن
ان لا يظن بازواج رسول الله عم ويرضى عنهن الا خيرا وان لا ينظر اليهن الا بعين التعظيم وقال ايضا
سبحانك هذا بهتان عظيم واذا كان هذا حقهن علينا فلا يجب ان يذكر زلتهن كانت كيت وكيت لما
يتوهم ان يكون زلتهن دون الذي خطر على بالنا فيكون قد اعظمناه لقول فيهن فيصيبنا من ذلك
عذاب عظيم كما قال لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما افضتم عذاب عظيم ولقائل ان يقول في قوله
هذا بهتان عظيم من اي وجه صار بهتانا عظيما ونساء رسول الله عم لم تكن معصومات بل كان
يتوهم منهن الصنع الذي رمين به فجوابه ان ازواجه كن بالمحل الذي اذا ابتلين بزلة سرا او جهرا اطلع
الله تعالى ذلك لنبيه عليه السلام الا ترى ان احداهن لما افشت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اخرى اطلع الله تعالى نبيه على ذلك واذا كان لا يستر عليهن هذا القدر من الزلة فكيف يستر عليهن فعل
الزنا منهن فلو وجد من التي رميت فعل الزنا لكان يسبق الاطلاع من الله تعالى لرسوله عليه وسلم قبل
ان يجري به التحادث على السن الخلق فاذا لم يسبق وجب ذلك المعنى براءة ساحتها عما رميت به وصار
الرامي لها به قائلا بالبهتان والزور وفي هذه الاية دلالة جواز العمل بالاجتهاد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لا باذن سبق من الله تعالى اذ لو كان الاذن سابقا لما عوتب عليهم ثم قد ذكرنا لم يعاتب
لزلة او تكبر حتى يكون فيه منع عن العمل بالاجتهاد وانما عوتب لمكان ما حمل على نفسه من فضل المؤنة
في العشرة ثم الاصل ان الاماء لا حظ لهن في القسم وبين لهن من الاتاء ما يكون مثله للحرائر حتى
كان يقسم لها فيؤدي فيه حقها وقد اذن له في امساكها وان لا يزوجها فلا يجوز ان لا يؤتى بتزويجها
ثم هو لا يكون شهوتها لم هو انما يصل الى قضاء وطرها وتسكين شهوتها في نوبة ذلك اليوم لزوجة من زوجاته
فجائز ان يكون الله تعالى اكرمه ان يكن شهوتها وتانيها من حيث لا يعلمها ازواجه بذلك ثم اطلع بعض نسائه
على فعله ليعلمن ان المحنة عليهن بعد العلم وقبل العلم واحدة وان عليهن ان يعظمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان لا يجاهن العثور على الاستقبال له بالمكروه والنظر اليه بالتنقص اذ لم يكن عليهن فيما اتى تلك الامة
واباحتهن تقصير في حقهن اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطي من القوة في الجماع ما يطوف على جملة نسائه
في ليلة واحدة واما ما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كف نفسه عن شرب العسل فذلك يحتمل ايضا و
لكن ما ذكر من تحريم مارية امكن لانه لا يحتمل ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم في شرب العسل من الرغبة
ما يدخل على نسائه المكروه لاجله وجائز ان يلحقهن في استماع رائحته مكروه فيحملهن ذلك على ما ذكر فقد صغت
قلوبكما وقوله عز وجل واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا فلما نبأت به الى قوله فلما نبأت به امر قد طلب
منها اسرار ذلك الحديث الذي اسر اليها وليس بنا حاجة الى تعرف الحديث الذي اسر اليها وفيه دلالة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما علم بافشائها سره الى صاحبتها بالله تعالى وهو قوله واظهره الله عليه وقوله
عز وجل عرف بعضه واعرض عن بعض فقوله عرف قرئ بالتخفيف والتشديد فمن قرأه بالتشديد فهو على ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفها بعض ما انبأت من القصة التي اسر اليها ولم يعرفها البعض لانه لم يكن
الغرض من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبرها بذلك النبأ الذي اسرت اليها وانما كان المقصود منه
تنبيهها بما اظهرت من السر وافشت الى صاحبتها لتزجر الى المعاودة والى مثله والبعض من ذلك يعلمها ما يعلم الكل
فلم يكن الى اظهار الكل حاجة وذكر في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لم افعل ذلك
وسكت عليه وفي هذا ايضا رسالة ومنعهن عن اسرار ما يحتشمن عن ابتداء مثله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فانهن ان فعلن ذلك اظهر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ذلك فيعلم ما يسرون ومن قرأ عرف بالتخفيف
فهو يحمله على الجزاء فيقول عرف بعضه ان يجزي عن بعض ما استوجبه بافشاء السر واعرض عن بعض الجزاء بقول
الرجل لاخر عرف حتى فعرفت له حقه او عرفت حق فاعرف حقك اي قوم بجزاء ذلك وذكر في الاخبار ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة تطليقة ثم نزل جبرائيل عليه السلام فقال له راجعها فانها
صوامة قوامة وانها لزوجتك في الجنة فجائز ان يكون طلاقه اياها جزاء لبعض صنعها ثم من الناس من
يختار احدى القرائتين على الاخرى فيقرأ احديهما ويرغب عن الاخرى وذلك مما لا يحل لان الامرين
جميعا قد وجدا وهو الجزاء والتعريف فجمع الله تعالى الامرين جميعا في اية واحدة وفصل بين الامرين به
بالاعراب فليس لاحد ان يؤثر احدى القرائتين على الاخرى وهذا كقوله تعالى في قصة موسى عليه السلام
لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقد علم موسى عليه السلام وعلم فرعونه فقد كان
الامران جميعا فجمع الله تعالى بين الامرين في اية واحدة فلا يحل لاحد ان يقرأ باحدى الوجهين ويمتنع

عن الوجه الاخر وكذلك هذا في قوله تعالى ربنا باعد بين اسفارنا و ربنا باعد بين اسفارنا لمن قراء باعد بين
اسفارنا حمله على الدعاء ومن قرا باعد حمله على الاخبار وقد كان الامران جميعا الدعاء والاخبار قلبس دلال
بؤ شر احدهما على الاخر فعلى ذلك الحكم في قوله عرف بعضه واعرض عن بعضه والله اعلم وقد وصفنا ما و بل قوله العليم
الخبير شر فيهما ما يدعو الانسان الى المراقبة والتيقظ **وقوله** عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما
في هذه الاية دلالة ان الحديث الذي افشي كان بين زوجين لقوله تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما كان اسر النبي
صلى الله عليه وسلم عند احديهما ومنعها ان تفشي الى الاخرى فافشت لكنا لا نعلم ان ذلك الحديث كما ماذا الكنه
كان منهما ما يجوز ان تعاتبان وتدعيان الى التوبة لقوله ان تتوبا الى الله وان خفي ذلك علينا ثم اذ عرفنا ان
الله جعل عقوبتهن وتاديبهن اشد من العقوبة على غيرهن بقوله من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف
لها العذاب ضعفين فيجوز ان يندبن الى التوبة بادنى زلة حقها التجاوز عن غيرهن ثم **قوله** ان تتوبا الى
الله فقد صغت قلوبكما فجائز ان زيادة في الكلام وحقر الحذف فيكون معناه توبا الى الله فقد صغت قلوبكما
و يوقف عليه تم يبتدأ بقوله وان تظاهرا عليه وجائز ان يكون حقه الاثبات فلا يكون حرف ان زيادة و
يكون معناه ان تتوبا الى الله والا فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فيكون الجزاء فيه مضمرا وجائز
ان يكون جزاء صنيعهن ان يطلقهن فكانه قال ان تتوبا الى الله والا طلقكن فيكون في هذا انه حبب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليهن حتى اشتد عليهن الطلاق وخرج الطلاق مخرج العقوبة لهن على صنيعهن و
الله اعلم **وقوله** فقد صغت قلوبكما اي مالت عن الحق الذي لرسول الله عليكما وحق الرسول صلى الله عليه وسلم
حق عظيم يردفه العتاب بادني تقصير **وقوله** عز وجل وان تظاهرا عليه هذا في الظاهر مغايبة فينبغي ان يذكر
على المخاطبة فيقال وان تظاهرتما عليه كما قال تعالى ان تتوبا الى الله قيل جائز ان يكون معنى قوله ان تتوبا الى
الله تابتا و رجعنا على ارادة المغايبة وان كان اللفظ لفظ المخاطبة ولكن الصحيح ان قوله وان تظاهرا على المخاطبة
معناه وان تتظاهرا والله اعلم **وقوله** عز وجل فان الله هو مولاه حق هذا ان يقف عليه ثم يقول جبريل وصالح
المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير حتى لا يتوهم ان غير الله تعالى مولاه ثم ذكر هذا الابلاغ في التهويل
والا فالواحد من هؤلاء المذكورين يكفي لازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ذكر عقوبتهن اذا وجد منهن
الخلاف بقوله يضاعف لها العذاب ضعفين والاصل ان المبالغة في التاديب مما يعين المؤدب على حفظ
الحدود وكذلك المجاوزة في حد العقوبة معونة له في تاديب النفس حتى يملك حفظ نفسه عما يدعو اليه
نفسه **وقوله** عز وجل وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طلق
حفصة دخل عليها عمر رضي الله عنه فقال لو علم الله تعالى في ال عمر خيرا ما طلقك رسول الله فنزل
جبريل عليه الصلوة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بامره بمراجعتها وذكر انها صوامة
قوامة فجائز ان يكون حفصة رضي الله عنها تصوم النهار وتقوم الليل في غير نوبتها فلا يعلم بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلعه جبرائيل عليه السلام على ذلك وروي عن ابي امامة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل هم الانبياء والرسل عليهم
السلام وذكر الحسن انه قال صالح المؤمنين من لم يتبر نفاقا ولا اظهر فسقا ثم خص من المؤمنين الصالحين
منهم ولم يعم جملة المؤمنين فهذا والله اعلم لانه لو ذكر المؤمنين على الاجمال لدخلت فيه الزوجان اللتان
تظاهرتا لان اصغاء القلب لا يخرجهما عن ان يكون من جملة المؤمنين ولانه ذكر هذا في موضع المعونة
في امر الدين وصالح المؤمنين هم الذين يقومون بالمعونات في امر الدين **وقوله** عز وجل عسى ربه ان طلقكن
ان يبدله ازواجا خيرا منكن وعلى قول المعتزلة لا يملك ان يبدل خيرا منهن اذ لا يقدر على ان يجعل
في احد خيرا على قولهم ولا يملك ان يبدله ازواجا لانه لا يقدر على زعمهم على ان يجعل احدا من النسوان
زوجه لاحد من وانما المشية والاختيار الى المتزوج والمتزوجة والفعل منهما وعلى قولنا يملك ان
يجعل الخير لمن شاء فيمن شاء وله ان يجعل من النسوان زوجة لمن شاء من الرجال فهذه الاية تشهد
بالصدق لمقالتنا وترد على المعتزلة قولهم لانه حمل الابدال الى نفسه بقوله يبدله وعلى قولهم لا يملك
ان يبدلها وعدتم في هذه الاية اباحة الابدال واباحة الطلاق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي قوله لا يحل
لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج حظر الابدال فجائز ان يكون قوله لا يحل لك النساء من
بعد متقدما وقوله عسى ربه ان طلقكن متاخرا فيصير ما تقدم منسوخا بهذه الاية الذي يدل على صحة
هذا ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما خرج رسول الله عليه السلام من الدنيا حتى احلت
له النساء فثبت ان الحظر كان متقدما ثم وردت الاباحة من بعد فحمل الايتار على التناسخ ليرتفع التناقض
من بينهما وجائز ان يكون حظر عليه الابدال اذا قصد بالطلاق قصد الابدال بما اعجبه من الحسن
كما قال ولو اعجبك حسنهن الاية فاذا كان قصده من الطلاق الابدال كان ذلك محظورا عليه
واذا لم يقصد بالطلاق قصد الابدال ولكن يقصد به قصد المجازات للخلاف الذي اظهر ابيح له
ذلك ثم الله تعالى يبدل له خيرا من المطلقة وهو ليس يقصد بالطلاق في قوله عسى ربه ان طلقكن قصد

الابدال

الابدال واذا كان كذلك سلمت الايتان عن التناقض وذكر عن ابي بن كعب رضي الله عنه انه سئل فقيل اكان
يحل لرسول الله ابدال امراة بامراة فقال بلى فسئل عن قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل
بهن من ازواج فقال هذا منصرف الى من هن من وراء المسميات وهو كقوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك
وبنات خالك وبنات خالاتك الى قوله وامراة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي فذكر بنات العم وبنات الخال
والاجنبيات وحظر عليه من سواهن من المحارم فيكون فيه ابانة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد كان حظر عليه تزويج محارمه من ذوي الرحم كما حظر على غيره اذ هو موضع الاشكال انه لما حل له
زيادة على الاربع يحل له ذوات الارحام من المحارم فازال الاشكال به **وقوله** عز وجل خيرا منكن فجائز
ان يكون خيرا منهن للرسول عليه السلام لان يكن خيرا في انفسهن لانه قال مسلمات مؤمنات قانتات
الا ترى الى ما ذكر ان جبرائيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم راجع حفصة فانها صوامة
والذي يدل على هذا ايضا قوله تعالى في اخر هذه الاية ثيبات وابكارا وقد وجدت هاتان الصفتان
في ازواجه فثبت ان معناه ما ذكرنا وجائز ان يكن خيرا منهن ايضا في انفسهن من حيث الجمال والنسب ونحو
ذلك او يصرن خيرا منهن لما يتركن الخلاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتظاهرن عليه ويكن
هؤلاء دونهن اذا التزمن الخلاف ودمن على التظاهر فاما اذا امكن لمن الخلاف وتبن عما سبق
من الخلاف فهن وغيرهن بمحل واحد **وقوله** عز وجل مسلمات مؤمنات قد بينا ان كل مسلم مؤمن
في التحصيل لان معنى الاسلام والايمان واحد اذ الاسلام هو ان يجعل الله الاشياء كلها لله تعالى
خالصة سالمة لا يشرك فيها وغيره والايمان التصديق وهو ان يصدق ان الله تعالى رب كل شيء
واذا صدقه انه رب كل شيء فقد جعلت الاشياء كلها له سالمة او يصدق كل ما يشهد لله تعالى
بالربوبية بجوهره فثبت ان كل واحد منهما يقتضي ما يقتضيه الاخر من المعنى فاذا ذكر احدهما
بالانفراد ففي ذكره ذكر الاخر واذا اجتمعا في الذكر صرف هذه الى وجه وهذا الى وجه وهكذا كما ذكر
في التقوى انه يقتضي معنى الاحسان اذا ذكر مفردا لان التقوى هو ان يتقي من المهالك والاتقاء
عن المهالك يقع باكتساب المحاسن واذا ذكرا معا صرف التقوى الى الاتقاء الكفر والاحسان الى فعل
الخيرات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يؤمن من لم يامن جاره بوائقه وقال المسلم
من سلم الناس من لسانه ويده فصرف هذا الى وجه وهذا الى وجه وهما في التحصيل واحد لانهم
اذا امنوا بوائقه فقد سلموا من لسانه ويده **وقوله** عز وجل قانتات قيل مطيعات وقيل القائمات
بالليل للصلوة وهذا اشبه لانه ذكر السائحات بعد هذا والسائحات الصائمات وذكر الصيام
بالنهار فيكون تاويل القانتات راجعا الى قيام الليل ليكون فيه احياء الليل والنهار بالعبادة
ولذلك قال جبرائيل صلوات الله عليه في وصف حفصة رضي الله عنها انها صوامة قوامة اي
صوامة بالنهار وقوامة بالليل وذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن افضل الاعمال
فقال طول القنوت وهو القيام بالليل **وقوله** عز وجل تائبات هذه اللاتي لا يصررن على الذنب بل
يفزعن الى الله تعالى بالتوبة والتضرع اذا ابتلين بالخطيئة **وقوله** عابدات ذكر ابو بكر ان العابد لا يسمى
عابدا حتى يتطوع فان كان على هذا ففيه انهن يقمن باداء الفرائض ويتطوعن مع ذلك وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كل عبادة في القران فهو توحيد والعابدات الموحدات فالموحد
هو الذي يصدق ان خالق الخلق كله واحد لا شريك له فجائز ان يكون العابد موحدا لانه
يعمل لله تعالى خالصا لا يشرك في عبادته احدا فيكون فيها معنى التوحيد لكن من حيث الفعل فيكون
احد التوحيدين بالقبول والثاني بالمعاملة والفعل وقيل العابد هو الذي يؤدي الفرائض **وقوله** عز وجل
سائحات هو الذي يسيح في الارض بغير زاد فسمي الصائم سائحا لما كف نفسه عن التناول من الزاد
فقوله سائحات اي صائمات **وقوله** عز وجل ثيبات وابكارا لم يرد به انه ينشئ نسوة ابكارا وثيبات
ولكن معناه انه يبدله منكن بهذا الوصف ثم جمع بين الثيبات والابكار لان الثيات مما يقل رغبة
الخلق فيهن وينفر منه الطبع فجمع بينهما في موضع الامتنان على الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم
لا تصرفوا كل الرغبة الى الابكار بل تزوجوا الثيبات كما تزوجون الابكار والله اعلم **وقوله** عز وجل
يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا يحتمل ان يكون معناه قوا انفسكم فيما يدعوا اليه انفسكم
لان الانفس تامرهم بالسوء وتدعوهم اليه كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وجائز ان يكون قوله تعالى قوا انفسكم اي قوها عن الطريق الذي
اذا سلكتموه افضى بكم الى النار وقوا اهليكم ايضا عن ذلك الطريق وذلك يكون بالعمل لان العمل
على ضربين عمل يفضي بصاحبه الى الجنة وعمل يفضي به الى النار فيكون التقوى في هذا الوجه راجعا الى
الاعمال وفي الوجه الاول الى الانفس ويحتمل قوا انفسكم باكتساب الاسباب التي هي اسباب النجاة
عن العطب والهلاك واهليكم في ان يعلموهم الاسباب التي هي اسباب الخلاص عن النار وقال مجاهد

تاويله قوا انفسكم ولبقي اهلوكم النار ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة وقنا عذاب النار قال هاهنا التضرع اليه والفزع لديه ليكون هو بفضله يقي عنا النار لما علم
انا لا نصل اليه بقوى انفسنا وحيلنا وقوله عز وجل وقودها الناس والحجارة فهذا على المبالغة في
وصف شدة النار واخبر ان شدتها ينتهي الى هذا فان صار الناس وقودا وكذلك الحجارة والناس والحجارة
لا ينفذان في النار ولان النار اذا عملت في الانسان حرقته ولم ينفد فلا يصير وقودا وكذلك اذا عملت
الحجارة رضتها ولينتها فيكون فيه تبيين شدتها ابلاغا في الزجر وجائز ان يكون اريد بالحجارة التي
اتخذوها اصناما يعبدونها من دون الله فكانوا يعبدونها لينصرهم ويدفع عنهم العذاب كما قال
تعالى واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون وقال واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا اي يصيرون بلاء عليهم وهم رجوا ان يكون سبب الخلاص
فصارت عليهم ضدا وقوله عز وجل عليها ملائكة غلاظ شداد فجائز ان يكون هذا وصفهم انهم
خلقوا غلاظا شدادا وجائز ان يكونوا اشداء على الكفار واعداء الله تعالى رحماء على اوليائه الا ترى الى قوله
تعالى ويفعلون ما يؤمرون فبين ان اشتدادهم بمكان الامر وهو كقوله تعالى والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم وصفهم بالشدة على الكفرة وبالرحمة على المؤمنين فجائز ان يكون الملائكة كذلك في
الاخرة وهذا دلالة ان الملائكة امتحنوا بالامر والنهي في الاخرة لان الملائكة الرحمة امتحنوا باتيان
التحف والكرامات الى اهل الجنة وملائكة العذاب امتحنوا بتعذيب اهل النار وبالغلظة عليهم و
الشدة واذا امر كل من الفريقين بما ذكرنا فقد نهي عن تركه قال ابو بكر الاصم في قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وفي قوله يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا الاية الزام الوعيد
باهل الصلوة لانه الزمهم الاتقاء من النار والزمهم التوبة ليكفر عنهم سيئاتهم ولو لم يكن الوعيد
لازما عليهم لم يكونوا يحتاجون الى الاتقاء وهذا منه ومن جملة اهل الاعتزال تحريف الكلام عن
مواضعه لان الله تعالى ذكر هذا الوعيد في اهل الايمان بقوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم و
اهليكم نارا وقال يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ولم يذكر الله تعالى اهل الصلوة ولا الحق بهم
الوعيد فهم يقطعون الوعيد عمن الحق الله تعالى بهم الوعيد وهم المؤمنون ويلزمونه على من لم
يذكره في القران ولا الحق به الوعيد وهذا تحريف الكتاب وقلب القصة ولانه انما صار من اهل الصلوة
بايمانه اذ لولا ايمانه لما كان هو من اهل الصلوة فاذا الحقوا الوعيد باهل الصلوة فقد الحقوه باهل
الايمان فلم يبق بيننا وبينهم الا سوء الخلق والا فلا معنى لقلبه عن اهل الايمان والحاقه باهل الصلوة
واهل الصلوة هم اهل الايمان ثم الوعيد على قولهم انما يلزم اهل الايمان في وقت خروجهم من الايمان
ونحن نقول في الوعيد المذكور في اهل الايمان انه يجوز ان يلحقهم وقت ايمانهم ويعذبهم الله تعالى
باجرامهم ويحتمل ان يقع لهم الوعيد اذا خرجوا من الايمان وهم يقطعون الوعيد من احد الوجهين
ويجعلونه على الوجه الاخر ونحن نلزمهم الوعيد اذا خرجوا من الايمان ولا ينفي الوعيد عمن لم يخرج
بعد من ايمانهم فصرنا نحن اشد استعمالا لما يقتضيه ظاهر الايات منهم فصار العموم حجة عليهم لا علينا والله
اعلم وقوله عز وجل يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم ليس في هذا نفي قبول العذر لو كان لهم عذر
ولكن اعتذارهم هو الندم عما كانوا فيه ولا انابة الى الله تعالى والتوبة اليه وليس ذلك وقت قبول
التوبة لان ذلك الوقت هو وقت خروج ملك انفسهم عن انفسهم فلا يقبل في ذلك الوقت ايمان
ولا عمل وقوله عز وجل انما تجزون ما كنتم تعملون يعني ان عملكم السوء هو الذي الزمكم العذاب في الحكمة
فتجزون بعملكم ولستم تجزون لمنفعة ترجع الينا او بما حملتم من اوزار الغير ولكن باعمالكم الخبيثة التي
في الحكمة التعذيب بمثلها وفي هذا دلالة نفي العذاب عن اطفال المشركين لانه لم يوجد منهم عمل فيجزون
بعملهم ولا يجوز ان يعذبوا بذنوب ابائهم لانه اخبر انه كلا يجزى بعمله لا بعمل غيره والله اعلم وقوله
يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ففي هذه الاية الزام التوبة على بقاء اسم الايمان لانه الزمهم
التوبة بعد ان سماهم مؤمنين واخبر انه يكفر عنهم سيئاتهم بالتوبة ومذهب الاعتزال ان الصغاير
مغفورة لاربابها اذا اجتنبوا الكباير فلا يحتاجون الى التوبة عنها واذا كان كذلك فالاية في الكباير
عندهم والكباير يخرج اهلها على قولهم من الايمان والله اعلم فقد ابقى لهم اسم الايمان فمن ازال عنهم
الاسم فقد خالف نص القران وان زعموا ان الاية في الصغاير ففيه دلالة على ان الله تعالى ان يعذب
على الصغاير وانها غير مغفورة حتى وقعت لهم الحاجة الى التوبة وطلب المغفرة وقال ايضا في اية اخرى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون فاما ان يكونوا امروا بالتوبة عن الصغاير فيكون
فيه دلالة بقائهم على الايمان وكذلك قال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وان كان استغفاره
هذا على الصغاير ففيه دلالة انها غير مغفورة لحاجته الى طلب المغفرة ولو كان الامر على ما ظنت المعتزلة
لكان سؤاله المغفرة يخرج الاستهزاء برب العالمين لانه يطلب منه ما لا يملك وذلك في الشاهد هزؤ به

واستغفار

واستغفار بالمسئول وان كان في الكباير ففيه دلالة بقائهم وثباتهم على الايمان لانه قال وللمؤمنين
والمؤمنات ثم قوله تعالى توبة نصوحا قرئ بنصب النون وضمها نصوحا ونصوحا والضم يخرج مخرج المصدر و
النصوح بالفتح يخرج النعت للتوبة والفعول من الافعال هو اسم للمبالغة في الامر فكانه يقول توبوا توبة
تناهت في نصحها والمبالغة في النصح ان يكون صادقا في توبته وعلامة الصدق ان يكون نادما بقلبه
عما فعل عازما على ان لا يرجع اليه وان يقلع بدنه عما كان فيه من المعاصي وان يستغفر الله بلسانه ثم
يستعمل كل جهده في الندم والانقلاع كما استعمل سائره في التلذذ بالمأثم فذلك هو المبالغة في النصح
وقوله عز وجل يكفر عنكم سيئاتكم بالتوبة ففي هذا الابانة ان من السيئات لا يكفر الا بالتوبة ومنها ما يكفر
باجتناب الكباير بقوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم لا ان يكفر كلها بالاجتناب
عن الكباير كما زعمت المعتزلة وقوله عز وجل ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وقد مر بيان هذا
وقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والمعتزلة بهذه الاية تعلق وهو انه قالوا بان الله تعالى
اخبر انه لا يخزي النبي والمؤمنين والاخزاء بالعذاب فقد وعد ان لا يعذب الذين امنوا ولو كان اصحاب
الكباير مؤمنين لم يخف عليهم العذاب اذ قد وعد ان لا يخزي المؤمنين ومن قولكم انه يخاف عليهم العقاب
فثبت انهم ليسوا بمؤمنين ولكن نقول ان بهذا السؤال يلزمهم من الوجه الذي ارادوا الزام خصومهم
لان في الاية وعدا بان لا يخزي الذين امنوا وهم يقرون ان اهل الكباير ممن قد امنوا ولكنهم بعد ما
ارتكبوا الكباير ليسوا بمؤمنين والاية لم ينطق بنفي الاخزاء عن المؤمنين لانه لم يقل يوم لا يخزي الله
النبي والمؤمنين وانما قال والذين امنوا وهم يقطعون القول باخزاء من قد امن فصاروا هم المحجوجين
بهذه الاية ثم حق هذه الاية عندنا ان نقف على قوله النبي اي لا يخزيه الله تعالى في ان يرد شفاعته
او يعذبه وقوله والذين امنوا معه ابتداء كلام وخبره ويسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وهو
كقوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به او لا يخزي الذين امنوا بعد شفاعة النبي صلى الله
عليه وسلم ويحتمل ان الاخزاء هو الفضيحة اي لا يفضحهم يوم القيمة بين ايدي الكفار ويجوز ان
يعذبهم على وجه لا يقف عليهم الكفرة والخزي هو الفضيحة وهتك الستر ولا يفعل ذلك بالمؤمنين
بفضله والله اعلم وقوله عز وجل يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم اي بين ايديهم اذا مشوا وبايمانهم
عند الحساب لانهم يؤتون الكتاب بايمانهم وفيه نور وخير او يسعى النور بين ايديهم في موضع و
ضع الاقدام وبايمانهم لان ذلك طريقهم وشمائلهم طريق الكفرة وقوله عز وجل يقولون ربنا اتمم
لنا نورنا فجائز ان يقولوا هذا عند انطفاء نور المنافقين فيخافون انقطاع ذلك النور عنهم ايضا
ويقولون هذا عند ضعف النور وقلة النور الا تمام والله اعلم وقوله عز وجل يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين قيل جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باقامة الحدود عليهم وذلك ان المنافقين
هم الذين كانوا يرتكبون المأثم التي اوجب فيها الحدود ففيهم نزلت الحدود واما اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عصموا عن المأثم التي فيها الحدود وقالت الباطنية في قوله
جاهد الكفار والمنافقين اي جاهد الكفار والمنافقين بالقتال فكان مأمورا بالقتال مع الفريقين
جميعا ولكنه اشتغل بقتال اهل الكفر ولم يتفرغ لقتال اهل النفاق فتولى قتالهم علي بن
ابي طالب رضي الله عنه وما ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه حين راى عليا
رضي الله عنه يخصف نعله ان خاصف نعله يقاتل على التاويل كما تقاتل نحن على التنزيل وقتاله
على التاويل قتال اهل النفاق فان كان الامر على ما ذكروا من القتال فابو بكر رضي الله عنه هو الذي
تولى قتال اهل النفاق لا علي رضي الله عنه لانه ذكر ان العرب ارتدت بعد ما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتلهم ابو بكر رضي الله عنه وارتدادهم يدل على انهم لم يكونوا محققين
في ايمانهم اذ لو كانوا كذلك لم يرجعوا بل كانوا منافقين واما الذين قاتلهم علي رضي الله عنه
فلم يكونوا منافقين بل كانوا يدعون عليا رضي الله عنه الى ان يحكم بكتاب الله تعالى والمنافق هو
الذي يظهر من نفسه انه يعمل بحكم الله تعالى ثم يسر بخلاف حكم لا ان يدعو الى العمل بحكم الله تعالى
وهذه السمة ظهرت في الذين قاتلهم ابو بكر رضي الله عنه دون الذين قاتلهم علي رضي الله
عنه ثم مجاهدته صلى الله عليه وسلم في تقدير الحجة في قلوب الكفرة والمنافقين والزامها
عليهم وذلك يكون مرة بالسيف ومرة بالزامها باللسان ووجه الزام الحجة بالسيف ما ذكرنا ان
غلبته على الاعداء مع كثرة شوكتهم وقلة انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر لهم
نصر الله اياه وكونه على الحق فيحملهم ذلك على الايمان بالله تعالى واذا كان كذلك فقوله جاهد
الكفار والمنافقين في الزام الحجة فان كانوا في موضع امن فمجاهدتهم في الزام الحجة عليهم من
جهة القول وان كانوا في موضع المحاربة والقتال فمجاهدتهم في قتالهم وقد كان من المنافقين
من قد لحق بالكفرة وذبت عنهم الا ترى الى قوله فما لكم في المنافقين فئتين فمن لحق بهم قاتلهم مع الكفرة

ومن لم يلحق بهم الزمهم الجنة والله اعلم وقوله عز وجل واغلظ عليهم اي اشدد عليهم والتشدد عليهم ان تنتقم
اعلامهم ويهتك استارهم وهوان يبين لهم ما هو عليه من النفاق وقوله عز وجل ومأويهم جهنم وبئس
المصير قد تقدم ذكر هذا ثم في قوله يا ايها النبي جاهد الكفار دلالة فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على من
تقدمه من الانبياء والرسل عليهم السلام لانه ذكر موسى عليه السلام في التورية يا موسى وفي الانجيل يا عيسى
وفي مخاطبات ادم يا ادم فسمى كل نبي باسمه سوى نبينا صلى الله عليه السلام فانه ذكره وخاطبه بقوله
يا ايها النبي يا ايها الرسول وبالنبوة والرسالة استحق الفضيلة فذكره باسم فضله وخاطبه به وذكر غيره
من الانبياء عليهم السلام باسمهم وقوله عز وجل ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا
تحت عبدين من عبادنا صالحين فجائزان هذا المثل لمكان الكفرة الذين لهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
اتصال من حرمة القرابة فكانوا يطمعون منه الشفاعة في الاخرة ان كان الامر على ما ذكر محمد صلى الله عليه
وسلم لانهم عرفوه بالشفقة والرحمة على الخلق جملة فكيف يدع شفقة ورحمته على قرابته وهو براهم
يترددون في الهلاك فبين لهم شان امرأة نوح وامرأة لوط وما كان بينهما وبين نوح ولوط عليهما السلام
من الاتصال لان لا يغتروا باتصالهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجائزان يكون هذا في بدء الاسلام في الوقت
الذي تفرد الاباء بالاسلام دون الابناء والابناء دون الاباء فيكون المثل لمكان اولئك الذين التزموا
ودوموا عليه ولم يتبعوا اباءهم وابناءهم فيقول لا ينفع من دام على الكفر اسلام من اسلم منهم واذ
كان بينهما قرب من جهة الابوة والنبوة لان رحمة الانسان وشفقته على زوجته اكثر من شفقته على
ما ذكرنا وكذلك الاتصال فاذا لم ينفعها اسلام زوجها فكذلك لا ينفع اولئك الذين داموا على الكفر اسلام
من اسلم من ابائهم وجائزان يكون هذا المثل لمكان اهل النفاق فيما اظهروا موافقة المؤمنين واسروا الخلاف
له فيخبر انه لا ينفعهم اظهار موافقتهم في الدين اذا كانوا على خلافه في التحقيق كما لم ينفع زوجتي نوح و
لوط عليهما السلام اظهار الموافقة منهما لزوجيهما اذا كانتا على خلاف فهما في الشر والله اعلم قال ابو بكر الاصم
في هذه الاية دلالة ان صلاح الصالح لا ينفع للطالح كما لم ينفع صلاح نوح ولوط عليهما السلام للزوجتين
اذا كانتا في انفسهما فاسدتين واراد بهذا نفي الشفاعة لاهل الكبائر وليس كما ذكر لان هذا المثل ضرب
للكافر لا للعصاة اذ لو يقل ضرب الله مثلا للذين عصوا فليس له متعلق في هذه الاية ثم قد يجد صلاح الصالح
في الشاهد ينفع الطالح وان لم ينفع الكافر لان المرأة قد يكون له زوجة طالحة يمتنع عن كثير من الشرور لمكان
زوجها من اهل الصلاح والبر وكذلك الولد ينفعه صلاح والديه في الدنيا اذ يخشاهما ينتهي عن كثير من

صلاح الصالح لا ينفع للطالح عند المعتزلة وينفع عندنا

المناهي لصلاحها فكذلك ينفعه صلاح والديه وينفعهما صلاح زوجيهما فجائز ان ينفع الطالح ايضا في الاخرة
صلاح الصالحين واما الكافر فهو لم ينفع عن الخلاف بل كان ابو بر ولا لكان احد من الخلق فلم ينفعهم
اسلام ابويه ولا صلاحها في الدنيا فكذلك لا ينفعه في الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل فخانتاهما فلم
يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين اي فخانتاهما في الدين ومنهم من ذكر ان خيانة امرأة
نوح هوان اخبرت قومها بجنون زوجها وكانت خيانة امرأة لوط هوان اخبرت قوم لوط بضيفانه
ولكن ان كان هذا صحيحا فهو يرجع الى الاول لان الذي حمل كل واحدة منهما على الاخبار بما اخبرت
موافقتهما لاولئك القوم وخلافهما لزوجيهما في الدين فلا يجب ان يشهد بهذا الا بتواتر جاء والذي بعضهم
انهما زنيا فخانتهما زناهما وهذا غير ثابت لان الانبياء قد عصموا من العار والشنار اليهم
والزوج يعير بزنا زوجته وفراشه وفيه توهم التهمة في اولادهم فذلك ان صلاح الصالح بل يجب بجميع
وما جنبنا الى وجوب الخبار سيما دون التعيير ولا يجب ان يشهد بهذا الا بتواتر جاء من نجى الجنة وقوله
عز وجل ضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون وجه ضرب المثل بها هوان المشهور تحت ايدي

لا ينفع للرجل اسلام احد ولا كفره

الكفرة لان لا عذر له في التخلف عن الايمان بالله تعالى اذ كانت امرأة فرعون مقهورة تحت يده وكانت
بين ظهراني الطغاة ولم يمنعها ذلك من الايمان بالله تعالى وعن التصديق برسوله موسى عليه السلام والثاني
انها لم تشاهد من زوجها ومن القوم بين ظهرانيهم سوى الكفر بالله تعالى فكذلك بلغتها الايمان
به فامنت وكانت امرأة نوح تحت نوح ولم تشاهد منه سوى الطاعة والعبادة لربه جل وعلا ثم لم ينفعها
ايمانه وعبادته لربها انه لا ينفع احدا اسلام احد ولا يضر احدا كفر غيره انما يصير مؤمنا بفعل نفسه كافرا
بفعل نفسه وقوله عز وجل اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ولم ترد بقولها ابن لي عندك بيتا بقيام
الوجه الذي عرفت بناء زوجها وغيره من الخلائق وانما ارادت بقولها ابن لي اي اخلق لي بيتا في الجنة
وذلك انه يفهم احد بقوله فنفخنا فيه من روحنا فهم الخلق من النفخ في الانشاء وانما فهمنا هو الخلق
والانشاء فيها بالشبه فهو من قوله ثم استوى الى السماء ومن قوله الرحمن على العرش استوى فهما
من الاستواء الصفا في الخلق لولا ضعف اعتقادهم وجهلهم بما نهم في التحقيق لجاز الاصل ان
ينظر الى الاسماء التي هي اسماء الافعال المشتركة فيها بين الخلق اذا اضيف شيء منها الى الله تعالى فيعرضها على
الاسماء التي هي اسماء الافعال المخصوصة لله تعالى فما اريد بالاسم المخصوص من ذلك فذلك المعنى مراد

قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيئا كذا في الاحياء احمد

بالاسم المشترك

بالاسم المشترك فالاسم المخصوص بفعل الله تعالى هو الخلق اذ لا احد يسمي احدا من الخلائق خالقا فيفهم
بقوله ابن لي عندك بيتا اي اخلق لي ويفهم من قوله فنفخنا فيه من روحنا الخلق والانشاء والذي يبين ان
الاسماء المخصوصة ويفهم بها ما يفهم بالاخرى قوله تعالى يسيركم في البر والبحر ومعناه هو الذي يخلق
سيركم في البر والبحر وقال هو الذي يحيي ويميت اي يخلق الموت والحياة قال يضل من يشاء اي يخلق الضلال
ويهدي من يشاء اي يخلق هدايته ومن حمل الامر على ما ذكرنا سلم من الشبه كلها ومن وساوس الشيطان
وسلم من التشبيه والله الموفق وفي هذا دلالة ايمانها بالبعث والحساب ثم من الجائز ان يكون وصلت الى
علم البعث والحساب بالتلقين او بنظرها وتفكرها في الحجج والبراهين وذكر اهل التفسير انها قالت ذلك
عندما عذبها فرعون واختلفوا في صفة العذاب من وجه وحق مثله الامساك عنه ولا نشتغل بتفسيرها
لما يتوهم من وقوع زيادة فيها او نقصان على القدر الذي بين في كتب المتقدمة وهذه الانباء جعلت
حجة لرسالة نبينا عليه السلام على اهل الكتاب والاعراض عن ذكرها لما وجد وما موافقة للانباء التي ذكرت
في كتبهم واذا وقع فيها زيادة او نقصان توجد وافيه موضع الطعن في رسالته فلهذا المعنى ما يجب ترك الخوض
فيها والاعراض عن ذكرها وذكر عن الحسن وغيره انه ما من مؤمن ولا كافر الا ويبنى له بيت في الجنة فان مات
على الاسلام سكن البيت وان قبض كافرا اورثه غيره وهذا لا يحتمل لان الله تعالى اذا علم انه يموت على الكفر فهو
يبنى له ذلك اكبار يسكنه ومن بنى لنفسه في الشاهد وهو يعلم انه لا يسكنه صار عابثا في فعله وجل الله تعالى عن
ان يوصف بالعبث وقوله عز وجل ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين اي نجني من شر فرعون
وجوره ومن عمله اي من كفره فيكون قولها نجني من فرعون راجعا الى نفسه والاخر راجعا الى عمله ونجني
من القوم راجعا الى قومه فسالت النجاة عنهم جملة لما كانوا يمنعون بها عن عبادة الله تعالى فكانت تخاف
ناحيتهم ولا تأمن وتخاف منهم فسألت النجاة منهم لتصل الى عبادة ربها وقوله عز وجل ومريم ابنت
عمران التي احصنت فرجها فاخبر عنها باحصانها فرجها وذلك بالاسباب وهي ما اتخذت بين نفسها وبين
الناس حجابا لئلا يقع بصر الناس عليها ولا يقع بصرها عليهم فيصل به التحصين فرجها قال الله تعالى قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وهما اذا غضوا الابصار وصلوا الى حفظ الفروج
ففي الحجاب غض البصر وفي غض البصر وصول الى حفظ الفرج واحصانه وقال في اية اخرى يا مريم ان الله
اصطفاك واصطفاك وطهرك اباها في ان طهرها من الفواحش وانزها فاضاف الاحصان
اليها في الاية الاولى واضاف التطهير هاهنا الى نفسه فوجه اضافة الاحصان اليها ما ذكرنا انها
تكلفت الاسباب التي هي اسباب الموانع للزنا الدواعي الى الاحصان واضاف الى نفسه التطهير لان
وقوع ذلك حصوله كان به فضيلة دلالة ان كل فعل من افعال العباد لا يخلوا من ان يكون لله تعالى فيه
صنع وتدبير وقوله فنفخنا فيه من روحنا اي خلقنا فيه ما به يحيي الصور والابدان وقوله فيه اي في
عيسى وقال في اية اخرى فنفخنا فيها اي في نفس عيسى عليه السلام والنفس مؤنث ثم تشبيهه بالنفخ ان الروح اذا
خلق فيه انتشر في الجسد كالريح اذا نفخت في شيء انتشرت فيها والتشبيه بالنفخ لسرعة دخوله فيه كالريح
والله اعلم وقوله وصدقت بكلمات ربها فجائز ان يكون الكلمات التي هي بشرت بها مريم من قوله ان الله يبشرك
بكلمة منه اسمه المسيح وقوله تعالى يا مريم اقنتي لربك وقوله يا مريم ان الله اصطفاك وقوله وهزي
اليك بجذع النخلة فصدقت بجملتها من عند الله لا شيء القى اليها الشيطان او صدقت بكلمات ربها اي
بحجج ربها وبراهينه ويحق الله الحق بكلماته اي بحججه وادلته ثم يكون الحجج حجج البعث او حجج الرسالة او الوحدانية
اي ويكون قوله وصدقت بكلمات ربها اي بالكلمات التي يتعاذ بها من الشرور وصدقت انها تعيذ من تعوذ
بها والله اعلم وقوله وكتابه وقرئ وكتبه وفي تصديقها بالكتاب تصديق منها بالكتب لان من امن بكتاب
من كتب الله تعالى فقد امن بسائر كتبه لانها يوافق بعضها بعضا ومن امن بكتبه فقد امن بكل كتاب له
على الاشارة اليه فثبت ان في الايمان بكتاب ايمان بسائر الكتب فكل واحدة من القرائتين تقتضي معنى القراءة
الاخرى فان قوله بكتابه اي بالانجيل وقوله بكتبه اي بالانجيل وسائر الكتب المتقدمة المنزلة من عند الله
تعالى وقوله عز وجل وكانت من القانتين قيل من المصلين لانه قال في اية اخرى يا مريم اقنتي واسجدي واركعي
مع الراكعين واذا وصف وصف الصلوة فالتزمت هذا الامر فصارت من القانتين وقيل اي من
المطيعين لربها والله اعلم بالصواب وصلى الله على رسولنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك قيل تعالى وتعاظم وتبارك تفاعل من البركة
والبركة كناية عن نفي كل عيب قال عز وجل وانزلنا من السماء ماء مباركا اي ماء لا كدورة فيه ولا قذر بل
هو ماء مطهر من كل افة ومنه فمعنى قولنا تبارك اي تعالى من ان يكون له شبيه وعدل وتعاظم عما قالت

فيه الملحدة ومن ان يلحقه المعايب والآفات وقوله بيده الملك اى الذى له ملك الملك لانه قال فى موضع اخر قل
اللهم مالك الملك اى الذى له الملك فذكر اليد هاهنا مكان المالك هنالك فامتدح جل وعلا بملك الملك
وكونه مالكا له والمعتزلة يقولون بان ملك ملك الكفرة ليس له وانه لا يؤتى الملك للكافر ويقولون فى قوله
الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك ان الذى اتاه الله الملك هو ابراهيم عليه السلام والهاء
ينصرف اليه لا الى الذى حاجه واذا لم يجعلوا ملك ملك الكفرة فى يده لم يصر ممتدحا بما ذكرنا لانه يكون
فى يده بعض الملك لا كله وقال فى آية اخرى تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وعلى قولهم يصير الملك
فى يد من لا يشاء لانه لا يشاء الملك للكافر ومع ذلك يوجد فيهم الملك ثم ما ينبغى لهم ان يقطعوا القول
بان الله تعالى لا يؤتى الملك للكافر بل عليهم ان كان ايتاء الملك اصلح لهم اتاهم وان كان شرا لهم يؤتيهم اذ
من مذهبهم ان الملك اصلح لهم لا يفعل لعبده الا ما هو اصلح له فى الدين والدنيا فى حقه فهذه جملة اعتقادهم
ثم هم لا يعرفون الوجه الذى له صار اصلح فى كل شىء على الاشارة اليه لانهم يقولون فى ابقاء ابليس اللعين
الى اليوم المعلوم صلاح ولئن كنا لا نعرف الوجه الذى له صار اصلح وافناء الانبياء والرسل عليهم السلام
كان اصلح وان لم نعرف من اى وجه صار اصلح فليقولوا هاهنا بان ايتاء الملك ان كان اصلح لهم لم يكن له
ان لا يؤتيهم وان كان شرا فعليه ان لا يؤتيهم لا ان يجعلوا الامر على النفى ثم الملك اسم عام وهو
عبارة عن نفاذ التدبير والسلطان والولاية والملك هو ان يكون للمالك خاصة فى الشىء لا يتبنا ولا من ذلك
الشىء الا باذنه وقد يكون المرء مالكا وليس بملك وقد يكون ملكا وليس بمالك فكل واحد من الوجهين يقتضى
معنى غير ما يقتضيه الاخر وجائز ان يكون تاويل قوله بيده الملك اى ملك كل ملك من اهل الارض بيده لانه
ان شاء ابقى له الملك وان شاء نزعه فما من ملك فى دار الدنيا الا وملكه فى الحقيقة لله تعالى وقوله عز وجل
وهو على كل شىء قدير فامتدح نفسه تعالى بانه على ما يشاء قدير وذلك من من اوصاف ربوبيته ايضا وفى
قول المعتزلة انه على اكثر الاشياء غير قدير لانهم يجعلون المعدوم شيئا فشيئية الاشياء لا بانشاء الله
تعالى ويجعلون ظهورها بالله تعالى فقط واذا كان كذلك فهو لم يصر قادرا على شيئية الاشياء وكذلك يقولون
الخلق والقدرة عن افعال العباد ومن قولهم ايضا ان اقدار العبد بيد الله واذا اقدر عبدا من عبيده
على الهدى ابن خرجت القدرة من يده فيصير هذه القدرة مستفادة لا ذاتية واذا كان كذلك فقد نفوا عنه
القدرة عن اكثر الاشياء فلا يصير هو قادرا على كل شىء وانما هو قادر على البعض تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا وقوله عز وجل الذى خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ابو بكر الاصم الذى خلق الموت
اى خلقكم امواتا نطفة وعلقة ومضغة ثم احياكم ليبلوكم وقال غيره الذى خلق الموت ليجزيكم بعده
والحيوة ليبتليكم بها واستدل بقوله تعالى انا جعلنا زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فصرف المحنة الى
الحالة التى انشاءهم على وجه الارض وهى حالة الحيوة ثم اخبر بعد ذلك انه يجعلهم صعيدا جرزا
بعد الابتلاء بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وعندنا انه خلقهما جميعا للابتلاء لان الله تعالى
خلق الموت على غاية ما تكرهه الانفس وتنفر منه وخلق الحيوة على غاية ما تتلذذ به الانفس وترغب فيها
المحنة فى الترغيب والترهيب فثبت ان خلق الموت محنة فيكون قوله تعالى خلق الموت والحيوة كانه
يقول خلق الموت مرهبا وخلق الحيوة مرغبة ليبلوكم ايكم احسن عملا اى ليبلوكم ايكم ارهب من الشر وارغب
فى الخير ثم الموت مما لا مهرب منه لاحد ولا مخلص لمخلوق وكذلك الحيوة وان كانت من ارغب الاشيا
الى الانفس فليست هى بحيث يتهيأ للمرء ان يزيد منها بالطلب ولا مما يوجد بالكد والسعى فصارت هى مرغبة
فى الحيوة الدائمة وهى نعيم الاخرة وصارت مرهبا عن الموت الدايم والموت الدائم هو العذاب الدائم
الذى لا ينقطع كما قال تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اى لا ينقضى عنه الالام والاوجاع
بل يبقى فيها ابدا واذا ثبت ان الموت صار مرهبا عن العذاب الدائم والحيوة صارت مرغبة فى مثلها فيفوق
بطلبه ووجب القول بالبعث ايضا اذ الراغب انما يصل ما يرغب فيه بالبعث والاخر انما يصير الى
العذاب الدائم بالبعث وفيه ايجاب القول بالرسالة لانه اذا ثبت الرغبة فى الموعود من الثواب
والرهبة عن العذاب وهما جميعا غايبان فاحتيج الى من يظهرهما ويخبر عنهما فلم يكن بد من
رسول يخبرهم ويحضر عليه لهم ثم الاصل فى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا انه انما يحسن رغبته
ويسوء عمله بسوء رغبته ورهبته لخلق الحيوة والموت ليبلوكم فيهما المرء ويعتبر بهما فمن حسنت
رغبته ورهبته حسن عمله ومن لم يتفكر فيهما ولم يعتبر بهما ساء عمله فالموت والحيوة انشئا مرغبين
ومرهبين وكذلك الدنيا ومما فيها انشئت دالة على طريق الاخرة فالسمع يدل على السمع والبصر والامهات
على الام الاخر ونعيمها دليل على نعيم الاخرة والله اعلم ثم قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا فيه دليل على اضمار
قوله وايكم اسوء عملا على مقابلة الاول الا انه اكتفى بذكر احد المتقابلين عن الاخر والله اعلم فان قال
قائل كيف اضاف الابتلاء الى نفسه بقوله ليبلوكم والابتلاء فى الشاهد لاستنطاق ما خفى ولاستحضار
ما غاب والله تعالى لا يغيب عنه شىء ولا يخفى عليه امر فكيف اضيف اليه الابتلاء فجوابه ان يقول

ان الابتلاء فى الحقيقة كناية عن ما به ظهور الشىء وبروزه فاستعمل الابتلاء فى كل ما ظهور الامر وان
كان الذى ظهر من الامر عند المبتلى ظاهرا وهذا كما اضيف الاستدراج والمكر الى الله تعالى لوجود معنى المكر
والاستدراج فيه وان المقصود من ذلك المكر والاستدراج وفى الشاهد المكر ان يحسن الى عدوه ليقع
عنده انك تركت عداوته فيعتبر باحسانك اليه ثم ياخذه من وجه امنه ومن حيث لا يشعر به هذا هو
معنى المكر فى الشاهد وقد وجد الاحسان من الله تعالى الى اعدائه ووجد منهم الاغترار بالنعم ووقع
عندهم انهم من جملة اوليائه ثم اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فوجد معنى المكر وان لم يقصد
باحسانه اليهم المكر بهم والثانى من امر فى الشاهد فانما يامر لمنفعة تصل اليه واذا نهى عن شىء فانما ينهى
لنفى مضرة تصل اليه والله تعالى لم يامر الخلق ولم ينههم لمنفعة يجرها الى نفسه او لمضرة يدفعها عن
نفسه وانما امرهم ونهاهم لمنافع يرجع اليهم ومضار يلحقهم ثم اضيف اليه والنهى وان كان
لا منفعة له ولا مضرة عليه فلذلك ابتلى خلقه ليظهر المبتلى عداوته وولايته واضاف الابتلاء الى نفسه
وان كان هو مستغنيا عن الابتلاء والله اعلم وقوله عز وجل وهو العزيز الغفور ففيه ابانة انه لم يبتليا لمنفعة
او امر يرجع اليه او لذل يدفع عنه ولكن لعز يجزى الممتحن اذا احسن العمل وذنوب يغفرله ويستر عليه
وهو عزيز بذاته وجائز ان يكون قوله وهو العزيز اى القوى على الانتقام ممن ساء عمله واختيار عداوته
الغفور الستور على من حسن عمله يستر عليه ذنبه ويجزيه بحسن عمله والله اعلم وقوله عز وجل الذى
خلق سبع سموات ايجاب القول بتصديق ما ياتى به الرسل من الخبر وقد ثبت وجود هذا القول على السن
الرسل فلزمنا القول فى السموات انها سبع وان لم نشاهد ثم يحتمل قوله الذى خلق سبع سموات طباقا
ليبلوا اهلها انهم احسن عملا لانه بين انه لم يخلق السموات والارضين باطلا ثم السموات بانفسها
لا يمتحن اهلها لكنه اقتضى ذكر السموات ذكر اهلها واقتضى ذكر الارضين ذكر اهلها فاخبر بذكر الارض
عن ذكر اهلها وبذكر السموات عن ذكر اهلها والله اعلم وقوله عز وجل ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت
اى انظر فى خلق الرحمن هل ترى فيه من تفاوت او فطور فانك ان رايت فيه فطورا ظننت فى مدبره عددا
وان رايت فيه تفاوتا وتاملت فى منشئه سفها فانك اذا رايت فيه فطورا وشقوقا فرايت فيه تمانعا وتد
افعا وفى حصول التمانع والتدافع حصول العدد لان التدافع والتناقض انما يقع عند ثبات العدد
لان ما يبنى هذا يهدمه الاخر وينقضه يبنى الاخر فعند ذلك يقع التدافع واذا لم تر فيه فطورا وشقوقا
رآه متسقا مجتمعا دل على وحدانيته وقدرته وسلطانه ولذلك التفاوت يدل على السفه ونفى الحكمة
وارتفاع التفاوت يدل حكمته وعجيب تدبيره فيكون فى ارتفاع الفطور والتفاوت اثبات القول بالتوحيد
وايجاب القول بالبعث من حيث ثبت حكمته وفى نفى القول بالبعث زوال الحكمة وفيه ايجاب المحنة
والابتلاء لان العدو اذا ثبت كان للممتحن ان لا يمل حتى يتبين له الغالب من المغلوب فلا يضيع عماله
او يشتغل كل باقامة سلطانه ونفاذ تدبيره فلا يتفرغ للامر بالمحنة الا ترى الى قوله وما كان معه من
اله اذا لذهب كل اله بما خلق قيل يذهب كل واحد منهم بالجزء الذى خلقه فيظهر وشقوق لان ما خلق
هذا يمنا من الذى خلقه الاخر فارتفاع الفطور يدل على وحدانية الصانع جل جلاله وقيل فى قوله
فى خلق الرحمن من تفاوت اى من حيث الدلالة على وحدانية الرب تعالى او من حيث الحكمة والمصلحة فالخلائق
كلها فى المعانى التى ذكرناها غير متفاوتة لا ان يكون الاشياء المحدثة غير متفاوتة فى انفسها لان بين
السموات والارضين تفاوت وكذلك بين الحيوة والموت تفاوت ولكن منافع السماء متصلة بمنافع
الارض ومنافع اهل الارض متصلة بالارض وقوامهم ومعاشهم بما يخرج منها وكل ذلك يدل
على وحدانيته وعلى حكمته ولطائف تدبيره قوله عز وجل فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر
كرتين ينقلب فجائز ان يكون هذا على رجوع بصر الوجه وجائز ان يكون على رجوع بصر القلب او يكون
احدهما على بصر الوجه والثانى على بصر القلب والاشبه ان يكون على بصر القلب لانه قد سبق منه هم
النظر الى السموات والارضين ببصر الوجه وسبق منه العلم من حيث النظر انه لا تفاوت فيها و
لا فطور فدعاه الى ان ينظر ببصر القلب ليدله ذلك على المعانى التى ذكرناها وهو كقوله تعالى قل سيروا
فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال اولم يسيروا فى الارض ولم يرد به السير بالاقدام
اذ قد سبق منهم السير فيها ولكن معناه اولم يتفكروا فى عواقب من تقدمهم من مكذبى الرسل انهم
باى سبب اهلكوا ولاى معنى عوقبوا واستوصلوا ثم قوله فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر
كرتين الاية منهم من قال ان الكرتين هاهنا كناية عن مرة بعد مرة ليس على تثبيت العدد فكانه ان يكون
ابدا معتبرا ناظرا فى خلق الرحمن والى هذا يذهب الحسن والاصم وجائز ان يكون قوله كرتين مرتين ولكن
على اختلاف الوقتين فيكون احدى النظرتين بالليل وثانيتها بالنهار لانه لا يرى بالليل ايات وبالنهار ايات
سواها وثبوت كل شىء يدل على وحدانيته وعجيب حكمته ونفاذ قدرته وسلطانه او ان يكون النظرة الاولى
بعين الوجه والنظرة الثانية ببصر القلب لانه اذا نظر النظرة الاولى ببصر وجهه فراى ما فيه من العجايب

اشعر قلبه ما راى فينظر فيه مرة اخرى ببصر القلب لتاكد ذلك ويتقرر ويجوز ان يكون النظر بان جميعا ببصر الوجه
لانه لا يستوعب النظر بالجملة في المرة الاولى فينظر مرة اخرى ليدرك ما غاب عنه في المرة الاولى وقوله عز وجل خاسئا اى
صاغرا مستذلا معترفا بالقصور عن درك كنه سلطانه والاحاطة بعظمته وجلاله وهو حسير اى منقطع عن درك
بلوغ حكمته وبنفاذ امره ثم الاشبه ان يكون المراد بهذا الخطاب المكذبين بالبعث لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان كان الخطاب متوجها اليه في الظاهر لانه انما اراد بالنظر في خلق الله تعالى ليتقرر عنده عظمة الله تعالى
وسلطانه وعجب حكمته ونفاذ تدبيره ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان تقرر عنده علم ذلك كله فلم يكن يحتاج
الى النظر فيما ذكر ليتقرر فصرف انه الى المكذبين بالبعث فامروا بالنظر فيما ذكر ليتقرر عندهم سلطانه ونفاذ تدبيره
وانه ليس بالذى يعجزه امر وان قدرته ليست بمقدرة بقوى البشر وهم كانوا ينكرون البعث والاحياء على
تقدير الامور بقوى انفسهم فاذا نظروا في هذه الاشياء وعرفوا فيها لطايف وحكما لا يدركها عقولهم
وقوة لا يبلغها حيلهم ادى ذلك الى رفع الدنكا عنهم وازاحة الريب الذى اعتراهم في امر البعث فيحملهم
على الايمان وقوله عز وجل ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح سماها سماء الدنيا لدنوها الى المخاطبين المتحنين لا انه يكون
السماء الثانية سماء الاخرة والذى يدل على صحة ما ذكرنا ان مقابل الدنيا ليست هي الاخرة بل مقابلها الاولى
ومقابل الدنيا القصوى فيثبت ان ليس فيها ان السماء الثانية هي سماء الاخرة والمصابيح هي النجوم فذكر عباده
عظيم ما اودع من النعم في النجوم عليهم فجعل فيها ثلاثة اوجه من النعم احداها انه جعلها زينة الناظرين
كما قال تعالى وزيناها للناظرين ثم هذه الزينة انما يظهر عند ما يخفى على الناظرين زينة الارض وذلك
في ظلم الليالى فابدل الله لهم زينة في السماء مكان الزينة التى تنشأ في الارض وفضل هذه الزينة على سائر
ما لا يظهر الا بالدنو اليها والقرب منها ثم جعل هذه الزينة بحيث يظهر فيرى من البعد فثبت ان لها فضلا
وشرفا على زينة الارض والنعمة الثانية ما ذكر في قوله وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر فجعلها هدى من ظلمات احوال يقع فيسلم بها المرء عن الوقوع في المهالك والنعمة الثالثة ما ذكر من
قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين ومن جعلها رجوما للشياطين رفع الاشتباه عن الخلق واخراجهم
من ظلمات الافعال الى النور وذلك ان الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فيستمعون الى الاخبار التى
يتحادث بها اهل السماء فيما بينهم مما يراد باهل الارض فيسترقون السمع منهم فياتون بها اهل الارض
ويلقونها الى اهل الارض بعد ما يخلطونها باكاذيب من عند انفسهم فيشبهون على الخلايق ويضلونهم
بذلك عن سبيل الله تعالى فملاء السماء بالحرس والشهب ليدفعوا الشياطين عن استراق السمع لكيلا يكون
تبليغ الاخبار الى اهل الارض ممن يؤمن عليه الكذب وهو الرسول عليه السلام فيسلم تلك الاخبار عن
التخاليط والشبه فيسلم الناس عن الوقوع في الظلمات ثم يكون في جعل النجوم زينة السماء ان اهل السماء
وابتلوا ايهم احسن عملا كما ابتلى به اهل الارض الا ترى الى ما ذكر في اهل الارض في قوله انا جعلنا ما على الارض
زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فاخبر ان الزينة للامتحان وقوله عز وجل واعتدنا لهم عذاب
السعير فتبين انهم وان عذبوا بالنيران التى جعلت في النجوم الرجوم لا يدفع عنهم ما استوجبوا من
العذاب الدايم بل قد اعد لهم عذاب السعير كما اعد لغيرهم من الشياطين واهل الكفر وقوله عز وجل
وبئس المصير فالمصير هو الطريق اى بئس الطريق طريق من سلكه افضى به الى عذاب السعير وقوله اذا القوا
فيها سمعوا لها شهيقا والشهيق الصوت المنكر من الناس من يقول سمعوا لها اى لجهنم ومنهم من جعل الشهيق
من اهلها وقد يجوز ان يذكر المكان والمراد منه الاهل كما قال وكاين من قرية عتت عن امر ربها وكلا الامرين
يحتمل عندنا ولا نحتاج الى معرفة ذلك لان الصوت المنكر امر ظاهر ممن لا يعقل الصوت كهو من الذى يعقل
فليس الذى يعقل الصوت اولى ان يجعل الفعل له من الذى لا يعقل وقوله عز وجل وهي تفور تكاد تميز من
الغيظ اى تتعاطى بشر النار نفسها لا تغلى وانما تغلى بالذى يجعل فيها ففيه ان طعامهم وشرابهم في النار
طعامهم وشرابهم وقوله عز وجل تكاد تميز من الغيظ فجايز ان يكون هذا كناية عن الخزنة وجايز ان يكون
هذا وصف النار لله تعالى ان يجعل في جهنم وفيما شاء من الاموات ما يعرف به عظمته وجلاله فيغضب له
على اعدائه غضبا يكاد ان ينقطع في نفسه ويسلم من اوليائه ثم في ذكر غضبها تذكير ان من حق الله تعالى على
اوليائه ان يغضبوا له على اعدائه غضب جهنم عليهم بل جهنم ابعد عن ان يمتحن بذلك منا ثم هي بلغت
من الغضب على اعداء الله تعالى مبلغا كادت تنقطع بنفسها فالاولياء احق ان يوجد منهم هذا الوصف
وقد مدح الله تعالى الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجد فيهم من الشدة على الاعداء وذلك
قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار وقال اذلة على المؤمنين وهكذا الحق على كل مؤمن
ان يكون على هذا الوصف وفيه حكمة اخرى وهو انه ذكر شدة النار على اهلها لان لا يقولوا يوم القيامة
انا كنا عن هذا غافلين وقوله عز وجل كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير ينذركم لقاء يومكم
هذا قالوا بلى قد جاءنا نذير وهذا قالوا بلى قد جاءنا نذير وهذا هو اخبار عن نهاية امرهم واخر شانهم
وذلك انهم فزعوا في الاخرة الى اليمين بالكذب فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين ورجاء ان ينفعهم ذلك

في الغضب لله تعالى

في الاخرة كما كانت تنفعهم في الدنيا فلما القوا فيها يقنوا ان ايمانهم لا يدفع عنهم العذاب فرجعوا الى الاعتراف
والصدق وحاجة ان يتخلصوا من العذاب فقالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا عن لقاء هذا اليوم فكذبنا
بالذى كان يبدو لنا اليه وقلنا ما نزل الله من شيء مما تنذرونا به وقوله عز وجل ان انتم الا في ضلال
مبين فجايز ان يكون القايل لهم بهذا هم الخزنة وهذا الخطاب ان انتم الا في ضلال كبير وقوله عز وجل
وقالوا لو كنا نسمع او نعقل فبقوله بلى قد جاءنا نذير اعتراف منهم بانهم قد سمعوا وعقلوا فقوله لو كنا نسمع
او نعقل ليس هو على نفي السمع والعقل اذ قد اقروا انهم سمعوا وعقلوا وانما هو على نفي الانتفاع بما سمعوا و
عقلوا لان الانتفاع بالمسموع هو الاجابة لما سمع والانتفاع بالعقل ان يقوم بوفاء ما عقل وهم لم يجيبوا
لما سمعوا ولم يقوموا بوفاء ما عقلوا وقال بعضهم لو كنا نسمع في الدنيا كما نسمع الان او كنا نعقل كما نعقل
الان ما كنا في اصحاب السعير وهذا غير مستقيم لان تلك الدار ليست بدار اسماع وانما المعنى ما ذكرنا
والله اعلم وقوله عز وجل فسحقا لاصحاب السعير اى بعدا على معنى الدعاء عليهم وقيل السحق واد في جهنم
وقوله عز وجل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يحتمل ان الذين يخشون عذاب ربهم والعذاب عنهم غايب فاهل
الاسلام يخشون عذاب الله وهو غايب عنهم والكفرة لا يخشونه لانه لا يعاينوه وجايز ان يكون قوله
عز وجل يخشون ربهم بالغيب اى يخشون الله تعالى ان يعذبهم او ان يخشونه فيما وعدهم ثم الاصل
ان المؤمن بالبعث سوى المعتزلة لا وهو يخشى الله تعالى لكنهم يتفاوتون في الخشية ثم الخشية تقتضى
الرجاء والخوف ليس كالامن والاياس الذى لا يقتضي كل واحد منهما الا وجها واحدا واذا كانت الخشية
تقتضى بما ذكرنا فكل مؤمن يخاف عذاب الله تعالى لما راى من كثرة نعم الله تعالى وغفلته عن حقوق تلك النعم
الاداء حقها ان يكلفه تعالى عليها وقد عرف كل مؤمن تقصيره في اداء الشكر وتفريطه في قضاء الحقوق
فيرجوا رحمته لما عرف من سعة رحمته وعرفه متفضلا عفوا لكن فيهم تفاوت في الخشية والرهبة فمن
كان اذا ذكر تغفلته فهو لمنتوبته اكثر خشية ومن كان اقل ذكرا للغفلة فهو اقل خشية فيتفاوتون
على ذلك ولهم في الذكر وهو كالموت الذى يرهبه الناس جميعا ويتيقنون بحلوله لكنهم يتفاوتون
في ذلك فمن كان له اكثر ذكرا كان ابلغ في التيقظ واكثر رهبة ومن كان اغفل عن ذكره فهو اقل رهبة و
لقائل ان يقول كيف جعلتهم كل مؤمن خائفا راجيا والراجي هو الذى يطلب والخائف هو الذى يهرب
فكل من رجى شيئا يعلم انه لا وصول اليه الا باعمال واسباب فهو يقوم بتلك الاعمال ليبلغ به ما يحمله
وسعه ليصل الى مأموله واذا لم يقم بها لم يكن راجيا في الحقيقة بل كان متمنيا وكذلك من خاف حقيقة
الخوف وعلم ان المخوف نازل به ان لم يهرب اما يخافه اشد الهرب ثم كثير من المؤمنين تراهم مقصرين
في الاعمال التى يتوصل بها الى بلوغ الامال ولا يهربون مما يخافونه اشد الهرب وغاية الخوف فكيف
وصفتم كل مؤمن بالخوف والرجاء وكثير منهم لا يتحقق فيهم هذا الوصف واستدل على صحة ما ذكر
بقوله ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فالراجي لرحمة
الله من دأب في طاعته وقال تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فقيل يا رسول الله اهم الذين
يزنون ويسرقون فقال بل هم الذين يصومون ويصلون وقلوبهم وجلة وقال تعالى الا لمن ارتضى
وهم من خشيته مشفقون فجوابه ان المؤمن ليس يرى كل خلاصه من العذاب وامنه من العقاب بعمله
حتى اذا وجد التقصير في العمل اظهر ذلك المعنى فساد الرجاء والخوف وانما يتوقع خلاصه بعفو الله
تعالى ويرجو رحمته بكرمه وجوده لذلك لم يوجب التقصير في العمل ابطال الرجاء والخوف وهذا
اذا كان غير معتزلى المذهب ولم يكن من الخوارج فاما اذا كان الراجي والخايف احد هذين فتقصيره
في العمل يدل على فساد الرجاء والخوف لان كل واحد منهما ليس يرى لنفسه شفيعا الا عمله به ينجو وبه
يهلك فاذا لم يبالغ في الطلب من جهة العمل ولم يبالغ في الهرب من الخوف بالعمل ظهر انه ليس براجي ولكنه
متمني وتبين انه غير خايف في الحقيقة ثم المعتزلة لا يخافون الله تعالى ولا يرجون رحمته في الحقيقة
لانهم يزعمون ان العبد اذا ارتكب الكبيرة فليس لله تعالى الا ان يعذبه عليها وان يغفرها له واذا اجتنب
الكبيرة استوجب المغفرة واذا ارتكب الصغاير فليس لله تعالى ان يعذبه عليها والقايل بهذا غير راجي
الله تعالى ولا خايف من عذابه وانما يقع الخوف والرجاء من عند نفسه لان الزلة التى استوجب
بها العذاب فهو الذى اكتسبها ولو لم يفعلها لم يعذب وفاز بالنجاة فصار رجاؤه وخلاصه بعمله
لا برحمة الله تعالى وفضله ولا بذلك وصف الله تعالى المؤمنين في كتابه ولان الله تعالى اثنى على الذين
يدعون خوفا وطمعا ورغبا ورهبا وعلى قول اهل الاعتزال لا يدعو احد ربه على الرغبة والرهبة والخوف
والطمع لان الداعي ان كان صاحب كبيرة فهو فيما يدعو الله تعالى ليغفر له انما يدعو بما يجوز عليه اذ لا يسع
ان يغفر له ولا يعذب عليه فدعاؤه بالمغفرة معناه يقتضي ان جعل وذلك عظيم وان كان صاحب
صغيرة فهو فيما يطلب المغفرة منه تعالى يسأله ان لا يجوز عليه لانه ليس له ان يعذب على الصغاير
على مذهبه ولو عذب صار به جايرا فاذا خاف عذابه حتى اذا فزع الى الدعاء خاف جوره ومن

المعتزلة لا يرى لنفسه شفيعا الا عمله وكذا الخوارج

المعتزلة لا يخافون من الله تعالى ولا يرجون رحمته

المعتزلة لا يدعو

لم يأمن من ربه الجور بل خاف ذلك منه فهو لم يعرف ربه حقيقة المعرفة وكذلك من دعا الله تعالى ليجوز عليه فقد دعا الى سفه والسفه لا يصلح ان يكون الها فثبت ان الداعي على الرهبة غير ممدوح عندهم ولا هو ممن يستحق الثناء عليه وقوله عز وجل لهم مغفرة واجر كريم اي من يخاف الله تعالى ونجافه فله مغفرة لذنوبه واجر كبير وهو الجنة وقوله عز وجل واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور فهذه الآية كانها في الزجر والوعيد يقول انه عالم بالانفس التي فيها الصدور وبما يضمرون فيها ويودعون ويكتمون وبما يخبرون عما او فيها ويظهرون والصدر هو ساحة القلب سمي صدرا لان الآراء يصدر عنها فهو عالم بالانفس التي لها الصدور وبما يصدر عن آرائهم وعالم بما يضمر فيها من الاسرار وقوله عز وجل الا يعلم من خلق تأويله عند اهل الاسلام الا يعلم من خلق ممن اسروا او جهروا او من راجع الى الله تعالى دون الخلق كانه يقول الا يعلم الخالق وهو اللطيف الخبير وفيه اثبات خلق الافعال والاقوال وخلق الشر فيكون حجة لنا على المعتزلة في خلق افعال العباد وقال العباد وقال جعفر بن حرب وابو بكر الاصم انحرف من لا يرجع الى الله تعالى وانما يرجع الى الله تعالى وانما يرجع الى الخلق فكانه يقول الا يعلم الله من خلق على اضمار اسم الله تعالى فاحتالوا بهذه الحيلة لنفي الخلق عن الافعال لان حرف من يرجع الى الانفس دون الافعال والاقوال وذلك فاسد لان الآية في موضع الوعيد ولو كان قوله من خلق راجعا الى الانفس لزال موضع الوعيد اذ ليس في خلق الانفس وعلم الله بها اثبات العلم بافعال وحدث منهم ولا في خلق الانفس ايجاب الوعيد بالافعال ولانه لو لم يكن الله تعالى خالقا لما يجهر به العبد ولما يخفيه لم يكن ليحتج به على علمه اذ قد يجوز جواز الجهل من غير الذي يفعله فلا يجوز ان يحتج عليهم بفعل غيره ولانه ليس في اثبات العلم بخلق الانفس اثبات العلم بما اسروا وجهروا كما لم يكن عند المعتزلة في ايجاب الخلق لنفس الانسان ايجاب الخلق لافعالهم ومعلوم بان الآية في تحقيق العلم بما اسروا وجهروا الا ان قوله الا يعلم من خلق مذكور على اثر قوله واسروا قولكم او اجهروا به وقوله انه عليم بذات الصدور اي عليم بما تسرون وما تجهرون فثبت ان الخلق راجع الى ما اسروا وجهروا ثم ان الناس على اختلافهم اتفقوا ان كل واقع بالطبع والضرورة مخلوق الله تعالى وانما اختلفوا في الواقع بكسب العبد فمنهم من اثبت فيه الخلق وهو قول اهل الهدى ومنهم من ابى القول بخلقه ثم المرء لا يتهيأ له استعمال اليد الا في العمل الذي جعل في طبع اليد احتمال العمل لا يتهيأ له ان يستعمله في الوجه الذي لم يجعل في طبعها احتمال ذلك لانه لو اراد ان يرى بيديه او يسمع بهما لم يملك ذلك فثبت انه ملك استعمالهما في القبض والاخذ والتسليم بما جعل في طبعهما احتمال ذلك واذا كان كذلك فقد ثبت الخلق فيما يعمل بيديه وفيما يرى بعينيه ويسمع باذنيه والله الموفق وقوله وهو اللطيف الخبير في تدبيره اذ دبر شأن الانسان على ما اذا استعمله يخرج منه الكلام ولو اراد احد ان يتعرف المعنى الذي به صلح للنطق لم يقف عليه ودبر قلبه على ان يصور ما وقع فيه من الخيال فيود به بلغ ودبره على وجه يصلح ان يوعى الاسرار والودائع من وجه لو اراد الخلائق ان يتعرفوا الوجه الذي صلح القلب ان يكون مصورا وحافظا ومعدنا للاسرار لم يقفوا عليه وقيل اللطيف هو الذي لا يعزب عنه علم ما جل ودق وقيل اللطيف بعباده في الاحسان اليهم والانعام عليهم الخبير بما فيه مصالحهم وقوله عز وجل هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها الآية واذا ذلل لكم الارض لتمشوا في مناكبها وتأكلوا من رزقه فلا يجوز ان يكون خلقها عبثا باطلا فلا بد من الرجوع اليه ليسألكم عما له خلق او فيهم خلق او لم تفوا وذلك ان المرء في الشاهد اذا اعطى انسانا مالا استعمله في جهة من الجهات فلا بد من ان يرجع اليه فيسأله هل استعمله في الذي اذن له فيه ام لا واذا ثبت انه لم يخلقها عبثا باطلا وانما خلقت المحنة فلا بد من ان يبعث واليه ليخبروه عما بلاهم به وامتحنهم ثم احتمل ان يكون هذا صلة قوله هو الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم وقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا فخلق ذلك كلها ليمتحن اهلها بها فعلى ذلك خلق الارض ذلولا ليبلوكم بها ويحتمل ان يكون هذا صلة قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فامرهم بالنظر مرة بعد مرة هل ترى فيه تفاوتا او فطورا ليتبين عنده اذا لم ير فيه تفاوتا فلا فطورا وحدانية الرب وقدرته وسلطانه وحكمته فامرهم ايضا بالسير في الارض والمشي في مناكبها واطرافها هل يرون فيها فطورا وتفاوتا فاذا لم يروا فيها شيئا من ذلك تقرر عندهم بجميع ما ذكرنا من الحكمة هناك فهو في قوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا موجود ولانه ذكرهم لطيف تدبيره في خلق الارض وما له على الخلق من عظيم النعمة في حقه وهو انه قد ذللهم فيها ارزاقهم الى حيث يمشون فيها وهيأ لهم الرزق هنالك ولا يحتمل ان يذلل لهم الارض فيضربون فيها حيث شاؤوا ويستخرجون منها اقواتها ثم انما تصرفوا عبثا باطلا بل لا بد ان يبتأ ذلكم بشكر ما انعم عليكم وقوله عز وجل أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور وهذه الآية في موضع المحاجة على منكري البعث فكانه يقول والله اعلم اذا انكرتم البعث وقد عرفتم الفرق بين العدو والولي وبين المطيع والعاصي فكيف امنتم عذابه في الدنيا ان ينزل بكم من فوق رؤوسكم او من تحت ارجلكم او قد عصيتموه وعاديتموه بتكذيبكم رسوله واختياركم عبادة غيره فكيف امنتم نزول عذابه عليكم في حالتكم هذه وانتم لا تقرون بالآخرة

الصدر ساحة القلب ووجه التسمية

الفعل الواقع بالطبع والضرورة مخلوق الله تعالى بالاتفاق لا دخل

لم يأخذكم العذاب ثم قوله أأمنتم اي قد امنتم والثاني انكم كيف امنتم عذاب الله تعالى وانتم تنكرون البعث لتكون المحنة في الدنيا والجزاء في الآخرة وهم يرون المحنة في الدنيا لانهم كانوا يزعمون ان من وسع عليه النعيم في الدنيا فانما وسع جزاء لعمله ومن ضيق عليه العيش فانما ضيق عقوبة له بما اساء من عمله كما قال الله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن فكانوا يعدون التضييق والتوسيع في الدنيا جزاء لصنيعهم وكانوا يقرون بالمحنة في الدنيا والمحنة تكون من الرجاء والخوف وقد رجوتم انزال الرزق عليكم من السماء ورجوتم ان يخرج لكم من الارض ما تعيشون به وترزقون منه فكيف لا تخافون نزول العذاب عليكم من السماء او اتيانه من الارض كما يخرج النفع منها جميعا والثالث انكم اذا اكذبتم الرسول وجحدتموه وقد انتهى اليكم حال من سبقكم من مكذبي الرسل كيف عذبوا واستؤصلوا فمنهم من اهلك بامطار الحجارة عليه من السماء ومنهم من اهلك بالخسف بالارض فكيف امنتم ان ينزل عليكم ما نزل بهم وقد وجدتم انتم وحالهم سواء فاما طائفة الذين هلكوا من التكذيب ثم قوله من في السماء اراد ... انه اخبر انه اله السماء لا على تثبيت الله في السماء على الارض سواء وعلى النفي ان يكون اله الارض بل هو في السماء اله وفي الارض وهذا كقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ليس فيه ان النجوى اذا كان بين اثنين فهو لا يكون ثالثهم وجاز ان يكون قوله أأمنتم من في السماء اي أأمنتم ملكه وسلطانه ولم يرد الا انه انتهى ملكه الى السماء وكيف يأمنون من بلغ ملكه السماء في معاد انكم ابناؤه وانتم لا تخبرون في معاداة ملك من ملوك الارض الذي لا يجاوز ملكه الارض فكيف تأمنون عذاب من بلغ ملكه ما ذكرنا وقوله عز وجل فاذا هي تمور قيل تموج وقيل تهوي في الارض ابدا الى اسفل السافلين وقيل تمور باهلها في قعرها علما بما تحت من قيل تمور على ظهرها قبل ان يوتد بالجبال والحاصب الحجارة وقوله عز وجل فستعلمون كيف نذير اي ستعلمون حال نذري الذين انذروكم العذاب انهم كانوا محقين فيه ولم يكونوا كاذبين كما زعمتم وستعلمون ما اريد بكم اذا وقع العذاب وقوله ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ذكر مصير حال من تقدمهم من المكذبين وما حل بهم لم يتدبروا عن التكذيب فلا يحل بهم ما حل باولئك ثم قوله فكيف كان نكير اي كيف كان انكاري عليهم اليس وجدوه شديدا وحقا وقوله عز وجل اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن قيل صافات باجنحتها لا يتحرك منها شيء ويقبضن ثم يمسكهن الا الله تعالى في الحالين جميعا اعني القبض والبسط وقال في آية اخرى اولم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات للمؤمنين على الكفرة وهكذا سبيل الآيات انها جعلت آيات للمؤمنين والاولياء على الكفرة والاعداء لان الكفرة انهم تصل اليهم الآيات على السن الرسل والانبياء والاولياء فجعلت الآيات آيات للمؤمنين ليحتجوا بها على اهل الكفر ثم الهواء ليس بمكان يمسك ما عليه من الاشياء مثل السماء والارض فيما استقر على حد يمكان الاشياء ويقر عليهما الخلائق واذا كان كذلك فان الله تعالى بلطفه امسك الطير وقت طيرانها ووقت قبضها في الهواء ومن قدر على امساك الطير معها وقفه وتقريره في مكان لا يقر فيه الاشياء لقادر على ما يشاء ثم في هذه الآية ان الله تعالى في افعال الطير صنعا ومدبرا على ما يشاء لان الفعل الذي يوجد من الطائر الطيران اذا طار والوقوف اذا قبض ثم اضاف فعل الامساك وكل ذلك الى نفسه وذكر عن جعفر بن حرب في قوله ما يمسكهن الا الله ان الامساك كناية عن التعليم وعبارة عنه لانه قد يعبر بالامساك عن التعليم يقول الرجل لآخر فيما يعلم الرماية امسكت على يده حتى رمى فيريد به اي توليت تعليمه الرماية فقوله ما يمسكهن الا الله اي ما يعلم امساكهن وقت الطيران الا الله تعالى وكذلك وقت القبض والجواب عن هذا ان القائل يقول امسكت على يده حتى رمى انما يستجيز اطلاق اللفظ من نفسه اذا وجد منه فعل الامساك في وقت فالهما الرامي بالرمي واما اذا لم يوجد منه في ذلك الوقت فعل الامساك لم يستقم ان يقول امسكت على يده وان كان هو الذي علمه الرمي الا ترى ان من علم آخر الخياطة حتى هندى الخياطة اذا خاط ثوبا لم يستجز استاذه ان يقول ان الذي خطته وان كان هو الذي علمه الخياطة وكذلك من بناء بناء لم يستقم من استاذه ان يضيف فعل البناء الى نفسه فيقول انا الذي بنيته ويريد به انا الذي علمته واذا لم يستقم هذا بطل ان يضاف فعل الامساك الى الله تعالى ولا فعل له في ذلك سوى التعليم فلو كانت الاضافة اليه من حيث التعليم لجاز ان ينسب اليه فعل الخياطة وعمل البناء والحياكة فيقال خائط وبان وحائك لانه هو الذي علم فاذا بطل ان ينسب اليه ما ذكرنا من الافعال وان كان هو الذي علم الخلق بطل ان ينسب اليه فعل الامساك من حيث التعليم والله الموفق واحتج جعفر بن حرب ايضا في نفي الفعل عن الله تعالى فقال ان الله تعالى لم يقل ما خلق طيرانهن الا الله ولا خلق القبض الا الله وانما قال ما يمسكهن الا الله فثبت انه لا صنع له في الامساك وبان ان الذي اضيف اليه من الامساك

هو على الوجه الذي ذكرنا فالجواب عن هذا ان الائمة فهمت من قوله ما يمسكهن الا الله ما يفهم من قوله ما خالق طيرانهن وقبضهن الا الله اذ هو تقتضي ما تقتضيه ذكر الخلق واذا كان كذلك فلا فرق بين ان يضيف الخلق نفسه وبين ان يضيف فعل الامساك ثم لو ذكر الخلق كان الامساك امكن جعفر ان يتأول في الخلق ما تأول في الامساك فيقول معنى قوله خلق طيرانهن اي علم طيرانهن وقواهن على الاسباب التي يطير فلا تهيأ لله تعالى على قوله ان يثبت لخلقه وتفرده هو خلق شيء من الاشياء ثم الاصل ان الايات المذكورة في القرآن انما ذكرت لاثبات اوجه خمسة احدها في تثبيت القدرة على البعث وهي لا تثبت القدرة ولا توجب القول بالبعث على قول المعتزلة وذلك ان الله تعالى احتج في تثبيت القدرة على البعث بقدرته على ابتداء الخلق فقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة وقال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه فاحتج بالابتداء على الاعادة عندهم لانهم نفوا خلق الافعال عن الله تعالى مع اقرارهم ان الله تعالى هو الذي ابتدأ الخلائق وهو الذي انشاهم ولم يكن في اثبات القدرة على خلق الاعيان اثبات قدرة منه على خلق الافعال وان كان خلق الافعال دون خلق الانفس فكيف ذكر قدرته على ابتداء الخلق على تثبيت القدرة على الاعادة وان كان امر الاعادة ايسر من الابتداء مع ان اثار الخلق في افعال العباد وثبات التدبير فيها اوجد منه في امر البعث وذلك انك تجد من الافعال افعال الحيوان لاهلها متعبة مولمة ومعلوم ان قصد اربابها ان يتلذذوا بها ويتمتعوا بها فثبت ان لغيرهم تدبيرا وصنعا حتى صارت كذلك ولانه يوجد في افعالهم احوال لا يبلغها اوهامهم ولا يقدرها عقولهم لان الفعل يأخذ من الجو والمكان والوقت ما لا يقدره الاوهام ولا يبلغها العقول فثبت ان لغيره فيه صنعا وتدبيرا ولان فعله يخرج على قبيح وحسن لا يبلغ علم فاعله انه يبلغ في الحسن والقبح ذلك المبلغ وينتهي في الحسن مبلغا لو اراد ان يخرج على ذلك الحد في المرة الثانية لم يخرج كذلك فكل ما ذكرنا تبين ان جميع افعالهم على ما هي عليها ليست لهم ثم مع ذلك انكروا ان يكون الافعال من جهة الخلق لله تعالى ولم يظهر شيء من امارات البعث ولا وجد فيه التدبير فصارت الكفرة في انكارهم امر البعث اعذر من المعتزلة في انكارهم خلق الافعال ولم يوجب القول بالقدرة على ابتداء الخلق قولا بالقدرة على انشاء البعث والاعادة بعد الافناء فثبت ان ليس في الايات التي جعلها الله تعالى دلالة اثبات البعث على قولهم والوجه الثاني تثبيت الوحدانية وجعل دليل وحدانية توحده بخلق الاشياء وتفرده بانشائها الا ترى الى قوله تعالى ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه وقال وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق وعلى قول المعتزلة هو غير متوحد بخلق الاشياء بل اكثر خلق الاشياء كان بالعباد لا بالله تعالى واذا لم يوجد منه التوحد والتفرد بخلق الاشياء ارتفع وجه الاستدلال من هذا الوجه على معرفة الصانع ووحدانيته الرب واذا كان كذلك لم يثبت وحدانية الله تعالى على قولهم من الوجه الذي جعله دليل الاثبات والوجه الثالث وهو ان الايات ذكرت في اثبات حكمة الله تعالى فجعل دليل حكمته خلق السموات والارضين بما شاهدنا وغيرهما من الاشياء ونحن انما عرفنا خلق السموات والارضين بما شاهدناهما مجتمعين والاجتماع حادث فيهما وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث لا بد له من محدث ولولا ذلك لم نعرفه ولا ثبت لنا خلقهما وعلى قول المعتزلة الجمع والتفريق لا يدل على الخلق لان كل من له القوة يقدر على جمع الاشياء وتفريقها والاجتماع والتفريق فعل الجامع والمفرق لقولهم بالمتولدات فمن استحكمت قوته امكنه جميع الاشياء لقوته ومن ضعفت قوته جمع على قدر ما ينتهي اليه قوته واذا كان كذلك لم يتبين عند الخلائق على قولهم ان الله تعالى هو الذي خلق السموات والارضين اذ خلقهما لا يعرف الا من الوجه الذي ذكرنا وذلك مما يجوز لا بالله تعالى وجائز ان يكون الله تعالى اقدر ملكا من ملائكته وقواه على خلق السموات والارض واذا كان كذلك لم يظهر بما ذكرنا ان الله تعالى هو الخالق لهما فبطل ان يكون في خلق السموات والارضين وفي خلق سائر الاشياء دلالة حكمته وقدرته ووحدانيته وقد جعل الله تعالى خلقهما دلالة لهذه الاوجه التي ذكرناها والثاني انه جعل اتقان الاشياء واحكامها علما لحكمته وقد يقع الاتقان والاحكام للاشياء لا به ثم لم يجعل الله لشيء مما اتقن ولحكم علما يتميز من بين ما اتقنه غيره واحكمه فصار الاتقان والاحكام غير دال على حكمته بل صار دليلا على عجزه وضعفه حيث لم يتهيأ له تميز ما صار به متقنا وما بغيره صار كذلك ولان الحكمة هي وضع الشيء في موضعه وتبيين ما له مما ليس له ومن قولهم ان الله تعالى اعطى الكافر قوة الايمان ولم يبق في خزينته ما جعل سببا يتوصل به الى الايمان الا وقد اعطاه مع علمه انه لا يؤمن به وهذا من اعظم الجهل وابين السفه في الشاهد لان المرء اذا قام يسقي ارضا وحارثا بالكراب والثنيا والقى البذر فيها مع علمه انه لا ينبت شيئا عد ذلك منه سفها وجهلا والسفيه لا يصلح ان يكون الها حكيما وقال تعالى هو الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وعلى قول المعتزلة فقد خلق غيره الحيوة والموت جميعا لان القتل سبب بالاتفاق ثم لا يجعل اهل الاعتزال لله تعالى في موته صنعا ويزعمون ان الله مات قبل اجله فاذا قدر غيره على الاماتة ونفيه رأيضا على الاحياء

في خلق السموات والارض

بالاسباب لانه يسقي الارض والزرع ويكون في سقيه احياؤها فلم يتفرد هو بخلق الموت ولا بالحيوة على قولهم بل يشركه غيره في خلق الاشياء فيبطل امتداحه على قولهم نفسه بانه خالق الاشياء والوجه الرابع انه احتج بعلمه بافعال الخلق بخلقه تلك الافعال وذلك قوله الا يعلم من خلق وهم قد نفوا الخلق عن الافعال واذا انتفى لم يقع له بها علم فصارت الايات التي فيها اثبات العلم لا يثبت علما على قولهم ويكون فيه كذبا في الخبر تعالى الله عن ذلك والوجه الخامس انه سمى نفسه محسنا منعما واثبت احسانا وانعامه بايات احتج بها على خلقه وما من نعمة انعم بها العباد الا وقد كانوا لها مستوجبين على الله تعالى فيصير الله تعالى باعطائهم ذلك قاضيا ما عليه من الحق بالنعمة ومن قضى اخر ما كان عليه لم يصر به منعما متفضلا وانما صار قاضي حق فصارت الايات التي فيها اثبات النعم غير مبنية على قولهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل انه بكل شيء بصير اي بكل شيء لطف او جل او استتر او ظهر او اختلط بغيره او تميز فهو بصير يبلغه الى اجله الذي ضرب له ويأتيه بالرزق الذي قدر له او يبصر بافعال الخلق ما كان وما يكون لانه ذكر على اثر ذكر الافعال وهو قوله واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق ثم في قوله انه بكل شيء بصير ترهيب وترغيب والزام المراقبة والتيقظ والتبصر وكذلك في قوله انه بكل شيء حفيظ وبكل شيء عليم لان من علم ان عليه حافظا ورقيبا يعلم بكل شيء يتعاطاه فهو لا يتعاطى الا المحمود من الفعال والمرضي منها وقوله عز وجل امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فهذا صلة قوله امنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض وقوله ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ثم قال امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن اذا خسف بكم الارض وارسل عليكم حاصبا من السما وجائز ان يكون على التقديم والتأخير فيكون معناه امن هذا الذي هو جند لكم من دون الرحمن ينصركم من عذاب الله ان حل بكم او يكون قوله امن هذا الذي هو جند لكم يدفع عنكم العذاب من دون الله اذا حل بكم وجائز ان يكون اريد بالجند الهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فكانوا يعبدونها قال الله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا وقال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون ثم هم قد علموا انها لا تقوم بنصرهم ولا بدفع الذل عنهم فيعتزوا بها لانهم كانوا يفزعون الى الله تعالى عند ما يحل بهم الشدائد والذل كما قال الله تعالى واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ويتركون الفزع الى الهتهم لعلمهم انها لا يعزهم ولا ينصرهم فذكرهم في حالة الامن ما قد عرفوا وتوعه في حالة الخوف لينقلعوا عن عبادة الاصنام ويقبلوا على عبادة رب الانام ليدفع عنهم الشدائد والاهوال والالام اذا حلت بهم من خاص وعام ويقوم بعزهم اذا لحقهم الذل وقوله عز وجل ان الكافرون الا في غرور اي اغتروا في عبادتهم الهتهم ليقوم بنصرهم وعزهم مع علموا انها لا يدفع عنهم شدة ولا يحصل لهم عزا وقوله عز وجل ان امسك رزقه هم كانوا يجعلون رزقهم من السماء والارض فيقول من الذي يرزقكم ان لم يرسل عليكم من السماء مطرا ولا ذلل لكم الارض للنبات وقد علموا ايضا ان لا رازق لهم غير الله تعالى لانهم يفزعون اليه بالسؤال للرزق عند ما يبلون بالقحط والجدوب فذكرهم في حال السعة ما له عليهم من عظيم النعمة في توسيع الرزق عليهم ليشكروه ولا يكفروه ثم قوله عز وجل بل لجوا في عتو ونفور فالعالي هو الماردالشديد السفه فكانه يقول لجوا وعتوا في قبول الحق وتمادوا في طغيانهم ولم يتذكروا ولم يرقبوا الله تعالى ولم يشكروا له بل بعدوا من قبول ذلك كله فقوله امن هذا الذي هو جند لكم وقوله امن هذا الذي يرزقكم يخرج على وجه ثلاثة احدها على التخويف والتهويل والثاني على التنبيه والتذكير وتسفيه احلامهم والثالث على البشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وباجابة دعوته على اهل الكفر فوجه التنبيه والتذكير وتسفيه الاحلام ما ذكرنا انهم قوم كانوا يعبدون الاصنام لينصرهم ويعزهم في الدنيا وليبتغوا به الرزق من عندها اذ هم كانوا لا يؤمنون بالبعث ليطلبوا بعبادتها عز الاخرة والنصر فيها وانما كانوا يطمعون ذلك منها في الدنيا ثم هم في الدنيا واذا مستهم الضر في البحر ضل من يدعون الا اياه ولم يكونوا يفزعون الى اصنامهم فكيف اتخذوها جندا ينصرهم عند النوائب وقد احاط علمهم انها لا ينصرهم ولا يغني عنهم من عذاب الله شيئا فيكون فيه تسفيه احلامهم وتنبيه من عذاب الله ليمنعهم ذلك عن عبادة غير الله تعالى ويدعوهم الى عبادة من يملك دفع الشدائد عنهم اذا حلت بهم واما وجه التخويف فهو انه يجوز ان يكون قيل لهم هذا عند ما ابتلوا بالشدائد وضيق العيش فيقول لهم استنصروا الهتكم واسئلوا الرزق من عندها هل يملكون لكم رزقا او يدفعون عنكم ذلك وهل يقدرون على نصركم وجائز ان يكون فيه بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له وباجابة دعوته وقد وجد النصر لانه غلب عليهم يوم فتح مكة ولم يتهيأ لاهلها ان ينتصروا بل غلبوا وقهروا وفاز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة والقهر حتى استكانوا وتضرعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك حتى دعا لهم وابتلوا ايضا بالقحط والسنين بدعاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسعة حتى رفع الله عنهم القحط **وقوله** عزوجل افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم ففي هذه الاية تذكير وتنبيه وتخويف وتهويل وتعريف حال هي على خلاف ما هم عليها في الحال ثم ذكر الصراط في الذي يمشي مكبا فهو على الاضمار كانه يقول افمن يمشي مكبا على غير الصراط اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم فيكون هذا تذكيرا وتنبيها وتعجيبا لاحلامهم لان الذين اثروا الايمان وسلكوا طريقه فانما سلكوا بالحجج والبراهين والذين اثروا الكفر اثروه من غير حجة بل بعبر تهم وسفههم هما اللذان دعواهم الى التزام الكفر والتدين به ومن آثر الحيوة والعمى على الهدى والرشاد فهو سفيه وجائز ان يكون قوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى اي اهدى طريقا امن الذي يمشي سويا على صراط مستقيم وحق هذا الكلام ان يقال بل الذي يمشي على صراط مستقيم هو الاهدى من الذي يختار الطريق المعوج الزائغ عن الرشاد فيكون في الوجه الاول معنى التخويف والتنبيه جميعا وفي الوجه الثاني تذكير وتنبيه وقولنا بان فيه تعريف حال الخلاف الحال التي هم عليها ان كل واحد من الفريقين اعني به اهل الاسلام واهل الكفر يزعم انهم على الهدى والفريق الآخر على الضلال واذا اتفقت الدعاوي على تقابل احد الفريقين ثم لا بد ان يكون جزاء الضلال غير جزاء المهتدي وجزاء العدو ثم الدنيا ثم على الفريقين على جهة واحدة فلا بد من تثبت دار اخرى والقول بها للجزاء فيكون فيما ذكروا ايجاب القول بالبعث والاقرار به فهذا الذي ذكرنا هو تعرفهما خلاف الحالة التي هم عليها ولان الذي يمشي مكبا على غير الطريق هو الاعمى الذي لا يبصر المقعد الذي لا يقوى على المشي والذي يمشي سويا على طريق مستقيم هو الذي ليس به زمانة ولا به عمى يمنعه عن الصراط فيكون قوله يمشي مكبا على وجهه هو الاعمى والذي يمشي على صراط مستقيم هو السميع البصير فيكون معناه ما قال في سورة هود مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير هل يستويان مثلا **وقوله** عزوجل قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون فهذه الاية صلة قوله هو الذي خلق الموت والحيوة وصلة قوله الذي خلق سبع سموات طباقا وقوله هو الذي جعل لكم الارض ذلولا ثم في ذكر الانشاء وجعل السمع والابصار والافئدة تذكير قوته وسلطانه وعلمه وحكمته والائه وتعاليه عن الاشباه والامثال فوجب تذكير القوة والسلطان والعلم والحكمة ما يوصف بعد هذا ويذكر في سورة المرسلات وفي سورة والسماء والطارق وسنذكر طرفا من ذلك ها هنا بعون الله تعالى وتوفيقه فنقول بان الله تعالى انشأنا في اظلم مكان واضيق موضع بحيث لا ينتهي اليه تدبير البشر وعلومهم وحكمتهم وقواهم لان علم الخلق لا يجد نفاذا في الظلمات وكذلك حكمتهم ثم ان الله تعالى انشأه في تلك الظلمات كيف شاء واجرى سلطانه وتدبيره على ذلك الشيء ليعلم به ان علمه بالخفيات من الامور كعلمه بما ظهر منها وبعرف الخلائق انه لا يخفى عليه شيء فيدعوهم ذلك الى المراقبة في كل ما يسرون وما يعلنون ويوجب ما ذكرنا في تفرد بقوته وعلمه وسلطانه بقوى البشر وعلومهم وسلطانهم فيكون فيه انفتاح عن الشبه التي اعترت منكري البعث في امر البعث ويحملهم على الايمان به اذا امعنوا النظر فيه وليعلموا ان من بلغت حكمته ما ذكرنا لا يجوز ان يخلقهم سدى لا يخاطبهم ولا ينهاهم بل يتركهم هملا واما وجه تعاليه على الاشياه والاشكال هو انه انشاء الخلق في اظلم مكان واضيقه كان فيه ابانة انه لا يوصف ما يكون في ذلك المكان الذي ظهر فيه اثار فعله لانه في وقت ما خلق عمروا في بطن امه فقد خلق زيدا في ذلك البطن في بطن امه وخلائق في بطون الانعام والظباء وبطون بنات ادم واوتنا النبات في الارضين في ذلك الوقت ولو كان يوصف بالكون في مكان الفعل لكان اذا اخذ في خلق هذا لا يخلق في ذلك الوقت في اقطار الارض امثاله من الخلائق فدل ان الفعل ليس بتحصيل منه لشهوده المكان الذي ظهر فيه فعله وانما ذكر من قوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون واما سائر الفعلة فهم لا يتمكنون من الفعل الا بشهودهم مكان الفعل فهذا الذي ذكرنا دفع عنه شبه الخلق وتوجب تعاليه عن الاشكال وفيه تذكير نعمه ومننه على خلقه الا ترى انه قال على اثر هذا قليلا ما تشكرون ولو لم يكن منعما مفضلا لم يكن يستأدي منهم الشكر ووجه النعمة وهو انه قدره في تلك الظلمات وصانه عن الافات وعن كل انواع الاذى وغذاه في ذلك الموضع بما شاء من الاغذية وستره على ابصار الناظرين وغيبه عن اعينهم لانه في تلك الحال بالمحل الذي يستعاف ويستقذر منه ولا يمكن ان يدفع عنه المعنى الذي وقعت به الاستعافة والاستقذار بالتطهير وانشاء له السمع والبصر والفؤاد ليصل بها الى انواع العلوم والمصالح فلزمهم ان يقوموا بشكر ذلك وفيما ذكرنا نقض قول المعتزلة لانهم يزعمون ان الله تعالى لو جعلهم على غير الوجه الذي ظهر لكان جائزا لان من مذهبهم انه لا يفعل الا ما هو اصلح لهم واذا كان خلقهم هو الاصلح ومن شرطه فعل الاصلح فاذا هو صار قاضي حق وليس لقاضي الحق على المقضي موضع منة ولا منة بمكانه ولا نعمة يلزمها شكرها له ثم **قوله** عزوجل

فائدة الانشاء للخلق ووجه النعمة

نقض الاصلح

جعل لكم السمع والابصار والافئدة اي جعل لكم السمع ليسمعوا ما غاب عنكم ونأى فتعرفونه بالسمع وانشأ لكم الابصار لتبصروا به ما حضر من الاشياء وتعرفوا بها ما ينفعكم وما يضركم وما خبث منها وما طاب وانشأ لكم الافئدة تدركوا بها حقائق الاشياء ومبادي الامور وما لها وما حل منها وما حرم ثم تخصص هذه الاشياء الثلاثة بالذكر لما بها يتوصل الى العلوم ومعرفة الاشياء قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ومعناه الله انشأ لكم هذه الاشياء لتنتهوا بها وتتصلوا بها الى انواع العلوم فثبت ان هذه الاشياء هي التي يتوصل بها الى العلم والحكمة والى ما به المصلحة والمنفعة ولذلك قال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فلم يقع بها الوصول الى علم الاشياء لكن لا يختص بالسؤال عنها **وقوله** عزوجل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون جمع في هذه الاية بين خبرين احدهما مما قد نوزع فيه وهو قوله واليه تحشرون فان بعض الكفرة ينكرون الحشر والبعث والثاني مما لم يقع فيه التنازع وهو قوله هو الذي ذرأكم في الارض ثم ان الله تعالى جعل ابتداء الخلق دلالة القدرة على الاعادة بقوله قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وقال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وادا جعل الابتداء دليل الاعادة لزمهم ان يستدلوا به فهو وان ذكر على وجه الاحتجاج ففيه موضع الاحتجاج عليهم **وقوله** عزوجل في الارض فيه اخبار انه خلقهم في الارض ليتباعد بعضهم خلق بعض في الابتداء فيعلموا انهم لم يكونوا على الحالة التي هم عليها للحال بل كانوا نطفا وعلقا واطفالا الى ان انتهوا على الحالة التي هم عليها فاذا تقرر عندهم امر الابتداء اوجب لهم ذلك علما بالقدرة على الاعادة او يكون قوله في الارض اي انشأكم وجعل لكم مساكن في الارض وبسطها لكم لتنتفعوا بها وجعلها لكم كفاتا فيكون فيه تذكير النعمة والقدرة والسلطان **وقوله** عزوجل ذرأكم اي كثركم من اصل واحد كما قال تعالى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ومعلوم بان الخلق على كثرتهم لم يكونوا في نفس واحدة ومن قدر على الانفس واحدة للعادة ما قد سبق كونه عزوجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فقولهم هذا خارج مخرج الاستهزاء والاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلوة والسلام ان يجيبهم بالجواب الذي يليق من الحكماء ولم يأذن له ان يجازيهم باستخفافهم اياه استخفافا مثله فقال قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين لهم انه لا ينذرهم الا بالذي امر به ولا يبلغ اليهم الا ما قد انزل اليه وامر بتبليغه وفي هذه الاية دلالة نبوته وآية رسالته لانه لو لم يكن رسولا كما زعموا وكان مختلقا من تلقاء نفسه لكان يمكنه ان يجعل ذلك الى وقت لا يظهر غلطه فيه ولا كذبه لديهم وهو ان يحيله الى وقت لا يعيش الى مثل ذلك الوقت فاذ لم يفعل بل قال انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين ولهم ذلك على رسالته وانه اذا كان رسولا لم يكن له ان يزيد في الرسالة ولا ان يتكلف من عنده فيها زيادة كما ذكر في قوله تعالى عبس وتولى ان فيه ما تقدر رسالته عندهم من الوجه الذي يذكر في تلك السورة انشاء الله تعالى عزوجل وانما انا نذير مبين اي لا ازيد في الانذار على القدر الذي امرت به عزوجل فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا جائز ان يكون قوله تعالى رأوه زلفة اي رأوا الذي وعدوا عزوجل زلفة اي قريبة ثم ان الزلفة لما اريد بها الاحوال التي يكون في ذلك اليوم من الاهوال والشدائد ويكون قوله رأوه كناية عن ذلك اليوم فذكر لان اليوم مذكر وجعل الزلفة بلفظ التأنيث لانها كناية عن الاهوال التي يكون في ذلك اليوم وجائز ان يكون قوله زلفة رأوا تلك الاهوال والشدائد قريبة من الاوقات التي وعدوا فيها فعلموا انها كانت قريبة منهم وان كانوا يستبعدونها في هذا اليوم وهو كقوله كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقال ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وكذلك اذا رأوا شدائد ذلك اليوم واهواله علموا ان الوقت الذي كان يوعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريبا منهم عزوجل سيئت وجوه الوجوه الذين كفروا فسيئت من ساءت اي ساءت وجوههم او قبحت وجوههم بتغير الوانها عزوجل وقيل هذا الذي كنتم به تدعون قال ابو بكر الاصم معناه يمنعون ويدفعون كقوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم وقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي دفعا وليس الامر كما ذكره لانه لو كان من الدفع والمنع لكان حقه ان يشدد العين لا الدال كما شددت في قوله يدع اليتيم فاذا شددت الدال دون العين ثبت انه ليس من الدع ولكنه من الادعاء اذ الدال هي المشددة فتأويله والله اعلم هذا الذي كنتم به تدعون اي هذا الوقت الذي كنتم تكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدعون عليه انه كاذب في الاخبار وجائز ان يكون قوله تدعون اي تدعون وقد يستعمل الادعاء مكان المدعو كما يقال ذكر وادكر وخبر واختبر عزوجل قل ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ففي هذه الاية دلالة ان في حكمة الله مشية المغفرة والعقاب لمن ارتكب غير الكفر من الذنوب وايجاب العقاب على من اعتقد الكفر والتزمه وان ليس في الحكمة عفو مثله من العقوبة لانه قال ارأيتم ان اهلكني الله ومن معي او رحمنا

الابتداء دليل الاعادة

وجه خلق الخلق في الارض

في حكمة الله تعالى مشية المغفرة والعقاب لغير الكافر

في الحكمة ايجاب العقاب على الكافر لا عفوه

كانت فيه خبارا لاهلاك ومشية الرحمة والمغفرة ومعلوم بانه يهلك ومن معه او يرحم عند ما يبتلي بالزلات وكذلك قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فجعل لنفسه مشية له المغفرة لمن بوى الكفر وحكم بايجاب العقاب على من اشرك به والذى يدل على ان الحكمة يوجب ماذكرنا ان الكفر لنفسه قبيح لا يحتمل الاطلاق ولا رفع الحرمة لما فيه من السفه لان من رضى بالشتم لنفسه فهو سفيه فعلى ذلك عقوبته لا يحتمل فى الحكمة رفعها والعفو عنها ولما كان الكفر لا يحتمل الاباحة ورفع العقوبة والافضال بالمغفرة يخرج مخرج الاباحة كذلك لم يجز القول فيه بالمغفرة والعفو وسائر المأثم جائز رفع الحرمة عنها ولان الكافر اختار عداوة الله تعالى وكفران نعمه والذى متقدا الاسلام اختار ولايته والحكمة يوجب التفرقة بين العدو والولى وفى العفو عنه واكرامه بالاحسان تسوية بين الولى والعدو وفى ذلك تضييع الحكمة ولان الكافر فى نفسه انه يظن على الحق والصواب وغيره على الباطل والضلال وانه غير مستوجب للعذاب يدل على ذلك حكاية من اهل الكفر وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فالله تعالى اذا انعم عليه بالعفو وتطول عليه بالاحسان لم يقع ذلك عنده موقع التجاوز والغفران بل يقع عنده انه انما احسن اليه لاستجابة الاحسان وعفى عنه لما يسبق منه ما يستوجب به العقاب واذا كان كذلك ادى ذلك الى تضييع الاحسان وتضييع العفو وابطال النعمة فثبت ان الحكمة لا توجب العفو من الكافر اذ يحصل العفو فى غير موضعه واما اهل الاسلام الذين سبقت منهم الاجرام فقد علموا ان الذى سبق منهم زلات ومأثم وان العذاب قد لزمهم وانهم مستوجبون للعقاب فاذا عفى عنهم علموا انهم انما نالوا العفو بفضل الله تعالى فيقع الاحسان موقعه ولان من احسن الى عدوه فى الشاهد لم يقصد احسانه اليه قصد استدراجه والمكر به فهو انما يحسن اليه لما يخاف ناحيته ويخرج فعله ذلك مخرج التذلل له فلو لم يؤاخذ الله الكافر وربما تغاطا من الكفر بل احسن اليه من غير تبعة عليه خرج عفوه واحسانه اليه مخرج الخوف واظهار التذلل والله تعالى يجل عن هذين الوجهين فثبت ان الحكمة يوجب القول بالتخليد ويمنع القول بالعفو والله اعلم وفى قوله قل ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى او رحمنا دلالة ان الله تعالى ان يعذب على الصغاير لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من سبقه من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد عصموا عن ارتكاب الكباير فلا يجوز ان يرتكبوا الكباير فيهلكوا لاجلها فثبت انهم لو اهلكوا لاهلكوا بالصغاير فلو لم يكن لله تعالى ان يعذب اهل الصغاير لصار هو باهلاكه اياه ومن معه جائرا ظالما وجل الله تعالى عن الوصف بالجور وقال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ولو لم يكن لله تعالى ان يعذب عن الصغاير احدا لم يكن له على رسوله عليه السلام موضع الامتنان بما غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ثم الحق ان يقال ان جميع الخوارج والمعتزلة لا يجوزان يغفر الله تعالى لهم بارتكابهم الكبائر ذكرنا لغيرهم من منتحلى الاسلام لانهم يقولون لا يجوز ان يغفر الله تعالى لاهل الكبائر ولا ان يتطول عليهم بالعفو بل حق امثالهم ان يخلدوا فى النار ابد الابدين واذا كان هذا حكم فيهم والله تعالى ان غفر لهم ومن عليهم بالعفو وقع عندهم انه انما عفى عنهم لان الذين ارتكبوا من المأثم لم يكن كبائر بل كانت صغائر اذ لا يجوز المغفرة عن الكبائر فيحصل العفو فى غير موضعه والاحسان فى غير موقعه واما غيرهم من منتحلى الاسلام فهم يرجون عفوه وسعة رحمته فى كل ايامهم فاذا تفضل عليهم بالمغفرة وقع العفو عندهم موقعه فلا يكون فيه تضييع الاحسان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم قوله عز وجل قل ارايتم ان اهلكنى الله ومن معى اى قل ان اهلكنى الله ومن معى بما سبق من الاجرام والزلات او رحمنا بما سبق منا من الايمان به والانقياد لامره والخضوع لطاعته فمن يجير الكافرين اى شئ يجير الكافرين من عذابه ولم يسبق منهم الى ربهم حسنة يرجون لاجلها ولا طاعة يستوجبون الغفران بها او فمن يجيرهم من عذاب الله تعالى اذ حل بهم فكانه قيل له قل لهم هذا لانهم كانوا يعبدون الاصنام رجاء ان ينصرهم من العذاب الاليم فيقول لا يجيرهم تلك الاصنام من العذاب الاليم والله اعلم وقوله عز وجل قل هو الرحمن امنا به فجائز ان يكون معناه ان الذى خلق الموت والحيوة وخلق سبع سموات طباقا وجعل الارض ذلولا ويعلم السر والجهر هو الرحمن فيكون فيه انبأ ان خالق السموات والارض وخالق الموت والحيوة وخالق افعال العباد وافعال الطير هو الرحمن جل جلاله وقوله عز وجل امنا به اى امنا انه خالق ما ذكرنا وانه المتعالى عن الاشباه والامثال والبرئ من كل عيوب وجائز ان يكون هو اسم من اسماء الله تعالى على ما ذكر فى سورة الاخلاص فيكون هو والرحمن اسمين من اسمائه وقوله عز وجل وعليه توكلنا فجائز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفه المشركون بانواع من المخاوف فقيل له قل عليه توكلنا اى اعتمدنا هو الذى يدفع عنا شركم وينصرنا عليكم وقوله عز وجل فستعلمون من هو فى ضلال مبين فجائز ان يكونوا نسبوه ايضا الى الضلال وادعوا انهم على الهدى ولم ينظروا فى ايات الله تعالى ليتبينوا بها من المهتدى منهم ومن الضال فقال فستعلمون من هو فى ضلال مبين اذا جاءكم بأس الله تعالى وذلك عند الموت او فى الاخرة وقوله عز وجل قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فهذا صلة قوله امن هذا الذى يرزقكم ان امسك

حكم العفو عن الكفر وايجاب العقاب عليه

جواز التعذيب على الصغاير

رزقه

رزقه فيقول لا يأتينا من الذى يأتيكم بماء معين اذا اصبح ماؤكم غورا والمعين هو الماء الذى يقع عليه العين ويراه البصر والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ن اختلف فى تأويل نون فمنهم من يقول هو الحوت كقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فنسبه الى النون وهو الحوت الا ترى الى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم ومنهم من يقول النون هو الدواة فتأويله هذا على جهة الموافقة لانه ذكر القلم وما يسطرون فلم يبق ها هنا سوى الدواة فحمله على الدواة على الموافقة لا ان يكون فيه معنى يدل على ارادة الدواة منه والله اعلم ومنهم من يقول هى فارسية معربة انون كن اى اصنع ما شئت يقال هذا عند الاياس ان المراد ايس عن آخر فاله اصنع ما شئت اذا ومنهم من يقول هو من الحروف المقطعة ويشبه ان يكون هو المراد لانه ذكر القلم وما يسطر على اثره وانما يكتب بالقلم ويسطر الحروف المعجمة فاخبر تعالى عظيم صنعه ولطفه بانشائه هذه الحروف وخلقه القلم وما يسطر عليه حيث يوصل بها الى تعرف الحكمة وكل ما يكون به المصلحة من الدين والدنيا ما يحصل قوام الدين والدنيا بها ومنهم من يجعل كل حرف من الحروف المعجمة اسما من اسماء الله تعالى وافتتاح اسم من اسمائه وكذلك روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه قال ذلك فان كان النون اسما من اسماء الله تعالى والقسم به قسم بالله تعالى وان كان على غيره من الوجوه التى ذكرناها والقسم جارى بما به قوام سائر الخلق ومصالحهم وقد ذكرنا ان القسم لتاكيد ما يقصد من الامر والله اعلم وقوله عز وجل ما انت بنعمة ربك بمجنون فموضع القسم هذا اقسم بما ذكر ما انت بنعمة ربك بمجنون يحتمل اوجها احدها اى بنعمة ربك حفظك عن الجنون فنفى عنه الجنون بقوله ما انت بما انعم الله عليك بمجنون وهذا كما يقال ما انت بحمد الله بمجنون يراد به نفى الجنون والثانى انك لست ممن خدعته النعمة واغتر بها حتى شغلته عن العمل بما له وعليه والمجنون فى النعمة هو الذى غرته النعم والهته عن التزود للمعاد وما انت بغافل عن نعمة ربك بل تذكر وتشكر الله تعالى عليها والمجنون من غفل عن النعمة واعرض عن شكرها ثم الكفرة كانوا ينسبونه الى الجنون اما لما كان يغشى لثقل الوحى فكانوا ينسبونه لهذا واما لما راوا انه خاطر بنفسه وروحه حيث خالف اهل الارض وفيها الجبابرة والفراعنة وانتصب لمعاداتهم ومن قام بخلاف من لا طاقة له معه وانتصب لمعاداته فذلك منه فى الشاهد جنون فاجاب الله تعالى للفريقين جميعا اما الاول بقوله قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة اى كيف ينسبونه الى الجنون وعند الافاقة من تلك الغشية يأتيهم بحكمة وموعظة يعجز حكماء الجن والانس عن اتيان مثله وليس ذلك من علم المجانين والا مما يمكن تحصيله فى حال الجنون لانه اذا افاق من غشيته تكلم بكلام لا يعيا بمثله ولا يكترث واجاب لمن كان نسبه الى الجنون لما خاطر بروحه ونفسه بقوله ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد فاخبر ان الذى حمله على المخاطرة بروحه وجسده هو انه مأمور بالتبليغ والنذارة فهو يقوم بما امر وان ادى ذلك الى اتلاف النفس ثم بحمد الله تعالى لم يتهيأ للفراعنة ان يقتلوه ولا تمكنوا من المكر به بل اظفره الله تعالى عليهم حتى قتلهم ورد كيدهم فى نحورهم فصار الوجه الذى استدلوا به على جنونه اية رسالته ودلالة نبوته والله الهادى وقوله عز وجل وان لك لاجرا غير ممنون وقال الحسن اى لا يمن عليك المنة التى تؤذيك ولكن يمن عليك منة رحمة وكرامة والمن المؤذى كما ذكر عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فليس لاحد عليك منة يؤذيك وقال بعضهم غير ممنون اى غير مقطوع اى ان اجرك غير مقدر بالاعمال حتى يجرى بقدر الاعمال فاذا انقطعت الاعمال انقطع الاجر وانقرض بل تتابع عليك ويدوم يقال فى الكلام مننت الحبل اى قطعته وقال بعضهم غير محسوب اى لا يحسب عليك النعم فيفوق نفى الحساب وقوله عز وجل وانك لعلى خلق عظيم خلقه العظيم القران ومعناه ما ادبه القران وذلك كقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وكقوله ادفع بالتى هى احسن وكقوله واخفض جناحك للمؤمنين فاخذه بالعفو وامره بالعرف واعراضه عن الجاهلين ودفعه السيئة بالتى هى احسن وخفضه الجناح للمؤمنين من اعظم الخلق وتخلق بهذا كله بما ادبه القرآن والله اعلم وقال بعضهم الخلق العظيم هو الاسلام والانقياد لامر الله تعالى وقد استسلم لذلك وسلم الناس من لسانه ويده وعن كل انواع الاذى وذلك من اعظم الخلق والاصل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلف معاملة اعداء الله تعالى ومعاملة اعدائه ومعاملة اولياء الله وانصاره وكلف ان يرفض الدنيا ويتزهد فيها وكلف معاملة الصغير والكبير والعالم والجاهل والجن والانس

وكلف معاملة نسائه ومن كلف المعاملة مع هؤلاء لم يقم لها الا بخلق عظيم فرزقه الله تعالى خلقا
عظيما حتى احتمل المعاملة وقام معهم بحسن العشرة وحتى عوتب على عظيم خلقه بقوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم بقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك وقال فلعلك باخع نفسك
على اثارهم وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فالذي حمله على هذه المشقة والكلفة العظيمة حسن
خلقه وفضل شفقته ورحمته فعظم خلقه ان خلقه جاوز قوى نفسه حتى ضعفت نفسه عن احتماله
وكادت تهلك فيه وغيره من الخلايق يقصر اخلاقهم عن قوى انفسهم وانفسهم يحتمل اضعاف
ما هم عليه من الخلق ويضيق اخلاقهم عن ذلك فهذا الذي ذكرنا هو النهاية في العظم وبالله التوفيق
وقوله عز وجل فستبصرون ويبصرون بايكم المفتون قال جعفر بن حرب المفتون في هذا الموضع هو المفتون
بضلالته المعجب بخطائه المشعوف بجهله وقال الحسن المفتون هو الذي منعه الشيطان وقيل المفتون
من به الفتنة كما يقال فلان لا معقول له اي ليس له عقل وقيل المفتون المعذب كقوله عز وجل يوم هم على
النار يفتنون اي يعذبون فكانه يقول ستعلمون ايكم المعذب وايكم الضال ان نحمل على ما ذكر الحسن وايكم
المغتر ان كان معناه على ما ذكروا ان المفتون من الفتنة وجايز ان يكون ينسبونه الى الاغترار فيما كان يدعي
من الرسالة ويزعمون انه مغتر بها ويغرنها غيره كما قال المنافقون ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وحق
هذا عندنا ان لا يتكلف تفسيره لانه قال فستبصر ويبصرون بايكم المفتون فذكر هذا جوابا عما وقعت
فيه الخصومة فكانوا يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر انهم هم المفتون فخرج هذا جوابا عن تلك الخصومة انهم وانت ستبصرون وقد وقعت الخصومات
من اوجه مرة كانوا يدعون انه ساحر ومرة كانوا يدعون انه مجنون ومرة بانه ضال ومرة انه مغتر و
غيرها من الوجوه فاذا ثبت ان الاية نزلت في حق الجواب فما لم يعلم بان الخصومة فيم كانت لم يعلم الى
ماذا يصرف الجواب والله اعلم ويشبه ان يكون الخصومة الواقعة في الضلال والهدى فكانوا يدعون
انهم على الهدى وانهم بالله احق واليه اقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعي انهم على الضلال وانه على الضلال وانه على دين الحق والهدى يدل على ذلك ذكر الضلال
والهدى بعد ذكر المفتون وهو قوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ثم هذه
الايات كانها نزلت جوابا من الله تعالى عما كان يحق لمثله الجواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن
الله تعالى لما امتحن رسوله صلى الله عليه وسلم بالعفو والاعراض عن المكافاة بالجواب تولى الله تعالى الجواب
عنه بقوله تعالى ان ربك هو اعلم اي قد تعلمون ان ربكم اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وستبين
لكم ذلك وقوله عز وجل فلا تطع المكذبين وقال في موضع اخر ولا تطع منهم اثما او كفورا ليس في قوله
فلا تطع المكذبين امر من الله تعالى بان يطيع المصدقين من صدقه وامر به لا يجوز ان يتقدم بين يديه
في امره او ينهاه عن امر يدعوه الى الصلاة بل ينتظر الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه
فياتمر بامره ويطيعه فيما يدعوه اليه واما من كذبه فقد يدعوه الى طاعته فخص ذكر المكذب عند ما
نهاه عن طاعته لان الدعاء الى الطاعة يوجد لا من المصدق دون ان يتضمن قوله فلا تطع المكذبين
امرا بطاعة المصدق وهو كقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق فليس فيه انه اذا لم يخش الاملاق
يبيح قتله ولكنه خص تلك الحالة لان تلك الحالة هي التي كانت تحملهم الى القتل ولم يكونوا يقدمون
على القتل عند الامن من الاملاق وفي هذا دلالة ابطال قول من قال بان تخصيص الشيء بالذكر يدل
على ان الحكم فيما غايره بخلافه والله اعلم وقوله المكذبين هم المكذبون بايات الله تعالى او بوحدانيته
او برسله او بالبعث ثم يجوز ان يكون هذا الامر منهم في كل الاحوال فكانوا يطمعون من رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاجابة لهم فيما يدعونه اليه اذ كانوا يرجون منه الموافقة لهم بما يبذلون
له من المال فيكون النهي راجعا الى ذلك الوقت فاما بعد ما ظهرت منه الصلابة في الدين والتشمير لامر الله
تعالى فلا يحتمل ان يطيعهم او يخاف منه ذلك فينهى عنه وجايز ان يكون دعاؤهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ذكر من قوله ودوا لو تدهن فيدهنون والمداهنة هي الملاطفة والملاينة في القول
ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الهتهم بسوء ويسفههم بعبادتهم اياها ويسفه احلامهم
ويجهلهم وهم لم يكونوا يجدون في رسول الله صلى الله عليه وسلم مطعنا فكانوا ينسبونه الى الكذب مرة
والى الجنون ثانيا والى السحر ثالثا وكانوا يتخذونه هزوا اذا راوه فكانوا يطعنون فيه من هذه الاوجه
بازاء ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسفههم ويذكر الهتهم بسوء مع علمهم انه ليس بكذاب ولا ساحر
ولا كاهن الا ترى الى قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك فاخبر تعالى انهم ليسوا
يكذبونه لما وقفوا منه على الكذب بل قد كانوا عرفوه بالامانة والصدق ولم يكونوا وقفوا منه على
كذب قط وانما الذي حملهم على التكذيب واتخاذهم اياه هزوا ذكر الهتهم بسوء وكذلك قال واذا راوك
ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتهم فكانت معاملتهم هذه مجازاة لرسول الله صلى الله عليه

كانت نسبة الكفار ساحر مجنون ضال مغتر وغيرها

تولى الله الجواب عن الكفار عن رسوله عليه السلام

وجه طعن الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم بسوء

وسلم

وسلم وقوله عز وجل ودوا لو تدهن فيدهنون يخرج على هذا ان شاء الله تعالى هوانك لو تركت ذكر الهتهم
بسوء ولم تسفه احلامهم لامتنعوا ايضا عما هم عليه من نسبتهم اياك الى الجنون والسحر والكذب وغير
ذلك ولكنه كان يذكرهم وهو في ذلك محق وهم كانوا يذكرونه بما قالوا بالباطل والزور فيكون
قوله لا تطع المكذبين فيما يدعونك الى المداهنة ثم هم لو داهنوا كانوا في مداهنتهم محقين فاذا تركوا
ذلك فقد تركوا الحق الذي كان عليهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم لو داهنهم لم يكن في مداهنتهم
محقا فلذلك نهي عن المداهنة وقال بعض المفسرين ودوا لو تدهن فيدهنون اي لو ترفض ما انت عليه
من الدين وهذا لا يستقيم لانه اذا رفض ما هو عليه من الدين كفر وهم وتركوا ما هم عليه صار واسلموا
فيبقى بينهم الاختلاف الذي لاجله ما دعوا الى المداهنة وودوها وقوله عز وجل ولا تطع كل حلاف
مهين قيل بان هذه الايات نزلت في واحد بعينه وهو الوليد بن المغيرة المخزومي وغيرها يشار الى
واحد لا يطلق فيه لفظة كل فيقال ولا تطع كل حلاف مهين والحلاف المهين ليس الا الواحد ولكن
معناه لا تطع هذا وكل من يوجد فيه هذه الصفة ثم ذكر الموء بقوله حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع
للخير معتد اثيم يخرج مخرج الهجاء والشتم في الشاهد لان ذكر المرء بما هو عليه من ارتكاب الفواحش والمساوي تحصل
له وشتم وجل الله ورسوله ان يقصد الى الشتم انشانا فالاية ليست في تبيين فواحشه وانما هي في موضع
التوبيخ والزجر عن اتباع مثله وذلك انه كان من رؤساء الكفرة وممن بسطت عليه الدنيا فكان
القوم يتبعونه وينقادون له فيما يدعوهم الى الصد عن سبيل الله فذكر الله تعالى فيه هذه الاوصاف
واظهرها للخلق لتزهدهم عن اتباعه اذ كل من كانت فيه هذه الاحوال لم تسخ نفس عاقل باتباعه
ولا احتمل طبعه طاعة مثله فلا يتمكن من صد الناس عن سبيل الله تعالى فكان في ذكره بالعيوب التي
ذكرها زجر الناس عن طاعته فذكرها لا ثبات هذا الوجه لا لان يكون فائدتها على تحصيل الشتم
والهجاء وكذلك ذكر ابا لهب بالتب والخسار وما هو عليه من الفواحش ليزجر الناس عن اتباعه وفي
هذه دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الذي يذكر في سورة تبت ان شاء الله تعالى ثم
قيل المهين من المهانة ومن المهنة والوهن وهو الضعف ثم قوله هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد
اثيم جايز ان يكون استوجب المهانة لكونه همازا مشاء بالنميم ويمنعه الخير واعتدائه فيكون هذا
كله تفسير المهين فان كان هكذا فقوله المهين من المهانة ههنا ثم يجوز ان يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخشى عليه طاعة من هذا وصفه وان يميل قلبه اليه ولكن النهي لمكان غيره و
ان كان هو المشار اليه بالذكر وجايز ان يكون قوله كل حلاف مهين تمام الكلام ويكون قوله
هماز مشاء بنميم على الابتداء فكانه يقول لا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وكل معتد اثيم
وكل عتل زنيم وتفسير الهمز يذكر في تفسير سورة الهمزة ان شاء الله تعالى والمشاء بالنميم
هو الذي يسعى في الفرقة بين الاخوان ويقوم فيما بينهم بالقطيعة والمناع للخير قال بعضهم انه كان
يمنع اهل الافاق من كان يحضرته عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انه ضال
مضل فقيل مناع للخير لهذا ومنهم من ذكر انه كان يمنع ولده من الاختلاف الى مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجايز ان يكون منعه للخير هو امتناعه عن اداء حقوق الله تعالى الواجبة
في ماله وقوله عز وجل معتد اي معتد حدود الله تعالى او ظالم لنفسه وقوله عز وجل اثيم هو المرتكب لما
ياثم به وقوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم العتل الفظ الغليظ والشديد الظلوم وقيل هو الفاحش اللئيم
الضريبة وقال مجاهد العتل الشديد الاشر الى الخلق قد روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
الله قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم فقال رجل من المسلمين يا رسول الله وما الجواظ
والجعظري والعتل الزنيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الجواظ الذي جمع ومنع تدعوه لظى نزاعة
للشوى واما الجعظري والفظ الغليظ قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب
لانفضوا من حولك واما العتل الزنيم هو الشديد الخلق الرحيب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد
للطعام والشراب الظلوم للناس واما الزنيم هو الدعي الملصق بالقوم الملحق في النسب واستدلوا
على ذلك بقول الشاعر ۞ زنيم ليس يعرف من ابوه ۞ بغي الام ذو حسب لئيم ۞ ويقول اخر زنيم تداعاه
الرجال زيادة ۞ كما زيد في عرض الاديم الاكارع ۞ ومنهم من قال انه كانت به زنمة في اصل اذنه
يعرف بها ومنهم من يقول الزنيم هو المعلم في الشر ولقائل ان يقول اذا كان تاويل العتل ما ذكر في الخبر
ومعنى زنيم الدعي او ما ذكر من العلامة فكيف تعيير بهذه الاشياء ولم يكن له في ذلك صنع والمرء انما يعير
بما له فيه صنع لا بما لا صنع له فيه فيجاب عن هذا من وجهين احدهما ما ذكرنا ان ذكره بما فيه
من العيوب ليس لمكان المذكور نفسه ولكن لزجر الناس اتباعه لان من اشتمل على العيوب التي ذكرها
وكان مع ذلك عتلا زنيما فالنفس الخلق تابى عن اتباعه ففائدته تعييره بما اشتمل عليها ما ذكرنا من الحكمة
لا تعييره والثاني ان ذكر اصله كناية عن سوء فعاله ليعلم ان خبث الاصل يدعو الانسان الى تعاطي

الافعال الذميمة وصحة الاصل وجبه ونقاوته يدعو صاحبه الى محاسن الاخلاق والى الافعال المرضية **وقوله**
عز وجل ان كان ذا مال وبنين فيخبر ان من يتبعه يتبعه لكثرة امواله وبنيه وذلك ان كثرة المال للانسان من
اعدما يستدعي قلوب الخلق الى تعظيمه فذكر ما فيه من العيوب والمساوي لئلا يشتمل قلوب الضعفة الى نفسه
بما له فيقول كيف تتبعونه وهو بهذا الوصف الذي وصفه الله تعالى ثم اخبر عن معاملته رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وان كان عاما بظاهره لكن لم يرد به العموم لان ان هذا
الاولين ليس في كل الآيات وانما هو في الآيات التي هو في حق الاخبار عن الامم السالفة واما اذا تليت عليه
الآيات التي فيها دلالة اثبات الرسالة ودلالة التوحيد ودلالة البعث فقوله فيها ما قال في سورة المدثر
ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر وهذا دليل على ان لا يجب اعتقاد ظاهر العموم ما لم يعلم بيقين والله
اعلم **وقوله** عز وجل سنسمه على الخرطوم قيل شيئا لا يفارق فجائز ان يكون جعل هذا في الدنيا لكي يعلمه ويذكره
من رآه فيجتنب صحبته فهو شيئا من هذا الوجه فيخرج هذا مخرج العقوبة لشدة تعنته على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعظيم اواه له وجائز ان يكون هذا في الآخرة فيجعل الله تعالى علما في انفسه علما يتبين به ويمتاز من
غيره يوم القيامة زيادة له في العقوبة كما جعل لآكلي الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
من المس وجائز ان يكون شم خرطومه خصوصا من بين الكفرة فيحشر ولا انف له لان تذكر ان سائر الكفرة
يحشرون يوم القيامة بكما وعميا وصما ولم يذكر في انوفهم شيئا فجائز ان يكون يحشر ولا انف وذلك هو النهاية
في القبح والله اعلم **وقوله** عز وجل انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة فهو يحتمل وجهين احدهما ان يكون اهل
مكة ابتلوا بالاحسان الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابتلي اصحاب الجنة بالاحسان الى المساكين فحل بهم
من البلاء ما ذكر لامتناعهم عن الاحسان فذكر اهل مكة انهم ان امتنعوا عن الاحسان الى اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم حل بهم ما حل باولئك وقد وجد منهم الامتناع فابتلوا بسنين كسني يوسف حتى اضطروا الى اكل الجيف والاقذار
ثم ان اصحاب الجنة لما مسهم العذاب وانتبهوا به انابوا الى الله وانقلعوا عن مساويهم فتاب الله عليهم ورفع
البلاء عنهم واهل مكة تمادوا في غيهم ولم يتوبوا فانتقم الله منهم بالقتل يوم بدر في الدنيا وسيردهم الى العذاب
في الآخرة وجائز ان يكون الله تعالى لما اغرهم وشرفهم وصرف وجوه الخلق اليهم امتحنهم بتبجيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فلما اساؤا صحبته عاقبهم بما ذكرنا ووسع على اصحاب الجنة فامتحنهم بما وسع
عليهم بان يوسعوا على غيرهم فلما امتنعوا عن ذلك عوقبوا بزوال النعمة عنهم وعوقب هؤلاء بزوال
العز عنهم واذاقهم الله تعالى لباس الجوع والخوف والله اعلم **وقوله** عز وجل اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين فقوله
مصبحين اي لاول وقت ينسب الى الصباح وذلك يكون في آخر الليل كما يقال ممسين لاول وقت ينسب الى المساء واذا
كان كذلك فالاصرام يقع بالليل الا ترى الى قوله ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وهم لا يملكون بعد مضي الليل
منع المساكين عن الدخول **وقوله** عز وجل ولا يستثنون قيل اي لا يقولون ان شاء الله وقيل لا يقولون سبحان
الله فان كان على هذا ففيه ان التسبيح كان مستعملا في موضع الاستثناء وقد يجوز ان يؤدي معنى الاستثناء لان
في تنزيه الرب تعالى وفي الاستثناء معنى التنزيه لان فيه اقرارا ان الله تعالى هو المغير للاشياء والمبدل لها
ثم اصحاب الجنة بقسمهم قصدوا قصدا الحقهم العصيان فيه وكان عهدهم الذي عاهدوا عليه
معصية وعوتبوا بتركهم الاستثناء ففيه دلالة ان الله تعالى يوصف بالمشية لفعل المعاصي ممن يعلم انه
يختارها لانه لو لم يوصف به لم يكن لمعاتبته اياهم بتركهم الاستثناء معنى اذ لا يجوز استعمال الاستثناء
فيما لا يجوز ان يوصف به الرب جل وعلا الا ترى لا يستقيم ان يقال ان شاء الله جاز وان لم يشأ لم يجز وان
شاء خل وان شاء لم يبخل وان شاء اكل وان شاء لم يأكل فلو لم يوصف ايضا بالاضلال من يعلم منه انه يؤثر الضلال
لم يجز ان يلاموا على ترك الاستثناء ولا مدخل للاستثناء فيه والذي فيه يدل على صحة ما ذكرنا قوله
من يشاء الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم فتبين انه يشاء اضلال من ذكرنا وفيه ان خلق
الشيء غير ذلك الشيء لانه يستقيم ان يوصف الله تعالى بالاضلال ولا يجوز ان يوصف بالضلال
وان كان الاضلال خلقا له ويوصف الله المحيي والمميت فلا يستقيم ان يقال ان شاء حي وان شاء مات
وان كان هو الذي خلقهما ثم ليس في قوله اذ اقسموا ابانة ان قسمهم كان بماذا فان كان بغير الله تعالى ففيه
ابانة ان القسم قد يكون بغير الله تعالى وان كان قسمهم بالله تعالى ففيه حجة لابي يوسف على ابي حنيفة
رحمهما الله ان اليمين اذا كانت موقتة فان هلاك الشيء المحلوف بها قبل مضي وقتها لا يسقط اليمين
بل يبقى بحالها ويلزم على صاحبها حكم الحنث اذا مضى وقتها لان الثمر الذي حلفوا على صرمه قد هلك قبل الوقت
الذي اوجب فيه الصرم فلو كانت اليمين تسقط عنهم بهلاك الثمر لم يكونوا يحتاجون الى الاستثناء لانه
لا حاجة الى الاستثناء لاسقاط المؤنة التي يلزمهم بالحنث في اليمين فلو كان هلاك الثمر مسقطا لليمين ومؤنة
الحنث لاستغنوا عن الاستثناء فلما لحقتهم اللائمة بتركهم الاستثناء دل ان المؤنة يبقى عليهم اذا عريت
عن الاستثناء وان كانت موقتة ولكن ابو حنيفة رحمه الله يسقط عنه اليمين بهلاك الشيء المحلوف عليه
اذا كانت يمينه بالله تعالى ولا يسقطها اذا كانت بشيء من القرب والطاعات اعني النذر وليس في الآية

ابانة ان يمينهم كانت بالله تعالى فجائز ان يكون يمينهم بشيء من القرب فبقيت عليهم ولانه عاتبهم
على ترك الاستثناء لعزمهم على المعصية والاستثناء يسقط القويم لان من عزم على المعصية وقال
فيه ان شاء الله لم يصر آثما بمقالته ولا صار عازما على المعصية وابو حنيفة ليس يخرجه عن المعصية
وابو حنيفة ليس يخرجه عن المعصية في اليمين الموقتة اذا عقدت على امر من امور المعصية والذي يدل
على ان العتاب في ترك الاستثناء للوجه الذي ذكرنا انه لم يذكر في شيء من الاخبار ولا ذكر في
الكتاب ان احدا منهم امر بالتكفير ولو كان الحنث لازما لكانوا يلامون على ترك التكفير ايضا
كما لحقتهم الملامة بترك الاستثناء والله اعلم **وقوله** عز وجل فطاف عليها طائف من ربك قيل علاك
ربك وسمي طائفا لانه اتاهم بالليل وكل آت بالليل فهو طائف **وقوله** عز وجل فاصبحت كالصريم
اي الجنة كانها صرمت وهم اصبحوا ليصرموها **وقوله** عز وجل فانطلقوا وهم يتخافتون قيل يتسارون
فيما بينهم فيجوز ان يكون مسارتهم كانت في الامر بالاسراع في المشي لان لا يشعر بهم المساكين و
يتعجلوا في الخروج والمشي قبل الوقت الذي يصبح فيه المساكين **وقوله** عز وجل وغدوا على حرد قادرين
فمنهم من ذكر ان اسم جنتهم كان حردا وقيل غدوا على امر قد استتروه فيما بينهم وقال
الزجاج الحرد له اوجه ثلاثة احدها القصد واستدل عليه بقول الشاعر اقبل سيل كان
من امر الله يجرد حرد الجنة المغلة اي يقصد قصدها والثاني هو المنع يقال حردت السنة
ان قحطت وذهبت بركتها والثالث الغضب فغدوا على حرد قادرين اي على غضب على الفقراء وقيل
قادرين اي قادرين عليها في انفسهم ولقائل ان يقول بان في هذه الآية دلالة تقدم القدرة
على الفعل لانه اثبت لهم القدرة قبل الفعل ولكن هذه القدرة ليست هي قدرة الافعال
وانما هي قدرة الاسباب والاحوال **وقوله** عز وجل فلما رأوها قالوا انا لضالون اي قد ضللنا
الطريق فكان عندهم انهم قد ضلوا الطريق لذلك لم يتصلوا الى ثمارها ظهر لهم انهم لم يضلوا
الطريق بل حرموا بركة الثمار بجنايتهم التي جنوها فتذكروا صنيعهم وندموا على ذلك فاقبلوا
بالاستكانة والتضرع الى الله تعالى فتاب عليهم فلعل الذي قال انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة
يخرج على هذا وهو انا بلونا اصحاب الجنة فتذكروا فرفع عنهم العذاب ولم يتذكر اهل مكة فحل
بهم العذاب يوم بدر كما قال فما استكانوا لربهم وما يتضرعون **وقوله** عز وجل قال اوسطهم
اي اعدلهم **وقوله** عز وجل الم اقل لكم لولا تسبحون جائز ان يكون معناه لولا يصلون الفجر ثم يخرجون
ان يكون معناه لولا يستثنون وقد ذكرنا ان في الاستثناء معنى التسبيح لان فيه اقرارا بان
الامور كلها تنفذ بمشية الله تعالى وانه هو المغير والمبدل دون احد سواه **وقوله** عز وجل قالوا
سبحان ربنا فهذا منهم توحيد وتبرئة وفي قوله انا كنا ظالمين اعتراف بما ارتكبوا من الذنوب
وانابة الى الله وتمام التوبة منهم في قوله فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا
كنا طاغين وذكر المفسرون في قوله فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي اقبل بعضهم على بعض
باللوم تقول انت امرتنا ان نصرمها ليلا وقال هذا لهذا بل هو عملك انت وهذا لا معنى له لان هذا
يوجب تبرئة كل واحد منهم عن ارتكاب الذنوب وقد سبق منهم الاقرار بالذنب بقوله قالوا
سبحان ربنا انا كنا ظالمين ويقول لهم قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين فكيف يبرؤن انفسهم عن الذنوب
وقد اعترفوا بها فهذا تاويل لا معنى له بل معناه والله اعلم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
على ادخال كل منهم نفسه في ذلك اللوم او اقبل كل واحد منهم بالائمة على نفسه حتى يكون هذا موافقا
لقوله انا كنا طاغين **وقوله** عز وجل يا ويلنا انا كنا طاغين ففي هذا تمام التوبة ففيه انهم اظهروا الندامة
على ما سبق منهم من اوجه ثلاثة مرة بما وصفوا انفسهم بالظلم ومرة بما لاموا انفسهم ومرة بما وصفوا
بالطغيان **وقوله** عز وجل عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها اي يبدلنا خيرا منها اذا تبنا وانبنا الى ربنا
لانه لا يجوز ان يتوقعوا خيرا منها وهم مصرون على ذنوبهم اذ قد عرفوا انهم انما حرموا
بركة الثمار بما ارتكبوا من الذنوب فثبت ان معناه ما ذكرنا ويحتمل ان يكون هذا في الآخرة يقولون
عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها في الآخرة اذا تبنا وانبنا اليه والله اعلم **وقوله** عز وجل انا الى
ربنا راغبون الى ما عند ربنا من العطايا والمنن لراغبون او الى ما وعد ربنا للتائبين من الذنوب
لراغبون **وقوله** عز وجل كذلك العذاب كانه يخاطب اهل مكة ان كذلك العذاب في الدنيا في
ان يأخذ اهله امن ملكا نوا او اغفل ما كانوا كما اخذ اصحاب الجنة عند الامن اذا كان عندهم
انهم يقدرون على صرم تلك الثمار ولا يفوتهم **وقوله** عز وجل ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا
يعلمون ففي هذا ايجاب على من لم يعلم بالعذاب ولم يؤمن به لانهم لم يؤمنوا بعذاب الآخرة
ولا علموا به ثم اوجب لهم العذاب وان لم يعلموا ولم يعذروا بالجهل لانهم قد وقفوا على السبب
الذي لو تفكروا لعلموا بالعذاب ولا تيقنوا به وفي هذا حجة ان لا عذر لمن تخلف عن التوحيد والايمان

بالله تعالى وان جهل الآن يكون جهله جهل خلقه لان الذي به الى الجهل هو التقصير في الطلب والا لو لم يقصر
في الطلب لوجد من يدله على معرفة الصانع ووحدانية الرب تعالى وقوله عز وجل ان للمتقين عند ربهم
جنات النعيم وفيه ترغيب لمن لزم التقوى وهو الاسلام وقوله عز وجل افنجعل المسلمين كالمجرمين افنجعل
من جعل كل شيء سوى الله تعالى لله سالما لا يشرك فيه احدا كالذي اجرم فجعل في كل شيء مما لله شركا في
العبادة والتسمية او تبين الله تعالى انه ولي المؤمنين وعدو المجرمين فنقول افمن عمر اعدائي ان اسوي
بينهم وبين الاحبا والجمع بينهم لا يفعل ذلك لان تضييع الحكمة لان الحكمة توجب التفرقة بين العدو و
الولي وفي الجمع بينهما تضييعهما وقوله عز وجل ما لكم كيف تحكمون في ان اجعل عدوي بمنزلة ولي
وولي بمنزلة عدوي واي شيء حملكم على حكمكم هذا ولم يأتكم بهذا الحكم كتاب ولا معقول يوجب ذلك
فكيف تطمعون ذلك او كيف تحكمون بالجور على ربكم لان من الجور ان يجمع بين الولي والعدو في دار
الكرامة ثم قوله افنجعل المسلمين كالمجرمين يستقيم ان يجعل هذا جوابا للفريقين لو انكر البعث ولم يزعم
انه شريك اهل الاسلام في الآخرة فيما يكرمون من النعيم فمن انكر البعث فالاحتجاج عليه بهذه الآية
هو ان الفعل يوجب التفرقة بين الولي وبين العدو والشكور فانتم اذا انكرتم البعث فقد زعمتم
على الله تعالى انه يجعل المسلمين كالمجرمين والكفور كالشكور والعدو كالولي ومن فعل هذا فهو سفيه
لا يصلح ان يكون حكيما ففي انكار البعث تحقيق السفه واثبات الجور لان من الجور ان يجمع بين الولي
وبين العدو في الجزاء ومن ادعى الوجه الآخر وهو التسوية بين الفريقين لما تساويا في منافع الدنيا
ومضارها وفي لذاتها وشدائدها وبلياتها فعلى ذلك يكون امرهم في الآخرة فجوابهم في ذلك
ان الدنيا هي دار تظهر فيها العدو من الولي والشكور من الكفور والآخرة دار جزاء العداوة و
الولاية فجائز ان يقع فيما فيه ظهور الولاية والعداوة اتفاق ولا يجوز وقوع الاتفاق فيما فيه
الجزاء لان الجزاء لعداوة سبقت والولاية سبقت والحكمة توجب التفرقة بين الجزائين فلا يجوز
ان يجعل المسلم فيه كالمجرم لما فيه من تضييع الحكمة وليس في قبل المحنة معنى يوجب التفرقة بينهما في
المحنة فجائز ان يقع بينهما الاتفاق في ذلك ولانه لو كان تفرق بينهما في الدنيا لكانت المحنة
تخرج عن حدها والدنيا هي دار المحنة وانما قلنا ان فيه اخراج المحنة عن حدها لان المحنة يكون
على الرجاء والخوف والرغبة والرهبة فلو فرق بين العدو والولي في الدنيا فوسع على الاولياء
وضيق على الاعداء لوقع اختيار وجه الولاية على الضرورة لان من اذا ضيق عليه اذا اختار
وجه العداوة ويعجل عليه العذاب ترك ذلك الوجه ومال الى الولاية فيرتفع وجه المحنة
فلذلك جاز ان يجمع بين الولي والعدو في دار المحنة ليبقى وجه الحكمة بحاله ولم يجز ان يجمع بينهما
في الآخرة لانها دار جزاء والعقل يوجب تفرقة جزائهما والله الموفق وقوله عز وجل ما لكم
كيف تحكمون في احكم الحكماء بالسفه حيث تزعمون انه يجمع بين الولي والعدو في الجزاء وذلك من
اعلام السفه او كيف تحكمون في احكم الحاكمين واعدل العادلين بالجور اذ تزعمون انه يجمع بين
الفريقين في دار الكرامة ومن الجور ان يقع بينهما وهم كانوا يقرون ان الله تعالى احكم الحاكمين
وقوله عز وجل ام لكم كتاب فيه تدرسون فحاجهم اولا بما يوجبه الحكمة وهو انكم تعلمون
ان الحكمة توجب التفرقة بينهما فان كنتم تدعون الجمع فيما بينهما بالحكمة فانتم تعلمون ان
الحكمة توجب التفرقة بينهما وان كنتم تدعون ذلك من كتاب فاي كتاب من عند الله جاءكم
فيوجب التسوية بينكم وبين الاولياء واي رسول اخبركم انكم تساوون الاولياء في نعيم الآخرة
ثم وجه المحاجة بالكتاب هو ان مشركي العرب لم يكونوا يؤمنون بالكتاب ولا بالرسل ولو كانوا
يؤمنون بهما لكانوا يقدرون ان يقولون ان لنا كتابا درسناه فوجدنا فيه ما نذكر وندعي
ورسول قد اخبرنا بذلك ولكنهم اذا كانوا لا يؤمنون بها صار هذا الوجه الذي ذكره الله تعالى
حجة لازمة عليهم والله اعلم وقوله ان لكم فيه لما تخيرون اي وفي ذلك الكتاب تجدون ان
لكم فيه لما تخيرون وقوله ام لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيامه ان لكم فيه لما تحكمون وهذا ايضا
صلة الاول اي هل شهد ثم الله تعالى اقسم لكم انه هكذا كما تحكمون وهذا كقوله تعالى ام كنتم شهداء
اذ وصاكم الله بهذا فاخذهم بالمقابلة اولا وهو كقوله تعالى قل آلذكرين حرم ام الانثيين فلما لم
يتهيأ لهم تثبت ذلك بالقياس والمعقول احتج عليهم بقوله ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا
وقد عرفوا انهم لم يشهدوا وما ادعوه لا ثبات له الا من الوجوه التي ذكرها واذا لم يثبتوا بشيء
من ذلك تبين عندهم فساد دعواهم فهذا ايضا مثله وهو انه سألهم عن ايراد الحجة اما من جهة الحكمة
او من جهة الكتاب او من جهة الشهادة فاذا لم يثبت لهم واحد من هذه الاوجه فباي وجه
يشهدون على الله تعالى انه يفعل ذلك وقوله عز وجل بالغة اي وكيدة او بلغت اليكم عن الله تعالى وقوله
عز وجل سلهم ايهم بذلك زعيم يقول فانهم تعنتوا مع هذا كله في ان يدوموا على دعواهم من غير حجة

فسلهم اي طالبهم بالزعيم اي من يكفل لهم ان الامر كما يزعمون وقوله عز وجل ام لهم شركاء فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين اي شركاء يشفعون لهم يوم القيامة وقال بعضهم اي لهم شهداء من
عندهم كتاب يشهدون لهم بما يذكرون وقوله عز وجل يوم يكشف عن ساق اي يكشف عن ساق اي
يكشف عن موضع الوعيد بالشدائد والاهوال والساق الشدة وسمي الساق ساقا لهذا لان الناس
شدتهم في سوقهم اذ بها يحملون الاحمال فكني بالساق عن الشدة وقيل ايضا بانهم كانوا اذا ابتلوا شدة
وبلاء كشفوا عن اسوقهم فكني بذكره عن الشدة لا ان يراد بذكر الساق تحقيق الساق والله اعلم وقوله
عز وجل ويدعون الى السجود فلا يستطيعون يحتمل ان يكون هذا على دعاء الحال ويحتمل ان يكون على دعاء
الامر فاما دعاء الحال فهو ان من عادات الخلق انه اذا اشتد بهم الامر وضاق فزعوا الى السجود فجائز
ان يكون ما حل بهم من الاحوال والشدائد يدعوهم الى السجود فيهمون بذلك فلا يستطيعون فيكون قوله
ويدعون الى السجود اي يدعوهم الحالة الى السجود فهذا دعاء الحال وجائز ان يؤمروا بالسجود ويمتحنوا به
ثم ان كان التأويل على الامر فيحتمل ان يكون ذلك يوم القيمة وجائز ان يكون وقت الموت وان كان
على دعاء الحال فذلك يكون عند الموت ثم الامر بالسجود يحتمل وجهين احدهما ان يكون على حقيقة
الفعل ويحتمل ان يكون على الاستسلام والخضوع اذ السجود في الحقيقة هو الخضوع والاستسلام وكل
سجود ذكر في القرآن واريد به عين السجود فليس يجب بتلاوته السجود وكل ما اريد منه الاستسلام و
الخضوع فهو الذي يجب بتلاوته السجود ثم ان ذكر في اهل الكفر فانما يراد منهم الاستسلام له
بالاعتقاد ليس بعين الفعل واهل الاسلام قد وجد منهم الاستسلام بالاعتقاد فيلزمهم
ان يستسلموا من جهة الفعل فجائز ان يكون هذا لما عاينوا الشدائد والافزاع استسلموا لله تعالى وخضعوا
له فلم يقبل ذلك منه لان تلك الدار دار جزاء وليست بدار محنة والثاني ان السجود هو بذل النفس
لما طلب منه طائعا واذا اشرف المرء على الموت طلب منه في ذلك الوقت بذل روحه لما يعلم ان
مصيره اذا قبض الى العذاب وكره اشد الكراهة كما قال عليه الصلوة والسلام من كره لقاء الله
كره الله لقاءه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
عند الموت فهو لما يرى من المكروه يحل به بعد الموت يكره قبض روحه فيكون قوله فلا يستطيعون
ان كان المراد من قوله ويدعون الى السجود عند الموت على ذلك والمؤمن اذا راى ما اعد له
من الكرامات ود ان يقبض روحه سريعا ليصل الى الكرامات وان كان هذا بعد البعث واريد
من السجود حقيقته ففيه تذكير لهم انهم لم يكونوا يمتحنون في الدنيا بالسجود لمنفعة تصل الى الله
تعالى اولحاجة له الى ذلك وانما امتحنوا بالسجود لمكان انفسهم اذ لو كان الامتحان لمنفعة ينال الله تعالى
لما كانوا يمنعون عنه في القيامة والله اعلم وقال كثير من اهل الكلام لا يجوز ان يمتحنهم الله تعالى
بعد البعث بالسجود اذ تلك الدار ليست بدار محنة وانما الامر بالسجود يخرج مخرج التوبيخ وكذلك
زعم جعفر بن حرب ان هذا على التوبيخ يقال للرجل اذا كان مكثرا فذهب ماله ولم يؤد الزكوة حج في
حال يسره حج وزك الآن ليس يراد به ان اوجد الفعل ولكن يريد به تذكره وتوبيخه فهذا الذي قالوه
محتمل ان يمتحنوا بالسجود وللوجوه التي ذكرنا وهو ان يظهر عند الممتحنين ان منافع سجودهم راجعة
اليهم لا الى الله تعالى وقوله عز وجل فلا يستطيعون للاشغال التي حلت بهم والافزاع التي ابتلي بها وقوله
عز وجل وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون ففيه ان الفرائض انما يجب عند سلامة الاسباب
والله اعلم وقوله عز وجل فذرني ومن يكذب بهذا الحديث فجائز ان يكون الحديث هو القرآن وجائز
ان يكون اريد به البعث وهو الغالب ان يكون هو المراد وقوله عز وجل سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون قال القتبي الاستدراج هو الادناء من المهلكة درجة فدرجة حتى يهلك وقيل سنستدرجهم
اي ننعم عليهم وننسيهم شكرها بالاملاء وينزل بهم العذاب والهلاك امرما كانوا وقوله عز وجل واملي
لهم ان كيدي متين والاصل ان الكيد والمكر والاستدراج يقتضي معنى واحدا وهو ان يأخذ من وجه
امنه ويراقب وجوه هلاكه وهو يستعمل في الخلق على وجه يذم اهله فهو يضاف الى الله تعالى ليس
على جعل ذلك اسما له اذ لا يجوز له ان يسمى ماكرا كايدا مستدرجا وانما يضاف اليه في حق الجزاء باسم
ماله الجزاء كما يسمى جزاء السيئة سيئة وان لم يكن الجزاء سيئة وكما سمي جزاء الاعتداء اعتداء فكذلك
سمي جزاء الكيد كيدا على هذا المعنى لا ان يكون ذلك منه كيدا في الحقيقة او يقول بان الذم انما
يلحق الماكر والكايد اذا استعمله في وليه وصفيه فاما اذا مكر بعدوه وكاد به فذلك مما لا بأس به
ولا يذم عليه فاعله وما اضيف من الكيد الى الله تعالى فذلك حال باعدائه ليس باوليائه فلم يكن فيه
الحاق معنى مكروه بالله تعالى ثم الاصل ان ينظر في الفعل لماذا اضيف الى الله تعالى بحقيقة ام مجاز فان
كانت الاضافة بحق المجاز فلا يجعل ذلك اسما له لانه لا يجوز ان يقال هو كاتب نافخ روح ولا كايد
ولا ماكر اذ لا يحقق ذلك منه وما كانت اضافته لاجل التحقيق فانه يستقيم ان يسمى به لانه يستقيم ان

لسببه منها مفضلا فالقادر حيا ثا اذ الانعام والافضال والخلق موجود منه وقوله عزوجل متين اى قوي
ثابت فقوله تعالى ان كيدى متين اى كيدى لاوليائى على اعدائى ثابت ليس ككيد الاعداء لان كيد الاعداء
بكيد الشيطان وكيد الشيطان كان ضعيفا والاصل ان الكيد الذي اضيف الى الله تعالى حق والحق
قوى ثابت لامدفع له وكيد الشيطان باطل وليس للباطل قرار بل هو كما قال الله تعالى اجتثت من فوق الارض
ما لها من قرار وقوله عزوجل ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون الاصل ان الرسل عليهم السلام لم يكونوا
يدعون الخلق الى ما يثقله عقله عقلا وطبعا بل كانوا يدعونه الى ما يخف ويسهل على الطبع والعقل الاجابة
له لانهم كانوا يدعونهم الى التوحيد وهم كانوا يعبدون غير واحد من الآلهة وعبادة الواحد
ايسر من عبادة عدد وكانوا يدعونهم الى الصدق والى مكارم الاخلاق ومثله امر يسير فيقول اجعلت
عليهم اجرا فيثقل عليهم ذلك حتى تركوا الاجابة لك مع تيسيره عليهم فيخرج ذكر هذا مخرج تسفيه احلامهم
وقوله عزوجل ام عندهم الغيب فهم يكتبون فهذا يحتمل وجها احدها ان عندهم علم الغيب بالذي ادعوا
انا نجعل المسلمين كالمجرمين وذلك مكتوب عندهم او عنده سلفهم علم الغيب فوجدوه في كتبهم ويعلم به
خلفهم فيخاصمونك به ثم هم قوم لم يكونوا يؤمنون بالكتب ولا بالرسل فكيف يخاصمونك ويكذبونك
فيما تخبرهم وانما يوصل الى التكذيب بما ثبت من العلم بخلافه ويتأيد باحد الوجهين اللذين ذكرناهما ويكون
هذا في موضع الاحتجاج عليهم حين زعموا انا نعبد الاصنام ليقربونا الى الله زلفى ويكونوا لنا شفعاء
فما الذي حملهم على هذا الدعوى ام عندهم علم الغيب فهم يكتبون او ان يكون القوم قد الزموا
انفسهم الدينونة بدين الله واقروا بالالوهية وذلك يلزمهم العمل بما فيه تبجيل الله تعالى وما به
يشكر الخلائق وذلك لا يعرف الا بالرسل عليهم السلام فقد عرفوا حاجة انفسهم الى من يعلمهم علم الغيب
ثم انهم امتنعوا عن الاجابة لرسول الله عليه السلام مع حاجتهم اليه ام عندهم علم الغيب فيستغنون
به عن الرسول عليه السلام وقوله عزوجل فاصبر لحكم ربك ان حكم الله تعالى في الرسل ثلاث احدها ان
لا يدعوا على قومهم بالهلاك وان اشتد اذاهم من ناحيتهم حتى يؤذن لهم والثاني ان لا يفارقوا
قومهم وان اشتد بهم البلاء الا باذن الله تعالى والثالث ان لا يقصروا في التبليغ وان خافوا على
انفسهم ومن وراء هذا عليهم امران احدهما امروا ان لا يغضبوا الا لله تعالى والثاني ان لا يحزنوا
لمكان انفسهم اذا اذاهم قومهم بل يحزنوا لمكان اولئك القوم اشفاقا عليهم منه ورحمة بما يحل عليهم
من العذاب بتكذيبهم الرسل فهذا هو حكم ربه ويحتمل ان يكون قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اى لا تجازهم
لصنيعهم واستعمل عليهم بل اصبر لحكم ربك بما حكم عليهم من العذاب وقوله عزوجل ولا تكن كصاحب
الحوت اذ نادى وهو مكظوم قيل نادى على قومه بالدعاء عليهم بالهلاك لكنه لم يظهر دعاؤه على قومه
عندنا وانما ظهرت منه المفارقة والمغاضبة على قومه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا ولم يكن له
ان يفارقهم فيقول اصبر بما حكم عليك ربك من ترك المفارقة عن قومك ولا تكن كصاحب الحوت
الذي فارق قومه قبل مجيء الاذن له من الله تعالى والثاني ان يونس عليه السلام لم يصبر على اذى قومه
بل فارقهم حتى ابتلي ببطن الحوت ثم فزع بالدعاء الى الله تعالى ليخلصه من بطنه فيقول عليك الصبر مع
قومك ولا تكن كصاحب الحوت حيث لم يصبر مع قومه فابتلي بما ذكر حتى احتاج الى ان ينادي في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فتبتلى انت ايضا بمثل ما ابتلي هو به ثم لا يجوز ان يلحقه اللائمة
ويعاتب على ما دعا في بطن الحوت لان ذلك عذاب ابتلي به ولا ينبغي للمرء ان يصبر على العذاب بل عليه ان
يبتهل الى الله تعالى ليكشف عنه وانما لحقته اللائمة بمفارقة قومه ولترك الصبر معهم وقوله عزوجل لولا
ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم نعمة ربك هو ما وفقه للتوبة والانابة وما قبل منه
توبته وكان له ان لا يقبلها اذ هو انما اتى به بالتوبة بعد ان صار الى تلك المضايق وابتلي بالشدائد وجاءه
بأس الله ومن حكمه انه لا يقبل التوبة بعد نزول العذاب والشدة الا ترى الى قوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا
آمنا بالله وحده الى قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا فاذا قبل توبته كان فيه عظيم نعمة من الله تعالى
عليه وقوله عزوجل لنبذ بالعراء هو المكان الخالي فلو لم يتب الله تعالى عليه لكان يلبث في بطنه الى يوم يبعثون
ثم نبذ بعد ذلك بالعراء وهو مذموم لكن الله تعالى تفضل عليه بقبول توبته فنبذ بالعراء وهو سقيم
محموم فقوله لنبذ بالعراء وهو مذموم لو عاقبه بالنبذ ولكن انما نبذ بالعراء بعد قبول التوبة فلم يصر
مذموما وقوله عزوجل لولا ان تداركه نعمة من ربه فنعمته عليه كانت من ثلاثة اوجه احدها في تذكير
الزلة وذلك كان بالتقام الحوت اياه وكان عنده ان مفارقته قومه لم يكن زلة لانه انما فارقهم لان
قومه كانوا له اعداء في الدين ففارقهم لينجو منهم وليسلم له دينه ولا يسمع المكروه في الله تعالى والثاني
ان في مفارقته اياهم تخويفا منهم لهم وتهويلا لان القوم كان لا يفارقهم نبيهم من بين اظهرهم الا
عند ما يريد ان ينزل بهم العذاب وذلك مما يدعوهم الى الانقلاع عما هم فيه ويدعوهم الى الفزع الى الله
تعالى ومن خوف آخر بامر فيكون فيه دعاؤه الى الهدى كان محمودا مصيبا ولان مفارقته اياهم هي التي دعتهم

من حكمه تعالى ان لا يقبل التوبة بعد نزول العذاب

الى الاسلام

الى الاسلام فاسلموا فقوله فآمنوا فمتعناهم الى حين ومن كانت مفارقته لهذه الاوجه التي ذكرنا لم يعد مفارقة
زلة بل عدت من افضل ثمرات الله ولكن لحقته اللائمة مع هذا كله لما ذكرنا ان الرسل لا يسعهم ان يفارقوا قومهم
وان اشتد عليهم الاذى من جهتهم الا بعد وجود الاذن من الله تعالى وكانت مفارقته تلك بغير اذن والله اعلم
ثم كانت في ظنه تلك المفارقة زلة الا ترى الى قوله فظن ان لن نقدر عليه قيل في التاويل
ان لن نضيق عليه فلولا ان عنده تلك المفارقة ليست زلة والا كان لا يظن فتبين عنده بالتقام
الحوت اياه وبما قضي اليه من الشدائد ان تلك زلة منه وتذكيرا لزلة من احدى النعم والنعمة الثانية
والثالثة ما ذكرنا من توفيق الله تعالى اياه بالتوبة واكرامه عليه بقبولها ومن حكمه ان لا يقبل التوبة
ممن جاء بأس الله واحاط به العذاب وهو انما فزع الى التوبة بعد ما عاين العذاب وجاءه بأس الله
تعالى وجائز ان يكون هذا في الكفرة ليس في المؤمنين لانه قال في آية اخرى يوم يأتي بعض آيات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا فهذه اشارة الى من سبق منه
الايمان قبل اتيان الآيات وسبق منه كسب الخير من بعد الايمان فان ايمانه في ذلك الوقت ينفعه
وقال في اهل الكفر فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم
ايمانهم فهذا حكمه في اهل الشرك وقال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار وقال في المؤمنين انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب فثبت ان ما ذكرنا من الحكم هو حكمه في اهل الكفر دون اهل الايمان والعقل
يدل على هذا لان المؤمن قد علم ان الذي سبق منه زلة وارتكاب معصية فهو ليس يحتاج الى
الآيات فيتنبه على ان الذي فعله ذلك فانه لا يقبل منه التوبة في ذلك الوقت لا تقبل منه قبل
تلك الحالة واما الكافر فعنده ان ما سبق منه لم يكن ذلك معصية فيحتاج الى الآيات تنبهه عن غفلة
ويذكره ان الذي فعله معصية فاذا نزل به البأساء والشدة فذلك منعه عن النظر والتدبر فلا يكون
ايمانه عن تحقق ويقين فلا ينفعه والثاني انه يفزع الى التوبة والايمان ليدفع عن نفسه البأساء
لا لندم عليه لو كشف عنه العذاب كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فلهذا لا ينفعه ايمانه فان
قيل قوم يونس عليه السلام قد نفعهم ايمانهم وهم آمنوا بعد ما ايقنوا بالعذاب فجوابه من وجهين
احدهما انه يجوز ان يكون عذابهم موعودا ولم يكن مشاهدا مرئيا وجائز ان يكون الله علم صدقهم في
ايمانهم لو مكنوا فكشف عنهم العذاب لما كانوا متحققين وغيرهم كان يفزع الى الايمان ليكشف عنه
العذاب ثم يعود الى كفره فلم يقبل منه وجائز ان يكون من حكم الله تعالى ان لا يقبل من احد التوبة
اذا حل به العذاب ولكنه يقبلها من المؤمنين افضالا وانعاما ولا يتفضل على الكافرين الذين
آثروا الدنيا على الدين وعلى قول المعتزلة ليست لله تعالى عليه نعمة ولا على احد من اهل الاسلام لان
من قولهم ان الله تعالى اذا علم من كافر انه يسلم يوما من الدهر وان كان بعد الف سنة فليس له
ان يميته قبل ان يسلم وعليه ان يوفقه للتوبة وعليه ان يقبل منه التوبة فاذا كان هذا كله حقا عليه
للعبد لم يكن له موضع نعمة عليه في قبول التوبة لان من قضى حقا عليه واوصله الى محقه لم يعد ذلك
منه انعاما فلا يكون لقوله لولا ان تداركه نعمة من ربه معنى وقد قال الله تعالى يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ولو كانت الهداية واجبة عليه لم يكن له عليهم موضع امتنان
وقوله عزوجل فاجتباه ربه اي اختاره واصطفاه للرسالة الا ترى الى قوله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
وقوله تعالى فجعله من الصالحين فهذا وصف كل نبي مرسل في الآخرة وقوله عزوجل وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بابصارهم فمنهم من يقول هذا على التحقيق وصرف ذلك الى قوم باعيانهم قد عرفوا
بجيب العين وحلول الآفات بمن يعينونه من اهل الشرف والتبجيل ثم الله تعالى بفضله عصم رسوله
عليه السلام فلم يتهيأ لهم ان يعينوه فكان فيه تقرير رسالته وآية نبوته عندنا ولتلك الكفرة فان
قال قائل انهم كانوا يعدون رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجانين ويقولون انه لمجنون والمجنون
لا يعان وانما يعان اهل الشرف والحجى ذوو الاحلام والنهى فما انكرت انه سلم من الآفة حتى يقصد
اليه بالعين فجوابه انهم وان كانوا يعدونه من جملة المجانين فانهم سمعوا منه ذكرا عجيبا وهو القرآن
ومن اعطي مثل ذلك الذكر والشرف فهو مما يقصد اليه بالحسد فكانوا يعينونه لذلك المعنى ثم لم
ينفع كيدهم ولا نفذ فيه حيلهم فاوجب ذلك تنبيههم انه رسول من الله تعالى ومنهم من حمله
على التمثيل ليس على التحقيق فيقول وان يكاد الذين كفروا لشدة بغضهم وعداوتهم اياك ليزلقونك
بابصارهم كما يقال نظر الي فلان نظرا كاد يقتلني فيقوله على التمثيل ثم قوله ليزلقونك اي يسقطونك
ويصرعونك وقوله تعالى لما سمعوا الذكر وهو القرآن وقوله عزوجل ويقولون انه لمجنون قد وصفنا انهم
لاي معنى كانوا ينسبونه الى الجنون وذكرنا ما يرد عليهم مقالتهم وينفي عنهم الريب والاشكال وقوله
تعالى وما هو الا ذكر للعالمين فجائز ان يكون الذكر هو القرآن وجائز ان يكون اريد به رسول الله

فان توبة الناس لا تقبل
ولا تعرف التوبة

توبة اليأس

قول المعتزلة

صلى الله عليه وسلم اذ قد تقدم ذكرهما جميعا اذ كل واحد منهما ذكر يذكر ما للخلق وما على الخلق وما
ينتهي اليه عواقبهم ويذكر ما يؤتى وما يتقى والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحاقة ما الحاقة قد ذكرنا ان يوم القيامة سمي باسماء النوازل التي تكون
من البلايا والشدايد ليقع بها التخويف والتهويل ولبس في تبيين وقته ولا في ذكر عينه ترهيب ولا ترغيب
فذكر ذلك اليوم بالاسباب التي هي اسباب الزجر والردع فقوله الحاقة اي حقت لكل عامل عمله ويحق لكل
ذي حق حقه فان كان من اهل النار استوجبها وان كان من اهل الجنة دخلها وقال بعضهم الحاقة هي النازلة التي
لا ترتفع ابدا وهو ما ينزل بالخلق من الجزاء وانواع ما وعدوا به يوم القيامة وقيل هي الواجبة مثل قوله وحق
بهم اي وجب ونزل بهم والاصل ان القيامة سميت بالاحوال التي تبلى الخلق بها فيها من نحو القارعة والواقعة
والتناد والصاخة ونحو ذلك مما جاء في القران اخذت اسماؤها من احوال ما تبلى الخلق والله اعلم وقوله
عز وجل ما الحاقة فهو على تعظيم امر ذلك اليوم كما يقال فلان ما فلان اذا وصف بالغاية في القوة والسخاوة
او نحوه وقوله عز وجل وما ادريك ما الحاقة فهو على تعظيم امر ذلك اليوم ايضا او وما ادريك ما الحاقة
اي لم تكن تدري لولا دراك الله تعالى لانه لم يكن خبر القيامة عندك ولا علم قومك لكن الله تعالى اطلعك
عليه لان قومه كانوا منكري البعث ولم يكن عندهم من خبره شيء وذلك ان الله عز وجل لما ذكرهم من
دلائل البعث التي جعله دركها العقول والحكمة من احالة التسوية بين الفاجر والبر والمطيع والعاصي وانه
لا يجوز خروج كون هذا العالم عبثا باطلا والدلائل الاخر التي لا ياتي عليها الاحصاء فلما لم يقنعهم ذلك
ولم يتفكروا في خلق السموات والارض ولا اعتبروا بالايات احتج عليهم بما لقي من سلفهم من مكذبي البعث
ومنكري الرسل حيث استأصلهم فلم يبق لهم سلف ولا خلف منهم خلف ليكون ذلك ابلغ في الانذار
وذلك قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة ذكرهم بما حل بثمود وعاد وما اصابهم بتكذيبهم الرسل ليقول
سيصيبكم بتكذيبكم محمدا عليه الصلوة والسلام فيما يخبركم من الانباء عن الله تعالى كما يصيبهم ما اصاب
ثمودا وعادا بتكذيبهم رسلهم لينتهوا عن تكذيبه او يخبرهم ان ثمودا وعادا كذبوا رسلهم حتى هلكوا
الى الهلاك ندموا على ما سبق من تكذيبهم فستندمون ايضا ان دمتم على تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم
فيما ياتيكم من الانباء بعد موتكم ثم ذكرهم نبأ عاد وثمود وان كانوا مكذبين تلك الانباء لان لا يبقى
لهم يوم القيامة حجة فيقولوا انا كنا عن هذا غافلين ولانهم لو بحثوا عن علم ذلك لكانت هذه الايات
والانباء تحقق لهم ذلك فقد وقعت هذه الايات موقع الحجاج لولا اغفالهم واعراضهم عنها فانقطع
عذرهم ولزمتهم الحجة وان تركوا الايمان بها ثم قوله عز وجل الحاقة وما ادريك ما الحاقة وما ادريك
وقوله القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة يحتمل ان يكون هذا مخاطبة كل مكذب بالبعث لا
مخاطبة الرسول كقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم انه خطاب لمن يغتر بالدنيا لا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وجائز ان يكون يخاطب به رسوله عليه السلام فان صرف الخطاب الى الرسول
عليه الصلوة والسلام اقتضى معنى غير ما يقتضيه لو اريد بالخطاب المكذبون والاصل ان قول القائل
فلان وما فلان يوجب اجتناب الاسماع ويستدعي السامع البحث في الشاهد لانه انما يذكر فلان
بهذا الاعجوبة فيه او يعظم امره ليستبحث عن ذلك ليوقف على تلك الاعجوبة التي فيه فان كان الخطاب
للمكذبين دعاهم ذلك الى تعرف ما فيه من الاعجوبة والتعظيم وفي قوله وما ادريك ما الحاقة مبالغة
في التعجب واذا نظروا فيه فهو دعاهم ذلك الى الايمان به فصارت الاية في موضع الاغراء واجتذاب
الاسماع وان كان الخطاب في رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأويله ان المكذبين يؤذونه ويمكرون به
فيتأذى بهم ويشتد ذلك عليه فذكر ما ينزل بهم من العذاب ويحق عليهم فيكون فيه بعض التسلي مما اصابه
الاذى من ناحيتهم او ذكره ان العذاب يحق عليهم فلا تحزن بصنيعهم بل يحمله ذلك على الشفقة عليهم
والرحمة لهم وقيل ان كان الخطاب في المكذبين ففيه تخويف لاهل مكة وتهويل انهم ان كذبوا رسولهم
فيما يخبرهم من امر البعث نزل بهم من العذاب ما نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسل وقد عرف اهل مكة
ما نزل باولئك وان كان الخطاب في رسول الله ففي ذكر نبأ عاد وثمود ما يدعوه الى الصبر على اذاهم ويكون
له بعض التسلي لانه يخوانك لست باول رسول كذب بل شركتك الرسل من قبل وابتلوا بالتكذيب ثم
بين ما نزل بعاد وثمود بالتكذيب بالقارعة وهو قوله فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية والعاتية يمكن ان
يجعل هذا كله صفة للعذاب الذي نزل بهم وجائز ان يكون صفة الاحوال التي سبقت منهم وكانوا
عليها فان كان هذا صفة العذاب فالطغيان عبارة عن الشدة والطاغي هو العاتي الشديد لا يراقب
ولا يتقي فوصف العذاب الذي ارسله عليهم انه لم يبق منهم احدا بل استأصلهم واهلكهم بجملتهم
وقيل ذلك العذاب هو الصاعقة وقيل الصيحة وسميت طاغية ولم يقل طاغي لهذا وقيل اشتق هذا الاسم

العذاب من فعال من عذب به ليس انها طاغية لكن اخذ اسمه عن فعل القوم كقوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها وقال واعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وانما ذكر كله جزاء سيئاتهم وقيل بالطاغية اي
بطغيانهم وذنوبهم الذي سلف منهم كقوله تعالى كذبت ثمود بطغواها ويحتمل ان يكون هذا صفة
لاحوالهم التي كانوا عليها من شدة التمرد والعتو ومن طغيانهم التكذيب بالحاقة والقارعة ففيه تخويف
لاهل مكة ان سيهلكهم ان لم ينتهوا عن التكذيب كما اهلك اولئك وقوله عز وجل فاما عاد فاهلكوا
بريح صرصر عاتية قال الحسن الريح الصرصر هي الشديدة وهي التي لها صوت وقال بعضهم هي الريح الباردة الشديدة
البرد كقوله ريح فيها صر اصابت الاية والصر البارد والصرصر المكرر منه فوصفها بالبرد وامها وتكررها وقوله
عز وجل عاتية قال وتأويلها على ما ذكرنا في الطاغية وذكر الكلبي وغيره انها سميت عاتية على الخزان فلم يطيقوها
وهذا لا يستقيم لانه لا يجوز ان يوكل الخزان على حفظها ثم لا يمكنون من الحفظ حتى تعتوا عليهم الا ان يقال
انهم لم يوكلوا بحفظها في ذلك الوقت فاما اذا وكلوا بحفظها ثم لا يجعل لهم الى حفظها سبيل فهذا مستحيل
والله الموفق وقوله عز وجل سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقوله سخرها قيل ادامها عليهم
وقيل التسخير التذليل اي ذللها فصيرها بحيث لا يمتنع من المرور عليهم في الوجه الذي جعلها عليهم
واطاعته في الوجه الذي ارسلها وانما ارسل الريح على ابدانهم خاصة لم يهلك شيئا من مساكنهم كقوله
تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم والريح اذا عملت على الابدان فهو على البنيان اكثر لكن
الله تعالى لم يأمرها بذلك والله اعلم ثم قوله سبع ليال وثمانية ايام حسوما فيه تبيين ان الايام لم يكن
على عدد الليالي ولو كانا على عدد واحد لكان في ذكر احد العددين ذكر العدد الاخر لان تسمية الليالي تسمية
للايام وتسمية الايام تسمية لليالي الا ترى انه قال في قصة زكريا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام
الا رمزا وقال في موضع آخر ثلاث ليال سويا والله اعلم وقوله عز وجل حسوما قيل متتابعة دائمة وقيل
قطعا قطعا من الحسم يقال حسمت الريح كل شيء مرت به حسما اي قطعته وقيل مشؤومات حيث انقطعت
بركتها عنهم وقوله فترى القوم فيها صرعى اي انك لو ادركتهم وشهدتهم وعاينتهم لرايتهم صرعى كانها
اعجاز نخل خاوية وقال بعضهم لا ترى الاعضاء المتفرقة كل قطعة منها كانها عجز نخلة اذا كانوا هم اعظم
في انفسهم من اعجاز النخل فيصرف تاويله الى الاعضاء المتباينة ثم ذكر النخل هاهنا بالتانيث فقال اعجاز
نخل خاوية ووصف في سورة اقترب بصفة التذكير فقال كانهم اعجاز نخل منقعر لان النخل يذكر ويؤنث
كذا قاله الزجاج وقيل النخل يذكر على كل حال لكن قوله خاوية صفة للاعجاز لا صفة النخل والاعجاز
جماعة والجماعة مؤنثة والنخل واحد فيذكر وليس كذلك لان الخاوية صفة النخل الا ترى عند الوصل ذكر
بالخفض لا بالرفع ولان النخل اسم جمع يقال نخلة ونخل كما يقال شجرة وشجر وتمرة وتمر ونحو ذلك وقوله
عز وجل خاوية قال بعضهم اي بالية وقيل الخاوية اي ساقطة كقوله تعالى وهي خاوية على عروشها
اي ساقطة على قوائمها وقيل اي خالية فوصفها بالخلاء لانها اقلعت من اصلها حتى خلا ذلك المكان
عنها واعجاز النخل اصوله وقوله عز وجل فهل ترى لهم من باقية فيه انه لم يبق لهم نسل يذكرون بهم
بل اهلكوا باجمعهم وانقطع عنهم الذكر الا بالسوء والا كان يرى لهم باقية ففيه انهم استوصلوا
وعم العذاب الكبير والصغير يخوف اهل مكة بما يخبرهم مما فعل باولئك وفيه اخبار انهم عذبوا
بعذاب لا رحمة فيه وهكذا سنة الله تعالى في مكذبي الرسل من قبل وجعل تعذيب هذه الامة ان يجاهدوا
ويقاتلوا والنساء لا يقاتلن بل يسبين رجاء ان يسلمن فعلى هذا يخرج قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
والله اعلم ويشبه ان يكون هذا جواب قولهم ان محمدا صنبور اي ليس له ولد يبقى نسله او ذكره واخبر
تعالى ان كثرة الاولاد لا تغني من الله شيئا اذ قد كانت لهم اهالي واولاد فاهلكوا عن اخرهم وانقطع
التناسل منهم ليعلموا انه يبقى ذكر من اطاع الله ورسوله كان ابترا او لا ولدا ولم يكن والله اعلم وقوله عز وجل
وجاء فرعون ومن قبله قرئ بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بنصب القاف وجزم الباء فتأويل
القراءة الاولى اي جاء فرعون ومن معه من جنده واتباعه او من قبله من كان من اهل القرى التي
بقرب المصر وقد روي في الشاذ في بعض الحروف وجاء فرعون ومن دونه وجائز ان يكون
من اتباع فرعون وجائز لا يكونوا وتاويل القراءة الثانية اي جاء فرعون ومن كان متقدما عليه
من الامم الماضية وقوله تعالى والمؤتفكات قيل قريات لوط ائتفكت على اهلها اي انقلبت عليهم
بما عصت رسلها وقيل المؤتفك الذي يأتفك من الصدق الى الكذب ومن الحق الى الباطل ومن
العدل الى الجور فمن قرا ومن قبله بخفض القاف كان قوله جاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات
بالخاطئة فعصوا رسول ربهم وافقا كله على العصيان لموسى عليه السلام والمراد من المؤتفكات
من ائتفك من الحق الى الباطل دون اهل قريات لوط لانهم كانوا قبل زمان موسى بكثير
ومن قرأ ومن قبله بنصب القاف كان قوله فعصوا رسول ربهم وافقا على رسول كل فريق كانه
قال اي عصى كل امة رسولها وعلى هذا يجوز ان يكون المراد من المؤتفكات قوم لوط ثم قوله

العذاب

بالخاطئة اى بالخطايا والشرك وذكر ابو معاذ عن مجاهد فى تفسير الخاطئة الشرك والكفر وانكر ذلك
واحتج بان الله تعالى لم يذكر من قوم لوط كفراً وشركا فى كتابه انما ذكر كونهم للفاحشة وبها اهلكوا
اذا لم يرعوا ولم يتوبوا قال ولو كانوا مشركين لم يقل لهم لوط ان هؤلاء بناتى هن اطهر لكم اراد بذلك
الا نكاح والنكاح لا يصح منه نكاح المسلمة وليس كما زعم بل كانوا اهل شرك وكفى بالله تعالى الا ترى
الى قوله فيما حكى عن قوم لوط من قوله لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين فاخراج الرسل من اما
كنها من صنيع اهل الكفر وقال فى موضع اخر اخرجوا ال لوط من قريتكم فطابت انفسهم باخراج لوط
عليه السلام من قراهم ومن فعل هذا لم يشك فى كفره وقال فى قصة لوط ايضاً فاخرجنا من كان
فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فثبت انهم كانوا كفارا ثم لقائل ان يقول فى قوله
وجاء فرعون ومن قبله فعصوا رسول ربهم اخبر انه جاء فرعون الى موسى وعصاه كيف ذكر مجيء فرعون
الى موسى ولم يوجد منه المجيء الى الرسول بل الرسول هو الذى جاءه فعصاه فرعون لان فرعون
اتاه فاستقبله بالعصيان قيل ان كل من اتى اخر وجاءه فقد اتاه الاخر ومن قرب الى اليه لان
المجيء فعل مشترك لانه اسم الالتقاء وانما يقع الالتقاء بهما جميعاً ليس باحدهما فلذلك استقام
من اضافة المجيء الى فرعون وعلى هذا تأويل قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين اى قربت واهلها هم الذين
يقربون اليها فى الحقيقة ولكنهم اذا قربوا اليها فقد قربت هى اليهم فاضيف اليها التقريب لهذا فعلى
هذا العبارة يمكن ان يتأول قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وقوله عز وجل هل ينظرون الا ان
يأتيهم الله فى ظلل من الغمام اى اتاه الخلق لا ان يكون هو الذى يأتيهم لانه قال ويوم يرجعون اليه
وقال والى الله المصير والى الله ترجع الامور فاخبر ان الخلق هم الذين يأتونه ويرجعون اليه ولكن
نسب المجيء والاتيان الى الله تعالى لانهم اذا اتوه فكانه قد اتاهم من الوجه الذى ذكرنا دون
ان يكون فيه اثبات الانتقال فى الله تعالى والثانى ان اسم المجيء وان اطلق واستعمل فى المجيء الى مكان
من مكان فقد يستعمل ايضا فى الموضع الذى ليس فيه حركة ولا انتقال قال الله تعالى وقل جاء الحق
ومعناه ظهر الحق ليس ان الحق كان فى موضع فانتقل عنه الى غيره فامكن ان يكون قوله وجاء فرعون
اى كذب بما انزل على موسى عليه السلام وجائز ان يكون قوله وجاء فرعون اى جاء بالخاطئة اى
جاؤا بالخطايا وقوله عز وجل فاخذهم اخذة رابية اى عالية حيث علت ابدانهم وجائز ان يكون
المراد منه ان عقوبتهم ربت على الاخذ اى زادت على الاخذ لانها اخذت ابدانهم واهلكتها
ثم ردت ارواحهم الى جهنم فيعرض عليها غدواً وعشياً فذلك هو الزيادة على الاخذ والله اعلم وقوله
عز وجل لما طغى الماء قال بعضهم اى طغى على الخزان لان الخزان يرسلون القطر بالكيل والوزن والقدر
المعلوم ثم ذكر فى موضع اخر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر اى منصب فيكون تأويله ان الله تعالى لم
يمكنهم حفظ القطر فى ذلك الوقت فطغى عليهم المعنى والا لو لزموا حفظه فى ذلك الوقت لكان الماء لا يطغى
عليهم على ما ذكرنا انه لا يجوز ان تؤمر بحفظه ولا يملكون حفظه وجائز ان يكون طغى اى طغى على الذين
اهلكوا من مكذبى نوح عليه السلام وقد وصفنا تأويل الطاغى والله اعلم وقوله عز وجل حملناكم فى الجارية
فذكر انه حملنا ولم نكن نحن يومئذ فنحمل والخطاب للذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وانما كان
لان نجاة اولئك المحمولين نجاة ذريتهم وبهلاك اولئك فناء ذريتهم فكانه قد حملهم بحمل واضاف
اليهم لانه قد ركونهم من ابائهم فكانهم حملوا تقديرا وهو كقوله يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى
سوآتكم ومعناه انزلنا عليكم ماء قدرنا كون اللباس منه وهو المطر فاذا انزل المطر الذى قد ركون اللباس
منه وهو المطر فكانه انزل اللباس وقال عز وجل انا خلقناكم من تراب ونحن لم نخلق من التراب ولكن لما قدر
خلقنا من التراب الذى اصلنا منه فكانا خلقنا منه فعلى ذلك وان لم يكن محمولين فى السفينة فقد حمل
اصلنا ليكون نحن من ذلك الاصل فكأنا قد حملنا منها اذ كنا فى ارادة الله تعالى من الكائنين والله اعلم وذكر
ذلك منة منه على الابناء بصنيعه بالاباء ليعلم ان على الابناء شكر ما احسن الى ابائهم واجدادهم والله
اعلم وقوله عز وجل لنجعلها لكم تذكرة فوجه التذكير فيه ان اهل مكة ابوا اجابة الرسول وقالوا انا وجدنا ابائنا
على امة وانا على اثارهم مقتدون فذكرهم انهم اولاد من حملوا مع نوح عليه السلام فى السفينة وهم انما استوجبوا
النجاة وشرفوا فى الدارين جميعاً باتباعهم الرسل فما لكم لا تتبعونهم فى تصديقها الرسل دون ان تتبعوا
المكذبين للرسل اذكرهم كذبهم فى قولهم انا وجدنا ابائنا على امة بل قد وجدتم اباءكم على خلاف ما انتم
عليه وقد تعلمون ان اباءكم هم الذين اتبعوا نوحا فنجوا وهم المؤمنون دون الكفرة ووجه اخر انه ذكرهم احوال
المكذبين والى ماذا ال امرهم من الغرق والهلاك فيكون فيه تخويف من اهل مكة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصارت تلك الجارية وهى السفينة موعظة وتذكرهم عواقب المصدقين بالرسل والمكذبين بهم
او ذكرهم عظيم نعمه على ابائهم الذين حملوا فى السفينة ليستأدى منهم شكر ذلك وقال بعضهم كم من سفينة
قد هلكت منذ ذلك الوقت وهى فائمة فى موضع كذا عبرة وتذكرة ثم التذكرة يخرج على وجهين احدهما ان

يراد بها الاية والعبرة اى جعلنا لكم ذلك لتعتبروا ويكون اية لكم على وحدانية الله تعالى وقدرته كقوله فانجيناه
واصحاب السفينة وجعلناها اية للعالمين والثانى اى جعلنا تلك الانباء تذكرة لكم اى جعلناها قرانا يقرؤنها
ويذكرونها الى اخر الابد فيذكرون الله تعالى على ما صنع اليكم والله اعلم وقوله عز وجل وتعيها اذن
واعية يقال وعى الشيء اذا حفظه واوعاه اذا حفظه باناء او غيره اى يحفظها اذن حافظة فاضاف
الوعى والحفظ الى الاذن لا يعى بل يسمع ثم يعيه القلب ولكن نسب الوعى الى الاذن لانه يوصل الى الوعى
من جهة الاذن اذ بالسمع يوعى والسمع من عمل الاذن ثم يقع المسموع فيما فيه يوعى وهو القلب فنسب
الوعى الى السمع لما يتطرق به الى الوعى كما ذكرنا من اضافة اللباس الى ما منه قدر اللباس وهو المطر واضيف
خلقنا الى التراب لان اصلنا منه قدر خلقنا هو التراب وجائز ان يكون الله تعالى يجعل للقلوب اذانا بها
يعى وابصاراً بها يبصر فتضيف الوعى الى اذان القلوب ليس الى اذان القلوب ليس الى اذان الرؤس
والله اعلم وقيل اذن واعية اى تعقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتابه وهى اذن المؤمن فاما
اذن الكافر فانها تسمع وتقذف ولا يعى لما لم يحصل لهم الانتفاع به الا ترى انه وصف اذانهم بالصمم
لما لم ينتفعوا بالمسموع وكذلك قال فنبذوه وراء ظهورهم رحمل تركهم الانتفاع به نبذا فعلى ذلك
جعل الانتفاع به وعيا وكذلك المتعارف فى الخلق انهم اذا رادوا بعلم او شيء اجتهدوا فى وعيها وحفظها
وقوله عز وجل فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة فكانهم سالوا متى يكون الواقعة والحاقة والقارعة
فاخبر عن ذلك بقوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ثم
فيومئذ وقعت الواقعة فجوابهم فى قوله فيومئذ وقعت الواقعة ثم قد بينا ان الاسولة كلها خرجت
عن الاحوال التى يكون فى ذلك الوقت لما لا فائدة لهم فى تبيين وقته ولا حاجة الى معرفته وانما الفائدة
فى تبيين احواله لما يقع بها الترغيب والترهيب والله اعلم وقوله عز وجل نفخة واحدة فجائز ان
يكون على حقيقة النفخ واحتمل ان يكون على نفخة واحدة فيكون فائدة ذكر سهولة امر البعث على
الله تعالى لان قدر النفخة مما يسهل على المرء فى الشاهد ولا يتعذر وجائز ان يكون ذكر النفخ لما ان
الروح يدخل فى اجسادهم ويتشرف فيها وذلك عمل النفخ لان الريح اذا نفخت فى دعاء سرت فكنى عن دخول
الروح فى الجسد بالنفخ اذ ذلك عمله وكنى بالنفخ عن خروج الروح من الاجساد لهذا وعلى هذا تأويل
فنفخنا فيه من روحنا ليس على حقيقة النفخ ولكن عمل الروح فيها عمل النفخ فقيل ذلك والله اعلم وقوله
عز وجل فى الصور قيل الصور هو القرن ينفخ فيه النفخة الاولى فيصعق من فى السموات ومن فى الارض
الا من شاء الله ثم ينفخ فيه مرة فاذا هم قيام ينظرون منهم من يقول اى ينفخ الروح فى صور الخلق
لكن جميع الصورة الصور بنصب الواو فلا يحتمل ان يكون المراد منه جمع الصورة لكن يجوز ان يكون
الله تعالى جعل نفخ الصور سبباً لافنائهم واحيائهم لانه لا يعجزه شيء عن الافناء والاحياء ما لم ينفخ
فى الصور لكنه جعله سببا لنوع الحكمة والمصلحة او لمحنة ذلك الملك والابتلاء على ما عرف من انواع المحن
فى الملائكة من انزال الامطار وتسيير السحاب وجعلهم الموكلين على اعمال بنى ادم وغير ذلك وقوله وحملت
الارض والجبال فدكتا دكة واحدة كسرتا كسرة واحدة وقيل هدمتا هدمة واحدة وقال بعضهم زلزلتا
زلزلة واحدة فكانه يقول والله اعلم تزلزل الارض فتقذف ما فى بطنها من الفضول ويخرج ما فيها
من الجواهر التى ليست منها بتلك الدكة اصول الجبال منها ثم يجعله الله تعالى كثيباً مهيلا مثل الرمل ثم يحمل عليه
الريح فيجعله هباء منثوراً ويريه من لينه كالعهن المنفوش ثم يسير مثل السحاب فيقع فى شعاب الارض
والاودية والاماكن المختلفة فيصير الارض كما قال تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتى
وهكذا الريح اذا عملت على شيء ويقع عليه تفرقه فى النواحى وتستوى به الشقوق ويبسطه على وجه الارض
وقوله عز وجل وحملت الارض ليس انها يحمل من مكان ولكن يدخل هذه فى هذه وتضرب هذه على هذه
بالدكة فيصير كانها حملت لذلك واذا كان كذلك فقد وقعت الواقعة يومئذ وهذا على خلاف
الاوقات ليكون معنى الايات التى جاءت فى الجبال على السواء والله اعلم وقيل فى ايات اخر بيان
تقديم فناء الجبال قبل الارض بقوله ينسفها ربى نسفا فيذر الارض قاعا صفصفا وغيرها من
الايات مما يدل على تقديم فناء الجبال قبلها فاما ان يكون معنى تبديل الارض تغيرها عن الحالة
التى هى عليها اليوم من انهدام البنيان واستواء الاودية وازالة الجبال على ما جاء فى الاخبار
فسمى لذلك تبديلا كما يقال لمن تغير عن الحالة الحسنة الى غيرها تبدلت يراد اى تغيرت عن حالتك
فعلى ذلك معنى الاية اى تكسرت الجبال وتغير حالة الارض فى دفعة واحدة او يكون فى الاية اخبار عن
شدة الفزع فى ذلك اليوم ان بدكة واحدة يعنى الجبال وان كان فناء الجبال قبل فناء الارض
ليس انهما يفنيان جميعا بدفعة واحدة لكن بالدكة الواحدة يهلك الجبال والارض فيكون المراد
شدة اليوم وهوله لا بيان ترتيب فناء الارض على البعض والله اعلم وقوله وقوله فيومئذ وقعت
الواقعة وهو على الحساب والجزاء كقوله وان الدين لواقع واد خلت الهاء فى اسماء القيمة تعظيما

لشانها وقوله عز وجل وانشقت السماء فهي يومئذ واهية قال بعضهم تفرقت وهكذا الشيء اذا انشق
تفرق وتناثر وبه يظهر الشق ويحتمل ان يكون الشق كناية عن اللين اي يلين بعد صعوبتها ذليلة وقوله
عز وجل فهي يومئذ واهية اي ضعيفة بعد ما كانت تنسب الى الصلابة ويدل على ذلك قوله يوم نطوي
السماء كطي السجل للكتب وانما يطوى الشيء في الشاهد بعد ما كان يلين في نفسه وجائز ان ينشق السماء
ليزول اهلها فلا يبقى فيها الا الملائكة الذين على اطرافها ثم ينضم فيتبين للطي والله اعلم وجائز ان يكون
ذكر انشقاقها وانفطارها وانفتاحها تهويلا للخلق من الوجه الذي ذكرنا فيما قبل وجائز ان يكون
للسموات ابوابا فيفتح ابوابها فيكون انشقاقها وانفطارها فتح ابوابها وجائز ان يكون الشق ليس فتح
الابواب لانه ذكر هذا في موضع التهويل وليس في فتح ابوابها كثير تهويل وقوله فهي يومئذ واهية اي
ضعيفة مسترخية وقيل الوهي الخرق وهو يحتمل لانها اذا انشقت انخرقت وقوله عز وجل والملك
على ارجائها الارجاء النواحي والاطراف وهي اطراف السموات ونواحيها واحد الارجاء رجا مقصود
والملك اريد بها الملائكة اخبر انهم على اطراف السموات ونواحيها فيحتمل انهم وكلوا وامتحنوا بحفظها
بعد الشق لئلا يسقط على اهل الارض وجائز ان يجعل اطرافها وجوانبها لبعض الملائكة فيفتح ابواب
السماء فينزل الملائكة كان مسكنهم عندها الى الارض كما قال تعالى ونزل الملائكة تنزيلا ويبقى الملائكة
الذين كان مسكنهم في ارجائها ينتظرون ومر ربهم ثم الملك ليس بجناح الى مكان يقر فيه وان جعلت
السماء مسكنا لهم لان الملائكة ينزلون من السماء الى الارض ويقرون على الهواء من غير ان يكون في الهواء
مقر والثالث تبين انها لا تتفرق ولكن وسطها ينشق لما ذكرنا والبا في جاله ويحتمل والملك على ارجائها
على ما يقربه في السماء والله اعلم وقوله عز وجل ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية فيحتمل ان يكون الملائكة
بالنفخة الاولى يصعقون الا الثمانية التي يحملون العرش كما قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله فيكون هؤلاء الثمانية من الذين استثنوا فلا يصعقون فهم يحملون
العرش فيكون امكنتهم على ارجاء السموات وهو قوله والملك على ارجائها وقوله عز وجل ثمانية جائز
ان يكون اراد به ثمانية املاك وجائز ان يكونوا ثمانية اصناف من الملائكة كما ذكر في التفسير وجائز
ان يكون هؤلاء الثمانية يهلكون ثم يحيون قبل ان يحاسب الخلق فيحملون عرش ربها على الكتاف
واذا بعث الله تعالى الخلائق راوا العرش على اكتافهم والعرش هو سرير الملك وجائز ان يكون ذلك
من نور كما ذكر في الخبر ان عين الشمس اذا ارادت ان تطلع فان جبرئيل عليه السلام ياتي العرش
فياخذ كفا من ضيائه ثم يلبس الشمس كما يلبس احدكم قميصه واذا اراد القمر ان يطلع اخذ جبرئيل عليه
السلام كفا من نور العرش فيلبس القمر كما يلبس احدكم قميصه فجائز ان يكون العرش من الضياء والنور
من اجل الاشياء واعظمها في اعين الخلق الضياء والنور واليهما ينتهي الرغب فيكون في ذكر العرش
ذكر عظيم ملك الرب جل جلاله ثم ان كل ملك في الشاهد يتخذ لنفسه عرشا يتفاوت ذلك على مقدار
ملكهم وسلطانهم لا يجعل ذلك مكانا لنفسه فاذا لم ينوهم من الخلق انهم يحتاجون ذلك لمقاعدهم
ومجالسهم فلان لا يتوهم ذلك من الله اولى وقوله عز وجل يومئذ تعرضون لا يخفى منكم خافية
اي تعرضون على اعمالكم فلا يخفى عليكم خافية اي يظهر لكم في ذلك اليوم ويصير بارزا في ذلك اليوم
كما قال تعالى يوم تبلى السرائر اي يظهر لهم سرائرهم حتى يعرفوها ولا يخفى عليهم شيء منها وجائز ان يكون
قوله لا يخفى منكم خافية اي على الله تعالى ولكن كل من ادعى اخفاء شيء من امره على الله تعالى وظن
ان الله تعالى لا يطلع عليه فسيعلم في ذلك اليوم انه لا يخفى عليه خافية وهو كقوله تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار وليس فيه ان الملك كان لغيره ولكن بعض الناس كانوا يدعون الاشراك
في الملك في الدنيا فيتركون في ذلك اليوم دعواهم ويتيقنون انه هو المنفرد بالملك وعلى ذلك قوله
تعالى وبرزوا لله جميعا ولم يكونوا يختفون عنه قبل ذلك بل كانوا له في كل وقت بارزين ولكن من
انكر ادعاء الاختفاء في الدنيا يدع في ذلك اليوم ويقر بالبروز والله المستعان ثم روي في الخبر ان
العرضات ثلاث عرضتان فيهما خصومات ومعاذير اي يختصمون ويتنازعون فاذا ظهر ذلك
جعلوا يعتذرون ويسالون ربهم العفو والصفح عن خصومهم والعرضة الثالثة عند تطاير الصحف
ومعنى قوله تعرضون اي يعرض الخلق بعضهم على بعض حتى لا يخفى على احد خصمه او يعرض اعمالهم
حتى يذكر احد صنيعه وكل خصم خصومته فكانهم قد نسوا ذلك من كثرة الفزع وشدة الاهوال
لكن الله تعالى يطلعهم على ذلك حتى يذكروا ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فاما من اوتي كتابه بيمينه
ظاهر ما جرى به الخطاب في القران يوجبان يرحم المؤمنون جميعا فلا يعذبون في الاخرة ويعذب
الكافرون ولا يرحمون لانه قسم الخلق يوم القيامة صنفين فجعل صنفا منهم اهل اليمين وصنفا
اهل الشمال ثم وصف كل واحد من الصنفين باعلام ثلاثة فذكر مرة انه يخف ميزانهم بقوله ومن
خفت موازينه وذكر مرة ان وجوههم تسود وذكر مرة انهم يعطون كتابهم بشمالهم فهذه الاعلام

ذكرها في

ذكرها في احد الصنفين وذكر في الصنف الثاني ووصفهم باعلام ثلاثة ببياض الوجوه وبثقل الميزان
وباعطاء الكتاب بايمانهم ثم فيما فيه سواد الوجوه ذكر فيه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وكذلك حين ذكر خفة الميزان ذكر خفة الميزان ذكر في
اخره ما يبين ان الذين خفت موازينهم هم الكفرة لانه قال الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
وذكر في اعطاء الكتاب بشماله وذكر فيه ما يبين انه من اهل الكفر لانه قال انه كان لا يؤمن بالله
العظيم ولا يحض على طعام المسكين فثبت ان الوعيد المطلق ذكر في اهل الكفر وكذلك قال فاتقوا النار
التي اعدت للكافرين ولم يقل اعدت للخلق وقال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
فثبت ان اهل النار هم الكفار ثم المؤمنون قد يعترض منهم زلات وما لهم في هذه الدنيا والكفار
يوجد منهم المحاسن فيها ولكن اهل الكفر يجزون جزاء حسناتهم في دنياهم لانهم لا يؤمنون بالاخرة
واذا لم يؤمنوا بها لم يقع سعيهم لها وامكن الا يكون المؤمن يجعل له العقاب بسيئاته في الدنيا فيخلص له
الحسنات في الاخرة فيجزى بها وجائز ان يكفر سيئاته بالحسنات التي يوجد منه لان المحاسن جعل سيئاته
لتكفير المساوي قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات واذا كفرت سيئاته في الدنيا لم يعذب بها في الاخرة
وجائز ان يكون الله تعالى يعذبهم بقدر ذنوبهم ثم يعفو عنهم بحسناتهم التي سبقت منهم من
الايمان وغير ذلك فكل مؤمن في الحقيقة اخره الجنة ويثقل ميزانه ويبيض وجهه ويعطى كتابه بيمينه ثم
يجوز ان يكون الذي يعاقب بذنوبه من اهل الايمان يعاقب به قبل ان يعطى كتابه بيمينه ويثقل ميزانه
وقبل ان تبيض وجهه لم يكن مسود الوجوه ولكن على ما عليه في الدنيا ثم من عفي عنه في الخبر ان الناس
يعرضون يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان ففيها خصومات ومعاذير واما العرضة الثالثة فتطاير
الصحف في الايدي فيجوز ان يكون تعذيبه قبل العرضة الثالثة ثم يعطى كتابه في العرضة الثالثة بيمينه
فيظهر له اعلام السعادة اذ ذاك فاذا ثبت ان الوعيد المطلق انما جاء في اهل الكفر لم يلحق اهل الكبائر
من اهل الايمان بهم في الحكم بل وجب الوقف في حالهم كما قال اصحابنا والله الموفق وقوله عز وجل هاؤم
اقرؤا كتابيه قال بعضهم ها وماء تعالوا وقال بعضهم هو بمعنى هاك اي خذوا فابدلت الهمزة مكان
الكاف فظاهر الاية ان المعطى له الكتاب يقول هذا بعد الخلق اوتينا ولهم الكتاب استبشارا وحبورا
فليبشرهم بعفو الله تعالى عنه ورحمته عليه ولكن اهل التاويل صرفوا التاويل الى المعطي فقالوا بان
المعطي هو الذي يقول هذا فكان الذي يقول كتب الكتاب في الدنيا من الملك هو الذي يعطي الكتاب الى المكتوب
عليه ويقول هاؤم اقرؤا كتابيه اي خذوا واقرؤا ما كتبت لكم وعليكم والله اعلم وقوله عز وجل اني ظننت
اني ملاق حسابيه فان حملته على حقيقة الظن فهو يخرج على ثلثة اوجه احدها اني ظننت في الدنيا اني
الاقي الحساب الشديد فيما سبق من سيئاتي واؤاخذ بها واجازى عليها وظننت الساعة ان لا انجو من ذنوبي
لفزع هذا اليوم فوجدت سيئاتي قد غفرت وخطاياي كفرت عني فيكون قوله منه هذا شكرا لله تعالى
والطافه ومنته والثاني تركت في دار الدنيا اذا عرضت لي الحوادث من الزلات والهفوات ظننت اني الاقي
الله تعالى بها فامسكت عنها واجتنبت عن اتيانها فيكون اخبارا عن تجنبه عن سبب نيل ذلك والثالث اني
تفكرت في امري فظننت ان مثلي لا يترك سدى جملة فادى ظني الى اليقين فامنت وصدقت الرسل فانما
نجوت باول ظني وفكري ومنهم من صرف الظن الى اليقين والعلم فقال معنى قوله ظننت اي ايقنت
وعلمت والاصل ان كل يقين حدث في الامور المستترة والعلوم الخفية فانما يتولد ذلك على ظن يسبق
فيحمله ذلك الظن على النظر فيه والبحث عن حاله حتى يفضي به الى الوقوف على ما استتر منه ويصير الخفي
جليا فيكون سبب بلوغه الى اليقين والاحاطة الذي يسبق منه فجائز ان يسمى ذلك يقينا مرة على
الحقيقة وظنا ثانيا على المجاز على ما ذكرنا في قوله وتعيها اذن واعية ان الاذن لا تعي شيئا بل تسمع ولكنه
انما يوصل الى الوعي بالاذن فصارت الاذن سببا للايصال الى الوعي فاضاف الوعي اليها فعلى ذلك ظنونهم
في الابتداء اذا بلغتهم الى اليقين والعلم سموا يقينهم وعلمهم ظنا مرة ويقينا ثانيا الا ترى ان الله تعالى
قال الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وقال في موضع اخر وبالاخرة هم يوقنون فجعلهم مرة ظانين
ومرة موقنين فيما كان طريقة البحث واعمال الفكر وبهذا ما لا يجوز ان يوصف الله تعالى بالاتيان
في امر من الامور لان الاشياء له بارزة ظاهرة اذ هو منشئها وخالقها فلا يخفى عليه شيء منها فيحتاج
الى البحث عنها والنظر فيها والله الموفق او يقول بان الامور التي سبيل دركها الاجتهاد لا يخلو شيء
منها من اعتراض وساوس وخواطر فيها فتلك الوساوس والخواطر تفضي بصاحبها الى الجنون فاستجازوا
اطلاق الظن فيها لما لا يخلو عنه واستجازوا اطلاق اليقين لما غلب عليها دلالات النفس والتماثل
الا ترى ان يهدد بالوعيد الشديد وبالقتل على ان يكفر بالله تعالى يبيح له ان يجري كلمة الكفر على لسانه
وجعل كالموقن بالحلول العذاب المكره ولو امتنع عن الاجابة الى ما دعا اليه وان لم يتيقن بانه يفعل به
لا محالة ما اوعد به لانه يجوز ان لا يمكن من ذلك ويجوز ان لا يبقى الى ذلك الوقت ثم وسع له فعل

ذلك بأكبر الرأي وغلبة الظن وحلّ ذلك محل الإحاطة واليقين فعلى ذلك ها هنا لما غلب دلالات اليقين والصدق
جاز إطلاق لفظة اليقين عليه فأمّا الأشياء التي تدرك بالحواس والمشاهدات فلا سبيل إلى تسميته مثله ظنًا لما
لا يحتمل اعتراض الشبه فيها والله الموفق وقوله عز وجل فهو في عيشة راضية أي في حيوة راضية يقال عاش وحيي
بمعنى واحد وقوله عز وجل راضية بمعنى مرضية معناه إن نفسه في حيوة ترضى بها كقوله من ماء دافق أي مدفوق
ومثله في الكلام كثير ويجوز أن يكون المراد نفس الجنة قد رضيت بأهلها وأظهرت رضاها بهم كما وصف
الجحيم بالسخط والتغيظ على أهلها فجائز مثله في الجنة رضاء واستبشار إذ على معنى أن الجنة يظهر لهم من
أنواع الكرامات والخيرات ما لو كان ذلك من ذي العقل يكون ذلك دليل الرضا كما يضاف الغرور إلى الدنيا وهي
إنها تظهر من نفسها ما لو كان ذلك ممن يملك التغرير يكون ذلك غرورًا من نفسها وقوله عز وجل في جنة عالية
قال بعضهم مرتفعة على ما تستحب في الدنيا من الجنان في ربوة من الأرض مرتفعة وقال بعضهم الجنة اسم
لروضة ذات أشجار فكأنه يصف أشجارها بالارتفاع والطول والمنظر وذلك أشهى إلى أربابها ولهذا ما قال
قطوفها دانية من غير ذكر الأشجار لأن ذكر الجنة اقتضى ذكر الأشجار والثالث يكون معنى العالية أي
عظيم القدر والخطر مرتفعة وقد يوصف الشيء الرفيع بالعلو والله أعلم ثم قوله تعالى قطوفها دانية أي
في القطوف متدانية من أهلها لمن يريد قطعها وبعيدة لمن لا يريد قطعها وقيل دانية ينالها القاعد كما
ينالها القائم وقيل ثمارها دانية أي لا ترد أيديهم بعد ولا شوك وقوله عز وجل كلوا واشربوا هنيئًا بما
أسلفتم في الأيام الخالية تأويله أن يقال لهم كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية إنما جعلت أيامكم
الخالية سلفًا في أيام الآخرة وسلف الرجل لآخر هو أن يعطيه قرضًا ليأخذ مثله وقت الحاجة إليه أو يسلم الرجل
ماله في الأشياء التي تأمل منها الربح فكأنه بما ري نفسه يجعلها سلفًا ورأس مال ليأخذ ربح ما باع في الآخرة
فذلك هو الإسلاف أو يجعل عمله للآخرة رأس ماله وما رزق من الأموال ينفقها في سبيل الله ويجعل ذلك
رأس ماله وذكر عن وكيع أنه قال بلغنا أن الذين أسلفوا الصوم أي أنهم صاموا في الدنيا وتركوا الطعام
والشراب فأثابهم الله في الآخرة فقالوا كلوا واشربوا هنيئًا وقوله عز وجل وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول
يا ليتني لم أوت كتابيه والابتلاء بالشمال ابتداء أعلام الشقاء فتمنّى أن لا يؤتى بما فيه علم شقائه وقوله عز وجل
ولم أدر ما حسابيه يقول هذا في الوقت الذي قرأ ورأى فيها خلاف ما كان يظن في الدنيا ويحسب لأنه كان
يحسب أنه في الدنيا أحسن صنعًا من الذين آمنوا وأقرب منزلة إلى الله تعالى كما قال وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعًا فظهر له بقراءته الكتاب أنه لم يكن على ما حسب بل قد أساء صنعه فود عنه ذلك أن لا يعرف
ما حسابيه لئلا يظهر مساويه ويحتمل أنه يتمنى أنه ترك ميتًا ولم يحي حتى كان لا يرى الحساب ولا يعرفه وقوله
عز وجل يا ليتها كانت القاضية أي يا ليت المنية الأولى كانت دائمة علي وقال بعضهم يا ليت النفخة الأخيرة
كانت تقضي بالموت والهلاك لم تكن تحييه بالبعثة والله أعلم وقال قتادة تمنوا الموت ولم يكن شيء في الدنيا
أكره إليهم منه ثم الموت عليهم مقضي وليس يتقاضى خفته أن يقول يا ليتها كانت مقضية ولكن هذه اللفظة
يذكرها الناس في كل مكروه من الأمور ألا ترى أن الناس يدعون الله تعالى بأن يصرف عنهم قضاء السوء
وليس بقضاء الله بل هو مقضية فخرج القول على ما تعارفوا وهذا كما يقال الصلوة أمر الله وليست هي بأمره
ولكن تأويله أنها بأمره ما يقام فسمي أيضًا قضاء الله وهو في الحقيقة مقضيه والله أعلم وقوله عز وجل ما أغنى
عني ماليه في الأصل أن الكفرة كانوا يفتخرون بكثرة أموالهم فيقولون نحن أكثر أموالًا وأولادًا وما نحن بمعذبين
فيزعمون أن الله تعالى بما آتاهم من الأموال يدفعون عن أنفسهم العذاب بأموالهم إن حل بهم فيتبين لهم
في ذلك الوقت أنها لا تغني عنهم شيئًا فيقول كل واحد منهم ما أغنى عني ماليه وقوله عز وجل هلك عني سلطانيه
ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال كل سلطان في القرآن فهو حجة والأصل أن الكافر كان يحتج في الدنيا
لنفسه بحجج باطلة فمرة يقول ما أنت إلا بشر مثلنا ويقول مرة ما هذا إلا أساطير الأولين ومرة يقول
هو مجنون وغير ذلك فيعبر بقوله هلك عني سلطانيه أي هلك تلك الحجج التي كان تثبت بها واضمحلت وظننا أنها
حجج ومنهم من يقول السلطان هو القدر والشرف أي ذهب ذلك كله وقيل أي هلك عني تكبري وتسلطي
على الأنبياء في الدنيا وترك الاكتراث إليهم وجائز أن يكون أراد به أن السلطان الذي كان لي على نفسي
في الدنيا قد انقطع لأنه كان يملك استعمالها في مرضات الله تعالى فيقول قد انقطع ذلك السلطان لأني
لا أملك استعمالها فيما أستوجب به مرضات الرب لأنه يعلم فلا يقبل منه إسلامه ثم يجوز أن يكون
الهاءات في هذه الخطيئات على معنى الإشارات إلى الأنفس وعلى تأكيد الأمر والمبالغة كالمثابة
أو كأنهم ينادون أنفسهم بذلك وقد يدخل الهاء في النداء كقوله يا رباه ويا سيداه وجائز أن يكون
الوقف وأحكام الكلام وأهل النحو يسمونه هاء الاستراحة وقوله عز وجل خذوه فغلوه وقال
في موضع آخر خذوه فاعتلوه وهو السوق على العنف وقال في موضع آخر ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا
فكأنهم والله أعلم يغلون ويبدأ بالأمر بالأغلال لأن الناس في الدنيا يجتهدون كل الجهد في منع العذاب
بأيديهم فأخبر أن أيديهم تغل في الآخرة فلا يتهيأ لهم دفع ما يحل من العذاب فيكون ذلك أشد عليهم

ويكون حالهم كما قال الله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة فيغل يداه كي لا يتقي النار بوجهه ثم
يدخل في السلاسل فيجرون ويسحبون ويساقون على وجوههم على اختلاف أحوال القيامة وقوله عز وجل
ثم الجحيم صلوه أي أدخلوه يقال حمل مصلي أي مشوي فجائز أن يؤمر بأن يشوى في الجحيم وقوله عز وجل
في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه فذكر أولًا أنهم يغلون ثم يصلون الجحيم ثم يسلكون إذ ذاك
وحق مثله أن يسلك ثم يبدأ إلى الجحيم ولكنه يشبه أن يكونوا إلا يحشرون ثم يساقون إلى نار جهنم بقوله وسيق
الذين كفروا إلى جهنم زمرًا وإذا وردوها هموا أن يفروا منها فيسلسلون إذ ذلك ويسحبون في النار حينئذ فلا
يتهيأ لهم الهرب وقوله عز وجل إنه كان لا يؤمن بالله العظيم فيه بيان السبب الذي لأجله استوجبوا هذا
العقاب وهو أنهم كانوا لا يؤمنون بالله العظيم ثم قوله لا يؤمن بالله جائز أن يكون لا يؤمن بوحدانية
أو لا يؤمن بإرسال الرسل أو كان لا يؤمن بالبعث وإلا فهم يؤمنون بالله ولكن من لم يكن مؤمنًا بالرسل والبعث
فهو غير مؤمن في الحقيقة لأن الإله الحق هو الذي أرسل الرسل ويقدر على البعث والكافر لا يثبت له قدرة هو
البعث ولا يراه أرسل الرسل فصار لا يؤمن بالله العظيم في الحقيقة وقوله عز وجل ولا يحض على طعام المسكين
إخبار أنه كان لا يؤمن بالبعث لأن الناس ليسوا يطلبون من المساكين الجزاء لما يطعمونهم وإنما يطعمونهم
لوجه الله ورجاء الثواب في الآخرة والكافر غير مؤمن بالجزاء ليحمله ذلك على الإطعام وليس هو يكسب
يرغب فيه من مكاسب الدنيا فكأنه يقول إن الذي قضى به إلى النار تركه الإيمان بالله تعالى وبالبعث
ويجوز أن يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين إثبات السخرية من الذي ترك الحض على أهله بالإطعام
كقوله أنطعم من لو يشاء الله أطعمه يقول كيف أطعمه ومن بيده خزائن السموات والأرض لا يطعمه فلو كان
أهلًا للإطعام لكان الأولى من يطعمه هو الله تعالى وقوله عز وجل فليس له اليوم ها هنا حميم أي قريب يرجونه
وهو كقوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فليس له قريب يرجوه أو ينفعه ذلك الحميم وقد كان
له في الدنيا حميم ينتفع به ويرجو منه وقوله تعالى ولا طعام إلا من غسلين وقال في موضع آخر ليس لهم
طعام إلا من ضريع وقال في موضع آخر ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم والزقوم
غير الضريع فهذا والله أعلم أن في جهنم دركات فأهل دركة منها لا يجدون غير الغسلين وأهل دركة منها
طعامهم الزقوم ليس لهم غيره ولا لو لم يحمل الأمر على هذا لأوجب ما ذكرناه اختلافًا فيخرج أن يكون
من عند الله بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا ثم يجوز أن يكون قدر لكل أهل
دركة ما يوجبه الحكمة أن يكون طعامهم فعلى ما كانوا يفتخرون في هذه الدنيا بالأطعمة على من
دونهم ويهينون من لم يكن عنده ذلك الطعام جعل الله تعالى لهم من ذلك الوجه طعامًا في الجحيم يهانون به
وقال الحسن إن القرآن كله كسورة واحدة والسورة كأنه آية واحدة فكأن جمع بين هذه الأشياء
كلها في آية واحدة فقال ليس لهم طعام إلا من غسلين وليس لهم طعام إلا من ضريع ومن زقوم وإذا حمل
على ما ذكر ارتفع توهم التناقض والله أعلم وقوله عز وجل إلا من غسلين فجائز أن يكون هذه أسماء الشيء
من الأشياء التي يعذب بها أهل النار ولم يطلع الله تعالى الخلق على علم ذلك ومعرفته وقد ذكر أسامي
في الآخرة ليس للخلق بمعرفتها عهد ألا ترى أن الزقوم ليس باسم لشيء يستقبح ويستفظع في الأنام
جعله الله تعالى اسمًا للشيء المستبشع المكروه في الآخرة وقال عينًا فيها تسمى سلسبيلًا غير معروف فيما بين
أهل اللسان وقال بعضهم الغسلين ما يسيل من جلود أهل النار إذا عذبوا وذلك هو الصديد والقيح
وجائز أن يكون إذا اشتد حرهم استغاثوا إلى الله تعالى وطلبوا منه يرجوا أن يرفع عنهم الحر فيصب
عليهم ما يزيد في عذابهم فيسمى ما يزول عنهم غسلينا والله أعلم وقوله عز وجل لا يأكله إلا الخاطئون
وهم الذين قال إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين ثم قوله عز وجل في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعًا لا يجوز أن يكون السلسلة يفضل من أبدانهم فيأخذ فضل مكان من جهنم
لأنه تعالى وعد أن يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين ولو كانت تلك السلسلة أخذه فضل مكان
لكان لا يقع الامتلاء بالجنة والناس أجمعين فقط يؤدي إلى خلف الوعد والله عز وجل لا يخلف الميعاد
ولكن إن كانت تلك السلسلة أطول من أبدانهم فهي تذكر على أهلها ليقع لهم بها فضل تضييق وعسر
فأما أن تفضل عن أبدانهم فلا يحتمل وذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حاسبوا أنفسكم
قبل أن تحاسبوا فإنه أهون أو قال أيسر عليكم وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتجهزوا للعرض الأكبر يوم
القيامة يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وعن الحسن أنه قال إن المؤمن قوام بنفسه يحاسب نفسه لله
تعالى وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة
على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة إن المؤمن يفجأه الشيء فيقول والله إني لأشتهيك
وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما لي من صلة إليك هيهات حيل بيني وبينك ويفرط منه الشيء فيرجع
إلى نفسه فيقول ما أردت هذا ما لي ولهذا والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا إن شاء الله تعالى إن المؤمنين
قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك نفسه لا يأمن

شيئا حتى يلقى الله بعلم انه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها فمحاسبة النفس ان ينظر في
كل فعل يريد ان يقدم عليه الى عاقبته فان كان رشدا امضاه وانفذه وان كان غيا انتهى عنه كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وقال في خبر اخر
ان المؤمن وقاف وزان ووزنه ما ذكر في الخبر الاول من النظر في العواقب فاذا نظر في العاقبة ورأى
الرشد في انفاذه فقد وزنه واذا راى خلاف الرشد انتهى عنه ولم يقدم عليه فذلك وقفه فهذا الذى
ذكرنا محاسبة المؤمن نفسه فيما يروم من الامور ومحاسبة نفسه في الافعال التى ارتكبها وامضاها ان
ينظر فان كان ارتكب محرما تاب عنه واستغفر الله تعالى لعله بفضله يمن عليه بالمغفرة وان كان ذلك
فعلا مرضيا حمد الله تعالى وسأله التوفيق بمثله فهذه هي محاسبة العبد لنفسه فيما ارتكب من الافعال
وقوله عز وجل فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون قد وصفنا ان تأويل قوله فلا اقسم اى فلا اقسم
بما تبصرون من خلق السموات والارض وانفسكم وما لا تبصرون في انفسكم من الاسماع والابصار و
القلوب والعقول او ما تبصرون من الخلايق ممن حضركم وما لا تبصرون من الخلايق ممن غاب عنكم
فيكون القسم بما تبصرون وما لا تبصر قسم بالخلايق على هذين الوجهين فصنف منهم يرى وصنف لا يرى
وقد ذكرنا ان القسم من الله عز وجل لتأكيد ما يقصد اليه مما يعرف بالتدبر والتأمل وقوله عز وجل
انه لقول رسول اى الذى تسمعونه منه يسمعون من رسول كريم ثم ذكرها هنا انه قول رسول كريم
وقال في موضع اخر وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فذكرها هنا كلام الله
وذكر في الاية الاولى انه قول رسول كريم فاما ما اضيف الى الرسول فهو من حيث بلوغنا اليه من جهة
الرسول لا بامر غيره وصلنا اليه واضيف الى الله تعالى لان مجيئه ويروى واضيف الى الرسول لان ظهوره
في حقنا كان به وهذا كما اضيف ما وعاه القلب الى الاذن بقوله وتعيها اذن واعية لانه انما يوصل
الى الوعى بالاذن فعلى ذلك اضيف القول الى الرسول من حيث كان سماع الخلق من جهة الرسول عليه
الصلوة والسلام ثم الاصل ان الكلام والقول لا يسمعان وانهما المسموع منهما الصوت الذى
يعرف الكلام والقول ويدل عليه لا ان يكون كلامه في الحقيقة صوته فينسب ايضا هذا القران الى كلام
الله تعالى لما يدل على كلامه لا ان يكون المسموع في الحقيقة هو كلامه من النبى صلى الله عليه وسلم اتاكم به
لقول تلقاه من عند الله الرسول الكريم فيذكرهم هذا ليؤمنهم من تخليط يقع فيه من الشياطين وغيرهم
من الاعداء ثم جائز ان يكون الرسول الكريم هو جبرئيل عليه السلام كما قال تعالى في سورة اذا الشمس كورت
انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين ويحتمل ان يكون الرسول الكريم هو محمد صلى الله عليه
وسلم والاشبه ان يكون هو المراد لانهم كانوا ينكرون رسالته ولم يكونوا يقولون في جبريل عليه السلام
شيئا وقوله عز وجل وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون اى ان هذا
القران لقول رسول كريم ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن ثم قوله قليلا ما تذكرون وقليلا ما تؤمنون
يحتمل ان يكون تأويله فقليل ما تؤمنون وقليل ما تذكرون مما جاءكم به الرسول والقليل الذى امنوا به
وتذكروا فيه هو الذى كان راجعا الى منافعهم فاما الذى كان عليهم فهولم يؤمنوا به ولا تذكروا
فيه واذا كان تأويله ما ذكرنا فانتصاب القليل لا بنزع حرف الخافض وفي الحقيقة انتصابه لكونه
مصدرا وهو المفعول المطلق وجائز ان يكون اضاف القليل الى قول الكاهن والساحر وتأويله ان الامر
لو كان على ما يزعمون بانه قول كاهن وقول ساحر فما بالكم لا تصدقون بالقليل منه وقد تعلمون ان
الساحر وان كان الغالب عليه الكذب فيما يأتى فقد يصدق في القليل منه وكذلك الكاهن فما لكم
لا تصدقون بالقليل منه وانتم تعلمون انه صادق فان كان على هذا فهو في موضع ايجاب الحق عليهم
ان يصدقون وان كان على التأويل الاول ففيه اضمار انهم لا يؤمنون الا بالقليل منه والله اعلم وقوله
عز وجل تنزيل من رب العالمين فالتنزيل في الحقيقة لا يحتمل ان يسمع لانه اخبار عن فعله وانما الذى يسمع
منه هو المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اضاف الى نفسه التنزيل ليعلم ان هذه الاخبار وهو قوله
انه لقول رسول كريم وقوله عز وجل تنزيل خرجت على المجاز ليس على التحقيق لان التنزيل هو انزاله فسمى
تنزيلا لانه هو الذى كلفه الانزال لا ان يكون هو الذى تولى الانزال وان كان هو خالقه وقوله
عز وجل ولو تقول علينا بعض الاقاويل فهذا عطف على ما تقدم من قوله انه لقول رسول كريم وما هو
بقول شاعر وعليه وقوع القسم وهو موضعه فكانه يقول ان الذى تلقاه من عنده رسول كريم وما
هو بقول تلقاه من كاهن او ساحر ولا يقول تقوله عليا ولو تقول لاخذنا منه باليمين ويحتمل وجها
اخر وهو ان الذى يسمعون منه رسول كريم وليس بشاعر ولا كاهن ولا متقول لانهم كانوا مرة
ينسبونه الى الكهانة ومرة الى السحر ومرة انه تقوله على الله ولو تقول لاخذنا منه
باليمين يبين ان عذاب الله بالخص عباده اسرع وقوعا اذا هم خالفوا وزلوا منه باعدائه الا يرى ان
قوله عز وجل لاخذنا منه باليمين فيبين انه لو وجد منه شيء مما قالوا لاخذه على المكان الا ترى الى ادم

عليه السلام وما حل به عنه ما ابتلى بالزلة والخلاف وكذلك يونس عليه السلام وما عوتب على اثر الزلة ومثله
لان عذاب الاولياء يخرج مخرج التنبيه والتذكير والاستدعاء الى ما كانوا عليه من الطاعة والانقياد قبل ارتكابهم
الزلة ولا كذلك عذاب الاعداء فاخر عذابهم الى اليوم الذى يدوم عليهم فيه العذاب وفيه وجه اخر و
هو ان الذى سمعتم منه لو كان سحرا او شعرا او كهانة او تقوله لكان لا يمهله الله تعالى بل يأخذه على
المكان من غير ان يعجزوا كما قال فما منكم من احد عنه حاجزين فامهاله دل على ان الامر ليس كما قالوا بل هو تنزيل
من رب العالمين وقوله عز وجل لاخذنا منه باليمين فاخذ الله تعالى عذابه وعقوبته كقوله تعالى فاخذناهم
بالبأساء والضراء وقوله عز وجل فاخذناهم بغتة وقوله باليمين اى بالقوة اى لا يعجزه ما عنه شيء ولا يفوتنا
عذابه كقوله عز وجل وما هم بمعجزين وهو كقوله عز وجل وما هم بمعجزين وكقوله عز وجل وما نحن بمسبوقين
اى لا يعجزنا ما عنده من الشرف والقوة من ان نواخذه وننزل عليه النقمة وجائز ان يكون اليمين صلة القول
لا على تحقيق اليد فذكر اليمين لان التأديب في الشاهد والاخذ يقع بها وهو كقوله عز وجل ذلك بما قدمت
يداك بما قدمت يداك فاضاف التقديم الى اليد لا على تحقيق اليد اذ يجوز ان لا يكون لليد به بما قدم
صنع لكن لما كان التقديم في الشاهد يقع بالايدى فذكرت اليدان على ذلك لا على تحقيق الفعل بهما فكذلك
يجوز ان يكون اليمين ذكرت لما بها يقع الاخذ والتاديب في الشاهد وان لم يكن هنالك يمين والله اعلم و
اليمين القوة وسميت اليمين يمينا لان قدرة الرجل يكون فيها وسمي ملك الرقاب ملك يمين لان ملك اليمين
يكتسب بالقهر والغلبة وانما يصل المرء الى القهر والغلبة بالقوة فسمي ملك يمين لهذا لا ان يراد بذكر
اليمين تحقيق اليمين اذ اليد لا يملك شيئا حتى يضاف اليها فكذلك فيما اضيف من اليمين الى الله تعالى
فالمراد منه القوة وقوله عز وجل ثم لقطعنا منه الوتين قيل الوتين عرق في القلب وقيل حبل في القلب
وقيل هو العرق الذى اذا قطع مات صاحبه وهو عرق متصل بالظهر فكانه قال نعذبه عذابا لا ابقاء
له مع ذلك العذاب وهذا من اعظم ايات الرسالة فانهم متى زلوا اخذوا على المكان ويكون فيه امان
الخلق عن احداث التغيير والتبديل من الرسل لانهم لو غيروا لعذبوا ثم قوله عز وجل منه باليمين فجائز
ان يكون قوله منه زيادة في الكلام وحقه الاسقاط ويكون معناه لاخذناه باليمين وجائز ان يكون
معناه لاخذنا من تقوله وسحره وكهانته باليمين فان كان على هذا فحقه الاثبات وليس بصلة زائدة وقوله
عز وجل فما منكم من احد عنه حاجزين ففى هذا ايأس منه لاولئك الكفرة لانهم كانوا يطمعون
من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتباعهم وموافقتهم على ملتهم فاخبر انه لو اجابوه لقطع منه وتينه
واخذه اخذا لا يملكون منع ذلك عنه ولا دفعه ولم يكن احد ينصره عند ذلك او يحجزه عنا وهو كقوله
عز وجل وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك الى قوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات
ثم لا تجد لك علينا نصيرا وقوله عز وجل انه لتذكرة للمتقين فالمتقون هم الموحدون فسماهم مرة متقين
ومرة صابرين شاكرين كقوله عز وجل ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وهو تذكرة لانه يذكرهم الوعد
والوعيد وما يتقى وما يؤتى وغير ذلك فهو تذكرة يعنى القران وقوله عز وجل وانا لنعلم ان منكم مكذبين
اى باياتى ورسلى ثم نمهلكم فهو صلة قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل فيبين انه مع كذبهم باياته ورسله
يمهلهم ولا يعجل عليهم بالعقوبة ولو وجد التقول من الرسول لكان يستأصله ويقطع وتينه فهو على
ما ذكرنا ان عذابه على خواص عباده اسرع وقوعا اذا خالفوا منه باعدائه وجائز ان يكون قوله وانا
لنعلم ان منكم مكذبين هم المنافقون لانهم كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بالسنتهم ويخالفونه ويكذبونه بقلوبهم فيكون هذا التأويل راجعا الى اهل النفاق والتأويل الاول
الى اهل الكفر الذين اظهروا التكذيب وقوله عز وجل وانه لحسرة على الكافرين اى العذاب حسرة عليهم
يوم القيامة لانه شافع مشفع لمن اتبعه وعمل بما فيه وماحل مصدق لمن نبذه وراء ظهره ولم
يعمل به فهو حسرة عليهم لانه يخاصمهم فيخصمهم ويشهد عليهم فيصدق في شهادته او يذكرون
يوم القيامة معاملتهم بالقران فيندمون عليه ويزيدهم حسرة لانهم كانوا اذا تلى عليهم القران
في الدنيا ازدادوا عند تلاوته ضلالة وكفرا وازدادوا به رجسا الى رجسهم كما قال واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وهو ليس بسبب لازدياد الرجس ولكنهم كانوا يحدثون
زيادة تكذيب وضلال عند التلاوة فاضيفت الزيادة الى القران اذ كان القران هو الذى يحملهم على زيادة
التكذيب فهذه المعاملة يزيدهم حسرة يوم القيامة فاضيفت الى القران اذ كان القران هو الذى
عنده وقعوا فيه كما اضيف الرجس اليه والله اعلم وقوله عز وجل وانه لحق اليقين والاصل ان الحق اسم
لما يحمد عليه فحقه ان ينظر فيما يستعمل هذه اللفظة فيصرفها الى احمد الوجوه فاذا استعملت في الاخبار
اريد بها الصدق نحو ان يقال هذا خبر حق اى صدق واذا استعمل في الحكم اريد بها العدل واذا استعملت
في الاقوال والافعال اريد بها الاصابة فقوله انه لحق اى صدق ويقين انه من رب العالمين فهو صلة
قوله عز وجل تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل فسبح باسم ربك العظيم قيل صل وقيل اذكره بالاسم

الذي ذات السموات كان تسبيحا اي تنزيها عن كل ما قالت فيه الملاحدة ونسبت اليه مما لا يليق به والله الهادي

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سأل سائل بعذاب واقع للكافرين قرئ بتسكين الالف ومعناه سال واد بعذاب واقع اي جرى واد بعذاب واجب والقراءة العامة بالهمزة من السؤال وتأويله على سؤال القوم العذاب بقولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقولهم وعجل لنا قطنا وقيل هو النضر بن الحارث سأل ذلك فقتل يوم بدر صبرا هكذا قال بعض اهل التأويل ولكن عندنا ان هذا وان كان في الظاهر خارجا مخرج السؤال لكن لم يكن سؤاله هذا لينزل به العذاب في التحقيق وانما هذا منه على جهة الاستبعاد بالعذاب والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والذي حملهم على الاستبعاد والانكار هو انه كان عند اهل مكة انه لو كان فيهم نبي لكانوا هم احق بالنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم هم الذين بسطت لهم الدنيا وهم الذين لهم نفاذ الكلام في البلاد ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبسط له الدنيا ولا كان لكلامه فيما بينهم نفاذ فيظنون بهذا انهم اقرب منزلة عند الله تعالى من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا يستقيم في العقل ان يصل الولي الى عدوه ويحسن اليه ويدع صلة وليه ويجفوه فهذا الظن الذي ذكرنا هو الذي حملهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبرهم من حلول العذاب بالتكذيب وعلى الاستهزاء به فكان سؤال السائل على جهة الاستبعاد والانكار للعذاب لا ان كانوا مقرين به ثم استعجلوه وذكر ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم انصر اقربنا قسما واوصلنا رحما واقرانا للضيف فكان يدعوا بهذا لما عنده انه اشرف حالا واعلى منزلة عند الله عز وجل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولو لم يكن عندهم انهم اقرب منزلة واحق ان يكونوا اولياء والا لم يكونوا يجترئون ان يسألوا بهذا فهذه الشبهة التي ذكرناها هي التي اورثت لهم ما ذكرنا من الظن حتى زعموا انهم احق بالرسالة وظنهم هذا يتولد من ابليس وذلك ان ابليس قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فظن ان امر الفاضل للمفضول بالسجود في الخضوع له خارج عن حد الحكمة فصار الى ما صار اليه من الخزي واللعن فكذلك هؤلاء لما راوا من نفاذ كلمتهم وسعتهم في الدنيا ظنوا انهم اقرب الى الله تعالى اذ التوسع عندهم دلالة الولاية والقرب ثم سفههم هو الذي حملهم على التكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الخضوع والا لو اعطوا النصفة من انفسهم لكان يجب ان يكونوا هم اطوع خلق الله تعالى لان الواجب على من كثرت عليه النعم من اخر ان يكون هو اشكر للنعم واطوع له فيما يدعوه اليه من الذي قلت نعمه عليه فاذا كانوا مقرين ان نعم الله عليهم اكثر واحسانه اليهم اوفر اوجب ما ذكروا ان يكونوا هم الزم طاعته واخذا بامره وكذلك ابليس اللعين اذا راى لنفسه فضلا وانما استوجب ذلك بما انعم الله عز وجل عليه كان الحق عليه ان تسارع الى طاعته وينقاد لما امره لا ان يظهر الخلاف من نفسه وترك الائتمار بامره وقوله عز وجل بعذاب واقع اي هو واقع بهم لا محالة في علم الله تعالى او واقع بمعنى سيقع كما يقال قائل اي سيقبل وقوله عز وجل للكافرين ليس له دافع فان كان قوله للكافرين صلة قوله بعذاب واقع فحقه ان يقول على الكافرين ولكن اللام من حروف الاضافة والخفض وحروف الاضافة مما يتبدل بعضها ببعض فجعل اللام بدلا عن على وان كان قوله للكافرين صلة قوله ليس له دافع فمعناه ان ليس على الكافرين دافع لعذاب الله عز وجل بل واقع بهم لا محالة فابدلت اللام مكان عن لانهما جميعا من حروف الخفض وقد يدفع العذاب عن المسلمين من وجوه اما برحمة الله تعالى او بشفاعة الرسل والاخيار ولما لحسنات سبقت منهم فوجب تكفير سيآتهم فاما الكفار فلا تنالهم رحمته ولا شفاعة احد من الخلائق وليست لهم حسنات يكفر سيآتهم فليس لهم ما يدفع عنهم العذاب وجائز ان يكون معناه ان الذين ظنوا انه ينصرهم عند النوائب وحلول الشدائد لا يقوم بنصرهم ولا ينفع لهم لانهم كانوا يعبدون الاصنام ويعبدون الملائكة على رجاء ان يشفعوا لهم ويقربوا الى الله تعالى وقوله عز وجل من الله ذي المعارج اي ذلك العذاب لهم من الله ذي المعارج اي من له المعارج كقوله عز وجل ذو العرش المجيد اي الذي له العرش واختلفوا في المعارج قال بعضهم هو المصاعد وهي السموات وسماهن مصاعد لان بعضها اصعد من بعض وارفع ولو قال ذي المعارج فل كان مستقيما واقتضى بما يقتضي قوله ذي المعارج لان بعضها اذا كان اصعد والذي تحتها اهبط واسفل ولكن ذكر المصاعد لانه هذا اعلى في الوصف ثم في ذكر هذا عظم نعمه واحسانه الى خلقه حيث خلق السموات منكبا لا جلها حتى

اذا عرفوا

اذا عرفوا هذا عرفوا ان له ان يفضل بعضا على بعض وله ان يصطفي من يشاء من الناس للرسالة ويختص بها وذكر هذا ايضا حكمته وعلمه وقدرته وسلطانه انه حيث وضع سماء على سماء وخلقهن طباقا من غير عمد تحتها يمسكها او علائق من فوقها يربطها تبين انه يمسكها بحكمته وقدرته وسلطانه فيكون في ذكر كل وجه فيما ذكرنا ازالة الشبهة التي اعترضت لهم في امر البعث والرسالة وايضاح بان من قدر على ما ذكرنا القادر على الاعادة بعد الافناء وقيل المعارج المعالي اي الذي له العلو والرفعة كما قلنا في قوله الحمد لله اي لا احد يستحق الحمد في الحقيقة وما حمد احد الا وذلك في الحقيقة لله تعالى لانه به استفاده فعلى ذلك قولنا له العلو والرفعة اي ليس احد يستفيد العلو والكرامة الا وحقيقة ذلك لله تعالى لانه استفاد به والثاني اي هو الموصوف بالعلو والجلال لما يقع عليه اوهام الخلق وقوله عز وجل تعرج الملائكة والروح اليه يحتمل ان يكون معنى قوله يعرج ليس عن هبوط صعد ويعرج لكن انشاهم كذلك معروجين كقوله وانزل لكم من الانعام اي انشأهم كذلك وقوله عز وجل والسماء رفعها ليس انه كان في موضع منخفض فرفعها لكنه كذلك خلقها مرفوعة فعلى ذلك قوله عز وجل تعرج الملائكة اي انشاهم كذلك استعمالهم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ووجه اخر هو الاشبه بالاية وهو ما قالوا ان الملائكة تعرج اليه اي الى الموضع الذي عنه ارسلهم الى انواع الامور في يوم لو قدر ذلك المعروج بعروج البشر وسيرهم لكان مقدار خمسين الف سنة وقوله عز وجل في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقال في موضع اخر الف سنة مما تعدون فيحتمل ان يكون هذا الوقت وقت تقدير عروج الملائكة وصعودهم وهو ان البعض ينزل منهم ثم يعرج في يوم واحد مقدار ذلك المسير الف عام والبعض منهم ينزل ويعرج في يوم واحد مسيرة خمسين الف سنة فيكون في هذا ابانة ان ليس اهل سماء احق ان يدبروا عليهم تدبير اهل الارض من اهل سماء بل ينزل اهل سماء الى الارض مرة لما يراد من تدبير وينزل اهل سماء اخرى بتدبير اخر ثم اي سماء يرسل فهو يصعد الى فلك السماء بيوم واحد ان ارسل من السماء السابعة او السادسة او الاولى فهو يصعد اليها في ذلك اليوم فيكون في هذا تبيين قوة بعض الملائكة على بعض ان فيهم من يسير مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد ومنهم يسير مسيرة الف سنة ومن قدر على ان يخلق في خلق من خلائقه من القوة ما يقطع هذه المسافة في يوم واحد لا يحتمل ان يعجزه شيء فيكون في ذكر هذا تحقيق كون ما يحولوا من القيمة والبعث وجائز ان يكون قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة راجعا الى يوم القيمة فذكر في موضع ان مقداره الف سنة وذكرها هنا ان مقداره خمسين الف سنة فالاصل ان ذلك اليوم ليس له حد ولا له غاية ينتهي اليه لما يخبر من الحد فيه فهو يخرج مخرج تعظيم ذلك اليوم ليقع به التهويل والتفزيع فبأي شيء يعظم ذكره في القلوب يذكره فمرة ذكره بالخلود وهو قوله عز وجل ذلك اليوم الخلود ومرة قال لابثين فيها احقابا ومرة قال خمسين الف سنة ومرة قال الف سنة اذ هذه الاشياء مما يعظم في القلوب وكذلك الالف هي عظيمة في القلوب فاذا كانت هذه الاشيا يعظم ذكرها في القلوب فذكر شيء الواحد من الجملة او ذكر الاشياء يقتضي معنى واحدا ومنهم من يصرف التأويل الى تقدير عروج الخلائق الى السماء في ذلك اليوم ويصرف قوله خمسين الف سنة الى تقدير المقام للحساب قبل ان يدخلوا النار وجائز ان يكون تأويله على ما ذكره بعض اهل التفسير وهو ان الله تعالى لو جعل حساب الخلق يومئذ الى الخلق فتكلفوا ان يفرغوا من حسابهم لم يفرغوا منه الا في مقدار خمسين الف سنة لكن الله عز وجل بلطفه يحاسبهم حسابا يفرغون عنه في ادنى وقت حتى يصير اهل الجنة واهل النار على ما جاء في الاخبار وذلك قوله والله سريع الحساب فان قيل في قوله عز وجل الف سنة مما تعدون انكيف قدر ذلك بصعودنا ونحن لم يمكن لنا من الصعود ولم ينشأ على ما في طبعنا انشاء الصعود حتى نبطره الف سنة او اقل او اكثر وجوابه ان يقال ان تأويله والله اعلم انه لو بسط ما بين السماء والارض وصار بحيث يمكن التسير عليه لم يقطع ذلك المسير اذا احتجنا الى قطعه الا بالف سنة مما تعدون وجائز ان يكون تأويله ان لو جعل الى السماء بابا وفتح وظللنا نعرج اليها لم نتوصل اليها الا في الف عام وقوله عز وجل فاصبر صبرا جميلا قيل الصبر الجميل هو صبر لا جزع فيه والصبر الذي لا جزع فيه هو ان يصير صبرا لا يرى عليه اثر الصبر بان لا يظهر في وجهه كراهته وعبوسة وهو ان ينظر الى من اذاه بعين الرضا والشفقة ليس بعين السخط والكراهة او الصبر الجميل ان لا يكافيهم ولا يدع شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك مشفقا بهم رحيما حتى بلغت شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك مشفقا بهم رحيما حتى بلغت شفقته ورحمته وحزنه على كفار قومه مبلغا كادت نفسه تهلك فيها كما قال الله عز وجل فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال لعلك باخع نفسك على آثارهم فالرسل عليهم السلام كانوا اذا اوذوا لم يكونوا يحزنون لمكان انفسهم بما اوذوا بل كانوا يحزنون بمكان

من ذنوبهم خوفا من ان يحل لهم الهلاك والبوار بيذائهم رسل الله تعا وشقاقهم على قومهم هو الذى
كان يحزنهم لبس سوء صنيعهم ومعاماتهم معهم وقوله عزوجل انهم يرونه بعيدا اى بعيدا ان يكون
على الشق والانكار وقد يستعمل هذا الحرف فى موضع النفى يقول الرجل فى المناظرة لصاحبه ابعدت
فى القول اذا اجاب بشيء لا ثبات له ولا صحة فيريد بقوله ابعدت النفى اى لبس كما تقول وقال الله
عزوجل اولئك ينادون من مكان بعيد ومعناه على نفى النداء اى لا ينادون اوان يكون قوله بعيدا اى
مستبعدا كونه قبعدا عنا وها مهم حتى انكروه ونراه قريبا اى قريبا كونه ان كان معنى قوله بعيدا اى
بعيدا كونه او نراه قريبا اى كائنا وقد قرب وقت وقوع ذلك بهم وكل ما هو كائن فهو قريب وقوله
عزوجل يوم تكون السماء كالمهل فكانهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقت الذى وعدوا
ان يقع بهم العذاب متى وقته فنزلت هذه الاية يوم تكون السماء كالمهل وقيل المهل عكر الزيت وهو
ورديه فجائز ان يكون هذا على التحقيق وهو انها تتغير فى ذلك اليوم من لون الى لون فتحمر مرة وتصفر
اخرى لشدة هول ذلك اليوم فيكون كدردى الزيت لنا ولونا متغيرا من حال الى حال وجائز ان لا تحل بها
التغير ولكن شدة ما ينزل بالمرء من الهول والفزع يضعف بصره حتى يرى السماء على خلاف اللون الذى
هى عليه وهو كما يرى المرء اذا حل به الضعف والمرض فى الشدائد ووجه طعم الاشياء على خلاف ما هى عليها
فيكون فى ذكر هذا تهويل وتفزيع ان هول ذلك اليوم شديد لا تقوم لهولها السموات والارضون مع ملكها
وغلظها فى نفسها فكيف يقوم لهولها الادمى الموصوف بالضعف واللين وجائز على ما ذكرنا انه يصير شبيها
بالمهل للينها ورخوتها وانها تلين وترخو من هول ذلك اليوم حتى يصير السماء كالمهل والجبال كالعهن فيكون
فى هذا ايضا تهويل ليجمعوا عمائم فيه ويقبلوا على عبادة الله تعالى ويتسارعوا الى طاعته ويلى العهن ووجه
تشبيه الجبال بها يذكر بعد هذا فى قوله عزوجل وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقوله عزوجل ولا يسئل
حميم حميما قرئ برفع الياء ونصبها فمن رفع الياء فتاويله اى لا يطلب حميم من حميم ولا يؤخذ بمكانه
كما يفعل مثله فى الدنيا لان ذلك اليوم هو يوم العدل وليس من العدل ان يؤخذ الغير بذنب الغير ومن
قراه بالنصب فتاويله ان لا يسأل الحميم حميما من شدة ذلك اليوم وهوله النصرة والشفاعة اولا يسأل
عن حاله بما حل به من الشغل فى نفسه وقوله عزوجل يبصرونهم يحتمل ان يعرف بعضهم عن بعض ان
هذا ابوك وابنك وحميمك اذ لا يعرفون الا بالتعريف لما حل به من شدة الهول والفزع وان اذا عرفوا
لا يسألونهم بل يفر بعضهم عن بعض كما قال تعا يوم يفر المرء من اخيه الاية او يكون معناه ان
يبصروا ما سبق منهم من الذنوب والاجرام فيعرفونها ويصير لهم حاضرة وقوله عزوجل يود
المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه الاية او يكون معناه ان يبصروا ما سبق
منهم من الذنوب والاجرام فيعرفونها ويصير لهم حاضرة وقوله عزوجل يود المجرم لو يفتدى
من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ففى هذا الاية
يستقبلهم فى ذلك هول وفزع لم يكن لهم بمثله عهد فى الدنيا ولا كان خطر ببالهم ذلك لان المرء لا يبلغ
به الهول فى الدنيا مبلغا يود ان ان يفتدى به ببنيه وصاحبته واخيه واقربائه وجميع من فى الارض
فيكون فيه اخبار عن شدة هول ذلك اليوم ليحمل الناس على الانابة الى الله تعالى والانتهاء عما هم عليه ثم
بدا بذكر البنين والاقربين وانها بالابعدين وحق هذا ان يبدا بالابعدين ثم يختم بذكر الابعدين لان المرء
قد يسخو نفسه بفداء الابعدين ويظن ببذل الاقربين فداء فاذا سخت انفسهم فى ذلك اليوم بفداء البنين
والاقربين فلان يسخو بفداء الابعدين احق واذا كان كذلك ففى ايثار التهويل والتفزيع ان يبداء اهل الارض
اذا كان له عليهم ملك وكانوا باجمعهم له واذا كانوا جميعا له ملكا كانت شفقته على ملكه واولاده
واحدة او اكثر فكما يظن ببذل اولاده وان يكونوا عنه فداء فكذلك يظن بالاباعد اذا كانوا جميعا
ملكا له فلذلك استقام ان يبدأ بذكر الاقربين قبل الابعدين اذ كل ذلك يستوى فى التهويل والتفزيع و
الله اعلم وجائز ان يكون ذكر الاقربين وذكر اهل الارض ليس على جهة الاولى ولكنه ذكر الاحاد وللا
ثم ذكر الجماعة ليعلموا ان لا ينفعهم الفداء فى ذلك اليوم وان الذين ودوا الفداء ليتخلصوا من عذاب
الله تعا لا يشتد عليهم ما فدوا وان كان ذلك ملء الارض والله اعلم وقوله عزوجل ثم ينجيه كلا ورد
وتنبيه ان لا ينجيه ذلك اليوم وقوله عزوجل انها لظى نزاعة للشوى لا يتر فالغلى اسم من اسماء النار
والشوى قيل هى مكارم خلقه وقيل هى القوائم والاطراف وقيل هى الجلود والاصل ان نار جهنم يعمل
على اصحابها قبح كل قبيح وكل شنع مستفظع فان شئت صرفت دلالة الى الارحل وان شئت الى الجلود وان شئت
الى مكارم خلقه الاخلاق لان التقبيح فى كل ذلك موجود وهو كقوله عزوجل لهم فيها ازواج مطهرة فقيل فى تاويل
المطهرة وجوه احدها انهن مطهرة من العيوب والافات وجملته انه ما من شيء يستحسن ويستقبح من خلق ونفس ومعاملة
الا وهن مطهرات من ذلك وما من شيء يستشنع ويستفظع الا وذلك فى اهل النار موجود وقوله عزوجل يدعوا من ادبر
وتولى فجائز ان يكون الدعاء منها على التحقيق وهو ان يجعل الله تعا بالطف لسانا يدعو به او يخلق فيها الكلام من غير لسان

فيقول الى

فيقول الى وجائز ان يكون هذا على التمثيل وهو انها لا تدع احدا يفرعنها ويتخلص من عذابها فكانها دعته
الى نفسها ثم وقوله عزوجل من ادبر وتولى جائز ان يكون قوله من ادبر اى من كان ادبر فى الدنيا من طاعة
الله تعالى وتولى عن الاجابة لرسله كقوله تعالى عن ذكرنا اى اعرض وادبر عن توحيده وتولى عن النظر
فى حججه وفيما جاء عنده ويحتمل قوله ادبر اى ادبر عن طاعة الله عزوجل وتولى اى تولى الشيطان
من الولاية وجائز ان يكون ادبر فى جهنم فدبر رجاء ان يفرعنها ويتولى وكذلك يدعو النار لنفر بل
نفشاه عن الاعراض كقوله عزوجل انما سلطانه على الذين يتولونه ولكن هذا اقرب من الاول لان
من تولى عن ذكر الله فقد تولى الشيطان وقوله عزوجل وجمع فاوعى يخبر بقوله وجمع على ما جبل عليه
من شدة الحرص على الدنيا فيكون الجمع كناية عن الحرص فيبلغ به الحرص مبلغا انساه ذكر الاخرة وقوله عزوجل
فاوعى فيه بيان صفته فيما غلب عليه من النهاية فى البخل فيكون الايعاء كناية عن البخل حتى لم يود حق الله تعا
فى ماله او لم يقم بشكره الله تعالى من النعم وبلغ به البخل مبلغا منعه ذلك عن قبول حق الله تعالى فى ماله وقوله
عزوجل ان الانسان خلق هلوعا اختلف فى تاويل الهلوع من وجوه كل يرجع الى معنى واحد فقال بعضهم
الطامع فى اللذات الطالب لها والكاره للانتقال الهارب منها وقيل خلق هلوعا اى على حب ما يتلذذ به القيام
بطلبه وبغض ما يتالم به والهرب عنه ومنهم من يقول الهلوع الضجور وهو ما يصيبه من الالم فيضجر لذلك
او يضجر عن حق الله تعالى ومنهم من يقول تفسيره ما ذكر ذلك على اثره من قوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه
الخير منوعا وهذا ايضا مثل الاول لان الذى حمله على المنع شدة حبه اياه والذى حمله على الجزع ما مسه من
الضر والشر فجزعت نفسه لذلك لانها انشئت نافرة عن المضار ومبغضة له وقال الله عزوجل وخلق
الانسان عجولا وقال فى موضع اخر وكان الانسان قتورا اى لا يسخوا على اخراج ما فى يديه ففى هذه الايات
انباء ان الانسان خلق على هذه الاحوال قتورا عجولا هلوعا فطبع الشيء على حب ما ينفعه وبغض ما يكرهه
ويتالم به علما انها خلق على هذه للمحنة فمن تذكر فيما وعد الله تعا من النعم لمن قام بوفاء ما امره به حمله
ذلك على التسارع فى الخيرات ما يحبه فى الدنيا لينال الموعود فى الاخرة اذ هو فى الاصل الشيء محتال لما
يتلذذ ومن تذكر ما اوعد من العذاب بما يعطى نفسه من الشهوات من معاصى الله تعا وبما يمنع من حقوق
الله تعا الواجبة فى ماله سهل عليه ترك الشهوات وخف عليه بذل ما طلب منه لئلا يحل به ما يبغض بعيشه من
الالام والمكاره والاصل ان الانسان وان كان مطبوعا على هذه الاخلاق الذميمة من البخل والاقتار و
العجلة وجبل عليها فقد ملك رياضة نفسها ويمكنه ان يخرجها من تلك الطباع الذميمة الى اضدادها من
الاخلاق الحميدة والشمائل المرضية فلزمه القيام بذلك الاترى انه يتهيأ له ان يقوم برياضة الدواب
والسباع فيخرجها بالرياضة عن طباعها التى انشئت عليها من النفار عن الخلق والامتناع عن الانقياد حتى
تصير منقادة للخلق ذليلة لهم فيتهيأ لهم الاستمتاع والتوصل الى منافعها فكذلك الانسان اذا قام برياضة
نفسه امكنه ان يخرجها عن خلقتها فتصير مطيعة له فيخف عليها بذل ما يطلب منها ويسهل عليها تحمل ما كان
يشتد عليها ثم الاصل ان المرء وان جبل على حب ما يتلذذ به وبغض ما يتالم ويتوجع فقد جبل ايضا على
ترك هو فيه من اللذة هى اعظم منها وعلى التصبر لاحتمال الاذى والمكروه ليتخلص عما هو اعظم من ذلك
المكروه والالم واذا كان كذلك فهو اذا قابل نعيم الدنيا بنعيم الاخرة واقرب اللذتين بابعدهما فراى
ان الاخرة اعظم وابقى عليه ترك اقربهما لابعدهما واقلهما لاكثرهما واذا قابل بمكروه الاخرة وعذابها
بعذاب الاخرة فراى عذاب الاخرة اشد وابقى عليه تحمل المكاره فى الدنيا فهذا السبب الذى ذكرنا مما
يتوصل به الى رياضة النفس والذى يدل على ان المرء قد يخف عليه عمل الشدائد وترك اللذات الحاضرة
لما يأمل من اللذات الاجلة انك ترى المرء قد يهون عليه الضرب فى الارض وقطع الاسفار وتحمل المؤن
وركوب الاهوال والغطائع والانقطاع عن اللذات كالذى يخرج للتجارة من بلده الى بلاد دنائية لما
يرجو من النفع والربح فى ذلك فيحتمل ما يمسه من المكاره والمؤن لما يطمع من نيل اللذات التى تركها فعلى ذلك
اذا تفكر فى نعيم الاخرة وتفكر فى عقابها يسهل عليه ترك اللذات الحاضرة وخف عليه تحمل المكاره فى الدنيا و
وجه اخر انه لما جبل على حب اللذات وبغض المكاره امر ان يجعل ما يحبه من العاجل حلالا فيكون شغله ابدا فيما
يوصله الى نعيم الاجل وامر ان يجعل حربه عن الالام الاجلة فيجتهد فيما فيه التخلص والنجاة عن تلك الالام
والله اعلم وقوله عزوجل الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون معناه والله اعلم لان المصلين يقومون
برياضة انفسهم حتى يصرفوها عن خلقتها التى انشئت عليها ثم بين ان الذين يقومون برياضة انفسهم هم
الذين يقومون على صلوتهم دون الذين يقومون الى الصلوة كسالى ولا يدومون عليها ولا ينفقون من اموالهم
الا عن كراهة ثم قوله عزوجل على صلوتهم دائمون دوامهم عليها فى لزوم ما عرفوها وهو ان يقيموها فى
اوقاتها ويحافظون عليها دون ان يكون دوامهم ان يكونوا فيها ابدا الا ترى الى ما روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال احب الاعمال الى الله تعالى ادومها وان قل واراد بقوله ادومها لزومها فى الوقت
الذى وجب فعل ذلك على انفسهم لا ان يكونوا ابدا فيها لانهم اذا بقوا فيها ابدا كثر ذلك منهم فلا يكون

مكروه الدنيا

لقوله وان قل معنى فثبت ان معنى الدوام ما وصفنا والله اعلم وجائز ان يكون المراد من المداومة هو ان يدوم على الاحوال التي يليق بالصلوة عند كونه فيها من الاقبال على المناجاة وترك الالتفات وتفريغ القلب عن الاشتغال والوساوس وقال بعضهم على صلوتهم دائمون هو التطوع وعلى صلوتهم يحافظون الفريضة قال وتصديقه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا صلوا صلوة داموا عليها وكانوا يقول خير الاعمال ادومه وان قل واصله ان الله تعالى قال وا قاموا والاقامة على الشيء هو الدوام عليه لا ترا اذا فعل الشيء مرة ثم تركه لم يوصف بالاقامة عليه فقوله دائمون ويقيمون يقتضي معنى واحدا فيكون فيه بيان ان الصلوة يلزم فعلها مرة بعد مرة وليست كالفرائض التي اذا اديت مرة سقطت من نحو الحج والجهاد وقوله عز وجل والذين في اموالهم حق معلوم قيل هو الزكوة ذكر ذلك عن قتادة وغيره وقال ابو بكر هذا غير محتمل لان هذه الايات مكية وانما فرضت الزكوة عليهم بعد هجرتهم الى المدينة ولكن ليس فيما ذكره دفع هذا التاويل لانه يجوز ان يكون الزكوة لم يفرض عليهم لما لم يكونوا اصحاب الاموال لان الزكوة لم يكن مفروضة في الجملة وبين الوجوب اذا استفاد والاموال الا ترى ان الفقير قد يعلم ايتاء الزكوة من المال وان لم يكن له مال ليقوم بادا فيها اذا صار من اهلها فقوله حق معلوم اي علمه الله في اموالهم فلزمهم اخراجه ثم بين ان خروجهم مما لزمهم من حق الله تعالى في اموالهم بالدفع الى السائل والمحروم وجائز ان يكون ذلك الحق المعلوم هو حق القرابة وغيره ومن ذكر ان هذا الحق غير الزكوة قالوا انهم كانوا علموا في اموالهم حقا فجعله لطائفة منها للسائل وطائفة للمحروم لذلك سماه حقا معلوما ويحتمل ان يكون في ذلك الوقت شيئا معلوما مفروضا عليهم في اموالهم نسختها اية الزكوة ولم يذكرنا ذلك لعدم حاجتنا الى معرفته ثم السائل معروف وهو الذي يسأل واما المحروم فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن المحروم هو الذي لا يثمر نخله ويثمر نخل الناس ولا يزكو زرعه ويزكو زرع الناس ولا تلبن شاته وتلبن شاة الناس فعنوا بالمحروم هذا الذي حرم بركة ماله هذا الخبر دليل على ان المرء لا يصير غنيا بملك النخيل والارض وجائز ان يكون المحروم هو الذي حيل بينه وبين وجوه المكاسب فمن كان حال هكذا كان علينا ان نتعاهده ونقوم بكفايته وقال الحسن المحروم هو الذي يتعفف عن السؤال وان هلك والله اعلم وقوله عز وجل والذين يصدقون بيوم الدين فيوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الحساب فكل ما عرف الجزاء وامن به لم يجزع بما يصيبه ولا منع الحق الذي طلب منه ولم يوصف بانه هلوع وانما الهلوع هو الذي يكذب بيوم الدين كما قال ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم فاخبر ان الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي لا يؤمن بالاخرة وقوله عز وجل والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون وجلون وهم الذين قال عز وجل في اية اخرى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له اهم الذين يسرقون ويزنون ويعملون بالمعاصي فقال لا بل هم الذين يقومون ويصلون ويؤتون الزكوة او كما قال بلفظه صلى الله عليه وسلم ووجلهم هو انهم يخافون ان لا يقبل منهم حسناتهم او يخافون ان يكونوا قصروا عن الوفاء بشكر النعم او غفلوا عن شكر كثير منها وقوله عز وجل ان عذاب ربهم غير مامون فهذا هو الحق ان لا يامن احد من عذابه وان داب في عبادة واجتهد في طاعته لما لا يدري على ماذا يختم امره او يخاف ان لا يقبل منه ويرد عليه او يخاف ان يكون قد قصر في شكر كثير من النعم وغفل عنها والاصل انه ما من احد ينظر في امره وحاله الا وهو يرى على نفسه من الله تعالى نعما لو اجهد نفسه ليقوم بشكر واحد منها لقصر عن ذلك ولم يتهيأ له القيام به فاما من كان هذا وصفه فانى يقع له الامن من عذابه ويؤخذ منه الوفاء بالاسباب التي يؤمن بها الا ان يكون من الخاسرين وقوله عز وجل والذين هم لفروجهم حافظون ذكر حفظ الفروج ولم يذكر بم يحفظ وحفظه يكون بخصال احدها ان يسكن في قلبه جلال الله وهيبته ويخشى عقابه في المعاد والثاني بما جعله الله عز وجل سبب التعفف من النكاح وملك اليمين فيمنعه ذلك عن الزنا وحفظ الفرج والثالث يجيع بطنه بالقيام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يقدر على الباءة فليصم فان الصوم له وجاء والرابع بما يترك النظر الى النساء ولا يخلو بهن ويدع مجالسة الفجار واهل الريبة وقوله عز وجل الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم غير ملومين ولو لم يقل غير ملومين لكنا نعلم بقوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم انهم لا يلامون لانهم قد اباح لهم الاستمتاع بمن ملكت ايمانهم ومن كان تحتهم بملك النكاح ولا يجوز ان يلحق الائمة باستعمال المباح المطلق ولكن فيه فوائد احدها ان من الناس من يحرم الاستمتاع بملك النكاح وملك اليمين فيخبرانهم عند من اعتقد الايمان بالرسل غير ملومين وانما يلزمهم من انكر الرسالة وهم الثنوية والبراهمة وجائز ان يكون معناه انهم وان منعوا النساء عن الجماع بما هو خير لهم من الصيام وانواع القرب لم يلحقهم اللائمة كما لا يلام من يمنع اخر عن طاعة الله تعالى واذا استمتعوا بملك النكاح وملك اليمين لم يبتلوا بالزنا فلحقهم اللائمة بذلك وقوله عز وجل فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون العادي هو الظالم في الحقيقة يقال عدا فلان على فلان اذا ظلمه فهم عادون حيث ظلموا انفسهم فوضعوها في موضع

لم يؤذن لهم بالوضع فيها وقال الحسن هم العادون حيث عدوا من الحلال الى الحرام وفي انه لا يزد لانه تحريم المتعة لانه تراخبر ان من ابتغى وراء ملك اليمين وملك النكاح فهو اذا من العادين وقوله عز وجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون فالامانات لها وجهان احدهما ما ائتمن الله عز وجل عباده على ما له من الحقوق عليهم والثاني ائتمن بعضهم بعضا على الحقوق والعهود التي يجري بين الخلق من الذمم والنذور وغير ذلك فيدخل فيه كل امانة بين العبد وبين ربه وبينهم وبين الخلق وكل عهد اخذ عليهم من نحو قوله او فوا بالعقود قيل في التاويل العهود ثم بين ذلك فقال لئن اقمتم الصلوة الاية والعهد الذي اعطينا المعاهدين فكل ذلك داخل تحت الاية وقد يدخل معنى الامانة في العهد والعهد في الامانة وقد يجوز ان يقع بينهما فرق والله اعلم وقوله عز وجل والذين هم بشهاداتهم قائمون اي يقيمونها لله تعالى كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله او قائمون بالوفاء بما عليهم من الشهادة فيقومون بها احبوا او كرهوا اضرهم ذلك ونفعهم وقوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون محافظة الصلوة اقامتها في اوقاتها بشرائطها والذي يحملهم على المحافظة ما يخشون الله تعالى ولما جعلت تكفيرا لسيئاتهم فيرغبون في اقامتها تكفيرا عنهم سيئاتهم وقوله عز وجل اولئك في جنات مكرمون في الاية ابانة ان من يكرم بالجنان هؤلاء وذكر عن ابي بكر الاصم انه قال في هذه دلالة ان من وفى بهذه الاشياء التي ذكرها في هذه السورة من الادامة على الصلوة وايتاء الحق المعلوم والتصديق بيوم الدين الى اخر ما ذكر فهو الذي يكرم بالجنة والخاطئ الذي يرجع عن خطيئته ويتوب عنها فاما على غير هذين فهؤلاء يستوجب الاكرام بالجنة فما ذكر من الاكرام بالجنة للصنفين اللذين ذكرهما فهو كما ذكروا اما الصنف الثالث فهم الذين بلوا بالخطيئات من اهل الايمان ولم يتوبوا عنها فقد يرجى لهم هذه الكرامة بعفو الله سبحانه وتعالى وكرمه وجوده ومن كان هذا وصفه لم يوئس من احسانه بل كان العفو منه مامولا والاحسان منه مرجوا وقوله عز وجل فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين اختلف في تاويل الاهطاع فمنهم من يقول هو الاسراع في المشي ومنهم من يقول هو ادامة النظر فمن حمله على الاسراع فمعناه ان ائمة الكفر كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون القران منه ثم يسرعون الى اتباعهم ويجلسون حلقا حلقا ويحرفون ما يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلبسون على ضعفائهم واتباعهم ليصدهم ذلك عن الايمان بالله عز وجل ورسوله عليه الصلوة والسلام فان كان الامر على هذا فتاويله ما لهم يسرعون اليك ليسمعوا كلامك ثم يتفرقوا عن اليمين وعن الشمال ويكذبونك نحو ان يقول بعضهم ما هذا الا سحر مبين وما هذا الا اساطير الاولين ان هو الا رجل افترى على الله ونحو ذلك وما المنفعة لهم في طعنهم عليك اسحبا بهم المقت والهلاك بذلك من الله تعالى وما يرجون باعراضهم عن تصديقك بعدما رأوا الايات ومن حمله على النظر فمعناه انهم كانوا يجلسون من بعيد فينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ويطعنون عليه بالسحر والافتراء من اساطير الاولين فيمكرون من يقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يبادر من الكفرة فان كان على هذا فتاويله كانه يقول لهم ما لهم يجلسون من البعد ناظرين اليك ولا يدنون منك ليستمعوا ما انزل اليك فينتفعوا به لكنهم متفرقون عن اليمين وعن الشمال يصدون الناس عن مجلسك وقد علموا ان لهم الى من يعلمهم الكتاب والحكمة حاجة اذ ليس عندهم كتاب ولا علم بالانباء المتقدمة ليعلموا انك بعثت بالعلم والحكمة دون السحر والكهانة فان هذا الوجه والعتاب لمكان التحريف والتبديل والله اعلم وقوله عز وجل ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم قوله ايطمع حرف استفهام وقد ذكرنا ان حرف الاستفهام ممن لا يفهم ايجاب ثم اختلف في وجه الايجاب فمنهم من يقول معنى قوله ايطمع اي لا يطمع كل امرئ بعبادتهم الاصنام والاوثان ان يدخلوا جنة نعيم اذ هم منكرون للبعث والجنة والنار ثم مع هذا يعبدون الاصنام ويعبدونها وان كان لا طمع لهم في نصرها الى شيء في العاقبة ولا يرجون منها العواقب فيكون في هذا ترغيب للمؤمنين على القيام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يطمعون نيل الجنة والكرامة من الله تعالى والنجاة من النار بنصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعبادتهم الله تعالى كانه يقول انهم لا يطمعون نيل شيء ولا يخافون عن شيء في العاقبة ثم يقولون بنصر الاصنام فانتم احق بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ تطمعون نيل الجنة والدخول فيها بنصركم اياه والله اعلم ومنهم من حمله على ايجاب الطمع وهو انهم كانوا يطمعون دخول الجنة ونيل نعيمها اذا رجعوا الى ربهم ظنا منهم انهم اذا ساووا المسلمين في نعيم الدنيا وسعتها فكذلك يساوونهم في نعيم الاخرة كما قال الله عز وجل خبرا عنهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقال ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية هكذا ظن الكفرة انهم ان رجعوا الى ربهم فيجدون عنده خير منقلب فقال تعالى كلا انا خلقناهم مما يعلمون

فقوله كلا على هذا التاويل رد لاعتقادهم وقطع لاطماعهم فقال كلا اي لا يدخلونها قط ثم استانف
اللام فقال عزوجل انا خلقناهم مما يعلمون وعلى التاويل الاول كلا بمعنى حقا انهم لا يطمعون ثم استانف
بقوله انا خلقناهم مما يعلمون اي تلك النطف فذكرهم بهذا عظيم نعمه واحسانه اليهم بان اخرجهم
منها ونقلهم من حال حتى صاروا بشرا سويا ليعلموا انه لا يتركهم سدى بل يمتحنهم ويتادى منهم شكر ما
انعم عليهم فيوجب ذلك تصديق الرسل وفيه تذكير قدرته وسلطانه وبيان ضعف ابتدائهم ليعلموا ان من
قدر على انشائهم لقادر على ان يحييهم بعد ما افناهم والله اعلم وقوله عزوجل فلا اقسم برب المشارق
والمغارب الاية ذكر المشارق والمغارب ذكر السموات والارض وفي ذكرها ذكر اهل السموات والارضين
فيكون معناه فلا اقسم برب الخلايق اجمع ويكون حرف لا زائدة في الكلام تاكيدا للقسم على ما يذكر فيكون
معناه فلا اقسم ثم حق هذا القسم ان يقول مكان قوله رب المشارق والمغارب فلا اقسم من الله تعالى
هذا هو ظاهر الكلام في متعارف اللسان ولكن يحتمل هذا وجوها ان يكون هذا القسم من النبي عليه السلام
كانه امر ان يقسم به ويقول له قل يا محمد فلا اقسم برب المشارق والمغارب وان كان هذا قسما من الله تعالى
فهو مستقيم ايضا من وجهين احدهما على الاضمار كانه قال فلا اقسم بي وبارب المشارق والمغارب
والثاني وان كان هذا القسم من الله تعالى يستقيم بلفظ المغايبة كما يستقيم بلفظ الحاضر لان الخلق
كله لله شهود وليس هو شاهدا للخلق فيخرج الكلام بينهم على مخاطبة الغايب ومرة على الوجه الذي يخاطب
به الشاهد ومثل هذا مستعمل في متعارف اللسان والله اعلم وفي الاية دلالة على ان ملك السموات
والارضين وتدبيرها واحد اذ لو لم يكن لكان لملك السماء ان يمنع الشمس والقمر والكواكب من ايصال
النفع الى اهل الارض ويكون لملك الارض ان يمنع ملك السماء من الاغراب في الارض ثم الذي يشرق
ويغرب منه خلق يجري على ما جرى عليه التدبير جريا واحدا لم يقع فيه تغيير ولا تبديل ولو كان لله
تعالى فيه شريك لكان لا بد من وقوع التغيير فيها فثبت ان تدبير السموات والارضين وتدبير سلطانها
راجع الى الواحد وقوله عزوجل انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم هذا موضع القسم فجائز ان يكون
اريد به اي نبدل الخير منهم فيجعل مكان ما كانوا من الشر خيرا كقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في
الارض كلهم جميعا وقد فعل ذلك لانهم اسلموا ويحتمل ان يكون اراد به ان يبدل قوما خيرا منهم
ثم هذا يخرج على وجهين احدهما على تحقيق القدرة والثاني ان يكون معنى القدرة ارادة الفعل
اما الاول ففعلى وجهين احدهما على معنى تخويف اهل مكة انهم ان لم ينتهوا عن ذلك انزل الله تعالى
مكانهم من هو خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبدل لا يكون الا بعد المبدل عنه وقد فعل الله
تعالى ذلك بهم اهلك المعاندين منهم وابدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اولادهم والمهاجرين منهم
والانصار الذين اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه والثاني انا كنا قادرين على ان نجعل الرسل
اليهم خيرا اذ قد علموا من قدرة الله عزوجل وانه هو الذي خلقهم وانشاهم لكن انما ارسل اليهم وامرهم
لحاجات انفسهم لا لنفع يرجع اليه ليس على ما عليه ملوك الدنيا لكنه انما امتحنهم بالامر ليسعوا
في نجاة انفسهم ونهاهم ليكفوا رقابهم عن النار فيكون فيه تسكين قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند
وجده عليهم حيث لم يؤمنوا واما الوجه الثاني ان يكون معنى القدرة ارادة الفعل خاصة اذ قد
يكنى بالقدرة اذ هو سبب الفعل كالامر المعتاد بين الخلق يامر رجل اخر يفعل فيقول لا استطيع ولا
اقدر اي لا افعل وعلى هذا تاويل قوله عزوجل انا لقادرون اي لفاعلون من هو خير لرسول الله بدلا
عن هؤلاء فان كان على هذا فيكون فيه بشارة لرسول الله بدلا عن هؤلاء فان كان على هذا فيكون فيه
بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجعل له اصحابا يرضاهم ويكون فيه اخبار الله عزوجل له بالنصر
والغلبة على المكذبين منهم ويكون فيه انباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا ينفذ فيه مكرهم وان
اجتهدوا ويكون فيه اعلام انه ينتقم منهم له ويعذبهم وقد فعل ذلك كله بحمد الله عزوجل والله المستعان
حيث بدل على اهل مكة اهل المدينة وكانوا خيرا منهم لان اهل مكة كانوا عليه واهل المدينة كانوا له
فكانوا هم خيرا وقوله عزوجل وما نحن بمسبوقين والمسبوق المغلوب فكانه قال لا يسبقنا احد و
ولا يعجزنا احد عن ذلك ولا يفوتنا ما نريده وقوله عزوجل فذرهم يخوضوا ويلعبوا قال ابو بكر
الخائض المخبر واللاعب الخاطي فقوله فذرهم اي دعهم فيما هم من خطاياهم وتحيرهم في
دينهم فكل من اشتغل بما لا يحتاج له فهو خائض لاعب واصله ان كل مراد لا عاقبة له محمودة فهو فيه
لاعب لاهي كقوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اي من يعمل في الحيوة الدنيا للدنيا لا للاخرة فهو لاعب
لاهي وكان هذه الاية رسالة قوله فما للذين كفروا قبلك مهطعين الاية امره بان لا يشتغل باولئك ويقبل
على من يرجو منهم الايمان او امره بان لا يشتغل بمكافاتهم بسوء صنيعهم وان الله سينصره عليهم في
بكا فيه عنهم وقوله عزوجل حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون قد لاقوا ذلك اليوم وهو يوم بدر وسلا
قوله اليوم الثاني وهو يوم الاخرة بتركهم الاجابة فلما رعوا في ذلك اليوم الى اجابة الداعي رجاء ان

قد يكنى بالقدرة عن الفعل

تخلصوا من العذاب الذي حق عليهم بترك الاجابة وذلك لا ينفعهم وان وجدت منهم التوبة والرجوع
عن تلك الاجابة لان ذلك اليوم ليس بيوم ينفع فيه الندامة والتوبة وانما هو يوم تجزى فيه كل نفس
بما كسبت وهذا كقوله فلما راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فاخبر انهم يفزعون
الى الايمان بالله تعالى لما ايقنوا انهم انما حل بهم البأس باعراضهم عن الايمان فيفزعوا عند ايقانهم العذاب
الى الايمان رجاء ان يتخلصوا من العذاب فلم ينفعهم ذلك ولم يغنهم من عند الله شيء اذ ذلك الوقت
قبول التوبة فيكون هذا تحريضا بالاسراع الى اجابة الداعي والايمان بما يدعوا اليه قبل ان يؤمنوا
ايمانا لا ينفعهم والله اعلم وقوله عزوجل كانهم الى نصب يوفضون قرئ بنصب النون وجزم الصاد
وهو اسم العلامة كالعرض واشباهه وقرئ بضم النون وهو اسم الصنم فان كان على العلامة فمعناه
انهم يسارعون في ذلك الوقت الى اجابة الداعي مسارعة من يسرع في هذه الدنيا الى الغرض والعلامة
المنصوبة كذا قال بعض اهل التاويل ذكر عن الكلبي الى نصب يوفضون الى علم يسعون وقال قتادة الى
علم يستبقون وعن مجاهد الى علم ينطلقون فان كان على الثاني فمعناه انهم يسرعون الى اجابة الداعي
في ذلك كسرعتهم الى عبادة النصب عند خوفهم فوت عبادتها وعند اجتماع عبادها عندها لانهم
يبتدرون نصبهم حتى يستلموها ومنهم من ذكر ان النصب برفع النون والصاد هي الاغراض التي يستبقون
اليها ومن تاول هذا فهو يجعل النصب ههنا جمع النصيب وقوله يوفضون اي يسرعون وقال
الحسن اي يرملون وهما واحد لان الاسراع في الرمل موجود وقوله عزوجل خاشعة ابصارهم
فيحتمل ان يكون هذا على نفس الوجوه وصفة خشوعها ما قال في اية اخرى لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم
هواء فيخشع خشوعا لا يملك صرف طرفه عن الذي فيه ان الذلة قد احاطت بهم حتى اثرت في الابدان
والوجوه وفي كل عضو وجائز ان يكون هذا على بصر القلوب وهو ان قلوبهم يشتغل باجابة الداعي
عن بصر لنفسها حيلة تخلص من اهوال ذلك اليوم وشدايدها وقوله عزوجل ترهقهم ذلة اي
تعلوهم والذلة الحالة في النفس يبدو ظهوره من الابصار وقوله عزوجل ذلك اليوم الذي
كانوا يوعدون وحقه ان يقول هذا اليوم الذي كانوا يوعدون لانه اضاف الى اليوم الذي كانوا
يوعدون لانه اضاف الى اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا ولكن معناه كانوا يوعدون ان ذلك
اليوم في الوقت الذي كانوا يوعدون غير موجود فيعتبر به كما يعتبر الغائب والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان
انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم في ذكر نبأ نوح عليه السلام دلالة رسالته واثبات
نبوته لانا ذكرنا ان هذا لم يكن من علمه ولا علم قومه ولم يختلف النبي صلى الله عليه وسلم الى
من عنده علم به فيتعلمه منه فعلم انه بالله تعالى علمه لا باحد من خلقه فيكون فيه الزام الحجة عليهم
وفيه اعلام رسول الله عليه السلام ما لقي نوح عليه السلام من قومه ليصبره ويدلك على اذى
قومه اذ السورة مكية ثم امره بالانذار ولم يذكر معه البشارة فكذلك قال نوح عليه السلام
اني لكم نذير مبين ولم يقل بشير وقد كان بشيرا ونذيرا فجائز ان يكون اقتصر على ذكر النذارة لان
في ذكرها ذكر البشارة وذلك انهم اذا استوجبوا العذاب اذا داموا على ما هم فيه من الضلالة
وعبادة غير الله تعالى بهم اذا انتهوا عن ذلك استوجبوا العفو واستيجاب العفو وقوع البشارة
فاذا كان ذكر احد الوجهين يقتضي ذكر الاخر اكتفي بذكر احدهما عن ذكر الاخر وجائز ان يكون خص
النذارة بالذكر لان الحال كانت حال الانذار لانهم كانوا معرضين عن طاعة الله تعالى ومقبلين
عن عبادة غيره فكانوا مستوجبين للنذارة ولم يكونوا من اهل البشارة وانما يصيرون من اهلها
اذا انتهوا عما هم عليه فيكون قوله انذر قومك ان داموا على ما هم عليه وفي هذا دلالة على ان
المراد اخا اخذ غير طريق فالسبيل فيه ان يفسد مذهبه ثم اذا اظهر فساده عنده امره باتباع
سبيل الهدى وبين له الحجج والدلائل لينجع فيه ذلك ليس ان يحتج عليه بالحجج مذهب الحق قبل ان
يبين له فساد ما هو فيه فان ذلك لا ينجع فيه ولا يدعوه الى قبول الحق والتزامه بل يبين له قبح ما هو
فيه وفساد ما اعتقده فاذا بان له ذلك يحتاج الى ان يسأله عن سبيل الهدى فيه ليعرفه بالتعليم
ثم الاصل ان الدنيا هي سبيل الاخرة والضلال سبيل يفضي بمن سلكه الى العذاب الدائم والهدى
سبيل يفضي الى الثواب الدائم فالنذارة هي تبيين ما ينتهي اليه عاقبة من يلزم الضلال والبشارة هي
تبيين ما ينتهي اليه عاقبة من يلزم الهدى وان شئت قلت ان النذارة هي ان يبين عسر ما يحل به
في العاقبة والبشارة هي ان يبينه بما يصير اليه في العاقبة من اليسر ثم في قوله عزوجل ان انذر قومك

من قبل ان يأتيهم عذاب اليم دلالة ان الحجة لا تلزم الخلق قبل ان يأتيهم النذير فلا يخافون نزول
العذاب بهم قبل ان يأتيهم النذير دل ان الحجة لازمة عليهم وان الله تعالى ان يعذبهم لتركهم التوحيد
وان لم يرسل اليهم الرسل فيكون تاويله قوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا على عذاب
الاستيصال في الدنيا ليس على عذاب الاخرة والله اعلم وقوله عز وجل قال يا قوم اني لكم نذير مبين اى
بما يقع به الانذار والتخويف فيكون الابانة منصرفة الى النذارة ويحتمل ان يكون هذا الوصف
راجعا الى نفسه خاصة كانه قال نذير لكم مبين اى انا ظاهر في دعائي اياكم الى عبادة الله تعالى وانذاركم
من عند نفسي ولكن بما اقتضى الله تعالى وولاني ذلك ثم الاصل في الانذار نهيا وفي النهي امرا لكن
الانذار يقتضي نهيا وكيدا او نهيا الوكيد يقتضي الامر بالخلاف امرا وكيدا واما البشارة فهي يقتضي الامر
الوكيد وغير الوكيد لانه يستوجب البشارة بكل خير يفعله وان كان للمترك ذلك الخير يخبر اخوابا فيه
فلا يفهم بنفس البشارة الامر الوكيد ويفهم بتصريح النذارة تاكيد الوجهين اللذين ذكرناهما
واذا كان كذلك فمطلق البشارة لا يدل على تحقيق النذارة فهي يدل على البشارة لان النذارة على ما هو
هو فيه في الفعل يلزم النهي واذا انتهى عنه فقد حصل العفو وفي حصول العفو ارتفاع ما خوف وذهاب
وقوله عز وجل ان اعبدوا الله واتقوه فكانه قال انذرهم على عبادة غير الله وامرهم بعبادة من يحق
العبادة وهو الله تعالى اذ الامر بالانذار يقتضي النهي بما هم عليه ويدعوا الى خلاف ما بين لهم الخلاف
الذي دعوا اليه لقوله عز وجل اعبدوا الله واتقوه وقيل اعبدوا الله اى وحدوه وقال كل عبادة
جرى بها الامر في القران على الارسال فهي منصرفة الى التوحيد فكان الذي حملهم على هذا التاويل ان
الايات التي فيها امر بالعبادة نزلت في اهل الكفر لانه خاطب بقوله عز وجل يا ايها الناس اعبدوا
ربكم ولم يخاطب بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اعبدوا ربكم اذ ثبت انها في اهل الكفر والكافر
اول ما يؤمر يؤمر بالتوحيد ليس يخاطب بعبادة اخرى سواه لانه ما لم يات بالتوحيد لم يقبل منه
شيء من العبادات فجعلوا تاويل العبادة التوحيد لهذا لا ان يكون العبادة عبارة عن التوحيد
خاصة بل العبادة يراد بها التوحيد مرة اذا ذكرت عقيب الكفر واذا ذكرت في اهل الايمان
فالعبادة منهم ان يفوا بما ملة ما اعتقدوه بالقول وان يخرجوا ما وعدوا من انفسهم وهذا كما ذكرنا
في اقامة الصلوة وايتاء الزكوة انهما اذا ذكرتا في اهل الكفر انصرف المراد من ذلك الى الاعتقاد
لا الى الفعل لانهم ليسوا من اهل الفعل واذ ذكرنا في اهل الاسلام اريد بالاقامة والايتاء ايجاد
الفعل فكذلك الحكم في العبادة بقوله اعبدوا الله اى وحدوه واتقوه اى اتقوا الاشراك في عبادته
واطيعوني فيما امركم به من توحيد الله تعالى وان لا تشركوا به شيئا وجائز ان يكون قوله واتقوا
اى اتقوا المهالك كلها واتقوا النار كما قال الله عز وجل واتقوا النار كما قال الله عز وجل واتقوا النار
التي اعدت للكافرين وقوله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا واتقوا اذا ذكر على الانفراد ومرسلا
اقتضى الانتهاء عما فيه الهلاك واقتضى الامر بالعبادة والطاعة واذا جمع بين العبادة والتقوى
كانت العبادة انصرفت الى اتيان الافعال وانصرف التقوى الى اتقاء المهالك وهو كما قلنا
في البر والتقوى ان كل واحد منهما اذا ذكر مفردا اقتضى ما يقتضيه الاخر واذا اجتمعا في الذكر يرى
احدهما الى جهة والاخر الى جهة اخرى وكذلك الاسلام والايمان اذا افرد بذكر احدهما يكون
معنى كل واحد منهما هو معنى الاخر واذا اجتمعا في الذكر صرف كل واحد منهما الى جهته على حده وقال
الحسن في قوله عز وجل واتقوه اى اتقوا الله في حقه ان تضيعوه فهو يجمع ما يؤدي وما يتقى
ثم الاصل ان الطاعة قد يكون لمن سوى الله والعبادة لا يكون الا لله تعالى فلذلك قال
عند الامر بالعبادة اعبدوا الله فاضافها الى الله تعالى واضاف الطاعة الى نفسه بقوله واطيعون
ففيه دلالة ان ليس في الطاعة لاخر اشراك بالله تعالى في الطاعة بل الله تعالى جعل الاشتراك
في الطاعة بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وذم من يعدل بالله تعالى في العبادة بقوله تعالى
بقوله وهم بربهم يعدلون فالعبادة كانها تقتضي الخضوع والتضرع على الرجاء والخوف
والله تعالى هو الذي يرجى منه ويخاف من نقمته فاما الطاعة فهي تقتضي نفاذ على الامر لا غير على
ذلك لما صرفت الكفرة الرجا والخوف الى الاصنام بقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله سموا عبادا للاصنام فكل من يفعل الفعل على الخوف
والرجا فذلك منه عبادة له وقوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم ان صرفت قوله اتقوه الى
اتقاء الشرك يرجع قوله يغفر لكم من ذنوبكم الى ما سلف من الذنوب في حالة الشرك كقوله
عز وجل ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان صرفته الى سائر وجوه المهالك رجع الى التالف
والى الانف جميعا وهو كقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فيكون قوله من صلة على ما ذكره
اهل التفسير ومعناه يغفر لكم ذنوبكم وجائز ان يكون قوله من التحقيق ليس على حق الصلة لانه

قد يكون

قد يكون من الذنوب يؤاخذ بها بعد الاسلام وهي التي يكون بينه وبين الخلق من القصاص وغيره
فالماء ثم بالقتل وان زال عنه بالتوبة فان القصاص لا يرتفع عنه وقوله عز وجل ويؤخركم الى اجل
مسمى فجائز ان يكون القوم كانوا يخافون على انفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح
عليه السلام فيخرج قوله ويؤخركم الى اجل مسمى مخرج الامان لهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل
الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا اذ يكون معناه انكم ان اسلمتم يفسح الى انقضاء اجالكم المسمى بالمين
امنين لا تهابا كعدوكم ان يمكروا بكم وقوله عز وجل ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون وقال
في موضع اخر فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وجائز ان يكون قوله لا يستأخرون
اى لا يتاخرون عن اجالهم او لا يؤخرون بما يطلبون من التاخير فيكون في هذا ايأسهم انهم لا يؤخرون
اذا طلبوا التاخير قال الله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني
الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين فاخبر جل جلاله ان الموت اذا اتاه طلب التاخير ليبدل
ما طلب منه البدل قبل ذلك من التصدق والايمان به فقطع عنهم طمعهم بقوله ولن يؤخر الله نفسا
اذا جاء اجلها وبقوله لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وبقوله ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وهذه
الاية تنقض على المعتزلة قوله لانهم يقولون بان رجلا لو جاء وقتل ليس بغيره اخرفانما قتله قبل
انقضاء اجله والله تعالى يقول لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون والاصل ان الله تعالى اذا علم
انه يقتل فانما يجعل فانما يجعل انقضاء اجله بالقتل ليس بغيره لانه لا يجوز ان يجعل انقضاء اجله بموت
حتف نفسه ثم ينقض اصله بغير ذلك لانه لو جاز هذا لادى ذلك الى الجهل وقوله عز وجل لو كنتم تعلمون
اى لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء اجالكم لكنتم تبدلون الحال ما اريد منكم لئلا يحل بكم
العذاب او ان يكون معنى قوله ان اجل الله اذا جاء اى اجل العذاب اذا حل وقع لا محالة فلو علموا
بوقوعه لا محالة لا وتدعوا عنه وقوله عز وجل قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا يحتمل ان يكون
هذا من نوح عليه السلام بعد ان اخبر انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فيكون القول منه قول
معتذر انه لم يقصر في دعوة قومه الى الاسلام وانه قد دعاهم الى الاسلام في كل وقت وحال وانه
قد ابلى عذره في ذلك وانما جاء التفريط والتعدي من جهة قومه ويحتمل ان يكون هذا منه على الاشفاق
والرحمة والتعرض لاستنزال اللين والرحمة لعل الله تعالى بلطفه يلين قلوبهم فينقادوا للحق ويرغبوا
في الاجابة ليتخلصوا من العذاب ويستوجب المغفرة من ربهم فهو يخرج على احد هذين الوجهين ان
كان قبل الاخبار فهو على التعرض منه لاستنزال اللين والرحمة وان كان بعده فهو على ابلاء العذر لا
على الدعاء والرجاء بان يلين قلوبهم بلطفه فينقادوا للحق اذ لا يجوز ان يخبر الله تعالى انهم لا يؤمنون
وهو يطمع منهم ان يؤمنوا ثم قوله اني دعوت قومي ليلا ونهارا اى دعوت في كل وقت وكل ساعة
من الليل والنهار امكنني فيه الدعاء وقوله عز وجل فلم يزدهم دعائي الا فرارا دل اصل هذا ان عداوتهم
كانت قد استبدت لنوح عليه السلام وكانوا قد استثقلوه وابغضوا كلامه فحدث لهم ببغضهم
كلامه واستثقالهم اياه معنى حملهم على الفرار فنسب ذلك الى الدعاء لان حدوث ذلك المعنى كان
عند وجود الدعاء فنسب الى الدعاء على معنى المجاورة والقرب لا ان يكون الدعاء في الحقيقة
سببا لزيادة الفرار وهو كقوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والقران
لم يجعل سببا لزيادة الرجس ولكنهم لما احدثوا بغضا عند ما تلى عليهم القران فحدثت لهم بذلك معنى
حملهم على ذلك الوجه فاضيفت تلك الزيادة الى القران اذ عند ذلك حدث ذلك السبب الزائد في
الرجس فنسب اليه على معنى المجاورة قال الله تعالى فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وهم
لم يكونوا ملنسيين بل كانوا مذكورين يذكرونهم مرة بعد مرة لكن بغضهم اياهم واتخاذهم سخريا
اوقع لهم النسيان فنسب اليهم الانساء فعلى ذلك لما ابغضوا واستثقلوا كلامه ودعاءه احدث
لهم ذلك البغض زيادة نفار وجحود ثم سبب النفار الى الدعاء الوجه الذي ذكرنا لا ان يكون
الدعاء في الحقيقة منفرا وقوله عز وجل واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا
ثيابهم وقال في موضع اخر الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود الى قوله فردوا ايديهم
في افواههم فيجوز ان يكون هذه الاية فيما يدعون رؤساءهم واشرافهم والاجلة منهم فاذا
دعاهم ردوا ايديهم في افواه الانبياء عليهم السلام وضربوهم على ما ذكر في الاخبار واما الا
الاتباع منهم والمقلدون لهم كانوا يجعلون اصابعهم في اذانهم ويغطون وجوههم ورؤسهم
كي لا يسمعوا كلامه فيقع شيء منها في قلوبهم لماخذ رهم رؤساءهم عن ذلك او يكون هذا في طائفة
منهم وهذا في طائفة اذا كان ليس من قوم اوقبل على اخرين فاختلفت معاملتهم معه على ما كان
من امر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم هذا يحتمل وجهين احدهما على التحقيق ما ذكرنا اليؤيسهم من
الاجابة والثاني جائز ان يكون على التمثيل فضرب مثلهم في تركهم الاجابة مثل من جعل اصبعه في

اذنيه واستغشيتهم ثيابهم لئلا يسمع ولا يجيب وهو كقوله عز وجل فنبذوه وراء ظهورهم ولم يوجد منهم نبذ ولكنهم اعرضوا عنه اعراض من نبذه وراء ظهره وكذلك في قوله عز وجل فردوا ايديهم في افواههم على التمثيل ومعناه انهم تركوا الاجابة الى ما دعوا اليه ترك الاجابة من الذي يرد يده في فيه لئلا يتكلم والله اعلم وقوله عز وجل واصروا اي داموا على ما هم عليه وثبتوا على كفرهم وقال قتادة واصروا اي صالحوا في وجوه الانبياء عليهم السلام ردا عليهم او مغالبة في الدعاء كقوله والغوا فيه لعلكم تغلبون وقوله عز وجل استكبروا استكبارا اي استكبروا عن طاعة الله تعالى وامتنعوا عن الاجابة لرسوله عليه السلام وقوله عز وجل ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ففي هذا اخبار انه دعاهم الى عبادة الله في كل وقت تهيأ له من ليل ونهار ولم يقصر فيها ودعاهم في كل وقت وجاء الاجابة منهم ويحتمل اني دعوتهم جهارا اي اذا بعدوا مني وازدحموا واكثروا قدامهم جهارا ليعمهم الدعوة وقوله عز وجل واسررت لهم اسرارا اذا قربوا منه وقلوا فلما ادخلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم اعلن في الدعاء ثم جائز ان يكون الجهر والاسرار منصرفا الى الدعوة ويكون الاعلان املانا بالحجج واظهارا للبينات والى هذا يذهب ابو بكر الاصم وقوله عز وجل فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا فالاستغفار طلب المغفرة بما ذكر من قوله عز وجل اعبدوا الله واتقوه واطيعون فيكون هذا منه امرا لهم باتيان الايمان الذي هو سبب المغفرة لا امرا بسؤال المغفرة نفسه من الله تعالى اذ الاستغفار كل قوم يرجع الى احوالهم فاذا كانوا كفرة فهو الايمان بالله تعالى وان كانوا اصحاب ذنوب فالتوبة الى الله تعالى عز وجل وان كانوا مخلصين فما سلف من ذنوبهم مما يعلموها ونحو ذلك وقوله عز وجل يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا فيحتمل انما قال هذا لانهم كانوا في شدة عيش وضيق حال فوعدهم ان انتهوا عن الكفر واجابوا الى ما يدعوهم اليه غفر الله لهم ذنوبهم وارسل السماء عليهم مدرارا فيتوسعوا به على ما قال به بعض اهل التأويل ان الله تعالى قد حبس عنهم المطر وعقمت ارحام نسائهم وهلكت مواشيهم وجنانهم الثمار اربعين سنة ثم اهلكوا بعد ذلك وكانوا كلهم كفارا ليس فيهم صغير فلذلك كان نوح عليه السلام يعدهم ومن الناس من يترك الايمان خشية هذا فاخبر عز وجل ان الذي هم فيه من رغد العيش لا ينقطع عنهم بالاسلام بل يرسل عليهم المطر من السماء مدرارا متتابعا ويمددهم باموال وبنين مما يجعل لهم من الجنان والانهار لكن ذوو الالباب والعقلاء ينظرون الى حسن العاقبة وما اليه مودة دون الحال فذلك الذي يرغبه فيه ولذلك اختلفت دعوة النبي عليه السلام لان منهم من يترغب بكثرة امواله ونيله ومنهم من رغبه في الاخرة فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وقال هل انبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم الاية ونظير الاول كقوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض والاصل ان الرسل عليهم السلام بعثوا مبشرين ومنذرين واعين زاجرين محتجين مدحضين فما بلوا عليهم من اتباع الاولين دخل فيهم جميع الاوجه الثلاثة اذ النذارة والبشارة مرة تقع بالابتداء ومرة ما نزل بالمتقدمين المصدقين منهم والمكذبين انه كيف كان عواقب هؤلاء وهؤلاء وكذلك الدعاء والحجة يكون مرة بابتداء الدعاء والزجر وبذكر الامم السالفة وان الرسل كيف كانوا يدعونهم ثانيا والله اعلم وقوله عز وجل ما لكم لا ترجون لله وقارا وقال ابو بكر الاصم تأويله كيف لا ترجون لله ثوابا فتعبدوه فيثيبكم بها وقد علمتم ان الخير كله في يده وان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم نفعا ولا يدفعون عنكم ضرا فجعل قوله وقارا مكان عبادة والله اعلم وقال غيره ما لكم لا ترجون لانفسكم عند الله منزلة وشرفا وقدرا وقال بعضهم اي ما لكم لا تخافون عظمة الله وقدرته عليكم فتنتهون عما نهاكم وتأتون ما امركم به وحمل الرجاء على الخوف لما قد ذكرنا ان الرجاء المطلق يقتضي الخوف والرجاء جميعا وكذلك الخوف المطلق يقتضي رجاء والله اعلم والاشبه بالتأويل عندنا ان الرجاء لله تعالى على مثال الغضب لله والحب لله والبغض لله اي ما لكم لا تسعون سعي من يرجوا ما عند الله على الوقار والهيبة بعد ان شاهدتم من نعم الله تعالى واحسانه اليكم من خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر وما ذكر من منته في الايات التي يتلوها وذلك ان المرء اذا سعى لاخر على غير رجاء او لم يرجوا احدا يحتقره ما لزمهم نوح عليه السلام سعي من يرجوه على التوقير والهيبة على ما عليه في الناس هذا ان التاجي للملوك والكبراء على الرجاء كيف يكون منهم توقيرهم اياهم وهيبتهم والله اعلم وقوله عز وجل وقد خلقكم اطوارا فمن حمل قوله لا ترجون لله وقارا على حقيقة الرجاء فتأويله كيف لا ترجون ان يعظم قدركم عند الله عز وجل اذا اجبتم الى ما دعاكم اليه وفيما ذكر من خلقه اياهم اطوارا تذكرهم حسن صنيعه لهم فيما قبلهم من حال من اول انشائهم الى حالهم التي هم فيها وكيف لا ترجون احسانا في حادث الاوقات اذا

بما ذكرنا والله اعلم ويحتمل ان يكونوا هانوا انقطاع النعمة عنهم بالاجابة وزوال السعة عنهم بالاسلام

اقبلوا على طاعته

اقبلوا على طاعته واشتغلوا بعبادته وان كان قوله عز وجل لا ترجون لله وقارا على الخوف ففيما ذكر من قوله عز وجل وقد خلقكم اطوارا تذكير العظمة والسلطان والقدرة وهوانه وبركم في ظلمات الثلاث ولم يخف عليه احوالكم فيها بل قلبكم من حال الى حال كيف شاء فكيف يخفى عليه افعالكم في حال بروزكم وظهوركم فيكون في ذكر هذا تنبيه ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء من اعمال الخلق فيدعوا ذلك ما الى المراقبة ويلزم التيقظ والتبصر في كل حال لئلا يتعدى حدود الله ولا يضيع حقوقه فيحمل به الى تهلكه فاذا من التاويل على الرجاء كان فيه تذكير عظيم نعمه عليهم من اول ما انشاهم الى الوقت الذي انتهوا اليه فيحملهم ذلك على طلب ما يشرف قدرهم عند الله تعالى ويحمد عاقبتهم وان حملته على الخوف كان فيه تذكير القدرة والسلطان فيحملهم على المراقبة والاتقاء في حادث الاوقات ومن حمل قوله عز وجل وقارا على العبادة فهو يخرج على غير الوجهين اللذين ذكرناهما في الخوف والرجاء اذا صرف اليهما التاويل كانه يقول ان الذي خلقكم اطوارا قد تعلمون انه حكيم ومن هو حكيم لا يسفه وتركه سدى لا يأمركم ولا ينهاكم ولا يستادي منكم شكر النعم سفه فيكون في ذكر هذا ترغيب في العبادة واخلاص الطاعة ويكون في ذكر هذا ايضا تثبيت الربوبية والزام القول بالوحدانية لانه انشأهم من اول ما انشأهم نطفة ثم علقة ثم مضغة الى ان خلقهم بشرا سويا فلو لم يكن المدبر والمنشئ واحدا لكان يعجز عن تقليبه من حال الى حال لانه اذا اراد ان ينشئ من النطفة علقة ومن العلقة مضغة كان للاخر ان يمنعه عن تدبيره فلما تهيأ له انشاء علقة ولا مضغة فارتفاع المانع دليل على ان لا مدبر سواه ولا خالق غيره فاذا ثبت انفراده بما ذكرنا ثبت انه هو المستحق للعبادة من الخلائق وقال بعضهم معنى قوله وقد خلقكم اطوارا اي مختلف الاخلاق والصور والالوان والالفاظ والاصوات والنغم حتى لا يرى احدا يشبه اخر بجميع خلقته وهذا من عظيم ما يستدل به على قدرته وحكمته والله الموفق وقوله عز وجل الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا قد ذكرنا ان قوله الم تروا يقتضي تذكيرا مما عرفوه فاغفلوا عنه فقد يقتضي تذكير اعجوبة لم يسبق من الخلائق العلم بها يقول قدروا ان خلق سبع سموات طباقا بغير علائق فوقها ولا اعمدة تحتها ومن قدر على خلق مثله لقادر على خلق كل ما يريد فيكون فيه ايجاب القول بالبعث اذ اعادتهم ليس باعسر من خلق السموات في تقدير عقولكم ومن قدر على خلقهن لقادر على البعث والله الموفق وقوله عز وجل وجعل القمر فيهن نورا منهم من يذكر انه جعله نورا في السماء الدنيا واضافه الى جملة السموات وقد يجوز ايضا ان يضاف الشيء الى العدد وان لم يكن يوجد ذلك الا في البعض يقال في سبع قبائل مسجد واحد والمسجد اذا كان واحدا فهو لا يكون في سبع قبائل وانما يكون في قبيلة واحدة ويقال فلان يتوارى في دور قومه وهو لا يكون متواريا في دور قومه وهو لا يكون متواريا في واحدة منهن ثم اضيف التواري الى الجملة فكذلك اضاف نور القمر الى السموات السبع و ان كان القمر في سماء واحدة ومنهم من ذكر ان نور القمر قد اختلط بجميع السموات وزعم ان وجهه الى السموات وظهره الى اهل الارض ولهذا ما يحمل عليه الستر من السحاب وغيره فاما نور وجهه فانه لا يستره شيء من الستر لكن هذا مما يعرف بالخبر فان صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر فذلك هو والا فالامساك عن مثله احق وقوله عز وجل وجعل الشمس سراجا فذكر السراج ها ها هنا مكان الضوء في موضع اخر وهو قوله عز وجل وجعل الشمس ضياء فذكر في القمر نورا وفي الشمس الضياء لان القمر يكون في وقت الحاجة الى النور وذلك في ظلمة الليل ثم الله تعالى انشأ الليل ليسكن فيه لكن قد يبدو للخلائق بالليل حوائج يحتاجون الى قضائها فمن الله تعالى عليهم بنور القمر ليتوصلوا بنوره الى قضاء حوائجهم وجعل الشمس ضياء ليختطف ضوؤها نور الليل ويغلب عليه ولا يختطف نور النهار نور الشمس والله اعلم وقوله عز وجل والله انبتكم من الارض نباتا يجوز ان يكون اضاف الانبات الى الارض ويرد ذلك الى الاصل الذي خلق من التراب وحده ثم منه لا ان يكون خلق الجملة من التراب وهو كقوله عز وجل وفي السماء رزقكم والذي لنا في السماء هو المطر لا الذي يرزق به ولكن الذي يرزق به اصل المطر فنسب الى المطر لانه هو الاصل الذي يتوصل به الى الارزاق فكذلك الخلائق لما كانوا من نسل ادم عليه السلام وكان هو اصلا لهم اضيف النسل الى الذي حدث منه الاصل ويحتمل ان يكون يرجع هذا الى الكل في نفسه وذلك لان حيوة الابدان وقوامها بالذي يخرج من الارض ونبت منها من انواع الاغذية فاذا كان قوامها بما نبت منها فكانما انبتنا منها فاستقام ان يضاف الانبات اليها كما يستقيم ان يضاف خروج الثمار الى الارضين وان كان حدوثها من الاشجار اذ قوام الاشجار وبقاؤها بها فنسب ما يخرج منها الى الارض على التقدير الذي ذكرنا ففي قوله والله انبتكم من الارض نباتا على التاويل الاول اثبات القدرة على التاويل الاول اثبات القدرة على البعث والزام الحجة على من يجحد كونه لانه يذكرهم قدرته انه انشأهم من الارض ولم يكونوا شيئا فمن قدر على انشائهم من الارض بعد ان كانوا ترابا لقادر

على ان يعيدهم الى الحالة التي كانوا عليها من كونهم بشرا سويا وان صاروا عظاما ورفاتا لانهم كانوا يزعمون
ان كيف يعادوا خلقا جديدا بعد ان صاروا ترابا فاحتج عليهم بامر الابتداء من الوجه الذي ذكرنا
وان كان على التاويل الثاني ففيه تذكير نعمه انه قد اخرج لهم من الارض ما يعيشون به ويقيمون به
اودهم ويتادى منهم الشكر وفيه تذكير قوته وسلطانه ليخوفهم عقابه فيتقوا سخطه ويطلبوا
مرضاته وقوله عز وجل ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا فجمع بين الاعادة والاخراج بحرف الجمع وجعل
قوله عز وجل ويخرجكم في موضع ثم لان هذا الاخراج يكون بعد الاعادة الى الارض فيكون في هذا
دليل ان احد الحرفين وهو الواو قد يستعمل مكان ثم وقوله عز وجل والله جعل لكم الارض بساطا اي جعلها
كالشيء المبسوط الذي ينتفع بسطه ولو لم يجعلها كذلك لم يتوصلوا الى حوايجهم ولا الى انتفاع بها ففي ذكر
هذا تذكير بالله تعالى عليهم من عظيم المنة وقوله عز وجل لتسلكوا منها سبلا فجاجا قيل الفجاج الطرق الواسعة
وقيل السبل في السهل والفجاج الطرق في الجبال وهذا ايضا من عظيم نعم الله تعالى على عباده لان الله تعالى
قدر ارزاق الخلق في البلاد فلو جعل لهم في الارض سبلا لم يجدوا طريقا يسلكونه فيتوصلون به الى ما به
قوام ابدانهم فصارت الطرق المتخذة لما يسلك بها فضل الى حوايجنا والى معايشنا كالدواب التي سخرت
لنا فنتوصل بها الى حوايجنا وهذا يبين لك ان ملك اقطار الارض وتدبيرها يرجع الى الواحد القهار
لا ترى احوج الخلق في الانساب الى البلاد لاقامة اودهم وجعل لهم سببا يتوصلون الى ذلك فثبت ان
مالك الاقطار واحد وقوله عز وجل قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم وفيما دعوتهم اليه وقوله
عز وجل واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يشبه ان يكون المتبوعون هم الذين كثرت اموالهم
وحواشيهم استتبعوا من دونهم فيتبعوهم ولم يتبعوا نوحا عليه السلام وقد كان نوح يدعوهم الى اتباعه
فاخبر انهم لم يتبعوه وانما تبعوا من كثرت امواله واولاده وحواشيه فيكون منع الاية في الاتباع
انهم اتبعوا انهم اتبعوا اهلهم ورؤساهم ليس في رؤسائهم وما تقدم من الايات في اجابتهم من
دعاء نوح عليه السلام اياهم الى التوحيد وغيره ويحتمل ان يكون هذه الاية في الاجلة والضعفة
جميعا فيكون قوله تعالى واتبعوا اي اتبعوا من تقدمهم من اهل الثروة والغنا والذين وسعت عليهم
عليهم الدنيا وبسطت لهم ظنا منهم انهم احق بالله تعالى واقرب اليه في المنزلة والذي حملهم على هذا
وهو انهم لا يرون احدا في الشاهد يترك صلة وليه ويصل عدوه فيرون انه اذا بسطت على رؤسائهم
الدنيا وسع الله تعالى عليهم وضيق على هؤلاء ان اولئك اقرب منزلة واعلى حالا وانهم هم الاولياء وهم
يؤمنون بالاخرة وثوابها فكانوا يزعمون انه يوفر الجزاء على الاولياء والمحسنين في الدنيا وعموا ان
من وسع عليه الدنيا فهو احق ان يكون وليا لله تعالى حيث وصل اليه الجزاء فيها فهذا الظن هو الذي
حملهم على اتباع وقوله عز وجل الا خسارا وعلا كالذلك المتبوع فكانت تلك النعم التي ظنوا انهم اكرموا
بها بضيعهم سبب الخسار لهم ثم قوله عز وجل واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا كقوله
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا ثم قد بينا تاويل شكاية
الى الله تعالى من قومه فهذه الاية وتلك الايات في معنى تاويل الشكاية الى الله تعالى واحد وقوله عز وجل
ومكروا مكرا كبارا قال بعضهم انهم يمكرون ما يمكرون بالسنتهم حيث كانوا يدعونهم الى الكفر والصد
عن سبيل الله فكنى بالمكر عما قالوه بالسنتهم فكان ذلك مكرا كبارا اي قولا عظيما وجائز ان يكون على حقيقة
المكر وهو ان رؤساءهم مكروا باتباعهم حيث قالوا ان هؤلاء لو كانوا احق بالله تعالى منا لكانوا
هم الذين يوسع عليهم ويضيق علينا فاذا وسع علينا وضيق عليهم ثبت انا نحن الاولياء والاصفياء
دون غيرنا وهذا منهم مكر عظيم لانه يأخذ قلوب اولئك فيصدهم عن سبيل الله تعالى وجائز ان
يكون مكرهم ما ذكر انهم كانوا ياتون باولادهم الصغار الى نوح عليه السلام ويقولون لهم
اباك واتباع هذا فانه ضال مضل فكان هذا مكرهم بصغارهم وقوله عز وجل وقالوا لا تذرن
الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية هذه المقالة منهم كانت بعد ان انقادت لهم الاتباع واتبعتهم
الى ما دعوهم اليه من الاصنام فقالوا بعد ذلك لا تذرن الهتكم اي لا تذرن عبادتها وقوله عز وجل
ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هي اسماء الاصنام التي كانوا يعبدونها ثم
يحتمل ان يكون الذي بعثهم على عبادة الاصنام ما ذكره اهل التفسير ان قوم نوح اتخذوا هذه
الاصنام اول ما اتخذوها على صورة رجال عباد كانت هذه الاسماء اسماءهم فسموا الاصنام باسماء
العباد ليعتبروا بها ويجتهدوا في العبادة اذا نظروا اليها فلما مضى ذلك القرن الذي اتخذوها عبرة
وخلفهم قرن بعدهم قال لهم الشيطان ان الذين من قبلكم كانوا يعبدون هذه الاصنام فعبدوها
ومنهم من ذكر ان جسد ادم عليه السلام كان عند نوح يترك كل مؤمن في زمانه ان يدخل فينظر الى
جسد ادم عليه السلام ومن لم يكن مؤمنا لم يدع ان ينظر اليه فجاء ابليس الى الكفار فقال
انظر نوح ومنا من عليكم بجسد ادم وانتم كلكم ولده فصنع لكل قوم صنما على صورة ادم فكانوا

يعبدون تلك الصورة يحتمل ان يكون الذي بعثهم على ذلك هو انهم لم يروا انفسهم يصلح لعبادة رب العالمين
كما يرى هؤلاء الذين يخدمون الاجلة في الشاهد لا يطمع كل واحد منهم في خدمة الملوك ولا يرى نفسه اهلا
لخدمتهم بل يشتغل بخدمة من دونه او لا على رجاء ان يقربه الى الملك فكذلك هؤلاء حسبوا انهم لا يصلحون
لخدمة رب العالمين فكانوا اذا راوا شيئا حسنا كانوا يظنون ان حسنه لمنزلة له عند الله تعالى لا غير فكانوا
يقبلون على عبادته رجاء ان يقربهم الى الله تعالى فجعلوا الاصنام على احسن ما قدروا عليه ثم اشتغلوا بخدمتها
وعبادتها رجاء ان يقربهم الى الله تعالى قال عز وجل حكاية عنهم والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله زلفى وقال يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فجائز ان يكون هذا الحسبان هو الذي
حملهم على عبادتها وتعظيم شانها والله اعلم اي ذلك كان وقوله عز وجل وقد اضلوا كثيرا فجائز ان يكون اريد
به الكبراء انهم اضلوا كثيرا اي دعوا الى الضلال وزينوه في قلوبهم ما ضلوا سفهاؤهم بذلك وجائز ان يكون
اريد به الاصنام ولكن حقه ان كان على الاصنام ان يقول وقد اضللن كثيرا كما قال ابراهيم عليه السلام
رب انهن اضللن كثيرا من الناس ولكن الاضلال من فعل المتخذين والاصنام ليست لها افعال فلما نسب اليها
نسبة من يوجد منه الفعل اخرج الخطاب على الوزن الذي يخاطب به من يوجد منه هذا الفعل وهو كقوله
تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها فاضاف الى القرية فعل اهلها والفعل اذا اضيف الى الاهل اضيف
بلفظ التذكير ثم انث ها هنا لاضافة فعل الاهل الى القرية ولو كانت القرية بحيث يكون منها الفعل لكان
الخطاب يرتفع عنها بلفظ التانيث لا بلفظ التذكير فحيث اضيف اليها فعل اهلها انث كما يوجب لو كان
الفعل متحققا منها ثم الاصنام لا يتحقق منها الاضلال ولكني بمعنى الاضافة ها هنا هو انها انثت
على هيئة لو كانت تلك الهيئة ممن يضل لاضل هو كما قلنا في تاويل قوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا وقوله
عز وجل ولا تزد الظالمين الا ضلالا فهذا يشبه ان يكون بعد ما بين له انه لن يؤمن من قومك الا من
قد امن فاذ علم انهم لا يؤمنون لم يدعوهم بالهدى ولكن دعا الله تعالى ليزيد في اضلالهم ويكون
الاضلال عبارة من الهلاك والضلال الهلاك قال الله تعالى وقالوا اذا ضللنا في الارض اي اهلكنا
وقوله عز وجل مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فحذف ما ها هنا صلة في الكلام
ومعناه بخطيئاتهم او من خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا في الاخرة اذا اخرقت ابدانهم واجسادهم
وردت ازواجهم الى النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اي لم يجدوا لانفسهم بعبادتهم
من عبدوا من دون الله فقربهم الى الله ويكونوا لهم شفعاء وعزا فلم يجدوا الامر على ما قدروه
عند انفسهم وقوله عز وجل وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قيل تاويله
لا تذر على الارض من الكافرين ساكن دار واذا لم يبق منهم ساكن دار فقد ماتوا جميعا فهلكوا
فكانه يقول لا تذر منهم احدا وقوله عز وجل انك ان تذرهم يضلوا عبادك هذا كلام يشبع
في الظاهر من نوح عليه السلام لانه خارج مخرج الانكار على الله تعالى لو تركهم ولم يهلكهم وهذا
يشبه بقول من قال اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وهذا ايضا خارج مخرج النكير لله
تعالى انه لو نفاهم ادى ذلك الى ضلال العباد وفيه تقدم بين يدى الله تعالى وذلك عظيم ولا نرلبن في
شريد الالوهية اهلاك من عمله الاضلال لا ترى ان ابليس اللعين واتباعه جل سعيه في اضلال بني ادم
ثم لم يبتا صلوا ولم يهلكوا بل ابقوا الى الوقت المعلوم ولكنه يجوز ان يكون دعاء عليهم بعد ان
اذن له بالدعاء عليهم بالهلاك والبوار فيكون الدعاء بالهلاك على تقدم الاذن والاصل ان
الرسل عليهم السلام بعثوا لدعاء الخلق الى الاسلام وكانوا في دعائهم راجين الاسلام منهم خائفين
عليهم بدوامهم على الكفر فلما قيل نوح عليه السلام انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن وقع له
الاياس عن اسلام من تخلف عن الايمان فارتفع معنى الدعاء الى الاسلام فجائز ان يرد له الاذن
بعد ذلك بالدعاء عليهم بالهلاك فيدعوا ذلك ثم يكون قوله ان تذرهم يضلوا عبادك خارج
مخرج الاشفاق والرحمة على من معه من المؤمنين وهو ان الذين داموا على الكفر لو ابقوا خيف على الكفرة
ان يضلوا المؤمنين ويغيروهم الى ملتهم فيكون شفقته على المسلمين داعية له الى الدعاء على الهلاك
على الكفر لئلا يتوصلوا الى الاضلال وقوله عز وجل ولا يلدوا الا فاجرا كفارا او قت بلوغهم المحنة
والابتلاء فحينئذ يوجد منهم الفجور لا انه يلدوا فجارا كفارا ولا صنع لهم في ذلك الوقت وهو كقوله
تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه او قت بلوغ المحنة والابتلاء لا ان يبتلى وقت انشاء
وفي هذه الاية دلالة ان الكفر قد يقع عليه اسم الفجور لانه لو خرج قوله كفارا مخرج التفسير لقوله فاجرا
استقام ان يحمل تاويل قوله تعالى وان الفجار لفي جحيم على الكفرة وقوله عز وجل رب اغفر لي ولوالدي
ولمن دخل بيتي مؤمنا هكذا الواجب على المرء في الدعاء والاستغفار ان يبدأ بنفسه ثم بوالديه ثم بالمؤمنين
ثم قوله في بيتي قال بعضهم اي في سفينتي وقال بعضهم في بيتي اي في ديني فيكون البيت كناية عن الدين
وقال بعضهم انما هو بيته الذي يكن فيه لما اطلعه الله تعالى ان من دخل بيته مؤمنا لا يعود الى الكفر

قال الشيخ رحمه الله ثم ان رجى الامور للمؤمنين في الاخرة دعاء الانبياء والملائكة عليهم السلام في الدنيا لانهم
انما يدعون بعد الاذن لهم بالدعاء ولا يحتمل ان باذن الله تعالى لهم بالدعاء ثم لا يجيب دعوتهم و
وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان نوحا عليه السلام دعا بدعوتين احدهما للمؤمنين بالاستغفار و
والتوبة والثانية على الكفار بالبوار والتبار وقد اجيبت دعوته فيما دعى على الكفرة فلا يجوز ان يجاب في
شر الدعوتين ثم لا يجيب في خير الدعوتين وقوله عز وجل ولا تزد الظالمين الا تبارا قيل كسرا او ذلة وضعا
فانه مشتق من التبر وكل مكسور يقال له تبر فكانه يقول اكسر شعة الظالمين وشوكتهم فان كان التبار هنا
فهو يقع على جميع الظلمة من كان في وقته ومن بعده وقيل التبار الهلاك فاذ كان هذا معناه فهو على ظالمي
زمانه اذ لا يجوز للانبياء عليهم السلام ان يدعوا على قوم الا ان يوذن لهم بالدعاء عليهم وانما جاء الاذن
في حق قومه فاما في حق غيرهم لم يثبت فلا يجوز القول فيه الا بما تواتر الخبر عن رسول الله عليه السلام والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن اختلف في السبب الذي كان به مجيء الجن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من ذكر ان ابليس صعد الى السماء فوجدها قد ملئت حرسا شديدا
وشهبا فتيقن ان قد حدث في الارض حادث ففرق جنوده ليعلم علم ذلك ومنهم من يقول بان الاصنام
خرت لوجوهها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم ابليس انه حدث في الارض خبر حادث حتى
خرت له الاصنام ففرق جنوده ليصل الى علم ذلك ثم من الناس من يزعم ان قصة هذه السورة وقصة
قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران واحدة وقال بعضهم بان هؤلاء
النفر الذين ذكروا في هذه السورة كانوا من مشركي الجن والذين ذكروا في سورة الحقاف في الاحقاف
كانوا من يهود الجن دليله انه قال في هذه السورة فيما حكى عن الجن وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله
احدا واليهود يقرون بالبعث ولا ينكرون فثبت انهم كانوا من جنس المشركين وقال في سورة الاحقاف
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه فثبت انه قد كان عندهم علم بالكتاب
المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا به مقرين واليهود وهم الذين يؤمنون بكتاب موسى
لا غيرهم فيما حكى الله تعالى عن الجن من تصديقهم هذا الكتاب واستماعهم ما جرى من المخاطبات فيما
بينهم فوائد احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس حتى صرف الجن الى
الاستماع اليه وفيه انهم لما اخذوا القران من لسانه قالوا فيما بين القوم بانذارهم واما نوه في التبليغ
علما اخبر عز وجل فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين وفيه ان اولئك النفر سارعوا الى الاجابة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون فيه نقض قوم رسول الله عليه السلام الذين نشا بين اظهرهم لانهم
عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم بالامانة والعدالة ولم يقفوا منه على كذب قط وحقهم
يعرف بالصدق ان لم يصدقوا لا يتسارعوا الى التكذيب فيما ياتي من الانبياء بل يتوقف في حاله الى ان يتبين
منه ما يظهر كذبه او قومه استقبلوه بالتكذيب ولم يعاملوا معاملة مثل ما نعمر فاما الصادق والعتبات
والجن الذين صدقوه لم يكونوا عارفين باحواله فيما قبل ان يصدقوا ومن يرتاب في خبره ثم تدبروا
الى بصيرة يقم بما لاحت لهم الحجة وثبت عندهم اثر الرسالة وعاملوا معه معاملة من قد عرف بالصدق
فدل انهم كانوا في غاية من السفه وفيه ايضا دلالة رسالته صلى الله عليه وسلم لان قوله تعالى فقالوا انا
سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد الى اخر القصة فيما بينهم اخبار عن علم الغيب فثبت انه بالله تعالى
علم ثم يجوز ان يكون الذي حملهم على الايمان به ما عرفوا انه الى المعجز الذي يعجز الخلق عن اتيان
مثله وبما وقفوا على احكام معاينة وحسن تاليفه ونظمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرتفع
بينهم حتى وحي اليه انه قد استمع نفر من الجن واستمعوا اليه اوحي اليه فيكون فيه دلالة على قول
الباطنية حيث يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الوحي بالجسد الروحاني لا بالروح لذلك كما وصفوا
لراي الجن عندما حضروا اليه او الجسد الروحاني ما يبصر الحق ولم يكن يوحي اليه فيعرف ان قد حضر
نفر من الجن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه الصلوة والسلام ان يريه
على صورته فقال له جبريل انك لا تطيقه لان الارض لا تسعني ولكن انظر الى فج السماء ولو كان باشد
الوحي بالجسد الروحاني لكان قد راى جبريل عليه السلام على صورته فبطل ما قالوا هذه السوال فثبت ان
الامر ليس كما زعموا بل كان يقبله بالصورة الجسدانية وادركا وصفه الله تعالى بقوله قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي الاية قال القتبي النفر ما بين الثلاثة الى التسع وقوله عز وجل انا سمعنا قرانا عجبا لا يعلم الغيب الا
وانما استغربوا ذلك منه لانهم سمعوا من اثرا قد يعرف الكتابة ولا نظروا الكتب ومنهم من قال بان حسن
تاليفه ونظمه ووصفه هو الذي حملهم على التعجب ومنهم من قال انما تعجبوا من اياته وحججه لان جاء في

الامر لمع للمشركين

ثبت التوحيد واثبات الرسالة واثبات البعث ولم يكن لهم معرفة بالوحدانية بل كانوا اهل شرك ولم يكونوا
اهل معرفة بالبعث والرسالة فكانت الايات عجيبة حيث قررت عندهم هذه الاوجه والله اعلم ثم في هذا
وفي قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اخبار ان رسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يشعر بمجيئهم وروي
في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما تلاه على اصحابه سورة الرحمن قال لاصحابه ان الجن كانوا احسن
اجابة منكم اني تلوت عليكم هذه السورة فكانوا يقولون ما شيء من الائك فكذب ربنا فلك الحمد ففي هذا
الخبر دلالة انه قد راهم وشعر بمجيئهم فيكون فيه اثبات الوجهين جميعا انه قد شعر مرة ولم يشعر اخرى
ثم يجوز ان يكون راهم بما قوى الله عز وجل بصره حتى احتمل ادراك الجن وضعفت ابصار غيره عن رؤيتهم
الا ترى ان اهل الجنة يرون الملائكة عندما ياتيهم بالتحف من ربهم فيقوى الله عز وجل بصرهم حتى يعاينوا
الملائكة بجوهرهم وان ضعفت ابصارهم عن الرؤية في الدنيا ففي ذلك يجوز ان يكون الله قوى
بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى راى الجن على صورتهم وجائز ان يكون الله تعالى صور الجن على صورة
الانس حتى راهم وشعر بمجيئهم والله اعلم ثم ما ذكرنا من السبب في امر مجيء الجن الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اول السورة من قول اهل التاويل لا يقطع القول بذلك وان كان في حد الامكان والتجويز
لانهم تكلفوا استخراج ذلك بالتدبر والاجتهاد وما كان سبيل معرفته الاجتهاد لم يجز ان يقطع القول
فيه بالشهادة وقد يجوز ان يكون الذي حملهم على المجيء غير ذينك الوجهين وهو ان يكون
النفر من مندوبي الجن لانه ذكر ان من الجن نذرا وان الرسل من الانس دون الجن فتفرقوا على
رجاء ان يظفروا برسول فيتلقفوا منه ما يقوموا به بالنذارة فيما بين قومهم اذ كانوا
يصعدون الى السماء فيسمعون الاخبار وتنذروا قومهم بها ثم انقطع علم ذلك عنهم حيث لم يجدوا
مسلكا الى الصعود لانها قد ملئت حرسا وعلموا ان الله عز وجل لا يبقيهم حيارى ويقطع عنهم المعرفة
فتفرقوا في الارض رجاء ان يظفروا بمن يزيل عنهم الشبه ويوضح لهم الحجج والبراهين فوصلوا الى
مقصودهم من جهة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون عندهم ان لا احد في الارض
من جني او انسي يكذب على الله كما حكى الله عنهم بقوله وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله
كذبا فلما تحقق عندهم الكذب خافوا على انفسهم ان يبتلوا بها وان تشتبه عليهم الصراط السوي
فتفرقوا في الارض على رجاء ان يظفروا بمن يدلهم على الطريقة المثلى حتى وجدوا رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكونوا لما صعدوا الى السماء فراوها مملوءة من الحرس والشهب
ايقنوا ان ذلك لحادث خبر واخافوا حلول نقمة باهل الارض فتفرقوا في البلاد لما لعلهم يصلوا
الى علم ذلك ثم الذي تحقق كون هذا الجن وهو ان السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا في حق
الكفرة انقطاع الكهنة بعد ذلك ولو كان الامر على خلاف هذا لكانوا لا ينقطعون لان
الشياطين كانوا يصعدون الى السماء فياتون الكهنة بما يسمعون من الاخبار ويلقونها اليهم
فيضلوا بها الخلق فلو لم يمنعوا عن السماء لكانوا لا ينقطعون ومن ادعى الكهانة اليوم فلا يجد عنده
خبرا حادثا سوى ما تلقفوه من السن الرسل عليهم السلام وكان امرا ظاهرا عرفته الكفرة فيما بينهم
فكانت هذه حجة سماوية برسول الله صلى الله عليه وسلم مقررة هذا الكفرة رسالته اذ لم يدع احد
منهم يكون الشهاب قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فصار انقطاع الكهنة دليلا على صدق
مقالته والله المستعان وقوله عز وجل يهدي الى الرشد فامنا به اي الى الحق على ما ذكرنا
بيان في سورة الاحقاف في قوله عز وجل يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وقوله عز وجل
ولن نشرك بربنا احدا قال ابو بكر الاصم انهم كانوا مشركي العرب فتبروا من الشرك بما
استمعوا وسمعوا القران بقولهم لن نشرك بربنا احدا وقد يحتمل هذا الذي قالوا ويحتمل انه
انه لم يبق منهم الاشراك بل كانوا من جملة الموحدين ولكنهم احدثوا ايمانا بما سمعوا من القران
واحدثوا تبرئا من الشرك وقد يتبرا المرء من الشرك عندما يحدث له زيادة ايقان وان لم يبق
منه الاشراك كما قال موسى عليه السلام فقال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين وقوله عز وجل
وانه تعالى جد ربنا اختلف في تاويل الجد فمنهم من يقول بان هذه الكلمة يتكلم بها فيمن يظفر بكل
ما يريده فيوصف بانه ذو جد فجائز ان يكونوا ارادوا بهذا ان ربنا هو الظافر بكل ما يريده
لا يستقبله خلاف لمرو لا يمسه حاجة وعلى هذا التاويل قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد من
كان له الجد في الدنيا فاذا كان في تقدير الله تعالى خلاف ذلك لم يغنه ذلك من عذاب الله شيئا و
ان كان هذا هو المراد فمعناه انه من هذا وصفه يتعالى عن ان يكون له شريك او يحتاج الى
صاحبة او الى اتخاذ ولد لان هذه الاشياء كلها انما وانت لحاجة ومن ظفر بكل ما يريده لم يقع
حاجة وجائز ان يكون الجد صلة ومعناه تعالى ربنا وجائز ان يكون الجد عبارة عن العظمة
والرفعة يقال فلان جد في قومه اذا عظم وشرف فيهم وقال الحسن تعالى جد ربنا او غنا ربنا

في انقطاع الكهنة

فيمن ادعى الكهانة اليوم

الا ترى كيف ذكر الله تعالى منه ما نزه نفسه عن اتخاذ الاولاد بقوله قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو
الغني وقد ذكر اتخاذ الولد ها هنا على اثر قوله عز وجل جد ربنا ومنهم من يقول انا وله ملك ربنا وجائز
ان يكون اريد به قوة ربنا فتعالى ربنا عن كل ما نسب اليه كان فيه الى فعل لو زالة والشغل ثم الحق ان
لا يتكلم تفسير قوله جد ربنا ها هنا لانه حكاية عن مقالة الجن فمراد هذه الكلمة انما يعرف
باخبار الجن ثم الشرك فيما جرى به الكتاب على اوجه اربعة مرة على العبادة بقوله عز وجل ولا
يشرك بعبادة ربه احدا او شرك في الخلق بقوله عز وجل ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه وشرك
في الحكم بقوله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا وشرك في الملك بقوله ولم يكن شريك في الملك فثبت
ان الشرك يقع مرة في العبادة وهو في العبادة ومرة في الملك ومرة في الحكم فهم بقولهم لن نشرك
بربنا احدا تبرؤا عن الشرك من هذه الاربعة ثم اذا كان الجد عبارة عن الذي يظفر بكل ما يريده
ففيه ما ينقض على المعتزلة قولهم لانهم يزعمون ان الله تعالى اراد من كل كافر الايمان فاذا
لم يؤمنوا فهو غير ظافر فربما يرد على قولهم ويدخل عليهم انتقض من وجه اخر وهو انا قد بينا ان
الشرك يقع مرة في الخلق وهم يقولون خلق لا فعال عن الله تعالى واذا نفوا ذلك فقد جعلوا له
في الخلق شركاء وقد اخبر عز وجل انه تنزه وتعالى عن ذلك فثبت ان الافعال من حيث الخلق
والانشاء من الله تعالى ومن جهة الكسب والفعل للخلق فمن الوجه الذي يضاف منه ذلك الوجه
الى الخالق عندنا فلا يقع في الخلق تشابه لانه لا يتحقق من العباد الفعل من الوجه الذي يتحقق من الله
تعالى الا ترى انه يضاف الملك الى الله تعالى والى الخلق ثم لا يقع في ذلك اشراك لانه من الوجه
الذي يضاف الى الله تعالى على جهة التحقيق فكذلك اضافة الافعال الى الله تعالى والى الخلق لا يحب
الشرك لاختلاف الجهتين والله الموفق وقوله عز وجل ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا لان اتخاذ الصاحبة
من الخلق لغلبة الشهوة وهو منشئ الشهوات فلا يجوز ان يغلبه ما هو خلقه فيبعثه ذلك
على اتخاذ الصاحبة وهذا يرد على من زعم ان الملائكة بنات الله والبنات يتخذن من الصاحبة
وهو متعال لم يتخذ صاحبة فانى يكون له بنات وقوله عز وجل ولا ولدا فالاصل ان الاولاد يرغب
فيهم المرء لاحدى خصال اما لما يناله من الوحشة فيطلب الولد ليستأنس بهم او يرغب فيهم
لما حل بهم من الضعف فيريد ان يستنصر بهم او لما يخاف زوال ملكه فيطلب الولد ليأمن زوال
وجل الله سبحانه وتعالى عن ان يلحقه وحشة او يصيبه ضعف او يخاف زوال الملك فاذا كانت الطرق
التي بها يرغب في اكتساب الاولاد منقطعة في حقه لزم تنزيهه عن اتخاذ الاولاد ولهذا ما ذكر
عند ما نسبه الملحدة الى اتخاذ الاولاد غناه بقوله سبحانه هو الغني اي غني عن كل الوجوه التي
يتوجد الى اتخاذ الاولاد وبالله التوفيق وقوله عز وجل وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا فمنهم
من ذكر ان سفيههم ابليس وليس هذا يرجع الى كل من يوجد منه فعل السفه الا ترى انه اذا قيل كان
يقول سفيهنا كذا او كان يقول فاسقنا كذا لم يعن به فاسق ولا سفيه واحد على الاشارة بل يراد به
كل معروف بالاساءة والفسق فعلى ذلك قوله وانه كان يقول سفيهنا ليس بمقتصر على الواحد بل هو راجع
الى كل من يوجد منه ذلك ثم في هذه الاية دلالة ان النفر الذين استمعوا كانوا مؤمنين ولم يكونوا
من اهل الكفر لانهم لو كانوا اهل شرك لكانوا لا يضيفون فعل السفه الى غيرهم ويخرجون انفسهم منه
وقد وجد منهم فعل السفه ولو كانوا مشركين ايضا لكانوا يقولون مكان هذه الكلمة وانا كنا نقول على الله
شططا ليكون ذلك منهم توبة ورجوعا عما كانوا فيه من الشرك والكفر وشكرا بما انعم الله عليهم من
عظيم النعمة بان هداهم للايمان لا ان يضيفوا ذلك الى سفهائهم فثبت انهم كانوا مؤمنين والشطط
الجور وقال بعضهم الكذب وقال بعضهم الظلم والشطط ها هنا الجور وما انواع من القول الفاحش
وهو الشرك بالله تعالى وهذا تبين ان الجور قبيح في كل الالسن وفيما بين اهل الاديان الا ترى كيف سفهوا
من يقول على الله تعالى بالجور وقوله عز وجل وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ذكر ابو بكر
الاصم انهم كانوا اعتقدوا ان الله تعالى صاحبة وولدا لما سمعوا الجن والانس يقولون ذلك
وكان عندهم انهم في ذلك صادقون فذلك المعنى هو الذي حملهم على القول بان الله تعالى ولدا وصاحبة
فلما ظهر عندهم كذب من يدعي اتخاذ الولد والصاحبة تبرؤا عمن يقول ذلك فثبت بهذا انهم كانوا
اهل شرك الى ذلك الوقت فلما استمعوا الى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ولاحت لهم الحجج واندفعت
عنهم الشبهة امنوا به وتبرؤا من مقالتهم المتقدمة وقد يحتمل غير ما ذكره ابو بكر من التأويل
وهو ان القول كانوا اثبتوا على الهدى والايمان فكانوا يظنون ان الجن والانس على الهدى وانهم لا يكذبون
على الله تعالى حتى ظهر عندهم كذب الانس والجن بقولهم ان الله ولدا وصاحبة وجائز ان يكون معناه
انا كنا نظن ان لا يتجرأ نفس احد من المحتجين بالكذب على الله تعالى بما اراهم الله قبح الكذب وقرر عندهم
بالحجج والادلة تنزيهه عن اتخاذ الاولاد والصاحبة حتى ظهر عندهم ذلك بما اظهروه بالسنتهم ثم

الذي يدل على ذلك التأويل الذي ذكره ابو بكر ليس بمحكم انه قد كان في الجن والانس معتقد يصف الله تعالى بالتنزيه
وقد كان فيهم من يقول بالولد والصاحبة الا ترى الى قوله حكاية عنهم وانا منا المسلمون
ومنا القاسطون والى قوله وانا منا دون ذلك ولا يحتمل ان يقع عندهم ان الفريقين جميعا
على الصواب ولكن كان في ظنونهم بان القوم جميعا على الهدى على ما هم عليه فلما تبين عندهم
الكذب من اولئك قالوا هذا القول والله اعلم وقوله عز وجل وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فزادوهم رهقا وذكر ان الانس وهم قوم من العرب كانت اذا نزلت بوادي استجار
بسيد الوادي وقالت نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ثم اختلف بعد هذا فمنهم
من ذكر انهم كانوا يجيرونهم ومنهم من زعم انهم كانوا لا يجيرونهم وكان ذلك يزيد في رهق الانس
والجن قالوا الرهق الخوف والفرق كذلك روي عن ابي روق ومنهم من يقول هو الذلة والضعف فكانوا
يزدادون الضعف والذلة والخوف والفرق بامتناعهم عن الاعاذة ومنهم من يقول بانهم كانوا
يجيرون من استجارهم ولكن مع هذا كانوا يفرقون منهم ومن كيدهم في الاماكن التي لم يستجيروا فيها
اليهم وفي غير الاوقات التي وقعت فيها الاجارة وعلى اختلاف فهم اتفقوا ان الجن هي التي كانت
تزيد الانس رهقا وقيل بان هذا الفعل من الانس وهو الاستجارة بهم شرك لان الله تعالى المجير
فكان الحق عليهم ان يستجيروا بالله تعالى ليدفع عنهم مكايد الجن وان لا يروا لانفسهم ناصرا غير الله
عز جلاله فاذا فزعوا في الاستجارة الى الجن فقد رأوا غير الله تعالى القوم عنهم بالذب والنصر فكان
ذلك منهم اشراكا ولان الجن اضعف من الانس الا ترى انها تختفي من الانس وتتصور بغير صورتها
فرقا لان لا يشعر بها وبلغ في ضعفها انها لا تقدر على اتلاف احد من البشر ولا يقدر على سلب اموالهم
ولا افساد طعامهم وشرابهم واستنصار القوي بالضعيف اورث الذلة فيخرج تأويل من قال
بان الرهق هو الذلة والضعف على هذا ومنهم من يقول بان الانس هي التي كانت تزيد الجن رهقا و
قالوا الرهق التجبر والتكبر وقيل هو العسف والجهل هي المأثم وقال القتبي هو العيث في الظلم
يقال فلان مرهق في دينه اذا كان مفسدا ووجه زيادة الرهق هو ان الرؤساء من الجن يرون
لانفسهم الفضل على اتباعهم من الجن وعلى الانس جميعا بما راوا من افتقار الانس اليهم حتى
احتاجوا الى الاستعاذة بهم فكان يتداخلهم الكبر من ذلك ويزدادون به تجبرا وتعظما فكان
ذلك يمنعهم عن النظر في حجج الرسل وكذلك اكابر الكفرة من الانس كانوا يمتنعون عن الاجابة
للرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون لانفسهم من الفضل على من سواهم الا ترى الى قوله تعالى
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها الاية فمن زعم ان الرهق الاثم او السفه والجور
والظلم او العيث يرجع كله الى هذا المعنى الذي ذكرنا لان سفههم هو الذي كان يحملهم على التجبر
والتكبر لانه كان لا يتشبث بهم الا الجاهل السفيه وليس في اعازة الجاهل منقبة مما يتكبر لاجلها
وهذا بتكبرهم ازدادوا اثما وبعدا من رحمة الله تعالى والله اعلم وقوله عز وجل وانهم ظنوا كما
ظننتم ان لن يبعث الله احدا فجائز ان يكونوا نفوا القدرة عن الله تعالى بالبعث ورأوه امرا خارجا
عن طوقهم وقواهم فظنوا ان القدرة لا تنتهي الى هذا الا ان يكونوا نفوا خروج البعث عن حد
الحكمة لانهم لو ارادوا به نفي البعث لكانوا يقتصرون على قولهم لن يبعث الله تعالى فلما وصلوا به
الكلام الذي يتكلم به للتأكيد وهو قوله احدا دل انهم نفوا القدرة وجائز ان يكونوا ظنوا ان
لن يبعث الله لان ذلك امر خارج من الحكمة اذ ليس من الحكمة ان يهلك ثم يعاد بل اذا ريد الابقاء لم يفني
حتى لا يحوج الى الاعادة ثم هذا الكلام ليس بحكاية عن الجن بل الله تعالى ان الجن ظنت ان لا بعث
كما ظننتم انتم وقوله عز وجل ظننتم في الظاهر اشارة الى الانس جملة مسلمهم وكافرهم ومعلوم
بان المسلمين لم يكونوا يظنون ذلك بل قد ايقنوا بالبعث ولكن معناه ان الكفرة من الجن ظنت ان
لا بعث كما ظنت الكفرة منكم ايها الانس وفي هذه الاية ابانة انهم كانوا يقولون لا بعث بالظن ليس
بالعلم والذي حملهم على الظن اعراضهم عن السبب الذي يوجب القول بالبعث وكل ما يتصف بالطبع
ان يلزم الظنون ففيه دعاء وترغيب الى النظر في حجج البعث وترك الاعتماد على الظنون ثم ذكر
النحويون ان كان ابتداؤه بالكسر في هذه السورة اعني حرف ان فهو حكاية عن الجن نحو قوله
فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا وما كان فيه من الحكاية لا عن الجن فقراء ان يقرأ بالنصب فاختار واله
النصب في قوله عز وجل وانهم ظنوا كما ظننتم لما ليس هو بحكاية عن قول الجن والله اعلم وقوله عز
وجل وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا فجائز ان يكون لمسهم السماء بجحد
ابوابها فيدخلوا فيها للاستماع اذا اخبارها ليست في جملة افاق السماء ولا ابوابها محيطة بجملة السماء
فكانوا يلمسونها ليظفروا بابوابها وجائز ان يكون اريد من لمس ابوابها ليفتحوها فيدخلوا فيها فيستمعوا
الى الاخبار وقوله عز وجل فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا فجائز ان يكون بعض الابواب

الاخبار

ملئت من الحرس وبعضها من الشهب فان اتوا الى الابواب التي ملئت من الحرس دفعهم الحرس وطردتهم وان
اتوا الى الابواب التي فيها الشهب تبعتهم الشهب كما قال عز وجل ويقذفون من كل جانب دحورا وجائز
ان يكون الابواب كلها مملوة من الحرس والشهب جميعا لان الحرس لم يمتحنوا بالحراسة خاصة بل امتحنوا به
وبغيره من الاعمال فجائز ان يكون اشتغالهم بذلك الاعمال يمنعهم عن الحرس فاذا راموا استراق السمع في
وقت شغلهم تبعتهم الشهاب الثاقب وقذفهم عن مرادهم وجائز ان يصعد الجن الى المكان الذي لا يرام
الملائكة ويسمع الجن كلامهم لان المرء قد يتكلم بكلام فينتهي صوته الى حيث لا يراه البصر فيكون الشهب
تحت الحرس فيقذفون عنها بالشهب والله اعلم وقوله عز وجل وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان
يجد له شهابا رصدا قيل الشهاب من الكواكب والرصد من الملائكة الاصل في ذلك ان الجن قد حبسوا وقت
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خبر السماء وكانوا يسترقون السمع قبل ذلك حتى انقطع من الكهنة
اذ لا يجوز ان ياتوا بخبر السماء وقت مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يختلط امر الكهنة بامره صلى
الله عليه وسلم فحبسوا عن الصعود الى السماء واتيان الخبر عنها حتى انقطع امر الكهنة فجاءهم الرسول
بعد ذلك ليعلموا ان ذلك ليس بكهانة وانما هو وحي ثابت من السماء اذ لو كانت كهانة كان غيره لا يمنع عن
مثله كما في السالف الزمان فهذه الاية كانت حكاية عن قول الجن لما رجعوا الى قومهم منذرين
قالوا هذا كله لقومهم وقوله عز وجل وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا
فهو يحتمل وجهين احدهما لا ندري بما قطعت بالحرس والشهب اخبار السماء عن اهل الارض وحبس الذين
يصعدون السماء عن اخبار السماء ويقذفون من كل جانب دحورا باهل الارض الشر وهو انزال العذاب
عليهم او اريد بهم ان يرسل رسول برشدهم وجائز ان يكونوا ايقنوا ان اخبار السماء انما انقطعت على
اهل الارض بما يرسل اليهم من الرسول فيكون الرسول هو الذي يخبرهم بما لهم اليه من حاجة ولكنهم لم
يدروا انه اريد بهم الرشد بارسال الرسول او الشر لانهم كانوا علموا ان من امن بالرسول المبعوث ونظر
اليه بعين الاسترشاد والارشاد فقد رشد ومن نظر اليه بعين الاستخفاف والاستهزاء استوصلوا
فلم يدروا ايكذبون الرسول فيحل بهم الهلاك في العاقبة او يصدقونه فيرشدوا به وهذا تبين ان العواقب
في الاشياء هي المقصودة وان الحكيم ما يفعل من الامر يفعله للعواقب وفي هذا ان الجن من المسلمين
لم يكونوا معتزلة اذ من قول المعتزلة ان الله تعالى لا يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم في الدين والدنيا
في حقهم والجن قد ايقنوا ان الله تعالى قد يريد الشر بمن يعلم انه يؤثر فعل الشر على فعل الخير ويريد الخير
بمن يعلم انه يؤثره على فعل الشر وقوله عز وجل وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك قال بعضهم الصالحون
هم المؤمنون ودون ذلك هم الكافرون وليس ان يكون الصالحون دون ذلك ليس على الايمان والكفر
لان هذا قد ذكر فيما تقدم من الايات بقوله وانا منا المسلمون ومنا القاسطون ولو كان التاويل ما
ذكروا لكان يقع موقع التكرار ولكن تاويله عندنا وانا منا الصالحون اي منا من عرف بالصلاح و
الستر ومنا دون ذلك وهم الفسقة فيكون فيه ابانة ان كل اهل دين فيهم الصالح المرضي وفيهم
الفاسق المفسد في دينه قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم ولو لم يكن منا غير صالح
لم يكن الاشتراط الصالحين معنى وكقوله عز وجل واشهدوا ذوي عدل منكم فلو لم يكن منا اهل فسق
لم يقل هذا وقوله عز وجل كنا طرائق قددا اي اهواء متفرقة ولم يذكروا في الاهواء المتفرقة في الاصلح
والادون ذكروا ذلك عند ذكر الفاسق والصالح لان اهل الاهواء كل في نفسه انه هو المحق وغير
على الباطل واما الفاسق فهو يعرف انه يتعاطى بفسقه ما لا يحل له ويرتكب ما نهي عنه وكذلك كل من
شاهد فسقه يعرف انه على الباطل اذا كان كذلك ظهر الدون فيه وظهر الصالح ولم يظهر ذلك في
اعتقاد المذاهب فلم يتكلم فيه بالدون والصالح ثم الطرائق هي المذاهب والاهواء والقدد القطع
يقال قد اي قطع فمعناه انا كنا على مذاهب متفرقة واهواء مختلفة ففي الاية ان في الجن اهواء متفرقة
كما ان ذلك في الانس والاصل فيه ان طريق معرفة المذهب والدين الفكر والاجتهاد والتوسل الى الحق
والمجتهد قد يصيب الطريق مرة ويزيغ عنه اخرى فلهذا اصاب البعض من الخلائق الطريق المستقيم
ومنهم من زاغ عنه ويعلم بهذا ان سبيل الجن في التوحيد وسبيل الانس واحد وهو الفكر وله اجتهاد وان
فيهم ايات متشابهة كما في الانس اذ عن المتشابه يتولد الزيغ لذلك تفرقوا على اهواء متفرقة مختلفة واما
اسباب الفسق مجتمعة فيعرف بالمعاينة فيظهر الادون والارفع في الدين وقوله عز وجل
وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا ذكر ابو بكر الاصم انه على كفرهم ظنوا ان لا يعجزون
تعالى ولكن اكثر اهل التاويل ذكروا ان الظن هاهنا في موضع العلم ويؤيدنا ويلهم قراءة حفصة رضي
الله عنها فانها كانت تقرا وانا علمنا ان لن نعجز الله في الارض قدرة ولن نسبقه هربا فقوله لن نعجز الله
في الارض اي لن نفوته ولا يتهيا لنا ان نعجز الله باهل الارض عن ايصال نقمته وعذابه الينا ويخرج قوله
قدرة على ذلك اي لو قدرنا من عذابه لن نعجزه ان لا يعذبنا والفرار قد يكون بدون الطلب قال

الله عزوجل

الله عز وجل ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين ولم يرد به الفرار من الطلب واما الهرب فانه
لا يكون الا عن طلب فكانهم قالوا لا يتهيا لنا الفرار عن عذاب الله تعالى لكثرة الاعوان والانصار
ولا يعجزه هربا عن طلب او ان يكون قوله عز وجل لن نعجز الله في الارض وان دخلنا تحت تخوم
الارضين ولن نعجزه بالهرب على وجه الارض فيكون فيه اقرار بانا لا نقدر بالحيل والاسباب
ان نحترز من عذاب الله تعالى كما يتهيا الاحتراز عن ملوك الارض بالحيل والاسباب ثم مثل
هذا الكلام يصدر عن اهل الاسلام لان مثل هذا الكلام انما يتكلم به من يخاف حلول نقمة الله تعالى
عليه والذي ايقن بالبعث ويذكر مقامه بين يدي ربه واما اهل الكفر فلم يؤمنوا بالبعث حتى يحملهم
خوف العاقبة على النظر في مثل هذا فثبت ان هذه المقالة صدرت عن اهل الاسلام ليس عن
اهل الكفر ذكره ابو بكر الاصم ان هذه المقالة صدرت والله اعلم وقوله عز وجل وانا لما سمعنا الهدى
امنا به فالهدى هو الدعاء الى الحق فيحتمل ان يكون لما دعينا الى الحق وهو القران امنا به الا ترى الى قوله
عز وجل يهدي الى الحق اي يدعو اليه وقال الله في اول السورة يهدي الى الرشد ويجوز ان يكون الهدى
هو الاهتداء اي لما سمعنا ما به اهتدينا وظن ابو بكر الاصم انهم كانوا كفرة الى ان سمعوا الهدى
فامنوا به لانه لو كانوا على الهدى من قبل لكان الايمان منهم سابقا فلا يكون بقوله فامنا به وقد امنوا
من قبل معنى وليس يثبت كفرهم بما ذكر لانه قد يجوز ان يكونوا على الايمان فلما سمعوا الهدى احدثوا
ايمانا بهذا الهدى على ما سبق منهم من الايمان بالجملة الا ترى الى قوله عز وجل فزادتهم ايمانا وقال
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي زادوا ايمانا فالتفسير على ما سبق منهم من الايمان بالجملة انهم لم يكونوا
من قبل مؤمنين فاخذتهم الحال وكذلك قال اهدنا الصراط المستقيم وقد هدوا الصراط المستقيم
ولكنهم يريدون بهذا الدعاء ان اهدنا بالاشارة اليه والتعيين الصراط المستقيم على ما هديتنا
في الجملة فكذلك احداثهم الايمان بما سمعوا من الهدى لا ينفي منهم الايمان فيما سبق من الاوقات
فابل يجوز ان يكونوا مؤمنين من قبل ثم يجددون الايمان بكل امر ياتيهم من عند الله عز وجل ولا يدل
ايمانهم به على انهم لم يكونوا من قبل مسلمين والله اعلم وقوله عز وجل فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا
رهقا قال رحمه الله انه لا احد من اهل الايمان من جني ولا انسي يخاف البخس والرهق من الله تعالى
الا المعتزلة فانهم يخافون وذلك لانهم ليسوا يخرجون مرتكبي الكبائر ثم يطلقون القول
فيهم انهم يخلدون في النار وفي التخليد خوف البخس والرهق بل فيه ما يزيد على البخس وهو النقصان
وفي التخليد ذهاب منفعة الايمان ومنفعة الخيرات التي سبقت منهم وقال تعالى ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا والمعتزلة تزعم انه لو اخذهم بالخطاء والنسيان كان جائرا وقال ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا وهم يزعمون انه لو ازاغ قلوبهم بعد الهدى كان ذلك منه جورا وظلما فهم ابدا
على خوف من جور ربهم ونحن نقول بانه لو اخذهم به كان يكون ذلك منه عدلا واذا عفى
عنهم كان ذلك منه انعاما وافضالا فنحن ندعو الله تعالى ونتضرع اليه ان لا يعاملنا بعدله
فيهلك بل يعاملنا بالافضال والانعام وعلى قول المعتزلة ارتكب كبيرة ردت عليه حسناته
وصار عدوا لله تعالى في النار ابدا لا يبدين والله يقول ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها واولى الحسنات التي يستوجب عليها المضاعفة هو الايمان بالله تعالى فلا يجوز ان
يخلده في النار ويذهب عنه منفعة الايمان تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم قوله بخسا
ولا رهقا يحتمل وجهين احدهما البخس النقصان اي لا ينقص من حسناته والرهق الظلم
كقوله تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما وان يحمل عليه من سيئات يرتكبها غيره والثاني لا يخاف
بخسا اي لا يقبل حسنا اذا تاب ولا رهقا اي ظلما فلا يحسب له حسنا تركه وقوله عز وجل و
انا منا المسلمون ومنا القاسطون فالقاسط الجائر العادل ثم في العدل ثلاث لغات يقال
عدل عنه اذا مال وجار وعدل به اذا جعل شريكا وعدل وعدل فيه اذا حكم بالعدل وقوله
عز وجل فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا التحري والتوخي هو القصد فكانه يقول قصدوا الرشد با
لاسلام وقوله عز وجل واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا قال ابو بكر الاصم دلت الاية على ان
الجن لحما ودما كما للانس لانه قال في الانس وقودها الناس والحجارة فلو لم يكونوا لحما ودما
لم يصيروا لجهنم حطبا ولكن هذا لا يدل لان اللحم من شانه ان يحترق وينضج ولا يصلح ان يكونوا
وقودا ولكن الله تعالى باللطف صير لحمان الانس وقود النار ان صار حطبا بما كان لحما فليس
في الاية دلالة ما ذكر بل فيه ان الجن قد امتحنوا بالعبادة كما امتحن بها الانس وانهم اذا عصوا
ربهم استوجبوا العقاب مثل ما يستوجبه الانس ثم ذكر عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال ليس
للجن ثواب وعليهم العقاب اذا عصوا ومعنى قوله ليس لهم ثواب عنده انه ليس يجب ان الله
تعالى لا يرضى عنهم اذ عبدوه ولا يعظم منزلتهم عنده ولكنه يريد ان الذي عنده للانس

الى كل والمشارب والازواج الحسان والحور في الجنة على الخلود ليس لهم لان الوعد من الله تعالى بها جرى للانس ولم يجر الوعد للجن ولا ذكر ذلك في شيء من القران والذي وعد به الانس طريقه الافضال والانعام لان يكون ذلك حقا للانس قبله فاذا لم يجر لهم الوعد بذلك لم يجب القول لهم بالموعود واما العقاب فان الحكمة توجب التعذيب لمن كفر به فلا يجوز ان يكون الحكمة توجب تعذيب الكفرة ثم لا يعذب الجن اذا كفروا ولذلك وجب القول بعقابهم ولم يجب القول بالثواب والله الموفق **وقوله** عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا اختلف فيه فمنهم من قال طريقة الهدى ومنهم من قال طريقة الكفر فمن قال المراد هو طريقة الهدى قالوا ان الطريقة المعروفة المعهودة هي طريقة الله تعالى فعند الاطلاق تنصرف اليه كالدين متى ذكر مطلقا ينصرف الى دين الحق وكذلك السبيل المطلق قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو الا ثم يخرج هذا على وجوه احدها ينصرف الى الكفرة انهم لو استقاموا على الطريقة اي لو اجابوا الى ما يدعون اليه من الهدى لاسقيناهم ماء غدقا اي وسعنا عليهم وكثرنا اموالهم ويكون ذكر الماء ها هنا كناية عن السعة لان سعة الدنيا كلها تتصل بالماء والماء اصلها قال الله عز وجل وفي السماء رزقكم وما توعدون فاخبر ان رزق الخلق من السماء والذي ينزل من السماء ماء وهو المطر وجعل ذلك رزقا اذ هو اصل رزق الخلق فكذلك ذكر الماء ها هنا كناية عن السعة من التوجه الذي ذكرنا فان كان على هذا فيكون الخطاب راجعا الى الوقت الذي كانوا ابتدوا فيه بالقحط والسنين فوعدهم انهم لو اجابوا الى ما دعوا اليه يرفع عنهم القحط والسنين ويوسع عليهم في الرزق وهو قول نوح وهود وغيرهما وعدهم قومهم بارسال الامطار وتكثير الامطار والاموال والاولاد ونحوه ويجوز ان يكون هذا في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا في اول الاسلام في ضيق الحال وشدة من العيش وكانوا يتفرقون في الشعاب والاودية لشدة ما حل بهم من الجوع اصيبوا من عيشها وعند الحال يخاف النفس من اهلها والتبديل فوعدوا السعة في العيش ان لو استقاموا على الطريقة التي كانوا هم عليها اي داموا عليها ولم يبدلوا الدين الحق والهدى بالباطل كما وعد لهم النصر والظفر على الاعداء مع قلة انصارهم ان داموا على الاسلام ويحتمل ما قال بعضهم ان تاويله قوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة اي لو اسلم اهل الارض كلهم جميعا لوسعنا عليهم الدنيا وكثرنا اموالهم واولادهم حتى يفتتنوا فيها فيمتحنوا بمحن شديدة فيتحمل البعض منهم فيبقوا مؤمنين ولا يتحمل البعض فيبغوا ويعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر حتى لا يقع التخلف في وعدنا فان الله وعد ان يملأ جهنم من الجنة والناس اجمعين ولا يجوز ان يقع في وعده خلف وهم لو استقاموا على الطريقة ولم يبغوا ادى ذلك الى خلف الوعيد لانه يملؤها اذا داموا على الطريقة ولم يبغوا ويكون الحكمة في بغيهم ان يعرف الخلق ان الله لم يخلقهم لمنافع يحصل له ولكن خلقهم لانفسهم ان احسنوا احسنوا لانفسهم وان اساؤا فعليهم ولو ابقاهم على الطريقة المستقيمة وظهرت الموالاة في الجملة لكان يسبق الى الاوهام انه انما خلقهم لمنافع نفسه وهذا من الله تعالى بيان علمه بما لا يكون ان لو كان كيف يكون ان الله تعالى علم الايمان من البعض والكفر من البعض للحكمة التي ذكرنا وغيرها مما يقف على بعضها الخلق دون البعض وحكم كذلك ثم اخبر انه لو حكم بان يستقيم الكل على طريقة الحق ويؤمنوا لم يحكم على طريق الابد في حق بل حكمة ان يستقيم عليها البعض الى مدة ثم يزل ويبدل الحق بالباطل ويدوم البعض عليها تحقيقا لما ذكرنا من الحكم وهو كقوله تعالى لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لو لم نفوض عليهم الجهاد والخروج الى القتال لبرز الذين كتب عليهم القتل منهم اجالهم القتل الى حوائج انفسهم فيقتلوا منه بيان الحكمة الذي يحكم انه لو حكم كيف كان فكذا هذا واما من قال معناه طريقة الكفر فهو ان يكون المراد بالاستقامة ها هنا الاقامة واللفظة الاقامة يعتبر بها عن الاقامة على الكفر والاسلام جميعا ويكون الطريقة ها هنا اشارة الى الطريقة التي كانوا عرفوها قبل الاسلام وهي الكفر وان كانت الطريقة اذا اطلق ذكرها اريد بها طريقة الهدى لان طريقة الكفر هي التي كانت معروفة فيما بينهم وكذلك ذكر اهل التاويل ان الطريقة ها هنا طريقة الكفر فقوله لاسقيناهم ماء غدقا اي وسعنا عليهم وكثرنا اموالهم ليعلموا جود ربهم حيث بسط عليهم الرزق مع اختيارهم عداوته كما بسط الرزق على اوليائه وليعلموا حلمه حيث لم يؤاخذهم بذنوبهم ولم يعجل بما ازال النعمة والله اعلم **وقوله** عز وجل لنفتنهم فالفتنة المحنة المحنة التي فيها الشدة فان كان هذا في اهل الكفر ففي بسط الرزق عليهم محنة شديدة لان ذلك يمنعهم عن الخضوع والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرون من الفضل على من دونهم في المال والسعة الا ترى الى قوله وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون

وكذلك

وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وان كان التأويل منصرفا الى اهل الاسلام ففي التوسيع عليهم محنة شديدة وكذلك جميع ما امتحنا به فيه قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ثم من حال يعترض الانسان الاولة فيها شدة **وقوله** عز وجل ومن يعرض عن ذكر ربه فجائز ان يكون ومن يعرض عن طاعة ربه وعبادته او يعرض عن توحيده او يعرض عن القران اذ هو ذكر والاعراض ها هنا عبارة عن الايثار لا اختيار اي من اختار ذكر غير الله تعالى على ما ذكره او طاعة غيره على طاعته **وقوله** عز وجل يسلكه عذابا صعدا على التحقيق كما ذكره اهل التفسير انهم يكلفون الصعود على جبل من نار لا يقدرون الا بعد شدة عظيمة ثم اذا بلغوا اعلاها يهوون فيها فذلك دابهم وجائز ان يكون على التمثيل وذلك لان الصعود اشد من الهبوط فيكون الصعود عبارة عن المشقة ها هنا ان يستقبله ما يشق عليه وقيل المشقة التي عليه هو ما عجل به من العذاب متتابعا عذابا بعد عذاب وقال القتبي الصعود المشقة يقال يتصعد على هذا الامر يشق علي وروي عن عمر رضي الله انه قال ما تصعدني امر ما تصعدني خطبة النكاح اي ما يشق علي والله اعلم **وقوله** وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اي ما يسجد به هو فما يسجد فيه هو البقاع وما يسجد به هو الجوارح فكانه يقول بان البقاع التي يسجد فيها والاعضاء التي يسجد بها لله تعالى لانه هو الذي خلقها وانشاها والمساجد التي بنيت فانما تبنى لعبادة الله تعالى وليعبد فيها فلا يشركوا غيره في العبادة الدعاء وقال بعضهم اراد بالمساجد مسجد الحرام روي ذلك عن الضحاك وغيره فكانه انما صرف التاويل الى المسجد الحرام لان هذه السورة مكية ولم يكن في غيرها من البقاع مساجد وقال بعضهم المساجد ههنا البيع والكنائس لان البيع والكنائس بنيت ليعبد الله تعالى فيها فهم ان يعبدوا فيها غير الله فيخرج هذا مخرج الاحتجاج انكم قد علمتم ان المساجد بنيت ليعبد الله فيها فلا يعبدوا فيها غيره واذا كان الله منشيها وخالقها دون غيره فكيف يشركون معه غيره في العبادة والدعاء وليس هو بمنشئ لها **وقوله** عز وجل فلا تدعوا مع الله احدا فجائز ان يكون على الدعاء بنفسه فيكون معناه ان لا يدعوا مع الله احدا لان الاله اسم المعبود وكان القوم اذا عبدوا شيئا سموه الها فيقول لا يدعوا معه احدا الها فانه هو الاله وهو المستحق للعبادة من كل احد وجائز ان يكون اريد بالدعاء العبادة قال عليه السلام الدعاء مخ العبادة وقال تعالى ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فجعل دعاءهم اياه عبادة منهم له فيكون قوله فلا تدعوا مع الله احدا اي لا تشركوا غيره معه في العبادة والله اعلم **وقوله** عز وجل وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا فمنهم من يقول انهم كادوا يكونون عليه لبدا على جهة الرغبة فيه لبدا وموالاتهم له فقوله كادوا يكونون عليه لبدا اي كادوا يلتصق بعضهم الى بعض ليتصلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم او كادوا فيكونون عليه اي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كادوا يلتصقوا به حبا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصا على حفظ ما سمعوا لانهم يحرصون على حفظ ما سمعوا لانهم كانوا من منذر الجن ليحرصوا على حفظه ووعيه لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وتعجبوا مما سمعوا لانهم سمعوه ممن كان لم يكن من قراءة الكتب وسمعوا من الامي الذي لم يقرأ كتابا قط ولا عرف المكتوب فتعجب واللبد التصاق الشيء بالشيء التصاقا لا ينفصل بعضه من بعض وسمي اللبد لبدا من هذا لان الصوف يلتصق بعضه من بعض حتى لا يسرو منهم من زعم انهم فعلوا هذا الشدة معاداتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا منصرفا الى الكفرة فقوله لما قام عبد الله يدعوه معناه اي لما قام محمد صلى الله عليه وسلم يوحد الله تعالى ويدعو الخلق على عبادته وطاعته فهم المشركون من الانس والجن ويلبدوا على هذا الامر ان يطفؤه فابى الله تعالى الا ان ينصره ويمضيه وان كان هذا من اهل الاسلام من الجن والدعاء راجع الى العبادة فكانه يقول لما قام بعبادة الله تعالى وهي الصلوة كادوا يكونون عليه لبدا لشدة حرصهم في تحفظ ما سمعوا او شدة حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا **وقوله** عز وجل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا ففيه اخبار عن دينه انه دين التوحيد لا الاشراك بالله تعالى واخبار عما يدعو الخلق اليه وذلك توحيد الله تعالى والقيام بطاعته وجائز ان يكون هذا على اثر سؤال منهم ودعوتهم الى عبادة الاصنام على ما ذكر في الاخبار انهم قالوا انا نعبد الهك يوما وتعبد الهتنا يوما وهو كقوله عز وجل يا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار لاكفر بالله الاية وجائز ان يكون كلاما مبتدأ يوئسهم ويقنطهم ويقطع طمعهم على عوده الى ما هم عليه **وقوله** عز وجل قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي ضرا في الدين ورشدا في الدين والاصل في الاسماء المشتركة ان ينظر الى مقابلها فيظهر مرادها بما يقابلها قال الله تعالى وانا منا المسلمون ومنا القاسطون والقاسط الجائر

وقد يكون غيرا الكافر جائرا ثم صرف الجور الى الكفر فظهر مراده بمقابله وهو قوله وانا من المسلمون
والضر قد يكون في الدين وفي الدين وفي المال والنفس ولكنه لما ذكر قوله رشدا والرشد يتكلم
به في الدين علم ان قوله ضرا راجع اليه ايضا فكانه يقول لا املك اضلالكم ولا رشدكم انما ذلك
الى الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء الا ترى المعتزلة يزعم ان الله تعالى لا يملك رشدا
احد ولا غلبة بل رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر ملكا لانه يملك ان يدعو الخلق الى الهدى
بنفسه والله تعالى لا يملك ذلك الا برسوله وقال عز وجل ليس عليك هداهم ولكن الله
يهدي من يشاء وقال انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ولو كان المراد من
آية المضاف الى الله تعالى الدعوة والبيان لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهديهم لانه تداع
ويبين فثبت ان في الهداية من الله تعالى لطفا لا يبلغه تدبير البشر وقوله عز وجل اني لن يجيرني
من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا فكانهم طلبوا منه ترك تبليغ الرسالة الى قومه او كتمان
شيء مما امر باظهاره او محاباة احد من الاجلة فامر ان يخبرهم انه لا يجيره احد من الله تعالى
ولا يجد لنفسه ملجاء ان فعل ذلك سوى ان يبلغ رسالات ربه فيجيره من عذابه فيكون له عنده
ملجاء وقوله عز وجل الا بلاغا من الله ورسالاته فمنهم من جعل قوله الا بلاغا من الله ورسالاته
استثناء من قوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا بلاغا من الله اي اني لا املك لكم هدايتكم
ولا اضلالكم الا ما كلفت لاجلكم من تبليغ الرسالة ومنهم من جعل هذا استثناء من قوله قل
اني لن يجيرني من الله احد ان عدلت عن امره ولم ابلغ الرسالة فلا يجيرني من عذابه الا ان ابلغ
الرسالة قال الله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقال فان
تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ثم لا يجوز ان تقع له الحاجة الى الاجارة من عذاب تعالى
ولم يخ منه تقصير ولا تضييع يستوجب العقاب فلا بد من ان يمكن فيه ما ذكرنا من
التقصير في التبليغ والعدول عما كلف حتى يستقيم ذكر الاجارة فيه وذكر ابو معاذ صاحب
التفسير ان الاستثناء راجع الى قوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا الا البلاغ الى قوله قل اني لن
يجيرني من الله احد واستدل على ذلك بقراءة عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه انه كان ابن مسعود
رضي الله عنه كان يقرأ قل اني لا املك لكم غيا ولا رشدا الا بلاغا من الله و
وليس فيما ذكرنا قطع الاستثناء على قوله لا املك لكم ضرا ولا رشدا للوجه الذي ذكر ولان
اهل التأويل اجمعوا على صرف الاستثناء الى قوله قل اني لن يجيرني من الله احد فلا يجوز ان يحمل قولهم
على الخطاء لما ذكره ابو معاذ ولما ذهبوا اليه وجه الصحة والسداد وجائز ان يكون البلاغ والرسالة
واحدا فيكون الذي يبلغ بلاغ من الله ورسالاته ويكون ذلك على التكرار وهو كقوله ويعلمه الكتاب
والحكمة قيل انهما واحد وجائز ان يكون الرسالة نفس ما انزل وهو الكتاب والبلاغ ما اودع فيه
من الحكمة والمعاني وكذلك قيل في قوله ويعلمه الكتاب هو المنزل نفسه والحكمة ما تضمن فيه من المعاني
وجائز ان يكون البلاغ من الله تعالى متصرفا الى حكمه ورسالاته الى غيره او يكون رسالاته حكمه والبلاغ
خبره وهو كقوله تعالى وتمت كلمة ربك اخباره وعدلا احكامه او بلاغا من الله حق الله عليهم ورسالاته
بما به مصالحهم والله اعلم وقوله عز وجل ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجاء ومالا وموضعا يمال
اليه والالتحاد الامالة سمي اللحد من هذه لانه يمال عن سننه وقوله عز وجل ومن يعص الله ورسوله فان
له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقال في موضع ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة
وقال ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وكل من ارتكب المآثم فقد دخل في جملة العصيان
وايذاء الرسول ولكن المراد ها هنا من يعتقد عصيان الرسول واذاه لان الله تعالى اضاف الاذى
والعصيان الى نفسه ولا احد يقصد قصد اذى الله تعالى والله عز وجل لا يؤذى ولكن اضاف اذى
الرسول وعصيانه الى نفسه وقد كانوا يعتقدون عصيانه واذاه فجعل عصيانهم واذاهم رسوله اذا
منهم لله تعالى وعصيانا له فثبت ان هذا في الاعتقاد وقال عز وجل ومن يطع الرسول فقد اطاع الله
وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فجعل طاعة الرسول طاعة له وعصيان رسوله عصيانا
له ولانه ذكر العصيان على تبليغ الرسالة فثبت ان العصيان ها هنا في ترك القبول بما انزل على الرسول
وفي اعتقاد العصيان له وروي عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال من آمن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله فهو
ليس بمؤمن لان جهله بالله تعالى هو الذي حمله على تكذيب الرسول ليس يدعوه الا الى ما يقرب الى
الله تعالى والى ما ينجيه من عذابه فلو كان يحب الله تعالى ويؤمن به لكان يدعوه ذلك الى حب الرسول
والى طاعته فثبت ان المكذب للرسول جاهل بربه والمطيع له مطيع لله عز وجل وقوله تعالى حتى اذا راوا
ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا وقال في موضع آخر فسيعلمون من هو شر مكانا
واضعف جندا ويحتمل ان يكون هذا في الدنيا والآخرة جميعا ويكون ذلك راجعا الى يوم بدر كما ذكر

واهل التأويل بلا ذ فقد ظهر في ذلك اليوم انهم شر مكانا واضعف جندا واضعف ناصرا ويشبه ان يكون
هذا في الآخرة فانهم اقل عددا في الآخرة لان كل واحد منهم تبرأ عن صاحبه وناصره ومعينه في الدنيا
ويصير عدوا له فيقل عددهم واما في يوم بدر فقد كانوا اكثر عددا من المسلمين فلم تبين لهم انهم اقل في
العدد ويجوز ان يكون يوم بدر يكون المسلمون اكثر عددا لان الله تعالى امد المسلمين بملائكته فصار
عددهم اكثر في التحقيق وان كانت الكفرة في رأي اكثر منهم عددا ثم يشبه ان يكون هذه الآية
نزلت على اثر تخويف الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وقوتهم في انفسهم
وقلة عدد المسلمين فوعد الله تعالى نبيه عليه السلام بالنصر وكثرة العدد عند وقوع الحاجة اليها
وبالله التوفيق وقوله عز وجل قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فهذا
ذكره عنده ذكر الوعيد وهو قوله فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا فكانهم سألوه متى وقعت
هذا الوعيد فامر ان يقول قل ان ادري اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا قد ذكرنا فيما تقدم
من الآيات ان ليس في بيان وقت الوعيد فضل يقع في الوعيد بل اذا لم يتبين وقت الوعيد كان
فيه فضل تخويف وتحذير لا يوجد فيما يبين فان كان لا ترى اذا بين فاذا كان فيه امد سوف الناس
والخوف التوبة لما امنوا حلول النقمة بهم الى مجيء ذلك اليوم واذا لم يمهلوا صاروا الى الياس فيرتفع
الخوف والرجاء وفيه ارتفاع المحنة في الاصل بالعمل على الرجاء والخوف ولا ترى اذا لم يبين كانوا على الحذر
والخوف فيحملهم ذلك على التسارع في الخيرات والانقلاع عن المساوي فامر ان يقول هذا والآية والذي
بان يقول هذا عالم بالوقت الذي يقع فيه الوعيد وقوله عز وجل عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول الاصل فيما غيب الله تعالى عن الخلق انه على منازل ثلاثة احدها قد عجز الخلق
عن احتمال الوقوف عليه بالخلقة نحو الكيانات التي هي اصول الاشياء لو اراد احد ان يعرف
المعنى الذي به صلح ان يكون كيانا لم يقف عليه ونحو الماء يجعل حياة لكل شيء ولو اراد احد ان يعرف
المعنى الذي به صلح ان يجعل حياة لم يقف عليه وكذلك هذا في كل ما جعل كيانا موجودا والثاني
ما امكن معرفته وبلوغه اليه بالتأمل والنظر بدون معرفة السمع والاثر نحو معرفة الصانع ومعرفة
وحدانيته والثالث هو الذي لم يعجزهم عن ادراكه ولا مكنهم من الوقوف عليه دون خبر يرد فقوله
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول في هذا والذي مكنوا فيه لكنهم لا يبلغونه
الا بمعونة الخبر وذلك نحو الاشياء التي يرجع الى مصالح الخلق والذي يوصل الى المصالح الاغذية
مما ظهر بين الخلق ولكنها لا يعرف الا بالسماع فمن له علم من الخلق وانشاده فيهم وهو بحيث
لا يحتمل ادراكه بالنظر فيبين ان ذلك بالرسول ومتى وجد ذلك من يخص مشارا اليه دل ذلك
على الاختصاص له بالرسالة ثم ذكر بعضهم ان في هذه الآية دلالة بكذب المنجمة وليس كذلك
لان فيهم من يصدق خبره ويعرف المطالع والمغارب والمشارق والكواكب التي بها نبوات الخلق والتي
عندها التغير والتبديل وذلك مما لا يوقف على علمه بالتأمل والتدبر وكذلك المتطببة منهم من يعرف
طبائع النبات انها يصلح لكذا فيقع به المصالح للخلق معلوم ان هذا من نوع ما لا يدرك بالتأمل والنظر
فعلم انهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع اثره وبقي علمه في الخلق والله اعلم وقوله عز وجل الا من
ارتضى من رسول اي اختاره واصطفاه والاصل ان الرسالة يلزم الخلق الشهادة له بالصدق في كل
خبر وبالعدل في كل حكم بقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وبالاصابة في كل ما
لم يبلغ مبلغا يوجب الامر فهو لا يختصه للرسالة وفي الاختصاص من نعمة عظيمة على الخلق اذ به
وصل الخلق الى تعرف ما يبلغهم اليه الحاجة في امر معاشهم ومعادهم ومراشدهم ودنياهم وقوله
عز وجل فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا قيل رصدا من بين يدي الرسول ومن خلفه من
الملائكة ليمنع الانس على الرسل في منعهم عن التبليغ حتى يبلغوا ذكر هذا عن الحسن البصري رحمه
الله وكذلك قال في قوله ان ربك احاط بالناس ان احاطته هي ان يعصمه من الناس من ان يصل
اليه منع الناس اياه عن تبليغ الرسالة ويحتمل ان يكون الملائكة جعلوا رصدا عن الجن من استراق
ما يوحى الرسول صلى الله عليه وسلم وعن تلقفه حتى يكون الرسول هو الذي يبلغ الى الخلق ويشهر
ذلك فيما بين الخلق ان الرسول هو الذي قام بتبليغه الى الخلق لانهم اذا لم يجعلوا رصدا لكن الجن
ان يسترقوه ويبلغوه فأتوا بلادة لم يتبين عندهم علم ذلك من جهة الرسول فيعرفوا ذلك
من عند الجن قبل ان يبلغهم الرسول فاذا بلغ الرسول من بعد التبس الامر على الذين ظهر فيهم
العلم من جهة الجن فجعل عليهم رصدا حتى ينتشر علم ذلك من جهة الرسول فيرتفع التشبه او يكون
الرصد تمنع الجن الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغوا قومهم من الجن حتى
ينتهي الخبر اليهم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم من بين يديه ومن خلفه رصدا
ان الملائكة كانوا يرصدون النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءه الملك قالوا هذا وحي من الله تعالى واذا جاءه الشيطان

اخبروه به ولكن هذا بعيد لا يحتمل ان يخفى عليه وحي الشيطان من وحي جبريل عليه الصلوة والسلام وقال بعضهم
من بين يديه ومن خلفه رصدا اى بين يدي من يبلغ الرسالة الى الرسول وهو الملك الذى ينزل بالوحي جعل بين يديه ومن خلفه
ملائكة يرصدونه كي لا يستمع الشياطين عنه ويحدث فيه حدثا من التغيير والتبديل ليعلم رسول الله انما يبلغ اليه
رسالة ربه وهذا بعيد ايضا لان المبلغ بالقوة ما بعد فيه اذى يخبر عن نفسه وهو ممن لا يخاف منه التغيير والتبديل حتى
يجعل عليه الرصد فهو ممن شهد به الله تعالى في قوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
امين فوصفه الله تعالى بالقوة والامانة جميعا لكنه جائز ان يكون المبلغ ممتحنا بالتبليغ والذين
معه من الرصد يمتحنوا بامور اخر لا ان جعلوا رصدا من الجن وجائز ان يكونوا رسلا لكان تعظيم
الوحي وتشريف الرسالة والله اعلم وقوله عز وجل ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم قال قائلون ليعلم محمد
بالرصد ان قد ابلغ سائر الرسل رسالات ربهم على الوجه الذى امروا كما بلغ هو والثاني ان يعلم كل
في نفسه ان قد ابلغ رسالات ربنا وليعلم الاعداء ان قد ابلغ محمد عليه السلام رسالات ربه على
الوجه الذى امر لم يقع فيه تغيير من شيطان ولا جني ولا عدو وقوله عز وجل واحاط بما لديهم
اى بما عند الرسول وبما عند الملائكة او بما عند الخلق وقوله عز وجل واحصى كل شيء عددا اى
احاط العلم بالذى هو معدود لا بالعدد وهو كقوله عز وجل وانبتنا فيها من كل شيء موزون
اى بما يوزن عند الخلق واحاط العلم بالذى للكفرة لا بالرصد وان في نصب الرصد محنة و
تكليفا على الرصد لان يقع بهم الحفظ وهو كقوله عز وجل بما ذكر ثلاثة الاف من
الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله
العزيز الحكيم فبين ان النصر من عنده وان الملائكة انما ارسلت لتطمئن بها قلوب المؤمنين وتو
كل الهيا طاعتهم واحصى كل شيء عددا عنده معدود ومحصى لا يغفل جل جلاله عن معرفة عدده
ولا يعزب احوال تعزب عنها فيها علم ذلك فلا فانا عليه امر الخلق والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها المزمل فالمزمل والمدثر يتقيضبان معنى واحدا على
ما يذكر في سورة المدثر وقوله عز وجل قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه
فجائز ان يكون هذا الامر كله منصرفا الى وقت واحد فاذا صرف الى وقت واحد فاما ان يكون
قوله عز وجل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه منصرفا الى قوله قم الليل والى قوله
الا قليلا فان صرفت النقصان الى قوله الا قليلا زدت في الامر بالقيام وان صرفت النقصان
الى قوله قم الليل فقد زدت في قوله نصفه او انقص منه قليلا فالى ايتهما صرفت اقتضى الزيادة
في احدهما والنقصان في الاخر فيتفق معناهما وهذا نظير قوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
اسما للميت الموروث عنه ومنهم من اوقع هذا الاسم على الحي الذي يرث الميت وايهما كان فهو يقتضي
معنى واحدا لان منزلة الثاني ثم يكون في قوله وانقص منه قليلا تخفيف الامر عليه فيكون فيه ان
له ان ينقص عن الاكثر وقوله او زد عليه اى على المقدار الذي ابيح له الانتقاص واذا ارتفع النقص
عاد الامر الى ما كان مامورا في الابتداء ثم القليل ليس باسم لا عين الاشياء ولكنه من الاسماء المقيدة
فاذا قيل قليل اقتضى ذكره ثبت ما هو اكثر منه حتى هذا قليلا اذا قوبل بما اكثر منه فلذلك قالوا بان
قولوا بان قوله قم الليل يقتضي امر القيام اكثر الليل ولهذا قال اصحابنا فيمن اقر ان لفلان عليه الف
درهم الا قليلا انه يلزمه اكثر من نصف الالف لانه استثنى القليل فلا بد من ان يكون المستثنى
منه اكثر من المستثنى منه حتى يكون المستثنى قليلا كما استثنى والله اعلم وقوله عز وجل ورتل القرآن
ترتيلا فالترتيل هو التبيين في اللغة اى تبينه تبيينا وقيل اقرأه حرفا على التقطيع لما ذكر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقطع القراءة ولكن جائز ان يكون قراءة على التقطيع لان التبيين فان
في تقطيعه وانما امر بالتبيين لان القرآن لم ينزل ليحفظ قراءته فقط لكن للمعاني التي احدها ان
يقرأ للحفظ والبقاء الى يوم القيامة لئلا يذهب ولا ينسى والثاني ان يقرأ ليتذكر ما فيه ويفهم
ما اودع من الاحكام وما لله عليهم من الحقوق وما لبعضهم على بعض والثالث يقرأ ليعمل بما فيه
ويتعظ هو بمواعظه ويعلموا اما ما يتبعون امره وينتهون عما نهى عنه فيتفقد قراءته في الصلاة يلزمنا
هذا كله ولا يدرك ذلك الا بالتأمل وذلك عند قراءته على الترتيل وهذا الذي ذكرناه يوجب اختيار
من يرى الوقوف في القرآن لان ذلك اداء على المعنى واقرب الى الافهام وفيه دلالة ان المستحب
فيه ترك الادغام وترك الهمز الفاحش لان ذلك ابلغ في التبيين والاصل ان السامع في القرآن مامورا
بالاستماع اليه واذا لزمه الاستماع وفي الاستماع الوقوف على حسن نظمه وعجيب حكمته والوقوف

على معانيه فلزم القاري تبيينه ليصل السامع الى معرفة معانيه ويقف على حسن نظمه وعجيب تاليفه و
ذلك يكون اقرب في افهام السامع والقاري لما فيه من لطائف المعاني ثم الترتيل منصرف الى القراءة
قراءة على جهة المصدر ان ما هو كلام الله تعالى لا يوصف بالترتيل والله الموفق وقوله عز وجل انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا ولم يقل ثقيلا على من فجائز ان يكون الثقل راجعا الى الكفرة المنافقين ويكون
الثقيل الامر بالجهاد لانه اشتد على الفريقين جميعا وايس الكفار عن المسلمين ان يعودوا الى ملتهم
قال الله تعالى اليوم يئس الذين كفروا وتخلف المنافقين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجائز ان يكون قوله ثقيلا اى على الكفرة والمنافقين وكذا على اهل الكتاب ثقيل ايضا لانهم لم يتمنوا
ان ينزل عليه الكتاب واما على المسلمين فليس بثقيل بل هو كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر
جائز ان يصرف ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه امر بتبليغ الرسالة الى الفراعنة والخلق
كافة وفي القيام بالتبليغ الى الفراعنة مخاطرة بالروح والجسد ثم ثقيل صعب جدا ويكون ذلك منصرفا
الى قيام الليل فيكون معناه قولا ثقيلا اى الوفاء بما يوجبه ذلك القول وجائز ان يكون هذا منصرفا
الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصاره فيكون قوله من الوجه الذي كلفوا القيام بشرائعه
وحفظ حدوده وتحليل حلاله واجتناب حرامه وزعمت الباطنية بان القول الثقيل هو ان
كلف الناطق وهو الرسول عليه السلام تفويض الامر الى الاساس وهو الباب وكذلك الاساس
والباب هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه عندهم وهم يسمون الرسول عليهم الصلوة والسلام
ناطقا ويقولون بان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ التنزيل الى الخلق فلما بلغ
التنزيل اليهم واستغنوا عنه احتاجوا الى من يعلمهم التاويل فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يسند امر التاويل الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ليكون هو الذي يتولى تعليم الخلق تاويله فكذلك
هو قول الثقيل اذا امر ان يسند الى غيره فاشتد عليه اذا صار غيره وليا لامره ويبقى هو ساكتا لا
لا ينطق فيقال لهم ان في الامر باسناد الامر الى من ذكرتم تخفيف الامر على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بزعمكم لان من مذهبكم انه اذا فوض الامر الى علي رضي الله عنه قبض هو عليه
السلام وصورة القبض عندكم ان يميز الصورة الروحانية من الصورة الجسدانية التي كانت
محتبسة في الصورة الجسدانية ثم تتلف الصورة الجسدانية ويبعث الصورة الروحانية
النورانية الى دار الكرامة والحبور والخلاص من الحبس لم يشتد ذلك عليه ولم يثقل بل كان
فيه ما يرغبه الى التفويض ويدعوه اليه ومن مذهب الباطنية انهم لا يعلمون احدا مذهبهم
الا بعد ان يحلفوه بالايمان الغليظة بان لا يخبر به احدا اشفاقا على انفسهم ولو كان الامر على
ما قدروا ان التلف يرد على الصورة الجسدانية التي هي سبب لحبس الصورة الروحانية
واذا تلفت ردت الروحانية الى دار فيها كل انواع السرور فما الذي يحوجهم الى الاستخفاف
وما بالهم يشفقون على انفسهم وليس في تلاف انفسهم الا الخلاص من الحبس والوصول
الى الكرامات ومن هذا وصف من غلبه الموت ليعلم انهم يعاملون الخلق على خلاف ما
يوجبه اعتقادهم ولو كان ما اعتقدوه حقا لما استجازوا مخالفته ولكن الذي دعاهم
الى ما ذكرنا تسويل الشيطان وتزيينه في قلوبهم وما مثلهم الا مثل اليهود الذين ادعوا ان الدار
الآخرة لهم خالصة من دون الناس فقيل لهم تمنوا الموت ان كنتم صادقين لانكم لا تصلون
الى الاخرة الا بالموت فان كنتم محقين في دعواكم فتمنوا الموت لتصلوا اليها فكان في امتناعهم
عن التمني ما يظهر كذبهم ويبطل مقالتهم ويبين تمويههم فكذلك في اشفاق هؤلاء على انفسهم
من الهلاك اظهار وانباء انهم قصدوا بما قصدوا التمويه على الضعفة ليصلوا الى المأكلة وهم
سعوا به في امر دنياهم من غير حجة لهم في ذلك وبهذا الفصل الذي ذكرنا يحتج على الثنوية فان
من مذهبهم تحريم القتل والذبح وحق من يرى القتل والذبح مباحين لان من مذهبهم ان العالم
انما هو باضواء النور والظلمة فما من جزء من اجزاء النور الا هو مشوب بجزء واحد من
اجزاء الظلمة وكانا متباينين فغلبت الظلمة على النور فامتزجت به فصارت الظلمة مانعة
للنور ومعلوم ان في القتل تخليص اجزاء النوراني من حبس الظلمات لان في القتل ازالة السمع
والبصر والعقل ومعلوم بان النور والبصر في هذه الاشياء اذ بها رؤية الانوار فاذا امارت
هذه الاشياء من الجسد وابقى الجسد الظلماني لا يبصر شيئا فقد وصل جوهر النور الى حرسه و
مقصوده بالقتل وصار الى مقره فاذا كان القتل يوصله الى حرسه ويخلصه عن وثاق الظلمة
وحبسه فقد احسن اليه بالقتل والذبح فلا ينبغي ان يحرم القتل على مذهبهم بل يجب ان يمدح
المرء على ذلك الفعل ويستصوب ذلك منه وقال القتبي القول الثقيل كلام الله تعالى وثقله هو يجل
وتعظيم حرمته ليس كلام السفهاء الذين لا يكترث به ولا يؤبه به وقال الزجاج الثقيل الوزن اي

الذي له وزن وقدر في القلوب الذي يجب ان يعظم ويوقر ليس بالقول الذي يستصغر وجائز ان
يكون القول الثقيل هو الحق على ما روي في بعض الاخبار ان الحق ثقيل مر والباطل خفيف وفي وروي
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال حق لميزان لا يوضع فيه الا الخير ان يثقل وحق لميزان
لا يوضع فيه الا الباطل ان يخف فيكون ثقله العمل بما فيه وجائز ان يكون القول الثقيل هو
تكليف القيام عامة الليل وقوله عز وجل ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واقوم قيلا قرئ وطأ و
طاء من قراء وطاء بالمد فتحا وبله من المواطاة وهي الموافقة اي موافق للسمع والبصر والقوى ولان
القلب يكون افرغ بالليالي عن الاشغال التي يحول المرء على الوصول الى حقيقة درك تعالى الاشياء
وكذلك السمع والبصر يكون الحفظ للقران واشد استدراكا للمعانية ومن قرا وطا فهو من الوطئ
بالاقدام فتاويله انه اشد على البدن واصعب لان المرء المرء قد اعتاد التقلب والانتشار في
الارض بالنهار ولم يعتد ذلك بالليل بل اعتاد الراحة فيه فاذا كلف القيام والانتصاب حاله
في الوقت الذي لم يعتد فيه بالقيام كان ذلك اشد عليه واصعب على بدنه ولان المرء بالنهار ليس
ينتصب قائما في مكان واحد فيمكث فيه كذلك بل ينتقل من موضع ولو كلف الانتصاب في
مكان اشتد عليه ويلحقه الكلال والعناء من ذلك ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ينتصب قائما يصلي الى نصف الليل واكثر فكان في ذلك محنة شديدة وكلفة شاقة والله
اعلم ثم الاصل ان المرء يتيسر بالنهار او طلب ما يعيش ويصل الى ما يتمتع في امر دنياه وينام
الليل طالبا للراحة واشار الى التخفيف وكان رسول صلى الله عليه وسلم ممنوعا عن اكتساب
الاشياء التي يتوصل بها الى سعة الدنيا الا القدر الذي يقيم به مهجته وكذلك منع عن الراحة
بالليالي وامر باحياء الليل القدر الذي لا بد منه والله اعلم وجائز ان يكون في الامر بقيام
الليل نوع من الراحة والتخفيف وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الزم بتبليغ الرسالة
الى الناس كافة فحمل تبليغها اليهم بالنهار ورفعت عنه الكلفة بالليل وامر بان يتفرغ لعبادة
ربه وكان الامر بالتفرغ للعبادة وايسر من الامر بتبليغ الرسالة لان في الامر بالتبليغ امر بما
فيه المخاطرة بالروح والجسد وليس في الامر بالانتصاب قائما اكثر الليل ذلك وانما فيه ايصال
الوجع الى بعض اعضائه فيكون فيه بعض التخفيف فان قيل على التاويل الاول لكن خص رسول
الله صلى الله عليه وسلم في باب النكاح حيث ابيح له فضل العدد ولم يبح لامته وفي ذلك زيادة
تمتع بشهوات الدنيا وجوابه ان يقال بان المعنى الذي به حظر على غيره الزيادة على الاربع
وقصر الامر على الاربع هو خوف الجور الا ترى الى قوله عز وجل فانكحوا ما طاب لكم
من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة واذا كان التحريم للوجه الذي
ذكرنا ارتفع الخطر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل عصمه عن الجور ومكنه
من العدل بينهن ثم ليس في اباحة زيادة العدد وسوى فضل محنة وكلفة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم كانت اذا امر ان يقوم فيما بينهن بالعدل وان يبتغي مرضاتهن بحسن العشرة معهن
وانما يصل الى الارضاء بالاموال ولم يتمتع هو من الدنيا بمقدار ما يصل الى ارضائهن بالاموال
لم يتهيا له ان يصيبهن الا بسعة الاخلاق وان يبين لهن لتقر اعينهن ولا يحزن فثبت انه ليس
في اباحة العدد فضل تمتع بل فيه زيادة محنة وابتلاء وفيه ايضا ما يحقق رسالته ويثبت نبوته
لان المرء انما يصل الى توفير الحقوق الواجبة عليه الواجبة عليه بالنكاح اذا تناول من فضول الدنيا
وطعم لذاتها واعطى النفس شهواتها ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا من اعطاء
النفس شهواتها ومع ذلك قام بايفاء حقوق الازواج فثبت انه باللطف من الله تعالى وصل الى
ايفاء حقوقهن ليس باسباب البشرية وفي هذه الاية دلالة ان الصلوة يشتمل على الذكر والفعل
جميعا لانه قال اشد على البدن وشدته يكون بالفعل وقال واقوم قيلا وذلك يرجع الى الذكر
ثم يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلف تبليغ الرسالة بالليالي لان اعدائه
من الفراعنة وغيرهم كانت همتهم ان يقتلوه ويمكروا ولم يكن تهيا لهم اتصال الاذى به
لمكان اتباعه والليالي اوقات غفلة الاتباع كلف التبليغ فيها ليمكنوا من ايصال المكروه فوضع
عنه التبليغ وامتحن بالقيام لعبادة ربه وقوله عز وجل ان ناشئة الليل اي ساعة الليل الى
وقيل هو من نشا ينشو اي نما فسميت ناشئة لان الاوقات تحدث وتتزايد وجائز ان يكون
المراد من ناشئة الليل اي ما يوجد من الاحوال في الليل من القيام للصلوة والاشتغال بعبادة
الرب جل جلاله وقوله واقوم قيلا اي اصوب كلاما والاقوم هو المبالغة في الوصف مما اريد
بالقيام فان اريد به الكلام تحقق ان يصرف الى الصدق اذ الاقوم من الاخبار اصدقها وان
اريد به القيام بقضاء ما يقتضيه ذلك الكلام فمعنى قوله اقوم اي ابلغ في وفاء ما يوجبه القول

وان اريد به القراءة نفسها فهو لليل اي اقوم قراءة وقوله عز وجل ان لك في النهار سبحا طويلا قال
ابو بكر والزجاج السبح السعة كانه قال ان لك في النهار سعة طويلا في تبليغ الرسالة والقيام
به فتفرغ بالليالي لعبادة ربك وقيل ان لك في النهار سبحا طويلا اي فراغا وتعبه ومتقلبا فالسبح
يذكر ويراد به الفراغ ويذكر ويراد به المشي والتقلب وهذا الذي قالوه محتمل ولكن لا يجب ان
يصرف تاويل الاية الى الفراغ وتقلب الى حوائج نفسه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
يتناول من الدنيا الا ما قدر ما يقيم به مهجته فلا يحتاج الى فضل تقلب ولا الى كثير فراغ ليتوسع
في امر دنياه ولكن حقه ان يصرف بقلبه الى تبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى توحيد الله تعالى والى ما
يحق عليهم فيكون في قوله ان لك في النهار سبحا طويلا تخصيص لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ان
ينتصب بالليالي للقيام بين يديه واحترا شه بتبليغ الرسالة بالنهار وقوله عز وجل واذكر اسم ربك
اي ذكر ربك دليله قوله تعالى على اثره وتبتل اليه تبتيلا والتبتل يقع اليه لا الى اسمه ثم ذكر الرب جل جلاله
هو ان ينظر الى احوال نفسه ما الذي يلزمه من العبادة في تلك الحال فيكون ذكر ربه باقامة
تلك العبادة لا بان يذكر الله تعالى بلسانه فقط وهو كقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا استغفا
رهم ان يأتمروا بما امروا وينتهوا عما نهوا لا ان يقولوا بالسنتهم نستغفر الله لانهم وان قالوا
نستغفر الله لم يقبل ذلك منهم اذا كانوا كفرة فثبت ان استغفارهم ان يجيبوا الى ما دعاهم
اليه نوح فلذلك ذكر الله تعالى يقع بوفاء ما يلزمهم حالة القيام به وذلك يكون بالافعال
مرة وبالاقوال ثانيا ومنهم من صرف الامر الى الاسم على ما يؤديه ظاهر اللفظ فامر بذكر اسم
الرب لما يحصل له من الفوائد بذكرها لان من اسمائه اسماء ترغبه في اكتسابه الخيرات
والاقبال على عبادة ومنها ما يدعوا الذاكر الى الخوف والرهبة ومنها ما يوقف على عجائب حكمته
ولطيف تدبيره وتقرير سلطانه وعظمته في قلبه ومنها ما يحدث له زيادة علم بصيرة وهي الاسماء
المشتقة من الافعال واذا تامل فيها عرف الوجه الذي منه اشتق فلك الاسماء فذكر اسمائه
يحدث له ما ذكرنا من الفوائد والعلوم وقوله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا فالتبتل هو الانقطاع
الى الله تعالى وان يقطع نفسه من شهواتها ونصرفها عن لذاتها فكانه قال وتبتل اليه وتبتل
نفسك تبتيلا من الشهوات واللذات ولذلك سميت مريم رضي الله عنها البتول لانها قطعت
نفسها من منافع الدنيا واقبلت الى الاخرة وانقطعت اليه وقوله عز وجل رب المشرق
والمغرب قال ابو بكر الاصم تاويله ملك المشرق والمغرب محصله ان يقال مالك المشرق والمغرب
لانه هو المالك على التحقيق وقال بعضهم هو الرب هو المصلح ثم خص المشرق والمغرب بالذكر
وان كان هو مالكهما ومالك الخلائق اجمع لان ذكر المشرق يقتضي ذكر السموات والارضين
وفي ذكر السموات والارضين ذكر على العالمين واسفل السافلين لانا اذا نظرنا الى المشرق ورأى ما يطلع
في المشرق من عين الشمس ثم تجري في اقطار السماء وتقطع كل يوم مسيرة الف عام ثم تغرب
في عين حمئة فتصير الى اسفل السافلين وتجري كذلك حتى تصل الى مطلعها ثم تطلع هنالك
فدل ذلك على ان مدبر السموات والارضين ومنشئهما واحد وان سلطانه في الارض كسلطانه في السما
ويعلم ان من بلغت قدرته هذا المبلغ في ان سير عين الشمس في يوم واحدة مسيرة الف عام ما يشتد
على الخالق قطع هذه المسافة في مدة كثيرة لا يجوز ان يعجزه شيء ودل على ان ملكه دائم لا ينقطع
لان عين الشمس تجري في كل يوم على ما تجرت لا يتبدل ولا يتغير باختلاف الازمنة والاوقات
وجعل منافع اهل الارض متصلة بمنافع السماء ولو لم يكن مدبرهما واحدا لارتفع الاتصال
وانقطعت منافع السماء عن اهل الارض فكان في ذكر المشرق والمغرب دلالة وحدانيته و
الهيته وقدرته وسلطانه والوقوف على عجائب حكمته ولطائف تدبيره ثم تخصيص ذكر المشرق
والمغرب دون السماء والارض هو والله اعلم لان هذا اوصل الى معرفة التوحيد واسرع الى
الادراك من ذكر السموات والارض وان كان في التدبر في امر السماء والارض تخفيف ذلك وفي
قوله عز وجل رب المشرق والمغرب اي الذي امرت بذكره هو رب المشرق والمغرب وفيه تعريف
الوجه الذي يصل الى معرفة ربوبيته وقوله عز وجل لا اله الا هو اي لا معبود يستحق العبادة
الا هو لان الذي يحمل الانسان على عبادة المعبود الخوف والرجاء واراهم بذكر المشرق
والمغرب ان تدبير الخلائق كلها راجعة اليه وانه هو القاهر عليهم والقادر عليهم وبيده هم
الخزائن والمنافع اجمع علموا انه هو الاله الحق والرب القاهر وان من سواه مربوب مقهور
لا يملك نفعا ولا ضرا فكيف يستوجب العبادة والالهية وقوله عز وجل فاتخذه وكيلا فجائز ان
يكون اراد ان كل امورك كلها الى الله تعالى حتى يكون هو الذي يدبر ويحكم ولا تنزل نفسك فيها
تدبيرا والوكيل في الشاهد هو الذي يدخل في امر غيره جهة التبرع ليبصره فيه ويعينه فيكون

قوله فاتخذه وكيلا اي اطلب من عنده النصر والمعونة والمرء في الشاهد انما يفزع الى الوكيل ليروح عنه عله ويقضي منه حوائجه ويقوم به في النوائب فكأنه يقول افزع الى الله تعالى في نوائبك فيكون هو الذي يروح عنك العلل ويقضي عنك الحوائج ويكون معتمدك في النوائب والله اعلم وقوله عز وجل واصبر على ما يقولون قال اهل التفسير ثم ولله اصبر على تكذيبهم اياك الا ترى الى قوله في سياق الاية وذرني والمكذبين اولي النعمة فثبت انه دعي الى الصبر على التكذيب وجائز ان يكون منصرفا الى هذا والى غيره لانهم كانوا لا يقتصرون على تكذيب بل كانوا ينسبونه الى الكذب والى السحر ثانيا والى الجنون ثالثا والى انه يتيم رابعا فكانوا يؤذونه بانواع الاذى فجائز ان يكون قوله واصبر على ما يقولون منصرفا الى كل ذلك ثم الامر بالتصبر يقع بخصال ثلاث احدها ان لا تحاذهم على تكذيبهم اياك تكذيبك اياهم ولا تجزع عليه وفي الجزع بعض التسلي والتشفي ولا يدعو عليهم بالهلاك والتبار بل اصبر لذلك ولقائل ان يقول كيف كان يشتد عليهم تكذيبهم اياه حتى كان يحزن لذلك والذي نسبوه الى الكذب كانوا اعدائه وليس يستثقل الكذب من العدو ولا يستكثر منه لانه بما يعادي بتعقدان يسعى اليه بجميع ما يمكنه ويسعى وانما يستثقل الكذب من اهل الصفوة والمودة فكيف استثقله وكيف بلغ به التكذيب مبلغا يحزن به حتى دعي الى التصبر بقوله قد يعلم انه ليحزنك الذي يقولون الاية وبقوله واصبر على ما يقولون والجواب عن هذا ان الكذب والجهل مما يستثقلهما العقل والطبع جميعا وكذلك التكذيب والتجهيل مستثقل على الطبع والعقل جميعا حتى ان الكذاب اذا نسب الى الكذب اشتد عليه ذلك ولم يتحامل وكذلك الجهول اذا عرف الجهل ثقل ذلك عليه فاذا كان التكذيب مستثقلا في عقول الخلق وطبايعهم وان كانت طبايعهم مشوبة بالافات وفي عقولهم نقص فرسول الله صلى الله عليه وسلم مع صفاء عقله وسلامة طبعه عن الافات احق ان يثقل عليه فيحزن لذلك ثم ما من انسان نسب الى الكذب فيما يحدث عن نفسه او عمن سواه من الخلائق لمن علت رتبتهم او انحطت الا وهو يجد لذلك ثقلا فكيف اذا اخبر عن الله تعالى وكذب فيه اليس هذا احق ان يثقل على القلب ويحزن له ويجوز ان يكون حمله على الحزن شدة اشفاقه على المكذبين لان تكذيبهم يفضي بهم الى العطب والهلاك فاشفق عليهم باشتغالهم بما يهلكهم وحزن لذلك او يكون حزنه غضبا لله تعالى اذ الرسل كانوا يغضبون لله تعالى ويشتدون على اعدائه والجواب عن قوله ان المكذبين كانوا من اعدائه فكيف اشتد عليه تكذيبهم وذلك امر غير مستبدع من الاعداء فنقول ان رسول الله كان يعاملهم معاملة الولي مع وليه الصفي ولم يكن يعاملهم بما يعامل به الاعداء لانه كان يدعوهم الى ما فيه نجاتهم وشرفهم في امر دنياهم واخرتهم ومن عامل مع اخر معاملة اقرب الاصفياء معه كان الحق عليهم ان يجازوه بالاحسان فاذا تركوا ذلك وقابلوه بالتكذيب اشتد عليه وحزن لذلك ثم في قوله واصبر على ما يقولون وفي قوله ولا تستعجل لهم ابطال قول من قال ان الله تعالى لا يفعل بعبيده الا ما هو اصلح له لانا نعلم انه اذا اذن النبي من الانبياء بالدعاء على استعجال الهلاك واستجيب فيما دعا كان فيه ما يحمل القوم على الايمان ويروعهم عن التكذيب لانهم يخافون حلول النقمة عليهم فيتركون التكذيب ويقبلون على الاجابة فيكون فيه نجاتهم وشرفهم في امر دنياهم واخرتهم فاذا لم يؤذن دل انه ليس من شرط الله تعالى ان يفعل بعباده ما هو اصلح لهم فان قيل كيف لم يؤذن بالدعاء عليهم ليحملهم ذلك على الاسلام او يمنعهم عن التكذيب قيل له لان فيما ذكرت رفع المحنة والابتلاء لان الحجة اذ ذلك يقع من جهة الضرورة لانهم اذا علموا انهم يستأصلون بالتكذيب امتنعوا عنه واجابوا الى الاسلام كرها فيصير الحجج اضطرارية لا تمييزية واختيارية وحجج الرسل عليهم السلام اختيارية لا ضرورية لما ذكرنا انها لو جعلت اضطرارية لارتفعت المحنة فجعلت حججهم من وجه يقع بها الشبه ليوصل الى معرفتها بالتفكر لئلا يرتفع المحنة فان قال قائل ان ابا حنيفة رحمه الله ذكر في كتاب العالم والمتعلم ان ايمان الملائكة وايمان الرسل وايماننا واحد ثم قال فاذا استوينا نحن والرسل في الايمان فكيف صار الثواب لهم اكمل وخوفهم من الله اشد فاجاب عن هذا السؤال باجوبة وقال في جملة ما اجاب انهم لو ارتكبوا الزلات يحل بهم العقاب الزلل فصار خوفهم بالله تعالى الزم في هذه الجهة ولسائل ان يسأل على هذا فيقول فاذا ايمانهم بالله تعالى وتركهم المعاصي ضروري لا اختياري فيجاب عنه بان الانبياء عليهم السلام لم يبين لهم العصمة بل كانوا على خوف من وقوعهم في المهالك الا ترى الى قول ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ولو كانت العصمة ظاهرة لكان يستغني عن السؤال وقال في قصة شعيب عليه السلام وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما فثبت انه لم يبين لهم العصمة ونحن انما شهدنا لهم بالعصمة بالوجود لان الحكمة يوجب العصمة والرسل عليهم السلام امروا بتبليغ الرسالة ولم يؤذن لهم بالنظر في امرهم

كان رسول الله يعامل الكفار معاملة الولي مع وليه

الهلاك

الرسل ليظهر لهم العصمة بالتدبر والتفكر فثبت انهم كانوا على الخوف والرجاء في هلاك انفسهم وفي وقوعها في المهالك وان ايمانهم بالله تعالى لم يكن ضروريا بل وصلوا الى معرفته بالتمييز لانه عظمت درجاتهم والثاني ان الانبياء عليهم السلام قد كان تقرر في قلوبهم هيبة الله تعالى وعظمته فكانت المعرفة هي التي دعتهم الى الايمان بلا خوف حلول العقوبة بهم لو ارتكبوا الزلات واما الكفرة فلم يعرفوا عظمة الله تعالى ولا قدرته ولا سلطانه حتى يحملهم ذلك على الايمان به فلو حلت العقوبة بهم بالتكذيب لكان الخوف هو الذي يحملهم على الايمان لا غير فيصير ايمانهم ضروريا فلهذا لم يعاقبوا بالتكذيب لان لا يرتفع المحنة وخولف بينهم وبين غيرهم وهذا كما يقول بان ابداء ما تقدم من الرسل حجة لرسولنا صلى الله عليه وسلم في اثبات نبوته وان كانت تلك الانباء قد عرفها اهل الكتاب واخبروا بها لان اهل الكتاب عرفوا تلك الانباء بالتعلم والتلقين ولم يختلف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من عنده علم تلك الانباء فعلم انه بالله تعالى علم لا بتعليم احد فصارت الانباء حجة لذلك ولم يصر حجة والله اعلم وقوله عز وجل واهجرهم هجرا جميلا فجائز ان يكون تأويله اهجرهم وقت سبهم ونسبتهم اياك الى ما لا يليق بك ولا تعبأ بهم ولا تكترث اليهم والى ما يقولون عليك لان ذلك بعض ما يجر المقول والساب عما هو فيه وهو كقوله عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ويحتمل ان يكون تأويله ان انقطع عنهم انقطاعا جميلا والانقطاع الجميل ان لا يترك شفقته عليهم ولا يدعو عليهم بالهلاك ولا يمتنع عن دعائهم الى ما فيه رشدهم وصلاحهم ولذلك قال في الوقت اذا هم اباه اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ويحتمل ان يكون هجره اياه هجرا جميلا هو ان لا يكافيهم بالسيئة بل يدفع السيئة بالحسنة ثم كقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة اذ ذلك ادعى للخلق الى اجابة من يفعل ذلك بهم عند المعاملة والله اعلم ثم من الناس من يقول بان هذه الاية نسخها اية السيف ومنهم من قال بانها لم تنسخ وصرفوا تأويل الاية الى جهة لا يعمل عليها النسخ وذلك ان في قوله واهجرهم هجرا جميلا منع المكافاة لاجل ما اذوه ولم يفرض عليهم القتال ليكافيهم بما اذاهم وينتقم منه بذلك بل رجع قتاله الى نصرة الدين وليكون كلمة الله تعالى هي العليا لذلك لم يكن في اية السيف ما يوجب نسخ هذا ولا نسخ العمل بقوله عز فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره لانه ليس في قتالهم انتقام منهم بل فيه ما يدعوهم الى الايمان بالله تعالى ورسوله واذا امنوا بذلك نجوا من العقاب وفازوا بعظيم الثواب فيصير القتال رحمة لهم لا عقوبة ووجه جعله رحمة هو انهم اذا راوا غلبة المسلمين عليهم مع قلة عددهم والضعف الذي حل بابدانهم لاشتغالهم بعبادتهم ربهم وكثرة عدد المشركين مع قوة ابدانهم ايقنوا انهم لم ينالوا الغلبة بالحيل والاسباب بل الله تعالى هو الذي قواهم عليهم وقام بنصرهم فيتقرر عندهم كون اهل الاسلام على الحق واذا تيقنوا بالحق التزموا فيحوزوا به جزيل الثواب وكريم المآب فصار القتال رحمة لهم لا ان يكون عليهم عقوبة عليهم لسوء صنيعهم واذا كان كذلك بقي العمل بقوله عز وجل واهجرهم هجرا جميلا ثابتا باقيا وبهذا يجاب من سأل فقال ان الله تعالى يقول فقال ان الله تعالى يقول لنبيه عليه السلام وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وفي القتال ترك الرحمة فكيف فرض عليه فيقال انه ليس في القتال ترك الرحمة بل هو من ابلغ الرحمة وتمامها اذ يحملهم على الايمان وترك التكذيب فيعلوا منزلتهم ويشرف قدرهم في الدنيا والاخرة والله اعلم وجواب اخر ان يقال بان الحجة في القتال ليس في القتل لانهم اذا خافوا القتال تركوا التكذيب واقبلوا على الداعي الا ترى انه ذكر ان القوم قبل ان يفرض عليهم القتال كان يدخل الواحد منهم بعد الواحد في هذا الدين فلما شرع القتال جعلوا يدخلون فيه فوجا وقبيلة قبيلة ثم اباحة القتل يكون بالضرورة لانهم اذا علموا الا يقبلون ثم يقع لهم الخوف بالقتال واذا لم يخافوا تركوا الاجابة فشرع القتل فيه لتحقيق الخوف فلم يكن ترك الرحمة وهو كقوله ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب وفي اقامة القصاص تلف النفس ليس فيه احياء ولكن وجه الاحياء فيه هو ان القاتل اذا فكر قتل نفسه صاحبه ورعه ذلك عن القتل فيكون فيه احياء النفس جميعا فيصير ايجاب القصاص سبب الاحياء في الحقيقة وان كان في الظاهر سبب الاتلاف فكذلك هؤلاء اذا ايقنوا بالقتل بامتناعهم عن الاجابة تركوا الامتناع واقبلوا على الاجابة تركوا الامتناع واقبلوا على الاجابة فيكون موضوع القتل للرحمة وفي التحقيق وان كان في الظاهر خارجا مخرج ترك الرحمة والله اعلم وقوله عز وجل وذرني والمكذبين اولي النعمة وفيه ان اهل الحصبة والدعة هم الذين اشتغلوا بالتكذيب وهم الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الله كما قال وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وقال وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها فخص اولي النعمة بالذكر لهذا ثم في قوله ذرني والمكذبين ابهام بان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق منه المنع ولم يوجد من رسول الله حيلولة ومنع ولكن مثل هذا الخطاب مرجو في كتاب

غريب عجيب وتحقيق انيق فان ايمان الانبياء عليهم السلام لم يكن ضروريا بل بالمعرفة الكاملة وانهم على الخوف والرجاء

القتال رحمة للكفار

الله تعالى في عبادي من كتابه وهو أن يخرج مخرجا يوهم أن هناك مقدمة وإن لم يكن فيها مقدمة في
التحقيق قال الله تعالى والسماء رفعها ولم يكن فيه تحقيق الوضع وإن كان الرفع يستعمل في الشيء الموضوع
وكان تأويل الرفع هاهنا بأنها خلقت مرفوعة وقال والأرض وضعها للأنام ولم يكن مرفوعة فوضعها
وكان معناه أنها خلقت موضوعة وقال يوسف عليه السلام إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يسبق
منه دخول في دين أولئك فيكون تاركا له بعد ما دخل فيه وقال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ولم يقتض قوله عز وجل يخرجهم
من الظلمات إلى النور كونهم في النور فيخرجهم منه وإن كان في الظاهر يؤدي ذلك فعلى ذلك قوله وذرني
وإن كان في الظاهر يقتضي حيلولة ومنعا فليس في الحقيقة إثبات منع ويذكر غير هذا في سورة المدثر
ثم قوله وذرني والمكذبين ومعناه لا تجازهم بصنيعهم لا تستعجل عليهم بالدعاء بل أمهلهم قليلا
فيكفيكهم الله وقيل في الفرق بين النعمة والنعمة أن النعمة ما يعطى العبد إرادة استدراجه فيها وهلاكه
كقوله عز وجل ونعمة كانوا فيها فاكهين والنعمة هو مغفرة الله تعالى على عباده تفضلا عليهم كقوله وأسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة والله أعلم وقوله عز وجل إن لدينا أنكالا وجحيما قال ابن عباس رضي الله عنه
الأنكال هو السلاسل والقيود وقال أبو بكر الأصم الأنكال ما ينكل به ويعتبر به غيره قال الله تعالى
فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة تأويله ما بين يديها من قرى وما خلفها من القرى
أيضا فإن كان على ما ذكره أبو بكر الأصم فقد يكون في الدنيا ويكون منصرفا إلى يوم بدر والله أعلم وكان
الأول أشبه والجحيم هو معظم النار ثم في هذه الآية دلالة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإثبات
رسالته لأن قوله إن لدينا أنكالا وجحيما راجع إلى قوله وذرني والمكذبين أولي النعمة فإن لهم لدينا
أنكالا وجحيما وإنما ينكلون ويعذبون بالجحيم إذا ماتوا على الكفر ففيه إبانة أنهم يموتون وهم
كفار وعلى ذلك ماتوا وختم أمرهم ولم يسلم منهم أحد فيخرج ما أخبر عن غيب كما أخبر وذلك
لا يعلم إلا بالله تعالى فثبت أنه لم يخترعه من تلقاء نفسه بل علم بالله تعالى وعلم الغيب من أعظم آيات
رسالته وقوله عز وجل وطعاما ذا غصة وعذابا أليما فالذي يغص ولا يقدر على ابتلاعه ليس
بطعام في الحقيقة وقال لهم شراب من حميم فالحميم ليس بشراب في التحقيق ولكن سمي الأول
طعاما لأنه يمضغ مضغ الطعام والصديد والحميم تبتلان تبتل الشراب فذكر في الأول طعاما
وفي الثاني شرابا لهذا ولأن الطعام اسم لما يطعم فهو مطعوم وإن كان كريها والحميم مشروب
وإن كان في نفسه كريها ثم الأصل أن الكفرة بكفرهم تركوا شكر نعم الله تعالى ذكره وما بلوها
بالكفر فأبدل الله تعالى لهم في الآخرة مكان كل نعمة نقمة ألا ترى إلى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على
وجوههم عميا وبكما وصما فأبدلهم مكان البصر عميا ومكان السمع صمما لتركهم شكر ما أنعموا
من البصر والسمع واللسان وأبدلهم مكان اللباس قطرانا ومكان المراكب السحب إلى النار على أقدامهم
ووجوههم فكذلك أبدلهم مكان الطعام والشراب زقوما وحميما لتركهم شكر نعم الله تعالى وقوله
عز وجل يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا قد ذكرنا الرجفة في غير موضع
وقوله كثيبا مهيلا أي رملا سائلا ففيه إخبار عن شدة هول ذلك اليوم لأن الجبال من أصلب
الأشياء وأشدها في أنفسها ثم يبلغ هول ذلك اليوم مبلغا لا يحتمله الجبال مع شدتها وصلابتها
فالإنسان الضعيف المهين أنى يقوم لشدته وهوله فذكرهم حال ذلك اليوم لكي يرتدعوا وينتهوا
عما هم عليه في التكذيب والضلال وقوله عز وجل إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا
إلى فرعون رسولا قوله شاهدا عليكم قال أبو بكر الأصم أي ولله مبينا عليكم من الحق وجائز أن شاهدا
عليكم أي لكم وعليكم جميعا فيكون على الكفرة شاهدا بقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ويكون
للمؤمنين شاهدا وقد يذكر عليكم ويراد به لكم كقوله وما ذبح على النصب أي للنصب لأنهم كانوا
يذبحون لها لا عليها وخص ذكر موسى عليه السلام وفرعون من بين الجملة ففائدة ذكر التخصيص
هو والله أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نشوؤه بين ظهراني الذين كذبوه ولم يكن وقفوا
منه على كذبة قط بل كانوا عرفوه بالصيانة والعدالة وكان يجل برونه أهلا للشهادة فكيف ينسبونه
إلى الكذب ولم يعهدوا ذلك منه وكذلك موسى عليه السلام كان نشأ بين ظهراني أولئك الذين أرسل
إليهم وكانوا عرفوه بالصيانة والعدالة وعرفوا أنه يصلح للشهادة ومنهم من يقول بأنهم ازدروا
برسول الله صلى الله عليه وسلم لما استصغروه اعتبارا بما شهدوا من حاله عند الصغر إذ كان نشوؤه فيهم
فكذلك ازدروا بموسى عليه السلام حيث إليهم واستخفوا به استخفافهم به في حالة الصغر حتى قالوا
ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين فنزل بهم ما نزل بأولئك من الاستئصال بتكذيبهم
إياه وازدرائهم به فذكرهم حال مكذبي موسى عليه السلام وما نزل بهم من مقت الله تعالى بتكذيبهم
وازدرائهم ليعتبروا به فينقلعوا عن الازدراء لئلا يحل بهم ما حل بأولئك ولأن لا يغتروا بقوتهم

وكثرة عددهم وأموالهم فإن مكذبي موسى عليه السلام كانوا أكثر أموالا وأولادا وأعدادا وأشد
بطشا فلم يغنهم ذلك من الله تعالى شيئا وجائز أن يكون خص ذكر موسى عليه السلام وفرعون ونبأهما
لأن خبره كان منتشرا فيما بين أهل مكة لأنهم كانوا خبرة اليهود والذين عندهم نبأ موسى عليه السلام
وفرعون فكانوا يخبرونهم بما حل بفرعون وقومه بتكذيبهم الرسول فذكرهم نبأ موسى عليه السلام
لينتهوا عما هم عليه من التكذيب ولأن لله تعالى أن يحتج عليهم بالحجج وله أن يحتج عليهم بجملها إذ في ذلك قطع
الشبه وإزاحة العذر أو ذكرهم نبأ موسى عليه وقومه لأن العهد به كان أقرب إذ قومه
استوصلوا في الدنيا وقوله عز وجل فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا أي شديدا ومنه
المطر الشديد يسمى الوابل وقال أبو بكر اسم لكل معضلة وقوله عز وجل فكيف تتقون إن كفرتم يوما
يجعل الولدان شيبا فهو يحتمل أوجها أحدها أي كيف تتقون النار في الآخرة إذا سلكتم في الدنيا
سبيلها ودمتم على الكفر وأنتم تعلمون أن من سلك طريقا لشيء ولا منفذ لذلك الطريق إلا إلى ذلك
الشيء فإنه يرد عليه لا محالة أو كيف تتقون النار في الآخرة إذا سلكتم في الدنيا سبيلها وهو الكفر
وأنتم تعلمون أن من سلك طريقا لشيء ولا منفذ لذلك الطريق إلا إلى ذلك الشيء فإنه يرد عليه لا محالة أو
كيف تتقون النار في الآخرة وقد تركتم القيام بما عليكم من شكر النعم أو كيف تتقون العذاب في الآخرة
وأنتم تدفعون العذاب في الآخرة وأنتم تدفعون إليها وتضطرون بقوله عز وجل ثم نضطره إلى عذاب
غليظ وبقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم أو بقوله خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم وقد مكنتم
في الدنيا من الإيمان بالله تعالى ومكنتم الانتهاء عن الكفر ثم لم تنتقلوا عنه فأنى تهيأ لكم التخلص من عذابه
وأنتم تدفعون إليه أو كيف تتقون بإيمانكم في الآخرة ولم تؤمنوا في الدنيا وقد مكنتم منه والأصل أن
دار الآخرة ليست بدار لاستحداث الأسباب وإنما هي دار وقوع المسببات فهم إذا لم يستحدثوا الأسباب
التي جعلت لدفع العذاب في الدنيا لم يمكنوا من استحداثها في الآخرة فينتفعوا بها ولم يكونوا أهلا لوقوع
المسببات لما لم يستحدثوا الأسباب في الدنيا وإنما قلنا إنها ليست بدار محنة وابتلاء لأن المحنة لاستتار
الخفيات والثواب والعقاب قد شوهد وعوين فإذا قيل إذا فعلت كذا دخلت النار وهو يعاين
النار ويراها فهو يمتنع عن الإقدام على ذلك الفعل وإذا قيل له إذا آمنت بالله تعالى أكرمت بالجنة وهو
يشاهد الجنة ويراها فهو يؤمن لا محالة فلا وجه ابتلاء في الآخرة بل هي دار وقوع مسببات يعني
الثواب والعقاب والذي يدل على هذا قوله يوما يجعل الولدان شيبا فأخبر أنهم يشيبون لأن سبب
المشيب في الدنيا لا يوجد إلا بعد وجود سببه وهو الكبر ليعلم أن الدار الآخرة ليست بدار استحداث
الأسباب فيما يستحدثون من الإيمان بالله تعالى لا ينفعهم في ذلك اليوم ولا يقيهم من عذاب
الله تعالى وقوله عز وجل يجعل الولدان شيبا فجائز أن يكون هذا على التحقيق فتشيب الولدان
لهول ذلك اليوم يصير الشيب سكارى لشدة هوله كما قال وترى الناس سكارى وما هم
بسكارى وجائز أن يكون على التمثيل لا على تحقيق الشيب فمثله به لعظم ذلك اليوم وشدة
هوله وقد يجوز أن يمثل الشيء بما يبعد عن الأوهام تحقيقه على تعظيم ذلك الشيء كقوله
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا فذكر
هذا على التمثيل لعظيم ما قيل فيه لا على تحقيق الانفطار والانشقاق وجائز أن يكون معناه
أنه لولا أن الله تعالى بعثهم للإبقاء وأن لا يتغيروا ولا يتفانوا وإلا كان هول ذلك اليوم يبلغ
مبلغا تشيب به الولدان وقوله عز وجل السماء منفطر به أي بما يجعل الولدان شيبا وهو هول
ذلك اليوم وشدة فزعه أو منفطر بالغمام وقيل متفطر بالله أي بقضائه وحكمه والله أعلم ثم
قال منفطر به ولم يقل منفطرة والسماء مؤنث فذكر الزجاج أن معنى قوله منفطر به أي ذات
انفطار فعبر بها كما يعبر بنعت الذكور كما يقال امرأة مرضع أي ذات إرضاع وقوله عز وجل كان
وعده مفعولا أي الذي وقع به الوعد مفعول لا أن يكون الوعد هو المفعول وكذا قوله إنه
كان وعده مأتيا والوعد لا يؤتى بل الموعود هو الذي يؤتى ولكن بسبب الموعد لأنه من آثاره
وهذا كما يقال المطر رحمة الله أي برحمة الله ما أمطروا لا أن يكون المطر رحمة ويقال
الصلاة أمر الله أي بأمر الله ما يفعل لا أن يكون أمره الذي يوصف به فكذلك الموعود ينسب
إلى الوعد أن بالوعد ما استوجب لا أن يكون الوعد هو المفعول وهو المأتي وقوله عز وجل
إن هذه تذكرة فجائز أن يكون قوله هذه منصرفا إلى الأهوال التي ذكرها تذكرة ويحتمل أن
ينصرف إلى الرسالة أي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تذكرة ويحتمل أي هذه السورة أو الآيات
كلها تذكرة وقوله عز وجل فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا إلى ما دعاه إليه ربه وذلك يكون بالإجابة
فيما دعاه إليه أو من شاء اتخذ إلى ما وعده ربه في الآخرة سبيلا في أن يقبل على طاعته ويشغل
نفسه بعبادته وقوله عز وجل إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه قال أبو عبيد

الصواب ان يقرأ ونصفه وثلثه بالخفض على معنى اصا فته ادنى اليهما فكانه يقول ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وادنى من نصفه وادنى من ثلثه وادنى يكون على الزيادة والنقصان جميعا لان فضل ما بين الثلث الى النصف هو السدس فما زاد على الثلث اقل من نصف السدس فهو الى الثلث ادنى وكذلك اذا نقص من الثلث شيئا قليلا فهو الى الثلث قريب فيكون ادنى وكذلك الفضل فيما بين النصف الى الثلثين هو السدس فاذا زاد على النصف اكثر من نصف السدس فهو الى الاثنين ادنى واذا نقص من نصف السدس فهو الى النصف ادنى واقرب ومنهم من اختار النصب فيهما والوجهان جميعا محتملان لان قوله ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه ليس فيه ايجاب حكم مبتدا وانما فيه اخبار عن القيام الذي وجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجائز ان يكون وجد منه ذلك كله وهو ان يكون قريبا من الثلثين وقريبا من النصف وادنى من الثلث على ما ذكره اهل المقالة الاولى ويكون قد قام ادنى من ثلثي الليل وقام نصفه وثلثه وادنى من نصفه وادنى من ثلثه فذكر في الثلثين الادنى لما وجد منه الادنى من جهة الزيادة والنقصان ولم يوجد موافقة الثلثين واخبر بالنصف والثلث بالامرين جميعا لوجود الموافقة وهو ان يكون قام نصف الليل وقام ثلثه وقام ادنى من النصف وادنى من الثلث واذا كان هذا كله محتملا لم يجز ان يدفع احد الوجهين ويتمسك بالوجه الاخر وهذا كقوله تعالى قال لقد علمت ما انزل هؤلاء فقرئ برفع التاء ونصبه جميعا لما وجد الامران جميعا وهو ان يكون موسى عليه السلام وفرعون علما الايات جميعا وكذلك قال في سورة سبأ ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد لوجود الامرين جميعا وهو الدعاء والاخبار فقوله عز وجل ربنا باعد دعاء وقوله ربنا باعد على الاخبار ففرق بينهما بالاعراب فكذلك عنهما لما استقام وجود الوجهين من رسول الله صلى الله عليه وسلم استقام ان يقرأ بالنصب والخفض جميعا ويفرق بينهما بالاعراب والله اعلم ثم يجوز ان يكون المفروض من القيام قدر ثلث الليل ويكون الزيادة بحكم النافلة ويجوز ان يكون كله مفروضا وان طال دونا وعلى الثلث والنصف والثلثين فان كان يجوز له الاقتصار على ثلث الليل الا ترى ان فرض الركوع والسجود تقضى بادراك جزء منه وكذلك فرض القيام بالجزء منه ثم ان الركوع وان طال فهو من اوله اخره فرض حتى لو ان داخلا شاد كر في اول الركوع ثم رفع راسه وشاركه ثالث في اخر ركوعه ثم دفع راسه مع الامام صار كل واحد منهم لو اقتصر على جزء منه كفاه ذلك عن فرضه فكذلك الفرض لما انصرف الى قيام الليل فصار جميع ما يؤتى من القيام في الليل وان طال فرضا وان كان قد يجوز الاجتزاء ببعضه وقوله عز وجل وطائفة من الذين معك في هذه الاية وقوله عز وجل فتاب عليكم دليل على ان فرض القيام كان على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من تبعه من المؤمنين وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخصوص بالخطاب بقوله يا ايها المزمل لانه لو لم يكن الفرض شاملا عليهم لم يكن لقوله فتاب عليكم معنى الا ترى انه اذا لم يفرض علينا قيام الليل في يومنا هذا لم يجئ في ترك القيام الى ان يتوب الله علينا ثم ان الله ذكر في التوبة وفيما فيه النسخ خطابا بجمع الجميع بقوله تاب الله عليكم وبقوله تاب الله عليكم وبقوله فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فيما فيه الامر خطابا يقتضي الاحاد وهو قوله قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ففي هذا انه قد يجوز ان يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم على ادخال غيره فيه بتماله ولا يجوز ان يخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم ويراد به اشتراك النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر الخطاب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المتبوع فجائز الحاق غيره به وغيره لا يكون متبوعا حتى يلحق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل والله يقدر الليل ففيه ان الليل والنهار ليسا بمضيان على الخبراف ولكن تقديرا بسبق من الله عز وجل وابين ذلك ظاهرا لانهما يجريان مذ خلقا على تقدير واحد لم يتقدما ولم يتاخرا ولم ينتقصا ولم يزدادا فيكون فيه ابانة ان مدبرهما واحد وان الذي قدرهما هكذا ممن لا تبيد ملكه ولا ينفد سلطانه وقوله عز وجل علم ان لن تحصوه قال بعضهم علم ان لن تطيقوه قال ابو بكر الاصم هذا لا يستقيم لانه جائز ان يكلفهم الله تعالى ما لا يطيقونه الا ترى الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها وليس فيما ذكره ابو بكر ما يرفع هذا التاويل لانه يقال الامر اذا اشتد وتعسر لا يطاق هذا الامر وان لم يكن ذلك خارجا من الوسع الا ترى الى قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وتاويله لا تحملنا امرا يشتد علينا عمله ليس انهم خافوا ان يحملهم وسعهم فيكون قوله علم ان لن تحصوه ان كان تاويله ان لن تطيقوه على ذلك والله اعلم وجائز ان يكون قوله ما لا طاقة لنا به اي لا تحملنا طاقتنا الا ان تحملنا امرا لا يطيقونه الا ترى ان الانسان يحتمل القتل ولكن قتله يهلك طاقته وجائز ان يكون قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به اي اعصمنا من الشهوات واللذات لان لا نؤثرها فيكون مضيعين بارتكابها

قوة الفعل الذي تعبدنا به فلا تصل الى فعله وهذه هي القوة التي لا تزايل الفعل بل يقارنه وانما الفعل الذي هو خارج عن احتمال الوسع والطاقة فذلك هو الذي لا يقع بمثله التكليف وجائز ان يكون تاويل قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا احدا ما امركم به لو اخذ عليكم في امر تقدير الثلث والنصف لم يمكنكم ذلك الا بعد جهد ففرض عليكم قيام الثلث من الليل وجعل لكم الامكان في ان تزيدوا عليه ثم فيحبط عملكم بقيام الثلث ولو كان على حد واحد لم يمكنكم حفظه الا بعد شدة وجهد وفي ذلك كلفة عسيرة ويؤيد هذا تاويل من قال علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوه ويكون الطاعة عبادة في التعسير واشتداد الامر عليكم فهذه الاية دلالة على اباحة تعليق الحكم بالاستحسان لانه فرض عليهم قيام ثلث الليل ولا يمكنهم تدارك الثلث بتقدير الاحاطة وانما يمكنهم بالتقدير الذي يقلب على القلب فثبت انه قد يجوز ان يكون الحكم معتبرا بما يقع في القلوب ويغلب على الظنون والاستحسان ليس الا تعليق الحكم بما يغلب على القلوب والذي يدل على ان الحكم يلازم بما ذكرنا ان الله تعالى الزم الحد على الزاني ولم يبين مبلغ وقوع الضرب فيه ولا ما يضرب به فقدر ذلك بما يقع في القلوب ان مثل هذا الضرب يصلح لمثل هذه الجناية وكذلك قيم الاشياء والاروش والنفقات وتسوية المكاييل والموازين يعتبر ذلك كله بغلبة الظنون من غير ان كان لشيء من ذلك اصل يقدر النوازل به ويلتزع منه فثبت انه يجوز ان يحكم بالذي يغلب على القلوب وان المجتهد يرجع الى وجهين مرة ينظر غيره فيتمثل بهذا فيسمى ذلك قياسا ومرة يحكم فيها بما يغلب على الظنون فيسمى ذلك استحسانا وفي هذه الاية دلالة ان سؤال من سال ابا حنيفة رحمه الله ان الوتر لو كان له مشابه في الفرض لكان لا يختلف لعدده سؤال غير مستقيم لانه قد فرض على القوم ان يقوموا ثلث الليل وقد اخبر عز وجل انهم لا يحصون حدما امرهم به واذا لم يحصوا فلا بد ان يقع هنالك زيادة او نقصان فكذلك الوتر وان كان حد عدده غير معروف وهو لا يخرجه عن حكم الفرائض والله اعلم ثم في قوله عز وجل علم ان لن تحصوه فتاب عليكم هو ان الله وقت ما فرض عليهم علم انهم لا يحصونه ولكن بين هذا ليعلموا ان الله تعالى ان يكلفهم اقامة العبادة الى وقت لا ينهيا لهم احاطة مبلغ ذلك الوقت الا بعد جهد ليعرفوا منة الله تعالى عليهم اذا اسقط عنهم ذلك التكليف وهو كقوله عز وجل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ولكن ذكر هذا ليعلموا انهم يكلفون القيام للعشرة وان كان بهم ضعف لكن اذا خفف عنهم عرفوا ما لله عليهم من عظيم المنة وقوله عز وجل فتاب عليكم فيحتمل ان يكون طائفة منهم امتنعوا عن القيام فيكون التوبة راجعة اليهم الا ترى الى قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك فهذا يبين انهم جميعا لم يقوموا معه وانما قامت طائفة فيكون التوبة راجعة الى الطائفة التي امتنعت عن القيام وجائز ان يكون راجعة اليهم والى الذين قاموا معه فيكون الذين قاموا معه قصروا القيام عن الحد الذي شرط عليهم فافتقروا الى التوبة ايضا كما افتقر اليهم من تخلف عن القيام فتاب الله عليهم جميعا والله اعلم وقوله فاقرءوا ما تيسر من القران فمنهم من ذكر ان قيام الليل صار منسوخا بهذه الاية ومنهم من يقول بان النسخ وقع بقوله تعالى واقيموا الصلوة وهي الصلوة المفروضة وليس بينهما فرق عندنا وانما نسخ بهما جميعا ووجه النسخ هو ان فرض القيام فلو كان باقيا لكان لا يجوز لهم ان يكتفوا من القراة بما تيسر عليهم لانهم اذا قاموا الى ثلث الليل لزمهم تبليغ القراة الحد فيتعسر عليهم ويشتد فاذا اذن بالاقتصار على القدر الذي يتيسر علم انه قد سقط عنهم ان يقوموا ثلث الليل ثم هو انا اذا قام صلوة المغرب والعشاء فقد قرا من القران ما تيسر عليه فصار فاضيا لما اقتضاه قوله فاقرءوا ما تيسر من القران ثم من هذا الوجه استدلوا بهذه الاية على نسخ حكم القيام بالليل ثم هذه القراءة يقيمها في الصلوة فيكون النسخ واقعا بها ثم من الناس من زعم ان فرض القيام سقط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن امته واستدل بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وان كان الفرض عليه قائما لم يكن التهجد به نافلة ومنهم من زعم انه لم يسقط عنه فرض القيام بل دام عليه الى ان قبض عليه السلام واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كتب علي قيام الليل ولم يكتب عليكم ومعناه بقي علي مكتوبا ورفع عنكم اذ قد دللنا ان القيام في الابتداء كان عليه وعليهم جميعا وقد قال بعض الناس ان صلوة الليل لم يكن فرضا على امته بهذا الحديث وما ذكرنا حجة عليهم ثم الجواب عن التعلق فتهجد به نافلة لك معناه غنيمة لك لان يكون القيام منه تطوعا ووجه صرفه الى الغنيمة وهو ان العبادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الشكر لله تعالى فيصير بها مكتسبا للفضيلة وليس يقع ذلك موقع التكفير للسيئات لانه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فلم يكن يحتاج الى اتيان الحسنات لتكفر عنه السيئات فثبت ان الفعل منه يقع موقع الاكتساب الفضيلة فيدوم له ذلك الفضيلة ويستوجب بها جزيل الثواب وذلك من اعظم الغنائم والذي يدل على ان فعله يخرج مخرج الشكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله اما يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا واما غيره فان الحسنات منهم مكفرة السيئاتهم ومطهرة لزلاتهم قال الله تعالى ان الحسنات يذهبن

التبات فهم بحسناتهم لم يصبروا ومكنتين الفضلة في سنا نفلا وقات فيصبروا بها مغتنمين
بل رفعوا زلاتهم وطهروا انفسهم من المآثم فلم يصر القوي منهم والله اعلم فلهذا ما سمين تهجدا
نافلة لا ان يكون وقيامه نفلا وقوله عزوجل علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في
الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله فمنهم من زعم ان هذه السورة كلها
مكية ومنهم من زعم ان اولها مكية واخرها مدنية ويحتج هؤلاء بقوله تعالى واخرون يضربون
في الارض وبقوله يجاهدون في سبيل الله وذلك ان الجهاد فرض على المسلمين بعد الهجرة الى المدينة
ولم يوجد منهم الضرب في الارض في حال كونهم بمكة وفي هذا اخبار عن جهاد طائفة وعن ضرب
بعض في الارض فثبت ان نزول هذه الايات كانت بالمدينة واحتجوا ايضا بقوله فاقيموا الصلوة
واتوا الزكوة قالوا ان الزكوة انما فرضت عليهم بعدما هاجروا الى المدينة وفي هذا امر بايتاء الزكوة
فثبت ان نزولها كانت بالمدينة واما اول السورة فهي في موضع المحاجة على اهل الشرك ولم يكن
بالمدينة مشرك بل كانوا اهل كتاب ومن ذكر انها كلها مكية فهو يحمل قوله واخرون يضربون في الارض
يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله على الوعد والبشارة ليس على الايجاب والوجوب لانه
الى قوله عزوجل علم ان سيكون منكم مرضى فاخبر انه سيكون منكم مرضى لا ان كانوا مرضى في ذلك الوقت فلم يكن فيما
ذكر دلالة كونها مدنية ثم الاية ان كانت على الوعد ففيه انهم كانوا في ضيق من العيش وكانوا من القوم في خوف
فيكون فيه بشارة انه يرفع عنهم الضيق بما يضربون في الارض ويوسع عليهم العيش وانه يفتح لهم الفتوح ويكثر
انصارهم حتى يقهروا العدو ويقع لهم من نا مينهم الامن وقد ال الامر الى ما بشروا به ففيه اثبات رسالته
عليه الصلوة والسلام اذ اخبرهم عن علم الغيب وكان الامر على ما اخبر ثم قوله عزوجل علم ان سيكون
منكم في موضع الاعتلال انه انما خفف عليهم الامر بما ذكر من الاعتذار من المرض والضرب في الارض
والمجاهدة في سبيل الله والتخفيف اذا وجب العذر فما لم يلاق العذر حالة الفعل لم يخفف فكيف خفف
عنهم قبل وقوع الاعذار ولكن هذه الاعذار وان تحققت حملا بلا في الفعل بل تتقدمه لان المجاهدة
تكون بالنهار لا بالليل وكذلك الضرب في الارض وقته النهار لا الليل والقيام كان بالليل ليس بالنهار ثم
قد وضع عنهم قيام الليل وان لم يكن العذر ملاقيا للقيام فعلى ذلك جائز ان يرفع عنهم القيام بالليل وان
لم يات بعد وقت المجاهدة ولا كان الضرب موجودا اذ ليس في ذلك كله الاعدام ملاقات العذر حالة
القيام ووجه رفع قيام الليل عنهم بالمجاهدة والضرب في الارض وان كانا يختصان بالنهار لا بالليل
هو ان المجاهدة بالنهار يضعفهم وتوهن قواهم فيتعذر عليهم قيام الليل وكذلك الضرب
في الارض فمن الله تعالى عليهم بان رفع عنهم قيام الليل وان لم يوجد منهم الاشتغال بالجهاد بالليالي
والله اعلم ثم الضرب في الارض يكون للتجارة ولغيرها من الوجوه لطلب العلم وغيره من الاسباب
فلا يحصل امر الضرب على التجارة خاصة وقوله عزوجل فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة قال ابو بكر في
قوله واتوا الزكوة دلالة ان هذه الاية مدنية لان الزكوة انما فرضت عليهم بالمدينة فان كان
الامر على ما ذكر ان فرضها نزلت بالمدينة فذلك عندنا مصروف الى زكوة المواشي خاصة لان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم بمكة سوائم لانهم كانوا يخافون العدو فلم تتهيأ لهم اسامة
المواشي واما ما رجع من الزكوات الى غيرها من الاموال فيشبه ان يكون واجبة عليهم في حال كونهم بمكة
وبعد مفارقتهم منها ولا يكون في الامر بايتاء الزكوة دلالة نزولها بالمدينة والله اعلم وقوله عزوجل واقرضوا
الله قرضا حسنا فالقرض في لغة العرب القطع يقال قرض الفأر الجراب اي قطعه فسمي القرض
قرضا لهذا لانه يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذلك هو بالتصدق يقطع ذلك القدر
فيجعله لله تعالى خالصا فسمي اقراضا لهذا ويجوز ان يكون اضاف الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما
يتصدق عليه اذ الاقراض حصل فيما بينه وبين ربه فيصير الفقير معاونا في تلك القربة ولان المرء
في الشاهد انما يقرض في الشاهد ما يفضل من حاجته فيدفعه الى من يتقرب اليه ليسترده منه عند حاجته اليه
فكذلك التصدق انما وجب في المال الذي يفضل عن حاجاته فيقرضها الله تعالى فيجدها مهياة عند ماس
الحاجة ثم المال الذي يدفعه الى الفقير على جهة التصدق هو مال الله تعالى ثم جعل الله ذلك منه
اقراضا له جل جلاله واضاف الى نفسه فيكون الفائدة في الاضافة الى نفسه هو تفضيل عمله ليرغبه في
في مثل ذلك الفعل على جهة التكرم منه وهو كما سمي الثواب الذي يتفضل على عباده اجرا بقوله
فمن عمل صالحا فلنفسه ومن عمل لنفسه لم يستوجب الاجر على غيره وسمى الذي يقتل شهيدا بايعا
نفسه لله تعالى على تفضيل وترغيب العباد في مثله لقوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
وقوله عزوجل وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله معناه تجدوه حاصلا لكم والا فكل شيء
تقدمونه من خير او شر تجدونه حاضرا في ذلك اليوم ولكن انه يكون عليهم قال الله تعالى يوم تجد كل
نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقال عزوجل لا يغادر

صغيرة

وصغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله عزوجل هو خيرا واعظم اجرا وفي حق الكلام ان يقول هو خير لانه
هو يرفع ما بعده ولكن هو كالفصل هاهنا وحقه الحذف واذا حذف انتصب الكلام لان معناه
ان الذي تجدونه عند الله خيرا لكم مما خلفتم فيكون خيرا مفعولا ثانيا فقوله عزوجل هو خيرا واعظم
اجرا يحتمل وجها احدها انه خير لكم واعظم اجرا مما خلفتم لورثتكم فيكون فيه ان الذي يخلفه
لورثته له فيه خير ولكن ما يقدم لاخيرته والذي يدل على ان له فيما يخلفه لورثته خيرا قوله
عليه السلام انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم فقراء يتكففون الناس والثاني ان المرء
في الشاهد قد يسخو نفسه ببذل الاجلة لما يامل منهم من المال الثواب العاجل فيكون في قوله هو خيرا
واعظم اجرا ترغيب للعباد في تقديم الاموال لوجه الله تعالى لانه اذا رغبت انفسهم في بذل الاموال
لاجلة طمعا للمنافع التي تحصل لهم فكان بذل المال لوجه الله تعالى اعظم في الاجر فهو ان يقع فيه
الرغبة ولان النفس قد يتحمل المكروه في الشاهد لمنافع يأملها في ثاني الحال فاذا طمعت لما يبذل لوجه
الله تعالى الثواب الجزيل والاجر العظيم خف عليها تحمل المكروه وبناله بالبذل ويجوز ان يكون قوله
عزوجل واعظم بمعنى عظيم اذ قد يستعمل حرف افعل في موضع فعيل كما يقال اكبر بمعنى كبير والله اعلم
عزوجل واستغفروا الله فالاستغفار هو طلب المغفرة او ذلك يكون باللسان مرة وبالافعال
ثانيا فطلب المغفرة من جهة الفعل ان ينتهي عن الفعل الذي يستحق عليه العقاب ويجب ان يعاد عنه
اليه قال الله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فجعل انتهاءهم عن الكفر ودخولهم في الاسلام
سبب مغفرتهم وقال الله عزوجل استغفروا ربكم انه كان غفارا وليس استغفارهم ان يقولوا باللسان
اللهم اغفر لنا ولكن معناه ان انتهوا عما انتم عليه من الكفر واجيبوا ربكم فيما دعاكم اليه فهذا
هو الاستغفار من جهة الافعال واما الاستغفار باللسان وهو طلب المغفرة يكون على وجهين
احدهما ان يسأل ربه التجاوز عن سيأته والثاني ان يسأل حتى يوفقه السبب الذي اذا جاء به
المغفرة استوجب وعلى هذا التأويل يخرج استغفار ابراهيم عليه السلام لابيه وهو انه طلب
من ربه ان يوفقه لما فيه نجاته وهو الاسلام لابيه وهو انه طلب من ربه ان يوفقه نجاته
وهو الاسلام لا ان يسأل ربه ان يغفر له مع دوامه على الكفر الا ترى انه امتنع عن الاستغفار
له حيث تقررت عنده عداوته لله تعالى وعلم انه لم يوفق السبب الذي يستوجب به المغفرة
قال الله تعالى فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فثبت انه لم يطلب منه المغفرة مع دوامه على
الكفر ولكن الوجه الذي ذكرنا والله اعلم بالصواب

نادم في الاستغفار

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عزوجل يا ايها المدثر قيل ان الذي حمل رسول الله صلى الله عليه
وسلم على التدثر انه كان في بعض طرق مكة اذ سمع صوتا من السماء والارض فنظر عن يمينه وعن
يساره وامامه وخلفه فلم ير شيئا ففرق منه فاتى بيته وقال زملوني فدثروه فان صح ما قالوا
والا لم يسعهم ان يشهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي حمله على التدثر ما ذكروا من
الفرق ولان التدثر ليس مما يكن به الروع الذي يحل بصاحبه من الصياح وذكروا ان اول ما نزل
من الوحي قوله يا ايها المدثر فان صح ما ذكروا فاول ما اوحي اليه هو الصياح الذي سمعه اذ كان
ذلك متقدما على قوله يا ايها المدثر قم فانذر وقيل ان كفار مكة قذفوه بالسحر واجمعوا رايهم
على ان ينسبوه اليه وفشا هذا القول فيهم له احزنه ذلك فدخل بيته وتدثر ثيابه فامره الله تعالى عزوجل
ان يقوم فينذرهم بقوله يا ايها المدثر قم فانذر وعلى هذا التأويل يكون نازلا قبل نزول هذه
السورة حتى سموه ساحرا لما تروا منه من الايات والله اعلم وذكر ان موسى صلوات الله على نبينا
وعليه قال اتاني ربي من طور سيناء وسياتي من طور ساعورا وسيطلع من جبل فاران فان صح هذه
الخبر فمعنى قوله اتاني ربي اوحى الي وقوله وسياتي من طور ساعورا هو الوحي الى عيسى عليه السلام
وقوله وسيطلع من جبل فاران وهو القران الذي انزل على نبينا محمد عليه الصلوة والسلام وفي
هذا الخبر دلالة ان الاخبار التي فيها ذكر نزول الرب في كل ليلة الى سماء الدنيا وهو على نزول
امره اليه الا ترى انه قال هل من داع فيجاب هل من مستغفر فيغفر له فجاز ان يكون رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اول ما اوحي اليه كان بجبل فاران وهو جبل من جبال مكة او كان ذلك الجبل منسوبا
الى ذلك المكان ثم في قوله عزوجل يا ايها المدثر تثبيت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واثبات رسالته
وذلك ان يعرف المرء بما عليه من الثياب وتسبه اليه لا يخرجه مخرج التعظيم والتبجيل وانما التبجيل
فيما يدعى باسمه او بكنيته فلو كانت الامر على ما زعمت الكفرة ان هذا القران ليس من عند الله وان

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي اخترعه من ذات نفسه لكان لا يعرف نفسه نبيا بل يعرفها
بما فيه بتجليها وتقبلها فاذا بفعل ثبت انه كان رسولا حقا بلغ الرسالة على ما اوحى اليه واذى كما امر
على ما ذكرنا في الايات التي خرجت مخرج المعاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيها تثبت رسالته
نحو قوله عبس وتولى وغيرها من الايات وجائز ان يكون نسبته الى نبا بل ليعلم الخلق ان لا باس للمرء ان يعرف
اخاه نبيا بروحيا ثم ان يكون نسبته الى الثوب الذي يدثر به مخرج مخرج التعظيم لذلك الثوب
لموافقته حال نزول الوحي وهذا لما ذكرنا ان اضافة الاشياء الى الله تعالى نحو الجنات تخرج مخرج تعظيم
ذلك الاشياء كقوله ناقة الله ومسجد الله ورب العرش على تعظيم العرش وتعظيم امر الناقة وتشريف
المسجد واضافة الاشياء اليه نحو الكائنات تخرج مخرج تعظيم الله تعالى كقوله رب العالمين رب السموات
والارض وما بينهما ثم اذن للمرء ان يسبح ذكره فيقول سبحان ربي العظيم فيخص نفسه بقوله ربي
والحق في مثله ان يقول سبحان ربنا الئلا يخرج ذلك مخرج تعظيم النفس كقوله رب العالمين ورب
السموات والارض وما بينهما اذ الاضافة من الجانبين على السوا فيما ذكرنا لكن ذلك اذا وافق
الحالة التي فيها تعظيم الرب ووصفه بالعلو وهي الركوع والسجود اذن له بان ياتي بهذا الذكر وان
خرج ذلك مخرج تعظيم النفس فكذلك ذلك الثوب الذي تدثر به النبي صلى الله عليه وسلم اذا و
افق حال نزول الوحي عظم شانه من ذلك الوجه فنسب الى ذلك الثوب ثم المرء انما يتدثر عندما
يريد ان ينام او عند طلب الراحة ولبث تلك الحالة حالة يستحي المرء صاحبه الكبراء العظماء في
مثل تلك الحال فضلا من ان يصحب الملك في مثل تلك الحال فيكون في هذا دلالة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يطلع على الاوقات التي كان ياتي فيها الوحي واذا لم يعلم كان الامر عليه اصعب
واشد منه بين له لانه اذا لم يبين له لزمه ان يصون نفسه في الحالات كلها عن اشياء يستحيي مع
مثلها الخلوة بالملئكة وهذا لم يبين لاحد منتهى عمره ليكون ابدا مستعدا للموت فيمكن يحل به
ساعة بعد ساعة ويكون ابدا على خوف ووجل من ذلك والله اعلم وقوله عز وجل قم فانذر
خص النذارة دون البشارة وقد كان هو نذيرا وبشيرا في ذكر النذارة ذكر البشارة وان امسك
عنها لان النذارة ليست ترجع الى نفس الخلايق وانما النذارة هي تبيين عواقب ما ينتهي اليه حال
من التزم العمل المذموم فاذا استوجب النذارة بالتزامه ذلك الفعل فقد استوجب البشارة
في تركه فثبت ان في النذارة بشارة وفي البشارة نذارة ايضا فاقتصر بذكر احدهما عن
ذكر الاخرى وليس في قوله قم الزام قياما ولكن معناه قم في انذار الخلق وبشارتهم على ما ينتهي اليه وسعك
وقوله عز وجل وربك فكبر اي عظم وتعظيمه ان يجيبه فيما دعاه اليه ويطيعه فيما امره وان يحل ما لزمه
عليه فذلك تعظيمه لا ان يقول بلسانه يا عظيم فقط وجائز ان يكون تاويله اي عظمه عن المعاني التي قالت
فيه الملحدة من ان الله تعالى ولدا وان له شريكا ونزهه فيها او عظم او عظم بقدره او شكر نعمه وهذا
كما يقول ان تحب الله تعالى ليس بانه ما واتيا او امره لا ان يكون هي شيء يعتري في القلب فيصعق منه
المرء ويغشى عليه فكذلك تعظيم الله تعالى يكون بالمعاني التي ذكرنا لا ان يكون بالقول خاصة
وقوله عز وجل وثيابك فطهر جائز ان يكون اريد بالثياب نفسه ويجعل الثياب كناية عنها كما ذكر
ان العرب كانت تقول اذا كان الرجل ينكث العهد ولبس بذي وفاء انه لدنس الثياب واذا كان
له وفاء قالوا انه لطاهر الثياب فان كان الخطاب متوجها الى النفس فتاويله والله اعلم ان طهر خلقك
وافعالك واقوالك مما يذم عليه وجائز ان يكون اريد بها الثياب فيكون قوله وثيابك فطهر
متوجها الى التطهير من النجاسة والى التطهير من الادناس فاما التطهير من الانجاس فقد امتحنا
جميعا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم واما التطهير من الادناس فجائز ان يكون امر به النبي
صلى الله عليه وسلم خاصة لانه كان مامورا بتبليغ الرسالة الى الخلق فندب الى تطهير ثيابه
من الدنس لان لا يستقذر بل ينظر اليه بعين التبجيل والعظمة وليس هذا على تطهير الثياب
خاصة بل امر ان يطهر جميع ما يقع له به التمتع من الماكل والمشرب والملبس وغيرها والله اعلم وعن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال لا يلبس الثوب على فجور ولا غدر قيل وكان الرجل اذا كان غادرا
في الجاهلية يقال انه دنس الثياب وقال الحسن خلقك فحسنه وقال بعضهم اي قصر ثيابك ولا
تطولها فيقع اطرافها على الارض فيصيبه النجاسة والله اعلم وقوله عز وجل والرجز فاهجر فالرجز
اسم لما يعذب عليه فيكون منصرفا الى ما يتاذى به النفس ويتالم به النفس كالست في انها اسم
لما يتاذى به ولما يتالم عليه النفس قال الله تعالى لهم عذاب من رجز اليم فالماثم اسم لما يتاذى
به النفس فهو اسم للامرين العذاب وما يتالم به جميعا وصرف اهل التاويل الرجز الى الماثم
ها هنا وذكر قتادة انه كان بمكة صنمان اساف ونائلة فكان يمر الى عليهما من المشركين مسح وجوههما
فامر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يعتزلهما بقوله والرجز فاهجر وقيل ايضا بان المشركين

اضافة الكليات

اي المهمات تعظيم الله تعالى في التزام ما امر ونهى دون القول فقط باعظم

قالوا

قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو مسحت وجوههما لكان ان نؤمن لك ونتبعك فانزل الله تعالى و
الرجز فاهجر اي فاهجر عبادة الاوثان وقيل الرجز العذاب فجملته يرجع الى ما ذكرنا انه اسم للعذاب
ولما يعذب عليه والله اعلم وقوله عز وجل ولا تمنن تستكثر قال مجاهد والحسن تاويله ان لا تستكثر عملك
فتمن به على التقديم والتاخير فان كان التاويل هذا فالمراد من الخطاب غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
وان كان هو المذكور في الخطاب اذ لا يتوهم ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يمن على ربه ولا ان يستكثر
عمله لله تعالى لان هذا النوع من الصنيع لا يفعله واحد من العوام الذي خص بادنى خير فكيف يتوهم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان الامتنان على الله تعالى من فعل المنافقين قال الله تعالى يمنون
عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم ويجوز ان يكون الخطاب له وان كان هو معصوما من ذلك
لقوله ولا تدع مع الله الها اخر ونحوه وهذا كما ذكرنا ان العصمة لا تمنع وقوع النهي اذ العصمة
لا ينتفع بها مع ثبات النهي لها اذا لم يكن فلا فائدة في العصمة وقال بعضهم ولا تمنن تستكثر اي لا تعطي
عطية يلتمس بها افضل منها في الدنيا من الثواب نهي عن اكتساب الاسباب التي يتوصل بها الى
استكثار المال في الدنيا من التجارة وغيرها الا القدر الذي لا بد له ويقع اليه الحاجة الا ترى
الى قوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم فاذا نهي عن مد عينيه الى ما متعوا فهو اكتساب
المال احق ثبت ان الله تعالى نهاه عن اكتساب ذلك وجمعه وذلك وجعل رزقه عليه السلام
من الوجه الذي لا يبلغه حيل البشر وهي الفيء والغنيمة ثم نهي عن امساكه وادخاره
لنفسه بل امر ان يصرف في امته بقوله عليه السلام ما لي من هذا المال الا الخمس وهو مردود فيكم
وقال الله عز وجل ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى
الاية وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر لغد وقال الله تعالى لا يغرنك تقلب
الذين كفروا في البلاد متاع قليل فثبت انه كان منهيا عن اكتساب الاسباب التي يتوصل بها الى
اكتساب الاموال والى الجمع فنهي عن العطايا التي تلتمس بها افضل منها في الدنيا والله اعلم
وقوله عز وجل ولربك فاصبر ففي هذا دعاء الى الاخلاص الصبر لله تعالى والى ان الصدق فيه وفي
قوله عز وجل فاصبر لحكم دعاء الى نفس الصبر وجائز ان يكون هذا ايضا على الامر بالصبر
فيكون على التقديم والتاخير كانه يقول فاصبر لربك اي اصبر على ما يؤذي ولا تجازهم بصنيعهم
فان الله تعالى يكفيهم فيكون هي هذا اثبات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتحن بالامور
التي يكرهها نفسه وليشتد عليها فدعاه الله تعالى الى الصبر على تحمل المكاره والله اعلم وقوله
عز وجل فاذا نقر في الناقور نقر اي نفخ والناقور الصور وهي كلمة كتب الاولين ذكرها هنا فاذا
نقر في الناقور وقال في موضع اخر فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وقال في موضع ان كانت الا
صيحة واحدة فجائز ان يحمل هذا كله على التحقيق فيتحقق الصيحة والزجرة والنقرة ثم
يعقبها الساعة وجائز ان يكون هذا على التمثيل فيكون فيه اخبار عن سهولة ذلك الامر وهونه
على الله تعالى لان الصيحة والوخز والنفخة والنقرة امر سهل لا يشتد على احد ويكون على تقصير
الوقت على الذين ينفخ فيهم الروح اي الارواح يرد عليهم في قدر النفخة والزجرة والصيحة
خلاف الامر النشاة الاولى لان في النشاة الاولى انما نفخ فيه الروح بعد كونه نطفة في بطن
امه اربعين يوما ثم علقة ثم مضغة لذلك القدر من المدة ثم نفخ فيه الروح بعد مدد
واوقات وفي النشاة الاخرى ينفخ الروح بالقصر من المدة وذلك قدر النفخة والزجرة و
الصيحة والله اعلم وانما قلنا بان التاويل قد يتوجه الى التمثيل دون التحقيق وان ذكر في بعض الاحاديث
تثبت الصورة والناقور لانها من اخبار الاحاد وخبر الواحد يوجب علم العمل ولا يوجب
علم الشهادة وفي تحقيق الصور والناقور ليس الا الشهادة لذلك لم نحصل الامر على التحقيق
والقطع لئلا يقطع الحكم على الشهادة ثم قد ذكرنا ان قوله اذا جواب سؤال واقع عن تمييز
وقت كانه قيل له فاصبر الى ان ينقر في الناقور ويكون جوابا لقوله قم فانذر اي انذرهم
مما يحل باهل الشرك من العذاب ينقر الناقور او يكون جوابا سارهقه صعودا اذا نقر في الناقور
او كان بالسؤال واقعا عن امر لم يشر الى ذلك الامر والله اعلم وقوله عز وجل فذلك يومئذ
يوم عسير على الكافرين غير يسير ذلك اليوم يوم رحمة للمؤمنين اذ في ذلك اليوم يكرمون
وينالون عظيم الدرجات من ربهم ولكن الله عز وجل وذلك اليوم في غيرهم من كاتب والاحوال
التي يكونون فيها وان كانت تلك الاحوال تنزل على غير المؤمنين مرة سماوات واقعة ومرة قارعة ومرة
حاقة وانما يقع العذاب على الكفرة ويحق عليهم فلذلك سماه عسيرا وان كان هو عسيرا على غيرهم
وجائز ان يكون عسيرا على الخلايق اجمع بعض هول ذلك اليوم يشمل الفرق كلها كما قال وترى الناس
سكارى ثم ان المؤمنين يفرج عنهم الاهوال بما ياتيهم من البشارات والكرامات عن الله تعالى ويبقى

حسرة على اصحاب النار وقوله عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا ذكر ان هذه الاية نزلت في شان الوليد بن المغيرة والاصل ان الانباء التي ذكرت عن الانبياء المتقدمة في المخاطبات التي جرت بينهم وبين الفراعنة فيها انباء ما جرت بينهم وبين الاحاد منهم وذلك ان فرعون كل نبي كان واحدا وكان من سواه يقلد عن رايه وينتهي الى تدبيره فكان يستغني عن مخاطبة من سواه وقد كثرت فراعنة نبينا صلى الله عليه وسلم فكان كل واحد منهم يدعي الرياسة لنفسه ويمتنع عن متابعة غيره والتقيد وزعم دابروا الانقياد له منهم ابو جهل ومنهم الوليد بن مغيرة ومنهم ابو لهب وغيرهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج الى ان يخاطب كلا بنفسه ومن احتاج الى المخاطبة الفوا مرا واجابة كل واحد بحياله كان الامر عليه اصعب من الذي احتاج الى مخاطبة واحد وهذا ان المحنة على رسولنا عليه السلام كانت اكثر مما امتحن من تقدمه من الرسل عليهم السلام ثم وقوله ذرني ومن خلقت وحيدا فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمنعه عن شيء حتى يقول له ذرني ولكن هذا الكلام مما يتكلم به على الابتداء على جهة اظهار القوة يقول الرجل لاخر خل بيني وبين فلان ودعني واياه من غير ان يكون سبق منه المنع فيريد به اظهار القوة من نفسه انه كاف فيه وقادر على دفع شره عن نفسه فيكون في قوله ذرني ومن خلقت وحيدا من الله تعالى اياه الى ان لا يتعرض له ولا يجاذبه بصنيعه فان الله تعالى يكفيكم ويدفع عنك شره ويكون فيه نهي عن ان يدعو عليه بالهلاك والثبور ويصبره الى ان ياتيه امر الله تعالى فيكون في هذا مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان المتنازعين اذا تنازعا في شيء وحدث بينهما شر فانتصب ثالث ونصر احدهما خف الامر على المنصور ويفرح لذلك ويتسلى به فاذا كان الله تعالى هو الذي يقوم بنصر المصطفى عليه الصلوة والسلام ويكفيه عن عدوه كان ذلك اكثر في التسلي والتفرج فيكون في هذا تمكين من الصبر الذي دعي اليه بقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وبقوله فاصبر لحكم ربك الاية في قوله عز وجل خلقت وحيدا يحتمل وجهين احدهما اي خلقته وحدي ولم يكن لي في الخلق ناصر ومعين ولا مشير وجائز ان يكون معناه اي خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد فيكون في هذا وعيد وتخويف لذلك اللعين اي كيف لا يخاف ان يعاد الى الحالة التي كانت عليها يوم خلق بلا مال ولا ناصر كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقوله عز وجل وجعلت له مالا ممدودا قيل مالا ممدودا اي مالا لا ينقطع بل يكون له مدد وذكر عن مجاهد انه قال كان ذلك الف دينار وقال السدي مالا ممدودا وقيل اراد به ما جعل له من الضياع بالطائف ثم في السنة مرتين ولكن عندنا المال الممدود هو المتتابع لا ينقطع مدده لا يقع تحت الاحصاء وقوله عز وجل وبنين شهودا اي حضورا لا يغيبون ويكون فيه وجهان من الحكمة احدهما ان ماله قد كثر حتى الى تفريق اولاده في الجمع والاكتساب بل كان ثابته سيما لا يحتاج الى تكلف اسباب الجمع والثاني ان غاية ما يراد ويتمنى ويلتمس من البنين هو ان يستانس بالنظر اليهم ويستعين بهم ويستنصر اذا احتاجوا الى ذلك ففيه انه قد نال مناه ووصل الى ما يرغب اليه النفوس من كثرة الاموال والاولاد وقوله عز وجل ومهدت له تمهيدا اي بسطت له في الدنيا بسطا وقيل التمهيد هو التمكين وقوله عز وجل ثم يطمع ان ازيد كلا فجائز ان يكون طمعه منصرفا الى الزيادة في الاخرة كقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات فحسبوا انهم اذا ساووا اهل الايمان في الدنيا ساووهم في الاخرة لو كان الاخرة حقا فكذلك هذا اللعين حسب انه يبسط عليه بنعيم الاخرة كما بسط عليه بنعيم الدنيا فكان قوله كلا ردا عليه فان كان على هذا ففيه اعظم الدلالة على اثبات رسالته محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر ان ليس له نصيب في الاخرة وانما يحرم النصيب اذا اختتم على الكفر كما اذا قال فكان وهذا اخبار منه عن امر الغيب فصدق خبره وخرج الامر حقا كما قال فثبت انه بالله تعالى علمه وجائز ان يكون طمعه الزيادة في الدنيا فقطع عليه طمعه بقوله كلا وذكر ان ماله بقي فرولهذه الاية اخذ في الانتقاص الى ان اهلكه الله تعالى ولم يزد شيئا فيكون هذا ايضا في الاول من اثبات الرسالة وقوله عز وجل انه كان لاياتنا عنيدا فهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اكثر نعمه عليه ثم ذلك الملعون مع كثرة نعم الله عليه هو عليه واحسانه اليه عاند ولم يطعه في اوامره فكيف ترجوا انت منه في معاملته اياك مع معاملته اياه بما يخالف مراده وهواه فيكون فيه ما يدعو الى الصبر والعناد هو مخالفة الحق عن علم بانه هو الحق فيكون قوله انه كان لاياتنا عنيدا انه بعد علم واحاطة ويقين عاند ايات الله وخالف امر رسول الله واستكبر والمكابر هو الذي يكابر عقله فيخالف ما يشتبه عقله بالاقوال او بالافعال ثم في قوله عز وجل ثم يطمع ان ازيد كلا ابطال قول من قال ان الله تعالى لا يفعل بعباده الا ما هو اصلح لهم لان قوله ان ازيد لا يخلوا اما ان يكون الزيادة التي كان يطمعها خيرا له وفي شرط الله تعالى عندهم ان يزيده وفي قوله كلا قطع طمعه للزيادة فيصير بحرمان الزيادة عنه فكيف جعل اية رسالته من الوجه الذي هو جور عندكم وان كان حرمان الزيادة خيرا له واصلح

فكيف جعل الحرمان ايضا علما لنبوته وكان عليه ان يحرمه على زعمكم وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم يطمع ان ازيد وقوله عز وجل سارهقه صعودا جائز ان يكون على تحقيق الصعود وهو العقبة التي يشتد الصعود عليها كما ذكره بعض اهل التاويل فيكلف الصعود عليها وجائز ان يكون على التمثيل وذلك ان الصعود في الشاهد مما يشق على المرء الصعود والهبوط مما يسهل على المرء الانحدار عنه فان كان على هذا ففيه انه يصيبه في الاخرة مما يشتد ويشق على نفسه تحمل ذلك ثم يقال للمعتزلة وهذه الاية وفي قوله ساصليه سقر ان في هذا وعيدا من الله تعالى بان يصليه سقر وسيرهقه صعودا فما اراد الله تعالى ان يصدق خبره وينجز وعده او اراد ان يكذب خبره ويخالف وعده فان قلتم بالثاني فقد نسبتموه الى الكذب والى خلف الوعد ومن هذا وصفه فهو سفيه او جاهل لا يصلح ان يكون الها وان قلتم بلى اراد ان يصدق خبره وينجز وعده قلنا لكم اراد ان ينجز وعده مع دوامهم على الكفر او عند اقلاعهم عنه فان زعمتم انه انما اراد ان يصليهم سقر على الخروج من الكفر فهذا منه جور لانه يصليه سقر بشيء لا ارادة له فيه وان سلمتم انه اراد ان يصليهم سقر اذا داموا على الكفر واقاموا عليه فقد لزمكم ان تقولوا ان الله تعالى اراد من كل احد ما علم انه يختاره ويكون منه وبعد فهذا ان الله تعالى يقول ولم يكن له ولي من الذل ولو كان الامر على ما زعمتم انه يريد من كل كافر ان يسلم ويؤمن به ويريد الكافر ان يكفر به ويعاديه فاذا قد اراد ان يكون له ولي من الذل لانه يريد ان يواليه مع اختياره الكافر في معاداته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله عز وجل انه فكر وقدر قال الفقيه رحمه الله ان فراعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقدوا معاندة الحق واعتقدوا صد الناس عن سبيل الله وان يطفئوا نوره فارادوا ان يجمعوا على امر يلبسون به رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه ينفون عن انفسهم سمة الجهل وتهمة الكذب ينفي ذلك على ما ذكروا ان الوليد جمع اصحابه فقال ان هذا ايام الموسم وان الناس سائلوكم عن هذا الرجل فماذا تقولون فقال بعضهم نقول هو شاعر فقال انهم قد سمعوا الشعر وما قوله بقول الشعر قال بعضهم نقول هو كاهن فقال ان الكهانة معروفة عند العرب واذا سمعوا قوله عرفوا انه ليس بكاهن فيكذبونكم وقال بعضهم نقول هو كذاب فقال انا قد اختبرناه فما اخذنا عليه كذبا قط فقال بعضهم نقول هو مجنون فقال اذا نظروا اليه علموا انه ليس بمجنون فانبا عليهم ففكر في نفسه وقدر فقال ان هذا الا سحر يؤثر وما هذا الذي ليس الا سحر يؤثره عن غيره اي يرويه فاتفقت كلمتهم على تسميته ساحرا وقالوا الساحر يفرق وقد وجدناه التفريق بين الاباء والاولاد وبين ذوي الارحام ربما كان يصلوا الى مرادهم من صد الناس عن سبيل الله تعالى واطفاء نوره مكرا منهم وهو كقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم ووجه رجوع المكر الى انفسهم ذكروا فيه اوجها احدها رجوع المكر الى انفسهم ان الله تعالى اظهر سوء صنيعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله اية تتلى الى يوم القيامة فيكون فيه ظهور كذبهم والحاق العار بهم الى يوم التناد وبوار واللعن والثاني ان الكبراء اذا اجتمعوا في مكان المتدبر اتصل بهم وساطتهم والحشاط بهم صغارهم فيقع بخاتمهم العلم الذي عليه التدبير واتفقت عليه الكلمة واذا وقفوا على علم ذلك في الافاق فيقف الناس على كذبهم وافتعالهم فيتحقق عندهم ذلك جهلهم بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصير كذبهم شائعا في الخلق ظاهرا من الوجه الذي اسمة الجهل عن انفسهم ويتحقق عند الناس كذبهم فلا يركنوا الى قولهم ولا يلتفتون الى اخبارهم عن حاله اذ قد تبين جهلهم بحاله فيكون ذلك سبب الترغيب الناس الى الاسلام ودعائهم اليه لا ان يكون سببا للصد عن سبيل الله فصار المكر راجعا اليهم ثم قوله انه فكر اي فكر في الامر الذي اراد احكامه او فكر في الكلمات التي لفقوها فيما بينهم انها الليق برسول الله صلى الله عليه وسلم فينسب اليه وقوله عز وجل وقد يخرج على هذا ايضا وقوله فقتل كيف قدر اي لعن واللعن هو الابعاد عن رحمة الله تعالى وقد ظهر الابعاد لان مادة ماله قد انقطعت في الدنيا واخذ ما كان اجتمع عنده في الانتقاص الى ان اهلكه الله تعالى ثم سيساقه الى النار خالدا فيها وقوله عز وجل كيف قدر اي كيف لم ينته عن تقديره الذي قدر من تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحرا وقد علم انه في انشاء ذلك الاسم كاذب وكيف اجترى على الله تعالى وتجاسر وهو يعلم انه رسول حق فعانده واجترى على ذلك ولم يخف نقمة الله عز وجل وقوله تعالى ثم قتل كيف قدر فلعنه مرتين وقد ظهر اثر اللعن فيه في الدنيا والاخرة جميعا لان الله تعالى فضحه بما اظهر كذبه للخلائق فبقي ذلك العار الى الابد وابعده من رحمته حتى اخذ ماله في الانتقاص وانقطعت مادة ماله فهذا اثر اللعنة في الدنيا واوعد ان يصليه سقر وان سيرهقه صعودا وذلك خبر بلعنه في الاخرة فظهر احدى اللعنتين في الدنيا ويلحقه الثانية في الاخرة وقوله عز وجل ثم عبس وبسر فجائز ان يكون حمله على العبوس والبسور هو ما لفقوا اليه المختلقين الكلمات

تعبس وجهه عليهم لما في اختلافهم ظهور كذبهم او يكون الذي دخل عليه من شدة الغيظ في امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهمه واخر حتى اثر ذلك في وجهه فعبس كذلك وجهه وقوله عز وجل ثم
ادبر واستكبر يحتمل ان يكون ادبر عن اولئك القوم الذين اجتمعوا للتدبير واستكبروا عليهم وادبر
عن طاعة الله واستكبر على رسول حيث اعرض عنه ولم يجبه الى ما دعاه اليه وقوله عز وجل فقال
ان هذا الا سحر يؤثر اى هذا الذي اتى به محمد مما يؤثر من افعال السحر او هذا الذي يخبر انه اتى به
من عند الله هو سحر يؤثر عمن تقدمه ولكن قال هذا على علم منه انه ليس بسحر قال الفقيه رحمه الله
ولو كان الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم سحرا كما قرفوه به فهو لا يخرج من ان يكون حجة له في
صدق مقالته واثبات رسالته لانه لا وجه لمعرفة السحر من طريق الراى والتدبير وانما سبيل
الوصول اليه الا بالتلقن والتلقف من الغير وقد علموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتلقن
احدا ولا وجد منه الاختلاف الى من عنده علم ذلك فوقع لهم الايقان انه بالله تعالى علم لا باحد من
الخلايق فيصير الذي قرفوه به من اعظم الحجج ولكن الله تعالى طهره عن السحر ونزهه عن ذلك وابرا
بمعاداة السحرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلوا كل ساحر وساحرة وقال حد الساحر ضربه
بالسيف ثم الاصل ان الساحر يفرق بين الاثنين ويعمل سحره في التفريق على وجه لا يوقف على سبب
التفريق وكان سبب تفريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا لانه اتاهم بالحجج فيعلم من يمعن
النظر فيها صدقه فيما يدعي من الرسالة فيؤمن به ومن ترك النظر فيها ولم يعط من نفسه النصفة ترك
الايمان به فيبطل ان يكون تفريقه كتفريق السحر ولان كلا منهم لو تفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم وامعن النظر فيه حمله ذلك على الايمان به والتصديق لرسالته فيصير الذي جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم سبب الاجتماع والائتلاف لا ان يكون سبب التفريق بين الاحبة ثم الاصل ان
الساحر بغيته وقصده من سحره نيل الجاه عند العظماء والرؤساء واستفادة النعمة في الدنيا
والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يطلب بما اتى به الجاه عند الرؤساء بل عاداهم واظهر
الخلاف فدعا الخلق الى الزهادة في الدنيا لا الى الاستكثار منها فكيف يجوز ان ينسب الى السحر
وهذا الذي يضاد فعل السحرة وقوله عز وجل ان هذا الا قول البشر قد علم انه ليس بقول البشر
لما عجز البشر عن اتيان مثله وقال انه كان لاياتنا عنيدا فثبت انه على العلم منه بانه اياته عاند
وقوله عز وجل ساصليه سقر فالسقر لون من العذاب وقيل السقر هي الدركة الخامسة وقيل السقر
من ابواب ومعناه سادخله جهنم من باب السقر والله اعلم وقوله عز وجل لا تبقي ولا تذر يحتمل
اى لا تبقي حياة يلتذ بها ولا تذره يهلك فيستريح بل يبقى ابدا في الهلاك كما قال تعالى فان له جهنم
لا يموت فيها ولا يحيى لا تبقي له جلدا ولا لحما ولا عظما بل ينضج جلده ويأكل لحمه ويكسر عظمه
ولا تذره على تلك الحال كسير العظم ماكول اللحم نضيج الجلد بل يعاد جلده ولحمه وعظمه فيجري
كذلك ابدا ولا يبقي له روحا ولا تذره فيذهب منها فيتخلص من عذابها وقوله عز وجل لواحة
للبشر قيل فيه بوجوه قيل لواحة للبشر اى محرقة للجلد فالبشر الجلد فجائز ان خص الجلد بالتلويح
لان الجلد من الانسان هو الظاهر فيكون ظاهر الاحراق مؤثرا فيه فخصه بالذكر لهذا كما سمي
الانسان انسانا لظهوره لكل من هو من اهل الرؤية وسمي الجن جنا لاستتاره عن اعين الخلق
وهو كقوله عز وجل كلما نضجت جلودهم وقيل لواحة اى ظاهرة للبشر كقوله تعالى وبرزت
الجحيم للغاوين وقوله وبرزت الجحيم لمن يرى اى يظهر لهم ويلوح فينظرون اليها ويتيقنون
بالعذاب ويحتمل ان يكون قوله لواحة لان النار تاكل جلودهم ولحومهم فيظهر عظامهم
ويلوح عن ذلك ثم يبدل جلودا ولحوما ابدا على هذا امدا امرهم وقوله عز وجل عليها تسعة عشر روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم خزنة جهنم مع كل واحد من الاعوان ما لا يحصى وذكر ان ستة منهم
يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والنيران والاخر هو
الخازن الاكبر وهو مالك يامرهم بما امرهم به ويحتمل ان يكون في التسعة عشر دركا وقد بسط
على كل درك ملك وذلك ان جهنم ذات حد في نفسها لان الله تعالى وعد ان يملاها من الجنة والناس
ولو لم يرجع الى حد لكان لا يتحقق امتلاؤها بالعدد الذي ذكروا ويحتمل اى يعذب فيها بتسعة
عشر لونا من العذاب قد وكل كل واحد منهم ان يعذب بنوع من ذلك والاصل ان الله تعالى
حكيم يعلم ان في كل فعل من افعاله حكمة عجيبة ولكن لا كل حكمة يوصل اليها بالعقل وينتهى الى معرفتها
بالتدبير الا ترى ان الله تعالى جعل في الماء معنى يحيى كل شيء ولو اراد احد ان يتكلف استخراج المعنى
الذي به صلح ان يكون طبيعته موافقا لاحياء كل شيء لا يمكنه ذلك وجعل في الطعام ما يغذي وينمي
ولو اراد احد ان يتعرف المعنى الذي يقع به الاغتذاء والانماء لم يتداركه وكذلك جعل في العدد الذين
سماهم حكمة ولكنا لا نصل الى تعرفها بعقولنا وتدبرنا وزعمت الباطنية ان في ذكر الاعداد

التي عليها تركيب العالم تعريف الاعداد المجعولة في الروحانيات فيقال لهم من جعل الاعداد التي تركيب
العالم اولى بان يعرف بها الاعداد المجعول في الروحانيات من ان يجعل الاعداد التي في الروحانيات
محالا لاستدراك المجعولة في الجسد اثبات ثم يسالون عن الاعداد المجعولة في الروحانيات
لاي معنى جعلت واي حكمة فيها فليس جوابهم بعد هذا الا العجز والاعتراف بالجهل من الابتداء
من غير ان يتكلفوا استخراج ما يوجب من حقيقة كان فيه ظهور عجزهم والله اعلم والاصل عندنا معاشر
اهل التوحيد اعتقدوا ان الله تعالى حكيم وانه لا يجوز ان يخرج عن حد الحكمة لان الذي يحمل الانسان
على الخروج عن حد الحكمة في الشاهد احد معان ثلاثة اما الجهل واما العجز واما الحاجة والله تعالى عالم لا يجهل
وقوي لا يلحقه عجز عن وفاء ما وعد وغني لا تمسه حاجة فانتفت عنه الاسباب التي لها يقع الخروج
عن حد الحكمة فثبت انه لا يجوز ان يخرج فعله عن حد الحكمة لكنهم اذا لم يعرفوا الحكمة بعقولهم ولم يتداركوها
بتدبيرهم ظنوا انه لا حكمة فيه وانكروا ان يضاف ذلك الى الله تعالى فاهل الدهر انكروا البعث وانكروا
الصانع لما راوا الاشياء في الشاهد هدم بغير الظاهر فائدته يخرج العبث وفعل الحكمة لا يخرج العبث فنفوا بهذا
ان يكون للاشياء صانع ومن بنى بناء ثم نقضه ثم اعاده الى الحالة التي كان عليه قبل النقض لم يكن
حكيما بل كان جاهلا سفيها فقاسوا امر البعث على ذلك وظنوا انه خارج مخرج العبث اذ ليس فيه الا الاعادة
الى الحالة التي كان عليها قبل الموت وما ذكرنا من الاعتبار هو الذي حمل الثنوية على القول بالهين
اثنين لانهم راوا في الشاهد خيرا وشرا وصلاحا وفسادا وظلمة ونورا ولا يجوز ان يكون جوهر الظلمة
والنور واحدا ولا يجوز ايضا ان يكون فعل الحكيم يخرج على الاختلاف والتناقض فقد بنوا بهذا ان
خالق الشر والخير مختلف فبهذا انكر المعتزلة خلق افعال العباد لان الفعل يكون مرة خيرا ومرة شرا
ومرة صلاحا ومرة فسادا ولا يجوز ان يكون الشر مضافا الى الله تعالى ولا ان يكون الفساد منسوبا
اليه فانكروا ان يكون لله تعالى في افعال العباد صنع واهل التوحيد سلموا الامر الى الله تعالى وفوضوا
العلم اليه في كل ما جاء عنه جل وعز وان لم يتداركوا ما فيه من الحكمة بعقولهم لوجودهم اشياء
هي خارجة ان يتداركوها بعقولهم ويقفوا عليها بعلومهم كما ذكرنا من امر الماء انه قد جعل
فيه معنى ذلك المعنى يحيى الاشياء ولو ارادوا ان يعرفوا ذلك المعنى بالعقول والاراء لم يمكنهم
ذلك ولذلك هذا في الطعام وفي الاشياء المشروبة موجود ثم لم يجب بهذا انكار المياه وسائر
الاطعمة والاشربة ولذلك لا يجب انكار العدد الذين سماهم الله تعالى من الملئكة ولا انكار البعث
ولا انكار كل شيء لا يقفوا على حكمته بعقولهم والله اعلم وقوله عز وجل وما جعلنا اصحاب النار الا
ملئكة فللقائل ان يقول في هذا انه لم يجعل اصحاب النار الا ملئكة لم يوجد فيها انسي ولا جني فكيف
قال لاملان جهنم من الجنة والناس وهو لم يجعل اصحاب النار الا ملائكة يعذبون اهلها
لان يكون الملئكة تمسهم النار ويتاذون بها وفي هذا دلالة على ان من قرا مكان قوله تعالى
اولئك اصحاب النار في صلوته لا يفسد لانه ليس في نسبة اصحاب الجنة اصحاب النار ايجاب
عذاب عليهم كما لم يكن في قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ايجاب عذاب على الملائكة وانما خصهم
والله اعلم واعلم وانما خصهم لذلك والله اعلم لانهم خلقوا يسخطون ويغضبون لله تعالى ولا يعصون
الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون لم يميلوا الى احد ولم يرحموا بما راوا عليه من العذاب
في معصية الله وخلافه ليسوا على طباع الانس والجن ان قلوبهم ربما يميل ويرحم من لا يستحق الرحمة
وذكر اهل التاويل ان قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملئكة رد على اولئك الكفرة الذين قالوا
انا نكفي هؤلاء العدة حين سمعوا عليها تسعة عشر فنغلب عليهم ونخرج من النار فاخبر انهم ليسوا
برجال امثالكم انما هم ملئكة ووصف الملائكة وقد روي في الاخبار من هول خلقتهم وعظم هيئتهم و
شدة باسهم وبطشهم وان لهب النيران يخرج من افواههم وان بنيتهم لا يحتمل الحرق والالام ليس
على ما عليه بنية البشر والله اعلم وقوله عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الفتنة قد
يتكلم بها على وجهين فيذكر الفتنة ويراد بها المحنة التي فيها الشدة ويذكر ويراد بها العذاب فان
كان يراد بها العذاب فمعناه انه جعل العدد الذين ذكر عذاب الكفرة وهو كقوله يوم هم على النار
يفتنون اى يعذبون وان كان يراد بها المحنة فيخرج على وجوه احدها اى ما جعلنا ذكر عددهم
الا فتنة للذين كفروا اى من علم الله تعالى منهم انه يكفر بايات الله تعالى جعل ذلك سببا لفتنته اذا
كان في علم الله تعالى انه ممن ينبغي لفتنة فاما من علم انه ينظر في ايات الله مسترشدا فلم يزده ذلك الا ايمانا
وتصديقا اذ علموا ان الله تعالى ان يمتحنهم بانواع المحن فامنوا به وسلموا ذلك لله تعالى فيكون
في جعل عدتهم تسعة عشر شدة على الكفرة اذا كان سبب كفرهم فلذلك سمى المحنة على هذا الوجه
فتنة وقوله عز وجل فتنة للذين كفروا يعني على الذين كفروا ثم جاز ان يكون ذلك على حدوث
الكفر وهو في قوم قد امنوا به فلما سمعوا هذا وعموا ان لا حكمة في هذا العدد باولي ان يجعلوا لله

اصحاب النار في العشرين او من الثمانية عشر فكفروا به وهو كقوله موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء
وذلك على حدوث اضلال لم يكن منا لنا مرة موجود لان الاضلال متقدم ما بغيرها وجائز ان يكون
فتنتهم هوانهم ازدراء ويذكر هذا العدد كفرا الى كفرهم لانهم نظروا اليه بعين الاستخفاف
والاستهزاء ولم ينظروا اليه بعين التبجيل والتعظيم فازدادوا بذلك كفرا وقوله عز وجل ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا والاستيقان والزيادة واحد لان في الاستيقان
زيادة ايمان وفي الزيادة استيقان فمعناه ليستيقن الذين اوتوا الكتاب الذين امنوا ووجه
استيقانهم انهم يجدون هذا العدد موافقا للعدد الذي في كتابهم ويحملهم ذلك على الاستيقان
انه من عند الله تعالى ويحتمل ان يريد به اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا اذا وجدوا ذلك موافقا لما
في كتبهم فيستيقنوا انه انما يخبر عن الله عز وجل وان ينفع عنهم الارتياب ليكون ادعى لهم الى
الايمان يريد ان اراد منهم الايمان واقرب الى الزام الحجة عليهم ان لم يرد منهم الايمان والله
اعلم وقوله عز وجل ويزداد الذين امنوا ايمانا وتصديقا على ما سبق منهم من التصديق بالجملة
وكذلك روي عن ابي حنيفة رحمه الله في قوله فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وفي كل موضع ذكر فيه
الزيادة في الايمان ان معنى الزيادة فيه انهم ازدادوا بالتفسير تصديقا على تصديقهم بالجملة
لانهم اذا وحدوا الله تعالى وامنوا به فقد اقروا بان له الخلق والامر كله وفي الاقرار بان له الخلق
ايمان بالرسل وتصديق منه اياهم بجميع ما انزل عليهم من الكتب عن الله تعالى فصار ايمانه يعتقد
للتصديق بكل رسول على الاشارة اليه فاذا امن بالرسول والكتاب المنزل اليه فقد اتى بزيادة
تصديق على ما وجد منه من التصديق بالجملة وجائز ان يكون الزيادة منصرفة الى الثبات والاستقامة
لان الايمان له حكم التجدد في كل وقت بامور باجتناب الكفر واذا اجتنب الكفر فقد اتى بضده
وهو الايمان له حكم التجدد في كل وقت واذا كان كذلك استقام صرف الزيادة الى الثبات
والقرار عليه فان شئت فسم الدوام على الايمان زيادة وان شئت فسمه ايمانا وان شئت فسمه
ثباتا وفي الكتاب ما يطلق جواز هذا كله قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله فدعاهم الى
الايمان بعد ما امنوا وما ذلك الا الثبات على ما هم عليه وقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وهو الايمان وقال في اية اخرى ليثبت الذين امنوا فجعل دوامهم على الايمان واستقامتهم عليه
ايمانا واسما لزيادة واسما للثبات واسم الايمان وان كانت الزيادة منصرفة الى الاعمال فهو عندنا
على الزيادة من جهة الفضيلة والكمال لا الى الزيادة في عينه لان الشيء اذا استحق الزيادة بغيره
فاستحقاقه يقع من جهة الفضيلة والكمال الا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة في مسجدي
هذا تعدل الف صلوة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام ومعلوم انه لم يرد به التفاضل
من جهة العدد اذ هو يأتي باعيان الافعال التي يلزمه اتيانها في غيره فكانت الزيادة منصرفة
الى الكمال والفضل لا الى الزيادة من جهة العدد وكذلك قال صلوة في جماعة تفضل على صلوة المرء
وحده بخمس وعشرين درجة ولم يرد به الزيادة من جهة العدد وانما اريد به الزيادة من جهة
الفضل والكمال وكذلك الزيادة التي تقع للايمان من الاعمال الصالحة انما هي من جهة الفضيلة والعرف
اذ الاعمال ليست من جملة الايمان اذ الايمان هو التصديق وذلك غير موجود في الافعال ثبت
ان زيادته من الوجه الذي ذكرنا دون غيره وقوله تعالى ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا في هذا الفصل كلام بيننا وبين المعتزلة
فهم يزعمون ان ذلك العدة وهي عدة الملائكة جعلت محنة لاهل الاسلام واهل الكتاب واهل
الكفر وللذين في قلوبهم مرض ليؤمنوا بها ويسلموا لها لا ليكفروا ويقولوا ماذا اراد الله بهذا مثلا ولكن
لما وجد منهم ذلك القول نسب الجعل اليه لا ان خلقوا لذلك الوجه وهو كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا نسب اليهما الالتقاط وان كان الالتقاط لغير ذلك الوجه وكذلك
قال ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ومعلوم ان الاملاء لم يكن
لازدياد الاثم ولكن هم لما ازدادوا اثما نسب الاملاء اليه وان لم يكن الاملاء لذلك الوجه وكذلك
يقال في الكلام الشائع لدوا للموت وابنوا للخراب ولا يبنى البناء للخراب ولكن مصيره لما كان الى
الخراب نسب البناء اليه وان لم يكن الغرض له لذلك الا ترى انه يقال سرق السارق ليقطع يده ومعلوم
بانه ليس يسرق للقطع ولكن سرقته اذ لزمه القطع ولاجلها ما قطع نسب الفعل اليه وان كانت السرقة
لغير ذلك الوجه فكذلك العدة التي ذكرت في الاية جعلت فتنة بجهة واحدة وهي التي ذكرناها لك
لما وجد من الكفرة ما ذكرنا لا نسب الخلق حالي ذلك الوجه لا ان كان الجعل لذلك ولكنا نقول لو كان
الامر على ما زعموا لادى ذلك الى اسقاط الربوبية اذ في الحكمة من عمل عملا يريد غير الذي يكون اوجب
ذلك جهلا بالعواقب وجعل خائبا في فعله ومن هذا وصفه لم يصلح ان يكون الجاهل يكون جاهلا

سفيها الا ترى ان من بنى شيئا يعلم انه لا يكون كان ذلك منه عبثا واذا كان غير الذي يريده كان جاهلا
به فاذا ثبت هذا فنقول لو اراد الله من الكافر غير الذي كان منه لكان فعله خارجا مخرج الخطاء والعبث
فثبت ان الله عز وجل شاء لكل فريق ما علم انه يكون منهم فاذا علم من عنده انه يؤثر الضلال على الهدى
فقد شاء له الضلال واذا علم انه يؤثر فعل الخير شاء له ذلك ووفقه له وهداه اليه والجواب عن قوله
عز وجل فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فمعناه ليكون لهم في علم الله عدوا وحزنا لا ان كان
الالتقاط منه لذلك الوجه بل لو علموا انه يصير لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه ولكنهم جهلوا ما ينتهي
اليه العاقبة فالتقطوه ورجاءوا ان ينتفعوا به ولا يجوز ان يخفى على الله تعالى عواقب الاشياء فيكون
فعله في الابتداء لغير ذلك الوجه وقولهم لدوا للموت وابنوا للخراب فهذا يتكلم به التذكير والدعاء
لان لا الابنية بل يزهد عنه ويجوز ان يخفى على الله تعالى امر فيخرج امره مخرج التذكير فثبت انه
على التحقيق والله اعلم ثم قوله عز وجل وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا
مثلا والمثل يذكر بمعنى البيان كقول القائل امثل لي سورة كذا يريد ابين لي وقوله عز وجل كذلك يضل الله
من يشاء ويهدي من يشاء فهذا كله تفسير قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة الاية ان يضل به من كان
في علمه انه يختار الضلال واختياره الضلال هو ان ينظر في ايات الله تعالى بعين الاستهزاء والاستخفاف
من كان نظره في ايات الله ما ذكرنا اضله الله تعالى وزاده غواية ومن نظر في ايات الله بعين الاستبصار
والاسترشاد واستقبلها بالتبجيل والتعظيم لها وفقه الله تعالى ومن عليه بالهداية وهو كقوله تعالى
قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى وغير ذلك والله
الموفق وقالت المعتزلة قوله كذلك يضل الله من يشاء اي يسميه ضالا او يحكم عليه بالضلال اذا ضل
لا ان يكون الله تعالى يضله ويشاء ضلالته فيقال لهم اذا كان الله يريد ان يؤمن به وذلك ارادته
في كل احد عندكم فلتسمية اياه ضالا وحكمه بالضلال وهو يريد ان يهتدي جور منه وفيه تحقيق كذبه
جل الله تعالى عن ان يلحقه وصف الجور في فعله او ينسب الى الكذب وقال ابو بكر الاصم تاويله ان الله
ينصب طريقا من سلكه افضى به الى الهداية ومن زاغ عنه صار الى الضلال ولا يتهيا لاحد من الخلائق
ان ينصب مثله فنقول لو كان التاويل على ما زعم لكان يحقه ان يقال كذلك يضل الله ما يشاء ويهدي
ما يشاء فلما قال من يشاء ومن يعبر به عن الاشخاص العقلاء عن الطريق التي لا يعقل ثبت ان الذي قاله
ليس بشيء يعتمد عليه ثم الاصل ان قوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء من صفات الربوبية وفيه امتداح
الرب تعالى بالفعل لما يريد فلو لم يكن مريدا منهم ما قد كان ولم يرد كون ما علم انه يكون سقط الامتداح
وخرج عن ان يكون من صفات الربوبية فثبت ان الله تعالى شاء لكل فريق ما علم ان يكون منهم وقوله عز وجل
وما يعلم جنود ربك الا هو فالجنود هو اسم للجماعة التي ينتقم بها وينتصر بها وجائز ان يكون قوله
تعالى وما يعلم جنود ربك منصرفا الى الملائكة التي هم اصحاب النار ليس ما جعله من خزنة
النار عددا قليلا لقلة جنوده وما يعلم جنود ربك الا هو اي مقادير قواهم واحوالهم الا الله فمعناه
لا يعلم جنود ربك اي يعلم قوة هؤلاء الجنود وبطشهم وهيبتهم الا هو ثم يجوز ان يكونوا سلطوا
على تعذيب اهل النار على جهة الامتحان للملائكة كما امتحن بعضهم بايصال التحف والكرامات
الى اهل الجنة وكما امتحن بعضهم في الدنيا بقبض الارواح وبعضهم باستنزال الامطار وغير ذلك
وجائز ان يكون تسليطهم على اهل النار على جهة الثواب والجزاء لهم لانهم يتلذذون بما يعذبون
اهل النار وينتقمون من اعداء الله لان المرء في الشاهد اذا وصل الى الانتقام من عدوه تلذذ به
وتنعم ويحتمل ان يكون قوله عز وجل وما يعلم جنود ربك اي وما يعلم كثرة جنود ربك الا هو و
يحتمل وما يعلم السبب الذي يجعل به الجنود ويصلحون للانتقام الا هو اذ هو القادر على ان
يجعل اضعف شيء من خلقه جندا ينتقم به من اعدائه كما في قصة البعوض في زمن نمرود وغير ذلك
من ارسال الطير الى اصحاب الفيل وامطار الحجارة على قوم لوط ونحو ذلك ويحتمل ان يكون قوله
عز وجل وما يعلم جنود ربك اي لا يعلم ما الذي يتخذ الله تعالى جندا للانتقام من الاعداء الا
هو الا ترى ان الله عز وجل انتقم من بعض الاعداء بالغرق وهم قوم فرعون وقوم نوح عليهم
السلام واهلك بعضا منهم بالرياح واتخذها جنودا عليهم واهلك بعضهم منهم بالخسف فيكون
في هذا ايجاب المراقبة من حلول النقمة والسخطة وقوله عز وجل وما هي الا ذكرى للبشر وجائز ان يكون
منصرفا الى السقر انها ذكرى للبشر اي موعظة وتذكيرا لهم ما اليه مرجع امورهم وجائز ان يكون منصرفا
الى عدة الملائكة وقوله عز وجل كلا قيل حقا وقيل هو على الردع والتنبيه وقوله عز وجل والقمر
والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر فهذا في موضع القسم وقد ذكرنا ان القسم لتاكيد ما قصد اليه
بالذكر وادبار الليل مجيء النهار فجائز ان يكون ذكر اخر الليل يقتضي ذكر اول النهار كله فيكون القسم
بها قسما بالليل كله والنهار كله ثم الليل اذا اقبل عملت ظلمته في ستر الاشياء كلها باعز لطيفة و

وكذلك النهار اذا قبل عمل في دفع الظلمة عن الخلايق جملة بساعة لطيفة مالو اجتهد المرء في جميع عمره
وان طال على عد تلك الاشياء ليحيط علما بجملتها لم يتمكن منه واذا كان الليل من السلطان ما ذكرنا ولاقبال
النهار من الامر ما ذكرنا وكان الذي ذكرنا امرا مشاهدا معاينا ولو ادية معرفة ما فيها من الحكمة اثر لاى
معنى ما صلح ان يكون الليل سائرا عن درك اعين الاشياء واستقام ان يكون النهار مزيلا للستر
لم يقدر عليه فيكون فيه اثبات لا يجب انكار كل ما لا يوصل الى درك الحكمة فيه بالعقول والاذ
فيكون فيه ايجاب التصديق بالانباء التي ياتي بها الرسل وان كان فيها ما لا يوقف عن الحكمة المجعولة
فيها بالاراء وفيه ان منشئ الليل والنهار واحد وان الخلايق بجملتهم تحت سلطانه وتدبيره يحكم
فيهم ما يشاء ويفعل ما يريد وجايز ان يكون القسم منصرفا الى الوقتين اللذين وقع عليهما الذكر وهما
ادبار الليل واسفار الصبح فيكون فيهما ما في الاول **وقوله** عز وجل اسفر اي اضاء وانتشر وقوله اذا
ادبر اي ذهب وحكي عن الكسائي انه قال ان دبر لغة قريشية يقولون ذهب كالامس الدابر اي
الذاهب فيقولون دبر في الايام والشهور والسنين ولا يقولون في غير ذلك لا يقولون دبر الرجل
ودبر الرجل ودبر الامر ولكن يقال ادبر وفي حرف ابن مسعود اذا ادبر وفي الحروف اذا دبر والمعروف
اذا دبر كما قلنا **وقوله** عز وجل انها لاحدى الكبر قيل يعني السقر ثم عذاب اهل النار الوان وفي جهنم دركات
والسقر احدى دركاتها اذ هي لون من الوان العذاب فصارت هي من احدى الكبر **وقوله** عز وجل نذيرا
للبشر فمنهم من صرف النذارة الى السقر ومنهم من صرفها الى الرسول عليه السلام وهو كقوله تعالى
وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا فمنهم من قراه بالياء وصرفها الى القران ثم الاصل
ان ما خرج مخرج الافعال منا فاذا الى الاشياء اللاتي ليست لهن افعال فهو يقتضي امرين احدهما ذكر الاحوال
التي يقع لديها مما لو لم يكن ذلك الاشياء لم يحدث تلك الاحوال من غير ان يكون علة لها فنسبت اليها
اذا صارت شيئا لحدوث تلك الاحوال وهو كقوله عز وجل وغرتهم الحيوة الدنيا وحيوة الدنيا لا
تغر احدا ولكنهم اغتروا بزينتها فنسب اليها الغرور ولما كانت سبب التغرير بهم والثاني انها انشئت على
هيئته لو كان من اهل التغرير لكان تغر فنسب اليه الغرور ولذلك وقال في قصة ابراهيم صلوات
الله عليه وعلى نبينا رب انهن اضللن كثيرا من الناس والاصنام ليست ممن ينسب اليها الاضلال لانه
لا فعل لها ولكن عبادها لما ضلوا بها نسب الاضلال اليها وهي بضا على صورة لو كانت لها افعال
لكان يقع منها الاضلال فنسب اليها الاضلال للوجهين اللذين ذكرناهما فكذلك النذارة اضيفت
الى السقر وها هنا لانه عند ذكرها يقع النذارة فاضيفت اليها كذلك او خلقهن على هيئته لو كانت من
اهل النذارة لكانت نذيرة والله اعلم **وقوله** عز وجل لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر قيل هو على التهدد
كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وذلك انما يكون على اثر المبالغة في العظات وتذكير عواقب
الامور وقد بالغ ذلك في هذه السورة وبين عواقب امور العباد ثم قوله عز وجل ان يتقدم او يتاخر
قبل ان يتقدم الى طاعة الله او يتاخر عنه الى معصية الله تعالى والاصل ان المرء جبل على حب المنافع لنفسه
والخيرات وعلى بغض الشرور والمضار ومن احب شيئا طلبه ومن ابغض شيئا اجتنبه وهرب منه واذا طلب
تقدم اليه واذا هرب من شيء تاخر عنه فكني عن الطلب بالتقدم وعن الهرب بالتاخر فقيل في
تاويل قوله عز وجل يتقدم اي طاعة الله يجدي اليه المنافع في الاخرة ويجلب اليه المحاسن او يتاخر الى
طاعته اذ في الاعراض عن طاعته ايقاع النفس في المهالك وانواع الشرور وجائز ان يكون قوله لمن شاء منكم
ان يتقدم او يتاخر معناه يتقدم ويتاخر بتخليق الله تعالى فعل التقدم والتاخر منه فيكون فعلا له وكسبا
لوجوده في خير قدرته وخلقا لله تعالى فيكون مثل قولنا لا حجة علينا في اضافة التقدم والتاخر الينا و
الله الموفق **وقوله** عز وجل الا اصحاب اليمين في جنات يتساءلون اصحاب اليمين هم الذين وصفهم الله
تعالى في موضع اخر في كتابه وهو قوله عز وجل فاما من اوتي كتابه بيمينه فاستثنى اصحاب اليمين من جملة
المرتهنين لانه ذكر الرهون بلفظ يعبر بها عن الجمع وهو قوله كل نفس فاستقام استثناء الجماعة من تلك
الجملة اي اصحاب اليمين قد سبقت منهم الاعمال التي يستوجبون بها الاطلاق عن الحبس لان المجرمين
صاروا مرهونين باجرامهم واصحاب اليمين قد اكتسبوا الخيرات وعملوا الصالحات والاعمال الصالحة
فعلها الله تعالى مكفرة لمساويهم والاجرام كقوله تعالى لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا
يعملون **وقوله** عز وجل في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر فظاهر هذا يؤدي الى ان التساؤل
كان من اهل الجنة بعضهم بعضا واذا صدر السؤال عن بعضهم بعضا فحقه ان يقال ما سلككم في سقر
لان اهل السقر لم يسالوا ليحصل عنهم غيرهم الا ترى انه قال عن المجرمين ولم يقل يتساءلون المجرمون
فثبت ان الظاهر يقتضي ان يكون المخاطبون غير المجرمين لذلك قلنا انحق مثله ان يقال ما سلككم
في سقر لكنه يحتمل ان يكون قوله عن زيادة في الكلام وحقه الحذف والاسقاط واذا حذف
ارتفع الريب والاشكال كانه قال في جنات يتساءلون المجرمين فيكون فيه ثبت ان اهل السقر هم الذين

خوطبوا

خوطبوا بالسؤال وجائز ان يكونوا اهل الجنة يسال بعضهم بعضا عن مكان المجرمين بمكانهم واين
هم فيطلعون عليهم فيسالونهم ما سلككم في سقر فيقولون اذ ذاك لم نك من المصلين الى اخر الاية الى
قوله عز وجل فاطلع فراه في سواء الجحيم فثبت انهم يطلعون على اماكنهم فاذا راوا سالوهم عن
ذلك بقوله ما سلككم في سقر فاجابوا بما اخبر الله تعالى عنهم بقوله لم نك من المصلين الى قوله وكنا
نكذب بيوم الدين والاصل ان الافعال التي يتعلق جوازها بالايمان اذا اضيف الى من ليس
من اهل الايمان اريد بها القبول واذا اضيفت الى اهل الايمان اريد بها اعين تلك الافعال والذي
يدل على هذا هو ان الكافر يسلك به الى سقر اذا كان مكذبا بيوم الدين وان اقام الصلوة واطعم المسكين
لم ينفعه ذلك حتى يوجد منه الايمان فثبت انه لم يرد بذكر هذه الافعال اتيان اعينها وانما اريد بها
القبول والاقرار بها والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم
الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه فثبت انهم جحدوا ان يكون عليهم اطعام
فدل انه اريد بذكر الاقامة قبولها لا وجود عينها وعليهم ان يقبلوا اقامة الصلوة ويقروا بايتاء
الزكوة وقد يجوز ان يذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة ويراد به القبول قال الله تعالى فان تابوا
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ولم يكن ايجاد الاقامة وايجاد الايتاء من شرط
التخلية بل كان معناه على القبول فاذا اقروا بالصلوة وقبلوا اقامتها واقروا بالزكوة لزم تخلية
سبيلهم وان لم يوجد منهم الفعل بعد فلذلك صلح حمل الاية على القبول ولم يحمل على وجود وتحقيق
الفعل لما ذكرنا هذا اذا ثبت ان تاويل قوله لم نك من المصلين منصرف الى الصلوة المعروفة فكيف
وقد يجوز ان يكون اريد بالمصلين الموحدين ها هنا لان اهل الصلوة هم المسلمون يقال اجمع اهل
الصلوة على هذا ويعنى به المسلمون ثم ان الله عز وجل جمع في الذكر بين التكذيب بيوم الدين وبين
ترك الصلوة والاطعام وهذا والله اعلم يحتمل وجهين احدهما ان الذي يقر بالصلوة والاطعام
وايتاء الزكوة هو الذي يقر بيوم الدين لان المرء انما يرغب في فعل هذه الاشياء لما يطمع من المنافع
في العواقب ويتقي بتركها مخافة التبعة في العواقب فاذا لم يقر بيوم الدين لم يرجو المنافع ولا يخاف
المضار فيحمله ذلك على ترك الاطعام وتضييع الصلوة وعلى ترك ايتاء الزكوات وعلى جحودها كلها
وعدم قبولها وهو كقوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على
طعام المسكين لعدم رجاء العواقب فاذا لم يرج لفعله عاقبة لم يقم بالانتصار لليتيم ولا قام باحسان
المسكين بل تكذيبه بيوم الدين يحمله على الجور على اليتيم وترك الاحسان الى المسكين فكذلك جمع في
الذكر بين تكذيب يوم الدين وبين ترك الصلوة وايتاء الزكوة وترك الاطعام وجائز ان يكون
الذي حملهم على التكذيب هذه الوظائف التي وضعت عليهم بالاسلام لانهم اذا امنوا بيوم الدين
لزمهم تحمل هذه الاحمال من اقامة الافعال والصلوة وايتاء الزكوة واطعام المساكين وصيام شهر
رمضان وغير ذلك من العبادات فاشتد عليهم فتركوا الايمان بها لا يلزمهم تحمل هذه الافعال
التي حملها اهل الايمان **وقوله** عز وجل وكنا نخوض مع الخائضين فالخائض هو الذي يخوض في الباطل **وقوله**
عز وجل حتى اتانا اليقين اي حتى تيقنا انا كنا على باطل فيما كنا نخوض فيه **وقوله** عز وجل فما تنفعهم شفاعة
الشافعين معناه ان لا شفيع لهم والاصل ان الشفاعة اذا اضيفت الى اهل الكفر فقيل ليس لهم شفعاء
او لا ينفعهم شفاعة الشافعين اقتضى نفي الشفاعة اي لا شفيع لهم واذا اضيف الى اهل الايمان
اقتضى نفي الانتفاع بشفاعته كما ذكرنا ان الافعال التي يكون قوامها بالايمان اذا اضيفت الى الكفار فهي
يقتضي نفي القبول واذا اضيف الى اهل الايمان فهي يقتضي نفي الفعل وقولنا بانه اذا قيل لا شفيع له واريد
به اهل الاسلام فهو يقتضي نفي الشفاعة فذلك ينصرف عندنا الى اهل الاعتزال والخوارج لانا نرى
اصحاب الكبائر من اهل الاسلام مستوجبين للشفاعة وهم يقولون لا يجوز في حكم الله تعالى ان يعفو
عن اصحاب الكبائر بل يخلدهم في النار لان الله تعالى وعد النار لمن ارتكب الكبائر واخبر انهم
يخلدون فيها فلا يجوز ان يقع في وعده خلف ويتحقق في خبره كذب ولو استوجب الشفاعة هم
ونالوا بها المغفرة من رب العزة لصار فيما وعد مخلفا وفيما اخبر كذوبا فمثل هؤلاء اذا ارتكبوا الكبائر
لا يرجى لهم الخلاص بالشفاعة ابدا بل يحكم عليهم بالخلود في النار فيرتفع ما يثبت الكذب وينتفي ما يوجب
خلف وعده ولانهم لما اعتقدوا التخليد في النار لمن ارتكب الكبائر وجب ان يكون نفيهم الشفاعة
بزعمهم ذلك لان الله تعالى يقول كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فلا
يجوز ان يحق عليهم العذاب ثم لا ينالهم العذاب اذا بعثوا ثم الحجج ويقيمهم بنفي الشفاعة في
الاخرة بقوله في النار من شافعين وبقوله انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة وبقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل و
لا تنفعها شفاعة وزعموا ان شفيع كل امرئ عمله يومئذ فمن حسن عمله نجا به ومن ساء عمله

اهل الصلوة هم المسلمون

ترك الخيرات يدل على قطع طمع المنافع في العواقب

اصل في الشفاعة

نفي الشفاعة لاهل الاعتزال

حق عليه العذاب ولم يكن له شافع ولو وجب نفي الشفاعة بما ذكر من هذه الايات الظاهرة لوجب تحقيقها بقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وبقوله يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا اذ في هاتين الايتين ان الله تعالى قد ياذن بالشفاعة يومئذ للبعض فثبت ان ما ذكرتم من نفي الشفاعة لم يقتض نفيا على الاطلاق بل النفي انصرف الى بعض الخلايق ووجب القول بثبوتها لبعضهم ثم جاءت الاخبار مفسرة على ايجاب القول بالشفاعة لاهل الكبائر فثبت ان ما ذكر من قوله عز وجل فما لنا من شافعين وقوله ولا خلة ولا شفاعة منصرف الى اهل الكفر وبه تقول ومن المعتزلة من يحقق الشفاعة ولكنه يراها للذين يستوجبون استغفار الملائكة في الدنيا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك فاما اصحاب الكبائر فانهم لا ينالهم شفاعة احد بل يخلدون في النار فيقال لهم فاية منفعة تحصل للذين تابوا واتبعوا سبيله في الشفاعة وهم قد استوجبوا الخلاص بتوبتهم واتباعهم سبيل الرشاد فان قالوا منفعتهم بها ان تعظم قدرهم عند الله تعالى ويستوجبون بها فضل الدرجات كما ترى المرء في الشاهد يذكر اخاه عند الملوك بحسن السيرة ويذكره بما فيه من المناقب الجميلة والمحاسن ويبتغي بذلك اعلاء منزلته واعظام قدره عندهم ليعظموه ويجلوه فكذلك الشفعاء في الاخرة يثنون عند الله تعالى من اولياء خيرا ليزيد في درجاتهم ويعظم منزلتهم عند الله تعالى والجواب ان هذه الزيادة في الدرجات ليست الا الى الوصول الشهوات وفضول الشهوات والزيادة في اللذات لا يذكر في المنافع اذ لا حاجة لهم ما هو في حق الفضول من الشهوات فيكون في منافعها ودفع الحاجة والوصول الى المنفعة ومعلوم بانهم انما طمعوا في الشفاعة وانما تحصل لهم بها المنفعة اذا وقعت اليها الحاجة واهل الكبائر هم الذين بهم الحاجة اليها فاما الذين تابوا وانابوا فقد استغنوا عن الشفاعة لذلك وجب القول بتحقيق الشفاعة في اهل الكبائر واستدلالهم بما ذكروا من امر الشهود فليس بحكم من القول لان المرء انما يذكر اخاه بالجميل ويظهر ما اشتمل عليه من خلال الخير بجهل الملوك بحاله في ما هو عليه من جميل الخصال ومحمود الفعال الا ترى ان الملك اذا كان عالما بحاله لم يتقدم الانسان على الثناء الجميل منه فثبت ان الله يحوجه الى الثناء عليه عند الملوك جهل الملوك بحاله ولا يجوز ان يكون الله تعالى يخفى عليه حال احد وما هو عليه من الظواهر اموره وبواطنها حتى يحتاج الى معرف يعرفه فبطل ان يكون الشفاعة للوجه الذي ذكروها وثبت انها للوجه الذي ذكرناها ثم العفو والصفح عن احلال العقوبة بمن ان يعاقبوه بجريمة سبقت منهم ثم الشفاعة فيما بين الخلق امر معهود انما يكون عند زلات يستوجب بها العقوبة والمقت فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الاخيار واهل الرضا فلا ينكر ان يكون الله تعالى يعفو عمن استوجب العقاب بشفاعة الاخيار واهل الرضا والابرار والله الموفق وقوله عز وجل فما لهم عن التذكرة معرضين فجائز ان يكون تاويله ما لهم معرضين عن ذكر ما لهم وعليهم وعما اليه مآبهم ومتقلبهم وذلك يكون في الوعد وفي القرآن لان كل واحد منهما يذكر المرء ما له وعليه والله اعلم وجائز ان يكون تاويله ما لهم عما به يشرف قدرهم ويصيروا به مذكورين في الملاء الا على معرضين وذلك يكون في طاعته والاقبال على عبادته وهو كقوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم معناه انكم تصيرون به مذكورين ويعظم قدركم لو اتبعتموه ولم تضيعوا حرمته وقوله عز وجل كانهم حمر مستنفرة بنصب الفاء وخفضه فمن قرا بخفض الفاء صرف الفعل اليها كانها تنفر واستنفر واحد كما يقال استرقد القوم اي رقدوا ومن قرا بنصب الفاء فتاويله ان فعل بها ما حملها على النفار وذلك يكون بالرمي وبالقانص من الاسد كما ذكره اهل التفسير في اقاويل القسورة هي الاسد والرماة والصادون ونبالهم للنفرة وكان هذا تشبيها بالحمر الوحشية التي في طبعها النفار ووجه التقريب هو ان هؤلاء اعرضوا ان هؤلاء اعرضوا عما في الاقبال عليه نجاتهم وتخلصهم من العطب ونفروا كنفار الحمر المستنفرة من العطب والهلاك وفي هذه الاية تبين شدة سفههم وغاية جهلهم لان الحمر تنفر عن القانص والرامي والاسد لما بها من الهلاك والعطب وهؤلاء الكفرة نفروا عما فيه نجاتهم الى ما فيه هلاكهم وعطبهم فهم اشر من الحمير واضل وقوله عز وجل بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قال بعض اهل التاويل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل في بني اسرائيل كان اذا اذنب ذنبا فيصبح فوجد صحيفة معلقة على باب داره او مكتوبا عند رأسه انك اذنبت كذا وزاد بعضهم انك اذنبت كذا وتوبتك كذا فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعلهم كذلك فاخبر الله تعالى كذلك منهم ثم ايسهم عن ذلك وقال كلا اي لا تنالون ما تاملون وقال قتادة قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فائت كل واحد منا بصحيفة خاصة الى فلان بن فلان يامرنا فيها باتباعك وقيل سالوا ان يؤتوا براءة بغير عمل ولكن لا يجب قطع الامر على واحد من هذه التاويلات ينال بها على

جهة

جهة الامكان والاحتمال لان هؤلاء المفسرين لم يشاهدوا اولئك القوم الذين صدرت منهم هذه الارادة ليخبروهم ماذا ارادوا به حتى تثبت ما ذكروا من القصة والاخبار ولا تواترت الاخبار من عند ذي الحجة النبي صلى الله عليه وسلم انهم سالوه ذلك لذلك لم يستقم قطع الامر على ما ذكروا وجائز ان يكون هذه الارادة تحققت في بعض الكفرة وهم الرؤساء منهم والاكابر لان اراد كل في ذات نفسه ان يؤتى صحفا منشرة والارادة هاهنا عبارة عن الطلب ثم طلبهم ما ذكر يتوجه الى اوجه ثلاثة احدها ان يكون كل واحد معظما فيهم وان يكون هو المخصوص بانزال الكتاب عليه كما قال في اية اخرى واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله فيكون في هذا اظهار استكبارهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعناد لتصير تلك اية لهم في تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل حكاية عنهم قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ففي هذه الاية انهم كانوا يطلبون انزال الكتاب عليهم ليقروا لديهم رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكان ذلك على جهة التعنت والعناد والا لو تفكروا في حاله اداهم ذلك الى العلم برسالته من غير ان يحتاجوا الى تثبيت رسالته بكتاب ينزل عليهم والله اعلم وجائز ان يكونوا ارادوا اكابرهم احق بالرسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى بانزال الكتاب عليهم لما راوا هم افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترى الى قوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقال في اية اخرى اانزل عليه الذكر من بيننا فارادوا ان يؤتوا صحفا منشرة لهذا المعنى اذ هم اولى ان يخصوا بهذه الفضيلة وانما ذكرنا هذه التاويلات في هذه الاية لان هذه المعاني التي ذكرناها قد ظهرت منهم بمتلو القرآن والتاويلات التي ذكرها اهل التفسير لا يثبتها تثبتها من جهة الكتاب ولا من جهة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت هذه التاويلات امكن واملك بالاية من غيرها والله اعلم وقوله عز وجل كلا بل لا يخافون الاخرة ان الذي حملهم على الطلب بان يؤتى كل منهم صحفا منشرة اعراضهم عن الايمان بالاخرة والا لو امنوا بها لكان ايمانهم بها يحملهم على ترك العناد والتعنت على ترك الخبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعوهم الى الاذعان للحق عليهم وتولى وسنذكر معنى قوله وما يذكرون الا ان يشاء الله في سورة اذا الشمس كورت وقوله هو اهل التقوى واهل المغفرة فاهل التاويل صرفوا قوله هو التقوى الى الله تعالى وجائز ان يصرف الى البشر فان كان المراد من قوله عز وجل هو اهل التقوى البشر فيكون معنى قوله هو اهل التقوى اي الذي يقوم بالذكر الا ترى الى قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها فجعل الذين الزمهم كلمة التقوى من اهل التقوى وان كان المراد من قوله هو اهل التقوى اي الله سبحانه وتعالى فتاويله اهل ان يتقى الزلة والعثرة في حقوقه تعالى والوجه فيه ان المرء في الشاهد انما يتقي الزلة والعثرة الى الخلق لاحدى خصال ثلاث احدها لما يرى من افتقاره وحاجته اليه فيتقي العثرة اليه تجليلا وتعظيما او يتقي ذلته لما يرى من قدرته وسلطانه على الانتقام منه او يتقي ذلته لكثرة نعمه وايادية استحياء منه واذا كانت هذه الاشياء هي الداعية الى ما تقاتهم للخلائق باجمعهم مفتقرون ومحتاجون الى الله تعالى وله القدرة والسلطان عليهم وهو المنعم المتفضل على كل احد فهو اهل ان يعظم ويوقر وان يخاف نقمته ويستحى منه ومن اتقى ما صار اهلا لان يغفر وجائز ان يكون معنى قوله عز وجل هو اهل التقوى اي هو اهل بان ينال منه ما يتقى من النار بقوله تعالى واتقوا النار التي اعدت للكافرين وبقوله قوا انفسكم واهليكم نارا ثم علمنا وجه الاتقاء بقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فتبين ان الاتقاء ان يفزع الى الله تعالى ويتضرع اليه ليقي بفضله ورحمته قال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فامرنا جل جلاله بالمناصبة مع الشيطان بالمحاربة واخبران محاربته ان يفزع الى الله بالاستعاذة بقوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال في اية اخرى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين الاية فهو اهل ان يطلب منه ما يقي به واهل ان يبتغى لدفع كيد العدو واهل المغفرة جعلنا الله تعالى من اهل التقوى والذين من عليهم بالمغفرة وقال بعضهم هو اهل التقوى واهل المغفرة اي هو اهل ان يتقى عنه واهل ان يغفر لمن اتقاه والله المستعان والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة اختلف في تاويله فمنهم من ذكر اقسم الله تعالى بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ذكر ذلك عن

الحسن ويكون معناه لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة لكن ذكر عنه انه يقول في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد ان القسم يقع على البلد ووالد وما ولد ان القسم يقع على البلد والوالد وهو ادم عليه السلام وما ولد جملة اولاده فاذا كان القسم جائزا بالوالد والمولود جميعا كانت النفس اللوامة داخلة في جملة المولود فقد اقسم بالنفس اللوامة عنده فلا معنى لانكارها هنا ثم موقع لا في قوله لا اقسم تاويله يذكر في قوله لا اقسم بهذا البلد في سورة يذكر فيها الكبد ومنهم من ذكر ان القسم وقع بهما جميعا ولله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه ثم صرف بعض اهل التاويل معنى القسم الى قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وجعله موضع القسم فان على هذا فالاشكال عليه ان يقول قائل كيف اكد امر البعث وجمع العظام بالقسم بيوم القيامة وقد جرى من القول الذين احتج عليهم بهذه الاية الانكار بيوم القيامة فما تراكد القسم بشيء جرى به الانكار والجواب عن هذا من وجهين احدهما ان يكون القسم منصرفا الى الحكمة التي توجب القول بالبعث انه قد بينا في غير موضع انه لولا البعث ماخرج خلق هذا العالم مخرج الحكمة ولولا البعث لكان خلقه عبثا باطلا كقوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كانه قال لا اقسم بحكمة الداعية الى كون القيامة كذا ان يكون كذا وجائز ان يكون القسم في الحقيقة بالدلائل والبراهين التي من تفكر وامعن النظر فيها حمله ذلك على القول بالبعث واذا كان محتملا صح القسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة لان التفكر في النفس اللوامة والاعتبار بها يدعو الى القول بالبعث ثم العادة جرت على القسم بالاشياء التي عظم خطرها وجل قدرها في القلوب وجلالة خطرها يكون باحد وجهين اما بما كثرت منافعها فيكون خطرها منها هذا معه وقا او بعظم خطرها بالدلائل والاخبار فالسموات والارضون قد عرف الخلق جلالة اقدارها بالعيان بما كثرت منافع الخلق بها وعظم يوم القيامة بما حل خطره في القلوب وثبت القول بكونه بالدلالات والبراهين ثم قد وصفنا ان الله تعالى اقسم باشياء لتاكيد ما يعرف بيانه ويجب القول به لولا القسم لو امعن النظر فيه فاعملت فيه الروية لذلك استقام القسم والله اعلم واختلف في النفس اللوامة قال بعضهم النفس اللوامة هي النفس الكافرة تلوم ربها الدنيا ابدا في تضيق العيش عليها وتشكو ربها من الفقر والاقتار عليها مع كثرة نعمة الله عليها واحسانه اليها ومنهم من صرف التاويل الى كل نفس مؤمنة كانت او كافرة فهي تلوم غيرها لتعاطيها اشياء قد تعاطت نفسه مثلها وامتحنت بها والحق على كل احد ان لا يلوم على اخاه بما تعاطى فعلا قد اتى ذلك الفعل بعينه او مثلها انشئت كذلك اللوامة كما قال ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا ومنهم من ذكر ان هذا يكون في الاخرة والكافر اذا ايقن بالعذاب وما حل به من نقمة الله تعالى يندم على ما فرط في جنب الله ولات حين الحسرة فعند ذلك يلوم نفسه والمؤمن اذا عاين الثواب يلوم نفسه لما امسك عن المعصية وتاب وثاب واطال المقام في المحراب وابصر للعاملين بالطاعة حسن المآب والعاصين نفسه بما تخذ منه وغاب عنه كمال القوة وعنفوان الشباب وقال كيف لم ازدد في العمل لازداد في الثواب ومنهم من خص الكافر في الاخرة باللوم على نفسه وهذا اظهر لان المسلم اذا اكرم بالثواب فشكوره لذلك يشغله عن اللوم على نفسه فلا يتفرغ له ولان الله تعالى يضاعف له من الحسنات ويعطيه من الدرجات زيادة على ما استوجبه بعمله فضلا وانعاما فكيف يلوم نفسه بتقصيرها في العمل وهو يعلم ان ما وصل اليه من الكرامات لم ينل جملتها بعمله بل بفضل الله تعالى وكرمه والله اعلم وقوله عز وجل ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه فقوله ايحسب الانسان وان خرج مخرج الاستفهام في الظاهر فليس هو باستفهام ولكنه تحقيق حسبان من الانسان فجائز ان يكون حمله على الحسبان هو ان القدرة لا ينتهي الى هذا في ان يجمع العظام ويولف بعد تفتتها وتلاشيها فيدفع حسبانه هذا بقوله قل يحييها الذي انشاها اول مرة فمن يفكر في النشاة الاولى علم ان المقدرة تنتهي الى جمع العظام بعد ان صارت رميما وان الذي قدر على انشائها القادر على جمعها بعد تفريقها وجائز ان يكون حسب ان العظام لا يجمع بعد تفريقها لانها لو جمعت بعد التفريق لم يكن يعرف بعد ان وجدت مجموعة الا ترى ان المرء في الشاهد لا يقصد الى نقض ما بنى ليعيده مرة اخرى الى الجهة المتقدمة ومن فعل ذلك عابثا في هدمه ولم يكن حكيما فان كان هذا المعنى هو الذي حمله على الحسبان فجوابه ان يقال بان الجمع الاول وقع لمكان المحنة والابتلاء والجمع بعد التفريق لمكان الجزاء فاذا كان الجمع الثاني لغير الوجه الذي وقع الجمع في الابتداء كان صحيحا مستقيما وانما يخرج عن حد الحكمة اذا لم يكن الاعادة الا للوجه الذي وقع الابتداء الا ترى ان الذي نقض بناءه اذا اعاده لا للوجه الذي كان بنى اول مرة لم ينكر عليه وفيما ذكرنا رد قول الباطنية لانهم زعموا ان هذه الانفس تتلاشى وتتلف فلا بعث وان البعث يقع على الانفس الروحانية ولو كان كما زعموا لم يكن لقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه معنى لان العظام لا يجمع على قولهم بعد ما صارت رميمة فيكون الامر اذا على ما وقع في حسبان هذا الانسان فلا معنى للرد عليهم

بقوله

بقوله بلى قادرين على ان نسوي بنانه الا ترى ان الذي حمله على الانكار بجمع العظام بعد تفريقها هو انه لم يرهذا موجودا في الشاهد ولو كان الامر على ما زعمت الباطنية لكان الانكار مدفوعا اذ وجد النفس الروحانية مبعوثة في الشاهد بعد توفيهما وقال الله عز وجل قل يحييها الذي انشاها اول مرة فاخبر ان الانفس التي انشئت اول مرة هي التي تحيى لا غير وقوله عز وجل بلى قادرين على ان نسوي بنانه فمنهم من حمل هذه الاية على الابتداء وزعم انه ليس فيه جواب لما يقتضيه قوله عز وجل ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ومنهم من ذكر ان قوله بلى جواب لقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع فاكتفى بقوله بلى بما سبق منه من الدلالات والحجج على القول بالبعث فاقتصر على قوله بلى على الوصل لما تقدم من الدلالات ومنهم من جعل جوابه في قوله قادرين على ان نسوي بنانه معنى تسوية البنان هو الجعل من عظم واحد مجموعا غير متفرق مثل خف البعير وحافر الدواب ووجه الاستدلال انهم اقروا بان الله تعالى قادر على ان يسوي البنان لما عاينوا التسوية موجودة في الدواب ثم الجمع بعد التفريق اظهر وجودا وايسر فعلا من تسوية البنان الا ترى ان المرء في الشاهد قد يقدر على التاليف والجمع بين اشياء متفرقة ويعجز عن تسوية البنان فاذا كانت التسوية اعسر وجودا من الجمع بعد التفريق ثم وصفوا الله تعالى بالقدرة على تسوية البنان فكيف انكروا قدرته على جمع العظام بعد تفريقها تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومنهم من يقول بان الله تعالى لما لم يسو بين بنان الانسان وسوى بين بنان الدواب ليصل الى الاخذ والاعطاء والى التقديم والتاخير والقبض و البسط وانواع المنافع التي خص بها من نحو ما يملكون بالبنان تسخير الدواب وامتنانه فعلم بالتفريق بين الدواب وبينهم على ان البشر هم المقصودون بالمحنة وان لا يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم شكر ما انعم عليهم وقد ائتمر البعض وعصى البعض لا بد من دار اخرى للمجازاة فالنظر في هذا يحمله على القول بالبعث والجزاء ولان الاستواء يقع في الابتداء والجمع بعد التفريق يكون عند الاعادة والعقول تشهد على ان امر الاعادة ايسر من امر الابتداء فاذا لم يتعذر عليه الاستواء في الابتداء فاني يعسر عليه اعادة الجمع مع مدة على الجمع في الابتداء ولانهم لما لم يخلقوا مستوين البنان فليعلموا ان في ترك الاستواء حكمة ولو كان الامر على ما قدروا ان لا بعث لكان ذلك يخرج على حد الحكمة فيكون فيما ذكر تثبيت البعث والقول بالقدرة على جمع العظام بعد تفرقها وتفتتها والله اعلم وقوله عز وجل بل يريد الانسان ليفجر امامه قال اهل التفسير يؤخر التوبة ويقدم المعصية ويقول سوف اتوب فياتيه الموت على شر حاله وعندنا يخرج على وجهين ذكر الارادة لاجل تحقيقها ولكن من فعل شيئا فعله على الارادة والاختيار فكنى بالارادة عن الفعل لانها تقترن بالفعل فيكون في ذكرها ذكر الفعل وهو كقوله عز وجل وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ولكن خلقهما خرج على الحكمة بالبعث والجزاء فمن ترك القول بالبعث وصف بان خلقهما للعبث والباطل ويؤدي الى هذا فيصير كانهم قالوا ذلك وظنوا كذلك فعلى هذا يحمل الامر على الظن لا ان وجد منهم الظن في الحقيقة فكذلك اذا فعلوا فعل الفجور وكان فعلهم على الارادة والاختيار فكانهم ارادوا ان يفجروا امامهم لذلك مقصودا وجائز ان يكون ذلك على تحقيق الارادة وذلك ان للشر والفجور سبلا من سلكها افضت الى ان يستحق اسم الفجور والخير والهدى سبلا من سلكها افضى بها الامر الى ان يستحق اسم البر والتقوى فانما صار الى الفجور والى انواع الشرور بسلوكه ذلك السبيل وصار مريدا من هذه الجهة ثم قوله امامه يحتمل وجهين احدهما فيما بقي من عمره لانه يترك الاستهداء والاسترشاد ويمضي على العادة التي عود نفسه على ذلك من الشرور والضلال ويحتمل ان يكون الامام هو يوم القيامة ثم قال في موضع ويذرون وراءهم يوما ثقيلا بعد ذكره ذلك اليوم به بالامام والوراء جميعا فيكون قوله وراءهم اي وراء الاوقات التي خلت ومضت فعلى اعتبار الاضافة الى الاوقات الماضية يكون يوم القيامة وراءها وعلى اعتبار الاضافة الى ذلك الفاجر يكون اماما لانه يكون امام هذا الفاجر فلذلك استقام الوصف بالامام والوراء جميعا ثم ذكر الفجور ولم يذكر الكفر وان كان الانسان الذي يريد ان يفجر امامه كافرا لان في ذكر الفجور تعييرا وتشنيعا اذ هو اسم للتعيير خاصة وليس في نفس الكفر تعييرا اذ كل احد مؤمنا كان او كافرا مؤمن بشيء كافر بشيء فالكافر من حيث اسمه لم يصر قبيحا بل بمعناه ما قبح فكان الفجور ابلغ في التعيير من الكفر فسمي به والله اعلم وقال ابو بكر معنى قوله يريد ان يفجر امامه اي يريد ان يعاين يوم القيامة ويعلم به انه متى هو تفسيره على اثره وقوله عز وجل يسأل ايان يوم القيامة اي يريد ان يعلمه بسؤاله متى هو فاخبر انها تقوم اذا برق البصر وخسف القمر والله اعلم وقوله عز وجل يسال ايان يوم القيامة سؤاله هذا سؤال تعنت واستهزاء لما ذكرنا انه ليس في تعرف وقت كونه مزجر ولا مرغب وانما يقع الزجر والرغبة بتذكير الاحوال التي يكون في ذلك اليوم فلذلك ذكر الاحوال التي تكون في ذلك اليوم ولم يوقفهم على ذلك الوقت متى يكون اذ ليس في معرفة وقته كثير حكمة فجيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواب الحكماء لا ان يجيبهم بجواب مثلهم وقوله عز وجل فاذا برق البصر قيل دهش وتحير ثم اختلف بعد هذا فمنهم من صرف هذا الى حالة الموت ومنهم من ذكر ان هذه الاحوال تكون يوم القيامة والاولى الحمل على صرف التاويل فهو مستقيم لان المنكر بالبعث اذا عاينه يأس الله تعالى

الفجور ابلغ من الكفر

ورأى ما حل به من الاحوال تيقن بالبعث وعلم به ثم ان كان المراد به حالة الموت فقوله عز وجل فاذا برق البصر وخسف
القمر وجمع الشمس والقمر يخرج على التمثيل ليس على التحقيق لانه بصره اذا دهش وتحير صار بحيث لا ينتفع ببصر وجهه
ولا ببصر قلبه لا يرى ضوء القمر فيصير القمر كالمخسف ويصير الشمس والقمر كالمجموعين ولا يرى
ضوء الشمس ولا نور القمر فيصير النهار عليه ليلا والليل نهارا اشتغالا بما حل به من البلايا والاهوال
وهو كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والاخرة جنة المؤمن وسجن
الكافر وقال النبي عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه فصرفوا تاويل
هذين الخبرين الى حالة الموت وذلك ان الكافر يعاين في ذلك الوقت ما اوعد من الاهوال والشدائد فكره
مفارقة روحه من جسده لانه لا يقع في تلك الاهوال والشدائد ويصير الدنيا له في ذلك الوقت كالجنة
لا يحب مفارقتها والمؤمن اذا عاين ما وعد له من البشارات وانواع الكرامات وذا الخروج من الدنيا
ليصل الى ما اعد له فيصير الدنيا عليه كالسجن في ذلك الوقت فيكون هذا كله على التمثيل من الوجه الذي
ذكرنا وان كان ذلك يعني يوم القيامة على تحقيق الخسف وجمع الشمس والقمر وقوله عز وجل يقول الانسان
يومئذ اين المفر يحتمل ان يكون قوله عز وجل اين المفر اي ليس لموضع فرار عما حل بي ويقول الى اين المفر والى
من التجئ لا يخلص من العذاب والله اعلم ثم قوله عز وجل فاذا برق البصر قال بعضهم اذا شخص البصر نحو
الداعي يوم القيامة وهو كقوله عز وجل اين المفر اي ليس لموضع فرار عما حل بي ويقول الى اين المفر والى
من التجئ لا يخلص من العذاب والله اعلم ثم قوله عز وجل فاذا برق البصر قال بعضهم اذا شخص البصر نحو
الداعي يوم القيامة وهو كقوله عز وجل ليوم تشخص فيه الابصار فلتشخص ببصره الى الداعي لانه
قد علم ان الذي حل به من باس الله تعالى حول لامتناعه عن الاجابة للداعي في هذه الدنيا فيتسارع يوم
القيامة في اشخاص بصره الى الداعي ابتدارا منه الى اجابة الداعي وقوله عز وجل وخسف القمر اي
ذهب ضوؤه ونوره ففيه ان العالم في ذلك اليوم يتغير ويتبدل كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وقال يوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقال ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا
وقوله وجمع الشمس والقمر ففيه ان سلطانهما يذهب فلا يعملان عملهما بعد ذلك ثم من الناس
من زعم انهما يجمعان يوم القيامة كالبعيرين عن ابن عباس رضي الله عنه انه انكر هذا وقال انهما خلقان
لله تعالى طايعان له عز وجل الا ترى الى قوله تعالى وسخر الشمس والقمر دائبين دائبان في طاعة الله
الله تعالى ومن كان هذا وصفه فلا يجوز ان يعذب وعندنا ان القاءهما ان ثبت فهما يلقيان
في النار ليعذب بهما غيرهما وهم الذين عبدوهما من دون الله تعالى وذلك كقوله عز وجل وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية ومعلوم بان الاصنام التي عبدت من دون الله لا تعذب
بالنار ولكنها تجعل حصبا ونارا تعذب بها من عبدها وقال الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
ولا يجوز ان يكون الملائكة يمسهم اذى النار بل هم الذين يعذبون فعلى ذلك الشمس والقمر ان ثبت
انهما يلقيان في النار فهما يلقيان ليعذب بهما من عبدهما لا ان يعذبا بانفسهما والله اعلم وقوله عز وجل
يقول الانسان يومئذ اين المفر فجائز ان يكون قوله اين المفر على طلب الحيلة انه كيف احتال الى ان افر والى
من التجئ لا تخلص من باس الله وعذابه ويحتمل ان يكون قوله اين المفر اي ليس في موضع فرار عما حل بي لانه
ان ليس له مفر وجائز ان يكون هذا كله عند الموت على ما ذكرنا وقوله عز وجل كلا لا وزر ذكر اهل التاويل
ان الوزر هو الجبل بلغة حمير وذكر عن الحسن قال كانت العرب يخيف بعضها بعضا ويغير بعضها بعضا
فكان يكون الرجلان في ماشيتهما فلا يشعران حتى يريا نواصي الخيل فيقول احدهما لصاحبه الوزر الوزر
يعني الجبل فكانه يقول ليس لهما اذ ذاك مفرج ولا مستلجأ ياوي اليه كالجبل في الدنيا عن بعض ما يحل به
من الافزاع وقيل الوزر الملجأ وقوله عز وجل ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر قيل انه ينبؤا من
اول ما عمل الى اخر ما انتهى اليه عمله كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقال بعض اهل
التاويل بما قدم من انواع الطاعة وما اخر من حق الله تعالى من اللوازم التي كانت عليه وقال بعضهم بما
اعلن واسر وقال بعضهم بما قدم فيحتمل من اعمال وما اخر ما سن من سنة فاستن بعد موته وقد ذكرنا انه
انه بالتلطف من الله تعالى ما يعلم بالذي قدم من الاعمال واخرها فيتذكر بذلك حتى يصير ما كتب في الكتاب
حجة عليه والا فالمرء في هذه الدنيا اذا كتب كتابا استغرقت عليه مدة لم يتذكر جميع ما كتب فيه ولا وقف
على علم ذلك وقوله عز وجل بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره هذا يخرج على وجهين احدهما
جائز ان يكون اراد بهذا في الدنيا ان الانسان بصير بعمل نفسه وان جادل عنها انه لم يفعل ذلك
واستر ذلك عن الناس وان التي معاذيره اي ارخى الستور بما كسبت نفسه والمعذار هو الستر والوجه
الثاني ان يكون في الاخرة وهو يحتمل وجهين احدهما ان الانسان وان كان يعتذر يوم القيامة بقوله
تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وقال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم فيقدمون على الحلف
اغترارا منهم انهم مبطلون في جدالهم والثاني ان يكون معنى البصيرة الشاهد اي ان الانسان على

نفسه

نفسه شهدت عليه جوارحه وذلك نحو قوله عز وجل اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم و
تشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله عز وجل شهد عليهم سمعهم وابصارهم الاية قال قيل ان
الانسان مذكر كيف وصف بالبصيرة بلفظة التانيث بقوله بل الانسان على نفسه بصيرة ولم يقل بصير
ولم يقل بصير خبرا به من اوجه احدها ما قيل ان الانسان تسمية جنس فيه الجماعة لا ان يكون تسمية
الشخص الواحد فقط الا ترى الى قوله والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا استثنى الذين
امنوا من قوله ان الانسان لفي خسر ولا يستثنى الجماعة من الواحد وكذلك قوله عز وجل لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين فاستثنى الذين امنوا من الانسان فثبت ان الانسان تسمية
جنس والجنس جماعة ويكون الجماعة مضمرة فيه كان قال ان على انفسهم بصيرة فيكون قوله بصيرة راجعا
الى الجماعة والله اعلم وجواب ثان قوله بصيرة وصف للانسان بالغاية من البصر بكل ما عمل حتى لا يغرب عنه
شيء والهاء قد يدخل في خطاب المذكر عند الوصف بالمبالغة كقولك فلان علامة ونسابة وراوية للشعر
وبالغة في النحو والثالث ان الانسان تسمية ما براه بجوارحه كلها من الايدي والارجل والسمع والبصر
والرأس وغير ذلك ونفس امارة بالسوء فيصير جوارحه كلها بصيرة اي شاهدة عليه بما قدم واخر وجائز
ان يكون هذا على الاضمار فيكون بل الانسان على نفسه بصيرة اي نفس الانسان بصيرة بما عملت ثم من
الناس من يثبت للجوارح العلم بما كسبت نفسه حتى تصير شاهدة عليه يوم القيامة بقوله يوم تشهد عليهم
السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولو لم يكن لها العلم بما قدمت نفسه لكانت لا تشهد بما لا تعلم
وليس الامر عندنا على ما زعموا لانها لو علمت بذلك لكان صاحبها يصل الى العلم من جهتها الا ترى ان
القلب لما ثبت له المعرفة وقع لصاحبه العلم من جهته وكذلك السمع لما جعل فيه السمع وقع لصاحبه
علم المسموع به ولما كان بعينه يبصر الاشياء كان علم البصر واقعا من جهتها فلما لم يقع له العلم بيديه
ولا برجليه ولا بشيء من جوارحه سوى القلب علم انه لا حظ لها في المعرفة ولكن جعلت هي شاهدة وحجة
يوم القيامة تشهد على صاحبها بما يحدث الله تعالى فيها علما ضروريا بذلك لا ان كان لها علم بالذي شهدت
قبل ذلك كما جعلت نطقه في ذلك الوقت لا ان كان النطق فيها موجودا من قبل والله اعلم وقوله عز وجل
لا تحرك به لسانك لتعجل به هذا الكلام مبتداء منفصل عن الاول وذكر اهل التاويل ان جبريل عليه الصلوة
والسلام كان اذا اتى نبي الله عليه الصلوة والسلام بالوحي فكان لا يفرغ من اخر الاية حتى يقول نبي
الله عليه الصلوة والسلام في اولها مخافة النسيان على ما عليه عرف الخلق انهم اذا ارادوا وعي الكلام
وحفظه كرروها بالسنتهم كي يضبطوها ولا ينسوها فكان النبي صلى الله يفعل ذلك خشية النسيان
فنهي عن ذلك بقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وهو كقوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك
وحيه وهذا عندنا مما لا يجوز ان يشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يحرك لسانه قبل
مجيء هذه الاية ويتذكره مخافة النسيان الا باخبار متواترة لان هذا في حق الشهادة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه كان يفعل كذلك الا بتواتر الاخبار فاما ان يثبت بخبر واحد فلا ولا يقال
بانه لو لم يتقدم منه التحريك لكان لا معنى للنهي فانه ليس فيه ما يثبت مقالتهم ويصحح تاويلهم
ويسوغ لهم الشهادة لانه يستقيم في الابتداء ان ينهى فيقال لا تحرك به لسانك ولا تفعل كذا وان
لم يسبق منه ارتكاب ذلك الفعل ولا يتقدم منه تحريك لسان فثبت انه ليس في ضمن هذه الاية
بيان ما ادعوا هذا اذا ثبت ان قوله لا تحرك به لسانك وقوله ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك و
حيه على النهي فكيف وهو يحتمل معنى اخر غير النهي وهو ان يكون هذا على البشارة له بالكفاية بان
قد كفيت مؤنة الاستذكار للتحفظ وهذا من عظيم ايات الرسالة ان السورة يلقى عليه فيحفظها
كما هي مما يشتد على الناس حفظه وقراءته الا ان يتكلفوا ويجتهدوا في ذلك فيعلم بهذا ان الله عز وجل
هو الذي اقدره على ذلك وجعله اية من اياته والله اعلم ثم الاصل ان من القى الى اخر كلاما منثورا ما نظم
في ذلك الكلام فان كان انما قصد منه تحفظ عين الكلام فان المخاطب به لا ينتظر فراغ المتكلم عن ذلك
ذلك الكلام بل يشتغل بالتلقن وتحفظه ساعة ما يلقى اليه كما ينشد بين يدي اخر شعرا واراد الاخر
ان يحفظ ذلك الشعر بعينه فهو لا ينتظر فراغ المنشد عن شعره بل هو ياخذ بالتلقن في اول ما يسمع
منه اذ الغرض من الاشعار حفظ اعينها دون معانيها الا ترى ان الالفاظ اذا حذفت منها خرجت
عن ان يكون شعرا واما اذا لم يكن القصد من الكلام ضبط عينه وانما اريد به تفهيم ما اودع فيه
من المعنى فالعادة في مثله الاصغاء الى اخر الكلام ليفهم معناه وما يراد به الا ترى ان من كتب الى اخر
كتابا وان المكتوب اليه يقرأ الكتاب من اوله الى اخره ليعرف مراد الكاتب لا ان يشتغل بضبط ما
اودع فيه من الالفاظ اذ ليس يقصد بالكتابة الى حفظ الالفاظ فاذا كان المراد يتوجه من
الكلام الى ما ذكرنا ثم القران قصد به الوجهان جميعا ضبط حروفه ونظمه ويعرف مما
اودع فيه من المعاني اذ صار حجة بنظمه وبالمعاني المودعة فيه فقيل لا تعجل بتحريك اللسان

كما يفعل من يريد التلقن الكلام الذي يلقى اليه فانك وان احوجت الى حفظ نظمه وحروفه
فقد كفيت مئونته بدون تحريك اللسان وجائز ان يكون نهى عن تحريك اللسان والمبادرة الى حفظه قبل
ان يقضى اليه بالوحي لما فيه من ترك التعظيم لمن ياتيه بالوحي فامر ان يصغي اليه سمعه ويستمع الى
اخره تعظيما للذي اتاه الوحي وتوقيرا له ثم هذه الاية تنقض على الباطنية قولهم لان من قولهم
ان القران لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤلفا منظوما بل نزل على قلبه كالخيال
فصوره بقلبه والفه بلسانه فاتى بتاليف عجز الاخرون عن ان يالفوا مثله ونحن نقول بل انزل
هذا القران مؤلفا منظوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن التاليف من فعله والذي يدل
على صحة مقالتنا قوله تعالى لا تحرك به لسانك لان التاليف لو كان من فعله عليه السلام لكان يوجد منه
تحريك اللسان وقت ما انزل عليه لانه اذا كالخيال فهو يحتاج الى ان يصوره في قلبه ثم يصل الى التاليف بعد التصوير
ثم ياتي له العبادة باللسان وانما يقع التحريك من مؤلف منظوم ثبت انه انزل هذا مؤلفا منظوما والثاني انه قال
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين فهذه الاية نفت طعن
اولئك الكفرة الذين يزعمون ان هذا ليس بقران بل انما علمه فلان وكان لسان ذلك البشر اعجميا
وهذا القران عربي فكيف يستقيم ان يعلمه ذلك البشر ولسانه غير هذا اللسان ولو كان هذا القران
وقت ما انزل كالخيال لكان ذلك الطعن قائما لانه كان يؤلفه ويجمعه باللسان العربي وان علم بالاعجمية
لما قدر ان يؤلفه وينظمه بعد ان كان مباديه باللسان العربي وقوله عز وجل ان علينا جمعه وقرانه
لانه قد سبق منا الوعد في الكتب المتقدمة بانزال هذا القران وارسال هذا الرسول فعلينا انجاز ذلك
الوعد ووفاؤه او علينا في حق الحكمة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بتبليغ الرسالة ولا يتهيا له
ذلك الا بعد ان يجمع له فيؤديه الى الخلق ولان الله تعالى حكيم في فعله وفعله موصوف بالحكمة وان لم نعرف
نحن وجه الحكمة في فعله وجائز ان يكون قوله ان علينا جمعه في حق الرحمة والرافة على الخلق لا ان يكون
حقا لهم قبله تعالى وهو كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الى قوله الا رحمة من ربك فاخبر
انه ابقى القران ولم يذهب به رحمة منه على عباده وفضلا وقوله عز وجل وقرانه اي قراءته وتسمية قرانا
كما قيل قيلا وبل قوله وقرانا فرقناه اي جعلناه فرقانا وقوله عز وجل فاذا قراناه فاتبع قرانه اي جمعناه في
قلبك او جمعنا حدوده وما اودع فيه من المعاني وجمعناه بعد ان فرقناه في التنزيل وقوله فاتبع قرانه
اتباعه يكون باوجه في ان يبلغه الى الخلق ويعمل امنه ويتبع حلاله ويجتنب حرامه وغير ذلك وقوله
ثم ان علينا بيانه جائز ان يكون قوله علينا بيانه اي بيان ما انزلناه اليك مجملا فيكون بيانه في تعريفه
ما هو بحق الالزام وما هو بحق الجواز وما هو في حق التحسين والتزيين لان الفرائض لها شعب واركان
وحواشي ونقول فيها فرائض ولوازم واداب واركان على هذا فيه منع تعلق الحكم بظاهر المخرج لانه
لو كان متعلقا به لكان البيان منقضيا بنفس التنزيل فلا يحتاج الى ان يبين وفيه دلالة تاخير البيان
عن وقت وقوع الخطاب التسميع ويحتمل ان يكون قوله عز وجل علينا بيانه اي بيان ما هو بحق الكتابات
والنتائج منها وما هو بحق الاصول والفروع وما هو بحق المقصود فتبين لرسوله عليه السلام معاني الاصول
والكتابات ليتعرف به فروعها ونتائجها وتبين لمن بعده ممن جاهد في الله حق جهاده ويهديه لذلك
قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا او يكون قوله ثم ان علينا بيانه في ان يحفظك ويعصمك
من الناس ليمكن من تبليغ ما انزل اليك الى الخلق وتبين لهم والله اعلم ووجه اخر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث الى كل من كان شاهدا من الخلائق الى يوم القيامة ثم لم يمكن من تبليغ الرسالة
الى كل احد مما ذكرنا بنفسه فكان ضمن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التبليغ الى الخلائق
كافة بما شاء جل جلاله اما تسخير الرواة الحفاظ والعلماء ليبلغوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ادى اليهم او يكون قوله ثم ان علينا بيانه اي بيان المحق من المبطل والولي من العدو
وذلك يكون يوم القيامة فيعرف الاولياء بما يحيون من الكرامات ويبين الاعداء والمبطلون
بما يحل بهم من الحسرات وانواع العذاب وقوله عز وجل كلا بل تحبون العاجلة تقوله كلا ردع ومنع
عما سبق منهم وفي قوله بل تحبون العاجلة ابانة ان الذي حملهم على ما هم فيه من الحسبان ان
العظام لا تجمع وان البعث ليس بشيء حبهم العاجلة وذلك انهم اولعوا بالعاجلة واحبوها حبا انساهم
عن الايمان بالاخرة وعن النظر في الحجج والبراهين التي لو امعنوا النظر فيها اداهم الى القول بالبعث
وحتى صاروا الى ان لا يرجوا الاخرة كقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا الاية وقوله عز وجل وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة ففيه بيان ما ينتهي اليه عواقب من التزم
طاعة الله تعالى وامن بالبعث والحساب وبيان ما ينتهي اليه عواقب من تولى عن طاعته فقوله
وجوه يومئذ ناضرة جائز ان يكون اريد بها انفس الوجوه وجائز ان يكون اريد بها الانفس
ويكون الوجوه كناية عنها والذي يدل على انه اريد بها الانفس لا اعينها قوله ووجوه يومئذ

ما يجب نقضه له

رد الباطنية في نظم القران

سبق وعد القران في الكتب المتقدمة

في حب العاجلة نعوذ بالله

باسرة

باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة والوجوه لا يظن ذلك ولا يعلم به فثبت ان ذكر الوجوه على الكناية
لا ان اريد بها اعينها فهذا التاويل اوفق بما يقتضيه ظاهر اللفظ وانما صلح ان يكون الوجوه كناية
عن الانفس وذلك ان النفس اذا تلذذت بامر ونالت شهوتها ظهر سرور ذلك في وجهه واذا تالمت
بامر واعتراها الحزن ظهر اثر الحزن في وجهه فيكون في قوله وجوه يومئذ ناضرة وصف لهم بما هم
عليه من غاية السرور بالكرامات التي اكرموا بها حتى نضرت وجوههم بذلك واذا ثبت انهم قد نالوا
الكرامات ووصلوا الى انواع اللذات لم يبق لقوله الى ربها ناظرة موضع الا ان يصرف الى حقيقة
النظر فيكون في هذا اثبات القول بالرؤية والثاني ان الملوك الذين من عادتهم الاحتجاب عن
الخلق اذا قربوا اناسا لم يحتجبوا عنه ويكون ترك الاحتجاب اثرا لذلك الذي اكرم بالتقريب من سائر
ما يكرم به فجائز ان يكون الله تعالى يكرمهم بالنظر اليه ويتفضل عليهم بذلك وجائز ان
يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى انتظار الثواب كما قاله بعض اهل التاويل فينتظرها باتيها
من التحف والكرامات حتى وصفوا بنضارة الوجوه فجائز ان يكون بعد تلك الكرامات كرامات
وتحف اخر لم ياتهم بعد الا ترى الى قوله ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة والسود
من ادنى احوال التغير وغاية التغير ان تسود الوجوه وتكلح فاذا لم يحل بهؤلاء بعد غاية ما اوعدوا
من العذاب فجائز ان يكون الذين وعدهم الكرامات بعد لم ينتهوا الى اقصاها ولم ينالوا بعد ارفعها
وانما اكرموا ببعضها وهم منتظرون لما ياتيهم من بعد وجائز ان يكون قوله الى ربها ناظرة اي يجعلها
نظرها فيما اكرمت الى الله تعالى ولا يرى ذلك الفضل مستوجبا من جهتها كما قد يرى المرء في الشاهد
بعض ما خول من المال بحيلته وسعيه والله اعلم وجائز ان يكون قوله الى ربها ناظرة اي ان
ليس كل الكرامات في نفسه خاصة والى ما ينتهي اليه نظره بل يكون فوق ذلك كرامات بل اخر
فينصرف قوله الى ربها ناظرة الى ذلك ويحتمل اي الى امر ربها ناظرة واذا كان قوله الى ربها
ناظرة محتملا ان يصرف الى حقيقة النظر وينصرف الى الكرامات من الوجوه التي بيناها لم يكن
لاحد ان يجعل الامر على الكرامات فينفي عنه حقيقة الرؤية الا بدلائل ظاهره يحيل القول
بالرؤية فيدفع هذا التاويل بتلك الدلائل فاما اذا لم يمكنه اقامة الدلائل على احالة الرؤية
فليس له قطع هذا التاويل وصرف التاويل الى انتظار الكرامات فيكون الاية حجة في جواز الرؤية
وان لم يكن حجة في الوجوب والخلاف فيهما واحد واحتج من صرف التاويل الى حقيقة الرؤية ان
قوله وجوه يومئذ باسرة هو مقابل قوله وجوه يومئذ ناضرة وقوله تظن ان يفعل بها فاقرة
على فقد الرؤية ولكن على العقاب نفسه فكذلك قوله الى ربها ناظرة ليس هو على حقيقة الرؤية
ووجودها ولكن واقع على الثواب نفسه وجواب هذا الفصل من وجهين احدهما ان اهل العقاب
بعد لم ينزل بهم جميع ما اوعدوا في هذه الدنيا من العقاب لما ذكرنا ان نهاية العذاب في تسود
الوجوه وتكلحها ليس في بسورها فلذلك استقام ان يكون قوله تظن ان يفعل بها فاقرة على نفس
العذاب واهل الجنة قد وصلوا الى رفيع الدرجات وعظيم الكرامات بما وصفوا بنضارة
الوجوه فاستقام ان يكون قوله الى ربها ناظرة منصرفا الى حقيقة النظر لا الى غيره من الكرامات
ولان الرؤية من اعلى الكرامات وارفعها واهل العقاب لم ينالوا ادنى الكرامات فكيف يتوقعون ارفعها
اما اهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى فجائز ان يكرموا بالرؤية ايضا والاصل ان
القول بالرؤية عندنا واجب والنظر اليه ثابت كما قال عز وجل ولما جاء في غير خبر النظر الى الله تعالى
وقد قال عليه السلام انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضارون في رؤيته
واهل التوحيد لم يختلفوا في صحة الاخبار التي جاءت في اثبات الرؤية ولكن من نفى الرؤية بالبصر صرف
الاخبار الى العلم وذلك غير مستقيم لوجهين احدهما ان البشارة بالرؤية تخص بها اهل الجنة ولو كان
المراد من الرؤية العلم لارتفع الاختصاص لان العلم مما يقع به الاشتراك بين الفريقين ولان كلا يجمع
على العلم بالله تعالى في الاخرة العلم الذي لا يعتريه الوساوس ولا الريب والعلم الذي لا يعتريه الوساوس
والريب هو علم العيان والمشاهدة لا علم الاستدلال لان الايات لا يضطر اهلها الى الحقيقة الا ترى
الى قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا
ما كنا مشركين وقال يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء فاذا
ثبت ما ذكرنا فقد صاروا مثبتين للرؤية من الوجه الذي ارادوا نفيها فثبتت الرؤية على نفي جميع معاني
التشبيه عن الله تعالى ولا نصف الرؤية بالكيفية اذ الكيفية يكون للذي صورة وهو يرى بلا كيف و
الله الموفق وقوله عز وجل تظن ان يفعل بها فاقرة فجائز ان يكون الظن في موضع العلم هاهنا وجائز
ان يكون على حقيقة الظن وذلك ان الظن يتولد من ظواهر الاشياء فالاسباب اذا كثرت
وازدحمت وقع بها العلم واذا قلت وخفيت لم يقع بها علم فجائز ان يكون اسباب الشر لما تم

الاصل ان القول بالرؤية واجب

ورؤيته بلا كيف

معاملة الحكماء مع السفهاء

من كل جانب حتى وقع الياس من النجاة وايقن انه يفعل به الشر وجاز ان يكون الآية من بعد لم يبلغ به
مبلغ الاياس فيتوقع النجاة ولا ينبغي ان يفعل بها فاقرة بل يكون منه على ظن والله اعلم والفاقرة
قيل الشر والمنكر والداهية وقيل الفقير هو كسير الظهر والفقر الكسر والفقار عظيم في الظهر بكسر
فكان عظيم الظهر بكسر في الاخرة ويسحب في النار على وجهه قال رحمه الله كان هذه السورة
من اولها الى اخرها الآيات منها وهو قوله بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة نزلت في تبيين معاملة احد من الكفرة على الاستهزاء اليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشترك في حكم من يذكر في معاملته فامر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يعامله ويستقبله بالذي يحق
على الحكماء معاملة السفهاء ولم يأمره ان يعامله بمثله من السفهاء وبين معاملته في هذه السورة
ليعلم امته ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهد والبلاء في اظهار دين الله تعالى فيعلموا
قدره ومنزلته ويعظموا دين الله تعالى بما تألوه سمحا سهلا وامره ان يعامل معه معاملة من يرجع الى
المنعة والشوكة بقوله اولى لك فاولى والله اعلم وقوله عز وجل كلا اذا بلغت التراقي فقوله كلا يحتمل
وجهين احدهما ان يكون اريد به حقا ويحتمل ان يكون على الردع والزجر اي لا تفعل مثل هذا
فانك ستندم في الوقت الذي قال اذا بلغت التراقي كانهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
وقت ندمه فبين لهم ذلك بقوله تعالى اذا بلغت التراقي والتراقي هي عروق العنق كانه يقول حين
نزول النفس الى الروح عن مكانها ينتهي الى التراقي وقوله عز وجل وقيل من راق فجائز ان يكون
الملائكة هم الذين يقولون هذا فيقول بعضهم من يرقى بروحه املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب
من راق يرقى اي صعدا ومن يقبض روحه ويحتمل ان يكون يقوله اهله من الذي يرقيه فيشفى فيكون
فيه اخبار عما حل به من الضعف والشدة انه يمتنع عن ان يقول ادعوا الى راقيا لعلي اشفى فيكون اهله
هم الذين يقولون هذا فيما بينهم وقوله عز وجل وظن انه الفراق فجائز ان يكون الظن على الايقان
هاهنا لما وقع له الاياس من الحيوة وكذلك روي في قراءة ابن عباس رضي الله عنه وايقن انه الفراق
وجائز ان يكون على حقيقته بالظن لما لم يقع له الاياس من حيوته بعد فهو يأملها بعد وقوله عز وجل
والتفت الساق بالساق اختلفوا في تاويله قيل لفت ساقاه احدهما على الاخرى فلا يفترقان
كالتفاف الاشجار حتى لا يجد نفاذا فيها ولا خروجا وقيل ان ساقيه في القيامة تضعف عن حمل
من شدة الفزع وقيل اريد بالساق الشدة يقال قامت الحرب على ساق اي على شدة اي وصلت
شدة الموت بشدة الاخرة واجتمعت شدة الدنيا مع شدة الاخرة عليه لانه قد حل به سكرات
الموت ونزلت به شدائد الاخرة وذلك اخر يومه من الدنيا واول يومه من الاخرة وقيل ما من
ميت يموت الا التفت ساقاه من شدة ما يقاسي من الموت وقال بعضهم والتفت الساق بالساق
معناه ان الملائكة يجهزون روحه وبني ادم يجهزون بدنه فذلك التفاف الساق بالساق وقوله
عز وجل الى ربك يومئذ المساق اما الى خير واما الى شر وقوله عز وجل فلا صدق بما جاء من عند الله
تعالى من الاخبار ولا صدق رسوله صلى الله عليه وسلم ولا صلى يحتمل ان يكون اريد به نفس
الصلوة وذلك ان الصلوة جعلت الى الانفس كلها حتى لا ترى اهل دين الا وقد جعلت الصلوة
اليهم فيكون في قوله فلا صدق ولا صلى اي لم يسعفه وجهله او يكون قوله ولا صلى اي ولا اتى
بالمعنى الذي له الصلوة وهو الاستسلام والانقياد لله تعالى وقوله عز وجل ولكن كذب وتولى
اي ولكن كذب بالاخبار التي جاء بها وتولى اي اعرض عن طاعة الله تعالى وقوله عز وجل ثم ذهب الى اهله
يتمطى اي يتبختر ويتكبر وذلك ان الاختيال والتكبر انما يليق بمن اتى بفعل عظيم يعجز غيره عن اتيان
مثله نحو ان يهزم جندا عظيما او يفتح كورة حصينة وهذا الذي يتمطى لم يفعل شيئا كان كذب
بآيات الله تعالى واعرض عن طاعته وما هذا الا فعل السفهاء الحمقى فانى يليق بمثله التمطي وقوله
عز وجل اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فجائز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له
قل اولى لك فاولى او كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اولى لك فاولى وبين الله تعالى ذلك
في كتابه وقال اهل التاويل هذا وعيد على وعيد كانه قال ويل لك فويل ثم ويل لك ويل ذكر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخذ بجميع ثيابه وقال له هذا فلم يتهيأ له ان يدفع رسول الله
عن نفسه وكان يفتخر بكثرة انصاره وانه اعز من يمشي من الجبلين فالله تعالى يلطف له واها يرجى
لم يتهيأ له الحراك عما نزل به ولا تنفعه قواه وكثرة اتباعه وجائز ان يكون قوله اولى لك فاولى
اي لا حد ولك ان ينظر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذي كان عليه اباؤك ليظهر لك
الصواب من الخطاء والحق من الباطل فيتبع الصواب من ذلك فتحرز شرف الدنيا والاخرة
اذ كان يفتخر بشرفه وعزه فان اردت ان يدوم لك الشرف فالاولى لك ان تنظر الى ما ذكرنا
فتتبع الصواب من ذلك والثاني ان العرب كانت عادتها ان تقوم بنصر قبيلتها والذب

في تعظيم دين الله ومن الله ابا بالمؤمنين سهلا وسمحا

عنها كانت

عنها كانت ظالمة في ذلك او لم تكن ظالمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان من قبيلة ابي جهل فلو كان
على غير حق عنده كان اولى وابر ان ينصره بعينه على ما عليه عادة العرب وان كان محقا فهو اولى فقوله
بما هو اولى من النصر والحماية وقوله عز وجل ايحسب الانسان ان يترك سدى فجائز ان يكون هذا الا
فجائز ان يكون هذا الانسان دهري المذهب فيكون قوله ايحسب الانسان على حقيقة الحسبان لانه
يحسب ان لا بعث ولا حساب وقد كان في اهل مكة من هو دهري المذهب وان كان الخطاب في قوله بعد
ايحسب الانسان ان يترك سدى ليس على تحقيق الحسبان ولكن معناه انه يفعل فعل من يظن ان امره كان
فعله مثل فعل من يحسب انه يترك سدى كما ذكرنا في قوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر امامه وهو
لا يريد ان يكون فاجرا في الحقيقة ولكنه يتعقب فعله الفجور وهو كقوله وما خلقنا السماء والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وليس على حقيقة الظن ولكن اذا لم يقل بالبعث والرجوع من يوقنه
وصف انه خلقهما للعلى باطل وذلك الفعل الذي ذكرنا يكون في ترك الايمان بالبعث وفي جحد الرسالة
لان المحاسن لا بد من ان يكون لها عواقب وكذلك المساوي اشتم تمر هذه الدار على المسيء والمحسن
ممرا واحدا فلا بد من ان يكون بعده دار اخرى فيها تبين مرتبة المحسن ومال المسيء ثم الذي لم
يؤمن بالبعث فهو لا يجعل للمحاسن والمساوي عواقب وسوى بين مرتبة المسيء ومرتبة
المحسن وذلك عبث والثاني انه من عرف انه لم يخلق عبثا ولا يترك سدى فلا بد لمثله من ان
يرغب ويرهب ويؤمر وينهى ولا يعرف ذلك الا بالرسول والضرورة احوجت الى رسول
يبين لهم ما يأتون وما يتقون وما يرغبون فيه وعما يحذرون فمن انكر الرسالة فقد اهمل
نفسه عن المرغوب والمرهوب وعن الامر والنهي وذلك حال من خلق سدى وقوله عز وجل
الم يك نطفة من مني يمنى والوجه فيه ان كل احد يعلم ان نشوءه كان من النطفة وتلك النطفة لو وقعت
موضوعة على طبق ثم اجتمع حكماء الارض على ان يقدروا منها بشرا سويا كما قدره الله تعالى
في تلك الظلمات لم يصلوا اليه ابدا وان استفرغوا مجهودهم وانفدوا حيلهم وقواهم ولو اراد
رادوا ان يتعرفوا المعنى الذي لذلك المعنى صلحت النطفة على ان ينشأ منها العلقة والمضغة
الى ان نشأ بشر سوي عليه فيعلموا ان من بلغت قدرته هذا هو احكم الحاكمين ولو كان الامر
على ما زعموا انه لا بعث لم يكن هو احكم الحاكمين بل كان واحدا من اللاعبين وتبين بما ذكرنا ان
الذي قدرته لا يوصف بالعجز ومن زعم ان قدرته لا تنتهي الى البعث فقد وصف ربه بالعجز
تعالى الله عما يشركون وقوله عز وجل اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فقوله اليس في موضع
التحقيق والتقرير وان كان خارجا مخرج الاستفهام على ما ذكرنا ان ما يخرج مخرج الاستفهام
من الله تعالى فحقه ان يصرف الى الوجه الذي يقتضيه ذلك الخطاب انه لو كان من مستفهم لمن
قال لاخر في الشاهد اليس الله تعالى بقادر على احياء الموتى فحقه ان يقول بلى هو قادر على ذلك
وكذلك ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حين تلا هذه الآية سبحانك فبلى فقوله اليس ذلك
بقادر اي هو قادر على احياء الموتى والله الموفق واليه المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

دليل البعث

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فهل من
ونعل من الله تعالى واجب وحق ان ينظر انه لو كان مثل هذا الكلام من مستفهم ما الذي كان يقتضي
من الجواب فاذا قال الانسان لاخر من اظلم ممن افترى على الله كذبا فجوابه ان يقول لا احد
اظلم منه واذا قال لاخر هل اتاك حديث فلان فحق المجيب ان يقول ان كان قد اتاه حديث
فلان قد اتاني وان كان لم يأته فحقه ان يسأله كيف كان خبره ليعرفه فان كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد اتاه خبر الانسان بمعنى قوله هل اتى على الانسان اي قد اتى على الانسان وان لم
يكن اتاه فحقه ان يسأله حتى يبين له وقيل الانسان ادم عليه السلام ثم القائل ان يقول ان كيف
قال قد اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فهو ان لم يكن شيئا في ذلك الوقت
لم يكن انسانا واذا لم يكن انسانا لم يأت عليه حين من الدهر وهو انسان وان كان في ذلك الوقت
مخلوقا فقد صار مذكورا واذا صار مذكورا فقد اتى عليه حين من الدهر وهو مذكور فما معناه
قيل فيه من اوجه احدها ان يكون قوله عز وجل هل اتى على الانسان اي على ما منه الانسان
وهو الاصل الذي خلق منه ادم عليه السلام وهو التراب فقال لم يكن شيئا مذكورا على الاسم
الاستصغار لذلك الاصل اذ التراب لا يذكر في الاشياء المذكورة والى هذا يذهب ابو بكر الاصم
والوجه الثاني قيل قد اتى على الخلق حين من الدهر لم يكن الانسان فيه شيئا مذكورا في تلك الخلائق

والوجه الثالث قد اتى عليه حين من الدهر ولم يكن مذكورا في الممتحنين وهذا في كل انسان لانه مالم يبلغ لم
يجر عليه الخطاب ولم يكن مذكورا في الممتحنين فان الله تعالى خلق الخلائق ليعبدوه بقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون فقوله ليعبدون اذا صاروا من اهل المحنة فالى ان يبلغ قد اتى عليه حين من الدهر لم يكن مذكورا
في جملة من خلقوا للعبادة والله اعلم وقوله عز وجل انا خلقنا الانسان من نطفة والانسان لم يكن انسانا
في النطفة والعلقة ولا في المضغة ولكن المقصود من انشاء النطفة والعلقة هذا الانسان
والعواقب في الافعال هي الاوائل في القصد والمراد لما استقام اضافته الى ما ذكرنا كان وجه انه هو
القصد من انشائها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان
كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته فالزم النظر في العواقب فثبت ان المقصود من فعل اهل التمييز
العاقبة واذا كانت العاقبة مقصودة اليها في الابتداء صارت العاقبة كالموجود في الابتداء لذلك ثم
استقام اضافة الانسان الى النطفة والعلقة والمضغة كقوله عز وجل اني خالق الانسان من نطفة منصرف
الى اولاد ادم فيكون المعنى من الانسان اولاده ثم ذكر لهم ابتداء احوالهم وما ينتهي اليهم عاقبتهم
وهو الموت ليتعظوا ويتذكروا ووجه الاتعاظ هو انهم اذا علموا ابتداء احوالهم وعلموا ما ينتهي اليه
عاقبتهم علموا في الحال التي هم فيها ان انفسهم في ابدانهم اذ لم يكن بينهم صنع في الابتداء وامانة والحق
على الامين ان يقوم بحفظ الامانة ورعايتها وان لا يخون صاحبها فيها فان هو خانها ولم يتول حفظها
لحقته السبة والمذمة وان حفظها ورعاها حق رعايتها استوجب الحمد والثناء من صاحبها والحق
على المستعير ان يتمتع بالعارية وينتفع بها الى الوقت الذي اذن له وان لا يضيعها فان ضيعها لحقته
الغرامة والضمان بتضييعه اياها وكذلك اذا علموا انها في ابدانهم عارية وامانة علموا ان عليهم
رعايتها واستعمالها في الوجه الذي اذن لهم فيها لا يلحقهم التبعة في العاقبة ولا يلزمهم السبة
والمذمة في ذلك في الدنيا والاخرة والله اعلم والثاني انا ننظر في ابتداء الخلقة الى ما يصير عند انقضاء
الامر يدعوا الى ايجاب القول بالبعث والى التصديق بكل ما يأتي به الرسل من الاخبار وذلك ان التأمل
في ابتداء الخلقة يظهر عجيب قدرة الله تعالى ولطيف حكمته ويعلم ان الذي بلغت حكمته هذا المبلغ لا يجوز
ان يقع قصده من انشاء الخلق للافناء خاصة لخروجه عن حد الحكمة فيحملهم على القول بالبعث
ولان النظر في ابتداء الخلقة والنظر الى ما يرجع اليه بعد الوفاة مما يمنع الافتخار والتكبر لان
انشاءه كان من نطفة يستقذرها الخلائق ومن علقة ومضغة يستخبثها كل احد وبعد الممات
يصير جيفة قذرة ومن كان هذا شأنه لم يحسن التكبر في مثله فكان في تذكير اوائل الاحوال
واواخرها موعظة لهم ليتعظوا ويتبصروا وتعريف لهم ان التكبر لا يحسن من امثالهم
فيحملهم ذلك على التواضع وترك الافتخار والتجبر والله اعلم وقوله عز وجل امشاج نبتليه والامشاج
الاخلاط ثم الاختلاط يقع بوجهين احدهما في اختلاط ماء الرجل بماء المرأة والثاني يقع في الاحوال
وهو ان النطفة اذا تحولت علقة لم تحول بدفعة واحدة بل هي تغلظ شيئا فشيئا حتى اذا تم غلظها
صارت علقة وكذلك العلقة يدخل فيها التغير شيئا حتى اذا تم التغير فيها حالت مضغة فهذا هو الا
الاختلاط في الاحوال فمنهم من قال الاخلاط الطبايع الاربعة التي عليها جبل الانسان ومنهم صرف
الخلط الى الالوان فذكر ان ماء الرجل ابيض يخالطه حمرة وماء المرأة احمر يخالطه صفرة وقوله عز وجل
نبتليه بالخير والشر والامر والنهي ثم الابتلاء هو الاستظهار لما خفي من الامور والله تعالى لا يخفى عليه امر
فيحتاج الى استظهاره ولكنه نبتليه ليظهر للمبتلى ما كان خفيا عليه بفعله وتركه واما الخلق فهم
يمتحنون ويبتلون ليظهر لهم ما كان خفيا عليهم فيكون الابتلاء منصرفا اليهم لا الى المبتلي والممتحن
والثاني ان الابتلاء لما كان الاستظهار لما خفي من الامور وذلك يكون بالامر والنهي فتسمى الامر من
الله تعالى والنهي لعباده ابتلاء لما كان الامر والنهي ادعى على تحقيق معنى الابتلاء منه وقال الحسن لما صلح ان
يضاف الاستخبار الى الله تعالى وان كان هو خبيرا بما استخبر جاز ان يضاف اليه الابتلاء ايضا وان
كان هو بالذي ابتلاه عالما بصيرا من العبد بعد الابتلاء من الفعل كان غائبا فالله تعالى يعرفه شاهدا
بفعله وقبل ذلك كان يعرفه غائبا لان معرفته ما يكون ان يعرفه في حال كونه غائبا وبعد كونه شاهدا والله
اعلم وقوله عز وجل فجعلناه سميعا بصيرا اي جعلنا له سمعا يميز بين ما يؤدي اليه سمعه وجعلنا
له بصرا يبصر به ما ادى بصره لوجه ليضع كل شيء موضعه وذلك هو بصر القلب وسمع القلب لانه قد
خص البشر بالابتلاء لما كان بصر الباطن والسمع الباطن الا ترى ان البهائم لها بصر الظاهر وكذلك
السمع ويحتمل اي جعلناه سميعا بصيرا يبصر ما له وما عليه وما ينفعه وما يضره ثم انشاء فيه السمع
والبصر ولا يعرف كيفية السمع والبصر الذي جعل فيه ولا ماهيته والامر هو لطف منه ليعلم انه
منشئ الكيفيات والماهيات وانه تعالى عن الوصف له بالكيفية والماهية ثم قال تعالى انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا يحتمل قوله عز وجل انا هديناه السبيل وجوها ثلاثة احدها هديناه

ابتلاء وامتحان كل للحق

السبيل

السبيل لاصلاح بدنه ومعاشه او هديناه السبيل الذي يصلون به الى استبقاء النسل والتوالد الى يوم
التناد وهديناه السبيل الذي يرجع الى صلاح دينهم وامر اخرتهم باكتساب المحامد والمحاسن ثم قوله
اما شاكرا واما كفورا انه قد بين لهم السبل وهداهم اليه ثم منهم من يختار الشكر له ومنهم من يختار الكفر
ان له ثم بين ما اعد للكفور منهم وما اعد للشكور وهو ما قال انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا
وسعيرا ثم قوله انا هديناه السبيل ان كان المراد منه الطريق فكانه قال انا بينا له الطريق فان
سلك طريق كذا واختاره يكون شاكرا فان سلك طريق كذا واختاره يكون كفورا ثم بين لكل طريق
الذي سلكه جزاء وثوابا ثم قوله عز وجل انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ففيه
انباء ان ايديهم تغل ويشدون بالسلاسل فلا يتهيأ لهم ان يتقوا العذاب عن وجوههم ثم قرئ
سلاسل لانها غير منصرفة وقرئ سلاسلا وصرفوها على ان الاسماء كلها منصرفة انه نوع واحد و
قال الزجاج السلاسل لا تنصرف لانه لا فعل لها لكن صرفها ها هنا لانها من رؤس الايات
وقيل لانه جعله رأس الاية وقوله عز وجل ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا فمنهم
من يحمل الكافور شيء اعده الله تعالى لاهل كرامته لم يطلع عباده على ذلك في الدنيا ومنهم من ذكر ان
الكافور شيء جرى ذكره في الكتب المتقدمة فذكر ذلك في القران ومنهم من قال انه عين من عيون
الجنة ومنهم من صرفه الى الكافور المعروف لكن قيل انه كناية عن طيب الشراب وقيل انه كناية عن
برودة الشراب لانه ذكر ان ذلك الشراب في طبعه كالكافور لان الذي للشراب عند الناس البارد
لان يكون في نفسه باردا وذكروا ان الكأس لا يسمى كأسا حتى يكون فيها خمر وقوله عز وجل
عينا يشرب بها عباد الله ومعناه منها لا ان يقع شربهم بها وسميت العين عينا لوقوع العين وقوله
عز وجل يفجرونها تفجيرا ففيه اخبار ان ماء العيون جارية يجرونها من حيث شاؤا ثم المراد من
ذكر العباد ها هنا هم الذين اطاعوا الله وقاموا بوفاء ما عليهم وهم الذين قال الله تعالى ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وقوله عز وجل يوفون بالنذر والنذر
هو العهد فجائز ان يكون اراد به الوفاء بكل ما اوجب الله تعالى من الفرائض والحقوق فيكون في التسمية
عهده كقوله عز وجل اوفوا بعهدي وجائز ان يكون اراد بالنذر ما اوجبوا على انفسهم من القرب
سوى ما اوجبها الله تعالى عليهم فيكون فيه اخبار انهم قاموا باداء الفرائض وتقربوا الى الله تعالى
مع ذلك بقرب اخر فاستوجبوا المدح بوفائهم بما اوجبوا على انفسهم قال ابتدعوها ما كتبناها عليهم
الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فلحقهم الذم لما لم يقوموا برعاية حقه ليس بايجابهم
على انفسهم ما لم يوجبه الله تعالى عليهم وقوله عز وجل ويخافون يوما كان شره مستطيرا قيل
استطار شر ذلك اليوم فملأ السموات والارضين كل شيء حتى انشقت السموات وتناثرت النجوم
ونسفت الجبال ومعناه ان هول ذلك اليوم قد عم وفشى في اهل السموات والارض حتى خافوا على
انفسهم وقيل سمي مستطيرا اي طويلا ويقال استطار الرجل اذا اشتد غضبه واستطار الدم
اي اشتد فسمي مستطيرا اي شديدا وقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فالحب
يتوجه الى معاني يتوجه الى الايثار مرة والى الميل للنفس وركون القلب اخرى وفي تفسيره ما لشهوة
فالمراد من الحب ها هنا الشهوة فيكون قوله عز وجل على حبه اي على شهوتهم وحاجتهم اليه وقيل و
يطعمون في حال عز الطعام وقيل اي يطعمون الطعام على حبهم لها وحرصهم عليها ليس ان يطعموا عند
الاياس من الحيوة على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصدقة وانت صحيح
شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقوله عز وجل انما نطعمكم لوجه الله قيل انهم لم يتكلموا بهذا اللفظ
اعني انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا لا يرون ولكن علم الله تعالى ذلك من قلوبهم فاثنى
عليهم بذلك ليرغب في ذلك الراغبون الا ترى انهم كانوا يطعمون الاسارى ولا يطمع من الاسارى المجازاة
والشكر ليعلم انهم لم يقصدوا به وجه الله تعالى والتقرب اليه والمجازاة هي المكافأة لما اسدى اليهم
والشكر هو الثناء عليه والنشر عنه وقوله عز وجل انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فمنهم من جعل
هذا نعتا لذلك اليوم فيكون معناه ان هذا اليوم وهو يوم القيمة من بين سائر الايام كان الادنى
العبوس من غيره ومنهم من صرفه الى الخلائق فيكون معنى قوله تعالى يوما عبوسا اي يوما يعبس
فيه وجوه الخلائق لا ان يكون اليوم بنفسه عبوسا وهو كقوله تعالى والنهار مبصرا اي يبصر فيه
وتقول العرب ما زال الطريق بنا حتى هذا اليوم على معنى تميز الناس فيه فيرجع هذا الى وصف
ما يكون عليه ذلك اليوم على ما ذكرنا ان الله تعالى ذكر اليوم بالاحوال التي يكون عليها حال
ذلك اليوم مرة قال وترى الناس سكارى ومرة قال يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وغير
ذلك من الايات وقوله عز وجل قمطريرا قيل شديدا وقيل القمطرير الذي يقبض الوجه بالعبوس والجوح
ويزوي ما بين العينين وقيل القمطرير المشؤمة على اهل النار وقيل القمطرير هي كلمة من كتب الاولين وقوله

خوف اهل السموات من شر ذلك اليوم

في الاطعام لوجه الله

عز وجل فوقاهم الله شر ذلك اليوم فجائز ان يكون الوقاية منصرفا الى الموعود في ذلك من العقوبة والنكال الا ان يكونوا او قوا من هول ذلك اليوم فلا يرون الجحيم ولا اهوالها وجائز ان يكون وقاهم عما كانوا يخافون من الشدة لدى الحساب كقوله اني ظننت اني ملاق حسابيه فكانهم يخافون على انفسهم المناقشة في الحساب فاذا راوا سيئاتهم مغفورة وحسناتهم متقبلة سروا بذلك ووقوا شره وجائز ان يكونوا امنوا من اهوال القيامة وافزاعها حين نشروا من القبور وتلقتهم الملئكة بالبشارة كما قال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقوله عز وجل ولقيهم نضرة وسرورا فالسرور عبارة عن انتفاء الحذر عنهم والنضرة اثر كل نعيم وقيل نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وقوله عز وجل وجزاهم بما صبروا اي على الطاعات وصبروا عن معاصي الله جنة وحريرا اي جزاهم جنة وجزاهم حريرا فذكر الحرير لان الجنان انما يذكر في موضع التطيب والتنعم بالماكل والمشارب دون التنعم باللباس فوعد لهم اللباس من الحرير مع ما جزاهم الجنة وقوله عز وجل متكئين على الارائك يذكر تفسيرها بعد هذا ان شاء الله وقوله عز وجل لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا لانه لا شمس فيه ولا زمهرير بل يكون ظلها دائما ممدودا فجائز ان يكون المراد منه ان ضياء الجنة ليس بالشمس ولكن بما خلقت مضية لان الشمس في الدنيا يقع بها الضياء فيكون ضياء النهار بالشمس وذكر انهم لا يرون فيها الزمهرير ليعلم ان لذاذة شراب الجنة وبرودته بالخلقة لا ان يكون برودتها بتغير يقع في الاحوال على ما يكون عليه شراب اهل الدنيا او يكون ذكر هذا ليعلموا انهم لا يؤذون بحر ولا برد وقوله عز وجل ودانية عليهم ظلالها فجائز ان يراد بها دانية من هولاء الذين سبق نعتهم وهم الابرار كقوله عز وجل ان رحمة الله قريب من المحسنين او ذكر ان ظلالها دانية لانها لو لم يكن دانية لكان لا يقع لهم بها انتفاع وقيل هي ظلال اغصان الاشجار قريبة منهم لان للجنة نورا يتلالاء فيقع بالاشجار ظلال على ما جاء في الخبر انه لو الق سوار من الجنة في الدنيا لاضاءت الدنيا ويغلب ضوء الشمس ويجوز ذلك فيقع الاشجار فيها ظلال كما يشتهون في الدنيا ليس على ذلك شمس ولا قمر وقوله عز وجل وذللت قطوفها تذليلا فجائز ان يكون اريد بالتذليل التليين اي ليست فلا يرد ايديهم عنها شوك وقيل ان اشجارها ليست بطوال لا ينال ثمارها الا بعد عناء وكذ بل قريبة من اربابها يقال حائط ذليل اذا لم يكن عاليا في السماء وقيل ذللت اي سويت الاشجار لا يتفاوت بعضها بعضا يقول اهل المدينة اذا استوت عذوق النخلة تذللت النخلة وقيل ذللت اي سخرت والتذليل التسخير فيكنا ولوان منها كيف شاؤا اتنا ولواها وهم قيام وان شاؤا اتنا ولوها تعالى ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب فاويل الاكواب يذكر في سورة هل اتاك حديث الغاشية ثم اخبر ان تلك الاكواب قوارير من فضة قيل هي من فضة ولها صفاء القوارير يرى ما فيها من الشراب من خارجها لصفائها ثم الانية من الفضة عند اهلها ارفع واشرف من الاناء المتخذ من التراب فكذلك الصفاء الذي يكون بالفضة ابلغ وارفع في اعين اهلها من الصفاء الذي يقع بالقوارير قوارير قوارير من فضة على الاصل المعهود انه لا ينصرف وقرئ قوله قواريرا على الوقف عليه قوافقا لاخر سائر الايات وقرئ قواريرا بالتنوين عند الوصل ايضا لانه راس الاية وقوله تعالى قدروها تقديرا اي جعلت على قدر ريهم وقيل يقومه على القدر الذي قدروه في انفسهم وحدثت به انفسهم فلا يقدرون في قلوبهم مقدارا الا اتوا بها على ذلك وقوله تعالى ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا فمنهم من زعم ان العرب كانوا اذا يعجبهم شراب نعتوه وقالوا كالزنجبيل فخرجت البشارة من الوجه الذي يرغب في مثله الانفس ومنهم من ذكر ان الزنجبيل واحد وهما اسم العين ومنهم من ذكر ان السلسبيل اي سل سبيلا الى ذلك العين وقال قتادة اي سلسلة السبيل مستعذب ماؤها وقيل سلسبيلا شديد الجرية وقوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون ذكر الولدان لان يكون فيها ولادة ولكنهم انشؤا ولدانا فخلدون كذلك لا يكبرون ولا يهرمون وجائز ان يكون الولدان ولدان الكفرة الذين ماتوا في الدنيا صغارا فالحق لهم في الجنة اباء ليرفعوا الى درجة الاباء فيجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة وقوله تعالى اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا فمنهم من يقول ان الله تعالى شبه حسنهم بحسن اللؤلؤ المنثور واذا حسن ما يكون اللؤلؤ اذا كان منثورا فجائز ان يكون هؤلاء الولدان فضلوا في الحسن على سائر الجواهر التي يكون في الجنة كما فضل الدر في الدنيا على سائر الجواهر ومنهم من يقول انهم ما لم يطوفوا فمن راءهم حسبهم لؤلؤا منثورا واذا طافوا وتحركوا فحينئذ يعلمون انهم ولدان وقوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا قيل هما اللذان لا نعت لهما ولا وصف وقيل الملك استيذان الملئكة عليهم وملوك الدنيا وان علت رتبتهم لم يملكوا الاحتجاب من دخول الملائكة عليهم بغير استيذان والملك هو الذي فهاذا لا سرور وجائز ان يكون ذكر النعيم والملك الكبير على معنى انه لا ينقطع عنهم بل دائم

في نعيم وملك كبير وقوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق فجائز ان يكون اراد بالعالي ما علاه من المكان الذي هم فيه فيخبر ان في اعلى اماكنهم ثياب خضر من سندس كما هو في المكان الذي اسفل موضع جلوسهم لانهم يكونون على الارائك والاحجال فيكون ما تحت الاحجال والارائك من الاماكن زرابي مبثوثة ونمارق مصفوفة ويكون عاليها كذلك فان كان على هذا فلا فرق بين ان يكون فرش ذلك المكان من حرير ودبياج غليظ ان اريد بالاستبرق الدبياج الغليظ وبين ان يكون من دبياج رقيق اذ كل ذلك مما يرغب في مثله والله اعلم وقيل عاليهم اي على ثيابهم سندس خضر واستبرق وقال بعضهم عالي نفسهم ثياب سندس ومنهم من صرف السندس الى اللباس والاستبرق الى ما يبسط لان الدبياج الغليظ مما لا يرغب الانفس الى اللبس مثله فجمع بين ما يلبس وبين ما يفرش وبين الفعل في احدهما ولم يذكر في الاخر ومنهم من قال عاليهم هو الولدان يطوفون من عاليهم والله اعلم وقوله تعالى وحلوا اساور من فضة فبشرهم بالاساور من الفضة لان الفضة مستحسنة بنفسها لبياضها والذهب استحسانه لقدرته وعزته ليس لنفسه لانه اصفر والاعين لا يستحسن هذا اللون فجرت البشارة بالفضة لا بالذهب وقال بعضهم يحلى الرجال باسورة بالفضة لا بالذهب وقال بعضهم يحلى الرجال باسورة من فضة على ما ابيح لهم التحلي بخاتم في الدنيا ويحلى النساء باساور الذهب على ما ابيح لهن التحلي بها في الدنيا وقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا قيل هو الخمر يطهر من الافات ومن الاقذار ومن كل مكروه ويطهر قلوبهم من الغل فيعمل ذلك الشراب في تطهير الظاهر والباطن والشراب الدنيا يطهر ظاهر البدن وباطن البدن يخبث الشراب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل من اهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشراب والجماع فقال يهودي ان الذي ياكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة احدهم عرق يفيض من جسده فيضمر لذلك بطنه والاصل انك قد ترى الطعام الذي يطعمه الانسان في الدنيا يبقى قوته في البدن حتى يظهر ذلك في كل جارحة من جوارحه وكذلك شهوته يبقى فيه ثم يخرج الثقل منها والفضل فجائز ان يرفع الله تعالى عن ذلك الطعام الفضل الذي يزايل البدن فيكون طعامهم ذلك اللطيف الذي يبقى في النفس وقوله عز وجل ان هذا كان لكم جزاء فجائز ان يكون هذه البشارة خرجت لاهلها في الدنيا وجائز ان يكون لهم في الاخرة ان هذا الذي اكرمتم به من الكرامات جزاء اعمالكم وسعيكم في الدنيا وقوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا قيل فرقنا عليك القران تفريقا والحكمة في التفريق ما ذكر في اية اخرى في القران وهو قوله قالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك فاخبر ان في التفريق تثبيت فيكون التامل له ادعى واعرف بمواقع النوازل منه من ان نزل جملة واحدة ثم اضاف التنزيل الى نفسه ها هنا واضاف الى جبرائيل عليه السلام في قوله عز وجل نزل به الروح الامين على قلبك وقوله عز وجل انه لقول رسول كريم وقال في اية حتى يسمع كلام الله فاضاف الى نفسه وقال في لوح محفوظ فهذا كله على مجاز الكلام ليس على الحقيقة فحق كل من ذلك ان يصرف الى ما اليه اوجه والى ما يستجيز الناس من التعامل فيما بينهم بذلك الكلام فاذا قيل هذا في اللوح فهم ابه واريد منه انه مكتوب فيه وقوله عز وجل حتى يسمع كلام الله معناه انه حتى يسمع كلاما يدله على كلام الله تعالى لا ان يكون ذلك كلاما منه واضاف الى جبرائيل عليه السلام لانه من قبله يلقاه لا ان يكون ذلك كلام جبرائيل عليه السلام ثم قد ذكر الحكمة في انزال القران مفرقا قبل هذا الفصل لكافي منه ثم جائز يكون التفريق لمكان اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لمكانه لان الله تعالى يسر على نبيه حفظه حتى كان يعي جميع ما ينزل اليه جبريل عليه الصلوة والسلام بما يقراه عليه مرة واحدة وقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به فضمن له الحفظ فاما غيره فانه يشتد عليه ان لو كلف حفظه بدفعة واحدة فانزل مفرقا ليكونوا اقدر على حفظه ولهذا ما كثر حفاظ القران في هذه الامة وكثر قراؤها وكثر فقهاء هذه الامة لان القران انزل مفرقا على اثر النوازل فعرفوا مواقع النوازل فوقفوا على معرفة ما اودع في الايات لمعرفتهم مواقع النوازل والمنسوخ ولو نزل جملة واحدة اشتبه عليهم الناسخ والمنسوخ فانزل الله تعالى مفرقا ليكونوا يعلم الناسخ والمنسوخ والله اعلم ولانه اذا انزل مفرقا كانوا اليه اسوق وارغب منه اذا انزل جملة واحدة الا ترى الى قوله تعالى ويقول الذين امنوا لولا انزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة الاية فاخبر انهم يرغبون الى ان ينزل عليهم سورة وان كانوا قد انزلت اليهم سورة من قبل وفيه ايضا تخويف المنافقين كما قال الله عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فكان في انزاله مفرقا ما ذكرنا من الفوائد والمنافع للمؤمنين والله اعلم وقوله تعالى فاصبر لحكم ربك فغيبه انه ابتلاه بما يكره نفسه ويشتد عليها حتى دعاه الى الصبر لان المرء لا يدعى الى الصبر على النعم واللذات وانما تدعى اليه اذا ابتلي بالمكاره والبليات وقد صبر عليه السلام على المكاره لانه امر بمضادة الجن والانس

لرجل قوة مائة في الطعام والشراب في الجنة

ان يسمع كلام الله تعالى عز وجل

في انزال القرآن متفرق

فانتصب لهم حتى اذوه كل الاذى وهموا بقتله وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا كأنه قال
ولا تطع من دعاك الى مشاركته الى ما تأثم فيه او يكون كفورا ولا تجب الاثم والكفور الى ما يدعون
اليه وقوله واذكر اسم ربك يحتمل باسم ربك او صل باسم ربك كقوله وذكر اسم ربه فصلى او
يقول اذكر اسم ربك اى كن ذاكرا له فى كل وقت وقوله تعالى بكرة واصيلا البكرة يحتمل صلوة الصبح
والاصيل يحتمل صلوة الظهر والعصر وقوله عز وجل ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا يحتمل
صلوة الليل النوافل ان كان قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا فى صلوة الفرائض وان لم
يكن فى ذلك فيكون كانه قال واذكر ربك فى كل وقت بالليل والنهار يقول فليكن اسم ربك
مذكورا حتى لا يخلو ساعة من هذه الساعات الا هو مذكور فيها والله اعلم وقوله عز وجل ان
هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا حب العاجلة مما طبع الخلائق لان
كل طبع على حب الانتفاع والتمتع بالشئ فلا يلحقهم الذم بحب ما طبعوا عليه وانشئوا ولكن
انما يلحق الذم من احب الدنيا واختارها واثرها على غير الذى جعلت الدنيا وانشئت فالدنيا
انما انشئت وجعلت ليكتسب بها نعيما لآخرة والحيوة الدائمة اللذيذة فمن احب لهذا فهو لا يلحقه
بذلك ذم ولا تعيير ومن احبها واثرها لها واكتسبها لها فهو المذموم واولئك كانوا يختلفون
فى ذلك لم يكونوا على فن واحد منهم من حمل حبه الدنيا على انكار وحدانية الله تعالى والوهيته
ومنهم من حمل حبه اياها على تكذيب الرسل والتعادى لهم ومكابرة الحق ومنهم من حمل حبه اياها
على انكار البعث والجزاء لما علموا ومنهم من حمل حبه الدنيا على التفريق بين الرسل انكروا بعضا وصدقوا
بعضا وتولد من حبهم اياها ما ذكرنا فلحقهم الذم لذلك ولذلك ما ذكر من الانفاق فى الدنيا حيث
قال مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت الاية فمن انفق فى هذه الدنيا
لها فيكون نفقته ما ذكر لانه انفق لغير ما جعلت له النفقة فكان ما ذكر فعلى ذلك من احب الدنيا
واختارها للدنيا لا لاكتساب ما ذكرنا من النعم اللذيذة الدائمة والحيوة الباقية التى لا انقطاع
لها كان على ما ذكر ثم اذا ذكر الدنيا ذكر الاخرة وراءها واذا ذكر الاخرة على اثر ذكر الانسان
قبل امامه لان الانسان يقبل اليها فيكون ذلك امامه وقدامه واما عند ذكر الدنيا قبل
وراءها لانه يخلفها وكل من خلف اخر يكون بعده ووراءه لانه يكون عند فوت الاخر لذلك
كان ما ذكر وقوله عز وجل نحن خلقناهم وشددنا اسرهم رجع الى الاحتجاج عليهم لما انكروا
يقول يعلمون انا خلقناهم بديا ونحن شددنا اسرهم اى قوتهم او نحن شددنا خلقتهم و
نحن وصلنا جوارحهم المتفرقة ومفاصلهم المتشتتة بعضها الى بعض ونحن نبدل امثالهم
ان شئنا بما بالهم ينكرون قدرتنا على البعث والاعادة بعد الموت يقول من قدر على ما ذكر
لا يعجزه شئ وهو على البعث اقدر وقوله عز وجل واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا يذكر بعد هذا
ان شاء الله تعالى وقوله عز وجل ان هذه تذكرة ويحتمل هذه اى هذه السورة لانه ذكر فيها ابتداء
انشائهم وخلقهم واخرها ما لهم وفى خلال جزاء صنيعهم الذى صنعوا فيكون فى ذلك تذكرة لهم
ويحتمل قوله ان هذه تذكرة اى الانباء التى ذكرت فى القران او هذه المواعظ تذكرة لما لهم وما
عليهم وتذكرة لما لله عليهم وما لبعضهم على بعض وقوله عز وجل فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا هذا
يخرج على وجهين احدهما يقول قد مكن كلا ان يتخذ سبيلا الى ربه اى لا شئ يمنعه عن اتخاذ السبيل
الى ربه اذا شاء لكن من لم يتخذ انما لم يتخذ لانه لم يشأ ان يتخذ سبيلا والا قد مكن له ذلك والثانى
يقول من شاء اتخاذ السبيل فليتخذ السبيل الى ربه على ما يذكر على الاستقصاء بعد هذا ان شاء الله
تعالى ثم قوله تعالى الا ان يشاء الله يقول والله اعلم من شاء اتخاذ السبيل الى ربه لا يتخذ الا ان يشاء الله
ان يتخذ السبيل الى ربه وعند ذلك يتخذ وهذا على المعتزلة لانهم يقولون ان الله تعالى قد شاء
لجميع الخلائق ان يتخذوا الى ربهم سبيلا لكنهم شاؤا ان لا يتخذوا الى ربهم سبيلا لكنهم شاؤا ان لا يتخذوا
فلم يتخذوا وقد اخبر انهم لا يشاؤن اتخاذ السبيل اليه ولا يتخذون الا ان يشاء الله لهم اتخاذ السبيل فعند
ذلك يتخذون ما ذكر وما يشاؤن وقوله عز وجل ان الله كان عليما حكيما ان الله تعالى لم يزل عليما بما يصنع خلقه
من التكذيب له والتصديق من الطاعة له والمعصية اى على علم منه بصنيعهم انشأهم وخلقهم حكيما
فى فعله ذلك وخلقه اياهم على ما علم منهم ان يكون الا انه انما خلقهم وانشأهم لمنافع انفسهم و
حاجتهم الا لمنافع يرجع اليه او لمضار يدفع عن نفسه فخلقه اياهم وبعثه الرسل اليهم على علم بما يكون
منهم من التكذيب والرد لا يخرج فعله عن الحكمة والحق بل يكون حكيما فى ذلك واما من يبعث الرسول
فى الشاهد الى من يعلم انه يكذبه ويرد رسالته وهديته ويستخف برسله ليس بحكمة لانه انما يرسل الرسول
ويبعث هديته لمنافع يكون للمرسل فعليه بما يكون منه سفه ليس بحكمة لذلك افترقا وقوله عز وجل يدخل
من يشاء فى رحمته هذا على المعتزلة ايضا لانه ذكر انه يدخل من يشاء فى رحمته وهم يقولون قد شاء

ان يدخل كلا فى رحمته لانه شاء ايمان كل منهم والله تعالى اخبر انه يدخل من يشاء فى رحمته دل ذلك على انه
لم يشاء ان يدخل فى رحمته من علم منه انه يختار الضلال ولكن انما شاء ان يدخل فى رحمته من علم منه انه يختار
الهدى فاما من علم منه اختيار غيره فلا يحتمل ان يشاء ذلك له والله اعلم وقوله عز وجل والظالمين اعد لهم
عذابا اليما اى وشاء ايضا من علم منه الضلال ان يعد له عذابا اليما وفى حرف ابن مسعود وابى وحفصة رضى
الله عنهم يختص برحمته من يشاء وهذا الحرف تفسير تاويل الاية وان يكون رحمته ههنا هو الهدى او سبيل
الله ويحتمل ان يكون رحمته هو جنته سميت رحمة لانه برحمته ما يدخلها اهل الايمان والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا
فالملقيات ذكرا اختلفوا فى تاويلها فمنهم من حمل تاويل هذا كله على الملئكة ومنهم من صرفها الى الرياح ومنهم
من صرف البعض الى الرياح والبعض الى الملئكة وجائز ان يجعل هذا كله فى الرياح ويستقيم ان يصرف
كله الى الملئكة ويستقيم ان يجعل البعض فى الملئكة والبعض فى الرياح فان كان فى الرياح فالقسم
بها لان من الرياح رياحا هن مبشرات برحمته سابقات للنعم الى عباده كقوله تعالى ومن اياته ان يرسل
الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ومن الرياح رياح هى منجيات قال الله تعالى هو الذى يسيركم فى
البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فجعل الله تعالى سببا لتسيير السفن فى البحار
كما جعل الماء سببا لذلك وجعل منها مهلكات مذكرات لعتو تمردوا سلطانه قال عز وجل ويرسل عليكما قاصفا
من الريح فيغرقكم الاية فهى مبيتهم وتهلكهم من غير ان يدركوه بابصارهم وان كانت الابصار هى
اول ما يقع بها ذلك الاشياء ولو اراد احدان يعرف الوجه الذى له صارت السحاب منجيات او يعرف
الوجه الذى له صارت الرياح مهلكات او مبشرات لم يقف عليه فصارت الرياح مذكرات للنعم و
فى تذكر النعم ايجاب القول بالبعث وبكل ما يخبرهم به الرسل لانهم كانوا ينكرون البعث ورأوها
من لطائف الحكمة وعجائب التدبير ما لا يبلغها تدبيرهم وحكمتهم علموا ان الامر غير مقدر بعقولهم
ولا بحكمتهم فيكون فى ذكر ما ذكرنا ازاحة ما اعترض له من الشك والشبه فى امر البعث فاقسم بها لمحل
جلاله على ما ذكرنا ان القسم جعل لتأكيد ما يقصد اليه باليمين فجعلنا الى قوله والمرسلات عرفا
قيل هى الرياح المبشرات سميت عرفا لانه ما يأتى بر من النعم معروفة وقيل العرف المتتابع وسمى عرف
الفرس عرفا لتتابع بعض الشعر على بعض فجائز ان يكون منصرفا الى الرياح المبشرة وكذلك كقوله تعالى
والناشرات نشرا جائز ان يكون يحمل على الرياح لكن على الرياح المبشرات وهى الرياح السهلة الخفيفة
لان النشر مذكور فى رياح الرحمة بقوله وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته فى بعض القراءات
وقوله عز وجل فالعاصفات عصفا هى الرياح الشديدة التى تكسر الاشياء وتقصمها وهى التى
ترسل للاهلاك كقوله تعالى ويرسل عليكم قاصفا من الريح وجائز ان يكون قوله والمرسلات
عرفا هى اسم الرياح التى لا يظهر انها ارسلت للهلاك او للتبشير لان الرياح التى ترسل للرحمة يظهر
اثر رحمتها من ساعتها من ارسال السحاب وغير ذلك قبل ان يتتابع وكذلك الرياح التى هى رياح اهلاك
يظهر علم الاهلاك من ساعتها وهو ان يكون قاصفة شديدة قبل ان يتتابع وقوله عز وجل فالفارقات
فرقا يحتمل الرياح ايضا وانما سميت فارقات لانها تفرق السحاب فيصير البعض فى افق والبعض
فى افق اخرى وقوله عز وجل فالملقيات ذكرا فجائز ان يصرف الى الرياح والقاء ذكرها ما ذكرنا
انه يظهر بها النعم ويتذكرون بها النجاة ويقع ببعضها الهلاك فذلك القاء ذكرها والله اعلم
وان صرف الكل الى الملئكة فيحتمل ايضا فقوله عز وجل والمرسلات عرفا اى الملئكة الذين رسلوا
بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقوله عز وجل والعاصفات عصفا اى الملئكة الذين يعصفون
ارواح الكفار اى يأخذونها على شدة وغضب وقوله تعالى والناشرات نشرا جائز ان يكون اريد
النشرة من الملئكة سموا ناشرات لانهم ينشرون الصحف ويفرقونها وجائز ان يراد بها الملئكة
الذين يأخذون ارواح المؤمنين على لين ورفق وقوله عز وجل فالفارقات فرقا جائز ان يراد بها
الملائكة وسميت فارقات لانهم يفرقون بين الحق والباطل وقوله عز وجل فالملقيات ذكرا هم
الملئكة الذين يلقون الذكر على لسن الرسل عليهم وان صرف البعض الى الملئكة والبعض الى الرياح
فيستقيم ايضا فيكون المرسلات الذين ارسلوا بالمعروف والخير والعاصفات الريح الشديدة و
الناشرات الرياح الخفيفة السهلة والفارقات فرقا والملقيات ذكرا هم الملئكة ويحتمل وجها
اخر ان يراد بقوله والمرسلات هم الرسل من البشر الذين بعثوا الى الخلق فما من رسول بعث الا
وهو مرسل بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكذلك جائز ان يراد بقوله تعالى فالفارقات

فالملقيات ذكرا هم الرسل لانهم يفرقون بين الحق والباطل ويلقون الذكر في مسامع الخلق وجائز ان يكون قوله والمرسلات عرفا هي الكتب المنزلة من السماء لانها ارسلت بالمعروف وكل انواع الخير وكذا قوله والناشرات نشرا اي ناشرات الحق والهدى وكذا قوله عز وجل فالفارقات فرقا لانها تفرق بين الحق والباطل ايضا وكذلك فالملقيات ذكرا فانها سبب لذلك والله اعلم وقوله عز وجل عذرا او نذرا اي عذرا من الله تعالى وهو ان الله تعالى ارسل الرسل وانزل الكتب وبين الحجج حتى لم يبق لاحد على الله حجة بعد ذلك فهذا هو الاعذار وقوله عز وجل او نذرا اي انذرهم ولم يعجل في اهلاكهم بل بين لهم ما يتقى و يجتنب وما يندب اليه ويؤتى فهذا هو الانذار وعلى تاويل الزجاج ما ذكرنا انها مذكرات نعم الله تعالى ونقمه فيكون في ذلك ايجاب ذكر النعم والنقم فيكون في ذلك اعذار وانذار والله اعلم وقوله عز وجل انما توعدون لواقع فهذا موضع القسم بما ذكر من المرسلات الى اخرها ثم ان كان الموعود هو يوم البعث فمعناه ان الذي توعدون به من البعث لكائن وان كان على الجزاء والعقاب فتاويله ان ما يدعون به من العذاب لنازل بكم فيكون الاية في قوم علم الله تعالى انهم لا يؤمنون وقوله عز وجل فاذا النجوم طمست فكانهم والله اعلم لما نزل قوله تعالى انما توعدون لواقع سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت وقوعه متى يكون فنزل فاذا النجوم طمست فاشار الى الاحوال التي تكون يومئذ لا الى نفس الوقت فقوله طمست اي ذهب بضوءها ونورها ثم تناثرت وقوله عز وجل فاذا السماء فرجت اي انشقت واذا الجبال نسفت اي قلعت من اصلها فسويت بالارض وقال الزجاج نسفت الشيء اذا اخذته على سرعة وقوله عز وجل واذا الرسل اقتت وقرئ وقتت وكذلك اصله لكن الهمزة ابدلت مكان الواو طلبا للتخفيف وهو من التوقيت اي جمعت لوقت وقيل احضرت الرسل ليشهد كل واحد منهم على قومه الذين بعث اليهم كما قال الله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وقيل اقتت اي وعدهم بان خصيصة ما اليه دعوا من وقوع ما اوعدوا قومهم الذين تركوا اجابتهم من العقاب ووعدهم الوصول الى من امن بالله تعالى واجاب الرسل فيما دعوهم اليه من الثواب وقوله عز وجل لاي يوم اجلت فاجلت واقتت واحد لان في التاجيل توقيتا وفي التوقيت تاجيلا ثم بين وقت حلول الاجل اجل العذاب بقوله عز وجل ليوم الفصل اي ليوم الحكم والقضاء قال الله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى وقال ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فجائز ان يكون الكلمة التي سبقت منه هو تاخير الجزاء الى يوم البعث فجعل ذلك يوم الجزاء وذلك يكون بالمعاينة وجعل هذه الدار دار المحنة والابتلاء وذلك يكون بالحجج والبينات فكانه قال لولا ما سبق من كلمة الله تعالى من تاخير الجزاء والعذاب والا كان العذاب واقعا بهم في هذه الدنيا بالتكذيب ويحتمل وجها اخر وهو ان الله تعالى اخر الجزاء والعقاب الذي يجمع فيه الاولين والاخرين وقد رفع الدنيا خلق هذا للبشر على التتابع الى ذلك اليوم فذلك اليوم هو الذي يوجد فيه الجمع والله اعلم وسمي يوم الفصل لهذا انه يوم القضاء والحكم والاثر اليوم الذي يظهر فيه مثوى اهل الشقاء واهل السعادة ويفصل بين الاولياء والاعداء ويفصل بين الخصماء والله اعلم وقوله وما ادريك ما يوم الفصل اي لم تكن تدري فدراك الله تعالى ذكر هذا اما على التعظيم والتهويل لذلك اليوم او على الامتنان على رسوله صلى الله عليه وسلم باطلاعه عليه والله اعلم وقوله عز وجل ويل يومئذ للمكذبين وفي هذا دليل على ان الوعيد المذكور على الاطلاق منصرف الى اهل التكذيب ثم لم يذكر المصدقين وحقه ان يقال طوبى للمصدق فيبين لان حرف الويل يتكلم به عند الوقوع في الهلكة وحرف طوبى يتكلم به في موضع السرور والغبطة فاذا ذكر اهل التكذيب بحرف الهلاك كان من كان بخلاف حالهم مستوجبا للسرور ولكنه ان لم يذكرها هنا فقد ذكرها في موضع اخر بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وقال عز وجل فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون تقديم وتاخير وقوله عز وجل الم نخلقكم من ماء مهين فجائز ان يكون ذكر هذا ليدفع عنهم الاشكال والريب الذي عرض لهم في امر البعث لان الاعجوبة في الاعادة ليست باكثر من الاعجوبة في الانشاء والابتداء فذكر ابتداء خلقهم لينتفي عنهم الريب في الاعادة وجائز ان يكون ذكر خلقهم من الماء المهين وهو الماء المستقذر المستقذر ليدعوا تكبرهم وتجبرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقادوا ويجيبوا الى ما دعاهم اليه واخبر انه خلقهم في الظلمات التي لا ينتهي اليها تدبير البشر ليعلموا انه قادر على ما يشاء ويعرفوا انه لا يخفى عليه شيء فيحملهم ذلك على المراقبة وعلى التيقظ والتبصر وقوله عز وجل فجعلناه في قرار مكين فالقرار المكين هو الرحم جعله الله تعالى قرارا مكينا يمكن فيه الماء المهين فيخلق منه علقة ومضغة ويبقيه الى الوقت الذي قدر الله تعالى الخروج منه وقوله عز وجل فقدرنا قرئ قدرنا اي خلقنا كل شيء منه بقدر وقدرنا اي سويناه على ما يوجب الحكمة على الوجوه التي في قوله عز وجل والذي قدر فهدى وقوله عز وجل فنعم القادرون اي انعم بمن قادر فيخرج

كلمة سبقت تأخير الجزاء

فيخرج ذكر الالاء والنعم اي ان الذي فعل بكم هذا هو الله تعالى لم يقدر احد ان يفعل بكم هذا الفعل وقوله عز وجل الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فجائز ان يكون هذا صلة قوله عز وجل الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين والم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فيكون في ذكر هذا كله تذكير الالاء والنعم وتذكير القدرة والسلطان والحكمة فوجه التذكير للنعم ان الله تعالى في اول ما انشاه نطفة قدرة وجعل لها مكانا يغيب عن ابصار الخلق ولم يفوض تدبيرها الى البشر وكذلك في الوقت الذي انشاه علقة ومضغة لم يفوض تدبيره الى احد من خلائقه لانه في ذلك الوقت بحيث يستعاف ويستقذر ولا يلفع عنه المعنى الذي وقعت الاستعافة والاستقذار بالتطهير فجعل له قرارا مكينا يستتر عن ابصار الخلائق ثم لما انشاه نسمه وسوى خلقه من بطن امه والقى في قلب ابويه الرقة والعطف ليقوموا بتربيته وامساكه الى ان يبلغ مبلغا يقوم بتدبير نفسه ومصالحه ثم جعل له بعد مماته ارضا يكفته ويضمه الى نفسها فيسترها عن ابصار الناظرين اذ رجع بعد موته الى حالة يستعاف ويستقذر ولا يقبل التطهير فكان في ذكره اول احواله والى ما ينتهي اليه تذكير النعم ليصل على اداء شكره او جعل الرحم قرارا له في وقت كونه نطفة وعلقة ومضغة لما لا يعرف الخلائق انه بما يتغذى حتى ينمو ويزيد فرفع عنهم مؤنة التربية في ذلك الوقت ثم اذا صار بحيث يعرف وجه غذائه وعرف الخالق المعنى الذي يعمل في دفع حاجته اخرجه من بطن الام وفوض تدبيره الى ابويه فهذا وجه تذكير النعم وفي ذكره ذكر القوة والسلطان والحكمة وهو ان الله تعالى جعل النطفة التي انشاء منها النسمة بحيث يصلح ان ينشاء منها علقة ومضغة ولو اراد الخلق ان يعرفوا المعنى الذي له صلحت النطفة بان ينشاء منها العلقة والعظام واللحم ثم يكون منها نسمة سوية لم يصلوا الى معرفته واذا تفكروا في هذا علموا ان حكمته ليست على ما ينتهي اليه علم البشر ولا قوته تقتصر على الحد الذي ينتهي اليه قوى البشر والذي كان يحملهم على انكار البعث بعد الاماتة تقديرهم الامور على قوى انفسهم وتشويههم بعقولهم فاذا تدبروا في ابتداء احوالهم ورأوا من لطائف التدبير وعجائب الحكمة علموا ان الامر ليس كما قالوا وقدروا فيدعوهم ذلك الى التصديق بكل ما ياتي به الرسل ويخبرهم من امر البعث وغيره وجائز ان يكون ذكرهم ابتداء احوالهم ونشوءهم والى ما يصيروا اليه ليدعوا التكبر على رب الله تعالى وينقادوا له بالاجابة ولا يستكبروا على احد من خلقه لانهم في ابتداء احوالهم كانوا نطفة يستقذرها الخلائق ثم علقة ومضغة ويصيرون في منتهى الامر جيفة قذرة ومن كان هذا وصفه فاني يليق به التكبر على احد ثم قوله عز وجل الم نجعل الارض كفاتا يكفتهم اي يضمهم ويجمعهم في حياتهم وبعد مماتهم فالانضمام اليها في حال حياتهم ما جعل لهم من المساكن فيها والبيوت وجعل لهم بعد مماتهم مقابر يدفنون فيها وجعل منقلبهم ومثواهم في ظهورها في حياتهم وجعل بطنها مثوى لهم بعد وفاتهم وجعل بساطها لهم لتسلكوا فيها سبلا فجاجا وقدر لهم فيها اقواتهم فذكرهم وجوه النعم في خلقه الارض ليستاديهم الشكر والله اعلم وقوله عز وجل وجعلنا فيها رواسي شامخات فالرواسي هي الجبال الثابتات في الارض اثبتها في الارض ليقرها ولا تميد باهلها اذ لو مادت لم يصل اهلها الى ما قدر لهم من المنافع فذكرهم بذكره الجبال الرواسي عظيم نعمه عليهم ليستاديهم الشكر والشامخات هي الطوال وقوله عز وجل واسقيناكم ماء فراتا ولولا انزاله عليهم لم يكونوا يصلون اليه بقواكم وحيلكم ثم انزله من السماء الى الارض ولم يخرج من حدها لعذوبته ولا حل به التغيير بما سنه الارض واختلطت به وهذا منصرف الى الشرب خاصة ثم لغير العذب من المنافع ما للعذب الا الشراب خاصة وقوله عز وجل الم نهلك الاولين وهم قوم نوح وقوم عاد وثمود ثم نتبعهم الاخرين قوم فرعون وقوم لوط وغيرهم كذلك نفعل بالمجرمين قيل مجرمي هذه الامة ثم اختلف في وقت فعله فمنهم من يقول بان هذا الاهلاك في الاخرة لقوله عز وجل بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر ومنهم من ذكر انه فعل بهم يوم بدر ومنهم من ذكر ان فعله يجري امته محمد عليه السلام ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهر القى الله تعالى في قلوبهم الرعب حتى تركوا الاسباب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فما دبر مع كثرة شوكتهم وقلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا فعله بالمجرمين وفي القاء الرعب لطف ايات رسالته وابين حجة عليها اذا كان فيه ما منعهم ان الذي قعدهم عن القتال وقذف في قلوبهم الرعب سماوي لا غير والله اعلم وقوله عز وجل انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون معناه والله اعلم الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى وهم كانوا يكذبون بالبعث وبالعذاب لكن يقال لهم هذا بعد البعث فهو منصرف الى ما ذكرنا من العذاب وقوله عز وجل انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب ذكر ذلك الظل وهذا يخرج فيظنون انه ظل فيستظلون اليه رجاء ان ينتفعون به وقوله عز وجل

ثلاث شعب يحتمل وجهين احدهما ان يكون اصله واحدا ثم يتشعب منه شعب ثلاث وجائز ان يكون
في الاصل ذا شعب ثلاث باسم كل شعبة من ناحية ثم يجتمع فيصير شيئا واحدا وقوله عز وجل لا ظليل
ولا يغني من اللهب اي لا ينتفعون به ما ينتفع بالظل في الدنيا لان ظل الدنيا يهرب اليه لدفع الحر
او ليسكن فيه لان ظل البيت مما يسكن فيه وظل الشجر والحيطان ليؤوا اليه لتروح وذلك الظل لا
يغني عنهم في الاخرة في دفع الحرارة ولا في غيرها وقوله عز وجل ولا يغني من اللهب فجائز ان يكونوا
هربوا الى ذلك الظل من اللهب فيخبر ان ذلك الظل لا يدفع عنهم اذى اللهب وجائز ان يكون اللهب في
ذلك الظل ويكون كثافة الظل ساترة عما فيها من اللهب فيخبر ان سترها لا يمنع اللهب عن ان
يمسهم اذا انضموا الى الظل وقوله عز وجل انها ترمي بشرر كالقصر مفتوحة الصاد فالقراءة المعروفة
قيل يراد بالقصر المعروف المبني باللبن والخشب ويحمل يراد بها قصور اهل البادية وهي الخيام ومن
قرا بالنصب اختلفوا في تاويله عن ابن عباس رضي الله عنه كالقصر قصر النخل الواحدة قصرة وذلك
ان النخلة يقطع قدر ثلثة اذرع او اقصر واطول ليستوقدون بها في الشتاء وقال بعضهم هو اصل
النخل المقطوع المنقعر من الارض وقيل هو اعناق النخل وقيل القصرة اسم الخشبة التي يقطع
عليها اللحوم ويكسر العظام يكون للقصابين وعن الحسن انه قرا بفتحها كالقصر غير انه فسرها
اي الحزم من الخشب الواحد قصرة كقولك تمرة وتمر والله اعلم وفيه اخبار عن عظم شررها
وقدرها خلاف ما عليها الشرر في الدنيا لا ياخذ مكانا بل تبين ثم ينطفي ثم جائز ان يكون
بعض شررها في العظم كالخيام وبعضها كالقصور وبعضها كاصول الاشجار وقوله تعالى كانه
جمالات صفر جماعة الجمل وقرئ جمالات جمع جمالة والصفر قيل السود وانما سميت السود صفرا
لان السود يعلوها الصفرة في الابل فيستمى بها بذلك قول القائل تلك خيلي منه وتلك ركابي
هن صفر اولادها كالزبيب شبه الشرر بالقصر والقصر بالجمالة وهي الابل السود وقرئ
جمالات برفع الجيم وهي حبال السفن يمد ثم اذا ضمت يكون كاوساط الرجال فشبه الشرر بالحبال
الممدودة الصفر عند الامتداد وعند الانضمام كاوساط الرجال فيكون كالقصر وقوله عز وجل
هذا يوم لا ينطقون فجائز ان يكون معناه انهم لا ينطقون نطقا ينتفعون به كما لم يكونوا ينطقون
في الدنيا كلاما يقربهم الى الله تعالى فعاملهم في الاخرة حسب معاملتهم الله تعالى وهو كقوله
تعالى نسوا الله فانساهم انفسهم وقوله تعالى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا الاية
ومنهم من يقول لا ينطقون في بعض المواضع وينطقون في بعضها ويحتمل اي لا ينطقون بحجة بل يكذبون
كقوله والله ربنا ما كنا مشركين وقوله عز وجل ولا يؤذن لهم فيعتذرون ليس انه لا يقبل العذر
منهم اذا اتوا به ولكن معناه انه لا عذر لهم ليقبل منهم وهو كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين
معناه انه لا شفيع لهم لانهم اذا اتوا بشفعاء لم يشفع لهم واذا لم يكن عذر فهم لا يعتذرون
بعذر وقوله عز وجل هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ففيه اخبار انه لا يخص بالبعث فريقا
دون فريق بل يجمع الخلائق كلهم ثم يفصل بينهم فينزل كلا منزلته التي استوجبها فريق في الجنة
وفريق في السعير وقيل هو يوم الحكم فجائز ان يكون سمي به لما يختصم فيه اهل المذاهب فيحكم فيه
بين المحق وبين الذي كان على الباطل والله اعلم وقوله عز وجل وان كان لكم كيد فكيدون فجائز
ان يكون يقال لهم هذا في الاخرة ان كيدوا واحتى تنجوا انفسهم مما نزل بكم اي ان كانت لكم
حيلة تحتالون بها ما فعلوا وهو حرف التقريع والتوبيخ على نفي نفاذ المكر والحيلة ليس ما عليه امر
الدنيا انهم يحتالون ويمكرون بانواع الخداع والتمويهات ويحتمل ان قيل لكم هذا في الدنيا امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعارضهم بهذا فيقول لهم فان كان لكم كيد فكيدون في قتلي او
اخراجي من بين اظهركم كما قال هود عليه السلام لقومه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فيعجزهم
عن ذلك ليظهر لهم اية رسالته وحجة نبوته اذ حرف الاغراء من غير اعوان كانوا له ولا جنود
مجندة بل كان وحيدا فريدا بين ظهراني قوم مشركين ليست همتهم الا اطفاء هذا النور وقوله
عز وجل ان المتقين في ظلال وعيون فالمتقون هم الذين اتقوا عذاب الله قال الله تعالى
اتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال في اية اخرى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا
وقال ربنا اتنا في الدنيا حسنة وقنا عذاب النار فهذا هو التقوى ثم ان اهل التوحيد قرفوا
بالعذاب فاجتنبوا واتقوا فقيل لهم انطلقوا الى ظلال وعيون واهل النار كانوا مكذبين
بالعذاب فقيل لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب ثم اخبرنا بالوجه الذي يقع به
الاتقاء فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وامرنا بالانتصاب لمحاربته ثم علمنا
وجه المحاربة بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال الله وقل رب اعوذ بك
من همزات الشياطين وقال ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فالزمنا

الفزع اليه وبين انا لا نقوى على محاربته الا بالابتهال اليه والفزع ثم يحتمل ان يكون الاتقاء ها هنا
منصرفا الى التصديق خاصة لانه ذكر الاتقاء ها هنا مقابل التكذيب في الاولين وجائز ان يكون منصرفا
الى المصدقين بالاقوال والموفين بالاعمال فالمتقي هو الذي اتقى اساءة صحبة نعم الله تعالى فوقاه الله
شر يوم القيمة مجازاة له والمحسن هو الذي احسن صحبة نعمه فاحسن الله متقلبه واحله بدار كرامته
في ظلال وعيون وفواكه او المتقي هو الذي وقى نفسه عن المهالك فوقاه الله تعالى يوم القيمة والمحسن
هو الذي احسن الى نفسه وهو الذي استعملها في طاعة الله تعالى لما انعم عليه من الظلال والعيون
ثم اخبر انهم في ظلال لان الظلال مما يرغب اليه الانفس في الدنيا لانها يدفع عنهم اذى الحر
والبرد والمطر وهي لا تحول ايضا اذى المطر والرياح وغير ذلك وظلال الاشجار والحيطان يدفع
اذى الحر والبرد والمطر وهي لا تحول ايضا بين المرء والاشياء عن ان يدرك حقايقها فعظمت
النعمة في الظلال ووقعت اليها الرغبة في الدنيا فقال ان المتقين في ظلال وعيون وقال تعالى
في ظل ممدود وماء مسكوب ثم الانفس اذا اوت الى الظلال اشتهت ما يتمتع به الابصار
واعظم ما يتلذذ به الابصار ان يكون نظرها الى المياه الجارية فاخبر انهم في ظلال وعيون
وقوله عز وجل وفواكه مما يشتهون اي فواكه ايضا فاخبر ان لهم فيها ما يتلذذ به الابصار
ويتمتع به وفيها ما يشتهي انفسهم وفيها ما يدفع عن بعضهم الاذى وقوله عز وجل كلوا
واشربوا هنيئا لا تبعة لكم من جهة السؤال ولا تنغيص اي لا يؤذيهم ما ياكلون ويشربون
فالمعنى الذي لا تبعة على صاحبه ولا تنغيص فيه وقوله عز وجل انا كذلك نجزي المحسنين
فسمي المتقي محسنا لانه بدا بذكر المتقين وذكر ما اعد لهم ثم اخبر انهم جزوا ذلك باحسانهم
فيكون فيه دلالة على ان الاتقاء متى ذكر على الانفراد يقتضي اتيان المحاسن والاتقاء عن
المهالك ثم رجع الى المكذبين فقال كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون فهذا في الظاهر بالاكل
والشرب وهو في الحقيقة وعيد وهو ان تمتعكم بالاكل وغيره الذي يمنعكم عن النظر في الايات
قليل عن سريع تفارقونه وتصيرون الى عذاب الله تعالى وقوله انكم مجرمون قد ذكرنا ان المجرم
هو الوثاب في المعاصي وقوله عز وجل واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قال لهم الرسول
عليه الصلوة والسلام اركعوا اي اخضعوا واسلموا لله تعالى امتنعوا عن ذلك استكبارا منهم
على الرسل واعراضا عن النظر في حجج الله تعالى وقوله عز وجل فباي حديث بعده يؤمنون
اي فباي حديث يصدقون بعد حديث الله تعالى الذي لا حديث اصدق منه واقوى في الدلالة
وجائز ان يكون هذا على تسفيه عقولهم واحلامهم وهو انهم يمتنعون من التصديق
لحديث الله تعالى اذ لا حديث اصدق منه ثم يصدقون الاحاديث الكاذبة والاباطيل المزخرفة والله اعلم
بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عم يتساءلون عن النبا العظيم اختلف في النبا فمنهم من
ذكر ان التساؤل كان عن امر النبي صلى الله عليه وسلم سالوا من حاله اهو نبي او ليس بنبي ومنهم من
ذكر ان التساؤل كان عن القران انه من الله تعالى او ليس فيما بينهم هل تقدرون على اتيان مثله
ام لا وجائز ان يكون التساؤل عن امر البعث او عن التوحيد كما قال الله تعالى خبرا عنهم اجعل الالهة
الها واحدا ثم جائز ان يكون هذا السؤال من اهل الكفر سال بعضهم بعضا فاختلفوا فيه ولم
يحصلوا من اختلافهم على اصابة الحق الا ترى الى قوله تعالى كلا سيعلمون ولو كان فيهم مصدق لكان
وقع له العلم في ذلك الوقت فلا يحتاج الى ان يعلم وينبه عليه فان كان السؤال عن حال الرسول
صلى الله عليه وسلم فوجه اختلافهم ان بعضهم يزعم انه شاعر وقال بعضهم هو ساحر وقال بعضهم
مفتري كذاب وادعى بعضهم انه مجنون وحال ان يكون السؤال من الكفرة للمؤمنين وان كان على
هذا فما ذكره اهل التفسير فهم بين مصدق ومكذب يراد بالمكذب الذين صدر عنهم السؤال
ويراد بالمصدق اهل الاسلام الذين سئلوا ثم لا يجوز لاحد تحصيل السؤال على جهة واحدة
والقطع عليه بالتوفيق الموجب للعلم ثم في قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا جواب عما سبق
من السائل لما ان كان السائل عن امر الرسالة فحقه ان يحمل على جهة غير الجهة التي يحمل عليها اذا
صرف التساؤل الى امر البعث او الى امر التوحيد او القران والاصل فيه ان الله تعالى بما ذكر
من مهاد الارض وخلق الازواج ذكر عباده عظيم نعمه وكثرة احسانه اليهم ليتادى منهم
الشكر واذا وقعت لهم الحاجة الى الشكر احتاجوا الى من يعرفهم بما به يشكر الله تعالى وكيف يؤدى
شكره اذ لا يعرف في كل نعمة وجه شكرها الا بالتوفيق فيضطرهم ذلك الى من يبين لهم واحتاجوا

الى من يعرف فهم الوعد والوعيد محل الشكور ومحل الكفور ومحل الموالي ومحل المعادي اذ وجد واهذه الدنيا
من على الاولياء وعد والاعداء على حالة واحدة فاحتاجوا الى من يعرفهم الوعد والوعيد وواجب ما ذكرنا
القول بالبعث ليظهر منزلة الشكور والكفور وفي ذكر هذه النعم ايضا دلالة الوحدانية لان الله تعالى
مهد الارض فجعلها متمتعا للخلق ومنقلب الهمم واخرج منها ما يتعيشون به وجعل سبب الاخراج ما
ينزل من السماء من القطر فجعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء فلو لم يكن مدبرها واحدا لكان
لا ينقطع الاتصال ثم لو اراد احد ان يعرف المعنى الذي له يقع احياء الاشياء بالماء لم يصل اليه ولو
ارادوا ان يتداركوا الوجه الذي صلح هذا الطعام ان يكون سببا لدفع الحاجات وقطع الشهوات
لم يقفوا عليه فيكون فيما ذكرنا ازالة الشبه والشكوك التي يعترض لهم في الامور الخارجة عن تدبيرهم
وقواهم وقوله عز وجل كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون فمنهم من ذكر هذا وعيدا على وعيد وقد ذكرنا ان
حروف الوعيد مما يكرره العرب فيما بينهم للتاكيد كما يقال هيهات هيهات واولى لك فاولى وجائز ان
يكون قوله كلا ستعلمون على علم دلالة وقوله تعالى كلا سيعلمون على علم المشاهدة والعيان ثم
قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا اي بساطا والجبال اوتادا ذكر ان الارض لما خلقت مادت لاهلها
فارساها الله تعالى بالجبال لطفا منه لا ان جعلها سببا للارسال الا ترى الى قوله تعالى يسئلونك
عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فقد جعلنا في ذلك
الوقت متمسكة ثابتة مستقرة بدون الجبال فثبت انها ليست بسبب للارساء في التحقيق ويكون
فيه تعريف الخلق وجوه الحيل في الامور اذا تعذر عليهم الوصول اليها وقوله عز وجل وخلقناكم
ازواجا قيل الوانا فيكون في هذا ابطال الحكم بقول القايف لانهم يستدلون بالتشابه في الالوان
ويحكمون بها فلو كان الامر على ما قدروا لارتفع الاختلاف في الالوان فيكون الخلق كلهم على لون
واحد وقيل ازواجا فرقا شتى ليعرف كل منهم عنصره ومنتهى اصله وقيل ازواجا اي جعل لكل احد
شكلا من جنسه فجعل للذكر انثى زوجا من جنسه وقوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا قيل السبات
التمدد وقيل السبات النوم الذي لا حركة فيه ولهذا قيل للذي شبه بالميت مسبوت وقيل السبات
الراحة ولذلك سمي السبت لانه يوم راحة وترك العمل في بني اسرائيل ثم في انشاء النوم
دليل سلطانه وخلو الخلق باجمعهم تحت تدبيره اذ لا يتهيأ لاحد الاحتراز من النوم حتى
لا يعتريه بل يقهر الجبابرة فيذلهم ولا يمكنهم الخلاص عنه بالحيل والاسباب ثم النوم كاثر
من اثقل الاحمام واشدها ثم اذا زايل الانسان وعاد المرء الى حال اليقظة وجد في نفسه خفة
وراحة ومن شان هذا الانسان انه اذا حمل الحمل الثقيل يستهويه من ذلك فتور وكلال لا يزول عنه
ساعة ما يضع الحمل عن نفسه بل يبقى ذلك الكلال فيه الى مدة فمن تدبر في امر النوم دله على عظم
شانه وعجايب تدبيره وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا فهذا اللباس لباس لا عين لا غير الاثر
انه لا يستغني بلباس الليل عما اختعليه من اللباس للصلوة ولا يقل لباس الليل عمل اللباس المعروف
في دفع اذى البرد والحر وقال بعضهم اللباس السكن كما قال في اية اخرى جعل لكم الليل سكنا فكان
الذي حملهم على هذا التاويل هو ان تمام السكن والراحة يقع بالنوم فصرفوه اليه وقوله
عز وجل وجعلنا النهار معاشا اي يتعيش فيه لا ان يكون نفسه معاشا كما سماه مبصرا لما يبصر
به لا انه في نفسه مبصر وقوله عز وجل وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي السموات فذكرهم
هذا التنبيهم على قدرته وسلطانه فعرفوا انه فعال لما يريد قادر على ما يشاء وقوله عز وجل
وجعلنا سراجا وهاجا فكان السراج هو الشمس ها هنا جعلها تتوهج وتتلالأ ما بين السماء و
الارض وقوله عز وجل وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا فمنهم من ذكر ان المعصرات هي السحاب
التي تنشئ فيها القطر يقال للجارية التي قد دنت حيضها معصرة فشبه السحاب بمعاصر الجواري
وقيل سمي السحاب معصرا لانه يعصر المطر وقيل هي ذوات الاعاصير يعني الرياح كقوله فاصابها اعصار
اي ريح وعن الحسن هي السموات وقال الزجاج المعصر هو الذي قد اتى وقت ارسال القطر منه
كما يقال مجز لما اتى وقت جوازه ثم في انزال الماء من المعصرات تذكير النعم والقدرة والحكمة وكل
وجه من هذه الاوجه الثلاثة يوجب القول بالبعث فاما وجه تذكير النعم وهو ان القطر ينزل
من السماء متتابعا ثم الله تعالى بلطفه يمنع اتصال بعض ببعض وانتقاضه ويرسل كل قطرة الارض
بحيالها وينزل بعضها على اثر بعض لينتفع بها ولو التصق بعضها وانفصل لم يتم لها شيء وكانت بعضها سببا
للتعذيب والاهلاك فبفضله ورحمته انزلها متتابعة لينتفع بها الخلق ويتمتعوا بها وفيه
تذكير القوة والحكمة لانه انشا السحاب الثقال وساقه الى الموضع الذي قدر ان يرسل القطر هنالك
ومعلوم ان تلك الارسال ليس من فعل السحاب يمتنع عن ارسال القطر حتى ينتهي الى الموضع الذي
امر بارسال القطر فيه ولو كان ذلك السحاب نفسه لكان اين ما مر يعمل في الارسال ولو كان

ذا تعقب لكانت الريح متى دخلت في الثقب ارسل السحاب ما انشئ فيه من القطر فاذا لم يوجد ذلك
بان الله تعالى بحكمته وقدرته ولطفه هو الذي انشا فيه ذلك ودبر ارساله لا ان يكون ذلك عمل السحاب
ولو اراد احد من حكماء الارض ان يعرف المعنى الذي له صلح ذلك السحاب ان يستمسك فيه القطر و
لا يستمسك في مكان اخر لم يقف عليه فذكرهم ليعلموا ان حكمته ليست على الوجه الذي ينتهي اليه
حكم البشر ولا قدرته مقدرة بقوى البشر بل هو قادر على ما يشاء فعال لما يريد وفيه ان تدبير السماء
والارض والهواء يرجع الى الواحد القهار اذ لا يتهيأ لاحد ان يمنع القطر المسترسل من السماء عن
الوصول الى الموضع الذي امر ان ينتهي اليه والثجاج القطر المتتابع بعضه على اثر بعض والثج الصب
والاراقة وقوله عز وجل لنخرج به حبا ونباتا فجائز ان يكون ذكر الحب لانه المقصود من زراعة
ما يكون له الحب فذكره لما اليه ينتهي القصد ويكون ذكر النبات منصرفا الى ما لا حب له لان القصد
من انشاء النبات لا غير وجائز ان يكون منصرفا الى شيء واحد لان الذي فيه النبات ايضا وقوله
عز وجل وجنات الفافا قد ذكرنا ان الجنة هي اسم المكان الملتف بالاشجار وهي التي اجتمعت
فيه الاشجار وقوله عز وجل ان يوم الفصل كان ميقاتا يوما الميقات الميعاد اي وعد فيها جميع
الاولين والاخرين صالحهم وطالحهم صغيرهم وكبيرهم وسمي يوم الفصل لما يفصل فيه بين
الاولياء وبين الاعداء ويتبين فيها مثوى الفريقين جميعا واليوم ملتبس يوم فصل في الظاهر
لان الدنيا مر على الفريقين على حالة واحدة وان كان قد فصل بينهما بالتوفيق والخذلان وقيل يوم
الفصل يوم الحكم وقوله عز وجل يوم ينفخ في الصور فقد ذكرنا فيما تقدم وقوله عز وجل فتاتون
افواجا قيل امة فامة تاتي امة كل رسول لحيالها وقيل يجيئون كل احد بشيعة على ما يذكره في قوله تعالى
واذا النفوس زوجت وقوله عز وجل وفتحت السماء فكانت ابوابا فمنهم من ذكر انها تفتح لانزال
من شاء الله تعالى من الملائكة وتنشق وتنفطر لشدة هول القيامة ومنهم من قال ان الشق والفتح
والانفطار كله واحد فذكر الفتح لشدة هول ذلك اليوم وجائز ان يكون الكل تقتضي معنى واحد
الاثر فيما ذكر فيه الانشقاق قد ذكر فيه نزول الملائكة بقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل
الملائكة تنزيلا وقوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا فجائز ان يكون شبهها بالسراب لما انها اذا
سيرت لم يوجد في المكان الذي رآها فيه الناظر كالسراب الذي يرى من بعد اذا رآه الناظر فاتاه
لم يجده شيئا الا ان يكون الجبال في الحقيقة سرابا لان السراب هو الذي يتراءى من البعد
انه شيء ولا شيء في الحقيقة واما الجبال وان سيرت فهي في نفسها شيء وقوله عز وجل ان جهنم
كانت مرصادا منهم من ذكر انها كانت في علم الله تعالى انها ترصد على من حقت عليه كلمة العذاب
فتعذبه ولا يمكنه الفرار عنها وقيل ترصد على من حقت عليه كلمة العذاب فتعذبه ولا يمكنه
الفرار عنها وقيل ترصد بشهيقها وزفيرها من استوجب العذاب فتعذبه ومقرب بها بطل
غيظها له وسخطها على من سخط الله عليه وقيل معناه المرصاد ان يكون ممر كل كافر ومؤمن عليها
لكن الكافر يقع فيها والمؤمن ينجو عنها وقوله عز وجل للطاغين مآبا اي مرجعا والطاغي هو الذي
تعدى حد الله تعالى وضيع حقوقه وكفر بانعمه وقوله عز وجل لابثين فيها احقابا ذكر الاحقاب ولم
يبين منتهى العدد ولو كان للبشر فيها يرجع الى امد في حق الكفرة لكان ياتي عليه البيان كما اتى البيان
على منتهى يوم القيامة بقوله في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقال تعرج الملائكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فلما لم يتبين ثبت انه لا يرجع الى حد والى هذا
يذهب الحسن ومنهم من ذكر ان معناه انهم يلبثون ثلاثة احقاب والحقب ثمانون سنة يعذبون
بلون من العذاب ثم يعذبون بلون اخر من العذاب بعد ذلك لا ان ينقطع عنهم العذاب
بعد مضي الاحقاب والاحقاب هي النهاية في الاوقات فذكر النهاية في الاوقات وما يكبر
فيها كما قال خالدين فيها ما دامت السموات والارض لانهما الذات عرفا بالدوام فاقتضى
ذلك معنى الدوام فكذلك ذكر ما هو النهاية من الاوقات يعرف انهم ابدا فيها مقيمون وقوله
عز وجل لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا فذكر بعضهم ان البرد هو النوم ومنهم من ذكر ان
معناه الروح والراحة وقال بعضهم لا يذوقون فيها بردا ينقطع عنهم الحر ولا شرابا يقطع عطشهم
الا حميما وغساقا فالحميم هو الماء الذي قد انتهى في الحر نهايته والغساق الزمهرير وقال بعضهم هو
ما ينفصل عن ابدانهم من الصديد والزهومة وهو اولى ذلك فمعناه والله اعلم ان التي يطعم به
اهل النار لا يعذبهم ولا يغذيهم ولا يجدون مستمتعا بل يصير ذلك سبب اهلاكهم لا ان يقع لهم
بذلك البرد راحة وشفاء فهم كما وصفهم الله تعالى فان له نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيى فيبقون
ابدا في الهلاك لا يقضى عليهم فيستريحوا ولا ينقطع عنهم العذاب فيتلذذون بالحيوة وقيل الغساق
لون من العذاب لم يطلع الله تعالى عباده وقوله عز وجل جزاء وفاقا اي وافق جزاؤهم اعمالهم

لا ينقصون ولا يزادون على قدر ما استوجبوا بل يجزون مثل اعمالهم وجائز ان يكون معناه ان جزاؤ
هم وافق اعمالهم في الخبث وقوله عز وجل انهم كانوا لا يرجون حسابا فمنهم من ذكر انهم لا يخافون
ومنهم من حمله على حقيقة الرجاء اي لم يكونوا يرجون الثواب والوجه انهم كانوا قوما لا يؤمنون
بالبعث ولا بالجزاء والعذاب حتى يخافوا العقاب ويرجوا الثواب فان حملته على الخوف فهم لم يخافوه
لما لم يؤمنوا به وكذلك ان حملته على حقيقة الرجاء فهم لم يكونوا يرجون لما كذبوا به وقوله عز وجل
وكذبوا باياتنا كذابا فالكذاب في لغة العرب واحد والايات جائز ان يراد بالايات ايات البعث ويراد بها
ايات الوحدانية وايات الرسالة ونحوها وقوله عز وجل وكل شيء احصيناه كتابا فجائز ان يكون
الاحصاء والكتاب واحد وجائز ان يكون اريد بالاحصاء ما اثبت في الكتاب كقوله تعالى لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا فالزيادة في العذاب هو دوا
مه وبقاؤه لا ان يزادوا على القدر الذي كان اعد لهم من العذاب لانه اخبر انهم لا يجزون
الا مثلها فاذا كان الذي عذبوا قبله جزاء لم يجز ان يزادوا عليه فثبت ان الزيادة انصرفت على
الدوام والبقاء وبهذا قال اصحابنا في تاويل قوله فزادتهم ايمانا وفي كل ما ذكرت من الزيادة انه
على الثبات والدوام عليه لا انه يزيد وينقص وقوله تعالى ان للمتقين مفازا اي مفازا عن انواع العذ
اب التي ذكرت في الطاغين وقوله عز وجل حدائق واعنابا فالحدائق هي الاماكن التي احاطت الاشجار
باطرافها وقوله عز وجل واعنابا ظاهر وقد ذكرناهم وعدوا في الاخرة كل ما يقع لهم الرغبة في
الدنيا ثم الاصل ان هذه السورة نزلت على اثر التساؤل بقوله تعالى عم يتساءلون عن النباء
العظيم فجائز ان يكون الذي حملهم على السؤال ما اعترض لهم من الشبه او خطوبا لهم فسالوا
ليتبين لهم ويزول عنهم الشبه فذكرهم عظم نعمه وعجائب تدبيره وقوته وسلطانه ووعدان
من امعن النظر فيها دلهم ذلك على بعثهم واذاحة الاشكال عنهم بقوله كلا سيعلمون ثم كلا
سيعلمون وبين مآب من استقام على الصراط المستقيم وسلك سبيله واخبر ان من لم ينعم النظر
فيها ولم يعط النصفة من نفسه وضيعها فمصيره الى ما ذكر من قوله ان جهنم كانت مرصادا للطاغين
مآبا وستعلم ذلك بقوله كلا سيعلمون ان حمل هذا على الوعيد وقوله عز وجل وكواعب اترابا قيل
الكاعب هي التي تكعبت ثدياها وذلك حين تبلغ ان تحيض وهي ناهد وهي اشهى ما يكون الى الرجال
والاتراب المستويات في السن فمعنى هذا ان النساء انهن يكن ابدا على سن واحد لا يتغيرن عن تلك الحال
ولا يهرمن وقوله عز وجل وكاسا دهاقا قيل ملآنا وقيل صافيا وقيل متتابعا فوصفه بالملآن ليعلم
ان ذلك الشراب لا ينقص ما داموا يشربون خلاف ما عليه شراب اهل الدنيا ومن حمله على الصفاء فمعنا
ه انه صاف عن الافات والمكروه التي يكون في شراب اهل الدنيا من التصديع واذهاب العقل وغير ذلك
ومن حمله على التتابع فمعناه ان ذلك الشراب لا ينقطع ولا ينفد ما داموا في شربه بل يتتابع عليهم ولا
يحدث فيهم حال يمنعهم عن الشرب من السكر وغيره فيمتنعوا عن شربه خلاف شراب اهل
الدنيا وروي عن العباس بن عبد المطلب انه قال كنا اذا استسقينا الساقي في الجاهلية قلنا دهاقا
لنا اي تابع لنا وقوله عز وجل لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا اي لا يسمعون فيها ما يحق ان يلغى بل
يسمعون فيها كل خير والذي يحق ان يلغى ما ذكروا من الخلف والباطل والكذب فلا يسمعون شيئا من
ذلك كما يسمع من اهلها في الدنيا اذا شربوها وقوله عز وجل كذابا ان قرئ بالتخفيف فهو الكذب
اي لا يكذبون وان قرئ بالتشديد فهو من التكذيب اي لا يكذبون بعضهم بعضا كما يوجد في شراب
اهل الدنيا وقوله عز وجل فيها في الجنة ثم قوله كذابا قرا بعضهم بالتخفيف في الموضعين ها هنا وفي
كذبوا باياتنا كذابا وقرا بالتشديد في الموضعين وقرا بعض القراء بالتشديد في الاول وبالتخفيف في
الثاني وعن الكسائي انه قال بالتخفيف لغة مصر وبالتشديد لغة يمانية يقولون كذبته تكذيبا وكذابا
وخرقته تخريقا وخراقا ونحو ذلك والله اعلم وقوله عز وجل جزاء من ربك عطاء حسابا قوله جزاء
اي جزاء جزاهم وعطاهم حسابا حاسبهم وقال الحسن جزاء باعمالهم اي زادهم على القدر
الذي استوجبوا وقال بعضهم اعطاهم عطاء كثيرا حتى قال واحد منهم حسبي حسبي والذي
يؤيد هذا التاويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقرأ جزاء من ربك عطاء حسابا وقال
بعضهم جزاء باعمالهم التي كتب الحفظة واحصيها عليهم واعطى عطاء حسابا اي كثيرا جزاء لما
احصوا من اعمالهم التي لم يطلع عليها ملائكته فاعطاهم عطاء ثوابا ظاهرا يعرفه الناس وجائز ان
يكون الجزاء من عطاء وبر لانه لا يستوجب الجزاء لما ذكرنا انه لا احد من هذا البشر الا وقد سبقت له من
الله تعالى نعم لو انفد جميع عمره في اداء شكره منها لم يصل الى كنه ما عليه من الشكر اذ من قام بالشكر ووفق
عليه زيد له ايضا في انعمه لمكان الشكر فاذا وصل الى الجزاء عمله في الدنيا لم يستوجب به المزيد فثبت ان
الجزاء في الاخرة يحق الا فضلا من الله تعالى ولا نعما لا يحق الا استيجاب الاجر الى قوله تعالى ومن

يطع الله

يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية فسمى الكرامة انعاما وقال
في اية اخرى وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسوله ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء فجعل ما اتاهم من النعيم فضلا منه فثبت ان الذي جزاهم به عطاء من ربه حسابا
اي كثيرا وقوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما فالرب المالك فذكر انه مالك السموات والارض
وما بينهما ليعلموا انه لم يمتحن احدا بعبادته لحاجة يقع له او لمنفعة يصل اليه بل هو الغني وله ما في السموات
وما في الارض وان منفعة ما امتحنوا به من العبادات راجعة الى انفسهم اذا وفوا بها واذا لم يفوا بها
كان الضرر راجعا اليهم وقوله وعز وجل الرحمن بين انه رحمن ليرغبوا في رحمته ويتسارعوا الى مغفرته وقوله
وقوله عز وجل لا يملكون منه خطابا هيبة من الله تعالى وتعظيما لحقه فلا يملكون من هيبته بالشفاعة او كلا
بالخصومة او باي شيء كان وقوله عز وجل يوم يقوم الروح والملائكة صفا اختلف في الروح فمنهم من قال
هو جبريل عليه السلام ومنهم من صرفه الى ارواح المسلمين ومنهم من ذكر انهم الحفظة على الملائكة يرون
الملائكة ولا يراهم الملائكة وجائز ان يكون الروح الكتب المنزلة من السماء كما قال تنزل الملائكة بالروح
من امره فيكون الكتب مخاصمه مع من ضيع حقها ونبذها وراء ظهره وشافعا لمن ادى حقها وعمل بما فيها
ومنهم من ذكر ان هذا من المكتوم الذي لا يفسر قال الله تع ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وقوله
عز وجل لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا جائز ان يكون هذا منصرفا الى الشافع لا يقول
فيما يشفع غير الصواب وما حل به من الرهبة والخوف من هيبة الله تعالى لا يزيله عن التكلم بالحق بل الله تعالى
يثبته على الحق ويجري على لسانه الصواب وقال بعضهم معناه لا يشفع الا من قال في الدنيا صوابا وهو الحق وقيل
معناه انه لا ينال من الشفاعة حظا الا من قال في الدنيا الصواب والصواب ان يكون مقيما فيما وان به من التوحيد
وذكر علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه امر بعجوز وهي تدعو فتقول اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد صلى الله
عليه وسلم فقال لها قولي اللهم اجعلني من رفقاء محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة فان شفاعته لاهل الكبائر من
امته قال رضي الله عنه وبهذا الفصل يعارضنا المعتزلة فتقول اذا قلتم اللهم اجعلنا من شفاعة محمد نصيبا
فقد قلتم اللهم اجعلنا ممن يرتكب الكبائر اذ شفاعته في زعمكم لاهل الكبائر فالجواب عن هذا ان الذي
ابتلي بارتكاب الكبائر دون الشرك انما ينال الشفاعة بما سبق منه من الخيرات من التوحيد وتعظيمه ربه
عز وجل فمحاسنه التي سبقت منه هي التي يجعله محلا للشفاعة ولولاها ما نالها فاذا قال اللهم اجعل لي من
شفاعة نبيك نصيبا فهو يقول اللهم وفقني على فعل الخيرات واجعلني ممن يعظمك ويتقرب اليك بالطاعة
حتى انال بها الشفاعة لا ان يقصد بمقالته جعله من اهل الكبائر والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله فلولا انه
كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فاخبر الله تعالى ان تسبيحه ما انقذه من بطن الحوت ولو لم يكن
مسبحا لم يستوجب الخلاص وكذلك صاحب الكبيرة يستوجب الشفاعة ويرجو له الخلاص بما سبق منه
من الحسنات دون ان يستوجبها لارتكاب الكبيرة ثم من قول المعتزلة انهم يرون الصغائر مغفورة لاربابها
اذا اجتنبوا الكبائر فيقال له بان من ادعى الله تعالى وسأله المغفرة فكانه يدعوا فيقول اللهم ابتلني
بالصغائر حتى تغفرها لي فان قلتم بان دعاء بالمغفرة لا يقتضي ما عارضناكم به فقولوا كذلك فيمن يقول اللهم
اجعل لي من شفاعة محمد نصيبا انه لا يقتضي ان يجعله من اهل الكبائر وقوله عز وجل ذلك اليوم الحق فمن شاء قيل
معناه ان لا يقال في ذلك اليوم غير الحق وجائز ان يكون منصرفا الى اليوم نفسه فيكون معناه ان كونه
حقا يكون لا محالة وقوله فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا اي مرجعا تاويله ان الله تعالى بين للخلق سبيل الضلال
والهدى ولم يقيد واحدا عن سبيل الضلال والهدى وبين ان من سلك سبيل الضلال فمآبه الى النار ومن سلك
سبيل الرشد والهدى فمآبه الى الجنة وذلك مآبه الى الله تعالى واتخاذ السبيل اليه تعالى وقوله انا انذرناكم عذابا
قريبا اي العذاب الذي اوعدتم به قريب ما اتاه وان استبعدتموه في افهامكم قال الله اتى امر الله فلا تستعجلوه
وقوله عز وجل يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فجائز ان يكون هذا منصرفا الى الخلائق اجمع مؤمنهم وكافرهم
ثم تخصيص الايدي بالذكر هو ان التقديم والتاخير في الشاهد يقع بالايدي فاضيف اليها وان احتمل ان لا يكون
للايدي صنع فيما ارتكب من الاثام او فيما فعل من الخيرات وهو كالمطر يسمى رحمة الله وان لم يكن ذلك من ولكن
لانه برحمة الله ما ينزل من السماء وسمي الكلام لسانا وان لم يكن هو لسانا لانه باللسان ما يتكلم فكذلك
التقديم اضيف الى الايدي لما بها يقع التقديم في الشاهد وان لم يكن للايدي صنع وقوله عز وجل ويقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا ذكر هذا التمني في الكافر لان المؤمن يرى حسناته متقبلة وسيئاته
مغفورة فيأمن عقاب الله تعالى والكافر يرى نفسه مؤاخذة بالسيئات ولا يرى لها حسنات
متقبلة فيتمنى ان يكون ترابا ليتخلص من عذاب الله تعالى وقال بعضهم ان الوحوش يحشر والبهائم كلها
ثم يقول الله تعالى كوني ترابا فيتمنى الكافر في ذلك الوقت ان يكون ترابا والله اعلم بالصواب

مما نعلم الا زم اهل شفاعة نبينا محمد عم من اهل الكبائر

فلا يجوز ان يقول اللهم اجعلني من اهل شفاعة محمد عم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا اختلف في تاويله فمنهم من
حمل ذلك كله على الملائكة فقال والنازعات غرقا هم الملائكة الذين ينزعون ارواح الكفرة ويغرقون اغراقا اي
يشددون في النزع كما يغرق النازع في القوس ويشتد عليه شدة الامر على الغريق او ينزع ارواح الكفرة فيغرق
في النار وقوله عز وجل والناشطات نشطا قيل اي ينشط ارواح الكفرة نشطا عنيفا اي ينزع ملائكة العذاب
ارواح الكفرة من اجوافهم نزعا شديدا وقيل هذا في حق المؤمنين ان الملائكة ينشط ارواح المؤمنين اي كلها
حلاوة فيقا كما ينشط من العقال فيخبر بهذا خفه ذلك على المؤمنين ويخبر بالاول شدته على الكافر وقوله عز وجل
والسابحات سبحا قيل ان الملائكة يسلون ارواح المسلمين سلا رفيقا وقيل الملائكة يسبحون بين السماء والارض
وقوله عز وجل فالسابقات سبقا اي يسبق الملائكة الى ارواح المؤمنين وقيل فالسابقات سبقا الملائكة الذين
يسبقون بالوحي الى الانبياء عليهم السلام وقيل هم الكروبيون الذين لا يفترون عن تسبيح رب العالمين
وقوله عز وجل فالمدبرات امرا هم الملائكة الموكلون بامور الخلائق وارزاقهم ومنهم من صرف تاويل الايات
الى النجوم اللاتي يطلعن من مطالعهن لحوائج الخلق والامور جعلت لها ويغربن في معادبهن ثم ينشطن الى مطالعهن فيطلعن
كرها بل ناشطات لامر الله تعالى الى ما سخرن له والسابحات سبحا النجوم ايضا ويسبحن دورانهن في الافق لا مور
خفي ذلك على الخلق لقوله كل في فلك يسبحون وقوله فالسابقات سبقا اي يسبق بعضها بعضا او يسبقن الشياطين
بالرجم والطرد لا يدعهن يقربون الى السماء وبه قال الحسن والله اعلم ومنهم من صرف تاويل الايات الى مختلف
الاشيا فقال والنازعات غرقا هي القسي ينزعها الانسان فيغرق في نزعها والناشطات نشطا هي الاوهاق
ينشط بها الدابة يكون منه في جهة والسابحات سبحا هي السفن والسابقات سبقا هي الخيل فالمدبرات
امرا هي الملائكة وبه قال عطا ومنهم من صرفها الى انفس المؤمنين وازواجهم فقال والنازعات هي الانفس التي
تغرق في الصدر والناشطات نشطا حين ينشط من القدمين وقيل ان انفس المؤمنين ينشطن الى الخروج عن الابدان
اذا عاينوا ما اعد لهم من في الجنة والسابحات سبحا هي ارواح المؤمنين سميت سابحات لسهولة الامر عليها كما
يسهل الخروج من الماء لمن يعلم السباحة وقوله فالسابقات ايضا هي ارواح المؤمنين ايضا سميت سابقات لما يكاد
يسبق فيخرج قبل وقتها لما يعاين من كرامات الله تعالى وما يبشر من الخير يؤيد هذا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقيل ذلك عند موته المؤمن اذا حضره الموت صار في ذلك
الوقت كالمسجون الذي يتمنى الراحة والخلاص منه لانه ما اعد له من الثواب فيتهوع نفسه يود لو خرجت
حتى يصل الى ما اعد لها من الكرامة والكافر اذا راى عند ما حضر جعل تبلغ نفسه كراهة ان يخرج فيصير الدنيا في
ذلك الوقت كالجنة له فيما لا يحب مفارقتها من شدة ما يرى من عذاب الله تعالى وعلى هذا قيل في تاويل
قوله عليه السلام من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ان ذلك عند الموت
ان المؤمن اذا حضر الموت واري ثواب من الجنة وتان يخرج نفسه فيحب لقاء الله تعالى ويحب الله لقاءه
والكافر يكره في ذلك الوقت ان يخرج نفسه فذلك حين كره لقاء الله وكره الله لقاءه والله اعلم وقوله عز وجل
فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا قالوا جميعا المراد منها الملائكة الموكلون بامور الخلق وارزاقهم ونحو ذلك والله اعلم ثم
اختلف في الذي قصد اليه باليمين والقسم فمنهم من ذكر ان الذي وقع عليه القسم قوله عز وجل انا
لمردودون في الحافرة على معنى انكم مبعوثون وان القسم حتى فكانه اقسم بهذه الاشياء انهم لمبعوثون
واخر الجواب هاهنا لما دل عليه المعنى فاكتفى به ومنهم من ذكر ان القصد من اليمين قوله يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة فاقسم بما ذكر ان النفختين كائنتان فالنفخة الاولى يموت بها الخلق والنفخة الثانية
لاحياء الاموات والراجفة هي النفخة فجائز ان يكون على حقيقة النفخة فيكون النفخة علامة الموت
والحيوة لا ان يكون علة الاماتة ثم اختلفوا بعد هذا فمنهم من يحمله على التحقيق فيزعم ان النفخة الاولى
يهلك بها الخلق والنفخة الثانية يحيى بها الخلق ومنهم من ذكر ان النفخات ثلاث فالنفخة الاولى للتفزيع
والتهويل قال الله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الاية والنفخة
الثانية يهلك بها الخلق بقوله ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الاية والنفخة الثالثة
يحيى بها الخلق بقوله ثم نفخ فيه اخرى بسرعته كما قال الله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب
وقالوا الرجفة هي الزلزلة والتحرك يتبعها الرادفة وهي الزلزلة الاخرى ثم ان كان القسم على اثبات البعث
ففيما ذكر اشارة الى احوال البعث وافعالها وان كان موجفة على قوله ثم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
قلوب يومئذ واجفة وكانهم سالوا كيف يكون القلوب في ذلك اليوم فقال يكون واجفة والواجفة هي
الخائفة الوجلة وقوله عز وجل ابصارها خاشعة اي ذليلة ووجه تخصيص الابصار والقلوب والله اعلم
هو انه لا يتهيا لاحد استعمال قلبه وبصره بل يحدث للقلوب فكر وبدوات لا يمكنه ان يدفع عنها الفكر
وكذلك هذا في البصر فيجوز ان ما نزل بهم من الخوف والهيبة يمنع القلوب والابصار عن عملها فلا ينظر الا
الى الداعي ولا يحدث للقلوب فكر بل يكون الافئدة هواء لا يقر لشدة ما حل به من الخوف ان المرء اذا خبر
امن فهو يعمل انواعا من الحيل ويوقع بصره على شيء فشيء رجاء ان يستدرك ما فيه خلاصه وسلامته

من ذلك

من ذلك الامر ثم ينقطع عنهم التدبير في ذلك اليوم فيكون القلوب هواء لا يقر في موضع ولا يقف على تدبير
لشدة ما حل بهم ويكون الابصار خاشعة ذليلة الى ما يدعو الداعي وقوله عز وجل يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة اي يقولون ائنا لنرد الى ما كنا عليه في الدنيا في ابتداء الامر خلقا جديدا يقال اتى فلان فلان فرجع
على حافرته يقول على محنته الاول ويقول انقد عند الحافرة اي عند اول القبيح والكلام فقالوا هذا على
جهة الانكار بالبعث والاستهزاء به قال ابو بكر هذا ماخوذ من حافر الدابة وهو ان الفارس
يمكنه ان يصرفها بحافرتها الى الموضع الذي ابتدا السير منه من وراء وقوله عز وجل ائذا كنا عظاما نخرة ونا
خرة فالناخرة هي البالية التي لم تتفت بعد والنخرة هي التي صارت رفاتا ودرست حتى ينسفها الريح
وقوله عز وجل قالوا تلك اذا كرة خاسرة قال الحسن وابو بكر هذا منهم تكذيب للبعث اي لا يكون ابدا
وقال غيرهما معناه ان لو كانت كرة كما يزعمها المسلمون فهي كرة خاسرة على المسلمين لانهم ظنوا انهم اذا
كانوا في الدنيا انعم حالا وارغد عيشا وكان المسلمون في ضيق من العيش وشدة من الحال ان يكونوا كذلك
في الاخرة الا ترى الى قوله تعالى ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا فكانوا يظنون انهم بما
انعم لانهم اقرب منزلة واعظم درجة من المؤمنين اذ لا يجوز ان تفتق على اوليائه ويوسع على اعدائه
فاذا وسع عليهم ظنوا انهم هم المفضلون في الدنيا والاخرة وان من خالفهم هم الاخسرون ومنهم من
قطع هذا الكلام عن مقالة الكفرة وزعم ان هذا الوصف راجع الى الكفرة فقيل خاسرة لما خسروا انفسهم
واموالهم واهليهم وخاسرة اي مخسرة وقوله عز وجل فانما هي زجرة واحدة ففيه اخبار عن سرعة
كون ذلك الوقت وسهولته على الله تعالى وقوله عز وجل فاذا هم بالساهرة قيل الساهرة هي وجه الارض
وجائز ان يكون اريد بهذا ان العيون تسهر في ذلك اليوم ولا يعتريها النوم بل يكون مهطعة الى
الداعي ذليلة وقوله عز وجل هل اتيك حديث موسى فمنهم من يقول قد اتاك فخوفهم وقال الحسن
لم يكن اتاه فاتاه بهذا فعليه مع علمه انه لم يكن علمه من قبل وقد ذكرنا ما في ذكر الانباء من الفوائد
من تثبيت الرسالة والتخويف لمن اساء صحبة الرسل عليهم السلام لان لا ينزل بهم ما نزل بفرعون
واتباعه حين اساؤا صحبة الرسول موسى عليه السلام وقوله عز وجل اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى
قيل طوى اسم ذلك الوادي وقيل سمي طوى لانه بورك مرتين مرة حين اتاه ابراهيم عليه السلام ومرة
باتيان موسى عليه السلام وذكر عن الزجاج ان طوى بكسر الطاء الذي بورك مرتين ثم امنا في ذلك
الحديث مرة الى موسى ومرة الى نفسه اذ ناداه فظاهره ان الله تعالى هو الذي كلمه فاضيف الى الله
تعالى لان اصله من الله تعالى كما ذكرنا في قوله تعالى حتى يسمع كلام الله في قوله انه لقول رسول كريم وقوله
عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى اي عتا وطغى في نعمه فاستعملها في كفران نعمه فلم يشكر الله تعالى بها
وقوله عز وجل فقل هل لك الى ان تزكى اي هل لك في اجابتي من اذا اجبت تزكيت او هل لك رغبته الى ما تزكي به
نفسك وتنمو انت وفي هذه الاية دلالة ان من اراد ان يدعو احدا الى ما فيه رشده وصلاحه فالواجب
عليه ان يدعوه اولا بالرفق واللين كما امر به موسى وهرون عليهما السلام بقوله فقولا له قولا لينا
وبقوله هل لك الى ان تزكى ثم اذا ترك الاجابة ختم كلامه بالتعنيف كما فعل موسى عليه السلام بقوله
واني لاظنك يا فرعون مثبورا بعد قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض
وقوله عز وجل واهديك الى ربك فتخشى اي اهديك الى ربك فتهتدي ثم تخشاه اذا اهتديت اي عرفت
عظمته وجلاله فتخشى عقوبته فيكون العلم مثمرا للخشية الا ترى الى قوله انما يخشى الله
من عباده العلماء او اهديك الى طاعة ربك وانذرك عقابه اذا عصيته فتخشى فلا تعصيه وقوله
عز وجل فاراه الاية الكبرى فمنهم من ذكر ان الاية الكبرى هي اليد سميت كبرى لان سحرهم عمل
في الحبال والعصي ولم يعمل في اليد فكانت هذه الاية خارجة من نوع سحرهم فسميت كبرى لهذا المعنى
ومنهم من ذكر ان الاية الكبرى هي العصا لان غلبة موسى عليه السلام على السحرة كانت بالعصا
حيث تلقفت ما اتوا به من السحر ولكن كل اياته كانت كبرى كما قال في اية اخرى وما نريهم من اية
الا هي اكبر من اختها فكانت احداهما اكبر من الاخرى عند ذوي الاحلام والنهى لمن تامل فيها و
تدبر والله الموفق وقوله فكذب وعصى اي كذب بايات الله وعصى نبيه موسى فلم يطعه وقوله عز وجل ثم
ادبر يسعى قال الحسن كان خفيفا طياشا والا فالملوك اذا دعوا الى امر تدبروا فيه وتفكروا الداعي
الى ما دعاهم او لم يردوا عليه فاما الادبار والسعي فليس الا من الخفة والطيش وقال غيره ادبر
عن طاعة الله تعالى وتولى عنه وسعى في جمع السحرة او سعى في جمع من قال لموسى عليه السلام فاجعل
بيننا وبينك موعدا لا نخلفه وقوله عز وجل فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى وذلك اللعين قد علم انه
ليس رب السماء والارض ولكن قد اتخذ لقومه اصناما فامر العوام منهم ان يعبدوها ليتقربوا بهم
ذلك اليه لكن اذا صاروا من خاصيته اذن لهم بان يعبدوه وامر الخواص منهم بعبادته فسمى نفسه
اعلى الارباب لهذا وقوله فاخذه الله نكال الاخرة والاولى فمنهم من يقول اخذه بعقوبة الكلمتين

جميعًا الكلمة الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيري والكلمة الثانية قوله انا ربكم الاعلى ومنهم من يقول اخذه
بعقوبة ما تقدم من الاجرام وما تاخر الى ان غرق ومنهم من يقول اخذه بالعقوبة في الدنيا والاخرة فغرقه
في الدنيا وعذب روحه بعد مماته بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويدخل في النار مع اتباعه
بقوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب فاتصلت عقوبة الدنيا بعقوبة الاخرة
وقوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وفي ذلك كله عبرة لكن الذين يعتبرون بها من يخشى العواقب ويخاف
عقوبة الله تعالى وقوله اانتم اشد خلقا ام السماء فجائز ان يكون صلة قوله يوم ترجف الراجفة وفي
قوله ااذا كنا عظاما نخرة ايضا ثم قوله عز وجل اانتم اشد خلقا ام السماء يحتمل وجها احدها
ان اعادتهم خلقا جديدا وبعثهم ايسر في عقول منكري البعث من خلق السموات وقد اقروا انه
خالق السماء فاذا لم يتعذر عليه خلق السماء وان كان خلقه اشد في عقولهم من خلق امثالهم فكيف
بعثهم واعادتهم الى ما كانوا عليه وذلك اهون في عقولهم ويحتمل وجها اخر وهو ان السماء مع شدتها
خلقها اشفقت على نفسها فابت قبول ما عرض عليها من الامانة وخافت نقمة الله تعالى فما بال هذا الانسان
مع ضعفه يمتنع عن الاجابة الى ما دعي اليه افلا يشفق على نفسه ولا يخاف نقمة الله تعالى وما خلقت النار
والجنة الا لاجل الانس فيذكرهم بهذا النحو فهم ويرتدعوا عما هم فيهم من الطغيان الى ما دعي
اليه افلا يشفق على نفسه ولا يخاف نقمة الله تعالى وما خلقت النار والجنة الا لاجل الانس فيذكرهم
بهذا النحو فهم ويرتدعوا عما هم فيه من الطغيان ويجيبوا الى ما دعاهم اليه الرسول وجائز
ان يكون صلة قوله اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت فيخبر ان السماء مع شدتها وطولها
لا تقوم بذلك اليوم فكيف يقوم لهول ذلك اليوم مع ضعفه فيرجع هذا ايضا الى التخويف وقوله
عز وجل بناها رفع سمكها فسويها بناها اي خلقها رفع سمكها سقفها فسواها بالارض او سواها
على ما يوجبه الحكمة ويدل على الوحدانية قال الامام الهدى ابو منصور رضي الله عنه ثم لم يفهم
احد من قوله بناها ما يفهم من البناء المضاف الى الخلق ولا فهم من الرفع ما يفهم من الرفع المضاف
اليهم ولا فهم من قوله والارض بعد ذلك دحاها ما يفهم من البسط المعروف المنسوب الى الخلق
فما بال بعض الناس فهموا من المجيء الذي اضيف الى الله تعالى ما فهموا من المجيء الذي يضاف الى الخلق
فلولا انه حلت بهم جملتهم على ان يفهموا منه المعنى المكروه والا لم ينصرفوا وهمهم الى مثل ذلك
وقوله عز وجل اغطش ليلها قيل اظلم واخرج ضحاها نفى ظلام الليل واخراج الضحى ما ينفي عن منكري
البعث الشبه التي تعترض لهم وذلك انه يطش في ساعة لطيفة ويغشى ظلمتها كل شيء ثم تلفها
في ادنى وهلة ونفيها كانها لم يكن ثم يعيدها بعد ما بلغها حتى لو اراد احد ان يميز بين الاولى والثانية
لم يقدر عليه بل وقع عنده ان الاولى هي الثاني والثانية هي الاولى وهذا بعد ما تلفت الظلمة الاولى
وذهبت كلها حتى لم يبق منهما اثر فلان فلان يكون قادرا على اعادتهم خلقا جديدا بعد افناهم
وقد بقي من اثار الخلق الاول بعضه اولى ثم اضاف ذلك الى السماء لان بدوها يظهر من عندها
وقوله عز وجل والارض بعد ذلك دحاها قالوا بسطها فمنهم من يقول خلقها مجتمعة ثم بسطها
بعد ما خلق السموات الا ترى انه قوله دحاها ولم يقل خلقها ومنهم من ذكر انه خلق سماء الدنيا
اولا ثم خلق الارضين بعد ذلك ثم خلق السموات الست من بعد ومنهم من ذكر انها كانت قبل
ان يبسط تحت البيت المقدس ثم بسطها بعد ذلك قال ابو بكر هذا لا يحتمل لانه لا يجوز ان يكون
بجملتها وسعتها تحت بيت المقدس والله اعلم ولكن معناه عندنا ان كان على ما قالوا منصرف
الى الجوهر اي الجوهر الذي خلق منه الارض كان هنالك لا ان كانت بجملتها تحته كما خلق هذا الانسان
من النطفة وان لم يكن بكليته في النطفة وخلق من التراب وان لم يكن بكليته على ما هو عليه في
التراب وكان معناه انه خلقه من ذلك الجوهر فعلى ذلك الحكم فيما ذكره ومنهم من زعم
ان خلقهما كان معا وذكر عن الحسن ان الارضين خلقت قبل السماء بقوله هو الذي خلق
لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن وقال في موضع اخر ثم استوى الى السماء وهي
دخان وقال اسم السماء لما ارتفع من الشيء كما يقال للسقف سماء لارتفاعه عن الانسان
وقوله عز وجل اخرج منها ماءها ومرعاها فذكر ما انشاه لنا للنعم وما اخرج منها للانعام
لتذكير النعم ايضا ليشكره ويحمله عليه ان الدواب خلقت لنا فما رجع الينا نفعها فهي راجعة الينا اذ بها
ما يصل الى الانتفاع بالدواب وقوله عز وجل والجبال ارساها اثبتها لئلا تميد باهلها وقوله عز وجل
متاعا لكم ولانعامكم ففيه ان ما جعله متاعا لنا قد جعل شيئا من ذلك للدواب ايضا والذي جعله للانعام
لم يجعل لنا فيه شركا وذلك لان الذي انشاه لمتاع البشر منه ما يستخبث ويستقذر ومنه ما يستطاب ويلذ
فجعل ما طاب منه للبشر وما خبث منه لمنافع الدواب والذي انشاه لمنافع الدواب مما يستخبثه الطباع
ويستقذره ففضل اغذيتنا من فضل منازلهم ففيما ذكرنا دلالة اباحة التناول من الطيبات ان الله

في كيفية خلق الارض

تعالى

تعالى من على عباده ان جعل اغذيتهم بما طاب من الاشياء وفضلهم على الانعام فمن كره ذلك
فقد كره ما لا انتفاع بما انشئ للانتفاع والله اعلم وقوله عز وجل فاذا جاءت الطامة الكبرى قال
الطامة هي الصيحة سميت طامة لانها تطم الاشياء وتعمها وسميت كبرى لانها ان طمت بالعذاب
فهو يدوم ولا ينقطع وان احاطت بالثواب والكرامة فهو يدوم ولا ينقطع فسميت كبرى
لدوامها وقوله يوم يتذكر الانسان ما سعى ما عمل وتذكره يكون بوجهين احدهما بقراءة كتابه
كقوله تعالى اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والتذكر الثاني يكون بالجزاء فالتذكر الاول
يكون باللطف من الله تعالى وان لا فالمرء قد يكتسب اشياء ثم ينساه اذا طالت المدة ولا يتذكر بالقراءة
فيعرف به صدق ما كتبه الملائكة ويعرف انه اذ عوقب عوقب جزاء ما كسبت يداه ويكون الجزاء
ابلغ في التذكر في ذلك الوقت وقوله عز وجل وبرزت الجحيم لمن يرى وقرئ لمن ترى فتضيف الرؤية
الى الجحيم كقوله اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقوله لمن يرى جائز ان يكون
الرؤية كناية عن الحضور والدخول فيكون قوله لمن يرى اي لمن يدخلها ويحضرها وهو كقوله
ان رحمة الله قريب من المحسنين ومعناه ان رحمة الله للمحسنين وقال تعالى ولا تقربا هذه الشجرة واريد
بالقرب التناول فكنى عنه بالقرب فجائز ان يكون الرؤية هاهنا كناية عن الدخول والحضور فيكون
فيه اخبار عن احاطة العذاب بجميع ابدانهم وجائز ان يكون اهل الرؤية هم اهل الجنة فيرونها
مشاهدة فيتلذذون بذلك لما نجوا وفازوا بالنعم كما تالم وابذكرها عندما كانت غائبة لا يرونها
قال الله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقالوا انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين فمن الله علينا الاية وقوله عز وجل فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا اي عصى وتمرد وطغى
بانعم الله تعالى فاستعملها في معاصيه او جاوز حدود الله وقوله عز وجل واثر الحيوة الدنيا فجائز ان
يكون ايثاره ان يبتغي بمحاسنه الحيوة الدنيا حتى انساه ذلك عن الاخرة واذا ابتغى بها الحيوة
الدنيا لم يبق له في الاخرة نصيب لانه قد وفي له عمله الا ترى الى قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وقوله عز وجل فان الجحيم هي الماوى اي ماويها وقوله واما
من خاف مقام ربه فجائز ان يكون اريد بالمقام حساب ربه او مقامه عند ربه فاضيف الى الله تعالى
لان البعث مضاف اليه فكل احواله اضيف اليه ايضا وجائز ان يكون الخوف راجعا الى الحالة
التي هو فيها فيخاف ان يكون مقامه في موضع نهى الله تعالى عن المقام فيه وقوله عز وجل ونهى
النفس عن الهوى فليس هذا نهي قول وانما نهيه اياها ان يكفها عن شهواتها ولذاتها ويكفها
ان يشعرها عذاب الاخرة ويخوفها الامها وعقابها فاذا فعل ذلك سهل عليها ترك الشهوات
الحاضرة وسهل عليها العمل للاخرة والناس في نهي النفس عن هواها على ضربين فمنهم من يقهرها
فلا يعطيها شهواتها فهو ابدا في جهد وعناء ومنهم من يذكرها العواقب ويريها ما اعد لاهل
الطاعة ويعلمها ما يحل بالظلمة فيصير ذلك لها كالعيان فيختار لذات الاخرة على لذات الدنيا
اذ ذلك ادوم وهو الذي يسهل عليه العمل للاخرة والهوى هو ميل النفس الى شهواتها ولذاتها
ففيه ان الانفس جبلت على حب الشهوات والميل اليها ولا ينتهي عن ذلك الا بما ذكرنا وقوله
عز وجل يسئلونك عن الساعة وهي القيامة سميت ساعة اما لخفة امرها على من اليه تدبيرها او سميت
ساعة لسرعة كونها اذا اتى وقتها او سميت لقربها الى الحالة التي كانوا عليها كقوله تعالى اتى امر الله
ثم كان هذا السؤال من المؤمنين فهو سؤال استرشاد كانه لما قيل لهم اذا السماء انفطرت
واذا السماء انشقت قالوا متى يكون الساعة فنزلت هذه الاية وجائز ان يكون السؤال
من الكفرة لما ذكرنا انه ليس في تبيين وقتها كثير منفعة حتى تقع الحاجة للمسلمين الى تبيينه
بالسؤال فيسالونه سؤال استهزاء واستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم ويسالونه
استعجالا لها بقوله يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها فكانوا يسالونه عن متى يعلمون ان
هم متعنتون في السؤال قصدا منهم والتلبيس على الضعفة والاتباع لانهم كانوا يعلمون
ان ذلك الوقت ليس هو وقت مجيء الساعة فاذا طلبوا الاستعجال علموا انه لا يتهيا له
ان يريهم في ذلك الوقت اذ ذلك يخرج خلاف الوعد فيحتجون على الضعفة انه لو كان صادقا
في مقالته ان الساعة تكون لكان متى طلبوا مجيئها ياتيهم بها وقوله عز وجل فيم انت من ذكراها
اي لست انت من علمها في شيء هذا يثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلع عليها وقوله
عز وجل الى ربك منتهاها اي ينتهي اليها علمها فيكون هذا نهي السائلين عن العود الى السؤال
وقوله عز وجل انما انت منذر من يخشاها فهو صلى الله عليه وسلم كان منذرا للعالمين جملة
بقوله ليكون للعالمين نذيرا لكنه ينتفع بانذاره من يخشى الانذار وقوله عز وجل كانهم
يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال اهل التاويل في هذه الاية انهم اذا راوا الساعة

استقصر واهذه الايام وقلت الدنيا في قلوبهم حتى ما تمنوا الاخرة وجائز ان يكون تاويله
لو ادو والساعة للحالة التي هم فيها لم يلبثوا فيها الا عشية او ضحيها فلا يقع ذلك موقع التهويل والتخويف والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى ذكر الحسن ان تعبس الوجه والتولي
كانا بنفس النبي على ظاهر الاية فانه ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده من عظماء المشركين
يعظهم ويدعوهما الى الاسلام فلما جاءه ابن ام مكتوم مسلما له اعرض عنه لمكان اولئك القوم
وعبس وجهه رجاء اسلامهم وذكر غيره من اهل التفسير انه عبس وتولى لما سأله ابن ام مكتوم
عما فيه رشده وهداه فعبس وجه بقطعه الحديث عليه ثم هذا التعبس من عليه الصلوة والسلام
كان في امر لو الناس يحمدون ذلك بخيرات اهل الارض لرجح على خيراتهم ومحاسنهم لانه ذكر انه
يقبل على رؤساء الكفرة يعظهم ثم ويحرضهم على الاسلام رجاء ان يسلموا فيكون في اسلامهم
رجاء اسلام كثير من القوم لانهم كانوا من علية القوم وعظمائهم فكان في اسلامهم رجاء
اسلام من يتبعهم من قومهم فيستوجب باسلامهم من جزيل الثواب وعظم المنزلة ما لا
يبلغه احد بجميع محاسنه فكان في سؤاله اياه منع ما قصد اليه من احراز جزيل الثواب وكريم
الخصال واذا كان هكذا فتعبس الوجه مثل هذا الحال امر سهل لا يستبعد ولا يستنكر والثاني ان
تعبس الوجه على الاعمى والاعراض عنه لا يظهر للاعمى لانه لا يراه فلا يعد جفا وكان في اقباله
على اولئك القوم وحسن صحبته اياهم رجاء الاسلام منهم اذا اقبل له وحسن صحبته
تطلبهم لهم وفي الاعراض عنهم ذهاب ذلك الرجاء وابداء الجفاء اياهم ومن تول الوجه
الذي فيه اتقاء الجفاء والدعاء من الروي الى الهدى وصلاح الدين فهو محمود عند ذوي
الاحلام والنهي ولان الاقبال على القوم اذا كان لمكان دعائهم الى الاسلام وقد امرنا بدعاء
الكفرة الى الاسلام وان في دعائهم تلاف انفسنا واموالنا فلا ان يتوع الدعاء من وجه
ليس فيه الا تعبس الوجه اولى واحد من لسلمنا ولى ولكن النبي صلى الله عليه وسلم وجد مثل
هذا النوع من الاختيار احتبها داود وارثا والانبيا عليهم الصلوة والسلام قد جاءهم العتاب
من الله تعالى بما علمهم امورا لم يسبق من الله تعالى لهم الاذن في ذلك وان كان الذي تعاطوه
من الامور امورا محمودة في تدبير الخلق نحو ما عوتب يونس عليه السلام وعوتب بمفارقة قومه
بغير اذن وان كان ان مثل ذلك المفارقة لو وجد من واحد من اهل الارض استوجب بها الحمد و
حسن الثناء لان تلك المفارقة لا تخلو من احدى الامور ثلاثة احدها ان قومه كانوا اهل
كفر وكانوا له اعداء في الدين ففارقهم ليتجوا منهم ويسلم له دينه ومثل هذا لو وجد من
غير الانبياء عليهم الصلوة والسلام عد ذلك من افضل شمائله والثاني ان من مفارقته من بين
اظهرهم تخويف لهم وتهويل لان القوم من قبل كان لا يفارقهم نبيهم من بين اظهرهم
الا وقت ما يريد ان ينزل بهم العذاب فكان في مفارقته اياهم تخويفهم وتهويلهم فيدعوهم
ذلك الى الانقلاع عما هم عليه من الضلال والفزع الى الله تعالى ومن خوف اخر بامر يكون
فيه دعاؤه الى الهدى وردعه عن الضلال فقد ابلغ في النصيحة واستقام على الطريقة والثالث
انه يفارقهم ليستنصر بغيره فينصرونه عليهم ويتقوى بهم ليكون على دعائهم الى الاسلام امكن
واقدر ومن كانت مفارقته من قومه على هذه النية فليعم المفارق هو ثم عوتب مع هذا كله وذكر الله
تعالى في الكتاب قضيته للوجه الذي ذكرنا فكذلك الوجه في معاتبة نبينا محمد عليه افضل الصلوة واكمل
التحيات ومنهم من ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد الى تعبس الوجه على ابن ام مكتوم
ولا تولى عنه عمدا لذلك لكن لما قطع عليه حديثه وكان فيه قطع رجاء الاسلام اولئك القوم شق
ذلك عليه واعتراه من ذلك همّ شديد بدا اثر ذلك في وجهه لا ان كان منه ذلك على القصد ووجه اخر
ان يقال ان الله تعالى جعل في قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشفقة والرحمة على العالمين حتى
بلغ من شفقته ان كادت نفسه تذهب على من اعرض عن دين الله تعالى والايمان به حسرات عليه
وحتى قيل له لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقال ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون
وقال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وتأويله ان لا تحزن بمكانهم كل هذا الحزن فيكون
فيه تخفيف الامر عليه لا ان يكون فيه نهي عن الحزن وعن الحسرة ولذلك قال يا ايها النبي لم
تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك ومعناه والله اعلم ان لا تحمل نفسك كل هذا التحمل حتى
يمتنع عن الانتفاع بما احل الله لك للانتفاع به طلبا لمرضاتهن لا ان نهاه عن ابتغاء مرضاتهن

هذه الصفحة تجب مطالعتها

بل قد ندب

بل قد ندب الى ابتغاء مرضاتهن بقوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن
الاية فجائز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد عليه اعراض اولئك القوم عن الايمان
وكبر ذلك عليه حتى تغير لون وجهه فنزل قوله تعالى عبس وتولى تبين شدة ما اعتراه من الهم حتى
اثر ذلك في وجهه لا ان يكون فيه مذمة ومنقصة له ثم في هذه الاية فوائد احدها جواز
العمل بالاجتهاد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا النوع من العمل اجتهادا لا نصا اذ لو كان
الاذن بالتولي والتعبس سابقا لم يكن يعاتب بفعل ما قد امر به فان قيل كيف لا يدل المعاتبة على
النهي على اقدامه مثله فيحرم عليه الاجتهاد قيل له لو كان نهيا لم يكن يعود الى العمل بالاجتهاد بعد
ذلك وقد وجد منه عليه السلام العود لقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم بقوله يا ايها النبي لم
تحرم ما احل الله لك فثبت انه ليس فيه نهي وفيه ان الكافر وان كان مبجلا معظما في قومه فليس على المؤمنين
ان يعظموه ويبجلوه بل يسترذل ويستخف به وان المسلم ينبغي ان يعظم ويكرم وان كان حقيرا في اعين
الخلق وفيه اثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة نبوته واثر لم يختلق هذا الكتاب من عند نفسه
لان من يعاطي فعلا حقه الستر فهو يستره على نفسه ولا يهتك عليها الستر فلا يلزم عليه فلو لم يكن
مأمورا بتبليغ الرسالة لكان يجتهد في الستر على نفسه ولا يبديه للخلائق ولكنه كان رسولا لم يجد
من تبليغه الى الخلق بدا فبلغه كما امر وقوله وما يدريك لعله يزكى ولعل من الله تعالى واجب وقوله
يزكى اي يتزكى بعلمه ونيته وفي هذه الاية نقض ابطال قول من زعم ان جميع ما في القران وما
يدريك فهو مما لم يدره يروى ذلك عن سفيان بن عيينة رضي الله عنه وغيره لانه قد
ها هنا بقوله لعله يزكى ولعل من الله واجب واذا جعلته واجبا فقد زكاه واذا زكاه فقد
علمه النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل او يذكر فتنفعه الذكرى يحتمل وجهين احدهما
ان يكون يتذكر بتذكرك اياه فينتفع بتذكرك والثاني ان يتذكر فيما ذكرته من العواقب وما يخاف
عليه في حالته فينتفع به فيكون المنفعة في التاويل الاول بالتذكر بنفس تذكار الرسول صلى الله
تعالى عليه وسلم وفي تاويل الثاني بتذكره فيما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وقوله عز وجل اما من استغنى
اي بما اختاره وما جنت به من الدين او استغنى بالذي زين له الشيطان مما جنت به او يكون على الغناء
المعروف لان الذين اقبل عليهم بوجهه كانوا اهل ثروة وغناء فاقبل عليهم رجاء ان يسلموا فيتبعهم
اتباعهم في الاسلام اذ كانوا من رؤسائهم واجلتهم وقوله تعالى فانت له تصدى اي مقبل عليه بوجهه
وقوله وما عليك الا يزكى اي ليس عليك غير التذكار اذا اعرض عنك وعاداك لم يمكن من الحاق
ضره بك بل الله يعصمك ويدفع عنك شره وقوله عز وجل واما من جاءك يسعى وهو يخشى اي يخاف الله
تعالى ويخشاه فجائز ان يكون الخشية علة للسعي فيكون معناه ان خشيته هي التي حملته الى السعي وقد
يجوز ان يخرج الكلام مخرج العطف على جعل احدهما علة للاخر ودليلا له قال الله تعالى كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكان الاحياء الاول دليلا للاحياء الثاني في موضع
العطف والترتيب على الكلام الاول او ان يكون ابتداء فقوله جاءك يسعى وهو يخشى الله تعالى
ويخاف التبعة وحلول النقمة وقوله كلا قال الحسن معناه ان الذي فعلته من التولي عن المؤمنين
والاقبال على الكفرة ليس من حكمي وذكر ابو بكر الاصم لما نزل قوله عبس وتولى الى قوله فانت عنه
تلهى تغير وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخاف زوال الرسالة وان يمحى اسمه عنها فلما
نزل قوله كلا علم انه لم يود عن ربه حيث نهاه عن العود الى مثله وقال المفسرون كلا اي لا تعد الى
مثل هذا وقوله عز وجل انها تذكرة فجائز ان يكون هذا منصرفا الى السور كلها وجائز ان يكون
منصرفا الى هذه السورة لان فيها اثبات التوحيد واثبات الرسالة من الوجه الذي ذكرنا
ودلالة البعث واثباته ان خلق الشيء ليس على البعث فهي تذكرة لمن يذكر بها او جائز ان يكون منصرفا
الى الايات التي قبل هذا في هذه السورة وهو ان فيما تقدم في هذه السورة من الايات تثبيت رسالته
بما تقدم ذكرنا له وجائز ان يقال ان هذه تذكرة اي هذه المعاتبة تذكرة للنبي صلى الله عليه وسلم
ولجميع المؤمنين ليعرفوا من يستوجب التعظيم والتبجيل ومن يستوجب اهانته والاستخفاف
وقوله عز وجل فمن شاء ذكره جائز ان يكون معناه من شاء الله ان يذكره او ما شاء ذكره اي قد مكن كل
من التذكير والله ليس احد بممنوع ولا مجبور على الفعل فمن ترك التذكر فهو الذي ضيع ذلك حيث
اثر واختار ضده واشتغل بغيره واعرض ذكره وجائز ان يكون على تحقيق الفعل اي من تذكر به
فهو ذكر له فكنى بالمشية عن الفعل لما ذكرنا انها تقترن بالفعل ولا تزايله فيكون في ذكرها ذكر الفعل
او يكون على ارادة الفعل قبل وجوده وقوله عز وجل في صحف مكرمة قيل هو الصحف المتقدمة كقوله
ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وقوله في صحف اي في ايدي الملائكة وقوله مكرمة
اي مكرمة بما يكرمها اهل الكرامة وهم السفرة البررة او مكرمة على الله تعالى وقوله عز وجل مرفوعة

اى مرفوعة القدر مطهرة من التناقض والاختلاف ومطهرة من الاقذار والادناس وقوله عزوجل بايدى
سفرة فالسفرة الكتبة وقوله عزوجل كرام بررة اى كبرام على الله تعالى بررة فى اعمالهم كما وصفهم الله تعالى
بقوله لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقوله عزوجل قتل الانسان ما اكفره قالوا انا ولله لعن
الانسان وذكر الحسن والمعتزلة ان هذا من الله تعالى على الشتم والتسمية له بذلك واستجاز والشتم
منه والاصل اذ ليس فى الشتم الا ظهور سفه الشاتم وعبثه اذ لا ضرر يلحق بالمشتوم من جهة الشتم
على الشاتم اخاضته واما المشتوم فانما يصير مشتوما بفعله لا بشتم الشاتم وجعل الله تعالى من ان ينسب
اليه فعل السفه فلذلك قلنا انه لا يتحقق معنى الشتم فى الكلمة التى عرفت شتما بين الخلق اذا جاءت
من الله تعالى كما لا يتحقق من الكلمة التى عرفت اغتيابا فيما بين الخلق اذا جاءت من الله تعالى معنى الاغتياب
بل يحتمل ذلك على الردع والتنبيه فيكون فى ذكرها تخويف من خوطب بها وتذكير للخلق سفهه وجهله
الا ترى ان المرئى فى الشاهد قد يتكلم بما فيه هتك الستر على المخاطب ثم لا يعد ذلك منه اغتيابا اذا
قصد بروعظه وزجره عما هو ورشده الى ما فيه صلاح اخرته واولاه فكذلك الله تعالى اذا جاء منه
ما يعد شتما من غيره واغتيابا لم يلحقه وصف الشتم والغيبة اذ ذلك منه على التذكير والتنبيه للخلق
وعلى التخويف والتهويل لمن نسب اليه ذلك وقوله عزوجل ما اكفره اى ما اقبح واوحشه واشنعه لانه علم ان
جميع ما انعم به من النعم فمن الله تعالى ثم هو لم يشكر نعمه ولا طاعة فيما دعاه اليه بل وجه شكر نعمه الى من
لا ينفعه ولا يضره فى عبد من لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنه شيئا ما هذا الا غاية الفحش ونهاية القبح اوما
اوحش كفره واقبحه بما سوى بين الشكور والكفور وبين المفسد والمصلح وبين الولى والعدو والعقل يوجب التفرقة
بينهما فهو بانكاره البعث كابر عقله وعانده فما اشد كفره من هذا وصفه ثم قوله تعالى ما اكفره اى شئ
اكفره فيكون فى ذكره تعجيب لمن امن من الخلائق وتذكير لهم عن سوء من هذا فعله وسوء معاملته من ربه
وقوله عزوجل من اى شئ خلقه من نطفة فكانه قال ان الذى كفر قد علم انه خلق من نطفة وتلك النطفة موات
لا سمع فيها ولا بصر ولا عقل ولا شئ من الجوارح ثم ان الله تعالى بلطفه وعجيب حكمته دبر فيها بصرا يرى بفتحة
واحدة وهلة مسيرة خمسمائة عام وقدر فيها عقلا يرى به ملكوت السموات والارض وقدر فيها السمع
والبصر وغيرها من الجوارح افيرى ان من بلغت قدرته هذا يعجز عن احياء من اماته وعن بعثه باقل
من لحظه او يكون قوله من نطفة خلقه تعريف منه انه خلقه من نطفة ويكون فى ذكره ما ذكرنا من الفوائد
وقوله عزوجل فقدره اى سواه على وجه يكون فيه دلالة ربوبيته وشهادة وحدانيته وشهادة و
حدانيته او قدره على ما فيه صلاحه ومنفعته او قدره على نشاء من القصر والطول والدمامة و
والملاحة وغير ذلك وقوله عزوجل ثم السبيل يسره يحتمل ان يكون المراد من السبيل الدين فكانه يقول
يسر له سبيل درك ذلك السبيل الى الله تعالى على ما ذكرنا ان الدين اذا اطلق اريد به دين الله تعالى وكذلك
الكتاب المطلق يراد به كتاب الله تعالى فعلى ذلك السبيل اذا ذكر مطلقا كان منصرفا الى سبيل الله تعالى
او بين له السبل سبيل الهدى وسبيل الضلال والسبيل الذى لو سلكه نفعه والسبيل الذى
يضره او يسر له السبيل الذى علم الله انه يختاره كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى او يسر عليه سبيل
الخروج من بطن امه على ضيق ذلك الموضع وكبر جثته ليعلموا ان من بلغت قوته هذا فهو قادر على ما اراد
لا يعجز شئ ولا يخفى عليه امر وقوله عزوجل ثم اماته فاقبره ففى ذكر هذا ذكر النعم وهو ان الله تعالى جعل
لما يخبث ويتغير كنا يكن فيه فيستره عن الخلق لئلا يتعافوه ويستقذروه لم يجعل ذلك لغيرهم
وجعل لا نفسهم اذا هم تغيرت بالموت وصارت بحث ستخبث ويستقذر كنا يستر فيها ليغيب
من الخلق فلا يتأذوا بها فذكرهم هذا ليشكروا وقوله عزوجل ثم اذا شاء انشره معناه والله اعلم
كذلك اذا شاء انشر لان هذا كله اخبار فى موضع الاحتجاج فكانه قال ان الذى خلقه من نطفة وقدره
ثم اماته فاقبره فهو كذلك ينشره اذا شاء وكذلك هذا فى قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
ثم يميتكم اى ان الذى احياكم ثم اماتكم فكذلك هو الذى يحييكم وقوله تعالى كلا لما يقض ما امره فمنهم
من ذكر ان هذا الخطاب فى كل احد لا ترى انسانا قضى جميع ما عليه من الامر على حده ما امر حتى لا يغفل
عنه ولا يقتص فيه بل من الله تعالى على كل احد فى كل طرفة عين نعمة لا تتهيأ لاحد ان يقوم بكنه شكرها
حتى لا يقع منه فى ذلك جفا ولا تقصير ومنهم من يقول هذا فى الكفار خاصة لا يقضون ما امروا به
من التوحيد فان كان على هذا فهو منصرف الى ابتداء الامر وان كان على الوجه الذى فهو منصرف
الى كنه الامر ويستقيم توجيهه الى الكافر على ما ذكروا لان ايمان المؤمن له حكم التجدد فى كل وقت
مامور باجتناب الكفر فهو يجتنبه فذلك يكون واذا كان كذلك ثبت انه فى كل وقت مؤمن لما امر به
هو مجتنب عما نهى عنه فهو بايمانه راجع من الزلات فى كل حال معتقد للوفاء بما امر به لذلك كان صرفه
الى الكافر اوجه وقوله عزوجل فلينظر الانسان الى طعامه كيف قدر له حيث استعمل فيه السموات

فلينظر الانسان يرى فى نطفة خمسمائة عام فى وهلة وعقلا يرى ملكوت السموات والارض ٤٢

والارضين

والارضين والهواء والشمس والقمر والليل والنهار فاستعمال السماء فى انزال المطر منها واستعمال الهواء فى
جعلها مسلكا للمطر واستعمال الارض فى جعلها قرار المطر واخرج منها ما فيه قوامهم ومنافعهم فيكون
فى ذكر هذا فوائد احدها فى موضع التعريف للخلائق ان منشئ السموات والارضين ومنشئ الخلق والشمس
والقمر واحد لاتصال منافع بعض ببعض اذ لو لم يكن كذلك لكان لمنشئ السماء ان يمنع منافع السماء عن
خلق منشئ الارض وفيه تذكير قوته وعجيب حكمته ليعلموا انه قادر على كل ما يريد فعله لا يضعف عن ذلك
ولا يعجزه شئ لانه جمع بين منافع ما ذكرنا مع تناقضها واختلافها فى نفسها فجعلها من حيث المنافع
متسقة متفقة وجعل كل واحدة منهن كالمتصلة بالاخرى المقترنة بها مع بعد ما بينهما فمن قدر على
الاتساق بين الاشياء المختلفة وقدر على الوصل بين الاشياء عدة بعضها عن بعض لقادر وعلى احياء الاموات
والبعث وذكرهم هذا ليتبين لهم حكمته وعلمه ليعلموا انه لا يخلق عبثا ولا يتركهم سدى لا يستاذى
منهم الشكر ولا يبعثهم بل ينشئهم ويميتهم فقط فيخرج خلقه على ما فيه خروج عن الحكمة ولانه خلق البشر
على وجه يمسهم الحاجات ويمسه الشهوات وقدر الطعام على وجه اذا تناول منه دفع حاجته وسكن شهوته
ولو اراد احد ان ينبه ادراك المعنى الذى يعمل فى دفع الحاجة وتسكين الشهوة ما هو لم يصل الى تعرفه فيؤدى
تفكره الى دفع الشبه والاعتراضات التى تعتريه فى امر البعث وغيره اذا كانوا يقدرون الامور على قواهم
ويشبهونها على ما ينتهى اليه تدبيرهم فاذا وجدوا فى الطعام معانى هى خارجة من تدبيرهم وقواهم علموا ان ليس
الامر على ما قدروا فيرتفع عنهم الريب والاشكال وكذلك لو ارادوا ان يستخرجوا من الماء المعنى الذى به
صلح ان يكون به حياة الاشياء كلها مع اختلاف الاشياء وتفاوتها واختلاف طعومها والوانها لم يمكنهم
ذلك فيعلموا ان الذى بلغت حكمته هذا المبلغ قادر على ما يشاء فعال لما يريد ويكون فى النظر فيما ذكر حاجته
وافتقاره الى غيره وتبين ان الله تعالى لم ينشئ الخلق لحاجته نفسه وانما خلق لحاجته البشر اليه
وقوله عزوجل انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا ليقر الماء فى شقوقها فيصل الخلق الى
الانتفاع به او شققناها بالنبات فانبتنا فيها حبا وعنبا فذكر الحب والعنب واخبر انه
انبتهما فى الارض وهما فى الحقيقة غير نابتين فى الارض ولكن اخرجهما من اصل هو نابت
فى الارض فاضاف فعلهما اليهما ليرجع لما يرجع الابتداء اليها وهو كقوله تعالى وفى السماء
رزقكم ورزقنا من السماء المطر لكن الذى هو رزقنا من الطعام وغيره انما ينبت فى الارض
ويخرج منها بالقطر من السماء فاضيف اليه فعلى ذلك اضيف الحب والعنب الى ما ذكرنا المعنى
الذى وصفنا وقوله عزوجل وقضبا والقضب هو الرطبة سميت قضبا لانها تقضب و
يقطع مرة بعد مرة وان تنونا ففى ذكر الزيتون ما ذكرنا من الفوائد وهو ان الزيتون
الين الاشياء نابت اصله فى الجبال التى هى اصلب الارض فمن قدر على اخراج الين الاشياء
عن اصلب الاشياء لقادر على الانشاء والبعث اذ من قدر على ان يخرج الين الاشياء من
اصلب الاشياء القادر على ان يلين القلوب القاسية حتى تلين بذكره تعالى وقوله
عزوجل وحدائق غلبا فالحدائق هى البساتين التى احدقت بالاشجار واحاطت بها والغلب
الغلاظ يقال رجل اغلب اذا كان غليظ الرقبة وقوم غلب الرقاب اى غلاظ وقالوا ايضا
الغلب الاشجار الكثيفة الطويلة وقوله عزوجل وفاكهة وابا والاب الكلاء فيخبر انه
انشاء هذه الاشياء ليكون متاعا للخلق والانعام لا لمنافع نفسه وقوله عزوجل فاذا جاءت
الصاخة قال الحسن هى اسم القيامة يصيح لها كل شئ وبه يقول ابو بكر انه يصخ لحبسها كل
شئ اى يخشع لها ويطاطئ راسه للداعى كما قال الله تعالى مهطعين الى الداع وقال القتبى الصاخة
هى الداهية فذكر القيامة باحوال التى يكون فيها او بالافعال التى يوجد فيها على ما ذكرنا
وقال الزجاج الصاخة الصمة يصم لها الاسماع عن كل شئ الا الى ما يدعى اليها وقوله
عزوجل يوم يفر المرء من اخيه فجائز ان يكون هذا على تحقيق الفرار وجائز ان لا يكون
على التحقيق ولكن وصف بالفرار لما يوجد منه المعنى الذى يوجد من الفار قال الله تعالى
فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون والوجه فيه ان الاقرباء من
شانهم اذا اجتمعوا استانس بعضهم ببعض وانسوا بالاجتماع واذا غابوا سالوا عن
احوالهم واهتموا لذلك ثم هم فى ذلك اليوم يدعون السؤال عند الغيبة والاستبشار
عند الحضور حتى كانه لا انساب بينهم لا ان يكون بينهم فى الحقيقة نسب ولكن ما حل بكل
واحد من الاهتمام يشغله عن السؤال بحاله والاستبشار برؤيته حتى يصير كالفرار لو
قوع المعنى الذى يوجد من الفار لا على تحقيق الفرار لانه قال لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه فما يحل من الشان يمنعه عن الفرار من نفسه وعن اقربائه او يكون على حقيقة
الفرار وذلك ان الاقرباء لا يوجد منهم القيام بوفاء جملة ما عليهم من الحقوق

حتى لا يوجد منهم التقصير فيخافون في ذلك اليوم ان يؤاخذوا بذلك فيحملهم على الفرار ويفر كل منهم عن تحمل ثقل الاوباء كما قال وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقد كانوا ائتمروا ونوا في الدنيا في تحمل الاثقال فيخبر انهم لا يتماوفون في ذلك اليوم بل يفرون ثم جائز ان يكون هذا في الكفرة واما اهل الاسلام فانه يجوز ان يبقى بينهم حقوق القرابة كما ابقيت المودة فيما بين الاخلاء بقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وان كان في المسلمين والكفرة جميعا فجائز ان يكون الفرار في بعض الاحوال وذلك في الوقت الذي لم يتفرغ عن شغل نفسه فاما اذا امن وجاءته البشارة فهو يقوم بشفاعته يسال عن احواله ولا يفر منه وقوله عز وجل لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قالوا افضى الى كل انسان ما يشغله عن غيره وقوله عز وجل وجوه يومئذ مسفرة اي مضيئة او باضة ناعمة مشرقة فيكون فيه اخبار عما هم فيه من النعيم حتى يظهر ذلك في وجوههم وقوله عز وجل ضاحكة مستبشرة اي مسرورة بنعيم الله تعالى الذي انعم عليهم مستبشرة برضاء الله عنها وقوله عز وجل ووجوه يومئذ عليها غبرة قالوا هذا اول تغير يظهر في وجوههم كانما علاها الغبار ثم تسود ثم تطمس وترد على ادبارها كما قال من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها وقوله عز وجل ترهقها قترة قال ابو بكر ترهقها قترة اي تغشاها الذلة او يعلوها ثم تتلون كانما علاها الغبار ثم تسود على ما ذكرنا وقوله عز وجل اولئك هم الكفرة الفجرة اي الكفرة بانعم الله تعالى الفجرة المائلة عن الحقوق والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا الشمس كورت هذا ليس بابتداء خطاب ولكنه جواب عن سؤال تقدم فيشبه ان يكون السؤال عن وقت لقاء الانفس الاعمال فنزل قوله اذا الشمس كورت اشارة الى احوال ذلك الوقت واثارها على ما يذكر المعنى الذي له وقع لتبيين الاحوال دون تبيين الوقت وكذلك سورة اذا السماء انفطرت واختلف في قوله تعالى كورت قال بعضهم هي فارسية معربة عورت وقال بعضهم كورت اي ذهب ضوؤها يقال كور الليل على النهار اي اذهب نوره وضياءه فالتكوير تغطية لون الشيء عن الابصار فقيل كورت الشمس اي حبس ضوؤها على الابصار بالطمس فيكون فيه انباء الله يطمس ظاهرها ثم يرد التغير في نفسها فيتلف ويتلاشى ومنه يقال كور العمامة اذا لفها على راسه فيعطر [illegible] وقوله تعالى واذا النجوم انكدرت تناثرت وتساقطت وهو كقوله واذا الكواكب انتثرت وقيل ذهب ضوؤها فكان يذهب ضوؤها اولا ثم تتناثر بعد ذلك وقوله عز وجل واذا الجبال سيرت اي قلعت عن اماكنها وسيرت كما قال في اية اخرى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وهي اذا قلعت تكثرت حتى تتبين للناظر سيرها لكثرتها فتحسبها جامدة وهي تسير فهذا اول تغير يظهر فيها ثم يصير كثيبا مهيلا ثم كالعهن المنفوش ثم هباء منثورا الى ان تتلاشى وتتلف وقوله عز وجل واذا العشار عطلت فالعشار هي النوق الحوامل التي اتى على حملها عشرة اشهر وهي من انفس الاموال عند اهلها فيخبر ان اربابها يعطلونها في ذلك اليوم ولا يلتفتون اليها لشغلهم بانفسهم في ذلك وهو كما قال يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت الى قوله وترى الناس سكارى الاية وقوله عز وجل واذا الوحوش حشرت قيل جمعت وهو يحتمل وجهين احدهما ان يجمع كلها فيتلف ويهلك والثاني ان يحشر ان يحييها بعد موتها فيصنع الله تعالى فيها ما شاء فيكون في هذا اخبار عن عظم تلك اليوم حتى يؤثر الهول في الوحوش والشمس والقمر والسموات وقوله واذا البحار سجرت قيل فجرت وسنذكر تاويل التفجر فيما بعد ان شاء الله تعالى وقوله عز وجل واذا النفوس زوجت قيل قرنت ثم اختلف في معنى القران فقال بعضهم قرن زوجها اليها وقال بعضهم يقرن كل باهل شيعته فيقرن الكفرة بالشياطين واهل الشراب باهل الشراب واهل الزنا باهل الزنا وقال الله عز وجل ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين الى قوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ففي هذا اخبار ان المعذب منهم اذا راى عدوه يعذب عذابه ويكون في العذاب الذي هو فيه لم يتسل بذلك شيئا ولم ينل به راحة وان كان المرء في الدنيا اذا راى عدوه يعذب عذابه يتسلى بذلك وقوله واذا الموؤدة سئلت وقرئ بعضهم اذا الموؤدة سالت وهذا هو الظاهر ان يكون هي السائلة اي يسال اباهم باي ذنب قتلت وتقول باي ذنب قتلتموني وكانت العرب يدفنون بناتهم يقال واد اي دفنه ثم القراءة المعروفة سئلت فهي يحتمل وجها ثلاثة

احدها ذكره ابو عبيدة وقال ان قاتلها يسال باي ذنب قتلت الموؤدة ويحتمل ان يسال الموؤدة عند حضرة الذين وادوها باي ذنب قتلت يراد بالسؤال التخويف وتهويل الذين وادوها لا سؤال استخبار واستفهام وهو كقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وليس يسال عن هذا سؤال استخبار واستفهام ولكن يسال سؤال تخويف وتهويل لمن ادعى ان عيسى عليه السلام هو الذي امرهم ان يتخذوه وامه الهين من دون الله وجائز ان يسال الموؤدة ان تدعي ولا تدعي وما الذي تدعي عليهم فيبدا بها بالسؤال كما يرى المدعي في الشاهد هو الذي يبدا بالسؤال فيقال له ما تدعي على هذا فتقول باي ذنب قتلت كانها اذا سئلت عن الذي ادعت وقالت باي ذنب قتلت والله اعلم وقوله عز وجل واذا الصحف نشرت اي الكتب نشرت للحساب وهي التي فيها اعمال ابن ادم وقت ما يدفع اليها بايمانهم وبشمائلهم وقوله عز وجل واذا السماء كشطت قيل قشرت وذلك ان تتناثر النجوم وتطمس الشمس فيطوى كطي السجل للكتب وقيل كشفت بكشف السماء كما يكشف الغطاء عن الشيء ويقال كشطت اي قلعت كما يقلع السقف وقوله عز وجل واذا الجحيم سعرت يحتمل وجهين احدهما ان تحدث تسعيرها فيكون فيه علم الحدث وكذلك في قوله تعالى واذا البحار سجرت يحتمل ان يبتدا تسجيرها ولما سجر من قبل وجائز ان يراد التسجير والتسعير على ما كان من قبل لقوله وقودها الناس والحجارة وقد كان وقودها بغير هذين ثم يراد في وقودها بالناس والحجارة وقوله عز وجل واذا الجنة ازلفت قيل قربت فاضيف اليها التقريب لان اهلها اذا قربوا اليها فقد قربت هي اليهم وقوله عز وجل علمت نفس ما احضرت من خير او شر كقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية ويعلم ما احضرتها الملائكة الذين كتبوا عليها وقوله عز وجل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الاشياء التي وقع بها القسم تقتضي احكاما ثلاثة احدها ما من شيء خلقه الله تعالى الا وفيه دليل وحدانيته واثر ربوبيته اذا انعم النظر فيه وثبت علمه وحكمته ويدل على قدرته وسلطانه وفي تثبيت القدرة والسلطان ايجاب القول بالبعث وايجاب القول بالرسل ونهي عن عبادة غير الله فلو انعموا النظر فيها وتفكروا في امرها اداهم ذلك الى القول بالبعث ودعاهم الى وحدانية الرب والاقرار بالرسل فلا يدعون ان معه الهة اخرى ولا كانوا ينكرون البعث ولا يكذبون الرسول فاقسم بهذه الاشياء على التاكيد لحججه ليعلموا انه رسول من عنده وان القران من عنده وان الامر من عنده او الرسول من عنده او يكون القسم تلقينا من الله تعالى لرسوله بان يقسم لهم بهذه الاشياء ليزيل عنهم الشبهة والشكوك التي اعترضت للكفرة في امره صلى الله عليه وسلم ويدعوهم الى النظر في حججه واياته ثم القسم بما لطف من الاشياء ورق وبما كثف وغلظ وبما كبر وصغر وبما ظهر وخفي يتفق كلها في ازالة الشبهة واثبات التوحيد والرسالة والبعث بل لا يحوج بيرفيما لطف من الاشياء اعظم منها بما كثف وغلظ فاقسم مرة بالكواكب ومرة بظلمة الليل وما يضيء وبما شاء من خلقه ان الخلائق كلها في الشهادة على وحدانيته واثبات ربوبيته واثبات علمه وقدرته وسلطانه متفقة ولان ما لطف من الاشياء وخفي منها يتصل بما ظهر منها فيتضمن ذكر ما خفي منها واستتر ذكر ما ظهر منها وفي ذكر ما ظهر منها ذكر منشئها فيكون القسم في الحقيقة بالله تعالى ثم اختلف في الخنس والكنس هي النجوم التي يطلعن في مطالعها وتغيبن في مغاربها والكنس هي النجوم التي يطلعن في مطالعها ثم يكنسن ويختفين الى ان يعدن الى مطالعهن فيطلعن في مطالعها ثم يكنسن ويختفين الى ان يعدن الى مطالعهن وقيل الخنس الجوار الكنس هي خمس كواكب لهن مجاري في السماء يظهرن بالليل ويسترن بالنهار وسائر الكواكب ثوابت ثم قيل الخنوس والكنوس واحد وهو الاختفاء والغروب في مغاربها والدخول فيها وقيل الكنوس الاختفاء والخنوس التاخر وكذا قال الفراء النجوم الخمسة تخنس في مجراها وترجع وفي حديث كعب فيخنس بهم النار كما تخنس النجوم الخنس اي تحيد بهم وتتاخر والله اعلم وعن ابن مسعود رضي الله انه قال الوحوش اللاتي تخنس من الانس وتكنس في مكانهن وانما كان فهي كلها دالة على الوجوه التي ذكرنا وقوله عز وجل والليل اذا عسعس قيل اذا اقبل وقيل واذا اقبل واذا ادبر وفي قوله والصبح اذا تنفس اذا انفجر واذا ارتفع واقبال الليل واقبال النهار يثبت القدرة والسلطان وذلك ان ظلمة الليل اذا غشيت سترت عن وجوه الاشياء وكشف عنها الستر لو اراد احد ان يغطي الاشياء كلها بالحيل والاسباب لم يتمكن منها ولو اراد نزع الغطاء عنهم لم يملك فذكرهم هذا ليعلموا ان من بلغت قدرته هذا لا يعجزه امر ولا يتعذر عليه البعث بل هو قادر على احيائهم وبعثهم وقوله انه لقول رسول كريم لموضع القسم على هذا وعلى قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ثم تلا وبل قوله انه لقول رسول كريم اي هذا الذي اتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم

خاتفاه عن رسول كريم على ربه وهو جبرائيل عليه الصلوة والسلام ثم نسب ما هنا الى الرسول لما سمع منه
ولم يكن من قبل وقال في اية اخرى حتى يسمع كلام الله فسماه كلام الله على الموافقه اولما ان ابتداه
يرجع اليه لا ان يكون المسموع كلامه كما يقال هذا قول ابي حنيفة رحمة الله وهذا قول فلان
الشاعر وليس الذي سمعته قول من نسب اليه ولكن نسب اليه لان ابتداءه يرجع اليه فكذلك
سمي كلام الله لانه يدل على كلامه ولما يرجع اليه ابتداوه لا ان يكون نفس كلامه وقوله عز وجل
ذي قوة عند ذي العرش مكين وفي وصفه بالقوة فائدتان احديهما ما ذكرنا ان فيه
بيان الا من تغيير يقع فيه من الاعداء من الجن والانس والشياطين والانس يعجز عنهم بقوته
فلا يتمكنون منه حتى يغيروه ويبدلوه ووصفه بالامانة في نفسه ليؤمن الخلق نا حيته
او وصفه بالقوة على التخويف والتخذير للذين عادوا محمدا صلى الله عليه السلام فيخبرهم
ان معه من يدفع عنه شرهم وكيدهم ان هموا ذلك به وروي ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لجبرائيل عليه السلام ان الله تعالى وصفك بالقوة فما اثر قوتك فقال لما امرني
الله تعالى باهلاك قوم لوط فقلعت قرياتهم ورفعتها بجناح واحد الى السماء ثم قلبتها وليس
بنا الى تعرف قوته حاجة وانما بنا الحاجة الى ان يعرف ما المعنى والحكمة في ذكر قوته وقوله عز
وجل عند ذي العرش مكين فان كان المراد من العرش الملك فمعناه عند ذي الملك مكين اي
ذو قدرة ومنزلة وقيل العرش السرير فان كان كذلك فتاويله انه مكين عنده من سرير الملك
وقوله عز وجل مطاع ثم امين قيل ان جبرائيل عليه السلام رسول الى الملائكة كما هو رسول الى
الناس فان كان كذلك ففيه اخبار ان الملائكة الذين يعبدها بعض الكفرة يطيعون جبرائيل
عليه السلام فيما يامرهم ويدينها هم فما بالهم يتركون طاعته والايتمار بامره وقوله عز
وجل ثم امين اي هم ثم يأتمنونه ولا يتهمونه في شيء مما يجيء به اليهم فكيف يتهمه هؤلاء فيما
ياتي الى الرسول من الوحي وقوله وما صاحبكم بمجنون فمنهم من يقول بان الكفرة نسبوه الى
المجنون حين راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل على صورته فغشي عليه وكان يتغير في كل
مرة ياتي به جبرائيل عليه السلام الوحي لونه وجهه فينسبونه الى الجنون لهذا ومنهم من يقول انما نسبوه
الى الجنون لانه اظهر المخالفة لاهل الارض وكان في اهل الارض الجبابرة والفراعنة الذين
من عادتهم القتل والتعذيب لمن اظهر الخلاف لهم فكان ذلك منه مخاطرة بنفسه
وروحه حيث انتصب لمعاداة من لا طاقة له بهم ومن قام بخلاف من لا طاقة له به وانتصب
لمعاداته فذلك منه حمق وجنون في الشاهد فنسبوه الى الجنون لهذا ومنهم من ذكر انهم
انهم لم ينسبوه الى الجنون لما ذكرنا ولكن شدة سفههم هو الذي حملهم على هذا فنسبوه الى
الجنون مرة والى انه ساحر اخرى ومرة قالوا علمه بشر ومرة قالوا ان هذا الا اختلاق فكانوا ينسبونه
الى كل ما ذكرنا لا عن بحث منهم في حاله ولكن على السفه والعناد الا ترى انهم ينسبونه الى الجنون
مرة الى السحر ثانيا وهما امران متناقضان لان الساحر هو الذي يبلغ في العلم غايته والجنون
هو النهاية في الجهل ولو كانوا يقولون عن بحث وتدبر لكانوا لا ياتون بالمختلف من القول
فيظهر جهلهم لمن يريدون صده عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم بل كانوا يتفقون على كلمة
واحدة فيصدر واعنها حتى يقع التلبيس منهم موقعه فيصلون الى مرادهم من صد الناس
عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك فيما زعموا انه علمه بشر وانه افك افتراه انوا بالمختلف
من القول لان اختلافه وافتراءه تثبت انه عالم بنفسه مستغنى عنه تعليم غيره وحاجته
الى ان يتعلم من غيره تثبت عجزه وجهله عن الاختلاف بنفسه فهذا كله يدل على انهم
لم ينسبوه الى الجنون لاعلام ظهرت لهم ولكنهم قذفوه بكل ما حضرهم سفها منهم
وعنادا ثم ان كانوا نسبوه الى الجنون لما غشي عليه عند ما راى جبرائيل عليه السلام على
صورته فقد اتاهم بما لو تفكروا فيه لعلموا انه ليس بصاحبهم جنة كما قال الله تعالى قل انما اعظكم
ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة وذلك انهم اتاهم بحكمة اعجز
حكماء الانس والجن اتيان مثله واتاهم بكتاب عجزوا عن اتيان مثله فلو تفكروا فيه لعلموا انه
ليس من فعل المجانين ولا من علومهم ولكنه من عند الله اكرمه به وان كانوا نسبوه
الى الجنون لما خاطر بروحه فهم يجد الله تعالى لم يتهيا لهم ان يمكروا به ولا ان يقتلوه
بل اظفره الله عليهم واظهره على الدين كله فصار ذلك الوجه الذي به ينسبونه الى
الجنون اية رسالته وعلم نبوته وقوله عز وجل ولقد راه بالافق المبين قال الحسن
انه صلى الله عليه وسلم راى ربه بقلبه اي عظمته وسلطانه من وجه لا يقع به تشابه
وخص بالافق لانه من الافق ينزل البركات وتنزل الملائكة وانواع الخير كلها والمراد

وفي قوة جبرائيل
عليه السلام

من ذلك

من ذلك الاماكن كلها وغيره من اهل التفسير صرف الرؤية الى جبرائيل عليه السلام وذكر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل عليه السلام ان يريه على صورته فقال له جبرائيل
عليه السلام ان الارض لا يسعني ولكن اذا اصليت الفجر فانظر الى افق السماء فهنالك تراني
ففعل فراه على صورته فشهد نا منه فكان قاب قوسين او ادنى فذكر الافق لان الشيء من
البعد لا يتهيأ ان يرى من اقطار الارض لذلك خصت الافق لان الشيء اذ كذلك يقع رؤيته
ما بعد والله اعلم وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين وقرئ بظنين قال ابو عبيد والظنين
لان هو المتهم والضنين البخيل ولم ينسب احد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البخل بهذه
الاية وقد كانوا ينسبونه على الغيب وهو القران فكانوا يقولون علمه بشر وليس من عند الله
ويقولون ايضا ان هذا الا افك افتراه فبرأه الله تعالى مما قالوا بقوله وما هو على الغيب بظنين
ومن قرأ بالضاد فهو يحتمل وجها ما ذكره ابو بكر الاصم وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن
بضنين بشيء علمه الله تعالى عن احد من اصحابه كما يفعله غيره من العلماء لان العلماء لا يريدون
ان يعلموا من اختلف اليهم كل ما عندهم من العلوم حتى يستغني عنهم ورسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يود ان يعلمهم جميع ما علم من العلوم اصحابه فكان يقوم على تعليم كل منهم
بقدر طاقته ولم يكن يمتنع عن التعليم بخلا منه وضنا وجائز ان يكون براه الله تعالى من
هذا لما علم انه يكون في امة محمد صلى الله عليه وسلم من يزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خص بعض اصحابه بتعليم اشياء لم يطلع عليها غيرهم وتخصيص بعض دون بعض بتعليم
ما عنده بخل في الشاهد فكان في قوله وما هو على الغيب بضنين تكذيب اولئك الذين يدعون
هذا وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صوموا لرؤيته فكانه قال هذا لما علم
انه يكون في امته من يتقدم الشهر بالصيام فقال هذا ليتعرف خطاء من يتقدم من الشهر بالصيام
على الخطا والجهالة ليس على صا بر الحق فعلى ذلك الحكم فيما ذكرنا ثم صرف وانا وبل الغيب الى القران
وهو عندنا في القران وفي غيره من الاشياء التي اطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عليه
وجائز ان يكون الضن منصرفا الى الشفاعة التي اكرم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بها فهو لا يخص بعض امته دون بعض بالشفاعة بل يعمهم جميعا فيكون في هذا تحريضا على
الاتباع له والانقياد لطاعته ويحتمل وجها اخر وهو انه ليس بضنين في اداء شكر ما انعم
الله تعالى عليه حيث غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اجتهد في اداء شكره حتى ذكر انه
تورمت قدماه من طول القيام فقيل له لم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال
افلا اكون عبدا شكورا وقوله عز وجل وما هو بقول شيطان رجيم يحتمل وجهين احدهما ان
النبي صلى الله عليه وسلم ليس من شياطين الانس ولا بمجنون كما ذكرتم بل هو رسول كريم اولا
اتاكم به من القران لم يتلق من الشياطين ولا هو من قبلهم كما تلقته الكهنة والسحرة من اقوالهم
بل هو ذكر من الله تعالى للعالمين انزل الله الروح الامين القوي الذي لا يصل اليه الشيطان فيغير
ويبدل له وقوله عز وجل فاين تذهبون اي فاين تذهبون عن طاعته واتباعه والانقياد له
وقد اتاكم ما يلزمكم طاعته واتباعه وقوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين اي عظة للعالمين يذكرهم
بما يحق عليهم في حالهم ويبين لهم ما يؤتى وما يتقى وما تصير اليه عواقبهم او ان يكون قوله ذكر
للعالمين اي شرف قدرهم بائمة يقتدى بهم ويختلف اليهم ليتعلم منهم والله اعلم ثم قوله
عز وجل فاين تذهبون يحتمل وجها غير ما ذكرنا احدها ان هذا القران الذي جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم تلقاه من رسول كريم على الله فاذا لم تؤمنوا به ولم تقبلوه فما ذهبتم الا الى
قول شيطان رجيم ويحتمل فاين تذهبون والى من تذهبون والى من تفزعون اذا اتاكم باس
الله عز وجل ونقمته اذا لم تؤمنوا بالله تعالى وانكرتم البعث ولم تصدقوا الرسول صلى الله عليه
وسلم فيما اخبركم به فاذا حل بكم ما انذركم به فالى من تلجؤن وهو كقوله تعالى قل ارايتم ان اهلكني
الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم واذا لم يؤمنوا بالله تعالى ولم يتبعوا ما
اتاكم به محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقرر عندكم صدقه بما اتاكم من الايات المعجزة فباي
حديث بعده تؤمنون بعد ذلك وتذهبون اليه وهو كقوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون وقوله
عز وجل ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم معناه والله اعلم ان هذا القران
ذكر لمن شاء ان يستقيم من العالمين فهو في نفسه ذكر وايات وهدى ولكن ينتفع بهذا الذكر
من شاء الاستقامة ويهتدي به من طلب الهداية قال تعالى هدى للمتقين وهو في نفسه
هدى ولكن يهتدي بهداه المتقون ومن ليس بمتق فهو عمى عليه ورجس وقال انما تنذر من
اتبع الذكر وهو كان ينذر من اتبع ومن لم يتبع ولكن معناه انه ينتفع بالذي ينذر به من

حتى قاب قوسين الكلفة
الفجر

حكماء الانس والجن عجزوا
عن الاتيان مثل القران

شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم
يعم جميع امته اللهم ارزقنا
بفضلك

الكهنة والسحرة يتلقون من اقوال
الشياطين

اتبع الذكر قال ايات لاولى الابصار وهي في انفسهم ايات ولكن ينتفع باياته اولوا الابصار قوله
عز وجل لمن شاء منكم ان يستقيم فهو يحتمل وجهين احدهما ان يحمل على تحقيق المشية ويكون تاويله
ان من اراد الاستقامة على امر الله تعالى وعلى الحق فهذا الذكر وهو القران يقيمه على الحق وعلى الامر
ويهديه الى ذلك او ان هذا على تحقيق الفعل فيكون معناه من استقام منكم على الحق والامر
فهو ذكر له والاصل ان المشية وصف فعل كل مختار واذا كان هكذا صارت المشية مقترنة فاذا
فعل فقد شاء فكان في اثبات الفعل اثبات المشية لذلك استقام حمله على ما ذكرنا وهو ان يجعل
احدهما كناية عن الاخر وقوله عز وجل وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين فان كان قوله لمن
شاء منكم على تحقيق المشية فمعناه انكم لا تشاؤن الاستقامة على ما ذكرنا الا ان يشاء الله وان
كان على تحقيق الفعل فتاويله انكم ما استقمتم على الطريقة الا بمشية الله تعالى وقال بعضهم تاويله قوله
وما تشاؤن اي لم تكونوا تشاؤن انزال هذا الكتاب فانزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم
بغير مشيتكم وهذا غير محتمل عندنا لانه قد سبق من القوم الارادة والسؤال بارسال الرسول
اليهم بقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فثبت انه قد سبق
منهم السؤال بارسال الرسول وانزال الكتاب عليه ولكنه تاويله ما ذكرنا ثم في هذه الاية دلالة
ان كل من شاء الله تعالى منه الاستقامة يوجد منه الاستقامة ولا يجوز ان يشاء من احد استقامة
ولا يستقيم كما قالت المعتزلة لان الله تعالى من على من استقام بمشية استقامته فلو لم يوجد هذه
الاستقامة من كل من شاء منه الاستقامة لم يكن لامتنان معنى لان الاستقامة وغير الاستقامة يكون بارادة الله تعالى

والله المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السماء انفطرت قد ذكرنا ان هذا جواب عن سؤال
تقدم لم يبين السؤال عند ذكر الجواب لان اذا جواب عن سؤال الحتى فجائز ان يكون سؤالهم ما ذكرنا في
تمام الجواب وهو قوله علمت نفس ما قدمت واخرت فنزل قوله اذا السماء انفطرت الاية الى اخرها ثم
ذكر الانفطار ههنا وهو الشق وذكر الفتح في موضع اخر وهو قوله تعالى وفتحت السماء فكانت
ابوابا وقال في موضع اخر واذا السماء فرجت واذا السماء انشقت فمنهم من ذكر ان شقها وانفطارها
ان يفتح ابوابها ومنهم من حمله على الشق الذي يعرف من شق الاشياء وهذا اقرب لان الاية في
موضع التخويف والتهويل وليس في فتح ابوابها تخويف وانما التخويف في الشق فهاهنا لم السؤال
عن ملاقات الاعمال وعن علم الانفس بها فسؤالهم عن الساعة وفي ذكر انفطار السماء وانتثار الكواكب
وتفجير البحار وتسيير الجبال وجعل الارض قاعا صفصفا وصف احوال الساعة واثارها وليس فيه
اشارة الى وقت كونها لانه ليس في الوقف على حقيقة وقتها تخويف وتهويل وفي ذكر اثارها تخويف
وهو انه اعظم هول ذلك اليوم واشتد حتى لا يقوم له الاشياء القوية العلية في انفسها وهي الجبال
والسموات والارضون بل يؤثر فيها هذا التاثير حتى تصير الجبال كالعهن المنفوش وتصير كثيبا مهيلا
وينشق السماء وتصير الارض قاعا صفصفا فكيف يقوم لها الانسان الضعيف المهين واذا كان
السموات والارضون والجبال مع طواعيتها لربها لا تقوم لها وافزاعها بل تنقطع فكيف يقوم
لها الداهي الضعيف مع خبث عمله وكثرة مساويه مع ربه فيذكرهم هذه الاحوال ليخافوه
ويهابوه فيستعدوا له فلهذا والله اعلم ذكرت الاحوال التي عليها حال ذلك اليوم ولم
يبين متى وقته ولهذا ما لم يبين منتهى عمر الانسان ليكون ابدا على خوف ووجل من حلول
الموت به فتاخذ هيبته ويتشمر له ولو بين له كان يتبع له الامر بذلك فيترك التزود الى
الوقت ثم يتاهب له اذا دنا انقضاء عمره ثم ان الله تعالى ذكر احوال القيامة في موضع وجعل
ذلك مترادفا متتابعا في القران فيكون في ذلك معنيان احدهما ان للقلوب تغيرا وتقلبا
في اوقات وقرب قلب لا يلين لحادثة اول مرة حتى يعاد عليه ذكره مرة بعد مرة وحالا بعد حال
ثم تلين فيكون في تتابع ذكر البعث والقيامة مرة بعد مرة ابلاغ في النذارة وقطع عذره
المعتذر بين يوم القيمة والثاني ان القوم كانوا حديث العهد بالاسلام وقد وقع الاسلام
في قلوبهم موقعا فيكون في تكرار المواعظ تلقيح لعقولهم وتليين لقلوبهم على ما اكرمهم
الله تعالى من الايمان ونصرة رسول رب العالمين كقوله واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا وقوله واذا الكواكب انتثرت فاما ان يكون انتثارها لانها مجعولة لمنافع الخلق
فاذا استغنى عنها اهلها فلا معنى لبقائها ولما جعلت زينة للسماء فاذا انفطرت السماء لم
يحتج الى زينة بعدها وقوله عز وجل واذا البحار فجرت قال قائلون اي يفجر ما ؤها فيجري

واحد

اذا جواب عن
سؤال مقدر

من شاء الله منه الاستقامة
يوجد منه خلافا
للمعتزلة

واحد ثم يغور ماء ذلك البحر الذي اجتمع فيه المياه اما بما يبتلعها الارض او يجعل في بطن الحوت
التي ذكر ان الارضين قرارها على ظهره او في بطن الثور ثم يسوي الله تعالى الارض كلها حتى لا يبقى فيها
عوج ولا فيبس البحار دماثا اما بالجبال او بغيره وقال بعضهم بل يغور ماء كل بحر في مكانه لانه
يجمع المياه كلها في مكان واحد وبحر واحد وقال بعضهم بل يمتزج بعضها ببعض فيصير نارا معذب
بها اهلها وكذلك قوله عز وجل واذا البحار سجرت وقال والبحر المسجور والله اعلم اني ذلك يكون
وقوله عز وجل واذا القبور بعثرت اي بعث من فيها وتعذف القبور من فيها وقوله عز وجل علمت
نفس ما قدمت واخرت اي تعلم الانفس ما عملت الى اخرها انتهى عملها فلا يخفى عليها شيء من امرها
ومنهم من يقول ما قدمت من خير واخرت من شر فستعرفه في ذلك اليوم ومنهم من يقول علمت ما قدمت
من العمل اي بما عملت بنفسها وما اخرت اي ما سنت من السنة فعمل بها بعدها وهذا الذي ذكروه
داخل في تفسير الجملة التي ذكرنا انها تعلم من اول ما عملت الى اخر ما انتهى اليها عملها وقوله عز وجل
يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم يحتمل عن ربك فيكون تاويله اي شيء غرك لمن ربك الكريم
حتى اغتررت به واغتراره عن ربه الاعراض عن طاعته وعبادته وقد يستعمل الباء في موضع عن
قال الله تعالى عينا يشرب بها عباد الله ومعناها يشرب عنها لانه يشربوا فيها كرعا او يجعل العين
اينة لهم ثم وجه الجواب للمغتر بالله تعالى في قوله عز وجل وما غرك الكريم وهو ان كرمه دعا الانسان
الى ركون المعاصي لانه لم ياخذه بالعقوبة وقت جرمه فتجاوز عنه او تاخيره العقوبة حمله على
الاغترار اذ ظن انه يعفو عنه ابدا كذلك فاقدم عليها ولو لو حلت به العقوبة وقت ارتكابه
المعصية لكان لا يتعاطى المعاصي ولا يرتكبها فعذره ان يقول الذي حملني على الاغفال والاغترار
كرمك او حمقي كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تلا هذه الاية الحمق يا رب او يكون قوله
ما غرك بربك الكريم اي اي شيء غرك حتى ادعيت على الله تعالى انه امرك باتباع ابائك او تشهد عليه اذا ارتكبت
الفحشاء ان الله تعالى امرك به على ما قال واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها الم
نبعث اليك الرسول الم انزل اليك الكتاب فتبين لك ما امرت به عما نهيت عنه وقيل نزلت الاية
في شان كلدة حيث ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فاسلم حمزة حميته لقومه
فهم كلدة ان يضربه ثانية فنزلت الاية يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم حيث لم يهلك
عند تناول رسول الله لكن لو كانت الاية فيه فكل الناس في معنى الخطاب على السواء والله اعلم وقوله
عز وجل الذي خلقك فسويك فعدلك ففي ذكر هذا التعريف المنة ليستادي منه الشكر وفيه
ذكر قوته وسلطانه حيث قدر على تسويته في تلك الظلمات الثلاث التي لا ينتهي اليها تدبير
البشر ولا يجري عليها سلطانهم ليها بوه ويحذروا مخالفته وفيه ذكر حكمته وعلمه ليعلموا
انهم لم يخلقوا عبثا ولا سدى لان الذي بلغت حكمته ما ذكر من نشاته في تلك الظلمات الثلاث
من وجه لا يعرفها الخلق لا يجوز ان يخرج خلقه عبثا باطلا بل خلقهم ليامرهم وينهاهم
ويرسل اليهم الرسل وينزل عليهم الكتب فيلزمهم اتباعها ويعاقبهم اذا اعرضوا عنها وتركوا
اتباعها وسنذكر وجه التسوية به في قوله الذي خلق فسوى انه سواه على ما يوجبه الحكمة او
بما به مصالحه او سواه من وجه الدلالة على معرفة الصانع او سواه فيما خوله من اليدين والرجلين
والسمع والبصر وقوله عز وجل فعدلك اي سويك ووجه التسوية ان جعله بين مستويين
لم يجعل احداهما اطول من الاخرى وكذلك سوى بين رجليه وقرئ بالتخفيف والتشديد قال
ابو عبيد معنى قوله فعدلك بالتخفيف اي مالك وليس في ذكره كثير حكمة واختار التشديد فيه
وليس كما ذكر بل في ذكر هذا من الاعجوبة ما في ذكر الاخر فقوله عدلك اي صرفك من
حال الى حال ووجه صرفه والله اعلم انه كان في الاصل ماء مهينا في صلب الاب فضرب
ذلك الماء الى رحم الام ثم انشاه نطفة ثم صرفها الى العلقة والى المضغة الى انشاه خلقا سويا
او صرفه على ما عليه من الحال من الصحة الى السقم ومن السقم الى البرء فيكون في ذكر هذا التعريف
المنة والقدرة والحكمة كما في الاول ففيه اعظم الفوائد وقوله عز وجل في اي صورة ما شاء ركبك
منهم من جعل الماء ههنا بمعنى الذي ثم قوله شاء ركبك يحتمل ان يكون هذا عبارة عما تقدم
من الاوقات وهو انه قد شاء تركيبك على الصورة التي انت عليها لا على صورة البهايم وغيرها
فيكون في ذكره تذكير المنن والنعم ليستادي منه الشكر ووجه التذكير انه انشاه على صورة
ترضاها ولا تتمنى ان يكون بغير هذه الصورة من الجواهر وانشاه على صورة يعرف المحاسن
والمساوي ويعرف الحكمة والسفه ويميز بينهما ويميز بين المضار والمنافع وانشاه على صورة
سخر له السموات والارضين والانعام كما قال الله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
الاية وقال عز وجل ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر الاية ولم يسخره لغيره فثبت ان

احوال البحار يوم
القيمة

فيه تذكير النعم ليشكروه ويقوموا بحمده وجائز ان يكون هذا على الاستيناف في اي تركيبه على ما هو على ما هو عليه
على اي صورة شاء من الصور التي يستقذرها ويستخبثه قردا او خنزيرا لكان ما يتعاطى من المعاصي فيكون
في ذكره تذكير القدرة والقوة ليراقب الله تعالى ويهابه فيترك معاصيه ويتسارع الى طاعته وقوله عز وجل
كلا بل تكذبون بالدين فان حملت قوله كلا على التنبيه والردع فيمكن ان يعطف على ما قبله وعلى ما بعده
وكذلك اذا حملته على القسم بمعنى حقا فانه يستقيم عطفه على الامرين جميعا وقوله عز وجل الدين
يحتمل ان يكون اريد به دين الاسلام والاصل ان الدين اذا اطلق اريد به الدين الحق وهو الاسلام
والاصل ان الدين اذا اطلق اريد به الدين الحق وهو الاسلام وكذلك الكتاب المطلق كتاب الله تعالى
ويجوز ان يكون اريد به البعث والجزاء وسمي يوم الدين لما ذكرنا ان الناس يدانون باعمالهم و
الحكمة فيه والله اعلم انهم قد اقروا بان الله تعالى احكم الحاكمين وتكذيبهم بيوم الدين يوجب
ان يكون اسفه السفهاء لا ان يكون احكم الحاكمين لان الدنيا عوا فيها الفساد والهلاك
فهم اذا كذبوا بالبعث فقد زعموا انهم ما انشئوا الا للهلاك والفناء ومن بنى بناء ولم يقصد
بناءه سوى ان ينقضه ويهدمه فهو سفيه عابث في الفعل فلم يجعلوا من تكذيبهم الا على نفي
الحكمة من الصانع وتثبيت السفه لله تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهو قوله وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وهم لم يكونوا يدعون انهما خلقتا باطلا ولا كانوا
يظنون ذلك ولكن الانكار الذي وجد منهم بالبعث والجزاء يقتضي خلقهما باطلا فعلى ذلك انكارهم
بالبعث نزل عنه القول بانه احكم الحاكمين وثبت ما ذكرنا من السفه سبحانه وتعالى عما يصفون
وقوله عز وجل وان عليكم لحافظين وهم لم يكونوا يقبلون الاخبار ولا كانوا يؤمنون بها ثم
اخبرهم ان عليهم حفاظا لان الذي حملهم على الجهل تركهم الانصاف من انفسهم والا لو انصفوا
من انفسهم لكان اعطاء هم النصفة يوصلهم الى تدارك الحق ومعرفته ما عليهم من
الواجب ثم قد ذكرنا ان المراد اذا كان عليه حافظا اداه ذلك الى المراقبة تدع عن مفاطي ما يوجب
عليه فنبهنا ان علينا حفاظا لنحتشم عنهم ولا ناتي من الامور ما يسوءهم ووصف انهم اكرام
لنصحبهم صحبة الكرام ومن صحبة الكرام ان يحترم لهم ويتقي مخالفتهم ولا يتعاطى ما يسوءهم
وذلك قوله كراما كاتبين وفي ذكر الكرام فائدة اخرى وذلك ان قوله كراما كاتبين اي كرام على
الله تعالى والكريم على الله تعالى هو المتقي قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم فيكون فيه
ايمان لهم انهم لا يزيدون ولا ينقصون في الكتابة وانها يكتبون قدر عملهم كما ذكرنا
من الفائدة في وصف جبرائيل عليه الصلوة والسلام بالقوة والامانة وقوله عز وجل يعلمون
ما تفعلون فهو يحتمل وجهين احدهما انهم يعلمون ما تفعل قبل ان تفعل بما عرفهم الله تعالى فيكون
في تعريفه اياهم الزام الحجة عليهم ويكون الذي يكتبون امتحانا امتحنوا به اذ قد فوض الى بعضهم امر كتابة
الاعمال والى بعض ارسال الامطار ونحو ذلك او يعلمون ما تفعلون وقت فعلكم جهة الفعل
من خير او شر فيكون الفعل الخير اثارا بها يعرفون ان الفاعل به قصد به جهة الخير ويكون
الفعل للشر اثارا بها يعرفون ذلك ايضا ثم عذر المسلمين في ترك المراقبة اقل من عذر المكذبين
بالدين لان المسلمين علموا ان عليهم حفاظا يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها عليهم ثم هم مع
ذلك يفعلون ولا يصحبونهم صحبة الكرام ويتركون التيقظ والتبصر والكفرة ينكرون ان يكون
عليهم حفاظ ومن كان هذا حاله والاغفال عن مثله غير مستبعد وقوله عز وجل ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قد ذكر ان البر اعطي ما طلب منه والذي طلب منه ما ذكر في قوله ليس
البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله الى قوله واولئك هم المتقون
وفي هذه الاية دلالة على ما ذكرنا ان البر اذا ذكر دون التقوى اقتضى المعنى الذي يراد بالتقوى
لانه اخبر ان البر هو الايمان بالله تعالى واليوم الاخر ثم ذكر ان الذي جمع بين هذه الاشياء فهو المتقي ثم
احتجت المعتزلة بقولهم بالتخليد في النار لمن ارتكب الكبيرة بقوله تعالى وان الفجار لفي جحيم الى قوله وما هم
عنها بغائبين لان مرتكب الكبيرة فاجر وقد وصف الله تعالى ان الفجار لفي جحيم ولا يغيب عنها وزعموا انه لما
ثبت بالخرائط الذي ذكر في قوله ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر فهو غير داخل في قوله ان الابرار
لفي نعيم والاصل عندنا ما ذكرنا ان كل وعيد مذكور مقابل الوعد فهو في اهل التكذيب لما ذكر من التكذيب
عند التفسير بقوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين الى قوله ويل يومئذ للمكذبين وقال تلفح وجوههم النار
وهم فيها كالحون الى قوله فكنتم بها تكذبون واذا كان كذلك لم يجب قطع القول بالتخليد لمن ارتكب
الكبيرة بل وجب القول بالوقف فيهم ثم ان الله تعالى جعل لاهل النار يوم البعث اعلاما ثلاثة بها يعرفون
وتبين انهم من اهل النار ولم يجعل شيئا من تلك الاعلام لاهل السعادة احدها اسوداد الوجوه بقوله
وتسود وجوه والثاني بما يدفع اليهم كتابهم بشمالهم ومن وراء ظهورهم ويدفع الى اهل الجنة كتبهم

بايمانهم

بايمانهم والثالث في ان يخف موازينهم ويثقل موازين اهل الحق فهذه اعلام اهل الشقاء وفيما ذكر من
اسوداد الوجوه قرن به التكذيب بقوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون وفيما ذكر دفع الكتاب بالشمال ومن وراء الظهور قال فيه انه
كان لا يؤمن بالله العظيم وقال واما من اوتي كتابه وراء ظهره الى قوله عز وجل انه ظن
ان لن يحور بلى وقال في خفة الميزان الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها
تكذبون ولم يذكر شيء من هذه الاعلام غير المكذبين فثبت ان الوعيد في المكذبين لا في غيرهم
لذلك لم يسع لنا ان نشرك اهل الكبائر مع اهل التكذيب في استيجاب العقاب وقطع القول
بالتخليد بل وجب الوقف فيهم والارجاء في امرهم والثاني ذكر في مواضع الايمان
بالله تعالى ادنى مراتب اهل الايمان ووعد عليه الجنة فقال والذين امنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون وقال في موضع اخر وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين امنوا
بالله ورسله وقال والذين امنوا بالله ورسوله لم يفرقوا بين احد منهم الاية فذكر
في هذه الايات التي تلوناها ادنى منازل اهل الايمان وذكر في موضع اخر على مراتب اهل الايمان
ووعد عليها الجنة بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق الاية وقال
ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الاية فجائز ان يكون ذكر الجميع على المبالغة لا على
جعله شرطا فيجب القول باستيجاب الوعد بادنى مراتبه على ما ذكر في الايات الاخر وجائز
ان يكون الجميع فيما ذكر فيه ورسله الايمان بالله ورسله مضمرا ويكون ذكر طرف منه على
الايجاز الا ترى انه ذكر الكفر في بعض المواضع واوعد عليه النار وذكر في بعض المواضع
الكفر مع اسباب اخر واوعد عليه النار بعد ذلك بقوله ان الذين يكفرون بايات الله
ويقتلون النبيين بغير حق الاية وقال في موضع اخر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين
الاية ثم لم يصر جميع ما ذكر من السيئات مع الكفر شرطا بل وجب القول بالتخليد لمن اقتصر على
الكفر خاصة فثبت ان ليس في ذكر المبالغة دلالة جعل المبالغة شرطا بل جائز ان يستوجب الوعيد
بدونه فلذلك لم يقطع القول في اصحاب الكبائر بالتخليد في النار ولا بانهم مستوجبون للوعد بل
قيل فيهم بالارجاء عز وجل يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين قال بعضهم تاويله منصرف
الى اهل النار واهل الجنة فاهل الجنة لا يغيبون عن الجنة ولا اهل النار عن النار وقال بعضهم
اريد بها اهل النار خاصة انهم لا يغيبون عنها وانكر بعض الناس الخلود لاهل النار في النار
ولاهل الجنة في الجنة وقالوا لو لم يكن لنعيم الجنة انقضاء ولا لعذاب الاخرة انتهاء لكان
يرتفع عن الله تعالى الوصف بانه اول واخر لانهما يبقيان ابدا فلا يكون هو اخرا وقد قال هو الاول
والاخر فلا بد من ان يكون لهما انتهاء حتى يستقيم الوصف بانه اخر ولانهما لو لم يوصفا بالانتهاء
لكان علم الله تعالى غير محيط بنهايتهما فيكون النهاية مجاوزة لعلمه والله سبحانه وتعالى
محيط بالاشياء وعالم بمباديها ومنتهاها فلا بد من القول بنهايتهما حتى يكون علمه محيطا بها
ولانهم انما استوجبوا الجزاء باعمالهم واهل النار استوجبوا العقاب بسيئاتهم فاذا كانت لسيئاتهم نهاية
فكذلك يجب ان يكون للجزاء نهاية ايضا والاصل عندنا ان كل من اعتقد مذهبا فهو يعتقد التدين
به ابدا ما بقي لا للتوكير ثم العقاب جعل جزاء للكفر والثواب جعل جزاء للاتقاء عن المهالك بقوله واتقوا
النار التي اعدت للكافرين وقال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين واذا ثبت ان
كل واحد منهما جزاء المذهب وكان الاعتقاد للابد فكذلك جزاؤه يقع للابد والدوام لا للزوال
والانقطاع والثاني ان العلم بزوال النعيم مما ينقص النعيم على اربابها ويمرر عليهم لذاتها ويكدر
عليهم ما صفا منها فاذا كان كذلك لم يتم لهم النعيم واهل النار اذا تذكروا الخلاص من العذاب
تلذذوا بها دهان عليهم العذاب فوجب القول بالخلود ليتم النعيم على اهله والعذاب على اهله والجواب
عن قوله انه يرتفع عنه الوصف بانه اول واخر بذاته لا بغيره وغيره يصير اولا واخرا بغيره
ثم ما من شيء الا وله اول واخر ثم لا يوجب ذلك اسقاط الاولية والاخرية وقوله بان
الله عز وجل لا يوصف بالاحاطة بالاشياء لو وجب القول بالخلود فنقول بان العلم بما لا نهاية
له هو ان يعلمه غير متناهي والعلم بالتناهي بما لا نهاية له يوجب الجهل لا العلم والجواب عن الفصل
الثالث ما ذكرنا انه يعتقد المذهب للابد فكذلك الجزاء بتابد ولا ينقطع عز وجل وما ادريك
ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين قال بعضهم انك لم تكن تدري فدراك الله تعالى وقال
بعضهم هذا على التعظيم لذلك اليوم والتهويل منه عز وجل يوم لا تملك نفس لنفس شيئا
وذلك اليوم يوم تجري فيه الشفاعات فيشفع الانبياء لكثير من الخلق فيشفع لهم واذا كان كذلك
فقد ملكت نفس لنفس شيئا ولكن تاويله يخرج على اوجه ثلاثة احدها ان الكفرة كانوا يتوادون ويتبا

بينهم ليتناصر بعضهم بعضا في الثواب فقال لا تملك نفس لنفس شيئا قال الله تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين او لا تملك نفس لنفس شيئا الا بعد ان يؤذن لها كما قال لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقد يجري التشفع في الدنيا الا بالاستيذان من احد او يكون معناه ان كل نفس يستبين لها في ذلك اليوم انها لم تكن تملك شيئا الا ما ملكها الله عز وجل والامر يومئذ لله اي لا ينازع فيه وهو في كل وقت لله تعالى لكن الظلمة ينازعون في هذه الدنيا والامر يومئذ لله اي يتبين لكل احد في ذلك اليوم بان الامر لله عز وجل في ذلك اليوم وقبل ذلك اليوم والله المستعان

تم هذه السورة الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم تعالى ويل للمطففين فوجه تعييرهم بالتطفيف والحاق الوعيد لكأنه وان كانوا استوجبين للوعيد وان اوفوا الاكيال ولم يطففوا فيه اذا كانوا جاحدين بالله تعالى ومكذبين بالبعث هو ان الكفرة لم يكونوا اعتقدوا الكفر بالله تعالى لتلذذ يقع لهم بنفس الكفر ولا التزموه على التحسين لهم اياه وانما اعرضوا عن الايمان لحبهم الرياسة ولما كانت لهم خافوا زوالها عنهم بالاسلام او زهدوا عنه لما يلزمهم بالايمان مؤن واختاروا الكفر لئلا يلزمهم بالايمان تحملها فكان الذي يحملهم على الصد عن الايمان وترك النظر في ايات الله تعالى وحججه ما ذكرنا فعيروا بالافعال الدنية التي كانوا يتعاطونها فيما بينهم التطفيف والهمز واللمز وتركهم ايتاء الزكوة بقوله عز وجل الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم كافرون ليتقلعوا عنها فيحملهم ذلك على النظر في القران والتدبر فيه وهو كما ذكرنا في القتال ان فيه ما يحملهم على الايمان لانهم كانوا يتزهدون عنه لحبهم الدنيا فاذا قتلوا اضافت عليهم الدنيا فبعثهم ذلك على الايمان بالله تعالى وعلى النظر في اياته وذكر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما تلا هذه الاية على اهل مكة تركوا التطفيف فلم يطففوا بعد ذلك قال اهل اللغة التطفيف النقصان يقال اناء طفان اذا كان غير مملو وقال الزجاج يقال شيء طفيف اي يسير فسمي مطففا لانه يسرق منه شيئا فشيئا في كل مكيال وفي هذه دلالة ان حرمة الربوا عامة على اهل الاديان وفيه دلالة ان حرمة الربوا ليست لمكان العاقلين وانما هي حق على العاقدين لله تعالى وذلك ان الذي يكال له كان يأخذ ما يكال له على علم منه بتطفيف البائع ثم كان يرضى به ويتجاوز عن ذلك ومع ذلك لحقهم التعيير بالتطفيف فدل ان حرمته ليست لمكان العاقدين ولكنها من حق الله تعالى وقوله عز وجل الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون فمنهم من ذكر ان هذا على التقديم والتاخير ومعناه ويل للمطففين على الناس اذا اكتالوا ووزنوا واذا واذا اكتالوا استوفوا ومنهم من قال بان على هاهنا بمعنى عن فكانه يقول ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا عن الناس يستوفون وقوله عز وجل واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون فمنهم من جعل قوله هم بعد ذكر الكيل والوزن على التاكيد والمبالغة فان كان هذا على هذا فحقه الوقف على قوله كالوا وعلى قوله كالوا وعلى قوله وزنوا ومنهم من قال معناه واذا كالوا لهم او وزنوا لهم لان الالف بينهما ليست مثبتة في المصاحف وهو مستعمل كلته وكلت له لقوله وعدته ووعدت له فان كان هذا معناه لم يستقم الوقف على قوله كالوا ووزنوا لان قوله لهم تفسير لقوله كالوا ووزنوا ولا يجوز قطع التفسير عما له التفسير وقوله عز وجل الا يظن انهم مبعوثون الاية قال اكثر اهل التفسير الا يظن الا يعلم والا يتيقن وقال ابو بكر الاصم الا يظن معنى الا يشك اولئك في البعث وهو محتمل لما ذكرنا لان الشك يوجب الرهبة وارتفاعه يوجب الامن الا ترى ان المرء اذا اراد ان يسافر الى مكان فاخبره انسان ان في الطريق الذي تريد ان تسلك سراقا وقطاع الطريق فانه يرهب لذلك فيستعد له بما يدفع عن نفسه ضرر قطاع الطريق وضرر السارق وان لم يتيقن ان المخبر الصادق في مقالته ولا تيقن ان السراق يتمكنون من الاضرار فكيف لا يشك هؤلاء بكون البعث بما يخبرهم النبي عليه السلام ويقيم عليه الحجج وهذا اقل منازل الاخبارات يورث شكا ثم الاصل ان حد الشك عنده استواء طرفي الاعتقاد والظن يستعمل عند اختلاف طرفي الاعتقاد وهو ان يغلب احدى الدلالتين على الاخرى لذلك يستقيم الحكم والقول باكثر الظن ولا يستقيم باكثر الشك ثم الظن يتولد من البحث عن الامر والنظر فيه واذا تدبر فيه فهو لا يزال يرتقي في الظن درجة فدرجة حتى ينتهي نهايته بلوغ اليقين ودرك الصواب فلذلك حمل اهل التفسير قوله الا يظن هاهنا على اليقين والعلم اذ ذلك نهاية الظن وحمل ابو بكر على الشك

لما لا يرتفع الشبهة كلها فيما كان طريق معرفته الاجتهاد ومثال الظن منا الخوف الذي ذكرنا انه قد يستعمل في موضع العلم لان الخوف اذا بلغ غايته صار علما كالذي يهدد بالقتل او يقطع عضو يشرب الخمر انه يباح له الشرب ويجعل كالمتيقن انه يراد بحالة لو امتنع عن الشرب لبلوغ الخوف نهايته وان لم يكن في الحقيقة متيقنا لما يجوز ان يحصل به ما يمنعه عن القتل فعلى ذلك الحكم في الظن وقوله عز وجل اولئك انهم مبعوثون للحساب الذي يحصل عليهم فلا يجدون منه مخرجا فيتخلصون من العذاب ليس على ما يحصل عليه الحساب في الدنيا يجد لنفسه الخلاص ووجه المخرج عنه وقوله عز وجل ليوم عظيم سماه عظيما لما ذكرنا من دوام عذابه ودوام عقابه وقوله عز وجل يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه او محاسبا او لوعده ووعيده او يقومون له مستسلمين خاضعين بجملتهم وان كان للبعض منهم وجد منه الامتناع عن الاستسلام في الدنيا فان الظلمة يتنازعونه ويدعون لانفسهم اشياء فينكرون له فاما يوم القيامة فانهم جميعا يقرون له وينقادون لحكمه وقضائه لذلك خصه بقيام الناس له وقوله عز وجل كلا قال الحسن وابو بكر حقا اي بعثهم حق فيبعثون وقال الزجاج كلا حرف ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما ظنوا انهم لا يبعثون بل يبعثون ويجازون باعمالهم فيكون في هذا ايجاب القول بالبعث من طريق الاستدلال وقوله عز وجل ان كتاب الفجار لفي سجين اختلف في السجين فمنهم من جعله اسم موضع واشار اليه فقال هو صخرة تحت الارض السابعة يوضع كتاب الكافر تحته الى يوم القيمة ولكن ليس بنا الى معرفة ذلك الموضع حاجة لان الذين امتحنوا بجعله في ذلك الموضع قد عرفوه وهم الملائكة ومنهم من زعم انه حرف مذكور في كتب الاولين قد ذكر ذلك في القران فجائز ان يكون المقصود تحقيق بدون الاشارة اليه وجائز ان يكون السجين الموضع الذي اعد للكافر في الاخرة للعذاب لكن اول ما يرد اليه عمله الذي ثبت في كتابه ثم يلحق به الروح ثم يتبعهما جسده في الاخرة على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والاخرة سجن الكافر وجنة المؤمن فيرد كتابه الى ذلك السجن ويرد كتاب الابرار الى الجنة التي اعدت له ثم يتبعه روحه ثم جسده فذلك قوله ان كتاب الابرار لفي عليين ومنهم من قال على التمثيل ليس على تحقيق المكان في العليين وذلك ان السجين هو مكان اهل الخبث في الدنيا فمثلت اعمالهم بذلك بخبثها وقبحها ومثلت اعمال الابرار بما ذكر من العليين وذلك مكان اهل الشرف واولي القدر فيكون ذلك كناية عن طيب اعمالهم وقال الكسائي السجين مشتق من السجن كقولك رجل فسيق وشريب وسكيت ثم ذكر كتاب الفجار الفجور يكون بالكفر وبغيره فهذا اسم يقع به الاشتراك بين اهل الكفر واهل الاسلام لكنه الحق عند التفسير بما يجوز صرف الوعيد الى الكفار بقوله ويل يومئذ للمكذبين وكذلك تجد هذا الشرط ملحقا بالتفسير في جميع ما جرى به الوعيد بالاسم الذي يقع به الاشتراك من نحو الفسق وترك الصلوة بقوله تعالى قالوا لم نك من المصلين وفيما جرى من الوعيد في الذي لا يؤتي الزكوة فكان في ذكر التفسير على تقييده بالتكذيب قطع الشهادة وايجاب العذاب على المكذبين وفي ذكر الاسم الذي يقع به الاشتراك ايجاب الخوف على المسلمين الذين شركوا في ذلك الاسم فيترك قطع الشهادة عليهم بالوعيد بما لم يذكروا عند التفسير وقوله عز وجل وما ادريك ما سجين فهو تعظيم ذلك اليوم ووصفه بما به الشدة او على الامتنان على نبيه صلى الله عليه وسلم انه لم يكن يعلم ذلك حين اطلعه الله عليه وهكذا تاويل قوله وما ادريك ما عليون وقوله كتاب مرقوم اي الكتاب الذي في السجين مرقوم والمرقوم قالوا مكتوب ومثبت والرقم عندنا هو الاعلام يقال رقم الثوب اذا اعلمه فجائز ان يكون علمه هو ان يختم فيكون فيه اخبار انه لا يزاد على قدر ما عمل ولا ينقص منها وهو كما ذكرنا من الفائدة فيما وصف جبرائيل عليه الصلوة والسلام بالقوة والامانة بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فوصف بالامانة ليؤمن الخلق عن خيانته في الكتاب وتغييره ووصفه بالقوة ليعلم ان غيره لا يتهيأ له ان ينتزع منه ما ارسل على يده فيغيره فكذلك وصفه بالختم والاعلام ليؤمن من الزيادة فيه والنقصان وقوله عز وجل ويل يومئذ للمكذبين اي للمكذبين بجميع ما يحق عليهم تصديقه وذلك يكون بالايمان بالله تعالى وباياته ورسله وبالبعث وقوله عز وجل الذين يكذبون بيوم الدين فالدين اسم لشيئين اسم للجزاء واسم للاستسلام والخضوع فسمي يوم الدين لما يدانون باعمالهم او لما يستسلمون لله تعالى في ذلك اليوم ويخضعون له وفي تكذيبهم بيوم الدين تكذيب لقدرة الله تعالى وتكذيب الرسل لان الرسل كانوا يدعونهم الى الايمان بيوم الدين فكانوا يكذبونهم بتكذيبهم بذلك اليوم فيكونون بالله منصرفا الى ما ذكرنا من تكذيبهم بجميع ما يحق التصديق به وقوله عز وجل

وما يكذب به الا كل معتد اثيم فالمعتدي هو الذي يتعدى حدود الله تعالى والاثيم الذي يتأثم بربه
فيكون مجاوزا عن الحدود ولم يتأثم بربه هو الذي يحمله على التكذيب والا لو قام بحفظ حدوده
ولم يأثم بربه لكان لا يكذب بيوم الدين ويكون فيه اخبار ان المكذب به معتد اثيم وقوله عز وجل
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اباطيل الاولين وقال ابو عبيدة الاساطير هي التي لا اصل
لها ومعناه عندنا ما سطره الاولون اي كتبه فالسطر الكتابة فيخبرون انها ليست من عند الله تعالى
بل ما كتبها الاولون الذين لا نظام لها ولم يكن يقولون هذا في كل ما يتلو عليهم من نباء الاولين وكانوا
ينسبونه الى السحر اذا اتاهم بالايات المعجزات وقوله عز وجل بل ران على قلوبهم قيل الرين الستر والغطاء وقيل
الدين الصداء فالله تعالى سمى الايمان الذي هو في النهاية من الخيرات نورا وسمى الكفر الذي هو في النهاية
من الشرور ظلمة فاذا كان الايمان منورا للقلب والكفر مظلما فاذا اشتغل بالاسباب
الداعية الى الكفر شيئا بعد شيء من الاثام فكل سبب من ذلك يعمل في اظلام القلب حتى يتم الظلمة على
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الرسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال — في انشراح القلب وظلمته باسباب
هو العبد يذنب الذنب فينكت في قلبه نكتة سوداء فان تاب منها صقل قلبه وان لم يتب فاعاد فاذنب
نكتت في قلبه نكتة سوداء وان عاد نكتت في قلبه حتى يسود القلب اجمع فذلك الرين ومن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره شيئا فشيئا باسباب يتقدم الايمان حتى يحمله ذلك على الايمان فذلك تمام
الانشراح وعلى هذا يخرج تاويل ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الايمان يبدو لمظة بيضا في القلب
كلما ازداد عظما ازداد ذلك البياض فاستكمل الايمان ابيض القلب كله ومعنى قوله يبدو لمظة في القلب
بيضا الى قوله حتى يستكمل الايمان عندنا بالاسباب الداعية الى الايمان فلا يزال ينشرح منه شيء
فشيء حتى يؤمن لا ان يكون الايمان ذا اجزاء ولكن للايمان مقدمات فينشرح شيء فشيء بكل
مقدمة منه حتى يفضي به الى الايمان ثم ان الله تعالى سمى السواتر عن الايمان باسامي مرة قال
طبع الله على قلوبهم ومرة قال جعلنا على قلوبهم اكنة الاية ومرة ام على قلوب اقفالها فكان
الذين وصفوا بالقفل على قلوبهم هم الذين انتهوا في الكفر غاية حتى لا يطمع منهم الايمان وهم
المتمردون المتقدون للتكذيب وهم الرؤساء منهم والائمة ومنهم من هو مطبوع على قلبه
وهم الذين اعتقدوا الكفر لا عن تمرد وعناد ولكن لما لم يلح لهم الاسباب الداعية الى الايمان
وذكر الزجاج ان اول منازل الستر الغين وهو الستر الرقيق كالسحاب الرقيق في السماء تعمل في غشاء
القلب غشاء السحاب الرقيق بلون السماء ثم ازداد ذلك يسمى رينا ثم يرتقي الى الطبع الى ان يصير كالقفل
على القلب وفي هذا دليل على ان الله تعالى تدبيرا وصنعا في افعال العباد لانه انشاء الكفر ظلمة
في القلب حتى يمنعه تلك الظلمة عن درك الخيرات ونور الايمان اذ كل من اعتقد الكفر فهو ليس
يعتقده ليمنعه عن درك الانوار واذا لم يوجد منه هذا ثبت انه صار كذلك بتدبير الله
تعالى وصنعه اذ لا يجوز ان يحدث الظلمة في القلب الا بمحدث لها واذا انتفى الصنع من
الكلام ثبت انه بتدبير الله تعالى ما صار كذلك وانه انشاء مظلما والله الموفق وقوله عز وجل
عز وجل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اختلف في قوله يومئذ فذكر ابو بكر الاصم
ان هذا في الدنيا يقول انهم حجبوا عن عبادة ربهم بما عبدوا غير الله تعالى فصارت عبادتهم
غير الله حجابا من عبادته وذكر اهل التفسير ان هذا في الاخرة ثم منهم من يقول انهم
من يقول انهم حجبوا عن لقاء ربهم واوجبوا بهذا القول بالرؤية للمؤمنين ومنهم من
يقول هم محجوبون اي عن ذكر الله التي اعدها لاوليائه وعن رحمته فعوقبوا بالحجب عن ذلك
جزاء لصنيعهم لانهم في الدنيا ضيعوا نعم الله تعالى فلم يتقبلوها بالشكر ولم يؤمنوا برسوله الذي
بعثه رحمة للعالمين فايسوا من رحمته وكرامته في الاخرة عقوبة لهم ومجازاة وهو كقوله
نسوا الله فنسيهم اي جعلهم كالشيء المنسي الذي لا يعبأ به فعلى ما وجدت من المعاملة لاياته
وحججه بتركهم الالتفات اليها عوملوا بمثله في الاخرة وقال في اية اخرى قال رب لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا وقوله عز وجل ثم انهم لصالوا الجحيم ثم من صرف الحجاب الى الدنيا فهو يقول ثم
انهم يصلون الجحيم بعد ما عبدوا غير الله تعالى وحجبوا عن عبادته ومن صرف التأويل الى امر الاخرة
فهو يقول انهم يصلون الجحيم بعد ما يظهر فيهم من اثر الحجاب من سواد الوجوه واعطاء الكتاب
بشمالهم ومن وراء ظهورهم وقوله عز وجل ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تاويله انهم
يعرفون انهم صلوها بتكذيبهم بها وحجبوا عن الله تعالى بتكذيبهم بذلك اليوم ولا
لو امنوا واقروا ان النار حق والبعث حق لم يكونوا يصلونها فيعرفوا حتى يقروا بذلك بقوله
فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير وقوله عز وجل كلا ان كتاب الابرار لفي عليين فذكر
الابرار ها هنا مقابل الفجار في الاول ثم بين الفجار انهم المكذبون بيوم الدين وذلك اول منازل

الكفرة فاذا اريد الفجار اريد بالابرار الذين امنوا فلذلك قيل بان الابرار هم المؤمنون والبر هو الذي يكثر منه
تعاطي فعل البر يسمى بارا اذا كثر منه البر والفاجر هو الذي يكثر منه فعل الفجور فجائز ان يكون الوعيد
في الذين بلغوا في الفجور غايته ويكون حكم من دونهم متروكا ذكره فيوصل الى معرفة حكمه بالاستدلال
ويكون الوعد في الذين اكثروا افعال البر ويكون حكم من دونهم معروفا بغيره من الادلة وقوله
عز وجل يشهده المقربون فذكر شهود المقربين في ذكر كتاب الابرار ولم يذكر شهودهم عند ذكر
كتاب الفجار فجائز ان يكون شهودهم على التعظيم بعليه والدعاء له وغير ذلك وقيل المقربون
هم مقربوا اهل كل سماء وقوله عز وجل ان الابرار لفي نعيم فالبر هو الذي يبذل ما سئل عنه ويجيب
الى ما دعي اليه فاذا اجاب الله تعالى فيما دعاه اليه من التوحيد ووفى باوامره وانتهى عن مناهيه
فهو من الابرار ثم ما ذكرنا يكون بوجهين احدهما بالاعتقاد وتحقيقه بالعمل والمعاملة فهذا قد
وفى بما طلب منه قولا وفعلا فيكون هذا ممن يقطع فيه القول باستيجاب الوعد المذكور للابرار
والثاني ان يقوم بوفاء ما طلب منه اعتقادا ولم يف بما اعتقده بفعله فالحكم في مثله الوقف ولا يقطع
فيه القول باستيجاب الموعود بل لله تعالى ان يجازيه بما ضيع من حفظ حدوده بقدر ما وجد من
التضييع ثم يلحق باهل كرامته وله ان يعفو عنه بفضله وسعة رحمته والفجور هو الميل يكون بوجهين
احدهما بترك الاعتقاد والفعل جميعا وميل في المعاملة وهو ان يخالف فعله عقده فالذي وجد
منه الميل من الوجهين جميعا يحل به ما اوعد لا محالة واما الذي خالف فعله عقده فانه توقف فيه
ولا يشهد انه من جملة من يلحقهم الوعيد لا محالة ثم قد ذكرنا ان البر اذا ذكر على الانفراد اريد به
ما يراد بالتقوى والبر جميعا وكذلك التقوى اذا افرد اقتضى معنى البر فاذا قرنا جميعا اريد بالتقوى
جهة وبالبر جهة وذلك التقوى هو ان يتقي المهالك وذلك يكون بالاجابة الى ما دعا اليه قولا وفعلا
والانتهاء عما نهي عنه قولا وفعلا وهذا هو معنى البر ايضا فاذا ذكر معا اريد بالتقوى الاجتناب
عن المحارم واريد بالبر اتيان المحاسن وكذلك الايمان اذا بالانفراد اريد به ما يقتضي الاسلام من
المعنى والايمان جميعا وكذلك الاسلام يقتضي معنى الايمان اذا ذكر بالانفراد لان الاسلام
هو ان يرى الاشياء كلها سالمة لله تعالى لا يجعل لاحد فيها شركا والايمان ان يصدق الله تعالى
بانه ربه كل شيء واذا صدقت انه رب كل شيء فقد جعلت الاشياء كلها سالمة له فهذا معنى قوله انه
يراد بالايمان اذا ذكر بالانفراد ما يراد بالاسلام فاذا ذكر معا اريد بالاسلام ما يقتضيه ظاهره من جعل
الاشياء كلها سالمة له واريد بالايمان ما يقتضيه ظاهره كقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
الاية وكذلك الحكم في الخوف والرجاء اذا ذكر كل حد من الحرفين مفردا اقتضى كل واحد منهما معنى
الاخر واذا ذكرا معا اريد كل واحد منهما ما يقتضيه ظاهره ولم يصرف الى ما يراد بالاخر وقوله عز وجل لفي
نعيم فجائز ان يكون هذا في الاخرة يصفهم انهم ابدا في نعيم وجائز ان يكونوا في نعيم في الدنيا والاخرة
فيكونون في الدنيا في نعيم العقول دون نعيم الابدان وذلك انهم يطيعون العقل فيما يدعوهم اليه
فيتنعمون بعقولهم لكن الذي يدعوهم اليه عقولهم ما تأبى انفسهم الاجابة له وتشتد عليها
ذلك فهم في نعيم العقول لا في نعيم الابدان ونعيم الاخرة نعيم البدن والعقل جميعا فيتنعم انفسهم
وعقولهم ولا يحملون ما تأبى انفسهم احتمالها قال الله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا
لنبوئنهم في الدنيا حسنة وقال تعالى فلنحيينه حيوة طيبة الاية فثبت انهم في الدنيا وفي الاخرة لفي نعيم
وقوله على الارائك ينظرون قد ذكرنا ان كل ما تتشوق الانفس وتشتهي في الدنيا فعلى مثله جرت
البشارة لاهل الجنة في الدنيا وذكر ان اهل اليمن كان اذا شرف قدر احدهم وعلت رتبته في الدنيا
اتخذ لنفسه اريكة تنسب اليه فيقال هذه اريكة فلان فجرت البشارة لاهلها بالارائك لما يرغب
الى مثلها في الدنيا لا ان اريكها شبيهة بالارائك التي تتخذ في الدنيا لان ارائك الجنة مطهرة من الافات
التي هي اثار الفنا لكنها ذكرت بهذا الاسم لما لا وجه بالوصول الى تعرفها بغير اسم المعتاد فيما بين الخلق و
الاريكة هي السرير في الحجال وقوله عز وجل ينظرون يحتمل ان يكون احدهما ان يقع النظر في الحجال
وذلك من تلاقي الاخوان واجتماعهم على الشراب والنظر الثاني يكون الى مملكته فيكون ذلك خارجا
من الحجال على ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الرجل من اهل الجنة ليرى جميع ماله بنظرة واحدة
واقلها يعطى الرجل مثل سعة الدنيا وعرضها فذلك النظر يجاوز ما في الحجال فيقع خارجا منها وقوله عز وجل
تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي تعرف لو نظرت في وجوههم نضرة النعيم فجائز ان يكون النضرة منشؤها
الى النفس الخلقة وهو انهم انشؤا على خلقة لا تتغير ولا تغني بل بهجة نضرة او يكون نضارتهم بما
انعموا من النعيم ثم خصت الوجوه لان النظر من بعض الى بعض يكون الى الوجوه لا الى غيرها من
الاعضاء فخصت الوجوه بالذكر لهذا لا ان يكون النضرة لها خاصة بل النضرة يشتمل سائر البدن
والثاني ان السرور اذا اشتد في القلب اثر في الوجوه وكذلك الحزن يتاثر في الوجه اذا اعترا

في القلب فيكون في ذكره نضرة الوجه اخبار عن غاية ما هم عليه من السرور وقوله يسقون من رحيق قال بعضهم الرحيق هو الخمر الذي لا غش فيه وهو ان يكون مطهرا من الافات وقال بعضهم هو شيء اعده الله لاوليائه لم يطلعهم على ماتيها في الدنيا على ما قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فهو شراب تقر بهم اعينهم مما اخفي لهم الى الوقت الذي يشربونه وقوله عز وجل مختوم ختامه مسك فجائز ان يكون راجعا الى حال الاناء الذي فيه الرحيق وهو انه مختوم لم يتبنا وله الايدي وكذلك ترى المترف في الدنيا يختم نفيس شرابه الذي في الاناء بالغدام في الدنيا فيخبر ان ذلك الشراب في الاناء على الوجه الذي كانوا يحرزون في الدنيا واخبر ان ختامه بانفس شيء يحرزوه في الدنيا وهو المسك للبس كالختام في الدنيا لانهم يختمون اوانيهم في الدنيا بالشيء الرذل وبما لا قدر له عندهم وجائز ان يكون منصرفا الى الشاربين انهم لا يشربون ابدا بل يكون له ختم ولكن لا ينقطع لذة الشراب عنهم بل لابد يجدون من ذلك ريح المسك وقوله عز وجل فليتنافس المتنافسون فجائز ان يكون اراد به الشراب الذي وصف في قوله رحيق مختوم الاية والتنافس حرف يستعمل في الخيرات كانه يقول فليرغبوا في الشراب الذي هذا وصفه الذي لا غول فيه ولا هم ينزفون لا في الشراب الذي يذهب بالعقول ويضعف الابدان ويتلف الاموال او قلنا فيوا في النعيم الذي وصفها هنا لا في النعيم الذي ينقطع ولابد و مرفكانه يقول فليرغبوا فيما تعقب لهم النعيم الدائم والشراب الذي لا ينقطع لذته وقيل ختامه مسك ما بقي في الكاس من البقية يكون ذلك مسكا التنافس انما يكون في المسارعة في الخيرات وترك الاتباع للشهوات والانتهاء عن المعاصي وهو كقوله عز وجل لمثل هذا فليعمل العاملون اي فليكون عملهم بما يتم لهم ما ذكر من النعيم لا في الذي ينقطع ويكون عقباه النار وقوله عز وجل ومزاجه من تسنيم قيل التسنيم شيء اعده الله تعالى لاوليائه لم يطلعهم عليه في الدنيا وهو من قرة الاعين التي لا يعلمها الانفس فوصف مرة بالمزاج بالمسك ومرة بالكافور بقوله كان مزاجها كافورا ومرة اخبر انه ممزوج بالتسنيم ولم يبين ما التسنيم والسنام ما ارتفع من الشيء فيجوز ان يكون سمي تسنيما لانه ينحدر اليهم من الاعلى واخبر انه ممزوج لما الى مثله ترغب الانفس في الدنيا وتشتاق اليه الا ترى ان الشراب في الدنيا اذا كان ممزوجا فهو في القلب ارفع منه ويكون الانفس اليها ارغب منه اذا كان غير ممزوج فرغبوا بمثله في الاخرة وذكر بعض اهل التفسير ان المقربين يسقون من ذلك الشراب صرفا ويمزج لغيرهم وقال الحسن المزاج يكون للمقربين وغيرهم وجعل الممزوج منه اشرف على ما ذكرنا وقوله عز وجل عينا يشرب بها المقربون والمقربون هم الذين يسارعون في الخيرات في الدنيا فتركوا مني الانفس واتقوا المهالك والزلات فهم المقربون واضاف التقريب الى العين لانهم بغيرهم ما وفقوا لاكتساب الخيرات وعصموا عن ارتكاب المهالك والزلات لا بانفسهم فنالوا فضل التقريب بما اجهدوا انفسهم في الدنيا للامور التي ذكرنا وقوله عز وجل ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون فوجه ذكر ضيع الكفرة بالمؤمنين في القران وجعله اية يتلى وان كان المؤمنون بذلك عارفين يخرج على ثلاثة اوجه احدها في تبيين موقع الحجج في قلوب المؤمنين وعلمها بهم وذلك ان المؤمنين لما سخت انفسهم باحتمال الاذى والمكروه من الكافرين انتصبوا لمعاداة ابائهم واجدادهم واهاليهم ورفضوا شهواتهم وتركوا اموالهم واختاروا اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ومعلوم انهم لم يحملوا انفسهم كل هذه المؤن طمعا ورغبة في الدنيا لما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه ما يرغب في مثله من نعيم الدنيا فثبت ان الحجج هي التي حملتهم ودعتهم الى متابعته لا غير فيكون فيما ذكرنا تثبيت رسالته وان لم يكن في الاية اشارة الى الحجج التي اضطرتهم الى تصديقه والانقياد له فيكون في ذكره تقرير لمن تاخر عنهم من المؤمنين لرسالته عليه السلام والثاني ان اولئك المؤمنين صبروا على ما نالهم من المكاره واستقبلهم من انواع الاذى في قيامهم بامر الله تعالى ليكون في ذكره تذكير لمن اخرهم من المؤمنين ان عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانه لا عذر لهم في الامتناع عن القيام بما ذكرنا وان نالهم من ذلك اذى ومكروه بل الواجب عليهم الصبر على ما يصيبهم والقيام بما يحق عليهم او ذكر ما لقي الاوائل من السلف من المعاداة والشدائد من الكفرة باظهارهم دين الاسلام ثم نلنا نحن هذه الرتبة واكرمنا بالعدد بلا مشقة وعناء لنشكر الله تعالى بذلك ونحمده عليه لعظيم ما ثناله لدينا وجزيل منته علينا وقوله عز وجل من الذين امنوا يضحكون فضحكهم يكون لاحد وجهين اما على التعجب فهم اي كيف اختاروا متابعة محمد صلى الله عليه وسلم وحملوا انفسهم في الشدائد ورضوا بزوال النعيم عنهم من غير منفعة لهم في ذلك وهم قوم كانوا لا يؤمنون بالبعث فكانوا يكذبون بما وعد المؤمنون من النعيم في الاخرة فكان يحملهم ذلك على التعجب فيضحكون متعجبين منهم او كانوا يضحكون على استهزائهم بالمؤمنين يقولون ان هؤلاء امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقوه فيما يخبرهم

التنافس حرف يستعمل في الخيرات

من نعيم

من نعيم الاخرة ولا يعرفون انه كذلك فكانوا يجهلون المؤمنين على ما جهلوا بانفسهم وظنوا ان لا بعث ولا جنة ولا نار وقال ابو بكر المجرم هو الوثاب في المعاصي وذكر ابو بكر ان في ذكر ضيع الكفار بالمؤمنين دلالة رسالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك انهم كانوا يضحكون عن المؤمنين ويتغامزون الى الضلال سرا من المسلمين فاطلع الله نبيه عليه الصلوة والسلام على ما اسروا من الافعال ليجعل لهم من افعالهم حجة عليهم لنبوته ورسالته عليه السلام وقوله عز وجل واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين قال بعضهم لاهين او معجبين بحال المؤمنين ومسرورين كما قال تعالى انه كان في اهله مسرورا وقوله عز وجل واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون فيجوز ان يكون وانسبوهم الى الضلال لتركهم دين ابائهم وراوا ما اختاروه من تحمل الشدائد ورضوا من العيش ضلالا منهم وقوله عز وجل وما ارسلوا عليهم حافظين اي لم يرسلوا بحفظ اعمال المسلمين فيكون في ذكر هذا تسفيه احلامهم وهوانهم تركوا النظر في احوال انفسهم وجعلوا يعدون على المسلمين عيوبهم ارسلوا عليهم حفاظا وما ارسلوا ويكون هذا اخبارا عن الكفار انهم يقولون ما ارسلوا ويكون هذا اخبارا عن الكفار انهم يقولون ما ارسل علي احد حافظ عليه اعماله فيكون هذا على الانكار منهم بكرام الكاتبين وقوله عز وجل فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون ويكون ضحكهم على المجازات للكفرة بما كانوا يضحكون منهم في الدنيا وقوله عز وجل على الارائك ينظرون فمنهم من وقف على قوله على الارائك ومنهم من راى موضع الوقف على قوله ينظرون فاذا وقف على قوله على الارائك كان معناه انهم ينظرون هل جوزي الكفار ما اوعدهم الرسل في الدنيا او لا بعد واذا وقفت على قوله ينظرون كان قوله تعالى هل ثوب الكفار اي قد جوزي الكفار ما كانوا يفعلون فهم ينظرون كيف يعاقبون ثم اقول ان كيف احتملت انفسهم النظر الى الكفار وبما هم فيه من التعذيب والمرء اذا راى احدا في شدة العذاب لم يحتمل طبعه ذلك وينغص عليه العيش فجائز ان يكون الله تعالى انشأهم على خلقة لا يقبل المكاره ولا يجدها بل ينال الذات كلها والمسار والدفع عنهم المكروه لبلوغ العداوة بينهم وبين اهل النار غايتها وكذلك يرى المرء في الشاهد اذا عادى انسانا واشتدت العداوة فيما بينها ثم راه يعذب بالوان العذاب لم يثقل عليه ذلك بل احب ان يزاد منه ثم جائز ان يرفع اليهم اهل النار اذا اشتاقوا النظر اليهم فيرونهم او يجعل في بصرهم من القوة ما ينتهي الى ذلك المكان ثم ذكر بعضهم ان هذه السورة مكية ومنهم من ذكر انها نزلت بين مكة والمدينة وهي مكية ومنهم من ذكر ان اولها مدنية واخرها مكية والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله تعالى اذا السماء انشقت هو جواب سؤال تقدم لما ذكرنا ان حرف اذا حرف جواب وليس بحرف ابتداء فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ملاقات الاعمال متى وقتها فقال تعالى اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت فكذلك وقت ملاقات الاعمال وقيل ذكر في الخبر ان اخوين احدهما مسلم والاخر كافر قال للمسلم اترى انا بعد الموت مبعوثون فقال له بلى والذي خلقك والجنة الا وليت فنزلت هذه السورة تبين لهم وقت بعثهم انه عند انشقاق السماء ومد الارض ونحوه ثم ذكر الجواب في ابتداء السورة ليكون المراد ذكرها لانه يكون ادعى لها واذا ذكر في وسط السورة لم يحفظ الا بالتلاوة ولهذا المعنى والله اعلم جعلت الم والر وكهيعص وطه رؤس السور لان الكفر كانت من عادتهم الاعراض عن القران وترك الاستماع اليه ليفهموه فابتدئت السورة بما ذكرت من الرموز والاشارات ليحملهم ذلك على التكفر فيه والنظر اذ لم يكن سبق منه العلم بمعرفة ما يراد من قوله الم والر ثم ذكر انشقاق السماء ومد الارض والقاها ما جعل فيها ليعرفوا شدة ذلك اليوم فيخافوه ويستعدوا له وقوله عز وجل واذنت لربها وحقت قيل سمعت لربها واطاعت واجابت الى ما دعيت اليه ثم المراد من الاذن مختلف فحقيقته ان يصرف كل شيء الى ما هو الاولى به الا ترى انك اذا قلت اذن الرجل لعبده في التجارة فلست تريد لقولك اذن ما تريد به اذا اذنت لغيرك ان يتناول من طعامك بل تريد بالاذن للعبد الامر بان يتجر حتى لو لم يفعل تلومه على ذلك وتريد بالاخر اباحة التناول قال الله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وقال في موضع اخر وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله فكان المراد من الاذنين مختلفا فثبت ان حقه ان يحمله الى ما دعاه اليه اوجه وهو الى الطاعة والاجابة ها هنا اوجه لذلك حملوه عليه وقوله عز وجل وحقت اي حق لها ان تسمع وتطيع وجائز ان يكون الاجابة منصرفة الى اهلها ثم نسب اليها ذلك وان كان المراد منه الاهل كقوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ولا يوجد من القرية عتو وانما يوجد من اهلها فان كانت

كذلك فعنه انه لا يتخلف احد من الاجابة الى ما دعاه اليه الرب تعالى خلافا على ما كانوا عليه من الدنيا فان
كثيرا من اهل الدنيا اعرضوا عن طاعته واشتغلوا بمعصيته ثم الاجابة والطاعة والطوع والكره ومثل هذه
الاوصاف اذا اضيفت الى من هو من اهل الاختيار فهو على الطوع المعروف والاجابة المعروفة واذا
اضيف الى من ليس هو من اهل الاختيار فهو على تعيين الهيئة على ما عليه الخلقة نحو الارض توصف بالحيوة اذا
انبتت وتوصف بالموت اذا يبس عليها وصارت متهشمة فاديهما انهما صارت بهيئة لو وجدت تلك
الهيئة في الروحانيين لصار احدهما على الحيوة والاخر على الوفاة وقال تعالى ثم استوى الى السماء فسويهن
سبع سموات قوله تعالى وقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وهما لا يوصفان بطوع
ولا كره خلقتا على هيئة لو وجدت تلك الهيئة فيمن وصف بالطوع والاكراه كان ذلك منه طوعا
وقال ابرهيم عليه الصلوة والسلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس في الحقيقة لا تضل ولكنها
انشئت على هيئة لو كانت تملك الاضلال بعد ذلك منها اضلالا وقوله عز وجل واذا الارض مدت
قيل بسطت وسويت بكسر الشعاب والاودية بالجبال لتماسا فصارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا وقوله عز وجل والقت ما فيها وتخلت اي القت ما وضع فيها من الموتى والكنوز فتخلت
عنها فنسب التخلي اليها وان كان من فيها هو الذي خلا عنها وكانت هي الحابسة لانه اذا خلا عنها
خلت هي عنه وقوله عز وجل يا ايها الانسان انك كادح هو الساعي وهو الذي اعتاد ذلك وهذا في
كل الانسان تراه ابدا ساعيا اما في عمل الخير او عمل الشر او فيما ينفعه او فيما يضره حتى لو هم بترك
السعي لم يقدر لان تركه السعي نوع من السعي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حين
تلا هذه الاية انا ذلك الانسان فهذا ليس انه هو المخصوص بالخطاب لانه بين الانسان فقال فاما
من اوتي كتابه بشماله ولا يجوز ان يكون هو المراد بهذا كله فكل احد على الاشارة مراد بقوله تعالى
يا ايها الانسان فلذلك قال النبي عليه السلام انا ذلك الانسان وقوله عز وجل الى ربك كدحا فجائز
ان يكون معناه انك احمل كدحك الى ربك في ان تسعى في طاعته وطلب مرضاته فانك ملاقيه
لا محالة اي تلاقي جزاء عملك ان خيرا فخير وان شرا فشر وجائز ان يكون الملاقات كناية عن البعث
اذ البعث قد يكنى عنه بلقاء الرب قال الله تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه وسمي ذلك اليوم يوم
المصير الى الله تعالى ويوم البروز بقوله تعالى وبرزوا لله جميعا ووجه التسمية بهذه الاسامي
لما ذكرنا ان المقصود من خلق العاقبة فسمي بروزا لما للبروز انشئ وسمي مصيرا الى الله تعالى
لمصيرهم الى ما له خلقوا وان كان الخلق كلهم بارزين لله قبل ذلك ولم يكونوا عنه غائبين فيصيروا
اليه خصوصا لذلك اليوم وقوله عز وجل فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
يسيرا فسماه حسابا يسيرا لوجوه احدها ان المؤمن اعتقد تصديق الرب في كل ما دعاه اليه
واذا كان على التصديق سهل عليه تذكير ما قد عمله بتفكر الجملة ووجه اخر انه اذا نظر في كتابه
راى حسناته مقبولة وسيئاته مغفورة فسمي ذلك اليوم يسيرا له لما اثبت فيه من الخيرات ومحي
عنه من السيئات كما سميت الخيرات يسرى وسمي ما يجري عليها يسرا ايضا فكذلك الذي اوتي كتابه
بيمينه يجري عليه الخير يسمى حسابا يسيرا وجائز ان يكون المسلم يحاسب ان يذكر ما انعم عليه في الدنيا
ولا يحاسب حساب توبيخ وتهويل بان يقال له لم فعلت كذا والكافر يسأل سؤال توبيخ فيقال له
فعلت كذا على الاخبار بما فعل وفي ذلك تعسير عليه وروي عن عائشة رضي الله عنها انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نوقش في الحساب فهو معذب وفي بعضها من حوسب
عذب قالت قلت يا رسول الله اليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى اهله م
مسرورا قال يا عائش ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك قال الفقير رحمة الله في ظاهر
قوله عليه الصلوة والسلام من نوقش الحساب عذب دفع لما قالته عائشة رضي الله عنها لان
المفهوم من قوله عليه السلام من نوقش الحساب غير المفهوم من قوله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا
فليس في قوله ظاهر جواب لها وكان الظاهر من الكلام الاول على ما فهمته عائشة رضي الله عنها و
لكن وجه الجواب فيه ان قوله عليه السلام من حوسب عذب وقوله عز وجل فسوف يحاسب
ليس على كل الحساب وانما هو على الحساب الذي لا يناقش فيه فاما الذي هو عرض فليس مما يعذب
عليه فيكون فيه ابانة انه بالخطاب العام عموم المراد كما فهمته عائشة رضي الله عنها بل يجوز ان يكون
الخطاب عاما والمراد منه خاصا وقوله عز وجل وينقلب الى اهله مسرورا وقال في شان الذي اوتي
كتابه وراء ظهره ويصلى سعيرا انه كان في اهله مسرورا فهذا لان المسلم انما ناهل على قصد تحصيل
النفع لنفسه في العاقبة ويكون معينته له على امور الاخرة فحصل له ذلك النفع باحرازه السرور والام
بذلك والكافر تاهل للمنافع الحاضرة ويسر بهم سرورا ايثار السرور امر العاقبة فحق عليه العذاب
لتركه السعي للاخرة لا لسروره باهله وهو كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء

لمن نريد الاية والكل ممن يريد العاجلة ولا بد له منها لكن الذي يصلى جهنم هو الذي يبتغي العاجلة ابتغا
ايثار ذلك على الاخرة فكذلك المسرور باهله انما هلك بالنعمة لما منعه السرور عن النظر للعاقبة لا لنفس
السرور لان كل من اهل لا يخلو عن السرور باهله والله اعلم وقوله عز وجل واما من اوتي كتابه وراء ظهره
قال لا نبا عن وراء الظهر يحتمل وجهين احدهما ان استقذره لخبث منظره فاوتي من وراء ظهره مجازاة
له بما سبق من صنيعه انه نبذ كتاب الله تعالى وراء ظهره وترك اوامره ونواهيه كذلك وراء ظهره
فجوزي ايضا بدفع كتابه وراء ظهره ودفع الى المؤمن كتابه بيمينه لما في كتابه من المحاسن والبركات
واليمين انشئت يستعمل في البركات وانواع الخير وسميت ايضا باسم مشتق من اليمن والبركة والشمال
جعلت ليستعمل في الاقذار والانجاس فدفع كتابه من حيث عمله اليه لشماله ايضا او من وراء ظهره
لان اهل الايمان قبلوا امر الله تعالى ونواهيه واستقبلوها بالتعظيم والتبجيل ومن اراد تعظيم الاخر
في الشاهد تبجيله اخذه بيمينه فجوزوا في الاخرة بالتعظيم لهم بان اوتي كتبهم بايمانهم واما الكافر
فانه استخف بامر الله تعالى وطاعته فجوزي في الاخرة بان اوتي كتابه بشماله التي يستعمل في الاقذار اهانة
وتحقيرا وقوله عز وجل فسوف يدعو ثبورا الثبور والويل حرفان يتكلم بهما عند الوقوع في المهالك
فيكون في ذكر الثبور ذكر وقوعه في المهلكة التي يحق له دعاء الثبور والويل على نفسه دعا به او لم
يدعوا على سبيل الكناية عن الوقوع في المهالك وهو كقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فالضحك كناية
عن السرور والبكاء كناية عن الحزن فمعناه انه يستقبله ما يحزن له طويلا كان هناك بكاء او لم يكن
وقوله عز وجل انه ظن ان لن يحور بلى فيه دلالة انه انما حل به ما ذكر من العذاب لانه كان للبعث ظانا
ولم يكن به مستيقنا وكذلك الله سبحانه حيث قسم الوعد والوعيد للفريقين ذكر في اخر ما بين ان
الذي اوعد بالعذاب هو المكذب وذكر الوعيد ها هنا وبين ان الذي يحل به هذا الوعيد هو
الذي كان ظانا بالمعاد ولم يكن متحققا وقال الله عز وجل فاما الذين فسقوا فمنها وهم النار الى
قوله وذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فتبين ان الوعيد في المكذبين وقال تعالى تلفح وجوههم
الى قوله فكنتم بها تكذبون ليعلم ان الوعيد الدائم في المكذبين خاصة فيكون فيه دفع قول المعتزلة ان
اهل الكبائر يخلدون في النار وقوله عز وجل ان ربه كان به بصيرا اي كان بصيرا بما سبق من اعماله
الخبيثة فيحاسبه على علم منه بما كسبت يداه ويعذبه على علم منه بالكتاب ما استوجب من العذاب
خلافا فان الامر ملوك الدنيا انهم يحاسبون على تذكير الغير لهم ما عليه من الحساب ويعذبون
تعريف الغير لهم ما استوجب به التعذيب لا على علم منهم بذلك او يكون معناه انه كان
به بصيرا في الازل انه ماذا يعمل اذا انشاه والى ماذا ينقلب امره الى النار او الى الجنة فخلقه على علم
انه يعادي اولياءه ويعمل بمعاصيه ولقائل ان يقول بان المرء في الشاهد لا يشرع في الامر الذي
يعلم انه في العاقبة يضره ولا ينفعه ولو شرع فيه واتمه كان مذموما عند الناس ولم يكن
محمودا فاي حكمة في انشاء عدوه وهو عالم انه يسعى في انشاء عدوه وهو عالم انه يسعى في معاداته
فجوابه والله اعلم ان الذي يشرع في الامر الذي علم ان اتمامه يضره ولا ينفعه انما يلحقه الذم
بما سعى في اضرار نفسه فاما الذي اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر به فانما اكتسب الضرر على نفسه حيث
بان اوقعها في المهالك ولم يضر غيره لذلك لم يلحقه المذمة في خلقه وانشائه وفي هذا دلالة
ان الله حيث خلق الخلق لم يخلقهم لمنفعة له ولا لمضرة يلحقه من جهتهم بل منافعهم ومضارهم
راجعة الى انفسهم والله اعلم وقوله فلا اقسم بالشفق فمنهم من حمل قوله فلا على دفع منازعة
وقعت فيما بين القوم على ما نذكر في سورة لا اقسم ان شاء الله وانما القسم قوله عز وجل اقسم
ومنهم من جعل لا بحق الصلة فان كان على الوجه الاول لم يجز حذف لا من الكلام بل حقه ان
يقرأ فلا اقسم وان كان بحق الصلة استقام من حذفه كما قرأ بعض القراء فلا اقسم بالشفق
ثم الشفق هو اثر النهار فجائز ان يكون القسم واقعا على النهار كله وان كان ذكر طرفا منه والثاني
ان الشفق يجمع فيه اثر النهار وهو النور الذي فيه واثر الشمس وهي الحمرة التي يكون فيه فيكون
القسم واقعا على النهار بما فيه كما كان واقعا على الليل بما فيه بقوله والليل وما وسق فيكون فيه حجة
لقول ابي حنيفة رضي الله عنه ان وقت العشاء لا يدخل حتى تغيب الشفق لانها يدخل بغيبوبة
الشفق والشفق وجدناه مشتملا على البياض والحمرة فما لم يتم الغيبوبة لم يجئ وقتها الا ترى ان الصلاة
التي تلي الغروب لا يدخل وقتها حتى يتم غروب الشمس فكذلك الصلاة التي تلي الغروب الشفق
لا يدخل وقتها حتى تتم الغيبوبة وقوله عز وجل والليل وما وسق قال بعضهم وما وسق اي وما وسق
وحمل معه الظلمة والنجوم والنائم وغير ذلك والوسق الحمل يقال وسق بعيرا اي حمل بعيره وقال بعضهم
وسق اي جمع وساق كل شيء الى مأواه من الطير والسباع فذكر النهار والليل لما فيهما من المنافع
وقوله والقمر اذا اتسق فالاتساق الاجتماع ومعناه استوى وكمل اذ ذلك اجتماعه وذلك في ليالي

البيض وقال ابو بكر الاصم معناه انه جمع وسوى بعد ان كان لعرجون القديم فذكرهم قوته ليعلموا
انه قادر على بعثه وقوله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق قرئ بنصب البا ورفعها وكلا القراءتين في المعنى
واحد ان كان في القراءة احداهما للجمع والاخرى للوحدان واحدى القراءتين بحرف الجمع ليذكر بالرفع فان
قوله لتركبن منصرف الى كل انسان في نفسه خاصة لا على الاقتصار على شخص واحد لما ليس في قوله عز وجل
يا ايها الانسان انك كادح اشارة الى شخص بعينه ولكن المراد منه الجملة فثبت ان الخطاب منصرف
الى الجملة ثم قوله لتركبن طبقا قبل حالا بعد حال ثم جائز ان يصرف الى دار الاخرة فكانه قال
لتركبن حال الاخرة بعد حال الدنيا فيكون فيه تصريح القول على ايجاب البعث ويحتمل ان يكون
ذلك في الدنيا فينتقل الى حال المضغة بعد كونه مضغة الى حال العلقة والى حال الطفولة الى ان يبلغ
اشده فلا يزال يركب حالة بعد حالة فيكون في نقله من حال الى حال ابانة انه لم يرد من انشائه
ان تنقضي عليه الاحوال تنقطع بل اريد به العاقبة التي بها صار انشاء الخلق حكمة لا عبثا فيكون قوله
لتركبن منصرفا الى كل انسان في نفسه خاصة لا على الاقتصار على شخص واحد لما ذكرنا ومنهم من قال
لما اريد به الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه لكن قال ابن مسعود
رضي الله عنه لتركبن يا محمد وقال ابن عباس رضي الله عنهما لتركبن السماء حالا بعد حال فان كان التاويل
على ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه ففيه بشارة له باسلام قومه واجابتهم له فيقول انهم سيطيعونك
ويصيرون لك انصارا بعد صدهم الناس عن الايمان وحيفوتهم اياك ومن قال لتركبن سما فيقول ذلك
ليلة اسرى به والتاويل الاول اقرب لان موقع القسم في قوله لتركبن والاسراء لم يكن يعرفه قومه
حتى يكون في ذكره رفع الاشتباه عنا او لتلك القوم فاما ظهور الاسلام وعلو النبي على اعدائه فما يشاهده
الناس فيتحقق في الاخرة ما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيب فيكون تاكيد الرسالته فلذلك قلنا
ان الحمل على المعنى الاول احق والله اعلم وقوله عز وجل فما لهم لا يؤمنون الاصل ان كل من اعتقد مذهبا
فانما يعتقده بحجة تقررت عنده او شبهة اعترضت له ظنها حجة فاما ان يعتقده جزافا فليس
يفعله عاقل الله تعالى فهؤلاء فما لهم لا يؤمنون اي اي حجة لهم يمنعهم عن الايمان بالله تعالى
وبرسوله ويدعوهم الى الشرك والتزيين به ثم قد ذكرنا ان ما خرج مخرج الاستفهام من الله تعالى فحقه
ان ينظر ما يقتضي ذلك الكلام من الجواب ان لو كان من مستفهم فيحمل الامر عليه وحق جواب هذا الكلام
ان يقول لا شيء يمنعه عن ذلك فقوله فما لهم لا يؤمنون اي لا حجة لهم فيما اختاروا من الشرك
وانما يتدينون به تشهيا وتمنيا فيكون هذا على النفي في ان لا حجة لهم او كانه يخاطب رسوله عليه الصلوة
والسلام فيقول سلهم لماذا لا يؤمنون واذا سألتهم لم يجد والانفسهم حجة في الاعراض عن الايمان
فيرجع الامر الى ابتغاء الحجة ايضا ثم المعتزلة احتجت علينا بهذه الاية في تثبيتهم القدرة قبل الفعل وزعمت
انه لو لم يكن اعطى قوة الايمان لم يكن يعاتب على تركه لانه لا عذر للعبد اعظم من ان يقول اذا قيل له لم لا يؤمنون
فيقول لاني لم اقدر عليه ولانه قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون حرف تعجيب ولو كانت القوة ممنوعة قبل
الفعل لكان له ان يقول انما لم او من لاني منعت عنه فيرتفع عنه التعجيب فدل انه اعطى القوة فلم يفعله
فاكلف عن الايمان عذر والجواب عن الفصل الاول ان الكافر اذا حققته كلفة الايمان هو الذي ضيع
القوة باختيار فعل الكفر وانما يرتفع الكلفة اذا امتنعت عنه الطاقة فاما اذا كان هو الذي ضيعه لم
ما الكلفة عليه قائمة والاصل ان القدرة في الصحيح السليم تحدث تباعا على قدر حرصه على العبادة وميله
اليها ثم العبد متى اشتغل بفعل صار مضيعا لضده من الافعال لا ان كان ممنوعا عن الفعل الذي هو ضد
هذا فلذلك اذا اثر الكفر واتى به فقد صار باختياره الكفر مضيعا القوة الايمان لا ان صار ممنوعا عنها لذلك
لحقته كلفة الايمان واما ما ذكر من امر التعجيب فقد وصفنا وجه التعجيب في ذلك وهو انهم لم يلزموا الكفر بحجة
وعنهم الى القول به والمرء اذا تقلد مذهبا فلذلك لا عن حجة وبرهان فيعجب الخلق باختيارهم الكفر لا عن حجة ثم
لو كان الامر على ما ظنت المعتزلة ان الله تعالى قد اعطاهم جميع اسباب الهداية ولم يبق في خزائنه شيء انفعه
منهم لكان التعجيب راجعا اليه لا الى الذين لم يؤمنوا فيقول تعالى الاصل الى هدايتهم ولم يبق عندي شيء به هدايتهم
لا موقف اعطيتهم لا ان يجب الخالق عن صنعهم فليس الذي اختاروه في القول سوء وصفهم رب العالمين
بالعجز والعاجز لا يصلح ان يكون ربا والله الموفق وقوله عز وجل واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون
فمنهم من صرف التاويل الى سجود الصلوة والمراد منه عندنا سجود التلاوة وهو سجود الاستسلام و
الخضوع على الشكر لما اكرم المؤمن بالايمان وهديه الله لان سجود الصلوة يكون عند فعل الصلوة لا عند
ذكر التلاوة ثم في الاية دلالة وجوب السجدة على السامع لانهم عوتبوا بتركهم السجود عندما تتلى
عليهم وقرعوا به والتقريع يجري في ترك اللازم لا في ترك ما ليس عليه ولان المعنى الذي له وجب السجود
على التالي قائم في السامع ان التالي انما لزمه السجود لما ذكرنا من ايات الله تعالى وتمامت عليه من الحجج
فيلزمه ان يخضع لها وقوله عز وجل بل الذين كفروا يكذبون فهو يحتمل وجهين احدهما انهم يكذبون

رسوله

رسوله بحملهم فيحملهم ذلك على التكذيب بالقران لانهم اذا كذبوا برسالته لم يصدقوه فيما ياتي من الاخبار
لا ان يكون في الاخبار ومعنى يحملهم على التكذيب بل القران يحملهم على التصديق والايمان لو انعموا النظر فيه
وبذلوا من انفسهم الانصاف او يكون معناه ان الذين كفروا هم المكذبون فيكون الكفر منهم تكذيبا
والتكذيب منهم كفرا وقوله والله اعلم بما يوعون يحتمل وجها احدها ما يضمرون من الكيد والمكر برسول
الله صلى الله عليه وسلم فالله اعلم بكيدهم لا يتهيأ لهم ان ينفذ واكيدهم فيه الا ما كتب الله عليه فيكون
فيه بشارة له بالنصر والتاييد والثاني والله اعلم بما يوعون في قلوبهم من التصديق ويظهرون من التكذيب
بالسنتهم او بما يجمعون من التكذيب بالسنتهم وقلوبهم معا ذلك ان البعض منهم كان قد ايقن برسالته فكان
يصدقه بقلبه ويكذبه بلسانه على العناد منه والتمرد ومنهم من لم يكن عرف صدقه بقلبه لما ترك
الانصاف من نفسه باعراضه عن النظر في حجج الله تعالى فكان يكذبه بقلبه ولسانه جميعا وقوله عز وجل فبشرهم
بعذاب اليم فالبشارة اذا فسرت استقام حملها على الحزن والسرور جميعا واما البشارة المطلقة فانما تستعمل
في موضع ادخال الفرح والسرور في القلب وقوله عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فجائز ان يكون
منصرفا الى كل من امن وجائز ان يصرف الى من امن من الذين كانوا يوعون ما ذكرنا وقوله عز وجل لهم اجر غير ممنون
نذكره في سورة والتين والزيتون ان شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء ذات البروج فقوله ذات البروج على القسم وكذلك
ما ذكر عقيبه ثم اختلف في موضع القسم في هذه السورة فمنهم من ذكر ان القسم لكان قوله قتل اصحاب
الاخدود ومنهم من يقول القسم موضعه على قوله ان بطش ربك لشديد وهو اشبه لانه في
موضع الاحتجاج على الكفرة ولو حمل القسم على قوله قتل اصحاب الاخدود وكان ذلك منصرفا الى المؤمنين
والمسلمون قد تيقنوا بصدق ما ياتي به الرسول من الانباء والقسم يذكر على تاكيد ما يقصد اليه ليزال
عنه الريب واذا كان المسلمون غير مرتابين في نبائه استغنوا عن تاكيده بالقسم فلذلك قلنا انصرف
الى قوله تعالى ان بطش ربك لشديد اليق فيكون فيه تحذير لمن كذب رسوله صلى الله عليه وسلم
ان بطشه لمن كذب رسوله لشديد قد علموا ذلك بما وصل اليهم من انباء عاد وثمود وفرعون
وغيرهم وجائز ان يكون موضع القسم على قوله قتل اصحاب الاخدود وذلك ان اهل مكة كانوا
اهل تعذيب لمن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان في ذكر ما نزل بالمتقدمين من انواع العذاب
وصبر اولئك المعذبين على دينهم وضنهم به وحسن ثناء الله تعالى عليهم تصبير لهم وتهوين على ما
ما يلقون من العذاب ليتناولوا من حسن ثناء الله تعالى لهم ما نال من صبر من تقدمهم من السلف
وكذلك ذكر سحرة فرعون واحسن الثناء عليهم بصبرهم على تعذيب فرعون فقالوا اقض ما انت
قاض انما تقضي هذه الحيوة الدنيا ليكون ذلك عونا لهم على الصبر بما يلقون من الكفرة من التعذيب
ثم اكد الامر بالقسم لانه لا كل مسلم يبتلى بتعذيبهم يبلغ يقينه مبلغا لا يعتريه الشك ولا يتخالجه
شبهة في ذلك فاكد الامر بالقسم لرفع الريب والاشكال وقال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون
كثير وفي بعض القراآت قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
فذكر المؤمنين ما لقي السالف من الكفرة وابتلوا بقتل الرسل وثباتهم على الدين ليستعينوا به على ما يصيبهم
في سبيل الله ولا ينقلبون على اعقابهم اذا اخبروا بقتل الرسول وفي ذكر هذه الانباء دلالة ان قول
الرسول عليه الصلوة والسلام لعمار رضي الله عنه ان عادوا فعد حين اكره على اجراء كلمة الكفر
على لسانه فاجرى وقلبه مطمئن بالايمان ليس على الامر به والايجاب عليه والتحمل بطريق العزم
بل معناه ان عادوا فلك العود على سبيل الرخصة لانه لو كان على الامر لم يكن في ذكر نبا اصحاب
الاخدود وسحرة فرعون فائدة سوى ان يترك العمل بهم ومعلوم بان تلك الانباء انما ذكرت
ليعمل بها لا ليترك بها العمل لذلك حمل قوله فعد على الرخصة لا على الامر به ويكون
المراد من قوله عليه الصلوة والسلام ايضا من لم يقبل رخصا كما يقبل عزائما فليس منا اي
لم ير العمل به موسعا بل استكره واتى قبوله لا ان يكون امر بترك العزيمة وايجاب العمل بالرخصة و
الله اعلم ثم يرجع الى قوله تعالى والسماء ذات البروج فقال بعضهم هي البروج المعروفة وهي اطراف
البناء واذا بنا بناء اتخذ على طرفه برجا ليشتد بناؤه ومنهم من قال البروج القصور ومنهم
من قال البروج النجوم لقوله وجعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وزينة السماء هي الكواكب
بقوله بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد ومنهم من قال هي مجاري الشمس والقمر والكواكب
فمنازلها هي البروج ثم ذكر السماء بالبروج ليعرف حدثها ودخولها تحت تدبير الغير اذ ذكرها
بالمنافع المجعول فيها ليعلم الخلق انها سخرت للمنافع فيعرفوا باحداثها اذ المسخر لمنافع الغير داخل

تحت قدره من عجزه والمقدور محدث وهم لم يشهدوا بدوها ليعرفوا بها حدثها ولا كل احد يعرف
حدثية الشيء لكونه محدودا في نفسه اذا لم يشاهدوا بدوه فذكرها حيث ذكرها بما فيها من المنافع
المجعولة للخلق اذ ذلك اظهر وجوه الدلالة على الحدثية ليعلموا بها حدثها الا ترى ان ابراهيم صلوات
الله عليه احتج على قومه بنفي الالهية عن الكواكب بافولها اذ ذلك اظهر وجوه الحدثية ولم يحتج
عليهم بانتقالها من موضع الى موضع ولا بكونها محدودة في نفسها بل احتج عليهم بما ذكرنا ثمه
ليتحقق عندهم حدوثها ودخولها تحت سلطان الغير وقوله واليوم الموعود قيل هو يوم القيمة
يسمى موعودا لما وعد من جميع الاولين والاخرين في ذلك اليوم ثم اقسم بذلك اليوم وان كانوا
منكرين له لما قرره عليهم بالحجج والزمهم القول به وقيل اليوم الموعود هو كل يوم ياتي بما وعد
فيه من الرزق وغيره والله اعلم وقوله عز وجل وشاهد ومشهود اختلف في تاويله فمنهم من قال
الشاهد هو الله تعالى والمشهود هو الخلق واستدل على ذلك بقوله كنت انت الرقيب وانت على كل
شيء شهيد وقيل الشاهد الرسول صلى الله عليه وسلم والمشهود امته قال الله تعالى ويوم نبعث من
كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ومنهم من يقول الشاهد هو الكاتبان
اللذان يكتبان على بني ادم اعمالهم والمشهود هو الانسان الذي يكتب عليه ومنهم من يقول الشاهد
والمشهود هو الانسان نفسه اي جعل عليه من نفسه شهودا بقوله يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون ومنهم من يقول الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة سمي يوم
الجمعة شاهدا لانه هو الذي يشهدهم ويأتيهم وسمي يوم عرفة مشهودا لان عرفة اسم مكان
والناس يأتونها ويشهدونها ولا يأتيهم فعظم شان عرفة لما يعظمها اهل الاديان كلها وعظم
يوم الجمعة لانه يوم عيد المسلمين ولكل اهل دين يوم يعظمونه فاكرم الله تعالى المؤمنين بهذا اليوم
الذي يعظمه غيرهم من اهل الاديان فاقسم بهما وقوله عز وجل قتل اصحاب الاخدود قيل اصحاب
الاخدود واختلف في تاويله فمنهم من صرفه الى المعذبين ومنهم من صرفه الى المعذبين فمن صرف
الى المعذبين حمل قوله قتل على اللعن اي لعنوا كقوله تعالى قتل الخراصون اي لعنوا ومن صرفه الى الذين
عذبوا حمله على القتل المعروف ثم اختلف في قصتهم وتلك الذين عذبوا فان كان القصة في الكفرة
فما ينبغي ان يفسر على وجه من ذلك ما لم يثبتوا فيه الخبر عن المصطفى عليه الصلوة والسلام لانهم وجدوا
موافقة للانباء المذكورة في كتبهم وقد علموا انه لم يصل الى معرفتها الا الله تعالى اذ لم يره يختلف الى من
عنده علم الانباء ليصل الى معرفتها بهم فاذا فسرت على وجه امكن ان يقع فيها زيادة ونقصان
على ما ذكروا في الكتاب فيجدوا به موضع الطعن والقدح لذلك لم يسع ان يزاد على القدر الذي جرى
ذكره في الكتاب الا من الوجه الذي ذكرنا وان كان القسم في المؤمنين وسع القول بحمل النار والبلايات
التي ذكرها اصحاب التفسير لارتفاع المعنى الذي ذكرنا في الكفرة والله اعلم ثم ذكر هذه الانباء تقرير
رسالته ونبوته عليه الصلوة والسلام لما ذكرنا انه لم يختلف الى من عنده علم هذه الانباء وليعلم به
فاذا انبأهم على وجهها تيقنوا انه بالله تعالى علم وفيه تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتخفيف الامر عليه لانه يخبره ان قومك لن يسبوا ابوك من اذوك وعاندوك بل لم يزل سلفهم
تلك عادتهم باهل الاسلام وفائدة اخرى ما ذكرنا ان في ذكره بعض ما يستعين به من ابتلي باذى
الكفرة وفيه ان اولئك الكفرة بلغ من شقوتهم بدينهم ما يقاتلون عليه من اظهر مخالفتهم في الدين
ليعلموا ان القتال لمكان الدين ليس بامر شاق خارج من الطباع بل الطباع جبلت على القتال مع من عاداهم
في الدين فيكون فيه ترغيب للمسلمين على القتال مع الكفرة اذا امتحنوا والله اعلم وقوله النار ذات الوقود
فمنهم من جعل الوقود من القي فيها من المؤمنين ومنهم من جعل الوقود صفة تلك النار التي
عذبوا بها وقوله عز وجل اذ هم عليها قعود اي عظماءهم وكبراؤهم جلوس عند الاخدود
وفيه ان اتباعهم هم الذين كانوا يتولون القاء المؤمنين في النار وكبراؤهم جلوس هنالك وقوله
عز وجل وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يحتمل وجهين احدهما ان يكون الشهود هم العظماء
والفراعنة ويكون منصرفا الى الاتباع وهو ان الاتباع كانوا يلقون المؤمنين في النار ويشهدون
انهم على الضلال وانهم ورؤساؤهم على الهدى والحق وهو كما قال في موضع اخر ويقولون
للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وقوله عز وجل وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا
بالله العزيز الحميد فذكر العزيز الحميد ليعلم انه لا يلحقهم ذل بما يحل من الذل باوليائه واهل طاعته
ولا في حمده تصور بقهر اوليائه خلاف ما عليه ملوك الدنيا وذلك ان ملوك الدنيا اذا احل
باوليائه واحد منهم ذل كان الذل حالا فيه ايضا واذا قهر بعض اتباعه فترك نصرهم و
استنقاذهم لم يحمدوا ذلك منه ولحقته المذمة وذلك لان الملك انما استفاد العز باتباعه وانصاره
فاذا استبدل اتباعه زال ما به نال العز فلحقه الذل ونال الحمد ايضا بالاحسان الى مملكته فاذا

ترك نصرهم

ترك نصرهم وهو ممكن من ذلك وقت ترك الاحسان اليهم فصار به غير ممدوح ولا محمود والله تعالى استحق العز
والحمد بذاته لا باحد من خلائقه فلم يكن في اذلال اوليائه ما يوجب النقص في وصف الحمد ولا ما يوجب
قصورا في العز والثاني ان الدنيا وما فيها انشئت للاهلاك وقتل الاهلاك انما ذكر اسم عليهم من
هلاكهم حتف انفسهم وكان في ذلك النوع من الهلاك نيل درجة الشهداء وهي التي ذكرها الله تعالى
في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم الاية ولا ينال تلك الدرجة بموتهم
حتف انفسهم فهذا ابلغ نصر منه اياهم ثم للجزاء والعقاب دار اخرى فيها يظهر تعزيز الاولياء وقمع
الاولياء فلم يكن في ترك النصر في الدنيا ما يوجب وهنا ولا ذلا واما ملوك الدنيا اذا تركوا نصرهم
وقت ملكهم لاوليائهم لم يتوقع منهم النصر بعد ذلك اذ ليست في ايديهم الا المنافع الحاضرة كذلك
لحقتهم المذمة بترك النصر والله اعلم ثم ليس في اهلاك اولئك القوم الذين امنوا واقتدارهم عليهم
ايهام انهم كانوا على الحق والصواب وان المؤمنين كانوا على الخطاء لان الاهلاك انما يصير اية
اذا كان على خلاف المعتاد واهلاكهم لم يكن كذلك لان عددهم كان كثيرا وكان في المؤمنين قلة و
اهلاك الكثير للقليل غير مستبعد بل هو امر معتاد وغلبة الفئة القليلة الفئة الكثيرة هي التي تخرج
من حد الاعتياد فيكون فيها اية ان الفئة القليلة على الحق والاخرى على الباطل وذلك نحو غلبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومن معه من المسلمين مع قلة اعدادهم وضعفهم في انفسهم
وكثرة اتباع الكفرة وقوتهم وجلادتهم في انفسهم والله اعلم ثم قوله عز وجل وما نقموا منهم اي لم يكن
من المؤمنين بمكانهم جرم من ينتقم منهم بالاحراق سوى ان امنوا بالله تعالى وقيل ما عابوا عليهم وما انكروا
منهم سوى ان امنوا بالله تعالى وفي هذا تبين سفههم وعتوهم لانهم علموا ان ما لهم من النعم كلها
من الله تعالى فكان الله الذي يحق عليهم ان يؤمنوا بالله تعالى ويشكروه بما خولهم من النعم ويدعوا غيرهم الى الايمان
به لا ان يقتلوا ويعذبوا من امن ثم قوله عز وجل العزيز الحميد فالعزيز هو الذي لا وجود لهم
او هو عزيز لا يلحقه ذل فيكون العز مقابل الذل وقال اهل التفسير العز المنع والعزيز هو الذي لا يعجزه شيء
وهو الحميد المستوجب للحمد من كل احد بذاته وقوله عز وجل الذي له ملك السموات والارض الاية فذكر
هذا ليعلم انه لا يدخل في ملكه قصور بقتل اوليائه وانصار دينه لان الخلق كلهم عبيد الله تعالى واماؤه و
السيد اذا قتل بعض مماليكه بعضا لم يلحق السيد بذلك ذل ولا نقص وانما يدخل عليه الذل اذا قتلهم غير
مماليكه فاذا كان الخلق باجمعهم عبيد الله لم يكن في قتل بعض بعضا نقص يدخل في ملكه وقوله والله على كل
شيء شهيد اي يحفظ عليهم اعمالهم فيجازيهم بها لا يعزب عنه شيء وقوله عز وجل ان الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات فالفتنة المحنة وهي ماخوذة من فتن الذهب اذا اذابه لانه يذيبه
ليتبين به بين ما خبث منه وبين ما صفا وبين الذهب وبين ما لبس بذهب فاستعملت في موضع الفتنة
لان المحنة هي الابتلاء ليتبين بها الصادق من الكاذب والمحق من المبطل وذلك يكون بالامر والنهي
فسمي الامر والنهي من الله تعالى امتحانا لهذا وان كان الله تعالى لا يخفى عليه شيء ثم وجه فتنتهم
انهم اتخذوا الاخاديد واوقدوا فيها النيران ليلقوا فيها من ثبت على الايمان ودام عليه ويتركوا
القاء من رجع عن دينه فقيل فتنوا لهذا وقوله عز وجل ثم لم يتوبوا فيه انهم لو تابوا لكان
يعفى عنهم ولا يعاقبون مع عظم جرمهم بربهم في ذات الله تعالى فيكون فيه اظهار كرمه وعطفه
على خلقه وقوله عز وجل فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق فمنهم من صرف قوله ولهم
عذاب الحريق الى الدنيا فقال بان تلك النار التي عذبوا بها المؤمنين سلطت عليهم حتى حرقتهم و
جائز ان يكون ذلك في جهنم ايضا فيكون فيه اخبار بان نار جهنم يدوم عليهم بالاحراق ولا يفتر
عنهم وقوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات فمنهم من صرف هذا الخطاب الى الذين عذبوا
من المؤمنين ومنهم من صرفه الى المعذبين وهو انهم لو امنوا مع عظم جرمهم واساءتهم
باولياء الله تعالى لكان يعفو عنهم ويسعهم رحمته وقوله عز وجل لهم جنات تجري من تحتها الانهار
فقوله من تحتها الانهار يحتمل وجهين احدهما من تحت اهلها والثاني من تحت اشجارها والجنة
اسم للمكان التي فيها الاشجار الملتفة فيجوز ان الماء يجري من تحت ما به صار جنة وهي الاشجار وليس
يراد بقوله تحت الجنة اي تحت تربها لان تحتها يكون قناة او بئرا وليس بها كثير نزهة وقوله
ذلك الفوز الكبير والفائز هو الذي يظفر بما يامل وينجو عما يخاف ويحذر ووصف انه كبير لانه
ليس لما انعم زوال ولا انقطاع وقوله عز وجل ان بطش ربك لشديد اي اخذه للانتقام شديد
لشديد على الذي يعذب كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم
شديد وقوله انه هو يبدئ ويعيد قال بعضهم يبدئ العذاب ثم يعيده وقال بعضهم يبدئ الخلق
ثم يعيده بعدما اماته وقوله وهو الغفور الودود الغفور هو الستور يستر على المذنب ذنبه
اذا تاب حتى لا يذكر به ولولا ذلك لم يكن يصفو له نعيم الاخرة عن التنغيص وقوله الودود

الذي يتودد إلى خلقه فيما ينعم عليهم ويحسن إليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم وأعلى له جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها فجعل الإحسان سببا للتودد والثاني أن كل من واد آخر فالحق عليه أن يتودد إليه فالله تعالى لا نزر بنال ما به يتودد قال الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فكأنه يقول هو المستوجب للمودة من الخلق وقوله عز وجل ذو العرش المجيد فمنهم من جعل المجيد نعتا للعرش ومنهم من جعله نعتا لله تعالى فمن جعله نعتا للعرش فهو مستقيم لأنه وصفه في مكان آخر بالكريم بقوله لا إله إلا هو رب العرش الكريم والمجيد يقرب معنى معنى الكريم لأن الكريم هو الذي عظم قدره وشرفه والمجيد كذلك هو الشريف المعظم وعظم قدر العرش في قلوب الخلق وعلا حتى من زعم بعض الناس أنه مكان الرب تعالى والكريم في الشاهد هو الذي يطمع عنده وجود ما يرجى ويؤمل ويؤمن منه ما يتقى ويحذر وسمى الله تعالى النبات كريما بقوله فأنبتنا فيها من كل زوج كريم لما فيه من عظم المنافع والكريم هو النافع للخلق وقوله عز وجل فعال لما يريد أي ما يريد تكوينه يكون فيكون فيه إيجاب القول العباد وأنه شاء لكل أحد ما علم أنه يكون منه لأنه امتدح جل وعلا بالفعل لما يريد ولو لم يثبت له صنع في أفعال العباد لكان لا يختص بهذا الامتداح بل يكون كل واحد مستوجبا لهذا المدح فثبت أن كون خالقا للأشياء بما لله تعالى فيه صنع والثاني أن إحداث شيء في سلطان آخر وفي مملكته من حيث لا يشاؤه ولا يريده آية الضعف والقهر ومن ذلك وصفه لم يجز أن يكون ربا لذلك لزم وصف الله تعالى بذلك وجاز أن يكون قوله تعالى فعال لما يريد أي البعث وهو أنه أنشأ هذا الخلق للعاقبة وهكذا فعل كل مختار أنه يقصد بفعله العاقبة إلا أن يكون جاهلا بها وقوله عز وجل هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود الآية فقد وصفناها في ذكر الأنباء من الفوائد وقد ذكرنا أن فيها إثبات رسالته على ما تقدم ذكره غير مرة وقوله عز وجل بل الذين كفروا في تكذيب الكفروا أنعم الله تعالى فهم في تكذيب بأنعم الله تعالى ولما جحدوا أنعم الله تعالى لم يوفقهم للإيمان بل حصلوا على التكذيب وقوله عز وجل والله من ورائهم محيط أي من وراء تكذيبهم محيط بما ينزل بهم من العذاب ليس يوعدهم عن غفلة وخبال كما يفعله ملوك الدنيا قد يوعدون بالعذاب ولا يدرون أنهم يتمكنون من ذلك أم لا والله تعالى ينزل عليهم عذابه كما أوعد ويكون قوله من ورائهم محيط أي عالم بما يسرون ويخفون عن الخلق لا يعزب عنه شيء وقوله عز وجل بل هو قرآن مجيد فسماه مجيدا وكريما وحكيما وهذه أوصاف من وصف بها في الشاهد فإنما استحق الوصف بفعل وجد منه ولا يوجد من القرآن فعل يستحق به الوصف فالوصف به يحتمل أوجها أحدها مجيدا أي يصير من تبعه وعمل بما فيه مجيدا حكيما كريما كقوله تعالى والنهار مبصرا أن تبصر به أو يكون قوله مجيد كريم أي على الله تعالى أو سماه كريما مجيدا حكيما لعظيم قدره وسماه كريما حكيما مجيدا لما يوجد منه ما يوجد من الكرماء والحكماء والأمجاد وقوله في لوح محفوظ فمنهم من حقق اللوح والقلم وقد وصفه أهل التفسير ومنهم من جعل اللوح عبارة عما يلوح أي يظهر للملك من الأمر لا على تحقيق اللوح وسميت الباطنية القلم المبدع الأول واللوح المبدع الثاني وجعلوا المبدع الأول علة كون المبدع الثاني وزعموا أن المبدع الأول بدل له أنشأ المبدع الثاني فهو المنشئ له وسمت المبدع الأول باريا والمبدع الثاني خالقا رحمانا وسمت الفلاسفة المبدع الأول عقلا والثاني نفسا ثم حدث التوالد من الأنفس فما جعلهم الأول أصلا وعلة ليس أما ذكروا فذلك يحتمل أن يجعل الأول أصلا للثاني وعلة كما استقام أن يجعل النطفة أصلا لخلق البشر ولكنه لا يجوز أن يسمى بواحد من الاسمين اللذين ذكرتهما الباطنية والفلاسفة لأنه لا يجوز إنشاء الأسماء بهذه الأشياء اختراعا بل تسميتهما جاءت بها التسمية من عند الحجة وإنما جاءت التسمية من عند الحجة باللوح والقلم فلا نسميهما بغيرهما وقوله عز وجل محفوظ أي عن أعدائه فلا يتمكنون من تغييره وتبديله وأخبر أنه أنزله إليه على يدي رسول قوي فلا يقدر أحد أن يغلبه فيحرف ما فيه ووصفه بالأمانة في نفسه بقوله ذي قوة إلى قوله عز وجل أمين ليؤمن تغييره بنفسه والله الهادي للعباد والموفق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء والطارق أن الله جل وعلا عظم قدر السماء في أعين الخلق لما جعلها معدن رزقهم ومسكن أولي القدر من خلقه وهم الملائكة وفيها خلق الجنة وخلقها بغير عمد ترى فأقسم بها لما عظم من شأنها وجعل مصالح الأغذية بينها وهي الشمس والقمر وأقسم بالنجم الثاقب وهو المتلألئ من النجوم المضيء والذي يثقب الشياطين

او يحرقه

أو يحرقه وللنا فيها أيضا من عظم البركات وبركاتها أنها جعلت بحيث يهتدى بها في البر والبحر ويوصل بها إلى لطائف التدبير لأن كل بعض الناس أن الأنجم السبعة هي المدبرات ومنها أنها مانع الشياطين عن الصعود إلى السماء لتشتغي بها التلبيس عن الوحي لأنهم لو يحفظوا عنها لكانوا إذا وقفوا على أخبار أسرعوا بحملها إلى الكهنة فيؤدي ذلك إلى التلبيس ومن عظم قدرها أنها يقطع في الليلة الواحدة مسيرة ألف شهر فأقسم بها أيضا ويجوز أن يكون هذا من الله تعالى تعليما لرسوله عليه الصلاة والسلام بأن يقسم به دون أن يكون ذلك قسما منه تعالى لم يكونوا يرتابون في الوهية وربوبية وصدق في أخباره فيزول عنهم الريب بالقسم وإنما كانوا يرتابون في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فعليه القسم بما ذكر ليؤكد أمره فيصلهم ذلك على النظر في أمره ويجوز أن يكون القسم بمعنى هذه الأشياء لكونها معظمة عند الكفرة وليس للمسلمين أن يقسموا بها فيما بينهم أو يكون القسم بهذه الأشياء هو القسم بخالقها فكأنه أمره بالقسم بخالق هذه الأشياء على الاضمار والله أعلم لا ضمار والله أعلم واختلف في تأويل الطارق فقال بعضهم ما يجيء به الليل يقال طرقت بالليل إذا أتيته وقال الزجاج الطارق هو الساكن يقال طرق في الكلام مرقيا إذا وقف وسكت وقال بعضهم هو النجم يطرق بالليل ويختفي بالنهار وهو النجم الثاقب ذكره تفسيرا للطارق وقوله عز وجل إن كل نفس لما عليها حافظ اختلف في قوله إن قال بعضهم أريد به ما هنا ما وقوله لما صلة في الكلام فمعناه ما من نفس عليها حافظ وإنما الحافظ على بعض دون بعض والثاني أن يكون الحافظ على بعض ما في النفس دون بعض وذلك البعض هو الذي يظهر فأما الذي يخفيه فإنه لا يشهد كالنيات ومنهم من جعل قوله تعالى لما على الاستثناء فقال معناه ما من نفس إلا عليها حافظ قال الزجاج حرف لما استعمل في موضع الاستثناء يقال في اللغة أقسمت عليك لما فعلت كذا أي إلا فعلت كذا فإن كان معناه ما ذكر ففيه إلزام التيقظ والتبصر والنفس من طبعها إذا سلط عليها من يراقبها ويحفظها احتشمت عليه المكان أيضا مراقبها وحافظه ويكون متيقظة ولا يركبك من الأمور إلا ما يعلم أنه لا يلحقه التبعة من الحافظ فسلط عليه الملكان أيضا ليكون متيقظا في كل قول وفعل فلا يقبل إلا على ما فيه نفع العاجل والآجل وسمى الله تعالى الملكين كراما كاتبين ومن صحب المكرم من الخلائق احتشم منه وتوقى عن إتيان ما يستحيا من مثله ومن أراد أن يكتب إلى أحد كتابا لم يثبت في كتابه شيئا يؤخذ عليه ويذم به بل يحكم الأمر ويصلحه غاية ما يحتمله الوسع فكان في ذكر الحافظ على النفس إلزام التيقظ والتبصر من الوجوه التي ذكرنا وقوله عز وجل حافظ قال بعضهم يحفظ عليها رزقها حتى يستوفي به فإن كان على هذا فالحفظ يكون لها لا عليها وقال بعضهم يحفظ عليها عملها خيرها وشرها وقوله عز وجل فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق فالأصل أن إمعان النظر فيما خلق منه الإنسان مما يوصل المنكرين للبعث والمنكرين للرسالة إلى القول بهما وذلك أن النطفة التي خلق منها الإنسان لو رؤيت موضوعة على طبق ثم رام أحد أن يعرف وأن ينتزع منها المعنى الذي به صلح أن ينشأ منها العلقة والمضغة وخلق منها الإنسان لم يدرك ولو اجتمع الإنس والجن على أن يركبوا عليها خارجة من جوارح الإنسان لم يتهيأ لهم تركيبها أو يعرف المعنى الذي صلح أن ينشأ منه السمع والبصر ولم يوقفوا عليه فتبين أن الذي بلغت قدرته هذا لا يخفى عليه أمر ولا يعجزه شيء وتبين لهم حكمته وإذا عرفوا حكمته أداهم ذلك إلى القول بالبعث لأنه لولا البعث والأكان يخرج إنشاء الخلق عبثا باطلا فيخرج عن أن يكون حكيما ولزمهم أن يصدقوا الرسل بجميع ما أخبرتهم به وفيه دلالة خلق الشيء لا من شيء إذ لا يجوز أن يكون الإنسان بكليته من النطفة مستحسنا فظهر أنه لا يبع في الشيء الواحد ما لا يحصى ذلك من الأضعاف ولا يجوز أن يكون ذلك عمل النطفة أيضا وإنها أموات لا يحتمله أن يصير كذلك إلا بتدبير مدبر عليهم فيكون فيما ذكرنا إيجاب القول بحدوث العالم ولأنها لو صارت مضغة وعلقة وخلقا سويا بطبعها لكانت لا تخلو نطفة أبدا وهي تنتقل إلى ما ذكرنا ألا ترى أن النار لما كانت من طبعها الإحراق والثلج إذا كان من طبعه التبريد لم يجز أن ينتقل واحد منهما عن طبعه الذي أنشئ عليه ثم قد وجدنا نطفا تخلو من هذه المعاني التي ذكرنا فثبت أنها نقلت إلى ما ذكرنا بتدبير حكيم مدبر لا بطبعها ثم لا يعجز فيما فيه خلق الإنسان لبست با قل من الأعجوبة مما منه خلق وذلك أن الإنسان خلق في الظلمات على ما أراد الله تعالى وصوره كيف شاء ولو أراد أحد أن يعلم علم ذلك أو يتولى مثله في حالة العيان لم يملك وجعل ذلك المكان فيما ينموا فيه الولد ويتغذى فيه خصوصا من بين سائر الأماكن ولو أراد حكماء الإنس والجن أن يعرفوا الوجه الذي يصلح ذلك المكان للنماء والغذاء وأعلموا فيه فنون العلم لم يعرفوا فمن تفكر فيما ذكرنا علم أن قدرته ذاتية لا يلحقها فناء ولا عجز وعلم أن علمه ذاتي ليس بمكتسب فيتوهم خفاء الأمور عليه

وقوله عز وجل من ماء دافق يعني النطفة التي يدفقها الرجل في الرحم والدافق ومدفوق اي يدفق به
كقولك ليل نائم اي ينام فيه وهو ناصب اي ينصب به وقال الزجاج ماء دافق اي ذي اندفاق وقوله
عز وجل يخرج من بين الصلب والترائب اختلف في تاويله فمنهم من يقول بين صلب الرجال وترائب
المراة وهي الاضلاع الثمانية اربع عن يمينها واربع عن يسارها وقال بعضهم الترائب هي الاطراف
وقال بعضهم الترائب موضع القلادة منها وقال بعضهم الترائب ما دون التراقي وفوق الصدر ثم
من الناس من صرف تاويلها الى الرجل خاصة فقال قوله من بين الصلب والترائب اريد به صلب الرجل
وترائبه وزعم ان الماء الذي يكون منه الولد ليس معدنه الصلب خاصة بل يجتمع من اطرافه
كله ومن حمله على المعاني الاخر صرف الامر اليهما جميعا وهو ان الماء الذي يخلق منه الولد يكون
منهما جميعا وذلك ذكر ابو بكر الاصم ان الصلب كناية عن الرجل والترائب كناية عن المراة فيكون
هذا اسما لهما ماخوذا عن اصل ماء يكون منهما الى ترى الى قوله تعالى وحلائل ابنائكم الذين
من اصلابكم الاية فاضاف الابناء الى الاصلاب وفي اخراج الماء من بين الصلب والترائب
لطيف من الله تعالى لانه لو اجتهد الخلائق باستخراجه من بين ما ذكر بحيلهم وقواهم ووضعه
في الرحم لم يقدروا عليه ثم الله بلطفه وضع هذه الشهوة فيما بين الخلق واستخرج بها الماء من
بين الصلب والترائب لا ان يكون احد يملك اخراجها بالاسباب والحيل كما وضع فيهم شهوة
الاكل والشراب في كل جارحة من جوارح الاكل باللطف لا ان يكون ذلك العمل بالاكل والشرب
خاصة وكذلك ربما الانسان اذا سقى اصل شجرة ظهرت منفعة السقي في اغصانها واوراقها واثمارها
ولو اراد احد ان يعرف انه لاي معنى صلح ان يكون الماء بالمحل الذي ذكرنا واراد ان يستخرج المعنى
المجعول في الطعام من القوة التي ذكرنا لم يتدارك ذلك فيكون فيما ذكرنا ابلغ حجة على الثنوية
لانهم يتكونون خلق الاشياء لا عن اشياء وزعموا انا لم نشاهد كون الشيء لا من شيء
والشاهد دليل الغائب فلزم ذلك في الذي غاب عنا فمن قدر على تصوير الولد في تلك الظلمات
وفي الاماكن الضيقة وقدر ان يجعل في الماء والطعام المعاني التي يعجز الخلق عن استدراكها القادر
على انشاء الخلق لا من شيء اذ لا تجويز فيما ذكرنا ليست بدون الاعجوبة عن انشاء شيء لا من شيء
وقوله عز وجل انه على رجعه لقادر قال بعضهم انه على رده الى صلب ابيه لقادر وقال بعضهم انه
على بعثه لقادر وهذا اشبه التاويلين لان الاية في موضع الاحتجاج على الكفرة ولم يذكر عن
احد التنازع في نفي الرد الى الصلب وانكاره حتى يدفع المنازعة بهذا وكانوا اهل انكار بالبعث
فاحتج عليهم بابتداء الخلقة وكذلك اكثر ما جرى به الاحتجاج في اثبات البعث في القران انما احتج
عليهم بالابتداء وان كان التاويل على رده الى صلب ابيه فوجه الرد هو ان يرد من حالة الشيب
الى حالة الكبر الى حالة الصغر ثم الى حالة الطفولية ثم يرد مضغة ثم يرد علقة ثم نطفة ثم يرد النطفة
الى صلب ابيه لا ان يوصف الله تعالى بالقدرة على رده وهو على حاله تسمة عظيمة الى صلب ابيه
مع ضيق ذلك المكان ولان هذا محال والله تعالى لا يوصف بالقدرة على محال وليس فيما لا يوصف
بالقدرة على المحال نفي القدرة عنه في الازل وبهذا يجاب من سال فقال يقدر الله تعالى على
ادخال الدنيا في بيضة فيقال له ان اردت ادخالها في البيضة في ان تصغر الدنيا وتضيقها حتى
تجعلها اضيق من البيضة او توسع البيضة حتى تسع فيه الدنيا فهو على ذلك قادر وان اردت
انه قادر على ادخالها فيها على ابقاء البيضة بحالها وبقاء الدنيا بحالها فهذا محال لما فيه من
انقلاب البعض كلا والكل بعضا فكذلك يوصف الله تعالى على رد النسمة الى الصلب بالوجه الذي
ذكرنا لا ان يردها على ما هي عليها الى الصلب لما في ذلك من الاحالة وكذلك اذا سئلت عن حركات
اهل الجنة والسكون هل لهما غاية فنقول لا فان قالوا هل يعلم الله تعالى غايتها وعددها فنقول
له يعلمها غير منقطعة لا ان يعلمها منقطعة ولم يكن في قولنا انه لم يعلمه منقطعا اثبات
جهل ولا نفي العلم عنه بل الجهل انما يتحقق اذا وصف بالعلم بالانقطاع فيما لا ينقطع فكذلك
ليس في نفي الوصف بالقدرة على المحال اثبات عجزه والله اعلم وقوله عز وجل يوم تبلى السرائر اي
يظهر ما كان اخفى منها لتجار ان يكون الاظهار منصرفا الى التي لم يطلع عليها الملائكة فيكتبها
عليه فيذكره الله تعالى تلك السرائر كيف شاء فيقررها عليه او ينطق جوارحه بها كقوله تعالى
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم الاية او يكون اظهارا للقراة ما عليه فيظهر ذلك للخلق
وان كان قد اسرها عنهم في الدنيا ثم سمى ذلك ابتلاء لان الابتلاء هو الاختبار وانما يكون
الابتلاء بالسؤال او بالامر والنهي فسمى ما يسال عنه في الاخرة ابتلاء وقوله عز وجل فما له
من قوة ولا ناصر يحتمل وجهين احدهما ان ليست له قوة في كتمان ذلك على نفسه ولا له قوة
نفي العذاب عن نفسه او لو كثر او ما له من قوة يمتنع بها ولا ناصر يمنعه عن نزول العذاب

به ووجه ان الكفار كانوا يفتخرون بقواهم وكثرة انصارهم في الدنيا لا ينفعهم في الاخرة فكانوا يظنون
انهم لو ابيدوا التعذيب دفعوا ذلك بانصارهم وبما لهم من القوى فيخبر الله ان قواهم وكثرة
انصارهم لا ينفعهم في الاخرة ولا يدفع عنهم باس الله تعالى وكانوا يعبدون الاصنام ليقربوهم
الى الله تعالى وينصروهم من العذاب كما قال واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون فتبين
انها لا تغني عنهم من الله تعالى شيئا وقوله عز وجل والسماء ذات الرجع قال ابو عبيدة الرجع هو
الماء اي السماء ذات المطر وقال غيره ذات الرجع اي تعود في كل عام الى ما كانت عليه في العام
الذي قبله بالمطر والرجع هو العود ويحتمل ذات الرجع اي تتكرر الى ادرار بركتها على الخلق
استوفوا منها وقوله عز وجل والارض ذات الصدع قيل قوله ذات الصدع بالنبات او ذات
الصدع اي ذات اودية وانهار يجتمع فيها الماء فينتفع بها الخلق لسقي اراضيهم ودوابهم
فعظم امر السماء والارض فاقسم بهما وقوله عز وجل انه لقول فصل يعني القران وليس
بالهزل وفي اخراج النبات من الارض حكمة عجيبة ولطف تدبير وذلك ان النبات شيء لين
باد يمس ثم ان الله تعالى بلطفه صدع له الارض اليابسة الصلبة واخرج غير مثني ولا منكسر
ليعلموا ان مدبره حكيم فيلزمهم به التوحيد وجعل منافع الارض بمنافع السماء متصلة اذ
الارض انما تتصدع للنبات اذا اصابها المطر من السماء فيكون في ذلك انباء ايضا ان مدبرهما
واحد ولولا ذلك والا لم تتصل منفعة احدهما بالاخرى وقوله عز وجل انه لقول فصل اي بين
بين فيه الحلال والحرام وما يتقى عنه وما يؤتى وبين فيه الصواب من الخطا وبين فيه الوعد والوعيد
ويكون بمعنى الفصل التفريق وهو ان فرق الوعيد والحلال من الحرام والحق من الباطل فوضع كل
شيء موضعه ولم يخلط احدهما بالاخر وقوله عز وجل وما هو بالهزل اي باللعب والباطل وقوله عز وجل
انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فقوله اكيد كيدا يحتمل وجهين احدهما اي اجزيهم جزاء كيدهم
فسمى الجزاء باسم ما له الجزاء وان لم يكن ذلك كيدا كما سمى الجزاء للسيئة سيئة مثلها وان
لم يكن الجزاء سيئة وكما سمى جزاء الاعتداء اعتداء وان لم يكن الجزاء اعتداء بقوله فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال نسوا الله فنسيهم اي جزاهم جزاء النسيان او جعلهم
كالشيء المنسي الذي لا يعبا به لا ان يكون منه في الحقيقة نسيان فكذا سمى جزاء الكيد كيدا لا ان
يكون الجزاء كيدا ووجه اخر ان الكيد في الحقيقة والمكر هو ان تاخذه من وجه امنه فيلحق الكايد
اسم الذم لانه اخذه من وجه لم يشعر به وهذا المعنى في الكيد الذي اضيف الى الله تعالى غير موجود لان
الله تعالى قد بين له الطريق الذي اذا سلكه وقع او بدا الامن من الطريق الذي اذا سلكه حل به
البوار والهلاك فاذا سلك هذا الطريق كان سلوكه عن عناد منه او عن ترك الانصاف من
نفسه فوجد ما يكون من الكيد لا من الكايد فلم يلحقه بذلك الوصف المعنى المكروه
ثم كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ما ذكر في اية اخرى وهو قوله تعالى واذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله وقوله عز وجل فمهل الكافرين
فمهل وامهل لغتان فكانه يقول امهلهم رويدا ولا تجازهم بصنيعهم عن قريب وقد فعل ذلك
بما سلط رسوله صلى الله عليه وسلم بقتلهم وسبيهم فيكون في هذا بشارة منه لرسوله صلى الله
عليه وسلم بالنصر عليهم وبغلبته اياهم وفي ذلك اية رسالته لانه قال لهم هذا عند قلة اعوانه
وضعفه ثم ان الله تعالى كثر انصاره واظهره عليهم كما قال لهم ليعلموا انه علم ذلك بالوحي والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح اسم ربك قيل فيه من اوجه احدها ان سبح ربك
وقيل سبح اسمه وقيل سبح ربك باسمائه فمن قال سبح ربك فمعناه ان نزه عن جميع المعاني التي
يحتملها غيره من الافات والحاجات والاضداد والانداد فيكون القول به توحيدا وروي
عن مقاتل بن سليمان انه قال تاويله وحد ربك وتوحيد ما ذكرنا وقال المفسرون تاويله ان صل
لربك وهذا يحتمل لان الصلوة بنفسها تسبيح بالافتتاح يقطع وجوه المعاملات بينه وبين
الخلق ويمنع نفسه عن جوارحها فيجعلها لله تعالى وهذا هو التوحيد والايمان لانه بالايمان
يجعل الاشياء كلها لله تعالى سالمة فصارت الصلوة تسبيحا لعينها لا التسبيح المجعول فيها ومن
حمل التسبيح على الاسم فقال نزه اسمه فذلك يرجع الى الاسماء الذاتية هو ان لا يشرك فيتسمى
بها والاسماء الذاتية قوله الله الذي لا اله غيره الرحمن وما اشبهه من الاسماء والاسماء الصفاتية

اسماء ذاتيه وصفاتيه

ان ينزهها عن المعاني التي استوجب الخلق الوصف به كقولك عالم حكيم رحيم مجيد فمن وصف
بالعلم من الخلائق فانما استوجب الوصف به باعيان دخلن فيه واستوجب الوصف بالحكمة والوصف
بالمدح بالاغيار والله تعالى استحق الوصف به لا بالاغيار فينصرف التنزيه الى الاغيار اذ معنا
من لبست باغيار للذات وهي لا يفارق الذات فالامتداح الواقع بالصفات امتداح بالذات
الموصوف بها والله الموفق وقال بعضهم معناه سبح بالحمد والثناء وهو يرجع الى ما ذكرنا من التاويل
الاول وهو ان يحمد بالثناء الذي يتضمن التوحيد والتنزيه عن معاني الخلق ومن قال سبح ربك
باسمائه فهذا ظاهر وهو ان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له واسماؤه معروفة لا يحتاج
الى اظهارها وقوله عز وجل الاعلى فظاهره يقتضي ان يكون هناك ادون واسفل وكذلك قوله الله
اكبر فظاهره يقتضي الاصغر ولكن معنى قوله الاعلى اي هو اعلى من ان تمسه حاجة او يلحقه افة وكذلك
هذا في الاكبر ويكون الاكبر والاعلى في النهاية عن تنزيه المعاني التي ذكرنا وهو كقولك هو احسن واجمل
اردت به النهاية في الحسن والجمال او يكون الاعلى بمعنى العلي والاكبر بمعنى الكبير وذلك جائز في اللغة
وقوله عز وجل الذي خلق فسوى يحتمل وجها احدها ان يكون سواه على ما قدره خلا فالافعال
الخلق لان الفعل من الخلق يخرج مرة سويا على ما قدره ومرة بخلافه او يكون سوى الخلق كله في دلالة
وحدانيته وشهادته وربوبيته فما من خلق خلقه الا اذا تفكر فيه العاقل دلت خلقته على معرفة
الصانع ووحدانية الرب او سواه على ما فيه مصلحته ومنفعته او سواه على ما له خلق الا ترى
ان الانسان اذا امر بالركوع والسجود خلقه من وجه يتمكن من الركوع والسجود فهذا معنى
قولنا انه سواه على ما له خلق والله اعلم وقوله عز وجل والذي قدر فهدى يحتمل وجها احدها هداه
الى ما احوجه اليه فهدى العبد معيشته من اين يأخذها وهدى كل دابة الى رزقها وعيشها فرق
كل دابة رزقها او يكون قوله فهدى اي هدى به او يكون الهداية منصرفة الى امر الدين وذلك
يرجع الى الخصوص من الخلق الذين لهم عقول مميزة فيكون معناه هدى فيمن هدى وطعنت المعتزلة
علينا بهذه الاية فقالت ان الله تعالى يقول قدر فهدى وانتم تقولون قدر واضل ولكن هذا
التحقيق راجع اليهم لانهم يحملون تاويل الهداية على البيان واذا كان كذلك وقد بين الله تعالى سبيل
الهدى وسبيل الضلال جميعا فاذا قد اضله حيث بين لهم سبيل الضلال على قولهم ثم ليس في
قوله قدر فهدى نفي الاضلال اذ التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ذلك عما عداه فلم يجب قطع الحكم على
ما ذكره وقد ذكر في موضع اخر المكرمين بالهدى فقال الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين
الاية فثبت ان الهدى راجع الى الخصوص فقوله قدر اي لخلقه معايشهم وهداهم وجه اخذ المعيشة
وقوله عز وجل والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى ففي هذه الاية تعريف الرب الاعلى كانه
يقول الرب الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى ثم ذكر هذه الاشياء
التي يعرف انقضاءها وبدوها وانشاؤها واهلاكها من المرعى وغيره لان وجه الدلالة بمعرفة
الصانع بالاشياء التي يعرف بدؤها وحدوثها وفناؤها اقرب منه بالاشياء التي لم يشهد الخلق
بدوها ولا انقضاءها وهي السموات والارضون اذا لم يتصل الى وحدانية الرب ومعرفة الصانع
بالاشياء التي يحدث ويتغير بادي نظر وتامل ولا يتصل الى ذلك فيما يدوم الا بلطايف الفكر و
فضل نظر وزيادة تامل وجائز ان يكون خص المرعى بالذكر لما بالمراعي قوام هذا الخلق لانه لا بد
للبشر من الدواب والانعام للتعيش والدواب حيوتها بالمراعي فكان قوام الخلق في التحصيل باخراج
المراعي فذكرهم هذا ليستأدي منهم الشكر واذا كانت الدواب لم تنشأ لانفسها وانما انشئت للخلق
ليتمتعوا بها ثم الله تعالى بفضله انشاء للدواب مراعي وقدر لها اقواتها ولم يضيعها فكيف يضيع
هذا الخلق وهم الذين قصد اليهم من خلق هذا العالم فلا يرزقهم ويخرجهم من تدبيره
وقوله تعالى غثاء احوى قيل الغثاء اليابس الذي يحمله السيول والامطار احوى اي اسود من
قدمه وقيل الاحوى هو الاخضر الذي يضرب الى السواد وهو على التقديم والتأخير اي
جعله غثاء بعد ما كان احوى وقوله عز وجل سنقرئك فلا تنسى سنحفظ عليك ما اوحينا
اليك من القران فلا تنسى وفي حفظه عليه السلام ما يوحى اليه دلالة رسالته لانه
لم يكن يعرف الكتابة ولا كان يتلو الكتب ثم كان يقرأ جميع ما يلقى اليه بمرة واحدة معا كان
مامورا ان لا يحرك لسانه بشيء مما يوحى اليه الى ان يقضى اليه الوحي ومن كانت حالته
تعذر عليه حفظ ما يلقى اليه بمرات وان كانت ذلك لسانه فكيف يضبطه بمرة واحدة
فكان حفظه بالمرة الواحدة نوعا من ايات نبوته وقوله عز وجل الا ما شاء الله من ذلك
فانه ينسيك ما اراد ان ينسيكه ولكن ما اوى هذا التاويل صحيحا وذلك ان الذي اوحى

اليه اية نبوته فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ثم نسي فلمن طعن في رسالته ان يستقوي بتلك
الاية ولا يتهيأ له ان يقراها اذا كان قد انسي فيجد موضع الطعن عليه وقد روي في بعض
الاخبار انه انسي ولكنها ولكن هامن اخبار الاحاد ولا يجوز الحكم بها لان خبر الاحاد يوجب
علم العمل لا يوجب علم الشهادة وهي في موضع الشهادة هاهنا ولكن نا وبله عندنا والله اعلم
يخرج على اوجه ثلاثة احدها ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام لم يكونوا امنين على انفسهم بالعصمة
عن الزلات التي لديها يخاف زوال ما انعموا به وان ظهرت عصمتهم اليوم عندنا الا ترى الى قصة
ابراهيم عليه الصلوة والسلام عند محاجة قومه قال اتحاجوني في الله وقد هداني ولا اخاف ما
تشركون به الا ان يشاء وقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام مخافة زوال ما اكرم به وخشي ان
يبتلى به اهل المعاصي حتى فزع الى الدعاء وقال في قصة شعيب عم وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله ربنا وقال في قصة يوسف عليه السلام ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء
الله ربنا فثبت انه لم يتبين لهم حقيقة العصمة عن الوقوع في الزلات التي يزيل النعم فكذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمن عما تعقب الانسيا بل قيل له سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله
الا ترى الى قوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك فثبت انهم كانوا
على خوف ووجل عن ارتكاب ما يسلب به الوحي ونسي او يكون الاستثناء راجعا الى انساء حكم
وهو ان ينسخ حكمه حتى يترك ونسي ويصير كالمنسي كقوله نسوا الله فنسيهم اي جعلهم كالشيء
المنسي مما ايسهم من رحمته لا ان يكون هناك حقيقة نسيان فكذلك اذا انسخ حكمه وترك صار
كالمنسي وان لم يكن فيه حقيقة نسيان فيكون النسيان منصرفا الى الحكم التلاوة لا الى عينها او يكون
عليه السلام يذهب خاطره عن وجهه كانه نسيه وان كان يعود ذلك اليه عند احضاره ذهنه كما ترى
المرء في الشاهد يذهب عن وهمه جميع ما في فاتحة الكتاب من الحروف اذا عمل رويته في اشياء اخر
حتى يصير كالناسي لها وان كان يعود الى تذكرها اذا رام ان يقراها فعلى هذه التاويلات يستقيم
ان يوجه اليه الاستثناء والله اعلم انه يعلم الجهر وما يخفى اي ما يجهر بعض من الخلائق وما يستر
بعض عن بعض او يعلم ما يطلع عليه الملائكة من اعمالهم ويعلم ما يعزب عنهم فعله فيما اسر
العبد كعلمه فيما اظهر وجهر به فذكرهم هذا ليكونوا متيقظين فلا يخافون ولا يجهرون
الا الذي يحق عليهم اذ الله تعالى حفيظ عليهم وقوله عز وجل ونيسرك لليسرى قالوا ونيسرك
للخير ولعمل اهل الجنة فسميت اعمال الخير يسرى لانها تعقب ذلك والله اعلم وقوله عز وجل فذكر
ان نفعت الذكرى فظاهر هذا يقتضي ان لا يذكر الا من نفعت الذكرى ولكن تخصيص الحكم في
حال يوصف لا يوجب قطع الحكم فيما كان الحال بخلاف ذلك الوصف بل يلزمه ان يذكر من
نفعه ومن لا ينفعه قال الله تعالى فذكر انما انت مذكر امر بالتذكير على الاطلاق ثم قوله تعالى
ان نفعت الذكرى يحتمل وجهين احدهما ان ذكر فقد نفعت الذكرى وهو كقوله تعالى ويقولون
سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ومعناه قد كان وعد ربنا مفعولا وقد تعقب الذكرى
لانه يتذكر المسلم من اسلم منهم وبه فازوا وبه نالوا الدرجات العلى وقال تعالى فذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين او يكون قوله عز وجل فذكر ما نفعت الذكرى فيأتي على اقوام لا ينفعهم
الذكرى لديها وتلك حالة المعاينة لبأس الله وعذابه وقوله عز وجل سيذكر من يخشى اي يتعظ بها
من يخشى الله تعالى والمعاد قال الله تعالى والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بالقران
وذلك ان الذي يحملهم على الايمان بالاخرة ايمانهم بهذا الكتاب لان في القران تذكير الاخرة
واخبارا بالاستعداد لها فذلك خشية يحمله على الاتعاظ بالذكرى والانتفاع بها والخشية هي
الخوف اللازم في القلب وقوله عز وجل ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى فاضاف التجنب
هاهنا الى الاشقى وهو الاشقى وفيما ذكر الاتقى اضاف التجنب الى نفسه بقوله وسيجنبها الاتقى
الذي يؤتي ماله يتزكى فيكون في هذا دلالة الاذن باضافة الخيرات الى الله تعالى وفي الاول
دلالة منع اضافة الشرور اليه وهذا لان اضافة الخيرات الى الله تعالى يخرج مخرج الشكر له و
هو حقيق بان يشكر نعمه وليس في اضافة الشرور اليه خروج شكر له فلم يصلح ان يضاف اليه والله
اعلم وقوله عز وجل ثم لا يموت فيها ولا يحيى اي لا ينقضي عنه افعال الموت وهي الامها
واوجاعها بل يبقى في الامها ابدا قال الله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اي لا
يقتضى عليه فيتخلص من اوجاعها ولا يحيى فقوله لا يحيى اي لا يرتفع عنه الم الموت او يكون قوله
لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة يتلذذ بها وقوله عز وجل قد افلح من تزكى اي من اتى بما تزكوا
به نفسه او اتى بما يطهر نفسه به وسنذكر في سورة والشمس وضحاها معنى تاويل الفلاح ان شاء
الله تعالى وقوله وذكر اسم ربه فصلى يحتمل ان يكون اريد به انواع العبادات لا الصلوة المعروفة

وحدها لان الصلوة اسم للدعاء والثناء ولانواع من الكرامات فانه يقول بذكر الرب ما يصل
الى العبادات ومن اعرض عن ذكره حرم من العبادات او يكون منصرفا الى الصلوة المعروفة فيكون
قوله وذكر اسم ربه فصلى اى يصلى بتقديمه اسم الرب فيكون منصرفا الى الافتتاح فيكون حجة لابى
حنيفة رحمه الله ان المصلى له ان يفتتح صلوته باى اسماء الله تعالى احب ثم ذكر اسم الرب يقتضى
المعانى التى ذكرنا فى قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقوله عز وجل بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة
خير وابقى اى يؤثرون حيوتها على حيوة الاخرة ويكون الخطاب منصرفا الى المنافقين والكفرة
لا الى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لم كانوا فى الايثار مختلفين فمنهم من آثرها فى ان نظر فى الدنيا
واعرض عن النظر فى الاخرة وجحدها ومنهم من كان اغلب سعيه لامر الدنيا ومنهم من كان
يؤثر بعض احوالها على الاخرة وقوله عز وجل والاخرة خير وابقى اى ايثار الحيوة الاخرة خير وابقى
من ايثار الحيوة الدنيا وقوله عز وجل ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قال
بعضهم الايات الاربع فى صحف موسى وابراهيم اولهن قد افلح من تزكى الى قوله خير وابقى وقال
بعضهم السور كلها انزلت على ابراهيم وموسى عليهما السلام فان كانت السورة كلها فى الصحف
الاولى فجميع ما فى السورة ذكر فيها بحق الحاجة لهم الى معرفتها ويكون قوله سنقرئك
فلا تنسى مذكورا بحق الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه الثناء ما ذكر فى قوله يجدونه
مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى اخر
الاية وهو يستحق الثناء بهذا الحرف لما فى حفظه عليه السلام جميع ما يوحى اليه بمرة واحدة
اكرام له وتفضيل فصلح ان تثنى عليه بهذا وفى قوله تعالى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف
ابراهيم وموسى دلالة ان اختلاف الالسن لا يغير الاشياء عن حقائقها لان الله تعالى
شهد بكون هذا فى الصحف الاولى فليس فى الصحف الاولى بهذا اللسان فيكون فيه حجة لابى
حنيفة رحمه الله فى تجويز القرائة بالفارسية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى هل اتيك حديث الغاشية قيل معناه قد اتاك حديث
الغاشية لما ان يكون الايمان سابقا واتاه حديث الغاشية بنفس هذه السورة ثم
فى هذه الايات ترغيب فيما يحمد عاقبته وتحذير عما يذم فى العاقبة وتبيين ان العاقبة المحمودة
متصلة بالكسب به وكدحه وكذلك العاقبة المذمومة ينالها بعمله ونصبه ثم اختلف فى تاويل
الغاشية فقيل الغاشية النار تغشاهم كما قال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن
تحتهم ظلل وقال فى اية اخرى وتغشى وجوههم النار ومنهم من يقول الغاشية هى الساعة
سميت غاشية لانها تغشى الصغير والكبير والمحمود والمذموم والشقى والسعيد فيعمهم جميعا و
هذا التأويل اقرب لانه ذكر الغاشية اولا ثم ذكر الجزاء بعد ذلك بقوله وجوه يومئذ خاشعة
عاملة ناصبة وقوله عز وجل وجوه يومئذ ناعمة ثم قوله وجوه يومئذ خاشعة اى ذليلة وانما
خص الوجه بالذكر لان الحزن والسرور اذا استحكما فى القلب اثرا فى الوجه فيكون فى ذكر الوجه
وصف للغاية التى هم عليها من الذل وقوله عز وجل عاملة ناصبة قال بعضهم الى عباد الكفرة
وهوانهم يقولوا ابدا فى النصب والعمل فى الدنيا والاخرة وجائز ان يكون نصبها وعملها فى النار
وهوانها لم تعمل فى الدنيا بل تكبرت عن طاعة الله تعالى فاعملها وانصبها فى الاخرة بمعالجة الاغلال
والسلاسل فى النار الحامية او عملت فى الدنيا بالمعاصى ونصبت فى الاخرة فيكون فيه تبيين العمل
والجزاء وقوله عز وجل تصلى نارا حامية اى حارة قد احماها الله تعالى من يوم خلقت الذى
يبقى منها وقوله تسقى من عين انية قيل الانى الذى قد انتهى فى الحر غايته حتى لا احر منه وقوله
عز وجل ليس لهم طعام الا من ضريع اختلف فى الضريع فمنهم من يقول سمى ضريعا لانهم يتضرعون
عنه ويجزعون اذا طعموا ومنهم من جعل الضريع لونا من الوان العذاب لم يتبينه الله تعالى للخلق
ومنهم من قال الضريع اسم لنبت قد عرفته العرب فيما بينهم يأكلها الابل والدواب ما دام رطبا
فاذا هاج ويبس تركت الدواب اكله وعاقبة لخبثه وكثرة ما عليه من الشوك ويسمونه شبرقا فى
الربيع واذا هاج وخف سموه ضريعا فذلك النبت فى الدنيا يعمل فى سمن الدابة ويغنيها من الجوع فنفى
الله تعالى وجه الاسمان والاغناء وحصل امره على الخبث بقوله لا يسمن ولا يغنى من جوع وهو كقوله
فى سدر مخضود وطلح منضود فالسدر اسم شجرة ذات شوك فى الدنيا فانشئت فى الاخرة بلا شوك
ووصف خمر الجنة فقال لا يصدعون عنها ولا ينزفون والخمر فى الدنيا يعمل فى التصديع وهى تنزف
فنفى هذه الافات وجعلها شرابا سائغا لذة للشاربين فكذلك الضريع نفى عنه ما يقع به الاسمان

والاغناء وحصل امره على الخبث والله اعلم وقوله عز وجل وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية اى
ناعمة بما عاينت من عاقبة عملها الصالح فى الدنيا ورضيت بما اوتيت جزاء عن سعيها فى الدنيا جعل الله
تعالى فى وجوه الخلق يوم القيمة اثارا صنائعهم فى الدنيا فمن اطاعه جعل علم طاعته فى وجهه يوم القيامة
ومن عصاه جعل اثره فى وجهه يعرف به وقوله عز وجل فى جنة عالية يحتمل وجهين احدهما ان يكون
قدرها وعظم شانها فتكون عالية نعتا للجنة فوصفها بالعلو من هذا الوجه والثانى يحتمل العلو من
حيث الدرجات والمكان والله اعلم وقوله عز وجل لا تسمع فيها لاغية ما يحق ان يلقى من الشتم ومن
كل ما يؤثم صاحبه بل هم كما وصفهم الله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
ثم الذى يحمل المرء على شتم المرء ما ضغن اضمره فى صدره او خصومة حدثت بينهما او افة يدخل فى عقله
بسكر وما اشبهه والله تعالى نفى عن الشراب والافات بقوله لا يصدعون عنها ولا ينزفون ونزع
الغل عن صدورهم فارتفعت دواعى السفه كلها فلا يسمع فيها ما يحق ان يلغى به وقوله عز وجل
فيها عين جارية اى عيونها جارية باخدها العين وتجرى على وجهها ليست كمياه الدنيا فان بعضها
تحتها نحو ماء القنات وماء البئر وقوله عز وجل فيها سرر مرفوعة قال بعضهم مرفوعة بعضها فوق
بعض يرتفع ما شاء الله فاذا جاء ولى الله تعالى ليجلس عليها تطامنت له فاذا استوى عليها ارتفعت
حيث شاء الله تعالى وقال بعضهم معنى المرفوعة ههنا انها اشتهت مرفوعة القدر عند اهلها فوعدوا فى الاخرة
على ما هى عليه رغبتهم فى الدنيا فى ايثارهم لها والمرء يرغب فى الوجهين اللذين ذكرناهما فى الدنيا فعلى
مثله جرى الوعد فى الاخرة وكذلك يرغب فى الاكواب والنمارق المصفوفة والزرابى المبثوثة فوعد
لهم مثلها فى الاخرة وقال فى موضع وفرش مرفوعة ورفعها يكون من الوجهين اللذين ذكرناهما فى السرر فوعدوا
بها ايضا فى الاخرة لترغيبهم بها فى الدنيا وقوله عز وجل واكواب موضوعة والاكواب هى الكيزان التى لا عرى
لها فاما ان يكون وصفا للكيزان الاكواب فى انفسها انها حيث لا عرى لها كالحباب فى الدنيا او يكون
فيه لهم خدما وولدانا يتولون نقلها الى من احتاج وليست لها عرى يمدون ايديهم اليها فيرفعونها وقوله عز وجل
ونمارق مصفوفة قيل هى الوسائد وضعت على البسط وكذلك يبسط الوسائد فى الدنيا فرغبوا كذلك فى الاخرة وقوله
عز وجل افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الى قوله والارض كيف سطحت فخص الابل بالذكر من بين جملة
الدواب وخص السماء والجبال والارض بالذكر وتخصيصها يكون لاحد وجهين احدهما ان الابل كان
من اخص دواب اهل مكة عليها كانوا يسافرون وعليها كانوا ينقلون ما احتاجوا اليها وهى ايضا تعين
مكة منشاؤه بين الجبال فكانت لا تفارقهم الجبال وكانت السماء من فوقهم والارض من تحتهم فخصت
هذه الاشياء بالذكر ليعتبروا بها ويتدبروا ويحتمل وجها اخر وهو ان المنافع المجعولة فى الدواب كلها
تجتمع فى الابل لان منافع الدواب ان ينتفع بظهرها وبوبرها وبسوقها ويلحمها ونسلها فكل ذلك
فى الابل فصارت فى الابل [illegible] المنافع المتخذة فى الدواب والبركات المعقودة فيها وكذلك عظم
المنافع والبركات المعقودة فيها متصلة بالسماء ففيها جعلت ارزاقهم وفيها عين الشمس التى بها
مصالح الاغذية وبها مزينة بزينة الكواكب فهى ايضا كالام فى المنافع وكذلك الارض كالام فى المنافع
اذ فيها مأوى الخلق وقدر فيها اقوات الخلق وارزاقهم ومنها يخرج ما يتخذون منه اللباس ثم
بالجبال قوام الارض ولولاها لكانت الارض تميد باهلها فخصت هذه الاشياء بالذكر لما ذكرنا ثم
قوله افلا ينظرون يحتمل وجهين احدهما على الامر اى فلينظروا والثانى ان يكون على سؤال تقدم منهم لامر
اشتبه عليهم فنزلت هذه الاية افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الى اخر الاية اى لو نظروا فى هذه الاشياء
لكان نظرهم فيها وتفكرهم بها نزع عنهم الاشكال ويوضح لهم ما اشتبه عليهم وذكر عن ابن عباس رضى
الله عنهما انه قال لما ذكر الله تعالى ما ذكر من نعيم الجنة عجبت قريش وقالوا يا محمد ائتنا باية ان ما تقوله حق
فانزل الله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ثم النظر فى رفع السموات والتفكر فى خلقها بغير عمد ترونها
والنظر والاعتبار فى خلق الابل ونصب الجبال وسطح الارض وهو البسط مما يوجب القول بالبعث ويدعو
الى وحدانية الرب تعالى والى القول باثبات الرسالة وذلك ان الذى كان يحمل على انكار البعث هو انهم
كانوا يقدرون الاشياء بقوى انفسهم فكانوا يظنون ان القوة لا يبلغ هذا الاحياء الموتى خارج
عن وسعهم فلو نظروا وتفكروا فى خلق السموات والارض لعلموا ان قوة الله غير مقدرة بقوى الخلق
وذلك ان السموات خلقت ورفعت فى الهواء بغير عمد واقرت كذلك لا ينحدر عن موضعها ولا يصعد
ولو اراد احد ان يقر فى الهواء ريشة حتى لا يسقط ولا يصعد لم يقدر عليه فيكون فى ذلك تبيين ان
قدرته قدرة ذاتية ليست بمستفادة وكذلك الجبال ترونها مع شموخها وارتفاعها وصلابتها زينت
بالمياه والاشجار الملتفة من وجه لو تفكروا فيه الخلائق فاستفرغوا مجهودهم ليعلموا من اى موضع
يجتمع الماء وكيف ينبع وكيف ينبت الاشجار من بين الاحجار لم يصلوا الى معرفته فيعلموا ان علمه ليس بالة
يحاط به فيكون فى ذكر انباء انه لا يخفى عليه امر ولا يعجزه شئ بل العالم كله تحت تدبيره يفعل بهم

ما يشاء ويحكم ما يريد وان الذي قدر على خلق هذا القادر على احيائهم وبعثهم للجزاء وفي خلق هذه الاشياء ما يدعوهم
الى الوحدانية لان الله تعالى جعل منافع الارض متصلة بمنافع السماء فالقطر ينزل من السماء الى الارض الغبرا المتهشمة
فينبت لهم من الوان النبات رزقا لهم ولانعامهم فلو كانت مدبر السماء غير مدبر الارض لكان منع منافع السما
عن خلق مدبر الارض فلو تفكروا فيها لكان يزول عنهم الاشكال فلا يدعون مع الله الها اخر ولا يقولون اجعل
الالهة الها واحدا وقولنا ان فيه اثبات الرسالة وذلك انهم بما انعموا من النعم التي ذكرناها لابد ان يتأدى منهم
الشكر ولا يعرف شكر كل شيء على الاشارة اليه ثم يكون فلابد من رسول يطلعهم على ذلك فان قيل كيف امروا
بالنظر في كيفية خلق هذه الاشياء وهم لو نظروا الى الابل ليعرفوا كيف خلقت هذه الاشياء لم يهتدوا الى ذلك
الوجه فجوابه انهم لو تداركوا ذلك الوجه وفهموه لكان النظر فيها لا يرفع عنهم الاشكال ان يقدرونه بافعال الخلق التي
يهتدي اليها فان نفاع التدارك وخروجه عن اوهامهم هو الذي يوضح لهم المشكل ويزيل عنهم الشبه اذ به عرفوا انه
حاصل بقدرة من لا يقدر قوته بقدرتهم وانه خلاف فهمهم من جميع الوجوه والله الموفق وقوله عز وجل فذكر انما انت مذكر
لست عليهم بمسيطر ففي هذه الاية والله اعلم امر من الله تعالى لرسوله عليه السلام ان لا يجازيهم بصنيعهم اذا استقبلوها
بما يكره من اذى يوجد منهم واستخفاف يجيء منهم فنقول ذكر بالله تعالى وذكرهم كيف هلك مكذبوا الرسل وكيف نجا من
صدقهم وعظم امرهم ولا تجازهم بصنيعهم وكل ذلك الى الله تعالى وقوله عز وجل لست عليهم بمسيطر قال بعضهم
بمسلط وقال بعضهم بجبار فان اريد به الوجه الاول فهو مما يحتمل ويجوز ان يسلط عليهم في ان يؤذن بقتالهم
واسرهم وقهرهم ببذل الجزية ولهذا قيل ان هذا كان قبل نزول سورة براءة وان كان تأويله لست بجبار عليهم على ما
روي عن مجاهد فهذا الوجه مما يرد عليه النسخ فلا يجوز ان يصير جبارا عليهم ولا يكون قوله الا من تولى وكفر استثناء
ويكون معناه لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر اي من اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر بوحدانية الله تعالى
وبكتبه ورسله فيعذبه الله العذاب الاكبر وعلى التأويل الذي قيل ان المسيطر هو المسلط بالسيف والاسر والقهر بالجزية
التي هي صغار عليهم يكون قوله تعالى تولى وكفر على الاستثناء اي من اعرض عن طاعة الله تعالى وكفر بوحدانية الله
فسلط عليهم بالسيف والاسر واخذ الجزية وقيل الا من تولى وكفر اي اعرض ولزم الاعراض فيكون مسيطرا عليهم
او تولى وقت التذكير فستبصر عليه وبالله النجاة وفي هذه الاية بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالظفر على
الذين تولوا عن طاعة الله تعالى وكفروا به وفيه اية رسالته لانه قال هذا في وقت ضعفه وقلة انصاره وكان الامر كما قال
ان نصره الله تعالى بالرعب مسيرة شهرين وفتحت له الفتوح ليعلم انه بالله تعالى علم وقوله عز وجل ان الينا ايابهم اي مرجعهم
وقوله ثم ان علينا حسابهم اي من الحكمة ان نحاسبهم واذا كانت الحكمة توجب حسابهم وتعذيبهم كان عليه ان يحاسبهم
في تركه لما في تركه ترك الحكمة وفي تركه سفه تعالى الله عن ذلك وبالله النجاة ومنه التوفيق والصلوة والسلام على رسوله محمد الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والفجر وليال عشر كانت العرب من عادتهم انهم اذا استحسنوا اشياء عظموه واذا
عظموه اقسموا به ثم ان الله تعالى جعل في الحج واوقاته لطائف من الحكمة وعجائب من التدبير فمن لطيف حكمته وعجايب
تدبيره انه جعل المكان الذي يحج فيه مأمنا للخلق من وجه لا يعرف الخلائق المعنى الذي به وقع الامن والالف بين الخلق
حتى يرغبوا جميعا في الاجتماع هنالك مع تباغضهم وتعاديهم فيما بينهم من وجه لا يدرك معناه وجعل اهلها ينقلبون
في البلاد امنين وسخر اهل الافاق في حمل ما ينفع لاهل مكة اليه حاجة من الميرة وغيرها وجعلهم بحيث يرغبون في الاتيان اليها
مع عظم ما يلزمهم من المؤن الى اسباب الى مكة للحج فثبت ان فيها معاني ولطائف هي خارجة عن قواهم وتدبيرهم فكان
في ذكرها ما يوجب القول بالقدرة على البعث ويزيل عنهم الشبهة في امرهم فاقسم لما عظم من شانها لمكان انها
اوقات الحج فغاية اركان الحج يؤدى فيها وعادة العرب انهم يقسمون بابائهم واجدادهم واصنامهم لما هي
معظمة عندهم وهذه الاشياء معظمة عندهم فجرى القسم بها جريا على عادتهم ويدخل في اوقاتها الشفع والوتر
والفجر فقالوا الشفع يوم النحر لانه اليوم العاشر من الشهر والوتر يوم عرفة لانه اليوم التاسع وجاز ان يكون اريد
بالشفع والوتر والليل اذا يسر العبادات جملة اذ ما من عبادة الا فيها شفع ووتر وقوله عز وجل والليل اذا يسر اي بها وفي
ذلك كناية عن الجهاد والاغارة بالليل كما يذكر في قوله والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فيكون هذا كله اشارة
الى جملة العبادات ووجه القسم بالعبادات ان الله تعالى عظم امر العبادات في قلوب الخلائق حتى تراهم جميعا
يستحسنونها ويعظمون امرها وانما يقع الاختلاف بينهم في مائيتها ولا ان يقع التمانع بينهم في انفسها فاقسم بها وجاز ان يكون
اريد بالوتر هو الله تعالى واريد بالشفع الخلائق اذ خلقهم ازواجا والله تعالى هو الواحد بذاته فيكون القسم بذاته وبجميع
الخلق ويحتمل انه اريد بالشفع والوتر وقوله عز وجل هل في ذلك قسم لذي حجر يحتمل ان يكون تأويله ان وجه القسم
بهذه الاشياء يعرفه ذوو الحجر وهم ذووا الالباب والحجى لا ان يعرفه الجهلة قالوا وموضع القسم على قوله ان ربك
بالمرصاد وجاز ان يكون وقع التنازع فيما بينهم وكانوا يزعمون اوقات الحج هي الليالي العشر والشفع والوتر ليس
بقسم بها فقال هل في ذلك قسم الذي حجر اي للعاقل اذا تدبر فيها عرف ان هذه الاوقات بالذي تدلهم على القول

بالبعث

بالبعث قيل انما اقسم بهذه الايام لخطرها عندهم لما فيها من صلاح معايشهم ويكون لهم فيها
سعة العيش لما الفقراء بالهدايات والبدن واما غيرهم بانواع المكاسب والتجارات فانهم كانوا يستعدون
الاشياء ويهيئون من السنة الى السنة للتجارة في هذه الايام فاقسم الله تعالى بهذه الايام لكونها معظمة
عندهم وقيل ان موضع القسم غير مذكور في هذه السورة لانه كان على اثر حادثة عندهم معروفة استغنى
عن ذكرها بشهرتها عندهم فاقسم انها لحق والله اعلم وقوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد في ذكر نبأ عاد وثمود وفرعون فوائد ثلاث احدها في موضع التخويف لاهل الذين
كذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم وهوان اولئك القوم كانوا اكثر اموالا واولادا واعدادا واكثر في القوة
من هؤلاء الذين كذبوا محمدا عليه افضل الصلواة فلم يغنهم ذلك كله من الله تعالى شيئا بل الله تعالى انتقم منهم
لرسله عليهم الصلوة والسلام بما كذبوهم فما بال هؤلاء الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخافون
مقته وحلول النقمة بتكذيبهم رسوله وليسوا باكثر من اولئك في العدد والمال والقوة وفائدة اخرى ان
اولئك كانوا يزعمون انهم بالله تعالى اولى من محمد عليه الصلوة والسلام واتباعه لما بسط لهم من
النعيم وضيق على الرسول واتباعه فتبين ان الذين تقدمهم من مكذبي الرسل كانوا ارفع منهم في القوى والاموال
والاولاد والاعداد وكانت رسلهم في ضيق من العيش ثم كانوا هم اولى بالله تعالى من المكذبين المفتخرين بكثرة
الاعداد والقوى فبين لهم هذا ليعلموا ان ليس الامر على ما ظنوا وحسبوا والثالث انهم كانوا يمتنعون عن
الايمان بالله تعالى وبرسله وكانوا يقولون انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فيكون في ذكر هذا
نفي التقليد لا ولئك لانه كان في ابائهم من اهلك بتكذيبهم الرسل وهم الفراعنة واتباعهم وفيهم
من نجاهم الرسل واتباعهم المصدقون لها فما بالهم قلدوا المكذبين منهم دون الذي نجوا ثم الاية
لم يسبق ليعرف نسب عاد وثمود وفرعون حتى نشتغل بتعرفه وانما سبقت الاوجه التي ذكرنا فالاشتغال
بتعرف انسابهم واحوالهم نوع من التكلف وقوله تعالى الم تر كيف فعل ربك فقوله الم تر يحتمل وجهين
احدهما اي قد رأيت اي علمت كما يقال في الشاهد الم تر الى ما فعل فلان اي قد رأيت وعلمت فيخبره
بصنيعه على جهة التشكي منه ويحتمل انه يكون هذا ابتداء اعلام منه فيقول له اعلم ان ربك فعل بعاد كذا
واختلفوا في قوله ارم فقال بعضهم هو ابو عاد وقال بعضهم ابو القبيلة فنسب اليه عاد كما يقال هو
من بكر بن وائل وان لم يكن ابنه وقال بعضهم ارم مساكن عاد وقيل هو اسم الذي بنى تلك الاماكن وقوله
عز وجل ذات العماد قال بعضهم ذات الاجساد الطوال اي عاد ذات الاجساد الطوال كما ذكر في
القصة وقال بعضهم ذات البنيان المشيد المرفوع في السماء كالعمد الطوال فيرجع الى الارم على
تأويل من جعله عبارة عن المساكن وقال بعضهم ذات العماد هي الخيام والاطناب وعمد كانوا
اصحاب خيام وقباب وكانت مساكنهم مرفوعة بالعماد وقوله عز وجل لم يخلق مثلها في البلاد
قال بعضهم هذا وصف القوم بالشدة والقوة وعظم القوة والخلقة وفضل البصر في الامور كقوله
تعالى وزادكم في الخلق بسطة وقال حكاية عنهم وقالوا من اشد منا قوة وقال تعالى وكانوا مستبصرين
فوصفهم بفضل البصر وجاز ان يكون اريد بها المساكن الذين بنوها ان ليس مثلها في البلاد وقوله
عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وقال بعضهم اتخذوا من الصخور جوابي اي قصاعا كما قال تعالى
وجفان كالجواب وقال بعضهم في الصخور بيوتا كقوله وينحتون من الجبال بيوتا امنين فيكون في هذا
اخبار عن قواهم وشدتهم وقوله عز وجل وفرعون ذي الاوتاد قال بعضهم سماه ذا الاوتاد والوتد
الجبل وقال بعضهم سمي ذا الاوتاد لانه كانت له اوتاد ينصبها لتعذيب من غضب عليه وقال بعضهم
انه كان نصب على الطريق اناسا على كل طريق انسانا راصدا وحافظا وقيل اي ذو قصور وبنيان مشيدة
مرفوعة يشبه الجبال التي هي اوتاد الارض وقوله عز وجل الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد وطغيانهم
في البلاد وتمردهم وعتوهم فيها وقوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب قال بعضهم عذبهم بسوطهم
الذين كانوا يعذبون الخلق ويضربونهم وقال ابو بكر الاصم ان السوط لون من العذاب فعذب عادا بلون منه
وعذب ثمود بلون منه وفرعون واتباعه بلون منه وقوله عز وجل ان ربك لبالمرصاد وقال ابو بكر الاصم
يرصد عذابه باعدائه ينتظر به اجالهم ثم يوقع بهم العذاب اذا اتى الاجل وعندنا انه يرصد عليهم ما عملوا
فلا يشتد عليه ولا يعزب عنه شيء من عملهم بل يحفظ عليهم ما استتر منها وما ظهر وقيل اي لا يجاوزه
ظلم ظالم ولا يفوته هارب ثم لم ينصرف وهم احد في قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد الى اشيار مكان فما بال
بعض الناس انصرف وهمهم في قوله الرحمن على العرش استوى على جعل العرش مكانا له وقوله تعالى فاما
الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن
كلا والاشكال ان يقول قائل قول تلك الانسان ربي اكرمن وربي اهانن خرج موافقا لما قاله الرب تعالى لانه
قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فخرج قوله ربي اكرمن على الموافقة لما قال وكذا قول هذا
الانسان حيث ابتلي بتقتير ربه اهانن خرج موافقا لما قال فاما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه فاذا كانا لا والكلا

ما كان الله يصادره اهانة الا ترى ان الله تعالى سمى المال خيرا والفقر شرا وسمى المطيع محسنا والعاصى مسيئا فكذا اذا
استعمل المقوم بالاكرام عند ما ينعم عليه ويكرم استعمل المقول بالاهانة اذا ضيق عليه الرزق ولم يكرم واذا كان
هكذا فكيف رد عليه مقالته بقوله كلا وهو فى ذلك صادق ولكن نحن نقول ان الرد بقوله كلا لم يقع على نفس القول
ولا انصرف اليه وانما انصرف الى ما اراده بقوله لان القائل بهذا كافر بالله تعالى وباليوم الاخر فكان يقول لا بعث
ولا جزاء وانما يجازون باعمالهم فى هذه الدنيا فمن احسن احسن اليه ومن اساء اهين به فيكون قوله كلا اى ليس الامر كما
صوره فى نفسه بل الدنيا دار عمل والجزاء بالكفر والايمان دار الاخرة وهذا كقوله اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وهم لم يكونوا كاذبين فى شهادتهم وقولهم
كاذبين بل كانوا صادقين انه رسول الله وان الله تعالى يعلم انه رسوله ولكنهم كانوا اعتقدوا تكذيبه فى قلوبهم
فكانوا يظهرون خلاف ما اضمروا فى انفسهم قال ما اضمروا انصرف التكذيب لا الى نفس القول كذا هذا ولان
اهل الكفر كانوا اصنافا فمنهم من كان يرى اذا بسط عليه النعيم فى الدنيا واكرم فانما بسط عليه لما استوجبه
بفعله واذا ضيق عليه وابتلى بالشدة فانما ضيق عليه باساءته وبما كسبت يداه ومنهم من كان يظن انه من الله
تعالى بمنزلة وانه استوجب للانعام وانه اذا ابتلى بضيق العيش واصابته شدة اصابه ذلك من عند محمد عليه
الصلوة والسلام فيتشاءمون به الا يرى الى قوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله تعالى وان تصبهم
سيئة يقولوا هذه من عندك وعلى هذا كان ظن فرعون قال الله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم
سيئة يطيروا بموسى ومن معه فقوله ربه فاكرمه ونعمه اى اكرمه فى نفسه بان اصح جسمه او جعله راس قومه
ونعمه اى بسط الدنيا عليه فيقول ربى اكرمن فكان يظن بذلك وقوله عز وجل واما اذا ما ابتلاه اى اذا اختبره
فضيق عليه رزقه فيقول ربى اهانن فكان يظهر بذلك الجزع والله تعالى اختبره بالنعم ليستاديه بما انعم و
ابتلاه بضيق العيش ليصبر لا ليجزع فلا شكر هذا النعم وبل بطر ولا صبر هنا على الشدائد بل جزع فجائز ان يكون بقوله
كلا منصرفا الى هذا رد الاعتقاد هم وضيعهم وهو انه لم يكرم ولم ينعم لينظر به ولا ضيق عليه رزقه ليجزع بل انما
انعم ليشكر وقدر عليه رزقه ليصبر والله اعلم وقوله عز وجل بل لا تكرمون اليتيم فجائز انهم كانوا لا يكرمون
ويهينوه مع ذلك لان اكرام اليتيم ليس بواجب اما اهانته حرام وجائز ان لا يثبت الاهانة منهم مع نفى
الاكرام لان الايجاب اذا ذكر فى مضادة الايجاب فقضى ذلك اثبات المقابلة واذا ذكر الايجاب فى مضادة
النفى امكن ان يثبت فيه المقابلة وامكن ان لا يثبت الا ترى انه اذا قيل فلان جائر كان اثبات المقابلة وهو
نفى العدل لان قوله جائر اثبات الجور فكان فى ذكره نفى العدالة وفيه اثبات المقابلة واذا قلت ليس
بعدل لم يكن فيه تحقيق لاثبات المقابلة ايضا قال الله تعالى فما ربحت تجارتهم فكان فى نفى الربح اثبات
المقابلة فى انها خسرت ثم اكرام اليتيم هاهنا يحتمل اوجها ثلاثة احدها ان يكرمه فى ان يحفظ عليه
ماله حتى لا يضيعه ويكرمه فى نفسه وهو ان يتعاهد احواله عن ان يدخل فيها خلل والوجه الثانى
ان يكرمه فيعلمه اداب الشريعة ويرشده اليها والوجه الثالث ان يكرمه فيبذل له من له قدر حاجة
اليه ويصطنع اليه المعروف فيكون التعبير ههنا فى اهانة اليتيم ان يترك الاكرام الذى هو من باب
حفظ ماله فيكون تضييعا والله اعلم وقوله عز وجل ولا تحاضون على طعام المسكين اى لا يحثون غيرهم
على اطعام المسكين وجائز ان يحضوا ولا يلوا بانفسهم الاطعام ويحتمل ان لا يلوا ذلك بانفسهم ويحضوا
غيرهم ففى هذه الاية ترغيب للمسلمين باكرام اليتيم وتعاهد ماله وبين ان عليهم ان يطعموا بانفسهم وان
يحثوا الاغنياء باطعام المسكين والله اعلم وقوله عز وجل وتاكلون التراث اكلا لما فاللم الجمع يقال لممت المال
اذا اجمع فكانه يقول يجمعون ما لم يرثوه بانفسهم وذلك نصيب الايتام الى ما يرثوا من انصبائهم فياكلون
جميعا وقال بعضهم ياكلون التراث اكلا لما اى شديدا وقوله عز وجل وتحبون المال حبا جما قال ابو بكر اى
تحبون حبا وفيا وافرا ليس فيه قصور فيكون فيه اخبار عن غاية حبهم الدنيا وشدة حرصهم عليها
وجائز ان يكون على التقديم والتاخير وهو انهم يحبون المال الجم حبا اى المال الكثير وقوله كلا
ردع وتنبيه فمنهم من رد هذا الردع الى قوله ربى اكرمن وربى اهانن فكانه يقول كلا ليست هذه الدار
دار جزاء فيكون الاهانة والاكرام بحق الجزاء وانما هى دار محنة وابتلاء ومنهم من حمله على الابتداء فقال
كلا اذا دكت الارض دكا دكا بمعنى حقا يخبر عن ندمه فى تركه الاكرام لليتيم وترك اطعام المسكين و
الحض عليه اذا دكت الارض اى دقت وكسرت وذلك يوم الحساب والبعث وقوله عز وجل وجاء ربك
والملك صفا صفا يحتمل اوجها احدها ان يكون معناه وجاء ربك بالملك اذ يجوز ان يستعمل الواو مكان
الباء الا ترى الى قوله تعالى قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك ومعناه وربك
واذا حمل على هذا ارتفعت الشبهة واتضح الامر لانه لو كان قال وجاء ربك بالملك لكان لا ينصرف وهم
احد الى الانتقال من مكان وقال تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام ومعناه والله اعلم
بظلل من الغمام لانه قال فى موضع اخر ويوم تشقق السماء بالغمام فثبت ان معناه ما ذكرنا واذا ثبت هذا ار
تفع الريب والاشكال ومنهم من ذكر ان معنى قوله وجاء ربك وقوله الا ان ياتيهم الله اى امر الله

وليله ماذكر

وليله ماذكر فى سورة النحل قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة او ياتى امر ربك فذكر مكان قوله وجاء
ربك امر ربك ويحتمل ان يكون قوله وجاء ربك اى جاء وعده ووعيده فنسب المجئ الى الله تعالى وان لم يكن
ذلك وصفا له لانه لا يجوز ان ينسب اثار الافعال الى الله تع نسبة حقيقة الفعل وان لم يوصف به كما قال الله
تعالى فنفخنا فيه من روحنا فاضيف النفخ اليه وان لم يوصف بانه نافخ وقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس فاضيفت
الكتابة اليه وان لم يوصف بانه كاتب لما ان ما ظهر من اثار فعله ويقال المطر رحمة الله اى اثار رحمته لا ان يكون
المطر صفة له ويقال الصلوة امر الله والزكوة امر الله اى بامر الله يصلى وبامره يزكى لا ان يكون اوصفين له ووجه
اخر ان يكون معنى قوله تع وجاء ربك اى جاء الوقت الذى به صار انشاء هذا العالم حكمة اذ لولا البعث للجزاء لكان انشاء
هذا العالم ثم الاهلاك خارجا مخرج العبث لما وصفنا من قبل لقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون
فثبت انه خلقه انما صار حكمة بالبعث وقال الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد كان الملك لله قبل ذلك
له قبل ذلك اليوم ولكن ملكه لكل احد يتبين فى ذلك الوقت وقال وبرزوا لله جميعا وقد كان كل شىء له بارزا ولكن معناه
انه اتى الوقت الذى لم يبرز الخلائق ثم الاصل فى كل ما اضيف الى الله تعالى ان ينظر الى ما يليق ان يوصل بالمضاف اليه فيصله به
ويجعله مضمرا فيه قال الله تع ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولم يفهم اثبات الحضور وكان معناه انه عالم
محيط بهم وهو مطلع عليهم وقال فاتاهم من حيث لم يحتسبوا لم يفهم به الانتقال بل كان معناه انه جاءهم بأسه
وجاء لاوليائه نصره قال قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم
ولم يفهم بهذا الاتيان ما فهم من الاتيان الذى يضاف الى الخلق وقال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم وكان
معناه ان تنصروا دين الله لا ان الله تعالى يلحقه ضعف يحتاج الى من يقويه وقال الله تعالى ويحذركم الله نفسه
وكان معناه انه يحذركم عذابه لا ان اريد به تحقيق النفس ومثل هذا فى القران كثير من ان يحصى فثبت ان محل الآ
فات ما ذكرنا فلذلك حمل على الوعد والوعيد او على الوقت الذى صار خلق العالم حكمة او على ما صلح فيه من الاضمار
ومما يدل على انه لا يفهم بالمجئ معنى واحد بل يقتضى ان المجئ اذا اضيف الى الاعراض فهم به غير الذى يفهم به
الى الجسم فهم منه الانتقال من موضع وقال الله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ومعناه ظهر الحق واضمحل الباطل
لا ان يكون الحق فى مكان فينتقل عنه الى غيره فثبت ان المجئ اذا اضيف الى شىء وجب ان يوصل به ما يليق به لا ان يفهم به
كله معنى واحد او روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال حكاية عن الله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا
ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتانى ساعيا اتيته هرولة لم يفهم من هذا التقرب ما يفهم به اذا اضيف
الى الخلق وكان معناه من تقرب الى بالطاعة والعبادة تقربت اليه بالتوفيق والنصر وبالاحسان والانعام
وقال موسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام يا رب اقريب انت فاناجيك او بعيد فاناديك ولم يرد به المكان و
انما اراد بقوله ارضى انت منى فاناجيك او ساخط على فاناديك فى ان اعلن بالبكاء والتضرع ثم الاصل فى المجئ
المضاف الى الله تعالى ان يتوقف فيه ولا يقطع الحكم على شىء لما ذكرنا ان المجئ ليس يراد به وجها واحدا لانه اذا اضيف
الى الاعراض اريد به غير الذى يراد به اذا اضيف الى الاجسام والاشخاص والله اعلم والله لا يوصف بالجسمية
حتى يفهم من مجيئه ما يجئ الاجسام ولا يوصف بالعرض ليراد به ما يراد من مجئ الاعراض فيجب الوقف فى تفسيره
مع اعتقاد ما ثبت بالتنزيل من غير تشبيه والله اعلم وقوله عز وجل وجئ يومئذ بجهنم قيل فيه من اوجه احدها
انها ظهرت وبرزت لاهلها على ما قال فى اية اخرى وبرزت الجحيم للغاوين الا انها كانت فى مكان فنقلت عنه
وقد يراد بالمجئ الظهور وقال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ومعناه ظهر لكم لا ان كان فى مكان لم يجئ به
اليهم وقال بعضهم جئ باهلها اليها اى الى جهنم فيكون حقيقة المجئ من الاهل ثم نسب اليها لانهم اذا اتوها
فقد اتتهم وهو كقوله انه كان وعده ماتيا فنسب الاتيان الى الذى يناله الوعد فيكون الوعد هو الذى ياتى
اهله وقال بعضهم وجئ يومئذ بجهنم يومئذ اى تجئ زفرتها وشهيقها وتغيظها على اهلها الا ان يعبر عن مكانها
ومنهم من حمله على حقيقة المجئ فذكر انه يؤتى بها ولها سبعون الف زمام سبعون الف الف ملك والله اعلم بذلك
وقوله عز وجل يومئذ يتذكر الانسان يحتمل ان يتذكر اشفاق الانبياء عليهم الصلوة والسلام ونصحهم لهم فيعلم
انه كان فيما اتهمهم به من الظنون الفاسدة مبطلا فيكون بذكره ذلك تصديقا من الرسل عليهم الصلوة والسلام
وانى له الذكرى اى لا ينفعه تصديقه اياهم اذ لم يصدقهم فى الدنيا او يتذكر فان يتلهف على ما فرط فى جنب الله
من التقصير فى حقوقه والتضييع الذى سبق منه حيث لم يشكر نعمه ولم يتوجه اليه للعبادة فيكون تلهفه ذلك
ايمانا ولكن لا ينفعه تلهفه فى ذلك الوقت لان تلك الدار ليست بدار امتحان بل دار جزاء والذى يحمله على التصديق
مشاهدته الجزاء والحساب وعند المشاهدة ترتفع المحنة ويكون ايمانه ذلك ضروريا لا حقيقة فذلك لا ينفعه
وانما ينفعه الطاعة وقت ملكه نفسه فاما اذا اخرج ملك نفسه من يده لم يقع له بالايمان تجدوى وقال بعضهم
يتذكر الانسان اى يتعظ وانى له الذكرى اى له الانتفاع بالموعظة ثم فى هذا التذكير بيان لطف من الله تعالى
بعطيه حتى يتذكر والا فالانسان يذهب عليه ما فقد كتبه فى وقت اذا اتى عليه حين حتى لو اراد ان يتذكر وقت
كتابته لم يقدر عليه ثم الله تعالى يذكره فى الاخرة جميع ما سبق منه فى الدنيا فيتذكر ذلك فيقول يا ليتنى قدمت
لحيوتى اى يا ليتنى قدمت لنفسى حياة يسلم لى وحيوة يبقى لى لذتها فهذا هو تلهفه ويذكره فى ذلك اليوم

يتلهف على ما فاته من الخيرات ويندم على ارتكابه المعاصي وكفرانه نعم الله تعالى ومعنى قولنا حيوة يتسلى لي
فالتذ بها هوان الكافرون كانت له حيوة في الظاهر فانما حيوته للتعذيب فتلك له في الحقيقة ليست بحيوة بل
هي اهلاك الا ترى ان الانسان اذا اخذ في النزع فهو في ذلك الوقت حي بعد لكن حيوته للاهلاك فليست هي في الحقيقة
حيوة لكنها فعلى ذلك حيوة المخلد في النار **وقوله** عز وجل فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وقرئت
هذه الاية على نصب الذال والثاء وعلى الخفض منهما فمن قراهما على الخفض فهو يحتمل وجهين احدهما ان العذاب
في الدنيا وان اشتد من الملوك على الانسان فهو لا يبلغ عذاب الله تعالى لاعدائه في الاخرة وان خفا ولا يعذب عذابه
احد اي لا ينبغي لاحد في الدنيا ان يعذب احدا بعذاب الله تعالى وهو النار كما روي عن النبي عليه السلام انه قال لا يعذب
احد بعذاب الله فان كان على النصب فهو يحتمل وجهين ايضا احدهما ان يكون التاويل منصرفا الى صنف من الكفرة وهم
الذين بلغوا في الكفر على مراتبه فلا يعذب من دونهم بعذابهم والثاني لا يعذب احد مكان احد كما يفعله ملوك الدنيا
فانهم يعذبون الوالد ويعذبون متصلي الذين استوجبوا العذاب **وقوله** عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة هي الساكنة
التي لا ترتاب ولا يضطرب طمانينتها بوعد الله ووعيده وامره ونهيه وتوحيده ثم يجوز ان يكون هذا في امر الدنيا
فيكون قوله عز وجل ارجعي الى ربك اي ارجعي الى ما امرك ربك راضية بوعد الله ووعيده فيكون راضية بالذي وعدها
في الاخرة جزاء لكدحها وسعيها في الدنيا مرضية عند الله تعالى فادخلي في عبادي اي عبادي الصالحين وادخلي جنتي
اي ادخلي فيما يستوجب به الجنة وجائز ان يكون هذا في الاخرة وهو يقال للنفس التي اطمانت في الدنيا
بوعد الله تعالى ووعيده وعملت بطاعته ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل
يا ايتها النفس المطمئنة بالدنيا ارجعي الى طلب الاخرة وما اعد الله لاوليائه فيها وقيل المطمئنة على عباده
ارجعي الى طاعة الله فانك اذا فعلت ذلك رضي الله عنك ورضيت بعطاء الله وثوابه اياك في الاخرة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** لا اقسم بهذا البلد اختلف في قوله لا قال بعضهم لا ههنا في موضع
الدفع والرد لمنازعة كانت بين قوم فدفع الله تعالى المنازعة من بينهم بقوله لا وكانت تلك المنازعة معروفة
فيما بينهم فترك ذكرها لذلك كما ذكر الجواب في بعض السور ولم يذكر السؤال لما كان السؤال عندهم معروفا
فترك ذكره وهو كقوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وغير ذلك ومنهم من يقول بان حرف لا مرة يستعمل في حق
الصلة والتاكيد ومرة في موضع النفي يظهر مراده بما يعقبه من الكلام فان كان الذي يعقبه اثباتا فهو بحق التاكيد وان
كان الذي يعقبه من الكلام نفيا فهو في موضع النفي ثم الذي عقبه من الكلام اثبات وليس بنفي فدل انه في موضع
التاكيد فكانه قال لاقسم بهذا البلد ثم كان حقه ان يقرا لاقسمن بهذا البلد باثبات النون كما يقال لافعلن
في اليمين لكن نون التاكيد قد يذكر في موضع وقد لا يذكر قال تعالى ان ربك يحكم بينهم والله اعلم **وقوله** عز وجل
بهذا البلد قالوا اريد بهذا البلد مكة فاقسم بها بما عظم شانها بما سبق ذكرنا له ولخاصة هي معظمة في اعين
اهلها ثم كان من عادة الكفرة القسم بكل ما يعظمونه فعاملهم الله تعالى من الوجه الذي جرت به العادة فيما
بينهم ليؤكد ما قصد اليه بالقسم فيزيل عنهم الشبه التي اعترضت **وقوله** وانت حل بهذا البلد قال بعضهم وانت
نازلها من الحلول وقال بعضهم وانت حلال بهذا البلد والحل والحلال لغتان فان كان على هذا فالحل غير منصرف الى نفسه
وانما انصرف الى ما احل له لانه لا يجوز ان يكون بنفسه حلالا او حراما فالحل والحرمة اذا اضيفا الى من له الحلال والحرمة
فانما يراد بالحل والحرمة الشيء الذي احل له والشيء الذي حرم عليه لا ان يكون الوصف راجعا الى المضاف اليه فاذا
قيل هذا محرم اريد به ان الاشياء محرمة عليه واذا قيل هذا حلال ليس بمحرم اريد به ان الاشياء حل واذا اضيفا الى
من لا يخاطب بالحل والحرمة اريد بهما عين ذلك الشيء كقولك هذا لحم حلال او صيد حلال وهذا لحم حرام فيريد
ان ذلك اللحم حلال وكذلك الصيد حرام او حلال ثم اختلفوا في الذي احل له فمنهم من صرفه الى القتال بانه
احل له القتال فيها وذلك يوم فتح مكة ومنهم من قال بانه احل له الدخول فيها اذا جاء من الافاق بغير احرام ولا يحل
ذلك لغيره وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان مكة حرام حرمها
الله تع يوم خلق السموات والارض والشمس والقمر ووضع هذين الجبلين لم يحل لاحد قبلي ولا يحل لاحد بعدي ولم يحل لي
الا ساعة من نهار وهي ساعتي هذه حرام بحرام الله تعالى الى يوم القيمة لا يختلى خلاها ولا يعضد شوكها ولا ينفر صيدها
ولا يرفع لقطتها الا من نشدها فقال العباس رضي الله عنه الا الاذخر يا رسول الله فانه لا غنا لاهل مكة عنه للقبر والبيان فقال
عليه السلام الا الاذخر فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم انها قد احلت له ساعة من نهار والحل يحتمل الوجهين
اللذين ذكرناهما وذكر ابو بكر الاصم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤذيه اهل مكة فيتاذى بهم فيخرج من
بين اظهرهم فيحل له الصيد في ذلك الوقت ولكن لا يسع صرف التاويل الى هذا اذ لا يعرف مثل هذا الا بالخبر والنقل
ثم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان العباس رضي الله عنه الا الاذخر دلالة ان التحريم لم يكن منصرفا
اليه ولا يحتمل ان يكون التحريم شاملا له ثم استثناه بما ذكر العباس رضي الله عنه من حاجة اهل مكة اليه لما لم يكن بين

ما ذكر من التحريم والتحليل كثير مدة يجري في مثلها النسخ ولكن ترك بيان الحل الى ان ساله العباس رضي الله عنه
ثم بين وهو دليل قول اصحابنا رحمهم الله ان تاخير البيان جائز ثم **قوله** عز وجل وانت حل بهذا البلد يحتمل وجهين
احدهما ان يكون القسم منصرفا الى نفسه فاقسم به لما عظم من امره وشانه كانه قال عز وجل لا اقسم بهذا
البلد وبالذي هو حل بهذا البلد ويكون منصرفا الى مكة ويكون قوله وانت حل بهذا البلد خرج مخرج التعريف
لمكة لكونه فيها اي البلد الذي انت نازل به وحال به او حلال فيه **قوله** عز وجل ووالد وما ولد قال بعضهم
الوالد هو ادم عليه السلام وما ولد اولاده وذريته ولكن ادم واولاده عليه السلام ليس بمخصوصين
بالدخول تحت اسم الولد والوالد بل ذلك فيهم وفي جملة الروحانيين فيكون القسم بالخلائق اجمع ويكون
ما على هذا التاويل بمعنى الذي ومنهم من جعل ما ما جحد فقال وما ولد اي الذي لا يلد وهو العاقر فاقسم
بالبشر جملة من يلد منهم ومن لا يلد واقسم بهم ايضا لما جعلهم مفضلين على كثير من الخلائق **وقوله** عز وجل
لقد خلقنا الانسان في كبد فقال بعضهم الكبد الانتصاب اخبر خلق الانسان منتصبا وخلق كل دابة منكبا
وقال بعضهم الكبد الشدة والمعاناة وقال بعضهم خلقه منتصبا في بطن امه ثم يقلب وقت الانفصال
ولقائل ان يقول اي حكمة في ذكر هذا وفي تاكيده بالقسم وكل يعلم انه خلق كذلك فجوابه ان في ذكر هذا
ابانة انهم لم يخلقوا عبثا باطلا بل خلقهم الله تعالى ليمتحنهم ويامرهم بالعبادة كما قال وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فان كان التاويل منصرفا الى الشدة والمعاناة فتاويله انه خلقهم ليكابدوا
المعاش والمعاد جميعا وخلقهم للشدة ليعتبروا ويتذكروا وان كان منصرفا الى الانتصاب ففيه تعريف
لعظم نعم الله تعالى عليهم من غير ان كانوا مستوجبين لذلك ليتادى منهم الشكر بذلك وان كان التاويل
على ما ذكر انه خلقه منتصبا في بطن امه ثم يقلب وقت الانفصال ففيه ان الله تعالى قادر على ما يشاء وانه
لا يعجزه شيء لانه يتهيا لاحد ان يقلب احدا فيجعل اعلاه اسفله الا ان يجد متسعا في المكان سعة ثم ان الله
تعالى قلبه فجعله اعلاه اسفله في ذلك المكان الضيق فتبين لهم انه لا يعجزه شيء فيحملهم ذلك على
الايمان بالبعث والنشور والله اعلم ومعنى قوله لقد خلقنا الانسان في كبد عندنا لقد خلقنا الانسان
لما له يكابد فان كانت مكابدته في طاعة الله تعالى وكان موثرا لها فقد خلق الجنة وان كانت
مكابدته في امر الشيطان فهو للنار خلق وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن و
الانس اي ذرا من يعلم انه يوثر طاعة الشيطان وعصيان الرحمن لجهنم وذرا من يعلم انه يعبد الله ويوحد
للعبادة بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والاصل ان الحكيم ابدا يقصد بفعله العاقبة الا
الذي ليست له معرفة بالعاقبة فاما من عرف العاقبة فابتدا فعله يقع لتلك العاقبة فان كان عاقبة
النار فابتداء الخلق من الله تع يقع لذلك الوجه وان كانت عاقبة الجنة فهو لذلك الوجه ما خلق فعلى
ذلك يخرج تاويله قوله عليه السلام السعيد سعيد في بطن امه والشقي في بطن امه وهؤلاء يوصف بالسعادة
والشقاوة في ذلك الوقت ولكن معناه انه اذا اثر الشقاوة في حالة الامتحان خلق لذلك واذا اثر السعادة
فلذلك ايضا وقال نوح عم ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وهم في وقت ما ولدوا غير موصوفين بواحد من الوصفين
بل يصير وا كذلك فتبين انهم خلقوا لذلك ثم في القسم على ما لا يكابد ليس على المكابدة نفسها لان المكابدة
من الانسان ظاهرة لا يحتاج الى تاكيدها بالقسم وقولنا ان المقصود من ابتداء الفعل قول النبي صلى الله عليه
وسلم اية قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كانت غيا فانته وزعمت
المعتزلة ان الله تعالى لم يخلق احدا من البشر الا ليعبده ولو كان الامر على ما زعموا وظنوا لادى ذلك
الى الجهل بالعواقب ووجب ان يكون العقل خارجا بخرج الخطاء لان كل من صنع امرا يريد غير الذي
يكون جاهلا بالعواقب او عابثا بالفعل لان من انشا الشيء يعلم انه لا يكون عند ذلك منه عبثا ولو
كان غير الذي يريده وهو ان يبني ليسكن فيه ثم ينقض قبل ان يسكن كان الذي حمله على ابناء جهله بالعواقب
وجل الله تعالى من ان يلحقه خطاء في التدبير او جهل بالعواقب فثبت بما ذكرنا ان الله تعالى يشاء لكل فريق ما علم
الذي يكون منهم وخلقهم لذلك الوجه دون ان يكون خلق الجملة للعبادة والله اعلم **وقوله** عز وجل ايحسب
ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالا لبدا ايحسب ان لم يره احد فالاية يحتمل وجهين احدهما ان يكون
حسب ان الله تعالى لا يقدر على بعثه فيكون قوله احد هو الله تعالى يقول اهلكت مالا لبدا اي جما ايحسب
ان لم يره احد انفقت منه مقدار ما يخرج عن الاحصاء **وقوله** لم يره احد اي لم يعلم احد مبلغ ما انفق من ذلك
او يكون قوله ايحسب ان لم يره احد ان لم يعلم اتباعه الذين انفق عليهم فيكون قوله تعالى اهلكت مالا لبدا
اظهارا منه السخاوة وجوده على الافتخار منه بذلك وامتنانا منه على اتباعه فان كان على هذا فهو في
امر الدنيا وقد علم الله القدر الذي انفق عليهم وعلم الخلق سخاوته لا بقوله فليس اشتغاله في اظهار
الجود والامتنان الا نوع من السفه وكان الذي يحق عليه الاشتغال بالشكر لله تعالى وتوجيه
الحمد اليه لما علم ان الذي انعم به من المال الكثير من الله وان تلك المنقبة وهي السخاوة نالها بالله تعالى
وهذا كقوله تعالى فاذكروا الله كذكركم اباءكم لم ينالوا ما يذكرون من الشرف والمناقب الحميدة الا بالله تعالى

فاكرم كذركم اباؤكم وهذا النوع من الافتخار راجع الى الخصال بعض من القوة لا الى الجملة اذ كل احد يقول مثل ذلك انه اهلك مالا فيدا وفعل كذا وقوله عز وجل الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين فان كان قوله ايحسب ان لن يقدر عليه احد على نفي القدرة على البعث نفي ذكر العينين نفي تلك الشبهة وهو ان الله تعالى انشاء له ببصر يرى بنفخة واحدة ما بين السماء والارض فمن بلغت قدرته هذا لا يعجزه شيء او يخفى عليه امر فقوله الم نجعل له عينين اي الم نخلق له عينين يدرك بهما المحسوسات بالنظر وجعلنا لهما حقوقا واشفارا يدفع بهن القذى عن عينيه ويغضهما يمين عن النظر الى ما لا يعنيه وقوله عز وجل ولسانا اي خلقنا له لسانا يحضر به ما غاب واستتر وقوله عز وجل وشفتين ففي خلق الشفتين وجهان من الحكمة احدهما انه جعلهما طبقا يستر ان قبح ما في فمه ولولاهما لكان النظر اليه وقت مضغه الطعام او شيئا من الاشياء استقذر ذلك منه وجعلهما طبقا للسانه لئلا يمده ويستعمله فيما لا يعنيه فذكرهم عظم نعمه في خلق العينين واللسان والشفتين ليستاط منهم الشكر وليعلموا ان الذي بلغت قدرته هذا ليس مما الذي يعجزه شيء وقوله وهديناه النجدين اي بينا له ما عليه وما يجد عليه وما يذم وما يقبح ويجمل والنجد الطريق فبين للخلق الطريق جميعا طريق الخير والشر ومكنهم من الفعلين جميعا وقال بعضهم النجدان الثديان اي هديناه الثديين في حالة الارضاع ولكن السنن والهداية لم ينصرف الى هذا خصوصا بل هذا من بعض ما هداه وبينه فقد بين له غيره من الامور ولا قيد في اللفظ فيحمل على الاطلاق والعموم وقوله عز وجل فلا اقتحم العقبة قيل فيه من وجهين احدهما فهلا اقتحم العقبة والثاني انه لم يقتحم فان كان على الاول فمعناه ان الذي قال انفقت مالا لبدا كيف لا كان انفاقه في فك الرقبة وفي الانفاق على اليتيم والمسكين الذي بلغ به الجهد الى ان الصق بالتراب ويكون من جملة من امن بالله تعالى وتواصوا بالصبر والمرحمة ليكون من اصحاب الميمنة ويكتسب بذلك الحيوة الطيبة في الاخرة دون ان يكون العاقبة في الملاهي وشهوات النفس فلم يحصل لنفسه حمدا ولا اجرا في العقبى بل صار من اصحاب المشامة فيكون ما بعد قوله اهلكت مالا لبدا صلة له وتفسيرا وان كان التاويل على النفي ففيه تكذيب فيما يزعم انه انفق مالا لبدا فنقول لو كان على ما يظن ليظهر على ذلك ففك الرقاب والمواساة على اليتيم وعلى المسكين الذي هو ذو متربة فيكون هذا كله صلة قوله عز وجل اهلكت مالا لبدا ايضا ثم قيل في وجهين احدهما على تحقيق تحقيق العقبة وهو ان يكون في النار عقبة لا يتجاوز ولا يقطع الا بما ذكر من فك الرقبة والاطعام في يوم ذي مسغبة كقوله تعالى ساهرقه صعودا وقوله عز وجل وما ادريك ما العقبة على تحقيق العقبة معناه وما يدريك بما يقطع تلك العقبة ثم بين انها يقطع بما ذكر من فك الرقبة ونحوه وجائز ان يكون على التمثيل لا على التحقيق ووجهه انه يشتد عليه تحمل المؤن التي ذكر من فك الرقبة واطعام المساكين ومواساة اليتيم فيكون العقبة كناية عن تحمل المؤن لا على العقبة نفسها وهو كقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان يصير الايمان على الشدة والثقل كانه كلف الصعود الى السماء ويشتد على الاول تحمل المؤن كما يشتد عليه قطع العقبة والصعود عليها والاقتحام هو رمي النفس في المهالك وقيل الاقتحام هو تحمل المؤن فان كان على تحمل المؤن فوجهه ما ذكرنا ان كيف لم يحتمل هذه المؤن ليصير من اهل الميمنة وان كان على الرمي في المهالك لم يحتمل هذه المؤن ليصير من اهل الميمنة فكانه يقول قد اهلك نفسه بتركه الانفاق في الوجوه التي ذكر والاعراض عن الايمان بالله تعالى فتركه فكاك الرقبة وروى ابو بكر الاصم في تفسيره خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا سأله فقال يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فامره بعتق النسمة وفك الرقبة فقال السائل اليسا هما واحد فقال النبي عليه السلام لا عتق النسمة ان تعتقها وفك الرقبة ان تعين على فكاكها ففكاك الرقبة ان تخلصها من وجوه المهالك وذلك يكون بالتخليص عن ذل الرق وان ترى انسانا هم بقتل آخر بغير حق فيدفع عن المظلوم شر الظالم فتراه يفرق فتخلصه عن ذلك فيكون في ذلك كله فكاك الرقبة عن المهالك ليكتسب بها الحيوة الطيبة في الاخرة ثم اختلف القراء في هذا الحرف فمنهم من قرا فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة على النصب ومنهم من قرا فك رقبة او اطعام على الرفع فاذا قرأته بالنصب فمعناه هلا فك رقبة او اطعم فيكون راجعا الى تفسير الاقتحام واذا قرأته بالرفع انصرف التاويل الى تفسير العقبة فكانه قال قطع العقبة يكون بالفك وبما ذكرنا وذكر عن سفيان بن عيينة رضي انه قال كل ما في القران وما ادريك فقد اعلمه ودراه وكل ما فيه وما يدريك فهو لم يعلم والله اعلم والمسغبة المجاعة وقوله عز وجل ذا مقربة اي ذا قرابة منه وقوله عز وجل ذا متربة اي الصق بطنه بالتراب وقيل ليس له شيء يحجبه عن التراب ثم في قوله يتيما ذا مقربة دلالة وجوب حق اليتيم على القريب اذا كان محتاجا فيكون فيه حجة لقول اصحابنا ان اليتيم اذا كان محتاجا فرضت نفقته على قرابته وفي قوله او مسكينا ذا متربة دلالة ان المسكين الذي وصفه وهو ان لا يكون بينه وبين التراب حايل فكفايته تلزم الخلق جملة وقوله عز وجل ثم كان من الذين امنوا فتاويله انه لا ينفعه فك الرقبة ولا الاطعام حتى يكون مؤمنا مع ذلك متواصيا بالصبر والمرحمة فاذا كان كذلك فحينئذ يحصل قاطعا للعقبة وجائز

ان يكون الصبر اريد به الايمان كقوله الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اي امنوا والتواصي بالصبر وبالرحمة هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ التواصي ماخوذ من الوصية وهذا يوجب ان يكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في اعتقاد الايمان وقوله تعالى اولئك اصحاب الميمنة اي اصحاب الميامن وهم اهل اليمن وقوله عز وجل والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشامة اي اصحاب الشوم على انفسهم حيث عملوا بالمعاصي واستوجبوا به نارا موصدة وهي المؤصدة المطبقة المبهمة وصفه الاطباق وما ذكر في اية اخرى وذلك قوله عز وجل لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال الله تعالى احاط بهم سرادقها الاية والله اعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والشمس وضحاها قالوا انا وبلله والشمس وضوئها وقيل وحرها وقيل ونهارها وهذا في موضع القسم وذلك لان الله تعالى جعل في الشمس معاني يدل على لطائف حكمته وعجائب تدبيره وجعل في النهاية من البركات وفي النهاية من الايات فمن عجيب تدبيره انه جعل نورها بحيث يهلك نور الظل حتى اذا ابدات في مكان اذهبت نور الظل ونور السراج ونور القمر وستر نورها الكواكب عن ان يرى وجعلها بحيث يظهر بها هباء الهواء فيبين ان الهواء اذا هبا الا ترى انك اذا نظرت في المشكاة حين سقط الشمس فيها تبين لك بها هباء الهواء ولولا احد من الخلائق اذ تدارك المعنى الذي به استتار هذا الشمس كل لم يقف عليه ثم من بركتها ان بحرارتها مصالح الاغذية وبها مصالح النبات وبها يكمل الحب وبها ينضج الفواكه ومن عجيب تدبيره انه جعلها بالبعد عن كل شيء ليصلح بها صلاح اذ لو دنت منها لكانت تحرق الاشياء كلها ومن اياتها ان جعلت بحيث تسير وتقطع كل يوم مسيرة الف عام ما يتعذر على الذي خلق السير والمشي قطع تلك المسافة بمدة كثيرة وهي ايضا تظهر جود الرب جل جلاله لان منافعها تعم الخلق كلهم برهم وفاجرهم والولي منهم والعدو فاقسم الله بها ليزيل عن الكفرة الشبهة التي تعترض لهم من الدين اما في التوحيد او في الرسالة او في البعث والله اعلم وقوله عز وجل والقمر اذا تلاها فجائز ان يتلوها في كل ما ذكرنا في الشمس من المنافع والمعاني فيكون ثانيها في العمل فانه يقع به صلاح الاغذية ايضا وهو يدبر ايضا الا انه لا ينتهي منتهاها ولا يبلغ مبلغها والله اعلم وقال بعضهم اذا تلاها اي يتلوها في اول ما يهل فانه اذا وجبت الشمس في آخر اليوم من الشهر بلا غروبها طلوع الهلال قال بعضهم انه يتلوها اذا صار بدرا وفي هذا دلالة ان منشئهما واحد لان منافعهما يعم الخلق جميعا ولو لم يكن مدبرهما واحدا لكان لا يعم بل يمنع كل واحد منهما منشئه عن ايصال النفع الى قوم عدوه وقوله عز وجل والنهار اذا جلاها يحتمل اوجها يحتمل ان يكون النهار جلى الدنيا ويحتمل ان يكون جلى الارض ويحتمل ان يكون جلى الشمس ويحتمل ان جلى الابصار بنورها عن ظلمة الليل التي يغشاها وقوله عز وجل والليل اذا يغشاها ينصرف الى الاوجه التي ذكرنا ايضا اي يغشى الدنيا او الارض او الشمس او يغشى الابصار بظلمتها عن الخلايق والله اعلم ثم الليل والنهار زيادة سلطان ليست للشمس ولا للقمر لان من سلطان الليل والنهار انهما يفنيان الاجال ويقطعان الاعمال ولا يتهيأ لاحد الامتناع والتحرز من سلطانهما ويتهيأ للخلق دفع اذى الشمس والقمر عن انفسهم بالحيل والاسباب فكان في ذكر الليل والنهار زيادة معنى ليس ذلك في ذكر الشمس والقمر وقوله عز وجل والسماء وما بناها قال الزجاج ما بمعنى الذي وقد يستعمل في مثله كقول العرب سبحان ما سبح له السموات والارض اي سبحان الذي سبحت له وقال بعضهم ما هاهنا بمعنى من كانه يقول والسماء ومن بناها وقال بعضهم ما هاهنا يجعل الفعل الماضي بمعنى المصدر تقول اعجبني ما صنعت اي اعجبني صنعك فيكون معناه والسماء وبنائها فان كان التاويل على الوجهين الاولين يرجع القسم الى الله تعالى والسماء والى ما تقدم من الشمس والقمر والنهار والليل وان كان على التاويل الاخر رجع القسم الى ما خلق وهو السماء فان بناء السماء عينها وقال ابو بكر الاصم ان هذه الماآت في قوله والسماء وما بناها والارض وما طحيها وما سواها يخرج على التعجب على شرط التقديم وان كانت مؤخرة في اللفظ كانه يقول الله تعالى وما السماء ثم اجاب بناها بان رفع سمكها وسواها ورفعها بغير عمد ترونها والله اعلم وقوله عز وجل والارض وما طحاها اي بسطها وقوله عز وجل ونفس وما سواها قالوا التسوية في ان خلقها باليدين والرجلين والعينين ونحوها فان كان على هذا فالتسوية يرجع الى الاغلب لا الى الجملة اذ ليس لكل نفس هذه الجوارح جملة فيكون معناه انه سوى اكثر النفوس بما ذكرنا من اليدين والرجلين وذلك جائز في الكلام وهو كقوله تعالى وجعل الليل سكنا وجعل النهار معاشا ومعناه انه جعلها سكنا ومقرا لاكثر الخلائق لا للجملة وجعل النهار لاكثر الخلائق معاشا لا للجملة والله اعلم وقيل سوى جوارحها واطرافها ما لو لم يكن له جارحة من ذلك الجوارح يوصف بالنقصان وهذا اعم من الاول ويحتمل سواها على غير ما عليه مصلحها ويملك التقلب والتعيش ليس على ما عليه سائر الحيوان ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون قوله سواها اي جعلها بحيث احتمال الكلفة والمحنة كقوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى ويميز بين القبيح والحسن ويعرف عواقب الامور من الخير والشر وقوله عز وجل فالهمها

فجورها وتقواها وهذا يحتمل اوجها احدها اى بين لها فجورها وتقواها وعلمها فمن زعم ان المعارف
ضرورية خلقه يحتج بهذه الاية فيقول اخبر تعالى انه علمها فجورها وتقواها وانه وضع فى نفسه ما يعرف به
قبح كل قبيح وحسن كل حسن والاصل فيه عندنا انه يعرف حسن الاشياء وقبحها جملة ببداية العقول ولكن العقول
لا تعرف حسن كل شىء على الاشارة اليه ولا قبح كل قبيح على الاشارة اليه وانما يعرف ذلك اما بخبر يرد على السن
الرسل عليهم السلام او باستعمال الفكر الا ترى انك تجد النفس من طبعها انها تالف الملاذ والمنافع وتنفى عن
المكاره والالام ولكنها لا تعرف معرفة كل منتفع على الاشارة اليه ولا اضراره اعين الاشياء وانما يعرف ذلك
بالذوق وكذلك العين يدرك الالوان لكنها لا تعرف حسنه وقبحه بل العقل هو الذى يفصل بينهما فعلى ذلك
قد جعل فى طبع العقل قبح القبائح جملة وحسن الحسن ولكن لا يفصل بينهما على الاشارة الى كل فى نفسه
الا بما ذكرنا فيكون قوله فالهمها فجورها وتقواها اى جعل فى نفسها ما يبين القبيح من الحسن والطيب
ويبين قبح الفجور وحسن التقوى ويلزمه المحنة والكلفة بذلك ثم يصل الى معرفة ذلك اما بالرسل واما
باستعمال الفكر ويحتمل وجها اخر وهو ان يلهمها تقواها اذا وفى بما الله تعالى عليه من الاستقامة على الطريقة
والمجاهدة الا ترى الى قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فوعد الهداية بالجهاد وقال تعالى
واذا سالك عبادى عنى فانى اجيب دعوة الداع اذا دعان ثم كانت الاجابة مضمنة شريطة وهى ان
يستجيب له الداع فيما دعاه اليه الا ترى الى قوله تع فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى وقال تع واوفوا بعهدى اوف بعهدكم
وقال انى معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة الاية فثبت ان الذى يلهم التقوى هو الذى يقوم بوفاء
ما عليه فاذا قام به الهمه التقوى وبين له سبيل الفجور وقال ابو بكر الاصم فى قوله فالهمها فجورها وتقواها
اى الزمها فجورها وتقويها فيكون تقواها لها وفجورها عليها لا يؤخذ احد بفجور احد وفى هذا دليل على ان
التقوى اذا ذكر مفردا انصرف الى الخيرات اجمع واذا قرن به البر والاعطاء انصرف الى الاتقاء عن المحارم كقوله تعا
فاما من اعطى واتقى واذا قيل بر واتق اريد به ان بر بكل ما يحمد عليه واتق عن كل ما يذم عليه فاعله وقوله عز وجل
قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها فوقع ما تقدم من القسم بالشمس والقمر والليل والنهار على هذا
فقوله قد افلح من زكاها فى الاخرة على ما يذكر فى قوله ان سعيكم لشتى فيكون فى هذا ايجاب القول بالبعث
من الوجه الذى نذكره ان شاء الله تعالى ثم اختلفوا فى تاويل الفلاح قال بعضهم افلح اى سعد ومنهم
من يقول اى بقى فى الخيرات والفلاح البقاء ومنهم من يقول افلح اى فاز والمفلح فى الجملة هو الذى يظفر
بما يامل وينجو عما يحذر فيدخل فى ذلك السعادة والبقاء والفوز وقوله عز وجل من زكاها فجائز ان يكون
منصرفا الى الله تعالى وجائز ان ينصرف الى العبد قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد
ابدا ولكن الله يزكى من يشاء وقال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبين الله تعالى انه هو الذى يفضل بتزكية من
زكا وجائز ان يكون يصرف الى العبد فوله زكاها اى صاحبها وكذلك قوله وقد خاب من دساها يحتمل هذين
الوجهين فيكون الله تعالى هو الذى انشاء فعل الضلال فيكون الفعل من حيث الانشاء عن الله تعالى ومن
حيث الفعل من العبد ثم قوله من دساها اى اخفاها واخفاءها ان صيرها بحيث لا يذكر فى المحافل الا بالذم
وزكى الاخر اظهرها حتى ينظر اليها الناس بعين التبجيل والتعظيم وهكذا شان المتقى ان يكون مبجلا معظما
فيما بين الخلق والفاجر يعيش مذموما مهانا فيما بين الخلق او يرجع الاظهار والاخفاء الى الاخرة فيجل قدر المتقى
المذكى ويخمل ذكر الفاجر وقوله عز وجل دساها من دسست فاسقط السين وابدل مكانها الياء ثم
الاضافة فى قوله دساها الى الله تعالى على خلق ذلك الفعل منه وفى قوله من زكاها على التوفيق وقوله عز وجل
كذبت ثمود بطغويها ولم يبين لمن كذبوا وقد بينه فى اية اخرى فقال كذبت ثمود المرسلين وقوله عز وجل
بطغويها يحتمل وجهين اى لاجل معصيتها وطغيانها اذ الحامل لهم على التكذيب طغيانهم وتركهم التفكر
فى امره والا لو تفكروا فيما جاءهم به رسول صلى الله عليه وسلم لم يجدوا موضع التكذيب والثانى
باهل طغواها اى كذبت ثمود بسبب اهل الطغيان فيكون فى هذه الاية انباء انهم لم يكذبوا رسولهم
بشبهة اعترضت لهم او بحجة كانت لهم يكذبونه عن عناد منهم وتيقن منهم برسالته وذلك ان بينهم
صالح عليه السلام جاوزت الحج لانهم اوتوا الناقة على سبق منهم وعلى تعدى منهم فى السؤال اذ كان لهم
ان يطالبوه بالحجة على دعوى الرسالة ولم يكن لهم ان ينصوا السؤال على شىء يشيرون اليه فهم باشارتهم
الى سؤال الناقة كانوا متعدين فيه ثم من حكمة الله ان الحجة اذا كانت على اثر السؤال ثم ظهر التكذيب من
السائلين هو الاستيصال فى الدنيا وقد وجد من اولئك القوم السؤال والتكذيب فعوقبوا بالاستيصال
قال الله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فبين
الله تعالى المعنى الذى لم يرسل الايات التى سالت الكفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انهم لو اوتوا
ثم عندوا ولم يتوصلوا فقد ارادوا الله تعالى ابقاء امته الى ان تقوم الساعة وارسله رحمة للعالمين وجعل
حجته من وجه فيها رحمة العالمين وهى القتال ووجه الرحمة انهم كانوا يمتنعون عن الدنيا وشهواتها
فكان يمنعهم ذلك عن النظر فى حججه واياته رسالته وكان فى الجهاد وما يضيق عليهم المعاش ويضطرهم

الى النظر فى الحج فيحملهم ذلك على تصديقه والايمان به فثبت ان فى القتال رحمة عليهم وقوله عز وجل
اذ انبعث اشقاها اى قام اشقاها وصار اشقاها بما احدث من الكفر بعقر الناقة وروى عن عمار بن
ياسر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه الا اخبرك باشقى الناس
رجلين قال بلى يا رسول الله فقال احيمر ثمود عاقر الناقة والذى يضرب على هذه واشار الى هامته
حتى يبتل منها هذه واشار الى لحيته فصار عاقر الناقة اشقى الناس بما ذكرنا وجائز ان يكون قاتل على صار اشقى
الناس لانه استحل قتله وقوله عز وجل فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فهو يحتمل وجهين احدهما
اى احذروا ناقة الله وهو كقوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم والثانى اى قال لهم ذروا ناقة الله
تاكل فى ارض الله وذروا بين الناقة وسقياها او شربها ثم اضيفت الناقة الى الله تعالى الوجهين احدهما
ان الله تعالى لم ياذن لاحد بالتملك عليها حتى ينسب اليه الملك بل بقيت غير مملوكة لاحد فاضيف الى الله تعا
كما اضيفت اليه المساجد لما لا ملك لاحد عليها واضيف الى الله تعالى على معنى التفضيل والاصل ان اضافة
الاشياء الى الله تعالى بحق الحرمات على تفضيل تلك الاجزاء من بين غيرها فاضافة الاشياء الى الله تعالى بحق الكليات
يخرج مخرج تعظيم الله تعالى فاذا قيل رب المساجد اريد به تفضيل المساجد من بين سائر البقاع واذا قيل رب
العرش اريد به تعظيم العرش وكذلك اذا قيل رب الناقة اريد به تعظيم امرها واذا قيل رب العالمين ورب
كل شىء اريد به تعظيم الرب جل جلاله وقوله عز وجل فكذبوه فعقروها فدمدم يحتمل ان يكونوا
كذبوا صالحا عليه السلام فى رسالته او كذبوه فيما اخبرهم من حلول العذاب بهم اذا عقروا الناقة
فعقروها مع ذلك وقوله عز وجل فدمدم عليهم ربهم قال بعضهم اى اطبق عليهم العذاب على الصغير
والكبير ومنه يقال بعير مدموم اذا كان سمينا اطبق شحمه على الحمد وقال بعضهم دمدم عليهم اى ارجف بهم
وذنبهم ما تعدوا من تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة وقوله عز وجل فسويها يحتمل وجهين احدهما
انه سواهم بالارض كقوله عز وجل يوم يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض او سوى
بين الصغير والكبير فى الاهلاك فالصغار منهم يومئذ ماتوا باجالهم والكبار منهم استوصلوا بذنوبهم
وقوله ولا يخاف عقبيها فجائز ان يكون الاضافة منصرفة الى الله تعالى وهو ان يكون الله لما اهلكهم
لم يخف تبعة الاهلاك ووجه الخوف هو انه فيما اهلكهم بما اوجبت الحكمة اهلاكهم ولم يلحقه تقصير
فى الحكمة ولا وجد الغايب فى ذلك مقالا وهكذا قال الحسن ذاك ربنا لم يخف مما انزل عليهم العذاب
ويكون منصرفا الى العاقر فيكون معناه انه عقرها ولم يخف العاقبة التى حذرهم بها صالح عليه السلام
من قوله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقال بعضهم ولا يخاف عقباها اى لم يعلم ما يحل به من
عقر تلك الناقة ولو علم لم يفعل ويجوز استعمال الخوف فى موضع العلم لان الخوف اذا بلغ غايته صار علما
ثم الحكمة فى ذكر قصة ثمود وجهان احدهما ان فى ذكرها اثبات رسالة محمد صلوات الله عليه وهو ان النبى
صلى الله عليه وسلم لم يوجد منه الاختلاف الى من عنده علم الانباء والاخبار وكان لا يعرف الكتابة
ليقع له المعرفة بهما فثبت انه بالوحى علم والثانى ان فى ذكره تحذيرا لمكذبى الرسل فى زمانه ليمتنعوا
من تكذيبه فلا يحل بهم كما حل بمكذبى صالح عليه السلام من باسه وعذابه والله الهادى وعليه

اعتمادى

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى جعل الله تعالى الليل والنهار ايتين
عظيمتين ظاهرتين على الخلايق ما يعرف كل كافر ومؤمن وجميع اهل التنازع الذين تنازعوا اهل الايمان والتوحيد
من الجبابرة والفراعنة والقسم بقوله والضحى والليل اذا سجى واحد وقد ذكرنا ان القسم انما يذكر تاكيد ما
يقع به القسم ما لولا القسم كان يوجب دون القسم وذلك لعظم ما فيها حتى قهرا جميع الفراعنة والجبابرة
وغلبا عليهم فى اتيانهما وذهابهما حتى ان من اراد منهم دفع هذا او مجىء هذا ما قدروا عليه وفيهما دلالة وحدانية
الله تعالى والوهية وقدرته وسلطانه وعلمه وتدبيره وحكمته اما دلالة وحدانيته ولوهيته اسا فيهما وجريانهما على
حد واحد وسنن واحد مذ كانا وانشاء امن الظلمة والنور والزيادة والنقصان فدل جريانهما على ما ذكرنا ان
منشئهما واحد اذ لو كان فعل عدد لكان اذا جاء هذا وغلب الاخر دامت غلبته عليه وكذلك الاخر يكون مغلوبا
ابدا والاخر غالبا فاذا لم يكن ذلك دل انه فعل واحد ويدل ايضا على ان ليس ذلك عمل النور والظلمة على ما تقوله
الثنوية ودل ايضا منافع احدهما بمنافع الاخر على ان ذلك عمل واحد لا عدد ودل اتساق ما ذكرنا ودوا
مهما على حد واحد على الاستواء ان منشئهما مدبر عليم عن تدبير وعلم خرج ذلك لا على الجزاف بلا تدبير ودل
مجىء كل واحد منهما بطرفة عين على ان منشئهما قادر لا يعجزه شىء من بعث ولا غيره ودل ما ذكرنا ان فا
على ذلك حكيم على حكمة خرج فعله لا يحتمل ان يتركهم سدى لا يامرهم ولا ينهاهم ولا يمتحنهم بامور وكذلك
جعل فيما ذكر من الذكر والانثى من الدلالات والايات من الازدواج والتوالد والتناسل وغير ذلك

علیهم

وقوله عزوجل وما خلق الذكر والانثى وقال بعضهم ان حرف ما متى قرن بالفعل الماضى صار بمعنى المصدر كانه
قال وخلق الذكر والانثى فيكون قسما بجميع الخلايق ان لا يخلو شئ من ان يكون ذكرا وانثى وكذلك فى ذكر حرف
ابن مسعود رضى الله عنه والذكر وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرا كذلك وقال بعضهم
ما هاهنا بمعنى الذى كانه قال والذى خلق الذكر والانثى فيكون على هذا الوجه القسم بالله تعالى وعلى التاويل
الاول بالذكر والانثى وقوله عزوجل ان سعيكم لشتى قالوا على هذا وقع القسم فان قيل ان كلا يعلم من كافر
ومؤمن ان سعيهم لمختلف فما الحكمة والفائدة من ذكر القسم على ما يعلم كل ذلك فالوجه فيه الله اعلم ان ما يقع
لهم بالسعى وما يستوجبون به لمختلف فى الاخرة وهو جزاء السعى كانه قال ان جزاء سعيكم وثوابه لمختلف وذلك
انهم كانوا يقولون ان كانت دار اخرى على ما تقوله محمد عليه الصلوة والسلام نحن احق بها من اتباع محمد
صلى الله عليه وسلم بقوله ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا او يكون قوله ان سعيكم لشتى
لان المعطى فى الشاهد ينفع غيره ويضر نفسه فى الظاهر والممسك ينفع نفسه ثم المعطى محمود عند الناس
فلو لم يكن عاقبة ينتفع المعطى بما اعطى ويضر البخيل المنع لكان الناس بما حمدوا هذا وذموا الاخر سفهاء فدل
ان العاقبة هى التى يصير هذا محمودا ولان الخلق جميعا من مسلم وكافر ومحسن ومسئ قد استووا فى نعم هذه
الدنيا ولذاتها بما ذكرنا من مر الليل والنهار ومما يخلق فيهما من النبات والثمار والعيون والاشجار
فاذا وقع الاستواء فى هذه الدار وبه وردت الاخبار عن النبى المختار ان الناس شركاء فى الماء والكلاء
والنار لا بد من دار اخرى للاشقياء والابرار ليقع بها التفاوت بين الابرار والاشرار والنافع منهم نفسه
والضار واذا ثبت انهما استويا فى منافع الليل والنهار وجميع ما فى الدنيا من الانزال وغيرها فاذا وقع
الاستواء بينهم فى الدنيا لا بد من دار اخرى فيها يقع التفاوت والتفاضل بينهم وفيها تميز من ما ذكرنا
ثم بين ان السعى الذى يقع الجزاء له مختلف ما ذكر بقوله فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
وهو يخرج على وجوه يحتمل فاما من اعطى واتقى اى اعطى ما امر به واتقى عصيانه وكفران نعمه او اتقى
المنع او من اعطى التوحيد الله تع من نفسه واتقى الشرك والكفران لنعمه وصدق بموعود الله تع
فسنيسره لليسرى للاعمال والشرايع ونشرح صدره للتوحيد والاسلام وييسره عليه واما من بخل
ولم يات بالتوحيد واستغنى عن الله تعالى بما عنده وكذب بموعود الله فسنيسره للعسرى لما بعده من
الاعمال والله اعلم والثانى فى حق القبول والعزم على وفاء ذلك بقوله فاما من اعطى اى قبل الاعطاء وعزم
على وفاء ذلك واتقى اى عزم اتقاء معاصى الله تعالى ومحارمه وصدق بالحسنى اى بموعوده فسنيسره لليسرى
اى سنيسره لوفاء ما عزم فاما من بخل اى على البخل والمنع بذلك واستغنى بالذى له وعنده وكذب بموعود الله
تعالى فسنيسره لوفاء ما عزم من الخلاف لله تع والمعصية له وعلى ذلك يخرج ما روى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه سئل عن ذلك فقال كل ميسر لما خلق له او قال كل ميسر لما عمل والثالث يخرج على حقيقة اعطاء ما
وجب من الحق فى المال وحقيقة المنع بقول فاما من اعطى ما اوجب من حق الله تع فى ماله واتقى نقمة الله ومقته
وعذابه وصدق بالحسنى اى بموعود الله تع فسنيسره لليسرى فى الخيرات والطاعات واما من بخل اى منع
حق الله تعالى الذى فى ماله وكذب بالذى وعد على ذلك فسنيسره لليسرى فى الافضاء الى ما وعد
وقوله عزوجل وما يغنى عنه ماله اذا تردى قيل اذا هلك ومات او تردى فى النار وفى ظاهر قوله تعا
وما يغنى عنه ماله دلالة على ان الاية فى حقيقة الاعطاء من المال والمنع وقوله عزوجل وصدق
بالحسنى قال بعضهم بالجنة وقيل شهادة ان لا اله الا الله وقيل بالخلف على ما انفق وجاز ان يكون
البشرى اسم للجنة وكذلك الحسنى والعسرى والسوءى النار ويحتمل ان يكون اليسرى اسما لكل ما طاب وحسن
من العمل والعسرى ما خبث وقبح من العمل ومنهم من قال ان الاية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه
انه اشترى بلالا وامية بن خلف وابى بن خلف ببردة وعشر اواقى فاعتقه لله تعالى فانزل الله تعالى والليل
اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعنى سعى ابى بكر وامية وابى وذكر الى اخر السورة فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى ابو بكر رضى الله عنه فاما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
امية بن خلف وابى بن خلف يرويه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه هذا وقوله عزوجل ان علينا للهدى
هذا يخرج على وجوه احدها جائز ان يكون علينا اى لنا وذلك جائز فى اللغة جارى كقوله تعالى وما ذبح
على النصب اى للنصب وكقوم مقعالى وعلينا الحساب وعلينا حسابهم اى لنا محاسبتهم وقوله تع وعلى الله قصد
السبيل اى لله قصد السبيل كقوله تع ولو ترى اذ وقفوا على ربهم اى لربهم كما قال يوم يقوم الناس
لرب الناس ونحو ذلك كثير ان يكون علينا بمعنى لنا فيصير كانه قال ان لنا الهدى كقوله الا لله الدين
الخالص وكقوله وله الدين واصبا يكون بمنا اخبار ان الهدى والدين الخالص له واما سائر الاديان فلما
هى سبيل الشيطان ليست لله تعالى على هذا جائز ان يخرج تاويل الاية والوجهان الاخران يخرجان على حقيقة
على لكن احدهما يخرج ذكر الهدى على ارادة البيان فى تبيين الطريق والاخر على ارادة حقيقة الهدى هو ضد
الكفر ومقابله فاما على ارادة البيان فكانه قال ان علينا غاية البيان بحق الحكمة والعدل فيما يمتحنون حتى

ان كان التقصير

ان كان التقصير والتفريط فانما يكون من قبل انفسهم لا من قبل الله تعالى او يبين لهم كل شئ غاية البيان
ونهايته بسرون الشبهة عنهم والله اعلم ويحتمل وجها اخر وهو ان يقول ان علينا هداية من استهدى وجتهد
فى طلبها كقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ووجه اخر ان علينا انجاز ما وعدنا على الهدى لمن
اهتدى واخباره يخرج تاويل الاية على ارادة البيان من الوجوه التى ذكرنا واما على ارادة حقيقة الهدى
الذى هو مقابل الكفر فكانه قال ان علينا التوفيق والمعونة والعصمة فى حق الاحسان والافضال لا على ان
ذلك عليه لهم وفى حرف ابن مسعود رضى الله عنه ان علينا بيان ما للاخرة والاولى كيلا يزول عن قصد الطريق
فيهلك نفسه فى كل مضيق وقوله عزوجل وان لنا للاخرة والاولى فهو يخرج على وجهين احدهما يقول والله اعلم
انكم تعلمون ان لنا للاخرة والاولى وليس لما تعبدون من الاصنام والاوثان الاخرة والاولى فكيف صرفتم عبادتكم
عمن له الاخرة والاولى الى من ليس له الاخرة والاولى على علم منكم بذلك يسفههم فى اختيارهم عبادة الاصنام
على عبادة الله تعالى والثانى يقول والله اعلم ان لنا للاخرة والاولى فما بالكم تبخلون بالاتفاق على انفسكم وما
يرجع منفعته اليكم بما ليس لكم فى الحقيقة وانما هو الله تعالى وهذا التاويل صلة قوله تعالى واما من بخل واستغنى
الاية والاول يكون صلة قوله ان علينا للهدى وقوله عزوجل فانذرتكم نارا تلظى اى نارا تتوقد وتتلهب
او تشتعل على ما ذكر من صفتها ثم ذلك الانذار يكون للفريقين لاهل التوحيد ولاهل الشرك جميعا والله اعلم
وقوله عزوجل لا يصليها الا الاشقى الذى كذب وتولى قالت المعتزلة هذا على ليس حقيقة التكذيب ولكن
على التقصير والتفريط فى امر الله تع والوقوع فى مناهيه فيصرفون الاية الى اصحاب الكبائر بارتكابهم الكبيرة
يصيرون مكذبين ومتولين لانهم فى ابتداء اعتقادهم التوحيد والايمان اعتقدوا وفاء كل ما وقع به الامر و
وفاء كل ما يليق به والانتهاء عن جميع ما لا يليق به فاذا ترك ذلك صار مكذبا لما اعتقد وفى الاصل وفاء ذلك
لكن عندنا لا يصير بترك الوفاء مكذبا لكن يصير مخالفا لما وعد واعتقد واستدلت المرجئة الذين لا يرون
العذاب الا لاهل الشرك والكفر بهذه الاية يقولون انه لا يصليها الا الذى كذب وتولى والمسلم وان
ارتكب الكبيرة او الصغيرة فهو ليس بمكذب ولا متول ولكن تاويل الاية عندنا فى الكفرة ليست فى اهل الايمان
ثم يحتمل قوله لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى فى باب ودرك دون درك وباب فان لكل فريق دركا
قال الله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وهذا كما قال ليس لهم طعام الا من ضريع وقال فى اية
اخرى الا من غسلين فيكون الضريع الذى ذكر فى باب ودرك منها والغسلين فى باب اخر فجاز على هذا ان لا يصلى
ذلك الدرك الا الاشقى فاما يجوز ان يكون لصاحب الكبيرة درك خاص واما ذكروا ان اصحاب الكبائر قد
اوعدوا وخوفوا بمواعيد شديدة فلسنا ننكر المواعيد لهم وانهم يعذبون ولكن نقول لا يكونون فى الدركات
التى فيها الكفار ان ادخلوا فى النار وجائز ايضا ان يعذبوا بعذاب سوى العذاب الذى ذكر بالنار والتلظى
وعندنا هم فى مشية الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء تجاوز عنهم وخلا عنها سبيلهم واما النار التى
ذكر بصفة التلظى فهى للكفار والله الموفق وقوله عزوجل وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى اخبر انه
يجنب النار عن الاتقى ويقيه عنها ثم فيه دلالة انه انما يجنبها ويقيها بالاعمال التى يعملها فدل ان لله
تعالى فى افعالهم صنعا حيث اضاف الوقاية اليه والتجنب عنها وهو كقوله ربنا اتنا فى الدنيا حسنة وفى
الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وقوله عزوجل وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اى
ما لاحد عند الله تعالى من نعمة تجزى بها ولا يستحق الثواب بها لكن اذا رانعمة من نعم الله تعالى التى
اعطاها اياه لغيره ابتغاء وجهه وطلب رضاه يجزيه بفضله كانه كانت له عنده نعمة تجزى بها والثانى
يحتمل ان هذا صلة قوله يؤتى ماله يتزكى اى يتصدق ويتزكى لابتغاء وجه الله تعالى على من ليس عنده نعمة
ويد يجازيه بها وينفق عليه جزاء لصنيع قد سبق منه فى حقه كانه يقول لا يعطى الزكوة احدا عن مجازاة
سبق منه اليه من نعمة انما اعطاه له لا لمجازاة ولكن لله تعالى خالصا وفيه دليل ان لا يعطى الرجل زكوة
ماله من عنده له نعمة او منة لا يخرج ذلك مخرج الاعطاء ببدل وقوله عزوجل ولسوف يرضى اى يرضى بالذى
يجزى له ويساق اليه من الثواب وحرف السوف والعسى من الله تعالى واجب كانه يقول يعطيه حتى يرضى
وقال بعضهم نزلت هذه الاية وهو قوله عزوجل وما لاحد عنده من نعمة تجزى فى ابى بكر الصديق
رضى الله عنه وقال بعضهم هذه الاية نزلت فى ابى الدحداح رضى الله عنه طلب النبى صلى الله عليه وسلم
منه نخلة الى اخر القصة وقال بعض اهل الادب تردى فى النار اى سقط ويقال تردى تفعل من الردى وهو الهلاك
اذا تجلى اذا بدى والبشرى من التبشير والعسرى من التعسير والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه
الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى قال بعضهم الضحى هو ضوء النهار كقوله وضحاها
اى ضوءها وقال بعضهم هو ساعة من النهار وهى من اول النهار ويقال صلوة الضحى وهى عند ضحوة النهار

ومنهم من يقول هو كناية عن الحر كقوله لا تجوع فيها و لا تعرى الى قوله و لا تضحى اى لا يصيبك الحر والله اعلم ومنهم من يقول هو كناية عن النهار كله اقسم به وبالليل الذى ذكر فان كان المراد من الضحى هو ضوء النهار ومن الليل اذا سجى ظلمته فيخرج القسم به على ان ظلمة الليل تستر الخلايق كلهم في طرفة عين وكذلك ضوء النهار يكشف الستر ويجلى بطرفة عين جميع الخلايق من غير ان يعلم احد ثقل ذلك الستر او خفة ذلك الضوء فاقسم بذلك لعظيم ما فيهما من الاية وان كان المراد منه نفس الليل والنهار فالقسم بهما لما جعل فيهما من المنافع الكثيرة وقوله عز وجل اذا سجى اختلف فيه قال بعضهم اذا استوى وقال بعضهم اذا سكن وركد وقال بعضهم اذا سجى اذا غشى واظلم وغطى كل شى وستر وهو من التسجى والستر يقال تسجى قبر المراة اذا استتر وتغطى وقوله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى على هذا وقع القسم ثم اختلف في السبب الذى نزل هذا قال بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان سئل عن شى اذا طلبوا منه شيا فقال افعل ذلك غدا او اخبركم عنه غدا ولم يستثن فاحتبس عنه الوحى اياما لذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه اى تركه وابغضه ومنهم من قال ان الله ابطا عليه الوحى فجزع جزعا شديدا فقالت له خديجة رضى الله عنها انى لا ارى قد قلاك ربك وودعك مما ترى من جزعه فنزل قوله ما ودعك ربك وما قلى ولسنا ندرى كيف كان الامر فان كان نزل ذلك لقول قريش فالقسم يحتمل كذلك ردا لقولهم والقول الثانى انه نزل لقول خديجة رضى الله عنها فهو غير محتمل لان خديجة تعلم ان الله تعالى لم يودعه ولا قلاه وكذا كل مومن معتقد ان الله تع لا يودع احدا من رسله ولانها تصدق الرسول عليه الصلوة والسلام انه لم يودعه ولا قلاه اذ اخبرها بغير قسم فلا معنى للقسم دل هذا الوجه غير محتمل ثم صرف تاويل الاية الى غير ما قالوا اشبه عندنا واقرب مما قالوا وهو انه عليه الصلوة والسلام بعث الى الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم قتل من خالفهم واهلاك من استقبلهم بالخلاف ولم يكن معه فضل مال وسعة يستميل به قلوب الناس فيقول اولئك الكفرة ان ربه قد خذله وتركه وقلاه حيث بعثه الى من ذكرنا من الفراعنة والجبابرة الذين كانت همتهم القتل وعادتهم اهلاك من خالفهم بلا انصار ولا اعوان من الملائكة ولا مال وسعة يستميل به القلوب والانفس لان من سلم انسانا الى اعدائه الذين يعلم انهم اعداؤه ويخلى بينه وبين الاعداء بلا انصار واعوان ولا مال وسعة من الدنيا فيقال انه قد خذله وتركه وقلاه اذ لا يفعل ذلك في الاصل الا لذلك فعند ذلك قالوا انه ودعه وقلاه وهو ما قالوا لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ونحو ذلك مما قالوا فلولا صرف اهل التاويل تاويل الاية الى ما ذكروا والا صرفه الى ما ذكرنا اشبه وفى قولهم قد ودعه ربه دلالة انهم قد عرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم واقروا بذلك حتى قالوا انزل قوله ما ودعك ربك والثانى انه لو كان يجزع على ما كانوا يقولون اولئك لكان لا يحتبس عن الاختراع ويكون يخترع ابدا حتى لا يقولوا انه ودعه فدل ظهور احتباس الوحى انه عن امر يخبر وانه مامور بذلك ثم اخبر انه لم يبعث الى هؤلاء الفراعنة والجبابرة لما ذكر اولئك الكفرة انه خذله وتركه وقلاه ولكن بعثه وهو ينصره ويعينه على تبليغ ما امر بتبليغه الى من امر بتبليغه ولم يقله ولكنه اصطفاه واختاره حتى يعلو امره ويكثر ذكره وفى ذلك لاية عظيمة على اثبات الرسالة وهو ما ذكرنا انه بعث الى من همتهم القتل والاهلاك لمن خالفهم فقهرهم جميعا وغلب على الكل حتى اظهر الاسلام فيمن قرب منه ومن بعده وقوله عز وجل وللاخرة خير لك من الاولى يقول مع ما اعطيت في الدنيا من الشرف والذكر والغلبة على الفراعنة فالاخرة خير لك من الاولى يرغبه في الاخرة ويزهده في الدنيا ويقول ان اولى لك ان يكون سعيك للاخرة فهو خير لك من الاولى وهو كقوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقوله عز وجل ولسوف يعطيك ربك فترضى اى لنعطى في الاخرة ما يرضى من الكرامة والشرف وقال بعضهم اى ولسوف يعطيك ربك فترضى في الدنيا من الذكر والشرف والمنزلة والغلبة على الاعداء ويحتمل يعطيك في امتك ما ترجوا وتامل من الشفاعة لهم وترضى ويقول بعض الناس ان ارجى الاية هذه حيث وعد له انه يعطيه ما يرضى ولا يرضى ان يكون امته في النار ومنهم من قال ارجى الاية قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وهو قول ابن مسعود رضى الله عنه وعندنا ارجى الايات هى التى امر الله تعالى رسله بالاستغفار للمومنين وكذلك ما امر الملائكة بالاستغفار لهم فاستغفروا لهم وقوله عز وجل الم يجدك يتيما فاوى الاية ما ذكر من الاحوال التى ذكر فيه من قوله الم يجدك يتيما فاوى ووجدك عائلا فاغنى الاية وقوله عز وجل الم يجدك يتيما فاوى ووجدك عائلا فاغنى الاية وقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ونحو ذلك من الاحوال التى ذكر فيه في الظاهر احوال يذكر للشين ليس يمتدح فيه لكن فى ذكر ما ذكر فيه من الاحوال ذكر بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر له والعون واية له على رسالته ونبوته لان نفاذ القول وغلبة الامر مع الاحوال التى ذكر اعظم في الاعجوبة من نفاذه فى احوال السعة وحال قوة الاسباب وتاكيدها او ان يكون قوله الم يجدك يتيما فاوى ووجدك عائلا فاغنى ونحوه لان اولئك الكفرة كانوا ينسبونه الى الافتراء والاختراع من ذات نفسه فاخبر ان اليتيم والفقير ليس يبلغ في العلم والمعرفة المبلغ الذى يقدر على الاختراع وانشاء الشى من نفسه على وجه يعجز مبلغ الاختراع عن مثله جميع الخلق لما لا يجد ما ينفق في ذلك ويحتمل المؤن حتى يبلغ مبلغ الاختراع وكذلك ما ذكر حيث

قال ماكنت

قال ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك لانهم قالوا انما يعلمه بشر فالبشر انما يتعلمون بالكتابة والخط فاذا لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك دل انه بالله عرف وحده وقوله عز وجل الم يجدك يتيما فاوى اى وجدك يتيما فاواك ثم يحتمل قوله فاواك وجوها احدها وجدك يتيما فاواك الى عمك حتى رباك ودفع عنك كل اذى وافة وساق اليك كل خير وبر الى ان بلغت المبلغ الذى بلغت والثانى يقول قد وجدك يتيما فاواك الى عدو من اعدائك حتى تولى تربيتك وبرك وعطف عليك وتولى عنك دفع المكروه والاذى بذكر منته وعظيم نعمه عليه انه كان ما ذكر ثم صير عدوا دافع المكروه من اعدائه اشفق الناس عليه واعطف والله اعلم والثالث قد وجدك فاواك الى نفسه وعطف عليك حتى اختصك واصطفاك للرسالة والنبوة حتى صرت مذكورا في الدنيا والاخرة وحتى احوج جميع الناس اليك ليس ذلك من امر اليتيم انه يبلغ شانه وامره الى ما بلغ من امرك وشانك حتى صرت مخصوصا من بين الناس جميعا فيما ذكرنا من اختصاصه اياك بالرسالة واحوج جميع الناس اليك بذكر عظم منه ونعمه عليه وقوله عز وجل ووجدك ضالا فهدى هذا يخرج على وجوه احدها يقول والله اعلم لولا ان الله تع هداك لدينه ووفقك له والا وجدك ضالا لان كان نشوه بين قوم ضلال لم يكن احد يهديه ويدعوه الى الله تعالى ولكنه هداك وارشدك فلم يجدك ضالا وهو كقوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها اى لولا انه انقذكم منها والا صرتم على شفا حفرة من النار لو لم ينقذكم منها وكقوله لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا لان البشر انشى وطبع على الركون والميل الى النعم العاجلة واختيار اليسر والاذى ولكنه بفضله ولطفه ثبتك وعصمك ولم يكلك على طبعك وانشيت في اصل الخلقة فعلى ذلك يقول في قوله ووجدك ضالا فهدى اى لولا انه هداك والا وجدك ضالا لو لم يهدك ففيه انه هداه ولم يجده ضالا والثانى يقول ووجدك ضالا لا ضلال كسب واختيار ولكن ضلال الخلقة التى نشئ عليها الخلق والضلال بمعنى الجهل لان الخلق في ابتداء احوالهم يكونون جهالا لا جهل كسب يذمون عليه ولا يكون لهم علم يحمدون عليه ولكن جهل خلقة وضلال خلقة لما ليس معهم الة درك العلم فلا صنع له في كسب الجهل فاما بعد الظفر بالة العلم يكون الجهل مكتسبا فيذم عليه وكذا العلم يترتب عليه الحمد والذم فعلى هذا يكون قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى وجدك جاهلا على ما يكون في اصل الخلقة وحالة الصغر فهداك اى علمك وهو كقوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا وقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب يذكر انه لم يكن يدرى شيا حتى دراه وعلمه والثالث يقول ووجدك ضالا اى غافلا عن الانباء المتقدمة واخبارهم حتى اطلعك الله تع على ذلك كقوله نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين او يقول ووجدك في امر القران او ما فيه جاهلا غافلا عن علم فعلمك وقال بعضهم ووجدك ضالا اى وجدك بين قوم ضلال فهداك اى اخرجك من بينهم ما لو لم يخرجك من بين ظهرهم لدعوك الى ما هم عليه ويجبروك على ذلك ولم يرضوا منك الا ذلك والله اعلم وقال بعضهم ووجدك ضالا من طريق مكة فهداك الطريق وقال بعضهم ووجدك ضالا لحقيقة الضلال فهداك للتوحيد لكن هذا وحش من القول اذ لا يليق به ان ينسب الى ذلك وقال بعضهم ووجدك ضالا عن النبوة اى جاهلا فهداك للنبوة وهو قريب مما ذكرناه وقوله عز وجل ووجدك عائلا فاغنى اى فقيرا فاغناك بما رات من امر الاخرة وما سيوق اليك من نعيمها اى بما اعد له من النعيم والكرامات فهانت عليه الدنيا حتى ذكر ان الدنيا لم يكن يعدل عنده صلى الله عليه وسلم جناح بعوضة ولذلك روى ان الغنى غنى القلب ويحتمل انه جعل فيه ما لو يطعم اغناه كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فقيل انت تواصل يا رسول الله فقال عليه السلام انى لست كاحدكم انى ربى يطعمنى ويسقينى فجائز ان يكون لله عز وجل فيه لطفا اغناه به وان لم يطلعنا عليه والله اعلم وقال بعضهم اغناك بمال خديجة رضى الله عنها وقال بعضهم فاغناك اى فارضيك بما اعطاك من الرزق واقنعك وقوله عز وجل فاما اليتيم فلا تقهر وفي حرف ابن مسعود رضى الله عنه فاما اليتيم فلا تكهر فالكهر الزجر كانه قال فلا تزجر جائز ان يكون قوله فلا تقهر اى لا تمنع حقه وادفع اليه حقه وماله او يكون ذكر هذا يقول كنت يتيما ورايت حال اليتيم فلا تقهر اليتيم فيكون على الصلة لقوله الم يجدك يتيما فاوى فلا تقهر اليتيم بعد ذلك واما السائل فلا تنهر اى كنت محتاجا فقيرا فعرفت محل الفقر والحاجة وشدة حاله ولا تنهر السائل اى لا تزجره ولكن اعطه وجائز ان يكون الامر على النهى ولكن على الامر بالبر لهم والدعاء لهم وجائز ان يراد في نفى شى اثبات ضده كقوله تعالى فما ربحت تجارتهم اى خسرت وعلى هذا الحديث وهو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اتاكم السائل فلا تقطعوا عليه مسالته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه برفق ولين اما ببذل يسير او برد جميل فانه قد ياتيكم من ليس بانس ولا جن يرى كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى وقال قوم تزويج اليتيم قهر لما فيه من الاستذلال والاضرار فلم يجوزوا من غير الاب والجد واجازوا بيع ماله من وصيه ان كان وصى الاب او الجد ووصى الاب والجد وصى امه في تركتها فدل ان تزويج اليتيم ليس من قهره في شى وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه زوج بنت حمزة سلمة بن ابى سلمة وهو صغيرهم يتيم وزوج ابن عمر بنت اخيه وهى صغيرة و زوج عروة ابنته من مصعب وهى صغيرة واما بنعمة ربك فحدث وقهر اليتيم فى ظلمه والاعتداء عليه

ولبس في التزويج ذلك وقوله عز وجل واما بنعمة ربك فحدث يحتمل وجهين احدها يقول حدثهم بنعم الله تعالى التي انعم عليهم ليعرفوا ويقوموا بما فيه بشكرها او يقول حدثهم بما انعم الله عليك وهو هذا القران اذ القران من اعظم ما انعم الله عليه فامر بتحدث ما عليه من النعم ليعرفوا عظيم ما انعم الله عليه من الاختصاص لهم حيث جعلهم من امته ومن قومه او امر بان يقراه ويحدث بما فيه وقد روي عن ابي رجاء العطاردي قال خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف خز لم نره عليه قبل ولا بعد فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا انعم على عبيد نعمة يحب ان يرى اثر نعمته عليه وعن عطية عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتبؤس وعن ابي الاحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعطاه الله تعالى خيرا فليرعليه وابدا بمن يعول وارضخ من الفضل ولا تلام على كفاف ولا تعجز عن نفسك وعن يحيى بن عبد الله عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا بسط الله تعالى على عبد نعمة فليرعليه يعني بر الصدقة والمعروف وقول ابن مسعود رضي الله عنه وابدا بمن يعول دليل عليه قال اهل الادب عال افتقر واعال اي اكثر عياله ويقال اسحيته اسكنته وقال لا دنيها والكلام الخشن الحمد لله رب العالمين والصلوة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم نشرح لك صدرك المخاطب في هذه السورة من الله تعالى رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم خاطبه اياه حيث قال الم نشرح لك صدرك الى ما ذكر والمخاطبة في سورة الضحى اذا كانت من غير الله تعالى اياه كان جبرائيل عليه السلام خاطبه في ذكر من الله تعالى اياه وذكر نعمه الا انه قال ما ودعك ربك وما قلى ولم يقل ما ودعناك ويجوز ان يكون الخطاب في سورة والضحى من الله على المغايبة يقال ان امير المؤمنين يقول كذا اذا اراد نفسه ثم اختلف في قوله الم نشرح لك صدرك قال بعضهم شرح صدره للاسلام كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اخبر ان من شرح صدره للاسلام فهو على نور من ربه والشرح قيل هو التليين والتوسيع والفتح اي الم نوسع لك صدرك ونفتح ونلين للاسلام وقد روي في الخبر انه لما نزل هذا قيل يا رسول الله وهل لذلك من علامة فقال التجافي من دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله لكن يعرف ذلك من رسول الله بطريق الحقيقة ويظهر ذلك منه باليقين فاما من غيره فانما يعرف التجافي من دار الغرور والانابة الى دار الخلود بالتقارب وغالب الظن لان رسول الله كانت له الاخرة وامورها كالمشاهدة والمعاينة وكذلك جميع الانبياء والرسل فاما لغيرهم فلا يبلغ ذلك وهو كما ذكر ان رؤيا الانبياء كالعيان اي يعرف بطريق اليقين بخلاف رؤيا غيرهم وقال بعضهم شرح صدره لانه لما كلف بتبليغ الرسالة الى الجن والانس والى الفراعنة والجبابرة الذين همتهم اهلاك من يخالفهم والاقلاع عن عبادة من يعبد الله ضاق صدره لذلك وثقل على قلبه فوسع الله صدره وشرحه حتى هان ذلك عليه وخف وهو قول ابي بكر الاصم الا انه يقول فعل ذلك به وحقق بالايات والحجج ونحن نقول باللطف منه حتى قام بوفاء ما كلف وامرنا هولاء يقول باللطف والاختصاص للبعض دون البعض لقوله بالاصلح ويحتمل ان يكون ما ذكر من شرح صدره وتوسعه هو ما ذكر في قوله وانك لعلى خلق عظيم وخلقه كان يحاوز وسعه وطاقته حتى كادت نفسه تهلك لكان كفراوليك وما يعلم انه ينزل بهم اشفاقا عليهم ورحمة كقوله لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين وقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك وغير ذلك من امثال هذا وذلك والله اعلم ما وصف من خلقه انه عظيم فوسع صدره وشرحه حتى يخف ذلك عليه حيث قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال ولا تحزن عليهم الاية وقال الحسن في قوله الم نشرح لك صدرك بلى قد شرح له صدره وملئه علما وحكمة ثم قوله الم نشرح لك صدرك الى ما ذكر ان كان المخاطب به رسول الله وهو المعنى والمراد به فتاويل السورة يخرج على ما ذكرنا من تبيين الامر عليه وتخفيف ما حمله عليه وامر به وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك على ابتداء وضع الوزر والاثم على ما نذكر وان كان المخاطب به غيره وهو امته وان كان الخطاب اضيف اليه فالامر فيه سهل وان كان الخطاب على الاشتراك فيحتاج الى التاويل ايضا وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك قال عامة اهل التاويل على تحقيق الوزر له والاثم كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات يقولون اثبت له الذنب والوزر فوضع ذلك عنه ولكن هذا وحش من القول لكنا نقول ان قوله ووضعنا عنك وزرك والوزر هو الحمل والثقل كانه يقول قد خففنا عليك ما حمل عليك من امر النبوة والرسالة والاحمال التي حملت عليك كانه يقول قد خفف ذلك عليك ما لولم يكن تخفيفنا اياها عليك لانقض ظهرك اي اثقل والله اعلم والثاني جائز ان يكون قوله ووضعنا عنك وزرك ابتداء وضع الوزر اي عصمك وحفظك ما لولم يكن عصمته اياه لكانت له اوزارا واثاما كقوله ووجدك ضالا فهدى اي لولم يهدك لوجدك ضالا لانه كان بين قوم ضلال ولكن

هداه فلم يجده ضالا لفعل ذلك ما ذكر من وضع وزر ابتداء وهو كقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور اي عصمهم عن ان يدخلوا فيها لا ان كانوا فيها ثم اخرجهم ولكن ابتداء اخراج فعلى ذلك ما ذكر من وضع وزره وقوله انقض ظهره اي وقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك جائز ان يكون رفع ذكره لما الزم الخلق الايمان به حتى لا يقبل من احد الايمان بالله والتوحيد له والطاعة والعبادة الا بالايمان به والطاعة له قال الله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت وجائز ان يكون ما ذكر من رفع ذكره هو انه يذكر حيث ذكر الله قرن ذكره بذكره في الاذان والاقامة وفي الصلوة في التشهد وفي غيره من الخطب والله اعلم والاول عندنا ارفع واعظم من الثاني وجائز ان يكون رفع ذكره ما اضاف اسمه الى اسمه بما قال رسول الله ونبي الله ولم يسمه باسمه على غيره اضافة الى الرسالة والنبوة فقال محمد رسول الله وقال يا ايها الرسول بلغ وقال يا ايها النبي لم تحرم ونحو ذلك وهو المخصوص بهذا دون غيره من اخوانه لانه فيما اضاف اسمهم الى اسمه وقرن اسماءهم باسمه بل ذكرهم باسماءهم كقوله واذكر اسمعيل واليسع وقوله ويونس ولوطا ونحو ذلك او رفع ذكره بما عظمه وشرفه عند الخلق كله حتى ان من استخف به خسر الدنيا والاخرة وقوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا روي في الخبر انه قال لن يغلب عسر يسرين قال بعضهم انما كان عسرا واحدا وان ذكره مرتين لان العسر الثاني ذكره بحرف التعريف فهو الاول واحد واليسر ذكر بحرف النكرة فهو غير الاول وقال ابو معاذ كلما كررت المعرفة كان واحدا والنكرة على العدد يقال في الكلام ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قيل ان مع الامير الغلام ان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع امير غلاما ان مع امير غلاما فهما اميران وغلامان فعلى ذلك ما ذكره هنا ثم قوله اليسرين هو يسر الاسلام والهدى ويجوز ان يطلق اسم اليسر على الاسلام والدين قال الله تعالى فسنيسره لليسرى وبيسر اخر ما وعدهم من السعة في الدنيا ويحتمل ان يكون يسرين احدهما رجاء اليسر والاخر وجوده فهما يسران الرجاء والوجود ويحتمل ان يكون يسر في الدنيا ويسر في الاخرة وان يكون توسيع توسيع عليهم الدنيا ويسران ما يفتح لهم الفتوح في الدنيا ويسوق اليهم المغانم والسبايا والله اعلم ثم قالوا في قوله فان مع العسر يسرا واصله ان حرف مع اذا اضيف الى الاوقات والاحوال يقع على اختلاف الاوقات في المكان الواحد واذا اضيف الى المكان يقع على اختلاف المكان في وقت واحد وههنا اضيف الى الوقت فهو على اختلاف الاوقات واحدا بعد واحد فاذا قيل فلان مع فلان في مكان فالوقت واحد والمكان مختلف متفرق وقوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب قال بعضهم اذا فرغت عن دنياك فانصب لاخرتك وهو من النصب اي التعب وقال الحسن امره اذا فرغ من غزوه ان يجتهد في العبادة له لكن هذا بعيد لانه نزل ذلك بمكة ولم يكن امر بالغزو والجهاد بمكة الا ان يكون امر بالجهاد بمكة في اوقات نائية في المستقبل فيكون الحكم لازما عليه في تلك الاوقات لا في حال ورود الامر وقال بعضهم فاذا فرغت من الصلوة فانصب في الدعاء وقال قتادة اذا فرغ من الصلوة ان يبالغ في دعائه وسؤاله اياه وعن ابن مسعود رض قال فاذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل ويحتمل عندنا اذا فرغت من تبليغ الرسالة اليهم فانصب لعبادة ربك والامور التي بينك وبين ربك على ما ذكرنا في احد التاويلين في قوله ان لك في النهار سبحا طويلا اي امر الرسالة والتبليغ واذكر اسم ربك فيما بينك وبين ربك ويجب ان لا يكلف تفسير ما ذكر في هذه السورة من اولها الى اخرها لانه امر بينه وبين ربه وكان رسول الله عليه السلام يعلم ما اراد به فيما خاطبه من الجميع وانه فيم كان وقد كان خصوصا له وليس شيء مما يجب علينا العمل به حتى يلزمنا التكلف لاستخراج ذلك سوى الشهادة على الله فكان الامساك عنه اولى وترك التكلف فيه والاشتغال به ارفق واسلم والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والتين والزيتون قال هذه السورة كلها نزلت في محاجة اهل مكة سوى سورة والضحى والم نشرح فانهما جاءتا في تذكير من الله لرسوله احدهما خاطبه جبريل في تذكير ما من عليه والاخرى فاطره بذلك واما غيرهما من السور فانما جاءت في محاجة اهل مكة ثم قوله والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين قسم اقسم تاكيدا للحجج التي اقامها لولا القسم لكان ما ذكر يوجب ذلك لكن في القسم تاكيد ما ذكر من الحجة ثم اختلف اهل التاويل في قوله والتين والزيتون قال بعضهم هو التين الذي ياكل الناس والزيتون الذي يستخرجون منه الزيت كذا روي عن ابن عباس رض انه سئل عن التين والزيتون فقال تينكم وزيتونكم هذا وقال بعضهم هما جبلان بالشام وقال بعضهم هما مسجدان في الشام احدهما مسجد دمشق والاخر مسجد بيت المقدس وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد نبينا وعن قتادة انه قال التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه مسجد بيت المقدس وقال القتبي التين والزيتون جبلان بالشام يقال لهما طور تيناء وطور زيتاء بالسريانية سميا بالتين والزيتون لانهما ينبتان فيهما وقوله وطور سينين قال بعضهم هو جبل بسينين والسينين اسم موضع والطور الجبل وكذا قال

ابو عوسجه وقال بعضهم جبل حسن والسنين هو الحسن بالحبشيه وقال بعضهم كل جبل مشجر له الثمر فهو سينين وقال بعضهم هو الجبل الذى اوحى عليه الى موسى عم وهو طور سيناء وقيل هو الجبل المبارك ثم يخرج جهة القسم بالجبل وبما ذكر على وجوه احدهما ثم عظم شان الجبال فى قلوب الخلق حيث وصل اليهم اخبار السماء من جهة تلك الجبال وجميع ما يرجع الى منافع انفسهم ودينهم على ما ذكر انه اوحى الى موسى عم على جبل طور سيناء واوحى على عيسى عم على جبل ساعورا واوحى الى محمد عم على جبل فاران على ما ذكر فى الخبر ان موسى عم قال اتانى ربى من جبل طور سيناء وسيأتى وحيه من جبل ساعورا ويأتى الوحى الى محمد عم من فاران والثانى اقسم بالجبال لما ارساها فى الارض وجعلها اوتادها لئلا تميد باهلها ولا تميل على ما ذكر فى غير اى من القران عظم شان الجبال من هذه الجهة فى قلوب الخلق والثالث لما اخرج منها مع شدتها وصلابتها وغلظها وارتفاعها المياه الجارية وغير الجارية الصافية الباردة وهى من ابرد الاشياء واخرج منها الاشجار المثمرة الكثيرة وغير المثمرة من غير انبات احد ولا غرسها وغير ذلك من المنافع التى جعل فى الجبال مما لا يمكن للخلق استخراج ذلك منها بحيلهم وتكلفهم فاقسم بها لعظم ما جعل فى الجبال من المنافع والبركات وكذلك ان كان القسم بالتين الذى يوكل والزيتون الذى يخرج منه الزيت لما جعل لهم فى ذلك من المنافع العظام كقوله تعا وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين فمن هذه الوجوه التى ذكرنا يحتمل القسم بالجبال والتين والزيتون او ذكر التين والزيتون والمراد بهما الجبل لما فى الجبل يكونان عندهم على ما ذكرنا والله اعلم وقوله وهذا البلد الامين وهو مكة سماه امينا لما يامن من دخله او يومن من دخله ويحفظه لان الامين عند الناس هو الذى يحفظ من ائتمن عليه وفيه وهو المامون به ثم جائز ان يكون القسم بالبلد لاهل مكة ولاهل الشرك لما عظم شانه وامره عندهم وفى قلوبهم واقسم بالجبال لعظم قدرها ومنزلتها ومحلها فى قلوب اهل الكتاب لما كانوا يؤمنون ببعض الوحى واهل مكة لا يؤمنون بالرسل وبالوحى ولكن يعظمون ذلك البلد وجائز ان يكون القسم بما ذكر كله لهم جميعا والله اعلم وقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم قال اهل التاويل على هذا وقع القسم لكن القسم بغيره اولى واقرب لانهم قد شاهدوا وعرفوا انه خلق الانسان على احسن تقويم اذ لم يتمن احد ان يكون على غير هذا التقويم وعلى غير هذه الصورة التى انشاها عليه والاشبه ان يكون القسم واقعا على قوله ثم رددناه اسفل سافلين لما فيه دفع الانكار والتكذيب وهو نار جهنم فاكد ذلك بالقسم كانه قال مع انا خلقنا الانسان فى احسن تقويم نرده الى اسفل السافلين لكفرهم وعنادهم سوى المؤمنين ثم قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم يخرج على وجوه احدها احسن صورة يشاهدون ويعاينون لان الملائكة جعلهم احسن صورة واحكم تقويما من البشر ولكن يرجع الى سائر الخلائق دونهم وذلك لان خلق البشر على صورة لا يتمنى احد منهم ان يكون على غير صورة البشر دل انه خلقهم على احسن صورة والثانى على احسن تقويم اى على احكم تقويم واتقنه لانه جبلهم وانشاهم على هيئة يتهيأ لهم استعمال الاشيا كلها فى منافعهم والانتفاع بها بحيل واسباب علمهم وجعل فيهم ومكن لهم ذلك ويحتمل احسن تقويم اى احكم واتقن على الدلالة على وحدانية الله والربوبية او جعلهم اهل تمييز ومعرفة وبحيث يكون منهم الخيرات فى انواع الطاعات التى يثابون عليها وينالون بها الثواب الجزيل والكرامة العظيمة ما لا يكون لغيرهم وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين هو يحتمل وجوها احدها رددناه الى اسفل السافلين وهو جهنم يرد الكافر الى جهنم وهو اسفل السافلين والمؤمن رددناه الى الجنة وهو اعلى عليين وهو ما استثنى بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فى الجنة والثانى رددناه الى اسفل ما اختار من الاعمال والافعال وهو ما اختار من فعل الشرك والكفر رددنا المؤمن الى اعلى ما اختار من الاعمال العالية الرفيعة والله اعلم والثالث ما قال اهل التاويل ثم رددناه الى ارذل العمر واسفله ثم استثنى الا الذين امنوا الى اخره اى يجرى عليهم ثواب اعمالهم التى عملوا بها فى حال صحتهم وشبابهم فاما اولئك فانهم اذا ردوا الى ما ذكر لم يجر لهم ذلك وهذا التاويل انما يصح ان لو استثنى المحسنين من المؤمنين منهم فاما اذا استثنى اهل الايمان من اهل الكفر فانه لا يحتمل والاول اشبه وقوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين ان كان الخطاب به لكل انسان كذب بالدين يقول لما الذى دعاك الى تكذيبك بالدين وقد عرفت ان الله احكم الحاكمين لا يفعل الا ما هو حكمة ولو لم يكن يوم الدين كان فعل عبثا باطلا لانه انشاكم ورباكم الى ان بلغتم الى الحال التى بلغتم فلو لم يكن بعث لكان يخرج فعله عبثا باطلا او نقول لما سوى بين ما اختار ولايته وبين ما اختار لولاية فى هذه الدنيا وفى الحكمة التفريق بينهما فلا بد من مكان يفرق بينهما هنالك وان كان الخطاب فى قوله فما يكذبك بعد بالدين لرسول الله يقول اى وجه لهم فى تكذيبك بما يخبره من الدين اى لا حجة له فى ذلك ونقول ما الذى دعاه الى تكذيبه بالدين بعد ما عرف ان احكم الحاكمين ثم اختلف فى قوله باحكم الحاكمين قال بعضهم احكم القاضين اى اعدلهم وقال بعضهم احكم الحكماء والافناء بلا بعث فعل السفهاء لا فعل الحكماء وهو احكم الحاكمين اى اعدل القاضين فى التفريق بين الاولياء والاعداء وقد اجتمعوا فى الدنيا فلا بد من دار يفرق بينهما فيها والله الموفق

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اقرا باسم ربك الذى خلق ذكر اهل التاويل ان هذه اول سورة نزلت على رسول

الله عمو واول وحى

الله عم واول وحى اوحى اليه وقيل غير هذه هى الاول ثم الاشكال انه امر بان يقرأ باسم ربك الذى خلق وحق هذا ونحوه اذا قيل له اقرأ او افعل ان لا يقول مثل ما قيل له اقرأ او افعل لانه امر فى الظاهر انما يكون عليه الايتمار بذلك وكذلك قوله قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وكذلك على هذا قوله يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك وامثال ذلك يجب ان لا يقول له مثل ما قيل له قل او اقرأ ولكن يقول يا ايها الكافرون ويقول هو الله احد اعوذ برب الفلق اعوذ برب الناس هذا هو وجه الكلام ومعناه وجوابه انه يحتمل وجوها احدها انه اريد بهذا ان يكون قرانا يقرا هكذا فى حق القراءة يتلى ويثبت فى المصاحف الى اخر الدهر ليعلم كيف قيل لرسول الله وكيف اوحى اليه وانه لم يترك مما قيل له حرفا واحدا ليكون حجة لرسالته وايه لنبوته والله اعلم ويحتمل ان يكون كذلك على خلاف المفهوم من كلام الناس لئلا يكون المفهوم من وحى السماء والمنزل منها كخطاب بعض بعضا ولكن خلافه منه والثانى انه يكون الخطاب منه لكل احد ومن كل احد لاخر خطاب جبريل رسول الله به وامره ان يقرأ ثم يامر رسول الله غيره بذلك وذلك الغير يقول لاخر كذلك فيكون الخطاب منه لكل احد ومن كل احد لاخر والله اعلم وقوله باسم ربك الذى خلق يحتمل ان يريد به اى افتتح القراءة باسم ربك على ما جعل افتتاح كل شئ باسم الرب لينال بركة ذلك فيه والثانى ان يكون ما ذكر على اثر اسم ربه هو تفسير اسم ربه حيث قال الذى خلق خلق الانسان من علق فيكون هذا تفسيرا لما ذكر من اسم ربه او يكون قوله باسم ربك كما يقال اسالك باسمك الذى اذا دعيت به اجبت واذا سئلت به اعطيت وذلك الاسم مكتوم بين اسمائه ثم قوله باسم ربك يخرج اضافته اليه مخرج التعظيم لرسول الله وخصوصيته له على ما ذكرنا ان اضافته خاصية الاشيا الى الله تعالى يخرج مخرج تعظيم ذلك الخاص من ذلك قوله ان طهرا بيتى وناقة الله وان المساجد لله ونحو ذلك من اضافته خاصية الاشياء اليه واضافة كلية الاشيا الى الله يخرج مخرج تعظيم الرب والمحمدة له نحو قوله له ملك السموات والارض ورب السموات والارض ورب كل شئ ثم لا يجوز اضافة الخاص الذى لا خصوصية ظهرت له الى الله تعالى لا يجوز ان يقال يا رب زيد ويا رب عمرو ونحو ذلك انما يجوز ذلك فيمن ظهرت له خصوصية وفضل من الانبيا والرسل والملائكة عم والبقاع والامكنة التى ظهرت لها خصوصية وفضل ليكون ذلك تعظيما لها والله اعلم وقوله تعالى خلق الانسان من علق العلق الدم الجامد ثم قوله خلق الانسان من علق اراد به كل انسان وعلم الانسان ما لم يعلم كذلك ليعلم ان اسم الفرد اذا دخله لام التعريف اريد به العموم وهو كقوله تعالى ان الانسان لفى خسر وفى الاية دلالة على ابطال قول من يدعى طهارة النطفة بعلة ان الانسان خلق منها فانه اخبر انه خلق الانسان من علق نسب خلق الانسان اليه ولا شك ان العلق نجس ثم اخبر انه خلق الانسان منه فعلى ذلك جائز ان يكون النطفة التى منها يخلق الانسان نجسة وذلك غير مستحيل ثم اضاف خلقه مرة الى الاحوال التى قلبه منها حيث قال هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة الى اخر ما ذكر واضاف ههنا الى حال واحدة وهى العلقة التى ذكروان لو يكن الانسان فى الحقيقة مخلوقا من العلقة والنطفة والتراب الذى ذكر لان هذه الاسماء اسامى هذه الاشياء باعتبار خاصيات فيها وتلك الخاصيات تنعدم باعتراض حال اخرى عليها وانما يخلق الانسان من المضغة وانما ذكر خلق الانسان منه ونسبه الى ما ذكر لما ان الانسان هو المقصود من خلق ذلك وهو النهاية التى ينتهى اليها فذكر بالذكر ينتهى اليه من الغاية والله اعلم وقوله تعالى اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ذكر الاكرم ليعلم ان اختياره واصطفاءه لرسالته ونبوته وتعليم القران ابتداء احسان منه اليه وتفضل عليه لا لحق له عليه اذ ذكر فى موضع المنة والفضل والكرم اذ الاكرم هو الوصف بغاية الكرم كالاعلم وصف باحاطة العلم وكماله وقوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم جعل الله تعالى القلم سببا به يحفظ وبه يثبت وبه يوصل الى حفظ ما يخاف فوته ونسيانه من امر دينهم ودنياهم ما لو لم يكن القلم لم يستقم امر دينهم ولا دنياهم ثم قوله علم بالقلم اى علم الخط والكتابة بالقلم وكذا ذكر فى حرف ابن مسعود وابى وحفصه رض علم الخط بالقلم ثم اضاف التعليم بالقلم الى نفسه وكذلك قوله علم الانسان ما لم يعلم فهو يخرج على وجهين احدهما ان يكون اضاف ذلك الى نفسه لما يخلق منهم فعل تعلمهم ويحتمل اضافته اليه الاسباب التى جعلها لهم فى التعليم والله اعلم ثم ذلك التعليم بالقلم لامته لا لرسول الله لانه علمه اياه بلا كتابة ولا خط حيث قال وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ثم فى تعليم رسول الله بلا قلم ذلك ولا كتابة اية عظيمة لرسالته حيث جعله بحال يحفظ بقلبه بلا اثبات ولا كتابة ولا خط خطه ثم قوله علم الانسان ما لم يعلم يحتمل رسول الله لقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وكقوله من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ويحتمل قوله علم الانسان ما لم يعلم كل انسان كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وقوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى طغى بالغنى اى تكبر وافتخر بما راى نفسه غنية وعلى هذا ما روى فى الخبر من التعوذ من غنى يطغى وفقر ينسى لان الغنى يحمل على التكبر والافتخار والطغيان والطغيان هو المجاوزة عن الحد والتعدى فيه والفقر المنسى هو المجهد الذى ينسى غيره من الفقر اعنى ينسى غير المال من صحة البدن والعقل والعلم ونحو ذلك وقوله ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ليس هذا وصف ذلك الكافر بعينه على ما ذكره اهل التاويل ابى جهل لعنه الله ولكن كل كافر يطغى اذا راى نفسه غنية وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى اى المرجع كذا قال ابو عبيد وقال غيره الرجوع ثم يحتمل قوله

الى ربك الرجعى اى المرجع للكل الى ما اعد لهم اعد للكافر النار وللمؤمن الجنة على ما ذكر في الاية وجائز ان يكون اخبارا
عن رجوع الكل اليه ثم قوله ان الانسان ليطغى اريد به انسان دون انسان اذ لو يطغ كل انسان ولا خلف يقع في
خبر الله فكان المراد منه البعض ليعلم ان الفهم بظاهر الخطاب والعموم ليس بواجب ولكن على حسب قيام الدليل
على المراد منه وفيه ان المراد منه قد يكون مبينها مقرونا به وقد يكون مطلوبا غير مقرون به وقوله تعالى ارايت
الذي ينهى عبدا اذا صلى ذكر اهل التاويل ان الذي ينهى ابو جهل لعنه الله عبدا اذا صلى رسول الله عم وذلك انه
كان يصلي في الحجر فكان ينهاه ابو جهل فنزل ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى
ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى جائز ان يجمع هذا كله في الوعيد الذي ذكره على اثر ذلك وهو قوله الم
يعلم بان الله يرى كانه قال ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى ارايت الذي ينهى من كان على الهدى او امر بالتقوى
وهو رسول الله كان ينهاه ذلك الكافر اذا صلى وينهاه عن الهدى وعن الامر بالتقوى ارايت ان كذب رسول الله
وتولى عن طاعة الله الم يعلم بان الله يرى يدخل جميع ما ذكر في هذا الوعيد فيكون ذلك جوابا لما تقدم من
قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى اخر ما ذكر وجائز ان يكون جواب قوله ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى
مسكوتا عنه ترك للفهم ثم قوله الم يعلم بان الله يرى اى الم يعلم بان الله يرى فينتقم منه لرسول الله او الم
يعلم بان الله يرى فيدفعه عما هم برسول الله فهو وعيد ثم قوله الم يعلم بان الله يرى يحتمل وجهين احدهما
قد علم بان الله يرى جميع ما يقوله ويفعله ويهم به لكنه فعل ذلك على المكابرة والعناد والثاني لم يعلم بان
الله يرى على نفي العلم له بذلك اذ لو علم بان الله يرى ويعلم ما يفعله من النهي عن الصلوة والمكر به لكان لا يفعل
ذلك وقوله تعالى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة اى حقا لئن لم ينته عن صنيعه الذي
يصنع برسول الله لنسفعن بالناصية ناصية اى لناخذن بالناصية كانه عبارة عن الاخذ الشديد والجر
الشديد على الناصية ثم يحتمل ان يكون ذلك الوعيد له في الدنيا انه لو لم ينته عما ذكر فان كان في الدنيا
فيكون السفع كناية من العذاب اى لنعذبنه وقيل قد اخذ بناصيته يوم بدر فالقي بين يدي رسول الله قتيلا و
ان كان في الاخرة فهو عن حقيقة اخذ الناصية كقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
وصما وقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقال اهل العربية لنسفعن بالناصية اى لنقبض وسفعت
ناصية اى قبضت ويقال سفعه بالعصى اى ضربه بها ويقال اسفع بيده اى خذ بيده وقوله كاذبة خاطئة
يحتمل ما ذكر من قوله كاذبة خاطئة كناية عن النفس ويحتمل ان يكون كناية عن الناصية التي تقدم ذكرها
وقوله تعالى فليدع ناديه اى اهل مجلسه في الاعانة له بما يهم برسول الله سندع الزبانية نحن في الدفع
عنه لنرى هل تقدر ان يفعل ما هم به ويحتمل ذلك في الدنيا وقد ذكر انه قتل يوم بدر وجائز ان يكون
ذلك الدفع من الزبانية في الاخرة وسموا زبانية للدفع اى يدفعون اهل النار وقيل الزبانية الشرط و
الواحد زبنية والنادي المجلس يريد به قومه وقوله تعالى كلا لا تطعه اى لا تطع ذلك الكافر وكان ما ذكر
لم يطعه حتى مات وقوله تعالى واسجد واقترب ان يكون هذا خطابا للنبي اى صل واقترب الى الله ويحتمل ان يكون
قوله واسجد خطابا للنبي اى صل وقوله واقترب خطابا لابي جهل اى اقترب الى محمد حتى ترى على سبيل الوعيد
لما كان يقصد المكر بالنبي في حال الصلوة على التاويل الظاهر الاية حجة لنا على اهل التشبيه فانه لم يفهم
من قوله واقترب القرب من حيث المكان وقرب الذات ولكن قرب المنزلة والقدر وكذلك ما ذكر في بعض
الاخبار ومن يقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ونحو ذلك لا يفهم منه قرب الذات ولكن قرب المنزلة والقدر
بالاجابة وكذلك جميع ما ذكر في القرآن من القرب قرب المنزلة والقدر ثم في هذه السورة السجدة لما روي
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وروي عن ابن سيرين عن ابي هريرة رضي
الله عنه انه قال سجد في اذا السماء انشقت واقرا باسم ربك ابو بكر وعمر رض ومن هو خير منهما
وروي عن علي رضي الله عنه انه قال في اقرا من عزايم السجود وابو عبيدة عن عبد الله انه سجد فيها

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر قال اهل التاويل اذ في قوله انا انزلناه يعني
القرآن ويحتمل ان يكون قوله انا انزلناه يعني السلام الذي ذكر في اخر السورة حيث قال من كل امر سلام
فمن قال انزل القرآن في ليلة القدر فهم مختلفون فيه قال بعضهم انزل القرآن جملة الى السماء الدنيا من
اللوح المحفوظ في تلك الليلة وهي في شهر رمضان كقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن اي انزل من
اللوح المحفوظ ثم انزل من السماء الدنيا على رسول الله متفاريق على قدر الحاجة من الامر والنهي والحلال
والحرام والمواعظ وكل ما يحتاج اليه وقال بعضهم انما انزل من اللوح المحفوظ في تلك الليلة مقدار
الذي يحتاج اليه الى العام القابل جملة ثم ينزل على رسول الله نجوما متفاريق والله اعلم ونحو ذلك لا ندري
ان تلك الفضيلة التي جعلت لهذه الليلة لفضل عبادة جعلت فيها ام امتحن الخلق باداءها على الترغيب

والادب

والادب او فضلت لمكان ما امتحن الملائكة وكلفهم بالنزول فيها والعبادة لله في الارض وانزال القرآن
ونحو ذلك والحكمة ومعنى فضلت لم يطلع على ذلك احدا وقد جعلت لبعض الامكنة الفضيلة لعبادة
جعلت فيها نحو ما ذكر ان صلوة واحدة في المسجد الحرام تعدل مائة الف صلوة في غيره وصلوة واحدة في
مسجدي هذا تعدل الف صلوة في غيره سوى المسجد الحرام وقال تعالى وان المساجد لله فخصت هذه البقاع
بالفضيلة على غيرها من العبادات جعلت فيها فعلى ذلك جاز ان يخص بعض الاوقات دون بعض بالفضيلة
لمكان عبادات جعلت فيها لكن بين تلك الاماكن ولم يبين تلك الاوقات المفضلة وجعلها مطلوبة من
بين غيرها من الاوقات فهو والله اعلم ان لو بين واشير اليها لكان لا مؤنة يلزم في ذلك لانه يحفظ ذلك
الوقت وتلك الليلة خاصة واما المكان يلزم المؤنة في اتيان وعلى ذلك يخرج ما لم يبين وقت خروج روح الانسان
من بدنه لانه لو بين واعلم نهاية عمره لتمادى في الفسق ولانهمك وارتكب المعاصي متالا منه الى خروجه حتى اذا قرب تاب
ويتوب فلم يبين ليكون ابدا على خوف وحذر ووجل فعلى ذلك لم يبين تلك الليلة لتطلب من بين الليالي جميعا
ليجتهدوا في الليالي غيرها والله اعلم ان كان المشغول عن القرآن هو المنزل في تلك الليلة يكون دليله قوله حم والكتاب
المبين انا انزلناه في ليلة مباركة وان كان السؤال عن ليلة القدر فيكون الثناء عنها ثم قوله وما ادريك
ما ليلة القدر هذا يحتمل وجهين احدهما يقول ما كنت تدري حتى ادريك كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا ويحتمل قوله وما ادريك على التعظيم لها والتعجب والله اعلم وقيل نزول هذه الاية يكون على معنى
التشريف عظيم فضل هذه الليلة والعمل فيها ثم بين فضلها حيث قال ليلة القدر خير من الف شهر اختلف
فيه قال بعضهم ان النبي ارى بني امية على منبره فساءه ذلك فنزل انا انزلناه في ليلة القدر وما ادريك
ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر اي من الف شهر يملكها بعدك بنو امية وقال بعضهم ليلة
القدر خير من الف شهر اي العمل فيها خير من العمل في الف شهر سواها وقيل ايضا ان رسول الله عم ذكر
لاصحابه ان رجلا من بني اسرائيل جاهد الف شهر في سبيل الله فعظم ذلك عليهم فنزل قوله ليلة القدر
خير من الف شهر اي العمل فيها خير من جهاد ذلك الرجل الف شهر ويحتمل ان يكون ذكر الف شهر على
سبيل التمثيل لا على التوقيت اي خير من الف شهر واكثر والتقدير قد يكون لبيان العدد نفسه وقد يكون لبيان
شرف ذلك الشيء وعظمته فلا يكون الغرض هو القصر على العدد وهو كقوله ان تستغفر لهم سبعين
مرة فلن يغفر الله لهم ونحو ذلك ثم اختلف في تسمية ليلة القدر قال بعضهم هي ليلة الحكم والقضاء فيها
يحكم ويقضي ما يريد ان يكون في ذلك العام المقبل كقوله فيها يفرق كل امر حكيم او سميت ليلة القدر لانها ليلة لها
قدر ومنزلة عند الله لما يوصف الشيء او سميت ليلة القدر لانها ليلة لها قدر ومنزلة عند الله تعالى لما يوصف
الشيء العظيم بالقدر والمنزلة وسميت ليلة مباركة لانه ينزل فيها البركات والرحمة من الله تعالى على خلقه
او سميت مباركة لكثرة ما يعمل فيها من العبادات وقوله عز وجل تنزل الملائكة والروح فيها باذن
ربهم من كل امر سلام قال بعضهم الروح ههنا جبرائيل كقوله تعالى نزل به الروح الامين وقال بعضهم خلق يكونون
بالملائكة كما ان الملائكة موكلون ببني ادم وجائز ان يكون الروح هنا هو الرحمة اى ينزل الملائكة بالرحمة
فيها على ما سميت مباركة بما ينزل فيها من البركات ثم اختلفوا في قوله فيها قال بعضهم اى في تلك
الليلة تنزل الملائكة والروح وقيل فيها اى في الملائكة وقوله عز وجل باذن ربهم اى ينزلون باذن ربهم
وقوله عز وجل من كل امر قال بعضهم اى بكل امر يقدر في تلك السنة على الارض وكذا قال القتبي من كل امر سلام
اى بكل امر سلام وقيل من كل امر يدبره الله تعالى اى الملائكة لا علم لهم فيما يقدر الله تعالى الا ان يطلعهم عليه
فكانهم يطلعون على ما يقدر في تلك السنة من الامور فينزلون بها بامر الله تعالى وقوله عز وجل سلام هي قيل تنزل
الملائكة تحفق باجنحتها بالسلام من الله والرحمة والمغفرة وقال اى هي ليلة سالمة لا يحدث فيها شر ولا يرسل
فيها شيطان الى مطلع الفجر وقال بعضهم هو سلام الملائكة على كل مؤمن ومؤمنة وقال بعضهم من كل امر سلام
اى من كل آفة وبلاء سلام وكذلك ذكر في قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قال
بعضهم يحفظونه من عذاب الله وقال بعضهم يحفظونه بامر الله تعالى فلذلك يحتمل قوله من كل امر سلام هذين
الوجهين وقوله عز وجل هي حتى مطلع الفجر يحتمل اى تلك البركات التي ذكرت الى مطلع الفجر ويحتمل ذلك السلام
الذي ذكر الى مطلع الفجر ويحتمل الملائكة يكونون في الارض الى مطلع الفجر وروي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قرا من كل امرئ سلام وقال يعني الملائكة قال بعضهم اختلف الروايات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في
ليلة القدر متى يكون واختلف الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فيها يروى عبد الله بن انيس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر واطلبوها في كل وتر وروى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة تسعة عشر من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاثة وعشرين
وروى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي عم انه قال تحروا ليلة القدر في السبع الاواخر وروي انها في سبع و
عشرين وعبد الله ابن عمر انه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع قال هي في كل رمضان
وعن زر قال قلت لابي بن كعب اخبرني عن ليلة القدر يا ابا المنذر فان صاحبه عبد الله بن مسعود سئل عنها

فقال من يقيم الحول يصيبها فقال نعم رحم الله ابا عبد الرحمن والله لقد علم انها في رمضان كره ان يتكلوا والله انها في رمضان ليلة سبع وعشرين ثم ليس لنا ولا لاحد ان يشير الى تلك الليلة فيقول هي ليلة كذا ليلة سبع وعشرين او تسع وعشرين الا ان يثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك خبر بالاشارة اليه فعند ذلك تشيع والاكانت مطلوبة في الليالي وعلى هذا الوجه يخرج الاخبار المروية على التوافق دون المناقضة ويكون صحيحة فيكون في سنة بعض الليالي وفي سنة اخرى في غيرها وفي سبع في العشر الاواخر من رمضان وفي سنة العشر الاوسط من رمضان وفي سنة في العشر الاول وفي سنة في غير رمضان والله اعلم بذلك الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة ذكر في حق اهل الكتاب لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بحرف من وهو للتبعيض ولم يقل اهل الكتاب وذكر في حق اهل الكتاب والمشركين لان اهل الكتاب كانوا فرقا منهم من كان امن برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان بعث فلما بعث امن به فلزم الايمان به ومنهم من كان كذا به فلما بعث وازداد لزم الكفر به ولم يؤمن فلما كانوا اصنافا ونوعا لذلك قال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب بحرف من واما المشركون فانهم كانوا صنفا واحدا ثم لم يبين بانهم اذا اتاهم البينة ينفكون اولا وجائز ان يكون قوله عز وجل لم يكن الى قوله حتى تاتيهم البينة اي لم يكن بعض اهل الكتاب وبعض المشركين منفكين من الكفرة لم يعطف المشركين على اهل الكتاب كانه قال من اهل الكتاب ومن المشركين ولذلك خفض المشركين ولم يقل والمشركون بل كانوا اهل كفر وشرك الى اخر عمرهم وان اتيتهم البينة هي ما في خلقه كل احد مما يدل على الوهيته ووحدانيته ويحتمل ان بعضا من الفريقين على الشرك حتى تاتيهم البينة وهي معاينة العذاب عند الموت كقوله تعالى فلما راوا باسنا ونحو ذلك وذكر في حرف ابن مسعود رضي الله عنه لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وفي حرف ابي ما كان الذين اشركوا من اهل الكتاب والمشركين ثم اختلف في قوله عز وجل منفكين قال بعضهم لم يكن الذين من اهل الكتاب والمشركين منتهين زائلين عن الكفر والشرك حتى تاتيهم الملائكة وقال بعضهم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين خارجين من الدنيا حتى تاتيهم البينة ثم اختلفوا في البينة التي ذكرها تاتيهم قال بعضهم البينة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال على اثره رسول من الله يتلوا صحفا وقال بعضهم ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحجج فمن جعل قوله منفكين منتهين زائلين يجعل البينة رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي بينة لانه يعرف كل خير وكل احسان وبه يتبين الحق والباطل وكل شيء من امر المعاد والمعاش وكذلك القران جاء به ومن قال منفكين خارجين من الدنيا يجعل البينة التي ذكر انها تاتيهم العذاب معاينة جهارا كقوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي خارجين من الدنيا حتى يعلموا العذاب فعند ذلك يؤمنون وقوله عز وجل رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة على التاويل الاول في البينة يكون ما ذكر من قوله رسول من الله تفسيرا للبينة وعلى الثاني يخرج على الابتداء يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوا صحفا مطهرة ثم جائز ان يكون سمي القران وحده صحفا على المبالغة اذ قد يسمى الواحد باسم الجميع على المبالغة وجائز ان يكون قوله يتلوا صحفا القران وسائر الصحف لان سائر الصحف فيه وكذلك فيها كتب قيمة جائز ان يكون سمي كتابه المنزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتبا على الابلاغ والتاكيد على ما ذكرنا وجائز ان يكون يتلو صحفا وكتبا عليهم وهي التورية والانجيل والزبور كان هذا القران في تلك الكتب وتلك الكتب في هذا وهو كقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين وقوله عز وجل ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى انه اخبر في تلك الكتب وان الكتب الاولى فيه فيصير بتلاوة هذا عليهم كانه تلا تلك الكتب عليهم وعلى هذا قوله تعالى هذا ذكر من معي وذكر من قبلي قوله تعالى مصدقا لما بين يديه وقوله عز وجل مصدقا لما معهم ففي هذا ما في تلك الكتب وقال بعضهم صحفا مطهرة التي كانت في ايدي السفرة البررة وقوله تعالى مطهرة يحتمل مطهرة من ان يكون للباطل فيه حجة او مدخل ومطهرة من الافتعال والافتراء او مطهرة من ان يحتمل ما ذكر اولئك الكفرة وقال قتادة سمى كتابه باحسن الاسماء واثنى عليه باحسن الثناء سماه نورا وهدى ورحمة وبركة وايرشفاء ونحوه وقوله تعالى قيمة اختلف فيه قال بعضهم فيها كتب صادقة وقال بعضهم عادلة قال غيرهم مستقيمة على ما يوجبه الحكمة وجائز ان يكون قوله تعالى فيها كتب قيمة اي احكام كثيرة مستقيمة على ما يوجبه الشريعة والحكمة وقوله عز وجل وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقول اهل التاويل انما تفرقوا من بعد ما جاءتهم البينة وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر هذا التاويل خطا لانهم كانوا متفرقين قبل ذلك فلا معنى كذلك وعندنا ليس كما توهم هو وهو يخرج على وجهين احدهما وما تفرقوا في محمد عليه الصلوة والسلام الا من بعد ما جاءهم العلم به عند ذلك تفرقوا فيه فاما قبل ذلك كانوا مجتمعين به فيه كلهم او ما تفرقوا فيه في الدين والمذهب الا من بعد ما جاءتهم البينة اي عن بيان وعلم تفرقوا في الدين وفيما تفرقوا فيه وهو ما جعل في خلقه كل احد دلالة التوحيد والربوبية لله لو تفكروا لعرفوا بان الله تعالى واحد والبينة يحتمل من هذا الموضع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقران ونفس الخلقة على ما ذكرنا وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اي ما امروا اولئك

[illegible]

وقوله

وقوله عز وجل مخلصين له الدين اخلاص الدين له يخرج على وجهين احدهما ان يخلص له الدين ويصفي لا يشرك فيه غيره ويكون من خلوص وصفائه والثاني الدين الخالص هو الدائم كقوله وله الدين واصبا وكذلك يحتمل قوله الا لله الدين الخالص وقوله تعالى حنفاء قال اهل التاويل المسلمون وقال بعضهم حنفاء متبعين والحنف الميل كانه قال مائلين الى الاسلام وقيل حنفاء الحجاج وقيل الحنف المستقيم وقوله عز وجل ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة يحتمل القبول اي قبلوا اقامة الصلوة وايتاء الزكوة اي تابوا وقبلوا ذلك ليس على حقيقة الاقامة ويحتمل ان يكون حقيقة الاقامة والايتاء وايهما كان ففيه ان اوائلهم كانوا مامورين بالصلوة والزكوة ثم المعنى الذي في الصلوة والزكوة لا يحتمل النسخ في وقت من الاوقات لان الصلوة معناها هو الاستسلام والخضوع لله والزكوة هي تزكية النفس وطهارتها وذلك لا يحتمل النسخ وقال وذلك دين القيمة والدين مذكر والقيمة مؤنث فجائز ان يكون الذي ذكر هو الملة القيمة ويحتمل دين الامة القيمة وهو قول الزجاج او يقول ذلك الدين قومته الحجج والبراهين اضيف الى الحج وجائز ان يكون ذكر القيمة على التسوية بين ما سبق وما تقدم من اواخر الاي من قوله عز وجل حتى تاتيهم البينة ومطهرة وكتب قيمة تسوية بين ما تقدم وما تاخر من قوله خير البرية وشر البرية وفي حرف ابي ذلك الدين القيم بغيرها وفي قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وجهان احدهما تحذير لهذه الامة لان لا يتفرقوا كما تفرق اولئك في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به والثاني يكونون ابدا فزعين الى الله تعالى في كل وقت خائفين منه وان لا يتكلوا الى البيان الذي جاءهم فيتفرقوا كما تفرق اولئك وقوله عز وجل ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم ظاهر هذا ان يكون تاويل قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين اي بعض المشركين في النار لا كل المشركين ولكن من كفر من المشركين كان كمن كفر من اهل الكتاب في نار جهنم لكن الكفر هو الشرك والشرك هو الكفر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدل ان الكفر والشرك واحد وكل كافر مشرك فكانه قال عز وجل ان الذين اشركوا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ثم جاء كل هذا التشديد لهؤلاء لان اهل الكتاب ادعوا انهم من نسل الانبياء ثم تركوا اتباعهم والمشركون قد اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن من احدى الامم ثم نقضوا ذلك العهد واهل الكتاب قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون فتركوا اتباع الصالحين من ابائهم والعرب ايضا كانوا اقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غيرهم فخفة عليهم الزم واوجب فشدد على هؤلاء لهذا المعنى ثم ان كان البرية ماخوذا مقدرا من البرا وهو التراب ويرجع تاويل الاية الى البشر كانه قال اولئك هم شر ما انشؤا من الارض وان كان ماخوذا مقدرا من البرا وهو الخلق فيصير كانه قال اولئك هم شر ما خلقوا فيدخل في ذلك الملائكة والجن والبشر وفي الاول لا يدخل الا البشر خاصة وكذلك ما ذكر من اهل الايمان حيث قال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية فان كان البرية ماخوذا من البراء فهو يرجع الى الاصناف جميعا وان كان من البرى وهو التراب فهو يرجع الى البشر خاصة فيصير كانه قال شر اهل البشر من جنسهم وخير اهل الخير من جنسهم لانهم صادوا قادة في الهدى والخير وقوله عز وجل جزاؤهم عند ربهم جنات عدن فان كان العدن هو المقام فجميع الجنان عدن وجميع الجنان نعيم ثم قد قسم الخلق صنفين جعله شر البرية وجعله خير البرية ثم يكون من كل صنف شر من شر وخير من خير وسوى بين من نشاء على الكفر ودام عليه في التابيد والتخليد وبين من احدث الكفر في اخر عمره وكذلك من دام على الايمان ومن احدث سوى بينهما ولم يجعل لما مضى من الكفر جزاء ولا عقابا وذلك والله اعلم هو ان من اعتقد ايمانا انما يعتقد للابد وكذلك من يعتقد الكفر انما يعتقد للابد فاذا احدث الايمان بعد الكفر اعتقد قبح ما عمل في حال كفره وشره وحسن ما احدث من الايمان والتوحيد وكذلك من احدث الكفر بعد الايمان اعتقد فسادها عمل في حال ايمانه لذلك بين من احدث وبين من دام عليه وليس كمن يذنب في وقت ويتوب في وقت لانه يعتقد حسن ذلك ولا قبحه في الابد والله الموفق وقوله عز وجل رضي الله عنهم ورضوا عنه احدهما يقول رضي الله عنهم بعملهم الذي عملوا لانفسهم وسعيهم الذي سعوا في الدنيا لهم رضي الله بسعيهم لهم ورضوا عنه اي رضوا هم عنه بما اكرمهم ووفقهم الاعمال التي عملوا لانفسهم في الدنيا وهو كقوله تعالى وان تشكروا يرضه لكم اي ان قبلوا ما احسن اليهم واحسنوا صحبة احسانه اليهم يرضى ذلك لهم وقال وهذا يدل ان ما يعملون من خير او شر انما يعملون لانفسهم والمنفعة يرجع اليهم او مضرة يندفع عنهم والثاني رضي الله عنهم بما اكرمهم من الثواب لاعمالهم التي عملوا لانفسهم ورضوا عنه بكرامته التي اكرمهم وقوله عز وجل رضي الله عنهم هذا منه افضال وانعام حيث ذكر رضاه عنهم وان ذكر العفو والتجاوز كان حقا ولكن هذا كما ذكر من لطيف معاملته عباده حيث سمى ما ادخروا وقت حاجتهم اليه قرضا حيث قال واقرضوا الله قرضا حسنا وسمى بذلهم انفسهم واموالهم شرا وما يعملون لانفسهم جزاء وشكرا واموالهم وانفسهم في الحقيقة له ولكن سمى بالذي ذكرنا لطفا منه وفضلا فعلى ذلك ما ذكر من رضاه عنهم به وكذلك قوله ورضوا عنه ذكر رضاهم عنه بفضله ولطفه والا منهم حتى يذكر منهم الرضا عن الله تعالى ثم هو يخرج

على وجهين سوى ما ذكرنا احدهما ورضوا عنه بما امتحنهم في الدنيا بالمحن الشديدة العظيمة وان اشتدت
ذلك وثقلت على انفسهم اذا راوا احسان الله تعالى وفضله في الاخرة والثاني رضوا عنه بالنعم التي اكرمهم
في الجنة لا يبغون عنها حولا ولا يريدون غيرها ولا يعلون على ما يملون في الدنيا قال ابو عوسجة منفكين اي لا يزالون
على هذه الحال يقول الرجل ما انفكت فعل كذا وكذا اي فعل كذا وكذا وقال القتبي وابو عبيد وغيرهما المنفكين
زايلين **وقوله** عز وجل ذلك لمن خشي ربه اي الذكرى ذكر من الجزاء لمن خشي نقمته او خشي سوء صحبة نعمه و
اصله ان من اجتنب المعاصي وعمل بالطاعات فانما يفعل ذلك لخشية ربه سبحانه وتعالى فكل من اعلم بربه فهو
اخشى لربه تعالى ومن اجهل به فهو اجرا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال الحسن
الخشية هو الخوف اللازم في القلب الدائم فيه او خشي خلافه وكفران نعمه والله اعلم الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها قد ذكرنا ان حرف اذا انما يذكر من سؤال
سبق منهم كانهم سالوا عن الوقت الذي كانوا يوعدون فيه وان لم يذكر السؤال لانه قد يكون في الجواب
بيان السؤال وفي السؤال بيان الجواب وان لم يذكر فعند ذلك قال اذا زلزلت الارض زلزالها اخبرهم عن
احوال يوم القيمة والحساب ولم يخبرهم عن وقتها وقد ذكر في غير موضع ثم قوله عز وجل اذا زلزلت الارض
زلزالها اي حركت الارض تحركا شديدا لهول ذلك اليوم وهو يخرج على وجهين احدهما جائز ان يكون يتزلزل
ويتحرك حتى يلقي ما ارتفع منها من الجبال الرواسي في الاودية حتى يستوي الارض لا يبقى فيها هبوط و
لا صعود كقوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وجائز ان يكون قوله زلزلت الارض اي يتزلزلت
ويتحرك لتغير الجبال الرواسي حتى يصير كما ذكر يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ويكون الجبال كالعهن
المنفوش **وقوله** عز وجل فجعلناه هباء منثورا فاذا فنيت وتلاشت بقيت الارض مستوية على ما ذكره و
يحتمل ان يكون يتزلزل ويتحرك حتى تصير غير تلك كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض الاية ويحتمل
ان يكون تبديلها وتحريكها ومدها هو تغير صفاتها على ما ذكرنا في الوجهين الاولين قال الزجاج لا يصح هذه
القراءة لان الزلزال من المضاعف والمضاعف انما يكون بالخفض مصادرها اما من الاسماء قد يكون
نصا كقوله تعالى من صلصال ونحوه والزلزال المصدر فيكون في الاصل المطرد فيه هو الكسر والنصب يكون
نادرا والله اعلم **وقوله** عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي احمالها لهول ذلك اليوم فقال في اية اخرى
والقت ما فيها وتخلت ثم يحتمل اخرجت والقت ما فيها من الموتى من اول ما دفن فيها من كل شيء من
الحيوان وغيرها الى اخر ما يحتمل فيها من الكنوز وغيرها مما يحتمل الحساب ومما لا يحتمل من البشر وجميع
الممتحنين وغيرهم ويحتمل اخرجت اثقالها الممتحنين خاصة ممن يحاسبون ويثابون ويجزون **وقوله** عز وجل و
قال الانسان ما لها قال الكافر ما لها يتحرك فقال بعضهم احق في الدنيا واحق في الاخرة حيث يسال الارض
ما لها يتزلزل ويتحرك يظن انها بنفسها يفعل ذلك لا لفرط ما ترى من اهوال ذلك اليوم وتغير احوالها على ما لم
ينظر في الدنيا في الايات ولج حتى يقبلها ويخضع لها وقال بعضهم هو على التقديم والتاخير كانه يقول يومئذ
تحدث اخبارها وقال الانسان ما لها تشهد وتخبر بما عمل على ظهرها ثم اخبارها يخرج على وجوه احدها ما قاله اهل
التاويل انها تخبر وتحدث بما عمل على ظهرها من خير او شر او طاعة ومعصية لكن لا يحتمل اخبارها الخير لانها انما
تشهد عليهم لانكار اهل الكفر ما كان منهم من فعل الكفر والمعصية واما اهل الجنة فانهم يكونون معترفين بالخيرات
والله تعالى يصدقهم على ذلك والله اعلم وكذلك ما ذكر من شهادة الجوارح انما تشهد عليهم على ما ينكرون من
الشرك والكفر وغير ذلك من المعاصي فعلى ذلك التاويل يكون اخبارها على حقيقة النطق والكلام وقال بعضهم
اخبارها ما ذكر من تزلزلها وتحركها والاحوال التي يكون فيها هو تحديثها واخبارها التي يكون منها وقال بعضهم
يومئذ تبين وتقع اخبارها التي اخبروا في الدنيا فكذبوها يومئذ يتبين لهم ذلك ويقع لهم مشاهدة عيانا من
الحساب والثواب والعقاب وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله
اعلم قال اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها **وقوله** عز وجل بان ربك اوحى لها من قال بان اخبارها
من شهادتها بما عملوا على ظهرها يكون تاويله قوله تعالى وحي لها من شهادتها بما عملوا على ظهرها فقوله تعالى اوحى لها
اي اذن لها ربها بالشهادة فتشهد ومن قال اخبارها هو تزلزلها وتحركها والاحوال التي يكون منها يقول على
اسقاط لها يقول بان ربك اوحى اي فعل ذلك بها والوحي قد يكون الوحي والهام والامر ويستعمل فيما يليق
وقوله عز وجل يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يحتمل صدور الناس من وجهين احدهما يصدرون
من قبورهم الى الحساب ليروا كتابة اعمالهم اي ليروا ما كتب من اعمالهم التي عملوا في الدنيا ويحتمل صدورهم على
ما عندهم في الاخرة من الثواب والعقاب فعلى هذا التاويل ليروا جزاء اعمالهم التي عملوا في الدنيا كقوله تعالى
فريق في الجنة وفريق في السعير وقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا هذا تفسير قوله اشتاتا **وقوله** عز وجل

فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال بعضهم يرى الكافر ما عمل من خير في الدنيا
واما في الاخرة فلا يرى لانه لا يؤمن بها ولا يعمل لها كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
والمؤمن يرى ما عمل من شر في الدنيا وما عمل في الاخرة وعلى ذلك روي في الخبر ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه
كان جالسا مع رسول الله عليه السلام فنزلت هذه الاية فقال ابو بكر الصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كل من عمل من شر يراه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرون في الدنيا مما يكرهون فهو من ذلك ويؤخر الخير
لاهله في الاخرة وجائز ان يكون قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وشرا يره على الاحصاء والحفظ كقوله تعالى
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها اي لا يذهب عنه شيء قليل ولا كثير حتى الذرة ويحتمل وجها اخر وهو ان قوله
تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي من يعمل من المؤمنين مثقال ذرة خيرا يره في الاخرة ومن يعمل من الكفار مثقال
ذرة شرا يره في الاخرة لان الله تعالى قد اخبر في غير اي من القران انه يتقبل حسنات المؤمنين ويتجاوز عن سيئاتهم
كقوله تع والذين امنوا وعملوا الصالحات ليكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون ونحو ذلك من
الايات **وقوله** عز وجل مثقال ذرة ليس اراد حقيقة الذرة ولكن على التمثيل ثم قيل من اخبار الارض وما ذكر
من شهادة الجوارح ان كيف احتمل ذلك وهي اموات والموات لا علم لها فجائز ان يكون الله تعالى يجعل لها علما وينطقها
بذلك وان لها بذلك علما على جعلها اية شرفي قوله تعالى ليروا اعمالهم ولا لذان قوله تعالى حتى يسمع كلام الله و
قوله لا تسافروا بالقران ارض العدو وقول الناس نقرا كلام رب العالمين وفي المصحف فان لا يراد به حقيقة كون
كلام الله تعالى في المصاحف ولا حقيقة كون القران فيها والسفر به ولا حقيقة سماع كلامه ويكون على ما اراد
من سماع ما به يفهم كلامه وليسمع ما يعبر به عن كلامه وكذلك يكون في المصاحف ما يفهم به كلامه او ما
يعبر به عن كلامه على ما ذكرنا من رؤية الاعمال واعين الاعمال لا يرى ولكن يرى ما يدل عليها وهو المكتوب
من اعمالهم في الكتب التي فيها اعمالهم فعلى ذلك هذا والله اعلم بالصواب وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم تم هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم **وقوله تعالى** والعاديات ضبحا الى اخره قال علي كرم الله وعبد الله رضي الله عنهما
هي الابل وقال ابن عباس رضي الله عنه وغيره من اهل التاويل هي الخيل غير ان عليا رضي الله عنه قال ذلك يوم بدر
وقال ابن مسعود رضي الله عنه ذلك في الحج ومن قال هي الخيل قال ذلك في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فابطا عليه خبرها فاغتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبرائيل صلوات الله عليه يخبر بها على ما ذكر ووصف
فسر بذلك المؤمنون فان كان في امر السرية والخيل على ما قاله ابن عباس رضي الله عنه فجملة القسم بذلك يحتمل
وجوها احدها انه من علم الغيب اذ لا يعلم بحالهم وما وصف من امر الخيل لا يكون الا بالوحي من السماء او بمن
شهد ذلك فاذا لم يحضرهم احد ممن شهدها ثم اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر عندهم
على ما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا بذلك انه رسول الله وانه انما عرف بالوحي من الله تعالى وذلك
من اعظم ايات الرسالة او ان يكون بما ذكر من شدة الخيل وقوتها وحدة بصرها حيث عدت في ليل مظلم
لا قمر فيه ولا نور عدوا يخرج النار من شدة عدوها من الحجارة التي تضرب بحوافرها ما لا يقدر الانسان العدو
في مكان مستوى فضلا ان يقدر على ذلك من الصعود والهبوط وما ذكر من اثاره النقع من شدة عدوها وتو
سطها في العدو او يذكر موافقة مرادهم وحصول غرضهم في الاغارة على عدوهم في اغفل ما يكون العدو
وهو وقت الصبح ثم القسم يقول والعاديات وما ذكر من الموريات وغيره هو صفة العاديات ونعوتها و
فيه بشارة ثلاثة احدها انه لم يحدث لهم حادثة والثاني الاغارة على العدو والثالث انهم قد توسطوا العدو
ومن قال هي الابل وذلك في امر الحج يذكر سرعة سيرها وشدة عدوها في الليل المظلمة التي فيها الاودية والهبوط
والصعود ثم قوله فالموريات قدحا على هذا التاويل اي يضرب الحجر بالحجر فيخرج منه النار من شدة سيرها وعدوها
وفي الخيل شدة ضرب الحوافر على ما ذكرنا **وقوله** عز وجل فالمغيرات صبحا على هذا التاويل يقول بعضهم نزولهم
في تلك الغارات والاودية في وقت الصبح والاشبه ان يكون خروجهم من تلك الغارات والاودية
في ذلك الوقت لان ذلك الوقت وقت الخروج منها والدفع لا وقت المقام او يكون قد استقبلهم العدو هنا
لك ومن اراد بهم المشركين فيكون المغيرات على الاغارة عليهم ان كان ثم عدو فوسطن به جمعا على هذا التاويل
الجمع في الحج وهو الجمع المعروف ومن قال ذلك في الخيل يكون توسطهن في جمع العدو ثم الذي وقع به القسم
قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي الانسان لنعم ربه لكفور لا يشكرها وهو ان الانسان يذكر مصائبه
وما يصيبه من الشدة في عمره ابدا وينسى جميع ما انعم الله عليه وان لا يفارقه طرفة عين ولذلك قال الحسن
الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل الكنود الكفور البخيل الشحيح في الانفاق ويجب ان يكون وصف
كل انسان ما ذكر لكن المؤمن يتكلف شكر نعم الله تعالى ويجتهد في ذلك ويصبر على المصائب وهو كقوله تعالى
ان الانسان خلق هلوعا وخلق عجولا وهو كل انسان ثم استثنى المصلين منهم وهم المؤمنون اي كذلك خلق

وطبع كل انسان لكن المؤمن يتكلف اخراج نفسه من ذلك الطبع انشئ عليه وطبع الى غيرها من الطبايع
كالبهايم والسباع التي طبعها النفور من الناس بالاستيحاش عنهم ثم تصير بالرياضة ما يستقر عندهم
ويجيبون عند دعوتهم وقوله عز وجل وانه على ذلك لشهيد قال بعضهم ان ذلك الانسان على ما فعله في
الدنيا لشهيد في الآخرة على ما جمعه اى يشهد ذلك ويعلمه كقوله بل الانسان على نفسه بصيرة وقال
بعضهم وانه اى ذلك الانسان لبخله وامتناعه عن الانفاق لشهيد اى يتولى حفظ ماله واحصائه
بنفسه لايثق بغيره وقال بعضهم وانه يعنى الله تعالى على ذلك لشهيد اى عالم يحصيه ويحفظه كقوله لا
يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقوله عز وجل وانه لحب الخير لشديد اى ذلك الانسان لشديد
الحب للمال فذكر بخله وشحه في المال في ترك الانفاق والبذل وعلى ذلك طبع كل انسان على ما ذكرنا لكن المؤمن
يتكلف اخراج نفسه مما طبع بالرياضة ويجتهد بالانفاق والحب هاهنا حب اثار اى يؤثر لنفسه وقوله
عز وجل افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور يقول والله اعلم فهلا يعلم قدرة ربه وسلطانه وحكمته في انشائه
ايه ليستخرج ما في القبور ويحييهم ويكون افلا يعلم اى فيعلم اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور وقوله
عز وجل ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى ان ربهم يومئذ لخبير بما كان منهم في الدنيا وحصل ما في الصدور
يقول فهلا يعلم ايضا انه يميز ما في الصدور ويبين ويظهر ما فيها لا يترك كذلك غير مميز ولا مبين بل
يظهر ويبين كقوله يوم تبلى السرائر ان ربهم بهم يومئذ لخبير اى عن علمه له بذلك باحدهم ويجزيهم
مما يجزيهم وفي قوله تعالى وحصل ما في الصدور دلالة ان حصول الاعمال وخلوصها وما يثاب عليها
ويعاقب بالقلوب قال اهل اللغة وابو عوسجة ضبحا الضبح صوت في الصدر ضبح يضبح ضبحا فهو ضابح
فاثرن به نقعا اى هيجن الغبار يجوز ومن والنقع الغبار والنقوع جماعة فوسطن من التوسط اى صرن في الوسط
وكنود كفور وحصل اى اختبر يقال حصلت اى اختبرت وقال بعضهم والقبس والعاديات الخيل
والضبح صوت حلوقها اذا عدت وقيل الضبح والضبع واحد في السير يقال ضبحت الناقة وضبعت
فالموريات اى اورت النار بحوافرها والارض الكنود التي لا تنبت شيئا وقال بعثرت اى قلبت فجعل
اسفلها اعلاها وحصل ما في الصدور اى اختبر ما فيها من الخير والشر واليقين والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى القارعة قال القارعة عندهم هي الداهية الشديدة من الامور
وهي في هذا الموضع وصف لشدة هول يوم القيامة وهو من الله تعالى تذكير لعباده وتعجب لهم
عما يكون في ذلك اليوم من الاحوال والافعال وسمى الله تعالى في كتابه ذلك اليوم بما يكون فيه
من اختلاف الاحوال نحو قوله الحاقة والواقعة وما اشبه ذلك فكذلك قوله عز وجل القارعة تذكير
لهم بما وصف من حال ذلك اليوم وشدته ليتفكروا في العواقب ويتدبروا ما يستقبلهم في الاواخر
من العذاب فيمتنعوا بذلك عما نهاهم الله تعالى عنه ثم ان الله تم خلق في بني ادم نفسا يدرك بها
الشهوات واللذات في الدنيا وعقلا يتذكر به عواقب الامور واخرها ويذيده ذلك تيقظا و
تبصرا ثم العقل مرة يدعوها الى نفسه حتى يميل الى ما يدعوه في خرما اطمع في العاقبة والنفس مرة
يدعو اليه فيصير هواه وميله فيما يتلذذ من الشهوات في دنياه وعلى ذلك تاويل قوله ان النفس
لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اى رحمه ويعصمه عن اختيار السوء اورحمه حتى جعل هو فيما يوجبه
العواقب من الجزاء والثواب فكذلك ذكر الله تعالى عباده بما يستقبلهم من الاحوال في ذلك اليوم
ليعملوا عقولهم في افكاره والتذكر عنه فيزدجروا عما زجرهم عنه اويتذكروا عما وعد لهم من الجزاء
في ذلك اليوم فيزدادوا بذلك حرصا في الخيرات وقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث اختلفوا
في تاويله من وجوه ولكنه في الحاصل يرجع الى معنى واحد فمنهم من قال اى كالجراد المنتشر حين ارادت
الطيران ومنهم من قال كالجراد الذي يموج بعضهم في بعض ومنهم من قال كالفراش المبثوث الذي يتهما
فت في النار فيحترق وكل ذلك يؤدي معنى الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم واصل ذلك قوله تعالى وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فكان الله تعالى قال انهم يصيرون في الحيرة من
هول ذلك اليوم وشدته كالطائر الذي لا يدري اين يطير واين يبيت واين ينزل وقوله عز وجل وتكون الجبال
كالعهن المنفوش قال بعضهم كالصوف المصنوع وقال بعضهم كالمندوف من الصوف فان كان على التاويل
الاول فمعناه والله اعلم ان الجبال في ذلك اليوم يتلون الوانا من شدة ذلك اليوم بلون العهن الا تراه يقول
وترى الجبال تحسبها جامدة وقال ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فكذلك هذا على ذلك المعنى وان
كان على التاويل الاخر فمعناه ان الجبال مع شدتها وصلابتها تصير في الرخاوة والضعف من هول ذلك اليوم
كالصوف المندوف اذ ذلك اضعف احواله وقال قتادة شبههم بغنم لا راعي لها ذكر العهن كناية عن الغنم

وقوله عز وجل فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية اختلفوا في تاويل الميزان من وجوه ولكن اقربها
عندنا وجهان احدهما ان يكون المراد من قوله ثقلت موازينه من جملة المؤمنين وقوله عز وجل واما من خفت
موازينه جملة الكفار ويكون الوجه في ذلك ان المؤمن لما عظم حق الله تعالى واقام حدوده كان له ميزان وقيمة
وخطر عند الله تعالى في ذلك اليوم والكافر لما ترك ذلك خفته وقيمته وخطره وقد يطلق والله اعلم هذا الكلام
على معنى الجاه والمنزلة يقال لفلان عند فلان وزن وقيمة وليس عنده ذلك الوزن فكذلك هذا والوجه الثاني
من وزن السرائر التي لم يطلع الله تعالى ملائكته الذين يكتبون اعمال بني ادم ذلك ومعلوم ان ذلك انما يحصل من المؤمنين
دون الكفرة وقد وصفنا مسئلة الميزان وبيناها فلذلك اختصرنا الكلام في ذا الموضع والله اعلم وقوله عز وجل فهو في
عيشة راضية منهم من قال مرضية يرضى اهل الجنة بذلك العيشة فهي مرضية ومنهم من قال ذات رضا كقوله ماء
دافق اى ذات اندفاق ومنهم من قال انه اضاف الرضا الى العيش لانه به يرضى وقوله عز وجل فامه هاوية منهم
من قال سمى النار امًّا للكافر لانه اليها ياوي ومنهم من قال المراد من الام ام راسه اى يلقى في جهنم على ام راسه
منكوسا وقوله عز وجل هاويه اى يهوي به بحيث لا يكون له ثبات ولا قرار وقوله عز وجل نار حامية اى
يحميه وينضجه ومنهم من قال نار حامية اى شديدة الحر والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

تم هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر اى شغلكم التفاخر بالتكاثر ثم لم يقل
عما ذا شغلتم فيجوز ان يكون الهاكم اى شغلكم التكاثر عن توحيد الله تعالى او عن التفكر في حجج رسول الله صلى الله
عليه وسلم او عن ذكر البعث ثم قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر يحتمل تاويلين احدهما ان يكون
الغرض بالخطاب بهذه الاية اباءهم وسلفهم الذين تقدموا بالاخبار عن قبح صنيعهم واشتغالهم بالسفه
فيكون هذا صلة ايات اخر من نحو قوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون وغير ذلك فكان الله
تعالى يخبرهم بابائهم ونهاهم عن الاقتداء بابائهم لانهم تعاطوا افعالا لا يخرج عن الحكمة حتى ماتوا وذلك يقع
من وجهين احدهما ان من انعم عليه نعمة فجحدها ولم يؤد شكرها استوجب العقوبة والعقوبة يقول كيف يقتدون
بابائكم وانهم كفروا بنعمة الله وجحدوها بل الواجب عليكم ان يتبعوا النبي الذي جاء هدى فما وجدتم عليه
اباءكم والثاني ان يكون فيه علامة ودلالة للبعث ان اباءهم لما فعلوا ما يستوجب به المقت والعقوبة وماتوا
من غير ان يصيبهم ذلك في دنياهم ان لهم دار اخرى يعاقبون فيها بما فعلوا وان كان الخطاب انما انصرف ففيه
اخبارهم عن سفههم انه شغلهم التفاخر بالتكاثر حتى جحدوا ايات رسوله عليه السلام وان يكون فيه اخبار
عن سفههم من وجه اخر هو ان الافتخار كيف وقع بالاموات والتفاخر بالاموات غير مستقيمة او يكون فيه
وجه ثالث انما تفاخروا بما لا صنع لهم فيه انما افتخروا بالاموال والاولاد وذلك من لطف الله تعالى وجميل صنعه
فيكون في هذا كله ذكرهم بما فيه من السفه والخرق ثم التعبير بذكر هذه الاسباب انما وقع والله اعلم دون ما هم فيه
من الكفر لان هذه الاسباب مما يبتلى به المؤمن في بعض الاحوال فعيرهم الله تعالى بذلك ليكون فيه تذكر وموعظة
للمؤمنين ولو خرج ذكر الكفار في هذا لكان لا يجتنب المؤمن عن هذه الافعال وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا الهيكم التكاثر فكان قال يقول ابن ادم مالي مالي وما لك من مالك الا ما اكلت فافنيت الخبر فهذا يدل على ان الوعيد
على الاطلاق من غير تصريح باهل الكفر لموعظة المسلمين والله اعلم وقوله عز وجل حتى زرتم المقابر يحتمل حقيقة
زيارة الموتى وذلك مما يذكرهم ان التكاثر مما لا ينفعهم اذا كان عاقبتهم هذا ويحتمل اى صرتم الى المقابر
بعد الموت فحينئذ يذكرون حق الله تعالى ثم لا ينفعكم والله اعلم وقوله عز وجل كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف
تعلمون قال بعضهم كلا بمعنى النفي والتعطيل وقال بعضهم معنى قوله كلا اى حقا فان كان على الاول فكانه
قال ليس كما حسبتم وتوهمتم وقدرتم عند انفسكم وتعلمون ذلك اذا نزل بكم العذاب وهو على الابتداء وان
على معنى حقا فكانه قال ستعلمون ان الله ليس كما قدرتم عند انفسكم وكل ذلك يرجع الى الوجوه التي وصفنا بكم
ستعلمون عند حقا يقينا ان الذي الهاكم وشغلكم عن توحيد الله تعالى والتفكر في حجج رسول الله صلى الله عليه
وسلم او الايمان بالبعث كان عبثا باطلا وانه كان من الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله ورسوله وتنظروا في
حجج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتؤمنوا بالبعث وفائدة التكرار بما جرى من العادة في تكرار الكلام عند
عند الوعيد وعند الاياس او الرجاء نحو قولهم الويل الويل وقولهم بخ بخ وغير ذلك فكذلك هذا ومنهم من حمل
كل لفظة من ذلك على تاويل على حدة ان قوله عز وجل كلا سوف تعلمون عند الموت عند ما يرون العذاب ان الامر
ليس كما حسبتم وتعلمون في يوم البعث انه حق بيقين وقوله عز وجل كلا لو تعلمون علم اليقين يعني بهذا والله اعلم
ابطال ما كانوا عليه من الظنون والحسبان في هذه الدنيا الا ترى الى قوله تعالى ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا فاذا
نزل بهم العذاب تحقق عندهم وعلموا علما يقينا فقال بعضهم كلا سوف تعلمون حين نزل بكم الموت ثم كلا سوف
تعلمون في القبر وكذلك روي عن علي رضي الله عنه انه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة وفيه

وجه ثان وهو انهم كانوا عند انفسهم علماء وانهم على حق ولكن الله تعالى بين لهم ان علمهم كان حسبانا الا ترى الى قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فيظهر لهم عند ذلك ان اليقين ما نزل بهم وان الذي علموا لم يكن علم يقين بل كان شكا وحسبانا وقوله تعا لترون الجحيم يحتمل وجهين احدهما ترونها عند الموت والثاني ترونها بالتفكر والنظر في ايات الله وحججه في الدنيا وقوله تعا ثم لترونها عين اليقين له معنيان احدهما عيانا ومشاهدة والثاني ان يكون رؤيتهم بعين اليقين ليس على ما كان عندهم انهم لو فتح لهم باب من السماء وعرجوا اليها لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون يقول الله تعالى يرتفع عنهم السحر عن ابصارهم فيرونها عين اليقين وقوله عز وجل ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم ظاهر هذا يقتضي ان يكون سؤالهم بعد ما دخلوا النار لانه قال ثم لتسئلن بعد ما وصف انهم يدخلون النار فبان ان الله في ذلك الوقت قال كان على ذلك فهو في موضع التقرير عندهم انهم استوجبوا المقت و العقوبة لانه كان عندهم ان من انعم عليه بنعمة فلم يشكرها استوجب المقت والعقوبة فان الله تع يسألهم في ذلك الوقت عن شكرها انعم عليهم ليقرر عندهم ايجاب العقوبة ويجوز هذا عند الحساب لانه قال يومئذ ولم يقل قبل ذلك وبعده بل قال على الاطلاق فيعمل به واذا احتمل ذلك الوجه الى المؤمنين والكافرين وكان الوجه في قول المؤمنين تذكيرهم ان اعمالهم لم يبلغ ما يستوفى بها شكر النعمة التي انعمها عليهم وليعلموا ان الله تعالى تفضل عليهم وتجاوز عنهم لا ان بلغت اليه حسناتهم فاستوجبوا رحمته بها بل بكرمه وفضله وان كان في الكافرين فهو تقرير ما استوجبوا من نقمته حيث تركوا شكر نعمه ثم قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وان كان السؤال عن الكفرة فانهم يسألون عما تركوا من الايمان بالله تعا وبما اتى اليهم الرسول صلى الله تعا عليه وسلم وبغير ذلك من النعيم وان كان في المؤمنين فهو في سائر النعم من الماكول والمشروب والملبوس ونحوها والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعا والعصر ان الانسان لفي خسر خرج قوله والعصر مخرج القسم القسم موضوع في الشاهد لتاكيد ما ظهر من الحق الخفي ولنفي شبهة اعترضت او دعوى ادعيت فكذلك في الغائب ثم الاصل بعد هذا انه ليس في جميع القران شيء مما وقع عليه القسم الا اذا تأمله المتأمل واستقصى فيه المعنى الذي وجه القسم لولا القسم فاختلفوا في تاويل قوله والعصر فمنهم من قال هو الدهر والزمان ومنهم من قال هو اخر النهار وذلك وقت يتميل على طرفي النهار وهو اخر النهار واول الليل فكانه اراد به الليل والنهار وقال بعضهم يقول العرب لا كلمك العصرين يريدون الليل والنهار وفي مرور الليل والنهار مرور الدهور والازمنة لانهما يأتيان على الدهور والازمنة وما فيهما فكانه قد ذكر الليل والنهار وذكر كل شيء والقسم بكل شيء قسم بمنشئه لان كل شيء في ذلك نظرت فيه دل ذلك على صانعه ومنشئه وقوله تعالى ان الانسان لفي خسر اي في خسران الدنيا وما فيها كانها خلقت وانشئت متجرا للخلق فيها تجارا كما ذكره وغيره في غير موضع من القران قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقال هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ... ان الانسان لفي خسر ... الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وللقائل ان يقول كيف يستثنى اهل الربح من اهل الخسران وليستثني اهل الخسر من اهل الربح فيقول ان الانسان لفي ربح الا الذين كفروا واستثناء هذه الفرقة من تلك اولى في العقول من تلك والجواب عن هذا ان هذه الاية انما نزلت بقرب من مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والقوم باجمعهم كانوا اهل كفر وخسار فلذلك وقع الاستثناء على ما ذكروا ذا استثناء القليل من الكثير هو المستحسن عند اهل اللغة وان كان القسم الثاني في الجواز والقران في اعلى طبقات الكلام في الفصاحة ثم قوله عز وجل ان الانسان اسم جنس فكانه اراد جميع الناس الا ترى ان قال الا الذين امنوا ولا يستثنى الجماعة من الفرد فكانه يقول على هذا ان الناس في احوالهم واختيارهم في خسر الا من كانت تجارتهم في تلك الحالة ما ذكر وقوله تعالى وعملوا الصالحات يحتمل ان يكون تاويله الصالحات التي كانت معروفة في الكفر والاسلام من حسن الاخلاق ونحوه الا ترى انه قال كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون وتنهون عن المنكر فقول المعروف هو المعروف الذي هو معروف في الطبع والعقل والمنكر الذي ينكره العقل وينفر عنه الطبع وان كان المراد منه الكفر فكانه قال ان الكافرين في هلاك وخسار الا من امن بالله تعالى ورسله وعمل صالحا في هذه السورة ذكر الذين امنوا وعملوا الصالحات وكذلك ذكر الصالحات في سورة التين وترك ذكر الصالحات في سورة البلد فكان الله تعالى ذكر الصالحات في تلك السورة لما قد كان ذكرها قبل ذلك الا ترى الى قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة وغير ذلك وقوله عز وجل وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر الحق في الاصل كل ما يحمد عليه فاعله والصبر هو الكف عن كل ما يذم عليه فاعله فكان التواصي بالحق تواصي بكل ما يحمد عليه والتواصي بالصبر تواصي عن كل ما يذم عليه ظاهر قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر ليس الا الذين امنوا الاية مما يوجب ان من لم يجمع بين هذه الاشياء التي ذكرها لفي خسر فيكون ظاهره حجة للخوارج والمعتزلة الا ان الانفصال عن هذا والله اعلم ان الله تعالى وعد الجنة لمن جمع هذه الاشياء التي ذكر في هذه الاية وذكر الايمان مفردا في اية اخرى ووعد عليه الجنة فلا يخلو وعده الجنة عن الايمان المفرد في تلك

الاية من احد وجهين اما ان يكون ذكر الايمان مفردا واراد به الاكتفاء عن ذكر الجملة فيكون في ذكر طرف منه ذكر الجملة او يكون في ايجاب الجنة له على مفرد الايمان فالحال فيه موقوفة ولان الله تعالى اوجب الجنة ولم يبين ايمانه عمن نقص عن ذلك فالحال فيه موقوفة على دليله واذا كان كذلك لم يقطع القول على ايجاب الجنة لمن اتى بالايمان مفردا وعلى ايجاب النار ويكون السبيل فيه على الرجاء لانه لو لم يذكر كان يقع به الياس واصل كل عبادة في الدنيا انما بنيت على الرجاء والخوف فكذلك كان الامر على ما وصفنا ونقول بان الله تعالى اوجب النار على من اتى بجميع السيئات ولم يكن فيه دليل على من اتى بالكفر وحده لا يستوجب به نارا فكذلك الله سبحانه وتعالى وان اوجب الجنة لمن جمع بين هذه الاعمال فلا يدل على ان من اتى بالايمان وحده لا يستوجب الجنة وعلى انه يجوز ان يكون استثناء كل من اتى بشيء من هذه الاعمال بالانفراد فيكون فيه استثناء كل طائفة من ذلك على حدة كانه قال الا الذين عملوا الصالحات والا الذين تواصوا بالحق واذا كان كذلك لا يكون حجة لهم واذا لم يرد به الجمع يكون حجة لجاء التعارض والاحتمال فوجب التوقف ويحتمل ان يراد به الاعتقاد اي ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا امن من واعتقد هذه الاعمال الصالحة كقوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم الاية والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة اختلفوا في معنى الهمزة واللمزة فقال بعضهم معناهما واحد وهو الدفع والطعن وقال بعضهم الهمزة هو الذي يؤذي جليسه بلسانه واللمزة الذي يؤذي بعينه وغير ذلك وقال بعضهم الهمزة الذي يطعنه عند حضرته واللمزة الذي يطعنه عند غيبته وهذا انما يسمى به من يعتاد ذلك الفعل واهل اللغة وصفوا هذا المثال وهو فعلة لمن يعتاد ذلك الفعل ونحوه قال اهل التاويل ان الاية في الكفار لكن بعضهم قالوا نزلت في الاخنس بن شريق وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وللقائل ان يقول اذا الاية نزلت في الكفار وكذلك كثير من الاي من قوله تعالى ويل للمطففين ونحوها ومعلوم انه وجد منهم هذا الفعل او عدمه استوجبوا ما ذكر من العقوبات واشد مع ان الذي فيه من الكفر اقبح من هذين الفعلين فكيف وقع تعييرهم بذلك والجواب عن هذا وامثاله من نحو قوله تعالى ويل للمطففين وقولهم لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نكذب بيوم الدين فهم وان اقاموا الصلوة واعطوا الزكوة لم يزل عنهم عقوبة النار والجواب عنه ان الايمان لم يحسن لاسمه ولا قبح الكفر لنفس اسم الكفر لانه ليس احد ممن يذهب مذهبا ويدين دينا الا وهو يكفر بشيء ويؤمن بشيء لان المسلم مؤمن بالله تعالى كافر بالطاغوت والكافر يكفر بالرحمن ويؤمن بالطاغوت ويعبده فثبت ان الايمان ليس يحسن لنفس اسم الايمان ولا قبح الكفر لعين اسم الكفر ولكن الايمان بالله تعالى انما حسن يحسن من حيث اوجبت الحكمة الايمان به وقبح الكفر لان الحكمة اوجبت ترك الكفر بالله تعالى فالايمان حسن لما فيه من المعنى والكفر قبيح لما فيه من معنى الكفر وهذان الفعلان قبيحان في انفسهما لا بغيرهما فكان التعيير الذي يقع بهذين الفعلين اكثر وابلغ منه في تعييرهم بالكفر لذلك عيرهم تعالى بهذين الفعلين ووجه اخر ان هذا يخرج مخرج الموعظة لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يهمز به ويلمز عنه لما يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولا بجملة ما كانوا يتعاطونه على ترك امرهم بالمعروف والنهي عن المنكر لما يخشى ان يسخر به او يستهزأ والثالث ان يكون هذا على وجه المكافات والانتقام لما كانوا يفعلون بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الزجر والردع عن ذلك اذ العقلاء يمتنعون عن الافعال القبيحة فعلى هذه الوجوه يحتمل معنى تعييرهم وقوله عز وجل الذي جمع مالا وعدده قرئ على التخفيف جمع من الجمع اي جمع ماله عنده ولم يفرقه وعدده وذكره اي حفظ تعدده وذكره على الدوام لئلا ينقصه ووصفه بالبخل والشح ومن قرأه بالتشديد فمعناه انه جمعه واوعاه بمر الزمان لم يجمع ذلك في ايام قصيرة والاصل جمعه بالتخفيف لكن شدد هاهنا لما فيه من زيادة الجمع وقوله عز وجل يحسب ان ماله اخلده يتوجه وجهين احدهما ان يكون على الحقيقة انه قدر عنده نفسه انه يبقى لبقاء الاموال له لما يرى بقاءه من حيث الظاهر بها فتقرر عنده ان ما اتاه الله تعالى من الاموال هو رزقه فتعيش الى ان يستوفي جميع رزقه فيجمعه ويدخره لكي يزيد في عمره والوجه الثاني ان يكون على الظن والحسبان كانه يقول جمع مالا وعدده جمع من يظن ان ماله يزيد في عمره فان كان على التاويل الاول فقوله كلا رد عليه اي ليس كما قدره عند نفسه وان كان على التاويل الثاني فعلى ايجاب عقوبة مبتداة وقيل عدده اي اكثر عدده وقال الحسن عدده اي صنفه فجعل ماله اصنافا وجعل انواعا من الابل والغنم والبقر والدور والعقار والمنقول وغيرها وقيل عدده اي سنعه (?) واعده وهيأه وقوله عز وجل لينبذن في الحطمة قيل باب من ابواب النار وقيل هي صفة النار والحطم هو الكسر فكانه قال النار التي يعذب بها الكفرة يكسر عظامهم ويحطمهم وقوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة

قيل النار يأتي على جلودهم وعروقهم ولحومهم وعظامهم حتى تأكلها وتكسر العظام فتطلع على افئدتهم
فحينئذ يتبدلون جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وقيل انما تحرق النار منهم كل شيء سوى الفؤاد لان الفؤاد اذا
احترق لم يبق له بعد ذلك ولم يشعر بالعذاب والمراد من الاحتراق الحاق الالم والضرر بهم قوله عز وجل انها عليهم
مؤصدة في عمد ممددة قرئ عمد برفع العين والميم وقرئ بالنصب فيهما وذكر عن الفراء انه قال العمد والعمد جماعا
للعمود والعماد وقال بعضهم العمد جمع العمده نحو بقرة وبقر وقال الكلبي انها عليهم مؤصدة في عمد اي النار
عليهم مطبقة تقول طبقها ممددة في عمد من نار ممدة عليهم من فوقهم والعمد كعمد اهل الدنيا غير انها من
نار ممدة عليهم والله اعلم الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل اختلفوا في السبب الذي به وقع
القصد من اصحاب الفيل الى تهديم البيت وتخريبه فمنهم من قال انهم اتخذوا بيتا في بلادهم وسموه كعبة لكي يثوب
الناس اليه كما يثوبون الى الكعبة فابى الناس اتيان ذلك البيت فغاظهم ذلك حتى قصدوا تهديم هذا البيت ومنهم
من قال ان العرب حرقوا بيعة كانت لهم وخربوها فغاظهم ذلك حتى ارادوا تهديم هذا البيت جزاء بما فعلت العرب
بهم ومنهم من قال انهم كانوا ملوكا وفراعنة ومن عادتهم انهم يعادون من ضادهم في ملكهم وسلطانهم واي
ذلك كان فلا حاجة الى معرفته وانما حاجتنا الى تعريف المعنى الذي به انزلت السورة ويثبت وتأويل ذلك يخرج على اوجه
ثلاثة احدها ان الله تعالى ذكرهم تلك النعم التي انعمها عليهم في صرف من اراد اهلاكهم لانهم قصدوا قتل اهل مكة و
سبي نسائهم ودراريهم واخذ اموالهم فذكرهم الله تعالى جميل صنعه بهم ليشكروا له ويعبدوه حق عبادته
وينزجروا عن عبادة غيره والوجه الثاني ان الله تعالى خوف اهل مكة ووجه ذلك ان الله تعالى لما اهلك
اصحاب الفيل بما ضيعوا حرمة بيته فلا يأمن اهل مكة من اهلاكه اياهم وتعذيبهم بما ضيعوا حرمة رسوله
صلى الله عليه وسلم مع ان حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم من حرمة البيت فلما نزل باولئك ما نزل
لما جاء منهم من تضييع حرمة بيته فلان يخشى عذابه ونقمته من تضييع حرمة رسوله اولى الوجه الثالث
ان الله تعالى لما اهلك اولئك لما اراهم من اياته فلم ينصرفوا لانه ذكر انهم كانوا اذا وجهوا الفيل نحو البيت
امتنع ووقف واذا وجهوه نحو ارضهم هرول وتسارع فلما راوا ذلك ولم ينصرفوا اهلكهم الله تعالى فلا يؤمن
على اهل مكة ايضا انهم لما راوا الايات المعجزة من الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا ان يهلكهم الله
سبحانه وتعالى وينتقم منهم بعقوبته فعلى ما ذكرنا يخرج معنى نزول السورة وقيل انه على البشارة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم على الاشارة انه لم يكن اعداؤه من هدمه فعلى ذلك ينصرك ويعينك ويهلك عدوك وان كنت انت وحدك
اذا كان وقت نزول هذه السورة لم يكن له كثير اعوان وقد فعل ذلك بابرهة وقوله الم تر حرف استعمل في تذكير اعجوبة
قد كانت وعرفوها ثم غفلوا عنها او فيما لم يكن فتعجبهم بما فعل باعدائه ليحملهم على الزجر والانتهاء عما حرم الله
تعالى فكانه قال رأيت ربك كيف فعل باصحاب الفيل ويجوز ان يكون الخطاب به للنبي عليه الصلوة والسلام
والمراد غيره ويجوز ان يكون هذا خطابا لكل واحد منهم ثم تسميتهم اصحاب الفيل ونسبة الفيل اليهم يحتمل
وجهين احدهما اي الذين صحبوا الفيل والثاني اصحاب الفيل اي ارباب الفيل كما يقال رب الدار وصاحب الدار
عز وجل الم يجعل كيدهم في تضليل اي ابطل ما قدروا عند انفسهم من تخريب البيت وتهديمه والكيد ما ذكرنا بدءا قوله تعالى وارسل
عليهم طيرا ابابيل جماعات متفرقة جماعة جماعة وهكذا السنة في الخروج لمحاربة اعداء الله تعالى ان يخرجوا جماعة
جماعة وقيل هي طير لم ير قبلها ولا بعدها مثلها لها رؤس كالسباع وقيل شبيهة برجال الهند قوله تعالى ترميهم بحجارة
من سجيل اختلفوا في السجيل قال بعضهم هو اسم موضع خلقت حجارته لتعذيب الفراعنة واهلاكهم وقال بعضهم
فارسية معربة وهي سنك وكل وهو الاخر في التقدير وقال بعضهم هذه عبارة عن شدة الحجارة وقوته
عز وجل فجعلهم كعصف ماكول قالوا العصف هو ورق الزرع وورق كل نابت قوله ماكول يخرج على وجهين ويتوجه
وجهين الى ما قد اكل والى ما لم يؤكل اذ ما لم يؤكل اذا كان معدا للاكل سمي ماكولا فان كان غير الماكول فكانه قال
جعلهم في الضعف والرخاوة مع قوتهم وسلطانهم كعلف الدواب حتى لا يخاف منهم بعد ذلك ابدا وان كان
على الماكول فهو انه تعالى جعلهم كالماكول التي اكلتها الدود فيكون فيها ثقب والله اعلم بالصواب تمت هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف هذا يخرج على وجوه
احدها ما قال الفراء ان اللام لام الاعتداد لان السورة صلة الم تر قال فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش كانه
يقول اهلكت اصحاب الفيل وفعلت بهم ما فعلت لتاليف قريش بذلك المكان كما الفوا به الرحلتين اللتين جعلنا لهم

الى الشتاء والصيف والثاني يحتمل ان يقول الزمت الخلق عبادة رب هذا البيت حتى الفوا ذلك البيت وحملوا ما يحتاج
اليه قريش واهل ذلك المكان من الطعام وما يعيشون به لتالف قريش بعبادة رب ذلك البيت ما لولا ذلك لم
يتهيأ لهم المقام بذلك المكان لانه لا زرع فيه ولا نبات ولا ما يعيش به وهو كما قال ابراهيم عليه الصلوة والسلام
بواد غير ذي زرع وانما تعيشهم في ذلك المكان بما يجلب اليهم من الافاق والامكنة النائية كقوله اولم نمكن لهم حرما امنا
يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا الاية وقال بعضهم امرت قريش ان يالفوا عبادة رب هذا البيت كما الفوا
رحلة الشتاء والصيف يقول كما الفتم هاتين الرحلتين فالفوا عبادة رب هذا البيت وقال بعضهم ان اهل مكة كانوا
يرحلون تجارا امنين في البلد ان لا يخافون شيئا لحرمتهم لان الناس يحترمون لهم لمكان الحرم حتى لا يتعرض
لهم احد بشيء ولا يؤذيهم احد حتى ان كان الرجل منهم ليصاب في حي من الاحياء فيقال هذا حرمي فيخلى عنه
وعن ماله تعظيما لذلك المكان وهو ما قال وامنهم من خوف وقيل ان العرب كانت تغير بعضهم على بعض
ويسبي بعضهم بعضا واهل مكة كانوا امنين في حرم الله تعالى كقوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا
ويتخطف الناس من حولهم فذكر عظيم نعمه عليهم ومننه ليعلموا ذلك انه منه واصله ان الله تعالى لما كان
من حكمته واراد ان يجعل الرسالة في قريش وابقاءها الى الوقت الذي اراد ان يبقي جعل لهم منا لا يزرع ذلك
المكان والارزاق التي تجبى اليهم وما يعيشون في ذلك ليبقوا الى الوقت الذي اراد بقاءهم اليه فيكون
ما اراد على ما اراد فكما انشأ هذا العالم للبقاء الى الوقت الذي اراد ان يبقوا فيها جعل لهم من الارزاق
ما يبقون الى الوقت الذي اراد ليكون ما اراد فعلى ذلك الاول قال القتبي الايلاف مصدر الفت فلانا
كذا ايلافا كما تقول الزمته الزاما وقال الكسائي الفت المكان والفته لغتان وعن ابن عباس رضي الله عنه
لايلاف قريش اي كصنيع قريش ايلافهم اي صنيعهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت
الذي اطعمهم من جوع السنين الذي اصابهم وامنهم من خوف العدو والله اعلم الحمد لله رب
العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ارأيت الذي يكذب بالدين اختلف في نزوله قال
ابن عباس رضي الله عنهما هي مدنية وقال مقاتل ومجاهد وجابر هي مكية وجائز ان يكون اولها نزل بمكة
لان الذي ذكر انها نزلت في شأنه كان مكيا وهو العاص بن وائل السهمي معاندا نعم هم الذين يكذبون
بيوم الدين واخرها نزلت بمدينة لان في اخرها وصف المنافقين وهو ما ذكر من المرائين في الصلوة
ومنع ما ذكر ثم ان كان نزولها في الكفرة فالجهة فيه والمعنى غير الجهة والسبب لو كانت نزلت في المنافقين
ثم قوله عز وجل ارأيت حرف يستعمل في موضع السؤال والاستفهام ويجوز ان يكون استعماله على وجه التقرير عند السائل
لما يراد به اعلامه على سبيل ما روي في الخبر ارأيت لو كان على ابيك دين فقضيته اما قبل منك وكان ذلك في موضع التقرير
فكذلك قوله ارأيت معناه والله اعلم ان اعلم ان الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين هو الذي يكذب بالدين
قال اهل التأويل جميعا يكذب بالدين اي بالحساب والبعث وجائز ان يكون يكذب بالدين يظهر اي يكذب بالدين
الذي اظهرك ولا يجعله ان كان في المنافقين لان اهل النفاق كانوا يكذبون ما يظهرون من الموافقة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وان كان في اهل الكفر فهو على الرؤساء منهم فيكذبهم بالدين هو ما كانوا يظهرون
لاتباعهم من الجهد والشدة يموهون بذلك على اتباعهم ليقع عندهم ان الذي هم عليه حق وان الذي عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم باطل فيكذبون بالدين الذي يرون من انفسهم ويظهرون بالتمويهات التي يموهون بها عليهم
فكيف ما كان ان كانت نزلت في المنافقين او في اهل الكفر او في الذي كذب بالحساب والبعث او بالذي ذكرنا انه
يظهر خلاف ما يضمر وفيه عظة وتنبيه للمؤمنين وزجرهم عن مثل صنيعهم لانه نعت الذي كذب بالدين
ان كان المراد به الحساب او الدين نفسه حيث قال فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين كانه قال
الذي يكذب بالدين هو الذي يدع اليتيم اي يظلم اليتيم وحقه يمنع ولا يحض على طعام المسكين يقول الله للمؤمنين
لا تظلموا اليتيم ولا تمنعوا حقه ولا تسيئوا صحبة اليتيم كما فعل من كذب بالدين وحضوا على طعام المسكين بخلاف
بخلهم واستهانتهم اليتيم والمساكين وسوء معاملتهم التي عاملوهم يعظ المؤمنين ويزجرهم عن ذلك وجائز
ان يكون قوله ولا يحض على طعام المسكين لما عندهم بان من اعطي المال ووسع عليه الدنيا انما اعطي ذلك
لكرامة له عند الله تعالى ومن ضيق عليه ومنع ذلك عنه لهوان عنده وحقارة كقوله عز وجل فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن وقوله
عز وجل انطعم من لو يشاء الله اطعمه الاية يظنون ان الله تعالى منع ممن منع ذلك لهوان له عنده ومن وسع عليه
وسع لكرامته له عنده فيقول كيف اكرم من اهانه الله تعالى فيحتمل ان يكون ما ذكر انه لا يحض على طعام المسكين
ويحتمل ان يكون الذي حمله على ظلمه اليتيم وتركه اطعامه تكذيبه بالبعث لانه ليس لليتيم من ينصره ويقوم بدفع من

يقصد ظلمه ويمنع حقه وكان لا يخاف عقوبة البعث اذ لا يؤمن به ثم يحتمل قوله ارأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين الآية ان يكون في الاعتقاد والرؤية ويحتمل ان يكون في حق الفعل فانهم ربما يفعلون ذلك وحمله عندنا الاعتقاد اوجب واقرب لما وصفنا ان اليتيم لا ناصر له وليس لكافر خوف العاقبة لما لا يؤمن بذلك وانما يمتنع المرء في الغالب من اساءة الصحبة لهذين اما رغبة في جزاء الآخرة او خوف المكافات في الدنيا والمساكين ليس لهم في الدنيا ما يكافيهم ويجازيهم وليس لليتيم ناصر ليخاف منه ولم يكن لكافر رغبة في ثواب الدنيا والآخرة ولا خوف من العقاب لعدم تصديقه بذلك ثم قوله عز وجل ولا يحض على طعام المسكين هو النهاية في وصفه بالبخل لان في الحث على الصدقة ان يرجيه ويطمعه في ثوابه فاذا لم يرج هو ثوابه فكيف يرجي غيره معاني الحكمة عند هؤلاء الكفرة من جر الى نفسه نفعا فهو الحكيم ومن ترك نفعه فهو جائر غير حكيم وهو اذا منع الصدقة نفع نفسه واذا وفى اليتيم حقه مزجا فلذلك لا يرغب فيها فهذا المعنى الذي وصفنا دعانا الى توجيه التأويل الى الاعتقاد وقوله عز وجل فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون ان كان هذا في اهل النفاق فاهل النفاق كذلك كانوا لا يفعلون شيئا من الطاعات الا وكانوا عنها لاهين ساهين واذا فعلوا شيئا منها فعلوا مراياة كقوله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فذكر كسلهم وبخلهم فعلى ذلك جائز ان يكون قوله فويل للمصلين الى آخره ذكر في المنافقين على ما ذكرنا من نعتهم وجائز ان يكون في اهل الكفر واهل الكفر كانوا يصلون كقوله وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اخبر ان صلوتهم في الحقيقة ليست بصلوة فجائز ان يكون على صورة الحقيقة وقد ذكر انهم كانوا يصلون مستقبلين نحو اصنامهم يرون الناس كثرة اجتهادهم في طاعة الاصنام حتى اذا رأوهم من نأى منهم ظن انه حق فيكون في ذلك صد عن اجابة الرسول ودفع وجوه القوم عنه فذلك قوله الا مكاء وتصدية ويحتمل ان يكون كناية عن الخضوع والتذلل فيكون معناه ويل للذين لا يخضعون ولا يخشعون وقوله عز وجل الذين هم عن صلوتهم ساهون يحتمل وجهين احدهما اي سهوا عن صلوتهم لانفسهم وصلوتهم التي هي لانفسهم هي ان يكون الصلوة لله تعالى ويجعلونها له ولا يصلون لغير الله من الاصنام وغيرها لان من صلى لله تعالى يرجع منفعته في الحقيقة اليه لما تعلق بها من الجزاء الجميل فهم بالسهو عن تلك الصلوة وتركها ملحقون الضرر بانفسهم وجعلوها للاصنام التي لا تضر ولا تنفع والثاني سهوهم الصلوة حين اضاعوها وهو ما ذكر في حرف ابن مسعود في قوله عز وجل ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقول سهيتم الصلوة فلم يمنعهم عما ذكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا هم الذين يؤخرون عن وقتها وقال مجاهد الساهي الذي لا يبالي صلى ام لا الا ترى انه قال الذين هم يراؤن وقال الحسن هم المنافقون يؤخرون عن وقتها ويراؤن اذا صلوا وقال سعد الترك عن الوقت وقال ابو العالية الساهي هو الذي لا يدري على شفع انصرف او على وتر وروي عن سلمان انه قال الحمد لله حيث لم يقل في صلوتهم ساهون ولكنه قال عن صلوتهم ساهون وقوله تعالى ويمنعون الماعون قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الزكوة رواه ابن الزبير وعكرمة ومجاهد عنه وروي عن علي رضي الله عنه هو الزكوة وعن ابن عباس رضي الله عنه في رواية اخرى هو العارية وعن ابن عمر قال هو الذي لا يعطي حقه وهو الزكوة وروي عن علي رضي الله عنه في رواية الماعون منع القدر والدلو والفاس وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثله وكذا عن ابن عباس في رواية اخرى وقال ابو عبيدة كل ما فيه منفعة فهو الماعون وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما جاء اهلها بعد فان كان ذلك على العواري فالمعنى منها ذم البخل واشده منع القرض وجائز ان يكون الماعون كل معروف وكل ما يعان يدخل في ذلك الزكوة وغيرها ففيه ذكر بخلهم وشحهم ومنع الحق من المستحق قال ابو عوسجة يدع اليتيم اي يضرب ويدفع في قفاه يقال دع يدع دعا فهو داع وقال القتبي يدع اليتيم اي يدفعه وكذلك في قوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون وقال ابو عوسجة لا يحض لا يحرض ولا يحث ساهون غافلون وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه لاهون ورأيتك بالكاف وكذلك في حرف ابي رضي الله عنه والله اعلم بحقيقة ما اراد

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر هذا خرج مخرج الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم والانعام عليه والافضال ليتأدى بذلك شكره والخضوع له ثم اختلفوا في الكوثر هو الخير الكثير والخير الكثير ما اعطي من النبوة والرسالة وما لا يتجاوز احد من سخط الله تعالى الا به وهو الايمان به والتصديق له وما صير معروفا مذكورا في الملائكة وما قرن ذكره بذكره ورفع قدره ومنزلته في جميع الخلائق وغير ذلك مما لا يحصى وهو ما قال ورفعنا لك ذكرك وقال بعضهم نهر في الجنة وعلى ذلك جاءت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الكوثر فقال نهر في الجنة او قال ذلك من غير سؤال فان ثبت الاخبار فهو ذلك كفينا عن ذكره وان لم يثبت الاخبار فالوجه الاول اقرب عندنا لانه ليس في اعطاء النهر تخصيص في التشريف والعطية لان الله تعالى وعد لامته ما هو اكثر من هذا لما روي في الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لاهل الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونحن نعلم ان هذا في الانعام اكثر من النهر الذي وصف وقال بعضهم الكوثر شيء اعطاه الله تعالى رسوله لا يعرف واصله انه شيء ما طيب ثم

رسوله وهو قد عرفه فلا يجب ان يتكلف معرفته وتفسيره لانه ان اخطأ لحقه الضرر وان اصابه لم ينفع كثير نفع وقيل الكوثر هو حرف اخذ من الكتب المتقدمة وقوله عز وجل فصل لربك وانحر اختلف فيه قال بعضهم حقيقة الصلوة هي الخضوع والخشوع والدعاء امره بجميع ما يعبده في نفسه وامره ان يأتي بما يعبده من القرابين والذبائح والضحايا التي فيها نفار الطباع حتى ان من الكفرة من يحرم الذبائح والنحر للالام التي فيها والطباع ينفر من ذلك فتعبده بالذي فيه مناقضة طبعه وتنافره عنه وجائز ان يكون لا على الامر بالصلوة والنحر ولكن معناه اذا فعلت ذلك فافعله لله لا كما يفعله الكفرة كانوا يصلون للاصنام ويذبحون لها كقوله وما ذبح على النصب فامره ان يجعل ذلك لله تعالى وقال الحسن صل لربك صلوة العيد وانحر البدن بعدها وقال مجاهد وعطاء صل الفجر بجمع وانحر بمنى وقال بعضهم صل لربك حقيقة الصلوة وهي الصلوة المعروفة المفروضة وهو مخ العبادة على ما ذكر في الخبر وكذلك ما ذكر ان المصلي يناجي الرب تعالى وهو والله اعلم لانه ما من عبادة الا وفيها شيء من اللذة وقضاء الشهوة للنفس واما فيها من التبرؤ والركوب والاكل والشرب والكلام والانتقال من موضع الى موضع وغير ذلك من الطاعات مما فيه شيء من اللذة للنفس وقضاء شهوتها وان قل من الحج والزكوة والجهاد وغير ذلك الا الصلوة نفسها فان فيها قطع النفس عن جميع شهواتها واماتيها وعن جميع ما يتلذذ به من انواع اللذات وعلى ذلك ما سمي موسى عليه السلام كليم الله ونجيه لانه فارق قومه وجميع ما للنفس فيه لذة وراحة واتى جبلا ليس فيه احد وكلمه ربه فلذلك سمي نجي الله وعلى ذلك يسمى المصلي مناجيا ربه وخص بذلك الاسم لما ذكرنا وقوله عز وجل وانحر هو ما ذكرنا من نحر البدن الذي بعيده للكل لما فيه من نفار النفس بالتألم الذي يحصل لغيره بفعل غيره فالتألم به بفعل نفسه اكثر من التألم بفعل غيره وهو مجاهدة النفس وغيرها امتحنه عليه الصلوة والسلام بتحمل المشقة لوجهه تعالى مرة بالتبليغ الى الكفرة مع الحصر على نفسه ومرة بمجاهدة نفسه بالقيام بالليل ومرة باتيان خلاف الطبع وهو ذبح البدن اذ الطبائع تنفر عن اقتراف الدماء مع انه من اشفق الناس وارحمهم على خلقه فبلغ من حسن اجابته له وطاعته له ان ساق مائة بدنة فنحر ستين منها بيده وولى عليا رضي الله عنه نحر بقيتها على ما ذكر في الخبر وروى ابو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فصل لربك وانحر وضع اليمين على الشمال في الصلوة وكذا روي عن علي رضي الله عنه وعن عاصم الجحدري قال هو وضع اليمين على الشمال في الصلوة ومن قول الثنوية انهم لا يرون ذبح شيء من الاشياء لما فيه من الالم والاذى وقولهم هذا ليس بصحيح لانا نعلم ان افاتة الروح بالذبح اهون على المذبوح من موته حتف انفه فاذا جاز في الحكمة ان يزهق روحه بغير الذبح فلان يجوز في الذبح احق واصله ما ذكرنا ان هذه السورة نزلت في مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المقصود به من بين الناس وهو يعلم بالذي خاطبه به من الصلوة والنحر والكوثر وغير ذلك فلا نتكلف نحن تفسيره مخافة الكذب على الله تعالى سوى ان نذكر اقاويل اهل التأويل وكذلك قوله عز وجل ان شانئك هو الابتر يذكر اهل التأويل ان فلانا سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتر فنزل ان الذي سماك ابتر هو الابتر لا نعرف حقيقته لانه لم يذكر ان احدا من اولاد الفراعنة واعداء الرسل عليهم السلام افتخر بابيه او احد من اوليائهم والتمثيل بهم والفتخر بالاولاد او الاباء ورسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس حتى يتعيشوا بذلك فيما بينهم يقول ان شانئك هو الابتر اي معاديك ومبغضك هو الابتر دونك او يقول اعداؤك هم الذين يبتر ذكرهم واولئك مذكورون ابدا على ما قلنا واصله ما ذكرنا انه خاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عرف ذلك ونحن لا نعلم في اي شيء كانت القصة وفيم نزلت الآية والله ورسوله اعلم قال ابو عوسجة الشانئ المبغض يقال شنئته ابغضته والابتر هو الذي لا ولد له ذكر ولا عقب له وفي قوله عز وجل ان شانئك هو الابتر بشارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلبة عليهم والقهر لهم والنصرة عليهم واظهار دين الله تعالى في البلاد والامصار اذ اخبر ان الذي عاداه وباغضه هو المنقطع والابتر لا هو والله المستعان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل يا ايها الكافرون الى آخرها ذكر انها نزلت في منابذة المتمردين المعاندين الذين علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون ابدا ولا يرجعون عما هم عليه من عبادة الاوثان الى التوحيد والاسلام ليست لكل كافر يكون على وصف انه لا يعبد الله تعالى في وقت من الاوقات اذ قد يجوز ان يكون في وقت ثم يسلم في وقت آخر فثبت بما ذكرنا انها نزلت في المتمردين المعاندين الذين علم الله تعالى انهم يموتون على الكفر ولا يؤمنون ابدا لو كان كالخبر فيه ولدلالة اثبات الرسالة اذا اخبر انهم لا يؤمنون فلم يؤمنوا وماتوا على الكفر وقوله عز وجل لا اعبد ما تعبدون انتم الآن ولا انتم عابدون اليوم ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم فيما بعد اليوم وقال بعضهم الاول فيما مضى من الوقت والثاني اخبار عن الحال والآخر فيما بقي من الوقت ولكن لا ينبغي ان يكون هكذا بل يجب ان يكون قوله لا اعبد ما تعبدون في حادث الوقت لان حرف ما انما يستعمل في حادث الاوقات يقول الرجل لا افعل كذا يريد به حادث الوقت وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد كذلك ايضا في حادث الاوقات او اخبار عن الحال وقوله

عز وجل ولا انا عابد ما عبدتم انما هو اخبار عن الماضي من الاوقات كانه يقول لم اكن انا عابدا قط في وقت من الاوقات
وهذا يدل على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن عبد غير الله قط وفي هذه السورة وجهان من الدلالة احدهما ما ذكرنا من
اثبات الرسالة والثاني اخبار عن الاياس لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يرجع الى دينهم ابدا وقطع رجائهم
وطمعهم في ذلك وفيه ايضا ان من اشرك غيره في عبادة الله سبحانه وتعالى او عبد غيره دونه على رجاء القربة الى الله تعالى
فهو ليس بعابد لله تعالى ولا موحد له لان اولئك انما عبدوا الاصنام رجاء ان يشفع لهم ورجاء ان تقربهم الى الله تعالى
زلفى اخبر انها لا تقربهم زلفى وانهم ليسوا بموحدين ولا عابدين لله تعالى قوله عز وجل لكم دينكم ولي دين يحتمل وجهان
احدهما لكم جزاء دينكم الذي دنتم ولي جزاء ديني الذي دنت والثاني على المتاركة والاياس لكم ما اخترتم من الدين ولي ما اخترت
لا يعود واحد منا الى دين الاخر وكان قبل ذلك يطمع كل فريق عود الفريق الاخر الى دينهم الذي هم عليه وقوله تعالى
قل يا ايها الكافرون ليس على الحصر على ما ذكرنا في سورة الاخلاص والمعوذتين اذ لو كان على الحصر فهو يلزم ان يقول كل واحد منا
لكل كافر ذلك فاذا لم يلزم دل انه ليس على الامر وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون ولا
انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولي دين وعنه انه قال من قرأ هذه السورة فقد اكثر واطنب وفي حديث مرفوع عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اذا اخذت الى فراشك فاقرأ قل يا ايها الكافرون فانه براءة من الشرك واهل التاويل
يقولون ان سبب نزول هذه ومنابذته اياهم ان رهطا من قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم حتى
فلنعبد ما تعبد واعبد انت ما نعبد نحن فيكون امرنا امرا واحدا فنزلت هذه السورة قال ابو عوسجة الدين العادة
تقول هذا ديني اي عادتي قال المعنى الذي وقع عليه التكرار لهذه الاحرف عندنا ان التكرار حرف جرى الاستعمال به
في موضع المبالغة والتاكيد لما قصد به من الكلام في اي كلام كان دعاء كان او وعيدا او غيره كقولهم بخ بخ والاول
وهيهات هيهات ونحو ذلك فكذلك في هذا الموضع لما وقع الاياس عن ايمانهم بالله تعالى بما علم النبي صلى الله عليه
وسلم بطريق الوحي انهم لا يؤمنون كرر هذا الكلام تاكيدا للاياس وابلاغا فيه والله اعلم والحمد
لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح قال عامة اهل التاويل ان قوله
تعالى اذا جاء نصر الله والفتح هو مكة والنصر الذي نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل مكة قال ابو بكر الاصم
هذا لا يحتمل لان فتح مكة كان بعد الهجرة بثمان سنين ونزول هذه السورة كان بعد الهجرة بعشر سنين ولا يقال
للذي مضى اذا جاء نصر الله والفتح ولكن اراد سائر الفتوح التي فتحها له او كلام نحو هذا ولكن يحتمل ان يكون
قوله اذا جاء نصر الله بمعنى اذ جاء وجائز ذلك في اللغة وفي القرآن كثيرا مكان اذ فان كان على هذا فيستقيم
حمله على فتح مكة على ما قاله اولئك او يكون قوله تعالى اذا جاء نصر الله اي قد جاء نصر الله او ان يكون اراد بما ذكر
من النصر والفتح الفتوح التي كانت له من بعد حين دخل الناس في دين الله افواجا على ما ذكرنا قوله عز وجل نصر الله
اي عون الله وخذلانه لاعدائه او ان يكون قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح هو فتوح الامور التي فتحها الله
عز وجل عليه من تبليغ الرسالة التي امر بتبليغها اليهم والقيام بالامور التي امره ان يقوم بها فتح تلك الامور
عليه وتممها فان كان على هذا فيصير فتوح تلك الامور له تعالى له بالدلالة على ما قاله اهل التاويل انه نعي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم نعيه وجهة الاستدلال بالوجوه التي ذكرنا قوله عز وجل ورايت الناس يدخلون في دين
الله افواجا ذكر اهل التاويل انه كان قبل ذلك يدخل واحد واحد فلما كان فتح مكة جعلوا يدخلون فيه افواجا
افواجا وقبيلة قبيلة ويحتمل ما ذكرنا من سائر الفتوح اي فتوح الامور التي ذكرنا على ما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال نصرت بالرعب مسيرة شهر من شهر امامي وشهر ورائي ثم في قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورايت
الناس يدخلون في دين الله افواجا الاية نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه وقد ذكر في الاخبار انه
نعى اليه نفسه بهذه السورة احدها ما ذكرنا من جهة الاستدلال لانه عرف انه قد دنا اجله حيث امر بما امر به
وفرغ منه من التبليغ والدعاء والثاني عرف ذلك اطلاعا من الله تعالى اطلعه عليه بعلامات جعلها له فيفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما له بذلك فهما منه في ذلك والثالث لما كفى مؤنة القيام بالتبليغ بنفسه عرف
بذلك حضور اجله وهو نوع من الدلالة ووجه الدلالة ان القوم لما دخلوا في دين الله فوجا فوجا دل ذلك
على ظهور الاسلام وكثرة اهله فكانت الغلبة والنصر دليل الامن من الزوال عما هم عليه من الدين فاذا الرسول
قوله عز وجل فسبح بحمد ربك قال بعض اهل التاويل اي صل بامر ربك واصله ما ذكرنا فيما تقدم ان التسبيح
هو التنزيه والتبرئة عن جميع معاني الخلق والوصف بما يليق به قال نزهه وبرئه بالثناء وصفه بالصفات
العلى وسمه بالاسماء الحسنى التي على ربك ويحتمل ان يكون معنى قوله فسبح بحمد ربك اي قل سبحان الله وبحمده
على ما جاء في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب

اليه وهذا لان سبحان الله حرف جامع يجمع جميع ما يستحق من الثناء عليه والوصف له بالعلو والعظمة والجلال
والتنزيه عن جميع العيوب والافات وعن جميع معاني الخلق جعل لهم هذا الحرف الجامع لما عرف عجزهم عن القيام
بالوصف بجميع ما يستحق من الثناء عليه وكذلك حرف الحمد لله هو حرف جامع بجميع شكر جميع ما انعم عليهم جعل
لهم ذلك لما عرف عن عجزهم وقلة فكرهم ما انعم عليهم واحدا بعد واحد وعلى ذلك يخرج قوله اللهم صل على محمد امرهم
ان يجعلوا الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عز وجل يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
ولما لم يجعل في وسعهم القيام بما يستحقه امروها ان يقولوا اللهم صل على محمد ليكون هو المتولي ذلك بنفسه
والله اعلم قوله عز وجل واستغفره قال ابو بكر الاصم دل قوله عز وجل واستغفره على ان كان منه تقصير وتفريط
في امره حتى امر بالاستغفار عن ذلك لكن هذا كلام وحش لا يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقصير في
شيء ولا بالتفريط في امر قط ولكن قد جعل الله تعالى على كل احد من نعمه وفضله واحسانه في طرفة عين ولحظة
بصر ما ليس في وسعه وطاقته القيام بشكر واحد منها وان لطف وان طال عمره فامره بالاستغفار لما يتوهم
منه التقصير في اداء شكر نعمه عن القيام بذلك او ان يكون لامته لا لنفسه فان قال قائل ما معنى امره بالاستغفار
وقد ذكر انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فالجواب عنه من وجهين احدهما انه يجوز ان يكون امر بالاستغفار
لامته نحو قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات او ان يكون الله تعالى وعد له المغفرة ان الزم
الاستغفار ودام عليه قوله انه كان توابا اي كان لم يزل توابا ليس انه صار توابا بامر كسبه واحدث على
ما تقوله المعتزلة انه صار توابا ثم قوله توابا على التكثير اي يقبل توبة بعد توبة اي اذا تاب ثم ارتكب
الجرم وعصاه ثم تاب ثانيا وثالثا وان كثر فانه يقبل توبته والثاني توابا اي رجاعا يرجعهم ويردهم عن المعاصي
الى التوبة اي هو الذي يوفقهم على التوبة ثم قال توابا ولم يقل غفارا وحق مثله من الكلام ان يقال انه كان
غفارا كما قال في اية اخرى استغفروا ربكم انه كان غفارا ولكن المعنى فيه عندنا ان المراد من الاستغفار ليس
قوله استغفر الله ولكن ان يتوب اليه ويطلب منه المغفرة بالتوبة انه كان توابا ويجوز ان يكون فيه
اضمار كانه قال واستغفره وتب اليه انه كان توابا ويجوز بذكر الاستغفار في السؤال عن ذكره في الجواب
واكتفى بذكر التوبة في الجواب عن ذكرها في السؤال ويجوز مثل هذا في الكلام ثم الدين اسم يقع على ما يدين
به الانسان حقا كان او باطلا وعلى ذلك اضاف النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يدين به الى نفسه وما دان
به الكفرة اليهم حيث قال لكم دينكم ولي دين واما اضافته الى الله تعالى حيث قال يدخلون في دين الله افواجا
لان الدين الذي امرهم به ودعاهم اليه لذلك خرجت الاضافة والنسبة اوليه والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا
محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب اي خسرت وخابت كذلك قال ابو عوسجة
يقال تب يتب تبابا ثم ما ذكر من قوله يدا ابي لهب يحتمل حقيقة اليد ويحتمل ان يكون ذكر اليد على الصلة فان كان
على ارادة حقيقة اليد فهو يخرج على وجوه احدها ما ذكر انه كثير الاحسان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والانفاق عليه والصنايع اليه وكان يقول انه كان الامر لمحمد بوما فيكون لي عنده يد وان كان لقريش فلي
عندها يد فاخبر والله اعلم انه خسر فيما طمع ذلك من اليد التي له عنده والاحسان الذي احسن اليه اذ لم
يؤمن به وخسر ايضا ما ادعى من اليد له عند قريش والثاني يحتمل ان يكون من ابي لهب تخويف لرسول الله صلى
الله عليه وسلم بالبطش والاخذ باليد فامن الله تعالى رسوله عما خوفه به حيث قال تبت يدا ابي لهب اي خسرت
يداه ولا يقدر على البطش والثالث يحتمل ان يكون اليد كناية عن القوة في نفسه وماله في دفع العذاب
عن نفسه وكذلك كانوا يدعون دفع العذاب عن انفسهم لقولهم نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن
بمعذبين وذكر بعض اهل التاويل انه لما نزل قوله عز وجل وانذر عشيرتك الاقربين جمع عشايرة الاقرب
منهم وقال اني لا املك لكم من الله شيئا في الدنيا والاخرة الا بعد ان تقولوا شهادة ان لا اله الا الله واني
رسول الله فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك يا محمد الهذا دعوتنا فنزل عند ذلك تبت يدا ابي لهب وتب
تجاوزا لقوله فهذا وان لم يكن في فعله في الصلة استعمال اليد فيجوز انه كان يصرف الناس عن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده او يحبس دعوتي الى الايمان بالله تعالى مديده على التحبس عن ذلك وقال الهذا
دعوتنا فرد الله تعالى ذلك وغيره به وقد يجوز وان يظهر في الجواب مقدمة السؤال وان لم يذكر ذلك
في السؤال الا ترى الى قوله تعالى يسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض فعلم بذلك
ان السؤال انما كان عن قربانهن في المحيض فكذلك الاول وان كان في ذلك ذكر اليد على الصلة فهو يخرج على وجهين
احدهما ذكر اليد كناية عن العمل والفعل لان اكثر ما باليد يقوم ويعمل كقوله تعالى بما قدمت ايديكم وبما
كسبت ايديكم وذلك على الكناية عما كان منهم من الصنيع اي خسرت اعماله وبطلت والثاني يذكر اليد على
ارادة قدامه وامامه كقوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي امامه وخلفه فيكون معناه

ما قدم من الاعمال والله اعلم ثم تخصيص ابي لهب بالذكر من بين سائر الكفرة يحتمل وجوها احدها تحقيقه بالاسم لانه كان من الفراعنة والاكابر وهو المقصود به والفراعنة قد يذكرون باسمائهم لما هم المقصودون به وان كان من دونهم يشاركونهم في ذلك كذكر فرعون وعاد وثمود وغيرهم والثاني كان شديد الهيبة والخوف فذكره باسمه وخصه به ليعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يهابه ولا يخافه والله اعلم والثالث انه كثير الايادي والصنائع بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان الخطاب بهذا يعم الكفرة لكان يظن بما سبق منه من الايادي انه غير داخل تحت الخطاب فخصه بالذكر ليعلم انه لا يغنيه من الله شيء ثم ذكره بالكنية يخرج على وجوه احدها يحتمل ان يكون بالكنية عرف عند الناس وبها كان معروفا دون اسمه فذكره بالذي كان معروفا به والثاني ما ذكر ان اسمه كان عبد العزى فلم يرد ان ينسبه الى غيره وهو العزى فذكره بالكنية لهذا والثالث انه عيره باشياء وخوفه بمواعيد فلو ذكره باسمه فلعله يصرف ذلك الخطاب والوعيد الذي كان له الى غيره لما شركه غيره في الاسم اذ كانوا يسمون اولادهم وينسبونهم الى اصنامهم ولم يكن احد شركه في كنيته فلا يمكنه التحويل الى غيره وقيل ذكره بالكنية يخرج مخرج الوعيد له اي يصير للنار له كالابن وهو كالابن فيها وذلك لان هذه الكنى انما يكون في المتعارف على وجه التفال كما يقال ابو منصور على رجاء ان يولد له ابن يسمى منصورا ثم ان الله تعالى سمى النار في بعض الايات اما للكافر كقوله فامه هاوية وفي بعضها مولى حيث قال هي مولىكم وبئس المصير فجائز ايضا ان يكون النار اذا قربت منه وانضمت اليه جاز ان يصير في التمثيل كالولد ويصير هو ابا لها فقال ابي لهب على هذا الوجه من اللهب والله اعلم ووجه اخر وهو ان ذكر الكنية وان كان يراد بها التعظيم فعند ذكر المواعيد والعقوبات يراد بها الاستخفاف والاهانة وهو على ما ذكر في البشارة انها وان كانت يذكر عند ما يسر ويبهج في الاغلب فعند ذكر العقوبة يذكر تهكما كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى ذلك الكنية والله اعلم وقوله عز وجل ما اغنى عنه ماله وما كسب هذا يخرج على وجهين احدهما اي لم يغن ماله وقوته وما كسب من عذاب الله شيئا على ما يقولون نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين والثاني اي شيء اغنى ماله وما كسب ثم وقوله عز وجل وما كسب يحتمل الولد اي ما اغنى عنه ما جمع من ماله وما كسب من الولد على ما ذكر في الخبر روى ابو الاسود عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وولده من كسبه وسئل ابن عباس رضي الله عنهما اياخذ الرجل من مال ولده فقال يهب لمن يشاء اناثا الاية فهو مما وهب الله لنا فهم واموالهم لنا والله اعلم ما اغنى عنه ما جمع من المال وما كسب من العمل والانفاق الذي انفق على الطمع الذي فعل اي لم يغنه شيئا او ما كسب من صد الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدخول في دينه والاتباع له وسوء المقال الذي قال فيه وفي حرف ابن مسعود رضي الله عنه تبت يدا ابي لهب وقد تب ما اغنى عنه وما اكتسب وقوله عز وجل سيصلى نارا ذات لهب اي ذات التهاب وفيه دلالة اثبات رسالته حيث اخبر انه سيصلى نارا ولا يصلى النار الا بعد ما يختم بالكفر ثم كان كما اخبر دل انه علم ذلك بالله تعالى وفي هذه السورة دلالتان اخراوان يدلان على نبوته احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة عليهم بمكة حين لم يكن له ناصر في الخلق وكانت المنعة والقوة للكفرة وكانوا جميعا اولياء ابي لهب وانصارا له عن اخراجهم ولا يحتمل ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه السورة عليهم وفيه سب له وتعيير الى يوم القيامة مع قلة اوليائه وكثرة اعدائه ثم ذهب خوف هلاكه لانه رب العالمين ومعنى اخر انه عليه الصلوة والسلام كان موصوفا بحسن العشرة واجمال الصحبة مع الاجانب فما ظنك بالعشيرة والاعمام ثم بعمه انه كان متنزها عن الفحش في جميع اوقاته فما جاز له هذا الا بامر من الله تعالى فدل ذلك على نبوته ورسالته عز وجل وامراته حمالة الحطب قال بعضهم اي كانت حمالة النميمة والحديث بين الناس فاوعدها الله تعالى [illegible] في الاخرة ما ذكر في جيدها حبل من مسد وهي السلسلة ومنه يقال فلان يحطب [illegible] وقال بعضهم كانت حمالة الحطب حقيقة كانت تحمل الحطب الذي فيه الشوك وتطرح في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فاوعدها الله تعالى بما ذكر من حبل من مسد في الاخرة ومنهم من قال انها كانت كذلك في الدنيا كانت تحمل الحطب الى منزلها وكان في جيدها حبل من ليف فعيرها بذلك لانها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر والحاجة وذكر انها كانت تمسك في عنقها جلدة من ليف سترا من زوجها وذلك مما لا يتحلى بها النساء وليس هو من اسباب الزينة فاخبر الله تعالى عن سفهها وجهلها [illegible] ذلك سبا وتعييرا مجازاة لما كانت تقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قالت لابي بكر الصديق رضي الله عنه [illegible] والله اعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل هو الله احد ذكر ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسبة الله تعالى او عن صفته وقيل عن الله تعالى ما هو فنزلت هذه السورة معلمة بجميع من سال عنه جوابه ولذلك اثبت قل ليكون [illegible] على تخصيص الرسول عليه السلام بهذا [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم انما تعليم لما هو احق من سبق

القناعة تعليم الاجابة لهذا عند حضرة هذا السوال كما سبقت منه الدعوة الى الله تعالى بحقيقة ما يقتضي ما جرى به السوال وكما انه ثبت كذلك ليقرأ ابدا وحق المخصوص بالامر بان يأمر ولا يعجل ذلك في الوقت الذي يحتمل المامور الامر به والوقت الذي لا يحتمل ثبت اذ ذلك على ما شاء ودل قوله قل انه على من سبق عنه السوال فيكون في ذلك اجابة لما سبق عنه السوال وكذلك جميع ما في القرآن قل فيه قل اجابة لمن سبق عنه السوال [illegible] السوال فيلزمه تعريف كل مسول عن مثله او يكون الله تعالى اذا علم انه عليه السلام او من تبعه يسال عما يقتضي ذلك الجواب فانزل ما يبقى في اهل التوحيد منا منه وفضلا ثم لا يجب تحقيق الحرف الذي وقع عنه السوال الا لمن شهد وسمع [illegible] العبادة من جميع خلقه والاستسلام له والخضوع بما ذكرت من الموضوع في كل اية ذلك ولا قوة الا بالله وهنا تحقيق ما ذهبنا اليه انه خالق بذاته رحمن رحيم بذاته موصوف به في الازل وان كان الذي وصل اليه الرحمة وفيه ظهور دلالة تدبيره حدث بعد ان لم يكن على ما كانت العبادة تولا استحقاق كان ممن حدث وفيمن كان بعد ان لم يكن وهو اله لم يزل ولا يزال وعلى ذلك قوله عز وجل مالك يوم الدين ورب كل شيء وان كان من الاشياء ما سيكون لا انها كانت كائنة وكذلك يوم الدين فعلى ذلك امر خالق ونحو ذلك ومن هذا الوجه انكر قوم ان يكون الاله اسم معبود في الحقيقة او اسم مشتق من لسان اذ هو لم يزل الها ومن رام العبادة وعنه الاشتقاق حادث والاصل عندنا ما ذكرنا اله بجميع ما وصف به ووصف بذاته اذ لا يحتمل التغير والاستحالة ولا نيل مدح بمعونة وانما يمدح به لذاته لانه استحق من كل ذلك لو قد كون ذلك وعلى ذلك القول بالعالم والقادر انه كذلك وان كان الذي علمه ممن سواه وكل مقدور عليه حادث بعد ان لم يكن ولا قوة الا بالله وقال الضحاك الله اسمه الاكبر لانه يستغاث به في كل موضع ثم اختلف في معنى الاشتقاق فمنهم من يقول اصله اله من اله الرجل الى اخر اي التجأ اليه واستجاره فالهه بمعنى اجاره وامنه فسمي الها على وزن الفعال كما يسمى اماما لانه يؤتم به وفخم بادخال الالف واللام ثم لين وحذف الهمزة كما هو لغة قريش فقرأه ثم ادغم احد اللامين في الاخرى فصار الله وعلى ذلك تاويل العلماء انه يعبد اليه والحوائج ويستغاث به ويلتجأ اليه وقيل هو اشتقاقه من وله يله ولها اذا فزع اليه فسمي به لانه المفزع اليه وهو قريب من الاول ولكن حق ذلك في الاسم ان يكون ولاه فابدل الواو الفا كما يقال في وكاف اكاف وكذلك اهل الحجاز يجعلون الواو الفا قال الشاعر فاقبلت الها بكل علي عجل وقيل سمي به لانه اله كل شيء اي عبده اله الها اي عبده قال الشاعر والله الملك واحد استفرد اسا د الملوك بعزة وبحمد وقال [illegible] سمي به لاستتاره ومنه يقال لاهت فلا يرى وقال الشاعر لاه ربي عن الخلائق طرا خالق الخلق لا يرى ويرانا وقيل سمي به لتحير القلوب عن التفكر في عظمته كقوله الا هي الشيء حتى لهت ومنه مفازة ملهه بمعنى العقل يحار عند النظر الى عظمته ومنه اله بالله فهو اله وقال الشاعر وبيداء تيه اللهاء يعني وسطها [illegible]

الاعلام بيد بِرّ ما يتعلق   قال رضي الله عنه والاصل عندنا الاغنا عن هذا المثال الحاجة الى تعرف الاشتقاق والتوسع
التعرف بحل الامر وموقع الحكم ومن جميع ما اشتقوا به الاسم يحتمل تسمية الغير بكل ذلك وتحقيق الاضافة الى ذلك
وتسميته الها والاضافة ما به عرف الحقيقة لا يحتمل غيره سبحانه وتعالى ولا يجوز التسمية به ثبت الغنا في معرفته عن
جميع الوجوه التي اريد الاستخراج اذ هو طريق يوصل بهم الى العلم بالمقصود والوقوف على المراد وقد تعرف دون
الذي ذكروا والله اعلم قوله والاصل عندنا ان الله سبحانه وتعالى بلطفه منع الخلق عن تسمية احد الها الا من جهة الحول
يعترض فسموا به على معنى جعل الاسم الذي جرت التسمية به حقيقة له فسموا ظنا منهم ان بذلك التوسل والتقرب
لا ان يروا الشيء من ذلك حقيقة ذلك بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند
الله وقالوا والله ما امرنا بها ليعلم انهم عرفوا الله بما دعوا لا نفسهم في ذلك معاني يردهم الى الله سبحانه وتعالى
فذكروا بمجاز من احد اسا بين والله اعلم اما لسان الرسل في ذكر الله في امور تقربهم الى الله تعالى لقوله فردوه الى
الله والرسول وقال ان تنصروا الله ينصركم قوله و قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وصف مبايعته
العبد ونصره او نصرد نبيه نصر الله ومبايعته بما يقرب ذلك اليه لتسميتهم من عبدوها الا انهم والالهة في الحقيقة
او عن اهل الفلاسفة ان ليس لله اسم ذاتي وانما هو يسمى بذكر كل ذي شرف او منزلة عنده فعلى ذلك اذ تحل من بعدون
عندهم ما ذكرنا من القول عنهم فسموا به لا ان حققوا كما ذكروا حقيقة ذلك الاسم لمن عرفوه انه اله ردوا امرهم
في ذلك وذلك من لطف الله تعالى فيما حرم عليه كتسمية الخالق والرحمن انهم لا يسمون احدا بهما وان كثرت افعالهم
وعظمت رحمته في الخلق ليعلم انها اسماء الله تعالى منع الخلق من التسمي بها باللطف من حيث لا يعرف سببه
ثم قوله عز وجل قل هو الله احد اي الامر هو الله احد كما تقول انه زيد قائم اي الامر زيد قائم جواب من يسألك
ما الامر والشان فان ثمت ها هنا فنقول الامر زيد قائم اي ثمت لا حمله الى هذا يذهب الزجاج كانه يذهب الى انه
لما قال قل هو الله احد فقيل له ما الامر والشان فقال الامر الله احد اي ليعرفوا انه كذلك قوله عز وجل احد يتوجه الى
واحد فقوله احد اسم ينفي المثل في الاضافة كما يقال هو واحد الزمان وواحد الخلق على نفي التشبيه له عما اضيف اليه ويكون
واحد من حيث العدد بما عن مثله يبتدأ الحساب ولا يبتدأ من احد فيصير احد من ذا الوجه وان كان الله تعالى باق
من فني ذكر فيه ذلك وهو الواحد الذي يستحيل ان يكون وحدانيته من وجه يحتمل ثانيا ومن وجه تعديل هو الواحد لا
الخلق المتعالي عن معنى الاعداد والانداد وهو على ما ذكر الحكيم في الاحاد انه اربع واحد هو كل لا يحتمل التضعيف
لا حالة كون وراء الكل وواحد هو الاقل وهو الذي لا يحتمل التنصف والتجزي لا نه اقل الاشياء واذا انتصف يكون
ذلك النصف اقل منه وواحد هو واسط وهو الذي يحتمل التضعيف جميعا والرابع هو الذي قام به الاحاد هو ولا هو
اخوين هو الذي انحرس عنه اللسان وانقطع دونه البيان وانحسرت عنه الاوهام وحارت فيه الافهام
فذلك الله رب العالمين والاصل في ذلك انه لا سبيل الى العبادة عنه بغير هذا اللسان ولا وجه للتقريب
الى الافهام بهذا اللسان الا بما جرى به الاعتياد وظهرت به المعارف فلما ذكرنا من الضرورة جعل التوحيد
في الحقيقة بالادلة والبراهين في ضمن التسمية في عبارة اللسان وحقه مما اخبرت من ضرورات الاحوال
في ارادة التقريب الى الافهام الى عبارات اللسان المؤسس على الاعتياد في ظهار المعارف فعلى ذلك
القول بواحد وباحد لا على احدية غيره من جهة التوسط او من جهة القلة او من جهة الكثرة مما كل من
هو في معنى واحد فهو واحد الاحاد المجتمعة الا الواحد الذي يقال جزء لا يتجزى وهو من غير في الجملة
متجزى عن توهم ذلك الجزء غير متجزى في الوهم او هو الاقل منه وهو جزو في الحقيقة والله يتعالى
عن الوصف بالكل والبعض والقليل والكثير والواحد هما له حق لا بما عن الكل ورتبة القليل والكثير جل ثناءه
بل هو الذي جميع ما وصفت بل هو الذي خلق جميع ما وصفت وجعل لكل من ذلك مقابلا بما ذكر ليصير كل من ذلك
زوجا فيكون الوحدانية الحق له ولا قوة الا بالله قوله عز وجل الله الصمد فذكر انه احد وذكر انه الصمد في
تحقيق ما وصف من الاحدية وهو والله اعلم ان احوج جميع من سواه حتى تحقق جميع قصد جميع من سواه
بالحاجات اليه بالكون في الخلقة وفي الصلاح بعد الكون وفي الذي به الدوام بعد الوجود والوجود بعد
العدم ما يحتمل الوجود دونه ولا البقاء الا به احاطت الحاجات بكل ليكون له الغناء عن الكل في الوجود
والبقاء ليتحقق انه الموجود بذاته والمتعالي عن معنى وجود غيره سبحانه وهو على ما ذكرنا من عجز الالسن
عن البيان عنه بالعبادة الا على التقريب الى الافهام بالمجعول من اثار هويته في جميع الانام ثم قيل في الصمد بوجوه
يرجع جميع ذلك الى ما بينا احدها السيد الذي قد انتهى سؤدده في معنى ذلك في المفهوم من السؤدد في صرف الحوائج
اليه ووجا كل المحاوج له والثاني في ان لا جوف له وذلك في وصف الوحدانية والتعالي معنى احديته من اجتماع
اجزاء يمكن فيها الفرج والتقب التي كالاجواف وعلى ما فسر قوم بالذي هو اوقط الفاظ العبارة تخرج الكتاب وهو الذي
ذكر على اثره وهو قوله تعالى لم يلد لان كل ذي الكون ذو جوف عنه يتولد الاولاد فيكون في ذلك احالة قول من
نسب اليه الولد فيقول كيف يكون له ولد وقد يعلمون انه ليس بذي جوف كما قال بديع السموات والارض
انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة في قوم نزهوه عن الصاحبة وهم لم ينزهوه والولادة الا بها كما لو لم يشهدوا
الولادة الا عن ذي جوف فيكون في هذا نقض قول هذا الفريق فيه بالولد بما نزهوه عن الجوف كما في الاول

بارؤه

بما برؤه عن الصاحبة وقيل بما الذي لا جوف من الحاجات فيرجع الى التأويل الاول ان الصمود اليه بالحوائج وظن قوم
انه اذا نفي عنه الجوف يثبت انه مصمت وذلك معنى اجتماع الجزء فيه احل فيتكاثر كذي الجوف هو اجتماع اجزاء تتفرق فاذا
تحقق التنزيه عن احد الوجهين تحقق التنزيه عن الوجه الاخر في الوجهين نفي الوحدانية وتحقيق الازواج الاجما
معا قد ينفى عن اشياء امور لا تحقق فيها المقابلة كما ينفى عن الاعراض السمع والبصر والعالم لا على اثبات مقابلها بما علموا
ان الاعراض لا يحتمل الاعراضات فعلى ذلك العالم بوجوه ايتر الله تعالى والتنزيه عن احتمال الازواج تحقق القول
الذي ذكرت وقد قيل في الصمد انه الدائم وذلك ايضا يرجع الى ما ذكرت انه لا يحتمل التغير والاستحالة وامارة
اثر الحاجة وهو الصمود اليه بالحوائج وقد قال قائل في التاويل الاول لقد بكر الناعي بخيري بني اسد بعمرو بن
مسعود بالسيد الصمد ويقال صمدت الى فلان اي قصدت اليه وهذا يوضح معنى الصمد انه يصمد اليه في الحوائج
وقيل في ذلك ان الصمد تأويله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قال الشيخ ابو منصور رضي الله عنه الاصل
انه تعالى عظم القول بالولد ما عظم بجعل الشركاء وذلك ان معنى الولاد ان يكون بجوهر من له ولد فيكون
بذلك شريكا وذلك ينفي التوحيد فعلى ذلك القول بالولاد ولذلك اعظم القول به والزم على من عرفه بالادلة القول
ببراءته عن الولاد كما يثبت الاشتراك من الوجه الذي تبينا وقد شهد العالم بكليته بحق الخلقة على الله تعالى بالتشبيه من
الشركاء والاشباه جميعا فبطل القول بالذي ذكرنا معا كان جميع الخلايق على الاشياء والكل منه يحتمل الازدواج
ومنه يكون التوالد والله متعال عن ذلك وبعد فان كلام العالم على الاشياء اي حادث متولد عن غيره ويتولد منه
غيرها امران راجعان الى ما عليه حق هذا العالم وعليه موضوعهم وقد ثبت تعاليه عن جميع معاني غيره
اذ كل غير له بجميع معانيه حدث بعد ان لم يكن اي عليه تدبير غيره ويجري عليه تقدير سلطان غيره والله تعالى
لو كان يتوهم شيء من ذلك فيه يسقط له الالوهية وتحقق له الحاجة الى غيره ويوجب جري تقدير سلطان
غيره عليه وذلك يوجب غيرا خارجا عن هذه المعاني حتى تسلم الادلة له على حد الموضوع ويسقط الشهادة على
ما قامت وانطقت بالخلقة وبما فيه من الحكمة ولا قوة الا بالله وعلى ذلك ختم السورة ان ليس له احد كفوا
لانه من ذلك يوجب المماثلة وفي المماثلة اشتراك وقد ثبت فساد العالم بتوهم الاشتراك في تدبيره وقد
لزم التعالي عن المعاني التي للازدواج بها يقوم التدبير ويجري سلطان التقدير وجائز ان يكون مخرج السورة
في تحقيق نعت من قد عرفوه باحدى خصال ثلاث اما بالسلفين الكل عن كل الى ان ينتهي ذلك الى علام الغيوب
فيخبرهم بذلك وائتام على ذلك حتى ايقن من بعد ذلك انه بعد تلقين سمو رت ظاهر لا يحتمل مثله الخطاء
في حق تعارف الامور بما يبطل المعارف كلها بامرها التشوا وبها تعاملوا وذلك كاول علوم الخلق وكالشيء المطبوع
الذي لا يستطاع جحده الا بما به لعل الطباع المخلوقة على جهة الرياضة وانواع الحيل واما بالتامل فيها في
كل جزء من اجزاء العالم من الادلة عليه والشهادة له فيتبين بالايتان الذين عرفوه باحد الوجوه التي
ذكرنا نعته كذا ليقطع به توهم المثل له او العدل في امر ليعرفوا ان القول بغير خارج عن الوجوه التي
ذكرنا وانه يرجع الى ضرب السلفين ليس له حق الطباع ولا حق التلقين الذي له صفات الكافية والكلية
في التلقين ولا في حق شهادة الكل بالخلقة بدرك بالتامل والتفكر فتسقط عن ذلك يرجع الى حقيقة ما هي
النعت دون غيره مما القول فيه يرجع الى تلقين من ذكر وتلبيس بالاجلة لذلك لا يضاهي شيئا مما ذكرت معا
في كل ذلك جميع ما وغير ذلك من شهادة الخلقة والحاجة فيها الى غيره من الايجاد والابقاء وهو الاحد بما لا دليل
لغيره بل في ذلك احالة الالوهية من كل الوجوه الثلاثة وهو الصمد بمعنى المصمود اليه في الحوائج المالك لقضائها
وهو الذي لم يلد ولم يولد وهو المتعالي عن احتمال الولاد فيه ومنه بما ذكرت من فساد الالوهية الثابت بما
ذكر من الوجوه قوله عز وجل ولم يكن له كفوا احد لما في كل احد سواه الوجوه التي منها يعرف سلطان غيره عليه
وانه دليل لمن ذكر له كل شيء على السؤال ولا قوة الا بالله ومنه الاستهداء ولما ذكرت سميت هذه السورة سورة
الاخلاص لما في اخلاص التوحيد لله ونفي الاشباه والشركاء في الالهية والربوبية وان كل شيء سواه مربوبه
ومملوك له ولا قوة الا بالله والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبينا محمد واله وصحبه اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق قال الفقيه رحمة الله الامر بالتعوذ يحتمل وجوها
ثلاثة احدها على التعليم لا لنازلة كانت في ذلك الوقت لكن لما علم الله تعالى من عظيم شر من ذكر بما يظن بالاغلب ان
ان شر ما ذكر يتصل بالذي ذكر في علم الله تعالى فامرهم بالتعوذ به كما اخبر في امر الشيطان انه عدو لهم وانه يراهم
من حيث لا يرونه ليكونوا ابدا معتدين متيقظين وفزعين الى الله تعالى معتصمين وهذا احق في التعليم من الذي ذكر في
سورة الناس لانه اضر من ذلك العدو لان ضرره انما يتصل به باتيانه ما دعاه الشيطان وما يوسوس في صدوره
الوسواس وذلك فعله يمكنه الامتناع عنه وهذا الضرر يقع بفعل غيره من وجه لا يعلم ما ناله اعني شر النفاثات
ونحو ذلك فهو احق في تعليم العباد فيه والامر بالفزع الى من باطنه حمل ذلك الفعل ممن ذكرنا معمولا مؤثرا

والثاني ما قيل نزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن يكيد لك فتعوذ باعوذ برب الفلق وبرب الناس من شره اذا اويت الى الفراش والثالث قيل ان واحدا من اليهود سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل هذا قال ابو بكر الاصم ذكروا في هذه حديثا ما لا يجوز فتركته قال الفقيه رحمه الله عليه ولكن عندنا فيما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وجهان في اثبات رسالته ونبوته احدهما بما علمه بالوحي انه سحر وذلك فعل فعله سرا منه ولا وقوف لاحد على الغيب الا بالوحي والثاني بما ابطل عمل السحر بتلاوة القرآن فيصير لتلاوته في ابطال عمل السحر ما للعصا موسى عليه السلام وان هذا في كونه آية اعظم مما فعل موسى عليه السلام لان ذلك بنوع ما له الفعل والعمل من حيث الجوهر والطبع من حيث مرأى الاعين فانه ثعبان تلقف ما صنعوا فاما ابطال السحر وعمله بتلاوة القرآن لا يكون الا باللطف من الله تعالى والله اعلم ثم الاصل في هذا عندنا قد ثبت الامر بالتعوذ بقوله قل اعوذ برب الفلق وقد بينا حق الاشتراك فيمن يتضمن هذا الامر ان كان على نازلة في واحد او على ابتداء التعليم فهو امر فيه رجاء الفرج والمخرج من الامور الضارة بما يعتصم فيها بالله تعالى بما عنده من اللطائف فجائز تمكينه من امور ضارة باللطف بحيث لا يعلم البشر شيئا منه والعمل الذي يعمل به لا يعلم حقيقة ذلك العمل الذي جعل الله لذلك العمل الا بما يسبق من وقوع ذلك وتجويز الامر والنهي باشياء وعنها من الافعال المكانة بما يتولد عنها من المنافع والمضار باللطف من حيث لا فعل في حقيقة ذلك للخلق وانما ذلك لطف من الله تعالى نحو ما نهى عن اكل اشياء وامر بها بما بها الاعتداء والقتل من غير ان نعلم حقيقة وصول ذلك الى ما نقدوا ونقتل واي حكمة في ذلك ومعنى له وكذلك الموضوع من المناكح بطلب الولد وسقي الاشجار والزرع بما يحدث الله فيها وان كان وجه العمل بالمأمور به والمنهي عنه وحقيقته لغير الذي له ذلك وعلى ذلك الامر بالاستماع والنظر لما يلقى اليه ويراه وان لم يكن حقيقة الادراك فعله وعلى ذلك النقد يجاز ان يكون الله تعالى يجعل النفث بالعزائم او بانواع السحر او بانواع الرقى مما لا في المقصود بها من النفع والضر لا يعلم حقيقة الوقوع والمعنى الموضع فيه له من منه ذلك الفعل وهو به مأمور وعنه منهي بما له من حقيقة الفعل وان لم يكن النافع به في حقيقة فعله ثم قوله عز وجل الفلق اختلفوا فيه قال بعضهم الصبح وقيل كل شيء ينفلق من جميع ما خلق نحو الارحام لتعرف ما فيها والحب والنوى والهوام وكل شيء متى ذهب الى تخصيص الصبح فهو لانه اخر الليل واول النهار وقد جرى تدبير الله تعالى في انشاء هذين لو تفين على جميع العالم بحيث لا يملك احد الامتناع عن حكمها فيما جعل لهما وهما النهاية في العلم بعلم الله تعالى الغيب ذي جرى من تدبيره في اخراج الاوقات في الليل والنهار على حد واحد كل عام بما فيهما من الرحمة للخلق وانواع المحنة ومن عليهما بما يأتيان الخلق ويذهبان فكأنما ذكر جميع الخلق على ما ذكرنا وبل قوله تعالى برب الناس فيكون فيه لو قصد بالذكر ما في الكل ذلك ولا قوة الا بالله وقوله عز وجل من شر ما خلق له وجهان احدهما من شر خلقه لما اضاف الى فعله كما يقال من شر فعل فلان اي من شر فعله ويحتمل من شر يكون من خلقه لكن الاضافة اليه بما هو خالق كل شيء من فعل خلقه ومن خلق ما له الفعل ولا فعل والاول كان اقرب لما ذكر في بقية السورة الواقع بخلقه المكتسب من جهتهم واضيف اليه لما بينا ولان كل شر اكتسبه الخالق فذلك منسوب الى الله تعالى خلقا وهو فعل المكتسب وكسبه فمتى كان المراد من قوله تعالى من شر ما خلق هذا النوع فكان ذكر ما بعده يكون تكريرا واذا احمل الاول على محض التخليق فيما لا صنع للخلق فيه من الشرور وكان ذكر ما لهم صنع فيه وان كان يخلق الله تعالى عز وجل لا يكون تكريرا فيكون هذا التأويل احق بما قد بينا انه يمنع في فعل غيره بلطف او بمجاز وفي الاعجاز لا يحتمل التعوذ من شر من لا يقدر على فعل يتصل به الشر وفي ذلك اثبات التمكين لما يقع به الشر فيجوز التعوذ من الذي منه اذ به يكون من غيره على ما بينا من جواز الامر والنهي عن افعال لمكان ما يقع بها وان لم يكن الواقع في الحقيقة لهم فعلى ذلك التعوذ من شر خلقه وهو التمكين والمستعان وفي هذا تعلق بعض من يقول بالقوة يسبق الفعل انه لو لم يكن له قوة على الشر كيف كان يتعوذ من شر من لا يقوى عليه والجواب من وجهين احدهما ان التعوذ يكون بما سيفعل بما يملك هو ما يقع لديه الفعل وهو الالات السليمة والقدر يحدث تباعا على حدوث الافعال ويحدث لما يختار هو فصارت القدرة في كونها لما يختار ككون ما يختار من الفعل بالاختيار بحدوث القدرة حالة الفعل فيتعوذ منه لعلمه ان الذي به كانه في يده والثاني ان قد جرت العادة بالعلم بما يقع في المتعارف كالعلم بما هو واقع في الرغبة والرهبة الا ترى انه يتعوذ من ظلم الجبابرة والظلمة على ما بينهم من بعد الامكنة وطول المدد الامكان الوصول بما اعتقد منهم بلوغ امثال ذلك وان كانت القدرة على الظلم في حقه للحال معدومة لا يبقى في مثل هذه المدة فعلى ذلك الامر الاول وقوله عز وجل ومن شر غاسق اذا وقب اختلف فيه قيل الغاسق هو الليل المظلم والغسق الظلمة وقيل سمي الليل غاسقا لان الغاسق البارد وقال الله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا والليل ابرد من النهار لذلك سمي غاسقا والاصل في هذا ان الذي ذكر لا يكون منه ضرر يتعوذ منه لكنه يرجع الى من كان في ظلم الليل او في نور القمر الذي بان منه المضار ومعلوم ان من الشرور ما لا يمكن منها الا في ظلم الليل وقوله ومنها في الليالي لا يمكن الا بنور القمر فامر بالتعوذ مما يكون فيها لا ان يكون منها وهو كقوله تعالى والنهار مبصرا بما يقع بالابصار لا انه يقع منه ذلك وهذا والله اعلم ليس على تخصيص الليل بذلك لانه ليس

له فعل الشر لكن قد يعرض به الامكان من الشر لما المعلوم ان من الشرور ما لا يمكن فيها الا في ظلم الليل ومنها في الليل لا يمكن الا بنور القمر فامر بالتعوذ منه مما يتحقق فيه فعلى ذلك يجوز التعوذ من شر انها على ما قيل ما يقع به من التمكن من الشر او يوجد فيه والله اعلم وقوله عز وجل اذا وقب اختلفوا في معناه وقيل اذا جاء وقيل ذهب وقيل معناه القمر اذا خسف امر بالاستعاذة من ذلك اذ هو علم من اعلام الساعة لهذا قال اذا وقب اذا القمر لا يخسف الا في الليل وقوله عز وجل ومن شر النفاثات في العقد فهذا تعوذ من شرهم بحسب سببه لكنه في الحقيقة فعل لهم وفي الاول يقع سبب بلا صنع لهم فكانه في الجملة امر بالتعوذ من كل اسباب خيف تولد الشر منه فعلا كان ذلك له او لم يكن الا ترى الى قوله تعالى عز وجل فلا يغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقد يكون للشيطان فعل في الحقيقة ولا يكون للحيوة الدنيا فعل فوقع النهي عن الاغترار بهما فعلى ذلك التعوذ من شر الامرين وان لم يكن لاحدهما فعل بما يقع فيه وجائز ان يكون من هذا الوجه في الملائكة في الدفع والحفظ لقوله تعالى عز وجل له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قيل فيه اي بامر الله يقع حفظه فجائز ان يكون في هذه الامور الخفية وانواع المضار من حيث لا يعلم لا بعد جهد يقع الحفظ بالله تعالى على استعمال الملائكة وعلى ذلك يجوز ان يكون امرسلا من المطاعم والمشارب والمنافع التي للبشر عن افساد الجن يحفظ من ذكر ليكون فيها محنة للملائكة على ما كان مكان وسواس الشيطان ايقاظ الملائكة وسعونتهم ويحتمل ان يكون الله لم يمكنهم افساد ما ذكرنا وان مكنهم الوسواس اذ باللطف يمنع من حيث لا يعلم وقيل ايضا من امر الله عذابه وانواع البلايا الى وقت ارادة الله تعالى الوقوع وقوله عز وجل ومن شر حاسد اذا حسد يخرج على وجهين احدهما اذا كان الحاسد دون المحسود ولا يقوى على الشر ليفعل به والشر المتوهم منه يكون من شر نيته وعلى الحسد وارادته زوال النعم المحسود وذهاب دولته وانه جائز ان يكون الله عز وجل بلطفه يجعل في بعض الاعيان عملا ينادي بالنظر الى ما يستحسنه من النعم الى الزوال ويؤثرون وذهاب الدولة عنه فامر بالتعوذ لهذا وقد بينا لك المتولدات من الافعال بما جعل الله تعالى فيها من المضار والمنافع ما لا يبلغها علوم الخلق بل لو اراد الخلق ان يعرفوا ما في البصر من الحكمة التي تدرك بفتح البصر ما بين السماء والارض من غير كثير مهلة لم يقدروا عليه وروي عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا رقية الا من عين او حمة وعن ابن عباس رضي الله عنه العين حق فان كان شيء يسبق القدر يسبقه العين وفي خبر اخر لا شر في الهام والعين حق ويدل عليه في قصة اخوة يوسف عليه السلام قال لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وقد فتر فوروجه عمل العين وكيفية لكنه امر كعمل الشمس في العين نفسها فيما يبصر الشمس وينظر اليها فانها تضر وتغلبه عن النظر على بعدها من العين بما جعل الله تعالى وذلك من اللطف والحكمة وكذلك عمل العين في المعيون والثاني ان يكون بما حسد ان يبعث حسده على الحيل وانواع ما به العين من السعي في الامور التي بها الفساد على نعمه في غنمه قال الله تعالى في صفة المنافقين يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم ثم ما بين من فشلهم وضعفهم امرهم بالحذر عنهم وقال ان كيد الشيطان كان ضعيفا ثم امر بالتعوذ من شره فكذلك الحاسد والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب الناس فظاهره امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيء مشار اليه وهو التعوذ وحق الاجابة في مثله ان يقول قل اعوذ لكنه والله اعلم يخرج على وجهين احدهما ان يكون ذلك انزل بحق ان يتعوذ لك امرا لكل من يبلغه وتعليما بالذي عليه بالاعتصام بالله تعالى والالتجاء اليه من شر الذي ذكره ليعيذه ويكون الاعاذة بوجهين احدهما في تذكيرها عن فرمن يجيء ويقع ما يخطر بباله من المكروه والثاني باللطف الذي لا يبلغه علم الخلق ولا يدرك عقولهم مما لا يدبر يقع الامن عن الزيغ مما احقر الافعال والذي ذلك حقه فلله تعالى ان يكرم به العبد مبتدئا وله ان يقدم فيه محنة السؤال والاعتصام به على الاكرام ايضا ويلزم على من عصم به عن الزلة او هدي الحسنة الشكر لله تعالى فيما ابتداه او اكرمه به عند السؤال والوجه الثاني من وجهي الخطاب ان يكون الخطاب لغيره وان كان راجعا الى شأنه فهو مما يشرك في معناه غيره فابقى واثبت ما به يصير مخاطبا من بلغ ذلك وهو قوله تعالى قل حتى يدوم هذا الى اخر الدهر على جميع ما فيه حرف الكافة والمحنة اعني صيغة الامر والله الموفق ثم قوله تعالى قل اعوذ برب الناس الى اخر السورة وجهان من الحكمة فيهما نقض قول اهل الاعتزال احدهما ان المحنة قد تثبت بالامتناع من طاعة الشيطان والمخالفة له فاما ان كان الله تعالى اعطاه جميع ما يقع به الامتناع حتى لا يبقى عنده مزيد او لا يعطيه جميع ذلك بل بقي عنده شيء منه فان كان قد اعطاه فهو يطلب ذلك بالتعوذ والاعتصام بالله تعالى كاتم لما اعطاه طالب ما ليس عند الله تعالى فيكون الامر بالتعوذ محنة وامرا بكتمان ذلك وذلك حين استوفاه يكون انكاره ستر نعم الله تعالى وقد تبرأ عن الامر بالفحشاء والمنكر وبين ان ذلك عمل الشيطان ثم في المحنة بهذا محنة بالاستهزاء بالله تعالى لانه يطلب منه ما يعلم انه لا يملكه ولا يجده عنده نفسه وذلك من علم

المنز وعند ذي العقول فمن ظن ان الله تعالى يمتحن عباده وثامرهم بشيء مما ذكرنا فهو جاهل بالله تعالى وبحكمته وان لم
يكن الله تعالى اعطاه وعنده بعد ذلك ثم كان من مذهبهم انه ليس لله تعالى ان يمتحنهم بفعل الا بعد ايتاء جميع ما عنده مما كان
وجوده ففي ذلك اعتراف بلزوم المحنة وتوجيه التكاليف قبل ايتاء جميع ما عنده مما به الوصول الى ما امر به
وذلك ترك مذهبهم معا كان عندهم انه لو كان عند الله امر ومعنى لا يقع فعل المختار الا جل لا تراه يعطيه ذلك
لم يكن له ان يمتحنه وهو بالامتحان جائز فاما ان شاء لو ه يفعل قد امر به وان لم يكن اعطاه ذلك وهو ما وصفوا الله تعالى
بمثل ذلك او يفعل نيلو وقت الامر ذلك ويكون اعطاء ذلك وقت الامر فكانه ظن ان يأمروا ولا يعطي حتى يسال
وذلك حرف الجود ثم الاصل الذي اطمأن به قلوب الذين يعرفون الله تعالى انه متى هدى الهدايات التي تسال او عصم العصمة
التي يطلب او وفق لما يرجوا من الفعل وامان عند ما يخاف انه كان ذلك لا محالة وتحقق بلا شبهة وبا من لديه من
الزيغ والضلال وعلى ذلك جبلوا بما لا يجد غير معتزلي الا وقد اطمأن قلبه به حتى يعلم ان هذا منه وقع المجبول
عليه بالتقليد ولا قوة الا بالله تعالى وقوله عز وجل برب الناس الى الناس ولم يقل اعوذ برب الخلق وهذا اعم من الاول
واضافة كلية الاشياء اليه او اضافته الى الكل بالربوبية من باب التعظيم لله تعالى فما كان اعم فهو اقرب في التعظيم
فهذا والله اعلم يخرج على وجه احدها اراد التعريف وبهذا يقع الكفاية في معرفة من يفزع اليه ممن يملك ذلك
ليعوذ منه لكنه ذكر برب الفلق في موضع وبالله في موضع وبك في موضع كقوله تعالى وقل اعوذ بك من همزات
الشياطين وقال فاستعذ بالله ليعلم به من سعة الامر وتحقيق الفزع والرجوع الى الله تعالى عند نزول ما ينزل
بالمرء مما يخاف على نفسه ويشغل قلبه ان له ذكر ما يحضره من اسماء الله تعالى اي اسم كان اذ ما من اسم الا وفيه دلالة
على نعماء وسلطان ووفد وتدبر وعظمته ليكون في ذلك توجيه الملك اليه واخلاص الحمد له باضافة النعم فيكون ذلك
من يعينهما به التشفع الى الله تعالى من ذكر قدرته واحسانه وادفع ذلك في ذكر الناس بالاضافة اليه والثاني
ان الذين عرف فيهم الارباب والملوك والعبادات لمن دون الله تعالى هم الانس دون غيرهم فامر اهل
الكرامة بمعرفة الله تعالى والعصمة عن عبادة غيره والاعتراف بالملك والربوبية له ان يفزعوا اليه مما ذكر ذاكرين
لذلك واصفين بانه الرب لهم والملك عليهم والمستحق للعبادة لا غيره ولما كان للوجوه التي ذكرنا ضل القوم من
اتخاذهم اربابا دون الله تعالى ونزولهم على رأي ملوكهم في الحل والحرمة وفي البسط والقبض وعبادتهم غير الله
تعالى وفزعهم اليه فامر الله تعالى اهل الكرامة بما ذكرت الفزع الى الذي يذكر بهذه الاوصاف على الحقيقة على تخوف
الضالين الى اربابهم وملوكهم والذين عبدوه دونهم اذ اليه مفزع الكفرة ايضا عند الاياس عمن اتخذوهم
دون الله لنصرتهم ومعونتهم والله اعلم والثالث ان المقصود من خلق هذا العالم هم الذين نزلت فيهم
هذه السورة وغيرهم كالمجعول المسخر لهم قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال هو الذي
سخر لكم الاية وقال الله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا الاية فاذا قيل برب الناس ملك الناس فكانه
قيل برب كل شيء لان ما سواهم جعل لهم وذكر الخلق والتوجيه اليه في الاستعاذة والاستعانة هو
اعتراف بان لا يملك غيره ذلك فاستوى الامران والله اعلم وقيل في رب الناس مصلح الناس وذلك يرجع الى
ان به صلاحهم في الدين فوق النفس وقيل ملك الناس على الاخبار بان الملك له فيهم جميعا وفي الخلق
مما لم يذكر فيه جهة فيه جهة الملك فيتبين ان ذلك كله في التحقيق لله تعالى وملكه ولغيره يكون من جهته على
ما اعطى لهم بقدر ما احتاجوا اليه وقيل سيدهم لكن لفظة السيد لا يذكر لمالك غير الناس ويوصف بالرب
والملك والمالك على الاضافة لا مطلقا نحو رب الدار ومالك الجارية وملك المصر ونحو ذلك فكان اقرب **وقوله**
عز وجل من شر الوسواس الخناس فسمي الذي يوسوس بانه وسواس وخناس وقيل في تأويله من وجهين احدهما
انه يوسوس لذي الغفلة ويخنس عند ذكر الله تعالى اي يخرج ويذهب وقيل يخنس لا يرى ولا يظهر كقوله تعالى انه
يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ولهذا قيل في الجواري الخنس انهن يطلعن من مطالعهن ويخنس بالنهار
اي يختفين وقيل جائز ان يكون قوله عز وجل الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس الاية صيّر الموسوس
في صدور الناس من الجنة والناس وقيل ايضا على التقديم والتأخير معناه قل اعوذ برب الناس من الجنة والناس
من الذين يوسوس في صدور الناس اما الوسوسة فهي امر معروف وذلك مما يلقى من الكلمات التي يشتغل القلب
ويتحير لها في امر الدين بما لا يعرف الذي يلقى اليه المخرج من ذلك وعلى ذلك امر اهل الاهواء واصناف الكفرة كقوله
تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقوله عز وجل وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم واما
شياطين الجن فهو امر ظاهر عند جميع اهل الاديان ومن امن بالرسل عليهم الصلوة والسلام لكن الدهرية ومنكري
يقولون ليس في الجن شياطين وانما هو امر يخوف به مدعوا الرسالة ليلزموا الخلق الاستماع اليهم في تعرف الجهل
وما عندهم في دعواهم من العلوم والمعارف وهذا السفههم قالوا ولو انهم تأملوا في ذلك لعرفوا انهم على غير بحث
فما الزمهم ضرورة العقل الطلب ودعاهم الى البحث عنه ما مسهم من الحاجة وهي الخواطر التي تقع في القلوب و
الخيالات التي تعرض في الصدور ومنها اذا صورت وجدت قباحا ومنها ما اذا صورت وجدت حسانا ولا يجوز
وقوع امر وكون شيء لعله ان لم يكن من قبل نفسه للاحالة في ان يصير لا شيء بنفسه شيئا قبيحا او حسنا بلا مدبر و
قد علم جميع الانسان بالذي ذكرت من الابتلاء به مما يعلم انه لم يكن من نفسه معنى يحدث له ذلك فثبت ان قد كانت

الضرورة بلزوم البحث عن ذلك ثم لا يعلم من حيث طلب الابدان الموجبة لها ولا في العقول دركها فيجب بها امران متعام
عن العلم بهما الصوع بالجهل وحب الراحة احدهما العقول بالصانع ودخول العالم تحت تدبير حكيم عليم قدير والاخر
القول بالرسالة لتأتيهم من عند علام الغيوب واذا كانت ذلك بحيث لا يبلغه علم البشر فيعرف حقيقة ذلك فيعلم عند
النظر والبحث امرين عظيمين احدهما الرسل بما معهم من المعجزات فيقول ذبهم وما بالتوحيد بها وامن الايات الصدق
اذ قد علموا انه في الاخبار صدقا لو لا ذلك لكانوا لا يدعون شيئا اذ هو خبر له والثاني يلزمهم بما يعا ينوا من
خروج الامر من غير الحكماء انها تقع متفاوتة مضطربة والعالم بما خرج متسقا على الحكمة والمصلحة فعلموا
الله كان بتدبير حكيم بعد ما به المصالح فيلزمهم به امران ايضا التوحيد والرسالة ولا قوة الا بالله تعالى والاصل
عندنا بتمكين الشيطان ما ذكرنا من الوسوسة ان الشيطان والملك خلقان الله تعالى تعرفهما بالرسل
عليهم الصلوة والسلام وبما بلغنا من ضرورة الحاجة الى العلم بما بالغائب يصير عند التصور قبيحا او حسنا
فثانيا جميعا بما مكنهما الله تعالى من الامرين جميعا امر الملائكة الخير والحكمة فيسهل عليه سبيله تيسير الله
تعالى وفضله وامر الشيطان الضلال والشر فتيسير عليه حتى صار الخير للاول كالطبع والشر للثاني كذلك فاذا
كان كل واحد ممكنا من الامرين قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق الى قوله عز وجل للعسرى وقال الله عز وجل
يرد الله ان يهديه الى قوله تعالى كانما يصعد في السماء ثم الاصل في الانس انهم يتحنوا بحقوق بينهم وبين الله تعالى
وبحقوق فيما بينهم وكلفوا تثبيت الملائكة اياهم عز وجل اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا و
امروا برد ما يوسوس اليهم الشيطان بقوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وغير ذلك وعلى ذلك
خلقت الملائكة ممتحنين بالكتابة على البشر بقوله كراما كاتبين فيكون الحكمة في تكليف التمكين وما صف من محنة الله
تعالى باحد طاعتهم في انفسهم وفيما مكنوا من غيرهم على ما ذكرت من امر الانس وحكمة ذلك للانس الزام
التيقظ والنظر فيما يقع في قلبه من الخواطر ليعلم الذي له من الذي عليه وكذلك في تكليف الملائكة كتابة
قوله وفعله ليكون متيقظا ومتنبها في كل افعاله واحواله كتيقظه فيما كان الاولياء والاعداء من
الكاتبين الظاهرين عليه انه يحذر كل الحذر عما يؤذي وليه ويتحصن على كل امر فيه يقع بالامل ويحذر عدوه
اشد الحذر ولئلا يؤذيه من حيث لا يعلم فليتهمه كل تهمة ثم معلوم ان لا تحمل الكتبة الاعداء احكامه واصلاحه
غاية ما يحتمل الوسع فعلى ذلك فيما خفي اوهم في العقول في درك ما منهم وما غابهم كالذين ظهر لهم ممن
ظهروا لابصارهم والله الموفق وكذلك صلحت المحنة والامر في صحبة الاولياء والاعداء بحق الولاية
والعداوة فيما لا يرون صلاحها وفيما يرون اذ من الوجه الذي فيه الولاية والعداوة من نية الابصار
القلوب والعقول فيمكن الحذر والمعاملة جميعا وعلى هذا التقدير لم يمكن الله اعداءه ولا يرون من معاذهم
بافعالهم بابدانهم واموالهم بالسلب والتخييس والافساد قد مكن اعداءهم من الانس ذلك لتمكنهم
الدفع من ذلك والحذر عنه بما وقع الوقوف لبعض على حيل بعض والصرف عن ذلك وما هذا الا كدرك
الحواس بافعالها واسبابها بالحس وكذلك امر الملائكة لكن من لا يحتمل عقله معرفة الصانع والتوحيد
مع شهادة العقل وكل شيء فجهله بالشيطان غير مستبعد ولا مستنكر والله اعلم قال رضي الله عنه ثم
اختلف في وجه تمكن الشيطان من الانس فيما يوسوس اليه فقد روي في بعض الاخبار انه يجري فيه
مجرى الدم فانكر ذلك قوم وليس ذلك مما ينكر بعد العلم باحتمال الجري الدم فيه وجري قوة الطعام والشراب
وما به حيوة الابدان والحواس مما لطف مجراه في جميع العروق والاعصاب وكل شيء باطاقة ذلك الشيطان
وعلى ما روي في امر الملك مما يكتب ما لا يعلم موضع قعوده ولا يسمع صرير قلمه ولا ما يكتب علينا من ذلك
فعلى ذلك امر الذي ذكرت ثم قد ثبت التعوذ بامر الله تعالى نبيه ان يتعوذ به عن همزه ونزغه وحضوره
بقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية وقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقال
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وقال الذي يتخبطه الشيطان من المس لا يعرف ان امره على
ما يشاء ثم القول في اي موضع لو قت ماله من الوحي والمس والنزغ امر لا يحتاج اليه بحق لان الله تعالى اخبرنا
انا لا نراه بقوله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ولكن الذي وجبت المحنة الى افعاله التي يقع لها
اثار في الصدور وقد مكنا بحمد الله تعالى ومنه لنذرك منه وانما علينا التيقظ لما يقع في الصدور من
افعاله ووساوسه لندفع بما مكننا الله تعالى من الاسباب وعرفنا من الحجج نقض الباطل والتمسك
بالحق كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ويرجعوا الى الله تعالى بالتعوذ
في طلب اللطف الذي جعله الله تعالى للدفاع كقول يوسف عليه الصلوة والسلام والا تصرف عني كيدهن
اصب اليهن الاية على العلم فيه بطوائف الاشياء من المجعول لدفع كيدهن وكذلك قول الراسخين
في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة الاية ولكن من الناس من يقول هو بما النفس
فيما تهوى فيزين لها ذلك والعقل فيما يدعوا عن ذلك فيمنعه عن ذلك ومنهم من يقول لا لكن في ذلك اثار من
الظلمة والنور والطيب والخبيث فيعرف بالاثار وفيها موقع وسواسه حتى يصل الى الفعل وقد يكون عمل
الهوى والعقل جميعا في الجسد وخارج منه ونجاسة اثار الافعال ومنهم من يقول ليس له شيء من ذلك علم

لكن يجمل ما يرجوا العمل من التعوير او في التمويه والتلبيس كما لا يمى فيما يمس و يطلب المضار من المنافع ونحو ذلك
لكن ذلك كله طريق عمل الشيطان وطريق امكانه وحيله وذلك امر لم نؤمن بمعرفته وانما علينا مجاهدته في دفع ذلك
بالتيقظ و يدفعه بما يتذكر هكذا ذكرت في الايات او بالفزع الى الله سبحانه وتعالى في دفعه ومنعه ان حضر بما عنده
من اللطائف التي لا بها يقع الامن عن الزيغ والظفر بالرشد ويا والكثير منهم انه يوسوس في صدور الجن كما يوسوس
في صدور الناس وذلك ممكن لما قد يكون من كل جنس ضلال وغواة واخيار وابرار فاما حققنا وبل السورة على ما
وصفنا في ذكر وسواس الجن والانس ثم القول في المعوذتين انهما من القران اوليستا من القران قال الفقهاء رحمة
الله لنا من امرهما انهما بما ثبت الى اهل هذا العصر معرفة القران في الجميع بين اللوحين تتوارث الامة ولسنا
نحن ممن يعرف بالحجة والتمييز بما بين نعلم انهما معجزتان او لا وانما حق ذلك الاخذ عن اهل ذلك والشهادة بعد الثبات
انه من القران وانه معجز حقا مثالنا فيه الاتباع وقد اتسع بما يجري التعارف في جميع الشرائع التي بها يشهد انها
حق فعلى ذلك هذا لكن ذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه انه لم يكتبهما في مصحفه وذلك عندنا يخرج على وجهين
احدهما انه لم يكن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيهما شيئا انهما من القران ام لا ولم يكن ايضا رأى على
نفسه السؤال عن ذلك حقا واجبا لان القران وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يلزم علم الشهادة
والعمل به واحد اذ المقصود من كل ذلك القيام بالمقصود من حق الكلفة لا التسمية ولم يكن النجباء يمتحنون
انفسهم بالتشرف لوجوه التي بها يعرفون المعجز من غيره ذلك انه قران او غيره وانما ذلك من عمل المرتابين الشاكين في
خبر الرسول صلى الله عليه وسلم ليعرفوا انه مبعوث مرسل فاما من يعتقد عنده واطمأن به قلبه وزال عنه الحرج
فيما اتاهم فقد كفوا ذلك وكذلك يجوز ترك البحث عن ذلك لما ذكرت لا ان عنده انهما ليستا من القران وفي خبر
عقبة الجهني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه نزل اليوم ايات لم ير مثلهن قط قيل ما هن يا رسول
الله فقال المعوذتان دل انهما من القران وايد ايضا ما ذكرت في ترك الكتابة ما روي عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا فقولوا فنحن نقول لم نشهد في ذلك بانهما منه ولا لسنا منه بما لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره بهما فعلى ذلك امر عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ويؤيد ذلك ايضا امر
استعاذة القران انها مقدمة على القراءة وحق هاتين السورتين لو كانتا منه يتعين ان يكون في افتتاح
المصحف كالاستعاذة للقران فهذا ايضا بعض الذي يمنع بحقيقة ذلك منه وقد بينا جواز وجه الاشكال
مما كان الا نزل لحاجة العباد وعلى ذلك جرى العمل بهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره فهو امر
لا يقع الجهل الذي ذكرت وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لو علمت ان احدا اعلم بالقران مني وحملتني مطيتي
لاتيته وقد روي عمن ذكر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعرض
على جبرائيل عليه الصلوة والسلام كل عام مرة الا في العام الذي قبض عرض عليه مرتين
وقد شهدهما جميعا عند الله فعله لم يعرض ما شاء الله واذا كان كذلك لم يكن هو ممن
يشك في هذا الباب بخبره ليثبت عنده السماع بانهما اثبتنا في المصحف فبقي قوله بحيث
لا نعرف حقيقته ووجه اخر ان يكون راهما منه لكن لم يكتب لوجهين احدهما
لما لم يكن موضع الكتاب والتدبر على ما ذكرنا ان يكون في اول المصاحف فكره
ان يكتب بتدبيرهم و يغيرها موضعها الكتاب فلم يكتب كذلك والثاني انه لم يكتب
ليحفظ ولا ينسى وقد امن عليهما النسيان لانهما يجب [illegible] تلاوتهما في
اوائل النهار ومبادي الليل وعند النوازل يقع التعوذ بهما عن
كل شر وكثير على نحو الاستعاذة وانواع الدعوات المدعوة فلما
امن نسيانهما لم يكتب وعلى ذلك ترك كتابة فاتحة الكتاب والله اعلم

تم الحمد لله رب العالمين

قد وقع الفراغ من النسخة الشريفة في عشر شعبان الثلاث وثمانين
ولأتم [illegible] بيد اضعف العباد علي بن حسن
[illegible] غفر الله لهما ولوالديهما و
لجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين و
المسلمات الاحياء منهم والاموات
آمين برحمتك يا ارحم
الراحمين

من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بزين الصدور
وقفي عبده